

أَيُّسَرُ التَّفَاسِيرِ لِكَلَامِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

تأليف

أبي بكر حرب البرزاري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزیدة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

أيسر التفاسير

لكلام عليّ الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الأول

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزيّدة ومنقّحة ومصحّحة وبهامشها

نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من :
راسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

ثم أما بعد أيضاً فهذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وضعته مراعيّاً فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم ، وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء وشفاؤهم من الأدواء ، قال تعالى ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ . وقال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ . ومراعيّاً فيه أيضاً رغبة المسلمين اليوم في دراسة كتاب الله وفهمه والعمل به ، وهي رغبة لم تكن لهم منذ قرون عدة حيث كان القرآن يقرأ على الأموات دون الأحياء ويُعتبر تفسيره خطيئة من الخطايا وذنباً من الذنوب ، إذ ساد بين المسلمين القول : بأن تفسير القرآن : صوابه خطأ وخطأه كفر ، فلذا القارئ يقرأ : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ، والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى

أصواتهم: يا سيدى يا سيدى كذا وكذا ولا يجروا أحد أن يقول: يا إخواننا لا تدعوا السيد فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وبقراءة القارىء ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ويسمعه من يسمعه، ولا يخطر على باله أن الآية تصرح بكفر من لم يحكم بما أنزل الله، وأن أكثر المسلمين مؤرطون في هذا الكفر حيث تركوا تحكيم الشريعة الإسلامية الى تحكيم القوانين الملفقة من قوانين الشرق والغرب وهكذا كان يقرأ القرآن على أموات الأحياء وأحياء الأموات فلا يرى له أثر في الحياة.

هذا ونظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. تُبَيِّنُ فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية. مع تربية ملكة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم. مع التجميل بالأخلاق القرآنية والتحلى بالآداب الربانية. وقد هممت بالقيام بهذا المتعين عدة مرات في ظرف سنوات، وكثيرا ما يطلب منى مستمعوا دروسي في التفسير في المسجد النبوى أن لو وضعت تفسيراً للمسلمين سهل العبارة قريب الإشارة يساعد على فهم كلام الله تعالى، وكنت أعد أحياناً وأتهرب أحياناً أخرى، حتى ختمت التفسير ثلاث مرات وقاربت الرابعة، وأنا بين الخوف والرجاء وشاء الله تعالى أن أجلس في أواخر محرم عام ١٤٠٦ هـ، الى فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح العبيد رئيس الجامعة الإسلامية ويُلهم أن يقول لى: لو أنك وضعت تفسيراً على غرار الجلالين يحل محله في المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التى خلا منها تفسير الجلالين فضّر كثيراً بقدر ما نفع، وصادف في النفس رغبته فأجبت به بأن سأفعل ان شاء الله تعالى. وبهذا الوعد تعينت واستعنت الله تعالى وشرعت وفى أوائل رجب من العام نفسه تم تأليف المجلد الأول الحاوى لثلث القرآن الكريم وفى أول رمضان كان المجلد الأول قد طبع والحمد لله، وواصلت التأليف والله أسأل أن يتم فى أقرب وقت، وأن يتقبله منى وهو منه وله، فينتفع به كل مسلم يقرأه بنية معرفة مراد الله تعالى

من كلامه ليعرف ربه معرفة تكسبه خشيته ومحبته ويعرف محابه تعالى ليتقرب بفعلها إليه ، ويعرف مساخطه ليتجنبها خوفاً مما لديه .

هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي :

١ - الوسطية بين الاختصار المخل ، والتطويل الممل .

٢ - اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات .

٣ - الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية .

٤ - اخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها . إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث . . وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .

٥ - إغفال الخلافات التفسيرية .

٦ - الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية ، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية .

٧ - إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية .

٨ - عدم التعرض للقراءات الا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما ، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادراً

٩ - خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وان كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح . حتى إن القارئ لا يفهم ان هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى ، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر اسلامي موحد صائب سليم .

١٠ - التزم في هذا التفسير بالخطبة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقاً وعملاً لا هم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به ، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاء وحكماً ، فلذا أنخليته من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن ، أو يصرف عن العمل الى القول والجدل .

ولذا فقد جعلت الكتاب دروساً منظّمة متسقة فقد أجعل الآية الواحدة درساً فأشرح كلماتها، ثم أبين معناها، ثم أذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل. وقد أجعل الآيتين درساً، والثلاث آيات والأربع والخمس ولا أزيد على الخمس إلا نادراً، وذلك طلباً لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به.

وقد جعلت الآيات مشكولة على قراءة حفص وبخط المصحف وإنى أطالب المسلم أن يقرأ أولاً الآيات حتى يحفظها، فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها، ثم يدرس معناها حتى يعيه، ثم يقرأ هداياتها للعمل بها. فيجمع بين حفظ كتاب الله تعالى وفهمه والعمل به، وبذلك يسود ويكمل ويسعد إن شاء الله تعالى. وقد جاء في الحديث^(١) «أن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع آخرين» فمن قرأه بحسن نية فحفظه وفهمه وعمل به وعلمه فقد يدعى في السماء عظيماً، وفي الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». اللهم اجعلنى وسائر المؤمنين ممن يفوزون بهذه الخيرية فيتعلمون كتابك ويعملون به ويعلمونه يا حى يا قيوم.

وأخيراً أطالب كل مؤمن ومؤمنة يقرأ تفسيرى هذا المسمى: بأيسر التفاسير للكلام الله العلى الكبير أن يستغفر لي ويترحم علىّ هذا حقى عليه اللهم وفقه لأدائه واغفر لى وله وارحمى وإياه وسائر المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه الراجى عفوره ورضوانه أبو بكر جابر الجزائري

المدينة المنورة ١٧ رمضان ١٤٠٦ هـ

(١) رواه مسلم.

[تنبيه]

مراجع هذا التفسير أربعة وهى: جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجلالين المحلى والسيوطى، تفسير المراغى، تيسير الكريم الرحمن لبعدا الرحمن بن ناصر السعدى رحمهم الله أجمعين وجمعنا معهم فى جنات النعيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وآله الأماجد وصحبه الكرام، وبعد: فإنه نظراً إلى حاجة طلبة العلم إلى المزيد من المعرفة وكان «أيسر التفاسير» قد وُضِعَ وضعاً خاصاً، إذ الباعث عليه كان تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين، وتجلية الأحكام الشرعية لهم ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق، وبالعامل بما شرع دون ما ابتدع مُزَكِّين نفوسهم بذلك مكملين آدابهم مهذبين أخلاقهم بما أودع الله جل جلاله كتابه من مناهج التربية الروحية والأخلاقية والآداب النفسية، وهو ما صرحت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. إذ لم يقل الله تعالى - فيما عَلِمْنَا - في كتاب من كتبه ﴿تبياناً لكل شيء﴾ إلا في القرآن الكريم، ومرة أخرى أقول: إنه نظراً إلى حاجة طلبة العلم إلى المزيد من المعرفة وضعت هذه الحاشية التي هي أشبهُ بتعليق على «أيسر التفاسير» وأسميتها (نهر الخير) أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من شاهد لغة، أو بيان، أو أثر جميل، أو مستند حديث جليل، أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن أو عجيبة من عجائب القرآن، التي لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب الملوان. وأهم من ذلك تصويب رأي، أو تصحيح خطأ وقع في التفسير، مع إزالة إبهام، أو إضافة بعض الأحكام.

والله تعالى أسأل أن يكون عملي فيه صالحاً، ولوجهه تعالى خالصاً، وأن ينفع بنهر الخير كما نفع بأيسر التفاسير إنه برحيم وعلى كل شيء قدير.

أبو بكر جابر الجزائري

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

وهي مكية وآياتها سبع^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
 وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

شرح الكلمات :

التفسير^(٢) : لغة الشرح والبيان . واصطلاحاً : شرح كلام الله ليفهم مُرادُه تعالى منه
 فيطاع في أمره ونهيه ، ويؤخذ بهدأيته وارشاده . ويُعتبر بقصصه ، ويتعظ
 بمواعظه .

السورة : السورة^(٣) قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر . وسور
 القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها «البقرة» وأقصرها «الكوثر» .
 الفاتحة : فاتحة كل شيء بدايته . وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين

(١) الآية : في اللغة العلامة . ومنه قول الشاعر :

توهمت آيات لها فعرفتها لسته أعوام وإذا العام سابع .

(٢) مصدر فسر تفسيراً وفعله المجدد فسر كنصر فُسراً إذا أبان الكلام وكشف معناه .

(٣) لفظ السورة مشتق إما من سور البلد لارتفاعها وعلو شأنها أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالى
 أي قطعة منه . وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولى ، ويشهد لذلك قول الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
 (٤) أطول آية في القرآن ، آية الدِّين في آخر البقرة ، وأقصر آية فيه مدهامتان ، من سورة الرحمن .

ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن. والسبع^(١) المثاني. وأم الكتاب^(٢)، والصلاة.

مكية

: المكي من السور: ما نزل بمكة، والمدني منه ما نزل بالمدينة. والسور المكية غالبها يدور على بيان العقيدة وتقريرها والاجتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها. وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالى في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ، وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة. والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

: الآيات: جمع آية وهي لغة: العلامة. وفي القرآن: جملة من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالاتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه، وعلى نبوة محمد ﷺ ورسالته. وآيات القرآن الكريم ست آلاف ومائتا آية وزيادة.^(٤) وآيات الفاتحة سبع بدون البسملة^(٥)

الاستعاذة^(٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

شرح الكلمات

الاستعاذة : قول العبد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
أعوذ : أستجير وأتحصن
بالله : برب كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين.

(١) بلغ بها صاحب الاتقان، ثيماً وعشرين اسماً، ولم يرد في السنة من ذلك سوى أربع: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وأم الكتاب.

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تنفي أي تكرّر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لأشتمالها على أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلى أربعين آية على خلاف بين القراء.

(٥) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة ليست آية، فالآية السابقة هي: (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين) ويكون (صراط الذين أنعمت عليهم) الآية السادسة.

(٦) العياذ بالله تعالى يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللياذ بالله تعالى يكون لطلب المحبوب يشهد لهذا قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجير الناس عظما أنت كاسره ولا يهضون عظما أنت جابره

* لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدني ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدي عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره

الشيطان : إبليس لعنه الله
الرجيم : المرحوم المبعد المطرود من كل رحمة وخير.

معنى الاستعاذة :

استجير وأتحصن بالله ربى من الشيطان الرجيم أن يلبس على قراءتى . أو يضلنى فأهلك وأشقى .

حكم الاستعاذة :

يسن^(١) لكل من يريد قراءة شىء من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ . كما يستحب لمن غضب ، أو خطر بباله خاطر سوء أن يستعيذ كذلك .

البَسْمَلَة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الكلمات :

البسملة : قول العبد : بسم الله الرحمن الرحيم
الاسم : لفظ جُعل علامة على مُسَمَّى يعرف به ويتميز عن غيره .
الله^(٢) : إسم علم على ذات الرب تبارك وتعالى يُعرف به .
الرحمن* : اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرتها فيه تعالى .
الرحيم : إسم وصفة لله تعالى مشتق من الرحمة ومعناه ذو الرحمة بعباده المفيضها عليهم في الدنيا والآخرة .

معنى البسملة :

ابتدئ^(٣) قراءتى متبركا باسم الله الرحمن الرحيم مستعينا به عز وجل .

(١) لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ من سورة النحل .
(٢) اسم لم يُسم به غير الله تعالى ، وهل هو جامد أو مشتق من ألّه ياله إلهة ، والوهة إذا عبد ، فالإله بمعنى المألوه أي المعبود ، فلفظ إله اسم يطلق على كل معبود بباطل كسائر الآلهة أو بحق كالله جل جلاله .
(٣) يقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارىء يقول : ابتدئ قراءتى والكااتب يقول ابتدئ كتابتى ، والأكل يقول : ابتدئ أكلى وهكذا .

* روى أن عيسى عليه السلام قال : الرحمن رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وأعم منه قول النبي ﷺ : رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما .

حكم البسملة :

مشروع للعبد مطلوب منه أن يُسَمِّلَ عند قراءة كل سورة من كتاب الله تعالى الا عند قراءة سورة التوبة فإنه لا يسعمل وان كان في الصلاة المفروضة يسعمل سراً إن كانت الصلاة جهرية.

ويسن للعبد أن يقول باسم الله ^(١). عند الأكل والشرب، ولبس الثوب. وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الركوب. وعند كل أمر ^(٢) ذي بال. كما يجب عليه أن يقول بسم الله والله أكبر عند الذبح والنحر.

(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

شرح الكلمات :

الحمد : الوصف بالجميل، والثناء به على المخلوق ذي الفضائل والفاضل، كالمَدْح ^(٤) والشكر ^(٥).

لله : اللام حرف جر ومعناها الاستحقاق أى أن الله مستحق لجميع المحامد والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

السرب : السيد المالك المصلح المعبود بحق جل جلاله.

العالمين : جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الانس وعالم الحيوان، وعالم النبات.

(١) لحديث: سَمَّ الله وكل يمينك، وهو في الصحيح.

(٢) لحديث: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبترو الحديث وإن كان ضعيفاً فإن العمل به لما في معناه من أحاديث صحيح.

(٣) الحمد لله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي ﷺ قال له: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، وقوله له ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثله.

(٤) هناك فرق بين المدح والحمد، فالحمد يكون على الجميل الاختياري كما يحمد الله تعالى على لطفه ورحمته وإحسانه وأما المدح فإنه يكون على الاختياري والاضطراري كما يمدح الإنسان على جمال وجهه وهو ليس فعلة وعلى إحسانه الذي هو عمله الاختياري والثناء المدح وتكراره مرة بعد مرة.

(٥) الشكر: الثناء باللسان على المنعم بما أولى من النعم، فهو أخص من الحمد مورداً إذ مورده النعمة فقط وأعم متعلقاً إذ متعلقه القلب واللسان والجوارح لقول القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد يعم المدح والشكر لحديث: الحمد رأس الشكر.

(٦) مما شهد لاطلاق لفظ الرب على المعبود قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالث عليه الثعالب

معنى الآية :

يخبر تعالى أن جميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هي له وحده دون من سواه ؛ إذ هو رب كل شيء وخالقه ومالكه .
وأن علينا^(١) أن نحمده ونشني عليه بذلك .

(٢) الرحمن الرحيم

تقدم شرح هاتين الكلمتين في البسملة . وأنها اسمان وصف بهما اسم الجلالة «الله» في قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ثناءً على الله تعالى لاستحقاقه الحمد كله .

(٣) مَالِكٌ^(٢) يَوْمَ الدِّينِ

شرح الكلمات :

مَالِكٌ : المالك : صاحب الملك المتصرف كيف يشاء
مَلِكٌ : الملك ذو السلطان الأمر الناهي المعطى المانع بلا ممانع ولا منازع
يَوْمَ الدِّينِ : يوم الجزاء^(٣) وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس ما كسبت
معنى الآية :

تمجيد الله تعالى بأنه المالك لكل ما في يوم القيامة حيث لا تملك نفس لنفس شيئاً والمملك الذي لا مَلِكٌ يوم القيامة سواه .

(١) لأن اللفظ خبر ومعناه الانشاء أي قولوا : الحمد لله .

(٢) قرأ حفص مالك باسم الفاعل ، وقرأ نافع ملك بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان والله حقا هو الملك المالك .

(٣) صح تفسير يوم الدين بيوم الحساب عن السلف من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولما كان الحساب غاية الجزاء صح إطلاق لفظ الجزاء على يوم الدين ، إذ يقال دانه يدينه بكذا ديناً وديناً إذا حسابه وجزاه ، وفي الحديث الكيس من دان نفسه أي : حاسبها ، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو صحيح .

هداية الآيات :

في هذه الآيات الثلاث من الهداية ما يلي :

- ١- أن الله تعالى يحب ^(١) الحمد فلذا حمد تعالى نفسه وأمر عباده به .
- ٢- أن المدح يكون لمقتضى . وإلا فهو باطل وزور فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه رب العالمين والرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

(٤) إياك ^(٢) نعبد وإياك نستعين

شرح الكلمات :

- إياك : ضمير نصب يخاطب به الواحد
نعبد ^(٣) : نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب
نستعين : نطلب عونك لنا على طاعتك ^(٤)

معنى الآية :

علّمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال احمدا الله واثنوا عليه ومجدوه، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره .

هداية الآية :

من هداية هذه الآية ما يلي :

- ١- آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده . وزادت ^(٥)

(١) قال رسول الله ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى إنه حمد نفسه، ولفظ البخاري، لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وقال ﷺ : ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ . رواه البيهقي عن أنس بسند حسن .
(٢) العدول عن تعبدك ونستعينك إلى إياك نعبد وإياك نستعين لإفادة الاختصاص والحصص، وفي إياك نعبد وإياك نستعين نكتة بلاعية وهي : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهي من المحسنات البديعية .
(٣) نعبد مضارع عبده إذا أطاعه متذللاً له خوفاً منه وطمعاً فيما عنده فأجبه لذلك غاية الحب وعظمه غاية التعظيم وهكذا تكون عبادة المؤمن لربه تعالى .

(٤) وعلى كل ما يهيم العبد من أمور دينه ودنياه .

(٥) روى أبو داود والترمذي، والنسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ عجل هذا، ثم دعاه فقال له أولغيره، إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليُدع بعد مما شاء .

السنة الصلاة على النبي ﷺ ، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له .
٢- أن لا يعبد غير ربه . وأن لا يستعينه إلا هو سبحانه وتعالى .

(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

شرح الكلمات :

إهدنا : أرشدنا وأدم هدايتنا

الصراط : الطريق الموصل إلى رضاك وجنتك وهو الإسلام لك

المستقيم : الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى

معنى الآية :

بتعليم من الله تعالى يقول العبد في جملة إخوانه المؤمنين سائلاً ربه بعد أن توسل إليه بحمده والثناء عليه وتمجيده ، ومعاهدته أن لا يعبدَ هو وإخوانه المؤمنون إلا هو ، وان لا يستعينوا إلا به . يسألونه أن يُديم هدايتهم للإسلام حتى لا ينقطعوا عنه .

من هداية الآية :

الترغيب في دعاء الله والتضرع إليه وفي الحديث الدعاء ^(١) هو العبادة .

(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

شرح الكلمات :

الصراط : تقدم بيانه .

الذين أنعمت عليهم : هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، وكل من أنعم الله ^(٥)

(١) روى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الأخرى ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا : إذا نكث ، قال : الله أكثر .

(٢) فعل الهداية يستعمل يتعدى بنفسه وبحرف الجر فمن الأول قوله تعالى : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ومن الثاني قوله تعالى : فاهدوهم إلى صراط الجحيم .

(٣) الهداية نوعان : هداية بيان وإرشاد ، وهذه تطلب من ذوي العلم ، فهم يبينون للسائل طرق الخير ويرشدونه إليها . هداية توفيق إلى اعتقاد الحق ولزومه في الاعتقاد والقول والعمل ، وهذه لا تطلب إلا من الله تعالى ومنها هذه الدعوة : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ويشهد للهداية الأولى وهي هداية البيان قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَنَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ . ويشهد للثانية قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ . فأثبت لنبيه هداية البيان ونفى عنه هداية التوفيق وهي الهداية القلبية الباطنة .

(٤) رواه أصحاب السنن ، وصححه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٥) ورد هذا البيان في قوله تعالى من سورة النساء ﴿وَمَنْ يَطْعَمْكَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ .

عليهم بالإيمان به تعالى ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

معنى الآية :

لما سأل المؤمن له ولاخوانه الهداية الى الصراط المستقيم، وكان الصراط مجملًا بيّنه بقوله صراط الذين أنعمت عليهم وهو المنهج القويم المفضى بالعبد إلى رضوان الله تعالى والجنة وهو الاسلام القائم على الإيمان والعلم والعمل مع اجتناب الشرك^(١) والمعاصي.

هداية الآية :

من هداية الآية ما يلي :

١- الاعتراف بالنعمة

٢- طلب حسن القدوة

(٧) غير المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

شرح الكلمات :

غير : لفظ يستثنى به كإلا^(٢).

المغضوب عليهم : من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وفسادهم في الأرض كاليهود.
الضالين : من اخطأوا طريق الحق فعبدوا الله بما لم يشرعه كالنصارى.

(١) الشرك : عبادة غير الله مع الله تعالى أو اعتقاد ربوبية أو الهية كائن من كان مع الله تعالى ولولم يعبد إلهًا المخلوق في صفات الخالق الذاتية أو الفعلية.

(٢) لفظ غير مفرد مضاف دائمًا لفظًا أو معنى وإدخال آل عليه خطأ وأصله الوصف ويستثنى به.

(٣) الضلال والانحراف والبعد عن الهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان : ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد : هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ والضلال في العمل : هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه عز وجل بما لم يشرعه قربة، ولا ينجو من هذا الضلال إلا من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

معنى الآية :

لما سأل المؤمن ربّه الصراط المستقيم وبينه بأنه صراط من أنعم عليهم بنعمة الإيمان^(١) والعلم والعمل . ومبالغة في طلب الهداية الى الحق ، وخوفاً من الغواية استثنى كلاً من طريق المغضوب عليهم ، والضالين .

هداية الآية :

من هداية الآية :

الترغيب في سلوك سبيل الصالحين ، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين .

[تنبيه أول]: كلمة آمين ليست من الفاتحة . ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم ، والمنفرد كذلك لقول الرسول ﷺ إذا أمن الإمام فأمنوا . أي قولوا آمين بمعنى اللهم استجب دعاءنا ، ويستحب الجهر بها ؛ لحديث ابن ماجة : كان النبي ﷺ إذا قال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد .

[تنبيه ثان]: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة ، أمّا المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك ، وأمّا المأموم فإن الجمهور من الفقهاء على أنه يسن له قراءتها في السريّة دون الجهرية لحديث : من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ويكون مخصصاً لعموم حديث : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

(١) لفظ النعمة اسم جنس تحته أربعة أنواع : الأولى : نعمة الإيمان بالله وبما أوجب الإيمان به الثانية : نعمة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، والثالثة : نعمة معرفة محابه ومكارهه . والرابعة : نعمة التوفيق لفعل المحاب وترك المكاره .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنوبه .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ^(١)

مدنية وآياتها مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

(١) الْم

شرح الكلمة :

الْم : هذه من الحروف المقطعة تكتب الْم . وتقرأ هكذا :

ألف لام ميم . والصور المفتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها البقرة
هذه وآخرها القلم «ن» ومنها الأحادية مثل ص . وق ، ون ، ومنها الثنائية مثل طه ،
ويس ، وحم ، ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية ولم يثبت في تفسيرها عن النبي ﷺ
شيء وكونها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه أقرب إلى الصواب ولذا يقال

(١) ورد وصح في فضل سورة البقرة قوله ﷺ : «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة» أي السحرة . وروى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سناً لحفظه سورة البقرة وقال له : «أذهب فأنتم أميرهم» وروي أيضاً أن النبي ﷺ قال : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» .

(٢) قرأ نافع يؤمنون بتخفيف الهمزة جمعاً وإفراداً في كامل القرآن وقرأها حفص مهموزة في كل القرآن .

فيها: آلم : الله أعلم بمراده بذلك .

وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين : الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع^(١) القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف حتم . طس . ق . كهيّ عَص وهو منطلق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفى بهذه الفائدة من فائدة . والثانية لما انكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدثي لهم كأنها تقول لهم : ان هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا انتم مثله . ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالباً نحو ﴿آلم ذلك الكتاب﴾ . ﴿آلر تلك آيات الكتاب﴾ ، ﴿طس تلك آيات القرآن﴾ ، كأنها تقول : إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا .

ذَلِكَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

شرح الكلمات :

ذلك : هذا ، وانما عدل عن لفظ هذا إلى ذلك . لما تفيدته الإشارة بلام البعد^(٣) من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن .

الكتاب^(٤) : القرآن الكريم الذي يقرأه رسول الله ﷺ على الناس .

لا ريب^(٥) : لا شك في أنه وحى الله وكلامه أوحاه الى رسوله .

(١) روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، وعن عامر الشعبي وسفيان الثوري أنهم قالوا : الحروف المقطعة هي سر الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر . فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه . فلا ينبغي أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها .

(٢) دليله قوله تعالى من سورة فصلت : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ .

(٣) اسم الإشارة هو (ذا) وهو للقريب ويقال (ذاك) للمتوسط البعد و(ذلك) للبعيد .

(٤) يطلق لفظ الكتاب على الفرض نحو ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي فرض . وعلى العقد بين العبد وسيده نحو ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ وعلى القدر نحو ﴿كتاب الله﴾ أي قدره وقضاؤه . ويصح في إعراب الكتاب أن يكون بدلاً من اسم الإشارة ويصح أن يكون خبراً له .

(٥) وريب الدهر صروفه وخطوبه ، وأصل الريب قلق النفس لحديث الصحيح : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة» .

فيه هدى^(١) : دلالة على الطريق الموصل الى السعادة والكمال في الدارين .
للمتقين^(٢) المتقين أي عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه .
معنى الآية :

يخبر تعالى أن ما أنزله على عبده ورسوله من قرآن يمثل كتاباً فخماً عظيماً لا يحتمل الشك ولا يتطرق إليه احتمال كونه غير وحي الله وكتابه بحال، وذلك لإعجازه، وما يحمله من هدى ونور لأهل الايمان والتقوى يهتدون بها الى سبل السلام والسعادة والكمال .
هداية الآية :
من هداية الآية :

- ١- تقوية الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله، الحث على طلب الهداية من الكتاب الكريم .
 - ٢- بيان فضيلة التقوى وأهلها .
- الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون
والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون .
أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون .

شرح الجمل :

يصدقون تصديقاً جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس^(٣)
يؤمنون بالغيب
كأرب تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة
ونعيمها والنار وعذابها .

ويقيمون الصلاة^(٤)

: يُديمون أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع مراعاة
شروطها وأركانها وسننها ونوافلها الراتبة وغيرها .

(١) الهدى مصدر هدى يهدي وهو مذكر نحو هذا هدى وهو من أسماء النهار . وهو على وزن السرى والبكى واللقى من لقي الشيء يلقاه لقي .
(٢) المتقي اسم فاعل من اتقى، الذي أصله وقى إذا حفظ . واتقى بزيادة تاء الافتعال لاتخاذ وقاية تقيه وأبدلت واو وقى في اتقى تاء وزيدت فيها همزة الوصل وتاء الافتعال فصارت اتقى أي طلب الوقاية والحفظ مما يخاف ويكره .
(٣) الغيب مصدر غاب يغيب غيباً وغيبه إذا لم يظهر فلم يُرى للعيان ومعناه محض في الصدور . والإيمان . بالغيب مفتاح كل التقوى وكل خير .
(٤) إقام الصلاة جعلها قائمة أي مؤداة لا تسقط ولا تهمل . نحو ﴿أقيموا الدين﴾ أي أظهروه بالعمل به والدعوة إليه، والصلاة عمود الدين فمن أقامها أقام الدين ومن أعدها فلم يقمها فقد ترك الدين وأهمله .
(٥) الصلاة اسم جامد وزنها فعلة ولذا يجمع على صوات بفتح الفاء والعين واللام بمعنى الدعاء يقال : صلى إذا دعا وهي

وما رزقناهم^(١) ينفقون

: من بعض ما آتاهم الله من مال ينفقون وذلك باخراجهم
لزكاة أموالهم وبانفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم
ووالديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين.

يؤمنون بما أنزل إليك

: يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك ايها الرسول وهو
الكتاب والسنة

وما أنزل من قبلك

: ويصدقون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل من
قبلك كالتوراة والانجيل والزبور.

وبالآخرة هم يوقنون^(٢)

: وبالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب
هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون
لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.

أولئك على هدى من ربهم

: الإشارة الى أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار
عنهم بأنهم بما هداهم الله تعالى إليه من الإيمان وصالح
الأعمال هم متمكنون^(٣) من الاستقامة على منهج الله المفضي بهم
إلى الفلاح.

وأولئك هم المفلحون

: الإشارة الى أصحاب الهداية الكاملة والاخبار عنهم بأنهم
هم المفلحون^(٤) الجديرون بالفوز الذي هو دخول الجنة بعد
النجاة من النار.

في الشرع عبادة ذات ركوع وسجود وتكبير وتلاوة وتسيح تفتح بالتكبير وتختتم بالتسليم.
(١) الرزق هو: كل ما أوجده الله تعالى في الدنيا للإنسان من صنوف الأموال وضروب المأكولات والمشروبات والملبوسات
والمركوبات والمساكن، والمراد بالرزق في الآية: المال صامتاً كان أو ناطقاً.
(٢) اليقين: اسم فاعل من يقن الأمر وضوح وثبت والمراد به: العلم الحاصل عن نظر وتفكر الموجب لعدم الشك واضطراب
النفوس.

(٣) دل على التمكّن من الاستقامة حرف «على» في قولهم على هدى من ربهم فإنها للاستعلاء إذ الراكب على الفرس
متمكن منها يصرفها كيف يشاء لعلوه عليها.

(٤) وهم المتقون أصحاب الصفات الخمس التي هي الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وانفاق مما رزقهم الله، والإيمان بما
أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على من قبله والإيمان بالآخرة.

(٥) الفلاح: مشتق من فلح الأرض إذا شقها إذ الفلاح الشق والقطع كما قال الشاعر:
إن الحديد بالحديد يفلح . أي يشق ويقطع . ومنه الفلاح وهو الرجل يشق الأرض بالمحراث وعليه فالمفلح من شق طريقه
بين صفوف أهل الموقف ودخل الجنة، ويطلق الفلاح على الفوز وهو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب قال الشاعر:

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح . . . أي فاز به.

معنى الآيات :

ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث صفات المتقين من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإيمان بما أنزل الله من كتب والإيمان بالدار الآخرة وأخبر عنهم بأنهم لذلك هم على أتم هداية من ربهم، وأنهم هم الفائزون في الدنيا بالطهر والطمأنينة وفي الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

دعوة المؤمنين وترغيبهم في الاتصاف بصفات أهل الهداية والفلاح، ليسلكوا سلوكهم فيهدتوا ويفلحوا في دنياهم وأخراهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

كفروا : الكفر: لُغة التغطية والجحود، وشرعاً التَكْذِيبُ^(١) بالله وبما جاءت به رسلُهُ عنه كلا أو بعضاً.

سواء^(٢) : بمعنى مُسْتَوٍ ائذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

أَنذَرْتَهُمْ : الإِندَار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد.

(١) وقد يطلق الكفر على جحود النعمة والإحسان، ومن ذلك قوله ﷻ (يَكْفُرُنَ العَشِيرَ والإِحْسَانَ) لما قال: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء فقيل له بم يارسول الله؟ قال: يكفرن، قيل يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير أي الزوج - ويكفرن الإحسان.

(٢) سواء عليهم: هذا خبرٌ إنَّ الذين كفروا. وسواء اسم مصدر إذ فعله استوى والمصدر الاستواء واسم المصدر سواء، ولذا فهو بمعنى مستو أي: استوى ائذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا يؤمنون وإنما من كتبت عليهم الشقوة أزلأ كآبي لهب وأبي جهل وعقبة والعاصي والنضر وغيرهم.

ختم الله^(١)

طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف حتى لا يعلم ما فيه، ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير.

الغشاوة : الغطاء يَغْشَى به ما يراد منع وصول شيء إليه .

العذاب : الألم يزيل عدوية الحياة ولذتها .

مناسبة الآيتين لما قبلهما ومعناهما :

لما ذكر أهل الإيثار والتقوى والهداية والفلاح ذكر بعدهم أهل الكفر والضلال والخسران فقال: [إن الذين كفروا] إلخ فأخبر بعدم استعدادهم للإيمان حتى استوى إنذارهم^(٢) وعدمه وذلك لمضى سنة الله فيهم بالطبع على قلوبهم حتى لا تفقه، وعلى آذانهم^(٣) حتى لا تسمع، وَيَجْعَلِ الغشاوة على أعينهم حتى لا تبصر، وذلك نتيجة مكابرتهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر. وبذلك استوجبوا العذاب العظيم فحكم به عليهم. وهذا حكم الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار في كل زمان ومكان.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.
- ٢- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.

وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

(١) الختم حقيقته السد على الإناء والعلق على الكتاب بطين ونحوه والخاتم هو ما سد وأغلق به.

(٢) قطعت جملة إن الذين كفروا ولم تعطف على السابق لكمال الانقطاع بينهما وهو التضاد إذ الأولى في ذكر الهداية والمهتدين، وهذه في ذكر الكفر والكافرين.

(٣) قد يقال: ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلم يندرون؟ إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعهم، تكليف بالمحال. والجواب: أن دعوة النبي ﷺ لكل أحد وهو ﷺ لم يعلم من كتب الله تعالى عليه الشقاء ممن كتب له السعادة فلذا هو يدعو وينذر ومن كان من أهل السعادة أجاب الدعوة ومن لم يكن من أهلها رفضها ولم يجب.

(٤) تقديم السمع على البصر في عدة آيات من القرآن يفيد أن حاسة السمع أنفع من حاسة البصر وهو كذلك والعقل أعظم من ذلك.

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

ومن الناس ^(١)

: من بعض الناس ^(٢)

من يقول آمنا بالله ^(٣) : صدقنا بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه .

وباليوم الآخر

: صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة .

يخادعون الله

: بإظهارهم الإيمان واخفائهم الكفر .

وما يخدعون إلا أنفسهم ^(٥) : إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله

ولا على المؤمنين .

وما يشعرون

: لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم .

في قلوبهم مرض

: في قلوبهم شك ونفاق ولم الخوف من اقتضاح أمرهم والضرب

على أيديهم .

فزادهم الله مرضاً

: شكاً ونفاقاً والمأ وخوفاً حسب سنة الله في أن السيئة لا تعقب

إلا سيئة .

عذاب أليم

: موجع شديد الوقع على النفس .

مناسبة الآية لما قبلها وبيان معناها :

لما ذكر تعالى المؤمنين الكاملين في إيمانهم وذكر مقابلهم وهم الكافرون البالغون في الكفر

(١) ومن الناس خير والمبتدأ من يقول والسر في تقديم الخبر هنا هو إخفاء المخبر عنه ؛ لأنه ذو صفات ذميمة ، وأفعال شنيعة

نحو قول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا بما هو مؤذن بالتعجب من حالهم أيضاً .

(٢) لفظ الناس مشتق من ناس ينوس إذا تحرك كذا قيل وهل هو من النسيان أو الأنس الكل محتمل لأن آدم نسي ولأنه حصل له الأنس بحواء .

(٣) أي اعتقدنا على علم أن الله لا إله إلا هو ولا رب سواه ، إذ الإيمان التصديق الجازم بوجود الله تعالى رباً وإلهاً موصوفاً بالكمال منزهاً عن كل نقصان ، والتصديق بكل ما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب ، والرسول والبعث والقدر .

(٤) وإن قيل : ما وجه مخادعتهم لله تعالى والمؤمنين بإظهارهم الإيمان والإسلام تمويهاً في نظرهم على الله ، إذ لم يعرفوا جلاله وكماله وعلى المؤمنين ظناً منهم أنهم لا يعلمون ما يخفون في نفوسهم من الكفر والعداء . وأما مخادعة الله لهم فهي علمه تعالى بما يظنون من الكفر والشر وعدم فضيحتهم بذلك فلم يكشف أسرارهم ولم يذكرهم في وحيه بأسمائهم . ومخادعة المؤمنين لهم هي علمهم بنفاقهم وعدم مواخذتهم به ونسبتهم إليه . هذا ولو قلنا أن صيغة المفاعلة هنا ليست على بابها فهي بمعنى خدع يخدع وذلك نحو عاقبت اللص وعالجت المريض فلم نحتاج إلى ما ذكرنا والله أعلم .

(٥) قرأ نافع والجمهور وما يخادعون بألف بعد الخاء وقرأ حفص يخدعون بسكون الخاء .

متهاه ذكر المنافقين وهم المؤمنون في الظاهر الكافرون في الباطن، وهم شر من الكافرين البالغين في الكفر أشده.

أخبر تعالى أن فريقاً من الناس وهم المنافقون يدعون الإيـان بألستهم ويضمرون الكفر في قلوبهم. يخادعون الله والمؤمنين بهذا النفاق. ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم. كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ولكنهم لا يعلمون ذلك ولا يدرون به. كما أخبر تعالى أن في قلوبهم مرضاً وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضاً عقوبة لهم في الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة بسبب كذبهم وكفرهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

التحذير من الكذب والنفاق والخداع، وأن عاقبة الخداع تعود على صاحبها كما أن السيئة لا يتولد عنها إلا سيئة مثلها.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

الفساد في الارض : الكفر وارتكاب المعاصي فيها

الإصلاح في الأرض : يكون بالإيـان الصحيح والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي.

لا يشعرون : لا يدرون ولا يعلمون.

السفهاء : جمع سفيه : خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير.

(١) المنافق كل من يظهر الإيمان ويبطن الكفر والمذكورون كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة بعضهم من الأوس والخزرج وبعضهم من اليهود ورأس منافقي المشركين عبدالله بن أبي بن سلول ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى أسلم من أسلم وهلك من هلك إلا ما كان من عبدالله بن سبا اليهودي الذي أوقد نار الفتنة بالتعاون مع المجوس.

(٢) الخدع أصله الإخفاء والفساد ومنه مخدع البيت الذي تخفى فيه الأشياء والخادع والمخادع بمعنى واحد وهو أن يظهر بقوله أو فعله أنه يريد النفع وهو يريد الضرر، وهو حرام إلا في الحرب فإنه جائز.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالاته اليهود والكافرين ردوا عليه قائلين : إنما نحن مصلحون في زعمهم فأبطل الله تعالى هذا الزعم وقرر أنهم هم وحدهم المفسدون لا من عرضوا بهم من المؤمنين ، إلا أنهم لا يعلمون ذلك لاستيلاء الكفر على قلوبهم . كما أخبر تعالى عنهم بأنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين أصدقوا في إيمانكم وآمنوا إيمان فلان وفلان مثل عبدالله بن سلام ردوا قائلين : أنؤمن^(٤) إيمان السفهاء الذين لا رشد لهم ولا بصيرة فرد الله تعالى عليهم دعواهم وأثبت السفه لهم ونفاه عن المؤمنين الصادقين ووصفهم بالجهل وعدم العلم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ذم الادعاء الكاذب وهو لا يكون غالباً إلا من صفات المنافقين .
- ٢- الإصلاح في الأرض يكون بالعمل بطاعة الله ورسوله ، والافساد فيها يكون بمعصية الله ورسوله ﷺ

٣- العاملون بالفساد في الأرض يبررون دائماً إفسادهم بأنه إصلاح وليس بإفساد .

وَإِذَا الْقَوُا

الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

(١) أصل الإفساد : جعل منفعة الشيء مضرّة كإفساد الطعام ونحوه بما يلحق فيه .

(٢) إذا : هنا ليست شرطية بل لمطلق الظرفية .

(٣) قولهم : إنما نحن مصلحون لاذم فيه وإنما جاءه الذم من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون .

(٤) الاستفهام هنا انكاري أي : إذا دعوا إلى الإيمان أنكروا دعوة من دعاهم طاعنين في إيمان المؤمنين إذ نسبوهم إلى السفه ، وهو خفة العقل ، وقلة إدراك الأمور مبادئ وعواقب .

(٥) أي : بقوله : ألا إنهم هم السفهاء ، فبرأ المؤمنين من هذا العيب ووصم به المنافقين وهم أهله حقاً فإنه لا سفه أكبر من الكفر بالحق والإيمان بالباطل .

شرح الكلمات

- لَقُوا^(١) : اللقاء : والملاقاة : المواجهة وجهاً لوجه .
- آمَنُوا : الايمان الشرعى : التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله ، وأهله هم المؤمنون بحق .
- خَلُّوا : الخَلُّ بالشيء^(٢) : الانفراد به .
- شَيطَانِهِمْ^(٣) : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من انسان أو جان والمراد بهم هنا رؤساؤهم في الشر والفساد .
- مُسْتَهْزِئُونَ^(٤) : الاستهزاء : الاستخفاف والاستسخار بالمراء
- الطغيان : مجاوزة الحد في الأمر والاسراف فيه .
- الْعَمَهُ^(٥) : للقلب كالعمى للبصر : عدم الرؤية وما ينتج عنه من الخيرة والضلال
- اشْتَرَوْا^(٦) : استبدلوا بالهدى الضلالة اى تركوا الايمان وأخذوا الكفر .
- تَجَارَتِهِمْ : التجارة : دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه ، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الايمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزاً وغنى في الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذُلُّوا وعذبوا وافتقروا بكفرهم .
- المهتدى : السالك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريد في أقرب وقت وبلا عناء والضال خلاف المهتدى وهو السالك سبيلاً غير قاصدة فلا تصل به الى مراده حتى يهلك قبل الوصول .

(١) أصل لقوا : لقيوا نقلت الضمة إلى القاف ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين إذ فعله لقي كرضي .

(٢) عُدِّي فعل خلوا به إلى ولم يعد بالياء ، إذ يقال خلا بكذا لأن خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا .

(٣) فُسِّرَ بعضهم الشياطين بالكهان وبشياطين الجن ، والصحيح أنهم رؤساؤهم في الكفر والشر والفساد من منافقي اليهود وغيرهم .

(٤) أي : مكذبون بما ندعى إليه ساخرون من أهله .

(٥) العمه : انطماس البصيرة والتحير في الرأي وفعله عمه فهو عامه وأعمه .

(٦) الاشتراء : افتعال من شري يشري بمعنى باع . إذ فعل شري يكون بمعنى باع وبمعنى اشترى فاشترى كابتاع كلاهما مطاوع فعله شري أو باع ، إذ كل من البائع والمشتري أخذ شيئاً وأعطى آخر .

معنى الآيات :

ما زالت الآيات تحبرُ عن المنافقين وتصف أحوالهم إذ أخبر تعالى عنهم في الآية الأولى (١٤) أنهم لنفاقهم وخبثهم إذا لقوا الذين آمنوا في مكان ما أخبروهم بأنهم مؤمنون بالله والرسول وما جاء به من الدين، وإذا انفردوا برؤسائهم في الفتنة والضلالة فلا موهم عما أدعوه من الإيمان قالوا لهم إنا معكم على دينكم وما آمننا أبداً. وإنما أظهرنا الإيمان استهزاءً وسخرية بمحمد وأصحابه.

كما أخبر في الآية الثانية (١٥) أنه تعالى يستهزئ بهم بمعاملة لهم بالمثل جزاء وفاقاً ويزيدهم^(١) حسب سنته في أن السيئة تلد سيئة في طغيانهم لتزداد حيرتهم واضطراب نفوسهم وضلال عقولهم. كما أخبر في الآية (١٦) أن أولئك البعداء في الضلال قد استبدلوا الإيمان بالكفر والإخلاص بالنفاق فلذلك لا تربح تجارتهم^(٢) ولا يهتدون إلى سبيل ربح أو نُجَح محال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التنديد بالمنافقين والتحذير من سلوكهم في مُلَاقَاتِهِمْ هذا بوجه وهذا بوجه آخر وفي

الحديث: شراركم ذو الوجهين^(٣)

٢- إن من الناس^(٤) شياطين يدعون إلى الكفر والمعاصي^(٥)، ويأمرون بالمنكر وينهون عن

المعروف.

٣- بيان نقم الله، وانزالها بأعدائه عز وجل.

(١) تفسير لقوله تعالى ويمدهم إذ المدّ الزيادة يقال مده بكذا إذا زاده وقيل يستعمل أمد في الخير نحو: نمددكم بأموال وبنين، ويستعمل مد في الشر كما في الآية: ويمدهم في طغيانهم يعمهون.

(٢) أسناد الربح إلى التجارة لكونها سبباً للربح، ولأ فالربح للتاجر لا للتجارة، وهذا الاستعمال معروف في اللغة نحو قول الشاعر:

نهارك هائم وليلك نائم كذلك في الدنيا تعيش البهائم

إذ أسند الهيام إلى النهار والنوم إلى الليل.

(٣) رواه البخاري، ومسلم والشاهد منه في قوله ﷺ: «وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(٤) شيطان الإنس كشيطان الجن، إذ كل من بُعِد في الشر وتوغل فيه وأصبح لا يروم الخير ولا يحبه فهو شيطان يستعاذ بالله منه.

(٥) المعاصي: جمع معصية وهو ترك ما أوجب الله ورسوله القيام به أو فعل ما حرم الله ورسوله فعله، سواء في ذلك الاعتقاد، والقول، والعمل إذ الواجبات والمنهيات تكون في الاعتقاد والقول والعمل.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ
 بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ
 حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
 أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

مثله^(١) : صفتهم^(٢) وحالهم .

استوقد : أوقد نارا

صم ، بكم عمي : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون .

الصيب : المطر .

الظلمات : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر .

الرعد : الصوت القاصف يُسمع^(٣) حال تراكم السحاب ونزول المطر .

البرق : ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر .

الصواعق : جمع صاعقة : نار هائلة تنزل اثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله

تعالى بها من يشاء .

(١) قوله تعالى : مثلهم الآيات تضمن مثلين : نارا وهو المثل الأول ومائيا وهو المثل الثاني والمثلان واقعان من السياق الأول

موقع البيان والتقرير، والفضلكة ولذا لم تعطف جملة مثلهم لكمال الاتصال بينها وبين الجمل السابقة

(٢) القول السائر : مثل : أحشفا وسوء كيله ؟ والصيف ضيعة اللبن ويعرف المثل بأنه قول شبه مضربه بمورده ، ومضربه هو الحال المشبه ومورده هو الحال المشبه بها .

(٣) ظاهرة الرعد والبرق يفسرها علماء الطبيعة بأنه نتيجة اتحاد كهرباء السحاب الموجبة بالسالبة .

حَذَرَ الموت : توقيا للموت

محيط : المحيط المكتنف للشيء من جميع جهاته .

يكاد : يقرب .

يخطف : يأخذه بسرعة .

أبصارهم : جمع بصر وهو العين المبصرة .

معنى الآيات :

مثل^(١) هؤلاء المنافقين فيما يظهرون من الايمان مع ما هم مبطنون من الكفر كمثل^(٢) من أوقد ناراً للاستضاءة بها فلما اضاءت لهم ما حولهم وانتفعوا بها أدنى انتفاع ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . لأنهم بإيمانهم الظاهر صانوا دماءهم وأموالهم ونساءهم وذرائعهم من القتل والسبي وبما يضمرون من الكفر اذا ماتوا عليه يدخلون النار فيخسرون كل شيء حتى أنفسهم هذا المثل تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فهي إخبار عن أولئك المنافقين بأنهم قد فقدوا كل استعداد للاهتداء فلا آذانهم تسمع صوت الحق ولا ألسنتهم تنطق به ولا أعينهم تبصر آثاره وذلك لتوغلهم في الفساد فلذا هم لا يرجعون عن الكفر إلى الايمان بحال من الأحوال . واما الآية الثالثة والرابعة (١٩) (٢٠) فهما تتضمنان مثلاً آخر لهؤلاء المنافقين . وصورة المثل العجيبة والمنطبقة على حالهم هي مطر^(٣)

(١) المثل : متحرك الوسط الأصل فيه أنه التَّظْيِيرُ والمشابهة وفيه لغات وهي :

المثل بكسر الميم والمثيل بفتح الميم وكسر المثلية وإشباعها . ونظير المثل الشبه والبدليل ففي كل واحد ثلاث لغات ولا نظير لها في اللغة ، يقال : شَبَّهَ وشَبَّهَ وشَبَّهَ وبَدَّلَ وبَدَّلَ وبَدَّلَ .

(٢) قوله : الذي استوقد ناراً . مفرد وقوله : ذهب الله بنورهم جمع فهل الذي هنا بمعنى الذين على حد قول القائل : وإن الذي حانت دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

من الجائز أن يكون الذي بمعنى الذين لوروده في فصيح اللغة ، وهو من باب الالتفات لا غير .

(٣) عدل عن لفظ : ذهب الله بنارهم . إلى قوله نورهم إشارة إلى أن الإسلام نور يهدي لا نار تحرق .

(٤) يرى ابن كثير أن هؤلاء المنافقين كانوا قد آمنوا ثم بعد إيمانهم كفروا في الباطن مظهرين الإيمان في الظاهر ، ويرى ابن جرير خلاف ذلك وهو : أنهم ما آمنوا ثم كفروا ، وإنما آمنوا في الظاهر لا غير ، واحتج عليه ابن كثير بقول الله تعالى في سورة المنافقين : ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ . الآيات .

(٥) هو الصَّيْبُ في قوله ﴿أو كصَّيْب﴾ ، وأصل صَّيْبُ صيوب قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء نظيره سيد وميت لأن الفعل ساد يسود ، ومات يموت فسيد أصلها سيود ، وميت أصلها ميوت وقلبت الواو ياء وأدغمت واو في قوله ﴿أو كصَّيْب﴾ هي بمعنى الواو .

غزير في ظلمات مصحوب برعد قاصف وبرق خاطف وهم في وسطه مذعورون خائفون يسدون آذانهم بأنامل أصابعهم حتى لا يسمعوا صوت الصواعق حذراً أن تنخلع قلوبهم فيموتوا، ولم يجدوا مفراً ولا مهرباً لأن الله تعالى محيط بهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البرق لشدته وسرعته يكاد يخطف أبصارهم فيعمون، فإذا أضاء لهم البرق الطريق مشوا في ضوئه وإذا انقطع ضوء البرق وقفوا حيارى خائفين، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لأنه تعالى على كل شيء قدير هذه حال أولئك المنافقين والقرآن ينزل بذكر الكفر وهو ظلمات وبذكر الوعيد وهو كالصواعق والرعد وبالحنج والبيئات وهي كالبرق في قوة الاضاءة، وهم خائفون أن ينزل القرآن بكشفهم وإزاحة الستار عنهم فيؤخذوا، فإذا نزل بآية لا تشير إليهم ولا تتعرض بهم مشوا في إيمانهم الظاهر. وإذا نزل بآيات فيها التنديد بباطلهم وما هم عليه وقفوا حائرين لا يتقدمون ولا يتأخرون ولو شاء الله أخذ أسماعهم وأبصارهم لفعل لأنهم لذلك أهل وهو على كل شيء قدير^(١)

هداية الآيات :

من هداية هذه الآيات ما يلي :

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢- خيبة سعى أهل الباطل وسوء عاقبة أمرهم.

٣- القرآن تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بهاء المطر.

٤- شر الكفار المنافقون.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ^(٢)

(١) القدير والقادر والمقتدر بمعنى واحد إلا أن القدير أبلغ لأنه من أمثلة المبالغة وقدرة الله تتعلق بالممكنات القابلة للوجود والعدم، فلا يقولون قاتل: هل يقدر الله على خلق ذات كذاته سبحانه وتعالى؟

(٢) يا: حرف نداء للبعيد وينادي بها القريب تعظيماً له نحو يا الله يا رب وهو تعالى أقرب من جبل الوريد. أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه ال نحو أيها الناس. ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادى.

(٣) أصل العبادة: الخضوع والتذلل، مشتق من قولهم طريق مُعَبَّد إذا كان موطوءاً بالأقدام وهي في الشرع: طاعة الله ورسوله بالإيمان وفعل الأمر واجتناب النهي مع غاية الحب والتعظيم لهما والتذلل لله وحده.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- الناس : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه ، واحده إنسان .
اعبدوا : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب لله والتعظيم .
ربكم : خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق .
خلقكم : أوجدكم من العدم بتقدير عظيم .
تتقون : تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله ، وذلك بالإيمان والعمل الصالح
بعد ترك الشرك والمعاصي .
فراشا : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها .
بناء : مَبْنِيَّة كقبة فوقكم .
الثمرات : جمع ثمرة^(٤) وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر وتخرجه الأشجار من
فواكه
رزقا لكم : قوتا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلى أجلها .

(١)العل : هنا على بابها وهو الترجي والتوقع ولكن بالنظر إلى الناس لا إلى الله تعالى فالناس هم الذين يرجون حصول النجاة
لهم ، ويتوقعونه بعبادتهم لرهبهم تعالى وقد تكون لعل بمعنى كي التعليلية أي : اعبدوا ربكم كي تدفعوا عذابه ويشهد له قول
الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكفّ ووثقتم لنا كل موثق

إذ المعنى كفوا لنكفّ .

(٢) جعل هنا بمعنى صَبَّرَ لأنه ناصب لمفعولين هما الأرض فراشا ، ويكون فعل جعل بمعنى خلق نحو : ما جعل الله من
بحيرة .

(٣) وتجمع الثمرة على ثمر كشجر ، وثمر وثمر كخشب .

(٤) أندادا جمع نَدَّ بكسر النون بمعنى الكفء والمثيل ، والمراد به هنا الشريك لله في عبادته ، لقول الرسول ﷺ : في
الضحيق وقد سأله ابن مسعود عن أعظم الذنب : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وقوله ﷺ : للذي قال : ما شاء الله وشئت .
«أجعلتني لله ندا ، قل ما شاء الله وحده» . رواه النسائي وغيره . والنَدَّ بفتح النون عود يتطيب به ونَدَّ البعير إذا هرب وفر ، ونَدَّ
بفلان تشهيره وتسمعه به .

أنداداً : جمع نَدَّ: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب تبارك وتعالى .

المناسبة ومعنى الآيتين :

وَجَّه المناسبة أنه تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء فى كل مكان وزمان وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران . معرفاً لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بتنبيههم عن اتخاذ شركاء له يعبدونهم معه مع علمهم^(١) أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن نفعهم أو ضررهم .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- وجوب عبادة الله تعالى، اذ هي^(٢) علة الحياة كلها .

٢- وجوب معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته .

٣- تحريم الشرك صغيره وكبيره ظاهره وخفيه .

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ

(١) أثبت لهم العلم الخاص بهم وهو علمهم بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت . إذا كانوا يعلمون ذلك ويعترفون به كما أنه لما عرفهم بنفسه في السياق إذ قال : ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم... الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ الخ فلما عرفوا نهاهم عن اتخاذهم أندادا له يعبدونهم معه، والحال أنهم يعلمون أنه وحده المستحق للعبادة .

(٢) لما روي عنه ﷺ أنه قال : «يقول الله تعالى : يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»، أي لعبادته تعالى، وفي القرآن الكريم : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ .

(٣) إذ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته يتوقف عليها خشيته ومحبة لقوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب عقلاً وشرعاً .

(٤) أي ادعواهم لأمرين : الأول ليعينوكم على الإتيان بالمطلوب . والثاني ليحضروا إتيانكم ويشاهدوه فيشهدون لكم بذلك .

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- الريب : الشك مع اضطراب النفس وقلقها
عبدنا^(١) : محمد ﷺ .
من مثله : مثل القرآن ومثل محمد في أميته .
شهداءكم : أنصاركم . وأهتكم التي تدعون انها تشهد لكم عند الله وتشفع .
وقودها : ما تتقد به وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله عز وجل .
أعدت : هيئت وأحضرت .
الكافرين : الجاحدين لحق الله تعالى في العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه .

مناسبة الآية ومعناها :

لما قرر تعالى في الآية السابقة أصل الدين وهو التوحيد الذي هو عبادة الله تعالى وحده قرر في هذه الآية أصل الدين الثاني وهو نبوة رسول الله محمد ﷺ وذلك من طريق برهاني وهو ان كنتم في شك من القرآن الذي أنزلناه على عبدنا رسولنا محمد فاتوا بسورة من مثل سورة أو من رجل أمي مثل عبدنا في أميته فإن لم تأتوا لعجزكم فقوا أنفسكم من النار بالايان بالوحى الإلهى وعبادة الله تعالى بما شرع فيه .

هداية الآية :

من هداية الآية :

- ١- تقرير نبوة رسول الله ﷺ بإثبات نزول القرآن عليه .
- ٢- تأكيد عجز البشر عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم لمرور ألف سنة وأربعمائة

(١) اسم العبد مأخوذ من التعبد والتذلل : لأن المملوك يذلل مالكه بالخدمة ويعبده بكثرة استخدامه . ولما كانت عبادة الله أشرف الخصال كان التسمي بها أشرف الأسماء ، فلذا سمي الله تعالى رسوله محمداً عبداً كما في هذه الآية وآية الإسراء وأنشدوا لهذا قول الشاعر:

يا قومي قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بياعدها لأنه أشرف أسمائي

وست سنهن والتحدى قائم ولم يأتوا بسورة مثل سور القرآن لقوله تعالى «ولن تفعلوا».

٣- النار تنقى بالايان والعمل الصالح وفي الحديث الصحيح ، «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١)

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

بشر^(٢) : التبشير: الإخبار السار وذلك يكون بالمحسوب للنفس.

تجرى من تحتها : تجرى الأنهار من خلال أشجارها وقصورها والأنهار هي أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل^(٣).

وأُتوا به متشابهاً : أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضاً في اللون يختلف في الطعم.

مطهرة : من دم الحيض^(٤) والنفاس وسائر المعائب والنقائص

خالدون : باقون فيها لا يخرجون منها أبداً.

المناسبة والمعنى :

لما ذكر تعالى النار وأهلها ناسب أن يذكر الجنة وأهلها ليتم الترهيب والترغيب وهما أداة الهداية والإصلاح.

في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى رسوله أن يبشر المؤمنين المستقيمين بما رزقهم من جنات تجرى من تحتها الأنهار^(٥) لهم فيها أزواج مطهرات نقيات من كل أذى وقدر وهم فيها

(١) رواه البخاري.

(٢) هذا من باب ذكر الترغيب بعد الترهيب وعطفه عليه ، فقد أُنذر الكافرين وواعد المؤمنين ليكون ذلك منبهاً عن الأعمال الفاسدة منشطاً على الأعمال الصالحة.

(٣) ويطلق لفظ التبشير على الخبر المحزن غير السار تهكماً بصاحبه نحو قوله تعالى : «فبشرهم بعذاب اليم».

(٤) المذكورة في آية سورة القتال.

(٥) وكذا البول والغائط.

(٦) أي من تحت أشجارها ، وإن لم يجر للأشجار ذكر لأن الجنات دالة عليها.

خالدون . كما أخبر عنهم بأنهم إذا قدم لهم أنواع الثمار المختلفة قالوا هذا الذى رزقنا مثله فى الدنيا . كما أخبر تعالى أنهم أوتوه متشابهاً فى اللون غير متشابه فى الطعم زيادة فى حسنه وكماله . وعظيم الالتذاذ به .

هداية الآية :

من هداية الآية :

- ١- فضل الايمان والعمل الصالح إذ بهما كان النعيم المذكور فى الآية لأصحابهما .
 - ٢- تشويق المؤمنين الى دار السلام^(١)، وما فيها من نعيم مقيم ليزدادوا رغبة فيها وعملا لها .
- بفعل الخيرات وترك المنكرات .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

شرح الكلمات :

لا يستحي^(٣) : لا يمنعه الحياء^(٤) من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوضة أو أصغر منها كجناحها

(١) بعد فضل الله تعالى ورحمته .

(٢) سميت دار السلام : لسلامتها من وجود المنغصات فيها ، إذ لا مرض ولا هرم ولا ألم ولا تعب بها أبداً .

(٣) لا يستحي : يباين ، ويستحي بياء واحدة هما قراءتان سبعيتان ، والأخيرة على لغة تميم ، واسم الفاعل من الأولى مستحي ، ومن الثانية مستح .

(٤) الحياء : تغير وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب به أو يذم ، والله يوصف بالحياء على الوجه اللائق به فصفة الحياء عنده تعالى لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه وتعالى والاستحياء والحياء بمعنى واحد ، وفي الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذي يقول الرسول ﷺ : «إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع إليه العبد يديه فيردهما صفراً» . فقد أثبت صفة الحياء لله عز وجل وهو قطعاً حياء واستحياء لا يشبه حياء واستحياء البشر بحال من الأحوال .

أن يضرب مثلاً : أن يجعل شيئاً مثلاً لآخر يكشف عن صفته وحاله في القبح أو الحسن ما بعوضة : ما نكرة بمعنى شيء أي شيء كان يجعله مثلاً، أو زائدة. وبعوضة المفعول الثاني. والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق.

الحق : الواجب الثبوت الذي يحيل العقل عدم وجوده
الفاسقون : الفسق الخروج عن الطاعة، والفاسقون : هم التاركون لأمر الله تعالى بالايان والعمل الصالح، ويترك الشرك والمعاصي.

ينقضون : النقض الحل بعد الإبرام.
عهد الله : ما عهد به إلى الناس من الايمان والطاعة له ولرسوله
من بعد ميثاقه : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

يقطعون ما أمر الله به أن يوصل : من إدامة الإيوان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام.
يفسدون في الأرض : الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي.
الخاسرون : الكاملون في الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

سبب النزول والمعاني

لما ضرب الله تعالى المثليين السابقين النارى والمائى (١) قال المنافقون: الله أعلى وأجل أن يضرب هذا المثل فانزل الله تعالى رداً عليهم قوله ﴿إن الله لا يستحي﴾ الآية.
فأخبر تعالى أنه لا يمتنع الاستحياء أن يجعل مثلاً بعوضة (٢) فما دونها فضلاً عما هو أكبر (٣) وإن الناس حيال ما يضرب الله من أمثال قسمان مؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم. وكافرون: فينكرونها ويقولون كالمعترضين: ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟!.

كما أخبر تعالى أن ما يضرب من مثل يهدى به كثيراً من الناس ويضل به كثيراً، وأنه لا يضل به إلا الفاسقين الذين وصفهم بقوله: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

(١) أورده ابن جرير وارتضاه.

(٢) في قوله ما بعوضة إعرابات كثيرة لا طائل تحتها فنصب بعوضة على أنها بدل من ما النكرة التي هي في محل نصب بفعل يضرب بمعنى يجعل. ورفع بعوضة على أنها خبر، والمبتدأ هو ما على أنها موصولة والتقدير: الذي هو بعوضة.

(٣) كالذرة.

(٤) كالفراشة والجرادة.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض ﴿٤﴾ . وحكم عليهم بالخسران التام يوم القيامة فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

هداية الآية

من هداية الآيتين ما يلي :

- ١- أن الحياء لا ينبغي أن يمنع من فعل المعروف وقوله والأمر به .
- ٢- يستحسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني الى الأذهان .
- ٣- اذا أنزل الله خيراً من هدى وغيره يزداد به المؤمنون هدى وخيراً، ويزداد به الكافرون ضلالاً وشرًا، وذلك لاستعداد الفريقين النفس المختلف^(١).
- ٤- التحذير من الفسق^(٢) وما يستتبعه من نقض العهد، وقطع الخير، ومنع المعروف .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

كيف تكفرون بالله^(٣) : الاستفهام هنا للتعجب مع التقريع والتوبيخ ، لعدم وجود مقتضى للكفر .

وكنتم أمواتا فأحياكم : هذا برهان على بطلان كفرهم ، إذ كيف يكفر العبد ربه وهو الذي خلقه بعد أن لم يك شيئاً .

(١) إذا المؤمنون مستعدون للخير والكافرون مستعدون للشر .

(٢) الفسق : الخروج عن طاعة الله ورسوله ، فإن كان الخروج على الطاعة في أصول الدين فصاحبه كافر، وإن كان في الفروع فلا يكفر صاحبه ، ولا يقال : الفاسق إلا للذي أكثر من الفسق فأصبح الفسق وصفا لازما له لا ينفك عنه لكثرة منه وتوغل فيه .

(٣) اسم استفهام مبني على الفتح يسأل به عن الحال ويضمن معنى التعجب كما هنا ، إذ كيف يصح من العاقل أن ينكر خالقه وهو يعرف أنه مخلوق إذ كان عدماً فأوجده .

ثم يميّتكم ثم يحييكم : إن إماتة الحى وأحياء الميت كلاهما دال على وجود الرب تعالى وقدرته .

ثم إليه ترجعون : يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر .
خلق لكم^(١) ما في الأرض جميعاً : أى أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك لأجلكم كي تنتفعوا به فى حياتكم
ثم استوى^(٢) إلى السماء : علا وارتفع قهراً لها فكونها سبع سموات .
فسواهن : أتمّ خلقهن سبع سموات تامات .
وهو بكل شيء عليم^(٣) : إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شيء ، وتدليل على قدرته وعلمه ووجوب عبادته .

معنى الآيتين :

ما زال الخطاب مع الكافرين الذين سبق وصفهم بأخس الصفات وأسوأ الأحوال حيث قال لهم على طريقة الالتفات موبخاً مقررأً : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ الآية .

وذكر من أدلة وجوده وكرمه . ما يصبح الكفر به من أقبح الأمور وصاحبه من أخط الخلائق وأسوأهم حالاً ومآلاً . فمن أدلة وجوده الأحياء بعد الموت والإماتة بعد الإحياء ومن أدلة كرمه وقدرته أن خلق الناس فى الأرض جميعاً لتوقف حياتهم عليه وخلق السموات السبع ، وهو مع ذلك كله علمه محيط بكل شيء سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- إنكار الكفر بالله تعالى .

٢- إقامة البرهان على وجود الله وقدرته ورحمته

(١) لحديث : يا ابن ادم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلى : أى : من أجل أن تذكرني وتشكرني فعلة الحياة كلها ذكر الله تعالى وشكره .

(٢) ذهب ابن كثير إلى أن استوى هنا مضمّن معنى قصد لتعديته إلى إذ يقال استوى على كذا إذا كان بمعنى العلو والارتفاع ، واستوى إلى كذا إذا قصده ، ويكون المعنى ثم قصد إلى السماء أى السموات فخلقهن سبع سموات ، ولفظ السماء اسم جنس . تحته أفراد لذا قال فسواهن بالجمع .

(٣) قرئ فى السبع بفتح الهاء من فهو ، وقرئ بإسكانها وهذا عام فى كل لفظ إذا تقدمه واو أو فاء عطف . أدخلت عليه اللام نحو : فهو كذا وهذا التيسير للتخفيف .

٣- حَلْيَةٌ كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَطَاعِمٍ وَمَشَارِبٍ وَمَرَاقِبٍ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ الدَّلِيلُ الْخَاصُّ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنَّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ



شرح الكلمات :

الملائكة : جمع مَلَكٌ ويخفف فيقال مَلَكٌ وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى خلقهم من نور^(١).

الخليفة^(٢) : من يخلف غيره، والمراد به هنا آدم عليه السلام.

يفسد فيها : الفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي.

يسفك^(٣) : يسيل الدماء بالقتل والجرح.

نسبح بحمده : نقول سبحان الله وبحمده. والتسبيح : التنزيه عما لا يليق بالله تعالى.

ونقدس لك : فننزهك عما لا يليق بك. والتقديس : التطهير والبعد عما لا ينبغي. واللام

في لك زائدة لتقوية المعنى إذ فعل قدس يتعدى بنفسه يقال قدسه.

(١) ذهب بعضهم إلى أن الأصل في الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة لأن المملوكات لا تحل إلا بإذن مالِكها فهذا مذهب ثان حسن ذكره.

(٢) أي خلق لكم ما في الأرض جميعاً من أجل أن تتقوا به على طاعته لا على معصيته.

(٣) المفروض أن يقترب (قالوا) بالفاء ولكن نظراً إلى أسلوب الحوار لم يقترب بها كما في قوله: ﴿قالوا سبحانك﴾.

(٤) خلق الملائكة من النور صرح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم.

(٥) استدلل بهذه الآية على وجوب نصب خليفة للمسلمين يحكمهم بشريعة ربهم عز وجل.

(٦) السفك : الصب يقال سفك الدم إذا صبّه كما يقال سفحه، والسفاك والسفاح بمعنى إلا أن السفاح قد يراد به كثير الكلام، وسفك الدمع كذلك، والدم المسفوح، المصبوب.

معنى الآية

يأمر تعالى رسوله أن يذكر قوله للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة يخلفه في إجراء أحكامه في الأرض، وان الملائكة تساءلت^(١) متخوفة من أن يكون هذا الخليفة ممن يسفك الدماء ويفسد في الأرض بالكفر والمعاصي قياساً على خلق من الجن حصل منهم ما تخوفوه. فأعلمهم ربهم أنه يعلم من الحكم والمصالح ما لا يعلمون. والمراد من هذا التذكير: المزيد من ذكر الأدلة الدالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة للايان به تعالى ولعبادته دون غيره.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- سؤال من لا يعلم غيره ممن يعلم.

٢- عدم انتهار السائل وإجابته أو صرفه بلطف.

٣- معرفة بدء الخلق.

٤- شرف آدم وفضله.

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُؤُونَ ﴿٣٣﴾

(١) إذ هو سؤال استعمال واستكشاف عن الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض على الله أبداً.

شرح الكلمات :

- آدم^(١) : نبي الله أبو البشر عليه السلام .
- الأسماء : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والانسان .
- عرضهم : عرض المسميات أمامهم ، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم ، وإلا لقال عرضها
- أنبئونى : أخبرونى .
- هؤلاء : المعروضين عليهم من سائر المخلوقات .
- سبحانك^(٢) : تنزيها لك وتقديساً .
- غيب السموات : ما غاب عن الأنظار فى السموات والأرض .
- تبدون : تظهرون من قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية .
- تكتمون : تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم طاعته .
- الحكيم^(٣) : الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه ، ولا يفعل ولا يترك الا لحكمة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى فى معرض مظاهر قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لعبادته دون سواه أنه علم آدم أسماء الموجودات^(٤) كلها ، ثم عرض الموجودات على الملائكة وقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن

(١) هل آدم مشتق من الأدمة التي هي حمرة تضرب إلى بياض ، أو هو اسم جامد أعجمي كآزر ، وعابر ذهب إلى كل وجه قوم .

(٢) سبحان : اسم مصدر فعله سبّح مضعفاً . واختص بتنزيه الله تعالى فكان بذلك اسم تسبيح كالعلم عليه .

(٣) الحكيم : ذو الحكمة ، وهو الذي لا يصدر عنه قول ولا فعل خال من حكمة اقتضته . والحكيم مشتق من أحكم الشىء إذا أتقنه وخلصه من الخلل والفساد ، ومنه حكمة الدابة وهي حديدة تجعل في فمها تمنعها من اختلاف سيرها ويقال : أحكم فلاناً أي أمنعه من فعل كذا ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبوا

(٤) ليس فى المسألة ما يدعو الى الاستغراب أو الإنكار إذ كتاب المقادير فيه أسماء الموجودات كلها ، وكذا سائر صفاتها وأحوالها ، والعرض التلفازى اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله تعالى الموجودات امام الملائكة . وذكر آدم لاسمائها كما علمها بتعليم الله تعالى له .

كنتم صادقين في دعوى أنكم أكرم المخلوقات وأعلمهم فعجزوا وأعلنوا اغترافهم بذلك وقالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ثم قال تعالى لآدم أنبئهم بأسماء تلك المخلوقات المعروضة فأنبأهم بأسمائهم واحداً واحداً حتى القصعة والقُصِيعة . . وهنا ظهر شرف آدم عليهم، وَعَتَبَ عليهم ربهم بقوله: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان قدرة الله تعالى حيث علم آدم أسماء المخلوقات كلها فعلمها.
- ٢- شرف العلم وفضل العالم^(١) على الجاهل.
- ٣- فضيلة الاعتراف^(٢) بالعجز والقصور.
- ٤- جواز العتاب على من ادعى دعوى هو غير متأهل لها.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ^(٣)



شرح الكلمات :

اسجدوا: السجود هو وضع الجبهة والأنف على الأرض، وقد يكون بانحناء الرأس دون وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع.

إبليس : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أى أيأسه من كل خير ومسحه شيطاناً

أبى : امتنع ورفض السجود لآدم.

(١) يشهد لهذا حديث أبي داود إذ فيه : وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم.
 (٢) دل على هذا قولهم : لا علم لنا إلا ما علمتنا ولذا قال العلماء : الواجب على من سئل على ما لا يعلم أن يقول : الله أعلم، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : ما أبردها على الكبد !! فقيل له : وما ذاك؟ فقال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم.
 (٣) ذكر القرطبي في تفسيره : أن السجود الذي أمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام ، الصلاة لله والاستقبال للمقام.
 (٤) أجمع أهل الإسلام قاطبة أن السجود لا يكون إلا لله تعالى . وفي الحديث : لا ينبغي أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين.

استكبر : تعاضم في نفسه فمنعه الاستكبار^(١) والحسد من الطاعة بالسجود لآدم .
الكافرين : جمع كافر . من كذب بالله تعالى أو كذب بشيء من آياته أو بواحد من رسله
أو أنكر طاعته .

معنى الآية :

يذكر تعالى عباده بعلمه وحكمته وإفضاله عليهم بقوله : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لآدم...﴾ سجود تحية وإكرام فسجدوا إلا إبليس تعاضم في نفسه وامتنع عن السجود الذي
هو طاعة الله ، وتحية آدم . تكبراً وحسداً لآدم في شرفه فكان بامتناعه عن طاعة الله من
الكافرين الفاسقين عن أمر الله، الأمر الذي استوجب إبلاسه وطرده .

هداية الآية :

من هداية الآية :

- ١- التذكير بإفضال الله الأمر الذي يوجب الشكر ويرغب فيه .
- ٢- التحذير من الكبر والحسد حيث كانا سبب إبلاس الشيطان، وامتناع اليهود من قبول
الاسلام .
- ٣- تقرير عداوة إبليس ، والتنبيه الى انه عدو يجب عداوته أبداً .
- ٤- التنبيه الى أن من المعاصي ما يكون كفراً أو يقود الى الكفر .

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا

(٥) الاستكبار: طلب الكبر في النفس وتصوره فيها وفي صحيح مسلم : (إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
من كبر) .

(١) الإيلاس: الإيثار من كل خير، وإبلاس إبليس كان عقوبة له على كفره وكبره وحسده، وكان قبل إبلاسه يقال له :
عزازيل وبالغربية الحارث .

(٢) ترك الصلاة وقتل المؤمن لقول الرسول ﷺ : «من ترك الصلاة فقد كفر» وقوله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقوله
«لا تردوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض» . والكفر كفران : كفر مخرج من الملة وكفر نعمة لا يخرج منها ولكن
صاحبه إن لم يتب منه وتقبل توبته يدخل النار به .

(٣) قال : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ بعد طرد إبليس منها والمراد من السكن الإسكان وهو الإقامة الطويلة لا السكن
النفسي، وهذو البال وإن كان لازماً للإقامة الطيبة ولفظ السكن مشعر بعدم الإقامة الدائمة ، لأن من سكن داراً لا يد . وأن
يرحل منها يوماً من الأيام .

(٤) لفظ الزوج يطلق على كل من الرجل وامرأته ، لأن كل واحد منهما صيرَ الثاني زوجاً له ، ويقال للمرأة زوجة بالتاء كما
في قول الرسول ﷺ : «يا فلان هذه زوجتي فلانة» وذلك أمناً من اللبس ، وغلط الفرزدق في قوله :

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

ولا معنى لتخليطه وقد صح الحديث بلفظ زوجة .

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
 فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
 فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

رغداً : العيش الهنيء الواسع يقال له الرغد.
الشجرة : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرماً أو تيناً أو غيرها وما دام الله تعالى لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.
الظالمين : لأنفسهما بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.
فأزلهما : أوقعهما في الزلل، وهو مخالفتها لنهى الله تعالى لهما عن الأكل من الشجرة
مستقر : المستقر : مكان الاستقرار والاقامة .
إلى حين : الحين : الوقت مطلقاً قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة .
فتلقى آدم ^(١) : أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة .
كلمات : هي قوله تعالى : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ .
فتاب عليه : وفقه للتوبة فتاب ^(٢) وقبل توبته ، لأنه تعالى تواب رحيم .

(١) عن هنا هي كما في قوله تعالى : ﴿لا عن موعدة﴾ بمعنى بسببها أي أوقعهما في الزلل بسبب الأكل من الشجرة التي زينها لهما فضمير عنها عائد إلى الشجرة .
 (٢) جملة : (بعضكم لبعض عدو) تصح أن تكون حالاً من ضمير (اهبطوا) ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً ابتدائياً .
 (٣) لفظ (فتلقى) مشعر بالإكرام ، والمسرعة كقوله تعالى ﴿تتلقاهم الملائكة﴾ .
 (٤) يتساءل البعض : هل آدم ارتكب بأكله من الشجرة كبيرة ، وهل يجوز في حق الأنبياء ارتكاب الكبائر؟؟
 والجواب : أن آدم ما نبيء إلا بعد أن هبط إلى الأرض ، إذ هي دار التكليف أما وهو في السماء فما كان قد نبيء بعد وأكله من الشجرة لم يترتب عليه عقاب أكثر من الخروج من الجنة لأنها ليست دار إقامة لمن يخالف فيها أمر الله تعالى ، أما الأنبياء فلا يجوز في حقهم ارتكاب الكبائر ولا الصغائر لعصمة الله تعالى لهم لأنهم محل أسوة لغيرهم .

معنى الآيات :

في الآية الأولى (٣٥) يخبر تعالى عن إكرامه لآدم وزوجه حواء حيث أباح لهما جنته يسكنانها ويأكلان من نعيمها ما شاء إلا شجرة واحدة فقدنها هما عن قُرْبِهَا والأكل من ثمرها حتى لا يكونا من الظالمين .

وفي الآية الثانية (٣٦) أخبر تعالى أن الشيطان أوقع آدم وزوجه في الخطيئة حيث زين لهما الأكل من الشجرة فأكلا منها فبدت لهما سوءاً **أَتُهُمَا** فلم يصبحا أهلاً للبقاء في الجنة فأهبطا إلى الأرض مع عدوهما إبليس ليعيشوا بها بعضهم لبعض عدو إلى نهاية الحياة .

وفي الآية الثالثة (٣٧) يخبر تعالى أن آدم تلقى كلمات التوبة من ربه تعالى وهي : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فقالاها توبة فتأب الله عليهما وهو التواب الرحيم .

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- كرامة آدم وذريته على ربهم تعالى .

٢- شؤم المعصية وآثارها في تحويل النعمة إلى نقمة .

٣- عداوة الشيطان للإنسان ووجوب معرفة ذلك لاتقاء وسوسته .

٤- وجوب التوبة من الذنب وهي الاستغفار بعد الاعتراف بالذنب وتركه والندم على فعله .

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

(١) إذا كان الفعل قرب يقرب بالفتح فمعناه التلبس بالفعل ، وإذا كان قُرْبَ بضم الرَّاء فمعناه الدنو من الشيء . هكذا يرى بعضهم .

(٢) التوبة : هي الرجوع من المخالفة إلى المتابعة أي من المعصية إلى الطاعة هذا حدّها لغة . أما شرعاً : فهي كما نُصِّ في الفائدة الرابعة من هذا التفسير .

شرح الكلمات :

اهبطوا منها جميعاً : إنزلوا من الجنة^(١) إلى الأرض لتعيشوا فيها متعادين^(٢).
 فإما يأتينكم^(٣) منى هدى : إن يجتكم من ربكم هدىً : شرع ضمنه كتابٌ وبينه رسولٌ.
 فمن اتبع هداى : أخذ^(٤) بشري فلم يخالفه ولم يحد عنه .
 فلا خوف عليهم ولا هم

يخزنون : جواب شرط فمن اتبع هداى، ومعناه إتباع الهدى يفضي
 بالعبد الى ان لا يخاف ولا يحزن لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

كفروا وكذبوا : كفروا : جحدوا شرع الله ، وكذبوا رسوله
 أصحاب النار : أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه أمر آدم وحواء^(٥) وإبليس بالهبوط إلى الأرض بعد أن وسوس الشيطان لهما
 فأكلا من الشجرة، وأعلمهم أنه إن أتاهم منه هدى فاتبعوه ولم يحيدوا عنه يأمنوا ويسعدوا
 فلن يخافوا ولن يحزنوا، وتوعد من كفر به وكذب رسوله فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً بالخلود^(٦) فى
 النار.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- المعصية تسبب الشقاء والحرمان .

- (١) ذهب المعتزلة - أذهب الله ريحهم - إلى أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت بستاناً في الأرض في مرتفع منها، وهو قول باطل لا يسمع له ولا يلتفت إليه، إذ كل سياق القرآن دال على أنها الجنة دار النعيم لأولياء الله في الآخرة.
 (٢) أي : إبليس وذريته، وأدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكل منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالى وكانت العداوة على أشدها.
 (٣) فإما : أصلها فإن ما، فإن شرطية وأدخلت عليها ما الزائدة لتقوية الكلام وأدغمت فيها نون إن فصارت إماً .
 (٤) هذا عام في كل أجيال بني آدم فمن جاءه هدى الله بواسطة نبي وكتاب الله فأخذ به واتبعه نجا مما يصيب غيره من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة معاً .
 (٥) حواء : لم تذكر باسمها في القرآن وإنما ذكرت بعنوان الزوج، ولكن ذكرت في السنة الصحيحة، أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، والسر في عدم ذكرها باسمها : أن المروءة تأبى على صاحبها ذكر المرأة باسمها فلذا تذكر النساء تابعات لخطاب الرجال .
 (٦) روى مسلم أن النبي ﷺ قال : «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأصابتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة ومعناه يخرجون من النار بالشفاعة لهم .

٢- العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يسبب الأمن والإسعاد، والإعراض عنها يسبب الخوف والحزن والشقاء والحرمان .

٣- الكفر والتكذيب جزاء صاحبهما الخلود في النار .

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِئْتِي فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِئْتِي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ غَافِلِينَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

بنو إسرائيل ^(١) : إسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وبنوه هم اليهود، لأنهم يعودون في أصولهم الى أولاد يعقوب الأثنى عشر ^(٢).

النعمة : النعمة هنا اسم جنس بمعنى النعم، ونعم الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة ^(٣) ستمر أفرادها في الآيات القرآنية الآتية .

أوفوا بعهدي : الوفاء بالعهد اتمامه وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد ﷺ ويؤمنوا به .

أوف بعهدكم : أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها .

وإياي فارهبون : اخشوني ولا تخشوا غيري .

آمنا بما أنزلت : القرآن الكريم

ولا تشتروا بآياتي ^(٤) : لا تعترضوا عن بيان الحق في أمر محمد ﷺ .

(١) بنو جمع ابن وقيل عن الولد ابن من البناء، لأنه مسند إليه موضوع عليه . واسرا : عبد وثيل : الله وقرىء اسرائين بالنون وهي لغة مشهورة .

(٢) هم يوسف عليه السلام واخوته يهودا، وبن يامين وغيرهما .

(٣) منها انجائهم من فرعون، وتحريرهم من سلطانه، ومنها إهلاك عدوهم، وانزال المن والسلوى عليهم .

(٤) الاشتراء هنا : بمعنى الاستبدال، ولذا جاز دخول الباء على غير المشتري به وهو الثمن، إذ الأصل أن تدخل الباء على المشتري به . فتقول، اشتريت الثوب بدرهم .

ثمناً قليلاً : متاع الحياة الدنيا .

وإياي فاتقون : واتقوني وحدي في كتبكم الحق ووجدكم نبوة نبي محمد ﷺ أن أنزل بكم نعمتي .

ولا تلبسوا الحق

بالباطل : أى لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به ، وذلك قولهم : محمد نبي ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل .

واركعوا مع

الراكعين : الركوع الشرعى : انحناء الظهر في امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين والمراد به هنا : الخضوع^(١) لله والإسلام له عز وجل .

مناسبة الآيات ومعناها :

لما كان السياق في الآيات السابقة في شأن آدم وتكريمه ، وسجود الملائكة له وامتناع إبليس لكبره . وحسده وكان هذا معلوماً لليهود لأنهم أهل كتاب ناسب أن يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكراً إياهم بما يجب عليهم من الإيمان والاستقامة . فناداهم بعنوان بُنوتهم لإسرائيل عليه السلام فأمرهم ونهاهم ، أمرهم بذكر نعمته عليهم ليشكروه تعالى بطاعته فيؤمنوا برسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى وأمرهم بالوفاء بما أخذ عليهم من عهد لينجز لهم ما وعدهم ، وأمرهم أن يرهبوه ولا يرهبوا غيره من خلقه وأمرهم أن يؤمنوا بالقرآن الكريم ، وإن لا يكونوا أول من يكفر به^(٢) . ونهاهم عن الاعتياض عن بيان الحق في أمر الإيمان برسوله محمد ﷺ ثمناً قليلاً من متاع الحياة الدنيا وأمرهم بتقواه في ذلك وحذرهم أن هم كتبوا الحق أن ينزل بهم عذابه . ونهاهم عن خلط الحق بالباطل دفعاً للحق وبعداً عنه حتى لا يؤمنوا برسوله محمد ﷺ وأمرهم بإقام^(٣) الصلاة وإيتاء الزكاة والاذعان لله تعالى بقبول الإسلام والدخول فيه كسائر المسلمين .

(١) وجائز أن يراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه إذ الخطاب لليهود المدينة بصورة خاصة ، ولا منافاة بين ما شرحت به الآية ، وبين ما ذكرنا تعليقاً ، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة وفي اللغة دليل تأكيد صلاة الجماعة .

(٢) الرهب ، والرهبنة الخوف ، ويجوز في الرهب اسكان الهاء وفتحها .

(٣) هذه الجملة تأكيد لجملة وآمنوا بما أنزلت . . . أى : آمنوا بما أنزلت أى ، من القرآن بمعنى لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني إسرائيل ، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم فأول كافر به أي منهم وهو اليهود .

(٤) أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بعد الإيمان كقوله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» الحديث . ومعنى الخطاب أنه أمرهم بالدخول في الإسلام والخروج من اليهودية الباطلة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب ذكر النعم لشكر الله تعالى عليها.
- ٢- وجوب الوفاء بالعهد لاسيما ما عاهد عليه العبد ربه تعالى
- ٣- وجوب بيان الحق وحُرمة كتمانها.
- ٤- حرمة خلط الحق بالباطل تضليلا للناس وصرفهم عنه كقول اليهود: محمد نبيّ ولكن للعرب خاصة حتى لا يؤمن به يهود.

﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- البر** : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا: الايمان بمحمد ﷺ والدخول في الاسلام
النسيان : مقابل الذكر، وهو هنا الترك .
تلاوة الكتاب : قراءته، والكتاب هنا التوراه التي بأيدي اليهود
العقل : قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفساد
الاستعانة : طلب العون للقدرة على القول والعمل
الصبر^(١) : حبس النفس على ما تكره
الخشوع : حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيهِ .

(١) مأخوذ من قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل)؛ إذ اللبس الخلط بين المتشابهات في الصفات يقال في الامرئيسة: اي اشتباه، فلبس الحق بالباطل ترويح الباطل في صورة الحق ليقبل ويضل به الناس.

(٢) مواطن الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة فلا تفارق، وصبر عن المعصية فلا ترتكب، وصبر على المصائب فلا يجزع منها ولا يتسخط، ولكن يصبر، ويسترجع أي: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

يظنون : يوقنون^(١)

ملاقوا ربهم : بالموت ، راجعون إليه يوم القيامة .

معنى الآيتين :

ينعى الحق تبارك وتعالى في الآية الأولى (٤٤) على علماء بنى اسرائيل أمرهم بعض العرب بالإيمان بالاسلام ونييه ، ويتركون أنفسهم فلا يأمرونها بذلك والحال أنهم يقرأون التوراة ، وفيها بعث النبي محمد والأمر بالإيمان به واتباعه ويقرعهم موبخاً لهم بقوله : أفلا تعقلون ، إذ العاقل يسبق الى الخير ثم يدعو إليه .

وفي الآيتين الثانية والثالثة (٤٥-٤٦) يرشد الله تعالى بنى اسرائيل الى الاستعانة بالصبر والصلاة حتى يقدرُوا على مواجهة الحقيقة والتصريح بها وهى الإيمان بمحمد والدخول فى دينه ، ثم يعلمهم أن هذه المواجهة صعبة شاقة^(٢) على النفس لا يقدر عليها الا المختبون لربهم الموقنون بقاء الله ، والرجوع إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- قبح سلوك من يأمر غيره بالخير ولا يفعله .
- ٢- السيئة قبيحة وكونها من^(٣) عالم أشد قبحاً .
- ٣- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور وشاقها بالصبر والصلاة ، إذ كان النبي ﷺ إذا حز به أمر فرغ^(٤) الى الصلاة .

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين ، لا الظن المقابل للشك ، أفاده ابن جرير في تفسيره وأورد أن الظن من أسماء الأضداد فيطلق على الشك واليقين كإطلاق السدفة على الضياء والظلمة معا .

(٢) الجمهور على تفسير الضمير في «وإنها لكبيرة» بالصلاة وخالفهم في ذلك لوجود من قال : إنها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة .

(٣) ورد الوعيد الشديد فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويرتكبه من ذلك قول الرسول ﷺ «مررت ليلة أُسري بي على أناس تقرض شفاههم وألستهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال : هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» رواه أحمد . ومثله كثير في السنن والصحاح ، إلا أن أهل العلم من السلف قالوا : لا يمنع العالم من أن يأمر بالمعروف ، وإن كان لا يأتيه ومن أن ينهى عن منكر وإن كان يأتيه ، وهو حق إذ لا يسلم من الذنب إلا المعصوم .

(٤) لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم .

(٥) رواه أحمد وأبو داود

٤- فضلية الخشوع لله والتطامن له، وذكر الموت، والرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ أَدْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

يا بنى اسرائيل : تقدم شرح هذه الجملة
فضلتكم على العالمين^(١) : آتاهم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك
على عهد موسى عليه السلام وفي أزمنة صلاحهم واستقامتهم .
اتقوا يوماً : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به . واتقاؤه هو اتقاء ما يقع
فيه من الالهوال والعذاب . وذلك بالايان والعمل الصالح^(٢) .
لا تجزى نفس : لا تغنى نفس عن نفس أخرى أى غنى . ما دامت كافرة^(٣) .
ولا يقبل منها شفاعة^(٤) : هذه النفس الكافرة اذ هى التى لا تنفعها شفاعة الشافعين
ولا يؤخذ منها عدل : على فرض أنها تقدّمت بعْدلٍ وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها
ولا هم ينصرون : بدفع العذاب عنهم
معنى الآيتين :

ينادى الله سبحانه وتعالى بنى اسرائيل مطالباً إياهم بذكر نعمه عليهم ليشكروها بالإيمان
برسوله محمد ﷺ وقبول ما جاء به من الدين الحق وهو الإسلام، محذراً إياهم من عذاب
يوم القيامة، أمراً لهم باتقائه بالإيمان وصلاح الأعمال . لأنه يوم عظيم لا تقبل فيه شفاعة

(١) المراد بالعالمين : عالموا زمانهم .

(٢) وترك الشرك، والمعاصي .

(٣) لأن أهل الإيمان والتوحيد وإن دخلوا النار يخرجون منها بشفاعة شافع أو بإيمانهم . بخلاف من مات كافراً أو مشركاً .

(٤) الشفاعة : ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع له . والشفعة : ضم ملك إلى ملك، والشفع : الزوج مقابل الوتر .
ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين اثنين . الأول : أن يكون الشافع قد أذن الله تعالى له . في الشفاعة . والثاني :
أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد .

لِكَافِرٍ، وَلَا يُوْخَذُ مِنْهُ عَدْلٌ أَيْ فِدَاءٌ، وَلَا يَنْصُرُهُ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُ أَحَدٌ.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- وجوب ذكر النعم لتشكر^(١) بحمد الله وطاعته .

٢- وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالايمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصي

٣- تقرير أن الشفاعة لا تكون لنفس كافرة . وأن الفداء يوم القيامة لا يقبل أبدا^(٢)

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

النجاة : الخلاص من المهلكة ، كالخلاص من الغرق . والخلاص من العذاب .

آل فرعون : أتباع فرعون . وفرعون ملك مصر على عهد موسى عليه السلام

يسومونكم سوء العذاب : ييغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه

(١) شكر الله على نعيمه يكون بالاعتراف بالنعمة وحمد الله تعالى عليها ، وصرفها فيما فيه رضاه سبحانه وتعالى .

(٢) لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَقبلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِاءٌ أَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ .

(٣) إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيتكم . اذكروا إذ فرقنا بكم البحر . الخ .

(٤) ممن هم على دين الباطل ، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أباعد ويشهد له حديث : «آل محمد كل

نقي» .

(٥) قيل إن فرعون مصر اسمه الوليد بن مصعب بن الرّيان .

يستحيون نساءكم^(١) : يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا

بلاء عظيم^(٢) : ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق
فرقنا بكم البحر^(٣) : صيرناه فرقتين، وما بينها ييس لا ماء فيه لتسلكه فتنجوا والبحر هو بحر القلزم (الأحمر)

اتخذتم العجل : عجل من ذهب صاغه لهم السامري ودعاهم الى عبادته فعبده أكثرهم، وذلك في غيبة موسى عنهم
الشكر : اظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته

الكتاب والفرقان^(٤) : الكتاب: التوراه، والفرقان: المعجزات التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل

تهتدون : إلى معرفة الحق في كل شئونكم من أمور الدين والدنيا.
معنى الآيات :

تضمنت هذه الآيات الخمس أربع نعم عظمى انعم الله تعالى بها على بنى اسرائيل وهي التي امرهم بذكرها ليشكروه عليها بالايان برسوله محمد ﷺ ودينه الاسلام.
فالنعمة الأولى : انجائهم من فرعون وآله بتخليصهم من حكمهم الظالم وما كانوا يصبونه عليهم من ألوان العذاب، من ذلك : ذبح الذكور من أولادهم وترك البنات لاستخدامهن في المنازل كرقاقات.

(١) وقيل يكشفون عن حياء المرأة أي : فرجها لينظروا هل هي حبلى أو لا ؟ ليتمكنوا من قتل الذكور وإبقاء الإناث.
(٢) البلاء يكون بالخير والشر قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ الآية. وهو هنا كذلك فقد ابتلى بنو اسرائيل بالشر من قتل واستعباد وبالخير من انجائهم وإهلاك أعدائهم.
(٣) الفرق: الفصل بين الأشياء كالفصل بين الحق والباطل والفصل بين المجتمعين من كل شيء والباء في فرقنا بكم البحر للملابسة.

(٤) البحر: الماء المالح، والبلدة أيضاً، ومن الخيل الواسع الجري فقد قال ﷺ في فرس أبي طلحة (وإن وجدناه لبحراً) يعني واسع الجري.

(٥) الفرقان: لفظ عام يطلق على كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

والثانية

والثالثة

: فلق البحر لهم وإغراق عدوهم بعد نجاتهم وهم ينظرون^(١)
 : عفوه تعالى عن أكبر زلة زلواها وجريمة اقترفوها وهى اتخاذهم عجلاً صناعياً^(٢)
 الهاً وعبادتهم له . فعفا تعالى عنهم ولم يؤاخذهم بالعذاب لعله أن يشكروه
 تعالى بعبادته وحده دون سواه .

والرابعة

: ما أكرم به نبيهم موسى عليه السلام من التوراة التى فيها الهدى والنور
 والمعجزات التى أبطلت باطل فرعون ، وأحققت دعوة الحق التى جاء بها
 موسى عليه السلام .

هذه النعم هى محتوى الآيات الخمس ، ومعرفتها معرفة لمعانى الآيات فى الجملة اللهم
 الا جملة [وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم] فى الآية الأولى فانها : اخبار بأن الذى حصل
 لبنى اسرائيل من عذاب على أيدي فرعون وملئه انما كان امتحاناً من الله واختباراً عظيماً
 لهم . كما أن الآية الثالثة فيها ذكر مواعدة الله تعالى لموسى بعد نجاته^(٣) بنى اسرائيل أربعين
 ليلة وهى القعدة وعشر الحجة ليعطيه التوراه يحكم^(٤) بها بنى اسرائيل فحدث فى غيابه ان جمع
 السامرى حلى نساء بني إسرائيل وصنع منه عجلاً ودعاهم الى عبادته فعبدوه فاستوجبوا
 العذاب إلا أن الله منّ عليهم بالعفو ليذكروهم .
 هداية الآيات :

من هداية هذه الآيات :

١- ذكر النعم يحمل^(٥) على شكرها ، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة .

٢- أن الله تعالى يبتلى عباده لحكم عالية فلا يجوز الاعتراض على الله تعالى فيما يبتلى به عباده

٣- الشرك ظلم^(٦) لأنه وضع العبادة فى غير موضعها .

(١) جملة : «وأنتم تنظرون» فى الآيات حالية وإن قبل الذين تمّ لهم هذا الانعام هم من كانوا مع موسى عليه السلام فكيف
 يخاطب به يهود اليوم فالجواب : أن النعم على السلف نعم على الخلف .

(٢) القوم الذين مروا بهم فوجدوهم عاكفين على أصنام لهم هم قوم من الكنعانيين وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام
 إذ كانوا يعبدون عجلاً مقدساً لهم .

(٣) كان يوم نجاته بنى اسرائيل يوم عاشوراء المحرم لما فى البخاري وغيره من أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وجد
 اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا : يوم صالح أنجى الله تعالى فيه بني اسرائيل . فصامه . رسول الله ﷺ
 وأمر بصيامه وقال : «نحن أحق بموسى منهم» أو كما قال .

(٤) وما يؤسف ويحزن أن المسلمين لما ابتلاههم الله باستعمار النصارى لهم كانوا كلما استقل شعب أو إقليم طلب قانون
 الكافرين فحكم به المسلمين ، وبنوا اسرائيل لما استقلوا على يد موسى ذهب يأتيهم بقانون الرب ليحكمهم به .

(٥) ولذا كان مبدأ الشكر : الاعتراف بالنعمة أولاً ، وهو ذكرها بالقلب ، واللسان .

(٦) قال تعالى : «وإن الشرك لظلم عظيم» .

٤- إرسال الرسل وإنزال الكتب الحكمة فيهما هداية الناس إلى معرفة ربهم وطريقة التقرب إليه ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا في الحياتين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ^(١) يَتَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات

ظلم النفس^(١) : تدسيتها بسيئة الجريمة

باتخاذكم العجل : بجعلكم العجل الذي صاغه السامري من حلى نسائكم إليها عبدتموه

البارىء : الخالق عز وجل

فاقتلوا انفسكم^(٣) : أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وجعل ذلك توبتهم

ففعلا فتاب عليهم بقبول توبتهم

نرى الله جهرة^(٥) : نراه عياناً

(١) لفظ القوم يراد به الرجال دون النساء كما في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ... وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ وكقول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقد يطلق على الرجال والنساء نحو قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ الآية .

(٢) أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومرتكب الذنب بدل أن يزكي نفسه بعمل صالح دساها بعمل سيء فكان بذلك واضعاً شيئاً في غير موضعه ، إذ المطلوب من العبد تزكية نفسه لتأهل للكمال والإسعاد ، لا تدسيتها لتخب وتخسر .

(٣) قال بعضهم : قتل النفس هنا تذليلها بالطاعات وكفها عن الشهوات وليس بصحيح .

(٤) قتل بعضهم بعضاً كان عقوبة لمن عبدوا العجل ، ولمن لم يعبدوه ، لأنهم ما غيروا المنكر وقد رأوه .

(٥) أصل الجهر : الظهور ومنه قرأ جهراً أي أظهر القراءة ، وجهرة مصدر جهر ، وقرئ بفتح الهاء واسكانها نحو زهرة ، وزهرة ومعناه علانية أو عياناً .

الصاعقة	: نار محرقة كالتي تكون مع السحب والأمطار والرعود
بعثناكم	: أحييناكم ^(١) بعد موتكم
الغمام	: سحب رقيق أبيض
المن والسلوى	: المن: مادة لزجة حلوه كالعسل ^(٢) ، والسلوى: طائر يقال له السُماني
الطيّات	: الحلال

المناسبة ومعنى الآيات :

لما ذكّر الله تعالى اليهود بما أنعم على أسلافهم مطالباً إياهم بشكرها فيؤمنوا برسوله . ذكرهم هنا ببعض ذنوب أسلافهم ليتعظوا فيؤمنوا فذكرهم بحادثة اتخاذهم العجل إلهاً وعبادتهم له . وذلك بعد نجاتهم من آل فرعون وذهاب موسى لمناجاة الله تعالى ، وتركه هارون خليفة له فيهم ، فصنع السامري لهم عجلاً من ذهب وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه فأطاعه أكثرهم وعبدوا العجل فكانوا مرتدين بذلك فجعل الله توبتهم من ردتهم ان يقتل من لم يعبد العجل من عبده فقتلوا منهم سبعين ألفاً فكان ذلك توبتهم فتاب الله عليهم انه هو التواب الرحيم كما ذكرهم بحادثة أخرى وهى انه لما عبدوا العجل وكانت ردة اختار موسى بامر الله تعالى منهم سبعين رجلاً من خيارهم ممن لم يتورطوا في جريمة عبادة العجل ، وذهب بهم الى جبل الطور ليعتذروا الى ربهم سبحانه وتعالى من عبادة إخوانهم العجل فلما وصلوا قالوا لموسى اطلب لنا ربك أن يُسمعنا كلامه فأسمعهم قوله : إني أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيرى . ولما أعلمهم موسى بأن الله تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم ، قالوا : لن نؤمن لك أى لن نتابعك على قولك فيما ذكرت من توبتنا بقتل بعضنا بعضاً حتى نرى الله جهرة وكان هذا منهم ذنباً عظيماً لتكذيبهم رسولهم فغضب الله عليهم فأنزل عليهم صاعقة فأهلكتهم فماتوا واحداً واحداً وهم ينظرون ثم أحياهم تعالى بعد يوم وليلة ، وذلك ليشكروه بعبادته وحده دون سواه كما ذكرهم بنعمة أخرى وهى اكرامه لهم وانعامه عليهم بتظليل الغمام عليهم ، وإنزال المن

(١) إحيائهم بعد موتهم دليل على البعث الآخر، إذ كان موتهم بإخراج أرواحهم ولم يكن مجرد همود كما قيل .
(٢) وفي الحديث الذي رواه مسلم : الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين .

والسلوى^(١) أيام حادثة التيه في صحراء سيناء وفي قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم﴾ إشارة الى ان محنة التيه كانت عقوبة لهم على تركهم الجهاد وجرأتهم على نبيهم اذ قالوا له: ﴿اذهب أنت وربك فقاتل إنا هنا قاعدون﴾. وما ظلمهم^(٢) في محنة التيه، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- عبادة المؤمن غير الله وهو يعلم أنها عبادة لغير الله تعالى تعتبر ردة منه وشركاً.
- ٢- مشروعية قتال المرتدين، وفي الحديث: «من بدّل دينه فاقتلوه»، ولكن بعد استتابته.
- ٣- علة الحياة كلها شكر الله تعالى لعبادته وحده.
- ٤- الحلال، من المطاعم والمشارب وغيرها، ما احله الله والحرام ما حرمه الله عز وجل.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا

- (١) السلوى: اسم جنس جمعي واحده: سلوة، وقيل لا واحد له، وهو طائر بريّ لذيذ اللحم سهل الصيد تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء ويسمى أيضاً: السمانى كحبارى
- (٢) في قوله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ تقديم المفعول وهو أنفسهم على الفاعل وهو الضمير في يظلمون لإفادة القصر، وهو قصر ظلمهم على أنفسهم حيث لم يتجاوز إلى غيرهم لا موسى ولا ربه تعالى.
- (٣) بدليل أمر الله بني اسرائيل بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده لأنه في حكم المرتد، والمرتد يقتل لحديث الصحيح: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».
- (٤) دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون، وأصرح منه قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ والعبادة هي الشكر.
- (٥) ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير «التحرير والتنوير» إلى أن القائل لبني اسرائيل: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾. الآية هو موسى عليه السلام وأن هذا الأمر كان في بداية أمرهم لما خرجوا من مصر، وأن الذين ظلموا منهم هم عشرة رجال من اثني عشر بعث بهم موسى عليه السلام جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدرّون قوته قبل إعلان الحرب عليهم فرجعوا وهم يهولون من شأن العدو وقوته وينشرون الفرع والرعب في بني اسرائيل ما عدا اثنين منهم وهما: يوشع بن نون قريب موسى، وطالب بن بقة الذين ذكرا في سورة المائدة: ﴿قال رجلان...﴾ الآية وخالف في هذا جمهور المفسرين وادعى الغلط لهم، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل قال: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ والرسول ﷺ في حديث البخاري قال: (قيل لبني اسرائيل) ولم يقل: قال موسى لبني اسرائيل ونص الحديث: «قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا قولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة) والأمر لهم حقيقة. هو الله تعالى على لسان يوشع، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله، ودخل بيت المقدس، وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة.

غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

القريّة^(١) : مدينة القدس .

رغداً : عيشاً واسعاً هنيئاً

سجّداً : رُكعاً متطامنين لله خاضعين شكراً لله على نجاتهم من التيه .

حِطَّة : حِطَّةٌ^(٢) : فِعْلَةٌ مثل ردة وحدة من رددت وحددت ، أمرهم أن يقولوا حِطَّة

بمعنى احطط عنا خطايانا ورفع (حِطَّةً)^(٤) على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره :
دخولنا الباب سجداً حِطَّةً لذنوبنا .

نغفر : نمحو ونستر .

خطاياكم : الخطايا جمع خطيئة^(٥) : الذنب يقترفه العبد .

فبدل : غيروا القول الذي قيل لهم قوله وهو حِطَّة فقالوا : حبة في شعيرة^(٦) .

رجزاً^(٨) : وبراء الطاعون .

يفسقون : يخرجون عن طاعة الله ورسله إليهم .

معنى الآيتين :

تضمنت الآية الأولى (٥٨) تذكير اليهود بحادثة عظيمة حدثت لأسلافهم تجلت فيها

(١) سميت المدينة قريّة : من التقري الذي هو التجمع مأخوذ من قريت الماء في الحوض إذا جمعته ومنه قرى الضيف : وهو ما يجمع له من طعام وشراب ، وفرش .

(٢) إلّا أنّ السجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض متعذر المشي معه فلذا فُسر السجود بانحناء الركوع في تطامن وخضوع .

(٣) يوجد باب حِطَّة اليوم في المسجد الأقصى .

(٤) وقرئ حِطَّة بالنصب على تقدير احطط عنا ذنوبنا حِطَّة .

(٥) المفروض أن تجمع خطيئة على خطائتي نحو حميلة وحمائل ، ولكنهم استقلوا الجمع بين همزتين فقلبو الهمة الأولى ياء والثانية ألفاً فصارت خطايا .

(٦) من هذا أخذ حرمة تبديل لفظ تعبدنا الله به بلفظ آخر ولو أدى معناه مثل : الله أكبر في افتتاح الصلاة ، والسلام عليكم في الخروج منها . وما لم يتعبدنا الله بلفظ يجوز للعالم تبديله وذلك كرواية الحديث بالمعنى للعالم دون الجاهل ، وعليه جمهور الأمة .

(٧) و(في شعرة) كنوا بهذا عن كون فتحهم البلاد ، ودخولهم إياها من المحال كالذي يحاول ربط حبة في شعرة .

(٨) والرّجس : بالسّين عذاب فيه نتن وعفونة وقذر .

نعمة الله على بنى اسرائيل وهى حال تستوجب الشكر، وذلك أنهم لما انتهت مدة التيه وكان قد مات كل من موسى وهارون وخلفهما فى بنى اسرائيل فتى موسى يوشع بن نون وغزا بهم العبالقة وفتح الله تعالى عليهم بلاد القدس أمرهم الله تعالى أمر إكرام وإنعام فقال ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً. واشكروا لى هذا الإنعام بان تدخلوا باب المدينة راكعين متطامين قائلين. دخولنا الباب سجداً حطةً لذُنوبنا التى اقترفناها بنكولنا عن الجهاد على عهد موسى وهارون. نشبكم بمغفرة ذنوبكم ونزيد المحسنين منكم ثواباً كما تضمنت الآية الثانية (٥٩) حادثة أخرى تجلت فيها حقيقة سوء طباع اليهود وكثرة رعوناتهم وذلك بتغييرهم الفعل الذى أمروا به والقول الذى قيل لهم فدخلوا الباب زاحفين على أستاذهم قائلين: حبه فى شعيرة!! ومن ثم انتقم الله منهم فأنزل على الظالمين منهم طاعوناً أفنى منهم خلقاً كثيراً جزاء فسقهم عن أمر الله عز وجل. وكان فيما ذكر عظة لليهود لو كانوا يتعظون.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١- تذكير الأبناء بأيام^(١) الآباء للعظة والاعتبار.
- ٢- ترك الجهاد إذا وجب يسبب^(٢) للامة الذل والخسران.
- ٣- التحذير من عاقبة الظلم والفسق والتمرد على أوامر الشارع.
- ٤- حرمة تأويل النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشارع منها.
- ٥- فضيلة الاحسان^(٤) فى القول والعمل.

(١) المراد بالأيام: ما وقع فيها من خير وغيره ثمرة كسبهم ونتاج أعمالهم بالطاعة لله تعالى، أو المعصية له عز وجل.
 (٢) يشهد له حديث أبي داود وأحمد إذ فيه وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم.
 (٣) كتأويل الروافض لفظ بقرة بعائشة رضي الله عنها فى قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ وتأويل بعض المعاصرين أن ربا البنوك ليس هو ربا الجاهلية الحرام.
 (٤) المحسن: من صح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرضه، وكفى المسلمين شره. هكذا عرفه بعضهم، وأقرب من هذا، المحسن: من راقب الله تعالى فى نياته، ومعتقداته، وأقواله، وأفعاله فأحسن فى ذلك كله ولم يسيء فيه وبذل المعروف للناس، ولم يسيء إليهم، وحسب الإحسان فضيلة أن الله يحب المحسنين، ومن أحبه الله أسعده وما أشقاه.

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ

اثنتا عشرة عَيْنًا قَد عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا

وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّضْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِبِهَا وَفُومِهَا

وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ

اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

النَّبِيِّينَ بَغْيٍ ۚ أَلْحَقِ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

استسقى : طلب لهم من الله تعالى السقيا أى الماء للشرب وغيره

بعصاك الحجر : عصا موسى التى كانت معه منذ خرج من بلاد مدين . وهل هى من

شجر الجنة هبط بها آدم كذا قيل والله أعلم . والحجر هو حجر مربع

الشكل من نوع الكذبان رخو كالمدر . وهل هو الذى فر بثوب موسى فى

حادثة^(١) معروفة كذا قيل او هو حجر من سائر الأحجار؟ الله أعلم .

(١) هذه الحادثة كما هي فى الصحيح : أن موسى عليه السلام اتهمه قوم : بالأدرة : (انتفاخ فى إحدى الخصيتين) . فأراد الله تعالى أن يبرئه منها ، فدخل موسى البحر يقتل ، ووضع ثوبه على حجر ففرَّ الحجر بالثوب فلحقه موسى فمَرَّ به ببني اسرائيل حتى علموا أن تهمتهم باطلة .

(٢) كون ال فى الحجر لبيان الجنس وأن أى حجر يضربه موسى يتفجر منه الماء أظهر فى المعجزة وأدَل على قدرة الله تعالى .

- فانفجرت** : الانفجار: الانفلاق فانفجرت : انفلقت من العصا العيون
- مشربهم** : موضع شربهم .
- رزق الله** : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذية
- ولا تعثوا** : العَثْيَ والعِثْيَ : أكبر الفساد وفعله عَثِيَ كَرَضِيَ يَعْثِي كِرَضِيَ وَعَثَا يَعْثُو كَعَدَا يَعْدُو .
- مفسدين** : الافساد : العمل بغير طاعة الله ورسوله في كل مجالات الحياة .
- البقل** : وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها .
- القثاء** : الخيار والقته ونحوهما .
- الفُوم** : الفوم : الحِنْطَةُ وقيل الثوم لذكر البصل^(١) بعده .
- اتستبدلون** : الاستبدال ترك شيء وأخذ آخر بدلا عنه .
- ادنى** : اقل صلاحاً وخيريه ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالفوم والبقل
- مصرراً** : مدينة من^(٢) المدن قيل لهم هذا وهم في التيه كالتعجيز لهم والتحدى لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فاصيبوا بالتيه وحرموا خيرات مدينة القدس وفلسطين .
- ضربت عليهم الذلة** : احاطت بهم ولازمتهم الذلة وهي الصغار والاحتقار .
- والمسكنة** : والمسكنة وهي الفقر والمهانة
- باءوا بغضب** : رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم ويئس ما رجعوا به .
- ذلك بأنهم** : ذلك اشارة الى ما أصابهم^(٣) . من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أى بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم ، فالباء سببية .
- الاعتداء** : مجاوزة الحق الى الباطل ، والمعروف إلى المنكر . والعدل الى الظلم .

(١) لأن ابدال التاء فاءً شائع .

(٢) هذا بناءٌ على صرف مصر إذ هو منون منصوب ، ولو أريد به مصر التي خرجوا منها لقرئ مصر ممنوعاً من الصرف للعلمية والتأنيث .

(٣) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية ، ومن قبلهم ، ومن يأتي بعدهم ، لأن التعليل كان بكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ، والكل موافق راض بهذه الجرائم ، وعصيانهم واعتداؤهم ملازم لهم ما فارقهم إلى اليوم .

معنى الآيتين :

يُذَكِّرُ الله تعالى اليهود المعاصرين لنزول القرآن بالمدينة النبوية بأياديهِ في أسلافهم وأيامه عز وجل فيهم وفي الآية الأولى رقم (٦٠) ذكرهم بأنهم لما عطشوا في التيه استسقى^(١) موسى ربه فسقاهاهم بأمر خارق للعادة ليكون لهم ذلك آية ليلزموا الايمان والطاعة وهو أن يضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر^(٢) فيتفجر الماء منه من اثني عشر موضعاً كل موضع يمثل عيناً يشرب منها سبط^(٣) من أسباطهم الاثني عشر حتى لا يتزاحوا فيتضرروا أكرمهم الله بهذه النعمة، ونهاهم عن الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي.

وفي الآية الثانية (٦١) ذكرهم بسوء أخلاق كانت في سلفهم منها عدم الصبر، والتعنت وسوء التدبير والجهالة بالخير، والرعونة وغيرها. وهذا ظاهر في قولهم يا موسى بدل يا نبي الله او رسول الله لن نصبر على طعام واحد. وقولهم أدع لنا ربك بدل ادع الله تعالى لنا أو ادع لنا ربنا عز وجل. وفي مللهم اللحم والعسل وطلبهم القوم والبصل بدلا عنها وفي قول موسى عليه السلام أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير^(٤) ما يقرر ذلك كما ذكرهم بالعاقبة المرة التي كانت لهم نتيجة كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء، واعتدائهم وعصيانهم، وهي أن ضرب^(٥) الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم.

كل هذا وغيره مما ذكر الله تعالى اليهود به في كتابه من أجل أن يذكروا فيتعظوا ويشكروا فيؤمنوا بنبيه محمد ﷺ ويدخلوا في دينه فيكملوا ويسعدوا بعد أن ينجوا مما حاق بهم من الذلة والمسكنة والغضب في الدنيا، ومن عذاب النار يوم القيامة.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى ونقمه في الناس.

(١) في الآية مشروعية الاستسقاء وهو سنة مؤكدة في الإسلام، فقد استسقى النبي ﷺ وسقى الأمة بدعائه غير مرة.

(٢) انفجار الماء من الحجر معجزة عظيمة، وانفجار الماء من بين أصابع النبي محمد ﷺ معجزة أعظم لأن انفجار الماء من الأحجار معهود معروف ولكن من أصابع هي لحم ودم غير معهود قط.

(٣) السبط في بني اسرائيل كالقبيلة عند العرب.

(٤) في قوله ﴿أستبدلون﴾ الخ انكار عليهم وتوبيخ لهم.

(٥) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مقيداً بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم كبريطانيا أولاً وأمريكا ثانياً

٢- مطالبة ذى النعمة بشكرها،^(١) وذلك بطاعة الله تعالى بفعل أوامره . وترك نواهيه .

٣- ذم الأخلاق السيئة و التنديد بأهلها للعظة والاعتبار .

٤- التنديد بكبائر الذنوب كالكفر وقتل النفس بغير الحق لا سيما قتل الأنبياء أو خلفائهم وهم العلماء الأمرون بالعدل في الأمة .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِئِينَ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

الذين آمنوا^(٢) : هم المسلمون آمنوا بالله ووحدوه وآمنوا برسوله واتبعوه .

الذين هادوا : هم اليهود سُموا^(٣) يهوداً لقولهم : انا هدنا اليك اى تبنا ورجعنا .

النصارى : الصليبيون سموا نصارى إما لأنهم يتناصرون أو لنزول مريم بولدها عيسى قرية الناصرة، والواحد نصران^(٤) أو نصرانى وهو الشائع على الألسنة .

الصابئون : امة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله . ويقرأون الزبور . ليسوا يهودا

ولا نصارى واحدهم صابئ^(٥)، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله

الا الله صابئ أى مائل عن دين آبائه الى دين جديد وحَدَّ فيه الله تعالى .

(١) كما قيل : من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها .

(٢) يرى بعض المفسرين أن المراد (بالذين آمنوا : المنافقون ، والصحيح ما ذكرناه وهم المسلمون وسموا بالمؤمنين لصحة إيمانهم والفائدة من ذكرهم هي : ليعلم اليهود وغيرهم أن النسب والانتساب إلى الدين لا يؤهل للسعادة في الدار الآخرة ، وإنما يؤهل الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح ، إذ بهما تزكوا النفس وتطهر فتأهل لجوار الله تعالى في الملكوت الأعلى .

(٣) أو نسبة إلى يهودا وهو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام .

(٤) نصران على وزن سكران والجمع نصارى كسكاري .

(٥) قرىء بالتخفيف : الصابئين وهى قراءة ورش عن نافع .

مناسبة الآية ومعناها :

لما كانت الآية في سياق دعوة اليهود إلى الاسلام ناسب أن يعلموا أن النسب لا قيمة لها وإنما العبرة بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المزكى للروح البشرية والمطهر لها فلذا المسلمون واليهود والنصارى والصابئون^(١) وغيرهم كالمجوس وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الإيمان وعمل صالحاً مما شرع الله تعالى من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم عند موتهم من أجل ما تركوا من الدنيا إذ الآخرة خير وأبقى . والإيمان الصحيح لا يتم لأحد إلا بالإيمان بالنبي الخاتم محمد ﷺ والعمل الصالح لا يكون إلا بما جاء به النبي الخاتم في كتابه وما أوحى إليه ، إذ بشريته نسخ الله سائر الشرائع قبله وبالنسخ بطل مفعوها فهي لا تتركى النفس ولا تطهرها . والسعادة الأخروية متوقفة على زكاة النفس^(٢) وطهارتها .

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- العبرة بالحقائق لا بالألفاظ فالمنافق إذا قال هو مؤمن أو مسلم ، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغنى النسبة عنه شيئاً ، واليهودى والنصرانى والصابىء وكل ذى دين نسبته إلى دين قد نسخ وبطل العمل بما فيه فأصبح لا يزكى النفس ، هذه النسبة لا تنفعه ، وإنما الذى ينفع الإيمان الصحيح والعمل الصالح .

٢- أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفى الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن وإذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة .

وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ

(١) عامة أهل العلم على أن الصابئة ليسوا أهل كتاب فلا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم وثنيون ولا كتاب لهم على الصحيح .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ .

(٣) مأخوذ من وثق الشيء بالحبل إذا شدّه به تقوية له .

بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين .

الطور : جبل أو هو الجبل الذي ناجى الله تعالى عليه موسى عليه السلام

بقوة : بجهد وحزم وعزم

توليستم : رجعتم عما التزمتم القيام به من العمل بما في التوراة

اعتدوا في السبت : تجاوزوا الحد فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا

قردة : القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين في السبت على نحوه

(١) أي اذكروا ما تضمنه الكتاب الذي هو التوراة، اذكروا حفظاً لشرائعه وأحكامه وعملاً به، واذكروا وعد الله تعالى فيه ووعيده رجاء أن تحصل لكم التقوى فتنجوا من الخسران.

(٢) من فضل الله تعالى عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

(٣) الأمر هنا: كوني لا شرعي إلا طاقة لهم على التحول إلى قردة، وإنما تحولوا بأمره الإرادي الكوني الذي لا يتخلف فيه مراده عز وجل.

(٤) الضمير في قوله ﴿فجعلناها﴾ يعود إلى العقوبة التي هي مسخهم قردة.

خاسئين : مبعدين عن الخير ذليلين مهانين .
 نكالاً : عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه .
 لما بين يديها وما خلفها : لما بين يدي العقوبة من الناس ، ولما يأتي بعدهم .
 وموعظة للمتقين^(١) : يتعظون بها فلا يقدمون على معاصي الله عز وجل .

معنى الآيات :

يذكر الحق عز وجل اليهود بما كان لاسلافهم من أحداث لعلهم يعتبرون فيذكرهم بحادثة امتناعهم من تحمل العمل بالتوراة وإصرارهم على ذلك حتى رفع الله تعالى فوقهم جبلاً فأصبح كالظلة فوق رؤسهم حينئذ أذعنوا غير أنهم تراجعوا بعد ذلك ولم يفوا بما التزموا به فاستوجبوا الخسران لولا رحمة الله بهم .

كما يذكرهم بجريمة كانت لبعض أسلافهم وهي أنه تعالى حرم عليهم الصيد يوم السبت فاحتالت طائفة منهم على الشرع واصطادوا فنكل الله تعالى بهم فمسخهم^(٢) قرده ، وجعلهم عظة وعبرة للمعتبرين^(٣) .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق .
- ٢- يجب أخذ أحكام الشرع بحزم ، وذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها .
- ٣- لا تتم التقوى لعبد إلا إذا أخذ أحكام الشرع بحزم وعزم .
- ٤- حرمة الاحتيال لإباحة المحرم وسوء عاقبة المحتالين المعتدين .

(١) خص المتقين بالموعظة لأنهم أحياء القلوب وذوو بصائر نيرة ، فيشاهدون آثار المعاصي في أصحابها فيتقونها ويتعدون عنها .

(٢) يمتنعون من فعل الذنب الذي كان سبباً في العقوبة .

(٣) جرت سنة الله فيمن يمسخهم أنهم لا يعيشون ثلاثاً حتى يهلكوا ولم يبق منهم أحد ، كذا صح عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٤) هم أهل البصائر من أهل الإيمان والتقوى إذ هم أرباب العقول ، والعقل من اعتبر بغيره .

(٥) روى أحمد بسند جيد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

وَإِذْ قَالَ

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا
هَٰذَا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٦٧) قَالُوا
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
وَلَا يَكْرَهُونَ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ^(٦٨)
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ^(٦٩)
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ^(٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْعَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٧١)

شرح الكلمات :

البقرة : واحدة البقر والذكر ثور والانثى بقرة

الذبح : قطع الودجين والمارن .

الهزؤ : السخرية واللعب .

الجاهل ^(٧١) : الذي يقول او يفعل مالا ينبغي قوله أو فعله .

(١) استعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين، إذا الهزؤ والسخرية، من أفعال أهل الجهل فكان قول موسى هذا وصماً لهم بالجهل وفساد العقل . وسوء الأخلاق .

(٢) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فافسد وأساء .

الفارض^(١): المسنة، والبكر الصغيرة التي لم تلد بعد. والعوان: النَّصْفُ وسط بين المسنة والصغيرة.

فاقع : يقال: أصفر فاقع شديدة الصفرة كأحمر قانيء وأبيض ناصع^(٢).
الذللول : الرِّيْضَةُ التي زالت صعوبتها فاصبحت سهلة منقادة.
تثير الأرض: تقلبها بالمحراث فيثور غبارها بمعنى أنها لم تستعمل في الحرث ولا في سقاية الزرع أى لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.

مسلمة : سليمة من العيوب كالعور والعرج^(٣).
لاشية فيها : الشية العلامة أى لا يوجد فيها لون غير لونها من سواد أو بياض.
معنى الآيات :

واذكر يا رسولنا لهؤلاء اليهود عيياً آخر من عيوب أسلافهم الذين يَعْتَرُونَ بهم وهو سوء سلوكهم مع أنبيائهم فيكون توبيخاً لهم لعلهم يرجعون عن غيهم فيؤمنوا بك وبما جئت به من الهدى ودين الحق. اذكر لهم قصة الرجل الذى قتله ابن أخيه استعجالاً لإرثه ثم ألقاه تعمية فى حى غير الحى الذى هو منه، ولما اختلفوا فى القاتل قالوا نذهب الى موسى يدعو لنا ربه ليبين لنا من هو القاتل فجاءوه فقال لهم ان الله تعالى يأمركم ان تذبحوا بقرة من أجل ان يضربوا القاتل بجزء منها فينطق مبيناً من قتله فلما قال لهم ذلك قالوا أتتخذنا هزواً فوصفوا نبي الله بالسخرية واللعب وهذا ذنب قبيح وما زالوا يسألونه عن البقرة ويتشددون حتى شدد الله تعالى عليهم الأمر الذى كادوا معه لا يذبحون مع أنهم لو تناولوا بقرة من عرض الشارع وذبحوها لكففتهم^(٤)! ولكن شددوا فشدد الله عليهم فعتروا على البقرة المطلوبة بعد جهد جهيد وغالى فيها صاحبها فباعها منهم بملء جلدتها ذهباً.

(١) الفارض: المسنة التي فرضت سنها فقطعته، لأن الفرض لغة القطع.

(٢) هذه الألفاظ يؤتى بها لتأكيد الوصف فيقال: أخضر مدهام وأورق خطباني «الخطباني نبت».

(٣) استدلل الجمهور بهذه الصفات المذكورة للبقرة على جواز بيع السلم في الحيوان كما استدلوا بقول الرسول ﷺ في الصحيح: «لا تنعت المرأة المرأة لزوجهها، كأنه ينظر إليها، وخالف أبو حنيفة وقال بعدم صحة السلم في الحيوان.

(٤) لأن الشية مأخوذة من وشي الثوب إذا نسج على لونين، ولذا قيل النمام واش لأنه لأن الكلام بالوان من كذبه وباطله.

(٥) نقل ابن كثير عن ابن جرير الرواية التالية: إنما أمروا بادن بقره، ولكنهم لما شددوا، شدد الله عليهم، وأيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه قوم موسى من بنى اسرائيل من العجرفة وسوء الأخلاق ليتجنب مثلها المسلمون .
- ٢- حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب تسليم أمره أو نهيه ولو لم تعرف فائدة الأمر والنهي وعلتها .
- ٣- الندب الى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد في الأمور .^(١)
- ٤- بيان فائدة الاستثناء بقول إن شاء الله ، إذ لو لم يقل اليهود ان شاء الله لمهتدون ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة .
- ٥- ينبغي تحاشي الكلمات التي قد يفهم منها انتقاص الأنبياء مثل قولهم الآن جئت بالحق ، اذ مفهومه أنه ما جاءهم بالحق إلا في هذه المرة من عدة مرات سبقت !!

وَإِذْ

قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُحُونَ ﴿٧٢﴾
 فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ

(١) وشاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيحين : «يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا» وقوله ﷺ لأصحابه «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» رواه الترمذي .

(٢) يشهد لصحة هذا أن نبي الله سليمان لما لم يستثن لم تلد له امرأة من المائة إلا واحدة ، وجاءت به نصف ولد وقال رسول الله ﷺ «لو استثنى لكان دركاً لحاجته» كما في البخاري .

(٣) لما كانت عقيدة البعث والجزاء ذات تأثير كبير في إصلاح الإنسان خلقاً وسلوكاً ذكرها تعالى في أثناء سياق القصة مع أن اليهود يؤمنون بالبعث الآخر .

(٤) أو : بمعنى الواو وليست لشك وقد تكون بمعنى بل وشاهد الأول قول الشاعر: أتى الخلافة أو كانت له قدراً بمعنى وكانت وشاهد الثاني : «فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون» الآية أي : بل يزيدون لاستحالة الشك على الله تعالى .

(٥) القسوة في عرف اللغة : اليبس والصلابة ، ووصفت قلوب اليهود بذلك لأنها خالية من اللطف والرحمة .

مِنْهَا لَمَّا يَحِطُّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ



شرح الكلمات :

- نفساً : نفس الرجل الذي قتله وارثه استعجالاً للإرث .
 ادارأتم فيها : تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول قتلها القبيل الآخر .
 ما تكتُمون : من أمر القاتل سترأ عليه دفعاً للعقوبة والفضيحة .
 ببعضها : ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلاً .

معنى الآيات :

يقول تعالى لليهود موبخاً لهم اذكروا إذ قتل أحد أسلافكم قريبه ليرثه فاخصم في شأن القتل كل جماعة تنفي أن يكون القاتل منها، والحال أن الله تعالى مظهر ما تكتُمونه لا محالة إحقاقاً للحق وفضيحة للقاتلين فأمركم أن تضربوا القاتل ببعض أجزاء البقرة فيحيا ويخبر عن قاتله ففعلتم وأحيا الله القاتل وأخبر بقاتله فقتل^(١) به فأراكم الله تعالى بهذه القصة آية من آياته الدالة على حلمه وعلمه وقدرته وكان المفروض أن تعقلوا عن الله آياته فتكملوا في إيمانكم وأخلاقكم وطاعتكم، ولكن بدل هذا قست قلوبكم وتحجرت وأصبحت أشد قساوة من الحجارة فهي لا ترق ولا تلين ولا تخشع على عكس الحجارة إذ منها ما تتفجر منه العيون، ومنها ما يلين فيهبط من خشية الله كما اندك جبل الطور لما تجلى له الرب تعالى، وكما اضطرب أحد تحت قدمي رسول الله ﷺ وأصحابه. ثم توعدكم الرب تعالى بأنه ليس بغافل عما تعملون من الذنوب والآثام وسيجزىكم به جزاء عادلاً إن لم تتوبوا إليه وتنبؤوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وتقريرها أمام اليهود إذ يخبرهم بأمر جرت لأسلافهم لم

(١) في هذه الآية شاهد لمالك في أن الجريح إذا أخبر عن جرحه. ومات أن أخباره يعد لوثاً وتجري في الحادث القسامة وخالف الجمهور وقالوا: إخبار القاتل لا يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رضى رأسها كما في البخاري.

يكن يعلمها غيرهم وذلك إقامة للحجة عليهم .

٢- الكشف عن نفسيات اليهود وانهم يتوارثون الرعنات والمكر والخداع .

٣- اليهود من أقسى البشر قلوباً الى اليوم ، اذ كل عام يرمون البشرية بقاصمة الظهر وهم ضاحكون .

٤- من علامات الشقاء قساوة القلوب ، وفي الحديث : «من لا يرحم لا يرحم» * .

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ^(١)
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا الْقَوَاةُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بِعَضْبُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمْعًا
لَّهُ عَلَى كُفْرِهِمْ لَحَاجُّوكُمْ بِهِ ۚ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

افتظمعون : الهمة للانكار الاستعادي ، والطمع تعلق النفس بالشئ رغبة فيه

يؤمنوا لكم : يتابعونكم على دينكم (الإسلام) .

كلام الله^(٣) : في كتبه كالسورة والإنجيل والقرآن

يحرفونه^(٤) : التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه كما قالوا في نعت

(١) الطمع كالرجاء ، وهو ترقب شيء محبوب وضدها اليأس .

(٢) أي : فهموه فهماً جلياً واضحاً ومع هذا يجافونه على بصيرة .

(٣) ويدخل في الجملة : الذين سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسى وخرج بهم إلى الطور طلباً لتوثيقهم .

(٤) التحريف : مصدر حرف الشيء إذا مال به إلى الحرف الذي هو الطرف والبعد عن وسط الجادة .
* متفق عليه

الرسول ﷺ في التوراة: اكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه
قالوا: طويل أزرق العينين سبط الشعر.

إذا لقوا الذين آمنوا : إذا لقي منافقوا اليهود المؤمنين قالوا آمنا بنبينا ودينكم
أتحدثونهم : الهمة للاستفهام الانكارى، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبي
في التوراة

بما فتح الله عليكم : إذا خلا منافقوا اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم اخبارهم المؤمنين
بنعوت النبي ﷺ في التوراة، وهو مما فتح^(١) الله به عليهم ولم يعلمه
غيرهم.

ليحاجوكم به : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا
يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله.^(٢)
أميون : الأمي: المنسوب إلى أمه كأنه ما زال في حجر أمه لم يفارقه فلذا هو
لم يتعلم الكتابة والقراءة.^(٣)

أمانى : الأمانى جمع أمنية وهى إماما ما يتمناه المرء في نفسه من شىء يريد
الحصول عليه، وإما القراءة من تمنى الكتاب إذا قرأه.^(٤)

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المؤمنين طمعهم في إيمان اليهود لهم بنبينهم ودينهم، ويذكر وجه استبعاده
بما عرف به اليهود سلفاً وخلفاً من الغش والاحتيال بتحريف الكلام وتبديله تعمية وتضليلاً
حتى لا يهتدى الى وجه الحق فيه ومن كان هذا حاله يبعد جداً تخلصه من النفاق والكذب
وكتمان الحق ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ وهم كاذبون وإذا خلا بعضهم ببعض أنكروا

(١) من الجائز أن يكون معنى بما فتح الله به عليهم أي: قضى وحكم من انزال المصائب بهم والكوارث بأسلافهم وهي
كثيرة لأن فتح تكون بمعنى حكم ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أحكم.
(٢) هذا الكلام جار على عقيدة اليهود في تشبيههم الرب تعالى بحكام البشر في رواج الحيل عليه، وإمكان مغالطته وأنه
تعالى يوجد الشيء ثم يندم ويأسف كما هو صريح في التوراة فلذا أنكروا على بعضهم إخبار المؤمنين بصدق النبوة المحمدية
مخافة أن يحتجوا عليهم يوم القيامة بذلك.

(٣) وجائز أن يكون منسوباً إلى الأمة فيكون بمعنى العامي المنسوب إلى العامة.

(٤) وشاهده قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أول ليله وأخره لاقى حِمام المقادر

أي: قرأ القرآن في أول الليل الذي قتل فيه رضي الله عنه

على أنفسهم ما فاه به بعضهم للمسلمين من صدق نبوة الرسول وصحة دينه متعللين بأن مثل هذا الاعتراف يؤدي الى احتجاج المسلمين به عليهم وغلبهم في الحجة وسبحان الله كيف فسد ذوق القوم وساء فهمهم حتى ظنوا ان ما يخفونه يمكن اخفاؤه على الله قال تعالى في التنديد بهذا الموقف الشائن ﴿أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾؟

ومن جهل بعضهم بما في التوراة وعدم العلم بما فيها من الحق والهدى والنور ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانتي﴾ أى إلا مجرد قراءة فقط أما إدراك المعانى الموجبة لمعرفة الحق والإيمان به واتباعه فليس لهم فيها نصيب ، وما يقولونه ويتفوهون به لم يعد الخرص والظن الكاذب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- أن ابعد الناس عن قبول الحق والاذعان له اليهود .
- ٢- قبح إنكار الحق بعد معرفته .
- ٣- قبح الجهل بالله وبصفاته العلا وأسمائه الحسنى .
- ٤- ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلا عن معرفة حكمه وأسراره وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلا عن غير الحافظين له .

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ^(١) وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ^(٢)
وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ

(١) في قوله تعالى : ﴿فويل لهم﴾ الخ بيان سبب عذابهم وهو كذبهم على الله بكتابة شيء ، ونسبته إلى الله تعالى كما هو أكلهم الحرام الذي كسبوه بالكتابة الباطلة .

(٢) قوله بأيديهم . هو نحو نظرتة بعيني ، وقتله بلساني تأكيد لا غير .

أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۚ وَأَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

- ويل** : الويل^(١) : كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو عذاب .
- الكتاب** : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبونه الى الله تعالى ليتوصلوا به الى أغراض دنية من متاع الدنيا القليل .
- من عند الله** : ينسبون ما كتبوه بأيديهم الى التوراه بوصفها كتاب الله ووحيه الى موسى عليه السلام .
- يكسبون** : الكسب يكون في الخير، وهو هنا في الشر فيكون من باب التهمك بهم .
- أياماً معدودة** : أربعين يوماً وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الاسلام .
- أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا** : الهمة للاستفهام الانكارى، والعهد : الوعد المؤكد .
- سَيِّئَةً** : هذه سيئة الكفر والكذب على الله تعالى .
- أَحَاطَتْ بِهِ**^(٤) : الإحاطة بالشيء : الالتفاف به والدوران عليه .

(١) الويل مصدر أُمات العرب فعله، ومؤنثه الويلة، والجمع الويلات وإعرابه إن افرد ولم يضاف الرفع بالابتداء وخبره المجرور بحرف الجر، وإن أضيف إلى ضمير نصب نحو: ويلك لا تفعل كذا، وإن أضيف إلى ظاهر رفع الابتداء نحو ويل أمه . مسعر حرب الحديث . . .

(٢) من المعلوم أن التوراه قد أخذت من اليهود في حملة بختنصر وفي حملة القائد الروماني ولذا ضاع أكثرها وزيد فيها ونقص منها بحيث ما أصبحت صالحة لهداية البشرية، ومن هنا أصبح علماءهم يكتبون الكلمات وينسبونها إلى التوراه التي هي كتاب الله في الأصل، ويزعمون أن ما كتبوه هو من كلام الله .

(٣) ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى : ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ أن عكرمة قال : (خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها آخرون يعنون محمداً وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم : بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفنكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل ﴿وقالوا لن تمسنا النار . . .﴾ الآية .

(٤) بين هذا رسول الله ﷺ بقوله : في رواية أحمد فقال : «ياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكه .

خطيئته : الخطيئة واحدة الخطايا وهي الذنوب عامة .

الخلود : البقاء الدائم الذى لا تحول معه ولا ارتحال .

معنى الآيات :

يتوعد الرب تبارك وتعالى بالعذاب الأليم أولئك المضللين من اليهود الذين يحرفون كلام الله ، ويكتبون أموراً من الباطل وينسبونها الى الله تعالى ليتوصلوا بها الى أغراض دنيوية سافلة .

وينكر عليهم تبجحهم الفارغ بأنهم لا يعذبون بالنار مهما كانت ذنوبهم ما داموا على ملة اليهود إلا أربعين يوماً ثم يخرجون ، وجائز أن يتم هذا لو كان هناك عهد من الله تعالى قطعه لهم به ولكن أين العهد؟ إنما هو الادعاء الكاذب فقط ثم يقرر العليم الحكيم سبحانه وتعالى حكمه فى مصير الإنسان بدخول النار أو الجنة ذلك الحكم القائم على العدل والرحمة البعيد عن التأثير بالأنساب والأحساب فيقول بلى ، ليس الأمر كما تدعون ، وإنما هى الخطايا والحسنات فمن كسب سيئة وأحاطت^(١) به خطيئاته فحَبِثَتْ نفسه ولوئنتها فهذا لا يلائم خبث نفسه إلا النار ، ومن آمن وعمل صالحاً فزكى بالإيمان والعمل الصالح نفسه وطهرها فإنه لا يلائم طهارة روحه وزكاة نفسه إلا الجنة دار النعيم . أما الحسب والنسب والادعاءات الكاذبة فلا تأثير لها البتة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة التى تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرم ليتوصل بها صاحبها الى غرض دنيوي كمال ، أو حظوة لدى ذى سلطان .
- ٢- إبطال الإنتفاع بالنسب والإنتساب ، وتقرير أن سعادة الإنسان كشقاؤه مردهما فى السعادة إلى الإيمان والعمل الصالح . وفى الشقاوة إلى الشرك والمعاصي .
- ٣- التنبيه على خَطَرِ الذنوب صغيرها وكبيرها ، وإلى العمل على تكفيرها بالتوبة والعمل الصالح قبل أن تحوط بالنفس فتحجبها عن التوبة والعياذ بالله .

(١) دلّ هذا على أنّ المعلق على شرطين لا يتم بأقلهما وهو كقوله ﷺ للذي قال له : قل لي فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم حديث حسن ذكره النووي فى الأربعين

(٢) قرأ نافع خطيئاته بالجمع وقرأ حفص خطيئته بالإفراد .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
 أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
 لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
 تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِن يَأْتُوكُمُ أُسْكُرِي تُفْذَوْنَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ

(١) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الخ بعد ذكر النار وأهلها من باب ذكر الترغيب بعد التهيب كما هي سنة القرآن الكريم.
 (٢) قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ...﴾ الخ تفسير لمضمون الميثاق والجملة خبرية لفظاً، انشائية معنى، إذ هي في معنى اعبدوا الله وحده، واحسنوا بالوالدين. وقولوا للناس حسناً الخ.
 (٣) الوالدان: الأم والأب يقال للأم والد والدة فلذا تُنى على الوالدين، أو هو من باب التغليب كالعمرين في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) ذي: بمعنى صاحب.

(٥) فيه انصاف واحتراز حيث استثنى مَنْ لم يَقُولْ عَمَّا التزم به من بنود العهد وإن كان قليلاً.

(٦) اعرب (أنتم) خبر مقدم وهؤلاء مبتدأ مؤخر وتقتلون حال. واعرب أيضاً (أنتم) مبتدأ وهؤلاء منادى والخبر تقتلون: أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والانكار عليهم.

وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد^(١) المؤكد باليمين .

حسناً : حسن القول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين ،
والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش .

توليتهم : رجعتهم عما التزمتم به مصممين على أن لا تتوبوا .

سفك الدماء^(٣) : إراقتها وصبها بالقتل والجراحات .

تظاهرون : قرىء تظاهرون ، وتظاهرون بقاء واحدة ومعناه تتعاونون .

بالإثم والعدوان : الإثم : الضار الموجب للعقوبة ، والعدوان الظلم .

أسارى : جمع أسير : من أخذ في الحرب .

الخزي : الذل والمهانة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تذكير اليهود^(٤) بما كان لأسلافهم من خير وغيره والمراد هدايتهم لو
كانوا يهتدون ، فقد ذكرهم في الآية (٨٣) بما أخذ الله تعالى عليهم في التوراة من عهود
ومواثيق على أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا في عبادته سواه . وأن يحسنوا للوالدين ولذى

(١) أي : باعوا آخرتهم بديناهم ففسدوا خسرانا عظيماً لحقارة الدنيا ، وعظم الآخرة ، والاشتراء في الآية بمعنى الاستبدال ،
استبدلوا الآخرة فلم يعملوا لها بالدنيا حيث قصروا أعمالهم على تحصيلها .

(٢) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ
عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة .

(٣) قوله تعالى في الآية ﴿تسفكون دماءكم﴾ وقوله ﴿تقتلون أنفسكم﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل
دمه ، وإنما لا يسفك بعضكم دم بعض ، ولا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أمة واحدة .

(٤) هم يهود المدينة ، وهم ثلاث طوائف بنو قينقاع وبنو النضير ، وقرية .

القريبى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للناس الحسن من القول وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وتدّ بصنيعهم حيث نقض هذا العهد والميثاق أكثرهم ولم يفوا به وفي الآية الثانية (٨٤) ذكرهم بميثاق خاص أخذه عليهم في التوراة أيضاً وهو الإسرائيلي لا يقتل الإسرائيلي ولا يخرج من داره بغياً وعدواناً عليه، وإذا وقع في الأسر وجب فكاكه بكل وسيلة ولا يجوز تركه أسيراً بحال، أخذ عليهم بهذا ميثاقاً غليظاً وأقروا به وشهدوا عليه وفي الآية الثالثة (٨٥) ونّخهم على عدم وفائهم بها التزموا به حيث صار اليهودي يقتل^(١) اليهودي ويخرج من داره بغياً وعدواناً عليه. وفي نفس الوقت إن اتاهم يهودي أسيراً فدّوه بالغالي والرخيص، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا الذي هو إهمال واجب وقيامٌ بآخر تبعاً لأهوائهم فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ومن هنا توعدهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة. وفي الآية الرابعة (٨٦) أخبر أنهم بصنيعهم ذلك اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فكان جزاؤهم عذاب الآخرة حيث لا يخفف عنهم ولا ينصرون فيه بدفعه عنهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية تذكير الناس ووعظهم بما يكون سبباً لهدايتهم.
- ٢- وجوب عبادة الله وتوحيده فيها.
- ٣- وجوب الإحسان إلى الوالدين ولذوي القربى واليتامى^(٢) والمساكين.
- ٤- وجوب معاملة الناس بحسن^(٣) الأدب.

(١) حصل لهم هذا بالمدينة النبوية وذلك أن سكان المدينة كانوا يتألفون من قبيلتين الأوس والخزرج، وقبائل اليهود الثلاث، وكانت الحروب تندلع بينهم لأنفه الأسباب وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء للخزرج وبنو قريضة حلفاء للأوس، فإذا اندلعت الحرب بين الأوس والخزرج قاتل اليهود مع حلفائهم وبذلك يقتل اليهودي أخاه ويسفك دمه وإذا انتهت الحرب فادوا أسراهم طاعة لله تعالى إذ أوجب ذلك عليهم.

(٢) الأسير: مأخوذ من الأسار وهو القيد الذي يشدّ به المحمل فيسمى أخيد الحرب أسيراً، لأنه يشد وثاقه، وجمعه أسرى وأسارى كسكركى وسكركى، ثم سمي كل أخيد في الحرب أسيراً.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي بالسبابة والوسطى أي: من أصابعه كما روى أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

(٤) بأن يكون اللفظ طيباً والوجه منبسطاً.

٥- تعرض أمة الإسلام لخزي الدنيا وعذاب الآخرة بتطبيقها بعض أحكام الشريعة وإهمالها البعض الآخر.

٦- كفر من يتخير أحكام الشرع فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه، ويهمل ما لا يوافق.

٧- كفر من لا يقيم دين الله إعراضاً عنه وعدم مبالاة به.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
 مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
 بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

(١) عيسى: مُعَرَّبٌ يسوع أو يسوع لأن عيسى أخف منهما.

(٢) قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ...﴾ الخ إحياء باللوم والعتاب بل هو تفرغ وتوبيخ لليهود على تمردهم على رسلهم بتكذيب البعض وقتل البعض اتباعاً لأهوائهم وأغراضهم الدنية.

(٣) تهوى مضارع هوى بكسر الواو إذا أحب ومنه حديث البخاري والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك أي حبك والقائلة عائشة رضي الله عنها ويجمع الهوى على أهواء.

شرح الكلمات :

- موسى** : موسى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل :
- الكتاب** : التوراة .
- قفينا** : أرسلناهم يَقْفُو بعضهم بعضاً أي واحداً بعد واحد .
- الرسول** : جمع رسول : ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه .
- البينات** : المعجزات وآيات الله في الإنجيل .
- روح القدس** ^(١) : جبريل عليه السلام .
- غلف** : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعوننا إليه ، أو هي أوعية للعلم فلا نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك .
- كتاب من عند الله** : القرآن الكريم .
- يستفتحون** ^(٢) : يطلبون الفتح أي النصر .
- بئسما** : بئس كلمة ذم ، ضدها نِعْمَ فإنها للمدح .
- بغياً** ^(٣) : حسداً وظلماً .
- باءوا بغضب** ^(٤) : رجعوا والغضب ضد الرضا ، ومن غضب الله عليه أبعدته ومن رضي عنه قربته وأدناه .
- مهين** : عذاب فيه إهانة وصغار وذلل للمعذب به .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى على بني إسرائيل ، وذكر معائبهم وبيان مثالبهم لعل ذكر الإنعام يحملهم على الشكر فيؤمنوا ، وذكر المعائب يحملهم على الإصلاح والتوبة فيتوبوا ويصلحوا ففي الآية (٨٧) يذكر تعالى منته بإعطاء موسى التوراة وإرسال

(١) الروح : جوهر نوراني لطيف لا يدرك بالحواس فيطلق على نفس الإنسان دون أنفس الحيوانات ، ويطلق على جبريل عليه السلام وعلى ملك عظيم من الملائكة ، والقدس مصدر أو اسم مصدر بمعنى الزهارة ، والطهارة ، والمقدس معناه المطهر المنزه عما لا يليق به .

(٢) وذلك بأيمانهم واتباعهم للنبي المنتظر إلا أنهم لما جاءهم كفروا به ، وهذه طبيعتهم كما قيل : شئنة أعرفها من أخزم .

(٣) مفعول لأجله علة لكفرهم .

(٤) هل تعدد الغضب لتعدد كفرهم بما أمروا بالإيمان به إذ كفروا بعبسى فباءوا بغضب وكفروا بمحمد ﷺ فباءوا بغضب آخر أو هو شدة الحال عليهم لكثرة كفرهم وفسقهم ؟

الرسول بعده بعضهم على أثر بعض ، وبإعطاء عيسى البينات وتأيدته بروح القدس جبريل عليه السلام ومع هذا فإنهم لم يستقيموا بل كانوا يقتلون الأنبياء ويكذبونهم فوبخهم الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ . وفي الآية الثانية (٨٨) يذكر تعالى تبجحهم بالعلم واستغناءهم به ، ويبطل دعواهم ويثبت علة ذلك وهي أن الله لعنهم بكفرهم فلذا هم لا يؤمنون وفي الآية الثالثة (٨٩) يذكر تعالى كفرهم بالقرآن ونبيّه بعد أن كانوا قبل بعثة النبي ﷺ يقولون للعرب إن نبياً قد أظل زمانه وسوف نؤمن به ونقاتلكم معه وننتصر^(١) عليكم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله^(٢) عليهم لأنهم كافرون . وفي الآية الرابعة (٨٩) يقبح الله تعالى سلوكهم حيث باعوا أنفسهم رخيصة ، باعوها بالكفر فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيّه حسداً^(٤) أن يكون في العرب نبي يوحى إليه ورسول يطاع ويتبع ، فرجعوا من طول رحلتهم في الضلال بغضب عظيم سببه كفرهم بعيسى ، ويغضب عظيم سببه كفرهم بمحمد ﷺ ومع الغضب العذاب المهين في الدنيا والآخرة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- واجب النعمة الشكر، وواجب الذنب التوبة .
- ٢- قبح رد الحق لعدم موافقته لهوى النفس . ٣- فظاعة جريمة القتل والتكذيب بالحق .
- ٤- سوء عاقبة التبجح بالعلم وإدعاء عدم الحاجة إلى المزيد منه .
- ٥- ذم الحسد وأنه أخو البغي وعاقبتها الحرمان والخراب .
- ٦- شر ما يخاف منه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

(١) الجمهور من النحاة على أن همزة الاستفهام في ﴿أفكلما جاءكم﴾ ونحوها مقدمة من تأخير إذ موقعها بعد الفاء العاطفة ولما كان حرف الاستفهام وخاصة همزة له الصدارة، قدمت الهمزة على الفاء العاطفة فقال ﴿أفكلما﴾ وخلاف الجمهور يرى أن الهمزة داخلة على محذوف يقدر بحسب المقام .

(٢) هذا معنى قوله تعالى : ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ .
(٣) لم يقل الله تعالى فلعنة الله عليهم وإنما قال فلعنة الله على الكافرين إشارة إلى سبب اللعنة وهو الكفر لا الجنس أو العرق وليعم كل كافر أيضاً .

(٤) سمي الحسد بغياً وظلماً، لأن البغي والظلم بمعنى ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والحاسد متمن زوال النعمة عن المحسود، وهو في هذا الحال ظالم متعد لأنه لا يناله من زوالها نفع ولا من بقائها ضرر .

وَإِذْ أَقِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
 أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
 لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
 ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا
 مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا أَسْمِعْنَا وَعَصَيْنَا
 وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
 بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

بما أنزل الله : من القرآن .

بما أنزل علينا : التوراة .

وهو الحق مصدقاً : القرآن الكريم مقرر لأصول الأديان الإلهية كالتوحيد

والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخرة .

البيّنات : المعجزات .

(١) أي : بما سواه وهو القرآن الكريم دلّ عليه السياق .

(٢) جملة ﴿وهو الحق﴾ حالية و﴿مصدقاً﴾ حال مؤكدة ويصح أن تكون حال مؤسسة .

(٣) الإتيان بالمضارع في ﴿تقتلون﴾ مع أن القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة كما فيه إشارة إلى استعدادهم لفعل تلك الفعلية الشنيعة وهي قتل الأنبياء والعلماء .

(٤) فإن قيل لقد سبق مثل هذا القصص فما الفائدة من إعادته هنا؟ الجواب : أنه ذكر فيه ما لم يذكر هناك وهو قوله ﴿واسمعوا... الخ﴾ .

(٥) قوله : ﴿واسمعوا﴾ ليس المراد السماع بالحاسة ، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء : فلان لا يسمع كلامي ، فإن معناه لا يمثل أمري ولا يطيعني . كما أن قوله : ﴿وعصينا﴾ ليس معناه النطق بلفظ عصينا وإنما معناه أنهم لم يمثلوا الأمر الصادر إليهم .

اتخذتم العجل : يريد إلهاً عبدتموه في غيبة موسى عليه السلام .

وأشربوا في قلوبهم العجل : أي حب العجل الذي عبدوه بدعوة السامري لهم بذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بني إسرائيل وتقريرهم على سوء أفعالهم ففي الآية الأولى (٩١) يخبر تعالى أن اليهود إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن يدعون أنهم في غير حاجة إلى إيمان جديد بحجة أنهم مؤمنون من قبل بما أنزل الله تعالى في التوراة وبهذا يكفرون بغير التوراة وهو القرآن مع أن القرآن حق والدليل أنه مصدق لما معهم من حق في التوراة ثم أمر الله رسوله أن يبطل دعواهم موبخاً إياهم بقوله : ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ إذ قتل الأنبياء يتنافى مع الإيمان تمام المنافاة .

وفي الآية الثالثة (٩٣) يذكر تعالى اليهود بما أخذه على أسلافهم من عهد وميثاق بالعمل بما جاء في التوراة عندما رفع الطور فوق رؤوسهم تهديداً لهم غير أنهم لم يفوا بما عاهدوا عليه كأنهم قالوا سمعنا وعصينا، فعبدوا العجل وأشربوا حبه في قلوبهم بسبب كفرهم ثم أمر رسوله ﷺ أن يقبح ما ادّعوه من أن إيمانهم هو الذي أمرهم بقتل الأنبياء وعبادة العجل، والتمرد والعصيان .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها .
- ٢- جرأة اليهود على قتل الأنبياء والمصلحين من الناس .
- ٣- وجوب أخذ أمور الشرع بالحزم والعزم والقوة .
- ٤- الإيمان الحق لا يأمر صاحبه إلا بالمعروف ، والإيمان الباطل المزيف يأمر صاحبه بالمنكر .

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ

(١) هذه الآية تحمل الرد على مزاعم أخرى لليهود وهي دعواهم أنهم أولياء الله وأن الجنة لهم دون غيرهم ولذا فهم في غير حاجة إلى دين جديد كالإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فأمر الله رسوله أن يباهلهم فطلب منهم أن يتمنوا الموت وسألوه فنكلوا ولم يباهلوا وظهر بذلك كذبهم وتمت فضيحتهم .

دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾
وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
﴿١٥﴾ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمَنْ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَ ذَلِكَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحٍ
مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- الدار الآخرة : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه .
خالصة : خاصة لا يدخلها أحد سواكم .
تمنوا الموت : تمنوه في نفوسكم واطلبوه بالسستكم فإن من كانت له الدار الآخرة
لا خير له في بقائه في الدنيا .
إن كنتم صادقين : أي في دعوى أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم .
حياة : التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة .
يود : يحب

(١) روى الترمذي في سبب نزول ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...﴾ الخ أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال جبريل . قالوا : ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذلك عدونا لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعتك فانزل الله الآية إلى قوله ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ .
(٢) ذكر جبريل وميكائيل بعد ذكرهم في عموم الملائكة دليل على شرفهما وعلو مقامهما .

- الذين أشركوا : هم غير أهل الكتاب من سائر الكفار .
 بمزحه : بمبعده من العذاب .
 أن يعمر : تعميره ألف سنة .
 جبريل : روح القدس الموكل بالوحي ينزل به على رسول الله ﷺ .
 نزلّه على قلبك : نزل جبريل القرآن على قلب رسول الله ﷺ .
 مصداقاً لما بين يديه : القرآن مصدق لما في الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة
 به ومن التوحيد ووجوب الاسلام لله تعالى .
 ميكال : ميكال وميكائيل : ملك من أعظم الملائكة وقيل معناه عبيد الله .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على اليهود وإبطال حججهم الواهية ففي الآية الأولى (٩٤) أمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم مباهلاً إياهم : إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم لا يدخل الجنة معكم احد فتمنوا الموت لتدخلوا الجنة وتستريحوا من عناء الدنيا ومكابدة العيش فيها فإن لم تتمنوا ظهر كذبكم وثبت كفركم وأنكم أصحاب النار، ففعلاً ما تمنوا الموت ولو تمنوه ماتوا عن آخرهم .

وفي الآية الثانية (٩٥) أخبر تعالى أن اليهود لن يتمنوا الموت أبداً وذلك بسبب ما قدموه من الذنوب والخطايا العظام الموجبة لهم عذاب النار بأنهم مجرمون ظلمة والله عليهم بالظالمين وسيجزئهم بظلمهم إنه حكيم عليم .

وفي الآية الثالثة (٩٦) يخبر الله تعالى أن اليهود أحرص الناس على الحياة حتى من المشركين الذين يود الواحد منهم أن يعيش ألف سنة ، فكيف يتمنون الموت إذا وهم على هذا الحال من الحرص على الحياة ، وذلك لعلمهم بسوء مصيرهم إن هم ماتوا . كما يخبر تعالى أن الكافر لا ينجيه من العذاب طول العمر ولو عاش أكثر من ألف سنة ، ثم هدد الله تعالى اليهود وتوعدهم بقوله ﴿والله بصير بما يعملون﴾ من الشر والفساد وسيجزئهم به .

(١) في جبريل وميكائيل لغات عدة ، أشهرها جبريل وجبرائيل وجبرين - بالنون - وميكائيل ، وميكال وميكل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل : عبدالله ، وميكائيل ، عبيد الله .

وفي الآية الرابعة (٩٧) يأمر تعالى رسوله أن يرد على اليهود قولهم: لو كان الملك الذي يأتيك بالوحي ميكائيل لأمنا بك، ولكن لما كان جبريل فجبريل عدونا لأنه ينزل بالعذاب، بقوله: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ فليمت غيظاً وحنقاً فإن جبريل هو الذي ينزل بالقرآن بإذن ربه على قلب رسوله مصداقاً - القرآن - لما سبقه من الكتب وهدى يهتدى به وبشرى يبشر به المؤمنون الصالحون.

وفي الآية الخامسة (٩٨) يخبر تعالى أن من يعاديه عز وجل ويعادي أوليائه من الملائكة والرسول وبخاصة جبريل فإنه كافر، والله عدوه ولسائر الكافرين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- صحة الإسلام، وبطلان اليهودية، وذلك لفشل اليهود في المباهلة بتمني الموت.
- ٢- المؤمن الصالح يفضل الموت على الحياة لما يرجوه من الراحة والسعادة بعد الموت.
- ٣- صدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة ولو كانت رخيصة ذميمة إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم.
- ٤- عداوة الله تعالى للكافرين. ولذا وجب على المؤمن معاداة أهل الكفر لمعاداتهم لله، ومعاداة الله تعالى لهم.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا^(١)

إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ^(٢)
أَوْ كَلَّمَاعَهُدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

(١) في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

(٢) ذكر الطبري أن قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات...﴾ إلى قوله ﴿الفاسيقون﴾ نزل رداً على ابن صوريا اليهودي حيث قال للرسول ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فتنبعك بها.

(٣) كابن صوريا واضرابه ممن تعمدوا الخروج عن منهج الحق وهم يعلمون.

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

شرح الكلمات :

آيات بينات : هي آيات القرآن الكريم الواضحة فيما تدل عليه من معان .
يكفر بها : يجهل بكونها كتاب الله ووحى الى رسوله محمد ﷺ .
الفاشقون : الخارجون عما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان بالله والإسلام له ظاهراً
وباطناً .

أو كلما عاهدوا : الهمزة للإستفهام الإنكاري والواو عاطفة على تقديره أكفروا بالقرآن
ونبيه وكلما عاهدوا الخ . .

العهد : الوعد الملزم .

نبذه : طرحه وألقاه غير آبه به ولا ملتفت إليه .

رسول : التنكير للتعظيم والرسول هو محمد ﷺ ، ومن قبله عيسى عليه السلام .

لما معهم : من نعت الرسول ﷺ وتقرير نبوته ، وسائر أصول الدين في التوراة .

كتاب الله : التوراة لدلالاتها على نبوة النبي محمد ﷺ وصحة دينه الإسلام .

وراء ظهورهم : أي أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه لمنافاته لما هم معروفون عليه من الكفر
بالنبي محمد ﷺ كأنهم لا يعلمون مع أنهم يعلمون حق العلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير نبوة رسول الله ﷺ وعموم رسالته والرد على اليهود وإظهار

(١) النبذ : الطرح والالقاء ، ولذا سمي اللقيط منبذاً ، وسمي النبيذ نبذاً لأنه طرح التمر والزبيب في الماء وعليه قول الشاعر :
نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا من نعالكا

(٢) وجائز أن يكون القرآن الكريم ، فقد نبذوه أيضاً بعد علمهم بأنه الحق مصداقاً لما معهم .

ما هم عليه من الفسق والكفر والظلم ففي الآية الأولى (٩٩) يرد تعالى على قول ابن سوريا اليهودي للرسول ﷺ ما جئتنا بشيء بقوله: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ كالأعور بن سوريا اليهودي وفي الآية الثانية (١٠٠) ينكر الحق سبحانه وتعالى على اليهود كفرهم ونبذهم للعهود والمواثيق وليسجل عليهم عدم إيمان أكثرهم بقوله: ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾. وفي الآية الثالثة (١٠١) ينعى الباري عز وجل على علماء اليهود نبذهم للتوراة لما رأوا فيها من تقرير نبوة محمد ﷺ وإثباتها فقال: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الفسق العام ينتج الكفر، إن العبد إذا فسق وواصل الفسق عن أوامر الله ورسوله سيؤدي به ذلك إلى أن ينكر ما حرم الله وما أوجب فيكفر لذلك والعياذ بالله.
- ٢- اليهود لا يلتزمون بوعده ولا يفون بعهده، فيجب أن لا يوثق في عهودهم أبداً.
- ٣- التوراة أحد كتب الله عز وجل المنزل أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام.
- ٤- قبح جريمة من تنكّر للحق بعد معرفته، ويصبح وكأنه جاهل به.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرُ

- (١) قال السدي في تفسير هذه الآية: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فانفتحت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت فلم توافق القرآن. فهذا معنى: ﴿ولما جاءهم... الخ﴾.
- (٢) الظهور: جمع ظهر ويجمع على ظهران يقال لمن أعرض عن شيء رماه وراء ظهره.
- (٣) الفسق: مشتق من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وبه سميت الفأرة فويسق لخروجها من جحرها على أهل الدار.
- (٤) اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد ملك سليمان كان سببه أن مرده من الشياطين كتبوا كتاباً ضمنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان وهو آصف ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلى بنزع ملكه ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحراً وما غلب الجن والإنس إلا بالسحر فصدقهم أناس وكذب آخرون ولما بُعث محمد ﷺ وكفر به اليهود وتنكروا للتوراة لانفاقها مع القرآن أنزل الله تعالى قوله: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ فبرأ سليمان وكفر اليهود.

سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ



شرح الكلمات :

ما تتلوا الشياطين : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر.
على ملك سليمان : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه .
الشياطين : جمع شيطان وهو من خبث وتمرد ولم يبق فيه قابلية للخير.

(١) قيل : السحر مشتق من قولهم سحرت الصبي إذا خدعته أو عللته بشيء ومنه قول الشاعر:
أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
يريد أن الناس يسرعون إلى الموت وهم مخدوعون بالطعام وبالشراب .
(٢) لم يكن انزالا بمعنى الوحي الإلهي ولكن كان إلهاما لهما فبرعا فيه وتفوقا على غيرهما .

السحر^(١) : هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم .

هاروت وماروت : ملكان وجددا للفتنة .

فلا تكفر : لا تتعلم منا السحر لتضربه فتكفر بذلك .

بين المرء وزوجه : بين الرجل وامرأته .

اشتره : اشترى السحر بتعلمه والعمل به .

الخلق : النصيب^(٢) والحظ .

ما شروا : ما باعوا به أنفسهم .

لثوبة : ثواب وجزاء .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان ما عليه اليهود من الشر والفساد ففي الآية الأولى (١٠٢) يخبر تعالى أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوّة محمد ﷺ وتأكيد لها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقيّ وعزائم وكانوا يحدّثون بها، ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وما كفر سليمان﴾ وأثبتته للشياطين فقال: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾. كما يعلمونهم ما: ألهمّه الملكان هاروت وماروت^(٣) يبابل العراق من ضروب السحر وفنونه وهنا أخبرنا تعالى عن ملكي الفتنة أنهما يقولان لمن جاءهما يريد تعلم السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلمك السحر وهذا القول منهما يفهم منه

(١) حصر بعضهم أصول السحر في ثلاثة هي:

١- زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفس المسحور الضعيف روحا المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾
٢- استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾.

٣- الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيّل أنّ الجماد يتحرك. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الآية.

(٢) الحظ والنصيب من الخير خاصة لقوله ﷺ: ﴿إنما يلبس هذا من لا خلاق له﴾.

(٣) الملكان هما هاروت وماروت ذكر قصتهما علماء السلف ورواها مثل أحمد وعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وخلق كثير ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺ ولكنها مروية عن ابن عمر، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم ولعلها مروية عن كعب الأحبار، وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانعاً شرعاً ولا عقلاً من هذه القصة، ومفادها أن الملائكة انكروا على بني آدم =

بوضوح أن أقوال الساحر وأعماله التي يؤثر بها على الناس منها ما هو كفر في حكم الله وشرعه قطعاً.

كما أخبر تعالى في هذه الآية أن ما يتعلمه الناس من الملكين إنما يتعلمونه ليفرقوا بين الرجل وامرأته، وأن ما يحدث به من ضرر هو حاصل بإذن الله تعالى حسب سنته في الأسباب والمسببات، ولو شاء الله أن يوجد مانعاً يمنع من حصول الأمر بالضرر لفعل وهو على كل شيء قدير. فبهذا متعلموا السحر بسائر أنواعه إنما هم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. وفي آخر الآية يقرر تعالى علم اليهود بكفر الساحر ومتعلم السحر ومتعاطيه حيث أخبر تعالى أنهم لا نصيب لهم في الآخرة من النعيم المقيم فيها فلذا هم كفار قطعاً.

وأخيراً يقبح تعالى ما باع به اليهود أنفسهم، ويسجل عليهم الجهل بنفي العلم إذ قال تعالى: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

وفي الآية الثانية (١٠٣) يفتح تعالى على اليهود باب التوبة فيعرض عليهم الإيمان والتقوى فيقول: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- الاعراض عن الكتاب والسنة لتحريمهما الشر والفساد والظلم يفتح أمام المعرضين أبواب الباطل من القوانين الوضعية، والبدع الدينية، والضلالات العقلية قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإِنَّهم ليصدونهم عن السبيل (سبيل السَّعادة والكمال) ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

٢- كفر^(١) الساحر وحرمة تعلم السحر، وحرمة استعماله.

= ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكلفهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كعبي آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أو لا يعصونه فلما نزلوا إلى الأرض ارتكبوا كبائر الذنوب فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا فجعلنا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا أتاهما من يريد ذلك نصحا له بأن تعلم السحر كفر فإذا أصر وجهاه إلى شيطان فأناه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليها إلا بعد أن يكفر أقطع أنواع الكفر.

(١) اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له. أهل السنة والجماعة أن له حقيقة وهو أنواع عديدة وحكمه أن من تعاطاه إذا أصر به فافسد عقلا أو عضوا أو قتل فإنه يقتل بذلك وإلا فإنه يعزر حتى يتوب منه، ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأنزل الله تعالى سورة الفلق فرقاه بها جبريل فشفى وقال: إن الله شفاني. والحديث في البخاري وغيره.

٣- الله تعالى خالق الخير وَالْضَيْرِ ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه^(١) فيجب الرجوع إليه في جلب النفع، ودفع الضر بدعائه والضراعة إليه.

٤- العلم المبهم كالظن الذي لا يقين معه لا يغير من نفسية صاحبه شيئاً فلا يحمله على فعل خير ولا على ترك شر بخلاف الرسوخ في العلم فإن صاحبه يكون لديه من صادق الرغبة وعظيم الرهبة ما يدفعه إلى الإيمان والتقوى ويجنبه الشرك والمعاصي. وهذا ظاهر في نفي الله تعالى العلم عن اليهود في هاتين الآيتين.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
 أَنْظِرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
 مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

شرح الكلمات :

راعنا

: أمهلنا وانظرنا حتى نعى ما تقول.

انظرنا

: أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ.

الكافرين

: الجاحدين المكذبين لله ورسوله المستهزئين بهما أو بأحدهما.

أليم

: كثير الألم شديد الإيذاء.

من أهل الكتاب ولا المشركين : اليهود والنصارى والوثنيين من العرب وغيرهم.

من خير من ربكم : من الوحي الإلهي المشتغل على التشريع المتضمن لكل

أنواع الهداية وطرق الإسعاد والإكمال في الدارين.

(١) ذكر القرطبي أن ابن بطال قال : في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ المسحور سبع ورقات من سدر أخضر فيدقها بين حجرين ثم يخلطها بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ثم يحسوها ثلاث حسيات ويغسل به فإنه يذهب عنه كل ما ألم إن شاء الله تعالى.

الفضل

: ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه ، والله عز وجل هو
صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو
في غنى عنه ولا حاجة به إليه أبداً .

معنى الآيتين :

أما الآية الأولى (١٠٤) فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يُراعوا الأدب^(١) في مخاطبة نبيهم ﷺ
تجنباً للكلمات المشبوهة ككلمة راعنا، إذ قد تكون من الرعونة ، ولما تدل عليه صيغة المفاعلة
إذ كأنهم يقولون راعنا نُرَاعِكَ، وهذا لا يليق أن يخاطب به الرسول ﷺ .

وأرشدهم تعالى إلى كلمة سليمة من كل شبهة تنافي الأدب وهي انظرونا، وأمرهم أن
يسمعوا لنبيهم إذا خاطبهم حتى لا يضطروا إلى مراجعته ؛ إذ الاستهزاء بالرسول
والسخرية منه ومخاطبته بما يفهم الاستخفاف بحقه وعلو شأنه وعظيم منزلته كفر بواح .

وفي الآية الثانية (١٠٥) أخبر تعالى عباده المؤمنين بأن الكافرين من أهل الكتاب ومن
غيرهم من المشركين الوثنيين لا يحبون أن يُنزل عليكم من خير من ربكم وسواء كان قرآناً
يحمل أسمى الآداب وأعظم الشرائع وأهدى سبل السعادة والكمال ، أو كان غير ذلك من
سائر أنواع الخيرات ، وذلك حسداً منهم للمؤمنين كما أخبرهم أنه تعالى يختص برحمته من
يشاء من عباده فحسد الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم ورحمته بكم متى أرادكم
بذلك .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ في مخاطبته بعدم استعمال أي لفظة قد تفهم غير
الإجلال والإكبار له ﷺ .

٢- وجوب السماع لرسول الله ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وعند مخاطبته لمن أكرمهم الله تعالى
بمعاشيته والوجود معه .

(١) سبب نزول هذه الآية : «يا أيها الذين آمنوا...» الخ أن اليهود استغلوا كلمة راعنا وصاروا يقولونها لرسول الله ﷺ وهم
ينوون بها سب رسول الله ﷺ لوجود كلمة في العبرية مثلها ومعناه السب والشتم كالرعونة فأنزل الله هذه الآية أرشد فيها
المسلمين إلى ترك كلمة راعنا وابدأها بانظرونا فانقطع الطريق عن اليهود لعنهم الله .
(٢) معنى انظرونا : هو معنى راعنا ولكن لما استعملها اليهود وصاروا ينوون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك
أرشد الله المسلمين إلى كلمة انظر .

٣- التحذير^(١) من الكافرين كتابيين أو مشركين لأنهم أعداء حسدة للمؤمنين فلا يحل الركون إليهم والإطمئنان إلى أقوالهم وأفعالهم، إذ الريبة لا تفارقهم.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ لَا يُعْمَلُ لَهُ شَيْءٌ مِّنْ أَثَرٍ ۚ ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمات :

- ننسخ : نبذل أو نزيل .
من آية : من آيات القرآن : جملة كلمات تحمل معنى صحيحاً كالتحريم أو التحليل ، أو الإباحة .
ننسخها : نمحها من قلب النبي ﷺ .
ألم تعلم : الاستفهام للتقرير .
ولي : حافظ يحفظكم بتولي أموركم .

(١) في هذه الآية إرشاد المسلمين إلى عدم مشابهة الكافرين في القول والعمل وحتى في الزي واللباس ويشهد لهذا رواية أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

(٢) معرفة الناسخ والمنسوخ ضرورية للعالم . يروي أن علياً رضي الله عنه أرسل إلى رجل كان يخوف الناس في المسجد فجاء فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا ، قال : فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه . وعن ابن عباس مثله وقال له : هلكت وأهلك .

(٣) من لا ابتداء الغاية والثانية وهي ﴿ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ صلة .

(٤) أم هنا : هي المنقطعة بمعنى : بل الإضرابية .

نصير : ناصر يدفع عنكم المكروه .

أم تريدون : بل أتريدون ، إذ أم هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل والهمزة ، وما سئله موسى هو قول بني إسرائيل له : (أرنا الله جهرة) .

سواء السبيل : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق .
معنى الآيات :

يخبر تعالى راداً على الطاعنين في تشريعه الحكيم الذين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكماً شاقاً على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى الثبوت إلى إثنين . أو حكماً خفيفاً إلى شاق زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصيام رمضان ، أو حكماً خفيفاً إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، أو حكماً إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن يناجي رسول الله ﷺ فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلاً عنه ، أو نسخ الآية بإزالتها من التلاوة ويبقى حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم . أو بنسخ الآية وحكمها . وهذا معنى قوله أو ننسها وهي قراءة نافع ، فقد ثبت أن قرأنا نزل وقرأه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظاً ومعنى فمحاها من القلوب بالمرة فلم يقدر على قراءته أحد . وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الدال عليه قوله : ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ، وهو أيضاً مظهر من مظاهر التصرف الحكيم الدال عليه قوله : ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ فهو تعالى يتصرف فينسخ ويبقي ويأتي بخير مما نسخ أو بمثله بحسب حاجة الأمة ومتطلبات حياتها الروحية والمادية . فسبحانه من إله قدير حكيم : ينسي ما يشاء وينسخ ما يريد .

أما قوله تعالى في آية (١٠٨) : ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ ، فهو توبيخ لمن طالب

(١) في الكلام إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات والمراد بالذين قالوا إن محمداً . الخ هم اليهود ، واليهود ينفون وجود النسخ في الشرائع وهم مخطئون في ذلك خطأ كبيراً ، إذ قد أباح الله تعالى لآدم أن ينكح بناته بنيه فترة من الزمن ثم نسخ ذلك ، وأباح لنوح أكل سائر الحيوان بعد نزوله من السفينة ثم نسخ ذلك . كما أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبح ولده ثم نسخ ذلك إذ فداه بذبح عظيم قبل الذبح وهذا نسخ للأمر قبل فعله .

(٢) قوله تعالى : ﴿كما سئل موسى من قبل . . .﴾ معنى سؤال بني إسرائيل موسى بأن يريهم الله جهرة أي مواجهة بعد أن سمعوا كلامه ، كما سأله غير هذا تعنتاً وجهلاً بمقام الرسول موسى عليه السلام ولذا حذر الله المؤمنين من مثل هذه المواقف القبيحة .

الرسول ﷺ بأمر ليس في مكتبته، وإعلام بأن من يجري على أسلوب التعنت وسوء الأدب مع الرسول ﷺ قد يصاب بزيغ القلب فيكفر، دلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ثبوت النسخ في القرآن الكريم، كما هو ثابت في السنة، وهما أصل التشريع ولا نسخ في قياس ولا إجماع.
- ٢- رافة الله تعالى بالمؤمنين في نسخ الأحكام وتبديلها بما هو نافع لهم في دنياهم وآخرتهم.
- ٣- وجوب التسليم لله والرضا بأحكامه، وعدم الاعتراض عليه تعالى.
- ٤- ذم التنطع في الدين وطرح الأسئلة المحرجة والتحذير من ذلك.

وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَوْ يُرِيدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا

وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ



(١) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون» وفسر بالمتعنتين في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها.
(٢) مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما ظاهرة، وهي أنه لما حذر تعالى المؤمنين من مسلك اليهود مع أنبيائهم في الأسئلة المحرجة المتعنتة أعلمهم أن أعداءهم من اليهود يودون لهم الكفر بعد إيمانهم حسداً لهم وعلى رأس هؤلاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وغيرهم كما أن ابن أبي وجماعة من سكان المدينة كانوا يعملون جاهدين على صرف من آمن عن إيمانه ولما لم يحن الوقت للقتال أمرهم تعالى بالصفح والعفو والاعداد حتى يأتي الأمر بالقتال.

(٣) الحسد ثلاثة أنواع: وهي تمنى زوال نعمة عن من هي به، وتمنى زوالها ولو لم تحصل لمتينها وهذا شر وأقبح من الأول وهما محرومان لما فيهما من تسفيه المنعم عز وجل إذ الحاسد معترض على قسمة الله وعطائه عباده ما شاء. وتمنى حصول نعمة كالتي حصلت لغيره وهذا مباح وليس حراماً ويشهد له حديث الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث ويسمى غبطة.

(٤) جملة: ﴿من عند أنفسهم﴾ تأكيد لمضمون التي قبلها. ومنه قوله تعالى: ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون بأفواههم﴾.

(٥) فاعفوا: أصلها فاعفوا، حذفت الضمة للثقل، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت فاعفوا.

مَنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ



شرح الكلمات :

وَدَّ : أَحَبَّ .

أهل الكتاب : اليهود والنصارى .

حسداً : الحسد تمنى زوال النعمة على من هي به .

تبين لهم الحق : عرفوا أن محمداً رسول الله وأن دينه هو الدين الحق .

فاعفوا واصفحوا : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم ، إذ العفو ترك العقاب والصفح الإعراض عن المذنب .

حتى يأتي الله بأمره : أي الإذن بقتلهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير ، وبنو قريظة .

وأقيموا الصلاة : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن .

وآتوا الزكاة : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزكي أنفسكم من الطاعات .

معنى الآيتين :

في الآية الأولى (١٠٩) يخبر تعالى المؤمنين بنفسية كثير من أهل الكتاب وهي الرغبة الملحة في أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحق ليصبحوا كافرين ومنشأ هذه الرغبة الحسد الناجم عن نفسية لا ترغب أن ترى المسلمين يعيشون في نور الإيمان بدل ظلمات الكفر، وبعد أن أعلم عباده المؤمنين بما يضمّر لهم أعدائهم ، أمرهم بالعفو والصفح^(١) لأن الوقت لم يحن بعد لقتالهم فإذا حان الوقت قاتلوهم وشفوا منهم صدورهم .

وفي الآية الثانية (١١٠) أمر الله تعالى المؤمنين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل^(٢) الخيرات

(١) هذا العفو والصفح نسخ بالإذن بقتال اليهود وإجلالهم وبقي العفو على المسلم والصفح عنه إذا أساء إلى أخيه المسلم لجهالة به فإنه محمود قال تعالى : ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ . وقال رسوله : «من غفر غفر له» .

(٢) فعل الخيرات هنا استفاد من قوله تعالى في الآية : ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ .

تهذيباً لأخلاقهم وتركية لنفوسهم وواعدهم بحسن العاقبة بقوله: ﴿إِنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- اليهود والنصارى يعلمون أن الإسلام حق وأن المسلمين على حق فحملهم ذلك على حسدهم ثم عداوتهم، والعمل على تكفيرهم.. وهذه النفسية ما زالت طابع أهل الكتاب إزاء المسلمين إلى اليوم.

٢- في الظرف الذي لم يكن موافقاً للجهاد على المسلمين أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد، وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتركية النفوس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات إبقاء على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد.

٣- تقوية الشعور بمراقبة الله تعالى ليحسن العبد نيته وعمله.

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

(١) مثل هذه الجملة المذهل بها الكلام تكون للترغيب كما هنا وتكون للترهيب أي تصلح للوعد والوعيد.

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٣) في الآية دليل على بطلان التقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل، وفي الآية أن من ادعى شيئاً نفيًا أو إثباتًا يطالب بالدليل بطلت دعواه.

شرح الكلمات :

الجنة : دار النعيم وتسمى دار السلام وهي فوق السماء السابعة .

هوداً^(١) : يهوداً .

نصارى : صليبين مسيحيين .

أمانيتهم^(٢) : جمع أمنية ما يتمناه المرء بدون ما يعمل للفوز به ، فيكون غروراً .

البرهان : الحجة الواضحة .

بلى^(٣) : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام غالباً نحو قوله تعالى : ﴿أليس

الله بأحكم الحاكمين﴾ ؟ بلى أي هو أحكم الحاكمين ، ولما ادعى اليهود

والنصارى أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً قال تعالى : بلى

أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها

من أسلم وجهه لله وهو محسن أي عبد آمن فصدق وعمل صالحاً فأحسن .

ليست على شيء : أي من الدين الحق .

يتلون الكتاب : أي التوراة والإنجيل .

الذين من قبلهم : هذا اللفظ صادق على مشركي العرب ، وعلى غيرهم من أمم جاهلة سبقت .

سبب نزول الآيتين ومعناها :

لما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة التقى باليهود في مجلس النبي ﷺ ولعدائهم السابق

تَمَارَوْا فادعت اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً ، وادعت النصارى أن الجنة لا

يدخلها إلا من كان نصرانياً فرد الله تعالى عليهم وأبطل دعواهم حيث طالبهم بالبرهان

عليها فلم يقدرُوا وأثبت تعالى دخول الجنة لمن زكى نفسه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح

(١) هورجمع هائد أي : متبع اليهودية ومثله عوذ جمع عائذ وهي الحديثة التناج من الظباء والإبل والخيول .

(٢) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله : ﴿تلك أمانيتهم﴾ هو أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً ، وأن يدخلوا الجنة وحدهم دون غيرهم .

(٣) ومن غير الغالب قوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه بلى﴾ فقد أجيب بها ولم يتقدمها نفي مقرون باستفهام ، ومنه هذه الآية : ﴿بلى من أسلم وجهه﴾ .

فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ يريد قلبه وجوارحه فأمن ووجد وعمل صالحاً فأحسن فهذا الذي يدخل الجنة وهي أجره على إيمانه وصالح أعماله، فلا هو يخاف ولا يحزن.

هذا معنى الآيتين الأولى (١١١) والثانية (١١٢) وأما الآية الثالثة (١١٣) فقد سجلت كفر كل من اليهود والنصارى، بشهادتهم على بعضهم بعضاً فقد كفر اليهود النصارى بقولهم: إنهم ليسوا على شيء من الدين الحق الذي يعتد به ويؤبه له، وكفر النصارى اليهود بقولهم: ليست اليهود على شيء مع أنهم يقرأون التوراة والإنجيل فلذا كان تكفيرهم لبعضهم البعض حقاً وصدقاً. ثم أخبر تعالى أن ما وقع فيه اليهود والنصارى وهم أهل كتاب من الكفر والضلال قد وقع فيه أمم قبلهم دون علم منهم وذلك لجهلهم، وأخبر تعالى أنه سيحكم بينهم يوم القيامة ويجزئهم بكفرهم وضلالهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إبطال تأثير النسب في السعادة والشقاء، وتقرير أن السعادة بدخول الجنة مردها إلى تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وإن الشقاوة بدخول النار مردها إلى الشرك، وارتكاب الذنوب. فلا نسبة إلى يهودية أو نصرانية أو غيرهما تُغني عن صاحبها، وإنما المغني بعد فضل الله ورحمته الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.
- ٢- كفر اليهود والنصارى وهو شر كفر لأنه كان على علم.
- ٣- الإسلام الصحيح القائم على أسسه الثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان هو سبيل^(٣) النجاة من النار والفوز بالجنة.

(١) أي ذاته إذ طاعة الله تعالى تكون بها قلباً وجوارح، ومن إطلاق الوجه على الذات قول الشنفرى:

إذا قطعوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري

قوله وفي الرأس أكثرى فيه تفضيل الرأس الذي هو بمعنى الوجه على سائر الجسد لأفضليته فكذلك إطلاق الوجه في الآية وإرادة الذات، لأن الوجه أشرف الذات.

(٢) ويشهد لهذا قول الرسول ﷺ في صحيح مسلم: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» الحديث.

(٣) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن...﴾ الآية.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ
 اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ
 لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا لَخَايَفِئِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
 وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
 فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم : الاستفهام للإنكار والنفي ، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقاً .
 سعى في خرابها : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن
 التعبد فيها إذ هذا من خرابها أيضاً .

الخزي : الذل والهوان .^(١)

ثم وجه الله : هناك الله تعالى إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقاً أو
 غرباً شمالاً أو جنوباً وجد الله تعالى ، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف
 لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات
 مطويات بيمينه ، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها
 وقدرته عليها . ويقرر هذا قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ، إنه واسع الذات
 والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء .

شرح الآيتين :

ففي الآية الأولى (١١٤) ينفي تعالى أن يكون هناك من هو أكثر ظلمًا ممن منع مساجد
 الله تعالى أن يعبد الله تعالى فيها ، لأن العبادة هي علة الحياة فمن منعها كان كمن أفسد

(١) أصل السعي : المشي ومنه السعي بين الصفا والمروة وهو المشي بينهما ثم أطلق على التسبب مطلقاً يقال : سعى فلان
 في مصلحتك وسعى فلان في الإفساد بين فلان وفلان

(٢) وقد نال صناديد قريش حيث أذكهم الله وأخزاهم يوم الفتح على يد رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

(٣) المساجد : جمع مسجد بكسر الجيم على غير قياس إذ فعل بالفتح يفعل بالضم الاسم منه كالمصدر مفعول بالفتح
 ونظير المسجد المطلق والمشرق والمسكن والمرفق والمسجد بالفتح جبهة المرء وأعضاء سجوده السبعة .

الحياة كلها وعطلها، وفي نفس الوقت ينكر تعالى هذا الظلم على فاعليه وسواء كانوا قريشاً بصددهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام، أو فلطيوس ملك الروم الذي خرب المسجد الأقصى^(١) أو غيرهم ممن فعلوا هذا الفعل أو من سيفعلونه مستقبلاً، ولذا ضمن تعالى قوله ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، أمر المسلمين بجهاد الكافرين وقتالهم حتى يسلموا أو تكسر شوكتهم فيذلوا ويهونوا.

وفي الآية الثانية (١١٥) يخبر تعالى راداً على اليهود الذين انتقدوا أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، مؤذناً بجواز صلاة من جهل القبلة أو خفيت عليه إلى أي جهة كانت فأخبر تعالى أن له المشرق والمغرب^(٢) خلقاً وملكاً وتصرفاً، يوجه عباده إلى الوجهة التي يشاؤها شرقاً أو غرباً جنوباً أو شمالاً، فلا اعتراض عليه ولا إنكار وأن الله تعالى محيط بالكائنات فحيثما توجه العبد في صلاته فهو متوجه إلى الله تعالى، إلا أنه تعالى أمر بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة فمن عرف جهتها لا يجوز له أن يتجه إلا إليها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- عظم جريمة من يتعرض للمساجد بأي أذى أو إفساد.
- ٢- وجوب حماية المساجد من دخول الكافرين إلا أن يدخلوها بإذن المسلمين وهم أذلاء صاغرون.
- ٣- صحة صلاة النافلة على المركوب في السفر إلى القبلة وإلى غيرها.
- ٤- وجوب استقبال القبلة إلا عند العجز فيسقط هذا الواجب.
- ٥- العلم بإحاطة الله تعالى بالعوالم كلها قدرة وعلماً فلا يخفى عليه من أمر العوالم شيء ولا يعجزه آخر.

(١) وقد خرب بيت المقدس أيضاً بختنصر اليهودي البابلي قبل النصارى.
 (٢) بناء على كروية الأرض فإن الأرض كلها مشرق ومغرب إذ كل مكان تشرق فيه هو مكان تغرب فيه.
 (٣) من عظم ذنب من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه أخذ المالكية أن المرأة الصرورة التي تحج الفرض لا تمنع من الحج وإن لم يكن معها محرم، وعدوا منعها من أداء الفريضة من الصد عن المسجد الحرام.
 (٤) إذا صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يصلي النافلة على راحلته حيثما اتجهت به القبلة وإلى غيرها.
 (٥) للعجز صور منها: أن يكون مريضاً لا يقدر على التحول، ومنها أن يكون خائفاً ومنها أن يكون مقاتلاً أو هارباً ومنها أن يكون جاهلاً بها فطلبها ولم يعرف صلى حيث ترجع القبلة وإن لم يصبها.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۖ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات :

- سبحانه : تنزهه وتقديسه عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد .
قانتون : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه .
بديع السموات : مبدعها أي موجدتها على غير مثال سابق .
قضى أمراً : حكم بإيجاده .
أو تأتينا آية : كآيات موسى وعيسى في العصا وإحياء الموتى .
ولا تسأل : قرئ بـالتاء للمجهول ، ولا نافية والفعل مرفوع وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم .
الجحيم : دركة من دركات النار وهي أشدها عذاباً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أباطيل الكافرين من أهل الكتاب والمشركين والرد عليها بها يظهر زيفها ويبطلها نهائياً ففي الآيتين الأولى (١١٦) والثانية (١١٧) يذكر تعالى قول

(١) الضمير المرفوع في : «قَالُوا» عائد إلى الفرق الثلاث وهم أهل الكتاب ومشركوا العرب .
(٢) لولا : بمعنى لعل التحضيضية .

أهل الكتاب والمشركون في أن الله اتخذ ولداً إذ قالت اليهود العزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بعض مشركي العرب الملائكة بنات الله، ذكر تعالى قولهم اتخذ الله ولداً ثم نزه نفسه عن هذا القول الباطل والفرية المفقوتة، وذكر الأدلة المنطقية العقلية على بطلان الدعوى.

فأولاً: ملكية الله تعالى لما في السموات والأرض، وخضوع كل من فيهما لحكمه وتصريفه وتديره يتنافى عقلاً مع اتخاذ ولد منهم.

ثانياً: قدرة الله تعالى المتجلية في إبداعه السموات والأرض وفي قوله للشيء كن فيكون يتنافى معها احتياجه إلى الولد^(١)، وهو مالك كل شيء ورب كل شيء وفي الآية الثالثة (١١٨) يرد تعالى على قوله المشركين الجاهلين: ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ حيث اقترحوا ذلك ليؤمنوا ويوحّدوا فأخبر تعالى أن مثل هذا الطلب طلبه مَنْ قَبْلَهُمْ فتشابهت قلوبهم في الظلمة والإنتكاس، فقد قال اليهود لموسى أرنا الله جهرة، أما رؤية الله وتكليمه إياهم فغير ممكن في هذه الحياة حياة الامتحان والتكليف ولذا لم يجب إليه أحداً من قبلهم ولا من بعدهم، وأما الآيات فما أنزل الله تعالى وَبَيَّنَّه في كتابه من الآيات الدالة على الإيمان بالله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، وعلى صدق نبيه في رسالته ووجوب الإيمان به واتباعه كاف ومغنٍ عن أية آية مادية يريدونها، ولكن القوم لكفرهم وعنادهم لم يروا في آيات القرآن ما يهديهم وذلك لعدم إيقانهم، والآيات يراها وينتفع بها الموقنون لا الشاكون المكذبون.

وفي الآية الرابعة (١١٩) يخفف تعالى على نبيه هَمَّ مطالبة المشركين بالآيات بأنه غير مكلف بهداية أحد ولا ملزم بإيائهم^(٢)، ولا هو مسئول يوم القيامة عما يدخل النار من الناس، إذ مهمته محصورة في التبشير والإنذار تبشير من آمن وعمل صالحاً بالفوز بالجنة

(١) وذلك بقوله ﴿سبحانه﴾ مصدر معناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك). فاما تكذيبه إياي فزعم أبي لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً.

(٣) الخضوع هنا تفسير للقنوت، والقنوت يكون بمعنى الطاعة في ذلة وانكسار وخشوع كما هو في هذا السياق ويكون بمعنى السكوت كما في الصلاة كقوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أي لا تتكلموا في صلاتكم.

(٤) من الأدلة العقلية على إبطال فرية اتخاذ الله تعالى الولد: أن الولادة تقتضي التجانس، والله تعالى ليس كمثله شيء، وهو لا يجانس شيء ثم الولد يتنافى مع الرق والملك والله له ملك السموات والأرض فكيف يكون الرقيق ولداً؟!

(٥) قرأ نافع وحده ﴿ولا تسأل﴾ بفتح التاء وسكون اللام في قوله: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «باليث شعري ما فعل أبراي فأنزل الله تعالى هذه الآية».

(٦) التبشير كالنذير فعملهما بشر وأنذر واسم الفاعل: مبشر ومنذر، ونقل إلى يشير ونذير للمبالغة في الفعل.

والنجاة من النار، وإنذار من كفر وعمل سوءاً بدخول النار والعذاب الدائم فيها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة نسبة أي شيء إلى الله تعالى بدون دليل من الوحي الإلهي إذ أنكر تعالى نسبة الولد إليه أنكره على أهل الكتاب والمشركون معا.
- ٢- تشابه قلوب أهل الباطل في كل زمان ومكان لاستجابتهم للشيطان وطاعتهم له.
- ٣- لا يتمتع بالآيات إلا أهل اليقين لصحة عقولهم وسلامة قلوبهم.
- ٤- على المؤمن أن يدعو إلى الله تعالى، وليس عليه أن يهدي، إذ الهداية بيد الله، وأما الدعوة فهي في قدرة الإنسان، وهو مكلف بها.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ
هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمْ
الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ءَوَمَن يَكْفُرْ بِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

شرح الكلمات :

ملتهم : دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية.

قل ان الهدى هدى الله : الهدى ما أنزل به كتابه وبعث به رسوله وهو الإسلام، لا ما ابتدعه اليهود والنصارى من بدعة اليهودية والنصرانية.

(١) ملتهم : بمعنى مللهم إذ لكل كافر ملة، ومن هنا ذهب الجمهور إلى أن الكفر ملة واحدة، وذهب أحمد في رواية له ومالك إلى أن الكفر ملل، ولذا فلا يرث اليهودي النصراني، ولا النصراني اليهودي ولا المجوسي إذ لكل ملة وقال رسول الله ﷺ : «لا يتوارث أهل ملتين» وبقي معنى الكفر ملة واحدة أي : ليس فيه فاضل، ومفصول.

(٢) روي أن أحمد استدل على كفر من قال بخلق القرآن بهذه الآية : «من بعد ما جاءك من العلم» وهو القرآن فمن قال بخلق القرآن قال بخلق علم الله تعالى وهو كفر صريح.

من ولي ولا نصير : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك والنصير من ينصرك ويدفع عنك الأذى.

يتلونه حق تلاوته^(١) : لا يحرفون كلمه عن مواضعه ولا يكتُمون الحق الذي جاء فيه من نعت الرسول محمد ﷺ وغيره.

أولئك هم الخاسرون : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة. معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب يكشف عوارهم ويدعوهم إلى الهدى لو كانوا يهتدون ففي الآية الأولى (١٢٠) يخبر تعالى رسوله وأمته تابعة له أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم الباطلة وهي اليهودية أو النصرانية ، وفي هذا نهى عن اتباعهم ثم أمره أن يخبرهم أن الهدى هدى الله الذي هو الإسلام وليس اليهودية ولا النصرانية إذ هما بدعتان من وضع أرباب الأهواء والأطماع المادية .

ثم يحذر الله رسوله وأمته من اتباع اليهود والنصارى بعد الذي جاءهم من العلم والنعمة التي أتمها عليهم وهي الإسلام فيقول : ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ .

وفي الآية الثانية (١٢١) يخبر تعالى أن الذين آتاهم الله الكتاب التوراة والإنجيل فكانوا يتلونه حق تلاوته فلا يحرفون ولا يكتُمون هؤلاء يؤمنون بالكتاب حق الإيمان أما الذين يحرفون كلام الله ويكتُمون ما جاء فيه من نعوت النبي ﷺ فهؤلاء لا يؤمنون به وهم الخاسرون دون غيرهم ، ومن آمن من أهل الكتاب بكتابه وتلاه حق تلاوته سوف يؤمن بالنبى الأمي ويدخل في دينه قطعاً .

هداية الآيات

من هداية الآيتين :

١- لا يحصل المسلم على رضا اليهود والنصارى إلا بالكفر بالإسلام واتباع دينهم الباطل

(١) هم أصحاب رسول الله ﷺ ، واتباعهم بإحسان كان أحدهم إذا مَرَّ بآية رحمة سألها الله تعالى وإذا مَرَّ بآية عذاب تعوذ بالله من العذاب .

(٢) إن ما يهدي إليه الرب تعالى عباده المؤمنين بمعنى ما يوفقهم إليه من الإسلام ظاهراً وباطناً ، فيعملون بطاعته وطاعة رسوله في المنشط والمكروه ذلك هو هدى الله المبعد عن الضلال والموصل إلى دار السلام .

(٣) كعبد الله بن سلام ومن آمن على عهد رسول الله من أحيار أهل الكتاب .

- وهذا ما لا يكون للمسلم أبداً فلذا طلب رضا اليهود والنصارى محرم لا يحل أبداً .
- ٢- لا دين^(١) حق إلا الإسلام فلا ينبغي أن يلتفت إلى غيره بالمرّة .
- ٣- من يوالي اليهود والنصارى باتباعهم على باطلهم يفقد ولاية الله تعالى ويحرم نصرته .
- ٤- طريق الهداية في تلاوة كتاب الله حق تلاوته بأن يجوده قراءة ويتدبره هداية ويؤمن بحكمه ومتشابهه ، ويحلل حلاله ويحرم حرامه ، ويقيم حدوده كما يقيم حروفه .

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا
 لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
 شَفَاعَةٌ ۖ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات :

- إسرائيل : لقب يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام .
- وبنو إسرائيل : هم اليهود .
- العالمين : البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقاً .
- لا تجزي : لا تقضي ولا تغني .
- العدل : الفداء .
- شفاعة : وساطة أحد .

(١) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» .

(٢) هذا النداء الثالث الذي نادى الله تعالى به بني إسرائيل يأمرهم بذكر نعمه ليذكروها بالإيمان برسوله والدخول في دين الإسلام ، لكن حالهم كما قال القائل :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(٣) يلاحظ تقدم الشفاعة في النداء الثاني على أخذ العدل وتأخير الشفاعة في هذا النداء وتقديم العدل وما هو إلا تفنن في الأسلوب إذهاباً للسامة . وهذا شأن الكلام البليغ .

معنى الآيتين :

يعظ الرحمن عز وجل اليهود فيناديهم^(١) بأشرف ألقابهم ويأمرهم بذكر نعمه تعالى عليهم وهي كثيرة، ويأمرهم أن يذكروا تفضيله تعالى لهم على عالمي زمانهم والمراد من ذكر النعم شكرها فهو تعالى في الحقيقة يأمرهم بشكر نعمه وذلك بالإيمان به وبرسوله والدخول في دينه الحق (الإسلام).

كما يأمرهم باتقاء عذاب يوم القيامة حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها فداء ولا تنفعها شفاعاة وهذه هي نفس الكافر والمشرک حيث لا شفاعاة تنال الكافر أو المشرک، ولا يوجد لهم ناصر ينصرهم فيدفع عنهم العذاب إذا اتقاء عذاب يوم القيامة يكون بالإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح، بعد التخلي عن الكفر والمعاصي.

هداية الآيتين :

١- وجوب ذكر نعم الله على العبد ليجد بذلك دافعاً نفسياً لشكرها، إذ غاية الذكر هي الشكر.

٢- وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والعصيان.

٣- استحالة الفداء يوم القيامة، وتعذر وجود شافع يشفع لمن مات على الشرك لا بإخراجه من النار، ولا بتخفيف العذاب عنه.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ^(٢)﴾

(١) بهذا النداء ختم الحجاج مع اليهود في هذه السورة، فلم يُجر لهم ذكر بعد فكان من براءة المقطع. ذكر هذا صاحب التحرير والتنوير، وليس صحيحاً بل الصحيح أن ختم الحجاج مع اليهود انتهى عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ الآية (١٤٩).

(٢) أبرهم بالسريانية والعبرية أيضاً معناه أبُ رحيم، ولرحمته جعله الله تعالى كافلاً لأطفال المؤمنين في الجنة إلى يوم القيامة إذ صَحَّ الحديث بذلك.

(٣) ذكر الربوبية هنا تشريف لإبراهيم عليه السلام وإيدان بأن ابتلاءه كان تربية له وإعداداً له لأمر خطير.

(٤) الكلمات: جمع كلمة، وهي اللفظ المفرد وتطلق على الكلام أيضاً والمراد بها هنا كلمات تحمل الأوامر التكليفية ومن أبرزها ما يلي: كسر الأصنام، والهجرة، وذبح اسماعيل، وبناء البيت العتيق، والختان، والصلاة، والزكاة، وخصال الفطرة، والصدق، والصبر، وبالجملية فقد نهض إبراهيم بكل ما عهد إليه ربه بالقيام به من الشرائع فلذا أكرمه بالإمامة وشرّفه بها.

فَاتَّمَهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ابتلى	: اختبر بتكليفه بأمر شاقة عليه .
بكلمات	: متضمنة أوامر ونواهي .
أتمهن	: قام بهن وأداهن على أكمل الوجه وأتمها .
إماماً	: قدوة صالحة يقتدى به في الخير والكمال .
الظالمين	: الكافرين والمشركين والفساقين المعتدين على الناس .

معنى الآية الكريمة :

بعد ذلك الحجاج الطويل الذي عاشه رسول الله مع طائفتي أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذا المشركين في الآيات السابقة لهذه الآية أمر تعالى رسوله أن يذكر ابتلاءه تعالى لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بما كلف به من أوامر ونواهي فقام بها خير قيام فأنعم عليه بأكبر إنعام وهو أنه جعله إماماً للناس ، ومن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين ، وتحطيم أوثانهم ، والهجرة من ديارهم والهلم بذبح ولده إسماعيل قرباناً لله ، وبناء البيت ، وحججه والدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة وفي هذا تبكيت للفرق الثلاثة العرب المشركين واليهود والنصارى إذ كلهم يدعي انتماء لإبراهيم والعيش على ملته فما هوذا إبراهيم موحد وهم مشركون ، عادل وهم ظالمون ، مُتَّبِعٌ للوحي الإلهي وهم به كافرون ولصاحبه مكذبون وفي الآية بيان رغبة إبراهيم في أن تكون الإمامة في ذريته وهي رغبة صالحة فجعلها الله تعالى في ذريته^(١) كما رغب واستثنى تعالى الظالمين فإنهم لا يستحقونها فهي لا تكون إلا في أهل الخير والعدل والرحمة لا تكون في الجبارة القساة ولا الظالمين العتاة .

(١) الذرية : مأخوذ من ذرأ الله الخلق ذراً أي : خلقهم والجمع ذراري .

(٢) قال تعالى : ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ . الآية من سورة العنكبوت .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- الإمامة لا تنال إلا بصحة اليقين والصبر على سلوك سبيل المهتدين .^(١)
- ٢- مشروعية ولاية العهد ، بشرط أن لا يعهد إلا إلى من كان على غاية من الإيمان والعلم والعمل والعدل والصبر .
- ٣- القيام بالتكاليف الشرعية قولاً وعملاً يؤهل لأن يكون صاحبه قدوة صالحة للناس .^(٢)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

شرح الكلمات :

- البيت : الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة .
مثابة : مرجعاً يثوب إليه العُمَّار والحجاج .
أمناً : مكاناً آمناً يأمن فيه كل من دخله .
مقام ابراهيم : الحجر الذي كان قد قام عليه ابراهيم أيام كان بيني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عال يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجيء بهذا الحجر فقام عليه فسمي مقام إبراهيم .

(١) شاهد هذا في كتاب الله تعالى إذ قال عز وجل : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون﴾ السجدة .
فلذا قيل : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ .
(٣) مثابة أصل ثاب مصدر وثاب يثوب مثاباً ، وزيدت فيه التاء للمبالغة كما زيدت في كلمة علامة ونسابة ويشهد لهذا قول

الشاعر:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

مصلّى : مكان يصلى فيه أو عنده أو إليه .

عهدنا : وصينا وأمرنا .

تطهير البيت : تنزيهه عن الأقدار الحسية كالدماء والأبوال ومعنوية كالشرك والبدع والمفاسد .

اضطّره : ألجئه مكرها إلى العذاب .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في تذكير المشركين وأهل الكتاب معاً بأبي الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام، ومآثره الطيبة الحميدة، ومواقفه الإيمانية العظيمة ليتجلى بذلك بطلان دعوى كل من أهل الكتاب والمشركين في انتسابهم إلى إبراهيم كذباً وزوراً إذ هو موحد وهم مشركون وهو مؤمن وهم كافرون فقال تعالى لنبيه ﷺ : اذكر لهم كيف جعلنا البيت مثابة للناس^(١) يثوبون إليه في كل زمان حجاجاً وعماراً، وأمناً دائماً من دخله أمن على نفسه وماله وعرضه . وقلنا لمن حجوا البيت أو اعتمروا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى فكان من سنة من طاف بالبيت أن يصلى خلف المقام ركعتين، كما أوصينا من قبل إبراهيم وولده إسماعيل بتطهير البيت من كل رجس معنوياً كالأصنام وعبادة غير الله تعالى أو حسياً كالأقدار والأوساخ من دم أو بول حتى يتمكن الطائفون والعاكفون والمصلون من أداء هذه العبادات بلا أي أذى يلحقهم أو يضايقهم .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٢٥) أما الآية الثانية (١٢٦) فقد تضمنت أمر الله تعالى لرسوله أن يذكر دعوة إبراهيم ربه بأن يجعل مكة بلداً آمناً من دخله يأمن فيه على نفسه وماله وعرضه، وأن يرزق أهله وسكانه المؤمنين من الثمرات وأن الله قد استجاب لإبراهيم دعوته إلا أن الكافرين لا يحرمون الرزق في الدنيا ولكن يحرمون الجنة في الدار الآخرة حيث

(١) فقد أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام حج البيت وأن هوداً حجه من قبل وكذا سائر الأنبياء والمرسلين .

(٢) الآية وعهدنا : إلا أن الوعد المؤكد وقوعه بصير عهداً، فإن عدي بإلى صار وصية، فلذا فسرنا العهد هنا بالوصية .

(٣) العكوف : ملازمة المسجد للصلاة والعبادة، والعاكفون الملازمون للمسجد الحرام من ساكن مكة وغريب .

(٤) الجمهور على أن الحدود تقام على أصحابها في الحرم، وخالف أبو حنيفة في هذا، وقول الجمهور أصح وعليه العمل فقد روى البخاري أن عمرو بن سعيد قال : إن الحرم لا يعيد عاصياً، ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة .

(٥) هل كانت مكة حراماً قبل دعوة إبراهيم أو بعد دعوته خلاف ويشهد لكونها ما كانت حراماً قول النبي ﷺ إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها . . الحديث في مسلم .

يلجئهم تعالى مضطراً لهم إلى عذاب النار الغليظ وبئس هذا المصير الذي يصيرون إليه - وهو النار - من مصير.

هداية الآيات

من هداية الآيتين :

- ١- منة الله تعالى بجعل البيت مثابة للناس وأماناً توجب حمد الله على كل مؤمن .
- ٢- سنة صلاة ركعتين خلف المقام لمن طاف بالبيت .
- ٣- وجوب حماية البيت والمسجد الحرام من أي ضرر يلحق من يوجد فيه من طائف وعاكف وقائم وراكن وساجد .
- ٤- بركة دعوة إبراهيم لأهل مكة ، واستجابة الله تعالى له دعوته فله الحمد والمنة .
- ٥- الكافر لا يحرم الرزق لكفره بل له الحق في الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم .
- ٦- مصير من مات كافراً إلى النار، لا محالة، والموت في الحرم لا يغني عن الكافر شيئاً .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) روى البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث : قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ الآية .

(٢) هذا مستفاد من قول الله تعالى : ﴿ ومن كفر فأمته قليلاً . ﴾ الخ ، إذ إبراهيم عليه السلام سأل الرزق للمؤمنين لا غير نظراً إلى أن الله تعالى ردّ طلبه في سؤاله الإمامة لكافة ذريته إذ قال : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ فمن هنا استثنى إبراهيم غير المؤمنين فأعلمه الله أن الغذاء حق الحي مؤمناً كان أو كافراً .

(٣) الاتيان بالمضارع هنا مع أن السياق في أمور مضت من أجل استحضار الحالة كأنها مشاهدة وذلك إبرازاً لمواقف إمام الموحدين إبراهيم المشرفة ترغيباً في الاقتداء به .

(٤) إسماعيل هو الولد البكر لإبراهيم ، وأمه هاجر الجارية المصرية ومعنى إسماعيل : (سمع الله) .

(٥) هذا كسؤال المسلم في صلاته ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي آدم هدايتنا واحفظ سيرنا عليه حتى نفوز برضاك والجنة فكذلك سؤال إبراهيم ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي آدم لنا إسلامنا واحفظه علينا حتى لا نتركه لأنه علة وجودنا وغاية أملنا في الحياة .

وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ : ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره أذكر وقت كذا وكذا.

القواعد : جمع قاعدة ما يبنى على الجدار من أساس ونحوه .
البيت : الكعبة حماها الله وطهرها .
إنك أنت السميع العليم : هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما .
مسلمين : منقادين لك خاضعين لأمرك ونهيك راضين بحكمك عابدين لك .

أرنا مناسكنا : علمنا كيف نحج بيتك ، تنسكاً وتعبداً لك .
تب علينا : وفقنا للتوبة إذا زللنا وأقبلها منا .
وابعث فيهم رسلاً : هذا الدعاء استجابه الله ، ومحمد ﷺ هو ما طلباه .
الكتاب : القرآن .
الحكمة : السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها .
يزكيهم : يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم ، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب والحكمة ، وما بينه لهم من ضروب الطاعات .
العزیز الحكيم : العزيز الغالب الذي لا يغلب . الحكيم في صنعه وتديره بوضع كل شيء في موضعه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مآثر إبراهيم عليه السلام المنبئة عن مكانته السامية في كمال الإيثار والطاعة ، وعظيم الرغبة في الخير والرحمة فقد تضمنت الآيات الثلاث ذكر إبراهيم وإسماعيل وهما بينان البيت برفع قواعده وهما يدعوان الله تعالى بأن يتقبل منهما عملهما متوسلين إليه بأسمائه وصفاته ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ .

(١) هذه من كمال الحال إذ هو في حال البناء ، والتعب ، والعرق ويسأل أن يتقبل منه عمله . هذا شأن أهل الكمال من الرجال قال تعالى عنهم : ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة﴾ الآية .

كما يسألانه عز وجل أن يجعلها مسلمين له وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له مؤمنة به موحدة له ومنقادة لأمره ونهيه مطيعة، وأن يعلمهما مناسك حج بيته العتيق ليحججاه على علم ويتوب عليهما، كما سألاه عز وجل أن يبعث في ذريتهما رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بالإيمان وصالح الأعمال، وجميل الخلال وطيب الخصال.

وقد استجاب الله تعالى دعاءهما فبعث في ذريتهما من أولاد إسماعيل إمام المسلمين وقائد الغر المحجلين نبينا محمداً ﷺ وقد قرر هذا ﷺ بقوله: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى... عليهم جميعاً السلام».

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الإسهام بالنفس في بناء المساجد.
- ٢- المؤمن البصير في دينه يفعل الخير وهو خائف أن لا يقبل منه فيسأل الله تعالى ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته أن يتقبله منه.
- ٣- مشروعية سؤال الله للنفس وللذرية الثبات على الإسلام حتى الموت عليه.
- ٤- وجوب تعلم مناسك الحج والعمرة على من أراد أن يحج أو يعتمر.
- ٥- وجوب طلب تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة.
- ٦- مشروعية التوسل إلى الله تعالى في قبول الدعاء وذلك بأسمائه تعالى وصفاته لا بحق فلان وجاء فلان كما هو شأن المبتدعة والضلال ففي هذه الآيات الثلاث توسل إبراهيم وإسماعيل بالجمل التالية:

١- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(١) هي أمة الإسلام التي أنشأها بعون الله تعالى محمد الذي بعثه الله رسولا في ذرية اسماعيل للعالمين.
 (٢) النسك في اللغة الغسل بالماء، يقال نسك ثوبه إذا غسله، وهو في الشرع اسم للعبادة، لأن العبادة تطهر النفس وتزكيها، يقال: رجل ناسك ومتنسك إذا لازم العبادة يغسل بها نفسه لتطهر وتزكو فيفلح بذلك ويفوز. ومناسك الحج هي العبادات المشروعة فيه من إحرام وطواف وذبح الهدى وغير ذلك.
 (٣) رواه أحمد بلفظ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك. دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين.
 (٤) وفي الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له قصراً في الجنة».

٢- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

٣- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

وَمَنْ يَرْغَبُ^(١) عَنْ
 مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا^(٢)
 وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ^(٣)
 قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
 وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ^(٤) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
 الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
 إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا
 وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
 مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

شرح الكلمات :

ومن يرغب عن ملة إبراهيم : الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده بما شرع لعباده .

(١) الاستفهام للنفي والإنكار، وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده لا شريك له بما شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

(٢) الاصطفاء مأخوذ من الصفوة وهو تخير الأصفي أي الأكثر صفاء، واصطفى : قلبت فيه التاء طاءً لتناسبها مع الصاد في الاطلاق إذ الأصل : اصطفى أي : طلب الصفوة .

(٣) وصى وأوصى بمعنى عهد إليه بكذا، والموصى به هنا هو كلمة ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ وذلك بعبادته وحده بما شرع بعد خلق الأنداد. وذي هي ملة إبراهيم .

(٤) أم بمعنى : بل والهمزة هي التي للاستفهام الإنكاري وتقدير الكلام : بل أكنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت فوصى بنيه . يؤتخهم على كذبهم وينكر عليهم .

(١) إلا من سفه نفسه

: لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد
جهل قدر نفسه فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكماها
وإسعادها وهي الإسلام.

اصطفيناه

: اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا
مقامه.

أسلم

: أنقذ لأمرنا ونهينا فاعبَدنا وحدنا ولا تلتفت إلى غيرنا.
اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم فلا تموتن^(٢) إلا
وأنتم مسلمون.

اصطفى لكم الدين

: هو اسرائيل بن اسحق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف
وإخوته.

يعقوب

: جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلى الدار الآخرة.

أمة خلت

: أجر ما كسبته من الخير.

لها ما كسبت

: من خير أو غيره^(٣).

ولكم ما كسبتم

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة مواقف إبراهيم السليمة الصحيحة عقيدة وإخلاصاً
وعملاً صالحاً وصدقاً ووفاء فوضح بذلك ما كان عليه إبراهيم من الدين الصحيح قال
تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ تلك الملة الحنيفية الواضحة السهلة. اللهم لا أحد
يرغب عنها إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها في الطهارة والصفاء والإكمال
والإسعاد وضمن هذا الخبر ذكر تعالى إنعامه على إبراهيم وما تفضل به عليه من الإصطفاء
في الدنيا والإسعاد في الآخرة في جملة الصالحين.

وفي الآية الثانية (١٣١) يذكر تعالى أن ذاك إلا اصطفاء تم لإبراهيم عند استجابته لأمر
ربه بالإسلام حيث أسلم ولم يتردد. وفي الآية الثالثة (١٣٢) يذكر تعالى إقامة الحجة على

(١) سفه نفسه: استخف بقدرها جهلاً به. ولذا نصب نفسه لتضمّن سفه معنى جهل.

(٢) في قوله: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ إيجاز بليغ إذ معناه إلزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا. وجملة
﴿وأنتم مسلمون﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى مطيعون خاضعون.

(٣) في معنى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومعنى ﴿ولا تكسب كل نفس إلا ما عليها﴾.

المشركين وأهل الكتاب معاً إذ ملة الإسلام القائمة على التوحيد وصى بها إبراهيم بنيه، كما وصى بها يعقوب بنيه وقال لهم: لا تموتن إلا على الإسلام فأين الوثنية العربية واليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم، ألا فليثب العقلاء إلى رشدهم.

وفي الآية الرابعة (١٣٣) يوبخ تعالى اليهود القائلين كذباً وزوراً للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب وصى بنيه باليهودية فقال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي أكنتم حاضرين لما حضر يعقوب الموت فقال لبنيه مستفهماً إياهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه بلسان واحد: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فإن قالوا كنا حاضرين فقد كذبوا وبهتوا ولعنوا وإن قالوا لم نحضر بطلت دعواهم أن يعقوب وصى بنيه باليهودية، وثبت أنه وصاهم بالإسلام لا باليهودية.

وفي الآية الأخيرة (١٣٤) ينهي تعالى جدل اليهود الفارغ فيقول لهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ - يعني إبراهيم وأولاده - لها ما كسبت من الإيمان وصالح الأعمال، ولكم أنتم معشر يهود ما اكتسبتم من الكفر والمعاصي وسوف لا تسألون يوم القيامة عن أعمال غيركم وإنما تسألون عن أعمالكم وتحزون بها، فاتركوا الجدل وأقبلوا على ما ينفعكم في آخرتكم وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح، ولا يتم لكم هذا إلا بالإسلام فأسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا يرغب عن الإسلام بتركه أو طلب غيره من الأديان إلا سفيه لا يعرف قدر نفسه .
- ٢- الإسلام دين البشرية جمعاء، وما عداه فهي أديان مبتدعة باطلة .
- ٣- استحباب الوصية للمريض يوصي فيها بنيه وسائر أفراد أسرته بالإسلام حتى الموت عليه .

٤- كذب اليهود وبهتانهم وصدق من قال : اليهود قوم بهت .

- (١) فيه إطلاق لفظ الأب على العم لأن اسماعيل عم ليعقوب وليس باب له، وفيه إطلاق الأب على الجد أيضاً ومن هنا ذهب من ذهب إلى أن الجد كالأب يحجب الأخوة عن الأثر لأن الأب يحجب الأخوة حجب اسقاط .
- (٢) أي نوحه بالالوهية أي : العبادة ولا نشرك به في عبادته سواء .
- (٣) الإسلام هو ملة سائر الأنبياء، وإن تنوعت أنواع التكليف عندهم، واختلفت مناهج العمل بينهم، إذ الإسلام هو انقياد لله وخضوع ولذا قال الرسول ﷺ : «نحن معشر الأنبياء أولاد غلات ديننا واحد» .

- ٥- يحسن بالمرء ترك الإعتزاز بشرف وصلاح^(١) الماضين، والإقبال على نفسه بتزكيتها وتطهيرها.
- ٦- سنة الله في الخلق أن المرء يجزى بعمله، ولا يسأل عن عمل غيره.
- ٧- يطلق لفظ الأب على العم تغليياً وتعظيماً.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ آبَائِهِمْ
 خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَلَا سَمْعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾
 فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٢٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَبِيدُونَ ﴿١٢٨﴾

شرح الكلمات :
 تهتدوا : تصيبوا طريق الحق .

(١) وفي الحديث الصحيح «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وفي هذا المعنى قال الشاعر الحكيم
 لا تقبل أصلي وفصلي يا فتى إنما أصل الفتى ما قد حصل
 (٢) ذكر ابن كثير عن ابن اسحاق أن عبدالله بن صوريا الأعور اليهودي قال لرسول الله ﷺ : ما الهدى إلا ما نحن عليه،
 فاتبنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل : ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ الآية .
 (٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل
 الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا . . .»
 (٤) الأسباط : أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولداً، يوسف وبنيامين وهودا ولكل واحد منهم أمة من الناس . الواحد
 سبط والجمع أسباط والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد اسماعيل عليه السلام وسموا الأسباط من السبط وهو
 التابع لأنهم متتابعون .
 (٥) أي : لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض كصنيع اليهود والنصارى .

ملة إبراهيم : دين إبراهيم الذي كان عليه .

حنيفاً^(١) : مستقيماً على دين الله تعالى موحداً فيه لا يشرك بالله شيئاً .

ما أوتي موسى : التوراة .

وما أوتي عيسى : الإنجيل .

في شقاق : خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك .

صبغة الله : دينه الذي طهرنا به ظاهراً وباطناً فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على الثوب المصبوغ .

معنى الآيات :

مازال السياق في حجاج أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام فقد قال اليهود للرسول ﷺ وأصحابه . كونوا يهوداً تهتدوا إلى الحق ، وقالت النصارى من وفد نجران كذلك كونوا نصارى تهتدوا فحكى الله تعالى قولهم ، وعلم رسوله أن يقول لهم لا نتبع يهودية ولا نصرانية بل نتبع دين إبراهيم الحنيف المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال .

وفي الآية الثانية (١٣٦) أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين أن يعلنوا في وضوح عن عقيدتهم الحققة وهي الإيمان بالله وما أنزل من القرآن ، وما أنزل على الأنبياء كافة ، وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل خاصة ، مع عدم التفرقة بين رسول ورسول والإسلام الظاهر والباطن لله رب العالمين .

وفي الآية الثالثة (١٣٧) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين إن آمن اليهود والنصارى إيماناً صحيحاً كإيمانكم فقد اهتدوا ، وإن أبوا فتولوا وأعرضوا فأمرهم لا يعدو شقاقاً وحرباً لله ورسوله ، والله تعالى سيكشفكم بما يشاء وهو السميع لأقوالهم الباطلة العليم بأعمالهم الفاسدة ، وقد أنجز^(٢) تعالى وعده لرسوله فأخرج اليهود من المدينة بل ومن الحجاز مع ما

(١) أصل الحنف : الميل ومنه قولهم رجل أحنف أي مائل القدمين إلى بعضهما بعضاً قالت أم الأحنف : والله لولا الحنف برجله ما كان في فتيانكم من مثله ولما مال إبراهيم عن أديان الشرك إلى دين التوحيد قيل فيه حنيف وصار بمعنى مستقيم . إذ هو على منهج الحق وغيره على الباطل .

(٢) الآية : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ . وكان ابن عباس يقرأها : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ وهو تفسير لا قراءة ، وعليه فمثل : زائدة نظيرها ، ليس كمثل شيء أي ليس كهو شيء .

(٣) نعم أنجز الله تعالى وعده لرسوله فكفاه اليهود الذين وطنوا العزم على قتله ﷺ فحاولوا وخابوا ولم يقدرُوا إذ كفاه الله تعالى إياهم .

جللهم به من الخزي والعار.

وفي الآية الرابعة (١٣٨) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين رداً على اليهود والنصارى قولوا لهم: نتبع صبغة الله التي صبغنا بها وفطرته التي فطرنا عليها وهي الإسلام، ونحن له تعالى عابدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا هداية إلا في الإسلام ولا سعادة ولا كمال إلا بالإسلام.
- ٢- الكفر برسول، كفر بكل الرسل فقد كفر اليهود بـعيسى، وكفر النصارى بمحمد ﷺ فأصبحوا بذلك كافرين، وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين.
- ٣- لا يزال اليهود والنصارى في عداوة للإسلام وحرب على المسلمين، والمسلمون يكفهم الله تعالى شرهم إذا هم استقاموا على الإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً.
- ٤- الواجب على من دخل في الإسلام أن يغتسل غسلًا كفلس الجنابة إذ هذا من صبغة الله تعالى، لا المعمودية النصرانية التي هي غمس المولود يوم السابع من ولادته في ماء يقال له المعمودي وإدعاء انه طهر بذلك ولا يحتاج إلى الختان.

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) الصبغ: الشيء يصبغ به فالصبغ بدون تاء كالكشر فزيدت فيه التاء فقبل صبغة كقشرة، وهي في الآية منصوبة «صبغة» إنما أنها بدل من ملة المنصوبة بتقدير: نتبع ملة، وإنما أنها على المفعولية المطلقة أي صبغنا صبغة الله نحو وعد الله حقاً، وفي هذا رد على اليهود والنصارى إذ اليهود نشأت فيهم الصبغة إذ كان الكاهن يغتسل كل عام ليكفر خطايا بني إسرائيل في يوم عيد معلوم لهم والنصارى ما زالوا يُعمدون أطفالهم يوم السابع فيغمسونهم في الماء هذه صبغة اليهود والنصارى، أما صبغة المسلمين فهي اتباع ملة إبراهيم عليه السلام وشتان ما بينهما
(٢) تعميد النصارى لأطفالهم وهو صبغهم بالماء كالنوب يصبغ بلون من الألوان فهم يرون أن الولد لما يصبغ بالماء أصبح نصرانياً لا يفرقه.

وَالْأَسْبَاطُ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾

شرح الكلمات :

أُتَحَاجُونَا فِي اللَّهِ : أُمَاجِدُونَا فِي دِينِهِ وَٱلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَٱلْإِسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ .

لَهُ مَخْلُصُونَ : مَخْلُصُونَ الْعِبَادَةَ لَهُ ، لَا نَشْرِكُ غَيْرَهُ فِيهَا ، وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ .

شَهَادَةٌ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ : الْمَرَادُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ ظَهْوَرِهِ .

ٱلْغَافِلُ : مَنْ لَا يَتَفَقَّنُ لِلْأُمُورِ لِعَدَمِ مِبَالَاتِهِ بِهَا .

معنى الآيات :

يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولُهُ أَنْ يَنْكَرَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ جِدَاهُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى إِذَا ادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنَ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَقَالُوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، فَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ كَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَنكَرًا عَلَيْهِمْ دَعْوَاهُمْ ٱلْبَاطِلَةَ . كَمَا أَفْحَمَهُمْ وَقَطَعَ حُجَّتَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَنْبِيَاءَ بَعْدَهُ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ، إِذْ قَالَ لَهُ قُلْ لَهُمْ : ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟﴾ فَإِنْ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ ، كَفَرُوا وَإِنْ قَالُوا اللَّهُ أَعْلَمُ انْقَطَعُوا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا أَبَدًا يَهُودًا وَلَا نَصَارَى ، وَلَكِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، ثُمَّ هَدَدَهُمْ تَعَالَى بِجُرْمَتِهِمُ الْكُبْرَى وَهِيَ كِتْمَانُهُمُ الْحَقَّ وَجُحُودُهُمْ

(١) ٱلْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ .

(٢) قَالَ إِبْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ : إِنْ أَهْلُ الْكِتَابِ كَانُوا يَقْرَأُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي آتَاهُمْ : إِنْ ٱلْدِينُ ٱلْإِسْلَامُ وَإِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا بُرَّاءً مِنَ ٱلْيَهُودِيَّةِ وَٱلنَّصْرَانِيَّةِ فَشَهِدُوا لِلَّهِ بِذَلِكَ وَأَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ اللَّهَ ، فَكَتَمُوا شَهَادَةَ اللَّهِ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

(٣) وَٱلْإِسْتِفْهَامُ أَيْضًا لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حَالِهِمْ وَٱلَّتَوْبِيخِ لَهُمْ عَلَى سُوءِ سُلُوكِهِمْ ، وَمَعْنَى فِي اللَّهِ أَيُّ فِي دِينِهِ وَوِلَايَتِهِ وَنَسَخَ شَرَائِعَهُ ٱلسَّابِقَةَ بِٱلْإِسْلَامِ وَكَفَرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَدِينِهِ الَّذِي هُوَ ٱلْإِسْلَامُ .

(٤) ٱلْإِخْلَاصُ : تَخْلِيصُ الْعِبَادَةِ مِنَ ٱلْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَعَرَفَهُ ٱلْجَنِيدُ فَقَالَ : ٱلْإِخْلَاصُ سَرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَعْلَمُهُ مَلِكٌ فَيَكْتَبُهُ وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ ، وَلَا هَوًى فَيَمِيلُهُ .

نعت الرسول والأمر بالإيمان به عند ظهوره فقال ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون .

ثم أعاد لهم ما أدبهم به في الآيات السابقة مبالغة في تأديبهم وإصلاحهم لو كانوا أهلاً لذلك فأعلمهم أن التمسح بأعتاب الماضين والتشبث بالنسب الفارغة إلى الأولين غير مجد لهم ولا نافع فليقبلوا على إنقاذ أنفسهم من الجهل والكفر بالإيمان والإسلام والإحسان ، أما من مضوا فهم أمة قد أفضوا إلى ما كسبوا وسيجزون به ، وأنتم لكم ما كسبتم وستجزون به ، ولا تجزون بعمل غيركم ولا تسألون عنه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الإخلاص وهو عدم الالتفات إلى غير الله تعالى عند القيام بالعبادات .
- ٢- كل امرئ يجزى بعمله ، وغير مسئول عن عمل غيره ، إلا إذا كان سبباً فيه .
- ٣- اليهودية والنصرانية^(١) بدعة ابتدعتها اليهود والنصارى .
- ٤- تفاوت الظلم بحسب الآثار المترتبة عليه .
- ٥- حرمة كتمان الشهادة لا سيما شهادة من الله تعالى^(٢) .
- ٦- عدم الانكال على حسب الآباء والأجداد ، ووجوب الإقبال على النفس لتزكيتها وتطهيرها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح .

(١) قال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾ آل عمران .

(٢) إذ قال تعالى : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه ﴾ البقرة .

الجزء الثاني

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣)

شرح الكلمات :

- السفهاء** : جمع سفیه وهو من به ضعف عقلي لتقليده وإعراضه عن النظر نجم عنه فساد خلقٍ وسوء سلوك .
- ماولاهم** : ماصرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة .
- القبلة** : الجهة التي يستقبلها المرء وتكون قبالته في صلاته .
- أمة وسطاً** : وسط كل شيء خياره ، والمراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأعدلها .
- ينقلب على عقبيه** : يرجع إلى الكفر بعد الإيمان .
- لكبيرة** : شاقة على النفس صعبة لاتطاق إلا بجهد كبير وهي التحويلة من قبله مألوفة إلى قبله حديثة .

(١) هذا إخبار بما سيقوله السفهاء من المنافقين واليهود والمشركين قبل أن يقولوه وفائدته أولاً : تقرير النبوة المحمدية إذ هذا إخبار بالغيب فكان كما أخبر ، وثانياً : توطین نفس الرسول ﷺ والمؤمنين به حتى لا يضرهم عند سماعه من السفهاء ، لأن مفاجأة المكروه أليمة شديدة ، فإن ذهبت المفاجأة هان الأمر ، وخف الألم وهذا من باب (قبل الرمي يراش السهم) ومناسبة الآيات لما قبلها استمرار الحجاج إلا أنه كان في الأصول وأصبح في الفروع .

(٢) «من الناس» في محل نصب على الحال وأل فيه للجنس ليدخل في اللفظ كل سفیه .

(٣) هي بيت المقدس ، ومن جملة ما قالوه سفها واستهزاء التبس عليه أمره وتحير : قد اشتاق محمد إلى مولده .

إيمانكم : صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة .
رؤوف رحيم : يدفع الضرر عنكم ويفيض الإحسان عليكم .

معنى الآيتين :

يخبر الله تعالى بأمر يعلمه قبل وقوعه، وحكمة الإخبار به قبل وقوعه تخفيف أثره على نفوس المؤمنين إذ يفقد نقدهم المرير عنصر المفاجأة فيه فلا تضطرب له نفوس المؤمنين .
فقال تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ ﴾
وحصل هذا لما حوّل الله تعالى رسوله والمؤمنين من استقبال بيت المقدس^(١) في الصلاة إلى الكعبة تحقيقاً لرغبة رسول الله ﷺ في ذلك ولعلة الاختبار التي تضمنتها الآية التالية فأخبر تعالى بما سيقوله السفهاء من اليهود والمنافقين والمشرّكين وعلم المؤمنين كيف يردون على السفهاء، فقال : قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فلا اعتراض عليه بوجه عباده حيث يشاء، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وفي الآية الثانية (١٤٣) يقول تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ خياراً عدولاً أي كما هديناكم إلى أفضل قبة وهي الكعبة قبله إبراهيم عليه السلام جعلناكم خير أمة وأعدّها فأهلناكم بذلك للشهادة على الأمم يوم القيامة إذا أنكروا أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم ، وأنتم لذلك لا تشهد عليكم الأمم ولكن يشهد عليكم رسولكم وفي هذا من التكريم والإنعام ما الله به عليم ، ثم ذكر تعالى العلة في تحويل القبلة فقال : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ﴾ فثبت على إيمانه وطاعته وانقياده لله ولرسوله ممن يؤثر فيه نقد السفهاء فتضطرب نفسه ويجاري السفهاء فيهلك بالردة معهم . ثم أخبر تعالى أن هذه التحويلة من بيت المقدس إلى الكعبة شاقة على النفس إلا على الذين هداهم الله

(١) إذ صلى المؤمنون قرابة سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس من قبل تحويل الله تعالى القبلة بهذه الآيات التي نزلت في شأنها . وروى مالك أن تحويل القبلة كان قبل غزوة بدر بشهرين .

(٢) الاختبار في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ .

(٣) في هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لعدالة الأمة بشهادة ربّها فإذا أجمعت على أمر وجب الحكم به وفي أي عصر من العصور إلى قيام الساعة .

(٤) ومن هذا التكريم أنهم إذا شهدوا على أحدهم بالخير وجبت له الجنة لحديث الصحيح : «مرت جنازة فأثنى عليها خير فقال رسول الله ﷺ : «وجبت وجبت وجبت» الحديث . فسئل فقال : «من أثنيت عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيت عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» .

إلى معرفته ومعرفته محابه ومكارهه فهم لذلك لا يجدون أي صعوبة في الانتقال من طاعة إلى طاعة ومن قبله إلى قبله ، مادام ربهم قد أحب ذلك وأمر به .
وأخيراً طمأنهم تعالى على أجور صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس وهي صلاة قرابة سبعة عشر شهراً بأنه لا يضيعها لهم بل يجزيهم بها كاملة سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس أو من حيَّ حَتَّى صلى إلى الكعبة وهذا مظهر من مظاهر رأفته تعالى بعباده ورحمته .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - جواز النسخ في الإسلام فهذا نسخ إلى بدل من الصلاة إلى بيت المقدس إلى الصلاة إلى الكعبة في مكة المكرمة .
- ٢ - الأراجيف وافتعال الأزمات وتهويل الأمور شأن الكفار إزاء المسلمين طوال الحياة فعلى المؤمنين أن يثبتوا ولا يتزعزعوا حتى يظهر الباطل وَيَنْكَشِفَ الزيف وتنتهي الفتنة .
- ٣ - أفضلية أمة الإسلام على سائر الأمم لكونها أمة الوسط والوسطية شعارها .
- ٤ - جَوَازُ امْتِحَانِ المؤمن وجريانه عليه .
- ٥ - صحة صلاة من صلى إلى غير القبلة وهو لا يعلم ذلك وله أجرها وليس عليه اعادتها ولو صلى شهوراً إلى غير القبلة ما دام قد اجتهد في معرفة القبلة ثم صلى إلى حيث أداه اجتهاده .

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ^(١)
فَلْنُؤَلِّسَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ^(٢)

(١) ورد في الصحيح عن البراء قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس ما حالهم في ذلك فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه .

(٢) روى البخاري في سبب نزول هذه الآية أن البراء قال صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس ثم علم الله هوى نبيه (أي جبهه) فنزلت : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ الآية .

(٣) تحويل وجهك : أي تحويل وجهك ونظرك بعينك إلى السماء تطلعاً إلى نزول الوحي بذلك لا سيما وقد نزلت الآيات الأولى : ﴿سيقول﴾ الآية ، إذ هي موجبة بذلك .

الْحَرَامَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
 عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
 آيَةٍ مَاتَ بِعُوقِ قِبْلَتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
 بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾
 الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
 فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

تقلب وجهك في السماء : تردده بالنظر إليها مرة بعد أخرى انتظاراً لنزول الوحي .

فلنولينك قبلة ترضاها : فلنحولنك إلى القبلة التي تحبها وهي الكعبة .

فول وجهك شطر المسجد : حول وجهك جهة المسجد الحرام بمكة .

الحرام : بمعنى المحرم لا يسفك فيه دم ولا يقتل فيه أحد .

الشرط : هنا الجهة واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت في

المسجد الحرام ، لأن الشرط لغة : النصف أو الجزء مطلقاً .

أنه الحق من ربهم : أي تحول القبلة جاء منصوباً عليه في الكتب السابقة .

(١) اختلف في أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى الكعبة ، فقيل الظهر وقيل العصر ، ولم يرجح أحد القولين ، وقيل كانت صلاة الظهر في مسجد بني سلمة المعروف بمسجد القبليتين حتى صلوا بعض الصلاة إلى بيت المقدس وبعضها إلى الكعبة فسمي لذلك مسجد القبليتين .

(٢) اختلف في : هل الغائب عن البيت الحرام يصلي إلى عين الكعبة أو إلى جهتها . الصواب أنه يصلي إلى جهة الكعبة تاوياً استقبال البيت ، لأن استقبال عين الكعبة متعذر على غير الموجود في المسجد الحرام ، أما مَنْ في المسجد الحرام فلا تصح صلاته إن لم يستقبل عين الكعبة .

(٣) جمع القبلة : قيل بكسر القاف وفتح الباء وهو جمع تكسير ، وتجمع جمع سلامة على قبيلات بكسر القاف والباء ، ويجوز فتح الباء كما يجوز إسكانها أيضاً .

: الضمير عائد إلى رسول الله ﷺ أي يعلمون أنه نبي الله
ورسوله لما في كتبهم من صفاته الواضحة القطعية .

: الشاكين والامترأ : الشك وعدم التصديق .

معنى الآيات :

يعلم الله تعالى رسوله أنه كان يراه وهو يقبّل وجهه في السماء انتظاراً لوحي يؤمر فيه باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس لرغبته في مخالفة اليهود ولحبه لقبلة أبيه إبراهيم إذ هي أول قبلة وأفضلها فبناء على ذلك ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ، وبهذا الأمر الإلهي تحولت القبلة وروي أنه كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة المعروف الآن بمسجد القبلتين فصلّى الرسول والمؤمنون وراءه ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة ، وكلا تكون القبلة خاصة بمن كان بالمدينة قال تعالى : ﴿وحيث ما كنتم﴾ أي في نواحي البلاد وأقطار الأرض ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ أي شطر المسجد الحرام كما أخبر تعالى في هذه الآية أن علماء أهل الكتاب يعرفون أن تحول القبلة حق وأنه بأمر الله تعالى وما أحدثوه من التشويش والتشويه إزاء تحول القبلة فقد علمه وسيجزئهم به إذ لم يكن تعالى بغافل عما يعملونه .

وفي الآية الثانية (١٤٥) يخبر تعالى بحقيقة ثابتة وهي أن النبي ﷺ لو أتى اليهود والنصارى بكل آية تدل على صدقه وأحقية القبلة إلى الكعبة ما كانوا ليتابعوه على ذلك ويصلوا إلى قبلته كما أن النصارى لم يكونوا يصلوا إلى بيت المقدس قبله اليهود ، ولا اليهود ليصلوا إلى مطلع الشمس قبله النصارى ، كما أن النبي ﷺ والمؤمنين لم يكونوا أبداً ليتابعوا أهل الكتاب على قبلتهم بعد أن هداهم الله إلى أفضل قبلة وأحبها إليهم . وأخيراً يحذر الله رسوله أن يتبع أهواء اليهود فيوافقهم على بدعهم وضلالاتهم بعد الذي أعطاه من العلم وهدهد إليه من الحق ، وحاشاه ﷺ أن يفعل ولو فعل لكان من الظالمين .

(١) الشطر لغة : النصف ومنه الحديث : «الطهور شطر الإيمان» والشاطر من الناس من أخذ في نحو غير الاستواء ، وهو الذي أعيا أهله خبثاً ، وهو من بعد عن طاعة الله ورسوله أيضاً .

(٢) قلت في التفسير : لو أتى اليهود الخ : لأن لثن في الآية بمعنى لو ، لأنها أجبت بجواب لو ، وهو الماضي والوقوع إذ قال تعالى : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ فقلوه : ﴿ما تبعوا﴾ جواب لثن والمفروض فيها أن يجاب بالمضارع .

وفي الآية الثالثة (١٤٦) يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون أن الرسول حق وأن ما جاء به هو الحق معرفةً تامةً كمعرفتهم لأبنائهم، ولكن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون أنه الحق، وفي الآية الرابعة (١٤٧) يخبر تعالى رسوله بأن ما هو عليه من الدين الحق هو الحق الوارد إليه من ربه فلا ينبغي أن يكون من الشاكين^(١) بحال من الأحوال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - وجوب استقبال القبلة في الصلاة وفي أي مكان كان المصلي عليه أن يتجه إلى جهة مكة.

٢ - كفر كثير من أهل الكتاب كان على علم ايثاراً للعالمية على الآخرة.

٣ - حرمة موافقة المسلمين أهل الكتاب على بدعة من بدعهم الدينية مهما كانت.

٤ - علماء أهل الكتاب المعاصرون للنبي ﷺ يعرفون أنه النبي المبشر به وأنه النبي الخاتم واعرضوا عن الايمان به وعن متابعتة إيثاراً للعالمية على الآخرة.

وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا

(١) هذا تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا تكونون من الممترين﴾ يقال امترى . فلان في كذا إذا اعتراه اليقين مرة والشك مرة أخرى فدافع أحدهما بالآخر ومنه الإمتراء، لأن كل واحد يشك في قول صاحبه والإمتراء الشك.

(٢) روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «البيت قبله لأهل المسجد، والمسجد قبله لأهل الحرم والحرم قبله لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من امتي».

(٣) الوجهة: من المواجهة وهي الوجهة والوجه كلها بمعنى واحد، ومفعول موليها محذوف أي وجهه، أو يكون موليها بمعنى متوليها وحينئذ فلا حذف ولا تقدير.

(٤) اختلف في الجهة التي كان الرسول ﷺ يستقبلها في مكة قبل الهجرة، والراجح أنه كان يجعل الكعبة أمامه وهو متجه إلى الشام، بمعنى أنه يصلي بين الركنين اليمانيين ولما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس حتى حول إلى الكعبة، وهل كان استقباله بيت المقدس باجتهاد منه أو بوحى، الظاهر أنه باجتهاد منه ﷺ.

اللَّهُ يُغْفِلْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
 شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ
 يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي^(١)
 أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

شرح الكلمات :

ولكل وجهه هو موليا : التنوين في (كل) دال على محذوف ، هو لكل أهل ملة كالإسلام ،
 واليهودية والنصرانية قبله يولون وجوههم لها في صلاتهم .

الخيرات : البر والطاعة لله ورسوله .

الحجة : الدليل القوي الذي يظهر به صاحبه على من يخاصمه .

نعمتي : نعم الله كثيرة وأعظمها نعمة الاسلام وإتمامها بمواصلة التشريع

والعمل به إلى نهاية الكمال ، وكان ذلك في حجة الوداع بعرفات حيث

نزلت آية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ .

(١) قال ابن كثير والقرطبي قبله استدل مالك بقول الله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أن المصلي ينظر أمامه
 لا إلى موضع سجوده كما هو مذهب الجمهور ، أبي حنيفة والشافعي وأحمد والذي أراه يحقق المطلوب من الآية هو أن ينظر
 المصلي أولاً أمامه امتثالاً لأمر الله تعالى ثم بعد ذلك ينظر إلى موضع سجوده .

(٢) الكاف في محل نصب على التعت لمصدر محذوف تقديره ولأتم نعمتي عليكم إتماماً مثل ما أرسلنا وهو تشبيه نعمة
 استقلالكم في القبلة باستقلالكم في الرسالة .

(٣) أصل الذكر يكون بالقلب ، ولما كان القلب باطناً جعل اللفظ باللسان دليلاً عليه ، فأصبح الذكر يطلق على ذكر اللسان
 وإن كان المطلوب هما معاً أي ذكر القلب واللسان والجملة أمر وجواب فاذا ذكرني أمر ، وأذكركم جواب وجزاء ، وذكر الله للعبد
 أعظم ، وقد ورد في فضل الذكر الكثير من الأحاديث منها : حديث ابن ماجه ونصه : « أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع
 الإسلام قد كثرت علي فأنبئي منها بشيء أتشبع » به قال : لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » .

رسولاً	: هو محمد ﷺ والتذكير فيه للتعظيم .
يزكيكم	: يطهركم من الذنوب والأخلاق السيئة والملكات الرديئة .
الحكمة	: السنة وهي كل قول صالح لا ينتهي صلاحه ونفعه بمرور الزمن .
الشكر	: إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله تعالى لعباده . ^(١)
والكفر	: جحد النعمة وإخفاؤها وصرفها في غير ما يجب الله تعالى .
معنى الآيات :	

بعد تقرير تلك الحقيقة التي تضمنتها آية ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ﴾ الخ
وهي أن النبي ﷺ لو أتى أهل الكتاب بكل آية تدل على صدقه في أمر القبلة ماتبعوا قبلته ،
وما هو بتابع قبلتهم ، ومابعضهم بتابع قبلة بعض فلا اليهود يستقبلون مطلع الشمس ولا
النصارى يستقبلون بيت المقدس . أخبر تعالى أن لكل أمة قبلة مولية وجهها إليها في
صلاتها ، فاتركوا أيها المسلمون أهل تلك الملل الضالة وسابقوا في الخيرات ونافسوا في
الصالحات شكراً لربكم على نعمة هدايته لكم لقبلة أبيكم إبراهيم فإنه تعالى جامعكم ليوم
القيامة وسائلكم ومجازيكم بأعمالكم إنه على كل شيء قدير ، هذا ثم أمر الله رسوله أن يولي
وجهه شطر المسجد الحرام حيثما كان في الحضر كان أو في السفر وأعلمه أن تحوله إلى الكعبة
حق ثابت من ربه تعالى فلا يتردد فيه .

هذا ماتضمنته الآيتان (١٤٨) و (١٤٩) وأما الآية (١٥٠) فإنه تعالى أمر رسوله والمؤمنين
بأن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام حيثما كانوا وأينما وجدوا ويشبثوا على ذلك حتى لا يكون
لأعدائهم من اليهود والمشركين حجة ، إذ يقول اليهود : ينكرون ديننا ويستقبلون قبلتنا ،
ويقول المشركون : يدعون أنهم على ملة إبراهيم ويخالفون قبلته . هذا بالنسبة للمعتدلين
منهم أما الظالمون والمكابرون فإنهم لا سبيل إلى اقناعهم إذ قالوا بالفعل : ماتحول إلى الكعبة
إلا ميلاً إلى دين آبائه ويوشك أن يرجع إليه ، فمثل هؤلاء لا يبالي بهم ولا يلتفت إليهم كما
قال تعالى : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم فلا تحشوهم واخشوني ﴾ . فاثبتوا على قبلتكم الحق

(١) ورد أن النبي ﷺ قال : «إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه .
(٢) قد ورد في الآيات الأمر بتولية الرسول والمؤمنين وجوههم شطر المسجد الحرام ثلاث مرات وهو تكرار تطلبه المقام فكان
من مقتضيات الحال التي يوجبها الكلام البليغ الرفع ومن مقتضيات الحال إسكات السفهاء وقطع الطريق عليهم ورفع
معنويات المؤمنين حيث تأثر بعضهم بما أثاره اليهود والمنافقون والمشركون حول تحويل القبلة .
(٣) الخشية مرادفة للخوف ، والخوف هو فرع في القلب تخف له الأعضاء ، ولخفة الأعضاء به سمي خوفاً .

لأتم نعمتي عليكم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقومها، ولأهيئكم لكل خير وكمال مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي، يزيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه من أمور الدين والدنيا معاً وفي الآية الأخيرة (١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره وشكره، ونهاهم عن نسيانه وكفره، فقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعدته ووعدته من موجبات محبته ورضاه ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله ولما في نسيانه وكفرانه من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - الاعراض عن جدل المعاندين، والاقبال على الطاعات تنافساً فيها وتسابقاً إليها إذ هو أنفع وأجدى من الجدل والخصومات مع من لا يرجي رجوعه إلى الحق.
- ٢ - وجوب استقبال القبلة في الصلاة وسواء كان في السفر أو في الحضر إلا أن المسافر يجوز أن يصلي النافلة حيث توجهت دابته أو طيارته أو سيارته إلى القبلة وإلى غيرها.
- ٣ - حرمة خشية الناس ووجوب خشية الله تعالى.
- ٤ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة.
- ٥ - وجوب تعلم العلم الضروري ليتمكن العبد من عبادة الله عبادة تزكي نفسه.
- ٦ - وجوب ذكر الله بالتهليل والتكبير والتسبيح ووجوب شكره بطاعته.
- ٧ - حرمة نسيان ذكر الله، وكفران نعمه بترك شكرها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(١) ورد في الصحيح أن الله تعالى يقول: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ خير منه، والمراد من الملأ الخير الملائكة وورد: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه. وقال معاذ بن جبل ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل.

(٢) في هذا إبطال للتقية التي جعلها الروافض من أصول دينهم.

(٣) شاهده من السنة قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وهو حديث صحيح الإسناد.

(٤) شاهده من القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ الأحزاب.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ ^(١) مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ^(٢) وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾

شرح الكلمات

- الاستعانة : طلب المعونة والقدرة على القول أو العمل .
الصبر : حمل النفس على المكروه وتوطئتها على احتمال المكاره .
الشعور : الاحساس بالشئ المفضي إلى العلم به .
الابتلاء : الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف .
الأموال : جمع مال وقد يكون ناطقاً وهو المواشي ويكون صامتاً وهو النقدان وغيرهما .
المصيبة : ما يصيب العبد من ضرر في نفسه أو أهله أو ماله .
الصلوات : جمع صلاة وهي من الله تعالى هنا المغفرة لعطف الرحمة عليها .
ورحمة : الرحمة الإناعام وهو جلب ما يسر ودفع ما يضر، وأعظم ذلك دخول الجنة
بعد النجاة من النار .
المهتدون : إلى طريق السعادة والكمال بليانهم وابتلاء الله تعالى لهم وصبرهم على ذلك .

معنى الآيات :

نادى الرب تعالى عباده المؤمنين وهم أهل ملة الإسلام المسلمون ليرشدهم إلى

(١) لفظ شيء يدل على تهوين الفاجعة الدال عليها الخوف والجوع وما بعدهما كما يدل أيضاً على أن ما يتبليهم به من ذلك هو هين فلا يقاس بما يصيب به أهل عداوته من أهل الشرك والكفر والفسق إذا أخذهم بذنوبهم .

(٢) أسند التبشير إلى الرسول ﷺ لأنه متأهل له بالرسالة فغيره لا يملكه ، وقد لا يصدق فيه ، كما أن اللفظ دال على سمو مقامه ﷺ .

ما يكون عوناً لهم على الثبات على قبلتهم التي اختارها لهم ، وعلى ذكر ربهم وشكره وعدم نسيانه وكفره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ أي على ما طلب منكم من الثبات والذكر والشكر، وترك النسيان والكفر بالصبر الذي هو توطين النفس وحملها على أمر الله تعالى به وبإقام الصلاة، وأعلمهم أنه مع الصابرين يمددهم بالعون والقوة، فإذا صبروا نالهم عون الله تعالى وتقويته وهذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٣) أما الآية الثانية (١٥٤) فقد تضمنت نبيه تعالى لهم أن يقولوا معتقدين إن من قتل في سبيل الله ميت إذ هو حي في البرزخ وليس بميت بل هو حي يرزق في الجنة كما قال رسول الله ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش». (رواه مسلم). فلذا لا يقال لمن قتل في سبيل الله مات^(١) ولكن استشهد وهو شهيد وحي عند ربه حياة لا نحسها ولا نشعر بها لمفارتها للحياة في هذه الدار. وأما الآية الثالثة (١٥٥) فإنه يقسم تعالى لعباده المؤمنين على أنه يبتليهم بشيء من الخوف بواسطة أعدائه وأعدائهم وهم الكفار عندما يشنون الحروب عليهم وبالجوع لحصار العدو ولغيره من الأسباب، وينقص الأموال كموت الماشية للحرب والقحط، وبالأفنى كموت الرجال، وبفساد الثمار بالجوائح، كل ذلك لإظهار من يصبر على إيمانه وطاعة ربه بامتنال أمره واجتناب نبيه ومن لا يصبر فيحرم ولاية الله وأجره، ثم أمر رسوله بأن يبشر الصابرين، وبين في الآية الرابعة (١٥٦) حال الصابرين وهي أنهم إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله، فله أن يصيبنا بما شاء لأننا ملكه وعبيده، وإنا إليه راجعون بالموت فلا جزع إذاً ولكن تسليم لحكمه ورضاً بقضائه وقدره، وفي الآية الخامسة (١٥٧) أخبر تعالى مبشراً أولئك الصابرين بمغفرة ذنوبهم وبرحمة من ربهم، وإنهم المهتدون إلى سعادتهم وكما لهم، فقال: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

(١) لا يقال لمن قتل في سبيل الله مات، بمعنى انقطعت عنه الحياة والشهد لم يمت وإنما انتقل من حياة ناقصة إلى حياة كاملة دائمة، كما أن لفظ الموت مفزع للإنسان فإذا دارت المعركة وسقط الشهداء، وقيل مات فلان وفلان يؤثر ذلك في نفس من سمع كلمة الموت ولذا لا يقال مات ولكن استشهد.

(٢) دلّ على القسم: اللآم في قوله: ﴿ولنبلونكم﴾ إذ هي موطئة للقسم كأنما قال: وعزتي وجلالي لنبلونكم الخ... (٣) من فسر الخوف بالخوف من الله والجوع بالصيام، ونقص من الأموال بالزكاة لم يخطئ ولكن ما فسرت به الآية هو الصواب الحق الذي عليه أئمة التفسير.

(٤) روى أحمد والترمذي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضيلة الصبر والأمر به والاستعانة بالصبر والصلاة على المصائب والتكاليف وفي الحديث كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.
- ٢ - فضل الشهداء على غيرهم بحياتهم عند ربهم حياة أكمل من حياة غيرهم في الجنة .
- ٣ - قد يتلى المؤمن بالمصائب في النفس والأهل والمال ليصبر فترتفع درجته ويعلو مقامه عند ربه .

٤ - فضيلة الاسترجاع عند المصيبة وهو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وفي الصحيح يقول ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها » . (رواه مسلم)

﴿ إِنِّ الصَّافَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ^(١) ط

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

شرح الكلمات :

الصفاء والمروة ^(٢) : جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية ، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة (٧٦٠) ذراعاً .

شعائر الله : أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة على عبادة الله تعالى فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه دال على طاعة الله تعالى .

الحج : زيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تسمى نسكاً .

(١) أخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ .

(٢) الصفا : لغة جمع صفاة وتجمع على صفي ، وأصفاء مثل أرجاء : الحجارة الملساء الصلبة البيضاء والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين .

(٣) الحج لغة : القصد ، والعمره : الزيارة ، وشاهد الحج القصد قول الشاعر :
فاشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المعصفرا
الحلول : الجماعة الكثيرة ويحجون بمعنى يقصدون

العمرة : زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره .

الجناح يطوّف : الاثم وما يترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهي عنه .
يسعى بينهما ذاهباً جاثياً .

خيراً : الخير اسم لكل ما يجلب المسرة، ويدفع المضرة والمراد به هنا العمل الصالح .

معنى الآية الكريمة :

يخبر تعالى مقررّاً فرضية السعي بين الصفا والمروة، ودافعاً ماتوهمه بعض المؤمنين من وجود إثم في السعي بينهما نظراً إلى أنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له إساف، وآخر على المروة يقال له نائلة يتمسح بهما من يسعى بين الصفا والمروة فقال تعالى : إن الصفا والمروة يعني السعي بينهما من شعائر الله أي عبادة من عباداته إذ تعبد بالسعي بينهما نبيه إبراهيم وولده إسماعيل والمسلمون من ذريتهما . فمن حج البيت لأداء فريضة الحج أو اعتمر لأداء واجب العمرة فليسع بينهما أداء لركن الحج والعمرة ولا إثم عليه في كون المشركين كانوا يسعون بينهما لأجل الصنمين : اساف ونائلة .

ثم أخبر تعالى واعدأ عباده المؤمنين أن من يتطوع منهم بفعل خير من الخيرات يجزه به ويشبه عليه، لأنه تعالى يشكر لعباده المؤمنين أعمالهم الصالحة ويشيهم عليها لعلمه بتلك الأعمال ونيات أصحابها، هذا معنى قوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيراً فإن الله شاكراً عليم ﴾ .

هداية الآية الكريمة

من هداية هذه الآية :

١ - وجوب السعي بين الصفا والمروة لكل من طاف بالبيت حاجاً أو معتمراً، وقد قال رسول الله ﷺ : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » .^(١) (رواه الدارقطني ولم يعمل) وسعى

(١) السعي ركن الحج عند مالك، وأحمد والشافعي ولم يره ركناً أبو حنيفة، وما ذهب إليه الجمهور هو الذي يؤخذ به لحديث : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » وكتب بمعنى فرض لغة وشرعاً .

(٢) من ترك السعي وسافر، يعود إليه محرماً فيطوف بالبيت ويسعى بحكم أنه فرض وركن، ومن قال بوجوبه دون ركنيته يجزئه ذبح شاة .

(٣) وفي الصحيح أن النبي ﷺ خرج من باب الصفا بعد أن طاف بالبيت وهو يقول : إن الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال : أبداً بما بدأ الله به : فذل هذا على وجوب البدء في السعي بالصفا قبل المروة، ودل فعله ﷺ على أن السعي سبعة أشواط لا ينقص ولا يزيد .

ﷺ في عمراته كلها وفي حجه كذلك .

٢ - لا حرج في الصلاة في كنيسة حولت مسجداً ، ولا يضر كونها كانت معبداً للكفار .

٣ - الترغيب في فعل الخيرات من غير الواجبات ، وذلك من سائر النوافل كالطواف والصلاة والصيام والصدقات والرباط والجهاد .

إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۚ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ
(١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
(١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

(١٦٢)

شرح الكلمات :

يكتُمون^(١)

: يخفون ويغترون حتى لا يظهر الشيء المكتوم ولا يعرف فيؤخذ به .

البيّنات

: جمع بيّنة وهي ما يثبت به شيء المراد إثباته ، والمراد به هنا ما يثبت نبوة

محمد ﷺ من نعوت وصفات جاءت في كتاب أهل الكتاب .

الهُدَى

: ما يدل على المطلوب الصحيح ويساعد على الوصول إليه والمراد به

هنا ما جاء به رسول الله من الدين الصحيح المفضي بالأخذ به إلى

الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة .

(١) تابوا: أي رجعوا إلى الإيمان والدخول في الإسلام ، وأصلحوا: أي ما أفسدوه من عقائد الناس ، وأخلاقهم وأرواحهم ، وبينوا: أي ما كتموه من العلم الواجب بيانه والمحرم كتمانته .

(٢) الكتمان يكون بإلغاء الحفظ المقرر ، وإلغاء التدريس والتعليم للواجب بيانه وتعليمه والدعوة إليه .

في الكتاب : التوراة والانجيل .
 اللعنة : الطرد والبعد من كل خير ورحمة .
 اللاعنون : من يصدر عنهم اللعن كالملائكة والمؤمنين .
 أصلحوا : ما أفسدوه من عقائد الناس وأمور دينهم بإظهار ما كتموه والايان بما كذبوا به وأنكروه .
 ولا هم ينظرون : أي بأن يمهلوا ليعتذروا، كقوله تعالى : ولا يؤذن لهم فيعتذرون

معنى الآيات :

عاد السياق بعد الاجابة عن تخرج بعض المسلمين من السعي بين الصفا والمروة عاد إلى التنديد بجرائم علماء أهل الكتاب، ودعوتهم إلى التوبة بإظهار الحق والايان به فأخبر تعالى أن الذين يكتُمون ما أنزله من البينات والهدى في التوراة والانجيل من صفات الرسول محمد ﷺ والأمر بالايان به وبما جاء به من الدين، هؤلاء البعداء يلعنهم الله تعالى وتلعنهم الملائكة والمؤمنون^(١) هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٩) وفي الآية التي بعدها (١٦٠) استثنى تعالى من المبعدين من رحمته من تاب من أولئك الكاتمين للحق بعدما عرفوه فبينوا وأصلحوا فهؤلاء يتوب عليهم ويرحمهم وهو التواب الرحيم .

وفي الآية الثالثة (١٦١) والرابعة (١٦٢) أخبر تعالى أن الذين كفروا من أهل الكتاب وغيرهم بنبيه ودينه ولم يتوبوا فماتوا على كفرهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولذا فهم مطرودون مبعدون من الرحمة الإلهية وهي الجنة خالدون في جهنم لا يخفف عنهم عذابها، ولا يمهلون فيعتذرون .

(١) الآية عامة في كل من كتم علماً واجب البيان ويعلم المنصوص والمستنبط وما لم يكن واجب البيان فلا يدخل صاحبه في هذا الوعيد، إذ من العلم ما لا يجوز بيانه لحديث : «حذث الناس بما يفهمون، أتحنون أن يكذب الله ورسوله»، وحديث الصحيح : «أفلا أخبر الناس؟ قال : لا إذا فيتكلموا» .

(٢) أخرج ابن ماجة بسند حسن أن النبي ﷺ قال في اللاعنون : «دواب الأرض، ولذا فاللفظ عام يشمل كل من يتأتى منه اللعن، ويدخل الملائكة والمؤمنون دخولاً أولياً» .

(٣) هل يجوز لعن المؤمن العاصي المعين؟ لا يجوز لعن المؤمن العاصي المعين وذلك لحديث الصحيح «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك»، إذ لعنوا مؤمناً حال إقامة الحد عليه حد شرب الخمر .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١ - حرمة كتمان العلم وفي الحديث الصحيح « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » .
وقال أبو هريرة رضي الله عنه في ظروف معينة : (لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم حديثاً)
وتلا ﴿ إن الذين يكتبون ما أنزلنا من البينات ﴾ إلخ . . .
- ٢ - يشترط لتوبة من أفسد في ظلمه وجهله اصلاح ما أفسد ببيان ما حرف أو بدل وغيره ، وإظهار ما كتم ، وأداء ما أخذه بغير الحق .
- ٣ - من كفر ومات على كفره من سائر الناس يلقي في جهنم بعد موته خالداً في العذاب مخلداً لا يخفف عنه ولا ينظر فيعتذر ، ولا يفتر عنه العذاب فيستريح .
- ٤ - جواز لعن المجاهرين بالمعاصي كشراب الخمر والمرايين ، والمتشبهين من الرجال بالنساء ومن النساء بالرجال .

وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

شرح الكلمات :

الإله : المعبود بحق أو بباطل ، والله سبحانه وتعالى هو الإله الحق المعبود بحق .

(١) فإن قيل : ما كل الناس يلعنونهم فالجواب : إما أن يكون من باب تغليب الأكثر على الأقل وإما أن يكون يوم القيامة لقوله تعالى : « ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا » .
 (٢) لكن لا على سبيل التعيين ، وإنما على العموم كل من آكل الربا مثلاً .
 (٣) لم يرد في القرآن لفظ الإله إلا الله سبحانه وتعالى وأما إله بالتنكير فكثير .

وإلهمكم إله واحد : في ذاته وصفاته ، وفي ربوبيته فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون والحياة إلا هو وفي ألوهيته أي في عبادته فلا معبود بحق سواه .
اختلاف الليل والنهار : بوجود أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد بحيث لا يكون النهار دائماً ولا الليل دائماً .

وبث فيها من كل دابة : وفرق في الأرض ونشر فيها من سائر أنواع الدواب .
تصريف الرياح : باختلاف مهاها مرة صبا ومرة دبور ومرة شمالية ومرة غربية أو مرة ملقحة ومرة عقيم .

معنى الآيتين :

لما أوجب الله على العلماء بيان العلم والهدى وحرم كتمانها أخبر أنه الإله الواحد الرحمن الرحيم وأن هذا أول ما على العلماء أن يبينوه للناس وهو توحيده تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته ، ولما سمع بعض المشركين تقرير هذه الحقيقة : وإلهمكم إله واحد قالوا : هل من دليل - يريدون على أنه لا إله إلا الله ^(١) - فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ إلى قوله ﴿ يعقلون ﴾ مشتملة على ست آيات كونية كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي كلها موجبة لعبادته وحده دون من سواه .

الأولى : خلق السموات والأرض وهو خلق عظيم لا يتأتى إلا للقادر الذي لا يعجزه شيء .
الثانية : اختلاف الليل والنهار بتعاقبهما وطول هذا وقصر ذاك .
الثالثة : جريان الفلك - السفن - في البحر على ضخامتها وكبرها وهي تحمل مئات الأطنان من الأرزاق وما ينتفع به الناس في حياتهم .
الرابعة : إنزاله تعالى المطر من السماء لحياة الأرض بالنباتات والزررع بعد جدها وموتها .

(١) جملة لا إله إلا الله أولها كفر وآخرها إيمان ، لأن أولها نفي لكل إله وآخرها إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه .

(٢) جمع لفظ السموات لأنها أجسام متباينة وأفرد لفظ الأرض لأنها نوع واحد من تراب طبقة فوق أخرى .
(٣) في الآية دليل على جواز ركوب البحر للجهاد والحج والتجارة إلا في حالة غلبة الهلاك الطارئ فإنه لا يجوز ، وحديث أم حرام في الموطأ وغيره دليل على الجواز للنساء كالرجال .

(١) الخامسة : تصريف الرياح حارة وباردة ملقحة وغير ملقحة ، شرقية وغربية وشمالية وجنوبية بحسب حاجة الناس وما تطلبه حياتهم .

(٢) السادسة : السحاب المسخر بين السماء والأرض تكوينه وسوقه من بلد إلى آخر ليمطر هنا ولا يمطر هناك حسب إرادة العزيز الحكيم .

ففي هذه الآيات الست أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته وهو لذلك رب العالمين وإله الأولين والآخرين ولا رب غيره ولا إله سواه .
إلا أن الذي يجد هذه الأدلة ويراهما ماثلة في الآيات المذكورة هو العاقل أما من لا عقل له لأنه عطل عقله فلم يستعمله في التفكير والفهم والإدراك ، واستعمل بدل العقل الهوى فإنه أعمى لا يبصر شيئاً وأصم لا يسمع شيئاً، وأحمق لا يعقل شيئاً، والعياذ بالله .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - لا إله إلا الله فلا تصح العبادة لغير الله تعالى ، لأنه لا إله حق إلا هو .
- ٢ - الآيات الكونية في السموات والأرض تثبت وجود الله تعالى رباً وإلهاً موصوفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقصان .
- ٣ - الآيات التنزيلية القرآنية تثبت وجود الله رباً وإلهاً وتثبت النبوة المحمدية وتقرر رسالته
- ٤ - الانتفاع بالآيات مطلقاً - آيات الكتاب أو آيات الكون - خاص بمن يستعملون عقولهم دون أهوائهم .

ﷺ

وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

(١) نهى رسول الله ﷺ عن سبِّ الرياح ، فقد روى ابن ماجه أن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا الرياح فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب ، ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها » .

(٢) سمي السحاب سحاباً لأنه يسحب من موضع إلى آخر أي من بلد إلى بلد آخر .

(٣) في بعض تلبية الرسول ﷺ : « لبيك إله الحق لبيك » .

(٤) الآيات الكونية هي المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان ، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات والآيات التنزيلية هي المنسوبة إلى القرآن المنزل من الله على رسول الله ﷺ .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
 الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
 إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
 وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
 لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
 أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

شرح الكلمات :

- أنداداً : جمع ند وهو المثل والنظير والمراد بالأنداد هنا الشركاء يعبدونها بحبها والتقرب
 إليها بأنواع العبادات كالدعاء والنذر لها والحلف بها .
 التبرؤ : التنصل من الشيء والتباعد عنه لكرهه .
 الذين اتَّبَعُوا : المعبودون والرؤساء المضلون .
 الذين اتَّبَعُوا : المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال .
 الأسباب : جمع سبب وهي لغة الحبل ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين وفي كل ما
 يتوصل به إلى مقصد وغرض خاص .
 كَرَّةٌ : رجعة وعودة إلى الحياة الدنيا .
 الحسرات : جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يحسر صاحبه فيقعده به عن الحركة
 والعمل .

معنى الآيات :

لما تقرر في الآيتين السابقتين بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن إله الناس أي ربهم
 ومعبودهم واحد وهو الله جل جلاله وعظم سلطانه أخبر تعالى أن مع هذا البيان والوضوح

(١) يوجد ناس يتخذون من دون الله آلهة أصناماً ورؤساء يحبونهم كحبهم لله تعالى أي يسوون بين حبهم وحب الله تعالى، والمؤمنون أشد منهم حباً لله تعالى، كما أخبر تعالى أنه لو يرى المشركون عند معابنتهم العذاب يوم القيامة لرأوا أمراً فظيماً يعجز الوصف عنه، ولعلموا أن القوة لله وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ المتبعون وهم الرؤساء الظلمة دعاة الشرك والضلالة من متبوعهم الجهلة المقلدين وعانوا العذاب أمامهم وتقطعت تلك الروابط التي كانت تربط بينهم، وتمنى التابعون العودة إلى الحياة الدنيا لينتقموا من رؤسائهم في الضلالة فيتبرءوا منهم في الدنيا كما تبرءوا هم منهم في الآخرة، وكما أراهم الله تعالى العذاب فعانوه، يريهم أعمالهم القبيحة من الشرك والمعاصي فتعظم حسرتهم ويشد كرمهم ويدخلون بها النار فلا يخرجون منها أبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب حب الله وحب كل ما يحب الله عز وجل بحبه تعالى .
- ٢ - من الشرك الحب مع الله تعالى، ومن التوحيد الحب بحب الله عز وجل .
- ٣ - يوم القيامة تنحل جميع الروابط من صداقة ونسب ولم تبق إلا رابطة الإيثار والأخوة فيه .
- ٤ - تبرؤ رؤساء الشرك والضلال ودعاة الشر والفساد ممن أطاعوهم في الدنيا واتبعوهم على الظلم والشر والفساد، وليس بنافعهم ذلك شيئاً .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا

(١) دون : تكون بمعنى غير وسوى، ولا يطرد، إذ أصلها أنها ظرف مكان نحو جلست دونك، وتكون بمعنى الرديء تقول: هذا التمر دون .

(٢) فالآية الكريمة تعني المشركين عبدة الأوثان ورؤساء أهل الكتاب لقوله يحبونهم وهي عامة في كل من يحب غير الله تعالى من مخلوقاته كحب الله تعالى، إذ الحب إما أن يكون لله والآخر فهو شرك في حب الله تعالى .

(٣) وذلك لأنهم كانوا يدعون الله في الشدة، ويعظمون حرمان الحرم، والأشهر الحرم فلذا هم يحبون الله تعالى ولكن يحبون آلهتهم ورؤساءهم أكثر من حب الله تعالى لجهلهم به سبحانه وتعالى .

(٤) لحديث ابن مسعود في الصحيح : « قلت أي الذنب أعظم يا رسول الله ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك » .

(٥) معابنة العذاب تكون عند الموت وعند العرض والمسألة يوم القيامة .

(٦) للحديث الصحيح : « أحبوا الله لما يغذوكم من النعم، وأحبوني بحب الله » .

(٧) الحب : حبان حب عبادة وهذا لا يكون إلا لله تعالى، وحب غريزة كحب الطعام والشراب وسائر الملاذ، فهذا يجب القصد فيه وعدم الإفراط فقط، وخير الحب ما كان لأجل الله تعالى .

(٨) وشواهد هذا في غير آية من القرآن كقوله تعالى : « تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون » .

(٩) قيل : هذه الآية نزلت في ثقيف، وخزاعة وبني مدلج إذ حرّموا من الأنعام ما حرّموا وعلى كلٍّ فهي عامة في كل من حرّم غير ما حرّم الله تعالى .

خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
 بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ۖ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
 ءَآبَاءَنَا أُولُو كُتُبٍ ءَابَاءُ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
 يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

- الحلال** : ما انحلت عقدة الحظر عنه وهو ما أذن الله تعالى فيه .
- الطيب** : ما كان طاهراً غير نجس ، ولا مستقذر تعافه النفوس .
- خطوات الشيطان** الخطوات جمع خطوة وهي المسافة بين قدمي الماشي والمراد بها هنا مسالك الشيطان وطرقه المفضية بالعبد إلى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم .
- عدو مبين** : عداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبونا آدم وحواء من الجنة وأكثر الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوسواسه وإغوائه .
- السوء** (٢) : كل ما يسوء النفس ويصيبها بالحزن والغم ويدخل فيها سائر الذنوب .
- الفحشاء** (٣) : كل خصلة قبيحة كالزنا واللواط والبخل وسائر المعاصي ذات القبح الشديد .
- ألفينا** : وجدنا .
- معنى الآيات :**

بعد ذلك العرض لأحوال أهل الشرك والمعاصي والنهاية المرة التي انتهوا إليها وهي الخلود في عذاب النار نادى الرب ذو الرحمة الواسعة البشرية جمعاء ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي

- (١) لفظ الفحشاء لم يطلق في القرآن إلا على فاحشة الزنا واللواط اللهم إلا في آية واحدة وهي ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ فإن الفحشاء هنا بمعنى البخل بمنع الزكاة .
- (٢) قيل : السوء مالا حد فيه من الذنوب ، والفحشاء ما فيه حد .
- (٣) أصل الفحشاء : قبح المنظر وعليه قول الشاعر :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

ثم توسع فيه فأصبح يطلق على ما قبح من المعاني .

(٤) أنه وإن كان سبب نزول الآية خاصاً فإن معناها عام ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

الأرض ﴿﴾، وهو عطاؤه وإفضاله، حلالاً طيباً حيث أذن لهم فيه، وأما ما لم يأذن لهم فيه فإنه لا خير لهم في أكله لما فيه من الأذى لأبدانهم وأرواحهم معاً، ثم نهاهم عن اتباع آثار عدوه وعدوهم فإنهم إن اتبعوا خطواته قادهم إلى حيث شقاؤهم وهلاكهم، وأعلمهم وهو ربهم أن الشيطان لا يأمرهم إلا بما يضر أبدانهم وأرواحهم والسوء وهو كل ما يسوء النفس والفحشاء وهي أقبح الأفعال وأردى الأخلاق وأفطع من ذلك أن يأمرهم بأن يكذبوا على الله فيقولوا عليه ما لا يعلمون فيحرمون ويحللون ويشرعون باسم الله، والله في ذلك برىء وهذه قاصمة الظهر والعياذ بالله تعالى، حتى إذا أعرضوا عن إرشاد ربهم واتبعوا خطوات الشيطان عدوهم ففعلوا السوء وارتكبوا الفواحش وحلّلوا وحرّموا وشرّعوا ما لم يأذن به الله ربهم، وقال لهم رسول الله اتبعوا ما أنزل الله قالوا لا، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، ياسبحان الله يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان باطلاً، وضلالاً، أيقلدون^(١) آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من أمور الشرع والدين، ولا يبتدون إلى ما فيه الصلاح والخير.

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١ - وجوب طلب الحلال والاعتصار على العيش منه ولو كان ضيقاً قليلاً.
- ٢ - الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرّمه الله تعالى فلا يستقل العقل بشيء من ذلك.
- ٣ - حرمة اتباع مسالك الشيطان وهي كل معتقد أو قول أو عمل نهى الله تعالى عنه.
- ٤ - وجوب الابتعاد عن كل سوء وفحش لأنها مما يأمر بهما الشيطان.
- ٥ - حرمة تقليد من لا علم له ولا بصيرة في الدين.
- ٦ - جواز اتباع أهل العلم والأخذ بأقوالهم وآرائهم المستقاة من الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

(١) يصح إعراب ﴿حلالاً طيباً﴾ على أنهما حالان من ﴿ما في الأرض﴾ ويصح أن يكون طيباً صفة لحلال كما يصح أن يكون حلالاً مفعولاً لكلوا.

(٢) استدلل بهذه الآية على حرمة التقليد في العقائد مطلقاً أما في الفروع فهو أهون، والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل ولا حجة.

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ



شرح الكلمات :

- مثل : المثل الصفة والحال .
ينعق : يصيح والاسم النعيق^(١) وهو الصياح ورفع الصوت .
الدعاء : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يارب . يارب .
النداء^(٢) : طلب البعيد كأذان الصلاة .
الصم : جمع أصم فاقد حاسة السمع فهو لا يسمع .
البكم : جمع أبكم فاقد حاسة النطق فهو لا ينطق .
لا يعقلون : لا يدركون معنى الكلام ولا يميزون بين الأشياء لتعطل آلة الإدراك عندهم وهي العقل .

معنى الآية الكريمة :

لما نددت الآية قبل هذه (١٧٠) بالتقليد والمقلدين الذي يعطلون حواسهم ومداركهم ويفعلون ما يقول لهم رؤساؤهم ويطبقون ما يأمرونهم به مسلمين به لا يعرفون لم فعلوا ولم تركوا جاءت هذه الآية بصورة عجيبة ومثل غريب للذين يعطلون قواهم العقلية ويكتفون بالتبعية في كل شيء حتى أصبحوا كالشياه من الغنم يسوقها راعيها حيث شاء فإذا نعق بها داعياً لها أجابته ولو كان دعاؤه إياها لذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجابته وهي لا تدري لم نوديت إذ هي لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألفته بالتقليد الطويل والاتباع بدون دليل .

(١) النعيق : دعاء الراعي ، وتصويته بالغنم ، وعليه قول الشاعر :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما متك نفسك في الخلاء ضلالا

(٢) وفي الحديث : «إِنْ بَلَا أُنْدَى صَوْتًا» .

(٣) وهناك معنى آخر للآية قاله الطبري وهو أن المراد مثل الكافرين في دعائهم ألهمهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد فهو لا يسمع من أجل البعد فليس للناق من ذلك إلا النداء الذي يتعبه وينصبه وما فسرناه به أصح وأمثل .

فقال تعالى: ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾ في جودهم وتقليد ابائهم في الشرك والضلال كمثل غَنَمٍ^(١) يَنْعَقُ بِهَا رَاعِيهَا الْأَمِينُ عَلَيْهَا فَهُوَ إِذَا صَاحَ فِيهَا دَاعِيًا لَهَا أَوْ مَنَادِيًا لَهَا سَمِعَتِ الصَّوْتَ وَأَجَابَتْ وَلَكِنْ لَا تَدْرِي لِمَاذَا دَعَيْتَ وَلَا لِمَاذَا نَادَيْتَ لِفَقْدِهَا الْعَقْلَ . وهذا المثل صالح لكل من يدعو أهل الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية فهو مع من يدعوهم من الكفرة والمقلدين والضلال الجامدين كمثل الذي ينطق إلخ

هداية الآية

من هداية الآية الكريمة:

- ١ - تسلية الدعاة إلى الله تعالى عندما يواجهون المقلدة من أهل الشرك والضلال .
- ٢ - حرمة التقليد لأهل الأهواء والبدع .
- ٣ - وجوب طلب العلم والمعرفة حتى لا يفعل المؤمن ولا يترك إلا على علم بما فعل وبما ترك .
- ٤ - لا يتابع إلا أهل العلم والبصيرة في الدين ، لأن اتباع الجهال يعتبر تقليداً .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

(١) يقال: نعق الغراب، ونفق بالغين ونعب، نعق إذا صوت من غير أن يمد عنقه ويحركها، ونفق بمعناه فإذا مد عنقه وحركها. ثم صاح قيل فيه نعب.

(٢) أخرج مسلم قول النبي ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم، وقال: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . . الآية . ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!» .

(٣) الميت والميتة يتسكين الباء هو ما مات قطعاً وانتهت حياته، والميتة بتشديد الباء هو ما لم يموت بعد ولكنه آبل أمره إلى الموت، هكذا يرى أرباب اللغة واستشهدوا بقول الله تعالى لرسوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وهذا دليل إطلاق ميت بالتشديد على من لم يموت بعد كما استشهدوا بقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

شرح الكلمات :

- الطيبات : جمع طيب وهو الحلال .
 واشكروا الله : اعترفوا بنعم الله عليكم واحمدوه عليها واصرفوها في مرضاته .
 إن كنتم إياه تعبدون : إن كنتم مطيعين لله منقادين لأمره ونهيه .
 حرم : حظر ومنع .
 الميتة : ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون ذكاة .
 الدم : المسفوح السائل ، لا المختلط باللحم .
 الخنزير : حيوان خبيث معروف بأكل العذرة ولا يغار على أنثاه .
 وما أهل به لغير الله : الإهلال : رفع الصوت باسم من تذبح له من الآلهة .
 اضطرب : ألجىء وأكره بحكم الضرر الذي لحقه من الجوع أو الضرب .
 غير باغ ولا عاد : الباغي الظالم الطالب لما لا يحل له والعادي المعتدي المجاوز لما له إلى ما ليس له .
 الإثم : أثر المعصية على النفس بالظلمة والتدسية .

معنى الآيتين الكريمتين

بعد أن بينت الآية السابقة (١٧١) حال الكفرة المقلدة لآبائهم في الشرك وتحريم ما أحل الله من الأنعام حيث سبوا للآلهة السوائب، وحوا لها الحامات ، ويحروا لها البحائر، نادى الجبار عز وجل عباده المؤمنين : يا أيها الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ربكم ما أنعم به عليكم من حلالات اللحوم ، ولا تحرموها كما حرمها مقلدة المشركين ، فإنه تعالى لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغيره تعالى . ومع هذا من ألجأته الضرورة فخاف على نفسه الهلاك فأكل فلا إثم عليه على شرط أن لا يكون في سفره باغياً على المسلمين ولا عادياً بقطع الطريق عليهم وذلك لأن الله غفور لأوليائه التائبين إليه رحيم بهم لا يتركهم في ضيق ولا حرج .

(١) لما أباح تعالى لعباده المؤمنين الحلال الطيب وهو كثير لم يعدده لكثرة ، وعدد الحرام لقلته فذكر الميتة والدم الخ كما فعل النبي ﷺ لما سئل عما يلبس المحرم فعدل عن بيان المباح لكثرة وذكر المحرم لقلته فقال : لا يلبس القميص ولا السراويل . . الخ . وهذا من الإيجاز البالغ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - النذب إلى أكل الطيبات من رزق الله تعالى في غير إسراف .
- ٢ - وجوب شكر الله تعالى بالاعتراف بالنعمة له وحمده عليها وعدم صرفها في معاصيه .
- ٣ - حرمة أكل الميتة ، والدم المسفوح ، بلحم الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى .^(١)
- ٤ - جواز الأكل من المذكورات عند الضرورة وهي خوف الهلاك مع مراعاة الاستثناء في الآية .
- ٥ - أذن النبي ﷺ في أكل السمك والجراد وهو من الميتة ، وحرّم أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور .^(٢)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ شِمًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

(١) هذه أصول المحرمات الأربعة ، وأما المختنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فهي متفرعة عن تلك الأصول وهي مذكورة في أول المائدة .

(٢) مَنْ وجد طعاماً لا تقطع فيه اليد يأكله ولا يأكل من الميتة لأذن النبي ﷺ للمحتاج أن يأكل من الثمر المعلق فقال : «من أصاب منه من ذي حاجة بغية غير متخذ خبنة فلا شيء عليه» وقوله منه : أي من الثمر المعلق ، إذ سئل عنه فقال : . الخ .

(٣) للحديث الصحيح أحل لنا ميتتان : الحوت والجراد ، ودمان : الكبد والطحال .

(٤) لحديث الصحيح : «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور» .

(٥) إشارة إلى الحكم عليهم بأنهم من أهل الخلود في النار ، كما هو صالح أن يكون إشارة إلى ما تقدم من الوعيد ، والمعنى متقارب .

شرح الكلمات :

يكتُمون : يحقدون ويخفون .
 ما أنزل الله من الكتاب : الكتاب التوراة وما أنزل الله فيه صفة النبي محمد ﷺ والأمر بالإيمان به .

لا يكلمهم الله^(١) : لسخطه عليهم ولعنه لهم .
 ولا يزيكهم : لا يطهرهم من ذنوبهم لعدم رضاه عنهم .
 الضلالة : العماية المانعة من الهداية إلى المطلوب .
 الشقاق : التنازع والعداء حتى يكون صاحبه في شق ومنازعه في آخر بعيد .
 يصعب انهاؤه والوفاق بعده .

معنى الآيات :

هذه الآيات الثلاث نزلت قطعاً في أحبار أهل الكتاب تندد بصنيعهم وترتهم جزاء كتمانهم الحق وبيعهم العلم الذي أخذ عليهم أن يبينوه بعرض خسيس من الدنيا يحقدون أمر النبي ﷺ ودينه إرضاء للعوام حتى لا يقطعوا هداياهم ومساعدتهم المالية، وحتى يبقى لهم السلطان الروحي عليهم فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمناً قليلاً ﴾ وأخبر تعالى أن ما يأكلونه من رشوة في بطونهم إنما هو النار إذ هو مسببها ومع النار غضب الجبار فلا يكلمهم ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم .

كما أخبر تعالى عنهم في الآية (١٧٥) أنهم وهم البعداء اشتروا الضلالة بالهدى أي الكفر بالآيمان، والعذاب بالمغفرة أي النار بالجنة، فما أجزأ هؤلاء على معاصي الله، وعلى التقحم في النار فلذا قال تعالى فما أصبرهم^(٢) على النار . وكل هذا الذي تم مما توعده الله به هؤلاء

(١) لا يكلمهم كلام تشريف وتكريم كما يكلم أولياءه الصالحين . أمّا ما كان من كلام إهانة وتحقير نحو: ﴿ اخصأوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يدخل في هذا النفي . والله أعلم .

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود، كانوا يصيبون من سفلتهم هدايا، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم غيروا صفته وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج آخر الزمان حتى لا يتبعوا محمداً ﷺ .

(٣) هو الرشوة التي يأخذها القاضي والمفتي والعياذ بالله .

(٤) هذا تعجيب للمؤمنين من حالهم .

الكفرة، لأن الله نَزَلَ الكتاب بالحق مبيناً فيه سبيل الهداية وما يحقق لسالكيه من النعيم المقيم ومبيناً سبيل الغواية وما يفضي بسالكيه إلى غضب الله وأليم عذابه.

وفي الآية الأخيرة (١٧٦) أخبر تعالى أن الذين اختلفوا في الكتاب التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى لفي عدااء واختلاف بينهم بعيد، وصدق الله فما زال اليهود والنصارى مختلفين متعادين إلى اليوم، ثمرة اختلافهم في الحق الذي أنزله الله وأمرهم بالأخذ به فتركوه وأخذوا بالباطل فأنمر لهم الشقاق البعيد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة كتمان الحق^(١)، لا سيما إذا كان للحصول على منافع دنيوية مالا أو رياسة.
- ٢ - تحذير علماء الإسلام من سلوك مسلك علماء أهل الكتاب بكتمانهم الحق وافتاء الناس بالباطل للحصول على منافع مادية معينة.
- ٣ - التحذير من الاختلاف في القرآن الكريم لما يفضي إليه من العدااء والشقاق البعيد بين المسلمين.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

(١) ويدخل في هذا مشركو العرب فقد اختلفوا في القرآن فقالوا: شعر، وقالوا سحر، وقالوا: أساطير.
(٢) يدخل فيه كتمان الشهادة الذي حرّمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمَ قَلْبًا﴾.
(٣) يشهد له حديث «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار».

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

شرح الكلمات :

البر : اسم جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ .

ولكن البر من آمن بالله : البر الحق برُّ من آمن بالله واليوم الآخر إلى آخر الصفات .

وأتى المال على حبه : أعطى المال حيث تعين اعطاؤه مع شدة حبه له فآثر ما يحب الله على ما يحب

ذوي القربى : أصحاب القربابات ، الأقرب فالأقرب .

اليتامى : جمع يتيم وهو من مات والده وهو لم يبلغ الحنث .

المساكين : جمع مسكين ، فقير معدم أسكنته الحاجة فلم يقدر على التصرف .

ابن السبيل : المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله .

السائلين : جمع سائل : الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن نفسه .

في الرقاب : الرقاب جمع رقبة والإنفاق منها معناه في عتقها .

البأساء والضراء : البأساء : شدة البؤس من الفقر ، والضراء : شدة الضر أو المرض .

وحين البأس (١) : عند القتال واشتداده في سبيل الله تعالى .

أولئك الذين صدقوا : أي في دعواهم الايمان والبر والبرور

معنى الآية الكريمة :

في الآيات الثلاث السابقة لهذه الآية ندد الله تبارك وتعالى بأخبار أهل الكتاب وذكر ما

توعدهم به من غضبه وأليم عقابه يوم القيامة كما تضمن ذلك تخويف علماء الإسلام من أن

(١) نصب : «والصابرين» على المدح إذ هو معطوف على «والموفون» وهو مرفوع ، ونظيره قوله تعالى : «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة» والنصب على المدح شائع في كلام العرب وهو إشارة وتنبية على فضيلة الصبر ومزينة وقرىء «والصابرون» بالرفع على الأصل .

(٢) فيه دليل على أن في المال حقا غير الزكاة وشاهده قوله ﷺ «إن في المال حقا سوى الزكاة» . رواه ابن ماجه والترمذي .

(٣) ويصح أن يكون على حب الله لا على شيء آخر ، أي أعطى المال من أعطاهم لأجل حب الله عز وجل .

(٤) ورد في فضل الصدق قوله ﷺ «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا» . في الصحيح .

يكتسبوا العلم على الناس طلباً لحظوظ الدنيا الفانية، وفي هذه الآية رد الله تعالى على أهل الكتاب أيضاً تبجحهم بالقبلة وأدعاءهم الإيثار والكمال فيه لمجرد أنهم يصلون إلى قبلتهم بيت المقدس بالمغرب أو طلوع الشمس بالشرق إذ الأولى قبلة اليهود والثانية قبلة النصارى فقال تعالى: ^(١) ليس البر كل البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، وفي هذا تنبيه عظيم للمسلم الذي يقصر إسلامه على الصلاة ولا يبالي بعدها ما ترك من واجبات وما ارتكب من منهيات، ^(٢) بين تعالى لهم البر الحق في دعوى الإيثار والإسلام والاحسان فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ذا البر أو البر بحق هو ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ وذكر أركان الإيمان إلا السادس منها (القضاء والقدر)، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ وهما من أعظم أركان الإسلام، وأنفق المال في سبيل الله مع حبه له وضئته به ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فهو ينفق ماله على من لا يرجو منه جزاء ولا مدحاً ولا ثناء كالمساكين وأبناء السبيل والسائلين من ذوي الخصاصة والمسغبة، وفي تحرير الأرقاء وفكك الأسرى وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أعظم قواعد الإسلام، وذكر من صفاتهم الوفاء بالعهد والصبر في أصعب الظروف وأشد الأحوال، فقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وهذا هو مبدأ الإحسان وهو مراقبة الله تعالى والنظر إليه وهو يزاول عبادته، ومن هنا قرر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في دعوى الإيثار والإسلام وهم المتقون بحق غضب الله وأليم عذابه، جعلنا الله منهم، فقال تعالى مشيراً لهم بلام البعد وكان الخطاب لبعد مكانتهم وارتفاع درجاتهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ - الاكتفاء ببعض أمور الدين دون القيام ببعض لا يعتبر صاحبه مؤمناً ولا ناجياً. ^(٤)

(١) قرأ حفص: ﴿الْبِرَّ﴾ بالنصب على أنه خبر ليس مقدماً والاسم أن وما دخلت عليه والتقدير: تولية وجوهكم، وقرأ غيره ﴿الْبِرَّ﴾ مرفوعاً على أنه الاسم والخبر: أن وما دخلت عليه.

(٢) وقيل هو على حذف مضاف أي: ولكن البرير من آمن على حد «وَأَسْأَلَ الْقُرْيَةَ» أي أهل القرية، وما أولناه به أقرب وأيسر.

(٣) هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الخ آية عظيمة تضمنت قواعد الشرع وأمهاة الأحكام لم تتضمن آية غيرها ما تضمنته هي، إذ تضمنت أركان الإيمان وقاعدتي الإسلام الصلاة والزكاة، والجهد والصبر، والوفاء، والتقوى والانفاق العام والخاص.

(٤) شاهده من القرآن في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ الآية.

- ٢ - أركان الإيمان هي المذكورة في هذه الآية ، والمراد بالكتاب ^(١) في الآية الكتب .
 ٣ - بيان وجوه الاتفاق المرجو ثوابه يوم القيامة وهو ذوي القربى إلخ . . .
 ٤ - بيان عظم شأن الصلاة والزكاة .
 ٥ - وجوب الوفاء بالعهود .
 ٦ - وجوب الصبر وخاصة عند القتال .
 ٧ - التقوى هي ملاك الأمر ، والغاية التي ما بعدها للعاملين غاية .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
 عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى
 بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِيبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ
 إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَى
 بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ
 يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

شرح الكلمات :

كتب عليكم القصاص ^(٣) : كتب فرض والقصاص : إذا لم يرض ولي الدم بالدية ولم يعف .

في القتل : الفاء سببية أي بسبب القتل والقتل جمع قتيل وهو الذي أزهقت روحه فمات بأي آلة .

(١) أركان الإيمان ستة جاءت في حديث جبريل الذي رواه مسلم وهي : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، ولم يذكر القدر في الآية لأن الكتاب دال عليه .

(٢) إن ال : التي في الكتاب للجنس ، والجنس تحته أفراد كالإنسان أفراده كثيرون ، والكتب المطلوب الإيمان بها هي كل ما أنزل من كتاب وأعظمها القرآن ، والتوراة والإنجيل والزبور ، وصحف إبراهيم عليه السلام .

(٣) قبل كتب هنا : هو إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء ولا منافاة بين ما شرع وفرض علينا في القرآن والسنة ، وما كتب في كتاب المقادير إذ الكل سبق به علم الله وأراده فكان كما أراد .

(٤) القصاص : مأخوذ من قص الأثر إذا تبعه ومنه القاص لأنه يتبع الأخبار والأثار والقاتل كأنه سلك طريقاً فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك .

الحر : الحر خلاف العبد والعبد هو الرقيق المملوك.^(١)
فمن عفى له من أخيه شيء : فمن تنازل له ولي الدم عن القود إلى الدية أو العفو.
فاتباع بمعروف : فالواجب أن تكون مطالبة الدية بالمعروف بالرفق واللين.
وأداء إليه بإحسان : وأن يكون أداء الدية بإحسان خالياً من المماطلة والنقص.
ذلك تخفيف من ربكم : أي ذلك الحكم العادل الرحيم وهو جواز أخذ الدية بدلاً من
 القصاص تخفيف عنكم من ربكم إذ كان في شرع من قبلكم
 القصاص فقط أو الدية فقط، وأنتم تخيرون بين العفو والدية
 والقصاص.

فمن اعتدى بعد ذلك : يريد من أخذ الدية ثم قتل فإنه يتعين قتله لا غير.^(٢)
القصاص : المساواة في القتل والجراحات وفي آلة القتل أيضاً.
حياة : إبقاء شامل عميم، إذ من يريد أن يقتل يذكر أنه سيقتل
 فيترك القتل فيحيا، ويحيا من أراد قتله، ويحيا بحياتها خلق
 كثير، وعدد كبير.

أولى الألباب : أصحاب العقول الراجحة، واحد الألباب : لب وهو في
 الانسان العقل.
لعلكم تتقون : ليعدكم بهذا التشريع الحكيم لاتقاء ما يضر ولا يسر في
 الدنيا والآخرة.

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية نزلت في حين من العرب كان أحد الحيين يرى أنه أشرف من الآخر فلذا
 يقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة تطاولا وكبرياء فحدث بين الحيين قتل وهم في الاسلام
 فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية تبطل ذل^(٣) الجاهلية وتقرر مبدأ العدل

(١) ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد مخالفاً للجمهور لعموم آية المائدة : (النفس بالنفس).
 (٢) اختلف فيمن قتل بعد أخذ الدية فقال مالك والشافعي وكثير من العلماء هو كمن قتل ابتداءً إن شاء الولي قتله وإن شاء
 عفا عنه وعذابه في الآخرة، وقال آخرون عذابه أن يقتل ولا يمكن الحاكم الولي من العفو. وقال عمر بن عبدالعزيز أمره إلى
 الإمام.

(٣) دخل الجاهلية : ثار الجاهلية وعاداتها قال رسول الله ﷺ : «إن من أعتى الناس على الله يوم القيامة ثلاثة، رجل قتل غير
 قتله، ورجل قتل في الحرم، ورجل أخذ بذحول الجاهلية».

(١) والمساواة في الاسلام فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ﴾ ، فلا يقتل بالرجل رجلاً ، ولا بالمرأة رجلاً ولا امرأتان ولا بالعبد حر ولا عبدان .

(٢) فمن تنازل له أخوه وهو ولي الدم عن القصاص إلى الدية أو العفو مطلقاً فليتبع ذلك ولا يقل لا أقبل إلا القصاص بل عليه أن يقبل ما عفا عنه أخوه له من قصاص أو دية أو عفو، وليطلب ولي الدم الدية بالرفق والأدب، وليؤد القاتل الدية بإحسان بحيث لا يماطل ولا ينقص منه شيئاً .

ثم ذكر تعالى منته على المسلمين حيث وسع عليهم في هذه المسألة فجعل ولي الدم مخيراً بين ثلاثة العفو أو الدية أو القود (القصاص) في حين أن اليهود كان مفروضاً عليهم القصاص فقط، والنصارى الدية فقط وأخبر تعالى بحكم أخير في هذه القضية وهو أن من أخذ الدية وعفا عن القتل ثم تراجع وقتل فقال: ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ . واختلف في هذا العذاب الأليم هل هو عذاب الدنيا بالقتل، أو هو عذاب الآخرة، ومن هنا قال مالك والشافعي حكم هذا المعتدي كحكم القاتل ابتداءً إن عفي عنه قبل، وإن طولب بالقود أو الدية أعطى، وقال آخرون ترد منه الدية ويترك لأمر الله، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله يرد أمره إلى الإمام يحكم فيه بما يحقق المصلحة العامة ثم أخبر تعالى: أن في القصاص الذي شرع لنا وكتبه علينا مع التخفيف حياة عظيمة لما فيه من الكف عن إزهاق الأرواح وسفك الدماء فقال تعالى: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

(٤)

١ - حكم القصاص في الإسلام وهو المساواة والمماثلة فيقتل الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

(١) الجمهور على أن الجماعة تقتل بالواحد، وذلك إذا باشروا القتل فقتلوا لقول عمر رضي الله عنه في قتل غلام قتله سبعة فقتلهم وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم ولم يخالفه أحد فكان إجماعاً .

(٢) ذهب بعض إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة وحالفهم الجمهور لأية المائدة: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ الآية .

(٣) أخوة: أي في الإسلام إذ لا يقتل المسلم بالذمي لقول الرسول ﷺ: « لا يقتل مسلم بكافر » وهو مذهب الجمهور وذلك لعدم تكافؤ الدمين .

(٤) اختلف في هل يقتل الرجل بولده فذهب الجمهور إلى عدم قتله به وذهب مالك إلى أنه إذا أضجعه وقتله يقتل به وإذا رماه بحجر أو بعضاً أو بأي سبب فيه شبهة أنه لم يرد قتله فلا يقتل به لحديث « إدراؤا الحدود بالشبهات » .

والمرأة بالرجل والرجل بالمرأة ويقتل القاتل بما قُتِلَ به ماثلة لحديث: «المرء مقتول بما قتل به». ولما كان العبد مقوماً بالمال فإنه لا يقتل به الحر بل يدفع إلى سيده مال. وبهذا حكم الصحابة والتابعون وعليه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وخالف أبو حنيفة فرأى القود فيقتل الحر بالعبد أخذاً بظاهر هذه الآية.

٢ - محاسن الشرع الإسلامي ومافيه من اليسر والرحمة حيث أجاز العفو والدية بدل القصاص.

٣ - بلاغة القرآن الكريم، إذ كان 'حكماء العرب في الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل، فقال القرآن: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾. فلم يذكر لفظ القتل بالمرّة فنفاه لفظاً وواقعاً.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ^(١)
إِذَا أَحْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ^(٢) أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْتَقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾
فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوَصَّ جَنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات :

كُتِبَ : فرض وأُثِبَ .

خَيْرًا : مالاً نقداً أو عرضاً أو عقاراً .

الوصية : الوصية ما يوصى به من مال وغيره .

(١) اختلف في أخذ الدية من قاتل العمدة فقال الجمهور: وليّ الدم يخير بين أخذ الدية والقصاص ولا خيار للقاتل، فلو قال: اقتصوا مني ليس له ذلك بل هو لوليّ الدم لأنه مخير بين ثلاثة.

(٢) هذه الآية: «كتب عليكم» الخ تسمى آية الوصية وذكر الفعل والوصية مؤنثة لأحد أمرين الأول: الفصل بين الفعل والفاعل، والثاني: مالا فرج له يذكر ويؤنث.

(٣) المراد من الموت هنا: أسبابه، إذ العرب إذا احضر السبب كتبت به عن المسبب، قال جرير في مهاجته الفرزدق:

أنا الموت الذي حدثت عنه فليس لهارب مني نجاء

فكنى بنفسه عن الموت، إذ هو سبب مجيئه في نظره وزعمه.

المعروف : ما تعارف عليه الناس كثيراً أو قليلاً بحيث لا يزيد على الثلث .
التبديل : التغيير للشيء بآخر .
جنفاً أو إثماً : الجنف : الميل عن الحق خطأً ، والإثم تعمد الخروج عن الحق والعدل .
معنى الآيات :

بمناسبة ذكر آية القصاص وفيها أن القاتل عرضة للقتل والمفروض فيه أن يوصي في ماله قبل قتله ، ذكر تعالى آية الوصية هنا فقال تعالى : كتب عليكم أيها المسلمون إذا حضر أحدكم الموت إن ترك مالا^(١) الوصية أي الإيصال للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بآية المواريث^(٢) ، ويقول رسول الله ﷺ « فلا وصية لوارث »^(٣) ونسخ الوجوب وبقي الاستحباب ولكن لغير الوالدين والأقربين الوارثين إلا أن يميز ذلك الورثة وأن تكون الوصية ثلثاً فأقل فإن زادت وأجازها الورثة جازت لحديث ابن عباس عند الدارقطني لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة ، ودليل استحباب الوصية حديث سعد في الصحيح حيث أذن له الرسول في الوصية بالثلث ، وقد تكون الوصية واجبة على المسلم وذلك إن ترك ديناً لازمة ، وحقوقاً واجبة في ذمته فيجب أن يوصي بقضائهما واقتضائهما بعد موته لحديث ابن عمر في الصحيح « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه^(٤) يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » ، هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨٠) وأما الآية الثانية (١٨١) فيقول تعالى لعباده المؤمنين فمن بدل إيصال مؤمن أوصى به بأن زاد فيه أو نقص أو غيره أو بدل نوعاً بآخر فلا إثم على الموصي ولكن الإثم على من بدل وغير ، وختم هذا الحكم بقوله أن الله سميع عليم تهديداً ووعيداً لمن يقدم على تغيير الوصايا لغرض فاسد وهوى سيئ وفي الآية الأخيرة (١٨٢) أخبر تعالى أن من خاف^(٥) من موصٍ جنفاً أو ميلاً عن الحق والعدل فجار في وصيته بدون تعمد الجور ولكن خطأً أو خاف إثماً على الموصى حيث جار

(١) « إن ترك خيراً » : هذا شرط وجوابه الوصية إلا أن الشائع أن جواب الشرط يكون مقروناً بالفاء وسقطت هنا جوازا كما في قول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاًن

أي فالله يشكرها .

(٢) آية المواريث في النساء وهي : « يوصيكم الله في أولادكم . . . » إلى آخر الآيات إلى حليم .

(٣) نص الحديث : « إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح الإسناد .

(٤) هي قوله تعالى : « فمن خاف^(٥) الخ . . . » والخطاب لسائر المسلمين ، والإجماع على أن للموصى أن يغير في وصيته ويرجع فيما شاء منها إلا ما كان من تدبير العبد فإنه لا يرجع فيه .

(٥) الخوف هنا : بمعنى الظن والتوقع ، وقرئ موصٍ ، من وصى المضاعف ، أما موصٍ فهو من أوصى فهو موصٍ .

وتعدى على علم في وصيته فأصلح بينهم أي بين الموصي والموصى لهم فلا إثم عليه في إصلاح الخطأ وتصويب الخطأ والغلط، وختم هذا الحكم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعداً بالمغفرة والرحمة لمن أخطأ غير عامد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - نسخ الوصية للوارثين مطلقاً إلا بإجازة الورثة.^(١)
- ٢ - استحباب الوصية بالمال لمن ترك مالا كثيراً يوصي به في وجوه البر والخير.
- ٣ - تأكيد الوصية حضر الموت أو لم يحضر لمن له أو عليه حقوق خشية أن يموت فتضيع الحقوق فيأثم بإضاعتها.
- ٤ - حرمة تبديل الوصية وتغييرها إلى غير الصالح.^(٥)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات :

كُتِبَ : فرض وأثبت .

(١) مَنْ أوصى بما لا يجوز الانتفاع به أو تناوله واستعماله كمن أوصى بخمر أو بناء قبة على ميت أو إحياء بدعة مولد ونحوه فإنه يجوز تبديله بما هو جائز ولا يصح إمضاؤه .

(٢) للحديث الصحيح : « فلا وصية لوارث » .

(٣) لحديث سعد في الصحيح .

(٤) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح .

يجوز تبديل الوصية إذا كان فيها جور أو محرم لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ .

: لغة الامساك والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس^(١).

أياماً معدودات : تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً بحسب شهر رمضان.

فعدة من أيام آخر : فعلى من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام آخر بعدد الأيام التي أفطر فيها.

يطبقونه : أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجى برؤه.

فدية طعام مسكين : قالوا وجب على من أفطر لعذر مما ذكر أن يطعم على كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليه.

فمن تطوع خيراً : أي زاد على المدين أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له.

وأن تصوموا خير لكم : الصيام على من يطيقه ولو بمشقة خير من الافطار مع الطعام. معنى الآيتين :

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأصبحت دار إسلام أخذ التشريع ينزل ويتوالى ففي الآيات السابقة كان حكم القصاص والوصية ومراقبة الله في ذلك، وكان من أعظم مايكون في المؤمن من ملكة التقوى الصيام فأنزل الله تعالى فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة فناداهم بعنوان الايمان يا أيها الذين آمنوا وأعلمهم أنه كتب عليهم الصيام كما كتبه على الذين من قبلهم من الأمم السابقة فقال: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...﴾ وعلل ذلك بقوله: لعلكم تتقون أي ليعدكم به للتقوى التي هي امثال الأوامر واجتناب النواهي، لما في الصيام من مراقبة الله تعالى، وقوله: ﴿أياماً معدودات﴾ ذكره ليهون به عليهم كلفة الصوم ومشقته، إذ لم يجعله شهوراً ولا أعواماً. وزاد في التخفيف أن أذن للمريض والمسافر أن يفطر ويقضي بعد الصحة أو العودة من السفر فقال لهم: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر﴾. كما أن غير المريض والمسافر إذا

(١) أي بنية امتثال أمر الله تعالى به أو بنية التقرب إليه عز وجل.

(٢) هل الواجب مد أو مدان خلاف، فمن الفقهاء من يرى مدّين ومنهم من يرى مدّاً واحداً والمدّ الحفنة بحفنة الرجل المعتدل بين القصر والطول.

(٣) أي في حالة سفر فلذا فلا ينبغي لمن عزم على السفر أن يفطر حتى يغادر بلده المقيم به شأن الصيام كشأن الصلاة فلا يقصر حتى يغادر مباني البلد.

(٤) أي فالواجب صيام عدة من أيام آخر.

كان يطبق الصيام بمشقة وكلفة شديدة له أن يفطر ويطعم على كل يوم مسكيناً وأعلمهم أن الصيام في هذه الحال خير. ثم نسخ هذا الحكم الأخير بقوله في الآية الآتية: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ يريد: تعلمون فوائد الصوم الدنيوية والأخروية وهي كثيرة أجلها مغفرة الذنوب وذهاب الأمراض.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - فرضية الصيام وهو شهر رمضان.
- ٢ - الصيام يربي ملكة التقوى في المؤمن.
- ٣ - الصيام يغفر الذنوب لحديث: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».
- ٤ - رخصة الإفطار للمريض والمسافر.^(١)
- ٥ - المرأة الحامل أو المرضع دل قوله وعلى الذين يطبقونه أنه يجوز لهما الإفطار مع القضاء وكذا الشيخ الكبير فإنه يفطر ولا يقضي والمريض مرضاً لا يرجى برؤه كذلك. إلا أن عليهما أن يطعما عن كل يوم مسكيناً بإعطائه حفتي طعام كما أن المرأة الحامل والمرضع إذا خافت على حملها أو طفلها أو على نفسها أن عليها أن تطعم مع كل صوم تصومه قضاء مسكيناً.
- ٦ - في الصيام فوائد دينية واجتماعية عظيمة أشير إليها بلفظ إن كنتم تعلمون.

من هذه الفوائد:

- ١ - يعود الصائم الخشية من الله تعالى في السر والعلن.
- ٢ - كسر حدة الشهوة ولذا أرشد العازب^(٢) إلى الصوم.
- ٣ - يربي الشفقة والرحمة في النفس.
- ٤ - فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء والأشراف والأوضاع.^(٣)

(١) المريض له حالتان. الأولى: أن يكون مرضه شديداً فهذا يجب عليه أن يفطر والثانية: أن يكون مرضه غير شديد فيستحب له الفطر.

(٢) لحديث: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي خضاء».

(٣) الأشراف جمع شريف: والأوضاع جمع وضع وهو الدنيء.

٥ - تعويد الأمة النظام والوحدة والوثام .

٦ - يذهب المواد المترسبة في البدن وبذلك تتحسن ^(١) صحة الصائم .

^(٢)
شَهْرُ

رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ^(٣) وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

شرح الكلمات :

شهر رمضان

: هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية، ولفظ الشهر مأخوذ من الشهرة، ورمضان مأخوذ من رمض الصائم إذا حرّ جوفه من العطش. ^(٤)

الذي أنزل فيه القرآن

: هذه آية فضله على غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك في ليلة القدر منه لآية ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ ﴾ وآية ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل نجماً بعد نجم، وابتدىء نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضاً .

(١) لحديث: «صوموا تصحوا، وسافروا تغنموا» .

(٢) قرئ (شهر) بالنصب فيكون بدلاً من قوله: ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ وقرئ بالرفع فيكون مبتدأ والخبر، فمن شهد منكم الشهر . وقد يكون المبتدأ محذوفاً تقديره هي أي : الأيام المعدودات .

(٣) قوله ﷺ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» أوضح طريق الصوم والإفطار وبه العمل والحمد لله .

(٤) والرمضاء : شدة الحرّ، ويشهد لذلك حديث مسلم : «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال» أي اشتد الحجر في الأرض فلم يبقَ الفصيل على الوقوف على الأرض بأخفافه فيبرك .

- هدى للناس : هادياً للناس إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين .
- وبيئات من الهدى والفرقان : البيئات جمع بينة والهدى الارشاد، والمراد أن القرآن نزل هادياً للناس ومبيناً لهم سبيل الهدى موضحاً طريق الفوز والنجاة فارقاً لهم بين الحق والباطل في كل شؤون الحياة .
- (١) شهد الشهر : حضر الإعلان عن رؤيته .
- فعدة من أيام آخر : فعليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها مريضاً أو مسافراً .
- ولتكمّلوا العدة : وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً .
- ولتكبروا الله على ما هداكم : وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلى العودة من صلاة العيد والتكبير مشروع وفيه أجر كبير، وصفته المشهورة
- الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد .
- ولعلكم تشكرون : فرض عليكم الصوم وندبكم إلى التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين لله تعالى على نعمه لأن الشكر هو الطاعة .

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر تعالى أنه كتب على أمة الإسلام الصيام في الآية السابقة وأنه أيام معدودات بين في هذه الآية أن المراد من الأيام المعدودات أيام شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هادياً وموضحاً طرق الهداية، وفارقاً به بين الحق والباطل، فقال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر﴾ يريد شهر رمضان ومعنى شهد كان حاضراً غير مسافر لما أعلن عن رؤية هلال رمضان، فليصمه على سبيل الوجوب إن كان مكلفاً. ثم ذكر عذر المرض والسفر، وأن على من أفطر بهما قضاء ما

(١) اختلف في قبول شهادة الواحد في هلال رمضان، والذي عليه الأكثر وهو الأحوط للدين أن الواحد إذا كان عدلاً لا تقبل شهادته، هذا في الصيام أما في الإفطار وهو رؤية هلال شوال فلا بد من شاهدين اثنين .

(٢) إذا أسلم الكافر ليلاً وبلغ الصبي وجب عليهما الصيام من الغد، أما إذا أسلم الكافر وبلغ الغلام في نهار رمضان فإنه يستحب لهما الإمساك ولا يجب .

(٣) يشهد له قوله تعالى : ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح وهو العمل قال الشاعر : أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب

(٤) يجمع رمضان على رمضانات، وأرمضاء ويجوز أن يقال شهر رمضان ورمضان بدون شهر لحديث : «إذا كان رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة» .

أفطر بعدده وأخبر تعالى أنه يريد بالإذن في الإفطار للمريض والمسافر اليسر بالأمة ولا يريد بها العسر فله الحمد وله المنة فقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

ثم علل تعالى للقضاء بقوله ولتكملوا العدة أي عدة أيام رمضان هذا أولاً وثانياً لتكبروا الله على ما هداكم عندما تكملون الصيام بروية هلال شوال وأخيراً ليعدكم بالصيام والذكر للشكر وقال عز وجل ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

هداية الآية

من هداية الآية:

- ١ - فضل شهر رمضان وفضل القرآن.
- ٢ - وجوب صيام رمضان على المكلفين والمكلف هو المسلم العاقل البالغ مع سلامة المرأة من دمي الحيض والنفاس.
- ٣ - الرخصة للمريض الذي يخاف تأخر برئه أو زيادة مرضه، والمسافر مسافة قصر.
- ٤ - وجوب القضاء على من أفطر لعذر.
- ٥ - يسر الشريعة الإسلامية وخلوها من العسر والحرج.
- ٦ - مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه وهذا التكبير جزء لشكر نعمة الهداية إلى الإسلام.
- ٧ - الطاعات هي الشكر فمن لم يطع الله ورسوله لم يكن شاكراً فيعد مع الشاكرين.

وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ



(١) يكفي في بيان فضل رمضان قول النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» رواه مسلم، وقوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، في الصحيح.

(٢) أوسط ما قيل في مسافة القصر أنها أربعة برّذ، وهي ثمانية وأربعون ميلاً، والميل ألفا ذراع عند أهل الأندلس وهو يعادل الكيلومتر المعروف الآن.

(٣) لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فعليه قضاء أيام أخر بعدد ما أفطر.

(٤) لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقول الرسول ﷺ: «دين الله يسر» وقوله لأصحابه: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» في الصحيح.

شرح الكلمات :

الداعي : السائل ربه حاجته .

فليستجيبوا لي :- أي يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك المنهى والتقرب إليّ بفعل القرب وترك ما يوجب السخط .

يرشدون : بكمال القوتين العلمية والعملية إذ الرشيد هو العلم بمحباب الله ومساخطه ، وفعل المحاب وترك المساخط ، ومن لا علم له ولا عمل فهو السفية الغاوي والضال الهالك .

معنى الآية الكريمة :

ورد أن جماعة من الصحابة سألوا النبي قائلين : أقریب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾^(١) الآية ، ومعنى المناجاة المكاملة بخفض الصوت ، والمناداة برفع الصوت ، وإجابة الله دعوة عبده قبول طلبه وإعطاؤه مطلوبه^(٢) . وما على العباد إلا أن يستجيبوا لربهم بالإيمان به وبطاعته في أمره ونهيهِ وبذلك يتم رشدهم ويتأهلون للكمال والإسعاد في الدارين الدنيا والآخرة .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١ - قرب الله تعالى من عباده إذ العوالم كلها في قبضته وتحت سلطانه ولا يبعد عن الله شيء من خلقه إذ ما من كائن إلا والله يراه ويسمعه ويقدر عليه ، وهذه حقيقة القرب .
- ٢ - كراهية رفع الصوت بالعبادات إلا ما كان في التلبية والأذان والاقامة^(٣) .
- ٣ - وجوب الاستجابة لله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .
- ٤ - الرشيد في طاعة الله والغني والسفيه في معصيته تعالى .

(١) دلّ على فضل الدعاء أن النبي ﷺ أطلق عليه لفظ العبادة فقال : «الدعاء هو العبادة» رواه أبو داود ، ومما يحرم الإجابة : أكل الحرام ، والاستعجال ، وأن يقول دعوت فلم يستجب لي ، ذلك لحديث مسلم .

(٢) على الداعي أن يعزم في دعوته ولا يقل : اللهم أعطني كذا إن شئت ، فقد قال رسول الله ﷺ في حديث البخاري «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن اللهم إن شئت فاعطني فإنه لا مستكره له» .

(٣) يستحب الإسراع بالدعاء لقوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نَدَاءً خَفِيًّا ﴾ .

(٤) من الأوقات التي يرجى فيها استجابة الدعاء : ما بين الأذان والإقامة ، والسحر ، ووقت الفطر ، وحال السفر ، والمرض وفي السجود ودبر الصلوات ، وعند اشتداد الكرب من ظلم وغيره ، فقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا ويؤكد .

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

شرح الكلمات :

ليلة الصيام^(١)

: الليلة التي يصبح العبد بعدها صائماً .

الرفث

: الجماع .

لباس لكم

: كناية عن اختلاط بعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن .

تختانون أنفسكم

: بتعريضها للعقاب ، ونقصان حظها من الثواب بالجماع ليلة

الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك

: جامعوهن ، أباح لهم ذلك ليلاً .

باشروهن

وابتغوا ما كتب الله لكم : اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم^(٢) ، ولا يكن الجماع لمجرد

الشهوة .

الخيط الأبيض

: الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان^(٤) .

(١) روي في سبب نزول هذه الآية : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » الآية أن عمر رضي الله عنه بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله ، ثم جاء إلى النبي ﷺ وشكا إليه ما حدث له من وقاع أهله ليلاً فأنزل الله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث » الآية .

(٢) ويحتمل اللفظ معاني أخرى مثل : ما أبيح لكم ، وليلة القدر ، والرخصة ، والتوسعة .

(٣) لحديث مسلم : « لا يفرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وأشار بيديه يعني معترضاً » .

(٤) السرحان : الذئب .

الخيط الأسود

: سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماماً .

الفجر

: انتشار الضوء أفقياً ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله .

(١) عاكفون في المساجد

: منقطعون إلى العبادة في المسجد تقرباً إلى الله تعالى .

حدود الله

: جمع حد وهو ما شرع الله تعالى من الطاعات فعلاً أو تركاً .

كذلك يبين الله آياته : أي كما بين أحكام الصيام يبين أحكام سائر العبادات من أفعال

وتترك ليهيئهم للتقوى التي هي السبب المورث للجنة .

معنى الآية الكريمة :

كان في بداية فرض الصيام أن من نام بالليل لم يأكل ولم يشرب ولم يقرب امرأته حتى الليلة الآتية . كأن الصيام يتبدى من النوم لا من طلوع الفجر، ثم إن ناساً أتوا نساءهم وأخبروا بذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة تبيح لهم الأكل والشرب والجماع طوال الليل إلى طلوع الفجر، فقال تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ أي الاختلاط بهن إذ لا غنى للرجل عن امرأته ولا للمرأة عن زوجها ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ . يسترها وتستره كالثوب يستر الجسم ، وأعلمهم أنه تعالى علم منهم ما فعلوه من إتيان نسائهم ليلاً بعد النوم قبل أن ينزل حكم الله فيه بالإباحة أو المنع فكان ذلك منهم خيانة لأنفسهم فقال تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾ . وأعلن لهم عن الإباحة بقوله : ﴿ فالآن باشروهن ﴾ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ . يريد من الولد ، لأن الجماع لا يكون لمجرد قضاء الشهوة بل للإنجاب والولد . وحدد لهم الظرف الذي يصومون فيه وهو النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فقال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ . ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴿ وحرم على المعتكفين في المساجد مباشرة نسائهم فلا يحل للرجل وهو

(١) الاعتكاف ملازمة المسجد للعبادة وهو من سنن الإسلام فقد اعتكف رسول الله ﷺ ويستحب أن يكون في العشر الأواخر من رمضان ، وأقله يوم وليلة ولا يصح إلا في المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة ويفسده الجماع ويجب قضاؤه على من أفسده بجماع أهله .

(٢) تقدم ما يحتمله اللفظ من غير الولد في رقم (٢) من هذا التعليق .

(٣) فلذا قيل الفجر : فجران ، كاذب وصادق وقد بينها الرسول ﷺ في حديث مسلم الأنف الذكر تحت رقم (٣) .

معتكف أن يخرج من المسجد ويغشى امرأته وإن فعل أثم وفسد اعتكافه ووجب عليه قضاؤه . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَاشَرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ وأخبرهم أن ما بينه لهم من الواجبات والمحرمات هي حدوده تعالى فلا يحل القرب منها ولا تعديها فقال عز وجل: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ ثم قال: ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ فامتّن تعالى على المسلمين بهذه النعمة وهي بيان الشرائع والأحكام والحدود بما يوحيه إلى رسوله من الكتاب والسنة ليعد بذلك المؤمنين للتقوى، إذ لا يمكن أن تكون تقوى ما لم تكن شرائع تتبع وحدود تحترم . وقد فعل فله الحمد وله المنة .

هداية الآية

من هداية الآية:

- ١ - إباحة الأكل والشرب والجماع في ليال الصيام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .
- ٢ - بيان ظرف الصيام وهو من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس .
- ٣ - بيان ما يمسك عنه الصائم وهو الأكل والشرب والجماع .
- ٤ - مشروعية الإعتكاف وخاصة في رمضان ، وأن المعتكف لا يحل له مخالطة امرأته وهو معتكف حتى تنتهي مدة اعتكافه التي عزم أن يعتكفها .
- ٥ - استعمال الكناية بدل التصريح فيما يستحى من ذكره، حيث كنى بالمباشرة عن الوطء .
- ٦ - حرمة انتهاك حرمت الشرع وتعدي حدوده .
- ٧ - بيان الغاية من إنزال الشرائع ووضع الحدود وهي تقوى الله عز وجل .
- ٨ - ثبت بالسنة: سنة السحور واستحباب تأخير ما لم يخش طلوع الفجر، واستحباب تعجيل الفطر .

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

(١) المباشرة كناية عن الجماع إذ البشرة تمس البشرة فيه .

(٢) يحرم الوصال وهو صيام يومين فأكثر بلا إفتطار لقول الرسول ﷺ «إياكم والوصال إياكم الوصال يحذر منه» أخرجه البخاري .

(٣) لحديث مسلم: «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» .

(٤) لحديث: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور» رواه أحمد .

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

شرح الكلمات :

الباطل : خلاف الحق^(١).

تدلوا : الإدلاء بالشئ إلقاءً، والمراد هنا إعطاء القضاة والحكام الرشوة ليحكموا لهم بالباطل حتى يتوصلوا إلى أموال غيرهم.

فريقاً : أي طائفة وقطعة من المال .

بالإثم : المراد به هنا بالرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة أي الحلف بالكذب ليقضي القاضي لكم بالباطل في صورة حق .

معنى الآية الكريمة :

لما أخبر تعالى في الآية السابقة أنه يبين للناس أحكام دينه ليتقوه بفعل المأمور وترك المنهي بين في هذه الآية حكم أكل أموال المسلمين بالباطل ، وأنه حرام فلا يحل لمسلم أن يأكل مال أخيه بغير طيب نفس منه . وذكر نوعاً هو شر أنواع أكل المال بالباطل ، وهو دفع الرشوة إلى القضاة والحاكمين ليحكموا لهم بغير الحق فيورطوا القضاة في الحكم بغير الحق ويأكلوا أموال إخوانهم بشهادة الزور واليمين الغموس الفاجرة وهي التي يحلف فيها المرء كاذباً .

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ أي وأنتم تعلمون حرمة ذلك .

هداية الآية

من هداية الآية

١ - حرمة أكل مال المسلم بغير حق سواء كان بسرقة أو بغصب أو غش ، أو احتيال ومغالطة .

(١) الباطل لغة : الذاهب الزائل .

(٢) يقال : أدلى دلوه في البئر إذا ألغاه فيها ليخرج الماء ، والجبل الذي يلقى بالدلو يقال له الرشاء ، ومنه أخذ اسم الرشوة ، فالراشي يعطي الرشوة ليستخلص الحكم له .

(٣) إن هذه الآية وإن نزلت في سبب خاص : وهو تخاصم عبدان بن أشوع الحضرمي مع امرؤ القيس الكندي ، إذ ادعى الأول مالاً على الثاني ، فأنكر وأراد أن يحلف ، فنزلت فإنها عامة في أمة الإسلام قاطبة ، فلا يحل أكل مال امرئ مسلم بغير حق ، فيدخل فيه القمار ، والحداد ، والغصب ، ويجحد الحقوق وكذا ما حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكة ، وذلك كمهر البغي ، وحلوان الكاهن ، وأثمان بيع الخمر وغيرها .

٢ - حرمة الرشوة تدفع للحاكم ليحكم بغير الحق .^(١)

٣ - مال الكافر غير المحارب كمال المسلم في الحرمة إلا أن مال المسلم اشد حرمة لحديث «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه، وماله^(٢)». ولقوله تعالى في هذه الآية ﴿ولا تأكلوا أموالكم﴾ وهو يخاطب المسلمين .

﴿يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْأَهْلَةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ۚ وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ



شرح الكلمات :

الأهلة : جمع هلال وهو القمر في بداية ظهوره في الثلاثة الأيام الأولى

من الشهر لأن الناس إذا رأوه رفعوا أصواتهم الهلال الهلال .

المواقيت : جمع ميقات : الوقت المحدد المعلوم للناس .

إتيان البيوت من ظهورها : أن يتسور الجدار ويدخل البيت تحاشياً أن يدخل من الباب .

ولكن البر من اتقى : البر الموصل إلى رضوان الله برّ عبد اتقى الله تعالى بفعل

أوامره واجتناب نواهيه فليس البر دخول البيوت من ظهورها .

الفلاح وهو النجاة من النار ودخول الجنة .

(١) حكم الحاكم لا يحل الحرام سواء كان أموالاً أو فروجاً لهذه الآية ولقول الرسول ﷺ في الصحيحين عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال : «ألا إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم» ، فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها» .

(٢) رواه مسلم .

(٣) حقيقة السؤال هي : طلب أحد من آخر بذل شيء أو إخباراً عن شيء فإن كان طلب شيء تعدى الفعل بنفسه نحو سألته مالاً وإن كان إخباراً عن شيء تعدى بهن نحو سألته عن كذا .

(٤) الوقت والميقات بمعنى واحد إلا أن الميقات أخص من الوقت فإنه عام .

(٥) ذكر الحج خصوصاً لأنه يفوت بفوات وقته إذا تقدّم أو تأخر، إذ الحج يوم واحد وهو تاسع الحجة ومكان واحد وهو عرفة لحديث : «الحج عرفة» .

معنى الآية الكريمة :

روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سألوا رسول الله ﷺ قائلين : ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد حتى يعظم ويصبح بديراً، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما كان أول بدئه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ وأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم : هي مواقيت للناس وعلة بدءها صغيرة ثم تتكامل ثم تنقص حتى المحاق هي أن يعرف الناس بها مواقيتهم التي يؤقتونها لأعمالهم^(١) فبوجود القمر على هذه الأحوال تعرف عدة النساء ونعرف الشهور فنعرف رمضان ونعرف شهر الحج ووقته، كما نعرف آجال العقود في البيع والإيجار، وسداد الديون وما إلى ذلك . وكان الأنصار في الجاهلية إذا أحرم أحدهم بحج أو عمرة وخرج من بيته وأراد أن يدخل لغرض خاص لا يدخل من الباب حتى لا يظله نجف الباب فيتسور الجدار ويدخل من ظهر البيت لا من بابه وكانوا يرون هذا طاعة وبراً فأبطل الله تعالى هذا التعبد الجاهلي بقوله عز وجل : ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر﴾ . بر أهل التقوى والصلاح . وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها فقال : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ ، وأمرهم بتقواه عز وجل ليفلحوا في الدنيا والآخرة . فقال ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

- ١ - أن يسأل المرء عما ينفعه ويترك السؤال عما لا يعنيه.^(٢)
- ٢ - فائدة الشهور القمرية عظيمة إذ بها تعرف كثير من العبادات .
- ٣ - حرمة الابتداع في الدين ولو كان برغبة في طاعة الله تعالى وحصول الأجر.^(٤)
- ٤ - الأمر بالتقوى المفضية إلى فلاح العبد ونجاته في الدارين .

(١) من ذلك بيع الأجال وبيع السلم فلا بد من تحديد الوقت بعام معين أو شهر معين .

(٢) لحديث عبد الرزاق والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : «جعل الله الأهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعذوا ثلاثين يوماً» . فإن غم في أول رمضان عدنا شعبان ثلاثين يوماً وإن غم في آخر رمضان عدنا رمضان ثلاثين يوماً .

(٣) وشاهده من السنة قوله ﷺ : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

(٤) قال القرطبي في تفسير هذه الآية : بيان أن ما لم يشرعه الله قربة ولا نذب إليه لا يصير قربة يتقرب بها إلى الله تعالى واستشهد بحديث أبي إسرائيل إذ نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» فأبطل ما لم يكن قربة وصح ما هو قربة .

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ
 وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾
 وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
 أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا
 فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوْا
 فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
 الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

شرح الكلمات :

سبيل الله : الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإسلام والمراد إعلاء كلمة الله (٢)

الذين يقاتلونكم : المشركون الذين يبدوونكم بالقتال .

ولا تعتدوا (٣) : لا تجاوزوا الحد فتقتلوا النساء والأطفال ومن اعتزل القتال .

ثقتمهم : تمكنتم من قتلهم .

الفتنة (٤) : الشرك

المسجد الحرام : المراد به مكة والحرم من حولها .

ويكون الدين لله : بأن لم يبق من يعبد غير الله تعالى .

فلا عدوان : أي لا إعتداء بالقتل والمحاربة إلا على الظالمين . أما من أسلم فلا يقاتل .

معنى الآيات :

هذه الآيات الثلاث : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ من أوائل ما نزل في شأن قتال المشركين

(١) يقال رجل ثقّف ثقّف إذا كان محكما لما يتناوله والمراد : اقتلوهم حيث تمكنتم من ذلك غالبين لهم قاهرين .

(٢) لقوله ﷻ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» في الصحيح .

(٣) يدخل في هذا النهي كلّ محرم كالمنية وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لحديث الصحيح «اغزوا في سبيل الله قاتلوا مَنْ كفر بالله ، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع» .

(٤) ويصح تفسير الآية بأن الفتنة التي حملوكم عليها وراموا رجوعكم بها إلى الكفر أشدّ من القتل أي من قتل المؤمن .

وهي متضمنة الأذن لرسول الله ﷺ والمؤمنين بقتال من يقاتلهم والكف عمن يكف عنهم، وقال تعالى، وقاتلوا في سبيل الله أي في سبيل إعلاء كلمة الله ليعبد وحده. الذين يقاتلونكم، واقتلوهم حيث تمكنتم منهم، وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم أيها المهاجرون من دياركم، ولا تتخرجوا من القتل، فإن فتنتهم للمؤمنين لحملهم على الكفر بالاضطهاد والتعذيب أشد من القتل. ﴿ولا تقاتلوهم^(١) عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ فلا تكونوا البادئين فإن قاتلوكم فاقتلوهم. كذلك القتل والإخراج الواقع منكم لهم يكون جزاء كل كافر يعتدي ويظلم. فإن انتهوا عن الشرك والكفر وأسلموا فإن الله يغفر لهم ويرحمهم لأن الله تعالى غفور رحيم.

أما الآية الرابعة (١٩٣) وهي قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ فهي مقررّة لحكم سابقاتها إذ فيها الأمر بقتال المشركين الذين قاتلوهم قتالاً يستمر حتى لا يبقى في مكة من يضطهد في دينه ويفتن فيه ويكون الدين كله لله فلا يعبد غيره، وقوله فإن انتهوا من الشرك بأن أسلموا ووحّدوا فكفوا عنهم ولا تقاتلوهم، إذ لا عدوان^(٢) إلا على الظالمين وهم بعد إسلامهم ما أصبحوا ظالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب قتال من يقاتل المسلمين، والكف عمن يكف عن قتالهم وهذا قبل نسخ هذه الآية.
- ٢ - حرمة الاعتداء في القتال بقتل الأطفال والشيوخ والنساء إلا أن يقاتلن.
- ٣ - حرمة القتال عند المسجد الحرام أي مكة والحرم إلا أن يبدأ العدو بالقتال فيه فيقاتل.
- ٤ - الإسلام يجب ما قبله لقوله تعالى: ﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾.
- ٥ - وجوب الجهاد وهو فرض كفاية ما وجد مؤمن يضطهد لإسلامه أو يفتن في دينه.

(١) القول بأن هذه الآية محكمة أصح لأن دلالتها على ذلك واضحة وهو أن لا يقاتل في الحرم المكي وأن لا يبدأ به فإذا بدأ المشركون بقتال المؤمنين قاتلهم المؤمنون فيه ويشهد لهذا حديث ابن عباس في الصحيح: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام لحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة». الحديث.

(٢) قتال من قاتل المسلمين لا يسمى عدواناً إلا من باب المشاكلة نحو: ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ إذ الأولى حقاً سيئة أما الثانية فإنها قصاص عادل وسميت سيئة مشاكلة في اللفظ.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ

بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
 الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
 وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

شرح الكلمات :

الشهر الحرام : الشهر المحرم القتال فيه والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد
 فالثلاثة هي القعدة والحجة ومحرم والرابع الفرد رجب .
 الحرمات : جمع حرمة كالشهر الحرام ، والبلد الحرام ، والإحرام .
 إن الله مع المتقين : المتقون هم المؤمنون الذين يتقون معاصي الله تعالى ومخالفة سننه في
 الحياة وكونه تعالى معهم : يسددهم ويعينهم وينصرهم .
 التهلكة : الهلكة والهلاك مثلها .
 الاحسان : اتقان الطاعة وتخليصها من شوائب الشرك ، وفعل الخير أيضاً .^(٣)

معنى الآيتين :

الآية الأولى (١٩٤) في سياق ما قبلها تشجع المؤمنين المعتدى عليهم على قتال أعدائهم
 وتعلمهم أن من قاتلهم في الشهر الحرام فليقاتلوه في الشهر الحرام ، ومن قاتلهم في الحرم
 فليقاتلوه في الحرم ، ومن قاتلهم وهم محرمون فليقاتلوه وهو محرم ، وهكذا الحرمات قصاص

(١) الحرمات جمع حرمة كظلمات جمع ظلمة ، والحرمة ما مُنع العبد من انتهاكه والقصاص بمعنى المساواة هذه الآية
 لاخلاف بين العلماء في أنها أصل المماثلة في القصاص ، فمن جرح بمثل ما جرح ومن قتل يقتل بمثل ما قتل به ،
 اللهم إلا من قتل بزنى أو لواط فهذا قطعاً لا مماثلة فيه ولكن يقتل بالسيف .
 (٢) لهذه الآية نظيرها وهو قوله تعالى : ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به﴾ وقوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وهي بالنسبة
 إلى الأمة قد نسخت بآيات الجهاد ، أما بالنسبة للأفراد فالجمهور على أن الفرد لا يعاقب بنفسه ولكن بواسطة الحاكم ، ولكن
 يرى بعضهم كالإمام الشافعي : أن الفرد إذا لم يتوصل إلى أخذ حقه إلا بالمعاقبة فليُنظر إذا كان يمكنه أن يأخذ بقدر ما أخذ
 منه مساواة بلا زيادة فلا بأس أن يأخذ بشرط أن يأمن من نسبته إلى السرقة حتى لا يتعرض إلى إقامة الحد عليه .
 (٣) فعل الخير يشمل مواصاة الفقراء والمساكين وصلة ذوي الأرحام كما يشمل عدم الإساءة إلى المسيء بالعفو والصفح
 عنه فهو باب واسع .

بينهم ومساواة. ومن اعتدى عليهم فليعتدوا عليه بمثل اعتدائه عليهم، وأمرهم بتقواه عز وجل وأعلمهم أنه معهم ما تقوه بالتسديد والعون والنصر.

وأما الآية (١٩٥)^(١) فقد أمرهم بإنفاق المال للجهاد لإعداد العدة وتسيير السرايا والمقاتلين ونهاهم أن يتركوا الإنفاق في سبيل الله الذي هو الجهاد فإنهم متى تركوا الإنفاق والجهاد كانوا كمن ألقى بيده في الهلاك، وذلك أن العدو المتربص بهم إذا رآهم قعدوا عن الجهاد غزاهم وقاتلهم وانتصر عليهم فهلكوا. كما أمرهم بالإحسان في أعمالهم كافة وإحسان الأعمال إتقانها وتحويدها، وتنقيتها من الخلل والفساد، وواعدهم إن هم أحسنوا أعمالهم بتأييدهم ونصرهم فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ومن أحبه الله أكرمه ونصره وما أهانه ولا خذله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - احترام الشهر الحرام وسائر الحرمات.
- ٢ - جواز المقاصة والمجازاة لمن اعتدى بحيث يعامل بما عامل به سواء بسواء.
- ٣ - رد الإعتداء والنيل من المعتدي الظالم البادي بالظلم والإعتداء.
- ٤ - معية الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى والإحسان.
- ٥ - فضيلة الإحسان لحب الله تعالى للمحسنين.

(٣)
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ

فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

(١) روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فينا معاشر الأنصار، وذلك أنه لما نصر الله رسوله وأظهر دينه قلنا: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية والإلقاء باليد في التهلكة أن نقيم في أموالنا.

(٢) هذا ليس على بابهِ وإنما هو في المعتدي الكافر أمَّا المسلم فإنَّ العفو عنه محمود ومطلوب أيضاً قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وقال رسوله ﷺ: «وَأَدِّ الْأَمَانَةَ لِمَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ».

(٣) الآية دليل على مشروعية العمرة وهي كذلك سنة واجبة، أما الحج فقد فرض بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وبالسنة في حديث ابن عمر: «بني الإسلام على خمس إذ فيه (حج البيت)» والإجماع أيضاً.

الْهَدْيُ مَحَلُّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
 مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
 فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
 إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

شرح الكلمات :

وأتموا الحج والعمرة لله: ^(١) فإتمامهما أن يحرم بهما من الميقات وأن يأتي بأركانها وواجباتها
 على الوجه المطلوب من الشارع، وأن يخلص فيهما لله تعالى.

فإن أحصرتم: ^(٢) الحصر والإحصار أن يعجز الحاج أو المعتمر عن إتمام حجه أو عمرته إما
 بعدو يصدّه عن دخول مكة أو مرض شديد لا يقدر معه على مواصلة
 السير إلى مكة. ^(٣)

فما استيسر من الهدي: أي فالواجب على من أحصر ما تيسر له من الهدي شاة أو بقرة أو
 بعير.

ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله: لا يتحلل المحصر من إحرامه حتى يذبح
 ما تيسر له من الهدي فإن ذبح تحلل بحلق رأسه.

فقدية: فالواجب هو فدية من صيام أو صدقة أو نسك.

فمن تمتع بالعمرة إلى الحج: فمن أحرم بعمرة في أشهر الحج وتحلل وبقي في مكة ينتظر
 الحج وحج فعلاً فالواجب ما استيسر من الهدي.

(١) ومن أتمامهما أن يخرج لهما لا لتجارة ولا غيرها فيخرج لهما لا لغيرهما كما قال علي رضي الله عنه أن تحرم بهما من
 دويرة أهللك، والحج تمامه عرفة والعمرة السعي بعد الطواف والحلق أو التقصير.

(٢) ذهب مالك والشافعي إلى أن المحصر بمرض لا يحل له أن يتحلل بل عليه أن يبقى على إحرامه حتى يطوف ولو بعد
 عام، وذهب غيرهما إلى أن المريض الشديد المرض حكمه حكم المحصر بالعدو يتجر ويتحلل، وإن كان الحج فرضاً
 عليه القضاء، وإن كان نفلاً فلا قضاء عليه.

(٣) هذا إذا لم يشترط عند إحرامه، أما إذا اشترط بقوله عند إحرامه: محلّي حيث تحبسني فإنه يتحلل ولا شيء عليه، إلا
 ما كان من مالك فإنه لا يرى الاشتراط وهو محجوج بحديث ضباعة: «حجني واشترطي».

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام : فمن تمتع بالعمرة ولم يجد هدياً لعجزه عنه فالواجب صيام عشرة أيام ثلاثة في مكة وسبعة في بلده .

ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام : أي ما وجب من الهدي أو الصيام عند العجز وهو لغير أهل الحرم أما سكان مكة والحرم^(١) حولها وهم أهل الحرم فلا يجب عليهم شيء إن تمتعوا .

معنى الآية الكريمة :

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يتموا الحج والعمرة له سبحانه وتعالى فيأتوا بها على الوجه المطلوب وأن يريدوا بها الله تعالى ، ويخبرهم أنهم إذا أحصروا فلم يتمكنوا من إتمامها فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم فإذا ذبحوا أو نحروا حلوا من إحرامهم ، وذلك بحلق شعر رؤوسهم أو تقصيره ، كما أعلمهم أن من كان منهم مريضاً أو به أذى من رأسه واضطر إلى حلق شعر رأسه أو لبس ثوب أو تغطية رأس فالواجب بعد أن يفعل ذلك فدية وهي واحد من ثلاثة على التخيير : صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين^(٢) حفتان من طعام ، أو ذبح شاة . كما أعلمهم أن من تمتع بالعمرة إلى الحج ولم يكن من سكان الحرم أن عليه ما استيسر من الهدي شاة أو بقرة أو بعير فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام في الحج من أول شهر الحجة إلى يوم التاسع منه وسبعة أيام إذا رجع إلى بلاده . وأمرهم بتقواه عز وجل وهي امتثال أوامره والأخذ بتشريعه وحذرهم من إهمال أمره والإستخفاف بشرعه فقال : ﴿اتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ .

هداية الآية

من هداية الآية :

١ - وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيهما بالإحرام من الميقات ، وإن كان الحج تطوعاً والعمرة غير واجبة .

(١) المكي وساكين الحرم إن حُصرا بمرض لا يحل لهما التحلل بذبح الهدي بل عليهما أن يُحملا على نعش ويوقف بهما بعرفة ويطاف بهما وهما على النعش .
(٢) ويجزيء اليوم كيلوز أو بر أو تمر لكل مسكين ولا يجوز إلقاء ذلك لحمام الحرم كما يفعل الجهال .
(٣) لقول الله تعالى : ﴿وأتوا الحج والعمرة لله﴾ وقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فمن شرع في عبادة يجب أن يتمها .

٢ - بيان حكم الإحصار وهو ذبح شاة من مكان الإحصار ثم التحلل بالخلق أو التقصير، ثم القضاء من قابل إن تيسر ذلك للعبد، لأن الرسول ﷺ قضى هو وأصحابه العمرة التي صدوا فيها عن المسجد الحرام عام الحديبية .

٣ - بيان فدية الأذى وهي أن من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام بأن حلق أو لبس مخيطاً أو غطى رأسه لعذر وجب عليه فدية وهي صيام أو إطعام أو ذبح شاة .

٤ - بيان حكم التمتع مفصلاً وهو أن من كان من غير سكان مكة والحرم حولها إذا أحرم بعمرة في أشهر الحج وتحلل منها وبقي في مكة في حج عامه أن عليه ذبح شاة فإن عجز صام ثلاثة أيام في مكة وسبعة في بلاده .

٥ - الأمر بالتقوى وهي طاعة الله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه، والتحذير من تركها لما يترتب عليه من العقاب الشديد)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَاتَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ
عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ

(١) الواجب على المحصر أن يذبح هديه في الحرم وإن عجز ذبحه في مكان الإحصار، وإن عجز ذبحه حيث أمكنه وإن لم يجده لفقر صام عشرة أيام بدله، والواجب أن لا يتحلل إلا بعد نحر الهدي إن كان ذلك في مقدوره، هذا أوسط المذاهب في هذه المسألة الشائكة لكثرة الآراء .

(٢) لا خلاف في جواز الإحرام بأي نسك من أنواع النسك الثلاثة إلا أن الأفراد لمن يعتمر في غير أشهر الحج ويحج من عامه أفضلها .

(٣) شاة الإحصار أولاً لا بد وأن تكون سليمة كشاة الأضحية في سنّها وسلامتها من العور والعرج والهزال والمرض .

(٤) روى البخاري عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون نحن المتوكّلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وتزوّدوا...﴾ الآية، والزاد: التمر والسويق يومئذٍ وهو ما يحتاجه الحاج من سائر أنواع الزاد .

لِمَنِ الضَّكَايِينِ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

شرح الكلمات :

أشهر معلومات : هي شوال والقعدة وعشر ليال من الحجة هذه هي الأشهر التي يحرم فيها بالحج .

فرض : نوى الحج وأحرم به .^(١)

فلا رث : الرث الجماع ومقدماته .

ولا فسوق : الفسق والفسوق الخروج من طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام .

الجدال : المخاصمة والمنازعة .

الجناح : الإثم

تبتغوا فضلاً : تطلبوا ربحاً في التجارة من الحج .

أفضتم من عرفات : الإفاضة من عرفات تكون بعد الوقوف بعرفة يوم الحج وذلك بعد غروب الشمس من يوم التاسع من شهر الحجة .

المشعر الحرام : مزدلفة وذكر الله تعالى عندها صلاة المغرب والعشاء جمعاً بها وصلاة الصبح .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أحكام الحج والعمرة فأخبر تعالى أن الحج له أشهر معلومة وهي شوال والقعدة وعشر ليال من الحجة فلا يحرم بالحج إلا فيها . وأن من أحرم بالحج يجب عليه أن يتجنب الرث والفسق والجدال حتى لا يفسد حجه أو ينقص أجره ، وانتدب الحاج

(١) لو أحرم ليلة العاشر وهي ليلة العيد ووصل إلى عرفة ووقف بها قبل طلوع الفجر صحَّ حجه .

(٢) يكره أن يحرم المسلم بالحج قبل أشهره ، ولو أحرم صحَّ إحرامه وعليه المضي فيه والأفضل له أن يتحلل بعمرة وإن بقي على إفراذه كره له ذلك وصحَّ منه ، هذا أرجح المذاهب في هذه المسألة .

(٣) لم يذكر أشهر الحج في الآية بالتعيين وذلك للعلم بها وليبيان الرسول ﷺ لها ، وقال أشهر وهي شهران وعشر ليالٍ من باب التغليب .

(٤) إنه يتجنب هذه الثلاثة يكون حجه مبروراً لقول الرسول ﷺ في صحيح مسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

قالت العلماء : الحج المبرور هو الذي لم يعص الله تعالى فيه وخُف بفعل الخيرات .

(٥) الجدال : مأخوذ من الجدال الذي هو القتال للحبل ونحوه فالمجادل يريد أن يقتل رأي من يجادله أي يشنيه عنه ويرده عليه .

إلى فعل الخير من صدقة وغيرها فقال: ﴿وماتفعلوا من خير يعلمه الله﴾ ولازمه أنه يثيب عليه ويجزي به. وأمر الحجاج أن يتزودوا لسفرهم في الحج بطعام وشراب يكفون به وجوههم عن السؤال فقال: وتزودوا، وأرشد إلى خير الزاد وهو التقوى، ومن التقوى عدم سؤال الناس أموالهم والعبد غير محتاج وأمرهم بتقواه عز وجل، أي بالخوف منه حتى لا يعصوه في أمره ونهيه فقال: ﴿واتقون يا أولى الألباب﴾، والله أحق أن يتقى لأنه الواحد القهار، ثم أباح لهم الاتجار أثناء وجودهم في مكة ومنى فقال: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ يريد رزقاً حلالاً بطريق التجارة المباحة، ثم أمرهم بذكر الله تعالى في مزدلفة بصلاة المغرب والعشاء والصبح فيها وذلك بعد إفاضتهم من عرفة بعد غروب الشمس فقال عز من قائل: ﴿فإذا أفضتُم^(١) من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ ثم ذكرهم بنعمة هدايته لهم بعد الضلال الذي كانوا فيه وانتدبهم إلى شكره وذلك بالإكثار من ذكره فقال تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الظالمين﴾. ثم أمرهم بالمساواة في الوقوف بعرفة والإفاضة منها فليقفوا كلهم بعرفات، وليفيضوا جميعاً منها فقال عز وجل: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾، وذلك أن الخمس^(٢) كانوا يفيضون من أدنى عرفات حتى ينجوا من الزحمة ويسلموا من الحطمة. وأخيراً أمرهم باستغفار الله أي طلب المغفرة منه ووعدهم بالمغفرة بقوله: ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾.

هداية الايات

من هداية الايات:

- ١ - حرمة الرفث والفسوق والجدال في الاحرام.
- ٢ - استحباب فعل الخيرات للحاج أثناء حجه ليعظم أجره ويبر حجه.
- ٣ - إباحة الاتجار والعمل للحاج طلباً للرزق على أن لا يحج لأجل ذلك.
- ٤ - وجوب المبيت بمزدلفة لذكر الله تعالى.^(٣)

(١) الإجماع على أن من وقف بعرفة يومها قبل الزوال وخرج منها قبل الزوال أنه ما حج، أما من وقف بعد الزوال وخرج قبل غروب الشمس فالجمهور على صحة حجه وعليه ذبح شاة وقال مالك يبطل حجه. والله أعلم.

(٢) الخمس: جمع أحمس من هو أشدّ تحمّساً وحماسة لحماية الحرم وهم قريش ومن يمت إليهم بنسب وكانوا يقولون: نحن أهل الله في بلدته، وقطان بيته.

(٣) القول بركنية المبيت بمزدلفة قول شاذ لا يلتفت إليه، وأما الوجوب فمتأكد للآية والحديث، والخروج منها بعد النزول بها بعد نصف الليل للمعزة والضعفة جائز بإذن الرسول ﷺ كما هو ثابت في السنن.

٥ - وجوب شكر الله تعالى بذكره وطاعته على هدايته وإنعامه .

٦ - وجوب المساواة في أداء مناسك الحج بين سائر الحجاج فلا يتميز بعضهم عن بعض في أي شعيرة من شعائر الحج .

٧ - الترغيب في الاستغفار والاكثار منه .

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
﴿٢٠٣﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٤﴾

شرح الكلمات :

قضيتكم : أدبتم وفرغتم منها .

المناسك : جمع منسك وهي عبادات الحج المختلفة .

الحظ : النصب .

(١) يسن الاستغفار ثلاثاً بعد كل صلاة فريضة لما صح عنه ﷺ أنه كان إذا سلم من صلاته قال : استغفر الله ثلاثاً . وسيد الاستغفار هو : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

(٢) الكاف : في محل نصب أي ذكروا كذكركم فهي بمعنى مثل ، وأو هنا للاضراب الانتقالي أي بل اذكروه ذكراً أشد من ذكركم أباءكم .

(٣) روي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول حسنة الدنيا المرأة الصالحة وحسنة الآخرة الحور العين وقد لا يصح هذا عن علي ، وما فسرنا به أعم وأشمل وأعظم .

حسنة : حسنة الدنيا كل ما يسر ولا يضر من زوجة صالحة وولد صالح ورزق حلال وحسنة الآخرة النجاة من النار ودخول الجنان .
قنا : احفظنا ونجنا من عذاب النار .

نصيب . (١) : حظ وقسط من أعمالهم الصالحة ودعائهم الصالح .

الأيام المعدودات : أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد .

تعجل في يومين : رمى يوم الأول والثاني وسافر .

ومن تأخر : رمى الأيام الثلاثة كلها .

فلا إثم : أي لا ذنب في التعجل ولا في التأخر .

لمن اتقى : للذي اتقى ربه بعدم ترك واجب أوجبه أو فعل حرام حرمه .

تحشرون : تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة .

معنى الآيات :

بهذه الآيات الأربع انتهى الكلام على أحكام الحج ففي الآية الأولى : (٢٠٠) يرشد تعالى المؤمنين إذا فرغوا من مناسكهم بأن رموا جرة العقبة ونحروا وطافوا طواف الافاضة واستقروا بمنى للراحة والاستجمام أن يكثروا من ذكر الله تعالى عند رمى الجمرات، وعند الخروج من الصلوات ذكراً مبالغاً في الكثرة منه على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم وأحساب أجدادهم . وبين تعالى حالهم وهي أن منهم من همه الدنيا فهو لا يسأل الله تعالى إلا ما يهيمه منها، وهذا كان عليه أكثر الحجاج في الجاهلية، وأن منهم من يسأل الله تعالى خير الدنيا والآخرة وهم المؤمنون الموحدون فيقولون : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ، وهذا متضمن تعليم المؤمنين وإرشادهم إلى هذا الدعاء الجامع والقصد الصالح النافع فلله الحمد والمنة وفي الآية (٢٠٢) يخبر تعالى أن لأهل الدعاء الصالح وهم المؤمنون الموحدون نصيباً من الأجر على أعمالهم التي كسبوها في الدنيا،

(١) روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الأيام المعدودات أيام التشريق، والأيام المعلومات أيام العشر من أول الحجة .

(٢) قال أهل العلم إن عادة العرب في الجاهلية أنهم إذا قضوا حجهم وقفوا عند الجمرات يفاخرون بآبائهم حتى إن الرجل ليقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة عظيم الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه .

(٣) هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة وفي الصحيحين أن أنس بن مالك : قال كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ .

وهو تعالى سريع الحساب فيعجل لهم تقديم الثواب وهو الجنة وفي الآية (٢٠٣) يأمر تعالى عباده الحجاج المؤمنين بذكره تعالى في أيام التشريق عند رمي الجمار وبعد الصلوات الخمس قائلين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر والله الحمد ثلاث مرات إلى عصر اليوم الثالث في أيام التشريق^(١) ثم أخبرهم الله تعالى بأنه لا حرج على من تعجل السفر إلى أهله بعد رمي اليوم الثاني، كما لا حرج على من تأخر فرمى اليوم الثالث فقال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ فالأمر على التخيير وقيد نفي الإثم بتقواه عز وجل فمن ترك واجباً أو فعل محرماً فإن عليه إثم معصيته ولا يطهره منها إلا التوبة فنفي الإثم مقيد بالتعجل وعدمه فقط . فكان قوله تعالى لمن اتقى قيداً جميلاً ، ولذا أمرهم بتقواه عز وجل ، ونبههم إلى مصيرهم الحتمي وهو الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى فليستعدوا لذلك بذكره وشكره والحرص على طاعته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الذكر بمنى عند رمي الجمرات إذ يكبر مع كل حصاة قائلًا الله أكبر .
- ٢ - فضيلة الذكر والرغبة فيه لأنه من محاب الله تعالى^(٢)
- ٣ - فضيلة سؤال الله تعالى الخيرين وعدم الاقتصار على أحدهما ، وشره الاقتصار على طلب الدنيا وحطامها .
- ٤ - فضيلة دعاء ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ . فهي جامعة للخيرين معاً ، فكان النبي ﷺ إذا طاف بالبيت يختم بها كل شوط .
- ٥ - وجوب المبيت ثلاث ليالي بمنى ووجوب رمي الجمرات إذ بها يتأتى ذكر الله في الأيام المعدودات وهي أيام التشريق .
- ٦ - الرخصة في التعجل لمن رمى اليوم الثاني .
- ٧ - الأمر بتقوى الله وذكر الحشر والحساب والجزاء إذ هذا الذكر يساعد على تقوى الله

عز وجل .

- (١) لقد رخص لمن لم يجد الهدى أن يصوم أيام التشريق بلا خلاف .
- (٢) قيل إن هذا التخيير ونفي الإثم على المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لأنه حذر متحز من كل ما يريبه فرفع الإثم حتى لا يبقى في نفسه ما يؤلمه من التقديم والتأخير وهو وجه حسن للآية .
- (٣) روى أحمد أن النبي ﷺ قال أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله وروى مسلم أيضاً عنه ﷺ لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله

وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ
عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

شرح الكلمات :

- يعجبك ^(١) : يروق لك وتستحسنه .
في الدنيا ^(٢) : إذا تحدث في أمور الدنيا .
ألد الخصام : قوي الخصومة شديدها للذلاقة لسانه .
تولى : رجع وانصرف ، أو كانت له ولاية .
الحرث والنسل ^(٣) : الحرث : الزرع ، والنسل : الحيوان .
أخذته العزة بالاثم : أخذته الحمية والأنف بذنوبه فهو لا يتقي الله .
يشري نفسه : يبيع نفسه لله تعالى بالجهد في سبيله بنفسه وماله .
معنى الآيات :

ينخر تعالى رسوله والمؤمنين عن حال المنافقين ، والمؤمنين الصادقين فقال تعالى مخاطبا
الرسول ﷺ : ومن الناس رجل منافق يحسن القول وإذا قال يعجبك قوله لما عليه من طلاء

(١) الإعجاب : إيجاد العجب في النفس ، والعجب انفعال يعرض للنفس عند مشاهدة أمر غير مألوف خفي السبب .
(٢) ألد : لغة الأعوج والمنافق في حال خصومته يكذب ويؤزر عن الحق ولا يستقيم وفي الحديث : «إذا خاصم فجر» .
(٣) الأخذ : أخذ الشيء باليد ويطلق ويراد به الاستيلاء على الشيء نحو «خذوهم واحصوهم» وأخذته الحمى والعزة :
حالة نفسية يرى صاحبها أنه لا يمانع فيما يفعل ويريد ، وبالاثم : الباء للمصاحبة أي أخذته العزة مصاحبة للإثم كائنة معه وهو
احتراز من العزة المصاحبة لما هو محمود من الفعل كالغضب لله تعالى .

ورونق وذلك إذا تكلم في أمور الحياة الدنيا بخلاف أمور الآخرة فإنه يجهلها وليس له دافع ليقول فيها لأنه كافر، وعندما يحدث يشهد الله أنه يعتقد مايقول فيقول للرسول ﷺ يعلم الله أني مؤمن وأني احبك، ويشهد الله أني كذا... وإذا قام من مجلسك وانصرف عنك ﴿سعى﴾ في الأرض أي مشى فيها بالفساد ليهلك الحرث والنسل بارتكاب عظام الجرائم فيمنع المطر وتيبس المحاصيل الزراعية وتمحل الأرض وتموت البهائم وينقطع النسل وعمله هذا مبغوض لله تعالى فلا يحبه ولا يجب فاعله. كما أخبر تعالى أن هذا المنافق إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر ففيل له اتق الله لا تفعل كذا او اترك كذا تأخذه الأنفة والحمية بسبب ذنوبه التي هو متلبس بها فلا يتقي الله ولا يتوب إليه فيكفيه جزاء على نفاقه وشره وفساده جهنم يمتهدا فراشا لا يبرح منها أبداً ولبئس المهاد جهنم.

كما يخبر تعالى عن المؤمن الصادق فيقول من الناس رجل مؤمن صادق الإيمان باع نفسه وماله لله تعالى طلباً لمرضاته والحياة في جواره في الجنة دار السلام فقال تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ رحيم بهم.

قيل أن الرجل المنافق الذي تضمنت الحديث عنه الآيات الثلاثة الأولى هو الأخنس^(١) بن شريق، وأن الرجل المؤمن الذي تضمنت الحديث عنه الآية الرابعة (٢٠٧) هو صهيب بن سنان الرومي أبو يحيى إذ المشركون لما علموا به أنه سيهاجر إلى المدينة ليلحق بالرسول ﷺ وأصحابه قالوا لن تذهب بنفسك ومالك لمحمد فلن نسمح لك بالهجرة إلا إذا أعطيتنا مالك كله فاعطاهم كل مايملك وهاجر فلما وصل المدينة ورآه رسول الله ﷺ قال له: ربح البيع أبا يحيى ربح البيع. والآيات وإن نزلت في شأن الأخنس وصهيب فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالأخنس مثل سوء لكل من يتصف بصفاته، وصهيب مثل الخير والكمال لكل من يتصف بصفاته.

(١) السعي: المشي الحثيث ويطلق على الكسب والعمل، قال تعالى: ﴿من أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾.

(٢) إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد روى ابن كثير عن نوف البكالي قوله: إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل، قوم يحتالون على الدنيا ألستهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى: عَلَيَّ يَجْتَرُونَ وبني يغترون حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة ترك الحليم منهم حيران وذكر: ﴿ومن الناس...﴾ الآية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التحذير من الاغترار بفصاحة^(١) وبيان الرجل إذا لم يكن من أهل الإيمان والإخلاص .
 ٢ - شر الناس من يفسد في الأرض بارتكاب الجرائم مما يسبب فساداً وهلاكاً للناس والمواشي .

٣ - قول الرجل يعلم الله ، ويشهد الله يعتبر يميناً فليحذر المؤمن أن يقول ذلك وهو يعلم من نفسه أنه كاذب .

٤ - إذا قيل للمؤمن اتق الله يجب عليه أن لا يغضب أو يكره من أمره بالتقوى بل عليه أن يعترف بذنبه ويستغفر الله تعالى ويقطع عن المعصية فوراً .

٥ - الترغيب في الجهاد بالنفس^(٢) والمال وجواز أن يخرج المسلم من كل ماله في سبيل الله تعالى ولا يعد ذلك اسرافاً ولا تبذيراً إذ الإسراف والتبذير في الإنفاق في المعاصي والذنوب .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا

فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَكُمْ تُكْمُ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ

وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

شرح الكلمات :

السلم : الإسلام^(٣)

(١) يشهد له حديث الرسول ﷺ : «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» .

(٢) تأوّل عمر وعلي وابن عباس هذه الآية : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» فيمن يأمر أحداً بمعروف وينهاه عن منكر فتأخذه العزة بالإثم فيقاتل الواعظ له فيبيع لله الواعظ نفسه ويقاتله .

(٣) روي أن حذيفة بن اليمان قال في هذه الآية : الإسلام ثمانية أسهم : الصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والعمرة سهم ، والجهاد سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له في الإسلام .

كافة : جميعاً لا يتخلف عن الدخول في الإسلام^(١) أحد، ولا يترك من شرائعه ولا من أحكامه شيء.

خطوات الشيطان : مسالكه في الدعوة إلى الباطل وتزيين الشر والقيح .

فإن زلتم : وقعتم في الزلل وهو الفسق والمعاصي .

البيّنات : الحجج والبراهين .

هل ينظرون : ما ينظرون : الاستفهام للنفي

الظل : جمع ظلة ما يظلل من سحب أو شجر ونحوهما .

الغمام : السحاب الرقيق الأبيض .

معنى الآيتين

ينادي الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم بالدخول في الإسلام دخولاً شمولياً بحيث لا يتخبرون بين شرائعه وأحكامه ما وافق مصالحهم وأهواءهم قبلوه وعملوا به، وما لم يوافق ردوه أو تركوه وأهملوه، وإنما عليهم أن يقبلوا شرائع الإسلام وأحكامه كافة، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان في تحسين القبيح وتزيين المنكر، إذ هو الذي زين لبعض مؤمني أهل الكتاب تعظيم السبب وتحريم أكل لحم الإبل بحجة أن هذا من دين الله الذي كان عليه صلحاء بني إسرائيل فنزلت هذه الآية فيهم تأمرهم وتأمر سائر المؤمنين بقبول كافة شرائع الإسلام وأحكامه، وتحذّرهم من عاقبة اتباع الشيطان فإنها الهلاك التام وهو ما يريد الشيطان بحكم عداوته للإنسان . هذا ماتضمنته الآية (٢٠٨) أما الآية الثانية (٢٠٩) فقد تضمنت أعظم تهديد وأشد وعيد لمن أزاله الشيطان فقبل بعض شرائع الإسلام ولم يقبل البعض الآخر وقد عرف أن الإسلام حق، وشرائعه أحق فقال تعالى ﴿فإن زلتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يحملها كتاب الله القرآن ويبينها رسول الله محمد ﷺ فإن الله سينتقم

(١) كافة : اسم يفيد الاحاطة بأجزاء ما وصف به فقوله تعالى : ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ أي حتى لا يبقى مشروع ما يعمل به أولاً يبقى فرد لا يدخل فيه .

(٢) اختلف في تحديد معنى السلم في الآية، والراجح أنها بمعنى الإسلام ويكون الخطاب معنياً به بعض من آمن من أهل الكتاب وبقي متمسكاً ببعض شرائع التوراة كتحریم يوم السبت، وتحريم شرب لبن الإبل، أمروا بالدخول في الإسلام كافة : أي بقبول شرائعه كلها وترك شرائع غيره وتكون بمعنى الصلح وترك الحرب والتهارج ويكون الخطاب للمسلمين عامة بترك التهارج بينهم والتقاتل .

(٣) أصل الزلل : الزلق وهو اضطراب القدم وتحركها في الموضع المراد إثباتها فيه والمراد هنا عدم الثبات على طاعة الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي بتزيين الشيطان ذلك للبعد حتى يقع في الضرر .

منكم لأنه تعالى غالب على أمره حكيم في تدبيره وإنجاز وعده ووعيده وأما الآية الثالثة (٢١٠) فقد تضمنت حث المتباطئين على الدخول في الإسلام إذ لا عذر لهم في ذلك حيث قامت الحجة وظهرت ولاحت المحجة فُقال تعالى: ﴿هل ينظرون﴾ أي ما ينظرون^(١) ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ وعند ذلك يؤمنون ومثل هذا الإيمان الاضطرابي لا ينفع حيث يكون العذاب لازماً. بقضاء الله العادل، قال تعالى ﴿وقضي الأمر﴾ أي إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وانتهى الأمر إليه فحكم وانتهى كل شيء فعلى أولئك المتباطئين المترددين في الدخول في الإسلام المعبر عنه بالسلم لأن الدخول فيه حقاً سلم، والخروج منه أو عدم الدخول فيه حقاً حرب عليهم أن يدخلوا في الإسلام ألا إلى الإسلام يا عباد الله! فإن السلم خير من الحرب!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب قبول شرائع الإسلام كافة وحرمة التخير فيها.
- ٢ - ما من مستحل حراماً، أو تارك واجباً إلا وهو متبع للشيطان في ذلك.
- ٣ - وجوب توقع العقوبة عند ظهور المعاصي العظام لئلا يكون أمن من مكر الله^(٢).
- ٤ - إثبات صفة المجيء للرب تعالى : لفصل القضاء يوم القيامة.
- ٥ - حرمة التسويف والمأطلة في التوبة.

سَلَبَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

(١) الكلام صالح لأن يعود إلى من يعجب قوله ويقبح عمله في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله...﴾ الآية وصالح لأن يعود إلى المترددين من أهل الكتاب بعدم خلوصهم في الإسلام كله، وصالح لأن يكون عائداً إلى كل متردد في الإسلام غير صادق في الدخول فيه إلى يوم القيامة وهذا من إعجاز القرآن وكونه كتاب هداية للناس كافة وفي كل زمان ومكان.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿أفترمون ببعض الكتاب وتكفرون بعض﴾ الآية.

(٣) إذ حصول الأمن لازمه الاستمرار على المعاصي وعدم التوبة والله يقول: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

شرح الكلمات :

سل : إسأل : سقطت منه الهمزتان للتخفيف .

بني إسرائيل : ذرية يعقوب بن اسحق بن إبراهيم واسرائيل لقب يعقوب .

آية : خارقة للعادة كعصا موسى تدل على أن من أعطاه الله تلك الآيات هو

رسول الله حقاً . وآيات بني إسرائيل التي آتاهم الله تعالى منها فلق البحر لهم ،

وإنزال المن والسلوى في التيه عليهم .

نعمة الله ^(١) : ما يهبه لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة ونعم الله كثيرة .

يسخرون : يحتقرون ويستهنئون .

معنى الآيتين :

يأمر الله تعالى رسوله أن يسأل بني إسرائيل عن الآيات الكثيرة التي آتاهم الله ، وكيف كفروا بها فلم تنفعهم شيئاً ، والمراد تسليته ﷺ من الألم النفسي الذي يحصل له من عدم إيمان أهل الكتاب والمشركين به وبما جاء به من الهدى وضمن ذلك تقريع اليهود وتأنيبهم على كفرهم بآيات الله وإصرارهم على عدم الدخول في الإسلام . ثم أخبر تعالى أن من يبدل نعمة الله التي هي الإسلام بالكفر به وبنبيه محمد ﷺ فإن عقوبة الله تعالى تنزل به لا محالة في الدنيا أو في الآخرة لأن الله شديد العقاب . ^(٢)

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢١١) وأما الآية الثانية (٢١٢) فقد أخبر تعالى أن الشيطان زين للذين كفروا بالله ورسوله وشرائعه الحياة الدنيا فرغبوا فيها وعملوا لها وأصبحوا لم يروا غيرها ولذلك سخروا من المؤمنين الزاهدين فيها لعلمهم بزوالها وقلة نفعها فلم يكرسوا كل جهدهم لجمعها والحصول عليها بل أقبلوا على طاعة ربهم وأنفقوا ما في أيديهم في سبيل الله طلباً لرضاه . كما أخبر أن المؤمنين المتقين سيجازيهم يوم القيامة خير الجزاء وأوفره فيسكنهم دار السلام في عليين ، ويخزي أعداءهم الساخرين منهم ويهينهم فيسكنهم الدرك الأسفل من النار .

(١) فسرت نعمة الله هنا : بالإسلام وهو كذلك فإن الإسلام أكبر نعمة لما يجلبه من السعادة والكمال وما يدفعه من العذاب والعقاب في الدارين .

(٢) جملة : ﴿إن الله شديد العقاب﴾ خبرية متضمنة للوعيد دُيِّل بها الكلام ، والعقاب من العقب كأن المعاقب يمشي بالمجازاة في آثار عقبه ليجزيه به .

وهو تعالى المتفضل ذو الإحسان إذا رزق يرزق بغير حساب وذلك لواسع فضله وعظيم ماعنده .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - التحذير من كفر النعم لما يترتب على ذلك من أليم العذاب وشديد العقاب. ومن أجلَّ النعم نعمة الإسلام فمن كفر به وأعرض عنه فقد تعرض لأشد العقوبات وأقساها وما حلَّ ببني إسرائيل من ألوان الهون والدون دهرًا طويلاً شاهد قوي وما حل بالمسلمين يوم أعرضوا عن الإسلام واستبدلوا به الخرافات ثم القوانين الوضعية شاهد أكبر أيضاً .

٢ - التحذير من زينة الحياة الدنيا والرغبة فيها والجمع لها ونسيان الدار الآخرة وترك العمل لها . فإن أبناء الدنيا اليوم يسخرون من أبناء الآخرة ، ولكن أبناء الآخرة أهل الإيمان والتقوى سيكونون يوم القيامة فوقهم درجات إذ هم في أعالي الجنان والآخرين في أسافل النيران .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى



صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(١) الآية : ترغيب في طلب فضل الله تعالى وفي الحديث الصحيح : «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» وقال تعالى «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» وفي الصحيح أيضاً : «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت وما لبست فألبيت ، وما تصدقت بأبقيت» وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس .

شرح الكلمات :

كان الناس^(١) أمة واحدة : كانوا قبل وجود الشرك فيهم أمة واحدة على الإسلام والتوحيد وذلك قبل قوم نوح.

النبئون : جمع نبيٍّ والمراد بهم الرسل إذ كل نبيٍّ رسولٌ بدليل رسالتهم القائمة على البشارة والندارة والمستمدة من كتب الله تعالى المنزلة عليهم.

الكتاب : اسم جنس يدخل فيه كل الكتب الإلهية.

أوتوه : أعطوه.

البينات : الحجج والبراهين تحملها الرسل إليهم وتورثها فيهم شرائع وأحكاماً وهدايات عامة.

بغياً^(٢) : البغي الظلم والحسد.

الصراط المستقيم : الإسلام المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال في الحياتين.

معنى الآية الكريمة :

يخبر تعالى أن الناس^(٣) كانوا ما بين آدم ونوح عليهما السلام في فترة طويلة أمةً واحدة على دين الإسلام لم يعبد بينهم إلا الله تعالى حتى زين الشيطان لبعضهم عبادة غير الله تعالى فكان الشرك والضلال فبعث الله تعالى لهدايتهم نوحاً عليه السلام فاختلفوا إلى مؤمن وكافر وموحد ومشرك، وتوالت الرسل تحمل كتب الله تعالى المتضمنة الحكم الفصل في كل ما يختلفون فيه. ثم أخبر تعالى عن سنته في الناس وهي أن الذين يختلفون في الكتاب أي فيما

(١) أي الذين كانوا على الدين الحق وهم عشرة قرون من آدم إلى أن حدث فيهم الشرك فبعث الله تعالى فيهم عبده الشكور نوحاً عليه السلام.

(٢) لفظ الأمة مأخوذ من أمت كذا إذا قصدته فسميت الجماعة مقصدهم واحد أمة وقد يطلق على الواحد أمة إذا كان مقصده واحداً على خلاف غيره ومنه قول الرسول ﷺ في قس بن ساعدة «يحشر يوم القيامة أمة وحده».

(٣) عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر هذا قول جمهور أهل السنة والجماعة. والرسل المذكورون بالاسم العلم في القرآن خمسة وعشرون رسلاً وأول الأنبياء آدم وأول الرسل نوح، وخاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

(٤) منصوب على المفعول لأجله أي : لم يختلفوا إلا للبغي الذي هو الظلم الذي صار طبعاً لهم لكثرة ممارستهم له والحسد الذي ملأ قلوبهم فأكلها أو كاد والعياذ بالله.

(٥) لفظ الناس : اسم جمع ليس له مفرد من لفظه وإنما واحده من غير لفظه وهو إنسان و«ال» فيه للاستغراق أي جميع أفراده أي : البشر كلهم.

يخويه من الشرائع والأحكام هم الذين سبق أن أوتوه وجاءتهم البينات فهؤلاء يحملهم الحسد وحب الرئاسة، والإبقاء على مصالحهم على عدم قبول ما جاء به الكتاب، واليهود هم المثل لهذه السنة فإنهم أوتوا التوراة فيها حكم الله تعالى وجاءتهم البينات على أيدي العديدين من أنبيائهم ورسلمهم واختلفوا في كثير من الشرائع والأحكام وكان الحامل لهم على ذلك البغي والحسد والعياذ بالله.

وهدى الله تعالى أمة محمد ﷺ لما اختلف فيه أهل الكتابين اليهود والنصارى فقال تعالى ﴿فهدى الله الذين آمنوا﴾^(١) لما اختلف فيه أولئك المختلفون من الحق هداهم بإذنه ولطفه وتوفيقه فله الحمد وله المنة. ومن ذلك الحق الذي اختلف فيه أهل الكتاب من قبلنا وهدانا الله تعالى إليه :

١ - الإيمان بعيسى عبد الله ورسوله حيث كفر به اليهود وكذبوه واتهموه بالسحر وحاولوا قتله؟ وألَّهُمَّ النصارى، وجعلوه إلهاً مع الله، وقالوا فيه إنه ابن الله. تعالى الله عن الصاحبة والولد.

٢ - يوم الجمعة وهو أفضل الأيام أخذ اليهود السبت والنصارى الأحد وهدى الله تعالى إليه أمة الإسلام.

٣ - القبلة قبله أبي الأنبياء إبراهيم استقبل اليهود بيت المقدس واستقبل النصارى مطلع الشمس وهدى الله أمة الإسلام إلى استقبال البيت العتيق قبله إبراهيم عليه السلام. والله يهدي من شاء إلى صراط مستقيم.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١ - الأصل هو التوحيد والشرك طارئ على البشرية.

(١) أي من أمة محمد ﷺ وهم المسلمون هداهم للإيمان بكل الكتب وسائر الرسل ونجاهم مما اختلف فيه من قبلهم، والحمد لله.

(٢) الإذن: الخطاب بإباحة الشيء وهو مشتق من فعل أذن إذا أصفى أذنه يستمع إلى كلام من يكلمه ثم أطلق على الخطاب بالإباحة مطلقاً.

- ٢ - الأصل في مهمة الرسل البشارة لمن آمن واتقى؟ والندارة لمن كفر وفجر، وقد يشرع لهم قتال من يقاتلهم فيقاتلونهم كما شرع ذلك لرسول الله ﷺ.
- ٣ - من علامات خذلان الأمة وتعرضها للخسار والدمار أن تختلف في كتابها ودينها فيحرفون كلام الله ويبدلون شرائعه طلباً للرئاسة وجرياً وراء الأهواء والعصبيات، وهذا الذي تعاني منه أمة الإسلام اليوم وقبل اليوم، وكان سبب دمار بني إسرائيل.
- ٤ - أمة الإسلام التي تعيش على الكتاب والسنة عقيدة وعبادة وقضاء هي المعنية بقوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾.
- ٥ - الهداية بيد الله فليطلب العبد دائماً الهداية من الله تعالى بسؤاله المتكرر أن يهديه دائماً إلى الحق.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ

شرح الكلمات :

- أَمْ حَسِبْتُمْ : أظننتم - أم هي المنقطعة فتفسر ببل والهزمة، والاستفهام انكاري
- يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُمْ هَذَا لِأَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعِهِ .
- لَمَّا : بمعنى لم النافية
- مِثْلُ : صفة وحال الذين من قبلكم .

(١) البشارة: الإعلام بخير حصل أو سيحصل للمبشر به، والندارة إعلام بشر أو ضر حصل أو سيحصل لمن أنذر به، والبشارة وعد والندارة وعيد.

(٢) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» والتوسل بهذا الدعاء نافع للخروج من ظلمة الاختلاف.

(٣) ومن الدعاء المأثور في ذلك: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنفضل، واجعلنا للمتقين إماماً».

(٤) في الآية إشارة إلى مثل قول القاتل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، ومن طلب العلى سهر الليالي، ومن يخطب الحسنة فلا يغله المهر.

البأساء والضراء : البأساء : الشدة، من الحاجة وغيرها والضراء : المرض والجراحات والقتل .

متى نصر الله : الاستفهام للإستبطاء .

معنى الآية الكريمة

ينكر تعالى على المؤمنين^(١) وهم في أيام شدة ولأواء ظنهم أنهم يدخلون الجنة بدون امتحان وابتلاء في النفس والمال بل وأن يصيبهم ما أصاب غيرهم من البأساء والضراء والزلازل وهو الاضطراب والقلق من الأهوال حتى يقول الرسول والمؤمنون معه - استبطاءاً للنصر الذي وعدوا به : متى نصر الله ؟ فيجيبهم ربهم تعالى بقوله : ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية

- ١ - الابتلاء بالتكاليف الشرعية ، وفيها الجهاد بالنفس والمال ضروري لدخول الجنة .
- ٢ - الترغيب في الإتياء بالصالحين والاعتداء بهم في العمل والصبر .
- ٣ - جواز الأعراض البشرية على الرسل كالقلق والاستبطاء للوعد الإلهي انتظاراً له .
- ٤ - بيان ما أصاب الرسول ﷺ وأصحابه من شدة وبلاء أيام الجهاد وحصار المشركين لهم .

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ

مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِلدِّينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۖ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

(١) ما من شك في أن المؤمنين وعلى رأسهم قائدهم وإمامهم ورسولهم محمد ﷺ قد مستهم البأساء والضراء في ظروف مختلفة منها هجرتهم وحروبهم في بدر واحد والخندق وغيرها والآية تعني كل ذلك وهو من مقتضيات النزول لهذه الآية .

(٢) وعن السلف تفسير البأساء بالفقر والضراء بالنقم والزلازل بالخوف من الأعداء إذ الخوف يحدث اضطراب النفس وحركة الأعضاء .

(٣) وفي هذا المعنى حديث أبي رزين : «عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثة فينظر إليهم قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب وحديث الصحيح : «والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون» .

شرح الكلمات :

من خير : من مال إذ المال يطلق عليه لفظ الخير.
الأقربين : كالأخوة والأخوات وأولادهم ، والأعمام والعلمات وأولادهم والأخوال
والخالات وأولادهم .
(١) وما تفعلوا من خير : ما : شرطية ومن : بيانية والخير هنا لسائر أنواع البر والإحسان .
فإن الله به عليم : الجملة علة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يشبكم عليه .

معنى الآية الكريمة

سأل عمرو بن الجموح وكان ذا مال سأل رسول الله ﷺ ماذا ينفق وعلى من ينفق فنزلت
الآية جواباً لسؤاله فبيئت أن ما ينفق هو المال وسائر الخيرات وأن الأحق بالإنفاق عليهم هم
الوالدان والأقربون ، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل . وأعلمهم تعالى أن ما يفعله العبد
من خير يعلمه الله تعالى ويجزي به فرغ بذلك في فعل الخير مطلقاً .

هداية الآية الكريمة :

من هداية الآية :

١ - سؤال من لا يعلم حتى يعلم وهذا طريق العلم ، ولذا قالوا : (السؤال نصف العلم).

٢ - أفضلية الإنفاق على المذكورين في الآية إن كان المنفق غنياً وهم فقراء محتاجون

٣ - الترغيب في فعل الخير والوعد من الله تعالى بالجزاء الأوفى عليه

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

(١) الآية في نفقة التطوع وقوله ﴿من خير﴾ إشارة إلى أن ما ينفق يجب أن يكون طيباً لا خبيثاً إذ لفظ الخير يدل على ذلك ويرمز له : ﴿من خير﴾ .

(٢) وقيل الآية نزلت فيمن سألوا من المسلمين عن الوجوه التي ينفقون فيها فأجابهم الله تعالى مبيناً لهم ذلك ، وما ذهبنا إليه من أن السائل عمرو بن الجموح وسؤاله عما ينفق من أنواع المال وفيه ينفق أولى وألصق .

(٣) لحديث الصحيح في بيان من أحق بالإنفاق عليه : «أُمُّكَ وَأَبَاكَ وَأَخْتُكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» أي الأقرب إليك فالأقرب .

(٤) روي أن ميمون بن مهران تلا هذه الآية : ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ الآية وقال : هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلاً ولا مزماراً ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

كُتِبَ : فرض فرضاً مؤكداً حتى لكانه مكتوب كتابة .

القتال : قتال الكافرين بجهادهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

مَكْرَهُ : مكروه في نفوسكم طبعاً .

عسى : هذا الفعل معناه الترجي والتوقع أعني أن ما دخلت عليه مرجو الحصول متوقع لا على سبيل الجزم ، إلا أنها إن كانت من الله تعالى تفيد اليقين .

معنى الآية الكريمة :

ينحبر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بأنه فرض عليهم قتال المشركين والكافرين وهو يعلم أنه مكروه لهم بطبعهم لما فيه من الآلام والأتعاب وإضاعة المال والنفس ، وأخبرهم أن مايكرهونه قد يكون خيراً ، وأن مايحبونه قد يكون شراً ، ومن ذلك الجهاد فإنه مكروه لهم وهو خير لهم لما فيه من عزتهم ونصرتهم ونصره دينهم مع حسن الثواب وعظم الجزاء في الدار الآخرة كما أن ترك الجهاد محبوب لهم وهو شر لهم لأنه يشجع عدوهم على قتالهم واستباحة بيضتهم ، وانتهاك حرمت دينهم مع سوء الجزاء في الدار الآخرة . وهذا الذي أخبرهم تعالى به من جبههم لأشياء وهي شر لهم وكراهيتهم لأشياء وهي خير لهم هو كما أخبر لعلم الله به قبل خلقه ، والله يعلم وهم لا يعلمون فيجب التسليم لله تعالى في أمره وشرعه مع حب ما أمر به وما شرعه واعتقاد أنه خير لا شر فيه .

(١) قرئت الآية : ﴿كتب عليكم القتال﴾ وقراءة القتال أشهر وأظهر والفرق بين القتال والقتال ظاهر ، وجاء كلا اللفظين في قول عمرو بن ربيعة :

كتب القتال والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول

(٢) قال القرطبي : كما اتفق في بلاد الأندلس تركوا الجهاد وجنبوا عن القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأسر وقتل وسبى واسترق فإنما لله وإنا إليه راجعون ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته ، وأنشد لأبي سعيد الضرير قوله شاهداً لمعنى الآية الكريمة :

رُبَّ أمر تنقيه جرّ أمراً ترتضيه
خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

- ١ - وجوب الجهاد على أمة الإسلام ما بقيت فتنة في الأرض وشرك فيها .
- ٢ - جهل الإنسان بالعواقب يجعله يحب المكروه ، ويكره المحبوب .
- ٣ - أوامر الله كلها خير ، ونواهيه كلها شر . فلذا يجب فعل أوامره واجتناب نواهيه .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
 الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
 عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ
 حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ
 مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
 هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
 اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

شرح الكلمات

الحرام قتال فيه : أي المحرم . قتال بدل اشتغال من الحرام ، إذ السؤال عن القتال في الشهر الحرام (رجب) .
 كبير : أي ذنب عظيم
 صد عن سبيل الله : صرف عن دين الله .

(١) المراد بالأوامر ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان رسوله من المعتقدات والعبادات والأحكام ومن النواهي ما نهى الله عنه في كتابه وعلى لسان رسوله من الاعتقادات الباطلة والعبادات المبتدعة والأحكام الفاسدة .

وكفر به	: كفر بالله تعالى
المسجد الحرام	: مكة والمسجد الحرام فيها
أهله	: النبي ﷺ والمهاجرون.
أكبر	: أعظم وزراً.
الفتنة	: الشرك واضطهاد المؤمنين ليكفروا.
حبطت أعمالهم ^(١)	: بطل أجرها فلا يثابون عليها لردتهم.
هاجروا	: تركوا ديارهم خوف الفتنة والاضطهاد في ذات الله.
معنى الآيتين :	

لما أخبر تعالى أنه كتب على المؤمنين القتال أرسل النبي ﷺ سرية بقيادة عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة يتعرف على أحوال الكفار. فشاء الله تعالى أن يلقي عبد الله ورجاله عيراً لقريش فقاتلوهم فقتلوا منهم رجلاً يدعى عمرو بن الحضرمي وأسروا اثنين واخذوا العير وقفلوا راجعين وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الثانية وهي أول ليلة من رجب. فثارت نائرة قريش وقالت: محمد يحل الشهر الحرام بالقتال فيه، وردد صوتها اليهود والمنافقون بالمدينة حتى أن الرسول ﷺ وقف العير والأسيرين ولم يقض فيهما بشيء، وتعرض عبد الله بن جحش ورفاقه لنقد ولوم عظيمين من أكثر الناس، ومازال الأمر كذلك حتى أنزل الله تعالى هاتين الآيتين ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ أي عن القتال فيه، اجبهم يارسولنا وقل لهم القتال فيه وزر كبير بيد أن الصد عن دين الله والكفر به تعالى وكذا الصد عن المسجد الحرام، وإخراج الرسول منه والمؤمنين وهم أهله وولاته بحق أعظم وزراً في حكم الله تعالى، كما أن شرك المشركين في الحرم وفتنة المؤمنين فيه لإرجاعهم عن دينهم الحق إلى الكفر بشتى أنواع التعذيب أعظم من القتل في الشهر الحرام. مضافاً إلى كل هذا عزمهم على قتال المؤمنين إلى أن يردوهم عن دينهم إن استطاعوا. ثم أخبر تعالى المؤمنين محذراً إياهم من الارتداد مهما كان العذاب أن من يرتد عن دينه ولم يتب بأن مات كافراً فإن

(١) إن وافاهم الموت على ذلك أما إن تابوا وماتوا على الإسلام ففي إثابتهم على أعمالهم قبل الردة خلاف انظره على الصفحة التالية تحت رقم (١).

(٢) هذا كان قبيل نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام.

أعماله الصالحة كلها تبطل ويصبح من أهل النار الخالدين فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (٢١٨) إن الذين آمنوا والذين هاجروا فقد نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه طمأنهم الله تعالى على أنهم غير آثمين لقتالهم في الشهر الحرام كما شنع عليه الناس بذلك، وانهم يرجون رحمة الله أى الجنة وأنه تعالى غفور لذنوبهم رحيم بهم، وذلك لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله، وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام.
- ٢ - نسخ القتال في الشهر الحرام بدليل قتال الرسول ﷺ هوازن وثقيف في شوال وأول القعدة وهما في الأشهر الحرم.
- ٣ - الكشف عن نفسية الكافرين وهي عزمهم الدائم على قتال المسلمين إلى أن يردوهم عن الإسلام ويخرجوهم منه.
- ٤ - الردة محبطة للعمل فإن تاب المرتد يستأنف العمل من جديد، وإن مات قبل التوبة فهو من أهل النار الخالدين فيها أبداً.
- ٥ - بيان فضل الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

(١) على هذا مالك وأبو حنيفة خلافاً للشافعي إذ يرى رحمه الله تعالى أن من ارتد ثم تاب يعود إليه كل عمل صالح عمله قبل الردة فلا يعيد الحج إذا حج، والراجح ما قرئناه في التفسير إذ أقل ما يقال عليه إعادة الحج طمعاً في مغفرة ذنوبه وعدم مؤاخذته أمّا مَنْ مات كافراً فالإجماع على خلوده في النار، ودليل الجمهور قوله تعالى ﴿لَإِنْ أَشْرَكَ لِحِطْطِنَ عَمَلُكَ﴾ الآية وحمله الشافعي على أنه مطلق مقيد بأية الموت على الكفر فما دام لم يمت كافراً فإن أعماله قبل الردة لا تبطل والله أعلم.

(٢) نقل فعل هجر الشيء إذا تركه إلى هاجر، وهي صيغة المفاعلة، إمّا أنه للمبالغة في الترك كما قيل عافاك الله والمعافي واحد وهو الله تعالى، وإمّا لأنه ترك شيئاً عن عداوة ولا تكون إلا بين اثنين ف قيل هاجر، والمكان المهاجر منه يقال له مهاجر.

(٣) الرجاء: ترويق الخير مع تغليب ظن حصوله.

(٤) اختلف في المرتد هل يستتاب أو يقتل بالردة فوراً والجمهور على أنه يستتاب أولاً فإن أصر قُتل ومالك يرى أن من سب النبي ﷺ لا يستتاب ويقتل واستشهد بالمرأة التي قتلت خادمها لسب النبي ﷺ وأخبرت الرسول ﷺ فلم ينكر عليها وكذلك الزنديق يقتل ولا يستتاب.

(٥) الأصل في قتل المرتد حديث الصحيح: «من بدل دينه فاقتلوه» واختلف في قتل المرأة إذا ارتدت الجمهور أنها لا تقتل لنهي النبي ﷺ عن قتل النساء والأطفال في الحرب.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾

وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِئْتِمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُ فَأَعْرِضُوا إِنَّهُ لَمَنْ يُفْسِدِ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْهُ عِزُّ حَكِيمٍ ﴿٢٢٠﴾

شرح الكلمات :

الخمير^(١) : كل ما خامر العقل وغطاه فأصبح شاربه لا يميز ولا يعقل، ويطلق لفظ الخمر على عصير العنب أو التمر أو الشعير وغيرها.

الميسر^(٢) : القمار وسمي ميسراً لأن صاحبه ينال المال بيسر وسهولة.

الائثم^(٣) : كل ضار فاسد يضر بالنفس أو العقل أو البدن أو المال أو العرض.

المنافع^(٤) : جمع منفعة وهي مايسر ولا يضر من سائر الأقوال والأفعال والمواد.

العفو : العفو هنا : ما فضل وزاد عن حاجة الإنسان من المال.

تتفكرون : فتعرفون ما ينفع في كل منها فتعملون لدينكم ما يصلحها، وتعملون لآخرتكم ما يسعدكم فيها، وينجيكم من عذابها.

تخاطبونهم : تخاطبون ما لهم مع ما لكم ليكون سواء.

لأعنتكم : العنت المشقة الشديدة يقال أعنته إذا كلفه مشقة شديدة.

(١) الخمر : مأخوذ من خمر الشيء إذا ستره وغطاه، ومنه خمار المرأة الذي يغطي رأسها وفي الحديث «خمروا الإناء» أي غطوه والخمر تطلق أساساً على ماء العنب إذا غلي أو طبخ ثم أطلقت على كل ما خمر العقل وغطاه من سائر المسكرات.

(٢) الميسر مأخوذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه يقال يسر لي كذا إذا وجب - والمضارع يسر يسراً وميسراً وهو القمار وسواء كان بالأزلام أو النرد أو الكعب أو الجوز أو الكيرم.

(٣) والخمر كلها إثم إذ ما فيها كله ضرر وقد سماها العرب الائثم قال الشاعر:

شربت الائثم حتى ضل عقلي كذاك الائثم يذهب بالعقول

(٤) والنفع الذي هو الربح إذ كانوا يشترونها من الشام بالرخص ويبيعونها بالغلاء في ديارهم كان في الجاهلية أما بعد ما حرمها الله تعالى وحرم بيعها فلم يبق فيها نفع البتة.

معنى الآيتين :

كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر ويقامرون وجاء الإسلام فبدأ دعوتهم إلى التوحيد والإيمان بالبعث الآخر إذ هما الباعث القوي على الاستقامة في الحياة، ولما هاجر الرسول ﷺ والعديد من أصحابه وأصبحت المدينة تمثل مجتمعاً إسلامياً وأخذت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً فحدث يوماً أن صلى أحد الصحابة بجماعة وهو ثملان فخلط في القراءة فنزلت آية النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ فكانوا لا يشربونها إلا في أوقات معينة وهنا كثرت التساؤلات حول شرب الخمر فنزلت هذه الآية ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمها أكبر من نفعها ﴾ فترك الكثير^(١) كلاً من شرب الخمر ولعب القمار لهذه الآية. وبقي آخرون فكان عمر يتطلع إلى منعها منعاً باتاً ويقول : (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً) فاستجاب الله تعالى له ونزلت آية المائدة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ إلى قوله ﴿ فهل انتم منتهون ﴾ فقال عمر : (انتهينا ربنا) وبذلك حرمت الخمر وحرم الميسر تحريماً قطعياً كاملاً ووضع الرسول ﷺ حدَّ الخمر وهو الجلد. وحذر من شربها وسماها أم الخبائث وقال : « مدمن الخمر لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزيكه في ثلاثة نفر وهم العاق لوالديه، ومسبل إزاره، ومدمن شرب الخمر ».

وقوله تعالى : ﴿ فيها إثم كبير ومنافع للناس ﴾ فهو كما قال تعالى فقد بين في سورة المائدة منشأ الإثم وهو أنها يسببان العداوة والبغضاء بين المسلمين ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة وأي إثم أكبر في زرع العداوة والبغضاء بين أفراد المسلمين، والإعراض عن ذكر الله وتضييع الصلاة حقاً إن فيها لإثمًا كبيراً، وأما المنافع فهي إلى جانب هذا الإثم قليلة ومنها الربح في تجارة الخمر وصنعها، وماتكسب شاربها من النشوة والفرح والسخاء والشجاعة، وأما الميسر فمن منافعه الحصول على المال بلاكد ولا تعب وانتفاع بعض الفقراء به إذ كانوا يقامرون على الجزور من الإبل ثم يذبح ويعطى للفقراء والمساكين.

(١) يرى كثير من المفسرين أن آية البقرة هذه نزلت قبل آية النساء وما رجحته في التفسير أولى ، لأن آية البقرة تعتبر محرمة للخمر والميسر بخلاف آية النساء.

(٢) لما كان تحريم الخمر تدريجياً كان من الحكمة ذكر ما كانوا يرونه من المنافع في الاتجار بها وشربها وكذا منافع الميسر إذ كانوا مايزنحونه للفقراء، وحسبهم وهم المؤمنون صرفاً لهم عن الخمر والميسر قوله : ﴿ وإثمها أكبر من نفعها ﴾ وإذا زادت المضرة على المنفعة بطل العمل عقلاً وشرعاً.

أما قوله تعالى في الآية ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ فهو سؤال نشأ عن استجابتهم لقول الله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ فأرادوا أن يعرفوا الجزء الذي ينفقونه من أموالهم في سبيل الله فأجابهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿قل العفو﴾ أي مازاد على حاجتكم وفضل عن نفقتكم على أنفسكم. ومن هنا قال الرسول ﷺ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» رواه البخاري. وقوله ﴿وكذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ أي مثل هذا البيان يبين الله لكم الشرائع والأحكام والحلال والحرام ليعدكم بذلك إلى التفكير الواعي البصير في أمر الدنيا والآخرة فتعملون لديناكم على حسب حاجتكم إليها وتعملون لآخرتكم التي مردكم إليها وبقاؤكم فيها على حسب ذلك.

وهذا ماتضمنته الآية الأولى (٢١٩) أما الآية الثانية (٢٢٠) ﴿يسألونك عن اليتامى﴾ الآية فإنه لما نزل قوله تعالى من سورة النساء ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ خاف المؤمنون والمؤمنات من هذا الوعيد الشديد وفصل من كان في بيته يتيم يكفله فصل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه وحصل بذلك عنت ومشقة كبيرة وتساءلوا عن المخرج فنزلت هذه الآية وبيئت لهم أن المقصود هو إصلاح مال اليتامى وليس هو فصله أو خلطه فقال تعالى: ﴿قل إصلاح لهم...﴾ مع الخلط خير من الفصل مع عدم الإصلاح ودفع الحرج في الخلط فقال: ﴿وإن تخالطوهم^(١) فإخوانكم، والأخ يخالط أخاه في ماله، وأعلمهم أنه تعالى يعلم المفسد لما لليتيم من المصلح له ليكونوا دائماً على حذر، وكل هذا حماية لمال اليتيم الذي فقد والده. ثم زاد الله في منته عليهم يرفع الحرج في المخالطة فقال تعالى ﴿ولو شاء الله لأعتك^(٢)م﴾ أي أبقاكم في المشقة المترتبة على فصل أموالكم عن أموال يتاماكم وقوله إن الله عزيز أي غالب على ما يريد حكيماً فيما يفعله ويقضي به.

(١) ﴿فإخوانكم﴾ الفاء واقعة في جواب إن الشرطية، وإخوانكم خبر والمبتدأ محذوف تقديره فهم إخوانكم.
(٢) مفعول المشيئة محذوف كما هو الغالب فيه والتقدير: ولو شاء الله عتكم لأعتكم أي كلّفكم ما فيه العنت والمشقة ولكنه لم يفعل رحمة بكم ولطفًا بحالكم.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - حرمة الخمر والميسر حيث نسخت هذه الآية بآية المائدة لقوله تعالى فيها فاجتنبوه وقوله فهل أنتم منتهون^(١).

٢ - بيان أفضل صدقة التطوع وهي ما كانت عن ظهر غنى وهو العفو في هذه الآية.

٣ - استحباب التفكير في أمر الدنيا والآخرة لإعطاء الأولى بقدر فوائدها والآخرة بحسب بقائها.

٤ - جواز خلط مال اليتيم بمال كافله إذا كان أربح له وأوفر وهو معنى الإصلاح في الآية.

٥ - حرمة مال اليتيم، والتحذير من المساس به وخلطه إذا كان يسبب نقصاً فيه أو إفساداً

وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَآ أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى
يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ
وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

شرح الكلمات :

وَلَا تُنكِحُوا : لا تتزوجوا.

الأمّة : خلاف الحرة.

ولو أعجبتكم : أي أعجبكم حسناتها وجاهاها.

يدعون إلى النار : بحالهم ومقالمهم وأفعالهم.

آياته : أحكام دينه ومسائل شرعه.

(١) إن كل مسكر داخل في اسم الخمر وقليله ككثيره في الحرمة سواء بإجماع الأمة، وكل أنواع الميسر ولو اختلفت المسميات كالنياصيب وغيرها محرمة.

(٢) شاهده حديث مسلم : «أبدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا أي تصدق به على الفقراء والمساكين».

معنى الآية الكريمة :

ينهى الله تعالى المؤمنين أن يتزوجوا المشركات إلا أن يؤمن بالله ورسوله، فإن آمنَ جاز نكاحهن، وأعلمهم منفراً من نكاح المشركات مرغباً في نكاح المؤمنات فقال : ولأمة مؤمنة فضلاً عن حرة خير من حرة مشركة، ولو أعجبتكم المشركة لحسنها وجمالها، كما نهاهم محرماً عليهم أن يزوجوا المؤمنات بالمشركين حتى يؤمنوا فإن آمنوا جاز لهم أن ينكحوهم بناتهم ونساءهم فقال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وقال منفراً مرغباً ولعبد مؤمن خير من حرٍ مشرك ولو أعجبهم المشرك لشرفه أو ماله أو سلطانه، وعلل لذلك بقوله . أولئك أي المشركات والمشركون يدعون إلى النار فمخالطتهم مضرّة ومفسدة لا سيما بالتزوج منهم، والله عز وجل يدعو إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح، وإلى المغفرة بالتوبة الصادقة فاستجيبوا له وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه . كما أنه تعالى يبيّن آياته للناس ليعدهم للتذكر والاتعاظ فيقبلون على طاعته الموصلة إلى رضاه والجنة، ويبعدون عن معصيته المؤدية إلى سخطه والنار.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية :

- ١ - حرمة نكاح المشركات، أما الكتابيات فقد أباحهن الله تعالى بآية المائدة إذ قال : ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ^(١) من قبلكم ﴾ .
- ٢ - حرمة نكاح المؤمنة الكافر مطلقاً ^(٢) مشركاً كان أو كتابياً .
- ٣ - شرط الولاية في نكاح المرأة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين فهو هنا يخاطب أولياء النساء المؤمنات، ولذا لا يصح نكاح إلا بولي ^(٣) .
- ٤ - التنفير من مخالطة المشركين والترغيب في البعد عنهم لأنهم يدعون إلى الكفر بحالهم ومقالمهم وأعمالهم، وبذلك هم يدعون إلى النار.

(١) الخلاف في حرمة نكاح الكتابيات ضئيل ولا وزن له، وإن كان عدم الزواج بهن أفضل وأسلم وهذا في الذميات أما الحريات فلا يجوز نكاحهن وعلى هذا مالك وقد سئل ابن عباس عن نكاح الحربية الكتابية فقال : لا تحل .
 (٢) شاهده من القرآن قوله تعالى : ﴿ لا من حلّ لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ الممتحنة .
 (٣) لحديث : « لا نكاح إلا بولي » وحديث أبي داود « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل » وهو حديث صحيح . والولي عصبة المرأة الأقرب فالأقرب فإن لم يكونوا فالسلطان ولي من لا ولي لها . ومن أركان النكاح الإشهاد عليه بشاهدين فأكثر وعليه الجمهور .

٥ - وجوب مولاة أهل الإيوان ومعاداة أهل الكفر والضلال لأن الأولين يدعون إلى الجنة والآخرين يدعون إلى النار.

وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ^ط

وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ^ج

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوْنَ^ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

شرح الكلمات :

(١) المحيض : مكان الحيض وزمنه والحيض دم يخرج من رحم المرأة إذا خلا

من الجنين .

أَذًى : ضرر يضر المجامع في أيامه .

(٢) فاعتزلوا النساء في المحيض : اتركوا جماعهن أيام الحيض .

(٣) ولا تقربوهن حتى يطهرن : أي لا تجامعوهن حتى ينقطع دم حيضهن .

فإذا تطهرن : أي إذا انقطع دم حيضهن واغتسلن منه .

(١) يطلق على الحيض أيضاً لأنه مصدر حاضت المرأة حيضاً ومحاضاً ومحيضاً فهي حائض وقد يقال حائضة وعليه قول الشاعر: كحائضة يزنى بها غير طاهر . والحيضة المرأة الواحدة والحيضة بكسر الحاء الاسم والحيضة أيضاً الخرقه تستفر بها الحائض قالت عائشة ياليتني كنت حيضةً ملقاة واشتقاق الكلمة من السيلان ومنه الحوض لأن الماء يسيل إليه .

(٢) الجمهور على أن من وطئ امرأته في الحيض لا كفارة عليه ، وإنما عليه التوبة والامتنعاف ، وضعفوا حديث «الكفارة بنصف دينار أو دينار» لاضطرابه وبه قال أحمد وعمل به .

(٣) أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم السائل من فرجها فإن كان أسود خائراً تعلوه حمرة فذلك الحيض ويحرم عليها الصوم والصلاة ويحرم وطؤها ، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة للأحاديث الصحيحة في ذلك ، وأكثر الحيض خمسة عشر يوماً وأقله لا حد له على الصحيح وأقل الطهر أيضاً خمسة عشر يوماً ليكمل الشهر حيضاً وطهراً ، وإن كان الدم زائداً على مدة الحيض فهو الاستحاضة وتصلّي معه وتصوم وتوطأ أيضاً . والحكم الثالث : دم النفاس وأكثره أربعون يوماً وأقله يوم وليلة وحكمه حكم الحيض .

(١)

فأتوهن من حيث أمركم الله : أي جامعوهن في قبلهن ، وهن طاهرات متطهرات .

نساؤكم حرث لكم : يريد مكان إنجاب الأولاد فشبّه النساء بالحرث لأن الأرض إذا حرثت أنبتت الزرع ، والمرأة إذا وطئت أنبتت الولد بإذن الله تعالى .

فأتوا حرثكم أنى شئتم : إذن بجماع امرأة مقبلة أو مدبرة إذا كان ذلك في القبل الذي هو منبت الزرع ، وهي طاهرة من الحيض والنفاس .

وقدموا لأنفسكم : يريد الأعمال الصالحة ومنها إرادة تحصين النفس والزوجة بالجماع وإرادة انجاب الأولاد الصالحين الذين يوحدون الله ويدعون لوالديهم طوال حياتهم .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بأن بعض المؤمنين سألوه عن المحيض هل تساكُن المرأة معه وتؤاكل وتشارب أو تهجر بالكلية حتى تطهر إذ كان هذا من عادة أهل الجاهلية ، وأمره أن يقول لهم الحيض أذى يضر بالرجل المواقع فيه ، وعليه فليعتزلوا النساء الحيض في الجماع فقط لا في العاشرة والمأكلة والمشاربة ، وإنما في الجماع فقط أيام سيلان الدم بل لا بأس بمباشرة الحائض في غير ما بين السرة والركبة للحديث الصحيح في هذا كما أكد هذا المنع بقوله لهم : ولا تقربوهن^(٢) أي لا تجامعوهن حتى يطهرن بإنقطاع دمهن والاعتسال بعده لقوله فإذا تطهرن أي اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله باتيانهن وهو القبل لا الدبر فإنه محرم وأعلمهم تعالى أنه يحب التوايين من الذنوب المتطهرين من النجاسات والأقذار فليتوبوا وليتطهروا ليفوزوا بحب مولا هم عز وجل هذا معنى الآية الأولى : (٢٢٢) أما الآية الثانية (٢٢٣) وهي قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ فهي تضمنت جواب سؤال وهو هل يجوز جماع المرأة مدبرة بأن يأتيها الرجل من ورائها إذ حصل هذا السؤال من بعضهم فعلاً فأخبر تعالى

(١) هل الزوجة الكتابية يجبرها زوجها أن تغتسل من الحيض والنفاس؟ أرى أن يأمرها مرغياً لها في ذلك وليس عليه إجبارها لأنه لا إكراه في الدين . وهي غير متعبدة به .

(٢) روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ الآية .

(٣) إذا قيل لا تقرب ففتح الراء معناه لا تتلصق بالشيء ، وإن قيل : لا تقرب بضم الراء فمعناه : لا تدنُ ولذا جاز للزوج أن يقرب من زوجته الحائض أو النفساء ويباشرها في غير الفرج .

أنه لا مانع من ذلك إذا كان في القبل وكانت المرأة طاهرة من دمي الحيض والنفاس، وسمى المرأة حرثاً لأن رحمها ينبت فيه الولد كما ينبت الزرع في الأرض الطيبة ومادام الأمر كذلك فليات الرجل امرأته كما شاء مقبلة أو مدبرة إذ المقصود حاصل وهو الإحصان وطلب الولد. فقلوه تعالى أنى شئتُم يريد على أي حال من إقبال أو إدبار شئتُم شرط أن يكون ذلك في القبل لا الدبر^(١). ثم وعظ تعالى عباده بقوله: وَقَدِّمُوا لأنفسكم من الخير ما ينفَعكم في آخرتكم واعلموا أنكم ملاقوا الله تعالى فلا تغفلوا عن ذكره وطاعته إذ هذا هو الزاد الذي ينفَعكم يوم تقفون بين يدي ربكم. وأخيراً أمر رسوله أن يبشر المؤمنين بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما من كان إيمانه صحيحاً مثمراً التقوى والعمل الصالح.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - حرمة الجماع أثناء الحيض والنفاس لما فيه من الضرر، ولقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزَلُوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾.
- ٢ - حرمة وطء المرأة إذا انقطع دم حيضها أو نفاسها ولم تغتسل، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾.
- ٣ - حرمة نكاح المرأة في دبرها لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وهو القبل.
- ٤ - وجوب التطهير من الذنوب بالتوبة، والتطهير من الأقدار والنجاسات بالماء.
- ٥ - وجوب تقديم ما أمكن من العمل الصالح ليكون زاد المسلم إلى الدار الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لأنفسكم﴾.
- ٦ - وجوب تقوى الله تعالى بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.
- ٧ - بشرى الله تعالى على لسان رسوله ﷺ لكل مؤمن ومؤمنة^(٣).

(١) وذلك لتحريم وطء المرأة في دبرها للآية الكريمة وللأحاديث الصحاح وما أكثرها ومنها قوله ﷺ: «أبها الناس إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن» وقوله ﷺ: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة» وورد: تلك اللوطية الصغرى.

(٢) تقدّمت الأحاديث المحرمة لنكاح المرأة في دبرها ذات رقم (١) في هذه الصفحة.

(٣) أي صادق الإيمان كما تقدم وعلاوة صدقه أن يحركه للعمل الصالح ويحمّله على ترك الشرك والمعاصي.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات:

- العرضة : ما يوضع مانعاً من شيء ، واليمين يحلفها المؤمن أن لا يفعل خيراً .
الأيمان : جمع يمين نحو والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلن كذا .
البرور : الطاعة وفعل البر .
اللغو : الباطل ، وما لا خير فيه . ولغو اليمين أن يحلف العبد على الشيء يظنه كذا
فيتبين خلافه ، أو ما يجري على لسانه من أيمان من غير إرادة الحلف .
كسبت قلوبكم : ما تعمّد القلب وقصد اليمين لأجله لفعله حتماً أو منعه .
يؤلون : الإيلاء : الحلف على عدم وطء الزوجة .
التربص : الانتظار والتمهل .
فاءوا : رجعوا إلى وطء نسائهم بعد الامتناع عنه باليمين .
الطلاق : فك رابطة الزوجية وحلها بقوله هي طالق أو مطلقة أو طلقتك .

(١) قيل نزلت الآية في أبي بكر الصديق لما حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح لأنه خاض في الإفك وقيل نزلت في
عبدالله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم ختنته بشير بن النعمان .

(٢) العرضة ما ينصب في الطريق مانعاً فيعترض طريق السائرين وأصبح يطلق على كل ما يوضع أمام الناس يقال : فلان
أصبح عرضة للناس أي يقعون فيه ويقال : المرأة عرضة للزناح أي إذا بلغت فهي أمام أنظار الرجال .

(٣) ﴿أن تبرؤا﴾ أصلها أن لا تبرؤوا فحذفت لا كما حذفت في ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي أن لا تضلوا وحذفها للتخفيف
ولظهور المعنى المراد .

(٤) يقال آلى يؤلي إيلاء ، واتلئ ياتلئ ائتلاء ، وتألّى تألياً إذا حلف على كذا ، والإيلاء جائز لتأديب الأزواج ولكن لا يصل
إلى أربعة أشهر فقد آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً تأديباً لهن .

معنى الآيات :

ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف به مانعاً من فعل الخير وذلك كأن يحلف العبد أن لا يتصدق على فلان أو أن لا يكلم فلاناً أو أن لا يصلح بين اثنين فقال تعالى ولا تجعلوا الله يريد الحلف به عرضة لأيمانكم^(١) أي مانعاً لكم من فعل خير أو ترك إثم أو اصلاح بين الناس . وأخبرهم أنه سميع لأقوالهم عليم بنياتهم وأفعالهم فليتقوه عز وجل . ثم أخبرهم أنه تعالى لا يؤاخذهم باللغو في أيمانهم وهو أن يحلف الرجل على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ما ظن ، أو أن يجري على لسانه ما لا يقصده من الحلف كقوله لا ، والله ، بلى والله فهذا مما عفا الله عنه لعباده فلا إثم فيه ولا كفارة تجب فيه . لكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم من الإثم وذلك كأن يحلف المرء كاذباً ليأخذ حق أخيه المسلم بيمينه الكاذبة فهذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار وهذه لاتنفع فيها الكفارة الموضوعة لمن حلف على أن لا يفعل أو يفعل ثم حنث ، وإنما على صاحب اليمين الغموس التوبة بتكذيب نفسه والاعتراف بذنبه ورد الحق الذي أخذه بيمينه الفاجرة إلى صاحبه وبذلك يغفر الله تعالى له ويرحمه ، والله غفور رحيم .

وبمناسبة ذكر اليمين ذكر تعالى حكم من يولي من امرأته أي يحلف أن لا يطأها فأخبر تعالى أن على المولي تربص أربعة أشهر فإن فاء إلى امرأته أي رجع إلى وطئها فيها ونعمت ، وعليه أن يكفر عن يمينه ، وإن لم يفىء إلى وطئها وأصرّ على ذلك فإن على القاضي أن يوقفه أمامه ويطالبه بالفىء فإن أبى طلقها عليه .

قال الله تعالى ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ما ارتكبوه من الذنب في حق نسائهم ويرحمهم لتوبتهم .^(٢) وإن عزموا الطلاق بأن أبوا أن يفيثوا طلقوا ، والله سميع لأقوالهم عليم بما في قلوبهم . فليحذروه بعدم فعل ما يكره ، وترك فعل ما يجب .

(١) الأيمان جمع يمين وهي الحلف ، وسمي الحلف يميناً أخذاً من اليمين لأن عادة العرب إذا حلف أحدهم للآخر وضع يده اليمنى على يده اليمنى ويقال أعطاه يميناً إذا حلف له مؤكداً حلفه بوضع يده اليمنى على يد صاحبه اليمنى .
(٢) اللغو : مصدر لغا يلغوا لغواً . إذا قال كلاماً خطأ وباطلاً ، ولذا المؤمنون إذا سمعوا اللغو أعرضوا ولم يلتفتوا إليه ولم يأبهوا له . ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ .

(٣) عزم الطلاق : هو التصميم عليه فإن لم يفيثوا فقد وجب عليهم الطلاق وعليه فالمولى بين خيرى النظرين وهما الفىء أو الطلاق .

هداية الآيات :

- ١ - كراهية منع الخير بسبب اليمين وعليه فمن حلف أن لا يفعل خيراً فليكفر عن يمينه وليفعل الخير لحديث الصحيح «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير» .
- ٢ - لغو اليمين معفو عنها ولها صورتان الأولى أن يجري على لسانه لفظ اليمين وهو لا يريد أن يحلف نحو لا والله ، وبلى والله ، والثانية أن يحلف على شيء يظنه كذا فيتبين خلافه ، مثل أن يقول والله ما في جيبي درهم ولا دينار وهو ظان أو جازم أنه ليس في جيبه شيء من ذلك ، ثم يجده فهذه صورة لغو اليمين .
- ٣ - اليمين المؤاخذ عليها العبد هي أن يحلف متعمداً الكذب قاصداً له من أجل الحصول على منفعة دنيوية وهي المقصودة بقوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ وتسمى باليمين الغموس ، واليمين الفاجرة .
- ٤ - اليمين التي تجب فيها الكفارة هي التي يحلف فيها العبد أن يفعل كذا ويعجز فلا يفعل أو يحلف أن لا يفعل كذا ثم يضطر ويفعل ، ولم يقل أثناء حلفه إن شاء الله ، والكفارة مبيّنة في آية المائدة وهي إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن لم يجد صام ثلاثة أيام .
- ٥ - بيان حكم الإيلاء وهو أن يحلف الرجل أن لا يوطأ امرأته مدة فإن كانت أقل من أربعة أشهر فله أن لا يحنث نفسه ويستمر ممتنعاً عن الوطء ، إلى أن تنتهي مدة الحلف إلا أن الأفضل أن يوطأ ويكفر عن يمينه ، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر فإن عليه أن يفى إلى زوجته أو تطلق عليه وإن كان ساخطاً غير راض .

(٣)
وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

(١) ما السر في الأربعة أشهر؟ يبدو أنها ثلث السنة والثلث كثير كما في حديث سعد في الوصية ويؤيد هذا ما أجراه عمر رضي الله عنه من سؤال النساء عن مدى صبر المرأة على زوجها فقلن شهران ويقل صبرها في ثلاثة أشهر وينفذ في أربعة أشهر. فأمر قواد الأجناد أن لا يمسكوا الرجل في الغزو أكثر من أربعة أشهر.

(٢) لقول الرسول ﷺ : «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» .

(٣) «المطلقات» الجملة خبرية ومعناها الإنشاء وهو الأمر بالتربص ثلاثة قروء وهذا خاص بالحرائر أما الإماء فيتربصن قرائن لا غير ثبت هذا بالسنة الصحيحة وهو قوله ﷺ «طلاق الأمة تطليقتان وقرءها حيضتان» .

بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

شرح الكلمات :

المطلقات : جمع مطلقة وهي المرأة تسوء عسرتها فيطلقها زوجها أو القاضي .

يتربصن : ينتظرن .

قروء : القراء إما مدة الطهر، أو مدة الحيض .

ما خلق الله في أرحامهن : من الأجنة فلا يحل للمطلقة أن تكتن ذلك .

وبعولتهن : أزواجهن واحد البعولة : بَعْلٌ كفحل ونخل .

بردهن في ذلك : أي في مدة التربص والانتظار .

ولهن مثل الذي عليهن : يريد على الزوجة حقوق لزوجها، ولها حقوق على زوجها .

وللرجال عليهن درجة : هي درجة القوامة ^(١) أن الرجل شرعا هو القيم على المرأة .

معنى الآية الكريمة :

^(٢) بمناسبة طلاق المولى إن أصر على عدم الفية ذكر تعالى في هذه الآية والمطلقات ﴿٢﴾ الخ
أن على المطلقة التي تحيض أن تنتظر فلا تتعرض للزواج مدة ثلاثة أقرأ فإن انتهت المدة ولم
يراجعها زوجها فلها أن تتزوج ^(٣) وهذا الانتظار يسمى عدة وهي واجبة مفروضة عليها لحق
زوجها، إذ له الحق أن يراجعها فيها وهذا معنى قوله تعالى في الآية : ﴿وبعولتهن أحق

(١) لفظ الدرجة دال على علو المنزلة وهو كذلك، وهو ظاهر في أنه يحميها، ويصونها وينفق عليها وتجب طاعته عليها كما أن هناك فضلا في الخلق والخلق والكسب والعمل كالجهاد وشهود الجمعة والجماعات .

(٢) المطلقات : جنس يشمل كل مطلقة ويخرج من لا تحيض لصغر سن أو كبر بدليل الكتاب من سورة الطلاق .

(٣) القراء : لفظ مشترك بين الحيض والطهر، ولذا ذهب مالك إلى أن القراء الطهر فجعل العدة ثلاثة أطهار ورجحه قوله تعالى : ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وهو أول الطهر، وذهب غيره إلى أن القراء الحيض، والكل جائز وواسع والحمد لله، إلا أن الاعتداد بالأطهار أرفق بالمطلقة إذ تكون المدة أقصر لأنها تطلق في طهر لم يجامعها فيه الزوج فيبقى عليها طهران فقط .

(٤) جعل الله تعالى مدة العدة رحمة بالزوجين إذ قد تحدث لها ندامة فيتراجعان بلا كلفة قال تعالى من سورة الطلاق : ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي المراجعة، وللرجعية النفقة على الزوج لأنها محبوسة من أجله ولا يجوز له أن يستمتع بها لا بالنظر ولا غيره ولو وطنها بدون نية مراجعة أثم ولا حد عليه للشبهة .

بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ﴿١﴾.

كما أن على المطلقة أن لا تكتم الحيض بأن تقول: ما حضت إلا حيضة أو حيزتين وهي حاضت ثلاثاً تريد بذلك الرجعة لزوجها، ولا تقول حضت ثلاثاً وهي لم تحض من أجل أن لا ترجع إلى زوجها، ولا تكتم الحمل كذلك حتى إذا تزوجت من آخر تنسب إليه الولد وهو ليس بولده وهذا من كبائر الذنوب. ولذا قال تعالى ولا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، يريد من حيض وحمل إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله تعالى: ﴿٢﴾ ويعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴿٣﴾ يريد والزوج أحق بزوجه المطلقة مادامت في عدتها وعلى شرط أن لا يريد بإرجاعها المضارة بها بل لا بد وأن يريد برجعتها الإصلاح وطيب العشرة بينهما وهذا ظاهر قوله تعالى: ﴿٤﴾ إن أرادوا إصلاحاً ﴿٥﴾، وعلى المطلقة أن تنوي برجوعها إلى زوجها الإصلاح أيضاً.

ثم أخبر تعالى أن للزوجة من الحقوق على زوجها، مثل ما للزوج عليها من حقوق فقال تعالى: ﴿٦﴾ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴿٧﴾ وأخبر أن للرجل على المرأة درجة لم ترقها المرأة ولم تكن لها وهي القيومية المفهومة من قوله تعالى من سورة النساء: ﴿٨﴾ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴿٩﴾ وختمت الآية بجملة ﴿١٠﴾ والله عزيز حكيم ﴿١١﴾ إشعاراً بوجوب تنفيذ هذه التعاليم لعزة الله تعالى وحكمته فإن الغالب يجب أن يطاع والحكيم يجب أن يسلم له في شرعه لأنه صالح نافع غير ضار.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١ - بيان عدة المطلقة إذا كانت تحيض وهو التريص ثلاثة حيض أو أطهار.
- ٢ - حرمة كتمان المطلقة حيضاً أو حملاً خلقه الله تعالى في رحمها، ولأي غرض كان.
- ٣ - أحقية الزوج بالرجعة من مطلقتها إذا لم تنقض عدتها، حتى قيل الرجعية زوجة بدليل أنها لو ماتت يرثها زوجها ولو مات ترثه. وأنه لا يحل أن تخطب أو تتزوج مادامت في عدتها.
- ٤ - اثبات حقوق كل من الزوجين على صاحبه.

(١) معنى أحق في قوله: ﴿١﴾ ويعولتهن أحق بردهن ﴿٢﴾ أن المطلقة لها حق أن لا ترجع والزوج له حق أن يراجعها متى شاء فكان هناك حقان أحدهما حق الزوج. أو يقال اسم التفضيل هنا ليس على باب، والأول أظهر لقول الرسول ﷺ: ﴿٣﴾ الأيم أحق بنفسها من وليها ﴿٤﴾.

(٢) من الحقوق المتبادلة بين الزوجين أن يتزين كل منهما لصاحبه بما يكون زينة عرفية لهما مما هو مباح.

٥ - تقرير سيادة الرجل على المرأة لما وهبه الله من ميزات الرجولة المفقودة في المرأة.

الطَّلَقُ مَرَّتَانِ^(٧)

فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ

هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

شرح الكلمات :

الطلاق^(٧)

: الاسم من طَلَّقَ وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت طالق أو
طلقتك .

(٨)

مرتان

: يطلقها، ثم يردها، ثم يطلقها ثم يردها . أي يملك الزوج
الإرجاع في طلقتين أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك
ولا ترجع حتى تنكح زوجا غيره .

فإن خفتم ألا يقيما حدود الله : حسن العشرة فإن خافت المرأة أو خاف الزوج أن لا يؤدي
حقوق الزوجية جاز الفداء وهو دفع مال للزوج ليخلي سبيل
المرأة تذهب حيث شاءت ، ويسمى هذا خلعا .

: ما يجب أن ينتهي إليه العبد من طاعة الله ولا يتجاوزها .

حدود الله

(١) تقدم ذكر بعضها في الصفحة قبل ذي تحت رقم (٤) .

(٢) كان الطلاق في الجاهلية وبرهة من الزمن في الإسلام ليس له حد فقد يطلق الرجل امرأته عشرات المرات حتى إن رجلا
قال لامرأته لا أويك ولا أدعك تحلين قالت وكيف؟ قال : أطلقك فإذا دنا مضى عدتك راجعتك ، فشكت ذلك إلى عائشة
فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿الطلاق مرتان . .﴾ الخ .

(٣) الطلاق شرعا : هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين بالفاظ مخصوصة منها أنت طالق ، والطلاق مباح لرفع الضرر عن
أحد الزوجين أو عن كليهما .

(٤) روى الدارقطني عن أنس أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿الطلاق مرتان﴾ فلم صار ثلاثاً؟ قال : ﴿إمساك
بمعرُوفٍ أو تسريحٍ بإحسان﴾ هي الثالثة .

: المتجاوز لما حدَّ الله تعالى، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

معنى الآية الكريمة

ما زال السياق في بيان أحكام الطلاق فيقرر تعالى في هذه الآية أن الطلاق الذي يملك الزوج الرجعة فيه هو طلقتان أولى، وثانية فقط، ومن هنا فمن طلق الثانية فهو بين خيارين إما أن يمسك زوجته بمعروف، أو يطلقها بإحسان فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره هذا معنى قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف﴾ أي بحسن العشرة وهو أداء ما للزوج من حقوق، أو تسريح أي تطليق بإحسان بأن يعطيها باقي صداقها إن كان، ويمتنعها بشيء من المال ولا يذكرها بسوء.

وقوله تعالى ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾: حرم تعالى على الزوج أن يأخذ من مهر زوجته شيئاً بدون رضاها، إلا في حال واحدة وهي إذا كرهت المرأة الزوج ولم تطلق البقاء معه وهو غير ظالم لها في هذه الحال يجوز أن تعطي الزوج مالاً ويطلقها ويسمى هذا إخلاءً وهو حلال على الزوج غير الظالم، وهذا معنى ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾ وهي هنا المعاشرة الحسنة فلا جناح أى لا إثم فيما فدت به نفسها فلها أن تعطي المال للزوج وله أن يأخذه منها مقابل تركها وحل عصمة الزوجية بينها.

وقوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ يريد أحكام شرعه فلا يحل تجاوز الحلال إلى الحرام، ولا تجاوز الإحسان إلى الإساءة، ولا المعروف إلى المنكر ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها للعذاب، وما ينبغي له ذلك.

-
- (١) الخطاب هنا للأزواج وفي قوله ﴿فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله﴾ للحكام وولاية الأمور.
 (٢) لا خلاف في أن المخالعة منها بائنة لا يملك الزوج رجعتها في العدة وهل يعتبر الخلع طلاقاً أو فسخاً. الراجح أنه طلاق فتعد المخالعة منها عدة الطلاق ثلاثة قروء.
 (٣) أما ما كان من الفدية مثل المهر أو أقل فلا خلاف فيه أي في جوازه، وأما ما كان أكثر من المهر ففيه خلاف والراجح على أنه جائز ولكنه مناف لمكارم الأخلاق.
 (٤) القصر في جملة ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ قصر حقيقي إذ كل ظالم متعد لحدود الله.

- ١ - حرمة الطلاق الثلاث ^(١) بلفظ واحد ، لأن الله تعالى قال الطلاق مرتان .
- ٢ - المطلقة ثلاث طلاقات لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجا غيره ^(٢) ويطلقها أو يموت عنها .
- ٣ - مشروعية الخلع وهو أن تكره المرأة البقاء مع زوجها فتخلع نفسها منه بهال تعطيه إياه عوضا عما أنفق عليها في الزواج بها .
- ٤ - وجوب الوقوف عند حدود الله وحرمة تعديها .
- ٥ - تحريم الظلم وهو ثلاثة أنواع : ظلم الشرك وهذا لا يغفر للعبد إلا بالتوبة منه وظلم العبد لأخيه الإنسان وهذا لا بد من التحلل منه ، وظلم العبد لنفسه بتعدي حد من حدود الله وهذا أمره إلى الله إن شاء غفره وإن شاء واخذ به

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

شرح الكلمات

فإن طلقها فلا تحل له : المطلقة الثالثة فلا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره
فلا جناح عليهما : أي لا إثم ولا حرج عليهما في الزواج من جديد
أن يتراجعا : أن يرجع كل منهما لصاحبه بعقد جديد وبشرط أن يظنا إقامة حدود
الله فيهما ، وإلا فلا يجوز نكاحهما .
معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى مبينا حكم من طلق امرأته المطلقة الثالثة : فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح
زوجاً غيره ، ويكون النكاح صحيحا ويبنى بها الزوج الثاني لحديث « حتى تذوقي عسيلته

(١) وهو الطلاق البدعي والجمهور على أنه يقع ثلاثا وخلاف الجمهور يقولون طلاق بدعي ويقع واحدة ودليلهم الآية : ﴿الطلاق مرتان﴾ والمطلقات يترصدن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴿والطلاق بلفظ الثلاث ليس فيه مرتان ولا اقراء فلذا هو بدعي ولا تبين المطلقة به بل هي مطلقة واحدة لا غير .

(٢) لا يحل لامرئ أن يتزوج مطلقة ثلاثا ليحلها لزوجها لعن الرسول ﷺ من يفعل ذلك في قوله ولعن الله المحلل والمحلل له « وسماء بالتيس المستعار .

ويذوق عسيلاتك»، فإن طلقها الثاني بعد البناء والخلوة والوطء أو مات عنها جاز لها أن تعود إلى الأول إن رغب هو في ذلك وعلمنا من أنفسهما أنها يقيمان حدود الله فيهما بإعطاء كل واحد حقوق صاحبه مع حسن العشرة وإلا فلا مراجعة تحمل لهما. ولذا قال تعالى إن ظننا أن يقيما حدود الله ثم نوه الله تعالى بشأن تلك الحدود فقال: ﴿وتلك حدود الله﴾ وهي شرائعه، بينها سبحانه وتعالى لقوم يعلمون، إذ العالمون بها هم الذين يقفون عندها ولا يتعدونها فيسلمون من وصمة الظلم وعقوبة الظالمين.

هداية الآية

من هداية الآية

١ - المطلقة ثلاثا لا تحمل لمطلقها إلا بشرطين الأول أن تنكح زوجا غيره نكاحاً صحيحاً وبني بها ويطأها والثاني أن يغلب على ظن كل منهما أن العشرة بينهما تطيب وأن لا يتكرر ذلك الاعتداء الذي أدى إلى الطلاق ثلاث مرات.

٢ - موت الزوج الثاني كطلاقه تصح معه الرجعة إلى الزوج الأول بشرطه.

٣ - إن تزوجت المطلقة ثلاثا بنية التمرد على الزوج حتى يطلقها لتعود إلى الأول فلا يحلها هذا النكاح لأجل التحليل، لأن الرسول ﷺ أبطله وقال: «لعن الله المحلل والمحلل له» ويسمى بالتيس المستعار، ذاك الذي يتزوج المطلقة ثلاثا بقصد أن يحلها للأول.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يُعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

(١) ذهب بعض الفقهاء إلى أنه ليس على الزوجة عمل لزوجها ولا حق له عليها إلا في الاستمتاع بها وهو قول واه يرده ما كان عليه بنات رسول الله ﷺ وأزواجه وأزواج أصحابه، إذ كن يطحن ويغسلن ويطبخن ويقمن بعمل المنزل ويؤمن بذلك بل ويضربن إن قصرن فيه.

(٢) أي الذين يفهمون الأحكام فهما يهتيم للعمل بها وبإدراك مصالحها فلا يتحيلون في فهمها ليتركوا العمل بها.

(٣) اختلف فيمن طلقت طلاقاً أو طلقتين ثم تزوجت ومات زوجها وطلقها ورجعت إلى زوجها الأول فهل النكاح الجديد يهدم السابق أو تبقى على ما كانت عليه؟ الجمهور على أنها تبقى على ما كانت عليه من طلاق أو طلقتين.

شرح الكلمات :

أجلهن : أجل المطلقة مقارنة انتهاء أيام عدتها^(١)

أو سرحوهن : تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضي عدتها وتبين من زوجها.

ضراً : مضارة لها وإضراراً بها.

لتعتدوا : لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة.

هزواً^(٢) : لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

نعمة الله : هنا هي الإسلام.

الحكمة^(٣) : السنة النبوية.

يعظكم به : بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام ؛ لشكروه تعالى بطاعته.

معنى الآية الكريمة

ما زال السياق في بيان أحكام الطلاق والخلع والرجعة ففي هذه الآية يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا طلق أحدهم امرأته وقاربت نهاية عدتها أن يراجعها فيمسكها بمعروف^(٤)، والمعروف هو حسن عشرتها أو يتركها حتى تنقضي عدتها ويسرحها بمعروف فيعطئها كامل حقوقها ولا يذكرها إلا بخير ويتركها تذهب حيث شاءت. وحرّم على أحدهم أن يراجع امرأته من أجل أن يضرّ بها فلا هو يحسن إليها ولا يطلقها فتستريح منه ، فقال تعالى : ﴿ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا﴾ يريد عليهن حتى تضطر المرأة المظلومة إلى المخالعة فتفدي نفسها منه بهال وأخبر تعالى : أن من يفعل هذا الإضرار فقد عرض نفسه للعذاب الأخروي.

كما نهى تعالى المؤمنين عن التلاعب بالأحكام الشرعية ، وذلك بإهمالها وعدم تنفيذها فقال تعالى : ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم حيث منّ

(١) بالإجماع أن المراد من بلوغ الأجل هنا مقارنة بلوغه لأنه إذا بلغ الأجل لا خيار له في الإمساك.

(٢) لا خلاف بين أهل العلم أنّ من طلق هازلاً أنّ الطلاق يلزمه لحديث أبي داود أنّ النبي ﷺ قال : «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة».

(٣) الحكمة هي السنة المبيّنة على لسان رسول الله ﷺ مراد الله فيما لا نصّ عليه من الكتاب.

(٤) قال أهل العلم : إنّ من الإمساك بالمعروف أنّ الزوج إذا لم يجد ما ينفق على زوجته يطلقها فإن لم يطلقها خرج عن حدّ المعروف.

(٥) روي عن أبي الدرداء أنه قال : كان الرجل في الجاهلية يطلق ويقول إنّما طلقت وأنا لاعب وينكح ويعتق ويقول كنت لاعباً فنزلت هذه الآية : ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾.

عليهم بالإسلام دين الرحمة والعدالة والإحسان وذلك ليشكروه بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

كما عليهم أن يذكروا نعمة الله عليهم زيادة على الإسلام وهي نعمة انزال الكتاب .
والحكمة ليعظهم بذلك فيأمرهم بما فيه سعادتهم وكنهاهم ، وينهاهم عما فيه شقاؤهم
وخسرانهم : ثم أمرهم بتقواه عز وجل ، فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأعلمهم أنه أحق أن يُتقى لأنه
بكل شيء عليم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فيلحذروا أن يراهم على معصيته مجانين
لطاغته .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١ - لا يحل للمطلق أن يراجع امرأته من أجل أن يضرَّ بها ويظلمها حتى تخالعه بهال .
- ٢ - حرمة التلاعب بالأحكام الشرعية بعدم مراعاتها ، وتنفيذها .
- ٣ - وجوب ذكر نعمة الله على العبد وذلك بذكرها باللسان ، والاعتراف بها في الجنان .^(١)
- ٤ - وجوب تقوى الله تعالى في السر والعلن .
- ٥ - مراقبة الله تعالى في سائر شؤون الحياة لأنه بكل شيء عليم .

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^(٢) ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ^(٣) وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

بلغن أجلهن : أى انتهت عدتهن .^(١)

(١) وصرفها فيما يرضي المنعم عز وجل وذلك باستعمال القوى الفعلية والبدنية في طاعة الله تعالى ، وانفاق المال فيما يجب أن ينفق فيه .

(٢) ﴿ذلك يوعظ به﴾ الإشارة فيه إلى حكم العضل المحرم والمخاطب به سائر المسلمين ولم يقل ذلكم إذ الأصل هو الإشارة إلى المذكور وهو مفرد ولو قال ذلكم جاز .

(٣) بلوغ الأجل في هذه الآية هو نهايته وليس كالأية السابقة إذ بلوغ الأجل فيها المراد قرب نهايته إذ لو بلغ الأجل نهايته ما صحت مراجعتها .

فلا تعضلوهن : أي لا تمنعهن من التزوج مرة أخرى بالعودة إلى الرجل الذي طلقها ولم يراجعها حتى انقضت عدتها .

إذا تراضوا بينهم بالمعروف : إذا رضى الزوج المطلق أن يردّها إليه ورضيت هي بذلك .
ذلك يوعظ به : أي النهي عن العضل يُكلف به أهل الإيمان إذ هم القادرون على الطاعة .

ذلكم أزكى لكم : أي ترك العضل خير لكم من العضل وأظهر لقلوبكم ؛ إذ العضل قد يسبب ارتكاب الفاحشة .

معنى الآية الكريمة :

ينهى الله تعالى أولياء أمور النساء أن يمنعوا المطلقة طليقة أو طليقتين فقط من أن تعود إلى زوجها الذي طلقها وبانت منه بانقضاء عدتها، إذا رضيت هي بالزواج منه مرة أخرى ورضي هو به وعزما على المعاشرة الحسنة بالمعروف وكانت هذه الآية استجابة لأخت معقل بن يسار رضي الله عنه حيث أرادت أن ترجع إلى زوجها الذي طلقها وبانت منه بانقضاء العدة فمنعها أخوها معقل .

وقوله تعالى : ﴿ذلكم يوعظ به﴾ أي هذا النهي عن العضل يوجه إلى أهل الإيمان بالله واليوم الآخر فهم الأحياء الذين يستجيبون لله ورسوله إذا أمروا أو نهوا .
وأخيراً أخبرهم تعالى أن عدم منع المطلقة من العودة إلى زوجها خير لهم ، حالا ومآلاً وأظهر لقلوبهم ومجتمعهم . وأعلمهم أنه يعلم عواقب الأمور وهم لا يعلمون فيجب التسليم بقبول شرعه ، والانصياع لأمره ونهيه . فقال تعالى : ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١ - حرمة العضل أي منع المطلقة أن ترجع إلى من طلقها .
- ٢ - وجوب الولاية على المرأة ، لأن الخطاب في الآية كان للأولياء «ولا تعضلوهن» .

(١) اسم هذا الزوج (أبو البداح) وكان قد طلق أخت معقل بن يسار ورغب في العودة إليها بنكاح جديد بعد انقضاء عدتها فأبى معقل وقال لها : وجهي من وجهك حرام إن تزوجتي فتزلت هذه الآية ﴿وإذا طلقتم...﴾ الخ .
(٢) دليله أن أخت معقل كانت ثيبه ومنعها أخوها من الزواج بمن طلقها وراجعها ثم طلقها مرة ثانية وانقضت عدتها ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لمعقل : «إن كنت مؤمناً فلا تمنع أختك من أبي البداح» فقال أمنت بالله ورددتها إلى أبي البداح فهذا دليل على شرعية الولي في النكاح البكر والثيب سواء .

٣ - المواعظ تنفع أهل الإيمان حياة قلوبهم .

٤ - في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه الخير كله ، والطهر جميعه .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ بَوْلِدَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدَةٌ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
فَإِنْ أَرَادَ إِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٢٢)

شرح الكلمات :

حولين : عامين .

وعلى المولود له : أي على الأب

بالمعروف : بحسب حاله يساراً وإعساراً .

وسعها : طاقتها وما تقدر عليه .

لا تضار والدة بولدها : أي لا يحل أن تؤذى أم الولد بمنعها من إرضاع ولدها ، أو بمنعها الأجرة على إرضاعه هذا في حال طلاقها ، أو موت زوجها .

(١) قوله تعالى ﴿كسوتهن﴾ إمّا أن يكون المراد به الموضع غير المطلقة فهي التي يجب لها الكسوة أمّا الموضع بأجرة فلا كسوة لها وإنما لها ثمن الإرضاع ، أو يكون ذكر الكسوة من باب مكارم الأخلاق إذ ذو الخلق الكريم يكرم مرضعة ولده بالكسوة وغيرها .

(٢) في الآية دليل على أن الأم أحق بالحضانة إذا طلقت أو مات الوالد ولا خلاف في ذلك ما لم تتزوج فإن حضانتها تسقط بذلك لقول الرسول ﷺ لمن شكت إليه : «أنت أحق به ما لم تنكحي» واختلف في مدة الحضانة ، فمالك يرى أنها إلى بلوغ الغلام وتزوج الجارية ، ورأى الشافعي أنها إلى ثمان سنوات ثم يخير الولد بين أبيه وأمه فأيهما اختار له ذلك والبنت كذلك فقد صح أن النبي ﷺ خير الولد بين أبيه وأمه .

ولا مولود له : أي ولا يضار الوالد كذلك بأن يجبر على إرضاع الولد من أمه المطلقة أو يطالب بأجرة لا يطيقها.^(١)

وعلى الوارث : الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال وإلا فعلى من يكفله من عصبته.^(٢)

فضالاً : فطاماً للولد قبل نهاية العامين.

معنى الآية الكريمة :

بمناسبة بيان أحكام الطلاق وقد تطلق المرأة أحياناً وهي حامل ذكر تعالى أحكام الرضاع وقال تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ أي على الأم المطلقة أن ترضع ولدها حولين كاملين إن أرادت هي وأب الرضيع إتمام الرضاعة، وأن على المولود له وهو الأب ان كان موجوداً نفقة المرضعة طعاماً وشراباً وكسوة بالمعروف بحسب حال الوالد من الغنى والفقر، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاه من قدرة.

ثم نبه تعالى على أنه لا يجوز أن تؤذى الوالدة بسبب ولدها بأن تمنع من إرضاع ولدها أو تكره على إرضاعه وهي لا تريد ذلك، أو تحرم النفقة مقابل الإرضاع أو يضيّق عليها فيها كما لا يجوز أن يضار أي يؤذى المولود له وهو الأب : بأن يجبر على إرضاع ولده من أمه وقد طلقها ولا أن يطالب بنفقة باهظة لا يقدر عليها. وعلى الوارث وهو الرضيع نفسه إن كان له مال. فإن لم يكن له مال فعلى عصبته الذكور الأقرب فالأقرب أى عليهم أجرة الإرضاع فإن لم يكن للولد مال وليس له عصبه وجب على الأم أن ترضعه مجاناً لأنها أقرب الناس إليه ثم ذكر تعالى رخصتين في الإرضاع الأولى إن أراد الأبوان فطام الولد قبل عامين فإن لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر. فقال تعالى : ﴿وإن

(١) وفي الحديث الصحيح : «لا ضرر ولا ضرار» ومن هنا رؤي في الحضانة جانب الولد فينظر فيمن يقدر على حفظه وتربيته، ولما كانت الأم أرحم به وأحنى عليه أعطيته ما لم تتزوج وتشغل عنه فإن تزوجت فأمرها وهي جدته وأما أم أبيه فخالته أحق به منها، والعبرة بمن يكون أرحم وأحفظ بالولد.

(٢) الجمهور على أن المراد بالوارث، ورثة الرضيع إذا هلك من نساء ورجال ذكره القرطبي في تفسيره وقال غيره إن الوارث هو الرضيع إذا مات والده وترك مالا. أجرة المرضع من ماله فإن كان لأمه مال ورثته هو ولا تضار هي في واجب نفقتها ولا الوالد أو وارثه في أدائها وما فسرنا به الآية واضح ومستقيم والحمد لله رب العالمين.

(٣) ﴿والوالدات﴾ مبتدأ وجملة يرضعن الخبر، فالجملة خبرية ومعناها الإنشاء إذ ما تضمنته الجملة هو إرشاد من الله تعالى للمؤمنين في طريقة إرضاع أولادهم.

اراداً فصلاً عن تراض منها وتشاور فلا جناح عليهما ﴿أي لا تضيق ولا حرج﴾. والثانية إن أراد المولود له أن يسترضع لولده من مرضعاً غير أمه فله ذلك إن طابت به نفس الأم قال تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾ بشرط أن يسلم الأجرة المتفق عليها بالمعروف بلا إجحاف ولا ماطلة، وأخيراً وعظ الله كلاً من المُرْضِع والمُرْضَع له بتقواه في هذه الحدود التي وضعها لهما، وأعلمهم أنه بما يعملون بصير فليحذروا مخالفة أمره، وارتكاب نهيهِ. فسبحانه من إلهٍ عظيمٍ برِّ رحيمٍ.

هداية الآية

من هداية الآية:

- ١ - وجوب إرضاع الأم ولدها الرضعة الأولى «اللَّبَّ» إن كانت مطلقة وسائر الرضاع إن كانت غير مطلقة.
- ٢ - بيان الحد الأعلى للرضاع وهو عامان تامان. ولذا فالزيادة عليهما غير معتبرة شرعاً.
- ٣ - جواز أخذ الأجرة على الإرضاع.
- ٤ - وجوب نفقة الأقارب على بعضهم في حال الفقر.
- ٥ - جواز إرضاع الوالد ولده من مرضع غير والدته.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ

(١) المراد من الأجرة هي تلك التي وجبت للمطلقة بإرضاعها ولدها قبل أخذ الوالد له ليرضعه عند غيرها إن لم يكن قد سلمها لها أيام إرضاعها للولد.

(٢) لحديث: «لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام» رواه أبو داود الطيالسي عن جابر ذكره ابن كثير. وحديث ابن عباس عند البخاري: «لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين» ولذا فما كان من رضاع بعد الحولين فلا يحرم بدلالة هذا الحديث الصحيح.

(٣) إن كان في ذلك مصلحة للرضيع أو لعجز الوالدة عنه.

وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

شرح الكلمات :

- يتوفون : يوفيهن الله تعالى ما كتب لهم من العمر فيموتون .
ويذرون أزواجه : يتركون زوجات لهم .
يتربصن بأنفسهن : ينتظرن حتى انقضاء عدتهن وهي أربعة أشهر وعشر ليال .
بلغن أجلهن : بلغن انتهاء العدة .
لا جناح عليكم : لا حرج عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من مس الطيب والتجمل والتعرض للخطاب .
لا جناح عليكم : لا اثم عليكم في التعريض دون التصريح بالخطبة ، كما لا اثم في اضمار الرغبة في النفس .
حتى يبلغ الكتاب أجله : أي حتى تنتهى العدة .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في بيان أحكام الطلاق والعدد والنفقات ففي هذه الآية (٢٣٤) أن على من مات^(١) عليها زوجها أن تنتظر أربعة أشهر وعشر ليال إن كانت حرة أو نصف المدة إن كانت أمة فلا تتجمل ولا تمس طيباً ولا تتعرض للخطاب بحال حتى تنقضي عدتها المذكورة في الآية إلا أن تكون حاملاً فإن عدتها تنقضي^(٢) بوضع حملها لقوله تعالى من سورة الطلاق : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ فإذا بلغت أجلها أي انتهت المدة التي هي

(١) من مات زوجها أو طلقها في غيبته عنها هل تعتد من يوم الطلاق أو الوفاة أو من يوم يأتيها الخبر بذلك؟ الجمهور وهو الراجح أنها تعتد من يوم الوفاة أو الطلاق وعليه فلو مات زوجها أو طلقها ولم يلقها حتى انتهت مدة العدة فلا عدة عليها بعد .
(٢) يرى بعض السلف أن تعتد المتوفى عنها زوجها بأقصى الأجلين أي بأطولهما فإن كانت مدة الحمل أكثر من أربعة أشهر وعشراً اعتدت به وإلا اعتدت بوضع الحمل وما عليه الجمهور أولى وهو وضع الحمل .

معدة فيها فلا جناح على ذوي زوجها المتوفى ولا على ذويها هي فيما تفعل بنفسها من ترك الإحداد^(١) والتعرض للخطاب للزوج هذا معنى قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ أي بما هو مباح لهن ووعظهن في ختام الآية بقوله ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فاحذروه فلا تعملون إلا ما أذن فيه لكم.

أما الآية الثانية (٢٣٥) فقد تضمنت تحريم خطبة المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة فلا يحل خطبتها لما في ذلك من الضرر؟ إذ قد تحمل هذه الخطبة من رجل مرغوب فيه لماله أو دينه أو نسبه أن تدعى المرأة انقضاء عدتها وهي لم تنقض، وقد تفوت على زوجها المطلق لها فرصة المراجعة وهذا كله ضرر محرم. كما تضمنت الآية في صدرها رفع الحرج أى الإثم في التعريض بالخطبة دون اللفظ الصريح المحرم فقال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم﴾ أيها المسلمون فيما عرضتم من خطبة النساء المعتدات نحو قوله: إني راغب في الزواج، أو إذا انقضت عدتك تشاوريني إن أردت الزواج. كما تضمنت الكشف عن نفسية الرجل إذ قال تعالى: ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ مبدئين رغبتكم في الزواج منهن فرخص لكم في التعريض دون التصريح، ولكن لا تواعدهن سراً هذا اللفظ هو الدال على تحريم خطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن، أما الطلاق الرجعي فلا يصح الخطبة فيه تعريضاً ولا تصريحاً لأنها في حكم الزوجة، وقوله إلا أن تقولوا قولاً معروفاً هو الإذن بالتعريض.

كما تضمنت هذه الآية حرمة عقد النكاح على المعتدة حتى تنتهي عدتها إذ قال تعالى: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾، والمراد من الكتاب المدة التي كتب الله على المعتدة أن تربص فيها. وختمت الآية بوعظ الله تعالى المؤمنين حيث أمرهم أن يعلموا أن الله يعلم ما في أنفسهم ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم وتصرفاتهم فليحذروه غاية الحذر فلا يخالفوه في أمره ولا في نبيه. كما أعلمهم أنه تعالى غفور لمن تاب منهم بعد الذنب حلیم عليهم لا يعاجلهم بالعقوبة ليتمكنوا من التوبة.

(١) الإحداد واجب على المتوفى عنها زوجها فقط لحديث الصحيح: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» والإحداد هو ترك أنواع الزينة حتى الكحل والخضاب وعليها لزوم البيت ليلاً وعدم التعرض للخطاب.

(٢) أي لا تعقدوا على المعتدة حتى تنقضي عدتها يقال عزم كذا وعزم على كذا بمعنى واحد.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - بيان عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشر ليال، وبينت الستة أن عدة الأمة على النصف.

٢ - وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها وهو عدم التزين ومس الطيب وعدم التعرض للخطاب وملازمة المنزل الذي توفي عنها زوجها وهي فيه فلا تخرج منه إلا لضرورة قصوى.

٣ - حرمة خطبة المعتدة، وجواز التعريض لها بلفظ غير صريح.

٤ - حرمة عقد النكاح على معتدة قبل انقضاء عدتها وهذا من باب أولى مادام الخطبة محرمة ومن عقد على امرأة قبل انقضاء عدتها يفرق بينهما ولا تحل له بعد عقوبة لها.

٥ - وجوب مراقبة الله تعالى في السر والعلن واتقاء الأسباب المفضية بالعبد إلى فعل محرم.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدْرِهِ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا
أَوْ يَعْفُوا

(١) قيل الحكمة في العشر ليال بعد الأربعة أشهر أنها التي ينفخ فيها الروح في الجنين لحديث: «إن أحذكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نقطة» الحديث. فثلاثة أربعينات بأربعة أشهر وفي العشر بعد ينفخ فيه الروح. والحديث هو حديث ابن مسعود في مسلم.

(٢) هذا مذهب مالك، أما الجمهور فإنه يفارقها فإذا انتهت عدتها له أن يخطبها ويتزوجها، ولا فرق في هذا بين عدة الوفاة أو الطلاق غير الرجعي.

(٣) هذا استئناف بياني كأن سائلا سأل عن جواز الطلاق قبل البناء وعدمه فأجاب تعالى بقوله «لا جناح عليكم» الآية مبينا الجواز وحكم المهر للمطلقة قبل البناء.

(٤) المطلقات أربع: مطلقة قبل البناء ولم يسم لها مهر فلها المتعة ولا عدة عليها، ومطلقة قبل البناء وسمي لها مهر فلها نصفه إلا أن يعفو، ومطلقة بعد البناء لها ما سمي من المهر، وعليها العدة، ومطلقة بعد البناء ولم يسم لها مهر فلها مهر مثيلاتها.

(٥) أو هنا بمعنى الواو أي ولم تفرضوا.

(٦) النصف: فيه لغات، كسر النون، وضمها، ونصيف بفتح النون وإشباع الصاد والنصيف أيضاً قناع المرأة.

الَّذِي يَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾

شرح الكلمات :

الجناح	: الإثم المترتب على المعصية .
ما لم تمسوهن	: ما لم تجمعهن
أو تفرضوا	: تُقَدِّرُوا لهن مهرا ^(١)
الموسع قدره	: ذو الوسع في المال ، وَقَدَّرَهُ : ما يقدر عليه ويستطيعه .
المقتر	: الضيق العيش .
الذي بيده عقدة النكاح	: هو الزوج
ولا تنسوا الفضل بينكم	: أى المودة والإحسان
حافظوا على الصلوات	: بأدائها في أوقاتها في جماعة مع استيفاء شروطها وأركانها وسننها .
الصلاة الوسطى	: صلاة العصر ، أو الصبح فتجب المحافظة على كل الصلوات وخاصة العصر والصبح لقول الرسول ﷺ «من صلى البردين والعصاة» .
قانتين	: خاشعين ساكنين ^(٢)
فرجالا	: مشاة على أرجلكم أو ركبانا على الدواب وغيرها مما يركب .

(١) اختلف فيمن مات زوجها قبل البناء بها ولم يسم لها صداق هل لها مثل صداق مثيلاتها أو لا صداق لها؟ ولكن لها الميراث وعليها العدة فمن قال بالقياس قال لا صداق لها ومن أخذ بحديث بروع الذي رواه الترمذي وصححه قال : لها مهر المثل وترث وتعتد ، وبروع امرأة مات زوجها قبل البناء بها ولم يسم لها مهرا فقاضى رسول الله ﷺ لها بمهر المثل والميراث والعدة .

(٢) الخشوع في الصلاة مستلزم لترك الكلام فيها وكيف وقد سلم ابن مسعود على رسول الله ﷺ وهو في صلاته فلم يرد عليه ثم اعتذر له بقوله : «إن في الصلاة لشغلا» أي عن الكلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق وما يتعلق به ففي هذه الآية (٢٣٦) : يخبر تعالى عباده المؤمنين أنه لا إثم ولا حرج عليهم إن هم طلقوا أزواجهم قبل البناء بهن، وقبل أن يسموا لهن مهوراً أيضاً وفي هذين الحالين يجب عليهم أن يمتنعوا^(١) بأن يعطوا المطلقة قبل البناء ولم تكن قد أعطيت مهراً ولا سمي لها فيعرف مقدارها في هذه الحال وقد تكون نادرة يجب على الزوج المطلق جبراً لخطاها أن يعطيها مالاً على قدر غناه وفقره تتمتع به أياما عوضاً عما فاتها من التمتع بالزواج، فقال تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة، ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾ .

وأما الآية الثانية (٢٣٧) فإنه تعالى يخبر أن من طلق امرأته قبل البناء بها وقد سمي لها صداقاً قل أو كثر فإن عليه أن يعطيها وجوباً نصفه إلا أن تعفو عنه المطلقة فلا تأخذه تكرماً، أو يعفو المطلق تكرماً فلا يأخذ منه شيئاً فيعطيها إياه كاملاً فقال عز وجل : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ - أي فالواجب نصف ما فرضتم - إلا أن يعفون - المطلقات - أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج . ثم بعد تقرير هذا الحكم العادل الرحيم دعا تعالى الطرفين إلى العفو، وأن من عفا منها كان أقرب إلى التقوى فقال عز وجل : ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾ ونهاهم مع هذا عن عدم نسيان المودة والإحسان بينهما فقال : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ .

وأما الآية الثانية (٢٣٨) فإنه تعالى يرشد عباده المؤمنين إلى ما يساعدهم على الالتزام بهذه الواجبات الشرعية والآداب الإسلامية الرفيعة وهو المحافظة على إقامة الصلوات الخمس عامة والصلوة الوسطى خاصة فقال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾ ، وكانوا قبلها يتكلمون في الصلاة فمنعهم من ذلك بقوله : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أي ساكنين خاشعين . وإن حصل خوف لا يتمكنون معه من أداء الصلاة على الوجه

(١) المتعة واجبة للمطلقة قبل البناء ولم يكن سمي لها مهر، ومستحبة لغيرها هذا أشهر المذاهب وأقربها من الحق، ومقدار المتعة موكل إلى المطلق فليمتع بحسب حاله غنى وفقراً هذا في غير المطلقة قبل البناء ولم يسم لها مهر لأن متعتها واجبة إذ ليس لها غيرها فقد يتولى القاضي بيان مقدارها .

(٢) وإن كان الخطاب صالحاً لكل من الزوج والزوجة إلا أن العفو من الزوج أولى لأن الطلاق كان منه ولو كانت هي سببه لكان عفوها هي أولى ولعل هذا سر قوله : ﴿ أقرب للتقوى ﴾ .

المطلوب من السكون والخشوع فليؤدوها وهم مشاة على أرجلهم أو راكبون على خيولهم، حتى إذا زال الخوف وحصل الأمن فليصلوا على الهيئة التي كانوا يصلون عليها من سكون وسكوت وخشوع فقال تعالى ﴿فإن خفتهم فرجالاً أو ركبانا﴾ فإذا أمتتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴿يريد الله تعالى بالذكر هنا إقام الصلاة أولاً، ثم الذكر العام مذكراً إياهم بنعمة العلم مطالباً إياهم بشكرها وهو أن يؤدوا الصلاة على أكمل وجوها وأتمها لأنها المساعد على سائر الطاعات وحسبها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. هذا ما تضمنته الآية الرابعة (٢٣٩).

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم المطلقة قبل البناء وقبل تسمية المهر، وأن لها المتعة فقط بحسب حال المطلق من غنى وفقر.

٢ - بيان حكم المطلقة قبل البناء وقد سمي لها صداق فإن لها نصفه وجوباً إلا أن تتنازل عنه برضاها فلها ذلك كما أن الزوج المطلق إذا تنازل عن النصف وأعطاها المسمى كاملاً فله ذلك.

٣ - الدعوة إلى إبقاء المودة والفضل والإحسان بين الأسرتين أسرة المرأة المطلقة وأسرة الزوج المطلق، حتى لا يكون الطلاق سبباً في العداوات والتقاطع.

٤ - وجوب المحافظة على الصلوات الخمس وبخاصة صلاة العصر^(١) وصلاة الصبح «الصلاة الوسطى»^(٢).

٥ - منع الكلام في الصلاة لغير إصلاحها.

٦ - وجوب الخشوع في الصلاة.

(١) «فإذا أمتتم فاذكروا الله» أي أقيموا الصلاة كما أمركم فأتوا ركوعها وسجودها وقيامها وجلسها كما تفعلون ذلك في حال الأمن وعدم الخوف.

(٢) اختلف في بيان الصلاة الوسطى بلغ الخلاف عشرة أقوال حتى عدت كل صلاة الصلاة الوسطى حتى يتم المحافظة على الصلوات الخمس كلها، وأقوى الأقوال أنها الصبح أو العصر، ورجح مالك الصبح ورجح غيره العصر، والسنة الصحيحة شاهدة لمن قال أنها العصر وذلك لحديث الصحيح: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر».

(٣) الوسطى مؤنث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله وفي هذا المعنى قال الشاعر يمدح رسول الله ﷺ يا أوسط الناس طراً في مفاخرهم وأكرم الناس أمّا برةً وأبا وأفردت الصلاة الوسطى بالذكر تشريفاً لها.

٧ - بيان صلاة الخائف من عدو وغيره وأنه يجوز له أن يصلي وهو ماش أو راكب .

٨ - الأمر بملازمة ذكر الله ، والشكر على نعمه وبخاصة نعمة العلم بالإسلام .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتْعُ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

شرح الكلمات :

الحول : العام .

فإن خرجن : من بيت الزوج المتوفى قبل نهاية السنة .

متاع بالمعروف : أي متعة لا مبالغة فيها ، ولا تقصير .

حقاً : متعيناً على المطلقين الأتقياء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان حقوق النساء المطلقات والمتوفى عنهن ففي هذه الآية (٢٤٠) يخبر تعالى أن الذين يتوفون من المؤمنين ويتركون أزواجاً فإن هن من الله تعالى وصية على ورثة الزوج المتوفى أن ينفذهن وهي أن يسمحوا لزوجته المتوفى عنها أن تبقى معهم في البيت تأكل وتشرب إلى نهاية السنة بما فيها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشر ليال إلا إذا رغبت في الخروج بعد انقضاء العدة فلها ذلك ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم﴾

(١) المراد بالمتاع هنا هو السكنى في بيت زوجها المتوفى عنها إن كان له سكنى يملكها .

(٢) في قوله تعالى ﴿والله عزيز حكيم﴾ إشارة إلى وجوب تنفيذ وصية الله تعالى لأنه غالب على أمره قاهر لعباده فكيف يخرجون عن طاعته ، وحكيم والحكيم لا يعترض عليه بل يسلم الأمر إليه رزقنا الله طاعته بالإسلام إليه ظاهراً وباطناً .

(٣) اختلف في توجيه هذه الآية فمن قائل بنسخها وأن الناسخ لها الآية التي قبلها : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ يترصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، ومن قائل بنسخها آية الموارث ، إذ المتوفى عنها إن لم يكن للزوج ولد الربع من التركة ، ومن قائل وهو مجاهد ورجحه ابن جرير الطبري بعدم النسخ وأنه رحمة بالمؤمنة المتوفى عنها زوجها إذا أتمت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً يسمح لها بالبقاء في بيت زوجها الهالك إلى نهاية السنة وهذا حسب اختيارها ورغبتها فكانت هذه الوصية وصية رحمة منذوباً إليها وهذا الذي رجحته في تفسير الآية فليتأمل .

ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴿ وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن تقدم معناه، وهو أن للمعتدة إذا انقضت عدتها أن تتزين وتمس الطيب وتعرض للخطاب للزوج. وما ختمت به الآية والله عزيز حكيم إشارة إلى أن هذه الوصية قد شرعها عزيز حكيم فهي متعيّنة التحقيق والتنفيذ.

وأما الآية الثانية (٢٤١) ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ ففيها حكم آخر وهو أن المطلقة المبنى بها على مطلقها أن يمتعها بشيء من المال كثياب أو دابة أو خادمة، وعليه فالمطلقة قبل البناء وقيل تسمية المهر لها المتعة واجبة لها إذ ليس لها سواها والمطلقة قبل البناء وقد سمى لها المهر فإن لها نصف المهر لا غير، والمطلقة بعد البناء وهي هذه المقصودة في هذه الآية لها متعة بالمعروف سواء قيل بالوجوب أو الاستحباب لأنها لها المهر كاملاً^(١).

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٤٢) ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ معناه كهذا التبين لأحكام الطلاق والخلع والرضاع والعدد والمتع يبين تعالى لنا آياته المتضمنة أحكام شرعه لنعقلها ونعمل بها فنكمل عليها ونسعد في الحياتين الدنيا والآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - الإبقاء على المعتدة عدة وفاة في بيت الهالك سنة إن طابت نفسها بذلك وذلك بعد انقضاء العدة الواجبة فالزائد وهو سبعة أشهر وعشرون يوماً جاء في هذه الوصية إلا أن جمهور أهل العلم يقولون بنسخ هذه الوصية، وعدم القول بالنسخ أولى، لأختلافهم في الناسخ لها^(٢).

٢ - حق المطلقة المدخول بها في المتعة بالمعروف.

٣ - منة الله على هذه الأمة ببيان الأحكام لها لتسعد بها وتكمل عليها، فله الحمد

والشكر.

(١) تقدّم مثل هذا البيان في الآيات السابقة تحت رقم صفحة ٢٢٧ من نهر الخير.
(٢) رجّح هذا القول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومال إليه تلميذه ابن القيم ولم يفصح عنه.
(٣) أي تقرير حق المتعة للمدخول بها على سبيل السنة والاستحباب كما تقدم في النهر.

﴿ أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ^(١) إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

شرح الكلمات :

ألم تر : ألم ينته إلى علمك . . . فالرؤية قلبية والإستفهام للتعجيب .
ألوف : جمع ألف ، وهي صيغة كثرة فهم إذا عشرات الألوف .
في سبيل الله : الطريق الموصل إلى مرضاته وهو طاعته بامثال أمره واجتناب نهيه ومن
ذلك جهاد الكفار والظالمين حتى لا تكون فتنة .
يقرض الله : يقطع شيئاً من ماله وينفقه في الجهاد لشراء السلاح وتسيير المجاهدين .
يقبض ويبسط : يضيق ويبسط يوسع ، يقبض ابتلاءً ، ويبسط امتحاناً .

معنى الآيات :

يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ فيقول ألم ينته إلى علمك قصة لذين خرجوا من ديارهم فراراً من
الموت وهم ألوف وهم أهل مدينة من مدن بني إسرائيل أصابها الله تعالى بمرض^(٢) الطاعون
ففروا هاربين من الموت فأماهم الله عن آخرهم ثم أحياهم بدعوة نبيهم حزقيل عليه
السلام ، فهل أنجاهم فرارهم من الموت ، فكذلك من يفر من القتال هل ينجيه فراره من

(١) هذا الامر أمر تكويني لا شرعي تعبدى .

(٢) ذكر القرطبي أن اسم هذه القرية «داوردان» وهي من نواحي شرق واسط بينهما فوسخ (معجم ياقوت) .

(٣) روى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ ذكر الطاعون فقال : «بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني اسرائيل فإذا
وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها ، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها» قلت هذا ما يعرف الآن بالحجر الصحي .

الموت؟ والجواب لا، وإذا فلم الفرار من الجهاد إذا تعين؟ وفي تأديب تلك الجماعة بإمامتها ثم بإحيائها فضل من الله عليها عظيم، ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وإذا فقاتلوا أيها المسلمون في سبيل الله ولا تتأخروا متى دعيتم إلى الجهاد بالنفس والمال، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وأعمالكم فاحذروه، ثم فتح تعالى باب الاكتتاب المالي للجهاد فقال ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ لا شائبة شرك فيه لأحد والنفس طيبة به فإن الله تعالى يضاعفه له أضعافاً كثيرة الدرهم بسبعمائة درهم فأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل إعلاء كلمة الله، ولا تحافوا الفقر فإن ربكم يقبض ويبسط: يضيق على العبد ابتلاء ويوسع امتحاناً، فمنعكم الإنفاق في سبيل الله لا يغير من تدبير الله شيئاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - إذا نزل الوباء ببلد لا يجوز الخروج فراراً منه، بهذا ثبتت السنة.
- ٢ - وجوب ذكر النعم وشكرها.
- ٣ - وجوب القتال في سبيل الله إذا تعين.
- ٤ - فضل الإنفاق في سبيل الله.
- ٥ - بيان الحكمة في تضيق الله على العبد رزقه، وتوسيعه، وهو الابتلاء لأجل الصبر والامتحان لأجل الشكر، فيالحية من لم يصبر، عند التضيق عليه، ولم يشكر عند التوسعة له.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا لَهِمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا

(١) القتال في سبيل الله هو ما كان لإعلاء كلمة الله تعالى.
(٢) الاستفهام هنا للتحريض والتهيج على الإنفاق في سبيل الله.

مِنْ دِينِنَا وَأَنْبَايِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
 لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
 مِنْهُ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
 عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
 يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

شرح الكلمات :

- الملا** : أشرف الناس من أهل الحل والعقد بينهم إذا نظر المرء إليهم ملأوا عينه رواء وقلبه هيبة .
- عسى** : كلمة توقع وترج .
- كتب** : فرض ولزم
- ملكا** : يسوسهم في السلم والحرب .
- أنى يكون** : الاستفهام للإنكار بمعنى كيف يكون له الملك .
- اصطفاه** : فضله عليكم واختاره لكم .
- بسطة في الجسم** : أى طولاً زائداً يعلو به من عداه .

معنى الآيات :

لقد فرض الله تعالى على المؤمنين القتال ، ودارت رحى المعارك بداية من معركة بدر وكان لا بد من المال والرجال الأبطال الشجعان ، فاقضى هذا الموقف شحذ الهمم وإلهاب المشاعر لتقوى الجماعة المسلمة بالمدينة على مواجهة حرب العرب والعجم معاً ، ومن هنا لمطاردة الجبن والبخل وهما من شر الصفات في الرجال ذكر تعالى حادثة الفارين من الموت

التاركين ديارهم لغيرهم كيف أماتهم الله ولم ينجيهم فرارهم، ثم أحياهم ليكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم فالفرار من الموت لا يجدي وإنما يجدي الصبر والصمود حتى النصر، ثم أمر تعالى المؤمنين بعد أن أخذ ذلك المنظر من نفوسهم مأخذه فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولما كان المال المقدم في القتال فتح الله لهم اكتتاباً مالياً وضاعف لهم الربح في القرض بشرط خلوصه وطيب النفس به، ثم قدم لهم هذا العرض التفصيلي لحادثة أخرى تحمل في ثناياها العظات والعبر لمن هو في موقف المسلمين الذين يحاربهم الأبيض والأحمر وبلا هوادة وعلى طول الزمن فقال تعالى: وهو يخاطبهم في شخص نبيهم ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ^(١)﴾ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴿يُرِيدُ أَلَمْ يَنْتَه إِلَى عِلْمِكَ بِإِخْبَارِنَا إِيَّاكَ قَوْلَ أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى - لَنَبِيِّهِمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتُطْرَدَ أَعْدَاؤُنَا مِنْ بِلَادِنَا وَنُسْتَرِدَّ سَيَادَتَنَا وَنُحْكَمَ شَرِيعَةً رَبَّنَا. وَنَنْظُرَ إِلَى ضَعْفِهِمُ الرُّوحِي وَالْبَدَنِي وَالْمَالِي تَخَوُّفِ النَّبِيِّ إِنْ لَا يَكُونُوا صَادِقِينَ فِيمَا طَالِبُوهُ بِهِ فَقَالَ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ بتعيين الملك القائد أن لا تقاتلوا؟! فدفعتهم الحمية فقالوا: ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله والحال أننا قد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، وذلك أن العدو وهم البابليون لما غزوا فلسطين بعد أن فسق بنو إسرائيل فتبرجت نساؤهم واستباحوا الزنى والربا وعطلوا الكتاب وأعرضوا عن هدى أنبيائهم فسلط الله عليهم هذا العدو الجبار فشردهم فأصبحوا لاجئين .

وما كان من نبي الله شمويل إلا أن بعث من تلك الجماعات الميتة موتاً معنوياً رجلاً منهم هو طالوت وقادهم فلما دنوا من المعركة جنبوا وتولى أكثرهم منهزمين قبل القتال، وصدق نبيهم في فراسته إذ قال لهم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تَقَاتِلُوا﴾ .

(١) هو شمويل بن بال بن علقمة هكذا ذكره القرطبي في تفسيره، ويقال فيه: شمعون أيضاً ويعرف بابن العجوز لأن أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد فوهبها إياه بعد عقم وكبر سن.

(٢) ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ...﴾ فيه دليل على أن الجهاد لإعلاء كلمة الله لا بد له من إمام تجتمع عليه كلمة الأمة، وآيما جهاد يخلو من إمامة شرعية يقاتل تحت رايته فعاقبته خسر، وشاهد هذا حال المسلمين اليوم فقد قاتلوا الاستعمار تحت شعار الأحزاب فلما انتصروا خسروا كل شيء حتى دينهم.

(٣) عيسيت: بكسر السين وعسيتم بفتح السين وهما قراءتان سبعيتان الأولى لنافع والثانية لحفص (٤) إن الخروج من الوطن صعب على النفوس البشرية وهذا رسول الله ﷺ عند خروجه من مكة قال: «إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ولولا أن قومك أخرجنني ما خرجت» ويقول: «اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أكثر».

(٥) ولذا نهى رسول الله ﷺ أمته عن تمني لقاء العدو فقال: «لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاقبوا».

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٤٦) من هذا القصص أما الآية الثانية (٢٤٧) فقد تضمنت اعتراض ملا بني اسرائيل على تعيين طالوت ملكاً عليهم بحجة أنه فقير من أسرة غير شريفة، وأنهم أحق بهذا المنصب منه، ورد عليهم نبيهم حجتهم الباطلة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ^(١) وَالْجِسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ يَشَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. كان هذا رد شمولي على قول الملأ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ^(٢) وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾. وكأنهم لما دمغتهم الحجة وهي أن الله تعالى قد اختار طالوت وفضله عليهم بهذا الاختيار وأهله للولاية بما أعطاه وزاده من العلم وقوة الجسم، والقيادات القتالية تعتمد على غزارة العلم وقوة البدن بسلامة الحواس وشجاعة العقل والقلب أقول كأنهم لما بطل اعتراضهم ورضوا بطالوت طالبوا على عادة بني اسرائيل في التعتن طالبوا بآية تدل على أن الله حقاً اختاره لقيادتهم فقال لهم الخ وهي الآية (٢٤٨) الآتية.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

شرح الكلمات :

- نبيهم : شمولي .
آية ملكه : علامة أن الله تعالى ملكه عليكم .
التابوت : صندوق خشبي فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون .
سكينة : طمأنينة القلب وهدوء نفسي .

(١) في تقديم العلم على الجسم إشارة إلى أن إمامة الجاهل وقيادته لا خير فيها، والمراد من العلم علم الشرائع وهي تتناول السلم والحرب فلذا هو كامل الأهلية وحسبه اصطفاء الله تعالى واختياره له .
(٢) لأن الملك في سبط يهوذا والنبوة في بني لاوي، وطالوت من سبط بنيامين فما هو من سبط الملك ولا في بني لاوي أهل النبوة .

بقية : بقية الشيء ما تبقى منه بعد ذهاب أكثره وهي هنا رضاء من الألواح التي تكسرت، وعصا موسى وشيء من آثار أنبيائهم .
تحملة الملائكة : من أرض العمالة فتضعه بين يدي بني اسرائيل في مخيماتهم .
إن في ذلك لآية لكم : أي في إتيان التابوت الذي أخذه العدو بالقوة منكم في رده إليكم علامة قوية على اختيار الله تعالى لطالوت ملكاً عليكم .

معنى الآية الكريمة

قد أصبح بشرح الكلمات معنى الآية واضحاً وخلاصته أن شمويل النبي أعلمهم أن آية تمليك الله تعالى لطالوت عليهم أن يأتيهم التابوت المغمصوب منهم وهو رمز تجمعهم واتحادهم ومصدر استمداد قوة معنوياتهم لما حواه من آثار آل موسى وآل هارون كرضاض الألواح وعصا موسى ونعله وعمامة هارون وشيء من المن الذي كان ينزل عليهم في التيه . فكان هذا التابوت بمثابة الراية يقاتلون تحتها فإنهم إذا خرجوا لقتال حملوه معهم إلى داخل المعركة ولا يزالون يقاتلون مابقي التابوت بأيديهم لم يغلبهم عليه عدوهم ، ومن هنا وهم يتحفزون للقتال جعل الله تعالى لهم إتيان التابوت آية على تمليك طالوت عليهم وفي نفس الوقت يحملونه معهم في قتالهم فتسكن^(١) به قلوبهم وتهدأ نفوسهم فيقاتلون وينتصرون بإذن الله تعالى، (أما كيفية حمل الملائكة للتابوت فإن الأخبار تقول إن العمالة تشائموا بالتابوت عندهم إذ ابتلوا بمرض البواسير وبآفات زراعية وغيرها ففكروا في أن يردوا هذا التابوت لبني اسرائيل وساق الله أقداراً لأقدار، فجعلوه في عربة يجرها بقرتان أو فرسان ووجهوها إلى جهة منازل بني اسرائيل فمشت العربة فساقتها^(٢) الملائكة حتى وصلت بها إلى منازل بني

(١) نسبة الإتيان إلى التابوت أسلوب عربي نحو (عزم الأمر) . (وجدار يريد أن ينقض) وال في التابوت للعهود فهو معروف لهم معهود عندهم ، وقيل طوله ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان وهو من خشب تعمل منه الأمشاط يقال له الشمشاط وعليه صفائح الذهب .

(٢) السكينة قال فيها مجاهد إنها حيوان كالهر له جناحان وذنب ولعنيه شعاع إلى آخر ما قال والصحيح ما في التفسير ويؤيده قول ابن عطية إذ قال : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى إلا أنه صح عن نبينا ﷺ أن السكينة تكون ملكاً كما في حديث مسلم إذ كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فغشيته سحابه فجعلت تدور وتدور وجعل الفرس ينفر منها فلما أصبح أخبر الرسول ﷺ بذلك فقال : « تلك السكينة نزلت للقرآن » وتكون السكينة بمعناها وهو السكون كما في حديث مسلم : « إلا نزلت عليهم السكينة ، وحفَّتْهم الملائكة . » الحديث .

(٣) هكذا تقول الروايات على أن حمل الملائكة كان يدفع العربة والسير بها إلى ديار بني اسرائيل ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أن الملائكة أخذت التابوت وحملته إلى بني اسرائيل وهو الظاهر .

إسرائيل فكانت آية وأعظم آية وقبل بنو إسرائيل بقيادة طالوت ، وبسم الله تعالى قادهم وفي الآية التالية (٢٤٩) بيان السير إلى ساحات القتال .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ^(١) وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ ^(٢) أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذَنْ لَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

شرح الكلمات :

فصل طالوت ^(١)

: انفصل من الديار وخرج يريد العدو .

بالجنود ^(٢)

: العسكر وتعداده - كما قيل : سبعون ألف مقاتل .

مبتليكم بنهر

: مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن .

ومن لم يطعمه

: لم يشرب منه .

غرفة ^(٣)

: الغرفة بالفتح المرة وبالضم الاسم من الاعتراف

الذين آمنوا معه

: هم الذين لم يشربوا من النهر، أما من شرب فقد كفر وأشرك .

(١) أي ليس من أصحابي في هذه الحرب ولا من جندي الذين أقاتل بهم ولم يرد خروجه من الإيمان وهو كقول الرسول ﷺ : «من غش فليس منا» «ومن رغب عن سنتي فليس مني» فإنه لا يعنى كفره .

(٢) الظن هنا بمعنى اليقين أو يكون الظن على بابه وليس هو في لقاء الله تعالى وإنما هو في الموت في هذه الحرب هل يقتلون فيلقون الله أولم يقتلوا .

(٣) هل كان طالوت نبيًا؟ يستدل على نبوته بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ ويقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ والله أعلم وعلى كل فهو عبد صالح .

(٤) لفظ الجند وجمعه جنود وأجناد مشتق من الجند الذي هو غليظ الأرض، إذ الجنود يعتصم بعضهم ببعض فيقوون ويغلظون على عدوهم .

(٥) الغرفة بالضم اسم لما يغرف كالأكلة اسم لما يؤكل، والغرفة أيضاً البناء العالي والجمع غرف .

أنهم ملاقوا الله : أي يوم القيامة فهم يؤمنون بالبعث الآخر
 كم من فئة : كم للتكثير والفئة : الجماعة يفىء بعضها إلى بعض .
 والله مع الصابرين : يسددهم ويعينهم وينصرهم .
 معنى الآية :

إنه لما خرج طالوت بالجيش أخبرهم أن الله تعالى يختبرهم في سيرهم هذا إلى قتال عدوهم
 بنهر ينتهون إليه وهم في حرّ شديد وعطش شديد، ولم يأذن لهم في الشرب منه إلا ما كان
 من غرفة واحدة فمن أطاع ولم يشرب فهو المؤمن ومن عصى وشرب غير المأذون به فهو الكافر .
 ولما وصلوا إلى النهر شربوا منه يكرعون كالبهائم إلا قليلاً منهم . وواصل طالوت السير
 فجاوز النهر هو ومن معه، ولما كانوا على مقربة من جيش العدو وكان قرابة مائة ألف قال
 الكافرون والمنافقون : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ فأعلنوا انهزامهم، وانصرفوا
 فارين، وقال المؤمنون الصادقون وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وقال الذين يظنون أنهم ملاقوا
 الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ كانت هذه الآية في بيان سير
 طالوت إلى العدو وفي الآيتين التاليتين (٢٥٠) و(٢٥١) بيان المعركة وما انتهت إليه من نصر
 حاسم للمؤمنين الصادقين قال تعالى :

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
 وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَّعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ

(١) البراز: المكان الفسيح في الأرض المتسع منها والمتبرّز الذهاب في البراز وكانوا يخرجون لقضاء الحاجة في البراز فأطلق لفظ البراز على ما يحل فيه وهو العذرة .

(٢) فيه مشروعية الدعاء في مثل هذا الموقف وقد دعا رسول الله ﷺ في بدر حتى سقط رداؤه وكان إذا لاقى العدو قال اللهم بك أصول وبك أجول، ويقول اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم، وعلم أصحابه ذلك .

(٣) الهزم : الكسر ومنه قولهم سقاء منهزم إذا انثنى بعضه على بعض مع الجفاف وقيل في زمزم هزمة جبريل أي هزمها جبريل برجله فتكسرت الأرض وخرج الماء .

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

شرح الكلمات :

برزوا لجالوت : ظهروا في ميدان المعركة وجالوت قائد قوات العمالقة .
أفرغ علينا صبرا : أصيب الصبر في قلوبنا صبرا حتى تمتلئ فلم يبق للخوف والجزع موضع .
وثبت أقدامنا : في أرض المعركة حتى لا ننهزم وذلك بتقوية قلوبنا والشد من عزائمنا .
داود : هو نبي الله ورسوله داود ، وكان يومئذ غير نبي^(١) ولا رسول في جيش طالوت .
وأتاه الله الملك والحكمة : كان ذلك بعد موت شمويل النبي وموت طالوت الملك .
وعلمه مما يشاء : فعلمه صنعة الدروع ، وفهم منطق الطير هو وولده سليمان عليهما السلام .

لفسدت الأرض : وذلك بغلبة أهل الشرك على أهل التوحيد ، وأهل الكفر على أهل الإيمان .

معنى الآيات :

لما التقى الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر طالب جالوت بالمبارزة فخرج له داود من جيش طالوت فقتله والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت وكان عدد أفرادة ثلاثمائة وأربعة عشر مقاتلا لا غير لقول الرسول ﷺ « لا هل بدر » إنكم على عدة أصحاب طالوت « وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا فهزم الله جيش الباطل على كثرته ونصر جيش الحق على قلته . وهنا ظهر كوكب داود في الأفق بقتله رأس الشر جالوت فمن الله عليه بالنبوة والملك بعد موت

(١) أي لم ينبا بعد ولم يرسل إذ الرسل ينباون ويرسلون غالبا في سن الأربعين .

(٢) لم يقص الله تعالى علينا شيئا عن كيفية قتل داود لجالوت لعدم الفائدة الكبيرة منها وخلاصتها كما يلي : كان والد داود في جيش طالوت وله ستة أبناء معه واسمه إيشا وكان داود أصغرهم وكان يرعى الغنم وكان لنيهم درع وأوحى الله أن من استوت عليه درعه هو الذي يقاتل جالوت فاستوت على داود وقبل البراز قال طالوت : مَنْ قَتَلَ جَالُوتَ أَشَاطِرَهُ مَلَكِي وَأَزْوَاجَهُ ابْنَتِي وَكَانَ دَاوُدَ قَدْ مَرَّ بِحَجَرٍ فَنَادَاهُ أَنْ خُذْنِي يَادَاوُدَ وَقَاتِلْ بِي فَجَعَلَهُ فِي مَخْلَاطِهِ وَاحْتَفَظَ بِهِ فَلَمَّا بَرَزَ لَجَالُوتَ جَعَلَ الْحَجَرُ فِي مَقْلَاعِهِ وَكَانَ رَامِيَا فَرَمَى جَالُوتَ فَقَتَلَهُ . وهذه بداية أمره عليه السلام .

كل من النبي شمويل والملك طالوت قال تعالى: ﴿وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة^(١) وعلمه مما يشاء﴾.

وختم الله القصة ذات العبر والعظات العظيمة بقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بالجهاد والقتال، لاستولى أهل الكفر وأفسدوا الأرض بالظلم والشرك والمعاصي، ولكن الله تعالى بتدبيره الحكيم يسلط بعضاً على بعض، ويدفع بعضاً ببعض منة منه وفضلاً. كما قال عز وجل ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾.

ثم التفت إلى رسوله محمد ﷺ وقال له: تقريراً لنبوته وعلو مكانته تلك آيات الله التي تقدمت في هذا السياق نتلوها عليك بالحق، وإنك لمن المرسلين ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - الجهاد الشرعي يشترط له الإمام المبايع ببيعة شرعية.
- ٢ - يشترط للولاية الكفاءة وأهم خصائصها العلم، وسلامة العقل والبدن.
- ٣ - جواز التبرك بآثار الأنبياء كعمامة النبي أو ثوبه أو نعله مثلاً.
- ٤ - جواز اختبار أفراد الجيش لمعرفة مدى استعدادهم للقتال والصبر عليه.
- ٥ - فضيلة الإيثار بقاء الله، وفضيلة الصبر على طاعة الله خاصة في معارك الجهاد في سبيل الله.
- ٦ - بيان الحكمة في مشروعية الجهاد، وهي دفع أهل الكفر والظلم بأهل الإيمان والعدل، لتنظيم الحياة ويعمر الكون.

لمرشد

(١) فسر ابن كثير الحكمة بالنبوة لقريظة الملك، إذ جعله الله تعالى ملكاً نبياً كولدته سليمان عليهما السلام.
(٢) وفي صحيح الحديث: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» وفيه معنى «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» الآية واورد ابن كثير أحاديث في هذا المعنى وضعفها.
* في قول طالوت في رقم (١) من قتل جالوت أشركه في ملكي وأزوجه ابنتي موجود نظيره في الإسلام إذ للإمام أن يقول: مَنْ جاءني برأس فلان فله كذا ومَنْ دخل حصن كذا فله كذا وكذا.

الجزء الثالث

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

شرح الكلمات :

- تلك الرسل : أولئك الرسل الذين قص الله تعالى على رسوله بعضاً منهم وأخبره أنه منهم في قوله ﴿ وإنا لك لمن المرسلين ﴾ في الآية قبل هذه .
- من كلم الله : كموسى عليه السلام . (١)
- ورفع بعضهم درجات : وهو محمد ﷺ حيث فضله تفضيلاً على سائر الرسل .
- البيّنات : المعجزات الدالة على صدق عيسى في نبوته ورسالته .
- روح القدس : جبريل عليه السلام كان يقف دائماً إلى جانب عيسى يسدده ويقويه إلى أن رفعه الله تعالى إليه .
- اقتتلوا : قتل بعضهم بعضاً .
- أنفقوا مما رزقناكم : النفقة الواجبة وهي الزكاة ، ونفقة التطوع المستحبة .

(١) روى أحمد عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ قائلاً : أي الأنبياء كان أول؟ قال «آدم قلت رسول ونبي كان؟ قال نعم نبي مكرم قلت يارسول الله كم المرسلون؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيرا» .
(٢) شاهده قوله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ومع هذا زيادة في كماله قال : «لا تفضلوني على موسى» . وقال على يونس بن متى : «فصلى الله عليه ما أرفع مقامه» .

- لا يبيع فيه^(١) : لا يشتري أحد نفسه بئال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب .
 ولا خلّة : أي صداقة تنفع صاحبها .
 ولا شفاعة : تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .
 والكافرون . : بمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالى ولعباده هم الظالمون .

معنى الآيتين :

بعد أن قص الله تبارك وتعالى على رسوله قصة ملأ بني إسرائيل في طلبهم نبيهم شمويل بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد، وكانت القصة تحمل في ثناياها أحداثاً من غير الممكن أن يعلمها أمي مثل محمد ﷺ بدون ما يتلقاها وحياً يوحيه الله تعالى إليه وختم القصة بتقرير نبوته ورسالته بقوله : ﴿ وإنك لمن المرسلين ﴾ أخبر تعالى أن أولئك الرسل فضل بعضهم على بعض، منهم من فضله بتكليمه كموسى عليه السلام ومنهم من فضله بالخلّة كإبراهيم عليه السلام ومنهم من رفعه إليه وأدناه وناجاه وهو محمد ﷺ ومنهم من آتاه الملك والحكمة وعلمه صنعة الدروع كداود عليه السلام، ومنهم من آتاه الملك والحكمة وسخر له الجن وعلمه منطق الطير كسليمان عليه السلام، ومنهم من آتاه البينات وأيده بروح القدس وهو عيسى عليه السلام . فقال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ كنبينا محمد ﷺ إذ فضله بعموم رسالته وبختم النبوات بنبوته، وبتفضيل أمته، وبإدخاله الجنة في حياته قبل مماته وبتكليمه ومناجاته مع ما خصه من الشفاعة يوم القيامة . ثم أخبر تعالى أنه لو شاء هداية الناس لهداهم فلم يختلفوا بعد رسلهم ولم يقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات وذلك لعظيم قدرته، وحرية إرادته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . هذا بعض ما أفادته الآية الأولى (٢٥٣) أما الآية الثانية (٢٥٤) فقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين وأمرهم بالانفاق في سبيل الله تقريباً إليه وتزوداً للقائه قبل يوم القيامة حيث لا

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ لا يبيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة ﴾ بالنصب من غير تنوين . وأنشد حسان وهو شاهد هذه القراءة :

ألا طعان ولا فرسان عادية إلا تجشؤكم عند التناير
 يهجو ناساً فيصفهم بالقعود عن القتال وملازمة التنور للطعام .

(٢) الحكمة هنا هي النبوة كما تقدم عن ابن كثير في «نهر الخير» .

(٣) هل يجوز للمسلم أن يقول مثلاً موسى أفضل من هارون أو إبراهيم أفضل من عيسى مثلاً؟ الجواب لا لقوله ﷺ « لا تخيروا بين الأنبياء ولا تفضلوا بين أنبياء الله » أي لا تقولوا فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان إذ نحن لا نقدر على التفضيل وإنما يقدر عليه الله وحده إذ هو الذي يهب ما يشاء لمن يشاء .

فداء ببيع وشراء، ولا صداقة تجدي ولا شفاعة تنفع، والكافرون بنعم الله وشرائعه هم الظالمون المستوجبون للعذاب والحرمان والخسران.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تفاضل الرسل فيما بينهم بحسب جهادهم وصبرهم وما أهلهم الله تعالى له من الكمال.
- ٢- صفة الكلام لله تعالى حيث كلّم موسى في الطور، وكلم محمداً في الملكوت الأعلى.
- ٣- الكفر والإيمان والهداية والضلال، والحرب والسلم كل ذلك تبع لمشيئته تعالى وحكمته.
- ٤- ذم الاختلاف في الدين وأنه مصدر شقاء وعذاب.
- ٥- وجوب الانفاق في سبيل الله مما رزق الله تعالى عبده.
- ٦- التحذير من الغفلة والأخذ بأسباب النجاة يوم القيامة حيث لا فداء ولا خلّة تنفع ولا شفاعة ومن أقوى الأسباب الإيمان والعمل الصالح وإنفاق المال تقريباً إلى الله تعالى في الجهاد وغيره.

(١)
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ



(١) قال القرطبي عند هذه الآية: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي فكافحهم بالقتال بالأنفس وانفاق المال قال: وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال: الكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون.

(٢) صح أن النبي ﷺ قال: «يا أبا المنذر - أبي بن كعب - أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر وروى أحمد أن آية الكرسي تعدل ربع القرآن وأن الزلزلة والكافرون والنصر كل واحدة تعدل ربع القرآن وأن الصمد تعدل ثلث القرآن».

شرح الكلمات :

الله : عَلَّمَ على ذات الرب تبارك وتعالى .

لا إله إلا هو : الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله ، إذ هو الخالق الرزاق المدبر بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء ، وما عداه من الآلهة لعبادتها بدون حق فهي باطلة .
(١) الحَيَّ : ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى وهي مستلزمة للقدره والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام .

القيوم (٢) : القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليّه ، القائم على كل نفس بما كسبت .
السُّنة : النعاس يسبق النوم .

كرسيّه : الكرسي : موضع القدمين ، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى .
يؤوده : يثقله ويشق عليه .

معنى الآية الكريمة :

لما أخبر تعالى عن يوم القيامة وأنه يوم لا بيع فيه ولا شفاعاة وأن الكافرين هم الظالمون ، أخبر عن جلاله وكماله وعظيم سلطانه وأنه هو المعبود بحق وأن عبادته هي التي تنجي من أهوال يوم القيامة فقال : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ : أي أنه الله المعبود بحق ولا معبود بحق سواه . ﴿الحي القيوم﴾ الدائم الحياة التي لم تسبق بموت ولم يطرأ عليها موت . القيوم : العظيم القيومية على كل شيء ، لولا قيوميته على الخلائق ما استقام من أمر العوالم شيء : ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ : إذ النعاس والنوم من صفات النقص وهو تعالى ذو الكمال المطلق . وهذه الجملة برهان على الجملة قبلها ، إذ من ينعس وينام لا يتأتى له القيومية على

(١) الحي : أصلها الحي الحذر فحذفت كسرة الباء الأولى فسكنت وأدغمت في الثانية فصارت الحي والقيوم أصلها القيوم فقلبت الواو الأولى ياءً وأدغمت في الباء فصارت القيوم .

(٢) روى الترمذي وقال حديث حسن صحيح : «إن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ و﴿ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ إن فيهما اسم الله الأعظم . ورواه أبو داود أيضاً .

(٣) هذه آية الكرسي قال فيها رسول الله ﷺ : «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» رواه النسائي وغيره .

(٤) ورد في الصحيح عن أبي موسى قال : «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» .

الخلائق ولا يسعها حفظاً ورزقاً وتدبيراً. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ : خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ : ينفي تعالى وهو الذي له ما في السموات وما في الأرض ينفي أن يشفع عنده في الدنيا أو في الآخرة أحد كائن من كان بدون أن يأذن له في الشفاعة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : لكمال عجزهم. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ : لكمال ذاته. ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ : ولا يثقله أو يشق عليه حفظ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ : العلي الذي ليس فوقه شيء والقاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظيمته صغير حقير.

هداية الآية الكريمة

من هداية هذه الآية :

١- أنها أعظم آية في كتاب الله تعالى اشتملت على ثمانية عشر إسماً لله تعالى ما بين ظاهر ومضمّر، وكلماتها خمسون كلمة وجملها عشر جمل كلها ناطقة بربوبيته تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

٢- تستحب قراءتها بعد الصلاة المكتوبة، وعند النوم، وفي البيوت لطرد الشيطان.

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ

مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ

أَسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ

النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

(١) هذا كناية عن إحاطة علم الله بكل شيء إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو بكل شيء عليم وأما الخلق فإنهم لا يعلمون إلا ما شاء أن يعلمهم إياه.

(٢) أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : «الكُرسى موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره» رواه الحاكم موقوفاً وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

شرح الكلمات :

- لا إكراه في الدين : لا يكره المرء على الدخول في الدين^(١)، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره .
- الرشد^(٢) : الهدى الموصل إلى الإسعاد والإكمال .
- الفسى^(٣) : الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران .
- الطاغوت : كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما .
- العروة الوثقى^(٤) : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- لا انفصام لها : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال .
- الله وليّ الذين آمنوا : مُتولّيهم بحفظه ونصره وتوفيقه .
- الظلمات : ظلمات الجهل والكفر .
- النور : نور الإيمان والعلم .
- أولياؤهم الطاغوت : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان فأخرجوهم من الإيمان إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل .

معنى الآيتين :

يخبر الله تعالى بعد ذكر صفات جلاله وكماله في آية الكرسي أنه لا إكراه في دينه ، وذلك حين أراد بعض الأنصار إكراه من تهوّد أو تنصّر من أولادهم على الدخول في دين الإسلام ، ولذا فإن أهل الكتابين ومن شابههم تؤخذ منهم الجزية ويقرون على دينهم فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم الحرة ، أما الوثنيون والذين لا دين لهم سوى الشرك والكفر فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام انقاداً لهم من الجهل والكفر وما لازمهم من الضلال والشقاء .

ثم أخبر تعالى أنه بإتزال كتابه وبعثه رسوله ونصر أوليائه قد تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل ، وعليه فمن يكفر بالطاغوت وهو الشيطان الذي زين عبادة الأصنام ويؤمن بالله فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد استمسك^(٥) من الدين بأمتن عروة وأوثقها ، ومن يصّر على الكفر بالله والإيمان بالطاغوت فقد تمسك بأوهى من خيط العنكبوت . والله

(١) الإكراه: الحمل على فعل المكروه، والدين هنا: الإسلام وجملته (لا إكراه) خبر بمعنى الإنشاء.

(٢) يقال رُشد يرشد رُشداً، ورشد يرشد رُشداً إذا بلغ ما يجب، وغوى ضده، والغى مصدر من غوى يغوي إذ ضلّ في معتقد أو رأي.

(٣) كان العرب في الجاهلية يسمون الصنم المعبود الطاغية، وفي الحديث: «كانوا يهلون لمناة الطاغية».

(٤) الوثقى: مؤثث الأوثق وجمع الوثقى الوثق مثل: الفضلى والفضل.

(٥) السين والتاء في (استمسك) للتأكيد كما في استجاب بمعنى أجاب.

سميع لأقوال عباده عليهم بنياتهم وخفيات أعمالهم وسيجزى كلًّا بكسبه . ثم أخبر تعالى أنه ولي عباده المؤمنين فهو يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان فَيَكْمَلُونَ وَيَسْعُدُونَ ، وأن الكافرين أولياؤهم الطاغوت من شياطين الجن والإنس الذين حسنوا لهم الباطل والشرور وزيتوا لهم الكفر والفسوق والعصيان، فأخرجوهم بذلك من النور إلى الظلمات فأهلوهم لدخول النار فكانوا أصحابها الخالدين فيها .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- لا يُكره أهل الكتابين ومن في حُكْمهم كالمجوس والصابئة على الدخول في الإسلام إلا باختيارهم وتقبل منهم الجزية فَيَقْرُونَ على دينهم .
- ٢- الإسلام كله رشد ، وما عداه ضلال وباطل .
- ٣- التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل .
- ٤- معنى لا إله إلا الله ، وهي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت .
- ٥- ولاية الله تعالى تُنال بالإيمان والتقوى .
- ٦- نُصرة الله تعالى ورعايته لأوليائه دون أعدائه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنَّهُ اتَّهَمَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(١) وحد تعالى لفظ النور وجمع لفظ الظلمة ، لأن الحق واحد ، والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة .
(٢) هل هذه الآية : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ منسوخة بآية السيف ؟ الراجح أنها محكمة غير منسوخة هل تؤخذ الجزية من غير أهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب ؟ أما كفار قريش ، الإجماع على أن لا تؤخذ منهم الجزية . ومن عداهم مذهب مالك يرى أخذ الجزية منهم والإبقاء عليهم ولعل هذا إن دعت الضرورة إلى ذلك ، وما ذكرته في التفسير أصح المذاهب وأعدلها .
(٣) جاء في صحيح البخاري ما ملخصه : أن عبدالله بن سلام رأى رؤيا كأنه في دوحة خضراء وفي وسطها عمود حديد أسفلها في الأرض وأعلاه في السماء عروة الحديد وفسر له النبي ﷺ : الروضة بالإسلام والعمود عمود الإسلام ، والعروة هي العروة الوثقى أي أنت على الإسلام حتى تموت فكان مبشراً بالجنة رضي الله عنه .

شرح الكلمات :

ألم تر : ألم ينته إلى علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحتاج لإبراهيم .

حاج : جادل ومارى وخاصم .

في ربه : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم .

آناه الله الملك : أعطاه الحكم والسيادة على أهل بلاده وديار قومه .

إبراهيم : هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان هذا الحجاج قبل هجرة إبراهيم إلى أرض الشام .

فبهت الذي كفر : انقطع عن الحجة متحيراً مدهوشاً ذاك الطاغية الكافر وهو النمرود البابلي .

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثلاً لذلك وهو محاجة النمرود البابلي لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي ألم ينته إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فينا إنه لأمر عجب . إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت فقال أنا أحيي^(١) وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلاً : ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب فاندعش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر^(٢)، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أوليائه من ظلمة الجهل إلى نور العلم .

(١) إذ هو ملك بابل وقيل إنه أحد الأربعة الذين ملكوا المعمورة وهم مسلمان، وكافران، فالمسلمان سليمان، وذو القرنين عليهما السلام والكافران : النمرود، وبختنصر عليهما لعائن الرحمن .

(٢) يقال له النمرود بن كوثن بن كنعان بن سام بن نوح عليه السلام، وفي الآية دليل على جواز إطلاق اسم الملك على الحاكم الكافر ولما حارب الله تعالى أهلكه مع جيشه بالعوض إذا فتح الله عليهم باباً من العوض فأكلت الجيش فلم تتركه إلا عظاماً وأما النمرود فقد دخلت بعوضة في دماغه فصار يضرب على دماغه حتى هلك بذلك .

(٣) يريد أنه يحيي من أراد حياته ويميت من أراد موته وهذا مجرد تمويه وسفسطة فلذا عدل إبراهيم عنها وألزمه الحجة إن كان صادقا في دعواه بالإتيان بالشمس من المغرب كما يأتي بها الله من المشرق .

(٤) يذكر أهل التفسير هنا أن إبراهيم ذهب يمتار من عند الملك كغيره فجادله الملك ومنعه الميرة فعاد بلا شيء وفي أثناء طريقه وجد رملا أحمر فملأ منه غرارتين حتى لا يفاجئ أهله بالخيبة ولما وصل ونام قامت زوجته سارة ففتحت الغرارة فوجدتها دقيقا من أجود الدقيق الحواري .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- النعم تبطر صاحبها إذا حرم ولاية الله تعالى .
- ٢- نصره الله لأوليائه وإلهامهم الحجة لخصم أعدائهم .
- ٣- إذا ظلم العبد وإلى الظلم حتى أصبح وصفاً له يحرم هداية الله تعالى فلا يهتدي أبداً .
- ٤- جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة .

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ

عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
 بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ
 قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ
 فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى
 حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
 الْأَعْظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
 تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ



شرح الكلمات :

- قرية^(١) : مدينة لم يذكر الله تعالى اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوى معرفتها .
- خاوية : فارغة من سكانها ساقطة عروشها على مبانيها وجدرانها .
- أنى يحيى : كيف يحيى^(٢) .

(١) سميت القرية قرية : لاجتماع الناس فيها ، مأخوذ من قرئت الماء إذا جمعت ، وهي في القرآن ، المدينة الكبيرة ، والمراد بها هنا بيت المقدس ، وقد خربها الطاغية بختنصر ثم بعد سبعين سنة أعيد بناؤها كما كانت .

(٢) العريش : سقف البيت وجمعه عروش وهو كل ما يهيا ليظل أو يكن من ينزل تحته ، ومنه عريش الدالية أي شجرة العنب إذ يعرض لها عريش تمد عليه أغصانها لتتدلى منه عناقيدها .

(٣) اختلف فيمن هو المار على القرية هل هو عزيز أو إرميا أو الخضر ، وأرجح الأقوال أنه عزيز ، وما دام الله ورسوله لم يذكر اسم فلا داعي إلى ذكره ، والتعرف إليه ولذا لم أذكره في التفسير .

بعد موتها : بعد خوائها وسقوطها على عروشها

لبثت : مكثت وأقمت .

لم يتسنه ^(١) : لم يتغير بمر السنين عليه .

آية : علامة على قدرة الله على بعث الناس أحياء يوم القيامة .

ننشرها : في قراءة ورش ننشرها بمعنى نحییها بعد موتها . وننشرها نرفعها ونجمعها لتكون حمراً كما كانت .

معنى الآية :

هذا مثل آخر معطوف على الأول الذي تجلت فيه على حقيقتها ولاية الله لإبراهيم حيث أيدته بالحجة القاطعة ونصره على عدوه النمرود قال تعالى : ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية﴾ فارغة من سكانها ساقطة سقوفها على مبانيها فقال المارُّ بها مُستبعداً حياتها مرة ثانية : كيف يحیی الله هذه القرية بعد خرابها؟ فأما الله مائة عام ثم أحياء، وسأله : كم لبثت؟ قال : حسب عادة من نام في يوم واستيقظ فيه فإنه يرى أنه نام يوماً أو بعض يوم . فأجابه مُصَوِّباً له فهمه : بل لبثت مائة عام ، ولكي تقتنع بما أخبرت به فانظر إلى طعامك وكان سلة من تين، وشرابك وكان عصيراً من عنب فإنه لم يتغير طعمه ولا لونه وقد مر عليه قرن من الزمن ، وانظر إلى حمارك فإنه هلك بمرور الزمن ولم يبق منه إلا عظامه تلوح بيضاء فهذا دليل قاطع على موته وفناؤه لمرور مائة سنة عليه ، وانظر إلى العظام كيف نجمعها ونكسوها لحماً فإذا هي حمارك الذي كنت تركبه من مائة سنة ونمت وتركته إلى جانبك يرتع ، وتجلت قدرة الله تعالى في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير في ظرف يوم واحد وهو سلة التين وشراب العصير . وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام ، وهو الحمار . كما هي ظاهرة في موت صاحبها وحياته بعد لبثه على وجه الأرض ميتاً لم يعثر عليه أحد طيلة مائة عام . وقال له الرب تبارك وتعالى بعد أن وقفه على مظاهر قدرته فعلنا هذا بك لنريك قدرتنا على إحياء القرية . متى أردنا إحياءها ولنجعلك في قصتك هذه آية للناس ،

(١) مشتق من السنة لأن مر السنين يوجب التغير فتسنه تغير بمر السنين عليه مثل تحجر الطين صار حجراً بمرور الأيام أو الساعات عليه .

(٢) قوله تعالى : ﴿ولنجعلك﴾ قيل الواو مقحمة ، والأصل لنجعلك ، وعلى أصالة الواو وعدم إقحامها يكون المعنى ، أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس فالواو عاطفة إذا وهو وظيفتها أي العطف .

تهديهم إلى الإيمان بنا وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا على البعث الآخر الذي لا ريب فيه لتجزي كل نفس بما كسبت.

وأخيراً لما لاحت أنوار ولاية الله في قلب هذا العبد المؤمن الذي أثار تعجبه خراب القرية فاستبعد حياتها قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- جواز طروء استبعاد ما يؤمن به العبد أنه حق وكائن، كما استبعد هذا المؤمن المار بالقرية حياة القرية مرة أخرى بعد ما شاهد من خرابها وخوائها.
- ٢- عظيم قدرة الله تعالى بحيث لا يعجزه تعالى شيء وهو على كل شيء قدير.
- ٣- ثبوت البعث الآخر وتقديره.
- ٤- ولاية الله تعالى للعبد المؤمن التقى تجلت في إذهاب الظلمة التي ظهرت على قلب المؤمن باستبعاده قدرة الله على إحياء القرية، فأراه الله تعالى من مظاهر قدرته ما صرح به في قوله: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ
تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾

(١) وقرء اعْلَمْ، والقائل له حينئذ الله تبارك وتعالى أو مَلَكٌ من ملائكته، أو هو خاطب نفسه قائلاً لها إعلمي يا نفسي هذا العلم اليقيني الذي ما كنت تعلمينه.

(٢) لَمَّا قَرَّرَ تعالى ولايته للذين آمنوا وأنه يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ذكر لذلك ثلاثة أحداث تجلى في كل واحد منها مصداق ما أخبر به، فالأول محاجة النمرود لإبراهيم واعطاؤه تعالى نور العلم الذي أسكت به المجادل الكافر النمرود. والثاني استبعاد عزيز إحياء الله مدينة القدس بعد تدميرها وتخريبها فأراه الله من آياته ما أذهب عنه ما وجده في نفسه من استبعاد حياة تلك المدينة، والثالث طلب إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى وقد أراه ذلك فأذهب به ما وجده إبراهيم من التطلع إلى معرفة ذلك.

شرح الكلمات :

إبراهيم : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء عليه السلام .

يطمئن قلبي : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفية .

فصرهن^(١) إليك : أملهن واضممنهن إليك وقطعهن أجزاء .

سعيًا : مشياً سريعاً وطيراناً .

عزيز : غالب لا يتمتع عنه ولا منه شيء أرادته بحال من الأحوال .

حكيم : لا يخلق عبثاً ولا يوجد لغير حكمة ، ولا يضع شيئاً في غير موضعه اللائق به .

معنى الآية الكريمة :

هذا مثل ثالث يوجه الى الرسول والمؤمنين حيث تتجلى لهم ولايته تعالى لعباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى مجرد ظلمة باستبعاد شيء عن قدرة الله تعالى ، أو تطلع الى كيفية إيجاد شيء ومعرفة صورته . فقال تعالى : اذكروا ﴿ إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ . سأل إبراهيم ربه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم هل هي جارية على نواميس معينة أم هي مجرد قدرة يقول صاحبها للشيء كن فيكون ، فسأله ربه وهو عليم به أتقول الذي تقول ولم تؤمن؟ قال إبراهيم : بلى أنا مؤمن بأنك على كل شيء قدير ، ولكن أريد أن أرى صورة لذلك يطمئن لها قلبي ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي . فأمره تعالى إجابة له لأنه وليه فلم يشأ أن يتركه يتطلع إلى كيفية إحياء ربه الموتى ، أمره بأخذ أربعة طيور^(٢) وذبحها وتقطيعها أجزاء وخلطها مع بعضها بعضاً ثم وضعها على أربعة جبال على كل جبل ربع الأجزاء المخلوطة ، ففعل ، ثم أخذ برأس كل طير على حدة^(٣)

(١) فصرهن (صرهن) بأملهن وقطعهن كما في التفسير ، والكل صحيح إذ إما لتهن أولاً ثم تقطيعهن وشاهد أملهن في قول العرب رجل أصور إذا كان مائل العنق وامرأة صورا والجمع صور كسوداء وسود وعليه قول الشاعر :
الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور ، وشاهد قطعهن قوله صار الشيء يصوره إذا قطعه ومنه قول الشاعر :
بنهضي وقد كاد ارتقائي يصورها

(٢) هذا السؤال والله ما كان عن شك من إبراهيم أبداً وكيف وقد قال رسول الله ﷺ نحن أحق بالشك من إبراهيم ، أي لو شك إبراهيم لكننا نحن أخرى بذلك لضعفنا ولكن ما شك إبراهيم ، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الإحياء كيف تتم ، فسلام على إبراهيم الخليل وعلى محمد في العالمين .

(٣) يروي عن ابن عباس وبعض علماء السلف أنها كانت حمامة وديكاً وغراباً وطاووساً وليس في معرفتها كبير فائدة فلذا لم أذكرها في التفسير .

(٤) الجبل قطعة عظيمة من الأرض أرسى الله تعالى بها الأرض حتى لا تضطرب وتتحرك ومنافعها كثيرة منها أن بعض الناس يتخذونها حصوناً مانعة من وصول العدو إليهم قال السموال :

لنا جبل يحتله من نجيرة منيع يرد الطرف وهو كليل
وهو أحد جبال طيء شمال الحجاز .

ودعاه فاجتمعت اجزأؤه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره وجاءه يسعى فقدم له رأسه فالتصق به وطار في السماء وإبراهيم ينظر ويشاهد مظاهر قدرة ربه العزيز الحكيم . سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

- ١- غريزة الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه .
- ٢- ولاية الله تعالى لإبراهيم حيث أراه من آياته ما اطمأن به قلبه وسكنت له نفسه .
- ٣- ثبوت عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء .
- ٤- زيادة الإيذان واليقين كلما نظر العبد إلى آيات الله الكونية ، أو قرأ وتدبر آيات الله القرآنية .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
 أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
 لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ
 أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 ﴿٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا
 أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

(١) قالت العلماء من غرائز الإنسان التي جبل عليها حبه معرفة المجهول والآية أكبر شاهد إذ الخليل أحب أن يعرف كيفية إحياء الموتى .

(٢) إذ رؤية إبراهيم لكيفية إحياء الله تعالى الموتى من الطير أكبر دليل على قدرة الله تعالى على إحياء العباد يوم القيامة ، ومن هداية هذه الآية إزاهة المشركين المنكرين للبعث الآخر هذه الحادثة العجيبة كأنهم يشاهدونها فتقوم بذلك الحجة عليهم وعلى كل منكر للبعث والحياة الآخرة .

شرح الكلمات :

مثل الذين ينفقون^(١) : صفتهم المستحسنة العجيبة .

سبيل الله : كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال .

يضاعف : يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان .

متناً ولا أذى : المن : ذكر الصدقة وتعدادها على من تُصدق بها عليه على وجه التفضل

عليه . والأذى : التناول على المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابية أو التي

تمس كرامته وتخط من شرفه .

قول معروف : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم ، الله كريم .

الله يفتح علينا وعليك .

ومغفرة : ستر على الفقير بعدم إظهار فقره ، والعفو عن سوء خلقه إن كان

كذلك .

غني : غنى ذاتي لا يفتقر معه إلى شيء أبداً .

حليم : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس لأن العدة أولا والرجال ثانياً ،

أن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد ، في نمائه وبركته وتضاعفه ، كمثل حبة^(٣)

برٍّ بذرت في أرض طيبة فأنبئت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة فأثمرت الحبة الواحدة

سبعمائة حبة ، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة

(١) ذكر القرطبي أنه روي أن هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون﴾ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، إذ عثمان جهز جيش العسرة في غزوة تبوك وعبد الرحمن خرج بنصف ماله وهو أربعة آلاف فدعا له الرسول ﷺ بقوله : «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» .

(٢) المَن من كبائر الذنوب إذ صاحبه أحد ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم (في صحيح مسلم) والمَنان هو الذي لا يعطي شيئاً إلاّ منه .

(٣) الحب : اسم جنس لكل ما يزرعه الإنسان ويقتاته وأكثر ما يراد بالحب البرّ ومنه قول المتلمس

أليت حبّ الفراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

والحبّة بكسر الحاء بذور البقول مما ليس بقوت وفي حديث الشفاعة : «فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السيل» وحبّة القلب سويداؤه والحبّ معروف ضدّ الكره .

(٤) في الآية : دليل على مشروعية الزراعة ، وهي واجب كفائي وورد فيها : «التمسوا الرزق في خبايا الأرض» رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

ضعف، وقد يضاعف إلى أكثر لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٦١) وأما الآية الثانية (٢٦٢) فهي تحمل بشرى الله تعالى للمنفقين في سبيله الذين لا يتبعون ما أنفقوه متناً به ولا أذى لمن أنفقوه عليه بأن لا خوف عليهم فيها يستقبلونه من حياتهم ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم ويخلفون. وهذه هي السعادة حيث خلت حياتهم من الخوف والحزن وحل محلها الأمن والسرور. وأخيراً الآية الثالثة (٢٦٣) وهي ﴿قول معروف...﴾ فإن الله تعالى يخبر بأن الكلمة الطيبة تقال للفقير ينشرح لها صدره وتطيب لها نفسه خير من مال يعطاه صدقة عليه يهان به ويذل فيشعر بمرارة الفقر أكثر، وألم الحاجة أشد، ومغفرة وستر لحالته وعدم فضيحة أو عفو عن سوء خلقه كالحاحه في المسألة، خير أيضاً من صدقة يفضح به ويعتاب ويشنع عليه بها. وقوله في آخر الآية: ﴿والله غني حليم﴾ أي مستغن عن الخلق حليم لا يعاجل بالعقوبة من يخالف أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل النفقة في الجهاد وأنها أفضل النفقات.
- ٢- فضل الصدقات وعواقبها الحميدة.
- ٣- حرمة المن بالصدقة وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة...» وذكر من بينهم المنان.
- ٤- الرد الجميل على الفقير إذا لم يوجد ما يعطاه، وكذا العفو عن سوء القول منه ومن غيره خير من الصدقة يتبعها أذى وفي الحديث: «الكلمة الطيبة صدقة».

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

(١) وصح عنه ﷺ قوله: «الكلمة الطيبة صدقة» وقوله: «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر،

ولا عاق لوالديه ولا منان».

تَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

- إبطال الصدقة ^(١) : الحرمان من ثوابها
 المن ^(٢) والأذى : تقدم معناها .
 رثاء الناس : مراعاة لهم ليكسب محبتهم ، أو يدفع مذمتهم .
 صفوان ^(٣) : حجر أملس .
 وابِل ^(٤) : مطر شديد .
 صلدًا : أملس ليس عليه شيء من التراب .
 لا يقدرُونَ : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة .

معنى الآية :

بعد أن رَغِبَ تعالى في الصدقات وَتَبَّهَ إلى ما يبطل أجرها وهو المن والأذى نادى عباده المؤمنين فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا . . .﴾ ناهياً عن إفساد صدقاتهم وإبطال ثوابها فقال : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ مشبهاً حال إبطال الصدقات بحال صدقات المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر في بطلانها فقال : ﴿كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ وضرب مثلاً لبطلان صدقات من يتبع صدقاته منّا أو أذى أو يرائي بها الناس أو هو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فقال : ﴿مثله كمثل صفوان عليه تراب﴾

(١) قالت العلماء : إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمنّ أو يؤذي بها فإنها لا تقبل ، وهو كما قالوا لأن الله تعالى قال : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ وإبطالها هو عدم قبولها وإذا لم تقبل فلا يعطى صاحبها ثوابا عليها وهو معنى : لا تقبل .

(٢) يقال طعم الآلاء أحلى من المنّ ، وهو أمر من الآلاء عند المنّ . الآلاء الأول : النعم . والثاني شجر مُرّ الورق . والمنّ الأول شيء يشبه العسل ، والثاني تذكير المنعم عليه بالنعمة .

(٣) الصفوان : واحده صفوانة .

(٤) يقال : وبلت السماء تبّل والأرض موبولة ومنه قوله تعالى : ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً .

(٥) إن الكافر قد يعطي المال ولكن ليراه الناس فيمدحوه ويشكروه وهذا عمل أهل الجاهلية الماضية والحاضرة أيضاً .

(٦) أي إنفاقاً كإنفاق الذي ينفق ماله رثاء الناس طلباً لمحمدتهم أو خوفاً من مذمتهم .

(١) أي حجر أملس عليه تراب، ﴿فأصابه وابل فتركه صلدا﴾ أي نزل عليه مطر شديد فأزال التراب عنه فتركه أملس عارياً ليس عليه شيء، فكذلك تذهب الصدقات الباطلة ولم يبق منها لصاحبها شيء ينتفع به يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿لا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا كَسَبُوا﴾ أي مما تصدقوا به، ﴿والله لا يهدي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى ما يسعدهم ويكملهم لأجل كفرانهم به تعالى.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- حرمة المن والأذى في الصدقات وفسادها بها.

٢- بطلان صدقة المان والمؤذي والمرائي بها.

٣- حرمة الرياء وهي من الشرك لحديث: «إياكم والرياء فإنه الشرك الأصغر».

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَقَانَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾

(١) التراب على الصفوان عندما يراه الفلاح يعجبه لنعومة التربة وصفائها فيبذر فيه رجاء أن يحصد ولكن إذا نزل عليه المطر الشديد مسحه وذهب به وبالذر معه فيصاب صاحبه بخيبة الأمل فكذلك المنفق رثاء الناس.

(٢) هذه الجملة ذيل بها الكلام لتحمل تحذيراً شديداً للمؤمنين أن يسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم فإنها باطلة خاسرة.

شرح الكلمات :

المثل	: الصفة المستملحة المستغربة .
ابتغاء مرضاة الله	: طلبا لرضا الله تعالى .
تثبيتاً ^(١)	: تحقيقاً وتيقناً بمتوبة الله تعالى لهم على إنفاقهم في سبيله .
جنة بربرة ^(٢)	: بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع .
ضعفين	: مضاعفاً مرتين ، أضعفي ما يثمر غيرها .
الوابل	: المطر الغزير الشديد .
الظل	: المطر الخفيف .
إعصار	: ريح عاصف فيها سموم .

معنى الآيتين :

لما ذكر الله تعالى خيبة المنفقين أموالهم رياء الناس محذراً المؤمنين من ذلك ذكر تعالى مرغباً في النفقة التي يريد بها العبد رضا الله وما عنده من الثواب الأخروي فقال ضارباً لذلك مثلاً: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ أي طلباً لمرضاته ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي تحقيقاً وتيقناً منهم بأن الله تعالى سيثيبهم عليها مثلهم في الحصول على ما أملوا من رضا الله وعظيم الأجر كمثل جنة بمكان مرتفع عالٍ أصابها مطر غزير فأعطت ثمرها ضعفي ما يعطيه غيرها من البساتين ولما كانت هذه الجنة بمكان عال مرتفع فإنها إن لم يصبها المطر الغزير فإن الندى والمطر اللين الخفيف كافٍ في سقيها وربها حتى تؤتي ثمارها مضاعفاً مرتين ، وختم تعالى هذا الكلام الشريف بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فواعد به المنفقين ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من أنفسهم بعظم الأجر وحسن المثوبة ، وأوعد به المنفقين الذين يتبعون ما أنفقوا بالمن والأذى والمنفقين رياء الناس بالخيبة والخسران .

كان هذا معنى الآية الأولى (٢٦٥) وأما الآية الثانية (٢٦٦) فإنه تعالى يسائل عباده تربية

(١) لقد اختلف في معنى ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ ورجح ما فسرناه به في التفسير وهناك معنى آخر لطيف وهو تثبيتاً لأنفسهم على الإيمان وأفعال البر لأن الحسنة تلد الحسنة فهم ينفقون أموالهم طلباً لرضوان الله وترويضاً منهم لأنفسهم على فعل الخير والإحسان .

(٢) البربرة : مثلثة الراء : المكان المرتفع .

(١) لهم وتهذيباً لأخلاقهم وسمواً بهم إلى مدارج الكمال الروحي فيقول: ﴿أيود أحدكم﴾ أي يجب أحدكم أيها المنفقون في غير مرضاة الله تعالى أن يكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الثمرات والحال أنه قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً، ومع هذا العجز فإن له ذرية صغاراً لا يقدرّون على الكسب وجلب عيشهم بأنفسهم، وأصاب ذلك البستان الذي هو مصدر عيش الوالد وأولاده أصابه ريح عاتية تحمل حرارة السموم^(٢) فأتت على ذلك البستان فأحرقته، كيف يكون حال الرجل الكبير وأولاده؟ هكذا الذي ينفق أمواله رياء الناس يخسرها كلها في وقت هو أحوج إليها من الرجل العجوز وأطفاله الصغار، وذلك يوم القيامة وأخيراً يمتن تعالى على عباده بما يبين لهم من الآيات في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب ليتفكروا فيها فيهدتوا على ضوئها إلى كما لهم وسعادتهم فقال تعالى: ﴿كذلك﴾ أي كذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون﴾^(٣).

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- استحسان ضرب الأمثال تقريباً للمعاني إلى الأذهان لينتفع بها.
- ٢- مضاعفة أجر الصدقة الخالية من المن والأذى ومراعاة الناس.
- ٣- بطلان صدقات المان والمؤذي والمرائي وعدم الانتفاع بشيء منها.
- ٤- وجوب التفكير في آيات الله لاسيما تلك التي تحمل بيان العقائد والأحكام والآداب والأخلاق.

(١) الود: حب الشيء مع تعنيه

(٢) ولذا قال ﷺ: «أبرءوا بصلاتكم في الحر فإن شدة الحر من فيح جهنم» رواه البخاري وغيره.

(٣) روى الحاكم وذكره ابن كثير أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني وانقضاء عدي».

(٤) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه سأل يوماً أصحاب رسول الله عن هذه الآية: ﴿أيود أحدكم﴾ فقالوا: الله أعلم فقالوا قولي نعم أولاً نعلم فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال: ضربت مثلاً لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

(٥) أي في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقيائها، وهذا لا يتنافى مع ما فسرنا به الآية. في التفسير.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِتَّخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ
﴿٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

من طيبات ما كسبتم : من جيد أموالكم وأصلحها .
ومما أخرجنا لكم من الأرض : من الحبوب وأنواع الثمار .
ولا تيمموا الخبيث : لا تقصدوا الرديء تنفقون منه .
إلا أن تغمضوا فيه ^(١) : إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر في رداءته فتأخذونه
بتساهل منكم وتسامح .
حميد : محمود في الأرض والسماء في الأولى والأخرى لما أفاض
وفى من النعم على خلقه .
يعدكم الفقر : يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله .
ويأمركم بالفحشاء : يدعوكم إلى ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح .
الحكمة : فهم أسرار الشرع ، وحفظ الكتاب والسنة .
أولوا الأبواب : أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها .

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز ، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة ، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين التجاوز ، وتغميض العين .

معنى الآيات :

بعدما رغب تعالى عباده المؤمنين في الانفاق في سبيله في الآية السابقة ناداهم هنا بعنوان الإيمان وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ، وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يريد الحبوب والثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصديق بالردىء من أموالهم فقال : ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يريد لا ينبغي لكم أن تنفقوا الرديء وأنتم لو أعطيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تغمضون وتتساهلون في قبوله ، وهذا منه تعالى تأديب لهم وتربية . وأعلمهم أخيراً أنه تعالى غني عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به ، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم ، وأنه تعالى حميد محمود بباله من إنعام على سائر خلقه كان هذا معنى الآية (٢٦٧) أما الآية (٢٦٨) فإنه تعالى يحذّر عباده من الشيطان ووساوسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر أي يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويبخلون بها في الخير، والصالح العام أما هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإنفاق يعدهم مغفرة ذنوبهم لأن الصدقة تكفر الخطيئة ، فضلاً منه وهو الرزق الواسع الحسن ، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق . فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى ، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر، ولا يأمركم إلا بالسوء والباطل ، كان هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٢٦٩) فإن الله تعالى يرغب في تعلّم العلم النافع، العلم الذي يحمل على العمل الصالح ، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظاً وفهماً وفقهاً فيها فقال

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿الشيطان يعدكم...﴾ الخ اثنان من الله تعالى و اثنان من الشيطان . ويفسره حديث الترمذي إذ فيه قوله ﷺ : «إن للشيطان لمةً بآسن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ : ﴿الشيطان...﴾ الآية .

(٢) الآية في الزكاة قطعاً ، والنهي عن الانفاق من الردىء يشمل الزكاة . والتطوع معاً .

(٣) روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين في سبب نزول هذه الآية عن البراء قال : هذه الآية نزلت فينا ، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيعلقه فنزلت : ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ الآية .

(٤) أي من الخبيث الذي هو الرديء .

(٥) تفتح فاء الفقر ، وتضم كالضعف والضعف .

تعالى: ﴿يُؤْتِي﴾ أي هو تعالى ﴿الحكمة من يشاء﴾ ممن طلبها وتعرض لها راعباً فيها سائلا
الله تعالى أن يعلمه، وأخبر أخيراً أن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً^(١) فليطلب العاقل
الحكمة قبل طلب الدنيا هذه تذكرة ﴿وما يذكروا إلا أولوا الألباب﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- وجوب الزكاة في المال الصامت من ذهب وفضة وما يَقُومُ مقامها من العمل وفي الناطق من الإبل والبقر والغنم إذ الكل داخل في قوله: ﴿ما كَسَبْتُمْ﴾ وهذا بشرط الحول وبلوغ النصاب.

٢- وجوب الزكاة في الحرث: الحبوب والثمار وذلك فيما بلغ نصاباً، وكذا في المعادن إذ يشملها لفظ الخارج من الأرض.

٤- التحذير من الشيطان ووجوب مجاهدته بالإعراض عن وساوسه ومخالفة أوامره.

٥- إجابة نداء الله والعمل بإرشاده.

٦- فضل العلم على المال.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءُ

(١) الحكمة: النبوة والقرآن والإصابة في الأمور بوضع كل شيء في موضعه فأعلى الحكمة النبوة ثم القرآن والسنة. وفي الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» واللفظ يشمل القرآن والسنة.

(٢) أصل الحكمة: إحكام الشيء وإتقانه وعليه فحفظ القرآن والسنة وفهمهما والعمل بهما هو الحكمة وفي الصحيح: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وورد: رأس الحكمة مخافة الله.

(٣) الحول: هو مرور سنة كاملة على زكاة النقيدين والعمل وعروض التجارة، والنصاب في الحبوب والثمار خمسة أوسق لحديث الصحيح: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد. وفي النقيدين: الذهب عشرون ديناراً ما يعادل ٧٠ غراماً وفي الفضة مائتا درهم: ما يعادل ٤٦٠ غراماً، وفي الغنم أربعون شاة، وفي البقر ثلاثون بقرة، وفي الإبل خمس منها.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على إبداء الصدقة وقوله: ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءُ﴾ حكم على أن الإخفاء خير من الإبداء، قال أحد الحكماء: إذا اصطنت المعروف فاستره، وإذا اصطنت إليك فانشره. قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم وإن أنعموا أنعموا باكتنام

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

شرح الكلمات :

من نفقة

: يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء .

من نذر

: النذر التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع ، كأن يقول : لله على

أن أتصدق بألف ؛ أو أصوم شهراً أو أصلي كذا ركعة أو يقول :

إن حصل لي كذا من الخير أفعل كذا من الطاعات .

إن تبدو الصدقات

: أي تظهروها .

فنعماهي

: فنعم تلك الصدقة التي أظهرتموها لِيُقْتَدَى بكم فيها .

ويكفر عنكم من سيئاتكم : يكفر بمعنى يسترها ولا يطالب بها ، ومن للتبعض إذ حقوق

العباد لا تكفرها الصدقة .

معنى الآية الكريمة :

بعدما دعا تعالى عباده إلى الإنفاق في الآية السابقة أخبر تعالى أنه يعلم ما ينفقه عباده

فإن كان الْمُتَّقِ جَيِّدًا صَالِحًا يعلمه ويجزي به وإن كان خبيثاً رديئاً يعلمه ويجزي به وقال تعالى

مخاطباً عباده المؤمنين : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾^(١) فما كان مبتغى

به وجه الله ومن جيد المال فسوف يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات ، وما كان رديئاً ونذراً

لغير الله تعالى فإن أهله ظالمون وسيجزون أجر نفقاتهم ونذورهم لغير الله ولا يجدون من

يشيهم على شيء منها لأنهم ظالمون فيها حيث وضعوها في غير موضعها ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ﴾ . هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٧٠) .

(١) مما يجب علمه أنه شاع في العامة بين المسلمين النذر للأولياء والصالحين وهو محرّم قطعاً إذ هو من شرك العبادة فيعصمهم يقول يا سيدي فلان إن قضى الله حاجتي فعلت لك كذا ، وآخر يقول : إن حصل لي كذا ذبحت لك أو جدّدت بناء قَبَتِكَ أو أنرت ضريحك ، فيجب أن ينهى عن هذا كله ويعلم من يفعله أنه أشرك بعبادة ربه .

(٢) النذر المشروط مكروه لقول الرسول ﷺ : «النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل» . أو كما قال ﷺ . أمّا النذر المطلق فهو قرينة من أفضل القرب ، وفي التفسير بيان لكل من المطلق والمشروط فانظره .

(٣) في الآية إيجاز ببلغ إذ التقدير وما أنفقتم من نفقة فإن الله يعلمها أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه فحذف من الأول لدلالة الأخير عليه تجنباً للتكرار المنافي لبلاغة الكلام .

أما الآية الثانية (٢٧١) فقد أعلم تعالى عباده المؤمنين أن ما ينفقونه لوجهه ومن طيب أموالهم علناً وجهه هو مال رابح، ونفقة مقبولة، يثاب عليها صاحبها، إلا أن ما يكون من تلك النفقات سرّاً ويوضع في أيدي الفقراء يكون خيراً لصاحبه لبعده من شائبة الرياء، ولإكرام الفقراء، وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم وأنه تعالى يكفر عن المنفقين سيئاتهم بصدقاتهم، وأخبر أنه عليم بأعمالهم فكان هذا تطميناً لهم على الحصول على أجور صدقاتهم، وسائر أعمالهم الصالحة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- الترغيب في الصدقات ولو قلّت والتحذير من الرياء فيها وإخراجها من رديء الأموال.
- ٢- جواز إظهار الصدقة عند سلامتها من الرياء.
- ٣- فضل صدقة السرّ وعظم أجرها، وفي الحديث الصحيح: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». ذكر من السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

❁ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوقِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) صدقة التطوع الإسرار بها أفضل ففي الحديث: «صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ عزّ وجلّ» وفي الصحيح: سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» والصدقة الواجبة وهي الزكاة إعلانها أفضل من إسرارها. هذا ومرد القضية إلى حال المتصدق والمتصدق عليه فإن كان المتصدق بإعلانه يتبعه غيره ويكون كمن سنّ سنة حسنة فالإعلان أفضل وإن كان المتصدق عليه يخجل ويستحي من الصدقة عليه فالإسرار له أفضل من غيره.

(٢) من قال بوجوب صدقة الفطر منع إعطائها لفقراء أهل الذمة ومن قال بسنيتها دون وجوبها قال يجوز، والصحيح أنها حق لفقراء المسلمين لأنشغالهم بصلاة العيد وبالعبادات في رمضان، وأهل الذمة يعملون الليل والنهار.

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقِفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

- هداهم : هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال .
من خير : من مال .
فلا أنفسكم : ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر والأجل يوم القيامة عائد على أنفسكم .
يوف إليكم : يرد أجره كاملا لا ينقص منه شيء .
أحصروا : حبسوا ومنعوا من التصرف لأنهم هاجروا من بلادهم .
ضربا في الأرض : أي سيرا فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار العدو لهم .
بسيماهم : علامات حاجتهم من رثاثة الثياب وصفرة الوجه .
من التعقف : ترك سؤال الناس، والكف عنه .
الحافا^(١) : إلحاحا وهو ملازمة السائل من يسأله حتى يعطيه .

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بالصدقات ورغب فيها وسألها غير المؤمنين من الكفار واليهود فتخرج الرسول

(١) قيل نزلت في علي إذ كان له أربعة دراهم فانفقها على ما ذكر في الآية، والآية عامة في المنفقين من غير تبذير ولا تقتير وفي كل حالة تتطلب الاتفاق سواء بالليل أو بالنهار سرا أو علانية .

(٢) الإلحاح والإلحاف، والإحفاء مصادر ألح في السؤال والحف وأحفى والإلحاف مشتق من اللحاف لأنه يشتمل على الملتحق به كذلك الإلحاف في السؤال لأن الملحف يأتي أمام المسؤول ويأتي عن يمينه عن شماله يسأله لا يفارقه حتى يعطيه أو يمنعه .

والمؤمنون من التصديق على الكافرين فأذهب الله تعالى عنهم هذا الحرج وأذن لهم بالتصدق على غير المؤمنين والمراد من الصدقة صدقة التطوع لا الواجبة وهي الزكاة فقال تعالى مخاطباً رسوله وأمته تابعة له : ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ لم يوكل إليك أمر هدايتهم لعجزك عن ذلك وإنسا الموكل إليك بيان الطريق لا غير وقد فعلت فلا عليك أن لا يهتدوا ، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم ، وما تنفقوا من مال تثابوا عليه ، سواء كان على مؤمن أو كافر إذا أردتم به وجه الله وابتغاء مرضاته ، وأكد تعالى هذا الوعد الكريم بقوله : ﴿ وما تنفقوا من خير يوف إليكم ﴾ والحال أنكم لا تظلمون بنقص ما أنفقتم ولو كان النقص قليلاً . كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٢) أما الآية الثانية وهي : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله . . ﴾ فقد بين تعالى فيها أفضل جهة ينفق فيها المال ويتصدق به عليها وهي فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأحصروا في المدينة بجوار رسول الله ﷺ لا يستطيعون ضرباً في الأرض للتجارة ولا للعمل ، ووصفهم تعالى بصفات يعرفهم بها رسوله والمؤمنون ولولا تلك الصفات لحسبهم لعفتهم وشرف نفوسهم الجاهل بهم أغنياء غير محتاجين فقال تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ﴾ لا يسألون الناس مجرد سؤال فضلاً عن أن يلحوا ويلحفوا . ثم في نهاية الآية أعاد تعالى وعده الكريم بالمجازاة على ما ينفق في سبيله فقال : ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ ولازمه أن يثيبكم عليه أحسن ثواب فأبشروا واطمئنوا .

وأما الآية الثالثة (٢٧٤) فهي آخر آيات الدعوة إلى الانفاق جاءت تحمل أعظم بشر للمنفقين في كل أحوالهم بالليل والنهار سراً وعلانية بأن أجر نفقاتهم مدخر لهم عند ربهم يتسلمونه يوم يلقونه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والبرزخ والآخرة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- جواز التصديق على الكافر المحتاج بصدقة التطوع لا الزكاة فإنها حق المؤمنين .^(٣)

(١) متى تحل المسألة؟ قال أحمد : إذا لم يكن للمرء ما يغديه ويعيشه جاز له السؤال ، وقال : لا يسأل الرجل لغيره ، ولكن يقول لغيره تصدقوا لقوله ﷺ : « اشفعوا تؤجروا » .

(٢) أي لا يسألون بالحاح ولا بدون فهم لا يسألون غيرهم البتة .

(٣) شاهده قوله ﷺ : « أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم » وشاهده في الصحيح « خذ الصدقة من أغنيائهم وأردها على فقرائهم » .

- ٢- ثواب الصدقة عائد على المتصدق لا على المتصدق عليه فلذا لا يضر إن كان كافراً.
- ٣- وجوب الإخلاص في الصدقة أي يجب أن يراد بها وجه الله تعالى لا غير.
- ٤- تفاضل أجر الصدقة بحسب فضل وحاجة المتصدق عليه.
- ٥- فضيلة التعفف وهو ترك السؤال مع الاحتياج^(١)، وذم الإلحاح في الطلب من غير الله تعالى أما الله عز وجل فإنه يحب الملحين في دعائه.
- ٦- جواز التصدق بالليل والنهار وفي السر والعلن إذ الكل يثيب الله تعالى عليه ما دام قد أريد به وجهه لا وجهه سواه.
- ٧- بشرى الله تعالى للمؤمنين المنفقين بادخار أجرهم عنده تعالى ونفي الخوف والحزن عنهم مطلقاً.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

(١) من أعطي شيئاً من غير طلب ولا تشوف جاز له أخذه لحديث الصحيح : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطِيَ عُمَرَ مَالاً فَقَالَ عُمَرُ أَعْطَهُ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي فَقَالَ ﷺ خُذْهُ وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَٰذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرَفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخَذَهُ وَمَالَ فَلَا تَتَّبِعْهُ نَفْسَكَ».

شرح الكلمات :

يأكلون الربا^(١) : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم ، وبغير الأكل والربا هنا ربا النسيئة وحقيقته أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له : أخر وزد فتؤخره أجلاً وتزيد في رأس المال قدرًا معينًا ، هذا هو ربا الجاهلية والعمل به اليوم في البنوك الربوية فيسلفون المرء مبلغًا إلى أجل ويزيدون قدرًا آخر نحو العشر أو أكثر أو أقل والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل أو ربا نسيئة .

لا يقومون : من قبورهم يوم القيامة .

يتخبطه الشيطان^(٣) : يضره الشيطان ضرباً غير منتظم .

من المس^(٤) : المس الجنون ، يقال : بفلان مس من جنون .

موعظة : أمر أو نهي بترك الربا .

فله ما سلف : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته .

يمحق الله الربا : أي يذهبه شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر .

ويربي الصدقات : يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافاً كثيرة .

كفار أثيم : الكفار : شديد الكفر ، يكفر بكل حق وعدل وخير ، أثيم : منغمس في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها .

(١) الربا : لغة الزيادة وشاهده الحديث : « والله ما أخذنا من لقمة إلا ربا من تحتها » أي الطعام وعبر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ يراد للأكل غالباً ، وكل حرام قد يطلق عليه الربا تجوزاً .

(٢) ربا الفضل بيانه في حديث مسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الأخذ والمعطي سواء » وقال ﷺ في حديث آخر : « فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » .

(٣) يقال خبطه وتخبطه كملكه وتملكه ، وعبدته وتعبدته ، والتخبط : الضرب في غير استواء ومنه قولهم خبط عشواء .

(٤) أصل المس : اللمس باليد ، ومن مسه الشيطان اختلط عقله وأصبح يصيح يصيح بسبب مس الشيطان له فيقال : فلان يصرع من الجن أي من مس الجن له ، والشيطان من الجن ، فالمرابي يقوم يوم القيامة من قبره كالمجنون أي الذي به مس الجن يصرع صرعه .

معنى الآيتين :

لما حث الله على الصدقات وواعد عليها بعظيم الأجر ومضاعفة الثواب ذكر المرائين الذين يضاعفون مكاسبهم المالية بالربا وهم بذلك يسدّون طرق البر، ويصدون عن سبيل المعروف فبدل أن ينمو أموالهم بالصدقات نموها بالربويات، فذكر تعالى حالهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون، ويقعدون، ويغفون^(١) ويصرعون، حالهم حال من يصرع في الدنيا بمس الجنون، علامة يعرفون بها يوم القيامة كما يعرفون بانتفاخ بطونهم وكأنها خيمة مضرية بين أيديهم. قال تعالى : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾، وذكر تعالى سبب هذه النعمة عليهم فقال ﴿ذلك﴾ أي أصابهم ذلك الخزي والعذاب بأنهم ردّوا علينا حكمنا بتحريم الربا وقالوا انما البيع مثل الربا، إذ الربا الزيادة في نهاية الأجل، والبيع في أوله، ورد تعالى عليهم فقال : ﴿واحل الله البيع وحرم الربا﴾ فما دام قد حرم الربا فلا معنى للاعتراض، ونسوا أن الزيادة في البيع هي في قيمة سلعة تغلو وترخص، وهي جارية على قانون الإذن في التجارة، وأما الزيادة في آخر البيع فهي زيادة في الوقت فقط . ثم قال تعالى مبيناً لعباده سبيل النجاة محذراً من طريق الهلاك : ﴿فمن جاء موعظة من ربه﴾ وهي تحريمه تعالى للربا ونهيه عنه فأنتهى عنه فله ما سلف قبل معرفته للتحريم، أو قبل توبته منه، وأمره بعد ذلك إلى الله إن شاء ثبته على التوبة فنجاه، وإن شاء خذله لسوء عمله، وفساد نيّته فأهلكه وأرداه وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ . أخبر تعالى أنه بعدله يمحّق الربا، ويفضله يربي الصدقات، وأنه لا يجب كل كفار لشرع الله وحدوده، أثيم بغشيانه الذنوب وارتكابه المعاصي . كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٥) أما الآية الثانية (٢٧٦) فهي وعد رباني صادق وبشرى إلهية سارة لكل من آمن وعمل صالحاً وأقام الصلاة على الوجه الذي تقام به وآتى الزكاة بأن له أجره وافٍ عند ربه يتسلمه يوم الحاجة إليه في عرصات القيامة وأنه لا يخاف مما يستقبله في الحياة الدنيا والآخرة ولا يحزن أيضاً في الدنيا ولا في الآخرة .

(١) قال ابن عطية : وأما الفاظ الآية فيحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المعجون لأن الطمع والرغبة تستفزّه حتى تضطرب أعضاؤه كما يقوم المسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته حتى يقال : قد جنّ هذا، ولكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود إذ كان يقرأ لا يقومون يوم القيامة مع تظافر أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل .
(٢) في هذا دليل على أنه لا قياس مع النص، فالمشركون قاسوا الربا على البيع فأبطل الله قياسهم لأن الربا حرام فلا يقاس على البيع الحلال .
(٣) روى ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال : «إنّ الربا وإن كثر فعاقبته إلى قل» أي إلى قلة ونقصان .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان عقوبة أكل الربا يوم القيامة لاستباحتهم الربا وأكلهم له وعدم التوبة منه .
- ٢- تحريم الربا وكل مال حرام لما جاء في الآية من الوعيد الشديد .
- ٣- صفة الحب لله تعالى وأنه تعالى يحب أولياءه وهم أهل الإيمان به وطاعته ويكره أعداءه وهم أهل الكفر به ومعاصيه من أكل الربا وغيره من كبائر الذنوب .
- ٤- حلية البيع إن تم على شروطه المبينة في كتب الفقه .
- ٥- من تاب من الربا تقبل توبته ، ويحل له ما أفاده منه قبل التوبة بشرط سيأتي في الآيات بعد هذه .

٦- وعيد الله تعالى بمحق الربا ووعد به بإرباء الصدقة .^(١)

٧- بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح مع إقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا

فَأَذْنُوبُ أَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ

ذُؤُوسَةٌ فَنُظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ

اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

شرح الكلمات :

اتقوا الله : خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه .

(١) شاهده من الكتاب : ﴿يُمحَقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ ومن السنة قوله ﷺ : «إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَعَاقِبَتُهُ إِلَى قُلٍّ» وقوله : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ يَقْبَلُهَا اللَّهُ مِنْهُ فَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ وَيُرْبِيهَا كَمَا يُرْبِي أَحَدَكُمْ مَهْرَهُ أَوْ فِصْلَهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَصَدَّقَ بِاللَّقْمَةِ فَيُتْرَبُ فِي يَدِ اللَّهِ أَوْ قَالَ فِي كَفِّ اللَّهِ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أَحَدٍ فَتَصَدَّقُوا» .

وذروا ما بقي من الربا : اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربوية .

فأذنوا بحرب : اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم^(١) ولا ينفعكم سلاح^(١) فإنكم المهزومون الهالكون .

فلكم رؤوس أموالكم : بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا .

العسرة : الشدة والضائقة المالية .

فنتظرة إلى ميسرة : أي انتظار للمدين إلى أن ييسر الله عليه فيعطيك رأس مالكم الذي أخذته منكم .

وأن تصدقوا : وأن تتصدقوا على المعسر بترك ما لكم عليه فذلك خير لكم .

معنى الآيات :

بمناسبة ذكر عقوبة آكلي الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين أمراً بإيهاهم بتقواه تعالى ، وذلك بطاعته وترك معصيته ، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكراً بإيهاهم بآيهاهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه وفعل ما يأمره به وترك ما ينهيه عنه فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ ، ثم هدد المتباطئين بقوله : فإن لم تفعلوا فاعلموا بحرب قاسية ضروس من الله ورسوله ، ثم بين لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص من محنة الربا وفتنته بقوله : وإن تبتم بترك الربا فلكم رؤوس^(٣) أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة ، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم . وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته^(٤) ، وشيء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة . ثم ذكر تعالى سائر عبادته بيوم القيامة وما فيه من أهوال ومواقف

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيه فإن نزع وإلا ضرب عنقه .

(٢) حرمة الربا مجمع عليها ، والأحاديث الواردة في تحريمه كثيرة جداً ، أذكر منها حديث مسلم : «اجتنبوا السبع الموبقات» ، وذكر منها «أكل الربا» وحديث أبي داود : «لعن الله أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه» .

(٣) استدلل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل ما طرأ على البيع قبل القبض مما يوجب تحريم العقد أبطل العقد .

(٤) ورد في فضل إظهار المعسر أحاديث منها : «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ» وقوله «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنْ مَعْسَرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» .

صعبة حيث يتم الحساب الدقيق وتحزى فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم أو زيادة سيئاتهم فقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وهذا التوجيه الذي حملته هذه الآية ذات الرقم (٢٨٠) آخر توجيه تلقته البشرية من ربها تعالى إذ هذه آخر ما نزل من السماء على رسول الله ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب التوبة من الربا ومن كل المعاصي .
- ٢- المصر على المعاملات الربوية يجب على الحاكم أن يحاربه بالضرب على يديه حتى يترك الربا .
- ٣- من تاب من الربا لا يظلم بالأخذ من رأس ماله بل يعطاه وافيًا كاملاً إلا أن يتصدق بالتنازل عن ديونه الربوية فذلك خير له حالاً ومآلاً .
- ٤- وجوب ذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح وترك الربا والمعاصي .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ

(١) قال ابن خوزيم مناد: ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً له كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً، للإمام محاربتهم، ألا ترى أن الله تعالى قد أذن في ذلك فقال: ﴿فَاذْنُوا بِحَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في السلم خاصة يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها وهي عامة في كل الديون بلا خلاف.

(٣) رفع بلفظ (يدين) الاشتراك إذ التداين معناه دان بعضهم بعضاً إذا جزاه بعمله ومنه قولهم دناهم كما دانوا فلما قال بدين رفع المعنى العام وأصبح خاصاً بالتداين المالي .

أَنْ يُمْلَ هُوَ فَيُكْمَلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
 مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
 مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
 إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا
 أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
 عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
 أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
 وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

شرح الكلمات :

- تدايتتم^(١) : دايين بعضكم بعضا في شراء أو بيع أو سلم أو قرض .
 إلى أجل مسمى^(٢) : وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام .
 بالعدل : بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل بالحق والإنصاف .
 ولا ياب : لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب .
 وليملل الذي عليه الحق : لأن إيملاءه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه من الحق .
 ولا يبخس منه شيئا : لا ينقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره
 كله .

(١) تداين : تفاعل من الدَّيْن يقال : دايئت الرجل ، عاملته بدين معطياً أو أخذاً كما بايعته إذا بعته أو باعك .
 (٢) ذكر الأجل المسمى يجعل الآية في بيع السلم لحديث الصحيح : «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» والسلم والسلف واحد . ويقال له بيع المحاويج .

سفيهاً أو ضعيفاً

: السفيه: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف:

العاجز عن الإملاء كالأخرس، أو الشيخ الهرم.

وليّه

: من يلي أمره ويتولى شؤونه لعجزه وقصوره.

من رجالكم

: أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار.

أن تضل إحداهما

: تنسى أو تخطيء لقصر إدراكها.

ولا تسأموا

: لا تضجروا أو تملوا من الكتابة ولو كان الدين صغيراً مبلغه.

أقسط عند الله

: أعدل في حكم الله وشرعه.

وأقوم للشهادة

: أثبت لها وأكثر تقريراً لأن الكتابة لا تنسى والشهادة تنسى أو

يموت الشاهد أو يغيب.

وأدنى أن لا ترتابوا^(١)

: أقرب أن لا تشكوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

تديرونها بينكم

: أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري يعطي النقود

فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

وأشهدوا إذا تبايعتم

: إذا باع أحداً أحداً داراً أو بستاناً أو حيواناً يشهد على ذلك

البيع.

ولا يضار كاتب ولا شهيد: بأن يكلف مالا يقدر عليه بأن يدعى ليشهد في مكان بعيد يشق

عليه أو يطلب إليه أن يكتب زوراً أو يشهد به.

فسوق بكم

: أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم وإثمه وعليكم تبعته يوم

القيامة.

اتقوا الله

: في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها، وكما علمكم هذا

يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بالستكم واشكروه بأعمالكم،

وسيجزيكم بها وهو بكل شيء عليم.

(١) روى أبو داود والترمذي أن أول من جحد آدم، إذ أراه الله ذريته فرأى رجلاً أزهراً ساطع النور فسأل الله تعالى فقال إنه داود فقال رب كم عمري قال ستون قال فزده من عمري أربعين ليكمل له مائة فزاده، وكان عمر آدم ألف سنة وكتب الله ذلك في كتاب ولمّا عاش آدم وحضرته الوفاة قال رب بقي من عمري أربعون سنة فقال الله تعالى: ألم تكن قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فأخرج الكتاب وقد شهد عليه الملائكة إلا أن الله تعالى وفى لأدم ألف سنة ولداود مائة. (نقلناه بالمعنى).

معنى الآية الكريمة :

لما حث تعالى على الصدقات، وحرم الربا، ودعا إلى العفو على المعسر، والتصديق عليه بإسقاط الدين الأمر الذي قد يتبادر إلى الذهن أن المال لا شأن له ولا قيمة في الحياة فجاءت هذه الآية، آية الدين الكريمة لتعطي للمال حقه وترفع من شأنه فإنه قوام الحياة فقررت واجب الحفاظ عليه، وذلك بكتابة الديون، والإشهاد عليها بمن ترضى عدالتهم، وكون الشهود رجلين مسلمين حرّين، فإن انعدم رجل من الاثنين قامت امرأتان مقامه^(١)، واستحث الله تعالى^(٢) من يحسن الكتابة أن يكتب إذا كان في سعة من أمره، وحرم على الشهود إذا ما دُعوا لأداء الشهادة أن يتخلّوا عنها، وحرم على المتدينين أن لا يكتبوا ديونهم ولو كانت صغيرة قليلة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ ورخص تعالى رحمةً منه في عدم كتابة التجارة الحاضرة التي يدفع فيها السلعة في المجلس، ويقبض الثمن فيه فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾. وأمر بالإشهاد على البيع فقال: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾. ونهى عن الإضرار بالكاتب، أو الشهيد، بأن يلزم الكاتب أن يكتب إذا كان في شغله، أو الشاهد بأن يطلب منه أن يشهد وهو كذلك في شغله، أو أن يدعى إلى مسافات بعيدة تشقّ عليه إذ أمره تطوع، وفعل خير لا غير فليطلب كاتب وشاهد غيرهما إذا تعذر ذلك منها لانشغالها. وحذر من كتمان الشهادة أو الحيف والجور في الكتابة، والإضرار بالكاتب والشهيد فقال: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾. وأكد ذلك بأمره بتقواه فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. بامثال أمره، ونهيه لتكمّلوا وتسعدوا وكما علمكم هذا العلم النافع ما زال يعلمكم وهو بكل شيء عليم. هذا معنى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾

هداية الآية

من هداية الآية :

١- وجوب كتابة الديون سواء كانت بيعاً أو شراءً، أو سلفاً، أو قرضاً هذا ما قرره ابن جرير،

(١) الجمهور على أن اليمين تقوم مقام شاهد أي ان انعدم الشاهد الثاني قضى القاضي بالشاهد واليمين التي يحلفها المطالب باليِّنة ومن هنا إن وجد من الشهود امرأتان فقط اعتبرتا شاهداً وزيدت اليمين وقضى القاضي بذلك، وهذا في الأموال خاصة.

(٢) نعم إذا كان في سعة من أمره فليكتب على سبيل الندب، وإن لم يوجد غيره وجب عليه أن يكتب وفي قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ أمر له أن يكتب الوثائق على طريقته فلا يبدّل ولا يغيّر وفيه تذكير له بالنعمة إذ كان لا يعرف الكتابة فعلمه الله إذا فليشكر الله هذه النعمة بالكتابة لمن طلبها منه.

ورد القول بالإرشاد والتدب^(١).

٢- رعاية النعمة بشكرها لقوله تعالى للكاتب: كما علمه الله فليكتب إذ علمه الكتابة وحرّم غيره منها.

٣- جواز النيابة في الإملاء لعجز عنه، وعدم قدرة عليه.

٤- وجوب العدل والإنصاف في كل شيء لا سيما في كتابة الديون المستحقة المؤجلة.

٥- وجوب الإشهاد على الكتابة لتأكدها به، وعدم نسيان قدر الدين وأجله.

٦- شهود المال لا يَقْبَلُونَ عن رجلين عدلين من الأحرار المسلمين لا غير، والمرأتان المسلمتان اللتان فرض شهادتهما تقومان مقام الرجل الواحد.

٧- الحرص على كتابة الديون والعزم على ذلك ولو كان الدين صغيراً تافهاً.

٨- الرخصة في عدم كتابة التجارة الحاضرة السلعة والتمن المدارة بين البائع والمشتري.

٩- وجوب الإشهاد على بيع العقارات والمزارع والمصانع مما هو ذو بال.

١٠- حرمة الإضرار بالكاتب والشهيد.

١١- تقوى الله تعالى تسبب العلم، وتُكسِب المعرفة بإذن الله تعالى.

❖ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليُؤَدِّ الَّذِي أُوتِئَ أَمْنَتُهُ وَلِيَتَّقِ
اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
عِندَ اللَّهِ قَلْبُهُ ظَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) الأقرب إلى الصواب أن بعض الأمور تجب فيها الكتابة كيبيع الدور والمزارع وغيرها وبعضها لا تجب وإنما تندب الكتابة لأغير.

(٢) كون الشهود لا يَقْبَلُونَ عن اثنين هذا عام في كل شهادة إلا شهادة الزنى فإنهم لا يَقْبَلُونَ عن أربعة أبداً.

(٣) اختلف في شهادة العبيد والصبيان والجمهور على عدم جواز شهادتهم إلا في الأمور التافهة فلا بأس بذلك.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾ دل على أن الشهود يأتون الحاكم ليشهدوا، ودل على أن مَنْ لم يُدْعَ ليس عليه أن يشهد، ولكن ورد في السنة الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدْعَ إليها المسلم لا سيما إذا توقف على شهادته إثبات حق من الحقوق فقد قال رسول الله ﷺ: «خير الشهود الذي يأتي بشهادة قبل أن يسألها» رواه الأئمة.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾ هو وعد منه تعالى بأن يجعل للمتيقن نوراً في قلبه يفهم به ما يلقي إليه ويفرق بين الحق والباطل يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

شرح الكلمات :

- السفر : الخروج من الدار والبلد ظاهراً بعيداً بمسافة أربعة برد فأكثر.
ولم تجدوا كاتباً : من يكتب لكم ، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم .
فرهان مقبوضة : فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهناً لدى الدائن .
فإن أمن بعضهم بعضاً : فلا حاجة الى الرهن .
فليؤد الموثمن أمانته : أي فليعط الدين الذي أؤتمن عليه حيث تعذرت الكتابة ولم يأخذ
دائنه منه رهناً على دينه .
آثم قلبه : لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم الى القلب .
وإن تبدوا : تظهروا .

معنى الآيتين :

لما أمر تعالى بالاشهاد والكتابة في البيوع والسلم والقروض في الآيات السابقة أمر هنا -
عند تعذر الكتابة لعدم وجود كاتب أو أدوات الكتابة وذلك في السفر - أمر بالاستعاضة عن
الكتابة بالرهن وذلك بأن يضع المدين رهناً لدى دائنه عوضاً عن الكتابة يستوثق به دينه هذا
في حال عدم ائتمانه والخوف منه ، وأما إن أمن بعضهم بعضاً فلا بأس بعدم الارتهان فقال
تعالى : ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة .﴾ ^(١) والرهان جمع رهن ^(٢) . وقال
﴿فإن أمن بعضهم بعضاً فلم تأخذوا رهاناً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾ في ذلك . ثم

(١) الرهن جائز بالكتاب وهذه الآية نص في الرهن في السفر وأما في الحضر فهو جائز بالسنة وإجماع الأمة فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً فطلب اليهودي رهناً فرهنه درعه فقات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير .

(٢) قوله ﴿مقبوضة﴾ دل على اشتراط القبض ولو بالوكالة ولو أن عدلاً من الناس وضع الرهن تحت يده جاز إذ هو معنى القبض ، ويجوز رهن ما في الذمة كأن يرهن المدين ديناً له ثابتاً في ذمة مالي معترف غير منكر لأن الاستيثاق يحصل بذلك .

(٣) أصل الرهن الدوام ، وشرعاً : حبس عين في دين لاستيفاء الدين من العين أو من منافعتها إذا عجز المدين عن التسديد ، ويجمع الرهن على رهان ، ورهن .

نهی تعالیٰ نہیاً جازماً الشہودَ عن کتمان شہادتهم فقال: ﴿ولا تکتُموا الشہادة..﴾ و بین تعالیٰ عِظَمَ هذا الذنب فقال: ﴿ومن یکتُمها فإنه آثم قلبه﴾^(۱) . . . ﴿وأعلم أنه علیم بما یعملونہ فیجازیہم بعلمہ، وهو تهديد ووعد منه سبحانه وتعالیٰ لکاتمی الشہادة والقائلین بالزور فیہا. هذا معنی الآیة الأولى (۲۸۲) أما الآیة الثانية (۲۸۳) فإنه تعالیٰ قد أخبر بأن له جمیع ما فی السموات، وجمیع ما فی الأرض خلقاً وملکاً وتصرفاً، وبناءً على ذلك فإن من یدي ما فی نفسه من خیر أو شر أو یخفه یحاسب به، ثم هو تعالیٰ بعد الحساب یغفر لمن یشاء من أهل الإیمان والتقویٰ، ویعذب من یشاء من أهل الشک والمعاصي، له کامل التصرف، لأنّ الجمیع خلقه وملکہ وعبیده.

هدایة الآیتین

من هداية الآيتين :

- ۱- جواز أخذ الرهن في السفر والحضر توثيقاً من الدائن لدينه.
- ۲- جواز ترك أخذ الرهن إن حصل الأمن من سداد الدين وعدم الخوف منه.
- ۳- حرمة كتمان الشهادة والقول بالزور فيها وأن ذلك من أكبر الكبائر كما في الصحيح.
- ۴- محاسبة العبد بما يخفي في نفسه من الشك والشرك والنفاق وغير ذلك من بغض أولياء الله وحب لأعدائه، ومؤاخذته بذلك، والعفو عن الهمم بالخطيئة والذنب دون الشك والشرك والحب والبغض من المؤمن الصادق الإیمان للحديث الصحيح الذي أخرجه الستة: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل».

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ۚ

وَرُسُلِهِ ۚ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا

(۱) القول محذوف أي يقولون: لا نفرق، وهذا الحذف للقول شائع نحو ﴿الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم، ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ أي يقولون ربنا الخ.

(۲) إذا كان الرهن دابةً تركب أو شاة تحلب أو داراً تسكن أو نخلاً بثمر فعلى المرتهن نفقة علف الدابة والشاة، مقابل الركوب واللين، وإن سكن الدار دفع أجرتها، وإن جرز التمر أخذه بثمره لحديث: «لا تغلق الرهن صاحبه غنمه وعليه غرمه».

(۳) قال العلماء: آثم القلب: سبب مسخه.

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
 اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
 رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
 عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
 تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
 أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

شرح الكلمات :

آمن

: صدق جازماً بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط .

الرسول

: نبينا محمد ﷺ .

كل

: كل من الرسول والمؤمنين .

لا نفرق بين أحد من رسله ^(١) : نؤمن بهم جميعاً ولا نكون كاليهود والنصارى نؤمن ببعض، ونكفر
 ببعض .

سمعنا

: سماع فهم واستجابة وطاعة .

المصير

: المرجع أي رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا .

لا يكلف الله نفساً ^(٢)

: التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتل .

إلا وسعها ^(٣)

: إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها .

لها ما كسبت : من الخير .

وعليها ما اكتسبت : من الشر .

(١) قرء ﴿وَرُسُلُهُ﴾ بإسكان اللام تخفيفاً وهو شائع في تخفيف الساكن بالفتح نحو عُنُق .
 (٢) روى القرطبي عن أبي هريرة أنه قال : ما وددت أن أحدا ولدني أمه إلا جعفر بن أبي طالب ، فإني تبعته يوماً وأنا جائع
 فلما بلغ منزله فلم يجد فيه سوى نحي سمن قد بقي فيه إثارة فشقه بين أيدينا فجعلنا نلحق ما فيه من السمن والرب
 وهو يقول : ما كلف الله نفساً فوق طاقتها : ولا تجود يد إلا بما تجدد الرب بضم الراء ما يطبخ من التمر .
 (٣) وسواس الصدر مما لا طاقة للبعد بدفعه بحال وقد سئل عنه النبي ﷺ فقال ما رواه مسلم عن علقمة بن عبد الله قال
 سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال : «تلك صريح الإيمان» .

لا تؤاخذنا

: لا تعاقبنا .

إن نسينا

: فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسياناً منا غير عمد .

أو أخطأنا

: فعلنا غير ما أمرتنا خطأً منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة .

إصراراً^(١)

: تكليفاً شاقاً يثقل علينا ويأسرنا فيحبسنا عن العمل .

مولانا

: مالكننا وسيدنا ومتولي أمرنا لا مولى لنا سواك .

معنى الآيتين :

ورد أنه لما نزلت الآية (٢٨٤) ﴿لله ما في السموات...﴾ وفيها ﴿... وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله...﴾ اضطربت لها نفوس المؤمنين، وقالوا من ينجو منا إذا كنا نؤاخذ بما يخفى في أنفسنا من الهم والوسواس وحديث النفس فأمرهم الرسول ﷺ بالرضا بحكم الله تعالى والتسليم به فقال لهم: قولوا سمعنا وأطعنا ولا تكونوا كاليهود: ﴿قالوا سمعنا وعصينا...﴾ فلما قالوها صادقين أنزل الله تعالى هاتين الآيتين: ﴿آمن الرسول^(٢)...﴾ فأخبر عن إيمانهم مقروناً بإيمان نبيهم تكريماً لهم وتطميناً فقال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله...﴾ وأخبر عنهم بقولهم الذي كان سبب استجابة الله تعالى لهم فقال عنهم: ﴿... وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وأخبرهم تعالى أنه لرحمته بهم وحكمته في تصرفه في خلقه لا يكلف نفساً إلا ما تتسع لها طاقتها وتقدر على فعله، وإن لها ما كسبت من الخير فتجزى به خيراً وعليها ما اكتسبت من الشر فتجزى به شراً إلا أن يعفو عنها ويغفر لها فقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت...﴾ وعلمهم كيف يدعونه ليقول لهم قد فعلت، كما صح به الخبر فقال قولوا: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾^(٣) وفعلنا

(١) الإصر: الأمر الغليظ الصعب أو هو الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفارة ويطلق الإصر على العهد ومنه: ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي وميثاقي، لأن الإصر يطلق على الحبل الذي تربط الأحمال ونحوها.

(٢) روى مسلم عن ابن عباس لما نزلت: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم...﴾ الآية قال: «دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي ﷺ ﴿قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا﴾ قال فألقى الله في قلوبهم الإيمان فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل قوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ الآية.

(٣) ورد في فضل خاتمة البقرة أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «أوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي».

قد عفا عنهم في النسيان والخطأ وخفف عنهم في التشريع فما جعل عليهم في الدين من حرج، وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على الكافرين بالحجة والبيان وفي المعارك بالسيف والسنان فله الحمد والمنة وهو الكبير المتعال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تقرير أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.
- ٢- وجوب الإيمان بكافة الرسل وحرمة الإيمان ببعض وترك البعض وهو كفر والعياذ بالله تعالى.
- ٣- وجوب طاعة الله ورسله والتسليم والرضا بما شرع الله ورسله وحرمة رد شيء من ذلك.
- ٤- رفع الحرج ^(١) عن هذه الأمة رحمة بها.
- ٥- عدم المؤاخذة بالنسيان أو الخطأ فمن نسي وأكل أو شرب وهو صائم فلا إثم عليه أو أخطأ فقتل فلا إثم عليه.
- ٦- العفو عن حديث النفس ^(٢) لنزول الآية فيه ما لم يتكلم المؤمن أو يعمل.
- ٧- تعليم هذا الدعاء واستحباب الدعاء به إئتساء بالرسول ﷺ وأصحابه وقد ورد من قرأ هاتين الآيتين ^(٤) عند النوم كفتاه ﴿آمن الرسول﴾. ﴿سورة﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنية

وآياتها مائتا آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) شاهده قوله تعالى من سورة الحج : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

(٢) حديث : «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» أي رفع إثمهم. أما أحكامهم ففيها تفصيل : فالغرامات لا تسقط فمن كسر آنية خطأ أو نسياناً يغرماً لصاحبها، ومن نسي صلاة مفروضة قضاها، ومن قتل خطأ دفع الدية ويسقط القصاص بالخطأ كما يسقط الكفر بالنطق خطأ وسهواً.

(٣) شاهده حديث : «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل» رواه الجماعة.

(٤) لحديث مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أي من قيام الليل لحديث : «من قرأها بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل، وكفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان».

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

- آلَم : تقدم الكلام على مثله من سورة البقرة فليرجع إليه هناك .
 الله : المعبود بحق^(١) .
 لا إله إلا هو : لا معبود بحق سواه .
 الحي : ذو الحياة المستلزمة للإرادة والعلم والسمع والبصر والقدرة .
 القيوم : القيم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ .
 الكتاب : القرآن .
 بالحق : متلبساً به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه .
 مصدقاً لما بين يديه^(٢) : من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله تعالى .
 التوراة^(٣) : كتاب موسى عليه السلام ومعناه بالعبرية الشريعة .^(٤)

(١) الله : اسم علم على ذات الرب تبارك وتعالى ومعناه : الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ولذا فسرناه في التفسير بأنه المعبود الحق لكونه الإله الحق الذي لا يعبد بحق غيره .

(٢) معنى بين يديه أنها تقدمته في النزول فكانت كأنها أمامه وهو وراءها وهو معنى بين يديه .

(٣) اختلف في لفظ التوراة هل هو مشتق من وري الزند إذا أوقد به النار فهي لنور الهداية فيها سميت التوراة أو هي معربة عن كلمة (طورا) العبرية ومعنى طورا، الهدى، وعلى كل حال فهذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر .

(٤) وهي عند اليهود : خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع .

الإنجيل^(١)

: كتاب عيسى عليه السلام ومعناه باليونانية: التعليم
الجديد. ^(٢)

الفرقان^(٣)

: ما فرق الله به بين الحق والباطل من الحجج القرآنية
والمعجزات الإلهية والعقول النيرة البشرية التي لم يغلب عليها
التقليد والجمود والهوى.

يصوركم في الأرحام : التصوير إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من قبل ، والأرحام
جمع رحم : مستودع الجنين.

معنى الآيات :

أخرج ابن جرير الطبري بأسانيد صحيحة أن وفد نجران والمكون من ستين راكبا فيهم
أشرافهم وأهل الحلّ والعقد منهم، وفدوا على رسول الله ﷺ يحاجونه في أمر المسيح عليه
السلام ويريدون أن يثبتوا الهيته بالادعاء الباطل فأنزل الله تعالى نيفاً وثمانين آية من فاتحة
السورة آلم إلى ما يقارب الثمانين. وذلك رداً لباطلهم، وإقامة للحجة عليهم، وسيلاحظ
هذا المتدبر للآيات ويراه واضحاً جلياً في السياق القرآني في هذه الآيات.

فقد قال تعالى آلم، الله لا إله إلا هو فأخبر أنه تعالى لا معبود بحق إلا هو، فأبطل عبادة
المسيح عليه السلام وعبادة كل معبود سوى الله تعالى من سائر المعبودات، وقال الحي القيوم
فذكر برهان استحقاقه للعبادة دون غيره وهو كونه تعالى حياً أزلاً وأبداً وكل حيّ غيره مسبوق
بالعدم ويلحقه الفناء، فلذا لا يستحق الألوهية إلا هو عز وجل والمسيح عليه السلام مسبوق
بالعدم ويلحقه الفناء فكيف يكون إلهاً؟ وقال تعالى القيوم أى القائم على كل الخلق بالتربية
والرعاية والحفظ والتدبير والرزق، وما عداه فليس له ذلك بل هو مربوب مرزوق فكيف
يكون إلهاً مع الله؟ ودليل ذلك أنه نزل عليك الكتاب: القرآن بالحق مصحوباً به ليس فيه

(١) الإنجيل قيل معناه الأصل إذ هو أصل العلوم والحكم وجمعه أنجيل وجمع التوراة: توار.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: انجيل يوحنا، ومرقس، ولوقا، وبرنابا.

(٣) وفسر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ رسمي فرقاناً
لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٤) كان معي هذا الوفد في السنة الثانية من الهجرة وليس سنة تسع التي هي عام الوفود ولذا كان أول السورة متقدماً في
النزول عن آخرها إذ آخرها كان في غزوة أحد، وكانت في السنة الثالثة.

(٥) قوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ هذه الجملة مع جملة: ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ قيل
إن فيها اسم الله الأعظم.

من الباطل شيء فأياته كلها مثبتة للألوهية لله نافية لها عما سواه، فكيف يكون المسيح إلهاً مع الله أو يكون هو الله، أو ابن الله كما يزعم نصارى نجران وغيرهم من نصارى اليونان والرومان وغيرهم نزله مصداقاً لما بين يديه من الكتب التي سبقت لا يخالفها ولا يتناقض معها فدل ذلك أنه وحى الله، وأنزل من قبله التوراة والإنجيل هدى للناس وأنزل الفرقان^(١) ففرق به بين الحق والباطل في كل ما يلبس أمره على الناس فتبين أن الرب الخالق الرازق المدبر للحياة المحيى المميت الحى الذى لا يموت هو الإله الحق وما عداه مربوب مخلوق لا حق له في الألوهية والعبادة وإن شفى مريضاً أو أنطق أبكم أو أحيا ميتاً بإذن الله تعالى فإن ذلك لا يؤمله لأن يكون إلهاً مع الله كعيسى بن مريم عليه السلام فإن ما فعله من إبراء الأكهم والأبرص وإحياء بعض الموتى كان بقدره الله وإذنه بذلك لعيسى وإلا لما قدر على شيء من ذلك شأنه شأن لعباد الله تعالى، ولما رد الوفد ما حاجهم به الرسول وأقام به الحجة عليهم تأكد بذلك كفرهم فتوعدهم الرب تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ وهذا وعيد شديد لكل من كذب بآيات الله وجحد بالحق الذى تحمله من توحيد الله تعالى ووجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فلو كان هناك من يستحق الألوهية معه لعلمه وأخبر عنه، كما قرر بهذه الجملة أن عزته تعالى لا ترام وأنه على الانتقام من أهل الكفر به لقدير. وذكر دليلاً آخر على بطلان ألوهية المسيح فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وعيسى عليه السلام قد صُوِّرَ في رحم مريم فهو قطعاً ممن صور الله تعالى فكيف يكون إذاً إلهاً مع الله أو إبناً لله كما يزعم النصارى؟ وهنا قرر الحقيقة فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فالعزة التى لا ترام والحكمة التى لا تخطىء هما مقتضيات ألوهيته الحقبة التى لا يجادل فيها إلا مكابر ولا يجاحد فيها إلا معاند كوفد نصارى نجران ومن على شاكلتهم من أهل الكفر والعناد.

(١) الفرقان وإن أطلق على القرآن لكونه فرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد فإنه يطلق على كل ما يفرق بين الهدى والضلال كالمعجزات، وما يحصل للمؤمن المتقي من نور يفرق بين الضار والنافع، والخطأ والصواب.

(٢) التنوين في عذاب: للتفخيم، والشديد هو الذي لا يقادر قدره.

(٣) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعامة وسلامة وسعادة وشقاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ألوهية الله تعالى بالبراهين ونفي الألوهية عن غيره من سائر خلقه .^(١)
- ٢- ثبوت رسالة النبي محمد ﷺ بإنزال الله تعالى الكتاب عليه .
- ٣- إقامة الله تعالى الحجة على عباده بإنزال كتبه والفرقان فيها ببيان الحق والباطل في كل شؤون الحياة .
- ٤- بطلان ألوهية المسيح لأنه مخلوق مصور في الأرحام كغيره صوره الله تعالى على ما شاء فكيف يكون بعد ذلك إلهاً مع الله أو ابناً له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .^(٢)

هو

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِلْيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

(١) أي بالبراهين كذلك .

(٢) ضلال النصارى أعظم ضلال وأسوأ ، إذ كيف يعقل أن يكون عيسى إلهاً وقد قتل وصلب في اعتقادهم ، وكيف يكون إلهاً وهو ابن امرأة اسمها مريم وهم يعترفون بذلك فسبحان الله أين تذهب عقول العقلاء؟

(٣) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا : ﴿هو الذي أنزل عليك﴾ إلى ﴿أولوا الأبواب﴾ ثم قال : «إذا رأيتم الذين يبتغون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم» .

شرح الكلمات :

محكمات^(١)

: الظاهرة الدلالة البينة المعنى التي لا تحتمل إلا معنى واحداً،
وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر
وعظات.

متشابهات

: غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعان يصعب على غير الراسخين في
العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب. ^(٢) ومثل قول
الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿...﴾ وكلمته ألقاها إلى
مريم وروح منه... ^(٣) وكقوله تعالى: ﴿...﴾ إن الحكم إلا لله، ^(٤)...

في قلوبهم زيغ

: الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

ابتغاء الفتنة

: أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

ابتغاء تأويله

: طلباً لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

وما يعلم تأويله إلا الله

: وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

الراسخون في العلم^(٥)

: هم أهل العلم اليقيني في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في
معرفة الحق فلا يزَلُّون ولا يَشْتَبُّون في شبهة أو باطل.

كلٌّ من عند ربنا

: أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

أولوا الألباب^(٦)

: أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

ربنا لا تزغ قلوبنا

: أي لا تُثْمَل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرفتنا به فعرّفناه.

هب لنا من لدنك

: أعطنا من عندك رحمة.

(١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه.

(٢) قال بعضهم وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال ونزول عيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) سورة النساء (١٧١).

(٤) سورة الأنعام (٥٧).

(٥) روي أن النبي ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال: «هو مَنْ بَرَّتْ يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه».

(٦) سئلت أم سلمة رضي الله عنها في حديث حسن رواه الترمذي عن ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ عندها فقالت: «كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

معنى الآيات :

ما زال تعالى يقرر ربوبيته وألوهيته ونبوة رسوله ويبطل دعوى نصارى نجران في ألوهية المسيح عليه السلام فيقول: هو أي الله الحي القيوم الذي أنزل عليك الكتاب، أي القرآن، منه آيات محكمات، لا نسخ فيها ولا خفاء في معناها ولا غموض في دلالتها على ما نزلت فيه وهذه معظم أي الكتاب وهي أمّه وأصله، ومنه آيات آخر متشابهات وهي قليلة والحكمة من إنزالها كذلك الامتحان والاختبار كالاختبار بالحلل والحرام، وبأمور الغيب ليثبت على الهداية والإيمان من شاء الله هدايته، ويزيغ في إيمانه ويضل عن سبيله من شاء الله تعالى ضلاله وعدم هدايته. فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ للخروج به عن طريق الحق وهداية الخلق كما فعل النصارى حيث ادعوا أن الله ثالث ثلاثة لأنه يقول نخلق ونحیی، ونمیت وهذا كلام جماعة فأكثر، وكما قالوا في قوله تعالى في شأن عيسى: ﴿... وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(١) أنه جزء منه متحد به وكما قال الخوارج في قوله تعالى ﴿... إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢) فلا يجوز لأحد أن يحكم في شيء وكفروا عليًا وخرجوا عنه لتحكيمه أبا موسى الأشعري في حقيقة الخلاف بين علي ومعاوية وهكذا يقع أهل الزيغ في الضلال حيث يتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم فيظهر لهم معناه ويفهمون مراد الله تعالى منه. وأخبر تعالى أنه لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه وتعالى. وأن الراسخين^(٤) في العلم يُفَوِّضُونَ أمره إلى الله منزله فيقولون: ﴿... آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٥)، ويسألون ربهم الثبات

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة الأنعام (٥٧).

(٣) روي أن أبا امامة رضي الله عنه مرّ برؤوس منصوبة عند باب مسجد دمشق فسأل عنها فقيل إنها رؤوس خوارج جبيء بها من العراق فقال: أولئك كلاب النار ثلاثا شر قتلى تحت ظل السماء طوبى لمن قتلهم ثلاثا ثم بكى، فقيل ما يبكيك فقال رحمة بهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ثم قرأ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. (٤) روي أن ابن عباس رضي الله عنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله. كما يروى هذا عن عائشة وغيرها.

(٥) الجمهور على أن الوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ومن هنا قالوا: لا يعلم المتشابه إلا الله، وهو مما استأثر به دون عباده، ومن قال: إن قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ معطوف على قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ قالوا: إن الراسخين في العلم قد يعلمون بعض المتشابه دون البعض ويدل عليه قولهم ﴿كل من عند ربنا﴾ أي ما علمناه وما لم نعلمه، ورووا أن ابن عباس قال أنا ممن يعلم تأويله.

(٦) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين ولكنها من كلام الله تعالى فهي تذييل للكلام السابق سقت للشاء عليهم.

على الحق فيقولون: ﴿.. ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة..﴾
 ترحمنا بها في دنيانا وأخرانا إنك أنت وحدك الوهاب، لا إله غيرك ولا رب سواك، ويقررون
 مبدأ المعاد والدار الآخرة فيقولون سائيلن ضارعين ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب
 فيه﴾ لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم فاغفر لنا وارحمنا يومئذ حيث آمنا بك وبرسولك
 وبكتابك محكم آيه ومتشابهه، إنك لا تخلف الميعاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- في كتاب الله المحكم والمتشابه، فالمحكم يجب الإتيان به والعمل بمقتضاه، والمتشابه
 يجب الإتيان به ويفوض أمر تأويله إلى الله منزله ويقال: ﴿.. آمنا به كل من عند ربنا..﴾.
- ٢- أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه^(١) يجب هجرانهم والإعراض عنهم لأنهم مبتدعة وأهل
 أهواء.
- ٣- استحباب الدعاء بطلب النجاة عند ظهور الزيغ ورؤية الفتن والضلال.
- ٤- تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٍ أَلٍ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُّوهُمْ
 وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ

(١) قال أهل العلم: التشابه يكون حقيقياً وإضافياً فالحقيقي لا سبيل إلى فهم معناه وهو المراد من الآية ﴿لا يعلم تأويله إلا الله﴾ والإضافي: ما اشتباه معناه لاحتياجه إلى طلب دليل آخر، فإذا طلبه العالم وجده وهو كثير. منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فهذا يبين معناه: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾.

(٢) روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أيام حروب الردة كان يصلي المغرب فيقرأ بالفاتحة وسورة من قصار المفصل وفي الركعة الثالثة يقرأ بأم القرآن ويقرأ قوله تعالى سراً: ﴿ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ يقنت بها. كما روي عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك استغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علماً، ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

إن الذين كفروا : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون .
لن تغني عنهم : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حل بهم .
وقود النار : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز .
كدأب آل فرعون : كعادتهم وسنتهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا
والآخرة .

قل للذين كفروا : هم يهود المدينة بنو قَيْنَقَاع .
آية في فئتين ^(١) : علامة واضحة والفئتان : المسلمون وقريش إلتقتا في بدر .
يؤيد بنصره : يُقَوِّى .
عبرة لأولي الأبصار : العبرة العظة وما يَعْبُرُ به ذو البصيرة مواضع الخطر فينجو .

معنى الآيات :

لما أصّر وفد نجران على الكفر والتكذيب واتباع المتشابه من أي الكتاب ابتغاء الفتنة
وابتغاء التأويل من الحق والخروج عنه . توعد الرب تعالى جنس الكافرين من نصارى ويهود
وعرب وعجم فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ بالحق لما جاءهم وعرفوه معرفة لا لبس فيها ولا

(١) الضمير عائد على المسلمين على أسلوب الالتفات ، والأصل ترونهم مثليكم ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على
المشركين ، ولكن الصواب أنه عائد على المؤمنين ، لأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المؤمنين ليقدّموا على قتالهم .

(٢) استئناف ابتدائي للانتقال من النذارة إلى التهديد حيث تطلب المقام ذلك إذ تبجح اليهود وتطاولوا على رسول الله ﷺ
مخوفين له بكلامهم السخيف .

(٣) الفئة : الجماعة من الناس وسميت فئة لأنه يفاء إليها أي يرجع إليها في وقت اشتداد الحرب .

غموض ولكن منعهم من قبوله الحفاظ على المناصب والمنافع هؤلاء جميعهم سيعذبهم الله تعالى في نار جهنم ولن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، واعلم أنهم وقود النار، التي مهدوا لها بكفرهم وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم. ثم أخبر تعالى أنهم في كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم العذاب كدأب وعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم التي كذبت رسلها كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح حتى أخذهم الله بالعذاب في الدنيا بالهلاك والدمار، وفي الآخرة بعذاب النار وبئس المهاد، وكان ذلك بذنوبهم لا بظلم الله تعالى ثم أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ أن يقول لليهود المدينة الذين قالوا للرسول لا يغرنك أنك قاتلت من لا يحسن الحرب فانتصرت عليهم يريدون قريشاً في موقعة بدر، إنك إن قابلتنا ستعلم أنا نحن الناس، لما قالوا قولتهم هذه يهددون بها رسول الله ﷺ والمسلمين أمره أن يقول لهم ﴿ستغلبون﴾ يريد في المعركة وتنهزمون وتموتون، وبعد موتكم تحشرون إلى جهنم وبئس المهاد جهنم مهدتوها لأنفسكم بكفركم وعنادكم وجحودكم للحق بعد معرفته. وفتح أعينهم على حقيقة لو تأملوها لما تورطوا في حرب الرسول حتى هزمهم وقتل من قتل منهم وأجلى من أجلاهم. وهي أن المسلمين الذين قاتلوا المشركين في بدر وانتصروا عليهم كانوا أقل عدد وأنقص عدة، ومع ذلك انتصروا لأنهم يقاتلون في سبيل الله والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت والشرك والظلم والطغيان ونصر الله الفئة القليلة المسلمة وهزم الفئة الكافرة الكثيرة فلو اعتبر اليهود بهذه الحقيقة لما تورطوا في حرب مع الرسول ﷺ أبداً. ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهي البصائر. فقال تعالى لهم: ﴿قد كان لكم آية في فتنتين التقتا﴾ - في بدر - فئة - جماعة - تقاتل في سبيل الله - إعلاء لكلمته - وأخرى فئة كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ﴿يرونها مثليهم

(١) فعلا فقد جمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم أنني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

(٢) إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان عدد المشركين رابياً على التسعمائة مقاتل.

(٣) رأى المسلمون الكافرين مثليهم أي مثلي عدد المسلمين وهذا معنى التقليل إذ الكافرون تسعمائة فأروهم ستمائة وهو التقليل المذكور.

رَأَيْتِ الْعَيْنَ ﴿١﴾ لَقَرَبِهِمْ مِنْهُمْ . ومع هذا نصر الله الأقلية المسلمة وهزم الأكثرية الكافرة، وذلك لأن الله تعالى يؤيد بنصره من يشاء، فأيد أوليائه وهزم أعداءه، وإن في هذه الحادثة لعبرة وعظة ومتفكر ولكن لمن كان ذا بصيرة، أما من لا بصيرة له فإنه لا يرى شيئاً حتى يقع في الهاوية قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور لهم: ﴿... لعبرة لأولى الأبصار﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الكفر مورث لعذاب يوم القيامة والكافر معذب قطعاً.
- ٢- الأموال والأولاد والرجال والعتاد مهما كثروا لن يغنوا من بأس الله شيئاً إذا أَرَادَهُ بالكافرين في الدنيا والآخرة.
- ٣- الذنوب بريد العذاب^(١) العاجل والآجل.
- ٤- ذم الفخر والتعالي وسوء عاقبتها.
- ٥- العاقل من اعتبر بغيره، ولا عبرة لغير أولى الأبصار أى البصائر.
- ٦- صدق خبر القرآن في ما أخبر به اليهود من هزيمتهم، فكان هذا دليل صدق على أن القرآن وحى الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الاسلام دين الله الحق.

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ^(٢) : جعل حبها مستحسناً في نفوسهم لا يرون فيه قبحا ولا دمامة.

(١) شاهده من كتاب الله تعالى : ﴿من يعمل سوءً يجز به﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

(٢) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية : ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ...﴾ الخ قال : الآن يا رب حين زينتها لنا فأنزل الله تعالى : ﴿قل أُوْثِقْكُمْ بخير من ذلكم...﴾ الآية.

(١) الشهوات

: جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين .

القناطير المقنطرة

: القنطار الف ومائة أوقية فضة والمقنطرة الكثيرة بعضها فوق بعض .

(٢) الخيل المسومة

: ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها للغزو والجهاد .

الانعام

: الأتيل والبقر والغنم وهى الماشية .

(٣) الحرث

: الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة .

ذلك متاع الحياة الدنيا : أي ذلك المذكور من النساء والبنين الخ متاع الحياة الدنيا يريد يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها .

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر تعالى عناد من كفر من النصارى، واليهود، والمشركون، وجحودهم، وكفرهم، ذكر علة الكفر وبيّن سببه ألا وهو ما زينه تعالى لبنى البشر عامة ليفتنهم فيه ويمتحنهم به وهو حب الشهوات أى المشتتهيات بالطبع البشرى من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيال المسومة والأنعام والحرث وهو كل ما يحرق من سائر الحبوب والنباتات الغذائية والعطرية وغيرها . هذا الذى جعل تلك الجماعات ترفض الحق وتدفعه لأنه يحول بينهم وبين هذه المشتتهيات غالباً فلا يحصلون عليها، ولم يعلموا انها مجرد متاع زائل فلا يبيعوا بها الجنة دار الخلد والسلام ولذا قال تعالى ذلك اى ما ذكر من أصناف المحبوبات متاع الحياة الدنيا لاغير اما الآخرة فلا ينفع فيها شىء من ذلك بل لا ينفع فيها الا الزهد فيه والإعراض عنه إلا ما لا بد منه لِلْبُلْغَةِ بِهِ إلى عمل الدار الآخرة وهو الإيمان وصالح الأعمال، والتخلى عن الكفر والشرك وسائر الذنوب والمعاصى .

(١) في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ومعناه أن الجنة لا تنال إلا بقطع مغاور المكاره والصبر عليها، وأن النار لا ينجي منها إلا ترك الشهوات وغطام النفس عنها .

(٢) ما ذكرناه مأخوذ من السومة وهى السمة أى العلامة وقد تكون المسومة مأخوذ من السوم وهى الرعى فى المرعى يقال أسام الماشية إذا رعى بها فى المرعى . والخيال مؤنثة .

(٣) الحرث مصدر أطلق على المحروثات نفسها من المزارع والحدائق .

(٤) روى الشيخان عنه ﷺ أنه قال : «ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء» وفي حديث آخر : «اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت فى النساء» رواه مسلم .

وختم تعالى الآية بقوله مرغبا في العمل للدار الآخرة داعيا عباده الى الزهد في المتاع الفانى لتتعلق قلوبهم بالنعيم الباقي فقال: ﴿والله عنده حسن المآب﴾، أي المرجع الحسن، والنزل الكريم والجوار الطيب السعيد.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- يزين الله تعالى بمعنى يجعل الشيء زِيناً محبوباً للناس للابتلاء والاختبار قال تعالى : ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾^(١) ويزين الشيطان للاضلال والاغواء، فالله يزين الزين ويقبح القبيح، والشيطان يزين القبيح، ويقبح الزين. فانظر الفرق وتأمل.

٢- المزيينات في هذه الآية من تزيين الله تعالى للابتلاء، وكلها زينة في الواقع وليس فيها قبيح إلا إذا طلبت من غير حلّها وأخذت بشره ونهم فأفسدت أخلاق آخذها أو طغت عليه محبتها فأنسته لقاء الله وما عنده فهلك بها كاليهود والنصارى والمشركين.

٣- كل ما في الدنيا مجرد متاع والمتاع دائما قليل وزائل فعلى العاقل ان ينظر اليه كما هو فلا يطلبه بما يجرّمه حسن المآب عند الله . اللهم لا تحرمنا حسن مآبك يا الله يا رحمن يا رحيم .



أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

(١) سورة الكهف (٧).

(٢) المآب : المرجع يقال : آب يؤوب إيابا إذا رجع ومنه قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

والمراد المآب : ما أعده الله تعالى لأوليائه من النعيم المقيم في دار السلام.

شرح الكلمات :

أَوْثَبُكُمْ^(١) : أخبركم بنبأ عظيم لأن النبأ لا يكون إلا بالأمر العظيم .
 بخير من ذلكم : أى المذكور فى الآية السابقة من النساء والبنين الخ .
 اتقوا : خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله .
 من تحتها الأنهار : من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء ، وأنهار اللبن وأنهار العسل وأنهار الخمر .

خالدين فيها أبدا : مقيمين فيها إقامة لا يرحلون بعدها أبدا .
 أزواج مطهرة : زوجات هى الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكل أذى وقذر .
 الصابرين : على الطاعات لا يفارقونها وعلى المكروه لا يتسخطون ، وعن المعاصى لا يقارفونها .

الصادقين : فى إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم .
 القانتين : العابدين المحسنين الداعين الضارعين .
 والمتفقيين : المؤدين الزكاة والمتصدقين بفضول أموالهم .
 المستغفرين^(٣) بالأسحار : السائلين ربهم المغفرة فى آخر الليل وقت السحور .

معنى الآيات :

لما بين تعالى ما زينه للناس من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة إلى آخر ما ذكر تعالى ، وبين أن حسن المآب عنده سبحانه وتعالى فليطلب منه بالايان والصالحات أمر رسوله أن يقول للناس كافة أَوْثَبُكُمْ بخير من ذلكم المذكور لكم . وبينه بقوله : ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) يصح أن يكون متتهى الاستفهام قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَلِكَ﴾ و﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ خبر مقدم ، وجنات : المبتدأ ، ويصح أن يكون متتهى الاستفهام ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وجنات : خبر ، والمبتدأ محذوف .

(٢) شاهد هذا فى قوله تعالى من سورة محمد ﷺ : ﴿مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ .

(٣) المختار من ألفاظ الاستغفار ما رواه البخاري : «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وقول العبد : اللهم لا إله إلا أنت سبحانه عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وأزواج مطهرة ورضوان من الله . . . ﴿١﴾ وهو رضاء عز وجل عنهم وهو أكبر من النعيم المذكور قبله قال تعالى في آية أخرى: ﴿٢﴾ ورضوان من الله أكبر. . . ﴿٣﴾

ثم أخبر تعالى أنه بصير بعباده يعلم المؤمن الصادق والمنافق الكاذب، والعامل المحسن والعامل المسيء وسيجزي كلا بعدله وفضله، ثم ذكر صفات المتقين التي ورثوا بها ما وصف من النعيم فقال: ﴿٤﴾ الذين يقولون ربنا إنا آمنة فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴿٥﴾ فذكر صفة الايمان والخشية والضراعة والدعاء لهم ثم ذكر باقى الصفات الكمالية فقال: ﴿٦﴾ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴿٧﴾، يتهجّدون آخر الليل وقبل طلوع الفجر يكثرون من الاستغفار وهو طلب المغفرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا مهما كان.
- ٢- نعيم الآخرة خاصّ بالمتقين الأبرار، ونعيم الدنيا غالباً ما يكون للفجار.
- ٣- التقوى وهى ترك الشرك والمعاصى هى العامل الوراثى لدار السلام.
- ٤- استحباب الضراعة والدعاء والاستغفار فى آخر الليل.
- ٥- الصفات المذكورة لأهل التقوى هنا كلها واجبة فى الجملة لا يحلّ ان لا يتصف بها مؤمن ولا مؤمنة فى الحياة.

شَهِدَ^(٤)

اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ^(٥)

(١) هى قوله تعالى من سورة التوبة: ﴿١﴾ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴿٢﴾.

(٢) أخرجه مسلم عنه ﷺ «أن أهل الجنة إذا دخلوها يقول الله تعالى لهم: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

(٣) شاهده ما رواه الأئمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» رواه مسلم.

(٤) روى الكلبي ونقل ذلك القرطبي فقال: «لما ظهر رسول الله ﷺ قدم عليه حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت فقالا له: أنت محمد؟ قال نعم قالا وأنت أحمد؟ قال نعم. قالا نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها أمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله ﷺ أسألاني فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿٥﴾ شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية.

(٥) فى عطف شهادة أولي العلم على شهادة الله تعالى شرف كبير لأولي العلم، وفى الحديث: «إن العلماء ورثة الأنبياء»، «العلماء أمناء الله على خلقه».

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
 اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
 اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
 وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
 ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- شهد : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به .
- لا إله إلا هو : لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالى .
- أولو العلم : أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء .
- القسط : العدل في الحكم والقول والعمل .
- العزیز الحکیم : الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله وسائر تصرفاته .
- الدين : ما يدان لله تعالى به أي بطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات .
- الإسلام^(١) : الانقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام .
- بغياً : ظلماً وحسداً .
- حاجوك : جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية .

(١) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ صيغة حصر أي حصر المسند إليه الذي هو الدين في المسند الذي هو الإسلام أي لا دين إلا الإسلام وقد أكد هذا الحصر أيضاً بحرف التوكيد إِنَّ، والمعنى : إن الدين الصحيح هو الإسلام لا غيره .

(٢) حقيقة الإسلام الشرعية : أنه اعتقاد الحق والنطق به، والعمل بموجبه عبادة وخلقا وحكما حتى تكون حياة المسلم كلها وفق مراد الله تعالى منه وما دعاه إليه وخلقته من أجله .

أسلمت وجهي لله : أخلصت كل أعمالى القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له .
 ومن اتبعن - : كذلك اخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له .
 أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى .
 الأميين : العرب المشركين سُمُّوا بالأميين لِقِلَّةِ مَنْ يقرأ ويكتب فيهم .
 أسلمتم : الهمة الأولى للإستغفار والمراد به الأمر أي أسلموا خيراً لكم لظهور الحق وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ .
 فإن أسلموا : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلى سبيل النجاة .
 وإن تولوا : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم إذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت .

معنى الآيات :

ينجز الجبار عز وجل أنه شهد أنه لا إله إلا هو وأن الملائكة وأولى العلم يشهدون كذلك شهادة علم وحق قامت على مبدأ الحضور الذاتى والفعل وأنه تعالى قائم في الملكوت كله ، علوه وسفليه ، بالعدل ، فلا رب غيره ولا إله سواه ، العزيز في ملكه وخلقه الحكيم في تدبيره وتصريفه فلا يضع شيئاً في غير موضعه اللائق به . فرد بهذه الشهادة على باطل نصارى نجران ، ومكر اليهود ، وشرك العرب ، وأبطل كل باطلهم سبحانه وتعالى ، ثم أخبر أيضاً أن الدين الحق الذي لا يقبل تعالى ديناً سواه ، هو الاسلام ، القائم على مبدأ الانقياد الكامل لله تعالى بالطاعة ، والخلوص التام من سائر أنواع الشرك فقال : ﴿إن الدين عند الله﴾ في حكمه وقضائه الإسلام ، وما عداه فلا يقبله ولا يرضاه . ثم أخبر تعالى عن حال نصارى نجران ، المجادلين لرسوله ، في شأن تأليه عيسى بالباطل فقال ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ يريد أن خلاف أهل الكتاب لم يكن عن جهل منهم بالحق ومعرفته^(١) ولكن كان عن علم حقيقى وإنما حملهم على الخلاف المسبب للفتن

(١) ورد أن من قال عند تلاوة هذه الآية : ﴿شهد الله﴾ الخ وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله ودبعة - يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول عز وجل : عبيدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبيدي الجنة .
 (٢) روى مسلم أن النبي ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أهل النار» .

(٣) يشهد لهذه الحقيقة ما رواه البخاري «إن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ لوضوءه ويناوله نعله فمرض فاتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قائم عند رأسه فقال له النبي ﷺ يا فلان قل لا إله إلا الله فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه : أطع أبا القاسم فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أخرجني من النار» .

والحروب وضياح الدين البغي والحسد إذ كل فرقة تريد الرئاسة والسلطة الدينية والدينية لها دون غيرها، وبذلك يفسد أمر الدين والدنيا، وهذه سنة بشرية تورط فيها المسلمون^(١) بعد القرون المفضلة أيضاً، والتاريخ شاهد. ثم قال تعالى ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ يتوعد تعالى ويهدد كل من يكفر بآياته الحاملة لشرائعه فيجحدوها ويعرض عنها فإنه تعالى يحصي عليه ذنوب كفره وسيأت عصيانه ومحاسبه بها ويجزيه وإنه لسريع الحساب لأنه لا يشغله شيء عن آخر ولا يعنيه إحصاء ولا عدد ثم يلتفت بالخطاب إلى رسوله قائلاً له فإن حاجوك يريد وفد نجران النصراني فاختصر الحجاج معهم بإظهار موقفك المؤيس لهم داعياً إياهم إلى الإسلام الذي عرفوه وأنكروه حفاظاً على الرئاسة والمنافع بينهم فقل لهم: ﴿أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ أيضاً أسلم وجهه لله فليس فينا شيء لغير الله وقلوبنا وأعمالنا وحياتنا كلها لله فأسلموا أنتم يا أهل الكتاب ويا أميون ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ وإن تولوا وأعرضوا فلا يضررك إعراضهم، إذ ما كلفت إلا البلاغ وقد بلغت، أما الحساب والجزاء فهو إلى الله تعالى البصير بأعمال عباده العليم بنياتهم وسوف يجزيهم بعلمه ويقضي بينهم بحكمه وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- اعتبار الشهادة والأخذ بها إن كانت قائمة على العلم وكان الشاهد أهلاً لذلك بأن كان مسلماً عادلاً.
- ٢- شهادة الله أعظم شهادة تثبت بها الشرائع والأحكام وتليها شهادة الملائكة وأولي العلم.
- ٣- بطلان كل دين بعد الإسلام وكل ملة غير ملته لشهادة الله تعالى بذلك وقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (٨٥) من هذه السورة والآتي تفسيرها إن شاء الله تعالى.
- ٤- الخلاف بين أهل العلم والدين يتم عندما يؤثران الحياة الدنيا على الآخرة فيتورطون في

(١) وما زال المسلمون متفرقين إلى اليوم بل تفرقهم اليوم أسوأ من الأول ودولهم ديولات وشريعتهم التي يسوسون بها الأمة المسلمة شرائع.

(٢) روى محمد بن اسحق أن وفد نجران لما دخلوا مسجد رسول الله ﷺ تكلم منهم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلمنا» قالا: قد أسلمنا قبلك فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلاً: كذبتما يمتعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب».

المطاعم والمشارب، ويتشوقون إلى الكراسى والمناصب، ويرغبون في الشرف يومئذ يختلفون بغياً بينهم وحسداً لبعضهم بعضاً.

٥- من أسلم قلبه لله وجوارحه وأصبح وقفاً في حياته على الله فقد اهتدى إلى سبيل النجاة والسلام.

٦- من علق قلبه بالحياة الدنيا وأعرض عما يصرفه عنها من العبادات ضل في حياته وسعيه وحسابه على الله وسيلقى جزاءه.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

يكفرون : يحدون ويكذبون .

النبیین : جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحى إليه الله تعالى .

القسط : العدل والحق والخير والمعروف .

بشرهم بعذاب أليم : أخبرهم إخباراً يظهر أثره على بشرة وجوههم ألماً وحسرة .

حبطت أعمالهم : بطلت وذابت، لم ينجوا منها شيئاً ينفعهم، ويهلكون بذلك ويعدمون

الناصر لهم لأن الله خذلهم وأراد إهلاكهم وعذابهم في جهنم .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في هتك أستار الكفرة من أهل الكتابين اليهود والنصارى فذكر تعالى هنا ان الذين يكفرون بآيات الله وهي حججه وأعلام دينه، وما بعث بها رسله، ويقتلون مع

(١) جرى بالأفعال المضارعة في صلات الذين يكفرون يقتلون النبيين ويقتلون الخ لاجل استحضار الحالة الفظيعة من جهة، ومن جهة أخرى كشف عن نيات اليهود فإنهم ما زالوا مصرين على قتل الأنبياء، وكيف وقد حاولوا قتل النبي ﷺ غير مرة.

ذلك النبيين بغير حق^(١) ولا موجب للقتل ، ويقتلون الذين يأمرهم بالعدل من أتباع الأنبياء المؤمنين الصالحين ، هذه جرائم بعض أهل الكتاب فبشرهم بعذاب أليم ، ثم أخبر أن أولئك البعداء في مهاوي الشر والفساد والظلم والعناد حبطت أعمالهم في الدنيا فلا يجنون منها عاقبة حسنة ولا مدحاً ولا ثناءً بل سُجِّلَتْ لهم بها عليهم لعنات في الحياة والممات ، والآخرة كذلك وليس لهم فيها من ناصرين ينصرونهم فيخلصونهم من عذاب الله وهيئات هيئات أن يوجد من دون الله ولي أو نصير.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- الكفر والظلم من موجبات هلاك الدنيا ولزوم عذاب الآخرة.
- ٢- قتل الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر كقتل الأنبياء في عِظَم الجُرم.
- ٣- الشرك محبط للأعمال مفسد لها في الدنيا والآخرة.
- ٤- من خذله الله تعالى لا ينصره أحد، ومن ينصره الله لا يغلبه أحد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
 فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ

(١) بغير حق : حال مؤكدة إذ لا يقع قتل نبي إلا بغير حق فقتلهم الأنبياء متأكد وهو قبيح وكونه بغير حق هو أشد قبحاً ، والآية تشنيع لأفعالهم القبيحة.

(٢) روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي عبيدة رضي الله عنه «قال : قلت يا رسول الله أيُّ الناس أشدَّ عذاباً يوم القيامة؟ قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الخ ثم قال يا أبا عبيدة قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً من عبّاد بنى إسرائيل فأمرؤا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهؤهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله تعالى».

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره الرواية التالية : كل بلدة يكون فيها أربعة فاعلها معصومون من البلاء إمام عادل لا يظلم ، وعالم على سبيل الهدى ، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب العلم والقرآن ونسأؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم من قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال : الملك في صغاركم والفاشحة في كباركم والعلم في زوالكم الرذالة كالحثالة ومعناه فيمن لا خير فيهم .

لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوَفَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

أوتوا نصيبا من الكتاب : أعطوا حظا وقسطا من التوراة .

يدعون : يُطْلَبُ^(١) إليهم أن يتحاكموا فيما اختلفوا فيه من الحق إلى كتابهم الذي

يؤمنون به وهو التوراة فيأبون ويعرضون .

يتولى : يرجع وهو مصمم على عدم العودة إلى الحق .

أياما معدودات : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يوماً تلك التي عبدوا فيها العجل

بعد غياب موسى عليه السلام عنهم .

يفترون : يكذبون .

ليوم لا ريب فيه : هو يوم القيامة .

ما كسبت : ما عملت من خير أو شر .

لا يظلمون : بأن يعذبوا بدون المقتضي لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في فضح أهل الكتاب بذكر ذنوبهم وجرائمهم فيقول تعالى لرسوله حاملاً له على التعجب من حال اليهود ألم تريا رسولنا إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب أى ألم ينته إلى علمك أمرهم حيث يدعون إلى التحاكم إلى كتاب الله تعالى فيما انكروه واختلفوا فيه من صفاتك وشأن نبؤتك ورسالتك ، ثم يتولى عدد منهم وهم مصممون على عدم العودة وطلب الحق والإقرار به . إنها حال تدعو إلى التعجب حقاً ، وصارفهم عن قبول الحق

(١) قال ابن عباس : هذه الآية نزلت بسبب أن رسول الله ﷺ دخل على يهود في بيت المدراس فدعاهم إلى الاسلام فقالوا له على أي دين أنت؟ فقال على ملة ابراهيم ، فقالوا إن ابراهيم كان يهودياً فقال النبي ﷺ هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبوا عليه فنزلت هذه الآية .

(٢) التنكير للتقليل وليس للتعظيم لأن السياق في ذمهم وتقبيح سلوكهم .

(٣) الآية دليل على وجوب من دعي إلى التحاكم إلى شرع الله أن يجيب إلى ذلك ولا يمتنع ولا يقدر في إيمانه .

(٤) أي من كون ابراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ، حيث زعموا أنه كان يهودياً كما تقدم في بيان سبب نزول الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين . . . ﴾ .

ومراجعته هو اعتقادهم الفاسد بأن النار لا تمسهم إذا ألقوا فيها إلا مدة أربعين يوماً وهي المدة التي عبد فيها أسلافهم العجل يوم غاب موسى عنهم لمناجاته ربه تعالى في جبل الطور. وهذه الدعوى باطلة لا أساس لها من الصحة بل يُخلدون في النار لا بعبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً بل بكفرهم وظلمهم وجحودهم وعنادهم، ويبين تعالى الحقيقة لرسوله والمؤمنين وهي أن هذه الدعوى اليهودية ما هي إلا فرية^(١) افتراها علماءهم ليهوتوا عليهم ارتكاب الجرائم وغشيان عظام الذنوب. كما حصل للمسلمين في القرون المظلمة من تاريخ الإسلام حيث أصبح مشايخ التصوف يَدَّجُلون على المريدين بأنهم سيستغفرون لهم ويغفر لهم. ثم قال تعالى مستعظماً حالهم مهولاً موقفهم: فكيف^(٢) أي حالهم. إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيامة كيف تكون حالهم انها حال يعجز الوصف عنها، ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم إن كانت لهم حسنات، ولا بالزيادة في سيئاتهم وما لهم إلا السيئات.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من الإعراض عن الدين والكفر به رفض التحاكم إليه قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾. سورة النساء/ ٦٥.
- ٢- أفسد شيء للأديان بعقائدها وشرائعها وعباداتها الإفتراء فيها والإبتداع عليها والقول فيها بغير علم.
- ٣- مضرة الإغترار بما يقوله بعض المفسرين والمحشين على الكتب الدينية من الحكايات والأباطيل بحجة الترغيب أو الترهيب فيغتر بها الناس فيضلوا ويهلكوا.
- ٤- فضيلة ذكر أهوال يوم القيامة وما يلاقى فيها أهل الظلم والشر والفساد وفي القرآن ﴿إنا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ سورة ص/ ٤٦.

(١) ومن جملة افتراءاتهم قولهم إن الله وعد يعقوب أن لا يعذب أبناءه.

(٢) هذا خطاب للنبي ﷺ وأمته على جهة التوقيف والتعجب.

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ
 مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

اللهم

: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص
 بنداء الله تعالى .

مالك

: المالك : الحاكم المتصرف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد
 لعظم سلطانه وقوة إرادته .

الملك

: المملوك : والمقصود به ما سوى المالك عز وجل ، من سائر الكائنات .
 : السلطان والتصرف في بعض الملوكوت .

تؤتي الملك

تولج الليل في النهار : تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل ، وتولج النهار في الليل فلا يبقى
 نهار

تخرج الحي من الميت : أي تخرج جسمًا حيًا من جسم ميت في المحسوسات كالدجاجة من
 البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، ومن المعنويات تخرج المؤمن من الكافر
 والكافر من المؤمن .

بغير حساب ^(١) : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه .

(١) الرزق هو كل ما ينتفع به الإنسان فيطلق على الطعام على اختلافه من حبّ وتمر ولحم وعلى كل ما يحتاج إليه الإنسان
 في حفظ بنيته صالحة للعبادة .

معنى الآيتين :

من المناسبات التي قيلت في نزول هاتين الآيتين : أن الرسول ﷺ لما أخبر أصحابه أن ملك أمته سيبلغ كذا وكذا في أحاديث صحاح سخر اليهود والمنافقون من إخبار الرسول بذلك مستبشرين له غاية البعد لجهلهم وكفرهم فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين ضمن الرد على نصارى نجران فأمره أن يقول : ﴿اللهم مالك الملك تؤت الملك من تشاء﴾ الخ . . أمره أن يقول ذلك ليعطيه ما وعده به من إتساع ملك أمته حتى يشمل ملك فارس والروم ، وليرد على ضلال النصارى في تأليه عيسى عليه السلام ، إذ المعبود بحق المستحق للعبادة والتأليه دون سواه من هو مالك الملك كله ، ويتصرف فيه وحده يؤتي منه ما يشاء لمن يشاء ، وينزع ممن أعطاهم ما شاء ومتى شاء لا يحول دون تصرفه حائل ، ولا يقف دون إعطائه أو نزعها واقف . يعز الدليل متى شاء وبذل العزيز متى شاء ، بيده الخير لا بيد غيره يُفِيضُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، ويمنعه عَمَّنْ يَشَاءُ وهو على كل شيء قدير . يولج النهار في الليل فلا يبقى نهار ، ويولج الليل في النهار فلا يبقى ليل ، مظهر من مظاهر القدرة الموجبة لألوهيته وطاعته ومحبته ، ويدخل ساعات من الليل في النهار فيقصر الليل ويطول النهار ، ويدخل ساعات من النهار في الليل فيطول ، مظهر من مظاهر الحكمة والقدرة والرحمة ، يخرج الحي من الميت الإنسان من النطفة والنبتة من الحبة ويخرج الميت من الحي النطفة من الإنسان الحي ، والبيضة من الدجاجة ، والكافر الميت من المؤمن الحي ، والعكس كذلك ، هذه مظاهر ربوبيته المستلزمة لألوهيته فتقرر أنه الإله الحق ، لا رب غيره ولا إله سواه ، وبذلك تأكد أمران : الأول : أن الله قادر على إعطاء رسوله ما وعده لأمره ، وقد فعل ، والثاني : أن عيسى لم يكن إلا عبداً مروباً لله بالعبودية وشرفه بالرسالة وأيده بالمعجزات .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- فضل الدعاء بهاتين الآيتين بأن يقرأهما العبد ثم يقول : (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما

(١) ذكر القرطبي أن النضر بن شميل قال : من قال اللهم فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه كلها ، وقال الحسن البصري : اللهم : تجمع الدعاء .

(٢) والشر بيده أيضاً وحذف لتطلب المقام ذلك نحو : ﴿سراييل تقيكم الحر﴾ أي والبرد .

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية أن معاذاً حبس يوماً عن صلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ فسأله عما حبسه فقال كان عليّ دين =

تعطي منها من تشاء ، وتمنع من تشاء اقض عني ديني ، فإنه يقضى بإذن الله تعالى ويعطى إن سأل حاجة له من حوائج الدنيا والآخرة .

٢- استجابة الله تعالى لرسوله ﷺ وإنجازه ما وعده في أمته .^(١)

٣- بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وثبوت عبوديته ورسالته وكرامته .

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾
 أَنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَوْمَ تَعْلَمُونَ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾
 يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

لا يتخذ : لا يجعل .

أولياء : جمع ولي يتولونهم بالنصر والمحبة والتأييد .

فليس من الله في شيء : أي بريء الله تعالى منه ، ومن بريء الله منه هلك .^(٢)

= ليحنا اليهودي فوق عند بابي يرصدني فقال له النبي ﷺ اتحب أن يقضى عنك ربك؟ قال : قلت نعم قال اقرأ كل يوم ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ إلى قوله ﴿ بغير حساب ﴾ ثم قل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي منها من تشاء وتمنع من تشاء اقض عني ديني . فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه عنك .

(١) إذ لم يقبض الرسول ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام ولم يمض ربع قرن حتى بلغ ملك أمته من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، ومن جملة ذلك دولة فارس والروم .

(٢) هذا نحو : ﴿ وأسأل القرية ﴾ أي أهل القرية على حذف مضاف كذلك : ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء .

: وقاية باللسان وهي الكلمة المليئة للجانب ، المبعدة للبغضاء .

: حاضراً يوم القيامة .

: مدى وغاية بعيدة .

ويحذركم الله نفسه : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه .

معنى الآيات :

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي أعواناً وانصاراً يبادلونهم المحبة والمناصرة على إخوانهم المؤمنين ، وأعلمهم تعالى أن من يفعل ذلك فقد برىء الله تعالى منه وذلك لكفره ورّدته حيث وإلى أعداء الله وعادى أولياءه ، فقال تعالى ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ أي برىء الله تعالى منه وانقطعت صلته وانبت حبّ الولاية بينه وبين الله تعالى ، وبإهلاكه ثم رخص تعالى للمؤمنين المستضعفين الذين يعيشون تحت سلطان الكافرين في أن يعطوهم حلاوة لسانهم دون قلوبهم وأعمالهم^(٢) فيتقون بذلك شرهم وأذاهم ، وذلك بكلمة المصانعة والمجاملة قال تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة . . . ﴾ ولما كان أمر البراء والولاء ذا خطر عظيم قال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي في أن تتخذوا أعداءه أولياء ضد أوليائه وأخبرهم أن المصير إليه لا إلى غيره فليحذر العصاة من وقوفهم بين يدي الله فقال : ﴿ وإلى الله المصير ﴾ .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٨) وأما الآية الثانية (٢٩) فقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للناس مؤمنهم وكافرهم ﴿ . . . ان تخفوا ما في صدوركم . . . ﴾ من حب أو بغض ، من رضى أو سخط فلا تنطقوا به ولا تظهروه بحال من الأحوال ، وأن تظهروه بقول أو عمل أو حال فإنه تعالى يعلمه ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، وبحاسب به ويجزى عليه وهو

(١) قال ابن عباس : التقاة هي أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا يقتل ولا يأتي مأثماً ، وقرىء ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ وقالوا في التقية : أن يكون المؤمن في دار الكفار قائماً بينهم فله أن يداريهم بلسانه إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان . وأصل تقاة : وقية على وزن فعلة كنزدة فقلبت الواو تاء وقلبت الياء ألفاً فصارت تقاة .

(٢) ﴿ من دون المؤمنين ﴾ حرف الجر ﴿ من ﴾ لتأكيد الظرفية وهو تقييد للنهي في الظاهر فيكون المنهي عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين ، وهو المراد من الآية ولذلك صور منها : أن يتخذ المسلم أو المسلمون جماعة الكفر أولياء لهم ميلاً إلى كفرهم ومناوأة للمسلمين وهذه كفر بلا خلاف ، ومنها أن يوالي الكفار لأجل الإضرار بالمسلمين وهذه كالأولى ، ومنها ما أذن فيها وهي التقية .

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال : ﴿ إنا لنكسر في أقوام وقلوبنا تلعنهم ﴾ يريد المنافقين . والتكشير كالابتسام إلا أنه متكلف فيه .

على كل شيء قدير. ألا فليراقب الله العاقل وليتقه، فلا يقدم على معاصيه، وخاصة موالاة أعدائه على أوليائه. وأما الآية الثالثة (٣٠) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا دَعَا إِلَىٰهَا يُنَادِيهَا﴾ ففيها يذكر تعالى عباده بيوم القيامة ليقصروا عن الشر ويرعَوْوا من الظلم والفساد فيقول أذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً أي حاضراً تجزى به، وما عملت من سوء وشر حاضراً أيضاً ويسوءها مرآة فتود بكل قلبها لو أن بينها وبينه غاية من المسافة لا تدرك وينهي تعالى تذكيره وإرشاده سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ مؤكداً التحذير الأول به، ويختتم الآية بقوله والله رؤوف بالعباد، ونعم ما ختم به إذ لولاه لطارت قلوب العالمين فزعاً وخوفاً فذو الرأفة بعباده لا يؤأس من رحمته.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة موالاة الكافرين^(١) مطلقاً.
- ٢- موالاة الكافرين على المؤمنين ردة وكفر وبراءة من الله تعالى.
- ٣- جواز التقيّة في حال ضعف المؤمنين وقوة الكافرين.
- ٤- وجوب الحذر من عذاب الله تعالى وذلك بطاعته تعالى.
- ٥- خطورة الموقف يوم القيامة ووجوب الاستعداد له بالإيمان والتقوى.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

تُحِبُّونَ اللَّهَ : لكمال ذاته وإنعامه عليكم .

(١) أي وإن لم يكن فيها ضرر للمسلمين، وما أذن فيه للتقية فإنه مؤقت ولا يجوز الاستمرار فيه إلا حال العجز عن الهجرة خشية أن يولد للمسلم أولاد فيوالون الكافرين وهم لا يعلمون أن ما كان عليه آبائهم كان تقية لا غير.

يحببكم الله : لطاعتكم إياه وطهارة أرواحكم بتقواه .
 يغفر لكم ذنوبكم : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها .
 فإن تولوا : أعرضوا عن الإيمان والطاعة .

معنى الآيتين :

لما ادعى وفد نصارى نجران أن تعظيمهم المسيح وتقديسهم له ولأمه إنما هو من باب طلب حب الله تعالى بحب ما يحب وتعظيم ما يعظم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ في هذه الآية أن يقول لهم : إن كنتم تحبون الله تعالى ليحببكم فاتبعوني على ما جئت به من التوحيد والعبادة يحببكم الله تعالى ، ويغفر لكم ذنوبكم أيضاً وهو الغفور الرحيم . وهذا أبطل دعواهم في أنهم ما ألوهوا المسيح عليه السلام الا طلباً لحب الله تعالى والحصول عليه . وأرشدهم إلى أمثل طريق للحصول على حب الله تعالى وهو متابعة الرسول على ما جاء به من الإيمان والتوحيد والعبادة المزكية للروح المورثة لحب الله تعالى وهذا ما تضمنته الآية الأولى (٣١). وأما الآية الثانية (٣٢) فقد أمر تعالى رسوله أن يأمر وفد نصارى نجران وغيرهم من أهل الكتاب والمشركون بطاعته وطاعة رسوله إذ هما طريق الكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة . فإن أبوا وأعرضوا أو تولوا فقد باءوا بغضب الله وسخطه عليهم لأنهم كافرون والله لا يحب الكافرين هذا معنى قوله تعالى ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- محبة العبد للرب تعالى واجب وإيمان لقول الرسول ﷺ : «أحبوا الله تعالى لما يغذوكم به من النعم وأحبوني بحب الله تعالى» . وقوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله

(١) المحب : المحبة ، والحب بالكسر كالحب ، والحب أيضاً المحبوب ، ومنه الأثر : أسامة حب رسول الله ﷺ وابن حبه : أي زيد مولى رسول الله ﷺ وورد حبه يحب ولم يأت اسم الفاعل منه حاب كما لم يأت اسم المفعول من أحب محب وإنما أتى محبوب .

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض» .

(٣) الحب : الميل إلى ما في إدراكه لذة روحية كحب الله ورسوله وحب ما يحب الله ورسوله ويستلزم الحب طاعة المحبوب قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
 لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

أحب إليه مما سواهما».

- ٢- محبة الله تعالى للعبد هي غاية ما يسعى إليه أولوا العلم في الحياة.
- ٣- طريق الحصول على محبة الله تعالى للعبد هو اتباع النبي محمد ﷺ بالإيمان بما جاء به واتباع شرعه وطاعته في المنشط والمكروه، للآية ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إذ ليس الشأن أن يُحِبَّ العبد، وإنما الشأن أن يُحِبَّ!
- ٤- دعوى محبة الله ورسوله مع مخالفة أمرهما ونهيها دعوى باطلة وصاحبها خاسر لا محالة.

﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٥﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

اصطفى آدم : اختار، وآدم هو أبو البشر عليه السلام.

(١) اصطفاء آدم كان بالروحي إليه وإكرامه له بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واصطفاه نوح بإرساله وجعله أبا للبشر بعد الطوفان وبإطالة عمره وإهلاك الظالمين بدعوته وآل إبراهيم بأن جعل النبوة بعد إبراهيم فيهم وختمهم بمحمد فخرهم وسيد آلهم وآخرهم. واصطفى آل عمران ومنهم: حنة ومريم، وعيسى اصطفاهم بكلمات لم تكن لأحد في أيامهم سواهم.

آل إبراهيم

: آل الرجل أهله وأتباعه على دينه الحق .

عمران

: رجل صالح من صلحاء بنى إسرائيل في عهدهم الأخير هو زوج حنة وأبومريم عليهم السلام .

العالمين

: هم الناس المعاصرون لهم .

إمراة عمران

: حَنَّة^(١)

نذرت لك ما في بطني : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت المقدس .

محرراً^(٢)

: خالصاً لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبداً .

مريم

: خادمة الرب تعالى .

أعيذها بك

: احصنها واحفظها بجناحك من الشيطان .

وكفلها زكريا

: زكريا أبو يحيى عليهما السلام وكانت امرأته أختاً لحنة .

المحارب

: مقصورة ملاصقة للمسجد .

أني لك هذا؟

: من أين لك هذا ، أي من أين جاءك .

معنى الآيات :

لما ادعى نصارى وفد نجران ما ادعوه في المسيح عليه السلام من تأليهه وتأليه أمه أنزل الله تعالى هذه الآيات يبين فيها مبدأ أمر عيسى وأمه حقيقة أمرهما فأخبر تعالى أنه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران اصطفاهم لدينه واختارهم لعبادته ففضلهم بذلك على الناس وأخبر أنهم ذرية بعضهم من بعض لم تختلف عقائدهم ، ولم تتباين فضائلهم وكما لا تتم الروحية وذلك لحفظ الله تعالى لهم وعنايته بهم . وأخبر تعالى أنه سميع عليم أي سميع لقول إمراة عمران عليم بحالها لما قالت : ﴿ رب إنى نذرت لك ما في بطني محرراً . ﴾ ، وذلك أنها كانت لا تلد فرأت في حديقة منزلها طائراً يطعم أفرأخه فحنت إلى الولد وسألت ربها أن يرزقها ولداً وتجعله له يعبده ويخدم بيته فاستجاب الله تعالى لها فحملت ومات زوجها وهى

(١) هي حنة بنت ما قودا مات زوجها وهى حبلى .

(٢) أي خالصاً لعبادة الله لا تبقي به أنسالها ولا خدمة .

(٣) ذرية : منصوب على الحال في الآية الكريمة ، ولفظ الذرية يطلق على الواحد وعلى الجمع ويطلق على الولد والوالد ، وهو مشتق من الذرة الذي هو الخلق فذراً بمعنى خلق .

(١) حبل وقالت ما قص الله تعالى عنها في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وحان وقت الولادة فولدت ولكن انثى لا ذكراً فتحسرت لذلك، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ وكيف لا يعلم وهو الخلاق العليم. وقالت: ﴿... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...﴾ في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جداً، وأسمت مولودتها مريم أي خادمة الله، وسألت ربها أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم واستجاب الله تعالى لها فحفظها وحفظ ولدها عيسى عليه السلام فلم يقربه شيطان قط. وتقبل الله تعالى ما نذرته له وهو مريم فأنبثها نباتاً حسناً فكانت تنمو نماءً عجيباً على خلاف المواليد، وكفلها زكريا فترت في بيت خالتها وذلك أن حنة لما وضعتها أرضعتها ولقتها في قِمَاطِهَا وبعثت بها إلى صلحاء بني إسرائيل يسندونها إلى من يرون تربيتها في بيته، لأن أمها نذرتها لله تعالى فلا يصح منها أن تبقيها في بيتها ووالدها مات أيضاً، فأحب كل واحد أن يكفلها فكفلها زكريا وأصبحت في بيت خالتها بتدبير الله تعالى لها، ولما كبرت أدخلها المحراب لتتعبد فيه، وكان يأتيها بطعامها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيعجب لذلك ويسألها قائلاً: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنْي لَكَ هَذَا؟﴾ فتجيبه قائلة: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وتعلل لذلك فتقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إفضال الله تعالى وإنعامه على من يشاء.
- ٢- بيان أن عيسى عليه السلام ليس بابن الله ولا هو الله، ولا ثالث ثلاثة بل هو عبد الله ورسوله أمه مريم، وجدته حنة، وجدّه عمران من بيت شرف وصلاح في بني إسرائيل.
- ٣- استجابة الله تعالى لدعاء أوليائه كما استجاب لحنة ورزقها الولد وأعاذ بنتها وولدها من الشيطان الرجيم.

(١) جرياً على سنتهم في نذر أولادهم الذكور لخدمة بيت المقدس.
 (٢) أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمّه» ثم قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم «وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».
 (٣) أي رضيعها منها وقبلها كالشيء يهدي للكرام فيقبله ويثيب عليه.
 (٤) روي عن ابن عباس أن زكريا استأجر لها ظئراً فأرضعتها حولين كاملين.
 (٥) تريد أنه يحصل لها بغير طريقة الأسباب المعروفة وإنما يوضح بين يديها كرامة لها والله هو الرازق لها سبحانه وتعالى.

- ٤- مشروعية النذر لله تعالى وهو التزام المؤمن الطاعة تقرباً إلى الله تعالى .
 ٥- بيان فضل الذكر على الأنثى في باب النهوض بالأعمال والواجبات .
 ٦- جواز التحسر والتأسف لما يفوت العبد من الخير الذي كان يأمله .
 ٧- ثبوت كرامات الأولياء كما تم لمريم في محرابها .
 ٨- تقرير نبوة محمد ﷺ إذ مثل هذه القصص لا يتأتى لأُمِّي أن يقصه إلا أن يكون رسولاً يوحى إليه . ولهذا ختمه بقوله ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ .

هٰنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
 طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ
 يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
 اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ
 كَذٰلِكَ ۖ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيٓ ءَايَةً
 قَالِ ءَايَتُكَ ۖ أَتَأْتِكُمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذَكُر
 رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّٰسِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

- هناك : ثمَّ عندما رأى كرامة الله لمريم عليها السلام .
 زكريا : أحد أنبياء بني إسرائيل ورسولهم .
 هب لي : أعطني .

(١) ذكر القرطبي أن ولداً قال لأمه يا أمه ذريني لله أتعبد له وأتعلم العلم له فقالت نعم فسار يتعبد ويطلب العلم فلما كمل في علمه وحاله أتاها فطرق الباب فقالت مَنْ؟ فقال ابنك فلان، فقالت : قد تركتك لله فلا تعود فيك .

(٢) أي في ذلك المكان وهو المحراب تنبّه إلى الدعاء لما شاهد من خوارق العادات فدعا طالباً الولد فاستجاب الله تعالى له، ولا يقال كيف يأخذ الرسول على مَنْ دونه ومن امرأة بالذات؟ فإن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها، وأهل الكمال من الناس يعتبرون دائماً بما يرون ويسمعون .

- من لدنك : من عندك .
 ذرية طيبة : أولاداً أطهاراً صالحين .
 بكلمة من الله : هي عيسى عليه السلام ، لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُن» .
 وسيداً وحصوراً^(١) : شريفاً ذا عِلْمٍ وحلم ، ولا رغبة له في النساء لقلة مائه .
 غلام : ولد ذكر .
 عاقراً^(٢) : عقيم لا تلد لعقمها وعقرها .
 آية : علامة استدل بها على بداية الحمل لأشكر نعمتك .
 إلا رمزاً : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام .
 الإبكار : أول النهار ، والعشي آخره .
 معنى الآيات :

لما شاهد زكريا من كرامات الله لمريم أنها تُؤْتَى بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ذكر أن الله تعالى قد يعطي ما شاء لمن يشاء على غير نظام السنن الكونية فكبر سنّه وعقم امرأته لا يمنعان أن يعطيه الله تعالى ولداً ، فسأل ربّه الولد فاستجاب له ربّه فبشرته الملائكة بالولد وهو قائم يصلي في محرابه قائلة إن الله يبشرك بولد اسمه يحيى^(٣) مصداقاً بكلمة من الله يريد أنه يصدق بعيسى بن مريم ويكون على نهجه ، لأن عيسى هو الكلمة إذ كان بقول الله تعالى له «كُن» فكان ، ووصفه بأنه سيد ذو علم وحلم وتقى وحضور لا يأتي النساء ، ونبي من الصالحين . فلم سمع البشارة من الملائكة جاءه الشيطان وقال له : إن الذي سمعته من البشرى هو من الشيطان ولو كان من الرحمن لأوحاه إليك وحياً ، وهنا أراد زكريا أن يثبت من الخبر فقال : ﴿رَبِّ أُنَى يَكُون لِي غَلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي

(١) السيد في عرف الشرع : من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معاً وشاهده قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله في الحسن : «إن ابني هذا سيد» .

(٢) قال المفسرون في الحضور أقوالاً كثيرة أمثلها أنه كان معصوماً من الفواحش والقاذورات وغير مانعه ذلك من تزويج النساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، إذ يفهم من دعاء زكريا المتقدم أنه يكون له أولاد طيبون صالحون .

(٣) مأخوذ من عقرت المرأة رحمها أي قطعنها فلم تحبل ولم تلد وهو وصف خاص بالنساء فلذا يقال عاقراً ولا يلبس ، إذ لا يوجد في الرجال عاقراً حتى يفرق بينهما بالتاء .

(٤) الفاء في قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ هي للترتيب أي فور دعائه استجاب الله تعالى له وفيها معنى السببية أيضاً : أي بسبب دعائه أعطاه الله على ما يشاء قدير .

(٥) يحيى : معرب يوحنا بالعبرانية نطق بها العرب على صيغة المضارع .

(٦) هذا قول الجمهور وقد تقدّم في النهر ما هو أمثل ما قيل في الحضور مراعاة لكمال الأنبياء وعلو مقاماتهم .

عاقراً؟ ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ: أَنْ هَذَا فَعَلَ اللَّهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. وَهَذَا قَالَ زَكَرِيَّا رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَرِيدُ عِلَامَةً يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَىٰ وَجُودِ الْحَمْلِ لِيَسْتَقْبَلَ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ فَأَجَابَهُ رَبُّهُ قَائِلًا: ﴿ آيَتُكَ: أَنْ لَا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ يَرِيدُ أَنْتَكَ تَصْبِحُ وَأَنْتَ عَاجِزٌ عَنِ الْكَلَامِ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَخَاطَبَ أَحَدًا إِلَّا بِالْإِشَارَةِ وَهِيَ الرَّمْزُ فِيَفْهَمُ عَنْكَ، وَأَمْرُهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَقَابِلَ هَذَا الْإِنْعَامَ بِالشُّكْرِ التَّامِّ فَقَالَ لَهُ ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ ﴾ يَرِيدُ صَلَّ بِالْعِشِيِّ آخِرَ النَّهَارِ وَالْإِبْكَارِ أَوَّلَهُ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الاعتبار بالغير، إذ زكريا دعا بالولد لما رأى كرامة الله تعالى لمريم.
- ٢- مشروعية الدعاء وكونه سراً أقرب إلى الإجابة، وكونه في الصلاة كذلك.
- ٣- جواز تلبيس إبليس على المؤمن، ولكن الله تعالى يذهب كيده ووسوسته.
- ٤- جواز سؤال الولد الصالح.
- ٥- كرامات الله تعالى لأوليائه - باستجابة دعاءهم.
- ٦- فضل الإكثار من الذكر، وفضيلة صلاتي الصبح والعصر وفي الحديث: «من صلى البردين دخل الجنة».

وَإِذْ قَالَتْ

الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ

عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي

وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُوْنَ ﴿٤٤﴾

(١) روي عن كعب القرظي قوله: لو رُخِّصَ لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا إذ جعل له آية الولد له ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ولم يعفه من الذكر بل أمره بقوله: ﴿ وادكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ ولرخص للرجل في الحرب إذ قال تعالى: ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا وادكروا الله كثيرا ﴾.

شرح الكلمات :

واذ قالت الملائكة : أذكر لوفد نصارى نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل

على صحة نبوتك، وصدقك في أمر التوحيد، وعدم ألوهية عيسى .

اصطفاك : اختارك لعبادته وحسن طاعته .

وطهرتك : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالى .

واصطفاك على نساء العالمين^(١) : أي فضلك على نساء العالمين بما أهلك له من كرامة ولادة عيسى من غير أب .

اقتني^(٢) : أطيعي ربك واقنتي له واخشعي .

واركعي مع الراكعين : اشهدي صلاة الجماعة في بيت المقدس .

ذلك من انباء الغيب : أي ما ذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب .

لديهم : عندهم وبينهم .

إذ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ^(٣) : جمع قلم وهو ما يكتب به وإلقاؤها لأجل الاقتراع بها على

كفالة مريم .

يختصمون : في شأن كفالة مريم عليها وعليهم السلام .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه اذكر لوفد نجران الذين يحاجونك في ألوهية المسيح إذ قالت الملائكة مخاطبة مريم أم المسيح بما أهّلها الله تعالى له وأكرمها به من اصطفاء الله تعالى لها لتكون من صالحى عباده، وتطهيره إياها من سائر الذنوب والنقائص والعيوب مفضلاً لها على نساء عالمها حيث برأها وأكرمها وأظهر آية قدرته فيها فولدت عيسى بكلمة الله وليس على سنته

(١) قيل في سبب لقبها بالصديقة أنها لم تسأل الآية عندما بشرت بالولد كما سألها زكريا عليه السلام، وأثنى عليها تعالى بقوله : ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ .

(٢) روي عن الأوزاعي أنه قال : لما أمر تعالى مريم بالقنوت قامت في الصلاة حتى ورمت قدميها، وسالت دماً وقيحاً .

(٣) القوها في نهر الأردن وهو نهر جار وأفادت هذه الآية مشروعية القرعة وأنها وإن كانت في شرع من قبلنا إلا أنها شرعت لنا على لسان رسول الله ﷺ إذ كان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها وكذا حديث : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه إلا استهموا» .

(٤) اختلف في نبوة النساء ورجح كثيرون نبوة مريم لخطاب الملائكة لها وإخبارهم باصطفاء الله تعالى لها وهذا يرجح نبوتها . أما الرسالة فلا لأن الرسالة تتطلب الاتصال بالرجال وهذا يتنافى مع كمال النساء وما خلقن له من السر والحجاب .

تعالى في تناسل البشر من ذكر وأنثى ، وأمرها بمواصلة الطاعة والاحبات والخشوع لله تعالى فقال : ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى لربك واسجدي^(١) واركعي مع الراكعين﴾ ، وخص الصلاة بالذكر لأهميتها وذكرها بأعظم أركانها وهو السجود والركوع وفي بيت المقدس مع الراكعين .

هذا معنى الآيتين الأولى (٤٢) والثانية (٤٣) . أما الآية الثالثة (٤٤) فقد خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ مُشيراً إلى ما سبق في هذا القصص المتعلق بآل عمران حنة ومريم وزكريا ويحيى ومريم أخيراً بأنه كله من انباء الغيب واخباره يوحيه تعالى إليه فهو بذلك نبيّه ورسوله ، وما جاء به من الدين هو الحق ، وما عداه فهو باطل ، وبذلك تقرر مبدأ التوحيد ، وأنه لا إله إلا الله ، وبطل باطل أهل الكتاب فلا عزير ابن الله ، ولا المسيح بن الله ، ولا هو إله مع الله ، وإنما هو عبد الله ورسول الله . ثم تقريراً لمبدأ الوحي وتأكيدها بالمقال تعالى لرسوله أيضاً ، وما كنت لديهم أي عند علماء بني اسرائيل وصلحاتهم وفي حضرتهم ، وهم يقترعون على النذيرة «مريم» من يكفلها فرموا بأقلامهم في النهر فمن وقف قلمه في الماء كان كافلها بإذن الله فألقوا أقلامهم تلك الأقلام التي كانت تكتب الحق والهدى لا الباطل والضلال كما هي أغلب أقلام أرباب الصحف والمجلات اليوم فوقف قلم زكريا ففاز بكفالتها بإذن الله تعالى وقد تقدم قول الله تعالى فكفلها زكريا ، بهذا قامت الحجة على أهل الكتاب وغيرهم بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الدين الحق هو الاسلام . وما عداه فباطل وضلال !

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- فضل مريم عليها السلام وأنها وليّة صديقة وقد أخبر النبي ﷺ أنها من كَمَل النساء ففي

(١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخراً في الفعل لأنه ألصق بالشكر والمقام مقام شكر .
(٢) فيه دليل على صلاة المرأة في الجماعة وقد سن ذلك رسول الله ﷺ في مثل قوله : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وإن كان قوله «واركعي مع الراكعين» لا يستلزم الصلاة في جماعة إذ هو أمر بالركوع فقد تركع وحدها أو مع غيرها .
(٣) قال القرطبي دلت هذه الآية : «فكفلها زكريا» على أن الخالة أحق بالحضانة من سائر القرابات ما عدا الجدة ، وقد قضى رسول الله ﷺ في ابنة حمزة «أمة الله» لجعفر لأن خالتها كانت تحته . وقال ﷺ : «إنما الخالة بمنزلة الأم» .

الصحيح «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٢- أهل القرب من الله هم أهل طاعته القانتون له.

٣- الصلاة سلم العروج الى الملكوت الأعلى.

٤- ثبوت الوحي المحمدي وتقريره.

٥- مشروعية الاقتراع عند الاختلاف وهذه وإن كانت في شرع من قبلنا إلا أنها مقررة في شرعنا والحمد لله.

إِذْ قَالَتْ

الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

يبشرك : يخبرك بخبر سار مفرح لك .

بكلمة منه^(١) : هو المسيح عليه السلام وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى

﴿كُن﴾ .

المسيح^(٢) : لقب عيسى عليه السلام ومن معانيه الصديق .

الوجيه : ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس .

(١) وفي رواية أخرى : «خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ» .

(٢) ذهب القرطبي إلى أن كلمة رب تعني سيدي أي جبريل، وهو خطأ واضح بل المراد به الرب تبارك وتعالى فهي تخاطب ربها طالبة معرفة سبب الولد إذ الأسباب المعتادة لم تكن فكيف يكون الولد .

(٣) المراد بكلمة هو كلمة التكوين ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة وهي كلمة ﴿كُن﴾ .

(٤) اختلف في سبب تلقب عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلاً أو الملك أو الصديق، وأما عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح خلاف .

في المهد : المهد مضجع الصبي وهو رضيع .
 وكهلاً : الكهولة سنّ ما بين الشباب والشيخوخة .
 ولم يمسنى بشر : تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره ، وذلك لعقمها وبعدها عن الرجال للأجانب .
 قضى أمراً : إرادة وحكم بوجوده .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في حجاج وفد نصارى نجران إذ قال الله تعالى لرسوله واذكر لهم إذ قالت الملائكة يا مريم ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ الآية ، حيث أخبرتها الملائكة أي جبريل عليه السلام بأن الله تعالى يبشرها بولد يكون بكلمة الله تعالى اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وأنه ذو جاه وشرف في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين ، وأنه يكلم الناس وهو في مهده وقت رضاعه ، كما يكلمهم في شبابه وكهولته^(١) ، وأنه من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله تعالى وحقوق عباده وافية غير منقوصة/فردت مريم قائلة : ﴿رب أنى يكون لي ولد﴾ أي كيف يكون لي ولد ولم يعشنى بشر بجماع وسنة الله في خلق الولد الغشيان فأجابها جبريل قائلاً : الأمر هكذا سيخلق الله تعالى منك ولداً من غير أب ، وهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء وإذا حكم بوجود شيء من غير ذوات الأسباب فإنها يقول له كن فهو يكون كما قضى الله تعالى وأراد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان شرف مريم وكرامتها على ربها إذ كلمها جبريل وبشرها بعد أن تمثل لها بشراً .
- ٢- بيان شرف عيسى عليه السلام ووجاهته في الدنيا والآخرة وأنه من المقربين والصالحين .
- ٣- تكلم عيسى في المهد^(٣) آية من آيات الله تعالى حيث لم تجر العادة أن الرضيع يتكلم في زمان رضاعه .

(١) إذ الظرفية هنا بدل من نظيراتها السابقة وهي معمولة لفعل محذوف أي اذكر .
 (٢) ذكر الكهولة هنا تطمين لأمه أنه لا يموت صغيراً وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنه عليه السلام رفع مع نهاية سنّ الشباب وهو ثلاثة وثلاثون سنة لا غير .
 (٣) لقد تكلم في المهد غير واحد ، منهم شاهد يوسف ، وصاحب جريج وكلام عيسى في المهد هو قوله : ﴿إني عبد الله أتاني الكتاب﴾ الآية في سورة مريم .

٤- جواز طلب الإستفسار عما يكون مخالفاً للعادة لمعرفة سر ذلك أو علته أو حكمته .

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَآ تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
 فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ
 بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : الخط والكتابة .
 الحكمة : العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي .
 ورسولاً : أي وابعثه رسولاً .
 آية : علامة دالة على رسالته وصدق نبوته .
 أخلق لكم : أي أصور لكم ، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالى .

كهية الطير ^(١) : كصورة الطير .

(١) هذا من قولها «رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ» الآية .
 (٢) قيل اليهود هم الذين طلبوا أن يخلق لهم خفاشاً لأنه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله لبن يرضع به أولاده ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما يحيض المرأة ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يبصر في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة .

الأكمه : الذي ولد أعمى .

الأبرص : ذو البرص وهو مرض عياء عجز عنه الطب القديم والحديث ، والبرص بياض يصيب الجلد البشري .

تدّخرون : تحبسونه وتحفونه عن أطفالكم من الطعام وغيره .

لما بين يدي : من قبلي .

إن الله ربي وربكم : إلهي وإلهكم فاعبدوه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان حقيقة عيسى عليه السلام ، وأنه عبدالله ورسوله وليس بابن الله ولا بإله مع الله فأخبر تعالى أنه يخلقه بكلمة كن ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وقد فعل ، وأنه يبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل وقد فعل فأخبرهم عيسى أنه قد جاءهم بآية من ربهم تدل على صدق رسالته وهذه الآية هي ^(١) أنه يخلق لهم من الطين على صورة الطير وينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وفعلاً كان يسمح على ذي العاهة المستعصاة كالبرص فيبرأ صاحبها فوراً ، وطلبوا منه أن يحيي لهم سام بن نوح ^(٢) فأحياه بإذن الله ، وأنه يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون فما يخطئ أبداً ، ثم قال لهم : إن في ذلك المذكور لآية لكم دالة على صدقي إن كنتم مؤمنين فآمنوا بي ولا تكذبوني وقد جئتكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم ، وفي ذلكم خير لكم ورحمة فآمنوا بي ، فكذبوه فقال لهم : اتقوا الله واطيعوني تنجوا وتسعدوا وأعلمهم أخيراً أن الله تعالى هو ربهم وأن عليهم أن يعبدوه ليكملوا ويسعدوا وأن عبادة الله تعالى وحده وبها شرع هي الصراط المستقيم المفضي بالسالكين إلى الكمال والإسعاد في الحياتين .

(١) قوله تعالى ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ وحّد آية وهي آيات لأنها جنس كنعمه بمعنى جنس النعم والمراد من الآية ما تقدم في قوله ﴿أنّي قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطير﴾ الخ .

(٢) روي أنه أحيا لهم أربعة وهم سام بن نوح ، والعاذر وكان صديقاً له . وابن العمجوز وابنة العاشر .

(٣) هو ما حرّمه الله عليهم على عهد موسى من أكل الشحوم ونحوها ، أمّا ما كان محرّماً أصلاً لضرورة فلا يحله لهم وذلك كالسرقة والقتل والزنا والربا فإنه لا يحله لهم أبداً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شرف الكتابة وفضلها
- ٢- فضل الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع والإصابة في الأمور.
- ٣- الغيب لله ، ويعلم أنبياءه منه ما يشاء .
- ٤- ثبوت معجزات عيسى عليه السلام .
- ٥- لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله ، وعيسى كلمة الله وروح منه ورسول إلى بني اسرائيل .
- ٦- الأمر بالتقوى وطاعة الرسول لتوقف السعادة والكمال عليهما .

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ ﴾

الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ

أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

الْمَكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ

إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ

فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ

فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا

لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) يكفي الحكمة شرفاً وفضلاً قول الله تعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» وقول الرسول «ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» .

الْصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾
 ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

- أحسن^(١) منهم الكفر : علم منهم الكفر به وبما جاء به ، وهمهم بأذيتهم .
 الحواريون^(٢) : جمع حوارى ، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه .
 مسلمون : منقادون لأمر الله ورسوله مطيعون .
 الشاهدين : الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به .
 مكروا : دبروا القتل للمسيح عليه السلام .
 ومكر الله : دبر تعالى لإنجائهم وخيبتهم فيما عزموا عليه .
 خير الماكرين : أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه .
 متوفيك : متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك .
 ورافعك إلي : إلى جوارى في الملكوت الأعلى .
 ومطهرك : منزهك ومبعدك من رجسهم وكفرهم .
 ذلك نتلوه عليك : ذلك المذكور من أمر عيسى نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحجاج مع وفد نصارى نجران فذكر تعالى من شأنه أنه لما علم عيسى بكفر قومه وهمهم بقتله غيلة استصرخ المؤمنين قائلا : ﴿من أنصاري^(٣) إلى الله﴾ فأجابه الحواريون وهم أصفياؤه وأحباؤه قائلين : ﴿نحن أنصار الله﴾ آمنا بالله وأشهد يا روح الله بأننا مسلمون ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول^(٤) فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية

(١) أحسن بالشيء : عرفه وعلمه بواسطة الحاسة والحواس : السمع والبصر واللسان واليدان والشم ، والإحساس : العلم بالشيء ، والحسن : القتل يقال حسه إذا قتله .

(٢) كانوا اثني عشر رجلا ، وسعي الناصر للنبي حواريا لبياض قلبه وصفاء روحه ، وفي الحديث «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير» والخور لغة البياض ، والحوارى الخبز الأبيض .

(٣) هل (إلى) هنا بمعنى مع أي من أنصاري مع الله ونظيره ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي مع أموالكم أو هي على بابها ، ويكون الكلام «من أنصاري» في الطريق إلى الله ؟

(٤) أي عيسى عليه السلام .

ولرسلك بالرسالة. قال تعالى ونفذ اليهود مكرهم في محاصرتهم منزل عيسى ليأخذوه ويصلبوه، ومكر الله تعالى وهو خير الماكرين إذ قال لعبده ورسوله عيسى إني متوفيك أي قابضك ورافعك إلى جوارى قبضه تعالى فأخرجه من رَوْزَنَةِ^(١) المنزل ورفعهُ^(٢) إليه وألقى الشبه على رئيس شرطة المهاجرين فظنوه هو المسيح فقتلوه وصلبوه فسبحان المدير الحكيم، وهكذا ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾^(٣) وقوله له ومطهرك من الذين كفروا يريد منزّه من تهم اليهود الباطلة إذ قالوا ساحر وابن زنى، ومبعده من ساحة مجتمعهم الذي تعفن بكفرهم والخبث والشر والفساد وواعده بأنه سيجعل الذين اتبعوه فيما جاء به من الإيمان والاسلام والإحسان فوق الذين كفروا بذلك إلى يوم القيامة وقد أنجز الله تعالى وعده فأعز أهل الإسلام ونصرهم، وأذل اليهود والكفار وأخزاهم. كما واعده أيضاً أن يرد الجميع إليه يوم القيامة ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من الإيمان والكفر، والصلاح والفساد ويجزي كل فريق بما كسب من خير أو شر فقال: ﴿ثم إني مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً﴾ في الدنيا بالقتل والسبأ والذلة والمسكنة، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذابنا، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجور إيمانهم وصالح أعمالهم في الدنيا نصراً وتمكيناً وفي الآخرة جنّات ونعيماً، والله عز وجل لا يحب الظالمين فكيف يظلم عباده إذ جازاهم بأعمالهم؟ إنه لا يظلم أحداً من عباده مؤمنهم وكافرهم مثقال ذرة بل يجزي بعدله ويرحم بفضلّه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- قيام الحجّة على نصارى نجران إذ أخبرهم الرسول ﷺ بالوحي فقرّر به بطلان ألوهية عيسى عليه السلام بذكر أوصافه وأحواله مع قومه، وكرامة الله تعالى له، ولأتباعه معه ومن بعده في الدنيا والآخرة.

(١) الروزنة: الكوة في السقف أو الجدار.

(٢) لم أر داعياً إلى استشكال الكثيرين رفع عيسى حيّاً إلى الملكوت الأعلى وإبقائه هناك إلى أن ينزله في آخر أيام هذه الدنيا حيث صرّح رسول الله ﷺ بنزول عيسى بما لا مجال للشك فيه، إنّ السنن الكونية خلقها الله تعالى فهو قدير على تبديل ما شاء منها أليس الله على كل شيء قديراً؟ بلى فلمْ إذا يرتبك المؤمنون في شأن رفع عيسى حيّاً وإبقائه في دار السلام حيّاً حتى ينزل في آخر الدنيا؟

(٣) ورد أنّ النبي ﷺ كان يقول في دعائه «اللهم امكر لي ولا تمكر علي» ومما يجب أن يعلم أنّ أفعال الله لا تشبه أفعال العباد لأنّ ذاته لا تشبه ذواتهم.

- ٢- الإسلام دين الأنبياء وسائر الأمم البشرية ولا دين^(١) غيره فكل دين غيره باطل .
- ٣- تقرير حديث الرسول ﷺ في أن لكل نبي حواريين وأنصاراً .
- ٤- فضل أهل لا إله إلا الله إذ هم الشاهدون بالحق والناطقون به .
- ٥- تقرير قبض الله تعالى لعيسى ورفعته إليه حياً . ونزوله في آخر الدنيا ليحكم زمناً ثم يموت الموتة التي كتب الله على كل إنسان ، فلم يجمع الله تعالى له بين موتتين . هذا دليل أنه رفع إلى السواء حياً لا ميتاً .
- ٦- صادق وعد الله تعالى بعزة أهل الإسلام ، وذلة اليهود على مدى الحياة .

إِنَّ

مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

المثل^(٣) : الصفة المستغربة البديعة .الحق من ربك : أي ما قصصناه عليك في شأن عيسى^(١) هو الحق الثابت من ربك .

(١) تقدم شاهده في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ .

(٢) تقدم الحديث أنفا وهو حديث صحيح .

(٣) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسى عليهما السلام في شيء واحد وهو : أن كلا منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كُنْ .

(٤) وهو أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام فنفخ في كُمِ مريم فسرت النفخة فيها فحملت بعيسى وولدت في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمان والدته وأرشدتها إلى ما تقوله لمن يتصدى لها يعيها . وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أم .

المترين : الشاكين، إذ الامتراء : الشك .

حاجك : جادلک بالحجج .

نبتهل : نلتعن أي نلعن الكاذب منا .

القصص الحق : ما قصه الله تعالى هو القصص الحق الثابت الذي لا شك فيه .

المفسدون : الذين يعملون بمعاصي الله تعالى في الأرض من الشرك وكبائر الذنوب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عبودية عيسى ورسالته دون ربوبيته وألوهيته، فقد روي أن وفد نجران قالوا للرسول ﷺ فيما قالوا: كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن﴾ فإذا هو كائن فأبيّ داع لاتخاذ عيسى إلهاً، ألكونه خلقه الله من غير أب فآدم كذلك خلق بدون أب ولا أم، وإنما كان بكلمة الله، فكذلك عيسى خلق بكلمة الله التي هي «كُنْ» فكان، هذا هو الحق الثابت من الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام فلا تكونن من الشاكين فيه، وحاشاه ﷺ أن يشك^(١). ولما أكثروا عليه ﷺ من التردد والمجادلة أرشده ربه تعالى إلى طريق التخلص منهم وهو المباهلة بأن يجتمعوا ويقول كل فريق: اللهم العن الكاذب منا، ومن كان كاذباً منهم يهلك على الفور فقال له ربه تعالى: ﴿فإن حاجوك فقل: تعالوا﴾. (هلموا) ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وخرج في الغد رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين إلا أن النصارى عرفوا الحق وخافوا إن لاعتوا هلكوا فهربوا من الملاعنة، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فأبوا ورضوا بالكفر إبقاء على زعامتهم وديارهم ورضوا بالمصالحة فالتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم الباطل. ثم قال تعالى ﴿إن هذا هو القصص الحق﴾ بالذي قصصناه عليك في شأن عيسى عليه السلام، وإنه عبد الله ورسوله وكلمته

(١) إن الخطاب وإن كان موجهاً إلى النبي ﷺ فإن المراد غيره من سائر الناس الذين يتأتى لهم الشك أما هو فإنه المعصوم مما هو أقل من الشك الذي هو كفر.

(٢) في هذا دليل على أن أبناء البنات يطلق عليهم أبناء ويسمون بذلك.

(٣) أنه قال لهم أي لعلي وفاطمة والحسن والحسين «إن أنا دعوت فأمنوا» أي قولوا بعدي آمين.

(٤) في هروب نصارى نجران (وهم علماء) من الملاعنة دليل قاطع على أن محمداً ﷺ رسول الله وأن دينه هو الدين الحق وما عداه باطل.

(٥) القصص اسم لما يقص وهو الإخبار بما فيه طول وتفصيل، مشتق من قص الأثر إذا تتبعه.

ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأنه لا إله إلا الله أي لا مبعود بحق إلا هو تعالى ، وإن الله هو العزيز الغالب الذي لا يانع في شيء أراده ، الحكيم في خلقه وتديره ثم توعد نصارى نجران وغيرهم من أهل الفساد في الأرض بأنه عليهم وسوف يحل نقمته بهم ، وينزل لعنته عليهم وهو على كل شيء قدير .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ولاية الله تعالى لرسوله بإرشاده إلى الطريقة التي أنهى بها جدال النصارى الذي آلمه وأتعبه .
- ٢- مشروعية المباحلة غير أنها تكون في الصالحين الذين يستجاب لهم .
- ٣- تقرير ألوهية الله تعالى دون سواه وبطلان دعوى النصارى في تأليه عيسى عليه السلام .
- ٤- تهديد الله تعالى لأهل الفساد في الأرض وهم الذين يعملون بالشرك والمعاصي .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ أُشْهِدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَٰجُّونَ فِى
إِبْرَٰهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَةُ وَٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَٰجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ۚ إِنَّ أَوَّلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

أهل الكتاب : اليهود والنصارى لأن اليهود عندهم التوراة والنصارى عندهم الإنجيل.

إلى كلمة سواء^(١) : الكلمة السواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله .

أرباباً^(٢) : الأرباب جمع ربّ وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالى .

فإن تولوا : أعرضوا عن التوحيد .

اشهدوا : اعلّموا علم رؤية ومشاهدة بأننا مسلمون .

تجادلون : تجادلون بحجج باطلة .

يهودياً ولا نصرانياً : لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى .

كان حنيفاً مسلماً : مائلاً عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام .

أولى الناس بإبراهيم : أحق بالنسبة إلى إبراهيم وموالاته الذين اتبعوه على التوحيد .

والله ولي المؤمنين : متولي أمرهم وناصرهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال باطل أهل الكتابين إذ قال تعالى لرسوله قل لهم يا أهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا ارتفعوا من وهدة الباطل التي أنتم واقعون فيها الى كلمة سواء كلمة عدل نصف بيننا وهي أن نعبد الله وحده لا نشرك به سواء وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً^(٣) من دون الله فيفرض طاعته على غيره^(٤) ويلزمه بالسجود له تعظيماً وتقديساً فإن أبوا عليك ذلك

(١) كلمة سُوءٍ، وسوى، وسواء، بمعنى واحد إلا أن السين إذا فتحت مدّت.

(٢) نظيرها قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحيارهم وربّهم أرباباً من دون الله ﴾ معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحلله، وسجدوا لهم أيضاً.

(٣) المجادلة بالتّي هي أحسن والقائمة على أساس العلم الصحيح ممدوحة غير مذمومة وهذه صورة لها: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنّ امرأتى ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما لونها؟ قال حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزع. فقال رسول الله ﷺ لعل عرقاً نزع».

(٤) وقد راسل النبي ﷺ ملوك الروم بمضمون هذه الآية إذ كتب إلى هرقل قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤثك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين (الأكافرين) (وهم الفلاحون) ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ إلى قوله ﴿مسلمون﴾ رواه مسلم».

(٥) وذلك بأن يحرم عليه ما أحلّ الله ويحلّ له ما حرّم الله ويلزمه بقبول ذلك والإذعان له .

وتولوا عنه فقولوا أيها المؤمنون: اشهدوا أيها المتولون عن الحق بأننا مسلمون. وفي هذا تعريض بل تصريح بأن غيرهم ليسوا مسلمين.

هذا معنى الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية (٦٥) فيأمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول للمتولين عن الحق يا أهل الكتاب لم تحاجون في شأن إبراهيم وتدعي كل طائفة منكم أن إبراهيم كان على دينها مع أن اليهودية ما كانت إلا بعد نزول التوراة، والنصرانية ما كانت إلا بعد نزول الإنجيل، وإبراهيم كان قبل نزول الكتابين بمئات السنين، مالكم تقولون بما لا يقبل ولا يعقل أفلا تعقلون؟ ثم وبخهم بما هم أهله قائلاً لهم: اسمعوا يا هؤلاء أنتم جادلتم فيما لكم به علم في شأن دينكم وكتابكم فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم في شأن إبراهيم وملتة الحنيفية التي قامت على مبدأ التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، والله يعلم من شأن إبراهيم ودينه مالا تعلمون أنتم فليس من حقكم القول فيما لا تعلمونه. ثم أكذبهم بعد أن وبخهم فقال ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً وإنما كان حنيفاً موحداً مطيعاً لربه مسلماً له ولم يكن من المشركين. وبعد أن وبخ تعالى المجادلين لرسوله وكذبهم في دعواهم أن إبراهيم على دينهم قرر حقيقة كبرى ينبغي أن يعلموها ويقرّوا بها وهي أن أحق الناس بالنسبة إلى إبراهيم والانتفاء إليه هم الذين اتبعوه على ملة التوحيد وعبادة الله تعالى بها شرع وهذا النبي الكريم العظيم محمد ﷺ والذين آمنوا معه واتبعوا الهدى الذي جاء به، والله تعالى وليّ المؤمنين، وعدو الكافرين والمشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا يَصْلُحُ حال البشرية ولا يستقيم أمرها إلا إذا أخذت بمبدأ: الكلمة السواء وهي أن تعبد ربها وحده لا تشرك به سواه، وأن لا يعلو بعضها على بعض تحت أيّ قانون أو شعار.
- ٢- حجّة التاريخ وبيان الحاجة إليه، إذ رد الله تعالى على أهل الكتاب في دعواهم أن إبراهيم كان على دينهم بأن التوراة والإنجيل لم ينزلا الا بعد وفاته فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً.

(١) روي أن ابن عباس قال: قال رؤساء اليهود والله يا محمد لقد علمت أنا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنه كان يهودياً وما بك إلا الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ما كان إبراهيم يهودياً﴾ إلى قوله ﴿والله وليّ المؤمنين﴾.

٣- ذم من يجادل فيما لا علم له به ، ولا شأن له فيه .

٤- اليهودية كالنصرانية لم تكن دين الله تعالى ، وإنما هما بدعتان لا غير .

٥- المؤمنون بعضهم أولياء بعض وإن تراءت ديارهم وتباعدت أقطارهم والله وليّ المؤمنين .

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَو يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَتَأَهَّلُ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾
يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

ودت طائفة^(١) : أحببت فرقة وهم الأحرار والرؤساء فيهم .

لو يضلونكم^(٢) : أي تمنوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم .

وما يشعرون : أي وما يدرون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم

يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب .

لبس الحق بالباطل : خلطه به كأنها كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتى

لا يُعرف فيؤخذ به ، ويهتدى عليه .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عباده المؤمنين أن فرقة من أهل الكتاب تمنّت لو توقعكم في الضلال لتهلكوا
والغالب أن هذه الطائفة تكون في رؤسائهم من أحرار وقسس وإن كان أغلب اليهود

(١) قال القرطبي : نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمر بن ياسر حين دعاهم يهود بني النضير
وقريضة وبني قينقاع إلى دينهم . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٢) الإضلال : يكون بمعنى الهلاك كما هو هنا وعليه قول الشاعر :

كنت القذى في موج أكدر مزبلة قذف الأتني به فضل ضلالا

أي هلك هلاكاً . والأتني : السيل يأتي من حيث لا يعلم .

(٣) تقدّم أنهم من يهود المدينة وأن العبرة بعموم اللفظ لذا فإن هذا النوع ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين .

والنصارى يودون إضلال المسلمين حسداً لهم على الحق الذي هم عليه، وأخبر تعالى أنهم بتمنيهم هلاك المسلمين إنما يهلكون أنفسهم وما يدرون ذلك ولا يعلمون به وقال عز وجل: ﴿وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون﴾

هذا معنى الآية (٦٩) أما الآية (٧٠) فقد نادى الرب تعالى أهل الكتاب ليوبخهم وينعي عليهم ضلالهم فقال: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون^(١) بآيات الله﴾ أي لم يتحدثون الآيات التي بها نعت الرسول وصفته لله في التوراة والإنجيل والحال أنكم تشهدون أنها صفات الرسول ونعوته وأنها منطبقة عليه؟ أليس هذا قبحاً منكم وشرّاً تعود عاقبته عليكم؟ وفي الآية (٧١) وبخهم أيضاً على خلطهم الحق بالباطل حتى لا يعرف ويؤخذ به ويهتدى عليه فقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ وشنع عليهم بكتائبهم الحق الذي هو نبوة الرسول محمد ﷺ الميئة في كتبهم وعلى السنة رسلهم فقال: ﴿وتكتمون الحق وأنتم تشهدون﴾ أنه الحق من الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان رغبة كثير من اليهود والنصارى في إضلال المسلمين وإهلاكهم.
- ٢- عاقبة الشر والفساد تعود على صاحبها في نهاية الأمر.
- ٣- قبح من يكتم الحق وهو يعرفه.
- ٤- حرمة التدليس والتلبيس في كل شيء لا سيما في دين الله تعالى لابعاد الناس عنه.
- ٥- حرمة كتمان الحق في الشهادة وغيرها.

وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا
بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ۚ ءَاخِرُهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَمَّنُوْا ۖ اِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنََكُمْ قُلْ اِنَّ

(١) الاستفهام انكاري والآيات هي المشتعلة على صفات الرسول محمد ﷺ ونعوته ومن الآيات المعجزات التي تجلت على يد النبي محمد ﷺ.

(٢) إعادة النداء مرة ثانية ﴿يا أهل الكتاب﴾ لأجل توبيخهم وتسجيل باطلهم عليهم.

الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

وجه النهار ^(١) وآخره : أوله وهو الصباح وآخره وهو المساء .
ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ^(٢) : أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم .
الهدى هدى الله : البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهده لا ما يخلط
اليهود ويلبسون تضليلاً للناس .
أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم : أن يعطى أحد نبوة ودينا وفضلا .
أو يحاجوكم عند ربكم : يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم .
قل إن الفضل بيد الله : قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد
غيره .
والله واسع عليم : ذو سعة بفضلته ، عليم بمن يستحق فضله فيؤمن عليه .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن كيد اليهود ومكرهم بالمسلمين فيقول : ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب
آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ وذلك أن كعب
بن الأشرف ومالك بن الصيف عليهما لعائن الله قالوا لبعض إخوانهم صلوا مع المسلمين
صلاة الصبح إلى الكعبة، وصلوا العصر إلى الصخرة بيت المقدس فإن قيل لكم لم عدلتم

(١) سمي أول النهار وجهاً : لأنه أحسنه وأول ما يواجه ومنه قال الشاعر :

وتضئ في وجه النهار منيرة كجمانة البحرية سئل نظامها

(٢) هذا نهي من يهود خبير إلى إخوانهم من يهود المدينة .

(٣) عطف على ودت طائفة فالطائفة الأولى ودت إضلال المسلمين جهراً وعلناً وهذه حاولته بالخداع والتضليل بأساليب
المكر والاحتيال .

عن الكعبة بعدما صليتم إليها؟ قولوا لهم قد تبين أن الحق هو استقبال الصخرة لا الكعبة .
 هذا معنى قوله تعالى فيهم ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ يعني في شأن القبلة، ﴿وجه النهار﴾ أي صباحاً، ﴿واكفروا آخره﴾ أي واجحدوا به مساءً، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي إلى استقبال الصخرة بدلاً عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم ﴿١﴾ وقوله تعالى عنهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ يريد أنهم قالوا لبعضهم بعضاً لا تصدقوا أحداً إلا من تبع دينكم من أهل ملتكم وهذا صرف من رؤسائهم لليهود عن الإسلام وقبوله، أي لا تصدقوا المسلمين فيما يقولون لكم، وهنارد تعالى عليهم بقوله قل يا رسولنا إن الهدى هدى الله، لا ما يحتكره اليهود من الضلال ويزعمون أنه الحق والهدى وهو البدعة اليهودية وقوله تعالى: ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم﴾ . هو قول اليهود معطوف على قولهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أما قوله تعالى ﴿قل إن الهدى...﴾ فهو كلام معترض بين كلام اليهود قدم تعجلاً للرد عليهم، ومعنى قولهم: ﴿أن يؤتى أحد...﴾ الخ . أي كراهة أن يعترف من قبلكم بأن محمداً نبي حق وأن دينه حق فيتابعه اليهود والمشركون عليه فيسلمون، أو على الأقل يثبت المسلمون عليه، ونحن نريد زلزلتهم وتشكيكهم حتى يعودوا إلى دين آبائهم، أو يحاجوكم عند ربكم يوم القيامة وتكون لهم الحجة عليكم إن أنتم اعترفتهم لهم اليوم بأن نبينهم حق ودينهم حق، فلذا واصلوا الإصرار أنه لا دين حق إلا اليهودية وأن ما عداها باطل . وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم مبكثاً لهم: ﴿إن الفضل بيد الله﴾، لا بيد اليهود ﴿يؤتيه﴾ أي الفضل الذي هو النبوة والهدى والتوفيق وما يتبع ذلك من خير الدنيا والآخرة، ﴿من يشاء﴾ من عباده ويحرمه من يشاء، وهو الواسع الفضل العليم بمن يستأهله ويحق له ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

(١) الطائفة : الجماعة وسميت بها لأنها يسوى بها حلقة بظاف حولها .

(٢) ولا مانع أن يكون مراداً من الآية أنهم قالوا لسفلتهم أظهروا الإيمان بمحمد ودينه في أول النهار ثم اكفروا به آخره فإنكم إن فعلتم ذلك ارتاب من يتبعه في دينه فيرجع عن دينه إلى دينكم . إلا أن ما فسرنا به الآية أظهر .

(٣) وهذا لا يمنع أن يكون قولهم: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ اظهاراً منهم للدخول في الإسلام . والاعتراف به في أول النهار، مكرراً وخديعة، فإذا ولي النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا، فلما تبين لهم بطلان الاسلام، وعدم صحته رجعوا عنه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تسجيل المكر والخداع على اليهود وأنه صفة من صفاتهم اللازمة لهم إلى يوم القيامة .
- ٢- الكشف عن التعصب اليهودي وأساليب التمويه والتضليل ، والإعلام العالمي اليوم مظهر من مظاهر التضليل اليهودي .
- ٣- سذاجة اليهود المتناهية في فهم مسائل الدين والاعتقاد توارثوها إلى اليوم ، وإلا فأى مؤمن بالله واليوم الآخر يقول : لا تعترفوا للمسلمين بأنهم على حق حتى لا يحتجوا عليكم باعترافكم يوم القيامة ؟ .

إن الله تعالى يعلم أن اليهود يحدون الإسلام وهو الحق ويكفرون به وهو الحق من ربهم وسيعذبهم في نار جهنم يخلدون فيها ، فكونهم لا يصرحون للمسلمين بأنهم على حق وهم يعلمون أنهم على الحق في دينهم ينجيهم هذا من عذاب الله على كفرهم بالإسلام ؟ اللهم لا . فما معنى قولهم لا تعترفوا بالإسلام حتى لا يحتج عليكم المسلمون باعترافكم يوم القيامة ؟؟ إنه الجهل والسذاجة في الفهم . وسبحان الله ماذا في الخلق من عجائب !!

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

- إن تأمنه : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه .
 قططار : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار .
 إلا مادمت عليه قائماً : أي ملازماً له تطالبه به ليل نهار .
 الأتمين : العرب المشركين .
 سبيل : أي لا يؤاخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم لأنهم مشركون .
 بلى : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب المشركين بل عليهم الإثم والمؤاخذه .
 لا خلاق لهم : أي لاحظ ولا نصيب لهم في خيرات الآخرة ونعيم الجنان .
 لا يزيكهم : لا يطهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هتك أستار أهل الكتاب وبيان نفسياتهم المريضة وصفاتهم الذميمة ففي هذه الآية (٧٥) يخبر تعالى أن في اليهود من إن أمتته على أكبر مال أداء إليك وافياً كاملاً، ومنهم من إذا أمتته على دينار فأقل خانك فيه وأنكره عليك فلا يؤديه إليك إلا بمقاضاتك له وملازمتك إياه . . فقال تعالى في خطاب رسوله : ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً﴾ ويعلل الرب تعالى سلوكهم هذا بأنهم يقولون ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي لا حرج علينا ولا إثم في أكل أموال العرب لأنهم مشركون فلا نؤاخذ بأكل أموالهم وكذبهم الله تعالى في هذه الدعوة الباطلة فقال تعالى : ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي أنه كذب على الله ولكن يكذبون ليسوغوا كذبهم وخيانتهم .

وفي الآية الثانية (٧٦) يقول تعالى : ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما يدعون بل عليهم الإثم

(١) استدلل أبو حنيفة بقوله تعالى : ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ على جواز ملازمة الغريم، ولم يرضه العلماء واستدل بعض العلماء على حبس المدين بهذه الآية .

(٢) قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال له : هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم .

(٣) ما دام في أهل الكتاب الأمين والخائن والتمييز بينهم متعلز إذا تعين اجتنابهم جميعاً .

والحرج والمؤاخذه، وإنما لا إثم ولا حرج ولا مؤاخذه على من أوفى بعهد الله تعالى فأمن برسوله وبما جاء به، واتفق الشرك والمعاصي فهذا الذي يحبه الله فلا يعذبه لأنه عز وجل يحب المتقين. وأما الآية الأخيرة (٧٧) فيتوعد الرب تعالى بأشد أنواع العقوبات أولئك الذين يعاهدون ويخونون ويحلفون ويكذبون من أجل حطام الدنيا ومتاعها القليل فيقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أى لا حظ ولا نصيب لهم في نعيم الدار الآخرة ولا يكلمهم تشريعاً لهم وإكراماً، ولا يزيكهم بالثناء عليهم ولا بتطهيرهم من ذنوبهم، ولهم عذاب مؤلم في دار الشقاء وهو عذاب دائم مقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- يجب أن لا يُعْتَرَّ باليهود ولا يوثق فيهم لما عرفوا به من الخيانة.
- ٢- من كذب على الله أخرى به أن يكذب على الناس.
- ٣- بيان اعتقاد اليهود في أن البشرية غير اليهود نجس وأن أموالهم وأعراضهم مباحة لليهود حلال لهم ؛ لأنهم المؤمنون في نظرهم وغيرهم الكفار.
- ٤- عظم ذنب من يخون عهده من أجل المال، وكذا من يحلف كاذباً لأجل المال قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

وإن منهم لفريقاً : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبوية .

(١) أخرج أهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع حق امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» .
(٢) رواه أحمد وله شواهد في الصحاح، وروى الأئمة عنه ﷺ قوله : «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينَهُ فَقَدْ أَوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ» .

يلوون ألسنتهم^(١) : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرأون الكتاب .
وما هو من الكتاب : وليس هو من الكتاب .
ويقولون على الله الكذب : أي يكذبون على الله لأغراض مادية .
معنى الآية :

ما زال السياق في اليهود وبيان فضائحهم فأخبر تعالى أن طائفة منهم يلوون ألسنتهم بمعنى يحرفون نطقهم بالكلام تمويهاً على السامعين كأنهم يقرأون التوراة وما أنزل الله فيها، وليس هو من الكتاب المنزل في شيء بل هو الكذب البهت، ويقولون لكم إنه من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب لأجل الحفاظ على الحطام الخسيس والرياسة الكاذبة.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- بيان مكر اليهود وتضليلهم للناس وخداعهم لهم باسم الدين والعلم .
- ٢- جرأة اليهود على الكذب على الناس وعلى الله مع علمهم بأنهم يكذبون وهو قبح أشد وظلم أعظم .
- ٣- التحذير للمسلم من سلوك اليهود في التضليل والقول على الله والرسول لأجل الأغراض الدنيوية الفاسدة .

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

(١) قرء: يلوون على الكثير، والمعنى يحرفون الكلم عن القصد، وأصل اللّي الميل، يقال لوى رأسه إذا أماله ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَا أَلْسِنَتَهُم﴾ أي ميلا عن الحق، واللّي: المطل أيضاً لحديث: «لّي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» في الصحيح.

شرح الكلمات :

ما كان لبشر^(١)

: لم يكن من شأن الإنسان الذي يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة.

الكتاب والحكم والنبوة : الكتاب : وحي الله المكتوب والحكم : بمعنى الحكمة وهي الفقه

في أسرار الشرع ، والنبوة : ما يشرف الله تعالى به عبده من إنبائه

بالغيب وتكليمه بالوحي .

ربانيين^(٢)

: جمع رباني : من ينسب إلى الرب لكثرة عبادته وغزارة علمه ، أو

إلى الربان وهو الذي يرب الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها .

أرباباً

: جمع رب بمعنى السيد المعبود .

أياهمم بالكفر : الإستفهام للإنكار ، والكفر هنا الردة عن الإسلام .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في الرد على أهل الكتاب وفي هذه الآية (٧٩) الرد على وفد نصارى نجران

خاصة وهم الذين يؤلهون المسيح عليه السلام . قال تعالى : ليس من شأن أي إنسان يعطيه

الله الكتاب أي ينزل عليه كتاباً ويعطيه الحكم فيه وهو الفهم والفقه في أسرارهِ ويشرفه بالنبوة

فيوحى إليه ، ويجعله في زمرة أنبيائه ، ثم هو يدعو الناس إلى عبادة نفسه فيقول للناس كونوا

عباداً لي من دون الله . إن هذا ما كان ولن يكون أبداً . ولا مما هو متصور الوقوع أيضاً فما

لكم أنتم يا معشر النصارى تعتقدون هذا في المسيح عليه السلام ؟ إن من أوتي مثل هذا

الكمال لا يقول للناس كونوا عباداً لي ولكن يقول لهم كونوا ربانيين تصلحون الناس

وتهدونهم إلى ربهم ليكملوا بطاعته ويسعدوا عليها ، وذلك بتعليمهم الكتاب وتدريسه

ودراسته .

هذا معنى الآية (٧٩) أما الآية (٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن رسوله محمد ﷺ أنه لا يأمر

الناس بعبادة غير ربّه تعالى سواء كان ذلك الغير ملكاً مكرماً أو نبياً مرسلًا ، وينكر على من

(١) لفظ البشر : يطلق على الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسى عليه السلام .

(٢) أي لا يجتمع لنبي إتيان النبوة مع قوله كونوا عباداً لي من دون الله ، وإنما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله : ﴿كونوا ربانيين﴾ الخ .

(٣) الرباني والجمع ربانيين مشتق من ربه فهو ربان له إذا دبره وأصلحه .

(٤) قالت اليهود يوماً لرسول الله ﷺ : أتريد أن نتخذك يا محمد رباً؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ الآية .

نسبوا ذلك إليه ﷺ فيقول : ﴿ أَيَا مَرْكُم بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فهذا لا يصح منه ولا يصدر عنه بحال .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- لم يكن من الممكن لمن آتاه الله الكتاب والحكمة وشرفه بالنبوة أن يدعو الناس لعبادة نفسه فضلاً عن عبادة غيره .

٢- سادات الناس هم الربانيون الذين يربون الناس بالعلم والحكمة فيصلحونهم ويهدونهم .

٣- عظماء الناس^(١) من يعلمون الناس الخير ويهدونهم إليه .

٤- السجود لغير الله تعالى كفر لما ورد أن الآية نزلت رداً على من أرادوا أن يسجدوا لرسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿ أَيَا مَرْكُم بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ؟!

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآءَ اتَّيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين .

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب ، إذ ليس من شأن النبي ﷺ أن يتخذ الناس عباداً يتأله لهم ، ومن هنا قال ﷺ : ﴿ لَا يَقُولُونَ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأُمْتِي وَلِيَقُلْ فَنَآيَ وَفَنَآيَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ رَبِّي وَلِيَقُلْ سَيِّدِي 》 .

(٢) روى ابن عبد البر عن علي رضي الله عنه قوله : من علم وعمل وعلم دعي في ملكوت السموات عظيماً ، وهو مروي عن عيسى عليه السلام .

(١) لما آتيتكم	: مهما آتيتكم .
لتؤمنن	: لتصدقن برسالته .
أقررتم	: الهمزة الأولى للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنى اعترفتم .
إصري	: عهدي وميثاقي .
فمن تولى	: رجع عما اعترف به وأقر .
الفاسقون	: الخارجون عن طاعة الله ورسوله .
أفغير دين الله يبغون	: الاستفهام للإنكار، ويبغون بمعنى يطلبون .
وله أسلم	: انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه .
معنى الآيات :	

ما زال السياق في الرد على نصارى نجران فيقول تعالى لرسوله أذكر لهم ما أخذ الله على النبيين وأمهم من ميثاق أنه مهما آتاها من كتاب وحكمة ثم جاءهم رسول مصدق لما معهم من النور والهدى ليؤمنن به ولينصرنه على أعدائه ومناوئيه من أهل الكفر وأنه تعالى قررههم فأقروا واعترفوا ثم استشهدهم على ذلك فشهدوا وشهد تعالى فقال: ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ ثم أكد تعالى ذلك مرة أخرى بأن من يعرض عن هذا الميثاق ولم يف به يعتبر فاسقاً ويلقى جزاء الفاسقين فقال تعالى: ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ . وقد نقض هذا الميثاق كل من اليهود والنصارى، إذ لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبإيائه به وقد أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به، وينصره، فكفروا به، وخذلوه، فكانوا بذلك الفاسقين المستوجبين لعذاب الله .

(١) قرأ نافع ﴿لما آتيناكم﴾ بنون العظمة وقرأ حفص ﴿لما آتيتكم﴾ بياء المتكلم، وصيغة الميثاق هي ﴿لما آتيتكم﴾ إلى قوله ﴿ولينصرنه﴾ .
(٢) قرأ أهل الكوفة ﴿لما آتيتكم﴾ بكسر لامٍ لما أي: لأجل ما آتيتكم من كتاب الخ، وتكون ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي أي للذي آتيتكم . الخ .
(٣) روى ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالوا: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وهذا غير مناف لما قال قتادة وغيره أن الله أخذ من النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضاً .
(٤) التولي والفسق مستحيل في حق أنبياء الله ورسله، ولذا فالماخوذ عليهم العهد والميثاق هم أتباع الأنبياء والرسل، وإنما قال ميثاق النبيين لأنهم هم المبلغون أمهم بما أخذ عليهم ويوضح هذا قوله ﴿فاشهدوا﴾ أي على أممكم .

ثم وبخ تعالى أهل الكتاب قائلا: ﴿أفغير دين الله^(١) - يريد الاسلام - يبغون﴾ أي يطلبون، ولله أسلم أي انقاد وخضع من في السموات من الملائكة والأرض من سائر المخلوقات الأرضية طوعاً أو كرها: طائعين أو مكرهين وفوق هذا أنكم ترجعون إليه فيحاسبكم، ويميزكم بأعمالكم.

هذا ما تضمنته الآية الأخيرة (٨٣) إذ قال تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في الأنبياء السابقين وهي أن يؤمن بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضاً.
- ٢- كفر أهل الكتاب وفسقهم بنقضهم الميثاق وتوليهم عن الإسلام وإعراضهم عنه بعد كفرهم بالنبي محمد ﷺ وقد أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا به ويتبعوه.
- ٣- بيان عظم شأن العهود والمواثيق عند الله تعالى.
- ٤- الإنكار على من يعرض عن دين الله الإسلام. مع أن الكون كله خاضع منقاد لأمر الله ومجاري أقداره مسلم له.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ
وَإِسْمٰعٖلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

(١) الاستفهام للتقريع والتوبيخ، روي عن الكلبي أن كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ فقالوا آئنا أحق بدين إبراهيم؟ فقال ﷺ كلا الفريقين بريء من دينه فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزل قوله تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ الآية.

(٢) طوعاً وكرها: مصدران في موضع الحال أي طائعين ومكرهين، إذ كل مخلوق منقاد مستسلم لما جيله الله عليه وقضاه وقدره له لا يخرج عنه بحال.

شرح الكلمات :

الأسباط : جمع سبط والسبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الإثنا عشر والأسباط في اليهود كالقبائل في العرب .

يُنتِغ : يطلب ويريد ديناً غير الدين الإسلامي .

الخاسرين : الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتى أنفسهم .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في حجاج أهل الكتاب فبعد أن وبخهم تعالى بقوله في الآيات السابقة أغفِر دين الله تبتغون يا معشر اليهود والنصارى؟ فإن قالوا: نعم فقل أنت يا رسولنا آمنا بالله وما أنزل علينا من وحيٍ وشرع وآمنا بما أنزل على إبراهيم خليل الرحمن وما أنزل على ولديه إسماعيل وإسحق، وما أنزل على يعقوب وأولاده الأسباط، وآمنا بما أوتي موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد من أنبيائه بل نؤمن بهم وبما جاءوا به فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما هي حالكم يا معشر اليهود والنصارى . ونحن لله تعالى مسلمون أي منقادون مطيعون لا نعبده بغير ما شرع ولا نعبده معه سواه . هذا معنى الآية الأولى (٨٤). أما الآية الثانية (٨٥) فإن الله تعالى يقرر أن كل دين غير الإسلام باطل، وإن من يطلب ديناً غير الإسلام لن يقبل منه بحال ويخسر في الآخرة خسراناً كبيراً فقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض، كما لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض ما أنزل الله تعالى على رسله ويكفر ببعض .

(١) في الآية تعليم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين عقيدة الإيمان الصحيحة التي أحبها الله لهم ليكملوا بها ويسعدوا عليها بإذن الله تعالى :

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تجىء الأعمال يوم القيامة فتجىء الصلاة فتقول يا رب أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجىء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول إنك على خير .

ثم تجىء الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم تجىء الأعمال كل ذلك ويقول الله تعالى إنك على خير ثم تجىء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير اليوم بك أخذ وبك اعطي، قال الله تعالى في كتابه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ نفرد به أحمد .

٢- الإسلام: هو الإنقياد والخضوع لله تعالى وهو يتنافى مع التخيير بين رسل الله ووحيه اليهم.

٣- بطلان سائر الأديان والملل سوى الدين الإسلامى وملة محمد ﷺ

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

كيف يهدي الله قوما : الاستفهام هنا للاستبعاد، والهداية الخروج من الضلال.^(١)
البيّنات : الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبيّنة للحق في المعتقد والعمل.
الظالمين : المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفاً لازماً لهم.
لعنة الله : طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك.
ولا هم ينظرون : ولا هم يمهلون من أنظره إذا أمهله ولم يعجل بعذابه.
أصلحوا : أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم.

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنى لا يهدي الله قوماً... إلخ ومنه قول الشاعر:
كيف نومي على الفراش ولما يشمل القوم غارة شعواء

معنى الآيات :

ما زال السياق في أهل الكتاب^(١) وإن تناولت غيرهم ممن ارتد عن الإسلام من بعض الأنصار ثم عاد إلى الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ففي كل هؤلاء يقول تعالى : ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ فقد كفر اليهود بعبسى عليه السلام، وشهدوا أن الرسول محمداً حق وجاءتهم الحجة والبراهين على صدق نبوته وصحة ما جاء به من الدين الحق، والله حسب سنته في خلقه لا يهدي من أسرف في الظلم وتجاوز الحد فيه فأصبح الظلم طبعاً من طباعه فلماذا كانت هداية من هذه حالة مستبعدة للغاية، وإن لم تكن مستحيلة ثم أخبر تعالى عنهم متوعداً لهم فقال : ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ ﴿خالدين فيها﴾ أي في تلك اللعنة الموجبة لهم عذاب النار ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ أي ولا يمهلون ليعتذروا، أولاً يخفف عنهم العذاب. ثم لما لم تكن توبتهم مستحيلة ولأن الله تعالى يحب توبة عباده ويقبلها منهم قال تعالى فاتحاً باب رحمته لعباده مهما كانت ذنوبهم ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ الكفر والظلم، ﴿وأصلحوا﴾ نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فكان هذا كالوعد منه سبحانه وتعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم بدخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التوغل في الشر والفساد أو الظلم والكفر قد يمنع العبد من التوبة. ولذا وجب على العبد إذا أذنب ذنباً أن يتوب منه فوراً، ولا يواصله مصراً عليه خشية أن يحال بينه وبين التوبة.
- ٢- التوبة مقبولة متى قامت على أسسها واستوفت شروطها ومن ذلك الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ارتكابه، والاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب الذي تاب منه، وإصلاح ما أفسده مما يمكن إصلاحه.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت في رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم راسل قومه ليسألوا له رسول الله ﷺ هل له توبة فجاء قومه وسألوا له فأنزل الله هذه الآية ﴿كيف يهدي الله قوماً﴾ إلى ﴿غفور رحيم﴾ والآية تتناول اليهود من باب أولى وتنطبق عليهم تماماً فتشمل من تاب منهم ومن لم يتب على حد سواء.

(٢) روى ابن كثير والقرطبي أن الحارث بن سويد أخا الجلاس بن سويد الأنصاري قد ارتد بعد إسلامه مع اثني عشر رجلاً والتحقوا بمكة ثم تاب الحارث فأسلم وحسن إسلامه.

(٣) أورد هنا القرطبي سؤالاً وهو: أن ظاهر الآية ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ دال على أن من كفر بعد إسلامه لا يهده الله وكثيراً من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله إن معنى لا يهديهم ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام فائماً إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. هـ كلامه.

إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كَفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

الكفر : الجحود لله تعالى والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع .

بعد إيمانهم : أي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر .

الضالون : المخطئون طريق الهدى .

ملء الأرض : ما يملأها من الذهب .

ولو افتدى به : ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ أخبر تعالى عنهم أنهم كفروا بعد إيمانهم كفروا بعبسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة . ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن فلن تقبل توبتهم إلا إذا تابوا بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن لكنهم مصرون على الكفر بها فكيف تقبل توبتهم إذاً مع اصرارهم على الكفر، ولذا أخبر تعالى أنهم هم الضالون البالغون أبعد الحدود في الضلال ومن كانت هذه حاله فلا يتوب ولا تقبل توبته، ثم قرر مصيرهم بقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ يريد يوم القيامة مع أنه لا مال يومئذ ولكن باب الفرض والتقدير لا غير . فلو أن لأحدهم ملء الأرض ذهباً وقبل منه فداء لنفسه من عذاب الله لافتدى، ولكن

(١) أورد القرطبي إشكالا عن قوله تعالى : ﴿لَن يُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مع العلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ وذكر ثلاثة أجوبة الأول : أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نص الآية ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن . . .﴾ . الثاني : أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل . والثالث : أنها لا تقبل وهم مصرون على الكفر . قلت وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية . والله أعلم .

هيهات هيهات^(١) إنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولكن من جاء ربه بقلب سليم من الشرك والشك وسائر أمراض القلوب نجا من النار ودخل الجنة بإذن الله تعالى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- سنة الله فيمن توغل في الكفر أو الظلم أو الفسق وبلغ حداً بعيداً أنه لا يتوب.
- ٢- اليأس من نجاة من مات كافراً يوم القيامة.
- ٣- لا فدية تقبل يوم القيامة من أحد ولا فداء لأحد فيه.

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

لن تنالوا : لن تحصلوا عليه وتظفروا به .

البر : كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة .

تنفقوا : تتصدقوا .

مما تحبون : من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم .

من شيء : يريد قل أو كثر .

فإن الله به عليم : لازمه أنه يجزيكم به بحسب كثرته أو قلته .

معنى الآية الكريمة :

ينجز تعالى عباده المؤمنين الراغبين في بره تعالى وإفضاله بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة بأنهم لن يظفروا بمطلوبهم من بر ربهم حتى ينفقوا من أطيب أموالهم وأنفسها عندهم وأحبها إليهم . ثم أخبرهم مطمئناً لهم على إنفاقهم أفضل أموالهم بأن ما ينفقونه من قليل

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرايت لو كان لك ملاء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول : نعم فيقال له كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك فلم تفعل» .

(٢) يطلق لفظ البر على العمل الصالح أو هو جماعه وثوابه وفي الصحيح يقول الرسول ﷺ : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» .

أو كثير نفيس أو خسيس هو به عليم وسيجزئهم به ، وهذا حبّ إليهم الإنفاق ورغبتهم فيه فداء أبوظلمة رضي الله عنه يقول يا رسول الله ان الله تعالى يقول : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وإن من أحب أموالي إليّ بئرحا (حديقة) فاجعلها حيث أراك الله يا رسول الله ، فقال له ﷺ مال رابع أو رائج اجعلها في أقربائك فجعلها في أقربائه حسان بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- البر وهو فعل الخير يهدي إلى الجنة .
- ٢- لن يبلغ العبد برّ الله وما عنده من نعيم الآخرة حتى ينفق من أحب أمواله إليه .
- ٣- لا يضيع المعروف عند الله تعالى قل أو كثر طالما أريد به وجهه تعالى .

(١) لما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ بادر الأصحاب رضوان الله عليهم بالتصدق بأحب أموالهم إليهم فأعتق عمر جارية له من أحب الجوارى إليه ، وأعتق ولده مولاه نافعاً وتصدق زيد بن حارثة بفرس له كانت أحب ما يملك وتصدق أبوظلمة ببستانه (بئرحا) فدل هذا على فقه الصحابة ومدى استجابتهم لما هو خير عند الله وأعظم أجراً فرضي الله عنهم وأرضاهم ولا حرمتنا حبهم وجوارهم .

إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

الطعام^(١)

حِلْ

بني إسرائيل

: اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات .

: الحِلْ : الحلال ، وسمي حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه .

: أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الأثني عشر

إلى يومنا هذا .

حَرَمٌ

التوراة

فاتلوهها

افتترى الكذب^(٢)

: حظر ومنع .

: كتاب أنزل على موسى عليه السلام وهو من ذرية إسرائيل .

: اقرأوها على رؤوس الملائكة لتبين صحة دعواكم من بطلانها .

: اختلقه وزوره وقاله .

ملة إبراهيم

حنيفاً^(٣)

: دينه وهي عبادة الله تعالى بيا شرع ، ونبذ الشرك والبدع .

: ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد .

(١) الطعام (ال) للجنس ولفظ للتنصيص على العموم .

(٢) الافتراء كالاختلاق سواء الافتراء مأخوذ من الفري وهو قطع الجلد قطعاً ليصلح به قرينة وحذاء ونحوهما .

(٣) حنيفاً : منصوب على الحال وصاحبها إبراهيم المجرور بالإضافة .

بيكة	: مكة .
للعالمين	: للناس أجمعين .
مقام إبراهيم ^(١)	: آية من الآيات وهو الحجر الذي قام عليه أثناء بناء البيت فارتسمت قدماء وهو صخر فكان هذا آية .
من دخله	: الحرم الذي حول البيت بحدوده المعروفة .
آمناً	: لا يخاف على نفس ولا مال ولا عرض .
الحج	: قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك .
سبيلاً	: طريقاً والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحجاج مع أهل الكتاب فقد قال يهود للنبي ﷺ كيف تدعى أنك على دين إبراهيم ، وتأكّل ما هو محرم في دينه من لحوم الإبل وألبانها فرد الله تعالى على هذا الزعم الكاذب بقوله : كل الطعام كان حلالاً أي حلالاً لبني إسرائيل وهم ذرية يعقوب الملقب بإسرائيل ، ولم يكن هناك شيء محرم عليهم في دين إبراهيم اللهم إلا ما حرم إسرائيل «يعقوب» على نفسه خاصة وهو لحوم الإبل وألبانها لنذر نذره وهو أنه مرض مرضاً آله فنذر^(٢) لله تعالى إن شفاه تركّ أحب الطعام والشراب إليه ، وكانت لحوم الإبل وألبانها من أحب الأطعمة والأشربة إليه فتركها لله تعالى ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ من قبل أن تنزل التوراة ، إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بقرون عدة ، فكيف تدعون أن إبراهيم كان لا يأكل لحوم الإبل ولا يشرب ألبانها فاتوا بالتوراة فاقرؤوها فسوف تجدون أن ما حرم الله تعالى على اليهود إنما كان لظلمهم واعتدائهم فحرم عليهم أنواعاً من الأطعمة ، وذلك بعد إبراهيم ويعقوب

(١) مقام إبراهيم : من جملة الآيات إذ أثر قديمي إبراهيم باقية على المقام الذي هو صخرة وفيه قال أبو طالب :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وأمر تعالى بالصلاة خلفه في قوله : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فمن طاف بالبيت يختم طوافه بصلاة ركعتين خلفه .

(٢) أكثر الروايات على أن مرض يعقوب كان بعرق النساء ، وأن ما نذره من ترك أحب الطعام والشراب إليه كان باجتهاد منه وليس شرعاً عنده إذ هو من المباح وللعباد أن يترك مباحاً متى شاء لاسيما إن تركه الله تقريباً إليه وتوسلاً لقضاء حاجته كشفاء من مرض مثلاً .

(٣) روى ابن ماجه في سننه أن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿شفاء عرق النساء إلى شاة (عربية) تذاب ثم تجزا ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الزيق في كل يوم جزء ، قال أنس فوصفته لأكثر من مائة فبرأ فإذا الله تعالى﴾ .

بقرؤن طويلة . قال تعالى في سورة النساء : ﴿ فبظلم من الذين هادوا (اليهود) حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّتْ لهم ﴾ وقال في سورة الأنعام : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر^(١) ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها ﴾ الآية .

ولما طُوبِلوا بالإتيان بالتوراة وقراءتها بهتوا ولم يفعلوا فقامت الحجة لرسول الله ﷺ عليهم . وقوله تعالى : فمن افترى على الله الكذب بعد قيام الحجة بأن الله تعالى لم يحرم على إبراهيم ولا على بني إسرائيل شيئاً من الطعام والشراب إلا بعد نزول التوراة باستثناء ما حرم إسرائيل على نفسه من لحمان الإبل وألبانها ، فأولئك هم الظالمون بكذبهم على الله تعالى وعلى الناس . ومن هنا أمر الله تعالى رسوله أن يقول : صدق الله فيما أخبر به رسوله ونخبه به وهو الحق من الله ، إذا فاتبعوا يا معشر اليهود ملة إبراهيم الحنيف الذي لم يكن أبداً من المشركين .

هذا ما تضمنته الآيات الثلاث : ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ وأما قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين ﴾ فإنه متضمن الرد^(٢) على اليهود الذين قالوا إن بيت المقدس هي أول قبلة شرع للناس استقبالها فلم يعدل محمد وأصحابه عنها إلى استقبال الكعبة ؟ وهي متأخرة الوجود فأخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس هو الكعبة لا بيت المقدس وأنه جعله مباركاً يدوم بدوام الدنيا والبركة لا تفارقه فكل من يلتمسها بزيارته وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها ، كما جعله هدى للعالمين فالمؤمنون يأتون حجاجاً وعماراً فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية ، والمصلون في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلونه في صلاتهم ، وفي ذلك من الهداية للحصول على الثواب وذكر الله والتقرب إليه أكبر هداية وقوله تعالى فيه آيات بينات يريد : في المسجد الحرام دلائل واضحات منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي كان يقوم عليه أثناء بناء البيت حيث بقي أثر قدميه عليه مع أنه صخرة من الصخور ومنها زمزم والحجر والصفاء والمروة وسائر المشاعر كلها آيات ومنها الأمن التام لمن دخله فلا

(١) راجع تفسير هذه الآية في موضعها من سورة الأنعام .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال : « المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال ، أربعون عاماً ثم جعلت الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل » .

(٣) ذكر القرطبي عن مجاهد قوله تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة ، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ إن أول بيت وضع للناس ﴾ الآية .

(١)

يخاف غير الله تعالى . قال تعالى : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ ثم هذا الأمن له والعرب يعيشون في جاهلية جهلاء وفوضى لا حد لها ، ولكن الله جعل في قلوبهم حرمة الحرم وقديسيته ووجوب أمن كل من يدخله ليحججه أو يعتمره ، وقوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ ، لَمَّا ذكر تعالى البيت الحرام وما فيه من بركات وهدايات وآيات ألزم عباده المؤمنين به وبرسوله بحججه ليحصل لهم الخير والبركة والهداية ، ففرضه بصيغة والله على الناس وهي أبلغ صيغ الإيجاب ، واستثنى العاجزين عن حجه واعتباره بسبب مرض أو خوف أو قلة نفقة للركوب والإنفاق على النفس والأهل أيام السفر .

وقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فإنه خبر منه تعالى بأن من كفر بالله ورسوله وحج بيته بعد ما ذكر من الآيات والدلائل الواضحات فإنه لا يضر إلا نفسه أما الله تعالى فلا يضره شيء وكيف وهو القاهر فوق عباده والغنى عنهم أجمعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ثبوت النسخ في الشرائع الإلهية ، إذ حرم الله تعالى على اليهود بعض ما كان حلالاً لهم .
- ٢- إبطال دعوى اليهود أن إبراهيم كان محرماً عليه لحوم الإبل والبأنها .
- ٣- تقرير النبوة المحمدية بتحدي اليهود وعجزهم عن دفع الحق الذي جاء به محمد ﷺ .
- ٤- البيت الحرام كان قبل بيت المقدس ، وأن البيت الحرام أول بيت وضع للتعبد بالطواف به .
- ٥- مشروعية طلب البركة بزيارة البيت وحججه والطواف به والتعبد حوله .
- ٦- وجوب الحج على الفور لمن لم يكن له مانع يمنعه من ذلك .
- ٧- الإشارة إلى كفر من يترك الحج وهو قادر عليه ، ولا مانع يمنعه منه غير عدم المبالاة .^(١)

(١) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنى : فمن دخله فأمنه هكذا قال بعضهم . ولا منافاة بين القولين فإن الحرم كان آمناً في عهد الجاهلية قروناً بما ألقى الله في قلوب العرب من حرمة الحرم ، إن بيت المقدس تسلط عليه الجبابرة فخرّبوه غير مرة ومكة ردّ الله الطغاة عنها .

(٢) تواردت طرق حديث أن النبي ﷺ سئل عن السبيل في قوله تعالى : ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ فقال : «الزاد والراحلة» وهو كذلك .

(٣) مما يدل على فورية الحج إذا توفرت النفقة وأمن الطريق وزالت الموانع قوله ﷺ «تعمّلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» رواه أحمد ، فما دنا مأمورين بالتعجل كان الفور ألزم والتراخي أبعد ، والله أعلم وأعز وأحكم .

(٤) الإجماع على أن الحج مرة واحدة في العمر لقوله ﷺ : «لا ، ولو قلت نعم لوجبت» إذ سأل سائل قائلاً : أفى كل عام يارسول الله . وذلك لما نزلت : ﴿ولله على الناس حج البيت . . .﴾ ومما يؤكد فرضيته وهي مؤكدة بخطاب الله تعالى : أن عمر رضي الله عنه قال : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً . قال ابن كثير اسناده صحيح .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ مَنَءَ أَمِنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۖ وَمَا اللَّهُ
بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

الكفر

: الجحود .

آيات الله

: ما أنزل تعالى من الحجج والبينات في القرآن المقررة لنبوّة
محمد ﷺ وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل من صفات النبي
ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على دين الحق الذي جاء
به وهو الإسلام .

شاهد على ما تعملون ^(١)

: عليم به مطلع عليه ، وما يعملونه هو الكفر والشر
والفساد .

تصدون عن سبيل الله ^(٢)

: تصرفون الناس من آمن منكم ومن العرب عن الإسلام
الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين .
: تطالبون لها العوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل
سالكها وذلك بالتحريف والتضليل .

تبغونها عوجاً ^(٣)

: بعلمكم بأن الإسلام حق ، وأن ما تبغونه له من الإضلال
لأهله والتضليل هو كفر وباطل .

معنى الآيتين :

بعد أن دحض الله تعالى شبه أهل الكتاب وأبطلها في الآيات السابقة أمر تعالى رسوله

(١) هذا دال على أن أهل الكتاب يؤمنون بعموم علم الله وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلماذا كان
توبيخهم أشد .

(٢) قرء تصدون من صدّ إذ يقال صدّه ، وأصدّه عن كذا صرفه عنه .

(٣) أصلها تبغون لها فحذفت اللام نحو (كالوهم) أي كالوا لهم .

أن يقول لهم موبخاً مسجلاً عليهم الكفر يا أهل الكتاب لم تكفرون بحجج الله تعالى وبراهينه المثبتة لنبوته نبيه محمد ﷺ ودينه الإسلام تلك الحجج والبراهين التي جاء بها القرآن والتوراة والإنجيل معاً؟ والله جل جلاله مطلع على كفركم عليهم به، أما تخافون عقابه أما تخشون عذابه؟.

كما أمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول لهم مؤنباً موبخاً لهم على صرفهم المؤمنين عن الإسلام بأنواع الحيل والتضليل: يا أهل الكتاب أي يا أهل العلم الأول لم تصرفون المؤمنين عن الإسلام الذي هو سبيل الله بما تثرونه بينهم من الشكوك والأوهام تطلبون للإسلام العوج لينصرف المؤمنون عنه، مع علمكم التام بصحة الإسلام وصدق نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أما تخافون الله، أما تخشونه تعالى وهو مطلع على سوء تدبيركم غير غافل عن مكركم وغشكم وخداعكم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- شدة قبح كفر وظلم من كان عالماً من أهل الكتاب بالحق ثم كفره وجحدته بغياً وحسداً.
- ٢- حرمة صرف الناس عن الحق والمعروف بأنواع الحيل وضروب الكذب والخداع.
- ٣- علم الله تعالى بكل أعمال عباده من خير وشر وسيجزئهم بها فضلاً منه وعدلاً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا



فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ءِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ



رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْنَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(١) أخرج ابن اسحق في سبب نزول هذه الآية: «يا أهل الكتاب...» أن شماس بن قيس اليهودي رأى جماعة من المسلمين من الأوس والخزرج بادياً عليهم الوثام (المحبة) فغاظه ذلك فأمر أحد اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم بحرب بعث وأفعل فحدث نزاع بينهم أدى بهم إلى الخروج إلى الحرة للقتال وفعلاً خرجوا وسمع بذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم وهدأهم بقوله: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وما زال يعظهم حتى ألقوا السلاح وتعانقوا وهم يبتكون، وعرفوا أنها مكررة يهود وخذعتهم عليهم لعائن الله، وأنزل تعالى هذه الآية والتي قبلها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات : فريقاً

(١) طائفة من الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له والمكر به وبأهله .

يردوكم : يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم .

وكيف تكفرون : الاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانهم .

آيات الله : آيات القرآن الكريم .

يعتصم : يتمسك بشدة .

(٢) حق تقاته : باستفراغ الوسع في إمتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقاته هي تقواه .

جبل الله : كتابه القرآن ودينه الإسلام، لأن الكتاب والدين هما الصلة التي

تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئاً بآخر هو سبب وحبل .

ألف بين قلوبكم : جمعها على أخوة الإيمان ووجد بينها بعد الاختلاف والنفرة .

شفا حفرة : شفا الحفرة حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع

فيها .

(١) قالوا هم شاس اليهودي وأصحابه الذين أثاروا الفتنة بين الأوس والخزرج ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فطاعة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى كانت وما زالت سبب دمار أمة الإسلام .

(٢) التقاة اسم مصدر اتقى يتقي اتقاءً وأصلها وقية فتحرك حرف العلة فانفتح ما قبله فقلب واواً فصارة وقاة، وأبدلت الواو تاء فصارت تقاة .

أنقذكم منها : بهدايتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار.

معنى الآيات :

بعد أن وبخ تعالى اليهود على خداعهم ومكرهم وتضليلهم للمؤمنين وتوعدهم على ذلك، نادى المؤمنين محذراً إياهم من الوقوع في شباك المضللين من اليهود فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ وذلك أن نفراً من الأوس والخزرج كانوا جالسين في مجلس يسودهم الود والتصافي ببركة الإسلام الذي هداهم الله تعالى إليه فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فأله ذلك التصافي والتحابب وأحزنه بعد أن كان اليهود يعيشون في منجاة من الخوف من جيرانهم الأوس والخزرج لما كان بينهم من الدمار والخراب فأمر شاس شاباً أن يذكرهم بيوم بعث فذكروه وتناشدوا الشعر فثارت الحمية القبلية بينهم فتسابوا وتشاتموا حتى هموا بالقتال فأتاهم الرسول ﷺ وذكرهم بالله تعالى وبمقامه بينهم فهدأوا، وذهب الشر ونزلت هذه الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ فحذروهم من مكر أهل المكر من اليهود والنصارى، وأنكر عليهم ما حدث منهم حاملاً لهم على التعجب من حالهم لو كفروا بعد إيمانهم فقال عز وجل: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله صباح مساء في الصلوات وغيرها، وفيكم رسوله^(١) هادياً ومبشراً ونذيراً وأرشدكم إلى الاعتصام بدين الله ويشر المعتصمين بالهداية إلى طريق السعادة والكمال فقال: ومن يعتصم بالله أي بكتابه وسنة نبيه فقد هدي إلى صراط مستقيم ثم كرر تعالى ندائه لهم بعنوان الإيمان تذكيراً لهم به وأمرهم بأن يبذلوا وسعهم في تقوى الله عز وجل وذلك بطاعته كامل الطاعة بامثال أمره واجتناب نهيه حاضاً لهم على الثبات على دين الله حتى يموتوا عليه فلا يبذلوا ولا يغيروا فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وأمرهم بالتمسك بالإسلام عقيدة وشرعية ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأرشدهم إلى ذكر نعمته تعالى عليهم بالآلفة

(١) عصمة هذه الأمة من الذنوب والسقوط في هذين الأمرين: الكتاب والسنة فمهما تمسكت أمة الإسلام بهما فإنها لا تضل ولا تسقط ولو كادها أهل الأرض أجمعون ومهما أعرضت عنهما سقطت وهانت ولو دَعَمَهَا أهل الأرض أجمعون.

(٢) من مظاهر إكرام الله تعالى للمؤمنين أن ناداهم مباشرة بيا أيها الذين آمنوا بخلاف أهل الكتاب فإنه أمر رسوله أن يناديهم إشعاراً لهم بعدم رضاه عنهم وغضبه عليهم.

(٣) روى أن تقوى الله حق تقاته: تتمثل في أن يطاع تعالى ولا يُعصى ويُشكر ولا يُكفر ويُذكر ولا يُنسى، وخصصتها آية التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ إذ لا تكليف مع العجز عن القيام به.

والمحبة التي كانت ثمرة هدايتهم للإيمان والإسلام، بعد أن كانوا أعداء متناحرين مختلفين فآلف بين قلوبهم فأصبحوا بها إخواناً متحابين متعاونين، كما كانوا قبل نعمة الهداية إلى الإيمان على شفا جهنم لو مات أحدهم يومئذ لوقع فيها خالداً أبداً، وكما أنعم عليهم وأنقذهم من النار ما زال يبين لهم الآيات الدالة على طريق الهداية الداعية إليه ليثبتهم على الهداية ويكملهم فيها فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾^(١).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- طاعة كثير من علماء اليهود والنصارى بالأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم وما يشيرون به على المسلم تؤدي بالمسلم إلى الكفر شعر بذلك أم لم يشعر فلذا وجب الحذر كل الحذر منهم.
- ٢- العصمة في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن تمسك بهما لم يضل.
- ٣- الأخذ بالإسلام جملة والتمسك به عقيدة وشرعية أمان من الزيغ والضلال وأخيراً من الهلاك والخسران.
- ٤- وجوب التمسك بشدة بالدين الإسلامي وحرمة الفرقة والاختلاف فيه.
- ٥- وجوب ذكر النعم لأجل شكر الله تعالى عليها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.
- ٦- القيام على الشرك والمعاصي وقوف على شفير جهنم فمن مات على ذلك وقع في جهنم حتماً بقضاء الله وحكمه.

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَا

(١) في الآية حرمة التفرق في الدين ومنه التفرق في الحكم، فكلاهما محرم لما يفضي بالمتفرقين إلى الهلاك والخسران. عرّف هذا أعداء الإسلام فعملوا على تفرقة أمة الإسلام، وفرقوها مذاهب وطوائف ثم دويلات وحكومات ثم أذلّوها وأهانوها. (٢) وهذه نعمة أخرى: مواصلة إنزال القرآن بالأحكام والشرائع والآداب والمواعظ والعبر ليتيم لهم كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فله الحمد والمنة. (٣) في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
 وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ
 اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

- الأمة** : أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحداً والمراد بالأمة هنا المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الخير** : الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيثار والعمل الصالح.
- المعروف** : المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة.
- المنكر** : ضد المعروف، وهو ما نهى عنه الشرع لضرره وإفساده، للفرد أو الجماعة.
- الذين تفرقوا** : هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.^(١)
- يوم تبيض وجوه^(٢)** : هذا يوم القيامة.
- ففي رحمة الله** : رحمة الله هنا : الجنة جعلنا الله تعالى من أهلها، آمين.

(١) وقيل هم الحرورية وقيل المبتدعة من هذه الأمة وكونهم اليهود والنصارى هذا الراجح والحق وعليه جمهور المفسرين.

(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء.

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق: هذه آياتنا نقرأها عليك متلبسة بالحق، لا باطل فيها أبداً. وإلى الله ترجع الأمور : إلى الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء وبحكم ما يريد فضلاً وعدلاً.

معنى الآيات :

بعدما أمر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بتقواه والتمسك بدينه ونهاهم عن الفرقة والاختلاف وحضهم على ذكر نعمه ليشكروها بطاعته أمرهم في هذه الآية (١٠٤) بأن يوجدوا من أنفسهم جماعة تدعو إلى الإسلام وذلك بعرضه على الأمم والشعوب ودعوتهم إلى الدخول فيه، كما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في ديار الإسلام وبين أهله فقال تعالى مخاطباً إياهم: ولتكن منكم أي يجب أن تكون منكم طائفة يدعون إلى الخير أي الإسلام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبشرهم بأن الأمة التي تنهض بهذا الواجب هي الفائزة بسعادة الدنيا والآخرة فقال: فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة من العار والنار، ويدخول الجنة مع الأبرار.

وفي الآيات (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) نهاهم أن يسلكوا طريق أهل الكتاب في التفرق في السياسة والاختلاف في الدين فيهلكوا هلاكهم فقال تعالى: مخاطباً إياهم: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ فلا ينبغي أن يكون العلم والمعرفة بشرائع الله سبباً في الفرقة والخلاف^(١)، وهما أداة الوحدة والائتلاف، وأعلمهم بجزاء المختلفين من أهل الكتاب ليعتبروا فلا يختلفوا ولا يتفرقوا فقال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم لا يقادر قدره ولا يعرف مداه، وأخبرهم عن موعد حلول هذا العذاب العظيم بهم وأنه يوم القيامة حينها تبيض وجوه المؤمنين المؤتلفين القائمين على الكتاب والسنة، وتسود وجوه الكافرين المختلفين القائمين على البدع والأهواء، فقال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه^(٢)

(١) من التبعيض وعليه فسرنا الآية وقلنا بوجود طائفة لا كل الأمة إذ لا بد من العلم لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والعلم لا يتوفر لكل فرد أبداً ولذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية.

(٢) نهاهم تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح فعلاً فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية - والقدرية - والجهمية - والمرجئة - والرافضة - والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلى اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا أهل السنة والجماعة.

(٣) روى ابن القاسم عن مالك في العتبية أنه قال ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿يوم تبيض وجود وتسود وجوه...﴾ قال مالك: إنما هذه الآية لأهل القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم...﴾.

وتسود وجوههم ﴿١٠٧﴾ وبين جزاء الفريقين فقال: فأما الذين اسودت وجوههم من سوء ما عاينوه من أهوال الموقف وما أيقنوا أنهم صاثرون إليه من عذاب النار فيقال لهم تقرّيعاً وتوبيخاً: أكفرتم بعد إيمانكم؟ إذ هذه وجوه من تلك حالهم، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بالله وشرائعهم.

وأما الذين ابيضت وجوههم فلم يطل في الهول موقفهم حتى يدخلوا جنة ربهم قال تعالى: ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

وفي الآية (١٠٨) شرف الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بخطابه والوحي إليه فقال: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ أي هذه الآيات المتضمنة للهدى والخير نقرأها عليك بالحق الثابت الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه فبلغها عنا وادع بها إلينا فمن استجاب لك نجا ومن أعرض هلك، وما الله يريد ظليماً للعالمين. فلا يعذب إلا بعد الإعلام والإنذار.

وفي الآية الأخيرة (١٠٩) يخبر تعالى أنه له ملك السموات والأرض خلقاً وتصرفاً وتديراً، وأن مصير الأمور إليه وسيجزي المحسن بالحسنى والمسيء بالسوأى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب وجود طائفة من أمة الإسلام تدعو الأمم والشعوب إلى الإسلام وتعرضه عليهم وتقاتلهم إن قاتلوا عليه، ووجوب وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مدن وقرى المسلمين.

٢- حرمة الفرقة بين المسلمين والاختلاف في دين الله.

٣- أهل البدع والأهواء يعرفون في عرصات القيامة بأسوداد وجوههم.

٤- أهل السنة والجماعة وهم الذين يعيشون عقيدة وعبادة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفون يوم العرض بابيضاض وجوههم.

(١) التلاوة؛ كالقراءة إلا أن القراءة عادة تكون لكلام مكتوب وأما التلاوة فهي مجرد حكاية كلام لإرادة تبليغه بلفظه.

(٢) افتقرت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة واستفترق هذه الملة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة في الجنة وقيل من هم يارسول الله فقال هم الذين يكونون على ما أنا عليه وأصحابي.

- ٥- كرامة الرسول على ربه وتقرير نبوته . وشرف من آمن به واتبع ما جاء به .
 ٦- مرد الأمور إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة فيجب على عقلاء العباد أن يتخذوا لهم عند الله عهداً بالإيمان به وتوحيده في عبادته بتحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
 وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى
 وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْبَارُثُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
 وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--------------------------------|---|
| كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ | : وَجَدْتُمْ أَفْضَلَ وَأَبْرَكَ أُمَّةٍ وَجَدْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ . |
| أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ | : أَظْهَرَتْ وَأَبْرَزَتْ لِهْدَايَةِ النَّاسِ وَنَفْعِهِمْ . |
| أَذًى | : الْأَذَى الضَّرَرُ الْيَسِيرُ . |
| يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُثُ | : يَنْهَزُمُونَ فَيَفْرُونَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ مَوْلَانِكُمْ أَذْبَارُهُمْ أَيِ ظُهُورِهِمْ . |
| ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ | : أَحَاطَتْ بِهِمُ الذِّلَّةُ وَلَصِقَتْ بِهِمْ حَتَّى لَا تَفَارِقَهُمْ . |
| وَبَاءُوا وَبِغَضَبٍ | : رَجَعُوا مِنْ رَحْلَتِهِمُ الطَّوِيلَةِ فِي الْكُفْرِ وَعَمَلِ الشَّرِّ بِغَضَبِ اللَّهِ . |
| ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ | : ذَلِكَ : إِشَارَةٌ إِلَى مَا لَصَقَ بِهِمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَمَا عَادُوا بِهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا تَبِعَهُ مِنْ عَذَابٍ . (فَالْبَاءُ) فِي بِأَنَّهُمْ |

سببية أي بسبب فعلهم كذا وكذا والمسكنة هي ذلة الفاقة والفقر .

يعتدون : الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد .

معنى الآيات :

لما أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه والاعتصام بحبله فامثلوا وأمرهم بتكوين جماعة منهم يدعون إلى الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فامثلوا ذكرهم بخير عظيم فقال لهم : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ كما قال لهم رسول الله ﷺ : « كنتم خير الناس للناس . . » ووصفهم بما كانوا به خير أمة فقال تأمرون بالمعروف وهو الإسلام وشرائع الهدى التي جاء بها نبيّه ﷺ وتنهون عن المنكر وهو الكفر والشرك وكبائر الإثم والفواحش ، وتؤمنون بالله . وبما يتضمنه الإيمان بالله من الإيمان بكل ما أمر تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والقدر . ثم دعا تعالى أهل الكتاب الى الإيمان الصحيح المنجي من عذاب الله فقال عز وجل ، ولو آمن أهل الكتاب بالنبي محمد وما جاء به من الإسلام لكان خيراً لهم من دعوى الإيمان الكاذبة التي يدعونها . وأخبر تعالى عنهم بأن منهم المؤمنين الصادقين في إيمانهم كعبد الله بن سلام وأخيه ، وثعلبة بن سعيد وأخيه ، وأكثرهم الفاسقون الذين لم يعملوا بما جاء في كتابهم من العقائد والشرائع من ذلك أمر الله تعالى بالإيمان بالنبي الأمي واتباعه على ما يجيء به من الاسلام ثم أخبر المسلمين أن فساق أهل الكتاب لن يضروهم إلا أذى يسيراً كإسماعهم الباطل وقولهم الكذب . وأنهم لو قاتلوهم ينهزمون أمامهم مولينهم ظهورهم فأرين من القتال ثم لا ينصرون على المسلمين في أي قتال يقع بين الجانبين .

كما أخبر تعالى في الآية (١١٢) أنه تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا وفي أي البلاد وجدوا لن تفارقهم الذلة والمسكنة في حال من الأحوال إلا في حال دخولهم في الإسلام وهو حبل^(١) الله ، أو معاهدة وارتباط بدولة قوية وذلك هو حبل^(٢) الناس . كما أخبر تعالى عنهم

(١) هذه الآية مخصصة لمعوم آية الأعراف ﴿ وإذ تأذن ربك ليعنن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاهدة دولة قوية كما هي الحال اليوم .

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية كبريطانيا وأمريكا الآن .

أنهم رجعوا من عنادهم وكفرهم بغضب من الله ، وما يستتبعه من عذاب في الدنيا بحالة الفاقة والفقر المعبر عنها بالمسكنة ، وفي الآخرة بعذاب جهنم كما ذكر تعالى علة عقوبتهم وأنها الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق وعصيانهم المستمر واعتداؤهم الذي لا ينقطع فقال تعالى ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إثبات خيرية أمة الإسلام وفي الحديث : «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله» .^(١)
- ٢- بيان علة خيرية أمة الإسلام وهي الإيمان بالله والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .^(٢)
- ٣- وعد الله تعالى لأمة الإسلام - ما تمسكت به - بالنصر على اليهود في أي قتال يقع بينهم .
- ٤- صدق القرآن في إخباره عن اليهود بلزوم الذلة والمسكنة لهم أينما كانوا .
- ٥- بيان جرائم اليهود التي كانت سبباً في ذلتهم ومسكنتهم وهي الكفر المستمر، وقتل الأنبياء بغير حق والعصيان والاعتداء على حدود الشرع .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ

(١) ومن هنا فعصر الصحابة أفضل ممن بعدهم وذلك لتحقيق الصفات التي كانت بها الخيرية ويشهد لهذا الحديث الصحيح : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فالخيرية العامة لهذه الأمة لا جدال فيها والخيرية الخاصة فهي تتوفر لأهل الصفات الثلاث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان التام في كل زمان ومكان .

(٢) يوضح هذا قول عمر في حجه وقد رأى في الناس دعة فقال بعد أن قرأ هذه الآية ﴿كنت خير أمة أخرجت للناس﴾ . من سره أن يكون في هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها

فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

- ليسوا سواء : غير متساوين .
أمة قائمة : جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح .
يتلون آيات الله : يقرأون القرآن .
آناء الليل : ساعات الليل جمع لئى ولئى .
وهم يسجدون : يصلون
يسارعون في الخيرات : يتسارعون بها خشية الفوات .
فلن يكفروه : فلن يمحذوه بل يعترف لهم به ويمجزون به وافياً .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى حال أهل الكتاب وأنهم فريقان مؤمن صالح ، وكافر فاسد . ذكر هنا في هذه الآيات الثلاث : (١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥) أن أهل الكتاب ليسوا سواء أي غير متساوين في الحال ، وأثنى على أهل الصلاح منهم فقال جل ذكره ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ أي على الإيمان الحق والدين الصحيح وهم الذين أسلموا . يتلون آيات الله يقرأونها في صلاتهم آناء الليل أي ساعات الليل في صلاة العشاء وقيام الليل وهم يسجدون وهذا ثناء عليهم بالسجود إذ هو أعظم مظاهر الخضوع لله تعالى كما أثنى تعالى عليهم بالإيمان الصادق والأمر بالمعروف وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى بعد الإيمان به والإسلام الظاهر والباطن له . وينهون عن المنكر وهو الشرك بعبادة الله تعالى والكفر به وبرسوله فقال عز وجل : ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات﴾ أي يبادرون إليها قبل فواتها والخيرات هي كل قول وعمل صالح من سائر القربات . وشهد

(١) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله : ﴿ليسوا سواء﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الخ ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح .
(٢) المراد بهم : عبدالله بن سلام ، وأخوه وعمته وسُغَيَّة أو سُنْعَة بن غريض ، وثعلبة ابن سعية وأسد القرظي ، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم ، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم .

تعالى لهم بالصلاح فقال: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وأخيراً في الآية الأخيرة (١١٥) أن ما يفعلونه من الصالحات وما يأتونه من الخيرات لن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون عليه أتم الجزاء، لأنهم متقون والله عليم بالمتقين فلن يضيع أجرهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- فضل الثبات على الحق والقيام على الطاعات.

٢- فضل تلاوة القرآن الكريم في صلاة الليل.

٣- فضل الإيمان والدعوة إلى الإسلام.

٤- فضل المسابقة في الخيرات والمبادرة إلى الصالحات.

٥- فضيلة الكتابي إذا أسلم وحسن إسلامه، وفي الصحيحين يقول الرسول ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنية وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران» الحديث..

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

شرح الكلمات :

كفروا

: كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه ...

لن تغني عنهم

: لن تجزى عنهم يوم القيامة أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله

شيئاً، إذ لا مال يومئذ ينفع، ولا بنون.

(١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اسم إن والخبر: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

مثل : أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام ، أو للتصدق به .

الصَّرَّ^(١) : الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده .

الحَرِث : ما تحرث له الأرض وهو الزرع .

ظلموا أنفسهم : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى حال مؤمني أهل الكتاب وأئني عليهم بما وهبهم من صفات الكمال ذكر هنا في هاتين الآيتين ما توعد به أهل الكفر من الكتابيين وغيرهم من المشركين على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ليهتدي من هياه الله تعالى للهداية فقال : إن الذين كفروا أي كذبوا الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحّدوا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم^(٢) أي في الدنيا والآخرة مما أراد الله تعالى بهم شيئاً من الإغناء ، لأن الله تعالى غالب على أمره عزيز ذو انتقام ، وقوله تعالى : ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ . فيه بيان حكم الله تعالى فيهم وهو أن أولئك البعداء في الكفر والضلال المتوغلين في الشر والفساد هم أصحاب النار الذين يعيشون فيها لا يفارقونها أبداً ولن تغني عنهم أموالهم التي كانوا يفاخرون بها ، ولا أولادهم الذين كانوا يعتزون بهم ويستنصرون ، إذ يوم القيامة لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم : سليم من الشك والشرك والكبر والعجب والنفاق .

هذا ما تضمنته الآية : (١١٦) أما الآية (١١٧) فقد ضرب تعالى فيها مثلاً لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التي يرون أنها نافعة لهم في الدنيا والآخرة ضرب لها مثلاً : ريحاً باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناس كاد يُحصد وهم به فرحون وفيه مؤملون فأفسدته تلك الريح وقضت عليه نهائياً فلم ينتفعوا بشيء منه ، قال تعالى في هذا المثل : مثل ما ينفقون - أي أولئك الكفار في هذه الحياة الدنيا أي مما يرونه نافعا لهم من بعض أنواع البر . كمثل ريح فيها صرّ أي برد شديد أصابت - أي تلك الريح الباردة حرث قوم أي زرعهم النبات

(١) الصرّ: مأخوذ من الصرير الذي هو الصوت وفي الحديث : «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجراد الذي قتله الصرّ أي البرد الشديد» .

(٢) كرّر حرف النفي ﴿ولا أولادهم﴾ لتأكيد عدم إغناء الأولاد عنهم شيئاً مع أن العرف أن الأولاد يذبون عن آبائهم ويدفعون عنهم .

(٣) ﴿فيها صرّ﴾ هذا التعبير أفاد شدة برد هذه الريح إذ جعل الصرّ مظهراً فيها .

فأهلكته أي أفسدته . فحرموا من حرثهم ما كانوا يؤملون ، وما ظلمهم ^(١) حيث أرسل عليهم الريح فأهلك زرعهم ، إذ لم يفعل الله تعالى هذا بهم إلا لأنهم ظلموا بالكفر والشرك والفساد فجزاهاهم الله بالحرمان وبذلك كانوا هم الظالمين لأنفسهم . قال تعالى : ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- لن يغني عن المرء مال ولا ولد متى ظلم وتعرض لنقمة الله تعالى .
- ٢- أهل الكفر هم أهل النار وخلودهم فيها محكوم به مقدر عليهم لا نجاة منه .
- ٣- بطلان العمل الصالح بالشرك والموت على الكفر .
- ٤- استحسان ضرب الأمثال في الكلام لتقريب المعاني إلى الأذهان .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا الْقُوكُم قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يُّفَرِّحُوا
بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

(١) نفى تعالى عن نفسه ظلم هؤلاء المنفقين في الباطل والشر والفساد ، فلم يجنوا خيراً من إنفاقهم وأثبت الظلم منهم لأنفسهم لسوء إنفاقهم وفسادهم .

شرح الكلمات :

بطانة : بطانة الرجل الذين يطلعهم على باطن أمره الذي يخفيه على الناس للمصلحة .

من دونكم : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب .

لا يألونكم : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم .

خيالاً^(١) : فساداً في أمور دينكم ودنياكم .

ودوا ما عتتم : أحبوا عنتكم أي مشقتكم .

بدت البغضاء : ظهرت شدة بغضهم لكم .

أولاء : هؤلاء حذف من هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها .

بالكتاب كله : أي بالكتب الإلهية كلها .

عضوا عليكم الانامل

من الغيظ : من شدة الغيظ عليكم ، لأن المغتاط إذا اشتد به الغيظ يعض

أصبعه على عادة البشر ، والغيظ : شدة الغضب .

حسنة : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير .

سيئة : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة .

كيدهم : مكروهم بكم وتبييت الشر لكم .

بما يعملون محيط : علماً به وقدرة عليه ، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه .

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى عن مصير الكافرين في الآخرة ، وأن ذلك المصير المظلم كان نتيجة كفرهم وظلمهم حذر المؤمنين من موالاتهم دون المؤمنين وخاصة أولئك الذين يحملون في صدورهم الغيظ والبغضاء للمسلمين الذين لا يقصرون في العمل على إفساد أحوال المسلمين والذين

(١) أصل البطانة : بطانة الثوب شبه بها بطانة الرجل ووليجه وهم من يطلعهم على أسرارهم ثقة فيهم ، ومثل البطانة : الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد وفي الحديث «الأنصار شعار والناس دثار» .

(٢) روى البخاري تعليقاً أن النبي ﷺ قال : «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله» .

(٣) الخيال : الخبل وهو الفساد وفي الحديث : «من أصيب بدم أو خبل ، أي جرح يفسد العضو ويقال : رجل خبل ، وخبله الحب : أفسده» .

يسوءهم أن يروا المسلمين متآلفين متحابين أقوياء ظاهرين منصورين على أهل الشرك والكفر، ويسرهم أيضاً أن يروا المسلمين مختلفين أو ضعفاء منكسرين مغلوبين. فقال تعالى - وقوله الحق - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً. ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أي أفراداً من دونكم^(١) أي من غير أهل دينكم، كاليهود والنصارى والمنافقين والمشركين تستشيروهم وتطلعونهم على أسراركم وبواطن أموركم، ووصفهم تعالى تعريفاً بهم فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ^(٢) خَبَالاً﴾ يعني لا يقصرون في إفساد أموركم الدينية والدنيوية.

﴿وَدُوا مَا عَنْتُمْ﴾ أي أحبوا عنتكم ومشقتكم، فلذا هم لا يشيرون عليكم إلا بما يفسد عليكم أموركم ويسبب لكم الكوارث والمصائب في حياتكم وقوله تعالى ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورهم أكبر﴾ وصف آخر مشخص لهؤلاء الأعداء المحرم اتخاذهم بطانة، ألا وهو ظهور البغضاء من أفواههم بما تنطق به ألسنتهم من كلمات الكفر والعداء للإسلام وأهله، وما يخفونه من ذلك في صدورهم هو أكبر مما يتفلت من ألسنتهم. ويؤكد عز وجل تحذيره للمؤمنين فيقول: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ المتضمنة لبيان أعدائكم وأحوالهم وصفاتهم لتعتبروا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي الخطاب وما يتلى عليكم ويقال لكم. ثم يقول تعالى معلماً محذراً ما أنتم أيها المسلمون تحبونهم ولا يحبونكم. قد علم الله أن من بين المؤمنين من يحب بعض الكافرين لعلاقة الإحسان الظاهرة بينهم فأخبر تعالى عن هؤلاء كما أن رحمة المؤمن وشفقته قد تتعدى حتى لأعدائه فلذا ذكر تعالى هذا وأخبر به وهو الحق، وقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي وهم لا يؤمنون بكتابكم فانظروا إلى الفرق بينكم وبينهم فكيف إذا اتخذوهم بطانة تفضون إليهم بأسراركم. وأخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا لقوا المؤمنين قالوا إنا مؤمنون وإذا انفردوا عنهم وخلوا بأنفسهم ذكروهم وتغيظوا عليهم حتى يعضوا

(١) قيل لعمر رضي الله عنه إنَّها هنا رجال من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا أخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسى الأشعري بحسب نصارى لعمر فأنثروه وقال: لا تدنهم، وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) هذه الجملة وإن كانت صفة لكلمة بطانة، فهي في معنى العلة للنهي السابق.

(٣) خصت الأفواه بالذكر دون الألسن: إشارة إلى أنهم يتشدقون بالكلام إيهاماً وتضليلاً.

(٤) استدل أهل العلم بهذه الآية على أنَّ شهادة العدو لا تصح على عدوه وكيف به إذا كان كافراً؟.

أطراف أصابعهم^(١) من شدة الغيظ. فقال تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ^(٢) مِنَ الْغَيْظِ﴾ وهنا أمر رسوله أن يدعو عليهم بالهلاك فقال له: قل يا رسولنا لهم ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾، إن الله عليهم بذات الصدور ﴿فَلِذَا أَخْبَرْتَهُمْ كَاشِفًا الْعُظَاءَ عَنْهُمْ نَفْسُهُمْ وَخَفُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ﴾.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١١٨) والثانية (١١٩) وأما الآية الثالثة (١٢٠) فقد تضمنت أيضاً بيان صفة نفسية للكافرين المنهى عن اتخاذهم بطانة وهو استياؤهم وتألمهم لما يرونه من حسن حال المسلمين كإتلافهم واجتماع كلمتهم ونصرهم وعزتهم وقوتهم وسعة رزقهم، كما هو أيضاً فرحهم وسرورهم بما قد يشاهدونه من خلاف بين المسلمين أو وقوع هزيمة لجيش من جيوشهم، أو تغير حال عليهم بما يضر ولا يسر وهذه نهاية العداوة وشدة البغضاء فهل مثل هؤلاء يتخذون أولياء؟ اللهم لا. فقال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً^(٣) تَسُوهُمْ، وَإِنْ تَنْصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا﴾. ولما وصف تعالى هؤلاء الكفرة بصفات مهيلة مخيفة قال لعباده المؤمنين مبعداً الخوف عنهم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى مَا يَصِيْبُكُمْ وَتَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَفِي سُنَّتِهِ فِي خَلْقِهِ لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً، لَأنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَلِيكُمْ مُطْلَعٌ عَلَى تَحْرِكَاتِهِمْ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَسَيَخِيطُهَا كُلَّهَا، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ فِي الْجُمْلَةِ التَّذْيِيلِيَّةِ ﴿إِنْ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة اتخاذ مستشارين وأصدقاء من أهل الكفر عامة وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية، والأمور التي يخفيها المسلمون على أعدائهم لما في ذلك من الضرر الكبير.
- ٢- بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين.
- ٣- بيان نفسيات الكافرين وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين.
- ٤- الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكمن في الصبر والتجملد وعدم إظهار الخوف للكافرين

(١) العض: مصدر عضّ عضّاً وعضيماً إذا أخذ الشيء بأسنانه والعض بضم العين علف الدواب.

(٢) الأنامل: جمع أنملة وهي طرف الأصبع الأعلى.

(٣) هذا من شدة حسدهم للمسلمين ولقد أحسن من قال: كل العداوة قد تُرجى إفاقتها إلا عداوة من عاداك من حسد.

(٤) قرئ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من ضاره يضيره ضيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ والضير والضرر بمعنى واحد.

ثم تقوى الله تعالى بإقامة دينه ولزوم شرعه والتوكل عليه ، والأخذ بسنته في القوة والنصر .

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

﴿١٦١﴾

تَبَوَّءَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى

اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ

﴿١٦٣﴾

أَذِلَّةٌ فَأَقْبَرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

شرح الكلمات :

وإذ غدوت : أي واذكر إذ غدوت ، والغدو : الذهاب أول النهار .

من أهلك : أهل الرجل وزوجه وأولاده . ومن لا ابتداء الغاية إذ خرج ﴿١٦١﴾ صباح

السبت من بيته إلى أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء .^(١)

تَبَوَّءَ الْمُؤْمِنِينَ : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتهما صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة .

هَمَّتْ : حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجهت إرادتها إلى ذلك .

طائفتان : هما بنو سلمة ، وبنو حارثة من الأنصار .

تَفْشَلَا : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم .

والله وليهما : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة .

بِـدْر : بدر اسم رجل وسمي المكان به لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية

تبعد عن المدينة النبوية بنحو من مائة وخمسين ميلاً «كيلومتر»

وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ : لقلّة عدّدكم وَعَدَدُكُمْ وتفوّق العدو عليكم .

(١) الموافق للثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة «وقد رأى النبي ﷺ رؤيا فرأى أنّ في سيفه ثلعة ، وأن بقراً له تذبح وأنه أدخل يده في درع حصينة ، فتناولها أنّ نفرًا من أصحابه يُقتلون وأن رجلاً من أهل بيته يصاب ، وأنّ الدرع الحصينة المدينة» . أخرجه مسلم .

معنى الآيات :

لما حذر الله تعالى المؤمنين من اتخاذ بطانة من أهل الكفر والنفاق، وأخبرهم أنهم متى صبروا واتفقوا لا يضرهم كيد أعدائهم شيئاً ذكرهم بموقفين أحدهما لم يصبروا فيه ولم يتقوا فأصابته الهزيمة وهو غزوة أحد، والثاني صبروا فيه واتفقوا فانتصروا وهزموا عدوهم وهو غزوة بدر، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أي اذكرياً رسولنا لهم غدوكم صباحاً من بيتك الى ساحة المعركة بأحد، تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال أي تنزههم الأماكن الصالحة للقتال الملائمة لخوض المعركة، والله سميع لكل الأقوال التي دارت بينكم في شأن الخروج إلى العدو، أو عدمه وقتاله داخل المدينة عليم بنياتكم وأعمالكم ومن ذلك هم بني سلمة وبني حارثة بالرجوع من الطريق لولا أن الله سلم فعصمهما من الرجوع لأنه وليهما. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي تجبنا وتُحْجَمَا عن ملاقات العدو، والله وليهما فعصمهما من ذنب الرجوع وترك الرسول ﷺ يخوض المعركة بدون جناحيها وهما بنو حارثة وبنو سلمة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ فتوكلت الطائفتان على الله وواصلتا سيرهما مع رسول الله ﷺ فسلمهما الله من شر ذنب وأقبحه. والحمد لله.

هذا موقف والمقصود منه التذكير بعدم الصبر وترك التقوى فيه حيث أصاب المؤمنين فيه شر هزيمة واستشهد من الأنصار سبعون ومن المهاجرين أربعة وشج رأس النبي ﷺ وكسرت ربايعيته واستشهد عمه حمزة رضي الله عنه.

والموقف الثاني هو غزوة بدر حيث صبر فيها المؤمنون واتفقوا أسباب الهزيمة فنصرهم الله وأنجز لهم ما وعدهم لأنهم صبروا واتفقوا، فقتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين وغنموا غنائم طائلة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ فاتقوا الله بالعمل بطاعته، ومن ذلك

(١) خرج الرسول ﷺ بألف رجل من المدينة وفي أثناء مسيره رجع ابن أبي بلثامة رجع غاضباً إذ كان يرى عدم قتال العدو خارج المدينة فلم يطع في ذلك فغضب، ورجوعه هو الذي سبب الهم بالرجوع لبني حارثة وبنو سلمة.
(٢) روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما أحب أنها لم تنزل لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾.
(٣) الذي رمى رسول الله ﷺ فشج وجهه هو ابن قميئة أقماه الله ولعنه، والذي أدمى شفة رسول الله ﷺ وكسرت ربايعيته هو عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص.

(٤) وقتل حمزة وحشي، كانت تحرضه على قتل حمزة هند بنت عتبة وتقول له: ؟ إيه أبا دسمة اشف واششف.
(٥) كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلى الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وغزوة بدر أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

ترك اتخاذ بطانة من اعدائكم لتكونوا بذلك شاكرين نعم الله عليكم فيزيديكم ، فذكر تعالى في هذا الموقف النصر لأنه خير، فقال ﴿ولقد نصركم الله بيدرو أنتم أدلة﴾ ولم يقل في الموقف الأول ولقد هزمكم الله بأحد وأنتم أعزة ، لأنه تعالى حَيَّي كريم فاكتفى بتذكيرهم بالغزوة فقط وهم يذكرون هزيمتهم فيها ويعلمون أسبابها وهي عدم الطاعة وقلة الصبر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الصبر والتقوى وأنها عدة الجهاد في الحياة .
- ٢- استحسان التذكير بالنعم والنقم للعبارة والاتعاظ .
- ٣- ولاية الله تعالى للعبد تقيه مصارع السوء ، وتجنبه الأخطار .
- ٤- تقوى الله تعالى بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه هي الشكر الواجب على العبد .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ

أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُنْزِلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ

هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا

النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا

مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات :

الن يكفيكم : الاستفهام انكاري أي ينكر عدم الكفاية . ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم .

(١) ذهب بعض إلى أن الاستفهام هنا تقريرى لأنه مجاب بـ بلى ، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً فتأمل !!

أن يمدكم	: أي بالملائكة عوناً لكم على قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.
الملائكة	: واحدهم ملاك وهم عباد الله مكرمون مخلقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم.
بلى	: حرف إجابة أي يكفيكم.
من فورهم هذا	: أي من وجههم في وقتهم هذا.
مسومين	: معلمين بعلامات تعرفونهم بها.
إلا بشرى لكم	: البشرى: الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.
ولتطمئن به قلوبكم	: اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها.
ليقطع طرفاً	: الطرف الطائفة، يريد ليهلك من جيش العدو طائفة.
أو يكتبهم	: أي يخزيهم ويذلهم.
فينقلبوا خائبين	: يرجعوا إلى ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أملوه.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تذكير الرسول ﷺ والمؤمنين بما تم لهم من النصر في موقف الصبر والتقوى في بدر فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) عندما بلغهم وهم حول المعركة أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين برجاله يقاتلون معهم فشق ذلك على أصحابك فقلت: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَمْدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ بلى: أي يكفيكم. ﴿إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ أي من وجههم ووقتهم هذا ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بعلامات وإشارات خاصة بهم، ولما انهزم كرز قبل تحركه وقعد عن إمداد قريش بالمقاتلين لم يمد الله تعالى رسوله والمؤمنين بما ذكر من الملائكة فلم يزداهم على الألف الأولى التي أمداهم بها لما استغاثوه في أول المعركة جاء ذلك في سورة

(١) الفور: مصدر فارت القدر فوراً واستعير للأولية مع السرعة في الحال بدون بطة أو تأخر أو تراخ.

(٢) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمددهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلى الواقع والله أعلم.

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

الأنفال في قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ الْمَلَائِكَةِ﴾^(١) فهذه الألف هي التي نزلت فعلاً وقاتلت مع المؤمنين وشوهد ذلك وعلم به يقيناً، أما الوعد بالإمداد الأخير فلم يتم لأنه كان مشروطاً بإمداد كرز لقريش فلما لم يمددهم، لم يمد الله تعالى المؤمنين، فقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الامداد المذكور ﴿إِلَّا بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تطمئن به قلوبهم وتسكن له نفوسهم فيزول القلق والاضطراب الناتج عن الخوف من إمداد كرز المشركين بالمقاتلين، ولذا قال تعالى ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٢) العزيز أي الغالب، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه فيعطيه مستحقه من أهل الصبر والتقوى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد فعل فأهلك من المشركين سبعين، أو يكبتهم أي يخزيهم ويذلهم إذ أسير منهم سبعون ﴿وَانْقَلَبُوا خَائِبِينَ﴾ لم يحققوا النصر الذي أرادوه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان سبب هزيمة المسلمين في أحد وهو عدم صبرهم وإخلاصهم بمبدأ التقوى إذ عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من الجبل يجررون وراء الغنيمة هذا على تفسير أن الوعد بالثلاثة آلاف وبالخمس كان بأحد^(٣)، وكان الوعد مشروطاً بالصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا لم يمددهم بالملائكة الذين ذكر لهم.

٢- النصر وإن كانت له عوامله من كثرة العدد وقوة العدة فإنه بيد الله تعالى فقد ينصر الضعيف ويخذل القوى، فلذا وجب تحقيق ولاية الله تعالى أولاً قبل إعداد العدد. وتحقيق الولاية يكون بالإيمان والصبر والطاعة التامة لله ولرسوله ثم التوكل على الله عز وجل.

٣- ثبوت قتال الملائكة مع أصحاب رسول الله ﷺ في بدر قتالاً حقيقياً، لأنهم نزلوا في صورة بشر يقاتلون على خيول، وعليهم شاراتهم وعلاماتهم. ولا يقولن قائل: الملك الواحد يقدر على أن يهزم ملايين البشر، فكيف يعقل اشتراك ألف ملك في قتال المشركين وهم لا يزيدون عن الألف رجل، وذلك أن الله تعالى أنزلهم في صورة بشر فأصبحت صورتهم وقوتهم قوة

(١) الحكيم: الذي يضع الأشياء في مواضعها ويفعل دائماً على ما تقتضيه الحكمة في سائر أفعاله.

(٢) وهو الراجح من قولي المفسرين كابن جرير وغيره.

(٣) قاله الأصم كأنه فعلاً أصم فلم يسمع كلام الله تعالى، واسم هذا الأصم أبو بكر وهو من أهل الاعتزال، وإذا فلا غرابة في إنكاره.

(٤) يدل لذلك قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فالمسوم ذو السمة أي العلامة، وذلك أن البطل المقاتل يجعل على رأسه أو على رأس فرسه ريشاً ملوناً يرمز به إلى أنه لا يخاف أن يعرفه عدوه حتى لا يسدّد إليه سهامه.

البشر، ويدل على ذلك ويشهد له أَنَّ ملك الموت لما جاء موسى في صورة رجل يريد أن يقبض روحه ضربه موسى عليه السلام ففقأ عينه، وعاد إلى ربه تعالى ولم يقبض روح موسى عليهما معاً السلام. من رواية البخارى.

لَيْسَ لَكَ

مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات :

الأمر

: الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم.

شيء

: شيء نكرة متوعدة في الإيهام. وأصل الشيء : ما يعلم ويخبر

به .

أو

: هنا بمعنى حتى أي فاضبر حتى يتوب عليهم أو يعذبهم .

لله ما في السموات . . .

: أي ملكاً وخلقاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد .

لا تأكلوا الربا

: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو

شرباً أو لباساً .

الربا^(١)

: لغة : الزيادة، وفي الشرع نوعان : ربا فضل وربا نسيئة ربا

الفضل : يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح

فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير،

(١) ربا البنوك اليوم شر من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئاً إلى أجل فإذا حلّ الأجل ولم يجد سداداً قال له أخراً وزد، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نقداً بنقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه .

وربا النسيئة : هو أن يكون على المرء دين الى أجل فيحل الأجل ولم يجد سدادا لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين .

أضعافاً مضاعفة : لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب ، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف ، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة .

تفلحون : تنجون من العذاب وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة .

أعدت للكافرين : هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ .

لعلكم ترحمون : لترحموا فلا تُعذبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية .

معنى الآيات :

(١) «صح أن النبي ﷺ كان قد دعا على أفراد من المشركين بالعذاب ، وقال يوم أحد لما شج رأسه وكسرت رباعيته : «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟» فانزل الله تعالى عليه قوله : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي فاصبر حتى يتوب الله تعالى عليهم أو يعذبهم بظلمهم فإنهم ظالمون والله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد فإن عذب فبعده وإن رحم فبفضله ، وهو الغفور البلن تاب الرحيم بمن أناب .

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٢٨) والثانية (١٢٩) وأما الآية الثالثة (١٣٠) فإن الله تعالى نادى عباده المؤمنين بعد أن خرجوا من الجاهلية ودخلوا في الإسلام بأن يتركوا أكل الربا وكل تعامل به فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ إذ كان الرجل يكون عليه دين ويحل أجله ولم يجد ما يسدد به فيأتي إلى دائئه ويقول أخر ديني وزد عليّ وهكذا للمرة الثانية والثالثة حتى يصبح الدين بعدما كان عشراً عشرين وثلاثين . وهذا معنى قوله أضعافاً مضاعفة ، ثم أمرهم بتقواه عز وجل

(١) رواه مسلم وهذا نص الحديث : «لما كسرت رباعية الرسول ﷺ وشج في رأسه فجعل يسלט الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته (سنه الأمامية) وهو يدعوهم إلى الله تعالى فانزل الله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية .

(٢) لما نزلت الآية وفيها «أو يتوب عليهم» وهي تحمل إطماعه ﷺ في إسلامهم قال : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» روى مسلم عن ابن مسعود قوله : كاني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسخ الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

(٣) هذا إن كان الطالب التاجر المدين أما إن كان المطالب هو الدائن فإنه يقول له : أنقضي أم تُربي ؟ .

وواعدهم بالفلاح فقال عز وجل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي كي تفلحوا بالنجاة من العذاب والحصول على الثواب وهو الجنة.

وفي الآية الرابعة (١٣١) أمرهم تعالى باتقاء النار التي أعدها للكافرين فهي مهية محضرة لهم، واتقاؤه يكون بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي المكذبين بالله ورسوله فلذا لم يعملوا بطاعتها لأن التكذيب مانع من الطاعة، وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أمرهم تعالى بطاعته وطاعة رسوله ووعدهم على ذلك بالرحمة في الدنيا والآخرة وكأنه يشير^(١) إلى الذين عصوا رسول الله في أحد وهم الرماة الذين تخلوا عن مراكزهم الدفاعية فتسبب عن ذلك هزيمة المؤمنين أسوأ هزيمة فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي كي يرحمكم فيتوب عليكم ويغفر لكم ويدخلكم دار السلام والنعيم المقيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استقلال الرب تعالى بالأمر كله فليس لأحد من خلقه تصرف في شيء إلا ما أذن فيه للعبد.
- ٢- الظلم مستوجب للعذاب ما لم يتدارك الرب العبد بتوبة فيتوب ويغفر له ويعفو عنه.
- ٣- حرمة أكل الربا مطلقاً مضاعفاً كان أو غير مضاعف.
- ٤- بيان ربا الجاهلية إذ هو هذا الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾.
- ٥- وجوب التقوى لمن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة.
- ٦- وجوب اتقاء النار ولو بشق تمرة.^(٣)
- ٧- وجوب طاعة الله ورسوله للحصول على الرحمة الإلهية وهي العفو والمغفرة ودخول الجنة.

(١) في الآية إشارة واضحة إلى أن مستحل الربا يكفر به ويستحق عذاب النار.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن وقعه في النفوس ومن فوائده دفع السامة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد.

(٣) حديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة» رواه البخاري في صحيحه ورواه غيره.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى
مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١٣٦)

شرح الكلمات :

وسارعوا^(١)

: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ .

إلى مغفرة

: المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذه بها . والمراد هنا : المسارعة

إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «ما

من رجل يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر

له»^(٢).

وجنة

: الجنة دار النعيم فوق السموات، والمسارعة إليها تكون

بالإكثار من الصالحات .

أُعِدَّتْ

: هُيِئَتْ وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة .

للمتقين

: المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا

(١) قرئ في السبع «سارعوا» بدون واو وهي قراءة ورش عن نافع .

(٢) أخرجه الطبراني عن علي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

- بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً.
- في السراء والضراء^(١): السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنى والضراء الحال المضرة وهي الفقر.
- والكاظمين الغيظ^(٢): كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أؤذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره على الجوارح بسبب أو ضرب ونحوهما للتشفي والانتقام.
- والعافين عن الناس يحب المحسنين فاحشة^(٣): العفو عدم المؤاخظة للمسيء مع القدرة على ذلك. المحسنون هم الذين يبرون ولا يسيئون في قول أو عمل.
- الذنوب: الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى وكبائر الذنوب.
- أوظلموا أنفسهم ولم يصروا^(٤): بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلمًا لها.
- وهم يعلمون: أي يسارعون إلى التوبة، لأن الإصرار هو الشد على الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.
- ونعم أجر العاملين: أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم.
- معنى الآيات: الذي هو الجنة.

لما نادى الله تعالى المؤمنين ناهياً لهم عن أكل الربا آمراً لهم بتقواه عز وجل، وابتقاء النار وذلك بترك الربا وترك سائر المعاصي الموجبة لعذاب الله تعالى ودعاهم إلى طاعته وطاعة رسوله كي يرحموا في دنياهم وأخراهم. أمرهم في الآية الأولى (١٣٣) بالمسارعة إلى شيئين

(١) قيل في السراء والضراء: الرخاء والشدّة، وقيل في السراء العرس والولائم، والضراء النواثب والمآثم وما فسرنا به الآية أعم وأحسن.

(٢) يقول كضمت السقاء: أي ملأته وسدّدت عليه والكضامة: ما يصدّ به السقاء.

(٣) ذكر القرطبي هنا مسألة من وطن نفسه على فعل ذنب فإنه يؤاخذ به ولو لم يفعله لعجز قام به وهو مصرّ على فعله واستشهد بقوله تعالى: «وعدوا على حرد قادرين» يعني أصحاب الجنة الذين عزموا على قطع ثمارها دون إعطاء المساكين منها كما استشهد بحديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقتال والمقتول في النار» وكلامه في الجملة صحيح ولكن من ترك ما أصرّ عليه خوفاً من الله تعالى سيكتب له حسنة لحديث: «من همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له عند الله حسنة».

الأول مغفرة ذنوبهم وذلك بالتوبة النصوح، والثاني دخول الجنة التي وصفها لهم، وقال تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ أي أحضرت وهيئت للمتقين والمسارة إلى الجنة هي المسارة إلى موجبات دخولها وهي الإيمان والعمل الصالح إذ بهما تزكوا الروح وتطيب فتكون أهلاً لدخول الجنة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى وأما الآيتان الثانية (١٣٤) والثالثة (١٣٥) فقد تضمنتا صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة دار السلام فبقوله تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ هذا وصف لهم بكثرة الانفاق في سبيل الله، وفي كل أحوالهم من غنى وفقر وعسر ويسر وقوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وصف لهم بالحلم والكرم النفسي وقوله: ﴿والعافين عن الناس﴾ وصف لهم بالصفح والتجاوز عن زلات الآخرين تكراً، وفعلهم هذا إحسان ظاهر ومن هنا بشروا بحب الله تعالى لهم فقال تعالى ﴿والله يحب المحسنين﴾ كما هو تشجيع على الإحسان وملازمته في القول والعمل وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ وصف لهم بملازمة ذكر الله وعدم الغفلة، ولذا إذا فعلوا فاحشة ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بذنب^(١) دون الفاحش ذكروا وعيد الله تعالى ونهيه عما فعلوا فبادروا إلى التوبة وهي الاقلاع عن الذنب والندم عن الفعل والعزم على عدم العودة إليه، واستغفار الله تعالى منه. وقوله تعالى ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ وصف لهم بعدم الإصرار أى المواظبة على الذنب وعدم تركه وهم يعلمون أنه ذنب ناتج عن تركهم لواجب، أو فعلهم لحرام، وأما الآية الرابعة (١٣٦) فقد تضمنت بيان جزائهم على إيمانهم وتقواهم وما اتصفوا به من كمالات نفسية، وطهارة روحية الا وهو مغفرة ذنوبهم كل ذنوبهم.

(١) ذكر العرض ولم يذكر الطول لأن الطول لا يدل على العرض أما العرض فإنه يدل على الطول، فطول كل شيء بحسب عرضه، وعرض السموات معناه كعرض السموات فلو أخذت السموات، سماء بعد سماء، والأرضون وألصقت ببعضها كان عرض الجنة كذلك هذا الذي عليه أهل التفسير من السلف، قال الزهري أما طولها فلا يعلمه إلا الله.

(٢) ورد في كظم الغيظ أحاديث منها: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

(٣) ورد في فضل العفو أحاديث كثيرة منها: «من سره أن يشرف له البيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» رواه الحاكم وصححه... ومنها قوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله».

(٤) في الصحيحين: قال عثمان أنه توباً لهم وضوء النبي ﷺ ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من توباً نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٥) أي أن من تاب تاب الله عليه هكذا روي عن مجاهد ولا يتنافى مع ما فسرنا به الآية وورد «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة».

وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. ومدح المنان عز وجل ما جازاهم به من المغفرة والخلود في الجنة ذات النعيم المقيم فقال: ﴿ونعم أجر العاملين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تعجيل التوبة وعدم التسويف فيها لقوله تعالى: ﴿سارعوا﴾.
- ٢- سعة الجنة^(١)، وأنها مخلوقة الآن لقوله تعالى: ﴿أعدت﴾.
- ٣- المتقون هم أهل الجنة وورثتها بحق.
- ٤- فضل استمرار الانفاق في سبيل الله، ولو بالقليل.
- ٥- فضيلة خلة كظم الغيظ بترك المبادرة الى التشفى والانتقام.
- ٦- فضل العفو عن الناس مطلقاً مؤمنهم وكافرهم بارهم وفاجرهم.
- ٧- فضيلة الاستغفار وترك الإصرار على المعصية للآية والحديث: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة». رواه الترمذى وابودوداد. وحسنه ابن كثير.

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ

وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

(١) روى أن النبي ﷺ سئل: ما دامت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فأجاب قائلاً: سبحانه الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟ قال حيث شاء الله تعالى، قال وكذلك النار تكون حيث شاء الله تعالى. رواه البزار مرفوعاً، وما دل عليه الكتاب والسنة أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن، وأن النار في أسفل سافلين، ولا منافاة بينهما أبداً.

شرح الكلمات :

قد خللت
سنن^(١)

: خللت : مضت .

: جمع سنة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد
أو الجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضي في الخلق .
: الأمر للإرشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا .
: عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار كعاد وثمود .
: أي ما ذكر في الآيات بيان للناس به يتبينون الهدى من
الضلال وما لازمهما من الفلاح، والخسران .

فسيروا في الأرض
عاقبة المكذبين
هذا بيان للناس

: الموعظة الحال التي يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة .
: لا تضعفوا .

موعظة
ولا تنهوا

: القرع : أثر السلاح في الجسم كالجرح ، وتضم القاف فيكون
بمعنى الألم .

قرع

الأيام^(٢)

: جمع يوم والليالي معها والمراد بها ما يجريه الله من تصاريف
الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال .

شهداء^(٣)

: جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وشاهد وهو من يشهد على غيره .
: ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوضار الذنوب .
: يمحو ويذهب آثار الكفر والكافرين .^(٤)

ليمحس
ويمحق

معنى الآيات :

لما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر، والطاعة اللازمة للقيادة ذكر
تعالى تلك الأحداث مقرونة بفقها لتبقى هدى وموعظة للمتقين من المؤمنين وبدأها بقوله :

(١) السنة : الطريق المستقيم يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء وكل من يعمل
بسنة رسول الله ﷺ فهو على الطريق المستقيم الذي لا يميل بصاحبه إلى الأهواء والمبتدعات .

(٢) تداولها بين الناس : فرح وغم وصحة وسقم وفقر وانتصار وانكسار والدولة : الكرة ومنه قول الشاعر:
فيوم لنا وفيوم علينا ويوماً نساء ويوماً نسر

(٣) سمي القتل في سبيل الله شهيداً لأنه الحاضر للجنة ومشهود له بها، ومن فضل الشهيد أن لا يجد من ألم القتل إلا كما
يجده الإنسان في القرحة لا غير .

(٤) قال ابن كثير في «ويمحق الكافرين» أي فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم، ومحققهم
وفنائهم .

(١) ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَن سُنَنَهُ قَدْ مَضَتْ فَيَمْنُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ فَكَذَّبُوهُمْ فَأَمْضَى تَعَالَى سُنَنَهُ فِيهِمْ فَأَهْلَكَ الْمُكَذِّبِينَ وَأَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا نَالَهُمْ مِنْ أَذَى أَقْوَامِهِمُ الْمُكَذِّبِينَ، وَسَمَضَى سُنَنَهُ الْيَوْمَ كَذَلِكَ، فَيُنْجِيكُمْ وَيُنْصِرُكُمْ وَيَهْلِكُ الْمُكَذِّبِينَ أَعْدَاءَكُمْ. وَإِنْ ارْتَبْتُمْ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَقِفُوا عَلَى آثَارِ الْهَالِكِينَ، وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانٌ لِلنَّاسِ يَتَبَيَّنُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَهُدًى يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى سَبِيلِ السَّلَامِ وَمَوْعِظَةٌ يَتَعَطَّ بِهَا الْمُتَّقُونَ لِاسْتِعْدَادِهِمْ بِإِيْمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ لِلتَّعَاظِ فَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ فَيَنْجُونَ وَيَفْلَحُونَ هَذَا مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتَانِ الْأُولَى (١٣٧) وَالثَّانِيَّةُ (١٣٨) وَأَمَّا الْآيَاتَانِ الثَّلَاثَةُ (١٣٩) وَالرَّابِعَةُ (١٤٠) فَقَدْ تَضَمَّنَتَا تَعْزِيَةَ الرَّبِّ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ إِذْ قَالَ تَعَالَى مَخَاطِباً لَهُمْ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أَيِ لَا تَضَعِفُوا فَتَقْعِدُوا عَنِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ أَيْ الْغَالِبِينَ لِأَعْدَائِكُمُ الْمُتَنَصِّرِينَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا هُوَ آتٍ مُسْتَقْبِلاً بِشَرَطِ إِيْمَانِكُمْ وَتَقْوَاكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ بِمَوْتٍ أَوْ جَرَاحَاتٍ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُوهِناً لَكُمْ قَاعِداً بِكُمْ عَنْ مُوَاصَلَةِ الْجِهَادِ فَإِنْ عَدُوْكُمْ قَدْ مَسَّهُ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَذَلِكَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبِ سَجَالٍ يَوْمَ لَكُمْ وَيَوْمَ عَلَيْكُمْ وَهِيَ سَنَةٌ مِنْ سُنَنِ رَبِّكُمْ فِي الْحَيَاةِ. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْعِزَاءِ الْكَرِيمِ الْحَكِيمِ ذَكَرَ تَعَالَى لَهُمْ عِلَّةَ هَذَا الْحَدَثِ الْجَلِّلِ، وَالسَّرِّ فِيهِ وَقَالَ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أَيِ لِيُظْهِرَ بِهَذَا الْحَادِثِ الْمُؤَلِّمِ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَا فَالْمُنَافِقُونَ رَجَعُوا مِنَ الطَّرِيقِ بِزُعَامَةِ رُئُسِهِمُ الْمُنَافِقِ الْأَكْبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُوكِ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَاصِلُوا سِيرَهُمْ وَخَاضُوا مَعْرَكَتَهُمْ فَظَهَرَ إِيْمَانُهُمْ وَاتَّخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ وَكَانُوا نَحْواً مِنْ سَبْعِينَ شَهِيداً مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ حِمَزةُ بَنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، ^(٢) وَالْبَاقُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَمْحَضَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيِ أَوْجَدَ هَذَا الَّذِي أَوْجَدَهُ فِي أَحَدٍ مِنْ جِهَادٍ وَانْكَسَارٍ تَخْلِيصاً

(١) أَيِ بِأَقْدَامِكُمْ أَوْ بِأَفْهَامِكُمْ وَعَقُولِكُمْ.

(٢) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُثْمَانُ بْنُ شُمَّاسٍ.

(٣) أَصْلُ التَّمْحِضِ: تَخْلِيصُ الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، يُقَالُ مَخَضْتُ الذَّهَبَ إِذَا أَزَلْتُ خَبْثَهُ.

للمؤمنين من ذنوبهم وتطهيراً لهم ليصفوا الصفاء الكامل، ويمحق الكافرين بإذهاهم وإنهاء وجودهم.

إن هذا الدرس نفع المؤمنين فيما بعد فلم يخرجوا عن طاعة نبيهم، وبذلك توالى انتصاراتهم حتى أذهبوا ريح الكفر والكافرين من كل أرض^(١) الجزيرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عاقبة المكذبين بدعوة الحق الخسار والوبال.
- ٢- في آي القرآن الهدي والبيان والمواظ على لمن كان من أهل الإيمان والتقوى.
- ٣- أهل الإيمان هم الأعلون في الدنيا والآخرة.
- ٤- الحياة دول وتارات فليقابلها المؤمن بالشكر والصبر.
- ٥- الفتن تمحص الرجال، وتودي بحياة العاجزين الجزعين.

أمر

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلِبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدَّ

(١) ونحارج الجزيرة فالفتوحات التي فتحها أصحاب رسول الله ﷺ في الغرب والشرق لم يفتحها غيرهم ممن جاء بعدهم من التابعين ولا من غيرهم وهو إنجاز وعد الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾ أي الغالبون القاهرون.

ثَوَابُ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

شرح الكلمات :

أم حسبتم : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن فالإستفهام إنكاري .

ولما يعلم : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور من يجاهد منكم ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيته .

خلت من قبله : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا . أفإن مات أو قتل ^(١) ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قُتل (هيا بنا نرجع الى دين قومنا، فالإستفهام منصب على قوله ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ لا على فإن مات أو قتل، وإن دخل عليها .

انقلبتم على أعقابكم : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر . كتاباً مؤجلاً ^(٢) : كتب تعالى آجال الناس مؤقته بمواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر .

ثواب الدنيا : الثواب : الجزاء على النية والعمل معاً، وثواب الدنيا الرزق وثواب الآخرة الجنة .

الشاكرين : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موتهم .

(١) أي علم شهادة حتى يقع عليه الجزاء بحسب الظاهر المشاهد للناس .
(٢) مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين في وقت دخوله المدينة مهاجراً وذلك ضحى حين اشتدّ الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء أول ليلة الأربعاء . قال أنس : لما كان اليوم الذي دخل فيه الرسول ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، ولما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من دفن الرسول ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .
(٣) ﴿كتاباً﴾ منصوب على المصدر، أي كتب ذلك كتاباً، ومؤجلاً نعت .

معنى الآيات :

ما زال السياق متعلقاً بغزوة أحد فأنكر تعالى على المؤمنين ظنهم أنهم بمجرد إيمانهم يدخلون الجنة بدون أن يتلوا بالجهاد والشدائد تمحيصاً لهم وإظهاراً للصادقين منهم في دعوى الإيمان والكاذبين فيها، كما يظهر الصابرين الثابتين والجزعين المرتدين فقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ ثم عابهم تعالى على قلة صبرهم وانهزامهم في المعركة مذكراً بإياهم بتمنيات الذين لم يحضروا وقعة بدر، وفاتهم فيها ما حازه من حضرها من الأجر والغنمية بأنهم إذا قُدر لهم قتال في يوم ما من الأيام يبلون فيه البلاء الحسن فلما قدر تعالى ذلك لهم في وقعة أحد جزعوا وما صبروا وفروا منهزمين فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ^(١) مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي فلم انهزمتكم وما وفيتكم ما واعدتكم أنفسكم به؟ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٤٢) والثانية (١٤٣) وأما الآية الثالثة (١٤٤) فقد تضمنت عتاباً شديداً لأصحاب رسول الله ﷺ عندما اشتدت المعركة وحيي وطيسها واستحرق القتلى في المؤمنين نتيجة خلوه ظهورهم من الرماة الذين كانوا يحمونهم من ورائهم وضرب ابن قميثة - أقماءه الله - رسول الله ﷺ بحجر في وجهه فشججه وكسر رباعيته، وأعلن أنه قتل محمداً فانكشف المسلمون وانهزموا، وقال من قال منهم لم نقاتل وقد مات رسول الله، وقال بعض المنافقين نبعث إلى ابن أبي رئيس^(٢) المنافقين يأتي يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان، ونعود إلى دين قومنا!! فقال تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وما دام رسولاً كغيره من الرسل، وقد مات الرسل قبله فلم ينكر موته، أو يندهش له إذا؟ بعد تقرير هذه الحقيقة العلمية الثابتة أنكر تعالى بشدة على أولئك الذين سمعوا صرخة إبليس في المعركة (قتل محمد) ففروا هاربين إلى المدينة، ومنهم من أعلن رده في صراحة وهم المنافقون فقال تعالى : ﴿أَفَأِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فعاتبهم

(١) وكان منهم من وفى بما وعد وقاتل حتى استشهد وهو أنس بن النضر عم أنس بن مالك فإنه لما رأى المسلمين قد انكشفوا قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء وبأشر القتال وهو يقول إني لأجد ريح الجنة ولما قتل وجد به أكثر من ثمانين ضربة وفيه نزل قول تعالى : ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .

(٢) لما قبض ﷺ قام عمر في الناس وقال : إن الرسول لم يموت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أقوام، وكان في دهشة عظيمة حتى جاء أبو بكر من العوالي فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى فكشف الغطاء عن وجهه وقبله بين عينيه ثم خرج فسمع ما قال عمر فرقى المنبر وقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقرأ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية، فرجع عمر إلى رشده واعترف بموت نبيه وبكائه .

منكراً على المنهزمين والمرتدين من المنافقين ردتهم، وأعلمهم أن ارتداد من ارتد أو يرتد لن يضر الله تعالى شيئاً فالله غني عن إيمانهم ونصرهم، وأنه تعالى سيجزي الثابتين على إيمانهم وطاعة ربهم ورسوله ﷺ وسيجزئهم دنيا وآخرة بأعظم الأجور وأحسن المثوبات.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٤٥) فقد تضمنت حقيقتين علميتين:
الأولى: أن موت الإنسان متوقف حصوله على إذن الله خالقه ومالكه فلا يموت أحد بدون علم الله تعالى بذلك فلم يكن للملك الموت أن يقبض روح إنسان قبل إذن الله تعالى له بذلك، وشيء آخر وهو أن موت كل إنسان قد ضبط تاريخ وفاته باللحظة فضلاً عن اليوم والساعة، وذلك في كتاب^(١) خاص فليس من الممكن أن يتقدم أجل إنسان أو يتأخر بحال من الأحوال، هذه حقيقة يجب أن تعلم، من قول الله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾.

والثانية: أن من دخل المعركة يقاتل باسم الله فإن كان يريد بقتاله ثواب الدنيا فالله عز وجل يؤتيه من الدنيا ما قدره له، وليس له من ثواب الآخرة شيء، وإن كان يريد ثواب الآخرة لا غير فالله عز وجل يعطيه في الدنيا ما كتب له ويعطيه ثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم وأن الله تعالى سيجزي الشاكرين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. هذه الحقيقة التي تضمنها قوله تعالى: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الله الشاكرين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الابتلاء بالتكاليف الشرعية الصعبة منها والسهلة من ضروريات الإيمان .

٢- تقرير رسالة النبي محمد ﷺ وبشريته المفضلة، وموتته المؤلمة لكل مؤمن.^(٣)

(١) هو كتاب المقادير: اللوح المحفوظ.

(٢) رثت صفة عمّة رسول الله ﷺ نبي الله بأبيات دلت على مدى ما أصاب المؤمنين من حزن وألم بفراق نبيهم نذكر منها ثلاث أبيات وهي:

أفاطم صلى الله ربّ محمد على حدّث أمسى بيثرب ثاوباً
فدئى لرسول الله أمي وخالتي وعمي وابائي ونفسي وماليا
فلو أنّ ربّ الناس أبقي نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

(٣) إن قيل لم تأخر دفن النبي ﷺ يومين وهو القاتل: «عجلوا دفن جيفتكم ولا تؤخروها» والجواب: كان ذلك لأمرين: أولاً: اختلافهم في المكان الذي يدفنون فيه حتى أخبرهم الصديق بأنه ﷺ قال: «ما دفن نبي إلا حيث يموت» ثانياً: اختلافهم في تعيين الخليفة للأهمية.

٣- الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والفرار من الجهاد لا يؤخره أيضاً.

٤- ثواب الأعمال موقوف على نية العاملين وحسن قصدهم.

٥- فضيلة الشكر بالثبات على الإيمان والطاعة لله ورسوله في الأمر والنهي.

وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ
رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ
إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

(١) شرح الكلمات :

: كثير من الأنبياء . وتفسر كآين بكم وتكون حيثذ للتكثير.

وكآين من نبي

: ربايون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون .

(٧) ربيون

: ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل

فما وهنوا لما أصابهم

وجراحات .

: ما خضعوا ولا ذلوا لعدوهم .

وما استكانوا

: مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف

الإسراف

عندها .

: أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا النصر والغنيمة .

فآتاهم الله ثواب الدنيا

: الذين يحسنون نياتهم فيخلصون أعمالهم لله ، ومحسنون

المحسنين

أعمالهم فيأتون بها موافقة لما شرعت عليه في كفياتها وأعدادها

وأوقاتها .

(١) قال الخليل (وكآين) أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها فصارت مثل كم للدلالة على التكثير وفيها لغات منها : كآين وقرأ بها ابن كثير، وكثن وقرأ بها بن محيصن وكآين وبها قرأ الجمهور.

(٢) في الرابين ثلاث لغات : كسر الراء، وضمها، وفتحها وهم الجماعة الكثيرة، والواحد ربي بكسر الراء وضمها أيضاً وما ذكرناه في التفسير هو الحق.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أحداث غزوة أحد فذكر تعالى هنا ما هو في تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة عن عدم صبرهم وانهمزامهم وتحليلهم عن نبينهم في وسط المعركة وحده حتى ناداهم : إِيَّيَّ عباد الله إِيَّيَّ عباد الله فثاب إليه رجال . فقال تعالى مخبراً بما يكون عظة للمؤمنين وعبرة لهم : ﴿وَكَأَيِّنَ مِنْ نَبِيٍّ﴾ أي وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والأتقياء والصالحين فما وهنوا أي ما ضعفوا ولا ذلوا لعدوهم ولا خضعوا له كما همّ بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون ، فصبروا على القتال مع انبيائهم متحملين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك لأنه يحب الصابرين .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٦) ونصها : ﴿وَكَأَيِّنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وأما الآية الثانية فأخبر تعالى فيها عن موقف أولئك الربيين وحالهم اثناء الجهاد في سبيله تعالى فقال : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ . ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا انتم مثلهم وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة وهي الضراعة لله تعالى بدعائه واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة والتي كثيراً ما تكون سبباً للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فسألوا الله مغفرة ذنوبهم وتثبيت أقدامهم في أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فيهنزمو والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألوا وهو ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهي رضوانه الذي أحله عليهم وهم في الجنة دار المتقين والأبرار هذا ما دلت عليه الآية الأخيرة (١٤٨) ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

(١) استكان : مشتق من السكون لأنّ الدليل العاجز يسكن لمن خضع له ولا يتحرك ليدفع عنه الأذى وما ناله من عدوّه الغالب له .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء : «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني» وهو دعاء تواضع منه عظيم .

(٣) في حسن الثواب والمحسنين جناس تام والجملة تذييلة تحمل البشرى للقوم المحسنين في قتالهم ولقاء أعدائهم مع إحسانهم في عبادة ربهم وسواء منها القلبية والبدينية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الترغيب في الائتساء بالصالحين في إيمانهم وجهادهم وصبرهم وحسن أقوالهم .
- ٢- فضيلة الصبر والإحسان ، لحب الله تعالى الصابرين والمحسنين .
- ٣- فضيلة الاشتغال بالذكر^(١) والدعاء عند المصائب والشدائد بدل التأوهات وإبداء التحسرات والتمنيات ، وشر من ذلك التسخط والتضجر والبكاء والعويل .
- ٤- كرم الله تعالى المتجلي في استجابة دعاء عباده الصابرين المحسنين .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ۖ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

شرح الكلمات :

- إن تطيعوا الذين كفروا : المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم والأخذ بأرشاداتهم .
يردوكم على أعقابكم : يرجعوكم الى الكفر بعد الإيـان .
خاسرين : فاقدين لكل خير في الدنيا ، ولأنفسكم واهليكم يوم القيامة .

(١) شاهده أَنَّ الله تعالى جعل لنا رسوله بعد أن كَمَلَه وعصمه جعله لنا أسوة يأتسي بفعاله وأخلاقه وأحواله المؤمنون المتقون والعالمون الصابرون .

(٢) شاهده ما صح عنه ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَالصَّلَاةِ أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمِنَ الذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

بل الله مولاكم	: بل اطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع واحق من يطاع .
الرّعب	: شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه .
مأواهم	: مقر إيوائهم ونزولهم .
مثوى	: المثوى مكان الثوى وهو الإقامة والاستقرار .
الظالمين	: المشركين الذين اطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه .

معنى الآيات :

(١)

ما زال السياق في احداث غزوة أحد فقد روى أن بعض المنافقين لما رأى هزيمة المؤمنين في أحد قال في المؤمنين ارجعوا الى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل إلى آخر ما من شأنه أن يقال في تلك الساعة الصعبة من الاقتراحات التي قد كشف عنها هذا النداء الإلهي للمؤمنين وهو يحذرهم من طاعة الكافرين بقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ فلا شك أن الكافرين قد طالبوا المؤمنين بطاعتهم بتنفيذ بعض الاقتراحات التي ظاهرها النصح وباطنها الغش والخديعة، فنهاهم الله تعالى عن طاعتهم في ذلك وهذا النهي وإن نزل في حالة خاصة فإنه عام في المسلمين على مدى الحياة فلا يحل طاعة الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم وفي كل ما يأمرهم به أو يقترحونه، ومن أطاعهم ردّوه عن دينه إلى دينهم فينقلب: يرجع خاسراً في دنياه وآخرته، والعياذ بالله هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٩) وأما الآية الثانية (١٥٠) فقد تضمنت الأمر بطاعته تعالى، إذ هو أولى بذلك لأنه ربهم ووليهم ومولاهم فهو أحق بطاعتهم من الكافرين فقال تعالى: ﴿بل الله مولاكم﴾ فاطيعوه، ولا تطيعوا أعداءه وإن اردتم أن تطلبوا النصر بطاعة الكافرين فإن الله تعالى خير الناصرين فاطلبوا النصر منه بطاعته فإنه ينصركم وفي الآية الثالثة (١٥١) لما امتثل المؤمنون أمر ربهم فلم يطيعوا

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإن طاعة الكافرين لا تفضي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدارين.

(٢) وجه المناسبة هو أنه لما أمر تعالى المؤمنين بالافتداء بالصالحين من أتباع الأنبياء، وذلك بالصبر والاحتساب، حذرهم في هذه الآيات من اتباع الكافرين وقبول ما يطلبون ويقترحونه عليهم فإنه مفض بهم إلى الكفر أولاً ثم إلى الإثم والخسران ثانياً (٣) قرئ بنصب اسم الجلالة ويكون معمولاً لفعل مقدر وتقديره: بل أطيعوا الله مولاكم فهو أحق بطاعتكم من الكافرين والمنافقين وفي هذا ردّ على مَنْ قال ساعة الهزيمة: لو كلمنا ابن أبي يأخذ لنا أمناً من أبي سفيان.

الكافرين وعدهم ربهم سبحانه وتعالى بأنه سيلقي في قلوب الكافرين الرعب^(١) وهو الخوف والفرع والهلح حتى تتمكنوا من قتلهم والتغلب عليهم وذلك هو النصر المنشود منكم، وعلل تعالى فعله ذلك بالكافرين بأنهم اشركوا به تعالى آلهة عبدها معه لم ينزل لعبادتها حجة ولا سلطاناً وقال تعالى: ﴿سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأخيراً مأواهم النار اى محل اقامتهم النار، وذم تعالى الإقامة في النار فقال ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين، يريد النار ببئس المقام للظالمين وهم المشركون.^(٢)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تحرم طاعة الكافرين في حال الاختيار.^(٣)
- ٢- بيان السر في تحريم طاعة الكافرين وهو أنه يترتب عليها الردة والعياذ بالله .
- ٣- بيان قاعدة من طلب النصر من غير الله أذله الله .
- ٤- وعد الله المؤمنين بنصرهم بعد لقاء الرعب في قلوب أعدائهم، إذ هم أبوسفيان بالعودة الى المدينة بعد إنصرافه من أحدليقضى عمن بقى في المدينة من الرجال كذا سولت له نفسه، ثم ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فعدل عن الموضوع بتدبير الله تعالى.^(٤)
- ٥- بطلان كل دعوى ما لم يكن لأصحابها حجة وهي المعبر عنها بالسلطان في الآية إذ الحجة يثبت بها الحق ويناله صاحبه بواسطتها .

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ

وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۖ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ

(١) الرعب بإسكان العين وطمسها الخوف الذي يملأ النفس خوفاً، لأن مادة الرعب مأخوذة من الماء، يقال سيل رابع يملأ الوادي، وكانت هذه الآية ردّاً على أبي سفيان لما فكر في العودة إلى المدينة بعد انصرافه من أحد إلا أنّ الله تعالى هزمه بما ألقى في نفسه من الرعب فعداد إلى مكة، كما هي بشرى للمؤمنين متى أطاعوا ربهم وثبتهم فإنه يلقي الرعب في قلوب أعدائهم قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

(٢) لقوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ والكافرون مشركون بلا شك.

(٣) أمّا في حال الإكراه فإنّ من لم يطق العذاب يرخص له في إعطائهم ما طلبوا منه على شرط أن يكون كارها بقلبه ساخطاً في نفسه غير راضٍ عنهم ولا عن صنيعهم وذلك للآية: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

(٤) السلطان: الحجة لأن الحق يؤخذ بالحجة ويؤخذ بالسلطان، وهل السلطان مأخوذ من السليط وهو ما يضاء به السراج، وهو دهن السمسم، وسمي الحاكم سلطاناً للاستضاءة به في إظهار الحق وقمع الباطل؟ نعم وجاز.

مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ
 مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
 وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ
 وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ
 غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
 وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

شرح الكلمات :

أنجزكم ما وعدكم على لسان رسوله بقوله للرماة اثبتوا : صدقكم الله وعده ^(١)

اماكنكم فإننا لا نزال غاليين ما ثبتتم مكانكم .

تحسونهم

: تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه إذا قتله فابطل حسه .

يأذنه

: يأذنه لكم في قتالهم وبإعانتهم لكم على ذلك .

فشلتهم

: ضعفتهم وجبتهم عن القتال

تصعدون ^(٢)

: تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال أصعد إذا ذهب

في صعيد الأرض .

ولا تلوون على أحد

: لا تلوون رؤوسكم على أحد تلتفتون إليه .

والرسول يدعوكم في أخراكم : أي يناديكم من خلفكم إلى عباد الله ارجعوا إلى عباد الله

ارجعوا .

(١) صدق الوعد : تحقيقه والوفاء به لأن الصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، وهذا الوعد كان لهم على لسان رسول الله ﷺ إذ أخبرهم به وهو يهيء صفوفهم للقتال .

(٢) صعد يصعد إذا طلع المنبر أو سطحا وأصعد يصعد إصعاداً إذا سار في بطن الأرض أو الوادي جرياً على صعيد الأرض فكان الإصعاد إبعاداً في الأرض .

فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ^(١) : جزاكم على معصيتكم وفراركم غمًّا على غم . والغم الم
النفس وضيق الصدر .

ما فاتكم : من الغنائم .
ولا ما أصابكم : من الموت والجراحات والآلام والاعتاب .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أحداث احد فقد تقدم في السياق قريبا نهي الله تعالى المؤمنين عن طاعة الكافرين في كل ما يقترحون، ويشيرون به عليهم . ووعدهم بأنه سيلقى الرعب في قلوب الكافرين وقد فعل فله الحمد حيث عزم ابوسفیان على أن يرجع الى المدينة ليقتل من بها ويستأصل شأفتهم فانزل الله تعالى في قلبه وقلوب اتباعه الرعب فعدلوا عن غزو المدينة مرة ثانية وذهبوا الى مكة . ورجع الرسول والمؤمنون من حمراء الأسد ولم يلقوا أبا سفيان وجيشه . وفي هاتين الآيتين يخبرهم تعالى بمنتته عليهم حيث انجزهم ما وعدهم من النصر فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ ، وذلك أن الرسول ﷺ لما بوأ الرماة مقاعدهم . وكانوا ثلاثين راميا وجعل عليهم عبدالله بن جبير أمرهم بأن لا يرحوا أماكنهم كيفما كانت الحال وقال لهم : إنا لا نزال غالبين ما بقيتم في أماكنكم ترمون العدو فتحمون ظهورنا بذلك، وفعلاً دارت المعركة وانجز الله تعالى لهم وعده ففر المشركون امامهم تاركين كل شيء هارين بأنفسهم والمؤمنون يحسونهم حساً أي يقتلونهم قتلاً بإذن الله وتأييده لهم ولما رأى الرماة هزيمة المشركين والمؤمنون يجمعون الغنائم قالوا : ما قيمة بقائنا هنا والناس يغنمون فيها بنا ننزل الى ساحة المعركة لنغنم، فذكرهم عبدالله بن جبير قائدهم بأمر رسول الله ﷺ فتأولوه ونزلوا الى ساحة المعركة يطلبون الغنائم، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد فلما رأى الرماة أُخْلَوْا مراكزهم الا قليلا منهم كَرَّ بخيله عليهم فاحتل أماكنهم وقتل من بقى فيها، ورمى المسلمين من ظهورهم فتضعضوا لذلك فعاد المشركون اليهم ووقعوا بين الرماة الناقمين والمقاتلين الهائجين ف وقعت الكارثة فقتل سبعون من المؤمنين ومن

(١) الباء قد تكون هنا للمصاحبة أي أصابكم غمًّا مصحوباً بغم، والغم الأول : القتل والجراح، والثاني الإرجاف بقتل الرسول ﷺ، ولا بأس أن يكون الغم الأول هو الذي أغموه به الرسول بمخالفتهم إياه وأصابهم غم الهزيمة .

(٢) في هذه الآية عود إلى التسلية على ما أصابهم، وإظهار لاستمرار غناية الله تعالى بهم .

بينهم حمزة عم الرسول ﷺ وجرح رسول الله في وجهه وكسرت رباعيته وصاح الشيطان قائلاً ان محمداً قد مات وفر المؤمنون من ميدان المعركة الا قليلاً منهم وفي هذا يقول تعالى: ﴿حتى اذا فشتم وتنازعتم في الأمر﴾^(١)، يريد تنازع الرماة مع قائدهم عبدالله بن جبير حيث نهاهم عن ترك مقاعدهم وذكرهم بأمر رسول الله فنازعوه في فهمه وخالفوا الأمر ونزلوا، وكان ذلك بعد أن رأوا إخوانهم قد انتصروا واعداءهم قد انهزموا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وعصيتم بعدما أراكم ما تحبون﴾ أي من النصر. ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين نزلوا الى الميدان يجمعون الغنائم، ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم عبدالله بن جبير والذين صبروا معه في مراكزهم حتى استشهدوا فيها وقوله تعالى ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ وذلك اخبار عن ترك القتال لما أصابهم من الضعف حينما رأوا أنفسهم محصورين بين رماة المشركين ومقاتليهم فأصعدوا في الوادي هارين بأنفسهم، وحصل هذا بعلم الله تعالى وتدبيره، والحكمة فيه أشار إليها تعالى بقوله ﴿ليبتليكم﴾ أي يختبركم فيرى المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، والصابر من الجزع، وقوله تعالى ﴿ولقد عفا عنكم﴾ يريد انه لو شاء يؤاخذهم بمعصيتهم امر رسولهم فسلط عليهم المشركين فقتلوهم أجمعين ولم يُبقوا منهم أحداً إذ تمكنوا منهم تماماً ولكن الله سلم. هذا معنى ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٢) أما الآية الثانية (١٥٣) فهي تصور الحال التي كان عليها المؤمنون بعد حصول الانكسار والهزيمة فيقول تعالى ﴿إذ تصعدون﴾ أي عفا عنكم في الوقت الذي فررتهم مصعدين في الأودية هارين من المعركة والرسول يدعوكم من وراءكم الى عباد الله ارجعوا، وأنتم فارون لا تلوون على أحد، أي لا تلتفتوا اليه. وقوله تعالى: ﴿فأنا بكم غمًا بغم﴾ يريد جزاكم على معصيتكم غمًا والغم ألم النفس لضيق الصدر وصعوبة

(١) ال في الأمر: نائبة عن المضاف، إذ التقدير: في أمركم وشأنكم.

(٢) نعم انهزم المشركون في أول المعركة حتى شوهدت نساؤهم مشمرات عن سوقهن هاريات في أعلى الجبل خوفاً من الأمر ومن بينهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها من حُلها ولم يخلُ طلبه بواجب، ولم يحمله على فعل حرام، لا يَأثم ولا يلام.

(٤) لما تمت الهزيمة جلس رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه على صخرة من سفح أحد، فجاء أبو سفيان فارتفع على نشز من الأرض وقال: أفي القوم محمداً؟ فقال لهم رسول الله ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم عمر؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه وقال أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال له عمر كذبت يا عدو الله فقد أبقي لك الله من يخزيك به، فقال أعل هبل مرتين، فأجابوه بأمر رسول الله ﷺ قائلين: الله أعلى وأجل، فقال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقالوا بأمر رسول الله ﷺ الله مولانا ولا مولى لكم.

الحال. وقوله بغم أى على غم، وسبب الغم الأول فوات النصر والغنيمة والثانى القتل والجراحات وخاصة جراحات نبيهم، وإذاعة قتله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أى ما أصابكم بالغم الثانى الذى هو خبر قتل الرسول ﷺ لكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من القتل والجراحات فأنساكم الغم الثانى ما غمكم به الغم الأول الذى هو فوات النصر والغنيمة. وقوله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يخبرهم تعالى انه بكل ما حصل منهم من معصية وتنازع وفرار، وترك للنبي ﷺ فى المعركة وحده وانهزامهم وحزنهم خير مطلع عليه عليم به وسيعجزى به المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته او يعفو عنه، والله عفو كريم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- مخالفة القيادة الرشيدة والتنازع فى حال الحرب يسبب الهزيمة المنكرة.^(١)
- ٢- معصية الله ورسوله والاختلافات بين أفراد الأمة تعقب آثاراً سيئة أخفها عقوبة الدنيا بالهزائم وذهاب الدولة والسلطان.^(٢)
- ٣- ما من مصيبة تصيب العبد الا وعند الله ما هو أعظم منها فلذا يجب حمد الله تعالى على أنها لم تكن أعظم.
- ٤- ظاهر هزيمة أحد النعمة وباطنها النعمة، وبيان ذلك أَنَّ عَلِمَ الْمُؤْمِنُونَ ان النصر والهزيمة يتناحسب سنن إلهية فما أصبحوا بعد هذه الحادثة المؤلمة يغفلون تلك السنن أو يهملونها.
- ٥- بيان حقيقة كبرى وهى ان معصية الرسول ﷺ مرة واحدة وفى شيء واحد ترتب عليها آلام وجراحات وقتل وهزائم وفوات خير كبير وكثير فكيف بالذين يعصون رسول الله طوال حياتهم وفى كل أوامره ونواهيه وهم يضحكون ولا يبيكون، وآمنون غير خائفين.^(٣)

(١) الخلاف كله شر ولكنه فى ساحة الحرب أشد ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية من سورة الأنفال.

(٢) شاهد هذا حال المسلمين اليوم وقبل اليوم انهم بعد أن عصوا الله ورسوله بالإعراض عن شرع الله وإهمال أحكامه، والتعصب للمذاهب والرضا بالانقسام والخلاف، حل بهم ما حل من الذل والهوان والذون.

(٣) هذه حال أكثر المسلمين اليوم ومنذ قرون عدّة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكذا لم يبرحوا أدلاء تابعين للكافرين لا يستقلون فى عمل أو تدبير.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

شرح الكلمات :

أمنة نعاساً^(١)

الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل

النوم.

يغشى طائفة منكم^(٢)

يُصيب المؤمنين ليستريحوا ولا يصيب المنافقين.

أهمتهم أنفسهم^(٣)

أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكترئين بما أصاب

رسول الله ﷺ وأصحابه.

ظن الجاهلية

هو اعتقادهم أن النبي قتل أو أنه لا ينصر.

هل لنا من الأمر

أي ما لنا من الأمر من شيء.

(١) الأمنة هي الأمن وقيل إن الأمنة تكون عند الخوف، والأمن يكون مع الخوف وعدمه، وقرئ الأمنة بإسكان الميم.

(٢) قرئ يغشى بالياء وهو عائد إلى النعاس، وقرئ تغشى بالياء ويعود على الأمنة.

(٣) من أفراد هذه الطائفة معتب بن قشير، وأصحابه خرجوا طمعاً للغنمة لا غير.

(٤) قال ابن عباس: هو تكذيبهم بالقدر.

ما لا يدون لك

: أي ما لا يظهرون لك .

لبرز الذين

: لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك .

كتب عليهم القتل

: يريد كتب في كتاب المقادير أي اللوح المحفوظ .

مضاجعهم

: جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان

الذي صرعوا فيه قتل .

ليبتلى^(١)

: ليختبر .

وليمحص

: التمهيص : التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار

الإيمان من النفاق ، والحب من الكره .

استزلهم الشيطان

: أوقعهم في الزلل وهو الخطيئة والتي كانت الفرار من

الجهاد .

معنى الآيتين :

مازال السياق في الحديث عن غزوة أحد فأخبر تعالى في الآية الأولى (١٥٣) عن أمور عظام الأول أنه تعالى بعد الغم الذي أصاب به المؤمنين أنزل على أهل اليقين خاصة أمناً كاملاً فذهب الخوف عنهم حتى أن أحدهم^(١) لينام والسيوف في يده فيسقط من يده ثم يتناوله قال تعالى : ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم﴾ والثاني أن أهل الشك والنفاق حرمهم الله تعالى من تلك الأمانة فما زال الخوف يقطع قلوبهم والغم يُسيطر على نفوسهم وهم لا يفكرون إلا في أنفسهم كيف ينجون من الموت وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾^(٢) والثالث أن الله تعالى قد كشف عن سرائرهم فقال يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، والمراد من ظنهم بالله غير الحق ظن المشركين أنهم يعتقدون أن الاسلام باطل وأن محمداً ليس رسولاً ، وإن المؤمنين سينهزمون ويموتون وينتهى الاسلام ومن يدعو إليه . والرابع أن الله تعالى قد كشف سرهم فقال عنهم : ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾^(٣) هذا القول قالوه سرّاً فيما بينهم ، ومعناه ليس لنا من الأمر من شيء

(١) أي ليعاملهم معاملة المختبر لهم وليصبح ما كان غيباً لله مشاهدة لهم .

(٢) قال أبو طلحة والزبير وأنس غشينا النعاس حتى إن السيوف ليسقط من يد أحدنا فيتناوله من الأرض .

(٣) حدثتهم أنفسهم بما يدخل الهم عليهم وهو تكذيبهم بالقدر ، والحرص على نجاتهم وحزنهم على ما فاتهم من الغنمة وهذه كلها موجبات الهم والغم .

(٤) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة : ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ لأن ظنهم مشتمل على قولهم : ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ أي ليس لنا من الأمر من شيء . وهذا القول قاله ابن أبيّ لما سمع باستشهاد من استشهد من الخوارج .

ولو كان لنا ما خرجنا ولا قاتلنا ولا أصابنا الذي أصابنا، فأطلع الله تعالى على سرهم وقال له: رد عليهم بقولك: إن الأمر كله لله. ثم هتك تعالى مرة أخرى سترهم وكشف سرهم فقال: يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك أي يخفون في أنفسهم من الكفر والبغض والعداء لك ولأصحابك مالا يظهره لك. والرابع لما تحدث المنافقون في سرهم وقالوا لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا: يريدون لو كان الأمر بأيديهم ما خرجوا لقتال المشركين لأنهم إخوانهم في الشرك والكفر، ولا قتلوا مع من قتل في أحد فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله: قل لو كنتم في بيوتكم بالمدينة لبرز أي ظهر الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وصرعوا فيها وماتوا، لأن ما قدره الله نافذ على كل حال، ولا حذر مع القدر. ولا بد أن يتم خروجكم إلى أحد بتدبير الله تعالى ليتلى الله أي يمتحن ما في صدوركم ويميز ما في قلوبكم فيظهر ما كان غيباً لا يعلمه إلا هو إلى عالم المشاهدة ليعلمه ويراه على حقيقته رسوله والمؤمنون، وهذا لعلم الله تعالى بذات الصدور. هذا معنى قوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٥٤) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن حقيقة واحدة ينبغي أن تعلم وهي أن الذين فروا من المعركة لما اشتد القتال وعظم الكرب الشيطان هو الذي أوقعهم في هذه الزلة وهي توليهم عن القتال بسبب بعض الذنوب كانت لهم، ولذا عفا الله عنهم ولم يؤاخذهم بهذه الزلة، وذلك لأن الله غفور حلیم فلذا يمهّل عبده حتى يتوب فيتوب عليه ويغفر له ولو لم يكن حلماً لكان يؤاخذ لأول الذنب والزلة فلا يمكن أحداً من التوبة والنجاة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم﴾ أي عن القتال، يوم التقى الجمعان أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد. إنها استزلهم الشيطان ببعض ما

(١) تقدم آنفاً أن هذا قاله رئيس المنافقين ابن أبي وقدة عاد من الطريق مع ثلثمائة رجل ممن استجابوا لدعوته المشبقة عن القتال، ولا مانع أن يقوله غير واحد من المنافقين وهو كذلك.

(٢) أي بنافع ولكن طلب الحذر من جملة الأسباب المطلوب اتخاذها طاعة لله تعالى والله يقول: ﴿خذوا حذرکم﴾ وإنما لما يقع ما قدره الله تعالى ولم ينفع في رده حذر وجب الرضا به والتسليم لله في أجزائه على مقتضى مراده، وعليه فلا أسف ولا حزن ولا سخط إذ ما قضاه الله هو الخير والخير كله.

(٣) في هذه الآية بيان لسبب الهزيمة الخفي، وهو مخالفة أمر الرسول ﷺ حيث تركوا مواقعهم ونزلوا لطلب الغنيمة والمراد إلقاء تبعة الهزيمة عليهم إذ هم السبب فيها.

(٤) استزلهم: أي أزلهم بمعنى جعلهم زالين، والزلل، وإن كان معناه انزلاق القدم، وسقوط صاحبها فإن معناها هنا الوقوع في الزلة التي هي الخطيئة والسين والتاء في استزلهم للتأكيد مثل استفاد كذا، واستنشق الماء أو الهواء، واستغنى الله.

كسبوا، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم إن الله غفور حلیم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- إكرام الله تعالى لأوليائه بالأمان الذى أنزله في قلوبهم .
- ٢- إهانة الله تعالى لأعدائه بحرمانهم مما أكرم به أوليائه وهم في مكان واحد .
- ٣- تقرير مبدأ القضاء والقدر، وأن من كتب موته في مكان لا بد وأن يموت فيه .
- ٤- أفعال الله تعالى لا تخلو أبداً من حكم عالية فيجب التسليم لله تعالى والرضا بأفعاله في خلقه .
- ٥- الذنب يولد الذنب، والسيئة تتولد عنها سيئة أخرى فلذا وجبت التوبة من الذنب فوراً .

يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا
قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

شرح الكلمات :

- آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من وعد ووعد .
- إِخْوَانِهِمْ : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهى هنا أخوة النفاق .
- ضربوا في الأرض : ضربوا في الأرض بأقدامهم مسافرين للتجارة غالباً .

(١) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين .

غزى^(١) : جمع غَزٍ وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب .
الحسرة^(٢) : ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوت مرغوب أو فقد محبوب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة أحد ونتائجها المختلفة ففي هذه الآية (١٥٦) ينادى الله المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله تعالى ووعيده يناديهم لينهاهم عن الاتصاف بصفات الكافرين النفسية ومن ذلك قول الكافرين لإخوانهم في الكفر إذا هم ضربوا في الأرض لتجارة أو لغزو فمات من مات منهم أو قتل من قتل بقضاء الله وقدره، لو كانوا عندنا أى ما فارقونا وبقوا في ديارنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا دال على نفسية الجهل ومرض الكفر، وحسب سنة الله تعالى فإن هذا القول منهم يتولد، لهم عنه بإذنه تعالى غم نفسي وحسرات قلبية تمزقهم وقد تودى بحياتهم، وما درى أولئك الكفرة الجهال أن الله يحى ويميت، فلا السفر ولا القتال يميّتان، ولا القعود في البيت جنباً وخوراً يحى هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحى ويميت ﴿وقوله تعالى في ختام هذه الآية: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيه وعد للمؤمنين إن انتهوا عما نهاهم عنه في الآية ووعيد ان لم ينتهوا فيجزئهم بالخير خيراً، وبالشر إن لم يعف شراً. أما الآية الثانية (١٥٧) فإن الله تعالى يبشر عباده المؤمنين بخبراً إياهم بأنهم إن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا فيه يغفر لهم ويرحمهم وذلك خير مما يجمع الكفار من حطام الدنيا ذلك الجمع للحطام الذي جعلهم يجبنون عن القتال والخروج في سبيل الله فقال تعالى: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾^(٣) وفي الآية الثالثة (١٥٨) يؤكد تلك الخيرية التي تضمنتها الآية السابقة فيقول: ﴿ولئن متم أو قتلتم

(١) الغزو: قصد الشيء، والمغزى: المقصد، والمغزية: المرأة التي غزا زوجها، والنسبة إلى الغزو غزوي.

(٢) والحسرة: شدة الأسف أي الحزن.

(٣) في نداء الله المؤمنين بعنوان الإيمان وهي صفة جامعة لهم فيه تلتطف بعد تقريع فريق منهم وهم الذين تولوا عن القتال يوم التقى الجمعان.

(٤) اللام موطئة للقسم أي مؤذنة بأن قبلها قسماً مقدراً، واللام في ﴿المغفرة﴾ هي في جواب القسم الذي هو المغفرة.

(٥) أهل الحجاز يقولون متم بكسر الميم نحو نمت من نام ومات وغيرهم يقولون متم بضم الميم في متم ونمت نحو كنتم وقلتم.

(٦) قرء ﴿تجمعون﴾ بالياء أي أنتم أيها المؤمنون ﴿ويجمعون﴾ بالياء أي الكافرون والمنافقون.

في سبيلنا ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ حتماً، وثم يتم لكم جزاؤنا على استشهداكم وموتكم في سبيلنا، ولنعم ما تجزون به في جوارنا الكريم.

هداية الآيات :

- ١- حرمة التشبه بالكفار ظاهراً وباطناً.
- ٢- الندم يولد الحسرات والحسرة غم وكره عظيمان ، والمؤمن يدفع ذلك بذكره القضاء والقدر فلا يأسى على ما فاتته ولا يفرح بما آتاه من حطام الدنيا.
- ٣- مودة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ

اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ
بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

شرح الآيتين :

لنت لهم

: كنت رفيقا بهم تعاملهم بالرفق واللطف . (١)

فظا

: خشنا في معاملتك شرسا في اخلاقك وحاشاه ﷺ .

انفضوا

: تفرقوا وذهبوا تاركينك وشأنك .

فاعف عنهم

: يريد إن زلوا أو أساءوا .

وشاورهم في الأمر

: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية كمسائل الحرب والسلام .

(١) فيه وعظ وعظهم الله به حيث أعلمهم أنهم سواء ما توا حثف أنوفهم أو قتلوا فإن رجوعهم إلى الله وسيجزئهم على قتالهم وموتهم في سبيل الله .

(٢) ومن صفاته ﷺ في التوراة كما في رواية البخاري أنه ﷺ ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، والغليظ القلب: من قلت شفقتة وعزت رحمته كما قال الشاعر:

يُكِنِّي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

معنى الآيتين :

ما زال السياق في الآداب والنتائج المترتبة على غزوة أحد ففي هذه الآية (١٥٩) يخبر تعالى عما وهب رسوله من الكمال الخلقى الذي هو قوام الأمر فيقول: ﴿فبما رحمة من الله﴾ أي فبرحمة^(١) من عندنا رحمانهم بها لنت^(٢) لهم، ﴿ولو كنت فظاً﴾ أي قاسياً جافاً جافياً قاسى القلب غليظه^(٣) ﴿لأنفضوا من حولك﴾ أي تفرقوا عنك، وحرّموا بذلك سعادة الدارين. وبناء على هذا فاعف عن مسيئتهم، واستغفر لذنوبهم، وشاور ذوي الرأي منهم، وإذا بدا لك رأي راجح المصلحة فاعزم على تنفيذه متوكلاً على ربك فإنه يجب المتوكلين، والتوكل الإقدام على فعل ما أمر الله تعالى به أو أذن فيه بعد إحضار الأسباب الضرورية له. وعدم التفكير فيما يترتب عليه بل يفوض أمر النتائج إليه تعالى.

هذا ما تضمنته الآية الأولى اما الآية الثانية (١٦٠) فقد تضمنت حقيقة كبرى يجب العلم بها والعمل دائماً بمقتضاها وهي أن النصر بيد الله، والخذلان كذلك فلا يطلب نصر إلا منه تعالى، ولا يهرب خذلان إلا منه عز وجل، وطلب نصره هو إنفاذ أمره بعد إعداد الأسباب اللازمة له، وتحاشي خذلانه تعالى يكون بطاعته والتوكل عليه هذا ما دل عليه قوله تعالى في هذه الآية ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- كمال رسول الله ﷺ الخلقى.
- ٢- فضل الصحابة رضوان الله عليهم وكرامتهم على ربهم سبحانه وتعالى.
- ٣- تقرير مبدأ المشورة بين الحاكم وأهل الحل والعقد في الأمة.

(١) الميم صلة أي مزيدة لتوكيد الكلام وتقويته نحو قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ وقوله: ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ وجند ما هنالك

(٢) وذلك لأنه ﷺ لم يعف الذين تولوا يوم أحد بل رفع بهم، فأخبر تعالى أن ذلك كان بتوفيق منه عز وجل لرسوله.

(٣) قيل يمنعهم الحياء والاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم وهذا شأن أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) هذا الترتيب مقصود فأولاً يعفو عنهم لما كان بينه وبينهم، وثانياً: يستغفر الله لهم لما كان بينهم وبين ربهم من تبعات، وبعد هذا الإعداد يصبحون أهلاً للمشورة فيشاورهم.

(٥) الاستشارة مأخوذة من شرت الدابة إذا علمت خبرها كجري ونحوه، ويقال للموضع الذي تركض فيه المشوار. قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. وقد قيل: ما ندم من استشار. ومن أعجب برأيه ضل، وقال رسول الله ﷺ: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ولا عال من اقتصد».

٤- فضل العزيمة الصادقة مقرونة بالتوكل على الله تعالى .

٥- طلب النصر من غير الله خذلان، والمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله عز وجل .

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَغْلُ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ
اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيُشْرُ الْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾

شرح الكلمات :

أن يغفل : أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغل والغلول بمعنى السرقة من الغنائم قبل قسمتها .

توفى : تجزى ما كسبته في الدنيا وافيأ تاماً يوم القيامة .

رضوان الله : المراد به ما يوجب رضوانه من الإيمان والصدق والجهاد .

وسخط الله : غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذنين لرسوله ﷺ .

(١) من الحزم المشورة، والحزم : جودة النظر في الأمر وتنقيحه، والحذر من الخطأ فيه والعزم : قصد الإمضاء فيما حزم فيه، ومن مظاهر الحزم والعزم للرسول ﷺ أنه استشار أصحابه في الخروج إلى قتال المشركين خارج المدينة أو البقاء فيها والقتال داخلها ورأى عدم الخروج أصح ورأى أكثر الأصحاب الخروج فوافقهم فدخل بيته فلبس آلات حربه وخرج فلما رأى ذلك تراجعوا واعتذروا، ولكنه أبى أن يتراجع فتجلى حزمه وعزمه ، وقال : « لا ينبغي لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » .

مَنْ : أنعم وتفضل .

رسولا من أنفسهم : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

يزكيهم : بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية .

الحكمة : كل قول صالح نافع أبداً ومنه السنة النبوية .

معنى الآيات :

الغل والغلول^(١) والاخلال بمعنى واحد وهو أخذ المرء شيئاً من الغنائم قبل قسمتها وما دام السياق في غزوة أحد فالمناسبة قائمة بين الآيات السابقة وهذه، ففي الآية الأولى (١٦١) ينفي تعالى أن يكون من شأن الأنبياء أو مما يتأتى صدوره عنهم الإخلال وضمن تلك أن أتباع الأنبياء يحرم عليهم أن يغلوا، ولذا قرئ في السبع أن يُغْل بضم الياء وفتح الغين أي يفعله اتباعه بأخذهم من الغنائم بدون إذنه . هذا معنى قوله تعالى : ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ ثم ذكر تعالى جزاء وعقوبة من يفعل وقال : ﴿ومن يغفل يأتي بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ فأخبرهم تعالى أن من أغل شيئاً يأتي به يوم القيامة يحمله حتى البقرة والشاة كما يُبين ذلك في الحديث، ثم يحاسب عليه كغيره ويجزى به، كما تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ولا تظلم نفس شيئاً لغنى الرب تعالى عن الظلم وعدله . هذا مضمون الآية الأولى أما الثانية (١٦٢) ينفي تعالى أن تكون حال المتبع لرضوان الله تعالى بالإيمان به ورسوله وطاعتهما بفعل الأمر واجتناب النهي، كحال المتبع لسخط الله تعالى بتكذيبه تعالى وتكذيب رسوله ومعصيتهما بترك الواجبات وفعل المحرمات فكانت جهنم مأواه، وبئس المصير جهنم . هذا معنى قوله تعالى ﴿أفمن اتبع رضوان الله، كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ثم ذكر تعالى أن كلاً من

(١) سمي الغلول غلولاً: لأن الأيدي فيها مغلولة أي ممنوعة كأن فيها غلاً وهو الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه .
(٢) فتح الياء قراءة حفص وهي رد على من تصور أن النبي في إمكانه أن يأخذ شيئاً من الغنيمة قبل قسمتها فأخبر تعالى أنه من غير الممكن أن يغفل النبي لعصمة الله تعالى لأنبيائه، وقراءة الضم قراءة نافع وهي تحرم على أتباع النبي الغلول بصيغة بليغة إذ تجعل غلولهم من قبيل المتعذر الذي لا يحدث .

(٣) في صحيح مسلم أن أبا هريرة قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره ثم قال : «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أعني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبغثك . . ثم ذكر الفرس والشاة والنفس والرقاع» .

أهل الرضوان، وأصحاب السخط متفاوتون في درجاتهم عند الله، بحسب أثر أعمالهم في نفوسهم قوة وضعفاً فقال: ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾، فدل ذلك على عدالة العليم الحكيم. هذا ما دلت عليه الآية (١٦٣) أما الآية الأخيرة (١٦٤) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على المؤمنين من العرب ببعثه رسوله فيهم، يتلو عليهم آيات الله فيؤمنون ويكملون في إيمانهم ويزكيهم من أضرار الشرك وظلمة الكفر بما يهديهم به، ويدعوهم إليه من الإيمان وصالح الأعمال وفاضل الأخلاق وسامى الآداب، ويعلمهم الكتاب المتضمن للشرائع والهدايات والحكمة التى هى فهم أسرار الكتاب، والسنة، وتتجلى هذه النعمة أكثر لمن يذكر حال العرب في جاهليتهم قبل هذه النعمة العظيمة عليهم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأخيرة: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تحريم الغلول وأنه من كبائر الذنوب.^(٥)
- ٢- طلب رضوان الله واجب، وتجنب سخطه واجب كذلك، والأول يكون بالإيمان وصالح الأعمال والثاني يكون بالشرك والمعاصى.
- ٣- الاسلام أكبر نعمة وأجلها على المسلمين فيجب شكرها بالعمل به والتقيد بشرائعه وأحكامه.
- ٤- فضل العلم بالكتاب والسنة.

(١) المشهور أن أهل النار في دركات متفاوتة كما أن أهل الجنة في درجات متفاوتة فالدرجة ما أريد بها الارتفاع والدركة ما أريد بها السقوط والهبوط.

(٢) مَنْ هنا بمعنى أسدى النعمة للمؤمنين ببعثه الرسول فيهم وليس هو من المَنّ المذموم الذي هو تعداد النعمة إلا أن الله تعالى له أن يمنّ وهو آمنٌ مِنْ كُلِّ مَنْ وَأَعطى.

(٣) قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه للعرب خاصة: إذ فهمت من كلمة ﴿من أنفسهم﴾ أنها تعني من جنسهم العربي، وبعضهم يرى العموم فيها لكل مؤمن ومؤمنة، وهو كذلك إذ هو بشر مثلهم.

(٤) شاهده قوله ﷺ في الذي غلّ الشملة يوم خيبر: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً، ولما سمع هذا الوعيد أحد الأصحاب جاء بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكين من ناره رواه مالك في الموطأ».

(٥) الإجماع على أن الغال لا تقطع يده ولكن يعزر، والغلول لا يكون إلا في الغنائم وسمى الرسول ﷺ هدايا العمال غلولا ويفضحون بها يوم القيامة لحديث مسلم في قصة ابن اللثبية.

أَوَلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
 قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾
 وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

شرح الكلمات :

- المصيبة : إحدى المصائب : ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها مصيبة الموت .
 مثليها : ضعفيها اذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين^(١) .
 أنى هذا؟ : أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة .
 فبإذن الله : أي بإرادته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها .
 نافقوا : أظهروا من الإيمان مالا يطنون من الكفر .
 أو ادفعوا : أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهلكم ، ان لم تريدوا ثواب
 الآخرة .

ادرأوا : أي ادفعوا .

إن كنتم صادقين : في دفع المكروه بالخطر .

(١) اعتبر الأسير قتيلاً لأن الأسر له يملك قتله متى شاء ، فلذا قال تعالى : ﴿قد أصبتم مثليها﴾ .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة أحد ففي الآية الأولى: ينكر الله تعالى على المؤمنين قولهم بعد أن أصابتهم مصيبة القتل والجراحات والهزيمة: ﴿أنى هذا﴾ أي من أي وجه جاءت هذه المصيبة ونحن مسلمون ونقاتل في سبيل الله ومع رسوله؟ فقال تعالى: ﴿أولاً أصابتكم مصيبة﴾ بأحد قد أصبتم مثلها بيد أن ما قتل من المؤمنين بأحد كان سبعين، وما قتل من المشركين بيد أن سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، وأمر رسوله ﷺ أن يُجيهم: قل هو من عند أنفسكم، وذلك بمصيبتكم لرسول الله حيث خالف الرماة أمره، وبعدم صبركم إذ فررتُم من المعركة تاركين القتال. وقوله ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ إشعار بأن الله تعالى أصابهم بما أصابهم به عقوبة لهم حيث لم يطيعوا رسوله ولم يصبروا على قتال أعدائه. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٥) أما الآيات الثلاث بعدها فقوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين﴾ يخبر تعالى المؤمنين أن ما أصابهم يوم أحد عند التقاء جمع المؤمنين وجمع المشركين في ساحة المعركة كان بقضاء الله وتديره، وعلته إظهار المؤمنين على صورتهم الباطنية الحقة وانهم صادقون في إيمانهم، ولذا قال تعالى وليعلم المؤمنين علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور هذا أولاً وثانياً ليعلم الذين نافقوا فأظهروا الإيمان والولاء لله ولرسوله والمؤمنين ثم أبطنوا الكفر والعداء لله ورسوله والمؤمنين فقال عنهم في الآيتين الثالثة (١٦٧) والرابعة (١٦٨) ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ وهم عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين وعصابته الذين رجعوا من الطريق قبل الوصول إلى ساحة المعركة، وقد قال لهم عبد الله بن حرام والد جابر تعالوا قاتلوا في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة، وإن لم تريدوا ثواب الآخرة فادفعوا عن أنفسكم واهليكم معرة جيش غاز يريد قتلكم إذ وقوفكم معنا يكثر سوادنا ويدفع عنا خطر العدو الداهم فأجابوا قائلين: لو نعلم قتالاً سيم لا تبعانكم، فأخبر تعالى عنهم بأنهم في هذه الحال ﴿هم للكفر أقرب منهم للإيمان﴾ إذ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ حتى من أنفسهم يعلم أنهم يكتمون عداوة الله ورسوله والمؤمنين وإرادة السوء بالمؤمنين، وأن قلوبهم

(١) أنى هذا: جملة اسمية فأنى بمعنى أين وهو الخبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر.

(٢) الاستفهام هنا للإنكار والتعجب لأن قولهم ﴿أنى هذا﴾ مما ينكر ويتعجب منه وذلك أن سبب المصيبة غير خاف ولا غامض فهو ظاهر مكشوف، وهو عصيانهم للقيادة بمخالفة أمرها، ولما: اسم زمان مضمن معنى الشرط وقلتم: هو الجزاء.

مع الكافرين الغازين . ثم أخبر تعالى عنهم أنهم قعدوا عن الجهاد في أحد وقالوا لإخوانهم في النفاق - وهم في مجالسهم الخاصة - : - لو أنهم قعدوا فلم يخرجوا كما لم نخرج نحن ما قتلوا . فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قائلًا : ﴿فادعوا﴾ أي ادفعوا عن أنفسكم الموت إذا حضر أجلكم إن كنتم صادقين في دعواكم أنهم لو قعدوا ما قتلوا . من هداية الآيات :

١- المصائب ثمرة الذنوب .

٢- كل الأحداث التي تتم في العالم سبق بها علم الله ، ولا تحدث إلا بإذنه .

٣- قد يقول المرء قولاً أو يظن ظناً يصبح به على حافة هاوية الكفر .

٤- الحذر لا يدفع القدر .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ

بِمَاءِ اتَّخَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾

شرح الكلمات :

ولا تحسبن : ولا تظنن .

قتلوا : استشهدوا .

أحياء : يُحْسِنُونَ ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام والشراب .

(١) هذا ردُّ على ابن أبي كبير المنافقين وسيدهم الذي قال : لو أطاعونا ما قتلوا .

(٢) قال تعالى من سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي من الذنوب والمعاصي .

(٣) ومع أنه لا يدفع القدر فإن استعماله واجب لقوله تعالى ﴿خذوا حذرکم﴾ .

فرحين : مسرورين .
 لا خوف عليهم : لما وجدوا من الأمن التام عند ربهم .
 ولا هم يحزنون : على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة .
 يستبشرون : يفرحون
 وفضل : وزيادة .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة أحد فقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولا تحسبن﴾ ^(١) أي لا تظنن الذين استشهدوا من المؤمنين في أحد وغيرها أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون بطيب الرزق ولذيد العيش بل هم أحياء عند ربهم يرزقون أرواحهم في حواصل طير خضر يأكلون من ثمار الجنة ويأوون إلى قناديل معلقة بالعرش . إنهم فرحون بما أكرمهم الله تعالى به، ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا ولم يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها . إن الشهداء جميعا مستبشرون فرحون بما ينعم الله عليهم ويزيدهم وبأنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين شهداء وغير شهداء بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الشهداء أحياء والمؤمنون أحياء في الجنة غير أن حياة الشهداء أكمل .
- ٢- الشهداء يستبشرون بالمؤمنين الذين خلفوهم على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم نالهم من الكرامة والنعيم ما نالهم هم قبلهم .

(١) روى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأتي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقامهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلا يزهذوا في الجهاد ولا يهلكوا عند الحرب فقال الله سبحانه : أنا ابلفهم عنكم فانزل الله ﷻ ﴿ولا تحسبن﴾ الآية .

(٢) مما ورد في فضل الشهيد أن الله تعالى يغفر له كل ذنب أذنبه إلا الدين لقوله ﷻ : «القتيل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين كذلك قال لي جبريل عليه السلام أنفاً . قال العلماء : الذين يشمل كل الحقوق المتعلقة بالذمة .

(٣) روى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ قال : «لشاهد عند الله ست خصال : يغفر له في دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الباقوة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه .»

(٤) الإجماع على أن شهيد المعركة بين الكفار والمسلمين أنه لا يغسل ولا يصلى عليه لحديث البخاري . «وادفونهم بدمائهم» يعني شهداء أحد ولم يغسلهم والعلبة في عدم غسلهم أن دماءهم تأتي يوم القيامة كريح المسك .

٣- لا خوف ينال المؤمن الصالح إذا مات ولا حزن يصيبه .

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
 فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
 يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

شرح الكلمات :

- استجابوا^(١) : اجابوا الدعوة وقبلوا الأمر .
 القرّح^(٢) : أَلَم الجراحات .
 أحسنوا : أعملهم واقولهم أتوا بها وفق الشرع واحسنوا الى غيرهم .
 اتقوا : رهبهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه .
 جمعوا لكم : جمعوا الجيوش لقتالكم .
 حسبنا الله : يكفيننا الله ما أرادونا به من الأذى .
 ونعم الوكيل : نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها اليه .
 انقلبوا : رجعوا من حمراء الأسد الى المدينة .
 اولياء الشيطان : أهل طاعته والاستجابة اليه فيما يدعوهم اليه من الشر والفساد .

(١) قيل إن هذه الآية : ﴿الذين استجابوا﴾ الخ نزلت في رجلين من بني الأشهل كانا مشخين بالجراح وخرجا إلى حمراء الأسد مع رسول الله ﷺ يتوكأ أحدهما على صاحبه .

(٢) أخرج أصحاب الصحاح عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت له كان أبواك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرّح، وتعني بأبويه الزبير، وأبا بكر الصديق رضي الله عنهما .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة أحد وما لابسها من أمور وأحوال والآيات الأربع كلها في المؤمنين الذين حضروا غزوة أحد يوم السبت وخرجوا في طلب أبي سفيان يوم الأحد وعلى رأسهم نبيهم محمد ﷺ ، وذلك أن النبي ﷺ رأى أن يرفع معنويات أصحابه الذين كَلِمُوا وهزموا يوم السبت بأحد ، وأن يهرب أعداءه فامر مؤذناً يؤذن بالخروج في طلب أبي سفيان وجيشه ، فاستجاب المؤمنون وخرجوا وإن منهم للمكلم المجرع ، وإن أخوين جريجين كان أحدهما يحمل أخاه على ظهره فاذا تعب وضعه فمشى قليلاً ، ثم حمله حتى انتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حمراء الأسد ، وألقى الله تعالى الرعب في قلب أبي سفيان فارتحل هارباً إلى مكة ، وقد حدث هنا أن معبدًا الخزاعي^(١) مر بمعسكر أبي سفيان فسأله عن الرسول فأخبره أنه خرج في طلبكم وخرج معه جيش كبير وكلهم تغيط عليكم ، أنصح لك أن ترحل فهرب برجاله خوفاً من رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأقام الرسول ﷺ بحمراء الأسد برجاله كذا ليلة ثم عادوا لم يمسسهم سوء وفيهم نزلت هذه الآيات الأربع وهذا نصها :

الآية (١٧٢) ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ يريد في أحد واستجابوا : لبوا نداء الرسول ﷺ وخرجوا معه في ملاحقة أبي سفيان ، ﴿للمؤمنين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ ولكل من أحسن واتقى أجر عظيم ، ألا وهو الجنة الآية الثانية (١٧٣) ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ . المراد من الناس القائلين هم نفر من عبد القيس مروا بأبي سفيان وهو عازم على العودة الى المدينة لتصفية المؤمنين بها في نظره فقال له أبو سفيان أخبر محمداً وأصحابه أنى ندمت على تركهم أحياء بعدما انتصرت عليهم وإنى جامع جيوشي وقادم عليهم ، والمراد من الناس الذين جمعوا هم أبوسفيان فلما بلغ هذا الخبر الرسول ﷺ وأصحابه زادهم^(٢) إيماناً فوق إيمانهم بنصر الله تعالى وولايته لهم ، وقالوا : حسبنا الله أي يكفيننا الله شرهم ، ونعم الوكيل الذى يكفيننا ما أهمنا

(١) لأن خراعة كانت حلفاء لرسول الله ﷺ وعيبة نصحه أي موضع سره.

(٢) روى البخاري عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ إلى ﴿ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم .

(٣) الذي زادهم إيماناً هو قول الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، وهل الإيمان يزيد وينقص ؟ الخلاف قديم في هذه القضية . والقول الذي تشهد له نصوص الكتاب والسنة هو أن الإيمان يقوى ويضعف فإذا قوي زاد عمل المؤمن في الطاعات بفعل الحسنات وترك السيئات وإذا ضعف قل عمله الصالح وزاد عمله الطالح فيستدل على الإيمان قوة وضعفاً بمتعلقه وهو الطاعة والمعصية .

ونفوض أمرنا إلى الله. الآية الثالثة (١٧٤) ﴿فانقلبوا﴾ أي رجعوا من حمراء الأسد لأن أباسفيان القى الله الرُّعب في قلبه فانهمز وهرب، رجعوا مع نبهم سالمين في نعمة الإيمان والاسلام والنصر، ﴿وفضل﴾ حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم ﴿لم يمسههم سوء﴾ أى أذى، ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ بالاستجابة لما دعاهم الله ورسوله وهو الخروج في سبيل الله لملاحقة أبي سفيان وجيشه. وقوله تعالى: ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ وما أفاضه على رسوله كاف في التدليل عليه الآية الرابعة (١٧٥) ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾^(١) فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين، وذلك أن وفد عبد القيس أجره أبوسفيان بكذا حمل من زبيب إن هو خوف المؤمنين منه فبعثه كأنه (طابور) يخذل له المؤمنين إلا أن المؤمنين عرفوا أنها مكيدة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت الآية: ﴿إنما ذلكم الشيطان﴾ الناطق على لسان النفر من عبد القيس يخوف المؤمنين من أوليائه أبى سفيان وجمعه، فلا تخافوهم فنهاهم عن الخوف منهم وأمرهم أن يخافوه تعالى فلا يجبنوا ويخرجوا الى قتال أبى سفيان وكذلك فعلوا لأنهم المؤمنون بحق رضى الله عنهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١- فضل الإحسان والتقوى وأنهما مفتاح كل خير.
- ٢- فضل أصحاب رسول الله على غيرهم، وكرامتهم على ربهم.
- ٣- فضل كلمة «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها رسول الله وقالها ابراهيم من قبل فصلى الله عليهما وسلم.
- ٤- بيان أن الشيطان يخوف المؤمنين من أوليائه، فعلى المؤمنين أن لا يخافوا غير ربهم تعالى في الحياة، فيطيعونه ويعبدونه ويتوكلون عليه، وهو حسبهم ونعم الوكيل لهم.

(١) معنى يخوف أوليائه أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك على لسان نعيم بن مسعود الذي أجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان على الكرة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) الخوف من الله تعالى أمر الله به وهو واجب على كل مؤمن وحقيقته: أن يترك العبد ما يخاف أن يعذب عليه وقيل ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه وإنما من يترك ما يخاف أن يعذب به.

(٣) الوكيل: فاعيل بمعنى مفعول أي: الموكول إليه الأمر.

(٤) الشيطان يكون من الجن ومن الإنس فإن كان من الجن فتخوفه يكون بواسطة الوسواس، وإن كان من شياطين الإنس فتخوفه يكون بالكلام الشفوي الذي ظاهره النصيح وباطنه الخداع والغش.

وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

شرح الكلمات :

الحزن : غم يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه

الكفر : الكفر تكذيب الله تعالى ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به .

يسارعون : يبادرون .

حِطًّا : نصيباً .

اشتروا الكفر : اعتاضوا الكفر عن الايمان .

نملئهم : الإملاء : الإمهال والارخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم .

إثماً : الإثم : كل ضار قبيح ورأسه : الكفر والشرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة أحد ففي هذه الآيات الثلاث - وقد كشفت الأحداث عن أمور خطيرة حيث ظهر النفاق مكشوفاً لا ستار عليه ، وحصل من ذلك ألم شديد لرسول الله ﷺ والمؤمنين - يخاطب الله تعالى رسوله قائلاً له : لا يحزنك مسارعة هؤلاء المنافقين في

(١) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الراء من أحزن يحزن في كل القرآن ، إلا قوله تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ وقرأ الجمهور يحزنك بفتح الياء وضم الزاي .

(٢) قيل في هؤلاء المسارعين في الكفر إنهم المنافقون وقيل هم كفار قريش وقيل هم اليهود ، واللفظ يشمل كل ذلك إذ الفئات الثلاث كلها كانت تسارع في الكفر بنصرته والعمل فيه وبه .

الكفر، وقال في الكفر ولم يقل الى الكفر إشارة إلى أنهم ما خرجوا منه لأن اسلامهم كان نفاقاً فقط، ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾، والله يريد أن لا يجعل لهم نصيباً من نعيم الآخرة فلذا تركهم في كفرهم كلما خرجوا منه عادوا إليه، وحكم عليهم بالعذاب العظيم فقال: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧٦). أما الآية الثانية (١٧٧) فقد تضمنت حكم الله تعالى على الذين يرتدون بعد إيمانهم فيبيعون الإيـمان بالكفر، ويشترون الضلالة بالهدى حكم عليهم بأنهم لن يضروا الله شيئاً من الضرر، ولهم عذاب أليم فقال تعالى: ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم﴾ والعذاب الأليم هو عذاب النار إذ لا آلم ولا أشد إجماعاً منه.

وأما الآية الثالثة (١٧٨) فقد تضمنت بطلان حسابان الكافرين أن الله تعالى عندما يمهلهم ويمد في أعمارهم ولم يعاجلهم بالعذاب أن ذلك خير لهم، لا، بل هو شر لهم، إذ كلما تأخروا يوماً اكتسبوا فيه إثماً فبقدر ما تطول حياتهم يعظم ذنبهم وتكثر آثامهم، وحينئذ يوبقون ويهلكون هلاكاً لا نظير له قال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ أي ذو إهانة، لأنهم كانوا ذوى كبر وعلو في الأرض وفساد، فلذا ناسب أن يكون في عذابهم اهانات لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا ينبغي للمؤمن أن يُجزئه كفر كافر ولا فسق فاسق، لأن ذلك لا يضـر الله تعالى شيئاً، وسيجزى الله الكافر والفساق بعدله.
- ٢- لا ينبغي للعبد أن يغره إمهال الله له، وعليه أن يبادر بالتوبة من كل ذنب إذ ليس هناك إهمال وإنما هو إمهال^(١).
- ٣- الموت للعبد خير من الحياة، لأنه إذا كان صالحاً فالآخرة خير له من الدنيا وإن كان غير

(١) ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ من الضر لا في ذاته ولا في دينه ولا في ملكه وسلطانه ولا رسوله، وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني».

(٢) كرر لفظ ﴿لن تضروا الله شيئاً﴾ لأجل التأكيد والتقرير حتى يباس المنافقون والكافرون من إلحاق أي ضرر برسول الله ﷺ ويدعوته وشيئاً: منصوب على المصدرية أي: لن يضروا الله ضرراً قليلاً ولا كثيراً.

(٣) قسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة انظاراً لهم لا إهمالاً.

(٤) شاهده قول ابن مسعود رضي الله عنه ما من أحد بر ولا فاجر إلا والموت خير له لأنه إن كان برّاً فقد قال الله تعالى: ﴿وما عند الله خير للآبرار﴾ وإن كان فاجراً فقد قال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ وروي مثله عن ابن عباس أخرجه

ذلك حتى لا يزداد اثماً فيوق بكثرة ذنوبه .

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا
 أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
 عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا
 يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ
 لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 وَاللَّهُ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

شرح الكلمات :

ليذر :	ليترك :
يميز :	يميز ويبين .
الخبِيث :	من خبثت نفسه بالشرك والمعاصي .
الطيب :	من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح .
الغيب :	ما غاب فلم يدرك بالحواس .
يجتبي ^(١) :	يختار ويصطفى .
يبخلون :	يمنعون ويضنون .
يطوقون به :	يجعل طوقاً في عنق أحدهم .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أحداث وقعة أحد، وما لازمها من ظروف وأحوال فاخبر تعالى في هذه الآية (١٧٩) انه ليس من شأنه تعالى أن يترك المؤمنين على ما هم عليه فيهم المؤمن الصادق

(١) البخل بضم الباء واسكان الخاء، والبخل بفتح الباء والخاء معاً هو أن يمنع الإنسان الحق الواجب عليه من زكاة أو ضيافة أو إطعام جائع، وستر عارٍ ولم يوجد من يقوم به سواء ومالا فلا يقال فيه بخيل شرعاً.

في إيمانه، والكاذب فيه وهو المنافق. بل لابد من الابتلاء بالتكاليف الشاقة منها كالجهاد والهجرة والصلاة والزكاة، وغير الشاقة من سائر العبادات حتى يميز المؤمن الصادق وهو الطيب الروح، من المؤمن الكاذب وهو المنافق الخبيث الروح، قال تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وذلك أن الله لم يكن من سنته في خلقه أن يطلعهم على الغيب فيميز المؤمن من المنافق، والبار من الفاجر، وإنما يبتلي بالتكاليف ويظهر بها المؤمن من الكافر والصالح من الفاسد. إلا أنه تعالى قد يجتبي من رسله من يشاء فيطلع على الغيب، ويظهره على مواطن الأمور وبناء على هذا فآمنوا بالله ورسوله حق الإيمان، فإنكم إن آمتتم صادق الإيمان واتقيتم معاصي الرحمان كان لكم بذلك أعظم الأجور وهو الجنة دار الحبور والسرور هذا ما دلت عليه الآية (١٧٩) أما الآية الثانية (١٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن خطأ البخلاء الذين يملكون المال ويدخلون به فيقول: ولا يحسن أي ولا يظن الذين يدخلون بما آتاهم الله من المال الذي تفضل الله به عليهم أن يخلهم به خير لأنفسهم كما يظنون بل هو أي البخل شر لهم، وذلك لسببين الأول ما يلحقهم في الدنيا من معرة البخل وآثاره السئية على النفس، والثاني أن الله تعالى سيعذبهم به بحيث يجعله طوقاً من نار في أعناقهم، أو بصورة ثعبان فيطوقهم^(٣)، ويقول لصاحبه: «أنا مالك أنا كنزك» كما جاء في الحديث. فعلى من يظن هذا الظن الباطل أن يعدل عنه، ويعلم أن الخير في الإنفاق لا في البخل. وأن ما يبخل به هو مال الله، وسيرته، ولم يجن البخلاء إلا المعرة في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فاتقوه فيما آتاكم فاتوا زكاته وتطوعوا بالفضل فإن ذلك خير لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

(١) روي أن الآية نزلت إجابة لمن طالبوا بعلامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من شأنه أن يترك المؤمنين على ما هم عليه في اختلاطهم مع المنافقين حتى ينزل من الشرائع والتكاليف ما يميز بفعله وتركه المؤمن من المنافق.

(٢) إذ العبرة ليست بمعرفة الغيب وإنما العبرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة وعليه فأعرضوا عن المطالبة بمعرفة الغيب وأقبلوا على ما يحقق لكم نجاتكم وسعادتكم.

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني شديقه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ يَخْلُونَ...﴾ الآية

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- من حكم التكليف اظهار المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب .
- ٢- استئثار الرب تعالى بعلم الغيب دون خلقه الا ما يطلع عليه رسله لحكمة اقتضت ذلك .
- ٣- ثمن الجنة الإيمان والتقوى .
- ٤- البخل بالمال شر لصاحبه ، وليس بخير له كما يظن البخلاء .
- ٥- من أوتي مالا ومنع حق الله فيه عذب به يوم القيامة دلت على ذلك هذه الآية وآية التوبة^(١) وحديث البخارى : «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - أى شذقيه - يقول أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا الآية ﴿ولا يحسن الذين...﴾ الآية» .

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقْرَبَانٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

(١) هي قوله تعالى : ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ .

شرح الكلمات :

عذاب الحريق ^(١)	: هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم .
ذلك بما قدمت أيديهم	: أى ذلك العذاب بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم .
عهد الينا	: أمرنا ووصانا فى كتابنا (التوراة) .
ان لا تؤمن لرسول	: أى لا تتابعه ، على ما جاء به ولا نصدقه فى نبوته .
بقربان تأكله النار	: القربان : ما يتقرب به الى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع فى مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه .
البيئات	: الآيات والمعجزات .
وبالذى قلتهم	: أى من القربان .
فلم تقتلتموهم	: الاستفهام للتوبيخ ، ومن قتلوا من الأنبياء زكريا ويحيى عليهما السلام .
الزبور	: جمع زبور وهو الكتاب كصحف ابراهيم .
الكتاب المنير	: الواضح البين كالتوراة والزبور والإنجيل .

معنى الآيات :

لما نزل قول الله تعالى : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾ ودخل أبوبكر الصديق رضى الله عنه بيت (المدراس)^(٢) واليهود به وهم يستمعون لأكثر علمائهم وأجل أحبارهم فنحاص فدعاه أبوبكر الى الإسلام ، فقال فنحاص : إن رباً يستقرض نحن أغنى منه ! ينهانا صاحبك عن الربا ويقبله فغضب أبوبكر رضى الله عنه وضرب اليهودى فجاء الى رسول الله ﷺ فشكا أبابكر فسأل الرسول أبابكر قائلاً : «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال إنه قال : إن الله فقير ونحن أغنياء فأنكر اليهودى فأنزله الله تعالى الآية ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ ، أي نكتبه أيضاً ، ونقول لهم : ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ ، وقولنا ذلك بسبب ما

(١) الحريق : اسم للملتهبة من النار ، إذ النار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة .

(٢) بيت المعلم من بنى اسرائيل .

(٣) إن من نزلت فيهم الآية لم يقتلوا الأنبياء ، وإنما قتلهم سلفهم ، ولكن برضاهم عن أسلافهم وما صنعوا كان حكمهم حكم من قتل لأن الرضا بالمعصية . روي أن رجلاً حسن قتل عثمان عند الشعبي فقال له الشعبي شركت في دمه فجعل الرضا بالقتل قتلاً .

قدمته أيديكم من الشر والفساد، وأن الله ليس بظلام للعبيد، فلم يكن جزاؤكم مجافيا للعدل ولا مباعدا له أبداً لتتزه الرب تعالى عن الظلم لعباده هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨١) ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ والآية الثانية (١٨٢) ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وأما الآية الثالثة (١٨٣) وهي قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قتلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾؟ فقد تضمنت دعوى يهودية كاذبة باطلة لا صحة لها البتة، والرد عليها فالدعوى هى قولهم إنَّ الله قد أمرنا موصياً لنا أن لا نؤمن لرسول فنصدقه ونتابعه على ما جاء به، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، يريدون صدقة من حيوان أو غيره توضع أمامهم فتتنزل عليها نار من السماء فتحرقها فذلك آية نبوته، وأنت يا محمد ما اتينا بذلك فلا نؤمن بك ولا نتابعك على دينك، وأما الرد فهو قول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا: ﴿قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات﴾ وهى المعجزات، ﴿وبالذى قتلتم﴾ وهو قربان تأكله النار فلم قتلتموهم، إذ قتلوا زكريا ويحيى وحاولوا قتل عيسى، إن كنتم صادقين فى دعواكم؟ وأما الآية الرابعة (١٨٤) فإنها تحمل العزاء لرسول الله ﷺ إذ يقول له ربه تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾ فلم يؤمنوا بك، فلا تحزن ولا تأسى لأنك لست وحدك الذى كُذبت، فقد كذبت رسل كثر كرام، جاءوا أقوامهم بالبينات أى المعجزات، وبالزبر، والكتاب المنير كالنوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وكذبتهم أمهم كما كذبك هؤلاء اليهود والمشركون معهم فاصبر ولا تحزن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كفر اليهود وسوء أدبهم مع الله تعالى ومع أنبيائهم ومع الناس أجمعين.
- ٢- تقرير جريمة قتل اليهود للأنبياء وهى من أبشع الجرائم.

(١) روى القرطبي عن الكلبي أن هذه الآية نزلت رداً على كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وفتحاص بن عزريا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: أنزع أن الله أرسلك إلينا وأنه أنزل علينا كتاباً عهد إلينا فيه أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئنا به صدقناك. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣- بيان كذب اليهود في دعواهم أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا بالرسول حتى يأتيهم بقرآن تأكله النار.

٤- تعزية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات أمام ترهات اليهود وأباطيلهم.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ الْتَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات :

ذائقة الموت^(١) : أي ذائقة موت جسدها أما هي فانها لا تموت .
توفون : تعطون جزاء أعمالكم خيراً أو شراً وافية لا نقص فيها .
زحرج : نجى وأبعد .
فاز : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة .
متاع الغرور^(٣) : المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع، فشبهت الدنيا بمتاع خادع غارٍ صاحبه، لا يلبث أن يضمحل ويذهب .

(١) وإن صحت دعواهم في التوراة فإن فيها استثناء عيسى ومحمد ﷺ أو هي منسوخة في الإنجيل، ولكن ما رآه الله تعالى به عليهم لا يتطلب مزيد حجج فإنه قاطع مفهم مسكت ونص التوراة تمامه: «حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكما فأمنوا بهما من غير قرآن».

(٢) قرئ ذائقة الموت بالإضافة، وذائقة الموت بدونها، والأولى قراءة العامة، وهذا مما لا محيص للإنسان عنه، قال أمية بن الصلت: من لم يمت عبطة يمت هرمًا للموت كأس والمرأ ذائقتها ومعنى عبطة: شابًا وللموت علامات من أبرزها عرق الجبين، وفي الحديث: «المؤمن يموت بعرق الجبين» فإذا شوهدت لعن الميت لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

(٣) يوضح معنى متاع الغرور: قوله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر به ترجع إليه» والغرور مصدر إضيء إليه المتاع، فالمتاع ما يتمتع به ثم يضمحل وكونه للغرور زاد في التحذير منه فلذا قال فيها قتادة: الدنيا متاع متروك يوشك أن تضمحل بأهلها.

لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ

: لَتَخْتَبِرَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ بَادَاءَ الْحَقِّقِ الْوَاجِبَةِ فِيهَا، أَوْ بِذَهَابِهَا
وَأَنْفُسِكُمْ بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ كَالْجِهَادِ وَالْحَجِّ، أَوْ الْمَرَضِ وَالْمَوْتِ.

: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

أَوْتُوا الْكِتَابَ

: الْعَرَبُ.

الَّذِينَ اشْرَكُوا

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ : يَرِيدُ أَنَّ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُهَا
وَلَيْسَ فِيهَا رَخِصٌ وَلَا تَرْخِيسٌ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

مَعْنَى الْآيَاتِ :

مَا زَالَ السِّيَاقُ فِي تَعْزِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لَقَدْ جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ
ﷺ عَمَّا آلَهُ مِنْ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَعْظَمُ تَسْلِيَةٍ وَعِزَاءٍ، إِذْ أَخْبَرَ
تَعَالَى فِيهَا بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّهَا عُلْتُ أَوْ سَفَلْتُ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ لَا مُحَالَةَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ دَارَ
جِزَاءٍ وَإِنَّمَا هِيَ دَارُ كَسْبٍ وَعَمَلٍ، وَلِذَا قَدْ يَجْرِمُ فِيهَا الْمَجْرُمُونَ وَيُظْلِمُ الظَّالِمُونَ، وَلَا يَنَالُهُمْ
مَكْرُوهٌ، وَقَدْ يَحْسُنُ فِيهَا الْمُحْسِنُونَ وَيُصْلِحُ الْمُصْلِحُونَ وَلَا يَنَالُهُمْ مَحْبُوبٌ، وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ
عَظِيمَةٌ وَأُخْرَى: الْعِلْمُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِيهَا لَا تَعْدُو كَوْنَهَا مَتَاعَ الْغُرُورِ، أَيِّ مَتَاعٍ
زَائِلٍ غَارٍ بِبَهْرَجِهِ، وَجَمَالَ مَنْظَرِهِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَذْهَبَ وَيَزُولَ. هَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ
الْأُولَى (١٨٥) أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ (١٨٦) فَفِيهَا يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ لَا مُحَالَةَ مُخْتَبِرُونَ
فِي أَمْوَالِهِمْ وَفِي أَنْفُسِهِمْ. فِي أَمْوَالِهِمْ بِالْجَوَاحِشِ، وَبِالْوَجِيبَاتِ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَرَضِ وَالْمَوْتِ
وَالْتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ كَالْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّهُمْ لَا يَدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ أَذَى كَبِيرًا كَمَا قَالَ فَتَحَاصُّ: اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ أَوْ كَمَا قَالَ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ
ابْنُ اللَّهِ، وَكَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاةُ آلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ. ثُمَّ حَثَّهُمْ تَعَالَى عَلَى الصَّبْرِ

(١) مِنْ أَحْكَامِ الْإِحْتِضَارِ تَلْقِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِرَاءَةَ يَسِّ لِتَخْفِيفِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يقرأُ عِنْدَهُ يَسُّ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ» وَحَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ «أَقْرَأُوا يَسَّ عَلَى مَوْتَاكُمْ» وَمِنْ أَحْكَامِ الْمَوْتِ تَغْمِيزُ الْعَيْنَيْنِ وَغُسْلُهُ وَكِفْنُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْجِيلُ دَفْنِهِ وَالْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ بِهِ لِحَدِيثِ: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنَّ تِلْكَ صَالِحَةٌ خَيْرٌ تَقْدِمُونَهَا إِلَيْهِ وَإِنْ تِلْكَ غَيْرُ ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

(٢) قَالَ ابْنُ أَبِي لَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ لَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ يَنْظُمُ الْقَصَائِدَ يَسِبُ فِيهَا الْمُسْلِمِينَ وَيُؤَلِّبُ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْكَافِرِينَ، بَلْ كَانَ يَتَشَبَّهُ بِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِذَا أَذِنَ الرَّسُولُ فِي اغْتِيَالِهِ فَقَتَلَهُ غِيلَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلَمَةَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

والتقوى فقال وإن تصبروا وتتقوا فإن صبركم وتقواكم مما أوجب الله تعالى عليكم وليس هو من باب الندب والاستحباب بل هو من باب الفرض والوجوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ليست الدار الدنيا بدار جزاء وإنما هي دار عمل .
- ٢- تعريف الفوز الحق وهو الزخزعة عن النار ودخول الجنة .
- ٣- بيان حقيقة هذه الحياة وأنها كمتاع خادع لا يلبث ان يتلاشى ويضمحل .
- ٤- الابتلاء ضرورى فيجب الصبر والتقوى فإنها من عزائم الأمور لا من رخصها .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا
قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

شرح الكلمات :

- الميثاق : العهد المؤكد باليمين .
أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى .
الكتمان : إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم .
فنبذوه وراء ظهورهم : ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به من الإسلام .

(١) الضمير عائد إلى الكتاب أي أقسم عليكم بجلالي وكمالي أَنْظِرُونِ جميع ما في الكتاب من الأحكام والأخبار ومنها نعت النبي محمد ﷺ وصفاته .

واشتروا به ثمنًا قليلاً : اعتاضوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل اذ كتموه، ابقاء على منافعهم الدنيوية .

ان يحمدا بما لم يفعلوا : أي يثنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك .
بمفازة من العذاب : بمنجاة من العذاب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في اليهود فيقول تعالى لنبيه، واذكر لهم إذ أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى أخذ على علمائهم العهد المؤكد بأن يبينوا للناس نعوت النبي ﷺ في كتابهم، وأن يؤمنوا به ويتابعوه على ما جاء به من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، ولكنهم كتموه ونبدوه وراء ظهورهم فلم يلتفتوا إليه واستبدلوا بذلك ثمنًا قليلًا وهو الجاه والمنصب والمال قال تعالى: ﴿واشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ وذم الله تعالى ذلك الثمن القليل فقال فبئس ما يشترونه هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨٧) وأما الآية الثانية (١٨٨) ﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾. فإن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ لا تحسبن يا رسولنا الذين يفرحون بما اتوا من الشر والفساد بتحريف كلامنا وتبديل اوامرنا وتغيير شرائعنا وهم مع ذلك يحبون أن يحمدهم الناس أي يشكروهم ويثنوا عليهم، ما لم يفعلوا من الخير والإصلاح إذ عملهم كان العكس وهو الشر والفساد فهؤلاء من اليهود ولا تحسبنهم بمفازة أي بمنجاة من العذاب، ولهم عذاب أليم يوم القيامة . وأما الآية الثالثة (١٨٩) فقد أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأنه على كل شيء قدير فدلل بذلك على قدرته على البطش بالقوم والانتقام منهم، وأنه منجز وعيده لهم وهو عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة فقال: ﴿ولله ملك السموات والأرض، والله على كل شيء قدير﴾.

(١) روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من المنافقين كانوا إذا خرج الرسول ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا وحلفوا وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية، وروي في سبب نزولها الخبر الآتي: إن مروان بعث بأحد رجاله إلى ابن عباس يسأله قاتلاً: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمدا بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعين؟ فقال ابن عباس مالكم وهذه إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا الآية: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق﴾ إلى قوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- أخذ الله الميثاق على علماء أهل الكتاب ببيان الحق يتناول علماء الإسلام^(١) فإن عليهم أن يثبتوا الحق ويجهروا به، ويحرم عليهم كتمان^(٢)ه أو تأويله ارضاء للناس ليحوزوا على مكسب دنيوي مالا أو جاهاً أو سلطاناً.

٢- لا يجوز للمسلم ان يحب أن يحمّد بما لم يفعل من الخير والمعروف، بل من الكمال أن لا يرغب المسلم في مدح الناس وثنائهم وهو فاعل لما يستوجب ذلك فكيف بمن لم يفعل ثم يحب أن يحمّد. بل بمن يفعل الشر والفساد ويحب ان يحمّد عليه بالتصفيق له وكلمة يحى فلان....

٣- ملك الله تعالى لكل شيء وقدرته على كل شيء توجب الخوف منه والرغبة إليه وأكثر الناس عن هذا غافلون، وبه جاهلون.

إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ

(١) قال محمد بن كعب : لا يحل لعالم أن يسكت على علمه ولا لجاهل أن يسكت على جهله قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية . وقال : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال علي رضي الله عنه : ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا.

(٢) شاهده ما جاء من طرق متعددة عنه ﷺ أنه قال : «من سئل عن علم فكنمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وشاهده أيضاً : حديث البخاري : «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» .

(٣) هذه حال الكثير من زعماء أمة الإسلام في عصور انحطاطها وفساد عقائدها وأخلاقيها وانحراف سلوكها نتيجة كيد المجوس لها واليهود والنصارى كذلك .

ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
 سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا
 عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾
 فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ
 ذَكَرٍ أَوْ أَنٓتِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمْنَا هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا
 مِّنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَا كُفْرَنَ
 عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

شرح الكلمات :

في خلق السموات والأرض : أي في وجودهما من العدم .
 واختلاف الليل والنهار : تعاقبهما هذا يحىء وذاك يذهب ، هذا مظلم وذاك مضى .
 آيات : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته
 ورحمته .

لأولي الألباب : أصحاب العقول التي تدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة
 رَبَّنَا : يقولون : ربنا الخ . .
 باطلا : لا لشيء مقصود منه ، وإنما هو من باب اللعب .
 سبحاتك^(١) : تنزيها لك عن العبث واللعب ، وعن الشريك والولد .
 فقنا عذاب النار : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة
 وتجنبينا الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار .
 أخزيتـه : أذلته وأشقيته .

(١) روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى سُبْحَانَ اللَّهِ فَقَالَ : «تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ السُّوءِ»

كفر عنا	: استروامح .
الأبرار	: جمع يرّ أو بار وهم المتمسكون بالشرية .
على رسلك	: على السنة رسلك من النصر والتأييد .
الميعاد	: الوعد .
هاجروا	: تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهليهم فراراً بدينهم .
أوذوا في سبيلي	: آذاهم المشركون من اجل الإيـان بي ورسولي وطاعتنا .
ثوابا من عند الله	: أي أجراً جزاء كائناً من عند الله ، وهو الجنات بعد تكفير السيئات .

معنى الآيات :

لما قال اليهود تلك المقالة السيئة : ان الله تعالى فقير ونحن أغنياء ، وحرفوا الكتاب وبدلوا وغيروا ويحبون ان يحمدا على باطلهم كانت مواقفهم هذه دالة على عمى في بصائرهم ، وضلال في عقولهم ، فذكر تعالى من الآيات الكونية ما يدل على غناه ، واقتدار عباده إليه ، كما يدل على ربوبيته على خلقه ، وتدبيره لحياتهم وتصرفه في أمورهم ، وانه ربه لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه إلا أن هذا لا يدركه الا أرباب العقول الحصيفة والبصائر النيرة فقال تعالى : ﴿ان في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ نعم ان في ايجاد السموات والأرض من العدم وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء ، والتعاقب بذهاب هذا وبجيء ذاك دلائل واضحات على غنى الله واقتدار عباده وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقهم . والوهيته لهم . هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩٠) وأما الآيات الأربع بعدها فقد تضمنت وصفاً لأولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فيهدتدون الى معرفة الربّ تعالى فيذكرونه ويشكرونه . فقال تعالى عنهم : ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ وهذا شامل لحالهم في الصلاة ^(٣)

(١) صحَّ أَنَّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قرأ هذه الآيات العشر فلذا استحب لمن قام من ليله ليتجهّد أن يقرأها ويتفكر فيها وورد عن عثمان : من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة .

(٢) شاهد هذا قول عائشة في الصحيح : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» ومن الأدب أن يستثني من هذا العموم حالة التبول وقضاء الحاجة في الكنف .

(٣) لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما إذ قال كان بي البواسير فسألت رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه الأئمة وفي مسلم : «أن النبي ﷺ صلى النافلة قاعداً وذلك قبل موته بعام» .

وخارج الصلاة. وقال عنهم: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي في إيجادهما وتكوينهما وإبداعهما، وعظيم خلقهما، وما أودع فيها من مخلوقات. فلا يلبثون أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي لا لحكمة مقصودة ولا لهدف مطلوب، بل خلقتة بالحق وحاشاك أن تكون من اللاعبين العابثين سبحانه تنزيها لك عن العبث واللعب بل خلقت ما خلقت لحكم عالية خلقتة لأجل أن تذكر وتشكر، فتكرم الشاكرين الذاكرين، في دار كرامتك وتهين الكافرين في دار عذابك، ولذا قالوا: في الآية (١٩٢) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. والظالمون هم الكافرون، ولذا يعدمون النصير ويخزون بالعذاب المهيّن، وقال عنهم في الآية (١٩٣) ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾، والمنادى هو القرآن الكريم والرسول ﷺ وتوسلوا بإيمانهم لربهم طالين أشرف المطالب واسماها مغفرة ذنوبهم ووفاتهم مع الأبرار فقالوا ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ وهو ما جاء في الآية (١٩٣) وأما الآية الخامسة (١٩٤) فقد سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على السنة رسله من النصر والتمكين في الأرض، هذا في الدنيا، وأن لا يُخْزِيَهُمْ يوم القيامة بتعذيبهم في النار، فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ وَلَا نَحْزَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، أي وعدك الحق وفي الآية السادسة (١٩٥) ذكر تعالى استجابته لهم فقال لهم: ﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرْ أَوْ أَنْشَى﴾ بل أجازى الكل بعمله لا أنقصه له ذكراً كان أو أنثى لأن بعضكم من بعض الذكر من الأنثى والآنثى من الذكر فلا معنى للترقية بينهم، وذكر تعالى بعض أعمالهم الصالحة التي استوجبوا بها هذا الإنعام فقال: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا، وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَوْذَوْا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، وواعدهم قائلاً: ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، وكان ذلك ثواباً منه تعالى على أعمالهم الصالحة، والله عنده حسن الثواب، فليَرْغَبْ إليه، وليَطْمَعْ فيه، فإنه البر الرحيم.

(١) الفكرة: تردد القلب في الشيء، والتفكير ممدوح ما كان في خلق السموات والأرض وفي أحوال القيامة والمعاد والجزاء والدار الآخرة وورد النهي عن التفكير في ذات الله، إذ قال ﷺ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره».

(٢) أي محمد ﷺ قاله ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين. وقال قتادة وغيره هو القرآن، والكل صحيح، والرسول نادى والقرآن نادى إلى اليوم.

(٣) لِمَ ما قالوا وتوفنا أبراراً؟ إنهم همضاً لأنفسهم وتواضعاً لربهم وإعلاناً عن رغبتهم في الالتحاق بربهم حباً في لقاءه والحياة إلى جواره في الملكوت الأعلى مع النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب التفكير في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان .
- ٢- استحباب تلاوة هذه الآيات : إن في خلق السموات الى آخر السورة وذلك عند القيام للتهجد آخر الليل لثبوت ذلك في الصحيح^(١) عنه ﷺ .
- ٣- استحباب ذكر الله في كل^(٢) حال من قيام أو قعود أو اضطجاع .
- ٤- استحباب التعوذ من النار بل وجوبه ولومرة في العمر .
- ٥- مشروعية التوسل الى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .
- ٦- فضل الهجرة والجهد في سبيل الله .
- ٧- المساواة بين المؤمنين والمؤمنات في العمل والجزاء .
- ٨- استحباب الوفاة بين الأبرار وهم أهل الطاعة لله ولرسوله والصدق فيها وذلك بالحياة معهم والعيش بينهم لتكون الوفاة بإذن الله معهم .

لَا يَغُرَّنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعُ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ

(١) روى الشيخان عن ابن عباس أنه نام ليلة عند خالته ميمونة قال فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد ففطر في السماء فقال : إن في خلق السموات الآيات، ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فضلى بالناس الصبح .
(٢) شاهده حديث عائشة الصحيح «أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه» .

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

شرح الكلمات :

لا يفرنك : لا يكن منك اغترار، المخاطب الرسول ﷺ والمراد أصحابه واتباعه.

تقلب الذين كفروا في البلاد : تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.

متاع قليل : تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعواماً وينتهى.
ماواهم جهنم : ما لهم بعد التمتع القليل الى جهنم يأوون اليها فيخلدون فيها أبداً.

نزلاً من عند الله : النزل : ما يعد للضيف من قرى : طعام وشراب وفراش.
الأبرار : جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق في طاعته.
وما أنزل اليكم : القرآن والسنة، وما أنزل اليهم التوراة والإنجيل.
خاشعين لله : مطيعين محبتين له عز وجل.

لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً : لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع تحصل لهم.

اصبروا وصابروا ^(١) : الصبر حبس النفس على طاعة الله ورسوله، والمصابرة : الثبات والصمود أمام العدو.

ورابطوا : المراقبة : لزوم الثغور منعاً للعدو من التسرب الى ديار المسلمين.

تفlichون : تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب في الدنيا والآخرة.

(١) الصبر المأمور به له مواطن ثلاثة : وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء فلا جزع ولا تسخط ولكن رضا وتسليم.

معنى الآيات :

(١) ينهى الله تبارك وتعالى دعاء الحق من هذه الأمة في شخصية نبيهم ﷺ أن يَغْرَهُمْ اى يخدعهم ما يتصرف فيه أهل الكفر والشرك والفساد من مكاسب وأرباح وما يتمتعون به من مطاعم ومشارب ومراكب، فيظنون أنهم على هدى أو أن الله تعالى راضٍ عنهم وغير ساخط عليهم، لا، لا، إنما هو متاع في الدنيا قليل، ثم يردون الى أسوأ مأوى وشر قرار إنه جهنم التى طالما مهدوا لدخولها بالشرك والمعاصى، وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم الخلود في جهنم. هذا معنى الآيتين الأولى والثانية وهما قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ متاع قليل، ثم ما واهم جهنم وبئس المهاد ﴿، أما الآية الثالثة (١٩٨)، وهى قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ فإنها قد تضمنت استدراكاً حسناً وهو لما ذكر في الآية قبلها مآل الكافرين وهو شر مآل جهنم وبئس المهاد، ذكر في هذه الآية مآل المؤمنين وهو خير مآل: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وما عند الله تعالى من النعيم المقيم في دار السلام خير لأهل الإيمان والتقوى من الدنيا وما فيها فلا يضرهم ان يكونوا فقراء، معسرين، وأهل الكفر أغنياء موسرين أما الآية الرابعة (١٩٩) وهى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية فانها تضمنت الرد الإلهى على بعض المنافقين الذين انكروا على رسول الله ﷺ والمؤمنين صلاتهم على النجاشى بعد موته، إذ قال بعضهم انظروا الى محمد وأصحابه يصلون على علق مات في غير ديارهم وعلى غير ملتهم، وهم يريدون بهذا الطعن على رسول الله ﷺ والمؤمنين فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ، وَمَا أَنْزَلَ

(١) أي خير مما يتقلب فيه الكفار من متاع الدنيا في الدنيا.

(٢) روي في سبب نزول هذه الآية أن بعضاً من المسلمين قالوا: هؤلاء الكفار لهم تجار وأموال واضطراب في البلاد، وقد هلكتنا نحن من الجوع فنزلت الآية.

(٣) الغر والغرور هو الإطعام في أمر محبوب على نية عدم وقوعه لمن يطعم به ويغفر، وهو أيضاً إظهار الأمر المضّر في صورة النافع، وهو مشتق من الغرة وهي الغفلة يقال: رجل غر إذا كان ينخدع لمن يخدعه، وفي الحديث: «المؤمن غر كريم».

(٤) ثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال إن أخاً لكم بالحشة قد مات فصلّوا عليه فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى غير واحد عن أنس بن مالك أنه قال لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأحبيكم». فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ الآية.

اليهم في التوراة والانجيل خاشعين لله ، أي خاضعين له عابدين ، لا يشترطون بآيات الله ثمناً قليلاً كسائر اليهود والنصارى حيث يحرفون كلام الله ويبدلونه ويخفون منه ما يجب ان يظهره ويبينوه حفاظاً على منصب أو سمعة أو منفعة مادية ، أما هؤلاء وهم عبدالله بن سلام من اليهود وأصحمة النجاشي من النصارى ، وكل من أسلم من أهل الكتاب فإنهم المؤمنون حقاً المستحقون للتكريم والإنعام قال تعالى فيهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم يوفيههم إياه يوم القيامة إن الله سريع الحساب ، إذ يتم حساب الخلائق كلهم في مثل نصف يوم من أيام الدنيا .

هذا ما تضمنته الآية الرابعة (١٩٩) أما الآية الخامسة والأخيرة (٢٠٠) وهى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإنها تضمنت دعوة كريمة ونصيحة غالية ثمينة للامة الرحيمة بأن تصبر على الطاعات وعلى الشدائد والملمات فتصابر اعداءها حتى يُستلموا أو يُسَلِّمُوا القياد لها . وتربط بخيولها وآلات حربها في حدودها وتغورها مرهبة عدوها حتى لا يطمع في غزوها ودخول ديارها . ولتتق الله تقوى تكون سبباً في فوزها وفلاحها بهذه الرحمة الربانية . ختمت سورة آل عمران المباركة ذات الحكم والأحكام وتليها سورة النساء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تنبيه المؤمنين وتحذيرهم من الاغترار بما يكون عليه الكافرون من سعة الرزق وهناء العيش فإن ذلك لم يكن عن رضى الله تعالى عنهم ، وإنما هو متاع في الدنيا حصل لهم بحسب سنة الله تعالى في الكسب والعمل ينتج لصاحبه بحسب كده وحسن تصرفه .
- ٢- ما أعد لأهل الإيثار والتقوى وهم الأبرار من نعيم مقيم في جوار ربهم خير من الدنيا وما فيها .

- ٣- شرف مؤمنى أهل الكتاب وبشارة القرآن لهم بالجنة وعلى رأسهم عبدالله بن سلام وأصحمة النجاشي .

(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه العدو صابر فأيهما لم يثبت على صبره هلك ، وأصبح النجاح لأطولهما صبراً قال رفر بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً

٤- وجوب الصبر والمصابرة والتقوى والمراعاة للحصول على الفلاح الذي هو الفوز المرغوب والسلامة من المهروب في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنية^(١)

وآياتها ١٧٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^٢ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ^٣ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^(٤)

شرح الكلمات :

- الناس : البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان .
اتقوا ربكم^(١) : خافوه ان يعذبكم فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيهِ .
من نفس واحدة : هى آدم عليه السلام .
وخلق منها زوجها : خلق حواء من آدم من ضلعه^(٢) .
وبث : نشر وفرق فى الأرض من آدم وزوجه رجالا ونساء كثيرا .
تساءلون به : كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل لى كذا .
والأرحام : الأرحام جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها .
رقيباً : الرقيب : الحفيظ العليم .

(١) المراقبة مصدر رابط رابطاً إذا حبس نفسه في ثغر من ثغور المسلمين يحرسها من مدهامة العدو الكافر لها، وفضل الرابط عظيم ووردت فيه أحاديث كثيرة نكتفي منها بما يلي حديث البخاري : «رابط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» وحديث مسلم : «رابط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه» وإن مات رابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعملهُ وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان .

(٢) الآية : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فإنها مكية فإنها نزلت يوم الفتح بمكة في شأن عثمان بن طلحة الحنفي .

(٣) لفظ النفس مؤنث قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَاهَا﴾ أي النفس ولذا وصفت هنا بواحدة لا بواحد .

(٤) قال قتادة : خلقت حواء من قصيرة آدم وفي الحديث : «خلقت المرأة من ضلع ...» .

معنى الآية الكريمة :

ينادى الرب تبارك وتعالى عباده بلفظ عام يشمل مؤمنهم وكافرهم : يا أيها الناس ويأمرهم بتقواه عز وجل وهي اتقاء عذابه في الدنيا والآخرة بالإسلام التام إليه ظاهراً وباطناً . واصفا نفسه تعالى بأنه ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة وهي آدم الذي خلقه من طين ، وخلق من تلك النفس زوجها ^(١) وهي حواء ، وأنه تعالى بث منها أى نشر منها في الأرض رجالاً كثيراً ونساء كذلك ثم كرر الأمر بالتقوى إذ هى ملاك الأمر فلا كمال ولا سعادة بدون الالتزام بها قائلاً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ^(٢) ، أى اتقوا الله ربكم الذى آمنت به قلوبكم فكنتم إذا أراد أحدكم من أخيه شيئاً قال له أسألك بالله إلا اعطينى كذا . . واتقوا الأرحام ^(٣) ان تقطعوها فإن في قطعها فساداً كبيراً وخللاً عظيماً يصيب حياتكم فيفسدها عليكم ، وتوعدهم تعالى ان لم يمتثلوا أمره بتقواه ولم يصلوا أرحامهم بقوله إن الله كان عليكم رقيباً مراعيًا لأعمالكم محصياً لها حافظاً يجزيكم بها ألا أيها الناس فاتقوه .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- فضل هذه الآية إذ كان النبي ﷺ إذا خطب في حاجة تلا آية آل عمران ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . وتلا هذه الآية ، ثم آية الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ ثم يقول أما بعد ويذكر حاجته .

٢- أهمية الأمر بتقوى الله تعالى اذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها .

٣- وجوب صلة الأرحام وحرمة قطعها .

٤- مراعاة الأخوة البشرية بين الناس واعتبارها في المعاملات .

(١) الفصحى هو لفظ زوج ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط ، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة ولهذا يقولون : للزوج كذا وللزوجة كذا .

(٢) الاتيان باسم الجلالة هنا ﴿واتقوا الله﴾ يدل اتقوا ربكم من أجل تربية المهابة في نفس السامعين لأن المقام مقام تشريع فلا بد من إعداد النفوس لقبوله والنهوض به .

(٣) الأرحام : معطوف على اسم الجلالة منصوب أى اتقوا الله أن تعصوه والأرحام أن تقطعوها ، وقرئ الأرحام بالجر عطفاً على الضمير في به وهو قبيح إذ لا يعطف على الضمير المجرور إلا إذا أعيد حرف الجر إلا ما كان من ضرورة الشعر كقول القائل : فاليوم قربت تهجوناً وتشتتاً فاذهب فما بك والأيام من عجب

وعظم القبح لأن في ذلك حلف بالرحم والحلف بغير الله حرام .

(٤) الأرحام : اسم لكل الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره ، وصلة الرحم واجبة إجماعاً وفي الحديث : «صلي أمك» أمر لأسماء وأمها كانت يومئذ كافرة وقال ﷺ : «من ملك ذا رحم محرم فقد عتق عليه» .

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ
وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَأَتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

اليتامى : جمع يتيم ذكراً كان أو أنثى وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم .

ولا تبدلوا الخبيث بالطيب : الخبيث الحرام والطيب الحلال والمراد بها هنا الرديء والجيد .

حوباً كبيراً : الحوب الاثم الكبير العظيم .

ان لا تقسطوا ^(١) : ان لا تعدلوا .

مثنى وثلاث ورباع : أي اثنتين أو ثلاث، أو أربع إذ لا تحمل الزيادة على الأربع ^(٢) .

ادنى ان لا تعولوا : أقرب ان لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات .

صدقاتهن نحلة ^(٣) : جمع صدقة وهي الصداق والمهر، ونحلة بمعنى فريضة واجبة .

هنيئاً : الهنيء : ما يستلذ به عند أكله .

مريئاً : المريء : ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثاراً سيئة .

(١) روى مسلم عن عائشة في قوله تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ إلى ﴿ورباع﴾ قالت لعروة يا بن أخي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبها مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيهامثل ما يعطيها غيره فهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا ويلبغوا بهن ستهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم الحديث .

(٢) استنبط من إباحة أربع أن الزوج عليه أن يبيت مع زوجته ليلة من أربع ولا يجوز التقصير في ذلك إلا برضاها .

(٣) وبنو تميم يقولون : صدقة بضم الصاد والجمع صدقات، والنحلة بكسر النون وضمها أصلها العطاء يقال نحلته كذا أعطاه، فالصداق عطية من الله للمرأة، وما دام عطية الله فهي إذا فريضة واجبة .

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بصلة الأرحام وحرم قطعها في الآية السابقة أمر في هذه الآية أوصياء اليتامى ان يعطوا اليتامى^(١) أموالهم إذا هم بلغوا سن الرشد وأنسوا منهم الرشد فقال تعالى وآتوا اليتامى أموالهم . ونهاهم محرمات عليهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة فقال تعالى : ولا تبدلوا الخبيث أي الرديء من أموالكم بالطيب من أموالهم ، لما في ذلك من أذية اليتيم في ماله ، ونهاهم أيضاً أن يأكلوا أموال يتاماهم مخلوطة مع أموالهم لما في ذلك من أكل مال اليتيم بغير حق فقال تعالى : ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، وعلل ذلك بأنه إثم عظيم فقال عز وجل : إنه - أي الأكل - كان حوباً كبيراً . والحب الإثم . هذا معنى الآية الأولى (٢) ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾^(٣) وأما الآية الثانية (٣) فقد أرشد الله تعالى أولياء اليتيمات ان هم خافوا ان لا يعدلوا معهن إذا تزوج أحدهم وليته أرشدهم الى أن يتزوجوا ما طاب لهم من النساء غير ولياتهم مثني ، وثلاث ورباع^(٤) . يريد اثنتين اثنتين أو ثلاث ثلاث أو أربع أربع كل بحسب قدرته ، فهذا خير من الزواج بالولية فيهضم حقها وحقها أكد لقرباتها . هذا معنى قوله تعالى : ﴿وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثني وثلاث ورباع﴾ . وقوله ﴿فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ يريد تعالى وإن خاف المؤمن ألا يعدل بين زوجاته لضعفه فليكتف بواحدة ولا يزد عليها غيرها أو يتسرى بمملوكته إن كان له مملوكة فإن هذا أقرب الى أن لا يجوز المؤمن ويظلم نساءه . هذا معنى قوله تعالى ﴿فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ان لا تعولوا . وفي الآية الرابعة والأخيرة يأمر تعالى المؤمنين بأن يعطوا النساء مهورهن فريضة منه تعالى فرضها على

(١) هذا باعتبار ما كانوا عليه أما اليوم فليسوا يتامى إذ لا يتم مع البلوغ .

(٢) قيل إلى هنا بمعنى مع وهو سائغ إلا أنها على بابها أولى والتقدير : ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم .

(٣) أي اعطوا يقال : آتاه كذا أعطاه إياه والإيتاء مصدر الاعطاء ، ويقال لفلان آتو أي عطاء ويقال آتوت الرجل آتوه إياه وهي الرشوة ، ولإيتاء اليتامى أموالهم صورتان الأولى : غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية ، والثانية : دفع أموالهم إليهم وذلك عند البلوغ والرشد .

(٤) الحب : الإثم وفيه لغات : الحُب بضم الحاء ، والحب بفتحها ، والحياة والحاب أيضاً وهو مصدر كالقال من قال قولاً وقالاً ، ويكون الحُب بالضم بمعنى الوحشة ومنه قوله ﷺ لأبي أيوب : «إن طلاق أم أيوب لحوب» والحوبة الإثم ومنه : اللهم اغفر حوبتي والحوبة الحاجة ومنه : إليك أرفع حوبتي ، أي : حاجتي هذا في الدعاء .

(٥) الإجماع على أن المراد من قوله تعالى : ﴿مثني وثلاث ورباع﴾ أن ينكح الرجل اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً على التخيير وليس معناه الجمع بين تسع نساء ومن فعل وهو عالم يُحد بالرجم ، وإن كان جاهلاً يحد بالجلد .

الرجل لامراته، فلا يحل له ولا لغيره أن يأخذ منها شيئاً إلا برضى الزوجة فإن هى رضىت فلا حرج فى الأكل من الصداق لقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كل مال حرام فهو خبيث وكل حلال فهو طيب.
- ٢- لا يحل للرجل ان يستبدل جيداً من مال يتيمه بمال رديء من ماله كأن يأخذ شاة سمينه ويعطيه هزيلة أو يأخذ تمراً جيداً ويعطيه رديئاً خسيساً.
- ٣- لا يحل خلط مال اليتيم مع مال الوصي ويؤكلان جميعاً لما فى ذلك من أكل مال اليتيم ظلماً.
- ٤- جواز نكاح أكثر من واحدة إلى أربع مع الأمن من الحيف والجور.
- ٥- وجوب مهور النساء وحرمة الأكل منها بغير طيب نفس صاحبة المهر وسواء فى ذلك الزوج وهو المقصود فى الآية أو الأب والأقارب.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَأَبْلُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لا تؤتوا^(١) : لاتعطوا.

(١) فى الآية دليل على مشروعية الحجر على السفهية، وسواء كان السفه لصغر أو لخفة عقل أو عدم رشد.

السفهاء : جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال .
قياماً^(١) : القيام : ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالى قياماً أي تقوم عليها معاش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضاً .
قولاً معروفاً : أي قولاً تطيب^(٢) به نفسه فلا يغضب ولا يحزن .
وابتلوا اليتامى : أي اختبروهم كي تعرفوا هل أصبحوا يحسنون التصرف في المال .
بلغوا النكاح : أي سن الزواج وهي البلوغ .
أنستم : أبصرتهم الرشدة في تصرفاتهم^(٣) .
إسرافاً وبداراً : الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية ، والبدار : المبادرة والمصارعة إلى الأكل منه قبل أن ينقل إلى اليتيم بعد رشده .
فليستعفف : أي يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال يتيمة .
فليأكل بالمعروف : أي بقدر الحاجة الضرورية .
وكفى بالله حسيباً : شاهداً لقريته فأشهدوا عليهم .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في إرشاد الله تعالى عباده المؤمنين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا ، ونجاتهم وفلاحهم في الآخرة فقال تعالى في الآية الأولى (٥) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم^(٤) فيها وأكسوهم وقلوا لهم قولاً معروفاً ، فنهاهم تعالى أن يعطوا أموالهم التي هي قوام معاشهم السفهاء من امرأة وولد أو رجل قام به وصف السفه وهو قلة البصيرة بالأموال المالية ، والجهل بطرق التصرف الناجحة مخافة أن ينفقوها في غير وجوهها أو يفسدوها بأي نوع من الإفساد ، كالإسراف ونحوه ، وأمرهم أن يرزقوهم فيها ويكسوهم ، وقال فيها ولم يقل منها إشارة إلى أن المال ينبغي أن ينمي في تجارة أو صناعة أو

(١) قياماً : أصلها قواما فكسر ما قبل الواو فقلت ألفا قياما وقواما بمعنى واحد والقيام والقوام ما يقيم غيره ، فالأموال بها يقوم المعاش ، ولذا قيل : الأموال قوام الأعمال .

(٢) كقوله لولد : مالي إليك صائر ، وكان يدعو لهم : (بارك الله فيكم) أو يقول : هذا مالكم احفظه لكم لتأخذوه يوم ترشدون .

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتم بشرطين : الرشدة والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال .

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية الوصاية والولاية والكفالة على الأيتام وبها دليل على وجوب النفقة على الزوجة والأولاد ، وفي الصحيح : «أفضل الصدقة ما ترك غنى» ، واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وهم الزوجة والولد والعبد .

زراعة فيبقى رأس المال والأكل يكون من الربح فقط كما أمرهم أن يقولوا لسفائهم الذين منعوهم المال أن يقولوا لهم قولاً معروفاً كالعدة الحسنة والكلمة الطيبة، هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية (٦) فقد أمرهم تعالى باختبار اليتامى إذا بلغوا سن الرشد أو ناهزوا البلوغ^(١) بأن يعطوهم شيئاً من المال ويطلبوا منهم أن يبيعوا أو يشتروا فإذا وجدوا منهم حسن تصرف دفعوا اليهم أموالهم وأشهدوا عليهم، حتى لا يقول أحدهم في يوم من الأيام ما أعطيتني مالى، وكفى بالله حسيباً أي شاهداً ورقياً حفيظاً. ونهاهم عز وجل أن يأكلوا أموال اليتامى إسرافاً وبداراً أن يكبروا ويريد لا تأكلوا أموال يتاماكم أيها الولاة والأوصياء بطريق الإسراف وهو الانفاق الزائد على قدر الحاجة، والمبادرة هى المسارعة قبل أن يرشد السفیه وينقل إليه المال. ثم أرشدهم الى أقوم الطرق وأسدها في ذلك فقال ومن كان منكم غنياً فليكتف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وذلك بان يستقرض منه ثم يرده اليه بعد الميسرة، وإن كان الولي فقيراً جاز له أن يعمل بأجر كسائر العمال، وان كان غنياً فليعمل مجاناً احتساباً وأجره على الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

هداية اليتيم

من هداية اليتيم :

- ١- مشروعية الحجر على السفیه لمصلحته.
- ٢- استحباب تنمية الأموال في الأوجه الحلال لقرينة ﴿وارزقوهم فيها﴾.
- ٣- وجوب اختبار السفیه قبل دفع ماله إليه، إذ لا يدفع إليه المال الا بعد وجود الرشد.
- ٤- وجوب الإشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه ورشده.
- ٥- حرمة أكل مال اليتيم والسفیه مطلقاً.
- ٦- الوالى على اليتيم ان كان غنياً فلا يأكل من مال اليتيم شيئاً، وإن كان فقيراً استقرض ورد عند الوجد واليسار، وان كان مال اليتيم يحتاج إلى أجير للعمل فيه جاز للولى ان يعمل بأجرة المثل.

(١) هذه الآية نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه، وذلك أن رفاعه توفي وترك ابنه وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إن ابن أخي في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فانزل الله تعالى هذه الآية.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وانبات شعر العانة أو بلوغ ثمانية عشر سنة. هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرى هي الحيض والحمل.

(٣) العاجز عن الوصاية لجهل أو عدم قدرته أو ضعف إرادته ينبغي له أن لا يلي مال يتيم أو قاصر لقول الرسول ﷺ لا يبي ذر «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم» رواه مسلم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
 مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
 مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا
 ﴿٨﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا
 خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي
 بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

نصيب	: الحظ المقدَّر في كتاب الله .
الوالدان	: الأب والأم .
الأقربون	: جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولاء .
نصيباً مفروضاً	: قدرأً واجباً لازماً .
أولوا القربى	: أصحاب القربات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودى النسب .
فأرزقوهم منه	: أعطوهم شيئاً يرزقونه .
قولا معروفا	: لا إهانة فيه ولا عتاب ، ولا تأفيف .
الخشية	: الخوف فى موضع الأمن .
قولا سديداً	: عدلاً صائباً .
ظلماً	: بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم .

(١) هذا النصيب الذي أوجبه الله للورثة مجمل وسيأتي تفصيله في آية : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية .
 (٢) القول السديد : هو كقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ، وقد مرض مرضاً شديداً فعاده رسول الله ﷺ فيه فقال سعد يا رسول الله : إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفتصدق بثلاثي مالي ؟ قال : لا . قال فشطره ؟ قال : لا . قال : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ثم قال رسول الله ﷺ : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وسيصلون سعيراً : سيدخلون سعيراً ناراً مستعرة يشوون فيها ويحرقون بها .

معنى الآيات :

لقد كان أهل الجاهلية لا يُورثون النساء ولا الأطفال بحجة أن الطفل كالمراة لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكى عدواً، يَنْكِبُ^(١) ولا تكسب، وحدث أن امرأة يقال لها أم كُحَّة مات زوجها وترك لها بنتين فمنعهما أخوها لك من الإرث فشكت أم كحّة الى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية الكريمة : ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان ، والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ ومن ثم أصبحت المرأة كالطفل الصغير يرثان كالرجال، وقوله تعالى : مما قل منه أي من المال المتروك أو كثر حال كون ذلك نصيباً مفروضاً لا بد من اعطائه الوارث ذكراً كان أو أنثى صغيراً أو كبيراً . والمراد من الوالدين الأب والأم ، والأقربون^(٢) كالأبناء والإخوان والبنات والاخوات ، والزوج والزوجات هذا ما تضمنته الآية الأولى (٧) وأما الآية الثانية (٨) فقد تضمنت فضيلة جميلة غفل عنها المؤمنون وهي أن من البر والصلة والمعروف إذا هلك هالك، وقدمت تركته للقسمة بين الورثة، وحضر قريب غير وارث لحجبه أو بعده أو حضر يتيم أو مسكين من المعروف ان يعطوا شيئاً من تلك التركة قبل قسمتها وان تعذر العطاء لأن الورثة يتامى أو غير عقلاء يصرف أولئك الراغبون من قريب ويتيم ومسكين بكلمة طيبة كاعتذار جميل تطيب به نفوسهم هذا ما تضمنته الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ - أي من المال - المتروك وقولوا لهم قولاً معروفاً إن تعذر إعطاؤهم لمانع يتم أو عقل . أما الآية الثالثة

(١) يكسب أي الرجل ولا تكسب أي المرأة .

(٢) فقال ﷺ : «انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن» فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم وإبطالاً لقولهم وتصرفهم الجاهلي ، إذ المفروض أن الصغير والمرأة أولى بالإرث لحاجتهما وخوفهما .

(٣) لفظ الأقربون مجمل ومن هنا أرسل النبي ﷺ إلى سويد وعرفجة وألا يفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله جعل لبناته نصيباً ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل ربنا فنزلت : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ الآية فأرسل إليهما : أن اعطيا أم محة الثمن مما ترك أوس ولبناته الثلاثين ولكما بقية المال .

(٤) قوله تعالى : «مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً» اختلف أهل العلم في الشيء يتركه المورث وهو لا يقبل القسمة كالدار الصغيرة ، والجوهرة الواحدة ، وما إلى ذلك . فذهب بعض إلى أنه لا بد من القسمة ، وذهب آخرون - وهو الحق إن شاء الله تعالى - أن ما لا يقبل القسمة لفساده يباع ويقسم ثمنه على الورثة ولا شفعة فيه لأنه لا تتساقط فيه الحدود والشفعة فيما يقسم وتوقع فيه الحدود، وهذا ليس كذلك لتعذر قسمته ، ويشهد لهذا الرأي حديث الدارقطني ونصه : لا تعضية (أي لا تفرقه) على أهل الميراث إلا ما حمل القسم فقرر ﷺ أن ما لا يقبل القسم لا يجوز تعضيته أي تفريقه على الورثة لأنه يفسد بالقسمة فتعين أن يباع ويقسم ثمنه .

(٥) الجمهور على أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية وقال ابن عباس إنها محكمة ، وعلى أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتامل .

وهي قوله تعالى : ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ فقد تضمنت إرشاد الله تعالى للمؤمن الذى يحضر مريضاً على فراش الموت بأن لا يسمح له ان يحيف في الوصية بأن يوصى لوارث أو يوصى بأكثر من الثلث او يذكر ديناً ليس عليه وإنما يريد حرمان الورثة . فقال تعالى آمراً عباده المؤمنين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم أى من بعد موتهم ، ذرية ضعافاً خافوا عليهم . أي فليخشوا هذه الحال على أولاد غيرهم ممن حضروا وفاته . كما يخشونها على أولادهم . إذا فعل بهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم . وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولاً سديداً : صائباً لا حيف فيه ولا جور معه . هذا ما تضمنته الآية الثالثة (٩) أما الآية الرابعة (١٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً لمن يأكل مال اليتيم ظلماً إذ قال تعالى فيها : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ . والمراد من الظلم انهم أكلوها بغير حق اباح لهم ذلك كأجرة عمل ونحوه ، ومعنى يأكلون في بطونهم ناراً انهم يأكلون النار يوم القيامة فقوله إنما يأكلون في بطونهم ناراً هو باعتبار ما يؤول إليه أمر أكلهم اليوم ، والعياذ بالله من نار السعير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ التوارث في الإسلام .
- ٢- استحباب إعطاء من حضر قسمة التركة من قريب أو يتيم ومسكين وإن تعذر إعطاؤهم صرّفوا بالكلمة الطيبة ، وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة .
- ٣- وجوب النصيح والإرشاد للمحتضر حتى لا يجور في وصيته عند موته .
- ٤- على من يخاف على أطفاله بعد موته أن يحسن الى أطفال غيره فإن الله تعالى يكفيه فيهم .
- ٥- حرمة أكل مال اليتامى ظلماً ، والوعيد الشديد فيه .

(١) الآية دليل على أن أكل مال اليتيم بدون حق من كبائر الذنوب بل هو من الموبقات السبع لحديث الصحيح : «اجتنبوا السبع الموبقات . . » وذكر الشرك وعقوق الوالدين والربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

(٢) قرأ أبو حية : ﴿وسيلون﴾ بضم الياء وتشديد اللام من التصلية التي هي كثرة الفعل مرة بعد أخرى ومنه : ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أي مرة بعد مرة وعليه قول الشاعر :

وقد تصليت حرّ حربهم كما تصلى المقرور من قرنين

يريد أنه اكتوى بنار حربهم مرة بعد مرة كما يفعل من به البرد الشديد فإنه يستدفئ مرة بعد مرة .

يُوصِيكُمُ اللَّهُ
 فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
 فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
 النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ
 كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ
 فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي
 بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
 نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- يُوصِيكُم : يعهد إليكم .
 فِي أَوْلَادِكُمْ : في شأن أولادكم والولد يطلق على الذكر والأنثى .
 حِظِّ : الحظ الحصة أو النصيب .
 نِسَاءً : بنات كبيرات أو صغيرات .
 ثُلُثَا مَا تَرَكَ : الثلث واحد من ثلاثة ، والثلثان اثنان من ثلاثة .
 السُّدُسُ : واحد من ستة .
 إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ : ذكراً كان أو أنثى ، او كان له وَلَدٌ وَلِئْوَ أيضاً ذكراً أو أنثى فالحكم واحد .
 فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ : اثنان فأكثر .
 مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ : أي يُخْرِجُ الدين^(١) ثم الوصية ويقسم الباقي على الورثة .
 لَا تَدْرُونَ : لا تعملون .
 فَرِيضَةٌ^(٢) : فرض الله ذلك عليكم فريضة

(١) يرى الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أخرج ذلك من ماله قبل قسمة التركة وقال مالك إن أوصى به تنفذ وصيته ، وإن لم يوص فالمال للورثة وهو أمره إلى الله تعالى .
 (٢) الفرائض ست وهي النصف ، والربع والثلث والثلثان والثلث والسدس .

عليها حكيماً : عليهما بخلقه وما يصلح لهم ، حكيماً في تصرفه في شؤون خلقه وتدبيره لهم .

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة (١١) ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ الخ والتي بعدها (١٢) وهي قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الخ نزلت لتفصيل حكم الآية (٧) والتي تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين ، فالآية الأولى (١١) يسنّ تعالى فيها توارث الأبناء مع الآباء فقال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي في شأن أولادكم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ يريد إذا مات الرجل وترك أولاداً ذكورا وإناثاً فإن التركة تقسم على أساس أن للذكر مثل نصيب الأنثى فلو ترك ولداً وبنتاً وثلاثة ذنابر فإن الولد يأخذ دينارين والبنت تأخذ ديناراً . وإن ترك بنات اثنتين أو أكثر ولم يترك معهن ذكراً فإن للبنتين فأكثر الثلثين والباقي للعصبة إذ قال تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ . وإن ترك بنتاً واحدة فإن لها النصف والباقي للعصبة وهو معنى قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ ، وإن كان الميت قد ترك أبويه أي أمه وأباه وترك أولاداً ذكوراً أو إناثاً فإن لكل واحد من أبويه السدس والباقي للأولاد ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ، يريد ذكراً كان أو أنثى^(٣) . فإن لم يكن للهِالِكِ وَلَدٌ وَلَاوَلَدٌ فَلَهُمُ الثَّلَاثُ وَإِنْ كَانَ لَهُ أُخُوَةٌ اثْنَانِ فَلَهُمَا السُّدُسُ ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ أُخُوَةٌ فَلَهُمُ السُّدُسُ﴾ . أي تسقط من الثلث إلى السدس وهذا

(١) هذه الآية مبينة لما أجمل في آية : ﴿لِلرَّجُلِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَدَرْنَا لَكُنَّ فِيهِنَّ حَقًّا﴾ في رواية أبي داود وغيره العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة . ومعنى محكمة : غير منسوخة ، ومعنى قائمة ثابتة صحيحة ، ومعنى عادلة : لم يخرج بها عن مراد الله تعالى منها ، وذلك بإعطاء الوارث ما كتب الله له .

(٢) خرج من لفظ الأولاد : الكافر لأنه لا حق له في الإرث لأن الكفر مانع وذلك لقول ﷺ : لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم كما خرج ميراث النبي ﷺ لقوله : «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» .

(٣) إن كان الولد خنثى فإنه يُورث من حيث يُولد ، إن بال من حيث يُولد الرجال يُورث إرث الذكر وإن بال من حيث يتول النساء يُورث إرث النساء ، وإن أشكل ذلك يعطى نصف ميراث ذكر ونصف ميراث أنثى على هذا الجمهور .

(٤) هناك ما يُعرف بالثلث الباقي وهو أن تهلك هالكة وتترك زوجها وأبويها . فللزوجة النصف والباقي ثلث للأم والثلثان للأب ، قرر هذا ابن عباس وزيد بن ثابت ، وقرره كافة الأصحاب وعليه الأئمة ، وحتى لا تأخذ المرأة أكثر من الرجل .

(٥) قيل في سر حجب الإخوة لأهمهم من الثلث إلى السدس أن والدهم هو الذي يلي نكاحهم وهو الذي ينفق عليهم دون أهمهم وهو رأي حسن .

(٦) الجدة ترث السدس ولا ترث الثلث كما ترثه الأم إجماعاً .

يسمى بالحجب فحجبها إخوة ابنها الميت من الثلث الى السدس . وقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يريد أن قسمة التركة على النحو الذى بين تعالى يكون بعد قضاء دين الميت واخراج ما أوصى به ان كان الثلث فأقل وهو معنى قوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ . وقوله تعالى ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ معناه نفذوا هذه الوصية المفروضة كما علمكم الله ولا تحاولوا ان تفضلوا أحداً على أحد فإن هؤلاء الوارثين آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا في الدنيا والآخرة، ولذا فاقسموا التركة كما علمكم بلا محاباة فان الله تعالى هو القاسم والمعطى عليم بخلقه وبما ينفعهم أو يضرهم حكيم في تدبيره لشؤونهم فليفوض الأمر إليه، وليرض بقسمته فإنها قسمة عليم حكيم .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

- ١- ان الله تعالى تولى قسمة التركات بنفسه فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً .
 - ٢- الاثنان يعتبران جمعا .
 - ٣- ولد الولد حكمه حكم الولد نفسه في الحجب .^(١)
 - ٤- الأب عاصب فقد يأخذ فرضه مع أصحاب الفرائض وما بقى يرثه بالتعصيب لقوله ﷺ
- أخفوا الفرائض بأهلها فما ابقت الفرائض فالأولى رجل ذكر .

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دِينَارٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾

(١) لفظ الولد يشمل المولود فعلاً والجنين في بطن أمه دنياً أو بعيداً، من الذكور أو الإناث على حد سواء .

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ
رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ



شرح الكلمات :

- أزواجكم : الأزواج هنا الزوجات .
ولد : المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكراً كان أو أنثى وولد الولد مثله .
الربع : واحد من أربعة .
كَلَالَةٌ ^(١) : الكلاله أن يهلك هالك ولا يترك ولداً ولا والداً ويرثه إخوته لأمه .
له أخ أو أخت : أى من الأم .
غير مضار : بهما - أي الوصية والدين - احداً من الورثة .
حليم : لا يعاجل بالعقوبة على المعصية .

معنى الآية الكريمة :

كانت الآية قبل هذه في بيان الوراثه بالنسب وجاءت هذه في بيان الوراثه بالمصاهرة والوارثون بالمصاهرة الزوج والزوجات قال تعالى : ولكم نصف ما ترك أزواجكم فمن مات وترك ما لا ولم تترك ولداً ولا ولداً ذكراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها النصف ، وإن تركت ولداً أو ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها الربع لا غير لقول الله تعالى ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ . وهذا من بعد سداد الدين ان كان على الهالكة دين ، وبعد اخراج الوصية إن أوصت الهالكة بشيء ، لقوله تعالى ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ

(١) من يكلله النسب إذا أحاط به وبه سمي الإكليل لاحاطته بالرأس وسمي القرابة كلاله لإحاطتهم بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم .
(٢) أخ : أصله أخو بدليل تشبيته على أخوين نصباً وجرماً وأخوان رفعاً .

بها أو دين^(١). هذا ميراث الزوج أما ميراث الزوجة من زوجها فهو الربع إن لم يترك الزوج ولداً ولا ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فإن ترك ولداً أو ولداً وولداً فللزوجة الثمن، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ولهن الربع مما تركتكم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين^(٢)﴾. هذا وإن كان للزوج الهالك زوجتان أو أكثر فإنهن يشتركن في الربع بالتساوي إن لم يكن للهالك ولد، وإن كان له ولد فلهن الثمن يشتركن فيه بالتساوي وقوله تعالى وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة أي تورث كلالة أيضاً، والموروث كلالة وهو من ليس له والد ولا ولد، وإنما يرثه إخوته لأمه كما في هذه الآية أو إخوته لأبيه وأمه كما في آية الكلالة في آخر هذه السورة، فإن كان له أخ من أمه فله السدس وكذا إن كانت له أخت فلها السدس، وإن كانوا اثنين فأكثر فلهن الثلث لقوله تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة، وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار^(٣)، بأن يوصى بأكثر من الثلث، أو يقر بدين وليس عليه دين وإنما حسداً للورثة أو بغضا لهم لا غير، فإن تبين ذلك فلا تنفذ الوصية ولا يسدد الدين وتقسم التركة كلها على الورثة، وقوله تعالى: وصية من الله أي وصاكم أيها المؤمنون بهذا وصية فهي جديرة بالاحترام والامتثال. والله عليم بنياتكم وأحوالكم وما يضركم وما ينفعكم فسلموا له قسمته واطيعوه فيها وهو حلیم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغركم حلمه إن بطشه شديد وعذابه أليم.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- بيان ميراث الزوج من زوجته، والزوجة والزوجات من زوجهن.
- ٢- بيان ميراث الكلالة وهو من لا يترك والداً ولا ولداً فيرثه إخوته فقط يحوطون به إحاطة

(١) وهنا ما يعرف بالحجرية أو الحمارية أو المشتركة وهي أن تموت امرأة ويترك زوجها وأمها وإخوة لأمها وأخاً لأبيها وأمها، فللزوج النصف وللأم السدس والباقي للإخوة لأم، ولا شيء للأخ لأب أو لهما معاً. وسميت بالحمارية، لأنهم لما منعوا قالوا للقاضي بينهم: هب أبانا حماراً أليست أمنا واحدة، وقالوا: هب أبانا حجراً أليست أمنا واحدة وطالبوا بتشريكتهم في الإرث فسميت المشتركة.

(٢) ذكرت الوصية قبل الدين والإجماع على تقديم الدين على الوصية لحكم رسول الله ﷺ بذلك وقيل في السر في ذلك أن تقديم الوصية في اللفظ كان بسبب أنه لا يوجد من يطالب بها فقد تنسى، وأمّا الدين فأهله يطالبون به فلا ينسى ولا يترك.

(٣) مضار: اسم فاعل أي مضارر فادغمت الراء في الراء فصارت مضار. أي حال كون الموصي غير مرید الإضرار بالورثة.

(٤) أي لأمه ولهذا خالف أخوة الأم الورثة في ثلاث مسائل: الأولى أنهم يرثون مع من يدلون به وهو أمهم والثانية إن ذكروهم وإناتهم في الميراث سواء والثالثة أنهم لا يرثون إلا إذا كان ميتهم يورث كلالة.

الإكليل بالرأس فلذا سُميت الكلالة.

٣- إهمال الوصية أو الدين ان علم إن الغرض منها الإضرار بالورثة فقط.

٤- عظم شأن الموارث فيجب معرفة ذلك وتنفيذه كما وصى الله تعالى.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

تلك حدود الله ^(١) : تلك اسم إشارة أشير به الى سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة
اليتامى وتحريم أكل مال اليتيم، وقسمة التركات. وحدود الله هي ما حده
لنا وبينه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه والتعدي له.

الفوز العظيم : هو النجاة من النار ودخول الجنة .

العذاب المهين : ما كان فيه اهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ ونحو ذلك .

معنى الآيتين :

لما بين تعالى ما شاء من احكام الشرع وحدود الدين أشار الى ذلك بقوله : تلك ^(٢) حدود
الله قد بينتها لكم وأمرتكم بالتزامها، ومن يطع الله ورسوله فيها وفي غيرها من الشرائع
والأحكام فجزاؤه أنه يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، أنهار العسل واللبن والخمر والماء،
وهذا هو الفوز العظيم حيث نجاه من النار وأدخله الجنة يخلد فيها أبداً. ومن يعص الله
تعالى ورسوله بتعد تلك الحدود وغيرها من الشرائع والأحكام ومات على ذلك فجزاؤه أن

(١) الحدود جمع حد وهو ظرف مكان يميز عن مكان آخر يمنع تجاوزه هذا هو الحد لغة وشرعاً: ما منع الله تجاوزه مما أحل
إلى ما حرم، فأحكام الشرع هي حدوده.

(٢) يرى بعضهم أن الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة الموارث، وما فسرنا به أولى لأنه أعم يشمل كل ما تقدم من أحكام
الشريعة.

يدخله ناراً يخلد فيها وله عذاب مهين . والعياذ بالله من عذابه وشر عقابه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان حرمة تعدي حدود الله تعالى .
- ٢- بيان ثواب طاعة الله ورسوله وهو الخلود في الجنة .
- ٣- بيان جزاء معصية الله ورسوله وهو الخلود في النار والعذاب المهين فيها .

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا
﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا
وَأَصْلَحَا فَاغْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمِغْلَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

(١) إن أريد بالعصيان هنا الكفر فالخلود على بابه ، وإن أريد به الكبائر فالخلود مستعار لمدة ما كقولنا خلد الله ملكك وكقول
زهير: ولا أرى خالداً إلا الجبال الرواسيا .

(٢) هذا الخلود لمن كانت معصيته مكفرة له أما من لم يكفر بمعصيته فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها بإيمانه كما بينت
ذلك السنة الصحيحة .

شرح الكلمات :

- اللاتى^(١) : جمع التى اسم موصول للمؤنث المفرد واللاتى للجمع المؤنث .
 الفاحشة^(٢) : المراد بها هنا الزنى .
 من نسائكُم : المحصنات^(٣)
 سبيلا : طريقا للخروج من سجن البيوت .
 يأتينها : الضمير عائدا إلى الفاحشة المتقدم ذكرها .
 فأعرضوا عنها : اتركوا أذيتها بعد أن ظهرت توبتها .
 التوبة : أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح .
 السوء : كل ما أساء إلى النفس والمراد به هنا السيئات .
 بجهالة : لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة .
 اعتدنا : أعددنا وهينأنا .
 أليما : موجعا شديدا الإيجاع .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بحدوده وذكر جزاء متعديها، ذكر هنا معصية من معاصيه وهى فاحشة الزنى، ووضع لها حداً وهى الحبس فى البيوت حتى الموت او الى ان ينزل حكما آخر يخرجهن من الحبس وهذا بالنسبة الى المحصنات . فقال تعالى ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكُم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾^(٤) أى من المسلمين يشهدون بأن فلانة زنت بفلان

- (١) ومثل اللاتي : اللاتي وجمع اللاتي : اللواتي وجمع اللواتي اللواتي .
 (٢) سمي الزنا فاحشة : لأنه تجاوز الحد فى الفساد، إذ به يفسد الخلق والعرض والنسب والدين والمجتمع وكفى بهذا فساداً عظيماً .
 (٣) النساء : اسم جمع واحده من غير لفظه «امراة» والمحصنات جمع محصنة وهى التى تزوجت زواجاً شرعياً، وسواء بقيت عليه أو تأيمت بموت أو طلاق .
 (٤) منكم : أى من المسلمين إذ لابد من أربعة شهود من المسلمين يشهدون بأنهم رأوا الفرج فى الفرج مثل الميل فى المكحلة لحديث أبى داود عن جابر قال : «جاءت اليهود برجل وامراة منهم زنيا فقال رسول الله ﷺ اثنتونى بأعلم رجل منكم فأتوه بابني سوريا فنشدهما كيف تجدان أمر هذين فى التوراة قالوا نجد فى التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة رجما، قال : فما يمنعكما أن ترجموهما؟ قالوا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا الرسول ﷺ الشهود فحضرُوا وشهدوا فأمر برجمهما فرجما» .

(١) فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً. أما غير المحصنات وهن الأبكار فقد قال تعالى في شأنهن، واللذان يأتيانها منكم فآذوها أى بالضرب الخفيف والتقريع والعتاب، مع الحبس للنساء أما الرجال فلا يجسسون وانما يكتفى بأذاهم الى ان يتوبوا ويصلحوا فحينئذ يعفى عنهم ويكف عن أذيتهم هذا معنى قوله تعالى ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوها﴾ فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنها ان الله كان تواباً رحيماً.

ولم يمض على هذين الحدين الا القليل من الزمن حتى أنجز الرحمن ما وعد وجعل لهن سبيلاً فقد صح أنه ﷺ كان جالساً بين أصحابه حتى أنزل الله تعالى عليه الحكم النهائي في جريمة الزنى فقال ﷺ: خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام. والمراد من الثيب بالثيب أى إذا زنى ثيب بثيب وكذا البكر بالبكر. وهذا اوقف الحد الأول في النساء والرجال معاً ومضى الثاني أما جلد البكرين فقد نزل فيه آية النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾، وأما رجم المحصنين فقد مضت فيه السنة فقد رجم ماعز، والغامدية بأمر رسول الله ﷺ وهو حد قائم الى يوم القيامة. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٥) والثانية (١٦) وأما الآيتان بعدهما وهما (١٧) (١٨) فقد أخبر تعالى أن الذين يستحقون التوبة وثبت لهم من الله تعالى هم المذنبون الذين يرتكبون المعصية بسبب جهالة منهم، ثم يتوبون من قريب لا يسوفون التوبة ولا يؤخرونها أما الذين يجترحون السيئات مع علم منهم وإصرار، ولا يتوبون إثر غشيان الذنب فلا توبة تضمن لهم فقد يموتون بلا توبة شأنهم شأن الذين يعملون السيئات ولا يتوبون حتى إذا مرض احدهم وظهرت عليه علامات الموت وأيقن انه ميت لا محالة قال انه تائب كشأن الكافرين اذا تابوا عند معاينة الموت فلا تقبل

(١) يتوفاهن: يتقاضاهن، يقال توفي فلان حقه من فلان بمعنى استفواه أي أخذه كاملاً لم يبق منه شيئاً ولَمَّا كان العمر أياً ما تمر يوماً بعد يوم حتى ينقضي العمر ويموت الإنسان قيل في الموت الوفاة ويقال توفي فلان لَأَن أيامه أخذت يوماً فيوماً حتى انقضت على طريقة تسديد الذين جزءاً فجزءاً حتى كمل قال الشاعر:

إذ ما تقاضى المرء يوم و ليلة تقاضاه شئ لا يمل التقاضيا

(٢) المراد من هذا أن الإمساك للمرأة الزانية دون الرجل لأن الرجل يعمل فلا يحبس فلذا غلب جانب النساء في قوله ﷺ واللاتي يأتين الفاحشة. ﷻ وغلب الرجل على المرأة في قوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ لأن الأذى صالح للمرأة والرجل معاً وهو عبارة عن السب والجفاء والتوبيخ باللسان لا غير.

(٣) وعليه فقوله تعالى: ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ ليس على ظاهره، وإنما معاه يشرفون على الموت ومن أشرف على الموت، وحضره فحكمه حكم من مات وهو سائق في اللغة.

منهم توبة أبداً. هذا معنى الآيتين الكريمتين الأولى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أى يقبل توبتهم لأنه عليم بضعف عباده حكيم يضع كل شيء في موضعه اللائق به ومن ذلك قبول توبة من عصوه بجهالة لا بغناد ومكابرة وتحد، ثم تابوا من قريب لم يطيلوا مدة المعاصي والثانية ﴿وَلَيْستِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تَبْتُ الْآنَ﴾، كما هي ليست للذين يعيشون على الكفر فإذا جاء أحدهم الموت قال تبّت كفرعون فإنه لما عاين الموت بالغرق قال آمنت انه لا إله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فرد الله تعالى عليه: ﴿الآن وقد عصيت﴾ وكنت من المفسدين. وقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ إشارة الى كل من مات على غير توبة بارتكابه كبائر الذنوب، أو بكفر وشرك، الا أن المؤمن الموحد يخرج من النار بإيمانه، والكافر يخلد فيها. نعوذ بالله من النار وحال أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عظم قبح فاحشة الزنى .
- ٢- بيان حد الزنى قبل نسخه بآية سورة النور، وحكم الرسول ﷺ في رجم المحصن والمحصنة .
- ٣- التوبة التى تفضل الله بها هي ما كان صاحبها أتى ما أتى من الذنوب بجهالة لا بعلم وإصرار ثم تاب من قريب زمن .
- ٤- الذين يسوفون التوبة ويؤخرونها يخشى عليهم أن لا يتوبوا حتى يدركهم الموت وهم على ذلك فيكونون من أهل النار، وقد يتوب أحدهم، لكن بندرة وقلة وتقبل توبته اذا لم يعاين امارات الموت لقول الرسول ﷺ «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذى وأحمد وغيرهما واسناده حسن .
- ٥- لا تقبل توبة من حشرجت نفسه وظهرت عليه علامات الموت، وكذا الكافر من باب أولى لا تقبل له توبة بالإيمان اذا عاين علامات الموت كما لم تقبل توبة فرعون .

(١) لأن سنة الله تعالى أن المرء إذا أدمن على معصية بطول فعلها يشربها قلبه فتحسن في نظره وتجمل في طبعه، فلا يقوى على تركها، وليس أدل على ذلك من فاحشة اللواط، فهي من أقبح الفواحش ومع هذا من زينته لا يقدر على تركها.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ
مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتِنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

كرها	: بدون رضاهن .
العضل	: المنع بشدة كأنه امساك بالعضلات أو من العضلات .
يبعض ما آتيتموهن	: أى من المهور .
الفاحشة	: الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى .
مبينة ^(١)	: ظاهرة واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء .
المعروف ^(٢)	: ما عرفه الشرع واجبا أو مندوبا أو مباحا .
قنطارا	: أى من الذهب أو الفضة مهرا وصدقا .

(١) قرئت مبينة بفتح الباء وقرئت بكسرهما مبينة بفتح الباء اسم فاعل من أبان يبين فهو مبين وهي مبينة والمعنى واحد .

(٢) من المعاشرة بالمعروف : أن لا يعبس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول ، لا فظاً ولا غليظاً ، ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها .

بهتانا وإثما : أى كذبا واقتراء ، وإثما حراما لا شك فى حرمة لأنه ظلم .
افضى بعضكم الى بعض : أى خلص الزوج الى عورة زوجته والزوجة كذلك .
ميثاقا غليظا : هو العقد وقول الزوج : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .
معنى الآيات :

تضمنت هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾^(١) إبطال ما كان شائعا بين الناس قبل الاسلام من الظلم اللاحق بالنساء فقد كان الرجل إذا مات والده على زوجته ورثها أكبر اولاده من غيرها فان شاء زوجها وأخذ مهرها وان شاء استبقاها حتى تعطيه ما يطلب منها من مال فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ ، فبطل ذلك الحكم الجاهلى بهذه الآية الكريمة وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت فى بيت زوجها فاذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها مالها وما ورثته من زوجها أيضا وقوله تعالى : ﴿ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ . فهذا حكم آخر وهو أنه يحرم على الزوج إذا كره زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تقتدى منه ببعض مهرها ، اذ من معانى العضل المضايقة والمضارة ، هذا ما لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنى ، او ترفع عن الزوج وتمرد عليه وتبخسه حقه فى الطاعة والمعاشرة بالمعروف أما إن أتت بفاحشة مبينة لاشك فيها او نشزت نشوزاً بينا فحينئذ للزوج أن يضايقها حتى تقتدى منه بمهرها او بأكثر حتى يطلقها ، وذلك لقوله تعالى : ﴿إلا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ ، ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بمعاشرة الزوجات بالمعروف وهو العدل والاحسان ، فقال : ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ ، وان فرض ان أحدا منكم كره زوجته وهى لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولا يطلقها فلعل الله تعالى يجعل فى بقائها فى عصمته خيراً كثيراً له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفى غيرها ، فقد يرزق منها ولدا ينفعه ، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة . والمراد أن الله تعالى ارشد المؤمن

(١) روى البخاري فى سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاء زوجها وإن لم يشاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم... الخ﴾ .
(٢) جائز أن يكون فعل ﴿وتعضلوهن﴾ فى محل نصب على تقدير ولا أن تعضلوهن ، كما هي قراءة ابن مسعود وجائز أن يكون فى محل جزم على أن لا : ناهية .
(٣) كرها للامانة أو سوء خلق أو سلاطة لسان فليصبر على ذلك فإن الرسول ﷺ قال : « لا يفرق مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخره رواه مسلم .

ان كره زوجته ان يصبر ولا يطلق لما في ذلك من العاقبة الحسنة، لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل الله تعالى فيه الخير الكثير. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩) أما الآيتان بعدها فقد تضمنتا: تحريم أخذ شيء من مهر المرأة إذا طلقها الزوج لا لآتيانها بفاحشة ولا لنشوزها، ولكن لرغبة منه في طلاقها ليتزوج غيرها في هذه الحال لا يحل له أن يضارها لتفتدى منه بشيء ولو قل، ولو كان قد أمهرها قنطاراً فلا يحل أن يأخذ منه فلساً فضلاً عن دينار أو درهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾، تأخذونه بهتاناً أى ظلماً بغير حق وكذباً وافتراء وإثماً مبيناً أى ذنباً عظيماً، ثم قال تعالى منكراً على من يفعل ذلك: وكيف تأخذونه أى بأى وجه يحل لكم ذلك، والحال أنه قد أفضى بعضهم إلى بعض أى بالجماع، اذ ما استحل الزوج فرجها الا بذلك المهر فكيف اذا يسترده أو شيئاً منه بهتاناً وإثماً مبيناً، فقال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض﴾؟ وقوله تعالى وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً يعنى عقد النكاح فهو عهد مؤكد يقول الزوج نكحتها على مبدأ: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، فأين التسريح بإحسان إذا كان يضايقها حتى تتنازل له عن مهرها أو عن شيء منه، هذا ما أنكره تعالى بقوله وكيف تأخذونه إذ هو استفهام إنكارى^(١).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إبطال قانون الجاهلية القائم على ان ابن الزوج يرث امرأة أبيه .
- ٢- حرمة العضل من أجل الافتداء بالمهر وغيره .
- ٣- الترغيب في الصبر .

(١) روى أصحاب السنن وصححه الترمذي أن عمر بن الخطاب كان يخطب فقال ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر: أيعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾؟ قال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

(٢) اختلف في الإفضاء الذي يجب به المهر قال عمر: إن أغلق باباً وأرخصي سترأ ورأى عورة فقد وجب الصداق وعليها العدة ولها الميراث وهو قول فصل، أما الإفضاء الذي تحل به المطلقة ثلاثاً فلا بد من الوطء لحديث: «حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك» والإفضاء في هذه الآية الجماع أيضاً قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) نعم إنكارى وفيه معنى التعجب أيضاً لأنه أمر مستنكر ومتعجب منه لفظاعته وخروجه عن اللياقة والأدب.

- ٤- جواز أخذ الفدية من الزوجة بالمهر أو أكثر أو أقل إن هي أتت بفاحشة ظاهرة لا شك فيها كالزنى أو النشوز.
 ٥- جواز غلاء المهر فقد يبلغ القنطار غير أن التيسير فيه أكثر بركة.^(١)
 ٦- وجوب مراعاة العهود والوفاء بها.

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ
 النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
 وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
 وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
 الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
 وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
 وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ
 اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
 مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
 إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم : لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.
 إلا ما قد سلف : إلا ما قد مضى قبل هذا التحريم.

(١) لا خلاف في أن أكثر الصداق لا حد له وإنما الخلاف في أقله، والذي عليه أكثر أهل العلم أنه لا يقل عن ربع دينار أو ما يعادله دراهم قياساً على ما تقطع فيه يد السارق، لأن الفرج محرم كاليد.

إنه كان فاحشة	: أى زواج نساء الآباء فاحشة شديدة القبح .
مقتاً ^(١)	: ممقوتاً مبغوضاً للشارع ولكل ذى فطرة سليمة .
وساء سبيلاً	: أى قبح نكاح أزواج الآباء طريقاً يسلك .
أمهاتكم	: جمع ^(٢) أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت .
وربائبكم	: الربائب جمع ربيبة هى بنت الزوجة .
وحلائل إبنائكم	: الحلائل جمع حليلة وهى امرأة الابن من الصلب .
معنى الآيتين :	

ما زال السياق الكريم فى بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالارث والنكاح وعشرة النساء .
وفى هاتين الآيتين ذكر تعالى محرمات النكاح من النسب، والرضاع والمصاهرة فبدأ بتحريم امرأة الأب وإن علا فقال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾، ولم يقل من ليشمل التحريم منكوحة الأب والطريقة التى كانت متبعة عندهم فى الجاهلية . ولذا قال الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه معفو عنه بالاسلام بعد التخلّى عنه وعدم المقام عليه، وبهذه اللفظ حرمت امرأة الأب والجد على الابن وابن الابن ولو لم يدخل بها الأب ثم ذكر محرمات النسب فذكر الامهات والبنات والاخوات والعمت والخالات وبنات الأخ، وبنات الأخت فهؤلاء سبع محرمات من النسب قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ ثم ذكر المحرمات بالرضاع فقال ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ فمن رضع من امرأة خمس رضعات وهو فى سن الحولين تحرم عليه ويحرم عليه امهاتها وبناتها واخواتها وكذا بنات زوجها واخواته وامهاته حتى

(١) سئل ابن الأعرابي عن نكاح المقت فقال هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه، إذا طلقها أو مات عنها ويقال لمن تزوج امرأة أبيه: الضيزن.

(٢) الصواب جمع أمه، إذ الأم تجمع على أمات وقُلْ من يقول به، والآية نصّ في تحريم كل انثى لها على الرجل ولادة فتدخل الأم فيه وأُمُّها وجدّاتها.

(٣) سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحلّ معه حيث حلّ فهي فعيلة بمعنى فاعلة، وقيل سميت حليلة لأنها محلّلة له.

(٤) روي أن أبا قيس توفي وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت له: إني أعذك ولداً ولكنني آتي رسول الله ﷺ فاستأمره فأنته فأخبرته فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

(٥) وحرم بالسنّة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها . والمرأة وخالتها.

(٦) خالف مالك رحمه الله تعالى ومن وافقه فقالوا: لا فرق بين قليل الرضاع وكثيره، إذا وصل اللبن إلى الأمعاء ولو مصّة واحدة مع أن الرسول ﷺ قال: «لا تحرم المصّة ولا المصتان» رواه مسلم.

قيل يحرم^(١) من الرضاعة ما يحرم من النسب، ثم ذكر تعالى المحرمات بالمصاهرة فقال: وامهات نسائكم فأم امرأة الرجل محرمة عليه بمجرد ان يعقد على بنتها تصبح أمها حراما. وقال وربائبكم التي في حجوركم فالربيبة هي بنت الزوجة اذا نكح الرجل امرأة وبنى بها لا يحل له الزواج من ابنتها أما إذا عقد فقط ولم يبن فان البنت تحل له لقوله: من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أى لا إثم ولا حرج^(٢).

ومن المحرمات بالمصاهرة امرأة الابن بنى بها ام لم يبن لقوله تعالى: وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم أى ليس ابنًا بالتبني، اما الإبن من الرضاع فزوجته كزوجة الابن من الصلب، لأن اللبن الذى تغذى به هو السبب فكان اذا كالولد للصلب، ومن المحرمات بالمصاهرة أيضا أخت الزوجة فمن تزوج امرأة لا يحل له أن يتزوج أختها حتى تموت او يفارقها وتنتهى عدتها لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه عفو بشرط عدم الإقامة عليه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تحريم مناكح الجاهلية الا ما وافق الإسلام منها، وخاصة أزواج الآباء فزوجة الأب محرمة على الابن ولو لم يدخل بها الأب وطلقها او مات عنها.
- ٢- بيان المحرمات من النسب وهن سبع الأمهات والبنات والاخوات، والعلمات والحالات وبنات الأخ وبنت الأخت.
- ٣- بيان المحرمات من الرضاع وهن المحرمات من النسب فالرضيع يحرم عليه امه المرضع له وبناتها وأخواتها وعماته وخالاته، وبنات أخيه وبنات أخته.
- ٤- بيان المحرمات من المصاهرة وهن سبع أيضا: زوجة الأب بنى بها أو لم يبن، أم امرأته بنى بابنتها أو لم يبن، وبنت امرأته وهى الربيبة اذا دخل بأمرها، وامرأة الولد من الصلب

(١) القائل هو الرسول ﷺ والحديث متفق عليه.

(٢) ولحديث الصحيحين: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج البنت».

(٣) هذا إذا كان الرضاع في الحولين أما بعدهما فلا يحرم إجماعاً.

بنى بها الولد أو لم يبن، وكذا ابنه من الرضاع، وأخت امرأته ما دامت اختها تحته لم يفارقها بطلاق أو وفاة. والمحصنات^(٢) من النساء أى المتزوجات قبل طلاقهن أو وفاة أزواجهن وانقضاء عددهن.

(١) حكى القرطبي الإجماع على أنّ الرجل إذا وطئ امرأة بنكاح فاسد أنها تحرم على أبيه وعلى ابنه وعلى أجداده وأحفاده.
 (٢) فى عد المحصنات من المحرمات بالصهر تجوزاً.
 (٣) لحديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وهو دليل الجمهور على أنّ امرأة الابن من الرضاع تحرم كما تحرم امرأة الابن من الصلب.

❖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ^١ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
 مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
 فَيِّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
 أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
 مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
 الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ



شرح الكلمات :

- المحصنات : جمع محصنة والمراد بها هنا المتزوجة .
 إلا ما ملكت أيانكم : المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما .
 ما وراء ذلكم : أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم .
 غير مسافحين : المسافح : الزاني ، لأن السفاح هو الزنى .

(١) وسميت المتزوجة محصنة : لأن الرجل أي الزوج قد أحصنها أي حفظها باستقلاله بها عن غيره

أجورهن فريضة	: مهورهن تحلة .
طولاً ^(١)	: سعة وقدرة على المهر .
المحصنات	: العفيفات .
أجورهن	: مهورهن .
ولا متخذات أخدان	: الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سرّاً تحت شعار الصداقة .
فإذا أحصن	: بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما .
العنت	: العنت الضرر في الدين والبدن .
معنى الآيتين :	

ما زال السياق في بيان ما يحرم من النكاح وما يجوز ففي الآية الأولى (٢٤) عطف تعالى على المحرمات في المصاهرة المرأة المتزوجة فقال ﴿والمحصنات﴾ أي ذوات الأزواج فلا يحل نكاحهن إلا بعد مفارقة الزوج بطلاق أو وفاة، وبعد انقضاء العدة أيضاً واستثنى تعالى من المتزوجات المملوكة باليمين وهي المرأة تسمى في الحرب الشرعية وهي الجهاد في سبيل الله فهذه من الجائز أن يكون زوجها لم يمّت في الحرب وبما أن صلتها قد انقطعت بدار الحرب وبزوجها وأهلها وأصبحت مملوكة أذن الله تعالى رحمة بها في نكاحها عن ملكها من المؤمنين . ولذا ورد أن الآية نزلت في سبايا أوطاس وهي وقعة كانت بعد موقعة حنين فسبى فيها المسلمون النساء و الذراري ، فتحرّج المؤمنون في غشيان أولئك النسوة ومنهن المتزوجات فأذن لهم في غشيانهن بعد أن تسلم إحداهن وتستبرأ بحیضة ، أما قبل إسلامها فلا تحل لأنها مشركة ، هذا معنى قوله تعالى ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيهانكم﴾ وقوله : ﴿كتاب الله عليكم﴾ يريد ما حرمه تعالى من المناكح قد كتبه على المسلمين كتاباً وفرضه فرضاً لا يجوز إهماله أو التهاون به . فكتاب الله منصوب على المصدرية^(٢) . وقوله تعالى : ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾^(٣) أي ما بعد الذي حرمه من المحرمات بالنسب

(١) الطّول : مصدر طال يطول طولاً بمعنى قدر على التناول من بُعدٍ ولذا قُسر بالقدرة على المهر .

(٢) ويجوز الرفع نحو هذا كتاب الله وفرضه .

(٣) قرئ أحل بالبناء للمفعول وأحل للبناء للفاعل .

(٤) لا بد من مراعاة ما حرّم بالنسبة وهو الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، ولا التفات إلى مذهب الخوارج إذ يبيحون ذلك كما يبيحون الجمع بين الاختين ، وعلة المنع هي : أن الجمع يسبب قطيعة الرحم .

وبالرضاع وبالمصاهرة على شرط أن لا يزيد المرء على أربع كما هو ظاهر قوله تعالى في أول السورة ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾: وقوله تعالى ﴿أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ أي لا حرج عليكم أن تطلبوا بأموالكم من النساء غير ما حرّم عليكم فتزوجوا ما طاب لكم حال كونكم محصنين غير مسافحين، وذلك بأن يتم النكاح بشروطه من الولي والصدّاق والصيغة والشهود، إذ أن نكاحاً يتم بغير هذه الشروط فهو السفاح أي الزنى وقوله تعالى ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة﴾ يريد تعالى: أيما رجل تزوج امرأة فأفضى إليها أي وطئها إلا وجب لها المهر كاملاً، أما التي لم يتم الاستمتاع بها بأن طلقها قبل البناء فليس لها إلا نصف المهر المسمى، وإن لم يكن قد سمى لها فليس لها إلا المتعة، فالمراد من قوله ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ أي بنيتم بهن ودخلتم عليهن. وقوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ يريد إذا أعطى الرجل زوجته ما استحل به فرجها وهو المهر كاملاً فليس عليهما بعد ذلك من حرج في أن تسقط المرأة من مهرها لزوجها، أو تؤجله أو تهبه كله له أو بعضه إذ ذاك لها وهي صاحبة كما تقدم ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء / ٤]

وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ المراد منه إفهام المؤمنين بأن الله تعالى عليم بأحوالهم حكيم في تشريعه لهم فليأخذوا بشرعه ورضاه وعزائمه فإنه مراعى فيه الرحمة والعدل، ولنعم تشريع يقوم على أساس الرحمة والعدل.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٤) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً...﴾ فقد تضمنت بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين إذ رخص لمن لم يستطع نكاح الحرائر لقلّة ذات يده، مع خوفه العنت الذي هو الضرر في دينه بالزنى، أو في بدنه

(١) استدلال الروافض بهذه الآية: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ الخ على جواز نكاح المتعة وهو استدلال فاسد وباطل ويكفي في بطلانه إجماع أهل السنة والجماعة على بطلانه وأنه زنى إلا أنه لا يقام على صاحبه حدّ الرجم للشبهة والرسول ﷺ يقول: «ادروا الحدود بالشبهات» ونكاح المتعة رخص فيه الرسول ﷺ مرة ثم أعلن عن حرمة، أعلن ذلك في حجة الوداع ليعلم كل إنسان ذلك، ومن الأدلة على حرمة المتعة، أن المتمتع بها لا ترث والزوجة الشرعية ترث الربع والثمن.

(٢) الاستمتاع: التلذذ والأجور: هي المهور، وسمي المهر أجراً لأنه أجر الاستمتاع وهذا دليل على أنه في مقابلة البضع، إذ كل ما يقابل المنفعة يسمى أجراً.

(٣) اختلف في تحديد معنى الطول، وأرجح الأقوال أنه سعة المال، وعليه فلا يباح نكاح الأمة إلا بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح نكاح الأمة إلا باجتماعهما، ومن كانت تحته حرة لا يجوز أن ينكح عليها أمة، لأن الحرة تدفع العنت عنه، وحكي الإجماع على أن من كانت له أمة لا يحل له أن يتزوجها بل يطأها بملك البين وذلك لتعارض حق الملك مع حق الزوجية.

بإقامة الحد عليه رخص له أن يتزوج المملوكة بشرط أن تكون مؤمنة، وأن يتزوجها بإذن^(١) مالِكها وأن يؤتيها صداقها وأن يتم ذلك على مبدأ الإحصان الذي هو الزواج بشروطه لا السفاح، الذي هو الزنى العلني المشار إليه بكلمة ﴿غير مسافحات﴾، ولا الخفي المشار إليه بكلمة ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أي أخلاء هذا معنى قوله تعالى ﴿ومن لم يستطع منكم طَوْلاً﴾ أي قدرة مالية أن ينكح المحصنات أي العفاف من ﴿فتياتكم المؤمنات﴾ أي من إيمانكم المؤمنات لا الكافرات بحسب الظاهر أما الباطن فعلمه إلى الله ولذا قال: ﴿والله أعلم بآيائكم﴾ وقوله ﴿بعضكم من بعض﴾ فيه تطيب لنفس المؤمن إذا تزوج للضرورة الأمة فإن الإيَّان أذهب الفوارق بين المؤمنين وقوله: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات﴾ فيه بيان للشروط التي لا بد منها وقد ذكرناها آنفاً.

وقوله تعالى: ﴿فإذا أحصن﴾ - أي الإماء - بالزواج وبالإسلام ﴿فإن أتین بفاحشة﴾ أي زنين فعليهن حد هو نصف ما على المحصنات من العذاب وهو جلد خمسين جلدة وتغريب ستة أشهر، لأن الحرية إن زنت وهي بكر تجلد مائة وتغرب سنة. أما الرجم والذي هو الموت فإنه لا ينصف فلذا فهم المؤمنون في تنصيف العذاب أنه الجلد لا الرجم وهو إجماع لا خلاف فيه وقوله: ﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ يريد أبحت لكم ذلك لمن خاف على نفسه الزنى إذا لم يقدر على الزواج من الحرية لفقره واحتياجه وقوله تعالى: ﴿وأن تصبروا...﴾ أي على العزوبة خير لكم من نكاح الإماء. وقوله ﴿والله غفور رحيم﴾ أي غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين ولذا رخص لهم في نكاح الإماء عند خوف العنت، وأرشدهم إلى ما هو خير منه وهو الصبر^(٢) فله الحمد وله المنة.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - تحريم المرأة المتزوجة حتى يفارقها زوجها بطلاق أو موت وحتى تنقضي عدتها.

(١) وأجمعوا على أنه لا يجوز للمملوك أن يتزوج بغير إذن سيده، وإن تزوج فسُخ زواجه وهل عليه الحد؟ خلاف.

(٢) دليل حد الأمة إن زنت قوله ﷺ: (إذا زنت أمة أحدكم فليحدها الحد).

وقال على في خطبته أيها الناس: أقيموا على أركانكم الحد من أحصن منهن ومن لم يحصن الحديث رواه مسلم.

(٣) قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت أو قال فساد البيت)

٢ - جواز نكاح المملوكة باليمين وإن كان زوجها حياً في دار الحرب إذا أسلمت، لأن الإسلام فصل بينها.

٣ - وجوب المهور، وجواز إعطاء المرأة من مهرها لزوجها شيئاً.

٤ - جواز التزوج من المملوكات لمن خاف العنت وهو عادم للقدرة على الزواج من الحرائر.

٥ - وجوب إقامة الحد على من زنت من الإماء إن احصن بالزواج والإسلام.

٦ - الصبر على العزوبة خير من^(١) الزواج بالإماء لإرشاد الله تعالى إلى ذلك.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

يريد الله ليبين لكم^(١) : يريد الله أن يبين لكم بما حرم عليكم وأحل لكم ما يكملكم ويسعدكم في دنياكم وأخراكم.

سنن الذين من قبلكم^(٢) : طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتنهجوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفعلوا مثلهم.

ويتوب عليكم : يرجع بكم عما كنتم عليه من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام.

الذين يتبعون الشهوات^(٣) : من اليهود والنصارى والمجوس والزناة.

(١) يشهد لذلك قول عمر رضي الله عنه: أيما رجل تزوج أمة فقد أرق نصفه يعني بصير ولده رقيقاً فالصبر على عدم التزوج بالإماء أفضل لكي لا يرق الولد.

(٢) الأصل يريد أن يبين لكم فحذفت أن ودخلت اللام على الفعل والتقدير يريد الله البيان لكم والهدى والتوبة فاللام إذن لتوكيد معنى الفعل ومثلها في قوله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ في آية وفي آية أخرى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ قال النحاس سمي بعضهم هذه اللام لام (أن).

(٣) فيكون معنى هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾. (٤) أي تغلبهم شهواتهم على مخالفة شرع الله لعباده من أمور الدين التي عليها مدار سعادة الإنسان وكماله.

أن تميلوا ميلاً عظيماً : تحيدوا عن طريق الطهر والصفاء إلى طريق الخبث والكدر
بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعداً
عظيماً.

وخلق الإنسان ضعيفاً : لا يصبر عن النساء ، فلذا رخص تعالى لهم في الزواج من
الفتيات .

معنى الآيات :

لما حرم تعالى ما حرم من المناكح وأباح ما أباح منها علل لذلك بقوله ﴿يريد الله﴾ أي بما شرع
ليبين ما هو نافع لكم مما هو ضار بكم فتأخذوا النافع وتتركوا الضار، كما يريد أن يهديكم
طرائق الصالحين من قبلكم من أنبياء ومؤمنين صالحين لتسلكوها فتكلموا وتسعدوا في
الحياتين، كما يريد بما بين لكم أن ﴿يتوب عليكم﴾ أي يرجع بكم من ضلال الجاهلية إلى
هداية الإسلام فتعيشوا على الطهر والصلاح ، وهو تعالى عليم بما ينفعكم ويضركم حكيم
في تدبيره لكم فاشكروه بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته .

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٦) أما الآية الثانية (٢٧) فقد تضمنت الإخبار بأن الله
تعالى يريد بما بينه من الحلال والحرام في المناكح وغيرها أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث
والفساد التي كانوا يعيشونها قبل الإسلام إلى حياة الطهر والصلاح في ظل تشريع عادل
رحيم . وأن الذين يتبعون الشهوات من الزناة واليهود والنصارى وسائر المنحرفين عن سنن
الهدى فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملاذ والشهوات البهيمية
حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم .

هذا معنى الآية الثانية أما الثالثة (٢٨) فقد أخبر تعالى أنه بإباحته للمؤمنين العاجزين
عن نكاح الحرائر نكاح الفتيات المؤمنات يريد بذلك التخفيف والتيسير عن المؤمنين رحمة بهم
وشفقة عليهم لما يعلم تعالى من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء بما غرز فيه من غريزة

(١) سبقت هذه الآية تذييلاً لما سبقها لغرض استئناس المسلمين واستنزال نفوسهم إلى امتثال أوامر الله تعالى المتقدمة في
أول السورة وهي أحكام النكاح والإرث والمعاشرة .

(٢) شاهده الكتاب في قوله تعالى : ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ومن السنة قوله ﷺ : «إن هذا الدين يسر ولن
يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه» وقوله لمعاد وأبي موسى : «يسرا ولا تعسرا» وبذا كان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية ،
ويشهد لهذا وجود الرخص في مسائل الدين .

الميل إلى أنثاه لحفظ النوع ولحكم عالية وقال تعالى : ﴿ يريد الله أن يخفف^(١) عنكم وُحْلُقَ الإنسان ضعيفاً^(٢) ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - منة الله تعالى علينا في تعليله الأحكام لنا لتطمئن نفوسنا ويأتي العمل بانشرار صدر وطيب خاطر .

٢ - منة الله تعالى على المؤمنين بهدايتهم إلى طرق الصالحين وسبيل المفلحين ممن كانوا قبلهم .

٣ - منته تعالى في تطهير المؤمنين من الأخباث وضلال الجاهليات .

٤ - الكشف عن نفسية الإنسان ، إذ الزناة يرغبون في كون الناس كلهم زناه والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم ، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد يود أن يكون كل الناس مثله ، كما أن الطاهر الصالح يود أن يطهر ويصلح كل الناس .

٥ - ضعف الإنسان أمام غرائزه لا سيما غريزة الجنس .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا
وَزُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

(١) أي في جميع الأحكام وبخاصة في نكاح الإمام لما علم من ضعف الإنسان في أمر النساء .

(٢) معنى ضعيفاً : أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه ، وهذا أشد الضعف ولذا احتاج إلى التخفيف فخفف الله عنه .
والحمد لله .

شرح الكلمات :

آمنوا : صدقوا الله والرسول .

بالباطل : بغير حق يبيع أكلها .

تجارة^(١) : بيعاً وشراءً فيحل لصاحب البضاعة أن يأخذ النقود ويحل لصاحب النقود أخذ البضاعة ، إذاً لا باطل .

تقتلوا أنفسكم : أي تزهقوا أرواح بعضكم بعضاً .

عدواناً وظلماً : اعتداء يكون فيه ظلماً .

نصليه ناراً : ندخله نار جهنم يحترق فيها .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في بيان ما يحل وما يحرم من الأموال والأعراض والأنفس ففي هذه الآية (٢٩) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل بالسرقة أو الغش أو القمار أو الربا وما إلى ذلك من وجوه التحريم^(٢) العديدة فيقول : ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ ، أي بغير عوض مباح ، أو طيب نفس ، ثم يستثنى ما كان حاصلًا عن تجارة قائمة على مبدأ التراضي بين البيعين لحديث « إنما البيع عن تراض » و « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » فقال تعالى : ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض^(٣) منكم ﴾ فلا بأس بأكله فإنه حلال لكم . هذا ماتضمنته هذه الآية كما قد تضمنت حرمة قتل المؤمنين لبعضهم بعضاً فقال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ والنهي شامل لقتل الإنسان نفسه وقتله أخاه المسلم لأن المسلمين كجسم واحد فالذي يقتل مسلماً منهم كأنها قتل نفسه . وعلل تعالى هذا التحريم لنا فقال إن الله كان بكم رحيماً ، فلذا حرم عليكم قتل بعضكم بعضاً .

(١) كل معاوضة في مباح فهي تجارة حتى إن الله تعالى سمي ثمن طاعته وطاعة رسوله تجارة في قوله تعالى ﴿ هل أدلكم على تجارة... ﴾ الآية .

(٢) كبيع العربون بأن يقول لأخيه خذ هذه العشرة دنائير إن أتيتك بالسلعة وإلا فهي لك ، هذا بيع باطل لأنه لاحق له في أخذ العربون ، إن عجز أخوه في تقديم السلعة له .

(٣) لم يختلف في بيع الخيار وذلك بأن يقول المسلم لأخيه يعني كذا أو بعثك كذا أو اعطني مهلة يوم أو يومين أفكر فيها ، فهذا البيع جائز إن تم وإن لم يتم واختلف في معنى قول الرسول ﷺ « المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا » هل التفرق بالأبدان أو بالكلام والصحيح أنه بالأبدان فلكل منهما الفسخ والإمضاء ما دام في المجلس فإن تفرقا مضى البيع .

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٩) أما الآية الثانية (٣٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً بالإصلاء بالنار والإحراق فيها كل من يقتل مؤمناً عدواناً وظلماً أي بالعمد والإصرار والظلم المحض ، فقال تعالى : ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي القتل ﴿عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً ، وكان ذلك﴾ أي الإصلاء والاحراق في النار ﴿على الله سيراً﴾ لكمال قدرته تعالى فالمتوعد بهذا العذاب إذا لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه بحال من الأحوال .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - حرمة مال المسلم ، وكل مال حرام وسواء حازه بسرقة أو غش أو قمار أو ربا .
- ٢ - إباحة التجارة والترغيب فيها والرد على جهلة المتصوفة الذين يمنعون الكسب بحجة التوكل .

٣ - تقرير مبدأ «إنما البيع عن تراض ، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا» .

٤ - حرمة قتل المسلم نفسه أو غيره من المسلمين لأنهم أمة واحدة .

٥ - الوعيد الشديد لقاتل النفس عدواناً وظلماً بالإصلاء بالنار .

- ٦ - إن كان القتل غير عدوان بأن كان خطأ ، أو كان غير ظلم بأن كان عمداً ولكن بحق قتل من قتل والده أو ابنه أو أخاه فلا يستوجب هذا الوعيد الشديد .

إِنْ تَحْتَبِنُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

أن تحتنبوا : تتبعدوا لأن الاجتناب ترك الشيء عن جنب بعيداً عنه لا يقبل عليه ولا يقربه .

(١) أي لم يكن سهواً منه ولا خطأ وهو معنى «عدواناً» ولا بحق كقصاص وهو معنى «ظلماً» .

(٢) يكفي في الرد عليهم ثناء الرسول ﷺ على التاجر الأمين في قوله : «التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة» إلا أنه يحرم على التاجر أن يروج سلعته بالإيمان الكاذبة ، كما يكره له أن يصلي على النبي عند عرض سلعته كقوله : صلى الله على محمد ما أجود هذا كما يكره له أن تشغله التجارة عن صلاة الجماعة .

(٣) ورد الوعيد الشديد في قاتل نفسه من ذلك قوله ﷺ : «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة» رواه الجماعة . وقوله ﷺ : «من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه في يده يتحسأ في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردٍ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» .

كبائر ماتهنون عنه : الكبائر: ضد الصغائر، والكبيرة تعرف بالحد لا بالعدد فالكبيرة ماتوعده الله ورسوله عليها، أو لعن الله ورسوله فاعلها أو شرع لها حدّ يقام على صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح بيان العديد من الكبائر، وعلى المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه.

نكفر : نغطي ونستر فلا نطالب بها ولا نؤاخذ عليها.

مدخلًا كريماً : المدخل الكريم هنا: الجنة دار المتقين.

معنى الآية الكريمة :

يتفضل الجبار جل جلاله وعظم إنعامه وسلطانه فيمن على المؤمنين من هذه الأمة المسلمة بأن وعدها وعد الصدق بأن من اجتنب منها كبائر الذنوب كفر عنه صغائرها وأدخله الجنة دار السلام وخلع عليه حلل الرضوان فقال تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ما أنهاكم عنه أنا ورسولي ﴿نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ التي هي دون الكبائر وهي الصغائر، ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ الذي هو الجنة والله الحمد والمنة. لهذا كانت هذه الآية من مبشرات القرآن لهذه الأمة.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١ - وجوب الابتعاد عن سائر الكبائر، والصبر على ذلك حتى الموت.

٢ - الذنوب قسمان كبائر وصغائر ولذا وجب العلم بها لاجتناب كبائرها وصغائرها ما أمكن ذلك، ومن زل فليتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.^(١)

٣ - الجنة لا يدخلها إلا ذوّالنفوس الزكية الطاهرة باجتنابهم المندسات لها من كبائر الذنوب والآثام والفواحش.^(٢)

(١) اجتناب الكبائر إن كان المراد به كبائر الذنوب فلا بد من ضميعة أداء الفرائض فإن اجتناب الكبائر مع تضييع الفرائض غير مجد، وإن أريد باجتناب الكبائر تحاشي ترك الفرائض والاحتفاء من فعل الكبائر فذاك، ويشهد لهذا حديث الصحيح: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

(٢) اختلف في تحديد الكبيرة وفي عددها أما العدد فقد قيل لابن عباس الكبائر سبع قال: هي إلى السبعمئة أقرب منها إلى السبع وقد ورد النص في بعضها كحديث مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات» فعد منها ستاً وفي أحاديث صحاح أخرى ذكر عدداً آخر، والذي عليه أهل العلم أنها لا تعد ولكن تحدّ كما في التفسير، وأما الصغيرة فهي نسبة فالنظرة إلى اللزمة صغيرة، واللزمة إلى القبلية صغيرة وهكذا.

(٣) شاهده في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار بعد قوله هي إلى السبعمئة أقرب.

(٤) أهل الكبائر الذين ماتوا يزاولونها ولم يغفر لهم ويشفع لهم فإنهم يطهرون وتركوا نفوسهم بعذاب النار ثم يغسلون أيضاً في نهر عند باب الجنة، يقال له نهر الحيوان، فيدخلون الجنة بنفوس زكية، وأرواح طاهرة نقيّة.

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
 وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ
 نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

ولا تتمنوا

: التمني : التشهي والرغبة في حصول الشيء ، وأداته : ليت ، ولو ،

فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو
 الحسد .

ما فضل الله بعضكم : أي مافضل الله به أحداً منكم فاعطاه علماً أو مالاً أو جاهاً أو
 سلطاناً .

نصيب مما اكتسبوا : أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية .

موالي : الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب .

عقدت إيمانكم : أي حالفتموهم وتآخيتهم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين .

فأتوهم نصيبهم : من الرفادة والوصية والنصرة لأنهم ليسوا ورثة .

معنى الآيتين :

صح أو لم يصح أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل
 أجر الرجال فإن الله سميع عليم ، والذين يتمنون حسداً وغير حسد ما أكثرهم ومن هنا نهى
 (١)

(١) التمني : نوع إرادة يتعلق بالمستقبل ، وعلى خلافه التلهف لأنه يتعلق بالماضي ، وسرّ النهي عنه أنّ فيه تعلق بال
 بالتمنى ونسيان الأجل ، ولذا حرم التمني الذي هو الحسد ، وهو نوعان : تمنى زوال النعمة عن غيره لتحصل له ، وتمنى
 زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له وهو سرّ الحسد ، وهل الغبطة من الحسد؟ والجواب لا والغبطة هي أن يرى العبد نعمة
 علم أو مال لأحد فيغتنط ويسأل الله تعالى أن يكون له ذلك العلم ليعلمه ويعمل به ، أو يكون له ذلك المال ليتصدق به فهذه
 الغبطة محمودة لحديث البخاري : « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق فيقول الرجل لو
 أن لي مثل ما لفلان لعملت مثله فهما في الأجر سواء » .

الله تعالى في هذه الآية الكريمة (٣٢) عباده المؤمنين عن تمنى ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشكر والصبر، فقال تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به﴾ - من علم أو مال. أو صحة أو جاه أو سلطان - ﴿بعضكم على بعض﴾ وأخبر تعالى أن سنته في الثواب والعقاب الكسب والعمل فليعمل من أراد الأجر والمثوبة بموجبات ذلك من الإيمان والعمل الصالح، ولا يتمنى ذلك تمنياً، وليكف عن الشرك والمعاصي من خاف العذاب والحرام ولا يتمنى النجاة تمنياً كما على من أراد المال والجاه فليعمل له بسنته المنوطة به ولا يتمنى فقط فإن التمنى كما قيل بضائع النوكى أي الحمقى، فلذا قال تعالى ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾، فرد القضية إلى سنته فيها وهي كسب الإنسان. كقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ ثم بين تعالى سنة أخرى في الحصول على المرغوب وهي دعاء الله تعالى فقال ﴿واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فمن سأل ربّه وألح عليه موقناً بالاجابة أعطاه فيوفقه للإتيان بالأسباب، ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سبب إن شاء، وهو على كل شيء قدير، بل ومن الأسباب المشروعة الدعاء والإخلاص فيه.

هذا ماتضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (٣٣) فإن الله تعالى يخبر مقررأً حكماً شرعياً قد تقدم في السياق وهو أن لكل من الرجال والنساء ورثة يرثونه إذا مات فقال ﴿ولكل جعلنا مولى﴾ أي أقارب يرثونه إذا مات، وذلك من النساء والرجال أما الذين هم موالى بالحلف أو الإخاء فقط أي ليسوا من أولي الأرحام فالواجب إعطاؤهم نصيبهم من النصرة والرفادة. والوصية لهم بشيء إذ لاحظ لهم في الإرث لقوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾، ولما كان توزيع المال وقسمته تشوق له النفوس وقد يقع فيه حيف أو ظلم أخبر تعالى أنه على كل شيء شهيد فلا يخفى عليه من أمر الناس شيء فليتق ولا يُعص.

(١) لحديث الترمذي وغيره قال ﷺ: «سألو الله من فضله فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج» أي من الله تعالى وهو تعلق القلب بالرب تعالى.

(٢) هذه الآية ناسخة لكل من الإرث بالتحالف والمؤاخاة وهي كقوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وأما التحالف وهو المقصود بقوله تعالى ﴿والذين عاهدت أيمانكم﴾ فقد كان الرجل في الجاهلية يقول لمن أراد محالفته: دمي، دمك، وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك، وسلمي سلمك وترثني وأرثك، وأما المؤاخاة فقد كانت بين المهاجرين والأنصار بأمر رسول الله ﷺ فتوارثوا بها حتى نسخت بهذه الآية وآية الأنفال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه من أمركم شيء فأتقوه وأطيعوه ولا تعصوه.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - قبح التمني وترك العمل .

٢ - حرمة الحسد .

٣ - فضل الدعاء وأنه من الأسباب التي يحصل بها المراد .

٤ - تقرير مبدأ التوارث في الإسلام .

٥ - من عاقد أحداً على حلف أو أخى أحداً وجب عليه أن يعطيه حق النصرة والمساعدة

وله أن يوصي له بها دون الثلث^(١)، أما الإرث فلا حق له لنسخ ذلك .

٦ - وجوب مراقبة الله تعالى ، لأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء شهيد .

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ
قَنِينَتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأْضَرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَاْبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ
يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا

(١) يدخل في هذا المتبني فإن لمن تبناه بمعنى رآه أن يوصي له بما دون الثلث أما أن ينسب إليه فلا لأنه محرم بالكتاب والسنة

شرح الكلمات :

قوامون : جمع قوام : وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحاً .
 بما فضل الله بعضهم : بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقومة .
 وبما أنفقوا من أموالهم ^(١) : وهذا عامل آخر مما ثبتت به القومة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وبقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقومة التي هي الرئاسة .

الصالحات ^(٢)

جمع صالحة : وهي المؤدية لحقوق الله تعالى وحقوق زوجها .
 قانتات : مطيعات لله ولأزواجهن .
 حافظات للغيب : حافظات لفروجهن وأموال أزواجهن .
 نشوزهن : النشوز : الترفع عن الزوج وعدم طاعته .
 فعظوهن : بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية .
 فلا تبغوا عليهن سبيلاً : أي لا تطلبوا لهن طريقاً تتوصلون به إلى ضربهن بعد أن أظعنكم .

شقاق بينهما : الشقاق : المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل .

حكماً : الحكم : الحاكم ، والمحكم في القضايا للنظر والحكم فيها .

معنى الآيتين :

يروى في سبب نزول هذه الآية أن سعد بن الربيع رضي الله عنه أغضبته امرأته فلطمها فشكاه وليها إلى رسول الله ﷺ كأنه يريد القصاص فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ . فقال ولي المرأة أردنا أمراً وأراد الله غيره ، وما أَرَادَهُ اللهُ خَيْرٌ . ورضي بحكم الله تعالى وهو أن الرجل

(١) قَوَامٌ ومثله قِيَامٌ وَقِيَمٌ وكلها بمعنى واحد مشتقة من القيام ، لأن من شأن مَنْ يهتم بالشيء وتدبيره أن يقف عليه ويقوم
 (٢) أخذ من هذه الجملة الفقهاء أن من عجز عن النفقة كان للزوجة فسخ النكاح لانعدام القومة لها التي بها استحق الرجل العصمة ، وخالف أبو حنيفة فلم ير الطلاق بالأعسار .
 (٣) أثنى رسول الله ﷺ على هؤلاء الصالحات بقوله : «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» وهو تفسير لقوله تعالى : ﴿ حافظات للغيب ﴾ .
 (٤) ذكر في سبب نزولها عدة أسباب ، وما ذكرناه أولى بالصحة والقبول .

مادام قواماً على المرأة يرفعها ويربها ويصلحها بما أوتي من عقل أكمل من عقلها، وعلم أغزر من علمها غالباً ويُعد نظر في مبادئ الأمور ونهاياتها أبعد من نظرها يضاف إلى ذلك أنه دفع مهرماً لم تدفعه، والتزم بنفقات لم تلتزم هي بشيء منها فلما وجبت له الرئاسة عليها وهي رئاسة شرعية كان له الحق أن يضربها بما لا يشين جارحة أو يكسر عضواً فيكون ضربه لها كضرب المؤدب لمن يؤدبه ويربيه وبعد تقرير هذا السلطان للزوج على زوجته أمر الله تعالى بإكرام المرأة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها وأثنى عليها فقال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾، ومن: **الائتي يؤدين حقوق الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحقوق أزواجهن من الطاعة والتقدير والاحترام ﴿قَائِنَاتُ﴾**: أي مطيعات لله تعالى، وللزوج، **﴿حَافِظَاتُ لِلْغَيْبِ﴾** أي حافظات مال الزوج وعرضه لحديث: «وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»، **﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾** أي بحفظ الله تعالى لها وإعانتها لها إذ لو وكلت إلى نفسها لاستطيع حفظ شيء وإن قل. وفي سياق الكلام ما يشير إلى محذوف يفهم ضمناً وذلك أن الثناء عليهن من قبل الله تعالى يستوجب من الرجل إكرام المرأة الصالحة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها، وهذا ما ذكرته أولاً نهيت عليه هنا ليعلم أنه من دلالة الآية الكريمة، وقد ذكره غير واحد من السلف.

وقوله تعالى: **﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ، فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾**. فإنه تعالى يرشد الأزواج إلى كيفية علاج الزوجة إذا نشزت أي ترفعت على زوجها ولم تؤدي إليه حقوقه الواجبة له بمقتضى العقد بينها، فيقول **﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾** أي ترفعن بما ظهر لكم من علامات ودلائل كأن يأمرها فلا تطيع ويدعوها فلا تحجب وينهاها فلا تنتهي، فاسلكوا معهن السبيل الآتي: **﴿فَعِظُوهُنَّ﴾** أولاً، والوعظ تذكيرها بما للزوج عليها من حق يجب أدائه، وما يترتب على إضاعته من سخط الله تعالى وعذابه، وبما قد ينجم من إهمالها في ضربها أو طلاقها فالوعظ ترغيب بأجر الصالحات القائنات، وترهيب من عقوبة المفسدات العاصيات فإن نفع الوعظ فيها وإلا ^(١) **فالثانية وهي أن يهجرها الزوج في الفراش فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد وقد**

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وقد تقدم في النهر أنفاً وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الهجر في الفراش شهر فلا يزيد عليه كما فعل النبي ﷺ حين أسر إلى حفصة فأفشته لعائشة، ولا يكون كالإبلاء أربعة أشهر.

أعطاهما ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها وليصبر على ذلك حتى تؤوب إلى طاعته وطاعة الله ربهما معاً وإن أصرت ولم يجد معها المجران في الفراش، فالثالثة وهي أن يضربها ضرباً غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عضواً. وأخيراً فإن هي أطاعت زوجها فلا يحل بعد ذلك أن يطلب الزوج طريقاً إلى أذيتها لا بضرب ولا بهجران لقوله تعالى: ﴿فإن أطعنكم﴾ أي الأزواج ﴿فلا تبغوا﴾ أي تطلبوا ﴿عليهن سبيلاً﴾ لأذيتهن باختلاق الأسباب وإيجاد العلل والمبررات لأذيتهن. وقوله تعالى: ﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ تذييل للكلام بما يشعر من أراد أن يعلم على غيره بما أوتي من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبريائه.

هذا ما تضمنته هذه الآية العظيمة (٣٤) أما الآية الثانية (٣٥) فقد تضمنت حكماً اجتماعياً آخر وهو إن حصل شقاق بين زوج وامرأته فأصبح الرجل في شق والمرأة في شق آخر فلا تلاقي بينهما ولا وفاق ولا وثام وذلك لصعوبة الحال فالطريق إلى حل هذا المشكل ما أرشد الله تعالى إليه، وهو أن يبعث ولي الزوجة حكماً من قبله، ويبعث ولي الزوج حكماً من قبله، أو يبعث الزوج نفسه حكماً وتبعث الزوجة أيضاً حكماً من قبلها، أو يبعث القاضي كذلك الكل جائز لقوله تعالى: ﴿فابعثوا﴾ وهو يخاطب المسلمين على شرط أن يكون الحكم عدلاً عالماً بصيراً حتى يمكنه الحكم والقضاء بالعدل. فيدرس الحكماء القضية أولاً مع طرفي النزاع ويتعرفان إلى أسباب الشقاق وبما في نفس الزوجين من رضى وحب، وكراهية وسخط ثم يجتمعان على اصلاح ذات البين فإن أمكن ذلك فيها وإلا فرقا بينهما برضا الزوجين. مع العلم أنها إذا ثبت لها ظلم أحدهما فإن عليهما أن يطالبا برفع الظلم فإن كان الزوج هو الظالم فليرفع ظلمه وليؤد ما وجب عليه، وإن كانت المرأة هي الظالمة فإنها ترفع ظلمها أو تفدي نفسها بما لا فيخالعها به زوجها هذا معنى قوله تعالى ﴿وإن

(١) لم يصرح الله تعالى بالضرب في كتابه إلا في الحدود وهنا في ضرب الناشز، وهذا دليل على أن عصيان الزوجة لزوجها حرام ويشهد لهذا حديث: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه مسلم.

(٢) لحديث مسلم في خطبة حجة الوداع إذ فيه: «وأتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

(٣) روى أبو داود والنسائي وابن ماجه أنه لما قال الرسول ﷺ: «لا تضربوا إماء الله فجاء عمر وقال يا رسول الله ذرت النساء على أزواجهن فرخص ﷺ في ضربهن فأطاف بال رسول الله ﷺ كثير يشتكين أزواجهن فقال رسول الله ﷺ: «لقد طاف بال محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم» ومعنى: ذرت النساء: أي نشزت وتغير خلقهن، أو نشزن واجترأن والاجترأ هنا أولى بالمعنى.

خفتم شقاق بينهما ﴿١﴾ ، والخوف هنا بمعنى التوقع الأكيد بما ظهر من علامات ولاح من دلائل فيعالج الموقف قبل التأزم الشديد ﴿٢﴾ فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴿٣﴾ ، لأنها أعرف بحال الزوجين من غيرهما وقوله تعالى ﴿٤﴾ إن يريدوا إصلاًحاً ﴿٥﴾ فإنه يعني الحكمين ، ﴿٦﴾ يوفق الله بينهما ﴿٧﴾ أي إن كان قصدهما الإصلاح والجمع بين الزوجين وإزالة الشقاق والخلاف بينهما فإن الله تعالى يعينهما على مهمتها ويبارك في مسعاها ويكمله بالنجاح . وقوله تعالى : ﴿٨﴾ إن الله كان عليماً خبيراً ﴿٩﴾ . ذكر تعليلاً لما واعد به تعالى من التوفيق بين الحكمين ، إذ لو لم يكن عليماً خبيراً ما عرف نيات الحكمين وما يجري في صدورهما من إرادة الإصلاح أو الإفساد .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - تقرير مبدأ القىومية للرجال على النساء وبخاصة الزوج على زوجته .
- ٢ - وجوب إكرام الصالحات والإحسان إليهن .
- ٣ - بيان علاج مشكلة نشوز الزوجة وذلك بوعظها أولاً ثم هجرانها في الفراش ثانياً ، ثم بضرها ثالثاً .
- ٤ - لا يحل اختلاق الأسباب وإيجاد مبررات لأذية المرأة بضرب وبغيره .
- ٥ - مشروعية التحكيم في الشقاق بين الزوجين وبيان ذلك .

﴿١﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ

(١) النشوز: العصيان ، مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الأرض ، ويقال نشز الرجل ينشز إذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا﴾ أي ارتفعوا وقوموا ، فنشوز المرأة ترفعها عن طاعة الزوج .

النَّاسِ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءَ اتِّهِمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾
 وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
 قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا
 مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات

اعبدوا الله^(١) : الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل والحب والتعظيم له عز وجل .

لا تشركوا به شيئاً^(٢) : أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالى بها عباده من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها .

ذوي القربى : أصحاب القربابات .

وابن السبيل^(٣) : المسافر استضاف أو لم يستضيف .

والجار ذي القربى : أي القريب لنسب أو مصاهرة .

الجار الجنب : أي الأجنبي مؤمناً كان أو كافراً .

الصاحب بالجنب : الزوجة ، والصديق الملازم كالتلميذ والرفيق في السفر .

وماملكت أيانكم : من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات .

مختال فخور : الاختيال : الزهو في المشي ، والفخر والافتخار بالحسب والنسب والمال

بتعداد ذلك وذكره .

(١) هذه الآية محكمة اجمعاً لا نسخ فيها البتة وتسمى آية الحقوق العشرة .

(٢) الشرك ثلاثة أنواع : شرك في ربوبية الله تعالى للعالمين ، وشرك في أسمائه تعالى وصفاته وشرك في عبادته تعالى ، والشرك بأنواعه الثلاثة من الذنب الذي لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة الصادقة منه ، ومن شرك العبادة : الرياء .

(٣) قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن لي جارين فألى أيهما أهدى؟ فقال : «إلى أقربهما منك باباً» والجيران الثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له حقان وجار له حق واحد ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق : فالجار المسلم القريب ، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، والجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الذي له حق واحد هو الكافر له حق الجوار .

يخلون

: يمنعون الواجب بذله من المعروف مطلقاً .

ويكتمون

: يحقدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلاً منه عليهم .

قريناً

: القرين : الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي

بحبل .

(١)

وماذا عليهم : أي أي شيء يضرهم أو ينافيهم بمكروه إذا هم آمنوا ؟

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هداية المؤمنين ، وبيان الأحكام الشرعية لهم ليعملوا بها فيكملوا ويسعدوا ففي الآية الأولى (٣٦) يأمر تعالى المؤمنين بعبادته وتوحيده فيها وبالإحسان إلى الوالدين وذلك بطاعتهم في المعروف وإسداء الجميل لهم ، ودفع الأذى عنهم ، وكذا الأقرباء ، واليتامى ، والمساكين ، والجيران مطلقاً أقرباء أو أجانِب ، والصاحب الملازم الذي لا يفارق كالزوجة والمرافق في السفر والعمل والتلمذة والطلب ونحو ذلك من الملازمة التي لا تفارق إلا نادراً إذ الكل يصدق عليه لفظ الصاحب بالجنب . وكذا ابن السبيل وما ملكت اليمين من أمة أو عبد والمذكورون الإحسان إليهم أكد وإلا فالإحسان معروف يبذل لكل الناس كما قال تعالى : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ ، وقال ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ دال على أن منع الإحسان الذي هو كف الأذى وبذل المعروف ناتج عن خلق البخل والكبر وهما من شر الأخلاق هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦) .

وأما الآية الثانية (٣٧) وقد تضمنت بمناسبة ذم البخل والكبر التنديد ببخل بعض أهل الكتاب وكتماهم الحق وهو ناتج عن بخلهم أيضاً وقال تعالى : ﴿الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ أي من مال وعلم وقد كتموا نعت النبي

(١) الاستفهام هنا انكاري توبيخي .

(٢) التوحيد : ضد الشرك وقد ورد في الشرك - تحذيراً منه - أحاديث صحاح منها حديث مسلم : «يقول الرسول ﷺ قال الله تبارك وتعالى ، أنا أغني الشركاء عن الشرك مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» .

(٣) قرن تعالى في غير آية عبادته بالإحسان إلى الوالدين نظراً إلى أن الله تعالى خلق ورزق فهو أحق بالطاعة ، وأن الوالدين تكون الولد منهما ورباه في صغره فكانت المنة لهما بعد الله تعالى .

(٤) صح في الإحسان إلى الجار العديد من الأحاديث منها : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ومنها : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» ومنها : «والله لا يؤمن فليل من ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه» .

(٥) البخل المذموم شرعاً : هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة ، والشح : بخل مع حرص وهو شر من مجرد البخل .

ﷺ وصفاته الدالة عليه في التوراة والإنجيل ، وبخلوا بأموالهم وأمروا بالبخل بها ، إذ كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم على محمد فإننا نخشى عليكم الفقر، وخبر الموصول الذين محذوف تقديره هم الكافرون حقاً دل عليه قوله : ﴿ وأعدنا^(١) للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ . هذا ما جاء في هذه الآية الثانية .

أما الآيتان الثالثة (٣٨) والرابعة (٣٩) فإن الأولى منها قد تضمنت بيان حال أناس آخرين غير اليهود وهم المنافقون فقال تعالى : ﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ﴾ أي مراعاة لهم ليتقوا بذلك المذمة ويحصلوا على المحمدة . ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ . لأنهم كفار مشركون وإنما أظهروا الإسلام تقية فقط ولذا كان إنفاقهم رياء لا غير . وقوله : ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ أي يشس القرين له الشيطان وهذه الجملة : ﴿ ومن يكن الشيطان . . . ﴾ دالة على خبر الموصول المحذوف اكتفى بها عن ذكره كما في الموصول الأول وقد يقدر بمثل : الشيطان قرينهم هو الذي زين لهم الكفر بالله واليوم الآخر .

هذا ماتضمنته الآية الثانية (٣٩) وهي قوله تعالى ﴿ وماذا عليهم^(٢) لو آمنوا بالله واليوم الآخر . وأنفقوا مما رزقهم الله ؟؟ ﴾ فقد تضمنت الإنكار والتوبيخ لأولئك المنافقين الذين ينفقون رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بسبب فتنة الشيطان لهم وملازمته إياهم ، فقال تعالى ﴿ وماذا عليهم ﴾ أي أي شيء يضرهم أو أي أذى يلحقهم في العاجل أو الآجل ، لو صدقوا الله ورسوله وانفقوا في سبيل الله مما رزقهم الله ، وفي الخطاب دعوة ربانية لهم لتصحيح إيمانهم واستقامتهم بالخروج من دائرة النفاق التي أوقعهم فيها القرين عليه لعائن الله ، فلذا لم يذكر تعالى وعيداً لهم ، وإنما قال ﴿ وكان الله بهم عليماً ﴾ وفي هذه تخويف لهم من سوء حالهم إذا استمروا على نفاقهم فإن علم الله بهم يستوجب الضرب على أيديهم إن لم يتوبوا .

(١) أصل ﴿ أعدنا ﴾ : أعدنا ، أبدلت الدال الأولى تاء لثقل الدالين عند فك الإدغام ، أماع الإدغام فلا ابدال نحو : أعد ، ومنه العناد الحربي : وهو عدة السلاح .

(٢) أو قرينهم الشيطان .

(٣) ماذا : اسم استفهام بمعنى : أي شيء ، ويجوز أن تكون ما : مبتدأ ، وذ خبره . وهو بمعنى : الذي .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١ - تقرير عشرة حقوق والأمر بأدائها فوراً وهي عبادة الله وحده والاحسان بالوالدين، وإلى كل المذكورين في الآية الأولى^(١).
- ٢ - ذم الاختيال الناجم عن الكبر وذم الفخر وبيان كره الله تعالى لهما.
- ٣ - حرمة البخل^(٢) والأمر به وحرمة كتمان العلم وخاصة الشرعي منه.
- ٤ - حرمة الرياء وذم صاحبها.
- ٥ - ذم قرناء السوء لما يأمرهم به ويدعون إليه قرناءهم حتى قيل :
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينة فكل قرين بالمقارن يقتدى.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُؤْذَى الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

الظلم : وضع شيء في غير موضعه .

(١) أحص المملوك بذكر ما ورد فيه ففي مسلم يقول ﷺ : «للمملوك طعامه وشرابه وكسوته، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق» وقال : «لا يقل أحدكم عيدي وأمتي بل ليقل فتاي وفتاتي» وفي هذا مراعاة لجانب التوحيد، ومراعاة لشعور المملوك حتى لا يرى أنه مهان مستضعف. وقال ﷺ في فضل العبد الصالح للعبد المملوك المصلح .
(٢) الاختيال من أكبر الذنوب، وفي الحديث الصحيح : «إن الله لا ينظر إلى من جر ثوبه خيلاء» .
(٣) شاهده قوله ﷺ : «وأي داء أدوأ من البخل» وقال : «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعه فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وفي رواية «حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» .
(٤) نصب «مثقال» على المفعولية المطلقة إذ التقدير : «لا يظلمون ظمًا مقدراً بمثقال ذرة والمثقال : ما يظهر به الثقل فهو كاسم الآلة (مفعول) والمراد به : المقدار، والذرة بيضة النملة» .

مِثْقَال ذَرَّةٍ	: المِثْقَالُ : الوزن مأخوذ من الثقل فكل ما يوزن فيه ثقل ، والذرة أصغر حجم في الكون حتى قيل إنه الهباء أو رأس النملة .
الحسنة	: الفعلة الجميلة من المعروف .
يضاعفها	: يريد فيها ضعفها .
من لدنه	: من عنده .
أجرًا عظيمًا	: جزاء كبيراً وثواباً عظيماً
الشهيد	: الشاهد على الشيء لعلمه به
يسود	: يحجب
تسوى بهم الأرض	: يكونون تراباً مثلها .
ولا يكتُمون الله حديثاً	: أي لا يخفون كلاماً .
معنى الآيات :	

لما أمر تعالى في الآيات السابقة بعبادته والإحسان إلى من ذكر من عباده . وأمر بالانفاق في سبيله ، وندد بالبخل والكبر والفخر ، وكتبان العلم ، وكان هذا يتطلب الجزاء بحسبه خيراً أو شراً ذكر في هذه الآية (٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ^(١) مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، ذكر عدله في المجازاة ورحمته ، فأخبر أنه عند الحساب لا يظلم عبده وزن ذرة وهي أصغر شيء وذلك بأن لا ينقص من حسناته حسنة ، ولا يزيد في سيئاته سيئة ، وإن توجد لدى مؤمن حسنة واحدة يضاعفها بأضعاف يعلمها هو ويعط من عنده بدون مقابل أجراً عظيماً لا يقادر قدره فله الحمد والمنة هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٠) أما الآية الثانية (٤١) فإنه تعالى لما ذكر الجزاء والحساب الدال عليه السياق ذكر ما يدل على هول يوم الحساب وفضاعة الأمر فيه ، فخطب رسوله ﷺ قائلاً : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا؟﴾ ومعنى الآية الكريمة فكيف تكون حال أهل الكفر والشر والفساد إذا جاء الله تعالى بشهيد من كل أمة ليشهد عليها فيما أطاعت وفيما عصت

(١) روي عن ابن مسعود وابن عباس أن هذه الآية إحدى آيات هي خير مما طلعت عليه الشمس ، ووجه ذلك في حديث الشفاعة في صحيح مسلم إذ فيه : «ثم يقول لهم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مِثْقَال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها - أي النار - خيراً» .

(٢) كيف : فتحت فاؤها لالتقاء الساكنين إذ المفروض فيها أنها ساكنة وهي هنا في محل نصب إذ التقدير : تكون حالهم كيف ؟

(٣) هو رسولها الذي أرسل إليها .

ليتم الحساب بحسب البيئات والشهود والجزاء بحسب الكفر والإيمان والمعاصي والطاعات، وجئنا بك أيها الرسول الخليل ﷺ شهيداً على هؤلاء أى على أمته ﷺ من آمن به ومن كفر إذ يشهد أنه بلغ رسالته وأدى أمانته ﷺ. هذا ماتضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٤٢) فإنه تعالى لما ذكر ما يدل على هول يوم القيامة في الآية (٤١) ذكر مثلاً لذلك الهول وهو أن الذين كفروا يودون وقد عصوا الرسول لويسوون بالأرض فيكونون تراباً حتى لا يحاسبوا ولا يجزوا بجهنم. وأنهم في ذلك اليوم لا يكتُمون الله كلاماً؛ إذ جوارحهم تنطق فتشهد عليهم. قال تعالى ﴿يومئذ﴾ أى يوم يؤتى من كل أمة بشهيد ﴿يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض﴾ فيكونون تراباً مثلها. (١) مرادهم أن يسووا هم بالأرض فيكونون تراباً وخرج الكلام على معنى أدخلت رأسي في القلنسوة والأصل أدخلت القلنسوة في رأسي وقوله ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ اخبار عن عجزهم عن كتمان شيء عن الله تعالى لأن جوارحهم تشهد عليهم بعد أن يختم على أفواههم، كما قال تعالى من سورة يس ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ - بيان عدالة الله تعالى ورحمته ومزيد فضله.

٢ - بيان هول يوم القيامة حتى إن الكافر ليدو أن لو سويت به الأرض فكان تراباً.

٣ - معرفة رسول الله ﷺ بآثار الشهادة على العبد يوم القيامة إذ أخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله ﷺ يوماً «اقرأ عليّ القرآن فقلت اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: أحب أن أسمع من غيري قال: فقرأت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ حتى وصلت هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ الآية وإذا عينا رسول الله ﷺ تذرّفان الدموع وهو يقول: حسبك أي كفاك ماقرأت عليّ. (٢)

(١) قرئت ﴿تسوى﴾ بتشديد كل من السين والواو مع فتح التاء في السبع، وقرئت أيضاً ﴿تسوى﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وتشديد الواو، وبضمّ التاء وتشديد الواو.

(٢) أي تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، فتكون الباء بمعنى على، أي لو تسوى عليهم أي تنشق فتسوى عليهم.

(٣) الاستفهام للتعجب من حال الناس في عرصات القيامة، وقد جرى بالشهود، وأزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين.

(٤) إن بكاء الرسول ﷺ هنا لسببين: الأول: المسرة التي نالته بتشريف الله تعالى له في هذا المشهد العظيم حيث يؤتى به شهيداً على أمته، لا يعرف عدد أفرادها إلا الله خالقها، ويدخل الجنة بشهادته عدد لا يحصى، والثاني: الأسى والأسف الذي يلحقه من رؤيته أعداداً هائلة من أمته يدخلون النار بشهادته عليهم، والبكاء يكون للمسرة والحزن معاً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

لا تقربوا : لاتدنوا كناية عن الدخول فيها ، أو لا تدنوا من مساجدها .

سكاري : جمع كسران وهو من شرب مسكراً فستر عقله وغطاه .

تعلموا ما تقولون : لزوال السكر عنكم ببعد شربه عن وقت الصلاة وهذا كان قبل
تحريم الخمر وسائر المسكرات .

ولا جنباً^(١) : الجنب : من به جنابة وللجنابة سببان جماع ، أو احتلام .

عابري سبيل^(٢) : مارين بالمسجد مروراً بدون جلوس فيه .

الغائط : المكان المنخفض للتغوط : أي التبرز فيه .

لامستم النساء : جامعتموهن .

فتيمموا صعيداً طيباً : اقصدوا تراباً طاهراً .

عفواً غفوراً : عفواً : لا يؤاخذ على كل ذنب ، غفوراً : كثير المغفرة لذنوب عباده
التائبين إليه .

معنى الآية الكريمة :

لا شك أن لهذه الآية سبباً نزلت بمقتضاه وهو أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

(١) «ولا جنباً» هذا معطوف على محل جملة «حتى تعلموا» أي لا تصلوا وقد أجنبتم، لفظ الجنب لا يؤنث ولا يثنى ولا
يجمع لأنه على وزن المصدر كالتقرب والبعد يقال: هو جنب وهي جنب، وهم جنب وهن جنب بلا فرق.
(٢) يقال: عبرت الطريق: إذا قطعت من جانب إلى جانب آخر، وعبرت النهر كذلك، والمعبر: ما يعبر عليه من سفينة
ونحوها، وناقعة عبر أسفار: لا يزال يسافر عليها ويقطع بها القلاة والهجرة لسرعة مشيها.

حسب رواية الترمذي أقام مآدبة لبعض الأصحاب فأكلوا وشربوا وحضرت الصلاة فقاموا لها وتقدم أحدهم يصلي بهم فقرأ بسورة الكافرون وكان ثملان فقراً: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وهذا باطل وواصل قراءته بحذف حروف النفي فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يامن صدقتم بالله ورسوله، ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ أي لا تدخلوا فيها، والحال أنكم سكارى من الخمر إذ كانت يومئذ حلالاً غير حرام، حتى تكون عقولكم تامة تميزون بها الخطأ من الصواب فتعلموا ماتقولون في صلاتكم . ولا تقربوا مساجد الصلاة للجلوس فيها وأنتم جنب حتى تغتسلوا اللهم إلا من كان منكم عابر سبيل، إذ كانت طرق بعضهم إلى منازلهم على المسجد النبوي . ﴿وإن كنتم مرضى﴾ بجراحات يضرها الماء أو مرضى مرضاً لا تقدررون معه على استعمال الماء للوضوء أو الغسل، أو كنتم ﴿على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء﴾ بمضاجعتن أو مستتموهن بقصد الشهوة ﴿فلم تجدوا ماء﴾ تغتسلون به إن كنتم جنباً أو تتوضأون به إن كنتم محدثين حدثاً أصغر ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ أي اقصدوا تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مرة واحدة فإن ذلك مجزي لكم عن الغسل والوضوء فإن صح المريض أو وجد الماء فاغتسلوا أو توضأوا ولا تيمموا لا تنفاه الرخصة بزوال المرض أو وجود الماء . وقوله تعالى في ختام الآية ﴿إن الله كان عفواً غفورا﴾ يخبر تعالى عن كماله المطلق فيصف نفسه بالعفو عن عباده المؤمنين إذا خالفوا أمره، وبالمغفرة لذنوبهم إذا هم تابوا إليه، ولذا هو عز وجل لم يؤاخذهم لما صلوا وهم سكارى لم يعرفوا ما يقولون، وغفر لهم وأنزل هذا القرآن تعليماً لهم وهداية لهم .

هداية الآية الكريمة :

من هداية الآية الكريمة :

١ - تقرير مبدأ النسخ للأحكام الشرعية في القرآن والسنة .

٢ - حرمة مكث الجنب في المسجد، وجواز العبور والاجتياز بدون مكث .

(١) روى أبو داود في سننه أنه لما نزلت آية البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، ولما نزلت هذه الآية من النساء قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، ولما نزلت آية المائدة ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال: انتهينا يا ربنا .

(٢) هل السفر مبيح للتيمم وإن وجد الماء؟ الجواب: لا، وإنما ذكر السفر لأن الغالب فيه أن لا يوجد ماء، أما الحضر فالماء فيه قلماً ينقطع ولا يوجد .

(٣) يحرم قراءة القرآن على الجنب لحديث ابن ماجه وغيره «لا يقرأ الجنب والحائض شيئاً من القرآن» وحديث الدارقطني «كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلا أن يكون جنباً» .

٣ - وجوب الغسل على الجنب وهو من قامت به جنابة بأن احتلم فرأى الماء أو جامع أهله فأولج ذكره في فرج امرأته ولو لم ينزل ماء^(١).

وكيفية الغسل : أن يغسل كفيه قائلاً : بسم الله ناوياً رفع الحدث الأكبر ثم يستنجي فيغسل قزجيه وما حولهما، ثم يتوضأ فيغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ويستنشق الماء، ويستتره ثلاثاً، ثم يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه وأذنيه مرة واحدة ثم يغسل رجله إلى الكعبين ثم يغمس كفيه في الماء ثم يخلل أصول شعر رأسه، ثم يحنو الماء على رأسه يغسله بكل حثوة، ثم يفيض الماء على شقه الأيمن يَغْسِلُهُ، ثم على شقه الأيسر يَغْسِلُهُ. من أعلاه إلى أسفله، ويتعهد بالماء إبطيه وكل مكان من جسمه ينبو عنه الماء كالسرة وتحت الركبتين^(٢).

٤ - إذا لم يجد المرء التراب لطر ونحوه تيمم بكل أجزاء الأرض من رمل وسبخة وحجارة والتيمم هو أن يضرب بكفه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه بهما لحديث عمار رضي الله عنه في الصحيح .

٥ - بيان عفو الله وغفرانه لعدم مؤاخذه من صلوا وهم سكارى .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِلِسَانِهِمْ

(١) لحديث مسلم : «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختان الختان فقد وجب الغسل» أما حديث مسلم : إنما الماء من الماء» فمسنوخ بالحديث المذكور أعلاه، وعلى هذا جماهير الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة.

(٢) لحديث : «تحت كل شعرة جنابة اغسلوا الشعر وانقوا البشرة» قال ابن عيينة : المراد وأنقوا البشرة : غسل الفرجين وتنظيفهما.

(٣) الإجماع على جواز التيمم بالتراب المنبت الطاهر، غير المنقول ولا المغصوب، والإجماع على عدم الجواز على الذهب، والفضة والياقوت، والزمر، والأطعمة كالخبز واللحم وغيرهما وكذا النجاسات واختلف في غير ما ذكر كالحجارة والسبخة، والرمل وما إلى ذلك.

وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَأَنْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- ألم تر : ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم .
نصيياً : خطأ وقسطاً .
يشترون الضلالة : أي الكفر بالايان .
الأعداء : جمع عدو وهو من يقف بعيداً عنك يود ضرك ويكره نفعك .
هادوا : أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم : ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا ورجعنا .
يحرفون : التحريف : الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل .
الكلم : الكلام وهو كلام الله تعالى في التوراة .
واسمع غير مسمع : أي اسمع ماتقول لا أسمعك الله . وهذا كفر منهم صريح .
وطعنأ في الدين : سبهم للرسول ﷺ هو الطعن الأعظم في الدين .
وانظرونا : وأمهلنا حتى نسمع فنفهم .
أقوم : أعدل وأصوب .
لعنهم الله بكفرهم : طردهم من رحمته وأبعدهم من هداة بسبب كفرهم برسول الله ﷺ .
معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت أحد عظماء اليهود بالمدينة ، كان إذا كلم رسول ﷺ لوى لسانه وقال راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الاسلام وعابه فأنزل الله تعالى هذه الآيات الثلاث إلى قوله ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ ، وهذا شرحها : قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن

(١) جملة : «يشترون» في محل نصب حالية ، وهي بضميمة جملة «أوتوا نصيباً من الكتاب» فيكون مثار العجب في نفس السامع ، لأن اشتراء العالم الضلالة أمر عجب بلا شك .

تضلوا السبيل ﴿١﴾ أي ألم ينته إلى علمك وإلى علم أصحابك ما يحملكم على التعجب : العلم بالذين أتوا نصيباً من الكتاب وهم رفاة بن زيد وإخوانه من اليهود، أعطوا حظاً من التوراة فعرفوا صحة الدين الإسلامي، وصدق نبيه ﷺ ﴿يشترون الضلالة﴾ وهو الكفر يشترونها بالأيان، حيث جحدوا نعوت النبي وصفاته في التوراة للإبقاء على مركزهم بين قومهم يسودون ويتفضلون، ويريدون مع ذلك أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق والرشد وهو الإيـان بالله ورسوله والعمل بطاعتهما للإسعاد والإكمال. ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ الذين يودون ضرركم ولا يودون نفعكم، ولذا أخبركم بهم لتعرفوهم وتجنبوهم فتنجوا من مكرهم وتضليلهم. ﴿وكفى بالله ولياً﴾ لكم تعتمدون عليه وتفوضون أموركم إليه ﴿وكفى بالله نصيراً﴾ ينصركم عليهم وعلى غيرهم فاعبدوه وتوكلوا عليه. ﴿من الذين هادوا يجرفون الكلم عن مواضعه﴾ أي هم من اليهود الذين يجرفون الكلم عن مواضعه، والكلام هو كلام الله تعالى في التوراة وتحريفه بالميل به عن القصد، أو بتبديله وتغييره تضليلاً للناس وإبعاداً لهم عن الحق المطلوب منهم الإيـان به والنطق والعمل به. ويقولون للنبي ﷺ كفراً وعناداً ﴿سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع﴾ أي لا أسمعك الله ﴿وراعنا﴾ وهي كلمة ظاهرها أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله ﷺ سباً وشتماً له قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم وقوله تعالى : ﴿لياً بالستهم وطعناً في الدين﴾ أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتى لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى : ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرونا﴾ أي انتظرونا بدل راعنا لكان خيراً لهم وأقوم أي أعدل وأكثر لياقة وأدباً ولكن لا يقولون هذا لأن الله تعالى لعنهم وحرّمهم من كل توفيق بسبب كفرهم ومكرهم فهم لا يؤمنون إلا قليلاً. أي إيماناً لا ينفعهم لقلته فهو لا يصلح أخلاقهم ولا يطهر نفوسهم ولا يهيئهم للكمال في الدنيا ولا في الآخرة.

(١) جملة اعتراضية وهي تحمل التعريض بأن إرادة اليهود تضليل المسلمين ناجمة عن عداوة وحسد للمسلمين.

(٢) ﴿من الذين هادوا﴾ خبر لمبدأ محذوف تقديره : من الذين هادوا جماعة يحرفوه الكلم عن مواضعه ومن تبعيضية.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم كانوا يقولون : سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

(٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن مرادهم من قولهم : ﴿واسمع غير مسمع﴾ اسمع لا سمعت.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مكر اليهود بالمؤمنين بالعمل على إضلالهم في عهد النبوة وإلى اليوم .
- ٢ - في كفاية الله للمؤمنين ونصرته ما يغنيهم أن يطلبوا ذلك من أحد غير ربهم عز وجل .
- ٣ - الكشف عن سوء نيات وأعمال اليهود إزاء رسول الله ﷺ .
- ٤ - الإيذان القليل لا يجدي صاحبه ولا ينفعه بحال .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ^(١) وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا



شرح الكلمات :

- أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى ، والمراد بهم هنا اليهود لا غير .
- بما نزلنا مصدقاً : القرآن .
- نطمس وجوها : نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها .
- فنردها على أدبارها : نجعل الوجه قفاً ، والقفاً وجهاً .
- كما لعنا أصحاب السبت : لعنهم مسخهم قرصة خزيًا لهم وعذاباً مهيناً .
- وكان أمر الله مفعولاً : أمر الله : مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء .

معنى الآية الكريمة :

ما زال السياق في اليهود المجاورين للرسول ﷺ بالمدينة ففي هذه الآية ناداهم الله تبارك

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا يصحح إن كانت الجملة دالة على شيء من الإيمان أما على رأي من يرى أن الكلام دال على نفي الإيمان بالكلية فلا دليل في الآية على أن قليل الإيمان لا ينفع .

(٢) قال القرطبي قال ابن اسحق : كلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحيار يهود منهم عبدالله بن صوريا وكعب بن أسد وقال لم : «يا معشر يهود : اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئكم به الحق . قالوا ما نعرف ذاك يا محمد» وجحدوا ما عرفوا وأصرّوا على الكفر فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ .

وتعالى بعنوان العلم والمعرفة وهو نسبتهم إلى الكتاب الذي هو التوراة أمراً بإياهم بالإيمان بكتابه أي بالقرآن الكريم وبمن أنزله عليه محمد ﷺ إذ الإيمان بالمتزل إيمان بالمتزل عليه ضمناً. فقال: ﴿آمنوا﴾ بالفرقان المصدق لما معكم من أصول الدين ونعوت الرسول والأمر بالإيمان به ونصرته خفوا إلى الإيمان وتركوا التردد من قبل أن يحل بكم ما حل ببعض أسلافكم حيث مسحوا قردة وخنازير ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾^(١) فنذهب حدقة أعينها وشاخص أنوفها وتعلق أفواها فتصبح الوجه أقاء، والأقاء وجوهاً يمشون القهقراء وهو معنى قوله: ﴿فتردها على أديارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ أي الذين اعتدوا منكم في السبت حيث صادوا فيه وهو محرم عليهم فمسخهم قردة خاسئين. ﴿وكان أمر الله﴾ أي مأموره ﴿مفعولاً﴾ ناجزاً، لا يتخلف ولا يتأخر لأن الله تعالى لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

هداية الآية

من هداية الآية

- ١ - المفروض أن ذا العلم يكون أقرب إلى الهداية، ولكن من سبقت شقوته لما يعلم الله تعالى من اختياره الشر والإصرار عليه لا ينفعه العلم، ولا يهتدي به هؤلاء اليهود الذين دعاهم الله تعالى إلى الإيمان فلم يؤمنوا.
- ٢ - وجوب تعجيل التوبة قبل نزول العذاب وحلول ما لا يجب الإنسان من عذاب ونكال.

- ٣ - قد يكون المسخ في الوجه بمسخ الأفكار والعقول فتفسد حياة المرء وتسوء وهذا الذي حصل لليهود المدينة. فنقضوا عهودهم فهلك من هلك منهم وأجل من أجل نتيجة إصرارهم على الكفر وعداء الرسول ﷺ والمؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ^(٢)

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(١) قال مالك رحمه الله تعالى كان أول إسلام كعب الأبحار أنه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يا أهل الكتاب...﴾ الخ فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقري إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت ألا أبلغ بيتي حتى يطمس وجهي.

(٢) روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال: هذا حديث حسن غريب.

شرح الكلمات :

لا يغفر : لا يمحو ولا يترك المؤاخذه

أن يشرك به : أي يعبد معه غيره تأليهاً له بحبه وتعظيمه وتقديره القربان له ، وصرف

العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له .

ويغفر ما دون ذلك : أي ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركاً ولا كفراً .

لمن يشاء : أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر .

افتري إثماً عظيماً : افتري : اختلق وكذب كذباً بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى ، والإثم : الذنب العظيم الكبير .

معنى الآية الكريمة :

يروى أنه لما نزل قول الله تعالى من سورة الزمر ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ قام رجل فقال والشرك يانبي الله؟ فكره ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرك والكفر ، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبه بها ، وإن شاء أخذه بها وعذبه ، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم إذ عبد من لا يستحق العبادة وأله من لا حق له في التأليه فلذا هو قاتل بالزور وعامل بالباطل ، ومن هنا كان ذنبه عظيماً .

هداية الآية الكريمة :

من هداية الآية :

١ - عظم ذنب الشرك والكفر وأن كل الذنوب دونها .

٢ - الشرك ذنب لا يغفر لمن مات بدون توبة منه .

(١) ومع ظهور سبب النزول فإن الآية تحمل تهديداً ووعيداً للناس شديدين ، يفهم ذلك من حرف التعليل ، وهو ﴿ إن الله ﴾ كأنه يقول : يا أيها الناس ادخلوا في الإسلام : إن الله لا يغفر أن يشرك به .

(٢) وجه عظم ذنب الشرك يدرك بما يلي : أولاً : أنه ذنب لا يغفر إلا لمن تاب منه ، ثانياً : أنه محبط للعمل مهما كثر وعظم لقوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ .

(٣) يعرف الشرك : بأنه عبادة غير الله مع الله ، ومن أنواع العبادة التعظيم ، والرغبة والرغبة ، والدعاء ، والذبح والنذر ، والركوع والسجود ، والصيام والحلف ، وهو من التعظيم .

- ٣ - سائر الذنوب دون الشرك والكفر لا يئأس فاعلمها من مغفرة الله تعالى له وإنما يخاف .
 ٤ - الشرك زور وفاعله قائل بالزور فاعلٌ به .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ^(١) بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ
 وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ^ط
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

تزكية النفس : تبرئتها من الذنوب والآثام .
 يزكي من يشاء : يظهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوقيفه للعمل بما يزكي النفس ،
 وإعانتة عليه .

الفتيل : الخيط الأبيض يكون في وسط النواة ، أو ما يقتله المرء بأصبعيه من الوسخ
 في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأنفها .
 الكذب : عدم مطابقة الخبر للواقع .

معنى الآيتين :

عاد السياق إلى الحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى لرسوله والمؤمنين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ وهو أمر يحمل على العجب والاستغراب إذ المفروض أن المرء لا يزكي نفسه حتى يزكيه غيره فاليهود والنصارى قالوا ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ . وقالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ وقالت اليهود لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴾ إلى غير ذلك من الدعاوي الباطلة ولما أنكر تعالى عليهم هذا الباطل الذي يعيشون عليه فعاقهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وأخبر تعالى أنه عز وجل هو الذي يزكي من يشاء من عباده وذلك بتوقيفه إلى الإيمان وصالح الأعمال التي تزكو عليها النفس البشرية فقال تعالى : ﴿ بل الله يزكي من يشاء ، ولا يظلمون فتيلاً ﴾ أي أقل قليل فلا يزداد

(١) لا خلاف في أن المراد بالذين يشركون أنفسهم في هذه الآية هم اليهود .

(٢) ومن جملة أقوالهم في تزكية نفوسهم بأفواههم قولهم : (لا ذنب لنا ، وما فعلناه نهراً يغفر لنا ليلاً ، وما فعلناه ليلاً يغفر لنا نهراً ، وقولهم نحن كالأطفال في عدم الذنوب ، وثناء بعضهم على بعض .

في ذنوب العبد ولا ينقص من حسناته . ثم أمر الله تعالى رسوله أن يتعجب من حال هؤلاء اليهود والنصارى وهم يكذبون على الله تعالى ، ويختلقون الكذب بتلك الدعاوي التي تقدمت آنفاً . وكفى بالكذب إثماً مبيناً . يغمس صاحبه في النار .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - حرمة تزكية المرء نفسه بلسانه والتفاخر بذلك إما طلباً للرئاسة ، وإما تخلياً عن العبادة والطاعة بحجة أنه في غير حاجة إلى ذلك لطهارته ورضى الله تعالى عنه .

٢ - الله يزكي عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى ، ويزكيه بتوفيقه وإيمانه للعمل بما يزكي من صلاة وصدقات وسائر الطاعات المشروعة لتزكية النفس البشرية وتطهيرها .

٣ - عدالة الحساب والجزاء يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ ولا يظلمون شيئاً ﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا
ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

(١) روى مسلم عن عمر بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الإسم وسميت برة فقال رسول الله ﷺ «أتزكون أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا بسم نسميها؟ فقال سموها زينب قال الدارقطني فدل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه ويجري هذا المجرى ما قد كثر في هذه الديار المصرية من نعت أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية ، كزكي الدين ومحى الدين ، وما أشبه ذلك لكن لما كثر قبائح المسلمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تفيد شيئاً .

(٢) آل إبراهيم : هم ذريته من أولاد وأحفاد وما تناسل منهم كداود وسليمان ومن بعدهم .

فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا



شرح الكلمات :

الجبت والطاغوت : الجبت : اسم لكل ما عبد من دون الله وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين .

أهدى سبيلاً : أكثر هداية في حياتها وسلوكها .

نقيراً : النقيز : ثغرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها .

الحسد : تمنى زوال النعمة عن الغير والحرص على ذلك .

الحكمة : السداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي .

معنى الآيات :

روى أن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ذهبوا إلى مكة يجربون الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ فلما نزلوا مكة قالت قريش : نسألكم فإنهم أهل كتاب عن ديننا ودين محمد أيهما خير؟ فسألوهم فقالوا لهم دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى منه ومن اتبعه فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله ﴿عظيماً﴾ . وهذا شرحها : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾^(١) ألم ينته إلى علمك أيها الرسول أن الذين أوتوا حظاً من العلم بالتوراة يصدقون بصحة عبادة الجبت والطاغوت ويقررون عليها ويحكمون بأفضلية عبادتها على عبادة الله تعالى ﴿ ويقولون للذين كفروا ﴾ وهم مشركوا قريش : دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى طريقاً في حياتكم الدينية والاجتماعية ألم يك موقف هؤلاء اليهود مشار الدهشة والاستغراب والتعجب أهل علم ومعرفة بالدين الحق يقررون الباطل ويصدقون به ؟ ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾ أولئك الهابطون في حماة الرذيلة البعيدون في أغوار الكفر والشر والفساد لعنهم الله فأبعدهم عن ساحة الخير والهدى ، ﴿ ومن

(١) وقيل الجبت : الساحر بلغة الحبشة ، والطاغوت الكاهن عن ابن عباس ، وأبي جبير وأبي العالية ، وقال عمر رضي الله عنه : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقال مالك الطاغوت ما عبد من دون الله وقيل هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكرناه في التفسير .

(٢) أخرج أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « الطرق ، والطيرة ، والعيافة من الجبت » والمراد من الطرق : الخط بخط في الأرض للبحث عن معرفة ما يحدث للإنسان ، والعيافة : زجر الطير للتشاؤم والتمين والطيرة : التطير ، وأصل الجبت : الجبس وهو مالا خير فيه .

يلعن الله فلن تجد له ﴿ يارسولنا ﴾ نصيراً ﴿ ينصره من الخذلان الذي وقع فيه والهزيمة الروحية التي حلت به فأصبح وهو العالم يبارك الشرك ويفضله على التوحيد

ثم قال تعالى في الآية (٥٣) ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ . أي ليس لهم نصيب من الملك كما يدعون فلاستفهام للانكار عليهم دعوة أن الملك يؤول إليهم ، وهم لشدة بخلهم لو آل الملك لهم لما أعطوا أحداً أحقر الأشياء وأتفهمها ولو مقدار نقرة نواة وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بلازم الجهل وهو تفضيلهم الشرك على التوحيد . وقوله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ أم بمعنى بل كسابقتها للاضراب - الانتقال من حال سيئة إلى أخرى ، والهمزة للإنكار ينكر تعالى عليهم حسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين على النبوة والدولة ، وهو المراد من الناس وقوله تعالى ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ﴾ كصحف ابراهيم والتوراة والزبور والانجيل «والحكمة» التي هي السنة التي كانت لأولئك الأنبياء يتلقونها وحياً من الله تعالى وكلها علم نافع وحكم صائب سديد والملك العظيم هو ما كان لدواد وسليمان عليهما السلام كل هذا يعرفه اليهود فلم لا يحسدون من كان لهم ويحسدون محمداً والمسلمين والمراد من السياق ذم اليهود بالحسد كما سبق ذمهم بالبخل والجهل مع العلم .

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿ فممنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ﴾ يريد أن من اليهود المعاهدين للنبي ﷺ من آمن بالنبي محمد ورسالته ، وهم القليل ، ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أي انصرف وصرف الناس عنه وهم الأكثرون ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ لمن كفر حسداً وصد عن سبيل الله بخلا ومكراً ، أي حسبه جهنم ذات السعير جزاء له على الكفر والحسد والبخل . والعياذ بالله تعالى .

(١) إذا : هنا ملغاة فلم تنصب المضارع بعدها وذلك لدخول فاء العطف عليها ولو نصب وكان في غير القرآن بها لجاز النصب ، قال سيويه : (إذا) في عوامل الأفعال بمنزلة ظن في عوامل الأسماء ، أي تلغى ولا تعمل إذا لم يكن الكلام معتمداً عليها .

(٢) الحسد : كبيرة من كبائر الذنوب لأنه اعتراض على الله فيما قسمه بين عباده وورد فيه أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب قيل فيه : إنه أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي الله به في الأرض ، إذ حسد إبليس آدم في السماء وحسد قابيل هابيل في الأرض .

(٣) وجائز أن يكون الضمير عائداً إلى إبراهيم عليه السلام أو إلى الكتاب وما ذكرناه في التفسير هو الحق .

هداية الآيات من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الكفر بالجبت والطاغوت .
- ٢ - بيان مكر اليهود وغشهم وأنهم لا يتورعون عن الغش والكذب والتضليل .
- ٣ - ذم الحسد والبخل .
- ٤ - إيمان بعض اليهود بالإسلام ، وكفر أكثرهم مع علمهم بصحة الإسلام ووجوب الإيمان به والدخول فيه .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

- نصليهم نارا^(١) : ندخلهم نارا يحترقون بها .
نضجت جلودهم^(٢) : اشتوت فتهرت وتساقطت .
ليذوقوا العذاب : ليستمر لهم العذاب مؤلماً .
عزيزا حكيمًا : غالبا ، يعذب من يستحق العذاب .
تجري من تحتها الأنهار : تجري من خلال اشجارها وقصورها الأنهار .
مطهرة^(٣) : من الأذى والقذى مطلقا .
ظلا ظليلا^(٣) : الظل الظليل : الوارف الدائم لا حرق فيه ولا برد به .

(١) يقال : صلاه يصليه صلياً ، وأصله إصلاء : أي اللحم إذا شواه على النار ، ويقال فلان نضج الرأي أي محكه .

(٢) يقال : نضج الشواء إذا بلغ حد الشيء .

(٣) صفة مؤكدة ، كيوم أيوم ، وليل أليل ، والظليل : هو السجسج الذي لا حرق فيه ولا قر .

معنى الآيتين :

على ذكر الإيمان والكفر في الآية السابقة ذكر تعالى في هاتين الآيتين الوعيد والوعد الوعيد لأهل الكفر والوعد لأهل الإيمان فقال تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نَصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ تهرت وسقطت بدلمهم ^(١) الله تعالى فوراً جلوداً غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به ، وقوله تعالى ﴿ إِن اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ تذييل المقصود منه إنفاذ الوعيد فيهم ، لأن العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ما توعد به أعداءه ، كما أن الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٦) من وعيد لأهل الكفر.

وأما الآية الثانية (٥٧) فقد تضمنت البشـرى السارة لأهل الإيمان وصالح الأعمال ، مع اجتناب الشرك والمعاصي فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي بعد تركهم الشرك والمعاصي ﴿ سَنَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ ﴾ يريد نساء من الخور العين مطهرات من كل مايؤذي أو يُخل بحسنهن وجمالهن نقيات من البول والغائط ودم الحيض . وقوله تعالى : ﴿ وَنَدْخُلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ وإرفا كنيئاً يقيهم الحر والبرد وحدث يوماً رسول الله ﷺ عن الجنة فقال : « في الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطع ظلها ».

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - الكفر والمعاصي موجبات للعذاب الآخروي .^(٤)
- ٢ - بيان الحكمة في تبديل الجلود لأهل النار وهي أن يدوم إحساسهم بالعذاب .
- ٣ - الإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي موجبات للنعيم الآخروي .

(١) روي أَنَّ جُلُودَهُمْ تَبَدَّلَ فِي السَّاعَةِ مِائَةَ مَرَّةً ، وَرَوَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَلَيْتَ عِنْدَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ عَمْرٌ ، لِلْقَارِءِ : أَعْدَاهَا ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ كَعَبٌ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا عِنْدِي تَفْسِيرٌ لَهَا فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ تَبَدَّلَ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِائَةَ وَعِشْرِينَ مَرَّةً .

(٢) ذَكَرَ هَذَا الْخُلُودَ إِعْظَامًا لِلْمَنَةِ وَ«خَالِدِينَ» مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَرَةِ أَيْ حَالِ كَوْنِهِمْ خُلُودَهُمْ مَقْدَرًا فِيهَا قَبْلَ دُخُولِهِمْ إِيَّاهَا .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ .

(٤) وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ الَّتِي هِيَ تَرْكُ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلُ الْمَحْرَمَاتِ تَدْنِسُ النَّفْسَ فَلَا تَصْبِحُ أَهْلًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ .

٤ - الجنة دار النعيم خالية من كدورات الصفو والسعادة فيها .

﴿إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

أن تؤدوا الأمانات ^(١) : أداء الأمانة : تسليمها إلى المؤمن ، والأمانات جمع أمانة وهي ما يؤتمن
عليه المرء من قول أو عمل أو متاع

العدل ^(٢) : ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة .

نعما يعظكم : نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل .
وأولي الأمر منكم : أولوا الأمر : هم الأمراء والعلماء من المسلمين .

تنازعتم في شيء : اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر
ردوه إلى الله والرسول : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأحسن تأويلا : أحسن عاقبة ، لأن تأويل الشيء ما يؤول إليه في آخر الأمر .

معنى الآيتين :

روي أن الآية الأولى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ ^(٣) نزلت في شأن عثمان بن ^(٤)

(١) الإجماع على وجوب رد الأمانات لأصحابها كفاراً أو مؤمنين فجاراً أو أبراراً .

(٢) العدل : وسط بين طرفين فإن مال لأحد الجانبين فقد جار وظلم ولم يعدل .

(٣) إن هنا لمجرد الاهتمام بالخبر ، إذ مثل هذا الخبر لا يتطرق إليه الشك حتى يؤكد لإزالته لأنه إخبار عن إيجاد شيء لا
عن وجوده . فهو خبر كالإنشاء .

(٤) الأداء : مصدر أدى المخفف المستغنى عنه بالمضعف ، أدى يؤدي تأدية ، إذا أوصل الشيء إلى طلبه ويتجاوز فيه فيطلق
على الاعتراف بالشيء والوفاء به وذلك كقول الحق ، وتبليغ العلم الشرعي ، والمراد به هنا إيصال الشيء إلى صاحبه .

طلحة الحجيبي^(١) حيث كان مفتاح الكعبة عنده بوصفه سادناً^(٢) فطلبه رسول الله ﷺ منه صبيحة يوم الفتح فصلى في البيت ركعتين وخرج فقال العباس رضي الله عنه اعطينيه يا رسول الله ليجمع بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فقرأ رسول الله ﷺ الآية على الناس ودعا بعثان بن طلحة وأعطاه المفتاح. غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا فالآية في كل أمانة فعلى كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه^(٣) إلى صاحبه والآية تتناول حكام المسلمين أولاً بقرينة ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الذي هو القسط وضد الجور ومعناه إيصال الحقوق إلى مستحقيها من أفراد الرعايا. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعْمَ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ يريد أن أمره تعالى أمة الإسلام حكماً ومحكومين بأداء الأمانات والحكم بالعدل هو شيء حسن، وهو كذلك إذ قوام الحياة الكريمة هو النهوض بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ فيه الحث على المأمور به بإيجاد ملكة مراقبة الله تعالى في النفس، فإن من ذكر أن الله تعالى يسمع أقواله ويبصر أعماله استقام في قوله فلم يكذب وفي عمله فلم يفرط. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٨)،

أما الآية الثانية (٥٩)، فإن الله تعالى لما أمر ولاية أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين المولي عليهم بطاعته وطاعة رسوله أولاً ثم بطاعة ولاية الأمور ثانياً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، والطاعة لأولى الأمر مقيّدة بما كان معروفاً للشرع أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: «إنما الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ إِلَهُ الرَّسُولِ﴾ فهو خطاب عام للولاية والرعية فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيما حكما فيه وجب قبوله حلواً كان أو مرأً، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَوَدُّونَ

(١) المؤتمن إذا لم يفرط وضاعت الأمانة منه فلا ضمان عليه إجماعاً لقوله ﷺ: «لا ضمان على مؤتمن» رواه الدارقطني، والعارية مؤداة أيضاً لحديث خطبة الوداع: «العارية مؤداة، والمنحة مردودة والدين مقضي، والزعيم غارم» أي ضامن.

(٢) أصل نَعْمًا: نعم، وكتبت معها ما بعد كسر عين نعم وتسكين ميمها وإدغامها في ما هي إما موصولة أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة، وأما الجملة بعد نَعْمًا فهي تجري بحسب ما يناسب معنى (ما).

(٣) الحجيبي، نسبة إلى حجابة البيت على غير قياس.

(٤) السادن: الخادم للبيت وتسمى هذه المهنة: السدانة.

(٥) وذلك يستلزم الرد إلى العلماء الفقهاء، إذ هم الذين يعرفون الأحكام ويحسنون استنباطها من الكتاب والسنة.

بالله واليوم الآخر ﴿ فيه أن الإيمان يستلزم الإذعان لقضاء الله ورسوله ، وهو يفيد أن رد الأمور المتنازع فيها إلى غير الشرع قاذح في إيمان المؤمن وقوله : ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ، يريد ذلك الرد والرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إلى الكتاب والسنة هو خير حالاً ومآلاً ، لما فيه من قطع النزاع والسير بالأمة متحدة متحابّة متعاونة .

هداية الآيتين
من هداية الآيتين :

- ١ - وجوب رد الأمانات بعد المحافظة عليها .
- ٢ - وجوب العدل في الحكم وحرمة الحيف والجور فيه .
- ٣ - وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وولاية المسلمين من حكام وعلماء فقهاء ، لأن طاعة الرسول من طاعة الله ، وطاعة الوالي من طاعة الرسول ﷺ لحديث : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقط أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أمري فقد عصاني » ^(١) .
- ٤ - وجوب رد المتنازع فيه عقيدة أو عبادة أو قضاء إلى الكتاب والسنة وجوب الرضا بقضائهما .
- ٥ - العاقبة الحميدة والحال الحسنة السعيدة في رد أمة الإسلام ماتتنازع فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ

(١) قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم .

(٢) رواه الشيخان وكذا حديث : « إنما الطاعة في المعروف » الخ .

(٣) روي في الصحيح أن عبد الله بن حذافة الأنصاري البدري وكان به دعاية بعثه رسول الله ﷺ على سرية فأمرهم يوماً أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ففعلوا ثم أمرهم أن يدخلوها محتجاً عليهم « بقوله ﷺ من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » فلم يستجيبوا له وقالوا له إنما آمنا وأسلمنا لننجو من النار فكيف نعذب أنفسنا بها وذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف » .

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ
 صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا
 فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
 أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

يزعمون : يقولون كاذبين .

بما أنزل إليك : القرآن ، وما أنزل من قبلك : التوراة

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة والمراد به هنا كعب بن الأشرف
 اليهودي أو كاهن من كهان العرب .

المنافقين : جمع منافق : وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفاً من المسلمين .

يصدون : يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك

مصيبة : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم

إن يريدون : أي ما يريدون

إلا إحساناً : أي صلحاً بين المتخاصمين

وتوفيقاً : جمعاً وتأييلاً بين المختلفين

فأعرض عنهم^(١) : أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم

وعظهم : مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم

قولا بليغا : كلاما قويا يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته .

(١) فكيف : خبر مبتدأ محذوف تقديره : حالهم كيف تكون حين تصيبهم مصيبة أي تكون عجباً لفرط حزنهم وبكائهم ،
 وندمهم .

(٢) الإعراض : عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه مشتق من العرض بضم العين وهو الجانب ، ولعله مأخوذ من
 اعرض في الشيء إذا دخل فيه كأصبح في الصباح ، فأعرض فلان عن فلان أي تنحى عنه جانباً أو أعطاه عرضه مدبراً عنه .

معنى الآيات :

روي أن منافقاً يهودياً اختلفاً في شيء فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد ﷺ لعلمه أنه يحكم بالعدل ولا يأخذ رشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فتحاكما إلى رسول الله ﷺ ففضى لليهودي فنزلت فيهما هذه الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ﴾ والمراد بهذا المنافق، ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ والمراد به اليهودي والاستفهام للتعجب ألم ينته إلى علمك موقف هذين الرجلين ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ «كعب بن الأشرف»، أو الكاهن الجهنمي، وقد أمرهم الله أن يكفروا به ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ حيث زين لهم التحاكم عند الكاهن أو كعب اليهودي .

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﴾ ليحكم بينكم رأيت ياللعجب المنافقين يعرضون عنك اعراضاً هارين من حكمك غير راضين بالتحاكم إليك لكفرهم بك وتكذيبهم لك ﴿ فكيف إذا أصابتهم مصيبة ﴾ وحلت بهم قارعة بسبب ذنوبهم أيقنون معرضين عنك؟ أم ماذا؟ ﴿ ثم جاءوك يحلفون بالله ﴾ قائلين، «ما أردنا إلا الإحسان في عملنا ذلك والتوفيق بين المتخاصمين . هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث، وأما الرابعة وهي قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ فإن الله تعالى يشير إليهم بأولئك لبعدهم في الخسة والانحطاط فيقول ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ أي من النفاق والزيف فهم عرضة للنقمة وسوء العذاب، ﴿ فأعرض عنهم ﴾ فلا تؤاخذهم، ﴿ وعظهم ﴾ أمراً إياهم بتقوى الله والإسلام له ظاهراً وباطناً خوفاً إياهم من عاقبة سوء أفعالهم بترك التحاكم إليك وتحاكمهم إلى الطاغوت، وقل لهم في خاصة أنفسهم قولاً بليغاً ينفذ إلى قلوبهم فيحركها ويذهب عنها غفلتها عنهم يرجعون .

(١) صيغ الجمع الواردة في الآية مثل : ﴿ يريدون أن يتحاكموا ﴾ تشير إلى كثرة المنافقين، ومن أمثال اليهودي والمنافق صاحبي القصة التي نزلت الآية فيها .

(٢) روي أن المنافق لم يرض بحكم رسول الله ﷺ وذهب باليهودي إلى أبي بكر فحكم بحكم رسول الله ﷺ فلم يرض المنافق فذهب بخصمه اليهودي إلى عمر فذكر له اليهودي القصة فقال عمر للمنافق وهو يشير أكذا هو؟ قال : نعم . قال : رويدكما حتى أخرج إليكما، فدخل وأخذ السيف ثم ضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية وقال رسول الله ﷺ لعمر : أنت الفاروق .

(٣) قيل فيه طاعوت لأنه ذو طغيان زائد في الظلم والشر والفساد .

(٤) هؤلاء هم قوم القتيل المنافق جاءوا يطالبون بدية أخيهم في النفاق، وقالوا الكثير أكثر مما ذكر في الآية وكل أقوالهم باطلة أملاها النفاق ولذا أمر الرسول بالاعراض عنهم .

(٥) أي لا تؤاخذهم فيما يظنون من الكفر ما داموا لم يظهروه علناً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا وُجد عالم بهما .
- ٢ - وجوب الكفر بالطاغوت أيا كان نوعه .
- ٣ - وجوب الدعوة إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة ووجوب قبولها .
- ٤ - استحباب الإعراض عن ذوي الجهالات ، ووعظهم بالقول البليغ الذي يصل إلى قلوبهم فيها .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾
حَتَّى يُحْكَمُوا فِي مَا شَجَرِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

- بإذن الله : إذن الله : إعلامه بالشيء وأمره به .
- ظلموا أنفسهم : بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم التحاكم إلى رسول الله ﷺ .
- استغفروا الله : طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا ، أو استغفروا الله .
- يحكموك : يجعلونك حكماً بينهم ويفوضون الأمر إليك .
- فيما شجر بينهم^(١) : أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل .
- حرجاً : تضيقاً وتحرجاً .
- مما قضيت : حكمت فيه .
- ويسلموا : أي يذعنوا لقبول حكمك ويسلمون به تسليماً تاماً .

(١) شجر: اختلف واختلف، ومنه سمي الشجر شجراً لاختلاط أغصانه قال طرفة :
وهم الحكماء أرباب الهدى وسعاة الناس في الأمر الشجر

معنى الآيتين :

بعد تقرير خطأ وضلال من أراد أن يتحاكما إلى الطاغوت كعب بن الأشرف اليهودي وهما اليهودي والمنافق في الآيات السابقة أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما أرسل رسولاً من رسله الميثاق إلا وأمر المرسل إليهم بطاعته واتباعه والتحاكم إليه وتحكيمه في كل ما يختلفون فيه وذلك أمره وقضاؤه وتقديره فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن كما أخبر تعالى أن أولئك الظالمين لأنفسهم بتحاكمهم إلى الطاغوت وصدودهم عن التحاكم إليك أيها الرسول لوجاءوك متنصلين من خطيئتهم مستغفرين الله من ذنوبهم واستغفرت لهم أنت أيها الرسول أي سألت الله تعالى لهم المغفرة لو حصل منهم هذا لدل ذلك على توبتهم وتاب الله تعالى عليهم فوجدوه عز وجل ﴿توباً رحيماً﴾. هذا معنى الآية (٦٤) ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توباً رحيماً﴾.

وأما الآية الثانية (٦٥) ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ فإن الله تعالى يقول ﴿فلا﴾ أي ليس الأمر كما يزعمون، ثم يقسم تعالى فيقول ﴿وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ أيها الرسول أي يطلبون حكمك فيما اختلفوا فيه واختلط عليهم من أمورهم ثم بعد حكمك لا يجدون في صدورهم أدنى شك في صحة حكمك وعدالته، وفي التسليم له والرضا به وهو معنى الحرج المتبقي في قوله، ﴿ثم لا يجدون في صدورهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - وجوب طاعة الرسول ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه .

٢ - بطلان من يزعم أن في الآية دليلاً على جواز طلب الاستغفار من الرسول ﷺ لأن

(١) من في الآية: ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ مزيدة لتقوية الكلام وإفادة العموم.
(٢) تقدم أن الخطاب بصيغة الجمع وإن كان المتحاكمان اثنين فقط فإن الحكم عام فيهم وفي غيرهم فكل من يصدر عنه هذا النوع من الذنب فتوبته هي ما ذكر تعالى في هذه الآية.
(٣) قيل إن هذه الآية: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ نزلت في الزبير والأنصاري في قضية سقي البستان إذ اختلفا وأتيا رسول الله ﷺ فقال للزبير: «اسق يا زبير أرضك ثم أرسل الماء إلى أرض جارك» أي الأول فقال الأنصاري: أراك تحابي ابن عمك، فتلون وجه رسول الله ﷺ وقال للزبير: «اسق ثم أحبس الماء حتى يبلغ الجدر» فنزلت الآية. والحديث في صحيح البخاري.
(٤) وذلك أنه لو كان كل مذنب لا يغفر له إلا إذا أتى الرسول ﷺ واستغفر له لما تاب أحد ولزم أن يبقى الرسول حياً ليستغفر للمذنبين بمثل هذا الذنب، ولا قائل بها ولا يعقل ولم يشرع أبداً وكل حكاية ذكرت في هذه المسألة فهي باطلة.

قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ الآية نزلت في الرجلين الذين أرادا التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي وإعراضهم عن رسول الله ﷺ فاشتراط لتوبتهم إتيانهم لرسول الله ﷺ واستغفارهم الله تعالى، واستغفار الرسول لهم، وبذلك تقبل توبتهم، وإلا فلا توبة لهم أما من عداها فتوبته لا تتوقف على إتيانهم لرسول الله ولا لاستغفاره لهم وهذا محل إجماع بين المسلمين.

٣ - كل ذنب كبر أو صغر يعتبر ظلماً للنفس وتجب التوبة منه بالاستغفار والندم والعزم على عدم مراجعته بحال من الأحوال.

٤ - وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة وحرمة التحاكم إلى غيرهما.

٥ - وجوب الرضا بحكم الله ورسوله والتسليم به.

وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

(١) قضى أهل العلم أنَّ السبيل إذا كان بسبب مطر فإنَّ الأعلى يقدم على الأسفل، فيسقى من وصل إليه السيل حتى يبلغ الماء الكعبيين في أرضه ثم يرسل السيل كله إلى من تحته فيسقى ثم يرسل إلى من تحته وهكذا وهو قول المالكية مأخوذ من حكم رسول الله ﷺ في قضية الزبير والانصاري وهو الحق.

(٢) لو: حرف امتناع لأي امتناع شيء لامتناع غيره، إذا امتنع القتل لامتناع الكتب به.

(٣) روي أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ولو أنا كتبنا﴾ قال أبو بكر الصديق: لو أمرنا لفعلنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي».

(٤) (حسن) مضمّن معنى التعجب فهو كنعم للمدح، أي مدح الحسن فيهم، وأولئك: فاعله، ورفيقا: منصوب على التمييز.

شرح الكلمات :

كتبنا عليهم	: فرضنا عليهم وأوجبنا
أن اقتلوا أنفسكم	: أي قتل أنفسكم
ما فعلوه إلا قليل منهم	: أي ما فعل القتل إلا قليل منهم ^(١)
ما يوعظون به	: أي ما يؤمرون به وينهون عنه
وأشد تثبيتاً	: أي للإيمان في قلوبهم
الصدّيقين	: جمع صديق : وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة ما يصدق ويتحرى الصدق .
والشهداء	: جمع شهيد : من مات في المعركة ومثله من شهد بصفة الإسلام بالحجة والبرهان .
والصالحون	: جمع صالح : من أدى حقوق الله تعالى وأدى حقوق العباد، وصلحت نفسه وصلح عمله وغلب صلاحه على فسادِه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أولئك النفَر الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فقال تعالى : ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ﴾ أي بقتل بعضكم بعضاً كما حصل ذلك لبني إسرائيل لما فعلوا كما أنا لو كتبنا عليهم أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين في سبيلنا ﴿ ما فعلوه إلا قليل ﴾ منهم . ثم قال تعالى داعياً لهم مرغياً لهم في الهداية : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ أي ما يدكرون به ترغيباً وترهيباً من أوامر الله تعالى لهم بالطاعة والتسليم لكان ذلك خيراً في الحال والمآل ، ﴿ وأشد تثبيتاً ﴾ للإيمان في قلوبهم وللطاعة على جوارحهم ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والحسنة تنتج حسنة ، والسيئة تولد عنها سيئة . ويقول تعالى : ﴿ وإذا آتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا ﴾ يريد لو أنهم استجابوا لنا وفعلوا ما أمرناهم به من الطاعات ، وتركوا ما نهيناهم عنه من المعاصي لأعطيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا يوم يلقوننا ولهاديناهم في الدنيا ﴿ صراطاً مستقيماً ﴾ ألا وهو الإسلام الذي هو طريق الكمال والإسعاد في الحياتين وهدايتهم إليه هي توفيقهم للسير فيه

(١) قرئ : إلا قليلاً بالنصب ، وإلا قليل بالرفع ، وقراءة الرفع مراعى فيها اللفظ وهو أولى ، لذا هي أكثر وأشهر .

وعدم الخروج عنه . هذا ما دلت عليه الآيات (٦٦ - ٦٧ - ٦٨) .

أما الآية (٦٩) وهي قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾^(١) فقد روى ابن جرير في تفسيره أنها نزلت حين قال بعض الصحابة يارسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك ﴾ الآية . وما أنعم الله تعالى عليه هو الإيمان بالله تعالى ومعرفته عز وجل ومعرفة محابه ومساخطه والتوفيق لفعل المحاب وترك المساخط هذا في الدنيا ، وأما ما أنعم به عليهم في الآخرة فهو الجوار الكريم في دار النعيم . والصديقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بكل ماجاء به رسول الله ﷺ وأخبر به والشهداء جمع شهيد وهو من قتل في سبيل الله والصالحون جمع صالح وهو من أدى حقوق الله تعالى وحقوق عباده كاملة غير منقوصة وقوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ يريد وحسن أولئك رفقاء في الجنة يستمتعون برؤيتهم والحضور في مجالسهم ، لأنهم ينزلون إليهم ، ثم يعودون إلى منازلهم العالية ودرجاتهم الرفيعة . وقوله تعالى : ﴿ ذلك الفضل من الله ﴾ يريد أن ذلك الإلتقاء مع من ذكر تم لهم بفضل الله تعالى ، لا بطاعتهم . وقوله ﴿ وكفى بالله عليما ﴾ أي بأهل طاعته وأهل معصيته وبطاعة المطيعين ومعصية العاصين ، ولذلك يتم الجزاء عادلاً رحيمًا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - قد يكلف الله تعالى بالشاق للامتحان والابتلاء كقتل النفس والهجرة من البلد ولكن لا يكلف بها لا يطاق .

٢ - الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصيات .

(١) في هذه الآية إشارة أصرح من عبارة على خلافة أبي بكر لرسول الله ﷺ ، إذ ذكر تعالى الأنبياء ثم ثنى بالصديقين ، وقد أجمع المسلمون على تسمية أبي بكر بالصديق كما أجمعوا على تسمية محمد ﷺ بالنبي ، فدل على تعيين خلافة أبي بكر إذا لم يقدم عليه أحد في الذكر سوى الأنبياء .

(٢) من بين القائلين ثوبان مولى رسول الله ﷺ وعبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أرى الأذان في المنام . روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة » ولما كان في مرضه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول : « مع الذين أنعم الله عليهم » الآية فعلمت أنه خير وكان يقول : « اللهم الرفيق الأعلى » وهو يعاني سكرات الموت فصلى الله عليه وسلم .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ ذلك الفضل من الله ﴾ رد على المعتزلة إذ قالوا : إنما ينال العبد ما يناله بعمله ، والله قد رد ذلك الإكرام والإنعام لفضله وهو كذلك عقلا وشرعا ويلزم اعتقادًا .

٣ - الطاعات تثمر قوة الإيمان وتؤهل لدخول الجنان .

٤ - مواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة ثمرة من ثمار طاعة الله والرسول ﷺ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإَنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لِّيَبْطِئَنَّ
فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ
تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِيتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

خذوا حذرکم : الحذر والحذر : الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه .

فانفروا ثبات^(١) : النفور : الخروج في اندفاع وانزعاج ، والثبات : جمع ثبة وهي الجماعة .

ليبطئن^(٢) : أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج .

مصيبة : قتل أو جراحات وهزيمة .

شهاداً : أي حاضراً الغزوة معهم .

فضل : نصر وغنيمة .

مودة : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة^(٣) .

فوزاً عظيماً : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد ، والظفر بالسلامة والغنيمة .

(١) أصل ثبة : ثبية أو ثبوة بالياء والواو ، وقد تصغر على ثبية ، وهل اشتقاقها من ثبة الحوض أي محل اجتماع الماء فيه ، لأن الثبة : الجماعة ، وثاب الماء يثوب إذا اجتمع .

(٢) حمل مجاهد وقتادة وابن جريج الآية على المنافقين وحملها بعضهم على ضعفة الإيمان ، وحملها على الجميع أقرب إلى الصحة والصواب ، والله أعلم .

(٣) إن كان الصاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك ، وإن كان منافقاً فإن المودة هنا بمعنى مجرد الصلابة لا غير ، لأن المافق لا يحب المؤمن إلا نادراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِذْرَكُمْ فَانفَرُوا ثَبَاتٌ أَوْ انفَرُوا جَمِيعًا ﴾^(١) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين وهم في فترة يستعدون فيها لفتح مكة وإدخالها في حضيرة الإسلام خذوا الأهبة والاستعداد حتى لا تلاقوا عدوكم وأنتم ضعفاء ، قوته أشد من قوتكم ﴿ فانفروا ثبات ﴾ عصابة بعد عصابة وجماعة بعد أخرى ﴿ أَوْ انفروا جميعًا ﴾ بقيادتكم المحمدية وذلك بحسب ما يتطلبه الموقف وتراه القيادة^(٢) ثم أخبرهم وهو العليم أن منهم أي من عدادهم وأفراد مواطنهم لمن والله ليبطئن عن الخروج إلى الجهاد نفسه وغيره معاً لأنه لا يريد لكم نصراً لأنه منافق كافر الباطن وإن كان مسلم الظاهر ويكشف عن حال هذا النوع من الرجال الرخيص فيقول : ﴿ فَإِنْ أَصَابَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون الصادقون ﴿ مَصِيبَةٌ ﴾ قتل أو جراح أو هزيمة قال في فرح بما أصابكم وما نجامته : لقد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم حاضراً فيصبي ما أصابهم ، ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي نصر وغنيمة ﴿ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ يَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ أي معرفة ولا صلة ياليتني متمنياً حاسداً - كنت معهم في الغزاة ﴿ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ بالنجاة من معرة التخلف والظفر بالغنائم والعودة سالماً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب أخذ الأهبة والاستعداد التامة لأمة الإسلام في السلم والحرب سواء .
- ٢ - وجوب وجود خبرة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة .
- ٣ - وجود منزهين روحياً مبطين حسدة بين المسلمين وهم ضعاف الإيوان فلا يؤبه لهم ولا يلتفت إليهم .

(١) أخذ الحذر: هو توقي المكروه بالأسباب الممكنة المشروعة وجملة: ﴿ فانفروا ثبات ﴾ الخ تفريع بذكر بعض أسباب توقي المحذور.

(٢) أخذ الحذر واجب لأنه سبب شرعه الله تعالى لتوقي المكروه ولكنه لا يمنع المقدور، وأخطأت القدرية إذا قالوا: الحذر يردّ القدر، ولولا أنه كذلك ما أمروا به، وهو خطأ اعتقادي فالأسباب تؤثر طاعة لله تعالى وأما دفع المقدور أي ما قدره الله على الإنسان فلا بد من وقوعه، وفائدة الأخذ بالأسباب إبعاد الخوف عن النفس وحصول شعور بالفوز والنجاة.

(٣) هل هذه الآية، وهي متقدمة في النزول على آية التوبة: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ منسوخة بها؟ والجواب أن فرض الجهاد على الكفاية ولذا فلا نسخ، وإنما هذه في حال وتلك في أخرى وهي: أن يرى الإمام النفير العام لا غير.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤)
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
 الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
 نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
 الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

سبيل الله : الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا
 يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.
 يشرون : يبيعون، إذ يطلق الشراء على البيع أيضا.
 المستضعفين : المستضعف الذي قام به عجز فاستضعفه غيره فأذاه لضعفه.
 القرية : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة والجامعة والمراد بها هنا مكة
 المكرمة.

في سبيل الطاغوت : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان، ونشر الفساد.

معنى الآيتين :

بعد ما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم وهو الأهبة للقتال أمرهم أن يقاتلوا
 فقال : ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي يبيعون الدنيا
 ليفوزوا بالآخرة وهم المؤمنون حقاً فيقدمون أموالهم وأرواحهم طلباً للفوز بالدار الآخرة
 تقاتلون من لا يؤمن بالله ولا ببلقائه بعد أن يدعوهم إلى الإتيان بربه والتوبة إليه، ثم أخبرهم

أن من يقاتل استجابة لأمره تعالى فيُقتل أي يستشهد أو يغلب العدو ويتصر على كلا الحالين فسوف يؤتيه الله تعالى أجراً عظيماً وهو النجاة من النار ودخول الجنة. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٤).

أما الآية الثانية (٧٥) فإن الله تعالى بعدما أمر عباده بالجهاد استحثهم على المبادرة وخوض المعركة بقوله: ﴿وَمَالَكُمْ لَا تقاتلون في سبيل الله﴾ ليعبد وحده ويعز أولياؤه ﴿والمستضعفين﴾ من الرجال والنساء والولدان ﴿الذين يضطهدون من قبل المشركين ويعذبون من أجل دينهم حتى صرخوا وجأروا بالدعاء إلى ربهم قائلين: ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك ولياً﴾ يلي أمرنا ويكفينا ما أهمنا، ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ينصرنا على أعدائنا أي شيء يمنعكم أيها المؤمنون من قتال في سبيل الله، ليعبد وحده، وليتخلص المستضعفون من فتنة المشركين لهم من أجل دينهم؟

ثم في الآية الثالثة (٧٥) أخبر تعالى عباده المؤمنين حاضاً لهم على جهاد أعدائه وأعدائهم بقوله: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ لأنهم يؤمنون به وبوعده ووعيده ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ وهو الكفر والظلم لأنهم لا يؤمنون بالله تعالى ولا بما عنده من نعيم، ولا بما لديه من عذاب ونكال ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وهم الكفار، ولا ترهبوهم ﴿إن كيد الشيطان كان﴾ وما زال ﴿ضعيفاً﴾، فلا يثبت هو وأولياؤه من الكفرة، أمام جيش الإيمان أولياء الرحمن.

(١) ظهر الآية التسوية بين مَنْ قُتل شهيداً وبين مَنْ انتصر ورجع بنفسه وهناك حديثان أحدهما يقتضي التسوية وآخر ينفىها فالأول حديث أبي هريرة: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسولي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر وغنيمة» رواه مسلم. والثاني: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم» والجمع بينهما أن من غزى نأوايا الأجر والغنيمة ثم غنم وسلم نقص أجره في الآخرة، فلم تكن درجته كالذي استشهد ولم يغنم ولا كالذي نوى الأجر دون الغنيمة أيضاً، والسبب الفارق هو اشتراك النية وعدم خلوصها.

(٢) الاستفهام انكاري أي ينكر عليهم قعودهم عن القتال في سبيل الله أي لا تقاذ المؤمنين من فتنة المشركين وانقاذ أولادهم من أن يشبوا ويكبروا على أحوال الكفر جاهلين بالإيمان والإسلام.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين، وفي رواية البخاري قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء وكان النبي ﷺ يفتن لهم فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين».

(٤) الإجماع على وجوب تخلص الأسرى من المسلمين بالقتال أو بالمال، ولا يحل تركهم تحت الكافر يضطهدهم ويعذبهم من أجل دينهم، وفي الحديث الصحيح: «فكرو العاني» وهو الأسير، وسمي العاني: لما يعانيه من آلام وأتعاب، والمسلمون اليوم أسرى تحت اليهود في فلسطين والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم وهو ذنب عظيم.

(٥) يطلق الطاغوت على ما عبد من دون الله، ويطلق على من دعا إلى عبادة غير الله كالشيطان وغيره من الجن والإنس الذين يدعون إلى عبادة الأصنام والأشخاص وغيرها، وفي هذه الآية يناسب أن يكون الطاغوت هو الشيطان لقوله بعد أولياء الشيطان... وإطلاقنا الطاغوت على الكفر والظلم مراعاة لحال الناس فإن أكثرهم يقاتل نصرة للكفر الذي هو عليه أو لإبقاء ظلمه واستعلائه في الأرض.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - فرضية القتال في سبيل الله ولأجل انقاذ المستضعفين من المؤمنين نصرة للحق وإبطالاً للباطل .

٢ - المقاتل في سبيل الله باع دنياه واعتاض عنها الآخرة ، ولنعم البيع .

٣ - المجاهد يؤوب بأعظم صفقة سواء قتل ، أو انتصر وغلب وهي الجنة .

٤ - لا يمنع المؤمنين من الجهاد خوف أعدائهم ، لأن قوتهم من قوة الشيطان وكيد الشيطان ضعيف .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ
سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

كفوا أيديكم : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض .

كتب عليهم القتال : فرض عليهم

يخشون : يخافون
 لولا أخرتنا : هلاً أخرتنا^(١)
 فتيلاً : الفتيل خيط يكون في وسط النواة.
 بروج مشيدة : حصون مشيدة بالشيد وهو الحص.
 من حسنة : الحسنة ما سرّ، والسيئة ما ضرّ.
 معنى الآيات :

روى أن بعضاً من أصحاب الرسول ﷺ طالبوا بالإذن لهم بالقتال ولم يؤذن لهم لعدم توفر أسباب القتال فكانوا يؤمرون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ريثما يأذن الله تعالى لرسوله بقتال المشركين ولما شرع القتال جبن فريق منهم عن القتال وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ متعللين^(٢) بعلل واهية فأنزل الله تعالى فيهم هاتين الآيتين (٧٧) و(٧٨) ﴿لم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ أي عن القتال ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ريثما يأذن الله بالقتال عندما تتوفر إمكانياته ، فلما فرض القتال ونزل قوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ جبنوا ولم يخرجوا للقتال ، وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ يريدون أن يدافعوا الأيام حتى يموتوا ولم يلقوا عدواً خوراً وجبناً فأمر تعالى الرسول أن يقول لهم : ﴿متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ فعيشكم في الدنيا مهما طابت لكم الحياة هو قليل ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾ الله بفعل أمره وترك نبيه بعد الإيمان به وبرسوله ، وسوف تحاسبون على أعمالكم وتجزون بها ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة هذا ماتضمنته الآية الأولى .

أما الثانية فقد قال تعالى لهم ولغيرهم ممن يخشون القتال ويحبنون عن الخروج للجهاد : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ إذ الموت طالبكم ولا بد أن يدرككم كما قال تعالى لأمثالهم ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ ، ولو دخلتم حصونا ما فيها كوة ولا نافذة

(١) المراد من التأخير إلى أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال ، والعتاد لا إلى أجل الموت فإنه غير وارد في قولهم هذا ولا معنى له ، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به ؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع .

(٢) اختلف هل هذه الآية نزلت في المؤمنين أو المنافقين والصواب : أنها نزلت في بعض المؤمنين ممن ضعف إيمانهم ، أما كونها نزلت في اليهود فلا معنى له ، وكونها شملت المنافقين فهذا حق بدليل سياق الآيات .

(٣) بيّن قلة متاع الدنيا قوله ﷺ : «مثلي ومثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها» .

(٤) تفسير لقوله تعالى : ﴿قل لو كنتم في بروج مشيدة﴾ إذ البرج البناء المرتفع ، والقصر العظيم ، قال طرفة يصف ناقة :

كأنها برج رومي يكفها بانٍ بشيد وأجرٍ وأحجار

وفي الآية ردّ على القدرية القائلين المقتول لولم يقتله القاتل عاش .

فإن الموت يدخلها عليكم ويقبض أرواحكم ولما ذكر تعالى جنبهم وخوفهم ذكر تعالى سوء فهمهم وفساد ذوقهم فقال: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ يعني أنه إذا أصابهم خير من غنيمة أو خصب ورخاء ﴿قالوا هذه من عند الله لا شكراً لله وإنما لا يريدون أن ينسبوا إلى رسول الله شيئاً من خير كان ببركته وحسن قيادته، وإن تصبهم سيئة فقر أو مرض أو هزيمة يقولون هذه من عندك أي أنت السبب فيها. قال تعالى لرسوله قل لهم ﴿كل من عند الله﴾ الحسنة والسيئة هو الخالق والواضع السنن لوجودها وحصولها. ثم عابهم في نفسياتهم الهابطة فقال: ﴿فإن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ هذا مادلت عليه الآية الثانية.

أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق وهي قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ الآية فإن الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ فيخبره بأن الحسنة من الله تعالى إذ هو الأمر بقولها أو فعلها وموجد أسبابها والموفق للحصول عليها، أما السيئة فمن النفس إذ هي التي تأمر بها، وتبشرها مخالفة فيها أمر الله أو نهي، فلذا لا يصح نسبتها إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً﴾ يُسلى به رسوله عما يلاقه من أذى الناس وما يصادفه من سوء أخلاق بعضهم كالذين ينسبون إليه السيئة تطيراً به فيخبره بأن مهمته أداء الرسالة وقد أداها والله شاهد على ذلك ويجزيك عليه بما أنت أهله وسيجزي من رد رسالتك وخرج عن طاعتك وكفى بالله شهيداً.

هداية الآية :

من هداية الآيات :

١ - قبح الاستعجال والجبن وسوء عاقبتها.

٢ - الآخرة خير لمن اتقى من الدنيا. ^(١)

(١) لقد شارك يهود في هذا القول فقد روي أنهم لما نزل الرسول ﷺ المدينة مهاجراً قالوا: مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه!!

(٢) إن الخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام في كل إنسان لاسيما المؤمن أو هو من باب إياك أعني. واسمعي يا جارة، وكون لفظه خاصاً بالرسول ﷺ ومعناه عام هو الصحيح.

(٣) زاد بعضهم جملة: وأنا كتبها عليك وهي ليست قرآناً إجماعاً، وإنما هي تفسير من بعض الصحابة ولا التفات لمن طعن في القرآن بمثل هذه الزيادة التفسيرية.

(٤) وما أحسن ما قيل في معنى الآية شعراً:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب
فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنها متاع قليل والزوال قريب

٣ - لا مفر من الموت ولا مهرب منه بحال من الأحوال ^(١).

٤ - الخير والشر كلاهما بتقدير الله تعالى.

٥ - الحسنة من الله والسيئة من النفس إذ الحسنة أمر الله بأسبابها بعد أن أوجدها وأعان عليها، وأبعد الموانع عنها والسيئة من النفس لأن الله نهى عنها وتوعد على فعلها، ولم يوفق إليها ولم يعن عليها فهي من النفس لا من الله تعالى ^(٢).

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ الْمَقْرُونَةُ الْفَرِيقَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

حفيظا : تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها.

طاعة : أي أمرنا طاعة لك.

برزوا : خرجوا.

(١) قال زهير بن أبي سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم
(٢) قال قتادة رواية : لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب. وما يعفو الله عنه أكثر. وفي الحديث الصحيح : «والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها» فهو دال على حديث قتادة الضعيف.

أفلا يتدبرون : تدبر القرآن قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالى منها.

إذا عوا به : افشوه معلنيته للناس

يستنبطونه : يستخرجون معناه الصحيح .

معنى الآيات :

في قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الرسول ^(١) ﴾ إنذار إلى الناس كافة في أن من لم يطع الرسول محمداً ﷺ ما أطاع الله تعالى ، إن أمر الرسول من أمر الله ونهيه من نهي الله تعالى فلا عذر لأحد في عدم طاعة الرسول ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ ومن تولى ﴾ أي عن طاعتك فيما تأمر به وتنهى عنه فدعه ولا تلتفت إليه إذ لم نرسلك لتحصي عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتحجزهم بها إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت فأعذرت . وقوله تعالى ﴿ ويقولون طاعة ﴾ أي ويقول أولئك المنافقون المتطيرون بك السيئ الفهم لما تقول : طاعة أي أمرنا طاعة لك أي ليس لنا ما نقول إذا قلت ولا ما نأمر به إذا أمرت فنحن مطيعون لك ﴿ فإذا برزوا ﴾ أي خرجوا من مجلسك بدل طائفة منهم غير الذي تقول واعتزموه دون الذي وافقوا عليه أمامك وفي مجلسك والله تعالى يكتب بواسطة ملائكته الكرام الكاتبين ما يبيتونه من الشر والباطل . وعليه ﴿ فأعرض عنهم وتوكل على الله ﴾ ولا تبال بهم ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ فهو حسبك وكافيك ما يبيتونه من الشر لك .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٢) ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ يؤنبهم بإعراضهم وجهلهم وسوء فهمهم إذ لو تدبروا القرآن وهو يُتلى عليهم وسمعوه صباح مساء لعرفوا أن الرسول حق وأن ما جاء به حق فآمنوا وأسلموا وحسن إسلامهم ، وانتهى نفاقهم الذي أفسد قلوبهم وعفن آراءهم ، إن تدبر القرآن بالتأمل فيه وتكرار آياته مرة بعد أخرى يهدي إلى معرفة الحق

(١) مصداقه في صحيح مسلم قوله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » .

(٢) يبتوا زوروا وبدلوا إذ التبيت هو تدبر الأمر بالليل حيث اتساع الوقت والفراغ من العمل وقلة العيون وبيتوا العدو آتوه ليلاً قال الشاعر :

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(٣) في هذه الآية : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ مع آية سورة القتال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ دليل على وجوب تدبر القرآن لفهم معانيه ، لاعتقاد الحق والعمل به ، وفيه رد على من زعم أنه لا يأخذ من القرآن إلا ما ثبت عن النبي ﷺ تفسيره ، ودليل على وجوب النظر والاستدلال وإبطال التقليد .

من الباطل وأقرب ما يفهمونه لو تدبروا أن القرآن كلام الله تعالى وليس كلام بشر، إذ لو كان كلام بشر لوجد فيه التناقض والإختلاف والتضاد، ولكنه كلام خالق البشر، فلذا هو متسق الكلم متآلف الألفاظ والمعاني محكم الآي هادٍ إلى الإسعاد والكمال، فهو بذلك كلام الله حقاً ومن شرف بإنزاله عليه رسول حق ولا معنى أبداً للكفر بعد هذا والإصرار عليه، ومنافقة المسلمين فيه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

وقوله: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ وهي الآية الرابعة (٨٣) فإن الله تعالى يخبر عن أولئك المرضى بمرض النفاق ناعياً عليهم أرجافهم وهزائمهم المعنوية فيقول ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ أي إذا وصل من سرايا الجهاد خبر بنصر أو هزيمة سارعوا بإفشائه وإذاعته، وذلك عائد إلى مرض قلوبهم لأن الخبر وأطلق عليه لفظ الأمر لأن حالة الحرب غير حالة السلم إذا كان بالنصر المعبر عنه بالأمن فهم يعلنونه حسداً أو طمعاً، وإذا كان بالهزيمة المعبر عنها بالخوف يعلنونه فزعاً وخوفاً لأنهم جنباء كما تقدم وصفهم، قال تعالى في تعليمهم وتعليم غيرهم ما ينبغي أن يكون عليه المجاهدون في حال الحرب. ﴿ولو ردوه إلى الرسول﴾ القائد الأعلى، ﴿وإلى أولي الأمر منهم﴾ وهم أمراء السرايا المجاهدة ﴿لعلهم الذين يستنبطونه منهم﴾ أي لاستخرجوا سر الخبير وعرفوا ما يترتب عليه فإن كان نافعاً أذاعوه، وإن كان ضاراً أخوفه. ثم قال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أيها المؤمنون ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ في قبول تلك الإشاعات المغرضة والإذاعات المثبطة ﴿إلا قليلاً﴾ منكم من ذوى الآراء الصائبة والخصافة العقلية إذ مثلهم لاثيرهم الدعاوي، ولا تغيرهم الأراجيف، ككبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - وجوب طاعة الرسول ﷺ فإنه لا يطاع لذاته وإنما يطاع لذات الله عز وجل .

(١) الاستنباط مأخوذ من استنبط الماء: إذا استخرجه من الأرض، والنبط: الماء المستنبط أول ما يخرج من ماء البئر أول ما يحفر، وسمي النبط نبطاً لأنهم يستخرجون ما في الأرض، والاستنباط لغة: الاستخراج، وفي هذه الآية دليل على الاجتهاد.

(٢) ما فسرنا به الآية أصح مما فسرته به ولا التفات إلى ما أورد القرطبي من آراء عدة لا طائل تحتها.

٢ - وجوب تدبر القرآن لتقوية الإيمان^(١).

٣ - آية أن القرآن وحي الله وكلامه سلامته من التناقض والتضاد في الألفاظ والمعاني.

٤ - تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لاتذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب في صفوف المجاهدين والأمة كذلك.

٥ - أكثر الناس يتأثرون بما يسمعون إلا القليل من ذوي الحصافة العقلية والوعي السياسي.

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ
نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ نَاحِيَةً فَحِوُوا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

- حرض المؤمنين : حثهم على الجهاد وحرصهم على القتال .
بأس الذين كفروا : قوتهم الحربية .
وأشد تنكيلاً : أقوى تنكيلاً والتنكيل : ضرب الظالم بقوة حتى يكون عبرة لمثله
فينكل عن الظلم .
الشفاعة^(٢) : الوساطة في الخير أو في الشر فإن كانت في الخير فهي الحسنة وإن
كانت في الشر فهي السيئة .

(١) واستنباط الأحكام واستخراج أنواع الهدايات فيه إذ هو كتاب هداية للمؤمنين به يهتدون إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة .

(٢) الشفاعة من الشفع وهو الزوج ضد الفرد ، وسميت شفاعة لأن الشفيع يصير مع المشفوع له شفعا أي ، زوجا ، والشفعة ضم ملك إلى ملك .

كفل منها	: نصيب منها .
مقيتاً ^(١)	: مقتدرأ عليه وشاهدأ عليه حافظأ له .
بتحية	: تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
أو ردوها	: أي يقول وعليكم السلام .
حسيأ	: محاسبأ على العمل مجازيأ به خيراً كان أو شراً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في السياسة الحربية ففي هذه الآية ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين ﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقاتل المشركين لأجل إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده وينتهي إضطهاد المشركين للمؤمنين وهو المراد من قوله ﴿ في سبيل الله ﴾ وقوله ﴿ لا تكلف إلا نفسك ﴾^(٢) أي لا يكلفك ربك إلا نفسك وحدها، أما من عداك فليس عليك تكليفه بالقتال، ولكن حرّض المؤمنين على القتال معك فتحثهم على ذلك ورغبهم فيه . وقوله: ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ وهذا وعد من الله تعالى بأن يكف بأس الذين كفروا فيسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيبددوا قوتهم ويهزموهم فلا يبقى لهم بأس ولا قوة وقد فعل^(٣) وله الحمد والمنة وهو تعالى ﴿ أشد بأساً ﴾ من كل ذي بأس ﴿ وأشد تنكيلاً ﴾ من غيره بالظالمين من أعدائه .

هذا ما دلت عليه الآية (٨٤) أما الآية (٨٥) وهي قوله تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ فهو إخبار منه تعالى بأن من يشفع شفاعة حسنة بأن يضم صوته مع مطالب بحق أو يضم نفسه إلى سرية تقاتل في سبيل الله ، أو يتوسط لأحد في قضاء حاجته فإن للشافع

(١) شاهده قول الزبير بن عبد المطلب :

وذي ضغركفت النفس عنه وكنت على مساءته مُقيتاً

أي : مقتدرأ .

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة والتقدير : إذا كان الأمر كما علمت من وجود المشبطين والخائفين والمرجفين ، فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك .

(٣) في الآية دليل على شجاعة الرسول ﷺ الخارقة للعادة إذ كلفه الله به على انفراد وأمره بتحريض المؤمنين على القتال ، ومعنى هذا أنه أمره بالجهاد ولو كان وحده ولذا قال ﷺ : « والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي » أي : حتى أموت ، وتحريض المؤمنين هو أمرهم بالقتال وحثهم عليه لا على سبيل الإلزام كما ألزم به هو ﷺ .

(٤) فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام ، ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى دخلت دولتنا الفرس والروم في الإسلام لأن (عسى) من الله تعالى تفيد وجوب الوقوع .

قسطاً من الأجر والمثوبة كما أن ﴿من يشفع شفاعة سيئة﴾ بأن يؤيد باطلاً أو يتوسط في فعل شر أو ترك معروف يكون عليه نصيب من الوزر، لأن الله تعالى على كل شيء مقتدر وحفيظ عليم. هذا مادلت عليه الآية المذكورة.

أما الآية الأخيرة (٨٦) فإن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بأن يردوا تحية من يحییهم بأحسن منها فإن لم يكن بأحسن فبالمثل، فمن قال: السلام عليكم فليقل الراد وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله فليرد عليه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وقوله تعالى: ﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾^(١) فيه تطمين للمؤمنين على أن الله تعالى يشيهم على إحسانهم ويجزيهم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان شجاعة النبي ﷺ بدليل أنه كلف بالقتال وحده وفعل.
- ٢ - ليس من حق الحاكم أن يجند المواطنين تجنيداً إجبارياً، وإنما عليه أن يحضهم على التجنيد ويرغبهم فيه بوسائل الترغيب.
- ٣ - فضل الشفاعة في الخير، وقبح الشفاعة في الشر.^(٢)
- ٤ - تأكيد سنة التحية، وجوب ردّها بأحسن أو بمثل.^(٣)
- ٥ - تقرير ما جاء في السنة بأن السلام عليكم: يعطى عليها المسلم عشر حسنات ورحمة الله: عشر حسنات. وبركاته: عشر كذلك.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ

(١) حسيب هنا: بمعنى محاسب وحفيظ فلا يضيع حسنات العبد.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا» وليقض الله على لسان نبيه ما أحب.

(٣) في الآية سنية إلقاء السلام وجوب ردّه وقد بينت السنة أن القليل يسلم على الكثير، والقائم على القاعد، والراكب على الماشي، وأن الرد يكون بزيادة ورحمة الله وبركاته، وأنه لا يسلم على المرأة الصغيرة خشية الفتنة، وأن المصلي إن سلم عليه رد السلام بالإشارة إن شاء.

أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُؤَالُو
 تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
 حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
 حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
 إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
 حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْنَلُوكُمْ أَوْ يُقْنِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْنَلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ
 وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
 سَتَجِدُونََ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ
 مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ
 السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُواهُمْ حَيْثُ
 ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

لا إله إلا هو ^(١) : لا معبود بحق إلا هو.

فئتين ^(٢) : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة.

أركسهم : الإرتكاس : التحول من حال حسنة إلى حال سيئة كالكفر بعد

الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا .

سبيلاً : أي طريقاً إلى هدايتهم .

(١) اسم الجلالة ﴿الله﴾ مبتدأ و﴿لا إله إلا الله﴾ جملة معترضة، وجملة القسم واقعة موقع الخبر.
 (٢) الفئة : الطائفة، اشتق لفظها من الفء الذي هو الرجوع، إذ أفرادها يرجع بعضهم إلى بعض وأصلها فيء فحذفت الياء من وسطها لكثرة الاستعمال فصارت : فئة بعد زيادة هاء التانيث عوضاً عن الياء المحذوفة.

وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً	: الولي : من يلي أمرك ، والنصير : من ينصرك على عدوك .
يصلون	: أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم .
ميثاق	: عهد .
حصرت صدورهم	: ضاقت .
السلم	: الاستسلام والانقياد .
الفتنة	: الشرك .
نقفتموهم	: وجدتموهم متمكنين منهم .
سلطاناً مبيناً	: حجة بينة على جواز قتالهم .
معنى الآيات :	

لما ذكر تعالى الآيات قبل هذه أنه تعالى المقيت والحسيب أي القادر على الحساب والجزاء أخبر عز وجل أنه الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود دون سواه لربوبيته على خلقه إن الإله الحق ما كان رباً خالقاً رازقاً مدبراً بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء وأنه جامع الناس ليوم لا ريب في إتيانه وهو يوم القيامة .

هذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ ولما كان هذا خبراً يتضمن وعداً ووعداً أكد تعالى إنجازه فقال : ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ اللهم إنه لا أحد أصدق منك .

أما الآيات الأربع الباقية وهي (٨٨) و(٨٩) و(٩٠) و(٩١) فقد نزلت لسبب معين وتعالج مسائل حربية معنية أما السبب الذي نزلت فيه فهو اختلاف المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ في طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام وهم ضليعون في موالاة الكافرين ، وقد يكونون في مكة ، وقد يكونون في المدينة فرأى بعض الأصحاب أن من الحزم الضرب على أيديهم وإنهاء نفاقهم ، ورأى آخرون تركهم والصبر عليهم ماداموا يدعون الإيمان لعلمهم

(١) قوله تعالى : ﴿ليجمعنكم﴾ جواب قسم ، وهذا الجمع دلالة اللفظ أنه في القبور تحت الأرض ليعتقهم يوم القيامة وقد تكون (إلى) صلة ويكون الجمع هو جمع يوم القيامة .

(٢) السباق الكريم صالح لأن تكون الفتان المختلف فيهما من مكة أو من المدينة وقد ورد في الصحيح اختلاف المؤمنين في ابن أبي ومن وافقه ورجع من أحد دون قتال حتى قال الرسول ﷺ «انها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الحديد» كما ورد في غير الصحيح أن جماعة في مكة تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وأبوا أن يهاجروا ، فاختلف في شأنهم المؤمنون ، ولا مانع من أن تعني الآيات منافقي المدينة ، ومنافقي مكة ، إذ الخلاف وقع في كل من منافقي مكة ومنافقي المدينة ، ويرجح هذا الرأي صحة الخبر الأول وذكر الهجرة في الثاني .

بمرور الأيام يتوبون، فلما اختلفوا واشتد الخلاف في شأنهم أنزل الله تعالى هذه الآيات فقال: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم^(١) بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ ومعنى الآية أي شيء صيركم في شأن المنافقين فئتين؟ والله تعالى قد أركسهم في الكفر بسبب ماكسبوه من الذنوب العظام. أتريدون أيها المسلمون أن تهدوا من أضل الله، وهل يقدر أحد على هداية من أضله الله؟ وكيف، ومن يضل الله حسب سنته في إضلال البشر لا يوجد له هادٍ، ولا سبيل لهدايته بحال من الأحوال.

ثم أخبر تعالى عن نفسية أولئك المنافقين المختلف فيهم فقال وهي الآية الثالثة (٨٩) ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ أي أحبوا من قلوبهم كفرهم لتكونوا مثلهم وفيه لازم وهو انتهاء الإسلام، وظهور الكفر وانتصاره.

ومن هنا قال تعالى محرمًا موالاتهم إلى أن يهاجروا فقال: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ تعولون عليهم في نصرتهم على إخوانهم في الكفر. وظاهر هذا السياق أن هؤلاء المنافقين هم بمكة وهو كذلك. وقوله تعالى ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾^(٢)، لأن الهجرة إلى المدينة تقطع صلاتهم بدار الكفر فيفتر عزمهم ويراجعوا الصدق في إيمانهم فيؤمنوا فإن هاجروا ثم تولوا عن الإيذان الصحيح إلى النفاق والكفر فأعلنوا الحرب عليهم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ لأنهم بارتكاسهم لآخر فيهم ولا يعول عليهم.

ثم في الآية (٩٠) استثنى لهم الرب تعالى صنفين من المنافقين المذكورين فلا يأخذونهم أسرى ولا يقاتلونهم، الصنف الأول الذين ذكرهم تعالى بقوله ﴿إلا الذين يصلون﴾ أي يلجأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾^(٤) فبحكم استجارتهم بهم طالين الأمان منهم فأمنوهم أنتم حتى لاتنقضوا عهدكم. والصنف الثاني قوم ضاقت صدورهم بقتالكم،

(١) جملة: ﴿والله أركسهم﴾ حالة.

(٢) الاستفهام انكاري وهو دال على جملة محذوفة تقديرها: انهم قد أضلهم الله.

(٣) الهجرة: هجرتان هي لمنافقي المدينة: الخروج إلى الغزو مع رسول الله ﷺ، وهجرة لمنافقي مكة وهي إلى المدينة للاقامة بها، والهجرة أنواع، منها ترك المعاصي لحديث: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله» ومنها هجرة الفساق وأهل البدع ليتوبوا من ذنوبهم.

(٤) قد اختلف في هؤلاء الذين بينهم وبين المؤمنين ميثاق، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا طائل تحت معرفتهم الآن، إذ العبرة أن في الآية دليل على جواز المودعة بين أهل الحرب والمسلمين للضرورة.

وقتل قومهم فهؤلاء الذين لم يستسيغوا قتالكم ولا قتال قومهم إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم واصبروا عليهم، إذ لو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم فلقاتلوكم هذا الصنف هو المعنى بقوله تعالى: ﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ فما دام الله تعالى قد كفهم عنكم فكفوا أنتم عنهم. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم﴾. أي المسالمة والمهادنة ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾. لأخذهم وقتالهم. هذا وهناك صنف آخر ذكر تعالى حكم معاملته في الآية الخامسة والأخيرة وهي قوله تعالى: (٩١) ﴿ستجدون قوماً آخرين﴾ غير الصنفين السابقين ﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ فهم إذاً يلعبون على الحبلين كما يقال ﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ أي إلى الشرك ﴿أركسوا فيها﴾ أي وقعوا فيها منتكسين إذ هم منافقون إذا كانوا معكم عبدوا الله وحده وإذا كانوا مع قومهم عبدوا الأوثان لمجرد دعوة يدعونها يلبيون فيرتدون إلى الشرك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم﴾ أي إن لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا إليكم السلام وهو الإذعان والإنقياد لكم، ويكفوا أيديهم فعلاً عن قتالكم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ أي حجة واضحة على جواز أخذهم وقتلهم حيثما تمكثتم منهم وعلى أي حال. هذا ما دلت عليه الآيات الخمس مع العلم أن الكف عن قتال المشركين قد نسخ بآيات براءة إلا أن لإمام المسلمين أن يأخذ بهذا النظام عند الحاجة إليه فإنه نظام رباني ما أخذ به أحد وخاب أو خسر، ولكن خارج جزيرة العرب إذ لا ينبغي أن يجتمع فيها دينان.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ - وجوب توحيد الله تعالى في عبادته.

٢ - الإيمان بالبعث والجزاء.

(١) ﴿سبيلاً﴾: أي إذا بقتالهم بعد أن أمركم بقتال غيرهم حيث وجدوهم
(٢) ﴿ستجدون﴾ الوجدان هنا بمعنى الاطلاع والعمور أي: ستطلعون على قوم آخرين وصفهم كذا أو كذا.
(٣) أي لا هم لهم إلا حظوظ أنفسهم، ولا سعي لهم إلا في خويصيتهم فهم يظهرون المودة للمسلمين ليأمنوهم ويظهروها لقومهم ليأمنوا أيضاً، قيل هم غطفان، وبنو أسد قيل أن يحسن إسلامهم وبنو عبد الدار بمكة أيضاً إذ كانوا يأتون المدينة مظهرين الإسلام ثم إذا عادوا إلى مكة عبدوا الأصنام.

٣ - خطة حكيمة لمعاملة المنافقين بحسب الظروف والأحوال .

٤ - تقرير النسخ في القرآن .

وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

إلا خطأ : أي إلا قتلاً خطأ وهو أن لا يعتمد قتله كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً .

رقبة : أي مملوك عبداً كان أو أمة .^(١)

مسلمة : مؤداة وافية .^(٢)

إلا أن يصدقوا : أي يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه .

(١) لا بد أن تكون الرقبة مؤمنة، وهل يجب أن تكون بالغة؟ إذ الإيمان يتم بالبلوغ، والذي عليه مالك أنها تجزىء إذا كانت سليمة الأعضاء ولو لم تكن بالغة وهو الراجح .

(٢) لقد بينت السنة أن دية الخطأ على العاقلة، ولا خلاف فيها .

: عهد مؤكد بالإيمان .

: مريداً قتله وهو ظالم له .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة قتال المنافقين متى يجوز ومتى لا يجوز ناسب ذكر قتل المؤمن الصادق في إيمانه خطأ وعمداً وبيان حكم ذلك فذكر تعالى في الآية الأولى (٩٢) أنه لا ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا في حال الخطأ أما في حال العمد فلا يكون ذلك منه ولا يتأتى له وهو مؤمن لأن الإيمان نور يكشف عن مدى قبح جريمة قتل المؤمن وما وراءها من غضب الله تعالى وعذابه فلا يقدم على ذلك اللهم إلا في حال الخطأ فهذا وارد وواقع، وحكم من قتل خطأ أن يعتق رقبة ذكراً كانت أو أنثى مؤمنة وأن يدفع الدية لأولياء القتيل إلا أن يتصدقوا بها فلا يطالبوا بها ولا يقبلونها والدية مائة من الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو إثنا عشر ألف درهم فضة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ﴾ فإن كان القتيل مؤمناً ولكن من قوم هم عدو للمسلمين محاربين فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير، إذ لا تعطى الدية لعدو يستعين بها على حرب المسلمين وإن كان القتيل من قوم كافرين وهو مؤمن أو كافر ولكن بيننا وبين قومه معاهدة، على القاتل تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله، فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين فذلك توبته لقوله تعالى: ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾ عليماً بما يحقق المصلحة لعباده

(١) فالنفي في قوله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً . ﴾ ليس نفي الفعل حتى يقال: ما نفاه الله لا يجوز وجوده، وإنما هو نفي الحال والشأن لا الفعل فليتأمل.

(٢) ومن الغنم ألف شاة، وهل الإبل تخمس خلاف، ومذهب الشافعي ومالك أنها تخمس، فعشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنات مخاص، وعشرون بنات لبون، وعشرون بنو لبون ذكور، وتغلظ دية شبه العمد، بأن يكون أربعون منها في بطونها أولادها، وشبه العمد ما كان بأداة لا تقتل عادة كالعصا ونحوها لحديث: «ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها».

(٣) قيل نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة إذ قتل الحارث بن زيد العامري لإحنة كانت بينهما، وكان الحارث قد أسلم ولم يعلم عياش بإسلامه فكان قتله خطأ وقوله تعالى: ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي: فعلية تحرير رقبة.

(٤) أكثر أهل العلم أن دية المرأة على نصف دية الرجل وأن دية الجنين إذا سقط حياً دية كاملة وإذا سقط ميتاً فدية غرة عبد أو أمة، ومعنى غرة أي أن يكون أبيض لا أسود، فيقوم العبد وتعطى قيمته دية.

(٥) «توبة»: منصوب على المصدر أي تاب الله عليه توبة، أي مشروعية الكفارة في قتل الخطأ كانت توبة من الله على العبد القاتل خطأ، وعلة الكفارة أنه لم يتحرز ولم يتحفظ فلذا وقع منه القتل فكان لابد من مكفر لما لحقه من الائم بالتفريط، أما القاتل عمداً فلا كفارة تجزئه، وهل له من توبة؟ عليه أن يتوب، ومن توبته أن يعتق أو يتصدق ويصوم رجاء أن يتوب الله عليه.

حكيمًا في تشريعہ فلا یشرع إلا ما كان نافعاً غیر ضار، ومحققاً للخیر فی الحال والمآل .
 هذا ما دلت علیه الآية الأولى أما الثانية (٩٣) فإنها بنيت حکم من قتل مؤمناً عمداً عدواناً، وهو أن الکفارة لا تغني عنه شيئاً لما قضى الله تعالى له باللعن والخلود في جهنم إذ قال تعالى : ﴿ ومن یقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله علیه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ إلا أن الدية أو القصاص لازم ما لم یعف أولياء الدم فإن عفوا عن القصاص ورضوا بالدية أعطوها وإن طالبوا بالقصاص اقتصوا إذ هذا حقهم وأما حق الله تعالى فإن القتل عبده خلقه ليعبده فمن قتله فالله تعالى رب العبد خصمه وقد توعد به بأشد العقوبات وأفظعها، والعياذ بالله تعالى وذلك حقه قال تعالى : ﴿ ومن یقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله علیه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان أن المؤمن الحق لا يقع منه القتل العمد للمؤمن .
- ٢ - بيان جزاء القتل الخطأ وهو تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله .
- ٣ - إذا كان القتل مؤمناً وكان من قوم كافرين محاربين فالجزاء تحرير رقبة ولا دية .
- ٤ - إذا كان القتل من قوم بين المسلمين وبينهم ميثاق فالواجب الدية وتحرير رقبة .
- ٥ - من لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين^(١) .
- ٦ - القتل العمد العدوان يجب له أحد شيئين القصاص أو الدية حسب رغبة أولياء الدم وإن عفوا فلهم ذلك وأجرهم على الله تعالى، وعذاب الآخرة وعيد إن شاء الله أنجزه وإن شاء عفا عنه .

يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
 لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ

(١) يسقط التتابع بالمرض والحض لا بالسفر، ومعنى التتابع : أن لا يستأنف من أظفر لمرض، وإنما يبنى على ما صامه، ويواصل حتى يكمل الشهرين .

عَرَضَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

شرح الكلمات :

إذا ضربتم : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومسافرين .
فتبينوا : فتشبتوا حتى لا تقتلوا مسلماً تحسبونه كافراً .
السلم : الإستسلام والانقياد .
تبتغون : تطلبون .
من الله عليكم : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين .

معنى الآية الكريمة :

روي أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا فلقوا رجلاً يسوق غنماً من بني سليم فلما رآهم سلم عليهم قائلاً السلام عليكم فقالوا له ما قلتها إلا تقيّة لتحفظ نفسك ومالك وقتلوه فنزلت هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يريد خرجتم مسافرين للغزو والجهاد ﴿ فتبينوا ﴾ ممن تلقونهم في طريقكم هل هم مسلمون فتكفوا عنهم أو كافرين فتقاتلوهم ، ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام ﴾ أعلن إسلامه لكم بالشهادة أو بالسلام ﴿ لست مؤمناً ﴾ فتكذبونه في دعواه الإسلام لتنالوا منه : ﴿ تبتغون ﴾ بذلك ﴿ عرض الحياة الدنيا ﴾ أي متاعها الزائل فإن كان قصدكم الغنيمة فإن عند الله مغانم كثيرة فأطيعوه وأخلصوا له النية والعمل يرزقكم ويغنمكم خير ماتأملون وترجون وقوله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ أي مثل هذا الرجل الذي قتلتموه رغبة في غنمه كنتم تستخفون بإيائناكم خوفاً من قومكم ﴿ فمن الله عليكم ﴾ بأن أظهر دينه ونصركم فلم تعودوا تخفون دينكم . وعليه فتبينوا

(١) السلم : بكسر السين ، والسلم بفتح السين واللام ، والسلام : واحد والسلم بالكسر هنا أولى لأنه بمعنى الانقياد والطاعة .

(٢) روى أن النبي ﷺ حمل دبه إلى أهله ورد غنمه ، وهو كذلك .

(٣) سمي متاع الدنيا عرضاً : لأنه عارض زائل ، ويطلق العرض بفتح الراء على الدراهم والدنانير وباسكان الراء على المتاع من أثاث وغيره فلذا كل عرض بإسكان الراء عرض بفتحها ولا ينعكس وفي الحديث الصحيح : « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس » رواه مسلم .

مستقبلاً، ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكدوا من كفره وقوله: ﴿إِنْ كَانَ بِهَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ تذييل يحمل الوعد والوعيد، الوعد لمن أطاع والوعيد لمن عصى إذ لازم كونه تعالى خبيراً بالأعمال أنه يحاسب عليه ويجزي بها، وهو على كل شيء قدير .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١ - مشروعية السير في سبيل الله غزوا وجهاداً.
- ٢ - وجوب الثبوت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ.
- ٣ - ذم الرغبة في الدنيا لاسيما إذا كانت تتعارض مع التقوى.
- ٤ - الإلتعاض بحال الغير والاعتبار بالأحداث المماثلة.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

- أولوا الضرر : هم العميان والعرج والمرضى .
درجة : منزلة عالية في الجنة .
الحسنى : الجنة .

(١) لأن قتل النفس عظيم، ولذا لما أخبر الرسول ﷺ بمن قتل من قال لا إله إلا الله طائناً أنه قالها تقية قال: «هلاً شققت عن قلبه» قالها ثلاثاً، ولذا لو أن كافراً صلى معنا ولم يقل: لا إله إلا الله لم نقتله حتى نطلب إليه قولها فإن قالها وإلا قتل حينئذ هذا الكافر المحارب لا المعاهد والمستأمن .
(٢) بل فضيلة السير في سبيل الله سواء للجهاد أو لطلب علم أو صلة رحم أو حج أو عمرة أو إبلاغ دعوة وتعليم علم أو زيارة مؤمن لما ورد في ذلك من الأجر العظيم .

معنى الآيتين :

روي أن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية بهذه الصيغة ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم... ﴾ الآية. أتى النبي ﷺ فقال: كيف وأنا أعمى يارسول الله فما برح حتى نزلت ﴿ غير أولي الضرر ﴾ فأدخلت بين جملي ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ ومعنى الآية: إن الله تعالى ينفي أن يستوي في الأجر والمنزلة عنده تعالى من يجاهد بهاله ونفسه ومن لا يجاهد بخلاً بهاله. وضناً بنفسه، واستثنى تعالى أولي الأعذار من مرض ونحوه فإن لهم أجر المجاهدين وإن لم يجاهدوا لحسن نياتهم، وعدم استطاعتهم فلذا قال ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ التي هي الجنة، وقوله: ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أي فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين لعذر درجة، وإن كان الجميع لهم الجنة وهي الحسنى. وقوله تعالى: ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾ لغیر عذر ﴿ أجراً عظيماً ﴾ وهو الدرجات العالية مع المغفرة والرحمة، وذلك لأن الله تعالى كان أزلاً وأبداً غفوراً رحيمًا، ولذا غفر لهم ورحمهم، اللهم اغفر لنا وارحمنا معهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان فضل المجاهدين على غيرهم من المؤمنين الذين لا يجاهدون.
- ٢ - أصحاب الأعذار الشرعية ينالون أجر المجاهدين إن كانت لهم رغبة في الجهاد ولم يقدرُوا عليه لما قام بهم من أعذار^(٣) وللمجاهدين فعلاً درجة تخصهم دون ذوي الأعذار.

(١) قرئ «غير» بالرفع على أنه نعت للـ «قاعدون» وقرئ بالنصب على الاستثناء ويصح أيضاً على الحال.
 (٢) روي في الصحاح أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقال ﷺ: «من رمى بسهم فله أجره درجة فقال رجل يارسول الله وما الدرجة؟ قال: أما إنها ليست بعنة بأك، ما بين الدرجتين مائة عام».
 (٣) روى البخاري تعليقا وغير واحد أن النبي ﷺ وقد قفل عائدا من إحدى غزواته قال: إن بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا، ولا سرتهم مسيرا إلا كانوا معكم أولئك قوم حبسهم العذر.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً
وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات:

توفاهم	: تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.
ظالمي أنفسهم ^(١)	: بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.
فيم كتتم	: في أي شيء كتتم من دينكم؟
مصيرًا	: مأوى ومسكنًا.
حيلة	: قدرة على التحول.
مراغما	: مكانًا ودارًا لهجرته يرغم ويدل به من كان يؤذيه في داره.
وسعة	: في رزقه.
وقع أجره على الله	: وجب أجره في هجرته على الله تعالى.
معنى الآيات :	

لما كانت الهجرة من آثار الجهاد ناسب ذكر القاعدين عنها لضرورة ولغير ضرورة فذكر

(١) ظلم النفس : أن يفعل العبد فعلا يؤول إلى مضرتة فهو بذلك ظالم لنفسه ، والمراد به هنا ترك الهجرة إذ يترتب عليها ترك العبادة فتخبث النفس وذلك ظلم لها .

تعالى في هذه الآيات الهجرة وأحكامها فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث تركوا الهجرة ومكثوا في دار الهوان يضطهدهم العدو ويمنعهم من دينهم ويحول بينهم وبين عبادته^(١) ربهم. هؤلاء الظالمون لأنفسهم تقول لهم الملائكة عند قبض أرواحهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾؟ تسألهم هذا السؤال لأن أرواحهم مدساة مظلمة لأنها لم ترك على الصالحات، فيقولون معتردين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فلم تتمكن من تطهير أرواحنا بالإيمان وصالح الأعمال، فترد عليهم الملائكة قولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا﴾ وتعبدوا ربكم؟ ثم يعلن الله تعالى عن الحكم فيهم بقوله: فأولئك البعداء ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وساءت جهنم مصيراً يصيرون إليه ومأوى ينزلون فيه. ثم استثنى تعالى أصحاب الأعداء كما استثناهم في القعود عن الجهاد في الآيات قبل هذه فقال عز من قائل: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، واستضعاف الرجال يكون بالعلل والنساء والولدان بالضعف الملازم لهم، هؤلاء الذين لا يستطيعون حيلة أي لا قدرة لهم على التحول والانتقال لضعفهم، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ إلى دار الهجرة لعدم خبرتهم بالدروب والمسالك فطمعهم تعالى ورجاهم بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ المذكورون ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُمْ﴾ فلا يؤاخذهم ويغفر لهم بعض ما قصرُوا فيه ويرحمهم لضعفهم وكان الله غفوراً رحيماً.

هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث .

أما الآية الرابعة (١٠٠) فقد أخبر تعالى فيها أن من يهاجر في سبيله تعالى لا في سبيل دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها يأذن الله تعالى في الأرض مذهباً يذهب إليه وداراً ينزل بها ورزقاً واسعاً يراغم به عدوه الذي اضطهده حتى هاجر من بلاده، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهِاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاقِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً﴾ ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على محمد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية.

(٢) الاستضعاف للتوبيخ والتفريع.

(٣) قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من عني الله بهذه الآية وأما ابن عباس هي: لبابة وتكنى: أم الفضل وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنهما.

(٤) وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمى والشلل ونحوهما.

في سبيل الله أي لأجل عبادته ونصرة دينه ثم مات في طريق هجرته وإن لم يصل إلى دار الهجرة فقد وجب أجره على الله تعالى وسيوفاه كاملاً غير منقوص ، ويغفر الله تعالى له ما كان من تقصير سابق ويرحمه فيدخله جنته . إذ قال تعالى : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الهجرة عندما يحال بين المؤمن وعبادة ربه تعالى إذ لم يخلق إلا لها .
- ٢ - ترك الهجرة كبيرة من كبائر الذنوب يستوجب صاحبها دخول النار .
- ٣ - أصحاب الأعدار كما سقط عنهم واجب الجهاد يسقط عنهم واجب الهجرة .
- ٤ - فضل الهجرة في سبيل الله تعالى
- ٥ - من مات في طريق هجرته أعطى أجر المهاجر كاملاً غير منقوص وهو الجنة .

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ

فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾
وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ فِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ضمرة بن جندب خرج إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ ومن يخرج من بيته . . . الخ .

(٢) الهجرة : هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام ، وهي هجر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة ، قال مالك : لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح . ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام ، إذ طلب الحلال فريضة ، ومنها أن يؤدي المسلم في دينه أو عرضه أو ماله ، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونا ، فإنه يحرم الفرار منه ، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيها جر لطلب ذلك .

كَفَرُوا أَوْ تَغْفُلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
 عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ
 أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ
 وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى
 جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
 كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا
 فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
 تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

ضربتم في الأرض : أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً .

أن تقصروا من الصلاة : بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين ، والعشاء ركعتين

لطلوها .

إن خفتم أن يفتنكم : هذا خرج مخرج الغالب ، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر^(١) .

حذرهم : الحيلة والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو .

وأسلحتكم : جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع الأسلحة .

لاجناح عليكم : أي لاتضييق عليكم و لا حرج في وضع الأسلحة

للضرورة

(١) من أحكام صلاة السفر : أن المسافر لا يشرع في التقصير حتى يتجاوز مباني المدينة التي يسكنها وأن المسافر إذا صلى وراء مقيم يتم معه ، وأن المسافر إذا أم غيرة قصر والمقيم يتم ، وأنه يشرع له الجمع بين الظهرين والعشائين تقديمًا أو تأخيرًا .

قضيتم الصلاة	: أدبتموها وفرغتم منها .
فإذا اطمأننتم	: أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن .
كتاباً موقوتاً	: فرضاً ذات وقت معين تؤدي فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه .
ولا تنهوا	: أي لا تضعفوا .
تألمون	: تتألمون .

معنى الآيات :

بمناسبة الهجرة والسفر من لوازمها ذكر تعالى رخصة قصر الصلاة في السفر وذلك بتقصير الرباعية إلى ركعتين فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سرتهم فيها مسافرين^(١) ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي حرج وإثم في ﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وبينت السنة أن المسافر يقصر ولو أمن فهذا القيد غالبي فقط، وقال تعالى: ﴿ إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ تذييل أريد به تقرير عداوة الكفار للمؤمنين فلذا شرع لهم هذه الرخصة .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠١) أما الآيتان بعدها فقد بينت صلاة الخوف وصورتها: أن ينقسم الجيش قسمين قسم يقف تجاه العدو وقسم يصلي مع القائد ركعة، ويقف الإمام مكانه فيتمون لأنفسهم ركعة، ويسلمون ويقفون وجاه العدو، ويأتي القسم الذي كان واقفاً تجاه العدو فيصلّي بهم الإمام القائد ركعة ويسلم ويتمون لأنفسهم ركعة ويسلمون، وفي كلا الحالين هم آخذون أسلحتهم لا يضعونها على الأرض خشية أن يميل عليهم العدو وهم عزل فيكبدهم خسائر فادحة هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ

(١) اختلف في المسافة التي تقصر فيها الصلاة، والجمهور على أنها أربعة برد، واختلفوا في مسافة الميل الذي هو جزء البريد، فالذي رجحه علماء المالكية هو: أن الميل: ألفا ذراع وعليه فمسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً أي كيلو متر وهذا قول وسط بين قول من قال لا يقصر في أقل من سبعين ميلاً، وبين من قال كل سفر تقصر فيه الصلاة طال أو قصر ولو كان ثلاثة أميال.

(٢) شذ أبو يوسف الحنفي فقال: صلاة الخوف لا تصلّي إلا مع رسول الله ﷺ ناظراً إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ﴾ وعليه ما لم يكن فيهم رسول الله ﷺ فلا تصلّي صلاة الخوف، ورّد هذا علماء السلف والخلف وقالوا بمشروعية صلاة الخوف، ما وجد خوف.

(١)

ورائكم ﴿ يريد الطائفة الواقعة تجاه العدو لتحميمهم منه ﴾ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ سيق هذا الكلام لبيان علة الصلاة طائفة بعد أخرى والأمر بالأخذ بالحذر وحمل الأسلحة في الصلاة، ومن هنا رخص تعالى لهم إن كانوا مرضى وبهم جراحات أو كان هناك مطر فيشق عليهم حمل السلاح أن يضعوا أسلحتهم فقال عز وجل: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ تذييل لكلام محذوف دل عليه السياق قد يكون تقديره فإن الكفار فجرة لا يؤمن جانبهم ولذا أعد الله لهم عذاباً مهيناً، وإنما وضع الظاهر مكان المضمرة إشارة إلى علة الشر والفساد التي هي الكفر.

وقوله تعالى في آية (١٠٣) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ فإنه تعالى يأمر المؤمنين بذكره في كل الأحيان لاسيما في وقت لقاء العدو لما في ذلك من القوة الروحية التي تقهر القوى المادية وتهزمها فلا يكتفي المجاهدون بذكر الله في الصلاة فقط بل إذا قضوا الصلاة لا يتركون ذكر الله في كل حال وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ يريد إذا ذهب الخوف وحل الأمن واطمأنت النفوس أقيموا الصلاة بحدودها وشرائطها وأركانها تامة كاملة، لا تخفيف فيها كما كانت في حال الخوف إذ قد تصلي ركعة واحدة وقد تصلي إيماء وإشارة فقط وذلك إذا التحم المجاهدون بأعدائهم. وقوله: ﴿ إِنْ الصَّلَاةُ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فأخبر أن الصلاة مفروضة على المؤمنين وأنها موقوتة بأوقات لا تؤدي إلا فيها.

وقوله تعالى في آية (١٠٤) ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ أي لا تضعفوا في طلب العدو

(١) قد اختلفت الروايات في صلاة الخوف، واختلف لذلك العلماء، إذ صلى النبي ﷺ صلاة الخوف أربعاً وعشرين مرة، قال الإمام أحمد، وهو إمام أهل الحديث: لا علم أنه روي في صلاة الخوف إلا حديث صحيح ثابت وكلها صحاح ثابتة، فعلى أي حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزاء إن شاء الله، وذهب مالك إلى حديث سهل بن أبي حنمة، وهو الذي ذكرته في التفسير فهو واضح سهل.

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وماله علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

(٣) في طلب الحذر تشريع للأمة بأن تأخذ بأسباب النصر ولا تهملها بحال، فإن الله تعالى ربط المسببات بأسبابها فمن طلب النصر عليه بإعداد ما يمكنه من العدد والعتاد.

(٤) يرى جمهور المفسرين أن هذا الذكر المطلوب يكون بعد صلاة الخوف كقوله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ تقوية للقلوب وتوسلاً لحصول النصر على العدو المرهوب.

لإنزال الهزيمة به . ولا تتعللوا في عدم طلبهم بأنكم تألمون لجراحاتكم ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ﴾ من النصر والثوبة العظيمة ﴿ مالا يرجون ﴾ فأنتم أحق بالصبر والجلد والمطالبة بقتالهم حتى النصر عليهم وقوله تعالى ﴿ وكان الله علياً حكيماً ﴾ فيه تشجيع للمؤمنين على مواصلة الجهاد، لأن علمهم بأن الله تعالى عليهم بأحوالهم والظروف الملائمة لهم وحكيم في شرعه بالأمر والنهي لهم يطمئنهم على حسن العافية لهم بالنصر على أعدائهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية صلاة القصر وهي رخصة ^(١) أكدها رسول الله ﷺ بقوله وعمله فأصبحت سنة مؤكدة لا ينبغي تركها .
- ٢ - مشروعية صلاة الخوف وبيان كيفيتها .
- ٣ - تأكد صلاة الجماعة بحيث لا تترك حتى في ساعة الخوف والقتال .
- ٤ - استحباب ذكر الله تعالى بعد الصلاة وعلى كل حال من قيام وقعود واضطجاع .
- ٥ - تقرير فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها الموقوتة لها .
- ٦ - حرمة الوهن والضعف إزاء حرب العدو والاستعانة على قتاله بذكر الله ورجائه .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدَ لَ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ

(١) كونها رخصة دل عليه قوله تعالى : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾ كما دل عليه قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه « تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » هذا، وقد اختلف العلماء، اختلافًا كبيراً هل القصر واجب أم سنة؟ فمن قال بالوجوب . استدلل بحديث عائشة : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين » ومن قال بالسنة وهم الجمهور، ووهوا حديثها لمخالفتها له حيث كانت تتم في السفر، وذهب بعضهم إلى أن المسافرين مخير بين القصر والإتمام والراجح أنها سنة مؤكدة وذلك لكون النبي ﷺ ما ترك القصر في أسفاره أبداً .

مَنْ اللَّهُ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
 اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنَتُمْ هَآؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ
 عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

- بما أراك الله : أي بما علمكه بواسطة الوحي .
 خصيماً : أي مخاصماً بالغاً في الخصومة مبلغاً عظيماً .
 تجادل : تخاصم .
 يختانون أنفسهم : يحاولون خيانة أنفسهم .
 يستخفون : يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس .
 وهو معهم : يعلمه تعالى وقدرته .
 يبيتون : يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة .
 وكيلا : الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض .

معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق وإخوته وكان قد سرق درعاً من دار جابر
 له يقال له قتادة وودعها عند يهودي يقال له يزيد بن السمين، ولما اتهم طعمة وخاف هو
 وإخوته المعرة رموا بها اليهودي وقالوا هو السارق، وأتوا رسول الله ﷺ وحلفوا على براءة
 أخيههم فصدقهم رسول الله ﷺ وهم بقطع يد اليهودي لشهادة بني أبيرق عليه وإذا بالآيات
 تنزل ببراءة اليهودي وإدانة طعمة، ولما افتضح طعمة وكان منافقاً أعلن عن رده وهرب إلى
 مكة المكرمة ونقب جدار منزل ليسرق فسقط عليه الجدار فمات تحته كافراً.. وهذا تفسير
 لآيات قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن، أيها الرسول ﴿لتحكم بين﴾^(١)

(١) هم ثلاثة أنفار بشر وبشير، ومبشر يقال لهم بنو أبيرق.

(٢) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار».

الناس بما أراك الله ﴿١﴾ أي بما أعلمك وعرفك به لا بمجرد رأي رأي غيرك من الخائنين وعاتبه ربه تعالى بقوله ﴿٢﴾ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴿٣﴾ أي مجادلاً عنهم، فوصم تعالى بني أبيرق بالخيانة، لأنهم خانوا أنفسهم بدفعهم التهمة عنهم بأبيانهم الكاذبة. ﴿٤﴾ واستغفر^(١) الله ﴿٥﴾ من أجل ما هممت به من عقوبة اليهودي، ﴿٦﴾ إن الله كان غفوراً رحيمًا ﴿٧﴾ فيغفر لك ما هممت به ويرحمك ﴿٨﴾ ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم ﴿٩﴾ حيث اتهموا اليهودي كذباً وزوراً، ﴿١٠﴾ إن الله لا يحب من كان خواناً أثيمًا ﴿١١﴾ كطعمة بن أبيرق ﴿١٢﴾ يستخفون من الناس ﴿١٣﴾ حياء منهم، ﴿١٤﴾ ولا يستخفون من الله ﴿١٥﴾ ولا يستحيون منه، وهو تعالى معهم في الوقت الذي كانوا يدبرون كيف يخرجون من التهمة بالصاقها باليهودي البريء، وعزموا أن يحلفوا على براءة أخيههم وإتهام اليهودي هذا القول مما لا يرضاه الله تعالى. . . وقوله عز وجل : ﴿١٦﴾ وكان الله بما يعملون محيطاً ﴿١٧﴾ فما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهمهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيههم كل ذلك جرى تحت علم الله تعالى والله به محيط، فسبحانه من إله عليم عظيم. وقوله تعالى : ﴿١٨﴾ ها أنتم هؤلاء ﴿١٩﴾ أي ياهؤلاء ﴿٢٠﴾ جادلتهم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴿٢١﴾ هذا الخطاب موجه إلى الذين وقفوا إلى جنب بني أبيرق يدفعون عنهم التهمة فعاتبهم الله تعالى بقوله : ﴿٢٢﴾ ها أنتم هؤلاء جادلتهم عنهم ﴿٢٣﴾ ، اليوم في هذه الحياة الدنيا لتدفعوا عنهم تهمة السرقة ﴿٢٤﴾ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴿٢٥﴾ يتولى الدفاع عنهم في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر كله لله فتضمنت الآية تقريراً شديداً حتى لا يقف أحد بعد موقفاً مخزياً كهذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

٢ - لا يجوز الوقوف إلى جنب الخونة الظالمين نصرة لهم .

(١) ﴿بما أراك الله﴾ معناه على قوانين الشرع إما بوحى ونص أو بنظر جار على سنن الوحي .

(٢) فيه إرشاد للأمة وتعليم لها إذ الرسول ﷺ لم يقارف ذنباً وكل ما في الأمر أنه هم على ظن منه ودفع الله عنه ما هم به بنزول الآية، أو استغفاره لما هم به هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٣) أي يستترون .

(٤) الاستفهام هنا للانكار، والتوبيخ، والتقريع .

٣ - وجوب الاستغفار من الذنب كبيراً كان أو صغيراً .

٤ - وجوب بغض الخوان الأثيم أياً كان .

٥ - استحباب الوعظ والتذكير بأحوال يوم القيامة .

وَمَنْ يَعْمَلْ

سَوْءًا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٣﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

شرح الكلمات :

سوءاً : ما يسيء إلى النفس أو إلى الغير .

أو يظلم نفسه : ظلم النفس : بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا .

إثماً : الإثم : ما كان ضاراً بالنفس فاسداً .

برئئاً : البرىء : من لم يحن جناية قد اتهم بها .

احتمل بهتاناً : تحمل بهتاناً : وهو الكذب المحير لمن رمي به .

الكتاب والحكمة : الكتاب : القرآن والحكمة السنة .

معنى الآيات :

هذا السياق معطوف على سابقه في حادثة طعمة بن أبيرق وهو يحمل الرحمة الإلهية
لأولئك الذين تورطوا في الوقوف إلى جنب الخائن ابن أبيرق فأخبرهم تعالى أن من يعمل

سوءاً يؤذي به غيره أو يظلم نفسه بارتكاب ذنب من الذنوب ثم يتوب إلى الله تعالى باستغفاره والإنابة إليه يتب الله تعالى عليه ويقبل توبته وهو معنى قوله تعالى في الآية (١١٠) ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا ﴾ يغفر له ويرحمه .

قوله تعالى ﴿ من يكسب إثماً ﴾ أي ذنباً من الذنوب صغيرها وكبيرها ﴿ فإنها يكسبه على نفسه ﴾ إذ هي التي تندس به وتؤاخذ بمقتضاه إن لم يغفر لها . ولا يؤاخذ به غيرها وكان الله عليماً أي بذنوب عباده حكيمًا أي في مجازاتهم بذنوبهم فلا يؤاخذ نفساً بما اكتسبت ويترك نفساً قد اكتسبت (١١٢) يخبر تعالى أن من يرتكب خطيئة ضد أحد، أو يكسب إثماً ويرمي به أحداً بريئاً منه قد تحمل تبعة عظيمة قد تصلية نار جهنم وهو معنى قوله : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

وفي الآية (١١٣) يواجه الله تعالى رسوله بالخطاب ممتناً عليه بما حباه به من الفضل والرحمة فيقول : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء ﴾ ، والمراد بالطائفة التي ذكر الله تعالى هم بنو أريق أخوة طعمة وقوله ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ ، فهو كما قال عز وجل ضلالهم عائد عليهم أما الرسول فلن يضره ذلك وقوله تعالى : ﴿ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ امتنان من الله تعالى على رسوله بأنه أنزل عليه القرآن أعظم الكتب وأهداها وعلمه الحكمة وهي ما كشف له من أسرار الكتاب الكريم ، وما أوحى إليه من العلوم والمعارف التي كلها نور وهدى مبين ، وعلمه من المعارف الربانية ما لم يكن يعلم قبل ذلك وبهذا كان فضله على رسوله عظيماً فلله الحمد والمنة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير مبدأ التوبة تجب ما قبلها ، ومن تاب تاب الله عليه .
- ٢ - عظم ذنب من يكذب على البراء ، ويتهم الأئمة بالخيانة .

(١) المراد بالاستغفار: التوبة وطلب العفو من الله تعالى عما مضى من الذنوب قبل التوبة .

(٢) أي ينسب إليه .

(٣) إذ نتائج الضلال وعوائده وهي الخسران عائدة عليهم لا على الرسول ﷺ .

- ٣ - تأثير الكلام على النفوس حتى أن الرسول ﷺ كاد يضلله بنو أبيرق فيبرى الخائن
ويدين البرىء إلا أن الله عصمه .
- ٤ - عاقبة الظلم عائدة على الظالم .

❖ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :
نجواهم^(١)

: النجوى : المسارة بالكلام ، ونجواهم : أحاديثهم التي
يسرها بعضهم إلى بعض .

أو بمعروف^(٢)

: المعروف : ماعرفه الشرع فأباحه ، أو استحبه أو أوجبه .

ابتغاء مرضاة الله

: أي طلباً لمرضاة الله أي للحصول على رضا الله عز وجل .

نؤتيه

: نعطيه والأجر العظيم : الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

يشاقق الرسول

: يحاده ويقاطعه ويعاديه . كمن يقف في شق ، والآخر في
شق .

ويتبع غير سبيل المؤمنين

: أي يخرج عن إجماع المسلمين .

نوله ماتولى

: نخذله فنتركه وماتولاه من الباطل والشر والضلال حتى

يهلك فيه .

(١) النجوى : مشتقة من نجوت الشيء أنجوه إذا خلصته وأفرده ، والنجوى من الأرض : ما ارتفع منها دون ما حواليه ، ومن
ناجى أحداً فقد خلصه وأفرده له ، وتسمى الجماعة نجوى نحوهم غُذِّلَ قال تعالى : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ .
(٢) المعروف : لفظ يعم جميع ألفاظ البرّ أمر الله تعالى به في كتابه فقال : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي المعروف : قال
الحطّبة : مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيهِ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ونصله نار جهنم : أي ندخله النار ونحرقه فيها .
معنى الآيتين :

مازال السياق في بني أبيرق ففي الآية الأولى (١١٤) يخبر تعالى أنه لاخير في كثير من أولئك المتناجين ولا في نجواهم لنفاقهم وسوء طواياهم اللهم إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين، أو معروف استحبه الشارع أو أوجهه من البر والإحسان أو إصلاح بين الناس للإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين. ثم أخبر تعالى أن من يفعل ذلك المذكور من الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس طلباً لمرضاة الله تعالى فسوف يشبهه بأحسن الثواب ألا وهو الجنة دار السلام إذ لا أجر أعظم من أجر يكون الجنة .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١١٥) فإن الله تعالى يتوعد أمثال طعمة بن أبيرق فيقول جل ذكره: ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ أي يخالفه ويعاديه ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ أي من بعد ما عرف أنه رسول الله حقاً جاء بالهدى ودين الحق، ثم هو مع معاداته للرسول يخرج من جماعة المسلمين ويتبع غير سبيلهم هذا الشقي الخاسر ﴿ نوله ماتولى ﴾ أي تركه لكفره وضلاله خذلاناً له في الدنيا ثم نصله نار جهنم يحترق فيها، ويشس المصير جهنم يصير إليها المرء ويخلد فيها .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - حرمة تناجي إثنين دون الثالث لثبوت ذلك في السنة .

٢ - الاجتماعات السرية لا خير فيها إلا اجتماعاً كان لجمع صدقة، أو لأمر بمعروف أو إصلاح بين متنازعين من المسلمين مختلفين .

٣ - حرمة الخروج عن أهل السنة والجماعة، واتباع الفرق الضالة التي لا تمثل الإسلام إلا في دوائر ضيقة كالروافض ونحوهم . .

(١) قيل لحكيم ما أعظم المصائب؟ قال: أن تقدر على المعروف فلا تصنعه حتى يفوت، وقال في هذا المعنى الشاعر:

إذا هَبَّت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

(٢) ورد في إصلاح ذات البين الكثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين» رواه الترمذي وصححه وقال: «ليس الكذب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً» .

(٣) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج على جماعة المسلمين، روي أن الشافعي طلب دليلاً على صحة الإجماع فقرأ القرآن مرّات حتى عثر على هذه الآية وقرّر أنها دليل الإجماع . وهو كذلك .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
 ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ
 إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخِذَنَّ
 مِنْ عِبَادِي نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ
 وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْتَهُمْ
 فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
 مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
 يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
 أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

شرح الكلمات :

أن يشرك به	: أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت .
إن يدعون	: أي ما يدعون .
إلا إناثًا	: جمع أنثى لأن الآلهة مؤنثة ، أو أمواتاً لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثى
مريداً	: بجامع عدم النفع .
نصيباً مفروضاً	: بمعنى مارد على الشر والإغواء للفساد .
فليبتكن ^(١)	: حظاً معيناً . أو حصّة معلومة .
خلق الله	: فليقطعن .
الشیطان	: مخلوق الله أي ما خلقه الله تعالى .
	: الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنياً أو إنسياً .

(١) البتك : القطع ، يقال : سيف باتك .

يمنيهم : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ إخبار منه تعالى عن طعمة بن أبيرق بأنه لا يغفر له وذلك لموته على الشرك ، أما إخوته الذين لم يموتوا مشركين فإن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء غفر لهم وإن شاء أخذهم كسائر مرتكبي الذنوب غير الشرك والكفر . وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ أي ضل عن طريق النجاة والسعادة ببعده عن الحق بعداً كبيراً وذلك بإشراكه بربه تعالى غيره من مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَاءً ﴾ . هذا بيان لقبح الشرك وسوء حال أهله فأخبر تعالى أن المشركين ما يعبدون إلا أمواتاً لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ولا يعقلون . إذ أوثانهم ميتة وكل ميت فهو مؤنث زيادة على أن أسماءها مؤنثة كالكالات والعزى ومناة ونائلة ، كما هم في واقع الأمر يدعون شيطناً مريداً إذ هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام فعبدها فهم إذاً عابدون للشيطان في باطن الأمر لا الأوثان ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ لعنه الله وأبلسه عند إباطه السجود لآدم ، ﴿ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ أي عدداً كبيراً منهم يعبدونني ولا يعبدونك وهم معلومون معروفون بمعصيتهم إياك ، وطاعتهم لي . وواصل العدو تبجحه قائلاً : ﴿ وَلَا ضَلَمَ لَهُمْ يَرِيدٌ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى ﴾ ولأمنيهم ﴿ يَرِيدُ أَعْوَقَهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ بِالْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ بِأَنَّهُمْ لَا يَلْقَوْنَ عَذَابًا أَوْ أَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَهُمْ . ﴾ ولآمرهم ﴿ فَيَطِيعُونِي ﴾ فليطيعن آذان الأنعام ﴿ أَيُ لِيَجْعَلُونَ آلِهَتَهُمْ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْتَهُمْ وَيَعْلَمُونَهَا بَقُوعِ أَذَانِهَا لَتَعْرِفَنَّ أَنَّهَا لِلَّهِ كَالْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا لِلَّهِ ، ﴾ ولآمرهم ﴿ أَيْضًا فَيَطِيعُونِي فَيَغْيِرُونَ خَلْقَ اللَّهِ بِالْبَدْعِ

(١) في هذه الآية ردّ على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب دون الشرك ويوجبون الخلود في النار لمن مات على كبيرة قال علي رضي الله عنه : ما في القرآن آية أحب إلي من هذه : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ رواه الترمذي .

(٢) أطلق الدعاء وأريد به العبادة ، وهو إطلاق شائع في القرآن الكريم لأن الدعاء هو العبادة إذ طاعتهم للشيطان عبادة في حدّ ذاتها إذ المطاع في معصية الله معبود قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا أَجْنَابَهُمْ وَرَبَّانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي آلهة وذلك لما أطاعوهم في معصية الله تعالى .

(٣) قيل كان نصيبه من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين لحديث مسلم : «أبعث بعث النار فيقول وما بعث النار؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» المخاطب آدم عليه السلام .

(٤) أجاز الجمهور خصاء الغنم لفائدة اللحم ، وحرّموا خصاء غيرها ، وخاصة الأدمي ، وأجازوا الوسم في غير الوجه للحيوان ليعرف به وهو كذلك ، أما الوسم فحرام للأحاديث الصحاح فيه .

والشرك، والمعاصي كالوشم والخصي. هذا ما قاله الشيطان ذكره تعالى لنا فله الحمد. ثم قال تعالى ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ لأن من وإلى الشيطان عادى الرحمن ومن عادى الرحمن تم له والله أعظم الخسران يدل على ذلك قوله تعالى ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ فيعوقهم عن طلب النجاة والسعادة ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ إذ هو لا يملك من الأمر شيئاً فكيف يحقق لهم نجاة أو سعادة إذا؟

وهذا حكم الله تعالى يعلن في صراحة ووضوح فليسمعوه : ﴿أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ أي معدلاً أو مهرباً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - سائر الذنوب كبائرها وصغائرها قد يغفرها الله تعالى لمن شاء إلا الشرك فلا يغفر لصاحبه.

٢ - عبدة الأصنام والأوهام والشهوات والأهواء هم في الباطن عبدة الشيطان إذ هو الذي أمرهم فاطاعوه.

٣ - من مظاهر طاعة الشيطان المعاصي كبيرها وصغيرها إذ هو الذي أمر بها وأطيع فيها.

٤ - حرمة الوشم والوشم والخصاء إلا ما أذن فيه الشارع^(١).

٥ - سلاح الشيطان العدة الكاذبة والأمنية الباطلة، والزينة الخادعة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

آمَنُوا : صدقوا بالله ورسوله^(٢).

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح.

(١) أذن الشارع في وشم الماشية ولكن في غير الوجه كما أذن وخصي الغنم ضأناً أو ماعزاً لمصلحة إصلاح لحومها (٢) وصدقوا بكل ما أخبر الله به ورسوله في شأن الغيب كالملائكة والبعث والجزاء في الدار الآخرة.

قِيلَ^(١) : أَي قَوْلًا .

معنى الآية الكريمة :

لما بين تعالى جزاء الشرك والمشركين عبدة الشيطان بين في هذه الآية جزاء التوحيد والموحدين عبيد الرحمن عز وجل ، وأنه تعالى سيدخلهم بعد موتهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وأن خلودهم مقدر فيها بإذن الله ربهم فلا يخرجون منها أبداً وعدهم ربهم بهذا وعد الصدق ، وليس هناك من هو أصدق وعداً ولا قولاً من الله تعالى .

هداية الآية

من هداية الآية

١ - الإيمان الصادق والعمل الصحيح الصالح هما مفتاح الجنة وسبب دخولها .^(٢)

٢ - صدق وعد الله تعالى ، وصدق قوله عز وجل .

٣ - وجوب صدق الوعد من العبد لأن خلف الوعد من النفاق لحديث « وإذا واعد أخلف » .

٤ - وجوب صدق القول والحديث لأن الكذب من النفاق لحديث وإذا حدث كذب .

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ

وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ

وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ

يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ

(١) القيل، والقول، والقال: بمعنى واحد.

(٢) هذا من منهج القرآن الخاص به وهو الجمع بين التهيب والترغيب لأنه كتاب هداية وتربية فلذا يجمع بين الوعد والوعيد وذكر الشيء وضده.

(٣) لأنه بالإيمان والعمل الصالح تزكو النفس البشرية وتطهر، وإذا زكت وطهرت تأهلت لدخول الجنة، إذ هي دار الأبرار ودار المتقين.

(٤) رواه البخاري وغيره «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا واعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

شرح الكلمات :

- أمانكم : جمع أمانة : وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيها مما يتعذر غالباً تحقيقه .
 أهل الكتاب : اليهود والنصارى .
 سوءاً : كل ما يسيء من الذنوب والخطايا .
 ولياً : يتولى أمره فيدفع عنه المكروه .
 نقيراً : النقيز : نفرة في ظهر النواة .
 ملة إبراهيم : عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالى .
 خليلاً : الخليل : المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب .
 محيطاً : علماً وقدرة إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه .

معنى الآيات :

روي أن هذه الآية نزلت لما تلاهى مسلم ويهودي وتفاخرا فزعم اليهودي أن نبيهم
 وكتابتهم ودينهم وجد قبل كتاب ونبي المسلمين ودينهم فهم أفضل ، ورد عليه المسلم بما هو
 الحق فحكم الله تعالى بينهما بقوله : ﴿ ليس بأمانيتكم ﴾ أيها المسلمون ﴿ ولا أمانى أهل
 الكتاب ﴾ من يهود ونصارى أي ليس الأمر والشأن بالأمانى العذاب ، وإنما الأمر والشأن في
 هذه القضية أنه سنة الله تعالى في تأثير الكسب الإرادي على النفس بالتزكية أو التدسية فمن
 عمل سوءاً من الشرك والمعاصي ، كمن عمل صالحاً من التوحيد والطاعات يجز بحسبه

(١) روي أيضاً عن قتادة أنه قال : تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابتنا قبل كتابكم ،
 ونحن أحق بالله منكم ، وقال المؤمنون : نبينا خاتم النبيين وكتابتنا يقضي على سائر الكتب فنزلت . . ولا تعارض بين الرأيين .
 (٢) هذه الآية عامة في الكافر والمؤمن ويؤكد عمومها رواية مسلم « أن النبي ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ وَبَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا قَالَ :
 قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فِي كُلِّ مَا يَصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَارَةً حَتَّى النُّكْبَةِ يَنْكِبُهَا وَالشُّوْكَةَ يَشَاكِبُهَا » ويفسرنا لنا أيضاً قوله ﷺ في رواية
 أحمد لأبي بكر وقد قال لَمَّا نَزَلَتْ : كيف الفلاح يا رسول الله بعد هذه الآية ؟ فكل سوء عملناه جزينا به : غفر الله لك يا أبا
 بكر ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ قال بلى قال فهو مما تجزون .

فالسوء ينجث النفس فيحرمها من مجاورة الأبرار والتوحيد والعمل الصالح يزكّيها فيؤهلها لمجاورة الأبرار، ويبعدها عن مجاورة الفجار. وقوله تعالى: ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ لأن سنن الله كأحكامه لا يقدر أحد على تغييرها أو تبديلها بل تمضي كما هي فلا ينفع صاحب السوء أحد، ولا يضر صاحب الحسنات آخر. وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ فإنه تقرير لسنته تعالى في تأثير الكسب على النفس والجزاء بحسب حال النفس زكاة وطهراً وتدسية وخبثاً، فإنه من يعمل الصالحات وهو مؤمن تطهر نفسه ذكراً كان أو أنثى ويتأهل بذلك لدخول الجنة، ولا يظلم مقدار نقيير فضلاً عما هو أكثر وأكبر وقوله تعالى: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ إشادة منه تعالى وتفضيل للدين الإسلامي على سائر الأديان إذ هو قائم على أساس إسلام الوجه لله وكل الجوارح تابعة له تدور في فلك طاعة الله تعالى مع الإحسان الكامل وهو إتقان العبادة وأداؤها على نحو ما شرعها الله تعالى واتباع ملة إبراهيم بعبادة الله تعالى وحده والكفر بما سواه من سائر الآلهة. وقوله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ فيه زيادة تقرير فضل الإسلام الذي هو دين إبراهيم الذي اتخذ ربه خليلاً وقوله تعالى: ﴿ولله مافي السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ زيادة على أنه إخبار بسعة ملك الله تعالى وسعة علمه وقدرته وفضله فإنه رفع لما قد يتوهم من خلة إبراهيم أن الله تعالى مفتقر إلى إبراهيم أو له حاجة إليه، فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وإبراهيم في جملة ذلك فكيف يفتقر إليه أو يحتاج إلى مثله وهو رب كل شيء ومملكه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - ما عند الله لا ينال بالتمنى ولكن بالإيمان والعمل الصالح أو التقوى والصبر

والإحسان .

٢ - الجزء أثر طبيعي للعمل وهو معنى ﴿من يعمل سوء يجز به﴾ ، ومن يعمل من

(١) الاستفهام انكاري أي : ينكر أن يوجد من هو أحسن ديناً منه .

(٢) أفادت هذه الآية حكماً عظيماً، وهو أنه لا يصح عمل بدونه أبداً، وهو الإخلاص والمتابعة، وهو أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون صواباً، أي وفق ما شرع الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ﴿١﴾

٣ - فضل الإسلام على سائر الأديان .

٤ - شرف إبراهيم عليه السلام باتخاذ ربه خليلاً ^(١) .

٥ - غنى الله تعالى عن سائر مخلوقاته ، وافتقار سائر مخلوقاته إليه عز وجل .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوُلَدِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ
بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾
وَإِن أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
فَتَذَرُوهُمَا كَالْمَعلَقَةِ ۚ وَإِن تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

(١) وقد شرف بالخلّة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال : « أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » .

شرح الكلمات :

يستفتونك ^(١)	: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهن .
وما يتلى عليكم	: يقرأ عليكم في القرآن .
ما كتب لهن	: ما فرض لهن من المهور والميراث .
بالقسط	: بالعدل
نشوراً	: ترفعاً وعدم طاعة .
وأحضرت الأنفس الشح	: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبداً .
فتذروها كالمعلقة	: فتركوها كالمعلقة ماهي بالمزوجة ولا المطلقة .
من سعته	: من رزقه الواسع .
وكان الله واسعاً حكيماً	: واسع الفضل حكيماً يعطي فضله حسب علمه وحكمته .

معنى الآيات :

هذه الآيات الأربع كل آية منها تحمل حكماً شرعياً خاصاً فالأولى (١٢٧) نزلت إجابة لتساؤلات من بعض الأصحاب حول حقوق النساء ماهن وما عليهن لأن العرف الذي كان سائداً في الجاهلية كان يمنع النساء والأطفال من الميراث بالمرة وكان اليتامى لا يراعى لهم جانب ولا يحفظ لهم حق كامل فلذا نزلت الآيات الأولى من هذه السورة وقررت حق المرأة والطفل في الإرث وحضت على المحافظة على مال اليتامى وكثرت التساؤلات لعل قرآناً ينزل إجابة لهم حيث اضطربت نفوسهم لما نزل فنزلت هذه الآية الكريمة تردهم إلى ما في أول السورة وأنه الحكم النهائي في القضية فلا مراجعة بعد هذه، فقال تعالى وهو يخاطب نبيه ﷺ ﴿ ويستفتونك في النساء ﴾ أي ومازلوا يستفتونك في النساء، أي في شأن ماهن وما عليهن من حقوق كالإرث والمهر وما إلى ذلك . قل لهم أيها الرسول ﷺ ﴿ الله يفتيكم فيهن ﴾ وقد أفتاكم فيهن وبين لكم ماهن وما عليهن . وقوله تعالى : ﴿ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا توتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء في أول السورة كافٍ لكم لا تحتاجون معه إلى من يفتيكم أيضاً إذ بين لكم أن من كانت تحته يتيمة دميمة لا يرغب في نكاحها فليعطها ما لها وليزوجها غيره وليتزوج هو من

(١) روى أشهب عن مالك أن النبي ﷺ : كان يُسأل فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي .

شاء، ولا يحل له أن يجبسها في بيته لأجل مالها، وإن كانت جميلة وأراد أن يتزوجها فليعطيها مهر مثيلاتها ولا يبخسها من مهرها شيئاً. وقوله ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ أي وقد أفتاكم بمايتلى عليكم من الآيات في أول السورة في المستضعفين من الولدان حيث قد أعطاهم حقهم وافيأ في آية ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآية .

فلم هذه المراجعات والاستفتاءات؟؟ وقوله تعالى ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي وما تلى عليكم في أول السورة كان أمراً إياكم بالقسط لليتامى والعدل في أموالهم فارجعوا إليه في قوله: ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾ وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ حث لهم على فعل الخير بالإحسان إلى الضعيفين المرأة واليتيم زيادة على توفيتها حقوقها وعدم المساس بها. هذا مادلت عليه الآية الكريمة ﴿ ويستفتونك ﴾ إلخ .

أما الآية الثانية (١٢٨) ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ﴾ فقد تضمنت حكماً عادلاً رحيماً وإرشاداً ربانياً سديداً وهو أن الزوجة إذا توقعت من زوجها نشوزاً أي ترفعاً عليها أو إعراضاً عنها، وذلك لكبر سنها أو لقلّة جمالها وقد تزوج عليها غيرها في هذا الحال في الإمكان أن تجري مع زوجها صلحاً يحفظ لها بقاءها في بيتها عزيزة محترمة فتتنازل له عن بعض حقها في الفراش وعن بعض ما كان واجباً لها وهذا خير لها من الفراق. ولذا قال تعالى ﴿ والصلح خير ﴾ وقوله تعالى ﴿ واحضرت الأنفس الشح ﴾^(١) يريد أن الشح ملازم للنفس البشرية لا يفارقها والمرأة كالرجل في هذا إلا أن المرأة أضن وأشح بنصيبها في الفراش وبياقى حقوقها من زوجها. إذاً فليراع الزوج هذا ولذا قال تعالى ﴿ وإن تحسنوا ﴾ أيها الأزواج إلى نساكنكم ﴿ وتتقوا ﴾ الله تعالى

(١) خافت: أي توقعت وليس بمعنى تيقنت.

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول له أجعلك من شاني في حل فنزلت هذه الآية.

كما روي أن الآية نزلت في سودة أم المؤمنين لما أسنت أراد رسول الله ﷺ أن يطلقها فآثرت الكون معه فقالت له: امسكني واجعل يومي لعائشة ففعل ﷺ وماتت وهي من أزواجه» رواه الترمذي. قالوا في الفرق بين النشوز والإعراض: أن النشوز هو التبعاد عنها، وأن الإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها.

(٣) الشح: هو البخل ومنه الحديث: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» غير أن الشح يطلق على حرص النفس على الحقوق وقلة التسامح فيها.

فيهن فلا تحرموهن ما هن من حق في الفراش وغيره فإن الله تعالى يجزيكم بالإحسان إحساناً وبالخير خيراً فإنه تعالى ﴿بما تعملون خبير﴾ .

هذا مادلت عليه الآية (١٢٨) وأما الآية الثالثة (١٢٩) وهي قوله تعالى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ فقد تضمنت حقيقة كبرى وهي عجز الزوج عن العدل بين زوجاته اللاتي في عصمته فمهما حرص على العدل وتوخاه فإنه لن يصل إلى متناه أبدأ والمراد بالعدل هنا في الحب والجماع . أما في القسمة والكساء والغذاء والعشرة بالمعروف فهذا مستطاع له ، ولما علم تعالى هذا من عبده رخص له في ذلك ولم يؤاخذ به بميلة النفس كما قال رسول الله ﷺ « اللهم هذا قسمي^(١) فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » والمحرم على الزوج هو الميل الكامل^(٢) إلى إحدى زوجاته عن باقيهن ، لأن ذلك يؤدي أن تبقى المؤمنة في وضع لا هي متزوجة تتمتع بالحقوق الزوجية ولا هي مطلقة يمكنها أن تتزوج من رجل آخر تسعد بحقوقها معه وهذا معنى قوله تعالى ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ وقوله تعالى : ﴿ولن تصلحوا﴾ أي أيها الأزواج في أعمالكم وفي القسم بين زوجاتكم وتتقوا الله تعالى في ذلك فلا تميلوا كل الميل ، ولا تجوروا فيما تطيقون العدل فيه فإنه تعالى يغفر لكم ما عجزتم عن القيام به لضعفكم ويرحمكم في دنياكم وأخراكم لأن الله تعالى كان ومازال غفوراً للتائبين رحيماً بالمؤمنين .

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٠) وهي قوله تعالى : ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ فإن الله تعالى يعد الزوجين الذين لم يوفقا للإصلاح بينهما لشح كل منهما بماله وعدم التنازل عن شيء من ذلك يعدهما ربهما إن هم تفرقا بالمعروف أن يغني كلا منهما من سعته وهو الواسع الحكيم فالمرأة يرزقها زوجها خيراً من زوجها الذي فارقت ، والرجل يرزقه كذلك امرأة خيراً من فارقتها لتعذر الصلح بينهما .

(١) هذا دال على أن المحبة أمر قهري يعجز الإنسان عن جلبها كما يعجز عن دفعها وإن كانت لها أسباب لا يملك الإنسان توفيرها فلذا عفي عن هذا الحب القهري وجوداً وعدماً .

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، ورواه غيره ، والمراد بقوله : « فيما تملك ولا أملك » القلب لأن القلوب بيد الله يقبلها كيف شاء .

(٣) ورد في ذنب الميل إلى إحدى الزوجات وعيد شديد وذلك فيما رواه أحمد وأصحاب السنن عن النبي ﷺ : « من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيّه ساقط » .

(٤) هناك إشارة إلى أن هذا الوعد الإلهي مشروط بمحاولة الصلح أولاً فإن لم يتم وتفرقا على طاعة الله تعالى أنجز الله تعالى لهما ما وعد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير مبدأ إرث النساء والأطفال، والمحافظة على مال اليتامى وحرمة أكلها.
- ٢ - استحباب الصلح بين الزوجين عند تعذر البقاء مع بعضهما إلا به.
- ٣ - تعذر العدل بين الزوجين في الحب والوطء استلزم عدم المؤاخذه به واكتفى الشارع بالعدل في الفراش والطعام والشراب والكسوة والمعاشرة بالمعروف.
- ٤ - الترغيب في الإصلاح والتقوى وفعل الخيرات.
- ٥ - الفرقة بين الزوجين إن كانت على مبدأ الإصلاح والتقوى أعقبت خيراً عاجلاً أو آجلاً.

وَلِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ
 اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

(١) إن قيل ما وجه تكرار جملة: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ثلاث مرات فالجواب: أنه تعالى لما ذكر أن الزوجين إذا تفرقا بعد مصالحة وعلى تقوى، يغنيهما الله، برهن على ذلك بأن له ما في السموات وما في الأرض، ومن كان كذلك فهو قادر على إغنائهما، ولما وصي عباده بتقواه، وهي طاعته بفعل الأمر وترك النهي أعلم أنه قادر على عقوبة من عصاه، وأنه لم يوص بالتقوى لحاجة به إنه يملك ما في السموات وما في الأرض ومن كان كذلك فلا حاجة به إلى أحد، ولما ذكر غناه وحمده دلل عليهما بأن له ما في السموات وما في الأرض وأنه الحفيظ لعباده المدبر لهم.

شرح الكلمات :

وَلله ما في السموات وما في الأرض :	أي خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً .
وصينا	: عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوى .
أوتوا الكتاب	: اليهود والنصارى .
الوكيل	: من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره على أحسن الوجوه .
ثواب الدنيا	: جزاء العمل لها .
ثواب الآخرة	: جزاء العمل لها وهو الجنة .
سميعاً بصيراً	: سميعاً : لأقوال العباد بصيراً : بأعمالهم وسيجزئهم بها خيراً أو شراً .

معنى الآيتين :

لما وعد تبارك وتعالى كلا من الزوجين المتفرقين بالإغناء عن صاحبه ذكر أنه يملك ما في السموات وما في الأرض ولذا فهو قادر على اغنائهما لسعة ملكه وعظيم فضله ، ثم واجه بالخطاب الكريم الأمة جمعاء ومن بينها بني أبيرق فقال ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يريد من اليهود والنصارى وغيرهم أوصاهم بتقواه عز وجل فلا يقدموا على مشاقته ولا يخرجوا عن طاعته بترك ما أوجب أو بفعل ما حرم ، ثم أعلمهم أنهم وإن كفروا كما كفر طعمة وارتد فإن ذلك غير ضارته شيئاً ، لأنه ذو الغنى والحمد ، وكيف وله جميع ما في السموات وما في الأرض من كائنات ومخلوقات وهو ربها ومالكها والمتصرف فيها .

هذا ماتضمنته الآية الأولى (١٣١) أما الآية الثانية (١٣٢) فقد كرر تعالى فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد والغنى وذلك للملكه جميع ما في السموات وما في الأرض ولقيوميته عليهما وكفى به تعالى حافظاً ووكيلاً . وفي الآية الثالثة (١٣٣) يخبر تعالى أنه قادر على إذهاب كافة الجنس البشري واستبداله بغيره وهو على كل ذلك قدير ، فقال تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ^(١) ويأت بآخرين ﴾ وذلك لعظيم قدرته وكفاية وكالته . وفي الآية الرابعة والأخيرة في هذا السياق (١٣٤) يقول تعالى مرغباً عباده فيما عنده من خير الدنيا والآخرة من كان يريد

(١) الآية تحمل تخويفاً أيما تخويف لكل من يقصر في واجبه من أمير وأمور وعالم ، وجاهل ، وغني ، وفقير ، إذ لكل واجبات يجب أن يقوم بها كل بحسب ما طولب به وفرض عليه فالأمير عليه العدل والعالم أن يعلم والجاهل أن يتعلم وهكذا .

بعمله ثواب الدنيا ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلم يقصر العبد عمله على ثواب الدنيا، وهو يعلم أن ثواب الآخرة عند الله أيضاً فليطلب الثوابين معاً من الله تعالى، وذلك بالإيمان والتقوى والإحسان، وسيجزيه تعالى بعمله ولا ينقصه له وذلك لعلمه تعالى وقدرته، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾^(١)، ومن كان كذلك فلا يخاف معه ضياع الأعمال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الوصية بالتقوى، وذلك بترك الشرك والمعاصي بعد الإيمان وعمل الصالحات.
- ٢ - غنى الله تعالى عن سائر خلقه.
- ٣ - قدرة الله تعالى على إذهاب الناس كلهم والإتيان بغيرهم.
- ٤ - وجوب الإخلاص في العمل لله تعالى وحرمة طلب الآخرة بطلب الدنيا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا

(١) في هذه الآية إرشاد عظيم للعباد، لقد علم تعالى أن الإنسان بحكم وجوده في هذه الحياة ورغبته في السعادة فيها هو يعمل لها جهده غافلاً عن الحياة الآخرة التي هي أعظم لبقائها وكبر شأنها فلقت نظره إليها معلماً إياه أنه لديه تعالى ثواب كل من الحياتين فليطلب ذلك منه بالإيمان به وطاعته كما طلب الدنيا بالأعمال الموصلة إلى تحقيق السعادة فيها، وفوق ذلك أن ثواب العاملين بيده تعالى لا يبد غير.

(٢) هذا التذييل يربي ملكة مراقبة الله تعالى إذ من علم أن الله سميع لأقواله عليم بأعماله راقبه واثقه.

ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾

شرح الكلمات :

- قوامين : جمع قوام : وهو كثير القيام بالعدل .
 بالقسط : بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم .
 شهداء : جمع شهيد : بمعنى شاهد .
 الهوى : ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه .
 تلوا : أي ألسنتكم باللفظ تحريفاً له حتى لاتتم الشهادة على وجهها .
 تعرضوا : تركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم .

معنى الآيات :

قوله تعالى في هذه الآية (١٣٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ شهداء لله ﴾ إذْ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدي بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، وبناء على هذا فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم^(١) أو والديكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا يحملنكم غنى الغنى ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، فالله تعالى ربهما أولى بهما وهو يعطي ويمنع بشهادتكم فأقيموها وحسبكم ذلك واعلموا أنكم إن تلوا^(٢) ألسنتكم بالشهادة تحريفاً لها وخروجاً بها عن أداء ما يترتب عليها أو تعرضوا عنها فتركوها أو تركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خير وسوف يجزيكم به فيعاقبكم في الدنيا أو في الآخرة ألا فاحذروا .

هذه الآية الكريمة يدخل فيها دخولاً أولاً من شهدوا لأبناء أبيرق بالإسلام والصالح كما هي

(١) القاعدة العامة منذ عهد بعيد أن القريب لا يشهد لقريبه ولكن يشهد عليه فلا يشهد الأب لابنه ولا الابن لأبيه، لوجود نعمة المحابة للقرابة وكذا لا يجوز شهادة عدو على عدوه وهذا مذهب عامة الفقهاء، وحتى الخادم في البيت لا يجوز شهادته لأهل البيت إذ قد يحابيهم لمنفعته .

(٢) وفُسر ابن عباس ﴿ تلوا ﴾ بقوله هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لِي القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر، فاللِي على هذا هو مطلق الكلام وجره يفوت فصل القضاء وإنفاذه للذي يميل القاضي عليه . ويشهد لهذا الحديث: «لِي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ولا تنافي بين تفسير ابن عباس وما ذكرناه في التفسير .

خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة وهي أعظم آية في هذا الباب فليتنق الله المؤمنون في شهاداتهم.

أما الآية الثانية (١٣٦) ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾ فهي في خطاب أهل الكتاب خاصة وفي سائر المؤمنين عامة فالمؤمنون تدعوهم إلى تقوية إيمانهم ليلغوا فيه مستوى اليقين، أما أهل الكتاب فهي دعوة لهم للإيمان الصحيح، لأن إيمانهم الذي هم عليه غير سليم فلذا دعوا إلى الإيمان الصحيح فقبل لهم ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ محمد ﴿والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ وهو القرآن الكريم، ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ وهو التوراة والإنجيل، لأن اليهود لا يؤمنون بالإنجيل، ثم أخبرهم محذراً لهم أن ﴿من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل طريق الهدى والسعادة﴾ ضلالاً بعيداً لا ترجى هدايته، وعليه فسوف يهلك ويخسر خسراناً أبدياً.

ثم أخبرهم تعالى في الآية بعد هذه (١٣٧) مقررًا للحكم بالخسران الذي تضمنته الآية قبلها فقال عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا﴾ بمحمد ﷺ وكتابه وبما جاء به ﴿لم يكن الله﴾ أي لم يكن في سنة الله أن يغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ينجون به ويسعدون فيه ألا فليحذر اليهود والنصارى هذا وليذكروه، وإلا فالخلود في نار جهنم لازم لهم ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب العدل في القضاء والشهادة.
- ٢ - حرمة شهادة الزور وحرمة التحلي عن الشهادة لمن تعينت عليه.
- ٣ - وجوب الاستمرار على الإيمان وتقويته حتى الموت عليه.
- ٤ - بيان أركان الإيمان وهي الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر.

(١) في هذه الآية أنَّ الكافر إذا آمن غفر له كفره وإذا ارتد يؤاخذ بكفره الأول والآخر سواء، وشاهده حديث مسلم: إذ قال أناس يارسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء - كفر - أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام». وفي رواية: «ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح: «ألا أنشكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور وما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» أو كما قال.

(٣) وبقي ركن وهو القضاء والقدر جاء ذكره في قوله تعالى من سورة القمر: ﴿إننا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

٥ - المرتد يستتاب ثلاثة أيام وإلا قتل كفراً أخذاً من قوله : ﴿ ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ .

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُونَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

بشر المنافقين : البشارة : الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقي عليه خيراً كان أو شراً .

والمنافق : من يطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله .

أولياء : يوالونهم محبة ونصرة لهم على المؤمنين .

العزة : الغلبة والمنعة .

يستهزأ بها : يذكونها استخفافاً بها وإنكاراً وحجوداً لها .

يخوضوا : يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام .

مثلهم : أي في الكفر والإثم .

يتربصون بكم : ينتظرون متى يحصل لكم إنهمز أو إنكسار : فيعلنون عن كفرهم .

نصيب : أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل لأن انتصارهم على المؤمنين

نستحوذ عليكم : أي نستول عليكم ونمنعكم من المؤمنين إن قاتلوكم
 سبيلاً : أي طريقاً إلى إزلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخبر
 المنافقين بلفظ البشارة لأن المخبر به يسوء وجوهم وهو العذاب الأليم وقد يكون في الدنيا
 بالذل والمهانة والقتل ، وأما في الآخرة فهو أسوأ العذاب وأشدّه وهو لازم لهم لحبث نفوسهم
 وظلمة أرواحهم ، ثم وصفهم تعالى بأخس صفاتهم وشرها فقال : ﴿الذين يتخذون
 الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ فيعطون محبتهم ونصرتهم وولاءهم للكافرين ، ويمنعون
 ذلك المؤمنين وذلك لأن قلوبهم كافرة آثمة لم يدخلها إيمان ولم يُنرّها عمل الإسلام ، ثم
 وبخهم تعالى ناعياً عليهم جهلهم فقال : ﴿أيتنغون عندهم العزة﴾ أي يطلبون العزة أي
 المنعة والغلبة من الكافرين أجهلوا أم عموا فلم يعرفوا ﴿أن العزة لله جميعاً﴾ فمن أعزه الله
 عز ومن أذله ذل والعزة تُطلب بالإيمان وصالح الأعمال لا بالكفر والشر والفساد . هذا ما دلت
 عليه الآيتان الأولى (١٣٨) والثانية (١٣٩) .

أما الآية الرابعة (١٤٠) فإن الله تعالى يؤدّب المؤمنين فيذكرهم بما أنزل عليهم في سورة
 الأنعام حيث نهاهم عن مجالسة أهل الباطل إذا خاضوا في الطعن في آيات الله ودينه فقال
 تعالى : ﴿وإذا رأيت الذين يخضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخضوا في حديث غيره ،
 وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ هذا الأدب أخذ الله تعالى
 به رسوله والمؤمنين ، وهم في مكة قبل الهجرة ، لأن سورة الأنعام مكية ولما هاجروا إلى المدينة ،
 وبدأ النفاق وأصبح للمنافقين مجالس خاصة ينتقدون فيها المؤمنين ويخوضون فيها في آيات
 الله تعالى استهزاء وسخرية ذكر الله تعالى المؤمنين بما أنزل عليهم في مكة فقال : ﴿وقد نزل
 عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم^(١) حتى

(١) في الآية دليل على حرمة موالاة الكافرين ، وأنها من صفات المنافقين ، ومن مظاهر الموالاة المحرمة الاستعانة بهم على
 أمور الدين ، وعلى أدية المسلمين ، وفي الحديث أن النبي ﷺ لحق به مشرك ليقاتل معه فقال له : «ارجع فإننا لا نستعين
 بمشرك» في الصحيح .

(٢) أوقع السماع على الآيات ، والمراد سماع الكفر ، والاستهزاء بها كما يقال سمعت فلاناً يلام أي سمعت اللوم فيه .
 (٣) قوله في أي في غيره الكفر والاستهزاء بالآيات .

يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا ﴿﴾ أي إذا رضيتم بالجلوس معهم وهم يخوضون في آيات الله ﴿﴾ مثلهم ﴿﴾ في الإثم والجريمة والجزاء أيضاً، ﴿﴾ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴿﴾ فهل ترضون أن تكونوا معهم في جهنم، وإن قلت لا إذا فلا تجالسوهم. ثم ذكر تعالى وصفا آخر للمنافقين يحمل التنفير منهم والكراهية والبغض لهم فقال: ﴿﴾ الذين يترصدون بكم ﴿﴾ أي ينتظرون بكم الدوائر ويتحينون الفرص ﴿﴾ فإن كان لكم فتح من الله ﴿﴾ أي نصر وغنيمة قالو: ﴿﴾ ألم نكن معكم ﴿﴾ فأشركونا في الغنيمة، ﴿﴾ وإن كان للكافرين نصيب ﴿﴾ في النصر قالوا لهم ﴿﴾ ألم نستحوذ عليكم ﴿﴾ أي نستول عليكم ﴿﴾ ونمنعكم من المؤمنين ﴿﴾ أن يقاتلوكم، فأعطونا مما غنمتم، وهكذا المنافقون يمسكون العصا من الوسط فأي جانب غلب كانوا معه. ألا لعنة الله على المنافقين وما على المؤمنين إلا الصبر لأن مشكلة المنافقين عويصة الحل فالله يحكم بينهم يوم القيامة. أما الكافرون الظاهرون فلن يجعل الله تعالى لهم على المؤمنين سبيلاً لا لاستئصالهم وإبادتهم، ولا لاذلالهم والتسلط عليهم ماداموا مؤمنين صادقين في إيمانهم^(١). وهذا ما ختم الله تعالى به الآية الكريمة إذ قال: ﴿﴾ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴿﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- ٢ - الباعث للناس على اتخاذ الكافرين أولياء هو الرغبة في العزة ورفع المذلة وهذا باطل فالعزة لله ولا تطلب إلا منه تعالى بالإيمان واتباع منهجه.
- ٣ - حرمة مجالسة أهل الباطل إذا كانوا يخضون في آيات الله نقداً واستهزاء وسخرية.
- ٤ - الرضا بالكفر كفر، والرضا بالإثم إثم.
- ٥ - تكفل الله تعالى بعزة المؤمنين الصادقين ومنعتهم فلا يسلط عليهم أعداءه

(١) في الآية دليل على حرمة الجلوس في مجالس المعاصي، وغشيان الذنوب إلا أن ينكر ذلك على أصحابها، لأن الرضا بالمعصية معصية بل الرضا بالكفر كفر بالإجماع ويدخل في هذا مجالس أرباب الأهواء، وأصحاب البدع، والآية محكمة لا نسخ فيها.

(٢) أصل الاستحواذ: الحوط، يقال حاذيه يحوذه حوذاً إذ إحاطه فمعنى استحواذ أحاط واستولى وغلب.

(٣) يشهد لهذا حديث مسلم قوله ﷺ: «إني سألت ربي ألا يهلكها - أي أمته - سنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبج بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً» وهو معنى قوله تعالى: ﴿﴾ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴿﴾.

فيستأصلونهم ، أو يذلونهم ويتحكمون فيهم .

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

شرح الكلمات :

يخادعون الله : بإظهارهم ما يحب وهو الإيثار والطاعات ، وإخفائهم الكفر
والمعاصي .

وهو خادعهم : بالسَّتر عليهم وعدم فضيحتهم ، وبعدم إنزال العقوبة بهم .
يراءون : أي يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين .
مذبذبين : أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأى جانب عز كانوا معه .
معنى الآيتين :

يخبر تعالى أن المنافقين في سلوكهم الخاص يخادعون الله تعالى بإظهارهم الإيمان به
وبرسوله وهم غير مؤمنين إذ الخداع أن تري من تخادعه ما يحبه منك وتستتر عليه ما يكرهه والله
تعالى عاملهم بالمثل فهو تعالى أراهم ما يحبونه وستر عليهم ما يكرهونه منه وهو العذاب المعد
لهم عاجلاً أو آجلاً ، كما أخبر عنهم أنهم إذا قاموا إلى أداء الصلاة قاموا كسالى متباطئين^(١)
لأنهم لا يؤمنون بالشواب الأخروي فلذا هم يراءون بالأعمال الصالحة المؤمنين حتى
لا يهتمونهم بالكفر ، كما أنهم لا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلاً في الصلاة وخارج الصلاة ،

(١) قال الحسن البصري في الآية : يعطي كل انسان من مؤمن ومنافق نوراً يوم القيامة فيفرج المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا
فإذا جاءوا إلى الصراط طغى نور كل منافق ، فسَّره بقوله تعالى : ﴿ وهو خادعهم ﴾ وما ذكرناه في التفسير أولى وإن كان هذا
حاصل لقوله تعالى : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ .

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح : « إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة - العشاء - والصبح لأن الصلاتين تقعان
في الظلام ، ولأن العتمة يكون المرأ فيها تعباً مرهقاً من أعمال النهار ، وأما الصبح فإن غلبة النوم أشد على العبد ، ولولا
الخوف من السيف ما شهدوا الصلاتين .

(٣) روى مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال : « تلك صلاة المنافقين - ثلاثا - يجلس أحدهم يرقب الشمس حتى إذا كانت
بين قرني الشيطان أو على قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » وقال ﷺ : « لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها
صلبه في الركوع والسجود » صححه الترمذي .

وذلك لعدم إيمانهم بالله تعالى وعدم حبهم له كما أخبر عنهم بأنهم مذبذبون بين الكفر والإيمان والمؤمنين والكافرين فلا إلى الإيمان والمؤمنين يسكنون ، ولا إلى الكفر والمنافقين يسكنون فهم في تردد وحسرة دائمون، وهذه حال من يضلله الله فإن من يضل الله لا يوجد له دايته سبيل.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - بيان صفات المنافقين ^(١) . ٢ - قبح الرياء وذم المرائين .

٣ - ذم ترك الذكر والتقليل منه لأمر الله تعالى بالإكثار منه في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ .

٤ - ذم الحيرة والتردد في الأمور كلها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَنَحَّضُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَىٰكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

سلطانا مبينا : حجة واضحة لتعذيبكم .

(١) في صحيح مسلم وصف لحال المنافقين في تذبذبهم وحيرتهم إذ قال ﷺ : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة - المترددة بين قطيعين من الغنم - بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه أخرى .

الدرك الأسفل : الدرك : كالطابق ، والدركة كالدرجة .
وأصلحوها : ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال .
واعتصموا بالله : تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه .
وأخلصوا دينهم لله : تخلوا عن النفاق والشرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد الله تعالى المؤمنين إلى ما يعزهم ويكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية (١٤٤) يناديهم تعالى بعنوان الإيمان وهو الروح الذي به الحياة وينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ومعنى اتخاذهم أولياء موادتهم ومناصرتهم والثقة فيهم والركون إليهم والتعاون معهم ، ولما كان الأمر ذا خطورة كاملة عليهم هددهم تعالى بقوله : ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾^(١) فيتخلى عنكم ويسلط عليكم أعداءه الكافرين فيستأصلوكم ، أو يقهروكم ويستذلوكم ويتحكموا فيكم . ثم حذرهم من النفاق أن يتسرب إلى قلوبهم فأسمعهم حكمه العادل في المنافقين الذين هم رؤوس الفتنة بينهم فقال : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾^(٢) ، فأسفل طبقة في جهنم هي مأوى المنافقين يوم القيامة ، ولن يوجد لهم ولي ولا نصير أبداً ثم رحمة بعباده تبارك وتعالى يفتح باب التوبة للمنافقين على مصراعيه ويقول لهم ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ إلى ربهم فآمنوا به وبرسوله حق الإيمان ﴿ وأصلحوها ﴾ أعمالهم ﴿ واعتصموا بالله ﴾ ونفضوا أيديهم من أيدي الكافرين ، ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ فلم يبقوا يراءون أحداً بأعمالهم . فأولئك الذين ارتفعوا إلى هذا المستوى من الكمال هم مع المؤمنين جزاؤهم واحد ، وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً وهو كرامة الدنيا وسعادة الآخرة .

(١) قال القرطبي في تفسيره : ﴿ سلطاناً مبيناً ﴾ أي في تعذيبه إياكم بإقامة الحجة عليكم إذ قد نهاكم .

(٢) الدرك بالإسكان والفتح ، والنار سبع دركات ، يقال فيما تعالى وارتفع : درجة ، وفيما سفل ونزل : دركة والدركات هي كالتالي : جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى : جهنم .

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون ، تصديق ذلك في كتاب الله تعالى . قال تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ وقال في أصحاب المائدة : ﴿ فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ وقال في آل فرعون : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

وأخيراً في الآية (١٤٧) يقرر تعالى غناه عن خلقه وتنزهه عن الرغبة في حب الإنتقام فإن عبده مهما جنى وأساء، وكفر وظلم إذا تاب وأصلح فأمن وشكر. لا يعذبه أدنى عذاب إذ لا حاجة إلى تعذيب عباده فقال عز وجل وهو يخاطب عباده ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وكان الله شاكراً عليهما ﴾ لا يضيع المعروف عنده. لقد شكر لبغى^(١) سقيها كلباً عطشان فغفر لها وأدخلها الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- ٢ - إذا عصى المؤمنون ربهم فاتخذوا الكافرين أولياء سلط الله عليهم أعداءهم فساموهم الخسف .
- ٣ - التوبة تجب ما قبلها حتى إن التائب من ذنبه كمن لا ذنب له ومهما كان الذنب الذي غشيه .
- ٤ - لا يعذب الله تعالى المؤمن الشاكر لا في الدنيا ولا في الآخرة فالإيمان والشكر أمان الإنسان .

(١) هذا مقتبس من حديث الصحيحين ونصه : روى البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ بهذا مثل الذي بلغ بي فملاً خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له) والشاهد في فضل الشكر والإيمان .

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ
اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٨) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ
سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

شرح الكلمات :

السوء^(١) : ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به .

سميعاً عليماً : سميعاً للأقوال عليماً بالأعمال .

إن تبدوا : تظهروا ولا تخفوا .

تعفوا عن سوء : أي لا تؤاخذوا به .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء، ولازم هذا أن عباده المؤمنين يجب أن يكرهوا ما يكره
رهبهم ويحبوا ما يحب وهذا شرط الولاية وهي الموافقة وعدم المخالفة، ولما حرم تعالى على عباده
الجهر بالسوء بأبلغ عبارة وأجمل أسلوب، استثنى المظلوم فإن له أن يجهر^(٢) بمظلمته لدى
الحاكم ليرفع عنه الظلم فقال تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم^(٣) ﴾
وكان الله - (وما زال) - سميعاً عليماً ﴿ ألا فليتنق فلا يعصى بفعل السوء ولا بقوله . ثم انتدب
عباده المؤمنين الى فعل الخير في السر أو العلن، وإلى العفو عن صاحب السوء فقال : ﴿ إن
تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً ﴾^(٤) فسيكسب فاعل الخير خيراً
أبداه أو أخفاه وسيعفو عن صاحب العفو حينما تزل قدمه فيجني بيده أو بلسانه ما يستوجب
به المؤاخذة فيشكر الله تعالى له عفوه السابق فيعفو عنه ﴿ وكان الله عفواً قديراً ﴾ .

(١) كالسب، والشتم، والغيبة، والنميمة، والدعاء بالشر والفاظ البذاءة وكلمات الفحش .

(٢) روى ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً استضاف قوما فلم يضيفوه - أي طلب منهم أن يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت
هذه الآية : ﴿ لا يحب ﴾ . الخ ودلت على أن إطعام الضيف وإيوائه ليلة واجب لقوله ﷺ : « ليلة الضيف واجبة » رواه أحمد .

(٣) من القول : في محل نصب على الحال .

(٤) في الآية دليل على جواز الدعاء على الظالم ممن ظلمه وجواز رد الشتم والسب بمثله إلا أن ترك ذلك أفضل .

(٥) شاهده من السنة قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع
لله رفعه » .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- حرمة الجهر بالسوء والسر به كذلك فلا يحل للمؤمن ولا مؤمنة أن ينطق بها يسوء الى القلوب والنفوس إلا في حالة الشكوى وإظهار الظلم لا غير.
- ٢- استحباب فعل الخير وسره كجهرة لا ينقص أجره بالجهر ولا يزيد بالسر.
- ٣- استحباب العفو عن المؤمن إذا بدا منه سوء، ومن يعف يعف الله عنه.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيَقُولُوا نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
 أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
 حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
 يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾^(١)

شرح الكلمات :

ورسله : الرسل جمع رسول وهم جَم غفير قيل عددهم ثلثمائة وأربعة عشر رسولاً^(٢)

سبيلًا : أي طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر
 فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن ببعض وكفر بالبعض فهو الكافر
 كمن لم يؤمن بأحد منهم.

(١) المناسبة بين هذه الآيات، وما سبقها ينظر إليها من حيث أن القرآن كتاب هداية للبشرية فلذا لما ذكر حال المنافقين مبيناً لهم طريق توبتهم إن أرادوا ذلك ذكر بعد بيان حكم حرمة النطق بالسوء سراً وجهراً إلا ما رخص فيه، ذكر حال اليهود والنصارى مبيناً كفرهم وما أعد لهم من العذاب إن أصرّوا على كفرهم وضلالهم.

(٢) جاء ذكر هذا العدد في حديث أبي ذر الغفاري إذ قال فيه : «قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون؟ قال : كانت الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر» والحديث ضعيف، ولما لم يوجد غيره قال به أهل العلم قديماً وحديثاً.

ولم يفرقوا : كما فرق اليهود فآمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد ﷺ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار .
أجورهم : أجر إيمانهم برسول الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مقررًا حكمه على اليهود والنصارى بالكفر الحق الذي لا مرية فيه فيقول إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك أي بين الكفر ببعض والإيمان بالبعض سبيلاً أي طريقاً يتوصلون به إلى مذهب باطل فاسد وهو التخير بين رسل الله فمن شاءوا الإيمان به آمنوا ، ومن لم يشاءوا الإيمان به كفروا به ولم يؤمنوا بهذا كفروا كفراً لا ريب فيه ، ولهم بذلك العذاب المهيّن الذي يهانون به ويدلون جزاء كبريائهم وسوء فعالهم قال تعالى ﴿ أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾^(١) فسجل عليهم الكفر ثلاث مرات فالمرة الأولى بقوله ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ والثانية بقوله ﴿ أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ والثالثة بقوله ﴿ واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ حيث لم يقل واعتدنا لهم فأظهر في موضع الإضمار لتسجيل الكفر عليهم وللإشارة إلى علة الحكم وهي الكفر .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥١) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ فإنها مقابلة في ألفاظها ومدلولها للآية قبلها فالأولى تضمنت الحكم بالكفر على اليهود والنصارى ، وبالعذاب المهيّن لهم والثانية تضمنت الحكم بإيمان المسلمين وبالنعيم المقيم لهم وهو ما وعدهم به ربهم بقوله ﴿ أولئك سوف نؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ . فغفر لهم ذنوبهم ورحمهم بأن أدخلهم دار كرامته في جملة أوليائه .

(١) نسبهم تعالى إلى الكفر به لأن إيمانهم بالله تعالى باطل وذلك أن اليهود يصفون الله تعالى بصفات المحدثين ونسبوا إليه الولد وكثير من صفات تنزه الله عنها ، وأن النصارى يكفّهم كفراً قولهم إن الله ثالث ثلاثة وهو الكفر بعينه ، وحسبهم بعد ذلك كفرهم بمحمد وبما جاء به .

(٢) توعّدوا بالعذاب المهيّن مقابل ما كانوا يرتكبونه من إهانة المؤمنين وإذلالهم ، والجزاء من جنس العمل ﴿ حقاً ﴾ في الآية منصوب على المصدرية ، أي حقه لهم أيها السامع حقاً .

(٣) هذا أسلوب القرآن الكريم فإنه بعد أن ذكر الكافرين حقاً وبين جزاءهم ، ذكر المؤمنين حقاً وبين جزاءهم ، وهذا أسلوب الترغيب والترهيب الذي عليه مدار الهداية والإصلاح بإذن الله تعالى .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تقرير كفر اليهود والنصارى لفساد عقائدهم وبطلان أعمالهم .
- ٢- كفر من كذب بالله ورسوله ولو في شيء واحد مما وجب الإيمان به .
- ٣- بطلان إيمان من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض .
- ٤- صحة الدين الإسلامي وبطلان اليهودية والنصرانية حيث أوعد تعالى اليهود والنصارى بالعذاب المهيئ ، ووعد المؤمنين بتوفية أجورهم والمغفرة والرحمة لهم .

يَسْأَلُكَ

أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
 مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
 الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ۖ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
 وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّثْقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

شرح الكلمات :

- جهره : عيانا نشاهده ونراه بأبصارنا .
 الصاعقة : صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها .
 بظلمهم : بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي .
 اتخذوا العجل : أي الهأ فعبدوه .
 فعفونا عن ذلك : أي لم يؤاخذهم به .
 سلطاناً مبيناً : حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه .

(١) وسائر الأديان كالمجوسية والصابئة ، وغيرهما من سائر الملل والنحل إذ لا دين حق إلا الإسلام قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ .

ورفعنا فوقهم الطور : أي جبل الطور بسيناء .

ادخلوا الباب سجداً : أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكراً لنعمه عليهم .
لا تعدوا^(١) : لا تعتدوا أي لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل الى العمل فيه .

ميثاقا غليظا : عهداً مؤكداً بالآيات .

معنى الآيتين :

لما نعى الربّ تعالى على أهل الكتاب قولهم نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض حيث آمن اليهود بموسى وكفروا بعبسى وآمن النصارى بعبسى وكفروا بمحمد ﷺ كما كفر به اليهود أيضاً ذكر تعالى لرسوله أن اليهود إذا سألوك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فلا تعجب من قولهم ولا تحفل به إن هذه سنتهم وهذا دأبهم ، فإنهم قد سألوا موسى قبلك أعظم من هذا فقالوا له أرنا الله جهرة فأغضبوا الله تعالى فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون واتخذوا العجل إلهاً يعبدونه في غياب موسى عليهم ، وكان ذلك منهم بعد مشاهداتهم البينات حيث فلق الله لهم البحر وأنجاهم وأغرق عدوهم ومع هذا فقد عفا الله عنهم ، وآتى نبيهم سلطاناً مبيناً ، ولم يؤثر ذلك في طباعهم هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٣) وهى قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم^(٢) ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتيناهم سلطاناً مبيناً﴾ . أما الآية الثانية (١٥٤) فقد أخبر تعالى أنه رفع فوقهم الطور تهديداً لهم ووعيداً وذلك لما امتنعوا أن يتعهدوا بالعمل بما في التوراة ، فلما رفع الجبل فوقهم خافوا فتعهدوا معطين بذلك ميثاقاً غير أنهم نقضوه كما سيأتي الإخبار بذلك . هذا

(١) قرأ ورش ﴿لا تعدوا﴾ بتشديد الدال وهو من إدغام التاء في الدال لتقاربها في المخرج والأصل لا تعتدوا من الاعتداء الذي هو العدوان .

(٢) ذكر القرطبي بغير إسناد أن اليهود سألت النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة ، كما أتى موسى بالألواح فاعتنت منهم فأنزل الله تعالى الآية .

(٣) ﴿جهرة﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره : رؤية جهرة ، ويصح أن يكون حالاً أي مجاهرة بلا حجاب ساتر .

(٤) ﴿بظلمهم﴾ الباء سببية أي : سبب ظلمهم ، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالى إذ هذا طلبه موسى أيضاً ، ولكن ظلمهم : كونهم اشتروا لإيمانهم بموسى حتى يريهم الله جهرة .

(٥) العطف بضم هنا هو للتراخي الرتبي لا لإفادة الترتيب الزمني ، إذ اتخذهم العجل كان قبل طلبهم رؤية الله جهرة ، إذ المراد من البينات التي جاءتهم : انفلاق البحر ، وقبله آية العصا وغيرها من التسع آيات التي أتى الله موسى عليه السلام .

معنى قوله تعالى ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ ، وقوله تعالى ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً﴾ . كان هذا عندما دخل يوشع بن نون فتى موسى مدينة القدس فاتحاً أوحى الله تعالى إليه أن يأمر بني إسرائيل أن يدخلوا باب المدينة خاضعين متطامنين شكراً لله تعالى على نعمة الفتح فبدل أن يطيعوا ويدخلوا الباب راكعين متطامنين دخلوه زحفاً على استاهمهم مكرراً وعناداً والعياذ بالله . وقوله : ﴿ . . . وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ أي ونهيناهم عن الصيد في السبت فتعدوا نهينا وصادوا عصياناً وتمرداً ، وقوله تعالى ﴿ . . . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ أي على أن يعملوا بما شرعنا لهم تحليلاً وتحريماً في التوراة ، ومع هذا فقد عصوا وتمردوا وفسقوا ، إذاً فلا غرابة في سؤالهم إياك على رسالتك وليؤمنوا بك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء . هذا معنى قوله تعالى في الآية (١٥٤) ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً ، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت . . . ﴾ أي لاتتجاوزوا ما أحللنا لكم إلى ما حرمنا عليكم ﴿ . . . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . . . ﴾ .^(١)

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تعنت أهل الكتاب ازاء الدعوة الإسلامية وكفرهم بها على علم انها دعوة حق .
- ٢- بيان قبائح اليهود وخبثهم الملازم لهم طوال حياتهم .
- ٣- نقض اليهود للعهد والمواثيق أصبح طبعاً لهم لا يفارقهم أبداً ولذا وجب عدم الثقة في عهودهم ومواثيقهم .

فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
يَغْرِحُونَ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ
بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

(١) كل ما ذكر في هذه الآيات هو تسليية للنبي ﷺ وتخفيفاً على نفسه مما يلاقي من تعنت اليهود ، وصلفهم ، وقساوة قلوبهم ومعاملتهم .

أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِيَ شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

شرح الكلمات :

- فبما نقضهم : الباء سببية أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ، والنقض : الحل بعد الإبرام .
بغير حق : أي بدون موجب لقتلهم ، ولا موجب لقتل الأنبياء قط .
غلف^(١) : جمع اغلف وهو ما عليه غلاف يمنع من وصول المعرفة والعلم إليه .
بهتاناً عظيماً : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه والمراد هنا رميهم لها بالزنى .
وما صلبوه : أي لم يصلبوه ، والصلب شدة على خشبة وقتله عليها .
وان من أهل الكتاب : أي وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن عند حضور الموت أن
عيسى عبد الله ورسوله فما هو ابن زنى ولا ساحر كما يقول اليهود ، ولا
هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن اليهود وبيان الجرائم التي كانت سبباً في لعنهم وذمهم ،
وغضب الله تعالى عليهم ، وهذا تعداد تلك الجرائم الواردة في الآيات الثلاث الأولى في هذا
السياق وهي (١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧) .

(١) «غلف» قد يكون جمع غلاف ومعناه حيثئذ أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلى علم سوى ما عندهم ، ولا منافاة
بين المعنيين في النهر ، وأيسر التفسير .

- ١- نقضهم العهود والمواثيق وخاصة عهدهم بالعمل بها في التوراة.
- ٢- كفرهم بآيات الله والمنزلة على عبد الله عيسى ورسوله والمنزلة على محمد ﷺ.
- ٣- قتلهم الأنبياء كزكريا ويحيى وغيرهم وهو كثير في عهود متباينة.
- ٤- قولهم قلوبنا غلف حتى لا يقبلوا دعوة الإسلام، وما أراد الرسول إعلامهم به وكذبهم الله تعالى في هذه الدعوى، وأخبر أن لا أعطية على قلوبهم، ولكن طبع الله تعالى عليها بسبب ذنوبهم فران عليها الران فمنعها من قبول الحق اعتقاداً وقولاً وعملاً هذا ما تضمنته الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (١) (والباء سببية والميم صلة والأصل فبنقضهم أي بسبب نقضهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم، ﴿فلا يؤمنون الا قليلاً﴾ أي إيماناً قليلاً كإيمانهم بموسى وهرون والتوراة والزبور مثلاً.
- ٥- كفرهم أي بعيسى ومحمد ﷺ أيضاً.
- ٦- قولهم على مريم بهتاناً عظيماً حيث رموها بالفاحشة وقالوا عيسى ابن زنى لعنهم الله.
- ٧- قولهم متبجحون متفاخرين أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو رسول الله، وأكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ﴿.. وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم..﴾ أي برجل آخر ظنوه انه هو فصلبوه وقتلوه، وأما المسيح فقد رفعه الله تعالى إليه وهو عنده في السماء كما قال تعالى في الآية (١٥٨) ﴿بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ أي غالباً على أمره حكيماً في فعله وتدبيره.
- وأما قوله تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾، هذا إخبار من الله تعالى بحقيقة أخرى وهي أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا في هل الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسى هو عيسى أو غيره إنهم لم يجزموه أبداً بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح عليه السلام، ولذا قال تعالى ﴿.. وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله

(١) البهتان العظيم الذي قالوه على مريم هو رميهم لها بالزنى مع يوسف بن النجار وهو عبد صالح.

(٢) ذكر القرطبي للاختلاف عدة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولى. ومن بين الوجوه قولهم: إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟

(٣) ما زال الخلاف قائماً إلى اليوم، فالجمهور منهم يقولون: صُلب عيسى وقُتل وبعد ثلاثة أيام رفع، وخلاف الجمهور يقولون: لم يصلب عيسى ولم يقتل.

إليه وكان الله عزيزاً حكيماً^(١).

أما الآية الأخيرة في هذا السياق (١٥٩) فإن الله تعالى أخبر أنه مامن يهودي ولا نصراني يحضره الموت ويكون في انقطاع عن الدنيا إلا آمن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس هو ابن زنى ولا ساحر كما يعتقد اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يعتقد النصارى، ولكن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه لأنه حصل عند معاينة الموت قال تعالى ﴿... وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن...﴾. هذا ما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أي يشهد على كفرهم به وبما جاءهم به، ووصاهم عليه من الإيمان بمحمد ﷺ ودين الحق الذي جاء به.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان جرائم اليهود.
- ٢- بطلان اعتقاد النصارى في أن عيسى صلب وقتل، أما اليهود فإنهم وإن لم يقتلوا عيسى فهم مؤاخذون على قصدهم حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه أنه عيسى عليه السلام.
- ٣- تقرير رفع عيسى عليه السلام الى السماء ونزوله في آخر أيام الدنيا.
- ٤- الإيمان كالتوبة عند معاينة ملك الموت لا تنفع ولا تقبل وجودها كعدمها.

فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ

حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

(١) عزة الله يتنافى معها تسلط اليهود على عبده ورسوله عيسى وقتلهم له، وحكمته تتجلى في رفعه إليه وإنزاله آخر أيام الدنيا.

أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

فبظلم : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم .
هادوا : اليهود إذ قالوا : انا هدنا إليك .
طييات أحلت لهم : هي كل ذى ظفر وشحوم البقر والغنم .
أخذهم الربا : قبوله والتعامل به وأكله .
الراسخون في العلم : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة
في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقينيات .

معنى الآيات :

ما زال السياق في اليهود من أهل الكتاب يبين جرائمهم ويكشف الستار عن عظائم
ذنوبهم ففي الآية الأولى (١٦٠) سجل عليهم الظلم العظيم والذي به استوجبوا عقاب الله
تعالى حيث حرم عليهم طييات كثيرة كانت حلالا لهم ، كما سجل عليهم أقبح الجرائم وهي
صددهم أنفسهم وصد غيرهم عن سبيل الله تعالى ، وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام
الله ، وقبولهم الرشوة في إبطال الأحكام الشرعية . هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية
(١٦١) فقد تضمنت تسجيل جرائم أخرى على اليهود وهي أولا استباحتهم للربا وهو حرام^(١)
وقد نهوا عنه وثانيا أكلهم أموال الناس بالباطل كالرشوة والفتاوى الباطلة التي كانوا يأكلون
بها . وأما قوله تعالى في ختام الآية : ﴿...﴾ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴿...﴾ فهو زيادة
على ما عاقبهم به في الدنيا أعد لمن كفر منهم ومات على كفره عذاباً أليماً موجعا يعذبون به
يوم القيامة . وأما الآية الثالثة (١٦٢) فقد نزلت في عبد الله بن سلام وبعض العلماء من يهود
المدينة فذكر تعالى كالاستثناء من أولئك الموصوفين بأقبح الصفات وهي صفات جرائم

(١) أورد القرطبي هنا سؤالاً وهو مع علمنا أن اليهود يأكلون الربا والسحت وجميع ما حرم الله تعالى فهل يجوز لنا التعامل معهم ؟ وأجاب بالجواز استدلالاً بقول الله تعالى : ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ ويتعامل الرسول ﷺ معهم فقد رهن درعه عند يهودي .

(١) اكتسبوها، وعظائم من الذنوب اقترفوها لجهلهم وعمى بصائرهم. ان الراسخين في العلم الثابتين فيه الذين علومهم الشرعية يقينية لا ظنية هؤلاء شأنهم في النجاة من العذاب والفوز بالنعيم في دار السلام شأن المؤمنين من هذه الأمة يؤمنون بما أنزل إليك أيها الرسول وما أنزل من قبلك وخاصة المقيمين الصلاة وكذا المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر هؤلاء جميعا وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه فقال تعالى : ﴿ أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المعاصي تورث الحرمان من خير الدنيا والآخرة.
- ٢- حرمة الصد عن الإسلام ولو بالسلوك الشائن والمعاملة الباطلة.
- ٣- حرمة الربا وانه موجب للعقوبة في الدنيا والآخرة.
- ٤- حرمة أكل أموال الناس بالباطل كالسرقة والغش والرشوة.
- ٥- من أهل الكتاب صلحاء ربانيون وذلك كعبدالله بن سلام وآخرين.
- ٦- الرسوخ في العلم يأمن صاحبه الزلات والوقوع في المهلكات.
- ٧- فضل إقام الصلاة لِنُصْبِ والمقيمي الصلاة في الآية على المدح والتخصيص.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَيْتَنَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ

(١) روي أنه لما نزلت آية : ﴿ فظلم من الذين هادوا حرمنا ﴾ الآية قالت يهود منكراً ما أخبر به تعالى عنهم : إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل : ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ﴾ وهم عبدالله بن سلام وأحبار اليهود المسلمون.

(٢) قرأه الجمهور بنصب المقيمين على المدح أي : وأمدح المقيمين أو أعني المقيمين، والنصب على المدح جائز في كلام فصحاء العرب، وبلغاتهم ومن ذلك قول شاعرهم :
وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نعيماً أطاعت أمر غاويها

مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

إنا أوحينا إليك : الوحي^(١) : الإعلام السريع الخفى ، ووحى الله تعالى الى أنبيائه
إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره .
الأسباط : أولاد يعقوب عليهم السلام .
زبوراً^(٢) : الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه داود عليه السلام .
قد قصصناهم عليك : ورد منهم في سورة الأنعام ثمانية عشر رسولا وسبعة ذكروا في سور
أخرى وهم محمد ﷺ وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم
حجة : عذر يعتذرون به الى ربهم عز وجل .

معنى الآيات :

روى أن اليهود لما سمعوا ما أنزل الله تعالى فيهم في الآية السابقة أنكروا أن يكون هذا
وحيا وقالوا لم يوح الله تعالى الى غير موسى فرد الله تعالى قولهم بقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما
أوحينا الى نوح^(٤) والنبيين من بعده . .﴾ فذكر عدداً من الأنبياء ، ثم قال ورسلا : أي وأرسلنا
رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل أي قصص عليه اسماءهم وبعض ما جرى لهم مع أمهم وهم

(١) هذه التوكيد بأن تطلبه إنكار اليهود الوحي الى نبينا ﷺ كما تطلبه الاهتمام بهذا الخبر العظيم .
(٢) الوحي : مصدر وحى يحي وحيا ، كرمى يرمي رمياً ، إليه بكذا أعلمه . وأوحى يوحي إيحاءً إليه بكذا أعلمه به بطريق خفى .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ وهي جملة معطوفة على جملة ﴿إنا أوحينا إليك﴾ إشارة الى أن الزبور كتاب ، وهو كذلك ، إذ هو أحد الكتب الأربعة ، ولو لم يرد ذلك ، لعطف اسمه على من سبقه فقط كان يقول وهارون وسليمان وداود .
(٤) قدم نوح في الذكر باعتباره أول رسول حارب الشرك ، إذ لم يظهر الشرك على عهد من سبقه كإدريس وشيت من قبله ، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام ، وهو نوح بن لمك ابن متوشلخ بن أخنوخ .
(٥) قوله : ﴿قصصناهم عليك من قبل﴾ يعني في القرآن الكريم وهم هود وصالح ، وشعيب ويحيى وإيلياس ، واليسع ولوط .

يلغون دعوة ربهم، وأرسل رسلا لم يقصصهم عليه، وفوق ذلك أنه كلم موسى تكليماً فأسمعه كلاماً بلا واسطة، فكيف ينكر اليهود ذلك ويزعمون أنه ما أنزل الله على بشر من شيء وقد أرسلهم تعالى رسلا مبشرين من آمن وعمل صالحاً بالجنة، ومنذرين من كفر واشرك وعمل سوءاً بالنار وما فعل ذلك الا لقطع حجة الناس يوم القيامة حتى لا يقولوا ربنا ما أرسلتنا اليك رسولاً هذا معنى قوله تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . . .﴾ أي بعد إرسالهم، ﴿وكان الله عزيزاً﴾ غالباً لا يمانع في شيء اراده ﴿حكيماً﴾ في أفعاله وتدييره، هذا بعض ما تضمنته الآيات الثلاث (١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥) أما الآية الرابعة (١٦٦) وهي قوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزل الله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾.

فقد روي أن يهوداً جمعهم النبي ﷺ وأبلغهم أنه رسول الله صدقاً وحقاً ودعاهم إلى الإيمان به وبما جاء به من الدين الحق فقالوا: من يشهد لك بالرسالة إذ كانت الأنبياء توجد في وقت واحد فيشهد بعضهم لبعض، وأنت من يشهد لك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل اليك . . .﴾ يريد إنزال الكتاب إليك شهادة منه لك بالنبوة والرسالة، أنزله بعلمه بأنك أهل للاصطفاء والإرسال، وبكل ما تحتاج إليه البشرية في اكملها واسعادها إذ حوى أعظم تشريع تعجز البشرية لو اجتمعت ان تأتي بمثله، أليس هذا كافياً في الشهادة لك بالنبوة والرسالة، بلى، والملائكة أيضاً يشهدون ﴿ . . . وكفى بالله شهيداً﴾ فلا تطلب شهادة بعد شهادته تعالى لو كانوا يعقلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير مبدأ الوحي الإلهي .

٢- أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ .

(١) توضيح هذا الاستدراك الذي هورفع ما يتوهم ثبوته او نفيه هو إذا رفض اليهود الشهادة لك بالرسالة وطالبوا بمن يشهد لك فالله يشهد لك بما أنزله إليك والملائكة يشهدون كذلك .

(٢) ذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية تاريخ المذكورين من الرسل نقلاً عن أهل الكتاب قطعاً فلاطلاع لا غير نذكر ذلك كما ذكره وأما علم صحته فهو إلى الله تعالى لا غير: نوح عليه السلام ولد سنة ٣٩٧٤ قبل الهجرة النبوية، وإبراهيم توفي ببلدة الخليل سنة ٢٧١٩ قبل الهجرة، وإسماعيل توفي بمكة سنة ٢٦٨٦ قبل الهجرة تقريباً، وإسحاق بن إبراهيم توفي سنة ٢٦١٣ قبل الهجرة، ويعقوب إسرائيل توفي سنة ٢٥٨٦ قبل الهجرة، وعيسى بن مريم ولد سنة ٦٢٢ قبل الهجرة ورفع إلى السماء قبلها سنة ٥٨٩، وأيوب كان بعد إبراهيم وقبل موسى، في القرن الخامس عشر قبل المسيح، وهارون توفي سنة ١٩٧٢ قبل الهجرة وداود توفي سنة ١٦٢٦ قبل الهجرة وسليمان توفي سنة ١٥٩٧ قبل الهجرة.

- ٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى .
 ٤- بيان الحكمة في ارسال الرسل وهي قطع الحجة على الناس يوم القيامة .
 ٥- شهادة الرب تبارك وتعالى والملائكة بنوة خاتم الأنبياء ورسالته ﷺ .
 ٦- ما حواه القرآن من تشريع وما ضمه بين دفتيه من معارف وعلوم أكبر شهادة للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة .

إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا
 ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
 لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا
 الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
 فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

كفروا وصدوا : كفروا : جحدوا بنوة محمد ﷺ وصدوا : صرفوا الناس عن الإيمان به ﷺ بما يبذرون من بذور الشك .

كفروا وظلموا : جحدوا نبوة محمد ﷺ وظلموا ببقائهم على جحودهم بغياً منهم وحسداً للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات الى النور .

الرسول : هو محمد ﷺ الكامل في رسالته الصادق في دعوته .

فأمنوا خيراً لكم : أي يكون إيمانكم خيراً لكم .

معنى الآيات :

بعد أن أقام الله تعالى الحجة على رسالة نبيه محمد ﷺ بشهادته له بالرسالة وشهادة ملائكته، وشهادة القرآن لما فيه من العلوم والمعارف الإلهية بعد هذا أخبر تعالى أن الذين

(١) كفروا وصدوا عن سبيل الله وهم اليهود قد ضلوا ضلالاً بعيداً قد يتعذر معه الرجوع إلى الحق، وهذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٧) كما أخبر في الآية الثانية (١٦٨) أن الذين كفروا وظلموا وهم أيضاً اليهود لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً اللهم إلا طريق جهنم وهذا قائم على سنته في خلقه وهي أن المرء إذا كفر كفر عناد وجحود وأضاف إلى الكفر الظلم لم يبق له أي استعداد لقبول الهداية الإلهية، لم يبق له من طريق يرجى له سلوكه إلا طريق جهنم يخلد فيها خلوداً أبدياً، وقوله تعالى: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ في ختام الآية يقرر فيه أن دخول أصحاب هذه الصفات من اليهود جهنم وخلودهم فيها ليس بالأمر الصعب على الله المتعذر عليه فعله بل هو من السهل اليسير أما الآية الأخيرة (١٧٠) فهي تتضمن إعلاناً إلهياً موجهاً إلى الناس كافة مشركين وأهل كتاب ﴿... يا أيها الناس قد جاءكم الرسول﴾ (٣) الكامل الخاتم جاءكم بالدين الحق من ربكم فآمنوا به خيراً لكم، وإن أبيتم وأعرضتم ايثاراً للشر على الخير والضلال على الهدى فاعلموا أن لله ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً وسيجزيكم بما اخترتم من الكفر والضلال جهنم وساءت مصيراً فإنه عليم بمن استجاب لندائه فآمن وأطاع، وبمن أعرض فكفر وعصى حكيم في وضع الجزاء في موضعه اللائق به. فلا يجزي المحسن بالسوء، ولا المسيء بالإحسان.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شر الكفر ما كان مع الصد عن سبيل الله والظلم وهذا كفر اليهود والعياذ بالله تعالى.
- ٢- سنة الله تعالى في أن العبد إذا أبعد في الضلال، وتوغل في الشر والفساد يتعذر عليه التوبة فيموت على ذلك فيهلك.

(١) صدوا عن سبيل الله بقولهم إننا لا نجد صفة محمد في كتابنا وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وأن في التوراة أن شرع موسى لا ينسخ.

(٢) اللفظ يتناول اليهود أولاً، ويعم كل من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيله الذي هو الإسلام.

(٣) التعريف في الرسول للعهد إذ هو معهود بين المخاطبين معروف لهم وكونه للعهد لا ينافي ما ذكر في التفسير من أنه الكامل في رسالته كأنه فرد فيها لا نظير له.

(٤) إنه لم يدعكم إلى الإيمان لحاجة به، إنه عزيز إنه سبحانه وتعالى يملك الكائنات كلها حيها وميتها ظاهرها وباطنها ويتصرف فيها كما يشاء وهو الغني الحميد.

٣- الرسالة المحمدية عامة لسائر الناس أبيضهم وأصفرهم .

٤- إثبات صفتي العلم والحكمة لله تعالى . وبموجبها يتم الجزاء العادل الرحيم .

يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِيُوفِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

يا أهل الكتاب : المراد بهم هنا النصارى .^(١)

لا تغلوا في دينكم : الغلو: تجاوز الحد للشيء فعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فغلوا فيه فقالوا هو الله .^(٢)

(١) النصارى غلوا في عيسى فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألوهه أي جعلوه إلها وعبدوه واليهود غلوا في التفريط في عيسى إذ قالوا : ساحر، وابن زنى والعياذ بالله .

(٢) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع على الزيادة على المطلوب في الاعتقاد والقول والعمل .

- المسيح** : هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح لأنه ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط .
- كلمته ألقاها** : أي قول الله تعالى له ﴿كن﴾ فكان - ألقاها إلى مريم : أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم .
- وروح منه** : أي عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها .
- وكيلاً** : حفيظاً وشاهداً عليهما .
- لن يستنكف** : لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً .
- ويستكبر** : يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً .
- ولياً ولا نصيراً** : أي لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لا يدخلوا النار ويعذبوا فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع أهل الكتاب ففي الآية الأولى (١٧١) نادى الرب تبارك وتعالى النصارى بلقب الكتاب الذي هو الإنجيل ونهاهم عن الغلو في دينهم من التنطع والتكلف كالترهب واعتزال النساء وما إلى ذلك من البدع التي حمل عليها الغلو، كما نهاهم عن قولهم على الله تبارك وتعالى غير الحق، وذلك بنسبة الولد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأخبرهم بأن عيسى لم يكن أبداً غير رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم^(١) حيث بعث إليها جبريل فبشرها بأن الله تعالى قد يهبها غلاماً زكياً، ونفخ وهو روح الله في كم درعها فكان عيسى بكلمة التكوين وهي ﴿كن﴾ وبسبب تلك النفخة من روح الله جبريل عليه السلام فلم يكن عيسى الله ولا ابن الله فارجعوا إلى الحق وآمنوا بالله ورسله جبريل وعيسى ومحمد ﷺ، ولا تقولوا زوراً وباطلاً: الله ثالث ثلاثة آلهة^(٢) انتهوا عن هذا القول الكذب يكن

(١) لأن إنما أداة قصر، فمن هنا قصر عيسى عليه السلام على ثلاث صفات، وهي الرسالة، والكلمة، والروح، أي هو لم يكن غير رسول الله، وكلمته وروح منه، والقصر إضافي كما هو ظاهر.

(٢) لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن باسمها العلم سوى مريم إذ ذكرها في القرآن في نحو من ثلاثين موضعاً، وسر هذا أن العرب يتحاشون أن يذكروا أسماء نسايتهم، إنما يكون عنهم بالعرس والأهل والعائلة وأما الإمام فيذكرونهن بأسمائهن لذا ذكر تعالى مريم وهي أمته باسمها العلم ثلاثين مرة.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد من الثلاث: الله تعالى وصاحبه وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هو الوجود، والحياة، والعلم.

انتهاؤكم خيراً لكم حالاً ومآلاً، إنما الله سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له ولا ند ولا ولد. سبحانه تنزه وعلا وجل وعظم أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، ولم يكن ذا حاجة وله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وحكماً وتديراً، وكفى به سبحانه وتعالى وكياً شاهداً عليهما فحسبكم الله تعالى رباً وإلهاً فإنه يكفيكم كل ما يهكم فلا تلتفتون إلى غيره ولا تطلبون سواه.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧١) وأما الآيتان الثانية (١٧٢) والثالثة (١٧٣) فقد أخبر تعالى أن عبده ورسوله المسيح عليه السلام لن يستنكف أبداً أن يعبد الله وينسب إليه بعنوان العبودية فيقال عبدالله ورسوله، حتى الملائكة المقربون منهم فضلاً عن غيرهم لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى وعن لقب العبودية فهم عباد الله وملائكته، ثم توعده تعالى كل من يستنكف عن عبادته ويستكبر عنها من سائر الناس بأنه سيحشرهم جميعاً ويحاسبهم على أعمالهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بالوحيته تعالى وحده وعبده وحده بما شرع لهم من أنواع العبادات وهي الأعمال الصالحة فهؤلاء يوفيهم أجورهم كاملة ويزيدهم من فضله الحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعف إلى سبعمائة ضعف. وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي حملتهم الأنفة والكبر على عدم قبول الحق والرجوع إليه فأصروا على الاعتقاد الباطل والعمل الفاسد فيعذبهم تعالى عذاباً أليماً أي موجعاً ولا يجدون لهم من دونه ولياً ولا ناصرأ فينتهي أمرهم إلى عذاب الخلد جزاء بما كانوا يعملون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الغلو في الدين إذ هي من الأسباب الموجبة للابتداع والضلال.^(١)
- ٢- حرمة القول على الله تعالى بدون علم مطلقاً والقول عليه بغير الحق بصورة خاصة.
- ٣- بيان المعتقد الحق في عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله كان بكلمة الله ونفخة

(١) قال مطرف بن عبيد الله: والعدل حسنة بين سيئين، الأولى الإفراط، والثانية التفريط، فالغلو إفراط، والتقصير تفريط، وكلاهما مذموم قال الشاعر:

وأوف ولا تستوف حقلك كله وسامح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(٢) ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية قصة طويلة في سبب فساد دين المسيح عليه السلام، وأن الذي أفسده هو بولس اليهودي ولعلنا نذكرها في تفسير آية المائدة: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ إن شاء الله تعالى.

جبريل عليه السلام .^(١)

٤- حرمة الاستنكاف عن الحق والاستكبار عن قبوله .

٥- بيان الجزاء الأخروي وهو إما نعيم وإما جحيم .

يَأْتِيهَا النَّاسُ

قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

شرح الكلمات :

برهان ^(٢) : البرهان : الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ .

نوراً مبيناً : هو القرآن الكريم .

واعتصموا : أي تمسكوا بالقرآن وبما يحمله من الشرائع .

في رحمة منه : الجنة

صراطاً : طريقاً يفضي بهم الى جوار ربهم في دار الكرامة .

معنى الآيتين :

^(٣) ينادي الرب تبارك وتعالى سائر الناس مشركين ويهود ونصارى مخبراً إياهم قاطعاً للحجة عليهم بأنه أرسل إليهم رسوله محمد ﷺ وهو البرهان الساطع والدليل القاطع على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وجوب الإيمان به وبرسوله ولزوم عبادته بطاعته وطاعة رسوله وأنه أنزل عليه كتابه شافياً كافياً هادياً نوراً مبيناً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجه من الظلمات إلى النور . بهذا قد أعذر الله تعالى إلى الناس كافة وقطع عليهم كل معذرة

(١) قال أبي بن كعب رضي الله عنه : خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم ، وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام ، فلما أراد خلقه أرسل ملك الروح إلى مريم فكان منه عيسى فلذا قال : ﴿وروح منه﴾ هذا الأثر أحسن ما يقال في قوله تعالى ﴿وروح منه﴾ .

(٢) هذا الذي قرره ابن جرير ، وأن البرهان في هذه الآية هو النبي محمد ﷺ .

(٣) هذا النداء وما بعده كالفلذكة لما تقدم من دعوة أهل الكتابين إلى الدخول في الإسلام لإقامة الحجة على الجميع إذ وجه تعالى نداءه العام لكل البشر وهو يتناول أهل الكتابين والمشركين وغيرهم لإقامة الحجة على الجميع .

وحجة ثم هم صنفان مؤمن وكافر فالذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبرسوله نبياً ورسولاً واعتصموا بالقرآن فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وصدقوا أنباءه والتزموا آدابه فهؤلاء سيدخلهم في رحمة^(١) منه وفضل وذلك بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنان وذلك هو الفوز العظيم كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وأما الذين كفروا به وبرسوله وكتابه فمصيبرهم معروف وجزاءهم معلوم فلا حاجة الى ذكره: إنه الحرمان والخسران.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الدعوة الاسلامية دعوة عامة فهي للأبيض والأصفر على حد سواء.
- ٢- إطلاق لفظ البرهان على النبي محمد ﷺ لأنه بأमितه وكماله الذي لا مطمع لبشري أن يساميه فيه برهان على وجود الله وعلمه ورحمته.
- ٣- القرآن نور لما يحصل به من الإهداء إلى سبيل النجاة وطرق السعادة والكمال.
- ٤- ثمن السعادة ودخول الجنة الإيمان بالله ورسوله ولقائه والعمل الصالح وهو التمسك بالكتاب والسنة المعبر عنه بالاعتصام.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُهُ أَهْلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾

شرح الكلمات :

يَسْتَفْتُونَكَ^(١) : يطلبون فتياك في كذا.

(١) الرحمة: الجنة بعد النجاة من النار، والفضل: ما ينعم به عليهم في دار السلام، وأعظمه النظر إلى وجهه الكريم وقوله تعالى: ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ أي يهديهم إلى ما يصل بهم إلى رضاه، وجواره، وهو الإسلام، وذلك بأن يشبههم عليه حتى الموت.

(٢) روي أن هذه الآية وتسمى آية الكلاله نزلت في آخر ما نزل، وسبب نزولها أن جابر بن عبد الله مرض فعاده رسول الله ﷺ مع أبي بكر فأغمى على عبد الله فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب عليه من فضل وضوئه فأفاق فقال يا رسول الله كيف أقضي في مالي وكان له تسع أخوات فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية.

يفتيكم : يبين لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلالة .

الكلالة : أن يهلك الرجل ولا يترك ولداً ولا ولد ولد وإنما يترك أخاً أو أختاً .

الحظ : النصيب .

أن تضلوا : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة .

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية تسمى آية الكلالة^(١)، وآيات الموارث أربع الأولى في شأن الولد والوالد ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾^(٢) والثانية في شأن الزوج والزوجة ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ الخ . . وفي شأن الإخوة لأم ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ الخ . . وهاتان الآيتان تقدمتا في أول سورة النساء، والثالثة هي هذه ﴿يستفتونك﴾ الخ . وهي في شأن ميراث الأخوة والأخوات عند موت أحدهم ولم يترك ولداً ولا ولد ولد . وهو معنى الكلالة والرابعة في آخر سورة الانفال وهي في شأن ذوى الأرحام وهي قوله تعالى : ﴿وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ .

وهذه الآية نزلت عند سؤال بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الكلالة فقال تعالى يسألونك أيها الرسول عن الكلالة قل للسائلين الله يفتيكم في الكلالة وهذه فتواه : إن هلك امرؤ ذكراً كان أو أنثى وليس له ولد ولا ولد ولد وله أخت شقيقة أو لأب فلها نصف ما ترك، وهو يرثها أيضاً إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد . فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً أي ذكوراً وإناثاً فللذكر مثل حظ الانثيين وبعد أن بين تعالى كيف يورث من مات كلالة قال مبيناً حكمة هذا البيان : ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي كيلا تضلوا في قسمة التركات فتخطئوا الحق وتجوروا في قسمة أموالكم . ﴿والله بكل شيء عليم﴾^(٣) فلا

(١) وتسمى آية الصيف لأنها نزلت في زمن الصيف، وقال عمر رضي الله عنه إني والله لا أدع شيئاً أهم إلي من أمر الكلالة وقد سألت رسول الله عنها فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها حتى طعن في جني أو صدري وقال : «يا عمر ألا تكفيك آية الصيف» .

(٢) الجمهور ما عدا ابن عباس والظاهرية على أن الأخوات عصبة مع البنات فلو هلك هالك وترك أختاً له وبنتاً، فإن المال بينهما نصفين وإن ترك ثلاثاً فالمال بينهما أثلاثاً وهكذا الأخوات عصبة مع البنات قضى بهذا معاذ رضي الله عنه .

(٣) بعضهم يقدر كراهة أن تضلوا، ولما كان الحذف لازماً للتخفيف فتقدير كيلا أفضل من لفظ الكراهة، وهو ما ذكرته في التفسير ولم أذكر غيره .

(٤) من جملة الأشياء العليم بها أحوالكم وما تتطلبه حياتكم في الدنيا والآخرة، وهذا يقتضي الثقة والطمأنينة فيما شرع لكم وتنفيذه في إخلاص وحسن أداء .

يجهل شيئاً ولا يخفى عليه آخر وكيف وقد أحاط بكل شيء علماً سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

- ١- جواز سؤال من لا يعلم من يعلم للحصول على العلم المطلوب له .
- ٢- اثبات وجود الله تعالى عليماً قديراً سمياً بصيراً وتقرير نبوة محمد ﷺ إذ سؤال الأصحاب واجابة الرب تعالى بواسطة وحيه المنزل على رسوله يقرر ذلك ويشبهه .
- ٣- بيان قسمة تركه من يورث كلاله من رجل أو امرأة فالأخت الواحدة لها من أخيها نصف ما ترك ، والاختان لها الثلثان ، والاخوة مع الأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين والاخ يرث أخته إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد ، والإخوة والأخوات يرثون أختهم للذكر مثل حظ الأنثيين إذا لم تترك ولداً ولا ولد ولد .

سُورَةُ الْمَائِدَةِ^(١)

مدنية

وآياتها مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ

(١) بل الواجب أن يسأل كل من لا يعلم حتى يعلم لقول الله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ .
(٢) سورة المائدة من آخر ما نزل من السور في القرآن ، وأحكامها كلها محكمة ما عدا قوله تعالى : ﴿ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد...﴾ الآية ، وهو قول الشعبي رحمه الله تعالى ، وفيها أحكام لم توجد في غيرها من السور ، من ذلك حكم المنخقة وما بعدها ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، والوضوء وحكم السرقة .

الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

أوفوا بالعقود : هي العقود التي بين العبد والرب تعالى وبين العبد وأخيه
والوفاء بها : عدم نكثها والاخلال بمقتضاها .

(١) بهيمة الانعام

: هي الإبل والبقر والغنم .

وأنتم حرم

: أي محرمون بحج أو عمرة .

شعائر الله

: جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة ، وسائر اعلام دين الله
تعالى .

الشهر الحرام

: رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه .

الهدى

: ما يهدي للبيت والحرم من بهيمة الأنعام .

القلائد

: جمع قلادة ما يقلد الهدى ، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم
ليأمن .

أمين البيت الحرام

: قاصديه يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالى .

وإذا حللتم^(٢)

: أي من إحرامكم .

ولا يجرمنكم شَنَاٰنُ قَوْمٍ

: أي لا يحملنكم بغضاء قوم أن تعتدوا عليهم .

أن صدوكم

: أي لأجل أن صدوكم .

البر والتقوى

: البر : كل طاعة لله ورسوله والتقوى : فعل ما أمر الله به ورسوله

وترك ما نهى عنه الله ورسوله .

(١) سميت البهيمة بهيمة : لابهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ومنه باب مبهم أي مغلق ، وليل بهميم
لا يميز ما فيه من الظلام ، وقولهم في الشجاع من الرجال : بهيمة لأنه لا يدري من أين يؤتى .
(٢) قوله تعالى : ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب ، وهذه قاعدة أصولية : كل أمر
بعد حظر فهو للإباحة .

الإثم والعدوان : الإثم : سائر الذنوب، والعدوان : الظلم وتجاوز الحدود .
شديد العقاب : أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل .

معنى الآيتين :

ينادى الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول يا أيها الذين آمنوا أي يا من آمنتم بي وبرسولي ووعدي ووعدى أوفوا بالعقود فلا تحلوها وبالعهود فلا تنكثوها، فلا تتركوا واجباً ولا ترتكبوا منهيّاً، ولا تحرموا حلالاً ولا تحلوا حراماً أحلت لكم بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم وهي الآتية في آية ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...﴾^(١) فلا تحرموها وحرمت عليكم الصيد وأنتم^(٢) حرم فلا تحلوه. وسلموا الأمر لي فلا تنازعوا فيها أحل وأحرم فإني أحكم ما أريد. هذا ما تضمنته الآية الأولى ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد﴾^(٤).

أما الآية الثانية فقد تضمنت أحكاماً بعضها نسخ العمل به وبعضها محكم يعمل به الى يوم الدين فمن المحكم والواجب العمل به تحريم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر ما فرض وأوجب، ونهى وحرم. فلا تستحل بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة. ومن المنسوخ الشهر الحرام فإن القتال كان محرماً في الأشهر الحرم ثم نسخ بقول الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، ومن المنسوخ أيضاً هدي المشركين وقلائدهم والمشركون أنفسهم فلا يسمح لهم بدخول الحرم ولا يقبل منهم هدى، ولا يجيرهم من القتل تقليد أنفسهم بلحاء شجر الحرم ولو تقلدوا شجر الحرم كله. هذا معنى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله، ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين﴾^(٥).

(١) قال الحسن: يعني عقود الدين، وهي ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق، ومزارعة ومصالحة، وتمليك وتخيير، وعق وتديبر، وكذلك ما عاهد عليه الله تعالى من نذر وسائر التكاليف الشرعية وما خرج من عقد على شريعة الله رد وحل ولا وفاة فيه.

(٢) وما حرم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور لثبوت ذلك في الصحاح.

(٣) أما إذا حلوا من إحرامهم فالصيد حلال كما هو في غير الإحرام إلا ما كان من صيد الحرم فإنه حرام في الإحرام والإحلال.

(٤) هذه الجملة تقتضي تسليم الأمر لله فلا اعتراض عليه فيما يحل ويحرم وهو كذلك.

(٥) الهدى: ما يهذى إلى الحرم ومن خصائصه أنه يشعر وذلك يجرح سنامه من الجهة اليمنى حتى يسيل الدم، وبذلك يعلم أنه هدى، وقال بالإشعار كافة الفقهاء إلا أبا حنيفة ولا موه وعنفوا عليه لتركه السنة الصحيحة في الإشعار.

(٦) يحرم بيع الهدى إذا أشعر وقلد لأنه أصبح كالوقوف لله تعالى، ومعنى التقليد أن يوضع في عنقه قلادة يعلم بها أنه هدى وهذا يكون في الغنم لأنها لا تشعر.

البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً^(١). والمراد بالفضل الرزق بالتجارة في الحج، والمراد بالرضوان ما كان المشركون يطلبونه بحجهم من رضى الله ليبارك لهم في أرزاقهم ويحفظهم في حياتهم.

وقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُلِلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.. خطاب للمؤمنين أذن لهم في الاصطياد الذي كان محرماً وهم محرمون إذن لهم فيه بعد تحللهم من إحرامهم. وقوله تعالى ﴿.. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ ..﴾ أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا. ينهى عباده المؤمنين أن يحملهم بغض قوم صدوهم يوم الحديبية عن دخول المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم بغير ما أذن الله تعالى لهم فيه وهو قتالهم إن قاتلوا وتركهم إن تركوا. ثم أمرهم تعالى بالتعاون على البر والتقوى، أي على أداء الواجبات والفضائل، وترك المحرمات والرذائل، ونهاهم عن التعاون عن ضدها فقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢). ولما كانت التقوى تعم الدين كله فعلاً وتركاً أمرهم بها، فقال واتقوا الله بالإيمان به ورسوله وبطاعتهما في الفعل والترك، وحذرهم من إهمال أمره بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فاحذروه بلزوم التقوى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- وجوب الوفاء بالعهود التي بين الله تعالى وبين العبد والمحافظة على العقود التي بين العبد وأخيه العبد لشمول الآية ذلك.
- ٢- إباحة أكل لحوم الإبل والبقر والغنم إلا الميتة منها.
- ٣- تحريم الصيد في حال الإحرام وحليته بعد التحلل من الإحرام وهو صيد البر لا البحر^(٣).
- ٤- وجوب إحترام شعائر الدين كلها أداء لما وجب أداؤه، وتركها لما وجب تركه.
- ٥- حرمة الاعتداء مطلقاً حتى على الكافر.
- ٦- وجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدين، وحرمة تعاونهم على المساس به.

(١) في البر وهو فعل الخير رضا الناس، وفي التقوى رضا الله، ومن جمع بين رضا الناس ورضا الله، فقد جمع الخير كله وتمت سعاده في دنياه وآخرته.

(٢) أي ولا تعاونوا على فعل الإثم من سائر كبائر الذنوب والفواحش ولا على الظلم والاعتداء إذ كلاهما مما حرم الله تعالى.

(٣) لأن صيد البحر حلال في الإحرام وغيره لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم صَيْدَ الْبَحْرِ مِمَّا دُمِمَ حَرَمًا﴾ الآية من آخر هذه السورة.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِأَلْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

الميتة

: ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية ^(١).

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل المسيح ، أو الولي ، أو صنم .

المنخنقة

: أي بحبل ونحوه فهات .

الموقوذة ^(٢)

: أي المضروبة بعضا أو حجر فهات به .

الترديّة

: الساقطة من عال إلى أسفل مثل السطح والجدار والجبل فهات .

النطيحة ^(٣)

: ما مات بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها .

وما أكل السبع

: أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة .

إلا ما ذكيتكم ^(٤)

: أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه بذبحة أو نحره ^(٥).

وما ذبح على النصب : أي ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهاً أو زعيماً أو عظيماً، ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان .

(١) ومن غيرها من مأكول اللحم كالضياء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإن ما مات منه يؤكل ولو لم يذك ولا يقال فيه ميتة .

(٢) يقال وقذه يقذه وقذاً : إذا ضربه بحجر ونحوها، والوقد : شدة الضرب .

(٣) فهي فعلة بمعنى مفعولة، فالنطيحة هي المنطوطة .

(٤) الاستثناء متصل وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة ولا التفات إلى الخلاف في هذه المسألة .

(٥) ما ذبح من قفاه لا يؤكل إجماعاً واختلف فيما إذا رفع المذكي يده قبل إنهاء الذكاة ثم رذها فوراً، الصحيح أنها تؤكل، ولا خلاف في جواز أكل البعير إذا نذ أو وقع في بئر فإنه كيفما ذكي جاز أكله للحديث الصحيح .

وان تستقسموا : أي وحرم عليكم ما تحصلونه عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما يأخذه صاحب الكهانة والشواقة وقرعة الأنبياء، والحروز الباطلة التي فيها طلاسـم وأسـماء الجن والعفاريت .

ذلكم فسق : أي ما ذكر من أكل الميتة إلى الاستقسام بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالى ومعصية له سبحانه وتعالى .

فمن اضطر : أي من ألبأته ضرورة الجوع فخاف على نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما ذكر .

في خمصة : الخمصة شدة الجوع حتى يضمر البطن لقلة الغذاء به .
غير متجانف : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة وذلك بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك .
معنى الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة هي تفسير وتفصيل لقوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة وهو قوله : ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ حيث ذكر في هذه الآية سائر المحرمات من اللحوم وهي عشر كما يلي :

الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب^(١).

وقوله تعالى : ﴿إلا ما ذكيتم﴾ يريد ما أدرکتـم فيه الروح مستقرة . بحيث إذا ذبحتموه اضطرب للذبح وركض برجليه فإن هذا علامة أنه كان حياً وأنه مات بالذبح^(٢).

وقوله ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ يريد ولا يحل لكم الاستقسام بالأزلام، ولا أكل ما يعطى عليها وحقيقتها أنهم كانوا في الجاهلية يضعون القداح المعبر عنها بالأزلام جمع زلم وهو رمح صغير لاجل له ولا ريش فيه، يضعونها في خريطة الكيس، وقد كتب على واحد أمرني

(١) ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما كشيء واحد إلا أن ما أهل لغير الله به غالباً يكون مذبحاً لغير الأصنام كالأنبياء، والأولياء .

(٢) الذكاة في لغة العرب : الذبح، فقوله تعالى : ﴿إلا ما ذكيتم﴾ أي ذبحتم مع ذكر اسم الله عليها، وفي الحديث : «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، والذكاء : سرعة الفطنة، والتذكية مأخوذة من التطيب، فذكأها : بمعنى طيَّبها بالذبح، ومنه : رائحة ذكية أي طيبة .

(٣) والذكاة تقع بكل حادٍ ينهر الدم ويفري الأوداج، ما عدا العظم والسن لقوله ﷺ : «ليس السن والظفر» لأن السن عظم، والظفر مدى الحبشة .

ربي وآخر نهاني ثم يجعلها المستقسم بها في الخريطة ويخرج زلماً منها فإن وجدته مكتوباً عليه أمرني ربي مضى في عمله سافراً أو زواجاً، أو بيعاً أو شراءً، وإن وجدته مكتوباً عليه نهاني ربي ترك ما عزم على فعله فجاء الإسلام فحرم الاستقسام بالأزلام، وسنَّ الاستخارة وهي أن يصلي المؤمن ركعتين من غير الفريضة ويقول: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاقدري لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، ويسمي حاجته. ويفعل أو يترك ما عزم عليه، والذي يأتيه هو الخير بإذن الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم فسق﴾ يريد ما ذكرت لكم مما حرمت عليكم إتيانه هو الفسق فاتركوه.

وقوله تعالى: ﴿اليوم يشس الذين كفروا من دينكم فلا تحشوهم واخشون﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين أن الكافرين من المشركين وغيرهم قد يشوامن أن يردوكم عن دينكم كما كان ذلك قبل فتح مكة ودخول ثقيف وهوازن في الإسلام، وظهوركم عليهم في كل معركة دارت بينكم وبينهم إذأ فلا تحشوهم بعد الآن أن يتمكنوا من قهركم وردكم إلى الكفر واخشوني أنا بدهم وذلك بطاعتي وطاعة رسولي ولزوم حدودي والأخذ بسنتي في كوني حتى لا تتعرضوا لنقمتي بسلب عطائي فإن نصرتي لأهل طاعتي وإذلالني لأهل معصيتي.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بما هو إنعام عليهم منه وامتنان فأولاً: إكمال الدين بجميع عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه حتى قيل أن هذه الآية نزلت عشية يوم عرفة عام

(١) هي ثلاثة أزلام كتب على أحدها: أمرني ربي وعلى الثاني: نهاني ربي والثالث مهمل لم يكتب عليه شيء ويجعلها في خريطة فإذا خرج أمرني مضى في عمله وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا.

(٢) هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ نزلت بعرفة يوم الجمعة في حجة الوداع بعد العصر والرسول ﷺ على ناقته العضباء كما هو واضح في رواية مسلم في صحيحه.

(٣) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصوداً على الشهادتين، والصلاة، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ التشريع ينزل يوماً بعد يوم حتى كمل وأعلن عنه الرب تعالى في حجة الوداع بقوله: ﴿اليوم أكملت...﴾ الخ.

حجة الوداع، ولم يعش بعدها رسول الله ﷺ إلا احدى وثمانين ليلة ثم توفاه الله تعالى وثانياً: إتمام نعمته تعالى عليهم فآمنهم بعد الخوف وقواهم بعد ضعف، ونصرهم وأعزهم بعد قهر وذل وسودهم وفتح البلاد لهم وأظهر دينهم وأبعد الكفر والكفار عنهم، فعلمهم بعد جهل وهداهم بعد ضلال فهذه من النعمة التي أتمها عليهم وثالثاً رضاه بالإسلام ديناً لهم حيث بعث رسوله به وأنزل كتابه فيه فبين عقائده وشرائعه فأبعدهم عن الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وأغناهم عنها بما رضى به لهم ألا وهو الإسلام القائم على الاستسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً وذلك سلم العروج الى الكمالات ومرقى كل الفواضل والفضائل والسعادات فلله الحمد وله المنة.

وقوله تعالى: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ يريد تعالى من اضطر أي ألبأته الضرورة وهي شدة الجوع وهي المخمصة والمسغبة إلى أكل ما حرمت عليكم من الميتة وأنواعها فأكل فلا إثم عليه فإني غفور لعبادي المؤمنين رحيم بهم إلا أن يكون قد أكل من الميتة وأنواعها متعمداً المعصية ماثلاً إليها غير مبال بتحريمي لها فذاك الذي عصاني وتعرض لنقمتي وعذابي فإن تاب فإني غفور رحيم، وإن أصر فإن عذابي أليم شديد.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- حرمة الميتة وما ذكر معها وهي عشر من المحرمات.
- ٢- حرمة الاستقسام بالأزلام ومثلها قرعة الأنبياء وخط الرمل والكهانة وما أشبه ذلك.
- ٣- حرمة الذبح على القبور والقباب والنصب التذكارية وهي من الشرك.
- ٤- جواز أكل ما أدركه المسلم حياً من الحيوان المأكول فذكاه وإن كان قد جرح أو كسر أو أشرف على الموت بأي سبب محتم.

(١) المخمصة لغة: الجوع، وخلاء البطن من الطعام، والخمص: ضمور البطن، ومنه الحديث «إن الطير تغدو خماساً وتروح بطناً» وفي الحديث أيضاً: «خماس البطون خفاف الظهور» والخمصة: ثوب، وجمعها خمائنص: ثياب خز وصوف: وفي الحديث «تمس عبد الخمصة».

(٢) من آداب التذكية: الرفق بالحيوان، احداث الشفرة، أن يوجهها إلى القبلة، تركها حتى تبرد قبل أن يشرع في سلقها، إحضار نية الإباحة قبل الشروع في الذبح، والاعتراف بالمنة لله حيث سخر لنا هذا الحيوان ولو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا، وكل هذه الآداب جاءت في قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح» الحديث.

٥- وجوب خشية الله تعالى وحرمة خشية الكفار.

٦- حرمة الابتداع في الدين وحرمة التشريع المنافي للشرع الإسلامي.

٧- جواز أكل الميتة للمضطر وهو من لحقه ضرر من شدة الجوع فخاف على نفسه الهلاك على شرط أن لا يكون قاصداً المعصية مائلاً إلى الإنهم.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾

أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بَآلَايِنَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

: ما أذن الله تعالى في أكله وأباحه لعباده المؤمنين .

الطيّبات

: جمع جارحة بمعنى كاسبة تجرح بمعنى تكسب .

الجوارح

: أي مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة كلباً أو

مكلبين^(١)

طيراً^(٢)

طعام الذين أوتوا الكتاب : ذبائح اليهود والنصارى .

: جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء .

المحصنات

(١) المكلب: هو معلم الكلاب، ومدرّبها على الصيد، ويقال للصيد مكلب، وعليه فقوله: «مكلبين» يكون بمعنى صائدين.

(٢) يكتفى في الطير بأن تطعم إذا أمرت، إذ هي دون الكلاب في الاستعداد للفهم والاستجابة ومثلها سباع الوحوش فإنها دون الكلاب أيضاً إلا أن الجمهور يشترط فيها ما يشترط في الكلاب.

أجورهن : مهورهن وصدقاتهن .
 غير مسافحين : غير مجاهرين بالزنى .
 أخذان : جمع خدن وهو الخليل والصاحب السري .
 ومن يكفر بالايان : أي يرتد عن الإيـان فالباء بمعنى عن إذ يقال ارتد عن كذا . . .
 حبـط عمله : بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه .
 معنى الآيتين :

ورد أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فاستأذن فأذن له النبي ﷺ فأبى أن يدخل لوجود كلب صغير في البيت فقال : (إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب) فأمر النبي بعدها بقتل الكلاب فقتلت ثم جاء بعضهم يسأل عما يحل لهم من أمة الكلاب فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات﴾ وهي كل ما لذ وطاب مما أباحه الله تعالى ولم ينه عنه، وأحل لكم كذلك صيد ما علمتم من الجوارح وهي الكلاب الخاصة بالاصطياد والفهود والنمور والطيور كالصقور ونحوها . مكليين أي مرسلين لها على الصيد لتمسكه لكم، ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ . أي تؤدبون تلك الجوارح بالأدب الذي أدبكم الله تعالى به، وحد الجارحة المؤدبة أنها إذا اشليت أي أرسلت على الصيد ذهبت إليه وإذا رُجرت انزجرت وإذا دعيت أجابت . وقوله تعالى : ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ يفيد شرطين لحلية الصيد زيادة على كون الجارحة معلمة وهما أولاً أن يذكر اسم الله عند إرسال الجارحة بأن يقول : بسم الله هاته مثلاً، والثاني أن لا تأكل الجارحة منه فإن أكلت منه فقد أمسكت لنفسها ولم تمسك لمن أرسلها، اللهم إلا إذا أدركت حية لم تمت

(١) ذكر القرطبي أن الآية : ﴿يسألونك...﴾ نزلت بسبب عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه الرسول ﷺ : زيد الخير، إذ قال : يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب، والبزاة، وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر، والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية : ﴿يسألونك...﴾ الخ، ولا منافاة بين ما ذكر في التفسير وبين هذا، إذ يسأل السائل فيقرأ عليه الرسول الآية فيرى أنها نزلت فيه .
 (٢) ﴿ما أمسكن عليكم﴾ على هنا بمعنى اللام، أي مما أمسكن لكم ولأجلكم كقولهم : سجن على كذا، وضرب الصبي على قوله كذا .

(٣) ذكر القرطبي الإجماع على أن الكلب إذا لم يكن أسود، وعلمه مسلم فيشلي إذا أشلى، ويجب إذا دعي وينزجر بعد ظفـره بالصيد إذا زجر وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده وأثر فيه بجرح أو تنبيب وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله أن صيده صحيح . هذه الشروط داخلة في الشرطين اللذين ذكرتهما الآية كما في التفسير إلا اشتراط أن لا يكون الكلب أسود . وهذا الشرط فيه خلاف .

ثم ذكيت فعند ذلك تحل بالتذكية لا بالاصطياد^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وعيد لمن لم يتق الله في أكل ما حرم أكله من الميتة وأنواعها، ومن صيد صاده غير معلّم من الجوارح، أو صاده معلّم ولكنه أكل منه فهات قبل التذكية. فلتتق عقوبة الله في ذلك فإن الله سريع الحساب.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤) أما الآية الثانية (٥) وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي في هذا اليوم الذي أكمل الله تعالى لكم فيه الدين أحل لكم ما سألتكم عنه وهو سائر الطيبات وكذا طعام الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى خاصة فطعامهم أي ذبائحهم حل لكم، وطعامكم حل لهم أي لا بأس أن تطعموهم من طعامكم فإن ذلك جائز لكم ولهم. وأحل لكم أيضاً نكاح المحصنات أي العفاف من المؤمنات، والمحصنات من نساء الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهن العفاف من اليهوديات والنصرانيات، على شرط إتيانهن أجورهن أي مهورهن حال كونكم محصنين أي عاقلين عليهن عقدة النكاح المتوقفة على المهر والولي والشهود وصيغة الإيجاب والقبول، لا مسافحين بإعطاء المرأة أجره وطئها فقط بدون عقد مستوف لشروطه، ولا متخذي أخذان أيضاً بأن تنكحوهن سراً بحكم الصحبة والصدقة والمحبة إذ ذاك هو الزنى فلا يحل بأجرة ولا بغير بأجرة وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن استباحة المحرمات والجرأة على ذلك قد تؤدي إلى الكفر، ومن يكفر بعد إيمانه فقد حبط عمله أي بطل ثواب ما عمله في إسلامه، حتى ولو راجع الإسلام فليس له إلا ما عمله بعد رجوعه إلى الإسلام، وإن مات قبل العودة إلى الإسلام فهو قطعاً في الآخرة من الخاسرين بالقائهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- مشروعية سؤال من لا يعلم عما ينبغي له أن يعلمه.
- ٢- حلية الصيد إن توفرت شروطه وهي أن يكون الجارح معلماً وأن يذكر اسم الله تعالى عند

(١) قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل» دالٌّ على أنَّ الصائد يتعيّن عليه أن يقصد عند إرسال الكلب والطير، التذكية والإباحة، إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

(٢) لفظ الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيماناً، أطلق وأريد به الإسلام، لأنَّ الإسلام والإيمان متلازمان، ما أسلم مَنْ لم يؤمن وما آمن مَنْ لم يسلم ومعنى الآية: ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ...﴾ الخ.

إرساله وأن لا يأكل منه الجارح، ويجوز أكل ما صيد برصاص أو بآلة حادة بشرط ذكر اسم الله عند رميه ولو وجد ميتاً فلم يذك.

٣- إباحة طعام وذبائح أهل الكتاب.

٤- إباحة نكاح الكتابيات بشرط أن تكون حرة عفيفة وأن يعقد عليها العقد الشرعي وهو القائم على الولي والشهود والمهر والصيغة بأن يقول الخاطب لمن يخطبه من ولي ووكيل زوجني فلانة فيقول له قد زوجتكها.

٥- حرمة نكاح المتعة ونكاح الخلة والصحبة الخاصة.

٦- المعاصي قد تقود إلى الكفر.

٧- المرتد عن الإسلام يحبط عمله فلوراجع الإسلام لا يثاب على ما فعله قبل الردة وإن مات قبل العودة إلى الإسلام خسر نفسه وأهله يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

(١) لفظ: حادة احتراز من غير الحادة كالمصا وعرض المعراض والحجر ونحوها لحديث: «إذا ضربت بالمعراض فخرق فكله وإن أصابه بعرض فإنه وقيد فلا تأكله، إذ المعراض سهم بلا ريش غليظ الوسط يصيب بحده وعرضه معاً، فإن أصاب بحده جاز أكل ما أصابه، وإن أصاب بعرضه فهو كالموقودة فلا يؤكل.

(٢) لأن الأمة الكافرة لا تحل للمؤمن لقول الله تعالى: ﴿مَنْ فِتْيَانَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ أي لا الكافرات، الآية من سورة النساء.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إذا قمتم إلى الصلاة : أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون أي على غير وضوء .
فاغسلوا وجوهكم : أي بعد غسل الكفين ثلاثاً والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثاً
ثلاثاً لبيان رسول الله ﷺ ذلك .^(١)

وارجلكم إلى الكعنين : أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعنين إلا أن يكون عليها خف ساتر
فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزعه وغسل الرجلين، وذلك إن
لبسه بعد وضوء ولم يمض على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيماً،
أو ثلاثة أيام إن كان مسافراً بهذا جاءت السنة .^(٢)

وإن كنتم جنباً : الجنب من قامت به جنابة وهي شيئان : غياب رأس الذكر في
الفرج، وخروج المنى بلذة في نوم أو يقظة .

فاطهروا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء .
الغائط : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط،
أو بول أو مذي .

أو لامستم النساء : ملازمة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها

(١) إن خلافاً طويلاً عريضاً في تأويل هذه الآية وهو يدور على هل الوضوء واجب لكل صلاة أو هو مستحب أو واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره، وهل في الآية تقديم وتأخير؟ والذي عليه جمهور الأمة أن الوضوء واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره وأن تأويل الآية هو كما في التفسير، ومما تنبغي الإشارة إليه أن الوضوء والغسل والتيمم كلها كانت مشروعة قبل نزول هذه الآية، إذ ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بغير وضوء، ومشروعية التيمم نزلت في غزوة المريسيع، وكانت سنة خمس أو ست من الهجرة، وعليه فالآية شملت الطهارة بأنواعها مؤكدة لها لتبقى خالدة تتلى في كتاب الله يتعبد بتلاوتها ويعمل بمضمونها علماً وعملاً إذ سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن كما تقدم .

(٢) ورد هذا في حديث عثمان في الصحيح إذ فيه : «ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر .

(٣) لحديث مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال : «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم» يعني في المسح على الخفين .

أو لأمسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا
مس الفرج باليد لأنه مظنة اللذة لذا قال الرسول ﷺ «من أفضى
منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ».

فتيمموا صعيداً : اقصدوا تراباً أو حجراً أو رملأ أو سبخة مما صعد على وجه الأرض .
الحرج : المشقة والعسر والضيق .

ميثاقه : أي ميثاق الله تعالى وهو عهده المؤكد والمراد به هنا : شهادة أن لا
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكليف
الشرعية .

معنى الآيتين :

نادى الرب تعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعده ووعيده ليأمرهم بالطهارة إذا هم أرادوا الصلاة
وهي مناجاة العبد لربه لحديث المصلي يناجي ربه ، وبين لهم الطهارة الصغرى منها وهي
الوضوء ، والكبرى وهي الغسل ، وبين لهم ما ينوب عنها إذا تعذر وجود الماء الذي به
الطهارة أو عجزوا عن استعماله : فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحد الوجه طولاً من منبت الشعر أعلى الجبهة إلى منتهى الذقن أسفل
الوجه وحده عرضاً من وتد الأذن اليمنى إلى وتد الأذن اليسرى ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾
فيشمل الغسل الكفين والذراعيين إلى بداية العضدين فيدخل في الغسل المرفقان
﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ واللفظ محتمل للكل والبعض والسنة بينت أن الماسح يقبل بيديه
ويدبر بهما فيمسح جميع رأسه وهو أكمل وذلك ببلل يكون في كفيه ، كما بينت السنة مسح
الأذنين ظاهراً وباطناً بعد مسح الرأس ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي واغسلوا أرجلكم إلى
الكعبين وهما العظمان النائتان عند بداية الساق ، وبينت السنة رخصة المسح على الخفين^(١)
بدلاً من غسل الرجلين ، كما بينت غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ، وكون

(١) نص الحديث : «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه» وفي رواية البخاري : «إذا كان أحدكم في الصلاة فإن ربه
بينه وبين القبلة» .

(٢) وكل ما ذكر في التفسير من صفة الوضوء والغسل ، والتيمم هو ثابت في الصحاح والسنن ، وليس فيه ما هو ضعيف قط .
(٣) وضلت الرافضة فأخذوا بقراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالكسر ، فمسحوا أرجلهم في كل وضوء وتركوا غسل الرجلين أبداً ، والحامل
لهم على ذلك أن رؤساءهم زينوا لهم ذلك وأوجوه عليهم لعل أن يبقوا بعيدين عن الإسلام والمسلمين ليستغلوهم مادياً ،
وليعدوهم لقتال المسلمين لإعادة دولة المجوس التي يحلمون بها ، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم عملوا بكتاب ربهم وسنة
نبيهم فغسلوا أرجلهم ، لأن نبيهم لم يسمح رجله بدون خف قط ، ومسحوا على الخفين كما مسح نبيهم فآخذوا بالقراءة معاً

الغسل ثلاثاً ثلاثاً على وجه الاستحباب، وقول بسم الله عند الشروع أي البدء في الوضوء. كما بينت السنة وجوب الترتيب بين الأعضاء المغسولة الأول فالأول، ووجوب الفور بحيث لا يفصل بزمان بين أعضاء الوضوء حال غسلها بل يفعلها في وقت واحد إن أمكن ذلك وأكدت وجوب النية حتى لكانه شرط في صحة الوضوء.^(١)

وقال تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾^(٢) أي وإن أصابت أحدكم جنابة وهي الجماع والاحتلام فمن جامع زوجته فأولج ذكره في فرجها ولو لم ينزل أي لم يخرج منه المنى فقد أجنب كما أن من احتلم فخرج منه منى فقد أجنب بل لكل من خرج منه منى بلدة في نوم أو يقظة فقد أجنب وانقطاع دم حيض المرأة ودم نفاسها كالجنابة يجب منه الغسل، وقوله ﴿فاطهروا﴾ يريد فاعتسلوا وقد بينت السنة كيفية الغسل وهي أن ينوي المرء رفع الحدث الأكبر بقلبه ويغسل كفيه قائلاً بسم الله ويغسل فرجه وما حولها، ثم يتوضأ الوضوء الأصغر المعروف، ثم يخلل أصول شعر رأسه ببلل يديه، ثم يغسل رأسه ثلاث مرات، ثم يقبض الماء على شق جسده الأيمن كله من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر، ويتعاهد الأماكن التي قد ينبو عنها الماء فلا يمسه كالسرة وتحت الإبطين، والرفقين وهما أصل الفخذين، وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء﴾ ذكر تعالى في هذه الجملة الكريمة نواقض الوضوء وموجب الانتقال منه إلى التيمم فقال: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فالمرضى قد يعجز عن الوضوء لضعف جسمه بعدم القدرة على التحرك، وقد تكون به جراحات أو دمايل يتعذر معها استعمال الماء حيث يزداد المرض بمس الماء، وقوله ﴿أو على سفر﴾ إذ السفر مظنة عدم وجود الماء هذه موجبات الانتقال من الوضوء إلى التيمم، وقوله عز وجل: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء﴾.

(١) بعض الفقهاء يعدون النية فرضاً من فروض الوضوء، وبعضهم يعدها شرطاً، وما دام المشروط يتوقف على شرطه صحة وبطلاناً، والفرض إذا ترك بطل الوضوء فإنه خلاف لفظي لا غير.

(٢) ﴿فاطهروا﴾ أصلها فطهروا فادغمت التاء في الطاء لاتحاد مخرجيهما، ومعنى: اطهروا اغتسلوا، وفي الحديث الصحيح: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور».

(٣) مع أذنيه ظاهراً وباطناً.

(٤) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولما كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين الناس، أطلق لفظ الغائط على ما يحل فيه من بول وعذرة.

ذكر في الجملة الأولى نواقض الوضوء إجمالاً وهو الخارج من السبيلين من عذرة وفساء وضراط وبول ومذي كنى عنه بقوله: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ وهو مكان التغوط والتبول وذكر موجب الغسل وهو الجماع وكنى عنه بالملامسة تعليةً لعباده المؤمنين الآداب الرفيعة في مخاطبتهم، وقوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾ للوضوء أو الغسل بعد أن طلبتموه فلم تجدوه فتييموا، اقصدوا من أم الشيء إذا قصده صعيداً طيباً يريد ما صعد على وجه الأرض من أجزائها كالتراب والرمل والسبخة والحجارة وقوله: ﴿طيباً﴾ يريد به طاهراً من النجاسة والقذر، وقوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ بين فيه كيفية التيمم، وهي أن يقصد المرء التراب الطاهر وإن تعذر ذلك فما تسر له من أجزاء الأرض فيضرب بكفيه الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه ظاهراً وباطناً مرة واحدة وقوله منه أي من ذلك الصعيد وبهذا بين تعالى كيفية التيمم وهي التي علمها رسول الله ﷺ عمار بن ياسر رضي الله عنه وقوله تعالى: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ يخبر تعالى أنه يأمرنا بالطهارة بقسميها الصغرى وهي الوضوء والكبرى وهي الغسل، وما ينوب عنهما عند العجز وهو التيمم، ما يريد بذلك إيقاعنا في الضيق والعنت، ولكنه تعالى يريد بذلك تطهيرنا من الأحداث والذنوب، لأن الوضوء كفارة لذنب المتوضىء كما جاء بيانه في السنة^(٦) وهو قوله: ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ بهدايتكم إلى الإسلام وتعليمكم شرائعه فيعدهم بذلك لشكره وهو طاعته بالعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الباطنة والظاهرة وهو معنى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦) أما الآية الأخيرة (٧) وهي قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا، واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾ فإنه تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يذكروا نعمته عليهم بهدايتهم إلى الإيمان ليشكروه بالإسلام، كما يذكروا ميثاقه الذي واثقهم به وهو العهد الذي قطعه المؤمن على نفسه لربه تعالى بالتزامه بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ عندما تعهد أن لا إله إلا الله وأن

(١) إذ قال له: «إنما يكفيك أن تقول هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه» متفق عليه، وورد أنه يضرب الأرض فيمسح وجهه ثم يكررها مرة أخرى فيمسح كفيه. وورد عن ابن عمر مسحهما إلى المرفقين.

(٢) ورد في فضل الوضوء أحاديث صحيحة كثيرة منها: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه» ومنها: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يرفع طرفه إلى السماء ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين» إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية.

عمداً رسول الله . وأما قوله : ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ قد قالها الصحابة بلسان القال عندما بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وقد قالها كل مسلم بلسان الحال لما شهد لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة . وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بالتقوى التي هي لزوم الشريعة والقيام بها عقيدة وعبادة وقضاء وأدباً وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يذكر لهم بعلم الله تعالى بخفايا أمورهم حتى يراقبوه ويخشوه في السر والعلن وهذا من باب تربية الله تعالى لعباده المؤمنين لإكمالهم وإسعادهم فله الحمد وله المنة .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- الأمر بالطهارة ^(١) وبيان كيفية الوضوء وكيفية الغسل ، وكيفية التيمم ^(٢) .
- ٢- بيان الأعدار الناقلة للمؤمن من الوضوء إلى التيمم .
- ٣- بيان موجبات الوضوء والغسل .
- ٤- الشكر هو علة الإنعام .
- ٥- ذكر العهود يساعد على التزامها والمحافظة عليها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

(١) في الحديث الصحيح : «الطهور شرط الإيمان» رواه مسلم .

(٢) وكيفية المسح على الخفين هي أن يبل يده بالماء ثم يمسح ظاهر رجله اليمنى ثم يمسح ظاهر اليسرى ، دون باطنها لحديث علي : «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه» ويشترط في المسح أن يلبس خفيه على طهارة .

الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

قوامين لله : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالى بحقوقه وما وجب له تعالى ،
 وبحقوق الغير أيضاً لا يفرط في شيء من ذلك .
 شهداء بالقسط : جمع شهيد بمعنى شاهد والقسط العدل .
 ولا يجرمكم : أي لا يحملكم .
 شنان : بغض وعداوة .
 العدل : خلاف الجور ، وهو المساواة بلا حيف ولا جور .
 هو أقرب للتقوى : أي العدل أقرب للتقوى من الجور .
 هم قوم : أرادوا وعزموا على إنفاذ إرادتهم والقوم هم يهود بني النضير .
 يبسطوا إليكم أيديهم : أي ليقتلوا نبيكم ﷺ .
 فكف أيديهم : لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم ففي الآية
 (٨) أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين لله تعالى بسائر حقوقه عليهم من الطاعات ،
 وأن يكونوا شهداء بالعدل لا يحيفون ولا يجورون في شيء سواء كان المشهود عليه ولياً أو
 عدواً ، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم أو عداوتهم على ترك العدل وقد أمروا به ، ثم أمرهم
 بالعدل وأعلمهم أن أهل العدل هم أقرب الناس إلى التقوى ، لأن من كانت ملكة العدل

(١) لما ذكرهم تعالى في الآيات السابقة بنعمه العظيمة طلب إليهم في هذه الآية أن يشكروا تلك النعم وذلك بالوفاء له
 بالعهد فقال لهم : «كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» .

(٢) المراد من التقوى : التقوى الكاملة التامة التي هي ملاك الأمر إذ بها تتحقق لهم ولاية ربهم ما داموا مؤمنين متقين .

صفة له كان أقدر على أداء الحقوق والواجبات، وعلى ترك الظلم واجتناب المنهيات ثم أمرهم بالتقوى مؤكداً شأنها لأنها ملاك الأمر، وأعلمهم بأنه خير بما يعملون لتزداد ملكة مراقبة الله تعالى في نفوسهم فيفوزون بالعدل والتقوى معاً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية (٩) فقد تضمنت بشرى سارة^(١) لهم وهي أن ربهم قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم والأجر العظيم لهم وهو الجنة، وقلت بشرى سارة لهم، لأنهم هم أهل الإيمان وصالح الأعمال رضي الله عنهم وارضاهم، أما الآية الثالثة (١٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً للكافرين المكذبين بآيات الله وحججه التي أرسل بها رسله وأيدهم بها، ولازم لكذبهم وكفرهم خبث أرواحهم ولذا فهم لا يلائمهم إلا عذاب النار فكانوا بذلك أصاب الجحيم^(٢) الذين لا يفارقونها أبداً، وأما الآية الرابعة (١١) فقد ذكرهم تعالى بنعمة عظيمة من نعمه، هي نجاة نبيهم محمد ﷺ من قتل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود إذ ورد في سبب نزول هذه الآية ما خلاصته :

أن أولياء العامريين الذين قتلوا خطأ من قبل مسلم حيث ظنهما كافرين فقتلها جاءوا يطالبون بدية قتيلهم فخرج رسول الله ﷺ ومعه الخلفاء الراشدون الأربعة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين خرجوا إلى بني النضير يطالبونهم بتحمل شيء من هذه الدية بموجب عقد المعاهدة إذ من جملة موادها تحمل أحد الطرفين معونة الطرف الآخر في مثل هذه الحالة المالية فلما وصلوا إلى ديارهم شرق المدينة استقبلوا رسول الله ﷺ بالحفاوة والتكريم وأجلسوه مكاناً لاثقاً تحت جدار منزل من منازلهم وأفهموه أنهم يعدون الطعام والنقود، وقد خلوا ببعضهم وتآمروا على قتله ﷺ وقالوا فرصة متاحة فلا نفوتها أبداً وأمروا أحدهم أن يطلق من سطح المنزل حجر رعى كبيرة على رأس النبي ﷺ فقتلته، وما زالوا يدبرون مكيدتهم حتى أوحى الله إلى رسوله بالمأمرة الدنيئة فقام ﷺ وتبعه أصحابه ودخلوا إلى المدينة وفاتت فرصة اليهود واستوجبوا بذلك اللعن وإلغاء المعاهدة وإجلاءهم من المدينة، وقصتهم في سورة الحشر، والمقصود من هذا بيان المراد من قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين

(١) لقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

(٢) في الآية قصر ادعائي وهو قوله تعالى : ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي لا غيرهم كأنهم المتأهلون للعذاب والخلود فيه، دون غيرهم، وذلك لعظم جرمهم بالكفر والتكذيب.

آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا إليكم أيديهم ﴿١﴾ أي بالقتل للنبي ﷺ ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ حيث أوحى إلى رسوله ما دبره اليهود فانصرف وتركهم لم يظفروا بما أرادوا وهو معنى ﴿فكف أيديهم عنكم﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه إذ هي سلم كمالهم وسبيل نجاحهم وهي عبارة عن امتثال أمره وأمر رسوله واجتناب نهيهما وأرشدهم إلى التوكل عليه تعالى في جميع أمورهم بقوله ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب القيام بحق الله تعالى على العبد وهو ذكره وشكره بطاعته .
- ٢- وجوب العدل في الحكم والقول والشهادة والفعل ومع الولي والعدو سواء .
- ٣- تأكيد الأمر بتقوى الله عز وجل .
- ٤- الترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد كما في الآيتين (٩) و (١٠) .
- ٥- وجوب ذكر النعمة حتى يؤدي شكرها .
- ٦- وجوب التوكل على الله تعالى والمضي في أداء ما أوجب الله تعالى .

❖ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ

(١) ولهذا الحادثة نظيراتها فقد تعددت مؤامرات اليهود، والمشركين على النبي ﷺ والمؤمنين ففي الحديبية حصل مثل هذا وحادثة غوث ودعشور كذلك إذ الكل هموا فيها بيسط أيديهم بالأذى ولكن الله كف أيديهم فله الحمد وله المنّة .
(٢) كف اليد : كناية عن عدم القتل ، والقتال ، وبسطها كناية عن السوء والأذى الحاصل بها .
(٣) في الآية قصر حقيقي ، وهو أن التوكل لا يكون إلا على الله إذ لا كافي إلا هو سبحانه وتعالى .

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

الميثاق

: العهد المؤكد بالأيمان .

بنو إسرائيل

: اليهود .

نقيباً^(١)

: نقيب القوم : من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم .

وعزرتهم^(٢)

: أي نصرتهم ودافعتم عنهم معظمين لهم .

وأقرضتم الله : أي أنفقتم في سبيله ترجون الجزاء منه تعالى على نفقاتكم في سبيله .

لأكفرن عنكم سيئاتكم : أسترها ولم أأخذكم بها .

فقد ضل سواء السبيل : أخطأ طريق الهدى الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحسوب والنجاة من المهرب .

معنى الآية الكريمة :

لما طالب تعالى المؤمنين بالوفاء بعهودهم والالتزام بمواثيقهم ذكرهم في هذه الآية بما أخذ على بني إسرائيل من ميثاق فنقضوه فاستوجبوا خزي الدنيا وعذاب الآخرة ليكون هذا عبرة للمؤمنين حتى لا ينكثوا عهدهم ولا ينقضوا ميثاقهم كما هو إبطال لاستعظام من استعظم غدر اليهود ومهم بقتل النبي ﷺ فقال تعالى : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ﴾ وهو قوله إني معكم الآن ، ﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ . أي من كل قبيلة من قبائلهم الاثني عشرة قبيلة نقيباً يرعاهم ويفتش على أحوالهم كرئيس فيهم ، وهم الذين بعثهم موسى عليه

(١) النقب والنقب بفتح القاف وضمها : الطريق في الجبل ، والنقيب : الأمين على القوم ، وجمعه نقباء ، وهو من ينقب عن أمور القوم ومصالحتهم ليرعاها لهم ، وقالوا : النقيب أكبر من العريف ، وفي البخاري : « ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » .

(٢) التعزير : التعظيم ، والتوقير والنصرة والدفاع عن المعزّر . والتعزير في الشرع : الضرب دون الحد لردّ المخالف إلى الحق وسبيل الرشاد .

(٣) من بين النقباء الاثني عشر : يوشع ، وكالب ، وهما رجلان صالحان ، والباقون هلكوا فلا خير فيهم .

السلام إلى فلسطين ليتعرفوا على أحوال الكنعانيين^(١) قبل قتالهم . وقال الله تعالى ﴿إني معكم﴾ وهذا بند الميثاق ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ أي وعزتي وجلالي ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي﴾ صدقتموهم فيما جاءوكم به ﴿وعزرتموهم﴾ بنصرتهم وتعظيمهم ، ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ أي زيادة على الزكاة الواجبة والعامّة في الإنفاق وفي تزكية النفس بالإيمان وصالح الأعمال ﴿لأكفرن عنكم﴾ سيئاتكم ﴿بإذهاب آثارها من نفوسكم حتى تطيب وتطهر﴾ ولأدخلنكم ﴿بعد ذلك التطهير﴾ جنات تجري من تحتها أي من تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ هذا جزاء الوفاء بالميثاق ﴿فمن كفر﴾ فنقض وأهمل ما فيه فكفر بعده ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ طريق الفلاح في الدنيا والآخرة ، أي خرج عن الطريق المفضي بسالكه إلى النجاة والسعادة .

هداية الآية

من هداية الآية

- ١- الحث على الوفاء بالالتزامات الشرعية .
- ٢- إبطال استغراب واستعظام من يستغرب من اليهود مكروهم ونقضهم وخبثهم ويستعظم ذلك منهم .
- ٣- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله تعبد الله بها من قبل هذه الأمة .
- ٤- وجوب تعظيم الرسول ﷺ ونصرته في أمته ودينه .

(١) في الآية دليل على قبول خبر الواحد فيما يحتاج إليه من الاطلاع على حاجة من الحاجات الدينية والدنيوية ، وفيها دليل على اتخاذ العين : أي الجاسوس ، وقد بعث رسول الله ﷺ بسبسة عينا في غزوة بدر بعثه لتقصي أخبار أبي سفيان . رواه مسلم .

(٢) هذا جواب القسم في قوله : ﴿لئن أقمتم الصلاة...﴾ الخ وأما قوله تعالى : ﴿إني معكم﴾ فهو إخبار بوعد الله تعالى لبني اسرائيل ، وهي معية نصره ، وتأييد إن هم وقوا الله بما أخذ عليهم من عهد وميثاق وجملة : ﴿لئن أقمتم﴾ جملة مستأنفة ، ولا علاقة لها بجملة الوعد : ﴿إني معكم﴾ .

(٣) ليس هذا من خصائص أمة الإسلام لأن هذه العبادات شرعت لإسعاد ، وإكمال الإنسان فلذا هي مشروعة لكل الأمم ، لتوقف الكمال والسعادة على مثلها من مزايا النفوس ومهذبات الأخلاق .

(٤) لأن مقام الرسل شريف ، وكيف وهم رسل الله تعالى ، ثم لولا وجوب ذلك لهم مع وجوب محبتهم لما أطاعهم من بعثوا فيهم ، وأرسلوا إليهم .

فِيمَا

نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

نقض الميثاق

: حله بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي .

لعناهم

: طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال .

يحرفون الكلم

: يبدلون الكلام ويؤولون معانيه لأغراض فاسدة ، والكلم من الكلام .

ونسو حظاً مما ذكروا : تركوا قسطاً كبيراً مما ذكرهم الله تعالى به أي أمرهم به في كتابهم .

خائنة

: خيانة أو طائفة خائنة منهم .

فاعف عنهم واصفح : أي لا تؤاخذهم واصرف وجهك عنهم محسناً إليهم بذلك .

إننا نصارى

: أي ابتدعوا بدعة النصرانية فقالوا إننا نصارى .

أغرينا بينهم العداوة : الإغراء : التحريش والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلى

يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبداً .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان خبث اليهود وغدرهم فقد أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة

(١٣) أن اليهود الذين أخذ الله ميثاقهم على عهد موسى عليه السلام بأن يعملوا بما في التوراة وأن يقابلوا الكنعانيين ويخرجوهم من أرض القدس وبعث منهم اثني عشر نقيباً قد نكثوا عهدهم ونقضوا ميثاقهم، وإنه لذلك لعنهم وجعل قلوبهم قاسية فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فقال تعالى: ﴿فبما نقضهم^(١) أي فبنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة ويطيعوا رسولهم ﴿لعناهم﴾ أي أبعدناهم من دائرة الرحمة وأفناء الخير والسلام ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ شديدة غليظة لا ترق لموعظة، ولا تلين لقبول هدى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ فيقدمون ويأخرون ويحذفون بعض الكلام ويؤولون معانيه لتوافق أهواءهم، ومن ذلك تأويلهم الآيات الدالة على نبوة كل من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم في التوراة ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ وتركوا كثيراً مما أمروا به من الشرائع والأحكام معرضين عنها متناسين لها كأنهم لم يؤمروا بها، فهل يستغرب ممن كان هذا حالهم الغدر والنقض والخيانة، ولا تزال يا رسولنا ﴿تطلع على خائنة منهم﴾ أي على طائفة خائنة منهم كخيانة بني النضير ﴿إلا قليلاً منهم﴾ فإنهم لا يخونون كعبد الله بن سلام وغيره، وبناء على هذا ﴿فاعف عنهم﴾ فلا تؤاخذهم بالقتل، ﴿واصفح﴾ عنهم فلا تتعرض لمكروهم فأحسن إليهم بذلك ﴿إن الله يحب المحسنين﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٣) أما الآية الثانية (١٤) في هذا السياق فقد أخبر تعالى عن النصارى وأن حالهم كحال اليهود لا تختلف كثيراً عنهم فقد أخذنا ميثاقهم على الإيمان بي وبرسلي وبالعامل بشرعي فتركوا متناسين كثيراً مما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه، فكان أن أغرينا بينهم^(٢) العداوة والبغضاء كثمرة لنقضهم الميثاق فتعصبت كل طائفة لرأيها فثارت

(١) الباء في قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم﴾ زائدة لتقوية الكلام وتأكيده، ولفت النظر إليه ليتأمل وتفهم معانيه.

(٢) قرئت: (قسيه) يقال عام قسي: أي شديد لا مطر فيه، فالمادة مأخوذة من الشدة والقساوة.

(٣) لفظ خائنة: صالح لأن يكون صفة لطائفة محدوفة، كما في التفسير، وجائز أن تكون خائنة بمعنى خيانة كقولهم في القيلولة قائل، والخيانة هي المعصية يحدثونها بالكذب، والفجور، وأصل الخيانة: عدم الوفاء بالعهد.

(٤) هذا حمل له ﷺ على مكرام الأخلاق لأن أذاهم كان منصبا عليه ﷺ فأمره بعدم مقابلة الأذى بالأذى بل بالعفو والصفح ليعظم مقامه أمامهم ويكبر في أعينهم.

(٥) التعبير بلفظ النصارى فيه إشارتان مهمتان. الأولى: أن النصرانية بدعة ابتدعوها وليست مما شرع الله تعالى فهو ينفي عنهم ذلك، والثانية: بما أنهم راعوا في هذه البدعة نصرة الدين والحق وأهله أخذوا من قول عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾ فقال الحواريون: ﴿نحن أنصار الله﴾ إذاً لم لا تنصروا الحق وهو الإسلام وأهله وهم المسلمون؟

(٦) من الجائز أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد على اليهود والنصارى لأن العداوة بينهم ثابتة إلا أن السياق هو في النصارى فطوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالى. والفرق بين العداوة والبغضاء أن العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذى بالضرب أو القتل. وأما البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من صاحبها أذى.

بينهم الخصومات وكثر الجدل فنشأ عن ذلك العداوات والبغضاء وستستمر إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله تعالى بما كانوا يصنعون من الباطل والشر والفساد ويجازيهم به الجزاء الموافق لخبث أرواحهم وسوء أعمالهم فإن ربك عزيز حكيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- حرمة نقض المواثيق ونكث العهود ولا سيما ما كان بين العبد وربّه .
- ٢- الخيانة وصف لازم لأكثر اليهود فقل من سلم منهم من هذا الوصف .
- ٣- استحباب العفو عند القدرة، وهو من خلال الصالحين .
- ٤- حال النصارى^(١) لا تختلف كثيراً عن حال اليهود كأنهم شربوا من ماء واحد . وعليه فلا يستغرب منهم الشر ولا يؤمنون على سر فهم في عداوة الإسلام والحرب عليه متعاونون متواصون .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

شرح الكلمات :

أهل الكتاب^(٢) : هنا هم اليهود والنصارى معاً .

(١) جائز أن يكون النصارى : جمع نصراني منسوب إلى النصر كما قالوا لشعراني، ولحياني منسوي إلى الشعر، واللحية .
(٢) الكتاب اسم جنس يصدق على الواحد والاثني والأكثر، والمراد بأهل الكتاب، اليهود والنصارى، ونداؤه لهم بعنوان الكتاب فيه معنى العيب عليهم سلوكهم الشائن وانحرافهم الخطير حيث بعدوا عن كل خير.

قد جاءكم رسولنا : محمد صلى الله عليه وسلم .
 تخفون من الكتاب : الكتاب التوراة والإنجيل ، وما يخفونه صفات النبي محمد ﷺ وبعض
 الأحكام المخالفين لها يمحذونها خوف المعرة كالرجم مثلاً .
 ويعفو^(١) عن كثير : لا يذكرها لكم لعدم الفائدة من ذكرها .
 نور وكتاب مبین : النور محمد ﷺ ، والكتاب القرآن الكريم .
 إلى صراط مستقيم : الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به . والمستقيم الذي لا
 اعوجاج فيه .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب فبعد أن بين تعالى باطلهم وما هم عليه من شر وسوء
 دعاهم وهو ربهم وأرحم بهم من أنفسهم إلى سبيل نجاتهم وكما لهم دعاهم إلى الإيمان برسوله
 وكتابه ذلك الرسول الذي ما اتبعه أحد وندم وخزى والكتاب الذي ما ائتم به أحد وضل
 أو شقي ، فقال : ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ أي محمد ﷺ ﴿يبين لكم﴾ بوحينا
 ﴿كثيراً﴾ من مسائل الشرع والدين التي تخفونها خشية الفضيحة لأنها حق جحدتموه وذلك
 كنعوت النبي الأمي وصفاته حتى لا يؤمن به الناس ، وكحكم الرجم في التوراة وما إلى
 ذلك . ﴿ويعفو﴾ يترك كثيراً لم يذكر لعدم الداعي إلى ذكره يا أهل الكتاب ﴿قد جاءكم من
 الله﴾ ربكم ﴿نور﴾ هو رسولنا محمد ﷺ ﴿وكتاب مبین﴾ وهو القرآن إذ بين كل شيء من
 أمور الدين والدنيا وكل ما تتوقف سعادة الإنسان وكماله عليه دنيا وأخرى ﴿يهدي به الله﴾
 تعالى ﴿من اتبع رضوانه﴾ وذلك بالرغبة الصادقة في الحصول على رضا الله عز وجل بواسطة
 فعل محابه وترك مساخطه عن كل معتقد وقول وعمل يهديه به ﴿سبل السلام﴾ أي طرق
 السعادة والكمال ، ﴿ويخرجهم﴾ أي المتبعين رضوان الله ﴿من الظلمات﴾ وهي ظلمات
 الكفر والشرك والشك ، إلى نور الإيمان الصحيح والعبادة الصحيحة المزكية للنفس المهذبة
 للشعور بتوفيقه وعونه تعالى ويهديهم أي أولئك الراغبين حقاً في رضا الله ﴿يهديهم إلى صراط

(١) ﴿يعفو﴾ معناه يعرض ولا يظهر ، يقال : عفا الرسم إذا لم يظهر فعفا عن كذا : أعرض عنه ولم يظهره .

(٢) واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام ، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلى دار السلام في
 الآخرة وإلى الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا .

مستقيم ﴿ لا يضلون معه ولا يشقون أبداً وهو دينه الحق الإسلام الذي لا يقبل ديناً غيره،^(١) والذي ما اهتدى من جانبه ولا سعد ولا كمل من تركه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- نصح الله تعالى لأهل الكتاب بدعوتهم إلى سبل السلام بالدخول في الإسلام.
- ٢- بيان جحود اليهود والنصارى لكثير من الأحكام الشرعية ودلائل النبوة المحمدية مكرراً وحسداً حتى لا يؤمن الناس بالإسلام ويدخلوا فيه.
- ٣- اتباع السنة المحمدية يهدي صاحبه الى سعادته وكماله.
- ٤- القرآن حجة على الناس كافة لبيانه الحق في كل شيء.
- ٥- طالب رضا الله بصدق يفوز بكل خير وينجو من كل ضرر.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ

(١) شاهده قوله تعالى من سورة آل عمران : ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.
(٢) لأنه يطلبه من طريق الإسلام ، والإسلام قائد أهله إلى النجاة من كل مرهوب وإلى الفوز بكل محبوب مرغوب .

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِّنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- لقد كفر الذين : لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذباً الله هو المسيح بن مريم .
المسيح : لقب لعيسى بن مريم عبدالله ورسوله عليه السلام .
مريم : بنت عمران من صلحاء بني إسرائيل والدة عيسى عليه السلام .
يهلك : يميت ويبيد .
قدير : قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاداً أو إعدامه .
الأحباء : واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن .
على فترة : الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالى رسولا .
بشير ونذير : البشير: المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر وهو رسول الله ﷺ
يشير المؤمنين وينذر الكافرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب ففي الآية الأولى (١٧) أخبر تعالى مؤكداً الخبر بالقسم المحذوف الدالة عليه اللام الواقعة في جواب القسم فقال : ﴿لقد كفر^(١) الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ ووجه كفرهم أنهم جعلوا المخلوق المربوب هو الله الخالق الرب لكل شيء وهو كفر من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصاري فإنهم بانتائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها يؤخذون به ، لأن الرضا بالكفر كفر .

(١) المراد من ذكر هذا الخبر: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ هو بيان كفرهم بهذه المقالة ، لا أنه تقرير لضلالهم ونقضهم الميثاق .

(٢) هذا عائد إلى قول بعضهم : إن المسيح لاهوت ناسوت أي : إله وإنسان ، وهو خلط وخط لا نظير لهما ، وأشهر طوائفهم وهم اليعقوبية والملكانية ، والنسبورية ينكرون أن يكون الله هو المسيح ، ولكن يقولون : إن عيسى ابن الله ، وأنه إله وهو كذب صريح وكفر بواح .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يعلم رسوله كيف يحتاج على أهل هذا الباطل فيقول له: قل لهم ضمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه عليهما السلام ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ والجواب قطعاً لا أحد، إذ فكيف يكون عبد الله هو الله أو إلهاً مع الله؟ أليس هذا هو الضلال بعينه وذهاب العقول بكماله؟ ثم أخبر تعالى أنه له ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خلقاً وتصرفاً، وأنه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ خلقه بلا حجر عليه ولا حظير وهو على كل شيء قدير خلق آدم من تراب بلا أب ولا أم، وخلق حواء من آدم، وخلق عيسى من مريم بلا أب، ويخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير فكون المسيح عليه السلام خلقه بكلمة كن بلا أب لا تستلزم عقلاً ولا شرعاً أن يكون هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة مع الله كما هي عقيدة أكثر النصارى، والعجب من إصرارهم على هذا الباطل، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (١٨) فقد تضمنت بيان ضلال اليهود والنصارى معاً وهو دعواهم أنهم ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُ﴾^(١) إذ قال تعالى عنهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُ﴾^(٢) وهو تبجح وسفه وضلال فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله: قل لهم يا رسولنا ﴿فَلِمَ يَعْذِبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فهل الأب يعذب أبناءه والحبيب يعذب محبيه، وأنتم تقولون نعذب في النار أربعين يوماً بسبب خطيئة عبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً كما جاء ذلك في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ والحقيقة أن هذا القول منكم من حملة الترهات والأباطيل التي تعيشون عليها، وأما أنتم فإنكم بشر من خلق الله فنسبتكم إليه تعالى نسبة مخلوق إلى خالق وعبد إلى مالك من آمن منكم وعمل صالحاً غفر له وأكرمه، ومن كفر منكم وعمل سوءاً عذبه كما هي سنته في سائر عبادته، ولا اعتراض عليه فإن له ملك السموات والأرض وما بينهما وأنتم من جملة مملوكيه، واليه المصير فسوف ترجعون إليه ويجزيكم بوصفكم إنه حكيم عليم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٩) فقد تضمنت إقامة الحجة على أهل

(١) الفاء: للمطف على جملة محذوفة متضمنة كذبهم في قولهم، والتقدير: قل كذبتم فمن يملك... الخ.
(٢) التعبير بالأبوة والبنوة المنسوبة إلى الله تعالى تفيض بها التوراة والانجيل وهو من التحريف الذي حصل لكتايبهم، وأما قول من قال: هذه الأبوة والبنوة كانت تعني التشريف فاغتر بها المتأخرون واعتقدوا حقيقتها، هذا القول فيه مجازفة لا تقبل.
(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما خوف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود بالعقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحباءه فنزلت هذه الآية.

الكتاب فقد ناداهم الرب تبارك وتعالى بقوله يا أهل الكتاب وأعلمهم أنه قد جاءهم رسوله محمد ﷺ بين لهم الطريق المنجي والمسعد في وقت واحد على حين فترة من الرسل إذ انقطع الوحي منذ رفع عيسى إلى السماء وقد مضى على ذلك قرابة خمسمائة وسبعين سنة أرسلنا رسولنا إليكم حتى لا تقولوا معتذرين عن شرككم وكفركم وشركم وفسادكم: ﴿ما جاءنا منبشير ولا نذير﴾^(١) فيها هو ذا البشير محمد ﷺ^(٢) قد جاءكم فآمنوا به واتبعوه تنجوا وتسعدوا، وإلا فالعذاب لازم لكم والله على تعذيبكم قدير كما هو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كفر من ينسب إلى الله تعالى ما هو منزّه عنه من سائر النقائص .
- ٢- بطلان دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه بالدليل العقلي .
- ٣- نسبة المخلوقات لله تعالى لا تتجاوز كونها مخلوقة له مملوكة يتصرف فيها كما شاء ويحكم فيها بما يريد .
- ٤- قطع عذر أهل الكتاب بإرسال الرسول محمد ﷺ على حين فترة من الرسل .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَتَانَكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْنُدُوهَا عَلَيَّ أَذْ بَارِكُمْ

(١) الفترة مشتقة من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن، والأصل في الانقطاع عما كان عليه من الجد في العمل، والمراد بها في الشرع: هي انقطاع ما بين الرسلين.

(٢) ﴿من بشير ولا نذير﴾ من زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المجيء، وتنكير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقل نذير.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن معاذ بن جبل، وسعد بن عباد، وعقبة بن وهب قالوا لليهود: يا معشر يهود اتقوا الله فإنكم والله لتعلمون أن محمداً رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته فقالوا: ما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بعد من بشير ولا نذير فنزلت هذه الآية.

(٤) قوله تعالى: ﴿فقد جاءكم بشير...﴾ الآية الفاء هي الفاء الفصيحة، فقد أفصحت عن محذوف ما بعدها يكون علّة له، وتقديره هنا: لا تعتذروا فقد جاءكم... الخ.

فَنَقْلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٤١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ
وَأِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

(١) نعمة الله عليكم : منها نجاتهم من فرعون وملائه .
إذ جعل فيكم أنبياء^(٢) : منهم موسى وهرون عليهما السلام .
وجعلكم ملوكاً : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم .
العالمين : المعاصرين لهم والسابقين لهم .
المقدسة التي كتب : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها والسكن فيها بعد طرد
الكفار منها .

ولا ترتدوا على أديباركم : أي ترجعوا منهزمين إلى الوراء .
قوماً جبارين : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا .
يخافون : مخالفة أمر الله تعالى ومعصية رسوله .
أنعم الله عليهما : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض
الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء
الاثني عشر .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ قال الله تعالى لرسوله محمد

(١) النعمة : اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى : ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فهو دال على العدد الذي لا يحصى .

(٢) أنبياء : جمع نبي ولم يصرف لأن فيه ألف التأنيث الممدودة .

﴿١﴾ واذكر ﴿٢﴾ إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ﴿٣﴾ كموسى وهرون عليهما السلام ﴿٤﴾ وجعلكم ملوكاً ﴿٥﴾ تملكون أنفسكم لا سلطان لأمة عليكم إلا سلطان ربكم عز وجل ﴿٦﴾ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴿٧﴾ السكن فيها والاستقرار بها فافتحوا باب المدينة وباغتوا العدو فإنكم تغلبون ﴿٨﴾ ولا ترتدوا على أدباركم ﴿٩﴾ أي ولا ترجعوا إلى الوراء منهزمين فتقبلوا بذلك خاسرين، لا أمر الله بالجهاد أطعتم، ولا المدينة المقدسة دخلتم وسكتتم، واسمع يا رسولنا جواب القوم ليزول استعظامك بكفرهم بك وهمهم بقتلك، ولتعلم أنهم قوم بهت سفلة لا خير فيهم، إذ قالوا في جوابهم لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿١٠﴾ يا موسى إن فيها قوماً جبارين ﴿١١﴾ وإنا لن ندخلها حتى نخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴿١٢﴾ !! وكان سبب هذه الهزيمة الروحية ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور في العقول اللهم إلا اثنين منهم وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا وهما اللذان قال تعالى عنهما: ﴿١٣﴾ قال رجلان من الذين يخافون ﴿١٤﴾ أي أمر الله تعالى ﴿١٥﴾ أنعم الله عليهما ﴿١٦﴾ فعصمهما من إفشاء سر ما رأوا من قوة الكنعانيين إلا لموسى عليه السلام قالاً للقوم ﴿١٧﴾ ادخلوا عليهم الباب ﴿١٨﴾ أي باب المدينة ﴿١٩﴾ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿٢٠﴾ وذلك لعنصر المباغته وهو عنصر مهم في الحروب، ﴿٢١﴾ وعلى الله فتوكلوا ﴿٢٢﴾ وهاجموا القوم واقتحموا عليهم المدينة ﴿٢٣﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿٢٤﴾ بما أوجب الله عليكم من جهاد وكتب لكم من الاستقرار بهذه البلاد والعيش بها، لأنها أرض القدس والطهر. ﴿٢٥﴾ هذا ما تضمنته الآيات الأربع، وسنسمع رد اليهود على الرجلين في الآيات التالية.

(١) في هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ عما يلاقي من عنت وعناد يهود المدينة إذا أعلمه بما لاقى موسى منهم من غلظة وجفاء وتعنت وعناد.

(٢) روي عن الحسن وزيد بن أسلم: أن من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك، وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص كما في صحيح مسلم: إذ سأله رجل قائلاً: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال نعم، قال ألك منزل تسكنه؟ قال نعم قال: فانت من الأغنياء قال: فإن لي خادماً قال: فانت ملك.

(٣) سقطت هذه الآية من التفسير: ﴿وأتاكم ما لم يؤت أحدنا من العالمين﴾ وهو قول موسى لقومه، وما آتاهم منه: المن والسلوى والغمام وكون الأنبياء في بني إسرائيل في هذا المذكور تبدو الخصوصية المذكورة في قوله: ﴿وما لم يؤت أحدنا من العالمين﴾.

(٤) ﴿جبارين﴾: أي عظام الأجسام طوالها والجبار من الناس: المتعظم الممتنع من الذل والفقر أو هو من يجبر الناس على مراده لقوته عليهم وقهره لهم، وذكر القرطبي هنا حديثاً مسهباً عن عوج بن عناق وهو حديث خرافة لما فيه من التهاويل الباطلة.

(٥) هي أرض فلسطين الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت، فتنتهي إلى حماة شمالاً وغزة وحرون جنوباً (نقلاً عن التنوير).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ بإعلامه تعالى بخبث اليهود وشدة ضعفهم ومرض قلوبهم .
- ٢- فضح اليهود بكشف الآيات عن مخازنهم مع أنبيائهم .
- ٣- بيان الأثر السيء الذي تركه إذاعة النقباء للأخبار الكاذبة المهولة ، وقد استعملت ألمانيا النازية هذا الأسلوب ونجحت نجاحاً كبيراً حيث اجتاحت نصف أوربا في مدة قصيرة جداً .
- ٤- بيان سنة الله تعالى من أنه لا يخلو زمان ولا مكان من عبد صالح تقوم به الحجة على الناس .

٥- فائدة عنصر المباغته في الحرب وأنه عنصر فعال في كسب الانتصار .

قَالُوا يَمْوَسِيٰٓٔ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
 أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ



شرح الكلمات :

- لن ندخلها : أي المدينة التي ^(١)أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها .
- الفاسيقين : أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جبناً وخوفاً .
- محرمه عليهم : أي تحريماً كونياً قضائياً لا شرعياً تعبدياً .
- يتيهون في الأرض : أي في أرض سينامتحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة .
- فلا تأس : أي لا تحزن ولا تأسف .

(١) إلبا أو أريحا لاتعدوا واحدة منهما عند أكثر المفسرين والمؤرخين .

معنى الآيات :

هذا هو جواب القوم على طلب الرجلين الصالحين باقتحام المدينة على العدو، إذ قالوا بكل وقاحة ودناء وخسة: ﴿يا موسى إنا لن ندخلها...﴾ أي المدينة ﴿...أبدأ ما داموا فيها...﴾ أي ما دام أهلها فيها يدافعون عنها ولو لم يدافعوا، ﴿...فاذهب أنت وربك فقاتلا...﴾ أهل المدينة أما نحن فها هنا قاعدون. أي تمرّد وعصيان أكثر من هذا؟ وأي جبن وخور أعظم من هذا؟ وأي سوء أدب أحط من هذا؟ وهنا قال موسى متبرئاً من القوم الفاسقين: رب أي يا رب ﴿إني لا أملك إلا نفسي وأخي...﴾ يريد هارون ﴿...فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فطلب بهذا البراءة منهم ومن صنيعهم، إذ قد استوجبوا العذاب قطعاً، فأجابه ربه تعالى بقوله في الآية الثالثة (٢٦) ﴿فإنها محرمة عليهم...﴾ أي الأرض المقدسة أربعين سنة لا يدخلونها وفعلاً ما دخلوها إلا بعد مضي الفترة المذكورة (أربعين سنة) وكيف كانوا فيها؟ يتيهون في أرض سينا متحيرين في سيرهم لا يدرون أين يذهبون ولا من أين يأتون، وعليه فلا تحزن يا رسولنا ولا تأسف على القوم الفاسقين إذ هذا جزاؤهم من العذاب عَجَّلْ لهم فليذوقوه!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان جبن اليهود، وسوء أدبهم مع ربه وأنبيائهم.
- ٢- وجوب البراءة من أهل الفسق بيقض عملهم وتركهم لنقمة الله تعالى تنزل بهم.
- ٣- حرمة الحزن والتأسف على الفاسقين والظالمين إذا حلت بهم العقوبة الإلهية جزاء فسقهم وظلمهم لأنفسهم ولغيرهم.

(١) هذا الجبن والخور الذي أصاب القوم سببه: ما أذاعه النقباء فيهم ما عدا يوشع وكالب من أن العمالة قوم جبّارون أجسامهم كذا وكذا في طولها وعرضها وقوتهم كذا وكذا...

(٢) هذه العبارة تدل على جهل القوم بالله تعالى وبما يجب له من التعظيم والوقار وهي كلمة كفر إن لم يَعدّر صاحبها بجهل بالله تعالى وصفاته.

(٣) ليس معنى الملك أنه يملكه كعبد لا! إنه أخوه فكيف يملكه وإنما مراده: إني لا أملك إلا نفسي وأخي لا يملك إلا نفسه أيضاً لا قدرة لي ولا له على بني إسرائيل.

(٤) أراد مفاصلتهم لما ظهر منهم من التمرّد، والعصيان والبعد عنهم حتى لا يصيبهما ما يصيبهم من العقاب.

(٥) التيه في اللغة: الحيرة يقال: تاه بته تيهًا: إذا تحير، والأرض التيهاء: التي لا يهتدي فيها وتاه المرء في الأرض ذهب فيها متحيراً لا يدري أين يذهب أو يجيء.

﴿٢٧﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقِبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ
لِنَفْسِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي
سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُؤَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- واتل عليهم : وأقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك .
نبا ابني آدم : خبر ابني آدم هابيل وقابيل .
قربانا : القربان ما يتقرب به الى الله تعالى كالصلاة والصدقات .
بسطت إلي يدك : مددت إلي يدك .
أن تبوء بإثمي وإثمك : ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي ، وإثمك في معاصبك .
فطوَّعت له نفسه : شجعتة على القتل وزينته له حتى فعله .
غراباً : طائراً أسود معروف يضرب به المثل في السواد .^(١)

(١) قيل كان قربان قابيل حزمة من سنبل لأنه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنه وجد فيها سنلة طيبة ففركها وأكلها ، وأما قربان هابيل فكان كبشاً لأنه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه .
(٢) يقال : أسود غريب وقال الشاعر: حتى إذا شاب الغراب أتيت أهلي .

يواري سوء أخيه : يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل فيه سوء، لأن النظر إلى الميت تكرهه النفوس، والسوء: ما يكره النظر إليها.

معنى الآيات :

ما زال السياق القرآني الكريم في الحديث عن يهود بني النضير الذين هموا بقتل النبي ﷺ وأصحابه فالله تعالى يقول لرسوله وقرأ عليهم قصة ابني آدم هابيل وقابيل ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذي هموا به، توبيخاً لهم، وإظهاراً لموقفك الشريف منهم حيث عفوت عنهم فلم تقتلهم بعد تمكنك منهم، وكنت معهم كخير ابني آدم، ﴿...﴾ إذ قربا قرباناً^(١) . ﴿...﴾ أي قرب كل منهما قرباناً لله تعالى فتقبل الله قربان أحدهما لأنه كان من أحسن ماله وكانت نفسه به طيبة، ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل لأنه كان من أردأ ماله، ونفسه به متعلقة، فقال لأخيه هابيل لأقتلنك حسداً له - كما حسدتك اليهود وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك - فقال له أخوه إن عدم قبول قربانك عائداً إلى نفسك لا إلى غيرك إنما يتقبل الله من المتقين للشرك فلو اتقيت الشرك لتقبل منك قربانك لأن الله تعالى لا يتقبل إلا ما كان خالصاً له، وأنت أشركت نفسك وهواك في قربانك، فلم يتقبل منك . ووالله قسماً به ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾، وعلل ذلك بقوله: ﴿...﴾ إني أخاف الله رب العالمين، أي أن ألقاه بدم أرقته ظمناً. وإن أبيت إلا قتلي فإني لا أقتلك لأنني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي ترجع إلى ربنا يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك الذي قارفته في حياتك كلها، فتكون بسبب ذلك من أصحاب النار الخالدين فيها الذين لا يفارقونها أبداً قال تعالى ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ أي شجعت عليه وزينته له فقتله ﴿فأصبح من الخاسرين﴾^(٢) النادمين لأنه لم يدر ما يصنع به

(١) القربان: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد، إذ لكل منهما قربان وليس قرباناً واحداً اشتراكاً فيه.
(٢) إن قيل كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إن سنة الله تعالى فيمن سبق أن من قرب الله تعالى قرباناً فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فأحرقتة ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني إسرائيل إذ كانت محرمة عليهم ولم تحل إلا لأمة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أن ناراً تنزل من السماء على الغنائم فتحرقها.
(٣) فيه دلالة على أن قابيل لم يكن تقياً، وقابيل في لغة بني إسرائيل بالنون: قابين وكذا هابيل وقوله: ﴿إنما يتقبل الله...﴾ الخ مسبق بكلام دل عليه السياق وهو مثل قوله: لم تقتلني وأنا لم أجن شيئاً ولا ذنب لي في قبول الله قرباني وكونه تقبل مني لا يستوجب قتلي إنما يتقبل الله من المتقين.
(٤) لما كان أول من سن القتل فإنه لا تقتل نفس ظلماً إلا وعليه كفل منها لقوله ﷻ ﴿لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه أول من سن القتل﴾ وفي الحديث الآخر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

فكان يحمله على عاتقه ويمشي به حتى عفن ، وعندئذ بعث الله غراباً يبحث في الأرض أي ينبش الأرض برجليه ومنقاره وينشر التراب على ميت معه حتى واره : أي بعث الله الغراب ليريه كيف يوارى أي يستر سوء أخيه أي جيفته ، فلما رأى قابيل ما صنع الغراب بأخيه الغراب الميت قال متندماً متحسراً يا ويلتا أي يا ويلتي احضري فهذا أوان حضورك ، ثم وبخ نفسه قائلاً : ﴿ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخيه ﴾ ، كما وارى الغراب سوءة أخيه ، وأصبح من النادمين على حمله أو على قتله وعدم دفنه ومجرد الندم لا يكون توبة مع أن توبة القاتل عمداً لا تنجيه من النار .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية التقرب الى الله تعالى بما يحب أن يتقرب به إليه تعالى .
- ٢- عظم جريمة الحسد وما يترتب عليها من الآثار السيئة .
- ٣- قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص فيها لله تعالى .
- ٤- بيان أول من سن جريمة القتل وهو قابيل ولذا ورد : ما من نفس تقتل نفساً ظليماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل «نصيب» ذلك بأنه أول من سن القتل .
- ٥- مشروعية الدفن وبيان زمنه .^(١)
- ٦- خير ابني آدم المقتول ظليماً وشرهما القاتل ظليماً.^(٢)

مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

(١) يستحب توسعة القبر لقوله ﷺ : « احفروا وأوسعوا واحسنوا للحد» واللحد أفضل من الشق لقوله ﷺ : «اللحد لنا والشق لغيرنا» ويستحب لمن يضع الميت في قبره أن يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله لمن حضر الدفن أن يحثو على القبر من قبل رأسه ثلاثاً .

(٢) وإن قيل ما تصنع بحديث الصحيح : «إذا التلقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» ؟ قلت : هذا الحديث فيمن يقاتل في غير حق استوجب القتل والقتال ، أما من ظلم فدافع عن نفسه فقتل فهو شهيد بنص الحديث الصحيح ، وكذا من بعى على المسلمين فقتاله واجب ومن قاتله فهو مجاهد ومن قتل فهو شهيد .

جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمَّ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

من أجل ذلك^(١) : أي بسبب ذلك القتل

كتبنا : أوحينا .

أو فساد في الأرض : بحربه لله ورسوله والمؤمنين .

ومن أحيائها : قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها .

بالبينات : الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل .

لمسرفون : مكثرون من المعاصي والذنوب .

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى : إنه من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها من مفساد ومضار لا يقدر قدرها أوجبنا على بني إسرائيل لكثرة ما شاع بينهم من القتل وسفك الدماء فقد قتلوا الأنبياء والأميرين بالقسط من الناس لأجل هذه الضراوة على القتل فقد قتلوا رسولين زكريا ويحيى وهما بقتل كل من المرسلين العظمين عيسى ومحمد ﷺ من أجل ذلك شددنا عليهم في العقوبة إذ من قتل منهم نفساً بغير نفس أي ظلماً وعدواناً ، أو قتلها بغير فساد قامت به في الأرض وهو حرب الله ورسوله والمؤمنين فكأنما قتل الناس جميعاً بمعنى يعذب عذاب قتل الناس جميعاً يوم القيامة ومن أحيائها بأن استوجبت القتل فعفا عنها وتركها لله إبقاء عليها فكأنما أحياء الناس^(٢) جميعاً يعني يُعطى أجر من أحياء الناس جميعاً كل هذا شرعه الله تعالى لهم تنفيراً

(١) قوله : ﴿من أجل ذلك﴾ تعليل لقوله ﴿كتبنا﴾ ومن ابتدائية ، والأجل : الجراء والسبب وهو مصدر أجل يأجل ويأجل بمعنى : جنى واكتسب فلذا هو يقال في الخير كما يقال في الشر تقول : أكرمه لأجل علمه ، كما تقول : أهنته لأجل فسقه . أما الجراء في قولك فعلت كذا من جراء كذا فهو مأخوذ من جر إذا سبب تقول : فعلني كذا جر لي كذا أي سببه .

(٢) خص بني إسرائيل بهذا دون من سبقهم من الأمم تغليظاً عليهم لجرتهم على القتل عليهم يكفون من سفك الدماء ، إذ قتلوا حتى الأنبياء والأميرين بالقسط من الناس .

(٣) كأن : للتشبيه ومن هنا يكون معنى الكلام كتبنا مشابة قتل نفس بغير نفس . الخ بقتل الناس أجمعين أي في عظم الجرم ، ومشابهة من أحيى الناس جميعاً في عظم الأجر .

(٤) من أحيائها : معناه من استنقذها من الموت بأن عفا عنها بعد تعيين القصاص عليها أو دافع عنها حتى أنقذها ممن أراد قتلها لأن الإحياء بعد الموت ليس في مقدور الإنسان وإنما قد يهّم المرء بالقتل ويعفو فيكون كمن أحيائها .

لهم من القتل الذي أصرّوا عليه ، وترغيباً لهم في العفو الذي جافوه وبعّدوا عنه فلم يعرفوه وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ ^(١) رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يخبر تعالى عن حالهم مسلماً رسوله محمداً عما يحمله من همّ منهم وهم الذين تأمروا على قتله أن الشر الذي لازم اليهود والفساد الذي أصبح وصفاً لازماً لهم وخاصة المؤامرات بالقتل وإيقاد نار الحروب لم يكن عن جهل وعدم معرفة منهم لا أبداً بل جاءتهم رسلهم بالآيات البينات والشرائع القويمة والآداب الرفيعة ولكنهم قوم بهت متمردون على الشرائع مسرفون في الشر والفساد ولذا فإن كثيراً منهم والله لمسرفون في الشر والفساد ، وينهاية هذه الآية ومن قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰن يَسْطُوْا اِلَيْكُمْ اَيْدِيْهِمْ . . ﴾ وهي الآية (١١) انتهى الحديث عن اليهود المتعلق بحادثة مهمهم بقتل الرسول ﷺ وأصحابه وقد ذكر تسليّة لرسول الله وأصحابه ، كما هو تسليّة لكل مؤمن يتعرض لمكر اليهود عليهم لعائن الله .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- تأديب الرب تعالى لبني إسرائيل ومع الأسف لم ينتفعوا به .
- ٢- فساد بني إسرائيل لم ينشأ عن الجهل وقلة العلم بل كان اتباعاً للأهواء وجرياً وراء عارض الدنيا . فلذا غضب الله عليهم ولعنهم لأنهم عالمون .
- ٣- بالرغم من تضعيف جزاء الجريمة على اليهود ، ومضاعفة أجر الحسنة لهم فإنهم أكثر الناس اسرافاً في الشر والفساد في الأرض .

إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

(١) هذه الجملة تذييل لما سبق من حكم الله تعالى فيهم حيث شرع لهم وأعلمهم بأن من يقتل نفساً ظلماً وعدواناً يعتبر شرعاً كأنما قتل الناس جميعاً ذكر فيه أنه لا عذر لهم فيما عوقبوا به إذ لم يكونوا جاهلين لمجيئهم رسلهم بالآيات البينات تحمل الشرائع والهدايات ومع هذا فإن كثيراً منهم مسرفون في المعاصي والجرائم العظام كالقتل في الأرض .
(٢) شاهده من القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ من الممتحنة . و﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ من الفاتحة .

وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

يحاربون الله ورسوله : بالخروج عن طاعتها وحمل السلاح على المؤمنين وقتلهم وسلب
أموالهم والاعتداء على حرمتهم .

ويسعون في الأرض فساداً : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على
أعراضهم .

أو يصلبوا : يشدون على أعواد الخشب ويقتلون ، أو بعد أن يقتلوا .

من خلاف : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، والعكس .

أو ينفوا من الأرض : أي من أرض الإسلام .

خزي في الدنيا : ذل ومهانة .

عذاب عظيم : عذاب جهنم .

أن تقدروا عليهم : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيداً ثم جاءوا مسلمين .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما أوجبه على اليهود من شدة العقوبة وعلى جريمة القتل والفساد في الأرض
كسراً لجدة جرّتهم على القتل والفساد ذكر هنا حكم وجزاء من يحارب المسلمين ويسعى
بالفساد في ديارهم فقال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ بالكفر بعد الإيمان^(١)

(١) الجمهور على أنّ سبب نزول هذه الآية : ﴿إنما جزاء...﴾ الخ هو : العرنيون الذين نزلوا المدينة وادعوا أنهم
اجتووها . أي أمرهم منّاخها - فأمر لهم الرسول ﷺ بلقاح وأمرهم أن يشربوا من البانها وأبوالها فخرجوا خارج المدينة ،
ولما شفا وصحوا قتلوا الراعي ومثّلوا به وذهبوا بالإبل فلحقّتهم خيل المسلمين فردّتهم ونزلت هذه الآية ببيان حكم الله فيهم ،
والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فبقي هذا تشريعاً يطبّق على مثلهم إلى يوم القيامة .

(٢) لأن العرنيين وكانوا سبعة ثلاثة من عُكل وأربعة من عرينة كفروا بعد إيمانهم الذي أظهروا بالمدينة ثم ادعوا أنهم
استوخموا المدينة فساعدتهم الرسول ﷺ رحمة منه بما يشفيهم فلمّا شفا وصحوا كفروا وقاتلوا الراعي وساقوا الإبل ، والآية
عامة في المرتد وغيره والحكم ما بين الله تعالى في هذه الآية لا غيره وصيغة الحصر في إنّما ظاهرة .

والقتل والسلب بعد الأمان، ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بتخويف المسلمين، وقطع طرقهم وأخذ أموالهم، والاعتداء على حرمتهم وأعراضهم، هو ما أذكره لكم لا غيره فاعلموه أنه ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ ومعنى يقتلوا: يقتلون واحداً بعد واحد نكاية لهم وإرهاباً وتعزيراً لغيرهم، ومعنى يصلبوا بعد ما يقتل الواحد منهم يشد على خشبة مدة ثلاثة أيام ومعنى ينفوا من الأرض يخرجوا من دار الإسلام، أو إلى مكان ناء كجزيرة في بحر أو يجسوا حتى ينجو المسلمون من شرهم وأذاهم، ويكون ذلك الجزء المذكور خزيًا وذلاً لهم^(١) في الدنيا ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ فهذا استثناء متصل من أولئك المحاربين بأن من عجزنا عنه فلم نتمكن من القبض عليه، وبعد فترة جاءنا تائباً فإن حكمه يختلف عما قبله، وقوله تعالى: ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ يحمل إشارة واضحة إلى تخفيف الحكم عليه، وذلك فإن كان كافراً وأسلم فإن الإسلام يجب ما قبله فيسقط عنه كل ما ذكر في الآية من عقوبات. . وإن كان مسلماً فيسقط الصلب ويجب عليه رد المال الذي أخذه إن بقي في يده، وإن قتل أو فجر وطالب بإقامة الحد عليه أقيم عليه الحد، وإلا ترك لله والله غفور رحيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- بيان حكم الحراة وحقيقتها: خروج جماعة اثنان فأكثر ويكون بأيديها سلاح ولهم شوكة، خروجهم إلى الصحراء بعيداً عن المدن والقرى، يشنون هجمات على المسلمين فيقتلون ويسلبون ويعتدون على الأعراض، هذه هي الحراة وأهلها يقال لهم المحاربون وحكمهم ما ذكر تعالى في الآية الأولى (٣٣).

(١) إن كان المحاربون مسلمين فالخزي لهم هو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل والصلب والنفي وفي الآخرة ينجون من عذابها إن تابوا قبل موتهم، وإن كان المحاربون كافرين فالخزي عذاب الدنيا والعذاب العظيم لهم في الآخرة، وفرقنا بين المسلمين والكافرين لأن المسلمين إقامة الحد عليهم يكفر ذنب الجريمة للحديث الصحيح في البيعة: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب منها شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» فقله: «فهو كفارة له» دليل على سقوط عذاب الآخرة بالحد.

(٢) الجمهور على أن اللص كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكف وينصرف وإن أبي يقاتل ويقتل ومن قتله اللص فهو في الجنة وإن قتل اللص فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أرايت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرايت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرايت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

- ٢- الإمام مخير في إنزال العقوبة التي يرى أنها مناسبة لاستتباب الأمن، إن قلنا أو في الآية للتخيير، وإلا فمن قتل وأخذ المال وأخاف الناس قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ مالا قتل، ومن قتل وأخذ مالا قطعت يده ورجله من خلاف فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ومن لم يقتل ولم يأخذ مالا ينفي^(١).
- ٣- من تاب من المحاربين قبل التمكن منه يعفا عنه إلا أن يكون بيده مال سلبه فإنه يرده على ذويه أو يطلب بنفسه إقامة الحد عليه فيجاء لذلك.
- ٤- عظم عفو الله ورحمته بعباده لمغفرته لمن تاب ورحمته له.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا نُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

- اتقوا الله : خافوا عذابه فامثلوا أمره وأمر رسوله واجتنبوا نهيهما .
وابتغوا : إطلبوا .

(١) هذا مذهب الجمهور من الأئمة، وهو أرفق وأصلح وأكثر تمثيلاً للآية وانسجاماً معها
(٢) مذهب الجمهور وهو الحق : لا تقطع يد المحارب إلا في مال تقطع فيه يد السارق وهو زنة ربع دينار ذهب فأكثر.
(٣) إن تعذر النفي فالسجن يقوم مقامه إذ هو نفي من ظاهر الأرض إلى باطنها كما قال الشاعر:
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

الوسيلة^(١) : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب^(٢) منه .
 وجاهدوا في سبيله : أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلم ، وأعداءه بدعوتهم إلى
 الإسلام وقتلهم على ذلك .
 تَفْلِحُونَ : تنجون من النار وتدخلون الجنة .
 عذاب مقيم : دائم لا يبرح ولا يزول .

معنى الآيتين :

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعدته ووعدته ليرشدكم إلى ما
 ينجيهم من العذاب فيجتنبوه ، وإلى ما يدينهم من الرحمة فيعملوه فيقول : ﴿يا أيها الذين
 آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة^(٣) وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ ومعنى اتقوا الله
 خافوا عذابه فأطيعوه بفعل أوامره وأوامر رسوله واجتناب نواهيهما فإن عذاب الله لا يتقى إلا
 بالتقوى . ومعنى ﴿ابتغوا إليه الوسيلة﴾ اطلبوا إليه القربة ، أي تقربوا إليه بفعل ما يجب
 وترك ما يكره تفوزوا بالقرب منه . ومعنى ﴿جاهدوا في سبيله﴾ جاهدوا أنفسكم في طاعته
 والشيطان في معصيته ، والكفار في الإسلام إليه والدخول في دينه باذلين كل ما في وسعكم
 من جهد وطاقة . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٥) أما الآية الثانية (٣٦) وهي قوله
 تعالى : ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه . . الخ﴾ فإنها علة لما دعت
 إليه الآية الأولى من الأمر بالتقوى وطلب القرب من الله تعالى وذلك بالإيمان وصالح
 الأعمال ، لأن العذاب الذي أمروا باتقائه بالتقوى عذاب لا يطاق أبداً ناهيكم أن الذين
 كفروا ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعاً^(٤) من مال صامت وناطق﴾ ومثله معه ﴿وقبل منهم

(١) الوسيلة لغة : القربة والجمع قُرب ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة أي متقرب بها ، من توسل إلى فلان : تقرب إليه بكذا ،
 وشاهده من قول العرب قول عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكهلي وتخضي
 والوسيلة تجمع على وسائل ، ومنه قول القائل :

إذا غفل الواشون عُدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

(٢) فكل قربة هي وسيلة تقرب من رضا الله والرفق إليه ، وعليه فكل الأعمال الصالحة هي وسيلة ، وفي الحديث الصحيح :
 «ما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» .

(٣) تقديم الجار والمجرور على المفعول المطلوب في قوله تعالى : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ مؤذن بتوحيد الله تعالى بالعبادات
 التي يتقرب بها إليه فلا يصح صرف شيء منها إلى غيره مهما كان .

(٤) أي لو ثبت لهم ما في الأرض ومثله معه أيضاً لأجل الافتداء به لا لأجل أن يكتزوه أو ينفقوه في وجوه الإنفاق المحبوبة
 لهم ، لافتدوا به ، ولكن أنى يكون لهم ذلك .

فداء لأنفسهم من ذلك العذاب لقدموه سخية به نفوسهم ، إنه عذاب اليم موجع أشد الوجع ومؤلم أشد الألم إنهم يتمنون بكل قلوبهم أن يخرجوا من النار ﴿وما هم بخارجين منها﴾ ولهم عذاب مقيم ﴿دائم لا يبرح ولا يزول﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تقوى الله عز وجل وطلب القرية إليه والجهاد في سبيله .
- ٢- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .
- ٣- عظم عذاب يوم القيامة وشدته غير المتناهية .
- ٤- لا فدية يوم القيامة ولا شفاعاة تنفع الكافر فيخرج بها من النار .
- ٥- حسن التعليل للأمر والنهي بما يشجع على الامثال والترك .

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)

شرح الكلمات :

- السارق : الذي أخذ مالا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر .
- السارقة : التي أخذت مالا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر .

(١) ذكر القرطبي أن يزيد الفقير قال : قيل لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما إنكم يا أصحاب محمد تقولون إن قوماً يخرجون من النار، والله تعالى يقول : ﴿وما هم بخارجين منها﴾ فقال جابر : إنكم تجعلون العام خاصاً والخاص عاما إنما هذه في الكفار خاصة فقرأت الآية كلها من أولها إلى آخرها فإذا هي في الكفار خاصة .

(٢) لذا وجب معرفة محاب الله تعالى ومكارهه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال والصفات ليتوسل بها إلى الله تعالى فعلا وتركها للحصول على رضاه والفوز بالجنة والنجاة من النار .

فاقطعوا أيديهما : أي اقطعوا من سرق منها يده من الكوع .

نكالاً : عقوبة من الله تجعل غيره ينكل أن يسرق .^(١)

عزيز حكيم : عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه .

بعد ظلمه : بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالى بأخذ أموال الناس .

وأصلح : أي نفسه بتزكيتها بالتوبة والعمل الصالح .

فإن الله يتوب عليه : أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء .

له ملك السموات والأرض : خلقاً وملكاً وتديراً .

يعذب من يشاء : أي تعذيبه لأنه مات عاصياً لأمره كافراً بحقه .

ويغفر لمن يشاء : ممن تاب من ذنبه وأتاب إليه سبحانه وتعالى .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مقررأً حكماً من أحكام شرعه وهو أن الذي يسرق مالاً يقدر بربع دينار فأكثر من حرز مثله خفية وهو عاقل بالغ، ورفع إلى الحاكم، والسارقة كذلك فالحكم أن تقطع يد السارق اليمنى من الكوع وكذا يد السارقة مجازاة لها على ظلمها بالاعتداء على أموال غيرها، ﴿نكالاً من الله﴾ أي عقوبة من الله تعالى لها تجعل غيرها لا يقدم على أخذ أموال الناس بطريق السرقة المحرمة، ﴿والله عزيز حكيم﴾ غالب على أمره حكيم في قضائه وحكمه . هذا معنى قوله تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا﴾ من الإثم ﴿نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٩) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ أي تاب من السرقة بعد

(١) هل يكون غرم مع القطع؟ مالك يرى إن وجد المال عنده أخذ وإن كان موسراً أخذ من ماله وإن معسراً يكتفى بالقطع وهذا أرحم وأحكم، وتعلق يد السارق في عنقه لحديث الترمذي وأبي داود والنسائي .

(٢) لما ذكر تعالى حكم المحاربين ذكر حكم السارق والسارقة وما ذكر بينهما من دعوة المؤمنين إلى التقوى والتقرب إلى الله تعالى للحصول على رضاه هو من باب تنويع الأسلوب وتلوين الكلام إذهاباً للسآمة والملل عن القارئ والسماع .

(٣) السارق عند العرب: هو من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومتهب فإن تمنع بما أخذ فهو غاصب .

(٤) قرئ: والسارق: بالنصب على تقدير: اقطعوا السارق والسارقة وقرئ: بالرفع وهو أشهر والاعراب فيما فرض عليكم السارق والسارقة فاقطعوا وأحسن من أن يكون السارق والسارقة مبتدأ وجملة فاقطعوا الخبر .

(٥) أول سارق قطعت يده في الإسلام هو الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأول سارقة في الإسلام هي مرة بنت سفيان المخزومية .

أن ظلم نفسه بذلك ﴿وأصلح﴾ نفسه بالتوبة ومن ذلك رد المال المسروق ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ لأنه تعالى غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٠) ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يخاطب تعالى رسوله وكل من هو أهل للتلقي والفهم من الله تعالى فيقول مقررًا المخاطب ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ والجواب بلى، وإذا فالحكم له تعالى لا ينازع فيه فلذا هو يعذب ويقطع يد السارق والساقة ويغفر لمن تاب من السرقة وأصلح. وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان حكم حد السرقة وهو قطع يد السارق والساقة.^(١)
- ٢- بيان أن التائب من السارق إذا أصلح يتوب الله عليه أي يقبل توبته.
- ٣- إذا لم يرفع السارق إلى الحاكم تصح توبته ولو لم تقطع يده، وإن رفع فلا توبة له إلا بالقطع فإذا قطعت يده خرج من ذنبه كأن لم يذنب.
- ٤- وجوب التسليم لقضاء الله تعالى والرضا بحكمه لأنه عزيز حكيم.

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ

لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا

(١) الإجماع على أن الوالد لا تقطع يده إذا سرق مال ولده لقوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك» واختلف في العكس، والراجح أنه لا قطع عليه، وهل تقطع اليد في السفر، وفي دار الحرب خلاف، مالك يرى إقامة الحدود في دار الحرب، والبيد تقطع من الرسخ، والرجل من المفصل ولا قطع على الصبي والمجنون، والعبد إن سرق من مال سيده، ولا السيد من مال عبده.

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَّهُمْ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
 سَمِعُوتَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْسُّحْرِ فَإِنْ جَاءُوكَ
 فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
 يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
 التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

لا يحزنك : الحزن ألم نفس يسببه خوف فوات محبوب .
 يسارعون في الكفر : بمعنى يسرعون فيه إذا ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر
 أظهروه .

قالوا آمنا بأفواههم : هؤلاء هم المنافقون .
 ومن الذين هادوا : أي اليهود .
 سماعون للكذب : أي كثيروا الاستماع للكذب .
 يحرفون الكلم : يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم .
 إذا أوتيتهم هذا : أي أعطيتهم .
 فتنته : أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال .
 أن يطهر قلوبهم : من الكفر والنفاق .
 خزي : ذل .

أكالون للسحت : كثيروا الأكل للحرام كالرشوة والربا.

أو أعرض عنهم : أي لا تحكم بينهم .

بالقسط : أي بالعدل .

وما أولئك بالمؤمنين : أي صدقاً وحقاً وإن ادعوه نطقاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...﴾ إلى قوله ﴿... عذاب عظيم﴾ في نهاية الآية نزل تسلياً لرسول الله ﷺ وتخفيفاً مما كان يجده ﷺ من ألم نفسي من جراء ما يسمع ويرى من المنافقين واليهود فناداه ربه تعالى بعنوان الرسالة التي كذب بها المنافقون واليهود معاً : ﴿يا أيها الرسول﴾ الحق ، لينهاه عن الحزن الذي يضاعف ألمه : ﴿لا يحزنك﴾ حال الذين ﴿يسارعون في الكفر﴾ بتكذيبك فإنهم ما خرجوا من الكفر بل هم فيه منغمسون فإذا سمعت منهم قول الكفر لا تحفل به حتى لا يسبب لك حزناً في نفسك . ﴿من الذين﴾ قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا﴾ أي لا يحزنك كذلك حال اليهود الذين يكذبون بنبؤتك ويحسدون رسالتك ، ﴿يسارعون للكذب﴾ سماعون ليهود آخرين لم يأتوك كيهود خبير وفدك أي كثيروا السمع للكذب الذي يقوله أحبارهم لما فيه من الإساءة إليك سماعون لأهل قوم آخرين ينقلون إليهم أخبارك كوسائط وهم لم يأتوك وهم يهود خبير إذ أوعزوا إليهم أن يسألوا لهم النبي ﷺ عن حد الزنى ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ ، أي يغيرون حكم الله الذي تضمنه الكلام ، يقولون لهم إن أفتاكم في الزانين المحصنين بالجلد والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك . هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا﴾ وقال تعالى لرسوله ، ﴿ومن يرد الله

(١) هو النبي محمد ﷺ خاطبه ربه بعنوان الرسالة تشريفاً له وتعظيماً وإشعاراً له بعدم داعي الحزن إذ من كان في مقامه لا يحزن مهما كانت المصائب ، والآية نزلت في حادثة زنى اليهوديين إذ روي في الصحيحين أن جابراً قال : زنى رجل من أهل فدك ، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه فسألوه فدعا ابن صوريا وكان عالمهم وكان أعور فقال له رسول الله ﷺ : «أنشدك الله كيف تجدون حد الزنى في كتابكم؟ فقال ابن صوريا قائماً إذ ناشدني الله فإننا نجد في التوراة أن النظرة زنية ، والاعتناق زنية ، والقبلة زنية فإن شهد أربعة بأنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ﷺ هو ذاك» .

(٢) من : بياينة أي بينت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود .

فتته ﴿أي إضلاله عن الحق لما اقترف من عظام الذنوب وكبائر الآثام﴾ ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ إذا أراد الله إضلاله إذاً فلا يحزنك مسارعته في الكفر، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ من الحسد والشرك والنفاق لسوابق الشر التي كانت لهم فحالت دون قبول الإيمان والحق، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي ذل وعار، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ جزاء كفرهم وبغيهم. هذا ما دلت عليه الآية (٤١) أما الآية الثانية (٤٢) فقد تضمنت وصف أولئك اليهود بصفة كثرة استماع الكذب مضافاً إليه كثرة أكلهم للسحت وهو المال الحرام أشد حرمة كالرشوة والربا، فقال تعالى عنهم ﴿ساعون للكذب أكالون للسحت﴾ فإن جاءوك . . . أي للتحاكم عندك فانت مخير بين أن تحكم بينهم بحكم الله . أو تعرض عنهم وتتركهم لأحبارهم يحكمون بينهم كما شاءوا وإن تعرض عنهم فلم تحكم بينهم لن يضروك شيئاً أي من الضرر ولو قل، لأن الله تعالى وليك وناصرك، وإن حكمت بينهم فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل، لأن الله تبارك وتعالى يجب ذلك فافعله لأجله إنه يجب القسط والمقسطين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٣) ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾. أي إنه مما يتعجب منه أن يحكموك فتحكم بينهم برجم الزناة، وعندهم التوراة فيها نفس الحكم فرفضوه معرضين عنه اتباعاً لأهوائهم، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ لا بك ولا بحكمك ولا بحكم التوراة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحباب ترك الحزن باجتنب أسبابه ومثيراته .
- ٢- حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك .
- ٣- حرمة تحريف الكلام وتشويهه للإفساد .

(١) الرشوة مشتقة من الرشا الذي هو الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر بضميمة الدلو وعليه فكل مال أعطى لحاكم ليأخذ به الراشي حق امرئ فهو رشوة وسحت محرمان بلا خلاف، وكذا ما يدفعه الواسطة لحاكم ليسقط عنه حقاً وجب عليه فهو رشوة. أمّا ما كان ليدفع به عن نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه فلا يحرم وليس هو من الرشوة، قال السمرقندي الفقيه وبهذا نأخذ.

(٢) أصل السحت: الهلاك والشدة قال تعالى: ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ وقال الفرزدق:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وسمي المال الحرام كالربا، والرشوة سحتاً لأنه يسحت الطاعات ويبطل ثوابها ويسحت البركة ويزيلها.

(٣) يرى مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضاً عنهم، وأبو حنيفة يرى الحكم بينهم مطلقاً.

٤- الحاكم المسلم خير في الحكم بين أهل الكتاب إن شاء حكم بينهم وإن شاء أحالهم على علمائهم .

٥- وجوب العدل في الحكم ولو كان المحكوم عليه غير مسلم .

٦- تقرير كفر اليهود وعدم إيمانهم .

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ
وَأَخْشَوْنَ^ط وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ ۖ وَإِنِّي نُنَزِّلُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكَمْ

(١) قالت العلماء: إنَّ مَنْ طَلَبَ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ لَمْ يَرْضَ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذِهِ حَالَةُ الْيَهُودِ، وَحَالُ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ حَيْثُ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُكْمُوا شُرَائِعَ الْبَاطِلِ، وَقَوَانِينَ الْكُفْرِ.

أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- التوراة : كتاب موسى عليه السلام .
هدى ونور : الهدى : ما يوصل إلى المقصود والنور : ما يهدى السائر إلى غرضه .
هادوا : اليهود .
الربانيون : جمع رباني : العالم المربي الحكيم .
الأخبار^(١) : جمع خبر : العالم من أهل الكتاب .
وكتبنا : فرضنا عليهم وأوجبنا .
قصاص : مساواة .
وقفينا : أتبعناهم بعبسى بن مريم .
الفاسقون : الخارجون عن طاعة الله ورسله .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث على بني إسرائيل إذ قال تعالى مخبراً عما أتى بني إسرائيل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ هدى من كل ضلالة ونور مبين للأحكام مُخرج من ظلمات الجهل ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل النبيون الذين أسلموا لله قلوبهم ووجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً ، ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^(٢) ، ويحكم بها الربانيون من أهل العلم والحكمة من بني إسرائيل ﴿بِهَا اسْتَحْفَظُوا﴾ بسبب استحفاظ الله تعالى إياهم كتابه التوراة فلا يبدلونه ولا يغيرون فيه ، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ بأحقية وسلامته من النقص والزيادة بخلافكم أيها اليهود فقد حرفتم الكلم عن مواضعه وتركتم الحكم به فما لكم؟ فأظهروا الحق من نعت محمد ﷺ والأمر بالإيمان به ، ومن ثبوت الرجم وإنفاذه في الزناة ولا تحشوا

(١) قالوا : الحبر بالفتح العالم لتحرير الكلام والعلم وتحسينه .

(٢) قد تكون اللام هنا بمعنى على أي : على الذين هادوا ، وقد تكون على بابها ويكون لفظ عليهم محذوفاً أي : يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم) .

الناس في ذلك واخشوا الله تعالى فهو أحق أن يخشى، ولا تشتروا بآيات الله التي هي أحكامه فتعطلوها مقابل ثمن قليل تأخذونه ممن تجاملونهم وتداهنونهم على حساب دين الله وكتابه. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فكيف ترضون بالكفر بدل الأيمان.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٤) أما الآية الثانية (٤٥) ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾. فقد أخبر تعالى أنه فرض على بني إسرائيل في التوراة القود في النفس والقصاص في الجراحات فالنفس تقتل بالنفس، العين تفتق بالعين والأنف يجدد بالأنف، والأذن تقطع بالأذن والسن تكسر إن كسرت بالسن، وتقلع به إن قلع، والجروح بمثلها قصاص ومساواة وأخبر تعالى أن من تصدق على الجاني بالعفو عنه وعدم المؤاخذه فإن ذلك يكون كفارة لذنبه، وإن لم يتصدق عليه واقتص منه يكون ذلك كفارة لجنايته بشرط وذلك بأن يقدم نفسه للقصاص تائباً أي نادماً على فعله مستغفراً ربه. وقوله تعالى في ختام الآية: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، وذلك بأن قتل غير القاتل أو قتل بالواحد اثنين أوفقاً بالعين عينين كما كان بنو النضير يعاملون به قريظة بدعوى الشرف عليهم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٤٦) وهي قوله تعالى: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم﴾ فقد أخبر تعالى أنه أتبع أولئك الأنبياء السابقين من بني إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أي أرسله بعدهم مباشرة ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ لم ينكرها أو يتجاهلها، ﴿وآتينا الإنجيل﴾، أي وأعطينا الإنجيل حياً أوحيناه إليه وهو كتاب مقدس أنزله الله تعالى عليه فيه أي في الإنجيل هدى من الضلال ونور لبيان الأحكام من الحلال

(١) القول الذي لا خلاف فيه هو أن المسلم لا يكفر لمجرد عدم حكمه بما أنزل الله تعالى. وإنما يفسق ويصبح في عداد الفاسقين من أمة الإسلام أما الكفر فلا يكفر ولا يكفر إلا بشرط أن ينكر هداية القرآن وصلاحيته ويعرض عنه مستخفاً به مفضلاً عليه غيره.

(٢) الذي عليه أكثر الفقهاء أن المسلم لا يقتل بالذمي لقول الرسول ﷺ «المؤمنون تنكفأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذوعهد في عهده» رواه أبو داود والترمذي.

(٣) لا خلاف أن في العينين دية وفي العين الواحدة نصف دية، وفي عين الأعور دية كاملة وفي الأنف إذا جدد الدية كاملة.

(٤) الدية في ذهاب السمع أما مع بقاء السمع ففيه حكومة.

(٥) في السن خمس من الإبل للحديث الصحيح في ذلك.

(٦) وفي الشفتين الدية وفي الواحدة نصف الدية وفي اللسان إذا قطع الدية.

(٧) اختلف في دية المرأة الأكثر على أن أصبغها كأصبع الرجل وسنّها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمقلته فإذا بلغت ثلث الدية كانت على النصف من دية الرجل، وقالت طائفة: دية المرأة فيما ذكر على النصف من دية الرجل.

والحرام، ﴿ومصدقاً﴾ أي الإنجيل لما قبله من التوراة أي مقررأ أحكامها مثبتأ لها إلا ما نسخه الله تعالى منها بالإنجيل، ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ أي يجد فيه أهل التقوى الهداية الكافية للسير في طريقهم الى الله تعالى والموعظة التامة للاتعاظ بها في الحياة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة أما الآية (٤٧) وهى قوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل يريد وأمرنا أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام، وأخبرناهم أن من ﴿لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ عن أمره الخارجون عن طاعته وقد يكون الفسق ظلمأ وكفرأ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب خشية الله بأداء ما أوجب وترك ما حرم.
- ٢- كفر من جحد أحكام الله فعطلها أو تلاعب بها فحكم بالعص دون البعض.
- ٣- وجوب^(١) القود في النفس والقصاص في الجراحات لأن ما كتب على بني إسرائيل كتب على هذه الأمة.
- ٤- من الظلم أن يعتدى في القصاص بأن يقتل بالواحد اثنان أو يقتل غير القاتل أو يفقأ بالعين الواحدة عينان مثلاً وهو كفر مع الاستحلال وظلم في نفس الوقت.
- ٥- مشروعية القصاص في الإنجيل والزام أهله بتطبيقه وتقرير فسقهم إن عطلوا تلك الأحكام وهم مؤمنون بها.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا
عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

(١) إلا أن يرضى المظلوم بالدية فإنه يعطاها على نحو ما تقدم أنفاً.

ءَاتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا
 أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ
 بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يَصِيبَهُمْ
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : القرآن الكريم .

من الكتاب : اسم جنس بمعنى الكتب السابقة قبله كالنوراة والإنجيل .

مهيماً عليه : حاكماً عليه أي محققاً للحق الذي فيه ، مبطلاً للباطل الذي التَّصَقَّ به .

شرعة ومنهاجاً ^(١) : شريعة تعملون بها ووسيلةً تسلكونه لسعادتكم وكمالكم من سنن الهدى .

أمة واحدة : لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا قضاء .

فاستبقوا : أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون .

أن يفتنوك : يضلوك عن الحق .

فإن تولوا : أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به .

حكم الجاهلية : هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم على وحي الله

تعالى وإنما على الآراء والأهواء .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنزاله التوراة وأن فيها الهدى والنور وذكر الإنجيل وأنه أيضاً فيه الهدى والنور

ناسب ذكر القرآن الكريم فقال : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿بالحق﴾ متلبساً به

لا يفارقه الحق والصدق لخلوه من الزيادة والنقصان حال كونه ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من

(١) أصل الشريعة في اللغة: الطريقة التي يتوصل بها إلى الماء وهي هنا: ما شرع الله لعباده من الدين الشامل للعقائد، والعبادات والأحكام القضائية.

الكتب السابقة، ومهيماً عليها حفيظاً حاكماً فالحق ما أحقه منها والباطل ما أبطله منها. وعليه ﴿فاحكم﴾ يا رسولنا بين اليهود والمتحاكمين إليك ﴿بما أنزل الله﴾ إليك بقتل القاتل ورجم الزاني لا كما يريد اليهود ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ في ذلك وتؤكد ما جاءك من الحق، واعلم أنا جعلنا لكل أمة شرعة ومنهاجاً أي شرعاً وسبيلاً خاصاً يسلكونه في إسعادهم وإكمالهم، ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على شريعة واحدة لا تختلف في قضاياها وأحكامها لفعل، ولكن نوع الشرائع فأوجب وأحل ونهى وحرم في شريعة ولم يفعل ذلك في شريعة أخرى من أجل أن يتليكم فيها أعطاكم وأنزل عليكم ليتبين المطيع من العاصي والمهتدي من الضال، وعليه قَهَلَمَ ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا الأعمال بالصالحات وليجتهد كل واحد أن يكون سابقاً، فإن مرجعكم إليه تعالى ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾، ثم يجزيكم الخير بمثله والشر إن شاء كذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٤٩) فقد أمر الله تعالى فيها رسوله ونهاه وحذره وأعلمه وندد بأعدائه أمره أن يحكم بين من يتحاكمون إليه بما أنزل عليه من القرآن فقال: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ ونهاه أن يتبع أهواء اليهود فقال: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ وحذره من أن يتبع بعض آرائهم فترك بعض ما أنزل عليه ولا يعمل به ويعمل بما اقترحوه عليه فقال: ﴿واحذروهم﴾ أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك وأعلمه أن اليهود إن تولوا أي عرضوا عن قبول حكمه وهو الحكم الحق العادل فإنما يريد الله تعالى أن ينزل بهم عقوبة نتيجة ما قارفوا من الذنوب وما ارتكبوا من الخطايا فقال: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾. وندد بأعدائه حيث أخبر أن أكثرهم فاسقون أي عصاة خارجون عن طاعة الله تعالى ورسله فقال: ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾. فسلاه بذلك وهون عليه ما قد يجده

(١) فسر مهيماً: يعال، مرتفع عليه ويمؤمن عليه ويعود اللفظان إلى ما فسرناه به لأن المرتفع العالي هو الحاكم، والمؤمن هو الحافظ.

(٢) فيه دليل على تقديم الواجبات وعدم تأخيرها لا سيما الصلوات الخمس وخالف أبو حنيفة في الصلاة والآية حجة عليه.

(٣) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة - إن شئت - لتقدم ذكر التخيير وما تقدم من توجيه في آية ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ يحدد معنى هذه الآية.

(٤) روى ابن اسحاق عن ابن عباس أن قوماً من الأحرار اجتمعوا منهم ابن صوريا الأعور وكعب وشاس وقالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر فأنوه وقالوا: قد عرفت يا محمد أنا أحرار اليهود وإن اتبعناك لم يحالفنا أحد من اليهود وإن بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك فأبى رسول الله ﷺ ونزلت هذه الآية.

(٥) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقتل بنو قريضة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

من ألم تمرد اليهود والمنافقين وإعراضهم عن الحق الذي جاءهم به ودعاهم إليه . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٠) فقد أنكر تعالى فيها على اليهود طلبهم حكم أهل الجاهلية حيث لا وحي ولا تشريع إلهي وإنما العادات والأهواء والشهوات معرضين عن حكم الكتاب والسنة حيث العدل والرحمة فقال تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾^(١) . ثم أخبر تعالى نافياً أن يكون هناك حكم أعدل أو أرحم من حكم الله تعالى للمؤمنين به المؤمنين بعبده تعالى ورحمته فقال : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢) ؟ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الحكم وفي كل القضايا بالكتاب والسنة .
- ٢- لا يجوز تحكيم أية شريعة أو قانون غير الوحي الإلهي الكتاب والسنة .
- ٣- التحذير من اتباع أهواء الناس خشية الإضلال عن الحق .
- ٤- بيان الحكمة من اختلاف الشرائع وهو الابتلاء .
- ٥- أكثر المصائب في الدنيا ناتجة عن بعض الذنوب .
- ٦- حكم الشريعة الإسلامية أحسن الأحكام عدلاً ورحمة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥١) فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾

(١) ﴿أَفَحُكْمَ﴾ منصوب يبيغون أي : أيبغون حكم الجاهلية ، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضع ، واليهود يقيمون الحدود على الضعفاء والفقراء دون الأقوياء والأغنياء .
(٢) الاستفهام إنكاري أي : ينكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالى .

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

آمَنُوا : صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .
أولياء : لكم توالونهم بالنصرة والمحبة .
بعضهم أولياء بعض : أي اليهودي ولي أخيه اليهودي ، والنصراني ولي أخيه النصراني .
الظالمين : الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتركون موالاة الله ورسوله
والمؤمنين .

مرض : نفاق وشك وشرك .
يسارعون فيهم : أي في البقاء على موالاتهم أي موالاة اليهود والنصارى .
دائرة^(١) : تدور علينا من جذب ، أو انتهاء أمر الإسلام .
بالفتح : نصر المؤمنين على الكافرين والقضاء لهم بذلك كفتح مكة .
جهد أيمانهم^(٢) : أقصاها وأبلغها .
حبطت أعمالهم : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء لأنها ما كانت لله تعالى .

معنى الآيات :

ورد في سبب نزول هذه الآية أن عبادة بن الصامت الأنصاري ، وعبدالله بن أبي كان لكل منهما حلفاء من يهود المدينة ، ولما انتصر رسول الله ﷺ والمؤمنون في بدر اغتاز اليهود وأعلنوا سوء نياتهم فترأ عبادة بن الصامت من حلفائه ورضي بموالاة الله ورسوله والمؤمنين وأبى ابن أبي ذلك وقال بعض ما جاء في هذه الآيات فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ أي لكم من دون المؤمنين وقوله تعالى ﴿ بَعْضُهُمْ

(١) الدائرة : اسم فاعل من دار يدور فهو دائر إذا عكس سيره فالدائرة : تغير الحال ، وغلبت في الخير والشر أي : من خير إلى شر ، ودوائر الدهر : نوبه ودوله .

(٢) حقيقة الجهد : التعب والمشقة ، ومتتهى الطاقة ، والمراد به في الآية أكد الإيمان وأغلظها ، وفعل الجهد : جَهِدَ كمنع يجهد كيمنع جهداً كمنعاً .

أولياء بعض ﴿١﴾ تعليل لتحريم موالاتهم، لأن اليهودي ولي لليهودي والنصراني ولي للنصراني على المسلمين فكيف تجوز إذاً موالاتهم، وكيف يصدقون أيضاً فيها فهل من المعقول أن يحبك النصراني ويكره أخاه، وهل ينصرك على أخيه؟ وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿فإنه منهم﴾^(٢)، لأنه بحكم موالاتهم سيكون حرباً على الله ورسوله والمؤمنين وبذلك يصبح منهم قطعاً وقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ جملة تعليلية تفيد أن من وإلى اليهود والنصارى من المؤمنين أصبح مثلهم فيحرم هداية الله تعالى لأن الله لا يهدي القوم الظالمين، والظلم وضع الشيء في غير محله وهذا الموالى لليهود والنصارى قد يظلم بوضع الموالاة في غير محلها حيث عادى الله ورسوله والمؤمنين وإلى اليهود والنصارى أعداء الله ورسوله والمؤمنين. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٥٢) فقد تضمنت بعض ما قال ابن أبي مبرراً به موقفه المخزي وهو الإبقاء على موالاته لليهود إذ قال تعالى لرسوله وهو يخبره بحالهم: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ كابت أبي والمرض مرض النفاق ﴿يسارعون فيهم﴾ أي في موالاتهم ولم يقل يسارعون إليهم لأنهم ما خرجوا من دائرة موالاتهم حتى يعودوا إليها بل هم في داخلها يسارعون، يقولون كالمعتذرين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ من تقلب الأحوال فنجد أنفسنا مع أحلافنا نتفجع بهم. وقوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وعسى من الله تفيد تحقيق الوقوع فهي بشرى لرسول الله والمؤمنين يقرب النصر والفتح ﴿أو أمر من عنده﴾ فيصبحوا ﴿أي أولئك الموالون لليهود﴾ على ما أسروا في أنفسهم ﴿من النفاق وبغض المؤمنين وحب الكافرين﴾ نادمين ﴿حيث لا ينفعهم ندم. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ عندما يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده فيه نصره المؤمنين وهزيمة الكافرين، ويصبح المنافقون نادمين يقول المؤمنون مشيرين إلى المنافقين: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ أغلظ الأيمان ﴿إنهم لعكم حبطت أعمالهم﴾ لأنها لم تكن لله ﴿فأصبحوا خاسرين﴾.

(١) الموالاة حقيقتها: المودة والنصرة، فمن وإلى اليهود والنصارى فأحبهم ونصرهم على المسلمين لازمه أنه أبغض المؤمنين وخذلهم وبهذا يصبح كافراً.

(٢) هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة وهو: حرمة موالاة الكافرين ومن والاهم تحرم موالاته كما تحرم موالاتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتى الله بالفتح فقتلت مقاتلة بني قريظة وسببت ذراريهم وأجلى بنو النضير.

(٤) فسر الحسن قوله تعالى: ﴿أو أمر من عنده﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو تفسير عظيم عليه نور.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة موالاة اليهود والنصارى وسائر الكافرين .
- ٢- موالاة الكافر على المؤمن تعتبر ردة عن الإسلام .
- ٣- موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان فلذا تؤدي إلى الكفر .
- ٤- عاقبة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرة .

يَتَأَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

من يرتد^(١) : أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه .

أذلة على المؤمنين : أرقاء عليهم رحماء بهم .

أعزة على الكافرين^(٢) : أشداء غلاظ عليهم .

لومة لائم : عذل عاذل .

حزب الله : أنصار الله تعالى .

(١) لا يُعَدُّ موالاة استعمال اليهودي أو النصراني في عمل تجاري أو عمراني أو مهني إذا دعت الحاجة إليه، ولا يصح استبطانهم ولا الاستعانة بهم في الجهاد.

(٢) قرئ: ﴿يرتد﴾ بالفك وهي قراءة أهل المدينة والشام .

(٣) قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته .

معنى الآيات :

هذه الآية الكريمة (٥٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ تضمنت خبراً من أخبار الغيب التي يخبر بها القرآن فتتم طبق ما أخبر به فتكون آية أنه كلام الله حقاً وأن المنزل على رسوله صدقاً فقد أخبر تعالى أن من يرتد من المؤمنين سوف يأتي الله عز وجل بخير منه ممن يحبون الله ويحبهم الله تعالى رحماً بالمؤمنين أشدّاء على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لوم من يلوم، ولا عتاب من يعتب عليهم. وما إن مات الرسول ﷺ حتى ارتد فئات من أجناس الأعراب ومنعوا الزكاة وقتلهم أبوبكر الصديق مع الصحابة رضوان الله عليهم حتى أخضعوهم للإسلام وحسن إسلامهم فكان أبوبكر وأصحابه ممن وصف الله تعالى يحبون الله ويحبهم الله يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم، وقد روي بل وصح أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية وتلاها ﷺ وأبو موسى الأشعري أمامه فأشار إليه وقال قوم هذا، وفعلاً بعد وفاة الرسول جاء الأشعريون وظهرت الآية وتمت المعجزة وصدق الله العظيم. وقوله تعالى: ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أولى أولئك المؤمنين من أبي بكر الصديق والصحابة والأشعريين من تلك الصفات الجليلة من حب الله والرقّة على المؤمنين والشدة على الكافرين، والجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي واسع الفضل عليم بمن يستحقه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٥٥) فقد تضمنت طمأنة الرب تعالى لعبادة بن الصامت وعبدالله بن سلام ومن تبرأ من حلف اليهود ووالى الله ورسوله فأخبرهم تعالى أنه هو وليهم ورسوله والذين آمنوا ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ أي خاشعون متطامنون وأما ولاية اليهود والنصارى فلا خير لهم فيها وهم منها براء فقصرهم تعالى على ولايته وولاية رسوله والمؤمنين الصادقين وفي الآية الثالثة أخبرهم تعالى أن من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ينصره الله ويكفه ما يهيمه، لأنه أصبح من حزب الله، وحزب الله أي أولياؤه وأنصاره هم الغالبون هذا ما دلت عليه الآية الكريمة وهي قوله

(١) قال ابن اسحاق لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب إلا ثلاثة مساجد مسجدة المدينة ومسجدة مكة ومسجدة جوثي، جوثي : اسم حصن بالبحرين وكان المرتدون على قسمين : قسم منعوا الزكاة واعترفوا بباقي الشريعة وقسم نبذوا الشريعة.

(٢) أي : ما وهبهم وأعطاهم من الصفات الحميدة الجليلة.

(٣) هي قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ . الخ.

(٤) يروى أنّ علياً رضي الله عنه كان يصلي نافلة في المسجد فسأله أحد فرمى إليه بالخاتم وهو يصلي فاستدل الفقهاء بهذا أن العمل اليسير لا يبطل الصلاة.

تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إخبار القرآن الكريم بالغيب وصدقه في ذلك فكان آية أنه كلام الله .
- ٢- فضيلة أبي بكر والصحابة والأشعريين قوم أبي موسى الأشعري وهم من أهل اليمن .
- ٣- فضل حب الله والتواضع للمؤمنين وإظهار العزة للكافرين ، وفضل الجهاد في سبيل الله
- وقول الحق والثبات عليه وعدم المبالاة بمن يلوم ويعذل في ذلك .
- ٤- فضيلة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع والتواضع .
- ٥- ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النصر والغلبة على أعدائه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

(١) الحزب : الصنف من الناس وأصله من النابتة مأخوذ من قولهم : حَزَبُهُ كَذَا أَي : نَابَهُ كَانَ الْمُتَحَرِّينَ مُجْتَمِعِينَ اجتماع أهل النابتة عليها .

(٢) روي أنه لما نزلت آية : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ . . .﴾ الخ قال المسلمون لهم يا إخوة القردة والخنازير نكسوا رؤوسهم افتضاحاً وفيهم يقول الشاعر :

فلعنة الله على اليهود إن اليهود إخوة القردة

شرح الكلمات :

- هزواً ولعباً : الهزء : ما يُهزأ به ويسخر منه . واللعب : ما يلعب به .
 أوتوا الكتاب : هم اليهود في هذا السياق .
 الكفار : المشركون .
 إذا ناديتم إلى الصلاة : أذنتم لها .
 هل تنقمون منا : أي ما تنقمون منا ، ومعنى تنقمون هنا تنكرون منا وتعيبون علينا .
 مشوبة : جزاء .
 فاسقون : خارجون عن طاعة الله تعالى بالكفر والمعاصي .
 القردة : جمع قرد حيوان معروف مجبول على التقليد والمحاكاة .
 والخنازير : جمع خنزير حيوان خبيث معروف محرم الأكل .
 شر مكاناً : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحذير المؤمنين من موالة اليهود وأعداء الله ورسوله فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ الإسلامي ﴿هزواً﴾ شيئاً يهزون به ، ولعباً أي شيئاً يلعبون به ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود ، والكفار^(١) وهم المنافقون والمشركون (أولياء) أنصاراً وأحباء وأحلافاً واتقوا الله في ذلك أي في اتخاذهم أولياء إن كنتم مؤمنين صادقين في إيمانكم فإن حب الله ورسوله والمؤمنين يتنافى معه حب أعداء الله ورسوله والمؤمنين . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت إخبار الله تعالى بما يؤكد وجوب معاداة من يتخذ دين المؤمنين هزواً ولعباً وهم أولئك الذين إذا سمعوا الأذان ينادي للصلاة اتخذوه هزواً ولعباً فهذا يقول ما هذا الصوت وآخر يقول

(١) قرىء والكفار بالجرّ، وقرىء بالنصب قال مكي : لولا اتفاق الجماعة على قراءة النصب لاخترت قراءة الجرّ لقوته في الإعراب ، وفي التفسير ، والقرب من المعطوف عليه .

(٢) هذه الآية فيها دليل على عدم جواز التأييد والاستنصار بالمشركين ، وقد روي عن جابر أن النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا : نسير معك فقال ﷺ : «إنا لا نستعين على أمرنا بالمشركين» .

(٣) لم يكن بمكة الأذان ، وإنما كان ينادى للصلاة بلفظ «الصلاة جامعة» ولما هاجر ﷺ وصرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان وبقيت «الصلاة جامعة» للأمر بعرض ولما همهم أمر الأذان رأى عبدالله بن زيد الأنصاري الأذان في المنام وكذا رآه عمر .

(١) هذا نهي حار قبح الله قولهم وأقمأهم . فقال تعالى عنهم : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . حقاً أنهم لا يعقلون فلو كانوا يعقلون الكلام لكان النداء إلى الصلاة من أطيب ما يسمع العقلاء لأنه نداء إلى الطهر والصفاء وإلى الخير والمحبة والألفة نداء إلى ذكر الله وعبادته ، ولكن القوم كما أخبر تعالى عنهم : ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ شأنهم شأن البهائم والبهائم أفضل منهم . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٩) فقد تضمنت تعليم الله تعالى لرسوله أن يقول لأولئك اليهود والكفرة الفجرة يا أهل الكتاب إنكم بمعاداتكم لنا وحرِبكم علينا ما تنقمون منا أي ما تكرهون منا ولا تعيين علينا إلا إيماننا بالله وما أنزل علينا من هذا القرآن الكريم وما أنزل من قبل من التوراة والإنجيل ، وكون أكثركم فاسقين فهل مثل هذا ينكر من صاحبه ويعاب عليه؟ اللهم لا ، ولكنكم قوم لا تعقلون هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ أما الآية الرابعة في هذا السياق (٦٠) فقد تضمنت تعليم الله لرسوله كيف يرد على أولئك اليهود إخوان القردة والخنازير قوهم : لا نعلم ديناً شراً من دينكم ، وذلك أنهم سألو النبي ﷺ : بمن تؤمن؟ فقال أو من بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل على موسى وما أنزل على عيسى فلما قال هذا ، قالوا : لا نعلم ديناً شراً من دينكم بغضاً لعيسى عليه السلام وكرهاً له ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ ﴾ أي ثواباً جزاء ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ؟ ﴾ أنه ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ إذ مسخ طائفة منهم قردة ، وأخرى خنازير على عهد داود عليه السلام ، وقوله ﴿ وَعَبَدُ الطَّاغُوتِ ﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت وهو الشيطان وذلك بطاعته والانقياد لما يجلبه عليه ويزينه له من الشر والفساد ، إنه أنتم يا معشر يهود ، إنكم لشر مكاناً يوم القيامة وأضل سبيلاً اليوم في هذه الحياة الدنيا .

(١) الأذان فرض في المدن والقرى وسنة لجماعة تطلب غيرها ، ومستحب لمن لا يطلب غيره ، والسفر ، والحضر سواء إلا أنه في السفر أعظم أجراً لحديث الموطأ : « لا يسمع مدي صوت المؤذن جن ولا إنس ، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » وهذا الثواب عام لمن أذن في السفر والحضر ، والإقامة سنة مؤكدة لكل صلاة ومن أذن أقام ولو أقام غير المؤذن جازت .

(٢) قريء هذا اللفظ ﴿ عَبَدُ الطَّاغُوتِ ﴾ بعدة قراءات منها عَبَدَ اسْمًا كَقَضَلْ ، وَعَبَدُوا الطَّاغُوتِ ، وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أي جمع عبد ، وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ جمع عابد كشاهد وشهد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين أولياء لاسيما أهل الظلم منهم .
- ٢- سوء أخلاق اليهود وفساد عقولهم .
- ٣- شعور اليهود بفسقهم وبعد ضلالتهم جعلهم يعملون على إضلال المسلمين .
- ٤- تقرير وجود مسخ في اليهود قردة وخنازير .
- ٥- اليهود شر الناس مكانا يوم القيامة ، وأضل الناس في هذه الدنيا .

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا

وَقَدْ خَلَوْا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ^{٦١} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ

﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ

السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ

وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

يكتُمون : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها .

في الإثم والعدوان : الإثم كل ضار وفاسد وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد أو قول أو

عمل ، والعدوان : الظلم .

السحت : المال الحرام كالرشوة والربا ، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم

وتأويله .

الربانيون والأحبار : الربانيون هنا العباد المربون كمشايخ التصوف عندنا والأحبار :

العلماء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في فضح اليهود وبيان خبثهم زيادة في التنفير من موالاتهم فأخبر

تعالى في الآية الأولى عن منافقيهم فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُم﴾^(١) يريد: غشوكم في مجالسكم، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ وما آمنوا ولكنهم ينافقون لا غير فقد دخلوا بالكفر في قلوبهم وخرجوا به، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر والكيد لكم. هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٦١) ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُم قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ وأما الآية الثانية (٦٢) فقد أخبر تعالى رسوله أنهم لكثرة ما يرتكبون من الذنوب ويغشون من المعاصي ترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت علناً لا يستترون به ولا يخفونه ثم ذمهم الله تعالى على ذلك وقبح فعلهم فقال ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وفي الآية الأخيرة: أنكر على عبادهم وعلماهم سكوتهم عن جرائم عوامهم ورضاهم بها مصانعة لهم ومداهنة فقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُم الرِّبَانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ أي لم لا ينهونهم عن قولهم الإثم أي الكذب وأكلهم السحت الرشوة والربا، ثم ذم تعالى سكوت العلماء عنهم بقوله ﴿لَبِئْسَ﴾ ما كانوا يصنعون أي وعزتي وجلالي لبئس صنيع هؤلاء من صنيع حيث أصبح السكوت المتعمد لمنافع خاصة يحصلون عليها صنعة لهم أتقنوها وحذقوها. والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجود منافقين من اليهود على عهد الرسول ﷺ بالمدينة.
- ٢- بيان استهتار اليهود وعدم مبالاتهم بارتكابهم الجرائم علانية.
- ٣- قبح سكوت العلماء على المنكر وإغضائهم على فاعليه، ولذا قال كثير من السلف في هذه الآية أشد آية وأخطرها على العلماء .

(١) هذه الآيات معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ السابقة وخصّ بهذه الصفات منافقوا اليهود وهم من جملة من اتخذوا الدين هزوا ولعباً.

(٢) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالط الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

(٣) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكل من يسمع ويرى والمعنى: أن حالهم لا تخفى على أحد ذي بصر.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُم الرِّبَانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون والآية وإن نزلت في يهود المدينة فقد ذكرت النصارى لأن حالهم سواء. والآية تنطبق اليوم على علماء المسلمين حيث تركوا الأمر والنهي والعياذ بالله تعالى من عاقبة ذلك فقد قال ﷺ «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» الترمذي وصححه. ولولا هنا أداة تحظيظ، والمراد توبيخ علماهم، وعابدهم على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٥) قال الزجاج: اللام في قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ﴾ للقسمة، والتأكيد.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

- يد الله مغلولة^(١) : يريدون أنه تعالى ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم .
غلت أيديهم : دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم .
لعنوا بما قالوا : طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالى بالبخل .
بل يدها مبسوطتان : لا كما قالوا لعنهم الله : يد الله مغلولة أي ممسكة عن
الإنفاق .
طغياناً : تجاوزاً لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد .
وألقينا بينهم : أي بين اليهود والنصارى .
أوقدوا ناراً : أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب .

(١) القائل : فنحاص اليهودي عليه لعائن الله وهو يعني بمغلوله بخيلة لا تنفق وهو كاذب بل يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار «أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يقض ما في يمينه» حديث الشيخين .

ولو أن أهل الكتاب : اليهود والنصارى .
 من فوقهم ومن تحت أرجلهم : كناية عن بسط الرزق عليهم .
 أمة مقتصدة : معتدلة لا غالية مفرطة ، ولا جافية مفرطة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن كفر اليهود وجراتهم على الله تعالى بباطل القول وسيء العمل فيقول :
 ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ يريدون أنه تعالى أمسك عنهم الرزق وضيقه عليهم ، فرد
 الله تعالى عليهم بقوله : ﴿غلت أيديهم﴾ وهو دعاء عليهم بأن لا يوفقوا للإتفاق فيما ينفعهم
 ﴿ولعنوا بما قالوا﴾ . ولعنهم تعالى ولعنهم كل صالح في الأرض والسماء بسبب قولهم الخبيث
 الفاسد . وأكذبهم تعالى في قولهم ﴿يد الله مغلولة﴾ فقال : ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف
 يشاء﴾ كما قال عنه رسوله في الصحيح «يمين الله سحاء تنفق الليل والنهار» ثم أخبر تعالى
 نبيه محمداً ﷺ ليسليه ويخفف عنه ما يجد في نفسه من جراء كفر اليهود وخبثهم فقال :
 ﴿وليزیدن كثيراً منهم﴾ أي من اليهود ﴿ما أنزل إليك﴾ من الآيات التي تبين خبثهم وتكشف
 النقاب عن سوء أفعالهم المخزية لهم . ﴿طغياناً وكفراً﴾ أي إبعاداً في الظلم والشر وكفراً
 بتكذيبك وتكذيب ما أنزل إليك وذلك دفعاً للحق ليرروا باطلهم وما هم عليه من الاعتقاد
 الفاسد والعمل السيء ، ثم أخبر تعالى رسوله بتدبيره فيهم انتقاماً منهم فقال عز من قائل :
 ﴿والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ أي أن العداوة بين اليهود والنصارى لا
 تنتهي إلى يوم القيامة ، ثم أخبر عن اليهود أنهم ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ وذلك بالتحريش
 بين الأفراد والجماعات وحتى الشعوب والأمم ، وبالإغراء ، وقالة السوء ، ﴿أطفأها الله﴾
 تعالى فلم يفلحوا فيما أرادوه وقد أذهم الله على يد رسوله والمؤمنين وأخزاهم وعن دار الإيمان
 أجلاهم وأخبر تعالى أنهم يسعون دائماً وأبداً في الأرض بالفساد فلذا أبغضهم الله وغضب
 عليهم ، لأنه تعالى لا يحب المفسدين ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية
 (٦٥) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ من يهود ونصارى ﴿آمنوا﴾ بالله ورسوله وبما

(١) إنه وإن كان القائل فنحاص بن عازوراء فإن رضى اليهود بمقالته سلكهم في سلكه واعتبروا كلهم قائلون ، إذ الرضا بالكفر كفر .

(٢) هذا اللفظ معنى للحديث لا لفظه ، وقد تقدّم قريباً لفظه كما في الصحيحين .

(٣) الكلام صالح لأن يكون (بينهم) المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالى : ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارى لتقدم ذكرهم معاً في قوله تعالى : ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ والواقع شاهد .

جاء من الدين الحق وعملوا به، ﴿واتقوا﴾ الكفر والشرك وكبائر الذنوب الفواحش، لكفر الله عنهم سيئاتهم فلم يؤاخذهم ولم يفضحهم بها ولأدخلهم جنات النعيم. وهذا وعد الله تعالى لليهود والنصارى فلو أنهم آمنوا واتقوا لأنجزه لهم قطعاً. وهو لا يخلف الميعاد.

أما الآية الأخيرة (٦٦) في هذا السياق فهي تتضمن وعداً إلهياً آخر وهو أن اليهود والنصارى لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ومن ذلك القرآن الكريم، ومعنى أقاموا ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة في تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تضمنتها تلك الكتب لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ولأصبحوا في خيرات وبركات تحوطهم من كل جانب هذا ما وعدهم الله به. ثم أخبر تعالى عن واقعهم المرير فقال: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ لم تغل ولم تحف فلم تغل في عيسى أنه ابن الله ولا هو ابن زنى، ولكن قالت عبد الله ورسوله ولذا لما جاء النبي الأمي بشارته عيسى عليه السلام آمنوا به وصدقوا بما جاء به من الهدى والدين الحق وهم عبد الله بن سلام وبعض اليهود، والنجاشي من النصارى وخلق كثير لا يحصون عدداً. وكثير من أهل الكتاب ساء أي قبح ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح وصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وكماله.
- ٢- ثبوت صفة اليمين لله تعالى ووجوب الإيمان بها على مراد الله تعالى، وعلى ما يليق بجلاله وكماله.
- ٣- تقرير ما هو موجود بين اليهود والنصارى من عداوة وبغضاء وهو من تدبير الله تعالى.
- ٤- سعي اليهود الدائم في الفساد في الأرض فقد ضربوا البشرية بالذهب المادي الإلحادي الشيوعي، وضربوها أيضاً بالإباحية ومكائد الماسونية.

(١) بشارته عيسى بدلاً من النبي الأمي وقلنا بشارته عيسى لأن النبي ﷺ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارته عيسى عليهم السلام».

(٢) أي: بشئ عملوه إذ كذبوا الرسل وحرقوا الكتب وأكلوا السحت.

(٣) وإن قيل إن التعاون القائم اليوم بين اليهود والنصارى يرد ما في الآية قلنا إن اليهود احتالوا على النصارى فضربوهم بالالحاد فلما قضى على العقيدة الدينية فيهم أصبحوا سخرة لهم يتحكمون فيهم وبذلك فرضوا عليهم حبهيم وعدم عداوتهم.

- ٥- وعد الله لأهل الكتاب على ما كانوا عليه لو آمنوا واتقوا لأدخلهم الجنة .
 ٦- وعدم تعالى لأهل الكتاب ببسط الرزق وسعته لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم أي لو أنهم أخذوا بها في التوراة والإنجيل من دعوتهم إلى الإيمان بالنبي الأمي والدخول في الإسلام لحصل لهم ذلك كما حصل للمسلمين طيلة ثلاثة قرون وزيادة . وما زال العرض كما هو لكل الأمم والشعوب أيضاً .

﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّثُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

- الرسول (٧) : ذكر من بني آدم أوحى إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ .
 بلغ ما أنزل إليك : من التوحيد والشرائع والأحكام .
 يعصمك : يحفظك حفظاً لا يصل إليك معه أحد بسوء .

(١) العرض : هو ما عرضه الله تعالى عليهم وهو في قوله : ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا﴾ الآية .
 (٢) روى مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الرحي فقد كذب والله تعالى يقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ الآية .

فلا تأس : لا تأسف ولا تحزن .
 هادوا : اليهود .
 الصابثون : جمع صابىء وهم فرقة من أهل الكتاب .

معنى الآيات :

في الآية الأولى (٦٧) ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله معظمًا له بقوله : ﴿يا أيها الرسول المبجل ليأمره بإبلاغ ما أوحاه إليه من العقائد والشرائع والأحكام فيقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ . ويقول له : ﴿وإن لم تفعل﴾ أي إن قصرت في شيء لم تبلغه لاي اعتبار من الاعتبارات ﴿فما بلغت رسالته﴾ أي فكأنك لم تبلغ شيئاً^(١)، وقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أي يمنعك من أن يمسوك بشيء من الأذى، ولذا فلا عذر لك في ترك إبلاغ أي شيء سواء كان مما يتعلق بأهل الكتاب أو بغيرهم ولذا فلم يكتف رسول الله شيئاً مما أمر بإبلاغه البتة . وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ تقرير لوعده تعالى بعصمة رسوله ﷺ إذ هو تعالى لا يوفق الكافرين لما يريدون ويرغبون فيه من أذية رسوله ﷺ ، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ «لا تحرسوني فإن الله قد عصمني» هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٦٨) وهي قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾^(٢) لقد تقدم هذا السياق وأعيد هنا تقريراً له وتأكيداً وهو إعلام من الله تعالى أن اليهود والنصارى ليسوا على شيء من الدين الحق ولا من ولاية الله تعالى حتى يقيموا ما أمروا به وما نهوا وما انتدبوا الله من الخيرات والصالحات مما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن أيضاً . وقوله تعالى : ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن كثيراً من اليهود والنصارى يزيدهم ما يوحي الله تعالى إلى رسوله وما ينزله عليه في كتابه من أخبار

(١) في الآية رد على الرافضة القائلين بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أمر بإبلاغه تقية وكذبوا ورب الكعبة قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : لو كان في إمكان الرسول أن يكتف شيئاً لكتف : ﴿عسى وتولى﴾ إذ هي عتاب له ﷺ .

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال : (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) قالت : فبينما كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال : من هذا؟ قال : سعد بن أبي وقاص . فقال له : ما جاء بك؟ فقال : وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فبحث أحرسه ، فدعا له رسول الله ﷺ ثم انصرف ونزلت هذه الآية .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : ألسنت تقرأ أن التوراة حق من عند الله؟ قال : بلى ، فقالوا : إنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية ﴿لستم على شيء﴾ الخ .

أهل الكتاب مما هو بيان لذنوبهم وضلالهم . ومما هو أمر لهم بالإيمان بالنبي الأمي واتباعه على الدين الحق الذي أرسل به يزيدهم ذلك طغياناً أي علواً وعتواً وكفراً فوق كفرهم . ولذا فلا تأس أي لا تحزن^(١) على عدم إيمانهم بك وبما جئت به لأنهم قوم كافرون . أما الآية الثالثة (٦٩) وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فالذين آمنوا هم المسلمون واليهود والنصارى والصابثون وهم فرقة منهم هم أهل الكتاب فجميع هذه الطوائف من آمن منهم الإيمان الحق بالله وباليوم الآخر وأتى بلازم الإيمان وهو التقوى وهي ترك الشرك والمعاصي أفعلاً وتروكاً فلا خوف عليه في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا حزن يلحقه في الحيات الثلاث وعد الله حقاً ومن أصدق من الله حديثاً!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب البلاغ على الرسل ونهوض رسولنا محمد ﷺ بهذا الواجب على أكمل وجه وأتمه .
- ٢- عصمة الرسول المطلقة .
- ٣- كفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم بالنبي محمد ﷺ واتبع ما جاء به من الدين الحق .
- ٤- أهل العناد والمكابرة لا تزيدهم الأدلة والبراهين إلا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفراً .
- ٥- العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي لا بالانتساب إلى دين من الأديان .

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا

(١) في هذا الإرشاد الإلهي تسلية للرسول ﷺ وليس ينهي عن الحزن إذ لا يقدر المرء على دفع الحزن وإنما يقدر على ترك مثيراته فإنه متى ترك التعرض لها لم يوجد في نفسه حزن .

(٢) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابثين والنصارى إشارة أبلغ من عبارة وهي أَنَّ العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان وإنما النجاة من النار ودخول الجنة متوقفان على الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ .

(٣) اختلف في إعراب : ﴿وَالصَّابِثُونَ﴾ على أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره : والصابثون كذلك على حد قول الشاعر :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب

أي كذلك ، وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابثون كذلك .

لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوا أَنَّا لَآتِكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

- الميثاق : العهد المؤكد باليمين .
- بما لا تهوى أنفسهم : بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة .
- فريقاً كذبوا : أي كذبوا طائفة من الرسل وقتلوا طائفة أخرى .
- أن لا تكون فتنة ^(١) : أي أن لا يبتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن .
- فعموا وصموا : عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ .
- من يشرك بالله : أي يشرك بالله غيره تعالى من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات .
- حرم الله عليه الجنة : حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك .
- معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب فقد أقسم تعالى على أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل وذلك في التوراة بأن يعبدوا الله وحده بما شرع لهم فيطيعوه في أمره ونهيه وأرسل

(١) أن هي المخففة من الثقيلة وحسانهم ذلك هو الذي جعلهم يواصلون جرائمهم ولم يرتدعوا عنها .

إليهم رسله تَرا كلما جاءهم رسول بما لا يؤاقي أهواءهم^(١) كذبوه فيما جاءهم به ودعاهم إليه . أو قتلوه . وحسبوا أن لا يؤاخذوا بذنوبهم فعموا عن الحق وصموا عن سماع المواعظ فابتلاهم ربهم وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب ، ثم تاب الله عليهم فتابوا واستقام أمرهم وصلحت أحوالهم ثم عموا وصموا مرة أخرى إلا قليلاً منهم فسلط عليهم من سامهم سوء العذاب أيضاً وها هم أولاء في عمى وصمم والله بصير بما يعملون وسوف ينزل بهم بأساءه إن لم يتوبوا فيؤمنوا بالله ورسوله ويدينوا بالدين الحق الذي هو الإسلام .

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى والثانية (٧٠ - ٧١) أما الآية الثالثة (٧٢) وهي قوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾^(٢) فقد أخبر تعالى مقررأً حكمه بالكفر على من افترى عليه وعلى رسوله فادعى أن الله جل جلاله وعظم سلطانه هو المسيح بن مريم تعالى الله أن يكون عبداً من عباده ، وحاشا عيسى عبد الله ورسوله أن يرضى أن يقال له أنت الله . وكيف وهو القائل : ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾^(٣) فهل مثل هذا القول يصدر عمن يدعي أنه الله أو ابن الله؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان تاريخ بني إسرائيل ، والكشف عن مخبثات جرائمهم من الكفر والقتل .
- ٢- إكرام الله تعالى لبني إسرائيل ولطفه بهم مع تمردهم عليه ورفض ميثاقه وقتل أنبيائه وتكذيبهم ، والمكر بهم .

(١) كموسى وهارون ومن جاء بعدهما داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام .
 (٢) كلما : نصبت على الظرفية وهي لاستغراق الزمان الذي أتت فيه الرسل وأشربت معنى الشرطية فكان العامل فيها بحذرة الجواب .
 (٣) ﴿أهواءهم﴾ جمع هوى وهو المحبوب ، وفعله : هوى يهوى كرضى يرضى إذا أحب ومالت نفسه إلى ملاسة شيء .
 (٤) إشارة إلى تاريخ بني إسرائيل فقد استقام أمرهم وقامت دولتهم في فلسطين على عهد يوشع بن نون فتى موسى ثم دالت دولتهم بجرائمهم على عهد البابليين ثم اجتمعت كلمتهم وقامت دولتهم على عهد داود وسليمان ثم دالت دولتهم بجرائمهم التي ناعها الله تعالى عليهم في هذه الآية على يد الرومان .
 (٥) هذا استئناف ابتدائي لإبطال باطل النصارى بعد إبطال باطل اليهود فالمناسبة جدُّ قوية لأنهما خصم الإسلام والمسلمين .
 (٦) هذا قول اليعقوبية وهم فرقة من النصارى لأنهم قالوا باتحاد الابن والاب فكان المسيح هو الله في اعتقادهم الباطل الفاسد .

٣- تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله .

٤- تقرير عبودية عيسى عليه السلام لربه تعالى .

٥- تحريم الجنة على من لقي ربه وهو يشرك به سواه .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ
إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
أَنْظِرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

ثالث ثلاثة ^(١) : الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس : وكلها إله واحد .

خلت من قبله الرسل : مضت قبله رسل كثيرون .

وأمه صديقة : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها .

أنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان كفر النصارى ففي السياق الأول ورد كفر من قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وفي هذا السياق كفر من قالوا إن الله ثالث ثلاثة إذ قال تعالى في هذه

(١) أي : أحد ثلاثة وهو قول الملكانية والنسطورية واليعقوبية ولا يقولون ثلاثة آلهة ويتمنعون من ذلك وهو لازمهم .

الآية (٧٣) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة يعنون الأب والابن وروح القدس، وبعضهم يقول الأب والابن والأم، والثلاثة إله واحد فأكذبهم تعالى في قيلهم هذا فقال راداً باطلهم ، ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ أي وليس الأمر كما يكذبون، وإنما الله إله واحد، وأما جبريل فأحد ملائكته وعيسى عبده ورسوله ومريم أمته فالكل عبد الله وحده الذي لا إله غيره ولا رب سواه. ثم قال تعالى متوعداً هؤلاء الكفرة الكذبة: ولئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم. فأقسم تعالى أنهم إن لم ينتهوا عن قولهم الباطل وهو كفر ليمسهم عذاب أليم موجه غاية الإيحاء. ثم لكمال رحمته عز وجل دعاهم في الآية الثانية (٧٤) إلى التوبة ليتوب عليهم ويغفر لهم وهو الغفور الرحيم فقال عز وجل: ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾ بترك هذا الكفر والباطل ويستغفرون الله منه والله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وفي الآية الثالثة (٧٥) أخبر تعالى معلماً رسوله الاحتجاج على باطل النصارى فقال: ﴿ما المسيح بن مريم، إلا رسول﴾، فلم يكن رباً ولا إلهاً وإنما هو رسول مفضل قد خلت من قبله رسل مفضلون كثيرون وأمّه مريم لم تكن أيضاً إلهاً كما يزعمون، وإنما هي امرأة من نساء بني إسرائيل صديقة كثيرة الصدق في حياتها لا تعرف الكذب ولا الباطل (٤) وأنها وولدها عيسى عليهما السلام بشران كسائر البشر يدل على ذلك أنها يأكلان الطعام احتياجاً إليه لأن بنيتهما لا تقوم إلا عليه فهل أكل الطعام افتقاراً إليه، ثم يفرز فضلاته يصلح أن يكون إلهاً. اللهم لا. وهنا قال لرسوله ﷺ أنظر يا رسولنا كيف نبين لهم الآيات الدالة بوضوح على بطلان كفرهم، ثم انظر كيف يؤفكون عن الحق أي كيف يصرفون عنه وهو واضح بين. وفي الآية الأخيرة (٧٦) أمر رسوله أن يقول لأولئك المأفوكين عن الحق المصروفين عن دلائله لا ينظرون فيها أمره أن يقول لهم موبخاً لهم: ﴿أتعبدون من دون

(١) الآية نص في أنّ من يقول بقول النصارى كافر مستوجب للعذاب الأليم.

(٢) فيه قصر موصوف على صفة أي، قصر عيسى على الرسالة لا يتجاوزها إلى الألوهية ولذا فهو قصر قلب لرد اعتقاد النصارى في أنه الله.

(٣) صديقة: كثيرة الصدق في قولها وعملها وفي تصديقها بآيات ربّها، وفي تصديقها لأنها وقد ناداها ساعة ولادته وفي رضاعه، وهل هي مع الصديقة نبيّه؟ في نداء الملائكة لها ما يرجح نبوتها. والله أعلم.

(٤) إنّ من يأكل الطعام وولده امرأة كيف لا يكون مخلوقاً مربوباً محدثاً كسائر المخلوقين لم يستطع دفع هذا نصراني مهما أوتي من العلم إلا أنهم يهربون من مواجهة الحق فيقولون تضليلاً لعقولهم وخداعاً لنفوسهم: إنه يأكل الطعام بناسوته لا بلاهوته، ومعناه: أنّ الإنسان اختلط بالإله وهذه هي الحلوية الباطلة الفاسدة عقلاً وشرعاً وواقعاً.

(٥) يقال: أفكّه يافكه أفكاً إذا صرفه صرفاً وهو من باب ضرب.

الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً وهو عيسى وأمه، وتتركون عبادة من يملك ذلك، وهو الله السميع العليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد.
- ٢- إبراء عيسى ووالدته عليهما السلام من دعوى الألوهية للناس.
- ٣- فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون.
- ٤- تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً.
- ٥- ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعبدها ضرراً ولا نفعاً، ولا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ
مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ



شرح الكلمات :
لا تغلوا في دينكم^(١)

: الغلو: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فمثلاً أمرنا
بغسل اليدين في الوضوء إلى المرفقين فغسلهما إلى الكتفين غلو
أمرنا بتعظيم الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين .

أهواء قوم قد ضلوا : جمع هوى ، وصاحب الهوى هو الذي يعتقد ويقول ويعمل
بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالى .
وأضلوا كثيراً : أي أضلوا عدداً كثيراً من الناس بأهوائهم وأباطيلهم .
عن سواء السبيل^(٢) : سواء السبيل : وسط الطريق العدل لا ميل فيه إلى يمين
ولا إلى يسار .

لعن : دعى عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير والرحمة وموجباتها .
بما عصوا وكانوا يعتدون : أي بسبب عصيانهم لرسولهم ، واعتدائهم في دينهم .
لا يتناهون : أي لا ينهي بعضهم بعضاً عن ترك المنكر .
لبش ما كانوا يعملون^(٣) : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .

يتولون الذين كفروا : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين .
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ ما
اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أهل الكتاب يهوداً ونصارى فقال تعالى لنبية محمد ﷺ
﴿قل﴾ يا رسولنا : ﴿يا أهل الكتاب﴾ والمراد بهم هنا النصارى ﴿لا تغلوا في دينكم﴾

(١) الغلو: مصدر غلا يغلو غلواً في الأمر إذا جاوز حده المعروف .

(٢) سواء السبيل هنا المراد به : الإسلام ، لأنهم ضلوا في دينهم قبل مجيء الإسلام ثم ضلوا عن الإسلام بعد مجيئه .

(٣) اللام : لام القسم جىء بها لتدل عليه وتؤكد الذم بصورة فظيعة .

غير الحق ، أي لا تشددوا في غير ما هو حق شرعه الله تعالى لكم ، فتبتدعون البدع وتتغالوا في التمسك بها والدفاع عنها ، التشدد محمود في الحق الذي أمر الله به اعتقاداً وقولاً وعملاً لا في المحدثات الباطلة ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وهم اليهود إذ قالوا في عيسى وأمه بأهوائهم فقالوا في عيسى ساحر ، وقالوا في أمه بنغي وأضلوا كثيراً من الناس بأهوائهم المتولدة عن شهواتهم ، وضلوا أي وهم اليوم ضالون بعيدون عن جادة الحق والعدل في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم . هذا ما تضمنته الآية الأولى (٧٧) أما الآيات بعد فقد أخبر تعالى في الآية الثانية أن بني إسرائيل لعن منهم الذين كفروا على لسان كل من داود في الزبور ، وعلى لسان عيسى بن مريم في الإنجيل وعلى لسان محمد ﷺ في القرآن فقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ﴾ . فقد مسخ منهم طائفة قردة ، ﴿ وعيسى بن مريم ﴾ حيث مسخ منهم نفر خنازير كما لعنوا على لسان محمد ﷺ في غير آية من القرآن الكريم ، وهذا اللعن الذي هو إبعاد من كل خير ورحمة ومن موجبات ذلك في الدنيا والآخرة سببه ما ذكر تعالى بقوله : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ . أي بسبب عصيانهم لله تعالى ورسله بترك الواجبات وفعل المحرمات ، واعتدائهم في الدين بالغلو والابتداع ، وبقتل الأنبياء والصالحين منهم : وأخبر تعالى في الآية الثالثة بذكر نوع عصيانهم واعتدائهم الذي لعنوا بسببه فقال : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ . أي كانوا عندما استوجبوا اللعن يفعلون المنكر العظيم ولا ينهى بعضهم بعضاً كما أخبر النبي ﷺ في قوله : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده » فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ : « لعن الذين كفروا - إلى قوله فاسقون » ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه (تعطفنه) على الحق أطراً ولتقرنه على الحق قسراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم » وفي آخر الآية قبح الله تعالى

(١) في الآية دليل على جواز لعن الكافر وإن كان من أولاد الأنبياء وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقه (قرطبي).
 (٢) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالى أن الإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاعه وأمن الضرر على نفسه وعلى غيره من المسلمين فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه .
 (٣) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

عملهم فقال: ﴿لبس ما كانوا يفعلون﴾ ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أي من اليهود في المدينة يتولون الذين كفروا يعنى من المشركين والمنافقين في مكة والمدينة يصاحبونهم ويوادونهم وينصرونهم وهم يعلمون أنهم كفار تحرم موالاتهم في دينهم وكتابهم، ثم قبح تعالى عملهم فقال: ﴿لبس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ نتيجة ما حملتهم عليه من الشر والكفر والفساد، وهو سخط الله تعالى عليهم وخلودهم في العذاب من موتهم إلى مالا نهاية له فقال تعالى: ﴿لبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ لا يخرجون منه أبداً. ثم زاد تعالى تقرير كفرهم وباطلهم وشرهم وفسادهم فقال: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله﴾ كما يجب الإتيان به وبالنبي محمد وبما جاء به من الهدى ودين الحق وما أنزل إليه من القرآن والآيات البينات ما اتخذوا الكفار المشركين والمنافقين أولياء، ولكن علة ذلك أنهم فاسقون إلا قليلاً منهم، والفاسق عن أمر الله الخارج عن طاعته لا يقف في الفساد عند حد أبداً، هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾^(١).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الغلو والابتداع في الدين، واتباع أهل الأهواء.
- ٢- العصيان والاعتداء ينتجان لصاحبهما الحرمان والخسران.
- ٣- حرمة السكوت عن المنكر ووخامة عاقبته على المجتمع.
- ٤- حرمة موالاة أهل الكفر والشر والفساد.
- ٥- موالاة أهل الكفر بالمودة والنصرة دون المؤمنين آية الكفر وعلامته في صاحبه.

(١) أن: في موضع رفع على الابتداء، والتقدير: لبس ما قدمت لهم أنفسهم هو سخط الله عليهم.
 (٢) في الآية دليل واضح على أن من اتخذ الكافر ولياً لا يكون مؤمناً إذ يجزه ذلك الولاء إلى قول ما يقول وفعل ما يفعل وحتى اعتقاد ما يعتقد وبذلك يكفر مثله وشاهده من الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم».
 (٣) أي: كفروا إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.

الفهرس

٤	المقدمة
٩	سورة الفاتحة
٩	الجزء الأول
١٨	سورة البقرة من الآية (١)
١٣٤	الجزء الثاني
١٢٤	سورة البقرة من الآية (١٤٢)
٢٤١	الجزء الثالث
٢٤١	سورة البقرة من الآية (٢٥٣)
٢٨١	سورة آل عمران من الآية (١)
٣٤٧	الجزء الرابع
٣٤٧	سورة آل عمران من الآية (٩٣)
٤٣٢	سورة النساء من الآية (١)
٤٥٩	الجزء الخامس
٤٥٩	سورة النساء من الآية (٢٤)
٥٦٤	الجزء السادس
٥٦٤	سورة النساء من الآية (١٤٨)
٥٨٥	سورة المائدة من الآية (١)

أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ لِكَلَامِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثاني

تأليف

أبي بَرَحْبَاءَ بْنِ الْبَزْزَرِيِّ
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزينة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبها مشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجها أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من :
رأسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ
قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

شرح الكلمات :

عداوة^(١) : العداوة : بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله

بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو.

مودة : المودة : حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر.

قسيسين : جمع قسيس : وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارى.

ورهباناً : الرهبان : جمع راهب : مشتق من الرهبة وهو الرجل في النصارى

يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة .

ما أنزل إلى الرسول : الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة على

تشريف عيسى ووالدته مريم عليهما السلام، وأن عيسى عبدالله

(١) ﴿عداوة﴾ منصوب على التمييز مبيّناً لنسبة أشد وكذا مودة.

الشاهدين

: جمع شاهد: من شهد لله بالوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك.

الصالحين

: جمع صالح: وهو من أدى حقوق الله تعالى كاملة من الإيمان به وشكره على نعمه بطاعته، وأدى حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم.

فأثابهم الله بما قالوا : جزاهم بما قالوا من الإيمان ووفَّقوا له من العمل جنات تجري من تحتها الأنهار.

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعداوة كل من اليهود والمشركين للمؤمنين وأنهم أشد عداوة من غيرهم، فيقول ﴿ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ أما اليهود فلما توارثوه خلفاً عن سلف من إنكار الحق. والوقوف في وجه دعائه، إضافة إلى أن أملمهم في إعادة مجدهم ودولتهم يتعارض مع الدعوة الإسلامية وأما المشركون فلجهلهم وإسرافهم في المحرمات وما ألقوه لطول العهد من الخرافات والشرك والضلالات. كما أخبر تعالى أن النصارى هم أقرب مودة للذين آمنوا فقال: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ وعلل تعالى لهذا القرب من المودة بقوله: ﴿ذلك...﴾ أي كان ذلك بسبب أن منهم قسيسين ورهباناً فالقسيسون علماء بالكتاب رؤساء دينيون غالباً ما يؤثرون العدل والرحمة والخير على الظلم والقسوة والشر والرهبان لانقطاعهم عن الدنيا وعدم رغبتهم فيها ويدل عليه قوله: ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن الحق وقبوله والقول به ولذا لما عمت المادية المجتمعات النصرانية، وانتشر فيها الإلحاد والإباحية قلت تلك المودة للمؤمنين إن لم تكن قد انقطعت. أما قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم

(١) اللام في ﴿ولتجدن﴾ لام القسم. وهذه الآيات الأربع كالفلذكة لما سبق من الآيات في أهل الكتاب.
(٢) هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه إذ هاجر إليه المؤمنون الهجرة الأولى والثانية هروبا من اضطهاد المشركين وأذاهم، ولما بعثت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة بهدايا تطالب برد المهاجرين إليها دعا النجاشي الرهبان والقسس وأسمعهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم فيكوا حتى فاضت أعينهم من الدمع فنزلت هذه الآية.
(٣) جمع قس ويجمع على قساوسة، والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفعله رهب رهباً ورهباً ورهبة إذا خاف والرهبانية والترهب التعبد في صومعة أو دير.

تفيض^(١) من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴿فالمعني بها من أسلم من النصارى بمجرد أن تلي عليهم القرآن وسمعوه كأصحمة النجاشي وجماعة كثيرة ومعنى قولهم ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أنهم بعد ما سمعوا القرآن تأثروا به فبكوا من أجل ما عرفوا من الحق وسألوا الله تعالى أن يكتبهم مع الشاهدين ليكونوا معهم في الجنة، والشاهدون هم الذين شهدوا لله تعالى بالوحدانية ولنبه بالرسالة، وأطاعوا الله ورسوله من هذه الأمة وقولهم: ﴿ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ فإن معناه: أي شيء يمنعنا من الإيمان بالله رباً وإلهاً واحداً لا شريك له ولا ولد ولا والد. وبها جاء من الحق في توحيدته تعالى ونبوة رسوله محمد ﷺ، ومن الطمع في أن يدخلنا ربنا الجنة مع الصالحين من هذه الأمة. ولما قالوا هذا أخبرهم تعالى أنه أثابهم به ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾، وأخبر تعالى أن ذلك الجزاء الذي جزاهم به هو ﴿جزاء المحسنين﴾ وهم الذين أحسنوا القول والعمل مع سلامة عقائدهم، وطهارة أرواحهم حيث لم يتلوثوا بالشرك والمعاصي ثم أخبر تعالى بأن الذين كفروا بالله إلهاً واحداً وبرسوله نبياً ورسولاً، وكذبوا بآياته القرآنية أولئك البعداء هم أصحاب الجحيم الذين لا يفارقونها أبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عظم عداوة اليهود والمشركين للإسلام والمسلمين.
- ٢- قرب النصارى الصادقين في نصرانيتهم من المسلمين.
- ٣- فضيلة التواضع، وقبح الكبر.

(١) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجر تتناوب قال امرؤ القيس:

ففاضت دموع العين مني صباية على النحر حتى بل دمعي محملي

أي غلاف السيف.

(٢) في الكلام إضمار أي: ونطمع أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين، وهم أمة محمد ﷺ الصادقين الصالحين.

(٣) دل هذا الجزاء الحسن على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم إذ به أجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم ورجاءهم وهكذا كل من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة.

(٤) في هذا احتراس إذ ما كل النصارى آمنوا لما سمعوا القرآن ويكفوا وسألوا الله في صدق وآمنوا وعملوا الصالحات فاثابهم الله الجنة، لا بل منهم الذين كفروا وكذبوا وهم الأكثرون فجزاؤهم الجحيم يلازمونها أبداً لظلمة قلوبهم وخبت نفوسهم.

(٥) يقال: نار جحمة على وزن نجمة أي: شديدة اللهب قال شاعر الحماسة الطائي:

نحن حبسنا بني جديلة في نار من الحرب جحمة الضرم

- ٤- فضل هذه الأمة وكرامتها على الأمم قبلها .
- ٥- فضل الكتابي إذا أسلم . وحسن إسلامه .
- ٦- بيان مصير الكافرين والمكذبين وهو خلودهم في نار جهنم .
- ٧- استعمال القرآن أسلوب الترغيب والترهيب بذكره الوعيد بعد الوعد .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِالْغُرُوفِ أَتَمَنَّيْتُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَرْتُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------------|---|
| لا تحرموا | : التحريم : المنع أي لا تمتنعوا . |
| ما أحل الله لكم | : أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب . |
| حلالاً طيباً | : مباحاً غير مستقذر ولا مستخبث . |
| لا يؤاخذكم الله باللغو | : لا يعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين . |
| عقدتم الأيمان | : عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا . |
| من أوسط | : أغلبه ولا هو من أعلاه ، ولا هو من أدناه . |
| أهليكم | : من زوجة وولد . |

تحرير رقة : عتقها من الرق القائم بها .
 يبين الله لكم آياته : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال وحرام .

معنى الآيات :

الآيتان الأولى (٨٧) والثانية (٨٨) نزلتا في بعض الصحابة منهم عبدالله بن مسعود وعثمان بن مظعون وغيرهما كانوا قد حضروا موعظة وعظهم إياها رسول الله ﷺ فزهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة . وعزموا على التبتل والانقطاع عن الدنيا فأتوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسألوها عن صلاة رسول الله ﷺ وقيامه فكأنهم تقالوا ذلك فقال أحدهم : أنا لا آتي النساء ، وقال آخر : أنا أصوم لا أفطر الدهر كله وقال آخر : أنا أقوم فلا أنام ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخطب الناس ، وقال : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وإني وأنا رسول الله لأكل اللحم ، وأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ونزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ من طعام وشراب ونساء ، ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ بمجاوزة ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم فإن الله تعالى ربكم ﴿ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ أما الحرام فلا يكون رزقاً لكم ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي خافوه بترك الغلو والتنطع المفضي بكم إلى الترهيب ولا رهبانية في الإسلام . ﴿ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي رباً يشرع فيحلل ويحرم ، وإلهاً يطاع ويعبد ، هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الآية الثالثة وهي قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ فقد نزلت لما قال أولئك الرهط من أصحاب الرسول ﷺ : (لقد حلفنا على ما عزمنا عليه من التبتل فماذا نصنع بأيماننا) فبين لهم تعالى ما يجب عليهم في أيمانهم لما حثوا فيها بعدولهم عما حلفوا عليه فقال : ﴿ لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ وهو ما لا قصد للحلف فيه وإنما جرى لفظ اليمين على اللسان فقط نحو : لا والله أو بلى والله ، ومثله أن

(١) أخرج البخاري عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنما تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا فأعزل النساء ولا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

(٢) قالت العلماء هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها ترد على غلاة المترهبين وأهل البطالة من المتصوفين ، وقال الطبري لا يجوز لمسلم تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من الطيبات .

(٣) إذا حرم العبد على نفسه شيئاً لا يحرم عليه إلا امرأته فإنها تحرم عليه بالطلاق .

يحلف على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ما ظن، ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي قصدتموها عازمين عليها، فمن حنث بعد الحلف فالواجب في حقه خروجاً من الإثم كفارة وهي ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين نصف صاع أي مَدَّان من أعدل ﴿ما تطعمون أهليكم﴾ ما هو بالأجود الغالي، ولا بالأردأ الرخيص، ﴿أو كسوتهم﴾ قميص وعمامة، أو إزار ورداء، ﴿أو تحرير رقبة﴾ أي عتق رقبة مؤمنة ذكراً كان أو أنثى صغيرة أو كبيرة فهذه الثلاثة المؤمن مخير في التكفير بأيها شاء، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام مفرقة أو متتابعة كما شاء هذا معنى قوله تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾، وقوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾ أي هذا الذي بين لكم هو ما تكفرون به ما علق بنفوسكم من إثم الحنث. وقوله ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ أي لا تكثروا الحلف فتحثوا فتأثموا فتجب عليكم الكفارة لذلك. وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ معناه مثل هذا التبيين الذي بينه لكم في مسألة الحنث في اليمين والكفارة له يبين لكم آياته المتضمنة لشرائعه وأعلام دينه ليعدكم بذلك لشكره بطاعته بفعل ما يأمركم به وترك ما ينهاكم عنه، فله الحمد والمنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة تحريم ما أباح الله، كحرمة تحليل ما حرم الله عز وجل.
- ٢- بيان مدى حرص الصحابة على طاعة الله خوفاً من عقابه وطمعاً في إنعامه.
- ٣- حرمة الغلو في الدين والتنطع فيه.
- ٤- بيان كفارة اليمين بالتفصيل.

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول إلا أن يشاء الله أما من استثنى فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولا بد للاستثناء من النطق بقول: إلا أن يشاء الله ولا يتم إلا بتحريك لسانه وشفتيه.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلى إخراج الكفارة إذا حنث وهذا حفظها من النسيان ظاهر.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حنث ويمينان لا كفارة فيهما فالأول أن يقول: والله لأفعلن كذا ثم يحنث والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحنث، واللذان لا كفارة فيهما: الأولى: لغو اليمين وهو أن يحلف على الشيء يظنه كذا فيظهر خلافه، والثانية: أن يجري على لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلى والله، والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمداً بالكذب وكفارتها التوبة لا غير وإن كفر مع التوبة فحسن.

(١)

٥- كراهة الإكثار من الحلف . وحرمة الحلف بغير الله تعالى مطلقاً .

(٢)

٦- استحباب حنث من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه، وتكفيره على ذلك أما إذا حلف أن يترك واجباً أو يأتي محرماً فإن حنثه واجب وعليه الكفارة .

٧- الأيمان ثلاثة: لغو: يمين لا كفارة لها إلا التوبة، اليمين المكفّرة: وهي التي يتعمد فيها المؤمن الحلف ويقصده ليفعل أو لا يفعل ثم يحنث فهذه التي ذكر تعالى كفارتها وبينها .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى
رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

﴿٩٣﴾

(١) لحديث الترمذي : «من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» وحديث الصحيح : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» .

(٢) لقوله ﷺ : «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» .

(٣) هذا العدد مجمل وقد تقدم تفصيله وأن الأيمان خمسة .

(٤) أخرج البخاري «أن النبي ﷺ سأله اعرابي قائلاً يا رسول الله ما الكبائر؟ قال : الإشراف بالله قال ثم ماذا؟ قال : عقوق الوالدين . قال : ثم ماذا؟ قال اليمين الغموس . قلت وما اليمين الغموس؟ قال : التي يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها كاذب» .

شرح الكلمات :

الخمر والميسر : الخمر^(١) : كل مسكر كيفما كانت مادته وقَلَّتْ أو كثرت ، والميسر : القمار^(٢).

والأنصاب

: الأنصاب : جمع نصب . ما ينصب للتقرب به إلى الله أو التبرك به ، أو لتعظيمه كتبائيل الرؤساء والزعماء في العهد الحديث .

الأزلام

: جمع زلم : وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة ، ومثلها قرعة الأنبياء ، وخط الرمل ، والحساب بالمسبحة .

رجس

: الرجس : المستقذر حساً كان أو معنى ، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة .

من عمل الشيطان

: أي مما يزينه للناس ويحببه إليهم ويرغبهم فيه ليلضلهم .

فاجتنبوه

: اتركوه جانباً فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم .

تفلحون

: تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم .

ويصدكم

: أي يصرفكم .

فهل أنتم متهون

: أي انتهوا فالإستفهام للأمر لا للإستخبار .

جناح فيما طعموا

: أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك .

معنى الآيات :

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ما أحل الله تعالى لهم بين لهم ما حرمه عليهم ودعاهم إلى تركه واجتنابه لضرره بهم ، وإفساده لقلوبهم وأرواحهم فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً اعلموا ﴿انما الخمر والميسر

(١) صحَّ عن عمر رضي الله عنه أنه خطب يوماً فقال : أيها الناس ألا إنه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة : من العنب والتمر ، والغسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل أي : ستره وغطاه فأصبح المرء يهذي ويقول الخطأ والصواب .

(٢) ما دامت علّة التحريم في الخمر والميسر هي إثارة العداوة بين إخوة الإيمان ، والصدّ وهو الإلهاء عن ذكر الله وعن الصلاة فإن كل ما ينشأ عنه إثارة العداوة والصدّ عن الذكر والصلاة فهو حرام .

(٣) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها ولكنها وقعت هنا في سورة المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي النسخة لإباحة الخمر ويروى في سبب نزولها أن ملاحاة كانت بين سعد بن أبي وقاص ورجل من الأنصار سببها شرب خمر في ضيافة لهم .

والأنصاب والأزلام رجس ﴿١﴾ أي سخط وقذر مما يدعو إليه الشيطان ويزينه للنفوس ومحسنه لها لترغب فيه، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إثارة العداوة والبغضاء بين المسلمين الذين هم كالجسم الواحد. وإلى صدهم عن ذكر الله الذي هو عصمتهم وعن الصلاة التي هي معراجهم إلى الله ربهم، وأمرتهم بالمعروف وناهيتهم عن المنكر، ثم أمرهم بأبلغ أمر وأنفذه إلى قلوبهم لخطورة هذه المحرمات الأربع وعظيم أثرها في الفرد والمجتمع بالشر والفساد فقال: ﴿فهل أنتم منتهون؟!﴾ ﴿٢﴾ وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله وحذرهم من مغبة المعصية وآثارها السيئة فقال ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ مغبة ذلك ثم أعلمهم أنهم إن تولوا عن الحق بعدما عرفوه فالرسول لا يضيره توليهم. إذ ما عليه إلا البلاغ المبين وقد بلغ وأما هم فإن جزاءهم على توليهم سيكون جزاء الكافرين وهو الخلود في العذاب المهين. هذا معنى قوله: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحذروا فإن توليتم فاعلموا أنها على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (٩٣) ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ فقد نزلت لقول بعض الأصحاب لرسول الله ﷺ (يا رسول الله ما بال الذين ماتوا من إخواننا وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر؟) أي كيف حالهم فهل يؤاخذون أو يعفى عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأعلم أنهم ليس عليهم جناح أي إثم أو مؤاخذة فيما شربوا وأكلوا قبل نزول التحريم بشرط أن يكونوا قد اتقوا الله في محارمه وآمنوا به وبشرائعه، وعملوا الصالحات استجابة لأمره وتقرباً إليه. فكان رفع الحرج عليهم مقيداً بما ذكر. وقوله: ﴿ثم اتقوا...﴾ كما لا جناح على الأحياء فيما طعموا وشربوا قبل التحريم

(١) ذكر الأنصاب والأزلام مع الخمر والميسر المقصود منه تأكيد التحريم وتقويته نظراً لما ألفته النفوس منهما، والمراد من تحريم الأنصاب تحريم عبادتها وصنعها، وبيعها.

(٢) هذه الصيغة تستعمل للحث على الفعل إذا المأمور بدا عليه التراخي أو عدم الاهتمام مما أمر بفعله أو تركه. والفاء في ﴿فهل أنتم﴾ تفریع عن قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم...﴾ الآية، والمأمور بالانتهاء عنه هو الخمر والميسر فلذا يقدر عنهما بعد ﴿منتھون﴾.

(٣) ﴿فاعلموا﴾ جواب الشرط أي فإن توليتم عن طاعة الله والرسول فاعلموا أن توليكم لا يضر الرسول شيئاً إنما على الرسول البلاغ وقد بلغكم.

(٤) جملة: ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ تأكيد لفظي لجملة: ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾.

(٥) يروى أن القائل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو سؤال اشفاق ورحمة على من مات وهو يشرب هذا المحرم.

(٦) الجناح، الإنثم المترتب عن الجنع الذي هو الميل إلى المعصية وعدم الطاعة.

وبشرط الإيمان ، والعمل الصالح والتقوى لسائر المحارم ، ودوام الإيمان والتقوى والإحسان في ذلك بالإخلاص فيه لله تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الخمر والقمار، وتعظيم الأنصاب والاستقسام بالأزلام .
- ٢- وجوب الانتهاء من تعاطي هذه المحرمات فوراً وقول انتهينا يا ربنا كما قال عمر رضي الله عنه .
- ٣- بيان علة تحريم شرب الخمر ولعب الميسر وهي إثارة العداوة والبغضاء بين الشاربين واللاعبين والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهما قوام حياة المسلم الروحية .
- ٤- وجوب طاعة الله والرسول والحذر من معصيتهما .
- ٥- وجوب التقوى حتى الموت ووجوب الإحسان في المعتقد والقول والعمل .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ
 أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ
 ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصَّيْدَ
 وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَنَلَ مِنْكُم مَّتَعِدًا فَجَازَءٌ مِّثْلُ مَا قَنَلَ مِنَ النِّعَمِ
 يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُم هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ
 مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُ صِيَامًا لِّذَوِّ قُوَّةٍ وَبِالْأَمْرِ ۚ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا
 سَلَفٌ وَمَن عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾
 أُحِلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ ۚ وَحُرِّمَ
 عَلَيْكُم صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

ليلونكم	: ليختبرنكم .
الصيد ^(١)	: ما يصاد . ^(٢)
تناله أيديكم ^(٣)	: كبيض الطير وفراخه .
ورماحكم	: جمع رمح ، وما ينال به هو الحيوان على اختلافه .
ليعلم الله من يخافه بالغيب	: ليظهر الله تعالى بذلك الاختبار من يخافه بالغيب فلا يصيد .
فمن اعتدى (بعد التحريم)	: بأن صاد بعد ما بلغه التحريم .
وأنتم حرم	: جمع حرام والحرام : المحرم لحج أو عمرة ويقال رجل حرام وامرأة حرام .
من النعم	: النعم : الإبل والبقر والغنم .
ذوا عدل منكم	: أي صاحباً عدالة من أهل العلم .
وبال أمره	: ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام .
وللسيارة	: المسافرين يتزودون به في سفرهم . وطعام البحر ما يقذف به إلى الساحل .

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين ليعلمهم مؤكدا خبره بأنه يبلوهم اختباراً لهم ليظهر^(٤) المطيع من العاصي فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ فحرم عليهم تعالى الصيد وهم حرم ثم ابتلاهم بوجوده بين أيديهم بحيث تناله أيديهم ورماحهم بكل يسر وسهولة على نحو ما ابتلى به بني إسرائيل في تحريم الصيد يوم السبت فكان السمك يأتيهم يوم سبتهم شُرْعاً ويوم لا يسبّتون لا يأتيهم كذلك بلاهم ربهم بما كانوا يفسقون بيد أن المسلمين استجابوا لربهم

(١) أذن للمحرم ولمن في الحرم في قتل ما يؤذي كالحية والعقرب ، والغراب والفأرة وكل ما يؤذي كالأسد والنمر والذئب والفهد لقوله ﷺ : «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة» .

(٢) الصيد مصدر صاد بصيد صيداً وأطلق المصدر على اسم المفعول : المصيد فقالوا : صيدٌ .

(٣) قوله : ﴿تناله أيديكم﴾ يريد صغار الصيد ، وفراخه ويضه . ﴿ورماحكم﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بألة الصيد .

(٤) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو سبحانه وتعالى فعلمه بذلك أزلي سابق .

وامتثلوا أمره، على خلاف بني إسرائيل فإنهم عصوا وصادوا فمسخهم قردة خاسئين .
 وقوله تعالى ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ ،
 أي فمن صاد بعد هذا التحريم فله عذاب أليم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٤) . أما الآية الثانية (٩٥) وهي قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ فأكد لهم تحريم الصيد وبين لهم ما يترتب على ذلك من جزاء فقال ﴿ومن قتل منكم متعمداً﴾ فالحكم الواجب على من قتله جزاء ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ فالعدلان ينظران إلى الصيد وما يشبهه من النعم فالنعامة تشبه الجمل وبقرة الوحش تشبه البقرة، والغزال يشبه التيس وهكذا فإن شاء من وجبت عليه بغير أو بقرة أو تيس أن يسوقه إلى مكة الفقراء الحرم ليفعل وإن شاء اشترى بثمنه طعاماً وتصدق به، وإن شاء صام بدل كل نصف صاع يوماً لقوله تعالى : ﴿هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً﴾ وقوله تعالى : ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي ثقل جزاء مخالفته وقوله تعالى : ﴿عفا الله عما سلف﴾ أي ترك مؤاخذتكم على ما مضى ، وأما مستقبلاً فإنه تعالى يقول ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ ومعناه أنه يعاقبه على معصيته ولا يحول دون سраده تعالى حائل ألا فاتقوه واحذروا الصيد وأنتم حرم ، هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٩٦) فقد أخبر تعالى بعد أن حرم على المؤمنين الصيد وهم حرم وواجب الجزاء على من صاد . أخبر أنه امتناناً منه عليهم أحل لهم صيد البحر أي ما يصيدونه من البحر وهم حرم كما أحل لهم طعامه وهو ما يقذفه البحر من حيوانات ميتة على ساحله ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ وهم المسافرون يتزودون به في سفرهم ويحرم عليهم صيد البر ما داموا حرمًا، وأمرهم بتقواه أي بالخوف من عقوبته فيلزموا طاعته بفعل ما أوجب وترك ما حرم ، وذكرهم بحشرهم جميعاً إليه يوم القيامة للحساب والجزاء فقال : ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ .

(١) روي أن أبا اليسر عمرو بن مالك الأنصاري قتل حمار وحش وهو محرم بعمرة عام الحديبية فنزلت هذه الآية .

(٢) القتل لغة : إفاته الروح وهو أنواع منها النحر، والذبح، والخنق، والرضخ وشبهه .

(٣) قالت العلماء : ما يجزى من الصيد شيان دواب وطير فيجزى ما كان من الدواب بنظيره في الخلقة والصورة ففي النعامة بدنه والطيور : القيمة إلا الحمام ففيه شاة .

(٤) الجمهور أن من صاد ودفع الجزاء ثم صاد كلما صاد لزمه الفداء ، وبعض أهل العلم يرى أنه لا يحكم عليه بشيء ويترك لله تعالى ويقال له : ينتقم الله منك .

(٥) مذهب مالك حلية ميتة البحر مطلقاً لحديث : «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وحديث العنبري .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ابتلاء الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية بكثرة الصيد بين أيديهم . وحرم عليهم صيده فامثلوا أمر الله تعالى ولم يصيدوا فكانوا خيراً من بني إسرائيل وأفضل منهم على عهد انبيائهم .
- ٢- تحريم الصيد على المحرم إلا صيد البحر فإنه مباح له .
- ٣- بيان جزاء من صاد وهو محرم وانه جزاء مثل ما قتل من النعم .
- ٤- وجوب التحكيم فيما صاده المحرم ، ولا يصح أن يكفر الصائد بنفسه .
- ٥- صيد الحرم حرام على الحرام من الناس والحلال .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧) ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٨) ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٩٩) ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠)

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------|--|
| الكعبة | : الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام . |
| قيماً للناس | : يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتناء بديناهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه . |

الشهر الحرام : أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة رجب والقعدة والحجة ومحرم.

المهدي : ما يهدي إلى البيت من أنواع الهدايا.

والقلائد : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدي إلى الحرم.

البلاغ : بلاغ ما أمره بإبلاغه.

ما تبدون وما تكتمون : أي ما تظهرون وما تخفون.

الخبيث : مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات

والمعقولات.

أولي الألباب : أصحاب العقول.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام^(١) قياماً للناس﴾^(٢) المراد من الناس العرب في جاهليتهم قبل الإسلام ومعنى قياماً : أن مصالحهم قائمة على وجود البيت يحج ويعتمر يأمن الآتى إليه والداخل في حرمة، وكذا الشهر الحرام^(٣) وهي أربعة أشهر القعدة والحجة ومحرم ورجب^(٤)، وكذا المهدي وهو ما يهدي إلى الحرم من الأنعام، وكذا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلده المهدي إشعاراً بأنه مهدي إلى الحرم، وكذا ما يقلده الذهاب إلى الحرم نفسه من لحى شجر الحرم إعلماً بأنه آت من الحرم أو ذاهب إليه فهذه الأربعة البيت الحرام والشهر الحرام والمهدي والقلائد كانت تقوم مقام السلطان بين العرب فتحقق الأمن والرخاء في ديارهم وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش فهذا من تدبير الله تعالى لعباده وهو دال على علمه وقدرته وحكمته ورحمته ولذا قال تعالى : ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ أي حقق ذلك الأمن والرخاء في وقت لا دولة لكم فيه ولا نظام ليعلمكم أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات وشتى

(١) الله الذي أوجد الكعبة إذ أمر خليله بنائها فبناها هذا الإيجاد الأخير أما الأول فكان على عهد آدم عليه السلام، وجعل هنا بمعني صيرها كذلك أي قياماً للناس الذين هم العرب.

(٢) قياماً وقيماً وهما من ذوات الواو فقلبت الواو ياء لأن أصل الفعل قام يقوم قواماً وقياماً.

(٣) الشهر : اسم جنس ولذا أريد به هنا الأشهر الحرم الأربعة.

(٤) يقال له رجب الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقة السلاح ويقال : رجب مضر لأن مضر كانت تعظمه أكثر من غيره، والأصم حيث يصب فيه الخير صماً.

المخلوقات لا يخفى عليه من أمرها شيء، وأنه بكل شيء عليم فهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه فاعبدوه، وتوكلوا عليه واتركوا عبادة غيره والنظر إلى سواه، وإن لم تفعلوا فسوف يعاقبكم بذلك أشد العقوبة وأقساها فإنه عز وجل شديد العقاب فاعلموا ذلك واتقوه.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٩٧) والثانية (٩٨) أما الآية الثالثة (٩٩) فقد أكدت مضمون قوله تعالى في الآية الثانية ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ وهو وعيد شديد فقال تعالى ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾^(١) وقد بلغ، فأنذر وأعذر، وبقي الأمر إليكم إن أنبتم إلى ربكم وأطعتموه فإنه يغفر لكم ويرحمكم لأنه غفور رحيم، وإن أعرضتم وعصيتم فإنه يعلم ذلك منكم ويؤاخذكم به ويعاقبكم عليه وهو شديد العقاب وقوله ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وعد ووعد لأن علمه تعالى بالظواهر والبواطن يترتب عليه الجزاء فإن كان العمل خيراً كان الجزاء خيراً وإن كان العمل شراً كان الجزاء كذلك.

هذا مضمون الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٠) فإنه تعالى يقول لرسوله ﷺ قل للناس أيها الناس أنه ﴿لا يستوي الخبيث﴾^(٢) من المعتقدات والأقوال والأعمال والرجال والأموال،^(٣) ﴿والطيب﴾ منها، ولو أعجبتمكم أي سرتكم كثرة الخبيث فإن العبرة ليست بالكثرة والقلّة وإنما هي بالطيب النافع غير الضار ولو كان قليلاً، وعليه ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي خافوه فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه رجاء حصول الفلاح لكم بالنجاة من المروهب والحصول على المرغوب المحبوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان عظيم تدبير الله تعالى لخلقه، إذ آمن مصالح قريش والعرب فأوجد لهم أمناً

(١) أي ليس عليه هداية الناس ولا التوفيق ولا الثواب. وأصل البلاغ: البلوغ وهو الوصول، بلغ المكان يبلغه وصل إليه، وأبلغه الشيء أوصله إليه فعلى الرسول إبلاغ أمر الله ونهيه وأخباره إلى عباده بأسلوب بلاغي يصل به إلى نفوسهم في أطيّب لفظ وأحسنه.

(٢) الخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا انفاقاً ومكاناً ولا ذهاباً فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ ذات الشمال، والطيب والطيبون في الجنة، والخبيث والخبيثاء في النار.

(٣) قالت العلماء: في قوله: ﴿لا يستوي الخبيث﴾ الآية دليل على أنّ البيع الفاسد يفسخ ويرد الثمن على المبتاع وشاهده من السنة قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

(٤) الخطاب في قوله ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ الخطاب صالح لكل من هو أهل للخطاب والانتفاع به من عقلاء هذه الأمة ولذا قلت في التفسير ولو أعجبكم ولم أقل: أعجبك.

- واستقراراً وتبع ذلك هناة عيش وطيب حياة بما ألقى في قلوب عباده من احترام وتعظيم للبيت الحرام والشهر الحرام، والهدي والقلائد، الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله .
- ٢- بيان مسئولية الرسول أزاء الناس وأنها البلاغ لا غير وقد بلغ ﷺ .
- ٣- تقرير الحكمة القائلة العبرة بالكيف لا بالكم فمؤمن واحد أنفع من عشرة كفرة ودرهم حلال خير من عشرة حرام وركعتان متقبلتان خير من عشرة لا تقبل .
- ٤- الأمر بالتقوى رجاء فلاح المتقين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ
الْقُرْءَانُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

إن تبد لكم : تظهر لكم تضركم .

(١) من الأحناف من يمنع الحبس، والوقف تعلّقاً واستدلالاً بهذه الآية وهو محجوج بإجماع الصحابة لحديث عمر في الصحيح إذ قال له الرسول ﷺ «احبس الأصل وسبّل الثمرة» .

(٢) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنّها أي شقوها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها، والسائبة، بعير يسبب بنذر ينذره أحدهم للالهة إن حصل له كذا سبب كذا وترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد .

عفا الله عنها	: سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤاخذكم بها .
سألها قوم	: طلبها غيركم من الأمم السابقة .
ما جعل الله	: أي ما شرع .
بحيرة ولا سائبة	: البحيرة : الناقة تبحر أذنبا أي تشق ، والسائبة : الناقة تسيب .
ولا وصيلة ولا حام	: الوصيلة : الناقة يكون أول إنتاجها أنثى ، والحام : الحمل يحمى ظهره للآلهة .
ما أنزل الله	: من الحق والخير .
ما وجدنا عليه آباءنا	: من الباطل والضلال .

معنى الآيات :

لقد أكثر بعض الصحابة من سؤال رسول الله ﷺ حتى تضايق منهم فقام خطيباً فيهم وقال : « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » . . فقام رجل يدعى عبدالله بن حذافة كان إذا تلامى مع رجل دعاه إلى غير أبيه فقال من أبي يا رسول الله ؟ فقال : أبوك حذافة ، وقال أبوهريرة : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لا ولوقلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم » فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ أي تظهر لكم جواباً لسؤالكم يحصل لكم بها ما يسؤكم ويضركم ، ﴿ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ﴾ أي يبينها رسولنا لكم . أما أن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك مالا ينبغي لكم لأنه من باب إحقاق رسول الله وأذيته ثم قال تعالى لهم : ﴿ عفا الله عنها ﴾ أي لم يؤاخذكم بما سألتكم ﴿ والله غفور حلیم ﴾ ، فتوبوا إليه يتب^(١) عليكم واستغفروه يغفر لكم ويرحمكم فإنه غفور رحيم . وقوله تعالى : ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ أي قد سأل أسئلتكم التنطعية

(١) ممنوع من الصرف لأنه مشبه بحمراء . في الآية دليل على كراهة السؤال لغير حاجة وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات ومنعاهات ، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » .
(٢) إن قيل : ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله : « وإن تسألوا عنها . . » الخ ؟ الجواب : إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه ، ففي الكلام حذف مضاف كما قدمناه فتأمل .
(٣) بعد انقطاع الوحي آمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعننت مكروه دائماً وفي الحديث الصحيح : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

(١) المحرجة هذه قوم من قبلكم ﴿فأصبحوا بها كافرين﴾ ، لأنهم كلفوا ما لم يطيقوا وشق عليهم جزاء تعتهم في أسألهم لأنبيائهم فتركوا العمل بها فكفروا. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٠١) والثانية (١٠٢) وأما الثالثة (١٠٣) فقد قال تعالى : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ ومن الجائز أن يكون هناك من يسأل الرسول عن البحيرة وما بعدها فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حمى حامية ، ولكن الذين كفروا هم الذين فعلوا ذلك افتراء على الله وكذباً عليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ ، ولو عقلوا ما افتروا على الله وابتدعوا وشرعوا من أنفسهم ونسبوا ذلك إلى الله تعالى ، وأول من سيب السوائب وغير دين اسماعيل عليه السلام عمرو بن لحي الذي رآه رسول الله ﷺ يجر قصبه في النار أي أمعاه في جهنم. هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٤) فقد أخبر تعالى أن المشركين المفترين على الله الكذب بما ابتدعوه من الشرك إذ قيل لهم ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ ليعين لكم كذبكم وباطلكم في بحر البحائر وتسيب السوائب، يرفضون الرجوع إلى الحق ويقولون : ﴿حسبنا﴾ أي يكفينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ فلسنا في حاجة إلى غيره فرد تعالى عليهم منكرًا عليهم قولهم الفاسد ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ أي يتبعونهم ويحتجون بباطلهم ولو كان أولئك الآباء جهالاً حقاً لا يعقلون شيئاً من الحق ، ﴿ولا يهتدون﴾ إلى خير أو معروف .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كراهية الإلحاف في السؤال والتعقر في الأسئلة والتنطع فيها.
- ٢- حرمة الابتداع في الدين وأنه سبب وجود الشرك في الناس .
- ٣- وجوب رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة والرضا بحكمهما.
- ٤- حرمة تقليد الجهال واتباعهم في أباطيلهم .

(١) من أمثلة ذلك : سؤال قوم صالح الناقة ، وقوم عيسى المائدة ، وفي الآية تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم فيهلكوا كما هلكوا . وفي صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم عن المسلمين فحرم من أجل مسأله» .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَإِنْ بَشَّرَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

شرح الكلمات :

آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله واستجابوا لها بفعل المأمور وترك المنهي .
عليكم أنفسكم ^(١) : ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها .
إذا اهتديتم : إلى معرفة الحق ولزوم طريقه .
إلى الله مرجعكم جميعاً : ضللاً ومهتدين .
فينبئكم : يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها .

معنى الآية الكريمة :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين فيقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده ﴿عليكم أنفسكم﴾ ألزموها الهداية والطهارة بالإيمان والعمل الصالح وإبعادها عن الشرك والمعاصي ، ﴿لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم﴾ : أي أن ضلال غيركم غير ضار بكم إن كنتم مهتدين إذ لا تزر وازرة وزر أخرى ، كل نفس تجزى بما كسبت لا بما كسب غيرها ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها إلا أن من الاهتداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ترك المؤمنون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعتبرون مهتدين إذ السكوت عن المنكر يكثر ويتشر سيؤدي حتماً إلى أن يصيب المؤمنين فيفقدون هدايتهم ولذا قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطيباً يوماً فقال : (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ . الخ ^(٢) . وإنكم تضعونها على غير

(١) وإن قيل في معنى احفظوا أنفسكم من الوقوع في المعاصي لكان وجيهاً لأن عليكم اسم فعل بمعنى احفظ كذا .

(٢) في الآية التحذير مما وقع فيه من تقدم ذكرهم من التقليد الأعمى والابتداع المضر المهلك وهو وجه المناسبة بين هذه الآية وما سبقها من الآيات .

(٣) قيل هذه الآية هي الوحيدة التي جمعت بين الناسخ والمنسوخ ، فالناسخ فيها قوله : ﴿إذا اهتديتم﴾ والمنسوخ هو ﴿عليكم أنفسكم﴾ إذ من اهتدى لا يضره من ضل ولا تتم الهداية إلا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) ورد بدل تضعونها . . الخ : وتناولونها على غير تأويلها . أنفسكم منصوب على الإغراء الدال عليه اسم الفعل عليكم

موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب» وقوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه وعد ووعيد، وعد لمن أطاع الله ورسوله، ووعيد لمن عصاهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب إصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.
- ٢- ضلال الناس لا يضر المؤمن إذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر.^(١)
- ٣- تقرير مبدأ البعث الآخر.
- ٤- للعمل أكبر الأثر في سعادة الإنسان أو شقائه.

يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةً

بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَّانَ دَوَا

عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

فَأَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِّنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبِتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لِّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَثَرَعَلَىٰ

أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ

اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ

مِّنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ

(١) قالت العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعين متى رُجيى القبول والتغيير فإن كان هناك عدم رجاء فلا يجب الأمر والنهي. وكذا يسقط إذا خاف ضررا يلحقه لا يقوى عليه أو يلحق غيره من المسلمين.

أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ
أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ^(١) (١٠٨)

شرح الكلمات :

شهادة بينكم : الشهادة : قول صادر عن علم حاصل بالبصر أو البصيرة ،

وبينكم : أي شهادة بعضكم على بعض .

إن أنتم ضربتم في الأرض : أي بأن كنتم مسافرين .

من بعد الصلاة : صلاة العصر .

إن ارتبتم : شككنتم في سلامة قولهما وعدالته .

فإن عشر : أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه .

أدنى : أقرب .

على وجهها ^(٢) : أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة .

الفاسيقين : الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم إلى ما يكملهم ويسعدهم ففي هذه الآيات الثلاث (١٠٦)، (١٠٧)، (١٠٨) ينادى الله تعالى عباده المؤمنين فيقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ أي ليشهد اثنان ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي من المسلمين على وصية أحدكم إذا حضرته الوفاة، أو ليشهد اثنان من غيركم أي من غير المسلمين ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ أي كنتم مسافرين ولم يوجد مع من حضره الموت في السفر إلا كافر، فإن ارتبتم في صدق خبرهما وصحة

(١) هذه الآية نزلت فيما ذهب إليه أكثر المفسرين : في تميم الداري وعدي بن بدء إذ روى البخاري وغيره أن تميم الداري وابن بدء كانا يختلفان إلى مكة فخرج معهما : فتى من بني سهم فتوفي بأرض ليس فيها مسلم فأوحى إليهما فدفعا تركته إلى أهله وحسبا جاماً (إناء) من فضة مخوصاً بالذهب فاستحلفهما رسول الله ﷺ «ما كنتمما ولا أطلعتما» ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فجاء رجلان من ورثة السهمي فحلفا أن هذا الجام للسهمي ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا قال : فأخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الآية

«لفظ الدارقطني» والظاهر أن استحلاف الرسول ﷺ لهما : كان بعد نزول الآية مبيّنة طريق الحكم في هذه القضية فاتبعها الرسول ﷺ وحكم بينهم بما في الآية نصاً وروحاً والله أعلم .

(٢) أي غير مشوّه بالتغيير والتبديل والنقص والزيادة، والتعبير بالوجه شائع يقال : جاء بالشيء الفلاني على وجهه أي : من كمال أحواله .

شهادتهما فاحبسوهما أي أوقفوهما بعد صلاة العصر في المسجد ليحلفا لكم فيقسمان بالله فيقولان والله لا نشترى بأيماننا ثمناً قليلاً، ولو كان المقسم عليه أو المشهود عليه ذا قرى أي قرابة، ﴿ولا نكتم شهادة الله، إنا إذا﴾ أي إذا كتمنا شهادة الله ﴿لمن الآمين﴾ فإن عثر على أنها استحقا إثماً أي وإن وجد أن الذين حضرا الوصية وحلفا على صدقهما فيما وصاهما به من حضره الموت إن وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه، ﴿فأخراهم يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان﴾^(١) فيقسمان بالله قائلين والله: لشهادتنا أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما، ﴿وما اعتدينا﴾ أي عليهما باتهام باطل، إذ لو فعلنا ذلك لكننا من الظالمين، فإذا حلفا هذه اليمين استحقا ما حلفا عليه ورد إلى ورثة الميت ما كان قد أخفاه وجحدته شاهد الوصية عند الموت، قال تعالى: ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ أي أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة عادلة لا حيف فيها ولا جور وقوله ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾، أي وأقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم فلا يكذبوا خوف الفضيحة، وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه أيها المؤمنون فلا تخرجوا عن طاعته، ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به واستجبوا لله فيه، فإن الله لا يهدي إلى سبيل الخير والكمال الفاسقين الخارجين عن طاعته، فاحذروا الفسق واجتنبوه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- مشروعية الوصية في الحضر والسفر معاً، والحث عليها والترغيب فيها.

٢- وجوب الإشهاد على الوصية.

٣- يجوز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود مسلم.^(٢)

٤- استحباب الحلف بعد صلاة العصر تغليظاً في شأن اليمين.

(١) واحد الأوليان: الأولى بمعنى الأجدد والأحق، وعرفا بالآل العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهناً، والأوليان: الأحقان بالشهادة لقرباهما من الميت، قال أهل العلم إن هذه الآية في غاية الصعوبة إعراباً ونظماً وحكماً.

(٢) هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمة الله تعالى وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه، وأما التخوف من قوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أو شك في عدالته لاسيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس. ولهذا ذهب في تفسير الآية على أنها محكمة والعمل بها جاثراً.

(٣) ومن قال بعدم نسخ هذه الآية وأنها محكمة والعمل بها من الصحابة: أبو موسى الأشعري وقضى بها، وعبد الله بن قيس، وعبد الله بن عباس، ومن التابعين سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم النخعي وغيرهم، ومن الأئمة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحم الله الجميع.

٥- مشروعية تحليف الشهود إذا ارتاب القاضي فيهم أو شك في صدقهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوْا لَا عِلْمَ
لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ
مُتَّبِعٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي
وَبِرَّسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

- (١) يوم يجمع الله الرسل : أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة .
الغيوب : جمع غيب : وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس .
أيدتك : قوتك ونصرتك .
روح القدس : جبريل عليه السلام .
المهد : سرير الطفل الرضيع .

(١) وجه اتصال هذه الآية بسابقتها ظاهر، إذ أمرهم تعالى في الآية الأولى بالتقوى والسمع والطاعة لأوامره ونواهي، وذكرهم في هذه الآية بأحوال يوم القيامة ليكون ذلك حافزاً لهم على التقوى مقوياً لهم على السمع والطاعة .

الكهل	: من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة .
الكتاب	: الخط والكتابة .
والحكمة	: فهم أسرار الشرع ، والإصابة في الأمور كلها .
تخلق كهيئة الطير	: أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير .
الأكمه والأبرص	: الأكمه : من ولد أعمى ، والأبرص : من به مرض البرص .
تخرج الموتى	: أي أحياء من قبورهم .
كفت	: أي منعت .
الحواريون	: جمع حواري : وهو صادق الحب في السر والعلن .

معنى الآيات :

يحذر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين من أهوال البعث الآخر يوم يجمع الرسل عليهم السلام ويسألهم وهو أعلم بهم : ﴿ فيقول : ماذا أجبتكم ؟ ﴾ أطاعتكم أم عصتكم ؟ فيرتج عليهم ويذهلون ويفوضون الأمر إليه تعالى ويقولون : ﴿ لا علم لنا : انك أنت علام الغيوب ﴾ ، إذا كان هذا حال الرسل فكيف بمن دونهم من الناس ويخص عيسى عليه السلام من بين الرسل والكلام في هذا الموقف العظيم ، لأن أمتين كبيرتين غوت فيه وضلت اليهود ادعوا أنه ساحر وابن زنى ، والنصارى ادعوا أنه الله وابن الله ، فخاطبه الله تعالى وهم يسمعون : ﴿ يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ فأنت عبدي ورسولي وأمك أمتي ، وذكر له أنواع نعمه عليه فقال : ﴿ إذ أيدتك بروح القدس ﴾ ، جبريل عليه السلام ﴿ تكلم الناس في المهد ﴾ وأنت طفل . إذ قال وهو في مهده ﴿ إني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ وقوله ﴿ وكهلاً ﴾ أي وتكلمهم وأنت كهل أيضاً وفيه بشرى لمريم أن ولدها يكبر ولا يموت صغيراً وقد كلم الناس وهو شاب وسيعود إلى الأرض ويكلم الناس وهو كهل ويعدد نعمه عليه

(١) ﴿ يوم ﴾ منصوب على الظرفية معمول لـ اسمعوا لفعل محذوف يقدر بـ اذكروا .

(٢) أي : لا علم لنا بباطن ما أجاب به أمنا ، ويشهد له حديث الصحيح : « يرد علي أقوام الحوض فيختلجون فأقول : أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

(٣) أي : قوتك مأخوذ من الأيد الذي هو القوة ومنه قوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيد » .

فيقول: ﴿وَإِذْ عَلِمْتَكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فكنت تكتب الخط وتقول وتعمل بالحكمة، وعلمتك التوراة كتاب موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه إليه ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ فيكون طيراً بإذني أي اذكر لما طالبك بنو إسرائيل بآية على نبوتك فقالوا لك اخلق لنا طيراً فأخذت طيناً وجعلته على صورة طائر وذلك بإذني لك ونفخت فيه بإذني فكان طائراً، واذكر أيضاً ﴿إِذْ تَبَرَّى الْأَكْمَةُ﴾ وهو الأعمى الذي لا عينين له، ﴿وَالْأَبْرَصُ﴾ بإذني أي بعوني لك وإقداري لك على ذلك ﴿وَإِذْ تَخْرُجُ الْمُوتَى﴾ من قبورهم أحياء فقد أحيأ عليه السلام عدداً من الأموات بإذن الله تعالى ثم قال بنو إسرائيل أحيي لنا سام بن نوح فوقف على قبره وناداه فقام حياً من قبره وهم ينظرون، واذكر ﴿إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوك وهووا بقتلك وصلبك، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. واذكر ﴿إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ على لسانك ﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ أي بك يا عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي منقادون مطيعون لما تأمرنا به من طاعة ربنا وطاعتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شدة هول يوم القيامة وصعوبة الموقف حتى إن الرسل ليذهلون.
- ٢- وجوب الاستعداد لذلك اليوم بتقوى الله تعالى.
- ٣- توبيخ اليهود والنصارى بتفريط اليهود في عيسى وغلو النصارى فيه.
- ٤- بيان إكرام الله تعالى لعيسى وما حباه به من الفضل والإنعام.
- ٥- ثبوت معجزات عيسى عليه السلام وتقريرها.

إِذْ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ

(١) أي : الدلالات والمعجزات وهي المذكورة في هذه الآيات من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى .
(٢) الوحي يكون بمعنى الإلهام لغير الرسول أمّا الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورى .

مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَبَدًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

هل يستطيع

: هل يطيع ويرضى .

مائدة من السماء

: المائدة : الخوان وما يوضع عليه أوالطعام والمراد بها هنا

الطعام .

وتطمئن قلوبنا

: أي تسكن بزيادة اليقين فيها .

ونكون عليها من الشاهدين

: أي نشهد أنها نزلت من السماء .

عيداً

: أي يوماً يعود علينا كل عام نذكر الله تعالى فيه ونشكره .

وآية منك

: علامة منك على قدرتك ورحمتك ، ونبوة نبيك .

فمن يكفر بعد منكم

: فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون

للمائدة .

أحدًا من العالمين

: أي من الناس أجمعين .

معنى الآيات :

يقول تعالى لعبده ورسوله عيسى واذكر ﴿١﴾ إذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي
قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴿٢﴾ ، ﴿٣﴾ إذ قال الخواريون ﴿٤﴾ : ﴿٥﴾ هل يستطيع ربك أن ينزل

(١) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة : (هل يستطيع ربك . .) كيف يقول هذا أنصار الله الخواريون وهو دالٌّ
دلالة واضحة على جهل بالله تعالى وعدم معرفة الأدب مع نبيه عيسى عليه السلام ، فمن قائل : أن يستطيع بمعنى : يطيع
أي : هل يطيعك ربك في هذا؟ ومن قائل : إن قراءة (هل يستطيع) بالتاء ، وربك معمول أي : هل تقدر على سؤال ربك أن =

علينا مائدة من السماء؟ ﴿ ولما كان قولهم هذا دالٌّ على شك في نفوسهم وعدم يقين في قدرة ربهم قال لهم عيسى عليه السلام ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ فلا تقولوا مثل هذا القول . فاعتذروا عن قيلهم الباطل ﴿ وقالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين ﴾ أنها نزلت من السماء بسؤالك ربك ذلك وهنا قال عيسى عليه السلام داعياً ربه ضارعاً إليه ﴿ اللهم ﴾ أي يا الله ﴿ ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا ﴾ أي للموجودين الآن منا ﴿ وآخرنا ﴾ أي ولمن يأتون بعدنا ، ﴿ وآية منك ﴾ ، أي وتكون آية منك أي علامة على وحدانيتك وعظيم قدرتك ، وعلى صدقي في إرسالك لي رسولاً إلى بني إسرائيل ، ﴿ وارزقنا ﴾ وأدم علينا رزقك وفضلك ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ ، فأجابه تعالى قائلاً : ﴿ إني منزلها عليكم ﴾ ، وحقاً قد أنزلها ، ﴿ فمن يكفر بعد منكم ﴾ يا بني إسرائيل السائلين المائدة بأن ينكر توحيدي أو رسالة رسولي ، أو عظيم قدرتي ﴿ فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ ، ولذا مسخ من كفروا منهم قردة وخنازير .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- جفاء اليهود وغطرستهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم إذ قالوا لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ وقالوا لعيسى ﴿ هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ .

٢- في قول عيسى لهم ﴿ اتقوا الله ﴾ دال على أنهم قالوا الباطل كما أن قولهم : ﴿ ونعلم أن قد صدقتنا ﴾ دال على شكهم وارتياهم .

٣- مشروعية الأعياد الدينية لعبادة الله بالصلاة والذكر شكراً لله تعالى وفي الإسلام عيدان : الأضحى والفطر .

٤- من أشد الناس عذاباً يوم القيامة آل فرعون والمنافقون ومن كفر من أهل المائدة .

= ينزل الخ ومن قائل إن هذا كان منهم في أول أمرهم قبل أن يتعلموا ، ومن قائل : أن هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين ، وما ذكرته في التفسير أولى لانسجامه مع السياق إذ قول عيسى لهم : اتقوا الله ، وقولهم : ونعلم أن قد صدقتنا دال على جهلهم بالله ومقام عيسى عليه السلام ، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط وكذلك قالوا لموسى عليه السلام : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والله أعلم . (١) روى الترمذي عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال : « أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمًا » .

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

شرح الكلمات :

إلهين	: معبودين يعبدان من دوني .
سبحانك	: تنزيهاً لك وتقديساً .
ما يكون لي	: ما ينبغي لي ولا يتأتى لي ذلك .
شهِيداً	: رقيباً .
الرقيب	: الحفيظ .
إن تعذبهم	: أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء .
وإن تغفر لهم	: أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك .
العزیز الحکیم	: العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده، الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة .

الصادقين : جمع صادق : وهو من صدق ربه في عبادته وحده .
ورضوا عنه : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار .
على كل شيء قدير : أي على فعل أي شيء تعلقت به إرادته وأراد فعله فإنه يفعله ولا يعجزه بحال من الأحوال .

معنى الآيات :

يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر لقومك ﴿إِذ قَالَ اللَّهُ﴾^(١) تعالى يوم يجمع الرسل ويسألهم ماذا أجبتم ، ويسأل عيسى بمفرده توبيخاً للنصارى على شركهم ﴿يَا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين﴾ أي معبودين يقرره بذلك فينفي عيسى ذلك على الفور ويقول منزهاً ربه تعالى مقدساً ﴿سبحانك﴾^(٢) ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ويؤكد تفصيه عما وجه إليه توبيخاً لقومه : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ يا ربي ، إنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ فكيف بقولي وعملي ، وأنا ﴿لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إلا أن تعلمني شيئاً ، لأنك ﴿أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ ما ﴿قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ أن أقوله لهم وهو ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ، وكنت عليهم شهيداً^(٣) أي رقيقاً ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ برفعي إليك ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ترقب أعمالهم وتحفظها لهم لتجزهم بها . ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ رقيب وحفيظ . ﴿إِنْ تَعَذَّبْهُمْ﴾ أي من مات منهم على الشرك بأن تصلبه نارك فأنت على ذلك قدير ، ﴿وَأِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن مات على التوحيد فتدخله جنتك فإنه لذلك أهل فإنك أنت العزيز الغالب على أمره الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعم من أشرك به ولا يعذب من أطاعه ووحده . فأجابه الرب تبارك وتعالى قائلاً : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدْقُهُمْ﴾ : صدقوا الله تعالى في إيمانهم به فعبدوه وحده لا شريك له ولم يشركوا

(١) هذا مثل أتى أمر الله أتى بصيغة الماضي لتحقق الوقوع وكذلك هناك (إذ قال) فهو بمعنى يقول : اذكر إذ يقول الله يا عيسى . الخ .

(٢) أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال : «تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عيسى بن مريم أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلقيه الله : ﴿سَبِّحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية .

(٣) شهيداً : أي رقيباً أراعي أحوالهم وأدعوهم إلى العمل بطاعتك وأنهاهم عن مخالفتك .

(٤) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين . . . الخ كلام مستأنف ختم به الحديث عما يقع يوم يجمع الله الرسل فذكر ثواب الصادقين وهو الجنة ورضوان الله وهو الفوز العظيم .

سواه . ونفعه لهم أن أدخلوا به جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً، مع رضى الله تعالى عنهم ورضاهم عنه بما أنعم به عليهم من نعيم لا يفنى ولا يبلى، ﴿ذلك الفوز العظيم﴾^(١) أنه نجاة من النار ودخول الجنات . وفي الآية الأخيرة (١٢٠) يخبر تعالى أن له ﴿ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ من سائر المخلوقات والكائنات خلقاً وملكاً وتصرفاً يفعل فيها ما يشاء فيرحم ويعذب ﴿وهو على كل شيء قدير﴾^(٢) لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- توبيخ النصارى في عرصات القيامة على تأليه عيسى ووالدته عليهما السلام .
- ٢- براءة عيسى عليه السلام من مشركي النصارى وأهل الكتاب .
- ٣- تعذيب المشركين وتنعيم الموحدين قائم على مبدأ الحكمة الإلهية .
- ٤- فضيلة الصدق وأنه نافع في الدنيا والآخرة، وفي الحديث : «عليكم بالصدق فإنه يدعو إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» .
- ٥- سؤال غير الله شيئاً ضرب من الباطل والشرك، لأن غير الله لا يملك شيئاً، ومن لا يملك كيف يعطي ومن أين يعطي؟

(١) في هذه الآية البرهنة الصحيحة على ألوهية الله تعالى وربوبيته للعالمين وإبطال دعوى النصارى في تأليه عيسى وآمه عليهما السلام .

(٢) فما تعلق إرادته بشيء فأرادته إلا كما أراد من سائر الممكنات .

(٣) أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن .

(١)
سُورَةُ الْأَنْعَامِ
مَكِّيَّة

وآياتها خمس وستون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الحمد ^(١)	: الشاء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال .
خلق	: أنشأ وأوجد .
يعدلون	: يسوون به غيره فيعبودونه معه .
الأجل	: الوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه ، والأجل الأول أجل كل إنسان ، والثاني أجل الدنيا .
تمترونها	: تشكُّون في البعث الآخر والجزاء : كما تشكون في وجوب توحيده بعبادته وحده دون غيره .
وهو الله في السموات	: أي معبود في السموات وفي الأرض .

(١) روى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيئها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد، وسميت بالأنعام لذكر لفظ الأنعام فيها ست مرّات نزلت بمكة ليلاً» .

(٢) الحمد لله : تفيد استغراق المحامد لله تعالى إذ ال للاستغراق واللام للاستحقاق فجميع المحامد مستحقة لله تعالى ،
والقصر في الحمد لله قصر إضافي دال على إبطال حمد المشركين لألهتهم الباطلة .

ما تكسبون : أي من خير وشر، وصلاح فساد.

معنى الآيات :

يخبر تعالى بأنه المستحق للحمد كله وهو الوصف بالجلال والجمال والثناء بهما عليه وضمن ذلك يأمر عباده أن يحمده كأنها قال قولوا الحمد لله، ثم ذكر تعالى موجبات حمده دون غيره فقال: ﴿الذي خلق السموات والأرض^(١) وجعل الظلمات والنور^(٢)﴾، فالذي أوجد السموات والأرض وما فيها وما بينهما من سائر المخلوقات وجعل الظلمات والنور وهما من أقوى عناصر الحياة هو المستحق للحمد والثناء لا غيره ومع هذا فالذين كفروا من الناس يعدلون به أصناماً وأوثاناً ومخلوقات فيعبدهونها معه يا للعجب !!

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١) أما الآية الثانية (٢) فإنه تعالى يخاطب المشركين موبخاً لهم على جهلهم مندداً بباطلهم فيقول: ﴿هو الذي خلقكم من طين^(٣)﴾ لأن آدم أباهم خلقه من طين ثم تناسلوا منه فباختيار أصلهم هم مخلوقون من طين ثم الغذاء الذي هو عنصر حياتهم من طين، ثم قضى لكل أجلاً وهو عمره المحدد له وقضى أجل الحياة كلها الذي تنتهي فيه وهو مسمى عنده معروف له لا يعرفه غيره ولا يطلع عليه سواه ولحكم عالية أخفاه، ثم أنتم أيها المشركون الجهلة تشكّون في وجوب توحيده، وقدرته على إحداثكم بعد موتكم لحسابكم ومجازاتكم على كسبكم خيره وشره، حسنه وسيئه، وفي الآية الثالثة (٣) يخبر تعالى أنه هو الله المعبود بحق في السموات وفي الأرض لا إله غيره ولا رب سواه ﴿يعلم

(١) ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ هاتان الجملتان هما مقتضيات الحمد لله وموجباته له تعالى، إذ من أوجد الكون كله وهو جواهر وأعراض، فالجواهر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، والأعراض الظلمة والنور هو المستحق للعبادة دون غيره فأبطل بهذا عبادة الأجسام كالأصنام والملائكة والأنبياء، وعبادة الأعراض كالظلمة والنور إليها المانوية.

(٢) الأرض : اسم جنس، فالمراد بالأرض : الأرضون السبع كالنور اسم جنس والمراد به كل نور.

(٣) من رشاقة الكلم جعل خلق للأجسام وجعل للأعراض في قوله : ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾.

(٤) قال القرطبي هل في هذه الآية دليل على أن الجواهر من جنس واحد؟ الجواب : نعم لأنه إذا جاز أن ينقلب الطين إنساناً حياً قادراً عليهما جاز أن ينقلب إلى كل حال من أحوال الجواهر إذ صح انقلاب الجماد إلى حيوان بدلالة هذه الآية.

(٥) ذكره تعالى أصل خلق الناس من طين فيه إشارة إلى الردّ على منكري البعث المحتجين على عدم إمكان الحياة الآخرة بكونهم بعد الموت يصيرون تراباً، وجهلوا أن صيرورتهم إلى تراب هو دليل إعادتهم إلى خلقهم من جديد إذ عادوا إلى أصل خلقهم ليعودوا إلى حياة أكمل من حياتهم الأولى.

(٦) قال القرطبي في تفسير هذه الآية : ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ أي : وهو الله المعظم والمعبود في السموات وفي الأرض كما تقول : زيد الخليفة في الشرق والغرب أي حكمه.

سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴿ من خير وشر فهو تعالى فوق عرشه بائن من خلقه ويعلم سر عباده وجهركم ويعلم أعمالهم وما يكتسبون بجوارحهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا وجبت الرغبة فيما عنده من خير، والرهبة مما لديه من عذاب، ويحصل ذلك لهم بالإجابة إليه وعبادته والتوكل عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله .
- ٢- لا يصح حمد أحد بدون ما يوجد لديه من صفات الكمال ما يحمد عليه .
- ٣- التعجب من حال من يسوون المخلوقات بالخالق عز وجل في العبادة .
- ٤- التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة .
- ٥- صفة العلم لله تعالى وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى .

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ

آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ

لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ

يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ

نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا

ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

من آية	: المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة .
معرضين	: غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها .
الحق	: الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق .
أنبياء	: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
من قرن	: أي أهل قرن من الأمم السابقة ، والقرن مائة سنة .
مكنأهم في الأرض	: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين .
مدراراً	: مطراً متواصلاً غزيراً .
بذنوبهم	: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسوله .
وأنشأنا	: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين .
معنى الآيات :	

ما زال السياق في الحديث عن أولئك الذين يعدلون برهبهم غيره من مخلوقاته فيقول تعالى عنهم : وما تأتيهم من آية من آيات ربهم التي يوحىها إلى رسوله ويضمها كتابه القرآن الكريم ، إلا قابلوها بالإعراض التام ، وعدم الالتفات إلى ما تحمله من هدى ونور ، وسبب ذلك أنهم قد كذبوا بالحق لما جاءهم وهو الرسول وما معه من الهدى ، وبناء على ذلك ﴿ فسوف يأتيهم أنبياء ما كانوا به يستهزئون ﴾ وقد استهزأوا بالوعد وسينزل بهم العذاب الذي كذبوا به واستهزأوا ، وأول عذاب نزل بهم هزيمتهم يوم بدر ، ثم القحط سبع سنين ، ومن مات منهم على الشرك فسوف يعذب في نار جهنم أبداً ، ويقال لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تستهزئون وقوله تعالى : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي كثيراً من أهل القرون

(١) «من آية من آيات ربهم» من الأولى لاستغراق الجنس ، ومن الثانية للتعميم .

(٢) وجائز أن يراد بالآية أيضاً المعجزة كانشقاق القمر ونحوها .

(٣) القرن : الأمة من الناس ، والجمع : قرون قال الشاعر :

إذا ذهب القرن الذي كنت فيه وخلقت في قرن قالت غريب

فالقرن : كل عالم في عصره مأخوذ من الإقتران أي عالم مقترن بعضهم ببعض وفي الحديث : «خير الناس قرني ..» ويطلق القرن على المائة سنة ، إذ قال النبي ﷺ لعبد الله بن بشر «تعيش قرناً» فعاش مائة سنة وقرن الشاة معروف .

الماضية مكن الله تعالى لهم في الأرض من الدولة والسلطان والمال والرجال ما لم يمكن هؤلاء المشركين من كفار قريش، وأرسل على أولئك الذين مكن لهم السماء مدراراً بغزير المطر وجعل لهم في أرضهم الأنهار تجري من تحت أشجارهم وقصورهم، فلما أنكروا توحيدي وكذبوا رسولي، وعصوا أمري ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾، لا ظلمنا ولكن بظلمهم هم لأنفسهم، وأحدثنا بعدهم قوماً آخرين، وكان ذلك علينا يسيراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التكذيب بالحق هو سبب الإعراض عنه فلو آمنوا به لأقبلوا عليه.
- ٢- الاستهزاء والسخرية بالدين من موجبات العذاب وقرب وقوعه.
- ٣- العبرة بهلاك الماضين، ومصارع الظالمين.
- ٤- هلاك الأمم كان بسبب ذنوبهم، فما من مصيبة إلا بذنب.^(٣)

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

(١) ﴿وَأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ عبر عن المطر بالسماء لأنه منها ينزل قال الشاعر:
إذا سقط السماء بأرض قوم رعبنا وإن كانوا غضابا
(٢) مدراراً: بناء دال على الكثرة نحو امرأة مذكار إذا كثرت أولادها الذكور وهو مشتق من درت الشاة تدر إذا أقبل لبنها على الحالب لها بكثرة.
(٣) شاهده من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

قرطاساً	: القرطاس : ما يكتب عليه جلدًا أو كاغداً .
لمسوه بأيديهم	: مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه .
ملك	: الملك أحد الملائكة .
لقضي الأمر	: أي أهلكوا وانتهت حياتهم .
لا ينظرون	: لا يمهلون .
ولو جعلناه ملكاً	: ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً لإنكارهم البشر .
لبسنا	: خلطنا عليهم .
استهزىء	: سخر وتهكم واستخف .
حقاق بهم	: نزل بهم العذاب وأحاط بهم فاهلكوا .

معنى الآيات

ما زال السياق في شأن العادلين برهم أصنامهم التي يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله يقول تعالى : ﴿ولو أنزلنا عليك﴾ أيها الرسول ﴿كتاباً﴾ أي مكتوباً في ورق جلد أو كاغد ورأوه منزلاً من السماء ولسوه بأيديهم وحسوه بأصابعهم ما آمنوا ولقالوا : ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ . أي سحر واضح سحرهم به محمد ﷺ وإلا كيف ينزل الكتاب من السماء ، ﴿وقالوا : لولا أنزل عليه ملك﴾ أي هلا أنزل عليه ، لم لا ينزل عليه ملك يساعده ويصدق به بأنه نبي الله ورسوله ، فقال تعالى : ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ ، وليس من شأن الله أن ينزل الملائكة ولو أنزل ملكاً فكذبوه لأهلكهم ، إذ الملائكة لا تنزل إلا لإحقاق الحق وعليه فلو نزل ملك لقضي أمرهم بإهلاكهم وقطع دابرهم وهذا ما لا يريد الله تعالى لهم . وقوله : ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يمهلون ولو ساعة ليتوبوا أو يعتذروا مثلاً . وقوله تعالى : ﴿ولو

(١) قال ابن عباس : كتاباً معلقاً بين السماء والأرض يشاهدونه . أمّا إنزال الوحي فهو حاصل وأبوا أن يؤمنوا به .

(٢) هذا اقتراح منهم حملهم عليه الكبر والعناد .

جعلناه ملكاً﴾ أي الرسول ملكاً لقالوا كيف نفهم عن الملك ونحن^(١) بشر فيطالبون بأن يكون بشراً وهكذا كما قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً، وللبسنا عليهم﴾ خلطنا وشبهنا ما يخلطون على أنفسهم ويشبهون. ثم أخبر تعالى رسوله مسلياً له قائلاً ﴿ولقد استهزى^(٢) برسلك من قبلك﴾ كما استهزى بك فاصبر، فقد حاق بالمستهزئين ما كانوا به يستهزئون، كانوا إذا خوفهم الرسل عذاب الله سخروا منهم واستخفوا بهم وبالعذاب الذي خوفهم به، ثم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول لأولئك المستهزئين بما يعدهم من عذاب ربهم وهم أكابر مجرمي قريش: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ جنوباً لتقفوا على ديار عاد أو شمالاً لتقفوا على ديار ثمود، أو غرباً لتقفوا على بحيرة لوط فتعرفوا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من أمثالكم لعلكم تحققون من طغيانكم وتكذيبكم فيسهل عليكم الرجوع.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الآيات بمعنى المعجزات والحوار لا تستلزم الإيمان بل قد تكون سبباً للكفر والعناد، ولذا لم يستجب الله لقريش ولم يعط رسوله ما طالبوه به من الآيات.
- ٢- إنكار رسالة البشر عام في كل الأمم وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم في آيات كثيرة في حين أن إرسال الملائكة لا يتم معه هدف لعدم قدرة الانسان على التلقي عن الملائكة والتفاهم معهم، ولو أنزل الله ملكاً رسولاً لقالوا نريده بشراً مثلنا لحصل الخلط واللبس بذلك.
- ٣- الاستهزاء بالرسول والدعاة سنة بشرية لا تكاد تتخلف ولذا وجب على الرسل والدعاة الصبر على ذلك.
- ٤- عاقبة التكذيب والاستهزاء هلاك المكذبين المستهزئين.
- ٥- مشروعية زيارة القبور للوقوف على مصير الإنسان ومآل أمره فإن في ذلك ما يخفف شهوة

(١) لأن سنة الله تعالى في التفاهم أن تكون بين متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان أما ملك مع إنسان أو إنسان مع حيوان فلا لا.

(٢) في هذه الآية تعزية للرسول ﷺ وتسلية له ليصبر على ما يلاقيه من قومه من سخرية واستهزاء وعناد ومكابرة.

(٣) قال القرطبي: هذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بأثار من خلا من الأمم وأهل الديار، وأقول على شرط أن يدخلوا تلك الديار باكين أو متباكين لا ضاحكين غافلين لاهين بأنواع الطعام والشراب.

(٤) أخذاً من قوله تعالى في الآية: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ وشاهده من السنة قوله ﷺ في السنة الصحيحة: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

الدنيا والنهم فيها والتكالب عليها وهو سبب الظلم والفساد.

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
 كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
 لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
 وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مِذْرِ فَقَدْ
 رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

كتب على نفسه الرحمة : أي أوجب على نفسه رحمة خلقه .

لا ريب فيه : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له .

خسروا أنفسهم : حيث لوثوها بأضرار الشرك والمعاصي فلم ينتفعوا بها .

وله ما سكن في الليل والنهار : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك أي له كل شيء .

وليأ : أحبه وأنصره واطلب نصرته ومحبته وولايته .

من يصرف عنه : أي من العذاب بمعنى يبعد عنه .

الفوز المبين : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز

العظيم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع العادلين بربهم غيره من أهل الشرك فيقول تعالى لرسوله

﴿لَمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَلْقًا وَإِجَادًا أَوْ مَلَكًا وَتَصَرَفًا وَتَدْبِيرًا،^(١) وَاسْبِقَهُمْ إِلَى الْجَوَابِ فَقُلْ لِلَّهِ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ جَوَابِ إِلَّا هَذَا: ﴿لِلَّهِ﴾، أَيُّ هُوَ اللَّهُ الَّذِي ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قَضَىٰ بِهَا وَأَوْجِبَهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمُظَاهَرَهَا مُتَجَلِيَةً فِي النَّاسِ: إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْصُونَهُ وَهُوَ يَطْعَمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ وَيَكْلُؤُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ، وَمَا حُدُوهُ قَطُّ. وَمِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ جَمْعُهُ النَّاسَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ وَيَجْزِيَهُمْ بِعَمَلِهِمْ الْحَسَنَةِ بَعَثَ أَمْثَالَهَا أَمَّا السَّيِّئَةُ فَبَسِئَةٌ مِثْلُهَا فَقَطُّ وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَيُّ الْكَائِنِ الْآتِي بِلا رَيْبٍ وَلَا شَكٍّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يَخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ كَتَبَ خَسْرَانَهُمْ أَزْلًا فِي كِتَابِ الْمَقَادِيرِ فَهُمْ لَذَلِكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَا كَتَبَ أَزْلًا لَعَلَّمَ تَامَ بِمَوْقِفِهِمْ هَذَا الَّذِي هُمْ وَافِقُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالشُّرْكِ وَالشَّرِّ وَالْفُسَادِ، بِذَلِكَ اسْتَوْجَبُوا الْخُسْرَانَ هَذَا مَادَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْأُولَى (١٢) أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ (١٣) ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وَهَذَا تَقْرِيرٌ بِأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَالْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ إِذْ مَا هُنَاكَ إِلَّا سَاكِنٌ وَمَتَحَرِّكٌ وَهُوَ رَبُّ الْجَمِيعِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِأَحْوَالِ عِبَادِهِ وَسَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِهِمُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ وَلِذَا لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَيُفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ وَمِنْ هُنَا وَجِبَ اللَّجَأُ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالْإِنْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ (١٤) ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ وِلْيَاءً فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الْمَطَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَى شُرْكِهِمْ وَيَعْبُدَ مَعَهُمْ أَهْتَمُّهُمْ فَيَقُولُ: أَغْيِرَ اللَّهُ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي يَطْعَمُ غَيْرَهُ لَا فَتَقَارَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَطْعَمُ^(٥) لَغْنَاءَ الْمَطْلُوقِ أَغْيَرَهُ تَعَالَى اتَّخَذَ وَلِيًّا أَعْبَدَهُ كَمَا اتَّخَذْتُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ أَوْلِيَاءَ تَعْبُدُونَهُمْ. إِنْ هَذَا لَنْ يَكُونَ أَبَدًا كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ فِي صِرَاحَةٍ وَوَضُوحٍ، ﴿إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أَيُّ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَعْبُدُهُ

(١) هَذَا حِجَاجٌ مَعَ الْمَشْرِكِينَ آخَرُ: قُلْ لَهُمْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ فَإِنْ قَالُوا: لِمَنْ هُوَ؟ قُلْ: لِلَّهِ، وَلَكِنْ لَا يَقُولُونَ إِلَّا لِلَّهِ، لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَمْلِكُ.
(٢) وَلِذَا لَمْ يَجَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا كُفْرُهُمْ وَعِنَادُهُمْ، رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ أَنْ رَحِمْتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».
(٣) اللَّامُ: لِلْقِسْمِ أَيُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِيَجْمَعَنَّكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي كَذَّبْتُمْ بِهِ وَهُوَ لَا شَكَّ فِيهِ.
(٤) الْإِسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي وَقَدْ مَفْعُولُ الْأَوَّلِ: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ﴾ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْإِنْكَارِ.
(٥) أَيُّ يَرْزُقُ وَلَا يَرْزُقُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ بِفَتْحِ الْعَيْنِ أَيُّ إِنَّهُ يُطْعَمُ عِبَادَهُ بِالرِّزْقِ وَهُوَ لَا يَطْعَمُ لِاسْتِحَالَةِ احْتِيَاجِهِ إِلَى الْغِذَاءِ كَمَا يَحْتَاجُهُ الْمَخْلُوقُونَ مِنْ عِبَادِهِ.

بما شرع له، ونهاني أن أكون من المشركين يقول: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ الذين يعبدون مع الله غيره من مخلوقاته وأمره في الآية (١٥) أن يقول للمشركين الراغبين في تركه التوحيد: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾^(١) وهو عذاب يوم القيامة. إنه عذاب أليم لا يطاق من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه أي أدخله الجنة والنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ نعم فاز وأي فوز أكبر من الخلوص من العذاب ودخول في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عموم رحمة الله تعالى .
- ٢- تقرير مبدأ الشقاوة والسعادة في الأزل قبل خلق الخلق .
- ٣- الله رب كل شيء ومليكه .
- ٤- تحريم ولاية غير الله ، وتحريم الشرك به تعالى .
- ٥- بيان الفوز الأخروي وهو النجاة من العذاب ودخول الجنة .

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾
قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ ۚ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

(١) قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي﴾ عوضاً عن اسم الجلالة (الله) فيه إيماء وإشارة إلى أن عصيان الرب قبيح أقسى من عصيان المعبود، لأن الرب هو المليك المربي المتولي الحافظ الولي فعصيان من يربي ويرزق قبيح جداً.
(٢) أي: من يصرف الله عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه فأدخله جنته بعد أن نجاه من النار.

شرح الكلمات :

يمسك	: يصبك .
بضر	: الضر: ما يؤلم الجسم أو النفس كالمريض والحزن .
بخير	: الخير: كل ما يسعد الجسم أو الروح .
القاهر	: الغالب المذل المعز .
شهادة	: الشهادة: إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه .
لأنذركم به	: لأنخوفكم بما فيه من وعيد الله لأهل عداوته .
إله واحد	: معبود واحد لأنه رب واحد، إذ لا يعبد إلا الرب الخالق الرازق المدبر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتقوية موقفه من أولئك العادلين برهمن المشركين به فيقول له ربه تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر^(١) فلا كاشف له إلا هو﴾ أي إن أصابك الله بما يضرك في بدنك فلا كاشف له عنك بإنجائك منه إلا هو. ﴿وإن يمسسك بخير﴾ أي وإن يردك بخير فلا راد له ﴿فهو على كل شيء قدير﴾، والخطاب وإن كان موجهاً للرسول ﷺ فإنه عام في كل أحد فلا كاشف للضر إلا هو، ولا راد لفضله أحد، ومع كل أحد، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٨) ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ تقرير لربوبيته المستلزمة لألوهيته فقهره لكل أحد، وسلطانه على كل أحد مع علو كلمته وعلمه بكل شيء موجب لألوهيته وطاعته وطلب ولايته، وبطلان ولاية غيره وعبادة سواه وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٩) ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ نزلت لما قال المشركون بمكة للرسول ﷺ إئتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروها فأمره ربه تعالى أن يقول لهم رداً عليهم: أي شيء أكبر شهادة؟ ولما كان لا جواب لهم إلا أن يقولوا الله أمره أن يجيب به: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾. فشهادة الله تعالى لي بالنبوة إيماءه إلي بهذا القرآن الذي أنذركم به، وأنذر

(١) الضر: هو ما يؤلم الإنسان وهو من الشر المنافي للإنسان ويقابله النفع وهو من الخير الملائم للإنسان ولذا فالضر هنا أعم من المرض إذ يتناوله وغيره من سائر ما يضر الإنسان.

(٢) شاهده حديث ابن عباس عند الترمذي وهو صحيح إذ قال له رسول الله ﷺ يا غلام إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف.

كل من بلغه وسمع به بأن من بلغه ولم يؤمن به ويعمل بها جاء فيه من العقائد والعبادات والشرائع فإنه خاسر لنفسه يوم القيامة. ثم أمره أن ينكر عليهم الشرك بقوله: أننكم^(١) لتشهدون مع الله آلهة أخرى، وذلك بإيمانكم بها وعبادتك لها أما أنا فلا أعترف بها بل أنكرها فضلاً عن أن أشهد بها. ثم أمره بعد إنكار آلهة المشركين أن يقرر ألوهيته الله وحده وأن يتبرأ من آلهتهم المدعاة فقال له قل: ﴿إنما هو إله واحد، وإني بريء مما تشركون﴾^(٢).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب اللجأ إلى الله تعالى دون غيره من سائر خلقه إذ لا يكشف الضر إلا هو.
- ٢- شهادة الله تعالى لرسوله بالنبوة وما أنزل عليه من القرآن وما أعطاه من المعجزات.
- ٣- نذارة الرسول بلغت كل من بلغه القرآن الكريم إلى يوم الدين.
- ٤- تقرير مبدأ التوحيد لا إله إلا الله، وجوب البراءة من الشرك.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
 أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
 ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آتِنِ شُرَكَاءَكُمْ
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ
 رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٦٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٤﴾

(١) في البخاري: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمداً ﷺ وسمع منه.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتقرير مع الإنكار لشهادتهم الباطلة وذلك بتأليههم الأصنام، والأحجار جهلاً وعناداً.

(٣) أي من الشرك والشركاء معاً.

(٤) آية (يونس) في هذا الباب عظيمة إذ قال مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ولا تدع من دون الله مالا يتفكك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

شرح الكلمات :

الذين أوتوا الكتاب :	علماء اليهود والنصارى .
يعرفونه :	يعرفون محمداً نبياً لله ورسولاً له .
افترى على الله كذباً :	اختلق الكذب وزوره في نفسه وقال .
لا يفلح الظالمون :	لا ينجون من عذاب الله يوم القيامة .
أين شركاؤكم :	استفهام توبيخي لهم .
تزعمون :	تدعون أنهم شركاء يشفعون لكم عند الله .
وضل عنهم :	غاب عنهم ولم يحضرهم ما كانوا يكذبونه .
معنى الآيات :	

قوله تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي علماء اليهود والنصارى ﴿يعرفونه﴾ أي النبي محمداً ﷺ أنه نبي الله ورسوله وأن القرآن كتاب الله أوحاه إليه يعرفونه بما ثبت من أخباره ونعوته معرفة كعرفة آبائهم ، رد الله تعالى بهذا على العرب الذين قالوا : لو كنت نبياً لشهد لك بذلك أهل الكتاب ثم أخبر تعالى أن الذين خسروا أنفسهم في قضاء الله وحكمه الأزلي لا يؤمنون ، وإن علموا ذلك في كتبهم وفهموه واقتنعوا به ، فهذا سر عدم إيمانهم ، فلن يكون إذاً عدم إيمانهم حجة ودليلاً على النبي محمد ﷺ بأنه غير نبي ولا رسول هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٠) وفي الآية الثانية نداء الله تعالى لكل من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب بقوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ وهم المشركون بزعمهم أن الأصنام تشفع لهم عند الله ولذا عبدوها ، أو كذبوا بآياته وهم أهل الكتاب ، وأخبر أن الجميع في موقفهم المعادي للتوحيد والاسلام ظالمون ، وإن الظالمون لا يفلحون فحكم بخسران الجميع إلا من آمن منهم وعبد الله ووحده وكان من المسلمين وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٢) ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ مشركين وأهل كتاب أي لا يفلحون في الدنيا ولا يوم

(١) ﴿والذين خسروا أنفسهم﴾ في موضع النعت أو البدلية من قوله : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ .

(٢) ﴿ومن أظلم﴾ الاستفهام للنفي والتقريع أي لا أحد أعظم ظلماً ممن افترى على الله الكذب أو كذب بآياته التي هي الآيات القرآنية والمعجزات النبوية .

(٣) الظرف معمول لفعل محذوف تقديره : واذكر لقومك الوقت الذي يجري فيه الاستنطاق والاستجواب وكيف يكون موقف هؤلاء المشركين الظالمين .

نحشرهم وهو يوم القيامة لأنهم ظالمون، ثم أخبر تعالى بمناسبة ذكر يوم القيامة أنه يسأل المشركين منهم فيقول لهم: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم؟ ثم لم تكن نتيجة هذه الفتنة أي الاختيار إلا قولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾، يكذبون هذا الكذب لأنهم رأوا أن المشركين لا يغفر لهم ولا ينجون من النار. ثم أمر الله رسوله أن يتعجب من موقفهم هذا المخزي لهم فقال له: ﴿أنظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ أما ربهم فهو عليم بهم ﴿وضل عنهم﴾ أي غاب فلم يروه. ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام إلا إيثار الدنيا على الآخرة.
- ٢- سببان في عظم الجريمة الكاذب على الله المفترى والمكذب الجاحد به ويكتابونه بنيه.
- ٣- تقرير عدم فلاح الظالمين في الحياتين.
- ٤- الشرك لا يغفر لصاحبه إذا لم يتب منه قبل موته.

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يَأْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَدِّلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا أَلَيْسَ لَنَا نَرْدٌ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

(١) تبرؤوا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا من تجاوز الله ومغفرته للموحدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يغفر الله تعالى لأهل الإخلاص ذنوبهم ولا يتعاطم عليه ذنب أن يغفره فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك فتعالوا نقول: والله ربنا ما كنا مشركين.

(٢) وجه كذبهم: أنهم كانوا يقولون في الأصنام تشفع لنا عند الله وتقربنا إليه زلفى. ففي هذا الموقف غاب عنهم الكذب والافتراء وواجهوا الحقيقة المرة كما هي.

بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

- أَكَنَ : جمع كنان ما يكن فيه الشيء كالغطاء .
وقرأ : ثقلاً وصمماً فهم لا يسمعون .
يجادلونك : يخاصمونك .
أساطير الأولين : جمع أسطورة : ما يكتب ويحكى من أخبار السابقين .
وينأون عنه : أي ويبعدون عنه .
بل بدا لهم : بل ظهر لهم .
إن هي إلا حياتنا : ما هي إلا حياتنا .
مبعوثين : بعد الموت أحياء كما كنا قبل أن نموت .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أولئك العادلين بربهم المشركين به سواء فيخبر تعالى عن بعضهم فيقول ﴿ومنها من يستمع إليك﴾ حال قراءتك القرآن ولكنه لا يعيه قلبه ولا يفقه ما فيه من أسرار وحكم تجعله يعرف الحق ويؤمن به ، وذلك لما جعلنا حسب سنتنا في خلقنا من أكنة^(١) على قلوبهم أي أغطية ، ومن قرأ أي ثقل وصمم في آذانهم ، فلذا هم يستمعون ولا يسمعون ، ولا يفقهون وتلك الأغطية وذلك الصمم هما نتيجة ما يحملونه من بغض للنبي ﷺ وكره لما جاء به من التوحيد ، ولذا فهم لو يرون كل آية مما يطالبون به من المعجزات كإحياء الموتى ونزول الملائكة عياناً لا يؤمنون بها لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا ولذا قال تعالى :

(١) الأكنة : جمع كنان كآسنة جمع سنان ، والأعنة جمع عنان ، والكنة : امرأة الأب لأنها في كنه ، وكذا امرأة الابن والآخر .
(٢) يقال : قورت أذنه توقر وقرأ ، إذا صممت ، والنخلة موقرة وموقرة إذا كانت ذات ثمر كثير .

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي في شأن التوحيد وأهنتهم ﴿يقول الذين كفروا إن هذا﴾ أي ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ ، أملت عليك أو طلبت كتابتها فأنت تقصها ، وليس لك من نبوة ولا وحي ولا رسالة . هذا مادلت عليه الآية الأولى (٢٥) أما باقي الآيات فإن الثانية (٢٦) تضمنت إخبار الله تعالى عنهم بأنهم ينهون الناس عن الإيمان بالنبي وبما جاء به وعن متابعتهم والدخول في دينه ، وينأون هم بأنفسهم أي يبعدون عنه فلا إيمان ولا متابعة . وهذه شر الصفات يصفهم الله تعالى بها وهي البعد عن الحق والخير ، وأمر الناس بالبعد عنهما ونهيهم عن قربها ولذا قال تعالى : ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ بهذا الموقف الشائن المعادي للرسول والتوحيد ، وما يشعرون بذلك إذ لو شعروا لكفوا ، والذي أفقدهم الشعور هو حب الباطل والشر الذي حملهم على عداوة الرسول وما جاء به من عبادة الله وتوحيده وما هم أولاً قد حشروا في جهنم ، والله تعالى يقول للرسول : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ ولا بد لهم من دخولها والاصطلاء بحرهما والاحتراق بلهبها ، فقالوا وهم في وسطها ﴿يا ليتنا نرد﴾ إلى الحياة الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين﴾ ، وما هم والله بصادقين وإنما هي تمنيات حمل عليها الإشفاق من العذاب والخوف من نار جهنم ، والفضيحة حين ظهر لهم ما كانوا يخفون في الدنيا من جرائم وفواحش وهم يغشونها الليل والنهار قال تعالى وهو العليم الخبير : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ ، وصدق الله لوردوا لعادوا وفي الآية الأخيرة (٢٩) يسجل الله تعالى عليهم سبب بلائهم ومحتهم ، وإقدامهم في تلك الجرأة الغريبة على الشرك ومحاربة التوحيد ، ومحاربة الموحدين بالضرب والقتل والتعذيب إنه كفرهم بالبعث والجزاء إذ قالوا ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين﴾ .

(١) قال ابن عباس : قالوا للنضر بن الحارث ما يقول محمد؟ قال : أرى تحريك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما أخذتكم أنا عن القرون الماضية إذ كان النضر صاحب قصص سمعها من ديار العجم إذ كان سافر إليها للتجارة ، والأساطير : جمع أسطار وأسطورة نحو : أحاديث وأحدوث ومعنى الأساطير : ما كتب وسطر من أخبار الأولين وهو ترهاتهم وأباطيلهم .

(٢) ﴿وإن يهلكون﴾ أي : ما يهلكون فإن بمعنى : ما النافية .

(٣) أي : وهم على الصراط وهي تحتهم أو وقفوا بقربها وهم يعاينونها ، وجواب لو محذوف تقديره : لرأيت منظراً هائلاً ونحوه .

(٤) قوله تعالى ﴿وبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي في دار الدنيا من الكفر والتكذيب ، والعناد وجائز أن يكون ظهر لهم صدق ما كانوا يعلمون أنه حق من أمر الدين والتوحيد ولكن يخفونه في أنفسهم حتى لا يعلم ذلك إخوانهم في الكفر واتباعهم في الشرك .

(٥) هذا سبب شقائهم هو إنكارهم للبعث والجزاء ومغالطة أنفسهم بأنه لا حياة إلا الحياة الدنيا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان سنة الله تعالى في أن العبد إذا كره أحداً وأبغضه وتعالى في ذلك يصبح لا يسمع ما يقول له ، ولا يفهم معنى ما يسمع منه .

٢- شر دعاء الشر من يعرض عن الهدى ويأمر بالإعراض عنه ، وينهى من يقبل عليه .

٣- سبب الشر في الأرض الكفر بالله ، وإنكار البعث والجزاء الآخر .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌّ وَلَهُوَ اللَّهُوُّ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

وقفوا على ربهم : جيء بهم ووقفوا على قضائه وحكمه تعالى فيهم .

بلى وربنا : أي إنه للحق والله .

خسر الذين كذبوا : أي خسروا أنفسهم في جهنم .

الساعة بغتة : ساعة : البعث ليوم القيامة وبغتة : أي فجأة .

يا حسرتنا : الحسرة : التندم والتحسر على ما فات ينادون حسرتهم زيادة في

التألم والتحزن .

أوزارهم : أحمال ذنوبهم إذ الوزر الحمل الثقيل .

لعب ولهو : اللعب : العمل الذي لا يجلب درهماً للمعاش ، ولا حسنة

للمعاد .

واللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيراً أو يدفع عنه ضيراً .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله : ^(١) ولو ترى إذ وقف أولئك لمنكروا للبعث القائلون ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ ، لو تراهم وقد حبسوا لقضاء الله وحكمه فيهم وقيل لهم وهم يشاهدون أهوال القيامة وما فيها من حساب وجزاء وعذاب ﴿أليس هذا بالحق﴾ أي الذي كنتم تكذبون فيسارعون بالإجابة قائلين ﴿بلى ، وربنا﴾ ، فيحلفون بالله تعالى تأكيداً لصحة جوابهم فيقال لهم : ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ لا ظمناً منا ولكن بسبب كفركم إذ الكفر منع من طاعة الله ورسوله ، والنفس لا تطهر إلا على تلك الطاعة ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٠) أما الآية الثانية (٣١) فقد أعلن تعالى عن خسارة صفقة الكافرين الذين باعوا الإيمان ^(٢) بالكفر والتوحيد بالشرك ، والطاعة بالمعاصي فقال تعالى : ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ أي بالحياة بعد الموت وهذا هو سبب المحنة والكارثة ^(٣) حتى إذا جاءتهم الساعة ^(٤) ساعة فناء هذه الحياة وإقبال الحياة الآخرة ^(٥) بغتة ^(٦) أي فجأة لم يكونوا يفكرون فيها لكفرهم بها ، وعندئذ صاحوا بأعلى أصواتهم معلنين عن تدمهم ^(٧) يا حسرتنا على ما فرطنا ^(٨) أي في صفقتنا حيث اشترينا الكفر بالإيمان والشرك بالتوحيد قال تعالى : ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ من الجائز أن تصور لهم أعباءهم من الكفر والشرك والظلم والشر والفساد في صورة رجل قبيح أشوه فيحملونه على ظهورهم في عروضات القيام وقد ورد به خبر. ولذا قال تعالى : ﴿ألا ساء ما يزرعون﴾ أي قبح ما يحملونه ! وفي الآية (٣٢) الأخيرة يخبر تعالى مذكراً واعظاً ناصحاً فيقول يا عباد الله : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ فانتبهوا فلا تغتروا بما فيها من ملذات فإن نعيمها إلى زوال ما شأنها إلا شأن من يلعب أو يلهو ، ثم لا يحصل على طائل من لعبه ولهوه ، أما الدار الآخرة فإنها خير ولكن للذين يتقون الشرك والشر

(١) جواب لو محذوف تقديره : لعظم شأن الوقوف .

(٢) الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي : أليس هذا البعث كأننا موجوداً .

(٣) جائز أن يكون القائل : الله تعالى ، وجائز أن تكون الملائكة وهو أولى لأنهم ليسوا أهلاً لأن يكلمهم الرب تبارك وتعالى .

(٤) أي بالبعث بعد الموت والجزاء على العمل في الدنيا هذا كقوله ﷻ : «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» في الصحيح ، إلا أنه لا مانع من حمل اللفظ على ظاهره لأن لقاء الله كائن حقاً وكيف وهو الذي يفصل بينهم في ساحة فصل القضاء .

(٥) أي : يا حسرتنا احضري فهذا أوان حضورك ، والحسرة : الندم الشديد ، والتلهف والنداء للتنذير والتعجب من حالهم وما حل بهم .

(٦) هي كما قال الحكيم :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش يكون ليس بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فافيتها هل أنت إلا كحالم

والمعاصي، فما لكم مقبلين على الفاني معرضين عن الباقي ﴿أفلا تعقلون ؟﴾

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ البعث والجزاء بذكر صور ومشاهد له .
- ٢- قبح الذنوب وأنها أسوأ حمل يحمله صاحبها يوم القيامة .
- ٣- حكم الله تعالى بالخسران على من كذب بلفائه فلم يؤمن ولم يعمل صالحا .
- ٤- الساعة لا تأتي إلا بغتة ، ولا ينافي ذلك ظهور علاماتها ، لأن الزمن ما بين العلامة والعلامة لا يعرف مقداره .
- ٥- نصيحة القرآن للعقلاء بأن لا يغتروا بالحياة الدنيا . ويهملوا شأن الآخرة وهي خير للمتقين .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا
وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِيعَتْ أَنْ تَبْغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيَّاتٌ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ليحزنك : أي ليقعك في الحزن الذي هو ألم النفس من جراء فقد ما
تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل
كتكذيبك وأذيتك .

فإنهم لا يكذبونك : أي لا ينسبونك إلى الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية
لعلمهم اليقيني أنك صادق .

كذبت رسل : أي كذبتهم أقوامهم وأممهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام .

ولا مبدل للكلمات الله : التي تحمل وعده بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه .

من نبأ المرسلين : أي أخبرهم في دعواتهم مع أمتهم .

تبتغي نفقاً : تطلب سرّاً تحت الأرض .

أو سلماً في السماء : أي مصعداً تصعد به إلى السماء .

بآية : أي خارقة من خوارق العادات وهي المعجزات .

فلا تكونون من الجاهلين : أي فلا تقف موقف الجاهلين بتدبير الله في خلقه .

معنى الآيات :

هذه الآيات من تربية الله تعالى لرسوله وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوة الحق التي أناط به بلاغها وبيانها فقال له تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ﴾ أي الحال والشأن ، ﴿ ليحزنك الذي يقولون ﴾ أي الكلام الذي يقولون لك وهو تكذيبك واتهامك بالسحر ، والتقول على الله ، وما إلى ذلك مما هو إساءة لك وفي الحقيقة إنهم لا يكذبونك لما يعلمون من صدقك وهم يلقبونك قبل إنبائك لهم وإرسالك بالأمين ولكن الظالمين هذا شأنهم فهم يرمون الرجل بالكذب وهم يعلمون أنه صادق ويقولون هذا في مجالسهم الخاصة ، ولكن كي يتوصلوا إلى تحقيق أهدافهم في الإبقاء على عاداتهم وما ألفوا من عبادة أوثانهم يقولون بألسنتهم من نسبتك إلى الكذب وهم يعلمون أنك صادق غير كاذب فإذا عرفت هذا فلا تحزن لقولهم .

(١) قد نعلم إنه : كسرت إن في إنه لدخول اللام في ﴿ ليحزنك ﴾ ولولاها لفتححت نحو أنه يحزنك .
(٢) روي أن أبا جهل وجماعة معه من رجالات قريش مروا بالنبي ﷺ فقالوا يا محمد ما نكذبك وإنك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به . وهذه الآية شاهد لصحة هذه الرواية ، ومعنى يكذبونك ينسبونك إلى الكذب ويردون قولك .
(٣) روى ابن اسحق وغيره أن الأخنس بن شريق أتى أبا جهل فقال له : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد إذ كانوا يأتون دار محمد وهو يصلي بالليل يستمعون القرآن فإذا طلع النهار تفرقوا قال ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان فقالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى نذكرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقك أقام الأخنس وتركه .

هذا أولاً وثانياً فقد كذبت رسل من قبلك وأودوا كما كُذبت أنت فأوذيت، وصبروا حتى أتاهم نصرنا فاصبر أنت حتى يأتيك النصر فإنه لا مبدل لكلمات الله التي تحمل وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه، ولقد جاءك في هذا الكتاب الذي أوحينا إليك من نبأ المرسلين وأخبارهم ما يكون عوناً لك على الصبر حتى النصر فاصبر، وثالثاً ﴿إِنْ كَانَ كَبْرٌ عَلَيْكَ﴾ إِعْرَاضُهُمْ ﴿عَنْ دَعْوَتِكَ وَعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِهَا حَتَّى تَأْتِيَهُمْ بَآيَةٌ تُلْجِئُهُمْ إِلَى الْإِيْمَانِ بِكَ وَبِرِسَالَتِكَ﴾ كما يطلبون منك ويلحون وهم كاذبون فإن استطعت أن تطلب لهم آية من تحت الأرض أو من السماء فافعل، وهذا مالا تطبيقه ولا تستطيعه لأنه فوق طاقتك فلا تكلف به وإذا فما عليك إلا بالصبر هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبْرٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي سرباً، ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ أي مصعداً ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَآيَةٌ﴾ أي فافعل، وما أنت بقادر فاصبر إذاً ورابعاً إن الله قادر على أن يجمعهم كلهم على الإيمان بك وبرسالتك والدخول في دينك، ولكنه لم يشأ ذلك لحكم عالية فلا تطلب أنت مالا يريدك ربك، فإنك إن فعلت كنت من الجاهلين، ولا نريد لك ذلك.^(١)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ثبوت بشرية الرسول ﷺ ولذا هو يحزن لفوت محبوب كما يحزن البشر لذلك.
- ٢- تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يأتيه موعود ربه بالنصر.
- ٣- بيان سنة الله في الأمم السابقة.
- ٤- إرشاد الرب تعالى رسوله إلى خير المقامات وأكمل الحالات بإبعاده عن ساحة الجاهلين.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ

(١) ﴿كَبْرٌ﴾ ثقل فشق عليه تحمله لثقله.

(٢) أي نفقا كالأنفاق المعروفة اليوم تحت الأرض، والسلم: الدرج وهو ما يرقى عليه وسمي السلم من السلامة.

(٣) ولا يلقى بمثلك مثله وهذا كله تسلية للرسول ﷺ وتعزية وحمل له على الصبر وهو لكل داعٍ إلى الله تعالى يواجه التكذيب والتعذيب إلى يوم الدين.

(٤) جائز أن يكون المعنى: من الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم ويناسب الأول قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ والثاني قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبْرٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾ الآية.

قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
 مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ
 مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ
 يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

إنما يستجيب	: أي لدعوة الحق التي دعا بها رسول الله ﷺ فيؤمن ويهتدي .
يعتهم الله	: أي يوم القيامة .
لولا نزل عليه آية	: هلا أداة تخفيض لا لولا الشرطية .
آية من ربه	: آية : خارقة تكون علامة على صدقه .
لا يعلمون	: أي ما يترتب على إيتائها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار .
من دابة	: الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان .
في الكتاب	: كتاب المقادير أم الكتاب اللوح المحفوظ .
صم وبكم في الظلمات	: صم : لا يسمعون وبكم : لا ينطقون في الظلمات لا يبصرون .
صراط مستقيم	: هو الدين الإسلامي المفضي بالأخذ به إلى سعادة الدارين .

معنى الآيات :

بعدما سلى الرب تعالى رسوله في الآيات السابقة وحمله على الصبر أعلمه هنا بحقيقة علمية تساعد على الثبات والصبر فأعلمه أن الذين يستجيبون لدعوته ﷺ هم الذين يسمعون لأن حاسة السمع عندهم سليمة ما أصابها ما يخل بأداء وظيفتها من كره الحق

وبغض أهله والداعين إليه فهو لاهم الذين يستجيبون لأنهم أحياء أما الأموات فلأنهم لا يسمعون ولذا فهم لا يستجيبون ولكن سيبعثهم الله يوم القيامة أحياء ثم يرجع الجميع إليه من استجاب، لحياة قلبه، ومن لم يستجب لموت قلبه ويجزيهم بما عملوا الجزاء الأوفى وهو على كل شيء قدير، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦) أما الآية الثانية (٣٧) فقد أخبر تعالى رسوله بقولهم ﴿لولا نزل عليه آية﴾، وعلمه أن يقول لهم ﴿إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ وهي الخارقة كإحياء الموتى أو تسيير الجبال أو إنزال الملائكة يشاهدونهم عياناً، ولكن لم ينزلها لحكم عالية وتدبير حكيم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ الحكمة في ذلك، ولو علموا أنها إذا نزلت كانت نهاية حياتهم لما سألوها. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ سبقت هذه الآية لبيان كمال الله تعالى وشمول علمه وعظيم قدرته، وسعة تدبيره تدليلاً على أنه تعالى قادر على إنزال الآيات، ولكن منع ذلك حكمته تعالى في تدبير خلقه فما من دابة تدب في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم مثل الأمة الإنسانية مفتقرة إلى الله تعالى في خلقها ورزقها وتدبير حياتها، والله وحده القائم عليها، وفوق ذلك إحصاء عملها عليها ثم بعثها يوم القيامة ومحاسبتها ومجازاتها، وكل ذلك حواه كتاب المقادير وهو يقع في كل ساعة ولا يخرج شيء عما كتب في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فهل يعقل مع هذا أن يعجز الله تعالى عن إنزال آية، وكل مخلوقاته دالة على قدرته وعلمه ووحدانيته، ووجوب عبادته وفق مرضاته، وقوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾^(١) كل دابة وكل طائر يموت أحب أم كره، ويبعث أحب أم كره، والله وحده مميته ومحبيه ومحاسبه ومجازيه، ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾، ومن هنا كان المكذبون بآيات الله ﴿صم وبكم

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ به، وروي عن أبي ذر قال، انتطحت شتان عند رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتنا. قلت: لا، قال: لكن الله تعالى يدري وسيقضي بينهما».

(٢) من الحكمة في عدم انزال الآية أنه لو أنزلها ما آمنوا بها، فاستوجبوا الهلاك فاهلكهم، ولكنه يريد الإبقاء عليهم ليخرج من أصلابهم مؤمنين يعبدونه ويوحدونه.

(٣) ذكر الجناحين للتأكيد من جهة، وإزالة الإبهام من جهة أخرى لأن العرب تطلق لفظ الطير على غير الطائر فتقول للرجل طر في حاجتي أي أسرع في قضائها وطائر الإنسان ما قسم الله له ألا قال تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

(٤) وهذه المثلية بين الإنسان وبين دواب الأرض وطائر السماء تقتضي ألا يظلم الإنسان الحيوان ولا يؤذيه ولا يتجاوز ما أمر به نحوه، ووجه المثلية في كون كل من الإنسان والحيوان يسبح الله تعالى ويدل على قدرته وعلمه وحكمته.

(٥) قيل في ﴿يحشرون﴾ أن حشرها الموت وهو مروي عن ابن عباس قال: موت البهائم: حشرها وروي عن مجاهد والضحاك أيضاً، وقيل حشرها: هو بعثها يوم القيامة حيّة وهذا أصح لحديث: «إن الجماء لتقتص من القرآن يوم القيامة».

في الظلمات^(١) أموات غير أحياء إذ الأحياء يسمعون وينطقون ويبصرون وهؤلاء صم بكم في الظلمات فهم أموات غير أحياء وما يشعرون. وأخيراً أعلم تعالى عباده أن هدايتهم كإضلالهم بيده فمن شاء هداه ومن شاء أضله، وعليه فمن أراد الهداية فليطلبها في صدق من الله جل جلاله وعظم سلطانه ومن رغب عنها فلن يعطاها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الإيمان بالله ورسوله ولقائه حياة والكفر بذلك موت فالؤمن حي والكافر ميت.
- ٢- سبب تأخر الآيات علم الله تعالى بأنهم لو أعطاهم الآيات ما آمنوا وبذلك يستوجبون العذاب.
- ٣- تعدد الأمم في الأرض وتعدد أجناسها والكل خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له.
- ٤- تقرير ركن القضاء والقدر وإثباته في أم الكتاب.

قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا

(١) إنها ظلمات الكفر والشرك والمعاصي وما ينتج عن ذلك من القلق والحيرة واضطراب النفس، والخوف، والهم.
(٢) روى ابن كثير بسنده عن الحافظ أبي يعلى عن جابر بن عبد الله أن الجراد لم يُرْفَى سَنَمٌ مِنْهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِي فِيهَا فَسَّالٌ عَنْهُ فَلَمْ يَخْبِرْ بِشَيْءٍ فَاعْتَمَ لِلَّذِي فَارَسَلَ رَاكِبًا إِلَى كَذَا وَآخِرُ إِلَى الشَّامِ، وَآخِرُ إِلَى الْعِرَاقِ يَسْأَلُ هَلْ رَأَى مِنْ الْجَرَادِ شَيْءً أَوْ لَا؟ قَالَ فَاتَاهُ الرَّكَّابُ الَّذِي مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ بِقَبْضَةٍ مِنْ جَرَادٍ فَأَلْقَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهَا كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَلَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفَ أُمَّةٍ مِنْهَا سِتْمِائَةٌ فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعُمِائَةٌ فِي الْبَرِّ وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَهْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجَرَادُ فَإِذَا هَلَكَتْ تَتَابَعَتْ مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا قُطِعَ سُلْكُهُ».

نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
 حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾
 فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 شرح الكلمات :

أرايتكم : أخبروني .
 الساعة : يوم القيامة .
 يكشف : يزيل ويبعد وينجي .
 البأساء والضراء : البأساء : الشدائد من الحروب والأمراض ، والضراء : الضر .
 يتضرعون : يتذللون في الدعاء خاضعون .
 بغتة : فجأة وعلى حين غفلة .
 مبلسون : آيسون قنطون متحسرون حزنون .
 دابر القوم : آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم .
 الحمد لله : الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية أولئك المشركين العادلين برهم أصناماً وأحجاراً، فيقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا لأولئك الذين يعدلون بنا الأصنام ﴿أرايتكم﴾ أي أخبروني ، ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ اليوم انتقاماً منكم ، ﴿أو أتتكم الساعة﴾ وفيها عذاب يوم القيامة ، ﴿أغير الله تدعون﴾ لبيحكم العذاب ويصرفه عنكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن ألهتكم تنفع وتضر ، تقي السوء وتجلب الخير؟ والجواب معلوم أنكم لا تدعونها لياسكم من إجابتها بل الله وحده ^(١) الذي تدعونه فيكشف ما تدعونه له إن شاء ، وتنسون عندها ما تشركون به من الأصنام فلا تدعونها لياسكم من إجابتها لضعفها وحقارتها .

(١) قال القرطبي : هذه الآية في محاجة المشركين ممن اعترف أن له صناعاً أي : أنتم عند الشدائد ترجعون إلى الله تعالى وسترجعون إليه يوم القيامة أيضاً ، فلم تصرّوا على الشرك في حال الرفاهية؟! وكانوا يعبدون الأصنام ويدعون الله في صرف العذاب .

(٢) ﴿بل إياه تدعون﴾ بل : للإضراب ، إضراب عن الأول وهو دعاء غير الله تعالى وإيجاب للثاني وهو دعاء الله عز وجل .

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (٤٠) والثانية (٤١) وأما الآيات الأربع بعدهما فإن الله تعالى يخبر رسوله بقوله ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم^(١) من قبلك﴾ أي أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممهم فأمرهم بالإيمان والتوحيد فكفروا وعصوا فأخذناهم بالشدائد من حروب ومجاعات وأمراض لعلمهم يتضرعون إلينا فيرجعون إلى الإيمان بعد الكفر والتوحيد بعد الشرك والطاعة بعد العصيان ولما لم يفعلوا ويخهم تعالى بقوله: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا إلينا ﴿ولكن﴾ حصل العكس حيث ﴿قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان﴾ أي حسن لهم ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الشرك والمعاصي. وهنا لما نسوا ما ذكرتهم به رسلهم فتركوا العمل به معرضين عنه غير ملتفتين إليه فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء من^(٢) الخيرات حتى إذا فرحوا بذلك وسكنوا إليه واطمأنوا ولم يبق بينهم من هو أهل للنجاة. قال تعالى ﴿أخذناهم بغتة﴾ أي فجأة بعداذ من أنواع العذاب الشديدة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ أيسون من الخلاص متحسرون ﴿فقطّع دابر^(٣) القوم الذين ظلموا﴾ أي استؤصلوا بالعذاب عن آخرهم. وانتهى أمرهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ ناصر أوليائه ومهلك أعدائه فاذا ذكر هذا لقومك يارسلنا لعلمهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى الحق الذي تدعوهم إليه وهم معرضون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- من غريب أحوال الإنسان المشرك أنه في حال الشدة الحقيقية يدعو الله وحده ولا يدعو معه الألهة الباطلة التي كان في حال الرخاء والعافية يدعوها.

(١) أي أرسلنا رسلاً. فرسلاً مضمراً وهناك إضمار آخر تقديره: فكذبوهم فأهلكناهم.

(٢) يتضرعون: يدعون الله ويتذللون له، إذ التضرع مأخوذ من الرضاعة التي هي الذلة، يقال: ضرع إليه فهو ضارع أي: يتذلل.

(٣) أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم وهو استدراج لهم وقد تطول مدة الاستدراج والإمهال عشرين سنة فأكثر.

(٤) روى أحمد عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: «فلما نسوا ما ذكروا به فتحتنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون».

(٥) قالوا: المبلس: هو الباهت الحزين الأيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال قال العجاج.

هل تعرف رسماً مكروساً قال نعم أعرفه وأبلساً

المكروّس: الذي به الكرس وهو أبوال الإبل وأبعاها.

(٦) الدابر: الأخر يقال: دبر القوم يدبرهم دبراً إذا كان آخرهم. ومعناه أخذهم أجمعين إذ آخر من يؤخذ هو من كان خلف القوم وآخرهم.

٢- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم .

٣- إذا رأيت الأمة قد فسقت عن أمر ربها ورسوله فعوقبت فلم تتعظ بالعقوبة واستمرت على فسقها وبسط الله تعالى لها في الرزق وأغدق عليها الخيرات فاعلم أنها قد استدرجت للهلاك وأنها هالكة لا محالة .

٤- شؤم الظلم هلاك الظالمين .

٥- الإرشاد إلى حمد الله تعالى عند نهاية كل عمل ، وعاقبة كل أمر .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب .

أخذ سمعكم وأبصاركم : أي أصمكم وأعماكم .

وختم على قلوبكم : جعلها لا تعي ولا تفهم .

نصرف الآيات : ننوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح .

يصدفون : يعرضون .

بغته أو جهرة : بدون إعلام ولا علامة سابقة ، والجهرة : ما كان

بإعلام وعلامة تدل عليه .

هل يهلك : أي ما يهلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة العادلين برهم الأصنام والأوثان إلى التوحيد فقال تعالى لنبيه يلقيه الحجج التي تبطل باطل المشركين ﴿قل أرايتم﴾ أي أخبروني يا قوم ﴿إن أخذ الله سمعكم﴾ وجعلكم صمًا لا تسمعون وأخذ ﴿أبصاركم﴾ فكتتم عمياً لا تبصرون ﴿وختم على قلوبكم﴾ أي طبع عليها فأصبحت لا تعقلون ولا تفهمون. أي إله غير الله يأتيكم بالذي أخذ الله منكم؟ والجواب لا أحد، إذا فكيف تتركون عبادة من يملك سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ويملك كل شيء فيكم وعندهم، وتعبدون مالا يملك من ذلكم من شيء؟ أي ضلال أبعد من هذا الضلال! ثم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿أنظر﴾ يا رسولنا ﴿كيف نصرف الآيات﴾ أي ننوع أساليبها زيادة في بيانها وإظهار الحجة بها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي يعرضون عادلين برهم مالا يملك نفعاً ولا ضرراً ثم أمره في الآية الثانية (٤٧) أن يقول لهم وقد أقام الحجة عليهم في الآية الأولى (٤٦) قل لهم ﴿أرايتكم﴾ أي أخبروني ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ وقد استوجبتموه بصدوفكم عن الحق وإعراضكم عنه ﴿بغته﴾ أي فجأة بدون سابق علامة، ﴿أو جهرة﴾ بعلامة تقدمته تنذركم به أخبروني من يهلك منا ومنكم؟ ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ بصرف العبادة إلى من لا يستحقها وترك من وجبت له وهو الله الذي لا إله إلا هو ثم عزى الرحمن جل جلاله رسوله بقوله: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ أي ما نكلفهم بغير حمل البشارة بالنجاة ودخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً والنذارة لمن كفر وعمل سوءاً، فقال تعالى: ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿والذين

(١) الأخذ: انتزاع الشيء، وتناوله من مقره وهو هنا بمعنى السلب والإعدام.

(٢) هذا التعجب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة، أي: انظر كيف نكرها وتلوننا من أسلوب إلى آخر تارة نوردها بمقدمات عقلية وأخرى بأسلوب الترغيب والترهيب، والتنبيه والتذكير.

(٣) وهذا تبيكت آخر غير الأول لهم.

(٤) وفُسر بغته وجهرة بليلاً ونهاراً والكل صالح وصحيح.

(٥) الاستفهام في قوله: ﴿هل يهلك..﴾ الخ للتقرير وحصر الهلاك في أهل الظلم تسجيلاً عليهم الظلم وإيداناً بأن هلاكهم كان سبب ظلمهم الذي هو وضعهم الشرك موضع التوحيد والكفر موضع الإيمان.

(٦) ﴿مبشرين ومنذرين﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا بمقدرات تبشيرهم وإنذارهم وفيهما معنى التعليل للإرسال والتبشير: الأصل فيه الإخبار بالأمر السار، والإنذار: الإخبار بالخبر الضار دنيوياً أو آخروياً. والمراد هنا بكل من البشارة والنذارة نعيم الآخرة وعذابها.

(١) كذبوا بآياتنا﴾ التي نرسل بها المرسلين فلم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً ﴿يمسهم العذاب﴾ عذاب النار ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم عن طاعتنا وطاعة رسلنا الفسق الذي أثمره لهم التكذيب بالآيات، إذ لو آمنوا بآيات الله لما فسقوا عن طاعته وطاعة رسوله فثبؤهم في تكذيبهم، وذلك جزاؤهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- افتقار العبد إلى الله في سمعه وبصره وقلبه وفي كل حياته موجب عليه عبادة الله وحده دون سواه.
- ٢- هلاك الظالمين لا مناص منه عاجلاً أو آجلاً.
- ٣- بيان مهمة الرسل وهي البشارة لمن أطاع والندارة لمن عصى والهداية والجزاء على الله تعالى.
- ٤- الفسق عن طاعة الله ورسوله ثمرة التكذيب، والطاعة ثمرة الإيمان.

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا مِنْ حِسَابِكَ

(١) أي : العذاب الذي أنذروا به وهو عاجل كعذاب الدنيا أو آجل وهو عذاب الآخرة.

عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- خزائن** : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ .
- الغيب** : ما غاب عن العيون وكان محصلاً في الصدور وهو نوعان غيب حقيقي وغيب إضافي فالحقيقي ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والإضافي ما يعلمه أحد ويجهله آخر .
- أنذره** : خوِّف به أي بالقرآن .
- الفداة** : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والعشي من صلاة العصر إلى غروب الشمس .
- فتطردهم** : أي تبعدهم من مجلسك .
- فتنا** : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير، والشریف بالوضيع .
- من الله عليهم** : أي أعطاهم الفضل فهداهم إلى الإسلام دوننا .
- بالشاكِرِينَ** : المستوجِبِينَ لفضل الله ومنته بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع العادلين برهم الأصنام المنكرين للنبوة المحمدية فأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم : ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي خزائن الأرزاق ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب ، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ما أنا إلا عبد رسول أتبع ما يوحى إلي ربي فأقول وأعمل بموجب وحيه إلي . ثم قال له اسألهم قائلاً ﴿هل

(١) هذا رد على المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالى رسوله أن يرد عليهم بأنه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتى يعطيهم ما يطلبون ويقترحون ، ولا هو يعلم الغيب حتى يخبرهم بموعد العذاب الذي ينتظرهم ، ولا هو ملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ، وإنما هو بشر يوحى إليه الخبر من ربه فيخبر به ويعمل به ليس غير .

(٢) هذا غير ناف لاجتهاد الرسول ﷺ وكثيرا ما يجتهد وقد يقيس على المنصوص عنه ، ولكنه لا يقر على غير الحق وما يرضي الرب عز وجل .

يستوي الأعمى والبصير؟ ﴿ والجواب لا ، فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر ، والمهدي والضال ﴾ أفلا تتفكرون؟ أي مالكم لا تفكرون فتهتدوا للحق وتعرفوا سبيل النجاة . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٠) أما الآية الثانية (٥١) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن ينذر بالقرآن المؤمنين العاصين فقال ﴿ وأنذر به ﴾ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴿ يوم القيامة وهم مذنبون ، وليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ فهولاء ينفعهم إنذارك بالقرآن أما الكفرة المكذبون فهم كالأموات لا يستجيبون وهذا كقوله تعالى من سورة ق ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ فهولاء إن أنذرهم يرجى لهم أن يتقوا معاصي الله ومعاصيك أيها الرسول وهو معنى قوله تعالى : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ . هذا ما تضمنته الآية الثانية (٥١) أما الآية الثالثة (٥٢) وهي قوله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه ﴾ فإن بعض المشركين في مكة اقترحوا على الرسول ﷺ أن يبعد من مجلسه فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب حتى يجلسوا إليه ويسمعوا عنه فهم الرسول ﷺ أن يفعل رجاء هداية أولئك المشركين فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ في صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، يريدون وجه الله ليرضى عنهم ويقربهم ويجعلهم من أهل ولايته وكرامته ، ومبالغة في الزجر عن هذا المهم قال تعالى : ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء ﴾ أي ما أنت بمسؤول عن خطاياهم إن كانت لهم خطايا ، ولا هم بمسؤولين عنك فلم تطردهم إذا؟ ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ أي فلا تفعل ، ولم يفعل ﷺ وصبر عليهم وحبس نفسه معهم وفي الآية الأخيرة (٥٣) يقول تعالى : ﴿ وكذلك فتننا بعضهم ببعض ﴾^(١)

(١) في هذا الخطاب الاستفهامي إيماء إلى المفارقة التامة الحاصلة من المؤمنين والكافرين ، وأن الكافرين عمي والمؤمنين بصراء ، والمؤمنون مهتدون ، والكافرون ضالون ، فما لهم لا يتفكرون لعلهم يخرجون من ظلمة كفرهم .

(٢) وأنذر به أي : بالقرآن وقيل يوم القيامة ، وكونه القرآن أولى وأصح لقوله تعالى : ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ .

(٣) في الآية دليل على إبطال شفاعة الأصنام لعابديها ، والأولياء للمشركين ممن يذبحون لهم وينذرون كما فيها إبطال لزعم أهل الكتاب القائلين نحن أبناء الله وأحبائه فسوف يشفع لنا الأب ، إذ شرط صحة الشفاعة يوم القيامة أن يأذن الله لمن يشفع وأن يرضى بنجاة المشفوع له .

(٤) روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ . . . الآية .

(٥) في الآية دليل على عدم جواز تعظيم الرجل لجاهه وثوبه وعدم احتقار الرجل لخموله وراثته ثوبه .

(٦) الفتنة : الاختبار أي : عاملناهم معاملة المختبر لهم فأغنينا بعضا وأفقرنا بعضا واللام في قوله تعالى : ﴿ ليقولوا ﴾ هي لام العاقبة أي : ليقول أغنياء وأشرف المشركين مشيرين إلى فقراء المؤمنين : هؤلاء من الله عليهم بأن وفقهم لإصابة الحق دوننا ، ونحن الرؤساء وهم العبيد .

أي هكذا ابتلينا بعضهم ببعض هذا غني وذاك فقير، وهذا ضيع وذاك شريف، وهذا قوي وذاك ضعيف ليؤول الأمر ويقول الأغنياء الشرفاء للفقراء الضعفاء من المؤمنين استخفافاً بهم واحتقاراً لهم: أهؤلاء الذين من الله عليهم بيننا بالهداية والرشد قال تعالى: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾. بلى فالشاكرون هم المستحقون لأنعام الله بكل خير وأما الكافرون فلا يعطون ولا يزدون لكفرهم النعم، وعدم شكرهم لها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير بشرية الرسول ﷺ.
- ٢- تقرير مبدأ أن الرسول لا يعلم الغيب، وأنه لا يتصرف في شيء من الكون.
- ٣- نفي مساواة المؤمن والكافر إذ المؤمن مبصر والكافر أعمى.
- ٤- استحباب مجالسة أهل الفاقة وأهل التقوى والايهان.
- ٥- بيان الحكمة في وجود أغنياء وفقراء وأشرف ووضعاء، وأقوياء وضعفاء وهي الاختبار.
- ٦- الشاكرون مستوجبون لزيادة النعم، والكافرون مستوجبون لنقصانها وذهابها.

وَإِذَا

جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ

(١) قرىء ﴿فأنه غفور﴾ بالفتح أنه وقرىء بكسرهما على الاستثناف، أما على الفتح ففي توجيهه رايان، الأول أن يكون في موضع رفع على الابتداء كأنه قال: فله أنه غفور رحيم أي: فله غفران الله، والثاني: أن يضمرب مبتدأ تكون أن وما عملت فيه خبره، تقديره فأمره غفران الله له، وهذا الأخير أولى من الأول.

أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
 قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا
 تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ
 الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَّوْ أَن عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ لَفُضِّىَ
 الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

سلام عليكم : دعاء بالسلامة من كل مكروه ، وهي تحية المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة في الجنة .

كتب ربكم على نفسه الرحمة : أي أوجب الرحمة على نفسه فلذا لا يعذب إلا بعد الإنذار ، ويقبل توبة من تاب .

سوءاً : أي ذنباً أساء به إلى نفسه .

بجهالة : الجهالة أنواع منها : عدم تقدير عاقبة الذنب ، ونسيان عظمة الرب .

تستبين : تتضح وتظهر .

نهيت : أي نهاني ربي أي زجرني عن عبادة أصنامكم .

تدعون : تعبدون .

بينة : الحجة الواضحة العقلية الموجبة للحكم بالفعل أو الترك .

إن الحكم : أي ما الحكم إلا الله .

يقص الحق : أي يخبر بالحق .

خير الفاصلين : الفصل في الشيء : القضاء والحكم فيه ، والفاصل في القضية :

الحاكم فيها ومنها .

معنى الآيات :

يرشد الله تبارك وتعالى رسوله إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه ، بعد أن نهاه عن الطريقة

التي هم بها وهي طرد المؤمنين من مجلسه ليجلس الكافرون رجاء هدايتهم فقال تعالى :

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ أي يصدقون بنبوتك وكتابك وما جئت به من الدين الحق فهولاء رحب بهم وقل سلام عليكم ومهما كانت ذنوبهم التي ارتكبوها، وأخبرهم أن ربهم تعالى قد كتب^(١) على نفسه الرحمة فلا يخافون ذنوبهم بعد توبتهم وإنابتهم إلى ربهم بالإيمان به وتوطين النفس على طاعته، ﴿أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي أطلع عن الذنب نادماً مستغفراً، وأصلح نفسه بالصالحات فإن ربه غفور رحيم فيغفر له ويرحمه. هكذا يستقبل كل عبد جاء مؤمناً مستفتياً يسأل عن طريق النجاة يستقبل بالبشر والطلاقة والتحية والسلام لا بالعنف والتقريع والتوبيخ. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٤) أما الآية الثانية (٥٥) فإنه تعالى بعد أن نهى رسوله عن الاستجابة لاقتراح المشركين المتكبرين، وعن طرد المؤمنين وعن حكمته في وجود أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء في الناس وعن الطريقة المثلى في استقبال التائبين المستفتين بعد هذا كله قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات مستقبلاً لبيان الهداية الإلهية ليهتدي من أراد الله له الهداية وقد طلبها ورغب فيها، ولتستبين وتتضح سبيل المجرمين، فلا تُتبع وَيَهْتَى عن اتباعها، لأنها طريق الهلاك والدمار. هذا ما أفادته الآية الثانية أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة في هذا السياق فهي تحمل الهداية الإلهية للرسول ﷺ في طريق دعوته إلى ربه فكل آية من تلك الآيات مفتحة بكلمة (قل) أي قل أيها الرسول لأولئك المشركين الذين يدعونك إلى موافقتهم على شركهم وعبادة غيري معهم ﴿أَنِّي نَهَيْتُ﴾ أي نهاني ربي أن أعبد ما تدعون من الأصنام والأوثان، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله تعالى الموروثة لكم عن آبائكم الضلال مثلكم إني إن فعلت أكون قد

(١) روي عن الفضل بن عباس قوله: جاء قوم من المسلمين إلى النبي ﷺ فقالوا إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فأعرض عنهم فنزلت الآية، وروي عن أنس بن مالك مثله.

(٢) أي: سلمكم الله في دينكم وأنفسكم، كان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام».

(٣) كتب: بمعنى أوجب ذلك على نفسه بفضلته ورحمته، وكتبه في اللوح المحفوظ فالكتابة على بابها إذاً.

(٤) ﴿سُوءاً﴾ أي خطيئة من غير إرادة تحدي شرع الله وانتهاك حرمانه وإنما ضعف منه وعدم قدرة على التغلب على طبعه وشهوته وميل هواه.

(٥) قرئ: ﴿ليستين﴾ بالياء والتاء فقراءة التاء يكون الخطاب فيها لرسول الله ﷺ أي: ولتستبين يارسولنا سبيل المجرمين، وخطاب النبي ﷺ خطاب لأمنه، وإذا بان سبيل المجرمين فقد بان سبيل المؤمنين وقراءة الياء ليستين سبيل المجرمين، فسبيل مرفوع على الفاعلية.

(٦) أطلق لفظ الدعاء وأريد به العبادة، لأن الدعاء هو العبادة ومخها أيضاً لما في الدعاء من مظاهر العبودية لله تعالى ومظاهر أسمائه وصفاته عز وجل.

ضَلَلْتُ^(١) إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ إِلَى سَبِيلِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَقُلْ : ﴿ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أَيُّ عَلَى عِلْمٍ يَقِينٍ مِنْ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَوُجُوبِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ وَوُجُوبِ الدَّعْوَةِ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَذِبْتُمْ أَنْتُمْ بِهَذَا كُلِّهِ وَالْعَذَابُ إِذَا أَنْذَرْتَكُمْ بِهِ ، وَأَنَا مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي حُلٌّ بِكُمْ وَانْتَهَى أَمْرُكُمْ ، وَلَكِنْ الْحُكْمُ لِلَّهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ وَقَدْ قَصَّ عَلَيْكُمْ أَخْبَارَ السَّابِقِينَ الْمُطَالِبِينَ^(٢) رُسُلَهُمْ بِالْعَذَابِ وَرَأَيْتُمْ كَيْفَ حُلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ ، ﴿ وَاللَّهُ يَقْصُ^(٣) الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّهُ نَعَمُ الْحُكْمُ وَالْعَدْلُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . وَقُلْ لَهُمْ يَا رُسُلَنَا ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿ لَقَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بِتَدْمِيرِ الظَّالِمِ مِنَّا ، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ، وَلَا يَهْلِكُ غَيْرُهُمْ لِأَنَّهُمُ الْمُسْتَوْجِبُونَ لِلْعَذَابِ بِظُلْمِهِمْ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الرفق والتلطّف بالمستفتين وعدم الشدّة والغلظة عليهم .
- ٢- اتباع أهواء أهل الأهواء والباطل يضل ويهلك .
- ٣- على المسلم الداعي إلى ربه أن يكون على علم كاف بالله تعالى وبتوحيده ووعدته ووعيدة وأحكام شرعه .
- ٤- وجوب الصبر والتحمل مما يلقيه الداعي من أهل الزيغ والضلال من الاقتراحات الفاسدة .

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٥)

(١) قرئ ﴿ ضَلَلْتُ ﴾ بفتح اللام وكسرهما ، وهما لغتان ، فضِلْتُ : بكسر اللام لغة تميم ، والفتح لغة الحجاز ، وهي أفصح .
(٢) إذ أكثر أمم الرسل قالوا لرسولهم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قالتها عاد لنبيها هود وقالها قوم نوح لنوح عليه السلام .
(٣) أي : يقص القصص الحق ، قال القرطبي بهذا استدلال من منع المجاز في القرآن ، وقرئ نقض بالضاد من القضاء ويدل عليه قوله بعد : ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ الفصل : القضاء والحكم .

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

مفاتيح الغيب	: المفاتيح : جمع مفتاح بفتح الميم أي المخزن.
البر والبحر	: البر ضد البحر، وهو اليابس من الأرض، والبحر ما يغمره الماء منها.
ورقة	: واحدة الورق والورق للشجر كالسعف للنخل.
حبة	: واحدة الحب من ذرة أو بر أو شعير أو غيرها.
ولا رطب	: الرطب ضد اليابس من كل شيء.
في كتاب مبين	: أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.
يتوفاكم بالليل	: أي ينيمكم باستتار الأرواح وحجبها عن الحياة كالموت.
جرحتم	: أي كسبتم بجوارحكم من خير وشر.
ثم يبعثكم فيه ليقضى	
أجل مسمى	: أي يوقظكم لتواصلوا العمل إلى نهاية الأجل المسمى لكم.
حفظه	: الكرام الكاتبين.
رسلنا	: ملك الموت وأعوانه.

(١) المفتاح والجمع مفاتيح، والمفتاح : عبارة عن كل ما يحل مغلقاً محسوساً كالقفل للباب، أو معقولا كالنظر. وفي الحديث : «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر».

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في نهاية الآية السابقة أنه أعلم بالظالمين المستحقين للعقوبة أخبر عز وجل أن الأمر كما قال ودليل ذلك أنه عالم الغيب والشهادة، إذ ﴿عنده مفاتيح الغيب﴾^(١) أي خزائن الغيب وهو الغيب الذي استأثر بعلمه فلا يعلمه سواه ويعلم ما في البر والبحر وهذا من عالم الشهادة، إضافة إلى ذلك أن كل شيء كان أو يكون من أحداث العالم قد حواه كتاب له اسمه اللوح المحفوظ، وهو ما دل عليه قوله: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب﴾^(٢) ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿وما كتبه قبل وجوده فقد علمه إذا فهو عالم الغيب والشهادة أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علماً، فكيف إذا لا يعبد ولا يرغب فيه ولا يرهب منه وأين هو في كماله وجلاله من أولئك الأموات من أصنام وأوثان.؟؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٩) وأما الآية الثانية (٦٠) فقد قررت ما دلت عليه الآية قبلها من قدرة الله وعلمه وحكمته فقال تعالى مخبراً عن نفسه ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ حال نومكم إذ روح النائم تقبض ما دام نائماً ثم ترسل إليه عند إرادة الله بعثه من نومه أي يقظته، وقوله ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي في النهار المقابل لليل، وعلة هذا أن يقضى ويتم الأجل الذي حدده تعالى للإنسان يعيشه وهو مدة عمره طالت أو قصرت، وهو معنى قوله ﴿ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى﴾ وقوله تعالى ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ لاحالة ذلك بعد نهاية الأجل، ﴿ثم ينبئكم﴾ بعلمه ﴿بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ويجازيكم بذلك وهو خير الفاصلين. وفي الآية الثالثة يخبر تعالى عن نفسه أيضاً تقريراً لعظيم سلطانه الموجب له بالعبادة والرغبة والرهبة إذ قال مخبراً عن نفسه ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، ذو القهر التام

(١) روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» ولذا قال ﷺ: «من أتى عرفاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» والعرف الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، والمهنة: العرافة، وصاحبها عراف. وفي مسلم عن عائشة أنها قالت سألت رسول الله أناس عن الكهانة فقال: «ليست بشيء». فقالوا يا رسول الله أنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة الحق يخطفها الجن فيقرأها في أذن وليه قرّ الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

(٣) يطلق لفظ الرطب على الماء وما ينبت والحى، ولسان المؤمن، واليابس على ضد ذلك كالياس والتراب وما لا ينبت، ولسان الكافر لأنه لا يذكر الله تعالى.

(٤) التوفي: استيفاء الشيء، وتوفي الميت: استوفى عدد أيام عمره، والنائم كأنه استوفى حركاته في اليقظة، والوفاة: الموت، واستوفى دينه: أخذه كاملاً.

والسلطان الكامل على الخلق أجمعين ﴿وِيرْسِلْ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿حَفْظَةً﴾^(١) بالليل والنهار يكتبون أعمالكم وتحفظ لكم لتجزوا بها ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ لانقضاء أجله ﴿توفته رسلنا﴾ ملك الموت وأعوانه، ﴿وهم لا يفرطون﴾ أي لا يضيعون ولا يقصرون وأخيراً يقول تعالى مخبراً بالأمر العظيم إنه الوقوف بين يدي الرب تعالى المولى الحق الذي يجب أن يعبد دون سواه، وقد كفره أكثر الناس وعصوه، وفسقوا عن أمره وتركوا طاعته وأدهى من ذلك عبدوا غيره من مخلوقاته فكيف يكون حسابهم والحكم عليهم؟ والله يقول: ﴿ثُمَّ رَدَوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٢).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله تعالى .
- ٢- استئثار الله تعالى بعلم الغيب .
- ٣- كتاب المقادير حوى كل شيء حتى سقوط الورقة من الشجرة وعلم الله بذلك .
- ٤- صحة إطلاق الوفاة على النوم ، وبهذا فسر قوله تعالى لعيسى إني متوفيك .
- ٥- تقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء .

قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ

ظُلُمَتِ الْبُحُورُ وَالْبَحْرُ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ

(١) الحفظة : جمع حافظ كالكتابة جمع كاتب، والمراد هنا : الملائكة الكرام الكاتبون وهم أربعة : ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وخامس لا يفارق أبداً .

(٢) ﴿أسرع الحاسبين﴾ أي : لا يحتاج إلى فكرة وروية ولا عقد يد .

بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكِيفَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ
نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ينجيكم	: يخلصكم مما تحافون .
تضرعاً وخفية	: التضرع : الدعاء بتذلل وخفية بدون جهر بالدعاء .
من هذه	: أي الهلكة .
من الشاكرين	: المعترفين بفضلك الحامدين لك على فعلك .
كرب	: الكرب : الشدة الموجبة للحزن وألم الجسم والنفس .
تشركون	: أي به تعالى بدعائهم أصنامهم وتقرهم إليها بالذبايح .
من فوقكم	: كالصواعق ونحوها .
من تحت أرجلكم	: كالزلازل والخسف ونحوهما .
أو يلبسكم شيعاً	: أي يخلط عليكم أمركم فتختلفون شيعاً وأحزاباً .
ويذيق بعضكم بأس بعض	: أي يقتل بعضكم بعضاً فتذيق كل طائفة الأخرى ألم الحرب .
يفقهون	: معاني ما نقول لهم .
وكذب به قومك	: أي قريش .
الوكيل	: من يوكل إليه الشيء أو الأمر يدبره .
لكل نبأ مستقر	: المستقر : موضع الاستقرار والنبأ : الخبر العظيم .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين العادلين برهم فيقول الله تعالى لرسوله قل لهم : ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ (١) إذا ضل أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل ، أو

(١) ظلمات البر والبحر : كناية عن شدائدهما ، يقال : يوم مظلم أي : شديد ، وتقول العرب : يوم ذو كواكب وأشد سيبويه .
بني أسد هل تعلمون بلادنا إذا كان يوم ذو كواكب أشنعاً
وجمع الظلمات لتعددتها إذ هي ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم .

ركب البحر فغشيته ظلمة السحاب والليل والبحر واضطربت نفسه من الخوف يدعو من؟ إنه يدعو الله وحده لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو يدعو ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلاً وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الهلكة التي حاقت بنا لنكونن من الشاكرين لك . ثم إذا نجاكم استجابة لدعائكم وأمتن المخاوف عدتم فجأة الى الشرك به بدعاء غيره . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٣) ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ ، وفي الآية الثانية (٦٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم جواباً لقوله من ينجيكم: ﴿الله ينجيكم منها﴾^(١) أي من تلك الحالة التي اضطربت لها نفوسكم وخشيتن فيها الهلاك وينجيكم أيضاً من كل كرب^(٢)، ثم مع هذا يا للعجب أنتم تشركون به تعالى أصنامكم . قل لهم يا رسولنا أن الله الذي ينجيكم من كل كرب هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من السماء فوقكم^(٣)، أو من الأرض تحتكم، أو يخلط عليكم أمركم فتتنازعوا فتختلفوا فتصبحوا شيعاً وطوائف وفرقاً متعادية يقتل بعضكم بعضاً، فيذيق بعضكم بأس بعض، ثم قال الله تعالى لرسوله انظر يا رسولنا كيف نفصل الآيات بتنويع الكلام وتوضيح معانيه رجاء أن يفقهوا معنى ما نقول لهم فيهدوا إلى الحق فيؤمنوا بالله وحده ويؤمنوا بلفائده وبرسوله وما جاء به فيكملوا ويسعدوا وفي الآية (٦٥) يخبر تعالى بواقع القوم: أنهم كذبوا بهذا القرآن وما أخبرهم به من الوعيد الشديد وهو الحق الذي ليس بباطل ولا يأتيه الباطل، ويأمر رسوله أن يقول لهم بعد تكذيبهم له ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأخاف من تبعة عدم إيمانكم وتوحيدكم ﴿ولكل نبأ مستقر﴾^(٤) وقد أنبأتكم بالعذاب على تكذيبكم وشرككم ﴿وسوف تعلمون﴾ ذلك يوم يحل بكم وقد استقر نبأه يوم بدر والحمد لله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- لا برهان أعظم على بطلان الشرك من أن المشركين يخلصون الدعاء لله تعالى في الشدة .

- (١) قرئ: ﴿ينجيكم﴾ بالتشديد، و﴿ينجيكم﴾ بالتخفيف، والمعنى واحد والفعل: يقال نجّاه من كذا وأنجاه من كذا .
 (٢) الكرب: الغم يأخذ النفس ويقال فيه: رجل مكروب، والكربة مأخوذة منه .
 (٣) هذه الجملة تحمل لهم التقرير والتوبيخ أي: ومع هذا الإنجاء الذي يحصل لكم من ربكم إذا أنتم مشركون باللوحاة والدناءة، ولأفهم مشركون من قبل .
 (٤) من فوقكم كالحجارة، والظوفان والصواعق ومن تحتكم كالخسف والرجفة .
 (٥) ﴿لكل نبأ﴾ أي: خبر مستقر أي وقت يقع فيه مضمونه فلا يتقدم ولا يتأخر .

- ٢- لا منجى من الشدائد ولا منقذ من الكروب إلا الله سبحانه وتعالى .
 ٣- التحذير من الاختلاف المفضي إلى الانقسام والتكتل .
 ٤- ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ . أجرى مجرى المثل ، وكذا ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
 ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
 الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾
 وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
 ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا
 دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًَا وَغَرَّتَّهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ ۖ
 أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَدُلًّا لَا يُوَظَّحَقَ مِنْهَا أُولَئِكَ
 الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
 أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- يخوضون في آياتنا : يتكلمون في القرآن طعناً فيه ونقداً له ولما جاء فيه .
 فأعرض عنهم : قم محتجاً على صنيعهم الباطل ، غير ملتفت إليهم .
 بعد الذكرى : أي بعد التذكر .

(١) يحسن ذكر شاهد عظيم على معنى هذه الآية : ﴿ويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ روى مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله زوى لي الأرض (أي جمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكهم بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال لي يا محمد : إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً .

ولكن ذكرى : أي موعظة لهم .
 وذو الدين : أي اترك الكافرين .
 لعباً وهواً : كونه لعباً لأنه لا يجنون منه فائدة قط ، وكونه هواً لأنهم يتلهون به
 وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم .
 أن تبسل نفس : أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم .
 كل عدل : العدل هنا : الفداء .
 أبسلو : حبسوا في جهنم بما كسبوا من الشرك والمعاصي .
 من حميم : الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق .
 وعذاب أليم : أي شديد الألم والإيجاع وهو عذاب النار .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع أولئك العادلين المكذبين فيقول الله تعالى لرسوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ يستهزئون بالآيات القرآنية ويسخرون مما دلت عليه من التوحيد والعذاب للكافرين ﴿ فَأعرض عنهم ﴾ أي فصد عنهم وانصرف ﴿ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ وإن أنساك الشيطان نهينا هذا فجلست ثم ذكرت فقم ولا تقعد مع القوم الظالمين ، وقوله تعالى : ﴿ وما على الَّذِينَ يَتَقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي وليس على المؤمنين المتقين أنت وأصحابك يا رسولنا من تبعة ولا مسئولية ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكرى لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله تعالى . وهذا كان بمكة قبل قوة الإسلام ، ونزل بالمدينة النبي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله ومن جلس معهم يكون مثلهم وهو أمر عظيم قال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية .

(١) الخطاب للرسول ﷺ وأصحابه وأئمة داخلته معه في هذا فمضى حصل لمؤمن أو مؤمنة مثل هذا تعين عليه أن يقوم احتجاجاً وعدم رضاء ، وفي الآية دليل على أن مجالسة أهل الكيثر لا تجوز لاسيما في حال تلبسهم بالكبيرة ، وهذه أقوال السلف في هذه المسألة قال ابن خويزمنداد : من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمناً كان أو كافراً قال القرطبي : منع أصحابنا الدخول على أرض العدو ودخول كتائبهم ومجالسة الكفار وأهل البدع والألأ تعتقد مودتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم . قال الفضيل بن عياض من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه .

أما الثالثة (٧٠) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن يترك الذين اتخذوا دينهم الحق الذي جاءهم به رسول الحق لعباً ولهواً يلعبون به أو يسخرون منه ويستهنئون به وغرثهم الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿وذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لعباً ولهواً وغرثهم الحياة الدنيا﴾ اتركهم فلا يهكم أمرهم وفي هذا تهديد لهم على ما هم عليه من الكفر والسخرية والاستهزاء، وقد أخبر تعالى في سورة الحجر أنه كفاه أمرهم إذ قال ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، وقوله تعالى ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس﴾ أي كي لا تبسل ﴿بما كسبت﴾ أي كي لا تسلم نفس للعذاب بما كسبت من الشرك والمعاصي، ﴿ليس لها﴾ يوم تسلم للعذاب ﴿من دون الله ولي﴾ يتولى خلاصها، ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها فينجيها من عذاب النار ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ أي وإن تقدم ما أمكنها حتى ولو كان ملء الأرض ذهباً فداء لها لما نفعها ذلك ولما نجت من النار، ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين أبلسوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم﴾ أبلسوا: أسلموا وأخذوا إلى جهنم بما كسبوا من الذنوب والآثام لهم في جهنم شراب من ماء حميم حار وعذاب موجع أليم. وذلك بسبب كفرهم بالله وآياته ورسوله. حيث نتج عن ذلك خبث أرواحهم فما أصبح يلائم وصفهم إلا عذاب النار قال تعالى من هذه السورة سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الجلوس في مجالس يسخر فيها من الإسلام وشرائعه وأحكامه وأهله.
- ٢- وجوب القيام احتجاجاً من أي مجلس يعصى فيه الله ورسوله.
- ٣- مشروعية الإعراض في حال الضعف عن المستهزئين بالإسلام الذين غرثهم الحياة الدنيا من أهل القوة والسلطان وحسب المؤمن أن يعرض عنهم فلا يفرح بهم ولا يضحك لهم.

(١) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهواً ولعباً، والظاهر أنه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالى إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهواً ولعباً يسخرون ويستهنئون به.

(٢) قال القرطبي تبسل أي ترتحن وتسلم للهلكة عن مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والإسبال تسليم المرء للهلاك. قال الشاعر:

وابسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق

ومعنى بعوناه جنيناه. والشاهد في قوله وإسالي بني حيث أسلم بنيه للهلاك.

(٣) العدل الفداء أو الفدية.

٤- وجوب التذكير بالقرآن وخاصة المؤمنين الذين يرجى توبتهم .

٥- من مات على كفره لم ينج من النار إذ لا يجد فداء ولا شفيعاً يخلصه من النار بحال .

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ

يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اثْنًا قُلْ إِنِّي هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ

وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ

فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

أدعوا

: أي نعبد .

ملا ينفعنا ولا يضرنا

: أي ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضررنا لو أراد ذلك لنا .

ونرد على أعقابنا

: أي نرجع كفاراً بعد أن كنا مؤمنين .

استهوته الشياطين

: أي أضلته في الأرض فهوى فيها تائه حيران لا يدري أين

يذهب .

واتقوه

: أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته .

ويوم يقول كن فيكون

: أي في يوم القيامة .

الصور

: بوق كالقرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام .

الحكيم

: في أفعاله الخبير بأحوال عباده .

معنى الآيات :

يدل السياق على أن عرضاً من المشركين كان لبعض المؤمنين لأن يعبدوا معهم أللهتهم فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم عرضهم الرخيص منكرًا عليهم ذلك أشد الإنكار ﴿قل أندعوا من دون الله﴾ ، الاستفهام للإنكار، ﴿ما لا ينفعنا﴾ إن عبدناه، ﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا عبادته وبذلك نصبح وقد رددنا على أعقابنا من التوحيد إلى الشرك بعد إذ هدانا الله إلى الإيمان به ومعرفته ومعرفة دينه ، فيكون حالنا كحال من أضلته الشياطين في الصحراء فتاه فيها فلا يدرى أين يذهب ولا أين يجيء ، ﴿وله أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنًا﴾ وهو لا يقدر على إجابتهم ولا الاتيان إليهم لشدة ما فعل استهواء الشياطين في عقله . ثم أمره أن يقول أيضاً قل إن الهدى الحق الذي لا ضلال ولا خسران فيه هدى الله الذي هدانا إليه ألا إنه الإسلام ، وقد أمرنا ربنا أن نسلم له قلوبنا ووجوهنا لأنه رب العالمين فأسلمنا ، كما أمرنا أن نقيم الصلاة فأقمناها وأن نتقيه فاتقيناها وأعلمنا أنا سنحشر إليه يوم القيامة فصدقناه في ذلك ثم هدانا فلن نرجع بعد إلى الضلالة . هذا ما تضمنته الآيات الأولى والثانية أما الثالثة (٧٣) فقد تضمنت تمجيد الرب بذكر مظاهر قدرته وعلمه وعدله فقال تعالى : ﴿وهو﴾ أي الله رب العالمين الذي أمرنا أن نسلم له فأسلمنا ﴿الذى خلق السموات والأرض بالحق﴾ فلم يخلقهما عبثاً وباطلاً بل خلقهما ليذكر فيهما ويشكر، ويوم يقول لما أراد إيجاده أو إعدامه أو تبديله كن فهو يكون كما أراد في قوله الحق دائماً ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾^(١) نفخة الفناء فلا يبقى شيء إلا هو الواحد القهار فيقول جل ذكره ﴿لن الملك اليوم﴾ فلا

(١) أي نرجع من الهدى إلى الضلال . والأعقاب جمع عقب وهي مؤنثة فتصغر على عقبه . ويقال رجع على عقبه إذا أدبر وأصابه من العاقبة والعقبى من ذلك عقب الرجل ومنه العقوبة لأنها تالية للترتيب وتكون نسبية .

(٢) استهوتهم بمعنى استغوتهم وبنت له هواء ودعته إليه فهو إذا من هوى يهوى من هوى النفس وليس هو يهوى إلى الشيء إذا أسرع إليه والحيوان هو الذي لا يهتدي لجهله .

(٣) الآية وأمرنا لنسلم ومعناها أمرنا بأن نسلم نقول العرب أمرتك لتذهب وبأن تذهب بمعنى واحد واللامات أربع : لام الجر ، لام الابتداء ، لام التوكيد ، ولام الأمر .

(٤) قال القرطبي : ومعنى ﴿بالحق﴾ أي بكلمة الحق يعني قوله ﴿كن﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنى بحكمة أي لم يخلقها لهواً أو لعباً هذا أوضح وأهم كما هو في التفسير .

(٥) من أخطاء الناس قول من قال الصور جمع صورة ومعناه ينفخ في الصور فتمت الحياة وهذا يتنافى مع الأحاديث الصحاح ومع سياق الآية . إذ قال ثم نفخ فيه أخرى أي مرة أخرى ولم يقل فيها أي في الصور فأين معنى الصورة هنا؟

(٦) الصور القرن والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء والنفخة التالية لها نفخة البعث وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء .

يحييه أحد فيجيب نفسه بنفسه قائلا: ﴿الله الواحد القهار﴾ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم ما غاب في خزائن الغيب عن كل أحد، ويعلم الشهادة والحضور لا يخفي عليه أحد وهو الحكيم في تصرفاته وسائر أفعاله وتدبيره لمخلوقاته الخبير ببواطن الأمور وظواهرها لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء بهذا كان المعبود الحق الذي لا يجوز أن يعبد سواه بأي عبادة من العبادات التي شرعها الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح الردة وسوء عاقبتها .
- ٢- حرمة إجابة أهل الباطل لما يدعون إليه من الباطل .
- ٣- لا هدى إلا هدى الله تعالى أي لا دين إلا الإسلام .
- ٤- وجوب الإسلام لله تعالى وإقامة الصلاة واتباع الله تعالى بفعل المأمور وترك المنهي .
- ٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَى أَنَّهُ اتَّخَذَ أَصْنَامًا ۖ يَا أَبَتِ ۖ إِنَّكَ وَأَنْتَ وَمَنْ عِندَكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ﴾ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكُبَاتِ ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَيْنَ يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقِيمُ رَبِّي مَا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

- إبراهيم : هو إبراهيم خليل الرحمن بن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام .
 أصناماً : جمع صنم تمثال من حجر .
 آلهة : جمع إله بمعنى المعبود .
 في ضلال : عدول عن طريق الحق .
 ملكوت : مُلك .
 جن عليه الليل : أظلم .
 فلما أفل : أي غاب .
 بازغاً : طالعاً والبزوغ الطلوع .
 الضالين : العادلين عن طريق الحق إلى طريق الباطل .
 وجهت وجهي : أقبلت بقلبي على ربي وأعرضت عما سواه .
 خنيفاً : مائلاً عن الضلال إلى الهدى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان الهدى للعادلين برهم أصناماً يعبدونها لعلهم يهتدون فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(١)، أي واذكر لهم قول إبراهيم لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلهَةً﴾^(٢) أي أتجعل تماثيل من حجارة آلهة . أرباباً تعبدوها أنت وقومك ﴿إِنِّي أَرَاكَ﴾^(٣) يَأْبَتُ ﴿وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤) عن طريق الحق الذي ينجو ويفلح سالكم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٤) أما الآية الثانية (٧٥) فإن الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥)

(١) قيل لأزر اسم آخر هو تارح فيكون كيعقوب له اسم يعقوب وإسرائيل أما من قال آزر عمه فخلط وخبط حملهم عليه عدم اطلاقهم أن يكون والد رسول في النار وهو غاية الجهل بأسرار الشرع وحكمه وآزر بالرفع على تقدير النداء أي يا آزر .

(٢) الاستفهام للانكار وأصناماً مفعول أول وآلهة مفعول ثان لأن اتخذ تنصب مفعولين كعلم .

(٣) كان قوم إبراهيم صابئين يعبدون الكواكب ويصورون لها أصناماً وهي ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم وكانوا يعبدونها توسلاً وتقرباً بها إلى الله تعالى ولذا فهم مشركون وليسوا ملاحدة .

(٤) نوري هو بمعنى أرينا الماضي .

(١) ملكوت السموات ﴿ والأرض أي كما أريناه الحق في بطلان عبادة أبيه للأصنام نريه أيضاً مظاهر قدرتنا وعلمنا وحكمنا الموجبة لألوهيتنا في ملك السموات والأرض، ليكون بذلك من جملة الموقنين، واليقين من أعلى مراتب الإيمان. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وفي الثالثة (٧٦) فصل الله تعالى ما أجمله في قوله ﴿ نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾.. فقال تعالى ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ أي أظلم ﴿ رأى كوكباً ﴾ قد يكون الزهرة ﴿ قال هذا ربي فلما أفل ﴾ أي غاب الكوكب ﴿ قال لا أحب الآفلين ﴾، ﴿ فلما رأى القمر بازغاً ﴾ أي طالعاً ﴿ قال هذا ربي، فلما أفل ﴾ أي غاب ﴿ قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾، في معرفة ربهم الحق. ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ أي طالعة ﴿ قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ يعني من الكوكب والقمر ﴿ فلما أفلت ﴾ أي غابت بدخول الليل ﴿ قال يا قوم إني برىء مما تشركون ﴾. هكذا واجه إبراهيم قومه عبدة الكواكب التي تمثلها أصنام منحوتة واجههم بالحقيقة التي أراد أن يصل إليها معهم وهي إبطال عبادة غير الله تعالى فقال ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ﴾ لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم لا بأمر ربكم، وأعلن براءته في وضوح وصراحة: فقال: ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ (٧٧).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إنكار الشرك على أهله، وعدم إقارهم ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء.
- ٢- فضل الله تعالى وتفضله على من يشاء بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها.

(١) الملكوت الملك زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة في الصفة، ومثله الرغبوت والرهبوت والجبروت من الرغبة والرهبة والجبر قيل كشف له تعالى عن السموات والأرض حتى رأى العرش وأسفل الأرضين.

(٢) قوله هذا ربي في المواضع كلها في السياق ليس هو على ظاهره أبداً. بل هو تدرج بهم إلى الوصول إلى الحقيقة وهو إنه لا إله إلا الله فقوله: هذا ربي أي على قولكم أو زعمكم وهو كقوله تعالى أين شركائي كما زعمتم أو على قولكم وإلا فالله تعالى يعلم أنه لا شريك له أبداً أو هو على حذف حرف الاستفهام أي أهوري؟ نحو أفإن مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون؟

(٣) بزغ القمر إذا بدأ في الطلوع وأصل البرغ الشق فالقمر يشق الظلام بنوره ومن بزغ البيطار الدابة إذا أسال دمها. ومنه البراغ وهو ما يسيل من القم.

(٤) هذا ربي أي هذا الطالع ربي وإلا فالشمس مؤنثة وقد قال فيها بازغة.

(٥) أفل يأفل أفولاً إذا غاب.

(٦) في أنا ثلاث لغات أن وأنه، وأنا وهي متعينة في الوقف (أنا).

- ٣- مطلب اليقين وأنه من أشرف المطالب وأعزها، ويتم بالتفكر والنظر في الآيات .
- ٤- الاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم وهو الله عز وجل .
- ٥- سنة التدرج في التربية والتعليم .
- ٦- وجوب البراءة من الشرك وأهله .

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ

أَتُحْجَّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

حاجه قومه : جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي .

أتعاججونني في الله : اتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه ، فكيف أتركه وأنا منه على بينة .

سلطاناً : حجة وبرهاناً .

: خلاف الخوف .

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك .

معنى الآيات :

لما أقام إبراهيم الدليل على بطلان عبادة غير الله تعالى وتبرأ من الشرك والمشركين حاجه قومه في ذلك فقال منكراً عليهم ذلك : ﴿أتَحَاجُونِي^(٢) فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ أي كيف يصح منكم جدال لي في توحيد الله وعبادته ، وترك عبادة ما سواه من الآلهة المدعاة وهي لم تخلق شيئاً ولم تنفع ولم تضر ، ومع هذا فقد هداني إلى معرفته وتوحيده وأصبحت على بينة منه سبحانه وتعالى ، هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ . ولا شك أنهم لما تبرأ من آلهتهم خوفوه بها وذكروا له أنها قد تصيبه بمكره^(٣) فرد ذلك عليهم قائلاً : ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرَكُونَ بِهِ﴾ من آلهة أن تصيبني بأذى ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾ فإنه يكون قطعاً فقد ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ ، ثم وبخهم قائلاً ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتذكروا ما أنتم عليه هو الباطل ، وأن ما أدعوكم إليه هو الحق ، ثم رد القول عليهم قائلاً ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ وهي أصنام جامدة لا تنفع ولا تضر لعجزها وحقارتها وضعفها ، ولا تخافون أنتم الرب الحق الله الذي لا إله إلا هو المحيي المميت الفعال لما يريد ، وقد أشركتم به أصناماً ما أنزل عليكم في عبادتها حجة ولا برهاناً تحتجون به على عبادتها معه سبحانه وتعالى . ثم قال لهم استخلاصاً للحجة وانتزاعاً لها منهم فأَي الفريقين أحق بالأمّن من الخوف : أنا الموحد للرب ، أم أنتم المشركون به ؟ والجواب معروف وهو من يعبد رباً واحداً أحق بالأمّن ممن يعبد آلهة شتى جمادات لا تسمع ولا تبصر . وحكم الله تعالى بينهم وفصل فقال : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ، ﴿أُولَئِكَ لَهُم

(١) روي انهم قالوا له أما تخاف أن تخيلك آلهتنا لسبك إياها ؟

(٢) قرأ نافع بتخفيف نون اتحاجوني وثقلها غيره وتخفيفها مبني على حذف النون الثانية تخفيفاً ومن ثقلها فقد ادغمها في نون الرفع .

(٣) أخرج ابن كثير عن ابن مردويه أن رسول الله ﷺ قال : من أعطي فشكر ومنع فصبى . وأذنب فاستغفر وظلم فغفر وسكت فقلنا يارسول الله ماله ؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

(٤) قال هذا احتياطاً منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا .

(٥) روي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينما لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

الأمّن ﴿أي في الدنيا والآخرة﴾ وهم مهتدون ﴿في حياتهم إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهو الإسلام الصحيح﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ إشارة إلى ما سبق من محاجة إبراهيم قومه ودحض باطلهم وإقامة الحجة عليهم. وقوله ﴿نَرَفَعُ الدَّرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾ تقرير لما فضّل به إبراهيم على غيره من الإيثار واليقين والعلم المبين. ثم علل تعالى لذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. حكيم في تدبيره عليم بخلقه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية جدال المبطلين والمشرّكين لإقامة الحجة عليهم علمهم يهتدون.
- ٢- بيان ضلال عقول أهل الشرك في كل زمان ومكان.
- ٣- التعجب من حال مذهب لا يخاف عاقبة ذنوبه.
- ٤- أحق العباد بالأمن من الخوف من آمن بالله ولم يشرك به شيئاً.
- ٥- تقرير معنى ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
 هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
 وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
 وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
 وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

(١) ما هي تلك الحجة؟ هل هي جميع احتياجاته التي حاجهم بها فغلبهم وهذا هو الظاهر، وقيل هي قوله لهم: أما تخاف أن تخلّك آلهتنا لسبك إياها: قال لهم أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة والتعظيم فيغضب الكبير فيخيلكم.

شرح الكلمات :

- وهبنا له : أعطيناه تكرماً منا وإفضالاً .
- اسحق ويعقوب : اسحاق بن إبراهيم الخليل ويعقوب ولد إسحاق ويلقب بإسرائيل .
- كلاً هدينا : أي كل واحد منها هداه إلى صراطه المستقيم .
- ومن ذريته : أي ذرية إبراهيم .
- داود وسليمان : داود الوالد وسليمان الولد وكل منهما ملك ورسول .
- وزكريا ويحيى : زكريا الوالد ويحيى الولد وكل منهما كان نبياً رسولاً .
- على العالمين : أي عالمي زمانهم لا على الإطلاق ، لأن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء .
- ومن ذرياتهم : أي من بعض الآباء والذرية والإخوة لا الجميع .
- اجتبييناهم : اخترناهم للنبوة والرسالة وهديناهم إلى الإسلام .
- معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى ما أتى إبراهيم خليله من قوة الحجّة والغلبة على أعدائه ذكر منة أخرى منّها عليه وهي أنه وهبه اسحق ويعقوب بعد كبر سنه ، اسحق الولد ويعقوب الحفيد وأنه تعالى هدى كلّاً منهم الوالد والولد والحفيد ، كما أخبر تعالى أنه هدى من قبلهم نوحاً ، وهدى من ذريته أي إبراهيم ، وإن كان الكل من ذرية نوح ، أي هدى من ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وأشار تعالى إلى أنهم كانوا محسنين ، فجزاهم جزاء المحسنين والإحسان هو الإخلاص في العمل وأداؤه على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى مع الإحسان العام لسائر المخلوقات بما يخالف الإساءة إليهم في القول والعمل . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٤) وأما الآية الثانية (٨٥) فقد ذكر تعالى أنه هدى كذلك إلى حل رسالته والدعوة إليه والقيام بواجباته وتكاليف شرعه كلّاً من زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، وأخبر أن كل واحد منهم كان من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق

(١) أي جزاء صبره وحججه وبذله نفسه في سبيل نصرته دين ربه كافاه الله عز وجل بأن وهبه من الذرية الصالحة .
 (٢) يصح عود الضمير على نوح كما يصح عوده على إبراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير لأن ذكرها قد مرّ معاً .
 (٣) قال ابن عباس : هؤلاء الأنبياء جميعاً مضافون إلى ذرية إبراهيم وإن كان منهم من لم تلحقه ولادة من جهته لا من جهة الأب ولا الأم لأن لوطاً ابن أخ إبراهيم وعُذّ عيسى من ذريته وهو ابن البنت من هنا ذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن من وقف وقفاً على ولده وولد ولده دخل فيه ولد بناته لأن لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى كما يشمل عيسى عليه السلام وهو ولد البنت لا غير .

عباده كذلك كاملة غير ناقصة وكانت المجموعة الأولى داود وسليمان ومن ذكر بعدهما الصفة الغالبة عليهم الإحسان لأنه كان فيهم ملك وسلطان ودولة، والمجموعة الثانية وهي زكريا ويحيى وعيسى وإلياس الصفة الغالبة عليهم الصلاح لأنهم كانوا أهل زهد في الدنيا وأعراضها، والمجموعة الثالثة والأخيرة في الآية الثالثة (٨٦) وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط لم يغلب عليهم وصف مما وصف به المجموعتان الأولى والثانية، لأنهم وسط بين المجموعتين، فذكر تعالى أن كل واحد منهم فضله على عالمي زمانه، وكفى بذلك شرفاً وكرماً وخيراً. وأما الآية الأخيرة (٨٧) فإن الله تعالى يقول فيها، ومن آباء المذكورين من الأنبياء ومن ذرياتهم^(١) وإخوانهم هديناهم أيضاً وإن لم نذكر اسماءهم فهم كثير هديناهم إلى ما هدينا إليه آباءهم^(٢) للحق والدين الخالص الذي لا شائبة شرك فيه، واجتبتنا الجميع اخترناهم للنبوّة والرسالة^(٣) وهديناهم إلى صراط مستقيم وهو الدين الإسلامي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- سعة فضل الله .
- ٢- خير ما يعطى المرء في هذه الحياة الهداية إلى صراط مستقيم .
- ٣- فضيلة كل من الإحسان والصلاح .
- ٤- لا منافاة بين الملك والنبوّة أو الإمارة والصلاح .
- ٥- فضيلة الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة .

ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي

بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

(١) من للتبعية أي هدى بعض أبنائهم وبعض ذرياتهم ولم يهد كل أب وكل ولد .
 (٢) الاجتناب مشتق من جبيت الماء في الحوض جمعته فالاجتناب اختيار الشخص وضمه إلى خاصتك من الناس، والجبا مقصور مصدر جبيت الماء والجابية الحوض .
 (٣) ذكر تعالى في هذه الآيات ثمانية عشر رسلاً وبقي سبعة ذكروا في سورة أخرى وهم ادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل وأدم عليهم السلام وقد نظمهم البعض في ثلاثة أبيات من الشعر هي :
 حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد عرفوا
 في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر وبقي سبعة وهم
 ادريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

هدى الله : الهدى ضد الضلال، وهدى الله ما يهدي إليه من أحب
من عباده وهو الإيثار والاستقامة.
حبط عنهم ما كانوا يعملون : أي بطلت أعمالهم فلم يثابروا عليها بقليل ولا كثير.
الحكم : الفهم للكتاب مع الاصابة في الأمور والسداد فيها.
يكفر بها هؤلاء : يجحد بها أي بدعوتك الإسلامية هؤلاء : أي أهل مكة.
قوما ليسوا بها بكافرين : هم المهاجرون والأنصار بالمدينة النبوية.
اقتده : أي اتبع وزيدت الهاء للسكت.
عليه أجراً : أي على إبلاغ دعوة الإسلام ثمناً مقابل الإبلاغ.
ذكرى : الذكرى : ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر ما وهب الله تعالى لمن شاء من عباده من هدايات وكمالات لا يقدر
على عطائها إلا هو فقال ذلك في الآية الأولى (٨٨) ذلك المشار إليه ما وهبه أولئك الرسل
الثمانية عشر رسولاً وهداهم إليه من النبوة والدين الحق هو هدى الله يهدي به من يشاء من
عباده. وقوله تعالى : ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾^(١) يقرر به حقيقة علمية، وهي
أن الشرك محبط للعمل فإن أولئك الرسل على كما لهم وعلو درجاتهم لو أشركوا ببرهم سواء
فعبدوا معه غيره لبطل كل عمل عملوه، وهذا من باب الافتراض، وإلا فالرسل معصومون

(١) حبط العمل بطلانه وقد عصم الله تعالى أنبياءه من الشرك فلذا لم تحبط ولم تبطل أعمالهم.

ولكن ليكون هذا عظة وعبرة للناس . هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٨٩) فقد أشاد الله تعالى بأولئك الرسل السابقي الذكر نخباً أنهم هم الذين آتاهم الكتاب وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داوود وإنجيل عيسى والحكم^(١) وهو الفهم والإصابة والسداد في الأمور كلها . ثم قال تعالى فإن يكفر بهذه الآيات القرآنية وما تحمله من شرائع وأحكام وهداية الإسلام ﴿إن يكفر بها هؤلاء﴾ من أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ من قبل وهم الرسل المذكورون في هذا السياق وقوماً هم موجودون وهم المهاجرون والأنصار من أهل المدينة، ومن يأتي بعد من سائر البلاد والأقطار وقوله تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾، يأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين في كماالاتهم كلها حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق . وكذلك كان ، وقوله تعالى في ختام الآية الكريمة : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ يأمره تعالى أن يقول لأولئك العادلين برهم الأصنام والأوثان المكذبين بنبوتهم وكتابه : ما أسألكم على القرآن الذي أمرت أن أقرأه عليكم لهدايتكم أجراً أي مآلاً مقابل تبليغه إياكم ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للعالمين يتعظون بها إن هم القوا أسماهم وتجدوا من أهوائهم وأرادوا الهداية ورجبوا فيها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الشرك محبط للعمل كالردة والعياذ بالله تعالى .
- ٢- فضل الكتاب الكريم والسنة النبوية .
- ٣- وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ وأهل العلم والصلاح من هذه الأمة .
- ٤- حرمة أخذ الأجرة على تبليغ الدعوة الإسلامية .

(١) قال القرطبي : والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولى بالاعتماد عليه .

(٢) قال القرطبي : الاقتداء طلب موافقة الغير في فعله . وقال : قد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب إتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص واستدلوا بحديث مسلم في حادثة الربيع إذ أمر الرسول بكسر سننها محتجاً بآية ﴿والسن بالسن﴾ وهو من أحكام بني إسرائيل ولم يوجد في القرآن غيره .

(٣) روى البخاري عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ﴿ص﴾ فقال سألت ابن عباس عن سجدة ﴿ص﴾ فقال أو تقرأ ﴿ومن ذريته داوود وسليمان﴾ إلى قوله ﴿أولئك هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وكان داوود عليه السلام ممن أمر نبيكم عليه السلام بالاعتداء بهم .

(٤) أي جعلاً على القرآن .

٥- القرآن الكريم ذكرى لكل من يقرأه أو يستمع إليه وهو شهيد حاضر القلب.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا
أَن تُمُودَ لَا آبَاءَ لَكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

وما قدروا الله حق قدره : ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته .

على بشر : أي إنسان من بني آدم .

الكتاب الذي جاء به موسى : التوراة .

قراطيس : جمع قرطاس : وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره .

تبدونها : تظهرونها .

قل الله : هذا جواب : من أنزل الكتاب ؟

ذرهم : اتركهم .

في خوضهم : أي ما يخوضون فيه من الباطل .

مبارك : أي مبارك فيه فخبره لا ينقطع ، وبركته لا تزول .

أم القرى : مكة المكرمة .

يحافظون : يؤدونها بطهارة في أوقاتها المحددة لها في جماعة المؤمنين .

معنى الآيتين

ما زال السياق مع العادلين برهم أصنامهم وأوثانهم فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحي

(١) فست الآية على قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما على قراءة تجعلون بالفاء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء .

الإلهي وتكذيبهم بالقرآن الكريم إذ قالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾، ومن هنا قال تعالى ﴿وما قدرُوا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه كما ينبغي تعظيمه لما قالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾، ولقن رسوله الحجة فقال له قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا﴾ يستضاء به في معرفة الطريق إلى الله تعالى وهدى يهتدى به إلى ذلك وهو التوراة جعلها اليهود قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، وقوله: ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ أي وعلمكم الله بهذا القرآن من الحقائق العلمية كتوحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، والدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم، ثم أمر الرسول أن يجيب عن السؤال الذي وجهه إليهم تبكيتاً: ﴿قل الله﴾ أي الذي أنزل التوراة على موسى هو الله. ﴿ثم ذرهم﴾ أي اتركهم ﴿في خوضهم﴾ أي في الباطل ﴿يلعبون﴾^(١) حيث لا يحصلون من ذلك الخوض في الباطل على أي فائدة تعود عليهم فهم كلللاعبيين من الأطفال. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٩١) أما الآية الثانية (٩٢) فقد تضمنت أولاً الرد على قول من قال: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ أي كيف يقال ما أنزل الله على بشر من شيء وهذا القرآن بين أيديهم يتلى عليهم أنزله الله مباركاً لا ينتهي خيره ولا يقل نفعه، مصداقاً لما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به، ﴿ولتتذر أم القرى﴾ أي أهلها ﴿ومن حولها﴾ من المدن والقرى القريبة والبعيدة لينذرهم عاقبة الكفر والضلال فإنها الخسران التام والهلاك الكامل، وثانياً الإخبار بأن الذين يؤمنون بالآخرة أي بالحياة في الدار الآخرة يؤمنون بهذا القرآن، وهم على صلاتهم يحافظون وذلك مصداق إيمانهم وثمرته التي يجنيها المؤمنون الصادقون.

(١) بيان ذلك أنهم لما قالوا ما أنزل الله من شيء كانوا قد نسبوا إلى الله تعالى أنه لا يقيم الحجة على عباده ولا يأمرهم بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم عما فيه خسرانهم وبهذا ما قدرُوا الله حق قدره وما آمنوا أنه على كل شيء قدير.

(٢) أي لاعبين لأنها حال من قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون إذ لو لم يكن حالاً لجزم في وجوب الطلب الذي هو ذرهم.

(٣) أم القرى مكة المكرمة.

(٤) يريد اتباع محمد ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كل من كذب الله تعالى أو أشرك به أو وصفه بوصف لا يليق بجلاله فإنه لم يقدر الله حق قدره^(١).
- ٢- بيان تلاعب اليهود بكتاب الله في إبداء بعض أخباره وأحكامه وإخفاء بعض آخر وهو تصرف ناتج من الهوى واتباع الشهوات وإيثار الدنيا على الآخرة.
- ٣- بيان فضل الله على العرب بإنزال هذا الكتاب العظيم عليهم بلغتهم لهدايتهم.
- ٤- تعليم الرسول ﷺ كيفية الحجاج والرد على المجادلين والكاذبين.
- ٥- بيان علة ونزول الكتاب وهي الايمان به وإنذار المكذبين والمشركين.
- ٦- الإيثار بالآخرة سبب لكل خير، والكفر به سبب لكل باطل وشر.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

افتري على الله كذباً : اختلق على الله كذباً قال عليه ما لم يقل ، أو نسب له ما هو منه

(١) أي لم يعرفه حق معرفته ولم يعرف جلاله وعظمته ولا رحمته وحكمته فلماذا قال ما قال من الباطل وهو نفيه إنزال الوحي الإلهي على رسوله محمد ﷺ.

براء .

أوحى إلي	: الوحي : الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره .
غمرات الموت	: شدائده عند نزع الروح .
باسطوا أيديهم	: للضرب وإخراج الروح .
عذاب الهون	: أي عذاب الذل والمهانة .
فرادى	: واحداً واحداً ليس مع أحدكم مال ولا رجال .
ما خولناكم	: ما أعطيناكم من مال ومتاع .
وراء ظهوركم	: أي في دار الدنيا .
وضل عنكم	: أي غاب .
تزعّمون	: تدعون كاذبين .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين والمفترين الكاذبين على الله تعالى يتأخذ الأنداد والشركاء فقال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن ادّعى^(١) أن الله نبأه وأنه نبيه ورسوله كما ادّعى^(٢) سعد بن أبي سرح بمكة ومسيلمة^(٣) في بني حنيفة بنجد والعنسي باليمن : اللهم لا أحد هو أظلم منه ، ومن قال أوحى إلى شيء من عند الله ، ولم يوح إليه شيء ومن قال : ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ من الوحي والقرآن ، ثم قال تعالى لرسوله : ﴿ولو ترى﴾ يا رسولنا ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي في شدائد سكرات الموت ، ﴿والملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿باسطوا أيديهم﴾ بالضرب وإخراج الروح ، وهم يقولون لأولئك المحتضرين تعجيزاً

(١) قال القرطبي : ومن هذا النمط أي المدعي للوحي ولم يوح إليه من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول وقع في خاطري كذا أو أخبرني قلبي بكذا أو أخبرني قلبي عن ربي فيحكمون بما وقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم ويزعمون أن ذلك لصفاتها من الأكدار وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيستغنون بذلك عن أحكام الشرع ويقولون هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة وهي زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب .

(٢) ادّعى عبد الله بن سعد الوحي لما كتب لرسول الله ﷺ قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر فاعجبه تفصيل خلق الله تعالى للإنسان قال قتبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت فشك عبد الله بن سعد حينئذ وارثه ولحق بالمشركين وأسلم عام الفتح وحسن إسلامه بشفاعته عثمان له إذ كان أخا له من الرضاة وهو فاتح أفريقيا ودعا ربه أن يموت وهو يصلي فمات في صلاة الصبح .

(٣) كانوا يسمونه رحمان اليمامة والعنسي هو الأسود العنسي ومنهم سجاح امرأة مسيلمة قال ابن عباس وقادة نزلت هذه الآية في مسيلمة .

وتعذياً لهم : ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ ^(١) اليوم تجزون عذاب الهون ﴿بسبب استكباركم في الأرض﴾ ^(٢) بغير الحق إذ الحامل للعدرة وأصله نطفة قدرة، ونهايته جيفة قدرة، استكباره في الأرض حقا إنه لاستكبار باطل لا يصح من فاعله بحال من الأحوال. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآية الثانية (٩٤) فإن الله تعالى يخبر عن حال المشركين المستكبرين يوم القيامة حيث يقول لهم ﴿لقد جثمتونا فرادى﴾ ^(٣) أي واحد واحداً ﴿كما خلقناكم﴾ ^(٤) حفاة عراة غرلاً ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي ما وهبناكم من مال وولد ﴿وراء ظهوركم﴾ أي في دار الدنيا، ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ وأنتم كاذبون في زعمكم مبطلون في اعتقادكم ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي انحل حبل الولاء بينكم، ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أي ما كنتم تكذبون به في الدنيا .

هداية اليتين

من هداية اليتين :

- ١- قبح الكذب على الله تعالى في أي شكل، وأن صاحبه لا أظلم منه قط .
- ٢- تقرير عذاب القبر، وسكرات الموت وشدها، وفي الحديث : أن للموت سكرات .
- ٣- قبح الاستكبار وعظم جرمه .
- ٤- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا .
- ٥- انعدام الشفعاء يوم القيامة إلا ما قضت السنة الصحيحة من شفاعة النبي ﷺ والعلماء والشهداء بشروط هي : أن يأذن الله للشافع أن يشفع وأن يرضى عن المشفوع له .

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ ^(٥) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

(١) الغمره الشدة وأصلها من غمر الشيء إذا غطاه ومنه غمر الماء .
 (٢) يقال لهم هذا توبيخاً لهم وتقريعاً أي خلصوها من هذا العذاب إن أمكنكم .
 (٣) تستكبرون أي تتعظمون وتأنفون من قول الحق الذي هو توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده المؤمنين .
 (٤) هذا يوم القيامة يوم يحشرون إلى ربهم، وفرادى في موضع نصب على الحال .
 (٥) روي أن عائشة رضي الله عنها قرأت قول الله تعالى ﴿ولقد جثمتونا فرادى﴾ الخ فقالت يا رسول الله واسوأناه الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوء بعض ؟ فقال رسول الله ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض .
 (٦) ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس .

أَلَمِيتٍ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا
بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانُ مُشْتَبِهًا
وغيرُ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

فالق الحب والنوى : شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع ، والنوى واحده نواة

وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة) .

يخرج الحي من الميت : الدجاجة من البيضة .

ومخرج الميت من الحي : البيضة من الدجاجة .

فأنى تؤفكون : كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلى عبادة

الجمادات .

فالق الإصباح : الإصباح : بمعنى الصبح وقلقه : شقه ليتفجر منه النور

والضياء .

سكنا
حساباً

: يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

: أي حساباً بهما تعرف الأوقات الأيام والليالي والشهور والسنون.

تقدير العزيز العليم

: إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال وأفعال عباده.

لتهتدوا بها

: أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة طرقهم في البر والبحر.

من نفس واحدة

: هي آدم أبو البشر عليه السلام.

فمستقر

: أي في الأرحام.

ومستودع

: أي في أصلاب الرجال.

يفقهون

: أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهدتوا لما هو حق وخير.

خضراً

: هو أول ما يخرج من الزرع ويقال له القصيل الأخضر.

متراكبا

: أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

طلع النخل

: زهرها.

قنوان

: واحدة قن وهو العذق وهو العرجون بلغة أهل المغرب.

مشتبهاً وغير متشابه

: في اللون وغير مشتبّه في الطعم.

وينعه

: أي نضجه واستوائه.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان الدليل على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان عبادة غيره فقال تعالى واصفاً نفسه بأفعاله العظيمة الحكيمة التي تثبت ربوبيته وتقرر ألوهيته وتبطل ربوبية وألوهية غيره مما زعم المشركون أنها أرباب لهم وآلهة : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي هو الذي يفلق الحب ويخرج منه الزرع لا غيره وهو الذي يفلق النوى، ويخرج منه الشجر والنخل لا غيره فهو الإله الحق إذاً وما عداه باطل، وقال : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فيخرج الزرع الحي من الحب الميت ^(١) ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيخرج الحب من الزرع الحي، والنخلة والشجرة من النواة الميتة ثم يقول : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أي المستحق للإلهية أي العبادة وحده ﴿فَأَنبِئْ

(١) أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

تؤفكون ﴿١﴾ أي فكيف يا للعجب تصرفون عن عبادته وتأليهه إلى تأليهه وعبادة غيره . ويقول : ﴿فالق الإصباح﴾ ^(١) أي هو الله الذي يفلق ظلام الليل فيخرج منه ضياء النهار ﴿وجعل الليل سكناً﴾ : أي ظرف سكن وسكون وراحة تسكن فيه الأحياء من تعب النهار والعمل فيه ليستريحوا ، وقوله : ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ ^(٢) أي وجعل الشمس والقمر يدوران في فلكيهما بحساب تقدير لا يقدر عليه إلا هو ، وبذلك يعرف الناس الأوقات وما يتوقف عليها من عبادات وأعمال وآجال وحقوق ثم يشير إلى فعله ذلك فيقول : ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿العليم﴾ بسائر خلقه وأحوالهم وحاجاتهم وقد فعل ذلك لأجلهم فكيف إذا لا يستحق عبادتهم وتأليههم ؟ عجباً لحال بني آدم ما أضلهم ؟!

ويقول تعالى في الآية الثالثة (٩٧) ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ هذه منة أخرى من منته على الناس ومظهراً آخر من مظاهر قدرته حيث جعل لنا النجوم ليهتدي به مسافرونا في البر والبحر حتى لا يضلوا طريقهم فيهلكوا فهي نعمة لا يقدر على الإنعام بها إلا الله ، فلم إذا يكفر به ويعبد سواه ؟ وقوله : ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يخبر به تعالى على نعمة أخرى وهي تفصيله تعالى للآيات وإظهارها لينتفع بها العلماء الذين يميزون بنور العلم بين الحق والباطل والضار والنافع ويقول في الآية الرابعة (٩٨) ﴿وهو الذي أنشأكم﴾ ^(٣) أي خلقكم - من نفس واحدة ﴿هي آدم عليه السلام ، فبعضكم مستقر في الأرحام وبعضنا مستودع في الأصلاب وهو مظهر من مظاهر إنعامه وقدرته ولطفه وإحسانه ، ويختم الآية بقوله ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ لتقوم لهم الحجة على ألوهيته تعالى دون ألوهية ما عداه من سائر المخلوقات لفهمهم أسرار الكلام وعلل الحديث ومغزاه .

ويقول في الآية (٩٩) ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ وهو ماء المطر ويقول ﴿فأخرجنا

(١) الإصباح مصدر أصبح يصبح إصباحاً أي يخرج النور من الظلام إذ نور الفجر يشق ظلمة الليل ويخرج عنها الصبح والإصباح أول النهار ويجمع الإصباح على أصباح يفتح الهمة وقرئ به .

(٢) حسباناً أي بحساب يتعلق به مصالح العباد ، والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان أي جعل الله سير الشمس والقمر بحساب ولا يزيد ولا ينقص ويطلق الحسبان على النار كما في قوله تعالى ويرسل عليها حسباناً من السماء أي ناراً .

(٣) قال عبد الله بن مسعود لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا على قراءة مستقر بفتح القاف بمعنى لها مستقر وأكثر المفسرين على ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبيرة قال لى ابن عباس هل تزوجت فقلت لا . قال فإن الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه . أما قوله تعالى ﴿ولكم في الأرض مستقر ومستودع إلي حين﴾ فالمستقر هو القبر مودع . فيه الإنسان إلى يوم القيامة .

به نبات كل شيء ﴿أي ينبت أي قابل للإنبات من سائر للزروع والنباتات ويقول فأخرجنا من ذلك النبات خضراً وهو القصيل للقمح والشعير، ومن الخضر^(١) يخرج حَباً متراكباً في سنبله، ويقول عز وجل: ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ أي ويخرج بإذن الله تعالى من طلع النخل قنوان جمع قنو العذق دانية متدلية وقرية لا يتكلف مشقة كبيرة من أراد جنيها والحصول عليها، وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾ يقول وأخرجنا به بساتين من نخيل وأعناب، وأخرجنا به كذلك الزيتون والرمان حال كونه مشتبهاً في اللون وغير متشابه في الطعم، كلوا من ثمره إذا أثمر وينعه ينبت لديكم ذلك التشابه وعدمه، وختم الآية بقوله: إن في ذلكم المذکور كله ﴿آيات﴾ علامات ظاهرات تدل على وجوب ألوهية الله تعالى وبطلان ألوهية غيره ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم أحياء يفعلون ويفكرون ويفهمون أما غيرهم من أهل الكفر فهم أموات القلوب لما ران عليها من أضرار الشرك والمعاصي فهم لا يعقلون ولا يفقهون فأنى لهم أن يجدوا في تلك الآيات ما يدلهم على توحيد الله عز وجل؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الله خالق كل شيء فهو رب كل شيء ولذا وجب أن يؤله وحده دون ما سواه.
- ٢- تقرير قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء وحكمته في كل شيء.
- ٣- فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر.
- ٤- يتم إدراك ظواهر الأمور وبواطنها بالعقل.
- ٥- يتم إدراك أسرار الأشياء بالفقه.
- ٦- الإيمان بمثابة الحياة، والكفر بمثابة الموت في إدراك الأمور.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ

وَحَرَّفُوا الْبَيْنَ وَبَنَتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

(١) خضر بمعنى أخضر كمطرة بمعنى ماطرة ومنه قولهم : أرنها نمرة أركها مطرة أي أرني سحابة كأنها نمرة في شكلها أركها ماطرة يتصب منها الماء الغزير.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد القمح والشعير والسلت والذرة والأرز وسائر الحبوب.

(٣) هذا قصار النخل إذ يجنى ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع وتطول فيرقى إليها.

يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

- شركاء : جمع شريك في عبادته تعالى .
- الجن : عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترى لنا إلا إذا تشكلت بها يرى .
- وخرقوا : اختلقوا وافتاتوا .
- يصفون : من صفات العجز بنسبة الولد والشريك إليه .
- بديع السموات والأرض : مبدع خلقهما حيث أوجدهما على غير مثال سابق .
- أنى يكون له ولد : أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون .
- ولم تكن له صاحبة : أي زوجة .
- لا تدركه الأبصار : لا تراه في الدنيا، ولا تحيط به في الآخرة .
- وهو يدرك الأبصار : أي محيط علمه بها .
- وهو اللطيف : الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء .

معنى الآيات :

لقد جاء في الآيات السابقة من الأدلة والبراهين العقلية ما يبيهر العقول ويذللها لقبول التوحيد، وأنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه، ولكن مع هذا فقد جعل الجاهلون لله من

الجن شركاء فأتاعوهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام والأوثان، وهذا ما أخبر به تعالى في هذه الآية الكريمة (١٠٠) إذ قال ﴿وجعلوا لله شركاء الجن^(١) وخلقهم^(٢) وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ ومعنى الآية وجعل العادلون برهم الأصنام والجن شركاء لله في عبادته، وذلك بطاعتهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام، والحال أنه قد خلقهم فالكل مخلوق له العابد والمعبود من الجن والأصنام، وزادوا في ضلالهم شوطاً آخر حيث اختلقوا له البنين والبنات وهذا كله من تزوين الشياطين لهم وإلا فأي معنى في أن يكون الخالق العالم كله بما فيه الإنس والجن والملائكة أبناء وبنات. هذا ما عناه تعالى بقوله: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ فنزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما وصفوه به كذباً بحتاً وتخرصاً كاملاً من أن له بنين وبنات وليس لهم على ذلك أي دليل علمي لا عقلي ولا نقلي، وقد شارك في هذا الباطل العرب المشركون حيث قالوا للملائكة بنات الله، واليهود حيث قالوا عزير ابن الله، والنصارى إذ قالوا المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول المبطلون. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٠١) فقد تضمنت إقامة الدليل الذي لا يرد على بطلان هذه الفرية المنكرة فرية نسبة الولد لله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي خالقهما على غير مثال سابق ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أي يا للعجب كيف يكون لله ولد ولم تكن له زوجة إذ التوالد يكون بين ذكر وأنثى لحاجة إليه لحفظ النوع وكثرة النسل لعمارة الأرض بل ولعبادة الرب تعالى بذكره وشكره، أما الرب تعالى فهو خالق كل شيء ورب كل شيء فأي معنى لاتخاذ ولد له، لولا تزوين الشياطين للباطل حتى يقبله أولياؤهم من الإنس، وقوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ دليل آخر على بطلان ما خرق أولئك الحمقى لله من ولد، إذ لو كان لله ولد لعلمه وكيف لا، وهو بكل شيء عليم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٠٢)

(١) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث الأولى: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله إذ المطاع الحق هو الله تعالى:

والثانية: قولهم الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنى جعلوا لله شركاء الجن لأن الملائكة لا يرون كالجنان قال تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ فسمى الملائكة جنّاً لاجتنابهم واستتارهم عن عيون الناس والثالثة: أن الزنادقة قالوا الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

(٢) قوله تعالى وخلقهم يصح عود الضمير فيه على العادلين كما في التفسير ويصح عوده على الجن الذين اتخوذهم شركاء لله يعبدونهم معه.

(٣) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من صاحبة أي زوجة.

وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(١) أي ذلكم الله الذي هو بديع السموات والأرض والخالق لكل شيء والعليم بكل شيء هو ربكم الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ولا تشركوا به سواه. وإنه لكفيل برزقكم وحفظكم ومجازاتكم على أعمالكم وهو على كل شيء قدير. والآية الأخيرة في السياق الكريم (١٠٣) يقرر تعالى حقيقة كبرى وهي أن الله تعالى مبين لخلقه في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء فكيف يشرك به وكيف يكون له ولد، وهو لا تدركه الأبصار ^(٢) وهو يدركها وهو اللطيف ^(٣) الذي ينفذ علمه وقدرته في كل ذرات الكون علويّه وسفليّه الخبير بكل خلقه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.
- ٢- تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد.
- ٣- مباينة الرب تبارك وتعالى لخلقه.
- ٤- استحالة رؤية الرب في الدنيا، وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته.

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا أَدْرَسَتْ وَلِنُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) هذا أكبر برهان على بطلان نسبة الولد له تعالى إذ كل شيء خلقه فهل من خلق شيئاً يقال لمن خلقه ولده؟ لو صح هذا لقالوا لكل من صنع شيئاً هو أبوه والمصنوع ولده ولا قائل بهذا البتة.

(٢) لا تدركه الأبصار بمعنى لا تحيط به ولذا يراه أوليائه في الجنة رؤية بصرية فينظرون إلى وجهه الكريم وأما رؤيته تعالى فمتعذرة في الحياة الدنيا إذ طلبها موسى ولم ينلها العجز الإنسان عن رؤية الله تعالى بهذه الأبصار المحدودة القدرة والطاقة.

(٣) روي في الصحيحين ما يفيد تعذر رؤية الله في الدنيا لضعف الإنسان فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع الله عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٤) وفسر اللطيف بالرفيق بعباده واللطيف من أسماء الله تعالى. ولذا هو يلطف بعباده. كما هو للطفه لا يدرك بالكيفية، واللطيف في الأجسام الذي يدخل في كل شيء.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

بصائر من ربكم : البصائر جمع بصيرة : والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة

له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها .

حفيظ : وكيل مسئول .

نصرف الآيات : نجرها في مجاري مختلفة تبياناً للحق وتوضيحاً للهدى

المطلوب .

وليقولوا درست : أي تعلمت وقرأت لا وحياً أوحى إليك .

وأعرض عن المشركين : أي لا تلتفت إليهم وامض في طريق دعوتك .

ولو شاء الله ما أشركوا : أي لو شاء أن يحول بينهم وبين الشرك حتى لا يشركوا لَفَعَلَ

وما أشركوا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية المشركين وبيان الطريق لهم ففي هذه الآية يقول ﴿قد

جاءكم﴾ أي أيها الناس ﴿بصائر من ربكم﴾ وهي آيات القرآن الموضحة لطريق النجاة

﴿فمن أبصر﴾ بها وهي كالعين المبصرة ﴿فلنفسه﴾ إبعثه إذ هو الذي ينجو ويسعد ﴿ومن

عمي﴾ فلم يبصر فعلى نفسه عماه إذ هي التي تهلك وتشقى وقل لهم يا رسولنا ﴿ما أنا عليكم

بحفيظ﴾ أي بوكيل مسئول عن هدايتكم ، وفي الآية الثانية (١٠٥) يقول تعالى : ﴿وكذلك

نصرف الآيات﴾ أي بنحو ما صرفناها من قبل في هذا القرآن نصرفها كذلك لهداية مريدي

الهداية والراغبين فيها أما غيرهم فسيقولون درست وتعلمت من غيرك حتى يحرموا الإيمان

(١) قد جاءكم بصائر أي حجج وبيانات ووصفها بالمجيء لتضخيم شأنها وإكباره .

(٢) كذلك الكاف في محل نصب أي مثل أي نصرف الآيات : مثل ذلك التصريف .

(٣) وهم المذكورون في الآية ولتبينته لقوم يعلمون .

(٤) قرئ دارست أي ذاكرت أهل الكتاب وتعلمت عنهم ولم يوح إليك شيء واللام في قوله وليقولوا درست هي لام العاقبة كما

يقال كتب فلان هذا الكتاب لحنفته ، وفي القرآن ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً﴾ .

بك وبرسالتك والعياذ بالله تعالى، وفي الآية الثالثة (١٠٦) يأمر الله تعالى رسوله باتباع ما يوحى إليه من الحق والهدى، والإعراض عن المشركين المعاندين الذين يقولون درست حتى لا يأخذوا بما أتيتهم به ودعوتهم إليه من آيات القرآن الكريم إذ قال تعالى له: ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾ وفي الآية الرابعة (١٠٧) يسلي الرب تعالى رسوله ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ومحاربته فيها فيقول له: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أي لو يشاء الله عدم إشراكهم لما قدروا على أن يشركوا إذاً فلا تحزن عليهم، هذا أولاً، وثانياً ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ تراقبهم وتحصي عليهم أعمالهم وتجازيهم بها، وما أرسلناك عليهم وكيلًا تتولى هدايتهم بما فوق طاقتك ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وقد بلغت إذاً فلا أسى ولا أسف!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- آيات القرآن بصائر من يأخذ بها يبصر طريق الرشاد وينجو ويسعد.
- ٢- ينتفع بتصريف الآيات وما تحمله من هدايات العالمون لا الجاهلون وذلك لقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٥) ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾.
- ٣- بيان الحكمة في تصريف الآيات وهي هداية من شاء الله هدايته.
- ٤- وجوب اتباع الوحي المتمثل في الكتاب والسنة النبوية.
- ٥- بيان بطلان مذهب القدرية «نفاة القدر».

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.
(٢) في الآية دليل على إبطال مذهب القدرية وهم نفاة القدر والزاعمون أن أفعال العباد لم تقدر عليهم وإنما هم الخالقون لها بدون إذن الله وإرادته.

لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلٌّ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ولا تسبوا : ولا تشتموا آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله تعالى .

عدواً : ظلماً .

زينا لكل أمة عملهم : حسناهم خيراً كان أو شراً حتى فعلوه .

جهد أيانهم : أي غاية اجتهداهم في حلفهم بالله .

آية : معجزة لإحياء الموتى ونحوها .

وما يشعركم : وما يدريكم

ونذرهم : نتركهم .

يعمّهون : حيارى يترددون .

معنى الآيات :

عندما ظهر رسول الله ﷺ وأصبح يصدع بالدعوة جهراً بعدما كانت سراً أخذ بعض أصحابه يسبون أوثان المشركين، فغضب لذلك المشركون وأخذوا يسبون الله تعالى إله المؤمنين وربهم فنهاهم تعالى عن ذلك أي عن سب آلهة المشركين بقوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ أي لا تسبوا آلهتهم ^(١) فیسبوا الله ^(٢) عدواً أي ظلماً واعتداءً بغير علم، إذ لو علموا جلال الله وكماله لما سبوه، وقوله تعالى: ﴿وكذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ بيان منه تعالى لسنته في خلقه وهي أن المرء إذا أحب شيئاً ورغب فيه وواصل ذلك الحب وتلك الرغبة يصبح زيناً له ولو كان في الواقع شيئاً. ويراها حسناً وإن كان في حقيقة الأمر

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغضب منها وإما أن نسب إلهه ونهجه. فنزلت الآية وهذا الحكم باق إلى نهاية الحياة فإن كان سب المؤمن الكافر يؤدي إلى سب الله تعالى أو رسوله فلا يحل للمؤمن أن يسب الكافر أو دينه .

(٢) وقرئء عُدوا بضم العين والذال ومعنى القراءتين واحد وهو الجهل والإعتداء الذي هو الظلم .

قبيحاً، ومن هنا كان دفاع المشركين عن آلهتهم الباطلة من هذا الباب فلذا لم يرضوا أن تسب لهم وهددوا الرسول والمؤمنين بأنهم لو سبوا آلهتهم لسبوا لهم إلههم وهو الله تعالى، وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يخبر تعالى أن مرجع الناس المزين لهم أعمالهم خيرها وشرها ورجوعهم بعد نهاية حياتهم إلى الله ربهم فيخبرهم بأعمالهم ويطلعهم عليها ويجزيهم بها الخير بالخير والشر بالشر. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٨) وأما الآيتان الثانية (١٠٩) والثالثة (١١٠) فقد أخبر تعالى أن المشركين أقسموا بالله ^(١)أبلغ إيمانهم وأقصاها أنهم إذا جاءتهم آية كتحويل جبل الصفا إلى ذهب آمنوا عن آخرهم بنبوة محمد ﷺ ورسالته واتبعوه على دينه الذي جاء به، قال هذا رؤساء المشركين، والله يعلم أنهم إذا جاءتهم الآية لا يؤمنون، فأمر رسوله أن يرد عليهم قائلاً: ﴿إنها الآيات عند الله﴾ هو الذي يأتي بها إن شاء أما أنا فلا أملك ذلك. إلا أن المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ رغبوا في مجيء الآية حتى يؤمن المشركون وينتهي الصراع الدائر بين الفريقين فقال تعالى لهم: ﴿وما يشعركم﴾ أيها المؤمنون ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ أي وما يدريك أن الآية لو جاءت لا يؤمن بها المشركون؟ وبين علة عدم إيمانهم فقال: ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ فلا تعي ولا تفهم ﴿وأبصارهم﴾ فلا ترى ولا تبصر. فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة لما دعوا إلى الإيمان به ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي ونتركهم في شركهم وظلمهم حيارى يترددون لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهداية من الضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة قول أو فعل ما يتسبب عنه سب الله ورسوله.
- ٢- بيان سنة الله في تزيين الأعمال لأصحابها خيراً كانت أو شراً.
- ٣- بيان أن الهداية بيد الله تعالى وأن المعجزات قد لا يؤمن عليها من شاهدها.

(١) في هذا دليل المواجهة والأخذ بمبدأ سد الذرائع.

(٢) كان المشركون يحلفون بآلهتهم، وإذا حلفوا بالله كان ذلك أقصى أيمانهم وأشدّها. وهنا مسألة لو قال المرء الإيمان

تلتزمه ثم حنث فإن عليه إطعام ثلاثين مسكيناً لأن أقل الجمع ثلاثة، وإن لم يكن له مال صام تسعة أيام.

(٣) الإشعار مصدر أشعره إذا أعلمه بأمر من شأنه أن يخفى ويدق.

(٤) قرئت إنها بكسر الهمزة على الاستئناف فيكون الكلام قد انتهى عند قوله وما يشعركم ويكون المعنى وما يدريك أنكم تؤمنون إذا جاءت ثم قال إنها إذا جاءت لا يؤمنون. فذكر علة عدم إيمانهم بقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم.

الجزء الثامن

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكُ كَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢) وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ (١١٣)

شرح الكلمات :

الملائكة :	أجسام نورانية يعمرن السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة .
الموتى :	جمع ميت : من فارقت الحياة أي خرجت منه روحه .
حشرنا :	جمعنا .
قبلا :	معاينة .
يجهلون :	عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته .
شياطين :	جمع شيطان : وهو من خبث وتمرد من الجن والإنس .
يوحي بعضهم :	يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضاً .
زخرف القول :	الكذب المحسن والمزين .
غُرُورًا :	للتغريب بالإنسان .
يفترون :	يكذبون .
ولتصغي إليه :	تميل إليه .
وليقترفوا :	وليرتكبوا الذنوب والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أولئك العادلين برهم المطالبين بالآيات الكونية ليؤمنوا إذا شاهدوها فأخبر تعالى في هذه الآيات أنه لو نزل إليهم الملائكة من السماء، وأحى لهم الموتى فكلموهم وقالوا لهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحشر عليهم كل شيء أمامهم يعاينونه معاينة أو تأتيهم المخلوقات قبلاً بعد قبيل وهم يشاهدونهم ويقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ما كانوا ليؤمنوا بك ويصدقوك ويؤمنوا بما جئت به إلا أن يشاء الله ذلك منهم. ولكن أكثر أولئك العادلين برهم الأصنام والأوثان يجهلون أن الهداية بيد الله تعالى وليست بأيديهم كما يزعمون وأنهم لو رأوا الآيات آمنوا.

هذا ما دلت عليه الآية (١١١) أما الآية الثانية (١١٢) فإن الله تعالى يقول وكما كان لك يارسولنا من هؤلاء العادلين أعداء يجادلونك ويحاربونك جعلنا لكل نبي أرسلناه أعداء يجادلونه ويحاربونه ﴿شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ أي القول المزين بالباطل المحسن بالكذب ﴿غروراً﴾ أي للتغريب والتضليل، ﴿ولو شاء ربك﴾ أيها الرسول عدم فعل ذلك الإيحاء والوسواس ﴿ما فعلوه﴾ إذا ﴿فذرهم﴾ أي اتركهم ﴿وما يفترون﴾ من الكفر والكذب والباطل.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١١٣) وهي قوله تعالى: ﴿ولتصنى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه وليقتروا ما هم مقتربون﴾ هذه الآية بجملها الأربع معطوفة على قوله ﴿زخرف القول غروراً﴾ إذ إيحاء شياطين الجن والإنس كان

(١) فراوهم عياناً.

(٢) أي شيئاً سألوه وطلبوه.

(٣) الاستثناء منفصل فهو بمعنى لكن إن شاء الله إيمانهم آمنوا والآية تحمل التسلية والعزاء له ﷺ.

(٤) شياطين الإنس والجن يدل من قوله عدواً ويصح أن يكون نعتاً أيضاً.

(٥) يوحى بمعنى يلقي إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيفهم عنه إذ الإيحاء الإعلام السريع الخفي وشاهده من السنة قوله ﷺ «ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن، قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم».

(٦) روي عن مالك بن دينار أنه قال: شياطين الإنس أشد من شياطين الجن، وذلك أنني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرتني إلى المعاصي عياناً. ويشهد لهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع امرأة تنشد:

إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكن يشتهي شم الرياحين

فأجابها عمر رضي الله عنه قائلاً:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

للمشركين، ﴿وَلْتَصْغِي إِلَيْهِ﴾ أي تميل ﴿أَفْسَدَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وهم المشركون العادلون برهم ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ ويقتنعوا به لأنه مموه لهم مزين، ونتيجة لذلك التفرير والميل إليه وهو باطل والرضا به والافتناع بفائدته فهم يقتفون من أنواع الكفر وضروب الشرك والمعاصي والإجرام ما يقتفون!.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أبداً، وهذا تقررت ربوبيته وألوهيته للأولين والآخرين.
- ٢ - تسلية الرسول ﷺ وكل داع إلى الله تعالى بإعلامه أنه مامن نبي ولا داع إلا وله أعداء من الجن والإنس يحاربونه حتى ينصره الله عليهم
- ٣ - التحذير من التمويه والتغريب فإن أمضى سلاح للشياطين هو التزيين والتغريب.
- ٤ - القلوب الفارغة من الإيثار بالله ووعده وعيده في الدار الآخرة أكثر القلوب ميلاً إلى الباطل والشر والفساد .

أَفْغَيْرَ اللَّهِ

أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

شرح الكلمات :

أبتغي : أطلب .

حكماً : الحكم الحاكم ومن يتحاكم إليه الناس .

أنزل إليكم الكتاب : أي أنزله لأجلكم لتهتدوا به فتكملوا عليه وتسعدوا .

مفصلاً : مبيناً لا خفاء فيه ولا غموض .

والذين آتيناهم الكتاب : أي علماء اليهود والنصارى .

المترين : الشاكين ، إذ الامتراء الشك .

صدقاً وعدلاً : صدقاً في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق ، وعدلاً في

الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبداً بل كل أحكامه عادلة .

لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان ، ولا بالتقديم والتأخير .

السميع العليم : السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزئهم بذلك .

سبيل الله : الإسلام إذ هو المفضي بالمسلم إلى رضوان الله تعالى والكرامة في جواره .

يخرون : يكذبون الكذب الناتج عن الحزر والتخمين .

من يضل : بمن يضل .

بالمهتدين : في سيرهم إلى رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع العادلين برهم الأصنام والأوثان لقد كان المراد في طلبهم الآية الحكم بها على صحة دعوة النبي ﷺ أنه نبي الله وأن القرآن كلام الله وأنه لا إله إلا الله ، ولم يكن هذا منهم إلا من قبيل ماتوسوس به الشياطين لهم وتزيينه لهم تغريراً بهم وليواصلوا ذنوبهم فلا يؤمنون ولا يتوبون ، ومن هنا أنزل تعالى قوله : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً ﴾ . وهو تعليم لرسول الله ﷺ أن يقوله للمشركين أأميل إلى باطلكم وأقتنع به فغير الله أطلب حكماً بيني

(١) أفغير منصوب بأبتغي أي أبتغي غير الله؟ وكلما منصوب على الحال أو التمييز المبين لمبهم الابتغاء .

وبينكم في دعوكم أي غير رسول وأن ماجئت به ليس وحياً من الله؟ ينكر ﷺ تحكيم غير ربه تعالى وعلى ماذا يكون الحكم والله هو الذي أنزل إليهم الكتاب مفصلاً فأية آية تغلب القرآن وهو آلاف الآيات هذا أولاً وثانياً أهل الكتاب من قبلهم وهم علماء اليهود والنصارى مقرون ومعتفون بأن ماينفيه المشركون هو حق لا مرية فيه إذا فامض أيها الرسول في طريق دعوتك ولا تكونن من الممترين فإنك عما قريب تظهر على المشركين، لقد تمت كلمة ربك أي في هذا القرآن الذي أوحى إليك صدقاً في كل ماتحملة من أخبار ومن ذلك نصرك وهزيمة أعدائك، وعدلاً في أحكامها التي تحملها، ولا يستطيع أحد تبديلها بتغيير لها بإخلاف وعيدٍ ولا بإبطال حكم، وربك هو السميع لأقوال عباده العليم بمقاصدهم وأفعالهم فما أقدره وأضعفهم فلذا لن يكون إلا مراده ويبطل جميع إراداتهم. واعلم يارسولنا أنك ﴿إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ أي لو أنك تسمع لهم وتأخذ بآرائهم وتستجيب لاقتراحاتهم لأضلوك قطعاً عن سبيل الله، والعلة أن أكثرهم لا بصيرة له ولا علم حق لديه وكل مايقولونه هو هوى نفس، ووسواس شيطان. إنهم مايتبعون إلا أقوال الظن وماهم فيما يقولون إلا خارصون كاذبون. وحسبك علم ربك بهم فإنه تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة وبطلان التحاكم إلى غير الوحي الإلهي .
- ٢ - تقرير صحة الدعوة الإسلامية بأمرين الأول: القرآن الكريم، الثاني: شهادة أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام القرظي وأصحمة النجاشي وغيرهم .
- ٣ - ميزة القرآن الكريم : أن أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل .
- ٤ - وعود الله تعالى لا تتخلف أبداً، ولا تتبدل بتقديم ولا تأخير.
- ٥ - اتباع أكثر الناس يؤدي إلى الضلال فلذا لا يتبع إلا أهل العلم الراسخون فيه لقوله

(١) قرأ أهل الكوفة كلمة بالإفراد وقرأها الباقون بالجمع كلمات قال ابن عباس رضي الله عنه في كلمات ربك هي مواعيده تعالى .

(٢) كما لا يستطيع أحد تبديل كلماتها وحرفها في القرآن الكريم كما بدلت التوراه والإنجيل بتحريف الكلمات وتغييرها .

(٣) من هذا قيل لمن يقدر كمية التمر في النخل خراص لأنه يقول بدون علم يقيني- وإنما بالحدس والتخمين وإجازة الشارع للضرورة إليه .

تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرَ الْيُضْلُونَ
بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

شرح الكلمات :

مما ذكر اسم الله عليه : أي قيل عند ذبحه أو نحره بسم الله والله أكبر .
فصل لكم ما حرم عليكم : أي بين لكم ما حرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة
النحل .

إلا ما اضطررتم إليه : أي ألبأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع .
المعتدين : المتجاوزين الحلال إلى الحرام ، والحق إلى الباطل .
ذروا ظاهر الإثم : اتركوا : الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح .
يقترفون : يكسبون الآثام والذنوب .
وإنه لفسق : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه . فسق عن طاعة الله
تعالى .

إلى أوليائهم ليجادلوكم : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة .
لمشركون : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكنتم

بذلك عابديهم وعبادة غير الله تعالى شرك.

معنى الآيات :

مما أوحى به شياطين الجن إلى إخوانهم من شياطين الإنس أن قالوا للرسول ﷺ والمؤمنين : كيف تأكلون ماتقتلونهم أنتم وتمتنعون عن أكل ما يقتله الله؟ فأنزل الله تعالى قوله ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾^(١). فأمر المؤمنين بعدم الاستجابة لما يقوله المشركون، وقال ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي شيء يمنعكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ ﴿ وقد فصل لكم ﴾ أي بين لكم غاية التبيين ﴿ ما حرمه عليكم ﴾ من المطاعم ﴿ إلا ما اضطرتكم إليه ﴾ أي ألجأتكم الضرورة إليه كمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يأكل مما حرم في حال الإختيار. ثم أعلمهم أن كثيراً من الناس يضلون غيرهم بأهوائهم^(٢) بغير علم فيحلون ويحرمون بدون علم وهم في ذلك ظلمة معتدون لأن التحريم والتحليل من حق الرب تعالى لا من حق أي أحد من الناس وتوعدهم بما دل عليه قوله : ﴿ إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ ولازمه أنه سيجازيهم باعتدائهم وظلمهم بما يستحقون من العذاب على اعتدائهم على حق الله تعالى في التشريع والتحليل والتحريم. وقوله تعالى في الآية الثالثة : (١٢٠) ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ يأمر تعالى عباده بترك ظاهر الإثم كالزنى العلني وسائر المعاصي، وباطن الإثم كالزنى السري وسائر الذنوب الخفية وهو شامل لأعمال القلوب وهي باطنة وأعمال الجوارح وهي ظاهرة، لأن الإثم كل ضار فاسد قبيح كالشرك، والزنى وغيرهما من سائر المحرمات.

ثم توعد الذين لا يمتثلون أمره تعالى بترك ظاهر الإثم وباطنه بقوله : ﴿ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ أي سيجزيهم يوم القيامة بما اكتسبوه من الذنوب والآثام ولا ينجوا إلا من تاب منهم وصحت توبته وفي الآية الأخيرة في هذا السياق (١٢١) يقول تعالى ناهياً عباده عن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من ذبائح المشركين

(١) هذه الآية نص في مشروعية التسمية عند الذبح وعند الأكل والشرب.

(٢) أي ما المانع لكم من أكل ما سميت عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟

(٣) بين تعالى ذلك في آخر سورة النحل المكية وأما البيان الثام فهو في سورة المائدة المتأخرة في النزول عن النحل والأنعام معاً.

(٤) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم يسكاكينكم.

والمجوس فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ^(١) وأخبر أن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه وهو ذبائح المشركين والمجوس فسق خروج عن طاعة الرب تعالى وهو مقتضى للكفر لما فيه من الرضا بذكر اسم الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، ثم أخبرهم تعالى بأن الشياطين وهم المردة من الجن يوحون إلى الأخباث من الإنس من أوليائهم الذين استجابوا لهم في عبادة الأوثان يوحون إليهم بمثل قولهم: كيف تحرمون ما قتل الله وتحلون ما قتلتم أنتم؟ ليجادلوكم بذلك، ويحذر تعالى المؤمنين من طاعتهم وقبول وسواسهم فيقول ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فأكلتم ذبائحهم أو تركتم أكل ما ذبحتم أنتم وقد ذكرت اسم الله، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ^(٢) لأنكم استجبتم لما تأمر به الشياطين تاركين ما يأمر به رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حِلُّ الأكل من ذبائح المسلمين.
- ٢ - وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند تذكيته.
- ٣ - حرمة اتباع الأهواء ووجوب اتباع العلماء.
- ٤ - وجوب ترك الإثم ظاهراً كان أو باطناً وسواء كان من أعمال القلوب أو أعمال الجوارح.
- ٥ - حرمة الأكل من ذبائح المشركين والمجوس والملاحدة البلاشفة الشيوعيين.
- ٦ - اعتقاد حل طاعة الشياطين شرك والعياذ بالله تعالى.

أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ

(١) روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: خاصهم المشركون فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله سبحانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

(٢) إن هذا اللفظ الوارد على سبب معين لا يمنع العموم إذ القاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن هنا تعين معرفة ما يلي: أولاً: وجوب التسمية عند الذبح والنحر. ثانياً: إن ترك المسلم التسمية سهواً أكلت ذبيحته، ثالثاً: إن تركها عمداً لم تؤكل ذبيحته، رابعاً: قال بعض الفقهاء ترك المسلم التسمية عمداً لا يحرم ذبيحته إلا أن يكون تركها مستخفاً بها.

(٣) الآية دليل على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً وقد حرم الله سبحانه الميتة نصاً فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. وقال ابن العربي إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً - إذا أطاعه في الاعتقاد. أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص غير كافر.

زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
 فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
 يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
 آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
 أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
 صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ميتاً	: الميت فاقد الروح ، والمراد روح الإيثار .
أحييناه	: جعلناه حياً بروح الإيثار .
مثله	: صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها .
قرية	: مدينة كبيرة .
ليمكروا فيها	: بفعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال .
ومايمكرون إلا بأنفسهم	: لأن عاقبة المكر تعود على الماكر نفسه لآية ﴿ ولا يحق المكر السىء إلا بأهله ﴾ .
وإذا جاءتهم آية	: أي من القرآن الكريم تدعوهم إلى الحق .
صغار	: الصغار: الذل والهوان .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في حرب العادلين برهم الأصنام الذين يزبن لهم الشيطان تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم فقال تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ أي أطاعة هذا العبد الذي كان ميتاً بالشرك والكفر فأحييناه بالإيثار والتوحيد وهو عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر كطاعة من مثله رجل في الظلمات ظلمات الشرك

والكفر والمعاصي ليس بخارج من تلك الظلمات وهو أبو جهل والجواب لا، إذا كيف أطاع المشركون أبا جهل وعصوا عمر رضى الله عنه والجواب: أن الكافرين لظلمة نفوسهم واتباع أهوائهم لا عقول لهم زين لهم عملهم الباطل حسب سنة الله تعالى في أن من أحب شيئاً وغالى في حبه على غير هدى ولا بصيرة يصبح في نظره زيناً وهو شينٌ وحسناً وهو قبيح، فلذا قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾ فيهلكوا أيضاً. وقوله: ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ هو كما قال: قوله الحق وله الملك، فالماكر من أكابر المجرمين حيث أفسدوا عقائد الناس وأخلاقهم وصرفوهم عن الهدى بزخرف القول والاحتيال والخداع، هم في الواقع يمكرون بأنفسهم إذ سوف تحل بهم العقوبة في الدنيا وفي الآخرة، إذ لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولكنهم لا يشعرون أي لا يدرون ولا يعلمون أنهم يمكرون بأنفسهم، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٢٤) ﴿ وإذا جاءتهم آية . . ﴾ أي حجة عقلية مما تحمله آيات القرآن تدعوهم إلى تصديق الرسول والإيمان بما جاء به ويدعو إليه من التوحيد بدل أن يؤمنوا ﴿ قالوا لن نؤمن حتى نؤتى ﴾ مثل ما أوتي رسل الله ﴿ أي من المعجزات كعصا موسى وطير عيسى الذي نفخ فيه فكان طائراً بإذن الله فرد الله تعالى عليهم هذا العلو والتكبر قائلاً: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ فإنه يجعلها في القلوب المشرقة والنفوس الزكية، لا في القلوب المظلمة والنفوس الخبيثة، وقوله تعالى ﴿ سيصيب الذين أجرموا ﴾ على أنفسهم بالشرك والمعاصي وعلى غيرهم حيث أفسدوا قلوبهم وعقولهم، ﴿ صغار ﴾: أي ذل وهوان ﴿ عند الله ﴾ يوم يلقونه ﴿ وعذاب شديد ﴾ قاس لا يطاق ﴿ بما كانوا يمكرون ﴾: أي بالناس بتضليلهم وإفساد قلوبهم وعقولهم بالشرك والمعاصي التي كانوا

(١) الآية عامة في كل كافر ومؤمن والموت قد يطلق أيضاً على الجهل. فالجاهل ميت وحياته بالعلم كما قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرؤاً لم يحيى بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

(٢) في الآية تقديم وتأخير. الأصل جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها والأكابر جمع أكبر وهم الرؤساء والعظماء وخصوا بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والإفساد من عامة الناس.

(٣) وذلك لفرط جهلهم لا يعلمون أن وبال مكروهم عائد عليهم.

(٤) في الآية شيء من بيان جهلهم وعملهم.

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر سنّاً وأكثر منك مالاً. وقال أبو جهل: والله لا نرضى به أبداً ولا نتبعه إلا أن يأتينا وحي كما يأتية.

(٦) الصغار من الصغر ضد الكبر كان الذل يُصغر إلى المرء نفسه والفعل صغر يصغر من باب نصر، وصغر يصغر من باب علم يعلم. والمصدر الصغر بفتح الصاد والغين معاً والصغار الاسم واسم الفاعل صاغر وهو الراضي بالضم.

يجرئونهم عليها ويغرونهم بها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الإيمان حياة، والكفر موت، المؤمن يعيش في نور والكافر في ظلمات.
- ٢ - بيان سنة الله تعالى في تزيين الأعمال القبيحة.
- ٣ - قل ماتخلو مدينة من مجرمين يمكرون فيها.
- ٤ - عاقبة المكر عائدة على الماكر نفسه.
- ٥ - بيان تعنت المشركين في مكة على عهد نزول القرآن.
- ٦ - الرسالة توهب لا تكتسب.
- ٧ - بيان عقوبة أهل الإجماع في الأرض.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْشِرْهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

شرح الكلمات :

شرح صدره

: شرح الصدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان وعلامة ذلك : الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله .

حرجاً

: ضيقاً لا يتسع لقبول الحق، ولا لنور الإيمان .

كأنها يصعد

: يصعب عليه قبول الإيمان حتى كأنه يتكلف الصعود إلى السماء .

الرجس

: النجس وما لا خير فيه كالشيطان .

فصلنا الآيات

: بينها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح

يذكرون

: يذكرون فيتعظون .

دار السلام

: الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهي مضافة إلى الله تعالى .

استكثرتم

: أي من إضلال الإنس وإغوائهم .

استمتع بعضنا ببعض

: انتفع كل منا بصاحبه أي تبادلنا المنافع بيننا حتى الموت .

أجلنا الذي أجلت لنا

: أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا .

مثواكم

: مأواكم ومقر بقائكم وإقامتكم .

حكيم عليم

: حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في

النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، عليم بأهل الإيمان وأهل

الكفران .

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان والتفصيل لطريق الهداية في الآيات من أول السورة إلى قوله تعالى حكاية عن المدعوين إلى الحق العادلين به الأصنام إذ قالوا : ﴿لَنْ نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله﴾ .

أعلم تعالى عباده أن الهداية بيده وأن الإضلال كذلك يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بعدله، وأن لكل من الهداية والإضلال سنناً تتبع في ذلك فمن طلب الهداية ورغب

فيها صادقاً علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهياً له أسبابها، ومن ذلك أنه يشرح صدره لقبول الإيمان وأنواره فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقاً علم الله تعالى ذلك منه فهياً له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقاً حرجاً لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكانه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقادر هذه سنته في الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ أي كذلك الفعل في الهداية والإضلال يجعل الله الرجس^(١) أي يلقي بكل مالا خير فيه على قلوبهم من الكبر والحسد والشرك والكفر والشيطان لقبول المحل لكل ذلك نتيجة خلوه من الإيمان بالله ولقائه.

وقوله تعالى ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مشيراً إلى ما بينه من الهدى وهذا طريق ربك مستقيماً فأسلكه والزمه فإنه يفضي بك إلى كرامة ربك وجواره في جنات النعيم. وقوله: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يمتن تعالى وله الحمد والمنة بما أنعم به على هذه الأمة من تفصيل الآيات حججاً وبراهين وشرائع ليهتدي طالبوا الهدى المشار إليهم بقوله ﴿لقوم يذكرون﴾ فيذكرون فيؤمنون ويعملون فيكملون ويسعدون في دار السلام إذ قال تعالى ﴿لهم^(٢) دار السلام عند ربهم وهو وليهم﴾ أي متوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا والإنعام والتكريم في الآخرة ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الصالحات.

هذا مادلت عليه الآيات الأولى والثانية والثالثة أما الآية الرابعة (١٢٨) فقد تضمنت عرضاً سريعاً ليوم القيامة الذي هو ظرف للجزاء على العمل في دار الدنيا فقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ إنسهم وجنهم ويقول سبحانه وتعالى ﴿يامعشر الجن قد استكثرتم^(٣) من الإنس﴾ أي في إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي الذين كانوا

(١) الشرح أصله التوسعة وشرح الأمر بينه وأوضحه ومنه تشريع اللحم والشريعة منه القطعة. وشرح الصدر لقبول الحق توسعته لتقبل ما يلقي إليه من الهدى وفي الحديث الصحيح «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(٢) الحرج والخرج بالفتح والكسر قراءتان وهو الضيق وكل ضيق حرج والحرجة الغيضة والجمع حروج وخرجات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحرج موضع الشجر الملتف فقلب الكافر لضيقه لا تصل إليه المعرفة كما لا تصل الشاة إلى الشجر الملتف أو تدخل رأسها بين الشجر فيصعب عليها إخراجها فتقع في حرج، والخرج الإثم.

(٣) أصل الرجس في اللغة التثنت وقال مجاهد: الرجس مالا خير فيه فكما يجعل صدر الكافر ضيقاً لا يقبل الهدى يجعل عليه الرجس فيقبل كل خبيث نتن من الأقوال والاعتقادات.

(٤) دار السلام الجنة والسلام هو الله فدار السلام كبيت الله وهناك معنى آخر وهو أنها دار السلامة من كل أذى ومكروه وآفة.

(٥) نُصِب الظرف بفعل محذوف تقديره يقول يوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن الخ.

(٦) حذف لفظ الاستمتاع لإيجاز الدلالة السياق وحرف الجر عليه أي قد استكثرتم من الاستمتاع من الإنس.

يوالونهم على الفساد والشر والشرك والكفر ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿استمتع بعضنا ببعض﴾ أي كل منا تمتع بخدمة الآخر له وانتفع بها، يريدون أن الشياطين زينت لهم الشهوات وحسنت لهم القبايح وأغرتهم بالمفاسد فهذا انتفاعهم منهم وأما الجن فقد انتفعوا من الإنس بطاعتهم والاستجابة لهم حيث خبثوا خبثهم وضلوا ضلالهم . وقولهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي واستمر ذلك منا إلى أن انتهينا إلى أجلنا الذي أجلته لنا وهو نهاية الحياة الدنيا وهانحن بين يدك، كأنهم يعتذرون بقولهم هذا فرد الله تبارك وتعالى عليهم بإصدار حكمه فيهم قائلاً: ﴿النار مثواكم^(١) خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ ومعنى مثواكم: مقامكم الذي تقيمون فيه أبداً.

ومعنى قوله ﴿إلا ما شاء الله﴾ هو استثناء لبيان إرادة الله المطلقة التي لا يقيدها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائز أن يكون هذا الاستثناء المراد به من كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين له فإنه يخرج من النار بإيمانه، ويكون معنى (ما) (من) أي إلا من شاء الله . والله أعلم بمراده، وقوله في ختام الآية، ﴿إن ربك حكيم عليم﴾، ومن مظاهر حكمته وعلمه إدخال أهل الكفر والمعاصي النار أجمعين الإنس والجن سواء .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - بيان سنة الله تعالى في الهداية والإضلال .
- ٢ - بيان صعوبة وشدة ما يعاني الكافر إذا عرض عليه الإيمان .
- ٣ - القلوب الكافرة يلتقى فيها كل ما لا خير فيه من الشهوات والشبهات وتكون مقراً للشيطان .

- ٤ - فضيلة الذكر المنتج للتذكر الذي هو الإيعاظ فالعمل .
- ٥ - ثبوت التعاون بين أخبات الإنس والجن على الشر والفساد .
- ٦ - إرادة الله مطلقة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يؤثر فيها شيء .

(١) المثوى المقام أي النار موضع مقامكم .

(٢) ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في هذا الاستثناء وما ذكرته في التفسير أحسن ما يؤول به هذا الاستثناء الإلهي في هذه الآية وفي آية هود .

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
 رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
 يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا
 وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ
 أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾
 وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات :

نولي بعض الظالمين

بعضاً

: أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجامع كسبهم الشر والفساد.

: أي من الظلم والشر والفساد.

بما كانوا يكسبون

ألم يأتكم رسل منكم : الإستفهام للتوبيخ والرسول جمع رسول من أوحى الله تعالى إليه

شرعه وأمره بإبلاغه للناس ، هذا من الإنس أما من الجن فهم . من

يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك إخوانهم من الجن ،

ويقال لهم النذر.

يقصون عليكم آياتي : يخبرونكم بما فيها من الحجج متبعين ذلك حتى لا يتركوا شيئاً

إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به .

وينذرونكم لقاء يومكم : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا وهو يوم القيامة من العذاب

والشقاء .

وأهلها غافلون : لم تبلغهم دعوة تعرفهم ببرهم وطاعته ، وماهم عليها من جزاء .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ إخبار منه تعالى بستته في أهل الظلم وهي أن يجعل بعضهم أولياء بعض بمعنى يتولاه بالنصرة والمودة بسبب الكسب السيئ الذي يكسبونه على نحو موالاة شياطين الإنس للجن فالجامع بينهم الخبث والشر وهؤلاء الجامع بينهم الظلم والعدوان ، ولا مانع من حمل هذا اللفظ على تسليط الظالمين بعضهم على بعض على حد : ولا ظالم إلا سيبتلى بأظلم^(١) كما أنه تعالى سيوالي يوم القيامة إدخالهم النار فريقاً بعد فريق وكل هذا حق وصالح لدلالة اللفظ عليه .

وقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ﴾ إخبار منه تعالى بأنه يوم القيامة ينادي الجن والإنس موبخاً لهم فيقول : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ألم يأتكم رسل من جنسكم تفهمون عنهم ويفهمون عنكم ﴿ يقصون عليكم آياتي ﴾ أي يتلونها عليكم ويخبرونكم بما تحمله آياتي من حجج وبراهين لتؤمنوا بي وتعبدوني وحدي دون سائر مخلوقاتي ، وينذرونكم أي يخوفونكم ، لقاء يومكم هذا الذي أنتم الآن فيه وهو يوم القيامة والعرض على الله تعالى . وما يتم فيه من جزاء على الأعمال خيرها وشرها ، وأن الكافرين هم أصحاب النار . فأجابوا قائلين : شهدنا على أنفسنا - وقد سبق أن غرثهم الحياة الدنيا فواصلوا الكفر والفسق والظلم - ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾^(٢) .

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الثالثة (١٣١) فقد تضمنت الإشارة إلى علة إرسال الرسل إلى الإنس والجن إذ قال تعالى ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم^(٣)

(١) في هذا المعنى قول الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بظالم

(٢) قوله منكم فيه تغليب الإنس على الجن في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث إذ الرسل من الإنس لا غير ومن الجن نذر ينذرونهم بما يتلقونه عن الرسل من الإنس كما قال تعالى ﴿ فلما قضي ولؤا إلى قومهم منذرين ﴾ وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ والمراد البحر الملح فقط وفي وصف الرسل بلفظ منكم زيادة في إقامة الحجة عليهم .

(٣) غرثهم إذ عجلت لهم طيباتهم فيها فانفردوا بزخارفها وزينتها وطول العمر فيها .

(٤) قال مقاتل هذا معنى شهدت عليهم الجوارح بالشرك .

(٥) ذلك في موضع رفع أي الأمر ذلك وإن مخففة من الثقيلة أي المشددة واسمها ضمير الشأن محذوف وذلك لأن هذا الخبر له شأن يجدر أن يعرف والتقدير الأمر ذلك لأنه - أي الشأن - لم يكن ربك مهلك القرى بظلم الخ .

(٦) الباء في بظلم سببية أي بسبب ظلمهم وجملة وأهلها غافلون حالية .

وأهلها غافلون ﴿ أي ذلك الإرسال كان لأجل أنه تعالى لم يكن من شأنه ولا مقتضى حكمته أنه يهلك أهل القرى بظلم منه وما ربك بظلام للعبيد ولا بظلم منهم وهو الشرك والمعاصي وأهلها غافلون لم يؤمروا ولم ينهوا، ولم يعلموا بعاقبة الظلم وما يحل بأهله من عذاب .

وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أخبر تعالى أن لكل عامل^(١) من خير أو شر درجات من عمله إن كان العمل صالحاً فهي درجات في الجنة، وإن كان العمل سيئاً فاسداً فهي درجات في النار، وهذا يتم حسب علم الله تعالى بعمل كل عامل وهو ما دل عليه قوله، ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة الله تعالى في أن الأعمال هي سبب الموالاة بين الإنس والجن فذو العمل الصالح يوالي أهل الملاح، وذو العمل الفاسد يوالي أهل الفساد .
- ٢ - التحذير من الإغترار بالحياة الدنيا .
- ٣ - بيان العلة في إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس، وعدم إهلاكهم قبل الإرسال إليهم .
- ٤ - الأعمال بحسبها يتم الجزاء فالصالحات تكسب الدرجات، والظلمات تكسب الدرجات .

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا
تُوعَدُونَ لَأْتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

(١) لكل عامل أي من الإنس والجن .



مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

شرح الكلمات :

الغنى : عن كل ماسواه ، فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره .
ذو الرحمة : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من عباده .

ويستخلف : أي ينشئ خلقاً آخر يخلفون الناس في الدنيا .
إن ماتوعدون لآت : إن ما وعد الله تعالى به عباده من نعيم أو جحيم لآت لا محالة .
على مكائتكم : أي على ما أنتم متمكنين منه من حال صالحة أو فاسدة .
عاقبة الدار : أي الدار الدنيا وهي سعادة الآخرة القائمة على الإيثار والعمل الصالح .

إنه لا يفلح الظالمون : أي لا يفوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان لأن ظلمهم يوبقهم في النار .

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وبيان جزاء من أقام بها ، ومن ضيعها في الدار الآخرة .

خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله قائلاً : ﴿ وربك الغني ﴾^(١) ذو الرحمة ﴿ أي ربك الذي أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته هو الغني عنهم وليس في حاجة إليهم ، بل هم الفقراء إليه المحتاجون إلى فضله ، ورحمته قد شملتهم أولهم وآخرهم ولم تضق عن أحد منهم ، ليعلم أولئك العادلون بربهم الأصنام والأوثان أنه تعالى قادر على إذهابهم بإهلاكهم بالمرّة ، والإتيان بقوم آخرين أطوع لله تعالى منهم ، وأكثر استجابة له منهم : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ وليعلموا أن ما يوعدونه من البعث والحساب والجزاء لآت لا محالة وما أنتم بمعجزين الله تعالى ولا فائتينه بحال ،

(١) الغني هو الذي لا يحتاج إلى غيره وكل غنى من الخلق غناه إضافي غير حقيقي أما غنى الله تعالى فهو حقيقي فقله وربك الغني أي الغني المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره ولذا كان في الصيغة قصر الغنى الحق عليه تعالى .

ولذا سوف يجزي كلاً بعمله خيراً كان أو شراً وهو على ذلك قدير.

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الآية الثالثة (١٣٥) فقد تضمنت أمر الله تعالى للرسول أن يقول للمشركين من قومه وهم كفار قريش بمكة ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ مادمتم مصرين على الكفر والشرك ﴿إني عامل﴾ على مكانتي فسوف تعلمون من تكون له عاقبة دار الدنيا وهي الجنة دار السلام أنا أم أنتم مع العلم أن الظالمين لا يفلحون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ولا شك أنكم أنتم الظالمون بكفركم بالله تعالى وشرككم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير غنى الله تعالى المطلق عن سائر خلقه .
- ٢ - بيان قدرة الله تعالى على إذهاب الخلق كلهم والإتيان بآخرين غيرهم .
- ٣ - صدق وعد الله تعالى وعدم تخلفه .
- ٤ - تهديد المشركين بالعذاب إن هم أصروا على الشرك والكفر والذي دل عليه قوله ﴿اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ الدنيا ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ

(١) هذا الأمر للتهديد، والمكانة هي المكان كالدارة والدار والمراد بها الحال التي عليها الإنسان من قوة أو ضعف أو خير أو شر أو إصلاح أو إفساد.

(٢) الجملة تحمل التهديد الشديد وهي تشير إلى أن الرسول ﷺ واثق من نصره وحسن عاقبته وهو كذلك إذ الله تعالى الذي بيده الأمر هو الذي أمره أن يعلن عن هذا التهديد.

(٣) العاقبة لغة آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر وتأثير العاقبة بالنظر إلى تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثْ حَجَرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ
نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ
أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ
خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ
مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

شرح الكلمات :

مما ذرأ : مما خلق .

من الحرث والأنعام : الحرث كل ما يحرق له الأرض من الزروع ، والأنعام : الإبل والبقر والغنم .

نصيباً : حظاً وقدرأ معيناً .

لشركائنا : شركاؤهم أو ثنائهم التي أشركوها في عبادة الخالق عز وجل .

سَاء مَا يَحْكُمُونَ	: قَبِحَ حُكْمُهُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ آثَرُوا أَوْثَانَهُمْ عَلَى اللَّهِ .
لِيرُدُّوهُمْ	: اللَّامُ الْعَاقِبَةُ وَمَعْنَى يَرُدُّوهُمْ : يَهْلِكُوهُمْ .
وَلِيَلْبَسُوا	: لِيَخْلُطُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ .
حَجَرٍ	: أَيُ مَمْنُونَةٍ عَلَى غَيْرٍ مِنْ لَمْ يَأْذَنُوا لَهُ فِي أَكْلِهَا .
حَرَمَتْ ظُهُورَهَا	: أَيُ لَا يَرْكَبُونَهَا وَلَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهَا .
افْتَرَاءَ عَلَى اللَّهِ	: أَيُ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَل .
عَلَى أَزْوَاجِنَا	: أَيُ إِنَائِنَا .
وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً	: أَيُ إِنْ وَلَدَ مَا فِي بَطْنِ الْحَيَوَانِ مَيِّتًا فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ سَوَاءً .
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ	: حَقًّا وَطَيْشًا وَعَدَمَ رَشَدٍ وَذَلِكَ لَجَهْلِهِمْ .
مَعْنَى الْآيَاتِ :	

ما زال السياق في التنديد بأفعال العادلين برهم أصنامهم وأوثانهم فأخبر تعالى عما كانوا يتدعون من البدع ويشرعون من الشرائع بدون علم ولا هدى ولا كتاب مبين فقال تعالى عنهم ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ^(١) ﴾ أَيُ جَعَلَ أَوْلَئِكَ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى مِمَّا خَلَقَ مِنَ الزَّرْعِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا أَيُ قَسَمًا كَمَا جَعَلُوا لِلَّاهَةِ الَّتِي يُؤْهِلُونَهَا مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَصِيبًا ، ﴿ فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ^(٢) ، وَهَذَا لِلشُّرَكَائِ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا طَلَبَ مِنْهُمْ ذَلِكَ وَلَا شَرَعَهُ لَهُمْ وَإِنَّمَا هُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ إِذَا أَنْبَتَ أَوْ أَنْتَجَ مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ ، وَلَمْ يَنْبِتْ أَوْ يَنْتَجِ مَا جَعَلُوهُ لِلشُّرَكَاءِ حَوْلَهُ إِلَى الشُّرَكَاءِ بِدَعْوَى أَنَّهَا فَقِيرَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ ، وَإِذَا حَصَلَ الْعَكْسُ لَمْ يَحْمِلُوا مَا جَعَلُوهُ لِلَّاهَةِ اللَّهُ بِنَفْسِ الْحُجَّةِ وَهِيَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ فَقَرَاءَ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ .

هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ﴾ وَهُوَ تَحْيِيزٌ مَقْصُودٌ وَتَحْكُمٌ فَاسِدٌ فَلِذَا قَبِحَ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ﴿ سَاءَ

(١) فِي الْكَلَامِ إِيجَازٌ إِذْ حُذِفَ مِنْهُ الْمَقَابِلُ وَهُوَ جَعَلُوا لِأَلِهَتِهِمْ نَصِيبًا وَحُذِفَ كَانَ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ .

(٢) الزَّعْمُ بَفَتْحِ الزَّيِّ وَقَدْ تَضَمَّ وَتَكَسَّرَ أَيْضًا لُغَاتٍ وَالْفَتْحُ أَشْهُرُ وَالزَّعْمُ الْكَذْبُ قَالَ شَرِيحُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ كُنْيَةٌ وَكُنْيَةُ الْكَذْبِ زَعَمُوا وَقَدْ كَذَبَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ تَعَالَى حَيْثُ لَمْ يَشْرَعْ ذَلِكَ لَهُمْ وَإِنَّمَا هُمْ مُفْتَاتُونَ

ما يحكمون ﴿ أي بنس الحكم حكمهم هذا وقبح صنيعاً، صنيعهم هذا، وما جعلوه لله ينفقون على الضيفان والفقراء، وما جعلوه للشركاء ينفقونه على السدنة والمقيمين على الأصنام والأوثان.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١٣٧) وهي قوله تعالى ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ﴾ يريد وكذلك التحكم الباطل والإدعاء الكاذب في جعل لله شيئاً مما ذرأ من الحرث والأنعام، ثم عدم العدل بين الله تعالى وبين شركائهم زين لكثير من المشركين شركائهم وهم شياطينهم من الجن والإنس قتل أولادهم كالمؤودة من البنات خوف العار، وكقتل الأولاد الصغار خوف الفقر، أو لنذرهما للآلهة، وفعل الشياطين ذلك من أجل أن يردوهم أي يهلكوهم، ويلبسوا عليهم دينهم الحق أن يخلطوه لهم بالشرك، وهو معنى قوله تعالى ﴿ ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله مافعلوهم ﴾ هو كما قال إذ لو أراد تعالى منعهم من ذلك لمنعهم وهو على كل شيء قدير، إذا فذرهم أيها الرسول وما يفترون من الكذب في هذا التشريع الجاهلي الباطل القبيح.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرت حبر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ﴾.

فقد تضمنت هذه الآية ثلاثة ضروب من تشريع الجاهلية وأباطيلهم :

الأول: تحريمهم بعض الأنعام والحرث وجعلها لله وللآلهة التي يعبدونها مع الله.

الثاني: أنعام أي إبل حرموها ركوبها كالسائبة والحام.

الثالثة: إبل لا يذكرون اسم الله عليها فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حملوا عليها.

(١) كما نذر عبد المطلب ولده عبد الله للآلهة، ثم فداه بمائة من الإبل.
(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) اللام هنا لام العاقبة والصيرورة.

(٤) في هذا رد على القدرة وفيه تسلية للرسول ﷺ وتخفيف عليه.

(٥) في لفظ حبر الفتح والضم والكسر ومعناه المنع وسمى العقل حجراً لأنه يمنع من قول وفعل القبيح وحجر القاضي على المفلس منعه من التصرف في المال وهو مشتق من الحرج بالكسر وهي لغة من الحرج الذي هو الضيق والإثم.

وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ افتراء عليه ﴾ أي كذباً على الله تعالى لأنه تعالى ما حرم ذلك عليهم وإنما حرموه هم بأنفسهم وقالوا حرمه الله علينا، ولذا توعدهم الله تعالى على كذبهم هذا بقوله: ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ أي سيثيبهم الثواب الملائم لكذبهم وهو العذاب الأخروي .

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٩) ﴿ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتاً فهم فيه شركاء ﴾ فقد تضمنت تشريعاً آخر باطلاً اختلقوه بأنفسهم وزعموا أن الله شرعه لهم وهو أنهم حرموا مافي بطون بعض الأنعام على الإناث، وجعلوها حلالاً للذكور خالصة لهم دون النساء فلا يشرب النساء من ألبانها ولا يأكلن لحوم أجنحتها إن ذبحوها ولا ينتفعن بها بحال، اللهم إلا أن ولد الجنين ميتاً فإنهم لا يجرمونه على النساء ولا يخصون به الذكور فيحل أكله للنساء والرجال معاً، ولذا توعدهم تعالى بقوله ﴿ سيجزيهم وصفهم ﴾^(١) إنه حكيم عليهم ﴿ أي سيثيبهم على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب إنه حكيم في قضائه عليهم بعباده ﴾^(٢).

هذا مادلت عليه الآية الرابعة أما الخامسة (١٤٠) فقد أخبر تعالى بخسران أولئك المشرعين وضلالهم وعدم هدايتهم بقوله ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً ﴾ أي جهلاً ﴿ بغير علم ﴾^(٣) وحرموهم ما رزقهم الله ﴿ مما سبق ذكره ﴾ افتراءً على الله ﴿ كذباً ﴾ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة الابتداع في الدين والتشريع المنافي لشرع الله تعالى وإن لم ينسب إلى الله تعالى .
- ٢ - ما ينذر الجهال اليوم من نذور للأولياء وإعطائهم شيئاً من الأنعام والحرث والشجر هو من عمل المشركين زينه الشيطان لجهال المسلمين .

٣ - حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض

(١) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضاً آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام ﴾ .

(٢) قال القرطبي في الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول مخالفه وإن لم يأخذ به حتى يعرف فساد قوله ويعلم كيف يرد عليه لأن الله تعالى علم نبيه وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم ليعرفوا فساد قولهم .

(٣) في الآية دليل واضح على حرمة القول بدون علم وكذا الاعتقاد والعمل فلا يحل لأحد أن يعتقد أو يقول أو يعمل بدون علم شرعي قد تمكن من معرفته .

الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر.

❖ وَهُوَ الَّذِي

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ

حَصَادِهِ وَلَا تَسْرِقُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ

اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾
ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ

قُلْ أَلَذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ

عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

شرح الكلمات :

أنشأ جنات	: خلق جنات جمع جنة وهي البستان .
معروشات	: ما يعمل له العريش من العنب ، وما لا يعرش له من سائر الأشجار ..
مختلفاً أكله	: أي ثمره الذي يأكل منه .
متشابهاً	: في الورق وغير متشابه في الحب والطعم
حقه	: ما وجب فيه من الزكاة .
يوم حصاده	: يوم حصاده إن كان حباً وجذاذه إن كان نخلاً .
ولا تسرفوا في إخراجه	: أي بأن لا تبقوا لعيالكم منه شيئاً .
حمولة	: الحمولة ما يحمل عليها من الإبل .
وفرشا	: الفرش الصغار من الحيوان .
خطوات الشيطان	: مسالكه في التحريم والتحليل للإضلال والغواية .
أم ما اشتملت عليه	
أرحام الأنثيين	: أنثى الضأن وأنثى الماعز ذكراً كان أو أنثى .
نبئوني بعلم	: خبروني بأيها حرم بعلم صحيح لا بوسواس الشياطين .
أم كنتم شهداء	: أي حاضرين وقت تحريمه تعالى ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون .

معنى الآيات :

لما توعد الحق تبارك وتعالى المفترين عليه حيث حرموا وحللوا ما شاءوا ونسبوا ذلك إليه إفتراء عليه تعالى ، وما فعلوه ذلك إلا لجهلهم بالله تعالى وعدم معرفتهم بعلمه وقدرته وإلا لما اتخذوا له أنداداً من الأحجار وقالوا : شركاؤنا ، وشفعاؤنا عند الله . ذكر تعالى في هذه الآيات الأربع مظاهر قدرته وعلمه وحكمته وأمره ونهيه وحجابه في إبطال تحريم المشركين ما أحل الله لعباده فقال تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأ جنات ^(١) ﴾ أي بساتين وحدائق من العنب

(١) الجنات : جمع جنة وهي البستان وسمي البستان جنة لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه ، وسمي الجنين في البطن جنيناً لاجتماعه واستتاره بطن أمه .

معروشات^(١) أي محمول شجرها على العروش التي توضع للعنب ليرتفع فوقها وغير معروشات أي غير معرّش لها، وأنشأ النخل والزرع مختلفاً ثمرة وطعمه، وأنشأ الزيتون والرمّان متشابهاً في السورق، وغير متشابه في الحب والطعم أيضاً. وأذن تعالى في أكله وأباحه وهو مالكة وخالفه فقال: ﴿كلوا من ثمرة إذا أثمر﴾ أي نضج بعض النضج وأمر بإخراج الواجب فيه وهو الزكاة فقال ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ أي بعد درسه وتصفيته إذ لا يعطى السنبّل، ونهى عن الإسراف وهو تجاوز الحد في إخراج الزكاة غلوا حتى لا يبقوا لمن يعولون ما يكفيهم، فقال: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ وأنشأ من الأنعام: الإبل والبقر والغنم ﴿حمولة﴾ وهي ما يحمل عليها لكبرها ﴿وفرشاً﴾ وهي الصغار التي لا يحمل عليها، وأذن مرة أخرى في الأكل مما رزقهم سبحانه وتعالى من الحبوب والثمار واللحوم وشرب الألبان، فقال: ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ ونهى عن اتباع مسالك الشيطان في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم فقال: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ وعلل للنهي فقال: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ومن عرف عدوه اتقاه ولو بالبعد عنه، وأنشأ ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ وهما الكبش والنعجة، ﴿ومن المعز اثنين﴾ وهما التيس والعنزة، وأمر رسوله أن يحاج المقتربين في التحريم والتحليل فقال له ﴿قل﴾ يارسولنا لهم ﴿الذكرين حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ أي النعجة والعنزة ﴿نبؤني بعلم إن كنتم صادقين﴾ فإن قلتم حرم الذكرين فلازم ذلك جميع الذكور حرام، وإن قلتم حرم الأنثيين فلازمه أن جميع الإناث حرام وإن قلتم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فكل ما ولد منهما حرام ذكراً كان أو أنثى فكيف إذا حرمت بعض البعض وحللت بعض فبأي علم أخذتم نبؤوني به إن كنتم صادقين وقوله تعالى ﴿ومن الإبل اثنين﴾ وهما الناقة والجمال، ﴿ومن البقر اثنين﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام﴾^(٢)

(١) وقيل المعروشات: ما يعني به من الشجر على اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال وما في التفسير أولى لقوة ودلالة اللفظ عليه.

(٢) كان قبل فريضة الزكاة يتعين على من حصّد أو جدّ ثمرة وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئاً مما بين يديه قل أو كثر ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بين الحق المجمل هنا.

(٣) في الآية دليل حرمة الإسراف وهو محرم في كل شيء وهو الخروج عن حد الاعتدال والقصد.

(٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.

(٥) إبطال لما حرّموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

(٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا.

الأنثيين ﴿﴾، فهل حرم الذكركين أو الأنثيين هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكركين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحينئذ يكون كل مولود منهما محرماً ذكراً كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون فالله تعالى لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وقوله تعالى ﴿﴾ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله ﴿﴾ بهذا التحريم فهو تبكيك لهم وتقريع، إذ لم يحرم الله تعالى هذا الذي حرموه، ولم يوصهم بذلك ولم يكونوا حال الوصية حضوراً، وإنما هو الإفتراء والكذب على الله تعالى.

وأخيراً سجل عليهم أنهم كذبة ظالمون مضلون لغيرهم بغير علم، وأنهم لا يستحقون الهداية فقال عز وجل : ﴿﴾ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - إباحة أكل التمر والعنب والرمان والزيتون.
- ٢ - وجوب الزكاة في الزيتون والتمر والحبوب إذا بلغت النصاب وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً، والصاع أربع حفنات.
- ٣ - جواز الأكل من الثمر قبل جذاذه وإخراج الزكاة منه.
- ٤ - حرمة الإسراف في المال بأن ينفقه فيما لا يعني، أو ينفقه كله ولم يترك لأهله شيئاً.
- ٥ - إباحة أكل بهيمة الأنعام وهي ثمانية أزواج، ضأن وماعز، وإبل وبقر وكلها ذكر وأنثى.

٦ - إبطال تشريع الجاهلية في التحريم والتحليل، فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام

(١) يدخل في هذه الخطاب دخولاً أولياً عمرو بن لحيّ أذ هو أول من جلب الأصنام للحجاز ويدخل فيه كذلك أول من سيب السوائب الخ ..

(٢) الضأن من ذوات الصوف والمعز من ذوات الشعر.

(٣) اختلف في زكاة التين والرايح أنه إذا بلغ خمسة أوسق بعد يبسه يزكى لأنه يدخر ويقتات واختلف في الخرص للتمر والعنب والجمهور على جوازه للحديث الوارد في ذلك وهو «وإنما كان أمر رسول الله ﷺ بالخرص لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتفرق». رواه الدارقطني.

ما حرمه الله ورسوله .

٧ - جواز الجدال والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل .

٨ - لا أظلم ممن يكذب على الله تعالى ، فيشرع لعباده ما لم يشرع لهم .

قُلْ لَا أَجِدُ

فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَةٍ وَلَا يُرْدُ بِأَسْئِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

محرمًا على طاعم يطعمه :

محظوراً ممنوعاً على آكل يأكله .

ميتة أو دمًا مسفوحاً :

الميتة : ما مات دون تركية ، والدم المسفوح : المصبوب صباً لا

المختلط باللحم والعظام .

رجس :

نجس وقذر قبيح محرم .

أو فسقا أهل لغير الله به :

الفسق الخروج عن طاعة الله والمراد ما ذبح ولم يذكر اسم

الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها ، والإهلال

رفع الصوت باسم المذبح له .

فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد : اضطر : ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك ، والباغ الظالم ، والعادي : المعتدي المجاوز للحد .

هأدوا

: اليهود

ذي ظفر : صاحب ظفر وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه كالإبل^(١) والنعام .

ما حملت ظهورها أو الحوايا : أي الشحم العالق بالظهر ، والحوايا^(٢) : المباعر والمصارين والأمعاء .

أو ما اختلط بعظم : أي عفى لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفى عن الحوايا والعالق بالظهر .

: أي بسبب ظلمهم .

بينهم

: بطشه وعذابه .

ولا يرد بأسه

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحجاج مع أولئك المحرمين ما لم يحرم الله ففي أولى هذه الآيات يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للذين يجرمون افتراءً على الله ما لم يحرم ﴿ لا أجد فيما أوحى إلي ﴾ - وأنا رسول الله - ﴿ محرماً ﴾ أي شيئاً محرماً ﴿ على طاعم يطعمه ﴾ أي آكلٍ يأكله اللهم ﴿ إلا أن يكون ميتة ﴾ وهي مامات من الحيوان حتف أنفه أي لم يذك الزكاة الشرعية ، ﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾ أي مصبوحاً صباً لا الدم المختلط بالعظم واللحم كالكبد والطحال ، ﴿ أو لحم خنزير فإنه ﴾ أي لحم الخنزير ﴿ رجس ﴾ أي نجس قدر حرام ، ﴿ أو فسقاً أهل لغير الله به ﴾ أي ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم الأصنام عليه فهو فسق أي خروج عن طاعة الرب الذي أمر من أراد ذبح بهيمة أن يذكر عليها اسمه ليحل له أكلها .

(١) في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل الإبل خاصة ، وقيل كل ذي حافر من الدواب .

(٢) واحد الحوايا حاوية . وحيوة والمراد بها ما تحوى من الأمعاء واستدار منها .

(٣) تقدير الكلام أو أن يكون المراد أكل أهل لغير الله به فصار فسقاً لذلك إذ الذبح لغير الله شرك وخروج من الدين ، والفسق يطلق على التفصي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله .

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ أي غير ظالم بأكل الميتة وما ذكر معها وذلك بأن يأكلها تلذذاً بها لا دفعاً لغائلة الموت وهو كاره لأكلها ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ أي غير متجاوز القدر الذي أبيح له وهو ما يدفع به غائلة الموت عن نفسه ﴿ فَإِنْ رَبَكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ومن مظاهر مغفرته ورحمته أنه أذن للمضطر بالأكل مما هو حرام في الضرورة .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤٥) أما الآية الثانية فبعد أن بين تعالى أنه لم يحرم على المؤمنين غير ما ذكر من الميتة وما ذكر بعدها أخبر أنه حرم على اليهود أكل كل ذي ظفر وهو مالميس له أصابع مفرقة مثل الإبل والنعام والبط والإوز ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومها وهو الشحم اللاصق بالكرش والكلى، وأباح لهم من الشحوم ما حملته البقرة أو الشاة على ظهرها ، وما كان لاصقاً بالمباعر وهي الحوايا جمع حاوية وكذا الشحم المختلط بالعظام كشحم اللية، وشحم الجانِب والأذن والعين وما إلى ذلك .

هذا ما تضمنه قوله تعالى من الآية الثانية ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظَفَرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ ثم أخبر تعالى بأن هذا التحريم عليهم كان عقوبة لهم بسبب ظلمهم وإجرامهم فقال ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ أي ذلك التحريم منا عليهم كان جزاء ظلمهم، وقوله ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ فيما أخبرنا به عنهم، وهم الكاذبون إذ قالوا إنما حرم هذا على إسرائيل ونحن أتباع له أما نحن فلم يحرم علينا شيء وإنهم لكاذبون . وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ أي اليهود فيما أخبرت به عنهم ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ ولذا لم يعاجلكم بالعقوبة وقد كذبتموه وكذبتهم رسوله وافترتكم على رسله، ولكن ليس معنى ذلك أنكم نجوتكم من

(١) هل هذه الآية منسوخة بآية المائدة؟ اختلف في ذلك والراجح أنها غير منسوخة إذ هي خبر والأخبار لا تنسخ وآية المائدة ذكرت المنخنة وما بعدها وهي داخلة في حكم الميتة، وما ذبح على النصب داخل في وما أهل به لغير الله إذا فالآية محكمة .

(٢) من بغىهم قتلهم الأنبياء وأكل الربا وتبرج النساء واستحلال المحرمات بالحيل والفتاوى الفاسدة .

(٣) قيل إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معاً .

(٤) من مظاهر رحمته أنه يحلم على العصاة وينظرهم ويمهلهم لعلهم يتوبون فعدم تعجيله العقوبة هو دليل رحمته الواسعة .

العذاب فإن بأس الله لا يرد عن القوم المجرمين من أمثالكم.^(١)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - حرمة الميتة وأنواعها في سورة المائدة وهي المنخقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وحرمة الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب وحرم بالسنة الحمر^(٢) الأهلية والبغال، وكل ذي ناب من السباع وذو غلب من الطيور.

٢ - قد يحرم بالذنوب من كثير من الطيبات كما حصل لليهود.

٣ - إمهال الله تعالى المجرمين لا يدل على عدم عقوبتهم فإن بأس الله لا يرد عن القوم المجرمين.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدَاءُكُمْ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ

(١) في الآية وعيد وتهديد وهو صالح لأن ينزل في الدنيا وفي الآخرة إذ العلة هي الإجماع وهو قائم فهم متوغلون فيه ولذا لا بد من العقوبة ما لم تحصل توبة صادقة.

(٢) ذكر القرطبي أن علة تحريم الحمار قد تكون حاجة الناس للحمل عليه والركوب وذكر علة أخرى وهي كونه نجساً وذكر عن الترمذي في نوادر الأصول أن الحمار أظهر جوهرة الخبيث حيث نزا على ذكره وتلوط فسمى لذلك رجساً وليس في الدواب من يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار والخنزير.

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

شرح الكلمات :

- أشركوا : أي جعلوا لله شركاء له يعبدونهم معه .
ولا حرمنّا من شيء : أي مما حرموه من البحائر والسوائب والوصائل والحامات .
ذاقوا بأسنا : أي عذابنا .
تخربصون : تكذبون .
الحجة البالغة : الدليل القاطع للدعوي الباطلة .
هلم شهداءكم : أي أحضروهم .
يعدلون : أي به غيره من الأصنام وسائر المعبودات الباطلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في رد ترهات وأباطيل العادلين برهم المشركين في ألوهيته سواء فذكر تعالى في الآيتين (١٤٨) و(١٤٩) شبهة للمشركين يتخذونها مبرراً لشركهم وباطلهم وهي قولهم : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا خرمنّا من شيء ﴾^(١) يريدون أن عدم مؤاخذه الله تعالى لنا ونحن نشرك به ونحرم مانحرمة دليل على رضا الله بذلك وإلا لمنعنا منه وحال دون فعلنا له ، فرد الله تعالى هذه الشبهة وأبطلها بقوله : ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ أي مثل هذا التكذيب الصادر من هؤلاء العادلين برهم من كفار قريش ومشركيها كذب الذين من قبلهم من الأمم ، وما زالوا على تكذيبهم حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فلو كان تعالى راضياً بشركهم وشرهم وباطلهم لما أخذهم فإمهال الله تعالى للناس لعلهم يتوبون ليس دليلاً على رضا بالشرك والشر ، والحجة أنه متى انتهت فترة الإمهال نزل بالمكذبين العذاب .

(١) إلى اليوم والغافلون من المسلمين يحتجون بما احتج به المشركون الأولون ويقولون لو شاء الله أن نصلي لصلينا ولو شاء الله أن نترك المحرم لتركناه وهو احتجاج باطل لا وزن له .

(٢) أي من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

(٣) قولهم هذا دال على جهل مركب منهم بالله تعالى وحكمته وتدبيره وهذا ناتج عن كفرهم وعدم إيمانهم بالله وكتابه ورسوله ، فالله أوجد العبادة في هذه الحياة ليتبليهم ثم يجزيهم لا أن يجبرهم على ما يحب منهم .

(٤) في قوله كذلك كذب الذين من قبلهم دلالة على أن المشركين لم يريدوا من قولهم لو شاء الله ما أشركنا إلا رد قول الرسول وتكذيبه فيما جاء به ويدعوهم إليه حتى لكان كلامهم هذا من باب كلمة حق أريد بها باطل .

وقوله تعالى ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمذنبين العادلين برهم ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه﴾ أي ليس لديكم علم على ما تدعونه فتخرجوه لنا، ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾ أي ماتبعون في دعاويكم الباطلة إلا الظن، ﴿وإن أنتم إلا تحرصون﴾ أي وما أنتم إلا تحرصون أي تقولون بالحزر والحرص فتكذبون، وقوله تعالى ﴿قل فله الحجة البالغة﴾ أي يعلم رسوله أن يقول لهم بعد أن دحض شبهتهم وأبطلها إن لم تكن لكم حجة فله الحجة البالغة، ومع هذا ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم أجمعين﴾ وهو على ذلك قدير، وإنما حكمه في عبادته وستته فيهم أن يكلفهم اختبارا لهم ويوضح الطريق لهم ويقيم الحجة عليهم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية وأما الآية الثالثة (١٥٠) وهي قوله تعالى : ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ أي الذين حرمتهم فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بهم «فإن شهدوا فلا تشهد معهم» وإن فرضنا أنهم يأتون بشهداء باطل يشهدون فلا تفرهم أنت أيها الرسول على باطلهم بل بين لهم بطلان ما ادعوه، فإنهم لا يتبعون في دعاويهم إلا الأهواء، وعليه ﴿لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾، وقد جمع هؤلاء المشركون كل هذه العظائم من الذنوب التكذيب بآيات الله، وعدم الإيمان بالآخرة، والشرك برهم فكيف يجوز اتباعهم وهم مجرمون ضالون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والاستمرار فيها.
- ٢ - لا حجة إلا فيما قام على أساس العلم الصحيح .
- ٣ - الحكمة في عدم هداية الخلق كلهم مع قدرة الله تعالى على ذلك هو التكليف

(١) إن في الموضوعين نافية بمعنى (ما) كما هي في التفسير.

(٢) قاله الفاء هنا هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن كلام سابق ترتب عليه ما بعدها ترتب الجزاء على الشرط تقديره هنا فإن كان قولكم لمجرد اتباع الظن والحرص والحزر ولا علم لكم فله تعالى الحجة البالغة التي تصل إلى الحقيقة وتؤكدها وتبطل ما عداها.

(٣) الأمر هنا للتعجيز والشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد.

(٤) أي كذبهم واعلم بأنهم شهداء زور فقوله تعالى فلا تشهد معهم معناه كذبهم ولا تفرهم فإنهم شهداء زور لا غير.

٤ - مشروعية الشهادة وحضور الشهود.

٥ - عدم إقرار شهادة الباطل وحرمة السكوت عنها.

٦ - حرمة اتباع أصحاب الأهواء الذين كذبوا بآيات الله.

❁ قُلْ

تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

شرح الكلمات :

اتل : اقرأ.

- من إملاق : من فقر .
 الفواحش : جمع فاحشة كل ما قبح واشتد قبحه كالزنى والبخل .
 حرم الله : أي حرم قتلها وهي كل نفس إلا نفس الكافر المحارب .
 إلا بالحق : وهو النفس بالنفس وزنى المحصن ، والردة .
 بالتى هي أحسن : أي بالخصلة التى هي أحسن .
 أشده : الإحتلام مع سلامة العقل .
 بالقسط : أي بالعدل .
 إلا وسعها : طاقتها وما تتسع له .
 تذكرون : تذكرون فتعظون .
 السبل : جمع سبيل وهي الطريق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال باطل العادلين برهم المتخذين له شركاء الذين يجرمون بأهوائهم ما لم يحرمه الله تعالى عليهم فقد أمر تعالى رسوله في هذه الآيات الثلاث أن يقول لهم : ﴿ تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ لا ما حرمتموه أنتم بأهوائكم وزينه لكم شركاؤكم . ففي الآية الأولى جاء تحريم خمسة أمور وهي : الشرك ، وعقوق الوالدين ، وقتل الأولاد ، وارتكاب الفواحش ، وقتل النفس فقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ أن لا تشركوا به شيئاً ﴿ فأن تفسيريّة ، ولا ناهية وهذا أول محرم وهو الشرك بالله تعالى ، وبالوالدين إحساناً ﴾ ، وهذا أمر إذ التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً ، والأمر بالشيء نهي عن ضده فالأمر بالإحسان يقتضي تحريم الإساءة والإساءة إلى الوالدين هي عقوقهما ، فكان عقوق الوالدين محرماً داخلاً ضمن المحرمات المذكورة في هذه الآيات الثلاث . ﴿ ولا تقتلوا ﴾

(١) أي أقبلوا وتقدموا وما موصولة بمعنى الذي حرم ربكم عليكم وفي الآية دليل على وجوب بيان المحرمات للأمة حتى تتجنبها ، والعلماء منوط بهم ذلك .

(٢) هذه الآيات الثلاثة : قل تعالوا أتل إلى قوله تتقون تضمنت عشرًا من الوصايا قال ابن عباس هي محكمات واجمعت الشرائع الإلهية على تقريرها والعمل بها .

(٣) أي فسرت المحرم وهو الشرك بالله تعالى ، وهو أول المحرمات وقدم لأنه أخطرها وأضرها بالإنسان .

(١) أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴿ فهذا المحرم الثالث وهو قتل الأولاد من الإملاق الذي هو الفقر وهذا السبب غير معتبر إذ لا يجوز قتل الأولاد بحال من الأحوال وإنما ذكر لأن المشركين كانوا يقتلون أطفالهم لأجله وقوله تعالى ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ تعليل للنهي عن قتل الأولاد من الفقر إذ مادام الله تعالى يرزقكم أنتم أيها الآباء ويرزق أبناءكم فلم تقتلونهم؟ وفي الجملة بشارة للأب الفقير بأن الله تعالى سيرزقه هو وأطفاله فليصبر وليرج، ولا يقتل أطفاله. وقوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾. هذا الأمر الرابع مما حرم الله تعالى، وهو فعل الفاحشة التي هي الزنى وسواء ما كان منه ظاهراً أو باطناً والتحريم شامل لكل خصلة قبيحة قد اشتد قبحها وفحش فأصبح فاحشة قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً، وقوله: ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ (٢) هذا هو المحرم الخامس وهو قتل النفس التي حرم الله قتلها وهي كل نفس ما عدا نفس المحارب فإنها مباحة للقتل، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة واحد من ثلاثة وهي القود والقصاص فمن قتل نفساً متعمداً جاز قتله بها قصاصاً. والزنى بعد الإحصان فمن زنى وهو محصن وجب قتله رجماً بالحجارة كفارة له، والردة عن الإسلام، وقد بينت هذه الحقوق السنة فقد قال ﷺ في الصحيح: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ لعنكم تعقلون ﴾ أي ليعدكم بترك هذه المحرمات الخمس لأن تكونوا في عداد العقلاء، لأن من يشرك بربه صنفاً أو يسيء إلى أبويه أو يقتل أولاده أو يفجر بنساء الناس أو يقتلهم، لا يعتبر عاقلاً أبداً إذ لو كان له عقل ما أقدم على هذه العظائم من الذنوب والآثام.

(٣) وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان

(١) استدل بهذه الآية من قال بتحريم العزل ومثله اليوم استعمال الحبوب لمنع الحمل والجمهور على الجواز للضرورة فقط لقول الرسول ﷺ في العزل: «ذلك الواد الخفي» فإنه إن لم يدل على التحريم دل على الكراهية.

(٢) قوله تعالى إلا بالحق يخرج به نفس الكافر المحارب فقط فهي التي تقتل بحق الحرب والكفر، وما عداها فكل نفس محرمة القتل ولذا حرم رسول الله ﷺ نفس الكافر المعاهد والذمي بقوله من قتل معاهداً في غير كنهه أي في غير الحقيقة التي توجب قتله كتنقض المعاهدة مثلاً. حرم الله عليه الجنة، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة القتل هو قتل النفس. وزنى المحصن والردة والخروج عن إمام المسلمين والمفارقة للجماعة.

(٣) قيل الأشد مفرد لا جمع له بمنزلة الأنك أي الرصاص. وقيل واحده شد نحو فلس وفلس، وهو مأخوذ من شد النهار إذا ارتفع.

ذا قربى ، ويعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴿ في هذه الآية جاء تحريم أربعة أمور هي : أكل مال اليتيم ، والتطفيف في الوزن ، والجور في الأقوال والأحكام ، ونكث العهد . فقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ أي بما ينقصه أو يفسده إلا بالحالة التي هي أحسن له نداءً وحفظاً وقوله ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ بيان لزمن اليتيم وهو من ولادته وفوت والده إلى أن يبلغ زمن الأشد وهو البلوغ ، والبلوغ يعرف بالاحتلام أو نبات شعر العانة ، وفي الجارية بالحيض أو الحمل ، وبلوغ الثامنة عشرة من العمر وعلى شرط أن يبلغ اليتيم عاقلاً ^(١) فإن كان غير عاقل يبقى في كفالة كافله ، وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أمر بتوفية الكيل والوزن ، والأمر بالشيء نهي عن ضده ، وبذا حرم بخس الكيل والوزن والتطفيف فيهما وقوله ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل بحيث لا يزيد ولا ينقص ، وقوله ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أي طاقتها رفعاً للحرص عن المسلم في الكيل والوزن إذا هو نقص أو زاد بغير عمد ولا تساهل .

وقوله تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ هذا المحرم الثالث وهو قول الزور وشهادة الزور ، إذ الأمر بالعدل في القول ولو كان المقول له أو فيه قريباً نهي عن ضده وهو الجور في القول .

وقوله تعالى ﴿ ويعهد الله أوفوا ﴾ متضمن للمحرم الرابع وهو نكث العهد وخلف الوعد ، إذ الأمر بالوفاء بالعهود نهي عن نكثها وعدم الوفاء بها ، وقوله تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ إشارة إلى ماتضمنته هذه الآية الثانية مما حرم تعالى على عباده ، وقوله ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي ليعدكم بذلك لأن تذكروا فتتعضوا فتجتنبوا ما حرم عليكم . وقوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ هذه هي الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر وقد تضمنت

(١) لأن الرشد لا يكون إلا مع العقل والله يقول فإن آنستم منهم رشداً والرشد مقابل السفه وهو إساءة التصرف فيما اسند إليه من مال وغيره .

(٢) ورد في التطفيف وعيد شديد قال تعالى ويل للمطففين ، وقال الرسول ﷺ « لا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق » .

(٣) الأمر بالعدل في القول يتناول الأحكام والشهادات .

(٤) هذا الوفاء عام في كل ما عهد الله تعالى به إلى عباده من سائر الفرائض والواجبات وسائر التكاليف كما يتضمن العهود التي تكون بين الإنسان وأخيه الإنسان .

(٥) هذه الوصايا العشر موجودة في أول التوراة ومع الأسف أضاعها اليهود لشقايتهم .

الأمر بالتزام الإسلام عقائداً وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً وآداباً، كما تضمنت النهي عن اتباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسبل، ومادام الأمر بالتزام الاسلام يتضمن النهي عن ترك الاسلام فقد تضمنت الآية تحريماً ألا وهو ترك الإسلام واتباع غيره هذا الذي حرم الله تعالى على عباده لا ماحرمه المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم وقوله تعالى: ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ إشارة إلى التزام الإسلام وترك ما عداه ليعدكم بذلك للتقوى وهي إتقاء غضب الرب تعالى وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - هذه الوصايا العشر عليها مدار الاسلام وسعادة الإنسان في الدارين كان عبدالله بن مسعود يقول فيها «من سره أن ينظر إلى وصية رسول الله التي عليها خاتمه فليقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام: ﴿ قل تعالوا تتقون ﴾ .
- ٢ - حرمة الشرك وحقوق الوالدين وقتل الأولاد والزنى واللواط وكل قبيح من قول أو عمل أو اعتقاد وقتل النفس إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، وقول الزور وشهادة الزور، ونكث العهد وخلف الوعد. والردة عن الإسلام، واتباع المذاهب الباطلة والطرق الضالة.
- ٣ - كمال العقل باجتنب المحرمات الخمس الأولى.
- ٤ - الحصول على ملكة المراقبة باجتنب المحرمات الأربع الثانية.
- ٥ - النجاة من النار والخزي والعار في الدارين بالتزام الاسلام حتى الموت والبراءة من غيره من سائر المذاهب والملل والطرق^(١).

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالَمِهِمْ يَلْقَاءُ

(١) روى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها . ثم قرأ هذه الآية قل هذه سبيلي . وهذه

صورة تقريبية .
شياطين البدع
شياطين البدع

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

شرح الكلمات :

الكتاب :

التوراة .

وتفصيلاً لكل شيء : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها
وأحكامها .

وهذا كتاب أنزلناه : القرآن الكريم .

مبارك

: خيريته ونفعه وبركته دائمة .

على طائفتين من قبلنا : اليهود والنصارى .

عن دراستهم : أي قراءتهم لكتبهم لأنها بلسانهم ونحن لانفهم ذلك .

وصدَف عنها : أعرض عنها ولم يلتفت إليها .

سوء العذاب : أي سيء العذاب وهو أشده .

معنى الآيات :

هذا الكلام متصل بما قبله ، فثم حرف عطف والمعطوف عليه هو قل تعالوا أتل الآيات
أي ثم قل يارسولنا أتى ربي موسى الكتاب تماماً لِنَعِمِهِ ﴿على الذي أحسن﴾ طاعة ربه وهو

(١) قال الزجاج : ثم ها هنا للعطف على معنى التلاوة ، فالمعنى اتل ما حرم ربكم عليكم . ثم أتل عليكم ما أتى الله موسى
الخ . فهي إذا لعطف الجمل وما كان لعطف الجمل فلا يراعى فيه تراخي الزمان .

موسى عليه السلام، ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ مما تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها، وعباداتها وأحكامها العامة والخاصة ﴿وهدي﴾ يتبينون به الحق والصواب، ﴿ورحمة﴾ لهم في دنياهم لما يحمله من الدعوة إلى العدل والخير رجاء أن يوقنوا بقاء ربهم.

هذا ما دلّت عليه الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بقاء ربهم﴾ أي بني إسرائيل ﴿يؤمنون﴾ فيعملون الصالحات ويتخلون عن المفسدات والشرور لما تجلبه لهم من غضب الله تعالى وعذابه.

أما الآية الثانية (١٥٥) فقد أشاد الله تعالى بالقرآن الكريم ممثناً بإنزاله وما أودع فيه من البركة التي ينالها كل من يؤمن به ويعمل به ويتلوه تعبدًا وتقرباً وتعلماً.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ وقوله ﴿فاتبعوه...﴾ (١) أمر للعباد باتباع ما جاء في القرآن الكريم من عقائد وعبادات وشرائع وأحكام فإن من اتبعه قاده إلى السعادة والكمال في الحياتين، وقوله ﴿واتقوا لعلكم ترحمون﴾ أي اتقوا ترك العمل به ليعدكم ذلك الذي هو متابعة القرآن والتقوى للرحمة فترحمون في الدنيا والآخرة.

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ فمعناها: إن الله تعالى أنزل الكتاب على رسوله محمد ﷺ وأمره بتلاوته وإبلاغه الناس لئلا يقول الكافرون من العرب إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل، ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ إذ لم نعرف لغتهم، ولم نعرف ما يقرأونه في كتابهم، فنقوم الحجة لكم علينا فقطعاً هذه الحجة أنزلنا الكتاب.

وقوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ كما قطع تعالى عذرهم بإنزال كتابه الكريم لو قالوا يوم القيامة إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى ونحن لم ينزل إلينا شيء فلذا ما عرفنا ربنا ولا عرفنا محابه ومكارهه فنطيعه بفعل محابه وترك مكارهه، قطع كذلك عذرهم لو قالوا

(١) أي رجاء أن يؤمنوا بقاء ربهم.

(٢) أي اعملوا بما فيه متبعين ما فيه من أوامر ونواه تفعلون الأمر وتتركون النهي.

(٣) أي اتقوا تحريفه وتبديله كما فعلت اليهود.

لو أنا أنزل علينا الكتاب الهادي إلى الحق المعرف بالهدى لكننا أهدي من اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب قبلنا، فقال تعالى ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ وهو القرآن الكريم ورسوله المبلغ له ﴿ وهدى ورحمة ﴾ أي وجاءكم الهدى والرحمة يحملهما القرآن الكريم، فأى حجة بقيت لكم تحتجون بها عند الله يوم القيامة إنكم إن لم تقبلوا هذه البينة وما تحمله من هدى ورحمة فقد كذبتكم بآيات الله وصدفتم عنها ولا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها، وسيجزىكم بما يجزي به المكذبين بآيات الله الصادقين عنها.

هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٧) ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدي منهم ﴾ أي كراهية أن تقولوا. ﴿ فقد جاءكم ^(١) بينة من ربكم وهدى ^(٢) ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان منه الله تعالى على موسى عليه السلام والثناء عليه لإحسانه .
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة .
- ٣ - الإشادة بالقرآن الكريم، وما أودع الله فيه من البركة والهدى والرحمة والخير
- ٤ - قطع حجة المشركين بإنزال الله تعالى كتابه وإرسال رسوله محمد ﷺ .
- ٥ - التنديد بالظلم ^(٣)، وبيان جزاء الظالمين المكذبين بآيات الله المعرضين عنها .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا

(١) أي بطل عذرهم بمجيء النبي الأمي ﷺ لكم وهو البينة وسمي بينة لكماله الخلقي والخلقي ولما معه من العلوم والمعارف الإلهية وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٢) الهدى والرحمة المراد بهما ما في القرآن الكريم من هدى ورحمة للمؤمنين بقرينة. فمن أظلم ممن كذب بآيات الله.

(٣) وفي الحديث الصحيح : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ». وفي آخر الظلم يذر الديار بلاقع أي قفراً خالية.

إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍ هَاتِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات :

بعض آيات ربك : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها .

كسبت في إيمانها خيراً : من الطاعات والقربات .

فرقوا دينهم : جعلوه طرائق ومذاهب تتعاضد .

وكانوا شيعاً : طوائف وأحزاباً .

من جاء بالحسنة : أي أتى يوم القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته

والعمل بطاعته وطاعة رسوله .

ومن جاء بالسئنة : أي بالشرك بالله ومعاصيه .

معنى الآيات :

بعد ذكر الحجج وإنزال الآيات التي هي أكبر بينة على صحة التوحيد وبطلان الشرك،

والعادلون برهم الأصنام مازالوا في موقفهم المعادي للحق ودعوته ورسوله فأنزل الله تعالى

قوله : ﴿ هل ينظرون . . . ﴾ أي ما ينتظرون ﴿ إلا أن تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض

أرواحهم ، ﴿ أو يأتي ربك ﴾ يوم القيامة لفضل القضاء ، ﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ الدالة

على قرب الساعة كطلوع الشمس من مغربها ، إن موقف الإصرار على التكذيب هو موقف

المنتظر لما ذكر تعالى من الملائكة ومجيء الرب تعالى أو مجيء علامات الساعة للفناء . وقوله

تعالى ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك ﴾ الدالة على قرب الساعة وهي طلوع الشمس من

(١) الآيات بمعنى العلامات الدالة على قرب الساعة الكبرى منها عشر جاءت في حديث مسلم إذ روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات . طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب . وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا .

مغربها إيداناً بقرب ساعة الفناء في هذه الحال يخبر تعالى أن نفساً لم تكن آمنت قبل ظهور هذه الآية لو آمنت بعد ظهورها لا يقبل منها إيمانها ولا تنتفع به لأنه أصبح إيماناً اضطرارياً لا اختيارياً، كما أن نفساً آمنت به قبل الآية، ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً وأرادت أن تكسب الخير فإن ذلك لا ينفعها فلا تثاب عليه، لأن باب التوبة مفتوح إلى هذا اليوم وهو يوم طلوع الشمس من مغربها فإنه يغلق

وقوله تعالى ﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ يأمر الله رسوله أن يقول لأولئك العادلين برهم المصريين على الشرك والتكذيب: مادمت منتظرين انتظروا إنا منتظرون ساعة هلاككم فإنها آتية لا محالة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآيتان بعدها فإن الله تعالى أخبر رسوله بأن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أي طوائف وأحزاباً وفرقاً مختلفة كاليهود والنصارى، ومن يتدع من هذه الأمة بدعاً فيتابع عليها فيصبحون فرقاً وجماعات ومذاهب مختلفة متطاحنة متحاربة هؤلاء ﴿لست منهم في شيء﴾ أي أنت برىء منهم، وهم منك بريئون، وإنما أمرهم إلى الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم فإنه سيجمعهم يوم القيامة ثم ينبتهم بها كانوا يعملون من الشر والخير ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلاً، وهم لا يظلمون﴾ من قبلنا فلا ننقص المحسن منهم حسنة من حسناته، ولا نضيف إلى سيئاته سيئة ماعملها، هذا حكم الله فيهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - إثبات صفة الإتيان في عرصات القيامة للرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.
- ٢ - تقرير أشرط الساعة وإن طلوع الشمس منها وأنها متى ظهرت أغلق باب التوبة.
- ٣ - حرمة الفرقة في الدين وأن اليهود والنصارى فرقوا دينهم وأن أمة الإسلام أصابها الفرقة كذلك بل وهي أكثر لحديث وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.

(١) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها» فذلك ﴿حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾.

(٢) قرئ فارقوا دينهم أي تركوه وتخلوا عنه وقراءة الجمهور فرّقوا بالتضعيف حيث أصبح لكل فرقة اعتقاد وعمل خاص بها ومن فرّق فقد فارق أحب أم كره.

- ٤ - براءة الرسول ﷺ ممن فرقوا دينهم وترك الأمر لله يحكم بينهم بحكمه العادل .
٥ - مضاعفة الحسنات ، وعدم مضاعفة السيئات عدل من الله ورحمة .

قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم
خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَاءِ آتِنَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

شرح الكلمات :

قيماً ^(١) :	أي مستقيماً .
ملة إبراهيم :	أي دين إبراهيم وهو الإسلام .
حنيفاً :	مائلاً عن الضلالة إلى الهدى .
ونسكي :	ذبحي تقرباً إلى الله تعالى .
ومحياي :	حياتي .
أبغي رباً :	أطلب رباً : إلهاً معبوداً أعبد .
ولا تزر وازرة :	أي لا تحمل نفس وازرة أي آثمة .
وزر أخرى :	أي إثم نفس أخرى .

(١) قيماً مصدر على وزن شيع وصف به المنسوب وهو ديناً ومعناه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام .

خلائف الأرض : أي يخلف بعضكم بعضاً جيل يموت وآخر يحيا إلى نهاية الحياة .
ليلوكم فيما آتاكم : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة والمرض والمال والفقر والعلم والجهل .

معنى الآيات :

في هذه الآيات وهي خاتمة هذه السورة التي بلغت آياتها بضعا وستين ومائة آية وكانت كلها في الحجاج مع العادلين برهم وبيان طريق الهدى لهم لعلهم يؤمنون فيوحدون ويسلمون . في هذه الآيات أمر الله رسوله أن يعلن عن مفاصلته لأولئك المشركين فقال له ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ﴾ ^(١) ﴿ أي ما أذبحه تقرباً إلى ربي ، ﴾ ﴿ ومحياي ﴾ ﴿ أي ما آتبه في حياتي ﴾ ﴿ وماتي ﴾ ﴿ أي ما أموت عليه من الطاعات والصالحات ﴾ ﴿ الله رب العالمين ﴾ وحده ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت ﴾ ﴿ أي أمرني ربي سبحانه وتعالى ، ﴾ ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ لا يسبقني أحد أبداً . كما أمره أن ينكر على المشركين دعوتهم إليه ﷺ لأن يعبد معهم آلهتهم ، ليعبدوا معه إلهه وقال : ﴿ قل أغير الله أبغي رباً ﴾ أي أطلب إلهاً ، ﴿ وهو رب كل شيء ﴾ أي مامن كائن في هذه الحياة إلا والله ربه أي خالقه ورازقه ، وحافظه ، وأعلمه أنه لا تكسب نفس من خير إلا وهو لها ، ولا تكسب من شر إلا عليها ، وأنه ﴿ ولا تزر وزارة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس مذنب ذنب نفس مذنب أخرى ، وأن مرد الجميع إلى الله تعالى ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ أي ويقضي بينكم فينجو من ينجو ويهلك من يهلك ، كما أخبره أن يقول : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً هذا يموت فيورث ، وهذا الوارث يموت فيورث ، وقوله ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ أي هذا غنى وهذا فقير ، هذا صحيح وهذا ضير هذا عالم وذاك جاهل ، ثم علل تعالى لتدبيره فينا بقوله ﴿ ليلوكم ﴾ أي يختبركم فيما آتاكم ليرى الشاكر ويرى الكافر وللازم الابتلاء النجاح أو الخيبة فلذا قال ﴿ إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ فيعذب الكافر ويغفر ويرحم الشاكر .

هداية الآيات :

(١) قبل المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقرباً وقيل صلاة نافلة والعموم أولى . وكذا النسك يطلق على الذبح تقرباً وهو مراد هنا ويطلق على سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد .
(٢) وقال القرطبي في الآية وما أوصى به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم .

من هداية الآيات :

- ١ - ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام .
- ٢ - مشروعية قول ﴿ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ في القيام للصلاة .
- ٣ - لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شيء .
- ٤ - عدالة الله تعالى تتجلى يوم القيامة .
- ٥ - عدالة الجزاء يوم القيامة .
- ٦ - تفاوت الناس في الغنى والفقر والصحة والمرض ، والبر والفجور وفي كل شىء مظهر من مظاهر تدبير الله تعالى في خلقه . ينتفع به الذاكرون من غير أصحاب الغفلة والنسيان .

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

(٧) مكية

وآياتها خمس ومائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِنُنْذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

(١) لحديث مسلم عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أقام الصلاة قال وجهت وجهي لله فاطر السموات . الخ . الآية وفيه دعاء طويل ذكره القرطبي عند تفسير هذه الآية .

(٢) إلا قوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُهُم عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ . فإنها مدنيات .

شرح الكلمات :

المص : هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا : ألف لَام ميم صَاد . والله أعلم

بمراده بها .

كتاب : أي هذا كتاب .

حرج : ضيق .

وذكرى : تذكرة بها يذكرون الله وماعنده ومالديه فيقبلون على طاعته .

أولياء : رؤساؤهم في الشرك .

ما تذكرون : أي تتعظون فترجعون إلى الحق .

وكم من قرية : أي كثيراً من القرى .

بأسنا بياتا : عذابنا ليلاً وهم نائمون .

أو هم قائلون : أي نائمون بالقيولة وهم مستريحون .

فما كان دعواهم : أي دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا ظالمين .
معنى الآيات :

﴿المص﴾ في هذه الحروف إشارة إلى أن هذا القرآن تألف من مثل هذه الحروف المقطعة

وقد عجزتم عن تأليف مثله فظهر بذلك أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله فأمنوا به وقوله

﴿كتاب﴾ أي هذا كتاب ﴿أنزل إليك﴾ يارسولنا ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي ضيق

منه ﴿لتنذر به﴾ قومك عواقب شرهم وضلالهم ، وتذكربه المؤمنين منهم ذكرى وقل لهم

﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ من الهدى والنور ، ﴿ولا تتبعوا من دونه﴾ أي من غيره

﴿أولياء﴾ لا يأمرونكم إلا بالشرك والشر والفساد ، وهم رؤساء الضلال في قرىش ﴿قليلاً

ما تذكرون﴾ أي تتعظون فترجعون إلى الحق الذي جانبتموه ﴿وكم من قرية﴾ أي وكثيراً من

القرى أهلكنا أهلها لما جانبوا الحق ولازموا الباطل ﴿فجاءها بأسنا﴾ أي عذابنا الشديد

(١) جملة : ﴿أنزل إليك﴾ يصح إعرابها في محل نعت لكتاب ويصح إعرابها في محل نصب حالاً من هذا كتاب نحو : (هذا بعلي شيخاً) وإن لم يقدر لفظ هذا تعرب جملة حيثن في محل رفع خبر كتاب ، ويكون التنكير في كتاب للتعظيم وهو كالوصف فيسوغ الابتداء به وإن كان نكرة نحو قولهم : شرُّ أمرنا ناب .

(٢) قالت العلماء : كل من رضي مذهبا فاهل ذلك المذهب أولياؤه ، ومنع أولياء من الصرف لأن فيه ألف التانيث .

(٣) كم : للتنكير كما أن رب للتقليل وهي في موضع رفع على الابتداء ، والخبر جملة أهلكناها ، والتقدير : وكثير من القرى أهلكناها .

(٤) ﴿فجاءها﴾ في حرف الفاء هنا إشكال لأن الإهلاك قد تمّ فما معنى مجيء البأس حيثن؟ وعليه فليكن تقدير الكلام : وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا .

(٥) البأس : العذاب الآتي على النفس .

﴿يَبَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي ليلاً أو نهاراً، فما كان دعاءهم يومئذ إلا قولهم: يا ويلنا إنا كنا ظالمين فاعترفوا بذنبهم، ولكن هيهات أن ينفعهم الاعتراف بعد معاناة العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - القرآن الكريم هو مصدر نذارة الرسول ﷺ وبشارته بها حواه من الوعد والوعيد، والذكرى والبشرى.

٢ - وجوب اتباع الوحي، وحرمة اتباع ما يدعو إليه أصحاب الأهواء والمبتدعة.

٣ - الاعتبار بما حل بالأمم الظالمة من خراب ودمار.

٤ - لا تنفع التوبة عند معاناة الموت أو العذاب.

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
شرح الكلمات:

أرسل إليهم : هم الأمم والأقوام.

فلنقصن عليهم بعلم : فلنخبرنهم بأعمالهم متبعين لها فلا نترك منها شيئاً.

وما كنا غائبين : أي عنهم أيام كانوا يعملون.

الوزن يومئذ الحق : أي العدل.

فمن ثقلت موازينه : أي بالحسنات فأولئك هم المفلحون بدخول الجنة.

خسروا أنفسهم : بدخولهم النار والإصطلاء بها أبداً.

معايش : جمع معيشة بمعنى العيش الذي يعيشه الإنسان.

(١) الدعاء والدعوى بمعنى واحد ومنه : وآخر دعواهم أي : دعائهم.

قليلاً ماتشكرون : أي شكراً قليلاً والشكر ذكر النعمة للمنعّم وطاعته بفعل محابه وترك مكارهه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ يخبر تعالى أنه إذا جمع الخلائق لفصل القضاء مؤكداً الخبر بالقسم أنه يسأل كل أمة أو جماعة أو فرد أرسل إليهم رسله يسألهم عن مدى إجابتهم دعوة رسله إليهم ، فهل آمنوا بما جاءتهم به الرسل ، وأطاعوهم فيما بلغوهم من التوحيد والعبادة والطاعة والانقياد ، كما يسأل الرسل أيضاً هل بلغوا ما ائتمنهم عليه من رسالته المتضمنة أمر عباده بالإيمان به وتوحيده وطاعته في أمره ونهيه ، ثم يقصّ تعالى على الجميع بعلمه كل ما كان منهم من ظاهر الأعمال وباطنها ، ولا يستطيعون إخفاء شيء أبداً ، ولم يكن سؤاله لهم أولاً ، إلا من باب إقامة الحجة وإظهار عدالته سبحانه وتعالى فيهم ، ولتوبيخ من يستحق التوبيخ منهم ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ عنهم حينما كانوا في الدنيا يعملون فكل أعمالهم كانت مكشوفة ظاهرة له تعالى ولا يخفى عليه منها شيء وهو السميع البصير .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦) والثانية (٧) أما الآيتان الثالثة والرابعة فقد أخبر تعالى أنه بعد سؤالهم وتعريفهم بأعمالهم ينصب الميزان وتوزن لهم أعمالهم فمن ثقلت موازين حسناته أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة دار السلام ومن خفّت لقلته حسناته وكثرت سيئاته خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي ، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم

-
- (١) وحده والثناء بها عليه .
 (٢) في الآية دليل على أن الكفار يحاسبون وإن لم توزن أعمالهم لقوله تعالى ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ فمحاسبتهم لإظهار العدالة الإلهية لا لأن لهم أعمالاً صالحة يجزون بها والله أعلم .
 (٣) ويشهد لهذه المسألة قوله ﷺ في الصحيح : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته ، والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده) .
 (٤) هنا زلت أقدام المعتزلة فأولوا الوزن للأعمال والميزان وقالوا : الأعراض لا توزن ، ولو اتبعوا لأولوا الميزان بالصراط والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة وهكذا حتى لا يبقى للدين حقيقة والعباد بالله من فساد القلوب والعقول ومن الجري وراء فلسفة الإغريق واليونان .
 (٥) ورد في السنة الصحيحة أن الأعراض تحوّل إلى أجسام وتوزن كما في حديث : أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة وكانهما غماتان . الحديث ، كما توزن صحائف الأعمال لحديث : (فطاشت السجلات ونقلت البطاقة) وحديث : (يؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة) وبهذا تقرر أن الأعمال توزن وتوزن محالها وفاعلوها والله على ذلك قدير .

بقوله ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلَمُونَ﴾ أي يكذبون ويحسدون ، وأطلق الظلم وأريد به التكذيب والجهود لأمرين هما :

أولاً : اكتفاء بحرف الجر الباء إذ لا تدخل على ظلم ولكن على كذب أو جحد يقال كذب به وجحد به ولا يقال ظلم به ولكن ظلمه وهذا من باب التضمين وهو سائغ في لغة العرب التي نزل بها القرآن .

وثانياً : أنهم بدل أن يؤمنوا بالآيات وهي واضحات كذبوا بها فكانوا كأنهم ظلموا الآيات ظلماً حيث لم يؤمنوا بها وهي بينات .

هذا مادلت عليه الآيتان أما الآية الخامسة (١٠) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على عباده ، وكان المفروض أن يشكروا نعمه عليهم بالإيمان به وتوحيده وطاعته ، ولكن الذي حصل هو عدم الشكر من أكثرهم قال تعالى ﴿ ولقد مكناكم في الأرض ﴾ حيث جعلهم متمكنين في الحياة عليها يتصرفون فيها ويمشون في منابها ، وقوله ﴿ وجعلنا لكم فيها معاش ﴾^(١) هذه نعمة أخرى وهي أن جعل لهم فيها معاش وأرزاقاً يطلبونها فيها ويحصلون عليها وعليها قامت حياتهم ، وقوله ﴿ قليلاً ماتشكرون ﴾ أي لا تشكرون إلا شكراً يسيراً لا يكاد يذكر .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة .
- ٢ - صعوبة الموقف حيث تسأل الأمم والرسل عليهم السلام كذلك .
- ٣ - الفلاح والخسران مبنيان على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا ، ومن كسب شراً هلك .

٤ - وجوب شكر النعم بالإيمان والطاعة لله ورسوله .

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

(١) المعاش : جمع معيشة ، والمعيشة : ما يتوصل به إلى العيش الذي هو الحياة من المطاعم والمشارب . والتمكين في الأرض : معناه جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها .

لَادَمَ فَسَجْدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾
 قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ
 وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
 فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
 ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
 صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ يَدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
 وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
 أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

خلقناكم ثم صورناكم : أي خلقنا أباكم آدم أي قدرناه من الطين ثم صورناه على الصورة
 البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود
 الإنساني .

فسجدوا : أي سجدوا تحية لآدم عليه السلام .

إبليس : أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم .

فاهبط منها : أي من الجنة .

من الصاغرین : جمع صاغر الذليل المهان .

فبما أغويتني : أي فبسبب إضلالك لي .

مذموماً مدحوراً : ممقوتاً مذموماً مطروداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعداد أنعم الله تعالى على عباده تلك النعم الموجبة لشكره تعالى بالإيمان

به وطاعته فقال تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾^(١) أي خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه بالصورة البشرية التي ورثها بنوه عنه ، ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وفي هذا إنعام آخر وهو تكريم أبيكم آدم بأمر الملائكة بالسجود له تحية له وتعظيماً ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾^(٢) لم يكن من الساجدين ﴿ أي أبى وامتنع أن يسجد ، فسأله ربه تعالى قائلاً : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾^(٣) إذ أمرتك ﴿ أي أي شيء جعلك لا تسجد فأجاب إبليس قائلاً : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين ﴾ فأنأ أشرف منه فكيف أسجد له ، ولم يكن إبليس مصيباً في هذه القياس الفاسد أولاً : ليست النار أشرف من الطين بل الطين أكثر نفعاً وأقل ضرراً ، والنار كلها ضرر ، وما فيها من نفع ليس بشيء إلى جانب الضرر وثانياً : إن الذي أمره بالسجود هو الرب الذي تحب طاعته سواء كان المسجود له فاضلاً أو مفضولاً ، وهنا أمره الرب تعالى أن يهبط من الجنة فقال ﴿ اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ أي الذليلين الحقيرين ، ولما وقع إبليس في ورطته ، وعرف سبب هلكته وهو عدم سجوده لآدم قال للرب تبارك وتعالى ﴿ انظرنى ﴾ أي أمهلني لا تمتني ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ فأجابه الرب بقوله ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وهو فناء هذه الدنيا فقط وذلك قبل البعث ، جاء هذا الجواب في سورة الحجر وهنا قال ﴿ إنك من المنظرين ﴾ ومراد إبليس في الإمهال التمكن من إفساد أكبر عدد من بني آدم انتقاماً منهم إذ كان آدم هو السبب في طرده من الرحمة ، ولما أجابه الرب إلى طلبه قال : ﴿ فيها أغويتني ﴾ أي أضللتني ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ يريد آدم وذريته ، والمراد من الصراط الإسلام إذ هو الطريق المستقيم والموصل بالسالك له إلى رضوان الله تعالى ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن

(١) ويصح أن يقال : خلقناكم نطقاً ثم صورناكم ، وما في التفسير أولى بالآية وأصح بدليل قوله : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ .

(٢) استثناء من غير الجنس إذ إبليس من الجن ولم يكن من الملائكة .

(٣) ﴿ ما منعك ﴾ ما : في موضع رفع بالابتداء فهي اسم استفهام والتقدير أي شيء منعك من السجود ، وأن المصدرية مدغمة في لا الزائدة بدليل عدم زيادتها في [ص] إذ قال : ﴿ ما منعك أن تسجد ﴾ أي : من السجود لآدم .

(٤) قال ابن عباس والحسن : أول من قاس إبليس فأخطأ القياس ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى مع إبليس . قال العلماء : من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة ولهذا تاب آدم ، ومن جوهر النار الخفة والحدة والطيش والارتفاع ولذا لم يتب إبليس .

(٥) معناه : لأصدنهم عن الحق ، وأرغبهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية الضلال ، وقال بعضهم : المراد من قوله : ﴿ من بين أيديهم ﴾ من دنياهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ من آخرتهم ، ﴿ وعن أيماهم ﴾ يعني حسناتهم ﴿ وعن شمائلهم ﴾ يعني سيئاتهم .

آيائهم وعن شمائلهم ﴿ يريد يحيط بهم فيمنعهم سلوك الصراط المستقيم حتى لا ينجوا ويهلكوا كما هلك هو زاده الله هلاكاً، وقوله ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ هذا قول إبليس للرب تعالى، ولا تجد أكثر أولاد آدم الذي أضللتني بسببه شاكرين لك بالإيمان والتوحيد والطاعات.

وهنا أعاد الله أمره بطرد اللعين فقال ﴿أخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي محمقوئاً مطروداً ﴿لمن تبعك منهم﴾ لأملاًن جهنم منكم أجمعين ﴿أي فبعزتي لأملأن جهنم منك ومن اتبعك منهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - خطر الكبر على الإنسان.
- ٢ - ضرر القياس^(١) الفاسد.
- ٣ - خطر إبليس وذريته على بني آدم، والنجاة منهم بذكر الله تعالى وشكره.
- ٤ - الشكر هو الإيمان والطاعة لله ورسوله ﷺ.

وَبَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰ كُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفَقَا

(١) اللام في ﴿لمن﴾ موطئة للقسم، واللام في ﴿لأملاًن﴾ في جواب القسم والتقدير: وعزتي من تبعك منهم لأملاًن جهنم منك ومنهم أجمعين.

(٢) القياس من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة مشروع محمود لأنه اعتصام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإنما المذموم المحرّم: القياس على غير أصل من هذه الأصول الثلاثة: الكتاب، السنة، الإجماع، وهذا علي ابن أبي طالب لما قال له أبو بكر رضي الله عنهما أقبلوني بيعتي فقال علي: والله لا نقيلك ولا نستقيلك رضىك رسول الله ﷺ على دنينا أفلا نرضاك لدينا فقام الإمامة على الصلاة، وقاس أبو بكر الزكاة على الصلاة.

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- وزوجك : هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر .
الجنة : دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج .
من الظالمين : أي لأنفسهم .
فوسوس : الوسوسة : الصوت الخفي ، وسوسة الشيطان لابن آدم إلقاء معاني فاسدة ضارة في صدره مزينة ليعتقدها أو يقول بها أو يعمل .
ليبيدي لهما ماووري : ليظهر لهما ماستر عنهما من عوراتهما .
وقاسمهما : حلف لكل واحد منهما .
فدلاهما بغرور : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغريه حتى أكلتا من الشجرة .
وظفقا يخصفان : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما .
معنى الآيات :

ولما طرد الرحمن إبليس من الجنة نادى آدم قائلاً له ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك﴾ أي حواء ﴿الجنة فكلتا من حيث شئتما﴾ يعني من ثمارها وخيراتهما ، ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أشار لهما إلى شجرة من أشجار الجنة معينة ، ونهاهما عن الأكل منها ، وعلمهما أنها إذا أكلتا منها كانا من الظالمين المستوجبين للعقاب ، واستغل إبليس هذه الفرصة التي أتاحت له فوسوس لهما مزيئاً لهما الأكل من الشجرة قائلاً لهما ﴿مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن

(١) الوسواس اسم للشيطان أيضاً قال تعالى : ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ .

(٢) اللام : لام العاقبة والصبرورة .

(٣) ذهب الأولون مذاهب في تحديد كيفية اتصال إبليس بآدم وحوارهما في الجنة وهو خارج منها حتى وسوس لهما فأكلتا من الشجرة التي لم يأذن الله تعالى لهما في الأكل منها إلا أن المخترعات الحديثة بينت لنا كيفية ذلك الاتصال وبيانه : أن الإنسان في نفسه قابلية لتلقي الوسواس أشبه ما تكون بجهاز اللاسلكي بواسطتها يتم الاتصال بين الإنسان وعدوه إبليس وذريته

تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿١﴾ وقاسمهما ﴿٢﴾ أي حلف لهما أنه ناصح لهما وليس بغاش لهما، ﴿٣﴾ فدلّاهما بغرور ﴿٤﴾ وخداع حتى أكلا ﴿٥﴾ فلما ذاقا الشجرة بدت . . . ﴿٦﴾ أي ظهرت لهما سوءاتهما حيث انحسر النور ﴿٧﴾ الذي كان يغطيها، فجعللا يشدان من ورق الجنة على أنفسهما ليستر عوراتهما، وهو معنى قوله تعالى ﴿٨﴾ وطفقا يخلصا عليهما من ورق الجنة ﴿٩﴾ وعندئذ ناداهما ربهما سبحانه وتعالى قائلاً: ألم أنهما عن هذه الشجرة وهو استفهام تأديب وتأنيب، ﴿١٠﴾ وأقل لهما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿١١﴾ فكيف قبلتما نصحه وهو عدوكما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير.
- ٢ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان .
- ٣ - النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرف عنه إلى الكراهة .
- ٤ - وجوب ستر العورة من الرجال والنساء سواء .
- ٥ - جواز الاقسام بالله تعالى ، ولكن لا يحلف إلا صادقاً .

قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

ظلمنا أنفسنا : أي بأكلهما من الشجرة .

الخاصرين : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها .

- (١) قال قتادة: حلف لهما بالله أنه خلق قبلهما وأنه أعلم منهما وحلف أنه ناصح لهما فانغرا به، على حد قول العلماء: مَنْ جَدَعْنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ .
- (٢) سُمي الفرجان سواتين وعورة لأن السوءة مشتقة مما يسيء إلى النفس بالألم والعورة هي كل ما استحي من كشفه .
- (٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تقلص النور الذي كان لباسهما فصار أظفارا في الأيدي والأرجل . والله أعلم .

مستقر : مكان استقرار وإقامة .

متاع إلى حين : تمتع بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن آدم عليه السلام ، أنه لما ذاق آدم وحواء الشجرة وبدت لهما سؤاتهما وعاتبهما ربهما على ذلك قالوا معلنين عن توبتهما : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾^(١) أي بذوق الشجرة ﴿ وإن لم تغفر لنا ﴾ أي خطيئتنا هذه ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ أي الهالكين ، وتابا فتاب الله تعالى عليهما وقال لهم اهبطوا إلى الأرض إذ لم تعد الجنة في السماء داراً لهما بعد ارتكاب المعصية ، إن إبليس عصا بامتناعه عن السجود لآدم ، وآدم وحواء بأكلهما من الشجرة وقوله ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ أي اهبطوا إلى الأرض حال كون بعضكم لبعض عدواً ، إبليس وذريته عدو لآدم وبنيه ، وآدم وبنوه عدو لإبليس وذريته ، ﴿ ولكم في الأرض مستقر ﴾ أي مقام استقرار ، ﴿ ومتاع إلى حين ﴾ أي تمتع بالحياة إلى حين انقضاء الآجال وقوله تعالى ﴿ فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ يريد من الأرض التي أهبطهم إليها وهي هذه الأرض التي يعيش عليها بنو آدم ، والمراد من الخروج الخروج من القبور إلى البعث والنشور .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - قول آدم وحواء : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا . . ﴾ الآية هو الكلمة التي ألقاها تعالى إلى آدم فتلقاها عنه فتاب عليه بها .

٢ - شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة .

٣ - شؤم الخطيئة كان سبب طرد إبليس من الرحمة ، وإخراج آدم من الجنة .

٤ - لا تَبْثِمُ حياة الإنسان على غير الأرض ، ولا يدفن بعد موته في غيرها لدلالة آية ﴿ فيها تَحْيَوْنَ وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ .

(١) أي : يا ربنا ، حذف حرف النداء لقربه منهما سبحانه وتعالى إذ يُنادى بحرف النداء البعيد .

(٢) قال ابن كثير : لو كان في تعيين الأماكن التي هبط فيها آدم وحواء وإبليس فائدة تعود على المكلفين في دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى .

(٣) أي : للحساب والجزاء على الكسب في الدنيا من خير وشر .

يَبْنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا
يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيَّ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا إِنَّهُ يُرِيَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

وريشاً^(١) :

لباس الزينة والحاجة .

يوارى سوءاتكم : يستر عوارتكم .

لباس التقوى : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق .

من آيات الله : دلائل قدرته .

لا يفتننكم : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت

الأعلى .

أبويكم : آدم وحواء .

قبيله : جنوده من الجن .

فاحشة : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة .

(١) الريش للطائر ما يستر جسمه ، ولإنسان اللباس وجمعه رياش وهو ما كان فاخراً من أنواع الألبسة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً﴾ هذا النداء الكريم المقصود منه تذكير للمشركين من قريش بنعم الله وقدرته عليهم لعلهم يذكرون فيؤمنون ويسلمون بترك الشرك والمعاصي، من نعمه عليهم أن أنزل عليهم لباساً يواريون به سوءاتهم، ﴿وريشاً﴾ لباساً يتجملون به، في أعيادهم ومناسباتهم، ثم أخبر تعالى أن لباس التقوى خير لصاحبه من لباس الثياب، لأن المتقي عبد ملتزم بطاعة الله ورسوله، والله ورسوله يأمران بستر العورات، ودفع الغائلات، والمحافظة على الكرامات، ويأمران بالحياء، والعفة وحسن السمات ونظافة الجسم والثياب فأين لباس الثياب مجردة عن التقوى من هذه؟؟.

وقوله تعالى ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي من دلائل قدرته الموجبة للإيمان به وطاعته، وقوله ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي رجاء أن يذكروا هذه النعم فيشكروا بالإيمان والطاعة.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٦) وفي الآية الثانية (٢٧) ناداهم مرة ثانية فقال ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾ يحذرهم من إغواء الشيطان لهم مذكراً إياهم بما صنع مع أبويهما من إخراجهما من الجنة بعد نزعه لباسهما عنهما فأنكشفت سوءاتهما الأمر الذي سبب إخراجهما من دار السلام، منبهاً لهم على خطورة العدو من حيث أنه يراهم هو وجنوده، وهم لا يرونهم. ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وذلك حسب سنته في خلقه، فالشياطين يمثلون قمة الشر والخبث، فالذين لا يؤمنون قلوبهم مظلمة لا نعدام نور الإيمان فيها فهي متهيشة

(١) ابتداء الخطاب بالنداء بالحكمة منه ليقع إقبال المنادين على ما بعد النداء بكل قلوبهم.

(٢) إنزال اللباس من السماء يعود لأمر منها: أن آدم أول من ستر عورته بورق التين من شجر الجنة ومنها أن آدم نزل مكسواً وورث عنه أولاده ذلك، ومنها أن الماء الذي به النبات ومنه يتخذ اللباس كالقطن مثلاً نزل من السماء وحتى ذوات الصوف والوبر حياتها متوقفة على ماء السماء.

(٣) قال الشاعر في لباس التقوى ما يلي :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(٤) في هذه الآية دليل على حرص الشيطان على أن يكشف الآدمي عورته لما يسبب ذلك من الفسق والفجور الذين يرغب الشيطان في إيقاع الآدمي فيهما.

(٥) تكاد تكون هذه سنة بشرية لا تتخلف إذ ما من أمة تبرج نساؤها فكشفت محاسنهن وأبدن عوراتهن إلا أسرع إليها الهلاك بزوال الملك وذهاب السلطان.

لقبول الشياطين وقبول ما يوسوسون به ويوحونه من أنواع المفاسد والشرور كالشرك والمعاصي على اختلافها، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين، وكبرهان على هذا الولاء بينهم أن المشركين إذا فعلوا فاحشة خصلة ذميمة قبيحة شديدة القبح ونهوا عنها احتجوا على فعلهم بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأن الله تعالى أمرهم بها وهي حجة باطلة لما يلي أولاً: فعل آبائهم ليس ديناً ولا شرعاً.

ثانياً: حاشا لله تعالى الحكيم العليم أن يأمر بالفواحش إنما يأمر بالفواحش الذين يأتونها وهم الشياطين وأولياؤهم من الإنس ولهذا رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ووبخهم معنفاً إياهم بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - التذكير بنعم الله تعالى المقتضي للشكر على ذلك بالإيمان والتقوى.
- ٢ - التحذير من الشيطان وفتنته لاسيما وأنه يرى الإنسان والإنسان لا يراه.
- ٣ - القلوب الكافرة هي الآثمة، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين.
- ٤ - قبح الفواحش وحرمتها.
- ٥ - بطلان الاحتجاج بفعل الناس إذ لا حجة إلا في الوحي الإلهي.
- ٦ - تنزه الرب تعالى عن الرضا بالفواحش فضلاً عن الأمر بها.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾
﴿يَبْنَئِ أَدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾

(١) الإيمان والتقوى بهما تحصل ولاية الرب للعبد، قال تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

شرح الكلمات :

القسط^(١)

: العدل في القول والحكمة والعمل .

أقيموا وجوهكم : أي أخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته .

كما بدأكم تعودون : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء .

أولياء من دون الله : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة ، من غير الله تعالى .

زيتكم : أي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة .

ولا تسرفوا : في أكل ولا شرب ، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أخطاء مشركي قريش فقد قالوا في الآيات السابقة محتجين على فعلهم الفواحش بأنهم وجدوا آباءهم على ذلك وأن الله تعالى أمرهم بها وأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال في هذه الآية (٢٩) ﴿قُلْ﴾ يارسولنا ﴿أمرني بالقسط﴾ الذي هو العدل وهو الإيمان بالله ورسوله وتوحيد الله تعالى في عبادته ، وليس هو الشرك بالله وفعل الفواحش ، والكذب على الله تعالى بأنه حلال كذا وهو لم يحلل ، وحرم كذا وهو لم يحرم ، وقوله تعالى ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي وقل لهم يارسولنا أقيموا وجوهكم عند كل مسجد أي أخلصوا الله العبادة ، واستقبلوا بيته الحرام ، ﴿وادعوه﴾ سبحانه وتعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي ادعوه وحده ولا تدعوا معه أحداً قوله : ﴿كما بدأكم تعودون﴾ يذكرهم بالدار الآخرة والحياة الثانية ، فإن من آمن بالحياة بعد الموت والجزاء على كسبه خيراً أو شراً أمكنه أن يستقيم على العدل والخير طوال الحياة وقوله ﴿فريقاً هدى﴾^(٣) ، وفريقاً حق عليهم الضلالة^(٤) بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته فهو المبدئ والمعيد والمهدي والمضل ، له الملك المطلق والحكم

(١) القسط : العدل ، وهو وسط بين الشرك والإلحاد . ولذا قال ابن عباس : القسط : لا إله إلا الله أي : بأن يعبد الله وحده .
(٢) أي : في كل موضع للصلاة من سائر بقاع الأرض إذ موضع السجود هو المسجد وإقامة الوجوه بالذات معناه أن لا يلتفت بقلبه ولا بوجهه إلى غير الله تعالى وهو إخلاص العبادة لله عز وجل .

(٣) (فريقاً) نصب على الحال من الضمير في تعودون أي : حال كونكم فريقين فريقاً مهدياً سعيداً ، وفريقاً وجبت عليه الضلالة فجاء الموقف ضالاً شقيماً ، وقال القرطبي : من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره للضلالة ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى ، وشاهد قوله هذا آدم وإبليس فآدم مخلوق للهداية وإبليس للضلالة .

(٤) أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كانت المرأة في الجاهلية تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول : من يعبرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

الأوحد، فكيف يعدل به أصنام وأوثان هدى فريقاً من عباده فاهتدوا، وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية، ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ فضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ويعسبون﴾ لتوغلهم في الظلام والضلال ﴿أنهم مهتدون﴾.

وقوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أي البسوا ثيابكم عند الطواف بالبيت فلا تطوفوا عراة، وعند الصلاة فلا تصلوا وأنتم مكشوفوا العورات كما يفعل المشركون المتخذون الشياطين أولياء فأضللتهم حتى زينت لهم الفواحش قولاً وفعلاً واعتقاداً. وقوله: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ أي كلوا مما أحل الله لكم واشربوا، ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله، وشرع ما لم يشرع لكم فالزموا العدل، فإنه تعالى لا يحب المسرفين فاطلبوا حبه بالعدل، واجتنبوا بغضه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

من هداية الآيات:

- ١- وجوب العدل في القول وفي الحكم.
- ٢- وجوب إخلاص العبادة صلاةً كانت أو دعاءً لله تعالى.
- ٣- ثبوت القدر.
- ٤- وجوب ستر العورة في الصلاة.
- ٥- حرمة الإسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء.

(١) هذه الآية الكريمة أصل من أصول الدواء، إذ أمرت بالاكل والشرب وهما قوام الحياة وحُرِّمَت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الأمراض إذ قال رسول الله ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) وشاهد آخر أنه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني قال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم أديان وعلم أبدان فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا فقال له ما هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

(٢) روي أن سمرة بن جندب رضي الله عنه سأل عن ابنه فقيل له: بسم البارحة؟ قال: بسم؟ قالوا: نعم قال: أما إنه لو مات ما صليت عليه، وقال العلماء: من الأسراف: الأكل بعد الشبع، وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعاً فوق شبع فإنك إن تبذره للكلب خير من أن تأكله.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

- من حرم زينة الله : التحريم : المنع ، والزينة : ما يتزين به من ثياب وغيرها .
والطيبات : جمع طيب وهو الحلال غير المستخبث .
خالصة : لا يشاركون فيها الكفار لأنهم في النار .
الفواحش : جمع فاحشة والمراد بها هنا الزنى واللواط السري كالعلني .
والإثم : كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب .
والبغي بغير الحق : الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل .
وأن تشركوا : أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالى .
السلطان : الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها .
أجل : وقت محدد تنتهي إليه .

معنى الآيات :

لما حرم المشركون الطواف بالبيت بالثياب وطافوا بالبيت عراة بدعوى أنهم لا يطوفون
بثياب عصوا الله تعالى فيها ، أنكر تعالى ذلك عليهم بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

(١) الزينة : هنا الملبس الحسن من غير ما حرم كالذهب والحريز على الرجال ويطلق لفظ الزينة أيضاً على مطلق اللباس ولو لم يكن حسناً .

أخرج لعباده والطيبات من الرزق^(١) كلحوم ما حرموه من السواائب، فالاستفهام في قوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ للإنكار. ومعنى أخرجها: أنه أخرج النبات من الأرض كالقطن والكتان ومعادن الحديد لأن الدروع من الحديد، وقوله تعالى ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالأصالة، لأن المؤمنين علماء فيحسنون العمل والإنتاج والصناعة، والكفار تبع لهم في ذلك لجهلهم وكسلهم وعدم بصيرتهم، ﴿خالصة يوم القيامة﴾ أي هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركون فيها الكفار ولأنهم في دار الشقاء النار والعياذ بالله تعالى وقوله تعالى ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي كهذا التفصيل والبيان الذي بيناه وفصلناه في هذه الآيات ومازلنا نفصل ونبين ما نزل من آيات القرآن الكريم لقوم يعلمون أما غيرهم من أهل الجهل والضلال فإنهم لا ينتفعون بذلك لأنهم محجوبون بظلمة الكفر والشرك ودخان الأهواء والشهوات والشبهات.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٢) أما الآية الثانية (٣٣) فقد تضمنت بيان أصول المحرمات وأمهاات الذنوب وهي: الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم: وهو سائر المعاصي بترك الواجب أو فعل الحرام والبغي: وهو الاستطالة على الناس والاعتداء عليهم بهضم حقوقهم وأخذ أموالهم وضرب أجسامهم وذلك بغير حق أوجب ذلك الاعتداء وسوغه كأن يعتدي الشخص فيقتص منه ويعاقب بمثل ما جنى وظلم، والشرك بالله تعالى بعبادة غيره، والقول على الله تعالى بدون علم منه وذلك كشروع ما لم يشروع بتحريم ما لم يحرم، وإيجاب ما لم يوجب.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق (٣٤) فقد أخبر تعالى فيها أن لكل أمة أجلاً محدداً أي وقتاً معيناً يتم هلاكها فيه لا تتقدمه ساعة ولا تتأخر عنه بأخرى. وفي هذا إشارة أفصح من عبارة وهي أن هلاك الأمم والجماعات والأفراد يتم بسبب

(١) الطيبات: اسم عام لكل ما طاب كسبا وطعما وقد أكل الرسول ﷺ اللحم والعسل والحلوى والبطيخ والرطب، وإنما الذي يكره الإكثار منها والتكلف في شرائها وإعدادها، وعمر لم ينكر الطيبات وإنما أنكر الكثرة منها، فكان يرى عدم الجمع بين الطيبات ويكتفي بنوع واحد.

(٢) في الآية دليل على التجميل بأحسن الثياب وخاصة في الأعياد والجمع وزيارة الإخوان ومقابلة الوفود، وليس من السنة لبس المرقعات والفرط وليس معنى: ﴿ولباس التقوى﴾: أنه لباس الخشن والمرقعات أبداً وإنما هو تقوى الله بامتنال الأمر واجتناب النهي، وقد تقدم معناها، وفي الحديث الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال).

(٣) قرئ: ﴿خالصة﴾ بالرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي خالصة، وقرئ: ﴿خالصة﴾ بالنصب على الحال أي: ثابتة لهم في الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة.

انحرافهم عن منهج الحياة، كالمرء يهلك بشرب السم، وبإلقاء نفسه من شاهق، أو إشعال النار في جسمه كذلك ارتكاب أمهات الذنوب وأصول المفاصد التي ذكر تعالى في قوله ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش... ﴾ من شأنها أن تودى بحياة مرتكبيها لا محالة ما لم يتوبوا منها وتصلح حالهم بالعودة إلى منهج الحياة الذي وضع الله في الإيثار والتوحيد والطاعة لله ورسوله بفعل كل أمر وترك كل نهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - الإنكار الشديد على من يحرم ما أحل الله من الطيبات كبعض المنتنعين .^(١)

٢ - المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم لأنهم يحسنون العمل، ويبدلون الجهد لاستخراجها والانتفاع بها . بخلاف أهل الجهالات فإنهم عمي لا يبصرون ومقعدون لا يتحركون . وإن قيل العكس هو الصحيح فإن أمة الكفر وأوربا وأمريكا هي التي تقدمت صناعياً وتمتعت بها لم يتمتع به المؤمنون؟ فالجواب : أن المؤمنين صرفوا عن العلم والعمل وأقعدوا عن الإنتاج والاختراع بإفساد أعدائهم لهم عقولهم وعقائدهم، فعوقبهم عن العمل مكرماً بهم وخداعاً لهم . والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطمهارة وقوة وإنتاجاً مع أن الآية تقول ﴿ ... لقوم يعلمون ﴾ فإذا حل الجهل محل العلم فلا إنتاج ولا اختراع ولا حضارة .

٢ - بيان أصول المفاصد وهي الفواحش وما ذكر بعدها إلى ﴿ ... وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

٣ - ذكرت هذه المفاصد بطريق التذلي آخرها أخطرها وهكذا أخفها أولها .

٤ - أجل الأمم كأجل الأفراد يتم الهلاك عند انتظام المرض كامل الأمة أو أكثر أفرادها كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في كامل جسمه .

(١) روى النسائي بسند صحيح قوله ﷺ : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده) وقال البخاري عن ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان، سرف، ومخيلة .
(٢) الأجل : هو الوقت الموقت، فأجل الموت هو : وقت الموت وأجل الدين هو وقت حلوله وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له .

يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ
 اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

إِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ : أصل إما إن - الشرطية - وما زائدة لتقوية الكلام أدغمت فيها (إن) فصارت إما .

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ^(١) : يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم ما دللت عليه من أحكام الله وشرائعه ، ووعده ووعيده .

فَمَنِ اتَّقَى : أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة .

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ : في الدنيا والآخرة .

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ : على ما تركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا .

معنى الآيتين :

هذا النداء جائز أن يكون نداءً عاماً لكل بني آدم كما هو ظاهر اللفظ وأن البشرية كلها نوديت به على ألسنة رسلها، وجائز أن يكون خاصاً بمشركي العرب وأن يكون المراد من الرسل محمد ﷺ ذكر بصيغة الجمع تعظيماً وتكريماً له ، ومانوديت إليه البشرية أو مشركوا العرب هو إخبار الله تعالى لهم بأن من جاءه رسول من جنسه يتلو عليه آيات ربه وهي تحمل العلم بالله وصفاته وبيان محابه ومساخطه ، فمن اتقى الله فترك الشرك به ، وأصلح ما أفسده قبل العلم من نفسه وخلقه وعقله وذلك بالإيمان والعمل الصالح فهؤلاء في حكم الله أنه ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الحياتين معاً ، أما الذين كذبوا بآيات الله التي جاءت

(١) القصص : هو اتباع الحديث بعضه بعضاً .

(٢) أما في البرزخ وفي يوم القيامة فالأمر ظاهر لا خلاف في أنهم لا يخافون ولا يحزنون ولكن في الحياة الدنيا يصيبهم الخوف والحزن ، ولكن خوفهم وحزنهم لا يكاد يذكر مع خوف وحزن أهل الكفر والشرك .

الرسول بها وقصتها عليهم واستكبروا عن العمل بها كما استكبروا عن الإيمان بها، فأولئك البعداء من كل خير - ﴿أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

- ١ - قطع حجة بني آدم بإرسال الرسل إليهم.
- ٢ - أول ما يبدأ به في باب التقوى الشرك بأن يتخلى عنه الإنسان المؤمن أولاً.
- ٣ - الإصلاح يكون بالأعمال الصالحة التي شرعها الله مزية للنفوس مطهرة لها.
- ٤ - التكذيب كلاستكبار كلاهما مانع من التقوى والعمل الصالح . ولذا أصحابها هم أصحاب النار.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَآلُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَأَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالُوا أَضَلُّوْا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾
قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا

(١) الاستكبار: المبالغة في التكبر وضمن مع الاستكبار الإعراض، والمعنى: واستكبروا فأعرضوا عنها.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَكَبُّوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونِ
الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

فمن أظلم	: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك ظالم لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها.
نصيهم	: ما قدر لهم في كتاب المقادير.
رسلنا	: المراد بهم ملك الموت وأعوانه.
قالوا ضلوا عنا	: غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم.
في أمم	: أي في جملة أمم.
اداركوا	: أي تداركوا ولحق بعضهم بعضا حتى دخلوها كلهم.
أخراهم لأولاهم	: الاتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون.
تكسبون	: من الظلم والشر والفساد.
يلج الجمل في سم الخياط	: أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة.
المجرمين	: الذين أجزموا على أنفسهم فافسدوها بالشرك والمعاصي.
مهاد	: فراش يمتهدونه من النار.
غواش	: أغطية يغطيون بها من النار كذلك.

معنى الآيات :

يُخَبِّرُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا أَظْلَمَ وَلَا أَجْهَلَ وَلَا أَضْلَ مَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ فَيَقُولُ فَيَقُولُ لَدَا
أَوْ أَمْرًا بِالْفَوَاحِشِ، أَوْ حَرَمَ كَذَا وَهُوَ لَمْ يَحْرَمْ، أَوْ كَذَبَ بَيِّنَاتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا رُسُلُهُ فَجَعَلَهَا
وَعَانَدَ فِي ذَلِكَ وَكَابَرَ، فَهَؤُلَاءِ الْمَقْتَرُونَ الْمَكْذِبُونَ يُخَبِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾

(١) أي ما كُتِبَ لهم في اللوح المحفوظ من خير وشر وسعادة أو شقاء ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ أي ملك الموت وأعوانه ﴿يتوفونهم﴾. يقولون لهم ﴿إين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ أي تعبدون من أولياء؟ فيجيبون قائلين: ﴿ضلوا عنا﴾ أي غابوا فلم نرهم. قال تعالى: ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ويوم القيامة يقال لهم ﴿ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ في النار، فيدخلون. ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ فلعن المشركون بعضهم بعضاً، واليهود والنصارى كذلك، ﴿حتى إذا ادركوا فيها جميعاً﴾ أي تلاحقوا وتم دخولهم النار أخذوا يشتكون ﴿قالت إيراهاهم لأولاهاهم ربنا﴾ أي ياربنا ﴿هؤلاء أضلونا﴾ عن صراطك فلم نعبدك ﴿فأتهم عذاباً ضعفاً﴾ أي مضاعفاً ﴿من النار﴾، فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿لكل ضعف﴾ لكل واحدة منكم ضعف من العذاب ﴿ولكن لا تعلمون﴾، إذ الدار دار عذاب فهو يتضاعف على كل من فيها، وحينئذ ﴿قالت أولاهاهم لأخراهاهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴿أي من الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته، ومجانبة طاعته وطاعة رسوله.

هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآيتان الرابعة والخامسة فإن الرابعة قررت حكماً عظيماً وهو أن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعاشوا على الشرك والشر والفساد هؤلاء إذا مات أحدهم وعرجت الملائكة بروحه إلى السماء لا تفتح له أبواب السماء، ويكون مآلهم النار كما قال تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فعلق دخولهم الجنة على مستحيل وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة، والمعلق على مستحيل مستحيل. قال تعالى ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ على أنفسهم حيث أفسدوها بالشرك والمعاصي. هذا ما تضمنته الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين

(١) أي: في الدنيا أما في الآخرة فهم أصحاب النار هم فيها خالدون ولا سعادة مع دخول النار.

(٢) حتى هنا: ابتدائية وليست غائية إذ هي بداية خبر المكذبين المستكبرين المعرضين. قال سيبويه: حتى، وإما، وألا لا يملأن لأنهن حروف وكتبت حتى بالياء لأنها أشبهت سكرى وجبلى.

(٣) ﴿من﴾ زائدة لتأكيد نفي الفضل.

(٤) الذوق هنا: مستعمل للإهانة والتشفي والباء في ﴿بما كنتم تكسبون﴾ سببية.

(٥) جملة: ﴿إن الذين﴾ الخ مستأنفة استثنافاً ابتدائية سبقت لتحقيق خلود الفريقين في النار معاً والفريقان هما أولاهما وأخراهما في الآية إذ كلا الفريقين كان مكذباً مستكبراً.

(٦) القول بأن قوله تعالى: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾: كلمة جامعة لمعنى الحرمان من الجزاءات الإلهية قول باطل لأنه تأويل يطل به ما أخبر تعالى به من أن للسما أبواباً إذ أي مانع أن يكون للسما أبواب لا يدخل معها ملك ولا جني ولا إنسان إلا بإذن ولكل بناء أبواب بحسبه.

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين^(١).

أما الخامسة فقد تضمنت الخبر التالي: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ أي أغطية من النار وكما جرى تعالى هؤلاء المكذبين المستكبرين والمجرمين يجزي بعدله الظالمين لأنفسهم حيث لوثوها وخبثوها بأوضار الذنوب والآثام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - شر الظلم ما كان كذباً على الله وتكديباً بشرائه.
- ٢ - تقرير فتنة القبر وعذابه^(٣).
- ٣ - لعن أهل النار بعضهم بعضاً حقاً على بعضهم بعضاً إذ كان كل واحد سبباً في عذاب الآخر.
- ٤ - بيان جزاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها وهو الحرمان من دخول الجنة، وكذلك المجرمون والظالمون.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(١) الخياط: أي المخيط.

(٢) الإجماع: فعل الجرم، وأجرم إذا فعل الجرم وهو: الذنب والذنب: هو ما يفسد الروح وينجسها، فأجرم معناه: أفسد.

(٣) أخرج ابن كثير في تفسيره عن أبي داود حديثاً طويلاً اشتمل على بيان قبض روح العبد والعروج بها إلى السماء ثم العودة بها إلى القبر وما يجري في القبر من فتنة وما يتم للبعد الصالح من سعادة ولللكافر من شقاوة فليرجع إليه.

شرح الكلمات :

- إلا وسعها : طاقتها وماتتحمله وتقدر عليه من العمل .
 ونزعنا : أي أقلعنا وأخرجنا .
 من غل : أي من حقد وعداوة .
 هدانا لهذا : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة .
 بما كنتم تعملون : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى جزاء أهل التكذيب والاستكبار عن الإيمان والعمل الصالح وكان شقاء وحرماناً ذكر جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح فقال : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ، ولما كان العمل منه الشاق الذي لا يطاق ومنه السهل الذي يقدر عليه قال : ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي ما تقدر عليه من العمل ويكون في استطاعتها ، ثم أخبر عن المؤمنين العاملين للصالحات فقال ﴿وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ . كما أخبر في الآية الثانية أنه طهرهم باطناً فترع ما في صدورهم من غل^(١) على بعضهم بعضاً ، وأن الأنهار تجري من تحت قصورهم ، وأنهم قالوا شاكرين نعم الله عليهم : ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي لعمل صالح هذا جزاؤه أي الجنة وما فيها من نعيم مقيم ، وقرروا حقيقة وهي أن هدايتهم التي كان جزاؤها الجنة لم يكونوا ليحصلوا عليها لولا أن الله تعالى هو الذي هداهم فقالوا : ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ، ثم قالوا والله ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فهاهم أهل الكفر والمعاصي في النار ، وها نحن أهل الإيمان والطاعات في نعيم الجنة فصدقت الرسل فيما أخبرت به من وعد ووعيد ، وناداهم ربهم سبحانه وتعالى : ﴿أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ فيزداد بذلك نعيمهم وتعظم سعادتهم .

(١) الغل : الحقد الكامن في الصدر أي : أذهبنا - في الجنة - ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا ولذا فلا يكون بينهم من تحاسد في الجنة على تفاوت درجاتهم في العلو والارتفاع . وقال علي رضي الله عنه : فينا والله أهل بدر نزلت : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ .

(٢) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكراً ، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فيكون له حسرة .

(٣) روى مسلم أن النبي ﷺ قال : (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) وعليه فالباء في قوله : ﴿بما كنتم تعملون﴾ سببية وليست بباء العوض إذ أعمال العبد لا تعادل موضع سوط في الجنة فالعمل مورث بفضل الله تعالى ورحمته .

- ١ - الإيمان والعمل الصالح موجب لدخول الجنة مقتصر للكرامة في الدارين .
- ٢ - لا مشقة لا تحتمل في الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل إلا ما كان عقوبة .
- ٣ - لا عداوة ولا حسد في الجنة .
- ٤ - الهداية هبة من الله فلا تطلب إلا منه ، ولا يحصل عليها إلا بطلبها منه تعالى .
- ٥ - صدقت الرسل فيما أخبرت به من شأن الغيب وغيره .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَعْلَمَ خُلُوعَهُمْ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

فأذن مؤذن

: أي أعلن بأعلى صوته أن لعنة الله على الظالمين .

لعنة الله

: أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب .

يصدون عن سبيل الله : سبيل الله هي الإسلام والصد : الصرف فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم .

ويبغونها عوجا

: يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم .

وبينها حجاب

: أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف .

وعلى الأعراف

: سور بين الجنة والنار قال تعالى من سورة الحديد ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ

سور﴾ .

يعرفون كلا بسيماهم : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم .
 صرفت أبصارهم : أي نظروا إلى الجهة التي فيها أصحاب النار .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار فيخبر تعالى أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار قائلين لهم إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا به من الجنة ونعيمها حقاً، فهل وجدتم أنتم ما وعدكم ربكم من النار وعذابها حقاً؟ فأجابوهم : نعم إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وهنا أذن مؤذن قائللاً : لعنة الله على الظالمين الذي يصدون عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى والجنة، ويبغونها عوجاً أي يريدون سبيل الله معوجة تدور معهم حيث داروا في شرورهم ومفاسدهم، وشهواتهم وأهوائهم، وهم بالآخرة كافرون أيضاً فهؤلاء يلعنونهم : لعنة الله على الظالمين الذين تلك صفاتهم قال تعالى في الآية الثالثة ﴿وبينها﴾ أي بين أهل الجنة وأهل النار ﴿حجاب﴾ فاصل أي حاجز وهو مكان على مرتفع، وعليه رجال من بني آدم استوت سيئاتهم وحسناتهم فحبسوا هناك حتى يقضي بين أهل الموقف فيحكم فيهم بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ أي يعرفون أهل الجنة بسيماهم وهي بياض الوجوه ونضرة النعيم، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وزرقة العيون .

﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة قائلين : سلام عليكم يتطعمون بذلك كما قال تعالى ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ أي نظروا إلى جهة أهل النار فرأوا أهلها مسودة وجوههم زرق أعينهم يكتنفهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، رفعوا أصواتهم قائلين : ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي أهل النار لأنهم دخلوها بظلمهم والعياذ بالله .

(١) هذا سؤال توبيخ وتعير لا استفهام واستخبار .

(٢) في نعم لغات : فتح النون والعين نعم وكسر العين للفرق بينها وبين النعم التي هي الإبل والبقر والغنم، وهي حرف إجابة وتكون للعدة والتصدق فمثال العدة نحو : أيقوم زيد؟ فتقول : نعم أي تعده بقيامه ومثال التصديق قولك : هل جاء زيد؟ فتقول : نعم فتصدقه في مجيئه .

(٣) يروى أن طاووساً دخل على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله واحذر يوم الأذان فقال : وما يوم الأذان؟ قال : قوله تعالى : ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ فصعق هشام فقال طاووس : هذا ذل الصفة فكيف ذل المعابنة .

(٤) قال أهل اللغة : لم يأت مصدر على تفعل سوى حرفين : تلقاء وتبيان . وما عداهما فبالفتح نحو تسيار وتذكّار وتهمام ، أما الأسماء فكثيرة نحو تمثال ومفتاح ومصباح ومعراج .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجود اتصال كامل بين أهل الجنة وأهل النار متى أراد أحدهم ذلك بحيث إذا أراد من في الجنة أن ينظر إلى من في النار ويخاطبه تم له ذلك .
- ٢ - يجوز إطلاق لفظ الوعد على الوعيد للمشكلة أو التهكم كما في هذه الآيات .
- ٣ - التنديد بالصد عن سبيل الله ، والظلم والكفر بالآخرة وهي أسباب الشقاء في الدار الآخرة .
- ٤ - تقرير مبدأ ثقل الحسنات ينجي وخفتها تردي ، ومن استوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار .
- ٥ - مشروعية الطمع إذا كان مقتضاه موجوداً .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ

الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ
اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا
مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا
لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِثَانِينَ نَحْمَدُكَ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

- بسيماهم : السيماء العلامة الدالة على من هي فيه .
جمعهم : أي للمال وللرجال كالجيوش .

أهؤلاء : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة .

أو مما رزقكم الله : أي من الطعام . والشراب .

حرمها : منعها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار قال تعالى : ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً﴾ أي من أهل النار يعرفونهم بسيماهم التي هي سببا أصحاب النار من سواد الوجوه وزرقة العيون نادوهم قائلين : ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ أي للأموال والرجال للحروب والقتال ، كما لم يغن عنكم استبباركم على الحق وترفعكم عن قبوله وها أنتم في أشد ألوان العذاب ، ثم يشيرون لهم إلى ضعفة المسلمين الذين يسخرون منهم في الدنيا ويضربونهم ويهينونهم ^(١) ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ أي حلفتهم ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ ثم يقال لأصحاب الأعراف ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ .

وفي الآية الثالثة يقول تعالى مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء﴾ وذلك لشدة عطشهم ﴿أو مما رزقكم الله﴾ أي من الطعام وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم : ﴿إن الله حرمها﴾ أي شراب الجنة وطعامها ﴿على الكافرين﴾ فلا ينالوهما بحال من الأحوال .

ثم وصف الكافرين ليعرض جرائمهم التي اقتضت حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال وهو ماتضمنته الآية الرابعة ﴿الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يحدون﴾ أي نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيثار والصالحات ، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيثار وصالح الأعمال .

(١) كلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم من سائر ضعفة المؤمنين في كل أمة من الأمم التي وجد فيها مؤمنون مستضعفون .

(٢) جعل إيواء الله تعالى إياهم بدار رحمته التي هي الجنة بمنزلة النبل الذي هو حصول الأمر المحبوب المطلوب .

(٣) اختلف في القائل . والراجح أنه الله تعالى ، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلا أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالى : ﴿ادخلوا الجنة﴾ .

(٤) روي عن ابن عباس أنه قال : لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا : يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم ، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم .. فينادي الرجل أخاه أو قريبه قد احترقت فأغشي فيقول له إن الله حرمها على الكافرين .

(٥) في الآية دليل على أفضلية صدقة الماء ، وفي الحديث : (أي الصدقة أعجب إليك؟ قال : الماء) وليس أدل من حديث الذي سقى كلباً عطشان فشكر الله له فغفر له .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - عدم إغناء المال والرجال أي إغناء لمن مات كافراً مشركاً من أهل الظلم والفساد .
- ٢ - بشرى الضعفة من المسلمين بدخول الجنة وسعادتهم فيها .
- ٣ - تحريم اتخاذ شيء من الدين لهواً ولعباً .
- ٤ - التحذير من الاغترار بالدنيا حتى ينسى العبد آخرته فلم يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال .

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا
مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد جئناهم : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس .

بكتاب : القرآن العظيم .

فصلناه على علم : بيناه على علم منّا فبيننا حلاله وحرامه ووعدته ووعيده وقصصه ومواعظه وأمثاله .

- تأويله : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعد أي عاقبة ما أنذروا به .
 وضل عنهم : أي ذهب ولم يعثروا عليه .
 في ستة أيام : هي الأحد إلى الجمعة .
 يغشي الليل النهار : يغطي كل واحد منها الآخر عند مجيئه .
 حثيثاً : سريعاً بلا انقطاع .
 مسخرات : مذلات .
 ألا : أداة استفتاح وتنبيه (بمنزلة ألو للمهاتف) .
 له الخلق والأمر : أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له .
 تبارك : أي عظمت قدرته ، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته .
 العالمين : كل ماسوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق .
 معنى الآيات :

بعد ذلك العرض لأحوال الناس يوم القيامة ومشاهد النعيم والجحيم أخبر تعالى أنه جاء قريشاً لأجل هدايتهم بكتاب عظيم هو القرآن الكريم وفصله تفصيلاً فبين التوحيد ودلائله، والشرك وعوامله، والطاعة وآثارها الحسنة والمعصية وآثارها السيئة في الحال والمآل وجعل الكتاب هدى أي هادياً ورحمة يهتدي به المؤمنون وبه يرحمون .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٥٢) وهي قوله تعالى : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى^(١) ورحمة^(٢) لقوم يؤمنون ﴾ وأما الآية الثانية (٥٣) فقد استبطأ الحق تعالى فيها إيمان أهل مكة الذين جاءهم بالكتاب المفصل المبين فقال : ﴿ هل ينظرون ﴾ أي ما ينظرون ﴿ إلا تأويله ﴾ أي عاقبة ما أخبر به القرآن من القيامة وأهوالها، والنار وعذابها، وعندئذ يؤمنون، وهل ينفع يومئذ الإيمان؟ وهاهم أولاء يقولون ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ وينكشف الغطاء عما وعد به، ﴿ يقول الذين نسوه من قبل ﴾ أي قبل وقوعه، وذلك في الحياة الدنيا، نسوه فلم يعملوا بما ينجيهم فيه من العذاب يقولون : ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ اعترفوا بما

(١) أي : منأبه، فلم يقع فيه سهو ولا غلط وحاشاء تعالى أن يسهو أو يغلط .

(٢) ﴿ هدى ورحمة ﴾ منصوبان على الحال، ويصح فيهما الرفع والخفض فالرفع على الابتداء أي : هو هدى ورحمة، والخفض على التعت لكتاب أي : ذي هداية ورحمة، وخص المؤمنون بالهدى والرحمة لأنهم أحياء، وأما الكافرون فهم أموات .

كانوا به يجحدون ويكذبون ثم يتمنون ما لا يتحقق لهم أبداً فيقولون: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟ أو نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ من الشرك والشر والفساد. وتذهب تمنياتهم أدراج الرياح، ولم يرُعْهُمْ إلا الإعلان التالي: ﴿قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ خسروا أنفسهم في جهنم، وضاع منهم كل أمل وغاب عنهم ما كانوا يفترون من أن آهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة. وفي الآية الأخيرة يقول تعالى لأولئك المتباطئين في إيمانهم ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾ الذي يُحِبُّ أن تعبدوه وتدعوه وتتقربوا إليه وتطيعوه ﴿الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْجُورَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ هذا هو ربكم الحق وإلهكم الذي لا إله لكم غيره، ولا ربَّ لكم سواه، أمَّا الأصنام والأوثان فلن تكون رباً ولا إلهاً لأحد أبداً لأنها مخلوقة غير خالقة وعاجزة عن نفع نفسها، ودفع الضر عنها فكيف بغيرها؟ إِنَّ رَبَّكُمْ ومعبودكم الحق الذي له الخلق كله ملكاً وتصرفاً وله الأمر وحده يتصرف كيف يشاء في الملكوت كله. علوته وسفليته فتبارك الله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - لا ينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة.
- ٢ - يحسن الثبوت في الأمر والتأني عند العمل وترك العجلة، فالله قادرٌ على خلق السموات والأرض في ساعة ولكن خلقها في ستة أيام بمقدار أيام الدنيا تعليماً وإرشاداً إلى الثبوت في الأمور والتأني فيها.
- ٣ - صفة من صفات الرب تعالى التي يجب الإيمان بها ومحرم تأويلها أو تكيفها وهي

(١) ﴿فهل لنا من شفعاء؟﴾ الاستفهام مشوب بالتمني.
 (٢) خسارن النفس أكبر خسارن إذ هو آخر ما يخسر، فإن مَنْ خسِر نفسه فقد خسِر كل شيء قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ومعنى: خسارن النفس: عدم الانتفاع بها.
 (٣) أي: يطلبه طلباً حثيثاً أي سريعاً، إذ الحث: الإعجال والسرعة.
 (٤) قال رسول الله ﷺ: (من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله) أخرجه ابن كثير نقلاً عن ابن جرير. وقال ابن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.
 (٥) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر على سدسة وتجمع على أسداس، والجمع والتصغير يرذان الأسماء إلى أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

استواؤه تعالى على عرشه.^(١)

٤ - انحصار الخلق كل الخلق فيه تعالى فلا خالق إلا هو، والأمر كذلك فلا أمر ولا ناهي غيره. هنا قال عمر: من بقي له شيء فليطلبه إذ لم يبق شيء مادام الخلق والأمر كلاهما لله.

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

وُخْفِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ

اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات:

ادعوا ربكم : سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنه ربكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تضرعاً وخفية : أي حال كونكم ضارعين متذللين مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

المعتدين : أي في الدعاء وغيره والاعتداء في الدعاء أن يسأل الله ما لم تجر سنته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره كأن يسأل أن يكون نبياً أو أن يرد طفلاً أو صغيراً، أو يرفع صوته بالدعاء.

ولا تفسدوا في الأرض : أي بالشرك والمعاصي بعد إصلاحها بالتوحيد والطاعات.

المحسنين : الذين يحسنون أعمالهم ونياتهم، بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم.

معنى الآيات:

لما عرّف تعالى عباده بنفسه وأنه ربهم الحق وإلههم، وأنه الخالق الأمر المتصرف بيده كل شيء أمرهم إرشاداً لهم أن يدعوه، وبين لهم الحال التي يدعونه عليها، ليستجيب لهم

(١) من أحسن ما يؤثر في مسألة الاستواء قول مالك رحمه الله تعالى إذ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، ويروى مثله عن أم سلمة رضي الله عنها.

فقال: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً ﴾^(١) أي تذلاً وخشوعاً ﴿ وخفية ﴾^(٢) أي سرّاً لا جهراً، ونهاهم عن الاعتداء في الدعاء حيث أعلمهم أنه لا يحب المعتدين، والاعتداء في الدعاء أن يدعي غير الله تعالى أو يدعي معه غيره، ومنه طلب ذوات الأسباب بدون إعداد أسبابها، أو سؤال ما لم تجر سنة الله به كسؤال المرء أن يكون نبياً أو يرد من كهولته إلى شبابه أو من شبابه إلى طفولته.

ثم بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى ما يكملهم ويسعدهم نهاهم عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها تعالى والفساد في الأرض يكون بالشرك والمعاصي، والمعاصي تشمل سائر المحرمات كقتل الناس وغصب أموالهم وإفساد زروعهم وإفساد عقولهم بالسحر والمخدرات وأعراضهم بالزنى والموبقات. ومرة أخرى يحضهم على دعائه لأن الدعاء هو العبادة وفي الحديث الصحيح «الدعاء هو العبادة» فقال: ادعوا ربكم أي سلوه حاجاتكم حال كونكم في دعائكم خائفين من عقابه طامعين راجين رحمته وبين لهم أن رحمته قريب من المحسنين الذين يحسنون نيّاتهم وأعمالهم ومن ذلك الدعاء فمن أحسن الدعاء ظفر بالإجابة، فثواب المحسنين قريب الحصول بخلاف المسيئين فإنه لا يستجاب لهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

- ١ - وجوب دعاء الله تعالى فإن الدعاء هو العبادة.
- ٢ - بيان آداب الدعاء وهو: أن يكون الداعي ضارعاً متذلاً، وأن يخفي دعائه فلا يجهر به، وأن يكون حال الدعاء خائفاً طامعاً، وأن لا يعتدي في الدعاء بدعاء غير الله تعالى أو سؤال ما لم تجر سنة الله بإعطائه.
- ٣ - حرمة الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن أصلحها الله تعالى بالإسلام.
- ٤ - الترغيب في الإحسان مطلقاً خاصاً وعماماً حيث أن الله تعالى يحب أهله.

(١) اختلف في رفع اليدين في الدعاء والأكثرون على استحبابه لفعله ﷺ.

(٢) روي أنه ﷺ قال: (خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي).

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيراً وأحسن ما قيل في مثله أن لفظ قريب وبعيد إذا أطلق على النسب تعين التذكير والتأنيث بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلاً، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ وقال: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ فذكر في الموضعين مع أن الوصف عائد على مؤنث.

(٤) ويصح نصب خوفاً. وطمعاً مفعولين لأجله أي ادعوه لأجل الخوف منه والطمع فيه، ونصبهما على الحال كما في التفسير حسن أيضاً.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا
ثَقُلَا سَقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ
الشَّعَرَةِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْجُ
إِلَّا أَنْكِدَآ ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

- الرياح : جمع ريح وهو الهواء المتحرك .
 بشراً : جمع بشير أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرىء نشرأ أي تنشر
 السحاب للأمطار .
 رحمته : أي رحمة الله تعالى وهي المطر .
 أقلت سحاباً ثقالاً : أي حملت سحاباً ثقالاً مشبعاً ببخار الماء .
 ميت : لا نبات به ولا عشب ولا كلاً .
 كذلك نخرج الموتى : أي كذلك نحیی الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء .
 تذكرون : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء .
 الطيب : أي الطيب التربة .
 خبث : أي خبث تربته بأن كانت سبخة .
 إلانكدأ : أي إلا عسراً .
 نصرف الآيات : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في
 بعضها للهداية والتعليم .
 لقوم يشكرون : لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعمة بشكرها بصرفها في محاب الله
 تعالى .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان مظاهر القدرة الربانية والرحمة الإلهية الموجبة لعبادته تعالى وحده دون سواه قال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً ﴾ وهو أي ربكم الحق الذي لا إله إلا هو وبشراً أي مبشرات ونشراً أي تنشر الرياح تحمل السحب الثقيل ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم ، وبمثل هذا التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحْيِيكُمْ بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياء ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه وهذا الفعل الدال على القدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام فتؤمنوا ببقاء ربكم وتوقنوا به فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه .

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٧) ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي المطر ﴿ حتى إذا أَقْلَتْ ﴾ أي حملت ﴿ سحباً ثقالاً ﴾ أي يبخار الماء ﴿ سقناه ﴾ بقدرتنا ولطف تدبيرنا ﴿ لبلد ميت ﴾ لا حياة به لا نبات ولا زرع ، ولا عشب ﴿ فأنزلنا به ﴾ أي بالسحاب ﴿ الماء ﴾ العذب الفرات ، ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات ﴾ المختلفة الألوان والروائح والطعوم ﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ كهذا الإخراج للنبات من الأرض الميتة نخرج الموتى من قبورهم وعملنا هذا نسمعكم إياه ونريكموه بأبصاركم رجاء أن تذكروا فتذكروا أن القادر على إحياء الأرض قادر على إحياء الموتى رحمة منا بكم وإحساناً منا إليكم .

أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى : ﴿ والبلد الطيب ﴾ أي طيب التربة ﴿ يخرج نباته بإذن ربه ﴾ وذلك بعد إنزال المطر به ، وهذا مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ما ينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة ﴿ والذي خبث ﴾ أي والبلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً عسراً قليلاً غير

(١) قرئ (بُشراً) بضم الباء ، وقرئ (نشراً) بالنون المضمومة ، وهما قراءتان سبعيتان وفسرت الكلمتان بحسب ما تدلان عليه فتأمل ، وفيهما قراءات أخرى من حيث الحركات كضم الباء مع الشين ، وبشرى بالالف المقصورة .

(٢) البلد والبلدة بمعنى ويجمع على بلاد وبلدان .

(٣) روى مسلم قوله ﷺ : (ثم يرسل الله أو قال : ينزل الله مطراً كأنه الطلّ فتنبت منه أجساد الناس ، ثم قال : أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوه إنهم مسؤولون) الحديث .

(٤) النكد : العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس ، وشبه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة .

صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراً ولا يترك شراً.

وقوله تعالى: ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ أي ببيان مظاهر قدرته تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وضرب الأمثال وسوق الشواهد والعبر ﴿لقوم يشكرون﴾ إذ هم المنتفعون بها أما الكافرون الجاحدون فأنى لهم الانتفاع بها وهم لا يعرفون الخير ولا ينكرون الشر.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

- ١ - تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان.
- ٢ - الاستدلال بالحاضر على الغائب وهو من العلوم النافعة.
- ٣ - حسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٤ - فضيلة الشكر وهو صرف النعمة فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
 قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
 يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
 أَبْلَغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
 رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات : نوحاً

: هذا أول الرسل هذا العبد الشكور هو نوح بن مَلِك بن متوشلخ بن أخنوخ أي أدريس عليهما السلام ، أحد أولى العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلماً ألفاً ومائتين وأربعين سنة ، ومدة الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وما بعدها عاشها هادياً ومعلماً للمؤمنين .

عذاب يوم عظيم
الملا : هو عذاب يوم القيامة .
وأنصح لكم : أشرف القوم ورؤساؤهم الذين يملأون العين والمجلس .
أوعجبتكم : أريد لكم الخير لا غير .
الاستفهام للإنكار ، وعجبتكم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتكم أي أكذبتكم وعجبتكم .
لينذركم : أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي .
ولتقوا : أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون .
والذين معه في الفلك : هم المؤمنون من قومه والفلك هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى وعونه .

عمين : جمع عم وهو أعمى البصيرة أما أعمى العينين يقال فيه أعمى .
معنى الآيات :

هذا شروع في ذكر قصص ستة من الرسل وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام والمراد من ذكر هذا القصص هو تنويع أسلوب الدعوة ليشاهد المدعون من كفار قريش صوراً ناطقة ومشاهد حية لأمم سبقت وكيف كانت بدايتها وبم ختمت نهايتها ، وهي لا تختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه من أحداث الدعوة والصراع الدائر بينهم وبين نبيهم لعلهم يتعظون . ، ومع هذا فالقصص يقرر نبوة محمد ﷺ إذ لو لم يكن رسولاً يوحى إليه لما تأتى له أن يقص من أخبار الماضين ما بهر العقول كما أن المؤمنين مع نبيهم يكتسبون من العبر ما يحملهم على الثبات والصبر ، ويحجبهم القنوط واليأس من حسن العافية والظفر والنصر .

وهذا أول قصص يقوله تعالى فيه ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾^(١) أي وعزتنا لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه كما أرسلناك أنت يارسولنا إلى قومك من العرب والعجم، فقال: أي نوح في دعوته: ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾^(٢) أي ليس لكم على الحقيقة إله غيره، إذ الإله الحق من يخلق ويرزق ويدبر فيحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويضر وينفع، ويسمع وبصر فأين هذا من آلهة نحتموها بأيديكم، ووضعتموها في بيوتكم عمياء لا تبصر صماء لا تسمع بكاء لا تنطق فكيف يصح أن يطلق عليها اسم الإله وتعبد ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أنذرهم عذاب يوم القيامة إن هم أصروا على الشرك والعصيان فأجابه الملائكة منهم وهم أهل الحل والعقد في البلاد قائلين: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ بسبب موقفك العدائي هذا لآلهتنا، ولعبادتنا إياها فأجاب عليه السلام قائلاً ﴿يا قوم ليس بي ضلالة﴾ مجرد ضلالة فكيف بالضلال كله كما تقولون، ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي إليكم ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾ أي بما هو خير لكم في حالكم ومآلكم، واعلموا أي ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فأنا على علم بما عليه ربي من عظمة وسلطان، وجلال، وجمال، وماعنده من رحمة وإحسان، ومالديه من نكال وعذاب، وأنتم لا تعلمون فاتقوا الله إذا وأطيعوني يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى آجالكم، ولا يعجل بفنائكم وواصل حديثه معهم وقد دام ألف سنة إلا خمسين عاماً قائلاً: أكذبتم بما دعوتكم إليه وجئتكم به وعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، ولتتقوا الله بتوحيده وعبادته وطاعته رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أمن هذا يتعجب العقلاء؟ وكانت النتيجة لهذه الدعوة المباركة الخيرة أن كذبوه فأنجاه ربه والمؤمنين معه، وأغرق الظالمين المكذبين، لأنهم كانوا قوماً عمين فلا يستحقون البقاء والنجاة قال تعالى ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في

(١) نوح: هو أول الرسل من حيث أنه حارب الشرك ودعا إلى التوحيد، وهل إدريس من ذريته أو من آباءه خلاف، أما شيت بن آدم فقطعاً هو من آباءه.

(٢) غيره: مرفوع على النعت لإله المرفوع تقديرًا، إذا أصل رفعه، وجُرَّ بحرف الجر الزائد الذي هو من.

(٣) الملا: هم أشراف القوم ورؤسائهم الذين إذا نظر إليهم ملأوا العين وإذا جلسوا ملأوا المجلس، هذا أصل الكلمة.

(٤) النصح: إخلاص القول والعمل من شوائب الفساد، بمعنى تخليص القول أو العمل مما هو ضار أو غير نافع للمنصوح له، ويقال نصحه ونصح له والمعنى واحد، والأسم النصيحة، والناصح الخالص من العسل مثل الناصح الذي لا شائبة فيه.

(٥) قوله تعالى: ﴿أو عجبتم﴾ الهمة للاستفهام، والواو عاطفة على جملة محذوفة كما هي في التفسير.

(١) الفلك، وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين ﴿٢﴾ لا يبصرون الآيات ولا يرون النذر والشواهد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ كنبوة نوح عليه السلام .
- ٢ - تقرير وتأکید التوحيد ، وبيان معنى لا إله إلا الله .
- ٣ - التحذير من عذاب يوم القيامة بالتذكير به
- ٤ - أصحاب المنافع من مراكز وغيرها هم الذين يردون دعوة الحق لمنافاتها للباطل .
- ٥ - تقرير مبدأ العقابة للمتقين .
- ٦ - عمى القلوب أخطر من عمى العيون على صاحبه .

﴿٦٥﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ

هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي

سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ

لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ

أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ

فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

(١) الفلك يكون واحداً وجمعاً ويؤنث .

(٢) ﴿عمين﴾ أي : عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه ، واحسانه يقال رجل عم بكذا أي : جاهل به لا يعرفه .

شرح الكلمات :

وإلى عاد : أي ولقد أرسلنا إلى عاد وهم قبيلة عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

أخاهم هوداً : أخاهم في النسب لا في الدين . وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام .

أفلا تتقون : أي أتصرون على الشرك فلا تتقون عذاب الله بالإيمان به وتوحيده، والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل .

في سفاهة : السفاهة كالتسفه وهو خفة العقل، وقلة الإدراك والحلم .

أمين : لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكذبكم، كما أي مأمون على رسالتي لا أفرط في إبلاغها .

بسطة : أي طويلاً في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها .

آلاء الله : نعمه واحدها آلى وإلى وإلى وإلى وإلى والجمع آلاء

تفلحون : بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الثاني، قصص هود عليه السلام مع قومه عاد الأولى التي أهلكها الله تعالى بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام . قوله تعالى ﴿وإلى عاد﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم من النسب هوداً فماذا قال لهم ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوه في العبادة ولا تعبدوا معه آلهة أخرى . وقوله : ﴿مالكم من إله غيره﴾ أي ليس لكم أي إله غير الله، إذ الله هو الإله الحق وماعداه فآلهة باطلة، لأنه تعالى يخلق وهم لا يخلقون ويرزق وهم لا يرزقون ويدبر الحياة بكل ما فيها وهم مدبرون لا يملكون نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يكونون آلهة . ثم حضهم على التقوى وأنكر عليهم تركهم لها فقال عليه السلام لهم : ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله ربكم فتركوا الشرك وتوحدوه؟ فأجاب الملائكة الذين كفروا من قومه، بأسوأ إجابة وذلك لكبريائهم واغترارهم فقالوا : ﴿إنا لنراك في

(١) عاد : أمة عظيمة كانوا أكثر من عشر قبائل، ومنازلهم كانت ببلاد العرب من حضرموت والشعر إلى عُمان، وعاد اسم القبيلة وصرف لأنه ثلاثي ساكن الوسط كهند ودعد .

سفاهة ﴿أي حق وطيش وعدم بصيرة بالحياة وإلا كيف تخرج عن إجماع قومك، وتواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جئت به أي من الرسالة، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة غير الله تعالى، فأجاب هود عليه السلام راداً شبهتهم فقال: ﴿يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي أنا لست كما تزعمون أن بي سفاهة ولكني أحمل رسالة أبلغكموها، وأنا في ذلك ناصح لكم مريد لكم الخير أمين^(١) على وحي الله تعالى إلي، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا الخير. ثم واصل دعوته فقال ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ أي أكذبتم برسالاتي وعجبتم من مجيئكم ذكر من ربكم ﴿على رجل منكم لينذركم﴾ أي عواقب كفركم وشرككم، أمن مثل هذا يتعجب العقلاء أم أنتم لا تعقلون؟.

ثم ذكرهم بنعم الله تعالى عليهم لعلها تحذث لهم ذكراً في نفوسهم فيتراجعون بعد عنادهم وإصرارهم فقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ أي بعد أن أهلكهم بالطوفان لإصرارهم على الشرك ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ أي جعل أجسامكم قوية وقاماتكم طويلة هذه نعم الله عليكم ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ لأنكم إن ذكرتموها بقلوبكم شكرتموها بأقوالكم وأعمالكم، وبذلك يتم الفلاح لكم، وهو نجاتكم من المهروب وظفركم بالمحبوب وذلك هو الفوز المطلوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو معنى لا إله إلا الله .
- ٢ - مشروعية دفع الإتهام، وتبرئة الإنسان نفسه مما يتهم به من الباطل .
- ٣ - من وظائف الرسل عليهم السلام البلاغ لما أمروا ببلاغه .

(١) الأمين: هو الموصوف بالأمانة، والأمانة أعز أوصاف البشر وفي الحديث (لا إيمان لمن لا أمانة له) ويروى: (لمن لا أمان له).

(٢) الخلفاء: جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في شيء أي: يتولى العمل الذي كان يقوم به الآخر، كما يجمع خليفة على خلائف.

(٣) ويجوز بسطة: بالصاد أي طولاً في الأجسام قيل كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، فالزيادة كانت على خلق من قبلهم، وذكر القرطبي أموراً عجباً لا يحسن ذكرها.

(٤) الآلاء: مفردة إلي ويعرف فيقال الإلالي وهو: النعمة وهو على وزن عَنَبَ وأعْنَبَ ونظيره إنى أي: الوقت والجمع آتاء قال تعالى: ﴿ومن آتاء الليل فسبح﴾ الخ.

٤ - فضيلة النصح وخلق الأمانة .

٥ - استحسان التذكير بالنعم فإن ذلك موجب للشكر والطاعة .

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
(٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتُجَادِلُونَنِي^(١) فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)

شرح الكلمات :

ونذر : أي نترك .

بما تعدنا : أي من العذاب .

رجس : سخطٌ موجبٌ للعذاب .

أتجادلونني : أي أخاصمونني .

من سلطان : أي من حجة ولا برهان يثبت أنها تستحق العباداة .

دابِر : دابر القوم آخرهم ، لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب .

(١) «أتجادلونني في أسماء» أي : في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كالألات ، والعزى ومناة عند قريش ومشركي العرب ، فأطلق الاسم وأريد به المسمى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص هود عليه السلام ، فهاهم أولاء يردُّون على دعوة هود بقول الملائمة منهم ﴿ أَجئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ وتهددنا إن نحن لم نترك عبادة آلهتنا ، ﴿ فَأَتنا بما تعدنا ﴾ به من العذاب ^(١) ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴾ في دعواك فرد هود عليه السلام على قولهم هذا قائلاً قد وقع عليكم رجس أي سخط وغضب من الله تعالى وأن عذابكم لذلك أصبح متوقعاً في كل يوم فانتظروا ما سيحلُّ بكم ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾ قال تعالى ﴿ فَأَنجِئناهم والذين معه برحمة منا ﴾ أي بعد إنزال العذاب ، ومن معه من المؤمنين برحمة منا خاصة لا تتم إلا لثلثهم ، ﴿ وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين ﴾ أهلكتناهم بخارقة ريح تدمر كل شيء بأمرها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، وكذلك جزاء الظالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - احتجاج المشركين على صحّة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنّة مطّردة في الأمم والشعوب ، وهو التقليد المذموم .
- ٢ - من حق الكافرين استعجالهم بالعذاب ، ومطالبتهم به .
- ٣ - آلهة الوثنيين مجرد أسماء لا حقائق لها إذ إطلاق المرء اسم إله على حجر لا يجعله إلهاً ينفع ويضر ، ويحيى ويميت .
- ٤ - قدرة الله تعالى ولطفه تتجلّى في إهلاك عاد وإنجاء هود والمؤمنين .

(١) الاستفهام هنا انكاري أنكروا على نبي الله هود دعوته إياهم إلى التوحيد وكان جوابهم هذا أقل جفوة من السابق الذي اتهموه فيه بالسفاهة والكذب .

(٢) ذكر العذاب في سورة الأحقاف إذ قال تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ .

(٣) ﴿ قد وقع ﴾ بمعنى : وجب ، يقال : وقع الحكم أو القول إذا وجب .

(٤) وفُسر الرجس بالعذاب أو الرّين على القلوب بزيادة الكفر .

(٥) روي أن هوداً ومن معه من المؤمنين نزحوا إلى مكة وأقاموا بها بعد هلاك قومهم .

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ وَاللَّهُ
 مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ
 رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَةٍ ﴿٧٣﴾
 وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
 آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

وإلى ثمود : أي أرسلنا إلى ثمود، وثمرود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن

عابر بن إرم بن سام بن نوح.

أخاهم صالحاً : أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن كماش بن

عبيد بن حاذر بن ثمود.

آية : علامة على صدقي في أي رسول الله إليكم.

وبوأكم في الأرض : أنزلكم فيها منازل تحيون فيها.

(١) ثمود: هو أخو جديس.

وتنحتون : تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا منازل لكم لتسكنوها .
 آلاء الله : نعم الله تعالى وهي كثيرة .
 ولا تعثوا : أي لا تفسدوا في الأرض مفسدين .
 استكبروا : عتوا وطفخوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به .
 معنى الآيات :

هذا القصص الثالث قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً نبياً أرسلناه بما أرسلنا به رسلنا من قبله ومن بعده بكلمة التوحيد ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وهذا مدلول كلمة الإخلاص التي جاء بها خاتم الأنبياء « لا إله إلا الله » ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ تشهد بأنه لا إله إلا هو، وأني رسوله إليكم، هذه البينة ناقة تخرج من صخرة في جبل، ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ علامة وأية علامة على صدقي في إرسال الله تعالى لي رسولاً إليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً، فذروا هذه الناقة تأكل في أرض الله ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾، فكانت الناقة ترعى في المروج، وتأتي إلى ماء القوم فتشربه كله، ويتحول في بطنها إلى لبن خالص فيخلبون ماشاءوا وقال لهم يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم، ووعظهم عليه السلام بقوله : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي بعد هلاكهم، وكانت ديار عاد بحضرموت جنوب الجزيرة العربية وديار ثمود بالحجر شمال الجزيرة بين الحجاز والشام . وقوله ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أرض الحجر تتخذون من سهولها قصوراً تسكنونها في الصيف، وتنحتون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي نعمه العظيمة لتشكروها بعبادته وحده دون ما اتخذتم من أصنام، وحذرهم من عاقبة الفساد فقال ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي لا تنشروا الفساد في الأرض بالشرك وارتكاب المعاصي . وإزاء هذه الدعوة

(١) ثمود: يصرف ولا يصرف فمن صرفه: على أنه اسم للحي، ومن منعه: على أنه علم على القبيلة.

(٢) هذه الناقة هم الذين طالبوا بها لتكون آية على صدق نبوة صالح، ولما جاءتهم كفروا بها.

(٣) إضافة الناقة إلى الله تعالى للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عز وجل.

(٤) أي: ليس عليكم رزقها ومؤنتها.

(٥) استدلل بعضهم على جواز بناء القصور للسكن بهذه الآية وبحديث: (إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه) وكره ذلك بعض، لحديث: (وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله عز وجل إلا ما كان في بنية أو معصية) رواه الدارقطني.

الصادقة الهادفة إلى هداية القوم وإصلاحهم لينجوا من عاقبة الشرك والشر والفساد ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي قوم صالح ، قالوا ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ أي لمن آمن من ضعفاء القوم : ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ ، وهو استفهام سخرية واستهزاء دال على صلف القوم وكبريائهم ، فأجاب المؤمنون من ضعفة القوم قائلين ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ قالوها واضحة صريحة معلنّة عن إيمانهم بما جاء به رسول الله صالح غير خائفين ، وهنا ردّ المستكبرون قائلين : ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ وإمعاناً منهم في الجحود والتكبر ، لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون حتى لا يعترفوا بالرسالة ولو في جواب رد الكلام فقالوا ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - اتحاد دعوة الرسل في الإيمان بالله والكفر بالطاغوت أي في عبادة الله وحده .
- ٢ - تقرير إرسال الرسل بالآيات وهي المعجزات وآية صالح أعجب آية وهي الناقة .
- ٣ - وجوب التذكير بنعم الله إذ هو الباعث على الشكر ، والشكر هو الطاعة .
- ٤ - النهي عن الفساد في الأرض والشرك وارتكاب المعاصي .
- ٥ - الضعفة هم غالباً أتباع الأنبياء : وذلك لخلوهم من الموانع كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال ، وعدم إنغماسهم في الملاذ والشهوات .

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاشِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٩﴾

(١) ﴿لمن آمن﴾ بدل من (الذين استضعفوا) بدل بعض من كل .

شرح الكلمات :

فعقروا الناقة : : نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية .
وعتوا عن أمر ربهم : تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا .
الرجفة : المرة من رجف إذا اضطرب ، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم
الرجفة .

جاثمين^(١)

: باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم .
فتولى عنهم : بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال راثياً لحالهم
﴿ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي﴾ إلى قوله ﴿ولكن لا تحبون
الناصحين﴾ ثم أعرض عنهم وانصرف .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص صالح عليه السلام فإنه بعد تلك الدعوة الطويلة العريضة
والمستكبرون يردونها بصلف وكبرياء ، وطالبوا بالآية لتدل على صدقه وأنه من المرسلين وأوتوا
الناقة آية مبصرة ولجوا في الجدال والعناد وأخيراً تمالؤوا على قتل الناقة وعقروها ﴿فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾ .

قوله تعالى في الآية الأولى (٧٧) ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يخبر تعالى أن قوم
صالح عقروا الناقة قطعوا أرجلها ثم نحروها وهو العقر، وعتوا بذلك وتكبروا متمردين عن
أمر الله تعالى حيث أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء فإذا بهم يعقرونها
تحدياً وعناداً، ﴿وقالوا يا صالح﴾ بدل أن يقولوا يارسول الله أو يانبي الله ﴿اثتنا بما تعدنا﴾
أي من العذاب إن مسسنا الناقة بسوء فقد نحرنها فأتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من
المرسلين قال تعالى ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهي هزة عنيفة اضطربت لها القلوب والنفوس
نتيجة صيحة لملك عظيم صاح فيهم صباح السبت كما قال تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة

(١) أصل الجثوم للأرانب وما شابهها وموضع الجثوم يقال لهم : مجثم . قال زهير :

بها العين والأرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(٢) العقر: المجرع أو قطع عضو يؤثر في النفس ، يقال : عقر الفرس إذا ضرب قوائمه بالسيف ، وقيل للنحر عقر : لأنه بسبب
النحر غالباً .

(٣) هو بداية اليوم الرابع ، إذ قال لهم : ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ فكانت الأربعاء والخميس والجمعة والسبت أهلكتهم
الله تعالى .

مشرقين ﴿ ولما هلكوا وقف عليهم صالح كالمدوع كما وقف رسول الله ﷺ على أهل القليب
ببدر فناداهم يافلان يافلان كذلك صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقف عليهم وهم
خامدون وقال كالراثي المتحسر ﴿ ياقوم لقد أبلغتكم ^(١) رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا
تحيون الناصحين ﴿ وتولى عنهم وانصرف.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حلول نعمة الله تعالى بكل من عتا عن أمره سبحانه وتعالى .
- ٢ - مشروعية الرثاء لمن مات أو أصيب بمصائب عظيم .
- ٣ - علامة قرب ساعة الهلاك إذا أصبح الناس يكرهون النصيح ولا يحبون الناصحين .

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

ولوطاً : أي وأرسلنا لوطاً ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام .

ولد في بابل العراق .

الفاحشة : هي الخصلة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم .

(١) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالأيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير .

من العالمين : أي من الناس .

من الغابرين : الباقيين في العذاب .

وأمطرنا : أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمنزل فأهلكهم .

المجرمين : أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الرابع قصص نبي الله تعالى لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم عليه السلام فقوله تعالى ﴿ ولوطاً ^(١) . . . ﴾ أي وأرسلنا لوطاً إلى قومه من أهل سدوم ، ولم يكن لوط منهم لأنه من أرض بابل العراق هاجر مع عمه إبراهيم وأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وعمورة قرب بحيرة لوط ^(٢) بالأردن .

وقوله إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم المنكرة : ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ وهي اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ أي لم يسبقكم إليها أحد من الناس قاطبة ، وواصل إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم فقال : ﴿ إنكم لتأتون الرجال شهوة ^(٣) من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ﴾ وإلا فالشهوة من النساء هي المفطور عليها الإنسان ، لا أدبار الرجال ، ولكنه الإجماع والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك ، والإسراف صاحبه لا يقف عند حد .

وبعد هذا الوعظ والإرشاد إلى سبيل النجاة ، والخروج من هذه الورطة التي وقع فيها هؤلاء القوم المسرفون ماكان رداهم ﴿ إلا أن قالوا أخرجوهم ﴾ أي لوطاً والمؤمنين معه ﴿ من قريبتكم ﴾ أي مدينتكم سدوم ، معللين الأمر بإخراجهم من البلاد بأنهم أناس يتطهرون من الخبث الذي هم منغمسون فيه قال تعالى بعد أن بلغ الوضع هذا الحد ﴿ فأنجيناه وأهلكه ﴾ من بناته وبعض نسائه ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ حيث أمرهم بالخروج من

(١) هذا العطف على إرسال نوح كما هو مع هود وصالح من قبل لوط ، ولوط : اسم عجمي وليس مشتقاً من لوط الحوض أو من قولهم : هذا ألبط بقلبي من هذا .

(٢) هذه الأرض هي أرض الكنعانيين وسكانها خليط جلهم كنعانيون .

(٣) هو المعروف بالبحر الميت ويقال له بحيرة لوط .

(٤) ﴿ شهوة ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله .

البلاد ليلاً قبل حلول العذاب بالقوم فخرجوا، وما إن غادروا المنطقة حتى جعل الله تعالى عليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجين فاهلكوا أجمعين .

وقوله تعالى في ختام هذا القصص ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ فإنه خطاب عام لكل من يسمع هذا القصص ليعتبر به حيث شاهد عاقبة المجرمين دماراً كاملاً وعذاباً أليماً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - شدة قبح جريمة اللواط .
- ٢ - أول من عرف هذه الجريمة القدرة هم قوم لوط عليه السلام .^(١)
- ٣ - الإسراف وعدم الاعتدال في الأقوال والأفعال يتولد عنه كل شر وفساد .
- ٤ - الكفر والإجرام يحل رابطة الأخوة والقرابة بين أصحابه والبراء منه .
- ٥ - من أتى هذه الفاحشة من المحصنين يجرم بالحجارة حتى الموت .^(٢)

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ
وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ



(١) روي أَنَّ إبليس هو الذي علّمهم إيّاها في نفسه بعد أن تشكّل بشكل إنسان .

(٢) الجمهور على أن من أتى هذه الفاحشة من الذكران البالغين أنه يقتل وغير البالغ يضرب، وخالف أبو حنيفة الجمهور وقال بعدم القتل واكتفى بالتعزير وهو محجوج بعمل الصحابة فقد أحرقوا مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَىٰ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ بِإِجْمَاعٍ رَأَى الصَّحَابَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيِّ أَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ) وعند الترمذي : (أحصنا أو لم يحصنا) واختلف في الفاعل في البهيمة هل يقتل أو يعزّر؟ فالراجح : القتل لحديث : (من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه) .

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَتَبَغُّونَهَا عَوْجًا
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ
مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا
فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

شرح الكلمات :

وإلى مدين أخاهم شعبياً : مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين .

ولا تبخسوا الناس أشياءهم : أي لا تنقصوا الناس قيم سلعهم وبضائعهم ، إذ كانوا يفعلون ذلك .

صراط توعدون : طريق وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم . وتبغونها عوجاً : أي تريدون سبيل الله - وهي شريعته - معوجةً حتى توافق ميولكم .

المفسدين : هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد .

يحكم بيننا : يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الخامس في سورة الأعراف وهو قصص نبي الله شعيب مع قومه أهل مدين ، فقله تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعبياً﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعبياً . فماذا قال لهم لما أرسل إليهم ؟ ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ أي قولوا لا إله إلا الله ، ولازم ذلك أن يصدقوا برسول الله شعيب حتى يمكنهم أن يعبدوا الله بما

(١) شعيب : تصغير شعب أو شعب ويقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه .

يحب أن يعبد به وبما من شأنه أن يكملهم ويسعدهم في الدارين وقوله ﴿قد جاءكم بينة^(١) من ربكم﴾ أي آية واضحة تشهد لي بالرسالة وبما أن ما أمركم به وأنهاكم عنه هو من عند الله تعالى إذا ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أي بالقسط الذي هو العدل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ بل أعطوهم ما تستحقه بضائعهم من الثمن بحسب جودتها ورداءتها ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ أي في البلاد بعد إصلاحها، وذلك بترك الشرك والذنوب ومن ذلك ترك التلصص وقطع الطرق، وترك التطفيف في الكيل والوزن وعدم بخس سلع الناس وبضائعهم ذلكم الذي دعوتكم إليه من الطاعة وترك المعصية خير لكم حالاً ومالاً إن كنتم مؤمنين وقوله: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً﴾^(٣) ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجمام وهو أنهم يجلسون في مداخل البلاد، وعلى أفواه السكك، ويتوعدون المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبي شعيب وجلسوا إليه صرفاً للناس عن الإيمان والاستقامة، كما أنهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس ثيابهم وأمتعتهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة.

وقوله ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ يذكرهم عليه السلام بنعمة الله تعالى عليهم وهي أنهم أصبحوا شعباً كبيراً بعدما كانوا شعباً صغيراً لا قيمة له ولا وزن بين الشعوب وقوله: ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعظمهم ببيان مصير الظلمة المفسدين من الأمم المجاورة والشعوب حيث حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فهلكوا يعظمهم لعلمهم يذكرون فيتركوا الشرك والمعاصي، ويعملوا بالتوحيد والطاعة.

وأخيراً يخوفهم بالله تعالى ويهددهم بأن حكماً عدلاً هو الله سيحكم بينهم وعندها يعلمون من هو المحق ومن هو المبطل فقال: ﴿وإن كان طائفة منكم﴾ أي جماعة ﴿آمنوا بالذي أرسلت به﴾ من التوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصي، ﴿وطائفة﴾ أخرى ﴿لم يؤمنوا﴾ وبهذا كنا متخاصمين نحتاج إلى من يحكم بيننا إذا ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير

(١) من الجائز أن يكون الله تعالى قد أعطى نبيه شعياً آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنها حجة قوية قهرهم بها ولم يتمكنوا من ردها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه عنه ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.

(٣) قال أبو عبيدة والزجاج: كسر العين عوجاً في المعاني، والفتح عوجاً في الإجمام والذنوب.

(٤) قال أبو هريرة رضي الله عنه هذا نهى عن قطع الطريق وأخذ السلب وكان ذلك من فعلهم.

الجزء التاسع

الحاكمين ﴿١﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - دعوة الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة .
- ٢ - حرمة التطفيف في الكيل والميزان ، وبخس الناس أشياءهم ، ويدخل في ذلك الصناعات وحرف المهن وما إلى ذلك .
- ٣ - حرمة الفساد في الأرض بالمعاصي لا سيما البلاد التي طهرها الله بالإسلام وأصلحها بشرائه .
- ٤ - حرمة التلصص وقطع الطرق وتخويف المارة .^(١)
- ٥ - حرمة الصد عن سبيل الله بمنع الناس من التدين والإلتزام بالشرعية ظاهراً وباطناً .

﴿١﴾ قَالَ أَلْمَأُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَاهِرِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ
بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

المأ : أشرف القوم الذين يملؤون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر اليهم .

استكبروا : تكلفوا الكبر وهم حفيرون ، حتى لا يقبلوا الحق .

(١) ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب على المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدى فيه المسلمون بالكافرين .

من قريرتنا : مديتنا
 في ملتكم : في دينكم .
 على الله توكلنا : أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه .
 ربنا افتح بيننا : أي يا ربنا احكم بيننا .
 وأنت خير الفاتحين : أي وأنت خير الحاكمين .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب مع قومه أهل مدين فبعد أن أمرهم ونهاهم وذكرهم ووعظهم ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ مهديين موعدين مقسمين ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريرتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ . هكذا سنة الطغاة الظلمة إذا غلبوا بالحجج والبراهين يفزعون إلى القوة فلما أفحمهم شعيب خطيب الأنبياء عليهم السلام ، وقطع الطريق عليهم شهروا السلاح في وجهه ، وهو النفي والإخراج من البلاد أو العودة إلى دينهم الباطل : ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريرتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ ورد شعيب على هذا التهديد بقوله : ﴿أولو كنا كارهين﴾ أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لها ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ ووجه الكذب على الله إن عادوا إلى ملة الباطل هو أن شعيباً أخبرهم أن الله تعالى أمرهم بعبادته وحده وترك عبادة غيره ، وأنه تعالى أرسله إليهم رسولاً وأمرهم بطاعته إنقاذاً لهم من الباطل الذي هم فيه فإذا أرتد وعاد هو ومن معه من المؤمنين إلى ملة الشرك كان موقفهم موقف من كذب على الله تعالى بأنه قال كذا وكذا والله عز وجل لم يقل . هذا ثم قال شعيب ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾ ليس من الممكن ولا من المتهيء لنا العودة في ملتكم أبداً ، اللهم إلا أن يشاء ربنا شيئاً فإن مشيئته نافذة في خلقه ، وقوله : ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ فإذا كان قد علم أنا نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، فسوف يكون ما علمه كما علمه وهو الغالب على أمره .

(١) ﴿أو لتعودن﴾ : إما أن يراد به اتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم وإما أن يراد بكلمة ﴿لتعودن﴾ : لتصيرن إذ تكون عاد بمعنى : صار .

(٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد .

(٣) هذا أسلوب الإيثار لهم من العودة إلى دينهم الباطل .

(٤) هذا الاستثناء كان من شعيب تأدباً مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة .

ثم قال عليه السلام بعد أن أعلمهم أن العودة إلى دينهم غير واردة ولا ممكنة بحال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله ذلك، وهذا مما لا يشاءه الله تعالى قال: ﴿على الله توكلنا﴾ في الثبات على دينه الحق، والبراءة من الباطل ثم سأل ربه قائلاً: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي احكم بيننا وبينهم بالحق ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ أي الحاكمين، وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة بشرية وهي أن الظلمة والمتكبرين يجادلون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدل وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه، فيسترحوا ويرجحوا يفزعون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالعذاب والنكال.
- ٢- لا يصح من أهل الحق بعد أن عرفوه ودعوا إليه أن يتنكروا ويقبلوا الباطل بدله.
- ٣- يستحب الاستثناء في كل ما عزم عليه المؤمن مستقبلاً وإن لم يرده أو حتى يفكر فيه.
- ٤- وجوب التوكل على الله عند تهديد العدو وتخويفه، والمضي في سبيل الحق.
- ٥- مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل، لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين.

وَقَالَ الْمَلَأُ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا الْخَاسِرُونَ
 فَآخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾
 الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا
 كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ

(١) ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ هذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذا كفولك: لا أكلمك حتى يبيض الغراب أو ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾.

(٢) الفتح بمعنى القضاء والحكم وهو لغة: أزد عمان من اليمن أي: أحكم بيننا وبينهم وهي مأخوذة من الفتح بمعنى النصر إذ كانوا لا يتحاضمون لغير السيف ويرون أن النصر حكم الله للغالب على المغلوب.

أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ أَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

لئن اتبعتم شعياً : أي على ما جاء به من الدين والهدى .

الرجفة : الحركة العنيفة كالزلزلة .

جاثمين : باركين على ركبهم ميتين .

كان لم يغنوا فيها : أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً .

الخاسرين : إذ هلكوا في الدنيا وادخلوا النار في الآخرة .

أسى^(١) : أي أحزن أو آسف شديد الأسف .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص شعيب مع أهل مدين فإنه بعد أن هدد الظالمون شعياً بالإبعاد من مدينتهم هو والمؤمنون معه أو أن يعودوا إلى ملتهم فرد شعيب على التهديد بما يأسهم من العودة إلى دينهم، وفزع إلى الله يعلن توكله عليه ويطلب حكمه العادل بينه وبين قومه المشركين الظالمين كأن الناس اضطربوا وأن بعضاً قال اتركوا الرجل وما هو عليه، ولا تتعرضوا لما لا تطيقونه من البلاء. هنا قال الملأ الذين استكبروا من قومه مقسمين بآلهة الباطل : ﴿لئن اتبعتم شعياً﴾ أي على دينه وما جاء به وما يدعو إليه من التوحيد والعدل ورفع الظلم ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ قال تعالى : ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ استجابة لدعوة شعيب فأصبحوا هلكى جاثمين على الركب . قال تعالى : ﴿الذين كذبوا شعياً كان لم يغنوا فيها﴾^(٣)

(١) أسى كرضي يأسى كيرضي يقال : أسيت على كذا أسى فانا أسى وآسى في الآية مضارع أسى دخلت عليه همزة المتكلم فصارت أسى بهمزتين .

(٢) في سورة هود : ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ وفي سورة الشعراء : ﴿أخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وطريقة الجمع . أنهم لما اجتمعوا تحت الظلة وهي سحابة أظلتهم ، فزغوا إليها من شدة الحر الذي أصابهم يومئذ فلما استقروا تحتها زلزلوا من تحتهم وهي الرجفة ونزلت عليهم من الظلة صاعقة وهي الصيحة فأحرقتهم هذا إن قلنا إن مدين وأصحاب الأيكة هما أمة واحدة ، وإلا فأصحاب الأيكة أخذوا بعذاب الظلة وأصحاب مدين أخذوا بالرجفة من تحتهم ، والصيحة من فوقهم .

(٣) وفسر القرطبي الغنى : بالمقام يقال : غنى القوم في دارهم أي : طال مقامهم ، والمعنى : المنزل والجمع المغاني ، قال لبيد :

وغنيت ستاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

ومعنى غنيت : أقمّت وهو الشاهد .

أي كأن لم يعمرُوا تلك الديار و يقيموا بها زمناً طويلاً ، وأكد هذا الخبر وهو حكمه في المكذبين الظالمين فقال : ﴿ الذين كذبوا شعبياً كانوا هم الخاسرين ﴾ أما الذين صدقوا شعبياً فهم المفلحون الفائزون وودعهم شعيب كما ودع صالح قومه قال تعالى : ﴿ فتولى عنهم ﴾ وهم جاثمون هلكى فقال ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ﴾ فأبيتُم ^(١) إلا تكذيبى ورد قولي والإصرار على الشرك والفساد حتى هلكتم ﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ أي لا معنى للحزن والأسف على مثلكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ثمرة الصبر والثبات النصر العاجل أو الآجل .
- ٢- نهاية الظلم والطغيان والدمار والخسران .
- ٣- لا أسى ولا حزناً على من أهلكه الله تعالى بظلمه وفساده في الأرض .
- ٤- مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله ﷺ بأهل القلب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- في قرية : المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة .
بالبأساء : بالشدة كالقحط والجوع والحروب .

(١) الاستفهام إنكاري وهو موجه في الظاهر إلى نفس شعيب ، والمقصود نهي من معه من المؤمنين الناجين من العذاب برحمة الله تعالى نهيم عن الحزن عن قومهم وأقاربهم كأنه لاحظ ذلك فيهم .

والضراء : الحالة المضرة كالأمرض والغلاء وشدة المؤونة .
يضرعون : يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم سوء .
مكان السيئة الحسنة : أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض الصحة .

حتى عفوا : كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة .
أخذناهم بغتة : أنزلنا بهم العقوبة فجأة .

معنى الآيتين :

على إثر بيان قصص خمسة أنبياء ذكر تعالى سنته في الأمم السابقة ليكون ذلك عظة لكفار قریش، وذكرى للمؤمنين فقال تعالى : ﴿وما أرسلنا في قرية﴾^(١) أي في أهل قرية والمراد بالقرية الحاضرة والعاصمة من كبريات المدن حيث الكبراء والرؤساء من نبي من الأنبياء والمرسلين فكذبوه قومه وردوا دعوته مصرين على الشرك والضلال إلا أخذ الله تعالى أهل تلك المدينة بألوان من العذاب التأديبي كالقحط والجوع وشظف العيش، والأمراض والحروب المعبر عنه بالبأساء والضراء . رجاء أن يرجعوا إلى الحق بعد النفور منه، وقبوله بعد الإعراض عنه ثم يغير تعالى ما بهم من بأساء وضراء إلى يسر ورخاء، وعافية وهناء فتكثر أموالهم وأولادهم ويعظم سلطانهم، ويقولون عندما يوعظون ويذكرون ليتوبوا فيؤمنوا ويتقوا : ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾^(٢) أي الخير والشر وما هناك ما تخوفوننا به إنما هي الأيام هكذا دول يوم عسر وآخر يسر وبذلك يحق عليهم العذاب فيأخذهم الجبار عز وجل فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيتم هلاكهم ويمسرون حديث عبرة لمن بعدهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأبقى .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- بيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة .

(١) في الجملة إضمار تقديره : وما أرسلنا في قرية من نبي فكذب أهلها إلا أخذناهم وهو مبسوط في التفسير مبين غاية البيان والجملة معطوفة على جملة : ﴿والى مدین آخاهم شعبيا﴾ .

(٢) أي : فنحن مثلهم .

(٣) أي : بغتة ليكون أكثر حسرة .

٢- تخويف كفار قريش بما دلت عليه هذه السنة من أخذ الله تعالى المصرين على الكفر المتمردين على الحق،

٣- التذكير والوعظ بتاريخ الأمم السابقة المنبئ عن أسباب هلاكهم وخسرانهم ليتجنبها العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرْتُوبُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ أَصْبَنَهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

آمَنُوا واتَّقُوا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعده الله ووعده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته ..

بركات من السماء والأرض : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام والمطر من بركات السماء والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض .

يكسبون : من الشرك والمعاصي .
بياتاً : أي ليلاً وهم نائمون .
مكر الله : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة

الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم أخذهم
بغته.

أو لم يهد لهم : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم .
بذنوبهم : أي بسبب ذنوبهم .

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى سنته في الأمم السابقة ، وهي أخذ الأمة بعد تكذيبها وعصيانها بالبأساء والضراء ، ثم إذا هي لم تتب واستمرت على كفرها وعصيانها أغدق عليها الخيرات حتى عفت بكثرة مالها وصلاح حالها أخذها بغته فأهلكها ، وتم خسرتها في الدارين ، فتح تعالى باب التوبة والرجاء لعباده فقال : ﴿ولو أن أهل القرى^(١)﴾ المكذبين ككفار مكة والطائف وغيرهما من المدن ﴿آمنوا﴾ أي بالله ورسوله وبلقاء الله ووعده ووعيده ، ﴿واتقوا﴾ الله تعالى في الشرك وفي معصيته ومعصية رسوله لفتح عليهم أبواب السماء بالرحمات والبركات ، وفتح عليهم كنوز الأرض ورزقهم من الطيبات ولكن أهل القرى الأولين كذبوا فأخذهم بالعذاب بما كانوا يكسبون ، وأهل القرى اليوم وهم مكذبون فيما أن يعتبروا بما أصاب أهل القرى الأولين فيؤمنوا ويوحداو ويطيعوا ، وإما أن يصروا على الشرك والتكذيب فينزل بهم ما نزل بمن قبلهم من عذاب الإبادة والاستئصال ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٦) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أما الآيات الثلاث بعدها فإن الله تعالى ينكر على أهل القرى غفلتهم موبخاً لهم على تماديهم وإصرارهم على الباطل معجباً من حالهم فيقول : ﴿أفأمن^(٢) أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون؟﴾ أي أجهلوا ما نزل بمن قبلهم فأمنوا أن

(١) لو: حرف امتناع لا متناع ، امتنع شرطها فامتنع جوابها ، وشرطها هنا : الإيمان والتقوى وجوابها فتح البركات على أهل القرى .

(٢) يقال للمدينة : قرية لاجتماع الناس فيها مأخوذ من التقرى الذي هو التجمع يقال : قريت الماء في الحوض : إذا جمعته ، وسمي القرآن قرآناً لاجتماع الحروف والكلمات والجمل والآيات فيه .

(٣) البركات : جمع بركة ، وهي الخير الدائم الصالح الذي لا تبعة فيه في الدنيا ولا في الآخرة . وتكون في العمر والمال وفي كل ما هو خير ونافع غير ضار للإنسان .

(٤) الاستفهام للانكار والتعجب معاً ، ومكر الله تعالى : إمهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم ، إذ المكر : أن يظهر المرء الإحسان لمن يكرهه ليأخذه فجأة . والأمن من مكر الله تعالى زيادة على أنه كبيرة من كبائر الذنوب فإنه يؤدي بالأمن إلى هلاكه دنياً وأخرى .

يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون؟ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿ضحى وهم يلعبون﴾ أي أو غفل أهل القرى وأمنوا أن يأتيهم عذابنا ضحى وهم في أعمالهم التي لا تعود عليهم بخير كأنها لعب أطفال يلعبون بها ﴿أفمنوا مكر الله﴾ أي أغرهم إمهالنا لهم واستدراجنا إياهم فأمنوا مكر الله؟ إنهم في ذلك خاسرون إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقوله تعالى في الآية الخامسة (١٠٠) ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي عمى الذين يرثون الأرض من بعد أهلها ولم يتبين لهم بعد ولم يعلموا أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا الذين ورثوا ديارهم بذنوبهم ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي ونجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يعوا ما يقال لهم ولا يفهموا ما يراد بهم حتى يهلكوا كما هلك الذين من قبلهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عرض الرحمن تبارك وتعالى رحمته على عباده ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى.
- ٢- حرمة الغفلة ووجوب الذكر واليقظة.
- ٣- حرمة الأمن من مكر الله تعالى.
- ٤- إذا أمنت الأمة مكر الله تهيأت للخسران وحل بها لا محالة.
- ٥- وجوب الاعتبار بما أصاب الأولين، وذلك بترك ما كان سبباً لهلاكهم.

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لَأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

شرح الكلمات :

تلك القرى : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .
 من أنبيائها : أي من أخبارها .
 بالبينات : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله .
 من قبل : أي من قبل خلقهم ووجودهم ، إذ علم الله تعالى تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير .
 وما وجدنا لأكثرهم من عهد : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق .

معنى الآيتين :

يخاطب الرب تعالى رسوله محمداً ﷺ قائلاً ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبيائها﴾ أي من أخبارها مع أنبيائها كيف دعتهم رسلهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة ، وكيف ردت تلك الأمم دعوة الله واستكبرت على عبادته ، وكيف كان حكمنا فيهم لعل قومك يذكرون فيؤمنوا ويوحّدوا . وقوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم ، وما جاءتهم به رسلهم من أمر ونهي من ربهم . وقوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ أي لم يكن أولئك الهالكون من أهل القرى ليؤمنوا بما كذبوا به في علم الله وقدره إذ علم الله أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم فلذا هم لا يؤمنون . وقوله تعالى : ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ أي كما كتب على الهالكين من أهل القرى أنهم لا يؤمنون ولم يؤمنوا فعلاً فأهلكهم ، يطبع كذلك على قلوب الكافرين فلا يؤمنون حتى يأخذهم العذاب وهم ظالمون بكفرهم . وهذا الحكم الإلهي قائم على مبدأ أن الله علم من كل إنسان قبل خلقه ما يرغب فيه وما يؤثره على غيره ويعمله باختياره وارادته فكتب ذلك عليه فهو عند خروجه

(١) سرّ هذا الخطاب زيادة على التعليم لكمال الهداية فإنه تسليّة للرسول ﷺ مما يلاقى من صلف المشركين وعنادهم وجمودهم ، وهو تسليّة لكل مؤمن ومؤمنة يعاني من صلف المشركين وأذاهم .

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله : ﴿بما كذبوا من قبل﴾ هل المراد : من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوا فكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لمّا آمنوا بما كذبوا به فكان سبب هلاكهم ، أو سألوا المعجزات ليؤمنوا فلمّا رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا من قبل رؤيتهم المعجزات ، والراجع من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير لإمام المفسرين .

إلى الدنيا لا يعمل إلا به . ليصل الى ما كتب عليه ، وقدر له أولاً قبل خلق السموات والأرض ، وقوله تعالى ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾^(١) أي لم نجد لتلك الأمم التي أهلكتنا وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب . لم نجد لأكثرهم وفاء بعهدهم الذي أخذناه عليهم قبل خلقهم من الإيثار بنا وعبادتنا وطاعتنا وطاعة رسلنا ، وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا وطاعة رسلنا ، وكذلك أحللنا بهم نعمتنا وأنزلنا بهم عذابنا فأهلكناهم أجمعين .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات نبوة محمد ﷺ ، لأنه ما قص من أنباء الأولين لا يتلقى إلا بوحى إلهي ولم يتلق عن الله تعالى إلا رسول أعد لذلك .
- ٢- وجود البينات مهما كانت قوية واضحة غير كاف في إيمان من لم يشأ الله هدايته .
- ٣- المؤمن من آمن في الأزل ، والكافر من كفر فيه .
- ٤- الطبع على قلوب الكافرين سببه اختيارهم للكفر والشر والفساد وإصرارهم على ذلك كيفما كانت الحال .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ

(١) ﴿من عهد﴾ من زائدة لتقوية النفي والدلالة على الجنس أي : جنس العهد ، والعهد من الجائز أن يكون ما أخذ عليهم في عالم الذر وهو صحيح قاله ابن عباس وأن يكون ما أخذ عليهم من قبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه .
(٢) الآية : ﴿وإن وجدنا﴾ وإن : بمعنى ما النافية فلذا اكتفينا في التفسير بما ولم نذكر إن اختصاراً وتقريباً للفهم .
(٣) قرأ نافع : (حقيق علي) بياء الضمير المشددة وهي بمعنى : واجب عليّ خبر ثانٍ لأن في قوله : ﴿إني رسول من رب العالمين﴾ وقرأ غيره (على) حرف جر أي : محقق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، فحقيق : فاعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول .

جِئْتَ بِثَايَةٍ فَأَتَ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظَرِ ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمات :

- ثم بعثنا من بعدهم : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .
موسى : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام .
بآياتنا : هي تسع آيات : العصا، واليد، والسنون المجذبة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس على أموال فرعون .
إلى فرعون : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان، ملك مصر .
وملئه : أي أشرف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء .
فظلموا بها : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها .
بينه من ربكم : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أي رسول الله إليكم .
ونزع يده : أخرجها بسرعة من جيبه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ هذا شروع في ذكر القصص السادس مما اشتملت عليه سورة الأعراف، وهي قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملئه . قال تعالى وهو يقص على نبيه ليثبت به فؤاده، ويقرر به نبوته، ويعظ أمته، ويذكر به قومه ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران إلى فرعون وملئه من رجالات ملكه ودولته، وقوله بآياتنا . هي تسع آيات لتكون حجة على صدق

رسالته وأحقية دعوته . وقوله تعالى ﴿فظلموا بها﴾^(١) أي جحدوها ولم يعترفوا بها فكفروا بها وبذلك ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم بها ، واستمروا على كفرهم وفسادهم حتى أهلكهم الله تعالى بإغراقهم ، ثم قال لرسوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي دماراً وهلاكاً وهي عاقبة كل مفسد في الأرض بالشرك والكفر والمعاصي . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٣) وأما الآيات بعدها فإنها في تفصيل أحداث هذا القصص العجيب . وأتى موسى فرعون وقال ﴿يا فرعون إني رسول من رب العالمين ، حقيق﴾ أي جدير وخليق بي ﴿أن لا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ دالة على صدقي شاهدة بصحة ما أقول ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ لأذهب بهم إلى أرض الشام التي كتب الله لهم وقد كانت دار آبائهم . وهنا تكلم فرعون وطالب موسى بالآية التي ذكر أنه جاء بها فقال ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعيه وتقول به وتدعوا إليه . وهنا ألقى موسى عصاه أي أمام فرعون المطالب بالآية ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي حية عظيمة تهتز أمام فرعون وملئه كأنها جان^(٢) ، هذه آية وزاده أخرى فأدخل يده في جيبه كما علمه ربه ونزعها ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ بيضاء بياضاً غير معهود مثله في أيدي الناس . هذا ما تضمنته هذه الآيات الخمس في هذا السياق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سوء عاقبة المفسدين بالشرك والمعاصي .
- ٢- تذكير موسى فرعون بأسلوب لطيف بأنه ليس رباً بل هناك رب العالمين وهو الله رب موسى وهرون والناس أجمعين .

(١) ﴿فظلموا بها﴾ أي : ظلموا أنفسهم بالتكذيب بالآيات ، وجائز أن يكون ظلموا بسببها غيرهم ممن منعوا من الإيمان بها إذ هدّوهم بالقتل وجائز أن يضمن الظلم هنا معنى الكفر أي كفروا بها وهو صحيح المعنى .
(٢) فرعون : علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرى : لكل من يملك فارساً وقيصر : لكل من يملك الروم ونمرود : لمن ملك الكنعانيين ، والنجاشي : للأحباش ، وتبع ، لحمير ونداء موسى له بقوله يا فرعون : فيه نوع احترام ، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان .

(٣) الفاء تفرعية أي : ما بعدها متفرّع عما قبلها .

(٤) الجان : هنا حية أكحل العينين تسكن البيوت لا تؤذي كثيرة الثقلب والاهتزاز .

٣- تقرير مبدأ الصدق لدى الرسل عليهم السلام .

٤- ظهور آيتين لموسى العصا واليد .

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوَكَّ
بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

ساحر عليم : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدّع .

من أرضكم : أي من بلادكم ليستولى عليها ويحكمكم .

فماذا تأمرون : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل .

أرجه : أي أمهله وأخاه لا تعجل عليهما قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات .

في المدائن : مدن المملكة الفرعونية .

حاشرين : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تفصيل قصص موسى مع فرعون فبعد أن تقدم موسى بما طلب فرعون منه من الآية فأراه آية العصا، واليد، وشاهد الملأ من قوم فرعون الآيتين العظيمتين قالوا ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ وذلك لما بهرتهم الآيتان تحول العصا إلى حية عظيمة واليد بيضاء من غير سوء كالبرص بل بياضها عجب^(١) حتى لكانها فلقة قمر أي قطعة منه، واهتموا موسى فوراً بالسياسة وأنه يريد بهذا إخراجكم من بلادكم ليستولي عليها هو وقومه من بني إسرائيل، وهنا تكلم فرعون وقال: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي بم تشيرون علي أيها الملأ والحال كما ذكرتم؟ فأجابوه قائلين ﴿أرجه وأخاه﴾ أي أوقفهما عندك^(٢) وأرسل في المدائن حاشرين^(٣)

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ليد موسى نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض .

(٢) يرى بعضهم أن المستفهم غير فرعون، الصحيح أنه فرعون لانهزامه معنوياً .

(٣) قرأ ورش: ﴿أرجه﴾ بإشباع كسرة الهاء، وقرأ الجمهور ﴿أرجه﴾ بإسكان الهاء، وقرأ بعض بكسر الهاء بدون مدّ .

(٤) قيل هي صعيد مصر إذ هو مقر العلماء بالسحر، والمدائن جمع مدينة وتجمع على مدن وأصل اشتقاقها من مدن بالمكان إذا أقام به .

أي رجالاً من الشرط يحشرون أي يجمعون أهل الفن من السحرة من كافة أنحاء الإيالة أي الإقليم المصري ، وأجر معه مناظرة فإذا انهزم انتهى أمره وأما من خطره على بلادنا وأوضاعنا . هذا ما دلت عليه الآيات الأربع في هذا السياق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جهل الملأ بالآيات أدى بهم إلى أن قالوا إن موسى ساحر عليم .
- ٢- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسياً بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتھانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وإبراهيم عليهم السلام .
- ٣- فضيحة فرعون حيث نسي دعواه للربوبية ، فاستشار الملأ في شأنه ، إذ الرب الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلاً .
- ٤- السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء ، ويتقدم حتى يتفوق على غيره .
- ٥- حرمة السحر وحرمة تعلمه ، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به .

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

شرح الكلمات :

السحرة

: جمع ساحر وهو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس بسحره .

إن لنا لأجراً : أي ثواباً من عندك أي أجراً تعطينه إن نحن غلبنا .

نحن الملقين : لعصيانا .

سحروا أعين الناس : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر وحبالهم يشاهدونها حيات و ثعابين تملأ الساحة .

واسترهبوهم : أي أدخلوا الرهب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم .
معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وملئه من جهة أخرى ، فقد جاء في الآيات السابقة أن الملائكة أشاروا على فرعون بأن يحبس موسى وأخاه هارون ويرسل شرطة في المدن يأتون بالخبراء في فن السحر لمناظرة موسى عسى أن يغلبوه ، وفعلاً أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر ، وما هم أولاء قد وصلوا قال تعالى ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ ^(١) وعرفوا أن الموقف جد صعب على فرعون فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه فوافق فرعون على طلبهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً﴾ ^(٢) إن كنا نحن الغالبين ؟ قال نعم ﴿وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه ورجال قصره فقال ﴿وانكم لمن المقربين﴾ أي لدينا . وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية وأن الجولة ستكون لهم ، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية أو تقدم موسى عليهم فقالوا ﴿يا موسى إما أن تلقي ، وإما أن نكون نحن الملقين﴾ أي الق عصاك أو نلقى نحن عصينا فقال لهم موسى ﴿ألقوا﴾ ^(٣) فآلقوا فعلاً فسحروا أعين الناس وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى الأمر الذي استرهب النظارة حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة فناهه ربه تعالى عن ذلك وأعلمه أنه الغالب بإذن الله تعالى جاء هذا الخبر في سورة طه .

(١) لقد ذكر القرطبي في عدد السحرة أخباراً مثلها لا يصح ، إذ جاء في بعضهم أن عددهم كان سبعين ألف ساحر ، والأقرب إلى أن يكونوا سبعين رجلاً .

(٢) قرئ في السبع بهمة الاستفهام ﴿أئن لنا لأجراً﴾ وقرئ بدونها ﴿إن لنا لأجراً﴾ .

(٣) قال القرطبي : تأذّبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فنفعهم الله بأدبهم مع نبيّه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى .

(٤) في إذنه لهم بالإلقاء توفيق ربّاني عظيم إذ معناه أنه احتفظ بالضربة الأخيرة وصاحبها يغلب بإذن الله دائماً .

(٥) أي : خيلوا لهم وقلوبها عن صحة إدراكها بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة .
- ٢- مشروعية الترقية الحكومية لذي الخدمة الجلى للدولة .
- ٣- تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عليه إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين .

❖ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

- تلقف : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب .
 ما يافكون : ما يقلبون بسحرهم وتمويههم .
 فوقع الحق : ثبت وظهر .
 صاغرين : ذليلين .
 ساجدين : ساقطين على وجوههم سجداً لربهم رب العالمين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المناظرة أو المباراة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون ، فبعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيتهم في الساحة وانقلبت بالتمويه السحري حيات وثعابين ورهب الناس من الموقف وظن فرعون وملاؤه أنهم غالبون أوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فألقاها ﴿فإذا هي تلقف ما يافكون﴾ أي تأخذه وتبتلعه وبذلك وقع الحق أي ظهر وثبت

(١) قرئ (تَلْقَفَ) و(تَلْقَفَ) بتضعيف القاف ، والأصل : تتلقف فحذف إحدى التاءين تخفيفاً ، وقرئ في الشاذ : تَلَقَّمَ بالميم بدل الفاء ، ومعنى الكل تبتلع بسرعة وتزدوده ، وصيغة المضارع في الفعلين لاستحضار الماضي كأنه حاضر ليكون أوقع في النفس .

واستقر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي السحر والتمويه وقوله تعالى ﴿فغلبوا﴾ أي فرعون وملاؤه وقومه ﴿هنالك﴾ أي في ساحة المباراة والمناظرة ﴿وانقلبوا﴾ إلى ديارهم ﴿صاغرين﴾ أي ذليلين مهزومين. وقوله تعالى ﴿والقي السحرة ساجدين﴾ أي إنهم بعد أن شاهدوا الآية الكبرى بهرتهم فخروا ساجدين كأنها ألغاهم^(١) أحد على وجه الأرض لا حراك لهم وهم يقولون^(٢) ﴿آمنّا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وضمن ذلك فقد كفروا بربوبية فرعون الباطلة، لأن الإيمان بالله سيلزم الكفر بما عداه، ولذا قالوا ﴿آمنّا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ تلويحاً بكفرهم بفرعون الطاغية وبكل إله غير الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً.
 - ٢- بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى من سورة طه ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.
 - ٣- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو آية له من الله فآمنوا.
 - ٤- مظهر من مظاهر القضاء والقدر فالسحرة أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين.
- قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهٖ قَبْلَ اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ اِنَّ هٰذَا الْمَكْرُ مَكْرَتُوْهُ
فِي الْمَدِيْنَةِ لِنُخْرِجُوْا مِنْهَا اَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿١٢٣﴾ لَا قُطْعَنَ
اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا تُضِلُّنَكُمْ اٰجْمَعِيْنَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوْا اِنَّا اِلٰى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنۢقِمُ مِنْۢمَا اَلَّا تۡ ءَاْمَنَّا
بِآيٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَ تَنۢبَآرُ رَبِّنَا اَفَرۡغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ



(١) أي : ألغوا أنفسهم على الأرض، وبني الفعل للمجهول لظهور الفاعل وهو أنفسهم.
(٢) قالوا آمنا برب العالمين حال هو بهم للسجود إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنما سجدوا لله رب العالمين رب موسى وهارون.

شرح الكلمات :

آمنتم به :	أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه .
مكر مكرتموه :	أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك .
من خلاف :	بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس .
ثم لأصلبكنم :	التصليب : الشد على خشبة حتى الموت .
منقلبون :	أي راجعون .
وما تنقم منا :	أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا .
أفرغ علينا صبراً :	أي افض علينا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون ففي الآيات قبل هذه تمت المناظرة بين موسى والسحرة بنصر موسى عليه السلام وهزيمة فرعون النكراء حيث سحرته بعد ظهور الحق لهم واضحاً مكشوفاً آمنوا وأسلموا وسجدوا لله رب العالمين . وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن محاكمة فرعون للسحرة فقال عز من قائل ﴿قال فرعون﴾ أي للسحرة ﴿آمنتم به﴾ أي بموسى ﴿قبل أن أذن لكم﴾ أي في الإيمان به ، وهي عبارة راثية الهزيمة والحمق ، وإلا فهل الإيمان يتأتى فيه الإذن وعدمه ، الإيمان إذعان باطني لا علاقه له بالإذن إلا من الله تعالى ، ثم قال لهم ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي إن هذا الذي قمتم به من ادعاء الغلب لموسى بعدما اظهرتم الحماس في بداية المباراة ما هو إلا مكر وتدبير خفي تم بينكم وبين موسى في المدينة قبل الخروج إلى ساحة المباراة ، والهدف منه إخراجكم الناس^(١) من المدينة واستيلائكم عليها . ثم تهددهم وتوعدهم بقوله ﴿فسوف تعلمون﴾ ما أنا صانع بكم . وذكر ما عزم عليه فقال مقسماً ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يريد بقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم يربطهم على أخشاب في ساحة معينة ليموتوا كذلك نكلاً وعبرة لغيرهم . هذا ما أعلنه فرعون وصرح به

(١) الاستفهام هنا للانكار والتهديد أي : ينكر على السحرة إيمانهم ويهددهم بالبطلش بهم والتكيل .

(٢) قد يكون المراد بعض الناس وهم بنو إسرائيل إذ موسى جاء يطالب بهم ليخرجهم إلى أرض القدس .

للسحرة المؤمنين فما كان جواب السحرة ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي راجعون فقتلك إيانا لم يزد على أن قربنا من ربنا وردنا إليه ونحن في شوق إلى لقاء ربنا، وعليه فحكمك بقتلنا ما هو بضائرنا، وشيء آخر هو أنك ﴿مَا تَنْقُمُ^(١) مِنَّا﴾ يا فرعون أي ما تكره منا ولا تنكر علينا إجراماً أجرمناه أو فساداً في الأرض اشعناه إنما تنقم منا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا وهذا شيء لا مذمة فيه علينا، ولا عاراً يلحقنا، فلذا ﴿اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ثم أقبلوا على الله ورفعوا أيديهم إليه وقالوا ضارعين سائلين ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حتى نتحمل العذاب في ذاك ﴿وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٢)، ونفذ فرعون جريمته ولكن أحدث ذلك اضطراباً في البلاد ولم يكن فرعون ولا ملأه يتوقعون دل عليه الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- القلوب المظلمة بالكفر والجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء.
- ٢- فضيلة الاسترجاع أن يقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي راجعون فهان عليهم ما تهددوا به.
- ٣- مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان.
- ٤- فضل الوفاة على الإسلام وأنه مطلب عال لأهل الإيمان.

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ
نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

(١) يقال: نَقَمَ يَنْقُمُ من باب ضرب، نقما ونقما على أنه من باب تعجب تعبا إذا أنكر الفعل وكره صدوره وحقد على فاعله، ويكون بالقول والفعل.

(٢) كلمة الإسلام معروفة في كل زمان ومكان بين المؤمنين ويعبر عنها كل قوم بلغتهم إذ معناها الانقياد لله مع حبه تعالى وتعظيمه والشوق إليه.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أن فرعون نفذ وعيده في السحرة أولم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خالٍ من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمریض فقال: قيل إن فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطئ النهر وأنه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف والله أعلم.

أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

شرح الكلمات :

- قال الملا : أي لفرعون .
أُتَذَر : أي أترك .
وقومه : أي بني إسرائيل .
ليفسدوا في الأرض : أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك ، وترك طاعتك .
وآهنتك : أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال أنا ربكم الأعلى وربها .
نستحيي نساءهم : نبقى على نسائهم لا تذبحهن كما تذبح الأطفال الذكور .
ويستخلفكم في الأرض : أي يجعلكم خلفاء فيها تحلفون الظالمين بعد هلاكهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون انه بعد انتصار موسى في المباراة وإيمان السحرة ظهر أمر موسى واتبعه ستمائة ألف من بني إسرائيل ، وخاف قوم فرعون من إيمان الناس بموسى وبما جاء به من الحق قالوا لفرعون على وجه التحريض والتحريك له ﴿أُتَذَر موسى وقومه﴾ يريدون بني إسرائيل ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أي أرض مصر بإفساد خدمك^(١) وعبيدك ﴿ويذرك وآهنتك^(٢)﴾ أي ويتركك فلا يخدمك ولا يطيعك ويترك آهنتك فلا

(١) وإيقاع الفرقة وتشيت الشمل أيضاً .

(٢) وقرئ ﴿والهتك﴾ أي : عبادتك وعلى هذا فإنه كان يُعْبَد ولا يُعبد والوجه الأول أظهر .

يعبدها إذ كان لفرعون أصنام يدعو الناس لعبادتها لتقربهم إليه وهو الرب الأعلى للكل .
وبعد هذا التحريش والإغراء من رجال فرعون لبيطش بموسى وقومه قال فرعون ﴿سنقتل^(١) أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ كما كان يفعل قبل عندما أخبر بأن سقوط ملكه سيكون على يد بني إسرائيل ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ هذه الكلمة من فرعون في هذا الظرف بالذات لا تعد وأن تكون تعويضاً عما فقد من جبروت ورهبت كان له قبل هزيمته في المباراة وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٢٧) وهي قوله تعالى ﴿وقال الملأ من قوم فرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذرك وآلهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم، وإنا فوقهم قاهرون﴾ وكان رد موسى عليه السلام على هذا التهديد والوعيد الذي أرعب بني إسرائيل وأخافهم ما جاء في الآية الثانية (١٢٨) ﴿وقال موسى لقومه﴾ أي من بني إسرائيل ﴿استعينوا بالله﴾ على ما قد ينالكم من ظلم فرعون، وما قد يصيبكم من أذى انتقاماً لما فقد من علوه وكبريائه ﴿واصبروا﴾ على ذلك، واعلموا ﴿أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فمتى صبرتم على ما يصيبكم فلم تجزعوا فترتدوا، واتقيتم الله ربكم فلم تتركوا طاعته وطاعة رسوله أهلك عدوكم وأورثكم أرضه ودياره، وسبحان الله هذا الذي ذكره موسى لبني إسرائيل قد تم حرقاً بعد فترة صبر فيها بنو إسرائيل واتفقوا كما سيأتي في هذا السياق بعد كذا آية، وهنا قال بنو إسرائيل ما تضمنته الآية الأخيرة (١٢٩) ﴿قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا﴾ بما أتيتنا به من الدين والآيات، وذلك عندما كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة ﴿ومن بعدما جئتنا﴾ وهذه منهم كلمة الأيس المهزوم نفسياً لطول ما عانوا من الاضطهاد والعذاب من فرعون وقومه الأقباط . فأجابهم موسى عليه السلام قائلاً: حياً الأمل في نفوسهم وإيصالهم بقوة الله التي لا تقهر ﴿عسى^(٢) ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون^(٣)﴾ وهذا الذي رجاه موسى ورجاه بني إسرائيل قد تم كاملاً بلا نقصان والحمد لله الكريم المنان .

(١) آتس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل سنقتل موسى لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرعب منه حتى قيل: إنه كان إذا راه يبول من شدة الخوف منه وهي آية موسى عليه السلام .

(٢) عسى من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لا بد ولا يتخلف، ولذا قد تحقق ما ذكر معنا هنا كاملاً لا نقص فيه .

(٣) كيف : ليست للاستفهام هنا وإنما هي دالة على مجرد كيفية أعمالهم هل هي أعمال صالحة أو فاسدة أي : هل يشكرون؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء تجلت في إثارة فرعون ودفعه إلى البطش بقولهم ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض... الخ﴾.
- ٢- بيان فضيلة الصبر والتقوى وأنها مفتاح النصر ولاكسیر الكمال البشري .
- ٣- النفوس المريضة علاجها عسير ولكن بالصبر والمثابرة تشفى إن شاء الله تعالى .
- ٤- بيان صدق ما رجاه موسى من ربه حيث تحقق بحذافيره .
- ٥- استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل الإيمان والتقوى .

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا النَّاهِذَةُ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

شرح الكلمات :

أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ^(١) : أي عاقبناهم بسنيني الجذب والقحط .

(١) يقال: أصابته سنة أي: جذب وتقديره: جذب سنة وفي الحديث: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) دعاء على قريش.

ونقص من الثمرات : بالجوائح تصيها، وبعدم صلاحيتها.
 الحسنة : ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.
 سيئة : ضد الحسنة وهي الجذب والغلاء والمرض.
 يطيرا بموسى^(١) : أي يتشاءمون بموسى وقومه.
 الطوفان والجراد والقمل والضفادع : الطوفان الفيضانات المفارقة، والجراد معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون السوس في الحبوب، والضفادع جمع ضفدعة. حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.
 والدم : والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشرب الى دم عبيط في أوانيهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام.
 فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين : حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات. أي مفسدين حيث حكم بإهلاكهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع آل فرعون انه لما شاهد فرعون وآله آية العصا وانهزام السحر أمامهم وإيمان السحرة حملهم الكبر على مواصلة الكفر والعناد فأصابهم الرب تعالى بجفاف وقحط سنوات لعلهم يذكرون، ولم يذكروا فحول الله تعالى جديهم الى خصب، وبلاءهم الى عافية فلم يرجعوا وقالوا في الرخاء هذه لنا نحن مستحقوها وجديرون بها، وقالوا في القحط والبلاء قالوا هذه من شؤم موسى وبني إسرائيل، قال تعالى ﴿ألا أنما طأثرهم عند الله﴾ وذلك لأنه مدبر الأمر وخالق كل شيء وجاعل للحسنة أسبابها وللسيئة أسبابها ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك قالوا اطيروا بموسى ومن معه وأصروا على الكفر ولجوا في المكابرة والعناد حتى قالوا لموسى ﴿مهما تأتانا به من آية

(١) أصل الكلمة : يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء لأن مخرجهما واحد، والطيير والتطيير مأخوذ من زجر الطيير. إذ كانوا إذا أرادوا عملاً ما سفراً ونحوه يزعرون الطيير فإن تيامن في طيارته أقدموا على العمل، وإن تشاءم تركوا فهذا أصل اليمين والشؤم كان في الجاهلية وأبطله الإسلام. قال رسول الله ﷺ : (الطيرة شرك ثلاثاً) وما منا إلا، ولكن الله يذهب بالتوكل وعلمهم أن يقولوا : (اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك).

(٢) أصل مهما : ما. ما الأولى شرطية والثانية زائدة توكيداً للجزاء فكروا حرفين من جنس واحد متجاورين فأبدلوا الألف هاء ففصلت بين الميمين.

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴿ ولو علموا ما أصروا على الكفر ولما قالوا ما قالوا فأسباب الحسنة الإيمان والتقوى، وأسباب السيئة الكفر والمعاصي، إذ المراد بالحسنة والسيئة هنا: الخير والشر. وهنا وبعد هذا الإصرار والعناد والمكابرة رفع موسى يديه إلى ربه يدعوهُ فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعدتا، وأن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع^(١) والدم فأخذهم الطوفان أولاً فكادوا يهلكون بالغرق فجاءوا موسى وطلبوا منه أن يدعو ربه ليرفع عنهم هذا العذاب فإن رفعه عنهم آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه واستجاب الله تعالى فأخذوا شهراً في عافية فطلب منهم موسى ما وعدوه به فتنكروا لوعدهم وأصروا على كفرهم فأرسل الله تعالى عليهم الجراد فأكل زروعهم وأشجارهم وثمارهم حتى ضجوا وصاحوا وأتوا موسى وأعطوه وعودهم إن رفع الله عنهم هذا العذاب آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فرفع الله عنهم ذلك فلبثوا مدة آمين من هذه العاهة وطالبهم موسى بوعدهم فتنكروا له، وهكذا حتى تمت الآيات الخمس مفصلات ما بين كل آية وأخرى مدة تقصر وتطول فاستكبروا عن الإيمان والطاعة وكانوا قوماً مجرمين مفسدين لا خير فيهم ولا عهد لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من تدبير الله تعالى أخذه عباده بالشدائد لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوبون.
- ٢- بطلان التطير مطلقاً، وإنما الشؤم في المعاصي بمخالفة شرع الله فيترتب على الفسق والعصيان البلاء والعذاب.
- ٣- الجهل سبب الكفر والمعاصي وسوء الأخلاق وفساد الأحوال.
- ٤- عدم إيمان آل فرعون مع توارد الآيات عليهم دال على أن إيمانهم لم يسبق به القدر. كما هو دال على أن الآيات المعجزات لا تستلزم الإيمان بالضرورة.
- ٥- التنديد بالإجرام وهو إفساد النفس بالشرك والمعاصي.

(١) صح النهي عن النبي ﷺ (عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدد) من رواية أبي داود وأحمد وابن ماجه .

(٢) اختلف في قتل الجراد، وأجمعوا أنه إذا أفسد جاز قتله . وأجمعوا على جواز أكله بأكل الرسول ﷺ منه هو وأصحابه في بعض الغزوات.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
الرَّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ
كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ
هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ
الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

شرح الكلمات :

العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) :
الأنفة الذكر.

إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون : المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن
يدعوه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان
وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب
فيمكثون زمنا ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال
بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم .
: أي أنزلنا بهم نقمنا فأغرقناهم في اليم الذي هو
البحر .

فانتقمنا منهم

الذين كانوا يستضعفون : هم بنو إسرائيل .
 مشارق الأرض ومغاربها : هي أرض مصر والشام .
 وتمّت كلمت ربك الحسنی : هي وعده تعالى لهم في قوله ﴿ونريد أن نمّن
 على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمةً ونجعلهم
 الوارثين﴾ - من سورة القصص - .
 وما كانوا يعرشون ^(١) : أي يرفعون من مباني الدور والقصور العالية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون وقومه، وهذه هي الآيات الأخيرة في هذا القصص . إنه لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب المفصل ^(٢) الطوفان فالجراد، فالضفادع، فالدّم ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ ^(٣) أي من كشف العذاب عنا إن نحن آمنا بك وبما جئت به وبما تطالب به من إرسال بني إسرائيل معك وحلفوا وقالوا ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ ^(٤) ﴿لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ قال تعالى : ﴿فلما كشف عنهم الرجز﴾ أي العذاب ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ إلى وقت ينتهون إليه ﴿إذ هم ينجثون﴾ عهدهم ولم يؤمنوا ولم يرسلوا بني إسرائيل وكان هذا ما بين كل آية وآية حتى كانت الخمس الآيات، ودقت ساعة هلاكهم قال تعالى ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ وهو البحر الملح أي أغرق فرعون وجنده ورجال دولته وأشراف بلاده، ثم ذكر تعالى علة هذا الهلاك الذي حاق بهم ليكون عبرة لغيرهم وخاصة قريش التي ما زالت مصرة على الشرك والتكذيب، فقال تعالى ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ كما هي الحال في

(١) ﴿بما عهد عندك﴾ الباء لتعدي فعل الدعاء، وما موصولة مبهم أي : ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرجز .

(٢) أصل النكت : هو نقض المقتول من جبل وغزل واستعير لعدم الوفاء بالعهد .

(٣) شبه البناء العالي الرفيع بالعرش يقال : عرش يعرش عرشاً : إذا رفع البناء أو السرير والجنب والدوالي يعرش لها بناء من خشب ليرفعها عليه .

(٤) وقيل إنه طاعون قتل منهم سبعين ألف نسمة إذ لفظ الرجز دالٌّ على مرض الطاعون لقوله تعالى : ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ .

قريش ومشركي العرب وكفارهم . وختم تعالى هذا القصص قصص موسى مع فرعون بقوله ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ وهم بنو إسرائيل حيث استعبدهم فرعون الظالم وآله زمناً غير قصير ﴿مشارك الأرض ومغاربها﴾ وهي أرض مصر والشام إذ الكل مما بارك الله تعالى فيه إلا أن أرض الشام أولاً ثم أرض مصر ثانياً، إذ دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى وهارون حيث غزا بهم يوشع بن نون العمالقة في أرض فلسطين وفتح البلاد وسكنها بنو إسرائيل وقوله تعالى ﴿وتمت كلمة ربك الحسنی على بنی إسرائيل بما صبروا﴾ والمراد من كلمة الله قوله في سورة القصص ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون﴾ وقوله تعالى ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من سلاح وعتاد ومبان شداد، وقصور رفيعة العمار، ﴿وما كانوا يعرشون﴾ ويرفعون ويعلمون من صروح عالية، وحدثائق أعنان زاهية زاهرة وأورث أرضهم وديارهم وأموالهم قوماً آخرين غيرهم، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. إلى هنا انتهى قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملائه وكانت العاقبة له والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ضعف الإنسان يظهر عند نزول البلاء به حيث يفزع إلى الله تعالى يدعوه ويضرع إليه وعند رفعه حيث ينسى ما نزل به ويعود إلى عاداته وما كان عليه من الشرك والمعاصي إلا من آمن وعمل صالحاً فإنه يخرج من دائرة الضعف حيث يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء.
- ٢- سبب العذاب في الدنيا والآخرة التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها، والغفلة عنها حيث لا يتدبّر ولا يفكر فيها وفي ما نزلت لأجله.
- ٣- مظاهر قدرة الله، وصادق وعده، وعظيم منته على خلقه، وحسن تدبيره فيهم فسبحانه من إله عليم حكيم . رؤوف رحيم .

(١) كما يصدق هذا على أرض الشام إذ لها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدسة أرض فلسطين يصدق أيضاً على أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني إسرائيل على عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلها.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا
 وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ
 مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ
 أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ
 رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

وجاوزنا بني إسرائيل البحر :	أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله .
يعكفون على أصنام لهم :	يجلسون إلى تماثيل بقر منحوتة من حجر .
اجعل لنا إلهاً :	أي معبوداً يريدون تمثلاً كالذي شاهدوا .
تجهلون :	أي أن العباد لا تكون إلا لله تعالى .
متبرما هم فيه :	هالك خاسر لا يكسبهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً .
وإذ نجيناكم :	أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون .
يسومونكم سوء العذاب :	يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب .
بلاء من ربكم :	أي اختبار وامتحان قاسٍ شديد .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص جديد لنبي الله تعالى موسى مع قومه من بني إسرائيل إنه بعد هلاك فرعون وجنوده في اليم ، انتهى الكلام على دعوة موسى لفرعون وملئه ، وبذلك استقبل موسى وأخوه هارون مشاكل جديدة مع قومهما انه بعد أن جاوز تعالى بني إسرائيل البحر

ونزلوا على شاطئه سالمين مروا بأناس يعكفون^(١) على تماثيل لهم وهي عبارة عن أبقار حجرية منحوتة نحتاً يعبدونها وهم عاكفون عليها وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العاكفين على الأصنام حتى قالوا لموسى يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء آلهة، وهي كلمة دالة على جهل بالله تعالى وآياته، . فما كان من موسى عليه السلام حتى جابههم بقوله : ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ وواصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم فقال ﴿إن هؤلاء﴾ أي العاكفين على الأصنام والذين غرتكم حالهم ﴿متبر^(٢) ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي إنهم وما هم عليه من حال في هلاك وخسار، ثم قال لهم منكراً متعجباً ﴿أغير الله أبعيكم إلهاً﴾ أي غير ربي عز وجل أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم، وهو سبحانه وتعالى فضلكم على العالمين وشرفكم على سائر سكان المعمورة أهكذا يكون شكركم له بطلب إله غيره ، وهل هناك من يستحق العبادة غيره؟ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٤١) ﴿وإذ أنجيناكم^(٣) من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ أي واذكروا يا من قلمت اجعل لنا إلهاً كما للمشركين آلهة اذكروا فضل الله عليكم بإنجائه إياكم من فرعون وآله وهم الذين كانوا على منهجه في الظلم والكفر من رجال حكمه وأفراد شرطه وجيوشه ﴿يسومونكم سوء العذاب : يقتلون أبناءكم﴾ حتى لا تكثروا، ﴿ويستحيون نساءكم﴾ للامتهان والخدمة، وفي هذا التعذيب والإنجاء منه ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ يتطلب شكركم لا كفركم، فكيف تريدون أن تعبدوا غيره، وتشركوا به أصناماً لا تنفع ولا تضر، إن أمركم لجد مستغرب وعجب فاتقوا الله وتوبوا إليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه دال على جهل

(١) قرئ ﴿يعكفون﴾ بكسر الكاف وضمها سبعيتان، والعكوف : الإقامة على الشيء وملازمته، ومنه العكوف في المساجد وهو الإقامة بها وملازمتها مدة للعبادة.

(٢) متبر : مهلك، والتبار : الهلاك، وكل إناء منكسر فهو متبر.

(٣) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.

(٤) بعد أن أنكر عليهم طلبهم إلهاً غير الله في قوله ﴿أغير الله أبعيكم إلهاً﴾ ذكرهم بنعمة الله عليهم وهي : إنجائهم من آل فرعون فهل يليق بمن ينعم الله عليه بنعمة عظيمة أن ينساه ويطلب إلهاً غيره يعبد به بدله أو معه؟

تام في بني إسرائيل ولذا قال لهم موسى ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ فالعلة في هذا الطلب العجيب هي الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، يشهد لهذا أن مسلمة الفتح لما خرج بهم رسول الله ﷺ إلى حنين مروا بسدرة قالوا للنبي ﷺ أجعلها لنا ذات أنواط ننيط بها أسلحتنا، كما للمشركين نظيرها ينيطون بها أسلحتهم ليتصروا في القتال على أعدائهم فعجب الرسول من قولهم وقال «سبحان الله ما زدتم أن قلت كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» فجهل القائلين هو الذي سهل عليهم أن يقولوا مثل هذا القول، ويشهد لذلك أن آلاف الأشجار والمزارات في بلاد المسلمين تزار ويتبرك بها وتقدم لها القرابين ولا علة لذلك سوى جهل المسلمين بربهم عز وجل.

٢- إنكار المنكر عند وجوده والعتور عليه بالأسلوب الذي يغيره.

٣- استحباب التذكير بأيام الله خيرها وشرها لاستجلاب الموعظة للناس لعلمهم يتوبون.

٤- الرب تعالى يتلى بالخير والغير، وفي كل ذلك خير لمن صبر وشكر.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمْوَسَّى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا

لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ

دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

شرح الكلمات :

- ميقات : الميقات : الوقت المعين .
 أخلفني في قومي : أي كن خليفتي فيهم .
 المفسدين : الذين يعملون بالمعاصي .
 استقر مكانه : ثبت ولم يتحول .
 خَرَّ : سقط على الأرض .
 أفاق : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه ^(١) وعيه .
 اصطفيتك : اخترتك

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث موسى مع بني إسرائيل انه لما نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملئه، وحدثت حادثة طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين إلهاً وقد أنبأهم موسى وأدبهم عن قولهم الباطل واعد الله تعالى موسى أن ينجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهراً ثلاثين يوماً وكانت شهر القعدة وزادها عشرًا من أول الحجة فتم الميقات أربعين ^(٢) ليلة . وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني إسرائيل أخاه هارون ^(٣) وأوصاه بالإصلاح، ونهاه عن اتباع آراء المفسدين هذا معنى قوله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وكان

(١) في الحديث الصحيح أَنَّ النبي ﷺ قال : ﴿لأنخروا بين الأنبياء فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَصْعَقُ فَيَمْنُ صَعَقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ .

(٢) ذكر ابن عباس ومجاهد وميسروق في سبب زيادة العشرة أيام : أَنَّ مُوسَى لَمَّا أَكْمَلَ صِيَامَ الثَّلَاثِينَ يَوْمًا أَنْكَرَ خُلُوفَ فَمِهِ فَاسْتَاكَ . فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : إِنَّا كُنَّا نَسْتَشْقِي مِنْ فَيْكِ رَائِحَةَ الْمَسْكِ فَأَفْسَدَتْهُ بِالسَّوَاكِ فَزِيدَ فِيهِ عَشْرَ لَيَالٍ فَتَمَّ لَهُ بِذَلِكَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا . فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ .

(٣) في الآية دليل على استخلاف المرء أخاه لينوب عنه في حفظ ورعاية ما كلفه به ، ومن العجب أن الروافض استدلوا بقول =

ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب من ربهم يتضمن شريعة كاملة يساسون بها وتحكمهم ليكملوا ويسعدوا عليها.

وقوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾^(١) أي في الموعد الذي واعدنا والوقت الذي حددنا وكلمه ربه بلا واسطة بينهما بل كان يسمع كلامه ولا يرى ذاته، تآقت نفس موسى لرؤية ربه تعالى، فطلب ذلك فقال ﴿ربّ أرني أنظر إليك﴾ فأجابه ربه تعالى بقوله إنك لن تراني أي رؤيتك لي غير ممكنة لك، ولكن إذا أردت أن تتأكد من أن رؤيتك لي في هذه الحياة غير ممكنة فانظر إلى الجبل «جبل الطور» فإن استقر مكانه بعد أن أتجلى له، فسوف تراني ﴿فلما تجلّى^(٢) للجبل جعله دكاً وخر موسى﴾ عند رؤية الجبل ﴿صعقا﴾ أي مغشياً عليه ﴿فلما أفاق﴾ مما اعتراه من الصعق ﴿قال سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً ﴿تبت إليك﴾^(٣) فلم أسألك بعد مثل هذا السؤال ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بك وبجلالك وعظيم سلطانك وأنا عبدك عاجز عن رؤيتك في هذه الدار دار التكليف والعمل.

وهنا أجابه ربه تعالى قائلاً ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك﴾ من هذا الكمال^(٤) والخير العظيم ﴿وكن من الشاكرين﴾ لي على إنعامي لأزيدك وذلك بطاعتي والتقرب إلى بفعل محابي وترك مكارهي. وقوله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح^(٥) من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ أي كتبنا له في ألواح من كل شيء

= الرسول ﷺ لعلي وقد استخلفه في إحدى عزواته: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) أن الأصحاب كفروا لتركهم النص في خلافة علي واجتهدوا واستخلفوا أبا بكر، ومنهم من كفر علياً لأنه لم يطلب بالخلافة وما دروا أن الرسول استخلف غير واحد ومنهم ابن أم مكتوم فهل دل ذلك على استخلافه على أمته بعد موته؟ فما أضل القوم وأعظم جهلهم!

- (١) في الآية دليل على مشروعية المودعة والتوقيت وأن التاريخ يكون بالليالي لا بالأيام، قال ابن العربي: حساب الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك.
- (٢) تجلّى معناه ظهر، واندكك الجبل على قوة بنيته وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الرب تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾.
- (٣) الإجماع على أن توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.
- (٤) فيه الدعوة إلى القناعة وهي خير ما يؤتي المرء في الحياة.
- (٥) اختلف في أيهما كان أولاً الألواح أو التوراة، والظاهر أن الألواح كانت أولاً ثم أوحيت التوراة عليها فصارت كتاباً واحداً هو التوراة.

من أمور الدين والدنيا موعظة لقومه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وتفصيلاً لكل شيء يحتاجون إلى بيانه وتفصيله . وقوله ﴿فخذها بقوة﴾ أي وقلنا له خذها بقوة أي بعزم وجد وذلك بالعمل بحلالها وحرامها فعلاً وتركاً، ﴿وأمر قومك﴾ أيضاً ﴿ياخذوا بأحسنها﴾ أي بما هو عزائم فيها وليس برخص تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظائم لما لازمهم من الضعف والخور دهرًا طويلاً . وقوله تعالى ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾^(١) يتضمن النهي لبني إسرائيل عن ترك ما جاء في الألواح من الشرائع والأحكام فإنهم متى تركوا ذلك أو شيئاً منه يعتبرون فاسقين ، وللفاسقين نار جهنم هي جزاؤهم يوم يلقون ربهم ، وسيرهم إياها ، فهذه الجملة تحمل غاية الوعيد والتهديد للذين يفسقون عن شرائع الله تعالى بإهمالها وعدم العمل بها ، فليحذر المؤمنون هذا فإنه أمر عظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع مرغّب فيه وهو من سمات الصادقين .
- ٢- جواز الاستخلاف في الأرض في مهام الأمور فضلاً عما هو دون ذلك .
- ٣- مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير .
- ٤- امكان رؤية الله تعالى وهي ثابتة في الآخرة لأهل الجنة .
- ٥- استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا لضعف الإنسان على ذلك .
- ٦- وجود الامة القابلة لأحكام الله قبل وجود الشرع الذي يحكمها .

سَاصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) وجائز أن يُراد بدار الفاسقين : بلاد القدس والشام إذ سكانها كانوا فاسقين فواعد الله بني اسرائيل بدخول تلك البلاد والانتصار على أهلها الفاسقين .

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

سأصرف

: سأبعد .

يتكبرون

: يعلون ويترفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس .

سبيل الرشـد

: طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى .

سبيل الغي

: طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي .

وكانوا عنها غافلين

: لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه

وتهدي إليه .

حبطت أعمالهم

: فسدت فلا ينتفعون بها لأنها أعمال مشرك والشرك محبط

للعمل .

معنى الآيتين الكريمتين :

هاتان الآيتان تحملان تعليلاً صحيحاً صائباً لكل انحراف وفساد وظلم وشر وقع في الأرض ويقع إلى نهاية هذه الحياة وهذا التعليل الصحيح هو التكذيب بآيات الله والغفلة عنها، وسواء كان الحامل على التكذيب الكبر أو الظلم، أو التقليد أو العناد، إلا أن الكبر أقوى عوامل الصرف عن آيات الله تعالى لقوله عز وجل في مطلع الآية الأولى (١٤٦) ﴿سأصرف^(١) عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ومن صرفه الله حسب سنته في صرف العباد لا يقبل ولا يرجع أبداً، وقوله ﴿وإن يروا سبيل الرشـد^(٢) لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ هذا بيان لعامل من عوامل الصرف عن آيات الله . وهو أن يعرض على العبد سبيل الرشـد فيرفضه، ويرى سبيل الغي فيتبعه ويتخذ سبيلاً،

(١) قال قتادة : سأمنعهم فهم كتابي وقال سفيان : سأصرفهم عن الإيمان بها وذلك مجازاة لهم على تكبرهم، وما ذكرناه في التفسير لا يتنافى مع هذا .

(٢) الرشـد : ضد السفه والخيبة وقرئ بالضم وقرئ بفتح الراء والشين الرشـد، وقرئ يروا بضم الياء .

وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ التي جاءت بها رسلنا ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غير مباليين بها ولا ملتفتين^(١) إليها هذا هو التعليل الصحيح الذي نهينا إليه فليتأمل، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٤٧) ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ تقرير المراد به تأكيد خسران أولئك المصروفين عن آيات الله تعالى، إذ أعمالهم لم تقم على أساس العدل والحق بل قامت على أساس الظلم والباطل فلذا هي باطلة من جهة فلا تكسبهم خيراً، ومن جهة أخرى فهي أعمال سوء سوف يجزون بها سوءاً في دار الجزاء وهو عذاب الجحيم، ولذا قال تعالى ﴿هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون من سوء، وعدالة الله تعالى أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتى يهلكوا كما هلك فرعون وآله.
- ٢- من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله الكبير.
- ٣- التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.
- ٤- بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرشد التي هي سبيل الله التي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها، وترفع أعلامها.

وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ أَلْمَيَرُوا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقِطَ
فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا

(٣) مع ما تحمله من الوعد والوعيد، وبيان الهدى والضلال، والخير والشر والحق والباطل فغفلتهم الناشئة عن مرض قلوبهم بسبب الكبر والتكذيب هي التي حالت دون تذكرهم وتذبرهم.

(٤) الآيات في الآية السابقة عامة في المعجزات الكونية في الأنفس والأفاق، والتنزيل القرآني، وفي هذه الآية المراد بها: القرآنية بقرينة التكذيب بها ويوم القيامة.

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿١٤٩﴾

شرح الكلمات :

من حليهم : جمع حلي^(١) وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب .

عجلاً جسداً : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار .

له خوار : الخوار صوت البقر كالرغاء^(٢) صوت الابل .
ولما سقط في أيديهم : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة .

معنى الآيات :

هذا عود إلى قصص موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل ، فقد كان السياق مع موسى في جبل الطور وطلبه الرؤية وتوبته من ذلك ثم اعترض السياق ببيان القاعدة العظيمة في تعليل هلاك العباد وبيان سببه وهو التكذيب بآيات الله المنزل والغفلة عنها ، ثم عاد السياق لقصص موسى مع بني إسرائيل فقال تعالى ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ أي من بعد غيبته في جبل الطور لمناجاة ربه وليأتي بالكتاب الحاوي للشرعة التي سيسوسهم بها موسى ويحكمهم بموجبها ومقتضى قوانينها اتخذوا ﴿ من حليهم ﴾ أي حلي نسائهم ﴿ عجلاً جسداً له خوار ﴾^(٣) وذلك أن السامري^(٤) طلب من نسائهم حليهم بحجة واهية : أن هذا الحلي مستعار من نساء الأقباط ولا يحل تملكه فاحتال عليهم وكان صائغاً فصهره وأخرج لهم منه ﴿ عجلاً جسداً ﴾^(٥) أي ذاتاً ﴿ له خوار ﴾ أي صوت كصوت البقر ، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه ولم يقل وإله هارون لأن هارون كان معهم خليفة

(١) الحلي : يجمع على حليّ وحليّ كلدي يجمع على ثدي بضم الثاء ويثدي بكسرهما .

(٢) والثغاء : صوت الشاة ، والمواء : صوت القط ، والعواء : صوت الذئب ، واليعار : صوت المعز .

(٣) الخوار : صوت العجل ، والجوار : مثله ، وفعل الخوار خار يخور خواراً ، وفعل الجوار جأر يجأر جواراً ، وأما خور يخور خوراً فعمناه : جبن وضعف .

(٤) نسبة إلى قرية تسمى : سامرة ، واسمه : موسى بن ظفر ، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام .

(٥) العجل ولد البقرة كالحوار : ولد الناقة والمهر : ولد الفرس ، والجحش : ولد الأتان والحمل : ولد الشاة ، والجسد : الجنة .

فخاف أن يكذبه هارون فلم ينسبه إليه ، وقوله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾^(١) ولا يهديهم سبيلاً ﴿توبيخ لهم وتقريع على غباوتهم وجهلهم ، ولا كيف يعتقدون إلهاً وهو لا يتكلم فيكلمهم ولا يعقل فيهديهم سبيل الرشـد إن ضلوا وقد ضلوا بالفعل ثم قال تعالى ﴿اتخذوه﴾ أي إلهاً ﴿وكانوا ظالمين﴾ في ذلك ، لأن الله رب موسى وهارون والعالمين لم يكن عجلاً ولا مخلوقاً كائناً من كان فما أجهل القوم وما أسوأ فهمهم وحالهم . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤٨) وأما الآية الثانية (١٤٩) فقد أخبر تعالى عن حالهم بعد انكشاف الامر لهم ، وبيان خطئهم فقال تعالى ﴿ولما سقط في أيديهم﴾^(٢) أي ندموا ندماً شديداً ورأوا أنهم بشركهم هذا قد ضلوا الطريق الحق والرشـد ، صاحوا معلنين توبتهم ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾^(٣) أي هذا الذنب العظيم ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ في الدار الآخرة فنكون من أصحاب الجحيم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع ، والرؤية أكثر تأثيراً في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم ، ومن هنا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديو مؤثراً جداً وكم أفسد من عقول ولوث من نفوس ، وأفسد من أخلاق .
- ٢- تقبيح الغباء والجمود في الفكر ، وذلك لقول الله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ .
- ٣- إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه التوبة بعد المعصية فندم واستغفر .

(١) إذ الربّ وهو المربي والمصلح والمعبود المشرّع للعبادات يجب أن يكون متكلماً يهديهم سبيل كمالهم وسعادتهم .
(٢) سقط بضم السين ، واسقط بضم الهمزة بالبناء للمفعول ، يقال للنادم المتحيز : سقط في يده وأسقط في يده ، وقرئ : سقط بالبناء للفاعل ، أي : سقط الندم في يده ، والندم يكون في القلب ، وإنما ذكروا اليد هنا تشبيهاً بمن سقط شيء في يده وهو مثل : عض يده من الندم .
(٣) أي : عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطئهم مستغفرين ربهم رجاء أن ينجيهم من الخسران .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
 مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
 أَخِيهِ يُجْرِّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا
 يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
 رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
 الْعِجْلَ سَيَنَاءَ لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ
 تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي
 نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

شرح الكلمات :

ولما رجع موسى

: أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوماً .

أسفًا

: أي حزيناً شديداً الحزن والغضب .

أعجلتم أمر ربكم

: أي استعجلتم .

برأس أخيه

: أي هارون شقيقه .

قال ابن أم

: أصلها يا ابن أُمِّي فقلبت الياء ألفاً نحو يا غلاماً ، ثم

حذفت وهارون شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر
 عطفاً وحناناً .

فلا تشمت بي الأعداء : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي .
 اتخذوا العجل : أي إلهاً عبده .
 المفترين : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي يجعل شريك له .

ولما سكت عن موسى الغضب : زال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب .
 أخذ الألواح : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت .
 وفي نسختها : أي وفي ما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها هدى ورحمة .

يرهبون : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى مع بني إسرائيل ففي هذا السياق الكريم يخبر تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاته وقد أخبره ربه تعالى أنه قد فتن قومه من بعده وأن السامري قد أضلهم فلذا رجع ﴿غضباً أسفاً﴾ أي شديد الغضب^(١) والحزن، وما إن واجههم حتى قال ﴿بشما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟﴾ أي استعجلتم فلم تتموا ميعاد ربكم أربعين يوماً فقلتم مات موسى وبدلتم دينه فعبدتم العجل ﴿والقى الألواح﴾ أي طرحها فتكسرت ﴿وأخذ بلحية﴾ هارون ورأسه يؤنبه على تفريطه في مهام الخلافة فاعتذر هارون فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي هذا واد في سورة طه وأما السياق هنا فقد قال ﴿يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾^(٢) فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴿وهم الذين ظلموا بعبادة العجل، ومعنى﴾ لا تشمت بي

(١) غضبان شديد الغضب ومؤثته غضبي غير مصروف لزيادة الألف والنون، وأسفاً: معناه شديد الغضب قال أبو الدرداء، الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه والأسيف: الحزين.

(٢) الغضب من طباع البشر وقد أرشد الرسول ﷺ من غضب وهو قائم أن يجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا اضطجع فقد روى أبو داود أنه ﷺ قال: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ).

(٣) في الآية دليل على أن من خاف على نفسه القتل أن يسكت عن المنكر ولا يغيره بيده ولا بلسانه ولكن بقلبه.

﴿الأعداء﴾ لا تؤذني بضرب ولا بغيره إذ ذاك يفرح أعداءنا من هؤلاء الجهلة الظالمين، وهنارق له موسى وعطف عليه فقال ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه بقوله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٥٠) والثانية (١٥١) أما الآية الثالثة فقد أخبر تعالى بأن الذين اتخذوا العجل أي إلهاً ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ وكما جزاهم بالغضب المستوجب للعذاب والذلة المستلزمة للإهانة يجزي تعالى المفترين عليه الكاذبين باتخاذ الشريك له وهو برىء من الشركاء والمشركين، هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (١٥١) أما الآية الرابعة فقد تضمنت فتح باب الله تعالى لمن أراد أن يتوب إليه إذ قال تعالى ﴿والذين عملوا السيئات﴾ جمع سيئة وهي هنا سيئة الشرك ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي تركوا عبادة غير الله تعالى وآمنوا إيماناً صادقاً فإن الله تعالى يقبل توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم فيدخلهم جنته مع الصالحين من عباده، هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٣) أما الآية الخامسة (١٥٤) فقد تضمنت الإخبار عن موسى عليه السلام وانه لما سكت عنه الغضب أي ذهب أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب وأخبر تعالى أن في نسخة تلك الألواح ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ وهم المؤمنون المتقون وخصوصاً بالذكر لأنهم الذين يجدون الهدى والرحمة في نسخة الألواح، لأنهم يقرأون ويفهمون ويعلمون وذلك لإيمانهم وتقواهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الغضب من طباع البشر فلا يلام عليه المرء ومهما بلغ من الكمال كالأنبياء، ولكن أهل الكمال لا يخرج بهم الغضب إلى حد أن يقولوا أو يعملوا ما ليس بخير وصلاح.
- ٢- مشروعية الاعتذار وقبول العذر من أهل المروءات.
- ٣- مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته.

(١) النسخة: بمعنى المنوخ، والنسخ: النقل للمكتوب في لوح أو غيره، ويسمى المنوخ نسخة.

٤- كل وعيد لله تعالى توعد به عبداً من عباده مقيد بعدم توبة المتوعد.

٥- كل رحمة وهدي ونور في كتاب الله لا ينتفع به إلا أهل الإيمان والتقوى.

وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
 قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
 السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي
 مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾
 ✽ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا
 هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

شرح الكلمات :

واختار موسى قومه سبعين رجلاً : أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً.

لميقاتنا	: أي للوقت الذي حددناه له ليأتينا مع سبعين رجلاً .
أخذتهم الرجفة	: الصاعقة التي رجفت لها القلوب .
السفهاء	: جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته .
إن هي إلا فتنتك	: أي ما هي إلا فتنتك أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك .
أنت ولينا	: أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك .
هدنا إليك	: أي رجعنا إليك وتبنا .
الأمي	: الذي لا يقرأ ولا يكتب .
المعروف، والمنكر	: ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع .
ويحرم عليهم الخبائث	: أي يأذن الله والخبائث جمع خبيثة: كالميتة مثلاً .
ويضع عنهم إصرهم والأغلال	: الإصر: العهد والأغلال: الشدائد في الدين .
عزروه	: أي وقروه وعظموه
واتبعوا النور الذي أنزل معه	: القرآن الكريم .
هم المفلحون	: الفائزون أي الناجون من النار الداخلون الجنة .
معنى الآيات :	

ما زال السياق في أحداث موسى مع بني إسرائيل فإنه بعد الحدث الجلل الذي حصل في غيبة موسى وذلك هو عبادة جل بني إسرائيل العجل واتخاذهم له إلهاً فإن الله تعالى وقت لموسى وقتاً يأتيه فيه مع خيار بني إسرائيل يطلب لهم التوبة من الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿واختار موسى قوم سبعين رجلاً﴾ ولما انتهى بهم إلى جبل الطور وغشيت الجبل غمامة وأخذ موسى يناجي ربه تعالى وهم يسمعون قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن

(١) اختار مزيد من خار: إذا طلب ما هو خير من غيره، وقومه منصوب على نزع الخافض إذ الأصل من قومه، ومنه قول الشاعر:

اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واختل من كان يُرجى عنده السؤل

السؤل بمعنى السؤل أي الطلب

الذي كان يكلمك الرب تعالى حتى نرى الله جهرة أي عياناً وهنا غضب الله تعالى عليهم فأخذتهم صيحة رجفت لها قلوبهم والأرض من تحتهم فماتوا كلهم ، وهو معنى قوله تعالى ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهنا أسف موسى عليه السلام لموت السبعين رجلاً وقد اختارهم الخير فالخير فإذا بهم يموتون أجمعون فخطب ربه قائلاً ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي من قبل مجيئنا إليك ﴿وإياي﴾ وذلك في منزل بني إسرائيل حيث عبدوا العجل ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ أي بسبب فعل السفهاء الذين لا رشد لهم ، وهم من عبدوا العجل كمن سألوا رؤية الله تعالى ، وقوله عليه السلام ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي إلا اختبارك وبليتك ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، أنت ولينا﴾ فليس لنا سواك ﴿فاغفر لنا﴾ أي ذنوبنا ﴿وارحمنا﴾ برفع العذاب عنا ﴿وأنت خير الغافرين﴾ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ بأن توقفنا لعمل الصالحات وتقبلها منا ، ﴿وفي الآخرة﴾ تغفر ذنوبنا وتدخلنا جنتك مع سائر عبادك الصالحين ، وقوله ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي إنا قد تبنا إليك فأجابه الرب تعالى بقوله ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ أي من عبادي وهم الذين يفسقون عن أمري ويخرجون عن طاعتي ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ وبهذا القيد الوصفي ، وبما بعده خرج إبليس واليهود وسائر أهل الملل ودخلت أمة الإسلام وحدها إلا من آمن من أهل الكتاب واستقام على دين الله وهو الإسلام . وقوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ هو محمد ﷺ ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى أمته ، وقوله ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ الخمر ولحم الخنزير والربا وسائر المحرمات في الإسلام ، وقوله ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ أي ويحط عنهم تبعة العهد الذي أخذ عليهم بالعمل فيما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في

(١) الاستفهام هنا للتحجج والجدد أي إنك لا تفعل ذلك ، وهو كما قال الشعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(٢) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التي أراد الله رحمتها . يحكى أن إبليس عليه لعائن الله لمأ سمع هذه الآية قال : أنا شيء فقال الله تعالى : سأكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن : متقون فقال تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي فخرجوا وبقيت هذه الأمة وحدها .

(٣) قال كعب في ذكر صفاته ﷺ في التوراة : مولده مكة وهجرته بطابة وملكه بالشام ، وأمنه الحمادون يحمدون الله على كل حال . . إلى أن قال : يصلون حبشاً أدركتهم الصلاة ، صفهم في الصلاة كصفهم في القتال .

التوراة والإنجيل، وقوله ﴿وَالْأَغْلَالُ﴾^(١) التي كانت عليهم ﴿أي الشدائد المفروضة عليهم القيام بها وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو ولا دية وكقطع الثوب للنجاسة تصيبه وغير ذلك من التكاليف الشاقة كل هذا يوضع عليهم إذا أسلموا بدخولهم في الإسلام وقوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّوْهُ﴾ أي وقروه وعظموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب التوبة من كل ذنب، ومشروعية صلاة ركعتين وسؤال الله تعالى عقيبها أن يقبل توبة التائب ويغفر ذنبه.
- ٢- كل سلوك ينافي الشرع فهو من السفه المذموم، وصاحبه قد يوصف بأنه سفيه.
- ٣- الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالى فعلى العبد أن يطلب الهداية من الله تعالى ويسأله أن لا يضلّه.
- ٤- رحمة الله تعالى بأمة محمد ﷺ فلا تنال اليهود ولا النصارى ولا غيرهم.
- ٥- بيان شرف النبي محمد ﷺ وأمته.
- ٦- بيان فضل تزكية النفس بعمل الصالحات وإبعادها عن المذسيات من الذنوب.
- ٧- بيان فضل التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٨- وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه ونصرته واتباع الكتاب الذي جاء به والسنن التي سنّها لأمته.

(١) تقدّم لفظ الإصر وهو دال على جمع لأنّه مصدر يقع على الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع الإصر: آصار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرك والأغلال جمع غل، وهو إطار من حديد يجعل في عنق الأسير، والمراد من الأصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل يوم السبت قيل: ومن أشدّها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم. عزّروه: أيّدوه مع توقيره وتعظيمه.

قُلْ

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۚ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ
وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ۖ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

شرح الكلمات :

لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا الله .
 النبي الأمي : النبيء عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى ، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب . نسبة إلى الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد .

يؤمن بالله وكلماته : الذي يؤمن بالله رباً وإلهاً ، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية .

تهتدون : ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين .
 أمة يهدون بالحق : أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق وبه يعدلون في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم انصافاً وعدلاً لا جور ولا ظلم .

أسباطاً : جمع سبط : وهو بمعنى القبيلة عند العرب .
 استسقاء قومه : أي طلبوا منه الماء لعطشهم .
 فانبجست : فانفجرت .
 المن والسلوى : المن : حلوى كالعسل تنزل على أوراق الأشجار ، والسلوى : طائر لذيذ لحمه .

اسكنوا هذه القرية : هي حاضرة فلسطين .
 وقوله «حطة» : أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم .
 رجزاً من السماء : أي عذاباً من عند الله تعالى .

معنى الآيات :

بعد الإشادة بالنبي الأمي وبأتمته ، وقصر الفلاح في الدارين على الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه قد يظن ظان أن هذا النبي شأنه شأن سائر الأنبياء قبله هو نبي قومه خاصة وما ذكر من الكمال لا يتعدى قومه فرفع هذا الوهم بهذه الآية (١٥٨) حيث أمر الله تعالى رسوله أن يعلن عن عموم رسالته بما لا مجال للشك فيه فقال

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وقوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وصف لله تعالى وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير لألوهية الله تعالى بعد ذكر قدرته وسلطانه وملكه وتدبيره لذا وجب أن لا يكون معبود إلا هو وهو كذلك إذ كل معبود غيره هو معبود عن جهل وعناد وظلم . وقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ أمر الإله الحق إلى الناس كافة بالإيمان به تعالى رباً وإلهاً، وبرسوله النبي الأمي نبياً ورسولاً، وقوله ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ صفة للنبي الأمي إذ من صفات النبي الأمي محمد ﷺ أنه يؤمن بالله حق الإيمان وأوفاه ويؤمن بكلماته أي بكلمات الرب التشريعية وهي آيات القرآن الكريم ، والكونية التي يُكوّن الله بها ما شاء من الأكوان إذ بها يقول للشيء كن فيكون كما قال لعيسى بتلك الكلمة كن فكان عيسى عليه السلام وقوله ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ هذا أمر الله إلى الناس كافة بعد الأمر بالإيمان به وبرسوله النبي الأمي أمر باتباع نبيه محمد ﷺ (١) رجاء هداية من يتبعه فيما جاء به فيهدي إلى سبيل الفوز في الدارين هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآية الثانية (١٥٩) فقد تضمنت الإخبار الإلهي بأن قوم موسى وإن ضلوا أو أجمروا وفسقوا ليس معنى ذلك أنه لم يكن فيهم أو بينهم من هم على هدى الله فهذه الآية كانت كالاحتراس من مثل هذا الفهم ، إذ أخبر تعالى أن ﴿من قوم موسى أمة﴾ أي جماعة تكثر أو تقل ﴿يهدون بالحق﴾ أي يعملون بالحق في عقائدهم وعباداتهم ويدعون إلى ذلك وبالحق يعدلون فيما بينهم وبين غيرهم فهم يعيشون على الإنصاف والعدل ، ولم يذكر تعالى أين هم ولا متى كانوا هم؟ فلا يبحث ذلك ، إذ لا فائدة فيه ، ثم عاد السياق إلى قوم موسى يذكر أحداثهم للعظة والاعتبار وتقرير الحق في توحيد الله تعالى وإثبات نبوة رسوله وتقرير عقيدة البعث والجزاء أو اليوم الآخر . فقال تعالى في الآية الثالثة (١٦٠) ﴿وقطعناهم﴾ أي بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة أسباطاً

(١) وبكلماته التنزيلية كالتوراة والإنجيل والزرور.

(٢) هذا الرجاء بالنسبة إلى المأمورين بالاتباع لا إلى الله تعالى ، لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير .

(٣) يهدون إلى الله تعالى عباده بواسطة ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل على رسله وأنزل به كتبه .

(٤) التقطيع : الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلى اثنتي عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنتسب إلى أبيها الأعلى أي الأول .

(١) أمماً أصل السبط ابن البنت وأريد به هنا أولاد كل سبط من أولاد يعقوب عليه السلام . فالأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب كل قبيلة تنتسب إلى أبيها الأول، وأنت لفظ اثنتي عشرة لأن معنى الأسباط الفرق والفرقة مؤنثة ، وقوله : ﴿وأوحينا إلى موسى إذا استسقاها قومه﴾ أعلمناه بطريق الوحي وهو الإعلام الخفي السريع ، ومعنى ﴿استسقاها﴾ طلبوا منه السقيا لأنهم عطشوا لقلة الماء في صحراء سينا . ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ هذا الموحى به ، فضرب ﴿فانبجست﴾ أي انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ ليشرب كل سبط من عينه الخاصة حتى لا يقع اصطدام أو تدافع فينجم عنه الأذى وقوله تعالى ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ يريد عرف كل جماعة ماءهم الخاص بهم وقوله تعالى ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هذا ذكر لإنعامه تعالى على بني إسرائيل وهم في معية موسى وهارون في حادثة التيه ، حيث أرسل تعالى الغمام وهو سحاب أبيض بارد يظلمهم من الشمس حتى لا تلفحهم ، وأنزل عليهم المن وهي حلوى كالعسل سقط ليلاً كالطل على الأشجار ، وسخر لهم طائراً لذيذ اللحم يقال له السلوى وهو طائر السماني المعروف وقلنا لهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وقوله تعالى ﴿وما ظلمونا﴾ بتمردهم على أنبيائهم وعدم طاعتهم لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء ، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٦١) فقد تضمنت حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء وذلك أن يوشع بن نون بعد أن تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون وانقضاء مدة التيه وكانت أربعين سنة غزا يوشع بني إسرائيل العمالقة في أرض القدس وفتح الله تعالى عليه فقال لبني إسرائيل ادخلوا باب المدينة ساجدين أي منحنين خضوعاً لله وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من

(١) ﴿أمماً﴾ بدل من ﴿أسباطاً﴾ وفائدته : الإخبار بأنهم باركهم الله تعالى فأصبح أهل كل سبط أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلفه الإبل .

(٢) أصل الفعل بجس يقال : بجسته أي : شققته فانبجس مطاوع بجس الشيء إذا شقق .

(٣) المن : مادة بيضاء تنزل من السماء كالطل حلوة الطعم تشبه العسل ، وإذ جفت كانت الصمغ ، والسلوى : طائر معروف يقال له السماني بضم السين وفتح النون على وزن حُبَارَى .

(٤) وبعدم شكرهم لهذه النعم أيضاً إذا كفران النعم يسبب زوالها بعقوبة تنزل بمن لم يشكر نعم الله تعالى عليه .

(٥) أي ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء ، أما الله تعالى فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضره . روى مسلم عن النبي ﷺ قوله : (إن الله تعالى قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) .

التيه، وقوله اثناء دخولكم الباب كلمة «حطة» الدالة على توبتكم واستغفاركم ربكم
 لذنوبكم فإن الله تعالى يغفر لكم خطيئاتكم، وسيزيد الله المحسنين منكم الإنعام والخير
 الكثير مع رضاه عنكم وادخالكم الجنة، هذا معنى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ
 الْقَرْيَةَ﴾ أي مدينة فلسطين^(١) ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ لما فيها من الخيرات ﴿وَقُولُوا حِطَّةً
 وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. أما الآية الرابعة (١٦٢)
 فهي قد تضمنت الإخبار عن الذين ظلموا من بني إسرائيل الذين أمروا بدخول القرية
 ودخول الباب سجداً. حيث بدلوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فبدل حطة قالوا حنطة،
 وبدل الدخول منحنين ساجدين دخلوا يزحفون على أستاههم، فلما رأى تعالى ذلك
 التمرد والعصيان وعدم الشكر أنزل عليهم وباء من السماء كاد يقضي على آخرهم هذا
 معنى قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ
 السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عموم رسالة النبي محمد ﷺ لكافة الناس عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم.^(٢)
- ٢- هداية الإنسان فرداً أو جماعة أو أمة إلى الكمال والإسعاد متوقفة على اتباع النبي محمد ﷺ.
- ٣- إنصاف القرآن للأمم والجماعات فقد صرح أن في بني إسرائيل أمة قائمة على الحق،
 وذلك بعد فساد بني إسرائيل، وقبل مبعث النبي الخاتم أما بعد البعثة المحمدية فلم يبق
 أحد على الحق، إلا من آمن به واتبعه لنسخ سائر الشرائع بشريعته.
- ٤- إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ثم لم يشكرها تسلب منه أحب أم كره وكائناً من
 كان.

(١) اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كله.

(٢) عموم الرسالة المحمدية يستوجب القيام بها ودعوة الناس إليها، والمسلمون هم المطالبون بذلك وإلا فهم آثمون
 بفريطهم وتقصيرهم.

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
 حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
 حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾
 وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
 عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١٦٤﴾
 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
 وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا بَئِيسًا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
 ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

حاضرة البحر	: أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس .
يعدون في السبت	: أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه .
يوم سبتهم	: أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت .
شرعاً	: جمع شارع أي ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها .
كذلك نبلوهم	: أي نمتحنهم ونختبرهم .
بما كانوا يفسقون	: أي بسبب ما أعلنوه من الفسق وهو العصيان .
معذرة الى ربكم	: أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك وإلا فنهينا يكون عذراً لنا عند ربنا .
فلما نسوا ما ذكروا به	: أي أهملوه وتركوه فلم يمتثلوا ما أمروا به ولا ما نهوا عنه .
عن السوء	: السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام .
بعذاب بئس	: أذى بأس شديد .

فلما عتوا عما نهوا عنه : أي ترفعوا وطفخوا فلم يبالوا بالنهي .

قردة خاسئين : القردة جمع قرد معروف وخاسئين ذليلين حقيرين اخساء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بني إسرائيل إلا أنه هنا مع رسول الله محمد ﷺ ويهود المدينة فالله تعالى يقول لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أسألهم^(١) أي اليهود ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي قرية منه على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس والشام^(٢)، أي أسألهم عن أهلها كيف كان عاقبة أمرهم، إنهم مسخوا قردة وخنازير جزاء فسقهم عن أمر ربهم، وفصل له الحادث تفصيلاً للعبارة والاعتاظ فقال ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي يعتدون ما أذن لهم فيه إلى ما حرم عليهم، اذن لهم أن يصيدوا ما شاءوا إلا يوم السبت فإنه يوم عبادة ليس يوم لهو وصيد وطرب، ﴿إذ تأتيتهم حيتانهم﴾ أي أسماكهم ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على سطح الماء تغريهم بنفسها ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي في باقي أيام الأسبوع ﴿لاتأتيتهم﴾ إذا هم مبتلون، قال تعالى ﴿كذلك﴾ أي كهذا الابتلاء والاختبار ﴿نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ أي بسبب فسقهم عن طاعة ربهم ورسله، إذ ما من معصية إلا بذنب هكذا سنة الله تعالى في الناس . هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٣) وهي قوله تعالى ﴿وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم﴾ حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم، كذلك نبلوهم^(٣) بما كانوا يفسقون^(٤) .

وأما الآية الثانية (١٦٤) فالله تعالى يقول لرسوله اذكر لهم أيضاً إذ قالت طائفة منهم أي من أهل القرية لطائفة أخرى كانت تعظ المعتدين في السبت أي تنهاهم عنه لأنه

(١) هذا سؤال توبيخ وتقدير، إذ كانوا يتجحون بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم من سبط خليل الرحمن إبراهيم، ومن سبط إسرائيل، فالسؤال عن القرية السؤال عن أهلها .

(٢) هذه القرية هي أيلة، والمسماة اليوم بالعقبة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر

(٣) وهي مبدأ أرض الشام من جهة مصر .

(٤) النسب : اليوم الذي بين الجمعة والاحد، ويجمع السبت على أسبت وسبوت وأسبات .

(٥) قيل للحسين بن الفضل : هل تجد في كتاب الله تعالى أن الحلال لا يأتيك إلا قوتاً وإن الحرام يأتيك جزفاً يعني : بكثرة كاثرة قال : نعم في قصة داود وأيلة ﴿إذ تأتيتهم حيتانهم﴾ . الآية .

(٦) ﴿نبلوهم﴾ : أي بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم عقوبة لهم .

معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ وهذا القول من هذه الطائفة دال على بأسهم من رجوع إخوانهم عن فسقهم وباطلهم، فأجابتهم الطائفة الواعظة ^(١) ﴿معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون﴾ أي وعظنا لهم هو معذرة لنا عند الله تعالى من جهة ومن جهة أخرى ﴿لعلمهم يتقون﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء، قال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وخوفوا منه وهو تحريم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلى وعظ إخوانهم لهم وواصلوا اعتداءهم وفسقهم، قال تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الواعظون لهم ممن ملأوا ويشسوا فتركوا وعظهم، وممن واصلوا نهيمهم وعظهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس﴾ أي شديد البأس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ عن طاعة الله ربهم، إذ قال تعالى لهم ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ ^(٢) فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين، ثم لم يلبثوا (مسخاً) إلا ثلاثة أيام وماتوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد ﷺ إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.
- ٢- إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولاً ثم العذاب ثانياً.
- ٣- جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غيرهم.

(١) المعذرة: مصدر ميمي فعله اعتذر على غير قياس، والعذر: السبب الذي تبطل به المؤاخذه بسبب ذنب أو تقصير.

(٢) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظونا قوماً. الخ نجت من العذاب أولاً؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأن ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان لباسهم من استجابة الظالمين.

(٣) يقال: خسانته فحشا أي، باعده وطرده، وفي هذا دليل على أن المعاصي سبب النقم كما أن الطاعات سبب النعم.

(٤) أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.

٤- إطلاق لفظ السوء على المعصية مؤذن بأن المعصية مهما كانت صغيرة تحدث السوء في نفس فاعلها.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ
يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ الْعَمَلُ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِمَّا شِئْنَا
أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

تأذن^(١) :

أعلم وأعلن .

ليبعثن

: أي ليسلطن

من يسومهم سوء العذاب

: أي يذيقهم ويوليهم سوء العذاب كالذلة والمسكنة .

وقطعناهم

: أي فرقناهم جماعات جماعات .

بلوناهم بالحسنات والسيئات

: اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم .

(١) آذن وأذن بمعنى واحد ، وهو أعلم ومنه قول الشاعر :

فقلت تعلم إن للصيد غرة فلا تضيعها فإنك قاتله

فخلف من بعدهم خلف : الخلف بإسكان اللام خلف سوء وبالتحريك خلف خير .
 ورثوا الكتاب : أي التوراة .
 عرض هذا الأدنى : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال .
 يمسكون بالكتاب : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما حرم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في شأن اليهود فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث طواياهم وسوء أفعالهم، وهذا الإطلاق في هذا الوعيد الشديد يقيد بأحد أمرين الأول بتوبة من تاب منهم ويدل على هذا القيد قوله تعالى في آخر هذه الآية ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ أي لمن تاب والثاني بجوار دولة قوية لهم وحمايتها وهذا مفهوم قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله﴾ وهو الإسلام ﴿وحبل من الناس﴾، وهو ما ذكرناه آنفاً. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (١٦٧) وهي قوله تعالى ﴿وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ وأما الآية الثانية (١٦٨) فقد تضمنت بيان فضل الله تعالى على اليهود وهو أن الله تعالى قد فرقهم في الأرض جماعات جماعات، وأن منهم الصالحين، وأن منهم دون ذلك وأنه اختبرهم بالحسنات وهي النعم، والسيئات وهي النقم تهيئة لهم وإعداداً للتوبة إن آثروا التوبة على الاستمرار في الإجرام والشر والفساد. هذا ما تضمنته الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات

(١) يسومهم سوء العذاب : يجعل أسوأ العذاب وأشدّه كالقيمة لهم إذ هو حظهم المفروض عليهم، أول من تسلط عليهم فسامهم سوء العذاب بختنصر البابلي .

(٢) أي شتتاهم في البلاد بعد تسلط البابليين عليهم وتمزيق ملكهم فعاشوا مشتتين فلم ينتظم ملكهم مدّة طويلة وهم إذ ذاك ما بين صالح وفاسد وانتظم أمرهم مرّة أخرى ثم فسقوا فسلب عليهم أطيّطوس الروماني فتفرّقوا مرّة أخرى وما زالوا مفرقين إلى هذه الأيام، باجتماعهم في فلسطين وتكوينهم دولة اسرائيل وعمّا قريب تزول .

والسيئات لعلهم يرجعون ﴿ وأما الآية الثالثة (١٦٩) فقد أخبر تعالى أنه قد خلف من بعد تلك الأمة خلف سوء ورثوا الكتاب الذي هو التوراة ورثوه عن أسلافهم ولم يتلزموا بما أخذ عليهم فيه من عهود على الرغم من قراءتهم له فقد آثروا الدنيا على الآخرة فاستباحوا الربا والرشا وسائر المحرمات ، ويدعون أنهم سيغفر لهم ، وكلما أتاهاهم مال حرام أخذوه ومنوا أنفسهم بالمغفرة كذباً على الله تعالى قال تعالى موبخاً لهم ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ وقد قرأوا هذا في الكتاب وفهموه ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم ، ثم يواجههم تعالى بالخطاب مذكراً لهم واعظاً فيقول ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ؟ ﴾ ويفتح الله تعالى باب الرجاء لهم في الآية الرابعة في هذا السياق فيقول ﴿ والذين يمسكون بالكتاب ﴾ أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك ﴿ وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ ، ومعنى هذا أنهم مصلحون إن تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة ، وإن الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره ، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان موجز لتاريخ اليهود في هذه الآيات الأربع .
- ٢- من أهل الكتاب الصالحون ، ومنهم دون ذلك .
- ٣- التنديد بإيثار الدنيا على الآخرة ، ويتمني المغفرة مع الإصرار على الإجرام .
- ٤- تفضيل الآخرة على الدنيا بالنسبة للمؤمنين .
- ٥- الحث على التمسك بالكتاب قراءة وتعلماً وعملاً بإحلال حلاله وتحريم حرامه .

(١) الخلف بسكون اللام : الأولاد ، الواحد والجمع فيه سواء ، والخلف : بفتح اللام البذل ولدأ كان أو غيره ، وقيل الخلف بالفتح : الصالح وبالجزم : الطالع قال ليبيد :

ذهب الذين يعاش في أكناهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

(٢) روى الدارمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه الرواية التالية وهي منطوقة على واقعنا اليوم ومن قبل اليوم قال : سبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف ، إن قصروا قالوا سنبلع وإن أساءوا قالوا : سيغفر لنا إنا لا نشرك بالله شيئاً .

(٣) مسك وتمسك بمعنى واحد .

﴿وَإِذْ نَنْقُنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ
 خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
 وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
 آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
 الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

شرح الكلمات :

وإذ نتقنا الجبل	: أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم .
واقع بهم	: أي ساقط عليهم .
خذوا ما آتيناكم بقوة	: أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة .
واذكروا ما فيه	: أي لا تنسوا ما التزمت به من النهوض بأحكام التوراة . (١)
من ظهورهم ذريتهم	: أي أخذهم من ظهر آدم عليه السلام بأرض نعمان من عرفات .
أشهدهم على أنفسهم	: أي بأنه تعالى ربهم وإلههم ولارب لهم غيره ولا إله لهم سواه .
المبطلون	: العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه .
نفصل الآيات	: نبينها ونوضحها بتنوع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الامثال وذكر القصص .

(١) قال ابن عباس : بيطن نعمان وإد إلى جنب عرفة

معنى الآيات :

الآية الأولى في هذا السياق هي خاتمة الحديث على اليهود إذ قال تعالى لرسوله ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾^(١) أي اذكر لهم أيها الرسول إذ نتقنا أي رفعنا فوقهم جبل الطور من أصله وصار فوقهم كأنه ظلة ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي ساقط عليهم وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ والمراد مما آتاهم أحكام التوراة وما تحمل من الشرائع وأخذها العمل بها والالتزام بكل ما أمرت به ونهت عنه وقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي في الذي آتيناكم من الأوامر والنواهي ، ولا تنسوه فإن ذكره من شأنه أن يعدكم للعمل به فتحصل لكم بذلك تقوى الله عز وجل ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى وهي خاتمة سياق الحديث عن اليهود^(٢) أما الآية الثانية (١٧٢) وهي قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإنها حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار، إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدا فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، وهو معنى قوله تعالى ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أي أنك ربنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٣) والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى، ويعاهد ولا يفي، وما وجد من بني اسرائيل من عدم الوفاء هو عائد إلى أصل الإنسان، وهناك عبرة أعظم وهي أن التوحيد أخذ به العهد على كل آدمي، ومع الأسف أكثر بني آدم ينكرونه، ويشركون بربهم وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وكهذا التفصيل الوارد في هذه السورة وهذا

(١) أي : كأنه لارتفاعه سحابة تظل .

(٢) أي : بجذ وعزم .

(٣) الآثار والأحاديث المثبتة لاستخراج الرب تعالى الذرية من ظهر آدم كثيرة منها في الموطأ والسنن ونكتفي برواية الشيخين الآتية : قال ﷺ : يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفدياً؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك .

(٤) وَجَّهَ نظم الآية هكذا : وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم ولم يذكر ظهر آدم عليه السلام لأنه من المعلوم أن كل بني آدم منه وأخرجوا يوم الميثاق من ظهره . وقوله : ظهورهم : بدل اشتغال من بين آدم .

(٥) في الآية دليل على أنه لا عذر لأحد في تقليده آباءه وأجداده وأهل بلاده في الشرك والمعاصي كما لا عذر بالجهل أيضاً .

السياق وهو تفصيل عجيب لفصل الآيات تذكيراً للناس وتعليماً ولعلمهم يرجعون إلى الحق بعد إعراضهم عنه ، وإلى الإيمان والتوحيد بعد انصرافهم عنهما تقليداً واتباعاً لشياطين الجن والإنس .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان نفسيات اليهود وأنها نفسية غريبة وإلا كيف وهم بين يدي الله يتمردون عليه ويعصونه برفضهم الالتزام بما عهد إليهم من أحكام حتى يرفع فوقهم الطور تهديداً لهم ، وعندئذ التزموا ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى نقضوا عهدهم وعصوا ربهم .

٢- عجيب تدبير الله تعالى في خلقه .

٣- الكافر كفر مرتين كفر بالعهد الذي أخذ عليه وهو في عالم الذر^(١) وكفر بالله وهو في عالم الشهادة ، والمؤمن آمن مرتين ، فلذا يضاعف للأول العذاب ويضاعف للثاني الثواب .

٤- تقرير مبدأ الخليفة ، ومبدأ المعاد الآخر .

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ

(١) لقد حاول كثيرون التخلص من قضية أخذ الرب تعالى من ظهر آدم ذريته وإشهادهم على أنفسهم ، ونطق الأرواح وشهادتها ، ولا داعي لهذا أبداً ما دامت الأحاديث والآثار كثيرة وقدرة الله صالحة لكل شيء ولا يعجزها شيء - ماهي النملة؟ وقد أنطقها الله فنطقت وأفصحت . إن الحيوان المنوي الذي منه تكون الذرية قال العلماء لو جمعت الحيوانات المنوية كلها من آدم إلى اليوم ووضعت في فنتجان ما ملأته . أمع هذا يحاول إبطال الأحاديث وتأويل الآية على غير ظاهرها رجل من أهل العلم؟

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ : إقرأ عليهم .

فانسلك منها : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها .

فأتبعه الشيطان : لحقه وأدركه .

من الغاوين : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين .

أخلد الى الأرض : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا .

يلهث : اللهث : التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء .

ساء : قبح .

مثلاً : أي صفة .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿واتل عليهم﴾ أي اقرأ على قومك وعلى كل من يبلغه هذا الكتاب من سائر الناس ﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ أي خبر الرجل الذي اعطيناه آيتنا تحمل الأدلة والحجج والشرائع والأحكام والآداب فتركها وابتعد عنها فلم يَتْلُهَا ولم يفكر فيها ولم يعمل بها لا استدلالاً ولا تطبيقاً ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي لحقه وأدركه وتمكن منه إبليس ، لأنه بتخليه عن الآيات وجد الشيطان له طريقاً إليه ﴿فكان من الغاوين﴾ أي الضالين الفاسدين الهالكين ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي بالآيات إلى قمم

(١) ذكر أهل التفسير ثلاثة رجال قيل إنها نزلت في واحد منهم وهم : بلعم بن باعوراء الكنعاني وكان على زمن موسى ، وقيل إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وقيل في أبي عامر بن صيفي ، وأقرب الأقوال أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت إذ هو الذي قال فيه الرسول ﷺ : (آمن شِعْرُهُ وكفر قلبه) إذ شعره كان يفيض بالإيمانيات من عقيدة البعث والجزاء ، والتوحيد ، والعدل والرحمة ومن شعره قوله :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

(٢) أي أن تلك الآيات التي أعطاه الله إياها من شأنها أن تكون سبباً للهداية ، وهذا شأن آيات الله فإنها ترفع كل من يؤمن بها ويعمل بما فيها ترفعه في الدنيا والآخرة فهي آلة الرفع الحقيقية لا المذاهب والنظريات المادية .

المجد والكمال، وإلى الدرجات العلا في الدار الآخرة، ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي مال إليها وركن فأكب على الشهوات والسرف في الملذات، وأصبح لا هم له إلا تحصيل ذلك ﴿واتبع هواه﴾ وترك عقله ووحى ربه عنده، فصار مثله أي صفته الملائمة له ﴿كمثل الكلب﴾ أي في اللهث والإعياء، والتبعية وعدم الاستقلال الذاتي ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ فحيرته وتعبه لا ينقطعان أبداً. وقوله تعالى ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي هذا المثل الذي ضربناه لذلك الرجل الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها وكان من أمره ما قصصنا عليك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان ومكان، وعليه ﴿فاقصص﴾ يا رسولنا ﴿القصص لعلهم يتفكرون﴾ أي لعل قريشاً تتفكر فتعتبر وترجع إلى الحق فتكمل وتسعد، وقوله تعالى ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي قبح مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجحدوا بها حتى لا يوحداوا الله تعالى ولا يسلموا إليه، ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بتدنيسها بآثار الشرك والمعاصي وقوله تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ أي من وفقه الله تعالى للهداية فآمن وأسلم واستقام على منهاج الحق فهو المهتدي بحق ومن خذله الله لشدة إعراضه عن الحق وتكبره عنه فضل بإضلال الله تعالى له فأولئك هم الخاسرون الخسران الحق المبين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- خطر شأن هذا الخبر الذي أمر تعالى رسوله أن يتلوه على الناس.
- ٢- ترك القرآن الكريم بعدم تلاوته والتدبر فيه، وترك العمل به مفض بالعبد إلى أن يكون هو صاحب المثل في هذه الآية، فأولاً يتمكن منه الشيطان فيصبح من الغواية وثانياً يخلد إلى الأرض كما هو حال الكثيرين فلا يكون لأحدهم هم إلا الدنيا. ثم يتبع هواه لا عقله ولا شرع الله، فإذا به صورة لكلب يلهث لا تنقطع حيرته واتباعه لغيره كالكلب سواء بسواء وهذه حال من أعرضوا عن كتاب الله تعالى في هذه الآية فليتأملها العاقل.
- ٣- لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن فهي الآية الرافعة لقوله تعالى ﴿ولو شئنا

(١)/ الهداية: هي إبانة الطريق الموصل إلى السعادة والكمال.

(١)

لرفعناه بها ﴿١﴾ أي بالآيات التي انسلخ منها والعياذ بالله .

٤- الهداية بيد الله ألا فيطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

شرح الكلمات :

ذرأنا لجهنم : خلقنا لجهنم أي للتعذيب بها والاستقرار فيها .

لا يفقهون بها : كلام الله ولا كلام رسوله .

لا يبصرون بها : آيات الله في الكون .

لا يسمعون بها : الحق والمعروف .

كالأنعام : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم .

الغافلون : أي عن آيات الله ، وما خلُقوا له وما يراد لهم وبهم .

ولله الأسماء الحسنى : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الأحسن ، والأسماء

الحسنى لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته .

(١) لقد جرب أتباع أتاتورك العثماني العلمانية وجرب العرب القومية ثم جربوا الاشتراكية حتى قال قائلهم : اشتراكتنا نوالي من يواليها ونعادي من يعاديها ، وجرب بعضهم الشيوعية فهل غنوا هل عزوا هل كملوا هل شبعوا؟ اللهم لا ، لا ، لا فلم إذن لا يعملون بالقرآن .

وذروا : اتركوا .
 يلحدون : يميلون بها إلى الباطل .
 ومن خلقنا : أي من الناس .
 معنى الآيات :

على إثر ذكر الهدى والضلال وإن المهتدي من هداه الله ، والضال من اضله الله أخبر تعالى أنه قد خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، علما منه تعالى بانهم يرفضون هدايته ويتكبرون عن عبادته ، ويحاربون أنبياءه ورسله ، وإن رفضهم للهداية وتكبرهم عن العبادة عطل حواسهم فلا القلب يفقه ما يقال له ، ولا العين تبصر ما تراه ، ولا الأذن تسمع ما تخبر به وتحدث عنه فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل لأن الأنعام ما خرجت عن الطريق الذي سبقت له وخلقت لأجله^(١) ، وأما أولئك فقد خرجوا عن الطريق الذي امرؤا بسلوكه ، وخلقوا له ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له لينجوا من العذاب ويسعدوا في دار النعيم ، وقوله تعالى ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ تقرير لحقيقة وهي أن استمرارهم في الضلال كان نتيجة غفلتهم عن آيات الله الكونية فلا يتأملوها فيعرفوا أن المعبود الحق هو الله وحده ويعبدوه وعن آيات الله التزلية فلا يتدبروها فيعلموا أن الله هو الحق المبين فيعبدوه وحده بما شرع لهم في كتابه وسنة نبيه . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧٩) وأما الآية الثانية في هذا السياق (١٨٠) وهي قوله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ فقد أخبر تعالى فيها بأن الأسماء الحسنى له تعالى خاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، وقد أخبر النبي ﷺ أنها مائة اسم^(٢) إلا اسماً أي تسعة وتسعون اسماً ووردت مفرقة في القرآن الكريم ، وأمر تعالى عباده أن

(١) قال عطاء : الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه ، وقيل : الأنعام مطيعة لله ، والكافر غير مطيع .

(٢) أي : لا همّة لهم إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح ، وهم أضل من الأنعام لأن الأنعام تبصر مضارها ومنافعها وتتبع مالكةا وهم على خلاف ذلك .

(٣) روى أحمد رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً) .

(٤) روى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) .

يدعوه بها يا الله، يا رحمن يا رحيم يا رب، يا حي يا قيوم، وذلك عند سؤالهم إياه وطلبهم منه ما لا يقدرُونَ عليه^(١)، كما أمرهم أن يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله فيؤلّونها، أو يعطلونها، أو يشبهونها، أمر عباده المؤمنين به أن يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون. لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٨١) وهي قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ إنه لما ذكر أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس ذكر هنا أنه خلق للجنة خلقاً آخر من الإنس والجن فذكر صفاتهم التي يستوجبون بها الجنة كما ذكر صفات أهل جهنم التي استوجبوا بها جهنم، فقال ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الناس ﴿أُمَّةً﴾ كبيرة ﴿يَهْدُونَ﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي هو هدى الله ورسوله وبالحق يعدلون في قضائهم وأحكامهم فينصفون ويعدلون ولا يجورون، ومن هذه الأمة كل صالح في أمة الإسلام يعيش على الكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً وحكماً وقضاء وأدباً وخلقاً جعلنا الله منهم وحشرنا في زمريهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ أن السعادة والشقاء سبق بها قلم القضاء والقدر فكل ميسر لما خلق له.
- ٢- هبوط آدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا.
- ٣- بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها.
- ٤- الأمر بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى نحو يا رب يا رحمن، يا عزيز يا جبار.

(١) ذكر أهل العلم كيفية الدعاء بها وهي : أن يسأل باسم الله ما يناسب حاجته فيقول مثلاً : يا رحمن ارحمني ، يا رزاق ارزقني ، يا حكيم احكم لي ، يا قوي يا قدير . قَوْنِي واقدري على كذا . . يا لطيف ألطف بي ، يا علیم علّمني وانفعني بما تعلمني وهكذا . .

(٢) قال مقاتل وغيره في سبب نزول هذه الآية ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ أن مشركاً سمع مسلماً يدعو : يا رحمن يا رحيم فقال : أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً؟ فما بال هذا يدعو ربين اثنين، فانزل الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ .

- ٥- حرمة تأويل أسماء الله وصفاته وتحريفها كما قال المشركون في الله، اللات، وفي العزيز العزى سموها بها آلهتهم الباطلة، وهو الإلحاد الذي توعد الله أهله بالجزاء عليه.^(١)
- ٦- أهل الجنة الذين خلقوا لها هم الذين يهدون بالكتاب والسنة ويقضون بهما.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا
هَادِي لَهُمْ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات :

كذبوا بآياتنا

: أي بآيات القرآن الكريم .

سنستدرجهم^(٢)

: أي نستميلهم وهم هابطون إلى هوة العذاب درجة بعد

درجة حتى ينتهوا إلى العذاب، وذلك بإدراج النعم عليهم

مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى يبلغوا الأجل

المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة .

(١) الإلحاد لغة: الميل عن وسط الشيء إلى جانبه والإلحاد للميت دفنه في جانب القبر وكان من إلحاد العرب في أسماء الله تعالى أن اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله، ومناة من المنان فألحدوا في أسماء الله تعالى، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى ما يفعله جهال المتصوفة من وضع أسماء لله تعالى لا توجد في كتاب ولا سنة.

(٢) الاستدراج: هو الأخذ بالتدرج منزلة بعد منزلة، والدَّرَج: لف الشيء ومنه ادراج الميت في كفنه أي: لفه فيه . واستدراج الله تعالى لأهل الغواية كلما جددوا لله معصية جدد لهم نعمة حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون وأحسن من أنشد:

أحسنن ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وأُملي لهم إن كيدي متين : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى ينتهوا إليها بأعمالهم الباطلة وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد .

ما بصاحبهم من جنة : صاحبهم هو محمد ﷺ ، والجنة الجنون والمتحدث عنهم كفار قريش .

ملكوت السموات : أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من لفظه الملك .

فبأي حديث بعده : أي بعد القرآن العظيم .

ونذرهم في طغيانهم : أي نتركهم في كفرهم وظلمهم .

يعمّهون : حيارى يترددون لا يعرفون مخرجاً ولا سبيلاً للنجاة .

معنى الآيات

يخبر تعالى أن الذين كذبوا بآياته التي أرسل بها رسوله محمداً ﷺ فلم يؤمنوا بها وأصروا على الشرك والضلال معرضين عن التوحيد والهدى يخبر تعالى أنه سيستدرجهم بالأخذ شيئاً فشيئاً ودرجة بعد درجة حتى يحق عليهم العذاب فينزله بهم فيهلكون ويخبر أنه يملأ لهم أيضاً كيداً بهم ومكرأً، أي يزيدهم في الوقت ويطول لهم زمن كفرهم وضلالهم فلا يعاجلهم بالعقوبة بل إنه يزيد في إرزاقهم وأموالهم حتى يفقدوا الاستعداد للتوبة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولذا قال ﴿وأُملي لهم ان كيدي متين﴾ أي قوي شديد . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٣) أما الثانية فإنه تعالى يوبخهم على إعراضهم عن التفكير والتعقل فيقول ﴿أو لم يتفكروا﴾ في سلوك الرسول ﷺ وتصرفاته الرشيدة الحكيمة فيعلموا أنه ما به من جنة وجنون كما يزعمون، وإنما هو نذير لهم من عذاب يوم أليم إن هم استمروا على سلوك درب الباطل والشر من الشرك والمعاصي، ونذارته بينه لا لبس فيها ولا غموض لو كانوا يتفكرون . وفي الآية الثالثة (١٨٥) يوبخهم

(١) قيل نزلت هذه الآية : «سنستدرجهم» إلى قوله : «متين» نزلت في المستهزئين من قريش وقد أخذوا بعد الإماء لهم زمناً زاد على العشرين، أخذهم في بدر وألقوا في القليب ووبخهم ﷺ بما هم أهله من الخزي والهوان .

(٢) المتين : مأخوذ من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب أي : الظهر .

(٣) هو المراد بالصاحب في قوله : «ما بصاحبكم من جنة» وهي الجنون، دعا الله تعالى قريشاً للتفكير .

على عدم نظرهم^(١) في ملكوت السماوات والأرض وفي ما خلق الله من شيء وفي أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، إذ لو نظروا في ملكوت السموات والأرض وما في ذلك من مظاهر القدرة والعلم والحكمة لعلموا أن المستحق للعبادة هو خالق هذا الملكوت، لا الأصنام والتماثيل، كما أنهم لو نظروا فيما خلق الله من شيء من النملة إلى النحلة ومن الحبة إلى القبة لأدركوا أن الله هو الحق وأن ما يدعون هو الباطل كما أنه حرى بهم أن ينظروا في ما مضى من أعمارهم فيدركوا أنه من الجائز أن يكون قد اقترب أجلهم، وقد اقترب فعلاً فليعجلوا بالتوبة حتى لا يؤخذوا وهم كفار أشرار فيهلكون ويخسرون خسراناً كاملاً. ثم قال تعالى في ختام الآية ﴿فبأي حديث^(٢) بعد القرآن يؤمنون فالذي لا يؤمن بالقرآن وكله حجج وشواهد وبراهين وأدلة واضحة على وجوب توحيد الله والايان بكتابه ورسوله ولقائه ووعده ووعيده فبأي كلام يؤمن، اللهم لا شيء، فالقوم إذاً أضلهم الله، ومن أضله الله فلا هادي له ويزرهم في طغيانهم يعمهون حيارى يترددون لا يدرون ما يقولون، ولا أين يتجهون حتى يهلكوا كما هلك من قبلهم. وما ربك بظلام للعبيد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عظم خطر التكذيب بالقرآن الكريم حتى أن المكذب ليستدرج حتى يهلك وهو لا يعلم.
- ٢- أكبر موعظة وهي أن على الإنسان أن يذكر دائماً أن أجله قد يكون قريباً وهو لا يدري فيأخذ بالحذر والحيلة حتى لا يؤخذ على غير توبة فيخسر.
- ٣- من لا يتعظ بالقرآن وبما فيه من الزواجر، والعظات والعبر، لا يتعظ بغيره.
- ٤- من أعرض عن كتاب الله مكذباً بما فيه من الهدى فضل، لا ترجى له هداية أبداً.

(١) استدلل العلماء بهذه الآية: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ ونظائر هذه الآية وهي كثيرة على وجوب النظر في الآيات والاعتبار بالمخلوقات وهو كذلك، واختلف العلماء في: هل الإيمان يثبت بالتقليد أو لا بد من النظر حتى يؤمن، والصحيح: أن الإيمان يصح بالتقليد المفيد لليقين كإيمان عوام المسلمين، وأفضل منه ما كان عن نظر واستدلال وهو إيمان العالمين.

(٢) قوله: ﴿فبأي حديث﴾ الخ: الاستفهام لتوقيفهم على ما يجب أن يفكروا فيه وينظروا إليه وتوبيخهم على ترك ذلك.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ^(١)
 أَيَّانَ مَرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ^ط
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ^ط
 عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾
 قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
 أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ
 أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

شرح الكلمات :

- الساعة** : أي الساعة بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام .
- أيان مرساها^(٢)** : أي متى وقت قيامها .
- لا يجليها لوقتها** : أي لا يظهرها في وقتها المحدد لها إلا هو سبحانه وتعالى .
- بغثة** : أي فجأة بدون توقع أو انتظار .
- حفي عنها** : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها .
- الغيب** : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة ولا بعقل . والمراد به هنا ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد .
- السوء** : كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه .
- إن أنا إلا نذير** : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب .

(١) السائلون النبي ﷺ عن الساعة كثيرون بعضهم مشركون يسألون للتعجيز وبعضهم يهود يسألون اختباراً وامتحاناً .

(٢) اسم يسأل به عن الزمان لا غير، قال الرازي :

أيان تقضي حاجتي أيان أما ترى لنُجِّحها أوانا

معنى الآيات :

لا شك أن أفراداً من قريش أو من غيرهم سألوا النبي ﷺ عن الساعة متى قيامها فأخبره تعالى بسؤالهم وعلمه الجواب فقال عز وجل وهو يخاطب رسوله ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾ ^(١) أي متى وقت وقوعها وقيامها؟ قل لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي علم وقت قيامها عند ربي خاصة ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْقَهَا﴾ أي لا يظهر لأول وقتها إلا هو ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي فجأة، ثم قال له يسألونك هؤلاء الجاهل عن الساعة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي كأنك ملحف في السؤال مبالغ في طلب معرفتها حتى عرفتها، قل لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ خاصة، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولذا هم يسألوه، إذ إخفاؤه لحكم عالية لو عرفها الناس ما سألوا ولن يسألوا ولكن الجاهل هو الذي ورطهم في مثل هذه الأسئلة وهذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٧) أما الآية الثانية (١٨٨) فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لأولئك السائلين عن الساعة متى وقت مجيئها ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ خيراً ولا شراً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ شيئاً من ذلك فإنه يُعَيِّنِي عَلَى جَلْبِهِ أَوْ عَلَى دَفْعِهِ فكيف إذا أعلم وقت مجيء الساعة حتى تسألوني عنها ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ كما تظنون لاستكثرت من الخيرات وما مسنى السوء. وذلك أني إذا عرفت متى الخصب ومتى الجذب، ومتى الغلاء ومتى الرخاء يمكنني بسهولة أن استكثر من الخير عند وجوده، وأتوقى الشر وأدفعه قبل حصوله، يا قوم إنما أنا نذير بعواقب الشرك والمعاصي بشير بنتائج الإيمان والتوحيد والعمل الصالح فلست بإله أعلم الغيب، ووظيفتي هذه صراحة هي البشارة والنذارة ينتفع بها المؤمنون خاصة وهو معنى قوله تعالى ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) ﴿أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾: مرساها مبتدأ، والخبر أيان، وقدم لأنه اسم استفهام له الصدارة ومعنى مرساها: ميثتها، من قولهم أرسى كذا إذا أثبته، أي: متى وقوعها.

(٢) أي علم الساعة إذ إخفاء علم الساعة كان لحكم عالية لو عرفها السائلون عن الساعة ما سألوا ولكنهم لجهلهم يسألون.

(٣) الغيب: قسман، حقيقي: وهو ما استأثر الله تعالى به ومن علمه تعالى منه شيئاً علمه. وإضافي: يعلمه بعض ويخفي عن بعض، ومن ادعى علم الغيب فقد كذب الله ونازعه فيما استأثر به فهو بذلك كافر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مرد علم الساعة إلى الله وحده فكل مسؤول عنها غير الله ليس أعلم من السائل^(١).
- ٢- للساعة أشراف بعضها في الكتاب وبعضها في السنة وليس معنى ذلك أنه تحديد لوقتها وإنما هي مقدمات تدل على قربها فقط.
- ٣- استأثر الله بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله ، ومن علمه الله شيئاً منه علم كما علم نبيه ﷺ بعض المغيبات ، والمعلم بالشيء لا يقال فيه بعلم الغيب وإنما يقال علمه ربه غيب كذا وكذا فعلمه

- ٤- إذا كان الرسول لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يطلب منه ذلك وإذا كان الرسول لا يملك فهل من دونه من العباد يملك؟ إذا عرفت هذا ظهر لك ضلال أقوام يدعون الموتى سائلين ضارعين عند قبورهم ويقولون أنهم لا يدعونهم ولكن يتوسلون بهم فقط.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا

اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ

﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ

أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾

(١) لحديث مسلم: فقد سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان فبين له ذلك فصدقه جبريل وسأله عن الساعة فقال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

شرح الكلمات :

من نفس واحدة	: هي نفس آدم عليه السلام .
وجعل منها زوجها	: أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر .
ليسكن إليها	: أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه .
فلما تغشاها	: أي وطئها .
فمرت به	: أي ذاهبة جائية تقضى حوائجها لخفت الحمل في الأشهر الأولى .
فلما أثقلت ^(١)	: أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها .
لئن آتيتنا صالحاً	: أي ولداً صالحاً ليس حيواناً بل إنساناً .
جعلنا له شركاء	: أي سموه عبدالحارث وهو عبدالله جل جلاله .
فتعالى الله عما يشركون	: أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناماً .
وإن تدعوهم إلى الهدى	: أي الأصنام لا يتبعوكم .

معنى الآيات :

يقول تعالى لأولئك السائلين عن الساعة عناداً ومكابرة من أهل الشرك هو أي الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ الإله المستحق للعبادة لا الأصنام والأوثان، فالخالق لكم من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها حواء هو المستحق للتأليه والعبادة . دون غيره من سائر خلقه . وقوله ﴿ليسكن إليها﴾ : علة لخلق زوجها منها ، إذ لو كانت من جنس آخر لما حصلت الألفة والأنس بينهما وقوله ﴿فلما تغشاها﴾ أي للوطء ووطئها ﴿حملت﴾^(٢) حملاً خفيفاً ، فمرت به ﴿لخفته﴾ ﴿فلما أثقلت﴾ أي أثقلها الحمل

(١) قال الفقهاء كمالك : إذا بلغ الحمل ستة أشهر أصبحت الحامل مريضة فلا يصح لها أن تهب من مالها أكثر من الثلث ، ومثلها من دخل معركة القتال ، وكذا المريض الشديد المرض ، والمحبوس للقتل ليس لهم من هبة إلا ما كان الثلث فأقل .

(٢) كل ما كان في البطن أو على رأس النخلة أو الشجرة فهو حمل يفتح الحاء وكل ما كان على رأس أو ظهر إنسان أو حيوان فهو حمل بكسر الحاء .

(٣) فمرت به لخفته فلم تنفطن له ولم تفكر في شأنه ومعنى أثقلت أي صارت ذات ثقل من أثقل المريض فهو مثقل فأثقلت صارت مثقلة .

﴿دعوا الله﴾ أي آدم وحواء ربهما تعالى أي سألاه قائلين ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي غلاماً صالحاً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي لك . واستجاب الرب تعالى لهما وآتاهما صالحاً . وقوله تعالى ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث سمته حواء عبدالحارث بتغريز من إبليس ، إذ اقترح عليهما هذه التسمية ، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطيب هلك فلان ، وقوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ عائد إلى كفار قريش الذين يشركون في عبادة الله أصنامهم وأوثانهم ، بدليل قوله بعد ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً﴾ أي من المخلوقات ﴿وهم﴾ أي الأوثان وعبادها ﴿يخلقون﴾ ولا يستطيعون لهم نصراً إذا طلبوا منهم ذلك . ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ لأنهم جمادات لا حياة بها ولا قدرة لها وقوله ﴿وإن تدعوهم﴾ أي وإن تدعوا أولئك الأصنام ﴿إلى الهدى﴾ وقد ضلوا الطريق ﴿لا يتبعوكم﴾ لأنهم لا يعقلون الرشد من الضلال ولذا فسواء عليكم ﴿أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ أي لم تدعوهم فإنهم لا يتبعونكم ومن هذه حاله وهذا واقعه فهل يصح أن يعبد فتقرب له القرابين ويحلف به ، ويعكف عنده ، وينادى ويستغاث به؟؟ اللهم لا ، ولكن المشركين لا يعقلون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق البشر وهو آدم وحواء عليهما السلام .
- ٢- بيان السرف في كون الزوج من جنس الزوج وهو الألفة والأنس والتعاون .
- ٣- بيان خداع إبليس وتضليله للإنسان حيث زين لحواء تسمية ولدها بعبدالحارث وهو عبد الله .
- ٤- الشرك في التسمية شرك خفي معفو عنه وتركه أولى .
- ٥- التنديد بالشرك والمشركين ، وبيان جهل المشركين وسفههم إذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يجيب ولا يتبع .

(١) ما ذهب إليه في التفسير هو ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري وهو مؤيد بقراءة تشركون بالتاء ويحدث خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض وذهب آخرون إلى أن الكلام على جنس آدميين تبييناً لحال المشركين من ذرية آدم ودل على قولهم قراءة يشركون بالياء والله أعلم .

(٢) يقول بعضهم : اتبعه : إذا مشى وراءه ولم يدركه ، واتبه مشدداً إذا مشى وراءه وأدركه .

(٣) نحو: عبد النبي ، وعبد الرسول ، وعبد الضيف كما قال حاتم الطائي :

واني لعبد الضيف ما دام ثاويًا وما في إلا تيك من شيمة العبد

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 عِبَادُ أَثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
 يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ
 يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ ﴿١٩٥﴾
 إِنَّ وَلِيَیَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
 أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
 وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

شرح الكلمات :

عباد أمثالكم : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب
 العالمين .
 شركاءكم : أصنامكم التي تشركون بها .
 ثم كيدون : بما استطعتم من أنواع الكيد .
 فلا تنظرون : أي فلا تمهلون لأنني لا أبالي بكم .
 إن وليي الله : أي المتولي أموري وحمايتي ونصرتي الله الذي نزل القرآن .
 وتراهم ينظرون : أي وترى الأصنام المنحوتة على شكل رجال ينظرون إليك وهم
 لا يبصرون .

معنى الآيات :

هذه الآيات الخمس في سياق ما قبلها جاءت مقررّة لمبدأ التوحيد مؤكدة له منددة

بالشرك مقبحة له ، ولأهله فقلوه تعالى ﴿إن الذين تدعون﴾ أي دعاء عبادة أيها المشركون ﴿هم عباد أمثالكم﴾ أي مملوكون لله ، الله مالكمهم كما أنتم مملوكون لله مربوبون . فكيف يصح منكم عبادتهم وهم مملوكون مثلكم لا يملكون لكم ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، وإن شككتهم في صحة هذا فادعوههم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة يستحقون العبادة . إنكم لو دعوتموهم ما استجابوا ، وكيف يستجيبون وهم جماد ولا حياة لهم ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها﴾ إنه لا شيء لهم من ذلك فكيف إذاً يستجيبون ، وبأي حق يعبدون فيدعون ويرجون وهم فاقدوا آثار القدرة والحياة بالمرة .

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يعلن لهم أنه لا يخافهم ولا يعدهم شيئاً إذا كانوا هم يعبدونهم ويخافونهم فقال له قل لهؤلاء المشركين ﴿ادعوا شركاءكم ثم كيدون﴾ أنتم وإياهم ﴿فلا تنظرون﴾ أي لا تمهلوني ساعة ، وذلك لأن ﴿ولم يلى الله الذي نزل الكتاب﴾ أي القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ فهو ينصرني منكم ويحميني من كيدكم إنه ولي وولي المؤمنين . أما أنتم ﴿والذين تدعون من دونه﴾ أي من دون الله من هذه الأوثان ﴿لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ وشيء آخر وهو أنكم ﴿إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعو﴾ فضلاً عن إن تدعوهم إلى الضلال فكيف تصح عبادة من لا يجيب داعيه في الرخاء ولا في الشدة . وأخيراً يقول تعالى لرسوله ﷺ ، ﴿وتراهم﴾ أي ترى أولئك الآلهة وهي تماثيل من حجارة ﴿ينظرون إليك﴾ إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً ، والحال أنهم لا يبصرون ، وهل تبصر الصور والتماثيل ؟ .

(١) تدعون : بمعنى تعبدون لأن الدعاء هو العبادة أو تدعون : بمعنى تدعونها عبادة فحذف المفعول ليشمل التعبير المعنيين وهو من بلاغة القرآن .

(٢) أطلق لفظ عباد على الأوثان لأنها مملوكة لله تعالى كما عبدها مخلوقة كما هم مخلوقون ، ولما اعتقد المشركون أن أصنامهم تنفع وتضر عاملها معاملة العقلاء فقال : عباد أمثالكم وقال : ﴿فادعوه﴾ بدل فادعوه .

(٣) اليد والرجل والأذن مؤنثات ولذا يصغرن بالهاء ويقال : يدي ورجلي وأذني وشددت الهاء من : يدي لأن الياء المحذوفة من يد ، ردت في التصغير .

(٤) أصل كيدون : كيدوني بالياء فحذفت تخفيفاً ، والكيد : المكر ، والحرب أيضاً يقال : غزا فلم يلق كيداً أي : حرباً .

(٥) ولي الشيء : هو الذي يحفظه ويمنع الضرر عنه وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ألا إن آل فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين) .

(٦) النظر : فتح العينين إلى المنظور إليه ، وجملة وتراهم مستأنفة وينظرون في محل نصب على الحال ، وجائز أن يكون المراد بـ تراهم ينظرون إليك المشركون أنفسهم وكونهم لا يبصرون لأنهم لم ينتفعوا بأبصارهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١- إقامة الحجة على المشركين بالكشف عن حقيقة ما يدعون أنها آلهة فإذا بها أصنام لا تسمع ولا تجيب لا أيد لها ولا أرجل ولا آذان ولا أعين .
- ٢- وجوب التوكل على الله تعالى ، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات اعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين .
- ٣- جواز المبالغة في التنفير من الباطل والشر بذكر العيوب والنقائص .

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------|---|
| العفو | : ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف . |
| بالعرف | : أي المعروف في الشرع بالأمر به أو النذب إليه . |
| وأعرض عن الجاهلين | : الجاهلون : هم الذين لم تستتر قلوبهم بنور العلم والتقوى ، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم على سوء قولهم أو فعلهم . |
| نزغ الشيطان | : أي وسوسة بالشر . |
| فاستعذ بالله | : أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي الله سميع عليم . |
| اتقوا | : أي الشرك والمعاصي . |

طائف من الشيطان : أي ألم بهم شيء من وسوسته .
 وإخوانهم يمدونهم في الغي : أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في الغي .
 ثم لا يقصرون : أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد .

معنى الآيات :

لما علّم تعالى رسوله كيف يحتاج المشركين لإبطال باطلهم في عبادة غير الله تعالى والإشراك به عز وجل علمه في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها، وأفضل الأخلاق وأكملها فقال له : ﴿خذ العفو^(١) وأمر بالعرف^(٢) وأعرض عن الجاهلين﴾ أي خذ من أخلاق الناس ما سهل عليهم قوله وتيسر لهم فعله، ولا تطالبهم بما لا يملكون أو بما لا يعلمون وأمرهم بالمعروف، وأعرض^(٣) عن الجاهلين منهم فلا تعنفهم ولا تغلظ القول لهم فقد سأل ﷺ عن معنى هذه الآية جبريل عليه السلام فقال له : (تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك^(٤)) وقوله ﴿ولما ينزغنك من الشيطان نزغ^(٥)﴾ أي أثار غضبك حتى لا تلتزم بهذا الأدب الذي أمرت به ﴿فاستعذ بالله﴾ بدفعه عنك إنه سميع لأقوالك عليم بأحوالك . ثم قال تعالى مقررًا حكم الاستعاذة مبينًا جدواها ونفعها لمن يأخذ بها . ﴿إن الذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به أحدًا ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيهم تذكروا

(١) قال ابن الزبير هذه الآية : ﴿خذ العفو﴾ . الخ ما أنزلها الله تعالى إلّا في أخلاق الناس ، وقال جعفر الصادق أمر الله رسوله بمكارم الأخلاق في هذه الآية ، وليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية .

(٢) العرف : المعروف وقرئ العرف : العُرف بضم العين والراء مثل : الحُلم والعرف : كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس : قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العُرف بين الله والناس

(٣) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلى الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه .

(٤) من أحاديث مكارم الأخلاق قوله ﷺ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق .

(٥) النزغ ، والنغز والهمز والوسوسة بمعنى واحد ، والنزغ : الإفساد والإغواء والإغراء وعلاج الوسوسة ، الاستعاذة بالله تعالى .

(٦) الطيف ، والطائف ، بمعنى ، وقيل : الطيف : الخيال ، والطائف : الشيطان . وهو صحيح أيضاً .

أمر الله ونهيه ووعدته ووعدته ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يرون قبح المعصية وسوء غاقبة فاعلموا فكفوا عنها ولم يرتكبوها . وقوله تعالى : ﴿وإخوانهم﴾ أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي ﴿يمدوهم﴾ أي الشياطين ﴿في الغي﴾ أي في المعاصي والضلالات ويزيدونهم في تزيينها لهم وحملهم عليها ، ﴿ثم لا يقصرون﴾ عن فعلها ويكفون عن ارتكابها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق ومن أرقاها العفو عمن ظلم وإعطاء من حرم ، وصلة من قطع .
- ٢ - وجوب الاستعاذة بالله عند الشعور بالوسوسة أو الغضب أو تزيين الباطل .^(١)
- ٣ - فضيلة التقوى وهي فعل الفرائض وترك المحرمات .
- ٤ - شؤم أخوة الشياطين حيث لا يقصر صاحبها بمد الشياطين له عن الغي الذي هو الشر والفساد .

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِثَآئِةٍ قَالُوا لَوْلَا جِئْتِ بِثَآئِةٍ
قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُكُمْ بِوَحْيٍ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ

(١) روي أَنَّ النبي ﷺ قال : (أمرني ربي بتسع : الإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة) .

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلق كذا وكذا حتى يقول له : من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) فقوله : فليستعذ : الأمر للوجوب إذ لا يدفع الشيطان إلا الله تعالى فهو الذي ينجي منه ويجبر .

(٣) روي أن النبي ﷺ لما نزلت آية ﴿خذ العفو﴾ الآية قال ﷺ : (كيف يارب والغضب) فنزلت : ﴿وإنما ينزغك...﴾ الخ .

فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

شرح الكلمات :

قالوا لولا اجتبيتها : أي اخترعتها واختلقتها من نفسك وأتيتنا بها .
هذا بصائر من ربكم : أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به
وادعوكم إليه فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها .
فاستمعوا له وانصتوا : أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له ، وانصتوا عند ذلك أي اسكتوا
حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم .
وخيفة : أي خوفاً .
بالغدو والآصال : الغدو: أول النهار، والآصال : أواخره .
من الغافلين : أي عن ذكر الله تعالى .
إن الذين عند ربك : أي الملائكة .
يسبحونه : ينزهونه بألسنهم بنحو سبحان الله وبحمده .

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتعليمه الرد على المشركين خصومه فقال تعالى
عن المشركين من أهل مكة ﴿وإذا لم تأتيتهم﴾ يا رسولنا ﴿بآية﴾ كما طلبوا ﴿قالوا﴾ لك
﴿لولا﴾ أي هلا ﴿اجتبيتها﴾ أي اخترعتها وأنشأتها من نفسك ما دام ربك لم يعطها قل
لهم إنما أنا عبد الله ورسوله لا أفتات عليه ﴿وانما اتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ وهذا
القرآن الذي يوحى إلي بصائر من حجج وبراهين على صدق دعواي وإثبات رسالتي ،

(١) وجائز أن يكون المراد من الآية: آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم ولولا هنا أداة تحضيض مثل هلاً ولا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً.

(٢) البصائر: جمع بصيرة وهي ما به يتضح الحق، وفي هذا تنويه بشأن القرآن العظيم وأنه: أعظم من الآيات أي: الخوارق التي يطالبون بها في الدلالة على الحق الذي ضلوا عنه.

وصحة ما أدعوكم إليه من الإيمان والتوحيد وترك الشرك والمعاصي ، فهلا آمنتم واتبعتم أم الآية الواحدة تؤمنون عليها والآيات الكثيرة لا تؤمنون عليها أين يذهب بعقولكم؟ وعلى ذكر بيان حجج القرآن وأنواره أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا قرئ^(١) عليهم القرآن أن يستمعوا وينصتوا وسواء كان يوم الجمعة على المنبر أو كان في غير ذلك فقال تعالى ﴿فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ أي تكلفوا السماع وتعمدوه ﴿وانصتوا﴾ بترك الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي رجاء أن ينالكم من هدى القرآن رحمته فتهتدوا وترحموا لأن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين .

ثم أمر تعالى رسوله وأمه تابعة له في هذا الكمال فقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي سرّاً ﴿تضرعاً﴾ أي تذلاً وخشوعاً ، ﴿وخيفة﴾ أي خوفاً وخشية ﴿ودون الجهر من القول﴾ وهو السر بأن يسمع نفسه فقط أو من يليه لا غير وقوله ﴿بالغدو والأصال﴾ أي أوائل النهار وأواخره ، ونهاه عن ترك الذكر وهو الغفلة فقال ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ وذكر له تسبيح الملائكة وعبادتهم ليتأسى بهم ، فيواصل العبادة والذكر ليل نهار فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة في الملكوت الأعلى ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي طاعته بما كلفهم به ووظفهم فيه ﴿ويسبحونه وله يسجدون﴾ فتأس بهم ولا تكن من الغافلين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- القرآن أكبر آية بل هو أعظم من كل الآيات التي أعطيها الرسل عليهم السلام .
- ٢- وجوب الإنصات عند تلاوة القرآن وخاصة في خطبة الجمعة على المنبر وعند قراءة الامام في الصلاة الجهرية .

(١) أي : كيومي العيدين مثلاً ، وهذا الأمر بالاستماع والإنصات للقرآن عام يشمل المشركين إذ كانوا يأمرؤن بعدم الاستماع إليه كما قال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن . . .﴾ كما يشمل المؤمنين ، إذ سماع القرآن سبيل الهداية ، والإنصات : سماع مع عدم التكلم حال الاستماع .

(٢) الخيفة : أصلها خوفاً فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها ، وهي مصدر خاف المرء يخاف خوفاً وخيفة ومخافة فهو خائف .

(٣) تسبيح الملائكة معناه : تعظيمهم لله تعالى وتنزيههم له عز وجل عن الشريك والولد .

(٤) صيغة المضارع في ﴿يسبحون﴾ و﴿يسجدون﴾ لحصر السجود في الله تعالى وعدم جوازه لغيره عز وجل .

٣- وجوب ذكر الله بالغدو والأصال .

٤- بيان آداب الذكر وهي :

١- السرية .

٢- التضرع والتذلل .

٣- الخوف والخشية .

٤- الإسرار به وعدم رفع الصوت به ، لا كما يفعل المتصوفة .

٥- مشروعية الأتساء بالصالحين والافتداء بهم في فعل الخيرات وترك المنكرات .

٦- عريمة السجود عند قوله ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(١) وهذه أول سجدة القرآن ويسجد

القارئ والمستمع له ، أما السامع فليس عليه سجود ، ويستقبل بها القبلة ويكبر عند السجود وعند الرفع منه ولا يسلم وكونه متوضئاً أفضل .

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

مدنية

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ولو سلم منها في غير الصلاة جاز فقد روي عن بعض السلف ، ويستحب لمن سجد أن يقول : (اللهم احطط عني بها وزراً واكتب لي بها أجراً واجعلها لي عندك ذخراً) رواه ابن ماجه . عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الأنفال

: جمع نفل ^(١) بتحريك الفاء : ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم .

ذات بينكم : أي حقيقة بينكم ، والبين الوصلة والرابطة التي تربط بعضكم ببعض من المودة والإخاء .

إنما المؤمنون : أي الكاملون في إيمانهم .
وجلت قلوبهم : أي خافت إذ الوجل : ^(٢) هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده ووعده .

وعلى ربهم يتوكلون : على الله وحده يعتمدون وله أمرهم يفوضون .
ومما رزقناهم : أي أعطيناهم .

أولئك : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة .
لهم درجات : منازل عالية في الجنة .
ورزق كريم : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة .
معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في غزوة بدر وكان النبي ﷺ قد نفل ^(٣) بعض المجاهدين لبلائهم

(١) النفل : يسكون الفاء : اليمين وفي الحديث : (فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم) وهو أيضاً الانتفاء من الشيء وفي الحديث : (فانفل من ولدها) والنفل : نبت معروف ، والنفل : الزيادة على الفرائض في الصلاة .

(٢) قيل لبعضهم : متى تعرف أنه استجيب دعائك؟ قال : إذا اقشعر جلدي ووجل قلبي ، وفاضت عيناى بالدموع ، وقالت عائشة رضي الله عنها : ما الوجل في القلب إلا كضربة السعفة ، فإذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك .

(٣) هذا ما ذهب إليه ابن جرير ورجحه محتجا عليه بشواهد اللغة والتاريخ والجمهور على أن المراد بالأنفال هنا غنائم بدر ، والكل محتمل إذ حصل النفل ، وحصلت الغنيمة ، ولما اختلفوا ردت إلى الله ورسوله ثم حكم الله تعالى فيها بقوله : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ الآية .

وتخلف آخرون فحصلت تساؤلات بين المجاهدين لم يعطي هذا ولم لا يعطي ذاك فسألوا الرسول ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ؟﴾ فأخبرهم أنها ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالله يحكم فيها بما يشاء والرسول يقسمها بينكم كما يأمره ربه وعليه فاتقوا الله تعالى بترك النزاع والشقاق، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ذات بينكم بتوثيق عرى المحبة بينكم وتصفية قلوبكم من كل ضغن أو حقد نشأ من جراء هذه الأنفال واختلافكم في قسمتها، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي. وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في إيمانهم الذين يستحقون هذا الوصف وصف المؤمنين هم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ﴾ أي اسمه أو وعده أو وعيده ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت فأقلعت عن المعصية، وأسرعت إلى الطاعة، ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي قوي إيمانهم وعظم يقينهم، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لا على غيره ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ وفيه تعالى يثقون. وإليه تعالى أمورهم يفوضون، ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة﴾ بأدائها بكامل شروطها وكافة أركانها وسائر سننها وآدابها، ﴿ومما رزقناهم﴾ أي اعطيناهم ﴿يَنْفَقُونَ﴾ من مال وعلم، وجاه وصحة بدن من كل هذا ينفقون في سبيل الله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الخمس ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ وصدقاً، ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي منازل عالية متفاوتة العلو والارتفاع في الجنة، ولهم قبل ذلك ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ كاملة لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ طيب واسع لا تنقيص فيه ولا تكدير، وذلك في الجنة دار المتقين.

(١) السؤال معناه: الطلب فإن عدي بعن: كان لطلب معرفة شيء نحو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ وإن عدي بنفسه نحو: (سأله مالا فهو: لطلب إعطاء الشيء المطلوب).

(٢) الأنفال: جمع نفل يفتح النون والفاء معاً كعَمَلٍ وهو مشتق من النافلة التي هي الزيادة في العطاء، وقد أطلق العرب لفظ النفل على الغنائم في الحرب اعتباراً منهم لها على أنها زيادة عن المقصود الأهم الذي هو إبادة العدو، ولذا كان بعض صناديدهم لا يأخذونها وهذا عترة يقول:

يخبرك من شهد الواقعة أنني أغشى الوغى وأعفت عند المغنم

(٣) اختلف في النفل هل يكون من الخمس أو هو خمس الخمس من الغنيمة؟ والصحيح أنه ما يعطيه الإمام من شاء من المقاتلين ليلائه من الخمس.

(٤) وجل: كضرب، يوجل كيضرب ويجل كيلد باسقاط فاء الكلمة والمصدر: الوجل كالغسل، وموجل كموجد.

(٥) لفظ (الكريم) يصف به العرب كل شيء حسن في بابه لا قبح فيه ولا شكوى منه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأمر بتقوى الله عز وجل وإصلاح ذات البين .
- ٢- الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .^(١)
- ٣- من المؤمنين من هو كامل الإيمان ، ومنهم من هو ناقصه .
- ٤- من صفات أهل الإيمان الكامل ما ورد في الآية الثانية من هذه السورة وما بعدها^(٢)

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ

مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ^(٣)
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطْلَ الْبَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- من بيتك : أي المدينة المنورة .
لكارهون : أي الخروج للقتال .
إحدى الطائفتين : العير «القافلة» أو النفير : نفير قريش وجيشها .

(١) سئل الحسن البصري فقيل له : يا أبا سعيد أمؤمن أنت؟ فقال : الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر فأتانا به مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ فوالله ما أدري أنا منهم أم لا ؟
(٢) وهما الآية الثالثة والرابعة .
(٣) الباء للمصاحبة أي : أخرجه إخراجاً مصاحباً للحق ليس فيه من الباطل شيء قط .

الشوكة^(١)

: السلاح في الحرب .

يظلل الباطل : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم .

ولو كره المجرمون : كفار قريش المشركون .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ كما أخرجك ربك ﴾ أيها الرسول ﴿ من بيتك ﴾ بالمدينة ﴿ بالحق ﴾ متلبساً به حيث خرجت بإذن الله ﴿ وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ لما علموا بخروج قريش لقتالهم ، وكانت العاقبة خيراً عظيماً ، هذه الحال مثل حالهم لما كرهوا نزاع الغنائم من أيديهم وتوليكت قسمتها بإذنا ، على أعدل قسمة وأصحها وأنفعها فهذا الكلام في هذه الآية (٥) تضمنت تشبيه حال حاضرة بحال ماضيه حصلت في كل واحدة كراهة بعض المؤمنين ، وكانت العاقبة في كل منهما خيراً والحمد لله ، وقوله تعالى ﴿ يجادلونك في الحق بعدما تبين ﴾ أي يجادلونك في القتال بعدما اتضح لهم أن العير نجت وأنه لم يبق إلا النفير ولا بد من قتالها . وقوله تعالى ﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ أي إلى الموت عياناً يشاهدونه أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له ولم يوطنوا أنفسهم لخوض معاركه . وقوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴾ أي اذكروا يا رسولنا لهم الوقت الذي يعدكم الله تعالى فيه إحدى الطائفتين العير والنفير ، وهذا في المدينة وعند السير أيضاً ﴿ أنها لكم ﴾ أي تظفرون بها ، ﴿ وتودون ﴾ أي تحبون أن تكون ﴿ غير ذات الشوكة ﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿ تكون لكم ﴾ ، وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلّة عددها وعددها ، والله يريد ﴿ أن يحق الحق ﴾ أي يظهره بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه ، وقوله ﴿ بكلماته ﴾ أي التي تتضمن أمره تعالى إياكم بقتال الكافرين ، وأمره الملائكة بالقتال معكم ، وقوله ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ أي بتسليطكم عليهم فتقتلوهم حتى لا

(١) وكلّ نبت له حدّ يقال له : شوكة واحدة : شوكة .

(٢) هذه الجملة حالية : والعامل فيها : أخرجك ربك .

(٣) هي قافلة أبي سفيان التجارية التي يصحبها زهاء ثلاثين رجلاً من قريش .

(٤) النفير : جيش قريش الذي استنفرت فيه قرابة ألف مقاتل .

تبقوا منهم غير من فر وهرب، وقوله ﴿ليحق الحق﴾ أي لينصره ويقرره وهو الإسلام ﴿ويبطل الباطل﴾ وهو الشرك ﴿ولو كره﴾ ذلك ﴿المجرمون﴾ أي المشركون الذين أجزموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك، وعلى غيرهم أيضاً حيث منعوهم من قبول الإسلام وصرفوهم عنه بشتى الوسائل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير قاعدة ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ وذكر نبذة عن غزوة بدر الكبرى وبيان ذلك أن النبي ﷺ بلغه أن عيراً لقريش تحمل تجارة قادمة من الشام في طريقها إلى مكة وعلى رأسها أبوسفیان بن حرب فانتدب النبي ﷺ بعض أصحابه للخروج إليها عسى الله تعالى أن يغنمهم إياها، لأن قريشاً صادرت أموال بعضهم وبعضهم ترك ماله بمكة وهاجر. فلما خرج النبي ﷺ وأثناء مسيره أخبرهم أن الله تعالى وعدهم إحدى الطائفتين، لا على التعيين جائز أن تكون العير، وجائز أن تكون النفير الذي خرج من مكة للذب عن العير ودفع الرسول وأصحابه عنها حتى لا يستولوا عليها، فلما بلغ الرسول نبأ نجاة العير^(١) وقدوم النفير استشار أصحابه فوافقوا على قتال المشركين ببدر وكره بعضهم ذلك، وقالوا: انا لم نستعد للقتال فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبين﴾ إلى قوله ﴿ولو كره المجرمون﴾.

٢- بيان ضعف الإنسان في رغبته في كل مالا كلفة فيه ولا مشقة.

٣- إنجاز الله تعالى وعده للمؤمنين إذ أغنمهم طائفة النفير وأعزهم بنصر لم يكونوا مستعدين له.

(١) لأن أباً سفيان لما بلغه بواسطة بعض الركبان أن محمداً قد خرج برجاله يطلب عيره استأجر ضمضم الغفاري فبعثه إلى أهل مكة يخبرهم بخروج الرسول ﷺ، وأمرهم أن ينفروا لإنقاذ قافلته، وأما الرسول ﷺ وأصحابه فإنهم لما بلغوا في مسيرهم وادي ذفران وخرجوا منه أتاهم نبأ خروج قريش ليمنعوا قافلته فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقام أبو بكر وقال فأحسن ثم قال عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبليغك فقال له الرسول ﷺ خيراً ودعا له بخير ثم قال: أشيروا علي أيها الناس، وهو يريد الأنصار فقال له سعد بن معاذ: كأنك تعيننا يا رسول الله قال: أجل، فقال سعد كلمة سرت النبي ﷺ وعندها قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين.

٤- ذكر نبذة عن وقعة بدر وهي من أشهر الوقائع وأفضلها وأهلها من أفضل الصحابة وخيارهم إذ كانت في حال ضعف المسلمين حيث وقعت في السنة الثانية من الهجرة وهم أقلية والعرب كلهم أعداء لهم وخصوم .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرًا بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كُفْرُكُمْ فَذُوقُوا وَآتِ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

تستغيثون^(١) : أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على

(١) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوم بدر نظر إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مَدَّ يديه فجعل يهتف بربِّه : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم اثنني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربِّه ماذا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فآخذ رداءه فألقاه على منكبيه وقال يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الآية .

أعدائكم .

مردفين	: أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين .
وما جعله الله إلا بشرى	: أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر .
إذ يغشيكم النعاس	: أي يغطيكم به والنعاس : نوم خفيف جداً .
أمنة	: أي أمناً من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم .
منه	: أي من الله تعالى .
رجز الشيطان	: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم .
وليربط على قلوبكم	: أي يشد عليها بالصبر واليقين .
ويثبت به الأقدام	: أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال .
الرعب	: الخوف والفرع .
فاضربوا كل بنان	: أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب والمشي .
شاقوا الله ورسوله	: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله .
ذلكم فذوقوه	: أي العذاب فذوقوه .
عذاب النار	: أي في الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة بدر، وبيان من الله تعالى على رسوله والمؤمنين إذ يقول تعالى لرسوله ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي اذكروا يا رسولنا حالكم لما كنتم خائفين لقلتكم وكثرة عدوكم فاستغيثتم ربكم قائلين : اللهم نصرك، اللهم أنجز لي ما وعدتني ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي متتالين يتبع بعضهم بعضاً ﴿وما جعله الله إلا بشرى﴾ أي لم يجعل ذلك الإمداد إلا مجرد بشرى لكم بالنصر على عدوكم ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ أي تسكن ويذهب منها القلق والاضطراب، أما النصر فمن عند الله، ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ عزيز غالب لا يحال بينه وبين ما يريده، حكيم بنصر من هو أهل للنصر، هذه نعمة، وثانية : اذكروا ﴿إذ يغشيكم﴾ ربكم

(١) ﴿النَّعَاسُ أَمْنَةٌ مِنْهُ﴾ أي أماناً منه تعالى لكم فإن العبد إذا خامره النعاس هداً وسكن وذهب الخوف عنه، وثبت في ميدان المعركة لا يفر ولا يهرب ولا يهرب، ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وهذه نعمة أخرى، فقد كانت الأرض رملية تسوح فيها أقدامهم لا يستطيعون عليها كراً ولا فرأً، وقل مأوهم فصاروا ظماء عطاشاً، محدثين، لا يجدون ما يشربون ولا ما يتطهرون به من احداثهم ووسوس الشيطان لبعضهم بمثل قوله: تقاتلون محدثين كيف تنصرون، تقاتلون وأنتم عطاش وعدوكم ريان إلى أمثال هذه الوسوسة، فأنزل الله تعالى على معسكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها، هذا معنى قوله تعالى ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي وسواسه ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي يشد عليها بما أفرغ عليها من الصبر وما جعل فيها من اليقين لها ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ونعمة أخرى واذكر ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بتأييدي ونصري ﴿فُتِّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي قولوا لهم من الكلام تشجيعاً لهم ما يجعلهم يثبتون في المعركة ﴿سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ﴾ أي الخوف أيها المؤمنون ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي اضربوا المذابح ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي اطراف اليدين والرجلين حتى لا يستطيعوا ضرباً بالسيف، ولا فراراً بالأرجل وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي عادوهما وحاربوهما ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ينتقم منه ويبطش به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ فُذُوقُهُ﴾ أي ذلكم العذاب القتل والهزيمة فذوقوه في الدنيا وأما الآخرة فلكنم فيها عذاب النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- (١) أمنة: مصدر أمن أمنة وأمناً وأماناً وهو منصوب على الحال، أو المصدرية.
- (٢) هذا عائد على الماء الذي شُدَّ دَهِسُ أرض الوادي، ويصح أن يكون عائداً إلى ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.
- (٣) هذا الأمر ارشادي للملائكة وللمؤمنين معاً.
- (٤) واحد البنان: بنانة، والمراد بها هنا الأصابع الممسكة بالسيف والرمح حتى تعجز عن قتال المسلمين وضربهم.
- (٥) ذلك: مبتدأ والخبر محذوف تقدير الكلام: الأمر ذلك، والجملة تعليلية لأن الباء في قوله: ﴿بأنهم﴾ سببية.

- ١- مشروعية الاستغاثة بالله تعالى وهي عبادة فلا يصح أن يستغاث بغير الله تعالى .
- ٢- تقرير عقيدة أن الملائكة عباد لله يسخرهم في فعل ما يشاء ، وقد سخرهم للقتال مع المؤمنين فقاتلوا ، ونصروا وثبتوا وذلك بأمر الله تعالى لهم بذلك .
- ٣- تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في غزوة بدر وهي كثيرة .
- ٤- مشاققة الله ورسوله كفر يستوجب صاحبها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
- ٥- تعليم الله تعالى عباده كيف يقاتلون ويضربون أعداءهم ، وهذا شرف كبير للمؤمنين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ أَلَا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

زحفاً^(٢)

: أي زاحفين لكثرتهم ولبطيء سيرهم كأنهم يزحفون على

(١) أصل المشاققة: العداوة بعصيان وعناد، مشتقة من الشق بكسر السين الذي هو الجانب، فالمشاق يقف عن مشاققه موقف العداء والعصيان، والتمرد في جانب لا يلتقي معه .

(٢) الزحف: الدنو قليلا قليلا، وأصله، الاندفاع على الإلية، ثم سمي كل ماشٍ إلى حرب آخر زاحفاً، وازدحف القوم: إذا مشى بعضهم إلى بعض والزحاف: من علل الشعر وهو: أن يسقط من الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر.

الأرض.

فلا تولوهم الأدبار : أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولونهم أديباركم .
 متحرفاً لقتال : أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب العدو وقتاله .
 أو متحيزاً إلى فئة : أي يريد الانحياز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل .
 فقد باء بغضب : أي رجع من المعركة مصحوباً بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه .

وليلي : أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا .

فتكم : مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة بدر وما فيها من جلائل النعم وخفى الحكم ففي^(١) أولى هذه الآيات ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾ أي وأنتم وإياهم زاحفون إلى بعضكم البعض ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي لا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أديباركم فتمكنوهم من قتلكم، إنكم أحق بالنصر منهم، وأولى بالظفر والغلب إنكم مؤمنون وهم كافرون فلا يصح منكم انهزام أبداً ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ اللهم ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليكون ذلك أمكن له في القتال ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ أي منحازاً إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها ليقومها أو يقوى بها، من ولى الكافرين دبره في غير هاتين الحالتين ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي رجع من جهاده مصحوباً بغضب من الله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾^(٣)

(١) هذه الجملة اعتراضية بين قوله تعالى : ﴿إذ يوحى ربك﴾ وبين قوله : ﴿فلم تقاتلوهم﴾ ومن فوائدها تدريب المؤمنين على الشجاعة، والإقدام والثبات عند اللقاء، وهي خطة محمودة عند العرب فزادها الإسلام تقوية، قال شاعرهم وهو الحصين بن الحمام :

تأخرت أستقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أقدم

(٢) ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ فيه استبشاح الهزيمة بذكر لفظ الدبر، وهو كذلك .

(٣) الحمد لله أنه لم يقل خالداً فيها بل قال : ﴿ومأواه جهنم﴾ ولذا ورد أنه ﷺ قال : (من قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد قرء من الزحف) .

وذلك بعد موته وانتقاله إلى الآخرة، وقوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين الذين حرم عليهم التولي ساعة الزحف وتوعدهم بالغضب وعذاب النار يوم القيامة أنهم لم يقتلوا المشركين على الحقيقة وإنما الذي قتلهم هو الله فهو الذي أمرهم وأقدرهم وأعانهم، ولولا ما قتل أحد ولا مات فليعرفوا هذا حتى لا يخطر ببالهم أنهم هم المقاتلون وحدهم. وحتى رمي رسوله المشركين بتلك التي وصلت إلى جل أعين المشركين في المعركة فأذهلتهم وحيرتهم بل وعوقتهم عن القتال وسببت هزيمتهم كان الله تعالى هو الرامي الذي أوصل التراب إلى أعين المشركين، إذ لو ترك الرسول ﷺ لقوته لما وصلت حثية التراب إلى أعين الصف الأول من المقاتلين المشركين، ولذا قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) وقوله تعالى ﴿وَلِيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ أي فعل تعالى ذلك القتل بالمشركين والرمي بإيصال التراب إلى أعينهم ليزل الكافرين ويكسر شوكتهم ﴿وَلِيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ولينعم عليهم الأنعام الحسن بنصرهم وتأيدهم في الدنيا وإدخالهم الجنة في الآخرة. وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بمقتضى هاتين الصفتين كان الإبلاء الحسن، فقد سمع تعالى أقوال المؤمنين واستغاثتهم به، وعلم ضعفهم وحاجتهم فأيدهم ونصرهم فكان ذلك منه إبلاء حسناً، وقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ أي ذلكم القتل والرمي والإبلاء كله حق واقع بقدرة الله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ﴾ أي مضعف ﴿كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ فكلما كادوا كيداً بأوليائهم وأهل طاعته أضعفه وأبطل مفعوله، وله الحمد والمنة. وقوله تعالى ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ هذا خطاب للمشركين حيث قال أبو جهل وغيره من رؤساء المشركين^(٢) «اللهم أينما كان أفجر لك واقطع للرحم فأحنه اليوم، اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة» أي أهلكه الغداة يوم بدر فأنزل الله تعالى ﴿إِنْ

(١) حصل الرمي من الرسول ﷺ عدة مرات منها يوم حنين ومنها يوم أحد ومنها يوم خيبر إذ رمى سهماً في حصن فسقط السهم على ابن أبي الحقيق فقتله وهو نائم في فراشه، ومنها يوم بدر، وهو المراد هنا إذ السورة مدنية ولم يسبق هذا الرمي إلا الذي رمى به الواقفين على بابه في مكة يريدون انفاذ القتل الذي حكمت به قريش عليه ﷺ فقد روي أنه رماهم بحثية من تراب، فاشتغلوا بمسح أعينهم من التراب حتى نجا منهم ﷺ.

(٢) ﴿وَلِيَبْلِيَ﴾ الجملة متعلقة بمحذوف تقديره: فعل ذلك أي النصر، والهزيمة للكفار ليبلِيَ المؤمنين... الخ.

(٣) قالوا هذا وهم يتجهزون للقتال في مكة، وقالوه في ساحة بدر قبل القتال.

تستفتحوا ﴿أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين نبينا محمد﴾ ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ وهي هزيمتهم في بدر ﴿وإن تنتهوا﴾ تكفوا عن الحرب والقتال وتناقداوا لحكم الله تعالى فتسلموا ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ للحرب والكفر ﴿نعد﴾ فنسلط عليكم رسولنا والمؤمنين لنذيقكم على أيديهم الذل والهزيمة ﴿ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت﴾ وبلغ تعداد المقاتلين منكم عشرات الآلاف، هذا وأن الله دوماً مع المؤمنين فلن يتخلى عن تأييدهم ونصرتهم ما استقاموا على طاعة ربهم ظاهراً وباطناً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة الفرار من العدو الكافر عند اللقاء لما توعد الله تعالى عليه من الغضب والعذاب ولعد الرسول له من الموبقات السبع في حديث مسلم «والتولي يوم الزحف».

٢- تقرير مبدأ أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه خلق العبد وخلق فعله، إذ لما كان العبد مخلوقاً وقدرته مخلوقة، ومأموراً ومنهياً ولا يصدر منه فعل ولا قول إلا بإقرار الله تعالى له كان الفاعل الحقيقي هو الله، وما للعبد إلا الكسب بجوارحه وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله. عدل الله ورحمته.

٣- آية وصول حثية التراب من كف الرسول ﷺ إلى أغلب عيون المشركين في المعركة.

٤- إكرام الله تعالى وإبلاؤه لأوليائه البلاء الحسن فله الحمد وله المنة.

٥- ولاية الله للمؤمنين الصادقين هي أسباب نصرهم وكمالهم وإسعادهم.

يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ

١٧ هذا التحريم مقيد بما في آخر السورة من أن ما زاد على المثليين يجوز الفرار معه كالأحد مع أكثر من اثنين، والمائة مع أكثر من مائتين، والفين مع أكثر من أربعة آلاف. (٢) مع ما وهبه الله من حرية الإرادة والقدرة على الاختيار ومع هذا فإنه لا يريد إلا ما أراد الله ولا يقع اختياره إلا على ما كتبه الله له أو عليه وقضى به أولاً وهنا تتجلى عظمة الرب تبارك وتعالى.

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولا تولوا عنه : أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم كأنكم لا تسمعون .
 إن شر الدواب : أي شر ما يدب على الأرض الكافرون
 لأسمعهم : لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا .

معنى الآيات :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعدته ووعيده يوم لقائه فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى والعظات تتوالى في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمانكم وطاعتكم فإن أنتم أعرضتم وعصيتم فتركتهم كل ولاية لله تعالى لكم أصبحتم كغيركم من أهل الكفر والعصيان هذا معنى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين في التضام عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه ، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده الذين قالوا إنا عما يقوله محمد في صمم ، وفيما يذكر ويشير إليه في عمى ، فهم يقولون سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم في سماعهم كمن لم يسمع إذ العبرة بالسماع الانتفاع به لا مجرد سماع صوت وقوله تعالى ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يعني بهم المشركين وكانوا شر الدواب لأنهم كفروا بربهم وأشركوا به فعبدوا غيره ، وضلوا عن سبيله ففسقوا وظلموا وأجرموا الأمر الذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض فهذا تنديد بالمشركين ، وفي نفس الوقت هو تحذير للمؤمنين من

(١) لا يجب الالتفات لمن قال : هذا الخطاب هو للمنافقين كأنما قال : يامن آمنتم بأستكم ولم تؤمن قلوبكم ، إذ الآية في المؤمنين الصادقين بلا شك ولا ريب .

(٢) واليهود والمنافقين أيضاً ، إذ الكل كان هذا موقفهم مما يدعوهم إليه الرسول ﷺ .

(٣) في الآية دليل على أن المؤمن إذ أمر أو نهى فقال سمعاً وطاعة أي : سمعت وأطعت ولم يفعل ولم يترك لا وزن ولا عبرة بقوله بل لا بد من الفعل والتترك .

(٤) شر أصلها : أشر اسم تفضيل ، ولكثرة الاستعمال اكتفوا بلفظ شر لأنه أخف على اللسان بنقص حرف الهمزة .

معصية الله ورسوله والإعراض عن كتابه وهدى نبيه ﷺ وقوله تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي لجعلهم يسمعون آيات الله وما تحمله من بشارة ونذارة وهذا من باب الفرض لقوله تعالى ﴿ولو أسمعهم لتولوا عنه وهم معرضون﴾ هؤلاء طائفة من المشركين^(١) توغلوا في الشر والفساد والظلم والكبر والعناد فحرموا لذلك هداية الله تعالى فقد هلك بعضهم في بدر وبعض في أحد ولم يؤمنوا لعلم الله تعالى أنه لا خير فيهم وكيف لا وهو خالقهم وخالق طباعهم، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، وحرمة معصيتهما.
- ٢- حرمة التشبه بالمشركين والكافرين وسائر أهل الضلال وفي كل شيء من سلوكهم.
- ٣- بيان أن من الناس من هو شر من الكلاب والخنازير فضلاً عن الإبل والبقر والغنم أولئك البعض كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَنْ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوْبَكُمْ وَآيَدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

(١) في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار، والآية عامة في كل من تلك حالهم.

شرح الكلمات :

استجيبوا^(١)

: اسمعوا وأطيعوا.

لما يحييكم^(٢)

: أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد.

فتنة

: أي عذاباً تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط عدو.

مستضعفون

: أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم.

ورزقكم من الطيبات : جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشروبات وغيرها.

لعلكم تشكرون

: رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته.

معنى الآيات :

هذا هو النداء الثالث بالكرامة للمؤمنين الرب تعالى يشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وهو بمعنى النداء الأول أطيعوا الله ورسوله. وقوله ﴿لما يحييكم﴾ إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله كنواهيهما لا تخلوا أبداً مما يحيي المؤمنين أو يزيد في حياتهم أو يحفظها عليهم، ولذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما. وقوله ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تنبيه عظيم للمؤمنين إذا سنحت لهم فرصة للخير ينبغي أن يفتروا قبل الفوات لا سيما إذا كانت دعوة من الله أو رسوله، لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهي وبين المرء وقلبه فيقلب القلب ويوجهه إلى وجهة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب في الشر وقوله ﴿وأنه إليه

(١) هذا بمعنى أجبوا: الإجابة معناها: إعطاء المطلوب، وإن كان أمراً ونهياً فهو الطاعة بفعل الأمر وترك النهي، ويعبر عنهما بالسمع والطاعة، وفعل استجاب: يُعَدَى باللام يقال: استجاب له، وفعل أجب: يتعدى بنفسه، يقال: أجبته، إلا أن استجاب قد يتعدى بنفسه ولكن بقلة ومنه قول الشاعر:

وداع دعا يامن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(٢) ﴿يحييكم﴾ أصلها يحييكم بضم الياء الثانية إلا أن حركتها حذفت فسكنت تخفيفاً.

(٣) في الآية دليل على أن الكفر والجهل موت معنوي للإنسان، إذ بالإيمان والعلم تكون الحياة وبضدهما تكون الممات.

(٤) روى غير واحد عنه ﷺ قوله: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وروى مسلم عنه ﷺ قوله: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك).

تحشرون ﴿ فالذي يعلم أنه سيحشر رغم أنه إلى الله تعالى كيف يسوغ له عقله أن يسمع ندائه يأمره فيه أو ينهاه فيعرض عنه ، وقوله ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن ^(١) الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ تحذير آخر عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله ورسوله ، ويتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينتشر الشر ويعم الفساد ، وينزل البلاء فيعم الصالح والطالح ، والبار والفاجر ، ^(٢) والظالم والعاقل ، وقوله ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ . وهو تأكيد للتحذير بكونه تعالى إذا عاقب بالذنوب والمعصية فعقابه قاس شديد لا يطاق فليحذر المؤمنون ذلك بلزوم طاعة الله ورسوله . وقوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ هذه موعظة ربانية لأولئك المؤمنين الذين عاشوا الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى يذكرهم ربهم بما كانوا عليه من قلة وضعف يخافون أن يتخطفهم الناس لقلتهم وضعفهم ، فأواهم عز وجل إلى مدينة نبيه المنورة ونصرهم بجنده فعزوا بعد ذلة واستغنوا بعد عيلة وفاقة ، ورزقهم من الطيبات من مطعم ومشرب وملبس ومركب ، ورزقهم من الطيبات إكراماً لهم ، ليعدهم بذلك للشكر إذ يشكر النعمة من عاشها ولا بسها ، والشكر حمد المنعم والثناء عليه وطاعته ومحبته وصرف النعمة في سبيل مرضاته ، والله يعلم أنهم قد شكروا فرضي الله عنهم وأرضاهم والحقنا بهم صابرين شاكرين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

(١) قال ابن عباس في هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقرأوا المنكرين أظهرهم فيعذبهم العذاب ، وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثرت الخبث .

(٢) اعراب هذه الجملة مشكل نكتفي بعرض صورتين : الأولى أنها كقوله : ﴿ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ﴾ أي : إن تدخلوا لا يحطمنكم فيكون معنى الآية : إن تتقوا . . . لا تصيبن فتدخلت نون التوكيد لما في التركيب من معنى الجزاء ، والثانية : تكون على حذف القول أي : اتقوا فتنة مقول فيها : لا تصيبن الذين ظلموا . . . كقول الشاعر :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي مقول فيه : هل رأيت . . . الخ فقوله فتنة موصوف بجملة مقول فيها : لا تصيبن .

(٣) روى أحمد عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا ظهرت المعاصي في أمي عمهم الله بعذاب من عنده قالت : قلت : يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى . قالت : كيف يصنع أولئك؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان) .

١- وجب الاستجابة لنداء الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي لما في ذلك من حياة الفرد المسلم .

٢- تعيين اغتنام فرصة الخير قبل فواتها فمتى سنحت للمؤمن تعيين عليه اغتنامها .

٣- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء للفتن العامة التي يهلك فيها العادل والظالم .

٤- وجوب ذكر النعم لشكرها بطاعة الله ورسوله ﷺ .

٥- وجوب شكر النعم بحمد الله تعالى والثناء عليه والاعتراف بالنعمة له والتصرف فيها حسب مرضاته .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا

اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

لا تخونوا الله والرسول : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتها في الباطن .

وتخونوا أماناتكم : أي ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن عليها بعضكم بعضاً .

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله .

إن تتقوا الله : أي بامتنال أمره واجتناب نهيه في المعتقد والقول والعمل .

(١) روى البخاري عن أبي سعيد بن المولى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله عز وجل ﴿استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ؟ وذكر الحديث . قال العلماء : في هذا دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إذا أتى به في الصلاة لا تبطل .

يجعل لكم فرقاناً : نوراً في بصائرکم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفساد.

ويكفر عنكم سيئاتكم : أي يمحو عنكم ماسلف من ذنوبكم التي بينكم وبينه .
ويغفر لكم ذنوبكم : أي يغطيها فيسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها.

معنى الآيات :

هذا نداء رباني آخر يوجه إلى المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يامن آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً. ﴿لا تخونوا الله والرسول﴾ بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله، ويستسر المعصية، ولا تخونوا أماناتكم التي يأتين بعضكم بعضاً عليها ﴿وأنتم تعلمون﴾ عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع، هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾^(١) وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴿وقوله تعالى﴾^(٢) ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فيه إشارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً وهو المال والأولاد فأخبرهم تعالى أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة، وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشيء بالنسبة إلى ما عند الله تعالى إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع عباد الله وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾ هذا حض على التقوى وترغيب فيها بذكر أعظم النتائج لها وهي أولاً إعطاء الفرقان وهو النصر والفصل بين كل مشبه، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع، والصحيح والفساد، وثانياً تكفير السيئات، وثالثاً مغفرة الذنوب ورابعاً الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها إذ قال تعالى

(١) لفظ الآية عام في كل ذنب صغير وكبير، وما روي أنها نزلت في أبي لبابة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقة أي إنه الذبح، لا ينافيه.
(٢) وهذه الآية عامة أيضاً وإن قيل إنها نزلت في أبي لبابة إذ كان له مال وولد في بني قريظة فلا ينهم لأجل ذلك.
(٣) قال بعضهم واصفاً للتقوى المورثة للفرقان فقال: هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن القلب بالنية الخالصة، والجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر.

في ختام الآية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إشارة الى ما يعطيه الله تعالى أهل التقوى في الآخرة وهو الجنة ورضوانه على أهلها، ولنعم الأجر الذي من أجله يعمل العاملون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تحريم الخيانة مطلقاً وأسوأها ما كان خيانة لله ورسوله .
- ٢- في المال والأولاد فتنة قد تحمل على خيانة الله ورسوله، فيلحذرها المؤمن .
- ٣- من ثمرات التقوى تكفير السيئات وغفران الذنوب، والفرقان وهو نور في القلب يفرق به المتقى بين الأمور المتشابهات والتي خفي فيها وجه الحق والخير .

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ آلِهِمْ عَايِنُنَا
قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--------------------|--|
| وإذ يمكر بك | : أي يبيتون لك ما يضرك . |
| ليثبتوك | : أي ليحبسوك مثبتاً بوثاق حتى لا تفر من الحبس . |
| أو يخرجوك | : أي ينفوك بعيداً عن ديارهم . |
| ويمكرون ويمكر الله | : أي يدبرون لك السوء ويبتون لك المكروه، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم أيضاً ويبت لهم ما يسوءهم . |
| آياتنا | : آيات القرآن الكريم . |
| أساطير الأولين | : الأساطير جمع أسطورة ما يدون ويسطر من أخبار الأولين . |

معنى الآيات :

يذكر تعالى رسوله والمؤمنين بنعمة من نعمه تعالى عليهم فيقول لرسوله واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا ﴿ليشتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ إذا اجتمعت قريش في دار الندوة وأتمرت في شأن النبي ﷺ وفكرت ومكرت فأصدروا حكماً بقتله ﷺ^(١) وبعثوا من ينفذ جريمة القتل فطوقوا منزله فخرج النبي ﷺ^(٢) بعد أن رماهم بحثية من تراب قائلاً شأهت الوجوه، فلم يره أحد ونفذ وهاجر إلى المدينة وهذا معنى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فكان في نجاته ﷺ من يد قريش نعمة عظمت على رسول الله ﷺ وعلى سائر المؤمنين والحمد لله رب العالمين.

وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ هذا الخبر تنديد بموقف المشركين ذكر بعد ذكر مؤامراتهم الدنية ومكرهم الخبيث حيث قرروا قتله ﷺ يخبر تعالى أنهم إذا قرأ عليهم الرسول آيات الله المبينة للحق والمقررة للإيمان به ورسالته بذكر قصص الأولين قالوا ﴿سمعنا﴾ ما تقرأ علينا، ﴿ولو شئنا لقلنا مثل هذا﴾ أي الذي تقول ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي أخبار السابقين من الأمم سطرت وكتبت فهي تملأ عليك فتحفظها وتقرأها علينا وكان قائل هذه المقالة الكاذبة النضر بن الحارث عليه لعائن الله، إذ مات كافراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- التذكير بنعم الله تعالى على العبد ليجد العبد في نفسه داعية الشكر فيشكر.
- ٢- بيان مدى ما قاومت به قريش دعوة الإسلام حتى إنها أصدرت حكمها بقتل الرسول ﷺ.
- ٣- بيان موقف المشركين من الدعوة الإسلامية، وانهم بذلوا كل جهد في سبيل انهاءها والقضاء عليها.

(١) كان حكم القتل باقتراح إبليس إذ جاءهم وهم يتشاورون في أمر النبي ﷺ فأشار عليهم وهو في صورة شيخ نجدي فقبلوا ما أشار به عليهم من القتل فأخذوا برأيه وتركوا ما أشار به بعضهم من النفي والحبس.

(٢) بعد أن ترك علياً نائماً على فراشه مسجئ يبرد أخضر للنبي ﷺ.

(٣) من بين القائلين: النضر بن الحارث إذ كان قد خرج إلى الحيرة في تجارة فاشتري أحاديث قليلة ودمنة وكسرى، وقيصر، وأخذ يقص تلك الأخبار ويقول: هذه مثل الذي يقص محمد من أخبار الماضين. وكذب فأين ما يقصه القرآن وما يوسوس به الشيطان.

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ
أَوْ أَتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَٰؤُلَاءِ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

اللهم : أي يا الله حذفت ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره .

إن كان هذا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به .

فأمطر : أنزل علينا حجارة .

يصدون عن المسجد الحرام : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار .

مكاء وتصدية : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في التنديد ببعض أقوال المشركين وأفعالهم فهذا النضر^(١) بن الحارث
القاتل في الآيات السابقة ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يخبر تعالى عنه
أنه قال ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ أي القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ

(١) وقاله أيضاً أبو جهل وهو دال على مدى عناد المشركين في مكة ومكابرتهم وحسدتهم أيضاً .

السماء ﴿فنهلك بها، ولا نرى محمداً ينتصر دينه بيننا. ﴿أو أثنتا بعذاب اليم﴾ حتى نتخلص من وجودنا. فقال تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾^(٣) فوجودك بينهم أمان لهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ إذ كانوا إذا طافوا يقول بعضهم غفرانك ربنا غفرانك، ثم قال تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ أي أي شيء يصرف العذاب عنهم وهم يرتكبون أبشع جريمة وهي صدهم الناس عن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت الحرام، فقد كانوا يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت والصلاة في المسجد الحرام.^(٤) وقوله تعالى ﴿وما كانوا أولياءه﴾ رد على مزاعمهم بأنهم ولاية الحرم والقائمون عليه فلذا لهم أن يمنعوا من شاءوا ويأذنوا لمن شاءوا فقال تعالى رداً عليهم ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي أولياء المسجد الحرام، كما لم يكونوا أيضاً أولياء الله إنما أولياء الله والمسجد الحرام المتقون الذين يتقون الشرك والمعاصي ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ هذا لجهل بعضهم وعناد آخرين. وقوله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ إذ كان بعضهم إذا طافوا يصفقون ويصفرون كما يفعل بعض دعاة التصوف حيث يرقصون وهم يصفقون ويصفرون ويعدون هذا حضرة أولياء الله، والعياذ بالله من الجهل والضلال وقوله تعالى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أذاقهموه يوم بدر إذ أذلهم فيه وأخزاهم وقتل رؤساءهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكراهية له حتى سألوا العذاب العام ولا يرون راية الحق تظهر ودين الله ينتصر.

(١) ذكر القرطبي الحكاية التالية قال: حكى أن ابن عباس لقيه يهودي فقال له من أنت؟ قال: من قريش. فقال أنت من القوم الذين قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...﴾ الآية فهلاً عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له إن هؤلاء قوم يجهلون قال ابن عباس: وأنت يا اسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه، وانجى موسى وقومه حتى قالوا: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال لهم موسى إنكم قوم تجهلون﴾ فأتى طريق اليهودي ملجماً.

(٢) روى مسلم أنه لما قال أبو جهل. اللهم إن كان هذا هو الحق... الآية نزلت هذه الآية: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

(٣) دليله أنهم لما خرج من بينهم ﷺ عذبهم الله بالقتل في بدر وسني القحط الجذب.

(٤) أي أنهم مستحقون العذاب ولكن لكل أجل كتاب فإذا حان أوانه عذبوا.

٢- النبي ﷺ أمان أمته من العذاب فلم تُصب هذه الأمة بعذاب الاستنصال والإبادة الشاملة.

٣- فضيلة الاستغفار وأنه ينجي من عذاب الدنيا والآخرة.

٤- بيان عظم جرم من يصد عن المسجد الحرام للعبادة الشرعية فيه.

٥- بيان أولياء الله تعالى والذين يحق لهم أن يلوا المسجد الحرام وهو المتقون.

٦- كراهية الصفير والتصفيق، وبطلان الرقص في التعبد.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ^{٣٦} وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

إن الذين كفروا : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش

ثم تكون عليهم حسرة : أي شدة ندامة.

ثم يغلبون : أي يهزمون.

ليميز : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الخبِيث : هم أهل الشرك والمعاصي.

من الطيب : هم أهل التوحيد والأعمال الصالحة.

فيركمه : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم.

(١) الصفير: تفسير للمكاء في الآية وهو مأخوذ من صوت طائر يسمى المكاء قال الشاعر:
إذا غرَّدَ المكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحُمَرات

معنى الآية الكريمة :

ما زال السياق في التنديد بالمشركين وأعمالهم الخاسرة يخبر تعالى ﴿أن الذين كفروا﴾ وهم أهل مكة من زعماء قريش ﴿ينفقون أموالهم﴾^(١) في حرب رسول الله والمؤمنين للصد عن الإسلام المعبر عنه بسبيل الله يقول تعالى ﴿فسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾^(٢) أي ندامة شديدة لسوء العاقبة التي كانت لهم في بدر وأحد والخندق إذ أنفقوا على هذه الحملات الثلاث من الأموال ما الله به عليم، ثم خابوا فيها وخسروا وبالتالي غلبوا وانتهى سلطانهم الكافر وفتح الله على رسوله والمؤمنين مكة وقوله تعالى ﴿والذين كفروا﴾ أي من مات منهم على الكفر ﴿إلى جهنم يحشرون﴾ أي يجمعون، وعلة هذا الجمع أن يميز الله تعالى الخبيث من الطيب فالطيبيون وهم المؤمنون الصالحون يعبرون الصراط إلى الجنة دار النعيم، وأما الخبيث وهم فريق المشركين فيجعل بعضه إلى بعض فيركمه جميعاً كوماً واحداً فيجعله في جهنم. وقوله تعالى ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ إشارة إلى الذين أنفقوا أموالهم للصد عن سبيل الذين وماتوا على الكفر فحشروا إلى جهنم وجعل بعضهم إلى بعض ثم صيروا كوماً واحداً ثم جعلوا في نار جهنم هم الخاسرون بحق حيث خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم وكل شيء وأمسا في قعر جهنم مبلسين والعياذ بالله من الخسران المبين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كل نفقة ينفقها العبد للصد عن سبيل الله بأي وجه من الوجوه تكون عليه حسرة عظيمة يوم القيامة.
- ٢- كل كافر خبيث وكل مؤمن طيب.
- ٣- صدق وعد الله تعالى لرسوله والمؤمنين بهزيمة المشركين وغلبتهم وحسرتهم على ما أنفقوا في حرب الإسلام وضياع ذلك كله وخيبتهم فيه.

(١) لما هزمت قريش في بدر قام أبو سفيان بحملة جمع فيها الأموال لحرب رسول الله ﷺ والانتقام لمن مات من صناديد قريش فجمع المال وشنَّ حرب أحد إلا أنه خاب وخسر كما أخبر تعالى : ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .
(٢) والآية يدخل فيها المطعمون ببدر إذ كانوا اثني عشر رجلاً فكان الواحد منهم يطعم جيش قريش عشرة من الإبل يومياً طيلة ما هم في بدر، فخابوا في نفقاتهم وهلكوا.

قُلْ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ
أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- إِنْ يَنْتَهُوا : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين .
مَا قَدْ سَلَفَ : أي مضى من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين .
مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ : في إهلاك الظالمين .
لَا تَكُونَ فِتْنَةً : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله .
وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ : أي حتى لا يعبد غير الله .
مَوْلَاكُمْ : متولي أمركم بالنصر والتأييد .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان الإجراءات الواجب اتخاذها إزاء الكافرين فيقول تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبلغاً ^(١) عنا ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ أي عن الشرك والكفر والعصيان وترك حرب الإسلام وأهله ﴿يَغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يغفر الله لهم ما قد مضى ^(٢) من ذنوبهم العظام وهي الشرك والظلم، وهذا وعد صدق ممن لا يخلف الوعد سبحانه وتعالى . ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى الظلم والاضطهاد والحرب فسوف يحل بهم ما حل بالأُمم السابقة قبلهم لما ظلموا فكذبوا الرسل وآذوا المؤمنين وهو معنى قوله تعالى ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ

(١) نزلت في أبي سفيان ورجاله المشركين في مكة قبل الفتح .
(٢) في الصحيح : (الإسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها) .

الأولين ﴿١﴾ أي سنة الله والطريقة المتبعة فيهم وهي أخذهم ^(١) بعد الإنذار والإعذار. ثم في الآية الثانية من هذا السياق يأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين قتالاً يتواصل بلا انقطاع إلى غاية هي : أن لا تبقى فتنة أي شرك ولا اضطهاد لمؤمن أو مؤمنة من أجل دينه، وحتى يكون الدين كله لله فلا يعبد مع الله أحد سواه ﴿فإن انتهوا﴾ أي عن الشرك والظلم فكفوا عنهم وإن انتهوا في الظاهر ولم ينتهوا في الباطل فلا يضركم ذلك ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ وسيظهرهم لكم ويسلطكم عليهم. وقوله في ختام السياق ﴿وإن تولوا﴾ أي نكثوا العهد وعادوا إلى حربكم بعد الكف عنهم فقاتلوهم ينصركم الله عليهم واعلموا ان الله مولاكم فلا يسلمهم عليكم، بل ينصركم عليهم إنه ﴿نعم المولى﴾ لمن يتولى ﴿ونعم النصير﴾ لمن ينصر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سعة فضل الله ورحمته.
- ٢- الإسلام يجب أي يقطع ما قبله، فيغفر لمن أسلم كل ذنب قارقه من الكفر وغيره.
- ٣- بيان سنة الله في الظالمين وهي إهلاكهم وإن طالت مدة الإملاء والإنظار.
- ٤- وجوب قتال المشركين على المسلمين ما بقي في الأرض مشرك.
- ٥- نعم المولى الله جل جلاله لمن تولاه، ونعم النصير لمن نصره.

(١) أخذهم : أي بالعذاب العاجل والعقوبة الشديدة.

(٢) الاضطهاد : هو فتنة قريش للمؤمنين حيث فتنهم حتى هاجروا إلى الحبشة وفتنهم حتى هاجروا إلى المدينة ومعنى :

فتنهم : عذبهم ليردوهم إلى الشرك والكفر.

(٣) يشهد له قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل) في الصحيحين.

﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حِمْسًا
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
 كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
 يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾
 أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
 أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِلْفَتُمْ فِي الْمِيعَادِ
 وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَن
 هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
 لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا
 وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
 وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ
 يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
 فِي أَعْيُنِهِمْ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
 تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

أما غنتم من شيء : أي ما أخذتموه من مال الكافر قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو كثيراً .

فإن لله خمسة : أي خمس الخمسة أقسام ، يكون لله والرسول ومن ذكر بعدهما .

ولذي القربى : هم قرابة الرسول ﷺ من بني هاشم وبني المطلب .

وما أنزلنا على عبدنا : أي من الملائكة والآيات .

يوم الفرقان : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان ، إذ فرق الله فيه بين الحق والباطل .

التقى الجمعان : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر .

العدوة الدنيا : العدوة حافة الوادي ، وجانبه والدنيا أي القرية إلى المدينة .

بالعدوة القصوى : أي البعيد من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرى .
والركب أسفل منكم : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها . أسفل منكم مما يلي البحر .

عن بيئته : أي حجة ظاهرة .

لتنازعتم في الأمر : أي اختلفتم .

ويقللکم في أعينهم : هذا قبل الالتحام أما بعد فقد رأوهم مثليهم حتى تتم الهزيمة لهم .

معنى الآيات :

هذه الآيات لا شك أنها نزلت في بيان قسمة الغنائم بعدما حصل فيها من نزاع فافتكها الله تعالى منهم ثم قسمها عليهم فقال الأنفال لله وللرسول في أول الآية ثم قال هنا ﴿واعلموا﴾ أيها المسلمون ﴿أنما غنمتم من شيء﴾^(١) حتى الخيط والمخيطة ، ومعنى غنمتم أخذتموه من المال من أيدي الكفار المحاربين لكم غلبة وقهراً لهم فقسمته هي أن ﴿لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(٢) ، والأربعة أخماس^(٣) الباقية هي لكم أيها المجاهدون للرجال قسمة وللفراس قسمة لما له من تأثير

(١) الغنيمة : ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي وهو قتال الكافرين لغرض هدايتهم إلى الإسلام ليكملوا ويسعدوا ، قال الشاعر :

وقد طوّقت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالآباب

(٢) الإجماع على أن هذا الحكم ليس على عموم بل هو مخصص بقول الإمام : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ ، وكذا الرقاب ، فالإمام مخير فيها بين القتل والفداء والمنّ وليس هذا للغانمين ، وكذا السلب فإن من سلب مقاتلاً شيئاً كسلاحه وفروسه فهو له أيضاً .

(٣) المراد بذى القربى : قرابة رسول الله ﷺ ، وهم بنو هاشم ، وهو مذهب مالك ، وزاد الشافعي وأحمد : بني المطلب لأن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد ، ولأن الرسول ﷺ لما قسم سهم ذي القربى بين بني هاشم وبين عبدالمطلب قال إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد وشبّك بين أصابعه) رواه البخاري .

(٤) من باب الاطلاع لا غير أذكر أن بعضاً قال : الغنيمة خمسها لله والأربعة أخماس للإمام إن شاء حبسها وإن شاء قسمها على الغانمين وهو قول مخالف لما عليه جمهور الفقهاء .

في الحرب ولأن فرسه يحتاج إلى نفقة علف . والمراد من قسمة الله أنها تنفق في المصالح العامة ولو أنفقت على بيوته لكان أولى وهي الكعبة وسائر المساجد ، وما للرسول فإنه ينفقه على عائلته ، وما لذي القربى فإنه ينفق على قرابة الرسول الذين يحرم عليهم أخذ الزكاة لشرفهم وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، وما لليتامى ينفق على فقراء المسلمين ، وما لابن السبيل ينفق على المسافرين المنقطعين عن بلادهم إذا كانوا محتاجين إلى ذلك في سفرهم وقوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ أي رباً ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أي مُحَمَّد رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ وهو يوم بدر حيث التقى المسلمون بالمشركين ، والمراد بما أنزل تعالى على عبده ورسوله الملائكة والآيات منها الرمية التي رمى بها المشركين فوصلت إلى أكثرهم فسببت هزيمتهم . وقوله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي كما قدر على نصركم على قلتكم وقدر على هزيمة عدوكم على كثرتهم هو قادر على كل شيء يريدُه وقوله تعالى ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلُ مِنْكُمْ﴾ تذكير لهم بساحة المعركة التي تجلت فيها آيات الله وظهر فيها إنعامه عليهم ليتهيئوا للشكر . وقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر للقتال لاختلفتُمْ لأسباب تقتضي ذلك منها أنكم قلة وهم كثرة ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي محكوماً به في قضاء الله وقدره ، وهو نصركم وهزيمة عدوكم . وجمعكم من غير تواعد ولا اتفاق سابق . وقوله تعالى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةٍ﴾ هذا تعليل لفعل الله تعالى يجمعكم في وادي بدر للقتال وهو فعل ذلك ليحيا بالإيمان من حيى على بينة وعلم أن الله حق والإسلام حق والرسول حق والدار الآخرة حق حيث أراهم الله الآيات الدالة على ذلك ، ويهلك من هلك بالكفر على بينة إذ اتضح له أن ما عليه المشركون كفر وباطل وضلال ثم رضي به واستمر عليه . وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تقرير لما سبق وتأكيد له حيث أخبر تعالى أنه سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم فما أخبر به وقرره هو كما أخبر وقرر . وقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْكِبُكُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أي فأخبرت أصحابك ففرحوا بذلك

(١) ركب أبي سفيان ، ولفظ الركب لا يطلق إلا على الراكبين ، والركب مبتدأ ، والخبر متعلق أسفل الظرف أي : كائن أسفل منكم .

وسرّوا ووطنوا أنفسهم للقتال، وقوله: ﴿ولو أراكم كثيراً﴾ أي في منامك وأخبرت به أصحابك لفشلتم أي جبنتم عن قتالهم، ولتنازعتهم في أمر قتالهم ﴿ولكن الله سلم﴾ من ذلك فلم يريكم كثيراً إنه تعالى عليم بذات الصدور ففعل ذلك لعلمه بما يترتب عليه من خير وشر. وقوله تعالى ﴿وإذ يريكمهم﴾ أي اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم الله الكافرين عند التقائكم بهم قليلاً في أعينكم كأنهم سبعون رجلاً أو مائة مثلاً ويقللکم سبحانه وتعالى في أعينهم حتى لا يهابوكم. وهذا كان عند المواجهة وقبل الالتحام أما بعد الالتحام فقد أرى الله تعالى الكافرين أراهم المؤمنين ضعفيهم في الكثرة وبذلك انهزموا كما جاء ذلك في سورة آل عمران في قوله ﴿يرونهم مثليهم﴾ وقوله تعالى ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ تعليل لتلك التدابير الإلهية لأوليائه لنصرتهم وإعزازهم وهزيمة أعدائهم وإذلالهم وقوله تعالى ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ إخبار منه تعالى بأن الأمور كلها تصير إليه فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن خبراً كان أو غيراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان قسمة الغنائم على الوجه الذي رضيه الله تعالى .
- ٢- التذكير بالإيمان ، إذ هو الطاقة الموجهة باعتبار أن المؤمن حي بإيمانه يقدر على الفعل والترك ، والكافر ميت فلا يكلف .
- ٣- فضيلة غزوة بدر وفضل أهلها .
- ٤- بيان تدبير الله تعالى في نصر أوليائه وهزيمة أعدائه .
- ٥- بيان أن مرد الأمور نجاحاً وخيبة لله تعالى ليس لأحد فيها تأثير إلا بإذنه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَأَثْبِتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

(١) قال أبو جهل: إنهم أكلة جزور خذوهم أخذاً واربطوهم بالحبال فلما أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعين الكفار وكثروا حتى أنهم يرونهم مثليهم .

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

فئة

: طائفة مقاتلة .

فائبتوا

: لقاتلها واصمدوا .

واذكروا الله كثيراً

: مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالى ذلك .

تفلقحون

: تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة .

ولا تنازعوا

: أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبداً .

وتذهب ريحكم^(١)

: أي قوتكم بسبب الخلاف .

(١) يرى بعضهم أن الريح ريح الصبا التي قال فيها الرسول ﷺ (نصرت بالصبا، واهلكت عاد بالدبور) يريد أنهم بعدم طاعتهم يحرمون الريح التي بها نصرهم وهو معنى لا بأس به .

خرجوا من ديارهم بطراً : أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه .
وقال إني جار لكم : أي مجير لكم ومعين على عدوكم .
تراءت الفتان : أي التقتا ورأت كل منهما عدوها .
نكص على عقبه : أي رجع إلى الوراء هارباً ، لأنه جاءهم في صورة سراقه بن مالك .

إني أرى ما لا ترون : من الملائكة .
والذين في قلوبهم مرض : أي ضعف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم .
معنى الآيات :

هذا النداء الكريم موجه إلى المؤمنين وقد أذن لهم في قتال الكافرين ، وبدأ بسرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه وثنى بهذه الغزوة غزوة بدر الكبرى فلذا هم في حاجة إلى تعليم رباني وهداية إلهية يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها وفي هذه الآيات الأربع تعليم عال جداً لخوض المعارك والانتصار فيها وهذا بيانها :

١- الثبات في وجه العدو والصمود في القتال حتى لكان المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي جماعة مقاتلة ﴿فانبتوا﴾ .
٢- ذكر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاء وضراعة ووعداً ووعيداً . ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ أي تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا ، والنار والعذاب في الآخرة .

٣- طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما ومنه طاعة قائد المعركة ومديرها وهذا من أكبر عوامل النصر حسب سنة الله تعالى في الكون ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ .

٤- عدم التنازع والخلاف عند التدبير للمعركة وعند دخولها وأثناء خوضها .

٥- بيان نتائج التنازع والخلاف وأنها : الفشل الذريع ، وذهاب القوة المعبر عنها بالريح

(١) الذكر المطلوب هو : ما كان باللسان والقلب معاً ، في الآية دليل على أن ذكر الله تعالى لا يترك في حال إلا في حال التغوط ، قال محمد القرطبي : لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لركبنا إذ قال له تعالى : ﴿ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً﴾ ولرخص لرجل في الحرب لقوله تعالى : ﴿إذا لقيتم فئة فانبتوا واذكروا الله كثيراً﴾ وحكم هذا الذكر أن يكون خفياً إلا أن يكون في بداية الحملة بصوت واحد : الله أكبر فإن ذلك محمود لأنه يرعب العدو ويفت في أعضاده .

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(١).

٦- الصبر على مواصلة القتال والإعداد له وتوطين النفس وإعدادها لذلك. ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

٧- الإخلاص في القتال والخروج له لله تعالى فلا ينبغي أن يكون لأي اعتبار سوى مرضاة الله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾.

هذه عوامل النصر وشروط الجهاد في سبيل الله. تضمنتها ثلاث آيات من هذه الآيات الخمس وقوله تعالى في الآية الرابعة (٤٨) ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ يذكر تعالى المؤمنين بحادثة حدثت يوم بدر من أغرب الحوادث لتكون عبرة وموعظة للمؤمنين فيقول عز وجل واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين الذين نهيتهم أن تتشبها بهم في سيرهم وقتالهم وفي كل حياتهم، فقال لهم: أقدموا على قتال محمد والمؤمنين، ولا تهربوا ولا تخافوا إنه لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم أي مجبر لكم وناصر ومعين. وكان الشيطان في هذه الساعة في صورة رجل من أشراف قبيلته يقال له سراقة بن مالك- فلما تراءت الفئتان لبعضهما البعض وتقدموا للقتال رأى الشيطان جبريل في صفوف الملائكة، فنكص على عقبيه، وكان آخذاً بيد الحارث بن هشام يحدثه يعده ويمنيه بعد ما زين لهم خوض المعركة وشجعهم على ذلك، وولى هارباً فقال له الحارث: ما بك ما أصابك تعال فقال وهو هارب ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ يعني الملائكة ﴿إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾^(٤)

(١) المراد بالريح هنا: القوة والنصر، كما يقال: الريح لفلان إذا كان غالباً في أمره ومنه قول الشاعر:

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافته سكون

جملة: لكل خافته سكون: خبر إن واسمها: ضمير شأن.

(٢) هم أبو جهل وأصحابه الخارجون يوم بدر لنصرة العير حيث خرجوا بالقينات والمغنيات والمعازف.

(٣) هو سراقة بن مالك بن جعشم من بني بكر بن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم لأنهم قتلوا رجلاً منهم فلما تمثل لهم الشيطان في صورة سراقة سكنوا لذلك

(٤) قيل: إن الشيطان خاف أن يكون يوم بدر هو اليوم الذي انظر إليه، وقيل: كذب وهو كذوب.

وصدق وهو كذوب وقوله تعالى في نهاية الآية (٤٩) ﴿إِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءُ دِينَهُمْ﴾ أي واذكروا أيها المؤمنون للعبرة والاتعاظ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض أي ضعف في الإيمان وتخلخل في العقيدة: غر هؤلاء دينهم وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عدداً وعدة، ومثل هذا الكلام يعتبر عادياً من ضعاف الإيمان والمنافقين المستترين بزيف إيمانهم، فاذكروا هذا، ولا يفت في اعضادكم مثل هذا الكلام، وتوكلوا على الله واثقين في نصره فإنه ينصركم لأنه عزيز لا يغالب ولا يمانع في ما يريد أبدأً. حكيم يضع النصر في المتأهلين له بالإيمان والصبر والطاعة له ولرسوله، والإخلاص له في العمل والطاعة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أسباب النصر وعوامله ووجوب الأخذ بها في كل معركة وهي : الثبات وذكر الله تعالى ، وطاعة الله ورسوله وطاعة القيادة وترك النزاع والخلاف والصبر والإخلاص .
- ٢- بيان عوامل الفشل والخيبة وهي النزاع والاختلاف والبطر والرياء والاغترار .
- ٣- بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين بتزيينه لهم الحرب ووعدته وتمنيته لهم .
- ٤- بيان حال المنافقين وضعفة الإيمان عند وجود القتال ونشوب الحروب .
- ٥- وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه مهما كانت دعاوى المبطلين والمبشرين والمنهزمين .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ آلِلَّهِ لَيْسَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

(١) لقد اختلف في المراد بالمنافقين هنا، وكذا الذين في قلوبهم مرض إذ يبعد أن يكون في المشركين منافقون، كما يبعد أن يكون في أهل بدر منافقون، والذي يبدو أنه الأرجح : أن القائلين هذه المقالة هم منافقون وضعفة إيمان بالمدينة لما رأوا خروج الرسول ﷺ وأصحابه إلى بدر قالوا هذه القولة القبيحة ويكون الظرف «إذ» متعلق بشديد العقاب لابزين .

(٢) لا يتعارض هذا القول مع ما رجحناه من أن القائلين هذه المقالة هم منافقون وضعاف إيمان بالمدينة، إذ هذه الحال تنطبق عليهم .

كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ^١ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾
ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٍ ءَالَ
فِرْعَوْنَ^١ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَاهُ^٣ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

إذ يتوفى :

أي يقبض أرواحهم لإماتتهم .

وجوهم وأدبارهم :

أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم .

بظلام للعبيد :

أي ليس بذئ ظلم للعبيد كقوله ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ .

كذاب آل فرعون : أي دأب كفار قريش كذاب آل فرعون في الكفر والتكذيب والدأب العادة .

لم يك مغيراً نعمة :

تغيير النعمة تبديلها بنقمة بالسلب لها أو تعذيب أهلها .

آل فرعون :

هم كل من كان على دينه من الأقباط مشاركاً له في ظلمه وكفره .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس فيقول تعالى لرسوله ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهمهم وأدبارهم﴾^(١) وهم يقولون لهم ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾^(٢) وجواب لولا محذوف تقديره (الرأيت أمراً فظيلاً) وقوله تعالى

(١) جائز أن يكون المراد من هؤلاء قتلى بدر المشركين وجائز أن يكونوا ممن لم يقتلوا ببدر، وماتوا بمكة وغيرها .
(٢) قال الحسن البصري : المراد من أدبارهم : ظهورهم وقال : (إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله : إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك «أي : سير النعل» ؟ قال : ذلك ضرب الملائكة) .
(٣) يقال لهم عند قبض أرواحهم ، إذ بمجرد أن تقبض الروح يلقى بها في جهنم ، كما يقال لهم يوم القيامة ذلك من قبل الملائكة .

﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ هو قول الملائكة لمن يتوفونهم من الذين كفروا. أي ذلكم الضرب والتعذيب بسبب ما قدمت أيديكم من الكفر والظلم والشر والفساد وأن الله تعالى ليس بظالم لكم فإنه تعالى لا يظلم أحداً. وقوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون^(١) والذين من قبلهم﴾ أي دأب هؤلاء المشركين من كفار قريش في كفرهم وتكذيبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم﴾ وكفر هؤلاء فأخذهم الله بذنوبهم، وقوله ﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾ يشهد له فعله بآل فرعون والذين من قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وأخيراً أخذته تعالى كفار قريش في بدر أخذ العزيز المقتدر، وقوله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ إشارة إلى ما أنزله من عذاب على الأمم المكذبة الكافرة الظالمة، وإلى بيان سنته في عباده وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه أن يغير نعمة أنعمها على قوم كالآمن والرخاء، أو الطهر والصفاء حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويكذبوا، ويظلموا أو يفسقوا ويفجروا، وعندئذ يغير تلك النعم بنقم فيحل محل الأمن والرخاء الخوف والغلاء ومحل الطهر والصفاء الخبث والشر والفساد. هذا إن لم يأخذهم بالإبادة الشاملة والاستئصال التام. وقوله تعالى ﴿وأن الله سميع عليم﴾ أي لأقوال عباده وأفعالههم فلذا يتم الجزء عادلاً لا ظلم فيه. وقوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ هذه الآية تشبه الآية السابقة إلا أنها تخالفها فيما يلي: في الأولى الذنب الذي أخذ به الهالكون كان الكفر، وفي هذه: كان التكذيب، في الأولى: لم يذكر نوع العذاب، وفي الثانية انه الإغراق، في الأولى لم يسجل عليهم سوى الكفر فهو ذنبهم لا غير. وفي الثانية سجل على الكل ذنباً آخر وهو الظلم إذ قال ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ أي بكفرهم وتكذيبهم، وصددهم عن سبيل الله وفسقهم عن طاعة الله ورسوله مع زيادة التأكيد

(١) الباء في قوله: ﴿ذلك بأن الله﴾ سببية والجملة مسوقة للتعليل.

(٢) ﴿لم يك﴾ أي: لم ينج له، ولم يصح منه لبائع حكمته وعدله ورحمته.

(٣) ﴿كدأب﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دأب هؤلاء كدأب آل فرعون، والدأب: العادة المستمرة.

(٤) ﴿كذبوا﴾ الخ... تفسير دأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم.

(٥) وجائز أن يكون المراد: كدأب آل فرعون أي: في تعذيبهم عند قبض أرواحهم، وفي قبورهم ويوم القيامة.

والتقرير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عذاب القبر بتقرير العذاب عند النزاع .
- ٢- هذه الآية نظيرها آية الانعام ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم﴾ أي بالضرب .
- ٣- تنزه الخالق عز وجل عن الظلم لأحد^(١) .
- ٤- سنة الله تعالى في أخذ الظالمين وإبدال النعم بالنقم .
- ٥- لم يكن من سنة الله تعالى في الخلق تغيير ما عليه الناس من خير أو شر حتى يكونوا هم البادئين .
- ٦- التنديد بالظلم وأهله ، وأنه الذنب الذي يطلق على سائر الذنوب .

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ
قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

شر الدواب^(٢) : من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة .

(١) شاهده حديث مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم بإياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

(٢) الدواب : كل ما يدب على وجه الأرض من حيوان ، ﴿عند الله﴾ : أي : في علمه وحكمه .

فهم لا يؤمنون : لما علم الله تعالى من حالهم أخبر أنهم يموتون على الكفر.
ينقضون عهدهم : أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزموا بما فيه .

في كل مرة : أي عاهدوا فيها .

فإما تثقفنهم : أي ان تجدثهم ، وما مزيدة أدغمت في إن الشرطية .

فشرد : أي فرق وشتت .

يذكرون : أي يتعظون .

فانبذ إليهم : أي اطرح عهدهم .

على سواء^(١) : أي على حال من العلم تكون أنت وإياهم فيها سواء ، أي كل منكم

عالم بنقض المعاهدة .

الخائنين : الغادرين بعهودهم .

سبقوا : أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم .

معنى الآيات :

بمناسبة ذكر خصوم الدعوة الإسلامية والقائم عليها وهو النبي ﷺ ذكر تعالى خصوصاً لها آخرين غير المشركين من كفار قريش وهم بنو قريظة من اليهود . فأخبر تعالى عنهم أنهم شر الدواب من الإنسان والحيوان ووصفهم محدداً لهم ليعرفوا ، وأخبر أنهم لا يؤمنون لتوغلهم في الشر والفساد ، فقال : ﴿ إن شر الدواب عند الله ﴾ أي في حكمه وعلمه . ﴿ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ وخصصهم بوصف آخر خاص بهم فقال : ﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ﴾ وذلك أن النبي ﷺ عاهدهم أول مرة على أن لا يحاربوه ولا يعينوا أحداً على حربه فإذا بهم يعينون قريشاً بالسلاح ، ولما انكشف أمرهم اعتذروا معترفين بخطيئهم ، وعاهدوا مرة أخرى على أن لا يحاربوا الرسول ولا يعينوا من يحاربه فإذا بهم ينقضون عهدهم مرة أخرى ويدخلون في حرب ضده حيث انضموا إلى الأحزاب في غزوة الخندق هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿ إن شر

(١) أي : جهراً لا سراً حتى يكونوا وأنتم بالعلم بنبذ المعاهدة على حد سواء .

(٢) وبنو النضير كذلك إذ أعانوا قريشاً بالسلاح ثم لما انكشف أمرهم اعتذروا ، وأما قريظة ، فقد نقضوا عهدهم مرتين إذ انضموا إلى الأحزاب في حربهم على رسول الله ﷺ والمؤمنين .

الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة^(١) أي يعاهدون فيها. وهم لا يتقون^(٢) أي لا يخافون عاقبة نقض المعاهدات والتلاعب بها حسب أهوائهم. وقوله تعالى ﴿فَإِذَا تَفَفَّهُتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهَمٍّ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يرشد رسوله آمراً إياه بما يجب أن يتخذه إزاء هؤلاء الناكثين للعهود المنغمسين في الكفر. بحيث لا يخرجون منه بحال من الأحوال، ويشهد لهذه الحقيقة أنهم لما حوصروا في حصونهم ونزلوا منها مستسلمين كان يعرض على أحدهم الإسلام حتى لا يقتل فيؤثر باختياره القتل على الإسلام وماتوا كافرين وصدق الله إذ قال ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فهؤلاء إن ثقتهم في حرب أي وجدتهم متمكناً منهم فاضربهم بعنف وشدة وبلا هوادة حتى تشرد أي تفرق بهم من خلفهم من أعداء الإسلام المتربصين بك الدوائر من كفار قريش وغيرهم لعلهم يذكرون أي يتعظون فلا يفكروا في حربك وقتالك بعد، وقوله ﴿وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ هذا إرشاد آخر للرسول ﷺ يتعلق بالخطط الحربية الناجحة وهو أنه ﷺ إن خاف من قوم معاهدين له خيانة ظهرت أماراتها وتأكد لديك علاماتها فاطرح تلك المعاهدة ملغياً لها معلناً ذلك لتكون وإياهم على علم تام بإلغائها، وذلك حتى لا يتهموك بالغدر والخيانة، والله لا يحب الخائنين. وقاتلهم مستعيناً بالله عليهم وستكون الدائرة على الناكث الخائن، وهذا ضرب من الحزم وصحة العزم إذ ما دام قد عزم العدو على النقض فقد نقص فليبادر لا فتكأك عنصر المباغته من يده، وهو عنصر مهم في الحروب. وقوله تعالى ﴿وَلَا يُحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم من هرب من بدر من كفار قريش ﴿سَبَقُوا﴾ أي فاتوا فلم يقدر الله تعالى عليهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾ أي إنهم لا يعجزون الله بحال فإنه

(١) سبحانه الله، هذا الوصف الخسيس ما زال ملازماً لليهود إلى اليوم فلا يوفون بعهد ولا ذمة أبداً، وصدق الله العظيم إذ قال عنهم. ﴿كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

(٢) يقال: شرد البعير أو الدابة إن فارقت صاحبها، وشردَه إذا عمل على تشريده بسبب، وشردت بني فلان: إذا حملتهم على مفارقة منازلهم قال الشاعر:

أطوف في الأباطح كل يوم مخافة أن يُشرد بي حكيم

(٣) غشا ونقضاً للعهد والآية عامة، فهي مبدأ حربي يأخذ به المسلمون إلى يوم القيامة، ولا وجه لذكر الخلاف هل هي في بني قريظة أو بني النضير؟ وخوف الخيانة هنا معناه: الظن الغالب وذلك بظهور علامات خيانة العدو واضحة.

(٤) أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾ أي: في الدنيا حتى يظفرك الله بهم.

تعالى لا يفوته هارب، ولا يغلبه غالب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن شر الدواب هم الكفار من أهل الكتاب والمشركين بل هم شر البرية.
- ٢- سنة الله فيمن توغل في الظلم والشر والفساد يحرم التوبة فلا يموت إلا كافراً.
- ٣- من السياسة الحربية النافعة أن يضرب القائد عدوه بعنف وشدة ليكون نكالا لغيره من الأعداء.
- ٤- حرمة الغدر والخيانة.

٥- جواز إعلان إلغاء المعاهدة وضرب العدو فوراً إن بدرت منه بوادر واضحة بأنه عازم على نقض المعاهدة وذلك لتفويت عنصر المباغثة عليه.

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا
لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾
وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنْ
أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

(١) روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة) وروى أبو داود والترمذي أن معاوية رضي الله عنه كان بينه وبين الروم عهد، فلما قارب تاريخ العهد الانقضاء سار إليهم بجيشه فجاء عمرو بن عبسة فقال له سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء) فرجع معاوية بالناس.

شرح الكلمات :

- أعدوا : هيثوا وأحضروا .
 ما استطعتم : ما قدرتم عليه .
 من قوة : أي حربية من سلاح على اختلاف أنواعه .
 يوفّ إليكم : أي أجره وثوابه .
 وإن جنحوا للسلم : أي مالوا إلى عدم الحرب ورغبوا في ذلك .
 فإن حسبك الله : أي يكفيك شرهم ، وينصرك عليهم .
 ألف بين قلوبهم : أي جمع بين قلوب الأنصار بعدما كانت متنافرة مختلفة .
 إنه عزيز حكيم : أي غالب على أمره ، حكيم في فعله وتدبير أمور خلقه .

معنى الآيات :

بمناسبة انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها ، وعودتهم إلى مكة وكلهم تغيظ على المؤمنين وفعلاً أخذ أبوسفیان يعد العدة للانتقام . وما كانت غزوة أحد إلا نتيجة لذلك هنا أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاقة لذلك فقال تعالى ﴿واعدوا لهم^(١) ما استطعتم من قوة﴾ وقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي بقوله «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين بعد أن أمرهم بإعداد القوة على اختلافها بأن رباطهم للخيل وحبسها أمام دورهم معدة للغزو والجهاد عليها يرهب أعداء الله من الكافرين والمنافقين أي يخوفهم حتى لا يفكروا في غزو المسلمين وقتالهم ، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح ، وهو أن الأمة إذا كانت مسلحة قادرة على القتال يرهبا أعداؤها فلا يحاربونها ، وإن رأوها لاعدة لها ولا عتاد ولا قدرة على رد أعدائها أغراهم ذلك بقتالها فقاتلوها . وقوله تعالى ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي من دون كفار

(١) روى مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي) وعن عقبة أيضاً قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجزه أحدكم أن يلهو بأسهمه) وقال ﷺ : (كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنه من الحق) .

(٢) وما يدل على فضل الرمي في سبيل الله قوله ﷺ في حديث أبي داود والترمذي والنسائي : (إن الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي ومثله) .

قريش، وقوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ من الجائز أن يكونوا اليهود أو المجوس أو المنافقين، وأن يكونوا الجن أيضاً، وما دام الله عز وجل لم يُسمهم فلا يجوز أن يقال هم كذا. . بصيغة الجزم، غير أننا نعلم أن أعداء المسلمين كل أهل الأرض من أهل الشرك والكفر من الإنس والجن، وقوله تعالى ﴿وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ إخبار منه تعالى أن ما ينفقه المسلمون من نفقة قلت أو كثرت في سبيل الله التي هي الجهاد يوفيهم الله تعالى إياها كاملة ولا ينقصهم منها شيئاً فجملة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ جملة خالية ومعناها لا يظلمكم الله تعالى بنقص ثواب نفقاتكم في سبيله هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٠) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإن الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها، لأنه ﷺ رسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه فإنه تعالى يكفيه شر أعدائه لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم وأحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أرادوا خداعه بطلب السلم والمسالمة، وهذا معنى قوله تعالى في الآيتين (٦٢) و (٦٣) ﴿وَأِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ أي بالميل إلى السلم والجنوح إليها ﴿فَأِنْ حَسِبْتَ أَنَّ اللَّهَ﴾ أي كافيك إنه ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ﴾ أي في بدر ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي جمع بين تلك القلوب المتناصرة المنطوية على الإحسان والعداوات ولأقل الأسباب وأتفهها، لقد كان الأنصار يعيشون على عداوة عظيمة فيما بينهم حتى إن حرباً وقعت بينهم مائة وعشرين سنة فلما دخلوا في الإسلام اصططحوا وزالت كل آثار العداوة والبغضاء وأصبحوا جسماً واحداً من قفل سوى الله تعالى؟ اللهم لا أحد، ولذا قال تعالى لرسوله ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أي من مال

(١) ﴿جَنَحُوا﴾: مالوا، والجنوح: الميل أي: إذا مالوا إلى المسالمة التي هي الصلح فقبل إليها، اختلف هل هذه الآية منسوخة بآية: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ والصحيح، والذي به العمل أن الآية محكمة غير منسوخة، وأن المسلمين إذا كانوا في حالة ضعف يحتاجون فيها إلى تقوية بعقد هدنة أو مصالحة لدفع ضرر أو تحصيل نفع ظاهر وهم في حاجة إلى ذلك فإن لهم أن يجنحوا للسلم وإن كانوا أقوياء قادرين فلا يحل لهم إلا إنفاذ أمر الله تعالى بقتال العدو حتى يسلم أو يستسلم لحكم الإسلام.

(٢) السلم: مؤنثه ولذا عاد الضمير إليها مؤنثاً في قوله: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

(٣) وهم يضمرون في نفوسهم نية الغدر بك والمكر ليخدعوك بذلك فامض في صلحك والله حسبك.

صامت وناطق ﴿ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- وجوب إعداد القوة وهي في كل زمان بحسبه إن كانت في الماضي الرمح والسيف ورباط الخيل فهي اليوم النفاثة المقاتلة والصاروخ، والهدروجين والدبابة والغواصة والبارجة .

٢- تقرير مبدأ : السلم المسلح ، إرجع إلى شرح الآيات .

٣- لا يخلو المسلمون من أعداء ما داموا بحق مسلمين ، لأن قوى الشر من إنس وجن كلها عدو لهم .

٤- نفقة الجهاد خير نفقة وهي مضمونة التضعيف .

٥- جواز قبول السلم ^(١) في ظروف معينة ، وعدم قبوله في أخرى وذلك بحسب حال المسلمين قوة وضعفاً .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ

اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ

الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ

اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ

صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ

بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

(١) المراد بالسلم : المهادنة ، والمواذعة ، والصلح المؤقت ، وقد تقدم بيانه ، والإمام الشافعي يرى أن لا تزيد مدة المسالمة على عشر سنين قياساً على صلح الحديبية إذ كانت المدة عشر سنين لا غير .

شرح الكلمات :

حسبك الله^(١) : أي كافيك الله كل ما يهلك من شأن أعدائك وغيرهم .
ومن اتبعك من المؤمنين : أي الله حسبهم كذلك أي كافيهما ما يهمهم من أمر أعدائهم .

حرض المؤمنين على القتال : أي حثهم على القتال مرغبا لهم مرهبا .
صابرون : أي على القتال فلا يضعفون ولا ينهزمون بل يثبتون ويقاتلون .

لا يفقهون : أي لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه بعد فنونه وحذق أساليبه .

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله بعنوان النبوة التي شرفه الله بها على سائر الناس فيقول ﴿يا أيها النبي﴾ ويخبره بنعم الخبر مطمئناً إياه وأتباعه من المؤمنين بأنه كافيهما أمر أعدائهم فما عليهم إلا أن يقاتلوهم ما دام الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم عليهم ، فيقول : ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ ثم يناديهم ثانية قائلاً ﴿يا أيها النبي﴾ ليأمره بالأخذ بالأسباب الموجبة للنصر بإذن الله تعالى وهي تحريض المؤمنين على القتال وحثهم عليه وترغيبهم فيه فيقول ﴿حرض المؤمنين على القتال﴾^(٢) ويخبره أمراً له ولأتباعه المؤمنين بأنه ﴿إن يكن﴾ أي يوجد منهم في المعركة ﴿عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ ، وإن يكن منهم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين ، ويعمل لذلك فيقول ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ أي لا يفقهون أسرار القتال وهي أن يعبد الله تعالى ويرفع الظلم من الأرض ويتخذ الله من المؤمنين شهداء فينزلهم منازل الشهداء عنده ، فالكافرون لا يفقهون هذا فلذا

(١) ﴿حسبك﴾ خبر مقدم ولفظ الجلالة مبتدأ أي : الله حسبك بمعنى كافيك : ﴿ومن اتبعك﴾ يصح أن يكون في موضع نصب عطفاً على الكاف في (حسبك) ، والصواب أنها في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف والتقدير : ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله أيضاً .

(٢) يقال : حرضه على كذا : حثه وحضه وحارص على الأمر وواظب وواصب وأكب بمعنى ، والحارص : الذي أشرف على الهلاك ومنه : (حتى تكون حرضاً) أي : تذوب غمماً فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين .

(٣) إن يكن منكم عشرون صابرون . . . الخ لفظ مضمّن وعداً إلهياً مشروط بشرط الصبر ، إذ تقدير الكلام : إن يصبر منكم عشرون صابرون الخ .

هم لا يصبرون على القتال لأنهم يقاتلون لأجل حياتهم فقط فإذا خافوا عنها تركوا القتال طلباً للحياة زيادة على ذلك أنهم جهال لا يعرفون أساليب الحرب ولا وسائلها الناجعة بخلاف المؤمنين فإنهم علماء، علماء بكل شيء هذا هو المفروض، وإن ضَعُفَ الإيمان ضعف تبعاً له الفقه والعلم وحل الجهل والضعف كما هو مشاهد اليوم في المسلمين وقوله تعالى ﴿الآن خفف^(١) الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً^(٢) فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ الآن بعد علمه تعالى بضعفكم حيث لا يقوى الواحد على قتال عشرة، ولا العشرة على قتال مائة ولا المائة على قتال الألف خفف تعالى رحمة بكم ومئة عليكم، فنسخ^(٣) الحكم الأول بالثاني الذي هو قتال الواحد للإثنين، والعشرة للعشرين والمائة للمائتين، والألف للألفين، ومفاده أن المؤمن لا يجوز له أن يفر من وجه اثنين ولكن يجوز له أن يفر إذا كانوا أكثر من اثنين وهكذا سائر النسب فالعشرة يحرم عليهم أن يفر من عشرين ولكن يجوز لهم أن يفر من ثلاثين أو أربعين مثلاً. وهذا من باب رفع الحرج فقط وإلا فإنه يجوز للمؤمن أن يقاتل عشرة أو أكثر، فقد قاتل ثلاثة آلاف صحابي يوم مؤتة مائة وخمسين ألفاً من الروم والعرب المتنصرة وقوله تعالى ﴿بإذن الله﴾ أي بمعوته وتأييده إذ لا نصر بدون عون من الله تعالى وإذن، وقوله ﴿والله مع الصابرين﴾ أي بالتأييد والنصر. والصبر شرط في تأييد الله وعونه فمن لم يصبر على القتال فليس له على الله وعد في نصره وتأييده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا كافي إلا الله تعالى، ومن زعم أن هناك من يكفي سوى الله تعالى فقد أشرك.
- ٢- وجوب تحريض المؤمنين على الجهاد وحثهم عليه في كل زمان ومكان.
- ٣- حرمة هزيمة الواحد من الواحد والواحد من الاثنين، ويجوز ما فوق ذلك.

(١) لما شق على المؤمنين ثبات العشرة للمائة والعشرين للمائتين وثبات المائة للألف، خفف الله تعالى عنهم وأنزل قوله:

﴿الآن خفف الله عنكم﴾ فرخص للواحد أن يفر من أكثر من اثنين وهكذا إن شاء فإنه لا حرج.

(٢) قرء ضِعْفاً بفتح الضاد وضمها، وقيل إن الفتح في ضعف العقول والضم في ضعف الأجسام، والصحيح أنهما لغتان فصيحتان.

(٣) لا بأس أن يسمى هذا نسخاً لأنه حكم جديد غاير الأول ويسمى تخفيفاً وهو حسن أيضاً.

- ٤- وجوب تفقيه المجاهدين عقلاً وروحاً وصناعة .
- ٥- وجوب الصبر في ساحة المعارك ويحرم الهزيمة إذا كان عدد المؤمنين اثني عشر ألف مقاتل أو أكثر إذ هذا العدد لا يغلب من قلة بإذن الله تعالى .^(١)
- ٦- معية الله بالعلم والتأييد والنصر للصابرين دون الجزعين .

مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ
لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾
اللَّهُ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

- أسرى : جمع أسير وهو من أخذ في الحرب يشد عادة بإسار وهو قيد من جلد فاطلق لفظ الأسير على كل من أخذ في الحرب .^(٢)
- حتى يشخن في الأرض : أي تكون له قوة وشدة يرهب بها العدو .
- عرض الدنيا : أي المال لأنه عارض ويزول فلا يبقى .
- لولا كتاب من الله سبق : وهو كتاب المقادير بأن الله تعالى أحل لنبي هذه الأمة الغنائم .
- فيما أخذتم : أي بسبب ما أخذتم من فداء أسرى بدر .
- حلالاً طيباً : الحلال هو الطيب فكلمة طيباً تأكيد لحلية اقتضاها المقام .
- واتقوا الله : أي بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة بدر من ذلك أن أصحاب الرسول ﷺ إلا عمر وسعد

(١) روى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة) والمراد أن الغلب إن حصل لن يكون سببه قلة العدد وإنما يكون لأمر آخر كعدم الصبر أو عدم الأخذ بأسباب النصر التي يتم بها النصر حسب سنة الله .

(٢) أسير: كقتيل وجريح ، ويجمع على أسرى كقتلى وجرحى ، وعلى أسارى بضم الهمزة وفتحها ، والضم أشهر .

بن معاذ رضي الله عنهما رغبا في مفاداة الأسرى بالمال للظروف المعاشية القاسية التي كانوا يعيشونها، وكانت رغبتهم في الفداء بدون علم من الله تعالى بإحلالها أو تحريمها أما عمر فكان لا يعثر على أسير إلا قتله وأما سعد فقد قال (الاثنان في القتال أولى من استبقاء الرجال) ولما تم الفداء نزلت هذه الآية الكريمة تعاتبهم أشد العتاب فيقول تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَصْحَ مِنْهُ وَلَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَرْبٌ يَبْقِيهِمْ لِيَفَادِيهِمْ أَوْ يَمُنَ عَلَيْهِمْ مَجَانًّا﴾ (١) حتى يثخن في الأرض ﴿أَرْضُ الْعَدُوِّ قِتْلًا وَتَشْرِيدًا﴾ فإذا عرف بالبأس والشدة وهابه الأعداء جاز له الأسر أي الإبقاء على الأسرى أحياء ليمن عليهم بلا مقابل أو ليفاديهم بالمال، وقوله تعالى ﴿تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ هذا من عتابه تعالى لهم، إذ ما فادوا الأسرى إلا لأنهم يريدون حطام الدنيا وهو المال، وقوله ﴿وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فستان ما بين مرادكم ومراد ربكم لكم تريدون العرض الفاني والله يريد لكم النعيم الباقي، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالب على أمره ينصر من توكل عليه وفوض أمره إليه، حكيم في تصرفاته فلا يخذل أولياءه وينصر أعداءه فعليكم أيها المؤمنون بطلب مرضاته بترك ما تريدون لما يريد هو سبحانه وتعالى، وقوله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لولا أنه مضى علم الله تعالى بحلية الغنائم لهذه الأمة وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لكان ينالكم جزاء رضاكم بالمفاداة وأخذ الفدية عذاب عظيم.

وقوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ (٢) حلالاً طيباً ﴿إِذْنٌ مِنْهُ تَعَالَىٰ لِأَهْلِ بَدْرٍ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا

(١) هذه الآية نزلت يوم بدر عتاباً من الله تعالى لأصحاب نبيه محمد ﷺ إذ لم يثخنوا في قتل المشركين حتى وجد منهم أسرى رغبا في مفادتهم من المال.

(٢) الإثنان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه والمراد به هنا: المبالغة في قتل المشركين حتى لا يبقى منهم أسير في ساحة المعركة.

(٣) روى مسلم أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه ومن بينهم أبو بكر وعمر (ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن يؤخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكّن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكّني من فلان فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت وإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان. . . إلى أن قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَصْحَ مِنْهُ وَلَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَرْبٌ يَبْقِيهِمْ لِيَفَادِيهِمْ أَوْ يَمُنَ عَلَيْهِمْ مَجَانًّا﴾ (٤) إلى قوله: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾.

(٤) من ذلك أن الله تعالى لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون.

(٥) هذا الإذن واقع بعد تخميس الغنيمة لا على إطلاقه.

غنموا، وحتى ما فادوا به الأسرى وهي مئة منه سبحانه وتعالى، وقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر منه عز وجل لهم بتقواه بفعل أوامره وأوامر رسوله وترك نواهيهما، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إخبار منه تعالى أنه غفور لمن تاب من عباده رحيم بالمؤمنين منهم، وتجلي ذلك في رفع العذاب عنهم حيث غفر لهم وأباح لهم ما رغبوا فيه وأرادوه. وفي الحديث: «لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم».

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- إرشاد الله تعالى لقادة الأمة الإسلامية في الجهاد أن لا يفادوا الأسرى وأن لا يمنوا عليهم بإطلاقهم إلا بعد أن يخشوا في أرض العدو قتلاً وتشريداً فإذا خافهم العدو ورهبهم عندئذ يمكنهم أن يفادوا الأسرى أو يمنوا عليهم.

٢- التزهيد في الرغبة في الدنيا لحقارتها، والترغيب في الآخرة لعظم أجرها.

٣- إباحة الغنائم.

٤- وجوب تقوى الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا

اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

من الأسرى : أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء كالعباس بن

عبدالمطلب رضي الله عنه.

إن يعلم الله في قلوبكم خيراً : أي إيماناً صادقاً وإخلاصاً تاماً.

مما أخذ منكم : من مال الفداء.

وإن يريدوا خيانتك : أي الأسرى
فقد خانوا الله من قبل : أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بكفرهم في مكة .
فأمكن منهم : أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم .

والله عليم حكيم
معنى الآيتين :

هذه الآية الكريمة نزلت في العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه إذ كان يقول هذه الآية نزلت في وذلك أنه بعد أن وقع في الأسر أسلم وأظهر إسلامه وطلب من الرسول ﷺ أن يرد عليه ما أخذ منه من فدية فأبى عليه رسول الله ﷺ ذلك فأنزل الله تعالى قوله ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ أي اسلاماً حقيقياً ﴿يؤتكم خيراً﴾ أي مالاً خيراً ﴿مما أخذ منكم﴾ ويغفر لكم ﴿ذنوبكم التي كانت كفراً بالله ورسوله﴾ ثم حرباً على الله ورسوله ، ﴿والله غفور﴾ يغفر ذنوب عباده التائبين ﴿رحيم﴾ بعباده المؤمنين فلا يؤاخذهم بعد التوبة عليها بل يرحمهم برحمته في الدنيا والآخرة . وقوله تعالى ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ أي وإن يُرد هؤلاء الأسرى الذين أخذ منهم الفداء ونطقوا بالشهادتين مظهرين إسلامهم خيانتك والغدر بك بإظهار إسلامهم ثم إذا عادوا إلى ديارهم عادوا إلى كفرهم ، فلا تبال بهم ولا ترهب جانبهم فإنهم قد خانوا الله من قبل بكفرهم وشركهم ﴿فأمكن منهم﴾ المؤمنين وجعلهم في قبضتهم وتحت إمرتهم ، ولو عادوا لعاد الله تعالى فسلطكم عليهم وأمكنكم منهم وقوله تعالى ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بنيات القوم وتحركاتهم حكيم فيما يحكم به عليهم ألا فليتقوه عز وجل وليحسنوا

(١) أسره رضي الله عنه أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان رجلاً قصيراً والعباس رضي الله عنه ضخماً طويلاً فلما جاء به إلى رسول الله ﷺ قال له : (لقد أعانك عليه ملك) وقال الرسول ﷺ للعباس : (أفد نفسك فقال : لقد كنت مسلماً يا رسول الله فقال له الرسول ﷺ : (والله أعلم بإسلامك فإن تكن كما تقول فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فكان علينا فأفد نفسك وابني أخوك نوفل وعقيل) ففعل وفيه نزلت هذه الآية . ﴿يا أيها النبي قل . . .﴾ الخ .

(٢) روى مسلم أنه لما قدم على النبي ﷺ مال من البحرين قال له العباس إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً فقال له الرسول ﷺ (خذ فبسط ثوبه وأخذ ما استطاع أن يحمله ، وقال : هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو أن يغفر الله لي) .

(٣) في هذه الآية تظمين لنفس الرسول ﷺ وليبلغ مضمونه إلى الأسرى فيعلموا أنهم لا يغلبون الله ورسوله . والخيانة : نقض العهد ، وما في معنى العهد كالأمانة ونحوها .

(٤) هذا هو جواب إن الشرطية المحذوف ، وقد دلَّ عليه : ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ .

إسلامهم ويصدقوا في إيمانهم فذلك خير لهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- فضل العباس عم رسول الله ﷺ لنزول الآية في حقه وشأنه .
- ٢- فضل إضمار الخير والنيات الصالحة .
- ٣- إطلاق لفظ الخير على الإسلام والقرآن وحقاً هما الخير والخير كله .
- ٤- ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه خيراً منه .
- ٥- الله جل جلاله : لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب ألا فليتنق وليتوكل عليه .

إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا
 وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ
 يَبِينُكُمْ وَيَبِينُهُمْ مِّيثَقٌ مِّنَ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي
 الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ
 الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ
 بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
 بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات

آمنوا : صدقوا الله ورسوله وآمنوا بقاء الله وصدقوا بوعده ووعيده .
 وهاجروا : أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله ﷺ بالمدينة المنورة .
 في سبيل الله : أي من أجل أن يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام .
 آووا : أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم .

وإن استنصروكم : أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم .
 ميثاق : عهد أي معاهدة سلم وعدم اعتداء .
 إلا تفعلوه : أي إن لم توالوا المسلمين ، وتقاطعوا الكافرين تكن فتنة .
 أولوا الأرحام : أي الأقارب من ذوي النسب .
 بعضهم أولى ببعض : في التوارث أي يرث بعضهم بعضاً .
 معنى الآيات :

بمناسبة انتهاء الحديث عن أحداث غزوة بدر الكبرى ذكر تعالى حال المؤمنين في تلك الفترة من الزمن وأنهم مختلفون في الكمال، فقال وقوله الحق ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فهذا صنف : جمع أهله بين الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، والصنف الثاني في قوله تعالى ﴿والذين آووا ونصروا﴾ أي آووا الرسول ﷺ والمهاجرين في ديارهم ونصروهم . فهذان صنفان المهاجرين والأنصار وهما أكمل المؤمنين وأعلىهم درجة، وسيذكرون في آخر السياق مرة أخرى ليذكر لهم جزاؤهم عند ربهم، وقوله تعالى فيهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ أي في النصرة والموالاة والتوارث إلا أن التوارث نسخ بقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ والصنف الثالث من أصناف المؤمنين المذكور في قوله تعالى ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ أي آمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة ثم رضوا بالبقاء بين

(١) محنة الحرب وما يتبع ذلك من الغارات والبلاء والأسر، وما إلى ذلك من ويلات الحروب، والفساد الكبير : هو ظهور الشرك .

(٢) قوله : ﴿والذين آووا ونصروا﴾ معطوف على اسم إن والخبر : جملة ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ .

ظهري الكافرين فلم يهجروا ديارهم وأموالهم ولتتحقوا بدار الهجرة بالمدينة النبوية، فهؤلاء الناقصون في إيمانهم بتركهم الهجرة، يقول تعالى فيهم لرسوله والمؤمنين ﴿مالكم من ولايتهم من شيء﴾^(١) فلا توارث ولا مولاة تقتضي النصرة والمحبة حتى يهاجروا إليكم ولتتحقوا بكم، ويستثني تعالى حالة خاصة لهم وهي أنهم إذا طلبوا نصرة المؤمنين في دينهم فإن على المؤمنين أن ينصروهم وبشرط أن لا يكون الذي اعتدى عليهم وآذاهم فطلبوا النصرة لأجله أن لا يكون بينه وبين المؤمنين معاهدة سلم وترك الحرب ففي هذه الحال على المؤمنين أن يوفوا بعهدهم ولا يغدروا فينصروا أولئك القاعدين عن الهجرة هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ ذيل الكلام بهذه الجملة لإعلام المؤمنين الكاملين كالناقصين بأن الله مطلع على سلوكهم خبير بأعمالهم وأحوالهم فليراقبه في ذلك حتى لا يخرجوا عن طاعته وقوله تعالى في الآية (٧٣) ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾^(٢) يتناصرون ويتوارثون. وبناء على هذا يقول تعالى ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ أي إن لا تفعلوا ما أمرتم به من مولاة المؤمنين محبة ونصرة وولاء، ومن معادة الكافرين بغضا وخذلاناً لهم وحرباً عليهم تكن فتنة عظيمة لا يقادر قدرها وفساد كبير لا يعرف مداه، والفتنة الشرك والفساد المعاصي وقوله تعالى في الآية (٧٤) ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ هذا هو الصنف الأول أعيد ذكره ليذكر له جزاؤه عند ربه بعد تقرير إيمانهم وتأكيده فقال تعالى فيهم ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ لهم مغفرة ﴿أي لذنوبهم بسترها وعدم المؤاخذه عليها﴾ ورزق كريم ﴿ألا وهو نعيم الجنة في جوار ربهم سبحانه وتعالى والصنف الرابع من أصناف المؤمنين ذكره تعالى بقوله ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ فهذا الصنف أكمل من الصنف الثالث ودون الأول والثاني، إذ الأول والثاني فازوا بالسبق، وهؤلاء جاءوا من بعدهم ولكن لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم ألحقهم الله تعالى

(١) الولاية: بكسر الواو وفتحها لغتان، وقرئ بهما معاً وهي هنا بمعنى النسب والنصرة، وتكون الولاية بالكسرة والفتح أيضاً بمعنى الإمارة وفي الآية دليل على أن المسلم لا يلي عقد نكاح أخته الكافرة لانعدام المولاة بينهما، والكافر لا يلي عقد نكاح أخته المسلمة.

(٢) روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير قالها ثلاثاً) وقال الترمذي هو حديث غريب.

بالسابقين فقال ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ أي في الارث وبها نسخ التوارث بالهجرة والمعاقدة، واستقر الإرث بالمصاهرة والولاء، والنسب إلى يوم القيامة، وقوله تعالى ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حكمه وقضائه المدون في اللوح المحفوظ، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه الجملة تحمل الوعد والوعيد الوعد لأهل الإيمان والطاعة، والوعيد لأهل الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان تفاوت المؤمنين في كمالاتهم وعلو درجاتهم عند ربهم.
- ٢- أكمل المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والهجرة والجهاد وسبقوا لذلك وهم المهاجرون الأولون والذين جمعوا بين الإيمان والإيواء والنصرة والجهاد وهم الأنصار.
- ٣- دون ذلك من آمنوا وهاجروا وجاهدوا ولكن بعد صلح الحديبية.
- ٤- وأدنى أصناف المؤمنين من آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء على خطر عظيم.
- ٥- وجوب نصرة المؤمنين بموالاتهم ومحبتهم ووجوب معاداة الكافرين وخذلانهم وبغضهم.
- ٦- نسخ التوارث بغير المصاهرة والنسب والولاء.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مدنية

وآياتها مائة وثلاثون آية

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

(١) أولوا: واحدها ذو، والرحم مؤنثة والجمع أرحام وهي مقر الولد في البطن والمراد بأولي الأرحام هنا: العصباء كالآباء والأبناء والإخوة والأعمام وأصحاب الفروض وهم الجد والاب والام والبنت والأخت والزوجة يشهد لهذا قوله ﷺ: (الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولي رجل ذكر) أما أولوا الأرحام المختلف في إرتهم فهم: أولاد البنات وأولاد الاخوات وبنات الأخ، والعمة والخالة والعم أخو الأب لأم والجد أبو الأم والجددة أم الأم. هذا ومن أهل العلم كابن كثير وغيره من أبقى اللفظ على ظاهره فجعل المراد من أولي الأرحام: القرابة الناشئة عن الأمومة على خلاف ما قدّمناه عن القرطبي من أن المراد بأولي الأرحام العصباء دون المولودين بالرحم، وعلى رأي ابن كثير أن الآية ليست واردة في التوارث كما هو رأي مالك وإنما هي في الموالاة والنصرة.

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
 اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
 وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
 شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى
 مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- براءة^(١) : أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص
 عاهدتم : أي جعلتم بينكم وبينهم عهداً وميثاقاً .
 فسيحوا في الأرض^(٢) : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص .
 مخزي الكافرين : مذل الكافرين ومهينهم .
 وأذان من الله : إعلام منه تعالى .
 يوم الحج الأكبر : أي يوم عيد النحر .
 لم ينقصوكم شيئاً : أي من شروط المعاهدة وينود الاتفاقية .
 ولم يظاهروا عليكم أحداً : أي لم يعينوا عليكم أحداً .

(١) يقال : برئت من الشيء أبرأ براءة فأننا بريء منه إذا أزلته عن نفسي وقطعت سبب ما بيني وبينه . وبراءة هنا : مبتدأ ، وجوز
 الابتداء به وهو نكرة : الوصف . والخبر ﴿إلى الذين﴾ ويصح أن تكون براءة خبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : هذه براءة .
 (٢) أي قل لهم : سيحوا في الأرض أي : سيروا في الأرض آمنين غير خائفين ، يقال : ساح يسبح سياحة ، وسيوحاً وسيحاناً
 ومنه السبح في الماء الجاري المنبسط .

معنى الآيات :

هذه السورة القرآنية الوحيدة التي خلت من البسملة لأنها مفتتحة بآيات عذاب فتنافي معها ذكر الرحمة، وهذه السورة من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم وقد بعث رسول الله ﷺ علياً وبعض الصحابة في حج سنة تسع يقرأون هذه الآيات في الموسم، وهي تعلم المشركين أن من كان له عهد مطلق بلا حد شهر أو سنة مثلاً أو كان له عهد دون أربعة أشهر، أو كان له عهد فوق أربعة أشهر ونقضه تُعْلِمُهُمْ بأن عليهم أن يسيحوا في الأرض بأمان كامل مدة أربعة أشهر فإن أسلموا فهو خير لهم وإن خرجوا من الجزيرة فإن لهم ذلك وإن بقوا كافرين فسوف يؤخذون ويقتلون حيثما وجدوا في ديار الجزيرة التي أصبحت دار إسلام بفتح مكة ودخول أهل الطائف في الإسلام هذا معنى قوله تعالى ﴿براءة من الله ورسوله﴾ أي واصلة ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم العيد عيد الأضحى . وقوله تعالى ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي غير فائتيه ولا هاربين من قهره وسلطانه عليكم هذا أولاً، وثانياً ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ أي مذلهم وقوله تعالى ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي محمد ﷺ والأذان الإعلان والإعلام، ﴿إلى الناس﴾ وهم المشركون ﴿يوم الحج الأكبر﴾ أي يوم عيد الأضحى حيث تفرغ الحجاج للإقامة بمنى للراحة والاستجمام قبل العودة إلى ديارهم، وصورة الإعلان عن تلك البراءة هي قوله تعالى ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ أي كذلك بريء من المشركين وعليه ﴿فإن تبتم﴾ أيها المشركون إلى الله تعالى بتوحيده والإيمان برسوله وطاعته وطاعة رسوله ﴿فهو خير لكم﴾ من الإصرار على الشرك

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألت علياً رضي الله عنه : لم لم يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال : لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان . هذا أحد خمسة أوجه في عدم كتابة البسملة في براءة وهو أوجهها ، وهو ما ذكرناه في التفسير .

(٢) نسبت المعاهدة إلى المؤمنين كافة ، والمعاهد هو الرسول ﷺ لأنه المتولي لها ولسائر العقود . وكان رضاهم بها واجبا عليهم فلذا نسبت إليهم .

(٣) وقيل إنه يوم عرفة ، والصحيح ما ذكرناه في التفسير وأنه يوم النحر لحديث ابن عمر عن أبي داود إذ قال : (وقف النبي ﷺ يوم النحر في الحجة التي حج فيها فقال : أي يوم هذا؟ فقالوا : يوم النحر فقال : هذا يوم الحج الأكبر) .

(٤) اختلف في العلة في تسمية الحج بالأكبر ، وأحسن الأقوال أنه قيل فيه الأكبر : لأنه حج حضره الرسول ﷺ وحضرت فيه أمة الإسلام التي وجدت في تلك السنة فحج أكبر عدد في ذلك العام .

(٥) قالت العلماء : في الآية بيان جواز قطع المعاهدة بين المسلمين والكافرين لأحد أمرين : الأول : أن تنقضي المدة المعاهد عليها فنعلمهم بانقضائها وبالحرب عليهم . والثاني : أن نخاف غدرهم لظهور علامات تدل عليه .

والكفر والعصيان ، ﴿وإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن الإيمان والطاعة ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ بحال من الأحوال فلن تفوتوه ولن تهربوا من سلطانه فإن الله تعالى لا يغلبه غالب ، ولا يفوته هارب ثم قال تعالى لرسوله ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ أي أخبرهم به فإنه واقع بهم لا محالة إلا أن يتوبوا وقوله تعالى في الآية الرابعة (٤) ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم﴾ من شروط المعاهدة ﴿شيئاً ولم يظاهروا﴾ أي لم يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ لا رجال ولا سلاح ولا حتى بمشورة ورأي فهؤلاء لم يبرأ الله تعالى منهم ولا رسوله ، وعليه ﴿فأتوا إليهم عهدهم^(١) إلى مدتهم﴾ أي مدة أجلهم المحدد بزمان معين فوفوا لهم ولا تنقضوا لهم عهداً إلى أن ينقضوه هم بأنفسهم ، أو تنتهي مدتهم وحينئذ إما الإسلام وإما السيف إذ لم يبق مجال لبقاء الشرك في دار الإسلام وقبته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز عقد المعاهدات بين المسلمين والكافرين إذا كان ذلك لدفع ضرر محقق عن المسلمين ، أو جلب نفع للإسلام والمسلمين محققاً كذلك .
- ٢- تحريم الغدر والخيانة ، ولذا كان إلغاء المعاهدات علنياً وإمداد أصحابها بمدة ثلث سنة يفكرون في أمرهم ويطلبون الأصلح لهم .
- ٣- وجوب الوفاء بالمعاهدات ذات الآجال إلى أجلها إلا أن ينقضها المعاهدون .
- ٤- فضل التقوى وأهلها وهو اتقاء سخط الله بفعل المحبوب له تعالى وترك المكروه .

فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَأَقْلُوا الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

(١) في الآية إشارة إلى أن هناك من خاس بعهده أي : نقضه ، ومنهم من ثبت عليه .

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
 كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
 كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
 رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
 اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
 ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا
 وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
 فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- فإذا انسَلَخَ الأشهر الحرم ^(١) : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمتتم فيها المشركين .
 حيث وجدتموهم : أي في أي مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم .
 وخذوهم : أي أسرى .
 وأحصروهم : أي حاصروهم حتى يسلموا أنفسهم .
 واقعدوا لهم كل مرصد ^(٢) : أي اقعدوا لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم .
 فإن تابوا : أي آمنوا بالله ورسوله .
 فخلوا سبيلهم : أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال .
 استجارك : أي طلب جوارك أي حمايتك .
 مأمنه : أي المكان الذي يأمن فيه .
 فما استقاموا لكم : أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية .

(١) انسَلَخَ : مطاوع سلخ ، وهو مأخوذ من سلخ الجلد : إذا أزاله عن لحم الحيوان .

(٢) المرصد : مكان الرصد والرصد : المراقبة وتتبع النظر ، قال الشاعر :
 ولقد علمت وما إخالك ناسيا أن المنية للفتى بالمرصد

وإن يظهروا عليكم : أي يغلبوكم .
 لا يرقبوا فيكم : أي لا يراعوا فيكم ولا يحترموا .
 إلا ولا ذمة : أي لا قرابة ، ولا عهداً فالإلّ : القرابة والذمة : العهد .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إعلان الحرب العامة على المشركين تطهيراً لأرض الجزيرة التي هي دار الإسلام وحوزته من بقايا الشرك والمشركين ، فقال تعالى لرسوله والمؤمنين ﴿ فإذا انسלخ الأشهر الحرم ﴾ أي إذا انقضت وخرجت الأشهر الحرم التي أمنت فيها المشركين الذين لا عهد لهم أولهم عهد ولكن دون أربعة أشهر أو فوقها وبدون حد محدود ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾^(١) حيث وجدتموهم ﴿ في الحل والحرم سواء ﴾ وخذوهم ﴿ أسرى ﴾ واحصروهم ﴿ حتى يستسلموا ﴾ واقعدوا لهم كل مرصد ﴿ أي سدوا عليهم الطرق حتى يقدموا أنفسهم مسلمين أو مستسلمين وقوله تعالى ﴿ فإن تابوا ﴾ أي من الشرك وحربكم ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴿^(٢) إذ أصبحوا مسلمين مثلكم . وقوله ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ أي أن الله سيغفر لهم ويرحمهم بعد إسلامهم ، لأنه تعالى غفور رحيم ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥) أما الآية الثانية (٦) فقد أمر تعالى رسوله أن يجير من طلب جواره من المشركين حتى يسمع كلام الله منه ﷺ ويتفهم دعوة الإسلام ثم هو بالخيار إن شاء أسلم وذلك خير له وإن لم يسلم رده رسول الله ﷺ إلى مكان يأمن فيه من المسلمين أن يقتلوه .

(١) ليس المراد بالأشهر الحرم الثلاثة السرد ، والواحد الفرد التي هي القعدة والحجة والمحرم ورجب بل المراد منها ما هو مبين في التفسير ومعنى كونها حرماً أنه يحرم قتال المشركين فيها والتعرض لهم بالسوء والأذى .

(٢) لفظ المشركين عام في كل مشرك وهو مخصوص بالسنة إذ نهى رسول الله ﷺ عن قتل المرأة والصبي والراهب .

(٣) شاهده حديث الصحاح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) وقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال .

(٤) مالك والشافعي وأحمد على أن تارك الصلاة استحلالاً لها أو غير استحلال يؤخر إلى أن يبقى من الوقت الضروري قدر ما يصلي ركعة قبل خروج الوقت ويقتل ، وأبو حنيفة والظاهرية يقولون : يسجن ويضرب حتى يصلي ولا يقتل .

(٥) إمام المسلمين هو الذي يتولى أمر التأمين لمن طلب ذلك من المشركين إذ هو نائب عن سائر المسلمين ، ويجوز للمسلم ذكره كان أو أنثى أن يؤمن شخصاً ما لما له من حرمة لقرول الرسول ﷺ : (المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد واحدة على من سواهم) . وخالف بعضهم في المرأة فقالوا : لا بد من موافقة الإمام لها على تأمينها وخالف أبو حنيفة في العبد .

وهو معنى قوله تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ فلذا قبل منهم ما طلبوه من الجوار حتى يسمعوا كلام الله تعالى إذ لو علموا ما رغبوا عن التوحيد إلى الشرك. وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ هذا الاستفهام للنفي مع التعجب أي ليس لهم عهد أبداً وهم كافرون غادرون، وقوله تعالى ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ هؤلاء بعض بني بكر بن كنانة عاهدهم رسول الله ﷺ عام صلح الحديبية وهم عند الحرم فهؤلاء لهم عهد وذمة ما استقاموا على عهدهم فلم ينقضوه. فإن استقاموا استقام لهم المسلمون ولم يقتلوهم وفاء بعهدهم وتقوى لله تعالى لأنه تعالى يكره الغدر ويحب المتقين لذلك. وقوله تعالى ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾ الاستفهام للتعجب أي كيف يكون للمشركين عهد يفون به لكم وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم في معركة، ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ أي لا يراعوا الله تعالى ولا القرابة ولا الذمة بل يقتلوكم قتلاً ذريعاً، وقوله تعالى ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ إخبار من الله تعالى عن أولئك المشركين الناكثين للعهد الغادرين بأنهم يحاولون إرضاء المؤمنين بالكذب بأفواههم، وقلوبهم الكافرة تأبى ذلك الذي يقولون بألسنتهم أي فلا تعتقده ولا تقره، ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ لا يعرفون الطاعة ولا الالتزام لا بعهد ولا دين، والجملة فيها تهيج للمسلمين على قتال المشركين ومحاصرتهم وأخذهم تطهيراً لأرض الجزيرة منهم قبل وفاة الرسول ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- وجوب الوفاء بالعهد ما لم ينقضها المعاهدون.

(١) أحد، مرفوع بفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره.
(٢) الآية دليل على أن ما يسمع من صوت القارئ للقرآن هو كلام الله تعالى فيقول العبد: سمعت كلام الله حقاً وصدقاً.
(٣) ﴿كيف يكون﴾ الخ كيف: للتعجب نحو قولك: كيف يسبقني فلان؟! في الآية إضمار كلمة غدر أي كيف يكون لهم عهد مع إضمارهم الغدر بكم.

- ٢- تقرير مبدأ الحزم في القتال والضرب بشدة.
- ٣- وجوب تطهير الجزيرة من كل شرك وكفر لأنها دار الإسلام.
- ٤- إقام الصلاة شرط في صحة الإيمان فمن تركها فهو كافر غير مؤمن.
- ٥- احترام الجوار، والإقرار به، وتأمين السفراء والممثلين لدولة كافرة.
- ٦- قبول طلب كل من طلب من الكافرين الإذن له بدخول بلاد الإسلام ليتعلم الدين الإسلامي.
- ٧- القرآن كلام الله تعالى حقاً بحروفه ومعانيه لقوله ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ الذي يتلوه عليه ﷺ.
- ٨- وجوب مراقبة الله تعالى ومراعاة القرابة واحترام العهود.

أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَادَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا
أَيُّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

اشترى بآيات الله ^(٩) : أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر.

فصدوا عن سبيله : أي أعرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضاً.

(١) روي أنهم نقضوا عهدهم من أجل أكلة أطعمهم إياها أبو سفيان ومال صرفه لهم ليقفوا معه ضد الرسول ﷺ والمسلمين.

سَاء : أي قبح .
 لا يرقبون : أي لا يراعون .
 إلّا : إلّا : الله ، والقراءة والعهد وكلها صالحة هنا .
 فإن تابوا : أي من الشرك والمحرابة .
 نكثوا : أي نقضوا وغدروا .
 وطعنوا في دينكم^(١) : أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته .
 أئمة الكفر : أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المشركين ، وبيان ما يلزم اتخاذهم حيالهم فأخبر تعالى عنهم بقوله في الآية (٩) ﴿ اشترؤا بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ أي باعوا الإيمان بالكفر فصدوا أنفسهم كما صدوا غيرهم من أتباعهم عن الإسلام الذي هو منهج حياتهم وطريق سعادتهم وكمالهم . فلذا قال تعالى مُقْبِحاً سلوكهم ﴿ إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ كما أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يراعون في أي مؤمن يتمكنون منه الله عز وجل ولا قرابة بينه وبينهم ، ولا معاهدة تربطهم مع قومه ، فقال تعالى ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون ﴾ ووصفه تعالى إياهم بالاعتداء دال على أنهم لا يحترمون عهوداً ولا يتقون الله تعالى في شيء ، وذلك لظلمة نفوسهم من جراء الكفر والعصيان ، فلذا على المسلمين قتلهم حيث وجدوهم وأخذهم أسرى وحصارهم وسد الطرق عنهم حتى يلتقوا السلاح ويسلموا لله ، أو يستسلموا للمؤمنين اللهم إلا أن يتوبوا بالإيمان والدخول في الإسلام كما قال تعالى ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ وقوله تعالى

(١) الطعن في الدين هو : استنقاصه ، وأصل الطعن : الضرب في الجسم بالرمح لافساده ، واستعمل في الانتقاص للشخص والدين لإفساده . قال رسول الله ﷺ لما طعن في إمارة أسامة لصغر سنه : (إن طعنوا في إمارة فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة) في الصحيح والطاعون : المنافقون ، واستدل بهذه الآية على كفر من طعن في الدين ، ووجب قتله وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وأن الذمي إذا طعن في الدين انتقض عهده ووجب قتله هذا مذهب الجمهور ، وأبو حنيفة يرى استنابته فإن تاب وإلا قُتل .

(٢) من فرق بين ثلاثة فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة . من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول فإن الله تعالى قال : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ومن قال : أقيم الصلاة ولا أوتي الزكاة والله يقول : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ ومن قال : أشكر الله ولا أشكر لوالدي فإن الله قال : ﴿ أن أشكر لي ولوالديك ﴾ .

﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي نبين الآيات القرآنية المشتملة على الحجج والبراهين على توحيد الله تعالى وتقرير نبوة رسول الله ﷺ، وعلى الأحكام الشرعية في الحرب والسلم كما في هذا السياق وقوله ﴿لقوم يعلمون﴾ لأن الذين لا يعلمون من أهل الجهالات لا ينتفعون بها لظلمة نفوسهم وفساد عقولهم بضلال الشرك والأهواء وقوله تعالى في الآية الرابعة (١٢) ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم﴾ يريد تعالى أولئك المعاهدين من المشركين إن هم نكثوا إيمانهم التي أكدوا بها عهودهم فحلوا ما أبرموا ونقضوا ما أحكموا من عهد وميثاق وعابوا الإسلام وطعنوا فيه فهم إذاً أئمة الكفر ورؤساء الكافرين فقاتلوهم بلا هوادة، ولا تراعوا لهم أيماناً حلفوها لكم فإنهم لا أيمان لهم. قاتلوهم رجاء أن ينتهوا من الكفر والخيانة والغدر، فيوحدا ويسلموا ويصبحوا مثلكم أولياء الله لا أعداءه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ذم سلوك الكافرين وتصرفاتهم في الحياة وحسبهم أن باعوا الحق بالباطل، واشتروا الضلالة بالهدى.
- ٢- من كان الاعتداء وصفاً له لا يؤمن على شيء، ولا يوثق فيه في شيء، لفساد ملكته النفسية.
- ٣- أخوة الإسلام تثبت بثلاثة أمور التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(١).
- ٤- الطعن في الدين ردة وكفر موجب للقتل والقتال.

(١) النكت: النقض وأصله في كل ما قتل أو أبرم ثم حل، واستعملت في الإيمان والعهود، قال الشاعر:
وإن حلفت لا ينقض النأي عهداً فليس لمخضوب البنان يعين

(٢) نعم ما مات رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلا ثلاثة، ولم يبق من المنافقين إلا أربعة: روى البخاري عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية يعني: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر...﴾ إلا ثلاثة ولا يبقى من المنافقين إلا أربعة فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد تخبرون أخباراً لا ندري ما هي؟ تزعمون ألا منافق إلا أربعة، فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوثنا ويسرقون أعلقتنا - نفائس أموالنا - قال حذيفة رضي الله عنه: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده، أي: لذهاب شهوته وفساد معدته.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية حرمت دماء أهل القبلة يعني قوله تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾.

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتُخْشَوْنَهُمْ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ
غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَاجَةً ۚ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ألا

: أداة تحضيض .

نكثوا أيمانهم

: نقضوها وحلوا فلم يلتزموا بها .

هموا بإخراج الرسول : من دار الندوة إذ عزموا على واحدة من ثلاث الحبس أو النفي أو القتل .

أول مرة

: أي في بدر وفرصاء الهجير^(١) حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة .

ويخزهم

: أي يذلهم ويهينهم .

ويشف صدور

: أي يذهب الغيظ الذي كان بها على المشركين الظالمين .

ان تتركوا

: أي بدون امتحان بالتكاليف كالجهاد .

(١) حوض من ماء واسع كبير يسقون منه تقاتلت عنده خزاعة حلفاء النبي ﷺ ، وبني بكر حلفاء قريش وأعانت قريش حلفاءها بني بكر وبذلك نقضت عهدها مع رسول الله ﷺ ، وفي هذا يقول الخزاعي وافد الرسول ﷺ
إن قريشاً أخلفوك الموعداً ونقضوا ميثاقك المؤكداً
هم يبتوناً بالهجير هجداً وقتلونا ركعاً وسجدوا

وليجه

: أي دخيله وهي الرجل يدخل في القوم وهو ليس منهم ويطلعونه على أسرارهم وبواطن أمورهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المشركين وما يلزم إزاءهم من إجراءات فإنه بعد أن أعطاهم المدة المذكورة وأمنهم فيها وهي أربعة أشهر، وقد انسلخت فلم يبق إلا قتالهم وأخذهم وإنهاء عصبة المشركين وآثارها في ديار الله فقال تعالى حاضاً المؤمنين مهيجاً لهم ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ وهذه خطيئة كافية في وجوب قتالهم، وثانية همهم بإخراج الرسول من بين أظهرهم من مكة وثالثة بدؤهم إياكم بالقتال في بدر، إذ غيرهم نجت وأبوا إلا أن يقاتلوكم، إذاً فلم لا تقاتلوهم؟ أتركون قتالهم خشية منهم وخوفاً إن كان هذا ﴿فإن الله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾، لأن ما لدى الله تعالى من العذاب ليس لدى المشركين فالله أحق أن يخشى، هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٣) وهي قوله تعالى ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ وفي الآية الثانية (١٤) يقول تعالى : ﴿قاتلوهم﴾ وهو أمر صريح بالقتال، وبذكر الجزاء المترتب على قتالهم فيقول ﴿يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ وهم خزاعة تشفى صدورهم من الغيظ على بني بكر الذين قاتلوهم وأعاتتهم قريش عليهم بعد صلح الحديبية، وقوله تعالى : ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ هذه وإن لم تكن جزاء للأمر بالقتال كالأربعة التي قبلها. ولكن سنة الله تعالى أن الناس إذا رأوا انتصار أعدائهم عليهم في كل معركة يميلون إليهم ويقبلون دينهم وما هم عليه من صفات فقتال المؤمنين للكافرين وانتصارهم عليهم يتيح الفرصة لكثير من الكافرين فيسلمون وهو معنى قوله تعالى ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ تقرير للأمر بالقتال والنتائج الطيبة المترتبة عليه آخرها أن يتوب الله على من يشاء . وقوله تعالى في الآية (١٦) الأخيرة ﴿أم

(١) إذ كانوا السبب في خروجه من مكة مهاجراً كما أخرجه من المدينة لقتالهم في بدر ولفتح مكة كما هموا بإخراجه من المدينة هو وأصحابه في أحد والخندق وغير ذلك .

(٢) إذ قريش أعانت بني بكر على خزاعة التي هي حلفاء رسول الله ﷺ وذلك أن رجلاً من بني بكر أشد شعراً في هجاء الرسول ﷺ فقال له بعض رجال خزاعة لئن أعدته لأكرسن فمك فأعاده فكسر فمه، واندلعت الحرب بينهم فأعانت قريش بني بكر فجاء عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي ﷺ يطلب النصرة فخرج رسول الله ﷺ ببرجالة وكان فتح مكة .

(١) حسبتم أن تتركوا ﴿ أي بدون امتحان. وأنتم خليط منكم المؤمن الصادق ومنكم المنافق الكاذب، من جملة ما كان يوحى به المنافقون الشبيط عن القتال بحجة ان مكة فتحت وأن الإسلام عز فما هناك حاجة الى مطاردة فلول المشركين، وهم يعلمون أن تكتلات يقودها الساخطون على الإسلام حتى من رجال قريش يريدون الانقضاض على المسلمين وإهدار كل نصر تحقق لهم، وهذا المعنى ظاهر من سياق الآية ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ (٢) إذ هناك من اتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة يطلعونها على أمور المسلمين، ويسترون عليهم وهي بينهم دخلية، ويقرر هذه الجملة التي ختمت بها الآية وهي قوله تعالى ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية استعمال أسلوب التهيج والإثارة للجهاد.
- ٢- وجوب خشية الله تعالى بطاعته وترك معصيته.
- ٣- لازم الإيمان الشجاعة فمن ضعفت شجاعته ضعف إيمانه.
- ٤- من ثمرات القتال دخول الناس في دين الله تعالى.
- ٥- الجهاد عملية تصفية وتطهير لصفوف المؤمنين وقلوبهم أيضاً.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ

أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ

أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

(١) ﴿ أم حسبتم ﴾ أم : هي المنقطعة بمعنى بل إضرابا عما سبق من الكلام وانتقالا إلى آخر، والاستفهام للإنكار، والحسبان بمعنى الظن والمعنى كيف تظنون أنكم تتركون بعد فتح مكة دون جهاد لأعداء الله ورسوله، وهم ما زالوا يتآمرون ويتجمعون لقتالكم.

(٢) الوليجة : البطانة من الولوج في الشيء وهو الدخول فيه، والمراد من هذا الرجل يتخذ من أعداء الإسلام صديقاً يدخل عليه ويدخله عليه فيطلعه على أسرار المسلمين للنكاية بهم والتسلط عليهم لإضرارهم وإفسادهم وهلاكهم.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

ما كان للمشركين : أي ليس من شأنهم أو مما يتأتى لهم .
حبطت أعمالهم : أي بطلت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها .
يعمروا مساجد الله : أي بالعبادة فيها ، وصيانتها وتطهيرها .
ولم يخش إلا الله : أي لم يخف أحداً غير الله تعالى .
فعسى : عسى من الله تعالى كما هي هنا تفيد التحقيق أي هدايتهم
محقة .

المهتدين : أي إلى سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان .

معنى الآيتين :

لا شك أن هناك من المشركين من ادعى أنه يعمر المسجد الحرام بالسدانة والحجاجة
والسقاية وسواء كان المدعى هذا العباس يوم بدر أو كان غيره فإن الله تعالى أبطل هذا
الادعاء وقال ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله ﴾ (١) أي لا ينبغي لهم ذلك ولا يصح
منهم ، وكيف وهم كفار شاهدون على أنفسهم بالكفر ، وهل الكافر بالله يعمر بيته وبماذا
يعمره ؟ وإذا سألت اليهودي ما أنت ؟ يقول يهودي ، وإذا سألت النصراني ، ما أنت ؟
يقول نصراني ، وإذا سألت الوثني ما أنت ؟ يقول مشرك فهذه شهادتهم على أنفسهم (٢)
بالكفر ، وقوله تعالى ﴿ أولئك ﴾ أي البعداء في الكفر والضلال ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ أي

(١) قيل : إن العباس لما أسر في بدر عُبر بالكفر وقطعة الرحم قال لمن عبّره ، تذكرن مساوئنا ولا تذكرن محاسننا ! فقال
علي : ألكم محاسن ؟ قال : نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية رداً
عليه . فوجب على المسلمين تولي أحكام المساجد .

(٢) قيل الأصل : وهم شاهدون فحذف ﴿ وهم ﴾ فنصب ﴿ شاهدين ﴾ على الحال .

(٣) قال ابن عباس : شهادتهم بالكفر هي : سجودهم للأصنام مع إقرارهم بأنها مخلوقة والله خالقها .

بطلت وضاعت لفقدائها الإخلاص فيها لله تعالى ﴿وفي النار هم خالدون﴾ لا يخرجون منها متى دخولها أبداً، إذ ليس لهم من العمل ما يشفع لهم بالخروج منها. ثم قرر تعالى الحقيقة وهي أن الذين يعمرّون مساجد الله حقاً وصدقاً هم المؤمنون الموحدون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويخشون الله تعالى ولا يخشون سواه هؤلاء هم الجديرون بعمارة المساجد بالصلاة والذكر والتعلم للعلم الشرعي فيها زيادة على بنائها وتطهيرها وصيانتها هؤلاء جديرون بالهداية لكل كمال وخير يشهد لهذا قوله تعالى ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ إلى ما هو الحق والصواب، وإلى سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- حرمة دخول الكافر المساجد إلا لحاجة وبإذن من المسلمين.
- ٢- فضيلة عمارة المساجد بالعبادة فيها وتطهيرها وصيانتها.
- ٣- فضيلة المسلم وشرفه، إذ كل من يسأل عن دينه يجيب بجواب هو الكفر إلا المسلم فإنه يقول: مسلم أي لله تعالى فهو إذاً المؤمن وغيره الكافر.
- ٤- وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشية من الله تعالى.
- ٥- أهل الأمن والنجاة من النار هم أصحاب الصفات الأربع المذكورة في الآية.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ

الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

- (١) وردت أحاديث في فضل عمارة المساجد منها القوي ومنها الضعيف مجموعها يدل على المراد منها وهو حسن الظن بمن يعمر مساجد الله وأظهر حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان.
- (٢) قالت العلماء: «عسى من الله واجبة أي: ما يرجى بها واجب الوقوع، وقيل: هي هنا بمعنى: خلق أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين.
- (٣) تساءل البعض وقالوا: قوله تعالى: ﴿ولم يخش إلا الله﴾ دال على أن المؤمن الكامل الإيمان لا يخشى إلا الله وإذا بالواقع أن الأنبياء يخشون الأعداء فضلاً عن غيرهم فقال بعضهم معناه: أنهم لا يخشون إلا الله مما يعبد، وقال بعضهم: أي لم يخف إلا الله في باب الدين. والجواب الصحيح أن الإنسان نبيا كان أو غيره من المؤمنين العاملين لا يخشون إلا الله تعالى فإذا خافوا عدواً، ليس معناه أنهم يخافوه لذاته وإنما خافوا من الله أن يكون سلطة عليهم فخوفهم عائد في الحقيقة إلى الله تعالى فهو الذي بيده الأمر، والخوف منه لا من غيره.

وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سقاية الحاج : مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقى منه
الحجاج مجاناً .

وعماره المسجد الحرام : هنا عبارة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه .
لا يستوون عند الله : إذ عماره المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوى
شيئاً .

والله لا يهدي القوم الظالمين : أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم .
ورضوان : أي رضا الله عز وجل عنهم .
نعيم مقيم : أي دائم لا يزول ولا ينقطع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الرد على من رأى تفضيل عماره المسجد الحرام بالسقاية والحجاجة^(١)

(١) روي عن السدي أنه قال : افتخر العباس بالسقاية وشيعة بالعمارة وعلي بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما أي
بهذه الآية : ﴿أجعلتم سقاية الحاج . . .﴾ الخ فأخبر أن العمارة لا تكون بالكفر وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة .

وقيل أيضاً : إن المشركين سألوا اليهود وقالوا : نحن سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه؟
فقال لهم اليهود مكرراً وعناداً : أنتم أفضل وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل :
ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام
وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن إذا
صليت الجمعة دخلت واستفتيته عما اختلفتم فيه . فانزل الله عز وجل : ﴿أجعلتم . . .﴾ الآية . وحل الإشكال في هذه
الأخبار : أن الآية تذكر دليلاً لا أنها نزلت في ذلك الوقت .

والسدانة على الإيمان والهجرة والجهاد فقال تعالى موبخاً لهم ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ^(١) الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ﴾ في حكم الله وقضائه بحال من الأحوال، والمشركون ظالمون كيف يكون لعمارتهن للمسجد الحرام وزن أو قيمة تذكر ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بعد هذا التوبيخ والبيان للحال أخبر تعالى أن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ هم ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةٍ﴾ ممن آمنوا ولم يستكملوا هذه الصفات الأربع، وأخبر تعالى أنهم هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة، وأعظم من هذا ما جاء في قوله ﴿يُشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ وهي الجنة ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ منه تعالى وهو أكبر نعيم ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي بساتين في الملكوت الأعلى ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ لا يحول ولا يزول وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لا يقادر قدره جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرةهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة، وأقربهم من الله منزلة من جمع الصفات الثلاث المذكورة في الآية (٢٠) وهي الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفوس.
- ٢- فضل الهجرة والجهاد.
- ٣- تفاوت أهل الجنة في علو درجاتهم.
- ٤- حرمان الظالمين المتوغلين في الظلم من هداية الله تعالى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ

(١) أي: أجعلتم أهل سقاية الحاج، أو أصحاب سقاية الحاج، إذ حذف المضاف وهو: أهل أو أصحاب وبقي المضاف إليه وهو: سقاية فنصب انتصابه.

(٢) الحاج: اسم جنس ناب مناب الحجاج جمع حاج.

(٣) وقرئ: سقاة بضم السين جمع ساق وعمرة: جمع عامر ككتبة جمع كاتب.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- أولياء : جمع وليّ وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك .
استحبوا : أي أحبوا الكفر على الإيمان .
الظالمون : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومن أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً في غير موضعه فهو ظالم .
وعشيرتكم : أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأبعد وأبنائهم .
اقترفتموها : أي اكتسبتموها .
كسادهـا : بوارها وعدم رواجها .
فتربصوا : أي انتظروا .
حتى يأتي الله بأمره : أي بعقوبة هذه المعصية وهو فتح مكة .
معنى الآيتين :

هذا إنذار الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ من كفر من آبائهم وإخوانهم أولياء لهم يوادونهم ويناصرونهم ويطلعونهم على أسرار المسلمين وبواطن أمورهم . فيقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده ﴿ لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ ﴾^(١)

(١) هذه الآية ما تضمنته من حكم حرمة موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقرباء وهو عام في الأمة إلى يوم القيامة ، وإن فهم منها بعضهم أنها للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها يدعوهم إلى الهجرة والتخلي عن بلاد الكفر .

وإخوانكم^(١) أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان^(٢) أي اثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله ثم يهددهم إن لم يمتثلوا أمره ويفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان فيقول ﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾^(٣) ووجه الظلم ظاهر وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم، وفي هذا العدول عن خطابهم مباشرة إلى الوسطة ما يشعر بالغضب وعدم الرضى، والتهديد والوعيد ﴿قل إن كان^(٤) آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فتركتم الهجرة والجهاد لذلك ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ أي انتظروا أمر الله وهو فتح مكة عليكم وإنزال العقوبة بكم، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي لا يوفقهم لسبل نجاتهم وسعادتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة اتخاذ الكافرين أولياء يُؤادون ولو كانوا من أقرب الأقرباء كالأب والابن والأخ.
- ٢- من الظلم الفظيع موالاة من عادى الله ورسوله والمؤمنين.
- ٣- فرضية محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، ومحبة سائر محاب الله تعالى وكره سائر مكاره الله تعالى من العقائد والأحوال والأعمال والذوات والصفات.
- ٤- حرمان أهل الفسق المتوغلين فيه من هداية الله تعالى إلى ما يكملهم ويسعدهم.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ

(١) لم يذكر الأبناء لأن العادة أن الأبناء تبع لأبائهم وذكر الآباء والإخوان ذكر لأقوى القرابة.

(٢) استحبوا: بمعنى أحبوا نحو: استجاب بمعنى: أجاب.

(٣) قال ابن عباس: من تولاهم هو مشرك مثلهم لأن الرضا بالشرك شرك ويستثنى من هذه المقاطعة الإحسان والهبة للأقارب الكفرة لحديث أسماء إذ قالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي رغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال: صلي أمك. رواه البخاري.

(٤) هذه الآية نزلت في الذين تخلفوا عن الهجرة إلى المدينة إيثاراً لما ذكر تعالى على حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله تعالى إذ توعدهم تعالى بقوله: ﴿فتربصوا﴾ أي انتظروا ما سيحل بكم إن لم تتوبوا فتهاجروا وتجاهدوا.

تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
وَأِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

- في مواطن : المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة الإنسان .
حنين : وادٍ على بعد أميال يسيرة من الطائف .
إذ أعجبتكم كثرتمكم : أي كثرة عددكم حتى قال من قال : لن تغلب اليوم من قلة .
فلم تغن عنكم شيئاً : أي لم تجز عنكم شيئاً من الأجزاء إذ انهزمت في أول اللقاء .
وضاقت عليكم الأرض : أي لم تعرفوا أين تذهبون ، وكيف تتصرفون كأنكم محصورون
في مكان ضيق .
بما رحبت : أي على رحابتها وسعتها .
أنزل الله سكينته : أي الطمأنينة في نفوسهم ، فذهب القلق والاضطراب .
وأنزل جنوداً : أي من الملائكة .
نجس : أي ذوو نجس وذلك لخبث أرواحهم بالشرك .
بعد عامهم هذا : عام تسعة من الهجرة .

عيلة : أي فقراً وفاقة وحاجة .

معنى الآيات :

لما حرم الله على المؤمنين موالاة الكافرين ولو كانوا اقرباءهم وحذرهم من القعود عن الهجرة والجهاد، وكان الغالب فيمن يقعد عن ذلك إنما كان لجبنه وخوفه أخبرهم تعالى في هذه الآيات الثلاث أنه ناصرهم ومؤيدهم فلا يقعد بهم الجبن والخوف عن أداء الواجب من الهجرة والجهاد فقال تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾^(١) كبذر والنضير وقريظة والفتح وغيرها ﴿ويوم حنين﴾^(٢) حين قاتلوا قبيلة هوازن مذكراً إياهم بهزيمة أصابت المؤمنين نتيجة خطأ من بعضهم وهو الاغترار بكثرة العدد إذ قال من قال منهم : لن تغلب اليوم عن قلة إذ كانوا اثني عشر ألفاً وكان عدوهم أربعة آلاف فقط، إنهم ما إن توغلوا بين جنبتي الوادي حتى رماهم العدو ببوابل من النبل والسهم فلم يعرفوا كيف يتصرفون حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدبرين هارين ولم يثبت إلا رسول الله ﷺ وكان على بغلته البيضاء المسماة (بالذئذل) والعباس إلى جنبه وأبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عمه، ثم نادى منادي رسول الله : أن يا أصحاب سورة البقرة هلموا أصحاب السمرة (شجرة بيعة الرضوان) هلموا . فترجعوا إلى المعركة ودارت رحاها و﴿أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً﴾ تلامس القلوب وتنفع فيها روح الشجاعة والصبر والثبات، فصبروا وقتلوا وما هي إلا ساعة وإذا بالعدو سبي بين أيديهم ولم يحصل لهم أن غنموا يوماً مثل ما غنموا هذا اليوم إذ بلغ عدد الإبل اثني عشر ألف بعير، ومن الغنم مالا يحصى ولا يعد . بهذا جاء قوله تعالى : ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ أي هارين من العدو ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً﴾ أي من الملائكة ﴿لم تروها﴾ ﴿وعذب الذين كفروا﴾ أي هوازن ﴿وذلك﴾ أي القتل والسبي ﴿جزاء الكافرين﴾ بالله ورسوله .

(١) المواطن : جمع موطن وهو مكان التوطن أي : الإقامة ويطلق على موضع الحرب وموقعها .

(٢) خص يوم حنين بالذكر لما وقع فيه من الهزيمة في أول المعركة .

(٣) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من مسلمة الفتح وهم الطلقاء وهزموا من أجل قول بعضهم : لن تغلب اليوم عن قلة وهو ما يسمى بالعجب وهو محبط للعمل .

(٤) روى مسلم عن ابن اسحق قال : جاء رجل إلى البراء فقال : أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار؟ فقال : أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسّر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبوسفیان يقوده بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول : (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم نزل نصرتك) قال البراء : كنا والله إذا أحمر البأس نتقي به .

وقوله تعالى ﴿ثم يتوب الله على من يشاء﴾^(١) أي بعد قتالكم للكافرين وقتلكم من تقتلون يتوب الله على من يشاء ممن بقوا أحياء بعد الحرب ﴿والله غفور رحيم﴾ فيغفر لمن يتوب عليه من المشركين ماضى ذنوبه من الشرك وسائر الذنوب ويرحمه بأن يدخله الجنة مع من يشاء من المؤمنين الصادقين في إيمانهم هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث . أما الآية الرابعة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾^(٢) فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴿فإنه تعالى أمر المؤمنين بأن يمتنعوا من دخول المسجد الحرم كل مشرك ومشرقة لأن المشرك نجس الظاهر والباطن فلا يحل دخولهم إلى المسجد الحرام وهو مكة والحرم حولها، ومن يومئذ لم يدخل مكة مشرك، وقوله تعالى ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي فقراً لأجل انقطاع المشركين عن الموسم حيث كانوا يجلبون التجارة يبيعون ويشتررون فيحصل نفع للمسلمين ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ فامنعوا المشركين ولا تخافوا الفقر وقوله تعالى ﴿إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ استثناء منه تعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة غافلة، وكونه تعالى عليماً حكيماً يشرح المعنى المذكور فإن ذا العلم والحكمة لا يضع شيئاً إلا في موضعه فلا بد لمن أراد رحمة الله أو فضل الله أن يجتهد أن يكون أهلاً لذلك، بالإيمان والطاعة العامة والخاصة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة العجب بالنفس والعمل إذ هو أي العجب من العوائق الكبيرة عن النجاح .
- ٢- بيان إفضال الله تعالى وإكرامه لعباده المؤمنين .
- ٣- بيان الحكمة من القتال في سبيل الله تعالى .
- ٤- تقرير نجاسة الكافر المعنوية .

(١) كمالك بن عوف النصري رئيس حنين ومن أسلم معه من قومه .

(٢) قيل : وصف المشرك بالنجس : لأنه جنب لا يقتل من جنابة غسل شرعياً فهو لذلك نجس، وقيل : الشرك هو الذي جعله نجساً إذ لو أسلم زال عنه الوصف .

(٣) هو عام حجة الوداع وليس عام تسعة كما قال بعضهم .

(٤) قال الشاعر :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

يقال : عال يعيل عيلة : إذا افتقر .

(٥) في الآية دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب إذ قال ﷺ : (اعقلها وتوكل) قال بعضهم : الأسباب التي يطلب بها الرزق هي الجهاد وأكل الرجل من عمل يده التجارة، الحرث، والغرس، التعليم للعلوم بالأجرة، الاستدانة بنية رد الدين .

٥- منع دخول المشرك الحرم المكي كائناً من كان بخلاف باقي المساجد فقد يؤذن للكافر لمصلحة أن يدخل بإذن المسلمين .

٦- لا يمنع المؤمن من امتثال أمر ربه الخوف من الفاقة والفقر فإن الله تعالى تعهد بالإغناء إن شاء .

قَالُوا الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

لا يؤمنون بالله

ولا باليوم الآخر : أي إيماناً صحيحاً يرضاه الله تعالى لموافقة الحق والواقع .

ولا يحرمون ما حرم

الله ورسوله : أي كالخمر والربا وسائر المحرمات .

ولا يدينون دين الحق : أي الإسلام إذ هو الدين الذي لا يقبل ديناً سواه .

من الذين أُوتوا الكتاب : أي اليهود والنصارى .

الجزية : أي الخراج المعلوم الذي يدفعه الذمي كل سنة .

عن يد وهم صاغرون ^(١) : أي يقدمونه بأيديهم لا ينيبون فيه غيرهم ، وهم صاغرون : أي

أذلاء منقادون لحكم الإسلام هذا .

معنى الآية الكريمة :

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين حتى يتوبوا من الشرك ويوحّدوا ويعبدوا الله تعالى بما شرع أمر رسوله في هذه الآية والمؤمنين بقتال أهل الكتاب وهم

(١) وفسر قوله : ﴿عن يد﴾ بالقوة على دفع الجزية بأن يكون المطالب بها قادراً على أدائها لغناه وعدم فقره . وهو تفسير حق لأن الفقير منهم لا يطالب بالجزية في حال فقره ، وما في التفسير أصح .

اليهود والنصارى إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وجعل إعطاء الجزية غايةً لنهاية القتال، لا الإسلام، لأن الإسلام يعرض أولاً على أهل الكتاب فإن قبلوه فذاك وإن رفضوه يطلب منهم الدخول في ذمة المسلمين وحمايتهم تحت شعار الجزية وهي رمز دال على قبولهم حماية المسلمين وحكمهم بشرع الله تعالى فإذا أعطوها حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم، وأمنوا في حياتهم المادية والروحية، هذا ما تضمنته الآية الكريمة: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(١) وإن قيل اليهود والنصارى يؤمنون بالله وباليوم الآخر فكيف نفت الآية عنهم ذلك؟ والجواب أن اليهود في إيمانهم بالله مشبهة مجسمة يصفون الله تعالى بصفات تعالى الله عنها علواً كبيراً، والنصارى يعتقدون أن الله حلّ في المسيح، وإن الله ثالث ثلاثة والله ليس كذلك فهم إذاً لا يؤمنون بالله تعالى كما هو الله الإله الحق، فلذا إيمانهم باطل وليس بإيمان يضاف إلى ذلك أنهم لو آمنوا بالله لآمنوا برسوله محمد ﷺ ولو آمنوا باليوم الآخر لأطاعوا الله ورسوله لينجوا من عذاب اليوم الآخر وليسعدوا فيه بدخول الجنة فلما لم يؤمنوا ولم يعملوا كانوا حقاً كافرين غير مؤمنين، وصدق الله العظيم حيث نفى عنهم الإيمان به وباليوم الآخر، والله أعلم بخلقه من أنفسهم.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

- ١- وجوب قتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يدخلوا في حكم الإسلام وذلك من أجل إعدادهم للإسلام ليكملوا عليه ويسعدوا به.
- ٢- الإيمان غير الصحيح لا يعتبر إيماناً منجياً ولا مسعداً.
- ٣- استباحة ما حرم الله من المطاعم والمشارب والمناكح كفر صريح.

(١) الآية صريحة في عدم اعتبار إيمان اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً يركى النفس ويؤهل لدخول الجنة، وهذا الأمرين : الأول: لما داخل إيمانهم من التحريف والتغيير فلم يكن إيمانهم بركتي الإيمان العظيمين الإيمان بالله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً مقبولاً شرعاً فلذا عُد كالإيمان . والثاني : لأنهم لو آمنوا بالله ولقائه حق الإيمان لآمنوا برسوله محمد ﷺ وبما جاء به من الهدى، ولاستقاموا على شرع الله فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم.

(٢) المجوس والصابئة لم يذكر في الآية، والذي به العمل عند عامة الفقهاء أنهم يسرّ بهم سنة أهل الكتاب في قبول الجزية منهم وإدخالهم في ذمة المسلمين.

٤- مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب وهي مقدرة في كتب الفقه مبينة وهي بحسب غنى المرء وفقره وسعته وضيقه .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ
اللَّهُ أَنَّى يُوَفَّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا
أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

- عُزَيْر : هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، واليهود يسمونه : عِزْرًا .
المسيح : هو عيسى بن مريم عليهما السلام .
يضاھون : أي يشابهون .
قول الذين كفروا : أي من آبائهم وأجدادهم الماضين .
قاتلهم الله : أي لعنهم الله لأجل كفرهم .
أنى يوفكون : أي كيف يصرفون عن الحق .

أخبارهم ورهبانهم : الأخبار جمع خبر: علماء اليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصارى.

أرباباً من دون الله : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام.
 نور الله : أي الإسلام لأنه هاد إلى الإسعاد والكمال في الدارين.
 بأفواههم : أي بالكذب عليه والظعن فيه وصرف الناس عنه.
 رسوله : محمداً صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب لكفرهم وعدم إيمانهم بالإيمان الحق المنجي من النار ذكر في هذه الآيات الثلاث ما هو مقرر لكفرهم ومؤكد له فقال ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ ونسبة الولد إلى الله تعالى كفر بجلاله وكماله ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ ونسبة الولد إليه تعالى كفر به عز وجل وبإلهه من جلال وكمال وقوله تعالى : ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ أي ليس له من الواقع شيء إذ ليس لله تعالى ولد، وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة، وإنما ذلك قولهم بأفواههم فقط ﴿يضاهئون به﴾ أي يشابهون به ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ وهم اليهود الأولون وغيرهم وقوله تعالى ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ دعاء عليهم باللعن والطرده من رحمة الله تعالى وقوله ﴿أنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق ويبعدون عنه بهذه الصورة العجيبة وقوله ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ هذا دليل آخر على كفرهم وشركهم إذ قبولهم قول علمائهم وعبادهم والإذعان

(١) قرأ عاصم (عزير) بالتونين، وقرأ نافع بغير تنوين، وقوله تعالى ﴿وقالت اليهود﴾ هو كقوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس...﴾ فهو لفظ عام، والمراد به الخصوص إذ ما كل اليهود قالوا بهذه القولة ولا كل الناس وإنما بعضهم.

(٢) في الآية دليل على أن حاكمي الكفر، وهو منكر له بقلبه ولسانه لا يكفر.

(٣) يقال : امرأة ضها : للتي لا تحيض ولا ندي لها كأنها أشبهت الرجل.

(٤) أي : شابه قولهم قول الكافرين من قبلهم وهم أسلافهم الذين قلدوهم أو قول العرب الذين قالوا : الملائكة بنات الله . تعالى الله عن البنت والولد علواً كبيراً .

(٥) الجبر بكسر الحاء : المداد، وفتحها العالم، والرهبان : جمع راهب مأخوذ من الرهبة، والراهب الحق . هو من حمله خوف الله على أن يخلص له النية في القول والعمل ويجعل زمانه له وعمله له وأنسه به .

(٦) روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وفي عتقي صليب من ذهب فقال : (ما هذا يا عدي أطرح عنك هذا الوثن وسمعت يقرأ ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم﴾ وسئل حذيفة رضي الله عنه عن قول الله تعالى : ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ هل عبدوهم؟ قال : لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرّموا عليهم الحلال فحرموه .

له والتسليم به حتى أنهم ليحلون لهم الحرام فيحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه ، شرك وكفر والعياذ بالله . وقوله ﴿والمسيح^(١) ابن مريم﴾ أي اتخذته النصرى رباً وإلهاً وقوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ أي لم يأمرهم أنبياءهم كموسى وعيسى وغيرهما إلا بعبادة الله تعالى وحده لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿سبحانه عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شركهم . وقوله تعالى ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي يريد اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله الذي هو الإسلام بأفواههم بالكذب والافتراء ، والعيب والانتقاص ، ﴿وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾^(٢) ، وقد فعل فله الحمد وله المنة ، وأصبح الإسلام الظاهر على الأديان كلها ، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (٣٣) فقد أخبر تعالى أنه ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ أي محمداً ﴿بالهدى﴾ وهو القرآن ﴿ودين الحق﴾ الذي هو الإسلام . وقوله ﴿ليظهره﴾ أي الدين الحق الذي هو الإسلام ﴿على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٣) . وقد فعل فالإسلام ظاهر في الأرض كلها سمع به أهل الشرق والغرب ودان به أهل الشرق والغرب وسيأتي يوم يسود فيه المسلمون أهل الدنيا قاطبة بإذن الله تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير كفر اليهود والنصارى بذكر عقائدهم الكفرية .
- ٢- طاعة العلماء ورجال الدين طاعة عمياء حتى يحلوا ويحرموا فيتبعوا شرك .
- ٣- بيان عداة اليهود والنصارى للإسلام وتعاونهم على إفساده وإفساد أهله .
- ٤- بشرى المسلمين بأنهم سيسودون العالم في يوم من الأيام ويصبح الإسلام هو الدين الذي يعبد الله به في الأرض لا غيره ، ويشهد لهذا آية ﴿ويكون الدين كله لله﴾ فلو لم يعلم الله أن ذلك كائن لم يجعله غاية وطالب بالوصول إليها .

(١) يطلق لفظ المسيح على العرق لأنه إذا سال يُمسح من الجبين قال أحدهم شعراً :

افرح فسوف تألف الأحزانا إذا شهدت الحشر والميزانا

وسال من جبينك المسيح كأنه جداول تسيح

(٢) صح دخول «الآء» على الإثبات هنا لأن أبى يحذف معها الكلام فيقال : يأتي فلان كل شيء إلا أن يطاع مثلاً . فمعنى الآية : يأتي الله كل شيء إلا أن يتم نوره .

(٣) شاهده : رواية أحمد : عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ

أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى

عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

وُظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

بالباطل : أي بدون حق أباح لهم أكلها .

ويصدون عن سبيل الله : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل

المفضي بالعبد إلى رضوان الله تعالى .

يكنزون : يجمعون المال ويدفنونه حفاظاً عليه ولا يؤدون حقه .

الذهب والفضة : هما النقدان المعروفان .

في سبيل الله : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين .

فبشرهم : أي أخبرهم بعذاب أليم : أي موجع .

يحمى عليها : لأنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها ثم تكوى بها جباههم .

هذا ما كنزتم : أي يقال لهم عند كيهم بها : هذا ما كنزتم لأنفسكم تويحاً لهم

وتقريعاً .

معنى الآيتين :

بمناسبة ذكر عداة اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين ، وأنهم يريدون دوماً وأبداً

إطفاء نور الله بأفواههم، ذكر تعالى ما هو إشارة واضحة إلى أنهم ماديون لا همّ لهم إلا المال والرياسة فأخبر المسلمين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار﴾ ^(١) ﴿وهم علماء اليهود﴾ ^(٢) ﴿والرهبان﴾ ^(٣) وهم رجال الكنائس من النصارى ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ ^(٤) كالرشوة، وكتابة صكوك الغفران يبيعونها للسفلة منهم، إلى غير ذلك من الحيل باسم الدين، وقوله تعالى عنهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ ^(٥) دليل واضح على أنهم يحاربون الإسلام باستمرار للإبقاء على مناصبهم الدينية يعيشون عليها يترأسون بها على السفلة والعوام من اليهود والنصارى، وقوله تعالى ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ ^(٦) لفظ عام يشمل الأحبار والرهبان وغيرهم من سائر الناس من المسلمين ومن أهل الكتاب إلا أن الرهبان والأحبار يتناولهم اللفظ أولاً، لأن من يأكل أموال الناس بالباطل ويصد عن سبيل الله أقرب إلى أن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله، وقوله تعالى لرسوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي أخبرهم معجلاً لهم الخبر في صورة بشارة، وبين نوع العذاب الأليم بقوله ﴿يوم يحمى عليها﴾ أي صفائح الذهب والفضة بعد تحويلها إلى صفائح ^(٧) ﴿في نار جهنم﴾ فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ^(٨) أي من كل الجهات الأربع من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال ويقال لهم تهكماً بهم وازدراء لهم وهو نوع عذاب أشد على النفس من عذاب الجسم ^(٩) ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ .

(١) الآية نزلت في أهل الكتاب كشفاً عن عوراتهم المادية، وأما قوله تعالى ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ الخ فهو حكم عام يشمل المسلمين وأهل الكتاب.

(٢) قيل كانوا يأخذون من غلات أتباعهم ومن أموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع، وقلدهم الروافض، فإن أئمتهم يأخذون منهم ضرائب هي خمس دخل كل فرد من أي جهة كان هذا الدخل أخبرني بهذا أحد رجالهم في الكويت.

(٣) من صدّهم عن سبيل الله أنهم كانوا يمنعون أتباعهم من الدخول في الإسلام ومن اتباع محمد ﷺ.

(٤) دلت الآية على زكاة العين: الذهب والفضة وهي تجب بأربعة شروط الحرية، والإسلام، والحوال، والنصاب السليم من الدين، والنصاب مائتا درهم فضة أو عشرون ديناراً من الذهب، ويكمل أحدهما من الآخر، ومن السنة قوله ﷺ (ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول) رواه أبو داود. وقوله ﷺ: (ليس في أقل من مائتي درهم زكاة، وليس في أقل من عشرين ديناراً زكاة) في الصحيح.

(٥) روى أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر: أنا أفرج عنكم فانطلق قال: يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال: (إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيّب ما بقي من أموالكم وإنما فرض الموارث في أموالكم لتكون لمن بعدكم فكبر عمر فقال له رسول الله ﷺ: (ألا أخبرك بخير ما يكثر المرء: المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته).

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان حقيقة علماء اليهود والنصارى ، وهي أنهم ماديون باعوا آخرتهم بدنياهم يحاربون الإسلام ويصدون عنه للمحافظة على الرئاسة وللأكل على حساب الإسلام .
- ٢- حرمة أكل أموال الناس بالباطل .
- ٣- حرمة جمع المال وكنزه وعدم الإنفاق منه .
- ٤- المال الذي تؤدي زكاته كل حول لا يقال له كنز ولو دفن تحت الأرض .
- ٥- بيان عقوبة من يكثر المال ولا ينفق منه في سبيل الله وهي عقوبة شديدة .

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
 شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
 أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
 إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 فِيْ حِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

عدة : أي عدد .

(١) الشهور

في كتاب الله

أربعة حرم

: جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يوماً، أو ثلاثون يوماً.

: أي كتاب المقادير: اللوح المحفوظ.

: هي رجب، والقعدة، والحجة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع حرم.

(٢) الدين القيم

فلا تظلموا فيهن أنفسكم

: أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

: أي لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.

كافة

: أي جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها.

مع المتقين

: أي بالتأييد والنصر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى.

إنما النسيء

: أي تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر.

يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً : أي النسيء عاماً يحلونه وعاماً يحرمونه.

ليواطئوا عدة ما حرم الله

: أي ليوافقوا عدد الشهور المحرمة وهي أربعة.

زين لهم سوء عملهم

: أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل سيء لأنه إفتيات على الشارع واحتيال على تحليل

الحرام.

معنى الآيتين

عاد السياق للحديث على المشركين بعد ذلك الاعتراض الذي كان للحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ لا تزيد ولا تنقص، وأنها هكذا في اللوح المحفوظ ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾^(٣). وأن منها أربعة أشهر حرم أي محرمات وهي رجب، والقعدة والحجة ومحرم، وحرمها الله تعالى أي حرم القتال فيها لتكون هدنة يتمكن العرب معها من السفر للتجارة وللحج والعمرة ولا يخافون أحداً، ولما

(١) المراد بالشهور: ما تتألف منه السنة القمرية، واحداً: شهر، مشتق من الشهرة سميت به الأيام من أول ظهور الهلال إلى سراه.

(٢) أي: الصحيح، والإشارة في قوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ إلى عدة الشهور، وتقسيمها إلى حُرْم وغيرها وإلى عدم ارتكاب الذنوب فيها.

(٣) قوله: ﴿يوم خلق السموات والأرض...﴾ قاله ليبين أن قضاءه وقدره كان قبل ذلك وأنه سبحانه وتعالى وضع هذه الشهور وسمّاها بأسمائها يوم خلق السموات والأرض.

جاء الإسلام وأعز الله أهله، نسخ حرمة القتال فيها. وقوله تعالى ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي تحريم هذه الأشهر واحترامها بعدم القتال فيها هو الشرع المستقيم وقوله تعالى ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ أي لا ترتكبوا الذنوب والمعاصي في الأشهر الحرم فإن ذلك يوجب غضب الله تعالى وسخطه عليكم فلا تعرضوا أنفسكم له، وقوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين﴾ هذا خطاب للمؤمنين يأمرهم تعالى بقتال المشركين بعد انتهاء المدة التي جعلت لهم وهي أربعة أشهر وقوله ﴿كافة﴾^(١) أي جميعاً لا يتأخر منكم أحد كما هم يقاتلونكم مجتمعين على قتالكم فاجتمعوا أنتم على قتالهم، وقوله ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي ومعناه أن الله معكم بنصره وتأيدته على المشركين العصاة وقوله عز وجل ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ أي إنما تأخير حرمة محرم إلى صفر كما يفعل أهل الجاهلية ليستبيحوا القتال في الشهر الحرام بهذه الفتيا الشيطانية هذا التأخير زيادة في كفر الكافرين،^(٢) لأنه محاربة لشرع الله وهي كفر قطعاً لقوله تعالى ﴿يضل به الذين كفروا﴾ أي بالنسيء يزدادون ضلالاً فوق ضلالهم. وقوله ﴿يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً﴾ يعني النسيء وهو الشهر الذي أخره أي أخره حرمة إلى الشهر الذي بعده ليتمكنوا من القتال في الشهر الحرام، فعاماً يحلون وعاماً يحرمون حتى يوافقوا عدة الأشهر الحرم بلا زيادة ولا نقصان، ظناً منهم أنهم ما عصوا مستترين بهذه الفتيا الإبلسية كما قال تعالى ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ والمزين للباطل قطعاً هو الشيطان. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل لا يهدي القوم الكافرين لما هو الحق والخير وذلك عقوبة لهم على كفرهم به وبرسوله، وإصرارهم على ذلك.

(١) كافة: معناه جميعاً، وهو مصدر في موضع الحال أي: محيطين بهم ومجتمعين. قالوا: ينظر كافة: في كونه لا يبي ولا يجمع: عاقبة وعامة وخاصة.

(٢) قرأ الجمهور: ﴿النسيء﴾ ميموزا وقرأ ورش: ﴿النسيء﴾ بالياء المشددة، وهو فاعل بمعنى مفعول في قولك: نسأت الشيء أنساه إذا أخرته، فنقل من منسوء إلى نسيء كما نقل مقتول إلى قتل لأنه أخف، وأصل هذا التشريع الجاهلي: أن العرب قبل الإسلام كانوا أهل حروب فإذا احتاجوا إلى القتال في الشهر الحرام طلبوا من زعيمهم أن ينسيء المحرم أي: يؤخره إلى صفر حتى يمكنهم الحرب في المحرم بعد الحج وما زالوا يؤخرون ويقدمون حتى اختلطت الشهور وأصبح رجب جمادى ورمضان شوال وهكذا، ودارت الشهور دورتها، وفي عام حجة الوداع أعلن الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) يريد أن الشهور قد رجعت إلى مواضعها، وأصبح كل شهر في موضعه فوقع حج النبي ﷺ في موضعه.

(٣) إذ كفروا بالشرك وإنكار المعاد وتكذيب الرسل، ونسبة الولد لله تعالى. ثم بالنسيء ازدادوا كفراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان أن شهور السنة الهجرية اثنا عشر شهراً وأيامها ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً^(١).
- ٢- بيان أن الأشهر الحرم أربعة وقد بينها الرسول ﷺ وهي رجب، والقعدة والحجة ومحرم.
- ٣- حرمة الأشهر الحرم، ومضاعفة السيئات فيها أي قبح الذنوب فيها.
- ٤- صفة المعية لله تعالى وهي معية خاصة بالنصر والتأييد لأهل تقواه.
- ٥- حرمة الاحتيال على^(٢) الشرع بالفتاوى الباطلة لاحتلال الحرم، وأن هذا الاحتيال ما هو إلا زيادة في الإثم.
- ٦- تزيين الباطل وتحسين المنكر من الشيطان.
- ٧- حرمان أهل الكفر والفسق من هداية الله تعالى وتوفيقه لما هو حق وخير حالاً ومالاً.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

(١) وهي : محرم ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم، وصفر ويجمع على أصفار وربيع الأول ويجمع على أربعة وربيع الثاني وجمادى الأولى ويجمع على جماديات وتذكر وتؤنث فيقال : الأولى والأول، وجمادى الآخرة والآخر، ورجب ويجمع على أرجاب ورجاب، وشعبان ويجمع على شعبان وشعبانات، ورمضان ويجمع على رمضانات، ورماضين وأرمضة وشوال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات، القعدة ويجمع على ذوات القعدة والحجة بكسر الحاء وفتحها ويجمع على ذوات الحجة.

(٢) وهي : الأحد ويجمع على آحاد وأوحد ووحد، والاثنين ويجمع على اثنين، والثلاثاء يذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث والأربعاء ويجمع على أربعاوات وأرباع، والخميس ويجمع على خمسة وأخماس، والجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها ويجمع على جمع وجمعات، والسبت ويجمع على سبوت كفتح وفتوح وأسبوت كقمع وأقماع.

(٣) اختلف فيمن كان أول من نسا فقيلاً عمرو بن لحي، وقيل : رجل من كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم :
ومنا ناسى الشهر القلمس
وقال الكمي :
السنة الناسين على معد شهور الحل نجعلها حراما

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
 غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
 يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
 اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
 وَجَعَلَ كُلَّ كَلِمَةٍ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
 وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- مالككم؟ ^(١) : أي أي شيء ثبت لكم من الأعذار .
 انفروا : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين .
 اناقلتم : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً .
 إلا تنصروه : أي الرسول محمد ﷺ .
 ثاني اثنين : أي هو وأبو بكر رضي الله عنه .
 في الغار : غار ثور أي في جبل يقال له ثور بمكة .
 لصاحبه : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
 سكينته : أي طمأنينته .
 كلمة الذين كفروا : هي الدعوة إلى الشرك .
 السفلى : أي مغلوبه هابطة لا يسمع لها صوت .
 وكلمة الله هي العليا : أي دعوة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي العليا
 الغالبة الظاهرة .

(١) (ما) : حرف استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ .

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك فقد بلغ النبي ﷺ أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه لحرب الرسول ﷺ، فأعلن النبي ﷺ التعبئة العامة، وكان الزمن صيفاً حاراً وبالبلاذ جذب ومجاعة، وكان ذلك في شوال من سنة تسع، وسميت هذه الغزوة بغزوة العسرة فاستحثَّ الربُّ تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره فأنزل تعالى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والقاتل هو رسول الله ﷺ ﴿انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي اخرجوا للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل رضاه سبحانه وتعالى وما عنده من نعيم مقيم. وقوله ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي أي شيء يجعلكم لا تنفرون؟ وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين. وقوله ﴿أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١) أي تباطأتم عن الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم. ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ؟﴾ ينكر تعالى على من هذه حاله منهم، ثم يقول لهم ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما كل ما يوجد فيها من متع على اختلافها بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم مقيم في جوار رب العالمين ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ تافه لا قيمة له، فكيف تؤثرن القليل على الكثير والفاني على الباقي. ثم قال لهم ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ أي إن تخليتكم عن نصرته ﷺ وتركتموه يخرج إلى قتال الروم وحده ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي هذا الخبر وعيد شديد اهتزت له قلوب المؤمنين.

وقوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾^(٢) أي إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه نصره في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ أي هو وأبوبكر لا غير، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي غار ثور، ﴿إِذْ يَقُولُ

(١) أصل ﴿أَنَا قُلْتُمْ﴾: تناقشتم فأدغمت التاء في الثاء لقرب مخرجهما وزيدت همزة الوصل للتوصل إلى النطق بالسكان ومثله: اداركوا وأدارأتم، واطيرنا، وازينت.

(٢) أي: أرضيتم بنعيم الدنيا وراحتها بدلا من نعيم الآخرة وسعادتها.

(٣) أي: لا يبعدون عند استنفارهم للجهاد والخروج معه، وأنتم بتخلفكم لا تضرونه شيئا، في الآية دليل على حرمة التناقل عن الجهاد إذا كان مع كراهته ولا حرمة مع عدم الكراهة إلا أن يعينه الإمام فيجب.

(٤) أصلها إن الشرطية ادغمت فيها لا النافية، والآية تحمل عتاباً شديداً، ومعنى الآية: إن تركتم نصرته فقد تكفل الله بها.

(٥) أي: أحد اثنين كالثالث ثلاثة ورابع أربعة.

لصاحبه ﴿: لما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله ﴾ ، ﴿ لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه ﴾ فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف من قلبه ، ﴿ وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا ﴾ وهي دعوتهم إلى الشرك جعلها ﴿ السفلى ﴾ مغلوبة هابطة ﴿ وكلمة الله ﴾ كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ هي العليا ﴾ الغالبة الظاهرة ﴿ والله عزيز ﴾ غالب لا يغالب ﴿ حكيم ﴾ في تصرفه وتدبيره ، ينصر من أراد نصره بلا ممانع ويهزم من أراد هزيمته بلا مغالب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الخروج إلى الجهاد إذا دعا الإمام بالدعوة العامة وهو ما يعرف بالتعبئة العامة أو النفير العام .
- ٢- يجب أن يكون النفير في سبيل الله لا في سبيل غير سبيله تعالى .
- ٣- بيان حقارة الدنيا وضآلتها أمام الآخرة .
- ٤- وجوب نصره رسول الله ﷺ في دينه في أمته في سنته .
- ٥- شرف أبي بكر الصديق وبيان فضله .
- ٦- الإسلام يعلو ولا يعلى عليه .

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
 لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ
 عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا الْخُرُوجَ
 مَعَكُمْ يَلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ

(١) أي : قلب أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) إذ أحبط تعالى أعمال قريش في طلبها الرسول ﷺ لتقتله حيث جعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأسه وأنجى الله رسوله منهم وانتهى إلى المدينة ونصره عليهم .

صَدَقُوا وَتَعَلَّمُوا الْكَذِبِينَ

شرح الكلمات :

خفافاً وثقالاً : الخفاف جمع خفيف : وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومركوب . والثقال جمع ثقيل : وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير الذي لا جدّة عنده .

ذلكم : أي الجهاد بالمال والنفس خير من التناقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومآلاً .

عرضاً قريباً : غنيمة في مكان قريب غير بعيد .

أو سفراً قاصداً : أي معتدلاً لا مشقة فيه .

الشقة : الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء .

عفا الله عنك : لم يؤاخذك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحث على الخروج إلى قتال الروم بالشام ففي هذه الآيات يأمر تعالى المؤمنين بالخروج إلى الجهاد على أي حال كان الخروج من قوة وضعف فليخرج الشاب القوي الكبير العاجز الضعيف والغني كالفقير فقال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ أعداء الله الكافرين به وبرسوله حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية ويقبلوا أحكام الإسلام ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي نفوركم للجهاد وقتالكم الكافرين إلى الانتهاء بهم إلى إحدى الغايتين خير لكم من الخلود إلى الأرض والرضا بالحياة الدنيا وهي متاع قليل ، إن كنتم تعلمون ذلك ، وقوله تعالى ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾^(١) يقول تعالى لرسوله ﷺ لو كان

(١) الآية محكمة ولم تنسخ ، والمراد منها : أن الإمام إذا أعلن عن النفير العام ، وجب الإسراع إلى الخروج معه على أي حال من كبر وصغر وغنى وفقير .

(٢) العرض : ما يعرض من منافع الدنيا ، والمراد به هنا : الغنيمة أي : لو كان الذي دُعوا إليه عرضاً قريباً أو كان الذي دُعوا إليه سفراً قاصداً أي : سهلاً معلوم الطرق لاتبعوك .

(٣) الشقة : بالضم : السفر إلى أرض بعيدة وهي هنا تبوك ، نظير هذه الآية من السنة قوله ﷺ : (لو يعلم أحدكم أنه يجد عظماً سمينا أو ممراتين حسنتين لشهد العشاء . .) المرمأة : ظلف الشاة .

أولئك المتخلفون عن الجهاد من المنافقين وضعفة الإيمان قد دعوتهم إلى عرض قريب أي غنيمة حاضرة أو إلى سفر سهل قاصد معتدل لا تبعوك وخرجوا معك، ولكن دعوتهم إلى تبوك وفي زمن الحر والحاجة فبعدت عليهم الشقة فانتحلوا الأعذار إليك وتخلفوا. وقوله تعالى ﴿وسيحلفون بالله﴾ أي لكم قائلين: لو استطعنا أي الخروج لخرجنا معكم. قال تعالى ﴿يهلكون أنفسهم﴾ حيث يجلبون لها سخط الله^(١) وعقابه ﴿والله يعلم أنهم لكاذبون﴾ في كل ما اعتذروا به. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (٤١ - ٤٢) وأما الآية الثالثة فقد تضمنت عتاب الله تعالى لنبيه ﷺ حيث أذن لمن طلب منه التخلف عن النفور والنهوض إلى تبوك وكان من السياسة الرشيدة عدم الإذن لأحد حتى يتميز بذلك الصادق من الكاذب قال تعالى ﴿عفا الله عنك﴾ أي تجاوز عنك ولم يؤأخذك وقدم هذا اللفظ على العتاب الذي تضمنه الاستفهام ﴿لم أذنت لهم﴾ تعجيلاً للمسرة للنبي ﷺ إذ لو أخر عن جملة العتاب لأوجد خوفاً وحزناً، وقوله تعالى ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ علة للعتاب على الإذن للمنافقين بالتخلف عن الخروج إلى تبوك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إذا أعلن الإمام التعبئة العامة يحرم التخلف عن الجهاد ولا يقعد أحد ، إلا بإذن لأجل علة قامت به فاستأذن فأذن له .
- ٢- الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال وهو خير من تركه حالاً ومآلاً .
- ٣- الإيمان الكاذبة لإبطال حق أو إحقاق باطل توجب سخط الله تعالى وعذابه .
- ٤- مشروعية العتاب للمحب .
- ٥- جواز مخالفة الأولى على النبي ﷺ لعدم علمه ما لم يعلمه الله تعالى .

(١) بسبب كذبهم ونفاقهم وأيمانهم الكاذبة .

(٢) أخبره بالعفو قبل العتاب رحمة به وإكراماً له ، إذ لو قال له لم أذنت لهم أولاً لكان يطير قلبه ﷺ من الفرق أي : الخوف .

(٣) هؤلاء قوم منافقون قالوا نستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا . أما غير هؤلاء فقد رخص له في الإذن لمن شاء في قوله : ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ من سورة النور .

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ

فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ

لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

لا يستأذنك : أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد .

وارتابت قلوبهم : أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق .

في ريبهم : أي في شكهم .

يترددون : حيارى لا يثبتون على شيء .

لأعدوا له عدة : لهياؤا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب .

انبعاثهم : أي خروجهم معكم .

فثبطهم : ألقي في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم

يخرجوا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة تبوك وأحوال المأمورين بالنفير فيها فبعد أن عاتب الله تعالى رسوله في إذنه للمتخلفين أخبره أنه لا يستأذنه^(١) المؤمنون الصادقون في أن يتخلفوا عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم وإنما يستأذنه ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾

(١) لا يستأذنه المؤمنون لا في القعود ولا في الخروج وإنما هم مع مراده ﷺ فإذا أمر بأمر ابتدروه طاعة ومحبة ورغبة في رضا الله ورسوله ﷺ .

وارتابت قلوبهم ﴿ في الإيمان بالله ورسوله ووعدته ووعدته، فهم حيارى مترددون لا يدرون أين يتجهون وهي حالة المزعزع العقيدة كسائر المنافقين، وأخبره تعالى أنهم كاذبون في اعتذاراتهم إذ لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته أي احضروا له أهبطه من سلاح وزاد وراحلة ولكنهم كانوا عازمين على عدم الخروج بحال من الأحوال، ولو لم تأذن لهم بالتخلف لتخلفوا مخالفين قصدك متحدين أمرك. وهذا عائد إلى أن الله تعالى كره خروجهم لما فيه من الضرر والخطر فثبطهم بما ألقى في قلوبهم من الفشل وفي أجسامهم من الكسل كأنما قيل لهم اقعدوا مع القاعدين. هذا ما دلت عليه الآية (٤٤) ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ وقوله تعالى في ختام الآية الأولى (٤٤) ﴿والله عليم بالمتقين﴾ فيه تقرير لعلمه تعالى بأحوال ونفوس عباده فما أخبر به هو الحق والواقع، فالمؤمنون الصادقون لا يطلبون التخلف عن الجهاد لإيمانهم وتقواهم، والمنافقون هم الذين يطلبون التخلف لشكهم وفجورهم والله أعلم بهم، ولا ينبئك مثل خبير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الإيمان والتقوى إذ صاحبهما لا يمكنه أن يتخلف عن الجهاد بالنفس والمال.
- ٢- خطر الشك في العقيدة وأنه سبب الحيرة والتردد، وصاحبه لا يقدر على أن يجاهد بمال ولا نفس.
- ٣- سوابق الشر تحول بين صاحبها وبين فعل الخير.

(١) ﴿انبعاثهم﴾ : أي : خروجهم معك، ومعنى ثبطهم : حبسهم عنك وخذلهم لأنهم قالوا : إن لم يأذن لنا في القعود أفسدنا بين صفوف المؤمنين.

(٢) القاعدون : هم أولوا الضرر، والعميان والزمنى، والنساء والأطفال. والقاتل لهم اقعدوا هو الرسول ﷺ لما طلبوا منه الإذن بالقعود وجاز أن يكون قاله بعضهم لبعض أو قاله الرسول ﷺ حال غضبه عليهم، أو هو تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود في قلوبهم حتى لا يخرجوا فيفسدوا.

(٣) فيه شهادة للمؤمنين الصادقين بالتقوى وهي دعامة الولاية الحققة لله تعالى، فالإيمان والتقوى بهما تثبت ولاية الله للعبد ومن والاه الله فلا خوف عليه ولا حزن.

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ

مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ

الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى

جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

لو خرجوا فيكم : أي مندسين بين رجالكم .

إلا خبالاً : الفساد في الرأي والتدبير .

ولأوضعوا خلالكم : أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحريش والإثارة لإبقائكم في الفتنة .

وفيكُم سماعون لهم : أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة للفسادة .

من قبل : أي عند مجيئك المدينة مهاجراً .

وقلَّبوا لك الأمور : بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم .

وظهر أمر الله : بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وهم كارهون : أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في فضح نوايا المنافقين وكشف الستار عنهم فقال تعالى ﴿لو خرجوا فيكم﴾ ^(١) أيها الرسول والمؤمنون أي إلى غزوة تبوك ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ ^(٢) أي ضرراً وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل ،

(١) في هذا الإخبار الإلهي تسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل تخلف المنافقين عنهم .

(٢) الاستثناء منقطع أي : ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخيال لكم . والعادة : أن الاستثناء المنقطع يكون : بمعنى لكن إذ ليس هو جزء من المستثنى منه .

﴿وَلَا وَضِعُوا﴾^(١) أي أسرعوا ركائبهم ﴿خِلَالَكُمْ﴾ أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتشيط ﴿يَبْغُونَكُمْ﴾ بذلك ﴿الْفِتْنَةَ﴾ وهي تفريق جمعكم وإثارة العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده وقوله تعالى ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا وغيره كره الله انبعاثهم وثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى ، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه . فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم من الروم والعرب المنتصرة بالشام . وقوله تعالى في الآية الثانية (٤٨) ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ بل من يوم هاجرت إلى المدينة ووجد بها الإسلام وهم يثيرون الفتن بين أصحابك للإيقاع بهم ، وفي أحد رجوع ابن أبي بثلث الجيش وهم بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع عن القتال لولا أن الله سلم ﴿وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورُ﴾^(٢) وصرفوها في وجوه شتى بقصد القضاء على دعوتك فظاهروا المشركين واليهود في مواطن كثيرة وكان هذا دأبهم ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ بفتح مكة ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بدخول أكثر العرب في دين الله ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لذلك بل أسفون حزنون ، ولذا فلا تأسفوا على عدم خروجهم معكم ، ولا تحفلوا به أو تهتموا له ، فإن الله رحمة بكم ونصراً لكم صرفهم عن الخروج معكم . فاحمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله ، ولله الحمد والمنة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجود منافقين في صفوف المؤمنين خطر عليهم وضرر كبير لهم فلذا ينبغي أن لا يُشركوا في أمر ، وأن لا يعول عليهم في مهمة .
- ٢- وجوب الأخذ بالحيلة في الأمور ذات البال والأثر على حياة الإسلام والمسلمين .

(١) الإيضاع : سرعة السير ، يقال : أوضع يوضع إيضاعاً إذا أسرع في سيره . قال دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جذع أخبّ فيها وأضع

(٢) الأمور : جمع أمر وهو اسم مبهم كشيء ، قال الشاعر :

ولكن مقادير جرت وأمور

والألف واللام للجنس : أي : أمور تعرفونها وأمور تنكرونها ، وحتى : غائية لتقليبهم الأمور .

٣- المنافق يسوءه عزة الإسلام والمسلمين ويحزن لذلك .

٤- تدبير الله تعالى لأوليائه خير تدبير فلذا وجب الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم به .

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِّي وَلَا تُفْتِنِي ۖ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا
وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ
أَوْ بِأَيْدِنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

- ومنهم : أي من المنافقين وهو الجذ بن قيس .
إذن لي : أي في التخلف عن الجهاد .
ولا تفتني : أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأى نساء الروم لا يملك نفسه .
حسنة تسؤهم : الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية ومعنى تسؤهم أي يكرهون لها ويحزنون .
قد أخذنا أمرنا من قبل : أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم .
إحدى الحسينين : الأولى الظفر بالعدو والانتصار عليه والثانية الشهادة المورثة للجنة .

فتربصوا : أي انتظروا فإننا معكم من المنتظرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك فيقول تعالى ﴿ومنها من يقول ائذن لي﴾ أي في التخلف عن الجهاد، ﴿ولا تفتني﴾ بالزامك لي بالخروج أي لا توقعني في الفتنة، فقد روى أن النبي ﷺ قال له : هل لك في^(١) بلاد بني الأصفر؟ فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر^(٢) (وهم الروم) لا أصبر عنهن فأفتن، والقاتل هذا هو الجد بن قيس أحد زعماء المنافقين في المدينة فقال تعالى دعاء عليه ورداً لباطله : ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق؟ ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ به وبأمثاله من أهل الكفر والنفاق، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٥٠) فقد تضمنت الكشف عما يقوله المنافقون في أنفسهم أنه إن تصب الرسول والمؤمنين حسنة من نصر أو غنيمة وكل حال حسنة يسؤهم ذلك أي يكرههم ويحزنهم، وإن تصبهم سيئة من هزيمة أو قتل وموت يقولوا فيما بينهم ﴿قد أخذنا أمرنا﴾ أي احتطنا للأمر فلم نخرج معهم ﴿ويتولوا﴾ راجعين إلى بيوتهم وأهليهم ﴿وهم فرحون﴾. هذا ما تضمنته الآية التي هي قوله تعالى ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم﴾، وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون^(٣) ﴿أما اليتان الثالثة والرابعة (٥١ - ٥٢) فقد علم الله سبحانه وتعالى رسوله ما يقوله إغاضة لأولئك المنافقين وإخباراً لهم بما يسؤهم فقال ﴿قل لن يصيبنا﴾ أي من حسنة أو سيئة إلا ما كتب الله لنا وما يكتبه ربنا لنا لن يكون إلا خيراً لأنه مولانا ﴿وعلى الله فيلتوكل المؤمنون﴾ ونحن مؤمنون وعلى

(١) في رواية ياجدٌ هل لك في جلد بني الأصفر لتتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجد الخ .

(٢) قيل : سمي الروم بني الأصفر : لأن الحبشة غزتهم وسبهم فنشأ جيل أصفر اللون بين البياض والسواد، وهو اللون الأصفر.

(٣) ﴿إن تصبك حسنة﴾ جملة شرطية وجملة ﴿تسؤهم﴾ جواب وجزء لها كما أن جملة ﴿وإن تصبهم﴾ شرط، والجزاء ﴿يقولوا﴾ الخ.

(٤) ﴿ويتولوا﴾ أي : راجعين إلى بيوتهم ومجالسهم وهم كافرون، فهم متولون في الحقيقة عن الإيمان ﴿فرحون﴾ أي : معجبون بنجاحهم المؤقت.

(٥) أي : في اللوح المحفوظ الذي هو كتاب المقادير، أو هو ما أخبرنا به كتابه القرآن الكريم من أننا إنما نظفر فيكون الظفر حسناً لنا وإمّا أن نقتل فتكون الشهادة حسناً لنا.

ربنا متوكلون، وقال له: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا﴾ ^(١) أي هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين: ^(٢) النصر والظهور على أهل الشرك والكفر والنفاق أو الاستشهاد في سبيل الله، ثم النعيم المقيم في جوار رب العالمين وعليه ﴿فَتَرَبُّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ ^(٣)، وسوف لا نشاهد إلا ما يسرنا ويسوءكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيحة الجد بن قيس وتسجيل اللعنة عليه وتبشيره بجهم.
- ٢- بيان فرح المنافقين والكافرين بما يسوء المسلمين، وبيان استيائهم لما يفرح المسلمون وهي علامة النفاق البارزة في كل منافق.
- ٣- وجوب التوكل على الله وعدم الاهتمام بأقوال المنافقين.
- ٤- بيان أن المؤمنين بين خيارين في جهادهم: النصر أو الشهادة.
- ٥- مشروعية القول الذي يغيظ العدو ويحزنه.

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرْهُونَ ﴿٥٤﴾
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
بِهَافِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

(١) التربص: الانتظار، والاستفهام للتوبيخ.

(٢) الحسنيان: هما الغنيمة والشهادة.

(٣) ﴿فَتَرَبُّصُوا﴾ هذا الأمر للتهديد والوعيد، كأنما يقول لهم: انتظروا مواعيد الشيطان فإننا مُنتظرون مواعيد الرحمن، وشتان بين ما ننتظر وما تنتظرون!!

شرح الكلمات :

طوعاً أو كرهاً : أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الانفاق.

إنكم كنتم قوماً فاسقين : الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم.

كسالى : مثاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة.

فلا تعجبك أموالهم : أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد.

وتزهق أنفسهم : أي تفيض وتخرج من أجسامهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعليم الله رسوله ﷺ كيف يرد على المنافقين فقال له قل لهم أيها الرسول ﴿انفقوا﴾^(١) حال كونكم طائعين أو مكرهين ﴿لن يتقبل منكم﴾ أي أخبرهم أن ما ينفقونه في هذا الخروج إلى تبوك وفي غيره سواء أنفقوه باختيارهم أو كانوا مكرهين عليه لن يتقبله الله منهم لأنهم كانوا قوماً فاسقين بكفرهم بالله وبرسوله وخروجهم عن طاعتها. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) أما الآية الثانية (٥٤) فقد أخبر تعالى عن الأسباب الرئيسية التي حالت دون قبول نفقاتهم وهي أولاً الكفر بالله وبرسوله، وثانياً اتیانهم الصلاة وهم كسالى كارهون، وثالثاً كراهيتهم الشديدة لما ينفقونه قال تعالى ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾^(٢) ولا ينفقون إلا وهم كارهون^(٣) هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٥) فإن الله تعالى ينهى رسوله والمؤمنين عن أن تعجبهم أموالهم وأولادهم مهما بلغت في الكثرة والحسن فيقول ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ أي لا تستحسنوها ولا تخبروهم بذلك. وبين تعالى لرسوله

(١) روي أن هذه الآية نزلت في الجدد بن قيس إذ هو الذي قال للرسول ﷺ إئذن لي في القعود عن الخروج إلى قتال الروم وهذا مالي عينك به والأمر في قوله : ﴿انفقوا﴾ للتسوية أي : انفقوا أولاً تنفقوا فكلما الأمرين سواء، في عدم قبول ما تنفقون.

(٢) الجملة تعليلية أي : قوله : ﴿لن يتقبل منكم﴾ الخ ذكرت تعليلاً لعدم قبول ما ينفقون.

(٣) هذا بيان للتعليل السابق في عدم قبول نفقاتهم مع ذكر أسباب أخرى حالت دون قبول ما ينفقون.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا كان في جماعة صلى وإذا انفرد لم يصل. أي : المنافق لأنه لا يرجو على الصلاة ثواباً، ولا يخشى على تركها عقاباً وهذا منشأ الكسل في الصلاة وغيرها من سائر العبادات.

(٥) هنا مسألتان : الأولى : أن من مات على الكفر لا ينفعه ما عمله في الدنيا من خير إلا أنه يخفف عنه العذاب لحديث أبي طالب، وأنه في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه. كما أنه قد يكون سبياً في سعة رزقه في الدنيا للحديث، وأما الكافر فيقطع. الثانية أن من أسلم منهم يثاب على ما عمله من الخير أيام كفره.

علة اعطائهم ذلك وتكثيره لهم فقال ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ووجه تعذيبهم بها في الحياة الدنيا أن ما ينفقونه من المال في الزكاة والجهاد يشعرون معه بألم لا نظير له لأنه إنفاق يعتبرونه ضدهم وليس في صالحهم، إذ لا يريدون نصر الإسلام ولا ظهوره، وأما أولادهم فالتعذيب بهم هو أنهم يشاهدونهم يدخلون في الإسلام ويعملون به ولا يستطيعون أن يردوهم عن ذلك، أي ألم نفسي أكبر من أن يكفر ولد الرجل بدينه ويدين بآخر من شروطه أن يبغض الكافر به ولو كان أباً أو أمّاً أو أخاً أو أختاً أو أقرب قريب؟ وزيادة على هذا يموتون وهم كافرون فينتقلون من عذاب إلى عذاب أشد، وبهذا سلى الرب تعالى رسوله والمؤمنين بيان علة ما أعطى المنافقين من مال وولد ليُعَذِّبَهُمْ بذلك لا ليسعدهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ أن الرياء مبطله للعمل كالشرك محبط للعمل^(١).
- ٢- إطلاق الفسق على الكفر فكل كافر فاسق على الإطلاق.
- ٣- حرمة التكاسل في الصلاة وأن ذلك من صفات المنافقين.
- ٤- وجوب رضا النفس بما ينفق العبد في سبيل الله زكاة أو غيرها.
- ٥- كراهية استحسان المسلم لِمَا عند أهل الفسق والنفاق من مال ومتاع.

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ

(١) فعل الإرادة يعدي بنفسه تقول : أردت خيراً، وعدي هنا باللام لأجل التعليل كقول الشاعر:

أريد لأنسى حبها فكأنما تمثل لي ليلي بكل مكان

(٢) لقوله تعالى : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ الآية، وقول الرسول ﷺ في عبد الله بن جدعان وقد قالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال : (لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) رواه مسلم.

فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
 هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

- وما هم منكم : أي في باطن الأمر لأنهم كافرون ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين .
 يفرقون : أي يخافون خوفاً شديداً منكم .
 ملجأ : أي مكاناً حصيناً يلجأون إليه .
 أو مغارات : جمع مغارة وهي الغار في الجبل .
 أو مدخلاً : أي سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب .
 يجمعون : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها .
 يلمزك : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطنن فيك .
 إذا هم يسخطون : أي غير راضين
 حسبنا الله : أي كافينا الله كل ما يهمننا .
 إلى الله راغبون : إلى الله وحده راغبون أي طامعون راجون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هتك أستار المنافقين وإظهار عيوبهم وكشف عوراتهم ليتوب
 منهم من أكرمه الله بالتوبة فقال تعالى عنهم ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ أي من أهل
 ملتكم ودينكم ، ﴿وما هم منكم﴾ أي في واقع الأمر إذ هم كفار منافقون ﴿ولكنهم قوم
 يفرقون﴾ أي يخافون منكم خوفاً شديداً فلذا يحلفون لكم إنهم منكم لتؤمنوهم على
 أرواحهم وأموالهم ، ولبيان شدة فرقهم منكم وخوفهم من سيوفكم قال تعالى : ﴿لو يجدون

(١) لأنهم يتخذون إيمانهم الكاذبة وقاية يتقون بها ما يخافونه من بطش المؤمنين بهم إذا عرفوا أنهم كافرون كما قال تعالى
 من سورتهم ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ .

ملجأ^(١) أي حصناً ﴿أو مغارات﴾ أي غيراناً في جبال ﴿أو مدخلًا﴾^(٢) أي سرباً في الأرض ﴿لولوا﴾ أي أدبروا إليها ﴿وهم يجمعون﴾^(٣) أي مسرعين ليتمنعوا منكم . هذا ما دلت عليه الآية الأولى والثانية أما الآية الثالثة والرابعة (٥٨ - ٥٩) فقد أخبر تعالى أن من المنافقين من يلمز الرسول ﷺ أي يطعن فيه ويعيبه في شأن قسمة الصدقات وتوزيعها فيتهم الرسول ﷺ بأنه لا يعدل في القسمة فقال تعالى ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا﴾ أي عن الرسول وقسمته ﴿وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ هذا ما تضمنته الآية (٥٨) وأما الآية الأخيرة (٥٩) فقد أرشدهم الله تعالى إلى ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال عز وجل ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ ، أي من الصدقات ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي كافينا الله ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾ الواسع العظيم ورسوله بما يقسم علينا ويوزعه بيننا ﴿إنا إلى الله﴾ وحده ﴿راغبون﴾ طامعون راجعون أي لكان خيراً لهم وأدرك لحاجتهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأيمان الكاذب شعار المنافقين وفي الحديث آية المنافق ثلاث :
(إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان).
- ٢- الجبن والخور والضعف والخوف من لوازم الكفر والنفاق .
- ٣- عيب الصالحين والطعن فيهم ظاهرة دالة على فساد قلوب ونيات من يفعل ذلك
- ٤- مظاهر الرحمة الإلهية تتجلى في إرشاد المنافقين إلى أحسن ما يكونوا عليه ليكملوا

(١) الملجأ مكان اللجأ يقال لجأت إلى كذا : إذا أويت إليه واعتصمت به وألجأت أمري إليه أي : أسندته .

(٢) المدخل : مفتعل اسم كان للدخال الذي هو افتعال من الدخول قلبت فيه تاء الافتعال دالاً لوقوعها بعد الدال فصارت مدخلا بدل متدخل ، ونظيره : إذان أصلها إندان ، وقرأها يعقوب وحده أو مدخلا بفتح الميم وإسكان الدال اسم مكان من دخل .

(٣) الجموح : نفور في إسراع .

(٤) روي أن النبي ﷺ أعطى بعض رعاة الغنم شيئاً لفقرهم فطعن أبو الحواظ المنافق فقال : ما هذا بالعدل كيف يضع صدقاتكم في رعاء الغنم إعانة لهم . كما أن ذا الخويصرة التميمي واسمه حروف بن زهير وهو أصل الخوارج قال للرسول ﷺ : اعدل يا رسول الله فقال له : (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل) فنزلت الآية وقال عمر دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : (معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي) .

(٥) جواب لو محذوف تقديره : لكان خيراً لهم ، وهو مذكور في التفسير في آخر الحديث .

ويسعدوا في الدارين .

هـ- لا كافي إلا الله ، ووجوب انحصار الرغبة فيه تعالى وحده دون سواه .

❖ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

الصدقات : جمع صدقة وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال .

للفقراء : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس .

والمساكين : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويدل نفسه بالسؤال .

والعاملين عليها : أي على جمعها وجبايتها وهم الموظفون لها .

والمؤلفة قلوبهم : هم أناس يرجى إسلامهم أو بقاءهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا وحسن إسلامهم .

وفي الرقاب : أي في فك الرقاب أي تحريرها من الرق ، فيعطى المكاتبون ما يسددون به نجوم أو أقساط كتابتهم .

وفي سبيل الله : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة .

وابن السبيل : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده .

فريضة من الله : أي فرضها الله تعالى فريضة على عباده المؤمنين .

معنى الآية الكريمة :

بمناسبة لمز المنافقين الرسول ﷺ والطعن في قسمته الصدقات بين تعالى في هذه

الآية الكريمة أهل الصدقات المختصين بها . والمراد بالصدقات الزكوات وصدقة التطوع

فقال عز وجل ﴿إنما الصدقات﴾ محصورة في الأصناف الثمانية التي تذكر وهم:

(١) الفقراء وهم المؤمنون الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم الضرورية من طعام وشراب وكساء ومأوى.

(٢) المساكين وهم الفقراء الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم ولم يتعففوا فكانوا يسألون الناس ويظهرون المسكنة لهم والحاجة.

(٣) الموظفين فيها من سعاة جباة وأمناء وكتاب وموزعين يعطون على عملهم فيها أجرة أمثالهم في العمل الحكومي.

(٤) المؤلفة قلوبهم وهم من يرجى نفعهم للإسلام والمسلمين لمناصبهم وشوكتهم في أقوامهم، فيعطون من الزكاة تأليفاً أي جمعاً لقلوبهم على الإسلام ومحبته ونصرته ونصرة أهله، وقد يكون أحدهم لم يسلم بعد فيعطى ترغيباً له في الإسلام، وقد يكون مسلماً لكنه ضعيف الإسلام فيعطى تثبيتاً له وتقوية على الإسلام.

(٥) في الرقاب وهو مساعدة المكاتبين على تسديد أقساطهم ليتحرروا أما شراء عبد بالزكاة وتحريره فلا يجوز لأنه يعود بالنفع على دافع الزكاة لأن ولاء المعتوق له.

(٦) الغارمين جمع غارم وهو من ترتب عليه ديون بسبب ما أنفقه في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته، ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه.

(٧) في سبيل الله وهو تجهيز الغزاة والإنفاق عليهم تسليحاً وإراكاباً وطعاماً ولباساً.

(٨) ابن السبيل وهم المسافرون ينزلون ببلد وتنتهي نفقتهم فيحتاجون فيعطون من الزكاة

(١) قيل: الفقير هو صفة مشبهة من الفقر أي المتصف بالفقر وهو: عدم امتلاك ما به الكفاية لحاجته المعاشية وضده الغنى، والمسكين: ذو المسكنة وهي المذلة التي تحصل بسبب الفقر، والفقير والمسكين يغني ذكر أحدهما عن الآخر، أما إذا ذكرا معاً فلكل واحد حقيقة كما تقدم، وفي أيهما أشد فقرًا خلاف، وأحسن ما قيل هو أن الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه وقيمته، والمسكين: الذي لا شيء له.

(٢) قال القرطبي: فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين تظهر فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فمن قال هما صنف واحد يكون الثلث الموصى به نصفه لفلان ونصفه الآخر للفقراء، ومن قال: هما صنفان يقسم الثلث الموصى به بينهما أثلاثاً.

(٣) اختلف في حالة الفقر التي يصح للفقير أن يأخذ معها الزكاة، فمن قائل إن لم يكن له مائتا درهم جاز له أخذ الزكاة، ومن قائل: خمسون درهماً ومن قائل: أربعون درهماً. ومن قائل: من كان قويا على الكسب لقوة بدنه فلا يعطى الزكاة لحديث: (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي).

(٤) ورد الوعيد الشديد فيمن يطلب الصدقة وهو غني عنها من ذلك قوله ﷺ: (من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار) رواه أبو داود. قالت العلماء: إن الذي له شيع يوم وليلة لا يحل له أن يسأل. اختلف في نقل الزكاة من بلد إلى بلد، والراجح: الجواز لضرورة الفقر وشدته.

ولو كانوا أغنياء ببلادهم .

وقوله تعالى ﴿فريضة من الله﴾^(١) أي هذه الصدقات وقسمتها على هذا النحو جعله الله تعالى فريضة لازمة على عباده المؤمنين . وقوله ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه وأحوالهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وقسمته ، فلذا لا يجوز أبداً مخالفة هذه القسمة فلا يدخل أحد فيعطى من الزكاة وهو غير مذكور في هذه الآية وليس شرطاً أن يعطى كل الأصناف فقد يعطى المرء زكاته كلها في الجهاد أو في الفقراء والمساكين ، أو في الغارمين أو المكاتبين وتجزئة وإن كان الأولى أن يقسمها بين الأصناف المذكورة من وجد منها ، إذ قد لا توجد كلها في وقت واحد .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- تقرير فرضية الزكاة .
- ٢- بيان مصارف الزكاة .
- ٣- وجوب التسليم لله تعالى في قسمته بعدم محاولة الخروج عنها .
- ٤- إثبات صفات الله تعالى وهي هنا : العلم والحكمة ، ومتى كان الله تعالى عليماً بخلقه وحاجاتهم حكيماً في تصرفه وشرعه وجب التسليم لأمره والخضوع له بالطاعة والانقياد .

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنُ قُلٍّ أذنُ خَيْرٍ
لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾
يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ

(١) ﴿فريضة﴾ منصوب على المصدر المؤكد إذ تقدير الكلام : إنما فرض الله الصدقات للفقراء والمساكين الخ . . . فريضة منه تعالى وهو العليم بخلقه الحكيم في تدبيره وصنعه .

مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْدَلُوهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

يؤذون النبي : أي الرسول محمداً ﷺ ، والأذى المكروه يصيب الإنسان كثيراً أو يسيراً.

هو أذن

: أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى.

قل أذن خير لكم

: أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو أذن خير لكم لا أذن شر مثلكم أيها المنافقون.

ويؤمن للمؤمنين

: أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار أما غيرهم فإنه وإن يسمع منهم لا يصدقهم لأنهم كذبة فجرة.

والله

: أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه.

من يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي يعاديهما، ويقف دائماً في حدّ وهما في حد فلا ولاء ولا موالاة أي لا محبة ولا نصرة.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هتك أستار المنافقين وبيان فضائحهم قال تعالى : ﴿ومنها﴾^(١) الذين يؤذون النبي ﷺ أي من المنافقين أفراد يؤذون النبي بالطعن فيه وعيبه بما هو براء منه ، وبين تعالى بعض ذلك الأذى فقال ﴿ويقولون هو أذن﴾ أي يسمع كل ما يقال له ، وحاشاه ﷺ أن يقر سماع الباطل أو الشر أو الفساد ، وإنما يسمع ما كان خيراً ولو كان من منافق يكذب ويحسن القول . وأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿قل أذن خير لكم﴾^(٢) يسمع ما فيه خير لكم ، ولا يسمع ما هو شر لكم . إنه لما كان لا يواجههم بسوء صنعهم ،

(١) قيل هذه الآية نزلت في عتاب بن قشير إذ قال : إنما محمد أذن يقبل كل ما قيل له . وقيل : نزلت في نبتل بن الحارث الذي قال فيه الرسول ﷺ : (من أراد أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث) وكان ماكرًا خبيثًا مشوّه الخلقة .
(٢) قرئ بالرفع والتنوين ﴿أذن خير لكم﴾ وقرأ الجمهور بالإضافة : ﴿أذن خير﴾ .

وقبح أعمالهم حملهم هذا الجميل والإحسان على أن قالوا: ﴿هو أذن﴾ طعناً فيه ﷺ وعيلاً له. وقوله تعالى ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ هذا من جملة ما أمر الرسول ﷺ أن يقول للمنافقين رداً على باطلهم. أنه ﷺ يؤمن بالله رباً وإلهاً، ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ أي بصدقهم فيما يقولون وهذا من خيريته ﷺ وقوله ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أيضاً من خيريته فهو رحمة لمن آمن به واتبع النور الذي جاء به فأكمل عليه وسعد به في حياته. وقوله تعالى ﴿والذين يؤذون رسول الله﴾ أي بأي نوع من الأذى قل أو كثر توعدهم الله تعالى بقوله ﴿لهم عذاب أليم﴾ وهو لا محالة نازل بهم وهم ذائقوه حتماً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦١) أما الآية الثانية (٦٢) فقد أخبر تعالى عن المنافقين أنهم يحلفون للمؤمنين بأنهم ما طعنوا في الرسول ولا قالوا فيه شيئاً يريدون بذلك إرضاء المؤمنين حتى لا يبطشوا انتقاماً لكرامة نبيهم قال تعالى ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله وأحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ أي فبدل أن يرضوا المؤمنين كان الواجب أن يرضوا الله تعالى بالتوبة إليه ويرضوا الرسول بالإيمان ومتابعته إن كانوا كما يزعمون أنهم مؤمنون. وقوله في الآية الثالثة (٦٣) ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ أي يشاقهما ويعداهما فإن له جزاء عداته ومحاربتة نار جهنم خالداً فيها ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ أي كونه في نار جهنم خالداً فيها لا يخرج منها هو الخزي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

(١) روي أنَّ نفرًا من المنافقين منهم الجلاس بين سويد ووديعه بن ثابت فقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير وبينهم غلام فغضب لقولهم هذا وأخبر به الرسول ﷺ فكذبوه في قوله فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿سيحلفون بالله لكم... الخ﴾.

(٢) قال سيبويه: تقدير الكلام، والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ثم حذف طلباً للإيجاز كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

والحامل على هذا التقدير لأن الرسول ﷺ لم يرض بقول الرجل: ما شاء الله وشئت فقال له: (قل ما شاء الله وحده) لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب.

(٣) الاستفهام للأنكار والتوبيخ والمعنى: ألم يعلموا شأنًا عظيمًا هو من يجادل الله ورسوله له نار جهنم، والمحادة: المعادة والمشاقة كأن كل واحد واقف في حد لا يتصل بالآخر، والفاء في ﴿فإن له﴾ لربط جواب شرط ﴿من﴾ وأعيدت أن في الجواب لتوكيد أن المذكورة قبل الشرط توكيداً لفظياً.

(٤) أي: وهو رحمة. على أن رحمة: خبر لمبتدأ محذوف وقرئ: ورحمة بالجر عطفًا على ﴿خير لكم﴾ وفيه بُعد كبير.

- ١- حرمة أذية رسول الله بأي وجه من الوجوه .
- ٢- كون النبي ﷺ رحمة للمؤمنين دعوة للإيمان والإسلام .
- ٣- تواعد الله تعالى من يؤذى رسوله بالعذاب الأليم دليل على كفر من يؤذى رسول الله ﷺ .
- ٤- بيان كذب المنافقين وجبنهم حيث يحلفون للمؤمنين أنهم ما طعنوا في الرسول وقد طعنوا بالفعل ، وإنما حلفهم الكاذب يدفعون به غضب المؤمنين والانتقام منهم .
- ٥- وجوب طلب رضا الله تعالى بفعل محابه وترك مساخطه .
- ٦- تواعد من يحادد الله ورسوله بالعذاب الأليم .

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ

أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

يحذر المنافقون : أي يخافون ويحترسون .

تنزل عليهم سورة : أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبتهم .

(١) في الآية دليل جواز الحلف بالله وعدم جواز الحلف بغيره لقول الرسول ﷺ (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت ومن حلف له فليصدق) .

تنبّئهم بما في قلوبهم : أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم .

قل استهزئوا : الأمر هنا للتهديد .

مخرج ما تحذرون : أي مخرجه من نفوسكم مظهره للناس أجمعين .

نخوض ونلعب : أي نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سباً ولا طعناً .

تستهزئون : أي تسخرون وتحتقرون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين لكشف الستار عنهم وإظهارهم على حقيقتهم ليتوب منهم من تاب الله عليه قال تعالى مخبراً عنهم ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي يخشى المنافقون أن تنزل في شأنهم على رسول الله ﷺ ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ﴾ أي تخبرهم بما في قلوبهم فتفضحهم ، ولذا سميت هذه السورة بالفاضحة وقوله تعالى لرسوله ﴿قُلْ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ يهددهم تعالى بأن الله مخرج ما يحذرون إخراجاً وظهوره مما يقولونه في خلواتهم من الطعن في الإسلام وأهله . وقوله تعالى ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي عما قالوا من الباطل . لقالوا ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ لا غير . قل لهم يا رسولنا ﴿أَبَا لَهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ وذلك أن نفراً من المنافقين في غزوة تبوك قالوا في مجلس لهم : ما رأينا مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ! فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزلت هذه الآيات : وجاءوا يعتذرون لرسوله الله فأنزل الله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي الذي كنتم تدعونه ، لأن الاستهزاء بالله والرسول والكتاب كفر مخرج من الملة ، وقوله تعالى ﴿إِنْ

(١) يروى أن أحد المنافقين قال : والله وددت لو أني قُذِمْتُ فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت الآية : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ...﴾ وهي خير وإن قال بعضهم هي إنشاء بمعنى : ليحذر المنافقون .

(٢) معلوم أن القرآن ينزل على الرسول ﷺ وقوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى المؤمنين لأنهم والرسول في جانب والمنافقون في آخر ، فصَحَّ أن يقال : تنزل على المؤمنين ، والرسول معهم ، وهو المختص بالوحي .

(٣) وسميت أيضاً : المثيرة ، والمبعثرة والحفارة لأنها أثارت كامن المنافقين وبعثته وحفرت ما في قلوبهم وأخرجته .

(٤) ذكر الطبري أن قائل هذه المقالة : ودیعة بن ثابت قال ابن عمر : رأيته معلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ يماشئها والحجارة تنكبه وهو يقول : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ والرسول ﷺ يقول : أَبَا لَهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ .

(٥) ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ نهاهم عن الاعتذار لأنه غير نافع لهم ولا مجد واعتذر بمعنى : اعذر أي صار ذا عذر ، والاعتذار محو أثر الموجدة أو هو القطع ، أي : قطع ما في القلب من الموجدة ، ومنه قيل : عدرة الغلام ، وهو ما يقطع منه عند الختان .

نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴿لَأَنَّهُمْ يَتُوبُونَ كَمُخْشِي بْنِ حَمِيرٍ﴾ ^(١) ﴿نَعَذِبُ طَائِفَةً﴾ أُخْرَى لَأَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ عِلَّةٌ لِلْحُكْمِ بِعَذَابِهِمْ وَهُوَ إِجْرَامُهُمْ بِالْكَفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ إِذْ مِنْ جُمْلَةٍ مَا قَالُوهُ: قَوْلُهُمْ فِي الرَّسُولِ ﷺ "يُظَنُّ هَذَا-يُشِيرُونَ إِلَى النَّبِيِّ وَهُمْ سَائِرُونَ- يَفْتَحُ قُصُورَ الشَّامِ وَحُصُونَهَا" فَأُطْلِعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ فَجَاءُوا وَاعْتَذَرُوا بِقَوْلِهِمْ إِنَّا كُنَّا نَخُوضُ ^(٢) أَيَّ فِي الْحَدِيثِ وَنَلْعَبُ تَقْصِيرًا لِلْوَقْتِ، وَدَفْعًا لِلْمَلَلِ عَنَّا وَالسَّامَةِ فَأَنْزَلَ تَعَالَى ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ﴾ الْآيَةُ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الكشف عن مدى ما كان يعيش عليه المنافقون من الحذر والخوف.
- ٢- كفر من استهزأ بالله أو آياته أو رسوله.
- ٣- لا يقبل اعتذار من كفر بأي وجه وإنما التوبة أو السيف فيقتل كفرًا.
- ٤- مصداق ما أخبر به تعالى من أنه سيعذب طائفة فقد هلك عشرة بداء الدبيلة «خراج يخرج من الظهر وينفذ ألمه إلى الصدر فيهلك صاحبه حتمًا».

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

(١) هو مخشي بن حمير الأشجعي وقد تاب عند سماعه هذه الآية وحسن إسلامه.

(٢) الخوض: الدخول في الماء، ثم استعمل في كل دخول فيه تلويث وأذى.

(٣) اختلف العلماء في الهزل في سائر الأحكام كالبيع والنكاح والطلاق على ثلاثة أقوال لا يلزم مطلقاً، يلزم مطلقاً، التفرقة بين البيع وغيره، وهذا الراجح، لأن النكاح والطلاق والعناق ورد فيها النص من السنة لحديث الترمذي وحسنه مع وصفه بالغرابة وبه العمل عند جماهير الصحابة والتابعين والفقهاء وهو: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة) وحديث الموطأ: (ثلاث ليس فيهن لعب: النكاح والطلاق والعنق).

فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

المنافقون : أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بالأسستهم ويسترون الكفر في قلوبهم .

بعضهم من بعض^(١) : أي متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد .

بالمنكر : أي ما ينكره الشرع لضربه أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله .

عن المعروف : أي ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح .

يقبضون أيديهم : أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله .

نسوا الله فنسيهم : أي تركوا الله فلم يؤمنوا به ورسوله فتركهم وحرّمهم من توفيقه وهدايته .

عذاب مقيم : أي دائم لا يزول ولا يبيد .

(١) «بعضهم من بعض» : أي : هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين ، أو هم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

- بخلاتهم : أي بنصبيهم وحظهم من الدنيا .
 وخضتم : أي في الكذب والباطل .
 والمؤتفكات : أي المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن^(١) .
 بالبينات : الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هتك أستار المنافقين وبيان فضائحهم لعلمهم يتوبون . قال تعالى ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي كأعضاء الشيء الواحد وذلك لأن أمرهم واحد لا يختلف بعضهم عن بعض في المعتقد والقول والعمل بين تعالى حالهم بقوله ﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ وهذا دليل على انتكاسهم وفساد قلوبهم وعقولهم ، إذ هذا عكس ما يأمر به العقلاء والمراد من المنكر الذي يأمر به هو الكفر والعصيان ، والمعروف الذي ينهون عنه هو الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما . وقوله تعالى ﴿ويقبضون أيديهم﴾ كناية عن الإمساك وعدم البذل في الإنفاق في سبيل الله^(٢) . وقوله ﴿نسوا الله﴾ فلم يؤمنوا به ولم يؤمنوا برسوله ولم يطيعوا الله ورسوله ﴿فَنَسِيَهُم﴾ الله بأن تركهم محرومين من كل هداية ورحمة ولطف . وقوله ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ تقرير لمعنى ﴿نسوا الله فَنَسِيَهُم﴾ ، إذ كفرهم بالله وبرسوله هو الذي حرّمهم هداية الله تعالى ففسقوا سائر أنواع الفسق فكانوا هم الفاسقين الجديرين بهذا الوصف وهو الفسق والتوغل فيه . وقوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾ أي كافيههم ﴿ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ أي دائم لا يزول ولا يبيد ولا يفنى فقد حملت هذه الآية أشد وعيد لأهل النفاق والكفر إذ توعدهم الرب تعالى بنار جهنم خالدين فيها وبالعذاب المقيم الذي لا يبارحهم ولا يتركهم لحظة أبد الأبد وذلك بعد أن لعنهم الله فأبعدهم وأسحقهم من كل رحمة وخير . وفي الآية الثالثة (٦٩) يأمر

(١) هي : سدوم ، وعمورة ، وأرمه ، وكانت مدناً متاخمة بعضها قريب من بعض .

(٢) أي : وصفهم بالبخل والشح كما قال تعالى : ﴿أشحّة على الخير﴾ كما أن امتناعهم عن الخروج إلى الجهاد يعتبر قبضاً لأيديهم .

(٣) الأصل أن الوعد يكون في الخير والإيعاد يكون في الشر ، وإطلاق الوعد على الوعيد كما هو هنا تهكم بهم .

(٤) ﴿هي حسبهم﴾ مبتدأ وخبر ومعناه : أنها كافية ووفاء لجزاء أعمالهم .

تعالى رسوله أن يقول للمنافقين المستهزئين بالله وآياته ورسوله: أنتم أيها المنافقون كأولئك الذين كانوا من قبلكم في الاغترار بالمال والولد والكفر بالله والتكذيب لرسله حتى نزل بهم عذاب الله ومضت فيهم سنته في إهلاكهم هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى ﴿كالذين من قبلكم^(١) كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم﴾ أي بنصيبهم الذي كتب لهم في الدنيا ﴿فأستمتعتم بخلافكم﴾ أي بما كتب لكم في هذه الحياة الدنيا ﴿كما استمتع الذين من قبلكم﴾ أي سواء بسواء ﴿وخضتم﴾ في الباطل والشر والكفر والتكذيب ﴿كالذي خاضوا﴾ أي كخوضهم سواء بسواء أولئك الهالكون ﴿حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ أي تلاشت وذهبت ولم ينتفعوا منها بشيء، ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾. وبما أنكم أيها المنافقون تسировون على منهجهم في الكفر والتكذيب والاعترار بالمال والولد فسوف يكون مصيركم كمصيرهم وهو الخسران المبين.

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٧٠) ﴿ألم يأتهم^(٢) نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم^(٣) رسلهم بالبينات﴾ أي الآيات الدالة على توحيد الله وصدق رسوله وسلامة دعوتهم كما جاءكم أيها المنافقون رسولنا محمد ﷺ بالبينات فكذبتم كما كذب الذين من قبلكم فنزل بهم عذاب الله فهلك قوم نوح بالطوفان وعاد بالريح العاتية، وثمود بالصاعقة، وقوم إبراهيم^(٤) بسلب النعم وحلول النقم، وأصحاب مدين بالرجفة وعذاب الظلمة، والمؤتفكات بالمطر والإثفاك أي القلب بأن أصبح أعالي مدنهم الثلاث^(٥) أسافلها، وأسافلها أعاليها، وما ظلمهم الله تعالى بما أنزل عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وأنتم أيها المنافقون إن لم تتوبوا إلى ربكم سيحل بكم ما حل بمن قبلكم أو أشد لأنكم لم تعتبروا بما سبق.

- (١) الكاف: في محل نصب أي: وعدكم الله أيها المنافقون والمنافقات كما وعد الذين من قبلكم نار جهنم تخلصون فيها.
- (٢) الكاف: في محل نصب نعت لمصدر محذوف أي: وخضتم خوضاً كالذي خاضوا أي: في الباطل والشر والفساد والذي بمعنى الجمع، ويجوز أن يكون الذين محذوف النون على لغة هذيل قال شاعرهم: وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
- (٣) الاستفهام للتقرير، والتحذير بمعنى: ألم يسمعوا بإهلاكنا الكفار من قبلهم؟
- (٤) أي بدلائل الحق والصدق، والجملة تعليلية.
- (٥) هم نمرود بن كنعان وقومه.
- (٦) قوم لوط عليه السلام.
- (٧) تقدمت أسماء هذه المدن قريباً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إن المنافقين لما كان مرضهم واحد وهو الكفر الباطني كان سلوكهم متشابها.
- ٢- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف علامة النفاق وظاهرة الكفر وانتكاس الفطرة.
- ٣- الاغترار بالمال والولد من عوامل عدم قبول الحق والإذعان له والتسليم به.
- ٤- تشابه حال البشر واتباع بعضهم لبعض في الباطل والفساد والشر.
- ٥- حبوط الأعمال بالباطل وهلاك أهلها أمر مقضى به لا يتخلف.
- ٦- وجوب الاعتبار بأحوال السابقين والاتعاظ بما لاقاه أهل الكفر منهم من عذاب.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ

وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------|---|
| والمؤمنون | : أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده. |
| أولياء بعض | : أي يتولى بعضهم بعضاً في النصرة والحماية والمحبة والتأييد. |
| ويقومون الصلاة | : أي يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب. |
| ويؤتون الزكاة | : أي يخرجون زكاة أموالهم الصامئة كالدرهم والدنانير والمعشرات والناطقة كالأنعام : الإبل والبقر والغنم. |

في جنات عدن : أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.^(١)
 ورضوان من الله أكبر : أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة.
 معنى الآيتين :

بمناسبة ذكر المنافقين وبيان سلوكهم ونهاية أمرهم ذكر تعالى المؤمنين وسلوكهم الحسن ومصيرهم السعيد فقال ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ أي المؤمنون بالله ورسوله ووعده ووعيده والمؤمنات بذلك ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي يوالي بعضهم بعضاً محبة ونصرة وتعاوناً وتأيداً ﴿يأمرون بالمعروف﴾ وهو ما عرفه الشرع حقاً وخيراً من الإيمان وصالح الأعمال، ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرفه الشرع باطلاً ضاراً فاسداً من الشرك وسائر الجرائم فالمؤمنون والمؤمنات على عكس المنافقين والمنافقات في هذا الأمر وقوله تعالى ﴿ويقيمون الصلاة﴾ ويؤتون الزكاة ﴿والمنافقون لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى فهم مضيعون لها غير مقيمين لها، ويقبضون أيديهم فلا ينفقون، والمؤمنون يطيعون الله ورسوله، والمنافقون يعصون الله ورسوله، المؤمنون سيرحهم الله،^(٢) والمنافقون سيعذبهم الله، ﴿إن الله عزيز﴾ غالب سينجز وعده ووعيده ﴿حكيم﴾ يضع كل شيء في موضعه اللائق به فلا يعذب المؤمنين وينعم المنافقين بل ينعم المؤمنين ويعذب المنافقين.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٢) ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها ﴿خالدين فيها ومسكن﴾ أي قصوراً طيبة في غاية النظافة وطيب الرائحة ﴿في جنات عدن﴾ أي إقامة وقوله ﴿ورضوان من الله﴾

(١) قال تعالى من سورة الكهف: ﴿لا يغيث عنها حولا﴾ أي: تحولا لأن نعيمها لا يُمل ولا تشوق النفس لغيره أبداً.
 (٢) شاهده من السنة قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وشبك بين أصابعه وقوله ﷺ في الصحيح: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).
 (٣) يشمل اللفظ: الصلوات الخمس والتوافل كما شمل الزكوات المفروضة والصدقات إذ المدح يحصل بهما معاً فرضاً ونقلاً.
 (٤) أي: يؤدون الفرائض والسنن فعلاً ويجتنبون المنهيات والمكروهات تركاً.
 (٥) السين في ﴿سيرحهم﴾ للتأكيد وتحمل معنى الخوف والرجاء وهما جناحا المؤمنين لا يطيرون في سماء الكمالات إلا بهما.

(٦) شاهده في الصحيح قوله ﷺ: (جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) وقوله أيضاً في الصحيح: (إن للمؤمن في الجنة لحخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوفون عليها لا يرى بعضهم بعضاً).

أي يحله عليهم أكبر من الجنات والقصور وسائر أنواع النعيم . وقوله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ ذلك المذكور من الجنة ونعيمها ورضوان الله فيها هو الفوز العظيم . والفوز هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب . هذا الوعد الإلهي الصادق للمؤمنين والمؤمنات يقابله وعيد الله تعالى للمنافقين والكفار في الآيات السابقة ، ونصه ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان صفات المؤمنين والمؤمنات والتي هي مظاهر إيمانهم وأدلتها .
- ٢- أهمية صفات أهل الإيمان وهي الولاء لبعضهم بعضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة ، طاعة الله ورسوله .
- ٣- بيان جزاء أهل الإيمان في الدار الآخرة وهو النعيم المقيم في دار الإسلام .
- ٤- أفضلية رضا الله تعالى على سائر النعيم .
- ٥- بيان معنى الفوز وهو النجاة من النار، ودخول الجنة .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبَئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهُمْ مُوْأِمَّا لَمْ يَأْتُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعدِّبْهُمْ

(١) أخرج الشيخان البخاري ومسلم ، ومالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) .

اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

جاهد الكفار : ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين .

واغلظ عليهم : أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلن لهم .

كلمة الكفر : أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد : إن

كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير .

وهموا بما لم ينالوا : أي هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة^(١) وهم عائدون من تبوك .

وما نقموا إلا أن أغناهم : أي ما أنكروا أو كرهوا من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله

بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟

معنى الآيتين :

يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين فيقول ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار

والمنافقين﴾ وجهاد الكفار يكون بالسلاح وجهاد المنافقين يكون باللسان^(٢)، وقوله تعالى

﴿واغلظ عليهم﴾^(٣) أي شدد عملك وقولك، فلا هوادة مع من كفر بالله ورسوله، ومع من

نافق الرسول والمؤمنين فأظهر الإيمان وأسر الكفر وقوله تعالى ﴿ومأواهم جهنم وبئس

المصير﴾ أي جهنم يريد ابذل ما في وسعك في جهادهم قتلاً وتأديباً هذا لهم في الدنيا،

وفي الآخرة مأواهم جهنم وبئس المصير، وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٤) ﴿يحلفون

بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾ هذا الكلام علة

للأمر بجهادهم والإغلاظ عليهم. إن قول الجلاس بن سويد المنافق : لئن كان ما جاء به

محمد حقاً لنحن شر من الحمير سمعه منه أحد المؤمنين فبلغه رسول الله ﷺ فجاء

(١) اقرأ نصها في التفسير فإنها واضحة ومختصرة .

(٢) يدخل في هذا الخطاب أمته ﷺ .

(٣) بأن يقول لهم الكلمة الغليظة الشديدة ويكنههم أي : يعيس ولا يبسط وجهه فيهم .

(٤) هذه الآية نسخت كل شيء من العفو، والصفح الذين كان الرسول ﷺ يؤمر بهما إزاء المشركين والمنافقين .

الجلال يعتذر ويحلف بالله ما قال الذي قال فأكذبه الله تعالى في قوله في هذه الآية ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ والسياق دال على تكرار مثل هذا القول الخبيث وهو كذلك. وقوله تعالى ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾^(١) يعني المنافقين الذين تأمروا على قتل النبي ﷺ عند عودته من تبوك في عقبة في الطريق إلا أن الله فضحهم وخبب مسعاهم ونجى رسوله منهم حيث بعث عمار بن ياسر يضرب وجوه الرواحل لما غشوه فردوا وتفرقوا بعد أن عزموا على أن يزاحموا رسول الله وهو على ناقته بنوقهم حتى يسقط منها فيهلك أهلكهم الله. وقوله تعالى ﴿وما نقموا﴾ أي وما كرهوا من رسول الله ولا من الإسلام شيئاً إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وهل الغنى بعد الفقر مما ينقم منه، والجواب لا ولكنه الكفر والنفاق يفسد الذوق والفطرة والعقل أيضاً.

ومع هذا الذي قاموا به من الكفر والشر والفساد يفتح الرب الرحيم تبارك وتعالى باب التوبة في وجوههم ويقول ﴿فإن يتوبوا﴾ من هذا الكفر والنفاق والشر والفساد يك ذلك ﴿خيراً لهم﴾ حالاً ومآلاً أي في الدنيا والآخرة، ﴿وإن يتولوا﴾ عن هذا العرض ويرفضوه فيصرون على الكفر والنفاق ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً﴾ أي موجعاً في الدنيا بالقتل والخزي، وفي الآخرة بعذاب النار، ﴿ومالهم في الأرض من ولي﴾ يتولاهم ولا ناصر ينصرهم، أي وليس لهم في الدنيا من ولي يدفع عنهم ما أراد الله أن ينزله بهم من الخزي والعذاب وما لهم من ناصر ينصرهم بعد أن يخذلهم الله سبحانه وتعالى.

(١) أخرج مسلم عن حذيفة: (أن اثني عشر رجلاً ساءهم رسول الله ﷺ فعدهم حذيفة واحداً واحداً قال قلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن يقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيهم الله بالدبلة) وهي خراج يظهر في الظهر وينصب على الصدر يقتل صاحبه فوراً.

(٢) أي: ليس بنقمون شيئاً إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بما كان الرسول ﷺ يعطيهم من الغنائم، قيل لأحدهم: هل تجد في القرآن نظير قولهم اتق شر من أحسنت إليه؟ قال: نعم هو قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

(٣) هذه الجملة متفرعة عن الكلام السابق وهي من باب ذكر الوعد بعد الوعيد والترغيب بعد التهيب، وهو أسلوب القرآن الكريم.

(٤) حذفت نون ﴿يك﴾ تخفيفاً إذ الأصل يكن.

(٥) هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿يعذبهم الله﴾ وهي وإن كانت اسمية لا يمتنع أن تكون جواباً ثانياً معطوفاً على جملة الجزء، لأنه يغتفر في التابع مالا يغتفر في المتبوع، فالجزء جزاء، الأول: تعذيبهم والثاني: انعدام الولي والنصير لهم في الأرض كلها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان آية السيف^(١) وهي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .
- ٢- تقرير مبدأ الردة وهي أن يقول المسلم كلمة الكفر فيكفر بها وذلك كالطعن في الإسلام أو سب الله أو رسوله ﷺ أو التكذيب بما أمر الله تعالى بالإيمان به والتصديق بضده أي بما أمر الله بتكذيبه .
- ٤- تقرير مبدأ التوبة من كل الذنوب ، وأن من تاب تقبل توبته .
- ٤- الوعيد الشديد لمن يصصر على الكفر ويموت عليه .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ

ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾ (٧٥)

فَلَمَّآ ءَاتٰهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۖ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ

﴿ ٧٦ ﴾ فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِيْ قُلُوْبِهِمْ اِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهٗ بِمَا اٰخَفُوا

اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴾ (٧٧) اَلَمْ يَعْلَمُوْا

اَنَّ اللّٰهَ يَعْْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ

الْغُيُوْبِ ﴾ (٧٨)

شرح الكلمات :

ومنهم : أي من المنافقين .

لئن آتانا من فضله : أي مالا كثيرا .

بخلوا به : أي منعه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها .

فأعقبهم نفاقاً : أي فأورثهم البخل نفاقاً ملازماً لقلوبهم لا يفارقها إلى يوم يلقون

(١) يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : سيف الله أربعة : واحد على المشركين قال تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين . . ﴾ وثان على الكافرين قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . . ﴾ وثالث على المنافقين : قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين . . ﴾ ورابع على البغاة . قال تعالى : ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ .

الله تعالى .

بما أخلفوا الله : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به .

سرهم ونجواهم : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه ، وما يتناجون به فيما بينهم .

علام الغيوب : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المنافقين وهم أصناف وهذا صنف آخر منهم قد عاهد الله تعالى لئن أغناهم من فضله وأصبحوا ذوي ثروة ومال كثير ليصدقن منه ولينفقن في طريق البر والخير، فلما أعطاهم الله ما سألوا وكثر مالهم شحوا به وبخلوا، وتولوا عما تعهدوا به وما كانوا عليه من تقوى وصلاح، وهم معرضون . فأورثهم هذا البخل وخلف الوعد والكذب ﴿نفاقاً في قلوبهم﴾ لا يفارقهم حتى يلقوا ربهم . هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ . أما الآية الأخيرة (٧٨) وهي قوله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب؟؟﴾ فإنها تضمنت توبيخ الله تعالى للمنافقين الذين عاهدوا الله وأخلفوه بموقفهم الشائن كأنهم لا يعلمون أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنه تعالى علام الغيوب، وإلا كيف يعدون ويحلفون له أم يحسبون أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم فموقفهم هذا موقف مخز لهم شائن، وويل لهم حيث لازمهم ثمرته وهو النفاق حتى الموت وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم وهلكوا مع الهالكين .

(١) قال قتادة: هذا رجل من الأنصار قال: لئن رزقني الله شيئاً لأدين فيه حقه ولأنصدقن فلما آتاه الله ذلك فعل ما قُصَّ عليكم فاحذروا الكذب فإنه يؤدي إلى الفجور.

(٢) ﴿نفاقاً﴾ نكرة أي: نفاقاً ما من نوع من أنواع النفاق وليس هو نفاق الكفر وإنما هو نفاق العمل.

(٣) الآية صريحة ودلائها واضحة في أن أحد أفراد المؤمنين سأل الله المال سواء بواسطة الرسول ﷺ كان قال له ادع الله لي، أو سأل بنفسه وقطع عهداً لربه بما ذكر في الآية، ولما أخلف ما عاهد الله عليه أصيب بمرض النفاق في قلبه - والعياذ بالله تعالى - وهل هو ثعلبية بن حاطب أو غيره أما ثعلبية فقد شهد بداراً، وأهل بدر ذكر لهم وعد عظيم، فلا يصح أن يكون أحدهم وقع في هذه الفتنة وإن كان غيره فهو حق، وجائز أن يكون هذا الغير اسمه ثعلبية فتشابه الاسم بالاسم فظن أنه البدري وليس هو والله أعلم. هذا والله إني لخائف من هذه الآية أن تنطبق عليّ فالحلهم عفوك وغفرانك لي.

(٤) صيغة الجمع تدل على أن من عاهد الله لم يكن فرداً واحداً بل كان جماعة ولذا قال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين: يُنزل بن الحارث والجد بن قيس ومعتب بن قشير إلا أن قوله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ يتنافى مع كونهم منافقين، إلا أن يقال: زادهم نفاقاً خُلِفهم هذا على نفاقهم الأول. والله أعلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الوفاء بالعهود وخاصة عهود الله تعالى ^(١).
- ٢- ذم البخل وأهله.
- ٣- تقرير مبدأ أن السيئة يتولد عنها سيئة.
- ٤- جواز تقرير وتأييد أهل الباطل.
- ٥- وجوب مراقبة الله تعالى إذ لوراقب هؤلاء المنافقون الله تعالى لما خرجوا عن طاعته ^(٢).

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

يلمزون : أي يعيبون ويطنعون.

(١) اختلف في نية الطلاق أو الصدقة بدون أن يلفظ هل يلزمه ما نواه بقلبه أو لا يلزمه ، الراجح : أنه لا يلزمه ما لم يلفظ به والدليل في قوله ﷺ (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به) رواه الترمذي وقال فيه حسن صحيح ، والشاهد في قوله : (أو تتكلم به) والعمل بهذا عند أهل العلم .

(٢) جاء في الصحيح قوله ﷺ (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) وفي حديث آخر : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) واختلف العلماء في تأويل هذين الحديثين ، وقسموا النفاق إلى اعتقادي وعملي ، فالاعتقادي : ما كان صاحبه كافرا بالله ورسوله مكذبا لهما ، والعملية : ما كان صاحبه مؤمنا مصدقا ولكن يأتي هذه المحظورات جهلا وفسقا . وهذا صحيح . ولكن لا يتأتى لعبد يؤمن بالله ورسوله أن يتعمد الكذب على المسلمين وإخلاف الوعد لهم ، والغدر بهم ، وخيانتهم في أماناتهم والفجور في التخاصم معهم ، ومن هنا كان المطلوب إجراء الخبر على ظاهره ما دام العبد يعتمد هذه المحظورات نكاية بالمسلمين وبغضا لهم وعدم اعتراف بحقوقهم وظلما واعتداء عليهم ، إذ مثل هذا لا يكون معه إيمان بالله ورسوله ﷺ .

المطّوعين : أي المتصدقين بأموالهم زيادة على الفريضة .
 إلا جهدهم : إلا طاقتهم وما يقدرّون عليه فيأتون به .
 فيسخرّون منهم : أي يستهزّون بهم احتقاراً لهم .
 استغفر لهم : أي اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب .
 لا يهدي القوم الفاسقين : أي إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان .
 معنى الآيتين :

ما زال السياق في التنديد بالمنافقين وكشف عوارهم فقد أخبر تعالى أن ﴿الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾^(١) فيسخرّون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴿ . أخبر تعالى أنه سخر منهم جزاء سخرتهم بالمتّصدقين وتوعدهم بالعذاب الأليم . وكيفية لمزهم المتطّوعين أن النبي ﷺ دعا إلى الصدقة فإذا جاء الرجل بمال كثير لمزوه وقالوا مراء ، وإذا جاء الرجل بالقليل لمزوه وقالوا : الله غني عن صاعك هذا فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ففضّحهم وسخر منهم وتوعدهم بأليم العذاب وأخبر نبيه أن استغفاره لهم وعدمه سواء فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وبين علة ذلك بقوله ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾ ، وهذه العلة كافية في عدم المغفرة لهم لأنها الكفر والكافر مخلد في النار . وأخبر تعالى أنه حرّمهم الهداية فلا يتوبوا فقال ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لأن الفسق قد أصبح وصفاً لازماً لهم فلذا هم لا يتوبون ، وبذلك حرّموا هداية الله تعالى .

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أمرنا بالصدقة فكنا نحامل على ظهورنا فتصدق أبو عقيل بنصف صاع ، قال : وجاء إنسان بشيء أكبر منه فقال المنافقون إن الله لغني عن صدقة هؤلاء ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت : ﴿الذين يلمزون المطّوعين . .﴾ الآية .

(٢) أصل المطّوعين : المتطّوعين ادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجيهما وهم : الذين يفعلون الشيء تبرعاً من غير أن يجب عليهم .

(٣) الجهد : شيء قليل يعيش به المقل والجهد والجهد بالفتح أيضاً : الطاقة والسخرية : الاستهزاء ، وعاملهم الله تعالى بالمثل فسخر منهم وهم لا يشعرون .

(٤) بيد أنه لما نزلت الآيات الفاضحة للمنافقين جاء بعضهم يعتذرون ويطلبون من الرسول ﷺ أن يستغفر لهم فاستغفر لهم رحمة بهم فأعلمه ربّه تعالى أن استغفاره لهؤلاء المنافقين مهما بلغ من الكثرة لا ينفعهم وذلك لكفرهم ونفاقهم وفسقهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- حرمة لمر المؤمن والطعن فيه .
- ٢- حرمة السخرية بالمؤمن .
- ٣- غيرة الله على أوليائه حيث سخر الله ممن سخر من المطوعين .
- ٤- من مات على الكفر لا ينفعه الاستغفار له ، بل ولا يجوز الاستغفار له .
- ٥- التوغل في الفسق أو الكفر أو الظلم يحرم صاحبه الهداية .

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ

بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نَوَكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

- فرح المخلفون : أي سرّ الذين تخلّفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ .
وقالوا : لا تنفروا في الحر : أي قال المنافقون لبعضهم بعضاً لا تخرجوا للغزو في الحر .
لو كانوا يفقهون : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا :
لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون .
فليضحكوا قليلاً وليبكوا : أي في الدنيا ، وليبكوا كثيراً في الدار الآخرة .

فإن رجعت الله إلى

طائفة منهم

: أي من المنافقين .

فاقعدوا مع الخالفين : أي المتخلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعداء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين فقال تعالى مخبراً عنهم ﴿ فرح المخلفون ﴾^(١) أي سرّ المتخلفون ﴿ بمقعدهم خلاف ﴾^(٢) رسول الله ﴿ أي بقعودهم بعد رسول الله ﷺ في المدينة ﴾ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴿ في سبيله ، وكرههم هذا للجهد هو ثمرة نفاقهم وكفرهم وقولهم ﴿ لا تنفروا في الحر ﴾ لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر ، قالوا هذا لبعضهم بعضاً وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قولهم هذا فقال ﴿ قل نار جهنم أشد حراً ﴾ فلماذا لا يتقوها بالخروج في سبيل الله كما يتقون الحر بعدم الخروج ، وقوله تعالى ﴿ لو كانوا يفقهون ﴾ أي لما تخلفوا عن الجهاد لأن نار جهنم أشد حراً ، ولكنهم لا يفقهون وقوله تعالى ﴿ فليضحكوا قليلاً ﴾^(٣) أي في هذه الحياة الدنيا بما يحصل لهم من المسرات ﴿ وليبكوا كثيراً ﴾ أي يوم القيامة لما ينالهم من الحرمان والعذاب ، وذلك كان جزاء بما كانوا يكسبون ﴿ من الشر والفساد ، وقوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم ﴾^(٤) أي فإن ردك الله سالماً من تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ معك لغزو وجهاد ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ وعلة ذلك ﴿ أنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ أي من النساء

(١) ﴿ المخلفون ﴾ هم المتركون في المدينة تركهم رسول الله ﷺ والمؤمنون لأنهم غير أهل لصحبة رسول الله ﷺ فلذا كره الله اتباعهم فبظهم أما هم فإنهم فرحوا بتخلفهم عن رسول الله ﷺ لنفاقهم وفسقهم .

(٢) ﴿ خلاف ﴾ لغة في خلف ، واختير لفظ خلاف إشارة إلى أن المنافقين يحبون مخالفة رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وقعودهم وإن كان بإذن فإنه مخالف لإرادة رسول الله ﷺ إذ الرسول ﷺ أمر بالنفير العام وجاءوا هم يستأذنون في القعود .

(٣) ﴿ فليضحكوا ﴾ أمر ، ومعناه التهديد أي : فليضحكوا في الدنيا قليلاً وليبكوا في الآخرة كثيراً ، أو هو أمر بمعنى الخبر وهو صحيح إذ هذا هو حالهم ومنتهى أمرهم .

(٤) قوله : ﴿ إلى طائفة ﴾ دليل على أن من المتخلفين ما كانوا منافقين ككعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع العامري .

(٥) ﴿ الخالفين ﴾ جمع خالف ، كأنهم خلفوا الخارجين في ديارهم ، واختير لفظ الخالفين يحمل سباً لهم وعباً ، إذ الخالفون النساء ، وخلف الشيء إذا فسد ، ومنه خلوف فم الصائم ، ومنه خلف اللبن : إذا فسد بطول المكث في الإناء ، وفي هذا دليل على أن استصحاب المخذل الفاسد في الغزوات لا يليق .

والأطفال فإن هذا يزيد في همهم ويعظم حسرتهم جزاء تخلفهم عن رسول الله وكراهيتهم الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- من علامات النفاق الفرح بترك طاعة الله ورسوله .

٢- من علامات النفاق كراهية طاعة الله ورسوله .

٣- كراهية الضحك والإكثار منه ^(١) .

٤- تعمد ترك الطاعة قد يسبب الحرمان منها .

وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
بِهَافِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

شرح الكلمات :

ولا تصل على أحد : أي صلاة الجنازة .

ولا تقم على قبره : أي لا تتول دفنه والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين .

وماتوا وهم فاسقون : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله .

وتزهق أنفسهم : أي تخرج أرواحهم بالموت وهم كافرون .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في شأن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وإن كانت هذه الآية

(١) صح عنه ﷺ أنه قال: (والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله تعالى) وورد أن كثرة الضحك تميئ القلب وكان النبي ﷺ جل ضحكه الابتسام .

(١) نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين وذلك أنه لما مات طلب ولده الحباب الذي سماه رسول الله ﷺ عبد الله وقال له الحباب اسم الشيطان وسماه عبد الله جاءه فقال يا رسول الله إن أبي قد مات فأعطني قميصك أكفنه فيه «رجاء بركته» وصل عليه واستغفر له يا رسول الله فأعطاه رسول الله ﷺ القميص وقال له إذا فرغتم فأذنوني فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال له: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم. فصلى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً، ولا تقم على قبره﴾ أي لا تتول دفنه والدعاء له بالتثبيت عند المسألة. وعلل تعالى لهذا الحكم بقوله ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾، وقوله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ أي لا تصل على أحد منهم مات يا رسول الله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ فتصلي عليهم. إني إنما أعطيتهم ذلك لا كرامة لهم وإنما لأعذبهم بها في الدنيا بالغموم والهموم ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي ويموتوا ﴿وهم كافرون﴾ فيسقلون إلى عذاب أبدي لا يخرجون منه، وذلك جزاء من كفر بالله ورسوله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- حرمة الصلاة على الكافر مطلقاً.

٢- حرمة غسل الكافر والقيام على دفنه والدعاء له.

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ وما في التفسير من خبر ابن أبي رواه مسلم. (٢) فإن قيل: كيف يعطي الرسول ﷺ قميصه ليكفن فيه رئيس المنافقين وكيف صلى عليه واستغفر له وهو يعلم أنه منافق؟ والجواب: أما إعطاؤه ثوبه ليكفن فيه فقد سبق أن أعطى عبدالله بن أبي ثوبا للعباس عم الرسول ﷺ فحفظ له هذه اليد فأعطاه ثوبه وأما الصلاة عليه فقد كانت قبل نهي الله تعالى عنها، وأما الاستغفار فقد خير فيه بقوله ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ فرأى ﷺ في استغفاره استئلافا للقلوب ففعل.

(٣) في الآية دليل على فرضية الصلاة على أموات المسلمين، ولا خلاف في هذا بين أهل العلم، وفي الآية إحدى موافقات عمر رضي الله عنه إذ أنزل الله تعالى هذا الحكم وهو ترك الصلاة على المنافقين بعد أن قال عمر: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين، فالصلاة هنا هي الدعاء والاستغفار فلما صلى عليه نزلت الآية ﴿ولا تصل على أحد...﴾ الخ فترك الصلاة على المنافقين.

(٤) صلاة الجنازة هي: أن يكبر ثم يقرأ الفاتحة ثم يكبر ويصلي على النبي ﷺ ثم يكبر ويدعو للميت، ثم يكبر الرابعة ويسلم لفعل الرسول ﷺ هذا وقوله: (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) رواه أبو داود، ويستحب أن يقف الإمام عند رأس الرجل، وعجيزة المرأة، ولورود الحديث بذلك في مسلم وأبي داود.

٣- كراهة الصلاة على أهل الفسق دون الكفر.

٤- حرمة الإعجاب بأحوال الكافرين المادية.

وَإِذَا

أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهِدُوا بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

استأذنتك : أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف .

أولو الطول منهم : أي أولو الثروة والغنى .

ذرنا نكن مع القاعدین : أي اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء .

مع الخوالف : أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب .

طبع على قلوبهم : أي توالى ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعا عليها فحجبتها المعرفة .

لهم الخيرات : أي في الدنيا بالنصر والغنيمة . وفي الآخرة بالنجاة والكرامة فيها .

وأولئك هم المفلحون : أي الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحبيب .
المعذرون : أي المعتذرون .

وقعد الذين كذبوا الله : أي ولم يأت الى طلب الإذن بالقعود عن الجهاد منافقوا الأعراب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في كشف عورات المنافقين وبيان أحوالهم فقال تعالى ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ أي قطعة من القرآن آية أو آيات ﴿أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله﴾ أي تأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله ﴿استأذنك أولوا الطول منهم﴾ أي من المنافقين ﴿وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين﴾ أي المتخلفين عن الجهاد للعجز كالمرضى والنساء والأطفال قال تعالى : في عيهم وتأنبهم ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي مع النساء وذلك لجبنهم وهزيمتهم النفسية وقوله تعالى ﴿وطبع على قلوبهم﴾ أي طبع الله على قلوبهم بآثار ذنوبهم التي رانت على قلوبهم فلذا هم لا يفقهون معنى الكلام وإلا لما رضوا بوصمة العار وهي أن يكونوا في البيوت مع النساء هذه حال المنافقين وتلك فضائحهم إذا أنزلت سورة تأمر بالإيمان والجهاد يأتون في غير حياء ولا كرامة يستأذنون في البقاء مع النساء ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ ولم يستأذنوا ففازوا بكرامة الدنيا

(١) السورة . طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختتم ، والمراد بالسورة هنا : هذه السورة (التوبة) أو بعض آياتها الأمر بالجهاد والإيمان .

(٢) ﴿أن آمنوا﴾ أن : تفسيرية فسرت مضمون السورة وهو الإيمان والجهاد .

(٣) أي : في القعود والتخلف عن الجهاد وهم أصحاب القدرة على الجهاد لصحة أجسامهم وكثرة أموالهم أما العجزة فإنهم غير مأمورين بالجهاد ، والطول معناه : الغنى والقدرة المالية .

(٤) قوله : ﴿لكن﴾ الخ استدراك بين فيه تعالى حال الرسول ﷺ والمؤمنين وأنها أكمل الأحوال بعد ذكر حال المنافقين وما هم عليه من صفات النقص إذ أخبر أنهم لجبنهم يطلبون القعود عن الجهاد وأنهم لما ران على قلوبهم من أوزار الكفر والفسق لا يفقهون الكلام ولا يعرفون ما يضرهم ولا ما ينفعهم بخلاف الرسول والمؤمنين فقد ذكر صفاتهم الكمالية ، وهي الجهاد بالمال والنفس وما فازوا به من عظيم الخيرات ، وما ألوا إليه من الفلاح وهو النجاة من المرهوب والظفر بالمحبيب .

والآخرة قال تعالى ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾^(١) أي في الدنيا بالانتصارات والغنائم وفي الآخرة بالجنة ونعيمها ورضوان الله فيها. وقال ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالسلامة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب وفسر تعالى تلك الخيرات وذلك الفلاح بقوله في الآية (٨٩) فقال ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع أما الآية الخامسة (٩٠) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن منافقي الأعراب أي البادية، فقال تعالى ﴿وجاء المعذرون﴾ أي المعتذرون ادغمت التاء في الذال فصارت المعذرون من الأعراب أي من سكان البادية كأسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل جاءوا يطلبون الإذن من رسول الله ﷺ بالتخلف بدعوى الجهد والمخخصة، وقد يكونون معذورين حقاً وقد لا يكونون كذلك. وقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في دعوى الإيمان بالله ورسوله وما هم بمؤمنين بل هم كافرون منافقون، فلذا قال تعالى فيهم ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ في الدنيا وفي الآخرة، إن ماتوا على كفرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- القرآن هو مصدر التشريع الإلهي الأول والسنة الثاني .
- ٢- مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة .
- ٣- حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه .
- ٤- حرمة التخلف عن الجهاد بدون إذن من الإمام .
- ٥- فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله .
- ٦- بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الإيمان والجهاد .

(١) الخيرات : جمع خير على غير قياس كسرادات، وحمامات جمع سراق وحمام .

(٢) ﴿المعذرون﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون المراد به المعتذرون لعل قامت بهم وصالح لأن يكون المراد به المعذرون وهم الذين لا عذر لهم ويعتذرون بغير حق موجب للعذر يقال : عذر فلان : إذا قصر في الواجب واعتذر بدون عذر قام به . وهذا من بلاغة القرآن، اللفظ الواحد منه يحتمل وجهين وكلاهما حق ومراد .

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

على الضعفاء : أي كالشيخوخة . ولا على المرضى : كالعمى والزمنى
حرج : أي إثم على التخلف .

إذا نصحوا لله ورسوله : أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله
وذلك بطاعتهم لله ورسوله مع تركهم الإرجاف والتشيط .

ما على المحسنين من سبيل : أي من طريق إلى مؤاخذتهم .

لتحملهم : أي على راحل يركبونها .

تولوا : أي رجعوا إلى بيوتهم .

تفيض من الدمع : أي تسيل بالدموع الغزيرة حزناً على عدم الخروج .

معنى الآيتين :

لما ندد تعالى بالمتخلفين وتوعد بالعذاب الأليم الذين لم يعتذروا منهم ذكر في هذه الآيات أنه لا حرج على أصحاب الأعزار وهم الضعفاء ، كالشيخوخة والمرضى والعميان وذوو العرج^(١) والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ولكن بشرط نصحتهم لله ورسوله فقال عز

(١) شاهده من سورة الفتح : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وقوله تعالى : ﴿ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

وجل ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ أي إثم ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾^(١) ومعنى النصيح لله ورسوله طاعتهما في الأمر والنهي وترك الإرجاف والتشيط والدعاية المضادة لله ورسوله والمؤمنين والجهاد في سبيل الله وقوله تعالى ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي ليس على من أحسنوا في تخلفهم لأنه أولاً بعذر شرعي^(٢) وثانياً هم مطيعون لله ورسوله وثالثاً قلوبهم ووجوههم مع الله ورسوله وإن تخلفوا بأجسادهم للعذر فهؤلاء ما عليهم من طريق إلى انتقاصهم أو أذيتهم بحال من الأحوال، كما ليس من سبيل ﴿على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ إلى الجهاد معك في سيرك ﴿قلت﴾ معذراً إليهم ﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾ أي رجعوا إلى منازلهم وهم يبيكون والدموع تفيض من أعينهم حزناً^(٣) ﴿ألا يجدوا ما ينفقون﴾ في سيرهم معكم وهم نفر منهم العرباص بن سارية وبنو مقرن وهم بطن من مزينة. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- لا حرج على أصحاب الأعدار الذين ذكر الله تعالى في قوله ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وفي هذه الآية ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ حرج وبشرط طاعة الله والرسول فيما يستطيعون والنصح لله والرسول بالقول والعمل وترك التشيط والتخذيل والإرجاف من الإشاعات المضادة للإسلام والمسلمين.

(١) قال القرطبي: ﴿نصحوا لله ورسوله﴾ إذا عرفوا الحق وأحبوا أوليائه وأبغضوا أعداءه، ومع قبول أعدار أصحاب الأعدار فقد خرج ابن أم مكتوم إلى أحد وهو رجل أعمى، وطلب أن يُعطى الراية ليحملها، وخرج عمرو بن الجموح وهو أعرج خرج إلى أحد فقال له رسول الله ﷺ: (إن الله قد عذرك) فقال: والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة.

(٢) روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم من وإد إلا وهم معكم فيه، قالوا: يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر؟)

(٣) ﴿حزناً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، وجملة: ﴿وأعينهم﴾: حال من ﴿تولوا﴾.

(٤) النصيح: إخلاص العمل من الغش يقال: نصح الشيء: إذا خلص، ونصح له القول: أي أخلصه له. وفي صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة - ثلاثاً - قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ذكر القرطبي معاني هذه النصائح بالتفصيل عند تفسير هذه الآية فليرجع إليها من طلب ذلك.

٢- مظاهر الكمال المحمدي في تواضعه ورحمته وبره وإحسانه إلى المؤمنين

٣- بيان ما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار من الإيمان واليقين والسمع والطاعة والمحبة والولاء ورقة القلوب وصفاء الأرواح.

اللهم إنا نحبهم بحبك فأحببنا كما أحببتهم واجمعنا معهم في دار كرامتك.

﴿١٣﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا

لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سَيَحْلِفُونَ

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا

عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ

تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أي الطريق إلى المعاقبة .

أغنياء : واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم .

الخوالف : أي النساء والأطفال والعجزة .

إذا رجعتم إليهم : أي إذا عدتم إليهم من تبوك ، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً .

لن تؤمن لكم : أي لن نصدقكم فيما تقولون .

ثم تردون : أي يوم القيامة .

إذا انقلبتم : أي رجعتم من تبوك .

لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ : أي لا تعاقبوهم .

رَجَسَ : أي نَجَسَ لُحْبُثُ بواطنهم .

معنى الآيات :

(١) ما زال السياق الكريم في الْمُخَلَّفِينَ من المنافقين وغير المنافقين فقال تعالى ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ أي الطريق إلى عقاب المخلفين على الذين يستأذنونك في التخلف عن الغزو وهم أغنياء أي ذوو قُدرة (٢) على النفقة والسير ﴿ رَضُوا ﴾ بأن يكونوا مع الخوالف ﴿ أَي النِّسَاء ﴾ وطبع الله على قلوبهم ﴿ بسبب ذنوبهم فهم لذلك لا يعلمون أن تخلفهم عن رسول الله لا يُجديهم نفعاً وأنه يجرُّ عليهم البلاء الذي لا يطيقونه . هؤلاء هم الذين لكم سبيل على عقابهم ومؤاخذتهم ، لا على الذين لا يجدون ما ينفقون ، وطلبوا منك حملاناً فلم تجد ما تحملهم عليه فرجعوا إلى منازلهم وهم يبكون حزناً . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآيات الثلاث بعدها فهي في المخلفين من المنافقين يخبر تعالى عنهم فيقول ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ يطلبون العذر منكم إذا رجعتُم إلى المدينة من غزوكم . قل لهم يا رسولنا لا تعتذروا لأننا لا نؤمن لكم أي لا نصدقكم فيما تقولونه ، لأن الله تعالى قد نَبَّأنا من أخباركم وسيرى الله عملكم (٤) ورسوله . إن أنتم تبتُم فأخلصتم دينكم لله ، أو أصررتم على كفركم ونفاقكم ، وستردُّون بعد موتكم إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى فينبئكم يوم القيامة بعد بعثكم بما كنتم تعملون من حسنات أو سيئات ويجزيكم بذلك الجزاء العادل . وقوله تعالى ﴿ سِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين فيقول سيحلف لكم هؤلاء المخلفون إذا رجعتُم إليهم أي إلى المدينة من أجل أن تعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أي لا تؤاخذوهم ولا تلتفوا إليهم إنهم رَجَسَ أي نَجَسَ ، ومأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا يكسبون من

(١) أي : العقوبة والإثم .

(٢) هؤلاء هم المنافقون تردد ذكرهم تنديداً بهم وكشفاً لحالهم وتحذيراً من سلوكهم .

(٣) أي : أطلعنا على سرائركم وما تخفي نفوسكم .

(٤) أي : ما تستأنفونه من أعمال بعد اليوم صالحة أو طالحة .

(٥) أي : بأنهم ما قدرُوا على الخروج لأعذار لهم يدعونها كذباً لتصفحوا عنهم ، وتركوا لومهم وعتابهم .

(٦) الفاء تفريعية أي : إذا كانوا يريدون الإعراض عنكم فأعرضوا عنهم وجملة : ﴿ إِنهم رَجَسَ ﴾ : تعليلية أي علة للإذن لهم

بالإعراض عنهم يريد : إنهم ذوو رجس .

الكفر والنفاق والمعاصي . وقوله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ ^(١) معتردين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئاً لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم ، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه فلذا رضاكم عنهم وعدمه سواء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا سبيل إلى أذية المؤمنين الصادقين إذا تخلّفوا فإنهم ما تخلّفوا إلا لعذر . وإنما السبيل على الأغنياء القادرين على السير إلى الجهاد وقعدوا عنه لنفاقهم .
- ٢- مشروعية الاعتذار على شرط أن يكون المرء صادقاً في اعتذاره .
- ٣- المنافقون كالمشركين رجس أي نجس لأن بواطنهم خبيثة بالشرك والكفر وأعمالهم الباطنة خبيثة أيضاً إذ كلها تأمر على المسلمين ومكر بهم وكيد لهم .
- ٤- حرمة الرضا على الفاسق المجاهر بنفسه ، إذ يجب بغضه فكيف يرضى عنه ويحب؟

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا

حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنْ

الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنْ

الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ

مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ

لَهُمْ سَيَدْخُلُوهَا اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

(١) المراد به : عبدالله بن أبيّ إذ حلف أن لا يتخلّف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ وطلب أن يرضى عنه .

- الأعراب^(١) : جمع أعرابي وهو من سكن البادية .
 أشد كفراً ونفاقاً : أي من كفار ومنافقي الحاضرة .
 وأجدر^(٢) : أي أحق وأولى .
 حدود ما أنزل الله : أي بشرائع الإسلام .
 مغرماً : أي غرامة وخسراناً .
 ويتربص : أي ينتظر .
 الدوائر : جمع دائرة : ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة .
 دائرة السوء : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك .
 قربات : جمع قربة وهي المنزلة المحمودة .
 وصلوات الرسول : أي دعاؤه لهم بالخير .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الكشف عن المنافقين وإعدادهم للتوبة أو للقضاء عليهم ففي الآية الأولى (٩٧) يخبر تعالى أن الأعراب^(٣) وهم سكان البادية من العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفار الحضر ومنافقيهم . وإنهم أجدر أي أخلق وأحق أي بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله أي من الأحكام^(٤) والسنن وذلك لبعدهم عن الاتصال بأهل الحاضرة وقوله تعالى ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بخلقه حكيم في شرعه فما أخبر به هو الحق الواقع ، وما قضى به هو العدل الواجب . وقوله تعالى في الآية الثانية (٩٨) ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا﴾^(٥) أي من بعض الأعراب من يجعل ما ينفقه في الجهاد غرامة لزمته وخسارة لحقته في ماله وذلك لأنه لا يؤمن بالشواب والعقاب الأخروي

(١) والعرب : جيل من الناس واحد هم عربي وهم أهل الأمصار ، والعرب العاربة : هم المخلص ، والمستعربة هم الذين ليسوا بخلص كآلاد اسماعيل عليه السلام ، وعرب بن قحطان هو أول من تكلم بالعربية وهو أبو اليمن كلها .

(٢) «أجدر» مأخوذ من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء .

(٣) لما ذكر تعالى حال منافقي الحضر ذكر هنا حال منافقي البادية ليُعرف الجميع .

(٤) وكذلك لا يعلمون حجج الله تعالى في الوهية وبعثة رسوله لقلة نظرهم وسوء فهمهم ، ولذا لا حق لهم في الفيء ، والغنمية إلا أن يجاهدوا أو يتحولوا إلى الحواضر ويتركوا البادية لحديث مسلم . واختلف في صحة شهادة البادي على الحاضر ، والراجح أنها تصح إذا كان عدلاً . وتكره إمامتهم لأهل الحضر عند مالك ، وذلك لجهلهم بالشرعة وتركهم الجمعة .

(٥) أي غرماً وخسراناً ، وأصله لزوم الشيء ، ومنه ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ أي : لازماً .

لأنه كافر بالله ولقاء الله تعالى . وقوله عز وجل ﴿وَيَتْرِبْصُ بِكُمْ الدَّوَابُّ﴾ أي وينتظر بكم أيها المسلمون الدواب متى تنزل بكم فيتخلص منكم ومن الاتفاق لكم والدواب جمع دائرة المصيبة والنازلة من الأحداث وقوله تعالى ﴿عليهم دائرة السوء﴾^(١) هذه الجملة دعاء عليهم . جزاء ما يتربصون بالمؤمنين . وقوله ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوالهم عليم بنياتهم فلذا دعا عليهم بما يستحقون . وقوله تعالى في الآية الثالثة (٩٩) ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول﴾^(٢) إخبار منه تعالى بأن الأعراب ليسوا سواء بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر، فلذا هو يتخذ ما ينفق من نفقة في الجهاد قربات عند الله أي قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى ، ووسيلة للحصول على دعاء الرسول له ، لأن الرسول ﷺ كان إذا أتاه المؤمن بزمكاته أو صدقته يدعو له بخير، كقوله لعبد الله بن أبي أوفى : اللهم صل على آل أبي أوفى ، وقوله تعالى ﴿ألا إنها قربة لهم﴾ إخبار منه تعالى بأنه تقبلها منهم وصارت قربة لهم عنده تعالى ، وقوله تعالى ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ بشرى لهم بدخول الجنة ، وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يؤكد وعد الله تعالى لهم بإدخالهم في رحمته التي هي الجنة فإنه يغفر ذنوبهم أولاً ، ويدخلهم الجنة ثانياً هذه سنته تعالى في أوليائه ، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن سكان البادية يُحرمون من كثير من الآداب والمعارف فلذا سكن البادية غير محمود إلا إذا كان فراراً من الفتن .
- ٢- من الأعراب المؤمن والكافر والبر والتقي والعاصي والفاجر كسكان المدن إلا أن كفار البادية ومنافقيها أشد كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة .
- ٣- فضل النفقة في سبيل الله والإخلاص فيها لله تعالى .

(١) قرء ﴿السوء﴾ بالفتح والضم إلا قوله : ﴿وما كان أبوك أمراً سوء﴾ فإنه بالفتح لا غير ، إذ السوء بالضم : المكروه ، والسوء بالفتح : الفساد . امرؤ سوء : أي : فاسد .

(٢) قيل : هم بنو مُقَرَّن من مزينة .

(٣) صلوات الرسول هي استغفاره ودعاؤه لهم بالخير والبركة .

(٤) أي : تقرّبهم من الله تعالى .

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
 مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ
 عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
 وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

والسابقون : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد .

اتبعوهم بإحسان : أي في أعمالهم الصالحة .

رضي الله عنهم : بسبب طاعتهم له وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه .

ورضوا عنه : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المنن .

وممن حولكم : أي حول المدينة من قبائل العرب .

مردوا : مرقوا وحذقوه وعتوا فيه .

سنعذبهم مرتين : الأولى قد تكون فضيحتهم بين المسلمين والثانية عذاب القبر .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(١) وهم الذين سبقوا غيرهم

(١) السابقون هم الذين صلّوا إلى القبلتين وأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون من المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوات بالحديبية ، وأفضلهم أبو بكر على الإطلاق .

(٢) الأنصار : هم من أسلم من الأوس والخزرج بالمدينة ولم يعرفوا في الجاهلية بهذا الاسم وإنما سماهم الله تعالى به في الإسلام .

(١) إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد، والذين اتبعوهم في ذلك وأحسنوا أعمالهم فكانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله محمد ﷺ؛ الجميع رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم، ورضوا عنه بما أنالهم من إنعام وتكريم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً أي وبشرهم بما أعد لهم من جنات وقوله ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ أي ذلك المذكور من رضاه تعالى عنهم ورضاهم عنه وإعداد الجنة لهم هو الفوز العظيم، والفوز السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٠) وأما الآية الثانية فقد تضمنت الإخبار بوجود منافقين في الأعراب حول المدينة، ومنافقين في داخل المدينة، إلا أنهم لتمرسهم وتمردهم في النفاق أصبحوا لا يعرفون، لكن الله تعالى يعلمهم هذا معنى قوله تعالى ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾، وقوله تعالى ﴿سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ وعيد لهم نافذ فيهم لا محالة وهو أنه تعالى سيعذبهم في الدنيا مرتين مرة بفضحهم أو بما شاء من عذاب ومرة في قبورهم، ثم بعد البعث يردهم إلى عذاب النار وهو العذاب العظيم، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٠٢) ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ هؤلاء أناس آخرون تخلفوا عن الجهاد بغير عذر وهم أبولبابة ونفر معه ستة أو سبعة أنفار ربطوا أنفسهم في سواري المسجد لما سمعوا ما نزل في المتخلفين وقالوا لن نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله ﷺ خلطوا عملاً صالحاً وهو إيمانهم وجهادهم وإسلامهم وعملاً سيئاً وهو تخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، فقوله تعالى ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ إعلامهم بتوبة الله تعالى عليهم فجاء رسول الله ﷺ فحل رباطهم وقالوا للرسول الله ﷺ هذه أموالنا التي خلقتنا عنك خذها فتصدق بها واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً.

- (١) التابعون: جمع تابع أو تابعي، وهم الذين صحبوا الصحابة، وأكبر التابعين: الصحقاء السبعة وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار. وكلهم من المدينة النبوية وأفضل نساء التابعين حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن وأم الدرداء.
- (٢) الأحياء الذين كانوا حول المدينة هم: مزينة وجهينة وأسلم، وغفار وأشجع ولحيان وعصية وكان منهم منافقون.
- (٣) يقال: مرد على الأمر: إذا مرّن عليه ودرب به، ومنه الشيطان المارد سئل حذيفة عن المنافقين فأخبر أنهم اثنا عشر. ستة ماتوا بالدبيلة وأربعة ماتوا موأ عاديا.
- (٤) ﴿خلطوا﴾ يريد خلطوا حسنات أعمالهم الصالحة بسيئات التخلف عن الغزو والإنفاق في الجهاد والسير مع رسول الله ﷺ إلى تبوك. وعسى: فعل رجاء وهي في كلام الله تعالى كناية عن وقوع المرجو لا محالة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل السبق للخير والفوز بالأولية فيه .
- ٢- فضل أصحاب رسول الله ﷺ على غيرهم ممن جاء بعدهم .
- ٣- فضل التابعين لأصحاب رسول الله ﷺ إن أحسنوا المتابعة .
- ٤- علم ما في القلوب إلى الله تعالى فلا يعلم أحد من الغيب إلا ما علمه الله عز وجل .
- ٥- الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بأن يغفر الله لهم ويرحمهم .

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخِرُونَ لَأَمْرٍ
 اللَّهُ إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

صدقة

: ما لا يتقرب به إلى الله تعالى .

تطهرهم وتزكئهم بها : أي تطهرهم من ذنوبهم ، وتزكئهم أنت أيها الرسول بها بدعائك لهم وثنائك عليهم .

وصل عليهم : أي ادع لهم بالخير .

إن صلاتك سكن لهم : أي دعاءك رحمة .

ويأخذ الصدقات : يتقبلها .

مرجون لأمر الله : مؤخرون لحكم الله وقضائه .
 عليم حكيم : أي بخلقه نيات وأموالاً وأعمالاً حكيم في قضائه وشرعه .
 معنى الآيات :

(١) لقد تقدم في الآية قبل هذه أن المتخلفين التائبين قالوا للرسول ﷺ هذه أموالنا التي تخلفنا بسببها صدقة فخذها يا رسول الله فقال لهم إني لم أؤمر بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم، والله سميع عليم﴾ فأمر تعالى رسوله أن يأخذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها تطهرهم من ذنوبهم ومن أضرار الشُّح في نفوسهم وتزكيهم أيها الرسول بها بقبولك لها وصل عليهم أي ادع لهم بخير، إن صلاتك سكن لهم أي رحمة وطمأنينة في نفوسهم والله سميع لأقوالهم لما قدموا صدقتهم وقالوا خذها يا رسول الله عليم بنياتهم وبواعث نفوسهم فهم تائبون توبة صدق وحق . وقوله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ الاستفهام للتقرير أي هم يعلمون ذلك قطعاً، ويأخذ الصدقات أي يقبلها، وأن الله هو التواب أي كثير قبول التوبة من التائبين الرحيم بعباده المؤمنين ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم حاضاً لهم على العمل الصالح تطهيراً لهم وتزكية لنفوسهم ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ فيشكر لكم ويشي به عليكم ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وهو الله عز وجل ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويجزيكم به الحسن بالحسن والسيء بالسوإ . وقوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله . إما يعذبهم وإما يتوب

(١) المال في فصيح اللغة : هو كل ما تمول وتملك فهو مال . والمراد من قولهم هذه أموالنا يعنون ما لديهم من سائر أنواع المال . وأما في الزكوات فإنها خاصة بالعين والمواشي والثمار والحبوب بشروطها التي هي النصاب والحوال في العين والحصاد في الحبوب والتمر بلوغ خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد .

(٢) هذه الآية وإن نزلت في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإنها عامة في الأمة فعلى ولاية أمور المسلمين أن يجبوا الزكوات ويأخذوها من الأمة فريضة الله تعالى على المسلمين للقيام بمصالح المسلمين ، والذين قدّموا أموالهم كلها أخذ منها الرسول ﷺ الثلث ، وردّ عليهم الباقي . فقال مالك من تصدق بجميع ماله يجزئه منه الثلث أخذاً من هذه الحادثة .

(٣) معناه أنه إذا دعا لهم سكنت قلوبهم وفرحوا ، واختلف هل هذه الصلاة على المتصدق باقية أو انتهت بوفاة رسول الله ﷺ . والصحيح أنها باقية . فمن أخذ صدقة متصدق يصلي عليه اقتداء برسول الله ﷺ .

(٤) أخرج مسلم : (لا يتصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل) .

(٥) روى أبو داود وأحمد أن النبي ﷺ قال : (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تتمهم حتى تهديهم كما هدينا) .

عليهم ﴿ هذا هو الصنف الثالث من أصناف المتخلفين فالأول هم المنافقون والثاني هم التائبون والثالث هو المقصود بهذه الآية وهم ثلاثة أنفار كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فهؤلاء لم يأتوا الرسول ﷺ ليعتذروا إليه كما فعل التائبون المتصدقون بأموالهم منهم أبولبابة حيث ربطوا أنفسهم في سواري المسجد فأمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم^(١) حتى يحكم الله فيهم، وهو معنى قوله تعالى ﴿مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ فإن عذبهم أو تاب عليهم فذلك لعلمه وحكمته. وبقوا كذلك حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ثم تاب الله تعالى عليهم كما جاء ذلك بعد كذا آية من آخر هذه السورة ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الصدقة تكفر الذنوب وتطهر الأرواح من رذيلة الشح والبخل.
- ٢- يستحب لمن يأخذ صدقة امرئ مسلم أن يدعو له بمثل : آجرك الله على ما أعطيت^(٢) وبارك لك فيما أبقيت.
- ٣- ينبغي للتائب من الذنب الكبير أن يكثر بعده من الصالحات كالصدقات والصلوات ونحوها.
- ٤- فضيلة الخوف والرجاء فالخوف يحمل على ترك المعاصي والرجاء يحمل على الإكثار من الصالحات.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيَحْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ

(١) هؤلاء هم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

(٢) هو معنى : ﴿وصل عليهم﴾ إذ الصلاة الدعاء لغة.

يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
 عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
 عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ضراراً : أي لأجل الإضرار.

وإرصاداً : انتظاراً وترقباً.

إلا الحسنى : أي إلا الخير والحال الأحسن.

لا تقم فيه أبداً : أي لا تقم فيه للصلاة أبداً.

أسس على التقوى : أي بُني على التقوى وهو مسجد قبا.

فيه رجال : هم بنو عمرو بن عوف.

على تقوى من الله : أي على خوف.

ورضوان : أي رجاء رضوان الله تعالى.

على شفا جرف هار : أي على طرف جرف مشرف على السقوط، وهو مسجد الضرار.

ريبة في قلوبهم : أي شكاً في نفوسهم.

إلا أن تقطع قلوبهم : أي تفصل من صدورهم فيموتوا.

معنى الآيات

ما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا إلى (١) الله تعالى أو يهلكوا وهم كافرون فقال تعالى ذاكراً فريقاً منهم ﴿والذين اتخذوا مسجداً﴾

(١) روي أن رأس الفتنة كان أبا عامر الراهب الذي ذهب يستعدي الروم على رسول الله ﷺ وأصحابه.

(١) ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴿١﴾ إن المراد من هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة كانوا قد أتوا النبي ﷺ وهو شاخص إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً للعاجز منا والمريض ولليلة المطيرة فصلّ لنا فيه فقال لهم ﷺ أنا الآن على جناح سفر وإن عدنا نصلي لكم فيه إن شاء الله أو كما قال . فلما عاد ﷺ من تبوك ووصل الى مكان قريب من المدينة يقال له ذواوان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار نزل عليه الوحي بشأن مسجد الضرار فبعث مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصماً أخا بني العجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلّه فاهدماه وحرّقه فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال لمعن انظرني حتى أخرج إليك بنار فخرج بسعف نخل قد أضرم فيه النار وأتيا المسجد وأهلّه فيه فأضرموا فيه النار وهدماه وتفرق أهلّه ونزل فيهم قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ أي لأجل الإضرار بالمسجد النبوي ومسجد قباء حتى يأتيهما أهل الحى وقوله ﴿وكفراً﴾ أي لأجل الكفر بالله ورسوله وقوله ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ علة ثالثة لبناء مسجد الضرار إذ كان أهل الحى مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا تفرقتهم في مسجدين حتى يجد هؤلاء المنافقون مجالاً للتشكيك والطعن وتفريق صفوف المؤمنين على قاعدة: (فرق تسد) ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ وهو أبو عامر الراهب الفاسق لأنه عليه لعائن الله هو الذي أمرهم أن يبنوه ليكون وكراً للتأمر والكيد وهذا الفاسق قال للنبي ﷺ ما وجدت قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فكان مع المشركين فى حروبهم كلها إلى أن انهزم المشركون في هوازن وأيس اللعين ذهب إلى بلاد الروم يستعديهم على رسول الله ﷺ، ومن هنا أمر المنافقين ببناء مسجد الضرار ليكون كما ذكر تعالى حتى ينزل به مع جيوش الروم التي قد خرج يستعديها ويؤلّجها إلا أنه خاب في مسعاه وهلك بالشام إلى جهنم وبئس المصير فهذا معنى قوله تعالى ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي قبل بناء مسجد الضرار الذي هُدم وحرّق وأصبح موضع قمامة تلقى فيه الجيْف والقمام.

(١) ﴿ضراراً﴾ مفعول لأجله أي: لأجل مضارة أهل الإسلام بتفرقة المسلمين وإيجاد عداوات بينهم.

(٢) هو أبو عامر الراهب، وسمي الراهب: لأنه تنصّر وتبعد على دين النصارى ولما انهزمت ثقيف التحق بالروم ومات كافراً. نالته دعوة النبي ﷺ.

وقوله تعالى ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ هذا قولهم لما حرق عليهم المسجد وهدم وانفضح أمرهم حلفوا ما أرادوا بنيانه إلا الحالة التي هي حسنى لا سوء فيها إذ قالوا بنيانه لأجل ذي العلة ولليلة المطيرة. وقوله تعالى ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ تفنيد لقولهم وتقرير لكذبهم. وقوله تعالى ﴿لا تقم فيه أبداً﴾^(١) نهى للرسول ﷺ أن يصلى لهم فيه كما واعدهم وهو ذاهب إلى تبوك. وقوله تعالى ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجده ﷺ ومسجد قباء إذ كل منهما أسس من أول يوم على تقوى من الله ورضوان أي على خوف من الله وطلب رضاه، وقوله تعالى ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ ثناء على أهل قباء بخير واخبار أنهم يحبون أن يتطهروا^(٢) من الخبث الحسى والمعنوى فكانوا يجمعون فى الاستنجاء بين الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بذلك، وقوله تعالى ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ أى على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا أي طرف جرف هار أي مشرف على السقوط، والجرف ما يكون في حافة الوادي من أرض يجرف السيل من تحتها التراب وتبقى قائمة ولكنها مشرفة على السقوط، وقوله تعالى ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أى سقط به ذلك الجرف في نار جهنم والعياذ بالله تعالى، هذا حال أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أى لا يهديهم إلى ما يكملون به ويسعدون أي يحرمهم هدايته فيخسرون دنيا وأخرى وقوله تعالى ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾^(٣) أي شكاً واضطراباً في نفوسهم ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ فيهلكوا والشك في قلوبهم أي فكان هذا البناء الظالم سبباً في تأصل النفاق

(١) أي: ﴿لا تقم فيه﴾ للصلاة. يقال: فلان قائم يصلي. ﴿أبداً﴾ معناه في أي وقت من الأوقات مطلقاً. فأبداً: لفظ يفيد التأيد المطلق.

(٢) ﴿أسس﴾ أي: وضعت أسسه وبنيت جدره ورفعت قواعده إذ الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والجمع أسس وأساس جمع أساس. قال الشاعر:

أصح الملك ثابت الأساس في البهاليل من بني العباس

(٣) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم في التطهر فما تصنعون؟ قالوا: إننا نغسل أثر الغائط والبول بالماء). رواه أبو داود. فكانوا يجمعون بين الاستجمار والاستنجاء مبالغة في التطهر، وإن كان الاستجمار مجزئاً تخفيفاً على الأمة المسلمة.

(٤) الجرف: بالضم والإسكان كالرسل والرسل، وأصله من الجرف والإجتراف وهو اقتلاع الشيء من أصله.

(٥) وقيل: الريبة هنا: الحسرة والندامة، وحزاة وغیظا والكل صالح لدلالة اللفظ عليه.

(٦) أي: إلى أن تقطع قلوبهم بالموت أي: إلا أن يموتوا.

والكفر في قلوبهم حتى يموتوا كافرين وقوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تذييل للكلام بما يقرر مضمونه ويثبته فكونه تعالى علمياً حكيماً يستلزم حرمان أولئك الظلمة المنافقين من الهداية حتى يموتوا وهم كافرون إلى جهنم وذلك لتوغلهم في الظلم والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أكبر مؤامرة ضد الإسلام قام بها المنافقون بارشاد الفاسق أبي عامر الراهب .
٢- بيان أن تنازع الشرف هو سبب البلاء كل البلاء فابن أبي حارب الإسلام لأنه كان يؤمل في السُّلطة على أهل المدينة فحرمها بالإسلام . وأبو عامر الراهب ترهب لأجل الشرف على أهل المدينة والسلطان الروحي فلذا لما فقدها حارب من كان سبب حرمانه وهو الرسول ﷺ حتى قال له مواجهة : ما قاتلك قوم إلا قاتلتك معهم . بل ذهب إلى الروم يؤلبهم على رسول الله ﷺ واليهود ما حاربوا الإسلام إلا من أجل المحافظة على أملمهم في مملكة إسرائيل .

٣- لا يصح الإغترار بأقوال أهل النفاق فإنها كذب كلها .

٤- أيما مسجد بُني للإضرار والفرقة بين المسلمين إلا ويجب هدمه وتحرم الصلاة فيه .

٥- فضل التطهر والمبالغة في الطهارتين الروحية والبدنية .

٦- التحذير من الظلم والإسراف فيه فإنه يحرم صاحبه هداية الله فيهلك وهو ظالم فيخسر دنيا وأخرى .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنِلُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ

وَيَقْنِلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ

وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِيعْكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ

الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ



شرح الكلمات :

- الجنة : هي دار السلام التي أعدها الله تعالى للمتقين .
- يقاتلون : أي الكفار والمشركين .
- وعداً : أي وعدهم وعداً حقاً .
- في التوراة : أي مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن .
- ومن أوفى بعهده : أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى .
- ذلك هو الفوز العظيم : أي ذلك البيع هو الفوز العظيم .
- التائبون : أي من الشرك والنفاق والمعاصي .
- العابدون : أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له .
- السائحون : أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه .
- الأمرون بالمعروف : أي بعبادة الله تعالى وتوحيده فيها .
- الناهون عن المنكر : أي عن الشرك والمعاصي .
- والحافظون لحدود الله : أي القائمون عليها العاملون بها .
- وبشر المؤمنين : أي بالجنة دار السلام .
- معنى الآيات :
- لما ذكر تعالى حال المتخلفين عن الجهاد ذكر فضل الجهاد ترغيباً فيه وفيما أعد لأهله

فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ وهذا هو الْمُثْمَنُ الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة، وقوله ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ أي أعداء الله المشركين ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ أي يستشهدون في معارك القتال وقوله ﴿وَعِدَاً عَلَيْهِ حَقًّا﴾^(١) في التوراة والإنجيل والقرآن ﴿أَيَّ وَعْدِهِمْ بِذَلِكَ وَعِدَاً وَأَحَقَّهُ حَقًّا أَيَّ أَثْبَتَهُ فِي الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ تَقْرِيراً لَهُ وَتَثْبِيْتاً وَقَوْلُهُ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقاً أوفى بعهدِهِ إِذَا عَاهَدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَقَوْلُهُ ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ فَبَنَاءٍ عَلَىٰ ذَلِكَ فَاسْتَبْشِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِهِ أَيَّ فَسَّرُوا بِذَلِكَ وَافْرَحُوا وَذَلِكَ الْبَيْعُ وَالِاسْتَبْشَارُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا فَوْزَ خَيْرَ وَلَا أَعْظَمَ مِنْهُ. (٧)

وقوله ﴿التَّائِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ هو ذكر لأوصاف أهل البيع وتحديد لهم فهم الموصوفون بتسع صفات الأولى التائبون أي من الشرك والمعاصي والثانية العابدون وهم المطيعون لله طاعة ملؤها المحبة لله تعالى والتعظيم له والرهبة منه والثالثة الحامدون لله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال والرابعة السائحون وهم الصائمون كما في الحديث والذين يخرجون في سبيل الله لطلب علم أو غزو أو تعليم أو دعوة إلى الله تعالى لِيُعْبَدَ وَيُوحَّدَ وَيُطَاعَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ والخامسة والسادسة الراكعون الساجدون أي المقيمون الصلاة المكثرون من نوافلها كأنهم دائماً في ركوع وسجود والسابعة والثامنة الآمرون بالمعروف وهو الإيمان بالله وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله

(١) حصل هذا البيع لبعض أصحاب رسول الله ﷺ في بيعة العقبة، إذ قال عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ (اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي ﷺ: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نغفل ولا نستقيل).
(٢) الباء في الشراء تدخل على الثمن تقول: بعتك الدار بكذا ألفاً، ولذا قال هنا: ﴿بأن لهم الجنة﴾ فالجنة هي الثمن المشتري به الأنفس والأموال.

(٣) قوله تعالى ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يبين فيه مكان تسليم البضاعة المشتراه وهي الأنفس.

(٤) ﴿وَعِدَاً﴾ و ﴿حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان.

(٥) أي: أظهروا السرور على بشرة وجوهكم.

(٦) فَسَّرُوا: أي أظهروا السرور.

(٧) ﴿التَّائِبُونَ﴾ هم الراجعون من الحالة المذمومة إلى الحالة المحمودة، والتائب: الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين.

(٨) روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام، ورواه أبو هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: (سياحة أمتي الصيام) وروي أيضاً عنه ﷺ: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله).

والناهون عن المنكر وهو الكفر به تعالى والشرك في عبادته ومعصية رسوله محمد ﷺ والتاسعة الحافظون لحدود الله بالقيام عليها وعملها بعد العلم بها وقوله تعالى: ﴿وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم أهل الإيمان الصادق الكامل المستحقون لبشرى الرسول ﷺ بالنصر والتأييد في الدنيا والنجاة من النار ودخول الجنة يوم القيامة اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان فضل الله تعالى ومننه على عباده المؤمنين حيث وهبهم أرواحهم وأموالهم واشتراها منهم .

٢- فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

٣- على المؤمن أن يشعر نفسه أن بدنه وماله لله تعالى وأن عليه رعايتهما وحفظهما حتى ترفع راية الجهاد ويطلب إمام المسلمين بالنفس والمال فيقدم نفسه وماله إذ هما وديعة الله تعالى عنده .

٤- على المؤمن أن لا يدخل الضرر على نفسه ولا على ماله بحكم أنهما لله تعالى .

٥- على المؤمن أن يتعاهد نفسه ليرى هل هو متصف بهذه الصفات التسع أولاً فإن رأى نقصاً كمله وإن رأى كمالاً حمد الله تعالى عليه وحفظه وحافظ عليه .

مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ

مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانُوا

أَسْتَغْفَرُوا إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ

فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ

﴿١١٤﴾ وَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ

(١) أي: القائمون بما أمر الله به، والمنتهون عما نهى عنه فحدود الله شرعه وهو فعل وترك، ففعل الأمر وترك النهي هو الحفظ .

يَبِّتْ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ
دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

شرح الكلمات :

أن يستغفروا للمشركين :	أي يسألون الله تعالى لهم المغفرة .
أولي قربي	: أصحاب قرابة كالأبوة والبنوة والأخوة .
موعدة	: أي وعدٌ وعده به .
تبرأ منه	: أي قال : إني برئ منك .
أواه حلیم	: الأواه : كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنوب .
ما يتقون	: أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلوه أو لا يتركوه .
من ولي	: الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك .
معنى الآيات :	

لما مات أبوطالب^(١) على الشرك بعد أن عرض عليه الرسول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فأبى أن يقولها وقال هو على ملة عبدالمطلب قال له النبي ﷺ لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عن ذلك ، واستغفر بعض المؤمنين أيضاً لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك ، أنزل الله تعالى قوله ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ إذ ماتوا على الشرك ومن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه في النار أي ما صح ولا انبغى^(٢) للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا أي ما صح

(١) روى مسلم أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال الرسول ﷺ يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب : أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم به : هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك .

(٢) فإن قيل : إن النبي ﷺ قال يوم أحد (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وهو طلب مغفرة ، وطلب المغفرة هو الاستغفار . فالجواب : أن النبي ﷺ قال ما قاله على سبيل الحكاية لا غير . إذ ذكر البخاري أن النبي ﷺ ذكر نبيا قبله شجبه قومه فجعل النبي ﷺ يخبر عنه بأنه قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

ولا انبغى استغفارهم . ولما قال بعضُ إن ابراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك قال تعالى جواباً ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وهي قوله : ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً﴾ لكنه عليه السلام لما تبين له أن أباه عدو لله أي مات على الشرك تبرأ منه ولم يستغفر له ، وقوله ﴿إن ابراهيم لأواه حليم﴾^(١) تعليل لمواعدة ابراهيم أباه بالاستغفار له لأن ابراهيم كان كثير الدعاء والتضرع والتأسف والتحسر فلذا واعد أباه بالاستغفار له وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ هذه الآية نزلت رداً على تساؤلات الذين قالوا متتبعين لقد كنا استغفرنا لأقاربنا المشركين فخافوا فأخبرهم تعالى أنه ليس من شأنه تعالى أن يضل قوماً بعد إذ هداهم إلى الصراط المستقيم حتى يبين لهم ما يتقون وأنتم استغفرتم لأقربائكم قبل أن يبين لكم أنه حرام . ولكن إذا أراد الله أن يضل قوماً^(٢) بين لهم ما يجب أن يتقوه فيه فإذا لم يتقوه أضلهم . وقوله تعالى ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فلا يضل إلا من يستحق الضلال كما أنه يهدي من يستحق الهداية وذلك لعلمه بكل شيء وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء يحيي ويميت يحيي بالإيمان ويميت بالكفر ويحيي الأموات ويميت الأحياء لكامل قدرته وعظيم سلطانه وقوله ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي ليس لكم من يتولاكم إذا تخلى عنكم وليس لكم من ينصركم إذا خذلكم فلذا وجبت طاعته والاتكال عليه ، وحرمة الالتفات الى غيره من سائر خلقه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة الاستغفار لمن مات على الشرك لأن الله لا يغفر أن يشرك به فلذا لا يطلب منه شيء أخبر أنه لا يفعله .

٢- وجوب الوفاء بالوعود والعهد .

(١) ذكروا لكلمة أواه عشرة تأويلات وما ذكر في التفسير أولى بها كلها ولو قلنا إن الأواه كثير قول : أواه تأسفاً وتحسراً وشفقة ورحمة لكان أولى بدلالة اللفظ عليه .

(٢) شاهد هذا قوله تعالى : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾ : فإنه يأمرهم أولاً وينهاهم فإن لم يمثلوا استحقوا العذاب .

٣- ليس من سنة الله تعالى في الناس أن يضل عباده قبل أن يبين لهم ما يجب عليهم عمله أو اتقاؤه .

٤- ليس للعبد من دون الله من ولي يتولاه ولا نصير ينصره ولذا وجبت ولاية الله بطاعته والرجوء إليه بالتوكل عليه .

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى

النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي

سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ

مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ

بِمَارْحَبَتٍ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات :

المهاجرين : الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة .

الأنصار : هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ .

ساعة العسرة ^(١) : هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش .

يزيغ قلوب : أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف .

الثلاثة الذين خلفوا : هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية .

(١) لفظ الساعة يطلق على ظرف الزمان يطول ويقصر فقد أطلق على يوم القيامة وأطلق على ستين دقيقة، والمراد بالساعة : أيام غزوة تبوك .

بما رحبت : أي على اتساعها ورحابتها .
 أن لا ملجأ : أي إذ لا مكان للنجوء فيه والهرب إليه .
 الصادقين : في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم والصدق ضد الكذب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة تبوك وفي هذه الآيات الثلاث إعلان عن شرف وكرامة الرسول ﷺ وأصحابه البررة من الأنصار والمهاجرة إذ قال تعالى ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ أي أدامها (التوبة) وقبلها وقوله ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي عند خروجه إلى تبوك في الحر الشديد والفاقة الشديدة وقوله ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ وذلك لصعوبة الحال وشدة الموقف لقد عطشوا يوماً كما قال عمر رضي الله عنه كان أحدنا يذبح بعيره ويعصر فرثه فيشرب ماءه ويضع بعضه على كبده فخطر ببعض القوم خواطر كادت القلوب تزيغ أي تميل عن الحق ولكن الله تعالى ثبتهم فلم يقولوا سوءاً ولم يعملوه لأجل هذا أعلن الله تعالى في هذه الآيات عن كرامتهم وعلو مقامهم ثم تاب عليهم إنه هو التواب الرحيم وقوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا أرجئوا في البت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ فقد تخلفت توبتهم خمسين يوماً ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم﴾ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴿فصبروا على شدة ألم النفس من جراء المقاطعة التي أعلنها رسول الله ﷺ لهم انتظاراً لحكم الله لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ولم يكن لهم عذر، فلذا لما قدم النبي ﷺ تقدم المخلفون فاعتذروا فقبل منهم رسول الله وتاب الله على المؤمنين منهم ولم يتقدم هؤلاء الثلاثة ليعتذروا خوفاً من الكذب فأثروا جانب

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ؟ وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه .

(٢) (العسرة) صعوبة الأمر، قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر أي : (المركوب) وعسرة الزاد وعسرة الماء قال ابن عرفة: سمي جيش غزوة تبوك جيش العسرة : لأن النبي ﷺ نذب الناس إلى الغزو في حمارة الغيظ فغلظ عليهم وعسر .

(٣) تدارك قلوبهم حتى لم تزعج، وتلك سنته مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب أمطر عليهم سحاب رحمة فأحيا قلوبهم .

(٤) ﴿رحبت﴾ بمعنى : اتسعت، وما : مصدرية، أي ضاقت عليهم الأرض برحبها : أي : على رحبها لأنهم كانوا مهجورين لا يكلمون ولا يعاملون حتى من أقرب الناس إليهم، وفي هذا دليل على مشروعية هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا .

(٥) أي : ضاقت صدورهم بالهم .

الصدق فأذاقهم الله ألم المقاطعة ثم تاب عليهم وجعلهم مثلاً للصدق فدعا المؤمنين أن يكونوا معهم فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي اتقوا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وكونوا من الصادقين في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ .
- ٢- بيان فضل غزوة العسرة على غيرها من الغزوات «وهي غزوة تبوك»
- ٣- بيان فضل الله على المؤمنين بعصمة قلوبهم من الزيغ في حال الشدة .
- ٤- بيان فضل كعب بن مالك وصاحبيه في صبرهم وصدقهم ولجؤهم إلى الله تعالى حتى فرج عليهم وتاب عليهم وكانوا مثلاً للصدق .
- ٥- وجوب التقوى والصدق في النيات والأقوال والأحوال والأعمال .

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ

(١) فُسِّرَ (الصادقين) : بأنهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال ابن العربي : هذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى .

وَادِيًّا إِلَّا لَكُتِبَ لَهُمُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات :

ومن حولهم من الأعراب : وهم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم .
ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه : أي يطلبون لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة .

ظماً : أي عطش .
ولا نصب : أي ولا تعب .
ولا مخصصة : أي مجاعة شديدة .
يغيظ الكفار : أي يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم .
نيلاً : أي منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو .
واديّاً : الوادي : مسيل الماء بين جبلين أو مرتفعين .
لينفروا كافة : أي يخرجوا للغزو والجهاد جميعاً .
طائفة : أي جماعة معدودة .
ليتفقهوا في الدين : أي ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه .
ولينذروا قومهم : أي ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله .
لعلهم يحذرون : أي عذاب الله تعالى بالعلم والعمل .

معنى الآيات :

(١) ما زال السياق الكريم في آثار أحداث غزوة تبوك فقال تعالى ﴿ ما كان لأهل المدينة ﴾

(١) هذه الآية نزلت تحمل العتاب للمؤمنين من أهل المدينة والأحياء المجاورة لها كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

أي سكانها من المهاجرين والأنصار ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ أي ومن النازلين حول المدينة من الأعراب كمزينة وجهينة وغفار وأشجع وأسلم ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ إذا خرج إلى جهاد ودعا بالنفير العام وفي هذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة تبوك وقوله ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي بأن يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله ﷺ وقوله ﴿ذلك﴾ أي النهي الدال عليه بصيغة ما كان لأهل المدينة وهي أبلغ من النهي بأداته (لا) لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبداً. وقوله ﴿بأنهم لا يصيبهم﴾ بسبب أنهم لا يصيبهم ﴿ظماً﴾ أي عطش ﴿ولا نصب﴾ أي تعب ﴿ولا مخمصة﴾ أي جوع شديد في سبيل الله أي في جهاد أهل الكفر لإعلاء كلمة الإسلام التي هي كلمة الله ﴿ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار﴾ أي ولا يطأون أرضاً من أرض العدو يغتاز لها العدو الكافر ويحزن ﴿ولا ينالون من عدو﴾ أي الله تعالى ﴿نيلاً﴾ أي منالاً أي أسرى أو قتلى أو غنيمة منه أو هزيمة له ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ فهذا لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ حتى لا يفوتهم هذا الأجر العظيم. وقوله ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ تعليل لتقرير الأجر وإثباته لهم إن هم خرجوا مع رسول الله ﷺ وأحسنوا الصحة والعمل وقوله تعالى ﴿ولا ينفقون نفقة﴾ أي في سبيل الله الذي هو هنا الجهاد ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ أي قليلة ولا كثيرة ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ ذاهبين إلى العدو أو راجعين ﴿إلا كتب لهم﴾ أي ذلك المذكور من النفقة والسير في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه قبل خروجهم في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة﴾ أي قبيلة منهم طائفة أي جماعة ﴿ليتفقوها في الدين﴾ بما

(١) أصل المخمصة: ضمور البطن يقال: رجل خمص الباطن أي: ضامره وامراً خمصانة.

(٢) يقال: نال الشيء يناله: إذا أصابه، فينالون: بمعنى يصيبون.

(٣) قال ابن عباس بكل روعة تالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة. وجاء في الصحيح في شأن الخيل وفيه: (وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة إلا كتب عدد ما أكلت حسنة، وكتب له عدد أروائها وأبوالها حسنة).

(٤) روى مسلم وأبو داود أن النبي ﷺ قال: (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً

إلا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم في المدينة؟ قال حسبهم العذر).

(٥) هذه الآية دليل على أن الجهاد فرض كفاية ولا يتعين إلا إذا عيّنه الإمام أو هاجم العدو دار قوم مؤمنين فيجب عليهم قتاله كافة كما هي نص في وجوب طلب العلم وهو بالرحلة الطويلة إليه. وفي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وهذا الحديث دليل على أن طلب العلم يكون فرض عين ويكون فرض كفاية.

يسمعون من رسول الله ﷺ ويتعلمونه منه ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ عواقب الشرك والشر والفساد ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ذلك فينجون من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هذه الآية نزلت لما سمع المسلمون ورأوا نتائج التخلف عن رسول الله ﷺ فقالوا لن نتخلف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ أبداً ولا نتخلف عن غزو ما حيننا فأنزل الله تعالى هذه الآية يرشدهم إلى ما هو خير وأمثل فقال ﴿فَلَوْلَا﴾ أي فهلا نفر من كل فرقة منهم أي قبيلة أو حي من أحيائهم طائفة فقط وتبقى طائفة منهم بدل أن يخرجوا كلهم ويتركون رسول الله ﷺ وحده فإن خروجهم على هذا النظام أنفع لهم فالذين يبقون مع رسول الله ﷺ أو يخرجون معه إذا خرج يتفقهون في الدين لصحبته لرسول الله ﷺ والباقيون هم في مهام دينهم أيضاً ودنياهم فإذا رجع أولئك المتفقهون علموا إخوانهم ما فاتهم من العلم وأسرار الشرع كما أن الذين ينفرون إلى الجهاد قد يشاهدون من نصر الله لأوليائه وهزيمته لأعدائه ويشاهدون أيضاً ضعف الكفار وفساد قلوبهم وأخلاقهم وسوء حياتهم فيعودون إلى إخوانهم فينذرونهم ما عليه أهل الكفر والفساد فيحذرون منه ويتجنبونه وفي هذا خير للجميع وهو معنى قوله تعالى ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب إثارة رسول الله ﷺ على النفس بكل خير بل بالحياة كلها .
- ٢- بيان فضل السير في سبيل الله ، وما فيه من الأجر العظيم .
- ٣- فضل الإحسان وأهله .
- ٤- تساوي فضل طلب العلم والجهاد على شرط النية الصالحة في الكل وطالب العلم لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان يتعلم ليعلم فيعمل فيعلم مجانياً في سبيل الله والمجاهد لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله خاصة .
- ٥- حاجة الأمة إلى الجهاد والمجاهدين كحاجتها إلى العلم والعلماء سواء بسواء .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٢٣﴾

شرح الكلمات :

آمنوا : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعدته .

الذين يلونكم : أي يلون بلادكم وحدودها .

من الكفار : من : بيانية ، أي الكافرين .

وليجدوا فيكم غلظة : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم .

مع المتقين : أي بنصره وتأنيده والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي

والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة .

معنى الآية الكريمة :

لما طهرت الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام وهذا في أخريات حياة الرسول ﷺ وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيه وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي : أن يبدأوا بدعوة وقاتل أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخم لحدودهم كالأردن أو الشام أو العراق مثلاً فيعسكروا على مقربة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث : الدخول في دين الله الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخولهم البلاد وضرب الجزيرة على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضمت أرض هذا العدو إلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها . وأمرهم أن يعلموا أن الله ما كلفهم بالجهاد إلا وهو معهم وناصرهم ولكن على شرط أن يتقوه في أمره ونهيه فهذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي قوة بأس وشدة مراس في الحرب ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي بنصره وتأنيده .

(١) توجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي ﷺ فيه إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزوه بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب ، وفعلًا فإنه ﷺ ما غزا بعد تبوك وإنما حج حجة الوداع وبعدها بواحد وثمانين يوماً استأثر الله بروحه الطاهرة الشريفة .

(٢) ﴿غلظة﴾ مثلثة الغين غلظة الكسر لغة الحجاز ، والضم لغة بني تميم ، والمراد الجرأة على القتال والصبر عليه مع العنف والشدة في القتال والقصد من هذا إلقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يخشوا قتال المسلمين .

(٣) افتتاح الجملة بـ اعلموا : للاهتمام بما يراد العلم به ، وفي الجملة تسلية للمؤمنين بعد فقد نبيهم ﷺ ، وأن الله معهم بالنصر والتأييد فانقوه بلزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أمرهما ونهيهما في السلم والحرب .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة

- ١- وجوب الجهاد واستمراره إلى أن لا تبقى فتنة أو شرك أو اضطهاد لمؤمن ويكون الدين والحكم كلاهما لله تعالى .
- ٢- مشروعية البداءة في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف) .
- ٣- إذا اتسعت بلاد الإسلام تعين على أهل كل ناحية قتال من يليهم الأقرب فالأقرب .
- ٤- وعد الله بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة .

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
 إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
 ﴿١٦٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
 إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٦٥﴾ أَوْ لَا يَرْوْنَ
 أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
 لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ
 سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ
 ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
 ﴿١٦٧﴾

شرح الكلمات :

سورة : أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدها .

زداته إيمانًا : أي السورة قوت إيمانه وزادت فيه لأنها كالغيث النافع .
 يستبشرون : فرحين بفضل الله تعالى عليهم .

في قلوبهم مرض : أي شك ونفاق وشرك .
 فزادتهم رجساً : أي نجساً إلى نجس قلوبهم ونفوسهم .
 يفتنون : أي يمتحنون .
 ولا هم يذكرون : أي لا يتعظون لموات قلوبهم .
 صرف الله قلوبهم : دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه .
 لا يفقهون : أي لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم .
 معنى الآيات :

هذا آخر حديث عن المنافقين في سورة براءة الفاضحة للمنافقين يقول تعالى ﴿ وإذا ما أنزلت سورة ﴾ ^(١) أي من سور القرآن التي بلغت ١١٤ سورة نزلت وتليت وهم غائبون عن المجلس الذي تليت فيه ، فمنهم أي من المنافقين من يقول : ﴿ أيكم زادته هذه إيماناً ﴾ ^(٢) وقولهم هذا تهكم منهم وازدراء قال تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا ﴾ بحق وصدق ﴿ فزادتهم إيماناً ﴾ لأنها نزلت بأحكام أو أخبار لم تكن عندهم فأمنوا بها لما نزلت فزاد بذلك إيمانهم وكثر كما كان أن إيمانهم يقوى حتى يكون يقيناً بما ينتزل من الآيات وقوله ﴿ وهم يستبشرون ﴾ أي فرحون مسرورون بالخبر الذي نزل والقرآن كله خير كما هم أيضاً فرحون بإيمانهم وزيادة يقينهم ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي شك ونفاق ﴿ فزادتهم رجساً ﴾ أي شكاً ونفاقاً ﴿ إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ . وقوله تعالى ﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ﴾ ^(٣) أي أيستمر هؤلاء المرضى بالنفاق على نفاقهم ولا يرون أنهم يفتنون أي من أجل نفاقهم مرة أو مرتين أي يختبرون بالتكاليف والفضائح وغيرها ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ من نفاقهم ﴿ ولا هم يذكرون ﴾ فيتعظون فيتوبون هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (١٢٤) والثانية (١٢٥) والثالثة (١٢٦) أما الآية الرابعة (١٢٧) فقد تضمنت سوء حال هؤلاء المنافقين وقبح سلوكهم فسجلت عليهم وصمة عار وخزي إلى يوم القيامة إذ قال

(١) ﴿ ما ﴾ صلة لتقوية الكلام حسب الأسلوب العربي البليغ .
 (٢) الإيمان لغة : التصديق . وشرعاً : تصديق الله ورسوله في كل ما أخبرا به وأركانه ستة ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
 (٣) شكاً إلى شكهم ، وكفراً إلى كفرهم ، وإثماً إلى إثمهم إذ الشك والكفر من أعظم الآثام .
 (٤) قال قتادة والحسن ومجاهد : بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ويرون ما وعد الله من النصر يريد يتحقق أمامهم وكأنهم لا يعقلون .

تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ ^(١) أي وهم في المجلس وقرئت على الجالسين وهم من بينهم .
 ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وقال في سرية ومُخَافَتَهُ هيا نقوم من هذا المجلس الذي نغير فيه ونشتم ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي من أصحاب محمد ﷺ فَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ : لا يرانا أحد انصرفوا متسللين لوأذاً قال تعالى في دعاء عليهم : ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ^(٢) أي عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يفقهون أسرار الآيات وما تهدي إليه ، فعلتهم سوء فهمهم وعلة سوء فهمهم ظلمة قلوبهم وعلة تلك الظلمة الشك والشرك والنفاق والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ زيادة الإيمان ونقصانه زيادته بالطاعة ونقصانه بالعصيان .
- ٢- جواز الفرح بالإيمان وصالح الأعمال .
- ٣- مريض القلب يزداد مرضاً وصحيحه يزداد صحة سنة من سنن الله في العباد .
- ٤- كشف أغوار المنافقين وفضيحتهم في آخر آية من سورة التوبة تتحدث عنهم .
- ٥- يستحب أن لا يقال انصرفنا من الصلاة أو الدرس ولكن يقال انقضت الصلاة أو انقضى الدرس ونحو ذلك .

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
 عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(١) ﴿مَا﴾ صلة لتقوية الكلام .

(٢) هذه الجملة خبرية أخبر تعالى أنه جزأهم على انصرفهم من مجلس الرسول ﷺ بصرف قلوبهم عن الهدى فهم لا يهتدون إذا أبدا وضمن الخبر الدعاء عليهم ، وقد تحقق معناه وهو صرف قلوبهم .

(٣) لأن الله ذم المنافقين لانصرفهم ودعا عليهم بصرف قلوبهم وصرفها ولو قيل انقلبنا من الصلاة أو من الجنائز لكان خيراً لقوله تعالى : ﴿فَانْقَلَبُواْ بِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفُضِّلَ﴾ الآية من سورة آل عمران .

شرح الكلمات :

- رسول من أنفسكم : أي محمد بن عبد الله ﷺ من جنسكم عربي .
- عزيز عليه : أي شاق صعب .
- ما عنتم : أي ما يشق عليكم ويصعب تحمله .
- حريص عليكم : أي حريص على هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم .
- رؤوف : شفيق .
- رحيم : يرق ويعطف ويرحم .
- فإن تولوا : أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى
- حسبي الله : أي كافي الله .
- لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا هو .
- توكلت : أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه .
- رب العرش العظيم : عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسه تعالى
- وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في
- أرض فلاة .

معنى الآيتين الكريمتين :

في ختام سورة التوبة يقول الله تعالى لكافة العرب : ﴿لقد جاءكم رسول﴾ ^(١) أي كريم عظيم ﴿من أنفسكم﴾ ^(٢) عدنانني قرشي هاشمي مُطَّلبي تعرفون نسبه وصدقه وأمانته .

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ ^(٣) أي يشق عليه ما يشق عليكم ويؤلمه ما يؤلمكم لأنه منكم ينصح لكم نصح القومي لقومه . ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم واكمالكم واسعادكم

(١) روي عن أبي أنه قال : هاتان الآيتان أقرب القرآن بالسماء عهدا وهذا لا ينافي أن آخر ما نزل من القرآن : ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ .

(٢) قرىء : ﴿من أنفسكم﴾ أي : أشرفكم وأفضلكم إذ هو من النفاسة وهي تعلق نفوس البشر بما هو أجمل وأكمل . وقراءة الجمهور أولى وهي الضم أي : من أنفسكم إذ ما من قبيلة من قبائل العرب إلا وولدت النبي ﷺ قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وشاهده قوله ﷺ في رواية مسلم : (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم) وفي لفظ : (فأنا خيار من خيار) وهو ﷺ كذلك .

(٣) ﴿ما﴾ مصدرية تُسَبَّح مع الفعل بمصدر فيكون الكلام عزيز عليه عنتكم والعنت : التعب ، وهو مصدر عنت يعنت عنتا . كأنه يشير إلى أن ما لاقاه أصحابه من عنت أيام كانوا يحاربون أهلهم ، وذوهم وما نالهم من الغربة والفاقة ، والحرب كل ذلك كان يعز عليه ﷺ ويألم له فصلى الله وسلم عليه ما أرحمه وأوفاه !!

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم من سائر الناس ﴿رؤوف رحيم﴾ أي شفيق عطوف يحب رحمتهم وإيصال الخير لهم . إذا فآمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به تهتدوا وتسعدوا ولا تكفروا فتضلوا وتشقوا . وقوله تعالى ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن دعوتك فلا تأسّ وقل حسبي الله أي يكفيني ربي كل ما يهمني ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق سواه لذا فإني أعبدّه وأدعو إلى عبادته ، ﴿عليه توكلت﴾ أي في شأني كله ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان منّة الله تعالى على العرب خاصة وعلى البشرية عامة ببعثه خاتم أنبيائه محمد ﷺ .
- ٢- بيان كمال أخلاقه ﷺ .
- ٣- وجوب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في كل شيء يقوم به العبد .
- ٤- عظمة عرش الرحمن عز وجل .

سُورَةُ يُوسُفَ

مكية^(١)

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا

لَسِحْرٌ مُّبينٌ ﴿٢﴾

(١) عن أبي الدرداء أنّ من قال : إذا أصبح وإذا أمسى : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم : سبع مرات كفاه الله ما أهمّه صادقاً كان أو كاذباً .
(٢) ذكر بعضهم أن منها آيات قليلة مدنية ، والظاهر أنها كلها مكية ومن تدبر آياتها من أوله إلى آخره لم ير ما يدعو إلى خلافه .

شرح الكلمات :

الر : هذه السورة الرابعة من السور المفتحة بالحروف المقطعة تكتب الر وتقرأ ألف لام . را .

الكتاب : أي القرآن العظيم .

الحكيم : القائل بالحكمة والقرآن مشتمل على الحكيم فهو حكيم ومحكم أيضاً .

عجباً : العجب ما يتعجب منه .

رجل منهم : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

قدم صدق : أي أجراً حسناً بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال .

إن هذا : أي القرآن .

لسحر^(١) مبين : أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل .

معنى اليتين :

مما تعالجه السور المكية قضايا التوحيد والوحي والبعث الآخر وسورة يونس افتتحت بقضية الوحي أي إثباته وتقريره من الله لرسوله محمد ﷺ قال تعالى ﴿آلر تلك آيات^(٢) الكتاب الحكيم﴾ أي هذه آيات القرآن الكريم المحكم آياته المشتمل على الحكم الكثيرة حتى لكانه الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه وقوله تعالى ﴿أكان للناس^(٣) عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ أي أكان ابحاؤنا إلى محمد عبدنا ورسولنا وهو رجل من قريش عجباً لأهل مكة يتعجبون منه؟ والموحي به هو: ﴿أن أنذر الناس﴾، أي خوفهم عاقبة الشرك والكفر والعصيان ﴿ويشر الذين آمنوا﴾ أي بأن لهم قدم صدق^(٤) عند ربهم وهو

(١) هذه قراءة نافع .

(٢) يذكر المفسرون عن السلف توجيهات عدة لهذه الحروف منها: ما روه عن ابن عباس أن الر: معناها: أنا الله . . وكل ما ذكره قول بالظن وإن الظن أكذب الحديث، ومن الخير تفويض أمر معناها إلى من أنزلها وقد ذكرنا في التفسير، فائدتين عظيمتين فلنكتف بهما .

(٣) قال مقاتل: الحكيم بمعنى: المحكم من الباطل لا يدخله ففعيل بمعنى مفعول واستشهد بقول الأعشى بذكر قصيدته التي قالها

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

(٤) ﴿أكان للناس عجباً﴾: الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وعجباً: خبر كان والاسم: أن أوحينا، والتقدير: أكان عجباً للناس إبحاؤنا .

(٥) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قدم صدق﴾ أقوالاً متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدموه ومنها: يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى .

الجزاء الحسن لما قدموا من الإيمان وصالح الأعمال يتلقونه يوم يلقون ربهم في الدار الآخرة فلما أنذر وبشر ﷺ قال الكافرون هذا سحر مبين ومرة قالوا: ساحر مبين وقولهم هذا لمجرد دفع الحق وعدم قبوله لا أن ما أنذر به وبشر هو سحر، ولا المنذر المبشر هو ساحر وإنما هو المجاهدة والعناد والمكابرة من أهل الشرك والكفر والباطل والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي بشهادة الكتاب الموحى به .
- ٢- إثبات نبوة محمد ﷺ وتقريرها بالوحي إليه .
- ٣- بيان مهمة الرسول ﷺ وهي النذارة والبشارة .
- ٤- بشرى أهل الإيمان والعمل الصالح بما أعد لهم عند ربهم .
- ٥- عدم تورع أهل الكفر عن الكذب والتضليل .

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنْ شَفِيعٍ
إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ



اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَّقَى

شرح الكلمات :

إن ربكم الله : أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله .
 خلق السموات والأرض : أي أوجدها من العدم حيث كانت عدماً فأصبحت
 عوالم .
 في ستة أيام : هي الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس
 والجمعة .

ثم استوى على العرش : أي استوى استواء يليق به عز وجل فلا يقال كيف؟
 ما من شفيع إلا من بعد إذنه : أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له .
 أفلا تذكرون : أي أستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون .
 ثم يعيده : أي بعد الفناء والبلوى وذلك يوم القيامة .
 شراب من حميم : أي من ماء أحمي عليه وغلي^(١) حتى أصبح حميماً يشوي
 الوجوه .

جعل الشمس ضياء^(٢) : أي جعلها تضيء على الأرض .
 والقمر نوراً : أي جعل القمر بنور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس
 ونور القمر .

وقدره منازل : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك .
 لتعلموا : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب .
 يتقون : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيات :

هذه الآيات في تقرير الألوهية بعد تقرير الوحي وإثباته في الآيتين السابقتين فقوله
 تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
 يدبر الأمر﴾ إخبار منه تعالى أنه عز وجل هو رب أي معبود أولئك المشركين به آلهة أصناماً

(١) غلى الماء يغلي غليانا إذا اشتدت حرارته ففار دخاناً .

(٢) الضياء : نور ساطع يضيء للرائي الأشياء وهو اسم مشتق من الضوء فالضياء أقوى من الضوء .

يعبدونها معه وهي لم تخلق شيئاً أما الله فإنه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام بمقدار أيامنا هذه إذ لم تكن يومئذ أياماً كأيام الدنيا هذه، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله يدبر^(١) أمر السماء والأرض. هذا هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويتقرب إليه. وقوله: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ﴾ أي وأنه لعظمته وعزة سلطانه لا يقدر أحد أن يشفع لآخر إلا بعد إذنه له فكيف إذا تعبد هذه الأصنام رجاء شفاعتها لعبادها، والله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؟ وقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ أي هذا الموصوف بهذه الصفات المَعْرِفُ بهذه النعوت من الجلال والكمال هو ربكم الحق فاعبدوه بما شرع لكم من أنواع العبادات تكملوا وتسعدوا وقوله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هو توبيخ للمشركين لهم لِمَ لَا تَعْتَظُونَ بعد سماع الحق. وقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾ جميعاً وعد الله حقاً^(٢) تقرير لمبدأ البعث الآخر أي إلى الله تعالى ربكم الحق مُرْجِعُكُمْ بعد موتكم جميعاً إذ وعدكم وعد الحق بالرجوع إليه والوقوف بين يديه وقوله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل: بيان لعلة الحياة بعد الموت إذ هذه الدار دار عمل والآخرة دار جزاء على هذا العمل فلذا كان البعث واجباً حتماً لا بد منه ولا معنى لإنكاره لأن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى وأحرى وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء حار قد بلغ المنتهى في حرارته وعذاب أليم أي موجع اخبار منه تعالى بجزاء أهل الكفر يوم القيامة وهو علة أيضاً للحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء وبهذا تقرر مبدأ البعث كما تقرر قبله مبدأ التوحيد ومن قبل مبدأ الوحي إذ على هذه القضايا تدور السور المكية وقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ أي ذات ضياء والقمر نوراً ذا نور وقدر القمر منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة يتنقل فيها القمر، فعل ذلك ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ فتعرفون

(١) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنى متقارب

(٢) ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ﴾ أي: لا شئ شفع إلا بعد إذنه له بالشفاعة.

(٣) ﴿وَعَدًا﴾ و﴿حَقًّا﴾: مصدران بمعنى وعدكم وعداً وأحقه حقاً. أي: صدقاً لا خلف فيه.

(٤) الجملة: ﴿إِنَّهُ يَدْرَأُ الْخَلْقَ﴾: واقعة موقع الدليل على إنجاز وعده تعالى لأن الذي خلق من تراب وماء قادر على البعث والجزاء.

(٥) المنازل: جمع منزل، وهو مكان النزول والمراد بها سُمُوتُ بلوغ القمر فيها للناس كل ليلة في سمت منها كأنه ينزل بها، وللشمس منازل تسمى بروجاً وهي اثنا عشر برجاً تحل فيها الشمس في فصول السنة لكل برج منزلتان وثلاث.

(٦) ﴿الْحِسَابِ﴾ مصدر حَسِبَ يحسب بضم السين حساباً بمعنى عدّ أما حَسِبَ بكسر السين فهو بمعنى ظن ومضارعه يحسب بفتح السين وكسرهما لغتان فصيحتان. وبهما قرئ: أي حسب الإنسان وكل يحسب بمعنى يظن

عدد السنوات والشهور والأيام والساعات إذ حياتكم تحتاج إلى ذلك فهذا الرب القادر على هذا الخلق والتدبير هو المعبود الحق الذي يجب أن تعبدوه ولا تعبدوا سواه فهذا تقرير للتوحيد وتأكيد له . وقوله ﴿ وما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ أي لم يخلق هذه الحياة الدنيا وهذه العوالم فيها عبثاً فتفنى وتبلى بعد حين ولا شيء وراء ذلك بل ما خلق ذلك إلا بالحق أي من أجل أن يأمر وينهى ثم يجزي المطيع بطاعته والعاصي بعصيانته وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء أيضاً وقوله ﴿ يفصل الآيات ﴾ أي هذا التفصيل المشاهد في هذا السياق ﴿ لقوم يعلمون ﴾ إذ هم الذين ينتفعون به أما الجهلة فلا ينتفعون بهذا التفصيل والبيان وقوله تعالى في الآية الأخيرة ﴿ إن في اختلاف الليل والنهار ﴾ أي بالطول والقصر والضياء والظلام ﴿ وما خلق الله في السموات والأرض ﴾ ^(١) من أفلاك وكواكب ورياح وأمطار وما خلق في الأرض من إنسان وحيوان وبر وبحر وأنهار وأشجار وجبال ووهاد ﴿ لايات ﴾ أي علامات واضحة دالة على الخالق المعبود بحق وعلى جلاله وجماله وكماله وعظيم قدرته وقوة سلطانه فيُعبد لذلك بحبه غاية الحب وبتعظيمه غاية التعظيم وبرهته والخشية منه غاية الرهبة والخشية ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ويطاع فلا يعصى وقوله تعالى ﴿ لقوم يتقون ﴾ ^(٢) خص أهل التقوى بالآيات فيما ذكر من مظاهر خلقه وقدرته لأنهم هم الذين حقاً يبصرون ذلك ويشاهدونه لصفاء أرواحهم وطهارة قلوبهم ونفوسهم أما أهل الشرك والمعاصي فهم في ظلمة لا يشاهدون معها شيئاً والعياذ بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ألوهية الله تعالى وأنه الإله الحق .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء في الدار الآخرة .
- ٣- بيان الحكمة في خلق الشمس والقمر وتقدير منازلهما .
- ٤- مشروعية تعلم الحساب وعلم الفلك لما هو نافع للمسلمين .

(١) قوله : ﴿ وما خلق الله في السموات والأرض ﴾ شمل الأجسام والأحوال معاً أي : الذوات والصفات ، والأقوال والأعمال أيضاً إذ قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

(٢) خصهم بالآيات لأنهم هم الذين ينتفعون بها أما أهل الشرك والفجور والمعاصي فلا ينتفعون بها فهي إذاً ليست لهم بل هي لغيرهم ممن ينتفعون بها .

٥- فضل العلم والتقوى وأهلها من المؤمنين .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة .
ورضوا بالحياة الدنيا : أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة .
واطمأننوا بها : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يعمل لها .
غافلون : لا ينتظرون إليها ولا يفكرون فيها .
مأواهم النار : أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواها .
يهديهم ربهم بإيمانهم^(١) : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً يهتدون به إلى الجنة .
دعواهم فيها سبحانك اللهم^(٢) : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم .
وآخر دعواهم أن الحمد لله : أي آخر دعائهم : الحمد لله رب العالمين .

معنى الآيات :

بعد تقرير الوحي والألوهية في الآيات السابقة ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث

(١) قال مجاهد: ﴿يهديهم ربهم﴾ بالنور على الصراط إلى الجنة بأن يجعل لهم نوراً يمشون به، وشاهده قوله تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ بشراكم اليوم جنات الخ.

(٢) الدعوى هنا: بمعنى الدعاء يقال: دعوة بالهاء ودعوى بالفاء والتأنيث وسبحان: مصدر بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه.

الكريمة بيان جزاء كل ممن كذب بلقاء الله فلم يرجُ ثواباً ولم يخشَ عقاباً ورضيَ بالحياة الدنيا واطمأن بها، وممن آمن بالله ولقائه ووعده ووعيده فأمن بذلك وعمل صالحاً فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا﴾^(١) أي سكنت نفوسهم إليها وركنوا فعلاً إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ أي آياته الكونية في الآفاق والقرآنية وهي حُجج الله تعالى وأدلتة الدالة على وجوده وتوحيده ووحيه وشرعه غافلون عنها لا ينظرون فيها ولا يفكرون فيما تدل لإنهماكهم في الدنيا حيث أقبلوا عليها وأعطوها قلوبهم ووجوههم وكل جوارحهم. هؤلاء يقول تعالى في جزائهم ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي من الظلم والشر والفساد. ويقول تعالى في جزاء من آمن بلقاءه ورجا ما عنده ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي إلى طريق الجنة ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي بنور إيمانهم فيدخلونها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. ونعيم الجنة روحاني وجسماني فالجسماني يحصلون عليه بقولهم: سبحانك اللهم، فإذا قال أحدهم هذه الجملة «سبحانك اللهم» حضر لديه كل مُشتهى له. والروحاني يحصلون عليه بسلام الله تعالى عليهم وملائكته ﴿وتحتيتهم فيها سلام﴾. وإذا فرغوا من المآكل والمشارب قالوا: الحمد لله رب العالمين. وهذا معنى قوله ﴿دَعَاوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي دعاؤهم أي صيغة طلبهم ﴿وتحتيتهم فيها سلام وآخر دعاوهم﴾ أي دعائهم ﴿أَنْ﴾ أي أنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التحذير من نسيان الآخرة والإقبال على الدنيا والجري وراء زخارفها.

- (١) ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ معناه أنهم لا يظلمونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقاباً أخروياً ولا ثواباً.
 (٢) أي : سكنت نفوسهم إليها وصرخوا كل همهم لها طلباً لتحصيل منافعها فلم يسعوا لتحصيل ما ينفع في الآخرة لأنهم سكنوا إلى الدنيا، والساكن لا يتحرك ووصف بأنه لها يرضى ولها يغضب ولها يفرح ولها يهتم ويحزن.
 (٣) ﴿مَنْ تَحْتَهُمْ﴾ من تحت بساتنهم ومن تحت أسرتههم كذلك وهو أحسن في الزهرة والفرجة.
 (٤) إنه ثناء مسوق للتعريض إلى إفاضة النعيم من طعام وشراب وهو كما قال ابن أبي الصلت:
 إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء
 (٥) في الآية دليل على اطلاق لفظ التسييح على الدعاء وشاهده: دعوة ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وفيها دليل على مشروعية بل سنية بدء الطعام والشراب بسم الله. وإنهائه بحمد الله تعالى كما هي السنة في ذلك.

٢- التحذير من الغفلة بعدم التفكير بالآيات الكونية والقرآنية إذ هذا التفكير هو سبيل الهداية والنجاة من الغواية.

٣- الإيمان والعمل الصالح مفتاح الجنة والطريق الهادي إليها.

٤- نعيم الجنة روحاني وجسماني وهو حاصل ثلاث كلمات هي :

سبحانك اللهم . وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

❦ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
 أَسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ
 لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ
 لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا تَظَلَّمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
 خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

الشر : كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد، والخير

عكسه : ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد .

لقضي إليهم أجلهم : لهلكوا وماتوا .

فنذر : أي نترك .

في طغيانهم يعمهون : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان .

الضرر : المرض وكل ما يضر في جسمه ، أو ماله أو ولده .

مر كأن لم يدعنا : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره .
كذلك زين^(١) : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه ، زين للمسرفين
إسرافهم في الظلم والشر .

القرون : أي أهل القرون .
بالبينات : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم .
خلائف : أي لهم ، تخلفونهم بعد هلاكهم .

معنى الآيات :

هذه الفترة التي كانت تنزل فيها هذه السورة المكية كان المشركون في مكة في هيجان واضطراب كبيرين حتى إنهم كانوا يطالبون بنزول العذاب عليهم إذ ذكر تعالى ذلك عنهم في غير آية من كتابه منها ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ ومنها ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ أي عند سؤالهم إياه، أو فعلهم ما يقتضيه كاستعجاله الخير لهم ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي لهلكوا الهلاك العام وانتهى أجلهم في هذه الحياة، وقوله تعالى ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ أي لم نعجل لهم العذاب فنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يؤمنون بلقاءنا وما عندنا من نعيم وجحيم نتركهم في طغيانهم في الكفر والظلم والشر والفساد يعمهون حيارى يترددون لا يعرفون مُتجهاً ولا مخرجاً لما هم فيه من الضلال والعمى .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١) أما الآية الثانية (١٢) فقد تضمنت بيان حقيقة وهي أن الإنسان الذي يعيش في ظلمة الكفر ولم يستتر بنور الإيمان إذا مسه الضر وهو

(١) قال القرطبي وهو صادق، كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زين للمسرفين في الشر والمعاصي أعمالهم في ذلك .

(٢) فسر الشر بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلاً أو آجلاً، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه .

(٣) قال مجاهد : هذه الآية نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله أو ولده إذا غضب . اللهم أهلكه اللهم لا تبارك فيه اللهم العنه فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضى إليهم أجلهم . ولا أحسب أن الآية نزلت في هذا وإنما هي شاهد لما قال فقط، وشاهد آخر رواه الزوار وأبو داود وهو قوله ﷺ : (لا تدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم) .

المرض والفقر وكل ما يضر دعا ربه على الفور لجنبه أو قاعداً أو قائماً يا ربه يا ربه فإذا استجاب الله له وكشف ما به من ضررٍ كان لم يكن مرض ولا دعا واستجيب له واستمر في كفره وظلمه وغية. وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي كما أن الإنسان الكافر سرعان ما ينسى ربه الذي دعاه ففرج ما به كذلك حال المسرفين في الظلم والشر فإنهم يرون ما هم عليه هو العدل والخير ولذا يستمرون في ظلمهم وشرهم وفسادهم. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ هذا خطاب لأهل مكة يخبرهم تعالى مهدداً إياهم بامضاء سنته فيهم بأنه أهلك أهل القرون من قبلهم لَمَّا ظَلَمُوا أي أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات^(١) أي بالآيات والحجج، وأبوا أن يؤمنوا لَمَّا أَلْفُوا مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي فَأَهْلَكْنَاهُمْ كَعَادَ وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء بالإهلاك العام نجزي القوم المجرمين في كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي يقول لمشركي العرب من أهل مكة وغيرها، ثم جعلناكم خلائف^(٢) في الأرض بعد إهلاك من قبلكم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فإن كان عملكم خيراً جزيناكم به وإن كان سوءاً جزيناكم به وتلك سنتنا في عبادنا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر رحمة الله بعباده إذ لو عجل لهم ما يطلبون من العذاب كما يعجل لهم الخير عندما يطلبونه لأهلكهم وقضى إليهم أجلهم فماتوا.
- ٢- يعصي الله العصاة ويكفر به الكافرون ويتركهم في باطلهم وشرهم فلا يعجل لهم العذاب لعلهم يرجعون.

(١) أي : بالمعجزات الواضحات كالتي أتى بها موسى وعيسى عليهما السلام.

(٢) الخلائف : جمع خليفة وحرف ثم مؤذن ببعد ما بين الزمانين ، والأرض : هي أرض العرب إذ هم الذين خلفوا عاداً وثموداً وقبلهما طسماً وجديساً.

(٣) هذا التعليل كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ إذ علّة الوجود هي أن يذكر الله ويشكر، فمن ذكره وشكره أكرمه وأسعده ومن كفره ونساه عذبه وأشقاه.

٣- بيان أن الإنسان الكافر يعرف الله عند الشدة ويدعوه ويضرع إليه فإذا نجاه عاد إلى الكفر به كأن لم يكن يعرفه .

٤- استمرار المشركين على إسرافهم في الكفر والشر والفساد مُزين لهم ^(١) حسب سنة الله تعالى . فمثلهم مثل الكافر يدعو عند الشدة وينسى عند الفرج .

٥- وعيد الله لأهل الإجمام بالعذاب العاجل أو الآجل إن لم يتوبوا .

٦- كل الناس أفراداً وأممًا مُمهّلون مُراقبون في أعمالهم وسلوكهم ومَجزيون بأعمالهم خيرها وشرها لا محالة .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا أَنتِ بِشَرٍّ أَوْ بَشْرًا غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لَكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من سورة الأنعام .

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة .

من تلقاء نفسي : أي من جهة نفسي .

ولا أدراكم به : أي لا أعلمكم به .

عمرًا من قبله : أي أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ .

المجرمون : المفسدون لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

ما لا يضرهم : أي إن لم يعبدوه .

ومالا ينفعهم : أي إن عبده .

أتنبثون : أي أتعلّمون وتخبرون الله .

سبحانه : أي تنزيها له .

عما يشركون : أي به معه من الأصنام .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير قضايا أصول الدين الثلاث : التوحيد والوحي والبعث فقوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي إذا قرئت عليهم آيات الله عز وجل ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾^(١) وهم المنكرون للبعث إذ به يتم اللقاء مع الله تعالى للحساب والجزاء . ﴿إئت بقرآن غير هذا﴾ أي بأن يكون خالياً من عيب آلهتنا وانتقاصها . أو أبقه ولكن بدل كلماته بما لا يسوءنا فاجعل مكان آية فيها ما يسوءنا آية أخرى لا إساءة فيها لنا وقولهم هذا إما أن يكون من باب التحدي أو الاستهزاء والسخرية ولكن الله تعالى علّم رسوله طريقة الرد عليهم بناء على ظاهر قولهم فقال له ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ أي إنه لا يتأتى لي بحال أن أبدله من جهة نفسي لأنني عبد الله ورسوله ما اتبع إلا ما يوحى

(١) عن مجاهد: أن المطالبين بهذا هم خمسة أنفار: عبدالله بن أمية والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبدالله بن أبي قيس والعاصي بن عامر قالوا للنبي ﷺ إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الأصنام واللآلئ والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها .

(٢) وإما أن يكون من باب توهمهم أن الرسول ﷺ يأتي به من تلقاء نفسه إلا أن هذا الاحتمال ضعيف .

إلى ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بتبديل كلامه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي عذاب يوم القيامة وقوله ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ أي قل لهم رداً على طلبهم: لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته عليكم، ولا أدراكم هو به أي ولا أعلمكم فالأمر أمره وأنا لا أعصيه ويدل لكم على صحة ما أقول: إني لبثت فيكم عمراً أي أربعين سنة قبل أن آتيكم به ﴿أفلا تعقلون﴾: معنى ما أقول لكم من الكلام وما أذكر لكم من الحجج؟.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (١٥ - ١٦) أما الآية الثالثة فقد تضمنت التنديد بالمجرمين الذين يكذبون على الله تعالى بنسبة الشريك إليه ويكذبون بآياته ويجحدونها فقال تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿أو كذب بآياته﴾ بعدما جاءته أي لا أحد أظلم من الاثنين، وقوله تعالى ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ دل أولاً على أن المذكورين مجرمون وأنهم لا يفلحون شأنهم شأن كل المجرمين. وإذا لم يفلحوا فقد خابوا وخسروا. وقوله تعالى في الآية الرابعة ﴿وعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي من الأصنام ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ وهم في ذلك كاذبون مفترون فلذا أمر الله أن يرد عليهم بقوله ﴿قل أنبئوني بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ إذ لو كان هناك من يشفع عنده لعلمهم وأخبر عنهم فلم الكذب على الله والافتراء عليه ثم نزه الله تعالى نفسه عن الشرك به والشركاء له فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- من الدعوة إلى الله تعالى تلاوة آياته القرآنية على الناس تذكيراً وتعليماً.

(١) جملة: ﴿إني أخاف﴾ جملة تعليلية لجملة: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾.

(٢) العمر: الحياة مشتق من العمران، لأن مدة الحياة يعمر بها الحي العالم الأرضي، ويطلق العمر على المدة الطويلة التي لو عاش الإنسان مقدارها لكان أخذ حظه من البقاء. والمراد من قوله ﴿عمراً﴾ أي: لبثت بينكم مدة عمر كامل. إذ هي أربعون سنة.

(٣) في هذه الآية زيادة رد على المطالبين بتبديل القرآن إذ تبديله ظلم والزيادة فيه كذب على الله تعالى ولا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب، فكيف يسوغ لي أن افترى على الله الكذب أو أبدل كلامه.

(٤) إن قولهم: هؤلاء ﴿شفعاؤنا﴾ لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر هو غاية الجهل، ومرادهم من شفاعتها أنها تشفع لهم عند الله في إصلاح معاشهم في الدنيا.

- ٢- بيان ما كان عليه المشركون من تعنت وجحود ومكابرة .
 ٣- كون النبي ﷺ عاش أربعين سنة لم يعرف فيها علماً ولا معرفة ثم برز في شيء من العلوم والمعارف فتفوق وفاق كل أحد دليل على أنه نبي يوحى إليه قطعاً .
 ٤- لا أحد أظلم من أحد رجلين رجل يكذب على الله تعالى وآخر يكذب الله تعالى .
 ٥- إبطال دعوى المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله يوم القيامة .
 ٦- بيان سبب عبادة المشركين لآلهتهم وهو رجاؤهم شفاعتها لهم .

وَمَا كَانَ

النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا
 الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- أمة واحدة : أي على دين واحد هو الإسلام .
 فاختلفوا : أي تفرقوا بأن بقي بعض على التوحيد وبعض على الشرك .
 كلمة سبقت : بإبقائهم إلى آجالهم ومجازاتهم يوم القيامة .
 آية : خارقة كناية صالح عليه السلام .
 إنما الغيب لله : أي إن علم الآية متى تأتي من الغيب والغيب لله وحده فلا أنا ولا أنتم تعلمون إذا فانتظروا إنا معكم من المنتظرين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بحقيقة علمية تاريخية من شأن العلم بها المساعدة على الصبر والتحمل فيقول ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي في زمن سابق أمة واحدة على دين التوحيد دين الفطرة ثم حدث أن أحدث لهم شياطين الجن والإنس البدع والأهواء

والشرك فاختلّفوا فمنهم من ثبت على الإيمان والتوحيد ومنهم من كفر بالشرك والضلال .
 وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾^(١) وهي أنه لا يعجل العذاب للأمم والأفراد بكفرهم وإنما يؤخرهم إلى آجالهم ليجزيهم في دار الجزاء بعذاب النار يوم القيامة لولا كلمته والتي هي ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ لعجل لهم العذاب فحكم بينهم بأن أهلك الكافر وأنجي المؤمن .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٩) أما الآية الثانية (٢٠) فيخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أي هلاً أنزل على محمد آية خارقة من ربه لنعلم ونستدل بها على أنه رسول الله وقد يريدون بالآية عذاباً فلذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿إنما الغيب لله﴾ فهو وحده يعلم متى يأتيكم العذاب وعليه ﴿فانتظروا إنني معكم﴾ من المنتظرين ﴿ولم تطل مدة الانتظار ونزل بهم العذاب ببدر فهلك رؤسائهم وأكابر المستهزئين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأصل هو التوحيد والشرك طارئ .
- ٢- الشر والشرك هما اللذان يحدثان الخلاف في الأمة والتفرق فيها أما التوحيد والخير فلا يترتب عليهما خلاف ولا حرب ولا فرقة .
- ٣- بيان علة بقاء أهل الظلم والشرك يظلمون ويفسدون إلى آجالهم .
- ٤- الغيب كله لله فلا أحد يعلم الغيب إلا الله ومن علّمه الله شيئاً منه وهذا خاص بالرسول لإقامة الحجة على أممهم .

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرُفٍ
 ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ

- (١) في الآية إشارة إلى القضاء والقدر أي : لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة .
 (٢) يريدون معجزة كمعجزات صالح وموسى وعيسى عليهم السلام أو آية غير القرآن كأن يحيي لهم الموتى أو يجعل الجبل ذهباً أو يكون له بيت من زخرف .
 (٣) في الجملة تعريض بتهديدهم على جوارحهم على الله ومطالبتهم بالآيات ، والآيات القرآنية معرضون عنها وهي أعظم مما يطلبون .

﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَ تَهَاوِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

- رحمة : أي مطر بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة .
 ضراء : حالة من الضر بالمرض والجذب والفقر .
 مكر في آياتنا : أي استهزاء بها وتكذيب .
 إن رسلنا : أي الحفظة من الملائكة .
 يسيركم^(١) : أي يجعلكم تسرون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب .
 بريح طيبة : أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم .
 ريح عاصف : أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه .
 وأحيط بهم : أي أحرق بهم الهلاك من كل جهة .
 يبغون بغير الحق^(٢) : أي يظلمون مجانبين للحق والاعتدال .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة أهل مكة إلى توحيد الله والإيمان برسوله والدار الآخرة فيقول

(١) قرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين أي يشكم ويفرقكم والفلک : يطلق على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث .

(٢) البغي : الاعتداء والظلم مأخوذ من بغا الجرح إذا فسد فهو من الفساد .

تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رحمة من بعد ضراء مستهم﴾ أي أذقناهم طعم الرحمة التي هي المطر بعد الجفاف والغنى بعد الفاقة والصحة بعد المرض وهي الضراء التي مستهم فترة من الزمن. يفاجئونك^(١) بالمكر بآيات الله وهو استهزاؤهم بها والتكذيب بها ويمن أنزلت عليه. وقوله تعالى ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء الماكرين من المشركين الله عز وجل أسرع مكرًا منكم فسوف يريكم عاقبة مكره بكم وهي إذلالكم وخزيكم في الدنيا وعذابكم في الآخرة إن متم على كفركم وقوله ﴿إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ تقرير لما أعلمهم به من مكر الله تعالى بهم إذ كتابة الملائكة ما يمكرون دليل على تبين الله تعالى لهم المكروه الذي يريد أن يجازيهم به على مكرهم.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢١) أما الآية الثانية (٢٢) فهي تُري المشركين ضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى الله تعالى، ومن كان كذلك فكيف يستهزئ بربه ويسخر من آياته ويكذب رسوله إن أمرهم لعجب فيقول تعالى هو أي الله الذي تمكرون بآياته الذي يسيركم في البر بما خلق لكم من الظهر الإبل والخيول والحمير، وفي البحر بما سخر لكم من الفلك تجري في البحر بأمره. حتى إذا كنتم في البحر وجرين أي السفن بهم أي بالمشركين بريح طيبة مناسبة لسير السفن وفرحوا بها على عادة ركاب البحر يفرحون بالريح المناسبة لسلامتهم من الميّدان^(٢) والقلق والاضطراب. جاءتها أي السفن ريح عاصف أي شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق، وجاءهم أي الكفار الراكبين عليها الموج من كل مكان من جهات البحر والموج هو ارتفاع ماء البحر وتموجه كزوابع الغُبور في البر. وظنوا أي أيقنوا أو كادوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

(١) قيل: إنّ أبا سفيان قال: فحطنا بدعائك فإن سقينا صدقناك فسقوا باستسقائه ﷺ فلم يؤمنوا وهذا من مكرهم.

(٢) وجرين بهم: فيه خروج من الخطاب إلى الغيبة وهو ضرب من الأساليب البلاغية وهو في القرآن كثير، وكذا في أشعار العرب قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

ويقال له: التفات من كذا إلى كذا.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب البحر مطلقا، وشاهده من السنة حديث: (إنّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته) وحديث أم حرام يدل على جواز ركوبه في الغزو.

(٤) الميدان: دوار أو غشيان يصيب راكب البحر.

(١) له الدين ﴿أي الدعاء يارب يارب نجنا وَيَعِدُونَهُ قائلين﴾ ﴿لئن انجيتنا من هذه﴾ ﴿أي الهلكة﴾ ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك أي المطيعين المعترفين بنعمتك علينا الموحدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك . فلما أنجاهم من تلك الشدة يفاجئوك ببغيهم في الأرض بغير الحق شركاً وكفراً وظلماً وفساداً فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون وقوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ يخبرهم تعالى بقوله يا أيها الناس الباغون في الأرض بغير الحق في أي زمان كنتم وفي أي مكان وجدتم إنما بغيكم أي عوائده عائدة على أنفسكم إذ هي التي تتأثم وتخبت في الدنيا وتفسد وتصبح أهلاً لعذاب الله يوم القيامة وقوله ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي ذلك متاع الحياة الدنيا شقاء كان أو سعادة ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ أي لا إلى غيرنا وذلك بعد الموت يوم القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ونجزىكم به الجزاء العادل في دار الجزاء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من مكر مكر الله به والله أسرع مكرأ وأكبر أثراً وضرراً .
- ٢- بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه عز وجل في حفظ حياته وبقائه إلى أجله .
- ٣- إخلاص العبد الدعاء في حال الشدة آية أن التوحيد أصل والشرك طارىء .
- ٤- المشركون الأولون أحسن حالاً من جهلة هذه الأمة إذ يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة أما جهال المسلمين اليوم فشرکهم دائم في الرخاء والشدة على السواء .
- ٥- بَغْيُ الإنسان عائد على نفسه كمكره ونكته وفي الحديث ﴿ثلاث على أصحابها رواجع : البغي والمكر والنكث﴾ .
- ٦- تقرير مبدأ البعث والجزاء يوم القيامة .

(١) روي أنهم قالوا في دعائهم هذا يا حي يا قيوم .

(٢) مصداقه من الحديث الشريف : (ما من ذنب أحق أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) .

(٣) المتاع : ما يتمتع به انتفاعاً غير دائم .

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا
 أَتْنَاهَا أَمْرًا تَلِيلًا أَوْنَاهَا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ
 يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الحياة الدنيا : أي صفتها المنطبقة عليها المُتَّفِقَةُ معها .

ماء : أي مطر .

فاختلط به ^(١) : أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض .

مما يأكل الناس : كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر .

والأنعام : أي من الكلال والعشب عادة وإلا قد يعلف الحيوان الصغير .

زخرفها ^(٢) : أي نظرتها وبهجتها .

وازينت ^(٣) : أي تجملت بالزهور .

وظن أهلها أنهم

قادرون عليها : أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية .

أتاها أمرنا : أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها .

حصيداً : أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم .

(١) أي : اختلط النبات بالمطر أي : شرب منه فتندى وحسن واخضر والاختلاط هو : تداخل الشيء في الشيء .

(٢) الزخرف : اسم للذهب ، ويطلق على كل ما يزين به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي وأنواع الزينة .

(٣) «وازينت» أصلها : تزينت فقلبت التاء زايا وادغمت في الزاء لقرب مخرجيهما وجلبت همزة الوصل لأجل النطق بالسكون .

كأن لم تغن بالأمس^(١) : أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس .

نفصل الآيات : أي نبينها .

والله يدعو إلى دار السلام^(٢) : دار السلام : الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم يعرض الهدايات الإلهية على الناس لعلمهم يهتدون ففي هذه الآية يضرب تعالى^(٣) مثلاً للحياة الدنيا التي يتكالب الغافلون عليها ويبيعون آخرتهم بها فيكذبون ويظلمون من أجلها إنما مثلها في نصارتها الغارة بها وجمالها الخادعة به كمثل ماء نزل من السماء فاختلط بالماء نبات الأرض فسقى به ونما وازدهر وأورق وأثمر وفرح به أهله وغلب على ظنهم أنهم منتفعون به فائزون به وإذا بقضاء الله فيه تأتيه فجأة في ساعة من ليل أو نهار فإذا هو حصيد ليس فيه ما هو قائم على ساق، هشيم تذروه الرياح كأن لم لم يغن بالأمس أي كأن لم يكن موجوداً أمس قائماً يعمر مكانه أتاه أمر الله لأن أهله ظلموا فعاقبهم بجائحة أفسدت عليهم زرعهم فأمسوا يائسين حزينين . هذه الصورة المثالية للحياة الدنيا فهلا يتنبه الغافلون أمثالي !! أو هلا يستيقظ النائمون من حالهم كحالي؟؟

(٤) وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٥) ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي بترك الشرك والمعاصي والإقبال على الطاعات والصالحات ودار السلام الجنة إذ هي الخالية من الكدر والتنغيص فلا مرض ولا هرم، ولا موت ولا حزن . ودعاة الضلالة يدعون إلى الدنيا

(١) كأن لم تكن عامرة يقال غني بالمكان إذا قام به وعمره والمغاني المنازل التي يعمرها الناس قال لبيد

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود .

(٢) وقيل المعنى والله يدعو إلى دار السلام إذ السلام والسلامة بمعنى كالرضاعة والرضاع . قال الشاعر:

تحني بالسلامة أم بكر وهل لك بعد قومك من سلام

(٣) المثل الصفة وعليه صفة الحياة الدنيا المنطبقة عليها أنها في سرعة انقضائها وزوال نعيمها بعد البهجة والنضرة الحسنة كنبات أخضر وازدهر ثم يبس فصار هشيماً تذروه الرياح .

(٤) روي أن النبي ﷺ خرج يوماً على أصحابه فقال رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال له اسمع سمعت أذنك واقفل عقل عقلك إنما مثلك ومثل أمك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعمته فممنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فإله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام دخل الجنة ثم تلا: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ إلى قوله ﴿مستقيم﴾ .

والتي صورتها ومآلها. أنها دار الكدر والتنفيس. والههم والحزن فأَي الدعوتين تجاب؟ ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فلتطلب هدايته بصدق فإنه لا يهدي إلا هو والصراط المستقيم هو الإسلام طريق الجنة وسُلم الوصول إليها رزقنا الله تعالى السير فيه والثبات عليه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- بيان الصورة الحقيقية للحياة الدنيا في نضرتها وسرعة زوالها.
- ٢- التحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها.
- ٣- التحذير من الذنوب فإنها سبب الشقاء وسلب النعم.
- ٤- فضيلة التفكير وأهله.
- ٥- فضل الله على عباده ورحمته بهم إذ يدعوهم إلى داره لإكرامهم والإنعام عليهم.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ ۖ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْكِتَابُ ۖ وَإِن كُنَّا عَن عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٦٩﴾﴾

(١) القول بأن الزيادة هما النظر إلى وجه الله الكريم هو قول أنس بن مالك وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وحذيفة وابن عباس وعامة الصحابة وروى مسلم أن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

هٰذَا لَكَ تَبْلُوْا كُلَّ نَفْسٍ مَّا اَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰهُمْ
الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

الحسنى وزيادة : الحسنى الجنة وزيادة النظر إلى وجه الله الكريم .

ولا يرهق وجوههم : أي لا يغشى وجوههم .

قتر : غبرة من الكآبة والحزن .

السيئات : جمع سيئة ما يُسيء إلى النفس من ذنوب الشرك

والمعاصي .

مكانكم : أي الزموا مكانكم لا تفارقوه .

فزيلنا بينهم : فرقنا بينهم .

هنالك : أي ثم .

تبلو كل نفس : أي تختبر .

ما أسلفت : أي ما قدمت .

وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها فقال للذين أحسنوا فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحده تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو لا جزاء لهم الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام ، وأنهم إذا بعثوا لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة كما يكون ذلك لمن لم يجب دعوة الله تعالى ، وقرر جزاءهم ووضحه بقوله : ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ وذكر جزاء من أعرض عن الدعوة ورفضها فأصر على الكفر والشرك والعصيان

(١) الرهق : الغشيان ، يقال رهقه يرهقه رهقاً : إذا غشيه من باب خرج .

(٢) اسم الإشارة عائد إلى الذين أحسنوا .

فقال ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ فالذين كسبوا سيئات الشرك والمعاصي فأساء ذلك إلى نفوسهم ففسادها وخبيثها جزاؤهم جهنم وترهقهم ذلة في عرصات القيامة وليس لهم من الله من عاصم يعصمهم من عذاب الله . كأنما وجوههم لسوادها قد أغشيت قطعاً من الليل مظلماً وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ تقرير لمصيرهم والعياذ بالله وهو ملازمة النار وعدم الخروج منها بخلودهم فيها .

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٢٦) والثانية (٢٧) أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة فإنها تضمنت عرضاً سريعاً لحشر الناس يوم القيامة ، والمراد بذلك تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر فقال تعالى : ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ أي بنا آلهة عبدوها دوننا ﴿مكانكم﴾ أي قفوا لا تبرحوا مكانكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ ، ثم يزايل الله تعالى أي يفرق بينهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فزيلنا بينهم﴾ ولا شك أنهم يقولون ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك فلذا ذكر تعالى ردهم عليهم في قوله ﴿وقال شركاؤهم﴾ ما كنتم إيانا تعبدون ﴿أي لأننا ما كنا نسمعكم ولا نبصركم ولا أمرناكم بعبادتنا وهذا قول كل من عبد من دون الله من سائر الأجناس﴾ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا﴾ أي والله ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ غير شاعرين بحال من الأحوال بعبادتكم . قال تعالى ﴿هنالك﴾ أي في ذلك الموقف الرهيب ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ أي تختبر ما قدمت في دنياها وتعرفه هل هو ضارٌ بها أو نافع لها ﴿وردوا إلى الله مولاهم﴾ (٥) الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ هكذا يجدون أنفسهم أمام مولاهم ومالك

(١) ذكرنا في التفسير: كسبوا الشرك والمعاصي لأن الشرك هو الموجب للخلود في النار لا المعاصي ، بدليل الحكم عليهم بالخلود في النار في آخر السياق .

(٢) جمع قطعة ، وهي الجزء من الشيء فهي فعلة بمعنى مفعولة إذ هي مقطوعة من شيء كامل . والمظلم : الإظلام لا كواكب فيه ولا قمر .

(٣) أي : سعداء وأشقياء أهل الحسن وأهل الذلة ، إذ الحشر يكون لسائر الخلائق لا يتخلف أحد من الخلق .

(٤) الشركاء : يكونون من الأصنام والأوثان والملائكة والإنس والجن والتبرؤ حاصل إذ ليس هناك من يقوى على الاعتراف بجريمة الشرك ، أما الملائكة والأنبياء والصالحون فإنهم لم يكونوا راضين بعبادة المشركين لهم فتبرؤهم صحيح ، وأما الأصنام والأوثان فإنها لم تأمر بعبادتها وإنما الذي أمر بعبادتها الشياطين فتبرؤها صحيح .

(٥) مولاهم : الخالق ، الرازق ، المدبر لأموالهم وشؤون حياتهم والمستوجب لعبادتهم هو الله جل جلاله ، فهو مولاهم الحق ، لا الذي اختلقوه كذبا وعبدوه من دون الله فذاك مولى باطل وإله مكذوب .

(٦) الحق : هو الموافق للواقع والصدق ، فالمولوية الحققة لله تعالى لا لمخلوقاته ، وكلها مخلوقة له مربية .

(١) أمرهم ومعبودهم الحق والذي طالما كفروا به وتنكروا له وجحدوا آياته ورسله وضل أي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الأكاذيب والترهات والأباطيل من تلك الأصنام التي سموها آلهة وعبدوها وندموا يوم لا ينفع الندم وجزاهم بما لم يكونوا يحتسبون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الحسنة وما تعقبه من نيل الحسنی .
- ٢- بيان سوء السيئة وما تورثه من حسرة وندامة وما توجبه من خسران .
- ٣- تقرير معتقد البعث والجزاء بعرض صادق واضح له .
- ٤- تبرؤ ما عُبد من دون الله من عابديه وسواء كان المعبود ملكاً أو إنساناً أو جاناً أو شجراً أو حجراً الكل يتبرأ من عابديه ويستشهد الله تعالى عليه .
- ٥- في عرصات القيامة تعلم كل نفس ما أحضرت ، وما قدمت وأخرت وتبلو ما أسلفت فتعرف وأنى لها أن تتنفع بما تعرف ؟ .

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ

فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ

حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

من السماء : أي بالغيث والمطر .

والأرض : أي بالنبات والحبوب والثمار .

(١) ضلّ : بمعنى ضاع وغاب ولم يجدوه ولم يتفعلوا به ، فما كانوا يخلطونه من الآلهة الباطلة وما كانوا يقدمونه لها من أنواع العبادات قد ضاع وغاب عنهم فلم يروه .

أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ : أَي يَمْلِكُ أَسْمَاعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ إِنْ شَاءَ أَبْقَاها لَكُمْ وَإِنْ شَاءَ سَلَبها مِنْكُمْ .

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ : أَي الْجِسْمَ الْحَيَّ مِنْ جِسْمٍ مَيِّتٍ وَالْعَكْسَ كَذَلِكَ .
وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ : أَي أَمْرَ الْخَلَائِقِ كُلِّها بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ .

أَفَلَا تَتَّقُونَ : أَي اللَّهُ فَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَلَا تَعْصُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .
فَأَنَّى تَصْرَفُونَ : أَي كَيْفَ تَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ وَالْحَقُّ هُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

حَقَّتْ : أَي وَجِبَتْ .
أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ : وَكَذَلِكَ لِبُلُوغِهِمْ حَدّاً لَا يَتِمَكِّنُونَ مَعَهُ مِنَ التَّوْبَةِ الْبَتَّةِ .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد فيقول تعالى لرسوله ﴿قُلْ﴾ يَا رَسُولَنَا لِأَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ مُسْتَفْهِمًا إِيَّاهُمْ ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ وَبَانْبَاتِ الْحَبُوبِ وَالثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْخَضَرِ الَّتِي تَرْزُقُونَهَا، وَقُلْ لَهُمْ ﴿أَمْ مِنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أَي أَسْمَاعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ بَحِثْ إِنْ شَاءَ أَبْقَاها لَكُمْ وَأَمْتَعَكُمْ بِهَا، وَإِنْ شَاءَ أَخَذها مِنْكُمْ وَسَلَبَكُمْ إِيَّاهَا فَأَنْتُمْ عَمِي لَا تَبْصُرُونَ وَصَمَّ لَا تَسْمَعُونَ ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كَالْفَرْخِ مِنَ الْبَيْضَةِ ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كَالْبَيْضَةِ مِنَ الدَّجَاجَةِ، وَالنَّخْلَةَ مِنَ النَّوَاةِ، وَالنَّوَاةُ مِنَ النَّخْلَةِ^(١) . ﴿وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَنَزُولِ الْأَمْطَارِ، وَكَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ وَالْحَرْبَ وَالسَّلَامَ وَالصَّحَّةَ وَالْمَرَضَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ مَظَاهِرِ التَّدْبِيرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْكَوْنِ . ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، إِذْ لَا جَوَابَ لَهُمْ إِلَّا هَذَا إِذَا فَمَا دَامَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ كَيْفَ لَا يُتَّقَى عِزُّ وَجَلُّ بِتَوْحِيدِهِ وَعَدَمُ الْإِشْرَاقِ بِهِ، فَلَمْ لَا تَتَّقُونَهُ؟^(٢)

(١) وَكَالْنَّطْفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَالْإِنْسَانُ مِنَ النَّطْفَةِ، وَمِثْلُهَا نَظْفَةُ الْحَيَّوَانِ مَخْرُجُهَا مِنْ حَيَّوَانٍ حَيٍّ، وَمِنْ الْحَيَّوَانِ الْحَيِّ تَخْرُجُ نَظْفَةُ مَيِّتَةٍ .

(٢) أَي : فَقُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَنَا : أَفَلَا تَتَّقُونَ : أَي : أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ وَنَقْمَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقوله تعالى ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي فذلکم الذي يرزقکم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر هو ربکم^(٢) الحق الذي لا رب لكم سواه إذا ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٣) فأنى تصرفون ﴿أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال؟ إنه أمر يدعو إلى الاستغراب والتعجب !

وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي مثل ذلك الصرف الذي يصرفه المشركون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال أي كما حق ذلك حقت كلمة ربك وهي أن الله لا يهدي القوم الفاسقين فهم لا يهتدون، وذلك أن العبد إذا توغل في الشر والفساد بالإدمان والاستمرار عليه يبلغ حداً لا يتأتى له الرجوع منه والخروج بحال فهلك على فسقه لتحقق عليه كلمة العذاب وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشركوا العرب كانوا يشركون في الألوهية ويوحدون في الربوبية.
- ٢- وليس بنافع أن يوحد العبد في الربوبية ويشرك في الألوهية.
- ٣- ليس بعد الحق إلا الضلال فلا واسطة بينهما فمن لم يكن على حق فهو على ضلال.
- ٤- التوغل في الشر والفساد يصبح طبعاً لصاحبه فلا يخرج منه حتى يهلك به.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَكْبِدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ

(١) في الصحيح من دعاء الرسول ﷺ إذا قام من جوف الليل يقول (اللهم أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق...) في حديث طويل هذا من وسطه، والشاهد في قوله: (أنت الحق).

(٢) أي: إلهكم ومعبودكم الحق لا ما تعبدون من أصنام وأوثان فإذا عرفتم إلهكم الحق فإن ما بعده من آلهة هو الضلال. (٣) روي عن مالك في قوله تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ قال: اللعب بالشطرنج والنرد: هو الضلال، وسئل عن الغناء فقال: هل هو حق؟ قالوا: لا. قال فما بعد الحق إلا الضلال. وفي صحيح مسلم: (من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه).

(٤) روي عن عمر رضي الله عنه أنه رخص فيما كان فيه دربة على الحرب من أنواع اللعب، إذ الغرض صحيح، وهو تعلم فنون الحرب، وحذق أساليبها.

يَتَّبِعْ آمَنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

من شركائكم^(١) : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالى .
من يبدأ الخلق : أي ينشئ الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه .
فأني توفكون : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته .
أمن لا يهدي : أي لا يهتدي .
كيف تحكمون : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه لأنه لا يهدي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حجاج المشركين لبيان الحق لهم ودعوتهم إلى اتباعه فيقول تعالى
لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين ﴿قل هل من شركائكم^(٢) من يبدأ الخلق ثم يعيده؟﴾ أي
هل يوجد من بين آلهتكم التي تعبدونها من يبدأ خلق إنسان من العدم ثم يميتة، ثم
يعيده؟ وجوابهم معروف وهو لا يوجد إذا فكيف توفكون أي تصرفون عن الحق بعد معرفته
والإقرار به؟ وقل لهم أيضاً ﴿قل هل^(٣) من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي يوجد من
آلهتكم من يهدي إلى الحق؟ والجواب لا يوجد لأنها لا تتكلم ولا تعلم إذا فقل لهم الله
يهدي إلى الحق أي بواسطة نبيه ووحيه وآياته .

وقل لهم ﴿أفمن يهدي إلى^(٤) الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدي﴾^(٥) والجواب
معروف الذي يهدي إلى الحق أحق بأن يتبع ممن لا يهتدي إلا أن يهدي، إذا لم لا تتقون

(١) أي : آلهتكم ومعبوداتكم من الأصنام والأوثان .

(٢) يقول لهم : (هل) على جهة التوبيخ والتقرير، فإن أجابوك فذاك ولأ فقل الله يبدأ الخلق .

(٣) هذا الاستفهام كالأول للتوبيخ والتقرير فإن أجابوا فذاك المطلوب وإن لم يجيبوا فأجب أنت بقولك : الله يبدأ الخلق .

(٤) هذا الاستفهام كسابقه للتوبيخ والتقرير ثم إقامة الحجة .

(٥) في : ﴿أمن لا يهدي﴾ قراءات منها : (لا يهدي) ، بالتخفيف . - (لا يهدي) بتشديد الدال ، وفتح الهاء وهي قراءة ورش ،

و(لا يهدي) بكسر الهاء ، وتشديد الدال وهي قراءة حفص .

الله فتوحده وتؤمنوا برسوله وكتابه فتهتدوا، وتتركوا آلهتكم التي لا تهدي إلى الحق؟ ﴿فما لكم﴾ أي أي شيء ثبت لديكم في ترك عبادة الله لعبادة غيره من هذه الأوثان، ﴿كيف تحكمون﴾ أي حكم هذا تحكمون به وهو اتباع من لا يهدي وترك عبادة من يهدي إلى الحق. وقوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ أي أن أكثر هؤلاء المشركين لا يتبعون في عبادة أصنامهم إلا الظن فلا يقين عندهم في أنها حقاً آلهة تستحق العبادة، ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي إن الظن لا يكفي عن العلم ولا يغني عنه أي شيء من الإغناء، والمطلوب في العقيدة العلم لا الظن^(١). وقوله تعالى ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ هذه الجملة تحمل الوعيد الشديد لهم على إصرارهم على الباطل وعنادهم على الحق فسيجزئهم بذلك الجزاء المناسب لظلمهم وعنادهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بإبطال الآلهة المزعومة حيث اعترف عابدها بأنها لا تبدأ خلقاً ولا تعيده بعد موته، ولا تهدي إلى الحق، والله يبدأ الخلق ثم يعيده ويهدي إلى الحق.
- ٢- إبطال الأحكام الفاسدة وعدم إقرارها ووجوب تصحيحها.
- ٣- لا يقبل الظن في العقائد بل لا بد من العلم اليقيني فيها.
- ٤- كراهية القول بالظن والعمل به وفي الحديث (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث).

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارِيبَ

فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ

(١) في الآية دليل على أن عابدي غير الله تعالى ليسوا سواء في الاعتقاد الباعث لهم على عبادتها بل أكثرهم لا يتبعون في عبادتها إلا مجرد الظن، والبعض الآخر القليل لا اعتقاد لهم إلا اتباع غيرهم وتقليد سواهم من رؤسائهم، وأهل الكلمة فيهم، فكلا الفريقين هالك.

(٢) الظن يطلق على مراتب الإدراك، فيطلق على الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه كقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابه﴾ ويطلق على الاعتقاد المشكوك فيه كقول قوم نوح لنوح: ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ ويطلق على الاعتقاد المخطف كآية: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وحديث: (فإن الظن أكذب الحديث).

مَثَلِهِ ۖ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

أن يفترى من دون الله : أي افتراء أي لم يكن هذا القرآن افتراء .
 وتفصيل الكتاب : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل لها وما حرم .

أم يقولون افتراه : أي اختلقه من نفسه وتقولوه من عنده .
 بما لم يحيطوا بعلمه : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب .
 ولما يأتهم تأويله : أي ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب .
 كذلك كذب الذين من قبلهم : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم .
 معنى الآيات :

(١) هذه الآيات في تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿وما كان هذا القرآن﴾ أي لم يكن من شأن هذا القرآن العظيم ﴿أن يفترى من دون الله﴾ أي يُختلق من غير الله تعالى من سائر خلقه ، ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي ولكنه كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله وأنزله تصديق الذي بين يديه أي من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ الذي كتبه الله تعالى على أمة الإسلام من الفرائض والشرائع والأحكام . وقوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في أنه وحي الله وكلامه نزل من رب العالمين ، وهو الله مربّي الخلائق أجساماً وعقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ومن مقتضى ربوبيته إنزال كتاب فيه تبيان كل شيء يحتاج إليه العبد في تربيته وكماله البدني والروحي والعقلي والخلقي .

(١) علم الله تعالى أن غيره تعالى لا يتأتى له الإتيان بمثل هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ .

(٢) أي : أنزله مصداقاً لما بين يديه أي : لما تقدمه من الكتب الإلهية . هذا كقوله تعالى : ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه﴾ . ونصب (تصديق) على أنه اسم كان ، والتقدير : ولكن كان تصديق الذي

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٨) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه﴾ أي بل يقول هؤلاء المشركون المجاحدون وهو قول في غاية السُّخْف والقباحة يقولون القرآن افترأه محمد ولم يكن بوحي أنزل عليه، قل يا رسولنا متحدياً إناهم أن يأتوا بسورة مثله. ^(١) فإنهم لا يستطيعون وبذلك تبطل دعواهم، وقل لهم ادعوا لمعونتكم على الإتيان بسورة مثل سور القرآن من استطعتم الحصول على معونتهم إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن لم يكن وحياً من الله، وإنما هو اختلاق اختلقه محمد رسول الله ﷺ. وقوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ أي إن القضية ليست قضية أنهم ما استطاعوا أن يدركوا أن القرآن كلام الله، وإنما القضية هي أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه من وعيد الله تعالى لهم بالعذاب، ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه الوعيد إذ لو رأوا العذاب ما كذبوا، ولذا قال تعالى ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ كما في آية الأنعام. وهنا قال تعالى ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فقد أهلك تعالى الظلمة من قوم نوح بالغرق ومن قوم هود بريح صرصر ومن قوم صالح بالصيحة ومن قوم شعيب بالرجفة ومن أمم أخرى بما شاء من أنواع العذاب فهؤلاء إن لم يتوبوا واستمروا في تكذيبهم فسوف يحل بهم ما حل بغيرهم ﴿وما الله بغافل عما يعمل الظالمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة محمد ﷺ.
- ٢- من أدلة أن القرآن كلام الله تصديقه للكتب السالفة وعدم التناقض معها إذ هما من مصدر واحد وهو الله رب العالمين.
- ٣- من أدلة القرآن على أنه وحي الله تحدى الله العرب بالإتيان بسورة واحدة في فصاحته

(١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم هنا: هي المنقطعة التي تفسر ببل، والهمزة. أي: بل أيقول افترأه، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ.
(٢) هذا دليل على أن القرآن الكريم معجز، وهو كذلك معجز بألفاظه ومعانيه معاً.
(٣) ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾. هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين. الأول: هو ما في التفسير، والثاني: المراد بما لم يحيطوا بعلمه: القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا به عن جهل مع العناد والمكابرة فما في قوله: ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ اسم موصول المراد به: القرآن الكريم أما على المعنى الأول فإن المراد به العذاب الذي كذبوا به، ولم يحل بهم بعد.

وبلاغته وإعجازه وعجزهم عن ذلك .

٤- استمرار المشركين في العناد والمجاهدة علته أنهم لم يذوقوا ما توعدهم الله به من العذاب إذ لو ذاقوا لآمنوا ولكن لا ينفعهم حينئذ الإيمان .

وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا
لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ
النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

ومنهم من يؤمن به : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً .
وربك أعلم بالمفسدين : وهم دعاة الضلالة الذين يفسدون العقول والقلوب والجملة
تهديد لهم .

وإن كذبوك : أي استمروا على تكذيبك .
ومنهم من يستمعون إليك : أي إذا قرأت القرآن .
ومنهم من ينظر إليك : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك ، ولا يهتدي
إلى معرفة أنك رسول الله لأن الله تعالى حرمه ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير نبوة النبي ﷺ قال تعالى في خطاب رسوله لِسُلَيْهِ وَيُصْبِرْهُ عَلَى
عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة وقوة البراهين ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي بالقرآن وبالنبي

أيضاً إذُ الإيمان بواحد يستلزم الإيمان بالثاني ، ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾^(١)، وهذا إخبار غيب فتم كما أخبر تعالى فقد آمن من المشركين عدد كبير ولم يؤمن عدد آخر. وقوله ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ أي الذين لا يؤمنون وفي الجملة تهديد لأولئك الذين يصرفون الناس ويصدونهم عن الإيمان والتوحيد. وقوله تعالى : ﴿وإن كذبوك﴾ أي استمروا في تكذيبهم لك فلا تحفل بهم وقل ﴿لي عملي﴾^(٢) ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا بريء مما تعملون﴾ فإذا كان هناك عقاب ديني فإنك تسلم منه ويهلكون هم به.

وقوله تعالى في الآية (٤٢) ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾^(٣) إلى قراءةك القرآن وإلى قولك إذا قلت داعياً أو آمراً أو ناهياً، ومع هذا فلا يفهم ولا ينتفع بما يسمع ، ولا لوم عليك في ذلك لأنك لا تسمع الصم ، وهؤلاء صم لا يسمعون ، ومنهم من ينظر إليك بأعين مفتحة ويرى علامات النبوة وآيات الرسالة ظاهرة في حالك ومقالك ومع هذا لا يهتدي ولا لوم عليك فإنك لا تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون.^(٤) وقوله تعالى ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بيان لسنة الله تعالى في أولئك الذين يسمعون ولا ينتفعون بسماعهم ، ويبصرون ولا ينتفعون بما يبصرون ، وهي أن من توغل في البغض والكرهية لشيء يصبح غير قادر على الانتفاع بما يسمع منه ولا بما يبصر فيه . ولذا قيل حبك الشيء يُعمي ويُصم ، والبغض كذلك كما أن الاسترسال في الشر والفساد مدة من الزمن يحرم صاحبه التوبة إلى الخير والصلاح ، ومن هنا قال تعالى ﴿إن الله لا يظلم﴾^(٥) الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك .
- ٢- تقرير معنى آية ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

(١) كأي طالب وأبي لهب وأبي جهل وغيرهم

(٢) أي لي ثواب عملي على التبليغ والطاعة لله تعالى ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب.

(٣) أي : في ظواهرهم أما قلوبهم فلا تعي شيئاً مما تقول من الحق وتتلوه من القرآن.

(٤) أي : ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة.

(٥) في هذا إشارة إلى أن عدم هدايتهم لم يكن خارجاً عن إرادتهم ولكن كان باستحبابهم العمى على الهدى وإيثارهم للدنيا على الآخرة.

٣- تعليم رسول الله طريق الحجاج والرد على الخصوم المشركين .

٤- انتفاء الظلم عن الله تعالى ، وإثباته للإنسان لنفسه .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ
فَالِإِنَّمَا رَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

يحشرهم : أي نبعثهم من قبورهم ونجمعهم لساحة فصل القضاء .

كان لم يلبثوا : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم .

أو نتوفيئك : أي نमितك قبل ذلك .

فإذا جاء رسولهم : أي في عرصات القيامة .

بالقسط : أي بالعدل .

متى هذا الوعد : أي بالعذاب يوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ أي اذكر لهم يوم نحشرهم من قبورهم بعد بعثهم أحياء ﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم . ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي ليرى بعضهم بعضاً

(١) أصلها: كأنهم ثم خفت: أي كأنهم لم يلبثوا في قبورهم .

(٢) الجملة في موضع نصب على الحال . وتعارفهم هذا في عرصات القيامة إنما هو تعارف توبيخ وافتضاح فيقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني وحملتني على الكفر، ثم تنقطع المعرفة عند معايتهم العذاب يوم القيامة .

ساعة ثم يحول بينهم هول الموقف، وقوله تعالى ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ يخبر تعالى أن الذين كذبوا بالبعث الآخر والحساب والجزاء الأخروي فلم يرجوا لقاء الله فيعملوا بمحابه وترك مساخطه قد خسروا في ذلك اليوم أنفسهم وأهلهم في جهنم، وقوله ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أي في حياتهم حيث انتهوا إلى خسران وعذاب اليم.

وقوله تعالى ﴿وما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾^(١) أي إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل ذلك فعلى كل حال مرجعهم إلينا جميعاً بعد موتهم، فنحاسهم ونجازيهم بحسب سلوكهم في الدنيا الخير بالخير والشر بمثله، وقوله تعالى ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾^(٢) تقرير وتأكيد لمجازاتهم يوم القيامة لأن علم الله تعالى بأعمالهم وشهادته عليها كافٍ في وجوب تعذيبهم. وقوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ أي ولكل أمة من الأمم رسول أرسل إليها وبلغها فأطاع من أطاع وعصى من عصى فإذا جاء رسولها في عرصات القيامة قضي بينهم أي حوسبوا أو جوزوا بالقسط أي بالعدل وهم لا يظلمون بنقص حسنات المحسنين ولا بزيادة سيئات المسيئين. وقوله تعالى ﴿ويقولون﴾ أي المشركون للرسول ﷺ وأصحابه، ﴿متى هذا الوعد﴾ أي بالعذاب يوم القيامة. ﴿إن كنتم صادقين﴾ يقولون هذا استعجالاً للعذاب لأنهم لا يؤمنون به. والجواب في الآية التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة.
- ٢- الإعلان عن خسران منكري البعث يوم القيامة.

(١) أي : يوم العرض عليه بين الخلائق.

(٢) وإما أصلها إن الشرطية وما الزائدة لتقوية الكلام و﴿بعض الذي نعدهم﴾ هو عذاب الدنيا كما هو إظهار الدين ونصرتة ﷺ.

(٣) أي : بعد وفاتك، فإله عز وجل خليفتك فيهم وسوف يجزيهم بحسب كسبهم خيراً وشرّاً.

(٤) أي : متى العذاب، أو متى القيامة التي يعدنا بها محمد ﷺ.

٣- تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يؤدي رسالته بإعلامه بأنه سيعذب أعداءه .

٤- بيان كيفية الحساب يوم القيامة بأن يأتي الرسول وأمته ثم يجري الحساب بينهم فينجي الله المؤمنين ويعذب الكافرين .

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَمْ تَكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- لنفسي ضرًّا : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يُعَيِّني الله تعالى .
 ولا نفعًا : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعًا إذا لم يُرده الله تعالى لي .
 لكل أمة أجل : أي وقت معين لهلاكها .
 فلا يستأخرون ساعة : أي عن ذلك الأجل .
 ولا يستقدمون : أي عليه ساعة .
 قل أرايتم : أي قل لهم أخبروني .
 أثم إذا ما وقع : أي حل العذاب .
 عذاب الخلد : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه .
 ويستنبئونك : أي ويستخبرونك .
 قل إِي : أي نعم .
 وما أنتم بمعجزين : أي بفائتين العذاب ولا ناجين منه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين فقد طالبوا في الآيات السابقة بالعذاب فقالوا ﴿متى هذا الوعد﴾ أي بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فأمر الله تعالى رسوله في هذه الآيات أن يقول لهم إني ﴿لا أملك لنفسي ضراً﴾ أي لا أملك دفع الضر عني ، ولا جلب النفع لي إذا لم يشأ الله تعالى ذلك ، فكيف أعلم الغيب وأعرف متى يأتيكم العذاب كما لا أقدر على تعجيله إن كان الله يريد تأجيله ، واعلموا أنه لكل أمة من الأمم أجل أي وقت محدد لهلاكها وموتها فيه ، فلا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عليه بأخرى فلذا لا معنى لمطالبتكم بالعذاب . وشيء آخر أرايتم أي أخبروني إن أتاكم العذاب الذي تستعجلونه بيئاً أي ليلاً أو نهاراً أنطبقونه وتقدرّون على تحمله إذاً فماذا تستعجلون منه أيها المجرمون^(١) إنكم تستعجلون أمراً عظيماً . وقوله تعالى ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به؟﴾ أي استمروا على التكذيب والعناد ، ثم إذا وقع آمنتم به ، وهل ينفعكم إيمانكم يومئذ؟ فقد يقال لكم توبيحاً وتقرّيعاً^(٢) الآن تؤمنون به ، وقد كنتم به تستعجلون .

وقوله تعالى ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾؟ يخبر تعالى أنه إذا دخل المجرمون النار وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ذوقوا - تهكماً بهم - عذاب الخلد أي العذاب الخالد الذي لا يفني ولا يبيد إنكم ما تجزون أي ما تثابون إلا بما كنتم تكسبونه من الشرك والمعاصي . وقوله تعالى : ﴿ويستنبئوك أحق هو؟﴾ أي ويستخبرك المشركون المعاندون قائلين لك أحق ما تعدنا به من العذاب يوم القيامة؟ أجبههم بقولك ﴿قل إي وربي إنه لحق ، وما أنتم بمعجزين﴾ الله ولا فائتيه بل لا بد وأن يلجئكم إلى العذاب إلجاءً ، ويذيقكموه عذاباً أليماً دائماً وأنتم صاغرون .

(١) البيات : اسم مصدر ليل كالسلام للتسليم .

(٢) المجرمون : أصحاب الجرم الذي هو الشرك والقائلون متى هذا الوعد من كفار مكة .

(٣) ﴿أثم﴾ الهمزة للاستفهام وقدمت على ثم العاطفة ، لأن لها حق الصدارة والتقدير : ثم إذا وقع ، والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب ، وهو غير نافع لصاحبه فكيف ترضونه أنتم لأنفسكم .

(٤) ﴿ثم﴾ : حرف عطف ، وهي هنا للتراخي الرتبى فهذا يقال للمشركين عند دخولهم النار وهو من باب التهكم بهم والتقرّيع لهم ، وإعلامهم بما لا يستطيعون دفعه بحال : ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ والقائلون هم خزنة جهنم .

(٥) ﴿أي﴾ : كلمة تحقيق وإيجاب ، وتأكيده هي بمعنى ﴿نعم﴾ و﴿ربي﴾ قسم جوابه : ﴿إنه لحق﴾ أي : هو كائن لا شك فيه ولا محالة من وقوعه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا يملك أحد من الخلق لنفسه فضلاً عن غيره ضرراً يدفعه ولا نفعاً يجلبه إلا بإذن الله تعالى ومشيئته، وخاب الذين يُعولون على الأولياء في جلب النفع لهم ودفع الشر عنهم.
- ٢- الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر فلذا لا معنى للجبن من العبد.
- ٣- لا ينفع الإيمان ولا التوبة عند معاينة العذاب أو ملك الموت.
- ٤- جواز الحلف بالله إذا أريد تأكيد الخبر.
- ٥- إي حرف إجابة وتقرن دائماً بالقسم نحو إي والله، إي وربّي.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمُ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

- لافتدت به : لقدمته فداء لها .
 وأسروا الندامة : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح .
 وقضي بينهم بالقسط : أي حكم الله بينهم بالعدل .
 وعد الله حق : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقاً .

موعظة من ربكم : أي وصية من ربكم بالحق والخير، وباجتناب الشرك والشر.
وهدى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر.
فضل الله ورحمته : ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الشرك والمعاصي.
فبذلك فليفرحوا : أي فبالإيمان والعمل الصالح بعد العلم والتقوى فليسروا وليستبشروا.
هو خير مما يجمعون : أي من المال والحطام الفاني.
معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أن ما وعد الله تعالى به المشركين من العذاب هو آت لا محالة إن لم يؤمنوا وأنه عذاب لا يطاق فقال تعالى ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أي نفسها بالشرك والمعاصي، لو أن لها ما في الأرض من مال صامت وناطق وقبل منها لقدمته فداء لها من العذاب، وذلك لشدة العذاب. وقال تعالى عن الكافرين وهم في عرصات القيامة وقد رأوا النار ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أخفوها في صدورهم ولم ينطقوا بها وهي ندمهم الشديد على عدم إيمانهم واتباعهم للرسول ﷺ وقوله تعالى ﴿وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ أي وقضى الله تعالى أي حكم بين الموحدين والمشركين والظالمين والمظلومين بالقسط الذي هو العدل الإلهي والحال أنهم لا يظلمون بأن يؤاخذوا بما لم يكتسبوا. وقوله تعالى ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ أي انتبهوا واسمعوا أيها المشركون إن لله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات ملكاً حقيقياً لا يملك معه أحد شيئاً من ذلك فهو يتصرف في ملكه كما يشاء يعذب ويرحم يشقي ويسعد لا اعتراض عليه ألا أن وعد الله حق أي تنبهوا مرة أخرى واسمعوا إن وعد الله أي ما وعدكم به من العذاب حق ثابت لا يتخلف. وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

(١) ولكن لا يقبل منها كما قال تعالى : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهباً ولو افترى به﴾.

(٢) إسرارهم الندامة كان عند معاينة العذاب، وقيل الدخول فيه، والندامة : الحسرة على وقوع مكروه أو فوات محبوب.

(٣) وبين الرؤساء والمرؤوسين، أي : بين المتبوعين والتابعين لهم.

(٤) ﴿ألا﴾ : كلمة استفهام وتنبيه يؤتى بها في أول الكلام، معناها : انتبهوا لما أقول لكم.

إذ لو علموا أن العذاب كائن لا محالة وعلموا مقدار هذا العذاب ما كفوا به وقوله تعالى ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يحيي ويميت ومن كان قادراً على الإحياء والإماتة فهو قادر على كل شيء، ومن ذلك إحياء الكافرين بعد موتهم وحشرهم إليه ومجازاتهم على ما كسبوا من شر وفساد وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ تقرير مبدأ المعاد الآخر. بعد هذه القرارات لقضايا العقيدة الثلاث: التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء نادى الله تعالى العرب والعجم سواء قائلاً ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ وكل من الموعظة التي هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب والشفاء والهدى والرحمة قد حواها القرآن الكريم كأنه قال يا أيها الناس وفيكم الجاهل والفاسق والمريض بالشرك والكفر والضال عن الحق، والمعذب في جسمه ونفسه قد جاءكم القرآن يحمل كل ذلك لكم فآمنوا به واتبعوا النور الذي يحمله وتداووا به واهتدوا بنوره تشفوا وتكملوا عقلاً وخلقاً وروحاً وتسعدوا في الحياتين معاً.

وقوله تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ أي بلغهم يا رسولنا أمراً إياهم بأن يفرحوا بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه فإن ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني، وما يعقب من آثار سيئة لا تحتل ولا تطاق.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عظم عذاب يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن يفتدى منه بما في الأرض جميعاً.
- ٢- تقرير ربوبية الله تعالى لسائر المخلوقات في العالمين العلوي والسفلي.
- ٣- الإشادة بفضل القرآن وعظمته لما يحمله من المواعظ والهدى والرحمة والشفاء.
- ٤- يستحب الفرح بالدين ويكره الفرح بالدنيا.

(١) المراد بالموعظة وما بعدها من الصفات القرآن الكريم إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنما عطف المذكورات لتأكيد المدح. كقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
(٢) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته الإسلام، وصحت الإشارة بذلك إلى الاثنين لأن العرب تشير بذلك إلى المفرد والمثنى والجمع.
(٣) روي أن من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكها الفاقة (الفقر) كتب الله الفقير بين عينيه إلى يوم يلقاه ثم تلا: ﴿قل بفضل الله﴾ الآية.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
 فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ
 تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ
 وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
 فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني .
 ما أنزل الله لكم من رزق : أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام .
 ءالله أذن لكم : أي في التحريم حيث حرمت البهيمة والسائبة وفي التحليل
 حيث أحللت الميته .
 يفترون على الله الكذب : أي يختلقون الكذب تزويراً له وتقديراً في أنفسهم .
 وما تكون في شأن : أي في أمر عظيم .
 شهوداً إذ تفيضون فيه : أي تأخذون في القول أو العمل فيه .
 وما يعزب عن ربك : أي يغيب .
 من مثقال ذرة : أي وزن ذرة والذرة أصغر نملة .
 إلا في كتاب مبين : أي اللوح المحفوظ ومبين أي واضح .
 معنى الآيات :

سياق الآيات في تقرير الوحي وإلزام المنكرين له من المشركين بالدليل العقلي قال

تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين^(١) ﴿أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ أي أخبروني عما خلق الله لكم من نبات وطعام وحرث فجعلتم منه حراماً كالبحيرة والسائبة والثياب التي تحرمون الطواف بها والحرث الذي جعلتموه لآهتكم، وحلال كالميتة التي تستبيحونها^(٢) ﴿الله أذن لكم﴾ (في هذا التشريع بوحى منه) ﴿أم على الله تفترون﴾ فإن قلت الله أذن لنا بوحى فلم تنكروا الوحي وتكذبون به، وإن قلت لا وحي ولكننا نكذب على الله فموقفكم إذاً شر موقف إذ تفترون على الله الكذب والله تعالى يقول: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ أي إذا هم وقفوا بين يديه سبحانه وتعالى ما ظنهم أيغفر لهم ويغفر عنهم لا بل يلعنون وفي النار هم خالدون وقوله تعالى ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ في كونه لا يعجل لهم العقوبة وهم يكذبون عليه ويشركون به ويعصونه ويعصون رسوله، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾^(٣) وذلك لجهلهم وسوء التربية الفاسدة فيهم، وإلا العهد بالإنسان أن يشكر لأقل معروف وأتفه فضل.

وقوله تعالى ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن﴾ أي وما تكون يا رسولنا في أمر من أمورك الهامة وما تتلو من القرآن من آية أو آيات في شأن ذلك الأمر^(٤) ﴿إلا كنا﴾ أي نحن رب العزة والجلال ﴿عليكم شهوداً﴾ أي حضوراً ﴿إذ تفضيئون فيه﴾ أي في الوقت الذي تأخذون فيه، وقوله تعالى ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يخبر تعالى عن سعة علمه تعالى وإحاطته بسائر مخلوقاته بحيث لا يعزب أي لا يغيب عن علمه تعالى مثقال ذرة أي وزن ذرة وهي النملة الصغيرة وسواء كانت في الأرض أو في السماء، وسواء كانت أصغر من النملة أو

(١) من كفار قريش.

(٢) الاستفهام تقريرى مشوب بالإنكار عليهم أيضاً. وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأن أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة على المطر النازل من السماء حتى سقى العرب ببنى ماء السماء. وشاهده قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً﴾ الآية.

(٣) بذكره عبادته وحده بما شرع أن يعبد به، وعلة عدم الشكر، انظرها في التفسير.

(٤) الشأن والجمع شؤون: الخطب والأمر الهام، والخطاب للرسول ﷺ والامة معه وقدم لعلو شأنه وسمو مقامه ﷺ.

(٥) الإفاضة في العمل: الشروع والدخول فيه.

(٦) الذرة: النملة الصغيرة، أو الهباءة التي ترى في ضوء الشمس.

أكبر منها . بالإضافة إلى أن ذلك كله في كتاب مبين أي في اللوح المحفوظ . لهذا العلم والقدرة والرحمة استوجب التأليه والعبادة دون سائر خلقه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير الوحي وإثباته للنبي ﷺ .
- ٢- التحريم والتحليل من حق الله تعالى دون سائر خلقه .
- ٣- حرمة الكذب على الله ، وإن صاحبه مستوجب للعذاب .
- ٤- ما أعظم نعم الله تعالى على العباد ومع هذا فهم لا يشكرون إلا القليل منهم
- ٥- وجوب مراقبة الله تعالى ، وحرمة الغفلة في ذلك .
- ٦- إثبات اللوح المحفوظ وتقديره كما صرحت به الآيات والأحاديث .

الْآيَاتِ أُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

ألا

: أداة استفتاح وتنبية .

إن أولياء الله : جمع وليّ وهو المؤمن التقى بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من الله .

لا خوف عليهم : أي لا يخافون عند الموت ولا بعده ، ولا هم يحزنون على ما تركوا بعد موتهم .

آمنوا : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ .

يتقون

: أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل حرام .

لهم البشرى : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا الصالحة يراها أو ترى له .

لا تبديل لكلمات الله : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين ، لأن الوعد بالكلمة وكلمة الله لا تبدل .

الفوز : النجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأداة التنبيه ﴿ألا﴾ وأداة التوكيد ﴿إن﴾ فيقول : ﴿ألا إن أولياء^(١) الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي لا يخافون عند الموت ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم بعد موتهم ولا في الدار الآخرة وبين تعالى أوليائه وعرف بهم فقال : ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي آمنوا به وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله عن ربه ، وكانوا يتقون طوال حياتهم وسائر ساعاتهم سخط الله تعالى فلا يتركون واجباً هم قادرون على القيام به ، ولا يغشون محرماً لم يُكرهوا عليه . وقوله تعالى : ﴿لهم البشرى﴾ في الحياة الدنيا وفي الآخرة : أي لهم بشرى ربهم في كتابه برضوانه ودخول الجنة ولهم البشرى بذلك عند الاحتضار تبشرهم الملائكة برضوان الله وجنته وفي الآخرة عند قيامهم من قبورهم لتلقاهم الملائكة بالبشرى .

وقوله تعالى : ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾^(٤) وهو تأكيد لما بشرهم ، إذ تلك البشرى كانت بكلمات الله وكلمات الله لا تتبدل فوعده الله إذاً لا يتخلف .

(١) الولي : مشتق من الولي بسكون اللام الذي هو القرب ، ومتى زكت نفس المؤمن بالإيمان والعمل الصالح ، وتخليها عن الشرك ، والمعاصي قُرب من الله تعالى فوالاه ، ومن آيات الولاية : استجابة الدعاء وهو من الكرامات التي يكرم الله تعالى بها أوليائه وفي الحديث : (الذين يُذكرُ الله برؤيتهم) وفي لفظ : (الذين إذا رُؤوا ذُكر الله) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء ، والشهداء . قيل من هم يا رسول الله ؟ لعننا نحبهم ؟ قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ : ﴿ألا إن أولياء الله﴾ الآية .

(٢) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً أي : كأنما سائل قال : مَنْ هم أولياء الله ؟ فأجيب : الذين آمنوا وكانوا يتقون .

(٣) لحديث : (انقطع الوحي ولم يبق إلا المبشرات قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو ترى له) .

(٤) كلمات الله هي : التي بها مواعيده ولذا فما يباشر الله تعالى به أوليائه هو كائن لا محالة إذ مواعيده لا تتبدل ووعده لا تخلف .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ولاية الله تعالى بطاعته وموافقته في محابه ومكارهه فمن آمن إيماناً يرضاه الله ، واتقى الله في أداء الفرائض واجتناب المناهي فقد صار ولي الله والله وليه .
- ٢- البشرى هي ما يكرم الله به برؤيا صالحة يراها الولي أو ترى له .
- ٣- الأولياء هم أهل الإيمان والتقوى فالكافر والفاجر لا يكون ولياً أبداً ، إلا إذا آمن الكافر، وبرَّ الفاجر بفعل الصالحات وترك المنهيات .
- ٤- صدق إخبار الله تعالى وعدالة أحكامه ، وسر ولايته إذ هي تدور على موافقة الرب تعالى فيما يجب من الاعتقادات والأعمال والأقوال والذوات والصفات وفيما يكره من ذلك فمن وافق ربه فقد والاه ومن خالفه فقد عاداه .

وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ

الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَبِعُ الَّذِينَ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

لا يحزنك : أي لا يجعلك قولهم تحزن .

إن العزة لله : العزة الغلبة والتهور .

شركاء : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعبادتهم خيراً أو يدفعون عنهم ضراً .

إلا الظن : الظن أضعف الشك .

يخرصون : أي يحزرون ويكذبون .

لتسكنوا فيه : أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة .

مبصراً : أي مضيئاً ترى فيه الأشياء كلها .

في ذلك : أي من جَعَلَهُ تعالى الليل سكناً والنهار مبصراً لآيات .

يسمعون : أي سماع إجابة وقبول .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير قضايا التوحيد الثلاث التوحيد والنبوة والبعث قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أي لا يجعلك قول المشركين المفترين ﴿لست مرسلًا﴾ وأنك ﴿شاعر مجنون﴾ تحزن فإن قولهم هذا لا ينتج لهم إلا سوء العاقبة والهزيمة المحتمة ، ﴿إن العزة لله جميعاً﴾^(١) فربك القوى القادر سيهزمهم وينصرك عليهم . إذاً فاصبر على ما يقولون ولا تأس ولا تحزن . إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم ولا يخفى عليه شيء من أمرهم . ﴿ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً ، كل شيء في قبضته وتحت سلطانه وقهره فكيف تبالي بهم يا رسولنا فتحزن لأقوالهم ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي آلهة حقاً بحيث تستحق العبادة لكونها تملك نفعاً أو ضرراً ، موتاً أو حياة لا بل ما هم في عبادتها متبعين إلا الظن ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي يتقولون ويكذبون . وقوله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصراً﴾ أي الإله الحق الذي يجب أن يدعى ويعبد الله الذي جعل لكم أيها الناس ليلاً مظلماً لتسكنوا فيه فتستريحوا من عناء العمل في النهار . وجعل لكم النهار مبصراً أي مضيئاً لتتمكنوا من العمل فيه فتوفروا لأنفسكم ما تحتاجون إليه في حياتكم من غذاء وكساء . وليست تلك الآلهة من أصنام وأوثان بالتي تستحق الألوهية فتُدعى وتُعبَد . وقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أي إن فيما

(١) أي : القوة الكاملة ، والغلبة الشاملة ، والقدرة التامة لله وحده ، والعزيم هو الغالب الذي لا يُغلب ، والقوي الذي لا يُحال بينه وبين مراده . و﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال ، وعزة المؤمنين هي بعزة الله فلا منافاة إذا .

(٢) في الآية استدلال على عزته تعالى وملكه لكل شيء وقدرته وتصرفه في كل شيء وهو ما أوجب له العبادة دون ما سواه .

(٣) يقال أبصر النهار ، إذا صار ضياءً ، وأظلم الليل إذا صار ظلاماً .

(٤) الجملة مستأنفة ، والآيات : الدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته ، والدلالة تكون مرثية ومسموعة ومعقولة ، وعليه فالأعمى والأصم وغير العاقل لا يستفيدون منها فهذه علة عدم استفادة المشركين من الآيات لفقدهم آلات العقل والسمع والبصر ، إذ فسدت بالجهل والتقليد والعناد والمكابرة والجهود .

ذكر تعالى من كماله وعزته وقدرته وتدبيره لأمر خلقه آيات علامات واضحة على أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره، ولكن يرى تلك الآيات من يسمع سماع قبول واستجابة لا من يسمع الصوت ولا يفكر فيه ولا يتدبر معانيه فإن مثله أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- على المؤمن الداعي إلى الله تعالى أن لا يحزنه أقوال أهل الباطل وأكاذيبهم حتى لا ينقطع عن دعوته، وليعلم أن العزة لله جميعاً وسوف يعزه بها، ويذل أعداءه.
- ٢- ما يُعبد من دون الله لم يقم عليه عابده أي دليل ولا يملكون له حجة وإنما هم مقلدون يتبعون الظنون والأوهام.
- ٣- مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير كافية في إثبات العبادة له ونفيها عما سواه.

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلِ الْبَاطِلُ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- سبحانه : أي تنزهه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد .
 الْغَنِيُّ : أي الغنى المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء .
 إن عندكم من سلطان : أي ما عندكم من حجة ولا برهان .
 بهذا : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى .
 متاع في الدنيا : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون

كل شيء .

يكفرون : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى ، وعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحقيق التوحيد وتقريره بإبطال الشرك وشبهه فقال تعالى : ﴿ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾ أي قال المشركون أن الملائكة بنات الله ^(١) وهو قول مؤسف محزن للرسول ﷺ كقولهم له ﴿ لست مرسلًا ﴾ ، وقد نهى ﷺ عن الحزن من جراء أقوال المشركين الفاسدة الباطلة . ونزه الله تعالى نفسه عن هذا الكذب فقال سبحانه ، وأقام الحجة على بطلان قول المشركين بأنه هو الغنيُّ الغنيُّ الذاتي الذي لا يفتقر معه إلى غيره فكيف إذا احتاج إلى ولد أو بنت فيستغني به وهو الغني الحميد ، وبرهان آخر على غناه أن له ما في السموات وما في الأرض الجميع خلقه وملكه فهل يعقل أن يتخذ السيد المالك عبداً من عبيده ولداً له . وحجة أخرى هل لدى الزاعمين بأن لله ولداً حجة تثبت ذلك والجواب لا ، لا . قال تعالى مكذباً إياهم : ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا ﴾ أي ما عندكم من حجة ولا برهان بهذا الذي تقولون ثم وبخهم وقرعهم بقوله : ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ ﴾ وأمر رسوله ﷺ أن يقول معلناً عن خيبة الكاذبين وخسرانهم : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ ^(٢) وإن قيل كيف لا يفلحون وهم يتمتعون بالأموال والأولاد والجاه والسلطة أحياناً فالجواب في قوله تعالى ﴿ متاع في الدنيا ﴾ أي ذلك متاع في الدنيا ، يتمتعون به إلى نهاية أعمارهم ، ثم إلى الله تعالى مرجعهم جميعاً ، ثم يذيقهم العذاب الشديد الذي ينسون معه كل ما تمتعوا به في الحياة الدنيا ، وعلل

(١) وقال اليهود : عزيز بن الله وقال النصارى عيسى بن الله والكل مفتر كذاب ، ولا شك أن الشيطان هو الذي زين لهم هذا الباطل ليغويهم فيضلهم ويهلكهم .

(٢) إن نافية بمعنى : (ما) كما هي في التفسير أي : ما عندكم من حجة تثبت ما ادعيتموه وتلزم به لقوتها كقوة ذي السلطان .

(٣) الاستهزام للتوبيخ والتفريع بجعلهم وكذبهم إذ الولد يتطلب المجانسة والمشابهة بينه وبين من ينسب إليه وأين ذلك ؟ والله ليس كمثله شيء إذ هو خالق كل شيء .

(٤) الفلاح : الفوز ، والفوز هي السلامة من المهرب والظهر بالمحسوب المرغوب ، والمفترون على الله الكذب لا ينجون من النار ولا يدخلون الجنة فهم إذا خاسرون غير مفلحين .

(٥) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها جواب سؤال هو : كيف لا يفلحون وهم في عزة وقدره وسلطان فيجاب السائل : بأن هذا متاع في الدنيا زائل لا قيمة له ، بالمقابلة بالفلاح المتغني عنهم وهو فلاح الآخرة .

تعالى ذلك العذاب الشديد الذي أذاقهم بكفرهم فقال: ﴿بما كانوا يكفرون﴾^(١) أي يجحدون كمال الله وغناه فنسبوا إليه الولد والشريك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كفر من ينسب إلى الله تعالى أي نقص كالولد والشريك أو العجز مطلقاً.
- ٢- كل دعوى لا يقيم لها صاحبها برهاناً قاطعاً وحجة واضحة فلا قيمة لها ولا يحفل بها.
- ٣- أهل الكذب على الله كالدجالين والسحرة وأهل البدع والخرافات لا يفلحون ونهايتهم الخسران.

٤- لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بما يرى عليه أهل الباطل والشر من المتع وسعة الرزق وصحة البدن فإن ذلك متاع الحياة الدنيا، ثم يؤول أمرهم إلى خسران دائم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيَّكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ نوح : أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير.

(١) الباء في ﴿بما كانوا يكفرون﴾ للتعليل الذي هو السببية أي : بسبب كفرهم ، إذ الكفر خبث نفوسهم فاستوجبوا النار وعذابها.

كبر عليكم مقامي	: أي عظم عليكم مقامي بينكم ادعوا إلى ربي .
فاجمعوا أمركم	: أي اعزموا عزمًا أكيداً .
غمّة	: أي خفاء ولبساً لا تهتدون منه إلى ما تريدون .
ثم اقضوا إلي	: أي انفذوا أمركم .
ولا تنظرون	: أي ولا تمهلون رحمة بي أو شفقة علي .
فإن توليتم	: أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد .
في الفلك	: أي في السفينة .
خلائف	: أي يخلف الآخر الأول جيلاً بعد جيل .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية المشركين بالرد على دعاواهم وبيان الحق لهم وفي هذه الآيات يأمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقرأ عليهم طرفاً من قصة نوح مع قومه المشركين الذين كانت حالهم كحال مشركي العرب سواء بسواء وفي قراءة هذا القصص فائدتان الأولى تسلية الرسول وحمله على الصبر، والثانية تنبيه المشركين إلى خطاياهم، وتحذيرهم من الاستمرار على الشرك والعصيان فيحل بهم من العذاب ما حل بغيرهم قال تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ أي خبره العظيم الشأن وهو قوله لهم ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ أي عظم وشق عليكم وجودي بينكم أدعوكم إلى الله، وتذكيري إياكم بآيات الله، فإني توكلت على الله فاجمعوا أمركم أي اعزموا عزمًا أكيداً وادعوا أيضاً شركاءكم للاستعانة بهم، ثم أحذركم أن يكون أمركم عليكم غمة أي خفياً ملتبساً عليكم فيجعلكم ترددون في إنفاذ ما عزمتم عليه، ثم اقضوا إليّ ما تريدون من قتلي أو نفبي ولا

(١) ﴿اتل﴾ فعل أمر حذفته الواو لبنائه على حذفها إذ ماضيه تلا ومضارعه يتلو، والأمر: اتل بمعنى اقرأ، والتلاوة: موالاة الكلمات والقراءة جميعها.

(٢) المقام: يفتح القاف، موضع القيام، والمقام بالضم الإقامة، ومعنى كبر: ثقل وعظم.

(٣) هذه الجملة ﴿فعلى الله توكلت﴾ هي جواب الشرط الذي هو: فإن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله التي هي دلائل فضله ودلائل وحدانيته تعالى.

(٤) الغمة والغم بمعنى واحد، ومعناه التغطية والستر ومنه: غم الهلال إذا استتر، قال الشاعر:

لعمرك ما أمري عليّ بغمة نهاري ولا ليالي عليّ بسرمد

وأصل الغم: مشتق من الغمامة، وكل أمر مبهم ملتبس فهو غمة.

(٥) أي: أنفذوا ما حكمتم به عليّ من قتلي إن أردتم ذلك.

تنظرون أي لا تؤخروني أي تأخير. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أعرضتم عن دعوتي وتذكيري ولم تقبلوا ما أدعوكم إليه من عبادة الله تعالى وحده، فما سألتكم عليه من أجر أي ثواب، حتى تتولوا. إن أجري إلا على ربي الذي أرسلني وكلفني. وقد أمرني أن أكون من المسلمين له قلوبهم ووجوههم وكل أعمالهم فأننا كذلك كل عملي له فلا أطلب أجراً من غيره قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي دعاهم واستمر في دعائهم إلى الله زماناً غير قصير وكانت النهاية: أن كذبوه، ودعانا لنصرته فنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلناهم خلائف^(١) لبعضهم بعضاً أي يخلف الآخر الأول، وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا التي أرسلنا بها عبدنا نوحاً فانظروا رسولنا كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يقبلوا النصيح ولم يستجيبوا للحق إنها عاقبة وخيمة إذ كانت إغراقاً في طوفان وناراً في جهنم وخسراناً قال تعالى في سورة نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوهُ نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تسلية الدعاة بمثل موقف نوح العظيم إذ قال لقومه : أجمعوا أمركم ونفذوا ما تريدون إني توكلت على الله .

٢- ثمرة التوكل شجاعة واطمئنان نفس وصبر وتحمل مع مضاء عزيمة .

٣- دعوة الله لا ينبغي أن يأخذ الداعي عليها أجراً إلا للضرورة .

٤- بيان سوء عاقبة المكذبين بعد إنذارهم وتحذيرهم .

﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ

الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

(١) جمع خليفة وهو اسم لمن يخلف غيره .

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مِثْنُ ﴿٧٦﴾
 قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
 السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
 وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

بالبينات : أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم ، وما يدعون إليه
 من توحيد الله تعالى .

نطبع

: الطبع على القلب عبارة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا
 يجد الإيمان إليه طريقاً .

المعتدين

: الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع .
 الحق : الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام وهي تسع .

لتلفتنا

: لتصرفنا وتحول وجوهنا عما وجدنا عليه آباءنا .

الكبرياء

: أي العلو والسيادة والملك على الناس .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى طرفاً من قصة نوح عليه السلام وأبرز فيها مظهر التوكل على الله تعالى
 من نوح لِيُقْتَدَى به ، ومظهر نصره الله تعالى لأوليائه وهزيمته أعدائه ذكر هنا سنة من سننه
 في خلقه وهي أنه بعث من بعد نوح رسلاً كثيرين^(١) إلى أممهم فجاؤوهم بالبينات أي
 بالحجج والبراهين على صدقهم وصحة ما جاءوا به ودعوا إليه من توحيد الله ، فما كان
 أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذب به من سبقهم من أمة نوح . قال تعالى : ﴿كذلك نطبع على^(٢)

(١) كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم .

(٢) ﴿نطبع﴾ نختم ، إذ الختم والطبع واحد ، والطبع يكون بالخاتم .

قلوب المعتدين ﴿ هذا بيان سنة الله تعالى في البشر وهي أن العبد إذا أذنب وواصل الذنب بدون توبة يصبح الذنب طبعاً من طباعه لا يمكنه أن يتخلى عنه، وما الذنب إلا اعتداء على حدود الشارع فمن اعتدى واعتدى وواصل الاعتداء حصل له الطبع وكان الختم على القلب فيصبح لا يقبل الإيمان ولا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر. وقوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون﴾ أي من بعد الأمم الهالكة بعثنا رسولينا موسى وهرون ابني عمران إلى فرعون وملئه بآياتنا المتضمنة الدليل على صحة مطلب رسولينا وهو توحيد الله وإرسال بني اسرائيل معهم، ﴿فاستكبروا﴾ أي فرعون وملؤه ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ حيث أفسدوا القلوب والعقول وسفكوا الدماء وعذبوا الضعفاء يقول تعالى عنهم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ أي لما بهرتهم المعجزات وهي آيات موسى وأبطلت إفكهم قالوا إن هذا لسحر مبين تخلصاً من الهزيمة التي لحقتهم، فرد موسى عليهم بقوله ﴿أتقولون للحق لما جاءكم﴾ هذا سحر ثم بعد توبيخهم استدل على بطلان قولهم بكونه انتصر عليهم فأفلح بينهم وفاز عليهم فقال: ﴿أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ فلو كان ما جئت به سحراً فكيف أفلحت في إبطال سحرهم وهزيمة سحرهم. فلما أفحهم بالحجة قالوا مراوغين: ﴿أجئتنا لتلفتنا﴾ أي تصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا، وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ أي وتكون لكما السيادة والملك في أرض مصر فسلكوا مسلك الاتهام السياسي. وقالوا ﴿وما نحن بمؤمنين﴾ أي بمصدقين ولا متبعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان سنة الله في البشر وهي أن التوغل في الشر والفساد والظلم يوجب الختم على

(١) أي : من بعد الرسول والأمم إذ لكل أمة رسول.

(٢) أفسدوا القلوب بالشرك والكفر والعقول بالسحر والأباطيل وسفكوا الدماء بقتل ذكران بني اسرائيل الصغار (المواليد).

(٣) مفعول ﴿أتقولون﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه وهو: إن هذا لسحر مبين وتقدير الكلام أنهم لما قالوا في الآيات لسحر مبين رد عليهم موسى بقوله: أتقولون للحق لما جاءكم هذا. أسحر هذا؟ أي كيف يكون هذا الذي جئتكم به من الآيات سحراً؟ والساحر لا يفلح وقد أفلحت فبطل أن يكون ما جئتكم به من الآيات سحراً للحق: اللام يسميها بعضهم لام المجاوزة فهي بمعنى عن أي: تقولون عن الحق كذا. والظاهر أنها لام التعليل.

القلوب فيحرم العبد الإيمان والهداية .

٢- ذم الاستكبار وأنه سبب كثير من الإجرام .

٣- تقرير أن السحر صاحبه لا يفلح أبداً ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مرهوب .

٤- الاتهامات الكاذبة من شأن أهل الباطل والظلم والفساد .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ

شرح الكلمات :

ساحر عليم	: أي ذو سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن .
ألقوا	: أي ارموا في الميدان ما تريدون إلقاءه من ضروب السحر .
إن الله سيبطله	: أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس .
ويحق الله الحق	: أي يقرر الحق ويثبتته .
بكلماته	: أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون .
المجرمون	: أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر قصة موسى بعد قصة نوح عليهما السلام في الآيات السابقة لما غلب موسى فرعون وملاه بالحجة اتهم فرعون موسى وأخاه هارون بأنهما سياسيان يريدان الملك والسيادة على البلاد لا همَّ لهما إلا ذاك وكذب فرعون وهو من الكاذبين وهنا أمر

رجال دولته أن يحضروا له علماء السحر ليبارى موسى في السحر فجمع سحرته فقال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾^(١) فآلقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فنظر إليه موسى وقال: ﴿ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله﴾^(٢) إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴿وألقي عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقه الحق وبطل ما كانوا يعملون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- للسحر طرق يتعلم بها وله علماء به وتعلمه حرام واستعماله حرام .
- ٢- حد الساحر القتل لأنه إفساد في الأرض .
- ٣- جواز المبارزة للعدو والمباراة له إظهاراً للحق وإبطالاً للباطل .
- ٤- عاقبة الفساد وعمل أصحابه الخراب والدمار .
- ٥- متى قاوم الحق الباطل انهزم الباطل وانتصر الحق بأمر الله تعالى ووعد الصديق .

﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ

خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ

فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُومُ إِن كُنتُمْ

ءَامِنَتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ

(١) طلب فرعون بإتيانه بالسحرة إذ قال: أتتوني بكل ساحر عليم قال هذا لما شاهد العصا واليد البيضاء فاعتقد أنها سحر فأراد أن يقابله بسحر قومه .

(٢) أي: اطرحوا ما معكم من حبالكم وعصيكم .

(٣) أي: ما أظهرتموه لنا من هذه الحبال والعصي، وقد تراءت وكأنها حيّات وتعاين هو السحر وعمل لذلك بقوله إن الله سيبيطله وعلة أخرى وهو أن الله لا يصلح عمل المفسدين، وإظهار اسم الجلالة في التعليلين: ﴿إن الله سيبيطله﴾ ﴿إن الله لا يصلح عمله المفسدين﴾ لإلقاء الروع وتربية المهابة في النفوس .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه من أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية: ﴿ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله﴾ إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لم يضربه كيد ساحر .

(٥) أراد بالمجرمين: فرعون وملاه، وفي الكلام تعريض بهم، وعدل عن وصفهم بالإجرام لأنه مأمور أن يقول قولاً لينا فاستغنى بالتعريض بدل التصريح

تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
 أَن تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

شرح الكلمات :

فما آمن لموسى	: أي لم يَنْقُذْ له ويتبعه .
إلا ذرية	: أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل .
وملائهم	: أي أشرافهم ورؤسائهم .
أن يفتنهم	: أن يضطهدهم ويعذبهم .
لعال في الأرض	: قاهر مُسْتَبَدَّ .
مسلمين	: مدعنين منقادين لأمره ونهيه .
فتنة للقوم الظالمين	: أي لا تفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا كفراً .
أن تبوءا	: اتخذا القومكما بمصر بيوتا تبوءون إليها وترجعون .
قبة	: أي مساجد تصلون فيها .

معنى الآيات :

بعد ذلك الانتصار الباهر الذي تم لموسى على السحرة، والهزيمة المرة التي لحقت
 فرعون ولم يؤمن لموسى ويتابعه إلا ذرية من بني إسرائيل، وعدد قليل من آل فرعون
 كامراته ومؤمن آل فرعون والماشطة قال تعالى : ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على
 خوف من فرعون﴾ أي مع خوف من فرعون أن يفتنهم وقوله : ﴿وملائهم﴾ عائد إلى مؤمنى آل
 فرعون أي مع خوف من ملائهم أي رؤسائهم وأشرافهم أن يفتنوههم أيضاً،
 وقوله تعالى ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي إنه قاهر متسلط مستبد ظالم، ﴿وإنه لمن

(١) المراد بالذرية أولاد بني إسرائيل الشبان الذين آمنوا عند مشاهدة المباراة وانتصار موسى فيها .

المسرفين ﴿^(١)﴾ في الظلم فلذا خافوه لما آمنوا، ولما ظهر الخوف على بني إسرائيل قال لهم موسى ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ ﴿ففوضوا أمركم إليه إن كنتم حقاً مسلمين لله متقادين لأمره ونهيه، فأجابوا قائلين: ﴿على الله توكلنا﴾ وسألوا الله تعالى أن لا يفتن قوم فرعون بهم بأن ينصرهم عليهم فيزدادوا كفراً وظلماً، وضمن ذلك أن لا تسلط الظالمين علينا فيفتنونا في ديننا بصرفنا عنه بقوة التعذيب ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ وهذا حسن توسل منهم إذا قالوا برحمتك فتوسلوا إلى الله برحمته ليستجيب دعاءهم، والمراد من القوم الكافرين هنا فرعون وملاؤه. وقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ أي هارون ﴿أن تبوءا لقومكما﴾ أي من بني إسرائيل ﴿بمصر﴾ أي بأرض مصر ﴿بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي متقابلة ومساجد تصلون فيها ﴿وأقيموا الصلاة﴾ على الوجه الذي شرع لكم. وهذا بناء على أن بني إسرائيل بعد الانتصار على فرعون أخذوا ينحازون من مجتمع فرعون فأمرؤا أن يكونوا حياً مستقلاً استعداداً للخروج من أرض مصر فأمرهم الرب تبارك وتعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلة أي متقابلة ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم وليصلوا فيها كالمساجد حيث منعوا من المساجد إما بتخريبها وإما بمنعهم منها ظلماً وعدواناً وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين في إيمانهم الكاملين فيه بحسن العاقبة بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة بدخول دار السلام.

(١) ﴿المسرفين﴾ : أي المجاوزين الحد في الكفر لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

(٢) كرر جملة الشرط تأكيداً، مبيناً أن كمال الإيمان يقتضي التوكل على الله تعالى.

(٣) أي: اتخذها، يقال: بوأه الدار: أنزله إليها وأسكنه فيها. وفي الحديث (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أي: فلينزله ملازماً له.

(٤) قيل: المراد بمصر: الأسكندرية.

(٥) في الآية دليل على جواز صلاة الخائف المكتوبة في بيته، أما النافلة فهي في البيوت أفضل لقول الرسول ﷺ (فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة).

(٦) في هذا جمع بين رأيين الأول: أن المراد من كلمة قبلة: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة لئتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٧) هو موسى عليه السلام، بدليل السياق الكريم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ حيث أراه كيف انتصر موسى بالمعجزات ومع ذلك لم يتابعه إلا القليل من قومه .
- ٢- التنديد بالعلو في الأرض والإسراف في الشر والفساد وبأهلهم .
- ٣- وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته .
- ٤- مشروعية الدعاء والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته .
- ٥- اتخاذ المساجد في المنازل للصلاة فيها عند الخوف .
- ٦- وجوب إقام الصلاة
- ٧- بشرى الله تعالى للمؤمنين والمقيمين للصلاة بحسن العاقبة في الدارين .

وَقَالَ مُوسَى

رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
 قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَبِغَا سُبُلَ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

- زينة : أي حلياً وحللاً ورياشاً ومتاعاً .
 أموالاً : أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث .
 اطمس : أي أزل أثرها من بينهم بإذهابها .
 واشدد على قلوبهم : اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون .

أجيب دعوتكما

: أي استجابها الله تعالى .

فاستقيما

: على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

سبيل الذين لا يعلمون : أي طريق الجهلة الذي لا يعرفون محاب الله ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التي أنزل لعباده .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في قصة موسى مع فرعون وبنى إسرائيل فبعد أن لج فرعون في العناد والمكابرة بعد هزيمته سأل موسى ربه قائلاً ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه﴾ أي أعطيتهم ﴿زينه﴾ أي ما يتزين به من الملابس والفرش والأثاث وأنواع الحلبي والحلل وقوله ﴿وأموالاً﴾^(١) أي الذهب والفضة والأنعام والحرث ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي في هذه الحياة الدنيا وقوله : ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذا ﴿ربنا اطمس﴾^(٢) على أموالهم ﴿أي أذهب أثرها بمسحها وجعلها غير صالحة للانتفاع بها﴾ ، واشدد على قلوبهم ﴿أي اطبع على قلوبهم واستوثق منها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الموجه أشد الإيلاج﴾ ، قال تعالى : ﴿قد أجيب دعوتكما﴾ ، فاستقيما ﴿على طاعتنا بالدعوة إلينا وأداء عبادتنا والنصح لعبادنا والعمل على إنقاذ عبادنا من ظلم الظالمين﴾ ، ﴿ولا تتبعان﴾ سبيل الذين لا يعلمون ﴿أي فتستعجلا وقوع العذاب فإن الذين لا يعلمون ما لله من حكم وتدبير وقضاء وقدر يستعجلون الله تعالى في وعده لهم فلا تكونوا مثلهم بل انتظروا وعدنا واصبروا حتى يأتي وعد الله . وما الله بمخلف وعده .

(١) قيل : إنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزربرد والزمرد . والياقوت .
(٢) في هذه الآم أقوال : أصحابها : أنها لام العاقبة ، والصيرورة . أي : يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالاً ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلى ضلالهم .

(٣) أي : عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم . وفعلنا أصبحت حجارة لا يتنفع بها وكان ذلك عقوبة منه تعالى لهم على كفرهم وعنادهم .

(٤) قد استشكل العلماء وجه دعاء موسى على فرعون وقومه بالهلاك إذ المفروض أن يدعو لهم بالهداية . وأجيب بأنه قد علم بإعلام الله تعالى له أنهم لا يؤمنون فلذا دعا عليهم ، كما أعلم الله تعالى نوحاً بعدم إيمان قومه فلذا دعا عليهم ، إذ قال له ربه : ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ وهنا دعا عليهم قائلاً : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ .
(٥) كان موسى يدعو، وهارون يؤمن أي : يقول : آمين فاعتبر داعياً مع أخيه . لأن قول آمين معناه : اللهم استجب دعاءنا .

هداية الأيتين

من هداية الأيتين :

- ١- مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم .
- ٢- كثرة المال وأنواع الزينة ، والانغماس في ذلك والتلهي به يسبب الضلال لصاحبه .
- ٣- الذين بلغوا حداً من الشر والفساد فطبع على قلوبهم لا يموتون إلا على الكفر فيخسرون .
- ٤- المؤمن داع فهو شريك في الدعاء فلذا أهل المسجد يؤمنون على دعاء الإمام في الخطبة فتحصل الإجابة للجميع ، ومن هنا يخطيء الذين يطوفون أو يزورون إذ يدعون بدعاء المطوف ولا يؤمنون .
- ٥- حرمة اتباع طرق أهل الضلال ، وتقليد الجهال والسير وراءهم .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

وجاوزنا بني إسرائيل : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه .
البحر : بحر القلزم .

(١) روى الترمذي الحكيم عنه عليه السلام أنه قال : (إن الله قد أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم : السلام ، وهي تحية أهل الجنة ، وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهارون) وعلى هذا فموسى كان يدعو وهارون يؤمن فاعتبر داعياً .

بغيا وعدوا^(١) : أي بغيا على موسى وهرون واعتداء عليهما .
 آلان : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة ؟!
 بيدنك : أي بجسدك لا روح فيه .
 آية : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك .

معنى الآيات :

(١) ما زال السياق في قصة موسى وهرون مع فرعون وبني إسرائيل قال تعالى : ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر﴾ وذلك بداية استجابة الله تعالى دعوة موسى وهرون ومعنى ﴿جاوزنا﴾ أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه ، وذلك بأن أمر موسى أن يضرب بعصاه البحر فضرِب فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم وَيَسَّتِ الْأَرْضَ ودخل موسى مع بني إسرائيل يتقدمهم جبريل عليه السلام على فرس حتى تجاوزوا البحر إلى الشاطئ ، وجاء فرعون على فرسه ومعه ألوف الجنود فتبعوا موسى وبني إسرائيل فدخلوا البحر فلما توسطوه أطبق^(٢) الله تعالى عليهم البحر فغرقوا أجمعين إلا ما كان من فرعون فإنه لما أدركه الغرق أي لحقه ووصل الماء إلى عنقه أعلن عن توبته فقال : ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ ولكبريائه لم يقل لا إله إلا الله ولو قالها لتاب الله عليه فأنجاه بل قال : ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ وهو يعرف أنه الله . وقوله : ﴿وأنا من المسلمين﴾ مبالغة في طلب النجاة من الغرق بالتوبة حيث أعلن أنه من المسلمين أي المستسلمين المتقادين لأمره . فرد الله تعالى بقوله : ﴿آلآن﴾ أي وقت التوبة والإسلام بعد الإيمان ،

(١) «بغياً» منصوب على الحال . و«عدوا» معطوف عليه ، وكان اتباع فرعون بني إسرائيل بغيا وعدوا لأنه ليس له شائبة حق في منعهم من الخروج من بلاده إلى بلادهم .

(٢) جاوزنا وجوّزنا : بمعنى واحد .

(٣) قال القرطبي : كان بنو إسرائيل ستمائة وعشرين ألفاً ، وكان جيش فرعون ألفي ألف وستمائة ألف . أي مليونين ونصفاً وزيادة .

(٤) تبع واتبع بمعنى واحد إذا لحقه وأدركه ، وأما اتبع بالتشديد فإن معناه : سار خلفه .

(٥) روى الترمذي وحسنه أن النبي ﷺ قال (لما أغرق الله فرعون قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من وحل البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) وحل البحر : الطين الأسود الذي يكون في أسفله ، ومعنى تدركه الرحمة : أي يقول لا إله إلا الله .

(٦) لأن التوبة تقبل من العبد ما لم ير علامات الموت بمشاهدة الملائكة ، وفي الحديث الصحيح : (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغْرَس) .

﴿وقد عصيت قبل﴾ وتمردت على الله وشرعه وكفرت به ورسوله ﴿وكننت من المفسدين﴾
 للبلاد والعباد بالظلم والشر والفساد، ﴿فاليوم ننجيكَ﴾ أي نجعلك على نجوة من الأرض
 أي مرتفع منها ﴿بيدنا﴾ أي بجسمك دون روحك، وبذلك ﴿لتكون لمن خلفك﴾ أو
 بعدك من الناس ﴿آية﴾ أي علامة على أنك عبد مربوب وليس كما زعمت أنك رب وإله
 معبود، وتكون عبرة لغيرك فلا يطغى طغيانك ولا يكفر كفرانك فيهلك كما هلك، وقوله
 تعالى: ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ إخبار منه بواقع الناس ومن أولئك
 الغافلين عن آيات الله وهي تتلى عليهم أهل مكة من كفار قريش وما سيق هذا القصص
 إلا لأجل هدايتهم. لو كانوا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا تقبل التوبة عند معاينة العذاب وفي الحديث (تقبل توبة العبد ما لم يغرغ).
- ٢- أكمل الأديان وأفضلها الإسلام ولهذا أهل اليقين يسألون الله تعالى أن يتوفاهم
 مسلمين ولما أيقن فرعون بالهلاك زعم أنه من المسلمين.
- ٣- فضل لا إله إلا الله فقد ورد أن جبريل كان يحول بين فرعون وبين أن يقول: لا إله إلا
 الله فينجو فلم يقلها ففرق وكان من الهالكين.
- ٤- تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس في هذه الحياة غافلون عما يراد بهم ولهم ولم ينتبهوا
 حتى يهلكوا.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
 فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

مبوا صدق : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً طيباً مرضياً.
 من الطيبات : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

حتى جاءهم العلم : وهو معرفتهم أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي .
 يقضي بينهم : يحكم بينهم .
 فيما كانوا فيه يختلفون : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار .

معنى الآية الكريمة

هذه خاتمة الحديث عن موسى وبني إسرائيل بعد أن نجاهم الله من عدوهم بإهلاكه في اليم قال تعالى : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعأ صدق ﴾ أي أنزلناهم مبعأ صالحاً طيباً وهو بلاد فلسطين من أرض الشام المباركة ، وذلك بعد نجاتهم من التيه ودخولهم فلسطين بصحبة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام ، وقوله ﴿ وزرقتناهم من الطيبات ﴾ إذ أرض الشام أرض العسل والسمن والحبوب والثمار واللحم والفحم وذكر هذا إظهار لنعم الله تعالى ليشكروها . وقوله : ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يريد أن بني إسرائيل الذين أكرمهم ذلك الإكرام العظيم كانوا قبل مبعث النبي ﷺ متفقين على دين واحد منتظرين النبي المنتظر المبشر به في التوراة الذي سينقذ بني إسرائيل مما حل بهم من العذاب والاضطهاد على أيدي أعدائهم الروم ، فلما جاءهم وهو العلم وهو القرآن والمنزّل عليه محمد ﷺ اختلفوا فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر . وقوله تعالى في خطاب النبي ﷺ : ﴿ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمر الإيمان لك واتباعك واتباع ما جئت به من الهدى ودين الحق ، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكفار النار .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- بيان إكرام الله تعالى لبني إسرائيل .

(١) وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في المبعأ الصدق : هو بنو قريظة وبنو النضير ، وأهل عصر النبي ﷺ بقريظة : ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ الذي هو القرآن يحمله محمد ﷺ وقريظة ما في التفسير هي أن الحديث كان في إنجاء بني إسرائيل وإهلاك فرعون وهو يناسبه أن يكون المبعأ : أرض فلسطين والشام .

(٢) كعبد الله بن سلام وأمثاله .

(٣) يقضي : معناه يحكم ، فيحكم لأهل الإيمان والاستقامة بدخول الجنة ويحكم لأهل الكفر والضلال بالنار .

- ٢- الرزق الطيب هو ما كان حلالاً لا ما كان حراماً .
 ٣- إذا أراد الله هلاك أمة اختلفت بسبب العلم الذي هو في الأصل سبب الوحدة والوثام .
 ٤- حرمة الاختلاف في الدين إذ كان يؤدي إلى الانقسام والتعادي والتحارب^(١)
 ٥- يوم القيامة هو يوم الفصل الذي يقضي الله تعالى فيه بين المختلفين بحكمه العادل .

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
 مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

شك

: ما قابل التصديق فالشاك غير المصدق .

مما أنزلنا إليك

: أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم .^(٢)

الكتاب

: أي التوراة والإنجيل .

فلا تكونن من الممترين: أي لا تكونن من الشاكين .

حققت عليهم

: أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح المحفوظ .

حتى يروا العذاب

: أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا
 ينفع الإيمان^(٣) .

(١) مثال الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الانقسام والتعادي والتحارب . : الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة ، ومثال الخلاف
 المفضي إلى التعادي والتحارب الخلاف بين أهل السنة والفرق الضالة كالخوارج والروافض وأمثالهما
 (٢) هذا وجه من جملة أوجه فُسرت بها الآية .
 (٣) لا خلاف في أن الإيمان كالتوبة لا يقبلان عند معاينة الموت ففي سورة النساء قال تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ . وقال ﷺ : إن الله يقبل توبة العبد ما
 لم يفرغ .

معنى الآيات :

يقرر تعالى نبوة رسوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ أحبار اليهود وrehبان النصارى فإنهم يعرفون نعوتك وصفاتك في التوراة والإنجيل وإنك النبي الخاتم والمنقذ وأن من آمن بك نجا ومن كفر هلك وهذا من باب الفرض وليكون تهيباً للغير ليؤمن. وإلا فهو ﷺ قد قال: (لا أشك ولا أسأل) وقوله ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾، يقسم تعالى لرسوله بأنه قد جاءه الحق من ربه وهو الحديث الثابت بالوحي الحق وينهاه أن يكون من الممترين أي الشاكين في صحة الإسلام، وأنه الدين الحق الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقوله ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ أي وينهاه أيضاً أن يكون من الذين كذبوا بوحي الله وشرعه ورسوله المعبر عنها بالآيات لأنها حاملة لها داعية إليها، فتكون من الخاسرين يوم القيامة. وهذا كله من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» وإلا فمن غير الجائز أن يشك الرسول أو يكذب بما أنزل عليه من الآيات الحاملة من الشرائع والأحكام. وقوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية﴾ هو كما أخبر عز وجل فالذين قضى الله بعذابهم يوم القيامة فكتب ذلك في كتاب المقادير عنده هؤلاء لا يؤمنون أبداً مهما بذل في سبيل إيمانهم من جهد في تبين الحق وإقامة الأدلة وإظهار الحجج عليهم وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ من جراء ما يألم له ويحزن من إعراض كفار قريش وعدم استجابتهم وقوله ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ تأكيد للحكم السابق وهو أن الذي حكم الله بدخولهم النار لا يؤمنون ولا يموتون إلا كافرين لينجز الله ما وعد ويمضي ما قضى وحكم. وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي يستمرون على كفرهم بك وبما جئت به حتى يشاهدوا العذاب الأليم وحينئذ يؤمنون كما آمن فرعون عندما أدركه الغرق ولكن لم ينفعه إيمانه فكذلك هؤلاء المشركون من

(١) لا حاجة إلى طلب حلول بعيدة لحل ما في ظاهر الآية من إشكال، إذ لهذه الآية نظير وهو قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ معنى الآية: أن الله تعالى يوجه الخطاب إلى رسوله، وأحب الخلق إليه ليكون غيره من باب أولى ألف مرة ومرة وإلا فالرسول ﷺ لا يشك ولا يسأل وكيف يشك ويسأل وهو يتلقى الوحي من ربه؟ وقد قال وقت ما نزلت الآية: (لا أشك ولا أسأل)، وتوجيهنا للآية في التفسير في غاية الوضوح، والحمد لله.

(٢) إن قيل: كيف يعذبهم لمجرد أن كتب ذلك عليهم؟ قلنا في الجواب إنه ما كتب شقوة نفس أو سعادة أخرى حتى علم ما ستفعله النفس باختيارها من كفر أو إيمان أو خير أو شر.

قومك الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وعندئذ لا ينفعهم إيمانهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة الرسول ﷺ .
- ٢- سؤال من لا يعلم من يعلم .
- ٣- التكذيب بآيات الله كفر وصاحبه من الخاسرين .
- ٤- الشك والافتراء في أصول الدين وفروعه كفر .
- ٥- تقرير عقيدة القضاء والقدر، وإن الشقي من شقي في كتاب المقادير^(١) والسعيد من سعد فيه .
- ٦- عدم قبول توبة من عاين العذاب في الدنيا بأن رأى ملك الموت وفي الآخرة بعد أن يبعث ويشاهد أهوال القيامة .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسَّسْ لَمَّا
ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

فلولا أداة تحضيض هنا بمعنى هلاً وفيها معنى التوبيخ والنفي .

(١) طالع النهر، فقد أوردنا سؤالاً عن هذه المسألة وأجبنا عنه تحت رقم (٣) بما يكفي ويغني بإذن الله تعالى .

قرية آمنت	: أي أهل قرية آمنوا.
يونس	: هو يونس بن متى نبي الله ورسوله ^(١) .
إلى حين	: أي إلى وقت انقضاء آجالهم.
أفأنت تكره الناس	: أي إنك لا تستطيع ذلك.
إلا بإذن الله	: أي بإرادته وقضائه.
الرجس	: أي العذاب

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى في الآيات السابقة أن الخسران لازم لمن كذب بآيات الله، وأن الذين وجب لهم العذاب لإحاطة ذنوبهم بهم لا يؤمنون لفقدهم الاستعداد للإيمان ذكر هنا ما يحض به أهل مكة على الإيمان وعدم الإصرار على الكفر والتكذيب فقال: ﴿فلولا^(٢) كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ أي فهلا أهل قرية آمنوا فانتفعوا بإيمانهم فنجوا من العذاب اللازم لمن لم يؤمن أي لم لا يؤمنون وما المانع من إيمانهم وهذا توبيخ لهم. وقوله ﴿إلا قوم يونس^(٣)﴾ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا فلم نهلكهم بعذاب استئصال وإبادة شاملة لأنهم لما رأوا أمارات العذاب بادروا إلى التوبة قبل نزوله بهم فكشف الله تعالى عنهم العذاب، ومتعمهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم فما لأهل أم القرى لا يتوبون كما تاب أهل نينوى من أرض الموصل وهم قوم يونس عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً﴾ يحمل دالتين الأولى أن عرض الله تعالى الإيمان على أهل مكة وحضهم عليه وتوبيخهم على تركه لا ينبغي

(١) أحد أنبياء بني إسرائيل.

(٢) لولا: حرف الأصل فيها أنها للتخصيص، وهو طلب الفعل بحث، ولكن إذا دخلت على ماضٍ لم تصبح للتخصيص قطعاً بل للتغليب والتقديم والتوبيخ، وهي هنا لتغليب أهل مكة وتوبيخهم وتندبهم على إصرارهم على الكفر وعدم توبيتهم كما تاب قوم يونس حتى ينجوا من العذاب كما نجوا.

(٣) كان هؤلاء القوم خليطاً من الآشوريين واليهود الذين كانوا في أسر ملوك بابل بعد بختنصر، وكانت بعثة يونس عليه السلام إليهم في بداية القرن الثامن قبل المسيح عليه السلام.

(٤) إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام، أقام في قومه يدعوههم إلى التوحيد وترك الشرك تسع سنين فيش من إيمانهم فتوعدهم بالعذاب وخرج من بين أظهرهم وتركهم فلما رأوا ذلك خافوا نزول العذاب بهم فجأروا إلى الله تعالى بالاستغفار والدعاء والضراعة يا حي يا حي الموتى يا حي لا إله إلا أنت ارفع عنا العذاب وقد ظهرت أماراته، فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾.

أن يفهم منه أن الله تعالى عاجز عن جعلهم يؤمنون بل لو شاء إيمانهم لآمنوا كما لو شاء إيمان أهل الأرض جميعاً لآمنوا والثانية تسلية الرسول والتخفيف عنه من ألم وحزن عدم إيمان قومه وهو يدعوهم بجد وحرص ليل نهار فأعلمه ربه أنه لو شاء إيمان كل من في الأرض لآمنوا، ولكنه التكليف المترتب عليه الجزاء فيعرض الإيمان على الناس عرضاً لا إيجاباً معه فمن آمن نجا، ومن لم يؤمن هلك ويدل على هذا قوله له ﴿أفأنت تكفر﴾^(١) الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴿أي إن هذا ليس لك، ولا كلفت به، وقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ تقرير وتأكيد لما تضمنه الكلام السابق من أن الإيمان لا يتم لأحد إلا بإرادة الله وقضائه، وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس^(٢) على الذين لا يعقلون﴾ أي إلا أنه تعالى يدعو الناس إلى الإيمان مبيناً لهم ثمراته الطيبة ويحذرهم من التكذيب مبيناً لهم آثاره السيئة فمن آمن نجاه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس الذي هو العذاب عليه محيطاً به جزاء له لأنه لا يعقل إذ لو عقل لما كذب ربه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده دعوته إياهم إلى الإيمان به وحضهم عليه .
- ٢- قبول التوبة قبل معاينة العذاب، ورؤية العلامات لا تمنع من التوبة .
- ٣- إرادة الله الكونية التي يكون بها الأشياء لا تتخلف أبداً، وإرادته الشرعية التكليفية جائزة التخلف .
- ٤- لا إيمان إلا بإذن الله وقضائه فلذا لا ينبغي للداعي أن يحزن على عدم إيمان الناس إذا دعاهم ولم يؤمنوا لأن الله تعالى كتب عذابهم أولاً وقضى به .

(١) الاستفهام : انكاري ينكر تعالى على رسوله شدة حرصه على إيمان قومه ، حتى لكأنه يريد إكراههم على الإيمان به وبما جاء به من التوحيد .

(٢) الرجس : بضم الراء وكسرهما : العذاب .

قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَجِّى
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقَّا عَلَيْنَا نَجِّ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

ماذا في السموات والأرض : أي من عجائب المخلوقات ، وباهر الآيات .
وما تغني الآيات والنذر : أي ما تغني أيَّ إغناء إذا كان القوم لا يؤمنون .
فهل ينتظرون : أي ما ينتظرون .
خلوا من قبلهم : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة .
قل فانتظروا : أي العذاب .
ثم نجي رسلنا والذين آمنوا : أي من العذاب المنتظر .
كذلك : أي كذلك الإنجاء ننج المؤمنين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد والطاعة لله ولرسوله ﷺ فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ من سائر المخلوقات وما فيها من عجائب الصنعة ، ومظاهر الحكمة والرحمة والقدرة فإنها تدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه ، وتفند دعوى ألوهية الأصنام والأحجار . ثم قال تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر ﴾ أي الرسل في هداية قوم قضى الله تعالى أزلاً

(١) الفاء للتفريع فالكلام متفرع على جملة ما تغني الآيات والنذر . والاستفهام إنكاري تهكمي ، وفيه معنى النفي أيضاً ، والتكاث لا تتزاحم .

أنهم لا يؤمنون حتى ينتهوا إلى ما قدر لهم وما حكم به عليهم من عذاب الدنيا والآخرة ولكن لما كان علم ذلك إلى الله تعالى فعلى النذر أن تدعو وتبلغ جهدها والأمر لله من قبل ومن بعد. وقوله: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ أي إنهم ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلفوا من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم دعتهم رسلهم وبلغتهم دعوة ربهم إليهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة فأعرضوا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب.

ثم أمر الله تعالى أن يقول لهم ﴿فانتظروا﴾ أي ما كتب عليكم من العذاب إن لم تتوبوا إليه وتسلموا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ فإن كان العذاب فإن سنة الله فيه أن يهلك الظالمين المشركين المكذبين وينجي رسله والمؤمنين وهو معنى قوله تعالى ﴿في الآية الأخيرة﴾ (١٠٣) ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا، كذلك﴾ أي الإنجاء ﴿حقاً علينا ننج المؤمنين﴾ (٤).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- لا تنفع الموعظة مهما بولغ فيها عبداً كتب أولاً أنه من أهل النار.

٢- ما ينتظر الظلمة في كل زمان ومكان إلا ما حل بمن ظلم من قبلهم من الخزي والعذاب.

٣- وعد الله تعالى ثابت لأوليائه بإنجائهم من الهلاك عند إهلاكه الظلمة المشركين.

قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ

(١) (٢) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بآيام العرب أي: ما جرى فيها من أحداث ومنه قوله تعالى: ﴿وذكرهم بآيام الله﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها.

(٣) الحملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب سؤال تقديره: نحن أولاً منتظرون وأنت ماذا تفعل؟

(٤) ﴿حقاً علينا﴾ جملة معترضة لأن المصدر يدل على الفعل، والتقدير أي: حق ذلك علينا حقاً أي: أحققناه حقاً علينا، و﴿ننجي﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد، والمعنى واحد، وفي المصحف ننج بدون ياء لالتقاء الساكنين.

(٥) إن انتظار العذاب منذ نزوله قريباً بديارهم والرسول معهم فمن هنا عطف جملة ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ فأعلمهم بنجاة الرسل فكانت بشرى للرسول والمؤمنين.

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾
وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

- من ديني : أي الإسلام في أنه حق .
يتوفاكم : أي يقبض أرواحكم فيميتكم .
وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي أمرني ربي أَنْ أَقِمَّ وجهي للدين الإسلامي حنيفاً أي مائلاً
حنيفاً : عن كل الأديان إليه دون غيره .
مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين وأوثانهم .
إِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ : أي إِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَهَا مِنَ المشركين الظالمين لأنفسهم .
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ : أي لا مزيل للضرر ومبعده عن أصابه إلا هو عز وجل .
يُصِيبُ بِهِ : أي بالفضل والرحمة .
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ : أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين .
معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى طريق الهدى وطريق الضلال وأنذر وحذروا وأعد وأوعده في الآيات السابقة بما لا مزيد عليه أمر رسوله هنا أَنْ يَواجِهَ المشركين من أهل مكة وغيرهم بالتقرير التالي فقال : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أي مشركي مكة والعرب من حولهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ ﴾ ورب^(١) في صحة ديني الإسلام الذي أنا عليه وأدعو إليه ، ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ

(١) أي : إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ صِحَّةِ دِينِي فَأَنَا غَيْرُ شَاكٍ فِي صِحَّتِهِ وَبَطْلَانِ دِينِكُمْ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ .

دون الله ﴿ فمجرد شككم في صحة ديني لا يجعلني أعبد أوثاناً وأصناماً لا تنفع ولا تضر، ولكن أعبد الله ﴾ الذي ينفع ويضر، يحيى ويميت، الله الذي يتوفاكم أي يميتكم بقبض أرواحكم فهو الذي يجب أن يعبد ويخاف ويرهب ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ أي أمرني ربي أن أومن به فأكون من المؤمنين فآمنت وأنا من المؤمنين . وقوله تعالى : ﴿ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ﴾ أي وأوحى إليّ ربي أمراً إياي بأن أقيم وجهي لدينه الحق فلا ألتفت إلى غيره من الأديان الباطلة، ونهاني مشدداً علي أن أكون من المشركين الذين يعبدون معه آلهة أخرى بعد هذا الإعلان العظيم والمفاصلة الكاملة والتعريض الواضح بما عليه أهل مكة من الضلال والخطأ الفاحش، واجه الله تعالى رسوله بالخطاب وهو من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» فنهاه بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال : ﴿ ولا تدع من دون ما لا ينفعك ﴾ أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضرراً، ولا يضرك بمنع خير عنك، ولا بإنزال شر بك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين، ولما كان دعاء النبي غير الله ممتنعاً بالكلام إذاً تعريضاً بالمشركين وتحذيراً للمؤمنين، وقوله تعالى : في خطاب رسوله : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له ﴾ عنك ﴿ إلا هو ﴾ عز وجل ، ﴿ وإن يردك بخير ﴾ من الخيور عافية وصحة رخاء ونصر ﴿ فلا راد لفضله ﴾ أي ليس هناك من يرده عنك بحال من الأحوال، وقوله : ﴿ يصيب ﴾ أي بالفضل والخير والنعمة ﴿ من يشاء من عباده ﴾ إذ هو الفاعل المختار، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ بيان لصفات الجلال والكمال فيه فإنه تعالى يغفر ذنوب التائبين إليه مهما بلغت في العظم، ويرحم عباده المؤمنين مهما كثروا في العدد، وبهذا استوجب العبادة بالمحبة والتعظيم والطاعة والتسليم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- على المؤمن أن لا يترك الحق مهما شك وشكك فيه الناس .

(١) الأمر بإقامة الوجه لله كناية عن توجه النفس والإقبال بها على الله تعالى فلا تلتفت راغبة ولا راهبة إلى غير الله تعالى ، وهذا كإسلام الوجه لله تعالى في آية : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ﴾ ولازمه ترك كل دين إلى دين الله عز وجل .
(٢) تنكير ضر، كتذكير خير يُراد به النوعية الصالحة للقلة والكثرة .
(٣) يقال : أصابه بكذا : إذا أوردته عليه ومسه به .

٢- تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله .

٣- دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً ، وإن سموه توسلاً .

٤- لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أَرَادَهُ اللهُ له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال ، وهو معنى حديث : (١) (ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) .

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الناس : أي يا أهل مكة .
قد جاء الحق : أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق .
من اهتدى : أي آمن بالله ورسوله وعبد الله تعالى موحداً له .
ومن ضل : أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان .
فعلينا : أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي .

وما أنا عليكم بوكيل : أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير .
واصبر حتى يحكم الله : أي في المشركين بأمره .
خير الحاكمين : أي رحمة وعدلاً وإنفاذاً لما يحكم به لعظيم قدرته .

معنى الآيتين :

هذا الإعلان الأخير في هذه السورة يأمر الله تعالى رسوله أن ينادى المشركين بقوله :

(١) هذا الكلام مستأنف يحمل إعلاناً عظيماً لأهل مكة أولاً ، وللناس كافة ثانياً مفاده : مجيئهم الرسول محمد ﷺ بالحق من ربهم وهو الدين الإسلامي فمن دخل فيه اهتدى إلى طريق سعاده ومن أعرض عنه ضل طريق نجاته وسعاده .

﴿يا أيها الناس﴾ وهو نداء عام يشمل البشرية كلها وإن أريد به ابتداء أهل مكة ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن يتلوه رسول الله وفيه بيان الدين الحق الذي لا كمال للإنسان له إلا بالإيمان به والأخذ الصادق بما تضمنه من هدى. وبعد فمن اهتدى بالإيمان والاتباع فإنما ثواب هدايته لنفسه إذ هي التي تزكو وتطهر وتتأهل لسعادة الدارين، ومن ضل بالإصرار على الشرك والكفر والتكذيب فإنما ضلّاله أي جزاء ضلاله عائد على نفسه إذ هي التي تتدسّس وتخبّث وتتأهل لمقت الله وغضبه وأليم عقابه. وما على الرسول المبلغ من ذلك شيء، إذ لم يوكل إليه ربه هداية الناس بل أمره أن يصرح لهم بأنه ليس عليهم بوكيل ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾^(٢) أمر للنبي ﷺ بالتزام الحق باتباع ما يوحى إليه من الأوامر والنواهي وعدم التفريط في شيء من ذلك، ولازم هذا وهو عدم اتباع ما لا يوحى إليه به ربه وقوله: ﴿واصبر حتى يحكم الله﴾^(٣) وهو خير الحاكمين ﴿أمر للنبي ﷺ بالصبر على اتباع الوحي والثبات على الدعوة وتحمل الأذى من المشركين إلى غاية أن يحكم الله فيهم وقد حكم فأمره بقتالهم فقتلهم في بدر وواصل قتالهم حتى دانوا لله بالإسلام ولله الحمد والمنّة، وقوله ﴿وهو خير الحاكمين﴾^(٤) ثناء على الله تعالى بأنه خير من يحكم وأعدل من يقضي لكمال علمه وحكمته، وعظيم قدرته، وواسع رحمته.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير أن القرآن والرسول حق والإسلام حق.

(١) هذه الجملة داخلية ضمن الإعلان، وهي أن يعلم أهل مكة والناس من حولهم أن الرسول المبلغ الإسلام لهم غير موكل بهدايتهم وأن أمر ذلك متروك لهم، فمن شاء اهتدى، ومن شاء ضلّ، وما عليه إلا البلاغ. وقد بلغ.

(٢) هذا إرشاد للرسول ﷺ بأن يلزم المنهج الذي وضعه له بطريق الوحي ولا يخرج عنه بحال فإنه سبيل نجاته ونجاة المؤمنين معه.

(٣) هذا إرشاد آخر له ﷺ بالصبر على إبلاغ أهل مكة ومن حولهم دعوة الله حتى يحكم الله بينه وبينهم بنصر رسوله والمؤمنين، وخلّان الكفر والكافرين.

(٤) خير هنا بمعنى أخير اسم تفضيل، وإنما عدل عن أخير إلى خير لكثرة الاستعمال كاسم شر أيضاً، وقد يأتي لفظ شر وخير لغير تفضيل.

- ٢- تقرير مبدأ أن المرء يشقى ويسعد بكسبه لا بكسب غيره^(١).
 ٣- وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.
 ٤- فضيلة الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى.

سُورَةُ هُودٍ مكية^(٢)

وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾
 لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يُمِيعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
 كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
 يَنْتَوْنُ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوهُنَّ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
 يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات

الر : هذا أحد الحروف المقطعة : يكتب آلر ويقرأ ألف، لام، را.

(١) شواهد هذه الحقيقة في القرآن كثيرة منها: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ ومنها: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومنها: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.

(٢) واستثنى منها بعضهم آية: ﴿واقم الصلاة طرفي النهار﴾ الآية فإنها مدنية وروي أن النبي ﷺ قال: (شيتني هود وأخواتها) ويذكر القرطبي فيقول: قال أبو عبد الله: فالفرع يورث الشيب، وذلك أن الفرع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع ومنه يعرق فإذا نشف الفرع رطوبته يست المنابع فييس الشعر فايض، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه فإذا ذهب سقاؤه ييس فايض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته وييس جلده.

أحكمت

: أي نظمت نظماً متقناً ورصفت ترصيفاً لا خلل فيه .

فصلت

: أي ببيان الأحكام ، والقصاص والمواظ ، وأنواع الهدايا .

من لدن

: أي من عند حكيم خبير وهو الله جل جلاله .

متاعاً حسناً

: أي بطيب العيش وسعة الرزق .

إلى أجل مسمى

: أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له .

ويؤت كل ذي فضل : أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل .

عذاب يوم كبير

: هو عذاب يوم القيامة .

يشنون صدورهم

: أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في

زعمهم .

يستغشون ثيابهم : يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿آل﴾ هذا الحرف مما هو متشابه ويحسن تفويض معناه إلى الله فيقال :

الله أعلم بمراده بذلك . وإن أفاد فائدتين الأولى : أن القرآن الكريم الذي تحداهم الله بالإتيان بمثله أو بسورة من مثله قد تألف من مثل هذه الحروف : آلم ، آلر ، طه ، طس حم ، ق ، ن ، فآلفوا مثله فإن عجزتم فاعلموا أنه كتاب الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا به ، والثانية أنهم لما كانوا لا يريدون سماع القرآن بل أمروا باللغو عند قراءته ، ومنعوا الاستعلان به جاءت هذه الحروف على خلاف ما ألفوه في لغتهم واعتادوه في لهجاتهم العربية فاضطرتهم إلى سماعه فإذا سمعوا تأثروا به وآمنوا ولنعم الفائدة أفادتها هذه الحروف المقطعة .

وقوله تعالى ﴿كتاب﴾ أحكمت آياته : أي المؤلف من هذه الحروف كتاب عظيم

أحكمت آياته أي رصفت ترصيفاً ونظمت تنظيمات متقناً لا خلل فيها ولا في تركيبها ولا معانيها ، وقوله : ﴿ثم فصلت﴾ أي بين ما تحمله من أحكام وشرائع ، ومواظ وعقائد

(١) شاهده في قوله تعالى من سورة (فصلت) : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبوا﴾ .

(٢) التنكير في ﴿كتاب﴾ للتفخيم والتعظيم ، والإحكام أصله : اتقان الصنعة مشتق من الحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه فإحكام الآيات : سلامتها من الاختلال التي تعرض لنوعها كمخالفة الواقع ، والخلل في اللفظ أو في المعنى .

وآداب وأخلاق بما لا نظير له في أي كتاب سبق، وقوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي تولى تفصيلها حكيم خبير، حكيم في تدبيره وتصرفه، حكيم في شرعه وتربيته وحكمه وقضائه، خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه، فلا يكون كتابه ولا أحكامه ولا تفصيله إلا المثل الأعلى في كل ذلك.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير﴾ أي أنزل الكتاب وأحكم آيةً وفصّل أحكامه وأنواع هدايته بأن لا تعبدوا إلا الله إذ لا معبود حق إلا هو ولا عبادة تنفع إلا عبادته. وقوله: ﴿إني لكم منه نذير وبشير﴾ هذا قول رسوله المبلغ عنه يقول أيها الناس إني لكم منه أي من ربكم الحكيم العليم نذير بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا فتؤمنوا وتوحدوا. وبشير أي أبشر من آمن ووحد وعمل صالحاً بالجنة في الآخرة ﴿وأن استغفروا﴾^(١) ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾ أي وبأن تستغفروا ربكم باعترافكم بخطاكم بعبادة غيره، ثم تتوبوا إليه أي ترجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وطاعته في أمره ونهيه، ولكم جزاء على ذلك وهو أن يمتعكم في هذه الحياة متاعاً حسناً بالنعم الوفيرة والخيرات الكثيرة إلى نهاية آجالكم المسماة لكل واحد منكم. وقوله ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾^(٢) أي ويعط سبحانه وتعالى كل صاحب فضل في الدنيا من بر وصدقة وإحسان فضله تعالى يوم القيامة في دار الكرامة الجنة دار الأبرار. وقوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي تعرضوا عن هذه الدعوة فتبقوا على شرككم وكفركم ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو عذاب يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يخبرهم تعالى بعد أن أُنذِرهم عذاب يوم القيامة بأن مرجعهم إليه تعالى لا محالة فسوف يحييهم بعد موتهم ويجمعهم عنده ويجزيهم بعدله ورحمته ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك أحيائهم بعد موتهم ومجازاتهم السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها وهذا هو العدل والرحمة اللذان لا نظير لهما.

(١) فالباء سببية، وأن: تفسيرية، إذ لو سأل سائل فقال: لم أحكمت الآيات ثم فصلت؟ لكان الجواب: بأن لا يعبد إلا الله وأن يُستغفر وإن يتاب إليه تعالى.

(٢) إن قيل: لم قدم الاستغفار عن التوبة؟ فالجواب: بأن العبد لا يستغفر إلا إذا علم أنه أذنب، ولا يتوب العبد حتى يعلم أنه مذنب وعندها يتوب فهذا سرّ تقديم الاستغفار عن التوبة.

(٣) هذا كقوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ فالفضل الأوّل من العبد، وهو العمل الصالح، والفضل الثاني من الرّب وهو دخول الجنة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطأ رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول ﷺ، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفي نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل، وبعضهم يفعل ذلك بغضاً للرسول ﷺ حتى لا يراه فرد تعالى هذا بقوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يغطون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا معنى لاستغشاء الثياب استتاراً بها عن الله تعالى فإن الله يعلم سرهم وجههم ويعلم ما تخفي صدورهم وإن كانوا يفعلون ذلك بغضاً للنبي ﷺ، فبئس ما صنعوا وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله.
- ٢- بيان العلة في إنزال الكتاب وأحكام آيهِ وتفصيلها وهي أن يعبد الله تعالى وحده وأن يستغفره المشركون ثم يتوبون إليه ليكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة.
- ٣- وجوب التخلي عن الشرك أولاً، ثم العبادة الخالصة ثانياً.
- ٤- المعروف لا يضيع عند الله تعالى إذا كان صاحبه من أهل التوحيد ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾.

- ٥- بيان جهل المشركين الذين كانوا يستترون عن الله برؤوسهم وثيابهم^(٤).
- ٦- مرجع الناس إلى ربهم شاءوا أم أبوا والجزاء عادل ولا يهلك على الله إلا هالك.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه، ونزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنطق يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي له بقلبه على ما يسوء، وقيل نزلت في بعض المنافقين كان أحدهم إذا مر به الرسول ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه الرسول ﷺ فيدعوه إلى الإيمان.

(٢) لا مانع من توجيه الآية إلى هذا إذ مازال الناس إلى اليوم، إذا كرهوا الداعية إلى الله تعالى لا يحبون أن يروه أو يسمعوا صوته وقد يثنون صدورهم ويغطون وجوههم حتى لا يروه بغضاً له وكراً. والله عليم خبير.

(٣) الثني: الطي. طوى الثوب إذا ثناه، وهو مأخوذ من جعل الواحد اثنين.

(٤) أي: يغطون رؤوسهم على صدورهم ويغطون بثيابهم إذ روي أن المشرك كان يدخل بيته ويرخي الستر عليه، ويستغشي ثوبه ويحني ظهره ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي؟ وذلك لجهلهم بعظمة الله تعالى وقدرته وعلمه.

﴿٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
 وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ
 عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ
 إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى
 أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۖ أَلَا يَوْمُ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

من دابة :	أي حي يدب على الأرض أي يمشي من إنسان وحيوان .
مستقرها :	أي مكان استقرارها من الأرض .
ومستودعها :	أي مكان استيداعها قبل استقرارها كأصلاص الرجال وأرحام النساء .
في كتاب مبين :	أي اللوح المحفوظ .
في ستة أيام :	أي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .
وكان عرشه على الماء :	إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه ، والماء على الهواء .
ليبلوكم :	أي ليختبركم ليرى أيكم أحسن عملاً .
إلى أمة معدودة :	أي إلى طائفة من الزمن معدودة .
وحاق بهم :	أي نزل وأحاط بهم .

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى في الآية السابقة انه عليم بذات الصدور ذكر في هذه مظاهر علمه وقدرته تقريراً لما تضمنته الآية السابقة فقال عز وجل ﴿وما من دابة في الأرض﴾^(١) من إنسان يمشي على الأرض أو حيوان يمشي عليها زاحفاً أو يمشي على رجلين أو أكثر أو يطير في السماء إلا وقد تكفل الله برزقها أي بخلقه وإيجاده لها وبتعليمها كيف تطلبه وتحصل عليه، وهو تعالى يعلم كذلك مستقرها أي مكان استقرار تلك الدابة في الأرض، كما يعلم أيضاً مستودعها بعد موتها إلى أن تبعث ليوم القيامة.

وقوله تعالى ﴿كل في كتاب مبين﴾ أي من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها قد دون قبل خلقه في كتاب المقادير اللوح المحفوظ، وقوله تعالى في الآية (٧) ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ أي أوجد السموات السبع والأرض وما فيها في ظرف ستة أيام وجائز أن تكون كأيام الدنيا، وجائز أن تكون كالأيام التي عنده وهي ألف سنة لقوله في سورة الحج ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾ أي خلق العرش قبل خلق السموات والأرض، والعرش : سرير المُلْك ومنه يتم تدبير كل شيء في هذه الحياة، وقوله ﴿على الماء﴾ إذ لم يكن أرض ولا سماء فلم يكن إلا الماء كالهواء . وقوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ أي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم، ليختبركم أيكم أطوع له وأحسن عملاً أي بإخلاصه لله تعالى وحده ويفعله على نحو ما شرعه الله ويؤتيه رسوله .

هذه مظاهر علمه تعالى وقدرته وبها استوجب العبادة وحده دون سواه وبها عُلِمَ أنه لا يخفى عليه من أمر عباده شيء فكيف يحاول الجهلة إخفاء ما في صدورهم وما تقوم به جوارحهم بثني صدورهم واستغشاء ثيابهم . ألا ساء ما يعملون .

وقوله تعالى ﴿ولئن قلْتُ﴾ - أي أيها الرسول للمشركين - إنكم مبعوثون من بعد الموت،

(١) ﴿وما من دابة﴾ : ما : نافية، ومن : مزيدة لتقوية النفي ليكون أكثر شمولاً، والتقدير: وما دابة في الأرض إلا على الله رزقها أي : تكفل الله برزقها فضلاً منه ومنة .

(٢) روى البخاري في حديث منه : قوله ﷺ : (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) .

(٣) قال مقاتل : أيكم اتقى الله، وقال ابن عباس رضي الله عنه أيكم أعمل بطاعة الله عز وجل، وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ قال : أيكم أحسن عقلاً وأروع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله) ولو صح هذا الخبر لكان أنتم وأجمع، وقال الفضيل : أحسن العمل : أخلصه وأصوبه . وهو كما قال .

أي مخلوقون خلقاً جديداً ومبعوثون من قبوركم لمحاسبتكم ومجازاتكم بحسب أعمالكم في هذه الحياة الدنيا ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي عند سماع أخبار الحياة الثانية وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب مهين ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الكلام ما هو إلا سحر مبين يريد به صرف الناس عن ملذاتهم، وجمعهم حوله ليرأس عليهم ويخدموه، وهو كلام باطل وظن كاذب وهذا شأن الكافر، وقوله تعالى في الآية (٨) ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ أي ولئن أخرنا أي أرجأنا ما توعدناهم به من عذاب ألى أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام ﴿ليقولن ما يحبسهم﴾ أي شيء حبس العذاب يقولون هذا إنكاراً منهم واستخفافاً قال تعالى ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ أي ليس هناك من يصرفه ويدفعه عنهم بحال من الأحوال، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي ونزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون بقولهم: ما يحبسهم!!

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان.
- ٢- بيان خلق الأكوان، وعلة الخلق.
- ٣- تقرير مبدأ البعث الآخر بعد تقرير الألوهية لله تعالى.
- ٤- لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.

وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كُفُورًا ۖ وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ

(١) (إلى أمة): أي: إلى أجل محدود وحين معلوم، فالأمة هنا: المدة، ولفظ الأمة يطلق على معاني منها: الجماعة، وسميت مجموعة السنين أمة لاجتماعها. والأمة: أتباع أحد الأنبياء والأمة، الملة والدين، والأمة: الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به.

(٢) قيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنائير ودرهم من السماء؟ فقال: كأن ماله إلا السماء! يا هذا: الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد يقول:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ورأى هذا الخلق في العسر والبسر
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم وللضب في البيداء وللحوت في البحر

مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

أدقنا الإنسان	: أي أنلناه رحمة أي غنى وصحة .
ثم نزعناها منه	: أي سلبناها منه .
يؤوس كفور	: أي كثير اليأس أي القنوط شديد الكفر .
نعما بعد ضراء	: أي خيراً بعد شر .
السيئات	: جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب .
فرح فخور	: كثير الفرح والسرور والبطر .
صبروا	: أي على الضراء والمكاره .
مغفرة	: أي لذنوبهم .
وأجر كبير	: أي الجنة دار الأبرار .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الإنسان الذي لم يستتر بنور الإيمان ولم يتحل بصالح الأعمال إن أذاقه الله تعالى رحمة منه برخاء وسعة عيش وصحة بدن ، ثم نزعها منه لأمر أراده الله تعالى ﴿إنه﴾ أي ذلك الإنسان ﴿ليؤوس﴾ أي كثير اليأس والقنوط ﴿كفور﴾ لربه الذي أنعم عليه جحود لما كان قد أنعم به عليه .

وقوله ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء﴾ أي أذقناه طعم نعمة ولذاذة رخاء وسعة عيش وصحة بدن بعد ضراء كانت قد أصابته من فقر ومرض ﴿ليقولن﴾ بدل أن يحمد الله ويشكره على إسعاده بعد شقاء وإغوائه بعد فقر وصحة بعد مرض يقول متبجحاً ﴿ذهب السيئات عني﴾

(١) الإنسان هنا : اسم جنس يشمل كل انسان كافر، وإن قيل : إن الآية في كافر معين، وهو الوليد بن المغيرة، أو عبد الله بن أبي أمية، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) هو من باب : فعل يفعل يش يأس يأساً فهو أيس، وللمبالغة : يؤوس أي : كثير اليأس الذي هو : القنوط بانقطاع الرجاء، وجملة : ﴿إنه ليؤوس كفور﴾ : جواب القسم في قوله : ﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ الخ .

إنه لفرح ﴿أي كثير السرور﴾ ﴿فخور﴾ كثير الفخر والمباهاة، وهذا علته ظلمة النفس بسبب الكفر والمعاصي، أما الإنسان المؤمن المطيع لله ورسوله فعلى العكس من ذلك إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، وذلك لما في قلبه من نور الإيمان وفي نفسه من زكاة الأعمال.

هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ^(١) أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ عند ربهم وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- أن الإنسان قبل أن يظهر بالإيمان والعمل الصالح يكون في غاية الضعف والانحطاط النفسي.

٢- ذم اليأس والقنوط وحرمتها.

٣- ذم الفرح بالدنيا والفخر بها.

٤- بيان كمال المؤمن الروحي المتمثل في الصبر والشكر وبيان جزائه بالمغفرة والجنة.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ
وَضَاقَ بِهٖ صَدْرُكَ ۚ أَن يَقُولُوا ۖ لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ ۖ افْتَرَاهُ قُلُوبُنَا ۚ فَأَتُوا
بِأَعْيُنِنَا ۖ فَاذْكُرُوا ۖ يَوْمَ أَنْزَلْنَا
سُورَةَ الْاٰحْقَافِ ۚ فَكَفَّرْنَا بِهَا ۚ
وَأَدْعُوا ۖ مَن أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ۖ أَلْكُمُ ۖ فَاعْلَمُوا ۖ
أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

(١) يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدائد وهو استثناء من لفظ الإنسان الذي هو بمعنى الناس، فالاستثناء متصل وليس بمنقطع.

(٢) ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ مبتدأ وخبر، ﴿وأجر كبير﴾ أجر: معطوف وكبير: نعت.

(٣) لقول الله تعالى: ﴿إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

شرح الكلمات :

فلعلك : للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا يضق صدرك .

ضائق به صدرك : أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا .

كنز : مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك .

وكيل : أي رقيب حفيظ .

افتراه : اختلقه وكذبه .

من استطعتم : من قدرتم على دعائهم لإعانتكم .

فهل أنتم مسلمون : أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له .

معنى الآيات :

بعد أن كثرت مطالبة المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحول لهم جبال مكة ذهباً في اقتراحات منها لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾^(١) أي لا تتلوه على المشركين ولا تبلغهم إياه لتهاونهم به وإعراضهم عنه ﴿وضائق به صدرك﴾ أي بالقرآن، كراهة أن تواجههم به فيقولوا ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ أي مال كثير يعيش عليه فيدل ذلك على إرسال الله له ﴿أو جاء معه ملك﴾ يدعو بدعوته ويصدقها فيها ويشهد له بها فلا ينبغي أن يكون ذلك منك أي فبلغ ولا يضق صدرك ﴿إنما أنت نذير﴾ أي محذر عواقب الشرك والكفر والمعاصي ، والله الوكيل على كل شيء أي الرقيب الحفيظ أما أنت فليس عليك من ذلك شيء .

وقوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي بل يقولون افتراه أي افترى القرآن وقال من نفسه بدون ما أوحى إليه ، قل في الرد عليهم ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم﴾^(٢) دعوتهم لإعانتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أنني افتريته ، فإن لم تستطيعوا ولن

(١) ﴿فلعلك﴾ الخ كلام معناه : الاستفهام أي : هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألك؟ إذ ورد أنهم قالوا له : لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك .

(٢) أي : هلا فهي للتحضيض وليست للامتناع .

(٣) القصص هنا إضافي إذ معناه أنه مقصور على الإنذار وليس عليه هداية القلوب .

(٤) أي : كالكةنة والأعوان والأصنام إذ يعتقدون أنها تنصرهم وتدفع عنهم وإلا لما عبدوها مع الله تعالى .

تستطيعوا فتوبوا إلى ربكم وأسلموا له .

وقوله ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي قل لهم يارسولنا فإن لم يستجب لنصرتكم من دعوتهم وعجزتم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي أنزل القرآن متلبساً بعلم الله وذلك أقوى برهان على أنه وحيه وتنزيله ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي وأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه، وأخيراً ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي أسلموا بعد قيام الحجة عليكم بعجزكم، وذلك خير لكم .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان ولاية الله لرسوله وتسديده له وتأييده .
- ٢- بيان ما كان عليه المشركون من عناد في الحق ومكابرة .
- ٣- بيان أن الرسول ﷺ لَمْ يَكْلَفْ هداية الناس وإنما كلف إنذارهم عاقبة كفرهم وعصيانهم ، وعلى الله تعالى بعد ذلك مجازاتهم .
- ٤- تحدي الله تعالى منكري النبوة والتوحيد بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن فعجزوا وقامت عليهم الحجة وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله وأن الله لا إله إلا هو .

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ

﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ

مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ

عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ

مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ^(١)

(١) الاستجابة هنا : بمعنى الإجابة والسين والتاء فيه للتأكيد .

(٢) العلم : الاعتقاد اليقيني ، أي : فأيقنوا أن القرآن ما أنزل إلا بعلم الله أي : ملاسماً له .

(٣) معطوف على جملة : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي : واعلموا أيضاً موقنين أنه لا إله إلا الله . حيث قامت الحجة عليهم بعجز آلهم عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن .

(٤) روى مسلم أن النبي ﷺ قال : والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار .

مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَأَرُّ مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنَ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

زينة الحياة الدنيا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب .

توف إليهم : نعطيهم نتائج أعمالهم وافيًا .

لا يبخسون : أي لا ينقصون ثمرة أعمالهم .

وحبط : أي بطل وفسد .

على بيته من ربه : أي على علم يقيني .

ويتلوه شاهد منه : أي يتبعه .

كتاب موسى : أي التوراة .

ومن يكفر به : أي بالقرآن .

فالتار موعده : أي مكان وعده به فهو لا محالة نازل به .

في مرية منه : أي في شك منه .

معنى الآيات :

لما أقام الله تعالى الحجة على المكذبين بعجزهم عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن
مفتريات حيث ادعوا أن القرآن مفترى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد افتراه ولم يبق
إلا أن يختار المرء أحد الطريقين طريق الدنيا أو الآخرة الجنة أو النار فقال تعالى ﴿من
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ من مال وولد وجاه وسلطان وفاخر اللباس والرياش .

﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ نعطيهم نتائج عملهم فيها وافيًا غير منقوص فعلى قدر جهدهم
وكسبهم فيها يعطون ولا يبخسهم عملهم لكفرهم وتركهم ، ثم هم بعد ذلك إن لم يتوبوا

(١) أي : ممن رفضوا الإسلام وأبوه بعد قيام الحجة على بطلان ما هم عليه من الكفر ورضوا بالكفر بإرادة الحياة الدنيا .

(٢) التوفية : إعطاء الشيء وافيًا ، وعُدي نوف : بإلى لأنه مضمن معنى : نوصل .

(٣) لفظ ﴿أعمالهم﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية فالأعمال الخيرية كصلة الرحم ، وقرى الضيف ، والإحسان
إلى الفقراء والمساكين ، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا : بركة في ماله وولده وحياته ، وأمّا الأعمال الدنيوية
كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفى قدر جهده فيها ، فبقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والانتاج فكفره
لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه .

إلى ربهم . هلكوا كافرين ليس لهم إلا النار ﴿وَحَبِطْ مَا صَنَعُوا﴾^(١) في هذه الدار من أعمال وبطل ما كانوا يعملون .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٥) والثانية (١٦) وهو قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٧) ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) بما أوحى إليه من القرآن وما حواه من الأدلة والبراهين على توحيد الله ونبوة رسوله ، وعلى المعاد الآخر ، وقوله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي ويتبع ذلك الدليل دليل آخر وهو لسان الصدق الذي ينطق به وكمالاته الخُلُقِيَّةُ والروحِيَّةُ حيث نظر إليه اعرابي فقال والله ما هو بوجه كذاب ، ودليل ثالث في قوله ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ لَهُ فِي التَّوْرَةِ﴾^(٣) إماماً ورحمة ﴿شَاهِدٌ لَهُ﴾ حيث حمل نعوت الرسول وصفاته ونعوت أمته وصفاتها في غير موضع منه أفمن هو على هذه البينات والدلائل والبراهين من صحة دينه ، كمن لا دليل له ولا برهان إلا التقليد للضلال والمشركين ، وقوله ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي أولئك الذين ثبتت لديهم تلك البينات والحجج والبراهين ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بالقرآن الحق والنبي الحق والدين الحق . وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ونبيه ودينه من الأحزاب^(٤) أي من سائر الطوائف والأمم والشعوب فالنار موعده ، وحسبه جهنم وبئس المصير^(٥) .

وقوله تعالى ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾^(٦) أي فلا تك في شك منه أي في أن موعد من يكفر به من الأحزاب النار . وقوله ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن الذي كذب به المكذبون وما تضمنه من الوعد والوعيد ، والدين الحق كل ذلك هو الحق الثابت من ربك ، إلا أن ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧) وإن ظهرت الأدلة ولاحت الأعلام وقويت البراهين .

(١) أعمال الكفار في الدنيا خيرية كانت أو دنوية تذهب في الدار الآخرة هباء كقوله تعالى : ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ .

(٢) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافاً كثيراً ، وقد اخترنا في التفسير عودها إلى النبي ﷺ ولا مانع من عودها على كل مؤمن صادق الإيمان ، بقرينة الخبر وهو قوله : ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لما شاهدوا الحجج والبراهين .

(٣) أظهرهم : المشركون واليهود ، والنصارى والصابئة والمجوس .

(٤) لأنهم لم يركبوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح فلذا فلا مأوى لهم إلا النار .

(٥) الخطاب للنبي ﷺ ولكل مؤمن أي : لا يشك مؤمن في أن القرآن حق وأن ما أخبر به عن الكافرين من أن مأواهم النار حق .

(٦) جملة : ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ مستأنفة مؤكدة لجملة : ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ .

(٧) لما سبق في علم الله وما قضى به قوله : ﴿لَا مَلَأَنَ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان حقيقة وهي أن الكفر غير مانع من أن ينتج الكافر بحسب جهده من كسب يده فيحصل إذ زرع، ويربح إذا اتجر، وينتج إذا صنع .
- ٢- بيان أن الكافر لا ينتفع من عمله في الدنيا ولو كان صالحاً وأن الخسران لازم له .
- ٣- المسلمون على بينة من دينهم، وسائر أهل الأديان الأخرى لا بينة لهم وهم في ظلام التقليد وضلال الكفر والجهل .
- ٥- بيان سنة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون .

وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ
 عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
 رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾
 أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً : أي لا أحد فالاستفهام للنفي .
 يعرضون على ربهم : أي يوم القيامة .
 الأشهاد : جمع شاهد وهم هنا الملائكة .
 لعنة الله : أي طرده وإبعاده .
 على الظالمين : أي المشركين .

سبيل الله

: أي الإسلام .

عوجاً

: أي معوجة .

معجزين في الأرض

: أي الله عز وجل أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في
آية لحظة .

من أولياء

: أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله .

وماكانوا يبصرون

: ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه، ولا
رؤيته .

معنى الآيات :

بعد أن قرر تعالى مصير المكذبين بالقرآن ومن نزل عليه وما نزل به من الشرائع ذكر نوعاً من إجرام المجرمين الذين استوجبوا به النار فقال عز وجل ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد في الناس أعظم ظلماً من أحد افترى على الله كذباً ما من أنواع الكذب وإن قل وقوله ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ أي أولئك الكذبة يعرضون يوم القيامة على ربهم جل جلاله في عرصات القيامة، ويقول الأشهاد من الملائكة شاهدين عليهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ثم يُعْلَنُ مُعْلِنٌ قَائلاً ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ أي ألا بعداً لهم من الجنة وطرذاً لهم منها إلى نار جهنم .^(١)

ثم وضع تعالى نوع جنایاتهم التي استوجبوا بها النار فقال ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الدين الإسلامي ، ﴿ويبغونها﴾ أي سبيل الله ﴿عوجاً﴾ أي معوجة كما يهوون ويشتهون فهم يريدون الإسلام أن يبيح لهم المحرمات من الربا والزنى والسفور، ويريدون من الإسلام أن يأذن لهم في عبادة القبور والأشجار والأحجار إلى غير ذلك، ويضاف إلى هذا ذنب أعظم وهو كفرهم بالدار الآخرة . قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي المذكورون ﴿لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ أي لم يكن من شأنهم

(١) من أنواع كذبهم على الله تعالى : زعمهم أن له شريكاً وولداً، وقولهم في الأصنام هؤلاء شفعائنا عند الله، وتحريمهم ما أحل الله ونسبة ذلك إليه تعالى .

(٢) ومن الأشهاد : الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالى لعباده وفي صحيح مسلم : (وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) .

(٣) لعنة الله : أي : بعده وسخطه وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها .

(٤) يجوز أن يكون : ﴿الذين﴾ مجروراً لمحل نعتاً للظالمين، ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر، والمبتدأ محذوف . أي : هم الذين يصدون .

ومهما رأوا أنفسهم أقوياء أن يعجزوا الله تعالى في الأرض فإنه مدرّكهم مهما حاولوا الهرب^(١) ومنزل بهم عذابه متى أراد ذلك لهم ، وليس لهم من دون الله من أولياء أي أنصار يمتنعونهم من العذاب متى أنزله بهم ، وقوله تعالى ﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار منه بأن هؤلاء الظالمين يضاعف لهم العذاب يوم القيامة لأنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله فيعذبون بصددهم أنفسهم عن الإسلام ، وبصد غيرهم عنه ، وهذا هو العدل وقوله تعالى فيهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ إخبار بحالهم في الدنيا إنهم كانوا لشدة كراهيتهم للحق ولأهله من الداعين إليه لا يستطيعون سماعه ولا رؤيته ولا رؤية أهله القائمين عليه والداعين إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- عظم ذنب من يكذب على الله تعالى بنسبة الولد أو الشريك إليه أو بالقول عليه بدون علم منه .
- ٢- عظم جرم من يصد عن الإسلام بلسانه أو بحاله ، أو سلطانه .
- ٣- عظم ذنب من يريد إخضاع الشريعة الإسلامية لهواه وشهواته بالتأويلات الباطلة والفتاوى غير المسؤولة ممن باعوا آخرتهم بدنياههم .
- ٤- بيان أن من كره قولاً أو شخصاً لا يستطيع رؤيته ولا سماعه^(٣) .

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه : لم يعجزوني أن أمر الأرض فتتخسف بهم ، وفي سورة سبأ ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ .

(٢) ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ . قال القرطبي ما : في موضع نصب على أن يكون المعنى بما كانوا يستطيعون السمع . يُريد أن الباء المحذوفة سببية أي : يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ بسبب أنهم كانوا لا يستطيعون السمع لما ران على قلوبهم من الأثام فحجب الإثم أسماعهم وأبصارهم ، وفي المثل : حَبَكَ الشَّيْءُ يَعْمي ويصم ، فحبهم للكفر والشرك والأثام عطل حواسهم .

(٣) أقول : ما كنت أدرك المعنى الحقيقي لقوله تعالى : ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ حتى كان صوت العرب على عهد بطل الاشتراكية «عبد الناصر» وأخذ يسب ويشتم ويعير ويقبح سلوك كل من لم يوال الاشتراكيين فكنت - والله - لا أستطيع سماع ما يذيعه ، وثُمَّ فهمت معنى الآية على حقيقته .

الصَّلَاحَتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
 وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۖ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونه من شركاء الله تعالى .
 لَا جَرَمَ : أي حقاً وصدقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون .
 وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته .
 مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين .
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ : أي تتعظون ، فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه . ؟

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحديد المجرمين وبيان حالهم في الآخرة فقال تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث استقروا في دار الشقاء فخسروا كل شيء حتى أنفسهم ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي وغاب عنهم ما كانوا يزعمون أن لهم شُرَكَاء ، وأنهم يشفعون لهم وينصرونهم قال تعالى : ﴿لا جرم﴾ ^(١) أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة﴾ أي في دار الآخرة ﴿هم الأخسرون﴾ أي الأكثر خسراً من غيرهم لأنهم أضافوا إلى جريمة كفرهم جريمة تكفير غيرهم ممن كانوا يدعونهم إلى الضلال ، ويصدونهم عن الإسلام سبيل الهدى والنجاة من النار . ولما ذكر تعالى حال الكافرين وما انتهوا إليه من خسران . ذكر تعالى حال المؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ^(٢) أي آمنوا بالله وبوعده ووعيده . وآمنوا برسول الله وبما جاء به ، وعملوا الصالحات التي شرعها الله

(١) ﴿لا جرم﴾ كلمة : جزم ويقين ، واختلف في تركيبها وأظهر أقوالهم فيها : أن تكون لا : حرف نفي ، وجزم : بمعنى محالة . ويصح معنى الكلمة . لا محالة أو : لا بد أن يكون كذا وكذا ، أو لتفسر بحقاً ، ولا محالة ولا بد ، إذ جزم مأخوذ من الجرم الذي هو القطع .

(٢) الموصول : اسم إن ، وآمنوا : صلة ﴿وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ معطوفان على الاسم ، والخبر : ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ وجملة ﴿هم فيها خالدون﴾ جملة بيانية أي مبينة لحال أهل الجنة .

تعالى لهم من صلاة وزكاة ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي أسلموا له وجوههم وقلوبهم وانقادوا له بجوارحهم فطامنوا وخشعوا أولئك أي السامون أصحاب الجنة أي أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي لا يبرحون منها ولا يتحولون عنها، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (٢٤) وهي قوله تعالى ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾^(١) والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلاً؟ فقد ذكر تعالى مقارنة بين أهل الشرك وأهل التوحيد توضيحاً للمعنى وتقريباً للحكم فقال ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي صفة الفريقين الموضحة لهما هي كالأعمى والأصم وهذا فريق الكفر والظلم والسميع والبصير. وهذا فريق أهل الإيمان والتوحيد فهل يستويان مثلاً أي صفة الجواب لا، لأن بين الأعمى والبصير تبايناً كما بين الأصم والسميع تبايناً فأى عاقل يرضى أن يكون العمى والصمم وصفاً له ولا يكون البصر والسمع وصفاً له؟ والجواب لا أحد إذا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفلا تتعظون بهذا المثل وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وتوحدا وتؤمنوا برسوله وتتبعوه، وبكتابه وتعملوا بما فيه؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- استحسان المقارنات بين الأشياء المتضادة للعبارة والاتعاظ.
- ٢- الكافر ميت موتاً معنوياً فلذا هو لا يسمع ولا يبصر، والمسلم حيٌ فلذا هو سميع بصير.
- ٣- بيان ورثة دار النعيم وهم أهل الإيمان والطاعة، وورثة دار الخسران وهم أهل الكفر والظلم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
 أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
 ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا
 مِّثْلُنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ

(١) فريق الإيمان، وفريق الكفر والشرك.

(٢) المثل الذي كشف الحقيقة وبيّن أن الكفار عمى صم، وأن المؤمنين يبصرون ويسمعون، فأى عاقل يرضى أسوأ الوصفين؟!

الرَّأْيَ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ



شرح الكلمات :

- نوحاً : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح عليه السلام .
 إني لكم نذير مبين : أي مخوف لكم من عذاب الله بَيْنُ النذارة .
 عذاب يوم أليم : هو عذابه يوم القيامة .
 الملاً^(١) : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد .
 أراذلنا : جمع أرذل وهو الأكبر خسة ودناءة .
 بادي الرأي : أي ظاهر الرأي ، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة نوح عليه السلام وهي بداية لخمس قصص^(١) جاءت في هذه السورة سورة هود عليه السلام قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً^(٢) إلى قومه إني لكم نذير^(٣) مبين ﴾ أي قال لهم إني لكم نذير مبين أي بين النذارة أي أخوفكم عاقبة كفركم بالله وبرسوله وشرككم في عبادة ربكم الأوثان والأصنام . وقوله ﴿ أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ أي نذير لكم بأن لا تعبدوا إلا الله ، وتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان وقوله ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ علل لهم أمرهم بالتوحيد ونهيههم عن الشرك بأنه يخاف عليهم إن أصروا على كفرهم وتركهم عذاب يوم أليم وهو عذاب يوم القيامة ﴿ فقال الملاً الذين كفروا من قومه ﴾ أي فرد على نوح ملاً قومه أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم ممن كفروا بالله ورسوله فقالوا ﴿ ما نراك إلا بشراً مثلاً ﴾^(٤) أي لا فضل لك علينا فكيف تكون رسولاً لنا ونحن مثلك هذا

(١) الأردل : اسم تفضيل والمفضل عنه يقال له : رذل ككلب ويجمع على أرذل كأكلب .

(٢) هذا العطف من باب عطف قصة على قصة : الواو : تسمى الواو الابتدائية .

(٣) كُسرت : إِنَّ لأن الإرسال فيه معنى القول وإن تكسر بعد القول .

(٤) القصة : بكسر القاف والجمع : قصص كحجة وحجج : الخبر يروى وتُتَبَّعُ أجزاؤه بعناية ، والقصص بفتح القاف : مصدر قص الحديث يقصه قصاً .

(٥) هذه الجملة مفسرة لجملة ﴿ أرسلنا نوحاً ﴾ أو لقوله : ﴿ إني لكم نذير مبين ﴾ .

(٦) وجائز أن يكون ﴿ عذاب يوم أليم ﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان .

(٧) مثلاً : منصوب على الحال .

أولاً وثانياً ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي سفلتنا من أهل المهن المحترقة كالحياسة والحجامة والجزارة ونحوها وقولهم بادي الرأي أي ظاهر الرأي لاعمق في التفكير ولا سلامة في التصور عندك وقولهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أي وما نرى لكم علينا من أي فضل تستحقون به أن نصبح أتباعاً لكم فترك ديننا وتبعكم على دينكم بل نظنكم كاذبين فيما تقولون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إن نوحاً واسمه عبد الغفار أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن أشركوا بربهم وعبدوا غيره من الأوثان والآلهة الباطلة .
- ٢- قوله أن لا تعبدوا إلا الله هو معنى لا إله إلا الله
- ٣- التذكير بعذاب يوم القيامة .
- ٤- اتباع الرسل هم الفقراء والضعفاء وخصومتهم الأغنياء والأشراف والكبراء .
- ٥- احتقار أهل الكبر لمن دونهم . وفي الحديث «الكبر بطر الحق وغمط الناس» .

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَنِينٍ مِّن رَّبِّي وَعَٰئِنِّي رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُمْ لَكُمُوهَا وَأَنشَأْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا
أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلْكُؤَارِيهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا

(١) قال القرطبي : اختلف في السفلة فقيل : هم الذين يتقلسون ويأتون أبواب القضاة والسلاطين يطلبون الشهادات ، وقال مالك : السفلة : الذين يسبون الصحابة . وقال آخر : الذين يأكلون على حساب دينهم .

(٢) ومنه البادية وهي الأراضي الظاهرة لا تحوطها مبان ولا بساتين ولا مصانع .

(٣) الحديث في الصحيح فقد قال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) فمثل عن الكبر فقال : الكبر : بطر الحق وغمط الناس) واطر الحق : عدم قبوله ، وغمط الناس : احتقارهم .

أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
 أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
 لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات:

أرأيتم	: أي أخبروني .
على بينة من ربي	: أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله .
فعميت عليكم	: أي خفيت عليكم فلم تروها .
أنلزمكموها	: أي أجبركم على قبولها .
بطارد الذين آمنوا	: أي بمبعدهم عني ومن حولي .
خزائن الله	: التي فيها الفضل والمال .
تزدري أعينكم	: تحتقر أعينكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة نوح مع قومه فأخبر تعالى أن نوحاً قال لقومه أرأيتم أي أخبروني إن كنت على بينة من ربي أي على علم يقيني تعالى وبصفاته وبما أمرني به من عبادته وتوحيده والدعوة إلى ذلك . وقوله ﴿وأتاني رحمة من عنده﴾ وهي الوحي والنبوة والتوفيق لعبادته . ﴿فعميت عليكم﴾ أنتم فلم تروها . فماذا أصنع معكم ﴿أنلزمكموها﴾ أي أنجبركم أنا ومن آمن بي على رؤيتها والإيمان بها والعمل بهداها ، ﴿وانتم لها كارهون﴾ أي والحال أنكم كارهون لها والكاره للشيء لا يكاد يراه ولا يسمعه ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٧) أما الآية الثانية فإن الله تعالى يخبر أيضاً عن قيل نوح لقومه : ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالا﴾ أي لا أطلب منكم أجراً على ابلاغكم هذه الرحمة التي عميت عليكم فلم تروها . ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي ما أجري إلا على الله إذ هو الذي كلفني

(١) قرئ: ﴿عميت﴾ بتشديد الميم، وقرأ ورش بتخفيفها، ومعناه: إن الرسالة عميت عليكم فلم تفهموها. يقال: عميت عن كذا، وعمي عليّ كذا: أي: لم أفهمه.

(٢) ﴿أنلزمكموها﴾ أي: الرحمة التي هي عبادة الله وحده وترك عبادة سواه والاستفهام انكاري. أي: ما كان لي ذلك والحال أنكم كارهون لها.

(٣) قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه. ولكنه لم يملك ذلك.

بالعمل بها والدعوة إليها وواعدني بالأجر عليها. وقوله ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ أي وما أنا بمطيعكم في طرد المؤمنين من حولي كما اقترحتم عليّ، إنهم ملاقور بهم، ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم فكيف يصح مني ابعادهم عن سماع الحق وتعلمه والأخذ به ليكملوا ويسعدوا إذ العبرة بزكاة النفوس وطهارة الأرواح بواسطة الإيمان والعمل الصالح لا بالشرف والمال والجاه كما تتصورون ولذا فأنّي أراكم قوما تجهلون هذا ما دلت عليه الآية الثانية (٢٨) ثم قال لهم في الآية الثالثة ﴿وياقوم من ينصرني﴾ من الله إن طردتهم ﴿أي من هو الذي يرد عني عذاب الله ويمنعني منه إن أنا عصيته فطردت أي أقصيت وأبعدت عباده المؤمنين عن سماع الهدى وتعلم الخير ولا علة لذلك إلا لأنهم فقراء ضعفاء تزدريهم أعينكم المريضة التي لا تقدر على رؤية الحق وأهله والداعين إليه. ثم قال لهم ﴿أفلا تذكرون﴾ أي تفكرون فتعلمون خطاكم وجهلكم فتشربوا إلى رشدكم. وتنبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وبرسوله وتعبده وحده لا شريك له ثم قال لهم في الآية الأخيرة (٣١) ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ ردا على قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ﴿ولا أعلم الغيب فأعرف ما تخفيه صدور الناس﴾ فأطرد هذا وأبقي هذا، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلاً ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ لفقرهم وضعفهم ﴿لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم﴾ أي من صدق أو نفاق ومن حب لي أو بغض كأنهم طعنوا في المؤمنين واتهموهم بأنهم ينافقون أولهم أغراض فاسدة أو أطماع مادية من أجلها التفوا حول نوح، وقوله ﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾ أي إني إذا قلت للمؤمنين من الضعفاء لن يؤتيكم الله خيراً كنت بعد ذلك من الظالمين الذين يعتدون على الناس بهضمهم حقوقهم وامتهان كرامتهم.

هداية الآيات :

- (١) أي: مَنْ يرد عني عذابه إن استوجبه بطرد عباده المؤمنين؟ والجواب: لا أحد فكيف إذا يسوغ لي أن أطردهم كما ترغبون.
- (٢) ﴿أفلا تذكرون﴾ قرئ: تذكرون بحذف إحدى التائين وقرئ تذكرون: بتشديد الذال، بادغام إحدى التائين في الأخرى. والاستفهام للإنكار أي: ينكر عليهم غفلتهم وجهلهم وعدم تذكركم ليتعظوا.
- (٣) أخبر عليه السلام بتدليله وتواضعه لربه عز وجل فنفى عن نفسه القدرة على امتلاك خزائن الفضل والمال كما نفى عن نفسه علم الغيب وأن يكون ملكاً من الملائكة.
- (٤) أي: تحقر أعينكم. والأصل: تزدريهم، حذفت الهاء والميم لطول الاسم، والازدراء: افتعال من الزري الذي هو الاحتقار، والصاق العيب فالازدراء أصله الازتراء فقلت فيه التاء دالاً فصار: الازدراء كما قلت في: الازدياد.
- (٥) في قوله: ﴿من الظالمين﴾: تعريض بقومه، فوصفهم بالظلم من حيث لا يشعرون.

من هداية الآيات :

- (١) كُرهُ الشيء يجعل صاحبه لا يراه ولا يسمعه ولا يفهم ما يقال له فيه .
- (٢) كراهية أخذ الأجرة على الدعوة والتربية والتعليم الديني .
- (٣) وجوب احترام الضعفاء وإكرامهم وحرمة احتقارهم وازدراؤهم .
- (٤) علم الغيب استأثر الله تعالى به دون سائر خلقه إلا من علمه الله شيئاً منه فإنه يعلمه .
- (٥) حرمة غمط الناس وازدراؤهم والسخرية منهم

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

- جادلتنا : أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما نحن عليه .
- بما تعدنا : أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعوننا إليه .
- إن كنت من الصادقين : أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله عز وجل .
- بمعجزين : أي بغالبين ولا فائتين الله تعالى متى أراد الله عذابكم .
- نصحي : أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم على الكفر به وبلقائه ورسوله .
- أن يغويكم : أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة نوح عليه السلام مع قومه فأخبر تعالى عن قول قوم نوح له عليه

السلام : فقال : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا^(١)﴾ أي خاصمتنا وأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أي فعجل العذاب وأنزله علينا إن كنت من الصادقين فيما تقول وتدعو وتعد . فأخبر تعالى عن قول نوح لهم ردا على مقالتهم وهو ما علمه ربه تعالى أن يقول : ﴿قُلْ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أي بالعذاب الله إن شاء ذلك . ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي فائتين الله ولا هاربين منه . وقوله : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي إن نصحي لا ينفعكم بمعنى أنكم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم وما أنتم عليه من عناد وكفر ومجادلة ومكابرة إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل الأولى بهم الضلالة حتى يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة . وقوله تعالى : ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي فالأمر له أستم عبيده وهو ربكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم وإن كانت حكمته تنفي أن يعذب الصالحين ويرحم الغواة الظالمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الجدال لإحقاق الحق وإبطال الباطل . بشرط الأسلوب الحسن .
- ٢- إرادة الله تعالى قبل كل إرادة وما شاءه الله يكون وما لم يشأه لم يكن .
- ٣- لا ينفع نصح الناصحين ما لم يرد الله الخير للمنصوح له .
- ٤- ينبغي عدم إصدار حكم على عبد لم يمت فيعرف بالموت مآله . إلا قول الله أعلم به .

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ^ط

قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْحَرُمُونَ ﴿٢٥﴾

(١) ﴿جادلنا﴾ أي : خاصمتنا فأكثر خصومتنا وبالغت فيها ، والجدل في لغة العرب : المبالغة في الخصومة . مأخوذ من الجدل : الذي هو شدة القتال ، وقالوا في الصقر أجدل : لشدة في الطيران .
(٢) فيه الرد على بطلان مذهب المعتزلة ، والقدرية إذ زعموا أن الله لا يريد . أن يعصي العاصي ولا أن يكفر الكافر ولا أن يغوي الغاوي وتجاهلوا أنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد ، ولا يقع شيء إلا بإذنه فهو الهادي لمن شاء هدايته ، والمضل لمن شاء إضلاله . ولكن كلاً من هدايته وإضلاله يتمان حسب سنته في الهداية والإضلال فلا يظلم ربك أحداً .
(٣) ومن فسر ﴿أن يغويكم﴾ : يهلككم : أراد أن الهلاك سبب للإغواء ، فمن أغواه أهلكه ، إذ لا يهلك إلا الغاوي .

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ
 فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
 وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
 مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
 مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

وأوحى إلى نوح : أي اعلم بطريق الوحي الذي هو الاعلام السريع

الخفي .

فلا تبتئس

: لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم .

الفلك

: أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها .

سخرها منه

: أي استهزئوا به كقولهم : تحمل هذا الفلك إلى البحر أو

تحمل البحر إليه .

يخزيه

: أي يذله ويهينه .

ويحل عليه عذاب مقيم

: أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه .

معنى الآيات :

عاد السياق بعد الاعتراض بالآية (٣٥) إلى الحديث عن نوح وقومه فقال تعالى ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ . وهذا بعد دعوة دامت قرابة ألف سنة إلا

(١) «أنه» في موضع رفع نائب فاعل لأوحى أي : أوحى إلى نوح عدم إيمان قومه ومعنى الكلام : الإياس من إيمانهم ، واستدامة كفرهم تحقيقاً للوعيد بنزول العذاب بهم .

(٢) روي أن رجلاً من قوم نوح مر بنوح وهو يحمل طفله فلما رأى الطفل نوحاً قال لأبيه ناولني حجراً فناوله إياها فرمى بها نوحاً فأدماه ، فأوحى الله تعالى إلى نوح : «أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . . .»

خمسين عاما أي فلم يؤمن بعد اليوم أحد من قومك وعليه فلا تبتش^(١) أي لا تغتم ولا تحزن بسبب ما كانوا يفعلون من الشر والفساد والكفر والمعاصي فإني منجيك ومن معك من المؤمنين ومهلكهم بالغرق. وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٧) ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ أي وأمرناه أن يصنع الفلك أي السفينة تحت بصرنا ويتوجيهنا وتعليمنا. إذ لم يكن يعرف السفن ولا كيفية صنعها وقوله ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي لا تسألني لهم صرف العذاب ولا تشفع لهم في تخفيفه عليهم، لأننا قضينا بإهلاكهم بالطوفان فهم لا محالة مغرقون قوله تعالى ﴿ويصنع الفلك﴾ وكلما مر عليه ملاً من قومه سخرؤا منه ﴿يخبر تعالى عن حال نوح وهو يصنع الفلك بقطع الخشب ونجده وتركيبه وقومه يَمرون عليه وكلما مرَّ عليه أشراف القوم وعليتهم يسخرون منه كقولهم يا نوح أصبحت نجاراً أو وهل تنقل البحر إليها، أو تنقلها إلى البحر فيرد عليهم نوح عليه السلام بقوله ﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ أي منا. فسوف تعلمون أي مستقبلاً من يأتيه عذاب يخزيه أي يذله ويهينه ويكسر أنف كبريائه، ويحل عليه عذاب مقيم وهو عذاب النار يوم القيامة وهو عذاب دائم لا ينتهي أبداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- كراهية الحزن والأسى والأسف على ما يقوم به أهل الباطل والشر والفساد.
- ٢- بيان تاريخ صنع السفن وانها بتعليم الله لنوح عليه السلام.
- ٣- بيان سنة البشر في الاستهزاء والسخرية بأهل الحق ودعائه لظلمة نفوسهم بالكفر والمعاصي.
- ٤- بيان صدق وعد الله رسله.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا

(١) الابتئاس : افتعال من البؤس الذي هو الهم والحزن. قال الشاعر:

وكم من خليل أو حميم رزأته فلم أبشس والرزء فيه جليل

(٢) اختلفت الأقوال في مدة صنع السفينة، أكثرها أنها : أربعون سنة. وجائز أن تكون أكثر، لأن عمل فرد واحد في صنع سفينة يتطلب وقتاً طويلاً أما حجمها فيدل على كبره ما حمل فيها، إذ حمل فيها كل مؤمن ومؤمنة ومن كل زوجين اثنين، فحجمها لا شك أنه واسع كبير، وقيل : كانت السفينة ثلاث طبقات : السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطيور. والله أعلم، والحديث عن طول السفينة وعرضها ومادتها كله من باب علم لا ينفع وجهالة لا تضر.

(٣) أي : يجب عليه وينزل به.

مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 وَمَنْ أَمِنَ وَمَاءً آمِنَ مَعَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا
 فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرسِئُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
 تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
 فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
 قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
 الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَجَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
 مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ
 أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
 بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

فار التنور	: أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.
زوجين اثنين	: أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.
وأهلك	: أي زوجتك وأولادك.
مجرىها ومرساها	: أي اجراؤها وإرساؤها.
في موج كالجبال	: الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.
يعصمني من الماء	: يمينني من الماء أن يغرقني.
وغيض الماء	: أي نقص بنضوبه في الأرض.
على الجودي	: أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.
بعدا للقوم الظالمين	: أي هلاكا لهم.

شرح الكلمات :

- أم يقولون : أي بل يقولون افتراه .
 افتراه : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه .
 فعلى اجرامي^(١) : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجمام تعود علي لا على غيري .
 وأنا بريء : أي أتبرأ وأتصل من إجرامكم فلا أتحمل مسؤوليته .
 مما تجرمون : أي على أنفسكم بإفسادها بالشرك والكفر والعصيان .

معنى الآية :

هذه الآية الكريمة أوقعها الله مُنزلها سبحانه وتعالى بين أجزاء الحديث عن نوح وقومه ، وحسن موقعها هنا لأن الحديث عن نوح وقومه لا يتأتى لأحد إلا لنبي يوحى إليه ، وذلك لبعده في التاريخ فَقَصَّ النبي له اليوم دليل على أنه نبي يُوحى إليه ، فلذا قال أم يقولون افتراه^(٢) أي يقولون افتري القرآن وكذبه ولم يوح إليه قل إن افتريته كما زعمتم فعلى إجرامي أي أثم كذبي وأنا بريء مما تجرمون أنتم بتكذيبكم إياي وكفركم بربكم ورسوله ووعدته ووعيده .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- جواز الاعتراض في الكلام إذا حسن موقعه لإقامته حجة أو إبطال باطل أو تنبيه على أمر مهم .
- ٢- قص القصص أكبر دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة ودعوته إلى الله تعالى .
- ٣- تقرير مبدأ تحمل كل إنسان مسؤولية عمله وأن لا تزر وازرة وزر أخرى .

(١) الإجمام : مصدر أجم يجرم إجراماً : إذا اقترف السيئات وجرم الثلاثي كاجرم الرباعي ، قال الشاعر وهو أحد لصوص بني سعد :

طريد عشيرة ورهين جرم بما جرمت يدي وجنى لساني

(٢) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو : أن المراد بمن يقول افتراه : النبي ﷺ . والآية معترضة أحاديث قصة نوح وذهب بعضهم نقلاً عن ابن عباس أنها من محاوره نوح عليه السلام مع قومه : واستظهروها من أجل السياق السابق واللاحق والله أعلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ أي واصل صنع السفينة حتى إذا جاء أمرنا أي بإهلاك المشركين، وفار التنور أي خرج الماء من داخل التنور وفار وتلك علامة بداية الطوفان فاحمل فيها أي في السفينة التي صنعت من كل زوجين^(١) اثنين أي من كل نوع من أنواع الحيوانات زوجين أي ذكراً وأنثى . وأهلك أي واحمل أهلك من زوجة وولد كسام وحام ويافث إلا من سبق عليه القول أي بالإهلاك كامراته واعلة وولده كنعان . ومن آمن أي واحمل من آمن من سائر الناس ، ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ أي نحو من ثمانين رجلاً وامرأة هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٠) أما الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن نوحاً قال لجماعة المؤمنين ﴿اركبوا فيها﴾ أي في السفينة ﴿باسم الله مجراها ومرساها﴾ أي باسم الله تجري وباسم الله ترسو أي تقف ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾ أي فهو لا يهلكنا بما قد يكون لنا من ذنب ويرحمنا فينجينا ويكرمنا . وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٢) ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ وصف للسفينة وهي تغالب الماء وتمخر عبابه وأمواج الماء ترتفع حتى تكون كالجبال في ارتفاعها وقبلها نادى نوح ابنه كنعان ، وهو في هذه الساعة في معزل^(٢) أي من السفينة حيث رفض الركوب فيها لعقوقه وكفره^(٣) فقال له ﴿يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ فتغرق كما يغرقون فأجاب الولد قائلاً

(١) الفوران : غليان القدر، ويطلق على نبع الماء بشدة تشبيهاً بفوران ماء في القدر إذا غلى، والتنور : اسم لموقد النار للخبز.

(٢) قرأ حفص ﴿من كل﴾ بتنوين كل فالتنوين عوض عن مضاف إليه أي : من كل المخلوقات، و﴿زوجين﴾ مفعول لـ (احمل)، واثنين : نعت له وقرأ الجمهور بإضافة كل إلى زوجين، والمراد بالزوجين هنا : الذكر والأنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات.

(٣) ومن آمن : أي : كل المؤمنين.

(٤) جائز أن يكون القائل : ﴿اركبوها﴾ الله جلّ جلاله، وجائز أن يكون نوحاً عليه السلام والركوب : العلو على ظهر شيء، وقال : فيها، ولم يقل عليها لأنها ظرف لهم يدخلون فيها.

(٥) قرأ الجمهور بضم الميم في كل من مجراها، ومرساها، وهما مصدران من : أجرى وأرسي، وقرأ عاصم بفتح ميم مجراها، وضم ميم مرساها كالجهور، ولم يفتح ميم مرساها لاشتباهه . حيثئذ المرسى مكان الرسو، وقرئ : مجريها، ومرسيها باسم الفاعل أي : بسم الله مجريها ومرسيها.

(٦) روي أن النبي ﷺ قال : (أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾.

(٧) وقيل : في معزل أي : من دين أبيه.

(٨) قرأ حفص : ﴿يابني﴾ بفتح الياء المشددة وكسرها غير عاصم.

﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ أي يَمْنَعُنِي مِنْهُ حَتَّى لَا أَغْرُقَ، فَأَجَابَهُ نُوحٌ قَائِلًا ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بِعَذَابِ الْكَافِرِينَ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ أي اللَّهُ فَهُوَ الْمَعْصُومُ. قَالَ تَعَالَى ﴿وَحَالُ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ أي بَيْنَ الْوَلَدِ الْعَاقِ وَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ ﴿فَكَانَ﴾ أي الْوَلَدُ ﴿مِنَ الْمَغْرُقِينَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكُمْ﴾ أي اشْرَبِيهِ وَابْتَلْعِيهِ، وَيَا سَمَاءَ اقْلَعِي أَي مِنَ الصَّبِّ وَالْإِمْطَارِ، وَالْأَمْرُ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى. ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ أي نَقْصَ وَنَضْبَ. ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي وَرَسَتْ السَّفِينَةُ بِرُكَابِهَا عَلَى الْجُودِيِّ وَهُوَ جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ قَرِبَ الْمَوْصِلِ ﴿وَقِيلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي هَلَاكَ أَهْلُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِذْ أَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ بَدَأَ الطُّوفَانُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَاسْتَمَرَّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَيْثُ رَسَتْ السَّفِينَةُ فِي أَوَّلِ مُحَرَّمٍ.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الإيمان ينجي، والكفر يهلك ويردي.
- ٢- مشروعية التسمية عند الركوب في سفينة أو غيرها.
- ٣- عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو لازم له.
- ٤- مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده.
- ٥- مظاهر عظمة الرب تعالى وإطاعة الخلق أمره حتى الأرض والسماء.

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ

أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَنْتَوَحُّ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا

(١) ﴿الْجُودِي﴾ أحد جبال ثلاثة أكرمهم الله تعالى، الجودي بإرساء السفينة عليه، وطور سينا: بمناجاة موسى عليه، وحرّاء بتعبّد النبي ﷺ فيه ونزول جبريل عليه فيه.

تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِيَتِ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

من أهلي : أي من جملة أهلي من أزواج وأولاد .
 وإن وعدك الحق : أي الثابت الذي لا يخلف .
 إنه عمل غير صالح : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح .
 أعظك : أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين .
 من الجاهلين : أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم .
 ستمتعهم : أي بالأرزاق والممتع إلى نهاية آجالهم ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة .
 للمتقين : أي الذين يتقون الله فيعبودونه ولا يشركون به شيئاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى ، ﴿ونادى نوح ربه﴾ أي دعاه سائلاً ﴿رب إن ابني من أهلي﴾ وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، وهذا كان منه حال الإركاب في الفلك ، وامتناع ولده كنعان من الركوب أي رب إن ولدي كنعان من زوجتي ومن جملة أولادي ، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي ومن معي من المؤمنين ، ﴿وإن وعدك الحق﴾ أي الذي لا خلف فيه ابداً ، ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أعلمهم وأعدلهم ، وهذا ابني قد استعصى عني ولم يركب معي وسيهلك مع الهالكين إن لم ترحمه يارب

(١) أي : الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق ، وسأل نوح ربه نجاة ولده لقوله تعالى ﴿وأهلك﴾ وكان كنعان يظهر الإيمان ويبطن الكفر .

العالمين فأجابه الرب تعالى بقوله الحق : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي الذين وعدتك بإنجائهم لأنه على غير دينك وعلى خلاف منهجك ، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ^(١) غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي إن سؤالك هذا إليّ بإنجاء ولدك وهو كافر على غير ملتك ، وقد أعلمتك إني مغرق الكافرين . سؤالك هذا عمل غير صالح يصدر عنك : ﴿إِنِّي أَعْظُكَ﴾ أي أنهاك وأخوفك ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فتسألني ما ليس لك به علم . قال نوح ﴿رَبِّ﴾ أي يارب إني أعوذ بك أي استجير وأتحصن بك أن أسألك بعد الآن ما ليس لي به علم . وإلا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين أي الذين غبنوا أنفسهم حظوظها فهلكوا ، فأجابه الرب تعالى ﴿يَانُوحُ اهْبِطْ﴾ من السفينة أنت ومن ومعك من المؤمنين بسلام منا أي بأمن منا وتحيات ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي من ذرية من معك ، فلا تخافوا جوعاً ولا شقاء ، وأمم من ذرية من معك ستمتعهم متاع الحياة الدنيا بالأرزاق ثم يمسه من عذاب أليم يوم القيامة لأنهم ينحرفون عن الإسلام ويعيشون على الشرك والكفر . وهذا من علم الغيب الذي أخبر الله تعالى به فكان كما أخبر فقد نشأت أجيال وأجيال من ذرية نوح منهم الكافر ومنهم المؤمن وفي الجميع ينفذ حكم الله ويتم فيهم وعده ووعدته . وقوله تعالى في الآية (٤٩) وهي الأخيرة في هذا السياق يقول تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ^(٢) نُوحِيهَا﴾ أي هذه القصة التي قصصناها عليك من أنباء الغيب الذي لا يعلم تفصيله إلا الله نوحينا إليك ضمن آيات القرآن ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على وجه التفصيل من قبل هذا القرآن إذا فاصبر يارسولنا على أذى قومك مبلغاً دعوة ربك حتى يأتيك نصرنا فإن العاقبة^(٣) الحسنى الحميدة دائماً للمتقين ربهم بطاعته والصبر عليها حتى يَلْقَوْهُ مؤمنين صابرين محتسبين .

(١) قرأ ابن عباس ، وعروة وعكرمة ، ويعقوب ، والكسائي : ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي : إن ابنك عمل عملاً غير صالح ، وهو الكفر والتكذيب وقرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي : ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف كقول الشاعر : ترتع ما ترتع حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي : ذات إقبال وإدبار .

(٢) وجائز أن يكون القائل : ﴿اهْبِطْ﴾ : الملائكة عليهم السلام بإذن الله تعالى .

(٣) اشتملت الآية على ثلاثة أمور هي : الامتنان والصبر ، والتسلي ، فالامتنان في قوله : ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾ والموعظة في قوله ﴿فاصبر﴾ الخ . . . والتسلي في قوله ، ﴿إن العاقبة للمتقين﴾ .

(٤) العاقبة في الدنيا بالظفر ، وفي الآخرة بالفوز وهو النجاة من النار ، ودخول الجنة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- رابطة الإيمان والتقوى أعظم من رابطة النسب .
- ٢- حرمة العمل بغير علم فلا يحل القდوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه .
- ٣- ذم الجهل وأهله .
- ٤- شرف نوح عليه السلام وانه أحد أولى العزم من الرسل .
- ٥- بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .
- ٦- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها ببرهان عقلي وهو الإخبار بالغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي .
- ٧- بيان فضل الصبر، وأن العاقبة الحميدة للمتقين وهم أهل التوحيد والعمل الصالح .

وَإِلَىٰ عَادٍ

أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمُ آبَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ إِنَّا نَتَمَرُّ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنَّا أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَنْقَوْمُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وإلى عاد أخاهم هوداً : أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين
 أخاهم هوداً . وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح
 عليه السلام .

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره .
 ما لكم من إله غيره : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره .

إن أنتم إلا مفترون
لا أسألكم عليه أجراً
أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون .
: أي لا أطلب منكم أجراً على إبلاغي دعوة التوحيد إليكم .
فطرني
مدراراً
: أي كثيرة الدور للخطر النازل منها .
ولا تتولوا مجرمين
: أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين على أنفسكم بالشرك بالله .

معنى الآيات :

هنا شروع في قصة هود مع قومه عاد بعد قصة نوح عليه السلام ومغزى القصة تقرير توحيد الله ونبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ (١) أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً وهو أخوهم في النسب وأول من تكلم بالعربية فهو أحد أربعة أنبياء من العرب وهم هود، وصالح، وشعيب، ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقوله ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ أي قال هود لقومه بعد أن أرسله الله إليهم يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه غيره فإنه ما لكم من إله غير (٢) الله سبحانه وتعالى . وقوله ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ أي ما أنتم في عبادة غير الله من الأصنام والأوثان إلا كاذبون، إذ لم يأمركم الله تعالى ربكم بعبادتها، وإنما كذبتكم عليه في ذلك . وقوله ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾ يريد لا أسألكم على دعوتي إياكم إلى توحيد ربكم لتكملوا بعبادته وتسعدوا أجراً أي مالاً ﴿إن أجري إلا على الله الذي فطرني﴾ أي ما أجري إلا على الله الذي خلقني . وقوله ﴿أفلا تعقلون﴾ (٣) أي أفلا تعقلون أنني لو كنت أبغي بدعوتي إلى التوحيد أجراً لطلبت ذلك منكم ، غير أنني لم أطلب من غير ربي أجراً فبان بذلك صدقي في دعوتكم ونصحي لكم .

وقوله تعالى عن قيل هود ﴿يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ يخبر تعالى أن هوداً نادى قومه فقال يا قوم استغفروا ربكم أي آمنوا به واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، ثم توبوا إليه أي ارجعوا إلى عبادته وحده بما شرع لكم على لسان نبيكم، واتركوا عبادة غيره يكافئكم بأن

(١) وجائز أن تكون أخوة بني آدم إذ الكل من آدم عليه السلام .

(٢) هما : عادان، الأولى والثانية لقوله تعالى : ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فهؤلاء هم عاد الأولى، وأما الأخرى فالله أعلم بها .

(٣) يصح في : ﴿غير﴾ الجر والرفع والنصب، فالجر على اللفظ، والرفع على الموضع والنصب على الاستثناء .

(٤) وجائز أن يكون ﴿أفلا تعقلون﴾ لما جرى لقوم نوح لما كذبوا الرسل، وما في التفسير أولى وأكثر فائدة .

يرسل السماء عليكم مدراراً أي بالأمطار المتتالية بعد الذي أصابكم من الجفاف والقحط والجذب، ويزدكم قوة روحية إلى قوتكم المادية، وقوله ﴿وَلَا تَتْلُوا مَجْرِمِينَ﴾ ينهاهم ناصحاً لهم أن يرفضوا نصيحته ويرجعوا إلى عبادة الأوثان فيُجرِّمُوا على أنفسهم بإفسادها بأوضاع الشرك والعصيان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- دعوة الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم واحدة وهي : أن يُعْبَدَ الله وحده .

٢- تقرير مبدأ لا إله إلا الله .

٣- المشركون والمبتدعون الكل مفترون على الله كاذبون حيث عبدوه بما لم يشرع لهم .

٤- وجوب الإخلاص في الدعوة .

٥- فضل الاستغفار وجوب التوبة .

٦- تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولاً بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه .

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ

بِتَارِكِيهِ الْهِنَاءُ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

وَأَشْهَدُوهُ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٤﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا

مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٥٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ

رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٥٦﴾

(١) أي : كثيرة المطر المتتابع الذي يتلو بعضه بعضاً، يقال : دَرَّت السماء تَدْرُ فهي مدرار، وكان قوم هود أهل بساتين وزروع حياتهم متوقفة على المطر.

شرح الكلمات :

بَيِّنَة

: أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعوننا إليه من عبادة الله وحده .

وما نحن بتاركي آلهتنا

: أي عبادة آلهتنا لأجل قولك إنها لا تستحق أن تعبد .

إلا اعتراك

: أي أصابك .

بسوء

: أي يخبّل فانت تهذي وتقول مالا يقبل ولا يعقل .

ثم لا تنظرون

: أي لا تمهلون .

أخذ بناصيتها

: أي مالكتها وقاهرها ومتصرف فيها . فلا تملك نفعا ولا

ضرا إلا بإذنه .

إن ربي على صراط مستقيم : أي على طريق الحق والعدل .

فإن تولوا

: أصلها تتولوا فعل مضارع حذف منه إحدى التائين ومعناه

تدبروا .

على كل شيء حفيظ

: أي رقيب ولا بد انه يجزي كل نفس بما كسبت .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة هود مع قومه إذ أخبر تعالى عن قيل قوم هود إلى هود فقال ﴿قالوا يا هود ما جئنا ببينة﴾ أي بحجة أو برهان على صحة ما تدعوننا إليه من عبادة الله وترك عبادة آلهتنا والاعتراف بنبوتك ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا﴾ أي عبادتها ﴿عن قولك﴾ أي من أجل قولك إنها لا تستحق أن تعبد لكونها لا تنفع ولا تضر ، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ أي بمتابعين لك على دينك ولا مصدقين لك فيما تقول ﴿إن نقول﴾ إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴿أي ما نجد ما نقول فيك﴾ إلا أن بعض آلهتنا التي تسبها وتشتتمها قد أصابتك بسوء بخبل وجنون فانت تهذر وتهذي ولا تدري ما تقول . فأجابهم قائلا ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾ فأعلن براءته في وضوح من آلهتهم وأنه لا يخافها إبطالا لدعواهم أنها أصابته بسوء ، وأعلمهم أنه يشهد الله على ذلك ، ثم أمرهم أن يشهدوا هم كذلك^(١) وقوله ﴿من دونه﴾ أي من دون الله من سائر الآلهة والشركاء ثم تحداهم مستخفا

(١) عراه واعتراه بمعنى واحد ، وهو : أصابك ، يقال : اعترائني كذا ، أي ، أصابني ، كما يقال : عرائني نعاس أو تفكير أي : أصابني .

(٢) ما أمرهم بالشهادة لكونهم أهلا لها ، وإنما زيادة في التقرير ، وخالف بين الفعلين حتى لا يسوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم .

بهم وبآلهتهم، فقال ﴿فكيدوني جميعاً﴾ أي احتالوا على ضري ثم لا تنظرون أي لا تؤخرون ولا تمهلون، ثم كشف لهم عن مصدر قوته وهو توكله على ربه فقال ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ أي فوضت أمري إليه وجعلت كل ثقتي فيه فهو لا يسلمني إليكم ولا يخذلني بينكم. ثم أعلمهم بإحاطة قدرة الله بهم وقهره لهم فقال ﴿وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي قاهر لها متحكم فيها يقودها حيث شاء وينزل بها من العذاب ما يشاء، ثم أعلمهم أن ربه تعالى على طريق العدل والحق فلا يُسلط أعداءه على أوليائه، فقال ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ فلذا أنا لست بخائف ولا وجل ثم قال لهم ﴿فإن تولوا﴾ أي فإن تدبروا عن الحق وتعرضوا عنه فغير ضائري ذلك إذ أبلغتكم ما أرسلني به ربي إليكم وسيهلككم ويستخلف قوماً غيركم^(١)، ولا تضروه شيئاً من الضرر لا قليلاً ولا كثيراً، ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ أي رقيب، وسيجزى كلا بما كسب بعدله ورحمته. وله الحمد والمنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان مدى مجاحدة ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.
- ٢- تشابه الفكر الشركي وأحوال المشركين إذ قول قوم هود ﴿إن نقول إلا اعتراك﴾ .. الخ. يردده جهلة المسلمين وهو فلان ضربه الولي الفلاني.
- ٣- مواقف أهل الإيمان واحدة فما قال نوح لقومه متحدياً لهم قاله هود لقومه.
- ٤- تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به.

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ نَاجِيْنَاهُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ

(١) في قوله: ﴿فكيدوني جميعاً﴾ ثم لا تنظرون علم من أعلام النبوة، إذ لا يقدر فرد أن يقول لأمة بكاملها: افعلني بي من الشر والأذى ما تستطيعين إلا أن يكون نبياً عالمًا بقدرة الله تعالى على حفظه وحمايته، وقد وقف هذا الموقف نوح من قبل ووقفه محمد بعد صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً.

(٢) كل ما فيه روح يقال له داب، والتاء فيه: للمبالغة، فيقال: دابة مبالغة في الدبيب.

(٣) الناصية: ما انسدل من شعر الرأس على الجبهة، والأخذ: الإمساك، وهذا كناية عن التمكن والقدرة الكاملة على التصرف في المخلوقات.

(٤) أي: يخلق من هم أطوع لله تعالى منكم فيعبدهونه ويوحّدونه.

مِنَّا وَنَجِّيتَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آدَاءُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ آدَاءَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الْآدَاءِ قَوْمٌ هُودٍ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

ولما جاء أمرنا	: أي بعذابهم وهي الريح الصرر.
برحمة منا	: أي بفضل منا ونعمة.
جبار عنيد	: أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.
ويوم القيامة	: أي ولعنة في يوم القيامة.
ألا بعداً لعاد	: أي هلاكاً لعاد وإبعاداً لهم من كل رحمة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في هود وقومه قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي عذابنا ^(١) ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي بلطف وفضل ونعمة ^(٢) ﴿ونجيناهم﴾ من عذاب غليظ ^(٣) هو عذاب يوم القيامة فهما نجاتان نجاة في الدنيا من عذاب الريح العقيم الصرر التي دمرت كل شيء بأمر ربها ونجاة من عذاب النار يوم القيامة وهي أعظم. وقوله تعالى ﴿وتلك عاد﴾ أي هذه عاد قوم هود جحدوا بآيات ربهم فلم يؤمنوا وعصوا رسله أي هوداً وجمع لأن من كذب برسول كأنما كذب بكل الرسل ^(٤) ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ أي اتبعوا أمر دعاة الضلالة من أهل الكبر والعناد للحق فقادوهم إلى سخط الله وأليم عقابه وقوله ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي اتبعهم الله غضبه وسخطه وهلاكه، ويوم القيامة كذلك وأشد. ويختم الحديث عن هذه القصة بقول الله تعالى ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ أي جحدوه فلم يعترفوا بألوهيته

(١) بهلاك عاد.

(٢) في صحيح مسلم قوله ﷺ: (لن ينجي أحدكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة).

(٣) قيل: كانوا ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف نسمة ما بين رجل وامرأة.

(٤) المراد من الآيات: المعجزات وأنكروها.

(٥) العنيد والعنود، والعائد والمعاند: المعارض، المخالف.

وعبادته ﴿أَلَا بَعْدَ﴾ ^(١) أَي هَلَاكَاءَ لِعَادِ قَوْمِ هُودَ . فهل يعتبر مشركو قريش بهذه القصة فيؤمنوا ويوحداوا فينجوا ويفلحوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد إذ القصة كلها مسوقة لذلك .

٢- بيان سنة الله في الأولين وهي انه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين فَإِنْ استجاب المرسل إليهم سعدوا ، وإن لم يستجيبوا يمهلهم حتى تقوم الحجة عليهم ثم يهلكهم ، وينجي المؤمنين .

٣- التنديد بالكبر والعناد إذ هما من شر الصفات الخلقية في الإنسان .

٤- اتباع الطغاة والظلم والكفر والفساد لا تقود إلا إلى الدمار والخسار .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ

يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ

وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ

تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي

مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي

غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

وإلى ثمود : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود .

أخاهم صالحا : أي في النسب لأنه من قبيلة ثمود ، بينه وبين ثمود أبي

القبيلة خمسة أجداد .

(١) والبعد : التباعد عن الخير أيضا .

واستعمركم : أي جعلكم عماراً فيها تعمرونها بالسكن والإقامة فيها .
 قريب مجيب : أي من خلقه ، إذ العوالم كلها بين يديه ومجيب أي لمن سألته .

مرجوا قبل هذا : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيداً فينا .
 أرايتم : أي أخبروني .
 على بيّنة من ربي : أي على علم بربي علمنيه سبحانه وتعالى فهل يليق بي أن أعبد غيره .

غير تخسير : أي خسارة وهلاك .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة صالح مع قومه إذ قال تعالى مخبراً عن إرساله إلى قومه ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود بالحجر بين الحجاز والشام أخاهم في القبيلة لا في الدين صالحاً . فقال ﴿يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فناداهم بعنوان القومية جمعاً لقلوبهم على ما يقول لهم فقال ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ أي آمنوا به ووحده في عبادته فلا تعبدوا معه أحداً . إذ ليس لكم من إله غيره . إذ هو ربكم أي خالقكم ورازقكم ومدير أمركم . ﴿أنشأكم من الأرض﴾ أي ابتداء خلقكم بخلق أبيكم آدم منها ﴿واستعمركم فيها﴾ أي جعلكم تعمرونها بالسكن فيها والعيش عليها ، إذا فاستغفروه بالاعتراف بألوهيته ثم توبوا إليه فاعبدوه وحده ولا تشركوا في عبادته أحداً . وقوله ﴿إِنَّ رَبِّي قريب مجيب﴾ أخبرهم بقرب الرب تعالى من عباده وإجابته لسائله ترغيباً لهم في الإيمان والطاعة ، وترك الشرك والمعاصي . هذا ما تضمنته الآية الأولى (٦١) أما الآية الثانية فقد تضمنت رد القوم عليه عليه السلام إذ قالوا بما أخبر تعالى عنهم ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ أي كنا نأمل فيك الخير ونرجو أن تكون سيداً فينا حتى فاجأنا بما تدعوننا إليه من ترك آلهتنا لإلهك ثم أنكروا عليه دعوته فقالوا ﴿أتنهانا أن نعبد آباؤنا﴾ وأخبروه أنهم

(١) اختلف في صرف ثمود فمن القراء من صرفه ابتداءً وإلى ثمود بالجر والتنوين ومنهم من صرفه في موضع من القرآن ومنه في موضع آخر ولكل فيما رآه وجه صحيح .

(٢) استعمر بمعنى أعمر كاستجاب بمعنى أجاب أعمركم جعلكم تعمرونها فأنتم عمارها إلى نهاية آجالكم المحددة لكم ، وليس هذا من باب استسهل الشيء إذا وجده سهلاً واستصعبه إذا وجده صعباً فإن الله تعالى لا يعجزه شيء وفي الآية دليل على العمري وهو أن يقول مالك لا آخر أعمرتك داري فتصبح له واختلف هل تبقى لذريته بعد موته أو هي له ما دام حياً فإذا مات عادت لمن أعمره إياها مذهبان مشهوران وفي الحديث العمري جائزة والعمرى لمن وهبت له .

(٣) الاستفهام للإنكار .

غير مطمئنين إلى صحة ما يدعوههم إليه من توحيد الله تعالى فقالوا ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ أي موقع في الريب وهو اضطراب النفس وعدم سكونها إلى ما قيل لها أو أخبرت به هذا ما تضمنه الآية الثانية (٦٢) أما الآية الثالثة (٦٣) فقد تضمنت دعوة صالح لقومه بأسلوب رفيع رغبة منه في إقامة الحجة عليهم لعلهم يؤمنون ويوحدون إذ قال بما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ أي على علم يقيني بالإيمان بربي ووجوب عبادته وتوحيده وآتاني منه رحمة وهي النبوة والرسالة، فمن ينصرنى^(١) من الله إن عصيته اللهم إنه لا أحد أبداً إذا فإنكم ما تزيدوني إن أنا أعطتكم في ترك عبادة ربي والرضا بعبادة آلهتكم إلا خساراً وضللاً في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وحدة الوسيلة والغاية عند كافة الرسل فالوسيلة عبادة الله وحده، والغاية رضا الله والجنة.
- ٢- تقديم الاستغفار على التوبة في الآية سره إن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به.
- ٣- بيان سنة في الناس وهي أن المرء الصالح يرجى في أهله حتى إذا دعاهم إلى الحق وإلى ترك الباطل كرهوه وقد يصارحونه بما صarach به قوم صالح نبيهم إذ قالوا ﴿قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾.
- ٤- حرمة الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خساراً.

وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكُمْ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ

(١) الاستفهام للنفي أي لا أحد ينصرنى.

(٢) اختلف في توجيه قوله عليه السلام فما تزيدوني غير تخسير فمن قائل : غير بصيرة بخسارتكم ومن قائل التخسير لهم لا له عليه السلام وأوجه الأقوال ما في التفسير وأشكل لفظ زيادة التخسير والخروج منه أنه يعرض بهم فانهمهم أنهم في خسران كقوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ ثم بشركهم يزدادون خسراناً وتخسيراً أعظم.

أَمْرُنَا نَجِّنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثَمِينَ
﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدَ
لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

- آية : أي علامة على صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله .
- فذروها تأكل في أرض الله : أي اتركوها ترعى في المراعي غير المحمية لأحد، بسوء
- أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب منه .
- ففقروها : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف .
- تمتعوا في دياركم : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتمتعون في الحياة ثلاثة أيام .
- وعد غير مكذوب : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به .
- في ديارهم جائمين : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم .
- كان لم يغنوا فيها : أي كان لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يوما .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن صالح وقومه . إنه لما دعاهم صالح إلى توحيد الله تعالى كذبوه وطالبوه بما يدل على صدق ما دعا إليه فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به في هذه الآية ﴿ويا قوم﴾ هذه ناقة الله لكم آية ﴿﴾ وذلك أنهم سألوا أن يخرج لهم ناقة من جبل أشاروا

(١) هذه ناقة الله لكم آية مبتدأ وخبر وآية منصوب على الحال .

إليه فدعا صالح ربّه فاستجاب الله تعالى له وتمخض الجبل عن ناقة عشراء هي عجب في خلقتها وكمالها فقال عندئذ ﴿يا قوم هذه ناقة الله﴾ أضافها إلى الله لأنها كانت بقدرته ومشيئته ﴿لكم آية﴾ أي علامة لكم على صدق ما دعوتكم إليه من عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فذروها تأكل في أرض الله أي خلّوها تأكل من نبات الأرض من المراعي العامة التي ليست لأحد، ولا تمسوها بسوء كعقرها أو ذبحها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب قد لا يتأخر أكثر من ثلاثة أيام. فكذبوه فعقروها فلما رأى ذلك قال لهم بأمر الله ﴿تمتعوا في داركم﴾ ثلاثة أيام ﴿أي عيشوا فيها.﴾ ذلك وعد غير مكذوب ﴿أي ذلك الوعد وعد صادق غير مكذوب فيه.﴾ هذا ما دلت عليه الآيتان (٦٤-٦٥) وقال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي لما اكتملت المدة التي حُددت لهم وجاء أمر الله بعذابهم نجى الله تعالى رسوله صالحاً والمؤمنين برحمة منه أي بلطف ونعمة منه عز وجل وقوله ﴿ومن خزي﴾ يومئذ ﴿أي ونجاهم من ذل ذلك اليوم وعذابه، وقوله ﴿إن ربك قوي عزيز﴾ أي إن ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم قوي إذا بطش عزيز غالب لا يُغلب على أمر يريده. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٦٦) وأما الآيتان بعد فقد أخبر تعالى فيهما عن هلاك ثمود بقوله ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي إن الذين أشركوا بربهم وكذبوا بآياته أخذتهم الصيحة فانخلعت لها قلوبهم فهلكوا وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم كأن لم يغنوا بديارهم ولم يعمروها قال تعالى ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ أي هلاكاً لثمود، وبهذا التنديد والوعيد بعد الهلاك والعذاب المخزي انتهت قصة صالح مع قومه ثمود الذين آثروا الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- إعطاء الله تعالى الآيات للمطالبين بها لا يستلزم الإيمان بها.

(١) ذروها أمر، وماضيه وذو شاذ وكذا اسم الفاعل فلا يقال وذو فهو واخر، والمستعمل منه المضارع والأمر لا غير. ومعناه ترك وبه استغنى عن وذو.

(٢) أي من يوم قتلها وهو كذلك فلم يتأخر.

(٣) ليتمتع كل واحد منكم في داره عن ثلاثة أيام إذ عقروا الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة وأصبحوا يوم الجمعة وهو اليوم الثاني من أيام التمتع في ديارهم ووجوههم حمرة وأصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة وأخذوا صباح الأحد.

(٤) من فضيحته وذلته وقرأ نافع بنصب يومئذ وقرأ غيره بكسرها على الإضافة.

(٥) جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض فخروا على الأرض جاثمين جثوم الطير على الأرض إذا الصقت بطونها بها وسكنت لا تتحرك.

- ٢- آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات ولم يؤمن عليها قومه .
 ٣- إقامة ثلاثة أيام لا يعد صاحبها مقيماً وعليه أن يقصر الصلاة .
 ٤- شؤم الظلم وسوء عاقبة أهله .

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
 رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ
 فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
 قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
 لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ
 وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

بالبشري	: أي باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب .
فما لبث	: أي ما أبطأ .
بعجل حنيد	: أي مشوي على الحجارة .
لا تصل إليه	: أي لم يتناولوه فياكلوا منه .
نكرهم	: أي لم يعرفهم .
وأوجس	: أي أحس بالخوف وشعر به .
لوط	: هو ابن هاران أخي إبراهيم عليه السلام .
ياويلنا	: أي ياويلتي احضري هذا أو ان حضورك .
وهذا بعلي شيخا	: إشارة إلى إبراهيم إذ هو بعلمها أي زوجها .
إن هذا لشيء عجيب	: أي أمر يتعجب منه استبعاداً له واستغراباً .

معنى الآيات :

هذه بشارة ابراهيم عليه السلام التي بشره الله تعالى بها إذ قال تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾^(١) والمراد بالرسول جبريل وميكائيل واسرافيل ، إذ دخلوا عليه داره فسلموا عليه فرد عليهم السلام وهو معنى قوله تعالى ﴿قالوا سلاماً فقال سلام﴾ وقوله تعالى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ أي لم يبطأ حتى جاء بعجل مشوي فحنيز بمعنى محنوذ وهو المشوي على الحجارة . فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل بقوله ﴿ألا تأكلون﴾ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لم يتناولوه نكرهم بمعنى أنكرهم وأوجس منهم خيفة لأن العادة أن الضيف إذا نزل على أحد فقدم إليه طعاماً فلم يأكل عرف انه ينوي شراً ولما رأت الملائكة ذلك منه قالوا له لا تخف وبينوا له سبب مجيئهم فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لإهلاكهم وتدميرهم بسبب إجرامهم . وكانت امرأته قائمة وراء الستار تخدمهم مع ابراهيم . فلما سمعت نبأ هلاك قوم لوط ضحكت فرحاً بهلاك أهل الخبث فعندئذ بشرها الله تعالى على لسان الملائكة بإسحق ومن بعده يعقوب أي بولد وولد ولد ، فلما سمعت البشرى صكت وجهها تعجباً على عادة النساء وقالت ﴿يا ويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى﴾ تشير إلى زوجها ابراهيم ﴿شيخاً﴾ أي كبير السن إذ كانت سنه يومئذ مائة سنة وسنها فوق التسعين . ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ أي ولادتي في هذه السن أمر يتعجب منه . قالوا أتعجبين من أمر الله ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أي بيت ابراهيم ، ﴿إنه حميد مجيد﴾ أي محمود بإفضاله وإنعامه عليكم ﴿مجيد﴾ أي ذو مجد وثناء وكرم . وامرأة ابراهيم المبشرة هي سارة بنت عم ابراهيم عليه السلام ، والبشارة هنا لابراهيم وزوجه سارة معاً وهي مزدوجة إذ هي بهلاك الظالمين ، وبإسحاق ويعقوب .

(١) قيل ان البشرى كانت بإسحاق وقيل بإهلاك قوم لوط والظاهر أنها بإسحق .

(٢) سلاماً نصب بوقوع فعل قالوا نحو قال فلان خيراً ويجوز عربية الرفع والنصب في قوله تعالى ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾ ، والرفع يكون على تقدير مبتدأ أي هو سلام ، وسلام عليكم وجزاء الابتداء بالكرة لكثرة تكرار هذا اللفظ نظيره لا هم حيث حذفوا الألف واللام لكثرة استعمال اللهم .

(٣) إن هنا بمعنى حتى قاله كبراء النحوي أي فما لبث حتى جاءهم .

(٤) في الآية دليل على فضل الضيافة ومشروعيتها والندب إليها إذ هي من خلق البشر وفي الحديث ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والضيافة ثلاثة أيام .

(٥) ذكر الطبري رحمه الله تعالى أن ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل وقال للملائكة ألا تأكلون! قالوا لا نأكل طعاماً إلا بضمن قال كلوه بضمنه قالوا وما بضمنه؟ قال أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل لأصحابه حق للرجل أن يتخذ ربه خليلاً .

(٦) من أمر الله أي قضائه وقدره .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة .
- ٢- مشروعية السلام^(١) لمن دخل على غيره أو وقف عليه أو مر به ووجوب رد السلام .
- ٣- مشروعية خدمة أهل البيت^(٢) لضيوفهم ووجوب إكرام الضيف وفي الحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» .
- ٤- شرف أهل بيت ابراهيم عليه السلام .

فَلَمَّا ذَهَبَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرِّهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ
 قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَاتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------------|---|
| الروع ^(٣) | : الفزع والخوف . |
| البشرى | : أي الخبر السار المفرح للقلب . |
| يجادلنا | : أي يخاصمنا . |
| في قوم لوط | : أي في شأن هلاك قوم لوط ، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران بن عم ابراهيم . |
| حلیم أواه | : الحلیم الذي لا يعامل بالعقوبة والأواه كثير التأوه مما يسيء ويحزن . |
| أعرض عن هذا | : أي اترك الجدال في قوم لوط . |

(١) في الآية دليل على أن لفظ السلام ينتهي بكلمة وبركاته .

(٢) في الآية دليل على أن امرأة الرجل تعد من أهل بيته .

(٣) يقال ارتاع يرتاع من كذا إذا خاف قال النابغة .

فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن ضرر الشاعر يصف ثوراً وحشياً والكلاب : صاحب الكلاب .

غير مردود : أي لا يستطيع أحد رده لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن بشارة ابراهيم قال تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح أي الفزع والخوف من الملائكة قبل أن يعرفهم وجاءته البشرى بالولد وبهلاك قوم لوط أخذ يجادل الملائكة في شأن هلاك قوم لوط لأجل ما بينهم من المؤمنين فقال إن فيها لوطاً فأجابوه بقولهم الذي ذكر تعالى في سورة العنكبوت ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وقوله تعالى ﴿إن ابراهيم لحليم أواه منيب﴾^(١) تعليل لمجادلة ابراهيم الملائكة في قوم لوط، وذلك أن ابراهيم رقيق القلب حليم لا يعامل بالعقوبة فأراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون، وكان أواهاً ضارعاً قانتاً يكثر من قول آه إذا رأى أو سمع^(٢) ما يسوء ومنيباً أي تواباً رجاعاً إلى ربه في كل وقت. ولما ألح ابراهيم في مراجعة الملائكة قالوا له يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك أي بهلاك القوم. ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ أي غير مدفوع من أحد وهو ما سيذكر في السياق بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الجدال عمن يُرجى له الخير من الناس، وذلك في غير الحدود الشرعية إذا رفعت إلى الحاكم .
- ٢- فضيلة خلق الحلم .
- ٣- فضل الإنابة إلى الله تعالى .
- ٤- قضاء الله لا يرد أي ما حكم الله به لا بد واقع .

(١) المنيب: الراجع يقال أناب إذا رجع وابراهيم كان راجعاً إلى ربه في أموره كلها والأواه الكثير لقول آؤه وأواه اسم فعل . نائب مناب اتوجع .

(٢) جائز أن يكون هذا وحياً أوحاه الله تعالى إلى ابراهيم وجائز أن يكون قول الملائكة، وأمر الله قضاؤه بإهلاك قوم لوط .

(٣) في هذا دليل على رحمة ابراهيم القلبية فما أن يرى أو يسمع ما يضر أو يسيء إلا أخذ في التأوه والتحسر والتحنن، وقيل اسم ابراهيم مركب من كلمتين: أب رحيم، وظهر هذا في سلوكه ورحمته .

وَلَمَّا

جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ^ط أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالُوا أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

سيء بهم	: أي حصل له غم وهم بمجيئهم إليه .
وضاق بهم ذرعاً ^(١)	: أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر .
يوم عصيب	: أي شديد لا يحتمل .
يهرعون إليه	: أي مدفوعين بدافع الشهوة يمشون مسرعين في غير اتزان .
السيئات	: أي كبائر الذنوب بإتيان الذكور .
ولا تخزون في ضيفي	: أي لا تذلونني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي .
رجل رشيد	: أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمور وعواقبها .
أو آوي إلى ركن شديد	: أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم . ولم تكن له عشيرة لانه من غير ديارهم .

معنى الآيات :

هذه فاتحة حديث لوط عليه السلام مع الملائكة ثم مع قومه قال تعالى ﴿ولما جاء

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه، ويقال ضاق وسعه وطاقته وأصله أن يذرع البعير يديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه فإذا عمل عليه أكثر من طوقه ضاق عن ذلك وضعف ومد عنقه فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع .

رسلنا ﴿ وهم ضيف إبراهيم عليه السلام ﴾ لوطاً سىء بهم ﴿ أي تضايق وحصل له هم وغم خوفا عليهم من مجرمي قومه . وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما قد يحدث فيه من تعرض ضيفه للمذلة والمهانة وهو بينهم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) أما الثانية (٧٨) فقد أخبر تعالى عن مجيء قوم لوط إليه وهو في ذلك اليوم الصعب والساعة الحرجة فقال عز وجل ﴿ وجاءه قومه يهرعون إليه ﴾ أي مدفوعين بدافع الشهوة البهيمية مسرعين ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي من قبل مجيئهم كانوا يأتون الرجال في أدبارهم فأراد أن يصرفهم عن الضيف فقال ﴿ يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾ أي هؤلاء نساء الأمة هن أطهر لكم فتزوجوهن . واتقوا الله أي خافوا نقمته ولا تخزوني في ضيفي أي لا تهينوني ولا تذلوني فيهم . أليس منكم رجل رشيد؟ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فأجابوه لعنهم الله قائلين : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من رغبة وحاجة ، وإنك لتعلم ما نريد أي من إتيان الفاحشة في الرجال . وهنا قال لوط عليه السلام : ﴿ لو أن لي بكم قوة ﴾ أي أنصاراً ينصرونني وأعوأناً يعينوني لحلت بينكم وبين ما تشتهون ، أو آوي إلى ركن شديد يريد عشيرة قوية يحتتمي بها فتحميه وضيفه من قومه المجرمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة إكرام الضيف وحمايته من كل ما يسوءه .
- ٢- فظاعة العادات السيئة وما تحدثه من تغير في الإنسان .
- ٣- بذل ما يمكن لدفع الشر لوقاية لوط ضيفه بناته .^(٥)
- ٤- أسوأ الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .
- ٥- إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح .

(١) الإهراع السرعة في المشي مع رعدة . يقال أهرع الرجل إهراعاً إذا أسرع في رعدة من برد أو غضب أو خُمئ فهو مهرع وفعله على صيغة المبني للمجهول دائماً لأن أصله من مشى الأسير الذي يسرع به .

(٢) جائز أن يكون من قبل مجيء لوط إليهم ، وجائز أن يكون من قبل مجيء الضيف وهم الرسل عليهم السلام .

(٣) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود ، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم الآية من سورة الأحزاب .

(٤) قيل أنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهن بهن إذ سنتهم أن الرجل إذا خطب امرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وما في التفسير أوجه .

(٥) هذا بناء على أن المراد من قوله هؤلاء بناتي : إنهن بناته لصلبه لإثبات امته وحتى ولو كان المراد بنات القوم فإن فيه معنى دفع الشر بشر أخف .

قَالُوا

يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
 مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
 مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾
 فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مَّسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

فأسر بأهلك	: أي اخرج بهم من البلد ليلا .
يقطع من الليل	: أي بجزء وطائفة من الليل .
الصبح	: هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .
جعلنا عاليها	: أي على القرية سافلها .
من سجيل	: أي من طين متحجر .
منضود	: أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام .
مسومة	: أي معلمة بعلامة خاصة .
عند ربك	: أي معلمة من عند الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف لوط مع قومه إنه بعد أن اشتد بلوط الخوف وتأسف من عدم القدرة على حماية الضيف الكريم وقال متمنيا لو أن لي بنخم قوة أو آوي إلى ركن شديد . هنا قالت له الملائكة ﴿يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ إِلَيْكَ لَنُنَجِّيَنَّكَ وَنَهْلِكَ قَوْمَكَ لَن

(١) أي بعد أن رأت حزنه واضطرابه .

يصلوا إليك أي بأي سوء أو بأدنى أذى فأسر بأهلك أي فاخرج بهم بقطع من الليل أي بطائفة وجزء من الليل ولا يلتفت^(١) منكم أحد كراهة أن يرى ما ينزل بالقوم من العذاب فيصيبه كرب من ذلك إلا امرأتك وهي عجوز السوء فخلفها في القرية وإن خرجت دعها تلتفت فإنها مصيبتها ما أصابهم. وسأل لوطاً عن موعد نزول العذاب بالقوم فقالوا إن موعدهم الصبح، وكان لوط قد استبطأ الوقت فقالوا له: أليس الصبح بقريب؟ وقوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾^(٢) أي فلما جاء أمر الله بعذاب القوم أمر جبريل عليه السلام فقلبها على أهلها فجعل عالي القرية سافلها، وسافلها عاليها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل فممن كان خارج القرية أصابه حجر فأهلكه وقوله تعالى ﴿منزود مسومة﴾ أي مركب بعضها فوق بعض معلمة كل حجر عليها اسم من يرمى به، وقوله ﴿عند ربك﴾ أي معلمة من عند ربك يارسول الله، وما هي من الظالمين ببعيد أي وما تلك القرية الهالكة من الظالمين وهم مشركو العرب ببعيد، أو وما تلك الحجارة التي أهلك بها قوم لوط ببعيد نزولها بالظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب.
- ٢- كراهة التأسف لهلاك الظالمين.
- ٣- مظاهر قدرة الله تعالى في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل والأسفل أعلى^(٤).
- ٤- وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

(١) فأسر بقطع الهمزة واسر بوصلها قراءتان سبعيتان وقيل يقال أسرى إذا مشى أول الليل، وسرى يسري إذا مشى آخر الليل.

(٢) ألا ينظر وراءه منكم أحد، ألا يتخلف منكم أحد، ألا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع وما في التفسير أوجه والا امرأتك بالنصب على الاستثناء أي فأسر بأهلك إلا امرأتك فاتركها فإنها من الغابرين أي الهالكين.

(٣) جعلنا عاليها سافلها قيل أن جبريل ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس، سدوم وعمورا ودادوما وضعوه وقتلهم فرفعها من تخوم الأرض حتى ادناها من السماء بما فيها.

(٤) في الآية بيان عقوبة من عمل عمل قوم لوط وهي الإرسال من أعلى جبل ثم الرمي بالحجارة وهذا مذهب أبي حنيفة. وعند الشافعي أن يقتل الفاعل والمفعول به سواء من أحسن ومن لم يحسن، وقيل غير المحسن يجلد، وفي الحديث (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به).

❁ وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ

وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ خَيْرِ

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ

أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وإلى مدين

: أي أرسلنا إلى مدين^(١) إلى أهل مدين .

المكيال والميزان

: أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان .

عذاب يوم محيط

: أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم .

بالقسط

: أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع والشراء على

حد سواء .

ولا تبخسوا

: أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل

والوزن وفي غير ذلك .

ولا تعتوا في الأرض

: أي ولا تعتوا في الأرض بالفساد .

بقية الله خير لكم

: أي ما يبقى لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من

الحرام الذي حرم الله عليكم .

وما أنا عليكم بحفيظ

: أي رقيب أراقب وزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم

وناصح لا غير .

(١) مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم عليهما السلام وكان متزوجاً بإحدى بنات لوط عليه السلام .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين قال تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم في النسب شعيباً. ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أي وحدوا الله تعالى ليس لكم إله تعبدونه بحق إلا هو إذ هو ربكم الذي خلقكم ورزقكم ويدبر أمركم. وقوله ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا تنقصوا المكيال إذا كلتم لغيركم، والميزان إذا وزنتم لغيركم. وقوله ﴿إني أراكم بخير﴾ أي في رخاء وسعة من الرزق، ﴿واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾^(١) إن أصررتم على الشرك والنقص والبخس^(٢) وهو عذاب يحيط بكم فلا يفلت منكم أحد. وقوله ﴿يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أمر بتوفية المكيال والميزان بالعدل بعد أن نهاهم عن النقص تأكيداً لما نهاهم عنه وليعطف عليه نهياً آخر وهو النهي عن بخس الناس أشياءهم إذ قال ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي تنقصوهم حقوقهم وما هو لهم بحق من سائر الحقوق. ونهاهم عما هو أعم من ذلك فقال ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد وهو شامل لكل المعاصي والمحرمات. وقوله ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي وما يبقى لكم بعد توفية الناس حقوقهم خير لكم مما تأخذونه بالنقص والبخس لما في الأول من البركة ولما في الثاني من المحق إن كنتم مؤمنين بشرع الله ووعدته ووعدته وقوله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب مُحصرٍ عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أنا واعظ لكم ناصح ليس غير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وحدة دعوة الرسل وهي البداية بتوحيد الله تعالى أولاً ثم الأمر والنهي لإكمال الإنسان

(١) ناداهم بعنوان القومية، لأن القومي عادة لا يخون قومه وأرشدهم إلى ما يلي :

أ- عبادة الله وحده وفيه إصلاح عقائدهم وبصلاح عقائدهم تصلح جميع أمورهم.

ب - صلاح أعمالهم في تصرفاتهم في أمور دنياهم.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد أصرارهم على الشرك والعصيان وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

(٣) في الحديث : ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاههم الله بالقحط والغلاء

(٤) قال مجاهد : بقية الله خير لكم يريد طاعته، وقال الربيع : وصية الله وقال الفراء : مراقبة الله وقال ابن زيد : رحمة الله، وقال ابن عباس : رزق الله خير لكم، وقال الحسن : حظكم من ربكم خير لكم. كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

وإسعاده بعد نجاته من الخسران .

٢- حرمة نقص الكيل والوزن أشد حرمة^(١).

٣- وجوب الرضا بالحلال وإن قل ، وسخط الحرام وإن كثر.

٤- حرمة بخس الناس حقوقهم كأجور العمال ، وأسعار البضائع ونحو ذلك .

٥- حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى .

قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
بَبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

أصلاتك^(٢)

: أي كثرة الصلاة التي تصلّيها هي التي أثرت على عقلك
فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف
في أموالنا .

(١) وشاهده من القرآن ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ .

(٢) قرئ بالافراد أصلاتك وبالجمع أصولاتك ، والمعنى واحد إذ الافراد اسم جنس شمل كل صلاة له فهو كالجمع .

الحليم الرشيد

: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش والرشد ضد
السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به .
: أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله
بعدكم .

إن أريد إلا الإصلاح
وما توفيقي إلا بالله

: أي ما أريد إلا الإصلاح لكم .
: أي وما توفيقي للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله
عليّ

وإليه أنيب

: أي ارجع في أمري كله .
: أي لا تكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل
بقوم نوح والأقوام من بعدهم .

لا يجرمكم شقاقي

وما قوم لوط منكم ببعيد : أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين
التي هي بين معان والأردن .
رحيم ودود : أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين إنه لما
أمرهم بعبادة الله تعالى وحده ونهاهم نقص الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم والسعي
في الأرض بالفساد، إذ كانوا يكسرون الدراهم وينشرونها ويقطعون الطريق . فردوا عليه
قوله بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا
أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ ؟ إنهم بهذا الخطاب ينكرون عليه نهيه لهم عن عبادة
الأوثان والأصنام التي كان يعبدها آباؤهم من قبلهم كما ينكرون عليه نهيه لهم عن نقص
المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم وأمره بإيهم بالتزام الحق والعدل في ذلك ،
ينكرون عليه نهيه لهم وأمره إيهم وينسبون ذلك إلى كثرة صلاته فهي التي في نظرهم قد
أصابته بضعف العقل وقلة الإدراك ، وقولهم له ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ إنما هو تهكم^(١)

(١) روي أنهم كانوا يحذفون الدراهم أي يقطعونها من أطرافها وهو تصرف فاسد ظالم حملهم عليه حب الدنيا والمال .

(٢) هو كقول خزنة جهنم لأبي جهل : ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل إنهم وصفوه بالحلم والرشد لمعرفةهم بحلمه ورشده
ولم يكن تهكماً واستهزاء منهم . وجائز أن يكون هذا وذاك إذ ما بعد الكفر ذنب كما يقال .

واستهزاء منهم لا انهم يعتقدون حلم شعيب ورشده وإن كان في الواقع هو كما قالوا حلیم رشید إذ الحلیم هو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل مالا يفعله في حال الرضا والرشد خلاف السفیه الذي لا يحسن التصرف في المال وغيره هذا ما تضمنته الآية الأولى (٨٧) وأما الآيات الثلاث بعدها فقد تضمنت رد شعيب عليه السلام على مقالاتهم السابقة إذ قال ﴿يا قوم أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ أي على برهان وعلم يقيني بألوهيته ومحابه ومساخطه ووعدته لأوليائه ووعدته لأعدائه، ورزقي منه رزقاً حسناً أي حالاً طيباً أخبروني فهل يليق بي أن أتكرر لهذا الحق والخير وأجاريكم على باطلكم . اللهم لا ءوشيء آخر وهو أنني ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فإني لا آمركم بتوفية الكيل والوزن وأنقصها ولا بترك عبادة الأوثان وأعبدها، ولا أنهاكم عن كسر الدراهم^(١) وأكسرهما فأكون كمن يأمر بالشيء ولا يفعله، وينهى عن الشيء ويفعله فيستحق اللوم والعتاب ونزع الثقة منه، وعدم اعتباره فلا يؤخذ بقوله ولا يعمل برأيه . وأمر آخر هو أنني ما أريد بما أمرتكم به ولا بما نهيتكم عنه إلا الإصلاح لكم ما استطعت ذلك وقدرت عليه . وما توفقي في ذلك إلا بالله ربّي وربكم عليه توكلت في أمري كله وإليه وحده أنيب أي أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة . ثم ناداهم محذراً إياهم من اللجاج والعناد فقال : ويا قوم لا يجرمكم أي لا يحملنكم شقاقي أي خلافي على الاستمرار في الكفر والعصيان فيصيبكم عذاب مثل عذاب قوم نوح وهو الغرق أو قوم هود وهو الريح المدمرة أو قوم صالح وهو الصيحة المرجفة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزمن والمكان وقد علمتم ما حل بهم من دمار وخراب . أي لا يحملنكم شقاقي وعداوتي على أن ينزل بكم العذاب، واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي، ثم توبوا إليه بالطاعة، ﴿إن ربّي رحيم﴾ لا يعذب من تاب إليه ودود^(٢) يحب من أناب إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التعريض القريب يُعطي حكم القذف الصريح .
- ٢- كراهية إتيان الشيء بعد النهي عنه، وترك الشيء بعد الأمر به والحث عليه .

(١) لا خلاف في أن من كسر الدراهم أو بردها ليأخذ منها قد أفسد واقترب ما يستوجب العقوبة وهل هي ضرب وتعزير أو قطع يد خلاف وما يراه الحاكم كافياً في الردع اجزأ ولا فرق في الكسر والبرد بين الدنانير والدراهم .

مأخوذ من قول قوم شعيب له : ﴿إنك لأنك الحلیم الرشید﴾ وهم يعنون الأحق السفیه . فمن قال لرجل في حال النزاع أنت الطيب الطاهر فإنه يعرض به بأنه الخبيث الزاني فيحد حد القذف .

- ٣- كراهية اللجاج والعناد لما يمنع من الاعتراف بالحق والالتزام به .
 ٤- وجوب الاستغفار والتوبة من الذنوب
 ٥- وصف الرب تعالى بالرحمة والمودة .

قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
 وَإِنَّا لَنَرُّدَكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
 اللَّهِ وَاتَّخَذْتُكُمْ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيَّ إِنِّي أَنَا رَبِّي يَمَاتُ عَمَلُونَ
 مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
 سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
 كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ
 أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾
 كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ شُموذُ ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

- ما نفقه : أي ما نفهم بدقة كثيرا من كلامك .
 ولولا رهطك : أي أفراد عشيرتك .
 وما أنت علينا بعزيز : أي بقوي ممتنع .
 ظهرياً^(١) : أي لم تأبهوا به ولم تلتفتوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر .

(١) الظهري نسبة إلى الظهر على غير قياس وهو منصوب على الحال المؤكدة .

على مكانتكم : أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة .
 الصيحة : أي صيحة العذاب التي أخذتهم .
 جانمين : أي على ركبهم .
 كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يقيموا بها يوماً .
 ألا بعداً لمدين : أي هلاكاً لمدين قوم شعيب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن شعيب وقومه إنه بعد الحوار الذي دار بين شعيب وقومه يقول ويقولون وكان عليه السلام فصيحاً مؤيداً من الله تعالى فيما يقول فأفحمهم وقطع الحجة عليهم لجأوا إلى أسلوب القوة والتهديد بل والشتم والإهانة وكان هذا منهم إيذاناً بقرب ساعة هلاكهم فقالوا فيما قص تعالى عنهم في هذه الآيات ﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ فقد نادوه ليسمع منهم ثم أعلموه أنهم لا يفقهون كثيراً من كلامه مع أنه يخاطبهم بلغتهم، ولكنه الصلف والكبرياء فإن صاحبها لا يفهم مايقوله الضعفاء . وقالوا له : وإنا لنراك فينا ضعيفاً وهو احتقار منهم له ، وقالوا : ولولا رهطك لرجمناك أي ولولا وجود جماعة من عشيرتك نحترمهم لرجمناك أي لقتلناك رمياً بالحجارة ، وأخيراً وما أنت علينا بعزيز أي بممتنع لو أردناك . وهنا رد شعيب عليه السلام عليهم بقوله فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أي غير مبالين بأمره ولا نهيه كما جعلتموه وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تسمعون منه ولا تطيعونه ، يا ويلكم ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ أي علمه فأعمالكم معلومة له لا يخفى منها عليه شيء ولسوف يجزيكم بها عاجلاً أو آجلاً وقابل تهديدهم له بمثله فقال لهم ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على تمكنكم من عملكم ﴿إني عامل﴾ أي على تمكني من العمل الذي أعمله ﴿سوف تعلمون بعد من يأتية عذاب يخزيه﴾ يذله ويهيئه ومن هو كاذب منا فيعذب ويخزي ويذل ويهان أيضاً وعليه فارتقبوا يومذاك ﴿وارتقبوا فإني

(١) الاستفهام : انكاري .

(٢) إما أن يكون قولهم هذا استخفافاً وتجاهلاً منهم وإما أن يكون ثقل عليهم فهم البعث الآخر والحساب فيه والجزاء بالجنة والنار .

(٣) رهط الرجل عشيرته وقولهم لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجماً بالحجارة إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك ، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سباً وشتماً كما قال الشاعر :

تراجمنا بمر القول حتى نصير كأننا فرسا رهان

معكم رقيب ﴿ منتظر قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي بالعذاب نجينا شعبياً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي بفضل منا ونعمة من عندنا، ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ أي بالشرك والعصيان ﴿الصيحة﴾ أي صيحة العذاب التي ارتجفت لها قلوبهم وانخلعت فبركوا على ركبهم جاثمين هلكي لا يتحركون. قال تعالى في بيان حالهم ﴿كان لم يغنوا فيها﴾ أي كان لم يقيموا في تلك الديار ويعمروها زمناً طويلاً. ثم لعنهم فقال: ﴿ألا بعداً لمدين﴾ بعداً لها من الرحمة وهلاكاً، كما بعدت قبلها ثمود وهلكت.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان ما أوتي نبي الله شعيب العربي من فصاحة وبيان حتى قيل فيه خطيب الأنبياء.
- ٢- اشتداد الأزمان مؤذن بقرب انفراجها^(٣).
- ٣- بيان فساد عقل من يهتم بتنفيذ أوامر الناس ويهمل أوامر الله تعالى ولا يلتفت إليها.
- ٤- فضل انتظار الفرج من الله تعالى وهو الرجاء المأمور به.
- ٥- صدق وعد الله رسله وعدم تخلفه أبداً.

وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرُ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّسُ الْوُرْدُ
الْمُورُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّسُ
الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

(١) قيل كانت الصيحة صيحة جبريل عليه السلام والله أعلم.

(٢) قرأ السلمي بعدت بضم العين ووجه بأنه لغة وتستعمل في الخير وفي الشر وأما بعدت بكسر العين فإنها في الشر خاصة يقال بعد يبعد بعداً كفرح يفرح فرحاً إذا أبعد وهلك.

(٣) شاهده من القرآن ﴿إن مع العسر يسراً﴾.

شرح الكلمات :

- موسى : هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني اسرائيل .
 بآياتنا : هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف .
 وسلطان مبین : أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها .
 وملئه : أي أشرف رجال دولة فرعون .
 وما أمر فرعون برشيد : أي بذی رشد بل هو السفه كله .
 يقدم قومه : أي تقدمهم إلى النار فأوردتهم النار .
 بشس الورد المورود : أي قبح وساء ورداً يورد النار .
 وأتبعوا في هذه لعنة : أي ألحقهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم .
 بشس الرشد المرفود : أي قبح الرشد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى لهم . والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة .

معنى الآيات :

هذه لمحة خاطفة لقصة موسى عليه السلام مع فرعون تضمنتها أربع آيات قصار قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ أي بعد إرسالنا شعيباً إلى أهل مدين أرسلنا موسى بن عمران مصحوباً بآياتنا الدالة على إرسالنا له وصدق ما يدعوا إليه ويطلب به وسلطان مبین أي وحجة قوية ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان أولوية من عداه كفرعون عليه لعائن الله ﴿إِذْ قَالَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمُلْكِهِ﴾ أرسلناه بآياتنا وسلطان مبین إلى فرعون وأشراف جنده وزعماء دولته فأمرهم موسى باتباع الحق وترك الباطل فأبوا وأتبعوا أمر فرعون فأضلهم . ﴿وَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ حتى يهدي إلى الفلاح من اتبعه . قال تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يتقدمهم إلى النار فيوردهم حياضها ﴿وَبِشْسِ الْوَرْدِ الْمُرْوَدِ﴾ أي نار جهنم قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ أي فرعون وقومه لعنوا في الدنيا، ويوم القيامة يلعنون أيضاً ﴿فَبِشْسِ الرُّشْدِ الْمُرْفُودِ﴾ وهما لعنة الدنيا ولعنة الآخرة، والرشد العون والعطاء والمرفود به هو المعان به والمعطى لمن

(١) تابع الحق عز وجل إرسال الرسل بياناً للمحجة وإقامة للحجة .

(٢) التوراة والمعجزات أيضاً إذ كلاهما آيات .

(٣) هي العصا فإنها أكبر برهان وأعظم حجة وأقوى سلطان .

(٤) يقال قدمه يقدمه إذا تقدمه وأما قدم يقدم فإنه بمعنى أتى وجاء ووفد .

(٥) رفده يرفده رفاً إذا أعانه وأعطاه واسم العطية الرشد بكسر الراء وسكون الفاء .

يرفد من الناس .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- من كتب الله شقاه لا يؤمن بالآيات بل يردّها ويكذب بها حتى يهلك .
- ٢- قوة الحجج وكثرة البراهين لا تستلزم إذعان الناس وإيمانهم .
- ٣- التحذير من اتباع رؤساء الشر وأئمة الفساد والضلال .
- ٤- ذم موارد الباطل والشر والفساد .
- ٥- شر المعذبين من جمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ

مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾

وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

ذلك

: الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة .

من أنباء القرى

: أي أخبار أهل القرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط

وأصحاب مدين وفرعون .

منها قائم وحصيد

: منها مدن بقيت آثارها كمداثن صالح، ومنها مدن لم يبق

منها شيء كديار عاد .

التي يدعون

: أي يعبدونها بالدعاء وغيره كالذبح لها والندور والحلف

بها .

غير تنيب

: أي تخسير وهلاك .

إذا أخذ القرى : أي عاقبها بذنوبها .
أليم شديد : أي موجه شديد الإيلاج .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة ما قص من أخبار الأمم السابقة خاطبه قائلاً ﴿ذلك﴾ أي ما تقدم في السياق ﴿من أنباء القرى﴾ أي أهلها نقصه عليك تقريراً لنبوتك وإثباتاً لرسالتك وتثبيتاً لفؤادك وتسلياً لك . وقوله تعالى ﴿منها قائم وحصيد﴾^(٢) أي ومن تلك القرى البائدة منها آثار قائمة من جدران وأطلال ، ومنها ما هو كالحصيد ليس فيه قائم ولا شاخص لاندراسها وذهاب آثارها . وقوله تعالى ﴿وما ظلمناهم﴾ بإهلاكنا إياهم ولكن هم ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي والمجاهدة لآياتنا والمكابرة لرسولنا . وقوله تعالى ﴿فما أغنت عنهم آلهم﴾ التي يدعون . من دون الله من شيء^(٣) أي لم تغن عنهم أصنامهم التي اتخذوها آلهة فعبدها بأنواع العبادات من دعاء ونذر وذبح وتعظيم إذ لم تغن عنهم شيئاً من الإغناء ﴿لما جاء أمر ربك﴾ بعذابهم ﴿وما زادوهم غير تنبيب﴾ أي تخسير ودمار وهلاك . ثم في الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ أي وكذلك الأخذ المذكور أخذ ربك ﴿إذا أخذ القرى﴾ أي العواصم والحوضر بمن فيها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي . ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ أي ذو وجع شديد لا يطاق فهل يعتبر المشركون والكافرون والظالمون اليوم فيترك المشركون شركهم والكافرون كفرهم والظالمون ظلمهم قبل أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم ؟ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير نبوة محمد ﷺ ونشر رسالته وتسليته بما يقص الله عليه من أنباء السابقين .

(١) ذلك مبتدأ أي ذلك النبا المتقدم من أنباء القرى ونقصه في محل رفع خبر ورجح أن يكون ذلك خبراً والمبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك .

(٢) شاهده من قول الشاعر :

والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قائم وحصيد

(٣) من شيء نكرة في سياق النفي ومؤكده بمن الزائدة فدل هذا على أن آلهم لم تدفع عنهم ما أراد الله بهم من الهلاك أدنى شيء .

(٤) شاهده في قول لبيد :

فلقد بليت وكل صاحب جدة يبلى يعود وذاكم التبيب

أي التخسير والتهيب الهلاك والخسران .

(٥) قوله وهي ظالمة الجملة في محل نصب حال من المفعول .

- ٢- تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي .
 ٣- آلهة المشركين لم تغن عنهم عند حلول النعمة بهم شيئاً .
 ٤- التنديد بالظلم وسوء عاقبة الظالمين .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
 تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
 ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾
 فَلَا تُكْفِي مَرِيَّةً مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ مَّا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ
 ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴿١٠٩﴾ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

لاية : أي علامة على أن الذي عذب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة .

يوم مشهود : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة .

إلا لأجل معدود : أي أجل الدنيا المعدود الأيام والساعات .

إلا بإذنه : أي إلا بإذن الله تعالى .

شقي وسعيد : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أولاً وسيدخل النار،

ومنهم سعيد أولاً وسيدخل الجنة .

زفير وشهيق : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت ضعيف وهو الشهيق .
 عطاء غير مجذوذ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً .
 فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين .
 نصيبهم غير منقوص : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ أي إن في أخذ الله تعالى للأمم الظالمة وتعذيبها بأشد أنواع العذاب آية أي علامة واضحة على أن من عذب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة فالمؤمنون بقاء الله تعالى يجدون فيما أخبر تعالى به من إهلاك الأمم الظالمة آية هي عبرة لهم فيواصلون تقواهم لله تعالى حتى يلاقوه وهم به مؤمنون وأوامره ونواهيهم مطيعون . وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ أي ذلك الذي فيه عذاب الآخرة هو يوم القيامة حيث يجمع فيه الناس لفصل القضاء ﴿وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ إذ تشهد الخلائق كلها وقوله تعالى ﴿وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ﴾ أي وما يؤخر يوم القيامة إلا لإكمال عمر الدنيا المعداد السنين والأيام بل والساعات . وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ أي يوم القيامة ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي بإذن الله تعالى وقوله ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي والناس فيه ما بين شقي وسعيد ، وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير ، أولاً ، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً . وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ أي في حكم الله وقضائه ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق وهو صوت ضعيف والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار . وقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي في النار ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما ، وقوله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أن لا يخلد فيها وهم أهل التوحيد ممن ماتوا على كباثر الذنوب . وقوله تعالى ﴿إِنْ رَبُّكَ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾ أي إن ربك أيها الإنسان فعال لما يريد إذا أراد شيئاً فعلة

(١) الجمع أصله لم الشتات والمتفرق منه يكون واحداً والجمع حشر الناس يوم القيامة في صعيد فصل القضاء .

(٢) قرئ يوم يأتي بدون ياء لأن الباء تحذف إذا كان فيها كسرة .

(٣) لا تكلم الأصل لا تتكلم بتأني وحذفت إحداهما للتخفيف وقرئ يأتي بالياء وهو الأصل والحذف للتخفيف لا غير كقول الرجل لا أدر فيما لا يدري .

(٤) وردت آيات فيها نفي الكلام عن أهل الموقف إلا بإذن الله تعالى وأخرى تثبت ذلك والجمع أن للمحشر مواقف وأحوالاً فيؤذن لهم فيها أحياناً ولا يؤذن لهم أحياناً أخرى ولا خلاف في أنه لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى له بالكلام .

(٥) اختلف في تحديد معنى كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين والزفير مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدة ، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاقح طويل .

لا يحال بينه وبين فعله^(١) وقوله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ أي حكم الله تعالى بسعادتهم ﴿لما وفقهم الله من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي﴾ ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ إذ إرادة الله مطلقة لا تحد إلا بمشيئته العليا وقوله ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي عطاء من ربك لأهل طاعته غير مقطوع أبداً وهذا دليل خلودهم فيها أبداً. وقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ هو خطاب لرسول الله ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يشك في بطلان عبادة المشركين أصنامهم فإنهم لا دليل لهم على صحة عبادتها وإنما هم مقلدون لأنائم يعبدون ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان ، وقوله تعالى ﴿وإنما لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يخبر تعالى انه موفي المشركين ما كتب لهم من خير وشر أو رحمة وعذاب توفية كاملة لا نقص فيها بحال.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- فضل وفضيلة الإيمان بالآخرة.

٢- حتمية البعث الآخر وأنه لا شك فيه .

٣- الشقاوة والسعادة مضي بهما القضاء والقدر قبل وجود الأشقياء والسعداء .

٤- عجز كل نفس عن الكلام يوم القيامة حتى يؤذن لها به .

٥- إرادة الله مطلقة، لو شاء أن يخرج أهل النار لأخرجهم منها ولو شاء أن يخرج أهل الجنة لأخرجهم إلا أنه حكم بما أخبر به وهو العزيز الحكيم .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ كُلَّا لَمَّا يُوقِنُ أَنَّ رَبَّهُمْ رُبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

(١) أي لا يرد قضاؤه ولا يوقف فعله ولا يحال بينه وبين مراده .

(٢) قيل إن هذا تعبير عربي معتاد المقصود منه التأييد كقولهم لا أكلمك ما طلع نجم أو ما نبج كلب وما إلى ذلك وما في التفسير أوجه وهو الذي عليه المحققون .

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ



شرح الكلمات:

الكتاب

: أي التوراة.

ولولا كلمة سبقت

: أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء

إلى يوم القيامة.

لفي شك منه مريب

: أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها.

فاستقم كما أمرت

: أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك بدون تقصير.

ولا تطغوا

: أي لا تجاوزوا حدود الله.

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا : أي لا تميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.

فتمسكم النار

: أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر والثبات وهو يبلغ دعوة الله تعالى ويدعو إلى توحيده مواجهها صلف المشركين وعنادهم فيقول له . ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾^(١) أي التوراة كما أنزلنا عليك القرآن . فاختلفت اليهود في التوراة فمنهم من آمن بها ومنهم من كفر كما اختلف قومك في القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر إذاً فلا تحزن . وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي تأخير الجزاء على الأعمال في الدنيا إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ فنجى المؤمنين وأهلك الكافرين . وقوله تعالى ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ وإن قومك من مشركي العرب لفي شك من القرآن هل هو وحي الله وكلامه أو هو غير ذلك مريب أي موقع في الريب الذي هو شك مع اضطراب النفس وقلقها وحيرتها وقوله تعالى ﴿وإن كلاً لما ليوفينهم ربك﴾

(١) ظاهر البيان أن الله تعالى يتبلي رسوله ويخفف عنه ما يجده من ألم من جراء كفر قريش بما جاءها به من الهدى ودين الحق فقال تعالى : ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلف الناس في ذلك فأمن بعض وكفر بعض واليهود ما زالوا مختلفين في التوراة أي فيما تحمله من أحكام فهذا يحلل وهذا يحرم .

(٢) قرء وإن كلاً بخفيف إن وأعمالها على أنها المخففة من الثقيلة وقالوا سمع من يقول إن زيدا لمنطلق وشدها آخرون ونصبوا بها كلاً ، وقرأ عاصم وحزمة وابن عامر لما بالتشديد وقرأ نافع وغيره بالتخفيف بناء على أن ما صلة واللام هي لام الابتداء لتي تدخل على الخبر واللام الثانية لام القسم وفصل بين اللامين بما كراهية توالي لامين وعلى قراءة تشديد لما فقد خرجوها على أن الأصل لمن ما فأدغمت النون في الميم فصارت لما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الميم الأولى تخفيفاً فصارت لماً وتوجيه الكلام وإن جميعهم للآقون جزاء أعمالهم .

أعمالهم ﴿أي وإن كل واحد من العباد مؤمناً كان أو كافراً باراً أو فاجراً ليوفيته جزاء عمله يوم القيامة ولا ينقصه من عمله شيئاً وقوله ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ تقرير لما أخبر به من الجزاء العادل إذ العلم بالعمل والخبرة التامة به لا بد منهما للتوفية العادلة . وقوله تعالى ﴿فاستقم﴾ كما أمرت ومن تاب معك ﴿أي بناء على ذلك فاستقم كما أمرك ربك في كتابه فاعتقد الحق واعمل الصالح واترك الباطل ولا تعمل الطالح أنت ومن معك من المؤمنين ليكون جزاؤكم خير جزاء يوم الحساب والجزاء . وقوله ﴿ولا تطغوا﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل وقوله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ تحذير لهم من الطغيان الذي نهوا عنه ، وتهديد لمن طغى فتجاوز منهج الاعتدال المأمور بالتزامه . وقوله تعالى ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ أي لا تميلوا إلى المشركين بمداهنتهم أو الرضا بشركهم فتكونوا مثلهم فتدخلوا النار مثلهم فتمسكم النار كما مستهم ، وقوله تعالى ﴿وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ أي إن أنتم ركنتم إلى الذين ظلموا بالشرك بربهم فكنتم في النار مثلهم فإنكم لا تجدون من دون الله ولياً يتولى أمر الدفاع عنكم ليخرجكم من النار ثم لا تنصرون بحال من الأحوال ، وهذا التحذير وإن وجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداء فإن المقصود به أمته إذ هي التي يمكنها فعل ذلك أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو معصوم من أقل من الشرك فكيف بالشرك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه مما يجده من جحود الكافرين .
- ٢- بيان سبب تأخر العذاب في الدنيا ، وهو أن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا .
- ٣- الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبداً إذ به حكم الحق عز وجل .
- ٤- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى عقيدة وعبادة وحكماً وأدباً .

(١) قال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية ولذا قال وقد سأله أبو بكر عن إسراع الشيب إليه شيتني هود وأخواتها ، وليس الرسول وحده مأموراً بالاستقامة بل كل مؤمن ومؤمنة لقوله (ومن تاب معك) فاللهم أعنا على ذلك .

(٢) حقيقة الركون هي الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به قال قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ولا ترضوا أعمالهم .

(٣) في الآية دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي وأهل البدع والأهواء فإن صحبتهم كفر أو مَعْصية إذ الصلابة لا تكون إلا عن مودة وقد قال حكيم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

٥- حرمة الغلو وتجاوز ما حد الله تعالى في شرعه .

٦- حرمة مداهنة المشركين أو الرضا بهم أو بعملهم ، لأن الرضا بالكفر كفر .

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ
الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

وأقم الصلاة

: أي صل الصلاة المفروضة .

طرفي النهار

: أي الصبح ، وهي في الطرف الأول ، والظهر والعصر

وهما في الطرف الثاني .

وزلفاً من الليل

: أي ساعات الليل والمراد صلاة المغرب وصلاة العشاء .

إن الحسنات يذهبن السيئات : أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صفائر الذنوب

التي تقع بينهن .

ذلك ذكرى للذاكرين : أي ذلك المذكور من قوله وأقم الصلاة عظة

للمتعظين .

المحسنين

: أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بالإخلاص

فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبيّن رسول الله صلى

الله عليه وسلم .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهدايتهم إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم فقال تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ أقمها في

(١) المداهنة هي أن يتنازل العبد عن دينه لأجل دنياه وهي محرمة والمداراة جائزة وهي أن يتنازل العبد عن دنياه ليحفظ دينه .

(٢) طرف النهار - أوله - وهو من طلوع الفجر وآخره من العصر إلى غروب الشمس .

(٣) الزلف جمع زلفة كغرفة وغرف وهي الساعة القريبة من أختها والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ، وهذه الآية إحدى ثلاث آيات ذكرت أوقات الصلوات الخمس . الثانية آية الإسراء ﴿وأقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهود﴾ والثانية آية الروم ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ .

هذه الأوقات الخمس وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ومعنى أقمها أداها على الوجه الأكمل لأدائها، فيكون ذلك الاداء حسنات ^(١) يمحو الله تعالى بها السيئات، وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المأمور به وما يترتب عليه ﴿ذكرى﴾ أي عظة ﴿للمذاكرين﴾ أي المتعظين وقوله ﴿واصبر﴾ أي على الطاعات فعلاً وتركاً وعلى أذي المشركين ولا تجزع ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي جزاءهم يوم القيامة، والمحسنون هم الذين يخلصون أعمالهم لله تعالى ويؤدونها على الوجه الأكمل في أدائها فتنتج لهم الحسنات التي يذهب الله بها السيئات.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١- بيان أوقات الصلوات الخمس إذ طرفي النهار هما الصبح وفيها صلاة الصبح والعشي وفيها صلاة الظهر والعصر كما أن زلفاً من الليل هي ساعاته فيها صلاة المغرب والعشاء.
- ٢- بيان سنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة وفي الحديث «الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها ما لم تغش الكبائر».
- ٣- وجوب الصبر والإحسان وأنهما من أفضل الأعمال.

فَلَوْلَا

كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ

(١) قوله تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ جملة تعليلية للأمر بإقام الصلاة وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين : الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالى بها السيئات وهي الصغائر والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذهابها .

(٢) روى البخاري عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبله حرام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك فنزلت عليه ﴿واقم الصلاة﴾ الآية فقال الرجل إلي هذا؟ قال لمن عمل بها من أمتي .

﴿١١٨﴾ إِنْ لَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات :

- فلولا : لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه .
من القرون : أي أهل القرون والقرون مائة سنة .
أولو بقية : أي أصحاب بقية أي دين وفضل .
ما أترفوا فيه : أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع .
وكانوا مجرمين : أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك .
بظلم : أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته .
أمة واحدة : أي على دين واحد وهو الإسلام .
ولذلك خلقهم : أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﴿فلولا كان من القرون﴾ من قبلكم أيها الرسول والمؤمنون ﴿أولو بقية﴾ من فهم وعقل وفضل ودين ينهون عن الشرك والتكذيب والمعاصي أي فهلاً كان ذلك إنه لم يكن اللهم إلا قليلاً ممن أنجى الله تعالى من اتباع الرسل عند إهلاك أممهم وقوله تعالى ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ أي لم يكن بينهم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجى الله وما عداهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي متبعين ما اترفوا فيه من ملاذ الحياة الدنيا وبذلك كانوا مجرمين فأهلكهم الله تعالى ونجى رسله والمؤمنين كما تقدم ذكره في قصة نوح وهود وصالح وشعيب

(١) أصحاب بقية والبقية أهل فضل ودين وصلاح يوجدون كبقية باقية في وسط أمة ضالة فاسدة غلب عليها الضلال والفساد فتوجد بقية صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

(٢) أترفوا أي أترفهم الله بما وسع عليهم من الأرزاق ولم يشكروه هؤلاء المترفون اتبعوا ما أترفوا فيه وانقطعوا إليه فلا هم لهم إلا متاع الحياة الدنيا، وبذلك أجروا على أنفسهم وعقولهم فأصبحوا بذلك مجرمين، في الآية ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله .

عليهم السلام . وقوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾^(١) أي لم يكن من شأن ربك أيها الرسول أن يهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون ، ولكن يهلكهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك والتكذيب والمعاصي . وما تضمنته هذه الآية هو بيان لسنة الله تعالى في إهلاك الأمم السابقة ممن قص تعالى أنباءهم في هذه السورة . وقوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾^(٢) أي على الإسلام بأن خلق الهداية في قلوبهم وصرف عنهم الموانع . ولما لم يشأ ذلك لا يزالون مختلفين على أديان شتى من يهودية ونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة . وقوله ﴿إلا من رحم ربك﴾^(٣) أيها الرسول فإنهم لا يختلفون بل يؤمنون بالله ورسوله ويعملون بطاعتهما فلا فرقة ولا خلاف بينهم دينهم واحد وأمرهم واحد . وقوله ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي وعلى ذلك خلقهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن ، والكافر شقي والمؤمن سعيد ، وقوله ﴿وتمت كلمة﴾ أي حققت ووجبت وهي ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس﴾^(٤) أجمعين ﴿ولذا كان اختلاقهم مهيتاً لهم لدخول جهنم حيث قضى الله تعالى بامتلاء جهنم من الجن والإنس أجمعين فهو أمر لا بد كائن .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ما يزال الناس بخير ما وجد بينهم أولو الفضل والخير بأمر ونهم بالمعروف وينهونهم عن الفساد والشر .
- ٢- الترف كثيرا ما يقود إلى الاجرام على النفس باتباع الشهوات وترك الصالحات .
- ٣- متى كان أهل القرى صالحين فهم آمنون من كل المخاوف .
- ٤- الاتفاق رحمة والخلاف عذاب .

(١) في الآية إشارة إلى مصداق مثل سائر بين الناس وهو قولهم يدوم الكفر ولا يدوم الظلم . فالأمة إذا كان أفرادها مصلحين لا يفسدون ولا يرضون الفساد ولا يقرونه فتطول حياتها ويعظم شأنها ولو كانت كافرة .

(٢) في الآية تقرير مشيئة الله تعالى التي لا يقع في الكون شيء إلا بها فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم على ملة الإسلام أو ملة الكفر أمة واحدة ولكن حكمته اقتضت اختلاف الناس لتجلى في ذلك قدرته ورحمته وعدله وعفوه ومغفرته .

(٣) اجتماع الأمة وعدم اختلافها مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى واختلافها مظهر من مظاهر عذابها وشقائها وحرمانها .

(٤) جملة لأملأن جهنم تفسير للكلمة التي أتمها الله تعالى وهي قوله ﴿لأملأن جهنم﴾ .

(٥) أي من الفريقين فمن تبعيضية فيدخل بعض الجن والإنس الجنة ويدخل بعض الجن والإنس النار .

وَكَلَّا نَقْصُ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات :

وَكَلَّا نَقْصُ

: أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتاً
لفؤادك .

ما نثبت به فؤادك

: أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر
على دعوتنا وتبليغها .

وجاءك في هذه الحق

: أي في هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك
في غيرها .

وموعظة وذكرى

: أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون
بها .

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه
علم .

فاعبده

: أي وَّحِّدْهُ فِي الْعِبَادَةِ وَلَا تَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا .

وتوكل عليه

: أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة فيه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة الشريفة ما قصه من أنباء الرسل مع أمهم
مبيناً ما لاقت الرسل من أفراد أمهم من تكذيب وعناد ومجاهدة وكيف صبرت الرسل

حتى جاءها النصر أخبر تعالى رسوله بقوله ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ^(١) مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَنْثِبُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي ونقص عليك كل ما تحتاج إليه في تدعيم موقفك وقوة عزيمتك من أنباء الرسل أي من أخبارها مع أممها الشيء الذي نثبت به قلبك حتى تواصل دعوتك وتبلغ رسالتك. وقوله ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ أي السورة الحق من الأخبار كما جاءك في غيرها ﴿وَمَوْعِظَةٍ﴾^(٢) لك تعظ بها غيرك، ﴿وَذِكْرٍ﴾ يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق ويصبرون على الطاعة والبلاء فلا يجزعوا ولا يملوا، وقوله ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ أي قل للذين لا يؤمنون من قومك ممن هم مصرون على التكذيب والشرك والعصيان أعملوا على حالكم وما أنتم متمكنون منه إِنَّا عَامِلُونَ على حالنا كذلك،

وانظروا آئنا ينتصر في النهاية أو ينكسر. وقوله والله غيب السموات والأرض فهو وحده يعلم متى يجيء النصر ومتى تحقق الهزيمة. وإليه يرجع الأمر كله أمر الانتصار والانكسار كأمر الهداية والاضلال والإسعاد والاشقاء، وعليه فاعبده يارسلنا وحده وتوكل عليه وحده، فإنه كافيك كل ما يهكم من الدنيا والآخرة، وما ربك بغافل عما تعملون أيها الناس وسيجزي كلاً بما عمل من خَيْرٍ أو غير وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها :

أ (تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

ب (إيجاد مواظ وعبر للمؤمنين .

ج) تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره .

٣- مرد الأمور كلها لله بدءاً وعوداً ونهاية .

(١) نصب كلاً بفعل نقص أي نقص عليك كلاً والتنوين عوض عن كلمة محذوفة تقديرها كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل .

(٢) لاشتمالها على خمس قصص . قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب، مع الإشارة إلى قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام .

(٣) الموعظة اسم مصدر الوعظ وهي التذكير بما يصرف العبد عما يضره ويسيء إليه في سائر المحرمات فعلاً وتركاً .

(٤) أي له علمه وحده دون سواه أي غيره لا في السماء ولا في الأرض .

(٥) أي ثق فيه وفوض أمر نصرك إليه ولا تلتفت إلى غيره فإنه كافيك دون سواه .

٤- وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه .^(١)

سُورَةُ يُوسُفَ مكية

وآياتها مائة وأحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّتِّلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُيْمِنِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :
الر

: تكتب الر وتقرأ : ألف ، لام ، را ، والله أعلم بمراده
بذلك .

الكتاب الميـمين

: أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات
والشرائع .

قرآنا عربيا

: أي بلغه العرب العدنانيون والقحطانيون سواء .
: نحدثك متبعين آثار الحديث على وجهه الذي كان عليه
وتم به .

نحن نقص

بما أوحينا

: أي بإيحائنا إليك فالوحي هو أداة القصص .
: أي من قبل نزوله عليك .

من قبله

: أي من قبل إيحائنا إليك غافلا عنه لا تذكره ولا تعلم منه
شيئاً .

لمن الغافلين

(١) إذ لاجلها خلق الخلق كله ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ الآية وفي الحديث القدسي : يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي . إذا فعلته الحياة كلها أن يعبد الله تعالى .

معنى الآيات :

إن المناسبة بين سورتي هود ويوسف عليهما السلام أن الثانية تتميم للقصص الذي اشتملت عليه الأولى إذ سورة يوسف اشتملت على أطول قصص في القرآن الكريم أوله ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ رابع آية وآخره ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ الآية الثانية بعد المائة وأما سبب نزول هذه السورة فقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى ﴿ألر تلك يات الكتاب المبين﴾ إلى قوله ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ فقص أحداث أربعين سنة تقريباً، فقوله تعالى ﴿ألر﴾ من هذه الحروف المقطعة تألفت آيات القرآن الكريم، فأشار إليها بقوله ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي المبين للحق المظهر له ولكل ما الناس في حاجة إليه مما يصلح دينهم ودنياهم. وقوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿قرآنا عربياً﴾ أي بلسان العرب ليفهموه ويعقلوا معانيه فيهدوا عليه فيكملوا ويسعدوا. وقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي ليمكنكم فهمه ومعرفة ما جاء فيه من الهدى والنور. وقوله تعالى ﴿نحن نقص عليك﴾ يارسول الله ﴿أحسن القصص﴾ أي أصح وأصدق وأنفعه وأجمله ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي بواسطة إحيائنا إليك هذا القرآن، ﴿وإن كنت من قبله﴾ أي من قبل إحيائه إليك ﴿لمن الغافلين﴾ عنه لا تذكره ولا تعلمه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير اعجاز القرآن إذ هو مؤلف من مثل آلر، وطس، وق، ومع هذا لم يستطع العرب أن يأتوا بسورة مثله.

٢- بيان الحكمة في نزول القرآن باللغة العربية وهي أن يعقله العرب ليلغوه إلى غيرهم.

(١) روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا يارسول الله ﷺ: لو قصصت علينا فنزلت: نحن نقص عليك أحسن القصص الآية.

(٢) قرآناً عربياً حال من الضمير في أنزلناه وعربياً صفة له فلم يكن على نهج الأشعار - والقصص التي تقص وإنما هو كتاب منظم يقرأ ويحفظ ويعلم ما فيه ويعمل به لسعادة الدارين.

(٣) أي جعلناه قرآناً عربياً بلغتكم التي تتخاطبون بها وتفهمون أساليبها الكلامية ومعانيها الإفرادية والتركيبية رجاء أن تتمكنوا من فهمه ومعرفة ما يدعو إليه من الحق والصراط المستقيم.

(٤) القصص منقول من قص الأثر إذا تتبع آثار الأقدم ليعرف منتهى سير صاحبها فالقصص تتبع الأخبار للمعرفة والعظة والاعتبار.

٣- انقرآن الكريم اشتمل على أحسن القصص فلا معنى لسماع قصص غيره .

٤- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها بأقوى برهان عقلي وأعظم دليل نقلي .

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ

رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لأبيه : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام .

إني رأيت : أي في منامي .

أحد عشر كوكبا : أي من كواكب السماء .

ساجدين : أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل .

فيكيدوا لك : أي يحتالوا عليك بما يضرك .

عدو مبين : أي بين العداوة ظاهرها .

يجتبيك ربك : أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين .

من تأويل الأحاديث : أي تعبير الرؤيا .

ويتم نعمته عليك : أي بأن ينبتك ويرسلك رسولا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ ^(٦) هذا بداية القصص أي اذكر أيها الرسول إذ قال يوسف بن

(١) روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني .

(٢) إذ ظرف في محل نصب والعامل فيه اذكر أي اذكر لهم حين قال يوسف الخ .

يعقوب لأبيه يعقوب ﴿يَا أَبَتِ﴾ أي يا أبي ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ أي من كواكب السماء ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ أي نزلوا من السماء وسجدوا له تحية وتعظيما. وسيظهر تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة حيث يجمع الله شمله بأبويه وإخوته الأحد عشر ويسجد الكل له تحية وتعظيما. وقوله تعالى ﴿قال يا بني﴾ أي قال يعقوب لولده يوسف ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ وهم إخوة له من أبيه دون أمه ﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ أي يحملهم الحسد على أن يكيدوك بما يضرك بطاعتهم للشيطان حين يغريهم بك ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ إذ أخرج آدم وحواء من الجنة بتزيينه لهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها. وقوله ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ وكما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر ساجدين لك يجتبيك أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وقوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي ويعلمك معرفة ما يؤول إليه أحاديث الناس ورؤياهم المنامية، ويتم نعمته عليك بالنبوة وعلى آل يعقوب أي أولاده. ﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق﴾ اسحق جد يوسف الأدنى وإبراهيم جده الأعلى حيث أنعم عليهما بانعامات كبيرة أعظمها النبوة والرسالة، وقوله تعالى ﴿إن ربك عليم﴾ أي بخلقته ﴿حكيم﴾ أي في تدبيره فيضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للاكرام، ويحرم من هو أهل للحرمان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- ثبوت الرؤيا شرعاً ومشروعية تعبيرها.^(٥)

(١) في يا أبت لغات كسر التاء وفتحها وضمها، والأصل يا أبي فزيدت التاء عوضاً عن الياء فلذا لا يجمع بينهما فلا يقال يا أبتى.

(٢) ساجدين جمع ساجد وهو للعاقل، والشمس والقمر والنجوم من غير العقلاء. فلم ما قال ساجدة؟ والجواب لما كان السجود وهو طاعة لا يصدر إلا من عاقل ذكر الفعل فقال ساجدين

(٣) الرؤيا ما يراه المرء في منامه من أمور وأحوال، وهي ثلاثة أنواع لقوله ﷺ الرؤيا ثلاثة منها أهويل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهتم به في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وقال ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.

(٤) قيل لمالك أي عبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: بالنبوة تلعب؟ لا بعد الرؤيا إلا من يحسنها فإن لم يحسنها فلا بأس به. وهذا هو رأي

- ٢- قد تتأخر الرؤيا فلا يظهر مصداقها إلا بعد السنين العديدة .
 ٣- مشروعية الحذر والأخذ بالحيطه في الأمور الهامة .
 ٤- بيان إفضال الله على آل ابراهيم بما أنعم عليهم فجعلهم أنبياء آباء وأبناء وأحفاداً

❖ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ۝

ءَايَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا
 يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِن
 بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ
 وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

- آيات للسائلين^(١) : عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة .
 ونحن عصبه : أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلاً .
 أو اطرحوه أرضاً : أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه .
 يخل لكم وجه أبيكم : أي من النظر إلى يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلى غيركم .
 في غيابة الجب : أي ظلمة البئر .
 بعض السيارة : أي المسافرين السائرين في الأرض .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي

(١) الآيات : الدلائل على ما تُطلب معرفته من الأمور الخفية ذات الشأن وهي مأخوذة من آيات الطريق وهي علامات توضع على جنبات الطريق ترشد السائرين .

في شأن يوسف وإخوته وما جرى لهم وما تم من أحداث جسام عبر وعظات للسائلين^(١) عن ذلك المتطلعين إلى معرفته. ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين وهو شقيقه دونهم ﴿أَحِبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عَصِيَّةٌ﴾ أي جماعة فكيف يفضل^(٢) الاثنين على الجماعة ﴿إِنْ أَبَانَا﴾ أي يعقوب عليه السلام ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في خطأ بين بإيثاره يوسف وأخاه بالمحبة دوننا. وقوله ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ يخبر تعالى عما قاله إخوة يوسف وهم في خلوتهم يتآمرون على أخيهم للتخلص منه فقالوا ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ بإزهاق روحه، ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ﴾ في أرض بعيدة ألقوه فيها فيهلك وتتخلصوا منه بدون قتل منكم، وبذلك ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ حيث كان مشغولاً بالنظر إلى يوسف، ويحبكم وتحبونه وتتوبوا إلى الله من ذنب إبعاد يوسف عن أبيه، وتكونوا بعد ذلك قوماً صالحين حيث لم يبق ما يورثكم ذنباً أو يكسبكم إثمًا. وقوله تعالى ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ﴾ يخبر تعالى عن قيل إخوة يوسف لبعضهم البعض وهم يتشاورون في شأن يوسف وكيف يبعدونه عن أبيهم ورضاه عنهم قال قائل منهم هو يهودا أو روبيل وكان أخاه وابن خالته وكان أكبرهم سناً وأرجحهم عقلاً قال: لا تقتلوا يوسف، لأن القتل جريمة لا تطاق ولا ينبغي ارتكابها بحال، والقوه في غيابة الجب أي في ظلمة البئر، وهي بئر معروفة في ديارهم بأرض فلسطين يلتقطه بعض السيارة من المسافرين إن كنتم فاعلين شيئاً إزاء أخيكم فهذا أفضل السبل لذلك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة بين الإخوة.

(١) السائلون: من يتوقع منهم السؤال عن المواعظ والعبر، والحكم والعرب يستعملون هذا في أساليبهم للتشويق قال السؤل:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليسوا سواء عالم وجهول

(٢) أهمها يقال لها راحيل بنت لا بان وباقي الأخوة منهم الأشقاء لبعضهم ومنهم لأب إذا لم تكن أمهم واحدة.

(٣) نظرتهم هذه مادية بحتة إذ رأوا أن نفع الجماعة لأبيهم أكثر من نفع الواحد والاثنين وهو ما فُضِّلَ يوسف للمادة ولكن للكمال الروحي المهيأ له الدال عليه رؤياه. والعصية الجماعة ولا واحد لها من لفظها.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلاً قال فماذا قالوا في تأمرهم وتشاورهم فأجيب قالوا أقتلوا الخ..

(٥) غيابة الجب والجمع غيابات وهي ما غاب عن البصر من شيء والمراد هنا قعر الجب وسمي الجب جباً لأنه مقطوع من الأرض ويجمع على جباب وجبة.

(٦) في الآية دليل على مشروعية التقاط اللقطة وقد أذن فيها رسول الله ﷺ ولم يأذن في ضالة الإبل إذ قال في اللقطة: اعرف عقاصها (وعاءها) ووكاءها ثم عرفها. سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشانك بها. وقال في ضالة الغنم هي لك وألأخيك أو للذئب وقال في الإبل مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها.

- ٢- الحسد^(١) سبب لكثير من الكوارث البشرية .
 ٣- ارتكاب أخف الضررين قاعدة شرعية عمل بها الأولون .
 ٤- الشفقة والمحبة في الشقيق أكبر منها في الأخ للأب .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- لناصحون : لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا .
 يرتع ويلعب^(٢) : أي يأكل ويشرب ويلعب بالمسابقة والمناضلة .
 إني ليحزنني : أي يوقني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به .
 الذئب : حيوان مفترس خداع شرس .
 ونحن عصبة : أي جماعة قوية .
 لخاسرون : أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة يوسف إنهم بعد ائتمارهم واتفاقهم السري على إلقاء يوسف في غيابة الجب طلبوا من أبيهم أن يترك يوسف يخرج معهم إلى البر كعادتهم للنزهة والتنزه

(١) شاهدها حسد إبليس آدم فكانت كارثة الهبوط في الأرض والفتنة فيها وآخر حسد قابيل هابيل فقتله لذلك وثالث حسد اليهود للإسلام والمسلمين فجر حروباً وويلات لا حد لها على الإسلام والمسلمين .

(٢) قرأ نافع يرتع بكسر العين مجزوم في جواب الطلب بحذف الياء من ارتعى يرتعي الغنم ليتدرب بذلك وقرأها حفص بإسكان العين جزماً من رتع يرتع في المكان إذا أكل كيف شاء قال الشاعر

ترتع ما غفلت حتى إذا أذكرت فإنما هي اقبال وادبار

وكانهم لاحظوا عدم ثقة أبيهم فيهم فقالوا له ﴿مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ أي محبون له كل خير مشفقون عليه أن يمسّه أدنى سوء. ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي يرتع في البادية يأكل الفواكه ويشرب الألبان ويأكل اللحوم ويلعب بما نلعب به من السباق والمناضلة، والمصارعة، ﴿وإنا له لحافظون﴾ من كل ما قد يضره أو يُسيئُ إليه. فأجابهم عليه السلام قائلاً ﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾ أي إنه ليوقعني في الحزن وآلامه ذهابكم به. ﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ في رتعمكم ولعبكم. فأجابوه قائلين ﴿والله لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ أي لا خير في وجودنا ما دمنا نغلب على أختينا فيأكله الذئب بيننا. ومع الأسف فقد اقتصروا بهذا الحديث والدهم وغداً سيذهبون بيوسف لتنفيذ مؤامرتهم الدنية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قاعدة : لا حذر مع القدر أي لا حذر ينفع في ردّ المقدور .
- ٢- صدق المؤمن يحمله على تصديق من يحلف له ويؤكد كلامه .
- ٣- جواز الحزن وأنه لا إثم فيه وفي الحديث «وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» .
- ٤- أكل الذئب للإنسان إن أصاب منه غفلة واقع وكثير أيضاً .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ

(١) قرئت لا تأمنا بالإدغام وبدون إشمام وقرئت بالإدغام مع الإشمام وقرئت لا تأمنا بنونين ظاهرتين وقرئت لا تمنا بكسر التاء لغة تميم .

(٢) أي يشق على مفارقه مدة ذهابكم به وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمال النبوة ومخائل الكمال .

(٣) وينفع في ما لم يقدر بإذن الله تعالى .

(٤) الذئب مأخوذ من تذابت الريح إذا جاءت من كل وجه والذئب مهموز لأنه يجيء من كل وجه . وقرأ ورش عن نافع الذئب بدون همز لأن الهمزة ساكنة وقبلهما كسرة فحذفت تخفيفاً .

يُؤْمِنِينَ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُ وَعَلَى قَمِيصِهِ
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- وأجمعوا : أي أمرهم على إلقائه في غيابة الجب .
في غيابة الجب : أي في ظلمة البئر .
وأوحينا إليه : أي أعلمناه بطريق خفي سريع .
عشاء : أي بعد غروب الشمس أول الليل .
نستبق : أي بالمناضلة .
عند متاعنا : أي أمتعتنا من ثياب وغيرها .
وما أنت بمؤمن لنا : أي بمصدق لنا .
بدم كذب : أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف .
بل سولت لكم : أي زينت وحسنت .
على ما تصفون : أي من الكذب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الإخبار عما عزم عليه إخوة يوسف أن يفعلوه فقد أقنعوا والدهم يوم أمس على إرسال يوسف معهم إلى البر وها هم أولاء وقد أخذوه معهم وخرجوا به ، وما إن بعدوا به حتى تغيرت وجوههم عليه وصار يتلقى الكلمات النابية والوكز والضرب أحيانا ، وقد أجمعوا أمرهم على إلقائه في بئر معلومة لهم في الصحراء ، ونفذوا مؤامرتهم وألقوا أخاهم وهو يبكي بأعلى صوته وقد انتزعوا منه قميصه وتركوه مكتوبا في قعر البئر . وهنا أوحى الله تعالى إليه أي أعلمه بما شاء من وسائط العلم انه سينبتهم في يوم من الأيام بعملهم الشنيع هذا وهو معنى قوله تعالى في السياق ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ وبعد أن فرغوا من أخيه ذبحوا سخلة ولطخوا بدمها قميصه ، وعادوا

(١) هذا دليل على نبوته وأنه نبيء وهو صغير إذ النبوة لا يشترط لها بلوغ الرشد كالرسالة . وقيل الهاء في إليه تعود إلى يعقوب وعليه فلا إشكال إذ هو نبي ورسول عليه السلام .

إلى أبيهم مساء يكون يحملون الفاجعة إلى أبيهم الشيخ الكبير قال تعالى ﴿وجاءوا أباهم عشاء﴾ أي ليلاً ﴿يكون﴾^(١) وقالوا معتردين ﴿يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا﴾^(٢) فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ وقد دلت عباراتهم على كذبهم قال تعالى ﴿وجاءوا على تميصه بدم كذب﴾^(٣) أي ذي كذب أو مكذوب إذ هو دم سخلة ذبحوها فأكلوها ولطخوا ببعض دمها قميص يوسف أخيهم ونظر يعقوب إلى القميص وهو ملطخ بالدم الكذب ولم يكن به خرق ولا تمزيق فقال إن هذا الذئب لحليم إذ أكل يوسف ولم يخرق ثوبه. ثم قال ما أخبر تعالى عنه بقوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي لم يكن الأمر كما وصفتم وادعيتم وإنما سولت لكم أنفسكم أمراً فنفذتموه. ﴿فصبر جميل﴾^(٤) أي فأمرني صبر جميل والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى معه. ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي من الكذب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- جواز صدور الذنب الكبير من الرجل المؤمن المهيء للكمال مستقبلاً.^(٥)
- ٢- لطف الله تعالى بيوسف وإكرامه له بإعلامه إياه أنه سينبئ إخوته بفعالته هذه وضمن ذلك بشره بسلامة الحال وحسن المآل.
- ٣- اختيار الليل للاعتذار دون النهار لأن العين تستحي من العين كما يقال. وكما قيل «كيف يرجو الحياء منه صديق . . . ومكان الحياء منه خراب . يريد عينيه لا تبصران».
- ٤- فضيلة الصبر الجميل وهو الخالي من الجزع والشكوى معاً.

(١) في الآية دليل على أن بكاء المرء لا يكون دليلاً على صدق قوله لاحتمال أن يكون تصنعاً كما حصل لأولاد يعقوب .
(٢) هو المسابقة وقيل تنتضل وهو نوع من المسابقة وهو في السهام لا في الأقدام وفي الآية دليل على مشروعية السباق وقد ساق النبي ﷺ بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، والحفياء تبعد من ثنية الوداع ستة أميال أو سبعة، أجمع المسلمون أنه لا يجوز الرهان في السباق إلا في الخيل والإبل والنصل وهي الرماية بالسهم لإصابة الهدف.
(٣) أي ثيابنا وأمتعتنا.

(٤) استدلل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الامارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها إذ يعقوب عليه السلام استدلل على كذب بنيه بصحة القميص وعدم تمزقه بأنياب الذئب.

(٥) فصبر جميل أولى به فصبر جميل مبتدأ وأولى به الخبر وهو محذوف وما في التفسير واضح كذلك.

(٦) والله مبتدأ والمستعان خبر وعلى ما تصفون متعلق به، والمعنى والله المستعان به على احتمال ما تصفون من الكذب.
(٧) لأن إخوة يوسف بعد فعلتهم تلك بأخيهم تاب الله عليهم ونجاهم ومن الطافه بهم أنه حال بينهم وبين جريمة القتل ونجا يوسف وهم يعلمون.

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً
وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَاتٍ بِيَّ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشَدَّهُ نَبَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سيارة

: رُقَّة من الناس تسير مع بعضها بعضا .

واردهم

: أي الذي يرد لهم الماء .

فأدلى دلوه

: أي دلى دلوه في البئر .

وأسروه بضاعة

: أي أخفوه كبضاعة من البضائع .

وشروه بثمان بخس

: أي باعوه بثمان ناقص .

وقال الذي اشتراه

: أي الرجل الذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز .

أكرمي مثواه

: أي أكرمي موضع إقامته بمعنى أكرميهِ وأحسني إليه .

أو نتخذه ولدا

: أي نتبناه فقال ذلك لأنه لم يكن يولد له .

من تأويل الأحاديث

: أي تعبیر الرؤيا .

ولما بلغ أشده

: أي قوته البدنية والعقلية .

حكما وعلمًا

: أي حكمة ومعرفة أي حكمة في التدبير ومعرفة في الدين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته إنه لما ألقى يوسف في الجب وترك هناك جاءت قافلة من بلاد مدين تريد مصر فأرسلوا وارداً لهم^(١) يستقي لهم الماء فأدلى دلوه في البئر فتعلق به يوسف فخرج معه وما إن رآه المدلي حتى صاح قائلاً يا بشرأي هذا غلام وكان إخوة يوسف يترددون على البئر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم هذا عبد لنا أبق، وإن رأيتم شراءه بعناه لكم فقالوا ذاك الذي نريد فباعوه لهم بثمان ناقص وأسره^(٢) الذين اشتروا أي أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة﴾ ﴿وشروه بثمان بخس دراهم معدودة﴾.

وكونها معدودة غير موزونة دال على قتلها ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه^(٣). ولما وصلوا به مصر باعوه من وزير يقال له قبطير العزيز فتفرس فيه الخير فقال لامرأته زليخا أكرمي مقامه بيننا رجاء أن ينفعنا في الخدمة أو نبيعه بثمان غال، أو نتخذه ولداً حيث نحن لا يولد لنا. هذا معنى قوله تعالى ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ قال تعالى ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي وكما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه العزيز مكنا له في الأرض فيما بعد فصار ملك مصر بما فيها يحكمها ويسوسها بالعدل والرحمة. وقوله تعالى ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي ولنعلمه تعبیر الرؤا من أحاديث الناس وما يقصونه منه. وقوله تعالى ﴿والله غالب على أمره﴾ أي على أمر يوسف فلم يقدر إخوته أن يبلغوا منه مرادهم

(١) الوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم.

(٢) قرأ ورش بُشْرَأي، وقرأ حفص بُشْرَى.

(٣) اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. فقيل إنهم إخوة يوسف وقيل هم التجار الذين اشتروه وقيل هم الوارد وأصحابه وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنهم إخوة يوسف لما استخرج الوارد يوسف أدرکہم إخوته وقالوا لهم هذا عبدنا أبق وإن شتمم بعناكموه فقالوا نود ذلك فباعوهم إياه كبضاعة لأن العبد يباع ويشترى كالْبضاعة وما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أصوب والله أعلم.

(٤) لفظ الزاهدين وصف للذين باعوا يوسف ومن هنا قيل هم إخوة يوسف وقيل الواردة وقيل السيارة فالخلاف عائد إلى الأول حيث اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. واستدل مالك بالآية على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ويكون البيع لازماً.

(٥) قال القرطبي: أي فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب ويعلمك من تأويل الأحاديث.

(٦) اختلف في عود الضمير في قوله (على أمره) هل هو عائد إلى الله تعالى فهو الغالب على أمره دون سواه، إذ لا يغلب الله شيء بل هو الغالب على أمره وقيل الضمير يعود إلى يوسف أي أن الله غالب على أمر يوسف يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره.

كما هو تعالى غالب على كل أمر أراده فلا يحول بينه وبين مراده أحد وكيف وهو العزيز الحكيم . وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ إذ لو علموا لفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته . وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يجد من أقربائه من أذى إذ يوسف ناله الأذى من إخوته الذين هم أقرب الناس إليه بعد والديه . وقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي ولما بلغ يوسف اكتمال قوته البدنية بتجاوز سن الصبا إلى سن الشباب وقوته العقلية بتجاوزه سن الشباب إلى سن الكهولة آتيناه حكماً وعلماً أي حكمة وهي الإصابة في الأمور وعلماً وهو الفقه في الدين ، وكما آتيناه يوسف الحكمة والعلم نجزي المحسنين طاعتنا بالصبر والصدق وحسن التوكل وفي هذا بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن العاقبة وأن الله تعالى سينصره على أعدائه ويمكن له منهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- جواز الفرح بما يسر والإعلان عنه .
- ٢- جواز الاحتياط لأمر الدين والدنيا .
- ٣- إطلاق لفظ الشراء على البيع .
- ٤- نسخ التبني في الإسلام .
- ٥- معرفة تعبير الرؤا كرامة لمن علمه الله ذلك .
- ٦- من غالب الله غلب .
- ٧- بلوغ الأشد يتبدى بانتهاء الصبا والدخول في البلوغ .
- ٨- حسن الجزاء مشروط بحسن القصد والعمل .

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا

(١) أي وليناه حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناه النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين .

(٢) هذا الجزاء عام في كل مؤمن أحسن فبقدر إحسان العبد يكون جزاء الرب له فالخطاب يتناول يوسف ومحمداً ﷺ ويتناول غيرهما لأن القرآن كتاب هداية فعمومه لا يخص بالواحد والاثنين .

(٣) مأخوذ من قول الوارد . يا بشرى هذا غلام .

لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- راودته : أي طالبته لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبى .
التي هو في بينها : أي زليخا امرأة العزيز .
وغلقت الأبواب : أغلقتها بالمغاليق .
هيت لك : أي تعال عندي .
معاذ الله : أي أعوذ بالله أي أتحصن وأحتمي به من فعل مالا يجوز .
أحسن مثوأي : أي إقامتي في بيته .
همت به : أي لتبطش به ضرباً ،
وهم بها : أي ليدفع صولتها عليه .
برهان ربه : ألهمه ربه أن الخير في عدم ضربها .
السوء والفحشاء : السوء ما يسوء وهو ضربها ، والفحشاء الخصلة القبيحة .
المخلصين : أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا .
وقدت قميصه : أي قطعتة من وراء .
وألфия سيدها : أي وجداً العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد لأنه يملك المرأة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وما جرى له من أحداث في بيت العزيز الذي اشتراه إنه ما إن أوصى العزيز امرأته بإكرام يوسف حتى بادرت إلى ذلك فأحسن طعمه وشرابه ولباسه وفرشه، ونظراً إلى ما تجلبه الخلوة بين الرجل والمرأة من إثارة

الغريزة الجنسية لا سيما إذا طالت المدة، وأمن الخوف وقلت التقوى حتى راودته بالفعل عن نفسه أي طلبت منه نفسه ليوافقها بعد أن اتخذت الأسباب المؤمنة حيث غلقت أبواب الحجر والبهو والحديقة، وقالت تعال إليّ. وكان رد يوسف على طلبها حازماً قاطعاً للطمع وهذا هو المطلوب في مثل هذا الموقف قال تعالى مخبراً عما جرى في القصر حيث لا يعلم أحد من الناس ما جرى وما تم فيه من أحداث. ﴿ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب﴾^(١) وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴿٢﴾. إنها بعد أن اتخذت كل ما يلزم للحصول على رغبتها منه أجابها قائلاً ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في أهله. وفي نفس الوقت أن سيده الحق الله جل جلاله قد أحسن مثواه بما سخر له فكيف يخونه فيما حرم عليه. وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثان فالظالم بوضع الشيء في غير موضعه يخيب في سعيه ويخسر في دنياه وأخراه فكيف أرضى لنفسه ولك بذلك وقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ أي همت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مرادات طالت مدتها، وهم هو بها أي بضربها دفعاً لها عن نفسه إلا إنه أراه الله برهاناً في نفسه فلم يضربها وأثر الفرار إلى خارج البيت، ولحقته تجري وراءه لترده خشية أن يعلم أحد بما صنعت معه. واستبقا الباب هو يريد الخروج وهي تريد رده إلى البيت خشية الفضيحة وأخذته من قميصه فقدته أي شقته من دُبر أي من وراء لأنه أمامها وهي وراء. وقوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ أي هكذا نصرف عن يوسف السوء فلا يفعله والفحشاء فلا يقربها، وعلل لذلك بقوله إنه من عبادنا المخلصين أي الذين استخلصناهم لعبادتنا ومحبتنا فلا نرضى لهم أن يتلوثوا بآثار الذنوب والمعاصي. وقوله تعالى ﴿والفيا سيدها لدى الباب﴾ أي ووجدا زوجها عند الباب جالساً في حال هروبه منها

(١) أي أحكمت إغلاقها متحققة من ذلك وقد قيل إنها سبعة أبواب يقال غلق الباب وأغلقه وإذا أريد الكثرة قيل غلّق الأبواب.

(٢) أي هلم وأقبل وتعال ولا مصدر له ولا تصريف. كأنه اسم فعل أمر بمعنى أقبل وتعال وفيه سبع قراءات أفصحها وأجلها هيئت لك يفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء ونظيرها هيت بكسر الهاء وفتح التاء وهي قراءة نافع وروي أن عكرمة قال إنها لغة عربية تدعو بها إلى نفسها. قال الجوهري يقال هرت وهيت به إذا صاح به ودعاه. قال الشاعر:

قد رايتني أن الكرى أسكتنا لو كان معنا بها لهيتنا

(أي لصاح)، وقال آخر: يحذو بها كل فتى هيأت

(٣) يعني بقوله ربي زوجها أي سيده.

(٤) جواب لولا محذوف لعلم السامع به وتقديره لضربها أو لكان ما كان.

(٥) السوء هو ضرب وقدم في الذكر عن الفحشاء لأنه الحادث الأخير وأما الفحشاء فكانت قبل.

(٦) في عرف لغتهم إطلاق السيد على الزوج.

وهي تجرى وراءه حتى انتهيا إلى الباب وإذا بالعزيز جالس عنده فخافت المعرفة على نفسها فبادرت بالاعتذار قائلة ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أي يوماً أو يومين ، أو عذاب أليم يكون جزاء أله كأن يضرب ضرباً مبرحاً .

قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيِّدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٤٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وشهد شاهد من أهلها : أي ابن عمها .
قُدَّ مِنْ قُبُلٍ : أي من قدام .
قُدَّ مِنْ دُبُرٍ : أي من وراء أي من خلف .
إنه من كيدكن : أي قولها ، ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً .
يوسف أعرض عن هذا : أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع .
من الخطائين : المرتكبين للخطايا الأثمين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وأحداث القصة فقد ادعت زليخا أن يوسف راودها عن نفسها وطالبت بعقوبته فقالت ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ وهنا رد يوسف ما قذفته به ، ولولا أنها قذفته ما أخبر عن مراودتها إياه فقال ما أخبر تعالى به في هذه الآيات ﴿ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ وهنا انطق الله جل جلاله طفلاً رضيعاً ^(١)

(١) وقبل إنه كان رجلاً حكيماً ذا عقل كان الوزير يستشير في أموره وكان من أهل المرأة ورجع هذا غير واحد وما في التفسير أصح لصحة الحديث الشريف : تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

إكراما لعبده وصفيّه يوسف فقال هذا الطفل والذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد يوسف ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ هذا ما قضى به الشاهد الصغير. ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال﴾. ﴿إنه﴾ أي قولها ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ﴿من كيدكن﴾ أي من صنيع النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾، ثم قال ليوسف يا يوسف ﴿أعرض عن هذا﴾ الأمر ولا تذكره لأحد لكيلا يفشو فيضرو. وقال لزليخا ﴿استغفري لذنبك﴾ أي اطلبي العفو من زوجك ليصنع عنك ولا يؤاخذك بما فرط منك من ذنب إنك كنت من الخاطئين أي الآثمين من الناس هذا ما تضمنته الآيات الأربع في هذا السياق الكريم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الدفاع عن النفس ولو بما يُسيء إلى الخصم.
- ٢- إكرام الله تعالى لأوليائه حيث أنطق طفلا في المهد فحكم ببراءة يوسف.
- ٣- تقرير أن كيد النساء عظيم وهو كذلك.
- ٤- استحباب الستر على المسيء وكرهية إشاعة الذنوب بين الناس.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾
 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِءًا ۖ أَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ لَيُسْجَنَ وَلْيَكُونَا

(١) الكيد: المكر والاحتيال وقال إن كيدكن عظيم، لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من الورطة.
 (٢) القاتل هو الشاهد وقيل الزوج، والرابع حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكما بينهما.

مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

في المدينة : أي عاصمة مصر يومئذ .
تراود فتاها : أي عبدها الكنعاني .
قد شغفها حبا : أي دخل حبه شغاف قلبها أي أحاط بقلبها فتملكه عليها .

إننا لنراها في ضلال مبين : أي في خطأ بين بسبب حبها إياه .
فلما سمعت بمكرهن : أي بما تحدثن به عنها في غيبتها .
وأعدت لهن متكئا : أي وأعدت لهن فراشا ووسائد للاتكاء عليها .
أكبرنه : أي أعظمته في نفوسهن .

فذلك الذي لمتني فيه : أي قلتن كيف تحب عبداً كنعانياً .
فاستعصم : أي امتنع مستمسكا بعفته وطهارته .
الصاغرين : الذليلين المهانين .
أصب إليهن : أمل إليهن .
وأكن من الجاهلين : أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة يوسف إنه بعد الحكم الذي أصدره شاهد يوسف عليه السلام انتقل الخبر إلى نساء بعض الوزراء فاجتمعن في بيت إحداهن وتحدثن بما هو لوم لامرأة العزيز حيث راودت عبداً لها كنعانياً عن نفسه وهو ما أخبر تعالى عنه في الآيات الآتية قال تعالى ﴿وقال نسوة^(١) في المدينة﴾ أي عاصمة مصر يومئذ ﴿امرأة العزيز تراود

(١) نسوة بكسر النون وضمها والجمع الكثير نساء ولا واحدة من لفظه إذ مفرد النسوة امرأة من غير لفظه .

(١) فتأها ﴿أي عبدا﴾ عن نفسه قد شغفها حباً ﴿أي قد بلغ حبها إياه شغاف قلبها أي غشاء﴾. ﴿إنا لنراها﴾ أي نظنها ﴿في ضلال مبين﴾ أي خطأ واضح : إذ كيف تحب عبداً وهي من هي في شرفها وعلو مكانتها . قوله تعالى ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ (٣) أي ما تحدثن به في غيبتها ﴿أرسلت إليهن﴾ (٤) وأعدت لهن متكناً وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴿أي فقابلت مكرهن بمكر أعظم منه فأعدت لهن حفلة طعام وشراب فلما أخذن في الأكل يقطعن بالسكاكين الفواكه كالأترج وغيره أمرته أن يخرج عليهن ليرينه فيعجبن برؤيته فيذهلن عن أنفسهن ويقطعن أيديهن بدل الفاكهة التي يقطعنها للأكل وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة والملامة ، وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿وقالت اخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً﴾ (٥) أي إنسان من الناس . ﴿إن هذا إلا ملك﴾ أي ما هذا إلا ملك ﴿كريم﴾ وذلك لجماله وما وهبه الله تعالى من حسن وجمال في خلقه وخلقه . وهنا قالت ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ أي هذا هو الفتى الجميل الذي لمتنني في حبه ومراودته عن نفسه ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي راودته فعلاً وامتنع عن إجابتي . ﴿ولئن لم يفعل ما أمره﴾ أي به مما أريده منه ﴿ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ أي الذليلين المهانين . وهكذا اسمعته تهديدها أمام النسوة المعجبات به . ومن هنا فرع يوسف إلى ربّه ليخلصه من مكر هذه المرأة وكيدها فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ أي يارب فلذا عد كلامه هذا سؤالاً لربه ودعاء السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه من الإثم ، ﴿ولأ تصرف عني كيدهن﴾ أي كيد النسوة ﴿أصب إليهن﴾ أي آميل إليهن ﴿وأكن﴾ أي بفعل ذلك ﴿من الجاهلين﴾ أي الآثمين بارتكاب معصيتك .

(١) ﴿فتأها﴾ نسب إليها وهو لزوجها باعتبار أنه يخدمها بملك زوجها له فصَحَّ نسبته إليها ، وقيل : إن زوجها وهبه إياها كما وهبت سارة هاجر لإبراهيم عليه السلام .

(٢) شغاف القلب : غلافه ، وهو : جلدة عليه ، وقرئ : شغفها بالعين المهملة أي : أحرق حبّه قلبها ، يقال : ؛ شغفه الحب : إذا أحرق قلبه .

(٣) وجه مكرهن : أنهن لما سمعن بجمال يوسف وحسنه ، رغبن في النظر إليه فاحتلن لذلك بالحديث عن زليخا وانتقادها في حبها لخدمها .

(٤) في الكلام حذف تقديره : فأرسلت إليهن تدعوهم إلى وليمة لتوقعن فيما وقعت فيه . أعدت : هذا من العتاد وهو ما جعل عدّة لشيء ومنه العتاد الحربي وهو ما أعد للحرب من أنواع السلاح .

(٥) أصل : ﴿متكناً﴾ متكناً ، حذف منه الواو كمتزن من وزنت ، ومتعدّ من وعدت وقرئ : متكناً غير مهموز وهو الأترج وأما مهموزاً فهو : كل ما اتكىء عليه عند الجلوس .

(٦) قال مجاهد : ليس قطعاً تبييناً به اليد ، وإنما خدش وحزر وهو معروف في كلام العرب ، يقال قطع يده إذا جرحها .

(٧) قرئ : ﴿حاشا لله﴾ و﴿حاشا لله﴾ ، وفيه أربع لغات ، ويقال : حاشا زيد . وحاشا زيدا ، ومعناه هنا : معاذ الله .

وهذا ما لا أريده وهو ما فررت منه ﴿فاستجاب له ربه﴾ أي أجابه في دعائه وصرف عنه كيدهن إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده ودُعَاء عبده وصفيه يوسف العليم بأحوال وأعمال عباده ومنهم عبده يوسف. ولذا استجاب له فطمأنه وأذهب الألم ألم الخوف من نفسه، وله الحمد والمنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان طبيعة الإنسان في حب الاطلاع وتبعية الأخبار.
- ٢- رغبة الإنسان في الثأر لكرامته، وما يحميه من دم أو مال أو عرض.
- ٣- ضعف النساء أمام الرجال، وعدم قدرتهن على التحمل كالرجال.
- ٤- إيثار يوسف عليه السلام السجن على معصية الله تعالى وهذه مظاهر الصديقية.
- ٥- الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ووعدته ووعيده وشرعه هو سبب كل الجرائم في الأرض.

ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّةٌ
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
 إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
 بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
 مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾
 وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
 لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
 النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

ثم بدا لهم	: أي ظهر لهم .
الآيات	: أي الدلائل على براءة يوسف .
أعصر خمرا	: أي أعصر عنبا ليكون خمرا .
واتبعت ملة	: أي دين .
ما كان لنا	: أي ما انبغى لنا ولا صح منا .
أن نشرك بالله من شيء	: أي أن أشرك بالله شيئا من الشرك وإن قل ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا .
ذلك من فضل الله علينا	: أي ذلك التوحيد والدين الحق .
وعلى الناس	: إذ جاءتهم الرسل به ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن يوسف عليه السلام وما حدث له بعد ظهور براءته من تهمة امرأة العزيز قال تعالى ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ أي ثم ظهر للعزيز ومن معه من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف وذلك كقدِّ القميص من دُبر ونطق الطفل وحكمه في القضية بقوله ﴿إن كان قميصه﴾ الخ وهي أدلة كافية في براءة يوسف إلا أنهم رأوا سجنه إلى حين^(١) مأ، أي ريشما تسكن النفوس وتنسى الحادثة ولم يبق لها ذكر بين الناس . وقوله تعالى ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ أي فقرروا سجنه وادخلوه السجن ودخل معه فتيان أي خادمان كانا يخدمان ملك البلاد بتهمة وجهت إليهما . وقوله تعالى ﴿قال أحدهما إنني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إنني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه نبثنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ وكان هذا الطلب منهما بعد أن أعجبا بسلوكه مع أهل السجن وحسن معاملته وسألاه عن معارفه فأجابهم

(١) ذكر للحين أماد مختلفة : فقد قيل : ستة أشهر ، وقيل : ثلاثة عشر شهرا وقيل : تسع سنين ، وما في التفسير أصح تلك الأقوال .

(٢) رضي بالسجن ولم يرض ارتكاب الفاحشة لعصمة الله تعالى له ، ومن هنا قال العلماء : لو أكره مؤمن على الفاحشة أو السجن لتعين عليه أن يدخل السجن ولا يرتكب الفاحشة .

(٣) هذه التهمة هي : تأمرهما على قتل الملك بوضع سم في طعامه أو شرا به ، وفعلًا كان الطاهي قد وضع سمًا في الطعام وأعطى حيوانًا فمات لفوره ، ومن ثم أدخلوا السجن معًا نظرًا للحكم عليهما .

بأنه يعرف تعبير الرؤيا فعندئذ قالاً هيا نجربه فندعي^(١) أنا رأينا كذا وكذا وسألاه فأجابهما بما أخبر تعالى به في هذه الآيات: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ واللفظ محتمل لما يأتيهما في المنام أو اليقظة وهو لما علّمه الله تعالى يخبرهما به قبل وصوله إليهما وبما يؤول إليه. وعلل لهما مبيّناً سبب علمه هذا بقوله ﴿ذلكما مما علّمني ربّي إنّي تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون﴾ وهم الكنعانيون والمصريون إذ كانوا مشركين يعبدون الشمس وغيرها، تركت ملة الكفر واتبعت ملة الإيمان بالله واليوم الآخر ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب، ثم واصل حديثه معهما دعوة لهما إلى الإيمان بالله والدخول في الإسلام فقال ﴿ما كان لنا﴾ أي ما ينبغي لنا أن نشرك بالله من شيء فنؤمن به ونعبّده معه، ثم أخبرهما أن هذا لم يكن باجتهاد منهم ولا باحتيال، وإنما هو من فضل الله تعالى عليهم، فقال ذلك من فضل الله علينا، وعلى الناس إذ خلقهم ورزقهم وكلاهم ودعاهم إلى الهدى وبينه لهم ولكن أكثر الناس لا يشكرون فهم لا يؤمنون ولا يعبدون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- دخول يوسف السجن بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق.
- ٢- دخول السجن ليس دائماً دليلاً على أنه بيت المجرمين والمنحرفين إذ دخله صفيّ الله تعالى يوسف عليه السلام.
- ٣- تعبير الرؤى تابع لصفاء الروح وقوة الفراسة وهي في يوسف علم لدني خاص.
- ٤- استغلال المناسبات للدعوة إلى الله تعالى كما استغلها يوسف عليه السلام.
- ٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله.
- ٦- إطلاق لفظ الآباء على الجدود إذ كل واحد هو أب لمن بعده.

(١) روي أنه قال لهما: فما رأيكما؟ فقال الخباز: رأيت كأنّي اختبرت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال فوضعت على رأسي فجاء الطير فاكل منهن، وقال الآخر رأيت كأنّي أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض فعصرتهن في ثلاث أوانٍ، ثم صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى هذا معنى قوله: ﴿إنّي أراني أعصر خمراً﴾.

(٢) أي: بتفسيره في اليقظة، فقال له: هذا من فعل العرافين والكهنة فردّ عليهما قائلاً: ﴿ذلكما مما علّمني ربّي﴾.

(٣) لمّا ردّ عليهما بقوله: ﴿ذلكما مما علّمني ربّي﴾ علّل له بقوله: ﴿إنّي تركت ملة قوم﴾.

(٤) إذ جعلنا أنبياء ورسلاً ندعو الناس إلى عبادة ربهم، وتوحيده فيها ليكملوا عليها ويسعدوا في الدارين.

(٥) أي: لا يعرفون نعمة الله تعالى عليهم بإرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين فلذا هم لا يعبدون الله ولا يوحّدونه فيها.

يَصْحَجِي

السَّجْنِ ۚ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

- يا صاحبي السجن : أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان صاحب طعام الملك وصاحب شرابه .
- أرباب متفرقون : أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم
- من دونه : أي من دون الله سبحانه وتعالى .
- إلا أسماء : أي مجرد اسم إله ، وإلا في الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم .
- ما أنزل الله بها من سلطان : أي لم يأمر الله تعالى بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة .
- فيسقي ربه خمرًا : أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب الخمر .

فيصلب

: يقتل مصلوباً على خشبة كما هي عادة القتل عندهم .

قضي الأمر

: أي فرغ منه وبت فيه .

ظن انه ناج منهما

: أي أيقن إنه محكوم ببراءته .

أذكرني عند ربك

: أي أذكرني عند الملك بأني مسجون ظلماً بدون جريمة .

فأنساه الشيطان ذكر ربه

: أي أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في السجن لقد سبق أن استعبر الفتيان يوسف رؤياهما أي طلبا منه أن يعبرها لهما لما علما منه أنه يعبر الرؤى غير أن يوسف استغل الفرصة وأخذ يحدثهما عن أسباب علمه بتعبير الرؤى وأنه تركه لملّة الكفر وإيمانه بالله تعالى وحده وأنه في ذلك متّبع ملّة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب، وأنه لا ينبغي لهم أن يشركوا بالله وفي هذا تعريض بما عليه أهل السجن من الشرك بالله تعالى بعبادة الأصنام، وواصل حديثه داعياً إلى الله تعالى فقال ما أخبر به تعالى في هذا السياق ﴿يا صاحبي﴾^(١) السجن آرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار﴾ فخاطب صاحبيه يا صاحبي السجن أخبراني وصدقاني : آرباب أي آلهة متفرون هنا وهناك ، هذا صنم وهذا كوكب ، وهذا إنسان ، وهذا حيوان ، وهذا لونه كذا وهذا لونه كذا خير أم الله الواحد في ذاته وصفاته القهار لكل ما عداه من سائر المخلوقات ، ولم يكن لهم من جواب سوى ﴿الله الواحد القهار﴾ إن العقل يقضي بهذا . ثم خاطب أهل السجن كافة فقال ﴿ما تعبدون من دونه﴾^(٢) أي من دون الله الواحد القهار ﴿إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم﴾ إنها مجرد أسماء لا غير إذ كونكم تطلقون لفظ إله أو رب على صنم أو كوكب مرسوم له صورة لا يكون بذلك رباً وإلهاً إن الرب هو الخالق الرازق المدير أما المخلوق المرزوق الذي لا يملك نفعا ولا ضرراً لنفسه فضلاً عن غيره فإطلاق الرب والإله عليه كذب وزور، إنها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان حجة ولا برهاناً فتعبد لذلك بحكم أن الله أمر بعبادتها . ثم قال لهم ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي ما الحكم إلا لله ، وقد حكم بأن لا يعبد إلا هو ، إذاً فكل عبادة لغيره

(١) أطلق لفظ الصّحبة لطول مكثهما في السجن كقوله تعالى : ﴿أصحاب الجنة﴾ وأصحاب النار . وذلك لطول المقام فيهما .

(٢) بيّن بذلك عجز تلك الآلهة الباطلة .

(٣) أي : من حجة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون .

هي باطلة يجب تركها والتخلي عنها، ذلك الدين القيم أخبرهم أن عبادة الله وحده وترك عبادة غيره هي الدين القويم والصراط المستقيم إلا أن أكثر الناس لا يعلمون فجعلهم بمعرفة ربهم الحق الذي خلقهم ورزقهم ويدبر حياتهم وإليه مرجعهم هو الذي جعلهم يعبدون ما ينحتون ويؤلهون ما يصنعون. ولما فرغ من دعوته إلى ربّه التفت إلى من طلبا منه تعبير رؤياهما فقال: ما أخبر تعالى به عنه ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربّه خمراً﴾ أي سيطلق سراحه^(١) ويعود إلى عمله عند الملك فيسقيه الخمر كما كان يسقيه من قبل، وأما الآخر وهو طبّاح الملك المتهم بأنه أراد أن يضع في طعام الملك السم ليقتله، فيصلب فتأكل الطير من رأسه بعد صلبه. وهنا قال: إننا لم نر شيئاً وإنما سألتناك لنجربك لا غير فرد عليهما قائلاً ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي فرغ منه وُت فيهِ رأيتما أم لم تريا. ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما ما أخبر تعالى به عنه ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند سيدك وكانوا يطلقون على السيد المالك لفظ الربّ. فأنساه الشيطان ذكر ربّه^(٢) أي أنسى الشيطان يوسف عليها السلام ذكر ربّه تعالى حيث التفت بقلبه إلى الخادم والملك ونسى الله تعالى فعاقبه ربّه الحق فلبث في السجن بضع سنين أي سبع سنوات عدداً،

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى.
- ٢- تقرير التوحيد عن طريق أحاديث السابقين.
- ٣- لا حكم في شيء إلا بحكم الله تعالى فالحق ما أحقّه الله والباطل ما أبطله والدين ما شرعه.
- ٤- مشروعية الاستفتاء في كل مشكل من الأمور.

(١) أي : بعد ثلاثة أيام، وكذلك كان.

(٢) إطلاق لفظ الربّ على السيد كان عند من قبلنا أمّا نحن أمّة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روى مسلم قوله ﷺ : (لا يقل أحدكم : اسق ربك أطعم ربك وضئ ربك، ولا يقل أحدكم : ربّي، وليقل سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل : فتاي فتاتي غلامي).

(٣) عجباً لبعض المفسرين كيف يرجعون التضمير في قوله : ﴿فأنساه الشيطان﴾ إلى الفتى الخادم، ولم يرجعوه إلى يوسف عليه السلام كما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره، إذ لو كان التضمير يصحّ رجوعه إلى الخادم لكان النظم القرآني هكذا : فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربّه فلبث في السجن.

٥- غفلة يوسف عليه السلام بإقباله على الفتى وقوله له اذكرني عند ربك ناسياً مولاه الحق ووليه الذي أنجاه من القتل وغيابة الجب، وفتنة النساء جعلته يحبس في السجن سبع سنين .

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِنِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَى بَاطِلًا ﴿٤٣﴾
قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

الملك : ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد .

سبع عجاف : هزال غير سمان .

يا أيها الملأ : أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة .

أفتوني في رؤياي : أي عبروها لي .

أضغاث أحلام : أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذاك .

وادكر بعد امة : أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين .

يوسف أيها الصديق : أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق علم ذلك

منه في السجن .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في محنته إنه لما قارب الفرج أوانه رأى

ملك مصر رؤيا أهالته وطلب من رجال دولته تعبيرها، وهو ما أخبر تعالى به في هذه الآيات إذ قال عز وجل: ﴿وقال الملك أي ملك البلاد إني أرى أي في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف﴾^(١) أي مهازيل في غاية الهزال. ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر أي سنبلات يابسات. ثم واجه رجال العلم والدولة حوله وقد جمعهم لذلك فقال﴾ يا أيها المملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴿أي تؤولون. فأجابوه بما أخبر تعالى عنهم بقوله﴾ قالوا أضغاث أحلام ﴿أي رؤياك هذه هي من أضغاث الأحلام التي لا تعبر، إذ قالوا﴾ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴿والمراد من الأضغاث الأخلاط وفي الحديث الصحيح «الرؤيا من الرحمن والحلم من الشيطان»». وقوله تعالى ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي من صاحبي السجن، ﴿وآذكر بعد أمة﴾ أي وتذكر ما أوصاه به يوسف وهو يودعه عند باب السجن إذ قال له ﴿أذكرني عند ربك﴾ بعد حين من الزمن قرابة سبع سنوات. قال ما أخبر تعالى به عنه ﴿أنا أنبئكم بتأويله فارسلون﴾ أي إلى يوسف في السجن فإنه أحسن من يعبر الرؤى فأرسلوه فدخل عليه وقال ما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿يوسف﴾ أي يا يوسف ﴿أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ وقوله ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي الملك ورجاله ﴿لعلهم يعلمون﴾ أي ماتعبرها به أنت فينتفعون بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- جواز الرؤيا الصالحة يراها الكافر والفاسق.
- ٢- الرؤى نوعان حلم من الشيطان، ورؤيا من الرحمن.
- ٣- النسيان من صفات البشر.
- ٤- جواز وصف الإنسان بما فيه من غير إطرأ كقوله أيها الصديق.
- ٥- لعل تكون بمعنى كي التعليلية.

(١) ﴿عجاف﴾ جمع عجفاء من عَجَفَ يعْجَفُ كعَظُمَ يعْظُمُ، والعجاف، المهاذيل والهؤال في الحيوان: الضعف لقلة الشحم واللحم.

(٢) الأضغاث: جمع ضغث والضغث في اللغة: الحزمة من الشيء كالبقل والكلأ، والأحلام: الرؤيا المختلطة، ومالا تأويل له من الرؤى.

(٣) قرئ: ﴿وآذكر بعد أمة﴾ بفتح الهمزة وتخفيف الميم أي: بعد نسيان قال الشاعر:

أمهت وكنت لآنسى حديثاً كذاك الدهر يودي بالعقول

﴿وآذكر﴾ أصلها: واذكر، فأبدلت التاء دالا، ثم ادغمت الذال في الدال فصارت: وادكر، وذلك لمناسبتين الأولى: لقرب مخرج التاء من الذال والثانية: رخاوة الدال ولينها فحصل الإدغام لذلك.

قَالَ

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ كُنَّ مَاقَدَمَتُهُمْ لَهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

داباً : أي متتابعة على عادتكم .
 فذروه في سنبله : أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه .
 سبع شداد : أي صعاب قاسية لما فيها من الجذب .
 بما تحصنون : أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة .
 يغاث الناس : أي يُغيثهم ربهم بالأمطار وجريان النيل .
 وفيه يعصرون : أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قال تزرعون﴾ إلى آخره هو جواب يوسف للذي استفثاه أي طلب منه تعبير رؤيا الملك قال له في بيان تأويل الرؤيا تزرعون بمعنى ازرعوا سبع سنين داباً أي متتالية كعادتكم في الزرع كل سنة وهي تأويل السبع البقرات السمان ، فما حصدتم من زروع فذروه في سنبله أي اتركوه بدون درس حتى لا يفسد^(١) إلا قليلاً مما تأكلون أي فادرسوه لذلك . ثم يأتي بعد ذلك أي من بعد المخصبات سبع شداد أي مجذبات صعاب وهي

(١) ﴿داباً﴾ : أي : متتالية متتابعة وهي مصدر على غير معناه لأن معنى تزرعون تدأبون كعادتكم في الزراعة سبع سنين .
 وقرئ داباً بسكون الهمزة وأصل الداب : العادة ، ومنه قول الشاعر :

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

(٢) أي : بأكل السوس له .

(٣) هذه الآية دليل على مشروعية المصالح الشرعية المرسله ، التي هي حفظ الأديان ، والنفوس ، والعقول ، والأنساب ، والأموال ، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الكليات الخمس فهو مصلحة ، وكل ما يُفوت شيئاً منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة ، ولا خلاف أن مقصود الشارع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية . على هذا أهل السنة والجماعة .

تأويل السبع البقرات العجاف يأكلن ما قدمتم لهن أي من الحبوب التي احتفظتم بها من السبع المخصبات يريد تأكلونه فيهن إلا قليلا مما تحصنون أي تدخرونه للبذور ونحوه . ثم يأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي يأتي من بعد السبع السنين المجذبات عام فيه يغاث الناس بالمطر وفيه يعصرون العنب والزيت وكل ما يعصر لوجود الخصب فيه . وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام الخ . هذا لم تدل عليه الرؤيا وإنما هو مما علمه الله تعالى يوسف فأفادهم به من غير ما سألوه ذلك إحساناً منه ولحكمة عالية أرادها الله تعالى . وهو الحكيم العليم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- أرض مصر أرض فلاحه وزراعة من عهدا الأول .
- ٢- الاحتفاظ بالفائض في الصوامع وغيرها مبدء اقتصادي هام ومفيد .
- ٣- كمال يوسف في حسن تعبير الرؤى شيء عظيم .
- ٤- فضل يوسف عليه السلام على أهل مصر حيث أفادهم بأكثر مما سألوا .

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي

بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنِي حَصْحَصَ
الْحَقِّ أَنَا وَرَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

(١) ﴿تحصنون﴾ : أي : تحبسونه وتخزنونه لتزراعوه وفي هذه دليل على رؤيا الكافر وأنه قد يرى ما هو حق ، وذلك بتدبير الله تعالى .

(٢) يقال : غَوَّثَ الرجل : إذا قال : واغوثاه ، والاسم الغوث ، والغوث واستغاثه فأغاثه إغاثته والاسم الغياث ، والغيث : المطر .

شرح الكلمات :

وقال الملك اثتوني به :	أي بيوسف .
فلما جاءه الرسول :	أي مبعوث الملك .
ارجع إلى ربك :	أي سيدك .
ما بال النسوة :	ما حالهن .
ما خطبكن :	ما شأنكن .
حاش لله :	أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز أن يخلق بشراً عفيفاً .
حصحص الحق :	وضح وظهر الحق .

معنى الآيات :

إن رؤيا الملك كانت تدبيراً من الله تعالى لإخراج يوسف من السجن إنه بعد أن رأى الملك الرؤيا وعجز رجاله عن تعبيرها وتذكر أحد صاحبي السجن ماوصاه به يوسف ، وطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف في السجن ليستفتيه في الرؤيا وأرسلوه واستفتاه فأفتاه وذهب به إلى الملك فأعجبه التعبير وعرف مدلوله أمر بإحضار يوسف لإكرامه لما ظهر له من العلم والكمال وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿وقال الملك اثتوني به﴾ أي يوسف ﴿فلما جاءه الرسول﴾ أي جاء يوسف رسول الملك وهو صاحبه الذي كان معه في السجن ونجا من العقوبة وعاد إلى خدمة الملك فقال له إن الملك يدعوك فقال له عد إليه^(١) وأسأله ﴿ما بال النسوة التي قطعن أيديهن﴾ أي قل له يسأل عن حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن والمرأة التي اتهمتني فجمع الملك النسوة وسألهن قائلًا ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ فأجبن قائلات حاش لله ما علمنا عليه من سوء أي نَزَرَهُ اللهُ تعالى أن يعجز أن يخلق بشراً عفيفاً مثل هذا . ما علمنا عليه من سوء .

(١) ابى أن يخرج إلا أن تصح براءته للملك مما قذف به وأن حسه كان بلا جرم روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : ﴿إن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم . قال : لولبت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبت وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ، ونحن أحق من ابراهيم إذ قال له : ﴿أو لم تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ .

(٢) ذكر النسوة جملة : حتى لا يؤذي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكراماً منه وحلماً ، وكما لا خلقها وإلا فالمراد زليخا .

(٣) قوله ﴿ما خطبكن﴾ : جرى فيه على سنة يوسف إذ خاطب النسوة كافة ولم يفرد زليخا وهذا أيضاً من باب الستر متى أمكن ولم تحوج الحال إلى التعيين والكشف .

وهنا قالت امرأة العزيز زليخا ما اخبر تعالى به عنها ﴿الآن حصحص الحق﴾^(١) أي وضح وبان وظهر ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ وليس هو الذي راودني ، ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ وقوله تعالى ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ هذا إخبار عن يوسف عليه السلام فإنه قال ذلك أي امتناعي من الخروج من السجن وعدم إجابتي الملك وطلبي إليه أن يسأل عن حال النسوة حتى تم الذي تم من براءتي على لسان النسوة عامة ، وامرأة العزيز خاصة حيث اعترفت قطعياً ببراءتي وقررت أنها هي التي راودتني عن نفسي فأبيت ورفضت فعلت هذا ليعلم زوجها العزيز أني لم أخنه في أهله في غيبته وأن عرضه مصان وشرفه لم يدنس لأنه ربي أحسن مثوأي . وإن الله لا يهدي كيد الخائنين فلو كنت خائناً ما هداني لمثل هذا الموقف المشرف والذي أصبحت به مبرأ الساحة سليم العرض طاهر الثوب والساحة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضل العلم وشرفه إذ به رفع الملك يوسف إلى حضرته وهو رفيع .
- ٢- فضيلة الحلم والأناة وعدم التسرع في الأمور .
- ٣- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس .
- ٤- شرف زليخا بإقرارها بذنبها رفعها مقاماً سامياً وأنزلها درجة عالية فقد تصبح بعد قليل زوجة لصفي الله يوسف الصديق بن الصديق زوجة له في الدنيا وزوجة له في الآخرة وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(١) ﴿حصحص﴾ أي : تبين وظهر، وأصله: حصص فقيل: حصحص، نحو: كفكف في كفف، وأصل الحصص: استئصال الشيء من حص الشعر: إذا استأصله جزءاً، قال الشعر:

قد حصّت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير تهجاع

أي : النوم الخفيف، ومنه الحصّة: القطعة من الشيء، فالمعنى إذا بانّت حصّة الحق من حصّة الباطل .

(٢) ذهبت في التفسير مذهب إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى وكثير من علماء السلف إلى أنّ القائل: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب إلى قوله غفور رحيم﴾ هو يوسف عليه السلام : أي : إنه لما جاء الرسول يدعو إلى حضرة الملك أبي أن يجيب الدعوة حتى يحقق الملك في قضيتة التي سجن فيها ثم بعد ذلك يخرج . ودعا الملك النسوة وحقق معهن وبرأن يوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء، وقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين كأن سائلاً قال ليوسف : لم لم تجب الدعا؟ فأجاب : ذلك أي : فعلت ذلك ليعلم أي : العزيز : أني لم أخنه بالغيب، ثم قال تواضعاً : وما أبرئ نفسي إذ هم يضرب زليخا لما ألحت عليه وأرادت ضربه .

وذهبت إلى هذا مرجحاً له لأمرين الأول: ترجيح إمام المفسرين له والثاني : أنّي لتلك المرأة المشركة أن ترقى إلى هذا المستوى فتقول : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم . إن هذا الكلام لا يجري إلا على لسان الأنبياء والصالحين .

ومع هذا فمن رجّح أن يكون القول قول زليخا كابن القيم رحمه الله تعالى فلا بأس، ويجب على الجميع أن يقول الله أعلم، إذ قولنا مجرد ارتقاء رأيناؤه والعلم الحق لله وحده لا شريك له .

﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

- لأماراة بالسوء : أي كثيرة الأمر والسوء هو ما يُسيء إلى النفس البشرية مثل الذنوب .
 إلا ما رحم ربي : أي إلا من رحمه الله فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطبيعتها وطهارتها .
 استخلصه لنفسي : أجعله من خلصائي من أهل مشورتني وأسراري .
 مكين أمين : أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء ، أمين مؤتمن على كل شيء عندنا .
 خزائن الأرض : أي خزائن الدولة في أرض مصر .
 إني حفيظ عليم : أي أحافظ على ما تسنده إليّ واحفظه ، عليم بتدبيره .
 يتبوء : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعد ما كان في غيابة الجُب وضيق السجن .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث على يوسف عليه السلام فقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ هذا من قول يوسف عليه (١)

(١) على ما رجحته في التفسير . وعلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم فهو من قول امرأة العزيز .

السلام، إذ قال لما طلب إلى الملك أن يحقق في قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز وتم التحقيق بالإعلان عن براءة يوسف مما اتهم به قال ذلك، أي فعلت ليعلم العزيز أنني لم أخنه بالغيث، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وهضماً لنفسه من جهة ومن جهة أخرى فقد هم بضرب زليخا كما تقدم، قال: ﴿وما أبرئ نفسي﴾ وعلل لذلك فقال ﴿إن النفس﴾ أي البشرية ﴿لأماره بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ إلا نفساً رحمها ربي بتوفيقها إلى تركيتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال فإنها تصبح نفساً مطمئنة تأمر بالخير وتنهى عن الشر، وقوله: ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله: ﴿وما أبرئ نفسي﴾ فذكر وإن حصل مني هم بضرب وهو سوء فإني تبت إلى الله، والله غفور أي يعفو ويصفح فلا يؤاخذ من تاب إليه ويرحمه فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) أما الآية الثانية (٥٤) والثالثة (٥٥) فقد تضمنت استدعاء الملك ليوسف وما دار من حديث بينهما إذ قال تعالى: ﴿وقال الملك﴾ الريان بن الوليد ﴿إئتوني به﴾ أي بيوسف بعد أن ظهر له علمه وكماله الروحي ﴿أستخلصه لنفسي﴾ أي أجعله خالصاً لي استشيرته في أمري واستعين به على مهام ملكي وجاء يوسف من السجن وجلس إلى الملك وتحدث معه وسأله عن موضوع سني الخصب والجذب فأجابه بما أثلج صدره من التدابير الحكيمة السديدة وهنا قال له ما أخبر تعالى به قال له: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي ذو مكانة عندنا تمكنك من التصرف في البلاد كيف تشاء أمين على كل شيء عندنا فأجابه يوسف بما أخبر به تعالى بقوله: ﴿قال اجعلني﴾ على خزائن الأرض ﴿أي أرض مصر ومعنى هذا أنه حل محل العزيز الذي قد مات في تلك الأيام. وعلل لطلبه وزارة المال والاقتصاد بقوله: ﴿إني حفيظ عليم﴾ أي حفيظ على ما أتولى تدبيره عليم بكيفية الإدارة وتدبير الشؤون. وقوله تعالى في الآية الرابعة (٥٦): ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء﴾ أي بمثل هذه الأسباب

(١) ﴿ما رحم﴾ ما: بمعنى مَنْ، وهي شائعة الاستعمال، من ذلك: فانكحوا ما طاب لكم. أي: من طين لكم من النساء.

(٢) وبذلك يتم عصمتها بإذن الله تعالى.

(٣) قال بعض أهل العلم: في الآية دليل على جواز عمل الرجل الصالح للرجل الكافر أو الفاجر إذا كان ذلك لا يضر دينه، وهو كذلك، وفيها دليل على جواز ذكر طالب العمل كفاءته العلمية حتى يسند إليه العمل على أن يكون صادقاً في ذلك، وليس هذا من باب: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ ولا هو من باب طلب الإمارة حيث قال الرسول ﷺ: (لن نستعمل على عملنا هذا من أراد) رواه مسلم.

والتدابير مكننا ليوسف في أرض مصر يتبوا منها أي ينزل حيث يشاء يتقلب فيها أخذاً وعطاء وإنشاء وتعميراً لأنه أصبح وزيراً مطلق التصرف. وقوله تعالى: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ أي رحمته من عبادنا ولا نضيع أجر المحسنين، وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإحسان بتوفيتهم أجورهم، ويوسف عليه السلام من شاء الله رحمتهم كما هو من أهل الإحسان الذين يوفيههم الله تعالى أجورهم في الدنيا والآخرة، وأخبر تعالى أن أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، ترغيباً في الإيمان والتقوى إذ بهما تنال ولاية الله تعالى عز وجل إذ أولياؤه هم المؤمنون المتقون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة هضم النفس باتهامها بالنقص والتقصير.
- ٢- تحقيق الحكمة القائلة : المرء مخبوء تحت لسانه .
- ٣- جواز ذكر المرشح للعمل كحذق الصنعة ونحوه ولا يعد تزكية للنفس .
- ٤- فضيلة الإحسان في المعتقد والقول والعمل .
- ٥- فضل الإيمان والتقوى .

وَجَاءَ إِخْوَةُ

يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

شرح الكلمات :

وجاء إخوة يوسف : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام .
 وهم له منكرون : أي غير عارفين أنه أخوهم .
 ولما جهزهم بجهازهم : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه .
 بأخ لكم من أبيكم : هو بنيامين لأنه لم يجرى معهم لأن والده لم يقدر على فراقه .
 سنراود عنه أباه : أي سنجتهد في طلبه منه .
 وقال لفتياناه : أي غلماناه وخدمه .
 بضاعتهم : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن قصة يوسف عليه السلام وتتبع أحداثها، إنه بعد أن ولي يوسف أمر الوزارة ومرت سنوات الخصب وجاءت سنوات الجذب فاحتاج أهل أرض كنعان إلى الطعام كغيرهم فبعث يعقوب عليه السلام بني يمتارون وكانوا عشرة رجال بعد أن علم أن ملك مصر يبيع الطعام، قال تعالى مخبراً عن حالهم : ﴿وجاء إخوة^(١) يوسف﴾ أي من أرض كنعان ﴿فدخلوا عليه﴾ أي على يوسف ﴿فعرّفهم وهم له منكرون﴾ أي لم يعرفوه لتغيره بكبر السن وتغير أحواله وقوله تعالى : ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي كال لهم وحمل لكل واحد بعبيره بعد أن أكرمهم غاية الإكرام ﴿قال اثتوني^(٢)﴾ بأخ لكم من أبيكم ولا شك أنه قد سألهم عن أحوالهم فأخبروه عن أبيهم وأولاده بالتفصيل فلذا قال لهم ﴿اثتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ وهو بنيامين ورغبهم في ذلك بقوله : ﴿ألا ترون أنني أوف الكيل وأنا خير المنزلين﴾ أي خير المضيفين لمن نزل عليهم ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ . بعد هذا الإلحاح عليهم أجابوه بما أخبر تعالى به عنهم بقوله : ﴿قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾ أي سنبدل جهدنا في طلبه

(١) جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليميروا .

(٢) ولطول المدة إذ مضى عليهم يوم فارقه أربعون سنة .

(٣) الجهاز بالفتح والكسر : ما يحتاج إليه المسافر والمراد به : الطعام الذي امتاروه من عنده .

(٤) سبب طلب يوسف أخاهم أنه كان معهم أحد عشر بعبيراً وهم عشرة وقالوا ليوسف : إن لنا أخاً تخلف عنا، وبعبيره معنا، فسألهم لم تخلف؟ فقالوا : لحب أبيه إياه وذكروا له القصة وما جرى فيها، وهنا قال لهم : إن رجعتم للميرة مرة أخرى فاتوني بأخ لكم من أبيكم، ورغبهم في ذلك وحذّره من أن يأتوا بدونه فإنه لا يبيعهم الطعام الذي هو حاجتهم .

حتى نأتي به، ﴿وإنا لفاعلون﴾ كما أخبرناك .

وقوله تعالى : ﴿وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ يخبر تعالى عن قيل يوسف لعلمانه (١) اجعلوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم من حيث لا يشعرون ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ كل هذا كان رغبة من يوسف في إحضار أخيه الشقيق فجعل رد الدراهم وسيلة لذلك لأنهم إذا وجدوها تخرجوا من أخذها فرجعوا بها . وجاءوا بأخيهم معهم ، وهو مطلب يوسف عليه السلام حقه الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- عجيب تدبير الله تعالى إذ رؤيا الملك وتعبير يوسف لها وظهورها كما عبرها كان تدبيراً لولاية يوسف ثم لمجيء إخوته يطلبون الطعام لأهلهم ولتتم سلسلة الأحداث الآتية ، فلا إله إلا الله ، ولا رب سواه .

٢- حسن تدبير يوسف عليه السلام للإتيان بأخيه بنيامين تمهيداً للإتيان بالأسرة كلها .

٣- أثر الإيمان في السلوك ، إذ عرف يوسف أن أخوته لا يستحلون أكل مال بغير حقه فجعل الدراهم في رحالهم ليرجعوا بها ومعهم أخوهم الذي يريد إحضاره .

﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ

فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن

قَبْلُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا

مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا

(١) قرىء : ﴿لَفَتْيَانَاهُ﴾ و﴿لَفَتَيْتَهُ﴾ قراءتان سبعيتان نحو: صبية وصبيان .

(٢) قال لعلهم يعرفونها : إذ من الجائز أن لا تسلم لهم بضاعتهم بأن تؤخذ منهم في الطريق مثلاً .

(٣) من الجائز أن يكون رد البضاعة إلى إخوته لأنه كره أن يأخذها من أبيه وإخوته ، ومن الجائز أن يكون ردّها إليهم لعلهم أنهم لا يأكلون الطعام بغير حقه فسيرجعون بها ، وهو المراد .

مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَاعُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
 أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
 ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
 مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُمُ إِلَّا
 لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

- منع منا الكيل : أي منع الملك منا الكيل حتى نأتيه بأخيها .
 نكتل : أي نحصل على الكيل المطلوب .
 على أخيه من قبل : أي كما أمنتكم على يوسف من قبل وقد فرطتم فيه .
 ما نبغي : أي أي شيء نبغي .
 ونزداد كيل بعير : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير .
 ذلك كيل يسير : أي على الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير .
 موثقاً : أي عهداً مؤكداً باليمين .
 إلا أن يحاط بكم : أي تهلكوا عن آخركم .
 من شيء : أي أراد الله خلافه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته قال تعالى مخبراً عن رجوع إخوة
 يوسف من مصر إلى أرض كنعان بفلسطين : ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم ﴾ أي يعقوب عليه

السلام ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَنَا الْكَيْلَ﴾ أَي مَنَعَنَا مَلِكَ مِصْرَ الْكَيْلِ إِلَّا أَنْ نَأْتِيَ بِأَخِينَا بَنِيَامِينَ ﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . فَأَجَابَهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أَي مَا آمَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴿إِلَّا كَمَا أَمُنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعْنِي يُوسُفَ لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْبَادِيَةِ . ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ جَرَى هَذَا الْحَدِيثُ بَيْنَهُمْ عِنْدَ وَصُولِهِمْ وَقَبْلَ فَتْحِ أَمْتَعَتِهِمْ ، وَأَمَّا بَعْدَ فَتْحِهَا فَقَدْ قَالُوا مَا أَخْبَرَ تَعَالَى بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ أَي دَرَاهِمَهُمْ ﴿رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا﴾ أَي فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَذْهَبُ بِهِ إِلَى مِصْرَ ﴿وَنُمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ﴾ لِأَنَّ الْمَلِكَ الْمِصْرِيَّ لَا يَبِيعُ لِلنَّفَرِ الْوَاحِدِ إِلَّا حَمْلَ بَعِيرٍ نَظْرًا لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَى الطَّعَامِ فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الصَّعْبَةِ لِلجَدْبِ الْعَامِ فِي الْبِلَادِ . فَأَجَابَهُمْ يَعْقُوبُ بِمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ﴾ أَي حَتَّى تَعْطُونِي عَهْدًا مُؤَكَّدًا بِالْيَمِينِ عَلَى أَنْ تَأْتُونِي بِهِ ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بَعْدُوا وَنَحْوُهُ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا فَأَعْطَوْهُ مَا طَلَبَ مِنْهُمْ مِنْ عَهْدٍ وَمِثَاقٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أَي شَهِيدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ ، أَي فَاشْهَدِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَهْدِهِمْ . وَلَمَّا أَرَادُوا السَّفَرَ إِلَى مِصْرَ حَمَلَتْهُ الْعَاطِفَةُ الْأَبَوِيَّةُ وَالرَّحْمَةُ الْإِيمَانِيَّةُ عَلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ مَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ : ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ أَي لَا تَدْخُلُوا وَأَنْتُمْ أَحَدٌ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فَتَسْرِعَ إِلَيْكُمْ الْعَيْنُ ^(١) ، وَإِنَّمَا ادْخُلُوا مِنْ عِدَّةِ أَبْوَابٍ فَلَا

(١) إِذْ قَالَ لَهُمْ : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ .

(٢) أَصْلُ نَكْتَلُ : نَكْتَالُ فَحَذَفَتْ الْأَلْفَ لِسُكُونِ اللَّامِ بِالْجَازِمِ وَقُرِئَ بِالْيَاءِ يَكْتَلُ : أَي أَخُوهُمْ بَنِيَامِينَ .

(٣) وَقُرِئَ : ﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾ قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ .

(٤) ﴿نُمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أَي نَجْلِبُ لَهُمُ الطَّعَامَ قَالَ الشَّاعِرُ :

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَمَكْنْتُ حَوْلًا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ

(٥) أَي : تَهْلِكُوا أَوْ تَمُوتُوا وَإِلَّا أَنْ تَغْلِبُوا عَلَيْهِ .

(٦) فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَا يَلِي :

أ - عَلَى التَّحَرُّزِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ لِحَدِيثِ : (إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلَ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ) وَلِتَعُوذَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْهَا فِي غَيْرِ حَدِيثٍ .

ب - عَلَى الْمُسْلِمِ إِنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ أَنْ يَبْرُكَ ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : (أَلَا بُرُكْتُ) !! وَالتَّبَرُّكُ أَنْ يَقُولَ : تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ .

ج - إِذَا أَصَابَ الْعَبْدَ بَعِينُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْرُكْ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِالْإِغْتِسَالِ وَيَجْبَرُ عَلَيْهِ .

د - إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ بَأْذَاهُ لِلنَّاسِ بَعِينَهُ يَبْعِدُ عَنْهُمْ وَجُوبًا .

تُرون جماعة واحدة أبناء رجل واحد فلا تصيبكم عين الحاسدين ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾، وهو كذلك ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فما شاءه كان. ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أمري إليه ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليفوض إليه المتوكلون أمورهم لأنه الكافي ولا كافي على الحقيقة إلا هو عز جاره وعظم سلطانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان مدى توكل يعقوب عليه السلام على الله وثقته في ربه عز وجل، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وكيف لا وهو أحد أنبياء الله ورسله عليهم السلام.
- ٢- جواز أخذ العهد المؤكد في الأمور الهامة ولو على أقرب الناس كالأبناء مثلاً.
- ٣- لا بأس بتخوف المؤمن من إصابة العين وأخذ الحيطة للوقاية منها مع اعتقاد أن ذلك لا يغني من الله شيئاً وأن الحكم لله وحده في خلقه لا شريك له في ذلك.
- ٤- وجوب التوكل على الله تعالى وإمضاء العمل الذي تعين وتفويض أمر ما يحدث لله تعالى.

وَلَمَّا

دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبُوهُمْ مَّا كَانُ يُغْنِي عَنْهُمْ
مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ

= هـ - الاغتسال من العين: هو أن يغسل المعيان وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجله وداخل إزاره في إناء ثم يصب على المصاب بالعين فيشفي بإذن الله تعالى.

أَذَنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

إلا حاجة في نفس يعقوب : هي إرادة دفع العين عن أولاده شفقة عليهم .
 أوى إليه أخاه : أي ضمه إليه أثناء الأكل وأثناء المبيت .
 فلا تبتشس : أي لا تحزن .
 جعل السقاية : أي صاع الملك وهو من ذهب كان يشرب فيه ثم جعله مكياً لا يكيل به .
 أذن مؤذن : نادى مناد .
 أيها العير : أي القافلة .
 صوع الملك : أي صاع الملك . فالصاع والصواع بمعنى واحد .
 وأنا به زعيم : أي بالحمل كفيل .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن إخوة يوسف فقد عهد إليهم إذا هم وصلوا إلى ديار مصر أن لا يدخلوا من باب واحد بل من أبواب متعددة خشية العين عليهم ، وقد وصلوا وعملوا بوصية أبيهم فقد قال تعالى مخبراً عنهم ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم﴾ أي دخولهم من أبواب متفرقة ﴿من الله﴾ أي من قضائه ﴿من شيء﴾ إلا حاجة ﴿أي لكن حاجة﴾ في نفس يعقوب وهي خوف العين عليهم ﴿قضاه﴾ أي لا غير .
 وقوله تعالى : ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ ثناء على يعقوب أي إنه لصاحب علم وعمل لتعليمنا إياه وقوله : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هو كما أخبر عز وجل أكثر

(١) ﴿قضاه﴾ أي : أنفذها إذ القضاء : إنفاذ المحكوم به .

الناس لا يعلمون عن الله تعالى صفات جلاله وكماله ومحابه ومساخطه وأبواب الوصول إلى مرضاته والحصول على رضاه ومحبته، وما يتقي مما يحرم على العبد من ذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٨).

أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه في منزله آواى إليه أخاه أي شقيقه وهو بنيامين، وذلك لما جاء وقت النوم جعل كل اثنين فى غرفة وهم أحد عشر رجلاً بقي بنيامين فقال هذا ينام معي، وأنه لما آواه إليه في فراشه أعلمه أنه أخوه يوسف، وأعلمه أن لا يحزن بسبب ما كان إخوته قد عملوه مع أبيهم ومع أخيه يوسف وأعلمه أنه سيحتال على بقاءه معه فلا يكثر بذلك ولا يخبر إخوته بشيء من هذا. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾^(١).

أما الآية الثالثة (٧٠) فقد تضمنت الإخبار عن تدبير يوسف لبقاء أخيه معه دونهم وذلك أنه لما جهزهم بجهازهم أي كال لهم الطعام وزودهم بما يحتاجون إليه بعد إكرامه لهم جعل بطريق خفي لم يشعروا به سقاية الملك وهي الصاع أو الصواع وهي عبارة عن إناء من ذهب كان يشرب فيه ثم جعل آلة كيل خاصة بالملك عرفت بصواع الملك أو صاعه. جعلها في رحل أخيه بنيامين، ثم لما تحركت القافلة وسارت خطوات نادى مناداً قائلاً أيتها العير^(٢) أي يا أهل القافلة إنكم لسارقون. هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾. قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ فأجابوا بقولهم: ﴿نفقد صواع الملك، ولمن جاء به حمل بعير﴾ أي مكافأة له ﴿وأنا به زعيم﴾^(٣) أي وأنا بإعطائه حمل البعير كفيلاً.

هداية الآيات

(١) الابتئاس من البؤس الذي هو الحزن والكدر، فالابتئاس مطاوع الابتئاس أي: جعل المرء بائساً: صاحب بؤس.
(٢) قيل: إن بنيامين قال ليوسف: لا تردني إليهم فأجابهم يوسف ودبر كيفية إبقاء أخيه معه وكل ذلك بتدبير الله تعالى لهم.
(٣) العير: لفظ يطلق على ما امتير عليه من الإبل والخيول والبغال، والحمير، والمراد بها هنا: الإبل.
(٤) الزعيم: الكفيل، والحميل، والضمين، والقبيل، وهي بمعنى واحد سواء، ويطلق الزعيم على الرئيس.

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل العلم وأهله .
- ٢- تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس لا يعلمون .
- ٣- حسن تدبير يوسف للإبقاء على أخيه معه بعد ذهاب إخوته .
- ٤- مشروعية إعطاء المكافآت لمن يقوم بعمل معين وهي الجعالة في الفقه .
- ٥- مشروعية الكفالة والكفيل غارم .

قَالُوا تَاللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
 (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا أَجْزَاؤُهُ
 مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
 (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
 وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
 فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
 وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)

شرح الكلمات :

- تالله : أي والله .
- لنفسد في الأرض : أي بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .
- وما كنا سارقين : أي لم نسرق الصواع كما أنا لم نسرق من قبل متاع أحد .
- من وجد في رحله فهو جزاؤه : أي يأخذ بالسرقة رقيقاً .
- كذلك نجزي الظالمين : أي في شريعتنا .

في وعاء أخيه : أي في وعاء أخيه الموجود في رحله .
 كذلك كدنا ليوسف : أي يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود .
 في دين الملك : أي في شرعه إذ كان يضرب السارق ويغرم بمثل ما سرق .
 نرفع درجات من نشاء : أي كما رفع يوسف عليه السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وإخوته، إنه لما أعلن عن سرقة صواع الملك وأوقفت القافلة للتفتيش، وأعلن عن الجائزة لمن يأتي بالصواع وأنها مضمونة هنا قال إخوة يوسف ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي بالسرقة وغشيان الذنوب وإنما جئنا للميرة ^(١) ﴿وما كنا سارقين﴾ أي في يوم من الأيام . وهنا قال رجال الملك رداً على مقالتهم بما أخبر تعالى به : ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ فأجاب الإخوة بما أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ يريدون أن السارق يُسرق أي يملك بالسرقة وقوله ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي في شريعتنا . وهنا أخذ يوسف بنفسه يفتش أوعية إخوته بحثاً عن الصواع، وبدأ بأوعيتهم واحداً بعد واحد وآخر وعاء وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة والتواطؤ في القضية، حتى استخرجها من وعاء أخيه الذي كان في رحله، هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ وقوله تعالى : ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي هكذا يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود غير مذموم . وقوله تعالى : ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ أي لم يكن في شرع مصر أن يأخذ أخاه عبداً بالسرقة بل السارق يضرب ويغرم فقط، ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أمراً فإنه يكون . وقوله

(١) الميرة: الطعام الذي يذخره الإنسان .

(٢) إذ لو كانوا سارقين ما ردوا البضاعة التي وضعت لهم في رحالهم من أجل أن يرجعوا إلى مصر، فمن رد بضاعة بعد ما تمكن منها لا يكون سارقاً .

(٣) الوعاء: ما يحفظ فيه الشيء، وتُضمّ واؤه وتكسر، والكسر أشهر. قبل لما استخرج السقاية من وعاء بنيامين طأطأوا رؤوسهم حياة، وقالوا لأخيه بنيامين: أويلك يا بنيامين ما رأينا كالיום قط .

(٤) قالت العلماء: يجوز للرجل أن يتصرف في ماله بالبيع والشراء والهبة والعطاء قبل حلول حول الزكاة ما لم ينو الفرار من الزكاة، فإن حال الحول فلا يصح شيء إلا بعد إخراج الزكاة .

تعالى : ﴿نرفع درجات من نشاء﴾^(١) أي في العلم كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾^(٢) من الناس ﴿عليم﴾ إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فهو العليم الذي لا أعلم منه بل العلم كله له ومنه ولولاه لما علم أحد شيئاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز الحلف بالله تعالى للحاجة .
- ٢- مشروعية دفع التهمة عن النفس البريئة .
- ٣- معرفة حكم السرقة في شرعة يعقوب عليه السلام .
- ٤- بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه .
- ٥- بيان حكم السرقة في القانون المصري على عهد يوسف عليه السلام .
- ٦- علو مقام يوسف عليه السلام في العلم .
- ٧- تقرير قاعدة (وفوق كل ذي علم عليم) إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ

وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَأَلَّهِ أَعْلَمُ بِمَا

تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا

إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾

(١) أي : بالإيمان والعلم شاهده : ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يكون ذا أعلم من ذا ، وذا أعلم من ذا ، والله فوق كل عليم وقرأ الجمهور : ﴿درجات من نشاء﴾ بإضافة درجات إلى مَنْ وقرأ حفص ﴿درجات﴾ بالتنوين تمييزاً لتعلق فعل نرفع بمعفوله وهو : ﴿من نشاء﴾ .

شرح الكلمات :

إن يسرق	: أي يأخذ الصواع خفية من حرزه .
فقد سرق أخ له	: أي يوسف في صباه .
فأسرها يوسف	: أي أخفى هذه التهمة في نفسه .
ولم يبدها لهم	: أي لم يظهرها لهم .
أنتم شر مكاناً	: أي منزلة ممن رميتموه بالسرقة .
بما تصفون	: أي بحقيقة ما تصفون أي تذكرون
أباً شيخاً كبيراً	: أي يعقوب عليه السلام .
معاذ الله	: أي نعوذ بالله من أن نأخذ من لم نجد متاعنا عنده .
متاعنا	: أي الصواع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف عليه السلام وإخوته، إنه بعد أن استخرج يوسف الصواع من متاع أخيه وتقرر ظاهراً أن بنيامين قد سرق، قال إخوته ما أخبر به تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من أخ له من قبل﴾^(١) أي إن يكن بنيامين قد سرق كما قررت فلا عجب فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف أيام صباه، كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين وسرق صنماً لأبي أمه فكسره حتى لا يعبد، وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة بل هي محمودة. وقوله تعالى: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ أي أسر يوسف قولتهم ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ ولم يظهرها لهم وقال رداً لقولتهم الخاطئة: ﴿أنتم شر مكاناً﴾ أي شر منزلة ممن رميتموه بالسرقة ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي بحقيقة ما تذكرون. ولما سمعوا قول يوسف وكان فيه نوع من الصرامة والشدة قالوا مستعطفين يوسف مسترحمينه بما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا يا

(١) وجائز أن يكون قولهم: ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾: مجرد رد تهمة وجهت إليهم وألزموا بها فدفعوها بقولهم: فقد سرق أخ له من قبل. وهو مجرد بهتان وقول باطل.

(٢) وجائز أن يكون: ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾: أي أسر كلمة: ﴿أنتم شر مكاناً﴾ أي: أخفاها فلم يتلفظ بها إحساناً إليهم ثم جهر بقوله والله أعلم بما تصنعون.

(٣) شر: اسم تفضيل بمعنى: أشر، والمكان بمعنى: حالة أي: الحال التي أنتم عليها من أشر الأحوال.

أيها العزيز^(١) إن له أباً شيخاً كبيراً^(٢) أي لأخينا والدأ كبير السن يعز عليه فراقه ولا يطيقه .
﴿فخذ أحدنا مكانه^(٣) إنا نراك من المحسنين﴾ أي واحداً منا بدلاً منه ومثلك يفعل ذلك
لأنه إحسان وأنت من المحسنين . فأجابهم بما أخبر تعالى به في قوله : ﴿قال معاذ الله^(٤)﴾
أي نعوذ بالله ﴿أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون﴾ أي إذا أخذنا من لم
يَجْنِ ونترك من جنى أي سرق فقد كنا بذلك ظالمين وهذا مالا نرضاه ولا نوافق عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الاعتذار عن الخطأ .
- ٢- قد يضطر الحليم إلى أن يقول ما لم يكن يقوله لولا ما وُجِهَ به من السوء .
- ٣- مشروعية الاسترحام والاستعطاف لمن احتاج الى ذلك رجاء أن يرحم ويعطف عليه .
- ٤- حرمة ترك الجاني وأخذ غيره بدلاً منه إذ هذا من الظلم المحرم .

فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوهُ خَصَّصُوا مِنْهُ خِيَارًا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ

(١) يبدو أن لفظ العزيز لقب لكل من يلي ولاية في تلك البلاد .

(٢) هذا اسلوب الاستعطاف والاسترحام ، اقتضاه موقف يوسف الحازم الصارم فنادوه بعنوان الحكم وذكروا له ضعف أبيهم وحالته النفسية إزاء ولده .

(٣) أي : خذه عبداً لتستره لأنه سبق أن قيل : إن شريعة يعقوب عليه السلام أن السارق يسترق بالسرقة .

(٤) ﴿معاذ﴾ : مصدر ميمي من العوذ الذي هو مصدر عاذ يعوذ عبداً إذا تحصن واستجار فهو مصدر قام مقام الفعل .

﴿٨١﴾ وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً
فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى
يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

- خلصوا نجياً : أي اعتزلوا يناجي بعضهم بعضاً .
أخذ عليكم موثقاً : أي عهداً وميثاقاً لتأتين به إلا أن يحاط بكم .
ومن قبل ما فرطتم : أي ومن قبل إضاعتكم لبنيامين فرطتم في يوسف كذلك .
فلن أبرح الأرض : أي لن أفارق الأرض ، أي أرض مصر .
وما كنا للغيب حافظين : أي لما غاب عنا ولم نعرفه حافظين .
العير التي أقبلنا فيها : أي أصحاب القافلة التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون .
سولت لكم أنفسكم : أي زينت وحسنت لكم أمراً ففعلتموه .
أن يأتيني بهم جميعاً : أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبير .
وتولى عنهم : أي معرضاً عن حديثهم .
وقال يا أسفى : أي يا حزني أحضر هذا أوان حضورك .
فهو كظيم : أي مغموم مكروب لا يظهر كربه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث على قصة يوسف وإخوته ، إنه بعد أن أخذ يوسف أخاه بالسرقة ولم يقبل استرحامهم له بأخذ غيره بدلاً عنه انحازوا ناحية يفكرون في أمرهم وهو

ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿فلما استياسوا﴾ أي يثسوا ﴿خلصوا نجياً﴾^(١) أي اعتزلوا يتناجون في قضيتهم ﴿قال كبيرهم﴾ وهو روبيل مخاطباً إياهم ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً﴾ يذكرهم بالميثاق الذي أخذه يعقوب عليهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين لأن عزيز مصر طلبه. ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ أي وذكرهم بتفريطهم في يوسف يوم ألقوه في غيابة الجب وباعوه بعد خروجه من الجب. ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي أرض مصر حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه ﴿أو يحكم الله لي﴾ بما هو خير^(٢) وهو خير الحاكمين.

ولما أفتعهم بتخلفه عنهم أخذ يرشدهم إلى ما يقولونه لوالدهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله عنه: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ وما شهدنا إلا بما علمنا^(٣) أي حيث رأينا الصواع يستخرج من رحل أخينا ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ أي ولو كنا نعلم أن أخانا يحدث له هذا الذي حدث ما أخذناه معنا. كما أننا ما شهدنا بأن السارق يؤخذ بالسرقة إلا بما علمنا منك ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ وهي عاصمة مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ إذ فيها كنعانيون من جيرائك ﴿وإننا لصادقون﴾ في كل ما أخبرناك به. هذا ما أرشد به روبيل إخوته، ولما ذهبوا به واجتمعوا بأبيهم وحدثوه بما علمهم روبيل أن يقولوه فقالوه لأبيهم. رد عليهم يعقوب عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي زينت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه ﴿فصبر جميل﴾ أي فصبري على ما أصابني صبر جميل لا عجز فيه ولا شكاية لأحد غير الله ﴿عسى الله أن يأتيني جمعاً﴾ أي يوسف

(١) لفظ نجى: يطلق على الواحد والجماعة كلفظ عدو، ويجمع على أنجية قال الشاعر:

إني إذا ما القوم كانوا أنجية واضطرب القوم اضطراب الأشرية

هناك أوصيني ولا توصي بيه

(٢) قيل: هو شمعون إذ كان أكبرهم في الرأي، وقيل: يهوذا وكان أعقلهم. وقيل: هولوى وهو أبو الأنبياء.

(٣) ما: مصدرية أي: تفريطكم في يوسف، والجملة معترضة.

(٤) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلى أبنائي، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتى أخلص أخي، أو أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلا أن يحاط بكم.

(٥) قرأ ابن عباس والضحاك وأبو رزين سُرِق بتشديد الزاء والبناء للمجهول أي: نسب إلى السرقة ورمي بها، السرقة: بفتح السين والراء: مصدر سرق والسرقة: اسم الشيء المسروق.

(٦) في الآية دليل على مشروعية الشهادة بأي وجه حصل العلم بالبصر، بالسمع باللمس إذ الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، وفي الحديث: (ألا أخبركم بخير الشهداء؟ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها).

(٧) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال: أحدكم هنذا وهو يريد غلامها لما جاز.

وبنيامين وروبيل ﴿إنه هو العليم﴾ بفقرى إليه وحاجتي عنده ﴿الحكيم﴾ في تدبيره لأوليائه وصالحي عبادہ ﴿وتولى عنهم﴾ أي أعرض عن مخاطبتهم ﴿وقال يا أسفى﴾ أي يا أسفى وشدة حزني أحضر فهذا أوان حضورك ﴿على يوسف﴾ قال تعالى مخبراً عن حاله بعد ذلك ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فغلب بياضهما على سوادهما ومعنى هذا أنه فقد الإبصار بما أصاب عينيه من البياض. ﴿فهو كظيم﴾ أي ممتلىء من الهم والكرب والحزن مكظوم لا يبثه لأحد ولا يشكوه لغير ربه تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية المناجاة للتشاور في الأمر الهام .
- ٢- مشروعية التذكير بالالتزامات والعهود والمحافظة على ذلك .
- ٣- قد يغلب الحياء على المؤمن فيمنعه من أمور هي خير له .
- ٤- مشروعية النصيحة وتزويد المنصوح له بما يقوله ويعمله .
- ٥- جواز اتهام البريء لملايسات أو تهمة سابقة .
- ٦- جواز إظهار التأسف والحزن والشكوى لله تعالى .

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي
وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ

(١) الكظيم : مبالغة للكظم والكظم : الإمساك النفساني ، أي : كاظم للحزن لا يظهره للناس ، وكظيم : بمعنى مكظوم كمحزون .

وَجِئْنَا بِبُضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا^١ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

شرح الكلمات :

- تالله تفتؤا تذكر : أي والله لا تزال تذكر يوسف .
 حرصاً : أي مشرفاً على الهلاك لطول مرضك .
 أشكو بني : أي عظيم حزني إذ البث الذي لا يصبر عليه حتى ييثر الى الغير .
 فتحسسوا : أي اطلبوا خبرهما بلطف حتى تصلوا إلى النتيجة .
 من روح الله : أي من رحمة الله
 ببضاعة مزججة : أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها .
 يجزي المتصدقين : أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة .

معنى الآيات :

مازال السياق فيما جرى من حديث بين يعقوب عليه السلام وبينه أنه بعدما ذكروا له ما جرى لهم في مصر اعرض عنهم وقال يا أسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن وهو كظيم . قالوا له ما أخبر به تعالى في قوله : ﴿ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف ﴾^(١) أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تصبح حرصاً مشرفاً على الموت أو تكون من الهالكين أي الميتين . أجابهم بما أخبر تعالى به عنه : ﴿ قال إنما أشكو بني ﴾^(٢) أي همي ﴿ وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ يريد أن رجاءه في الله كبير وأن الله لا يخيب رجاءه وأن رؤيا يوسف صادقة وأن الله تعالى سيجمع شمله به ويسجد له كما رأى . ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾^(٣) أي التمسوا أخبارهما

(١) حرف النفي مقدّر أي : تا الله لا تفتؤا ، ومعنى : تفتؤا : لا تفتّر إذ فتىء بمعنى فتر ، وهذا القول إشفاق على يعقوب .
 (٢) الحرص : شدة المرض المشفي بصاحبه على الهلاك ، وأصل الحرص : الفساد في الجسم أو العقل ، من الحزن أو العشق أو الهرم .
 (٣) البث : الهم الشديد .
 (٤) هذا اللفظ دال على أنه يقين حياة يوسف وذلك إمّا بوحى إلهي أو إلهام أو هداية عقل ، وإلا كيف يطلب منهم التحسس على يوسف ، والتحسس : شدة التّطلب ، والتّعرف وهو أعم من التجسس .

بحواسكم بالسؤال عنهما والنظر إليهما، ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ أي لا تقنطوا من فرج الله ورحمته وعلل للنهي فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ أي من فرجه ورحمته ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وامتثل الأبناء أمر الوالد وذهبوا إلى مصر وانتهوا إليها ونزلوا بها وأتوا إلى دار العزيز ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا﴾ ما أخبر تعالى به عنهم ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ﴾ أي من الجذب والقحط والمجاعة ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ أي دراهم رديئة مدفوعة لا تقبل كما تقبل الجيدة منها ﴿فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ﴾ بها ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بقبولها على رداءتها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي^(١) الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي يشيهم على إحسانهم ويجزيهم به خيراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شدة الحزن تعرض صاحبها للحرص أو الموت.
- ٢- تحرم الشكوى لغير الله عز وجل.
- ٣- حرمة اليأس من الفرج عند الشدة والرحمة عند العذاب.
- ٤- جواز الشكوى إذا كان المراد بها الكشف عن الحال للإصلاح أو العلاج كأن يقول المحتاج إني جائع أو عار مثلاً وكأن يقول المريض للطبيب أشكو ألماً في بطني أو رأسي مثلاً.
- ٥- فضل الصدقة وثواب المتصدقين .

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ

يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ

(١) الجملة تعليلية للنهي المتقدم، وهو اليأس من روح الله وهو رحمة الله وفرجه.

(٢) أي: أصابهم الضر.

(٣) جملة تعليلية لاستدعائهم التصديق عليهم.

(٤) قال مالك: في الآية دليل على أن أجره الكيال والوزان على البائع، إذ هو باع شيئاً لا بد وأن يبرزه ويفصله لمن اشتراه.

عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
 الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾
 أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
 وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

إذ أنتم جاهلون : أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف .
 قد من الله علينا : أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أنتم سبيه .
 من يتق ويصبر : أي يتق الله فيخافه فلا يعصيه ويصبر على ما يناله من وصب
 ونصب .

لقد آثرك الله علينا : أي فضلك علينا بما منّ عليك من الإناعم والكمال .
 لا تثريب عليكم : أي لا عتب عليكم ولا لوم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف وإخوته ، إنه لما وصلوا إليه من أرض كنعان بأمر
 والدهم وشكروا إليه ما هم فيه من ضيق الحال إذ قالوا له : قد مسنا الضر^(١) وجئنا ببضاعة^(٢)
 مزجاة ، لما سمع منهم ذلك رق قلبه وارفضت عيناه بالدموع وأراد أن ينهي التكتّم الذي
 كان عليه وهو إخفاء حاله عليهم فقال لهم : ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ ذكرهم

(١) في الآية دليل على جواز الشكوى عند الضرر بل يتعين على العبد إذا خاف على نفسه الضرر من جوع أو مرض أن يشكو
 ذلك لرفعه .

(٢) بضاعة مزجاة : البضاعة : القطعة من المال يقصد بها شراء شيء يقال : أبضعت الشيء واستبضعته أي : جعلته بضاعة ،
 والمزجاة : المدفوعة التي لا تقبل من الإجزاء الذي هو السوق بدفع ، ومنه قوله تعالى : ﴿يزجي سبحانه﴾ يريدون أنها بضاعة
 رديئة .

(٣) كأنه يقول : أنا يوسف أنا المظلوم أنا المراد قتله .

بما صنعوا به من إلقائه في الجب وبيعه عبداً وبذلك فرقوا بينه وبين والده وأخيه شقيقه وقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أي بما يصير إليه أمر يوسف وهنا قالوا في اندهاش وتعجب: ﴿أَنْتَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ﴾ فأجابهم قائلاً بما أخبر تعالى به عنه ﴿قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي أنعم علينا فجمع بيننا على أحسن حال ثم قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتِّقُ وَيَصْبِرُ﴾ أي يتق الله يخافه فيقيم فرائضه ويتجنب نواهيه ويصبر على ذلك وعلى ما يبتليه به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي في طاعة ربهم والإسلام له ظاهراً وباطناً. وهنا قالوا له ما أخبر به تعالى عنهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بالعلم والعمل والفضل ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فيما فعلنا بك، فكان هذا توبة منهم فقال لهم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ أي لا عتب ولا لوم ولا ذكر لما صنعتم لأنه يؤذي ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ سأل الله تعالى له ولهم المغفرة وأثنى على الله تعالى بأنه أرحم الراحمين متعرضاً لرحمته تعالى له ولإخوته. ثم سألهم عن والده فأخبروه أنه قد عمي من الحزن عليه فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي يرجع بصيراً كما كان ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يريد أبويه والنساء والأطفال والأحفاد. وهو تحول كامل للأسرة الشريفة من أرض كنعان إلى أرض مصر تدبيراً من الله العزيز الحكيم.

هداية الآيات

- (١) الجملة تعليلية، والمعلل له محذوف هو جواب الشرط تقديره: ينعم الله تعالى عليه وينصره ويكرمه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.
 - (٢) آثره بكذا: إذا فضله به، والمصدر: الإيثار، واسم الفاعل مؤثر.
 - (٣) التثريب: التوبيخ، والتفريع، واللوم، وفي الحديث الصحيح: (إذا زنت أمة أحدمك فليجلدها الحد ولا يثرّب عليها) أي: لا يعيّرهما. قال الشاعر:
- فعموت عنهم غير مثرب وتركهم لعقاب يوم سرمد
- (٤) لا يصح تعليق اليوم بيغفر الله إذ لا يعلم الغفران متى يتم لهم فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو غدا؟ بل يتعلق اليوم بكلمة لا تثريب.
 - (٥) قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منها من الشيخ ألم تر إلى قول يوسف: يغفر الله لكم. وقال يعقوب: سوف استغفر لكم ربي.
 - (٦) لا شك أن هذا العلم حصل ليوسف بوحي من الله تعالى، ولعل يوسف نبيء ساعدت وأراد يوسف بإلقاء القميص على وجه أبيه المفاجأة السارة لتكون سبباً في رجوع البصر.
 - (٧) قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين نسمة ما بين رجل وامرأة.

من هداية الآيات :

١- تقرير مبدأ أن المعاصي لن تكون إلا نتيجة للجهل بالله تعالى وجلاله وشرائعه ووعدته ووعدته .

٢- فضل التقوى والصبر وما لهما من حسن العاقبة .

٣- فضل الصفح والعفو وترك عتاب القريب إذا أساء .

وَلَمَّا فَصَلَتِ

الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن
تَفِنْدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا نَالَهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا
يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَانِ أَوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

- ولما فصلت العير : أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى أرض فلسطين .
 أني لأجد ريح يوسف : أشتمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالى .
 لولا أن تفندون : أي تسفهون ، لصدقتموني فإني وجدت ريح يوسف .
 إنك لفي ضلالك القديم : أي خطأك بإفراطك في حب يوسف .
 فلما أن جاء البشير^(١) : هو يهوذا الذي حمل إليه القميص الملطخ بالدم الكذب .
 فارتد بصيراً : أي رجع بصيراً .
 سوف استغفر لكم ربي : أجل الاستغفار لهم إلى آخر الليل أو إلى ليلة الجمعة .
 على العرش : أي السرير .
 وخرؤا له سجداً : أي سجدوا له تحية وتعظيماً .
 من البدو : أي البادية ، بادية الشام .
 من بعد أن نزع : أي أفسد .
 لطيف لما يشاء : أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف .

معنى الآيات :

هذه أواخر قصة يوسف عليه السلام ، إنه بعد أن بعث بقميصه إلى والده وحمله أخوه يهوذا ضمن القافلة المتجهة إلى أرض كنعان ، ولما فصلت العير من عريش مصر حملت ريح الصبا ريح يوسف إلى إبيه قال : ﴿إني لأجد ريح يوسف^(٣) لولا أن تفندون﴾ أي تسفهون لصدقتموني فإني أجدها فقال الحاضرون مجلسه من أفراد الأسرة والذين لم يعلموا بخبر يوسف بمصر قالوا له : ﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي من خطأك بإفراطك

(١) أن : مزيدة .

(٢) فصلت : بمعنى : انفصلت ، وبانت وبعدت من المكان الذي كانت فيه كقوله تعالى ﴿فلما فصل طالوت بجنوده﴾ .

(٣) الريح : الرائحة ، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم .

(٤) لصدقتموني : جواب لولا ، وهو يخاطب أحفاده أي : أولاد أولاده ، والتفنيذ النسبة إلى الفند محرك الفاء والنون وهو اختلال العقل من الهرم ونحوه قال الشاعر :

يا عاذلي دعا الملام وأقصرا طال الهوى وأطلتما التفنيدا

(٥) أي : لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب ، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب لجهلهم بمقام يعقوب ، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب .

في حب يوسف. وواصلت العير سيرها وبعد أيام وصلت وجاء يهودا يحمل القميص فألقاه على وجه يعقوب فارتد بصيراً كما أخبر يوسف إخوته بمصر. وهنا واجه أبناءه بالخطاب الذي أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي أعلم من لطف الله وحسن تدبيره ورحمته وإفضاله ما لا تعلمون. وهنا طلبوا من والدهم أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ربهم فقالوا ما أخبر تعالى به: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾. أجل لهم طلب المغفرة إلى ساعة الاستجابة كآخر الليل وقت السحر أو يوم الجمعة. وتنفيذاً لأمر يوسف إخوته بأن يأتوه بأهلهم أجمعين تحملت الأسرة بسائر أفرادها مهاجرين إلى مصر. وكان يوسف وملك مصر وألوف من رجال الدولة وأعيان البلاد في استقبالهم، وكان يوسف قد ضربت له خيمة أو فسطاط، ووصلت المهاجرة إلى مشارف الديار المصرية وكان يوسف في فسطاطه ﴿فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه﴾ أي ضمهما إلى موكنه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ ولما انتهوا إلى القصر ودخلوا ﴿ورفع﴾ يوسف أبويه أمه وأباه ﴿على العرش﴾ سرير الملك ﴿وخروا له سجداً﴾ تحية وتشريفاً. (١) وهنا قال يوسف ﴿يا أبت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ إذ رأى في صباه أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأهم له ساجدين. وقوله ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني﴾ من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴿هذا نناء على الله بنعمه وتذكير للحاضرين بالحادثة والطاف الله تعالى فيها. ومن كرم نفس يوسف وسمو آدابه لم يقل قد أحسن بي إذ أخرجني من الجب فيذكرهم بما يؤلمهم بل قال من السجن. ويعني بقوله وجاء بكم من البدو أي من أرض كنعان. ونسب الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان تلطيفاً للجو ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته، وختم حديث النعمة في أعظم فرحة ﴿إن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم﴾ أي بخلقه

(١) على عادة أهل ذلك الزمان، وهو سجود تحية لا عبادة.

(٢) أحسن بي وإلي بمعنى واحد أي قدم أي صنع إليّ معروفاً. بجلب خير أو دفع ضير.

(٣) أي: البادية، والبدو ضد الحضر، والاسم مشتق من البدو الذي هو الظهور والتزغ عبارة عن ادخال الفساد في النفس، شبه بتزغ الراكب الدابة وهو يريدتها تسرع.

(٤) اللطف: التدبير الملائم، واللطيف: صاحب اللطف.

﴿الحكيم﴾ في تدبيره وصنعه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- آية عظيمة هي حمل الريح ريح^(١) يوسف على مسافات بعيدة .
- ٢- آية أخرى هي ارتداد بصر يعقوب بعد العمى بمجرد أن أُلْقِيَ القميص على وجهه .
- ٣- كرم يعقوب وحسن عفوه وصفحه على أولاده إذ استغفر لهم ربهم فغفر لهم .
- ٤- مشروعية الخروج خارج المدينة لاستقبال أهل الكمال والفضل كالحجاج مثلاً .
- ٥- صدق رؤيا يوسف عليه السلام إذ تمت حرفياً فجلس يوسف على عرشه وخر له أبواه وإخوته ساجدين .
- ٦- قد يتأخر تأويل الرؤيا عشرات السنين إذ تأخرت رؤيا يوسف أربعين سنة .
- ٧- تجليات الألفاظ الإلهية والرحمات الربانية في هذه القصة في مظاهر عجيبة .

﴿ رَبِّ

قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
مُسْلِمًا وَالْحَقِّقْنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾

شرح الكلمات :

رب : أي يا رب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه .

من الملك : أي من بعض الملك إذ أصبح ملكاً لمصر فقط .

تأويل الأحاديث : تعبير الرؤا .

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق .

أنت وليّ : أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة .

(١) أي : راحته .

معنى الآية الكريمة :

هذا آخر الحديث عن قصة يوسف ، إنه بعد أن جمع الله تعالى شمله بكافة أفراد أسرته وفتح عليه من خزائن رحمته ما فتح ، وانقلبت الإحراقات : إحراقات الإلقاء في الحب ، والبيع رقيقاً بثمان بخس ، وفتنة امرأة العزيز ، والسجن سبع سنين ، انقلبت إلى اشراقات ملكاً ودولة ، عزاً ورفعة ، مالاً وثراء ، اجتماعاً ووثاماً ، وفوق ذلك العلم اللدني والوحي الإلهي وتأويل الأحاديث . وبعد أن قبض الله تعالى والده وتاب على إخوته وهبهم للنبوة ونبأهم . تاقت نفس يوسف إلى الملكوت الأعلى إلى الجيرة الصالحة إلى رفقة الأخيار آبائه الأطهار إبراهيم وإسحق ويعقوب رفع يديه إلى ربه وقال : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني^(١) مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ واستجاب الله تعالى دعاءه فلم يلبث إلا قليلاً حتى وافاه الأجل فارتحل والتحق بأبائه وصالحي إخوانه فسلام عليه وعليهم وعلى كل صالح في الأرض والسماء ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- مشروعية دعاء الله تعالى والتوسل إليه بأسمائه وصفاته .
- ٢- مشروعية العزوف عن الدنيا والرغبة عنها عند حصولها والتمكن منها .
- ٣- فضل الشوق إلى الله والحنين إلى رفقة الصالحين في الملكوت الأعلى .
- ٤- مشروعية سؤال الموت إن لم يكن لضرر أو ملل من العبادة ، أو رغبة في الراحة لحديث « لا يسألن أحدكم الموت^(٢) لضرر نزل به » وهو صحيح . ولكن شوقاً إلى الله تعالى والالتحاق بالصالحين ، عزوفاً عن هذه الدار وشوقاً إلى الأخرى دار السلام .

(١) من : للتبعيض ، إذ ملك مصر محدود ، ولم يملك يوسف على غيره ، ومن في قوله : ﴿ من تأويل الأحاديث ﴾ للجنس أولى مما تكون للتبعيض .

(٢) قال قتادة : لم يتمن الموت أحد نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم ، وجمع له الشمل اشتياقاً إلى لقاء ربه عز وجل ، وردّ الجمهور هذا وقالوا : إنما تمنى الموت على الإسلام وما ذكرته في التفسير أرجح وأوضح .

(٣) في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يتمنين أحدكم الموت لضرر نزل به فإن كان لا بد متمنياً فليقل : اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) رواه مسلم .

(٤) قيل : كان عمره يوم مات : مائة عام وسبع سنين ، وخلف من الولد ثلاثة : افراتيم ، ومنشا ، ورحمة .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ

نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ

﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا

وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا

وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

ذلك : إشارة إلى ما قص تعالى على رسوله من قصة يوسف وإخوته .

من أنباء الغيب : أي أخبار الغيب .

وما كنت لديهم : أي لدى إخوة يوسف .

إذ أجمعوا أمرهم : أي اتفقوا على إلقاء يوسف في غيابة الجب .

وهم يَمْكُرُونَ : أي يحتالون على إخراجه وإلقائه في الجب .

عليه من أجر : أي على القرآن وإبلاغه من ثواب أي مال .

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ : أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون .

معنى الآيات :

بعد ما قص تعالى على رسوله بواسطة الوحي قصة يوسف وإخوته وهي من الغيب المحض إذ لم يكن رسول الله ﷺ ولا قومه من العرب يعرفون عن هذه الأحداث التاريخية شيئاً، لا سيما وأن بعض هذه الأنباء تم في ظلام الليل وبعضها في ظلام البئر وبعضها وراء الستور، وبعضها في طبقات السجون وبعضها في قصور الملوك وبعضها في الحضر وبعضها في البدو، وبعد تطاول الزمن وتقادم العصور. بعد أن قص ما قص قال لرسوله

محمد ﷺ : ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾^(١) أي من أخبار الغيب ﴿نوحيه إليك﴾ أي نعلمك به بطريق الوحي ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ ويؤكد وحيه إليه بذلك فيقول، وما كنت لدى إخوة يوسف في الوقت الذي أجمعوا فيه أمرهم على التخلص من يوسف بأي ثمن وهم يحتالون على إخراجه من بين يدي أبويه ليلقوه في غيابة الجب تخلصاً منه حيث رأوا أنه حجب عنهم وجه أبيهم وذهب بعطفه وحنانه دونهم. وقوله تعالى : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾^(٢) يخبره تعالى أن الإيمان بك وبما جئت به من الوحي والتوحيد والبعث الآخر مثل هذا القصص كافٍ في التدليل على صحة نبوتك وعلى وجوب الإيمان بما جئت به وتدعو إليه ومع هذا فأكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم ما هم بمؤمنين، ولذلك عوامل من أبرزها أن الإيمان يتعارض مع ما ألفوا من الباطل والشر والفساد، لا سيما شهواتهم وأغراضهم الدنيوية ومن قبل ذلك أن من كتب الله شقاءه لا يؤمن بحال، ولذا فلا تحزن ولا تكرب، وقوله تعالى : ﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾ أي على هذا القرآن وإبلاغه إليهم من مال إذ لو كنت سائلهم أجراً على قراءتك عليهم وإبلاغك لهم لكان ذلك مانعاً من قبول ما تدعوهم إليه، ولكن ما دام ذلك يقدم لهم مجاناً فلا معنى لعدم إيمانهم إلا ما كتب الله من خسرانهم فهم عاملون للوصول إليه.

وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي ما هذا القرآن وما يحمله من هدى ونور وقراءتك له إلا ذكرى أي موعظة يتعظ بها من يسمعها من أهل البصيرة والإيمان من العالمين ممن هياهم الله تعالى للسعادة والكمال، وقوله تعالى : ﴿وكأين من آية في السموات والأرض﴾ أي وكثير من الآيات الدالة على الله وعلى وجوب عبادته وتوحيده فيها

(١) هذا الكلام تذييل للقصة بعد انتهائها. إتماماً للفائدة منها، والغيب ما غاب عن علم الناس، وأصل الغيب مصدر غاب يغيب غيباً، فسمي به الشيء الغائب

(٢) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا ألمه عدم إيمان قريش بعد أن سألوه عن هذه القصة ليؤمنوا فلما قصها عليهم لم يؤمنوا قاله ذلك.

(٣) من صلة لتقوية النفي.

(٤) أصل : كآين : أي. فدخلت عليها كاف التشبيه، وبنيت معها فصار معناها (كم) قال القرطبي : قد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

في السموات كالشمس والقمر والكواكب والسحب والأمطار، والأرض كالجبال والأنهار والأشجار والمخلوقات المختلفة يمرون عليها صباح مساء وهم معرضون غير ملتفتين إليها ولا متفكرين فيها فلذا هم لا يؤمنون ولا يهتدون. وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٠٦) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١) يخبر تعالى رسوله أن من يدعوهم إلى الإيمان به وبما جاء به ما يؤمن أكثرهم بالله رباً خالقاً رازقاً إلا وهم مشركون به أصناماً وأوثاناً يعبدونها وهي حقيقة قائمة لو سئل يهودي أو نصراني عن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للكون لقال الله، ولكن هو به مشرك يعبد معه غيره وكذلك حال المشركين الذين أخبر تعالى عنهم، وكثير من أهل الجاهلية في هذه الأمة القرآنية يدعون غير الله ويدبحون لغير الله وينذرون لغير الله وهم مؤمنون بالله وبما جاء به رسوله من التوحيد والبعث والجزاء والشرع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تقرير النبوة المحمدية بأصدق برهان وأعظم حجة.
- ٢- بيان حكم الله في الناس وهو أن أكثرهم لا يؤمنون فلا يحزن الداعي ولا يكرب.
- ٣- دعوة الله ينبغي أن تقدم إلى الناس مجاناً، وأجر الداعي على الله تعالى الذي يدعو إليه.
- ٤- ذم الغفلة وعدم التفكير في الآيات الكونية.
- ٥- بيان حقيقة ثابتة وهي أن غير أهل التوحيد وإن آمنوا بالله رباً خالقاً رازقاً مدبراً أكثرهم يشركون به غيره في بعض صفاته وعباداته.

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في تلبية المشركين: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبِّحَنَ
 اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 إِلَّا رَجُلًا لَا نُؤْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

غاشية من عذاب الله : أي نقمة من نقمة تعالى تغشاهم ^(١) أي تحوط بهم .
 بغتة : فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم .
 هذه سبيلي : أي دعوتي وطريقتي التي أنا عليها .
 على بصيرة : أي على علم يقين مني .
 وسبحان الله : أي تنزيهاً لله وتقديساً أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه .
 من أهل القرى : من أهل المدن والأصهار لا من أهل البوادي .
 للذين اتقوا : أي الله تعالى بأداء فرائضه وترك نواهيه .
 أفلا تعقلون : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلى عليهم ويبين لهم
 فيؤمنوا ويوحّدوا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان بالوحي الإلهي والتوحيد والبعث والجزاء وهي
 أركان الدين العظيم ، فقال تعالى : أفأمن هؤلاء المشركون والذين لا يؤمن ﴿أكثرهم بالله
 إلا وهم مشركون﴾ والذين يمرون بالكثير من آيات الله وهم معرضون ، أفأمن هؤلاء ﴿أن
 تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أي عقوبة من عذاب تغشاهم وتجلبهم بالعذاب الذي لا

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : مجلّة ، وهو معنى تعظيمهم ، وتحوط بهم من كل جوانبهم بحيث لا ينجون منها .

يطاق ﴿أو تأتيم الساعة﴾ أي القيامة ﴿بغثة﴾^(١) أي فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها فتعظم البلية وتشتد عليهم الرزية، وكيف يأمنون وهل يوجد من يؤمنهم غير الله تعالى فما لهم إذاً لا يؤمنون ولا يتقون حتى ينجوا مما يتوقع لهم؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٧) أما الثانية فقد أمر الله تعالى رسوله أن يواصل دعوته دعوة الخير هو والمؤمنون معه فقال: ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي قل أيها الرسول للناس هذه طريقتي في دعوتي إلى ربي بأن يؤمن به ويعبد وحده دون سواه. ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾^(٢) أي على علم يقين بمن أدعو إليه وبما أدعوه وببالتائج المترتبة على هذه الدعوة، ﴿أنا ومن اتبعني﴾ من المؤمنين كلنا ندعو إلى الله على بصيرة.

وقوله تعالى: ﴿وسبحان الله﴾ أي قل سبحان الله أي تنزيهاً له عن أن يكون له شريك أو ولد، وقل كذلك معلناً براءتك من الشرك والمشركين ﴿وما أنا من المشركين﴾. هذا ما دلت عليه الآية الثانية. أما الآية الثالثة فإن الله تعالى يخبر رسوله بأنه ما أرسل من قبله من الرسل وهم كثر إلا رجالاً أي لا نساء ولا ملائكة ﴿نوحى إليهم من أهل القرى﴾^(٣) أي الأمصار والمدن، وهذا إبطال لإنكارهم أن يكون الرسول رجلاً من الناس، وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا﴾ أي هؤلاء المكذبون من قريش وغيرهم ﴿في الأرض﴾ للاعتبار ﴿فينظروا﴾^(٤) كيف كان عاقبة من سبقهم من الأمم كعاد وثمود فإنما أهلكتناهم ونجينا أهل الإيمان والتوحيد من بينهم مع رسلهم هذه النجاة ثمرة من ثمرات الإيمان والتقوى، ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا﴾^(٥) فإنها دار النعيم المقيم والسلامة من الآهات والعاهات والكبر والهرم والموت والفناء.

وقوله تعالى في نهاية الآية ﴿أفلا تعقلون﴾ يوبخ أولئك المشركين المصيرين على

- (١) ﴿فينظروا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاءهم به من الهدى ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.
(٢) ﴿ولدار الآخرة خير﴾ مبتدأ وخبر، وهل الإضافة هنا كما هي في يوم الخميس وبارحة الأولى؟ خلاف ويرجح أحد الرايين فنقول الشاعر:

ولو أقوت عليك ديار عيس عرف الذل عرفان اليقين

أي: عرفاناً يقينياً. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه محال، لأن الشيء يضاف إلى غيره ليعرف به الأجود أن يقال: الصلاة الأولى.

- (٣) قرىء: ﴿أفلا يعقلون﴾: بالياء والتاء في السبع.
(٤) منصوب على الحال، ومعناه إصابة من غير توقع ﴿وهم لا يشعرون﴾: تأكيد لمعنى بغثة. هذا كقوله تعالى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾.
(٥) أي: على يقين وحق كقولهم: فلان مستبصر بهذا الأمر.
(٦) قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ رد على القائلين ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾.

التكذيب والشرك على عدم تعقلهم وتفهمهم لما يتلى عليهم وما يسمعون من الآيات القرآنية وما يشاهدون من الآيات الكونية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من العقوبات المترتبة على الشرك والمعاصي .
- ٢- تقرير عقيدة البعث الآخر .
- ٣- تعيين الدعوة إلى الله تعالى على كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٤- تعيين العلم اليقيني للداعي إلى الله إذ هو البصيرة المذكورة في الآية .
- ٥- وجوب توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .
- ٦- الرسالة من خصوصيات الرجال وليس في النساء رسولة ^(١) .
- ٧- بيان ثمرات التوحيد والتقوى في الدنيا والآخرة .

حَتَّى

إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَئِنْ تَصَدَّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفَصَّلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

استيسس الرسل : أي يسسوا من نصرهم .

وظنوا أنهم قد كذبوا : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به

(١) حديث: (إن في النساء أربع نبيات حواء وآسية وأم موسى ومريم) حديث ضعيف لا يصح ، وهو معارض لهذه الآية وآيات أخرى .

من النصر.

ولا يرد بأسنا : أي عذابنا الشديد.

عن القوم المجرمين : أي الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجزموا على غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

لقد كان في قصصهم : أي الرسل عليهم السلام.

ما كان حديثاً يفترى : أي ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق.

تصديق الذي بين يديه : أي ما قبله من الكتب الإلهية إن نزل مصداقاً لها في الإيمان والتوحيد.

معنى الآيتين

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد بقوله تعالى ما زال من أرسلنا من رسلنا يدعون إلينا ويواصلون دعوتهم ويتأخر نصرهم حتى يدب اليأس إلى قلوبهم^(١) ويظن أتباعهم أنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من نصرهم وإهلاك أعدائهم ﴿جاءهم﴾ بعد وجود اليأس نصرنا ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾. هذا ما جاء في الآية الأولى ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ أي كان في قصص الرسل مع أممهم بذكر أخبارهم وتبيان أحوالهم من نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين المكذبين عبرة^(٢) يعتبر بها المؤمنون فيثبتون على إيمانهم ويواصلون تقواهم لربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

وأولوا الألباب هم أصحاب العقول، وقوله تعالى : ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي لم يكن هذا القرآن العظيم بالحديث الذي في إمكان الإنسان أن يكذب ويختلق مثله بحال من

(١) أي : من إيمان قومهم ، لأن الله تعالى لم يعلمهم أن قومهم سيؤمنون حتى لا يصح منه ظن عدم إيمانهم .

(٢) المراد بالنصر : العذاب ، فلما جاء العذاب بعد طول انتظار نجى الله تعالى رسله والمؤمنين ، وأهلك أعداءهم وأعداءهم الكافرين .

(٣) يدخل أولاً قصة يوسف ، وإخوته ثم باقي القصص .

(٤) فكرة وتذكرة وعظة .

الأحوال ولكنه أي القرآن هو ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ أي تقدم في النزول عليه كالتوراة والإنجيل فهو مصدق لهما في أصول الإيمان والتوحيد ولا يتنافى معهما وهذا أكبر دليل على أنه وحي إلهي مثلهما، وليس بالكلام المختلق كما يقول المبطلون، وقوله تعالى : ﴿وتفصيل^(١) كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي كما هو مصدق لما بين يديه هو أيضاً يفصل كل شيء يحتاج إليه البشرية في دينها المزكي لأنفسها الموجب لها رحمة ربها ورضاه عنها وهدى ينير الطريق فيهدي من الضلالة ورحمة تنال المؤمنين به العاملين به المطبقين لشرائعه وأحكامه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في تأخر النصر على رسله وعباده المؤمنين زيادة في الإعداد والتمحيص ثم يأتي نصر الله فيعز أولياء الله ويذل أعداءه .
- ٢- التنديد بالإجرام وهو الإفساد للعقائد والأخلاق والشرائع والأحكام .
- ٣- بيان فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة لمن طلب ذلك منه .
- ٤- المؤمنون باعتبار أنهم أحياء هم الذين ينتفعون بهداية القرآن ورحمته .

(١) أي : مما يحتاج إليه البشر من الحلال والحرام ، والشرائع والأحكام .

فهرس المجلد الثاني

٤	الجزء السابع
٤	سورة المائدة من الآية (٨٢)
٣٤	سورة الأنعام من الآية (١)
١٠٥	الجزء الثامن
١٠٥	سورة الأنعام من الآية (١١١)
١٥٠	سورة الأعراف من الآية (١)
٢٠٣	الجزء التاسع
٢٠٣	سورة الأعراف من الآية (٨٨)
٢٨٢	سورة الأنفال من الآية (١)
٣٠٩	الجزء العاشر
٣٠٩	سورة الأنفال من الآية (٤١)
٣٣٥	سورة التوبة من الآية (١)
٤١٤	الجزء الحادي عشر
٤١٤	سورة التوبة من الآية (٩٣)
٤٤٤	سورة يونس من الآية (١)
٥١٨	سورة هود من الآية (١)
٥٢٢	الجزء الثاني عشر
٥٢٢	سورة هود من الآية (٦)
٥٩١	سورة يوسف من الآية (١)
٦٢٢	الجزء الثالث عشر
٦٢٢	سورة يوسف من الآية (٥٣)
٦٥٩	الفهرس

أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ

لِكَلَامِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثالث

تأليف

أُحْيَى بِكَرِّمِ بَرِّ الْجَزَائِرِيِّ
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزیدة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة


الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجيه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من:
رأسم للدعاية والإعلان



RACEN
ADVERTISING



للدعاية والإعلان

ت : ٦٧١٣٩٧٦ ص. ب : ٨٣٣٣ - جدة ٢١٤٤٢
Tel: 6713976 P.O. Box: 8323 Jeddah 214482

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكية

وآياتها ثلاث وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ
وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ
النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ
قُطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُوفٌ
وَاخَرٌ صُنُوفٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الْمَرَّةَ : هذه الحروف المقطعة تكتب الْمَرَّ وتقرأ الف لَام مِيم رَا . والله أعلم بمرادها .

بغير عمد ترونها : العمد جمع عمود أي مرئية لكم إذ الجملة نعت .

ثم استوى على العرش^(١) : استواء يليق به عز وجل .

وسخر الشمس والقمر : أي ذللها بمواصلته دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها .

هو الذى مد الأرض : أي بسطها للحياة فوقها .

رواسى : أي جبال ثوابت .

زوجين اثنين : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلاً .

يغشى الليل النهار : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء .

آيات : أي دلالات على وحدانية الله تعالى .

قطع متجاورات : أي بقاع متلاصقات .

ونخيل صنوان : أي عدة نخلات في أصل واحد يجمعها ، والصنو الواحد

والجمع صنوان .

في الأكل : أي في الطعام هذا حلو وهذا مرّ وهذا حامض ، وهذا لذيق

وهذا خلافه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الْمَرْءُ﴾ الله أعلم بمراده به . وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة إلى ما جاء من قصص سورة يوسف ، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل فمن جملة آياتها ما قص الله تعالى على رسوله . وقوله : ﴿والذي^(٢) أنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن العظيم ﴿الحق﴾ أي هو الحق الثابت . وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي مع أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق فإن أكثر الناس من قومك وغيرهم لا يؤمنون بأنه وحي الله وتنزيله فيعملوا به فيكملوا ويسعدوا . وقوله تعالى : ﴿الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد^(٤)

(١) عقيدة السلف في هذه الصفة : وجوب الإيمان بها وإمرارها كما ذكرها تعالى بلا تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وكذا سائر صفاته عز وجل .

(٢) يصح أن تكون الواو عاطفة صفة على أخرى ، أي : عطفت الذي على الكتاب فالموصول في محل جر نعت للكتاب ، وهو نظير قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليت الكنية في المزدحم

ويكون المعنى : تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك والحق : مرفوع على أنه خبر لمبتأ محذوف تقديره : هو الحق . وما في التفسير واضح قال به مجاهد وقتاده .

(٣) قال مقاتل : نزلت هذه الآية رداً على المشركين القائلين : إن محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه .

(٤) في الآيات استدلال بقدرة الله وعلمه وحكمته على أن القرآن الكريم وحيه أوحاه إلى رسوله وتنزيله أنزله عليه ليس كما يدعي المشركون

ترونها: أي أن إلهكم الحق الذي يجب أن تؤمنوا به وتعبده وتوحدوه الله الذي رفع السموات على الأرض بغير عمد مرئية لكم ولكن رفعها بقدرته وبما شاء من سنن . وقوله : ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي خلق السموات والأرض ثم استوى على عرشه استواء يليق بذاته وجلاله يدبر أمر الملكوت وقوله : ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللها بعد خلقهما يسيران في فلکهما سيراً منتظماً إلى نهاية الحياة ، وقوله ﴿كل يجري﴾ أي في فلکه فالشمس تقطع فلکها في سنة كاملة والقمر في شهر كامل وهما يجريان هكذا إلى نهاية الحياة الدنيا فيخسف القمر وتنكدر الشمس وقوله : ﴿يدبر الأمر﴾ أي يقضى ما يشاء في السموات والأرض ويدبر أمر مخلوقاته بالإماتة والاحياء والمنع والإعطاء كيف يشاء وحده لا شريك له في ذلك . وقوله : ﴿يفصل الآيات﴾ أي القرآنية بذكر القصص وضرب الأمثال وبيان الحلال والحرام كل ذلك ليهيئكم ويعدكم للإيمان بلقاء ربكم فتؤمنوا به وتعبدوا الله وتوحدوه في عبادته فتكملوا في أرواحكم وأخلاقكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله تعالى : ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ أي بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبلاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى فيها أنهاراً ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي نوعين وضربين فالرمان منه الحلومنه الحامض والزيتون منه الأصفر والأسود ، والتين منه الأبيض والأحمر وقوله : ﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يغطي سبحانه وتعالى النهار بالليل لفائدتكم لتناموا وتستريح أبدانكم من عناء النهار . وقوله : ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور في هذه الآية الكريمة من مد الأرض وجعل الرواسي فيها واجراء الأنهار ، وخلق أنواع الثمار واغشاء الليل النهار ، في كل هذا المذكور ﴿آيات﴾ أي علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته وعلى وجوب عبادته وتوحيده وعلى الإيمان بوعده ووعيده ، ولقائه وما أعد من نعيم لأوليائه وعذاب لأعدائه ، وقوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي بقاع من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات هذه تربتها طيبة وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة وفي الأرض أيضاً جنات أي بساتين من

(١) لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةَ فِي السَّمَاءِ ذَكَرَ آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةَ فِي الْأَرْضِ اسْتِدْلَالاً بِهَا عَلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ الْمَوْجِبَةِ لِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ دُونَ سِوَاهُ .

(٢) أي : وأخرى غير متجاورات فحذفت على حدِّ قوله : ﴿سراويل تقيكم الحر﴾ حيث حذف المقابل وهو : تقيكم البرد .

أعنان وفيها زرع ونخيل ﴿صنوان﴾^(١) النخلتان والثلاث في أصل واحد، ﴿وغير صنوان﴾ كل نخلة قائمة على أصلها، وقوله: ﴿تسقى﴾ أي تلك الأعنان والزروع والنخيل ﴿بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾^(٢) وهو ما يؤكل منها فهذا حلو وهذا حامض وهذا للذيد وهذا سمج، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من القطع المتجاورات مع اختلاف الطيب وعدمه وجنات الأعنان والنخيل وسقيها بماء واحد واختلاف طعومها وروائحها وفوائدها ﴿آيات﴾^(٣) علامات ودلائل باهرات على وجوب الإيمان بالله وتوحيده ولقائه، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أما الذين فقدوا عقولهم لاستيلاء المادة عليها واستحكام الشهوة فيها فإنهم لا يدركون ولا يفهمون شيئاً فكيف إذا يرون دلائل وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته فيؤمنون به ويعبدونه ويتقربون إليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي الإلهي ونبوة محمد ﷺ .
- ٢- تقرير عقيدة التوحيد وأنه لا إله إلا الله .
- ٣- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا .
- ٤- فضيلة التفكير في الآيات الكونية .
- ٥- فضيلة العقل للاهتمام به إلى معرفة الحق واتباعه للإسعاد والإكمال .

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْلِفِي خَلْقٍ

(١) الصنوا: المثل، ومنه الحديث: (عم الرجل صنوا أبيه) ولا فرق بين الشنية والجمع في: (صنوان) إلا بكسر نون المثني، وتوئين نون الجمع، فتقول: هذان صنوان وهؤلاء صنوان.

(٢) كالعدل والحلو والحامض، وبنو آدم كذلك الأصل واحد والخلاف قائم هذا مؤمن وهذا كافر، هذا صالح وهذا فاسد، كما قال الشاعر:

الناس كالنبت والنبت ألوان منها شجر الصندل والكافور والبان
ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

(٣) في هذه الآيات دلائل الوجدانية وعظم الصمدية والإرشاد لمن ضل عن معرفته حيث نبه تعالى بقوله: ﴿متجاورات ومع تجاورها قطعة عذبة وأخرى ملحة، قطعة طيبة وأخرى خبيثة كما أن التربة واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف طعوم الثمار وألوانه وخصائصه ومنافعه فهذا لن يكون صادراً إلا عن ذي قدرة لا تحدّ وعلم لا ينتهي وحكمة لا يخلو منها شيء، وهو الله تعالى، وأين الطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا إرادة من الله خالق كل شيء العليم بكل شيء؟

جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ
 فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ
 قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْلَا
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
 ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
 وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإن تعجب :

: أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد .

فمجبب :

: أي فاعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة

وقوة الحجج .

لفي خلق جديد :

: أي نرجع كما كنا بشراً أحياء .

الأغلال في أعناقهم : أي موانع من الإيمان والاهتداء في الدنيا ، وأغلال تشد بها أيديهم
 إلى أعناقهم في الآخرة .

بالسيئة :

: أي بالعذاب .

قبل الحسنة :

: أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب .

المثلاث :

: أي العقوبات واحداً مثلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم

الماضية .

لولا أنزل عليه :

: أي هلاً أنزل ، ولولا أداة تحضيض كهلاً .

آية من ربه : أي معجزة كعصا موسى وناقاة صالح مثلاً .

ولكل قوم هاد : أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركون به غيره .

ما تحمل كل أنثى : أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر .

وما تفيض الأرحام : أي تنقص من دم الحيض ، وما تزداد منه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى الإيمان بالتوحيد والنبوة المحمدية والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء ، فقوله تعالى في الآية الأولى (٥) ﴿وإن تعجب﴾^(١) يا نبينا من عدم إيمانهم برسالتك وتوحيد ربك فعجب أكبر هو عدم إيمانهم بالبعث الآخر، إذ قالوا في إنكار وتعجب: ﴿أنذا متنا﴾^(٢) وكنا تراباً أننا لفي خلق جديد﴾ أي يحصل لنا بعد الفناء والبلى؟ قال تعالى مشيراً إليهم مسجلاً الكفر عليهم ولازمه وهو العذاب ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ وهي في الدنيا موانع الهداية كال تقليد الأعمى والكبر والمجاهدة والعناد، وفي الآخرة أغلال توضع في أعناقهم من حديد تشد بها أيديهم إلى أعناقهم، ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي ما كانوا أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٦) ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ يخبر تعالى رسوله مقررأ ما قال أولئك الكافرون بربهم ولقائه ونبي الله وما جاء به، ما قالوه استخفافاً واستعجالاً وهو طلبهم العذاب الدنيوي، إذ كان الرسول ﷺ يخوفهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهم يطالبون به كقول بعضهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، قبل طلبهم الحسنة وهذا لجهلهم وكفرهم، وإلا لطالبوا بالحسنة التي هي العافية والرخاء والخصب قبل السيئة التي هي الدمار والعذاب .

(١) أصل التعجب: تغير النفس بما تخفي أسبابه، والمخاطب في هذا الرسول ﷺ والمؤمنون تابعون له .

(٢) مثل هذا الاستفهام وقع في تسع سور من القرآن في أحد عشر موضعاً ومن القراء من استفهم في الموضعين أنذا كنا تراباً أننا لمبعوثون ومنهم من استفهم في موضع واحد، فمن استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاد في الثانية تأكيداً له ومن أتى به مرة واحدة لحصول المقصود به لأن كل جملة مرتبطة بالثانية فإذا أنكر في أحدهما حصل الإنكار في الأخرى (أنافه الجمل) .

(٣) الأغلال: جمع غل وهو طوق من حديد تشد به اليد إلى العنق .

(١)

وقوله تعالى : ﴿وقد خلت من قبلهم المثلثات﴾ أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعاداً لها واستخفافاً بها أين ذهبت عقولهم؟ وقوله تعالى : ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس﴾ على ظلمهم ﴿وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة، وقوله : ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة : ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح ، حتى تؤمن بنبوته ونصدق برسالته ، فيرد تعالى عليهم بقوله : ﴿إنما أنت منذر﴾ والمندر المخوف من العذاب وليس لازماً أن تنزل معه الآيات ، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات ، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم هادياً وأنت هادي هذه الأمة ، وداعياً إلى ربها فادع واصبر .

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ أي من ذكر أو أنثى واحداً أو اثنين أبيض أو أسمر سعيداً أو شقيماً ، وقوله : ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض وما تزداد منها إذ غيضاها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر ، وقوله : ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

(١) المثلثات : جمع مثلة ، وهي العقوبة نحو : صدقة وصدقات ، وتضم الميم وتسكن الراء مثلة كغرفة والجمع مثل كُفْرَب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثلاً تمثل بها العقوبات .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله ، قال سعيد بن المسيب ، لما نزلت قال رسول الله ﷺ (لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنا أحد أبيض ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد) .

(٣) هادي كل أمة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء .

(٤) قال القرطبي : من ذكر أو أنثى : صبيح أو قبيح صالح أو طالح . وقوله : ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان ، وهو كذلك .

(٥) العادة أن انحباس الحيض دال على العلوق أي : الحمل ، وفيضان الدم دال على عدم الحمل ، وتفسير الآية بهذا حسن ، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم ، لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين ، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها ، ويخرج ، وهو دم من لا حمل لها . وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح .

(٦) استدلال بالآية من قال : الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة . والجمهور على أنها تحيض كما استدلل بها كل من قال : الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات ، وهو الجمهور ، وخالف الظاهرية في ذلك .

ولا حال، ولا زمان ولا مكان، وقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي كل ما غاب عن الخلق، وما لم يغب عنهم مما يشاهدونه أي العليم بكل شيء، وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ أي الذي لا أكبر منه وكل كبير أمامه صغير المتعال على خلقه المنزه عن الشريك والشبيه والصاحبة والولد هذا هو الله وهذه صفاته فهل يليق بعاقل أن ينكر استحقاقه للعبادة دون سواه؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر عليه أن يوحى بما شاء على من يشاء من عباد؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر على من هذه قدرته وعلمه أن يحيي العباد بعد أن يميتهم ليسألهم عن كسبهم ويحاسبهم عليه ويجزيهم به؟ اللهم لا إذا فالمنكرون على الله ما دعاهم إلى الإيمان به لا يعتبرون عقلاء وإن طاروا في السماء وغاصوا في الماء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أصول العقيدة الثلاثة : التوحيد والنبوة البعث والجزاء الآخر.
- ٢- صوارف الإيمان والتي هي كالأغلال هي التقليد الأعمى ، والكبر والعناد.
- ٣- عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه .
- ٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ

الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُمْ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

وسارب بالنهار : أي ظاهر في سربه أي طريقه .
له معقبات : أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار .
من أمر الله : أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره .
لا يغير ما يقوم : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب .
ما بأنفسهم : من طهر وصفاء بالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام .
وما لهم من دونه من وال : أي وليس لهم من دون الله من يليي أمرهم فيدفع عنهم العذاب .

من خيفته : أي من الخوف منه وهيئته وجلاله .
وهو شديد المحال : أي القوة والمماحلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر جلال الله وعظيم قدرته وسعة علمه ، قال تعالى في هذه الآية : ﴿سواء منكم^(١) من أسر القول ومن جهر به﴾ فالله يعلم السر والجهر وأخفى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ يمشي في ظلامه ومن هو ﴿سارب بالنهار﴾ أي يمشي في سربه وطريقه مكشوفاً معلوماً لله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) هذه الآية كالتنتيجة لما تقدم من الدلائل على علم الله وقدرته وحكمته الموجبة لالوهيته وفيها تعريض بالمشركين المتأمرين على قتل النبي ﷺ أو أذيته ، وسواء : بمعنى مستو ، وهو اسم يكون بين شيئين كالسر هنا والجهر أي : مستوى عنده السر والجهر .

(٢) السرب : يفتح السين وسكون الراء : الطريق ، والسارب : اسم فاعل من سرب إذا ذهب .

(٣) جمع معقبة وهو مأخوذ من العقب الذي هو مؤخر الرجل فكل من اتبع آخر فقد تعقبه فهو متعقب له ، وعقبه يعقبه فهو عاقب له : إذا جاء بعده ، والمعقبات هنا : الملائكة لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل وهكذا .

أمر الله ﴿جائز أن يعود الضمير في «له» على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلالوة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراد الله بسوء فلا مرد له وماله من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجائز أن يعود على الله تعالى ويكون المراد من المعقبات الملائكة الحفظة^(١) والكتابة للحسنات والسيئات ويكون معنى من أمر الله أي بأمره تعالى وإذنه، والمعنى صحيح في التوجيهين للآية وإلى الأول ذهب ابن جرير وإلى الثاني ذهب جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات، وقوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وماله من دونه من وال﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه إذا أراد بقوم أو فرد أو جماعة سوءاً ما أي ما يسوءهم من بلاء وعذاب فلا مرد له بحال من الأحوال بل لا بد وأن يمسه، ولا يجدون من دون الله من وال يتولى صرف العذاب عنهم، أما من الله تعالى فإنهم إذا أنابوا إليه واستغفروه وتابوا إليه فإنه تعالى يكشف عنهم السوء ويصرف عنهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق من جهة وطمئناً في المطر من جهة أخرى ﴿وينشئ السحاب الثقيل﴾ أي وهو الذي ينشئ^(٢) أي يبدئ السحاب الثقيل الذي يحمل الأمطار ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أي وهو الذي يسبح الرعد بحمده وهو ملك موكل بالسحاب يقول:

(١) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلوا عنه والكتابة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٢) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله سبحانه وتعالى جعل أوامره على وجهين. أحدهما: قضي وقوعه وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضي مجيئه ولم يقض حלוه ووقوعه بل قضي صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(٣) إنشاء السحاب: تكوينه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحاباً، والسحاب اسم جمع لسحابة، وسميت سحابة لأنها تسحب من مكان إلى مكان.

(٤) الباء للملابسة: أي يسبح الله تسييحاً ملابساً لحمده، والتسييح، التنزيه.

سبحان الله وبحمده، وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾^(١) أي خيفة الله وهيبته وجلاله فهي لذلك تسبحه أي تنزهه عن الشريك والشبيه والولد بألفاظ يعلمها الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾^(٢) أي في وجوده وصفاته وتوحيده وطاعته ﴿وهو شديد المحال﴾^(٣) هذه الآية نزلت فعلاً في رجل^(٤) بعث إليه رسول الله ﷺ من يدعو إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جاء من قبل رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، ومعنى شديد المحال أي القوة والأخذ والبطش.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- سعة علم الله تعالى .

٢- الحرس والجلالوة لمن يستخدمهم لحفظه من أمر الله تعالى لن يغفوا عنه من أمر الله شيئاً.

٣- تقرير عقيدة أن لكل فرد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار منهم الكرام الكاتبون، ومنهم الحفظة للإنسان من الشياطين والجان .

٤- بيان سنة أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي .

٥- استحباب قول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عند سماع الرعد

لورود ذلك عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا

(١) والملائكة تسبح أيضاً من خوف الله تعالى .

(٢) من خيفته من : تعليلية أي : لأجل الخوف منه تعالى .

(٣) يجادلون : المفعول محذوف تقديره : يجادلونك وأتباعك المؤمنين في شأن توحيد الله تعالى ولقائه ونبوة رسوله ﷺ .

(٤) (المحال) إن كان من الحول والميم زائدة فهو بمعنى شديد القوى، وإن كانت الميم أصلية فالمحال : بكسر الميم : فهو فعال بمعنى الكيد، وفعله محل وتمحل إذا تحيل، إذ المجادلون كانوا يتحيلون في أسلتهم، فأعلمهم الله أنه أقوى منهم، وأشد كيداً منهم .

(٥) قيل : نزلت في يهودي، وقيل : في أريد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وقد هلك أريد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول .

كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ
 نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
 الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ
 عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

له دعوة الحق : أي لله تعالى الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو.
 ليلبغ فاه : أي الماء فمه .
 إلا في ضلال : أي في ضياع لا حصول منه على طائل .
 بالغدو والآصال : أي بالبكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد بالأدلة والبراهين، قال تعالى : ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده .
 وقوله تعالى : ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي من دون الله من سائر المعبودات ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم ﴿إلا كباسط

(١) أي : الدعوة الصدق لله تعالى لأنه هو الذي يستجيب ويعطي السؤال وأما دعوة الأصنام، فإنها دعوة كذب وباطل، فإطلاق الإله على الله إطلاق حق وصدق، وإطلاق إله على صنم أو مخلوق فهو إطلاق كذب وباطل .

(١) أي إلا كاستجابة من بسط يديه أي فتحهما ومدهما إلى الماء والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان ويظل كذلك حتى يهلك عطشاً، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعالى ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي بطلان وخسران، وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات﴾ أي الملائكة ﴿والأرض﴾ أي من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي يسجد كرها، ﴿وظلالهم﴾ تسجد أيضاً ﴿بالغدو﴾ أوائل النهار، ﴿والأصال﴾ أواخر النهار. ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون أي لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى فإنَّ لله يسجد من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس المؤمنون يسجدون طائعين والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال فهو الذي خلقهم وصورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأَي سجد وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قل الله﴾ إذ لا جواب لهم إلا هو، وبعد أن أقرؤا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مفرعاً ﴿أفأنتخذتم من دونه أولياء﴾ أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن أن يملكوا لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضرراً فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هل يستوى الأعمى

(١) ضرب الله تعالى هذا المثل المائي لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

(٢) هذا التفسير مروي عن علي رضي الله عنه.

(٣) الضلال: التلف والضياع، والجملة: بيان لخيبة المشركين في عبادة أصنامهم ودعائها وتقرير لخسرانهم.

(٤) وكافر يسجد بخضوعه لأحكام الله تعالى الجارية عليه ولا يقدر على ردّها من غنى وفقر، وصحة ومرض وسعادة وشقاوة.

(٥) الأصال: جمع أصل: وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وجمع الجمع أصائل.

(٦) الاستفهام للتوبيخ والتقرير.

(١) والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور؟ والجواب قطعاً لا إذا فكيف يستوي المؤمن والكافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالمؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه يجيبه إذا دعاه أرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها فضلاً عن عابديها نفعاً ولا ضرراً لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلب منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك سبيل الغي في الحياة. وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي بل جعلوا لله شركاء فخلقت تلك الشركاء مخلوقات كخلق الله فتشابه الخلق على المشركين فعبدوها ظناً منهم أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق ولا تستطيع خلق ذبابة فضلاً عن غيرها إذا فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مثل، القهار لكل جبار والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه.
- ٢- حرمان المشركين من دعائهم وسائر عباداتهم.
- ٣- الخلق كلهم يسجدون لله طوعاً أو كرهاً إذ الكل خاضع لحكم الله وتدبيره فيه.

(١) أم : للاضراب الإنتقالي من قضية إلى أخرى واختيار العمى والبصر والنور والظلمات لبيان أن حال المؤمنين وحال الكافرين في تضاد فالمؤمنون مبصرون يمشون في النور، والكافرون عمى يمشون في الظلمات.

(٢) هذا من تمام الاحتجاج والاستفهام للاضراب الانتقالي، وهو للتهمك بالمشركين، فالمعنى: لو جعلوا لله شركاء يخلقون فخلقوا كما يخلق الله فتشابه الخلق عليهم لكانوا معذورين ولكنهم لم يخلقوا ولن يخلقوا.

(٣) في الآية رد على الملاحدة الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى.

- ٤- مشروعية السجود للقارىء والمستمع إذا بلغ هذه الآية ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ ويستحب أن يكون طاهراً مستقبلاً القبلة، ويكبر عند الخفض والرفع ولا يسلم.
- ٥- بطلان الشرك إذ لا دليل عليه من عقل ولا نقل^(١).
- ٦- وجوب العبادة لله تعالى.

أَنْزَلَ مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ
لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- فسالت أودية بقدرها : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها.
- زبدًا رابيًا : أي غشاء عالياً إذ الزبد هو وَضْرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار.
- ومما يوقدون عليه في النار : أي كالذهب والفضة والنحاس.
- ابتغاء حلية أو متاع^(٢) : أي طلباً لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني.
- زبد مثله : أي مثل زبد السيل.
- فأما الزبد : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.

(١) إذ العقل لأجيز عبادة مخلوق مربوب لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره موتاً ولا حياة بل ولا ضراً ولا نفعاً والنقل حرم الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي والجلي قال تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ من الشرك والشركاء.

(٢) ﴿ابتغاء﴾ : مفعول لأجله، والحلية : ما يتحلى به، أي يتزين، والمتاع ما يتمتع به ويتنفع.

- فيذهب جفاء^(١) : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غشاء ووضر لا خير فيه .
- فيمكث في الأرض : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس .
- للذين استجابوا لربهم الحسنی: أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة .
- لم يستحيوا : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه .
- لافتدوا به : أي من العذاب .
- سوء الحساب : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء .
- وبشس المهادر : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل ، للحق في بقاءه ، والباطل في اضمحلاله وتلاشيهِ فقال : ﴿أنزل﴾ أي الله ﴿من السماء ماءً فسالَتْ أوديةً بقدرها﴾^(٢) أي بحسب كبرها وصغرها لأن الوادي قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً ، فاحتمل السيل أي حمل سيل الماء في الوادي زبدًا رابياً أي غشاء ووضراً عالياً على سطح الماء ، هذا مثل مائي ، ومثل ناري قال فيه عز وجل : ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾^(٣) أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلباً للحلية ، ﴿أو متاع﴾ أي طلباً لمتاع يتمتع به كالأواني إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسداً غير صالح على صورة الزبد^(٤) وما كان صالحاً يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية والمتاع ، وقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي المذكور من الأمور الأربعة مثلي الحق وهما الماء والجوهر ومثلي الباطل وهما زبد الماء وزبد الجوهر ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أي باطلاً

(١) الجفاء : ما أجفاه الوادي أي : رمى به .

(٢) ﴿أودية﴾ جمع واد ، والوادي اسم للماء السائل هنا إذ الوادي وهو أخدود بين مرتفعين لا يسيل وإنما يسيل الماء فيه ، ومعنى : ﴿بقدرها﴾ : أي : بقدر ملئها .

(٣) هذا المثل الثاني والأول هو مثل الماء السائل في الوادي وما يحمل من زبد عال .

(٤) هو معنى قوله تعالى : ﴿زبد مثله﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل .

مرمياً به يرميه السيل إلى ساحل الوادي فيعلق بالأشجار والأحجار ويرميه الصائغ عن بوقته، وأما ما ينفع الناس من الماء للسقي والري فيمكث في الأرض، وكذا ما ينفع من الحلبي والمتاع يبقى في بوقته الصائغ والحداد وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقاءه والباطل في ذهابه وتلاشيهِ وإن علا وطغى في بعض الأوقات، ﴿يَضْرِبُ﴾ أي بين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فقد أخبر تعالى بوعد له ووعيد أما وعده فلاهل طاعته بأن لهم الحسنى^(١) الجنة وأما وعيده فلاهل معصيته وهو أسوأ وعيد وأشده، فقال تعالى في وعده: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَى﴾ وقال في وعيده: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَوَ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أي من مال ومتاع ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أيضاً لاقتدوا به من العذاب الذي تضمنه هذا الوعيد الشديد، ويعلن عن الوعيد فيقول: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الأشقياء ﴿لَهُمْ سُوءُ الْحَسَابِ﴾ وهو أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة في أعمالهم ولا يغفر لهم منها شيء ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي مقرهم ومكان إيوائهم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي الفراش جهنم لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٢- ثبات الحق، واضمحلال الباطل سنة من سنن الله تعالى.
- ٣- بيان وعد الله للمستجيبين له بالإيمان والطاعة وهي الجنة.
- ٤- بيان وعيد الله لمن لم يستجب له بالإيمان والطاعة.

(١) هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لا ثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلبي لا يبقى بل يذهب ويتلاشى ويضمحل والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) ومن الحسنى: النصر في الدنيا والتمكين فيها لأهل التوحيد.

(٣) وهو النار وبئس المهاد.

❖ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُ
 أُولَئِذَا لَا أَلْبَابَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعِمَاقَ
 ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- كمن هو أعمى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به .
 أولوا الألباب : أي أصحاب العقول .
 يصلون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام .
 ويدرءون بالحسنة : أي يدفعون بالحلم الجهل ، وبالصبر الأذى .
 عقبى الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة .
 جنات عدن : أي جنات إقامة دائمة .

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات مقارنة ومفاضلة بين شخصيتين : الأولى شخصية مؤمن صالح كحمزة بن عبدالمطلب والثانية شخصية كافر فاسد كأبي جهل المخزومي وبين ما

لهما من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فيؤمن به بعد العلم ويستقيم على منهجه في عقيدته وعبادته ومعاملاته وسلوكه كله. هذه الشخصية الأولى ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾^(١) لم يعلم الحق ولم يؤمن به ولم يعمل بما أنزل إلى الرسول من الشرع.

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان ولا يكونان في ميزان العدل والحق متساويين وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادات كالحق والباطل والخير والشر والنافع والضار. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يوفون﴾ هذا مشروع في بيان صفاتهم المقتضية إنعامهم وإكرامهم نذكر لهم ثمان صفات هي كالتالي: (١) الوفاء بالعهد وعدم نقضها: ﴿الَّذِينَ يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾^(٢) إذ لا دين لمن لا عهد له. (٢) وصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والإحسان والأرحام: ﴿وَالَّذِينَ يوصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾. (٣) خشية الله المقتضية لطاعته: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾. (٤) الخوف من سوء الحساب يوم القيامة المقتضي لمحاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة: ﴿وَيَخَافُونَ سَوْءَ الْحِسَابِ﴾. (٥) الصبر طلباً لمرضاة الله على الطاعات وعن المعاصي، وعلى البلاء: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾. (٦) إقامة الصلاة وهي أداؤها في أوقاتها جماعة بكامل الشروط والأركان والسنن والآداب: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾. (٧) الانفاق مما رزقهم الله في الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. (٨) دفع السيئة بالحسنة فيدرون سيئة الجهل عليهم بحسنة الحلم، وسيئة الأذى بحسنة الصبر.^(٤)

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة وفسرها بقوله ﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ﴾ أي إقامة لا ظعن منها يدخلونها هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾

(١) المراد من العمى هنا: عمى القلب لا عمى البصر، والجهل هو سبب العمى.

(٢) العهد هنا: اسم جنس إذ المراد الوفاء بكافة عهود الله تعالى وهي أوامره ونواهيه التي وصي بها عباده.

(٣) الميثاق هنا: أيضاً اسم جنس يدخل فيه كل المواثيق أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: ورد النهي عن نقض الميثاق في بضع وعشرين آية.

(٤) وسيئة المعصية بالتوبة منها. واللفظ العام الشامل هو أنهم يدفعون بالعمل الصالح كل عمل فاسد.

والصلاح هنا الإيمان والعمل الصالح . وقوله : ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ هذا عند دخولهم الجنة تدخل عليهم الملائكة تهنتهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة : ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي بسبب صبركم والإيمان والطاعة ﴿فنعم عقبى الدار﴾^(١) هذه تهنئة الملائكة لهم وأعظم بها تهنئة وأبرك بها بركة اللهم اجعلني منهم ووالدي وأهل بيتي والمسلمين أجمعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المؤمن حيّ يبصر ويعلم ويعمل والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل .
- ٢- الاتعاظ بالمواعظ يحصل لذي عقل راجح سليم .
- ٣- فضل هذه الصفات الثمانية المذكورة في هذه الآيات . أولها الوفاء بعهد الله وآخرها درء السيئة بالحسنة .
- ٤- تفسير عقبى الدار وأنها الجنة .^(٢)
- ٥- بيان أن الملائكة تهنيء أهل الجنة عند دخولهم وتسلم عليهم .

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَهُمْ سَوَاءٌ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْتَعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

(١) جائز أن يكون معنى عقبى الدار: الجنة وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذا كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا إذ عقبى الدار بمعنى عاقبتها .

(٢) أي: فعقبى دار الدنيا الجنة هذا كقوله والعاقبة للتقوى، وقوله ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي الجنة .

﴿٢٨﴾ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ

﴿٢٩﴾ مَثَابُ

شرح الكلمات :

والذين ينقضون عهد الله : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده .
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والأرحام .
ويفسدون في الأرض : أي بترك الصلاة ومنع الزكاة، وبارتكاب السيئات وترك الحسنات .

لهم اللعنة : أي البعد من رحمة الله تعالى .
ولهم سوء الدار : أي جهنم وبئس المهاد .
ويقدر : أي يضيق ويقتصر .
إلا متاع : قدر يسير يتمتع به زماناً ثم ينقضي .
طوبى لهم وحسن مآب : أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿والذين ينقضون﴾ الآيات ، هذا هو الطرف المقابل أو الشخصية الثانية وهو من لم يعلم ولم يؤمن كأبي جهل المقابل لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ذكر تعالى هنا صفاته الموجبة لعذابه وحرمانه فذكر له ولمن على شاكلته الصفات التالية :
(١) نقض العهد فلم يعبدوا الله ولم يوحدوه وهو العهد الذي أخذ عليهم في عالم الأرواح : ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ .
(٢) قطع ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان وصلة الأرحام : ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ .

(١) أي بسائر الأنبياء فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كاليهود والنصارى .

(٣) الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي: ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بهذه الصفات استوجبوا هذا الجزاء، قال تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي جهنم وبئس المهاد، وقوله تعالى: ﴿الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يخبر تعالى عن سنة من سنته في خلقه وهي أنه ييسط الرزق أي يوسعه على من يشاء امتحاناً هل يشكر أم يكفر ويضيق ويقتّر على من يشاء ابتلاء هل يصبر أو يجزع، وقد ييسط الرزق لبعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، وقد يضيق على بعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، فلن يكون الغنى دالاً على رضى الله، ولا الفقر دالاً على سخطه تعالى على عباده، وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ أي فرح أولئك الكافرون بالحياة الدنيا لجهلهم بمقدارها وعاقبتها وسوء آثارها وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وهم أهل الإيمان به وطاعته إلا متاع قليل كَكَفُ التمر أو قرص الخبز يعطاه الراعي غذاء له طول النهار ثم ينفد، وقوله تعالى في الآية (٢٧): ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ فقد تقدم مثل هذا الطلب من المشركين وهو مطالبة المشركين النبي ﷺ أن تكون له آية كناق صالِح أو عصا موسى ليؤمنوا به وهم في ذلك كاذبون فلم يحملهم على هذا الطلب إلا الاستخفاف والعناد وإلا آيات القرآن أعظم من آية الناقة والعصا، فلذا قال تعالى لرسوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله ولو رأى وشاهد ألوف الآيات^(١) ويهدي إليه من أناب ﴿ولو لم ير آية واحدة إلا أنه أناب إلى الله فهده إليه وقبله وجعله من أهل ولايته، وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهدهم إليه صراطاً مستقيماً هؤلاء تطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحى عباده محمد وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن

(١) أي بالشرك وإرتكاب المعاصي.

(٢) أي سوء المنقلب وهو جهنم. قال سعد ابن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو أنهم الحورية: بمعنى الخوارج.

(٣) المطالبون بالآيات المقترحون لها على رسول الله ﷺ. من بينهم عبدالله بن أمية وأصحابه.

(٤) الضمير في قوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾: يعود على الحق أو الإسلام أو الله عز وجل. أي يهدي إلى جنته وطاعته من رجع إليه بقلبه والكل صالح ومراد.

(٥) الذين: في محل نصب لأنه مفعول يهدي، ويصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿أناب﴾ وذكر الله هو ذكره بالاستسهم ويقولهم وهو يشمل ذكر الوعد والوعيد وكمال الله كما يشمل قراءة كتابه وتلاوة آياته قال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ وحققهم ومن يأتي بعدهم ينهج نهجهم في الإيمان والتقوى.

القلوب ﴿ أي قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ ﴾^(١) لهم وحسن مآب ﴿ إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح وهو طوبى حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الاتصاف بصفات أهل الشقاء وهي نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي .
- ٢- بيان أن الغنى والفقر يتمان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء فلا يدلان على رضا الله ولا على سخطه .
- ٣- حقارة الدنيا وضآلة ما فيها من المتاع .
- ٤- فضل ذكر الله وسكون القلب إليه .
- ٥- وعد الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بطوبى وحسن المآب .

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ

(١) الذين آمنوا، هذا مبتدأ، والخبر: طوبى لهم وحسن مآب يعطف عليه، وطوبى ورد أنها شجرة في الجنة، ففي البخاري : (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها).
(٢) ﴿طوبى﴾ مصدر طاب يطيب طيباً إذا أحسن وهي بوزن البشري، والزلفى قلبت ياؤها واواً لمناسبة الضمة قبلها أي: الخير الكامل لأنهم اطمأننت قلوبهم بذكر الله فهم في طيب حال.

بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْنَسِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَن لَّوِثَآءُ اللَّهِ لَهْدَى النَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
 وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِ
 مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
 عِقَابِ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- كذلك أرسلناك : أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك .
 لتتلو عليهم : أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة .
 وهم يكفرون بالرحمن : إذ قالوا وما الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة .
 سيرت به الجبال : أي نقلت من أماكنها .
 أو قطعت به الأرض : أي شققت فجعلت أنهاراً وعيونا .
 أو كلم به الموتى : أي أحيوا وتكلموا .
 أفلم يئأس : أي يعلم .
 قارعة : أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم
 وتستأصلهم .
 أو تحل قريباً من دارهم : أي القارعة أو الجيش الإسلامي .
 فأمليت : أي أمهلت وأخرت مدة طويلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقائد : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر ففي
 الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿كذلك أرسلناك﴾ فقرر نبوة الرسول ﷺ

بقوله كذلك أي الإرسال الذي أرسلنا من قبلك أرسلناك أنت إلى أمة قد خلت من قبلها أمم، وبين فائدة الإرسال فقال: ﴿لَتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وهو الرحمة والهدى والشفاء ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الرحمن الذي أرسلك لهم بالهدى ودين الحق لإكمالهم وإسعادهم يكفرون به، إذاً فقل أنت أيها الرسول هوري لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي توبتي ورجوعي فقرر بذلك مبدأ التوحيد بأصدق عبارة وقوله تعالى في الآية الثانية (٣١) ﴿ولو أن قرآناً﴾ الخ . لا شك أن مشركي مكة كانوا طالبوه بما ذكر في هذه الآية إذ قالوا إن كنت رسولاً فادع لنا ربك فيسر عنا هذه الجبال التي تكتنف وادينا فتتسع أرضنا للزراعة والحراثة وقطع أرضنا فأخرج لنا منها العيون والأنهار وأحيي لنا فلاناً وفلاناً حتى نكلمهم ونسألهم عن صحة ما تقول وتدعي بأنك نبي فقال تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي التي تهدي بل الله الأمر جميعاً يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما صرفهم الله تعالى عن الآيات الكونية لعلمه تعالى أنهم لو أعطاهم إياها لما آمنوا عليها فيحق عليهم عذاب الإبادة كالأمم السابقة، وكان من المؤمنين من يود الآيات الكونية ظناً منه أن المشركين لو شاهدوا آمنوا وانتهت المعركة الدائرة بين الشرك والتوحيد قال تعالى: ﴿أفلم يأس الذين آمنوا﴾ أي يعلموا ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بالآيات وبدونها فليترك الأمر له سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿قارعة﴾ أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والفرع ونفوسهم بالهم والحزن وذلك كالجذب والمرض والقتل والأسر ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ أي يحل الرسول بجيشه الإسلامي ليفتح مكة حتى يأتي وعد الله بنصرك أيها الرسول عليهم والآية

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن، والآية وإن لم تنزل بخصوص دعوى المشركين إلا أنها تحمل رداً عليهم في دعواهم الباطلة.

(٣) تقدم أن من بين المطالبين أبا جهل، وعبد الله بن أمية المخزوميين إذ قال له ﷺ، إن سرك أن تنبئك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا . الخ.

(٤) أي: فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، وإنما يكون بأمر الله تعالى.

(٥) يشي بيأس بمعنى: علم يعلم لغة النخع، والقرآن نزل بلغات العرب، وقيل: لغة هوازن قال شاعرهم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم تياسوا أي ابن فارس زهدم

عامة فيمن بعد قريش ويكون الوعيد متناولاً أمم الكفر عامة وها هي ذي الحروب تفرعهم كل قرن مرة ومرتين والحرب الذرية على أبوابهم ولا يزال أمرهم كذلك حتى يحل الجيش الإسلامي قريباً من دارهم ليدخلوا في دين الله أو يهلكوا ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وقد أنجز ما وعد قريشاً ، وفي الآية الأخيرة (٣٢) يخبر تعالى رسوله مسلماً بإياه عما يجد من تعب وألم من صلف المشركين وعنادهم فيقول له : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي كما استهزى بك فصبروا فاصبر أنت ، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أمهلتهم وأنظرتهم حتى قامت الحجة عليهم ثم أخذتهم فلم أبق منهم أحداً ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي كان شديداً عاماً واقعاً موقعه ، فكذاك أفعل بمن استهزأ بك يا رسولنا إذا لم يتوبوا ويسلموا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد .
- ٢- لا توكل إلا على الله ، ولا توبة لأحد إلا إليه .
- ٣- عظمة القرآن الكريم وبيان فضله .
- ٤- إطلاق لفظ اليأس والمراد به العلم .
- ٥- توعدهم الرب تعالى بالكافرين بالقوارع في الدنيا إلى يوم القيامة .
- ٦- الله جل جلاله يملي ويمهل ولكن لا يهمل بل يؤاخذ ويعاقب .

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوهُ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٢﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ

(١) أي : سخر بهم أوزي عليهم ، وذلك كما سخرت قوم نوح بنوح ، وعاد يهود وثمود بصالح ومدين بشعيب .
(٢) الاستفهام للعجب .

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾
 * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
 الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت : أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت و
 يجازيها بعملها .

: أي صِفُوهم له مَنْ هُمْ ؟

قل سموهم

: أي أتخبرونه بما لا يعلمه ؟

أم تنبئونه بما لا يعلم

: أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع .

بظاهر من القول

: أي أشد .

أشَقُّ

: أي مانع يمنعهم من العذاب .

واق

: أي صفتها التي نقصها عليك .

مثل الجنة

: أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا

أكلها دائم وظلها

ينسخ .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد بقوله تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل
 نفس بما كسبت ﴾ ^(١) أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت من خير وشر ومجازيها كمن
 لا يحفظ ولا يرزق ولا يعلم ولا يجزي وهو الأصنام ، إذا فبطل تأليها ولم يبق إلا الإله
 الحق الله الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ أي

(١) ليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولي لأمر الخلق بالحفظ والتدبير .

(٢) الجواب محذوف في الآية ، وقد ذكر في التفسير .

يعبدونهم معه ﴿قل سموهم﴾^(١) أي قل لهم يا رسولنا سموا لنا تلك الشركاء صفوهم بينوا من هم؟ ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾^(٢) أي أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض؟ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أي بل بظاهر من القول أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع.

وقوله تعالى: ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي قولهم الكاذب وافتراؤهم الماكر فبذلك صدوا عن السبيل سبيل الحق وصرفوا عنه فلم يهتدوا إليه، ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ وقوله تعالى: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر، ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أي أشد من عذاب الدنيا مهما كان ﴿وما لهم من الله من واق﴾ أي وليس لهم من دون الله من يقيهم فيصرفه عنهم ويدفعه حتى لا يذوقوه، وقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي لما ذكر عذاب الآخرة لأهل الكفر والفجور ذكر نعيم الآخرة لأهل الإيمان والتقوى، فقال: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة ووصفها بقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها﴾ دائم كذلك فطعامها لا ينفد، وظلها لا يزول ولا ينسخ بشمس كظل الدنيا، وقوله: ﴿تلك﴾ أي الجنة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي ربهم فآمنوا به وعبدوه ووجدوه وأطاعوه في أمره ونهيه، ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ والعقبى بمعنى العاقبة في الخير والشر.

(١) سموهم شركاء فإنهم ليس لهم حظ من ذلك إلا التسمية فيكون الأمر للإباحة كناية عن عدم المبالاة بادعائهم أنهم شركاء، وذكر هذا المعنى صاحب التحرير، وهو معنى جميل.

(٢) أم هي المنقطعة ودلت على أن ما بعدها استفهام إنكاري توبيخي، وقوله، ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ وما لا يعلمه الله فليس بموجود إذ الله خالق كل شيء.

(٣) بل بظاهر من القول ليس بظاهر من الظهور بل هو بمعنى الزوال والبطان وشاهده قول الشاعر، وتلك شكاة ظاهر عليك عارها. أي: باطل زائل.

(٤) إن بعض المشركين زين للمشركين عبادة الأصنام، ورغبهم في عبادتها مكرأ بهم فانخدعوا له، وحسبوه زينا وذلك كعمرو بن لحي إذ هو أول من دعا إلى عبادة الأصنام في بلاد العرب.

(٥) واق، وقاض ووال: يوقف عليها بدون ياء، إلا إذا نودي نحو: يا قاضي ياوالي فإنه يوقف عليه بالياء ومن: صلة لتقوية الكلام.

(٦) ﴿مثل الجنة﴾: الخ: مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم: مثل الجنة، وقيل الخبر: تجري من تحتها الأنهار. والأول أولى.

(٧) في الآية رد على الجهمية القائلين بفناء نعيم الجنة.

(٨) أي: عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد إذ الأصنام لا تحفظ ولا ترزق ولا تحاسب ولا تجزي ، والله هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة لاحقيقة لها إلا مجرد أسماء .
- ٢- استمرار الكفار على كفرهم هو نتيجة تزيين الشيطان لهم ذلك فصدهم عن السبيل .
- ٣- ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد إذ بهما تمكن هداية الناس .

وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

والذين آتيناهم الكتاب : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود .
يفرحون بما أنزل إليك : أي يُسرون به لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم .

ومن الأحزاب : أي من اليهود والمشركون .
من ينكر بعضه : أي بعض القرآن فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمة اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب .

وكذلك أنزلناه حكماً عربياً : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم .

لكل أجل كتاب : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة .

يمحو الله ما يشاء : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو

المنسوخ وما أبقاه هو المحكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، فقوله تعالى : ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام^(١) يفرحون بما أنزل إليك وهو القرآن وفي هذا تقرير للوحي وإثبات له ، وقوله : ﴿ومن الأحزاب﴾ ككفار أهل الكتاب^(٢) والمشركون ﴿من ينكر بعضه﴾ فاليهود أنكروا أغلب ما في القرآن من الأحكام ولم يصدقوا إلا بالقصاص ، والمشركون أنكروا «الرحمن» وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب عليه لعائن الله ، وقوله تعالى : ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي أمرني ربي أن أعبده ولا أشرك به ، إليه تعالى أدعو الناس أي إلى الإيمان به وإلى توحيده وطاعته ، ﴿وإليه مآب﴾ أي رجوعي وإيابي وفي هذا تقرير للتوحيد ، وقوله تعالى : ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ أي وكهذا الإنزال للقرآن أنزلناه بلسان العرب لتحكم بينهم به ، وفي هذا تقرير للوحي الإلهي والنبوة المحمدية ، وقوله : ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بأن وافقتهم على مللهم وباطلهم في اعتقاداتهم ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل وإنما الخطاب من باب . . إياك أعني واسمعي يا جارة . . ﴿مالك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ليس لك من دون الله من ولي يتولى أمر نصرك وحفظك ، ولا واق يقيك عذاب الله إذا أراد بك لا تباعك أهل الباطل^(٣) وتركك الحق وأهله ، وقوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا

(١) اللفظ عام والمراد به الخصوص ، ويدخل فيه أصحاب النبي ﷺ فهم يفرحون بنزول القرآن قاله قتادة . وهو كما قال فقد كانوا يفرحون بكل ما ينزل من وحي .

(٢) لفظ أهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى معاً ، لفظ البعض عام في القلة والكثرة ولذا فاليهود كالنصارى كالمشركين كالمجوس ينكرون من القرآن ما يتعارض مع معتقداتهم الباطلة ولا ينكرون مالا يتعارض معها .

(٣) أي : أرجع في أموري كلها إليه دون غيره ، وفي هذا معنى الاعتماد على الله والتوكل عليه في الأمر كله .

(٤) ﴿حكماً عربياً﴾ : حالان من أنزلناه ، وقيل : المراد من ﴿حكماً﴾ الحكمة كقوله : ﴿وآتيناه الحكم صيباً﴾ أي : الحكمة ، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها .

(٥) في الآية إنذار وتحذير عظيم لمن يترك أوامر الله تعالى أو يغشى محارمه موافقة لأهل الباطل طلباً لرضاهم أو خوفاً من غضبهم .

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية^(١) ﴿ فلا معنى لما يقوله المبطلون : لم يتخذ محمد أزواجاً ولم تكون له ذرية ؟ وهو يقول أنه نبي الله ورسوله ، فإن الرسل قبلك من نوح وإبراهيم إلى موسى وداوود وسليمان الكل كان لهم أزواج وذرية ، ولما قالوا ﴿ لولا أنزل عليه آية ﴾ رد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ فالرسل كلهم مبروبون لله مقهورون لا يملكون مع الله شيئاً فهو المالك المتصرف إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وقوله : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ أي لكل وقت محدد يعطي الله تعالى فيه أو يمنع كتاب كتب فيه ذلك الأجل وعُيِّن فلا فوضى ولا أنف^(٢) ، وقوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ رد على قولهم لم يثبت الشيء ثم يبطله كاستقبال بيت المقدس ثم الكعبة وكالعدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فأعلمهم أن الله تعالى ذو إرادة ومشئئة لا تخضعان لإرادة الناس ومشئئاتهم فهو تعالى يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع ، ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أي الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء ، وفي الحديث : « رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه مسلم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي والنسبة .
- ٢- تقرير عقيدة التوحيد .
- ٣- تقرير أن القضاء والحكم في الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن ، ثم القياس المأذون فيه فإجماع الأمة لاستحالة اجتماعها على غير ما يحب الله

(١) قيل : إن اليهود هم الذين عابوا رسول الله ﷺ على الأزواج وغيره بذلك فقالوا ما نرى لهذا الرجل همه إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وعليه فالآية مدنية .

(٢) في الآية : الترغيب في النكاح والحض عليه ، وهو كذلك فقد جاء في السنة قوله ﷺ : (تزوجوا الولود فإني مكاثركم بالأمم يوم القيامة) وفي الموطأ : (من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة : ما بين لحييه وما بين رجليه) .

(٣) أي : ولا بداء ، والبداء : أن يبدو له الشيء بعد أن لم يكن يعلمه .

(٤) صح قوله ﷺ : (من سرّه أن ييسر له في رزقه ، وينسأ له في أجله فليصل رحمه) فهذا الحديث يفسر قوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ أي : ما يشاء ، وقد تكلم العلماء في هذا بشيء كثير وما أراه يوضح هذا هو أن الله تعالى لما كتب في اللوح المحفوظ كتب أن فلاناً يصل رحمه فيكون رزقه كذا سعة ويكون أجله كذا طولاً ، فصلة الرحم سبب في توسعة الرزق وطول العمر .

تعالى ويرضى به .

٤- التحذير من اتباع أصحاب البدع والأهواء والمِلل والنحل الباطلة .

٥- تقرير عقيدة القضاء والقدر .

٦- بيان النسخ في الأحكام بالكتاب والسنة .

وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

نعدهم : أي من العذاب .

أو نتوفينك : أي قبل ذلك .

ننقصها من أطرافها : أي بلداً بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها .

لا معقب لحكمه : أي لا راد له بحيث لا يتعقب حكمه فيطل .

ومن عنده علم الكتاب : من مؤمني اليهود والنصارى .

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ أي إن أريتكم بعض الذي نعد قومك من العذاب فذاك، وإن توفيتكم قبل ذلك فليس عليكم إلا البلاغ فقد بلغت وعلينا الحساب فسوف نجزيهم بما كانوا يكسبون، فلا تأس أيها الرسول ولا تضق ذرعاً بما يمكرون، وقوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي المشركون الجاحدون الماكرون المطالبون بالآيات على صدق نبوة نبينا ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أي نفتحها للإسلام بلداً بعد بلد أليس ذلك آية دالة على صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته، وقوله: ﴿والله يحكم ولا معقب لحكمه﴾ أي والله جل جلاله يحكم في خلقه بما يشاء فيعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم، ولا معقب لحكمه أي ليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله فإذا حكم بظهور الإسلام وإدبار الكفر فمن يرد ذلك على الله، وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ إذا حاسب على كسب فحسابه سريع يجزي الكاسب بما يستحق دون بطاء ولا تراخ وقوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ إنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه؟ وقوله: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ أي إذا فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فأين مكر من لا يعلم من مكر من يعلم كل شيء فسوف يصل بالممكور به إلى حافة الهلاك وهو لا يشعر، أفلا يعني هذا كفار قريش فيكفوا عن مكرهم برسول الله ودعوته؟ وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ أي سيعلم المشركون خصوم التوحيد يوم القيامة لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة لمن دخل الجنة وهو محمد ﷺ وأتباعه أو لمن دخل النار وهم دعاة الشرك والكفر وأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسل﴾ أي يواجهونك بالإنكار عليك والجحود لنبوتك ورسالتك قل لهم يا رسولنا الله شهيد بيني

(١) ﴿ما﴾ زائدة لتقوية الكلام والأصل وإن نرينك.

(٢) ﴿البلاغ﴾: التبليغ و﴿الحساب﴾: الجزاء والعقوبة.

(٣) فسر بعضهم الأطراف بالأشراف، وقال: المراد موت العلماء، وهو تفسير بعيد جداً، وما في التفسير أقرب وأوضح إلى معنى الآية الكريمة، ورد قول من قال هو نقصان الأرض بقول أحدهم لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك أي: مكان قضاء حاجتك.

(٤) قرأ نافع ﴿الكافر﴾: بالافراد، وهو اسم جنس بمعنى الجمع، وقرأ الجمهور ﴿الكفار﴾، وقيل المراد بالكافر هنا: أبو جهل، والله أعلم، وفي الآية وعيد وتهديد للكفار مطلقاً.

وبينكم وقد شهد لي بالرسالة وأقسم لي عليها مرات في كلامه مثل ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الأول التوراة والإنجيل وهم مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد^(١) الله بن سلام والفارسي والنجاشي وتميم الداري وغيرهم^(٢).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- انتصار الإسلام وانتشاره في ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق .
- ٢- أحكام الله تعالى لا ترد، ولا يجوز طلب الاستئناف على حكم من أحكام الله تعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ .
- ٣- شهادة الله أعظم شهادة، فلا تطلب بعدها شهادة إذا كان الخصام بين مؤمنين .
- ٤- فضل العالم على الجاهل، إذ شهادة مؤمني أهل الكتاب تقوم بها الحجة على من لا علم لهم من المشركين .

سُورَةُ اَبْرٰهٖمَ

مكية

وآياتها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾

(١) عبد الله بن سلام كان اسمه في الجاهلية : حصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله .

(٢) قال بعضهم : الذي عنده علم الكتاب هو علي رضي الله عنه ، ورُدُّ على هذا القول ، وقال بعضهم : هم المسلمون ، كل ذلك من أجل أن السورة مكية ، وهذا غير مانع أن ينزل القرآن بمكة ويظهر تأويله بالمدينة ، ولا مانع أن تكون الآية مدنية والسورة مكية ، فلهذا ما في التفسير أولى بالقبول .

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
 لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
 قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
 اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

الر

: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ ألف لأم را والتفويض
 فيها أسلم وهو قول الله أعلم بمراده بذلك^(١).

كتاب

: أي هذا كتاب عظيم .

أنزلناه إليك

: يا محمد صلى الله عليه وسلم .

من الظلمات

: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

العزیز الحمید

: أي المحمود بآلائه .

عن سبيل الله

: أي الإسلام .

عوجاً

: أي معوجة .

بآياتنا

: أي المعجزات التسع : العصا، اليد، الطوفان، الجراد، القمل،

(١) هذا مذهب السلف وهو تفويض فهم معناها إلى الله تعالى منزلها ويعدونها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل .
 وهو أسلم من القول بالإجهاد الفكري

الضفادع، الدم، والطمس والسنين ونقص الثمرات.

وذكرهم بأيام الله : أي ببلائه ونعمائه.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده وقوله : ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب عظيم القدر أنزلناه إليك يا رسولنا لتخرج الناس^(١) من الظلمات أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم الشرعي، وذلك ﴿بإذن ربهم﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى طريق العزيز الغالب الحميد أي المحمود بآلائه وافضالاته على عباده وسائر مخلوقاته ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا وتصريفا وتديبرا، هذا هو الله صاحب الصراط الموصول إلى الإسعاد والإكمال البشري، والكافرون معرضون بل ويصدون عنه فويل لهم من عذاب شديد، الكافرون ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾^(٢) أي يفضلون الحياة الدنيا فيعملون للدنيا ويتركون العمل للآخرة لعدم إيمانهم بها ﴿ويصدون﴾ أنفسهم وغيرهم أيضا ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإسلام ﴿ويغونها عوجاً﴾ أي معوجة إنهم يريدون من الإسلام أن يوافقهم في أهوائهم وما يشتهون حتى يقبلوه ويرضوا به دينا قال تعالى : ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ إنهم بهذا السلوك المتمثل في إشار الدنيا على الآخرة والصد عن الإسلام، ومحاولة تسخير الاسلام لتحقيق أطماعهم وشهواتهم في ضلال بعيد لا يمكن لصاحبه أن يرجع منه إلى الهدى، وقوله تعالى في الآية (٤) من هذا السياق ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي بلغتهم التي يتخاطبون بها ويتفاهمون لحكمة أن يبين لهم، والله بعد ذلك يضل من يشاء إضلاله

(١) لتخرج الناس : أي : بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك .

(٢) الطريق هو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره .

(٣) قرأ نافع برفع اسم الجلالة، وقرأ الجمهور بالجر، واستحب بعضهم الجر إذا وصل والرفع إذا وقف وهو حسن ومن وصل وقف على وما في الأرض .

(٤) قال ابن عباس وغيره : كل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على نعيم الآخرة وصد عن سبيل الله أي : صرف نفسه وغيره عن طاعة الله ورسوله فهو داخل في هذه الآية، وهي ذات وعيد شديد .

(٥) لا حجة لغير العرب في هذه الآية إذ كل من ترجم له الإسلام بلغته وجب عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه ليكمل ويسعد، وقد استعمرت بريطانيا نصف العالم فتكلم الناس بلغتها وتعاملوا بها وهي لغة دنيا لا غير . فالواجب على غير العربي أن يتعلم لغة الإسلام ما أمكنه ذلك .

حسب سنته في الإضلال ويهدي من يشاء كذلك ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده ﴿الحكيم﴾ الذي يضع كل شيء في موضعه فلذا هو لا يضل إلا من رغب في الإضلال وتكلف له وأحبه وآثره، وتنكر للهدى وحارب المهتدين والداعين إلى الهدى، وليس من حكمته تعالى أن يضل من يطلب الهدى ويسعى إليه ويلتزم طريقه ويحبه ويحب أهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي موسى نبي بني إسرائيل ﴿بآياتنا﴾ أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى، وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيرون الصبر والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إقامة الحجة على المكذبين بالقرآن الكريم، إذ هو مؤلف من الحروف المقطعة مثل الر وطسم وآلم وحّم ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله بل بسورة مثله . .
- ٢- بيان أن الكفر ظلام والإيمان نور.
- ٣- بيان الحكمة في إرسال الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم .

(١) من مظاهر حكمته أنه ختم الرسالة برسالة محمد ﷺ، وواجب على البشرية كلها الإيمان به وبما جاء به ومن أبى دخل النار، فقد روى مسلم قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فوحد بذلك البشرية توحيداً روحياً واجتماعياً وسياسياً لو أنها آمنت بمحمد ﷺ وأخذت بهدايته لحصل لها من الكمال والإسعاد ما لم يخطر على بال.

(٢) أن : تفسيرية فسرت الارسال لأنه فيه معنى القول.

(٣) التذكير بإزالة نسيان شيء، ويكون بتعليم مجهول كان شأنه أن يعلم، ولما ضمن التذكير معنى الإنذار والوعظ عدي بالبلاء أي: ذكرهم تذكير عظة بأيام الله.

(٤) الصبر مع البلاء، والشكر مع الرخاء، وخير الناس من إذا ابتلى صبر وإذا أعطي شكر ولا يكون كذلك إلا ذو علم وبصيرة.

- ٤- تقرير أن الذي يخلق الهداية هو الله وأما العبد فليس له أكثر من الكسب .
 ٥- فضيلة التذكير بالخير والشر ليشكر الله ويتقى .
 ٦- فضيلة الصبر والشكر .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
 ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
 رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
 عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ
 مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن
 بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
 بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- وإذ قال موسى : أي اذكر إذ قال موسى .
 يسومونكم : يذيقونكم .
 ويستحيون نساءكم : أي يستبقونهن .

بلاء من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.

وإذ تأذن ربكم : أي أعلم ربكم.

بالبينات : بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخر.

فردوا أيديهم في أفواههم : أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.

مريب : موقع في الريبة.

معنى الآيات :

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتذكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم نوع النعمة وهي إنجائهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد، فقال: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي يذيقونكم سوء العذاب وهو أسوأ وأشده، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أرجال السياسة قالوا لفرعون: لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل فأمر بقتل المواليد فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر إلى كونه عذاباً بلاء بالشر، وفي كونه نجاة منه، بلاء بالخير، وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿ولئن شكرتم﴾ نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعام والإسعاد ﴿ولئن كفرتم﴾ فلم تشكروا نعمي فعصيتُموني وعصيتُم رسولي أي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

(١) أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الأذينا

(٢) سئل بعض الصالحين عن الشكر لله تعالى فقال: ألا تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال: أي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك علي؟ قال: يا داود: الآن تشكرني وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنع ولا يصرفها في غير طاعته.

لشديد ﴿ فاحذروه واخشوني فيه ، وقوله تعالى : ﴿ وقال موسى ﴿ أي لبني إسرائيل ﴿ إن تكفروا أنتم ﴿ نعم الله فلم تشكروها بطاعته ﴿ ومن في الأرض جميعاً ﴿ وكفروا من في الأرض جميعاً ﴿ فإن الله لغني ﴿ عن سائر خلقه لا يفتقر إلى أحد منهم ﴿ حميد ﴿ أي محمود بنعمه على سائر خلقه ، وقوله : ﴿ ألم يأتكم ﴿ هذا قول موسى لقومه وهو يعظهم ويذكرهم : ﴿ ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم ﴿ أي لا يعلم عددهم ولا يحصيهم ﴿ إلا الله ﴿ ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴿ أي بالحجج والبراهين على صدق دعوتهم وما جاء به من الدين الحق ليعبد الله وحده ويطاع وتطاع رسله فيكمل الناس بذلك ويسعدوا ، وقوله : ﴿ فردوا أيديهم ﴿ أي ردت الأمم المرسل إليهم أيديهم إلى أفواههم تغيظاً على أنبيائهم وحنقاً ، أو أشاروا إليهم بالسكوت فأسكتوهم رداً لدعوة الحق التي جاؤوا بها ، وقالوا لهم : ﴿ إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿ أي بما جئتم به من الدين الإسلامي والدعوة إليه ، ﴿ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴿ أي موقع في الريبة التي هي قلق النفس واضطرابها لعدم سكونها للخبر الذي يلقي إليها ، هذا وما زال السياق طويلاً وينتهي بقوله تعالى : ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴿ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية التذكير بنعم الله لشكر ولا نكفر.
- ٢- وعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمن شكر نعم الله عليه .
- ٣- كفر النعم سبب زوالها .
- ٤- بيان غنى الله تعالى المطلق على سائر خلقه فالتناس ان شكروا شكروا لأنفسهم وإن كفروا كفروا على أنفسهم أي شكرهم ككفرهم عائد على أنفسهم .
- ٥- التذكير بقصص السابقين وأحوال الغابرين مشروع وفيه فوائد عظيمة .

(١) أي : لا يلحقه نقص بكفر الناس ولو كفروا أجمعون .

(٢) صالح لأن يكون من قول موسى عليه السلام ، ومن قول الله تعالى تعليماً لرسوله محمد ﷺ .

(٣) ولا يعرف أنسابهم كذلك إلا الله وفي الحديث : (كذب النسابون إن الله يقول لا يعلمهم إلا الله) قاله لما زاد النسابون على معد بن عدنان ، وقال : (لا ترفعوني فوق عدنان) .

❖ قَالَتْ

رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَان لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَاءٍ أَوْ يَتَمُونَا ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُّنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفِي الله شك : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري .

إلى أجل مسمى : أي إلى أجل الموت .
 بسلطان مبين : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم .

يمن على من يشاء : أي بالنبوة والرسالة على من يشاء لذلك .
وقد هدانا سبلنا : أي طرقه التي عرفنا بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه .
لنخرجنكم من أرضنا : أي من ديارنا أو لتعودون في ديننا .
لمن خاف مقامي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ما ذكر به موسى قومه بقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ فقله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ ﴾ أي قالت الرسل إلى أولئك الأمم الكافرة ﴿ أَفَبِإِذَا شَكَ ﴾ ؟ أي كيف يكون في توحيد الله شك وهو فاطر السموات والأرض ، فخالق السموات والأرض وحده لا يعقل أن يكون له شريك في عبادته ، انه لا إله إلا هو وقوله : ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح الخالي من الشرك ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ من ذنوبكم وهو كل ذنب بينكم وبين ربكم من كبائر الذنوب وصغائرها أما مظالم الناس فردوها إليهم تغفر لكم وقوله : ﴿ وَيُؤْخِرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي يؤخر العذاب عنكم لتموتوا بأجالكم المقدرة لكم ، وقوله : ﴿ قَالُوا ﴾ أي قالت الأمم الكافرة لرسولهم ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ أي ما أنتم إلا بشر مثلنا ، ﴿ تَرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا ﴾ أي تصرفونا ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبَدُ آبَاؤُنَا ﴾ من آلهتنا أي أصنامهم وأوثانهم التي يدعون أنها آلهة ، وقولهم : ﴿ فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قال الكافرون للرسول اتنونا بسُلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صدقكم أنكم رسل الله إلينا فأجابت الرسل قائلة ما أخبر تعالى به عنهم بقوله : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ أي ما نحن إلا بشر مثلكم فمالا تستطيعونه أنتم لا نستطيعه نحن ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي إلا أن الله يمن على من يشاء بالنبوة

(١) الاستفهام إنكاري أي : لا شك في الله ، أي في وجوده ، وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته ، وهي عبادته وحده لا شريك له .

(٢) هذا الوصف الكامل لله وهو مقتضى وجوده وألوهيته عز وجل .

(٣) على ما في التفسير (من) للتبعض ، ويصح أن تكون زائدة ، والمغفرة لكل الذنوب لأن الإسلام يجب ما قبله من سائر الذنوب .

(٤) أي : في الهيئة تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب ، وتمرضون ، وتصحون مثلنا ولستم ملائكة .

(٥) ومما من الله به عليهم ، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما يوجب رضاه ومحبة؟ وقيل : إن أعظم ما يمن به الله تعالى على عبده ذكره بأسمائه وصفاته .

فمن علينا بها فنحن ننبئكم بما أمرنا الله ربنا وربكم أن ننبئكم به كما نأمركم وندعوكم لا من تلقاء أنفسنا ولكن بما أمرنا أن نأمركم به وندعوكم إليه ، ﴿وما كان لنا أن تأتیکم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته وقدرته فهو ذو الإرادة التي لا تحد والقدرة التي لا يعجزها شيء ولذا توكلنا عليه وحده وعليه ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم كل ما يهمهم ، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم : ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ أي طرقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمتة وعزة سلطانه فأی شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ بالستكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم ، ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلا عليه وحده دون سواه ، وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لرسلكم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسلكم : قالوا موعدين مهديين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم : ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي ديننا الذي نحن عليه وهنا أوحى الله تعالى إلى رسله بما أخبر تعالى به : ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ قال لنهلكن الظالمين ولم يقل لنهلكنهم إشارة إلى علة الهلاك وهي الظلم الذي هو الشرك والإفساد ليكون ذلك عظة للعالمين ، وقوله تعالى : ﴿ذلك﴾ أي الإنجاء للمؤمنين والإهلاك للظالمين جزاء ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي الوقوف بين يدي يوم القيامة ﴿وخاف وعيد﴾ على السنة رسلي بالعذاب لمن كفر بي وأشرك في عبادتي ومات على غير توبة إلى من كفره وشركه وظلمه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بطلان الشك في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة

(١) وما : اسم استفهام مبتدأ ، وما بعدها في موضع الحال ، والتقدير : أي شيء لنا في ترك التوكل على الله ؟ والاستفهام انكاري .

(٢) وإسكان الصالحين الأرض بعد إهلاك الظالمين .

(٣) المقام : مصدر ميمي وقوله ﴿مقامي﴾ : أي قيامه بين يدي للحساب ، والوعيد هو عذاب النار ، وقيل : مقامي : أي قيامي عليه ، ومراقبتي له والمعنى إذا خافني ورأيتني ، وهو معنى صحيح ، والخوف من الله ومراقبته موجبة للصالح المورث للأرض والدولة لقوله تعالى : ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ .

الأدلة وقوة الحجج ، وسطوع البراهين .

٢- بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرسل ترد به عليهم .

٣- وجوب التوكل على الله تعالى ، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله .

٤- وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله وانتظار الفرج بأخذ الظالمين .

٥- عاقبة الظلم وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن .

وَأَسْتَفْتَحُوا

وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
 مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ
 وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن
 وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
 مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ
 يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
 ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

واستفتحوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي النصر على أقوامهم

الظالمين .

وخاب : أي خسر وهلك .

كل جبار عنيد : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد .
 من ماء صديد : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً
 من قيح ودم وعرق .
 يتجرعه ولا يكاد يسيغه : أي يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراده
 لقبحه ومراراته .
 ويأتيه الموت من كل مكان : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت
 حاصلة ولكن لا يموت .
 أعمالهم كرماد : أي الصالحة منها كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء
 الضيف وفك الأسير والفاصلة كعبادة الأصنام بالذبح
 لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد .
 لا يقدرّون مما كسبوا على شيء : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوا على ثواب
 وإن قل لأنها باطلة بالشرك .
 وما ذلك على الله بعزيز : أي بصعب ممتنع عليه .

معنى الآيات :

هذا آخر حديث ما ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بنى إسرائيل ، قال
 تعالى في الإخبار عنهم : ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾^(١) أي واستفتح الرسل أي
 طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم بنصر على أعدائه وأعدائهم واستجاب الله لهم ،
 ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾^(٢) أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله ، وقوله^(٣) :
 ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أي أمامه جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء

(١) كقولهم : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ قالها شعيب والمؤمنون معه ، وكان النبي ﷺ يدعو
 طالباً نصره وهزيمة أعدائه .

(٢) العنيد : المعاند للحق ، والجبار : المتعاطف الشديد التكبر ، وقيل هو من يجبر الناس على مراده ، وهو وصف مذموم لغير
 الله تعالى .

(٣) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً ، لأن كل ما ووري أي : استتر فهو وراء . وقوله : ﴿ من ورائه جهنم ﴾ :
 صفة لجبار عنيد ، والوراء مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد ، قال الشاعر :
 عسى الكرب الذي أسيئت فيه يكون وراءه فرج قريب

أي بعده .

فتسقيه الزبانية ﴿من ماء صديد﴾^(١) أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قبح ودم وعرق، ﴿يتجرعه﴾ أي يتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشاً لقبحه وننته ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي ويأتي هذا الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لا يَمُوت فيها ولا يحيا﴾ وقال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ ومن وراء ذلك العذاب الذي هو فيه ﴿عذاب﴾ أي لون آخر من العذاب ﴿غليظ﴾ أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لا يقدرّون مما كسبوا﴾ أي من أعمال في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشتدة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي ذلك الذي دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي ألم تعلم أيها الرسول أن الله خلق السموات والأرض بالحق أي من أجل الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره فإذا تنكر لربه فكفر به وأشرك غيره في عبادته عذبه بالعذاب الأليم الذي تقدم

(١) الصديد: المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه والتجرع: تكلف الجرع والجرع: بلع الماء.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال قوله تعالى ﴿يسقى من ماء صديد يتجرعه﴾. قال: (يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره..) الخ رواه الترمذي واستغربه.

(٣) المثل: الحال العجيبة أي حال أعمالهم كرماد.

(٤) الرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، ضرب الله في هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يحرقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

(٥) الرؤية هنا: رؤية القلب وهي العلمية.

وصفه في هذا السياق لأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض عبثاً وباطلاً بل خلقهما وخلق ما فيهما من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن ترك الذكر والشكر عذبه أشد العذاب وأدومه وأبقى، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس المتمرّدون على طاعته المشركون به ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غيركم يعبدونه ويوحّدونه ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي بممتنع ولا متعذر لأن الله على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- إنجاز وعد الله لرسله في قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبِّهِمْ لِنَهْلِكِ الْظَالِمِينَ﴾ الآية.
- ٢- خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم.
- ٣- عظم عذاب يوم القيامة وشدته.
- ٤- بطلان أعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها.
- ٥- عذاب أهل الكفر والشرك والظلم لازم لأنهم لم يذكروا ولم يشكروا والذكر والشكر علة الوجود كله فلما عبثوا بالحياة استحقوا عذاباً أبدياً.

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
 أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ
 لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
 فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا

(١) أي: أفضل منكم وأطوع وما في التفسير أدل على المقصود.

يَمْصُرْخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمَصْرُخِي^ط إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّاتُهُمْ
 فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وبرزوا لله جميعاً^(١) : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة .
 إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون .
 فهل أنتم مغنون عنا : أي دافعون عنا بعض العذاب .
 ما لنا من محيص : أي من ملجأ ومهرب أو منجأ .
 لما قضي الأمر : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .
 ما أنا بمصرخكم : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب .
 تجري من تحتها الأنهار : أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة : الماء واللبن
 والخمر والعسل .

معنى الآيات :

في هذه الآيات عرض سريع للموقف وما بعده من استقرار أهل النار في النار وأهل
 الجنة في الجنة يقرر مبدأ الوحي والتوحيد والبعث الآخر بأدلة لا ترد، قال تعالى :
 ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي خرجت البشرية من قبورها مؤمنوها وكافروها صالحوها وفاسدوها
 ﴿فقال الضعفاء﴾ أي الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء والموجهون للناس بما
 لديهم من قوة وسلطان ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ أي أتباعاً في عقائدكم وما تدينون به ، ﴿فهل

(١) البروز: الظهور، وهو هنا الخروج من القبور والظهور خارجها للحشر حيث فصل القضاء، ومن هذا قولهم : امرأة برزة
 أي تظهر للناس .

(٢) ﴿تبعاً﴾ : يصح أن يكون مصدراً أي : ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع مثل : حرس وحارس، وخدم وخادم .

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء؟ أي فهل يمكنكم أن ترفعوا عنا بعض العذاب بحكم تبعيتنا لكم فأجابوهم بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾^(١) اعترفوا الآن أن الهداية بيد الله وأقروا بذلك، ولكننا ضللنا فأضللناكم ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ اليوم ﴿أم صبرنا مالنا من محيص﴾ أي من مخرج من هذا العذاب ولا مهرب، وهنا يقوم إبليس خطيباً فيهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وقال الشيطان﴾ أي إبليس عدو بنى آدم ﴿لما قضى الأمر﴾ بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ بأن من آمن وعمل صالحاً مبتعداً عن الشرك والمعاصي أدخله جنته وأكرمه في جواره، وأن من كفر وأشرك وعصى أدخله النار وعذبه عذاب الهون في دار البوار ﴿ووعدتكم﴾ بأن وعد الله ووعيده ليس بحق ولا واقع ﴿فأخلفتكم﴾ فيما وعدتكم به، وكنت في ذلك كاذباً عليكم مغرراً بكم، ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي من قوة مادية أكرهتكم بها على اتباعي ولا معنوية ذات تأثير خارق للعادة أجبرتكم بها على قبول دعوتي ﴿إلا أن دعوتكم﴾ أي لكن دعوتكم ﴿فاستجبت لي﴾ إذاً ﴿فلا تلموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم﴾ أي بمزيل صراخكم بما أغيثكم به من نصر وخلص من هذا العذاب ﴿وما أنتم﴾ أيضاً ﴿بمصرخي﴾، أي بمغيثي ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ إذ كل عابد لغير الله في الواقع هو عابد للشيطان إذ هو الذي زين له ذلك ودعاه إليه، و﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أي المشركين لهم عذاب أليم موجه، وقوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾ أي وأدخل الله الذين آمنوا أي صدّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به رسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهي العبادات التي تعبّد الله بها عباده فشرعها

(١) أي: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه أو لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

(٢) المحيص: مصدر ميمي كالمغيث والمشيّب من غاب وشاب، وكذلك حاص يحيص حصياً عن كذا: هرب ونجا، ويجوز أن يكون المحيص هنا اسم مكان أي: ما لنا من مكان نلجأ إليه وننجو فيه.

(٣) أي: على منبر من نار.

(٤) ﴿وعد الحق﴾: يعني البعث والجنة والنار، وثواب المطيع وعقاب العاصي. فصدقكم وعده، ووعدتكم ألا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. فأخلفتكم.

(٥) (الصارخ): والمستصرخ هو الذي يطلب النصر والمعونة، المصرخ هو المغيث قال الشاعر: ولا تجزعوا إني لكم غير مصرخ وليس لكم عندي غناء ولا نصر

(٦) ﴿بما أشركتمون﴾: الميم مصدرية والتقدير كفرت بإشراككم إياي مع الله تعالى.

(٧) لما أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة وهو أسلوب الترغيب والترهيب الذي امتاز به القرآن الكريم لأنه كتاب هداية وإصلاح.

في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿جَنَاتٌ﴾ ^(١) بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ولا ييغون عنها حولاً، وقوله تعالى: ﴿يَاْذَنُ رَبِّهِمْ﴾ ^(٢) أي أن ربهم هو الذي أذن لهم بدخولها والبقاء فيها أبداً، وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي السلام عليكم يحييهم ربهم وتحية الملائكة ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات وتحية بطلب الحياة الأبدية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى .
- ٢- بيان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس .
- ٣- تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد ولكنه في علم الله كائن كما هو وسوف يكون كما جاء في الآيات لا يتخلف منه حرف واحد .
- ٤- وعيد الظالمين بأليم العذاب .
- ٥- العمل لا يُدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخل الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

(١) ﴿جَنَاتٌ﴾: جمع جنة، وجَنَاتٌ: منصوب على نزع الخافض أي: في جنات لأن دخل كخرج لا يتعدى إلا بحرف الجر.
(٢) أي: بمشيئته وتيسيره.

تَوَاتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ
كَشَجَرَةِ خَيْثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْئَسُ
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- كلمة طيبة : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
كشجرة طيبة : هي النخلة .
كلمة خيثة : هي كلمة الكفر .
كشجرة خيثة : هي الحنظل .
اجتثت : أي اقتلعت جثتها أي جسمها وذاتها .
بالقول الثابت : هو لا إله إلا الله .
وفي الآخرة : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن
ربه ودينه ونبيه .
بدلوا نعمة الله كُفْرًا : أي بدلوا التوحيد والاسلام بالجحود والشرك .
دار البوار : أي جهنم .
وجعلوا لله أندادا : أي شركاء .

معنى الآيات :

الآيات في تقرير التوحيد والبعث والجزاء ، قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أيها الرسول أي ألم تعلم ﴿ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ ^(١) هي كلمة الإيمان بقولها المؤمن ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في الأرض ﴿ وفرعها ﴾ عال ﴿ في السماء ﴾ ، ﴿ تؤتي أكلها ﴾ تعطي أكلها أي ثمرها الذي يؤكل منها كل حين بلحاً وُسْراً وَمُنْصَفاً ورطباً وتمرّاً وفي الصباح والمساء ﴿ بإذن ربها ﴾ أي بقدرته وتسخيره فكلمة الإيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله تثمر للعبد أعمالاً صالحة كل حين فهي في قلبه والأعمال الصالحة الناتجة عنها ترفع إلى الله عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ أي كما ضرب هذا المثل للمؤمن والكافر في هذا السياق يضرب الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله ، وقوله : ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ هي كلمة الكفر في قلب الكافر ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ هي الحنظل مرة ولا خير فيها ولا أصل لها ثابت ولا فرع لها في السماء ﴿ اجتثت ﴾ أي اقتلعت واستوصلت ﴿ من فوق الأرض مالها من قرار ﴾ أي لا ثبات لها ولا تثمر إلا ما فيها من مرارة وسوء طعم وعدم بركة وقوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ هذا وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين بأنه يثبتهم على الإيمان مهما كانت الفتن والمحن حتى يموتوا على الإيمان ﴿ وفي الآخرة ﴾ أي في القبر إذ هو عتبة الدار الآخرة عندما يسألهم الملكان عن الله وعن الدين والنبى من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبتهم بالقول الثابت وهو الإيمان وأصله لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل الصالح الذي هو الإسلام وقوله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ مقابل هداية المؤمنين فلا يوفقهم للقول الثابت حتى يموتوا على الكفر فيهلكوا ويخسروا ، وذلك

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة هي المؤمن ، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة ، وفي الحديث الصحيح : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال : هي النخلة) وورد : (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبه نفعا ، وإن جالسته نفعا ، وإن شاورته نفعا كالنخلة كل شيء منها ينتفع به) .
(٢) وورد أكرموا عمثكم النخلة ، ومن وجه شبهها بالمؤمن أنها برأسها تبقى ، وبقلبها تحيا وفي اللقاح ورائحة طلع ذكرها كرائحة المنى ، وقيل : إنها خلقت من فضلة طينة آدم التي خلق منها ، فهي لذا عمة بني آدم .
(٣) روى النسائي عن البراء قال : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ نزلت في عذاب القبر ، يقال : من ربك فيقول ربي الله ودينى دين محمد ﷺ .

لإصرارهم على الشرك ودعوتهم إليه وظلم المؤمنين وأذيتهم من أجل إيمانهم، وقوله تعالى: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ تقرير لإرادته الحرة فهو عز وجل يثبت من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض عليه ولا نكير مع العلم أنه يهدي ويضل بحكم عالية تجعل هدايته كإضلاله رحمة وعدلاً.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم ينته إلى علمك أيها الرسول ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ التي هي الإسلام الذي جاءهم به رسول الله بما فيه من الهدى والخير فكذبوا رسول الله وكذبوا بما جاء به ورضوا بالكفر وأنزلوا بذلك قومهم الذين يحثونهم على الكفر ويشجعونهم على التكذيب أنزلوهم^(١) ﴿دار البوار﴾ فهلك من هلك في بدر كافراً إلى جهنم، ودار البوار هي جهنم يصلونها أي يحترقون بحرّها ولهبها ﴿وبئس القرار﴾ أي المقر الذي أحلوا قومهم فيه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله﴾ أي جعل أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وهم كفار مكة لله أنداداً أي شركاء عبدوها وهي اللات والعزى وهبل ومناة وغيرها من آلهتهم الباطلة، جعلوا هذه الأنداد ودعوا إلى عبادتها ليضلوا ويضلوا غيرهم عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى وجواره الكريم، وقوله تعالى: ﴿قل تمتعوا﴾ أي بما أنتم فيه من متاع الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم﴾ أي نهاية أمركم ﴿إلى النار﴾ حيث تصيرون إليها بعد موتكم إن أصررتكم على الشرك والكفر حتى متم على ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٢- المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر.

(١) هذه الآية نزلت في قريش، وقيل: في هلكى بدر، وقيل: في منتصف العرب: جيلة بن الأيهم وأصحابه، والظاهر أنها عامة في كل من كفر بالله ورسوله وحاد عن سبيلهما، وقال الحسن: إنها عامة في جميع المشركين.

(٢) ﴿البوار﴾: الهلاك.

(٣) الأمر للتهديد والوعيد، وفي اللفظ إشارة إلى قلة ما في الدنيا من ملاذ مع سرعة زوالها ولزوم انقطاعها.

- ٣- بشرى المؤمن بثبوت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكراً ونكيراً على سؤالهما إياه بثبوت الله تعالى له .
- ٤- الأمر في قوله تعالى تمتعوا ليس للإباحة ولا للوجوب وإنما هو للتهديد والوعيد .

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾
وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَآسَاءٍ تُمُوءٌ ۚ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ
لَا تُحْصَوْهَا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

- لا بيع فيه ولا خلال : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالطة تنفع ولا صداقة .
- الفلك : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث .
- دائبين : جاريتين في فلكهما لا يفتران أبداً حتى نهاية الحياة الدنيا .
- لظلوم كفار : كثير الظلم لنفسه ولغيره ، كفار عظيم الكفر هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه .

معنى الآيات :

لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴿٣١﴾ قل تمتعوا فإن

مصيركم إلى النار ﴿ أمر رسوله أيضاً أن يقول للمؤمنين ... يقيموا الصلاة وينفقوا من أموالهم سراً وعلانية ليتقوا بذلك عذاب يوم القيامة الذي توعد به الكافرين فقال : ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾^(١) أي يؤدوها على الوجه الذي شرعت عليه فيتموا ركوعها وسجودها ويؤدوها في أوقاتها المعينة لها وفي جماعة وعلى طهارة كاملة مستقبلين بها القبلة حتى تثمر لهم زكاة أنفسهم وطهارة أرواحهم ﴿ وينفقوا ﴾^(٢) ويوالوا الإنفاق في كل الأحيان ﴿ سراً وعلانية ﴾ ، ﴿ من قبل أن يأتي يوم ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لا بيع فيه ولا خلال ﴾ لا شراء فيحصل المرء على ما يفدي به نفسه من طريق البيع ، ولا خلة أي صداقة تنفعه ولا شفاعة إلا بإذن الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ أي انشأهما وابتدأ خلقهما ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ هو ماء الأمطار ﴿ فأخرج به من الثمرات ﴾^(٣) والحبوب ﴿ رزقاً لكم ﴾^(٤) تعيشون به وتتم حياتكم عليه ﴿ وسخر لكم الفلك ﴾ أي السفن ﴿ لتجري في البحر بأمره ﴾ أي بإذنه وتسخره تحملون عليها البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وتركبونها كذلك ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾ الجارية بالمياه العذبة لتشربوا وتسقوا مزارعكم وحقولكم ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾^(٥) لا يفران أبداً في جريهما وتنقلهما في بروجهما لمنافعكم التي لا تتم إلا على ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر وتنقله في منازلهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا والنهار لتعملوا فيه وتكسبوا أرزاقكم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾^(٦) مما أنتم في حاجة إليه لقوام حياتكم ، هذا هو الله المستحق لعبادتكم

(١) هي الصلوات الخمس : الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء .

(٢) هي الزكاة ويدخل معها صدقة التطوع ، إذ الكل إنفاق ، والسرية غالباً هي صدقة التطوع والعلانية هي الزكاة المفروضة

(٣) ﴿ الخلال ﴾ جمع خلة كقوله وقلا ، وهي المودة والصداقة والمنفي هنا هو آثارها بالنفع بالإرفاد والاسعاف بالثواب .

(٤) هذا استئناف واقع موقع الاستدلال على بطلان الشرك ووجوب التوحيد وما يترتب على ذلك من سعادة الموحدين وشقاء المشركين .

(٥) الرزق : القوت ، وهو كل ما يقتات به من أنواع الحبوب والخضر والفواكه واللحوم .

(٦) التسخير هو التذليل والتطوع ، وهو كناية عن كون الشيء قابلاً للتصرف فيه .

(٧) الدَّوْب : مرور الشيء في العمل على عادة جارية لا تختلف وفعله : دأب يدأب دؤوبا على الشر : إذا استمر عليه ولم يقطعه .

(٨) ﴿ من كل ما سألتموه ﴾ أي : من كل مسؤول سألتموه شيئاً فحذف مسؤول لدلالة الكلام عليه ، والمقابل محذوف أي : ومن كل ما لم تسألوه ، فإن هناك أشياء لم يسألها الإنسان ، وأعطاه الله تعالى إياها ، وهذا الحذف كقوله : ﴿ سراويل تقيكم الحر . ﴾ وسراويل تقيكم البرد : فحذف .

رغبة فيه ورهبة منه، هذا هو المعبود الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له وليس تلك الأصنام والأوثان التي تعبدونها وتدعون إلى عبادتها حتى حملكم ذلك على الكفر والعناد بل والظلم والشر والفساد.

وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١) أي بعد أن عدد الكثير من نعمه أخبر أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه ولا أن يحصيها عدداً بحال من الأحوال، وقرر حقيقة في آخر هذه الموعظة والذكرى وهي أن الإنسان إذا حُرِمَ الإيمان والهداية الربانية ﴿ظلم﴾ أي كثير الظلم كفور كثير الكفر عظيمه، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإكثار من الصدقات لاتقاء عذاب النار.
- ٢- جواز صدقة العلفن كصدقة السر وإن كانت الأخيرة أفضل.
- ٣- التعريف بالله عز وجل إذ معرفة الله تعالى هي التي تثمر الخشية منه تعالى.
- ٤- وجوب عبادة الله تعالى وبطلان عبادة غيره.
- ٥- وصف الإنسان بالظلم والكفر وشدهما ما لم يؤمن ويستقيم على منهج الإسلام.

وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ

(١) الإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصى إسمًا للعدد، وهو منقول من الحصى وهي صغار الحجارة إذ كانوا يعدون الأعداد الكبيرة بها.

تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
 رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
 عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾
 رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
 دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
 الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

- هذا البلد آمنا : أي اجعل مكة بلداً آمناً يأمن كل من دخله .
 واجنبي : بَعْدَنِي .
 أن نعبد الأصنام : عن أن نعبد الأصنام .
 أضللن كثيراً من الناس : أي بعبادتهم لها .
 من تبعني فإنه مني : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني .
 من ذريتي : أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .
 بواد غير ذي زرع : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ .
 تهوي إليهم : تَحَنُّنٌ إِلَيْهِمْ وتميل رغبة في الحج والعمرة .
 على الكبر إسماعيل واسحق : أي مع الكبر إذ كانت سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة . وولد له
 إسحق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة .
 ولوالدي : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .
 يوم يقوم الحساب : أي يوم يقوم الناس للحساب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وقد تضمنت هذه الآيات ذلك ،

فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي اذكر إذ قال إبراهيم فكيف يذكر ما لم يوح الله تعالى إليه بذلك ففسر هذا نبوة رسول الله ونزول الوحي إليه، وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ أي ذا أمن فيأمن من دخله على نفسه وماله والمراد من البلد مكة.

وقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فيه تقرير للتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ومعنى اجنبنني ابعدينني أنا وأولادي وأحفادي وقد استجاب الله تعالى له فلم يكن في أولاده وأولاد أولاده مشرك، وقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ تعليل لسؤاله ربه أن يجنبه وبينه عبادتها، واضلال الناس كان بعبادتهم لها فضلوا في أودية الشرك، وقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعْنِي﴾ أي من أولادي ﴿فَلْيَنْهَ مِنْي﴾ أي على ملتي وديني، ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فلم يتبعني على ملة الإسلام إن تعذبه فذاك وإن تغفر له ولم تعذبه ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة إذ ليس فيها ولا حولها زراعة يومئذ وإلى آمام بعيدة وأزمة عديدة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ قال هذا بإعلام من الله تعالى له أنه سيكون له بيت في هذا الوادي ومعنى المحرم أي الحرام وقد حرمه تعالى فمكة حرام إلى يوم القيامة لا يُصَاد صيدها ولا يُخْتَلَى خلائها ولا تُسْفَك فيها دماء ولا يحل فيها قتال، وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ هذا دعاء بأن ييسر الله تعالى عيش سكان مكة ليعبدوا الله تعالى فيها بإقام الصلاة، فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا إلى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سبباً في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة، وقوله: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر، إذ النعم تقتضي

(١) أي: اجعلني جانباً عن عبادتها، وبينه من صلبه وكانوا ثمانية: فما عبد منهم أحد صنماً قط. كان إبراهيم التيمي يقول: من يأمن البلاء بعد الخليل حتى يقول: واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام.

(٢) نسب الإضلال إليهن وهن جمادات لا يفعلن شيئاً: لأنهن السبب في الإضلال.

(٣) فَوُضَّ الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذبه. وقيل: قال إبراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٤) ذكر البخاري قصة إسكان إبراهيم عليه السلام هاجر مكة، بالتفصيل فليرجع إليها ومن في قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ للتبعيض إذ لم يسكن مكة إلا إسماعيل وباقى أولاده كانوا بالشام.

(٥) خص الصلاة بالذكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذكر والشكر، وهي علّة الحياة وسرّ هذا الوجود والكلام في قوله ﴿لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لا مكي: التعليلية والفعل متعلق بأسكنت أي: أسكنتهم بمكة ليقوموا الصلاة فيها.

شكراً، وقوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أراد به أن ما سأل ربه فيه من كل ما سأل انما هو من باب إظهار العبودية لله والتخضع لعظمته والتذلل لعزته والافتقار الى ما عنده، وإلا فالله أعلم بحاله وما يصلحه هو وبنيه، وما هم في حاجة إليه لأنه تعالى يعلم كل شيء ولا يخفى^(١) عنه شيء في الأرض ولا في السماء.. وقوله: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل﴾ واسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ أراد به حمد الله وشكره على ما أنعم به عليه حيث رزقه اسماعيل واسحق على كبر سنه، والاعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً من يقيم الصلاة، لأن الصلاة هي علة الحياة كلها إذ هي الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيراً ألحَّ على ربه في قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه^(٢) وللمؤمنين يوم يقوم الناس للحساب وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن أي ذو أمن.
- ٢- الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.
- ٣- علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.
- ٤- أهمية إقام الصلاة وأن من لم يرد أن يصلي لا حق له في الغذاء ولذا يُعَدَم إن أصر على ترك الصلاة.

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنك تعلم ما أخفي وما أعلن﴾ أي: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكننا بواد غير ذي زرع، والوجد: الحزن.

(٢) قيل: ولده اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) استغفر عليه السلام لوالديه قبل أن يتبين له عداوة أبيه آزره تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، كما تقدم في سورة التوبة، كما جاء فيها: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فلذا لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً، كما لا يجوز الصلاة عليه إذا مات إجماعاً.

(٤) نسبة القيام إلى الحساب كقولهم: قامت الحرب على ساق: يعنون اشتداد الأمر، وصعوبة الحال.

- ٥- بيان استجابة دعاء ابراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه .
- ٦- وجوب حمد الله وشكره على ما ينعم به على عبده .
- ٧- مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات .
- ٨- تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء .

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ
الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------------|--|
| عما يعمل الظالمون | : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم . |
| ليوم تشخص فيه الأبصار | : أي تفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال . |
| مهطعين مقنعي رؤوسهم | : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر،
رافعي رؤوسهم . |

وأفندتهم هواء

: أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفرع .

نحب دعوتك

: أي على لسان رسولك فنعبذك ونوحذك ونتبع

الرسول .

ما لكم من زوال

: أي عن الدنيا إلى الآخرة .

وقد مكروا مكروهم

: أي مكروا قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث

أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه .

وإن كان مكروهم لتزول منه

: أي لم يكن مكروهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه

الجبال

لا قيمة له فلا تعبأ به ولا تلتفت إليه .

معنى الآيات :

في هذا السياق الكريم تقوية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر ليوصل دعوته إلى ربه إلى أن ينصرها الله تعالى وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم ، وازدياد ظلمهم لهم فقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم يحل بهم عذابه إنما يريد أن يؤخرهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي تفتح فلا تغمض ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال ، ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ أي حال كونهم مهطعين مقنعي رؤوسهم أي رافعين رؤوسهم مسرعين للداعي الذي دعاهم إلى المحشر ، قال تعالى : ﴿واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب﴾ لا يرتد إليهم طرفهم ﴿أي لا تغمض أعينهم من الخوف﴾ وأفندتهم ﴿أي قلوبهم﴾ هواء ﴿أي

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون ، وفعل الشخص : شخص يشخص البصر : إذا سما وطمح من الخوف .

(٢) ﴿مهطعين﴾ اسم فاعل من أهطع يهطع إهطاعاً فهو مهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى : ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي : مسرعين ، قال الشاعر :

بدجلة دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

والمهطع أيضاً من ينظر في ذل وخشوع .

(٣) ﴿مقنعي﴾ الإقناع : رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكروه وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس ، يقال : أقنع رأسه : إذا طأطأه أو رفعه ، واللفظ يحتمل الوجهين .

(٤) الطرف : العين ، قال الشاعر :

وأغمض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني ماواها

يقال : طرف يطرف طرفاً إذا أطبق جفنه على الآخر ، ولم يطرف : إذا فتح عينه ولم يغمضها .

(٥) هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول ، والهواء : الخلاء .

فارغة من الوعي والادراك لما أصابها من الفزع والخوف ثم أمر تعالى رسوله في الآية (٤٤) بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشرعه، ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا بربهم، وأذوا عباده المؤمنين ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي يطلبون الإنظار والإمهال ﴿نَجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ أي نوحك ونطيعك ونطيع رسولك، فيقال لهم: توبيخاً وتقريعاً وتكذيباً لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ أي حلفتُمْ ﴿مَنْ قَبْلَ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ أي أطلبتُمْ الآن التأخير ولم تطلبوه عندما قلتم ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا الى الآخرة، ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أي عرفتُمْ ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ أي بإهلاكنا لهم وضربنا لكم الأمثال في كتبنا وعلى ألسنة رسلنا فيؤخون هذا التوبيخ ولا يجابون لطلبهم ويقذفون في الجحيم، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ أي وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه مغلاً في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ﴾ أي علمه وما أرادوا به، وجزأؤهم عليه، وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلزُّلُومِ مِنَ الْجِبَالِ﴾ أي ولم يكن مكرهم لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت، فإنه لا يحدث منه شيء، وفعلاً قد خابوا فيه أشد الخيبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم.
- ٢- بيان أهوال يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه حتى يتمنى الظالمون الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ويوحدا ربهم في عبادته.
- ٣- التنديد بالظلم وبيان عقاب الظالمين بذكر أحوالهم.

(١) قرئ: ﴿لِزُّلٍ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الآخرة لتزول، وإن مخففة من الثقلية، واللام لام الابتداء، ومعنى الآية: استعظام مكرهم حتى لتكاد الجبال تزول منه، وما في التفسير من قراءة وتوجيه هو الذي رجّحه ابن جرير الطبري. هنا ذكر القرطبي بإسهاب قصة النمرود الجبار الذي جاح إبراهيم عليه السلام، ولا طائل تحتها.

٤- تقرير جريمة قريش في ائتمارها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

إن الله عزيز	: أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال .
ذو انتقام	: أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله .
يوم تبدل الأرض	: أي اذكروا يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض .
وبرزوا لله	: أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم .
مقرنين	: أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم .
في الأصفاذ	: الأصفاذ جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره .
سراويلهم	: أي قمصهم التي يلبسونها من قطران .
هذا بلاغ	: أي هذا القرآن بلاغ للناس .
أولوا الأبواب	: أصحاب العقول .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسليية الرسول ﷺ والمؤمنين وهم يعانون من صلف المشركين

(١) وظلمهم وطفغيانهم فيقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ إنه كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، إنه لا بد منجز لك ما وعدك من النصر على أعدائك فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم. ﴿إن الله عزيز﴾ أي غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريده لا بد واقع ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أوليائه، واذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ كذلك ﴿وبرزوا﴾ أي ظهروا بعد خروجهم من قبورهم في طريقهم إلى المحشر إجابة منهم لدعوة الداعي وقد برزوا ﴿لله الواحد القهار﴾، ﴿وترى المجرمين يومئذ﴾ يا رسولنا تراهم ﴿مقرنين في الأصفاد﴾^(٢) مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى أعناقهم، هؤلاء هم المجرمون اليوم بالشرك والظلم والشر والفساد أجزموا على أنفسهم أولاً ثم على غيرهم ثانياً سواء ممن ظلموهم وآذوهم أو ممن دعوهم إلى الشرك وحملوهم عليه، الجميع قد أجزموا في حقهم، ﴿سرايلهم﴾ قمصانهم التي على أجسامهم ﴿من قطران﴾ وهو ما تدهن به الإبل: مادة سوداء محرقة للجسم أو من نحاس إذقري من قطران أي من نحاس أحمي عليه حتى بلغ المنتهى في الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتغطي وجوههم النار بلهبها، هؤلاء هم المجرمون في الدنيا بالشرك والمعاصي، وهذا هو جزاؤهم يوم القيامة، فعل تعالى هذا بهم ﴿ليجزى الله كل نفس بما كسبت﴾ إن الله سريع الحساب ﴿فما بين أن وجدوا في الدنيا وبين أن انتهوا إلى نار جهنم واستقروا في أتون جحيمها الا كمن دخل

(١) «مخلف» مفعول ثان لحسب، وعده: مجرور بالإضافة، ورسله: معمول لمخلف مؤخر، والأصل: مخلف رسله وعده، وقدم الوعد للاهتمام به.

(٢) جملة تعليلية للنهي عن حساب خلف وعده تعالى.

(٣) الآية نص صريح في كون الأرض والسموات تتبدل في ذاتها وسائر صفاتها وتزول تماماً ويخلق الله تعالى أرضاً غير ذي وسما غير هذه، وفي الحديثين الاتيين ما يقرر ذلك:

أ - حديث مسلم، وفيه: (إن يهوديا سأل رسول الله ﷺ قائلاً: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: في الظلمة دون الجس).

ب - حديث ابن ماجه بإسناد مسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط).

(٤) الأصفاد: جمع صنف يفتح كل من الصاد والفاء، وهو الغل والقيد يشد به ويربط الجاني قال الشاعر:

فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدين

(٥) واحد السرايل: سريال، وهو القميص، يقال: تسربل، إذا لبس السريال وكونها من قطران لشدة حرارتها، واشتعال النار فيها.

مع باب وخرج مع آخر، وأخيراً يقول تعالى : ﴿هذا بلاغ للناس^(١) ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿ولينذروا به﴾ أي بما فيه من العظمت والعبر والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجمام والشر والفساد، ﴿وليعلموا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أنما هو إله واحد﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله، فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق، وما عداه فباطل، ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أي وليتعض بهذا القرآن أصحاب العقول المدركة الواعية فيعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب الله وعذابه، وليفوزوا برحمته ورضوانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان صدق وعد الله من وعدهم من رسله وأوليائه.
- ٢- بيان أحوال المجرمين في العرض وفي جهنم.
- ٣- بيان العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا.
- ٤- قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: ﴿هذا بلاغ للناس^(٢) ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ هذه الآية صالحة لأن تكون عنواناً للقرآن الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع وجازة اللفظ وجمال العبارة، والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) ﴿بلاغ﴾ أي : تبليغ للناس يقوم به الرسول ﷺ.

(٢) قال هذا : العلامة الشيخ، البشير الإبراهيمي الجزائري، وظننا أنه إلهام من الله تعالى له، وإذا بنا نعثر في كلام الأولين على من قاله، وسبق به وجائز أن يكون الشيخ ألهمه والآخر كذلك، وتوارد الخواطر معروف ولا مانع من النقل والسكوت على من نقل عنه، إذ العلم مشاع كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما، ولذا فلا بأس أن ينقل العلم ولا ينسب إلى قائله لكن لا ينسب إلى غير قائله، فتلك سرقة ممنوعة.

الجزء الرابع عشر

سُورَةُ الْحَجَرِ

مكية

وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَا كُفُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

آل

: الله أعلم بمراده بذلك، تُكتب آلر. ويقرأ: ألف، لَام، را.

تلك آيات الكتاب : الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن.

يود

: يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.

ويتمتعوا

: أي بالملذات والشهوات.

ويلهمهم الأمل

: أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية.

إلا ولها كتابٌ معلوم

: أي أجل محدود لإهلاكها.

ما تسبق من أمة أجلها : أي لا يتقدم أجلها المحدد لها ومن زائدة للتأكيد.

معنى الآيات :

بما أن السورة مكية فإنها تعالج قضايا العقيدة وأعظمها التوحيد والنبوة والبعث. قوله تعالى : ﴿آلر﴾ : الله أعلم بمراده به، ومن فوائد هذه الحروف المقطعة تنبيه السامع وشده بما يسمع من التلاوة، إذ كانوا يمعنون سماعه خشية التأثير به، فكانت هذه الفواتح التي لم يألّفوا مثلها في كلامهم تشدهم إلى سماع ما بعدها من القرآن. وقوله : ﴿تلك آيات

الكتاب^(١) من الجائز القول: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف الر، آلم، طس، حم عسق. ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ المبين: المبين للحق والباطل والهدى والضلال وقوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾: يخبر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذ متمنياً أن لو كان من المسلمين. وقد يحدث الله تعالى ظروفاً في الدنيا وأموراً يتمنى الكافر فيها لو كان من المسلمين. وقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ أي اتركهم يا رسولنا، أي اترك الكافرين يأكلوا ما شاءوا من الأطعمة، ويتمتعوا بما حصل لهم من الشهوات والملذات، ويلههم الأمل عن التفكير في عاقبة أمرهم. إذ همهم طول أعمارهم، وتحقيق أوطارهم، فسوف يعلمون إذا رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون أنهم كانوا في الدنيا مخطئين بإعراضهم عن الحق ودعوة الحق والدين الحق وقوله: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية بعذاب الإبادة والاستئصال ﴿إلا ولها كتاب﴾، أي لها أجل مكتوب في كتاب محدد اليوم والساعة. وقوله: ﴿... ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي بناءً على كتاب المقادير فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد، ولا أن يستأخر عنه ولو ساعة. وفي هذا تهديد وتخويف لأهل مكة وهم يحاربون دعوة الحق ورسول الحق لعل قريتهم قد كتب لها كتابٌ وحدد لها أجلٌ وهم لا يشعرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- القرآن الكريم مبينٌ لكل ما يُحتاج إليه في إسعاد الإنسان وإكماله.

- (١) لفظ الكتاب الذي هو القرآن أصبح علماً بالغلبة على القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ وسمي بالكتاب لأنه مأمور بكتابه وحفظه فسمي بالكتاب قبل أن يكتب للأمر بذلك، والقرآن: اسم ثان للكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والكتاب مشتق من الكتب الذي هو الجمع، والقرآن من القرء الذي هو الجمع أيضاً فهو تجمع حروفه وكلماته.
- (٢) رب: حرف جر يدخل على الأسماء، وإن أريد إدخالها على الأفعال لحقت بها (ما) كما في الآية. وقرأ نافع ﴿ربَّما﴾ بالتنخيف، وشدَّدها غيره في هذه الآية ﴿ربما يودُّ الذين كفروا﴾. الخ وأصل استعمالها في التقليل، وقد تستعمل في التكثير.
- (٣) وقد ورد أنه لما يرى الكافرون وهم في النار أهل التوحيد يخرجون منها يودون لو كانوا موحدين، والكل وارد ولا مانع منه.
- (٤) ﴿من﴾: صلة لتقوية النفي وتأكيد الخبر.

٢- إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحربهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين .

٣- تقرير عقيدة القضاء والقدر فما من شيء إلا وسبق به علم الله وكتبه عنده في كتاب المقادير الحياة كالموت، والريح كالخسارة، والسعادة كالشقاء، جميع ما كان وما هو كائن وما سيكون سبق به علم الله وكتب في اللوح المحفوظ .

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

نزل عليه الذكر : أي القرآن الكريم .

لو ما تأتينا بالملائكة : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله .

وما كانوا إذا منظرين : أي مهملين ، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة .

إننا نحن نزلنا الذكر : أي القرآن .

في شيع الأولين : أي في فرق وطوائف الأولين .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي قال الكافرون المنكرون للوحي والنبوة ﴿إنك لمجنون﴾ أي غير عاقل وإلا لما ادعيت النبوة . وفي قولهم هذا استهزاء

ظاهر بالرسول ﷺ وهو ثمرة ظلمة الكفر التي في قلوبهم وقوله: ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾^(١) لوما هنا بمعنى هلا التحضيضيه أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك النبوة والرسالة فأت بالملائكة تشهد لك . قال تعالى ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي نزولاً ملتبساً بالحق . أي لا تنزل الملائكة إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد تشهي الناس ورغبتهم ولو نزلت الملائكة ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب فوراً ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ أي مهلين بل يهلكون في الحال . وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي من الضياع ومن الزيادة والنقصان لأنه حجتنا على^(٢) خلقنا إلى يوم القيامة . أنزلنا الذكر هدى ورحمة وشفاء ونوراً . هم يريدون العذاب والله يريد الرحمة . مع أن القرآن نزلت به الملائكة ، والملائكة إن نزلت ستعود الى السماء ولم يبق ما يدل على الرسالة إلا القرآن ولكن القوم لا يريدون أن يؤمنوا وليسوا في ذلك الكفر والعناد وحدهم بل سبقتهم طوائف وأمم أرسل فيهم فكذبوا وجاحدوا وهو قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع^(٣) الأولين﴾ أي في فرقهم وأممهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ لأن علة المرض واحدة إذا فلا تياس يا رسول الله ولا تحزن بل اصبر وانتظر وعد الله لك بالنصر فإن وعده حق : ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ! إن الله قوي عزيز﴾ .

(١) ﴿لوما﴾ كلولا ، وهلاً : حرف تحضيض على الفعل نحو : لوما أكرمت عمراً ولولا أكرمت زيداً وهلا كذلك ، وتأتي مع الخبر فلا يراد بها التحضيض نحو : لو ما خوف الله لقلت فيك كذا وكذا ، قال الشاعر :

لو ما ألحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

(٢) قرأ حفص : ﴿ما ننزل الملائكة﴾ وقرأ بعضهم ﴿ما تنزل﴾ وقرأ ورش عن نافع ﴿ما تنزل﴾ بحذف إحدى التائين تخفيفاً ، إذ الأصل : تنزل .

(٣) أصل : إذا ، إذ أن ، ومعناها حيثئذ أي : تنزلت الملائكة بإهلاكهم لما كانوا حينئذ منظرين أي : مهلين ساعة من الزمن .

(٤) قالت العلماء : لما وكل الله تعالى حفظ التوراة والانجيل إلى أهل الكتاب في قوله ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أضاعوه فزادوا فيه ونقصوا منه ، ولما تولى الله تعالى حفظ القرآن ، حفظه فلم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف .

(٥) ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ . . هذه الجملة إبطال لاستهزاء المشركين بالرسول ﷺ على طريقة التمثيل بأشباعهم من الأمم السابقة .

(٦) الشَّيْع : جمع شيعة ، وهي الفرقة المتألفة المتفقة الكلمة ، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ أي : فرقاً كل فرقة تتألف مع أفرادها ، وتحارب عن مبادئها وأفكارها وما هي عليه من دين وعادة .

(٧) تقديم الجار والمجرور (به) على فعل يستهزئون : لإفادة القصر للمبالغة أي : كأنهم لفساد قلوبهم لا شغل لهم إلا الاستهزاء برسول الله عز وجل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من استهزاء وسخرية من المشركين .
- ٢- مظهر من مظاهر رحمة الله بالإنسان ، يطلب نزول العذاب والله ينزل الرحمة .
- ٣- بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان ومن الضياع .
- ٤- بيان سنة الله تعالى في الأمم والشعوب وهي أنهم ما يأتيهم من رسول ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى جديد من الخير والهدى إلا وينكرون ويستهزئون .

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي

قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَن أَسْرَقَ السَّمْعَ

فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- كذلك نسلكه : أي التكرار بالقرآن أو النبي ﷺ .
- وقد خلت سنة الأولين : أي مضت سنة الأمم السابقة .
- فظلوا فيه يعرجون : أي يصعدون .
- إنما سُكَّرَتْ : أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب .
- في السماء بروجاً : أي كواكب ينزلها الشمس والقمر .
- شيطان رجيم : أي مرجوم بالشهب .
- شهاب مبین : كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يُخْبِلُهُ أي يفسده .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المكذبين للنبي المطالبين بنزول الملائكة لتشهد للرسول بنبوته حتى يؤمنوا بها . قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ ^(١) أي التَكْذِيب في قلوب المجرمين من قومك ، كما سلكناه حسب سنتنا في قلوب من كذبوا الرسل من قبلك فسلكه ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ من قومك فلا يؤمنون بك ولا بالذكر الذي أنزل عليك . وقوله تعالى : ﴿ وقد خلت سنة الأولين ﴾ ^(٢) أي مضت وهي تعذيب المكذبين للرسل المستهزئين بهم لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا ﴾ أي الملائكة أو المكذبون ﴿ فيه ﴾ أي في ذلك الباب ﴿ يعرجون ﴾ أي يصعدون طوال النهار طالعين هابطين ولقالوا في السماء ﴿ إنما سكرت أبصارنا ﴾ أي منعت من النظر الحقيقي فلم نر الملائكة ولم نرى السماء ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ ^(٣) فأصبحنا نرى أشياء لا حقيقية لها ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا ﴾ ^(٤) أي كواكب هي منازل للشمس والقمر ينزلان بها وعلى مقتضاها يعرف عدد السنين والحساب . وقوله : ﴿ زيناهما ﴾ أي السماء بالنجوم ﴿ للناظرين ﴾ فيها من الناس . وقوله : ﴿ وحفظناها ﴾ أي السماء الدنيا ﴿ من كل شيطان رجيم ﴾ أي مرجوم ملعون . وقوله : ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ إلا مارد من الشياطين طلع إلى السماء لاستراق السمع من الملائكة لينزل بالخبر إلى وليه من الكهان من الناس ﴿ فاتبعه شهاب ﴾ من نار ﴿ مبين ﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه . هذه الآيات وهي قوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا

(١) عود الضمير في ﴿ نسلكه ﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ولأننا له لحافظون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ أي : أرسل فيهم رسلاً وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فتعياها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك ، وهي الكبر والحسد والعناد وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر ، وتلك سنة الله تعالى في أمثالهم ، وأصل السلك : إدخال الشيء في آخر .

(٢) في الآية تعريض للمجرمين بالهلاك .

(٣) هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ .

(٤) أي : أضربوا عن القول الأول . وهو قولهم : إنما سكرت أبصارنا إلى قولهم بل نحن قوم مسحورون . أي ما رأينا شيئاً ثم أقرؤا بأنهم رأوا ولكن ما رأوه إنما هو تخيلات المسحور لا غير .

(٥) هذا شروع في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للتوحيد والمقررة للبعث والجزاء .

(٦) هذا كقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ﴾ أي : كواكب .

في السماء بروجاً ﴿ إلى آخر ما جاء في هذا السياق الطويل ، القصد منه إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وكلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده عبادة يكملون عليها ويسعدون في الدنيا والآخرة ، ولكن المكذبين لا يعلمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في المكذبين المعاندين وهي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .
- ٢- مطالبة المكذبين المجرمين بالآيات كروية الملائكة لا معنى لها إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا به فلذا لو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لما آمنوا .
- ٣- بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته فيما حَمَلَت الآيات من مظاهر لذلك ، بدءاً من قوله : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً ﴾ إلى الآية السابعة والعشرين من هذا السياق الكريم .

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ رِزْقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

(١) البروج : جمع برج وهو في الأصل البناء الكبير المحكم البناء الذي يظهر من بعيد قال تعالى : ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ أي : قصور ظاهرة ، ومنه : المرأة تتبرج بزيتها : أي تظهرها ، والمراد من البروج في الآية : كواكب ثابتة غير سيارة هي منازل الشمس والقمر ، وسمى هذه البروج العرب بأسماء تخيلوا أشكالها في السماء وهي : برج الحمل ، والثور ، والجوزاء ، السرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ، ابتداء من فصل الربيع وانتهاء بفصل الشتاء .

بِخَزَائِنٍ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- والأرض مددناها : أي بسطانها .
وألقينا فيها رواسي : أي جبلاً ثوابت لئلا تتحرك الأرض .
موزون : أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى .
معاش : جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية .
ومن لستم له برازقين : كالعبيد والإماء والبهائم .
وما ننزله إلا بقدر معلوم : أي المطر .
وأرسلنا الرياح لواقح : أي تلعح السحاب فيمتلئ ماءً ، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه .
وما أنتم له بخازنين : أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه أو تعطونه من تشاءون .
المستقدمين منكم والمستأخرين : أي من هلكوا من بني آدم إلى يومكم هذا والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا بعد إلى يوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات الإيمان به وعبادته وتوحيده والتقرب إليه بفعل محابه وترك مساخطه^(١) . قوله تعالى : ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطانها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبلاً ثوابت تثبت الأرض حتى لا

(١) وموجبة أيضاً للبعث الآخر والوحي الإلهي .
(٢) هنا انتقال من عرض آيات الله في السماء إلى آياته في الأرض .

(١) تتحرك أو تميد بأهلها فيهلكوا، ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى . وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ (٢) عليها تعيشون وهي أنواع الحبوب والثمار وغيرها، وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾ بل الله تعالى هو الذي يرزقه وإياكم من العبيد والإماء والبهائم . وقوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أي ما من شيء نافع للبشرية هي في حاجة إليه لقوام حياتها عليه إلا عند الله خزائنه، ومن ذلك الأمطار، لكن ينزله بقدر معلوم حسب حاجة المخلوقات وما تتوقف عليه مصالحها، وهو كقوله: ﴿بيده الخير وهو على كل شيء قدير﴾ وكقوله: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما شاء الله إنه بعباده خبير بصير﴾ وقوله: ﴿وأرسلنا الرياح لقواح﴾ أي تلقح السحاب فتمتلئ ماء، ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدرتنا وتدبيرنا ﴿فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه من تشاءون وتعطونه من تشاءون بل الله تعالى هو المالك لذلك، فينزله على أرض قوم ويمنعه آخرين . وقوله: ﴿إنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون، ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ أي الذين ماتوا من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ ممن هم أحياء ومن لم يوجدوا وسيوجدون ويموتون إلى يوم القيامة، الجميع عِلِمُهُم الله، وغيره لا يعلم فلذا استحق العبادة وغيره لا يستحقها . وقوله: ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول ﴿هو يحشرهم﴾ أي إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم، وهذا متوقف على القدرة والحكمة والعلم، والذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ على إحيائهم مرة أخرى والذي عِلِمُهُم قبل خلقهم وعلمهم بعد خلقهم

(١) قال: ﴿موزون﴾: لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء، والموزون من الكلام وغيره الخالي من النقص والزيادة، والمراد أن ما أنبته الله تعالى في الأرض من سائر النباتات والمعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يكال ويوزن.

(٢) واحد المعاش: معيشة، وهي المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أيضاً، إذ كل هذا يدخل تحت العيش حتى قيل: المعاش: إنها التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة.

(٣) الرزق: يفتح الراء مصدر رزقه يرزقه رزقاً، والرّزق بكسر الراء فهو الاسم وهو القوت.

(٤) أي: نافع للناس لا مطلق الأشياء التي لا نفع للناس فيها.

(٥) في قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لقواح﴾ استدلال بظاهرة كرة الهواء بين السماء والأرض بعد الاستدلال بالسماء والأرض، ولقواح حال من الرياح ولقواح صالح لأن يكون جمع لاقح، وهي الناقة الجبلى أو ملقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً.

(٦) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك، والآية دليل على فضل السبق في الخير وعلى فضل الصف الأول في القتال والصلاة، وفي الحديث الصحيح: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا).

قادرٌ على حشرهم والحكيم الذى يضع كل شيء في موضعه لا يخلقهم عبثاً بل خلقهم ليلوهم ثم ليحاسبهم ويجزيهم إنه هو الحكيم العليم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته المتجلية فيما يلي :
 - أ- خلق الأرض ومدّها وإلقاء الجبال فيها . إرسال الرياح لواقع للسحب .
 - ب - إنبات النباتات بموازين دقيقة . إحياء المخلوقات ثم إماتها .
 - ج - إنزال المطر بمقادير معينة . علمه تعالى بمن مات ومن سيموت .
- ٢- تقرير التوحيد أن من هذه آثار قدرته هو الواجب أن يعبد وحده دون سواه .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٤- تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ هذا الكلام كلام الله أوحاه إليه ﷺ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ
صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

: أي آدم عليه السلام .

ولقد خلقنا الإنسان

من صلصالٍ من حمإٍ مسنون : أي طين يابس له صلصلة من حمإٍ أي طين أسود متغير .
من نار السموم : نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري .

فإذا سويته : أي أتممت خلقه .
فقعوا له ساجدين : أي خرّوا له ساجدين .
معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته . قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ أي آدم ﴿ من صلصال ﴾ أي طين يابس يسمع له صوت صلصلة . ﴿ من حمإٍ مسنون ﴾ أي طين أسود متغير الريح ، هذا مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله : ﴿ والجنان خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق آدم والجنان هو أبو الجن خلقناه ﴿ من نار السموم ﴾ ونار السموم نار لا دخان لها تنفذ في مسام الجسم . . وقوله : ﴿ وإذ قال ربك ﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم أي سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة لآدم ، إذ المعبود هو الأمر المطاع وهو الله تعالى . فسجدوا ﴿ إلا إبليس أبى ﴾ أي امتنع أن يكون مع الساجدين . وقوله : ﴿ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ أي أي شيء حصل لك حتى امتنعت أن تكون من جملة الساجدين من الملائكة؟ فأظهر اللعين سبب امتناعه وهو حسده لآدم واستكباره ، فقال ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ﴾ . وفي الآيات التالية جواب الله تعالى وردة عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين ، والجنان وهو لهب النار .
- ٢- فضل السجود ، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس .

(١) ترتب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا : تراب بلّ بالماء فصار طينا ثم ترك حتى أثنى فصار حمأ مسنوناً أي : متغيراً ثم ييس فصار صلصالاً والمسنون : المتغير ، بسبب مكثه مدة كسنة مثلاً .
(٢) وفي صحيح مسلم قوله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، و خلقت الجن من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) .
(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجن : أبو الجن وليسوا شياطين ، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس ، والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فأدم أبو الإنس ، والجنان أبو الجن ، وإبليس أبو الشياطين .

- ٣- ذم الحسد وأنه شر الذنوب وأكثرها ضرراً.
 ٤- ذم الكبر وأنه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.
 ٥- فضل الطين على النار لأن من الطين خلق آدم ومن النار خلق إبليس.

قَالَ

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
 مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
 لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- قال فاخرج منها : أي من الجنة .
 فإنك رجيـم : أي مرجوم مطرود ملعون .
 إلى يوم الوقت المعلوم : أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها .
 بما أغويتني : أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي .
 المخلصين : أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم .
 هذا صراط علي مستقيم : أي هذا طريق مستقيم موصل إليّ وعليّ مراعاته وحفظه .
 لها سبعة أبواب : أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم ، ثم لظى ، ثم
 الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فأخرج منها﴾ هذا جوابٌ عن قول إبليس ، ﴿لم أكن لأسجد لبشر﴾ .
 الآية إذاً فأخرج منها أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود مُبعد ، ﴿وإن عليك﴾
 لعنتي أي غضبي وإبعادي لك من السموات ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى يوم القيامة وهو
 يوم الجزاء . فقال اللعين ما أخبر تعالى به عنه : ﴿قال رب فانظرنى﴾ أي أمهلني لا تُمتني
 ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فأجاب الرب تعالى بقوله : ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين
 ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو فناء بني آدم حيث لم يبق منهم أحد وذلك عند النفخة
 الأولى . فلما سمع اللعين ما حكى به الرب تعالى عليه قال ما أخبر الله عنه بقوله : ﴿قال
 رب بما أغويتني﴾ أي بسبب إغوائك ﴿لأزين لهم في الأرض﴾ أي الكفر والشرك وكبائر
 الذنوب ، و ﴿لأغوينهم﴾ أي لأضلّهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿فاستثنى
 اللعين من استخلصهم الله تعالى لطاعته وأكرمهم بولايته وهم الذين لا يستعبد بهم غضبٌ
 ولا تتحكم فيهم شهوة ولا هوى . وقوله تعالى : ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ أي هذا
 طريق مستقيم إليّ أرعاه وأحفظه وهو ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
 من الغاوين﴾ ^(١) ﴿وإن جهنم﴾ لموعذك وموعد أتباعك الغاوين أجمعين ﴿لها سبعة أبواب﴾
 إذ هي سبع طبقات لكل طبقة باب فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة ، وهو معنى قوله
 تعالى : ﴿لكل بابٍ منهم جزء مقسوم﴾ أي نصيبٌ معين وطبقاتها هي : جهنم ، لظى ،
 الحطمة ، السعير ، سقر ، الجحيم ، الهاوية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمان إبليس من التوبة لاستمرار غضب الله عليه إلى يوم القيامة .
- ٢- استجاب الله لشر خلقه وهو إبليس فمن الجائز أن يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريد بها الله تعالى .

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألا يموت ، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضاً .

(٢) قال ابن عباس : أراد به النفخة الأولى أي : حين تموت الخلائق .

(٣) التزيين : يشمل أمرين . الأول : تزيين المعاصي والثاني : شغلهم بزينه الدنيا عن فعل الطاعات .

(٤) أي : ليس له سلطان على قلوبهم ، وقال ابن عيينة ، أي : في أن يلقينهم في ذنب .

(٥) الغاوين : الفاسدين بالشرك والمعاصي .

٣- أمضى سلاح يغوي به إبليس بني آدم هو التزين للأشياء حتى ولو كانت دميمة قبيحة يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى يأتيها الآدمي .

٤- عصمة الرسل وحفظ الله للأولياء حتى لا يتلوثوا بأوضار الذنوب .

٥- طريق الله مستقيم إلى الله تعالى يسلكه الناس حتى ينتهوا إلى الله سبحانه فيحاسبهم ويجزيهم بكسبهم الخير بالخير والشر بالشر .

٦- بيان أن لجهنم طبقات واحدة فوق أخرى ولكل طبقة بابها فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة لا غير .

إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
﴿٤٩﴾ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ
مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَرْنَكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين : أي الذين خافوا ربهم فعبده وحده بما شرع لهم من العبادات .

ونزعنا ما في صدورهم من غل : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء .
على سرر متقابلين : أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا
انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا
بعض .

لا يمسهم فيها نصب : أي تعب .
العذاب الأليم : أي المجمع شديد الإيذاء .
ضيف إبراهيم : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط
لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب
من الناس .

إنا منكم وجلون : أي خائفون وذلك لما رفضوا أن يأكلوا .
بغلام عليم : أي بولد ذي علم كثير هو إسحق عليه السلام .
فيم تبشرون : أي تعجب من بشارتهم مع كبره بولد .
من القانتين : أي الأيسين .
معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء اتباع إبليس الغاوين ، ناسب ذكر جزاء عباد الرحمن أهل التقوى
والإيمان فقال تعالى مخبراً عما أعد لهم من نعيم مقيم : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ ^(١) أي الله بترك
الشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ^(٢) يقال لهم ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ ^(٣) آمين ﴿أَيَّ حَالٍ
كُونِكُمْ مَصْحُوبِينَ بِالسَّلَامِ آمِينَ﴾ من الخوف والفرح . وقوله : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من
غل﴾ ^(٤) أي لم يبق الله تعالى في صدور أهل الجنة ما ينغص نعيمها ، أو يكدر صفوها كحقد
أو حسد أو عداوة أو شحناء . وقوله : ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لما طهر صدورهم مما

(١) روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فرثلاثة أيام من الخوف
فجاء به إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ . . .﴾ الخ فوالذي بعثك بالحق لقد
قطعت قلبي فأنزله الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

(٢) هي الأنهار الأربعة : ماء ، وخمر ، ولبن ، وعسل المذكورة في سورة محمد ﷺ .

(٣) بسلامة من كل داء وآفة ، وقيل : بتحية من الله تعالى آمين من الموت والعذاب .

(٤) قال ابن عباس : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينا فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم
من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم .

من شأنه أن يغص أو يكدر، أصبحوا في المحبة لبعضهم بعضاً إخواناً يضمهم مجلس واحد يجلسون فيه على سرر متقابلين وجهاً لوجه، وإذا أرادوا الإنصراف إلى قصورهم تدور بهم الأسرة فلا ينظر أحدهم إلى قفا أخيه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ فيه الإخبار بنعيمين: نعيم الراحة الأبدية إذ لا نصب ولا تعب في الجنة ونعيم البقاء والخلد فيها إذ هم لا يخرجون منها أبداً. وفي هذا تقرير لمعتقد البعث والجزاء بأبلغ عبارة وأوضحها. وقوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّهَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي خبر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أن ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا من معصيتهم. رحيم بهم فلا يعذبهم. ﴿وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ونبئهم أيضاً أن عذابي هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي، أو مخالفة أوامري وغشيان محارمي. وقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً أي سلموا عليه فرد عليهم السلام وقدم لهم قَرَى الضيف وكان عجلأ حنيذاً، كما تقدم في هود وعرض عليهم الأكل فامتنعوا وهنا قال: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ﴾ أي خائفون، وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورة لشباب حسان. فلما أخبرهم بخوفه منهم، لأن العادة أن النازل على الإنسان إذا لم يأكل طعامه دل ذلك على أنه يريد به سوء. ﴿قَالُوا لَا تَوَجَّلْ﴾ أي لا تخف، ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي بولد ذي علم كثير. فرد إبراهيم قائلاً بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قَالَ أَبْشِرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنَى الْكِبَرِ فَبِمَ تَبْشُرُونَ﴾ أي هذه البشارة بالولد على كبر سني أمر عجيب، فلما تعجب من البشارة وظهرت عليه علامات الشك والتردد في صحة الخبر قالوا له: ﴿بَشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ أي

(١) شاهد هذه الآية قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قط من رحمته أحد).

(٢) هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. والضيف: لفظ يطلق على الواحد والاثنتين والجماعة.

(٣) قال هذا بعد أن قرب إليهم العجل المشوي ليأكلوا فلم يأكلوا.

(٤) أن: مصدرية، والتقدير: على مس الكبر إياي وزوجتي.

(٥) الاستفهام للتعجب أو هو على حقيقته.

(٦) أي: بما لا خلف فيه، وأن الولد لابد منه.

(٧) قراءة العامة: ﴿القانتين﴾، وقرئ القنطين بدون ألف، ويكون الفعل حينئذ من قنط يقنط كفرح يفرح فهو فرح، وعلى قراءة الجمهور فهو من باب فعل يفعل كضرب يضرب فهو ضارب.

الآيسين . وهنا رد عليهم قائلاً نافياً القنوط عنه لأن القنوط حرام . ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي الكافرون بقدرة الله ورحمته لجهلهم بربهم وصفاته المتجلية في رحمته لهم وإنعامه عليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نعيم الجنة ، وأن نعيمها جسماني روحاني معاً دائم أبداً .
- ٢- صفاء نعيم الجنة من كل ما ينغصه أو يكدره .
- ٣- وعد الله بالمغفرة لمن تاب من أهل الإيمان والتقوى من موحيه .
- ٤- وعيده لأهل معاصيه إذا لم يتوبوا إليه قبل موتهم .
- ٥- مشروعية الضيافة وأنها من خلال البر والكرم .
- ٦- حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ
 إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا تَقَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ
 الْغَيْرِيبِ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
 إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ
 يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ
 وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ
 دَابِرَهُمْ يُوَلَّاءٌ مَّقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

- قال فما خطبكم : أي ما شأنكم؟
 إلى قوم مجرمين : هم قوم لوط عليه السلام .
 إنا لمنجوههم أجمعين : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم .
 الغابرين : أي الباقين في العذاب .
 قوم منكرون : أي لا أعرفكم .
 بما كانوا فيه يمترون : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم
 حيث تؤمرون : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه .
 وقضينا إليه ذلك الأمر : أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف إبراهيم ، وما هو ذا قد سألهم بما أخبر به تعالى عنه بقوله : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾^(١) أي ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى إذ هم ملائكته؟ ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾^(٢) أي على أنفسهم ، وعلى غيرهم وهم اللوطيون لعنهم الله . وقوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط ﴾ أي آل بيته والمؤمنين معه ، ﴿ إنا لمنجوههم أجمعين إلا امرأته قدرنا ﴾ أي قضينا ﴿ إنها لمن الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ، أي قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم . إلى هنا انتهى الحديث مع إبراهيم وانتقلوا إلى مدينة لوط عليه السلام قال تعالى ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ أي انتهوا إليهم ودخلوا عليهم الدار قال لوط عليه السلام لهم ﴿ إنكم قوم منكرون ﴾ أي لا أعرفكم وأجابوه قائلين : نحن رسل ربك جئناك بما كان قومك فيه يمترون أي يشكون وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم ، ﴿ وأتيناك بالحق ﴾ الثابت الذي لا شك فيه ﴿ وإنا لصادقون ﴾ فيما أخبرناك به وهو عذاب قومه المجرمين .

(١) الخطب : الأمر الخطير والشأن العظيم .

(٢) في الكلام إضمار جملة ﴿ لنهلكهم ﴾ فلذا كان الاستثناء إلا آل لوط ، وهم أتباعه وأهل بيته .

(٣) وكتبنا في كتاب المقادير .

وعليه ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي أسر بهم في جزء من الليل، و﴿اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي امشِ وراءهم وهم أمامك ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ بأن ينظر وراءه، أي حتى لا يرى ما يسوءه عند نزول العذاب بالمجرمين، وقوله ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ أي وفرغنا إلى لوط من ذلك، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، أي أنهم مهلكون عن آخرهم في الصباح الباكر ما أن يطلع الصباح حتى تُقلب بهم الأرض ويهلكوا عن آخرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالإجرام وبيان عقوبة المجرمين.
- ٢- لا قيمة للنسب ولا للمصاهرة ولا عبرة بالقرابة إذا فصل الكفر والإجرام بين الأنساب والأقرباء فامرأة لوط هلكت مع الهالكين ولم يشفع لها أنها زوجة نبي ورسول عليه السلام.
- ٣- مشروعية المشي بالليل لقطع المسافات البعيدة.
- ٤- مشروعية مشي المستول وكبير القوم وراء الجيش والقفالة لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلف منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.
- ٥- كراهية الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ولا يلتفت منكم أحد أي: بقلبه.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْتَقُوا

(١) لئلا يتخلف منهم أحد فيهلك مع الهالكين.

(٢) أو نهوا عن الالتفات ليجدوا في السير ويتابعوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح موعداً لهلاك القوم.

(٣) قضينا: قدرنا، وضمن معنى أوحينا فعدي بآلى، والتقدير: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه بما قضينا، وجملة: ﴿وَأَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾. مفسرة لذلك الأمر والإشارة للتحويل.

(٤) ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله، مشرقين أي: داخلين في وقت الإشراق.

اللَّهُ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾
 قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا
 سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
 فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

وجاء أهل المدينة يستبشرون : أي مدينة سدوم ، أي فرحين بإتيانهم الفاحشة .
 واتقوا الله ولا تخزون : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي .
 أولم نهك عن العالمين : أي عن إيجارتك لهم واستضافتك .
 لفى سكرتهم يعمهون : أي غوايتهم وشدة غلثتهم^(١) التي أزال عقولهم ،
 يترددون .

مشرقين : أي وقت شروق الشمس .
 من سجيل : أي طين طُبِخَ بالنار .
 لآيات للمتوسمين : أي الناظرين المعبرين .
 لبسبيل مقيم : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت .
 أصحاب الأيكة : أي قوم شعيب عليه السلام ، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين .
 وإنهما لبإمام مبين : أي قوم لوط ، وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع لوط عليه السلام وضيئه من الملائكة من جهة ، وقوم لوط من جهة .

قال تعالى : ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي مدينة سدوم وأهلها سكانها من اللوطيين ، وقوله ﴿يستبشرون﴾ أي فرحين مسرورين لطمعهم في اتیان الفاحشة . فقال لهم لوط ما أخبر الله تعالى به : ﴿قال إن هؤلاء﴾ يشير إلى الملائكة ﴿ضيفي فلا تفضحن﴾ أي فيه أي بطلبكم الفاحشة ، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه ﴿ولا تخزون﴾ أي تهينوني وتذلوني . فأجابوا بما أخبر تعالى به عنهم : ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي أتقول ما تقول ولم تذكر أنا نهيناك عن استضافة أحد من الناس أو تجيره ، فأجابهم لوط عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه : ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم فاعلين ما أمركم به أو أرشدكم إليه . وقوله تعالى : ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا رسولنا ، إنهم أي قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم التي أذهبت عقولهم فهبطوا إلى درك أسفل من درك الحيوان ، ﴿يعمهون﴾ أي حيارى يترددون . ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام مشرقين مع إشراق الشمس . وقوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي جعلنا عالي المدن سافلها وهو قلبها ظهراً على بطن ، ﴿وأمطرنا عليهم﴾ فوق ذلك ﴿حجارة من سجيل﴾ أي من طين مطبوخ بالنار . . وقوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي إن في ذلك المذكور من تدمير مدن كاملة بما فيها لآيات وعبر وعظات للمتوسمين أي الناظرين نظر تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها . وقوله تعالى : ﴿وإنها لسيبل مقيم﴾ أي وإن تلك القرى الهالكة لطريق ثابت باق يمر به أهل مكة في أسفارهم إلى الشام . وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمؤمنين فلا يقدمون على محارم الله ، ولا يرتكبون معاصيه . وقوله تعالى : ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ . هذه إشارة خاطفة إلى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أصحاب الأيكة ، والأيكة الفيضة من الشجر الملتف . . وكانت منازلهم

(١) هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريعاً له ، وأصل عمرك بضم العين وفتح لكثرة الاستعمال ، وجائز أن يكون القسم بحياة لوط أيضاً ، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجاً بهذا القسم الإلهي فإن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ، فقد أقسم بالشمس وضحاها ، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال : (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي .

(٢) روي أن النبي ﷺ فسر المتوسمين بالمتفرسين إذ قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ : إن في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي واستغربه ، وقيل : للناظرين كما قال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبلية بعثوا إلي عريفهم يتوسم

وأصل التوسم : النظر بتثبت وتفكر وعليه فما ورد في التوسم من النظر والتفرس كله متقارب المعنى .

بها وكانوا مشركين وهو الظلم في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي أهلكناهم بحر شديد يوم الظله وسيأتي الحديث عنهم في سورة الشعراء قال تعالى هناك فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم . وقوله : ﴿وَإِنَهُمَا لَبِإِمَامٍ مَبِينٍ﴾ الإمام الطريق لأن الناس يمشون فيه وهو أمامهم ، ومبين واضح . والضمير في قوله وإنهما عائد على قوم لوط ، وقوم شعيب وهم أصحاب الأيكة لا أصحاب مدين لأنه أرسل إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين ، والطريق طريق قريش إلى الشام ، والقصد من ذكر هذا وعظ قريش وتذكرهم ، فهل يتعظون ويتذكرون؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إهلاك قوم لوط .
- ٢- إنكار الفاحشة وأنها أقبح فاحشة تعرفها الإنسانية هي إتيان الذكور .
- ٣- بيان دفاع لوط عليه السلام عن ضيفه حتى فداهم ببناته .
- ٤- شرف النبي صلى الله عليه وسلم حيث أقسم الله تعالى بحياته في قوله ﴿لَعَمْرُكَ﴾ .
- ٥- الحث على نظر التفكير والإعتبار والتفرس فإنه أنفع للعقل البشري .
- ٦- بيان نعمة الله تعالى من الظالمين للاعتبار والإنتعاظ .
- ٧- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لن تكون إلا عن وحي إلهي .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ

الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَاتُنْهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
 ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
 الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(١) جمع الأيكة وهي جماعة الشجر الأيك ، أو سميت القرية بالأيكة باعتبار الأصل .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

أصحاب الحجر

: هم قوم صالح ومنزلهم بين المدينة النبوية والشام .

وآتيناهم آياتنا

: أي في الناقة وهي أعظم آية .

ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون : من بناء الحصون وجمع الأموال .

الصفح الجميل

: أي أعرض عنهم إغراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

سبعاً من الثماني : هي آيات سورة الفاتحة السبع .

أزواجاً منهم : أي أصنافاً من الكفار .

واخفض جناحك : أي ألن جانبك للمؤمنين .

معنى الآيات :

هذا شروع في موجز قصة أخرى هي قصة أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) وفي هذا موعظة لرسول الله ﷺ إذ كذبه قومه من أهل مكة فليصبر على تكذيبهم فقد كذبت قبلهم أقوام . وقال تعالى ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ولم يكذبوا إلا صالحاً باعتبار أن من كذب رسولا فقد كذب عامة الرسل ، لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده في

(١) لفظ الحجر يطلق على أمور عدّة منها العقل ﴿لذي حجر﴾ والحرام : ﴿حجراً محجوراً﴾ والفرس الاثنى وحجر القميص ، والفتح فيه أولى ، وحجر اسماعيل إزاء الكعبة وديار ثمود : وهو المراد هنا .

الحالتين . وقوله ﴿وَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا معرضين﴾ إن المراد من الآيات القائمة بالناقة منها أنها خرجت من صخرة ، وأنها تشرب ماء البلد يوما ، وأنها تقف أمام كل بيت ليحلب أهلها منها ما شاءوا ، وإعراضهم عنها ، عدم إيمانهم وتوبتهم إلى الله تعالى بعد أن آتاهم ما طلبوا من الآيات . وقوله ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بيوتا﴾ أي كانوا يتخذون بالنحت بيوتا داخل الجبال يسكنوها شتاء آمين من أن تسقط عليهم لقوتها ومن أن ينالهم برد أو حر لوقايتها لهم ، وقوله تعالى ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ وذلك صيحة اليوم الرابع وهو يوم السبت فهلكوا أجمعين ، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المال والعتاد وبناء الحصون بل هلكوا ولم ينج منهم أحد إلا من آمن وعمل صالحاً فقد نجاه الله تعالى مع نبيه صالح عليه السلام . وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي إلا من أجل أن أذكروا شكر ، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فلم يشكرني أهلكته . لأنني لم أخلق هنا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً . وقوله : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي حتماً لا محالة وثُمَّ يُجْزَى كُلٌّ بِمَا كَسَبَ فلا تحزن على قومك ولا تجزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لا بد ، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أي الذي لا جزع معه . وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ خلق كل شيء وعلم بما خلق فعلى كثرة المخلوقات يعلم نياتها ، وأعمالها ، وأحوالها ، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وسيعيدها كما بدأها ويحاسبها ويجزيها بما كسبت . وهذا من شأنه أن يساعد الرسول ﷺ على الصبر والثبات على دعوته حتى ينصرها الله تعالى

- (١) المراد بالآيات : الناقة لأنها تشتمل على عدة آيات ، وجائز أن يكون هناك آيات أخرى أعطيها صالح غير الناقة .
 (٢) النحت : البري والتجر ، يقال نحت ينحته نحتاً إذا براه ، والنحاته : البراية كالنجارة والخشاعة ، والمنحت : آلة النحت ، وقوله : ﴿آمِنِينَ﴾ أي : من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها .
 (٣) ﴿مُصْبِحِينَ﴾ : حال من أخذتهم الصيحة أي : حال كونهم داخلين في الصباح وهو أول النهار ، فالأيام الثلاثة التي قيل لهم : ﴿تَمَتَّعُوا فِيهَا﴾ هي الأربعاء والخميس والجمعة ، وصيحة السبت كان هلاكهم والعياذ بالله من حال الهالكين .
 (٤) صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، وأمر بهرق ما استقوا من بئر ثمود ولقاء ما عجن وخبز منه لأجل أنه ماء سخط فلا يجوز الانتفاع به فراراً من سخط الله تعالى وقال : اعلفوه الإبل ففعلوا) .
 (٥) لآتية : جائية إذ الأيام تنصرم يوماً فيوماً إلى آخر يوم فالساعة الأخيرة لهذه الحياة آتية ، وهي في طريقها .
 (٦) هذا كان قبل الأمر بالجهاد إذ السورة مكية والجهاد فرض في المدينة فالآية منسوخة بمثل قوله تعالى : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية من التوبة المدنية .

في الوقت الذي حدده لها. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ أي أعطيناك سورة الفاتحة^(١) أم القرآن وأعطيناك القرآن العظيم وهو خير عظيم لا يقادر قدره. إذاً ﴿لَا تَمْدَن عَيْنِيكَ﴾ متطلعاً ﴿إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أي أصنافاً من رجالات قريش، فما آتيناك خير مما هم عليه من المال والحال التي يتمتعون فيها بلذيد الطعام والشراب. وقوله: ﴿وَلَا تَخْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن هم لم يؤمنوا بك ولم يتابعوك على ما جئت به، فإن أمرهم إلى الله تعالى، وأمره تعالى أن يلين جانبه لأصحابه المؤمنين فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فحسبك ولاية الله لك فذر المكذبين أولي النعمة، وتعايش مع المؤمنين، ولين جانبك لهم، واعطف عليهم فإن الخير فيهم وليس في أولئك الأغنياء الأثرياء الكفرة الفجرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إذا أراد الله هلاك أمة فإن قوتها المادية لا تغني عنها شيئاً.
- ٢- لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجا، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.
- ٣- بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.
- ٤- بيان أن من أوتي القرآن لم يؤت أحد مثله من الخير قط.
- ٥- فضل الفاتحة إذ هي السبع المثاني.
- ٦- على الدعاة إلى الله أن لا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مالٍ ومتاع، فإن ما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما آتى أولئك من المال والمتاع.
- ٧- استحباب لين الجانب للمؤمنين والعطف عليهم والرحمة لهم.

(١) كون الفاتحة هي السبع المثاني هو قول عليّ وأبي هريرة والحسن وغيرهم ويشهد له الحديث الصحيح: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني). روي عن ابن عباس أنه قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً.

(٢) هذه الآية تدعو إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وعدم الإقبال عليها، والاكتفاء فيها بما أحل الله عمّا حرم وبما تيسر عما تعسر، وفيها: أن من أعطاه الله القرآن وجب عليه أن يشعر بالغنى وعدم الفقر لحديث: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أي: لم يستغن به عن طلب غيره.

وَقُلْ إِنِّي

أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

النذير المبين : السمين النذارة.

على المقتسمين : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه شعر، وقالوا سحر،
وقالوا كهانة.

جعلوا القرآن عِضِينَ : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عِضِينَ جمع عضة وهي
القطعة والجزء من الشيء.

فاصدع بما تؤمر : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك.

يضيّق صدرك بما يقولون : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك.

حتى يأتيك اليقين : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد الرسول ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يكون عليه فأمره تعالى

بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي أعلن لقومك بأنك النذير البين النذارة لكم يا قوم أن ينزل بكم عذاب الله إن أصررتم على الشرك والعناد والكفر، وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾^(٢) انذركم عذاباً كالذي أنزله الله وينزله على المقتسمين الذين قسموا التوراة والإنجيل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود والنصارى، والمقتسمين الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحاً فأنزل الله بهم عقوبته والمقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء فقالوا فيه شعر وسحر وكهانة، المقتسمين الذين قسموا طرق مكة وجعلوها نقاط تفتيش يصدون عن سبيل الله كل من جاء يريد الإسلام وهؤلاء كلهم مقتسمون وحل بهم عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ يقسم الجبار تبارك وتعالى لرسوله أنه ليسألنهم يوم القيامة عما كانوا يعملون ويجزيهم به فلذا لا يهولنك أمرهم واصبر على أذاهم. وقوله ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي أجهز بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما تؤمر ببيانه والدعوة إليه أو التنفير منه، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بهم، وقوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ والمراد بهؤلاء المستهزئين الذين واعد تعالى بكفاية رسوله شرهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث كلهم ماتوا بأفات مختلفة في أمم يسير، عليهم لعائن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ أي من الاستهزاء بك والسخرية، ومن المبالغة في الكفر والعناد فترشدك إلى ما يخفف عنك الألم النفسي ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله ويحمده أي أكثر من هذا الذكر ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين إذ لا سجود إلا في الصلاة أو تلاوة القرآن،^(٣) إذا فافزع عند الضيق إلى الصلاة

(١) في الكلام حذف، وهو لفظ عذاباً. فحذف المفعول لدلالة لفظ النذير عليه أو لكون الكاف في قوله ﴿كما أنزلنا﴾ زائدة ويصح التقدير هكذا:

إنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين أي: من العذاب.

(٢) واحد: (عضين) عضة من عضيت الشيء عضيته أي: فرقته وكل فرقة عضة، وقيل: أصلها عضة، فسقطت الواو، ولذا جمعت على عضين كعزين، إذ واحدها عزة، وذلك أنهم فرقوا كلام الله فجعلوا بعضه سحراً وبعضه شعراً و... و.

(٣) وورد أن النبي ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم...﴾ إلى قوله ﴿يعملون﴾ قال: (عن قول لا إله إلا الله، إذ أبوا أن يقولوها فتمادوا في الكفر والشر والفساد ولو قالوا لما كان لهم سوى الخير والصلاح.

(٤) قضى رسول الله ﷺ فترة من الزمن مستخفياً هو وأصحابه في دار الأرقم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج ﷺ وأعلن الإسلام ودعا إليه جهرة.

(٥) قيل: إن هذه سجدة من سجديات القرآن، والجمهور على أنها ليست سجدة وإنما أرشد الله تعالى رسوله لتفريح همّه وتوسعة صدره مما يسمع ويُقال له أمره بالتسبيح والصلاة وفعل كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فلذا كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة . وقوله : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي واصل العبادة وهي الطاعة في غاية الذل والخضوع لله تعالى حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة ويموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح إيمانه يقيناً محضاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الاختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب .
- ٢- مشروعية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد .
- ٣- فضل التسبيح بجملة : سبحان الله وبحمده ومن قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر في الصحيح .
- ٤- مشروعية صلاة الحاجة فمن حزنه أمر أو ضاق به فليصل صلاة يفرج الله تعالى بها ما به أو يقضي حاجته إن شاء وهو العليم الحكيم . (١)

سُورَةُ النَّحْلِ مكية

وآياتها مائة وثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ

(١) وتسمى أيضاً سورة النعم ، لما عدد تعالى فيها من نعمه على عباده .

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

أتى أمر الله : أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون فلا تستعجلون .
ينزل الملائكة بالروح : أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل .
خلق الإنسان من نطفة : أي قطرة من المني .
دفع ومنافع : أي ما تستدفئون به ، ومنافع من العسل واللبن واللحم والركوب .

حين تريحون : أي حين تردونها من مراحتها .
وحين تسرحون : أي حين إخراجها من مراحتها إلى مسارحها أي الأماكن التي تسرح فيها .
إلا بشق الأنفس : أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة .

معنى الآيات :

لقد استعجل المشركون بمكة العذاب وطالبوا به غير مرة فأنزل الله تعالى قوله : ﴿أتى أمر الله﴾ أي بعذابكم أيها المستعجلون له . لقد دنا منكم وقرب فالنضر بن الحارث القائل : ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو أئتنا بعذاب أليم﴾ ، جاءه بعد سنّيات قلائل فهلك ببدر صبراً ، إلى جهنم ، وعذاب يوم القيامة لمن استعجله قد قرب وقته ولذا عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقرب مجيئه فلا معنى لاستعجاله فلذا قال الله تعالى : ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾

(١) من الجائز أن يراد بـ ﴿أتى أمر الله﴾ القيامة لقول الله تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ وقوله : ﴿اقتربت الساعة﴾ وقول الرسول ﷺ (بعثت والسعة كهاتين وأشار بأصبعيه) .

أي تنزهه وتقدس عما يشركون به من الآلهة الباطلة إذ لا إله حق إلا هو. وقوله ﴿ينزل الملائكة بالروح^(١) من أمره﴾ أي بإرادته وإذنه ﴿على من يشاء من عباده﴾. أي ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على من يشاء من عباده وهو محمد ﷺ وقوله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أي بأن أنذروا أي خوفوا المشركين عاقبة شرهم فإن شرهم باطل سيجر عليهم عذاباً لا طاقة لهم به، لأنه لا إله إلا الله، وكل الآلهة دونه باطلة. إذًا فاتقوا الله بترك الشرك والمعاصي وإلا تعرضتم للعذاب الأليم. في هاتين الآيتين تقرير للوحي والنبوة للنبي ﷺ وتقرير التوحيد أيضاً وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ استدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك فالذي خلق السموات والأرض بقدرته وعلمه وحده دون ما مُعِين له ولا مساعد حق أن يعبد، لا تلك الآلهة الميتة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزهه وتقدس تعالى عما يشركون به من أصنام وأوثان. وقوله: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ أي من أضعف شيء وأحقه قطرة المني خلقه في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً حتى إذا رباه وأصبح رجلاً إذا هو خصم لله يجادل ويعاند، ويقول من يحيى العظام وهي رميم. وقوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون﴾ فهذه مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرحمة وهي الموجبة لعبادته تعالى وترك عبادة ما سواه. فالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم خلقها الله تعالى لبني آدم ولم يخلقها لغيرهم، لهم فيها دفاء إذ يصنعون الملابس والفرش والأغطية من صوف الغنم ووبر الإبل ولهم فيها منافع كاللبن والزبدة والسمن والجبن والنسل حيث تلد كل سنة فيتنفعون بأولادها. ومنها يأكلون اللحوم المختلفة فالمنعم بهذه النعم هو الواجب العبادة دون غيره من سائر

(١) بالروح، أي بالوحي بالنبوة نظيره قوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

(٢) أي: من الأنبياء ومحمد ﷺ إمامهم وخاتمهم وقوله: ﴿أن أنذروا﴾: تفسير لقوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾.

(٣) أمر الله الأنبياء الذين أوحى إليهم بشرعه أن ينذروا المشركين عاقبة الشرك ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بعد نبذ الشرك والعمل الفاسد.

(٤) هذا الإنسان الخصيم هو أي بن خلف الجمحي، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: أتري يحيى الله هذا بعد ما قد رم؟ وفيه نزل: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...﴾ الخ من سورة يس،

(٥) الدفاء: الشيء الذي يدفئ الإنسان، والجمع: ادفاء، ويقال: دفء دفاء ككراهة.

(١) مخلوقاته وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أي منظر حسن جميل حين تريحونها عشية من المرعى إلى المراح ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها صباحاً من مرايحها إلى مراعيها، فهذه لذة روحية ببهجة المنظر. وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ أي إلا بجهد النفس والمشقة العظيمة. فالإبل في الصحراء كالسفن في البحر تحمل الأثقال من بلدٍ إلى بلد وقد تكون المسافة بعيدة لا يصلها الإنسان إلا بشق النفس وبذل الجهد والطاقة، لولا الإبل سفن الصحراء ومثل الإبل الخيل والبغال والحمير في حمل الأثقال. فالخالق لهذه الأنعام هو ربكم لا إله إلا هو فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً (٣) وقوله تعالى: ﴿إن ربكم﴾ أي خالقكم ورازقكم ومربيكم وإلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره لرؤوف رحيم، ومظاهر رحمته ورأفته ظاهره في كل حياة الإنسان فلولا لطف الله بالإنسان ورحمته له لما عاش ساعة في الحياة الدنيا فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قرب يوم القيامة فلا معنى لاستعجاله فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب.
- ٢- تسمية الوحي بالروح من أجل أنه يحيى القلوب، كما يحيى الأجسام بالأرواح.
- ٣- تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر بذكر مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرأفة والرحمة.

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ

وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ

(١) الجمال يكون في الصورة، وهو تناسب أجزائها، ويكون في الأخلاق بأن يكون المرء على صفات محمودة كالعدل والعلم والحكمة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد وجمال الأفعال يكون بملاءمتها لمصالح الخلق نافعة لهم غير ضارة بهم.

(٢) شق النفس: مشقتها، وغاية جهدها وعليه فالشق المشقة، والشق: الجانب من كل شيء.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب الإبل، والحمل عليها لكن لا تحمل أكثر مما تطيق فقد ضرب عمر حملاً وقال: تحمل على بعيرك مالا يطيق. وكان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون يقول له: يادمون لا تخاصمني عند ربك.

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١١﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

- ويخلق ما لا تعلمون : من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر .
 وعلى الله قصد السبيل : أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصده وهي الإسلام .
 ومنها جائر : أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية .
 ومنه شجر : أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات .
 فيه تسيمون : ترعون مواشيكم .
 مسخراتٍ بأمره : أي بإذنه وقدرته .
 وما ذرأ لكم في الأرض : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته
 إذ قال تعالى : ﴿والخيل^(١) والبغال والحمير﴾ أي خلقها وهو خالق كل شيء لعله ركوهم

(١) قيل : واحد الخيل : خاتل ، وقيل : هو اسم جنس لا واحد له ، وهذه الثلاثة : الخيل والبغال والحمير لم تدخل في لفظ الأنعام ، ونصب : (والخيل) على تقدير : (وخلق الخيل) .

إياها إذ قال: ﴿لتركبوها وزينة﴾ أي ولأجل أن تكون زينة لكم في حياتكم وقوله ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ أي مما هو مركوب وغير مركوب من مخلوقات عجيبة ومن المركوب هذه السيارات على اختلافها والطائرات والقطر السريعة والبطيئة هذا كله إفضاله وإنعامه على عباده فهل يليق بهم أن يكفروه ولا يشكروه؟ وهل يليق بهم أن يشركوا في عبادته سواء. وقوله ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾^(٢) ومن إفضاله وإنعامه الموجب لشكره ولعبادته دون غيره أن بين السبيل القاصد الموصل إلى رضاه وهو الإسلام، في حين أن ما عدا الإسلام من سائر الملل كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها سبل جائره عن العدل والقصد سالكوها ضالون غير مهتدين إلى كمال ولا إلى إسعاد هذا معنى قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وقوله ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي لو تعلق بآرادته هداية الناس أجمعين لهداهم أجمعين وذلك لكمال قدرته وعلمه، إلا أن حكمته لم تقتض هداية لكل الناس فهدى من رغب في الهداية وأضل من رغب في الضلال. ومن مظاهر ربوبيته الموجبة لألوهيته أي عبادته ما جاء في الآيات التالية (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) إذ قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾^(٣) تشربون منه وتطهرون، ﴿ومنه﴾ أي من الماء الذي أنزل من السماء شجر^(٤) لأن الشجرة والمراد به هنا سائر النباتات يتوقف وجوده على الماء وقوله ﴿فيه تسيمون﴾^(٥) أي في ذلك النبات ترعون مواشيكم. يقال سام الماشية أي ساقها إلى المرعى ترعى وسامت الماشية أي رعت بنفسها. وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به﴾ أي بما أنزل من السماء من ماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ كالفواكه والخضر على اختلافها إذ كلها متوقفة على الماء. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من نزول الماء وحصول المنافع الكثيرة به

(١) أخذ مالك من قوله تعالى: ﴿لتركبوها وزينة﴾: حرمة أكل لحوم الخيل ووافقه أبو حنيفة، وأجاز الجمهور أكلها لأن الآية لم تحرم شيئاً وإنما ذكرت فائدة من فوائدها وهي الركوب، ومن أدلة الجمهور: الحديث الصحيح من ذلك قول الصحابي نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن لنا في لحوم الخيل). وقال جابر رضي الله عنه: (كنا نأكل لحوم البخل على عهد رسول الله ﷺ). وحديث مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: (فجزرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وأكلناه).

(٢) أي: على الله بيان قصد السبيل، والسبيل هو الإسلام، أي: بيان شرائعه وأحكامه وحكمه ومواعظه بواسطة كتبه ورسوله. وقصد السبيل: استقامته كما أن جائر السبيل: هو الحائد عن الاستقامة.

(٣) الشراب: اسم لما يشرب وذكر للماء النازل من السماء فائدتين. الأولى: الشراب والثانية: إنبات النبات وهما نعمتان.

(٤) لفظ الشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليياً.

(٥) الإسماء: إطلاق الإبل للسم وهو الرعي يقال: سامت الماشية إذا رعت وأسامها: إذا رعاها.

﴿لَايَةٌ﴾ أي علامة واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضية لعبادته وترك عبادة غيره . ولكن ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيتعظون . أما أشباه البهائم الذين لا يفكرون في شيء فلا يجدون آية ولا شبه آية في الكون كله وهم يعيشون فيه . وقوله تعالى : ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل للسكون والراحة ، والنهار للعمل ابتغاء الرزق وتسخيرهما كونهما موجودين باستمرار لا يفترقان أبداً إلى أن يأذن الله بانتهائهما وقوله : ﴿والشمس والقمر﴾ أي سخرهما كذلك للارتفاع بضوء الشمس وحرارتها ، وضوء القمر لمعرفة عدد السنين والحساب ، وقوله ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ ^(١) كذلك ومن فوائد النجوم الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة وجمالاً للسماء التي هي سقف دارنا هذه . . . وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿لآيات﴾ عدة يستدل بها على الخالق وعلى وجوب عبادته وعلى توحيده فيها ، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أي الذين يستخدمون طاقة عقولهم في فهم الأشياء وإدراك أسرارها وحقائقها أما أشباه البهائم والمجانين الذين لا يفكرون ولا يتعقلون ولا يعقلون ، فليس لهم في الكون كله آية واحدة يستدلون بها على ربهم ورحمته بهم وواجب شكره عليهم وقوله تعالى : ﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ أي وما خلق لكم في الأرض من إنسان وحيوان ونبات ﴿مختلفاً ألوانه﴾ وخصائصه وشيانه ومنافعه وآثاره ﴿إن في ذلك﴾ الخلق العجيب ﴿لآيَةٌ﴾ أي دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل ووجوب عبادته وترك عبادة غيره ولكن ﴿لقوم يذكرون﴾ فيتعظون فينتبهون إلى ربهم فيعبدونه وحده بامتثال أمره واجتناب نهيه فيكملون على ذلك ويسعدون في الحياتين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- كون الخيل والبغال والحمير خلقت للركوب والزينة لا ينفي منفعة أخرى فيها وهي أكل

(١) ﴿مسخرات﴾ : أي : مذلات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار ، والاهتداء بالنجوم في الظلمات .

(٢) الذرة : الخلق بالتناسل والتولد بالحمل والتفريخ فليس الإنبات فقط .

(٣) المخلوقات قسمان : قسم منها مسخر مذل كالذباب والأنعام والأشجار ، وقسم غير مذل ولا مسخر ، وشاهد هذا : قول كعب الأحبار : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له وما هن ؟ قال : أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً ويراً .

(٤) ما في الآية : ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ ما يدل على وجوب الزكاة فيها ، وفي الحديث الصحيح : (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) رواه مالك .

لحوم الخيل لثبوت السنة بإباحة لحوم الخيل ، ومنع لحوم البغال والحمير كما في الصحيحين .

٢- الإسلام هو السبيل التي بينها الله تعالى فضلاً منه ورحمة وما عداه فهي سبل جائرة عن العدل والحق

٣- فضيلة التفكير والتذكر والتعقل وذم أضدادها لأن الآيات الكونية كآيات القرآنية إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود وهو معرفة الله تعالى ليعبده بالذكر والشكر وحده دون سواه .

وَهُوَ الَّذِي

سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوَامِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ بِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

حلية تلبسونها : هي اللؤلؤ والمرجان .

مواخر فيه : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبحار اليوم .

(١) تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره وهي نعمة إذ لو شاء الله لسلط البحر على العباد لأغرقهم .

من فضله : أي من فضل الله تعالى بالتجارة .
 أن تميد بكم : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط .
 لا تحصوها : أي عدّاً فتضبطوها فضلاً عن شكرها للمنع بها عز وجل .
 ما تسرون وما تعلنون : من المكر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة ، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سرٍ وعلانية في أي أحد .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى : ﴿ وهو الذي سخر لكم البحر ﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذباً كان أو ملحاً وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه . وقوله ﴿ لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ بيان لعله تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه ، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم . وقوله : ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ أي وترى أيها الناظر الى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجاثية . وقوله : ﴿ ولتبتغوا ﴾ أي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقل البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلك كله من فضل الله وحوله ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ أي كي تشكروا الله تعالى . أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها في مرضاته وقوله : ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ أي ألقى في الأرض جبلاً ثوابت ﴿ أن تميد بكم ﴾ كي لا تميد بكم ، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها . وقوله : ﴿ وأنهاراً ﴾ أي وأجرى لكم أنهاراً في الأرض كالنيل والفرات

(١) قَسَمَ مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي : لحم ذوات الأربع ، ولحم ذوات الريش ، ولحم ذوات الماء ، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلاً أو نسيئة .

(٢) الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله) ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم .

(٣) في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادراً على سكونها دون الجبال ، ومع هذا أرسلها ، وسكنها بالجبال تعليماً لعباده للأخذ بالأسباب ، و﴿رواسي﴾ جمع راس ، على غير قياس ، كفوارس ، وعواذل جمع فارس وعاذل .

وغيرهما ﴿وسبلاً﴾ أي وشق لكم طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى منازلكم في بلادكم وقبور
﴿وعلامات﴾ أي وجعل لكم علامات للطرق وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار وكل
ما يستدل به على الطريق والناحية، وقوله ﴿وبالنجم﴾ أي وبالنجوم^(١) ﴿هم يهتدون﴾
فركاب البحر لا يعرفون وجهة سيرهم في الليل إلا بالنجوم وكذا المسافرون في الصحارى
والوهاد لا يعرفون وجهة سفرهم إلا بالنجوم وذلك قبل وجود آلة البوصلة البحرية ولم توجد
إلا على ضوء النجم وهدايته وقوله في الآية (١٧) ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا
تذكرون﴾ هذا تأنيب عظيم لأولئك الذين يصرون على عبادة الأصنام ويجادلون عليها
ويجادلون فهل عبادة من يخلق ويرزق ويدبر حياة الإنسان وهو الله رب العالمين كعبادة
من لا يخلق ولا يرزق ولا يدير؟ فمن يسوي من العقلاء بين الحي المحي الفعّال لما
يريد واهب الحياة كلها وبين الأحجار والأوثان؟ فلذا وبخهم بقوله ﴿أفلا تذكرون﴾
فتذكرون فتعرفون أن عبادة الأصنام باطلة وأن عبادة الله حق فتتوبوا إلى ربكم وتسلموا له
قبل أن يأتيكم العذاب. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ بعدما عدد في
هذه الآيات من النعم الكثيرة أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدوا نعم الله ما استطاعوا عدّها
فضلاً عن شكرها، ولذا قال ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ولولا أنه كذلك ليؤاخذهم على
تقصيرهم في شكر نعمه عليهم ولَسَلَبَهَا منهم عند كفرها وعدم الاعتراف بالمنعم بها عز
وجل وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ هذه آخر مظاهر القدرة والعلم
والحكمة والنعمة في هذا السياق الكريم فالله وحده يعلم سر الناس وجهرهم فهو يعلم
إذا حاجاتهم وما تتطلبه حياتهم، فإذا عادوه وكفروا به فكيف يأمنون على حياتهم ولما كان
الخطاب في سياق دعوة مشركي مكة إلى الإيمان والتوحيد فالاية إخطار لهم بأن الله عليم
بمكرهم برسوله وتبّيت الشر له وأذاهم له بالنهار. فهي تحمل التهديد والوعيد لكفار
مكة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان العلة في الرزق وأنها الشكر فالله سبحانه وتعالى يرزق ليشكر.

(١) وقد يراد بالنجم: الجدي خاصة لقول الرسول ﷺ لابن عباس وقد سألّه عن النجم فقال له: (هو الجدي عليه قبلكم وبه تهتدون في بركم وبحركم) وكون المراد بالنجم النجوم لقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾.

٢- إباحة أكل الحوت وكل دواب البحر.

٣- لا زكاة في اللؤلؤ والمرجان لأنه من حلية النساء.

٤- المقارنة بين الحي الخلاق العليم، وبين الأصنام الميتة المخلوقة لتقرير بطلان عبادة غير الله تعالى لأن من يَخْلُق ليس كمن لا يَخْلُق.

٥- عجز الإنسان عن شكر نعم الله تعالى يتطلب منه أن يشكر ما يمكنه منها وكلمة (الحمد لله) تعد رأس الشكر والاعتراف بالعجز عن الشكر من الشكر، والشكر صرف النعم فيما من أجله أنعم الله تعالى بها.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُمْ
لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

وهم يخلقون : أي يصورون من الحجارة وغيرها.

وما يشعرون إيان يبعثون : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة . ولا يبعث فيه عابدها من دون الله .

قلوبهم منكراً : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء .

وهم مستكبرون : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون .

لا جرم : أي حقاً .

أساطير الأولين : أي أكاذيب الأولين .

ليحملوا أوزارهم : أي ذنوبهم يوم القيامة .

ألا ساء ما يزرّون : أي بشّ ما يحملون من الأوزار .

معنى الآيات :

في هذا السياق مواجهة صريحة للمشركين بعد تقدم الأدلة على اشراكهم وضلالهم فقلوه تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله﴾ ^(١) أي تعبدونهم أيها المشركون ﴿أموات غير أحياء﴾ أي هم أموات إذ لا حياة لهم ودليل ذلك أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ، وقوله ﴿وما يشعرون أيا ن يعثون﴾ ^(٢) أي لا يعلمون متى يبعثون كما أنكم أنتم أيها العابدون لهم لا تشعرون متى تبعثون . فكيف تصح عبادتهم وهم أموات ولا يعلمون متى يبعثون للاستنطاق والاستجواب والجزاء على الكسب في هذه الحياة ، وقوله ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذه النتيجة العقلية التي لا ينكرها العقلاء وهي أن المعبود واحد لا شريك له ، وهو الله جل جلاله ، إذ هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت ذو الصفات العلاء والأسماء الحسنى ، وما عداه فلا يخلق ولا يرزق ولا يُدبّر ولا يحيي ولا يميت فتأليه سفه وضلال ، وبعد تقرير ألوهية الله تعالى وإثباتها بالمنطق السليم قال تعالى : ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ذكر علة الكفر لدى الكافرين والفساد عند المفسدين وهي تكذيبهم بالبعث الآخر إذ لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا ، فأخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لكل ما يسمعون من الحق الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ وتبينه آيات القرآن الكريم ، وهم مع إنكار قلوبهم لما يسمعون من الحق مستكبرون عن

(١) قرأ عامة القراء ﴿يدعون﴾ بالتاء لأن ما قبله خطاب ، وقرأء عن عاصم وحفص بالياء ، وهي قراءة يعقوب أيضاً .

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيتبرؤون من عبدتها ، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار .

(٣) عبر عنهم بصيغة من يعقل لأن المشركين يزعمون أنها تعقل عنهم وتشفع لهم عند الله تعالى ، وتقربهم إلى الله زلفى .

قبول الحق والإذعان له . وقوله تعالى : ﴿لَا جُرمَ ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين﴾^(١) أي حقاً ان الله يعلم ما يسر أولئك المكذبون بالأخرة وما يعلنون وسيحصى ذلك عليهم ويجزيهم به لا محالة في يوم كانوا به يكذبون . . . ويا للحسرة ويا للندامة !! وهذا الجزاء كان بعذاب النار متسبب عن بغض الله للمستكبرين وعدم حبه لهم ، وقوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾^(٢) يخبر تعالى عن أولئك المنكرة قلوبهم للوحي الإلهي وما جاء به رسول الله هؤلاء المستكبرون كانوا إذا سئلوا عن القرآن من قبل من يريد أن يعرف ممن سمع بالدعوة المحمدية فجاء من بلاد يتعرف عليها قالوا : ﴿أساطير الأولين﴾^(٣) أخبار كاذبة عن الأولين مسطره عند الناس فهو يَحْكِيها ويقول بها ، وبذلك يصرفون عن الإسلام ويصدون عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي تبعة آثامهم وتبعة آثام من صدوهم عن سبيل الله كاملة غير منقوصة يوم القيامة ، وهم لا يعلمون ذلك ولكن الحقيقة هي : انّ من دعا إلى ضلالة كان عليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزار من عملها شيء ، وكذا من دعا إلى هدى^(٤) فله أجر من عمل به من غير أن ينقص من أجر العامل به شيء . وقوله تعالى : ﴿الأساء مايزرون﴾ أي قُبْح الوزر الذي يزرونه فإنه قائدهم إلى النار موبقهم في نار جهنم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بطلان الشرك وتقرير التوحيد .
- ٢- التكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شر وفساد يأتيه العبد .

(١) ﴿لا جرم﴾ : كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً ، يقال : فعلوا كذا وكذا فيجاب بكلمة لا جرم أنهم سيندمون .
 (٢) أي : فهو لا يبيهم ولا يثني عليهم خيراً ، وفي الحديث الصحيح : (إنّ المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطوهم الناس بأقدامهم لتكبرهم) . قالت العلماء : كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبير ، وهو أصل العصيان كله .
 (٣) قيل : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القاتل : أساطير الأولين . والآية تشملته وغيره ممن قال ويقول هذه الكلمات الكاذبة الباطلة .
 (٤) الأساطير : الأباطيل ، والترهات ، و﴿أساطير الأولين﴾ : خبر والمبتدأ الذي أنزله أي : الذي أنزله أساطير الأولين .
 (٥) وفي الصحيح شاهد هذا فقد روى مسلم أنه ﷺ قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) .

- ٣- التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق والإذعان له .
 ٤- بيان اثم وتبعة من يصد عن سبيل الله بصرف الناس عن الإسلام .
 ٥- بيان تبعة من يدعو إلى ضلالة فإنه يتحمل وزر كل من عمل بها .

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَأَنَّ اللَّهَ بَنَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾
 ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
 الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ
 ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ فَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٩﴾ * وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
 ﴿٧٠﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
 مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ
 الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمْ
 اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
 سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

من قبلهم : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره .
 فأتى الله بنيانهم : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من أسسه .
 وخر عليهم السقف : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها .
 كنتم تشاقون فيهم : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه ،
 وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها .

وقال الذين أوتوا العلم : أي الأنبياء والمؤمنون .

ظالمني أنفسهم : بالشرك والمعاصي .

فألقوا السلم : أي استسلموا وانقادوا .

فلبئس مثوى المتكبرين : مثوى المتكبرين : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً .

وقيل للذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي .

للذين أحسنوا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالى .

حسنة : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة .

ولنعم دار المتقين : أي الجنة دار السلام .

طيبين : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح . وبما أبعدها
 عنه من الشرك والمعاصي .

يقولون سلام عليكم : أي يقول لهم ملك الموت «عزرائيل» وأعوانه .

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون .

أو يأتي أمر ربك : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله عز وجل .

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به
 يستهزئون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع كفار قريش في تذكيرهم وتبصرهم بما هم فيه من الجهالة والضلالة. فيقول تعالى : ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أي من قبل مكر كفار قريش وذلك كالنمرود وفرعون وغيرهم من الجبابرة الذين تناولوا على الله عز وجل ومكروا برسلمهم ، فالنمرود ألقى بإبراهيم في النار ، وفرعون قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه . . وقوله : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي أتاه أمر الله بهدمه وإسقاطه على الظلمة الطغاة ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾^(١) . وذهب باطلهم وزال مكرهم . ألم يتعظ بهذا كفر قريش وهم يمكرون بنبيهم ويبتون له سوء بالقتل أو النفي أو الحبس ؟ وقوله تعالى : ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ أي يهينهم ويذلهم ويوبخهم بقوله : ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾^(٢) أي أصنامكم وأوثانكم الذين كنتم تخالفوني بعبادتكم إياهم دوني كما تشاقون أوليائي المؤمنين أي تخالفونهم بذلك وتحاربونهم فيه . وهنا يقول الأشهاد والذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء الربانيين : ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ أي إن الذل والهون والدون على الكافرين . وقوله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ومن جملة المعاصي ترك الهجرة والبقاء بين ظهرائي الكافرين والفساق المجرمين حيث لا يتمكن المؤمن من عبادة الله تعالى بترك المعاصي والقيام بالعبادات . وقوله ﴿فألقوا السلم﴾ أي عند معاينتهم ملك الموت وأعوانه أي استسلموا وانقادوا وحاولوا الاعتذار بالكذب وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فترد عليهم الملائكة قائلين : ﴿بلى﴾ أي كنتم تعملون سوء ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب طبقاتها ﴿خالدين فيها فلبس﴾ جهنم ﴿مثوى﴾ أي مقاماً ومنزلاً ﴿للمتكبرين﴾ عن عبادة الله وحده . وقوله تعالى : ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه في أمره ولا نهيه وأطاعوا رسوله كذلك : ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ أي إذا سألهم من أتى مكة يتعرف على ما بلغه من

(١) أي : من حيث ظنوا أنهم في أمان ، وقال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك الله تعالى بها النمرود الكنعاني .

(٢) قرء ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وبكسرهما على الإضافة ، كما قرأ شركائي ابن كثير : شركاي بفتح الياء وبدون همزة .

(٣) قيل : الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة ويقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين ، ومن بينهم الذين لمأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك .

دعوة الإسلام فيقولون له: ﴿خيراً﴾ أي أنزل خيراً لأن القرآن خير وبالخير نزل بخلاف تلاميذ المشركين يقولون أساطير الأولين كما تقدم في هذا السياق.

كما ذكر تعالى جزاء الكافرين وما يلقونه من العذاب في نار جهنم وهم الذين أساءوا في هذه الحياة الدنيا إلى أنفسهم بشركهم بالله ومكرهم وظلمهم للمؤمنين، ذكر جزاء المحسنين. فقال: ﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات متبعين شرع الله في ذلك فأخلصوا عبادتهم لله تعالى ودعوا الناس إلى عبادة الله وحثوهم على ذلك فكانوا بذلك محسنين لأنفسهم ولغيرهم لهؤلاء الذين أحسنوا في الدنيا ﴿حسنة﴾ وهي الحياة الطيبة حياة الطهر والعزة والكرامة، ولدار الآخرة خيرٌ لهم من دار الدنيا مع ما فيها من حسنة وقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح لتلك الدار الآخرة لما فيها من النعيم المقيم وإضافتها إلى المتقين باعتبار أنهم أهلها الجديرون بها إذ هي خاصة بهم ورثوها بإيمانهم وصالح أعمالهم بتركهم الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون﴾ هو وصف وبيان لدار المتقين فأخبر أنها جنات جمع جنة وهي البستان المشتمل على الأشجار والأنهار والقصور وما لذ وطاب من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمراكب وقوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ هذا نهاية الإكرام والإنعام إذ كون العبد يجد كل ما يشتهي ويطلب هو نعيم لا مزيد عليه وقوله تعالى: ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ أي كهذا الجزاء الحسن العظيم يجزي الله المتقين في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ أي طاهري الأرواح لأرواحهم ريح طيبة ثمرة إيمانهم وصالح أعمالهم ونتيجة بعدهم عما يندس أنفسهم من أضرار الشرك وغفن المعاصي (١) وقوله: ﴿يقولون﴾ أي تقول لهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿سلام عليكم﴾ تحييمهم وفي ذلك بشارة لهم برضا ربهم وجواره الكريم. ﴿ادخلوا الجنة﴾ بأرواحهم اليوم

(١) مع الفتح والنصر والغنائم أيضاً إذ الكل حسنة عظيمة.

(٢) ﴿جنات عدن﴾: بدل من قوله: (دار المتقين).

(٣) طيبين بإيمانهم وعملهم الصالح وبعدهم عن الشرك والمعاصي ووفاتهم أيضاً طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به أرواح أهل الكفر والشرك والفساد.

(٤) قال ابن المبارك: إذا استقنعت نفس العبد المؤمن «أي: اجتمعت في فيه تريد الخروج» جاءه ملك الموت فقال له: السلام عليك وليّ الله الله يقرأ عليك السلام، ثم قرأ هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ الخ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربّك يقرئك السلام.

وبأجسامهم غداً يوم القيامة . وقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه من الطاعات والمسابقة في الخيرات بعد عمل قلوبكم بالإيمان واليقين والحب في الله والبغض فيه عز وجل والرغبة والتوكل عليه . هذا ما تضمنته الآيات (٣١، ٣٢) وأما الآيات بعد ذلك فيقول الله مستبظاً إيمان قريش وتوبتهم بعد تلك الحجج والبراهين والدلائل والبيانات على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعلى الإيمان باليوم الآخر . ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي ما ينظرون بعد هذا إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بإبادتهم واستئصالهم ، إذ لم يبق ما ينتظرونه إلا أحد هذين الأمرين وكلاهما مر وشر لهم . وقوله تعالى : ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم السابقة فحلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فأهلكهم . ﴿وما ظلمهم الله﴾ تعالى في ذلك أبداً ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإصرارهم على الشرك والعناد والمجاهدة والمكابرة ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي جزاء سيئات ﴿ما عملوا﴾ من الكفر والظلم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم وأحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ إذ كانت رسلهم إذا خوفتهم من عذاب الله سخروا منهم واستهزأوا بالعذاب واستخفوا به حتى نزل بهم والعياذ بالله تعالى .

من هداية الآيات :

- ١- سوء عاقبة المكر وأنه يحيق بأهله لا محالة والمراد به المكر السيء .
- ٢- بيان خزي الله تعالى يوم القيامة لأهل الشرك به والمعاصي له ولرسوله .
- ٣- فضل أهل العلم إذ يتخذ منهم شهداء يوم القيامة ويشمتون بأهل النار .
- ٤- بيان استسلام الظلمة عند الموت وانهمامهم وكذبهم .
- ٥- تقرير معتقد البعث والحياة الآخرة بأبرع أسلوب وأحكمه وأمتنه .
- ٦- إطلاق لفظ خير على القرآن وهو حق خير فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله ، فلا ينبغي أن يرى أحداً من أهل الدنيا خيراً منه وإلا سخط نعمة الله تعالى عليه .
- ٧- سعادة الدارين لأهل الإحسان وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان في إيمانهم بالإخلاص وفي إسلامهم بموافقة الشرع ومراقبة الله تعالى في ذلك .

٨- بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.

٩- إعمال القلوب والجوارح سبب في دخول الجنة وليست ثمناً لها لغلائها، وإنما الأعمال تزكي النفس وتطهر الروح وبذلك يتأهل العبد لدخول الجنة.

١٠- ما ينتظر المجرمون بإصرارهم على الظلم والشر والفساد إلا العذاب، عاجلاً أو آجلاً فهو نازل بهم حتماً مقضياً إن لم يبادروا إلى التوبة الصادقة.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُسَبِّحَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات

وقال الذين أشركوا : هم كفار قريش ومشركوها .
 ولا حرمنّا من دونه من شيء : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات .
 فهل على الرُّسل إلا البلاغ : أي ما على الرُّسل إلا البلاغ فلا يستفهم للنفي .
 واجتنبوا الطاغوت : أي عبادة الأصنام والأوثان .
 حقت عليه الضلالة : أي وجبت في علم الله أزلاً .
 جهد أيّمانهم : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم .
 بلى وعداً عليه حقاً : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعداً وأحقه حقاً .
 فهو كائنٌ لا محالة .

يختلفون فيه : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك .
 انهم كانوا كاذبين : أي في قولهم «لا نُبعث بعد الموت» .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحجاج مع مشركي قريش فيقول تعالى مُخبراً عنهم ﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي مع الله آلهة أخرى وهي أصنامهم كهبل واللات والعزى وقالوا لو شاء الله عدم إشراكنا به ما أشركنا نحن ولا آبائنا، ولا حرمنّا من دون تحريمه شيئاً فهل قالوا هذا إيماناً بمشيئة الله تعالى، أو قالوه استهزاء وسخرية دفاعاً عن شركهم وشرعهم الباطل في التحريم والتحليل بالهوى، والأمران محتملان. والرد عليهم بأمرين أولهما ما دام الله قد نهاهم عن الشرك والتشريع فإن ذلك أكبر دليل على تحريمه تعالى لشركهم ومحرماتهم من السوائب والبحائر وغيرها وثانيهما كونه لم يعذبهم عليها بعد ليس دليلاً على رضاه بها بدليل أن من سبقهم من الأمم والشعوب الكافرة قالوا قولتهم هذه محتجين به على باطلهم فلم يلبثوا حتى أخذهم الله، فدل ذلك قطعاً على عدم رضاه بشركهم وشرعهم إذ قال تعالى في سورة الأنعام رداً على هذه الشبهة كذلك قال الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا أي عذاب انتقامنا منهم لما كذبوا رسلنا وافتروا علينا. وقوله تعالى : ﴿كذلك فعل الذين﴾^(١)

(١) الإشارة بذلك إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي : كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسولهم وأهلكهم الله جل جلاله .

من قبلهم ﴿ من الأمم السابقة قالوا قول هؤلاء لرسلمهم وفعلوا فعلهم حتى أخذهم الله بالعذاب. وقوله ﴿فهل^(١) على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول إكراه المشركين على ترك الشرك ولا إلزامهم بالشرع وإنما عليه أن يبلغهم أمر الله تعالى ونهيه لا غير. . فلذا كان في الجملة تسلية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر حتى يبلغ دعوة ربه وينصره على أعدائه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (٣٥) وقوله في الآية الثانية (٣٦) ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فأخبر تعالى بأنه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها. كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسره بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان الى عبادته بالتزيين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق أوليائه من الناس من جهة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي من الأمم المرسل إليهم ﴿من هدى الله﴾ فعرف الحق واعتقده وعمل به فنجا وسعد، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ أزالاً في كتاب المقادير لأنه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحرته فحرمه الله لذلك التوفيق فضل ضلالاً لا أمل في هدايته. وقوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أمر لكفار قريش المجادلين بالباطل المحتجين على شركهم وشرعهم الباطل أمر لهم أن يسيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين أمثالهم من أمة عاد في الجنوب وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب. وقوله تعالى في تسلية رسوله والتخفيف من الهم عنه: ﴿إن تحرص﴾ يا رسولنا

(١) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا جاء الاستثناء بعده أي: ما على الرسل إلا البلاغ، أي: ليس عليهم هداية الخلق إذ لا يملكون ذلك ولم يكلفوا به وإنما كلفوا بالبلاغ والبيان.

(٢) في الآية: ﴿فهل على الرسل...﴾ تسلية للرسول ﷺ وتعليم وفيها أيضاً التعريض بإبلاغ المشركين.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ متضمن بياناً لسنة الله تعالى في إرسال الرسل لاحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر المؤمنين، وهلاك الكافرين المكذبين.

(٤) أولياء الشيطان: هم الكهان ودعاة الضلال الذين يصدون عن سبيل الله بتزيين الباطل وتحسين الشرك والخرافة.

(٥) في هذا رد على القدرية نفاة القدر إذ معنى: ﴿حقت﴾: وجبت له أزالاً في كتاب المقادير.

(١) ﴿على هداهم﴾ أي هدايتهم إلى الحق ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ فخفف على نفسك وهون عليها فلا تأسف ولا تحزن وادع إلى ربك في غير حرص يضر بك وقوله ﴿لا يهدي من يضل﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي من أضله الله ، لأن اضلال الله تعالى يكون على سنن خاصة لا تقبل التبديل ولا التغيير لقوة سلطانه وسعة عمله . وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي وليس لأولئك الضلال الذين أضلهم الله حسب سنته من ناصرين ينصرونهم على ما سينزل بهم من العذاب وما سيحل بهم من خسرانٍ وحرمان . وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ اخبار عن قول المشركين والمعذبين باليوم الآخر أصحاب القلوب المنكرة ، ومعنى ﴿أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي حلفوا أشد الأيمان إذ كانوا في الأمور التافهة يحلفون بألهمتهم وآبائهم . وإذا كان الأمر ذا خطر وشأن أقسموا بالله وبالغوا في الإقسام حتى يبلغوا جهد أيمانهم والمحلف عليه هو أنهم إذا ماتوا لا يبعثون أحياء . فيحاسبون ويجزون فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿بلى﴾ أي تبعثون وعد الله حقاً فلا بد ناجز ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فلذا ينفون البعث وينكرونه لجهلهم بأسرار الكون والحياة وعِلَل الوجود والعمل فيه فلذا أشار الله تعالى إلى بعض تلك العلل في قوله : ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فلولا البعث الآخر ما عرف المُحَقَّق من المَبْطَل في هذه الحياة . والخلاف سائد ودائم بين الناس . هذا أولاً . وثانياً : ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في اعتقاداتهم وأعمالهم ونفيهم الحياة الثانية للجزاء على العمل في دار العمل هذه أما استبعادهم البعث بعد الموت نظراً إلى وسائلهم ووسائلهم الخاصة بهم فقد أخبرهم تعالى بأن الأمر ليس كما تقدرون أنتم وتفكرون : إنه مجرد ما تتعلق إرادتنا بشيء نريد أن يكون ، نقول له كن (١) قرئ في السبع ﴿يُهدي﴾ بضم الياء مبنياً للمجهول وقرئ : ﴿يُهدي﴾ بفتح الياء مبنياً للمعلوم وقراءة لا يهدي هي التي فسر بها في التفسير . وقراءة يهدي ، أي : أن الله إذا كتب على عبد شقاء لا يهديه للخلاص منه . (٢) روي أن رجلاً من المسلمين كان له دين على مشرك فقاضا منه وقال في بعض كلامه : والذي أرجوه بعد الموت ، أنه لكذا وكذا فأقسم المشرك بالله : لا يبعث الله من يموت ، فتزلت الآية . (٣) ذكر القرطبي عن قتادة أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً يزعمون أن علياً مبعوث بعد الموت قبل الساعة يتأولون هذه الآية فقال ابن عباس : كذب أولئك إنما هذه الآية عامة للناس فلو كان علي مبعوثاً قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه . (٤) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (قال الله تعالى كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك) . (٥) أي : في نفيهم البعث وإقسامهم على عدم وقوعه ، وفي إنكارهم التوحيد والنبوة أيضاً .

فيكون فوراً، والبعث الآخر من ذلك. هذا ما دل عليه قوله في الآية (٤٠) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾^(١) ولا يقولن قائل كيف يخاطب غير الموجود فيأمره ليوجد فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً علمه أولاً ثم قال له كن فهو يكون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الرد على شبهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية.
- ٢- تفسير لا إله إلا الله.
- ٣- التحذير من تعمد الضلال وطلبه والحرص عليه فإن من طلب ذلك وأضله الله لا ترجى هدايته.
- ٤- بيان بعض الحكم في البعث الآخر.
- ٥- لا يستعظم على الله خلق شيء وإيجاده، لأنه يوجد بكلمة التكوين فقط.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّثَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ
﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

والذين هاجروا في الله : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرته لدينه وإقامته بين الناس.

(١) قال أهل العلم في الآية دليل على عدم خلق القرآن إذ لو كان مخلوقاً لكان قوله : ﴿كن﴾ مخلوقاً، ولاحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني يحتاج إلى ثالث وتسلسل وهذا محال وفيها دليل على أن الله مرید لجميع الحوادث خيرها وشرها نافعها وضارها، والدليل أن من رأى في سلطانه ما يكرهه ولا يريد فلاحاً شيتين إما لكونه جاهلاً لا يدري وإما لكونه مغلوباً لا يطيق وهذا محال في حقه سبحانه وتعالى وبذلك تأكد أن الله مرید لكل ما يجري من أحداث في الملكوت وحكمته لا يخلو منها شيء.

لنبؤئهم في الدنيا حسنة : أي لننزلهم داراً حسنة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية .

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون : أي على أذى المشركين وهاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم .

فاسألوا أهل الذكر : أي أيها الشاكرون فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل قبله كلهم كانوا بشراً مثله .

بالبينات والزبر : أي أرسلناهم بشراً بالبينات والزبر لهداية الناس .
وأنزلنا إليك الذكر : أي القرآن .

لتبين للناس ما نزل إليهم : علة لإنزال الذكر إذ وظيفة الرسل ، البيان .

معنى الآيات :

إنه بعد اشتداد الأذى على المؤمنين لعناد المشركين وطغيانهم ، أذن الله تعالى على لسان رسوله للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر رجال ونساء فذكر تعالى ثناء عليهم وتشجيعاً على الهجرة من دار الكفر فقال عز وجل ﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي في ذات الله ومن أجل عبادة الله ونصرة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي من قبل المشركين ﴿لنبؤئهم﴾ أي لننزلهم ولنسكنهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ وهي المدينة النبوية ولنرزقهم فيها رزقاً حسناً هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية ، وإلا فكل من هاجر في الله ينجز له الرب هذا الوعد كما قال تعالى : ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ أي في العيش والرزق ﴿ولأجر الآخرة﴾ المعد لمن هاجر في سبيل

(١) ﴿الزبر﴾ : الكتب .

(٢) أي : تركوا الوطن ، والأهل ، والقرابة كما تركوا السيئات . ومعنى : في الله أي : لأجل الله إذ بدار الكفر لا يتمكنون من عبادة الله تعالى فإذا هاجروا تمكنوا فكانت هجرتهم إذاً لله أي لعبادته التي خلقهم من أجلها .

(٣) قيل : نزلت الآية في صهيب وبلال وعمار ، وخباب إذ عذبهم المشركون أشد العذاب حتى هاجروا ، ويدخل في هذا أيضاً أبو جندل وغيره .

الله ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾^(١). هذا ترغيب في الهجرة وتشجيع للمتباطئين على الهجرة وقوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(٢) بيان لحالهم وثناء عليهم بخير لأنهم صبروا أولاً على الأذى في مكة ثم لما أذن لهم بالهجرة هاجروا متوكلين على الله تعالى مفوضين أمورهم إليه، واثقين في وعده. هذا ما دلت عليه الآيتان (٤١)، (٤٢). وأما الآية الثالثة (٤٣) والرابعة من هذا السياق فهما تقرير حقيقة علمية بعد إبطال شبهة المشركين القائلين كيف يرسل الله محمداً رسولاً وهو بشر مثلنا لم لا يرسل ملكاً. . وهو ما أخبر الله تعالى في قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي من الرسل ﴿إلا رجالاً﴾ لا ملائكة ﴿نوحى إليهم﴾ بأمرنا وقوله: ﴿فاسألوا﴾ أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول بشراً، اسألوا أهل الذكر وهو الكتاب^(٣) الأول أي أسألوا علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى يرسل الرسل من غير البشر ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ فإنهم يخبرونكم. وما موسى ولا عيسى إلا بشر، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلنا أولئك الرسل من البشر بالبينات أي الحجج والدلائل الدالة على وجوب عبادتنا وترك عبادة من سوانا. والزبر أي الكتب. ثم يقول تعالى لرسوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وفي هذا تقرير لنبوته ﴿وقوله: ﴿ولعلمهم يتفكرون﴾ فيعرفون صدق ما جئتهم به فيؤمنوا. ويتوبوا إلى ربهم فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الهجرة ووجوبها عند اضطهاد المؤمن وعدم تمكنه من عبادة الله تعالى .
- ٢- وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم .
- ٣- السنة لا غنى عنها لأنها المبينة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه .

(١) هذا صالح لكل من المؤمنين ومعذبيهم، غير أنه في المؤمنين أظهر إذ كان عمر رضي الله عنه إذا أعطى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم يتلو هذه الآية: ﴿ولاجر الآخرة خير لو كانوا يعلمون﴾.

(٢) قال العلماء: خيار المؤمنين من إذا نابه أمر صبر وإذا عجز عن أمر توكل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

(٣) يدخل في أهل الذكر أهل القرآن، وهم علماء هذه الأمة، وبهذا أمر الله تعالى غير العالمين أن يسألوا أهل العلم، وأمر العالمين أن يعلموا ويبينوا ومن كنتم منهم عُذِب.

أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّكُمُ لَرَّوْفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْ لَمَّا يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَنْفِيوْا ظِلَالَهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

- مكروا السيئات : أي مكروا المكرات السيئات فالسيئات وصف للمكرات التي مكروها .
 في تقلبهم : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها .
 على تخوف : أي تنقص .
 يتفيسوا ظلاله : أي تتميل من جهة إلى جهة .
 سجداً لله : أي خضعاً لله كما أراد منهم .
 داخرون : أي صاغرون ذليلون .
 من فوقهم : من أعلى منهم إذ هو تعالى فوق كل شيء ذاتاً وسلطاناً وقهراً .
 ما يؤمرون : أي ما يأمرهم ربهم تعالى به .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تخويف المشركين وتذكيرهم لعلمهم يرجعون بالتوبة من الشرك
 والاحمود للنبوة والبعث والجزاء . قال تعالى : ﴿أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾^(١) المكرات

(١) هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام .

﴿السيئات﴾ من محاولة قتل النبي ﷺ والشرك والتكذيب بالنبوة والبعث وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، أفأمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم فيقرون في أعماقها، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ ولا يتوقعون من ريح عاصف تعصف بهم أو وباء يشملهم أو قحط يذهب بمالهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيين من بلدٍ إلى بلد. ﴿فما هم بمعجزين﴾^(١) له تعالى لو أراد أخذهم وإهلاكهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي^(٢) تنقص بأن يهلكهم واحداً بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يبقى منهم أحداً، وقد أخذ منهم بديرٍ من أخذ وفي أحد. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ تذكير لهم برأفته ورحمته إذ لولا هما لأنزل بهم نقمته وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبة أو إمهال لرجوع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾^(٣) من شجرٍ وجبل وإنسانٍ وحيوان ﴿يتفؤوا ظلاله﴾ بالصباح والمساء ﴿عن اليمين والשמائل﴾ «جمع شمال» ﴿سجداً لله﴾ خضعاً بظلالهم ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون ذليلون. أما يكفيهم ذلك دلالةً على خضوعهم لله وذلتهم بين يديه، فيؤمنوا به ويعبدونه ويوحده فينجوا من عذابه ويفوزوا برحمته. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريد الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحة أو مرض أو خير أو غيره من دابةٍ أي من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض ﴿والملائكة﴾^(٤)

(١) وقد تم لهم وذاقوا مرّاً يوم بدر يقتل صناديدهم وأسرههم.

(٢) أي: بسابقين الله ولا فائتيه.

(٣) التخوف: مصدر لفعل تخوف إذا خاف، ومصدر لتخوف المتعدي الذي بمعنى تنقص، وهو لغة هذيل، فلالية معنيان. الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلاً. والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى وهو واضح المعنى في التفسير.

(٤) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

(٥) أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل ومعنى تنفيء الظلال: ميلانه من جانب إلى جانب ومنه سمي الظل بالعشي فسيء: لأنه فاء من المشرق إلى المغرب أي: رجع، والفيء: الغنائم التي ترجع إلى المسلمين من الكافرين لأنهم أحق بها فرجعت إليهم.

(٦) أي: خاضعون، والدخور: الصغار والذل يقال: دخر الرجل فهو داخر وأدخره الله. قال ذو الرمة:

فلم يبق إلا داخر في مخيس ومنحجر في غير أرضك في حجر

والشاهد في قوله داخر أي خاضع ذليل والمخيس بناء من مدر يسجن فيه

(٧) قيل: المراد بالملائكة: ملائكة الأرض، وخصّهم بالذكر وهم داخلون في عموم ما في السموات وما في الأرض لشرف منزلتهم عند ربهم جلّ جلاله، والملائكة يطهرون ولا يذبن، فلذا أخرجوا أيضاً بالذكر.

على شرفهم يسجدون ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ربهم ﴿ويخافون ربهم من فوقهم﴾ إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته . ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلا يعصون ربهم ما أمرهم . إذا كان هذا حال الملائكة فما بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار والجحود والمكابرة وهم أحقر سائر المخلوقات ، وشر البريات إن بقوا على كفرهم وشركهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة الأمن من مكر الله .

٢- كل شيء ساجد لله ، أي خاضع لما يريد منكم ، إلا أن السجود الطوعي الاختياري هو الذي يثاب عليه العبد ، أما الطاعة اللا إرادية فلا ثواب فيها ولا عقاب .

٣- فضل السجود الطوعي الاختياري .

٤- مشروعية السجود عند هذه الآية : إذا قرأ القارئ أو المستمع : ﴿ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ، عليه أن يسجد إن كان متطهراً إلى القبلة إن أمكن ويسبح في السجود ويكبر في الخفض والرفع ولا يسلم ، ولا يسجد عند طلوع الشمس ولا عند غروبها .

(١)
وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ

أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاءُ أَفْعَارٍ اللَّهُ نَتَقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ

إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ فَمَتَّعُوهُمُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ

(١) جائز أن يكون سكان شرق الجزيرة من العرب قد انتقلت إليهم عقيدة المجوس المبنية على إله الخير وهو يزدان وإله الشر الذي هو أهرمن وذلك لمجاورتهم لحكومة المجوس الممتدة إلى العراق ، ويكون النهي في الآية موجهاً إليهم .

لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۚ تَاللّٰهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لا تتخذوا إلهين : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد .
وله ما في السموات والأرض : أي خلقاً وملكاً ، إذأ فما تعبدونه مع الله هو لله ولم
يأذن بعبادته .
وله الدين واصباً : أي خالصاً دائماً واجباً .
فإليه تجأرون : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبيين الشفاء منه .
فتمتعوا فسوف تعلمون : تهديدٌ على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى .
ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً : أي يجعلون لألهتهم نصيباً من الحرث والأنعام .
عما كنتم تفترون : أي تخلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل .
معنى الآيات :

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطلان الشرك أخبرهم أن الله ربهم رب كل شيء قد
قال لهم : أيها الناس ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ فلفظ اثنين تأكيد للفظ إلهين أي لا تعبدوا
إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين والحال
أنه ﴿ إله واحد ﴾ لا غير وهو الله الخالق الرازق المالك ، ومن عداه من مخلوقاته كيف
نُسَوَّى به وتُعبد معه ؟ وقوله تعالى : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ أي ارهبوني وحدي ولا ترهبوا سواي
إن بيدي كل شيء ، وليس لغيري شيء فأننا المحيي المميت ، الضار النافع ، يوبخهم
على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن يُرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفع
أو يضر . وقوله تعالى : ﴿ وله ما في السموات والأرض ﴾ برهان على بطلان رهبة غيره أو

(١) الرهبة : الخوف ، فمعنى ﴿ فارهبون ﴾ : خافوني ولا تخافوا سواي ، وتقديم المفعول : ﴿ فإياي ﴾ مؤذن بحصر الرهبة في
الله تعالى ونفيها عن سواه .

(٢) في الآية تقرير وحدانية الله تعالى إذ ما في السموات له ، وما في الأرض له فهو إذأ إله واحد وبطل التعدد الذي يراه
المجوس .

الرغبة في سواه ما دام له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً. وقوله ﴿وله الدين واصباً﴾^(١) أي العبادة والطاعة دائماً ثابتاً واجباً، ألا لله الدين الخالص. وقوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ يوبخهم على خوف سواه وهو الذي يجب أن يرهب ويخاف لأنه الملك الحق القادر على إعطاء النعم وسلبها، فكيف يتقى من لا يملك ضرراً ولا نفعاً ويُعصى من يده كل شيء وإليه مرد كل شيء، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن. وقوله: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٢) يخبرهم تعالى بالواقع الذي يتكبرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلّت أو صغرت من صحة أو مالٍ أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقرٍ أو مرضٍ أو تغير حال كخوف غرقٍ في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه﴾ دون غيره ﴿تجأرون﴾ برفع أصواتكم بالدعاء والإستغاثة به سبحانه وتعالى وقوله: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ كبيرٌ منكم يربهم يشركون﴾ فيعبدون غيره بأنواع العبادات متناسين الله الذي كشف ضرهم وأنجاهم من هلكتهم.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾^(٣) أي ليؤول أمرهم إلى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن. أفهكذا يكون الجزاء؟ أينعم بكل أنواع النعم وينجي من كل كرب ثم ينسى له ذلك كله، ويعبد غيره؟ بل ويحارب دينه ورسوله؟ إذاً ﴿فتمتعوا﴾^(٤) أيها الكافرون ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم وإعراضكم عن طاعة الله وذكره وشكره. وقوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ وهذا ذكرٌ لعب آخر من عيوبهم وباطلٍ من باطلهم أنهم يجعلون لأوثانهم التي لا يعلمون عنها شيئاً من نفعٍ أو ضررٍ أو إعطاءٍ أو منعٍ أو إماتةٍ أو إحياءٍ يجعلونها لها طاعةً للشيطان نصيباً وخطأً من أموالهم

(١) لفظ الدين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وصالح لأن يكون الديانة والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) فيه إشارة إلى بطلان إله الخير الذي يدين له المجوس الذين يقولون الخير من إله الخير، والشر من إله الشر.

(٣) وجائز أن تكون اللام: لام كي التعليلية.

(٤) الأمر للتهديد.

يتقربون به إليها فسيبوا لها السوائب، وبحروا لها البحائر من الأنعام، وجعلوا لها من الحرث والغرس كذلك كما جاء ذلك في سورة الأنعام والمائدة قبلها: وقوله تعالى: ﴿تَاللّٰهِ لَئِىْسَ لَّكُمْ تَفْتَرُونَ﴾ أقسم الجبار لهم تهديداً لهم وتوعداً أنهم سيسألون يوم القيامة عما كانوا يفترون أي من هذا التشريع الباطل حيث يحرمون ويحللون ويعطون آلهتهم ما شاءوا وسوف يوبخهم عليه ويجزيهم به جهنم وبئس المهاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده .
- ٢- وجوب الرهبة من الله دون سواه .
- ٣- وجوب الدين لله إذ هو الإله الحق دون غيره .
- ٤- كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى .
- ٥- تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم .
- ٦- التنديد بالمشركين وتشريعهم الباطل بالتحليل والتحریم والإعطاء والمنع .

وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
 وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٧﴾
 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ ﴿٥٨﴾
 أَمْرِيْدُ سُهُ فِي التُّرَابِ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ
 سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ

(١) هذا سؤال توبيخ ويتم في عرصات القيامة أو في النار.

وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ويجعلون لله البنات : إذ قالوا الملائكة بنات الله
ولهم ما يشتهون : أي الذكور من الأولاد .
ظل وجهه مسوداً : أي متغيراً بالسواد لما عليه من كرب .
وهو كظيم : أي ممتلىء بالغم .
أم يدسه في التراب : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الوادئ
مثل السوء : أي الصفة القبيحة .
ولله المثل الأعلى : أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله .
ان لهم الحسنَى : أي الجنة إذ قال بعضهم ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده
للحسنى .
وأنهم مفرطون : أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أخطاء المشركين في اعتقاداتهم وسلوكهم فقال تعالى :
﴿ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون﴾^(١) وهذا من سوء أقوالهم وأقبح
اعتقاداتهم حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات، إذ قالوا الملائكة بنات الله في الوقت الذي
يكرهون نسبة البنات إليهم، حتى إذا بشر أحدهم بأنثى بأن أخبر بأنه ولدت له بنت ظل
نهاره كاملاً في غم وكرب ﴿وجهه مسوداً وهو كظيم﴾^(٢) ممتلىء بالغم والهم . ﴿يتوارى﴾
أي يستتر ويختفي عن أعين الناس خوفاً من المعرفة، وذلك ﴿من سوء ما بشر به﴾ وهو
البنات وهو في ذلك بين أمرين إزاء هذه المباشرة : إما أن يمسكه . أن يقيه في بيته بين

(١) هذه الآية نزلت في خزاعة وكنانة إذ زعموا أن الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون : ألحقوا البنات بالبنات .

(٢) (ما) موصولة، وهو وصلته مبتدأ في محل رفع، والخبر متعلق الجار والمجرور أي : ثابت لهم .

(٣) الكظيم : مشتق من الكظامه وهو شد في القرية، إذا الكظيم هو المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم .

(١)

أولاده ﴿على هون﴾ أي مذلة وهوان، وإما أن ﴿يدسه في التراب﴾ أي يدفنه حياً وهو الواد المعروف عندهم. قال تعالى مندداً بهذا الإجماع: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات لله وتبرئتهم منها، ومن جهة وأد البنات أو إذلالهن، قبح حكمهم الجاهلي هذا من حكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) وهي قوله: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي نزه تعالى نفسه عن الولد والصاحبة فلا ينبغي أن يكون له ولد ذكراً كان أو أنثى لأنه رب كل شيء ومليكه فما الحاجة إلى الولد إذا؟ والآية الثانية (٥٨) وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ ظل وجهه مسوداً أي أقام النهار كله مسود الوجه من الغم ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء بالغم والهم، ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي من البنت ﴿أيمسكه على هون﴾ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴿وقوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم منكروا البعث الآخر لهم المثل السوء أي الصفة السوء وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم لأنهم لا يعملون خيراً ولا يتركون شراً، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء فهؤلاء لهم الصفة السوأى في كل شيء، ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي الصفة الحسنى وهو أنه لا إله إلا الله منزّه عن النقائص رب كل شيء ومالكة، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا شريك له ولا ند له ولا ولد وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف العزة والقهر والغلبة لكل شيء والحكمة العليا في تدبيره وتصريفه شؤون عباده، وحكمه وقضائه لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى في الآية (٦١) ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها﴾ أي على الأرض (١) دسها: إخفاؤها في التراب عن الناس حتى لا تعرف، وفي الحديث: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار يوم القيامة).

(٢) كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدّهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن وكان صمصع بن ناجية عم الفرزدق إذا أحسَّ بشيء من ذلك وجَّه إلى والد البنت إبلا يستحيها بذلك، قال الفرزدق يفتخر: وعسى الذي منع الوائدات فأحى الوئيد فلم يواد

(٣) تكرر شرح هذه الآية في التفسير سهواً وهو غير ضار.

(٤) أي: صفة السوء من الجهل والكفر.

(٥) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عز وجل وقد قال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فالجواب: إن قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه الأمثال التي توجب الأنشابه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا شبيه له ولا نظير.

(٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ هذه الآية: لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فماتت الدواب ولكن الله يأخذ بالعمفو والفضل كما قال ﴿ويعفو عن كثير﴾.

﴿من دابة﴾ أي نسمة تدب على الأرض من إنسان أو حيوان فهذه علة عدم مؤاخذه الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يفسدون ويجرمون وهذا الإهمال تابع لحكم عالية أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي وقت معين محدد قد يكون نهاية عمر كل أحد، وقد يكون نهاية الحياة كلها فإذا جاء ذلك الأجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه أخرى ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة بمثلها وما هو عز وجل بظلام للعبيد.

وآخر آية في هذا السياق (٦٢) تضمنت التنديد بسوء حال الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك أنهم لجهلهم بالله وقبح تصورهم لظلمه نفسوهم أنهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء وسب الرسول وازدراءه، ومع هذا يتبجحون بالكذب بأن لهم الحسنى أي الجنة يوم القيامة. فرد تعالى على هذا الافتراء والهراء السخيف بقوله: ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وصدقاً ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ بدل الجنة ﴿وأنهم مفرطون﴾ إليها مقدمون متروكون فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية في قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾^(١) وإن قرئ مفرطون باسم الفاعل فهم حقاً مفرطون في الشر والفساد والكفر والضلال والانحطاط إلى أبعد حد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان الحال الاجتماعية التي كان عليها المشركون وهي كراهيتهم للبنات خوف العار.
- ٢- بيان جهلهم بالرب تعالى فهم يؤمنون به ويجهلون صفاته حتى نسبوا إليه الولد والشريك.

٣- بيان العلة في ترك الظلمة يتمادون زماناً في الظلم والشر والفساد.

- ٤- بيان سوء اعتقاد الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو أنهم ينسبون إلى نفوسهم الحسنى ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركاء وسب الرسل وامتهانهم.

(١) أفرط يفرط: إذا تقدّم لطلب الماء فهو مفرط وهم مفرطون، وعليه فقوله تعالى: ﴿مفرطون﴾ معناه يتقدمون غيرهم إلى النار وهي قراءة ورش عن نافع وقرأ حفص مفرطون باسم المفعول ومعناه متروكون في النار منسيون فيها.

(٢) مفرطون: اسم فاعل من فرط المضاعف إذا ضيع الحقوق الواجبة عليه.

تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ
 قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
 الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
 وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُؤْذَنُوا
 فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنَاءٍ خَالٍصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

تالله : أي والله .

أرسلنا إلى أمم من قبلك : أي رسلاً .

فزين لهم الشيطان أعمالهم : فكذبوا لذلك الرسل .

فهو وليهم اليوم : أي الشيطان هو وليهم اليوم أي في الدنيا .

إن في ذلك لآية : أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر .

لاية لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وتفهم .

لعبرة : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور .

من بين فرث : أي ثقل الكرث ، أي الروث الموجود في الكرث .

لبناً خالصاً : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم ، لا لونه ولا

رائحته ولا طعمه .

معنى الآيات :

يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله فيقول بالله يا رسولنا ﴿لقد أرسلنا﴾ رسلاً ﴿إلى أمم من قبلك﴾ كانوا مشركين كافرين كأمك ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فقاوموا رسلنا

(١) وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان، لذلك ﴿فهو وليهم اليوم﴾ أي في الدنيا ﴿وليهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾، والسياق الكريم في تسليّة رسول الله ﷺ ولذا قال تعالى في الآية الثانية: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي لإرهاقك وتعذيبك ولكن لأجل أن تبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال. كما أنزلنا الكتاب هدىً يهتدى به المؤمنون إلى سبل سعادتهم ونجاحهم، ورحمةً تحصل لهم بالعمل به عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وحكماً، فيعيشون متراحمين تسودهم الأخوة والمحبة وتغشاهم الرحمة والسلام.

بعد هذه التسليّة لرسول الله ﷺ عاد السياق إلى الدعوة إلى التوحيد وعقيدة البعث والجزاء بعد تقرير النبوة المحمدية بقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ الآية فقال تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها﴾ الماء هو ماء المطر وحياة الأرض بالنبات والزرع بعدما كانت ميتة لا نبات فيها وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها ﴿لآية﴾ واضحة الدلالة قاطعة على وجوده تعالى وقدرته، وعلمه ورحمته كما هو آية على البعث بعد الموت من باب أولى. وقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ (٢) ﴿لعبرة﴾ أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم. . من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره وشكره إلى العلم بذلك والمعرفة به فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا. وبين وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ (٣) أي بطون المذكور من الأنعام ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها. . اللبن يقع بين الفرث والدم،

(١) الشيطان الذي زين للذين كفروا أعمالهم حتى ضلّوا وهلكوا هو وليّ الذين كفروا اليوم يزيّن لهم أعمالهم ليضلّهم فيهلكوا كما هلك من قبلهم، وفي الآية تسليّة للرسول ﷺ.

(٢) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماء أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء والمراد من السماء: السحاب.

(٣) هناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي: كما أنّ الأرض تحيي بماء السماء كذلك الإنسان يحيى بالألبان.

(٤) اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقرة والضأن والمعز والعير: ما يتعظ به ويعتبر.

(٥) البطون: جمع بطن وهو اسم للدجوف الحاوية للجهاز الهضمي كلّ من معدة وكبد وأمعاء.

(٦) ﴿من﴾ زائدة لتوكيد التوسط أي: يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم وموقع: ﴿من بين فرث ودم﴾ موقع الصفة والموصوف: لبناً وقُدِّمت للاهتمام بها.

فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والقرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم وشائبة القرث فلا يرى ذلك في لون اللبن ولا يشم في رائحته ولا يوجد في طعمه بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقاً! انها عبرة من أجل العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ان الله يقسم بنفسه وبما شاء من خلقه.
- ٢- بيان أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سبقت وأن الشيطان زين لها أعمالها فخذلها.
- ٣- تقرير النبوة وتسليية رسول الله ﷺ من جراء ما يلقيه من المشركين.
- ٤- بيان مهمة رسول الله وأنها بيان ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه.
- ٥- بيان كون القرآن الكريم هدى ورحمة للمؤمنين الذين يعملون به.
- ٦- دليل البعث والحياة الثانية احياء الأرض بعد موتها فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
أَنِ اخْذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِّيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ
الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

(١) نحو: «والفجر»، «والتين» وما إلى ذلك إلا أن بعض أهل العلم كمالك يرون أن المقسم به محذوف تقديره: ورب الفجر، ورب التين وهكذا.

شرح الكلمات :

ومن ثمرات النخيل والأعناب : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكرًا أي خمرا ورزقاً حسناً أي والتمر^(١)

والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن

وأوحى ربك الى النحل : أي ألهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالى .

ومما يعرشون : أي يبنون لها .

سبل ربك ذللاً : أي طرق ربك مذلةً فلا يعسر عليك السير فيها ولا

تضلين عنها .

شراب : أي عسل .

فيه شفاء للناس : أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته الى عقار آخر .

إلى أرذل العمر : أي أخسّه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل .

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده والمقررة لعقيدة النبوة والبعث الآخر. قال تعالى في معرض بيان ذلك بأسلوب الامتنان المقتضي للشكر ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا﴾ ورزقاً حسناً أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكرًا أي شراباً مسكرًا. وهذا كان قبل تحريم الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الزبيب والخل من العنب والتمر والدبس العسل من النخل وقوله ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ أي أن فيما ذكرنا لكم لآية أي دلالة واضحة على قدرتنا وعلمنا ورحمتنا لقوم يعقلون الأمور ويدركون نتائج المقدمات، فذو القدرة والعلم والرحمة هو الذي يستحق التأليه والعبادة. . وقوله : ﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ هذا مظهر آخر عظيم من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته يتجلى بإعلامه حشرة

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن، ما أحل من ثمرتيهما، وليست الخمر مقصورة على العنب والتمر فقد خطب عمر وقال: أيها الناس إن الله قد حرم الخمر وهي من خمسة، من العنب والعسل والتمر والخنطة والشعير. والإجماع على أن كل مسكر حرام.

(٢) إن قيل: هذا خبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؟ فالجواب: إن تضمن الخبر حكماً شرعياً جاز نسخه، ومن أدلة ذلك هذا الخبر ونسخه.

النحل كيف تلد العسل وتقدمه للإنسان فيه دواء من كل داء. فقلوه ﴿وأوحى ربك﴾ أيها الرسول ﴿إلى النحل﴾ بأن ألهمها ﴿أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ أيضاً بيوتاً، ﴿ومما يعرشون﴾ أي ومما يعرش الناس لك أي يبنون لك، اتخذ من ذلك بيوتاً لك إذ النحلة تتخذ لها بيتاً داخل العريش الذي يعرش لها تبنيه بما تفرزه من الشمع وقوله تعالى: ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي ألهمها أن تأكل من كل ما تحصل عليه من الثمرات من الأشجار والنباتات أي من أزهارها ونوارها وقوله لها ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾^(١) بإلهام منه تسلك ما سخر لها وذلك من الطرق فتنتقل من مكان إلى آخر تطلب غذاءها ثم تعود الى بيوتها لا تعجز ولا تضل وذلك بتدليل الله تعالى وتسخيرها لها تلك الطرق فلا تجد فيها وعورة ولا تنساها فتخطئها. وقوله تعالى ﴿يخرج من بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ أي عسل يشرب ﴿مختلف ألوانه﴾ ما بين أبيض وأحمر وأسود، أو أبيض مشرب بحمرة أو يضرب إلى صفرة. وقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ أي من الأدوية هذا التذكير في قوله شفاء دال على بعض دون بعض جائز هذا حتى يضم إليه بعض الأدوية أو العقاقير الأخرى، أما مع النية أي أن يشرب بنية الشفاء من المؤمن فإنه شفاء لكل داء وبدون ضمنية أي شيء آخر له. وفي حديث الصحيح وخلاصته أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ استطلاق بطن أخيه أي مشي بطنه عليه فقال له اسقه العسل، فسقاه فعاد فقال ما أراه زاده الا استطلاقاً فعاد فقال مثل ما قال أولاً ثلاث مرات وفي الرابعة أو الثالثة قال له رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه العسل فسقاه فقام كأنما نشط من عقال. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من إلهام الله تعالى للنحل وتعليمها كيف تصنع العسل ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس للدلالة واضحة على

(١) قيل: سمي النحل نحلاً: لأن الله تعالى نحلته العسل الذي خرج منه.

(٢) بيوت النحل في ثلاثة، في الجبال وكواها، ومتجوف الأشجار، وما يعرش لها من الأجباح والخلايا والحيطان، وعرش يعرش: إذا بنى عريشاً من الأغصان والخشب، ومن عجيب ما ألهم الله النحل أنه يجعل بيوته مسدسة الشكل.

(٣) اللفظ صالح لأن يكون لفظ ذلاً المراد به النحلة نفسها وذلل جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة، وصالح أن يكون المراد به الطرق التي تسلكها النحلة كما في التفسير.

(٤) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة.

(٥) بحسب تنوع الغذاء كما أن الطعم يختلف باختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها جربت نحلة العرط حين شبت رائحته برائحة المغافير والعرط شجر الطلح له صمغ كربه الرائحة.

علم الله وقدرته ورحمته وحكمته المقتضية عبادته وحده وتأليه دون سواه ولكن لقوم يتفكرون في الأشياء وتكوينها وأسبابها ونتائجها فيهتدون إلى المطلوب منهم وهو أن يذكروا فيتعظوا فيتوبوا إلى خالقهم ويسلموا له بعبادته وحده دون سواه وقوله تعالى في الآية الأخرى (٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ هذه آية أخرى أجل وأعظم في الدلالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة لعبادته وحده وملزمة بالإيمان بالبعث الآخر فخلق الله تعالى لنا وحده وهو واحد ونحن لا نحصى لنا عد، ثم إمامته لنا موتاً حقيقياً بقبض أرواحنا ولا يستطيع أحد أن لا يموت ولا يتوفى أبداً ثم من مظاهر الحكمة أن يتوفانا من أجالٍ مختلفة اقتضتها الحكمة لبقاء النوع واستمرار الحياة إلى نهايتها. فمن الناس من يموت طفلاً ومنهم من يموت شاباً، وكلها حسب حكمة الابتلاء والتربية الإلهية، وآية أخرى أن منا من يرد إلى أرذل عمره، أي أردأه وأخسّه فيهم ويخرف فيفقد ما كان له من قوة بدنٍ وعقل ولا يستطيع أحد أن يخلصه من ذلك إلا الله، مظهر قدرة ورحمة رأيتم لو شاء الله أن يرد الناس كلهم إلى أرذل العمر ولو في قرنٍ أو قرنين من السنين فكيف تصبح حياة الناس يومئذٍ؟ وقوله: ﴿إن الله عليمٌ قديرٌ﴾ تقرير لعلمه وقدرته، إذ ما نتج وما كان ما ذكره من خلقنا ووفاتنا ورد بعضنا إلى أرذل العمر إلا بقدرة قادر وعلم عالم وهو الله العليم القدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان منة الله تعالى على العباد بذكر بعض أرزاقهم لهم ليشكروا الله على نعمه.
- ٢- بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.

٣- فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكير.

- ٤- تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر الدال عليه القدرة والعلم الإلهيين، إذ من خلق وأمات لا يستنكر منه أن يخلق مرة أخرى ولا يميت.

وَاللَّهُ

فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي

رَزَقَهُمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
 اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ
 الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّهُ أَلْأَمْثَالُ
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

فضل بعضكم على بعض في الرزق : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك
 ومنكم المملوك.

برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين
 مماليكهم من العبيد.

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف
 الرجال.

وحفدة : أي خدماً من زوجه وولد وولد ولد وخادم وختن .

أفبالباطل يؤمنون : أي بعبادة الأصنام يؤمنون .

رزقاً من السموات والأرض : أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض .

معنى الآيات :

ما زال السياق العظيم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد . فقله تعالى : ﴿والله فضل

بعضكم على بعض في الرزق ﴿ فمنكم من أغناه ومنكم من أفقره أيها الناس ﴾ (١) وقد يكون لأحدكم أيها الأغنياء عبيد مملوكين له، لم لا يرضى أن يشرك عبيده في أمواله حتى يكونوا فيها سواء لا فضل لأحدهما على الآخر؟ والجواب أنكم تقولون في استنكار عجيب كيف أسوي مملوكي في رزقي فأصبح وإياه سواء؟ هذا لا يعقل أبداً! إذا كيف جوزتم إشراك آلهتكم في عبادة ربكم وهي مملوكة له تعالى إذ هو خالقها وخالقكم ومالك جميعكم؟ فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون؟ وقوله تعالى ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾؟ حقاً إنهم جحدوا نعمة العقل أولاً فلم يعترفوا بها فلذا لم يفكروا بعقولهم، ثم جحدوا نعمة الله عليهم في خلقهم ورزقهم فلم يعبدوه بذكره وشكره وعبدوا غيره من أصنام وأوثان لا تملك ولا تضر ولا تنفع. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧١) أما الآية الثانية فيقول تعالى فيها مقررًا إنعامه تعالى على المشركين بعد توبيخهم على إهمال عقولهم في الآية الأولى وكفرهم بنعم ربهم فيقول: ﴿ والله ﴾ أي وحده ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ أي جعل لكم من أنفسكم أزواجاً أي بشريّات من جنسكم تسكنون إليهنّ وتتفاهمون معهن وتتعاونون بحكم الجنسية الأدمية وهي نعمة عظيمة، وجعل لكم من أولئك الأزواج بنين بطريق التناسل والولادة وحفدة أيضاً والمراد من الحفدة كل من يحفد أي يسرع في خدمتك وقضاء حاجتك من زوجتك ولدك وولد ولدك وختك أي صهرك، وخادمك إذ الكل يحفدون لك أي يسارعون في خدمتك بتسخير الله تعالى لك، وثالثاً ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أي حلال الطعام والشراب على اختلافه وتنوع مذاقه وطعمه ولذته. هذا هو الله الذي تدعون إلى عبادته وحده فتكفرون فأصبحتم بذلك تؤمنون بالباطل وهي الأصنام

(١) هذا استدلال على قدرة الله وتدبيره وفهرك عباده إذ فضل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلاً عجيبيّاً هذا غني، وهذا فقير، هذا موسر، وهذا معسر فقد يفتقر الذكي القوي ويستغني البليد الضعيف كما قيل:

ومن الدليل على القضاء وكونه يؤس اللبيب وطيب عيش الأحق

والآية متضمنة مثلاً ضربه لعبادة الأصنام، ونظير هذه المثل في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم... ﴾ الخ.

(٢) يريد أن أغنياءهم لا يشاطرون عبيدهم رزقهم فيستووا فيه فكيف يرضون لله مالا يرضونه لأنفسهم كما في قوله: ﴿ ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون ﴾ أي: البنون.

(٣) أي: من نوعكم، ومنّ للابتداء ومنّ في قوله تعالى: ﴿ جعل لكم من أزواجكم ﴾ للتبعض.

(٤) الأزواج: جمع زوج وهو ما يكون مع آخر اثنين.

وعبادتها، وتكفرون بالمنعم ونعمه ولذا استحقوا التوبيخ والتقريع فقال تعالى : ﴿أفبالباطل^(١) يؤمنون وينعمة الله هم يكفرون﴾؟ إذ عدم عبادتهم للمنعم عز وجل هو عين كفرانهم بنعمة الله تعالى . وقوله ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي أصناماً لا تملك لهم ﴿رزقاً من السماء﴾ بإنزال المطر، ﴿والأرض﴾ بإنبات الزروع والثمار شيئاً ولو قللاً ولا يستطيعون شيئاً من ذلك لعجزهم القائم بهم لأنهم تماثيل منحوتة من حجر أو خشب وفي هذا من التنبيه لهم على خطأهم مالا يقادر قدره . وقوله تعالى : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتخاذ الأصنام آلهة بإطلاق لفظ إله عليها، والله لا مثل له ، وباعتقاد أنها شافعة لهم عند الله وأنها تقربهم إليه تعالى ، وأنها واسطة بمثابة الوزير للأمير إلى غير ذلك، فنهاهم عن ضرب هذه الأمثال لله تعالى لأنه عز وجل يعلم أنه لا مثل له ولا مثال ، بل هو الله الذي لا إله إلا هو تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، وهم لا يعلمون فلذا هم متحIRON متخبطون في ظلمات الشرك وأودية الضلال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قطع دابر الشرك في المثل الذي حوته الآية الأولى : ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ .
- ٢- وجوب شكر الله تعالى على نعمه وذلك بذكره وشكره وإخلاص ذلك له .
- ٣- قبح كفر النعم وتجاهل المنعم بترك شكره عليها .
- ٤- التنديد بمن يضربون لله الأمثال وهم لا يعلمون باتخاذ وسائط له تشبيهاً لله تعالى بعباده فهم يتوسطون بالأولياء والأنبياء بدعائهم والاستغاثة بهم بوصفهم مقرين إلى الله تعالى يستجيب لهم ، ولا يستجيب لغيرهم .

(١) الباطل : ضد الحق لأن ما لا يخلق لا يعبد، فإن عُبد فقد عبد بالباطل ، والجملة تحمل توبيخاً كبيراً للمشركين .
 (٢) الأمثال : جمع مثل بفتحيتين بمعنى المماثل كشبه بمعنى مشابه ، ومعنى ضربهم الأمثال لله تعالى : هو أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبهوها بالخالق عز وجل حيث عبدوها بالنذر لها وبالذبح والدعاء والإقسام بها والعكوف حولها .
 (٣) جملة : ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تعليلية لنهيهم عن ضرب الأمثال لله تعالى . فنهيه تعالى لهم عن ضرب الأمثال لعلمه عز وجل أنه لا مثل له ، وأن ما يضربونه له باطل ، وهو تعالى منزّه عنه .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
 مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثَارَ زَقَا حَسَنًا
 فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
 أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
 مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
 يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
 أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ
 أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
 لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ضرب الله مثلاً : أي هو عبداً مملوكاً الخ ..

عبداً مملوكاً : أي ليس بحُرٍّ بل هو عبد مملوك لغيره .

هل يستوون : أي العبيد العجزة والحُر المتصرف ، والجواب : لا يستوون قطعاً .

وضرب الله مثلاً : أي هو رجلين الخ ..

أبكم : أي ولد أخرس وأصم لا يسمع .

لا يقدر على شيء : أي لا يفهم ولا يفهم غيره .

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب فيهما .

وما أمر الساعة : أي أمر قيامها ، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من

مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها .

الأفئدة : أي القلوب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك والتنفير منه وقد تقدم أن الله تعالى جهل المشركين في ضرب الأمثال له وهو لا مثل له ولا نظير، وفي هذا السياق ضرب تعالى مثلين وهو العليم الخبير . فالأول قال فيه : ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ أي غير حر من أحرار الناس، ﴿لا يقدر على شيء﴾ إذ هو مملوك لاحق له في التصرف في مال سيده إلا بإذنه^(١)، فلذا فهو لا يقدر على إعطاء أو منع شيء، هذا طرف المثل، والثاني ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ صالحاً واسعاً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ليلاً ونهاراً لأنه حر التصرف بوصفه مالكاً^(٢) هل يستوون؟^(٣) الجواب لا يستويان . . إذا ﴿الحمد لله بل أكثرهم﴾ لا يعلمون ﴿والمثل مضروب للمؤمن والكافر، فالكافر أسير للأصنام عبدٌ لها لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، لا يعمل في سبيل الله ولا ينفق لأنه لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء فيها، وأما المؤمن فهو حرٌ يعمل بطاعة الله فينفق في سبيل الله سراً وجهراً يبتغي الآخرة والثبوة من الله، ذا علم وإرادة، لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا هو سبحانه وتعالى . وقوله : ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ هو المثل الثاني في هذا السياق وقد حوته الآية الثانية (٧٦) فقال تعالى فيه ﴿وضرب الله مثلاً﴾ هو ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولفظ الأبكم قد يدل على الصمم فالغالب أن الأبكم لا يسمع ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا يفهم غيره لأنه أصم ولا يفهم غيره لأنه أبكم، ﴿وهو كلٌّ على مولاه﴾ أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء . وقوله : ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ أي أينما يوجهه مولاه وابن عمه ليأتي بشيء

(١) هذه الآية منزع الفقهاء في ملكية العبد وعدمها، فذهب مالك إلى أن العبد يملك بإذن سيده، وهو ناقص الملك، وقال أبو حنيفة والشافعي في الجديد: العبد لا يملك شيئاً، وقالوا: الرّق ينافي الملك، وقول الرسول ﷺ: (من أعتق عبداً وله مال) شاهد لمن قال يملك ملكاً ناقصاً.

(٢) لم يقل يستويان لأنَّ مَنْ صالحه للواحد والجماعة.

(٣) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم لأنَّ الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق فلذا الحمد له وحده.

(٤) هذا مثل آخر ضربه تعالى لنفسه وللمؤمن . قاله قتادة وغيره.

(٥) أي : ثقل على وليه وقرباته ووبال على صاحبه وابن عمه .

لا يأتي بخير، وقد يأتي بشر، أم النفع والخير فلا يحصل منه شيء.

وهذا مثل الأصنام التي تعبد من دون الله إذ هي لا تسمع ولا تبصر فلا تفهم ما يقال لها، ولا تفهم عابديها شيئاً وهي محتاجة إليهم في صنْعها ووضعها وحملها وحمايتها. وقوله تعالى ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الله تعالى يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، وهو قائم على كل شيء، وهو على صراطٍ مستقيم يدعو الناس إلى سلوكه لينجوا ويسعدوا في الدارين، فالجواب، لا يستويان بحال، فكيف يرضى المشركون بعبادة وولاية الأَبْكَم الذي لا يقدر على شيء ويتركون عبادة السميع البصير، القوي، القدير، الذي يدعوهم إلى كمالهم وسعادتهم في كلتا حياتهم، أمر يحمل على العجب، ولكن لا عجب مع أقدار الله وتدبير الحكيم العليم.

وقوله تعالى في الآية (٧٧) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ وحده يعلم ما غاب عنا فيهما فهو يعلم من كُتِبَ له السعادة ومن حُكِمَ عليه بالشقاوة، ومن يهتدي ومن لا يهتدي، والجزاء آتٍ بإتيان الساعة ﴿وما أمر الساعة﴾ أي إتيانها ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾^(١) إذ لا يتوقف أمرها إلا على كلمة ﴿كن﴾ فقط فتنتهي هذه الحياة بكل ما فيها، وتأتي الحياة الأخرى وقد تبدلت صور الأشياء كلها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك قيام القيامة، ومجيء الساعة. وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ حقيقة لا تُنكر، الله الذي أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، فأخرجنا، وخرجنا لا نعلم شيئاً قط، هذه آية القدرة الإلهية والعلم الإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك، والجواب لا، لا وثانياً جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لو لا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يومئذٍ، إذ العدم خيرٌ منها. وقوله:

١) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾: اللام لام الملك، والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: الأشياء الغائبة، والغيب ما غاب عن أعين الناس.

(٢) الساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة.

(٣) اللّمْح: النظر بسرعة يقال لمح لمحاً ولمحاناً.

(٤) ليس (أو) للشك وإنما هي بمعنى بل الانتقالية من شيء إلى آخر كقوله ﴿فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

(٥) البطون: جمع بطن وهو ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء والمعدة والكبد والرحم.

(٦) الشكر: الاعتراف بالنعمة لله وحمده عليها وصرفها فيما يرضيه تعالى.

﴿لعلكم تشكرون﴾ كشف كامل عن سر هذه النعمة وهي أنه جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير. . إنه إعداد للسعادة في الدارين. فهل من متذكرا عباد الله؟!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.
- ٢- بيان مثل المؤمن في كماله والكافر في نقصانه.
- ٣- بيان مثل الأصنام في جمودها وتعبدتها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله، ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم وسمعه لدعائهم ونصرتهم في حياتهم وإكرامهم والإنعام عليهم في كلتا حياتهم. ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

الْمَيْرَؤُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ

الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ

وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ

﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم

مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ

الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُم بِأَسَاكِمِكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ كُفِرُوا بِهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

مسخرات في جو السماء : أي مذلات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء .

ما يمسكهن : أي عند قبض أجنتها وبسطها إلا الله تعالى بقدرته وسننه في خلقه .

من بيوتكم سكناً : أي مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة .

من جلود الأنعام بيوتاً : أي خياماً وقباباً .

يوم ظعنكم : أي ارتحالكم في أسفاركم .

أثاثاً ومتاعاً إلي حين : كبسط وأكسية تبلى وتمزق وتُرمى .

ظلالاً ومن الجبال أكنناً : أي ما تستظلون به من حر الشمس ، وما تسكنون به في غيران الجبال .

وسراييل : أي قمصاناً تقيكم الحر والبرد .

وسراييل تقيكم بأسكم : أي دروعاً تقيكم الضرب والطعان في الحرب .

لعلكم تسلمون : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبده وحده .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك وتركه فيقول تعالى : ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات^(١) في جو السماء ما يمسكهن^(٢) إلا الله﴾ فإن في خلق الطير على اختلاف أنواعه وكثرة أفرادها ، وفي طيرانه في جو السماء ، أي في الهواء وكيف يقبض جناحيه وكيف يبسطها ولا يقع على الأرض فمن يمسكه غير الله بما شاء من تدبيره في خلقه وأكوانه إن في ذلك المذكور لآيات عدة تدل على الخالق وقدرته وعلمه وتوجب معرفته

(١) قرء بالتاء : ﴿ألم تروا﴾ وقرء بالياء وهي قراءة الأكثر .

(٢) ﴿مسخرات﴾ : أي : مذلات لأمر الله تعالى ، ومذلات لمنافعكم أيضاً .

(٣) ﴿ما يمسكهن﴾ : أي : في حال القبض والبسط والاصطفاف إلا الله عز وجل .

(٤) ﴿جو السماء﴾ هو الفضاء الذي بين السماء والأرض ، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متصلاً بالقبة الزرقاء فيما يخال الناظر .

والتقرب إليه وطاعته بعبادته وحده، كما تدل على بطلان تأليه غيره وعبادة سواه، وكون الآيات لقوم يؤمنون هو باعتبار أنهم أحياء القلوب يدركون ويفهمون بخلاف الكافرين فإنهم أموات القلوب فلا إدراك ولا فهم لهم، فلم يكن لهم في ذلك آية. . . وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي موضع سكون وراحة، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿بُيُوتًا﴾ أي خياماً وقباباً ﴿تَسْتَخْفُونَهَا﴾ أي تجدونها خفيفة المحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنَكُمْ﴾ أي ارتحالكم في أسفاركم وتنقلاتكم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في مكان واحد كذلك. وقوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ أي جعل لكم منه ﴿أُتَانًا﴾ كالبسطة والفرش والأكسية (متاعاً) أي تتمتعون بها إلى حين بلاها وتمزقها وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من أشياء كثيرة ﴿ظِلَالًا﴾ تستظلون بها من حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(١) تكونون فيها أنفسكم من المطر والبرد أو الحروهي غيران وشروب في الجبال ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ﴾ قمصان ﴿تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ والبرد ﴿وَسُرَابِيلَ﴾ هي الدروع ﴿تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ في الحرب تتقون بها ضرب السيوف وطعن الرماح. أليس الذي جعل لكم هذه كلها أحق بعبادتكم وطاعتكم، وهكذا ﴿يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه لِيُعِدَّكُمْ لِلْإِسْلَامِ فتسلموا. وهنا ويعد هذا البيان الواضح والتذكير البليغ يقول لرسوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عما ذكرتهم به فلا تحزن ولا تأسف إذ ليس عليك هداهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وقد بلغت وبينت. فلا عليك بعد شيء من التبعة والمسؤولية. وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي نعمة الله عليهم كما ذكرناهم بها ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ فيعبدون غير المُنْعَمِ بها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي الجاحدون المكذبون بنبوتك ورسالتك والإسلام الذي جئت به.

(١) ﴿جَعَلَ﴾: بمعنى أوجد وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق عز وجل على العباد، والسكن: مصدر والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن ويتحرك ولو شاء لجعله متحركاً دائماً كالأفلاك في السماء أو جعله كالأرض ساكناً أبداً.
(٢) بعد أن ذكر تعالى السكن في الدور ذكر السكن في البيوت المتنقلة وهي الخيام والقباب.
(٣) في الآية دليل على حلية جلود الميتة ولكن بعد دبعها لحديث: (أَيُّمَا إِهَابٍ دَبِغَ فَقَدْ طَهَرَ).
(٤) الأكنان: جمع كن وهو: ما يكن عن الحر والريح والبرد وهو الغار في الجبل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا يتنفع بالآيات إلا المؤمنون لحياة قلوبهم ، أما الكافرون فهم في ظلمة الكفر لا يرون شيئاً من الآيات ولا يبصرون .
- ٢- مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه تتجلى في هذه الآيات الأربع ومن العجب أن المشركين كالكافرين عمي لا يبصرون شيئاً منها وأكثرهم الكافرون .
- ٣- مهمة الرسول ﷺ ليست هداية القلوب وانما هي بيان الطريق بالبلاغ المبين .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ

﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ

يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَ هُمْ

قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا

إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ

أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيْنَا

هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ❁

شرح الكلمات :

ويوم نبعث

: أي اذكر يوم نبعث.

شهيداً

: هو نبيها.

لا يؤذن للذين كفروا : أي بالاعتذار فيتعذرون.

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى اعتقاد

وقول وعمل ما يرضي الله عنهم.

وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين.

فألقوا إليهم القول

: أي ردوا عليهم قائلين لهم إنكم لكاذبون.

وألقوا إلى الله يومئذ السلم : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.

وضل عنهم ما كانوا يفترون : من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من

عذابه، ومعنى ضل غاب.

عذاباً فوق العذاب : أنه عقارب وحيات كالنخل الطوال والبغال الموكفة.

ونزلنا عليك الكتاب : أي القرآن.

تبياناً لكل شيء : أي لكل ما بالأمّة من حاجة إليه في معرفة الحلال

والحرام والحق والباطل والثواب والعقاب.

معنى الآيات :

انحصر السياق الكريم في هذه الآيات الست في تقرير البعث والجزاء مع النبوة فقوله

تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ﴾ أي اذكر يا رسولنا محمد يوم نبعث ﴿مَنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم

﴿شَهِيداً﴾ هو نبيها الذي نبيء فيها وأرسل إليها ﴿ثُمَّ لَا يَأْذُنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بالاعتذار

فيتعذرون ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يطلب منهم العتبي^(٢) أي الرجوع إلى اعتقاد وقول

وعمل يرضي الله عنهم أي اذكر هذا القومك، عليهم يذكرون فيتعظون، فيتوبون، فينجون

(١) نظير هذه الآية آية النساء : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ . . .﴾ الآية.

(٢) أي : لا يكلّفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يمكنون من الرجوع إلى الدنيا فيتوبون.

(٣) العتبي : الرضا، والفعل : عتب يعتب عليه إذا وجد عليه في نفسه وأعتبه : إذا أزال الموجدة ورجع إلى مسرته وفي الحديث : (لك العتبي حتى ترضى) والعتبي : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب وهو المراد في الحديث.

ويسعدون. وقوله في الآية الثانية (٨٥) ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ أي يوم القيامة (١) ﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي يمهلون. اذكر هذا أيضاً تذكيراً وتعليماً، واذكر لهم ﴿إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ في عرصات القيامة أو في جهنم صاحوا قائلين ﴿رَبَّنَا﴾ أي يا ربنا ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾ أي نعبدهم بدعائهم والاستغاثة بهم، ﴿فَالْقَوْلُ إِيَّاهُمْ الْقَوْلُ﴾ فوراً ﴿إِنْ كُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أي الإستسلام فذلوا لحكمه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من ألوان الكذب والترهات كقولهم هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، وأنهم ينجون من النار بشفاعتهم، وأنهم وسيلتهم إلى الله كل ذلك ضل أي غاب عنهم ولم يعثروا منه على شيء. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ غيرهم بالدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه أحياناً بالترهيب والترغيب ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استوجبوه بكفرهم. ورد أن هذه الزيادة من العذاب أنها عقارب كالبغال الدهم، وأنها حيات كالنخل الطوال والعياذ بالله تعالى من النار وما فيها من أنواع العذاب، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم نبعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ أي يوم القيامة ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي على من أرسلت إليهم من أمتك. فكيف يكون الموقف إذ تشهد على أهل الإيمان بالإيمان وعلى أهل الكفر بالكفر. وعلى أهل التوحيد بالتوحيد، وعلى أهل الشرك بالشرك إنه لموقف صعب تعظم فيه الحسرة وتشدد الندامة. . وقوله تعالى في خطاب رسوله مقررأ نبوته والوحي إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الأمة في حاجة إلى معرفته من الحلال والحرام والأحكام والأدلة ﴿وَهُدًى﴾ من كل ضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ خاصة بالذين يعملون به ويطبقونه على أنفسهم وحياتهم فيكون

(١) أي: عذاب جهنم بالدخول فيها.

(٢) أي: أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، وذلك لأن الله تعالى يبعث معبوديهم فيتعبدونهم حتى يوردوهم النار، روى مسلم: (من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. .) الحديث، وفي الترمذي: (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التماثيل تماثيله ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون).

(٣) الشهداء: هم الأنبياء والعلماء، فالنبي يشهد على أمته والعالم يشهد على من أمره ونهاه ودل هذا على أنه لم تخل فترة من وجود داع إلى الله تقوم به الحجة لله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل (يبعث أمة واحدة). ومثل زيد قس وورقة وسطيح.

(٤) التبيان: مصدر دال على المبالغة في المصدرية وأريد به هنا اسم الفاعل أي: المبين لكل شيء.

رحمة عامة بينهم ﴿وبشرى للمسلمين﴾^(١) أي المنقادين لله في أمره ونهيه بشرى لهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل يوم القيامة، وبالنصر والفوز والكرامة في هذه الدار. وبعد إنزالنا عليك هذا الكتاب فلم يبق من عذر لمن يريد أن يعتذر يوم القيامة ولذا ستكون شهادتك على امتك أعظم شهادة وأكثرها أثراً على نجاة الناجين وهلاك الهالكين ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث الآخر بما لا مزيد عليه لكثرة ألوان العرض لما يجري في ذلك اليوم.
- ٢- براءة الشياطين والأصنام الذين أشركهم الناس في عبادة الله من المشركين بهم والتبرؤ منهم وتكذيبهم.
- ٣- زيادة العذاب لمن دعا إلى الشرك والكفر وحمل الناس على ذلك.
- ٤- لا عذر لأحد بعد أن أنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا

(١) خُصَّ المسلمون دون غيرهم لأنَّ غيرهم أَعْرَضُوا عَنْهُ فحرموا الهدى والرحمة والبشرى في الدارين.

بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
 اللَّهُ بِهِ وَلِيْبَيْنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

- العدل : الإنصاف ومنه التوحيد .
 الإحسان : أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى .
 وإيتاء ذي القربى : أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر .
 عن الفحشاء : الزنا .
 يعظكم : أي يأمركم وينهاكم
 تذكرون : أي تتعظون
 توكيدها : أي تغليظها
 نقضت غزلها : أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته .
 من بعد قوة : أي أحكام له وبرم .
 أنكاثاً : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام .
 كالتي نقضت غزلها : هي حمقاء مكة وتدعى ربطة بنت سعد بن تيم قرشية .
 دخلاً بينكم : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة .
 أربى من أمة : أي أكثر منها عدداً وقوة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبياناً لكل شيء ، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم

(١) ورد في فضل هذه الآية أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال : ما أسلمت ابتداءً إلا حياة من رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال : يا ابن أخي أعد فأعدت فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر .

وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء. ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله، ﴿والإحسان﴾^(١) وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة وإجتنب خوفاً من الله حياء منه، وقوله ﴿وايتاء ذي القربى﴾ أي ذوي القربات حقوقهم من البر والصلة. هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه، ومما ينهى عنه الفحشاء وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ﴿والمنكر﴾ وهو كل ما أنكر الشرع وانكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة، وينهى عن البغي^(٢) وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها، وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا فتمثلوا الأمر وتجتنبوا النهي. وبذلك تكملون وتسعدون. ولذا ورد أن هذه الآية: ﴿أن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾^(٣) إلى ﴿تذكرون﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر. وهي كذلك فما من خير إلا وأمرت به ولا من شرٍ إلا ونهت عنه. وقوله تعالى ﴿وأفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالوفاء بالعهود فعلى كل مؤمن بايع إماماً أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه. «إذ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» كما في الحديث الشريف. . وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان جمع يمين وهو الحلف بالله وتوكيدها تغليظها بالألفاظ الزائدة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ أي وكيلاً، أي أثناء حلفكم به تعالى، فقد جعلتموه وكيلاً، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الالتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية. وقوله

(١) الإحسان مصدر أحسن إحساناً وهو متعدي بنفسه نحو: أحسنت كذا إذا اتقنته وحسنته وجودته، ومتعدي بحرف الجر نحو: أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضره، وكلا المعنيين مراد في الآية وما في حديث جبريل يتناول الأول لأن من راقب الله اتقن عمله وحسنه.

(٢) ورد في البغي: لا ذنب أسرع عقوبة من البغي، واتفق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، والباغي مصروع وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر في قوله: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب ثم بغي عليه ليصرنه الله﴾.

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه الآية: أجمع آية في القرآن لخير يمثل ولشر يجتنب.

(٤) روي أن جماعة رفعت شكوى بعاملها إلى أبي جعفر المنصور فحاجها العامل فغلبها حيث لم يشئوا عليه كبير ظلم ولا جور في شيء، فقام فتى منهم وقال يا أمير المؤمنين: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإنه عدل ولم يحسن فعجب أبو جعفر المنصور من إصابته، وعزل العامل.

(٥) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم (لا حلف في الإسلام وأيما حلفاً كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبين في شريعته.

(٦) أما إذا حلف العبد يميناً فرأى غيرها خيراً منها فإنه ينقض يمينه ويكفر كفارة يمين لقوله ﷺ: (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني).

تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها . وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضْتَ غَزْلَهَا﴾ ، وهي امرأة بمكة ^(١) حمقاء تغزل ثم تنكث ^(٢) غزلها وتفسده بعد إبرامه وإحكامه فهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء . وقوله تعالى : ﴿تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها ، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتتفعون بها أكثر . هذا معنى قوله تعالى ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالاً ومنافع . وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها ، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتركوا ذلك طاعة لربكم أولاً تفعلوا إيثاراً للدنيا عن الآخرة ، ﴿وَلَيَبْيِنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . . وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على التوحيد والهداية لفعل . . ولكن اقتضت حكمته العالية أن يهدي من يشاء هدايته لأنه رغب فيها وطلبها ، ويضل من يشاء إضلاله ^(٣) لأنه رغب في الضلال وطلبه وأصر عليه بعد النهي عنه . وقوله تعالى : ﴿لَتَسْأَلَنَّ﴾ أي سؤال توبيخ وتأنيب ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من سوء وباطل ، ولأزم ذلك الجزاء العادل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها وهم لا يظلمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أجمع آية للخير والشر في القرآن وهي آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . .﴾ الآية (٩٠) .

٢- وجوب العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة .

(١) هذه الجملة ذكرت علةً لتحريم نقض العهد فهي تحمل وعيداً شديداً وتهديداً كبيراً لمن ينقض العهد .
(٢) يقال لها ربطة بنت عمر وكانت تغزل طول النهار ، وفي المساء إذا غضبت لحمقها تحل ما أبرمت من غزلها ، فهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا كهذه الحمقاء فيحلون ما يبرمون من عقود وعهود .
(٣) النكث والجمع أنكاث : وهو النقض والحل بعد الإبرام .
(٤) اللام دالة على قسم محذوف نحو : ﴿وَاللَّهِ لَتَسْأَلَنَّ﴾ .

- ٣- تحريم الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة .
- ٤- تحريم البغي وهو الظلم بجميع صورته وأشكاله .
- ٥- وجوب الوفاء بالعهود وحرمة نقضها .
- ٦- حرمة نقض الأيمان بعد توكيدها وتوطين النفس عليها لتخرج لغو اليمين .
- ٧- من بايع أميراً أو عامداً أحداً يجب عليه الوفاء ولا يجوز النقض والنكث لمنافع دنيوية أبداً .

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

دخلاً بينكم : أي لأجل الإفساد والخديعة .

وتذوقوا السوء : أي العذاب .

ما عندكم ينفد : يفتنى ويستهوى .

وهو مؤمن : أي والحال أنه عندما عمل صالحاً كان مؤمناً، إذ بدون إيمان

لا عمل يقبل .

حياة طيبة : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال وفي الآخرة هي حياة الجنة .

بأحسن ما كانوا يعملون : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسننها وأحسنها بحسب
الأحسن فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تربية المؤمنين أهل القرآن الذي هو تبيان كل شيء وهدى ورحمة ويشرى للمسلمين . وقال تعالى لهم ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾ أي خديعة ﴿بينكم﴾ لتوصلوا بالإيمان إلى غرضٍ دنيوي سافل ، ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ بأن يقع أحدكم في كبيرة من هذا النوع ، يحلف بالله بقصد الخداع والتضليل فتذوقوا السوء في الدنيا بسبب صدكم عن سبيل الله من تعاهدونهم أو تباعونهم وتعطونهم أيمانكم وعهودكم ثم تنقضوها فهؤلاء ينصرفون عن الإسلام ويعرضون عنه بسبب ما رأوا منكم من النقض والنكث ، وتحملون وزر ذلك ، ويكون لكم العذاب العظيم يوم القيامة . فإياكم والوقوع في مثل هذه الورطة ، فاحذروا أن تزل قدم أحدكم عن الإسلام بعد أن رسخت فيه . وقوله : ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ وكل ما في الدنيا قليل وقوله تعالى إنا مع الله هو خير لكم قطعاً ، لأن ما عندكم من مالٍ أو متاعٍ ينفد أي يفنى ، ﴿وما عند الله باق﴾ لا نفاذ له ، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني ، وقوله تعالى : ﴿ولنجزي الذين صبروا﴾ على عهودهم ﴿أجرهم﴾ على صبرهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي يضاعف لهم الأجر فيعطيه سائر أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب أفضلها وأكملها حتى يكون أجر النافلة ، كأجر الفريضة وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه وإسلامه ولا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل ، ووعدٌ ثانٍ في قوله : ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ إلا أن أصحاب هذا الوعد هم أهل الإيمان والعمل الصالح ، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح ، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي ، هؤلاء وعدهم ربهم بأنه يحييهم في الدنيا حياة طيبة لا خبث فيها قناعة وطيب طعام وشراب ورضا ، هذا في

(١) هذه الجملة دلت على المبالغة في النهي اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ، إذ مَنْ وقع في ورطة يقال : زلت قدمه لأنَّ القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر .

(٢) نهى تعالى المؤمنين عن الرِّشَا وأخذ الأموال على نقض العهد أي : لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا . روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي اختصم مع ابن أسوع في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فلما سمع هذه الآية نكل وأقر لخصمه بالأرض .

(٣) اختلف في معنى الحياة الطيبة فقال بعضهم : هي الرزق الحلال ، وقيل : هي القناعة وقيل : التوفيق إلى الطاعة الموجبة لرضوان الله تعالى ، وقيل : هي حلاوة الطاعة ، وقيل هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله .

(٤) روى مسلم قول رسول الله ﷺ : (قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) .

الدنيا وفي الآخرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع ، من الصلاة كأفضل صلاة وفي الصدقات بأفضل صدقة وهكذا . ﴿ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ اللهم اجعلنا منهم واحشرونا في زمرة من آمننا وعدهم إنك برّ رحيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغش والخديعة والإفساد .
- ٢- ما عند الله خير مما يحصل عليه الإنسان بمعصيته الرحمن من حطام الدنيا .
- ٣- عظم أجر الصبر على طاعة الله تعالى فعلاً وتركاً .
- ٤- وعد الصدق لمن آمن وعمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ

عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا

سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ

﴿٢٠﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

فإذا قرأت القرآن : أي أردت أن تقرأ القرآن .

فاستعذ بالله من الشيطان : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لحمايتك من وسواسه .

إنه ليس له سلطان : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم ، ما داموا

متوكلين على الله .

وإذا بدلنا آية مكان آية : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد .

قل نزل به روح القدس : أي جبريل عليه السلام .

ليثبت الذين آمنوا أي على إيمانهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هداية المسلمين وتكميلهم ، فقوله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ يا محمد أنت أو أحد من المؤمنين أتباعك ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي إذا كنت قارئاً عازماً على القراءة فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإن ذلك يقيك من وسواسه الذي قد يفسد عليك تلاوتك ، وقوله انه ليس للشيطان سلطان يعني تسلط وغلبة وقهر ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهذه بشرى خيرة للمؤمنين ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ بطاعته والعمل بتزيينه للشر والباطل ، ﴿والذين هم به مشركون﴾ . هؤلاء هم الذين يتسلط الشيطان عليهم فيغويهم ويضلهم حتى يهلكهم . وقوله تعالى : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ أي نسخنا حكماً بحكم آخر بآية أخرى قال المشركون المكذبون بالوحي الإلهي ﴿إنما أنت﴾ يا محمد ﴿مفتري﴾ تقول بالكذب والخرص ، أي يقول اليوم شيئاً ويقول غداً خلافه . وقوله تعالى : ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ فإنه ينزل لمصلحة عباده فينسخ ويثبت لأجل مصالح المؤمنين . وعلم الله تعالى رسوله كيف يرد على هذه الشبهة وقال له ﴿قل نزل به روح القدس من ربك بالحق﴾ فلست أنت الذي تقول ما تشاء وإنما هو وحي الله وكلامه ينزل به جبريل عليه السلام من عند ربك بالحق الثابت عند الله الذي لا يتبدل ولا يتغير ، وذلك لفائدة تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وإسلامهم .

(١) هذه كآية الرضوء : ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ . أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير وضوء فاغسلوا وجوهكم أي : توضؤوا .

(٢) لقد صحت الأحاديث الكثيرة في أنَّ النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة روي أن بعض السلف كان يتعوذ بعد القراءة أخذاً بهذه الآية .

(٣) فائدة الاستعاذة قبل القراءة أن يحفظ المرء من أن يلبس عليه إبليس قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر .

(٤) قيل في قوله تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان﴾ : أي أنه لا يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه .

(٥) الضمير في ﴿به﴾ عائد إلى الشيطان ويصح عوده على الله تعالى .

(٦) روح القدس : جبريل عليه السلام : ﴿فقد نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه ما عدا الفاتحة فقد نزل بها ملك لم ينزل إلى الأرض قط﴾ رواه مسلم .

فكلما نزل قرآن ازداد المؤمنون إيماناً فهو كالغيث ينزل على الأرض كلما نزل ازدادت حياتها نضرة وبهجة فكذلك نزول القرآن تحيا به قلوب المؤمنين، وهو أي القرآن هدى من كل ضلالة. وبشرى لكل المسلمين بفلاح الدنيا وفوز الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- ٢- بيان أنه لا تسلط للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم.
- ٣- بيان أن سلطان الشيطان على أوليائه العاملين بطاعته المشركين بربهم.
- ٤- بيان أن القرآن فيه الناسخ والمنسوخ.
- ٥- بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾
 الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

- بشر : يعنون قيناً (حداداً) نصرانياً في مكة .
 لسان الذي يلحدون إليه : أي يميلون إليه .
 وهذا لسان عربي : أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي .
 إلا من أكره : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به .
 ولكن من شرح بالكفر صدرا : أي فتح صدره الكفر وشرحه له فطابت نفسه له .
 وأولئك هم الغافلون : أي عما يراد بهم .
 لا جرم : أي حقاً .
 هم الخاسرون : أي لمصيرهم ^(١) إلى النار خالدين فيها أبداً .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء فقال تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ أي يعلم محمداً بشر أي انسان من الناس ، لأنه وحي يتلقاه من الله . قال تعالى في الرد على هذه الفرية وإبطالها ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه بأنه هو الذي يعلم محمد لسانه ﴿أعجمي﴾ ^(٢) لأنه عبد رومي ، ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو فصاحة وبلاغة وبيان فكيف

(١) أي : لكون مصيرهم إلى النار وأبى خسران أعظم من خسران من دخل النار فخرس نفسه وأهله قال تعالى فيه : ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ .

(٢) اختلف في تعيين هذا الرجل ف قيل : اسمه جبر ويكنى بأبي فكيهة ، وقيل : اسمه عايش ، وقيل : اسمه يعيش وكان رومياً وكان صيقلياً يشحذ السيوف ويحليها وكان يجلس إليه النبي ﷺ أحياناً فقالوا قولتهم هذه .

(٣) المعجمة : الإخفاء وضد البيان ورجل أعجم وامرأة عجماء أي لا يفصح ولا يبين ومنه عجب الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة والأعجمى من لا يتكلم العربية .

يتفق هذا مع ما يقولون انهم يكذبون لا غير، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهي نورٌ وهدى وحججٌ قواطع، وبرهان ساطع ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ إلى معرفة الحق وسبيل الرشd لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية وصدوا عن سبيل العرفان وقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي جزاء كفرهم بآيات الله. وقوله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي إنما يخلق الكذب ويكذب فعلاً الكافر بآيات الله لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنع شيء عن الكذب، أما المؤمن فإنه يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب فلذا هو لا يكذب أبداً، وبذا تعين أن النبي لم يفتر الكذب وإنما يفترى الكذب أولئك المكذبون بآيات الله وهم حقاً الكاذبون. وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾^(١) على التلغظ بالكفر ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لا يخامرهُ شك ولا يجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة الكفر لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن له الرسول ﷺ بقولها بلسانه ولكن المستحق للععيد الآتي ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي رضي بالكفر وطابت نفسه وهذا وأمثاله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي باءوا بغضب الله وسخطه ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعلل تعالى لهذا الجزاء العظيم بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ بكفرهم بالله وعدم إيمانهم به لما في ذلك من التحرر من العبادات، فلا طاعة ولا حلال ولا حرام. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يحرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفهمون. ﴿وَسَمِعَهُمْ﴾ فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاة إلى

(١) هذا جواب وصفهم النبي ﷺ بالكذب فأعلم تعالى أن الذي يفترى الكذب هو الكافر بآيات الله الكاذب الذي لا يعرف الصدق أبداً.

(٢) قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾: عائد إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾: نزلت في عمار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب أن يقول بعض ما طلبوه منه فرفع تعالى عنه الحرج وقال له الرسول ﷺ (أعظمهم يا عمار) وهو تحت العذاب وقال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه) واستثنى أهل العلم من أكراه على قتل مؤمن أنه لا يقتله، ولكن المقتول ولا يقتل فلا يفقد نفسه بأخيه حتى مجرد الضرب لا يضربه.

(٣) أهل العلم على أن المكروه على الطلاق وعلى الحلف وعلى الحنث أنه لا شيء فيه.

الله تعالى ﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾ فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإيثار الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أي ما خلقوا له، وعما يراد لهم من نكال في الآخرة وعذاب أليم. وقوله تعالى ﴿لَا جُرْمَ﴾ أي حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمة توجه إلى رسول الله ﷺ.
- ٢- المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.
- ٣- المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً.
- ٤- الرخصة^(١) في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.
- ٥- إيثار الدنيا على الآخرة طريق الكفر وسبيل الضلال والهلاك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ

لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ

(١) وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرباً فلا يلزمه شيء لحديث: (رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره إبراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذب ثم أطلق الأسرى، وقبّل عمر رضي الله عنه رأسه إكراماً له واعتراًفاً بفضل له لأن ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تقبيل رأسه فقبّله.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
 مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

هاجروا : أي إلى المدينة.

من بعدما فتنوا : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.

إن ربك من بعدها : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد.

لغفورٌ رحيم : أي غفورٌ لهم رحيم بهم.

يوم تأتي : أي اذكريا محمد يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها.

مثلاً قرية : هي مكة.

رزقها رغداً : أي واسعاً.

فكفرت بأنعم الله : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

فأذاقها الله لباس الجوع : أي بسبب قحطٍ أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

والخوف : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم.

معنى الآيات :

بعدما ذكر الله تعالى رخصة كلمة الكفر عند الإكراه وبشرط عدم انشراح الصدر بالكفر
 ذكر مخبراً عن بعض المؤمنين، تخلفوا عن الهجرة بعد رسول الله ﷺ فلما أرادوا الهجرة
 منعهم قريش وعذبته حتى قالوا كلمة الكفر، ثم تمكنوا من الهجرة فهاجروا وجاهدوا

وصبروا فأخبر الله تعالى عنهم بأنه لهم مغفرته ورحمته، فلا يخافون ولا يحزنون فقال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا﴾ أي عَذَّبُوا ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي غفورٌ لهم رحيمٌ بهم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ أي اذكر ذلك واعظاً به المؤمنين أي تخاصم طالبة النجاة لنفسها ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي من خيرٍ أو شرٍ ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأن الله عدلٌ لا يجور في الحكم ولا يظلم. وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي هوقرية ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ من غارات الأعداء ﴿مطمئنة﴾ لا يتابها فزعٌ ولا خوف، لما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ حيث يأتيتها من الشام واليمن في رحلتيهما في الصيف والشتاء ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ﴾ وهي تكذيبها برسول الله ﷺ وإنكارها للتوحيد، وإصرارها على الشرك وحرب الإسلام ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فدعا عليهم الرسول اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف السبع الشداد، فأصابهم القحط سبع سنوات فجاءوا حتى أكلوا الجيف والعهن، وأذاقها لباس الخوف إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها بل تغزوها في عقر دارها، وقوله تعالى ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي جحدوا رسالته وانكروا نبوته وحاربوا دعوته ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عذاب الجوع والخوف والحال أنهم ﴿ظَالِمُونَ﴾ أي مشركون وظالمون لأنفسهم حيث عرضوها

(١) لما كانت الهجرة لله ولرسوله ﷺ قرن الله تعالى اسمه مع اسم نبيه ﷺ فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ أي بمغفرته ورحمته للذين هاجروا.

(٢) هاجروا أولاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية.

(٣) أي: من بعد الحال التي كانت أيام تعذيبهم وفتنتهم على يد المشركين.

(٤) جائز أن يكون الظرف متعلقاً بقوله: ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وجائز أن يكون معمولاً لفعل محذوف تقديره: اذكر ومعنى تجادل: تخاصم وتحتاج عن نفسها وفي الحديث: (أَنْ كُلَّ نَفْسٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي) لشدة الهول.

(٥) هي مكة وكان النبي ﷺ قد دعا على أهلها فقال: (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.

(٦) من البر والبحر، هذا كقوله تعالى: ﴿يَجِيءُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

(٧) وقيل: إِنَّ الْقَرْيَةَ هَذِهِ هِيَ الْمَدِينَةُ قَالَتْ هَذَا حَفْصَةُ وَعَاشَةُ زَوْجَتَا الرَّسُولِ ﷺ وذلك لما قتل عثمان واشتد البلاء بأهل المدينة وعموم الآية ظاهر، وكونها مكة أظهر.

بكفرهم إلى عذاب الجوع والخوف .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- فضل الهجرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا .

٢- وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثوابٍ وعقابٍ للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة .

٣- استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم .

٤- كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها .

٥- تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب .

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا

وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا

أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّنُّكُمْ

الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ

إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا قَصَصْنَا عَلَيْكَ

مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

فكلوا : أي أيها الناس .

حلالاً طيباً : أي غير حرام ولا مستقذر .

واشكروا نعمة الله عليكم : أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم .

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم .

الميتة : أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية .
والدم : أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم .

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى .

غير باغٍ ولا عاد : أي غير باغٍ على أحد، ولا عادٍ أي متجاوز حد الضرورة .
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب : أي لا تحللوا ولا تحرموا بالسنتكم كذباً على الله فتقولوا هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالى .

وعلى الذين هادوا : أي اليهود .

حرمانا ما قصصنا عليك من قبل : أي في سورة الأنعام .

معنى الآيات :

امتن الله عز وجل على عباده، فأذن لهم أن يأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب ويشكروه على ذلك بعبادته وحده وهذا شأن من يعبد الله تعالى وحده، فإنه يشكره على ما أنعم به عليه، وقوله تعالى : ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ فلا تحرموا ما لم يحرم عليكم كالسائبة والبحيرة والوصيلة التي حرمها المشركون افتراء على الله وكذباً . وقوله ﴿فمن اضطر﴾ منكم أي خاف على نفسه ضرر الهلاك بالموت لشدة الجوع وكان ﴿غير باغٍ﴾ على أحد ولا معتدٍ ما أحل له إلى ما حرم عليه

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة : ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ لتمييز الطيب من الخبيث وذكر تعالى هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلا أن هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها : المنخقة، والموقودة، والمتردية، والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فالخمس الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله .

فليأكل ما يدفع به غائلة الجوع ولا إثم عليه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فيغفر للمضطر كما يغفر للتائب ويرحم المضطر فيأذن له في الأكل دفعا للضرر رحمة به كما يرحم من أناب إليه .

وقوله : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ أي ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلال أو حرام لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام كما يفعل المشركون فحللوا وحرّموا بدون وحي إلهي ولا شرع سماوي . ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك إلى الافتراء على الله والكذب عليه . مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبداً لقوله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل﴾^(١) وإن تمتعوا قليلاً في الدنيا بمالٍ أو ولد أو عزة وسلطان فإن ذلك متاع قليل جداً ولا يعتبر صاحبه مفلحاً ولا فائزاً . فإن وراء ذلك العذاب الآخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع . وقوله تعالى : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يخاطب الله تعالى رسوله فيقول : كما حرمنا على هذه الأمة المسلمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، حرمنا على اليهود ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام . إذ قال تعالى ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾ . وحرّم هذا الذي حرّم عليهم بسبب ظلمٍ منهم فعاقبهم الله فحرّم عليهم هذه الطيبات التي أحلها لعباده المؤمنين . ولذا قال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- يجب مقابلة النعم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه .

(١) ﴿الكذب﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أي : مطلق الكذب .

(٢) جملة : ﴿متاع قليل﴾ جملة بيانية في جواب قول من قال : كيف لا يفلحون وهم يمتعون بالطعام والشراب والنساء والأموال؟ فاجيب بأن هذا متاع قليل جداً بالنظر إلى ما في الآخرة .

(٣) تقديم الجار والمجرور : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا﴾ للاهتمام وللإشارة إلى أنّ ذلك التحريم كان انتقاماً منهم ولم يكن شرعاً لإكمالهم وإسعادهم .

- ٢- بيان المحرمات من المطاعم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .
 ٣- بيان الرخصة في الأكل من المحرمات المذكورة لدفع غائلة الموت .
 ٤- حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه .
 ٥- حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزئي قليل لا قيمة له . . هذا إن أفلح .
 ٦- قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِلنَّعْمَةِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة : أي ثم إن ربك غفور رحيم للذين عملوا
 السوء بجهالة ثم تابوا .

من بعدها : أي من بعد الجهالة والتوبة .

إن إبراهيم كان أمة : أي إماماً جامعاً لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك .
قانتاً لله حنيفاً : أي مطيعاً لله حنيفاً : مائلاً إلى الدين القيم الذي هو الإسلام .
اجتباها : أي ربه اصطفاها للخلة بعد الرسالة والنبوة .

وآتيناه في الدنيا حسنة : هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان السماوية .
إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا
إلا السبب ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم
فيه عقوبة لهم .

معنى الآيات :

بعدما نددت الآيات في سياق طويل بالشرك وإنكار البعث والنبوة من قبل المشركين
الجاحدين المعاندين ، وقد أوشك سياق السورة على الانتهاء فتح الله تعالى باب التوبة
لهم وقال : ﴿ثم إن ربك﴾ أي بالمغفرة والرحمة ﴿للكذين عملوا السوء بجهالة﴾^(١) فأشركوا
بالله غيره وأنكروا وحيه وكذبوا بقلائه ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ فوحده تعالى بعبادته وأقروا
بنبوة رسوله وآمنوا بقلائه واستعدوا له بالصالحات ﴿وأصلحوا﴾^(٢) ما كانوا قد أفسدوه من
قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد هذه التوبة والأوبة الصحيحة ﴿لغفور
رحيم﴾ بهم . فكانت بشرى لهم على لسان كتاب ربهم . وقوله تعالى : ﴿إن إبراهيم كان
أمة قانتاً لله حنيفاً ، ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباها وهداه إلى صراط
مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع^(٣)
ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ إنه لما كان من شبه المشركين انهم على دين
أبيهم إبراهيم باني البيت وشارع المناسك ومحرم الحرم ، واليهود والنصارى كذلك
يدعون أنهم على ملة إبراهيم فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم وأنه على دينه
ورفضوا الإسلام بدعوى ما هم عليه هو دين الله الذي جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه

(١) الجهالة : انتفاء العلم بما يجب أن يعلم ، والمراد بجهالتهم : جهالتهم بأدلة الشرع المحرمة للشرك والكفر والفساد ،
والموجبة للتوحيد وطاعة الله ورسوله . والباء : في ﴿بجهالة﴾ : للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير عملوا .

(٢) وجائز أن يعود الضمير على الجهالة أيضاً كما جائز أن يعود على التوبة .

(٣) ﴿إن إبراهيم﴾ ؛ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً لغرض التنويه بدين الإسلام الذي هو دين إبراهيم من قبل .

(٤) الأمة : الجامع للخير ، والقانت : المطيع لله تعالى ، والحنيف : المائل إلى الحق المجانب للباطل .

(٥) في الآية الدليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ولا تبعة على الفاضل أي : لا غضاضة عليه ولا ماساس بمقامه .

السلام، ومن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق لدعوة الحق والدين الحق ذكر تعالى جملة من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك. فقال تعالى ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمُ كَانَ أُمَّةً﴾ أي إماماً صالحاً جامعاً لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير. هذا أولاً وثانياً أنه كان قانتاً أي مطيعاً لربه فلا يعصي له أمراً ولا نهياً ثالثاً لم يك من المشركين بحال من الأحوال بل هو برىء من الشرك وأهله، ورابعاً كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه أي صارفاً نعم الله عليه فيما يرضي الله، خامساً اجتنبه ربه أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبق لغيره في قلبه مكان. فخاله الله أي بادلته خلة بخلة فكان خليل الرحمن. سادساً وهده إلى صراط مستقيم الذي هو الإسلام، سابعاً وآتاه في الدنيا حسنة وهي الثناء الحسن والذكر الجميل من جميع أهل الأديان الإلهية الأصل. ثامناً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين قال الله تعالى فيهم: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي منزلة من أشرف المنازل وأسمائها. تاسعاً مع جلالة قدر النبي محمد ﷺ ورفعة مكانته أمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

هذا هو إبراهيم فمن أحق بالنسبة إليه، المشركون؟ لا ! اليهود؟ لا، النصارى؟ لا ! المسلمون الموحدون؟ نعم نعم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زميرتهم وأكرمنا يوم تكرمهم.

وقوله تعالى: ﴿انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ فيه دليل على بطلان دعوى اليهود أنهم على ملة إبراهيم ودينه العظيم، إذ تعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم،

(١) قال مالك: بلغني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يرحم الله معاذاً كان أمة قانتاً فقيل له: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله عز وجل بهذا إبراهيم عليه السلام فقال عبد الله: (إن الأمة الذي يعلم الناس الخير وإن القانت: هو المطيع).
(٢) أي: لم يكن في شرع إبراهيم ولا من دينه، إذ كان دين إبراهيم سمحاً لا تغليظ فيه والسبت تغليظ على اليهود في ترك الأعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه أي: اختلفوا في يوم الجمعة بعدما أمروا بتعظيمه فأبى اليهود إلا السبت بدعوى أن الله فرغ من الخلق فيه. واختار النصارى الأحد: لأن الله ابتدأ الخلق فيه، وهدى الله أمة الإسلام ليوم الجمعة الذي اختلفوا فيه ففي البخاري يقول ﷺ: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيتنا من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له «يوم الجمعة».

وإنما سببه أن الله تعالى أوحى إلى أحد أنبيائهم أن يأمر بني إسرائيل بتعظيم الجمعة فاختلفوا في ذلك وآثروا السبت عناداً ومكابرة فكتب الله تعظيمهم السبت. وقوله ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيه وعيد لهم وأنه سيجزيهم سوءاً على تمردهم على أنبيائهم واختلافهم عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنب عظيم أو صغر على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح الفاسد.
- ٢- تقرير التوحيد والإعلان عن شأن إبراهيم عليه السلام وبيان كمالاته وإنعام الله عليه.
- ٣- بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وفضاله عليهم.

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

شرح الكلمات :

إلى سبيل ربك : أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.
بالحكمة : أي بالقرآن والمقالة المحكمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.
والموعظة الحسنة : هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.

وجادلهم بالتي هي أحسن : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها .
 لهو خيرٌ للصابرين : أي خيرٌ من الانتقام عاقبةً .
 ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون : أي لا تهتم بمكرهم ، ولا يضيق صدرك به .
 مع الذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي .
 والذين هم محسنون : أي في طاعة الله ، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا .
 معنى الآيات :

يخاطب الرب تعالى رسوله تشريفاً وتكليفاً : ﴿ ادع الى سبيل ربك ﴾ أي إلى دينه وهو الإسلام سائر الناس ، وليكن دعاؤك ﴿ بالحكمة ﴾ التي هي القرآن الكريم الحكيم ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ وهي مواظب القرآن وقصصه وأمثاله ، وترغيبه وترهيبه ، ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ أي خاصمهم بالمخاصمة التي هي أحسن وهي الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء ، فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعي إليه ، وقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ من الناس ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وسيجزئهم المهتدي بهداه ، والضال بضلاله ، كما هو أعلم بمن ضل واهتدى أزلاً . فهون على نفسك ولا تشطط في دعوتك فتضر بنفسك ، والأمر ليس إليك . بل لربك يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما عليك إلا الدعوة بالوصف الذي وصف لك ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وقوله تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ لا أكثر ، ﴿ ولئن صبرتم ﴾ وتركتم المعاقبة ﴿ لهو ﴾ أي صبركم ﴿ خير ﴾ لكم من المعاقبة على الذنب والجناية ، وقوله تعالى : ﴿ واصبر ﴾ على ترك ما عزمت عليه أيها الرسول من التمثيل بالمشركين جزاء تمثيلهم بعمك حمزه ، فأمره بالصبر ولازمه ترك المعاقبة والتمثيل معاً ، وقوله : ﴿ وما صبرك إلا بالله ﴾ أي إلا بتوفيقه وعونه ، فكن مع ربك

(١) قال القرطبي : هذه الآية نزلت بمكة في وقت مهادة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطّف ولين دون مخاشنة وغف ، وهكذا ينبغي أن يدعو المسلمون إلى يوم القيامة .

(٢) جمهور المفسرين على أن هذه الآية : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ﴾ . الخ نزلت بالمدينة في شأن قتل حمزة والتمثيل به رضي الله عنه وأرضاه يوم أحد ذكر ذلك البخاري وغيره وفي الآية دليل على وجوب المماثلة في القصاص ويحرم عدمها . وفي الآية دليل لمن قال بجواز أخذ مال من أخذ مال غيره إذا لم يتمكن منه بعلمه ورضاه على شرط أن لا يأخذ أكثر مما أخذ منه .

تستمد منه الصبر كما تستمد منه العون والنصر. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي على عدم اهتدائهم إلى الحق والأخذ به والسير في طريقه الذي هو الإسلام ﴿وَلَا تَكْ فِي ضَيْقٍ﴾^(١) نفسي يؤلمك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ بك فإن الله تعالى كافيك مكرهم وشرهم إنه معك فلا تخف ولا تحزن لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت منهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين أنه عز وجل بنصره وتأييده ومعونته وتوفيقه مع الذين اتقوا الشرك والمعاصي فلم يتركوا فرائض دينه، ولم يغشوا محارمه والذين هم محسنون في طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحو ما شرع الله وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.
- ٢- بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خالياً من العنف والغلظة والشدّة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.
- ٣- جواز المعاقبة بالأخذ بقدر ما أخذ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.
- ٤- معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصرٍ وتأييدٍ وتسديدٍ.

(١) الضيق والضيق: بالكسر والفتح، والضيق في الآية: هو جمع ضَيْقَةٍ فهما سواء يقال: في صدره ضيق وضيق بالكسر والفتح، وقيل: الضيق بالفتح في الصدر، والضيق بالكسر في الدار والثوب ونحوهما.
(٢) قيل: لهرم بن حبان عند موته: أوصنا فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ إلى ﴿مُحْسِنُونَ﴾.

سُورَةُ الْاِنْتِرَاءِ مكية

وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

شرح الكلمات :

سبحان : أي تنزه وتقدس عن كل مالا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله .

بعبداه : أي بعبداه ورسوله محمد ﷺ .

من المسجد الحرام : أي الذي بمكة .

إلى المسجد الأقصى : أي الذي ببيت المقدس .

من آياتنا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهرها في الملكوت الأعلى .

معنى الآية الكريمة :

نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المحدثين، فقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (١) أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني «لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أي بالليل من المسجد الحرام بمكة إذ أخرج من بيت أم هانئ ؑ

(١) روي أَنَّ طلحة بن عبيد الله الفَيَّاض أحد العشر المبشرين بالجَنَّة سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال : (تنزيه الله عن كل سوء) وأسرى : فيها لغتان : أسرى وسرى فصيحتان ، وجمع اللغتين في بيت واحد هو :

حَيَّ النَّصِيرَةَ رُبُّهُ الْخَلْدُ اسْرَتْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

وقيل : أسرى من أول الليل، وسرى من آخره، والاسراء، والسُرى : سير الليل .

(٢) قالت العلماء : لو كان هناك اسم للنبي ﷺ أشرف من اسم عبد لسمَّاه به في هذه الحال العلية، وفي معناه قال الشاعر :

يا قوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بعبدها فإنه أشرف أسمائي

وغسل قلبه بماء زمزم وحشي إيماناً وحكمة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، وأخبر ﷺ أنه جمع الله تعالى له الأنبياء في المسجد الأقصى وصل بهم إماماً فكان بذلك إمام الأنبياء وخاتمهم ثم عرج به إلى السماء سماء بعد سماء يجد في كل سماء مقربيهما إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ثم عرج به إلى أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وقوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي حول المسجد الأقصى^(١) معنى حوله خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار أما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجراها إذ الصلاة فيه بخمسائة صلاة أجراً ومثوبة وقوله تعالى ﴿لنريه من آياتنا﴾ تعليل للإسراء والمعراج وهو أنه تعالى أسرى بعبدته وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة. وقوله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يعني تعالى نفسه بأنه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فاقتضت حكمته هذا الإسراء العجب ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتاب المرتابون ويزدادون كفراً وعناداً

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ - تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ بالروح والجسد معاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وأوحى إليه تعالى ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ - شرف المساجد الثلاثة: الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى أما المسجدان الحرام والأقصى فقد ذكرا بالنص وأما مسجد الرسول ﷺ فقد ذكر بالاشارة والإيحاء إذ قول الأقصى يقتضي قصياً، فالقصي هو المسجد النبوي والأقصى هو مسجد بيت المقدس.

٣ - بيان الحكمة في الإسراء والمعراج وهي أن يرى الرسول ﷺ بعيني رأسه ما كان آمن به وعلمه من طريق الوحي فاصبح الغيب لدى رسول الله شهادة.

(١) المسجد الحرام: أول مسجد بني في الأرض، ويليه المسجد الأقصى والزمن بينهما أربعون سنة، والمسجد النبوي بني بعدهما بقرون طويلة، فهذه الثلاثة أشرف المساجد على الإطلاق وعليه فمن نذر صلاة فيها وجب عليه الوفاء بالصلاة فيها، ومن نذر الصلاة في مسجد غيرها جاز أن يصلي في أي مسجد آخر.

(٢) لا قيمة للقول بأن الإسراء كان بالروح فقط إذ لو كان بالروح لكان من المنام، ولما قال تعالى: ﴿أسرى بعده ليلاً﴾ ولما قالت أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك، ولا فضل أبو بكر بقلب الصديق ولا ما أمكن قريشا التشنيع والتكذيب، ولما ارتد أفراد عن الإسلام بتشنيع قريش، وأما إطلاق لفظ الرؤيا على المنام خاصة فليس بذاك إذ قد يطلق لفظ الرؤيا على الرؤية في اليقظة، وأعظم دليل في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ أي: رأي الرسول جبريل مرة أخرى في الجنة في السماء ليلة الإسراء والمعراج كما رآه أول مرة في جباد بمكة.

(٣) حدثنا شيخنا الطيب العمري خريج المسجد النبوي الشريف: أنه ألقى كلمة في الروضة بالمسجد النبوي ففتح الله تعالى عليه فذكر أن المسجد النبوي أشير إليه في آية الإسراء فهو إذاً مذكور في القرآن بالإيماء كما ذكرت في التفسير.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ

مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا

عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ

وَكَانُوا وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ

وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة .

وجعلناه هدى : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً لبني إسرائيل .

وكيلاً : أي حفيظاً أو شريكاً .

من حملنا : أي في السفينة .

وقضينا : أي أعلمناهم قضاء نافيهم

في الكتاب : أي التوراة .

علواً كبيراً : أي بغياً عظيماً .

أولاهما : أي أولى المرتين .

فجاسوا خلال : أي ترددوا جاثين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون .

وعداً مفعولاً : أي منجزاً لم يتخلف .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه هو الذي أتى موسى الكتاب أي التوراة فهو تعالى المتفضل على محمد ﷺ وعلى أمته بالإسراء به والمعراج

وعلى موسى بإعطائه الكتاب ليكون هدى وبياناً لبني إسرائيل فهو متفضل أيضاً على بني إسرائيل فله الحمد وله المنة .

وقوله : ﴿جعلناه﴾ أي الكتاب ﴿هدى﴾ أي بياناً لبني إسرائيل يهتدون إلى سُبُل الكمال والإسعاد وقوله : ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ أي آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل من أجل ألا يتخذوا من غيري حفيظاً لهم يشركونه بي بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه ناسين لي وأنا ربهم وولي نعمتهم . وقوله تعالى : ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي يا ذرية من حملنا مع نوح اشكروني كما شكروني نوح على انجائي إياه في السفينة مع أصحابه فيها ، إنه أي نوحاً ﴿كان عبداً شكوراً﴾ فكونوا أنتم مثله فاشكروني بعبادتي و وحدوني ولا تتركوا طاعتي ولا تشركوا بي سِوَايَ

وقوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً﴾ يخبر تعالى بأنه أعلم بني إسرائيل بقضائه فيهم وذلك في كتابهم التوراة أنهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب ، ويعلمون في الأرض بالجرأة على الله وظلم الناس ﴿علواً كبيراً﴾ أي عظيماً . ولا بد أن ما قضاه واقع وقوله تعالى : ﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾ أي وقت المرة الأولى ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأساً شديداً﴾ أي قوة وبطش في الحرب شديد ، وتم هذا لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم «أرميا» عليه السلام وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم مع جيوشه ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ ذاهبين جاثين قتلاً وفتكاً وإفساداً نعمة الله على بني إسرائيل لإفسادهم وبغيهم البغي العظيم .

وقوله تعالى : ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ أي ما حصل لهم في المرة الأولى من الخراب والدمار ومن

(١) قرىء ذرية بفتح الذا، وقرىء ذرية بكسر الذا، اللفظ مشتق من الذرة، الذي هو الخلق، فيقال: ذراً يذراً ذراً: إذا خلق وفي الآية تذكير لبني إسرائيل بواجب الشكر أي اشكروا كما شكر نوح، وفيها تعريض لهم بأنهم إذا لم يشكروا يؤخذوا كما أخذ قوم نوح.

(٢) أثنى تعالى على عبده نوح بكثرة الشكر لأن شكور: من صيغ المبالغة معناه كثير الشكر روي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أرواني ولو شاء لأظماني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني.

(٣) قال: ﴿عباداً لنا﴾ ولم يقل: عبادي لأنهم أهل كفر وشرك وفسق فلم يشرفهم بالإضافة إليه ووصفهم بأنهم من ملوك فسخرهم لتأديب عباده الذين فسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته.

(٤) الجوس: وهو مصدر جاس يجوس جوساً معناه: التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها، والمراد به تتبع المقاتلة لقتالهم.

(٥) في هذه الآيات ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس، وطرده العماليقة منها، وإقامة دولة فيها لأول مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان وذلك سنة مائة وخمسة وثلاثين بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وقسمت الآيات هذا التاريخ قسمين معبرة عنه بالمرتبتين: الأولى بدءاً من دولة يوشع بن نون واستمرت إلى أن عاثوا في الأرض وفسدوا =

أسبابه كان بوعده من الله تعالى منجزاً فوفاه لهم ، لأنه قضاه وأعلمهم به في كتابهم . وقوله : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي بعد سنين طويلة وبنو إسرائيل مضطهدون مشردون نبتت منهم نابتة وطالبت بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد وكان ذلك كما تقدم في سورة البقرة جاهدوا وقتل داود جالوت وهذا معنى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ وقوله : ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي رجالاً في الحروب وكثرت أموالهم وأولادهم وتكونت لهم دولة سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام .

هداية الآيات :

- ١ - بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية .
- ٢ - بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها .
- ٣ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ كان نوح عليه السلام إذا أكل الأكلة قال الحمد لله ، وإذا شرب الشربة قال الحمد لله ، وإذا لبس حذاءه قال الحمد لله وإذا قضى حاجة قال الحمد لله فسمى عبداً شكوراً وكذا كان رسول الله والصالحون من أمته إلى اليوم .
- ٤ - ما قضاه الله تعالى كائن ، وما وعد به ناجز ، والإيمان بذلك واجب .
- ٥ - التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض ، وبيان سوء عاقبتها .

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ

حَصِيرًا ﴿٨﴾

فيها بالفسق والفجور فسلط عليه البابليين فأسقطوا دولتهم ، ومزقوا ملكهم واستمروا مشتتين إلى أن ملكوا طالوت وقتلوا معه على عهد نبي الله حزقييل فهزموا جالوت البابلي ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ إذ تكونت لهم دولة عظيمة على عهد كل من طالوت وداود وسليمان واستمرت حتى فسقوا وفجروا فاستحقوا العذاب فسلط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً فأحرق هيكل سليمان ، ودمر أورشليم فتركها خراباً ودماراً ، وهذه هي المرة الأخيرة ثم أنجز لهم الله تعالى ما وعدهم بقوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ فاجتمعوا وصلحوا وعاد لهم ملكهم فترة من الزمن ، وعادوا إلى الفسق والعصيان فعاد الله تعالى عليهم فسلط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد فاحتلوا بلادهم وشرذوهم في الأرض .

شرح الكلمات :

إن أحستتم	: أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها .
أحستتم لأنفسكم	: أي أن الأجر والثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم .
وإن أسأتم	: أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة .
وعد الآخرة	: أي المرة الآخرة المقابلة للأولى وقد تقدمت .
ليسوءوا وجوهكم	: أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل .
وليدخلوا المسجد	: أي بيت المقدس .
وليتبروا ما علو تنبيرا	: أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً
وإن عدتم عدنا	: أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم .
حصيراً	: أي محبساً وسجناً وفراشاً يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن بني إسرائيل فبعد أن أخبرهم تعالى بما حكم به عليهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلمون علواً كبيراً . وأنه إذا جاء ميقات أولى المرتين بعث عليهم عبداً أشداء أقوياء وهم جالوت وجنوده فقتلوه وسبوه ، أنه تعالى رد لهم الكرة عليهم فانتصروا عليهم وقتل داود جالوت وتكونت لهم دولة عظيمة كانت أكثر الدول رجالاً وأوسعها سلطاناً وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى بتطبيق كتابه والتزام شرائعه وهناك قال تعالى لهم : ﴿إن أحستتم لأنفسكم﴾ أي إن أحستتم باتباع الحق والتزام الطاعة لله ورسوله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والأخذ بسنن الله تعالى في الإصلاح البشري وإن أسأتم بتعطيل الشريعة والانغماس في الملاذ والشهوات فإن نتائج ذلك عائدة على أنفسكم حسب سنة الله تعالى : ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي وقتها المعين لها ، وهي المرة الآخرة بعد الأولى بعث أيضاً عليهم عبداً له وهم بختنصر وجنوده بعثهم عليهم ليسودوا وجوههم بما يصيبونهم به من الهم والحزن والمهانة والذل ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة ﴿وليتبروا﴾ أي يدمروا ما علوا أي ما غلبوا عليه من ديارهم ﴿تنبيرا﴾ أي تدميراً كاملاً وتحطيماً تاماً وحصل لهم هذا لما قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وكثيراً من العلماء وبعد أن ظهر فيهم الفسق وفي نسايتهم التبرج والفجور واتخاذ الكعب العالي . كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾^(١) فهذا خيرٌ عظيم لهم لو طلبوه بصدق لفاضوا به ولكنهم أعرضوا عنه وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسله. وقوله وإن عدتم عدنا أي وإن عدتم إلى الفسق والفجور عدنا بتسليط من نشاء من عبادنا فأنجزهم الله تعالى ما وعدهم فسלט عليهم رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين فاجلى بني قينقاع وبني النضير من المدينة وقتل بني قريضة كما سلت عليهم ملوك أروبا فطاردوهم وساموهم الخسف وأذاقوهم سوء العذاب في قرون طويلة وقوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾^(٢) أي إن كان عذاب الدنيا بالتسلط على الظالمين وسلبهم حريتهم وإذاقتهم عذاب القتل والأسر والتشريد فإن عذاب الآخرة هو الحبس والسجن في جهنم تكون حصيراً للكافرين لا يخرجون منها للكافرين أي الذين يكفرون شرائع الله ونعمه عليهم بتعطيل الأحكام وتضييع الفرائض وإهمال السنن والانغماس في الملاذ والشهوات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - صدق وعد الله تعالى .
- ٢ - تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه .
- ٣ - تقرير قاعدة ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ .
- ٤ - وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن .
- ٥ - قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(١) تقدم أن الله تعالى أنجز لهم وعده في قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وأنه رحمهم فصلحوا واستقاموا، وأعادوا بناء دولتهم وسعدوا فيها زمناً ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد تعالى عليهم فسלט الرومان فقتلوهم وشردوهم وذلك سنة ١٣٥ بعد الميلاد، ومن يومئذ انتهى ملك اليهود، واستمرت أورشليم تحت يد الرومان إلى الفتح الإسلامي حيث فتحت على يد عمر رضي الله عنه سنة ١٦ صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذ (إلباء).

(٢) الحصار المكان الذي يحصر فيه فلا يستطيع الخروج منه ففعل (حصين) إما أن يكون بمعنى فاعل أي: حاصر أو بمعنى مفعول أي: محصور فيه، وفُسر في التفسير بالسجن وهو كذلك إذ السجن يحصر مَنْ فيه فلا يقدر على الخروج منه.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۖ لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

للي هي أقوم : أي للطريقة التي هي أعدل وأصوب .
أن لهم أجراً كبيراً : إنه الجنة دار السلام .
اعتدنا لهم عذاباً ألياً : انه عذاب النار يوم القيامة .
ويدع الانسان بالشر : أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب .
وكان الانسان عجولاً : أي سريع التأثير بها يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل .
آيتين : أي علامتين داليتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته .

فمحونا آية الليل : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس .
مبصرة : أي يبصر الانسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها .
عدد السنين والحساب : أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن هذا القرآن الكريم ^(١) الذي أنزله على عبده ورسوله محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يهدي بها فيه من الدلائل والحجج والشرائع والمواعظ للطريقة والسبيل التي هي أقوم أي أعدل واقصد من سائر الطرق والسبيل إنها الدين القيم الإسلام سبيل السعادة والكمال في الدارين ، ﴿ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ويبشر القرآن الذين آمنوا بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض والنوافل بعد تركهم الكبائر والمعاصي بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة ، كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى

(١) قوله : ﴿هذا القرآن﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن الحاضر بين أيدي الناس المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور ، وفي الإشارة إليه تنويه بشأنه وعلو مقامه بين الكتب الإلهية .

(٢) ﴿أقوم﴾ اسم تفضيل من القويم ، وأقوم : صفة لمحذوف وهو الطريق أي : الطريق التي هي أقوم من هدي كتاب بني اسرائيل إذ قال فيه : ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ فالقرآن أكثر هداية إلى السبيل الأقوم من التوراة .

أعد أي هيا لهم عذاباً أليماً في جهنم .

(١)

وقوله تعالى ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يخبر تعالى عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له . يدعو بالشر دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير، وقوله : ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ أي كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا توادد وحلم وصبر وأناة . وقوله تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا، وقوله ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي بطمس نورها، وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة وبين علة ذلك بقوله : ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي لتطلبوا رزقكم بالسعي والكسب في النهار . هذا من جهة ومن جهة أخرى ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور . لتوقف مصالحكم الدينية والدنيوية على ذلك . وقوله تعالى : ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ أي وكل شيء يحتاج إليه في كمال الإنسان وسعادته ببناء تبييناً أي في هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان فضل القرآن الكريم ، بهديته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان .
- ٢ - الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات ، ونذارة الكافرين باليوم الآخر .
- ٣ - بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية .
- ٤ - كون الليل والنهار آيتين تدلان على الله تعالى وتقران علمه وقدرته وتديره .
- ٥ - مشروعية علم الحساب وتعلمه .

(١) قال ابن عباس وغيره : هو دعاء الرجل على نفسه ولده عند الضجر بما يجب ألا يستجاب له : اللهم أهلكهم ونحوه . وحذفت الواو من ﴿يدع﴾ كما حذفت من ﴿سندع الزبانية﴾ و﴿يمح الله الباطل﴾ : لأنه لا ينطق بها لأصلها الساكن .
(٢) روي أن آدم عليه السلام لما نفخ الله تعالى فيه الروح فأنهت الروح إلى سرته نظر إلى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله تعالى : ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن مظاهر عجلة الإنسان أنه يؤثر العاجل وإن قل على الأجل وإن كثر .

(٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة رحمه الله : المراد بالمحو : اللطخة السوداء في القمر ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز الليل من النهار وما في التفسير أولى أي : جعل الله الليل مظلماً ، والنهار مضيئاً لما يترتب على ذلك من مصالح العباد .

(٤) كمعرفة أوقات الصلاة ، وشهر الصيام ، والحج ، وما إلى ذلك من آجال الديون ونحوها كالعدد للنساء .

وَكُلَّ

إِنْسَنِ الزَّمَنُ طَلَبَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُجِّجَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نَزِرُ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

طائرته	: أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء .
في عنقه	: أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه .
عليك حسيبا	: أي كفى نفسك حاسباً عليك .
ولا نزر وازرة وزر أخرى	: أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى .
مترفيها	: منعميها من أغنياء ورؤساء .
فحق عليها القول	: أي بالعذاب .
وكم أهلكنا	: أي أهلكنا كثيراً .
من القرون	: أي من أهل القرون السابقة .
خبيراً بصيراً	: أي عليمًا بصيراً بذنوب العباد .

معنى الآيات :

ينجز تعالى أنه عز وجل لعظيم قدرته، وسعة علمه، وحكمته في تدبيره ألزم كل إنسان ما قضى به له من عمل وما يترتب على العمل من سعادة أو شقاء في الدارين، ألزمه ذلك بحيث لا يخالفه ولا

(١) يتأخر عنه بحال حتى كأنه مربوط بعنقه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾. وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ أي وفي يوم القيامة يخرج الله تعالى لكل إنسان كتاب عمله فيلقاه منشوراً أي مفتوحاً أمامه. ويقال له: إقرأ كتابك الذي أحصى لك عملك كله فلم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة. وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الإنسان. وقوله تعالى: ﴿من اهتدى فإننا يهتدي لنفسه﴾، أي بعد هذا الإعلام والبيان ينبغي أن يعلم أن من اهتدى اليوم فآمن بالله ورسوله ولقاء الله، ووعدته وعيده وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والمعاصي فإننا عائد ذلك له هو الذي ينجو من العذاب، ويسعد في دار السعادة، وإن من ضل طريق الهدى فكذب ولم يؤمن، وأشرك ولم يؤحد، وعصى ولم يطع فإن ذلك الضلال عائد عليه، هو الذي يشقى به ويعذب في جهنم دار العذاب والشقاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الوزر الإثم والذنب والوازرة الحاملة له لتؤخذ به ومعنى الكلام ولا تحمل يوم القيامة نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل مسئوليتها بنفسها، والكلام تقرير لقوله: ﴿من اهتدى فإننا يهتدي لنفسه ومن ضل فإننا يضل عليها﴾. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى وهو العدل الرحيم أن يهلك أمة بعذاب إبادة واستئصال قبل أن يبعث فيها رسولاً يعرفها برها وبمحابه ومساخطه، ويأمرها بفعل المحاب وترك المساخط التي هي الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أمرنا مترفياً﴾ أي أمرنا منعهم من أغنياء ورؤساء وأشراف من أهل الحل والعقد أمرناهم بطاعتنا بإقامة الشرع وأداء الفرائض والسنن واجتناب كبائر الإثم والفواحش فلم يستجيبوا للأمر ولا للنهي وهو معنى ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾ أي وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي أهلكناها إهلاكاً كاملاً، وهذا الكلام بيان لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث

(١) قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس طائره: عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمة أينما كان.

(٢) قالوا في علة: نشره أنه تعجيل للبشرى بالحسنات والتوبيخ بالسيئات.

(٣) قيل في هذه الآية ﴿ولا تزر وازرة...﴾ نزلت في الويد بن المغيرة إذ قال لأهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعليّ أوزارك. وإن لم تنزل فيه فهي شاملة لكل من يقول بقوله تضليلاً وباطلاً.

(٤) استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على بطلان حديث ابن عمر إذ قال: إنّ الميت يعذب ببكاء أهله، وردّ اعتراضها بأنّ الميت إذا أوصى بالبكاء كان ذلك من وزره لا من وزر غيره، وقد كانوا يوصون بذلك، قال طرفة بن العبد:

إذا مت فأتبعيني بما أنا أهله وشقيّ عليّ الجيب يابنت معبد

ومن الجائر أن يعذب وإن لم يوص، إذا هو أهمل تأديب أهله.

(٥) أوّل المعتزلة الرسول (رسولاً) بالعقل، وقالوا: العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر، وهو تأويل باطل لا يتفق مع اللغة ولا مع الشرع.

(٦) شاهده حديث زينب في الصحيح: (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثرت الخبث).

رسولاً﴾ إذ الرسول يأمر وينهى بإذن الله تعالى فإن لم يُطع استوجب الناس العذاب فعذبوا . وقوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ هو تقرير لهذا الحكم أيضاً إذ علمنا تعالى أن ما أخبر به كان واقعاً بالفعل فكثيراً من الأمم أهلكها من بعد هلاك قوم نوح كعاد وشمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وآل فرعون . . . وقوله : ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ : فإن القول وإن تضمن علم الله تعالى بذنوب عباده فإن معناه الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، فإنه تعالى لا يرضى باستمرار الجرائم والآثام إنه يمهل لعل القوم يستفيقون، لعل الفساق يكفون، ثم إذا استمروا بعد الإعلام إليهم والتنديد بذنوبهم والتخويف بظلمهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا فليحذر ذلك المصرون على الشرك والمعاصي!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٣ - تقرير العدالة الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً^(١).
- ٤ - بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.
- ٥ - التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدي الفسق إلى الهلاك والدمار.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

(١) تجلّت عدالة الله تبارك وتعالى في أنه عز وجل لا يعذب أمة من الأمم عذاب إبادة واستئصال إلا بعد أن يبعث إليها رسوله ينذرهما ويشرها، فإذا أصرت على الكفر والتكذيب عذبها . وهنا يرد موضوع أهل الفترة بين الرسل فهل يعذبون ولم تبلغهم دعوة الله أولاً يعذبون فيكون حالهم أحسن ممن جاءتهم الرسل؟ والجواب على هذا الإشكال هو: فيما ورد عن النبي ﷺ وصح: (أن أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الصبيان يقذفونني بالبر، وأما الهرم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فياخذ مواعيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن: ادخلوا النار فالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.

ومن لم يدخلها يسحب إليها) فظاهر الحديث أنّ من كان من أهل الجنة يطيع يوم القيامة ويدخل النار ثم لا يعذب بها ويدخل الجنة، ومن كان من أهل النار يعصى يوم القيامة ويدخل النار يخلد فيها، والطاعة والعصيان في هذا الامتحان دالان على حال أهلها في الدنيا لو توفرت لهم شروط التكليف التي هي: البلوغ، والعقل، والسمع، والبصر، وبلوغ الدعوة. فأولاد المشركين يدخلون ضمن هؤلاء الأربعة أيضاً.

الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّهُنَّوَلَاءِ وَهَنُّوَلَاءِ مِنْ عَطَاءِ
 رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
 بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
 ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات

العاجلة

: أي الدنيا لسرعة انقضائها.

يصلها مذبذباً مدحوراً

: أي يدخلها ملوماً مبعداً من الجنة.

وسعى لها سعيها

: أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل

الصالح.

كان سعيهم مشكوراً

: أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى.

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء

: أي كل فريق من الفريقين نعطي.

وما كان عطاء ربك محظوراً

: أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعاً عن أحد.

كيف فضلنا بعضهم على بعض

: أي في الرزق والجاه.

لا تجعل مع الله إلهاً آخر

: أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة.

فتقعد ملوماً مخذولاً

: أي فتصير مذمومة من الملائكة والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في أخبار الله تعالى الصداقة والمتضمنة لأنواع من الهدايا الإلهية التي لا
 يجرمها إلا هالك، فقال تعالى في الآية الأولى (١٨) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي الدنيا ﴿عجلنا
 له فيها ما نشاء﴾، لا ما يشاء العبد، وقوله ﴿لمن نريد﴾ لا من يريد غيرنا فالأمر كله لنا، ﴿ثم﴾
 بعد ذلك ﴿جعلنا له جهنم يصلها مذبذباً﴾ أي ملوماً ﴿مدحوراً﴾ أي مطروداً من رحمتنا التي هي
 الجنة دار الأبرار أي المطيعين الصادقين. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يخبر

(١) قال القرطبي: ﴿مذبذباً مدحوراً﴾ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله، وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمراثين
 والمداحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون
 في الدنيا إلا ما قسم لهم.

تعالى أن من أراد الآخرة أي سعادة الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها اللائق بها وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الموافق لما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله، واجتنب الشرك والمعاصي وقوله ﴿وهو مؤمن﴾ قيد في صحة العمل الصالح أي لا يقبل من العبد صلاة ولا جهاد إلا بعد إيمانه بالله وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله وأخبر به من الغيب.

وقوله ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون بالإيمان والعمل الصالح ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ أي كان عملهم متقبلاً يثابون عليه بالجنة ورضوان الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ أي إن كلا من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه أي فضله الواسع فالكل يأكل ويشرب ويكتسي بحسب ما قدر له من الضيق والوسع ثم يموت وتُمّ يقع التفاضل بحسب السعي الفاسد أو الصالح وقوله ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ يعني أن من أراد الله إعطاءه شيئاً لا يمكن لأحد أن يصرفه منه ويحرمه منه بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي انظر يا رسولنا ومن يفهم خطابنا كيف فضلنا بعض الناس على بعض في الرزق الذي شمل الصحة والعافية والمال والذرية والجاه، فإذا عرفت هذا فاعرف أن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وذلك عائد إلى فضل الله أولاً ثم إلى الكسب صلاحاً وفساداً وكثرة وقلة كما هي الحال أيضاً في الدنيا فبقدر كسب الإنسان الصالح للدنيا يحصل عليها ولو كان كافراً لقوله تعالى من سورة هود ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون ثمرات عملهم لكونهم كفاراً مشركين.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تجعل يا رسولنا مع الله إلهاً آخر تؤمن به وتعبده وتقرر إلهيته دوننا فإنك إن فعلت - وحاشاه أن يفعل لأن الله لا يريد له ذلك ﴿فتتعد في جهنم مذموماً﴾ أي ملوماً يلومك المؤمنون والملائكة مخذولاً من قبل ربك لا ناصر لك والسياق وإن كان في خطاب الرسول ﷺ فإن المراد به كل إنسان فالله تعالى ينهي عبده أن يعبد معه غيره فيترتب على ذلك شقاؤه والعياذ بالله تعالى.

(١) وجائز أن يكون مضاعفاً أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، فقد قيل لأبي هريرة، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: (إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة).

(٢) لفظ الحظر لغة: المنع، محظوراً أي ممنوعاً يقال: حظره كذا يحظره حظراً وحظاراً: إذا حبسه عنه ومنعه منه.

(٣) ورد أن أهل الجنة يتفاوتون في درجاتهم إذ الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وفي الصحيح: أن أهل الدرجات العلى ليرى أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء).

(٤) آية ١٥

(٥) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - كلا الدارين السعادة فيها أو الشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد .
- ٢ - سعى الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة .
- ٣ - سعى الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلى عن الشرك والمعاصي .
- ٤ - يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة .
- ٥ - ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه .
- ٦ - تحريم الشرك والوعيد عليه بالخلود في نار جهنم .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْقَوْلَ ۖ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ ﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۖ ﴾ (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۖ ﴾ (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۖ ﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ ﴾ (٢٧)

شرح الكلمات :

- وقضى ربك : أي أمر وأوصى .
وبالوالدين إحساناً : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرورهما .
فلا تقل لهما أف : أي تبأ أو قبحاً أو خسراناً .

ولا تنهرهما	: أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية.
قولاً كريماً	: جليلاً ليناً.
جناح الذل	: أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما.
كان للأوابين	: أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية.
وأت ذا القربى	: أي أعط أصحاب القربات حقوقهم من البر والصلة.
ولا تبذر تبذيراً	: أي ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله.
لربه كفوراً	: أي كثير الكفر كبيره لنعم ربه تعالى، فكذلك المبذر أخوه.
معنى الآيات :	

لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ أمر بالتوحيد فقال: ﴿وقضى ربك﴾ أي حكم وأمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي بأن لا تعبدوا إلا الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحساناً وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما، وطاعتها في غير معصية الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ أي إن يبلغ سن الكبر عندك واحد منهما الأب أو الأم أو يكبران معاً وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمهما خدمتها لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولا تتضجر أو تتأفف من خدمتهما كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخرأ وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان، وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما بالكلمة العالية النابية ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي جليلاً سهلاً لينا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما وقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم. وادع لهما طوال

(١) فعل قضي يكون لمعان عدة منها قضي بمعنى: أمر كما هنا، وقضى بمعنى: فرغ كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيت مناسككم﴾ أي فرغتم منها، ويكون بمعنى حكم نحو: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وبمعنى العهد نحو: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ويكون بمعنى المخلوق نحو: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي: خلقهن.

(٢) هذه الآية نص في بر الوالدين وحرمة عقوبتهما، وشاهد ذلك من السنة قوله ﷺ وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال: ﴿بر الوالدين﴾ وقال: ﴿إن من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه).

(٣) من شواهد الطاعة أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرها فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا عبدا لله بن عمر طلق امرأتك وللأم ثلاثة أرباع الطاعة وللأب الربع لحديث الصحيح: رواه الترمذي وصححه (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك قال: ثم من قال أمك. قال: قال: أمك. قال: ثم قال: أبوك).

(٤) أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم وعدم رضا، وأف: اسم فعل كصه ومه منون وفيه لغات.

(٥) الكريم من كل شيء أرفعه في نوعه.

(٦) ال: في الرحمة نابت عن المضاف، إذ التقدير: من رحمتك إياهما

حياتك بالمغفرة والرحمة إن كانا موحدين ﴿وماتا على ذلك لقوله تعالى : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وهو معنى قوله تعالى : ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً﴾

يخبر تعالى بأنه أعلم بنامن أنفسنا فمن كان يضمّر عدم الرضا عن والديه والسخط عليهما فإله يعلمه منه ، ومن كان يضمّر حبهما واحترامهما والرضا بهما فإله يعلمه ويجزيه به فالمحسن يجزيه بالإحسان والمسيء يجزيه بالإساءة ، وقوله : ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً﴾^(١) بحكم ضعف الإنسان فإنه قد يضمّر مرة السوء لوالديه أو تبدر منه البادرة السيئة من قول أو عمل وهو صالح مؤد لحقوق الله تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس فهذا العبد الصالح يخبر تعالى أنه غفور له متى آب إلى الله تعالى مستغفراً مما صدر منه نادماً عليه .

وقوله تعالى : ﴿وأت ذا القربىٰ حقّه والمسكين وابن السبيل﴾ هذا أمر الله للعبد المؤمن بإيتاء قرابته حقوقهم من البر والصلة وكذا المساكين وهم الفقراء الذي مسكتهم الفاقة وأذلهم الفقر فهؤلاء أمر تعالى المؤمن باعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة ، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقّه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه . وقوله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ أي ولا تنفق مالك ولا تفرقه في غير طاعة الله تعالى . وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم بتبذيرهم المال في المعاصي كانوا عصاة لله فاسقين عن أمره وهذه حال الشياطين فتشابهوا فكانوا إخواناً ، وقوله إن الشيطان كان لربه كفوراً لأنه عصى الله تعالى وكفر نعمه عليه ولم يشكره بطاعته فالمبذر للمال في المعاصي فسق عن أمر ربه ولم يشكر نعمه عليه فهو إذا شيطان فهل يرضى عبد الله المسلم أن يكون شيطانا؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين ، وهو الإحسان بهما ، وكف الأذى عنهما ، وطاعتها في المعروف .

(١) ﴿صالحين﴾ : أي مؤدين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك .

(٢) الأواب : الذي كلما أذنب تاب . والأواب ، الحفيظ : الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربه . وصلاة الأوابين : صلاة الضحى حين ترمض الفصائل أي تحترق أخفافها من الرضاء فتبرك من شدة الحر .

(٣) هم قرابة المرم من قبل أبيه وأمه معاً . قال ابن عباس والحسن .

(٤) قال مجاهد : لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذراً ، ولو أنفق مدأ في غير حق كان مبذراً .

- ٢ - وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة^(١).
- ٣ - وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.
- ٤ - من كان صالحاً وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.
- ٥ - وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.
- ٦ - حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

وَأِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَيْسُورًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ
خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

وإما تعرضن عنهم : أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً.

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها : أي طلباً لرزق ترجوه من الله تعالى.

(١) روى أبو داود وغيره أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: (هل بقي من برِّ والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به؟) قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك) وفي الصحيح عن ابن عمر قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودة أبيه بعد أن يولي).

قولا ميسوراً	: أي ليناً سهلاً بأن تعددهم بالعطاء عند وجود الرزق.
مغلولة إلى عنقك	: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.
ولا تبسطها كل البسط	: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.
فتقع مدلوماً	: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.
محسوراً	: أي منقطعاً عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.
يسط الرزق ويقدر	: أي يوسع، ويقدر أي يضيقه امتحاناً وابتلاء.
خشية املاق	: أي خوف الفقر وشدته.
خطئاً كبيراً	: أي إثماً عظيماً.
فاحشة وساء سبيلاً	: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسيلاً بش السبيل.
لوليه سلطان	: أي لوارثه تسلطاً على القاتل.
فلا يسرف في القتل.	: أي لا يقتل غير القاتل.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في وصايا الرب تبارك وتعالى والتي هي حكم أوحاها الله تعالى إلى رسوله للاهتداء بها، والكمال والإسعاد عليها. فقله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي إن أعرضت عن قرابتك أو عن مسكين سألَكَ أو ابن سبيل احتاج إليك ولم تجد ماتعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك أيها الرسول ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي سهلاً ليناً وهو العدة الحسنة كقولك إن رزقني الله سأعطيك أو عما قريب سيحصل لي كذا وأعطيك وما أشبه ذلك من الوعد الحسن، فيكون ذلك عطاء منك عاجلاً لهم يسرون به، ولا يحزنون. وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تبخل بما آتاك الله فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم كأن يدك مشدودة إلى عنقك فلا تستطيع أن تنفق، وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي تفتح يديك بالعطاء فتخرج كل ما بجيبك أو خزانتك فلا تبق شيئاً لك ولأهلك. وقوله: ﴿فتقع مدلوماً محسوراً﴾ أي إن أنت أمسكت ولم تنفق لامك سائلوك إذ لم تعطيهم، وإن أنت أنفقت كل

(١) روي أنَّ النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرَّزق يأتي من الله تعالى كراهة الردِّ فنزلت هذه الآية. فكان ﷺ: إذا سئل وليس عنده ما يعطي قال: (يرزقنا الله وإياكم من فضله) فالرحمة في الآية: الرزق المنتظر ولقد أحسن مَنْ قال:

إلّا تكن ورق يوماً أجود بها للسائلين فإني لئن العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي إمّا نوالي وإمّا حسن مردودي

شيء عندك انقطعت بك الحياة ولم تجد ماتواصل به سيرك في بقية عمرك فتكون كالبعير الذي أعياه السير فانقطع عنه وترك محسوراً في الطريق لا يستطيع صاحبه رده إلى أهله، ولا مواصلة السير عليه إلى وجهته. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي يوسع على من يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر لمن يشاء أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً﴾ فلذا هو يوسع ويضيق بحسب علمه وحكمته، إذ من عباده من لا يصلحه إلا السعة، ومنهم من لا يصلحه إلا الضيق، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي أطفالكم^(١) خشية إهلاك أي مخافة الفاقة والفقر، إذ كان العرب يثدون البنات خشية العار ويقتلون الأولاد الذكور كالإناث مخافة الفقر فأوصى تعالى بمنع ذلك وقال متعهداً متكفلاً برزق الأولاد وآبائهم فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وأخبر تعالى أن قتل الأولاد^(٢) كان خطئاً كبيراً^(٣) أي إثماً عظيماً فكيف يقدم عليه المؤمن؟.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي ومن جملة ما حكم به ووصى أن لا تقربوا أيها المؤمنون الزنا مجرد قرب منه قبل فعله، لأن الزنا كان في حكم الله فاحشة أي خصلة قبيحة شديدة القبح ممجوجة طبعاً وعقلاً وشرعاً، وساء طريق هذه الفاحشة سبيلاً أي بشس الطريق الموصل إلى الزنا طريقاً للآثار السيئة والنتائج المدمرة التي تترتب عليه أولها أذية المؤمنين في أعراضهم وآخرها جهنم والاصطلاء بحررها والبقاء فيها أحقاباً طويلة. وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي ومما حكم تعالى به وأوصى أن لا تقتلوا أيها المؤمنون النفس التي حرم الله أي قتلها إلا بالحق، وقد بين رسول الله ﷺ الحق الذي تقتل به نفس المؤمن وهو واحدة من ثلاث: القتل العمد العدوان، الزنا بعد الاحصان، الكفر بعد الإيمان. وقوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ أي من قتل له قتيل ظلماً وعدواناً أي غير خطأ فقد أعطاه تعالى سلطة كاملة على قاتل وليه إن شاء قتله وإن شاء أخذ دية منه، وإن شاء عفا عنه لوجه الله تعالى: وقوله: ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ أي لا يحل لولي الدم أي لمن قتل له

(١) الإملاق: الفقر، وعدم الملك، يقال: أملك الرجل: إذا لم يبق له إلا الملكات، وهي الحجارة العظام الملس.

(٢) يقال: يخطئ يخطئاً، وخطأ: إذا أذنب. وأخطأ يخطئ: خطأ إذا سلك سبيلاً خاطئاً عمداً.

(٣) قالت العلماء: قول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ﴾: أبلغ من قول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنى والزنى يمد ويقصر لغتان.

(٤) قبح سبيلاً أي: طريقاً لأنه يؤدي إلى النار.

(٥) الولي: هو المستحق الدم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

(٦) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثّل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.

(٧) جملة: إنه كان منصوراً: تعليلية أي: علة للنهي عن الإسراف في القتل.

قتيل أن يسرف في القتل فيقتل بدل الواحد أكثر من واحد أو بدل المرأة رجلاً. أو يقتل غير القتال، وذلك أن الله تعالى أعطاه سلطة تمكنه من قتل قاتله فلا يجوز أن يقتل غير قاتله كما كانوا في الجاهلية يفعلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سألته.
- ٢ - حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.
- ٣ - تجلّى حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس، والتضييق على آخرين.
- ٤ - حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفاً من الفقر أو العار.
- ٥ - حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومساها وحرمة الزنا وهو أشد.
- ٦ - حرمة قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدواناً، وزناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان^(١).

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ

مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسِ الْمُسْتَقِيمِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ

الْجِبَالِ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ فَلتَنَفِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

(١) لحديث الصحيحين: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفي السنن: (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم).

شرح الكلمات :

الا بالتى هي أحسن : أي ألا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف .

حتى يبلغ أشده : أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد .

وأوفوا بالعهد : أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه .

إن العهد كان مستولاً : أي عنه وذلك بأن يُسأل العبدُ يوم القيامة لم نكثت عهدك ؟

أوفوا الكيل : أي اتموه ولا تنقصوه .

بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل .

وأحسن تأويلاً : أي مآلاً وعاقبة .

ولا تقف : أي ولا تتبع .

والفؤاد : أي القلب .

كان عنه مستولاً : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة .

مرحاً : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء .

لن تخرق الأرض : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك .

من الحكمة : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليها ومعرفة المساخط

لتنجنبها تقرباً إليه تعالى بذلك .

ملوماً مدحوراً : أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً من رحمة الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان ما قضى به الله تعالى على عباده المؤمنين ووصاهم به فقال

تعالى : ﴿ولا تقربوا﴾ أي أيها المؤمنون ﴿مال اليتيم﴾ إلا بالتى هي أحسن ﴿أي بالفعل﴾ التي هي

أجمل وذلك بأن تصرفوا فيه بالثمير له والاصلاح فيه ، والإنفاق منه على اليتيم

بالمعروف أما أن تقرّبوه لتأكلوه إسرافاً وبداراً فلألا . وقوله : حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ

سن الرشد فتحاسبوه وتعطوه ماله يتصرف فيه حسب المشروع من التصرفات المالية . وقوله

تعالى : ﴿وأوفوا بالعهد﴾ أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين

سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من

الأحوال . وقوله ﴿إن العهد كان مستولاً﴾ تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد

(١) التعريف في «العهد» للجنس ليشمل سائر العهود .

(٢) الجملة تعليلية علل بها الأمر بالوفاء بالعهود ، وحذف متعلق مستولاً لظهوره : وهو عنه أي مستولاً عنه .

سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي العهود، وقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ هذا مما أمر الله تعالى وهو إيفاء الكيل والوزن أي توفيتهما وعدم بخسهما ونقصهما شيئاً ولو يسيراً ما دام في الإمكان عدم نقصه، أما ما يعسر التحرز منه فهو من العفو لقوله تعالى: ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾. وقوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ أي ذلك الوفاء والتوفية في الكيل والوزن خير لبراءة الذمة وطيب النفس به وأحسن تأويلاً أي عاقبة إذ يبارك الله تعالى في ذلك المال بأنواع من البركات لا يعلمها إلا وهو عز وجل. ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ أي لا تتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم ولا تقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ أي القلب ﴿كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ أي لا تقف ما ليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل. ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن التكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله ﴿إنك لن تحرق الأرض﴾ أي برجليك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولا مهما تعاليت وتناولت فإنك كغيرك من الناس لا تحرق الأرض أي تثقبها أو تقطعها برجليك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أي كل ذلك المأمور به

(١) القسطاس بضم القاف قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل أيضاً وقيل هو معرب من الرومية مركب من قسط أي عدل وطاس وهو كفة الميزان والأصل ضم القاف وكسره العرب لأنه أعجمي وهم يقولون أعجمي العجب به ما شئت.

(٢) القفو: الاتباع يقال قفاه يقفوه إذا اتبعه وهو مشتق من القفا وهو وراء العنق.

(٣) بهذه الحكمة وهي لا تقف ما ليس لك به علم: وضع حد لكثير من المفاسد التي كانت تقع لسبب القول بدون علم منها: الطعن في الأنساب لمجرد ظن. ومنها القذف بالفاحشة. ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور إلى غير ذلك من الأضرار التي تتم بسبب القول بالظن وبدون علم.

(٤) كل أولئك: المفروض أن يقال: كلها ولكن عدل إلى أولئك لأهمية تلك الحواس ونظير هذا في كلام العرب قول الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

(١)

والمنهي عنه من قوله تعالى : ﴿وقضى ربك﴾ إلى قوله ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾^(١) سيئة كالتبذير والبخل وقتل الأولاد والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم ، وبخس الكيل والوزن ، والقول بلا علم كالقذف وشهادة الزور ، والتكبر كل هذا الشيء مكروه عند الله تعالى إذا فلا تفعله يا عبد الله وما كان من حسن فيه كعبادة الله تعالى وحده وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل والعدة الحسنة فكل هذا الحسن هو عند الله حسن فآته يا عبد الله ولا تتركه ومن قرأ كنافع كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها فإنه يريد ما اشتملت عليه الآيات من التبذير والبخل وقتل النفس إلى آخر المنهيات .

وقوله تعالى : ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي ذلك الذي بينا لك يارسولنا من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة التي أمرناك بالأخذ بها والدعوة إلى التمسك بها ، ومن الخلال القبيحة والخصال الذميمة التي نهيناك عن فعلها وحرمانا عليك إتيانها مما أوحينا إليك في كتابنا هذا من أنواع الحكم وضروب العلم والمعرفة ، فله الحمد وله المنة .

وقوله : ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾^(٢) هذه أم الحكم بدأ بها السياق وختمه بها تقريراً وتأكيذاً إذ تقدم قوله تعالى : ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقع مذموماً مخذولاً﴾ . والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن كل أحد معني به فأني إنسان يشرك بربه أحداً من خلقه في عبادته فقد جعله إلهاً مع الله ، ولا بد أن يلقي في جهنم ملوماً من نفسه مدحوراً مبعداً من رحمة ربه التي هي الجنة . وهذا إذا مات قبل أن يتوب فيوحده ربه في عباداته . إذ التوبة إذا صحت جبت ما قبلها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة مال اليتيم أكلأ أو إفساداً أو تضييعاً وإهمالاً .
- ٢ - وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود .
- ٣ - وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن .

(١) قرأ الجمهور: سيئة، وقرأ حفص: سيئه، والسيئة ضد الحسنة.

(٢) الإشارة إلى ما تقدم ، والجملة مذكّل بها الكلام تنبيهاً على ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة من الحكمة تحريضاً على اتباع ما فيها وأنه خير عظيم كما فيها الامتنان على النبي ﷺ وعلى أمته بهذه الحكم والمعارف النافعة في الدنيا والآخرة .

(٣) هذه الجملة معطوفة على مثيلاتها المتضمنة للنهي عن كبائر الذنوب وهي مؤكدة لمضمون جملة : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ .

(٤) المدحور: هو المطرود من رحمة الله المغضوب عليه من الله تعالى .

- ٤ - حصول البركة لمن يمثل أمر الله في كيله ووزنه .
 ٥ - حرمة القول أو العمل بدون علم لما يُفْضِي إليه ذلك من المفساد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدا على صاحبها يوم القيامة .
 ٦ - حرمة الكبر ومقت المتكبرين .
 ٧ - إنظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها ، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة .

أَفَاصْفَكُمْ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- أفا صفاكم : الاستفهام للتوبيخ والتقريع ومعنى أصفاكم خصكم بالبنين واختارهم لكم .
 ولقد صرفنا في هذا القرآن : أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر .
 ليذكروا : أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا .
 لا ابتغوا إلى ذي العرش سبيلا : أي لطلبوا طريقا إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده .
 ومن فيهن : أي في السموات من الملائكة والأرض من انسان وجان وحيوان .

وإن من شيء إلا يسبح : أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات .
 حليماً غفوراً : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له .

معنى الآيات :

يقول تعالى مقرعاً موبخاً المشركين الذين يثدّون البنات ويكرهون نهنّ ثم هم يجعلون الملائكة إناثاً ﴿أفأصفاكم ربكم^(١) بالبنين﴾ أي أحصاكم بالبنين، واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً أيها المشركون إذ تجعلون لله ما تكرهون افتراءً وكذباً على الله تعالى، وقوله تعالى : ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي من الحجج والبيّنات والأمثال والمواعظ الشيء الكثير من أجل أن يُذكروا فيذكروا ويتعظوا فينبوا إلى ربهم فيوحدونه وينزهونه عن الشريك والولد، ولكن ما يزيدهم القرآن وما فيه من البيّنات والهدى إلا نفوراً وبعداً عن الحق . وذلك لغلبة التقليد عليهم، والعناد والمكابرة والمجادلة . وقوله تعالى : ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ أي قل يانبينا لهؤلاء المشركين المتخذين لله أنداداً يزعمون أنها آلهة مع الله قل لهم لو كان مع الله آلهة كما تقولون وإن كان الواقع يكذبكم إذ ليس هناك آلهة مع الله ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي لطلبوا طريقاً إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله، وغناه وحاجتهم وافتقارهم إليه . ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه أن يكون معه آلهة فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ . وقوله : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ فأخبر تعالى منزلها نفسه مقدساً ذاته عن الشبيه والشريك والولد والعجز، فأخبر أنه لعظمته وكماله تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن بكلمة : سبحان الله وبحمده ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ كما أخبر أنه ما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمده

(١) الجملة متفرعة عن جملة : ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ وهي متضمنة للإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة إناثاً ونسبتهم إلى الله تعالى إذ قالوا : الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، كما هي متضمنة توبيخ المشركين على سوء فهمهم وقبح قولهم بدليل قوله : ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ .

(٢) من الجائز أن تكون (في) مريدة، والقرآن : معمول أصرفنا، إذ التصريف : صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد به هنا : البيان والتكرير والانتقال من حكمة إلى حكمة ومن عبرة إلى موعظة .

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لطلبوا مع الله المنازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن جبير المعنى : إذا لطلبوا طريقاً إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه، وما قاله ابن عباس كالذي قاله سعيد جائز لكن ما ذهبت إليه في التفسير أولى وألصق بمعنى الآيات والسياق .

(٤) من الملائكة والجن والإنس .

بلسان قَالِه وَحَالِه معاً فيقول سبحانه الله وبحمده وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١) لاختلاف الألسنة واللغات. وقوله إنه كان أي ﴿الله حليماً﴾: أي لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفوراً يغفر ذنوب وزلات من تاب إليه وأناب طالباً مغفرته ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذهِ ولداً أو شريكاً.
- ٢ - مشروعية الاستدلال بالعقليات ، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.
- ٣ - فضيلة التسبيح وهو قول: سبحانه الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.
- ٤ - كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه عن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثلها شيء وهو السميع البصير.
- ٥ - حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

(١) المراد من لسان الحال: هو تسبيح الدلالة، إذ كل محدث شاهد على أن الله خالق قادر، ولا مانع من أن يسبح كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد والجن والملائكة إلا ذرية إبليس فإنهم لا يسبحون بلسان القال ولكن بلسان الحال.

(٢) قوله: ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ دليل على أن تسبيح كل شيء بلسان قاله ويؤيد هذا تسبيح الطعام، وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وأدل من هذا قوله ﷺ: (لا يسمع صوت مؤذن من جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة).

شرح الكلمات:

- حجاباً مستوراً : أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى .
 وجعلنا على قلوبهم أكنة : أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم .
 وفي آذانهم وقراً : أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه .
 ولو على أديبارهم نفوراً : أي فراراً من السماع حتى لا يسمعوا .
 بما يستمعون به : أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ .
 وإذا هم نجوى : أي يتناجون بينهم يتحدثون سراً .
 رجلاً مسحوراً : أي مغلولاً على عقله مخدوعاً .
 ضربوا لك الأمثال : أي قالوا ساحر، وقالوا كاهن وقالوا شاعر .
 فضلوأ . أي عن الهدى فلا يستطيعون سبيلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(١) يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجاباً ^(٢) ساتراً، أو مستوراً لا يرى وهو حقاً حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يقرأ عليهم فلا يتفجعون به . وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ ^(٣) جمع كنان وهو الغطاء حتى لا يصل المعنى المقروء من الآيات إلى قلوبهم فيفقهوه، وقوله : ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ أي وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين الخصوم ثقلاً في آذانهم فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم، وهذا كله من الحجاب الساتر والأكنة، والوقر في الآذان عقوبة من الله تعالى لهم حرمتهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ببغضهم للرسول وما جاء به وحر بهم له ولما جاء به من التوحيد والدين الحق، وقوله

(١) روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت : لما نزلت (سورة تبت يدا أبي لهب) أقبلت العواء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها (حجر ملء الكف) وهي تقول مذمماً عصينا وأمره أبينا، ودينه قلينا، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر قال : يارسول الله : لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فقرأ ﷺ قرآناً، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجأك فولت .
 (٢) ساتراً أي : للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً أي : الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً، ولكن لا يرى .
 (٣) أن يفقهوه أي : لثلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه .

تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ ^(١) بَيَّانٌ قُلْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ مَا أَفْهَمَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَى الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُوراً ^(٢) مِنْ سَمَاعِ التَّوْحِيدِ لِحُبِّهِمُ الْوُثْنِيَّةَ وَتَعْلُقَ قُلُوبِهِمْ بِالْشُرْكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ أَيْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ يَسْتَمْعُونَ مِنْ أَجْلِ الْاسْتِهْزَاءِ بِكَ وَالسَّخَرَةِ مِنْكَ وَمِمَّا تَتْلُوهُ لَا أَنَّهُمْ يَسْتَمْعُونَ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَلِطَلْبِ الْحَقِّ وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أَيْ يَنَاجِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيْ الْمُشْرِكُونَ ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أَيْ لَا تَتَّبِعُونَ ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أَيْ مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ، فَكَيْفَ تَتَّبِعُونَهُ إِذَا؟.

وقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أَيْ انْظُرْ يَا رَسُولُنَا كَيْفَ ضَرَبَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمَعَانِدُونَ الْأَمْثَالَ فَقَالُوا عَنْكَ: سَاحِرٌ، وَشَاعِرٌ، وَكَاهِنٌ وَمَجْنُونٌ فَضَلُّوا فِي طَرِيقِهِمْ ﴿فَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ إِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ حَيْرَتِهِمْ هَذِهِ الَّتِي أَوْقَعَهُمْ فِيهَا كُفْرُهُمْ وَغِنَادُهُمْ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير قاعدة حبك الشيء يعمى ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقُل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول ﷺ وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

٢ - بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

٣ - بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.

٤ - بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

(١) أي: وأنت تقرأ القرآن.

(٢) أي: دل على معنى لا إله إلا الله.

(٣) يجوز أن يكون نفور جمع نافر كشهود جمع شاهد، ويجوز أن يكون مصدرًا من نفر نفوراً أي: تقفوا نفوراً.

(٤) قولهم هذا وهم يتناجون يقولون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي: مطبوعاً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره. يقولون هذا حتى ينفروا الناس عنه ولا يتبعوه.

(٥) عجبهم من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وأخرى شاعر فضللوا فلا يستطيعون سبيلاً يرجعون معه من حيرتهم أو يتمكنون به من صد الناس عنك وصرفهم عن دعوتك.

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفُنًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾
 ﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
 يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِيْبُونَ بِحَمْدِهِ
 وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا : الاستفهام للإنكسار والاستبعاد والرفات الأجزاء المتفرقة .
 مما يكبر في صدوركم : أي يعظم عن قبول الحياة في اعتقادكم .
 فطركم : خلقكم .
 فسينغضون : أي يحركون رؤوسهم تعجبا .
 متى هو ؟ : الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا .
 يوم يدعوكم : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل .
 فتسجيبون : أي تجيبون دعوته قائلين سبحانك اللهم وبحمدك .
 وتظنون إن لبثتم إلا قليلا : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير العقيدة ففي الآيات قَبْلَ هذه كان تقرير التوحيد والوحي وفي
 هذه الآيات تقرير البعث والجزاء الآخر ففي الآية (٤٧) يخبر تعالى عن إنكار المشركين
 للبعث واستبعادهم له بقوله : ﴿وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا﴾ أي أجزاء متفرقة كالحطام ﴿أنا
 لمبعوثون خلقا جديدا﴾ وفي الآية الثانية (٤٨) يأمر تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم

(١) هذا من قولهم الذي قالوا وهم يسمعون القرآن ، ويتناجون بينهم فيقولون كذا وكذا .
 (٢) الرفات : ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات ، والحطام والرضاض يقال : رُفِت الشيء رفنا أي : حطم والاستفهام إنكاري .
 (٣) الاستفهام للاستهزاء مع الجحد والإنكار ، و﴿خلقاً﴾ : منصوب على الحال من ضمير ﴿لمبعوثون﴾ .

كونوا ماشئتم فإن الله تعالى قادر على إحيائكم وبعثكم للحساب والجزاء وهو قوله تعالى؟ قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم أي مما يعظم في نفوسكم أن يقبل الحياة كالموت مثلاً فإن الله تعالى سيحييكم وبعثكم . وقوله تعالى : فسيقولون من يعيدنا؟ يخبر تعالى رسوله أن منكري البعث سيقولون له مستبعدين البعث : من يعيدنا وعلمه الجواب فقال له قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة وهو جواب مسكت فالذي خلقكم ثم أماتكم هو الذي يعيدكم كما بدأكم وهو أهون عليه . وقوله تعالى ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟﴾ يخبر تعالى رسوله بما سيقوله منكروا البعث له فيقول تعالى ﴿فسينغضون﴾ أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ويقولون : ﴿متى هو؟﴾ أي متى البعث أي في أي يوم هو كائن . وقوله تعالى : ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ علمه تعالى كيف يجيب المكذبين . وقوله ﴿يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي يكون بعثكم الذي تنكرونه يوم يدعوكم بأمر الله تعالى إسرأفيل من قبوركم فتستجيون أي فتجيبونه بحمد الله ﴿وتظنون إن لبثتم أي لبثتم إلا قليلاً أي ما لبثتم في قبوركم إلا قليلاً﴾ من اللبث وذلك لما تعينون من الأحوال وتشاهدون من الأحوال المفزعة المرعبة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها .
- ٢ - بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر .
- ٣ - تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن .
- ٤ - بيان الأسلوب الحوارى الهادى الخالى من الغلظة والشدة .

(١) الحديد : تراب معدني لا يوجد إلا في مغاور الأرض ، وهو تراب غليظ وأصنافه ثمانية وأشهر أنواعه الأحمر وهو صنفان ، ذكر وأنثى .

(٢) قال مجاهد : يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس .

(٣) لأن الموت لا شيء أكبر منه في نفوس بني آدم ، قال أمية بن الصلت : وللموت خلق في النفوس فظيع

وخلقاً بمعنى مخلوق ، ومن يكبر في صدوركم صفة له .

(٤) روي أنه ﷺ قال : (انكم تدعون يوم القيامة بأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم) .

(٥) قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون : سبحانك وبحمدك .

(٦) وقيل : هذا ما بين النفتين ، وذلك أن العذاب يكف عن المعذبين بين النفتين وذلك أربعين عاماً فينامون فإذا نفخ النفخة الثانية قالوا : من بعثنا من مرقدنا وظنوا أنهم ما لبثوا إلا قليلاً .

٥ - استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ
يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات:

التي هي أحسن : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.
ينزع : أي يفسد بينهم^(١).
عدواً مبيناً : أي بين العداوة ظاهرها.
ربكم أعلم بكم : هذه هي الكلمة التي هي أحسن.
وما أرسلناك عليهم وكيلاً : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان.
فضلنا بعض النبيين : أي بتخصيص كل منهم بفضائل أو فضيلة خاصة به.
وآتينا داود زبوراً : أي كتاباً هو الزبور هذا نوع من التفضيل.
معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية أهل مكة، من طريق الحوار والمجادلة وحدث أن بعض المؤمنين واجه بعض الكافرين أثناء الجدال بغلظة لفظ كأن توعد به عذاب النار فأنار ذلك حقائق المشركين فأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين إذا خاطبوا المشركين أن لا يغلظوا لهم القول فقال تعالى : ﴿وقل لعبادي﴾ أي المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ من الكلمات لتجد طريقاً إلى قلوب الكافرين، وعلل لذلك تعالى فقال ﴿إن الشيطان ينزع بينهم﴾ الوسواس فيفسد العلائق التي

(١) روي أن الآية نزلت في عمرو بن الدغنة وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه عمر وهم يقتله فكادت تثير فتنة، والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذا الآية دعوة عامة لإحسان القول في أثناء دعوة الناس وهدايتهم.
(٢) أي بالكلمات التي هي أحسن.

كان في الامكان التوصل بها إلى هداية الضالين ، وذلك أن الشيطان كان ومازال للإنسان عدواً ميبئاً أي بين العداوة ظاهرها فهو لا يريد للكافر أن يسلم ، ولا يريد للمسلم أن يؤجر ويثاب في دعوته . وقوله تعالى : ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ فيتوب عليكم فتسلموا . ﴿أوإن يشأ يعذبكم﴾ بأن يترككم تموتون على شرككم فتدخلوا النار . مثل هذا الكلام ينبغي أن يقول المؤمنون للكافرين لا أن يصدروا الحكم عليهم بأنهم أهل النار والمخلدون فيها فيزعج ذلك المشركين فيتمادوا في العناد والمكابرة . وقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك عليهم^(١) وكيلاً﴾ . يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك رقيباً عليهم فتجبرهم على الإسلام وإنما أرسلناك مبلغاً دعوتنا إليهم بالأسلوب الحسن وهدايتهم إلينا ، وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يدعون الكافرين إلى الإسلام . وقوله تعالى : ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين ضمناً أنه تعالى أعلم بمن في السموات والأرض فضلاً عن هؤلاء المشركين فهو أعلم بما يصلحهم وأعلم بما كتب لهم أو عليهم من سعادة أو شقاء ، وأسباب ذلك من الإيمان أو الكفر ، وعليه فلا تحزنوا على تكذيبهم ولا تيأسوا من إيمانهم ، ولا تتكلفوا ما لا تطيقون في هدايتهم فقولوا التي هي أحسن واتركوا أمر هدايتهم لله تعالى هو ربهم وأعلم بهم وقوله تعالى : ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً^(٢)﴾ ، يخبر تعالى عن انعامه بين عباده فالذي فاضل بين النبيين وهم أكمل الخلق وأصفاهم فهذا فضله بالخلة إبراهيم وهذا بالتكليم كموسى ، وهذا بالكتاب الحافل بالتسبيح والمحامد والعبر والمواعظ كداود ، وأنت يامحمد بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، وإرسالك إلى الناس كافة إلى غير ذلك من الإفضالات وإذا تجلت هذه الحقيقة لكم وعرفتم أن الله أعلم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الضلالة ، وكذا الرحمة والعذاب ففوضوا الأمر إليه ، وادعوا عباده برفق ولين وبالتالي هي أحسن من غيرها من الكلمات .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام .

(١) الرقيب والحفيظ والوكيل والكفيل كلها بمعنى واحد في هذا السياق ومن اطلاق الوكيل وإرادة الرقيب قول الشاعر:

ذكرت أبا أروى فبت كأنني برد الأمور الماضية وكيل

(٢) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم ، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ .

٢ - بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائما فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

٣ - بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل هربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم.

٤ - بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
 وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾
 وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
 وَءَايَاتُنَا مُدُ الْنَّاقَةِ مُبْصِرَةٌ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
 إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
 جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
 فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

فلا يملكون	: أي لا يستطيعون .
كشف الضر	: أي إزالته بشفاء المريض .
ولا تحويلا	: أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به .

- يدعون : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم .
- يبتغون إلى ربهم الوسيلة : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات .
- كان محذورا : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى .
- في الكتاب مسطورا : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبا .
- أن نرسل بالآيات : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب . أو إزالة جبال مكة لتكون أرضاً زراعية وأجراء العيون فيها .
- إلا ان كذب بها الأولون : إذ طالب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالى .
- الناقة مبصرة : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بينة .
- فظلموا بها : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى .
- إلا تخويفا : إلا من أجل تخويف العباد بأننا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم .
- أحاط بالناس : أي قدرة وعلمنا فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم .
- وما جعلنا الرؤيا ^(١) : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب خلق الله تعالى .
- والشجرة الملعونة ^(٢) : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في الصافات والدخان .
- ونخوفهم : بعذابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم .
- فما يزيدهم : أي التخويف إلا طغينانا وكفراً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد فيقول تعالى لرسوله قل يا محمد ﷺ لأولئك المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله سبحانه وتعالى فإنهم لا يملكون أن يكشفوا الضر عن مريض ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدوله يريد أن يمسه الضر لأنهم أصنام وتمثيل لا يسمعون

(١) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ الخ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس .

(٢) قيل فيها ملعونة جرياً على عادة العرب في كل طعام مكروه يقولون فيه ملعون، وجائز أن يكون المراد باللعن لعن آكلها أي : الشجرة الملعونة آكلها .

ولا يبصرون فضلاً عن أن يستجيئوا دعاء من دعاهم لكشف ضر أو تحويله إلى غيره، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٤) ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ ويخافون عذابه. يخبرهم تعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الجن أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم أنفسهم يدعون ربهم ويتوسلون للحصول على رضاه. بشتى أنواع الطاعات والقربات فالذي يُعْبَدُ لَا يُعْبَدُ، والذي يتقرب إلى الله بالطاعات لا يتقرب إليه وإنما يتقرب إلى من هو يتقرب إليه ليحظى بالمنزلة عنده، وقوله ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، أي أن أولئك الذين يدعوهم الجاهل من الناس ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم هم أنفسهم يطلبون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. لأن عذابه تعالى كان وما زال يحذره العقلاء، لأنه شديد لا يطاق. فكيف يُدعى ويُرجى ويُخاف من هو يدعو ويرجو ويخاف لو كان المشركون يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي مدينة من المدن ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ أي بعذاب إبادة قبل يوم القيامة، ﴿أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بمرض أو قحط أو خوف من عدو ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ، فلذا لا يستعجل أهل مكة العذاب فإنه إن كان قد كتب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة وإن لم يكن قد كتب عليهم فلا معنى لاستعجاله فإنه غير واقع بهم وهم مرجون للتوبة أو لعذاب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ أي بالمعجزات وخوارق العادات ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا﴾ أي بالمعجزات الأولون من الأمم فأهلكناهم بتكذيبهم بها، فلو أرسلنا نبينا محمداً بمثل تلك الآيات وكذبت بها قريش

(١) قيل: إنه لما ابتليت قريش بالقط، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة لكم.

(٢) روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قال: نفر من الجن أسلموا، وكانوا يُعْبَدُونَ بقي الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم وقد أسلم نفر من الجن، وفي رواية قال: أنزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنون، والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون أي: بإسلامهم فبقوا يعبدونهم.

(٤) في الآية الجمع بين الخوف والرجاء وهما كجناحي الطائر إن انكسر أحدهما لم يطر بالأخر، ولذا فلا بد للمؤمن منهما فالخوف يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحرمات، والرجاء يحمل على المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمن عاقبة أمره.

(٣) ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ وفي الآية تهديد ووعد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٥) أي: وما صرفنا عن إرسالك يا رسولنا بالمعجزات التي يطالب بها المشركون إلا تكذيب الأولين بها وهؤلاء مثلهم لو أرسلناك بها فكذبوا بها واستحقوا الهلاك ونحن لا نريد لهم ذلك.

لأهلكهم، وهو تعالى لا يريد أهلكهم بل يريد هدايتهم ليهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب والعجم والأبيض والأصفر فسبحان الله العليم الحكيم وقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مَبْصُورَةً﴾ أي آية مبصرة أي مضيئة بينة فظلموا بها أي كذبوا بها فعقروها فظلموا بذلك أنفسهم وعرضوها لعذاب الإبادة فأبادهم الله فأخذتهم الصيحة وهم ظالمون هذا دليل على أن المانع من الإرسال بالآيات هو ما ذكر تعالى في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ يخبر تعالى أنه ما يرسل الرسل مؤيدين بالآيات التي هي المعجزات والعبر والعظات إلا لتخويف الناس عاقبة الكفر والعصيان لعلمهم يخافون فيؤمنون ويطيعون قوله تعالى ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي اذكر يا محمد إذ قلنا لك بواسطة وحينا هذا إن ربك أحاط بالناس. فهم في قبضته وتحت قهره وسلطانه فلا ترهبهم ولا تخش منهم أحداً فإن الله ناصرهم عليهم، ومنزل نعمته بمن تمادى في الظلم والعناد، وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يريد رؤيا الإسراء والمعراج حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقها، ما أراه ﴿إلا فتنه للناس﴾ أي لأهل مكة اختباراً لهم هل يصدقون أو يكذبون، إذ ليس لازماً لتقرير نبوتك وإثبات رسالتك وفصلك أن نريك الملكوت الأعلى وما فيه من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وهي شجرة الزقوم وأنها ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ إلا فتنه كذلك لأهل مكة حيث قالوا كيف يصح وجود نخلة ذات طلع في وسط النار، كيف لا تحرقها النار قياساً للغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، وقوله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الملعونة وأنها ﴿طعام الأثيم تغلي في البطون كغلي الحميم﴾ وبغيرها من أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً أي ارتفاعاً وتكبراً عن قبول الحق والاستجابة له لما سبق في علم الله من خزيهم وعذابهم فاصبر أيها الرسول وامض في دعوتك فإن العاقبة لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعباديتها.
- ٢ - بيان حقيقة عقلية وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر

(١) في السياق ما يدل على أنَّ هناك رغبة في المعجزات من الكافرين والمؤمنين ولذا ذكر تعالى علل عدم إعطائها لرسوله ﷺ، فالعلة الأولى تكذيب الأولين بها ودلل بتكذيب ثمود بها والثانية أنه ما يرسل بالمعجزات من أرسلهم بها إلا لعله التخويف فقط والثالثة إعلامه تعالى رسوله بأن ربك محيط بعبادك قادر عليهم فلا تخفهم ولا تطلب الآية لهم، والرابعة: أن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن للهداية وإنما هي للفتنة لا غير.

باطل ومضحك في نفس الوقت، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يُعْبَدُ لا يُعْبَدُ. ومن كان يُتَقَرَّبُ لا يُتَقَرَّبُ إليه، ومن كان يُتَوَسَّلُ لا يُتَوَسَّلُ إليه بل يعبد الذي كان يُعْبَدُ ويُتَوَسَّلُ إلى الذي كان يُتَوَسَّلُ إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ - تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٤ - بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قریش.

٥ - بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّ
 كَرَّمْتَ عَلَى لَيْنٍ آخِرَتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
 جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْطَعَتَ
 مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
 غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

لمن خلقت طيناً : أي من الطين .

أرايتك : أي أخبرني

كُرمت على : أي فضّلته علي بالأمر بالسجود له .

لأحتنك : لاستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في

أذهب : حنكها، تُقَاد حيث شاء راکبها! .
 جزاءً موفوراً : أي منظرأ إلى وقت النفخة الأولى .
 واستغفرز : أي وأفرأ كاملاً .
 بصوتك : أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني
 واللهم .

وأجلب عليهم : أي صَحَّ فيهم بركبانك ومُشانتك .
 وشاركهم في الأموال : بحملهم على أكل الربا وتعاطيه .
 والأولاد : بتزيين الزنا ودفعهم إليه .
 وعدمهم : أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء .
 إلا غرورا : أي باطلاً .
 ليس لك عليهم سلطان : أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها .
 وكفى بربك وكيلأ : أي حافظأ لهم منك أيها العدو .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين الجهلة الذين أطاعوا عدوهم وعدو أبيهم من قبل ، وعصوا ربهم ، اذكر لهم كيف صدّقوا ظنَّ إبليس فيهم ، واذكر لهم ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فامتثلوا أمرنا ﴿وَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ قال منكراً أمرنا ، مستكبراً عن آدم عبدنا ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾؟ أي لمن خلقته من الطين لأن آدم خلقه الله تعالى من أديم الأرض عذبها وملحها ولذا سمى آدم آدم . ثم قال في صلفه وكبريائه ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ أي أخبرني أهذا ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾! قال هذا استصغار لآدم واستخفافاً بشأنه ، ﴿لَنْ أَخْرُتَنِي﴾ أي وعزتك لن أخزت موتي ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ لِأَحْتَنِكَنْ ذَرِيَّتَهُ﴾ أي لأستولين عليهم وأسوقهم إلى أودية الغواية والضلال حتى يهلكوا مثلي ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ منهم ممن

(١) الاستفهام انكاري .

(٢) أي : فضلت ، والإكرام : اسم جامع لكل ما يحمد ، وفي الكلام حذف تقديره أخبرني عن هذا الذي فضلته عليّ لم فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين ، ويصح بدون تقدير المحذوف أي : أترى هذا الذي كرمته عليّ لأفعلن به كذا وكذا .

(٣) ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ : يعني المعصومين وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ واستثناء إبليس القليل كان ظناً منه فقط كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وقال الحسن : ظن ذلك لأنه وسوس لآدم في الجنة ولم يجد له عزماً فحصل له بذلك هذا العلم المعبر عنه بالظنّ إذ يطلق لفظ الظن ، ويراد به العلم .

تستخلصهم لعبادتك فأجابه الرب تبارك وتعالى : ﴿قال اذهب﴾^(١) أي مُنظراً وممهلاً إلى وقت النفخة الأولى وقوله تعالى : ﴿فمن تبعك منهم﴾ أي عصاني وأطاعك ﴿فإن جهنم جزأؤكم جزأء موفوراً﴾ أي وافراً كاملاً.

وقوله تعالى : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال هذا إبليس بعد أن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم أذن له في أن يعمل ما استطاع في إضلال أتباعه ، ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ أي واستخفف منهم بدعائك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها ، ﴿وأجلب﴾^(٢) عليهم ﴿أي صح على خيلك ورجلك الركبان والمشاة وسقهم جميعاً على بني آدم لإغوائهم وإضلالهم﴾ وشاركهم في الأموال ﴿بحملهم على الربا وجمع الأموال من الحرام وفي الأولاد﴾ بتزيين الزنا وتحسين الفجور وعدهم بالأمانى الكاذبة وبأن لا بعث يوم القيامة ولا حساب ولا جزاء قال تعالى : ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غوراً﴾ أي باطلاً وكذباً وزوراً. وقوله تعالى : ﴿إن عبادي﴾ أي المؤمنين بي ، المصدقين ببلقائي ووعدتي ووعدتي ليس لك عليهم قوة تتسلط عليهم بها ، ﴿وكفى بربك وكيل﴾ أي حافظاً لهم : منك فلا تقدر على إضلالهم ولا إغوائهم ياعدوي وعدوهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية التذكير بالأحداث الماضية للتحذير من الوقوع في الهلاك.
- ٢ - ذم الكبر وأنه من شر الصفات.
- ٣ - تقرير عداوة إبليس والتحذير منها.
- ٤ - بيان مشاركة إبليس أتباعه في أموالهم وأولادهم ونساءهم.
- ٥ - بيان أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأندية الملاهي وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الأدمي المسكين الضعيف.
- ٦ - بيان حفظ الله تعالى لأوليائه ، وهم المؤمنون المتقون ، جعلنا الله تعالى منهم وحفظنا بما يحفظهم به إنه بر كريم.

(١) الأمر هنا : للإهانة والطرده والاحتقار والصغار.

(٢) الاستفزاز : طلب الفر ، وهو الخفة والانزعاج ، وترك الثاقل ، والسين والتاء فيه لشدة طلب الاستخفاف والإزعاج.

(٣) الإجلاب : جمع الجيوش وسوقها مشتق من الجلبة التي هي الصباح إذ الجيوش تجمع بالجلبة فيهم والصباح بهم.

(٤) قرأ حفص : ﴿ورجلك﴾ بكسر الجيم لفة في رجل وقرأ غيره ﴿ورجلك﴾ بسكون الجيم ، والمعنى بخيلك : أي فرسانك ورجالك.

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ

فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ

إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ

بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ

عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا

لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۝ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى

كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------------|---|
| يزجي لكم الفلك | : أي يسوقها فتسير فيه . |
| لتبتغوا من فضله | : أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر . |
| وإذا مسكم الضر | : أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق . |
| ضل من تدعون إلا إياه | : أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم . |
| أعرضتم | : أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك . |
| أو يرسل عليكم حاصبًا | : أي ريحاً ترمي بالحصباء لشدتها . |
| ثم لا تجدوا لكم وكيلا | : أي حافظاً منه أي من الخسف أو الريح الحاصب . |
| قاصفاً من الريح | : أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتكسرهما لقوتها . |
| علينا به تبعاً | : أي نصيراً ومعيناً يتبعنا ليثأر لكم منا . |
| ولقد كرمنا بني آدم | : أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق . |
| حملناهم في البر والبحر | : في البر على البهائم والبحر على السفن . |

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه . فقله تعالى : ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يخبرهم تعالى بأن ربهم الحق الذي يجب أن يعبدوه ويطيعوه بعد أن يؤمنوا به هو الذي ﴿يزجي لكم الفلك﴾ أي السفينة ﴿في البحر﴾ أي يسوقها فتسير بهم في البحر إلى حيث يريدون من أجل أن يطلبوا رزق الله لهم بالتجارة من إقليم لآخر . هذا هو إلهكم الحق ، أما الأصنام والأوثان فهي مخلوقة لله مربوبة له ، لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ، نفعا ولا ضرراً .

وقوله تعالى : ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ ومن رحمته تعالى تسخير البحر لهم وإجزاء السفن وسوقها فيه ليحصلوا على أقواتهم عن طريق السفر والتجارة . وقوله تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ يذكرهم بحقيقة واقعة لهم وهي أنهم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم شدة من مرض أو ضلال طريق أو عواصف بحرية اضطربت لها السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده ولم يبق من يدعوه سواه تعالى لكنهم إذا نجاهم من الهلكة التي خافوها ونزلوا بشاطئ السلامة عرضوا عن ذكر الله وذكروا آلهتهم ونسوا ما كانوا يدعونه وهو الله من قبل ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ هذا طبعه وهذه حاله سرعة النسيان ، وشدة الكفران وقوله تعالى : وهو يخاطبهم لهدايتهم ﴿أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ يقرعهم على إعراضهم فيقول ﴿أفأنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يخسف بكم﴾ جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء فيهلككم كما أهلك عاداً ﴿ثم لا تجدوا لكم﴾ من غير الله ﴿وكيلاً﴾ يتولى دفع العذاب عنكم ويقول : ﴿أم أمتم﴾ الله تعالى ﴿أن يعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتحطمها ﴿فيغرقكم بما كفرتكم﴾ أي بسبب كفركم كما أغرق آل فرعون ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي تابعا يثار لكم منا ويتبعنا مطالباً بما نلنا منكم من العذاب .

(١) الإجزاء : السوق قال تعالى : ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ وقال الشاعر :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

(٢) أي : الذي يجب أن يشكروه بعبادته وحده دون من سواه .

(٣) لفظ الضر يعم المرض وخوف الغرق والإمساك عن الجري وأحوال حالة اضطراباته .

(٤) الخسف : انهيار الأرض بالشيء فوقها ، وجانب البر : ناحية الأرض إذ البحر جانب والأرض جانب .

(٥) يقال لكل ريح تحمل التراب والحصباء : حاصب ، قال الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مشور

فما لكم إذا لا تؤمنون وتوحدون وبالباطل تكفرون . وقوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق ﴿ وحملناهم في البر والبحر ﴾ على ما سخرنا لهم من المراكب ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي المستلذات من اللحوم والحبوب والفواكه والخضر والمياه العذبة الفرات . وقوله تعالى : ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ فالآدميون أفضل من الجن وسائر الحيوانات ، وخواصهم أفضل من الملائكة ، وعامة الملائكة أفضل من عامة الآدميين ومع هذا فإن الآدمي إذا كفر ربه وأشرك في عبادته غيره ، وترك عبادته ، وتخلّى عن محبته ومراقبته أصبح شر الخليقة كلها . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تعريف الله تعالى بذكر صفاته الفعلية والذاتية .
- ٢ - تذكير المشركين بحالهم في الشدة والرخاء حيث يعرفون الله في الشدة ويخلصون له الدعاء ، وينكرونه في الرخاء ويشركون به سواه .
- ٣ - تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله ، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة .
- ٤ - بيان من الله تعالى على الانسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله .
- ٥ - حال الرخاء أصعب على الناس من حال الشدة بالقحط والمرض ، أو غيرهما من المصائب .
- ٦ - الاعلان عن كرامة الآدمي وشرفه على سائر المخلوقات الأرضية .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ
بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ
كِتَابُهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ

(١) في الآية دليل على إبطال الزهد في لذيذ الطعام كالعسل والسمن واللحم والفواكه والاكتفاء بالخبز بالملح ونحوه مع توفر طيب الطعام والشراب لأنه مخالف لمنهج السلف وفيه كفر ما أنعم الله تعالى به على عباده من طيب الرزق .

(٢) ﴿ فمن أوتي ﴾ معطوف على مقدر اقتضاه قوله : ﴿ ندعو كل اناس بإمامهم ﴾ أي فيؤتون كتبهم ﴿ فمن أوتي كتابه ... ﴾ الخ .

أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

- بإمامهم : أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر .
فتيلاً : أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة .
ومن كان في هذه أعمى : من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته ، فلم يؤمن به ولم يعبهده فهو في الآخرة أشد أعمى وأضل سبيلاً .
وإن كادوا : أي قاربوا .
ليفتنونك : أي يستنزلونك عن الحق ، أي يطلبون نزولك عنه .
لتفتري علينا غيره : أي لتقول علينا افتراءً غير الذي أوحينا إليك .
إذا لا تأخذوك خليلاً : أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لا تأخذوك خليلاً لهم .
ضعف الحياة وضعف الممات : أي لعذابك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة كذلك .
ليستفزونك من الأرض : أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة .
لا يلبثون خلفك : أي لا يبقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً ويهلكهم الله .
سنة من قد أرسلنا من قبلك : أي لو أخرجوك لعذابناهم بعد خروجك بقليل ، سنتنا في الأمم .
ولا تجد لسننتنا تحويلاً : أي عما جرت به في الأمم السابقة .

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يا رسولنا «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحداً واحداً فمن أعطى كتابه يمينه تشريفاً له وتكريماً، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بأيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه «ولا يظلمون» أي لا ينقصون مقدار قتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم^(١). واذكر هذا لهم تعظهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلاً﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحيناه إليك، وإذا لو فعلت بأن وافقتهم على ما طلبوا منك، من الإغضاء على شركهم و التسامح معهم إقراراً لباطلهم، ولو مؤقتاً، ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جردهم أن يستزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكرراً منهم وخديعة سياسية إذ لو وافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذاً يتقوّل، وليس بالذي يوحى إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمتناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن﴾ أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾ بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذا﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئاً يسيراً ﴿لأدقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيراً ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبناك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

(١) لم يذكر من أوتي كتبهم بشماثلهم إذ هم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.

(٢) عدي فعل يفتنونك بمن لأنه مضمن معنى فعل يتعدى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.

(٣) الآية مسوقة لمساق الامتنان على النبي ﷺ حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.

(٤) الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

(٥) هذه الجملة جزاء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأدقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(٦) جائر أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأزراء في مدة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكموذاً مستذلاً بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياح ما كان يأمله ويدعو إليه.

رسوله بذلك إعلاماً وإنذاراً، فقال: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذا﴾ أي لو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً ونهلكهم كما هي سنتنا في الأمم السابقة التي أخرجت أنبياءها أو قتلتهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ أي يستخفونك ﴿من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثوا خلافاً﴾ إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلاً ﴿أي عما جرت به في الأمم السابقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - الترغيب في الاقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الاقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.
- ٢ - عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحجة على العبد وعدم ظلمه شيئاً.
- ٣ - عمى الدنيا عن الحق وشواهد سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.
- ٤ - حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاء لهم.
- ٥ - الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقاً لهم طمعاً في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.
- ٦ - إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.

أَقِمِ

الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استعمال من فَرَّ يَفْزُ بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا: أن يخرجوك من بلدك كرهاً ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) قرأ نافع: (خلفك) أي بعدك، وقرأ حفص (خلافاً) وهي لغة في خلف بمعنى: بعد.

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
 أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
 ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
 سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

لدلوك الشمس	: أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب .
إلى غسق الليل	: أي إلى ظلمة الليل ، إذ الغسق الظلمة .
وقرآن الفجر	: صلاة الصبح .
كان مشهوداً	: تشهد الملائكة ، ملائكة الليل وملائكة النهار .
فتهجد به ^(١)	: أي بالقرآن .
نافلة	: أي زائدة عن الغرض وهي التهجد بالليل .
مقاماً محموداً	: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون .
أدخلني مدخل صدق	: أي المدينة ، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً .
وأخرجني مخرج صدق	: أي من مكة إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها .
وقل جاء الحق وزهق الباطل	: أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى .
زهق الباطل	: أي ذهب واضمحل .
أعرض وأنا بجانبه	: أعرض عن الشكر فلم يشكر ، وأنا بجانبه : أي ثنى عطفه متبخرراً في كبرياء .
على شاكلته	: أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لتلك الأحداث الجسام أمر تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمّن
 الخائفين ، ومنار السالكين ، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فقال : ﴿أقم الصلاة لدلوك

(١) تهجد : إذا ألقى الهجود عنه ، وهو النوم ، وقام يصلي ، والتهجد من الهجود وهو من الأضداد هجد : نام ، وهجد : سهر .

الشمس ﴿أي لأول دلوها وهو ميلها من كبد السماء إلى الغرب وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر، وقوله ﴿إلى غسق الليل﴾ أي إلى ظلمته، ودخلت صلاة العصر فيما بين دلو الشمس وغسق الليل، ودخلت صلاة المغرب وصلاة العشاء في غسق الليل الذي هو ظلمته، وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ أي صلاة الصبح وهذه هي الصلوات الخمس المفروضة على أمة الإسلام، النبي وأتباعه سواء وقوله ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ يعني محضوراً، تحضره ملائكة النهار لتنصرف ملائكة الليل، لحديث الصحيح «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقوله ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغّب فيه.

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وإن عسى من الله تعالى، تفيد الوجوب، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً بإياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه . . . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: أنالها، أنالها، ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فضل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾. هذه بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه لا بإخراج قومه وهو كاره. فقال له: قل في دعائك ربي أدخلني المدينة دار هجرتي «مدخل صدق» بحيث لا أرى فيها مكروهاً، وأخرجني من مكة يوم تخرجني «مخرج صدق» غير ملتفت إليها بقلبي شوقاً وحنيناً إليها.

﴿واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدني سلطاناً نصيراً لك على من بغاك بسوء، وكادك بمكر وخديعة، وحاول منعك من إقامة دينك، ودعوتك إلى ربك،

(١) ما في التفسير أشهر وأولى بالأخذ به وهو ما ذهب إليه عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس ومالك، ويرى غير هؤلاء من بعض الصحابة والتابعين: أن دلو الشمس هو غروبها وعليه فلم تشمل الآية أوقات الصلوات الخمس بخلاف القول بدلو الشمس: زوالها عن كبد السماء.

(٢) غسق الليل: سواده وظلمته قال ابن قيس الرقيات:

إن هذا الليل قد غسقاً واشتكت الهَمُّ والأرقا

(٣) وقت العصر إذا زاد ظل كل شيء مثله، ووقت المغرب: غروب الشمس، ووقت العشاء: ذهاب الشفق الأحمر، ووقت الصبح طلوع الفجر ووقت الظهر: زوال الشمس عن كبد السماء.

(٤) ﴿قرآن﴾: منصوب على الإغراء أي: والزم قرآن الفجر لأهميته ويصح أن ينصب على العطف أي: أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر أي: صلاته.

(٥) ﴿نافلة لك﴾: أي نافلة لأجلك خاصة بك دون سائر أمتك.

(٦) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت: ﴿وقل رب أدخلني﴾ الخ وهو تعليم من الله لرسوله هذا الدعاء بقوله في صلاته وخارجها.

وقوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة، ويدخلها ظافراً منتصراً وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً! ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل. ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾. لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق، ووقف في وجهه، وجائز أن يكون المراد بالحق، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك، أن الحق هو كل ما هو طاعة لله عز وجل، والباطل كل طاعة للشيطان من الشرك والظلم وسائر المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ أي وننزل عليك يا رسولنا محمد من القرآن ما هو شفاء أي ما يستشفى به من مرض الجهل والضلال والشك والوساوس ورحمة للمؤمنين دون الكافرين، لأن المؤمنين يعملون به فيرحمهم الله تعالى بعملهم بكتابه، وأما الكافرون، فلا رحمة لهم فيه، لأنهم مكذبون به تاركون للعمل بما فيه. وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي ولا يزيد القرآن الظالمين وهم المشركون المعاندون الذين أصروا على الباطل عناداً ومكابرة، هؤلاء لا يزيدهم ما ينزل من القرآن ويسمعونه إلا خساراً لازدياد كفرهم وظلمهم وعنادهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ يخبر الله تعالى عن الإنسان الكافر المحروم من نور الإيمان وهداية الإسلام أنه إذا أنعم عليه بنعمة النجاة من الهلاك وقد أشرف عليه بغرق أو مرض أو جوع أو نحوه، أعرض عن ذكر الله ودعائه كما كان يدعوه في حال الشدة، ونأى بجانبه أي بعد عنا فلا يلتفت إلينا بقلبه، وذهب في خيالاته وكبرياته وقوله تعالى: ﴿وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ أي قنوطاً. هذا هو الكافر، ذو ظلمة النفس لكفره وعصيانه. إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير اليأس والقنوط تامهما، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه.

وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي قل يا رسولنا للمشركين، كل منا ومنكم يعمل على طريقته ومذهبه بحسب حاله هداية وضلالاً. والله تعالى ربكم أعلم بمن هو أهدى منا ومنكم سبيلاً. ويجزي الكل بحسب عمله وسلوكه. وهذه كلمة

(١) ﴿من﴾: بيانية أي: مبينة للموصول، ما هو شفاء وليست للابتداء ولا هي زائدة أي: وننزل القرآن الذي هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

(٢) وقد يستشفى بالقرآن من الأمراض الجسمية ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانوا ثلاثين راكباً فنزلوا على قوم من العرب فسألوهم أن يضيّفوهم فأبوا فلدغ سيّد الحي فأتاهم أت وقال لهم: هل فيكم من يرقى من العقرب؟ قلنا: نعم لكن حتى تعطونا فقالوا: إنا نعطيكم ثلاثين شاة ففراقه بفاتحة الكتاب قرأها عليه سبع مرات فشفي فأخذوا الثلاثين شاة فأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم كلوا وأطعمونا من الغنم.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن وال فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

(٤) كونه يؤوساً: لا يتعارض مع كثرة دعائه كما في قوله تعالى: ﴿فدعوا عريضاً﴾ إذ يدعو وهو قانط.

مفاصلة قاطعة، للنزاع الناجم عن كون كل يدعى أنه على الحق وأن دينه أصوب، وطريقته أمثل وسبيله أجدى وأنفع.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها .
- ٢ - الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد أي «نافلة الليل» .
- ٣ - تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ .
- ٤ - ضعف الباطل وسرعة تلاشيهِ إذا صاوله الحق ووقف في وجهه .
- ٥ - القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة .
- ٦ - بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له .
- ٧ - تعليم الرسول والمؤمنين كيف يتخلصون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾
إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلِ
لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

يسألونك عن الروح : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن .

من أمر ربي	: أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره .
لنذهبن بالذي أوحينا إليك	: أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفعلنا .
لك به علينا وكيلا	: يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك .
إلا رحمة من ربك	: أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به .
بمثل هذا القرآن	: من الفصاحة والبلاغة والمحتوى من الغيوب والشرائع والأحكام .
ظهيراً	: أي معيناً ونصيراً .
صرفنا	: بينا للناس مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا .
فأبى أكثر الناس	: أي أهل مكة إلا كفوراً أي جحوداً للحق وعناداً فيه .

معنى الآيات :

يقول تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ إذ قد سأله المشركون عن الروح وعن أصحاب الكهف، وذوي القرنين بإيعاز من يهود المدينة فأخبره تعالى : بذلك وعلمه الرد عليهم فقال : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن سؤالهم هذا ونظائره دال على إدعائهم العلم فأعلمهم أن ما أوتوه من العلم إلا قليل بجانب علم الله تعالى وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا امتنان من الله على رسوله الذي أنزل عليه القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بأنه تعالى قادر على محوه من صدره . وسطره، فلا تبقى منه آية ثم لا يجد الرسول وكيلاً له يمنع من فعل الله به ذلك ولكن رحمة منه تعالى لم يشأ ذلك بل يبقيه إلى قرب قيام الساعة حجة الله على عباده وآية على نبوة محمد ﷺ، وصدق رسالته، وليس هذا بأول إفضال من الله تعالى على رسوله، بل فضل الله عليه كبير، ولنذكر من ذلك طرفاً وهو

(١) روى ابن إسحق أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ويثرب يسألانهم عن أمر النبي ﷺ فقال اليهود لهما : سلوه عن ثلاثة وذكروا لهما أهل الكهف وذو القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي وإلا فمروا بأكرم فيه فانزل الله تعالى سورة الكهف وفيها الجواب عن أصحاب الكهف، وذو القرنين، وأنزل هذه الآية : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ .

(٢) يطلق الروح على ملك من الملائكة عظيم ويطلق على جبريل ويطلق على هذا الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير وهو المسؤول عنه في هذه الآية، وسؤالهم كان عن بيان حقيقته وماهيته .

(٣) لفظ الآية عام وإن كان سبب نزولها خاصاً إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه ما أوتي أحد علماً إلا وهو إلى جانب علم الله تعالى قليل .

(٤) روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله : إن هذا القرآن الذي أظهركم يوشك أن ينزع منكم . قالوا : كيف ينزع منا وقد أثبتته الله في قلوبنا وكتبناه في المصاحف قال : يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثم قرأ : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾ الآية .

عموم رسالته، كونه خاتم الأنبياء، العروج به إلى الملكوت الأعلى، إمامته للأنبياء الشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١) لاشك أن هذا الذي علم الله رسوله أن يقوله له سبب وهو ادعاء بعضهم أنه في إمكانه أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي هو آية صدق نبوة محمد ﷺ، وبذلك تبطل الدعوى، ويتنصر باطلهم على الحق. فأمر تعالى رسوله أن يرد على هذا الزعم الباطل بقوله: قل يارسولنا لهؤلاء الزاعمين الإتيان بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متظاهرين على الاتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ذلك لأنه وحي الله وكتابه، وحيته على خلقه. وكفى. فكيف إذا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثله؟!

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ أي بينا مثلاً من جنس كل مثل من أجل هداية الناس وإصلاحهم عليهم يتذكرون فيتعظون، فيؤمنون ويوحدون فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً بالحق، وإنكاراً للقرآن وتكذيباً به وبما جاء فيه من الحق والهدى والنور، لما سبق القضاء الإلهي من امتلاء جهنم بالغاوين وجنود إبليس أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - علم الروح مما استأثر الله تعالى به .
- ٢ - ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط .
- ٣ - حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة .
- ٤ - عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم .
- ٥ - لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون .

وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَنْبٌ فَنفُجِّرَ أَلَّا نَهْزِخَ لَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(١) نزلت هذه الآية ردًا على كفار قريش عندما قال النضر بن الحارث وغيره لو نشاء لقلنا مثل هذا. ومعنى ظهيراً: أي: عوناً ونصيراً كما يتعاون الشعراء على قصيد الشعر.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْتَاتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَيْلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
 لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُل سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
 الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْكَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم
 مِّن السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

ينبوعاً	: عينا لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان .
جنة	: بستان كثير الأشجار .
كسفاً	: قطعاً جمع كسفة كقطعة .
قيلًا	: مقابلة لتراهم عياناً
من زخرف	: من ذهب .
ترقى	: تصعد في السماء
مطمئنين	: ساكنين في الأرض لا يبرحون منها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والبعث وتقرير ذلك . فقال تعالى مخبراً
 عن قيلهم لرسول الله وهم يجادلون في نبوته : فقالوا : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نتابعك على
 ماتدعو إليه من التوحيد والنبوة لك والبعث والجزاء لنا ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي

(١) نزلت هذه الآية في رؤساء قریش مثل : عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم حيث اجتمعوا حول الكعبة ليلاً وبعثوا إلى الرسول ﷺ وكان حريصاً على هدايتهم فاتاهم فقالوا له كلاماً طويلاً ثم خلصوا إلى ما ذكر تعالى في هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ .

عيناً يجري ماؤها على وجه الأرض لا ينقطع ﴿أو تكون لك جنة﴾ أي بستان من نخيل وعنب، ﴿تفجر الأنهار خلالها﴾ أي خلال الأشجار تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ أي قطعاً، ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ أي مقابلة نراهم معانية، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي من ذهب تسكنه بيننا ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد بسلم ذي درج في السماء، ﴿ولن نؤمن لرقبك﴾ إن أنت رقيت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً﴾ من عند الله ﴿نقرأه﴾ يأمرنا فيه بالإيمان بك واتباعك ! هذه ست طلبات كل واحدة اعتبروها آية متى شاهدوها زعموا أنهم يؤمنون، والله يعلم أنهم لا يؤمنون، فلذا لم يستجب لهم وقال لرسوله: قل يا محمد لهم: ﴿سبحان الله﴾ متعجباً من طلباتهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! أي هل كنت غير بشر رسول؟ وإلا كيف يطلب مني هذا الذي طلبوا، إن ماتطلبونه لا يقدر عليه عبد مأمور مثلي، وإنما يقدر عليه رب عظيم قادر، يقول للشيء كن . . . فيكون! وأنا ما ادعيت ربوبية، وإنما أصرح دائماً بأنني عبد الله ورسوله إليكم لأبلغكم رسالته بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سواء تؤمنوا بالبعث الآخر وتعملوا له بالطاعات وترك المعاصي . وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي وممنع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى^(١) على يد رسولهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾؟ منكرين على الله أن يبعث رسولاً من البشر! وقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين أن يكون الرسول بشراً، المتعجبين من ذلك، قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ساكنين في الأرض لا يغادرونها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم بأمرنا ويعلمهم ما يطلب منهم فعله بإذننا لأنهم يفهمون عنه لرابطة الجنس بينهم والتفاهم الذي يتم لهم . ولذا بعثنا إليكم رسولاً من جنسكم تفهمون مايقول لكم يقدر على إفهامكم والبيان لكم فكيف إذا تنكرون الرسالة للبشر وهي أمر لا بد منه؟!

(١) الكسف: بفتح السين جمع كسفة بإسكانها، قرأ نافع كسفاً بفتح السين وكذا عاصم وقرأ غيرهما كسفاً بإسكان السين أي: قطعة.

(٢) فسر قبلاً بعدة تفسيرات قال ابن عباس: كفيلاً، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمناً يضمون لنا إتيانك به وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

(٣) الرقى: مصدر رقى يرقى رقياً ورقياً أي: صعد المنبر ونحوه.

(٤) الهدى: أي ما يحقق الهداية من الكتب والرسل من عند الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة الرسول ﷺ .

٢ - بيان شدة عناد مشركي قريش ، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد .

٣ - بيان سخف عقول المشركين برضاهم للألوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر !

٤ - تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لا يتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم انسان مع حيوان أو جان .

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا

وَصُمًّا مَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

ذَٰلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا

وَرَفَتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

شَهِيدًا : على أي رسول الله إليكم وقد بلغتكم وعلى أنكم كفرتم وعاندتم .

فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ : أي يهدونهم .

عُمِيَائًا وَبُكْمًا : أي يمشون على وجوههم .

وَصُمًّا : لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون .

كلما خبت	: أي سكن لهابها زدناهم سعيراً أي تلهباً واستعاراً.
وقالوا	: أي منكرين للبعث.
مثلهم	: أي أناساً مثلهم.
أجلاً	: وقتاً محدداً.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية إذ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : قل لأولئك المنكرين أن يكون الرسول بشراً، ﴿كفى^(١) بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على أني رسوله وأنتم منكرون عليّ ذلك.

إنه تعالى كان وما زال ﴿بعباده خبيراً﴾ أي ذا خبرة تامة بهم ﴿بصيراً﴾ بأحوالهم يعلم المحق منهم من المبطل، والصادق من الكاذب وسيعجز كلاً بعدله ورحمته.

وقوله تعالى : ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده تعالى فمن يهده الله فهو المهتدي بحق، ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم بحال من الأحوال، وفي هذا الكلام تسلية للرسول وعزاء له في قومه المصيرين على الجحود والانكار لرسالته.

وقوله : ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ أي أولئك المكذبين الضالين الذين ماتوا على ضلالهم وتكذيبهم فلم يتوبوا نحشرهم يوم القيامة، يمشون على وجوههم حال كونهم عمياً لا يبصرون، بكماً لا ينطقون، صماً لا يسمعون وقوله تعالى : ﴿مأواهم جهنم﴾ أي محل استقرارهم في ذلك اليوم جهنم الموصوفة بأنها ﴿كلما خبت﴾ أي سكن لهابها زادهم الله سعيراً أي تلهباً

(١) روي أن نفرأ من قریش قالوا حين سمعوا قوله : ﴿هل كنت إلا بشراً رسولا﴾ فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل : ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً.

(٢) حذفت الباء ليقف على الدال بالسكون وهي لغة فصيحة وفي حال الوصل يؤتى بالياء نطقاً بها.

(٣) جمع الضمير (لهم) مراعاة إلى أن (من) تكون للواحد والمتعدد.

(٤) أي : يسحبون على وجوههم إهانة لهم كما يفعل في الدنيا بمن ينتقم منه حيث يسحبونه على وجهه في الأرض إهانة، ومن سورة القمر قال تعالى : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ وجائز أن يمشوا على وجوههم عند حشرهم إلى جهنم فإذا دخلوها سحبوا على وجوههم لحديث أنس : (أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه؟) في جواب سائل قال أفحشر الكفار على وجوههم؟

(٥) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصروفة بذلك منها : ﴿ورأى المجرمون...﴾ ومنها : ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ ومنها : ﴿قالوا يا مالك ليقتض علينا ربك...﴾

واستعاراً. وقوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ أي ذلك العذاب المذكور جزاؤهم بأنهم كفروا بآيات الله أي بسبب كفرهم بآيات الله. وقولهم إنكاراً للبعث الآخر واستبعاداً له: ﴿إذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ أي تراباً ﴿أنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ ورد الله تعالى على هذا الاستبعاد منهم للحياة الثانية فقال: ﴿أولم يروا﴾ أي أينكرون البعث الآخر؟ ولم يروا بعيون قلوبهم ﴿أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾؟؟! بلى إنه لقادر لو كانوا يعلمون! وقوله تعالى: ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ أي وقتاً محدوداً معيناً لهلاكهم وعذابهم ﴿لأريب فيه﴾ وهم صاثرون إليه لا محالة، وقوله: ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي مع هذا البيان والاستدلال العقلي أبى الظالمون إلا الجحود والكفران ليحق عليهم كلمة العذاب فيذوقوه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.
- ٢ - الهداية والاضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.
- ٣ - فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.
- ٤ - جهنم جزاء الكفر بآيات الله والانكار للبعث والجزاء يوم القيامة.
- ٥ - دليل البعث عقلي كما هو نقلي فالقادر على البدء، قادر عقلاً على الإعادة بل الاعادة - عقلاً - أهون من البدء للخلق من لا شيء.

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذْ أَنْتُمْ كَافِرُونَ خَشْيَةً
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ

(١) جملة: ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ معطوفة على جملة ﴿أولم يروا﴾ لتأويلها بمعنى: قد رأوا ذلك لو كانوا يعقلون.
الأجل: الزمن المَجْعُول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال والمراد به هنا مدة حياتهم.

هَؤُلَاءِ الْآرَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ
يَفِرُّعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِثَايَكُمُ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

خزائن رحمة ربي	: أي من المطر والأرزاق
لأمسكنم	: أي منعمم الانفاق.
خشية الإنفاق	: خوف النفاق.
قتوراً	: أي كثير الاقتار أي البخل والمنع للمال.
تسع آيات بينات	: أي معجزات بينات أي واضحات وهو اليد والعصا والطمس إلخ.
مسحوراً	: أي مغلوباً على عقلك، مخدوعاً.
ما أنزل هؤلاء	: أي الآيات التسع.
مثبوراً	: هالكاً بانصرافك عن الحق والخير.
فأراد أن يستفزهم	: أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر.
اسكنوا الأرض	: أي أرض القدس والشام.
الآخرة	: أي الساعة.
لفيفاً	: أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ، قل يا محمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب،
وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لو كنتم
أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكنم بخلابها ولم تنفقوها خوفاً من نفاذها إذ هذا
طبعكم، وهو البخل، ﴿وكان الإنسان﴾ قبل هدايته وإيمانه ﴿قتوراً﴾ أي كثير التقير بخلًا وشحاً نفسياً
ملازماً له حتى يعالج هذا الشح بما وضع الله تعالى من دواء نافع جاء بيانه في سورة المعارج من هذا^(١)

(١) هو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾.

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ^(١) أي ، ولقد أعطينا موسى بن عمران نبي بني إسرائيل تسع آيات وهي : اليد ، والعصا والدم ، وانفلاق البحر ، والطمس على أموال آل فرعون ، والطوفان والجراد والقمل والضفادع ، فهل آمن عليها آل فرعون؟ لا ، إذًا ، فلو أعطيناك ما طالب به قومك المشركون من الآيات الست التي اقترحوها وتقدمت في هذه السياق الكريم مبينة ، ما كانوا ليؤمنوا بها ، ومن هنا فلا فائدة من إعطائك إياها .

وقوله تعالى : ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي سل يانينا علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره ، إذ جاءهم موسى يطالب فرعون بإرسالهم معه ليخرج بهم إلى بلاد القدس ، وأرى فرعون الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته وأحقية ما يطالب به فقال له فرعون : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ أي ساحراً لإظهارك ما أظهرت من هذه الخوارق ، ومسحوراً بمعنى مخدوعاً مغلوباً على عقلك فتقول الذي تقول مما لا يقوله العقلاء فرد عليه موسى بقوله بما أخبر تعالى به في قوله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ أي فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات أي خالقها ومالكها والمدبر لها ﴿بَصَائِرَ﴾ أي آيات واضحات مضيئات هاديات لمن طلب الهداية ، فعميت عنها وأنت تعلم صدقها ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ ^(٢) أي من أجل هذا أظنك يافرعون ملعوناً ، من رحمة الله مبعداً مثبوراً هالكاً . فلما أعبته أي فرعون الحجج والبيّنات لجأ إلى القوة ، ﴿فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي يستخفهم من أرض مصر بالقتل الجماعي استئصالاً لهم ، أو بالنفي والطرْد والتشريد ، فعامله الرب تعالى بنقيض ، قصده فأغرقه الله تعالى هو وجنوده أجمعين ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي من الجنود ﴿أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى :

(١) روى الترمذي وصححه والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي : أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله ، فقال : لا تقل له نبي فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين ، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف ، وعليكم يا معشر يهود خاصة ألا تعدوا في السبت فقبلاً بيديه ورجليه وقالوا : تشهد أنك نبي قال : ما يمنعكما أن تؤمنا؟ قالوا : إن داود دعا الله ألا يزال في ذريته نبي وإننا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود . وعليه فالمراد بالآيات : آيات التشريع في التوراة ، وهذا وجه . ولا منافاة مع تفسير الآيات بالمعجزات التسع كما في التفسير .

(٢) لا خلاف في اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والدم وإنما الخلاف في الثلاث الباقية وانفلاق البحر مجمع عليه وإنما في الطمس والحجر لأن الحجر كان في التيه بعد نجاة بني إسرائيل .

(٣) الظن هنا بمعنى التحقيق ، وذكر لكلمة مثبور عدة معان كلها صحيحة منها : الهلاك والخسران والخيال والمنع من الخير ، قال ابن الزبير :

إذ أجاري الشيطان في سنن النَّسِيِّ وَمَنْ مَالٌ مَثْبُورٌ أي هالك وخاسر .

﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ﴿واسكنوا الأرض﴾ أي أرض القدس والشام إلى نهاية آجالكم بالموت. ﴿فلإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة بعثناكم أحياء كغيركم، ﴿وجئنا بكم لفيثاً﴾ أي مختلطين من أحياء وقبائل وأجناس شتى لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - الشح من طبع الانسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه .^(١)
- ٢ - الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي .
- ٣ - مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه .
- ٤ - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيثاً أخلاطاً من قبائل وأجناس شتى .

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
 وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

- وبالحق أنزلناه : أي القرآن .
 وبالحق نزل : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم والأحكام
 وقرآنًا فرقناه : أن نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك .
 على مكث : أي على مهل وتؤده ليفهمه المستمع إليه .

(١) قال تعالى : ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

ونزلناه تنزيلاً : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكامل به ولتسعد عليه .
 أوتوا العلم من قبله : أي مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام ،
 وسلمان الفارسي .

للأذقان سجداً : أي سجداً على وجوههم ، ومن سجد على وجهه فقد خسر على ذقنه
 ساجداً .

إن كان وعد ربنا لمفعولاً : منجزاً ، واقعاً ، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل
 عليه كتابه .

معنى الآيات :

يقول تعالى : ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي ذلك الكتاب الذي جحد به الجاحدون ، وكذب به
 المشركون أنزلناه بالحق الثابت حيث لا شك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله ، ﴿وبالحق نزل﴾
 فكل ماجاء فيه ودعا إليه وأمر به . وأخبر عنه من عقائد وتشريع وأخبار ووعد ووعيد كله حق ثابت
 لا خلاف فيه ولا ريبه منه . وقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك لخلق
 الهداية في قلوب عبادنا ولا لإجبارهم بقوة السلطان على الإيمان بنا وتوحيدها ، وإنما أرسلناك
 للدعوة والتبليغ ﴿مبشراً﴾ من أطاعنا بالجنة ومنذراً من عصانا مخوفاً من النار . وفي هذا تقرير
 لرسالته ﷺ ونبوته وقوله تعالى : ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي أنزلنا القرآن
 وفرقناه في خلال ثلاث وعشرين سنة لحكمة منا اقتضت ذلك وقوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾
 آيات بعد آيات ليكون ذلك أدعى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه ، وقوله تعالى : ﴿ونزلناه﴾
 تنزيلاً ﴿أي شيئاً فشيئاً حسب﴾ مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والانسانية ليكملوا به ،
 عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين وقوله تعالى : ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي قل
 يارسلونا للمنكرين للوحي القرآني من قومك ، آمنوا به أولاً تؤمنوا فإن إيمانكم به كعدمه لا يغير
 من واقعه شيئاً فسوف يؤمن به ويسعد عليه غيركم إن لم تؤمنوا أنتم به وهامهم أولاء الذين أوتوا
 العلم من قبله من علماء أهل الكتابين اليهود والنصارى قد آمنوا به ، يريد أمثال عبد الله بن سلام
 وسلمان الفارسي والنجاشي أصحاب الحبشي وإنهم ﴿إذابتلى عليهم﴾ أي يُقرأ عليهم ﴿يخرون للأذقان﴾
 سجداً ﴿أي يخرون ساجدين على أذقانهم ووجوههم ويقولون حال سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾﴾^(١)

(١) قال القرطبي : لا خلاف في أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة .

(٢) ﴿تنزيلاً﴾ : مصدر مؤكد لنزوله نجماً بعد نجم وهو معنى مفرقاً آية بعد آية وسورة بعد سورة حتى اكتمل نزوله .

(٣) في الآية دليل على مشروعية التبليغ في السجود وشاهدته من السنة رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده وركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) وورد أنه فعله استجابة لقول الله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ آخر سورة النصر .

أي تنزيهاً له أن يخلف وعده إذ وعد أنه يبعث نبي آخر الزمان وينزل عليه قرآناً، ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ إقراراً منهم بالنبوة المحمدية والقرآن العظيم، أي ناجزاً إذ وعد بإرسال النبي الخاتم وإنزال الكتاب عليه فأنجز ما وعد، وهكذا وعد ربنا دائماً ناجز لا يتخلف. وقوله ﴿وَيُخَوِّنُونَ لِّلْأَذْقَانِ﴾ أي عندما يسمعون القرآن لا يسجدون فحسب بل يخرون ويكونون يزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم واطمئناناً في جوارحهم لأنه الحق سمعوه من ربهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - القرآن حق من الله وما نزل به كله حق .
- ٢ - الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى .
- ٣ - تقرير نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة .
- ٤ - تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب .
- ٥ - بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض .
- ٦ - مشروعية السجود للقارئ أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي ﴿يُخَوِّنُونَ لِّلْأَذْقَانِ﴾ ويكونون يزيدهم خشوعاً فيخرو ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلا : الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء .

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُ بِهَا وَابْتَغِ
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

(١) ﴿الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والسجود على الجبهة والأنف وإنما ذكر الأذقان هنا لأن اللحية تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف إذا كانت طويلة كما هي السنة .

(٢) دلت الآية على أن البكاء في الصلاة لا يقطعها، والخلاف في النفخ والأنين والتنحنح والصحيح أن ما كان بحروف تسمع كان كلاماً ولا يقطع الصلاة وما لم يكن بحرف فلا فقد كان النبي ﷺ يبكي في صلاته ويسمع له أزيز كأزيز المرجل .

شرح الكلمات :

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما الله أو الرحمن .
أياما تدعوا : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنی وهذان منها .

ولا تجهر بصلاتك : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله .

ولا تخافت بها : أي ولا تسره إسراً حتى ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك .

وابتغ بين ذلك سبيلاً : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً .

لم يتخذ ولدأ : كما يقول الكافرون .

ولم يكن له شريك : كما يقول المشركون .

ولم يكن له ولي من الذل : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك ذو الجلال والاکرام .

وكبره تكبيراً : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل .

معنى الآيات :

كان ﷺ يقول في دعائه يا الله . يا رحمن ، يا رحمن يا رحيم فسمعه المشركون وهم يتصيدون له أية شبهة ليثيروها ضده فلما سمعوه يقول : يا الله ، يا رحمن قالوا : أنظروا إليه كيف يدعو إلهين وينهانا عن ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أي قل لهم يانبينا أدعوا الله أو ادعوا الرحمن فالله هو الرحمن الرحيم ﴿ فأياما تدعوا ﴾ منهما الله أو الرحمن فهو الله ذو الأسماء الحسنی والصفات العلى وقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أي وسطاً بين السر والجهر ، وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوا قارئه ومن أنزله ، فأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون تابعون له إذا قرأوا في صلاتهم أن لا يجهروا حتى لا

(١) فنزلت الآية ميّنة أنهما الله والرحمن اسمان لمسمى واحد فإن دُعي يا الله فهو ذاك وإن دعي يا رحمن فهو ذاك .

(٢) روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ الخ قوله نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به . فقال الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك أي : أسمهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أي : بين الجهر والمخافة كان هذا في مكة ثم استقرت السنة بالجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأولتين والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء .

يسمع المشركون قراءتهم ولا يسروا حتى لا يحرم سماع القرآن من يصلي وراءهم فأمر رسول الله بالتوسط بين الجهر والسر.

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾^(١). أي أمر الله تعالى الرسول أن يحمد الله الذي لم يتخذ ولداً كما زعم ذلك بعض العرب، إذ قالوا الملائكة بنات الله! وكما زعم ذلك اليهود إذ قالوا عزيز بن الله والنصارى إذ قالوا عيسى بن الله! ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما قال المشركون من العرب: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ كما قال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله! ﴿وكبره﴾ أنت أو عظمه يارسلنا تعظيماً من أن يكون له وصف النقص والافتقار والعجز.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسماً واحداً فيدعى الله تعالى وينادى بأبائها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾
- ٢ - بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين..
- ٣ - مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.
- ٤ - وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه وتنزيهه عن كل عجز ونقص.
- ٥ - هذه الآية ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل﴾ تسمى آية العز هكذا سماها رسول الله ﷺ.

(١) روي عن عمر أنه قال: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، وورد أن هذه الآية ﴿وقل الحمد لله﴾ الخ خاتمة التوراة وفاتحتها

أول سورة الأنعام.

(٢) الإجماع على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماءه وصفاته توقيفية مصدرها الرحي الإلهي: الكتاب والسنة.

سُورَةُ الْكَهْفِ^(١)

مكية

وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝^(١)
 قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝^(٢) مَكِيثِينَ
 فِيهِ أَبَدًا ۝^(٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝^(٤)
 مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝^(٥) فَلَعَلَّكَ بِخُفٍّ نَفْسَكَ
 عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ۝^(٦)

شرح الكلمات :

الحمد الوصف بالجميل ، والله عَلم على ذات الرب تعالى .	الحمد لله
القرآن الكريم .	الكتاب
أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه .	ولم يجعل له عوجاً
أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه	قيماً
من التوحيد والعبادة والآداب والشرائع والأحكام .	
عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة .	بأساً شديداً

(١) روى مسلم : ﴿من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ وروى الدرامي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق) . . . وروي أيضاً (أن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال) .

من لدنه	: من عنده سبحانه وتعالى .
أجرأ حسنا	: أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات .
كبرت كلمة	: أي عظمت فريه وهي قولهم الملائكة بنات الله .
إن يقولون إلا كذباً	: أي ما يقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج .
باخع نفسك	: قاتل نفسك كالمتحجر .
بهذا الحديث أسفاً	: أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد .

معنى الآيات :

(١) أخبر تعالى في فاتحة سورة الكهف بأنه المستحق للحمد، وأن الحمد لله وذكر موجب ذلك، وهو إنزاله على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الفخم العظيم وهو القرآن العظيم الكريم فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وقوله تعالى، ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ أي ولم يجعل لذلك الكتاب العظيم عوجاً أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه فهو كلام مستقيم محقق للأخذ به كل سعادة وكمال في الحياتين. وقوله ﴿قيماً﴾ أي معتدلاً خالياً من الإفراط والتفريط قيماً على الكتب السابقة مهيمناً عليها الحق فيها ما أحقه والباطل ما أبطله. وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي أنزل الكتاب الخالي من العوج القيم من أجل أن ينذر الظالمين من أهل الشرك والمعاصي عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ينزل بهم من عند ربهم الذين كفروا به وأشركوا وعصوه وكذبوا رسوله وعصوه. ومن أجل أن ييشر بواسطته أيضاً ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يخبرهم بما يسرهم ويفرح قلوبهم وهو أن لهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقوله تعالى: ﴿وينذر﴾ بصورة خاصة أولئك المتقولين على الله المفتريين عليه بنسبتهم الولد إليه فقالوا: ﴿اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله! هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو قول تَوَارَثُوهُ لا علم لأحد منهم به، وإنما هو مجرد كذب يتناقضونه

(١) روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أن وفداً من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا - محمد ﷺ - فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوافه قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فانظروا في أمره ما بدالكم وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: (أخبركم بما سألتكم عنه غداً؛ ولم يستش أي: لم يقل إن شاء الله فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوها.

(٢) العوج: ضد الاستقامة وهو الانحراف في الذوات والمعاني وتكسر عينه وتفتح، وقيل: الكسر في المعاني والفتح في الذوات.

بينهم لذا قبح الله قولهم هذا وعجب منه العقلاء، فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي عظم قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ كلمة قالوها تخرج من أفواههم لا غير إذ لا واقع لها أبداً، وقرر الانكار عليهم فقال: ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ أي ما يقولون إلا الكذب البحت الذي لا يعتمد على شيء من الصحة البتة. وقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ ^(١) على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً يعاتب الله تعالى رسوله ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات أي فلعلك يارسلنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وما جئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل واصبر لحكم ربك فإنه منجز وعده لك بالنصر على قومك المكذبين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب حمد الله تعالى على آلائه وعظيم نعمه.
- ٢ - لا يحمد إلا من له ما يقتضي حمده، وإلا كان المدح كذباً وزوراً.
- ٣ - عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الإفراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.
- ٤ - بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان والإنذار لأهل الشرك والكفران.
- ٥ - التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.
- ٦ - تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحرمان.

إِنَّا

جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
 ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
 أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ﴿٩﴾
 إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
 وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا ارشَدْنا ﴿١٠﴾ فَضَرْبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي

(١) ﴿باخع﴾ مهلك نفسك، قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه بشيء نحتة عن يديه المقادر
 وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدة الحزن.

الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرْبِينَ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

صعيداً جرزاً	: أي تراباً لا نبات فيه ، فالصعيد هو التراب والجرز الذي لا نبات فيه .
الكهف	: النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له «غار»
والرقيم	: لوح حجري رقت فيه أسماء أصحاب الكهف .
أوى الفتية إلى الكهف	: اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه .
الفتية	: جمع فتى وهم شبان مؤمنون .
هيمى لنا من أمرنا رشداً	: أي ييسر لنا طريق رشد وهداية .
فضربنا على آذانهم	: أي ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات .
سنين عددا	: أي أعواماً عدة .
ثم بعثناهم	: أي من نومهم بمعنى أبقظناهم .
أحصى لما لبثوا	: أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف .
أمدأ	: أي مدة محدودة معلومة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ من حيوان وأشجار ونبات وأنهار وبحار، وقوله ﴿لنبلوهم﴾ أي لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ أي أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهيها وأعمل فيها بطاعتنا وقوله : ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي وإنا لمخربوها في يوم، من الأيام بعد عمارتها ونضارتها وزينتها نجعلها ﴿صعيداً جرزاً﴾ أي تراباً لا نبات فيه، إذاً فلا تحزن يارسلنا ولا تغتم مماتلاقيه من قومك فإن مآل الحياة التي من أجلها عادوك وعصوتنا إلى أن

(١) الجرز: القاحل الأجرد الذي لا نبات فيه .

(٢) الصعيد : وجه الأرض والجمع صُعد، والصعيد : الطريق أيضاً لحديث الصحيح : (إياكم والقعود على الصدقات) أي : الطرق، وجمع الجرز: أجراز يقال سنين أجراز لا مطر فيها ولا عشب ولا نبات .

تصبح صعيداً جزأً. وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ أي أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الكهف والرقيم وهو اللوح الذي كتبت عليه ورقم أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات، السموات والأرض بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير. وقوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أوا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنهم في دينهم وهم سبعة شبان ومعهم كلب لهم فقالوا سائلين ربهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْداً﴾ أي أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْداً﴾ أي ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رَشْداً﴾ أي سداداً وصلاًحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف وقوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدْداً﴾ أي فضربنا على آذانهم حجاًباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات فناموا في كهفهم سنين معدودة أي ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا يتقبلون بلطف الله وتدبيره لهم من جنب إلى جنب حتى بعثهم من نومهم وهذا استجابة الله تعالى لهم إذ دعوهم قائلين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي من نومهم ورقادهم ﴿لَنَعْلَمَ أَيَ الْحَزِينِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا﴾ أي في الكهف ﴿أَمْداً﴾ أي لنعلم علماً مشاهدة ولينظر عبادي فيعلموا أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر لبثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبثهم في الكهف حيث اختلف الناس إلى حزبين حزب يقول لبثوا في كهفهم كذا سنة وآخر يقول لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين.

(١) (أَمْ) هذه هي المنقطعة التي تقدر بيل والاستفهام للتعجب.

(٢) ويجمع الرقيم على رُقيم، والرقيم: فعيل بمعنى مفعول أي: مرقوم بمعنى مكتوب.

(٣) إن إمامة الأحياء أعجب من إمامة أصحاب الكهف.

(٤) الرشد: بفتح الحاء: الخير، وإصابة الحق والنفع والصلاح أيضاً.

(٥) أي: حائلاً كشفارة ونحوها مما يحول دون السمع، ومعنى ضربنا، جعلنا أو وضعنا كقوله: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ﴾ أي: جعلت وألصقت بهم.

(٦) يبعد أن يكون المراد بالحزبين: هم أصحاب الكهف أنفسهم بل الذين اختلفوا فيهم حزبان من الأمة التي اكتشفتهم بعد مضي سنين عديدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض ، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها ، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها ، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها .

٢ - تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيداً جرزاً وقاعاً صفصفاً لا يرى فيها عوج ولا أمت .

٣ - تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالايجاز والتفصيل .

٤ - تقرير التوحيد ضمن قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفاً من الشرك والكفر .

٥ - استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فأواهم الغار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ

إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ

قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ

بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذْ أَعَزَّلْنَا مُوَهُمُومًا مَائِعِدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَى إِلَى الْكَهْفِ

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا

﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

نباهم بالحق

: أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين .

وزدناهم هدى

: أي إيماناً وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى صبروا على الهجرة .

وربطنا على قلوبهم : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.

لن ندعوا من دونه إلها : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.

لولا يأتون عليهم بسلطان : أي هلا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.

على الله كذباً : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.

فأووا إلى الكهف : أي انزلوا في الكهف تستترون به على أعين أعدائكم المشركين.

ينشر لكم ربكم من رحمته : أي ييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.

ويهيء لكم من أمركم : أي ما ترتفقون به وتتفقدون من طعام وشراب وإواء.

مرفقا

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى موجز قصة أصحاب الكهف أخذ في تفصيلها فقال ﴿نحن نقص عليكم نبأهم بالحق﴾ أي نحن رب العزة والجلال نقص عليك أيها الرسول خبر أصحاب الكهف بالحق الثابت الذي لا شك فيه ﴿إنهم فتية﴾^(١)، جمع فتى ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها وقوله ﴿وزدناهم هدى﴾ أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارمه.

وقوله تعالى : ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي قوينا عزائمهم بما شددنا على قلوبهم حتى قاموا وقالوا على رؤوس الملاء وأمام ملك كافر ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ أي ليس لنا رب سواه، لن ندعوا من دونه إلهاً مهما كان شأنه، إذ لو اعترفنا بعبادة غيره لكنا قد قلنا إذا شططاً من القول وهو الكذب والغلو فيه وقوله تعالى : ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يخبر تعالى عن قيل الفتية لما ربط الله على قلوبهم إذ قاموا في وجه المشركين الظلمة وقالوا : ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة﴾، لولا يأتون عليهم بسلطان بين ﴿أي هلا يأتون عليهم بسلطان بين أي بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله؟ ومن أين ذلك والحال أنه لا إله إلا الله؟!

وقوله تعالى : ﴿فمن أظلم ممن افترى﴾^(٢) ينفي الله عز وجل أن يكون هناك أظلم ممن افترى

(١) الحق هنا بمعنى الصدق في الإخبار والباء في قوله ﴿بالحق﴾ للملابسة أي : القصص المصاحب للصدق والنبا : الخبر ذو الشأن والأهمية.

(٢) الجملة بيانية أي : مبينة للقصص.

(٣) ﴿من﴾ ابتدائية، أي آلهة ناشئة من غير الله تعالى.

(٤) ﴿من﴾ اسم استفهام، ومعناه الإنكار والنفي، الإنكار على من اتخذ آلهة دون الله تعالى، والنفي لوجود آلهة حق مع الله تعالى.

على الله كذباً باتخاذ آلهة يعبدوها معه باسم التوسل بها وشعار التشفع والتقرب إلى الله زلفى بواسطتها !! وقوله تعالى عن قيل أصحاب الكهف لبعضهم: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأَوَّاهُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي فصيروا إلى غار الكهف المسمى «بنجلوس» ﴿يُنْشِرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي ييسط لكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي رميتم به من الكافر «دقینوس» ﴿وَيَهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ أي ما ترتفقون به من طعام وشراب وأمن في مأواكم الجديد الذي أوتيت إليه فراراً بدينكم واستخفائكم من طالبكم المتعقب لكم ليفتكم في دينكم أو يقتلكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف.
- ٢ - تقرير زيادة الإيمان ونقصانه.
- ٣ - فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أو السجن.
- ٤ - تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف.
- ٥ - بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.
- ٦ - الشرك ظلم وكذب والمشرک ظالم مفتر كاذب.
- ٧ - تقرير فرض الهجرة في سبيل الله.
- ٨ - فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ فَهْوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُّهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ

(١) أي : قالوا ما قالوه على سبيل النصح والمشورة الصائبة.

بَسِطْ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلِيتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا



شرح الكلمات :

تزاور	: أي تميل .
تقرضهم	: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيهم .
في فجوة منه	: متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها .
من آيات الله	: أي دلائل قدرته .
أيقاظاً	: جمع يقظ أي متبهين لأن أعينهم مفتحة .
بالوصيد	: فناء الكهف .
رُغْبًا	: منعهم الله بسببه من الدخول عليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في خطاب رسوله ﷺ ﴿وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ أي تميل عنه ذات اليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ أي تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيهم ذات الشمال . وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ، وقوله ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي وذلك المذكور من ميلان الشمس عنهم إذا طلعت وقرضها لهم إذا غربت من دلائل قدرة الله تعالى ورحمته بأوليائه ولطفه بهم^(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدْهُهُ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وِلِيًّا مَرشِداً﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده وكذلك الإضلال فليطلب العبد من ربه الهداية إلى صراطه المستقيم ، وليستعذ به من الضلال المبين ، إذ من يضلله الله لن يوجد له ولي يرشده بحال من الأحوال ، وقوله تعالى : ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي أنك إذا نظرت إليهم تظنهم أيقاظاً

(١) ﴿تَزَاوَرُ﴾ : تتنحى أو تميل من الازورار والزور : الميل ، والأزور من الناس : المائل النظر إلى ناحية وأزور : مال ومنه قول عنترة :

فأزور من وقع القنابل بانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

اللبان : الصدر ، والتحمحم : صوت دون الصهيل .

(٢) الفجوة : والجمع فجوات وفجاء وهو المتسع

(٣) والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلاء ، وتغير الأبدان والألوان والتأذي بحر أو برد .

(٤) ﴿رُقُودٌ﴾ جمع راقد كراقع وركوع ، وساجد وسجود ، والتقلب : تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه وفعل الله تعالى هذا لحكمة هي : حتى لا تؤثر الأرض على أجسامهم فتبلى ، ولم يعرف كم مرة يقبلون فيها في الشهر أو العام أو في أقل أو أكثر .

أي متنبهين لأن أعينهم مفتوحة وهم رقود نائمون لا يحسّون بأحد ولا يشعرون، وقوله تعالى : ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ أي جهة اليمين ﴿وذات الشمال﴾ أي جهة الشمال حتى لا تعدو التربة على أجسادهم فتبليها . وقوله : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد﴾ أي : وكلبهم الذي خرج معهم ، وهو كلب صيد ﴿باسط ذراعيه بالصيد﴾ أي : بفناء الكهف . وقوله تعالى : ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي لو شاهدتهم وهم رقود وأعينهم مفتحة ﴿لوليت منهم فراراً﴾ لرجعت فاراً منهم ﴿ولملت منهم رعباً﴾ أي خوفاً وفزعاً ، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد ويمسهم بسوء إلى أن يوقفهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم ، ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظيم سلطانه وعجيب تدبيره في خلقه .

من هداية الآيات :

- ١ - بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه .
- ٢ - تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله ، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك .
- ٣ - بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم .

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ

لِتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِرِيقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِجَعَلْنَا آبَاءَكُمْ

(١) فناء عند مدخل الكهف فشيبه بالباب الذي هو الرصيد لأنه يوصد ويغلق .

السَّاعَةَ لَارِيبَ فِيهَا إِذِ يَنْتَرِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
 أَمْرِهِمْ لَنْتَخِذَكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

- كذلك بعثناهم : أي كما أنماهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم من رقادهم بعثاً^(١)
 خارقاً للعادة أيضاً فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم آية .
 كم لبثتم : أي في الكهف نائمين .
 يوماً أو بعض يوم : لأنهم دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا عشية .
 بورقكم : بدراهم الفضة التي عندكم .
 إلى المدينة : أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم .
 أذكى طعاماً : أي أي أطعمة المدينة أحل أي أكثر حليّة .
 وليلطف : أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء .
 يرموكم : أي يقتلوكم رمياً بالحجارة .
 أعثرنا عليهم : أطلعنا عليهم أهل بلدهم .
 ليعلموا : أي قومهم أن البعث حق للأجساد والأرواح معا .
 إذ يتنازعون : أي الكفار قالوا ابنوا عليهم أي حولهم بناء يستريحهم .
 فقالوا : أي المؤمنون والكاثرون في شأن البناء عليهم .
 وقال الذين غلبوا على أمرهم : وهم المؤمنون لنتخذن حولهم مسجداً يصلى فيه .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن أصحاب الكهف فقوله تعالى : ﴿وكذلك بعثناهم
 ليتساءلوا بينهم﴾ أي كما أنماهم ثلاثمائة سنة وتسعاً وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى

(١) البعث : التحريك من سكون أي : كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدى وقلبناهم بعثناهم أيضاً أي : ايقظناهم من
 رقادهم على ما كانوا عليه من ثيابهم وأحوالهم .

ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطانتنا بعثناهم من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً كم لبثتم يا إخواننا فأجاب بعضهم قائلًا ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح وبعثوا من رقادهم في المساء وأجاب بعض آخر بقول مريض للجميع وهو قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فسلموا الأمر إليه، وكانوا جوعاً فقالوا لبعضهم ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾^(١) يشيرون إلى عملة من فضة كانت معهم ﴿إلى المدينة﴾ وهي أفسوس التي خرجوا منها هاربين بدينهم. وقوله: ﴿فليُنظر أيها أذكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ أي فليُنظر الذي تبعثونه لشراء الطعام أي أنواع الأطعمة أذكى أي أطهر من الحرام والاستقذار ﴿فليأتكم برزق منه﴾ لتأكلوه سداً لجوعكم وليلطف في شرائه وذهابه وإيابه حتى لا يشعر بكم أحداً وعلل لقوله هذا بقوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يطلعوا ﴿يرجموكم﴾ أو يقتلوكم رجماً بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ ملة الشرك بالقسر والقوة. ﴿ولن تفلحوا إذا أبدأ﴾ أي ولن تفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا أنتم عدتم للكفر والشرك . . فكفرتهم وأشركتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة وبعثناهم ليتساءلوا بينهم فيزدادوا إيماناً ومعرفة بولاية الله تعالى وحمايته لأوليائه ﴿أعرنا عليهم﴾ أهل مديتهم الذين انقسموا إلى فريقين فريق يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح، وفريق يقول البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم، فأنام الله الفتية وبعثهم وأعر عليهم هؤلاء القوم المختلفين فاتضح لهم أن الله قادر على بعث الناس أحياء أجساماً وأرواحاً كما بعث أصحاب الكهف وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا﴾ أي أولئك المختلفون في شأن البعث أن وعد الله حق وهو ما وعد به الناس من أنه سيبعثهم بعد موتهم يوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم. ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ

(١) قال ابن عباس كان معهم دراهم فضة عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم والورق: الفضة، وقرى بكسر الراء وقرى بسكونها.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز الوكالة في كل مباح مأذون فيه وسواء كان الموكل عاجزاً أو قادراً ورأى بعضهم أن القادر لا يوكل، والصحيح جوازه، وقد وكل النبي ﷺ وهو صحيح حاضر، ووكل علي رضي الله عنه ووكل كثير من الصحابة من ينوب عنهم في أمورهم.

(٣) الجمهور على أن نصف حروف القرآن التاء من قوله: ﴿وليتلطف﴾ أي: نصف القرآن من الفاتحة إلى ﴿وليتلطف﴾ والنصف الآخر والأخير منها إلى الناس.

(٤) القتل بالرجم بالحجارة أشقى لصدور أهل الدين لأنهم يشاركون في القتل بالرجم.

(٥) أطلعنا عليهم. يقال عثر على كذا: وقف عليه برجله ومنه العثار للرجل وأعثر عليه: جعل غيره يعثر عليه بمعنى يقف عليه مطلعاً عليه ظاهراً.

يتنازعون بينهم أمرهم ﴿ أي أعثرناهم عليهم في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام . فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معاً . وقوله تعالى : ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ﴾ وتركوهم في الكهف أي سدوا عليهم باب الكهف وتركوهم فيه لأنهم بعد أن عثروا عليهم ماتوا ﴿ ربهم أعلم بهم ﴾ ويحالهم .

وقوله تعالى : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ أي قال الذين غلبوا على أمر الفتية لكون الملك كان مسلماً معهم ﴿ لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ ^(١) أي للصلاة فيه وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته .

٢ - وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرهما .

٣ - الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبداً .

٤ - تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة .

٥ - مصداق قول الرسول ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة » (في الصحيحين) .

٦ - مصداق قول الرسول ﷺ « لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع » . إذ قد بنى المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد . بعد القرون المفضلة حتى أصبح ينذر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور . ^(٣)

(١) اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمة ، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ وحذر منه وحرّمه على أمته لما يفضي به إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرا كنيسة رأتاها بالحجشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال ﷺ « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . وروى مسلم : (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) وفي الصحيحين : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا) .

(٢) روى الترمذي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال : (نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يبنى عليها وأن توطأ) وروى أبو داود والترمذي وغيرهما أن علياً قال لأحد رجاله أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمسستها) والمراد بالمشرف : العالي المرتفع أما تسنيم القبر شبراً وأكثر ليعرف فلا بأس به .

(٣) ذكر القرطبي هنا أن الدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة وقال : روي أن دانيال عليه السلام كان في تابوت من حجر وأن يوسف عليه السلام أوصى بأن يتخذ له تابوت من زجاج .

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ

رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلِئِشْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيْشُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- رجماً بالغيب : أي قذفاً بالظن غير يقين علم .
ما يعلمهم إلا قليل : أي من الناس .
فلا تمار فيهم : لا تجادل في عدتهم .
ولا تستفت فيهم منهم أحداً : أي من أهل الكتاب ، الاستفتاء : الاستفهام والسؤال .
إلا أن يشاء الله : أي إلا أن تقول إن شاء الله .
لأقرب من هذا رشداً : هداية وأظهر دلالة على نبوتي من قصة أصحاب الكهف .
له غيب السموات والأرض : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما
أبصر به وأسمع : أي أبصر بالله وأسمع به صيغة تعجب ! والأصل ما أبصره وما أسمع
ما لهم من دونه من ولي : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله أي من ناصر .

ولا يشرك في حكمه أحداً : لأنه غني عما سواه ولا شريك له .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحاب الكهف يخبر تعالى بأن الخائضين في شأن أصحاب الكهف سيقول بعضهم بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعض آخرهم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجماً بالغيب﴾ أي قذفاً بالغيب من غير علم يقيني ، ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم ، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأصحابه تلك الأقوال : ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ولعله فهم ذلك من سياق الآية إذ ذكر تعالى أن الفريقين الأول والثاني قالوا ما قالوه من باب الرجم بالغيب لا من باب العلم والمعرفة ، وسكت عن الفريق الثالث ، فدل ذلك على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿فلا تمار فيهم إلا مرأاً ظاهراً﴾ أي ولا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً بيناً ليناً بذكرك ما قصصنا عليك دون تكذيب لهم ، ولا موافقة لهم . وقوله تعالى ﴿ولا تستفت منهم﴾ أي في أصحاب الكهف «منهم» أي من أهل الكتاب أحداً وذلك لأنهم لا يعلمون عدتهم وإنما يقولون بالخرص والتخمين لا بالعلم واليقين . وقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ أي لا تقل يا محمد في شأن تريد فعله مستقبلاً أي سأفعل كذا إلا أن تقول إن شاء الله ، وذلك أنه ﷺ لما سأله وفد قريش بإيعاز من اليهود عن المسائل الثلاث : الروح ، وأصحاب الكهف وذو القرنين ، قال لسائليه : أجيبكم غداً انتظاراً للوحي ولم يقل إن شاء الله ، فأدبه ربه تعالى بانقطاع الوحي عنه نصف شهر ، وأنزل هذه السورة وفيها هذا التأديب له ﷺ وقوله : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكروه ولو بعد حين لتخرج من الحرج .

أما الكفارة فلازمة إلا أن يكون الاستثناء متصلاً بالكلام وقوله تعالى : ﴿وقل عسى أن يهدينني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي وقل بعد النسيان والاستثناء المطلوب منك ﴿عسى أن يهدينني

(١) أصل الرجم هو الرجم بالحجارة ونحوها والمراد به هنا ، رمي الكلام من غير رؤية ولا تثبت ، والمراد أن ما قالوه في بيان عددهم هو من باب القول بالظن بدون علم .

(٢) المراد : بالظاهر هو الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا يطول الخوض فيه .

(٣) الاستفتاء : طلب الفتيا وهي الخبر عن أمر لا يعلمه إلا ذوو العلم روي أن النبي ﷺ سأل بعض نصارى نجران فنهى عن ذلك .

(٤) لشيء أي : في شيء أو لأجل شيء .

(٥) أي : إلا أن تذكر مشيئة الله تعالى .

ربي لأقرب من هذا رشداً ﴿أي لعل الله تعالى أن يهديني فيسددني لأسد ما وعدتكم أن أخبركم به مما هو أظهر دلالة على نبوتي مما سألتهموني عنه اختباراً لي﴾ . وقوله تعالى : ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾ يخبر تعالى أن الفتية لبثوا في كهفهم رقوداً من ساعة دخلوه إلى أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري .

وقوله : ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ رد به على من قال من أهل الكتاب إن الثلاثمائة والتسع سنين هي من ساعة دخولهم الكهف إلى عهد النبي ﷺ فأبطل الله هذا بتقرير الثلاثمائة والتسع أولاً وبقوله ﴿الله أعلم بما لبثوا﴾ ثانياً ويقول : ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما ، ثالثاً ، ويقول : ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي ما أبصره بخلفه وما أسمع له لأقوالهم حيث لا يخفى عليه شيء من أمورهم وأحوالهم خامساً ، وقوله ﴿ليس لهم﴾ أي لأهل السموات والأرض من دونه تعالى ﴿من ولي﴾ أي ولا ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ لغناه عما سواه ولعدم وجود شريك له بحال من الأحوال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية .
- ٢ - بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم .
- ٣ - من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلاً إلا قال بعدها إن شاء الله .
- ٤ - من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلاً بكلامه .
- ٥ - تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري .

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ

رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً ﴿٢٧﴾

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

(١) قرأ الجمهور ﴿ثلاثمائة﴾ بالتثنية و﴿سنين﴾ منصوب على التمييز أو على البدلية ، فهو مجرور ، وقرأ خلافهم بإضافة ثلاثمائة إلى سنين .

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- واتل ما أوحى إليك من الكتاب : أي اقرأ القرآن تعبدًا ودعوة وتعليمًا .
لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها .
ملتحدًا : أي ملجأ تميل إليه إحتماءً به .
واصبر نفسك : أي إحبسها .
يريدون وجهه : أي طاعته ورضاه ، لا عرضاً من عرض الدنيا .
ولا تعد عيناك عنهم : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا .
تريد زينة الحياة الدنيا : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر .
من أغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا .
وكان أمره فرطاً : أي ضياعاً وهلاكاً .
أحاط بهم سرادقها : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار .

بماء كالمهل : أي كعكر الزيت أي الدردى وهو مايبقى في أسفل الإناء
ثخناً رديئاً.
من سندس واستبرق : أي مَارَقٌ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه أي من
الديباج.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث عن أصحاب الكهف أمر تعالى رسوله بتلاوة كتابه فقال : ﴿واتل﴾ أي واقرأ
﴿ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ تعبداً به ودعوة للناس إلى ربهم به وتعليماً للمؤمنين بما جاء
فيه من الهدى.

وقوله : ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا تتركّن تلاوته والعمل به والدعوة إليه فتكون من الهالكين
فإن ما وعد ربك به المعرضين عنه المكذبين به كائن حقاً وواقع صدقاً فإن ربك ﴿لا مبدل
لكلماته﴾ المشتملة على وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه ممن كفروا به وكذبوا بكتابه فلم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه .

وقوله تعالى : ﴿ولن تجد من دون ملتحداً﴾ أي انك إن لم تتل كتابه الذي أوحاه إليك وتعمل
بما فيه فَنَالَكْ ما أوعده الكافرين المعرضين عن ذكره . ﴿لن تجد من دون الله ملتحداً﴾ أي
موثلاً تتل إليه وملجأً تحتمي به وإذا كان مثل هذا الوعيد الشديد يوجه إلى رسول الله ﷺ وهو
المعصوم فغيره ممن تركوا تلاوة القرآن والعمل به فلا أقاموا حدوده ولا أحلوا حلاله ولا حرموا
حرامه أولى بهذا الوعيد وهو حائق بهم لا محالة إن لم يتوبوا قبل موتهم وقوله تعالى : ﴿واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ نزل هذا التوجيه للرسول ﷺ
عندما عرض عليه المشركون إبعاد أصحابه الفقراء كبلال وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا
منه فنهاه ربه عن ذلك وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين ﴿الذين يدعون﴾ ربهم
في صلاتهم في الصباح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسيبهم ودعائهم عرضاً من أعراض الدنيا
وإنما يريدون رضا الله ومحبة بطاعته في ليلهم ونهارهم .

وقوله تعالى : ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ أي لا تتجاوز بصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك
الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر وقوله ﴿ولا تطع﴾ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴿فجعلناه غافلاً

(١) تضمنت هذه الآية : ﴿واتل﴾ الخ الرد على المشركين إذ المعنى : لا تعبا بهم إن كرهوا تلاوة بعض القرآن لأن فيها
التعريض بآلهم والتنديد بها حتى طالبوك بأن تجعل بعض القرآن للثناء عليها أو عليهم .

(٢) لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة .

(٣) روي أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي لأنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه وهو إبعاد الفقراء وتقريب صناديد قريش .

عن ذكرنا وذكر وعدنا ووعيدنا ليكون من الهالكين لعناده وكبريائه وظلمه . ﴿وكان أمره فرطاً﴾^(١) أي ضياعاً وهلاكاً، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ أي هذا الذي جئت به وأدعو إليه من الإيمان والتوحيد والطاعة لله بالعمل الصالح هو ﴿الحق من ربكم﴾ أيها الناس . ﴿فمن شاء﴾ الله هدايته فآمن وعمل صالحاً فقد نجاه ومن لم يشأ الله هدايته فَبَقِيَ على كفره فلم يؤمن فقد خاب وخسر .

وقوله : ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا﴾ أحاط بهم سرادقها ﴿أي جدرانها النارية .﴾ ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ رديئاً ثخيناً ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا أدناه الشارب من وجهه ليشرب شوى جلده ووجهه ولذا قيل فيه ذم له . ﴿يشس الشراب وساءت﴾ أي جهنم ﴿مرتفعاً﴾ في منزلها وطعامها وشرابها إذ كله سوء وعذاب هذا وعيد من اختار الكفر على الإيمان وأما وعد من آمن وعمل صالحاً وقد تضمنته الآيتان (٣١-٣٢) إذ قال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا حكمنا الذي لا تبديل له وبين تعالى أجروهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم فقال : ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة دائمة ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، متكئين فيها على الآرائك ﴿وهي الأسرة بالحجلة﴾^(٢) ثم أثنى الله تعالى على نعيمهم الذي أعده لهم بقوله : ﴿نعم الثواب﴾ الذي أثبوا به ﴿وحسنت﴾ الجنة في حليها وثيابها وفرشها وأسرتها وطعامها وشرابها وحورها ورضوان الله فيها ﴿حسنت مرتفعاً﴾ يرتفعون فيه وبه، جعلنا الله من أهلها

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام .

(١) الفرط : الظلم والاعتداء وهو مشتق من الفروط وهو السبق لأن الظلم سبق في الشر والظلم يؤدي إلى الهلاك والضياع والخسران .

(٢) الأمر في قوله ﴿فليؤمن﴾ و﴿فليكفر﴾ للتسوية بينهما وليس في هذا إذن لهم بالكفر وإنما الخطاب للتهديد والوعيد لمن اختار الكفر على الإيمان بدليل الجملة التعليلية : ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا﴾ الخ ، والمراد بالظالمين المشركون لقوله تعالى : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ .

(٣) ﴿الآرائك﴾ : جمع أريكة وهي مجموع سرير وحجلة ، والحجلة : قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال فإذا وضع فيها سرير فهي أريكة يجلس فيها وينام .

(٤) (المرتفع) : محل الارتفاق ، وإطلاق المرتفع على النار تهكم ، إذ النار لن تكون محل راحة وارتفاق أبداً بل هي دار شقاء وعذاب .

- ٢ - الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه .
- ٣ - على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق ، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم .
- ٤ - الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين .
- ٥ - عذاب النار شر عذاب ، ونعيم الجنة ، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك .

❁ وَأَضْرَبَ

لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتِ أَكْلُهُمَا وَلَمْ
تَظْلِمِي مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

- واضرب لهم مثلاً : أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين . . . الخ
- جنتين : أي بستانين .
- وحففناهما بنخل : أي أحطناهما بنخل .
- أنت أكلها : أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل .
- ولم تظلم منهم شيئاً : أي ولم تنقص منه شيئاً بل أنت به كاملاً ووافياً .

خلالهما نهراً : أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً .
وهو يحاوره : أي يحادثه ويتكلم معه .
وأعز نفراً : أي عشيرة ورهطاً .
تبيد : أي تفنى وتذهب .
خيراً منها منقلباً : أي مرجعاً في الآخرة .
أكفرت بالذي خلقك من تراب؟ ! : الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم .
من نطفة : أي مني .
ثم سواك : أي عدلك وصيرك رجلاً .
لكننا : أي لكن أنا، حذفت الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكننا .
هو الله ربي : أي أنا أقول الله ربي .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ : واضرب لأولئك المشركين المتكبرين الذين اقترحوا عليك أن تطرد الفقراء المؤمنين من حولك حتى يجلسوا إليك ويسمعوا منك ﴿اضرب﴾^(١) لهم أي اجعل لهم مثلاً : ﴿رجلين﴾ مؤمناً وكافراً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين من أعناب وحفناهما بنخل﴾ أي أحطناهما بنخل ، ﴿وجعلنا بينهما﴾ أي بين الكروم والنخيل ﴿زرعاً﴾ ﴿كلتا الجنتين﴾ آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً ﴿أي لم تنقص منه شيئاً﴾ وفجرنا خلالهما نهراً ﴿ليسقيهما﴾ ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي في الكلام يراجعه ، ويُفاخره : ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾^(٢) أي عشيرة ورهطاً ، قال هذا فخراً وتعاضماً . ﴿ودخل جنته﴾ والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ بالكفر والكبر وقال : ﴿ما أظن أن تبديد هذه﴾ يشير إلى جنته ﴿أبداً﴾ أي لا تفنى . ﴿وما أظن الساعة﴾

(١) اختلف في تحديد الفريقين الذين ضرب لهما المثل ، وفي الرجلين اللذين ضرب بهما المثل ، والظاهر أن الفريقين اللذين ضرب لهما المثل هم المؤمنون والكافرون المستكفون عن مجالسة المؤمنين ، وأما الرجلان فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني إسرائيل وهو الظاهر والله أعلم .
(٢) قال سيبويه : أصل كلا كلوا وأصل كلتا كلوا فحذفت لام الفعل من كلتا وعوضت التاء عن اللام المحذوفة لتدل التاء على التأنيث .

(٣) ﴿وكان له ثمر . .﴾ الجملة في محل نصب على الحال ، والثمر بضم التاء والميم المال الكثير المختلف من التقدين والأنعام والجنات والمزارع مأخوذ من : ثمر ماله : إذا كثر ، وقرأ الجمهور بضم التاء والميم وقرأ حفص بفتحهما .
(٤) أعز أي أشد عزة ، والنفر : عشيرة الرجل الذين ينفرون معه للدفاع أو القتال والمراد بالنفر هنا أولاده .
(٥) الظن هنا بمعنى الاعتقاد ومعنى تبديد : تفنى وتهلك .

(١) قائمة ولئن رددت إلى ربي ﴿ كما تقول أنت ﴿ لأجدن خيراً منها ﴾ أي من جنتي ﴿ منقلباً ﴾ أي مرجعاً إن قامت الساعة وبعث الناس وبعثت معهم . هذا القول من هذا الرجل هو ما يسمى بالغرور النفسي الذي يصاب به أهل الشرك والكبر . وهنا قال له صاحبه المسلم ﴿ وهو يحاوره ﴾ أكفرت بالذي خلقك من تراب؟ ﴿ وهو الله عز وجل حيث خلق أباك آدم من ﴿ تراب ثم من نقطة ﴾ أي ثم خلقك أنت من نقطة أي من مني ﴿ ثم سواك رجلاً ﴾ وهذا توبيخ من المؤمن للكافر المغرور ثم قال له : ﴿ لكننا هو الله ربي ﴾ أي لكن أنا أقول هو الله ربي ، ﴿ ولا أشرك بربي أحداً ﴾ من خلقه في عبادته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني الخفية إلى الأذهان .
- ٢ - بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم .
- ٣ - تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء .
- ٤ - التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر .

وَلَوْلَا إِذْ

دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا
أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيط بِشِمْرِهِ فَأُصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفْيِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

(١) قرأ الجمهور (منهما) بالثنية وقرأ عاصم (منها) بالافراد .

(٢) النطفة : ماء الرجال مشتقة من النطف الذي هو السيلان .

فِتَّةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِراً ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ

لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- ما شاء الله : أي يكون وما لم يشأ لم يكن .
- حسباناً من السماء : أي عذاباً ترمى به فتؤول إلى أرض ملساء دحضاً لا يثبت عليها قدم .
- أو يصبح ماؤها غوراً : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يَقْدِرُ عَلَى استنباطه وإخراجه .
- وأحيط بثمره : أي هلك ثماره ، فلم يبق منها شيء .
- يقلب كفيه : ندماً وحسرة على ما أنفق فيها من جهد كبير ومال طائل .
- وهي خاوية على عروشها : أي ساقطة على أعمدتها التي كَانَ يُعْرَشُ بها للكرم ، وعلى جدران مبانيها .
- فئة : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه .
- هنالك : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة .
- الولاية : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى .
- خير ثواباً وخير عقباً : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يُعَقَّبُ أي يحزى بخير .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في المثل المضروب للمؤمن الفقير والكافر الغني فقد قال المؤمن للكافر ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك ﴾ أي هلا إذ دخلت بستانك قلت عند تعجبك من حسنه وكماله ﴿ ما شاء الله أي كان ﴾ لا قوة إلا بالله ﴿ أي لا قوة لأحد على فعل شيء

(١) هذا وجه في إعراب (ما شاء الله) ما : مبتدأ والخبر كان ، وهناك وجه آخر حسنه بعضهم وهو : هذه الجنة ما شاء الله . فما خبر عن مبتدأ محذوف ويجوز تقديره أيضاً : الأمر الذي شاء الله إعطاءه .

(٢) قال مالك : ينبغي لكل من دخل داره أو بستانه أن يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وروي أنه كان مكتوباً على باب وهب بن منبه ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وروي مسلم أن : لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وورد استحباب قول بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا قوة إلا بالله .

أو تركه إلا بإقدار الله تعالى له وإعانتة عليه قلل هذا المؤمن نصحاً للكافر وتوبيخاً له . ثم قال له ﴿إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ اليوم ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾ أي فرجائي في الله ﴿أَن يُّؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جِتِّكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي على جنة الكافر ﴿حِسَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي عذاباً ترمى به . ﴿فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ : أي تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم . ﴿أَوْ يَصْبِحُ مَآوِهَا غُورًا﴾ الذي تسقى به غائراً في أعماق الأرض فلن تقدر على إستخراجه مرة أخرى ، وهو معنى ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ .

وقوله تعالى : في الآيات (٤٠) ، (٤١) ، (٤٢) يخبر تعالى أن رجاء المؤمن قد تحقق إذ قد أحيط فعلاً ببستان الكافر فهلك بكل مافيه من ثمر ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفِيهَ﴾ ندماً وتحسراً ﴿عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ من جهد ومال في جنته ﴿وَهِيَ خَالِوَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي ساقطة على أعمدة الكرم التي كان يعرشها للكرم أي يحمله عليها كما سقطت جدران مبانيها على سقوفها وهو يتحسر ويتندم ويقول : ﴿يَالَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ، ولم تكن له ﴿جَمَاعَةٌ قَوِيَّةٌ تَتَصَرَّهُ﴾ من دون الله وما كان ﴿الْمُنْهَزِمُ﴾ متصراً لأن من خذله الله لا ناصر له . قال تعالى : في نهاية المثل الذي هو أشبه بقصة ﴿هَنَالِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿الْوَلَايَةِ﴾ أي القوة والملك والسلطان ﴿لِلَّهِ﴾ أي المعبود ﴿الْحَقِّ﴾ لا لغيره من الأصنام والأحجار ﴿هُوَ﴾ تعالى ﴿خَيْرُ ثَوَابًا﴾ أي خير من يشيب على الإيمان والعمل الصالح . ﴿وَخَيْرُ عَقْبًا﴾ أي خير من يعقب أي يجزي بحسن العواقب هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال ، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وهو النار .

٢ - استحباب قول من أعجبه شيء : ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فإنه لا يرى فيه مكروهاً إن شاء الله .

(١) أنا : ضمير فصل وأقل : مفعول ثانٍ لترن وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفاً .

(٢) (عسى) للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشرك .

(٣) الحسبان : مصدر كالغفران وهو هنا وصف لمحذوف تقديره : هلاكاً حساباً أي : مقدراً من الله تعالى ، وقيل هو اسم جمع حسبانة أي : صاعقة ، وقيل : اسم للجراد وهو محتمل لكل ما ذكر .

(٤) العقب : بمعنى العاقبة وقرئ : بضمين عُقْب وقرئ بضم العين وسكون القاف بمعنى : عاقبة وهي آخرة الأمر وما يرجوه المرء من سعيه وعمله ولذا فسرت الآية بهو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به ، يقال : هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه : أي آخره .

- ٣ - استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى .
 ٤ - المخذول من خذله الله تعالى فإنه لا ينصر أبداً .
 ٥ - الولاية بمعنى الموالات النافعة للعبد هي موالات الله تعالى لا موالات غيره .
 ٦ - الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾
 الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- المثل : الصفة المعجبة .
 هشيماً : يابساً متفتتاً .
 تذرؤه الرياح : أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويوسسته .
 مقتدراً : أي كامل القدرة لا يعجزه شيء .
 زينة الحياة الدنيا : أي يتجمل بما فيها .
 والباقيات الصالحات : هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات .
 وخير أملاً : أي ما يأمله الإنسان وينتظره من الخير .

معنى الآيات :

هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخذعتهم فصرفتهم عن الله تعالى ربهم فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه .

(١) ﴿الولاية﴾ : بفتح الواو: الموالات، وبكسرهما: الملك والسلطان .

قال تعالى : في خطاب رسوله محمد ﷺ : ﴿واضرب لهم﴾ أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها الحقيقية التي لا تختلف عنها بحال ﴿كماء أنزلناه من السماء﴾ فاختلط به نبات الأرض ﴿فزهاً وازدهراً واخضرّاً وأنظر﴾ فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه. وفجأة أتاه أمر الله برياح لائحة، محرقة، ﴿فأصبح هشيماً﴾ أي يابساً متهشماً متكرساً ﴿تذروه الرياح﴾ هنا وهناك ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾ أي قادراً كاملاً القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير.

وقوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ إنه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها فأوردتهم موارد الهلاك أخبر بحقيقة أخرى، يعلم فيها عباده لينتفعوا بها، وهي أن ﴿المال والبنون﴾ أو الأولاد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ لا غير أي يتجمل بهما ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان هم الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية، والجزء الثاني هو أن ﴿الباقيات الصالحات﴾ والمراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خير ثواباً﴾ أي جزاء وثمراً، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وخير أملاً﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله.

(١) بعض الحكماء شبه الحياة الدنيا بالماء للاتصالات الآتية :

١- الماء لا يستقر في موضع والحياة كذلك

٢- الماء يتغير والدنيا كذلك.

٣- الماء لا يبقى والدنيا كذلك.

٤- الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يتل ولا يدخلها أحد ويسلم من فتنها وآفاتنا.

٥- الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مثبتاً وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

وفي الصحيح (قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

(٢) يقال : هشمه يهشمه إذا كسره وفتته وهشيم بمعنى : مهشوم فهو فاعل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وهشم الثريد إذا فتته وبه سمي هاشم بن بن مناف وكان اسمه عمرو وفيه يقول عبدالله بن الزبيري :

عمر الغلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

(٣) قيل : في المال والبنين زينة الحياة الدنيا : لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً والمثل مضروب لحقارة الدنيا وسرعة زوالها ولذا قيل : لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك.

(٤) روى مالك في الموطأ : أن الباقيات الصالحات هن : سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها .

٢ - تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة ، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاعتراض بهما ، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد . ورباط ، وصيام وزكاة .

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ
لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

نُسِيرُ الجبال	: أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً .
بارزة	: ظاهرة إذ فنى كل ما كان عليها من عمران .
فلم نغادر	: لم نترك منهم أحداً .
موعداً	: أي ميعاداً لبعثكم أحياء للحساب والجزاء .
ووضع الكتاب	: كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله .
مشفقين	: خائفين .
ياويلتنا	: أي ياهلكتنا احضري هذا أو أن حُضُورَك .
لا يغادر صغيرة	: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عدداً .

ما عملوا حاضراً : مثبتاً في كتابهم ، مسجلاً فيها .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى مآل الحياة الدنيا وأنه الفناء والزوال ورغب في الصالحات وثوابها المرجو يوم القيامة ، ناسب ذكر نبذة عن يوم القيامة ، وهو يوم الجزاء على الكسب في الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ أي اذكر ﴿ يوم نسير ﴾ أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً ، ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ ظاهرة ليس عليها شيء فهي قاع صفصف ﴿ وحشرناهم ﴾ أي جمعناهم من قبورهم للموقف ﴿ فلم تغادر منهم أحداً ﴾ أي لم نترك منهم أحداً كائناً من كان ، ﴿ وعرضوا على ربك ﴾ أيها الرسول صفأ وقوفاً أذلاء ، وقيل لهم توبيخاً وتقريعاً : ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ لا مال معكم ولا سلطان لكم بل حفاة عراة غرلاً ، جمع أغرل ، وهو الذي لم يختن .

وقوله تعالى : ﴿ بل زعمتم ﴾ أي ادعيتم كذباً أنا لا نجعل لكم موعداً فهذا أنتم مجموعون لدينا تنتظرون الحساب والجزاء ، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما فيه ، وقوله تعالى في الآية ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يخبر تعالى عن حال العرض عليه فقال : ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الحسنات والسيئات وأعطى كل واحد كتابه فالمؤمن يأخذه بيمينه والكافر بشماله ، ﴿ فترى المجرمين ﴾ في تلك الساعة ﴿ مشفقين ﴾ أي خائفين ﴿ مما فيه ﴾ أي في الكتاب من السيئات ﴿ ويقولون : يا ويلتنا ﴾ ندماً وتحسراً ينادون يا ويلتهم وهي هلاكهم قائلين :

(١) هذا على قراءة تُسير بالتاء المضمومة للبناء للمفعول وقراءة الجمهور ﴿ نسير الجبال ﴾ والفاعل هو الله تعالى ، وقرئ أيضاً : تسير الجبال بفتح التاء مضارع سار يسير كقوله تعالى : ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ .

(٢) المغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء ، وسمي الغدير من الماء غديراً لأنه ترك بعد السيل ، ومنه غداثر المرأة وهو شعرها تضفره وتتركه خلفها

(٣) أخرج الحافظ أبو القاسم بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رقيق غير قطع : يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أنامل أقدامهم للحساب) تضمن هذا الحديث تفسيراً كاملاً لهذه الآيات .

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ﴾ غير مختونين .

(٥) هذا الخطاب لمنكري البعث والجزاء من أهل الكفر والشرك .

(٦) ﴿ الكتاب ﴾ : اسم جنس يشمل كل الكتب التي يُعطاه العباد في المحشر .

(٧) الويلة : مؤثت الويل للمبالغة وهي سوء الحال والهلاك كما أنت الدار على دارة للدلالة على سعة المكان ، ونداء الويلة معناه : الدعاء على أنفسهم بالهلاك لمشاهدتهم عذاب الأهل وما ينتظرهم من صنوف العذاب نادوا ويلتهم طالبين حضورها .

﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ ^(١) ﴿من ذنوبنا﴾ إلا أحصاها ﴿أي أثبتها عدّاً﴾.
 وقوله تعالى: في آخر العرض ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي من خير وشر مشتبأ في كتابهم،
 وحوسبوا به، وجوزوا عليه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ بزيادة سيئة على سيئاته أو بنقص حسنة من
 حسناته، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.
- ٢ - بيعت الانسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافياً عارياً لم يقطع منه غلقة الذكر.
- ٣ - تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقاً للعدالة الإلهية.
- ٤ - نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا

لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

يَتَّبِعُونَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا

﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ

فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ

النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات:

اسجدوا لآدم : أي حيّوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي .
 إلا إبليس : أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي

(١) أصغر الصغائر: النظر بغير قصد وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ولا ضابط حتى الكبيرة إلا أن هناك ضابطاً يستأنس به وهو: ما توعده عليه أو لعن عليه أو وضع حدّ له في الكتاب أو السنة فهو كبيرة.

خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه !

أفتتخذونه وذريته أولياء؟ : الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك؟! .

بش للظالمين بدلاً : قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله .
المضلين عضداً : أي ما كنت متخذ الشياطين من الانس والجن أعواناً في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصوني .

موبقاً : أي وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق، حاجز بين المشركين، وما كانوا يعبدون بدليل قوله : ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ .

مواقعوها : أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبداً .
ولم يجدوا عنها مصرفاً : أي مكاناً غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في إرشاد بني آدم وتوجيههم إلى ما ينجيهم من العذاب ويحقق لهم السعادة في الدارين، قال تعالى في خطاب رسوله واذكرلهم ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ وهم عبادنا المكرمون ﴿اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا وسجدوا إلا إبليس . لكن إبليس الذي يطيعه الناس اليوم كان من الجن وليس من الملائكة لم يسجد، ففسق بذلك عن أمرنا وخرج عن طاعتنا . ﴿أفتتخذونه﴾ أي أصبح منكم يابني آدم أن تتخذوا عدو أبيكم وعدو ربكم وعدوكم أيضاً ولياً توالونه وذريته بالطاعة لهم والاستجابة لما يطلبون منكم من أنواع الكفر والفسق ﴿بش للظالمين﴾ أنفسهم ﴿بدلاً﴾ طاعة الشيطان وذريته وولايتهم عن

(١) الفسق : مشتق من : فسقت الرطبة : إذا خرجت من قشرتها، والفأرة من جحرها، وفسق العبد : خرج عن طاعة ربه متجاوزاً الطاعة إلى المعصية، فكل من ترك واجباً وفعل حراماً فقد فسق بذلك عن طاعة ربه أي خرج عنها .
(٢) الاستفهام للتوبيخ والانتكار، وذرية الشيطان بينت السنة كيفية وجودهم فقد صح عن النبي ﷺ قوله : (لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ)، فهذا دال على أن للشيطان ذرية من صلبه .
(٣) في مسلم : ﴿أن للصلاة شيطاناً يسمى خنزب مهمته الوسوسة فيها﴾ وروى الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان يوسوس فيه .

(٤) روى مسلم رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئاً قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال : فيدنيه أوقال : فيلزمه ويقول : نعم أنت!!) .

طاعة الله ورسوله وولايتهما.

وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم^(١) خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ يخبر تعالى بأنه المنفرد بالخلق والتدبير ليس له وزير معين فكيف يُعبدُ الشيطان وذريته، وأنا الذي خلقتهم وخلقت السموات والأرض^(٢) وخلقت هؤلاء الذين يعبدون الشيطان، ولم أكن ﴿متخذ المضلين﴾ وهم الشياطين من الجن والإنس الذين يضلون عبادنا عن طريقنا الموصول إلى رضانا وجنتنا، أي لم أكن لأجعل منهم معيناً لي يعضدني ويقوي أمري وخلاصة ما في الآية أن الله تعالى ينكر على الناس عبادة الشياطين وهي طاعتهم وهم مخلوقون وهو خالقهم وخالق كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي أذكر يارسلنا هؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إلى عبادة عدوه الشيطان، أذكر لهم يوم يقال لهم في عرصات القيامة ﴿نادوا شركائي الذين﴾ أشركتموهم في عبادتي زاعمين أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم فيخلصونكم من عذابنا.

قال تعالى ﴿فدعوهم﴾ يافلان!! يافلان... ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذ لا يجرؤ أحد ممن عبد من دون الله أن يقول رب هؤلاء كانوا يعبدوني. قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم^(٣) موبقاً﴾ أي حاجزاً وفاصلاً من عداوتهم لبعضهم. وحتى لا يتصل بعضهم ببعض في عرصات القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي يؤتى بها تجرُّ بالسلاسل حتى تبرز لأهل الموقف فيشاهدونها وعندئذ يظن^(٤) المجرمون أي يوقنوا ﴿أنهم واقعوها﴾ أي داخلون فيها. ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي مكاناً ينصرفون إليه لأنهم محاطون بالزبانية، والعياذ بالله من النار وعذابها.

(١) أي: ما أحضرتهم لاستعين بهم على خلق السموات والأرض ولا أحضرت بعضهم لاستعين به على خلق البعض الآخر.

(٢) في الآية رد على أهل الضلال كافة من شيطان وكاهن ومنجم وطبيعي وملحد إذ الجميع مخلوق مربوب والله خالق كل شيء ومليكه وربّه ومدبّره.

(٣) أي: امتثلوا الأمر ودعوههم فلم يستجيبوا لهم.

(٤) فسر الموق ابن عباس رضي الله عنهما: بالحاجز، وفسره أنس بن مالك رضي الله عنه بواد في جهنم من قيح ودم، وفسر بالمهلك والتفسير بالمهلك يدخل فيه كل مذكر، ومن الجائز أن يتعدد الحاجز ويكون أنواعاً منها: عداوة بعضهم لبعض فإنها حاجز والنار نفسها أعظم موق ولعلها هي المراد بالموق.

(٥) ﴿ظنوا﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين وهو كثير في القرآن الكريم. قال الشاعر.

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

(٦) ﴿مصرفاً﴾ أي: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عداوة إبليس وذريته لبني آدم .
- ٢ - العجب من بني آدم كيف يطيعون عدوهم ويعصون ربهم !!
- ٣ - لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل معبود مما يعبد غيره من سائر المخلوقات .
- ٤ - بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لا غائتهم فيدعونهم فلا يستجيبون لهم .
- ٥ - جمع الله تعالى المشركين وماكانوا يعبدون من الشياطين في موبق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجَدِّدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
 وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
 الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

صرفنا	: أي بينا وكررنا البيان .
من كل مثل	: المثل الصفة المستغربة العجيبة .
جداً	: أي مخاصمة بالقول .
سنة الأولين	: أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام .
قبلا	: عياناً ومشاهدة .
ليدحضوا به الحق	: أي يبطلوا به الحق .
هزواً	: أي مهزوءاً به .
أكنته	: أغطية .
وفي آذانهم وقرأ	: أي ثقلاً فهم لا يسمعون .
موثلاً	: أي مكاناً يلجأون إليه .
لمهلكهم موعداً	: أي وقتاً معيناً لإهلاكهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حجج الله تعالى على عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فينجوا من عذابه ويدخلوا دار كرامته فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا^(١) فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي ضربنا فيه الأمثال الكثيرة وبيننا فيه الحجج العديدة ، ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ﴾ من الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً ، وقابلوا كل ذلك بالجحود والمكابرة ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدلاً﴾ فأكثرهم الإنسان يصرفه في الجدل والخصومات حتى لا يذعن للحق ويسلم به ويؤديه إن كان عليه . هذا ما دلت عليه الآية الأولى : (٥٤) أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن الناس مامنهم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ

(١) قال القرطبي : يحتمل أي : هذا الكلام وجهين : أحدهما ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية والثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية وما في التفسير لم يخرج عن هذا فتأمله .

(٢) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى : ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ ويحتمل المسلم إلا أنه في الكافر أظهر وأكثر وروي مسلم عن علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة فقال : ألا تصلون ؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدلاً﴾ .

الهدى ﴿ وهو بيان طريق السعادة والنجاة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الكفر والشرك وسوء الأعمال ﴾ ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين ﴿ بعدذاب الاستئصال والإبادة الشاملة، ﴿ أو يأتيهم ﴾ عذاب يوم القيامة معاناة وهو معنى قوله تعالى : ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴾ وحينئذ لا ينفع الإيمان . وقوله تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ أي دعاة هداة يمشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار . فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين ، لكن الذين كفروا يتعاضون عن هذه الحقيقة ويجادلون ﴿ بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ . ﴿ واتخذوا ﴾ آيات الله وحججه ﴿ وما أنذروا ﴾ به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وهزاء يهزءون به ويسخرون منه وبذلك أصبحوا من أظلم الناس . وهو ما قررته الآية (٥٧) إذ قال تعالى فيها : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ﴾ أي من الإجرام والشر والشرك . اللهم إنه لا أحد أظلم من هذا الإنسان الكافر العنيد . ثم ذكر تعالى سبب ظلم وإعراض ونسيان هؤلاء الطاعة المعرضين الناسين وهو أنه تعالى حسب سنته فيمن توغل في الشر والظلم والفساد يجعل على قلبه كنائناً يحيطه به فيصبح لا يفقه شيئاً . ويجعل في أذنيه ثقلاً فلا يسمع الهدى . ولذا قال لرسوله ﷺ : ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا ﴾ أي بعد ما جعل على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ﴿ أبداً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا ﴾ أي لو يؤاخذ هؤلاء الظلمة المعرضين ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ ، ولكن مغفرته ورحمته تأبيان ذلك وإلا لعجل لهم العذاب فأهلكهم أمامكم وأنتم تنظرون . ولكن ﴿ لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً ﴾ يثلون إليه ولا ملجأ يلجأون إليه . ويرجح أن يكون ذلك يوم بدر لأن السياق في الظلمة المعاندين المحرومين من هداية الله كأبي جهل وعقبة ابن أبي معيط والأخنس بن شريق ، هذا أولاً . وثانياً قوله تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط .

(١) أي : بواسطة القرآن والرسول ﷺ .

(٢) أي : عياناً ، وفُسر بعضهم بعذاب السيف يوم بدر .

(٣) قراءة الجمهور : (قبلاً) بكسر القاف أي : المقابل للظاهر ، وقرئ (قبلاً) بضم القاف والباء وهو جمع قبيل أي : يأتيهم العذاب أنواعاً متعددة .

(٤) ﴿ موثلاً ﴾ : أي : منجى أو محيصاً يقال : وأل يثل وألاً ووُلاً أي : لجأ تقول العرب : لا وألت نفسه أي : لا نجت ومنه قول الشاعر :

لا وألت نفسك خليتها للعالمين ولم تكلم

(٥) تلك : مبتدأ وأهلكناهم الخبر ، ويصح أن تكون تلك في محل نصب والعامل : أهلكنا نحو : زيداً ضربته .

﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي لهلاكهم موعداً محدداً فكذلك هؤلاء المجرمون من قريش ، وقد أهلكهم بيدرولعنهم إلى الأبد .

هداية الآيات

- ١ - لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال .
- ٢ - بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة .
- ٣ - بيان مهمة الرسل وهي البشارة والندارة وليست إكراه الناس على الإيمان .
- ٤ - بيان عظم ظلم من يذكّر بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسياً ما قدمت يده .
- ٥ - بيان سنة الله في أن العبد إذا واصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبداً حتى يهلك كافراً ظالماً فيخلد في العذاب المهيّن .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَنَسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّ اْعَلَىءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ
عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى لفته : أي أذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفته يوشع بن نون
بن افرام بن يوسف عليه السلام .

مجمع البحرين : أي حين التقى البحرين بحر فارس وبحر الروم .

حقبا : الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب .

سبيله في البحر سرباً : أي طريقه في البحر سرباً أي طريقاً كالنفق .

فلما جاوزا : أي المكان الذي فيه الصخرة ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً .

في البحر عجباً : أي عجباً لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر

طريقاً كالنفق في الجبل

قصصاً : أي يتبعان آثار أقدامهما .

عبداً من عبادنا : هو الخضر عليه السلام .

مما علمت رشداً : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى .

ما لم تحط به خبراً : أي علماً .

ولا أعصي لك أمراً : أي انتهى إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقاً هواي .

معنى الآيات :

هذه قصة موسى^(١) مع الخضر عليهما السلام وهي تقرر نبوة محمد ﷺ وتؤكدها . إذ مثل

هذا القصص الحق لا يتأتى لأحد أن يقصه مالم يتلقه وحياً من الله عز وجل . قال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ أَيْدِي يَارَسُولُنَا تَدْلِيلًا عَلَىٰ تَوْحِيدِنَا وَلِقَائِنَا وَنُبُوتِكَ﴾ . إذ قال موسى

بن عمران نبينا إلى بني إسرائيل لفته يوشع بن نون ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ أي سائراً ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ حيث أُرشدني ربي إلى لقاء عبدٍ هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتى

(١) ذهب نوف البكالي إلى أن موسى هذا هو موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام وردّ هذا عليه ابن عباس رضي الله عنهما
ردّاً عنيفا كما في البخاري فالصحيح أنه موسى بن عمران رسول الله إلى بني إسرائيل .

(٢) اختلف في فتي موسى من هو؟ قيل : إنه كان شاباً يخدمه ولذا أطلق عليه لفظ الفتى على جهة حسن الأدب ، قال ابن
العربي . ظاهر القرآن أنه عبد وما دام صح الحديث بأنه يوشع بن نون فلا حاجة إلى البحث والتنقيب .

(٣) أي ملتقاهما . وهما بحر الأردن وبحر القلزم على الراجح الصحيح .

اتعلم منه علماً أزيد على علمي ، ﴿أو أمضي^(١) حقباً﴾ أي أو اصل سيرتي زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لأتعلم عنه . قوله تعالى : ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين وهما بحر الروم وبحر فارس عند باب المندب حيث التقى البحر الأحمر والبحر الهندي . أو البحر الأبيض والأطلنطي عند طنجة والله أعلم بأيهما أراد . وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ أي نسي الفتى الحوت ، إذ هو الذي كان يحمله ، ولكن نسب النسيان إليهما جرياً على المتعارف من لغة العرب^(٢) ، وهذا الحوت قد جعله الله تعالى علامة لموسى على وجود الخضر حيث يفقد الحوت ، إذ القصة كما في البخاري تبثديء بأن موسى خطب يوماً في بني إسرائيل فأجاد وأفاد فأعجب به شاب من بني إسرائيل فقال له : هل يوجد من هو أعلم منك ياموسى ؟ فقال : لا . فأوحى إليه ربه فوراً بلى عبدنا خضر ، فتاقت نفسه للقياء للتعلم عنه ، فسأل ربه ذلك ، فأرشده إلى مكان لقياء وهو مجمع البحرين ، وجعل له الحوت علامة فأمره أن يأخذ طعامه حوتاً وأعلمه أنه إذا فقد الحوت فثم يوجد عبد الله خضر ومن هنا لما بلغا مجمع البحرين واستراحا فنام موسى^(٣) والفتى شبه نائم وإذا بالحوت يخرج من المكتل «وعاء» ويشق طريقه إلى البحر فينجاب عنه البحر فيكون كالطاق أو النفق آية لموسى . ويغلب النوم على يوشع فينام فلما استراحا قاما مواصليين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من المكتل ودخوله في البحر لغلبة النوم فلما مشيا مسافة بعيدة وشعرا بالجوع وقد جاوزا المنطقة التي هي مجمع البحرين^(٤) قال موسى للفتى ﴿آتنا غداءنا﴾ وعلل ذلك بقوله : ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي تعباً . هنا قال الفتى لموسى ما قصَّ الله تعالى : قال مجيباً لموسى ﴿أرأيت﴾ أي أتذكر ﴿إذ أؤينا إلى الصخرة﴾ التي استراحا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ وقال كالمعتذر ، ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾^(٥) واتخذ سبيله ﴿أي طريقه﴾ ﴿في البحر عجباً﴾ أي حبي بعد موت

(١) قال النحاس : الحقب : زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه أحقاب وورد الحقب مقدراً بثمانين سنة ، إلا أنه في قول موسى هذا مراده الأول وهو زمن غير محدود .

(٢) نحو قوله : ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ مع أنه لا يخرج إلا من البحر الملح ونحو قوله : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ مع العلم أن الرسل من الإنس فقط .

(٣) في البخاري : أن موسى عليه السلام قال ليوشع لا أكلفك إلا أن تخبرني حيث يفارقك الحوت قال الفتى : ما كُلفت كثيراً .

(٤) هذا يرجح أن يكون البحرين : نهر الأردن وبحيرة طبرية .

(٥) في الآية دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثم هم يسألون الناس ، وشاهد هذا آية البقرة إذ نزلت في أناس من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون فنزل قوله تعالى : ﴿وتزودوا﴾ . الآية .

(٦) أن : وما دخلت عليه تسبك بمصدر فيقال : وما أنساني ذكره إلا الشيطان .

ومشى حتى انتهى إلى البحر وانجاب له البحر فكان كالسرب فيه أي النفق فأجابه موسى بما قص تعالى : ﴿ قال ذلك ما كنا نبغ ﴾ وذلك لأن الله تعالى جعل لموسى فقدان الحوت علامة على مكان الخضر الذي يوجد فيه ﴿ فارتدا ﴾ أي رجعا ﴿ على آثارهما قصصا ﴾ أي يتبعان آثار أقدامهما ﴿ فوجدا ﴾ خضراً كما قال تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا ﴾ وهو خضر آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وعلمناه من لدنا علماً وهو علم غيب خاص به ﴿ قال له موسى ﴾ مستعظفاً له ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ أي مما علمك الله رشداً أي رشاداً يَدُلُّني على الحق وتحصل لي به هداية فأجابه خضر بما قال تعالى : ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ يريد أنه يرى منه أموراً لا يقره عليها وخضر لا بد يفعلها فيتضايق موسى لذلك ولا يطيق الصبر، وعلل له عدم استطاعته الصبر بقوله ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ أي علماً كاملاً. فأجابه موسى وقد صمم على الرحلة لطلب العلم مهما كلفه الثمن فقال ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ أي سأنتهي إلى ما تأمرني وإن لم يكن موافقاً لما أحب وأهوى.

هداية الآيات :

- ١ - عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.
- ٢ - استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.
- ٣ - طرؤ النسيان على الانسان مهما كان صالحاً.
- ٤ - مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التماذي على الخطأ ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾.
- ٥ - تجلى قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

- ٦ - استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالماً وهنا أورد الحديث التالي وهو خير من قنطار ذهباً لمن حفظه وعمل به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال سأل موسى ربه : قال رب أي عبادك أحب إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني، قال : فأبي عبديك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال : أي رب أي عبادك أعلم؟ قال : الذي يتبغي علم الناس إلى

(١) في البخاري : (فوجدنا خضراً على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجئاً بشوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه فقال : هل بأرضك من سلام؟ من أنت؟ قال : أنا موسى . الخ .

علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. وللأثر بقية ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآيات.

قَالَ

فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

ذكرأ : أي بياناً وتفصيلاً لما خفي عليك .

لقد جئت شيئاً إمراً : أي فعلت شيئاً منكراً .

لا ترهقني : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطبق حمله فتضيق علي صحبتي إياك .

نفساً زكية : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب .

بغير نفس : أي بغير قصاص .

نكراً : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والعالم الذي أراد أن يصحبه لطلب العلم منه وهو خضر . قوله تعالى : ﴿ قَالَ ﴾ أي خضر ﴿ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي ﴾ مصاحباً لي لطلب العلم ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) أفعله مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه . وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْطَلَقَا ﴾ أي

(١) في قول موسى : ﴿ هَلْ أَتَبَعُكَ ﴾ من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب للشيخ الشيء الكثير، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما، وما كان موسى إلا أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف.

بعد رضا موسى بمطلب خضر انطلقا يسيران في الأرض^(١) فوصلا ميناء من المواني البحرية، فركبا سفينة كان خضر يعرف أصحابها فلم يأخذوا منها أجر الإركاب فلما أقلعت السفينة، وتوغلت في البحر أخذ خضر فأسا فخرق السفينة، فجعل موسى يحشو بثوب له الخرق ويقول: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على أنهما حملانا بدون نول ﴿لقد جئت شيئاً إمرأ﴾ أي أتيت يا عالم منكراً فظيماً فأجابه خضر بما قص تعالى: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ فأجاب موسى بما ذكر تعالى عنه: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تعاقبني بالنسيان فإن الناسي لا حرج عليه. وكانت هذه من موسى نسياناً حقاً ولا تغشني بما يعسر علي ولا أطيعه فاتضايق من صحبتي إياك.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ بعد نزولهما من البحر إلى البر فوجدا غلاماً جميلاً وسيماً يلعب مع الغلمان فأخذه خضر جانباً وأضجعه وذبحه فقال له موسى بما أخبر تعالى عنه: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ زكية طاهرة لم يذنب صاحبها ذنباً تتلوث به روحه ولم يقتل نفساً يستوجب بها القصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي أتيت منكراً عظيماً بقتلك نفساً طاهرة لم تذنب ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً لأنه لم يطق فعل منكر كهذا لم يعرف له^(٢) وجهاً ولا سبباً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

٢ - جواز ركوب السفن في البحر.

٣ - مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.

٤ - رفع الحرج عن الناس.

٥ - مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

(١) في البخاري: (فانطلقا يسيران على ساحل البحر فمرت سفينة فكلوهم أن يحملوهم فعفروا الخضر فحملوه بغير نول أي وأجرة).

(٢) في البخاري: (قال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر). حرف السفينة: طرفها، وحرف كل شيء طرفه.

(٣) في الترمذي: (أنه أخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله) وفي بعض الروايات (أنه أخذ حجراً فضرب بها رأس الغلام فقتله) وما في التفسير أصح وأوضح.

(٤) سيأتي بيان علة القتل وأنها حق والقتل كان بإذن الله تعالى وما مات أحد ولا قتل إلا بإذن الله تعالى.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَٰذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

- قال ألم أقل لك : أي قال خضر لموسى عليهما السلام .
بعدها : أي بعد هذه المرة .
فلا تصاحبني : أي لا تتركني أتبعك .
من لدني عذراً : أي من قبلي (جهتي) عذراً في عدم مصاحبتي لك .
أهل قرية : مدينة أنطاكية .
استطعما أهلها : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف .
يريد أن ينقض : أي قارب السقوط لميلانه .
فأقامه : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط .
أجراً : أي جعلاً على إقامته وإصلاحه .
هذا فراق بيني وبينك : أي قولك هذا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ هو نهاية الصعبة وبداية المفارقة .
بتأويل : أي تفسير ماكنت تنكره على حسب علمك .

معنى الآيات :

مازال السياق في محاوره الخضر مع موسى عليهما السلام ، فقد تقدم إنكار موسى على

الخضر قتله الغلام بغير نفس، ولا جرم إرتكبه، وبالع موسى في إنكاره إلى أن قال: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فأجابه خضرٌ بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ لما سألتني الصحبة للتعليم، فأجاب موسى بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال إن سألتك عن شئ بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبي﴾ أي اترك صحبتي فإنك ﴿قد بلغت من لدني﴾ أي من جهتي وقبلي عذراً في تركك إياي.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ في سفرهما ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ (أي مدينة) قيل إنها انطاكية ووصلها في الليل والجو بارد فاستطعما أهلها أي طلبا منهم طعام الضيف الواجب له ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ فوجدا فيها ﴿أي في القرية﴾ جداراً يريد أن ينقض ﴿أي يسقط فأقامه الخضر وأصلحه فقال موسى له: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ أي جعل مقابل إصلاحه، لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقنا من الضيافة. وهنا قال الخضر لموسى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ لأنك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل الغلام عن شئ أن لاتطلب صحبتي وها أنت قد سألتني، فهذا وقت فراقك إذا ﴿سأنبئك﴾ أي أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.
- ٢ - وجوب الضيافة لمن استحقها.
- ٣ - جواز التبرع بأي خير أو عمل إبتغاء وجه الله تعالى.

(١) اختلف في أيهما أبلغ: إمراً أو نكراً، ورجح بعضهم أن إمراً فيما لم يحدث من فعل منكر فيكون خاصاً بالمستقبل، ومعناه: أمر فظيع مهيل ونكراً: يكون فيما وقع فهو بين الفساد بالغ في النكر واجب الإنكار.

(٢) قرئ: ﴿من لدني﴾ بتخفيف الدال وقرئ في السبع بتشديد الهمزة وقرئ عذراً بسكون الدال وقرئ في السبع أيضاً بضمهما، وضم العين قبلها كُنْذِرْ وَنُذِرْ.

(٣) في الحديث: (إنهم كانوا لثاماً بخلاء) وهو تعليل لعدم استضافة موسى والخضر.

(٤) في البخاري: هنا قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما).

أَمَّا

السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَادِقًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُمْ
عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

المساكين : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب .
يعملون في البحر : أي يؤجرون سفيتهم للركاب .
أعيبها : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها .
غصباً : أي قهراً .
أن يرهقهما طغياناً وكفراً : أي يغشاهما : ظلما ووجوداً
وأقرب رحما : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى واحد .
وما فعلته عن أمري : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي جل جلاله وعظم سلطانه .

معنى الآيات :

هذا آخر حديث موسى والخضر عليهما السلام ، فقد واعد الخضر موسى عندما أعلن له
عن فراقه أن يبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبراً ، وهذا بيانه ، قال تعالى (حكاية عن

(١)

الخنز ﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها وأنكرت عليّ ذلك ﴿فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ يؤجرون سفينتهم بما يحصل لهم بعض القوت ﴿فأردت أن أعييها﴾ لا لأغرق أهلها، ﴿وكان وراءهم ملك﴾ ظالم ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صالحة ﴿غصباً﴾ أي قهراً وإنما أردت أن أبقياها لهم إذ الملك المذكور لا يأخذ إلا السفن الصالحة ﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلت وأنكرت عليّ قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ إن كبر ﴿أن يرهقهما﴾ أي يُغشيها ﴿طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي طهراً وصالحاً ﴿وأقرب رحماً﴾ أي رحمة وبراً بهما فلذا قتلته، ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي سن الرشد ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ أي كان ذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن إرادتي وإختياري بل كان بأمر ربي وتعليمه. ﴿ذلك﴾ أي هذا ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضاراً.

٢ - بيان حسن تدبير الله تعالى لأولياته بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة.

٣ - مراعاة صلاح الأبناء في إصلاح حال الأبناء.

(١) بهذه الآية استدلل من قال من الفقهاء بأن المسكين أقل فقراً من الفقير لأن من ملك سفينة لا يعتبر فقيراً، وردّ هذا بأن أصحاب السفينة كانوا سبعة أفراد، وخمسة منهم زمني ورثوا السفينة من أبيهم وبذا هم فقراء مساكين.

(٢) أعييها: أي أجعلها ذات عيب، يقال: عبت الشيء فعاب أي: صار ذا عيب فهو معيب.

(٣) جائز أن يكون وراءه على حقيقته أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام، ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿وكان أمامهم ملك﴾.

(٤) قيل: اسم الملك هو هدد بن بدد، واسم الغلام المقتول: جيسور.

(٥) وفسّر أيضاً: يجشمهما ويحملهما على الرهق وهو الجهل والمعنى: أنه يحملهما حبه على الغلو فيه فيطغيان ويكفران.

(٦) الرحم والرحمة بمعنى واحد قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم

(٧) قيل: اسم الغلامين: أصرم وصريم، وكان الكنز ذهباً وفضة لحديث الترمذي عن أبي الدرداء، وشاهده من اللغة فإن الكنز: المال المدفون المدخر، وجائز أن يكون مع المال كتاب فيه علم.

(٨) تسطع وتستطيع بمعنى

٤ - كل ما أتاه الخضر كان بوحى إلهي وليس هو مما يدعيه جُهاال الناس ويسمونه بالعلم الدُّنْيَوي وأضافوه إلى من يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر.

وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا

﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَّكَّرُ لِلْأَقْبَانِ ﴿٨٦﴾ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ

فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ

فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ

الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ

إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ

دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ

سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

ويسألونك

: أي كفار قريش بتعليم يهود لهم .

ذي القرنين

: الإسكندر باني الاسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك

المتابعة وكان عبداً صالحاً .

- سأتلوا عليكم منه ذكراً : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلمًا .
 مكنا له في الأرض : بالحكم والتصرف في ممالكها .
 من كل شيء سبياً : أي يحتاج إليه سبياً موصلاً إلى مراده .
 فأتبع سبياً : أي فأتبع السبب سبياً آخر حتى انتهى إلى مراده .
 تغرب في عين حمئة : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض .
 قوماً : أي كافرين .
 عذاباً نكراً : أي عظيماً فظيعاً .
 يسرا : أي ليناً من القول سهلاً من العمل .
 مطلع الشمس : أي مكاناً تطلع منه .
 قوم لم نجعل لهم من دونها : القوم هم الزنج ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها .
 سترًا : أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا .
 كذلك : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك سد ذو القرنين مابينها وبين السدين .
 بين السدين : فقيل فيهما سدان .
 قومًا لا يكادون يفقهون قولاً : لا يفهمون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج .

معنى الآيات :

هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحميري التبّعي على الراجح من أقوال العلماء ، وهو الأسكندر باني الأسكندرية المصرية ، ولأمر ما لُقّب بذي القرنين^(١) ، وكان قد تضمن سؤال قريش النبي ﷺ بإيعاذ من يهود المدينة ذا القرنين إذ قالوا لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فإن أجابكم عنها فإنه نبي ، وإلا فهو غير نبي فرّوا رأيكم فيه فكان الجواب عن الروح في سورة الإسراء وعن الفتية وذي القرنين في سورة الكهف هذه وقد تقدم

(١) اختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال هي : عبدالله أو الاسكندر أو عباس أو جابر ، كما اختلفوا في تلقيبه بذي القرنين على عشرة أقوال أمثلها أنه ملك فارس والروم أو أنه كان له صغيرتان من شعر رأسه فلقب لذلك بذي القرنين ، واختلف في نبوته ، والظاهر أنه كان نبياً يوحى إليه وكان ملكاً حاكماً .

الحديث التفصيلي عن أصحاب الكهف في أول السورة وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن الملك ذي القرنين عليه السلام قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونكَ﴾ يانبيينا ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ﴾ للسائلين من مشركي قريش ﴿سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ذكراً خيراً يحمل الموعظة والعلم والمعرفة: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً﴾ هذه بداية الحديث عنه فأخبر تعالى أنه مكن له في الأرض بالملك والسلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه في فتحه الأرض ونشر العدل والخير فيها سبباً يوصله إلى ذلك، وقوله ﴿فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾^(١) حسب سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبرة وتابع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع المسلة، وهكذا تابعه بين أسباب الغزو والفتح والسير في الأرض ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيها هو بحسب رأي العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة والمحيط إلى جنبها في الأرض وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي عند تلك العين في ذلك الإقليم المغربي ﴿قَوْماً﴾ أي كافرين غير مسلمين فأذن الله تعالى له في التحكم والتصرف فيهم إذ يسر له أسباب الغلبة عليهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ وقد يكون نبياً ويكون قوله الله تعالى هذا له وحياً وهو ﴿إِذَا أَنْ تَعَذَّبَ﴾ بالأسر والقتل، ﴿وَأَمَّا أَنْ تَتَخَذَ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ وهذا بعد حرهم والتغلب عليهم فأجاب ذو القرنين ربه بما أخبر تعالى به: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي بالشرك والكفر ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ بالقتل والأسر، ﴿ثُمَّ يَرْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ بعد موته ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكَارًا﴾ أي فظيعاً أليماً. ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي أسلم وحسن إسلامه ﴿فَلَهُ جُزَاءٌ﴾ على إيمانه وصالح أعماله ﴿الْحَسَنَى﴾ أي الجنة في الآخرة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ اليوم فلا نغلظ له في

(١) ﴿ذِكْرًا﴾ أي: خيراً يتضمن ذكره.

(٢) أصل: السبب: الجبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصل إلى فتح البلاد وقهر الأعداء وقرىء فاتبع سبباً بقطع الهمة وقرأ أهل المدينة فاتبع سبباً بهمة وصل وتشديد التاء.

(٣) قرأ الجمهور: (حمئة) من الحمأة أي كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود وقرأ بعضهم حامية أي: حارة وجائز أن تكون حامية من الحمأة فخففت الهمة وقلبت ياء.

(٤) أي: قال لأولئك القوم أمّا مَنْ ظلم... الخ.

(٥) قراءة أهل المدينة (فله جزاء الحسنى) برفع جزاء بدون تنوين والحسنى مضاف إليه والخبر تقديره: عند الله. وقرأ غيرهم بنصب جزاء على التمييز أي: فله الحسنى جزاءً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية.

القول ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه .

وقوله تعالى : ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدمه في مواصلة الغزو والفتح في المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم﴾^(١) بدائيين لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضر فلذا هم لا يبنون الدور ولا يلبسون الثياب ، ولكن يسكنون الكهوف والمغارات والسراديب وهو ما دل عليه قوله تعالى : ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿ستراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي القول الذي قلنا والوصف الذي وصفنا لك من حال ذي القرنين ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من قوة وأسباب مادية وروحية ﴿خبراً﴾ أي علماً كاملاً . وقوله تعالى : ﴿ثم أتبع﴾ أي ذو القرنين ﴿سبباً﴾ أي واصل طريقه في الغزو والفتح ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾^(٢) وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض بنى ذو القرنين بينهما سداً عظيماً حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم ، وهم القوم الذين قال تعالى عنهم ﴿وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ فلا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به إلا بشدة وبطء كبير .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة . قرأه عليهم قرآناً موحى به إليه .

٢ - إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات .

٣ - قول : ذو القرنين : ﴿أما من ظلم الخ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإيجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه ، ومن الأسف أن

(١) المطلع : يجوز فيه كسر الميم وفتحها مثل المنسك والمجزر والمسكن والمنبت هذه يجوز فيها وجهان الكسر والفتح في ميمها .

(٢) قال صاحب النور : والظاهر أنه بلغ ساحل اليابان في حدود منشوريا أو كوريا شرقاً .

(٣) جائز أن يكون المعنى : كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك .

(٤) قرأ حفص بفتح السين ، وقرأ نافع بضمها ، ونظير السد في الفتح والضم الضعف والقر والقر .

(٥) قوله : من دونها يعني أمام السدين إذ خلفهما يأجوج ومأجوج .

يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات، وأهل الإيثار والاستقامة مهانين!!

٤ - بيان وجود أمم بدائية إلى عهد ما بعد ذي القرنين لا يلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لا يرتدون الثياب، وإنما يضعون على فروجهم خيوط وسيور لاغير.

٥ - تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة حكموا الناس شرقاً وغرباً.

قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَتُؤْنِسُ أَرْبَابَ الْبَدَايِثِ إِذَا سَآوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾

(١) هم: مسلمان وهما ذو القرنين وسليمان عليهما السلام، وكافران وهما: النمرود ويختنصر. كذا قيل والله أعلم.

شرح الكلمات :

يأجوج ومأجوج	: قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم .
نجعل لك خرجاً	: أي جعلاً مقابل العمل .
سداً	: السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين .
ردماً	: حاجزاً حصيناً وهو السد .
زبر الحديد	: جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها .
بين الصدفين	: أي صدف الجبلين أي جانبيهما .
قطرا	: القطر النحاس المذاب .
فما استطاعوا أن يظهروه	: أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته .
نقبا	: أي فتح ثغرة تحت تحتها ليخرجوا معها .
جعله دكا	: أي تراباً مساوياً للأرض .
وتركنا بعضهم	: أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون ويحيثون في اضطراب كموج البحر .
أعينهم في غطاء عن ذكرى	: أي عن القرآن لا يفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضا له أو
لا يستطيعون سماعاً	: لبغضهم وهي البصائر فهي في أكنة لا تبصر الحق ولا تعرفه .
	: لبغضهم للحق والداعي إليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حديث ذي القرنين إذ شكا إليه سكان المنطقة الشمالية الشرقية من الأرض بما أخبر تعالى به عنهم إذ قال : ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ أي بالقتل والأكل والتدمير والتخريب ، ﴿ فهل نجعل لك خرجاً ﴾ أي أجراً ﴿ على

(١) يأجوج ومأجوج : اسمان أعجميان يهزمان ولا يهزمان ولذا قرئ في السبع بهما وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام ورد وصفهم أن صنفاً منهم يفرش أحدهم أذنه ويلتحف بالآخرى ، ولا يمرون بغيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه مقدّمهم بالشام وساقطهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، وذلك يوم يفتح سدهم ويهدم ، ويخرجهم من أشراط الساعة الكبرى .

(٢) الخرج والخراج : لغتان ، وقيل الخرج : ما يعطى تطوعاً والخراج : ما يلزم عطاؤه والمراد به هنا الأجر مقابل العمل المطلوب من إقامة السد .

أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿أي حاجزاً قوياً لا يصلون معه إلينا﴾. فأجابهم ذو القرنين بما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿قال ما مكني فيه ربي﴾ من المال القوة والسلطان ﴿خير﴾ أي من جعلكم وخرجكم ﴿فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم رداً﴾ أي أي سداً قوياً وحاجزاً مانعاً ﴿آتوني زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد كل قطعة كالألبنة المضروبة، فجاءوا به إليه فأخذ يضع الحجارة وزبر الحديد ويبنى حتى ارتفع البناء فساوى بين الصدين جانبي الجبلين، وقال لهم ﴿انفخوا﴾ أي النار على الحديد ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ قال آتوني بالنحاس المذاب أفرغ عليه قطراً فأتوه به فأفرغ عليه من القطر ما جعله كأنه صفيحة واحدة من نحاس ﴿فما استطاعوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أي يعملوا فوقه، ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ أي خرقاً فلما نظر إليه وهو جبل شامخ وحصن حصين قال هذا من رحمة ربي أي من أثر رحمة ربي عليّ وعلى الناس وأردف قائلاً ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ وهو خروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ﴿جعله دكا﴾ أي تراباً مساوياً للأرض، ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ وهذا مما وعد به وأنه كائن لا محالة قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ أي مختلطين مضطربين إنهم ﴿وجنهم﴾ ونفخ في الصور ﴿نفخة البعث﴾ فجمعناهم للحساب والجزاء ﴿جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ حقيقة يشاهدونها فيه من قرب، ثم ذكر ذنب الكافرين وعلة عرضهم على النار فقال: وقوله الحق: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ أي أعين قلوبهم وهي البصائر فلذا هم لا ينظرون في آيات الله الكونية فيستدلون بها على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، ولا في آيات الله القرآنية فييهتدون بها إلى أنه لا إله إلا الله ويعبدونه بها تضمنته الآيات القرآنية، ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ للحق ولما يدعوا إليه رسل الله من الهدى والمعروف.

(١) القوة: الرجال والمال.

(٢) الردم أعظم من السد.

(٣) جائز أن يكون المراد بالقطر النحاس وهذا الظاهر، وجائز أن يكون الحديد المذاب والثالث: أنه الصفر والرابع أنه الرصاص. روى أحمد عن النبي ﷺ ما خلاصته أن يأجوج ومأجوج يحفران يوماً السد حتى إذا كادوا يخرقونه يقولون غداً نتم حفره وإذا جاء الغد حفروا ولم يقولوا إن شاء الله حتى إذا جاء وعد الله قالوا: إن شاء الله ففتح لهم.

(٤) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: يأجوج ومأجوج وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال .
- ٢ - فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي
- ٣ - مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر .
- ٤ - تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم من أسراط الساعة .
- ٥ - تقرير البعث والجزاء .

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

- أفحسب الذين كفروا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ .
- أن يتخذوا عبادي : كالملائكة وعيسى بن مريم والعزير وغيرهم .
- أولياء : أرباباً يعبدوهم بأنواع من العبادات .
- نزلاً : النزول : ما يعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه .
- ضل سعيهم : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به .
- يحسنون صنعا : أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء .
- آيات ربهم : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية .
- ولقائه : أي كفروا بالبعث والجزاء .
- وزناً : أي لانجعل لهم قدراً ولا قيمة بل نزدريهم ونذلهم .

ذلك : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك ، لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كثفاء السيل لا خير فيه ولا وزن له فحسن أن يشار إليه بذلك .

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المشركين شركهم ويوبخهم مقررًا لهم على ظنهم أن اتخاذهم عبادة^(١) من دونه أولياء يعبدونهم كالملائكة حيث عبدهم بعض العرب والمسيح حيث عبده النصارى ، والعزير حيث عبده بعض اليهود ، لا يغضبه تعالى ولا يعاقبهم عليه . وكيف لا يغضبه ولا يعاقبهم عليه وقد أعد جهنم للكافرين نزلا أي دار ضيافة لهم فيها طعامهم وفيها شراهم وفيها فراشهم كما قال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٢) وهي قوله تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾^(٢) إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٣) يخبر تعالى بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول ﴿قل هل ننبئكم﴾ أيها المؤمنون ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ إنهم ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا ، ويعرفهم فيقول ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ فلم يؤمنوا بها ، ولبقاء ربهم فلم يعملوا العمل الذي يرضيه عنهم ويسعدهم به وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله لعباده المؤمنين به يتقربون به إليه . فلذلك حبطت أعمالهم لأنها شرك وكفر وشر وفساد ، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾^(٣) إذ لا قيمة لهم ولا لأعمالهم الشركية الفاسدة الباطلة فإن أحدهم لا يزن جناح بعوضة لحفته .

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم الشياطين . وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعواهم إلى عبادتهم .

(٢) قرئ : (أفحسب) بإسكان السين وضم الباء أي . أفكيفهم أن يتخذوهم أولياء؟

(٣) جواب الاستفهام محذوف تقديره : كلا بل هم أعداء يتبرؤن منهم وجائز أن يكون : ولا أغضب ولا أعاقبهم ، وكلا المعنيين يراد .

(٤) يدخل في هذا كل من المشركين واليهود والنصارى والحرورية والمراءون بأعمالهم ، وكل من يعمل الأعمال ، وهو يظن أنه محسن وقد حبطت أعماله لفساد اعتقاده ولمراءاته أو لعمله بغير ما شرع الله كأنواع البدع المكفرة .

(٥) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرأوا إن شئتم : ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ .

وأخيراً أعلن تعالى عن حكمه فيهم وعليهم فقال ﴿ذلك﴾ أي المذكور من غشاء الخلق ﴿جزاؤهم جهنم﴾. وعلل للحكم فقال: ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات ربهم وبرسله فكان الحكم عادلاً، والجزاء موافقاً والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله تعالى بحبهم والتقرب إليهم.
- ٢ - تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير مasherع ويتوسلون إليه بغير ما جعله وسيلة لرضاه وجنته. كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية، والنصيرية والدروز ومن إليهم من غلاة المبتدعة في العقائد والعبادات والأحكام الشرعية.
- ٣ - لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه، وإن مات خوفاً من الله أو شوقاً إليه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

(١) وجائز أن تكون الإشارة بذلك إلى ترك الوزن وخسة القدر والخير: جزاؤهم جهنم. و(جهنم) بدل من (جزاؤهم) بدلا مطابقاً فيه زيادة توكيد.

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

- كانت لهم الفردوس نزلاً : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح .
لا ييغون عنها حولا : هو وسط الجنة وأعلىها ونزلاً منزل إكرام وإنعام .
لو كان البحر لنفد البحر : أي ماؤه مداً .
قبل أن تنفذ كلمات ربي : أي قبل أن تفرغ .
لنفد البحر : أي ولم تنفذ هي أي لم تفرغ .
يرجو لقاء ربه : يأمل و ينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقي ربه تعالى .
ولا يشرك بعبادة ربه أحدا : أي لا يرائي بعمله أحدا ولا يشرك في عبادة الله تعالى غيره تعالى .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الشرك والأهواء وأنه جهنم ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان والتقوى التي هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله ، ووعدوه لأوليائه ، ووعدوه لأعدائه من أهل الشرك والمعاصي ، وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض والواجبات وسارعوا في النوافل والخيرات هؤلاء ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله وحكمه ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أي بساتين الفردوس منزلاً ينزلونه ودار كرامة يكرمون فيها وينعمون ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها قال رسول الله ﷺ واصفاً لها ومرغباً فيها وقد ارتادها وانتهى إلى مستوى فوقها ليلة الإسراء والمعراج قال : «إِنَّ سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ، كما في الصحيح ^(١) ، وقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ

(١) روى الشيخان من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : (جنات الفردوس أربع : ثنتان من ذهب حليتهما وأنبيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة حليتهما وأنبيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن).

(٢) وروى البخاري وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، الفردوس أعلاها ، ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس).

عنها حولاً ﴿أي ماكثين فيها أبداً لا يطلبون متحولاً عنها إذ نعيمهما لا يمل وسعادتها لا تنقص، وصفوها لا يكدر سرورها لا ينقص بموت ولا بمرض ولا نصب ولا تعب جعلني الله ومن قال أمين من أهلها. آمين. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ تضمنت هذه الآية رداً على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم. فقالوا: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مداداً الآية رداً عليهم وإبطالاً لمزاعمهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعي العلم الذي مافوقه علم بأنه لو كان ماء البحر مداداً وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلماً، وكتب بهما لنفد ماء البحر وأغصان الشجر ولم تنفذ كلمات ربي التي تحمل العلوم والمعارف الإلهية وتدل عليها وتهدي إليها فسبحان الله ويحمده، سبحانه الله العظيم سبحانه الله الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قدير. وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾. يأمر تعالى رسوله بأن يقول للمشركين الذين يطلبون منه المعجزات كالتى أوتى موسى وعيسى: إنما أنا بشر مثلكم لا أقدر على ما لا تقدرون عليه أنتم، والفرق بيننا هو أنه يوحى إلي الأمر من ربي وأنتم لا يوحى إليكم يوحى إلي أنما إلهكم أي معبودكم الحق وربكم الصدق هو إله واحد الله ربكم ورب آبائكم الأولين. وقوله ﴿فمن كان يرجو﴾ أي يأمل و ينتظر ﴿لقاء ربه﴾ خوفاً منه وطمعاً فيه ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ وهو مؤمن موقن، ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ فإن الشرك محبط للعمل مبطل له، وبهذا يكون رجاءه صادقاً وانتظاره صالحاً صائباً.

(١) المداد في أول الآية والمداد في آخرها بمعنى واحد واشتقاقها لا يختلف.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه فامر أن يقرّ على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي.

(٣) روي في سبب نزول هذه الآية ما يلي: أتى جندب بن زهير الغامدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعمل لله تعالى فإذا أطلع عليه سرّتي فقال رسول الله ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ولا يقبل ما روّتي فيه. فنزلت هذه الآية.

(٤) فسر ﴿يرجو﴾ بمعنى: يأمل وبمعنى يخاف وكلاهما مطلوب الخوف من الله ومن عذاب الآخرة، والأمل في فضل الله وإحسانه وثوابه في الدنيا والآخرة.

(٥) فسر سعيد بن جبير رحمه الله ﴿ولا يشرك﴾ بأن لا يراني. وهو صحيح ولفظ الشرك أعم من الرياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢ - بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى .
- ٣ - علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية .
- ٤ - تقرير صفة الكلام لله تعالى .
- ٥ - تقرير بشرية النبي ﷺ وأنه ليس روحاً ولا نوراً فحسب كما يقول الغلاة الباطنية .
- ٦ - تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .
- ٧ - تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس ، يصلى ويصوم ويحب أن يثنى عليه بذلك .

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

مكية

وآياتها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرَاتٍ ②
 إِذْ نَادَى رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
 مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
 شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
 آمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ⑥ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑦ يَزَكِّرُنَا
 إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑧

(١) قال ابن عباس وطاووس . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني فنزلت هذه الآية وجائز تعدد النزول من أجل أن يجاب السائل بنفس الآية التي كانت جواباً لسؤال مماثل .

شرح الكلمات :

كَهَيْعَص^(١)

: هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص وتقرأ كاف ، هاء يا عين صاد . ومذهب السلف أن يقال فيها : الله أعلم بمراده بذلك .

ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك .
تأدى ربه : أي قال : يارب ليسأله الولد .
نداء خفيا : أي سر بعداً عن الرياء .
وهن العظم مني : أي رق وضعف لكبر سني .
واشتعل الرأس شيبا : أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الخطب .
ولم أكن بدعائك رب شقيا : أي إنك لم تخيبي فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبي اليوم فيما أدعوك فيه .

وإني خفت الموالي : أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي .
إمرأتي عاقراً : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم .
فهب لي من لدنك وليا : أي ارزقني من عندك ولداً .
ويرث من آل يعقوب : أي جدي يعقوب العلم والنبوة .
واجعله رب رضا : أي مرضياً عندك .
سميا : أي مسمى يحى .

معنى الآيات :

أما قوله تعالى : كَهَيْعَص^(٢) فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي تؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول : ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده به .
وأما قوله تعالى : ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ فإن معناه : مما تلتو عليك في هذا القرآن يانينا

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الكاف من كافٍ والهاء من هاءٍ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق . وعن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن ، وقيل : هو اسم للسورة وقيل : هي اسم الله الأعظم ، وكان علي يقول : يا كهيعص اغفر لي .
(٢) كهيعص : هذه حروف هجاء مكتوبة بمسمياتها مقروءة بأسمائها .
(٣) (ذكر) خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذا ذكر رحمة ربك وعبد : منصوب بالمصدر الذي هو ذكر .
(٤) بناء على أن ذكر رحمة ربك : خبر والمبتدأ محذوف فإنه يصح تقديره . هذا ذكر وذكر رحمة ربك ، وهذا الذي تلتوه عليك ذكر رحمة ربك .

فيكون دليلاً على نبوتك ذكر رحمة ربك التي رحم بها عبده زكريا حيث كبرت سنه، وامراته عاقر لا يولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لا يوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً إلى أن الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة إلى السوء فنادى ربه نداء خفياً قائلاً: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ أي رق وضعف، ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أي شاب شعر رأسي لكبر سني، ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتني الاستجابة لما أدعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتني. ﴿وإني﴾ ياربي قد ﴿خفت الموالى﴾ أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بها شرعت وحدك لا شريك لك، وذلك بعد موتي ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي من عندك تفضلاً به علي إذ الأسباب غير متوفرة للولد: المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم، ﴿ولياً﴾ أي ولداً يلي أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم إبراهيم وهي الحنيفية عبادة الله وحده لا شريك له ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ أي واجعل الولد الذي تهني ياربي ﴿رضياً﴾ أي عبداً صالحاً ترضاه لحمل رسالة الدعوة إليك، فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ لم نجعل له من قبل سمياً ﴿أي من سمي باسمه يحيى قط.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.

٢ - استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.

(١) النداء هنا: الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، وفيه استحباب دعاء السرّ والمناجاة الخفية، وقد أسرّ مالك القنوت وجهه به الشافعي لأن الرسول ﷺ جهر به.

(٢) الموالى هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب لأن العرب تسمي بني العم موالى قال شاعرهم:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنشوا بيننا ما كان مدفونا

(٣) المراد من الإرث هو: إرثه في دعوته لأن مواليه كانوا مهملين للذين والدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولداً يقوم بذلك، أما المال فإن الأنبياء لا يورثون وما يتركونه فهو صدقة.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فاستجاب الله دعاءه فقال: يا زكريا... الخ.

(٥) تضمنت هذه البشري ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة. الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسم بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد ﷺ.

٣ - وجود العقم في بعض النساء .

٤ - قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها .

٥ - تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير^(١) وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة .

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمِّي امْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ
شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

أنى يكون لي غلام؟: أي من أي وجه و جهة يكون لي ولد .

عتيا : أي بيسست مفاصلي وعظامي .

: أي علامة تدلني على حمل امرأتى

: أي حال كونك سوي الخلق مابك عليه خرس .

آية
سويا

من المحراب ^(١) : المصلی الذي یصلی فیہ وهو المسجد .
 فأوحى إليهم : أوماً إليهم وأشار عليهم .
 وآتيناه الحكم صبياً : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع .

وحنانا من لدنا : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا .
 وزكاة : أي طهارة من الذنوب والآثام .
 جبارة عصياً : أي متعالياً لا يقبل الحق عصياً لا يطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه .
 وسلام عليه : أي أمان له من الشيطان أن يمسّه بسوء يوم يولد ، وأمان له من فتني القبر يوم يموت ، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر رحمة الله عبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى ببيحيى قال : ما أخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ ^(٢) أي من أي وجه وجهة يأتيني الولد أمن امرأة غير امرأتى ، أم منها ولكن تهبني قوة على مباضعتها ^(٣) وتجعل رحمها قادرة على العلوق ^(٤) ، لأنى كما تعلم ياربى قد بلغت من الكبر حداً بس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امرأتى عاقر لا يولد لها . فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عز وجل : ﴿ قال كذلك ﴾ أي الأمر كما قلت يا زكريا ، ولكن ﴿ قال ربك هو على هين ﴾ أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لا صعوبة فيه ويدلك على ذلك أنى ﴿ قد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ ، فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئاً فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بأن يجعل له علامة تدله على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعالى في قوله : ﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾ فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امرأته بالولد وهي أنه يصبح يوم بداية الحمل لا يقدر على الكلام

(١) المحراب : مكان مرتفع ، ومن هنا كره مالك أن يصلي الإمام في مكان أرفع من المكان الذي يصلي فيه الناس وراءه خشية الكبر عليه ، والكبر من كبائر الذنوب ولم يكره أحمد رحمه الله تعالى .

(٢) قرأ نافع (عتياً) بضم أوله كما : بُكياً وصلياً ، وبكسرهما قرأ حفص ، والعتي : هو قحول العظم ويوسته .

(٣) أي : جماعها من إدخال البضع في البضع .

(٤) أي : علوق النطفة في الرحم .

(٥) أي : فخلق الولد كخلقك .

وهو سوي البدن مابه خرس ولا مرض يمنعه من الكلام، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المصلى الذي يصلي فيه ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أومأ وأشار إليهم ﴿أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح. وهنا علم بحمل امرأته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل. وقوله تعالى: ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوراة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله ﴿وآتيناه الحكم﴾ صبياً أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام. وقوله تعالى: ﴿وحناناً من﴾ لدنا وزكاة وكان تقياً أي ورحة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً كما أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغيرهما من المسلمين وقوله وزكاة أي طهارة من الذنوب بإستعمال بدنه في طاعة ربه عز وجل، وكان تقياً أي خائفاً من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام.

وقوله تعالى: ﴿وبراً بالديه﴾ أي محسناً بهما مطيعاً لهما لا يؤذيها أدنى وقوله ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله: ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ أي أمان له من الشيطان يوم ولد، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه، اللهم أماناً كما أمنتته فإنك ذو فضل عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى.

(١) أو كتب إليهم كتابة.

(٢) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة لأنه لم يقدر على الكلام إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

(٣) بكرة وعشيا ظرفان في الصباح والمساء.

(٤) يروى أنه قال له الأولاد: هيا بنا نلعب فقال لهم: ما للعب خلقت، فهذا مما أوتيته من الحكم صبياً.

(٥) الحنان: التعطف والرحم وأصله من حنين الناقة إلى فصيلها، ويقال: حنانك وحنانك وهما بمعنى واحد. قال طرفة: أبا منذر أفنيت فاستيق بعضنا حنانك بعض الشر أهو من بعض

(٦) وجائز أن يكون المراد بالسلاام هنا: التحية منه تعالى وهي أشرف من غيرها.

- ٢ - جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة .
- ٣ - آية عجيبة أن يصبح زكريا لا يتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط .
- ٤ - فضل التسبيح في الصباح والمساء .
- ٥ - وجوب أخذ القرآن بجد وحزم وقراءة وحفظاً وعملاً بها فيه .
- ٦ - صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ما قبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبيّاً .
- ٧ - وجوب البر بالوالدين ورحمتها والحنان عليهما والتواضع لهما .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
 مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
 أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْـبَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|---|
| واذكر في الكتاب | : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها . |
| مريم | : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام . |
| إذ انتبذت | : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها . |
| شرقياً | : أي شرق الدار التي بها أهلها . |
| حجاباً | : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذويها . |
| روحنا | : جبريل عليه السلام . |

- بشراً سوياً : أي تام الخلق حتى لا تفرع ولا ترورع منه .
- إن كنت تقياً : أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعد عني ولا تؤذي .
- غلاماً زكياً : ولداً طاهراً لم يتلوث بذنب قط .
- ولم يمسنني بشر : أي لم أتزوج .
- ولم أك بغياً : أي زانية .
- قال كذلك : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب .
- هو على حين : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد .
- ولنجعله آية للناس : أي على عظيم قدرتنا .
- ورحمة منا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ماجاء به .
- أمراً مقضياً : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتماً لا محالة .
- معنى الآيات :

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿واذكر في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿مريم﴾ أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إذ انتبذت﴾ أي اعترلت ﴿من أهلها﴾ هذا بداية القصة وقوله ﴿مكاناً شريعاً﴾ أي موضعاً شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في ذلك إلا الابتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى: ﴿فانتخذت من دونهم﴾ أي من دون أهلها ﴿حجاباً﴾ ساتراً لها عن أعينهم^(١)، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلاً، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا ترورعني أو تمسني بسوء . فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قال إنها أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ أي طاهراً لا يتلوث بذنب قط . فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله: ﴿أنى يكون لي

(١) قيل : استترت عن أهلها لتغتسل من حيضتها وتمشط، وذلك لكمال حياتها .

(٢) قرأ ورش عن نافع : (ليهب) بالياء بغير همزة، وقرأ غيره : (لأهب) بالهمزة فعلى قراءة نافع المعنى : أرسلني ليهب لك، وعلى قراءة غيره أرسلني يقول لك أرسلت رسولي إليك لأهب لك .

غلام ﴿أي من أي وجه يأتيني الولد﴾، ﴿ولم يمسنني بشر﴾ أي وأنا لم أتزوج، ﴿ولم أك بغياً﴾^(١) أي ولم أك زانية، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال: ﴿هو علي هين﴾ أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح، لأنه هين علينا من جهة، ﴿ولنجعله آية للناس﴾ دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم، والبعث الآخر من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿رحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك أمراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به كما سيأتي بيانه في الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.
- ٢ - فضيلة العفة والحياء.
- ٣ - كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.
- ٤ - مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف من إنسان أو جان.
- ٥ - التقوى مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.
- ٦ - خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة.

(١) لم تقل بغية لأنه وصف يغلب على النساء فقلما تقول العرب رجل بغى فجري بغياً مجرى حائض وعافر، وقيل هو فاعيل بمعنى فاعل والأول أولى.

(٢) (ولنجعله) متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله.

(٣) أي: مقدراً في اللوح المحفوظ كتاب المقادير العام.

(٤) بخلاف الفجور فإنه مصدر كل ضرّ وشرّ.

﴿۴۲﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿۴۳﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿۴۴﴾
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿۴۵﴾
وَهَزَىٰ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿۴۶﴾
فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿۴۷﴾

شرح الكلمات :

فانتبذت به :	فاعتزلت به .
مكاناً قصياً :	أي بعيداً من أهلها .
فأجاءها المخاض :	أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة .
إلى جذع النخلة :	لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .
نسياً منسياً :	أي شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر .
فناداها من تحتها :	أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته .
تحتك سرى :	أي نهراً يقال له سري .
رطباً جنياً :	الرطب الجني : ما طاب وصلح للإجتناء .
فكلي واشربي :	أي كل من الرطب واشربي من السري .
وقري عينا :	أي وطيب نفسي وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .
نذرت للرحمن صوماً :	أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درعها أو جيب قميصها فحملته فوراً^(١) وانتبذت به مكاناً قصياً^(٢) أي فاعتزلت به في مكان بعيد^(٣) ﴿فأجاءها المخاض﴾ أي ألجأها وجع النفاس ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمد عليه وهي تعاني من آلام الطلق وأوجاعه، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به: ﴿قالت ياليتني مت قبل هذا﴾ أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد، ﴿وكننت نسياً منسياً﴾^(٤) أي شيئاً متروكاً لا يذكر ولا يعرف وهنا ﴿فنادها﴾ عيسى عليه السلام ﴿من تحتها ألا تحزني﴾ يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى: ﴿قد جعل ربك تحتك سريباً﴾ أي نهر ماء يقال له سري، ﴿وهزىء إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وقري عينا﴾ أي طيبي نفساً وافرحي بولدك، ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

-
- (١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأن الله تعالى ذكر الانتباز عقب الحمل: ﴿فحملته فانتبذت به﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.
- (٢) انتبذت بالحمل إلى مكان بعيد قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وادي بيت لحم بينه وبين إيلياء أربعة أميال وإنما بعدت فراراً من تعبير قومها بالولادة من غير أب.
- (٣) يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا: اضطره وألجأه.
- (٤) تمنى الموت لا يجوز لحديث: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) الحديث وتمنته مريم عليها السلام لا لصالح نفسها ولكن لله تعالى، وذلك أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتغير فتفتن بذلك، وهذا الله، وثانياً خافت أن يقع بعض الناس في البهتان والنسبة إلى الزنى فيهلكون. وهذا أيضاً لله لا لها.
- (٥) النسي: الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل ونحوهما، ويجمع النسي على أنساء قال الكميت رضي الله عنه:

أتجعلنا جسراً لكب قضاة ولست بنسي في معد ولا دخل

والنسي أيضاً: خرق الحيض التي ترمى بدمها من الحيض.

- (٦) قرأ نافع (من) بكسر الميم حرف جر، وقرأ حفص من بفتحها، اسم موصول والمراد بالموصول عيسى عليه السلام ناداه قبل أن ترضعه من تحتها تعجيلاً للمسرة والبشرى لها به فإن في ألا تحزني تفسيرية لأن النداء قول.

هداية الايات

من هداية الآيات :

- ١ - من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.
- ٢ - إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرسلها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد ييسه .
- ٣ - تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لا يمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب^(١) الجني إذ هذا في استطاعتها .
- ٤ - مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع^(٢) عن الكلام منسوخ في الإسلام .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْخُذْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

(١) قالت العلماء : أكل الرطب للنفساء من أنفع الأغذية لها نظراً إلى أَنَّ الله تعالى اختاره لمريم عليها السلام .
 (٢) قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ فسر الصوم بالصمت كما في التفسير وأولى من هذا أن يكون صوم النذر في دينهم مستلزماً للصمت وعدم الكلام ، والسياق دالٌّ عليه ظاهر فيه ، وما زال النصارى يعتبرون الصمت عبادة فيصمتون دقائق على أرواح موتاهم ونسخ الإسلام هذا كما في الصحيح حيث أمر من نذر أن لا يتكلم أن يتكلم ، ومن سنن الهدى في الإسلام الامتناع عن الكلام القبيح في الصيام لحديث الصحيح : (إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرئ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم) وهو كقول مريم : ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ ..

شرح الكلمات :

فأنت به	: أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام .
جئت شيئاً فريا ^(١)	: أي عظيمها حيث أتيت بولد من غير أب .
يا أخت هارون	: أي يا أخت الرجل الصالح هارون .
امراً سوء	: أي رجلاً يأتي الفواحش .
فأشارت إليه	: أي إلى عيسى وهو في المهد .
آتاني الكتاب	: أي الإنجيل باعتبار ما يكون مستقبلاً .
مباركا أينما كنت	: أي حيثما وجدت كانت البركة فيّ ومعني يتنفع الناس بي .
وبرا بوالدي	: أي محسناً بها مطيعاً لها لا ينالها مني أدنى أذى .
جباراً شقياً	: ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها : إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأنت به قومها وما ان رأوها حتى قال قائلهم : ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي أمراً عظيماً وهو إتيانك بولد من غير أب . ﴿يا أخت هارون﴾ نسبوها إلى عبد صالح يسمى هارون : ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امراً سوء﴾ يأتي الفواحش ﴿وما كانت أمك﴾ «حنة» ﴿بغياً﴾ أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة . وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق ، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال لها ما ذكر تعالى في الآيات السابقة .

(١) (فرياً) : أي : مختلقاً مفتعلاً من الافتراء الذي هو الكذب يقال : فرى وأفرى : كذب ومن كراماتها أن امرأة مدّت لها يدها لتضربها أصيبت بالشلل الفوري فحملت كذلك وقالت لها : أخرى ما أراك إلا زنت فآخرسها الله فوراً فصارت لا تتكلم ومن ثمّ ألانوا لها الكلام واحترموها .

(٢) من الجائز أن يكون لمريم أخ صالح من أبيها أو من أبويها نسبوها إليه ومن الجائز أن تنسب إلى هارون الرسول عليه السلام كقول العرب يا أخا تميم ويا أخا العرب ، وما في التفسير إجمال يشمل الكل فتأمل ، وفي الآية دليل على جواز التسمية بالأنبياء والصالحين ، ولا خلاف في ذلك .

(١) فردوا عليها مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟﴾ فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ (٢) فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئاً كان عبداً لله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله إلى بني إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبتته وخدمته والإيمان به وبمحبتته وكان مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتياً ولا جباراً عصياً. فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر، ويكون من الآمين السعداء في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.
- ٢ - آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.
- ٣ - وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما.
- ٤ - التنديد بالتعالى والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ
إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

(١) كان : هنا زائدة للتوكيد، ومن : مبتدأ والخبر في المهد وصياً : حال من الموصول.
(٢) قيل : لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى : ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا رد على الذين ألوهه وعبدوه من دون الله تعالى.
(٣) البر : بمعنى البار وخص بهذه الصفة لأن قومهم قل فيهم البرور بالوالدين وكثر فيهم العقوق نظراً إلى فشو الباطل فيهم ورقة جبل الدين بينهم، والجبار : المتكبر على الناس الغليظ في معاملتهم، والشقي ضد السعيد.
(٤) لما قال ما قال في المهد : إني عبد الله . . إلى قوله : ﴿ويوم أبعث حياً﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
 بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
 وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ذلك عيسى ابن مريم : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم .
 قول الحق : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به .
 يمترون : يشكون .

ما كان لله أن يتخذ : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن
 من ولد فيكون .

سبحانه : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير .

صراط مستقيم : أي طريق مستقيم لا يضل سالكه .

فاختلف الأحزاب : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى
 هو الله وابن الله تعالى الله عما يصفون .

من مشهد يوم عظيم : هو يوم القيامة .

أسمع بهم وأبصر : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب .

وأنذرهم يوم الحسرة : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما
 يشاهدون أهل الجنة فيورثون منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة
 في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم .

معنى الآيات:

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حملها وأنها وضعت تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لا تحزني، وأرشدنا إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه فعلاً فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركاً وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وأنه بر بوالدته، ولم يكن جباراً شقيماً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول الحق الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وأنه ساحر وقال النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ماعداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(١). وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزهها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾^(٢). هذا من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم

(١) قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأما النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.

(٢) في هذا رد على النصارى القائلين بأن المكون بامر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلا ابن الله تعالى فيثبت الآية أن أصول الموجودات كلها كانت بامر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟ والجواب قطعاً لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنه كان بكلمة التكوين.

(٣) جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.

(٤) نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجميل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأول: ﴿إني عبد الله﴾ وبين قوله: ﴿وإن الله ربي وربكم﴾.

أن الله تعالى هو ربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولا يعبدون معه غيره إذ لا إله لهم إلا هو سبحانه وتعالى، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكه إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والضلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى في الآية (٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾^(١) أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا بها فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿فويل للذين كفروا﴾ بنسبتهم الولد والشريك لله، والويل واد في جهنم فهم إذا داخلوها لا محالة، وقوله ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لا يقادر قدرها.

وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لا يريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدا ويعبدوا، والمتصاممين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى ما يكون أبصاراً وسمعا، ولكن حين لا ينفعهم سمع ولا بصر، وقوله تعالى: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يخبر تعالى أن أهل الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه.

وقوله تعالى في آية (٣٩) ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة، والمشركون يرثون منازل

(١) (من): زائدة واختلاف الأحزاب، وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت هو الله وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية ثم تشعبت وأشهرها الآن: الملكائية أي الكاثوليك واليعقوبية: أي أرثوذكس والاعتراضية أي: البروتستانت.

(٢) هذا الكلام ظاهر أنه أمر لحمل السامع على التعجب من حال المذكورين، ومعناه الخبر أي: لا أحد أسمع منهم ولا أبصر يوم يقفون في عرصات القيامة، وشاهدون النار ويسمعون زفيرها.

(٣) روي في مسند أحمد وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وجاء بالموت كائن كيش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح. قال: ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة...﴾ الآية.

الموحدين في النار، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وينادي مناد يا أهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار خلود فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما حكم عليهم به من الخلود في نار جهنم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوما سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بما كتبت أيديهم ويجزيهم به، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.
- ٢ - استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.
- ٣ - تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.
- ٤ - الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.
- ٥ - بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.
- ٦ - تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

وَأَذْكُرُ

فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ

(١) هذه الجملة ذُبل بها الكلام السابق فتمت به القصة وضمير (نحن) للتأكيد والأرض: المراد بها ما فيها من غير العقلاء (ومن عليها) المراد بهم العقلاء وهم البشر.

إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
 سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- اذكر في الكتاب : أي في القرآن .
 إنه كان صديقا : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه .
 يا أبت : يا أبي وهو آزر .
 صراطا سويا : أي طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة .
 لاتعبد الشيطان : أي لاتطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام .
 عصيا : أي عاصيا لله تعالى فاسقا عن أمره .
 فتكون للشيطان وليا : أي قريبا منه قرينا له فيها أي النار .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى
 لرسوله محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ يانبينا ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿إبراهيم﴾ خليلنا ﴿إنه كان
 صديقا﴾ أي صادقا في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيما في الصدق ﴿نبيا﴾ من أنبيائنا فهو
 جدير بالذكر في القرآن ليكون قدوة صالحة للمؤمنين . واذكره ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿ياأبت
 لم تعبد﴾ أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات ما لا يسمع ولا يبصر من الأصنام أي
 لا يصرك ولا يسمعك ﴿ولا يغني عنك شيئا﴾ لا يدفع عنك ضرراً ولا يجلب لك نفعا فأي
 حاجة لك إلى عبادته ﴿ياأبت إني قد جاءني من العلم﴾ أي من قبل ربي تعالى ﴿مالم يأتك﴾
 أنت ﴿فاتبعني﴾ فيما أعتقد وأعمله وأدعو إليه ﴿أهدك صراطا سويا﴾ أي مستقيما يفضي

(١) الاستفهام للإنكار أي : لأي شيء تعبد .

(٢) أي : من اليقين والمعرفة بالله وبما يكون بعد الموت ، وأن من عبد غير الله يعذب أبداً .

(٣) أرشدك إلى دين قيم فيه نجاتك وسعادتك .

بك إلى السعادة والنجاة، ﴿يَأْبَتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنع، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾^(١) أي عاصيا أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره. ﴿يَأْبَتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾^(٢) إن أنت بقيت على شركك وكفرك ولم تتب منها حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن ﴿فَتَكُونُ﴾ أي بذلك ﴿لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي قريباً منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالدعوة إليه .
- ٢ - كمال إبراهيم بذكره في الكتاب .
- ٣ - بطلان عبادة غير الله تعالى .
- ٤ - عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الأمر بها والداعي إليها .

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي
يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْحَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا آعَزَ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

(١) الجملة تعليلية للنهي عن عبادة الشيطان واتباع وسوسته وما يدعو إليه من الشرك.

(٢) أي : إني أخاف أن تموت على الكفر فيمسك العذاب الأليم.

شرح الكلمات

- لئن لم تنته : أي عن التعرض لها وعيها .
 لأرجنك : بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرنى .
 واهجرني ملياً^(١) : أي سليماً من عقوبتي
 سلام عليك : أي أمانةً مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني .
 إنه كان بي حفياء : أي لطيفاً بي مكرماً لي يحبيني لما أدعوه له .
 عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً : بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتى .
 فلما اعترلهم : بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم .
 وهبنا له اسحق ويعقوب : أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه .
 ووهبنا لهم من رحمتنا : خيراً كثيراً المال والولد بعد السبوة والعلم .
 لسان صدق عليا : أي ربيعاً بأن يُثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر إنه بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر راداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديد وهي ما أخبر به تعالى عنه في قوله : في الآية (٤٦) ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أكاره لها تعيها ، ﴿لئن لم تنته﴾ أي عن التعرض لها بأي سوء ﴿لأرجنك﴾ بأبشع الألفاظ وأقبحها ، ﴿واهجرني ملياً﴾ أي وابعد عني مادمت معافى سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ماتكره . كان هذا رد آزر الكافر المشرك . فيما أجاب إبراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (٤٧) ﴿قال سلام عليك﴾ أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك (١) ﴿واهجرني ملياً﴾ أي : اتركني وشأني وابعد عني طويلاً تسلم من عقوبتي .

(٢) أي : كعيبها وشمها .

(٣) وقيل في معناه : اجتنبي سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي ، وقيل : اهجرني طويلاً .

(٤) هذا يسمى سلام المتاركة ، وليس هو بالتحية وهل يجوز بدء الكافر بالسلام ؟ في المسألة خلاف ، والراجح : جواز السلام إذا كان لغرض سليم ككونه جاراً لك أو رفيقاً أو مصاحباً لك في عمل أولئك إليه حاجة وما إلى ذلك إذ سلم الرسول ﷺ على جماعة فيهم مشركون كما في الصحيح ، وأما حديث : (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) فهو إذا لم يكن هناك غرض صحيح .

(٥) (سلام) : نكرة وصح الابتداء بها لما فيها من معنى التخصيص فقاربت لذلك المعرفة وصح الابتداء بها . وعليك الخبر .

ففيما كرهت مني قط وسأقابل إساءتك بإحسان ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك ﴿إنه كان﴾ سبحانه وتعالى ﴿بي حفياء﴾ لطيفاً بي مكرماً لي لا يخيبني فيما أدعوه فيه .

وقوله تعالى حكاية عن قيل إبراهيم : ﴿واعترلكم وماتدعون من دون الله﴾ أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم^(١) ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان ، ﴿وأدعوري عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام . قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ماواعدهم به من هجرته لديارهم إلى ديار القدس تاركاً أباه وأهله وداره كافأه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منها جعلناه نبياً رسولا ، ووهبنا لجميعهم وهم ثلاثة الوالد إبراهيم وولده اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى : ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب﴾ وهو ابن ولده إسحق ﴿وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ . وقوله تعالى عنهم ﴿وجعلناهم لسان صدق عليا﴾ هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يشنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظى به إبراهيم وولديه إكراما من الله تعالى وإنعاما عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان الفرق بين ماينخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام ، وبين ماينخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفضاظة الكلام .

٢ - مشروعية سلام المتاركة والمواذعة وهو أن يقال للشيء من الناس سلام عليك وهو لا يريد

(١) أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلاً وولداً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال ، وفي قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم﴾ وهنا له دليل يرجح هذا القول . والله أعلم .

بذلك تحيته ولكن تركه وما هو فيه .

٣ - مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض .

٤ - الترغيب في حسن الأحذوثة بأن يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل وما يورث من خير وإفضال .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾
وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

واذكر في الكتاب : أي في القرآن تشريفا وتعظيما .

موسى : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام .

مخلصا : أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام «مخلصاً» وموحداً لربه مفردا إياه

بعبادته بالغاً في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام .

جانب الطور : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر .

وقربناه نجيا : أي أدنيه إثناء تشریف وتكریم مناجياً لنا مكلماً من قبلنا .

أخاه هارون نبيا : إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبأه وأرسله معه إلى فرعون .

معنى الآيات :

هذا موجز قصة موسى عليه السلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ

﴿واذكر﴾ في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن

عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى : ﴿إنه كان مخلصاً﴾ أي مختاراً

مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ما خلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالاستهم وقلوبهم

وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون من سوانا، وكان موسى كذلك، وقوله

تعالى : ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له أن جعلناه نبياً رسولاً نبأناه

وأرسلناه إلى فرعون وملائته ، ﴿وناديناه﴾^(١) وهو في طريقه من مدين إلى مصر في جانب الطور الأيمن حيث نبأناه وأرسلناه وبذلك ﴿وقربناه نجياً﴾ فصار ينجينا فنُسمعه كلامنا ونسمع^(٢) كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم ، وقوله : ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل معه أخاه هارون إلى فرعون فبرحه من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولا وما كان هذا إلا برحه خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والصراعة إذ هي هبة إلهية خاصة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - فضيلة الإخلاص ، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً .

٢ - إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى .

٣ - بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه ما لم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً .

٤ - تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولاً .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) قيل : كان هذا الكلام والمناجاة ليلة الجمعة . ذكره القرطبي .

(٢) هو بالنسبة إلى يمين موسى عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال «ابن جرير الطبري» .

(٣) أي : من غير وحي بل كفاحاً وجهاً لوجه بلا واسطة .

(٤) وذلك حين سأل ربه قائلاً : ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ الآية .

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ انْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ
آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

واذكر في الكتاب اسماعيل : أي اذكر في القرآن تشريفا وتعظيما اسماعيل بن ابراهيم الخليل
عليهما السلام .

صادق الوعد : لم يخلف وعد قط .

بالصلاة والزكاة : أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

مرضيا : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه .

إدريس : هو جد أبي نوح عليه السلام .

ورفعناه مكانا عليا : إلى السماء الرابعة .

إسرائيل : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

ومن هدينا واجتبتنا : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبتناهم بنبوتنا .

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن : أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها .

سجداً وبكيا : جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبه محمد ﷺ كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها وابراهيم وموسى اذكر
كذلك اسماعيل فإنه ﴿كان صادق الوعد﴾ لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعد اللبالي حتى
يجيء وهو قائم في مكانه ينتظره، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ نبأه تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها
وأرسله إلى قبيلة جرهم العربية ومنها تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد ﷺ وقوله تعالى :

(١) هو اسماعيل بن إبراهيم والذي أمه هاجر عليهما السلام ولا التفات إلى قول من قال : إنه اسماعيل بن حزقيل الذي بعثه
الله إلى قوم فسلخوا جلد رأسه . الخ كما في القرطبي .

(٢) في الآية دليل على وجوب صدق الوعد وفي الحديث : (إن الخلف من آيات النفاق) . وقد انتظر النبي ﷺ ثلاثة أيام
وهو مقيم في مكان ينتظر من وعده اللقاء فيه وذلك قبل بعثته ﷺ رواه أبو داود والترمذي ، والرجل هو : أبو الحمساء وقال له :
يا فتى لقد شقت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرلك !!

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، وقوله: ﴿كان عند ربه مرضياً﴾ موجب آخر لإكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومعنى ﴿كان عند ربه مرضياً﴾ أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضياً من قبل ربه عز وجل. وقوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه ﴿كان صديقاً﴾ كثير الصدق مبالغاً فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط، وصديقاً في أفعاله وميائتيه فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبياً من أنبياء الله، وقوله ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ إلى السماء الرابعة في حياته كما رفع تعال عيسى ورفع محمد إلى مافوق السماء السابعة. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ كأدريس^(١)، ﴿ومن حملنا مع نوح﴾ أي في الفلك كإبراهيم، ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ كاسحق وإسماعيل، ﴿واسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿ومن هدينا﴾ لمعرفتنا وطريقنا الموصول إلى رضانا وذلك بعبادتنا والاختلاص لنا فيها ﴿واجتبتنا﴾ لوحينا وحمل رسالتنا. وقوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ أي أولئك الذين هديناهم واجتبتنا من اجتبتنا منهم. والاجتباء الاختيار والاصطفاء بأخذ الصفوة ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ الحاملة للعظات والعبر والدلائل والحجج ﴿خروا سجداً﴾ لله ربهم ﴿وبكياً﴾ عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه.

(١) قيل: إن إسماعيل عليه السلام لم يعد شيئاً إلا وفقى به وهو صحيح يقتضيه ظاهر الآية الكريمة، وقد قيل العدة دين، وفي الأثر: وأي المؤمن واجب. والوأي: الوعد. قال الشاعر:

متى يقل حرّ لصاحب حاجة نعم يقضها والحر للوأي ضامن

وقال مالك: إذا سأل الرجل الرجل شيئاً فوعده ثم بدا له عدم إنجازه ما وعد لا شيء عليه ولا يقضي عليه بذلك لأن العدة بخير من باب الإحسان وليس على المحسنين من سبيل.

(٢) قيل: إن إدريس هو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليس المحيط وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

(٣) كما في حديث المعراج في رواية مسلم وجاء فيه: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة).

(٤) فنال إدريس الشرف بالقرب من آدم، ونال إبراهيم الشرف بالقرب من نوح ونال إسماعيل الشرف واسحق ويعقوب بالقرب من إبراهيم عليهم السلام أجمعين.

(٥) البكي: مصدر من مصادر بكى يبكي بكاء وبكى وبكى، ويكون البكي جمع بالك نحو: قعود، وقاعد وسجود جمع ساجد وأصل بكى: بكوي على وزن فَعُول فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لا ينكر عليه أن ينبيء محمداً ويرسله .
- ٢ - فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة .
- ٣ - فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل .
- ٤ - سنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها . ﴿خروا سجداً وبكياً﴾
- ٥ - فضيلة البكاء حال السجود فقد كان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكي يعني البكاء .

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

خَلَفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا
 ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
 وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
 بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُهُمْ مُؤْتَيْنًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
 وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
 عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

خلف ^(١) : أي عقب سوء .

أضاعوا الصلاة : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين .

اتبعوا الشهوات : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر .

يلقون غيًّا : أي وادياً في جهنم يلقون فيه .

ولا يظلمون شيئاً : أي لا ينقصون شيئاً من ثواب حسناتهم .

(١) الخلف : بإسكان اللام خلف سوء ويفتحها خلف خير وصلاح .

جنت عدن : أي إقامة دائمة .
 بالغيب : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء
 وهم في الأرض .
 مأتياً : أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة .
 لغواً : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه .
 بكرةً وعشياً : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل .
 من كان تقياً : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممن اجتنبى^(١) وهدى من النبيين وذرياتهم ، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربو الخمر وشهدوا الزور وأكلوا الحرام وهوا ولعبوا وزنوا وفجروا ، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين ، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ بعد دخولهم نار جهنم . والغى : ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم^(٢) ، والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ماتوجد الآبار في الأودية .

وقوله تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن أي حقق إيمانه وعمل صالحاً فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم . فأولئك أي فهؤلاء التائبون المنيبون ﴿ يدخلون الجنة ﴾ مع سلفهم

(١) جائز أن يراد بهذا الخلف السوء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها ، واتباع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين .

(٢) اتباع الشهوات لازم لإضاعة الصلاة لقول عمر : من أضاعها فهو لما سواها أضيع ، ولأن إقام الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : غي : واد فسي جهنم وإن أودية جهنم لتستعيز من حره أعد الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصّر على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه ولأكل الربا لا يتزع عنه ، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولداً ليس منه .

الصالح ، ﴿ولا يظلمون شيئاً﴾ أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئاً من ثواب أعمالهم .
 وقوله تعالى : ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة أبدية ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾
 أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض .
 وقوله : ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ أي كونهم مارأوها غير ضار لأن ما وعد به الرحمن
 لا يتخلف أبداً لا بد من الحصول عليه ومعنى مأتياً يأتيه صاحبه قطعاً .
 وقوله تعالى في الآية (٦٢) ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ يخبر تعالى أن أولئك الثائنين الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لا يسمعون فيها أي في الجنة لغواً وهو الباطل من القول وما
 لاخير فيه من الكلام اللهم إلا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من
 النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم .
 وقوله تعالى : ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي ولهم طعامهم فيها وهو ماتشتهيه
 أنفسهم من لذيذ الطعام والشراب ﴿بكرة وعشيا﴾ أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت
 العشي في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار^(١) وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو
 العشاء تغير الأنوار من لون إلى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة
 على وقت الغداء والعشاء .^(٢)
 وقوله تعالى : ﴿تلك الجنة﴾ آية (٦٣) يشير تعالى إلى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية
 ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ منهم ، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما
 أن منزل التقي في النار نورثه فاجراً من الفجار ، إذ هذا معنى التوارث : هذا يرث هذا وذاك
 يرث ذا ، إذ ما من إنسان إلا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل
 الجنة ونزل في منزلته ، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزلته فيها ، ويورث
 الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة .

(١) روي أن النبي ﷺ قال : (ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنما هم في نور أبداً وإنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب) . ذكره أبو الفرج ابن الجوزي ، والمهدي وغيرهما «القرطبي» .

(٢) الجملة مستأنفة ، واسم الإشارة فيها للتنويه بها ويعلو مقامها وعظم الكرامة فيها لأهل التقوى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات .
- ٢ - الوعيد الشديد لمن ينجس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك .
- ٣ - باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب .
- ٤ - بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار .
- ٥ - تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار .
- ٦ - بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء ، وأن ورثة النار هم الفجار .

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَكِّنٌ

أَيَّدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۖ

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

- وما ننزل : التنزل النزول وقتا بعد وقت .
- إلا بأمر ربك : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء .
- له ما بين أيدينا : أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة .
- وما خلفنا : أي ما مضى من الدنيا .
- وما بين ذلك : مما لم يمض من الدنيا إلى يوم القيامة أي له علم ذلك كله .
- وما كان ربك نسيا : أي ذا نسيان فإنه تعالى لا ينسى فكيف ينساك ويتركك ؟ .
- رب السموات والأرض : أي مالكهما والمتصرف فيهما .
- واصطبر لعبادته : أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت .
- هل تعلم له سمياً : أي لاسمٍ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد ، لم يكن له كفواً أحد .

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ما روى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد بطء قال له النبي ﷺ ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله تعالى قوله : جواباً لسؤال النبي ﷺ : ﴿ وما ننزل ﴾ أي نحن الملائكة وقتاً بعد وقت على من يشاء ربنا ﴿ إلا بأمر ربك ﴾ أيها الرسول أي إلا بإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء إلى سماء أو إلى أرض إلا بإذن ربنا عز وجل ، ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ أي له أمر وعلم ما بين أيدينا أي ما أمامنا من أمور الآخرة وما خلفنا أي مما مضى من الدنيا علماً وتديراً ، وما بين ذلك إلى يوم القيامة علماً وتديراً ، وما كان ربك عز وجل يارسول الله ناسياً لك ولا تاركاً فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقوله تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له ويده وفي قبضته وعليه ﴿ فاعبده ﴾ أيها الرسول بها أمرك بعبادته به ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ أي تحمل لها المشاق ، فإنه لا إله إلا هو ، ف ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ أي نظيراً أو مثيلاً والجواب لا : إذا فاعبده وحده وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله . فإنه لا معبود بحق إلا هو إذ كل ما عداه مربوب له خاضع لحكمه وتديره فيه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

- (١) روى البخاري أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت : ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك ﴾ الآية ، وقال مجاهد : أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال : ما الذي أبطأك ؟ قال : كيف تأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تستاكون . قال مجاهد : فنزلت الآية في هذا والمراد بالمعيب عليهم : بعض المؤمنين لا رسول الله ﷺ فحاشاه أن يكون معيياً وهو على أكمل الأحوال .
- (٢) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ أي : ناسياً إذا شاء أن يرسل إليك أرسل .
- (٣) أي : لطاعته ، واللام بمعنى : على أي : على طاعته ، ولا تحزن لتأخر الوحي عنك ، وأصل اصطبر : اصتبر فقلبت التاء طاء تخفيفاً في النطق .
- (٤) ولذا إجماع أهل الإسلام من عهد آدم أنه لا يجوز أن يسمى مخلوق باسم الله عز وجل « الله » .

۲ - استحالة النسيان على الله عز وجل .

۳ - تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين ، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين .

۴ - وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت .

۵ - نفي الشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد .

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ
أُخْرِجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

ويقول الإنسان :	أي الكافر بقاء الله تعالى .
ولم يك شيئاً	أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة .
جثياً	أي جاثمين على ربهم في ذل وخوف وحزن .
من كل شيعة	أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه
عتياً	أي تكبراً عن عبادته وظلماً لعباده .
أولى بها صلياً	أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار .
إلا واردها	أي ماراً بها إن وقع بها هلك ، وإن مر ولم يقع نجا .
حتماً مقضياً	أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لا بد .
فيها جثياً	أي في النار جاثمين على ربهم بعضهم إلى بعض .

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقرير عقيدة البعث والجزاء فيقول تعالى وقوله الحق : ﴿ويقول الإنسان﴾ أي المنكر للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرها إذ هذه قولة كل من لا يؤمن بالآخرة يقول : ﴿إذا مت لسوف أخرج حياً﴾ يقول هذا استنكاراً وتكذيباً قال تعالى : راداً على هذا الإنسان قوله الكافرة ﴿أو لا يذكر الإنسان﴾ أي المنكر للبعث الآخر ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ أي كذب بالبعث وينكره ولا يذكر خلقنا له من قبل ، ولم يك شيئاً .

أليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم ، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم جميعاً مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرهم حول جهنم جثياً على ركبهم أذلاء صاغرين . هذا معنى قوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ والشياطين ثم لنحضرهم حول جهنم جثياً .

وقوله تعالى : ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم ، يحضرهم حول جهنم جثياً ، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتياً أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيذان به ورسوله ووعدده ووعيدده وهو معنى قوله تعالى في الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على أشد الرحمن عتياً﴾ وقوله تعالى : ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم

(١) اللام في : (لسوف) للتأكيد والاستفهام : (إذا) : للإنتكار ، واللام : لام الابتداء جاء بها المتكلم لتأكيد إنكاره للبعث بعد الموت والخروج من قبره حياً .

(٢) الاستفهام للإنتكار على منكر البعث ، والتعجب من عقلية وعمى قلبه من عدم النظر في عدم أصل خلقه فإنه لو أبصر وزالت غفلته لما أنكر البعث فالذي خلقه اليوم يخلقه غداً ولا عجب .

(٣) قبل كبد : ملازمة للإضافة فإذا حذف المضاف بنيت على الضم ، والمضاف المحذوف هنا تقديره : من قبل كونه شيئاً يذكر في الوجود وقد أوجده الآن ويعده غداً ويحييه بعد موته يوم يريد ذلك .

(٤) الفاء : للتفريع ، والضمير في : (لنحشرنهم) عائد على جنس الإنسان المكذب بالبعث الآخر ، والمشارك بالله المصير على ذلك ، وذكر حشر الشياطين معهم تحقيراً لشأنهم حيث يحشرون مع أخس الخلق وأحطه ثم أشار إلى أن شركهم وكفرهم كان بتزيين الشياطين لهم ذلك ، والجني : جمع جاثٍ مثل : قاعد وقعود ، فجثي : أصلها جثوي قلبت الواو ياء ، وأدغمت ، والجاثي هو البارك على ركبتيه عجزاً عن القيام .

أولى بها صلياً ﴿ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾^(١).

وقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ ، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبين ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولا يسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم . وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي ربه فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ ونذر الظالمين ﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿ فيها جثياً ﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جائمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمروء على الصراط .
- ٢ - تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة .
- ٣ - تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين .
- ٤ - تقرير حتمية المروء على الصراط .
- ٥ - بيان نجاه الأتقياء ، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي .

(١) يقال : صلى يصلي صلياً كمضى يمضي مضياً وهوى يهوى هويتاً ، وصلياً بكسر الصاد : قراءة حفص ، وبضمها : قراءة نافع ، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول ، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صلياً كما تقدم في جثياً .

(٢) حاول صاحب التحرير أن يرد مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثم ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى رد مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمروء به ثابت قطعياً ففي صحيح مسلم : (ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة فيقولون : اللهم سلم سلم قيل : يا رسول الله : وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها : السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين والبرق والريح والطيور وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم ، وبهذا الصراط . . فسر السلف الورود على جهنم ، ولم يقولوا بل لازم الورود وهو الدخول ، إذ قد يرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصح قول الرسول ﷺ فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلا تحلة القسم وهو الورود على متن جهنم نظراً إلى الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ
كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا
وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

- آياتنا بينات : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجة .
خير مقاماً : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة .
وأحسن ندياً : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء .
أحسن أثنا ورئيا : أي مالا ومتاعا ومنظراً .
إما العذاب وإما الساعة : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم .
من هو شر مكانا : أي منزلة .
وأضعف جنداً : أي أقل أعواناً .
وخير مرداً : أي مايرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾^(١)
بينات ﴿﴾ أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء^(٢)

(١) المراد بهم الكفار الذين سبق ذكرهم في الآيات قبل هذه إذا قرئت عليهم الآيات تعززوا بالدنيا وقالوا فما بالنا إن كنا على باطل أكثر أموالاً وأعز نفراً وقصدهم إدخال الشبهة على المستضعفين من المؤمنين .
(٢) (بينات) حال مؤكدة .

يوم القيامة إذا قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن البينات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث ﴿قال الذين﴾ كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴿﴾، وقولهم هذا هو رد فعل لا غير، إذ أنهم لما يسمعون الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لا يجدون ما يخففون به ألم نفوسهم فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم ﴿أي الفريقين﴾ أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين خير مقاماً أي منزلاً ومسكناً وأحسن ندياً أي نادياً ومجتمعاً يجتمع فيه، لأنهم يقارنون بين منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول ﷺ والمؤمنون وبين دور ومنازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شورا هم فرد تعالى عليهم بقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثاً﴾ أي لا ينبغي أن يغرمهم هذا الذي يتبجحون به ويتطاولون فإنه لا يدوم لهم ماداموا يجاربون دعوة الحق والقائمين عليها فكم من أهل قرون أهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعاً ومناظر حسنة جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي اذكر لهم سنتنا في عبادنا يارسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجاً حتى إذا انتهوا إلى ما حدد لهم من زمن يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم وظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوى بالقتل والأسر ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون إلى جهنم عمياً وبكماً وصماً جزاء التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون﴾ من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴿أي شر منزلة وأقل ناصراً﴾ أهم الكافرون أم المؤمنون، ولكن حين لا ينفع العلم. إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي

(١) الذين كفروا كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال وصهيب.

(٢) الأثاث: متاع البيت من فرش وغيرها مما هو جديد، فإن استعمل قبل فيه: الخرنى قال الشاعر:

تقدم العهد من أم الوليد بنا دهرأ وصار أثاث البيت خرنياً

الرئي: المنظر الحسن. وفيه قراءات خمس أشهرها قراءة الجمهور ورثياً بالهمزة، وقراءة نافع ريثاً بدون همزة واشتقاقه من الرؤية أي: المنظر، ومن الري ضد العطش، إذ الريان هو المنعم ذو الحال الحسنة.

(٣) في الآية رد على قولهم: ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾. أي سوف تنكشف الحقائق في يوم القيامة، ويعلمون يقيناً من هو الأفضل حالاً والأحسن مآلاً.

الحسرة والندامة لاغير.

وقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾^(١) أي إذا كان تلاوة الآيات البينات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفراً وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي .

وقوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾ أيها الرسول ﴿ثواباً وخيراً مرداً﴾ في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن ما يتبعج به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فإن، والصالحات باقية ثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً أي مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتر المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة .

٢ - بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين .

٣ - بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم ، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين .

٤ - بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) وفي الآية وجه آخر مشرق صالح وهو: أن الله تعالى يمدّ لأهل الضلالة في ضلالتهم، ويزيد لأهل الهداية في هدايتهم إذ قال: ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ . وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ وما في التفسير صالح ومشرق أيضاً .

(٢) أي: الأعمال الصالحة التي يعمل العبد إيماناً وإحساناً كالصلاة والصيام والصدقات والجهاد وذكر الله ثوابها لأهلها المدح لهم عند الله تعالى خير من أعمال أهل الكفر والشرك والظلم إذ هي ذاهبة هباء منثوراً فيم يتعرّز الكافرون؟

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا
 ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

- الذي كفر بآياتنا : هو العاص بن وائل .
 لأوتين مالا وولداً : يريد في الآخرة .
 أطلع الغيب : أي فعرّف أنه يعطى مالا وولداً يوم القيامة .
 كلا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً .
 ونمد له من العذاب مداً : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة .
 ونرثه مايقول : أي نسلبه ماتبعج به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه ﷺ معجباً له ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ أي كذب بالوحي ومايدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي . وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص . ﴿وقال لأوتين مالا وولداً﴾ قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قَيَّ «حداداً» وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثُمَّ تبعث فقال له العاص إذا أنا ميتٌ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ ^(١) فعرّف أن له يوم القيامة مالا وولداً . ﴿أم اتخذ عند

(١) الأئمة ومن بينهم مسلم في صحيحه علم أن هذه الآية نزلت في الخباب والعاص بن وائل إذ كان لخباب دين على العاص فطالبه فأجاب بما خلاصته في التفسير أعلاه .

(٢) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنظر في اللوح المحفوظ . وقال مجاهد : أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا ؟

الرحمن عهداً ﴿بذلك بأن سيعطيه مالا وولداً يوم القيامة﴾ ﴿كلاً﴾ لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً. وقوله تعالى: ﴿سنكتب ما يقول﴾ من الكذب والإفراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾ أي ونسلبه ما يقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلك أو ينصر رسوله على قومه فيسلبهم المال والولد. ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال معه ولا ولد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بهال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم.
- ٢ - تقرير البعث والحساب والجزاء.

- ٣ - مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم.
- ٤ - تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون.

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً
لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
تَوَزُّؤَهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

(١) كلاً: ردّ عليه أي: لم يكن له ذلك. أي: لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً.

(٢) وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد إذ قال: لأوتين مالا وولداً ورد تعالى عليه قوله بقوله: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾.

شرح الكلمات :

ليكونوا لهم عزاً : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لا يعذبوا .
 سيكفرون بعبادتهم : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم .
 ضداً^(١) : أي أعداء لهم وأعوانا عليهم .
 تؤزهم أزا : أي تززعهم ازعاجا وتحركهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

وفدا : أي راكبين على النُجْب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى ربهم فيكرمهم .
 إلى جهنم ورداً : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .
 عهداً : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معنى الآيات :

يخبر تعالى منهدداً بالمشركين فيقول : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات ، ﴿ ليكونوا لهم ﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿ عزاً ﴾ أي شفعاء لهم عندنا يعززون بواسطتهم ولا يُهانون ، ﴿ كلا ﴾ أي ليس الأمر كما يظنون ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم ، ﴿ ويكونون عليهم ضداً ﴾ أي خصوماً ، ومن ذلك قولهم^(٢) : ﴿ وقال شركائهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ . وقولهم . ﴿ بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٣) ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾

(١) الضدّ : ما يخالف ضده في الماهية أو المعاملة ، ومن هذا تسمية العدو ضدّ لأن معاملته تخالف معاملة نظيره ، ويكون ضدّ في معنى المصدر عاملوه معاملة المصدر فلا يثني ولا يجمع ولا يؤنث .

(٢) العزّ : ضد الذلّ ، وأطلق العزّ هنا وأريد به سببه وهو الشفعاء والأعوان إذ بهم تحصل العزة وتكون المنعة .

(٣) (كلا) : جائز أن تكون نافية بمعنى : لا وليس وجائز أن تكون بمعنى : حقاً أي : حقاً سيكفرون بعبادتهم . الخ .

(٤) أي : فيما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ وقال شركائهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ فها هم قد وقفوا ضدّهم بتكذيبهم إياهم . ورأى بعض أهل التفسير أن من الجائز أن تكون الآية مبشرة بنصر الرسول ﷺ وأن يوماً سيأتي يكفر المشركون بآلهتهم وذلك بعد إسلامهم .

(٥) الاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب أي : كيف لم ترّ ذلك والأمر واضح لوجود آثاره يشاهدها كل أحد . وأرسلنا بمعنى سلطناهم أو خَليناهم يفعلون بهم ما أرادوا من الإغواء والفتنة .

يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يارسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزا أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً. أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيلها عليهم حتى أنفاسهم ونحاسبهم على كل ذلك ونجزيم به. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً﴾^(١).

وقوله تعالى في الآية (٨٥) ﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي أذكر يارسولنا يوم نحشر المتقين ﴿إلى الرحمن وفداً﴾. والمتفون هم أهل الإيثار بالله وطاعته وتوحيده ومحبه وخشيته وطاعة رسوله ومحبه وفداً أي راكبين على النجائب من النوق عليها رحال الذهاب إلى الرحمن إلى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الأبرار والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾: أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يساقون سوق البهائم إلى جهنم ويثس الورد^(٢) المورد جهنم.

وقوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(٣) أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لا يملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمؤمنين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك إن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراماً للشافع أيضاً وإنعاماً على المشفوع له. كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم إلى الله الراجين ربهم يملكون الشفاعة إن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها بشفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم.

(١) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإننا نعد لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.
(٢) يطلق لفظ الورد على الماشية عندما تساق إلى الماء لترده، ويطلق على السير إلى الماء أيضاً كما يطلق على الماء المورد ومنه قوله تعالى: ﴿ويثس الورد المورد﴾.
(٣) الاستثناء منقطع، والمنقطع هو: استثناء الشيء من غير جنسه، ولذا يؤتى بعده ولكن كما هو في التفسير أي: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفع.

(٤) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضاً بدليل السنة الصحيحة، وفُسر ابن عباس رضي الله عنهما العهد أيضاً بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزيًا لهم وإحقاقًا للعذاب عليهم .
- ٢ - لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه .
- ٣ - لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلمًا ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصى عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به .
- ٤ - بيان كرامة المتقين ، ومهانة المجرمين .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

- وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله .
 جئتم شيئا إدا : أي منكرا عظيما .
 ينفطرن : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه .
 وتخري الجبال هدا : أي تسقط وتهدم وتهدم .
 أن دعوا للرحمن ولدا : أي من أجل إدعائهم أن للرحمن عز وجل ولدا .

ولا ينبغي : أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه .
 إلا أتى الرحمن عبداً : أي خاضعاً منقاداً كائناً من كان .
 فرداً : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿وقالوا﴾ أي أولئك الكافرون ﴿اتخذ الرحمن ولدًا﴾ ^(١) إذ قالت بعض القبائل العربية الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله . يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ ^(٢) أي أتيتم بشيء منكر عظيم ، ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه ، ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال﴾ ^(٣) هذا أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عز وجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب أليم . وقوله : ﴿أن دعوا للرحمن ولدًا﴾ ^(٤) أي أن نسبوا للرحمن ولدًا ، ﴿وما ينبغي للرحمن﴾ أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد ، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر إلى إتيان الأنثى فيكون بإذن الله الولد ، والله عز وجل منزّه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم ؟

وقوله تعالى ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً﴾ هذا برهان على بطلان قولة الكافرين الجاهلين ، إذ الذي ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة

(١) قرء : (وُلدًا) بضم الواو وسكون اللام ، وقراءة الجمهور (ولدا) بفتح الواو واللام وهما لغتان مثل : الغرب والقرب .
 والعجم والعجم قال الشاعر :

ولقد رأيت معاشرا قد ثَمَرُوا مالا ووُلدُوا

وقال آخر :

مهلا فداءً لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن وَلَد

ففي البيت الأول شاهد وُلد بسكون اللام وفي الثاني شاهد لفتحها مع ضم الواو في الأول وفتحها في الثاني .

(٢) الإد والإادة : الداهية والأمر الفظيع . قال ابن عباس : الإد : المنكر العظيم .

(٣) تكاد : بالتاء قراءة العامة ، وقرأ نافع بالياء (يكاد) .

(٤) الهذ : الهدم بصوت شديد ، والهذة : صوت وقع الحائط ونحوه .

(٥) روى البخاري عن النبي ﷺ قوله : (يقول الله تبارك وتعالى : كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيتني إياي فقلوه : ليس يعيدني كما بداني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمته إياي : فقلوه : اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

(٦) (إن) نافية بمعنى ما . في الآية دليل على عدم جواز ملك الوالد للولد ولا الولد للوالد ، وفي الحديث الصحيح : (لا . . ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه) . فإذا لم يملك الأب ابنه فلأن لا يملك الابن أباه من باب أولى .

(١) وإنس وجن إلا آتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلاً منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً، إذ الولد يطلب للحاجة إليه، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك. وقوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدأ﴾ أي علمهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد له لعلمه، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله: ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ هذا رد على أولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير. فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر، ولا مال ولا سلطان.

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١ - عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم.
- ٢ - بيان أن كل المخلوقات من أجلها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد الله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم.
- ٣ - بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفة لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم ، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فرداً.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

(١) روى أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم) أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم.

شرح الكلمات :

وداً

: أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ومحبههم ربهم تعالى .

فإنما يسرناه بلسانك : أي يسرنا القرآن أي قراءته وفهمه بلغتك العربية .

قوماً لداً

: أي ألداء شديداً الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش .

وكم أهلكنا

: أي كثيراً من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم .

هل تحس منهم من أحد : أي هل تجد منهم أحداً .

أو تسمع لهم ركزا : أي صوتاً خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبوعده الله ووعيده فتحلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنين محبة ووداً^(١) وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحابون متوادون ، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم . وقوله تعالى : ﴿فإنما يسرناه﴾ أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك ﴿لتبشر به المتقين﴾ من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالإيمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي ، ﴿وتنذر به قوماً لداً﴾ وهم كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة ، وقوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا ﴿فهل تحس منهم من أحد﴾ فتراه بعينك أو تمسه بيدك ، ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ أي صوتاً خفياً اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال : إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء - قال : ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام وقال : إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال : فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض).

(٢) (لداً) : جمع الألد ، وهو : الشديد الخصومة ، ومنه قوله تعالى : (ألد الخصام) وقال الشاعر :

أبيت نجياً للهموم كأنني أنخاصم أقواما ذوي جدل لداً

(٣) في الآية تهديد وتخويف لأهل مكة المصيرين على الكفر والشرك والتكذيب . وكم : خبرية ، والقرن : الجيل والأمة . ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة وشاع إطلاقه على المائة سنة .

(٤) والإحساس : الإدراك بالحس . والاستفهام إنكاري .

(٥) قيل : الرکز : مالا يفهم من صوت أو حركة .

فيتعظوا فيتوبوا إلى ربهم بالإيمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً .
- ٢ - بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي .
- ٣ - إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى ؟

سُورَةُ طه

مكية

وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾

شرح الكلمات

طه : أي يارجل .

إلا تذكرة : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عز وجل .

على العرش استوى : أي ارتفع عليه وعلا .

وما تحت الثرى : الثرى التراب الندي يريد ما هو أسفل الأرضين السبع .

وأخفى : أي من السر ، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد .

الحسنى : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طه﴾ ^(١) لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة ، وجائز أن يكون معناه ^(٢) يارجل ورجع الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يارجل وعلى هذا فمعنى الكلام يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القرآن الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عز وجل ذلك وقال ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ وإنما أنزلناه ليكون تذكرة ذكرى يذكر بها من يخشى ربه فيقبل على طاعته متحملاً في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذابين لرسوله ، وقوله : ﴿تنزيلاً﴾ ^(٣) من خلق الأرض والسموات العلى أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نزل تنزيلاً من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي الرحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق به يدبر أمر مخلوقاته ، الذي ﴿له ما في السموات وما في

(١) نزلت (طه) قبل إسلام عمر رضي الله عنه لما روي : أنه دخل على بيت ختنه سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم أجمعين فطلبها فلم يعطها حتى اغتسل فلما قرأها لأن قلبه ورق للإسلام .

(٢) قيل : إن طه بمعنى : يارجل لغة معروفة في عكك حتى إنك إذا ناديت المرء يارجل لم يجيبك حتى تقول : طه وأنشد الطبري في هذا قول الشاعر :

دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون مزيلاً

(٣) التذكرة : خطور المنسي بالذهن لأن التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها فسماع القرآن كقراءته يثير كامن التوحيد في فطرة الإنسان .

(٤) (تنزيلاً) حال من القرآن ، المراد منها التنويه بشأن القرآن والإعلان عن خطره .

(٥) (الرحمن) يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي : هو الرحمن جل جلاله . ويجوز أن تكون مبتدأ واختير اسم الرحمن لأن المشركين ينكرون اسم الرحمن جهلاً منهم وعناداً .

(٦) تقديم الجار والمجرور : مؤنن بالحصر ، وهو كذلك ، إذ ليس لأحد ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى سواء عز وجل .

الأرض وما بينهما وما تحت الثرى^(١) ﴿ من الأرضين السبع ﴾ وقوله ﴿ وإن تجهر بالقول ﴾ أيها الرسول أو تُسر ﴿ فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ من السر، وهو ما قدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد. وقوله: ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ التي لا تكون إلا له، ولا تكون لغيره من مخلوقاته. وهكذا عَرَفَ تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فله الحمد وله المنّة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.
- ٢ - تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
- ٣ - تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل إثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عز وجل.
- ٤ - تقرير ربوبية الله لكل شيء.
- ٥ - تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَارُ بَكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

(١) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.

(٢) وجائز أن يكون أخفى السر: حديث النفس إذ هو أخفى من السر إذ السر ينطق به، وخاطر النفس لا ينطق به.

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

هل أتاك

: قد أتاك فالاستفهام للتحقيق .

حديث موسى

: أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل

إذ رأى ناراً

: أي حين رؤيته ناراً .

لأهله

: زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد .

آنست ناراً

: أي ابصرتها من بعد .

بقبس^(١)

: القبس عود في رأسه نار .

على النار هدى

: أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر .

فلما أتاها

: أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً .

نودي ياموسى

: أي ناداه ربه قائلاً له ياموسى !

المقدس طوى^(٢)

: طوى اسم للوادي المقدس المطهر .

اخترتك

: من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل .

فاستمع لما يوحى

: أي إليك وهو قوله تعالى : ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ .

لذكرى

: أي لأجل أن تذكرني فيها .

أكاد أخفيها^(٣)

: أي أبالغ في اخفائها حتى لا يعلم وقت مجيئها أحد .

(١) القبس والمقباس يقال : قبست منه ناراً أقبس قبساً فقبسني أي : أعطاني منه قبساً بتحريك السين مفتوحة ، واقتبست منه علماً لأن العلم نور ، من مادة النار التي هي الضياء والإشراق .

(٢) طوى بالكسر وبالضم أشهر وبه قراءة عامة القراء ، وهو اسم للوادي وفي لفظه ما يشير إلى أنه مكان فيه ضيق كالثوب المطوي أو لأن موسى طواه سيراً .

(٣) لما كانت الساعة مخفية الوقوع أثار قوله تعالى ﴿أكاد أخفيها﴾ تساؤلات كثيرة أقربها إلى الواقع ثلاثة . الأول : إخفاء الحديث عنها لأن الحديث عنها لا يزيد المعاندين من منكري البعث إلا عناداً . والثاني : أن كاد زائدة والتقدير : أن الساعة آتية أخفيها . والثالث : أن أخفيها بمعنى : أزيل خفاءها بأن أظهرها فتكون الهمزة للسلب نحو أعجم الكتاب : أزال عجمته وأشكى زيداً : إذا أزال شكواه .

بما تسعى : أي سعيها في الخير أو في الشر .
فتردى : أي تهلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى ، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته . فقال تعالى : ﴿وهل أتاك﴾ أي يانبينا ﴿حديث موسى﴾^(١) إذ رأى ناراً ، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل ، ﴿امكثوا﴾ أي ابقوا هنا فقد آنتست ناراً أي أبصرتها لعل آتيكم منها بقبس ﴿فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفئون بها ، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهديننا طريقنا الذي ضللناه .^(٢)

وقوله تعالى : ﴿فلما أتاه﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة تتلألؤ نوراً ﴿نودي ياموسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلاً ياموسى ﴿إني أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه . وقوله تعالى ﴿وأنا اخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلتك إليهم .^(٣) ﴿فاستمع لما يوحى﴾ أي إليك وهو : ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي ، ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾^(٤) أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها . فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى . وقوله ﴿إن الساعة آتية﴾ أي إن الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته ، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى .

(٢) الحديث : الخبر ، ويجمع على غير قياس : أحاديث ، وقيل : واحده أحذوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء . كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج .

(٣) قيل : هي شجرة عذاب .

(٤) قرأ حمزة وحده ، وأنا اخترناك بضمير العظمة .

(٥) في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقيين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أول لقاء معه ، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله ، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها .

(٦) استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصلها مستدلاً بقوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي : لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال ﷺ (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك)

(٧) الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب .

آتية لا محالة . من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر، وقوله: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي . وذلك لحكمة أن يعمل الناس ما يعملون وهم لا يدرون متى يموتون ولا متى يبعثون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلا ، وقوله : ﴿فَلَا يَصْدُنْكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا فَرَدَى﴾ ينهى تعالى موسى أن يقبل صدَّ صادٍ من المنكرين للبعث متبعي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، فإن من لا يؤمن بها ولا يتزود لها يردى أي يهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة لمحمد ﷺ .

٢ - تقرير التوحيد وإثباته ، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل .

٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى .

٤ - مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركاً ، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه .

٥ - وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى .

٦ - بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته .

وَمَا تِلْكَ

بِإِمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا
وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَارِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ
إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ

مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

وما تلك بيمينك يا موسى : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية .

أتوكأ عليها : أي أعتمد عليها .

وأهش بها على غنمي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم .

ولي فيها مآرب أخرى : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حملها على

عاتقه ، وقتل الهوام .

حية تسمى : أي ثعبان عظيم ، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير

المسمى بالجان .

سيرتها الأولى : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حية .

إلى جناحك : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط .

بيضاء من غير سوء : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس .

إذهب إلى فرعون : أي رسولاً إليه .

انه طغى : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبها عنده قائلاً : ﴿وماتلك بيمينك يا موسى؟﴾ ^(١) يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة ، فإذا تحولت إلى حية تسعى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله إلى فرعون وملائه . وأجاب موسى ربه قائلاً : ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ ^(٢) يريد يخبط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم ﴿ولي فيها مآرب﴾ أي حاجات

(١) الجملة معطوفة على الجمل قبلها ، وهي استفهامية أي : وما التي بيمينك ؟ والمقصود تقرير الأمر حتى يقول موسى : هي عصاي .

(٢) في هذه الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه . وفي الحديث وقد سئل عن ماء البحر فقال : (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) فزاد جملة : (الحل ميتته) وقوله للتي سألته قائلة : ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر فزاد (ولك أجر) وفي البخاري : باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل .

(٣) الواحد : مأربة مثلثة الرائ .

(١) ﴿أخرى﴾ كحمل الزاد والماء يعلقه بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية. فقال له ربه عز وجل ﴿ألقها ياموسى فألقاها﴾ من يده ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى: ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلنا أخذها فإذا هي عصاه التي كانت يمينه. ثم أمره تعالى بقوله: ﴿واضمم يدك﴾ أي اليمنى ﴿إلى جناحك﴾ الأيسر ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي برص وفعل فضم يده تحت عضده إلى إبطه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقه قمر، أو كأنها الثلج بياضا أو أشد، وقوله تعالى ﴿آية أخرى﴾ أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا إلى حية تسعى كأنها جان. وقوله تعالى: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ أي حولنا لك العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطانتنا. وقوله تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ لما اراه من عجائب قدرته أمره أن يذهب إلى فرعون رسولا إليه يأمره بعبادة الله وحده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم إلى أرض المعاد بالشام وقوله ﴿إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعي الربوبية والألوهية إذ فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾، فأبي طغيان أكبر من هذا الطغيان.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا بمن يوحى إليه.
- ٢ - استحباب تناول الأشياء غير المستقدرة باليمين.
- ٣ - مشروعية حمل العصا. (٥)

(١) أطنب موسى في الجواب طلباً لمزيد الأُنس بالوقوف بين يدي ربه يتناجى ويوحى إليه.

(٢) الحية: اسم لصنف من الحنش مسموم إذا عض بنابه قتل المعضوض.

(٣) السيرة في الأصل: هيئة السير ونقلت إلى العادة والطبيعة.

(٤) الجناح: العضد وما تحته من الإبط فهو مع اليد كجناح الطائر.

(٥) كان خطباء العرب يحملونها في أثناء الخطاب يشيرون بها، وكره هذا الشعوبيون من غير العرب وهم محجوجون بفعل الرسول ﷺ، وللعصا فوائد كثيرة آخر فوائدها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة.

- ٤ - سنة رعي الغنم للأنبياء .
 ٥ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك .
 ٦ - آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس .
 ٧ - بيان الطغيان : وهو إدعاء العبد ما ليس له كالألوهية ونحوها .

قَالَ

رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ
 لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي زَيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰزُونَ
 أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسِيحَكَ
 كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- اشرح لي صدري : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة .
 ويسر لي أمري : أي سهله حتى أقوى على القيام به
 واحلل عقدة من لساني ^(١) : أي حبة حتى أفهم من أخطب
 أشدد به أزري : أي قوي به ظهري .
 وأشركه في أمري : أي اجعله نبياً كما نبأني ^(٢)

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى إنه بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربه تعالى ﴿اشرح لي صدري﴾ لأتحمل أعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ أي سهل مهمتي عليّ وارزقني العون

(١) أصل العقدة : موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر وهي فُعلة كغرفة وشرفة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف ويقال : حُبة فشبه موسى حبة لسانه بالعقدة في الحبل ونحوه .
 (٢) يقال : ما برأ أخ أخاه كما برأ موسى أخاه هارون إذ طلب له أشرف مطلب الرسالة والنبوة .

عليها فإنها صعبة شاقة. ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عز وجل حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون وشفها فغضب فقالت له آسية إنه لا يعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجر في طست ونقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ماشئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يحلها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته. هذا معنى قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ (١).

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها. وقوله: ﴿اشدد به أزري﴾ أي قوّ به ظهري. وقوله: ﴿وأشركه في أمري﴾ وذلك بتبنيته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً. وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله: ﴿كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾، وقوله ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه ومأطلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل ما يهيم العبد.
- ٢ - مشروعية الأخذ بالأهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به.
- ٣ - فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته.

(١) اختلف في هل انحلت تلك العقدة أو لم تنحل، والصحيح أنها انحلت إجابة الله تعالى لدعوة موسى إذ قال: (قد أجبت دعوتكما) وأما قول فرعون: ولا يكاد يبين فهو تكرر لما سبق ولأجل الانتقاص من كمال موسى عليه السلام.

(٢) الوزير: المؤازر كالأكيل للمؤاكل، وفي حديث النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه).

(٣) الأزر: الظاهر من موضع الحقوين، والأزر: القوة أيضاً وآزره أي: قواه، وقيل: الأزر العون، ومنه قول أبي طالب:

ليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بينه بالطعان وبالضرب

(٤) في هذه الآية دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أن موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته.

قَالَ قَدْ

أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾
 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمِكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
 فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
 فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَتَبْنَا
 عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَى ﴿٤٠﴾
 وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

- قد أُوتيت سُؤْلَكَ^(١) : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبيه أخيك .
 ولقد مننا عليك مرة أخرى : أي انعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه .
 ما يوحى : أي في شأنك وهو قوله : أَنْ أَقْذِفِيهِ الْخ .
 في التابوت : أي الصندوق .
 فاقذفيه في اليم : أي في نهر النيل .
 ولتصنع على عيني^(٢) : تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة .
 على من يكفله : ليكمل له رضاءه .
 وقتلت نفسا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون .
 فنجيناك من الغم : إذ استغفرتنا فغفرنا لك وأثتمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم .
 وفتناك فتونا : أي اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيما .

(١) سؤل بمعنى مسؤول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول .

(٢) الصنع هنا : بمعنى التربية والتنمية .

جئت على قدر^(١) : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون .
 واصطنعتك لنفسى : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منك لتحمّل رسالتنا .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه أمراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله : في هذه الآية (٣٦) ﴿قال قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾ أي قد أعطيت ما طلبت ، ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي قبل هذه الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل ﴿إذ أوحينا إلى أمك أن اقذفيه في التابوت﴾ أي في الصندوق ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أي نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾ فهذه النجاة نعمة ، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى : ﴿والقيت عليك محبة مني﴾ أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك ، ونعمة أخرى وهي : من أجل أن تُربّي وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أرجعتك بتدويري إلى أمك لترضعك وتقر عينها ولا تحزن على فراقك ، وهو ما تضمنه قوله تعالى : ﴿إذ تمشي أختك﴾ فتقول : ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم أي لارضاعه وتربيته . ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن﴾ ، ونعمة أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس واثثار آل فرعون على قتلك ﴿فنجيناك من الغم﴾ من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل . وقوله تعالى : ﴿وفتناك فتونا﴾ أي ابتليناك ابتلاءً عظيماً وهاهي ذي خلاصته في الأرقام التالية :

١ - حمل أمك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل .

٢ - إلقاء أمك بك في اليم .

٣ - تحريم المراضع عليك حتى رجعت إلى أمك .

٤ - أخذك بلحية فرعون وهمه بقتلك .

(١) كما قال الشاعر :

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر

(٢) أوحى الله تعالى إلى أم موسى : ﴿أن اقذفيه﴾ . الآية .

(٣) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبيّة اجماًعاً .

(٤) الساحل : الشاطئ ، وهو ساحل معهود وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة . واللام في (فليلقه) لام التكوين الإلهي .

(٥) هذا العدو : فرعون عدو الله تعالى وعدو موسى وبني إسرائيل .

(٦) أخت موسى تسمى مريم بنت عمران .

(٧) الفتون : مصدر كالدخول والخروج وهو كالفتنة ، وهي اضطراب حال المرء في مدة حياته .

٥ - قتلك القبطي واثتار آل فرعون بقتلك .

٦ - إقامتك في مدين وماعانيت من آلام الغربة .

٧ - ضلالك الطريق بأهلك وماأصابك من الخوف والتعب .

(١)

هذه بعض مايدخل تحت قوله تعالى : وقتناك فتوناً وقوله ﴿فلبث سنين في أهل مدين﴾
ترعى غنم شعيب عشراً من السنين ﴿ثم جئت﴾ من مدين إلى طور سينا ﴿على قدر﴾ منا
مقدر و وعد محدد ما كنت تعلمه حتى لاقيته . واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك
وابتليتك واتيت بك على موعد قدّرته لك لأحلك عبء الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل :
إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك إلى أرض المعاد . وإلى بني إسرائيل
لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه .

٢ - مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام .

٣ - آية حب الله تعالى لموسى ، وأثر ذلك في حب الناس له .

٤ - تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه
السلام .

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا نِيَا

فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَا رَبِّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا

أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ

﴿٤٦﴾ فَأَنِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام ، وأهل مدين : أي : البلاد التي سميت باسم ابن إبراهيم هم قوم شعيب ، والبلاد
على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة .

وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
 وَقَوْلِي ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

- بآياتي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها .
 ولا تنيا في ذكرني : أي لا تفترأ ولا تقصرا في ذكرني فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما .
 انه طغي : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية .
 قولنا لينا : أي خالياً من الغلظة والعنف .
 لعله يتذكر : أي فيما تقولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل .
 يفرط علينا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له .
 أو أن يطغى : أي يزداد طغيانا وظلماً .
 اسمع وأرى : أي اسمع ماتقولانه ومايقال لكما، وأرى ماتعملان ومايعمل لكما .
 فأرسل معنا بني إسرائيل : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم .
 بآية : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً .
 والسلام على من اتبع الهدى : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى ، إذ الهدى إيمان وتقوى .
 من كذب وتولى : أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنها فلم يقبلها .

معنى الكلمات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في

الآية السابقة أنه صنعه لنفسه، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى فقال: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي^(١) ولا تنيا في ذكرى^(٢)﴾ وبين لهما إلى من يذهبا وعله ذلك فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله، وعلمهما أسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي خاليا من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل لذلك فقال ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي رجاء أن يتذكر معاني كلامكما وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي أو يخشى العذاب أن يبقى على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله: ﴿فقالا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل بعقوبتنا بالضرب أو القتل، ﴿أو أن يطفئ^(٣)﴾ أي يزداد طغياناً وظلماً. فطمأنهما ربهما عز وجل بأنه معهما بنصره وتأييده وهدايته إلى كل ما فيه عزهما فقال لهما: ﴿لا تخافا﴾ أي من فرعون وملائته: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ أسمع ماتقولان لفرعون ومايقول لكما. وأرى ماتعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركما عليه فأحق عملكما وأبطل عمله. فاتياه إذاً ولا ترددداً فقولا أي لفرعون ﴿إنا رسولا ربك﴾ أي إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ لنخرج بهما حيث أمر الله، ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهم في أسوأ الأعمال وأحطها، ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد

(١) يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الآيات التسع. وهذا باعتبار ما يكون وإلا فما حصل هو آية العصا واليد لا غير.

(٢) ولا تنيا؛ أي: ولا تضعفا. يقال: ونى بني ونى أي: ضعف في العمل. أي: لا تنيا أنت وأبلغ هارون أن لا ينيا.

(٣) لعل: حرف ترج ولكن هي هنا بالنسبة إلى موسى وهارون معناه: لعل رجاءكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر.

(٤) لقد تذكر فرعون وخشي وذلك ساعة غرقه ولم ينفعه ذلك إذ قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٥) قوله تعالى: (قالا ربنا إنا نخاف) الخ هذه بداية كلام موسى وهارون بعد أن انتهى كلام موسى مع ربه وحده. قبل أن يصل إلى مصر، ومعنى: يفرط يبادر بعقوبتهما ويعجلها، يقال: فرط منه أمر أي: بدر، وأفرط: أسرف وفرط: ترك وأضاع، وفي الآية دليل عدم المؤاخذه بالخوف مما من شأنه أن يخاف، ولكن لا يمنع من عبادة الله تعالى التي هي علة الخلق والوجود.

(٦) هي اليد والعصا.

وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج إلى أرض المعاد معنا. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي واعلم يا فرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به، فاتبع الهدى تسلم^(١)، وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه ﴿قد أوحى إلينا﴾ أي أوحى إلينا ربنا، ﴿أن العذاب على من كذب﴾ بالحق الذي جئناك به ﴿وتولى﴾ عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.
- ٢ - وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.
- ٣ - تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحى عبادته بنصرهم وتأييدهم.
- ٤ - تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.
- ٥ - شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيهِ والصبر على اذاه.
- ٦ - عدم المؤاخذه على الخوف حيث وجدت اسبابه.

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾
قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُّوا
وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ﴿مِنْهَا﴾
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

(١) والسلام هنا ليس سلام تحية.

(٢) قوله تعالى: (إِنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى) هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

شرح الكلمات :

أعطى كل شيء خلقه : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره .
ثم هدى : أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه .

قال فما بال القرون الأولى : أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى لايفتضح فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قال علمها عند ربي : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه لايعنيننا

في كتاب لايفضل ربي : أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزئهم بأعمالهم إن ربي لاينخطيء ولا ينسى فإن عذب أو أحر العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك .

مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً : مهاداً ، فراشاً وسلك : سهل ، وسبلاً طرقاتاً .
أزواجاً من نبات شتى : أزواجاً : أصنافاً : شتى : مختلفة الألوان والطعوم .
ان في ذلك آيات : لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته .
لأولى النهى : أي أصحاب العقول لأن النُهي العقل وسمى نهية لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي .

منها خلقناكم : أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم عند البعث يوم القيامة .

تارة أخرى : أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه اخراجاً من الأرض .

معنى الآيات :

السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى وأخوه إلى فرعون ودعوه إلى الله تعالى ليؤمن به ويعبده وبأسلوب هادئ لين كما أمرهما الله تعالى : فقالا له : ﴿والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى علينا أن العذاب على من

كذب وتولى؟ ولم يقلوا له لا سلام عليك، ولا أنت مكذب ومعذب، وهنا قال لهما فرعون ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال فمن ربكما ياموسى؟﴾ أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله: ﴿ربنا الذي أعطى^(١) كل شيء خلقه ثم هدى^(٢)﴾ أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته إلى طلب رزقها من طعام وشراب، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها. وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان. وعرف موسى أن اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿علمها عند ربى في كتاب^(٤)، لا يضل ربى ولا ينسى^(٥)﴾ فإن ما سألت عنه لا يعنيننا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربى في لوح محفوظ عنده وسيجزىها بعملها، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إننا لحكمة يعلمها فإن ربى لا يخطئ ولا ينسى وسيجزى كلاً بكسبه. ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي فراشاً مبسوطة للحياة عليها ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي سهل لكم للسير عليها طرقاً تمكنكم من الوصول إلى حاجاتكم فوقها، ﴿وأنزّل من السماء ماء وهو المطر﴾ المكون للأشجار والمغذي للآبار. هذا هو ربى وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ أي بالمطر أزواجاً أي أصنافاً من نبات شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص. كان هذا من قول الله

(١) أعلمه عليه السلام بأن ربه تعالى يعرف بصفاته لا بذاته ولا باسم يعرف به ولم يقل له موسى: إنه الله، لأن الاسم العلم لا يهدي إلى معرفته تعالى كما تهدي إليه الصفات العلى التي لا يقدر فرعون على جحدها وإنكارها.

(٢) قال ابن عباس: أعطى كل زوج من جنسه ثم هداها إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان. قال الشاعر:
وله في كل شيء خلقه وكذا الله ما شاء فعل

(٣) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه موسى عليه السلام أن علمها عند الله أي: إن ما سألت عنه من علم الغيب الذي استأثر الله به دون سواه.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية كتابة العلوم وتدوينها، حتى لا تنسى فتضيع وفي الحديث شاهد آخر ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده. إن رحمتي تغلب غضبي).

(٥) الضلال: الخطأ في العلم شبه بخلط الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في الذهن.

(٦) في الكلام التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم والخطاب تنوعاً للأسلوب وتحريكاً للضمير الجامد.

تعالى تتميمًا لكلام موسى وتذكيرًا لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد. وقوله: ﴿كلوا واربعوا أنعامكم﴾ أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات واربعوا إبلكم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإِنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي إن في ذلك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وانه بذلك مستحق للعبادة دون سواء إلا أن هذه الدلائل لا يعقلها إلا اصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره. وقوله تعالى: ﴿منها﴾ أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي بخلق أصلكم الأول وهو آدم، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون فيها، ﴿ومننا نخرجكم تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى وذلك يوم القيامة إذ نبعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.
- ٢ - تقرير مبدأ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- ٣ - تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.
- ٤ - الاستدلال بالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.
- ٥ - احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل^(٤) صاحبها دون الباطل والشر.
- ٦ - تسمية العقل نية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

(١) بمناسبة ذكر دلائل وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته دون سواء ذكرهم بعقيدة البعث والجزاء مستدلًا عليها بقدرة الله تعالى وعلمه.

(٢) تجمع التارة على تارات كالمرة على المرآت، والتارة: اسم جامد غير مشتق.

(٣) هذا حديث الصحيح: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

(٤) تعقل: أي: تحجزه أو تصرفه عما يضرّ حالاً أو مآلاً.

وَلَقَدْ

أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى

وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنها رسولين إليه من رب العالمين .

من أرضنا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها .

بسحرك ياموسى : يشير إلى العصا واليد البيضاء .

مكانا سوى : أي مكان عدل بيننا وبينك ونَصَفٍ، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى مافيها كل ناظر إليها .

يوم الزينة : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل .

وأن يحشر الناس ضحى : أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة .

فتولى فرعون : أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض .

فجمع كيده : أي ذوى كيده وقوته من السحرة .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائته من جهة

أخرى فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي أرينا فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ أي أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من ﴿قَبْلِنَا﴾ أرسلناهما إليه، فكذب برسالتهما وأبى الاعتراف بهما، وقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿قَالَ أَجِئْتُنَا﴾ أي ياموسى ﴿لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿بِسِحْرِكَ﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ﴾ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴿نَتَقَابَلُ فِيهِ﴾ لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى^(٣) عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجري فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿مُوعِدْكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿وَأَنْ يَحْشُرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاورة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.
- ٢ - للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.
- ٣ - مشروعية المباراة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.
- ٤ - مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

قَالَ لَهُمُ

مُوسَى وَيَلَيْكُمُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ

-
- (١) أي: الدالة على وجود الله تعالى ووجوب ألوهيته وعلى صحة نبوة موسى وهارون.
- (٢) لما رأى الآيات وبهرته احتال في دفعها اللعين بدعواه أن موسى جاء ليخرج فرعون وقومه من بلادهم ليستقل بها دونهم، وهذا من الكذب السياسي الممقوت.
- (٣) قرأ حفص (سوى) كطوى بضم السين، وقرأ نافع (سوى) بكسرها كطوى، والكسر أفصح. أي: وسطاً في المدينة لا يشق على من يأتيه.
- (٤) اختار موسى اليوم والساعة، وهي: الضحى لعلمه أنه سيغلب السحرة وينهزمون أمامه، فأحب أن يكون الوقت مناسباً بكثرة المتفرجين ووضوح الرؤية لهم في شباب النهار (الضحى).

وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾
قَالُوا أَيُمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلِ الْقَوَاطِئُ أَحْبَبَ لَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾

شرح الكلمات:

- ويلكم : دعاء عليهم معناه : ألزمكم الله الويل وهو الهلاك .
فيسحتكم بعذاب : أي يهلككم بعذاب من عنده .
فتنازعوا أمرهم : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران .
وأسروا النجوى : وهي قوهم : ان هذان لساحران يريدان الخ
بطريقتكم المثلى : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم .
فاجمعوا كيدكم : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه .
قد أفلح من استعلى : أي قد فاز من غلب .
إما أن تلقى : أي عصاك .
فخيل إليه أنها تسعى : أي فخيل إلى موسى أنها حية تسعى ، لأنهم طلوها بالزئبق فلما
ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل إلى موسى أنها
تتحرك .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون

للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفاً إياهم عليهم يتوبون: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي لا تقولوا على الله فتنسبوا إليه ما هو كذب ﴿فَيَسْحَتُكُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال، ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْطَرَى﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله:

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ وقوله ﴿وَأَسْرُوا النُّجُومَ﴾ أي أخفوا ما تناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ أي موسى وهارون ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي دياركم المصرية، ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاء به ويدينون بدينها، وعليه فأجمعوا أمرهم حتى لا تختلفوا فيما بينكم، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا صُفَاً﴾ واحداً متراصاً، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ أي غلب، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ، وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ نَحْنُ فَتَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ فقال لهم موسى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾، فalcوا عندئذ ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيهِمْ﴾ وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى (باقي الحديث في الآيات بعد).

(١) الويل: الهلاك وهو شبه مصدر، ونصبه إما على تقدير: ألزمهم الله أو على النداء أي: يا ويلهم. كقوله: (يا ويلنا من بعثنا).

(٢) سحت وأسحت بمعنى، وأصله من استقصاء الشعر في إزالته قرأ أهل الكوفة: (فيسحتكم) بضم الياء من أسحت، وقرأ أهل الحجاز بفتح الياء من: سحت قال الشاعر:

وعصر زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلّا مسحتاً أو مجلفاً

والشاهد في: مسحت من أسحت.

(٣) التنازع: مشتق من جذب الدلو من البئر وجذب الثوب من الجسد والتنازع تفاعل إذ كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه لما يراه من الصواب.

(٤) قراءة الجمهور بكسر إن وتشديد النون، وبلغ الخلاف في هذا الحرف أشده فبلغوا فيه إلى ستة تخريجات أمثلها: أن (إن) حرف جواب بمعنى نعم قال الشاعر:

ويقلن شيب علا ك وقد كبرت فقلت إنه

والشاهد في إنه جواب لما في البيت من كلام، والهاء في إنه هاء السكت، وشاهد آخر وهو: أن عبدالله بن الزبير قال لأعرابي استجداه فلم يعطه: إن وراكها. لما قال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقوله: إن: أي: نعم وراكها أي: ملعون كذلك.

(٥) المثلى: مؤنث: الأمل، من المثالية التي هي حسن الحال. أراد فرعون إثارة الحمية في قومه ليدافعوا عن عاداتهم وشرائعهم وأخلاقهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة الكذب على الله تعالى ، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه .
 ٢ - من مكر الانسان وخداعه أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق .
 ٣ - معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولاً من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال . لاسيما في موقف كهذا .

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا
 كَيْدٌ سَحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ أَدُنَّ
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطِعْ أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ
 أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

- فأوجس في نفسه خيفة : أي أحس بالخوف في نفسه .
 أنت الأعلى : أي الغالب المنتصر .
 تلقف : أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي
 كيد ساحر : أي كيد سحر لابقاء له ولا ثبات .

(١) المراد به الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولقائه ولا يتحلى بالصبر والتقوى .

لايفلح الساحر : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .
 فألقى السحرة سجداً : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين .
 إنه لكبيركم : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر .
 من خلاف : أي يد يمنى مع رجل يسرى .
 في جذوع النخل : أي على أخشاب النخل .
 أينما أشد عذاباً وأبقى : يعني نفسه - لعنه الله - ورب موسى اشد عذاباً وأدومه على مخالفته وعصيانه .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلات بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة : ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ أي الغالب القاهر لهم .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٧) فأوجس في نفسه خيفة موسى والثانية (٦٨) ﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ﴾ أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال : ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ أي هو مكر وخدعة من ساحر ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ أي لا يفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يربها غيره . وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيهم عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ . وهنا صاح فرعون مزجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال

(١) (أوجس) : أي أحس ووجد أي : خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا .

(٢) لم يقل له : ألق العصا لأن فيها إكباراً لشأن العصا وأنها بحق قادرة على إبطال باطل السحرة .

(٣) قرأ الجمهور : (كيد ساحر) وقرأ بعضهم : (كيد سحر) بكسر السين أي : كيد ذي سحر، وكيد : خبر مرفوع، والمبتدأ : ما الموصولة في قوله : (إن ما صنعوا) وصنعوا : صلتها، وكيد : الخبر . وقرئ بنصب كيد على أن ما كافة . وكيد معنول لصنعوا .

للسحرة ﴿آمنتهم له قبل أن آذن لكم﴾ بذلك ﴿إنه لكبيركم﴾ أي معلمكم العظيم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم معه على الهزيمة. ﴿فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجله، أو العكس ﴿ولأصلبنكم^(١) في جذوع النخل﴾ أي لأشدنكم على أخشاب النخل واطركنكم معلقين عبرة ونكالا لغيركم ﴿ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى﴾ أي أدومه : رب موسى الذي آمنت به أو أنا «فرعون عليه لعائن الله»

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لا يقدح في الإيمان.
- ٢ - تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخيل لا حقيقة له.
- ٣ - حرمة السحر لأنه تزوير وخداع.
- ٤ - قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر.
- ٥ - شجاعة المؤمن لا يرهبها خوف بقتل ولا بصلب.

قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ يَاتِ رَبِّهِمْ مَجْزِئاً
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ

(١) أراد فرعون بقوله هذا التشبيه على الناس والتمويه حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كما يمانهم لا أن موسى استأذهم في السحر وأنه أحذق منهم له وأعلم منهم به.

(٢) حروف الجر تتناوب، والفاء هنا: (في جذع النخل) بمعنى: على. قال الشاعر:
هم صلبوا العبدني في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا



تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى

شرح الكلمات :

- لن نؤثرك : أي لن نفضلك ونختارك .
والذي فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئاً .
فاقض ما أنت قاض : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا .
والله خير وأبقى : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى .
مجرماً : مجرماً أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي .
جزاء من تزكى : أي ثواب من تطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (٧٢) ﴿قَالُوا لَنْ نؤثرَكَ﴾ يافرعون ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ الدلائل والحجج القاطعة على أن رب موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب . ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين .

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا: ﴿إنا آمنا بربنا﴾ أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا ، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي من تعلمه والعمل به ، ونحن لانريد ذلك ولا شك أن فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد . وقولهم ﴿والله خير وأبقى﴾

(١) روي أن آسيا امرأة فرعون لما بدأت المباراة قالت لهم : أخبروني عمن يغلب فأخبرت أن موسى وهرون غلبا فقالت : أمست برب موسى وهرون . فأمر فرعون بأعظم صخرة فإذا أصرت على قولها فلقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت منزلها في الجنة بعد أن قالت ﴿رب ابن لي بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ وخرجت روحها فألقيت عليها الصخرة وهي جسد لا روح فيها استجاب الله لها عليها السلام .

أي خير ثواباً وجزاء حسناً لمن آمن به وعمل صالحاً، وأبقى عذاباً لمن كفر به وبآمن بغيره وعصاه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٧٢) و (٧٣).

أما الآية الثالثة (٧٤) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرَماً﴾^(١) أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي ﴿فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾^(٢) فيستريح من العذاب فيها، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة يسعد فيها.

وقولهم ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي مؤمناً به كافراً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدرجات العلىٰ جنات عدن﴾ أي في جنات عدن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب. لاشك أن هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذ أقاموا بينهم زمناً طويلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - لا يؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا أحق جاهل.
- ٢ - تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.
- ٣ - الاكراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لا يطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.
- ٤ - بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

(١) المجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية، والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: الكافر غالباً.

(٢) اللام في: له جهنم لام الاستحقاق أي: هو صائر إليها لا محالة.

(٣) لا يموت فيها ولا يحى، لأن عذابها متجدد فيها فلا هوميّت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأنه في حالة الموت أهون منها، وهذا كقول عباس بن مرداس:

وقد كنت في الحرب ذا تُذَرِّءَ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

(٤) (فأولئك...) الآية أوتي باسم الإشارة إلى أنهم أحياء بهذا النعيم في جنات ويؤكد قوله (ذلك جزاء من تزكى).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَبْحَيْنَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا
 مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- ان أسر بعبادي : أي سر ليلاً من أرض مصر
 طريقاً في البحر ييساً : طريقاً في وسط البحر يابساً لا ماء فيه
 لا تخاف دركاً : أي لا تخش أن يدركك فرعون ، ولا تخشى غرقاً
 فغشيهم من اليم : أي فغطاهم من ماء البحر ماغطاهم حتى غرقوا فيه .
 وأضل فرعون قومه : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين .
 وما هدى : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله : ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ .
 جانب الطور الأيمن : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا .
 المن والسلوى : المن : شيء أبيض كالثلج ، والسلوى طائر يقال له السهاني^(١) .
 ولا تطغوا فيه : أي بالإسراف فيه ، وعدم شكر الله تعالى عليه .

(١) السُّماني : بضم السين ، وفتح النون ممدودة ، والجمع سمانيات والواحدة سمانة كمناجاة : نوع من الطيور .

ثم اهتدى : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت .
معنى الآيات :

إنه بعد الجدل الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى ﴾ وبأي شيء أوحى إليه . بالسرى . ببني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ قوله ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ﴾^(١) أي اجعل لهم طريقاً في وسط البحر، وذلك حاصل بعد ضربه البحر بالعصي فانفلق البحر فرقتين والطريق وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو إسرائيل البحر، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ فأتبعهم^(٢) فرعون بجنوده فغشيهم من اليم^(٣) ﴾ أي من ماء البحر ﴿ ماغشيهم^(٤) ﴾ أي الشيء العظيم من مياه البحر . وقوله لموسى ﴿ لا تخاف^(٥) دركاً ولا تحشى ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تحشى غرقاً في البحر .

وقوله تعالى : ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرّمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه، ودعاهم إلى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما اهتدوا، وكان يزعم أنه ما يهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب .

وقوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ أي فرعون، ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ أي مع نبينا موسى لانزال التوراة لهدايتكم وحكمهم بشرائعها، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه، ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ أي قلنا لكم : كلوا من طيبات ما رزقناكم من حلال الطعام والشراب، ﴿ ولا تطغوا ﴾^(٦) بترك

(١) اليبس : محرك الباء والباء، وتسكن الباء أيضاً : وصف بمعنى اليابس وأصله مصدر كالقدم، والعدم بفتح العين وضمة .

(٢) قرئ : ﴿ فأتبعهم ﴾ وبالياء في بجنوده للمصاحبة فهي بمعنى مع أي مع جنوده .

(٣) ما غشيهم في هذا تهويل عظيم لما غشيهم من الماء الذي غمرهم وغطاهم بحيث يستحيل النجاة معه .

(٤) (دركاً) أي : لحاقاً بك ومن معك من بني إسرائيل .

(٥) (وما هدى) : توكيد لقوله : (فأضل قومه) لأن الهدى ضد الضلال فما دام قد أضلهم فإنه ما هداهم كقوله : (أموات غير أحياء) وكقول الشاعر :

إما تريننا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى ونتنعل

وفي الآية : التهمك بفرعون إذ قال لهم : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد .

الحلال إلى الحرام وبالإسراف في تناوله وبعدم شكر الله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ أي أن أنتم طغيتم فيه . ﴿ ومن يحلل عليه غضبي ﴾ أي ومن يجب عليه غضبي ﴿ فقد هوى ﴾ أي في قعر جهنم وهلك .

وقوله تعالى : ﴿ وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ ^(١) ثم اهتدى ﴿ يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم فآمن وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لا يقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي .

٢ - آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته .

٣ - تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلمهم يشكرون فيتوبون فيسلمون .

٤ - تحريم الإسراف والظلم ، وكفر النعم .

٥ - الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا كصفات المحدثين .

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ

قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ

السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ

يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنَ أَفْطَالٍ عَلَيْكُمْ

(١) ثم اهتدى بأن لزم طريق الهداية حتى مات على ذلك أما من تاب وعمل صالحاً ثم ضل بعد ذلك ومات على ضلالة ، فلا يناله هذا الوعد ففي قوله : (ثم اهتدى) احتراص ممن يتوب ثم يعود فيموت على غير هداية .

الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
 مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
 فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَّهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
 وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
 يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

- وما أعجلك : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم .
 هم على أثري : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني .
 وعجلت إليك ربي لترضى : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني .
 قد فتننا قومك : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل .
 وأضلهم السامري : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى .
 غضبان أسفاً : أي شديد الغضب والحزن .
 وعداً حسناً : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا .
 أفضال عليكم العهد : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوماً .
 فأخلفتم موعدي : بترككم المجيء بعدي .
 بملكننا^(١) : أي بأمرنا وطاقنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على انجاز الوعد بالسير وراءك .

(١) ميم ملكتنا مثله تفتح وتضم وتكسر والمعنى واحد كما في التفسير أي : لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا .

أوزاراً

: أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن .

فقدناها

: أي القيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام .

ألقى السامري

: السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية^(١)، وماألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ألقاه أي
قذفه على الحلي .

عجلاً جسداً

: أي ذا جثة

له خوار

: الخوار صوت البقر

فنسي

: أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه .

ألا يرجع إليهم قولا

: أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار .

معنى الآيات :

بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملأته حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني إسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوراة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن، واستعجل موسى^(٢) في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقلوه تعالى : ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى لقومه بعده وهو لا يدري فلما قال تعالى لموسى : ﴿وما أعجلك﴾ عن المجيء وحدك دون بني إسرائيل مع أن الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله

(١) نفى بعضهم أن تكون هناك قبيلة من بني إسرائيل تدعى السامرة وإنما السامرة أمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبني إسرائيل، ثم امتزجوا ببني إسرائيل لما دخلوها واتبعوا معهم شريعة موسى، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني إسرائيل أصلاً ومحتداً ثم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني إسرائيل تدعى السامرية، وهي عبارة عن طريقة ضالة تنتمي إلى شريعة التوراة وهي منحرفة فنشأت عن فتنة السامري الأولى كالطرق المنحرفة لدى المسلمين .

(٢) لهذا الاستعجال لآله ربه وعتب عليه في قوله : ﴿وما أعجلك من قومك يا موسى﴾ حتى تركتهم وجئنا وحدك، وقد ترتب على هذا الاستعجال شر كبير باتخاذ بني إسرائيل عجلاً عبده دون الله تعالى، ولذا قيل : تأن ففي العجلة الندامة وفي التأن السلامة .

﴿هم أولاء على أثري﴾ آتون بعدي، وعجلت المجيء إليك لترضى عني. هنا أخبره تعالى بما حدث لقومه فقال عز وجل: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أي بصنع العجل لهم ودعوتهم إلى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه. ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي حزينا إلى قومه فقال لهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ فذكرهم بوعده الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبادة العجل والخلافات الشديدة بينهم، وقوله ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوماً فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى، قوله ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي بل أردتم بصنيعكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحل بكم، ﴿فأخلفتم موعدي﴾ بعكوفكم على عبادة العجل وترككم السير على أثري لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم.

وقوله تعالى ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ هذا ما قاله قوم موسى كالمعتذرين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وما ضللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن موسى أخطأ الطريق إليه. هذا معنى قولهم: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي بأمرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوين على أمرنا.

وقولهم: ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها﴾ هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم،

(١) أثري، وإثري: لغتان، والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف، والمعنى: هم سائرون على مواضع أقدامي وقرىء (إثري) بكسر الهمزة والجمهور قرؤوا بالفتح.

(٢) هذا ابتداء كلام يحمل اللوم والعتاب والتأديب حيث جمع موسى بني اسرائيل وفيهم هارون وخاطبهم قائلاً: يا قوم...

الخ.

(٣) الاستفهام تابع للاستفهام الأول: ألم يعدكم، وهو للتقرير والإنكار معاً.

(٤) (أم) بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٥) المراد من موعدة إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على أثره كما طلب منهم.

(٦) الأوزار: جمع وزر، وهو الحمل الثقيل والمراد بها: الحلي الذي استعاره نساؤهم من جاراتهن القبطيات بمصر بقصد الفرار به للنعم الخاص، وخافوا تلاشي الحلي فأروا أن يصوغوه في قطع كبيرة يحفظ بها من الضياع.

وأصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم إلى القدس ، وتم إنجائهم واغرق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمرة هارون أخيه على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلي الذي عندكن لا يحل لَكُنَّ أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النهار لتحترق ولا ينتفع بها بعد ، هذا ما دل عليه قولهم ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي قوم فرعون فقذفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ^(١) هو من جملة قول بني إسرائيل لموسى فكما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلهكم وإله موسى الذي ذهب إلى مواعده فسني وضل الطريق إليه فاعبدوه حتى يأتي موسى . قال تعالى موبخاً إياهم ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً﴾ إذا كلموه ، ﴿ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً﴾ فكيف يعقلون أنه إله وهو لا يحييهم إذا سألوه ، ولا يعطيهم إذا طلبوه ، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى . والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات

- ١ - ذم العجلة وبيان آثارها الضارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام .
- ٢ - مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يجب أن يتقرب به إليه .
- ٣ - مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه .
- ٤ - مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة ، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل .
- ٥ - وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر .

(١) أي : فمثل قذفنا الزينة في النار لصوغها قذف السامري ، وقالوا هذا اعتذاراً منهم لموسى عليه السلام .

(٢) الجسد : الجسم ذو الأعضاء وسواء كان حياً أو ميتاً ، والتعبير بأخرج الإشارة إلى أن السامري صنع العجل بحيلة مستورة خفية حتى أتمه ثم أظهره أي : أخرجه ظاهراً لنا .

(٣) إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ في اللغة .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَقُومُوا إِنَّمَا فَتَنَّاهُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَامَنْعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾

شرح الكلمات:

فتنم به : أي ابتليتكم به أي بالعجل .
لن نبرح عليه عاكفين: أي لن نزال عاكفين على عبادته .
إذ رأيتهم ضلوا : أي بعبادة العجل واتخاذها من دون الله تعالى .
لا تأخذ بلحيتي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يحجره إليه
يعذله ويلوم عليه .
ولم ترقب قولي : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقول
تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم
العجل يا قوم إن العجل ليس إلهكم ولا إله موسى وإنما هو فتنة فتنم به ليرى الله تعالى
صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله ، وليرى خلاف ذلك فيجزي كلاً بما يستحق وقال
لهم : ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(١) فَإِنِّي خَلِيفَةُ مُوسَى الرَّسُولِ فَيَكُم فَاجَاب الْقَوْمُ الضَّالُّونَ بِمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ أَي لَنْ نَزُولَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَالْعُكُوفُ حَوْلُهُ ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^(٢) . وَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ مَا سَمِعَ التَّفْتُ إِلَى هَارُونَ قَائِلًا مَعَاتِبًا عَاذِلًا لَاثِمًا ﴿يَاهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ أَي بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أَي بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَتْرَكَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(٣) ، وَمِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ وَقُوَّةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ أَخَذَ بِشَعْرِ رَأْسِ أَخِيهِ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ بِيَسَارِهِ وَجَرَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَعَاتِبُهُ وَيُلُومُ عَلَيْهِ فَقَالَ هَارُونَ: ﴿يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إِنِّي عَذْرَاءُ فِي عَدَمِ مُتَابَعَتِكَ وَهُوَ إِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَنَا أَتَيْتُكَ بِبَعْضِ قَوْمِكَ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ وَتَرَكْتُ بَعْضًا آخَرَ وَهُمْ عِبَادُ الْعَجَلِ ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وَذَلِكَ لَا يَرْضِيكَ . ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أَي وَلَمْ تَنْظُرْ قَوْلِي فِيهَا رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ودنياه .
- ٢ - جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه .
- ٣ - جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وإن حقا .
- ٤ - قد يخطئ المجتهد في اجتهاده وقد يصيب .

(١) أَي : لَا أَمْرَ السَّامِرِ أَوْ : فَاتَّبِعُونِي فِي مَسِيرِي إِلَى مُوسَى وَدَعُوا الْعَجَلَ فَعَصَوْهُ .

(٢) رَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةُ اعْتَزَلَهُمْ هَارُونَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعَجَلَ فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى وَسَمِعَ الصَّيْحَانَ وَالْجَلْبَةَ وَكَانُوا يَرْقُصُونَ حَوْلَ الْعَجَلِ قَالَ : هَذَا صَوْتُ الْفِتْنَةِ فَلَمَّا رَأَى هَارُونَ أَخَذَ شَعْرَ رَأْسِهِ بِيَمِينِهِ وَلَحِيَّتَهُ بِشِمَالِهِ وَقَالَ : يَا هَارُونَ . . . الْآيَةُ .

(٣) الْإِسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِيُّ إِذْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ عَدَمَ مُتَابَعَتِهِ لَمَّا شَاهَدَ الْقَوْمَ يَعْبُدُونَ الْعَجَلَ إِذْ كَانَ الْمَفْرُوضُ أَنْ يَتْرَكَهُمْ وَيُلْحَقَ بِمُوسَى يَخْبِرُهُ .

(٤) أَمْرُهُ هُوَ قَوْلُهُ لَهُ عِنْدَ مَغَادِرَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ ، (اخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) فَلَمَّا أَقَامَ مَعَهُمْ وَلَمْ يَبَالِغْ فِي مَنَعِهِمُ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ نَسَبَهُ إِلَى عَصِيَانِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَاجِبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَغْيِيرِهِ وَمَفَارَقَةِ أَهْلِهِ ، وَأَنَّ الْمَقِيمَ بَيْنَهُمْ لَا سِيْمَا إِذَا كَانَ رَاضِيًا حَكَمَهُ كَحُكْمِهِمْ ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى بَدْعَةِ الصُّوفِيَّةِ بَدْعَةِ الرَّقْصِ وَالتَّوْاجُدِ ، وَأَنَّهَا مَوْرُوثَةٌ عَنْ هَوْلَاءِ السَّامِرِيِّينَ عَبْدَةِ الْعَجَلِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

فما خطبك : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك .
بصرت بما لم يبصروا به : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به لأنهم لم يروه .
قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام .

فنبذتها : أي القيتها وطرحتها على الخلى المصنوع عجباً .
سولت لي نفسي : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل .
أن تقول لا مساس : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسنني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك .

إلهك : أي العجل .
ظلت : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه .
في اليم نسفاً : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً .
إنما الهكم الله : أي لا معبود لكم إلا الله الذي لا إله إلا هو .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامري المنافق إذ هو من عبّاد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل ، ولما اتاحت له الفرصة عاد إلى عبادة البقر فصنع العجل وعبدته ودعا إلى عبادته فقال له : في غضب ﴿فما خطبك ياسامري﴾ أي ماشأنك وما الذي دعاك إلى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر ﴿بصرت بهالم يبصروابه﴾ أي علمت مالم يعلمه قومك ﴿فقبضت قبضة من أثر﴾ حافر فرس ﴿الرسول فنبذتها﴾ في الحلي المصنوع عجلًا فخار كما تخور البقر. ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ ذلك أي زيتها لي وحسته ففعلته ، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله : ﴿قال فاذهب^(١) فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس^(٢)﴾ أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لنتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك ، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لا يقرب في ذلك ، بل لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحدًا معاً أي أصابتها الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها . وقوله له : ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾ أي ذاك النفي والطرده عذاب الدنيا ، وإن لك عذاباً آخر يوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آت وواقع لا محالة .

وقوله : أي موسى للسامري : ﴿وانظر إلى الهك﴾ المزعوم ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾^(٤) تعبدته لا تفارقه ، والله ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾^(٥) وفعلًا حرقه ثم جعله كالنشارة

(١) الرسول هنا : جبريل عليه السلام قاله جمهور المفسرين ، وقالوا : إن السامري فتنه الله تعالى فأراه جبريل راكباً فرساً فوطئ حافر الفرس مكاناً فإذا هو مخضّر بالنبات ، فعلم السامري أن أثر فرس جبريل إذا ألقي على جماد صار حياً ، فقبض من تراب وطئه حافر الفرس واحتفظ به إلى اليوم ، ولما صنع العجل ألقاه عليه فصار له حوار كالعجل الحيوان .

(٢) نفاه موسى عن قومه ، وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له . قال الشاعر :
تميم كرهط السامري وقوله ألا لا تريد السامري مساساً
هذه المسألة أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يُخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك بالذين تخلفوا عن غزوة تبوك .

(٣) (لا مساس) : المساس مصدر ماسه يماسه ومساساً . ولا : نافية للجنس ومساس : اسمها مبني على الفتح .

(٤) ظلت : أي : دمت وأقمت عليه عاكفاً أي : ملازماً وأصل ظلت : ظللت قال الشاعر :

خلا أن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس

فأحسن أصله : أحسن حذف إحدى السينين كما حذف إحدى اللامين .

(٥) النسف : نقض الشيء ليذهب به الريح ، وهو : التذرية ، والمنسف آلة ينسف بها الشيء ، والنسافة : ما يسقط منه .

وذره في البحر تذرية حتى لا يعثر له على أثر، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين: ﴿إنا الهكم﴾ الحق الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿الله الذي لا إله إلا هو﴾^(١) وسع كل شيء علماً أي وسع علمه كل شيء فهو عليم بكل شيء وقدير على كل شيء وماعده فليس له ذلك وما لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع...؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له .
- ٢ - ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئاً إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له ،
- ٣ - قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
- ٤ - مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه .
- ٥ - كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى .

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٢٠﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

كذلك : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل .

من لدنا ذكراً : أي قرآنًا وهو القرآن الكريم .

(١) لا العجل الذهبي الذي سولت نفس السامري الخبيثة صنعه .

من أعرض عنه : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به .
 وزراً : أي حملاً ثقيلاً من الآثام .
 يوم ينفخ في الصور : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث ، والصور هو القرن .
 زرقاً : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم .
 يتخافتون بينهم : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول .
 أمثلهم طريقة : أي أعدلهم رأياً في ذلك ، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفرع .

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون ، وبين موسى وبني إسرائيل قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿كذلك نقص عليك﴾ أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك ، وعبرة وذكرى للمؤمنين . وقوله تعالى : ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ أي وقد أعطيناك تفضلاً منا ذكراً وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ربه ويهتدي به إلى سبيل النجاة والسعادة ، وقوله ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي أثماً عظيماً لأنه لم يعمل صالحاً وكل عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه ، ﴿خالدين فيه﴾ أي في ذلك الوزر في النار ، وقوله ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل بطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾ أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي ﴿يومئذ﴾ أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿زرقاً﴾ أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله : ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتهايمسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كم لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض : ﴿إن لبثتم إلا عسراً﴾ أي ما لبثتم إلا

(١) الكاف من كذلك في محل نصب لأنها بمعنى مثل : نعت لمصدر محذوف تقديره : نقص عليك قصصاً من أنباء ما قد سبق مثل ما قصصنا عليك هذا القصص .

(٢) ويطلق الذكر على الشرف أيضاً ، وعلى ما يذكر به الله تعالى من قول والمراد به هنا القرآن الكريم .

(٣) الزرق : خلاف الكحل ، والعرب تشاءم بزرق العيون وتذمه وسبب هذه الزرقة هو شدة العطش .

(٤) أي : في الدنيا أو في القبور .

عشر ليال، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي أعد لهم رأياً ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم ما يشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ يقص تعالى عليه انباء ما قد سبق بعد قصه عليه انباء موسى وفرعون بالحق، وايتائه القرآن الكريم.
- ٢ - كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.
- ٣ - سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.
- ٤ - عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ

فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

(١) (نحن أعلم بما يقولون) : جملة معترضة قول الأولين : (إن لبثتم إلا عشرا) نظروا فيه إلى أن تغير الأجسام يتم في عشرة أيام، والذي قال يوما نظر إلى أن الأجسام ما تغيرت إذ قد أعيدت كما كانت.

شرح الكلمات :

يسألونك عن الجبال : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة .
 فقل ينسفها ربي نسفاً : أي يفتتها ثم تذررها الرياح فتكون هباء منبثاً .
 قاعاً صفصفاً : أي مستوياً .
 عوجاً ولا أمثاً : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً .
 الداعي : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى .
 وخشعت الأصوات : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي .
 ورضى له قولا : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً .
 ولا يحيطون به علماً : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم ، وهم لا يحيطون به علماً .

وعنت الوجوه للحي القيوم : أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت .
 من حمل ظلماً : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك .
 ظلماً ولا هضماً : أي لا يخاف ظلماً بأن يزداد في سيئاته ولا هضماً بأن ينقص من حسناته .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله : ﴿ ويسألونك ﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿ عن الجبال ﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل له : ﴿ ينسفها ربي نسفاً ﴾ فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً ﴿ أي أجبههم بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً ، فيترك أماكنها قاعاً صفصفاً أي أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً أي لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً . وقوله

(١) قال القرطبي كل سؤال في القرآن أجيب بقل إلا هذا فب : فقل لأن المعنى إن سألك فقل فتضمن الكلام معنى الشرط ، وهو يقترب بالفاء دائماً .

(٢) قال ابن الأعرابي وغيره يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملاً يسيل سيلاً ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا أو هكذا ثم كالهباء المنثور .

(٣) (فيذرها) : أي : يذر مواضعها قاعاً صفصفاً ، القاع : الأرض الملساء لا نبات فيها ، ولا بناء عليها وهي مستوية ، وجمع القاع : أقوac وقيعان .

(٤) الأمت : المكان المرتفع كالنبك ، وهو التل الصغير ، والعوج : الوهدة وهي الانخفاض كالعوج في الشيء أي : ليس في الأرض انخفاض ولا ارتفاع بل هي مستوية .

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي يوم تقوم القيامة فيُشْهِرون يدعُوهم الداعي هلموا إلى أرض المحشر فلا يَمِيلون عن صوته يَمَنَةً ولا يُسِرَّةً وهو معنى لا عِوَجَ لَهُ. وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي ذلت وسكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً ﴿أَيُّ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَوْمَ جُمِعَهُمْ لِلْمَحْشَرِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ أَحَدٍ إِلَّا مِنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ فِي الشَّفَاعَةِ، وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا أَيْ وَكَانَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَوْلُهُ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أَيْ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْمَحْشَرِ أَيْ مَا يَسِيحُكُم بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِمَّا تَرَكُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا، فَلِذَا سَيَكُونُ الْجَزَاءُ عَادِلًا رَحِيمًا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أَيْ ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ كَمَا يَعْنُو بِوَجْهِهِ الْأَسِيرُ، وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أَيْ خَسِرَ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أَلَا وَهُوَ الشِّرْكَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَالْحَالُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْبَعْثِ الْآخِرِ فَهَذَا لَا يَخَافُ ظُلْمًا بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَلَا هَضْمًا بِنَقْصِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهِيَ عَدَالَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَتَجَلَّى فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.
- ٢ - تقرير مبدأ البعث الآخر.
- ٣ - لا شفاعاة لغير أهل التوحيد فلا يشفع مشرك، ولا يشفع لمشرك.
- ٤ - بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

(١) ومنه قيل للأسير عانٍ، قال أمية بن الصلت.

ملك على عرش السماء مهيم لعزته تغنو الوجوه وتسجد

(٢) القيوم : أي : القائم بتدبير الخلق، والقائم على كل نفس بما كسبت.

(٣) والقدر خيره وشره.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا
 إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عِزْمًا ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

وكذلك أنزلنا	: أي مثل ذلك الانزال أنزلنا قرآنًا عربيًا أي بلغة العرب ليفهموه .
وصرفنا فيه من الوعيد	: أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي .
أو يحدث لهم ذكرا	: أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون .
فتعالى الله الملك الحق	: أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون .
ولا تعجل بالقرآن	: أي بقراءته .
من قبل أن يقضى إليك وحيه	: أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك .
عهداً إلى آدم	: أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة .
فنسي	: أي عهدنا وتركه .
ولم نجد له عزيمة	: أي حزمًا وصبراً عما نهيناه عنه .

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١) أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق إذ الغرض واحد وهو التنويه بشأن القرآن وتقرير الوحي له ﷺ .

على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهدوا به ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروي لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سببا في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي يوجد لهم ذكراً في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا مادلت عليه الآية الأولى (١١٣).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم، وَمِنْ ثَمَّ فهو منزّه عن الشريك والولدوعن كل نقص يصفه به المفترون الكذابون.

وقوله : ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾ يعلم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل عليه السلام فيرشده إلى أنه لا ينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات ولا في إملائها على أصحابها ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه. وطلب إليه أن يسأله المزيد من العلم بقوله : ﴿وقل رب زدني علماً﴾، وفيه إشعار بأنه دائماً في حاجة إلى المزيد، ولذا فلا يستعجل ولكن يترث ويتمهل، وهذا علماء أمته أحوج إليه منه ﷺ فالاستعجال في الفتيا وفي إصدار الحكم كثيراً ما يخطئ صاحبها.

وقوله تعالى : ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ ولم نجد له عذماً يقول تعالى مخبراً رسوله والمؤمنين ولقد وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه ابليس وأن لا يأكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسياً لها غير مبال بها

(١) التصريف: التنويع والتفنين، والوعيد هنا للتهديد.

(٢) لعله يحدث لهم ذكراً: فيه بيان أنهم قبل نزول القرآن وسماعه لم يكونوا يذكرون الله في توحيده ولا في وعده ووعيده ولا في شرعه وأحكامه.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه ﷺ على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهأه تعالى عن ذلك فأنزل: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ وقال الحسن نزلت هذه الآية في رجل لطم وجه امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ لها القصاص فنزل: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وأبى الله ذلك. ولهذا قال له: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وفي هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أن حرصه في حفظ القرآن محمود.

(٤) قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس.

(٥) العهد المنسي هو ما جاء في قوله تعالى: (فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة) من هذه السورة.

(٦) فسر العزم بالصبر والثبات أمام الإغراء.

وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزمًا بل ضعف أمام الإغراء والتزين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لا تأسى ولا تحزن على عدم إيمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه .
- ٢ - اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون .
- ٣ - استحباب التريث والثاني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه .
- ٤ - الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم .
- ٥ - التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني .

وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْدَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ

مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ

الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْدَادُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ اخْتُلِفَ وَمُلْكٍ

لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءُ ثُهُمَا وَطِفَقَا

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾

ثُمَّ أَجْبَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

وإذ قلنا للملائكة : أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار .
 إلا إبليس أبى : أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم .
 عدو لك ولزوجك : أي حواء ومعنى عدو أنه لا يحب لكما الخير بل يريد لكما الشر .
 فتشقى : أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى .

لا نظماً فيها ولا تضحى : أي لا تعطش ولا يصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض .
 شجرة الخلد : أي التي يخلد من أكل منها .
 وملك لا يبلى : أي لا يفنى ولا يبيد ولازم ذلك الخلود .
 فبدت لهما سوءاتهما : أي ظهر لكل منهما قُبْلَ صاحبه ودُبْرُهُ فاستاءا لذلك .
 وطفقا يَخْصِفَان : أي أخذوا وجعلوا يلزقان ورق الشجر عليهما سترًا لسوءاتهما .
 فغوى : أي بالأكَل من الشجرة المنهي عنها .
 فاجتباه ربه فتاب عليه : أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبداً صالحاً .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لا يخرج منه زوجته من الجنة ، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتأمرها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وسجودهم عبادة لله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه . فامتثلت الملائكة أمر الله ﴿ فسجدوا ﴾ كلهم أجمعون ﴿ إلا إبليس أبى ﴾ أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه كان يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السجاء . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١٦) .

وقوله تعالى ﴿ فقلنا يا آدم ﴾ أي بعد أن تكبر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له ﴿ إن هذا ﴾ أي إبليس ﴿ عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ أي فلا تطيعانه

(١) فإن طاعته تكون سبب إخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما، ووجه الخطاب إلى آدم في قوله تعالى: فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة زوجته فهو الذي يشقى دونها، وقوله تعالى لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرِى﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي لا تعطش ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ أي لا تتعرض لحر شمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي ناداه من طريق الوسوسة. ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لِّابِيلَ﴾ فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ فترتب على ذلك انكشاف سوءاتها لهما بذهاب النور الساتر لهما بسبب المعصية لله تعالى وقوله تعالى ﴿فَنُفِثْنَا مِنْ خِصْفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ من ورق الشجر أي فأخذنا يشدان ورق الشجر على عوراتهما ستراً لهما لأن منظر العورة يسوء الأدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة، فبذلك غوى، إلا أن ربه تعالى اجتبه أي نبياً وقربه ولياً ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ وهده للعلم بطاعته ليكون من جملة أصفياه وصالح عباده. والحمد لله ذي الإنعام والإفضال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي .

- (١) هذا مبدأ: أن نفقة الزوجة على زوجها. وأن النفقة الواجبة محصورة في الطعام والشراب والكسوة والسكن.
- (٢) قال الحسن: المراد بالشقاء: شقاء الدنيا لا يرى ابن آدم فيها إلا ناصباً.
- (٣) يقال: ضحيت للشمس ضحاة: برزت، وضحيت بفتح الحاء مثله والمضارع أضحى، والأمر إضح، ومنه قول عمر في عرفة لرجل لازم الخيمة إضح لمن جئت له.
- (٤) روى أبو داود وأحمد أن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد).
- (٥) كان هذا قبل النبوة، ومن أذنّب مرّة واحدة لا يقال له مذنّب ولا غاو ولا سيّما بعد التوبة.
- (٦) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (حاجّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله ﷺ فحجّ آدم موسى).

- ٢ - تقرير عداوة إبليس لبني آدم .
- ٣ - بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب ، وإنما ذلك في الأرض .
- ٤ - التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُردى صاحبها .
- ٥ - ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية .
- ٦ - كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال .
- ٧ - حرمة كشف العورات ووجوب سترها .
- ٨ - إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه .

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا

جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَىكَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات :

- قال اهبطا منها جميعا : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط .
- بعضكم لبعض عدو : أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته ، وإبليس وذريته
عدو لآدم وحواء وذريتهما .
- فإما يأتينكم مني هدى : أي فإن يأتينكم مني هدى وهو كتاب ورسول .
- فمن اتبع هداي : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن .

فلا يضل : أي في الدنيا
ولا يشقى : في الآخرة
ومن أعرض عن ذكرى : أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه .
معيشة ضنكا : أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة .
أعمى : أي أعمى البصر لا يبصر .
وقد كنت بصيرا : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث .
قال كذلك : أي الأمر كذلك أتت آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم .
وكذلك نجزي من أسرف : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد ، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى .
أشد وأبقى : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة آدم إنه لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه ﴿ ألم أنهكما عن تلكم الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ . وأنزل على آدم كلمة التوبة فقالها مع زوجته فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك قال ﴿ اهبطا منها ﴾ أي من الجنة ﴿ جميعاً ﴾ إذ ابليس العدو قد أبليس من قبل وطرد من الجنة فهبطوا جميعاً . وقوله : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ أي بيان عبادتي تحمله كتيبى وتبينه رسلي ، ﴿ فمن اتبع هداي ﴾ فآمن به وعمل بما فيه ﴿ فلا يضل ﴾ في حياته ﴿ ولا يشقى ﴾ في آخرته

(١) هي قوله تعالى : (قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) من سورة الأعراف وأخبر تعالى عنها في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

(٢) الآية من سورة الأعراف .

(٣) الخطاب لآدم وإبليس وحواء تابعة لزوجها بقرينة : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وتلا هذه الآية .

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإن له﴾ أي جزاء منا له ﴿معيشة ضنكاً﴾ أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يبصر به. وقد يعجب لحاله ويسأل ربه ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت﴾ في الدنيا وفي البعث ﴿بصيراً﴾ فيجيبه ربه تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك كنت بصيراً وأصبحت أعمى لأنك ﴿أتتك آياتنا﴾ تحملها كتبنا وتبينها رسلنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضاً عنها فالיום تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (١٢٧) ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في حياته الدنيا وفي البرزخ ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم حيث لا ينقضي ولا ينتهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان.
- ٢ - عِدَّةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في حياته ولا يشقى في آخرته.
- ٣ - بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.
- ٤ - التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ أَنَايٍ إِلَيْهِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا

(١) (ضنكاً) أي: ضيقاً، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال عترة.

إن يُلْحِقُوا أَكْرَرُ وَإِنْ يَسْتَغْفِرُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُقِفُوا بِضْنِكَ أَنْزِلْ

(٢) أي: من المعيشة الضنك.

تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ ۖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى



شرح الكلمات :

- أفلم يهد لهم : أي أفلم يُبين لهم .
من القرون : أي من أهل القرون .
آيات لأولى النهى : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل .
ولولا كلمة سبقت : أي بتأخير العذاب عنهم .
لكان لازما : أي العذاب لازما لا يتأخر عنهم بحال .
مايقولون : من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات .
ومن آناء الليل : أي ساعات الليل واحداها إنيء أو أنوء .
لعلك ترضى : أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به .
إلى ما متعنا به أزواجا منهم : أي رجالاً منهم ^(١) من الكافرين .
زهرة الحياة الدنيا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ماتذبَل وتذوى .
لنفتنهم فيه : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون .
والعاقبة للتقوى : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى .

معنى الآيات :

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى ﴿أفلم يهد﴾ لأهل مكة المكذبين المشركين أي أغفلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي أهلكنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جاثين

(١) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأن الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لأجل الدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متعناهم به من مال وبنين.

كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من الإهلاك للقرون الأولى ﴿لآيات﴾ أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، ﴿لأولى النهى﴾ أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بأن لا تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأجل مسمى عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان. وعليه ﴿فاصبر﴾ يارسولنا ﴿على مايقولون﴾ من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح ﴿قبل طلوع الشمس﴾ وهو صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ وهو صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ أي ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك.

وقوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي لا تتطلع ناظراً ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أشكالا في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ أي من زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الذي متعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى: ﴿ورزق ربك﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خير وأبقى﴾ خيراً في نوعه وأبقى في مدته، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي من أزواجك وبناتك وأتباعك

(١) فيه تقديم وتأخير، الأصل: ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لازماً. أي لكان العذاب لازماً لهم.

(٢) العتمة. واحد الآناء: أنني وإنى وإنى.

(٣) قال مجاهد: الأغنياء منهم، وبهذا يشمل النساء والرجال إذ كل منهما زوج فرجع هذا أن أزواجاً: مفعول به، ولا يتنافى هذا مع ما في التفسير لأن قولنا: أشكالا في عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم يعني: منطقاً الرجال الأزواج.

(٤) (زهرة) منصوب على الحال من الموصول. والزهرة: واحدة الزهور وهو نور الشجر والمراد هنا: الزينة المعجبة المبهرة في النساء والبنين والأنعام والبساتين والجنان.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ وجميع أمته تابعة له في ذلك فكل مؤمن يجب عليه أن يقيم الصلاة وأن يأمر أهله بذلك ويصبر. روي أنه لما نزلت هذه الآية كان ﷺ (يذهب إلى بنته فاطمة كل صباح وقت الصلاة) وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثل بالآية: وكان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿ولا تمدن عينك﴾ الآية.

المؤمنين بالصلاة ففيها الملاذ وفيها الشفاء من آلام الحاجة والخصاصة واصطبر عليها واحمل نفسك على الصبر على إقامتها. وقوله ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نكلفك ما لا تعطينا، ولكن تكلف صلاة فأدها على أكمل وجوها. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي رزقك علينا، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى من عبادنا وهم الذين يخشوننا فيؤدون ما أوجبنا عليهم ويحتنبون ما حرمنا عليهم رهبة منا ورغبة فينا. هؤلاء لهم أحسن العواقب ينتهون إليها نصر في الدنيا وسعادة في الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره.
- ٢ - بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.
- ٣ - وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.
- ٤ - بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها.
- ٥ - وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممتحنون به.
- ٦ - وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق إنتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.
- ٧ - وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.
- ٨ - فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.
- ٩ - إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم.

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي
الْصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ
لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن
قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

شرح الكلمات :

لولا ^(١)

: أي هلاً فهي أداة تحضيض وحث على وقوع ما يذكر بعدها .

بآية من ربه

: أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته .

بينه ما في الصحف الأولى: أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسولهم .

من قبله

: من قبل ارسالنا رسولنا محمد ﷺ وانزالنا كتابنا القرآن .

من قبل أن نذل ونخزي : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم .

متربص

: أي منتظر ما يؤول إليه الأمر .

فستعلمون

: أي يوم القيامة .

الصراط السوي

: أي الدين الصحيح وهو الإسلام .

ومن اهتدى

: أي ممن ضل نحن أم أنتم .

معنى الآيات :

مازال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجلاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصرّوا على الشرك والتكذيب ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾ أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبوته ورسالته إلينا . فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة : ﴿أو لم تأتكم بآية ما في الصحف الأولى؟﴾ أي طالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرآن الكريم ﴿فعرّفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم فما يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما

(١) لولا : أداة تحضيض وجملة : (أو لم تأتكم بينة ما في الصحف الأولى) حالية أي : قالوا ذلك ، والحال أنها أتتهم بينة ما في الصحف الأولى ، فلاستفهام إنكارى ، والبيّنة : الحجة ، والصحف : كتب الأنبياء السابقين كقوله تعالى : (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .

(٢) أي : لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة كقصة صالح وعصا موسى أو هلاً يأتينا بالآيات التي نقرحها كتحويل جبال مكة .

(٣) هذه البيّنة هي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم ، محمد أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وقد جاء بما لم يأت به غيره من العلوم والمعارف والقرآن الكريم حوى علوم الأولين وقصصهم ، وكل علم نافع في الحياتين فآية أعظم من هذه الآية ، كما قال تعالى : ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاباً يتلى عليهم؟﴾ !؟

(٤) قال القرطبي : فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم كحال أولئك .

أهلك المكذبين من قبلهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (١٣٤) ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل إرسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه : ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ فيما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزي هذا الخزي في نار جهنم . فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لا يؤمنون ويتبعون آيات الله فيعملون بها جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه ﴿قل كل متربص﴾ أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا﴾ ، فستعلمون في نهاية الأمر وعندما توقفون في عرصات القيامة ﴿من﴾ هم ﴿أصحاب الصراط السوي﴾ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق ، ﴿ومن اهتدى﴾ إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخرس وهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته .

٢ - الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح .

٣ - في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : «يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة : الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلاً انتفع به، ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك، وقرأ ﷺ ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لا أعقل . قال فترفع لهم نار ويقال لهم : ردوها قال فَرَدُّهَا من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلأأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم» . رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ .

(١) هذه الآية دليل على أنَّ الإيمان بوحدة الله تعالى مما يقتضيه العقل وتوجه الفطرة لولا حجب الضلالات وإغواء الشياطين للناس .

(٢) هذا جواب عن قولهم : ﴿لولا يأتينا بآية من ربِّه﴾ وما بينهما اعتراض والترصص : الانتظار .

(٣) بمعنى المُستَوِي وهو مأخوذ من التسوية .

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

مكية

وآياتها مائة واثناعشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ
مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِثْ آيَةً كَمَا أَزْسِلُ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا أَمْنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

﴿١﴾ اقترَب للناس حسابهم

: أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وهم في غفلة

: أي عما هم صائرون إليه

معرضون

: أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي : يريد من أول ما حفظ كالمال التليد..

الشرك والمعاصي

من ذكر من ربهم محدث : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول .	وهم يلعبون
: أي ساخرين مستهزئين .	
: مشغولة عنه بما لا يغني من الباطل والشر والفساد .	لا هية قلوبهم
: أي أخفوا مناجاتهم بينهم .	واسرؤا النجوى
: أي أخلاط رآها في المنام .	أضغاث أحلام
: أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه .	بل افتراه
: أي لا يؤمنون فلا استفهام للنفي .	أفهم يؤمنون

معنى الآيات :

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق : ﴿ اقرب للناس^(١) حسابهم ﴾ أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها ﴿ وهم في غفلة ﴾ عما ينتظرهم من حساب وجزاء ﴿ معرضون ﴾ عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال . وقوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ويذكرهم بما فيه ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لاعبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه . وقوله تعالى : ﴿ لا هية قلوبهم ﴾ أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثثة النزول من هدى ونور ، ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ وهم المشركون قالوا في تناجيهم بينهم : ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ أي ما محمد إلا إنسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتابعونه على ما جاء به ،

(١) لفظ الناس : عام وإن أريد به أهل مكة بدليل السياق في الآيات بعد .

(٢) الجملة حالية أي : اقرب للناس حسابهم والحال أنهم في غفلة معرضون .

(٣) محدث : أي : في نزوله وقراءة جبريل له على النبي ﷺ إذ كان ينزل آية آية وسورة سورة وجائز أن يكون الذكر الرسول ﷺ لقربية الآيات كقوله : ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ وقوله : ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا . ﴾ فرسول بدلا من قوله :

(ذكرأ) وقوله (إلا استمعوه) أي : الرسول وهم يلعبون . قاله الحسن بن الفضل .

(٤) لاهية : ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى . يقال : لهيت عن الشيء إذا تركته وسهوت عنه ، وهو نعت تقدم عن الاسم فنصب على الحال نحو : (خاشعة أبصارهم) ، (ودانية عليهم ظلالها) وكقول كثير عزة :

لعزة موحشا طلل يلوح كأنه خجل

(٥) (الذين ظلموا) بدل من واو الجماعة في : (وأسروا النجوى) .

إنه ما هو إلا ساحر ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ مالكم أين ذهبت عقولكم؟ قال تعالى لرسوله: ﴿قل ربي^(١) يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع...﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه.

وقوله تعالى: ﴿بل قالوا﴾ أي أولئك المتناجون الظالمون ﴿أضغاث أحلام﴾ أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه، ﴿بل افتراه﴾ انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم ﴿بل هو شاعر﴾ أي ﷺ وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي هو ذكر أشياء لا واقع لها ولا حقيقة. وقوله تعالى عنه: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون. قال تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ بالعذاب لما جاءت الآيات فكذبت أفهم يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- قرب الساعة.

٢- بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك.

٣- بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي ﷺ.

٤- المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبباً لهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءت كل آية.

(١) قرأ نافع والجمهور: (قل ربي) بصيغة الأمر، وقرأ حفص ومن وافقه (قال) بصيغة الماضي.

(٢) (من): زائدة لتقوية الكلام وتوكيد النفي المستفاد من حرف (ما).

(٣) الاستفهام للإنكار أي: انكار إيمانهم لوجاءتهم الآية أي: فهم لا يؤمنون.

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

قبلك	: يا محمد .
أهل الذكر	: أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب .
جسداً	: أي أجساداً آدمية .
الوعد	: أي الذي واعدناهم .
المسرفين	: أي في الظلم والشرك والمعاصي .
كتاباً	: هو القرآن العظيم .
فيه ذكركم	: أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس .

معنى الآيات :

كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حَوْلَ لِمَ يكون الرسول بشراً، وَلِمَ يكون رسولاً
ويأكل الطعام لِمَ لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها، لِمَ لا يأتينا بآية كما أرسل بها الأولون،
وهكذا . قال قتادة قال أهل مكة للنبي ﷺ «وإذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن تؤمن فحول لنا الصفا
ذهبا، فأتاه جبريل فقال إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم
ينظروا» أي ينزل بهم العذاب فوراً «وإن شئت استأنيت بقومك، قال بل استأنني بقومي
فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ يارسولنا ﴿إِلَّا رَجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا. ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهود ورهبان النصارى إِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بَشَرًا. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي الرسل ﴿جَسَداً﴾ أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها الطعام بل جعلناهم أجساداً آدمية تفتقر في بقاء حياتها إلى الطعام والشراب^(١) فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ﴾ أي أولئك الرسل ﴿الْوَعْدَ﴾ الذي وعدناهم وهو أننا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكتناهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ﴾ أي أنجينا رسلنا ومن آمن بهم واتبعهم، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذَكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ لهدايتكم وإصلاحكم ثم إيساعادكم ﴿كِتَاباً﴾ عظيم الشأن ﴿فِيهِ ذَكْرُكُمْ﴾ أي ما تذكرون به وتتعظون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم. أنشئتم في المكيدة والعناد فلا تعقلون، ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

-
- (١) هذا رد على المشركين إذ قالوا: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وتأنيس للنبي ﷺ حتى لا يضيق بما يقولون.
 (٢) جائز أن يكون أهل الذكر أي: الكتاب الأول هم اليهود والنصارى إذ كان أهل مكة يسألون يهود المدينة وجائز أن يكون القرآن وهم المؤمنون ولذا قال علي وهو صادق: نحن أهل الذكر. أي: فليناظروا المؤمنين كعلي وأبي بكر الصديق وبلال. وفي الآية دليل على وجوب تقليد العامة العلماء إذ هم أهل الذكر ووجوب العمل بما يفتونهم به ويعلمونهم به.
 (٣) الجسد: الجسم لا حياة فيه كالجثة. وفي العبارة تهكم بالمشركين لسخف عقولهم إذ أنكروا على الرسول ﷺ أكل الطعام فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ وهل يعقل وجود أجسام بشرية تستغني عن الأكل والشرب؟
 (٤) ولذا هم يموتون ولا يخلدون وهذه حقيقة الأدمي.
 (٥) الوعد: منصوب على نزع الخافض أي: صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم، وهو وعدهم بنصرهم وإهلاك أعدائهم.
 (٦) (فيه ذكركم): أي: فيه ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وبيان ما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب وفيه ذكر مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.
- ٢- تعيين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم ، من أمور الدين والآخرة .
- ٣- ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم .
- ٤- القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الاولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُبَيِّنُ لَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- وكم قصمنا : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم .
 كانت ظالمة : أي كان أهلها ظالمين .
 يركضون : أي فارين هاربين .
 إلى ما أترفتم فيه : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب .
 تسألون : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم .
 تلك دعواهم : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .
 حصيداً خامدين : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت .

معنى الآيات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصرروا على التكذيب والعناد ﴿وكم قصمنا﴾ أي أهلكنا وأبدنا إبادة كاملة ﴿من قرية﴾ أي أهل قرية ﴿كانت ظالمة﴾ أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد، ﴿وأنشأنا بعدها قومًا آخرين﴾ هم خير من أولئك الهالكين. وقوله تعالى : ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ أي فلما أحسَّ أولئك الظالمون ﴿بأسنا﴾ أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم ﴿إذا هم منها﴾ من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت. والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً : لا تركضوا هاربين ﴿وارجعوا إلى ما أترفتُم فيه﴾ نِعْمَتُم فيه من وإفْرِ الطعام والشراب والكساء والمسكن والمركب ﴿لعلكم تسألون﴾ على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم، فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿قالوا يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا أحضر هذا أو آن حضورك إنا كنا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد. قال تعالى : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي ما زال قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ تلك دعوتهم التي يرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ أي مُجْتَثِينَ من أصولهم ساقطين في الأرض خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت فلم يبق لها لهيب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله.
 - ٢- جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً.
 - ٣- لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب لو طلبها الهالكون.
 - ٤- شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهدر ولا يدري ما يقول.
- (١) قيل : هذه القرى هي مدائن كانت باليمن، والعموم ظاهر في السياق ولا داعي إلى حصره في مدائن اليمن بل هو شامل عاداً وثمود وأهل مدائن والمؤتفكات، والقصم : الكسر يقال : قصم ظهر فلان : إذا كسره.
- (٢) الإحساس : الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح.
- (٣) وهذا استهزاء بهم وتهكم وتقريع وتوبيخ لهم.
- (٤) أي : الكلمة التي يكررونها وهي : يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى هلكوا عن آخرهم.
- (٥) الحصد : جزّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد، وشاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود، والخامد الذي لا حراك له من خمدت النار إذا زال لهيبها.

وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ
لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

لا عيين	: أي عابثين لا مقصد حسن لنا في ذلك .
لهوا	: أي زوجة وولداً .
من لدنا	: أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة .
بل نقذف بالحق	: أي نرمي بالحق على الباطل .
فيدمغه	: أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك .
فإذا هو زاهق	: أي ذاهب مُضمحل .
ولكم الويل مما تصفون	: أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأن له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفتري .
ولا يستحسرون	: وله من في السموات والأرض: خلقاً وملكاً وتدبيراً لا شريك له في ذلك .
لا يفترون	: أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسبيح .
	: عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء .

معنى الآيات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة

لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقه بأساءه في الدنيا والآخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررت الآية وهي قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾^(١) أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ أي صاحبة أو ولداً كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضلّال النصارى أن الله اتخذ مريم زوجة فولدت له عيسى الابن، تعالى الله عما يافكون فرد تعالى هذا الباطل بالمعقول من القول فقال لو أردنا أن نتخذ لهواً نتلّهي به من صاحبة وولد لاتخذنا من لدنا من الحور العين والملائكة ولكننا لم نرد ذلك ولا ينبغي لنا إنا نملك كل من في السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجةً والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يجعل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء ﴿ولكم الويل﴾ أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر والكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجل كذبكم وافترائكم على ربكم ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وله من في السموات والأرض﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غني عن صاحبة والولد إذ الكل له مُلكاً وتصرفاً. وقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾^(٢) برهان آخر ﴿يسبحون الليل والنهار ولا

(١) ينفي تعالى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما وما في السموات وما في الأرض من عجائب المخلوقات وبدائع الصناعات وما بين السماء والأرض من السحب والأمطار ورياح وأجواء الفضاء ينفي أن يكون هذا الخلق العظيم لعباً: أي: لهواً وعبثاً بل خلق ما خلق لأعظم حكمة وأسمائها وهي أن يعبد بذكره وشكره، فلذا من كفر به تعالى فترك ذكره وشكره كان من شر خلقه واستوجب العذاب الأبدي الذي لا يخرج منه ولا يموت فيه ولا يحيى.

(٢) الآية رد على افتراءات المبطلين جهلة البشر الذين نسبوا لله تعالى صاحبة والولد بغير علم من عقل ولا نقل.

(٣) الدماغ: شج الرأس حتى تبلغ الشجرة الدماغ، والباطل هو الشيطان والحق: القرآن، في قول مجاهد إذ قال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان.

(٤) لا يستحسرون أي: لا يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع من الإعياء والتعب يقال: حسر البعير يحسر حسوراً: أعيا وكل واستحسر وتحسر مثله.

يفترون ﴿أي فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عدداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله﴾ لا يفترون ﴿أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترة بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد .
- ٢- حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمجته فذهب واضمحل .
- ٣- إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لابد منه .
- ٤- بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته .
- ٥- بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى .

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ
 ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لُفْسَدَتَا فُسْبَحْنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ
 وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

أم اتخذوا آلهة من : أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .
الأرض
هم ينشرون : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .
لو كان فيهما : أي في السموات والأرض .
لفسدنا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع عادة وهو يقضى بفساد النظام .

فسبحان الله : أي تنزيهه لله عما لا يليق بحلاله وكماله .
رب العرش : أي خالقه ومالكه والمختص به .
عما يصفون : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .
لا يسأل عما يفعل : إذ هو الملك المتصرف ، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .

قل هاتوا برهانكم : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .

هذا ذكر من معي : أي القرآن ذكر أمتي .
وذكر من قبلي : أي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .

لا يعلمون الحق : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .
فاعبدون : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيات :

يؤخ تعالى المشركين على شركهم فيقول : ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ أي من أحجارها ومعادنها آلهة ﴿هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والذي لا يحيي الموتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال . هذا ما دل عليه قوله (١) الاستفهام هنا للجدد والإنكار أي : لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء في وصف الآلهة من الأرض تهكم بعبادتها ظاهر وتأنيب عجيب .

تعالى : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ وفي الآية الثانية (٢١) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدتا لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع^(١) والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا وهذا لا يريد هذا يريد أن يعطى كذا وذلك لا يريد فيختل نظام الحياة وتفسد ، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العبادة وحده دون من سواه ، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المبطلون من الزوجة والولد فقال : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله : ﴿لَا يُسأل عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزى به لن يكون إلا عبداً مربوباً ، وقوله في توبيخ آخر للمشركون : أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ عِزًّا وَجَلَّ آلِهَةُ يَعْبُدُونَهَا؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة ، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل؟ وقوله تعالى : ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون ﴿وَذَكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ أي التوراة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى . والجواب لا . إذاً فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم ، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرَضُونَ وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرَضُونَ﴾ فليسوا أهلاً لمعرفة الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه .

-
- (١) هذه الجملة مقررة لما أنكره تعالى على المشركين من اتخاذهم آلهة من الأرض مبنية وجه الإنكار شارحة له أي : يستحيل أن يوجد آلهة حق مع الله تعالى . والبرهان المذكور في التفسير .
- (٢) هذا ما يسمى بدليل أو برهان التمانع وأنه وإن كان فيه ما يردّه إلا أنه في الجملة دليل مسكت للخصم مقنع لذي العقول .
- (٣) إظهار اسم الجلالة في مكان الإضممار كان لتربية المهابة منه عز وجل إذ كان المفروض أن يقول سبحانه .
- (٤) قال ابن جريج : لا يسأله الخلق عن قضائه فيهم وهو يسألهم عن أعمالهم لأنهم عبيده وبهذا انهذ معتقد المشركين والقدرين معاً إذ الله لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل فالذي يسأل ويحاسب ويجزى لن يكون إلهاً أبداً .
- (٥) (أم) بمعنى : بل والاستفهام التعجبي أي : بل اتخذوا من دون الله الهة يا للعجب فليأتوا إذا ببرهان عقلي على صحة دعواهم ومن أين لهم إذا أفلا يتوبون .
- (٦) زيادة على إقامة بطلان الشرك بشهادة القرآن كتاب الله وشهادة الكتب السابقة وفيها التهديد والوعيد للمشركون .
- (٧) قرأ الحق بالرفع ابن محسن والحسن على تقدير هذا هو الحق وقرأ الجمهور بالنصب مفعول أي : لا يعلمون الحق الذي هو القرآن العظيم فهم لا يتأملونه فحججه وبراهينه على إبطال الشرك ظاهرة

وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(١) فلو كان المشركون يعلمون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك ، ولكنهم جهلة مغررون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله .
- ٢- وحدة النظام دالة على وحدة المنظم ، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده .
- ٣- لا برهان على الشرك أبداً ، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى .
- ٤- القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى .
- ٥- تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركون .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ

﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ

جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

(١) هذا برهان آخر على إبطال الشرك إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله ، فكيف يصح إذا إقرار الشرك والعمل به ، والآية كآية النمل : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ .

شرح الكلمات :

ولداً

: أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك .

سبحانه

: تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد .

بل عباد مكرمون

: هم الملائكة ، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً .

لا يسبقونه بالقول

: أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده

بشيء .

وهم بأمره يعملون

: أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم .

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى

: أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له .

مشفقون

: أي خائفون .

من دونه

: أي من دون الله كيابليس عليه لعائن الله .

كذلك نجزي الظالمين

: أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركون جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركون وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم ﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله فنزه تعالى نفسه عن هذا النقص فقال ﴿ سبحانه ﴾ وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ أي فمن نسبوهم لله بنات له هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى تعالى بقوله : ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى ، وهم يعملون بأمره فلا يقولون ولا يعملون إلا بعد إذنه لهم ، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع له فقال تعالى :

(١) قيل : هذه الآية نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم يرجون شفاعتهم ، وفريتهم قائمة على أن الله تعالى أصهر إلى سروات الجن فأنجب الملائكة . تعالى الله علواً كبيراً .

(٢) (بل عباد مكرمون) أي : بل هم عباد مكرمون ، فعباد : خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون : نعت للخبر .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا .

(٤) قال ابن عباس : هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله . وقال مجاهد : هم كل من رضي الله عنه . وهو أعم من الأول ، وأخص أيضاً باعتبار جهتين .

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وزيادة على ذلك أنهم ﴿من خشيته مشفقون﴾ خائفون، وعلى فرض أن أحداً منهم قال إنى إله من دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا لهم عنده تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى .
- ٢- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى .
- ٣- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم ، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له .
- ٤- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة ، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

(١) في الآية دليل على أن الملائكة وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين إلى العبادة اضطراباً بل شأنهم شأن المعصومين من الرسل يعبدون تعبدًا لا اضطراباً .

شرح الكلمات :

كانتا رتقا	: أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها .
ففتقناهما	: أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين .
رواسي	: أي جبلاً ثابتة .
أي تميد بهم	: أي تتحرك فتميل بهم .
فجاجا سبلا	: أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون .
لعلهم يهتدون	: إلى مقاصدهم في أسفارهم .
وهم عن آياتها	: من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون .
كل في فلك يسبحون	: الفلك كل شيء دائر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجز فقال تعالى : ﴿أولم ير الذين كفروا﴾^(١) أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كما أن السماء تتفتق بإذنه تعالى عن الأمطار، والأرض تتفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حي في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟ فما للناس لا يؤمنون؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (٣٠) ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟﴾ وقوله تعالى : ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبلاً ثابت كيلا تميد أي

(١) قرأ الجمهور (أولم ير) بالواو بعد همزة الاستفهام، وقرأ بعض : (ألم ير) بدون واو، بمعنى يعلم .
(٢) (رتقا) : الرتق : السد ضد الفتق، يقال : رتقت الفتق ارتقه فارتقق . أي : التام، ومنه : امرأة رتقاء أي : منضمة الفرج غير مفتوق، والمراد أن السموات والأرض كانت شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما وما في التفسير إشارة إلى ما اختاره ابن جرير الطبري وهو : أن السماء كانت رتقا لا تمطر والأرض كانت رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والآية دالة على الوجهين والوجهان صحيحان .

(٣) (جعلنا) بمعنى : خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أن كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني : أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث : (كل شيء خلق من الماء) .

تتحرك وتضطرب بسكانها، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿فجاءاً سبلاً﴾ أي طرقاً سابلة للسير فيها ﴿لعلهم يهتدون﴾^(١) أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم، وقوله: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾^(٢) من السقوط ومن الشياطين. وقوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها ﴿معرضون﴾ أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها، وقوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾^(٣) أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعالم كلها، فسبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.
- ٢- بيان الحكمة من خلق الجبال الراوسي.
- ٣- بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.
- ٤- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الأفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

(١) رجاء أن يهتدوا في سيرهم إلى ما يرومون من الديار والبلاد، ورجاء أن يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله وتوحيده.

(٢) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظلمة لها كالسقف على الدار.

(٣) هذه كلها من الله تعالى على عباده وآيات قدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده وإعراض الناس عن النظر والتدبر هو الذي حرمهم هداية الله تعالى.

(٤) (كل في فلك يسبحون): هذه جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً لمن سمع الآيات، فتساءل عن الشمس والقمر وعن باقي الأجرام السماوية قائلاً: كيف لا يقع بينها تصادم ولا يتخلف بعضها فيحدث خلل في الكون والحياة فأجيب بقوله تعالى: ﴿كل في فلك يسبحون﴾.

وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ
 الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾
 وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِهْزُوءًا
 أَهْذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الخلد	: أي البقاء في الدنيا.
ذائقة الموت	: أي مرارة مفارقة الجسد.
ونبلوكم	: أي نختبركم.
بالشر والخير	: فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.
فتنة	: أي لأجل الفتنة لننظر أنصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون.
إن يتخذونك إلهزوا	: أي ما يتخذونك إلهزوا أي مهزوءاً بك.
يذكر آلِهَتَكُمْ	: أي يعيها.
بذكر الرحمن هم كافرون	: حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما الرحمن؟
خلق الإنسان من عجل	: حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه.
سأوريكم آياتي	: أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

معنى الآيات :

كَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا شَامَتَيْنِ إِنْ مُحَمَّدًا سَيَمُوتُ ، وَقَالُوا نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِ نَبِيِّهِ وَلَا مِنْ بَعْدِهِ الْخُلْدَ حَتَّى يَخْلُدَ هُوَ ﷺ فَكُلُ نَفْسٍ زَائِقَةُ الْمَوْتِ ، وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَسُولُهُ فَهَلِ الْمَشْرِكُونَ يَخْلُدُونَ وَالْجَوَابُ لَا ، إِذَا فَلَا وَجْهَ لِلشَّمَاتَةِ بِالْمَوْتِ لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ . هَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْأُولَى (٣٤) ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ^(١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كُلُ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ^(٢) أَيِ كُلِ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ ذَائِقَةُ مَرَاةِ الْمَوْتِ بِمَفَارِقَةِ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَلَقَّى الْعَبْدُ بَعْدَ الْمَوْتِ جَزَاءَ عَمَلِهِ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا ، دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ مِنْ غِنًى وَفَقْرٍ وَمَرَضٍ وَصِحَّةٍ وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ ﴿فِتْنَةً﴾ أَيِ لِأَجْلِ فَتَنَتِكُمْ أَيِ اخْتِبَارِكُمْ لِيَرَى الصَّابِرَ الشَّاكِرَ وَالْجَزِيعَ الْكَافِرَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ تَرَجِعُونَ﴾ أَيِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى كَسْبِكُمْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكُمْ إِلَّا هُزُوءًا﴾ يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا هُزُوءاً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم ، وبين وجه استهزائهم به ﷺ بقوله : ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي بعبعبها وانتقاصها ، قال تعالى : ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي عجباً لهم يتألمون لذكر ألهم بسوء وهي محط السوء فعلاً ، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم سبحانه وتعالى حتى إنهم أنكروا أن يكون اسم الرحمن اسماً لله تعالى وقالوا لا رحمن إلا الرحمن اليمامة .

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾ قال تعالى هذا لما استعجل المشركون

(١) الاستفهام مقدّر أي: أفهم الخالدون؟ وهو للنفي والإنكار كقول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي: أهم؟ ومعنى رفوني سَكَنُونِي يقال رفاه إذا سكنه.

(۲) یروی أن الإمام الشافعی رحمہ اللہ تعالیٰ أنشد واستشهد بالبيتین الآتیین :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكان قد

(٣) عجباً لجهلهم وسوء فهمهم يعيرون من جحد الإلهة أصنامهم وهم يجحدون إلهية الرحمن إن هذا غاية الجهل والغرور.

(٤) إن طبع الإنسان العجلة إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرت، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان

أو آدم عليه السلام قال سعيد بن جبير لما دخل الروح في عين آدم نظر في ثمار الجنة ، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من

قبل أن تبليغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله: تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾.

العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأخبر تعالى أن الاستعجال من طبع الإنسان الذي خلق عليه، وأخبرهم أنه سيرهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي: فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد إلى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة، وإلى جهلهم وكفرهم من جهة أخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير، لا بالعذاب والشر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال ما شاع من أن الخضر حيٌّ مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر.
- ٢- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.
- ٣- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول ﷺ.
- ٤- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

لَوَيْعَلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ

لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا

هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ

رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ

(١) العجلة: السرعة، قيل: إن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهة، فإذا فكر في شيء محبوب استعجل حصوله، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته، ومن هنا كان عجلوا.

الرَّحْمَنُ بَلَّ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- لا يكفون : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم .
بل تأتيهم بغتة : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة .
فتبتهتهم : أي تُحيرهم .
ولا هم ينظرون : أي يمهلون ليتوبوا .
وحاق بهم : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون .
من يكلؤكم : أي من يحفظكم ويحرسكم .
من الرحمن : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم .
بل هم عن ذكر ربهم : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه .
معرضون
ولا هم منا يصحبون : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا .

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا^(١) الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ الْمُطَالِبُونَ بِهِ حِينَ أَيُّ الْوَقْتِ
الَّذِي يُلْقَوْنَ فِيهِ فِي جَهَنَّمَ وَالنَّارِ تَأْكُلُ وَجُوهَهُمْ وَظُهُورَهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْنَعُوا
أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ بِمَنْ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ لَوْ عَلِمُوا هَذَا وَأَيَقِنُوا بِهِ لَمَا طَالَبُوا
بِالْعَذَابِ وَلَا اسْتَعْجَلُوا يَوْمَهُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، هَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ^(٢)
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وَجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لا تزول فيه النار عن وجوههم وعن
ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

(٢) جواب لو: محذوف كما تقدم آنفاً، والغرض من حذفه تهويل جنسه فتذهب نفس السامع كل مذهب. وجملة: ﴿لَوْ
يَعْلَمُونَ﴾ الخ مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣) (حين) اسم زمان منصوب على المفعولية لا على الظرفية أي: لو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذبوا به.

(١) ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي أن القيامة لا تأتِيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة، وإنما تأتِيهم ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي فتحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرَسُولِ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب هذا القول للرسول ﷺ تعزية له وتسلية ليصبر على ما يلاقيه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب، إذ حصل مثله للرسول قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسول عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبين بالعذاب المستعجلين له: ﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي من يجيركم من الرحمن إن أراد أن يعذبكم، إنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه. وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر أن آلهتهم لا تستطيع نصرهم ﴿وَلَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَبُونَ﴾ أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجاتهم من عذاب الله متى حل بهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣- تسلية الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أممهم .

(١) (بل): للاضراب الانتقالي من تهويل ما أعد لهم إلى التهديد بأن ذلك يحل بهم بغتة (أي فجأة).
 (٢) يكلاؤكم: أي يحرسكم ويحفظكم إذ الكلاءة: الحفظ والحراسة يقال: كلاء الله كلاءة أي: حفظه وحرسه ومنه قول الشاعر:

إِنَّ سَلِيمِي وَاللَّهُ يَكْلَاهَا ضَنْتَ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوهَا

والاستفهام في: مَنْ يَكْلُؤُكُمْ: للنفي.

(٣) فسر يصحبون بيمينون، ويجارون قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دواني

- ٤- بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم .
 ٥- بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور .

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
 الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾
 قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
 مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ يُوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ

﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- منعنا هؤلاء وآباءهم : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات .
 حتى طال عليهم العمر : فانغروا بذلك .
 نقصها من أطرافها : أي بالفتح على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين .
 إنما أُنذركم بالوحي : أي بأخبار الله تعالى التي يوحىها إلي وليس هناك شيء من عندي .

- نفحة : أي وقعة من عذاب خفيفة .
 يا ويلنا إنا كنا ظالمين : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا .
 إنا كنا ظالمين : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ .

الموازين القسط : أي العادلة .

فلا تظلم نفس شيئاً : لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة .

مثقال حبة : أي زنة حبة من خردل .

وكفى بنا حاسبين : أي محصين لكل شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى : ﴿بل متعنا هؤلاء﴾ ^(١) بما أنعمنا عليهم هم وآباؤهم فظنوا أن آلهتهم هي الحافظة لهم بل الله هو الحافظ حتى طال عليهم العمر فانغروا بذلك . ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أرض الجزيرة بلادهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بدخول أهلها في الإسلام بلداً بعد بلد . ﴿أفهم الغالبون﴾؟ الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم ، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى إنذارهم وعدمه وقوله تعالى : ﴿ولئن مسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مثقال حبة من حسنة أو سيئة آتينابها ووزناها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ ^(٢) أي محصين لأعمال العباد لعلنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء . . ألا فلتنتق الله أيها العقلاء !!

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل مكة . أي : بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها .

(٢) (طال عليهم العمر) أي : في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم ؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبّر حجج الله عز وجل .

(٣) المس : اتصال بظاهر الجسم ، والنفحة : المرة من النفح في العطية ، يقال : نفحه بشيء إذا أعطاه . وما في التفسير مغني عن هذا .

(٤) هذا اعتراف منهم في حين لا ينفع الاعتراف .

(٥) قيل : يجوز أن يكون لكل عامل ميزان خاص به فتكثر الموازين كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان

(٦) ضمير الجمع في (حاسبين) : مراعى فيه ضمير العظمة ، وهو منصوب على الحال أو التمييز لكفى

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه .
- ٢- حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه .
- ٣- بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحملة ويصرخ داعياً يهلكه .
- ٤- تقرير البعث والحساب والجزاء .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُنْقِيَيْنَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------------|--|
| الفرقان | : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن . |
| وضياء | : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع . |
| وذكراً | : أي موعظة . |
| يخشون ربهم بالغيب | : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام . |
| وهم من الساعة مشفقون | : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون . |
| وهذا ذكر مبارك | : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به . |
| أفأنتم له منكرون | : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله . |
- معنى الآيات :

(١) يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان أي الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون

(١) وفسر الفرقان بالتوراة أيضاً وهو حق أيضاً وجائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل .

وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوراة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكر أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب^(١) أي وهم لا يرونه والثانية: أنهم مشفقون^(٢) من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة وبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات لا تنقضى عجائبه ولا تكتنه أسرارها ولا تكتشف كل حقائقه، هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى: ﴿أفأنتم له منكرون﴾^(٣) يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بانزال التوراة على موسى والقرآن على محمد ﷺ.
- ٢- بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل محرم: وهم دائماً في اشفاق وخوف من يوم القيامة.
- ٣- الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً.
- ٤- توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَذَا عَرِيسِينَ﴾ (٥٣)

(١) قال القرطبي: (بالغيب) أي: غائبين لأنهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم رباً قادراً يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، والباء في: (بالغيب) بمعنى الفاء أي: يخشونه تعالى في الغيب.

(٢) الإشفاق: هو رجاء حادث مخوف.

(٣) الاستفهام للتعجب والتوبيخ.

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
 أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْبَرِينَ ﴿٥٧﴾
 فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

- رُشِدُهُ : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه .
 التماثيل : جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان .
 التي أنتم لها عاكفون : أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبدًا .
 أم أنت من اللاعبين : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون .
 ربكم رب السموات : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض .
 الذي فطرهن : أي أنشأهن خلقاً وإيجاداً على غير مثال سابق .
 لأكيدَنَّ أصنامكم : أي لأحتالَنَّ على كسر أصنامكم وتحطيمها .
 جذاذًا : فتاتًا وقطعاً صغيرة .
 إلا كبيراً لهم : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره .
 لعلمهم إليه يرجعون : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز
 آلهتهم .

معنى الآيات :

على ذكر ما من به تعالى على موسى وهارون ومحمد ﷺ من إيتائه إياهم التوراة والقرآن ذكر
 أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فأتاه رُشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب

الإيمان به تعالى وعبادته وحده، وإن عبادة من سواه باطلة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر، وقومه منكراً عليهم عبادة غير الله ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فأعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واکتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبد.

فرد عليهم إبراهيم عما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه ﴿مُبِينٍ﴾ لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي فيما قلت لنا من أنا وآباءنا في ضلال مبين ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حق لكم سواه. ﴿وَتَاللَّهِ﴾ قسماً به تعالى ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ أي لأحتالن^(١) عليها فأكسرهما ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْبَرِينَ﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتركوها وحدها.

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإتياء الرشد وصالح للنبوة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: (ما هذه التماثيل) والظرف متعلق بذكر.

(٣) ظاهر السؤال أنه سؤال استعلام فلذا أجابوه بحسبه فقالوا: (وجدنا آباءنا لها عابدين)، وضمن (عاكفون) معنى العبادة فعُدِّي باللام.

(٤) الاستفهام للاستعلام أي: جئتنا بالحق في اعتقادك أم أنت مازح فيما تقول؟

(٥) أي: لست بلاعب ولا مازح (بل ربكم رب السموات...) الخ.

(٦) أقسم لهم بالله على أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان وإنما سيكيد أصنامهم فيكسرهما وذلك لوثوقه بربه تعالى، ولتوطئه نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن دين الله والتاء في تالله تختص بالقسم بالله وحده، والواو تختص بكل اسم ظاهر والباء بكل مضمير ومظهر.

(٧) (مدبرين) حال مؤكدة لعاملها.

وفعلًا لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه ^(١) (لعلهم إليه يرجعون) أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربّه سبحانه وتعالى عندما يتبين لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده.
- ٢- تقرير النبوة والتوحيد، والتنديد بالشرك والمشركين.
- ٣- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل.
- ٤- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها.
- ٥- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِالْهَتَنِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ
 هَٰذَا بِالْهَتَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

بالهتنة أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها

بذلك .

(١) تركه لم يكسره وعلق الناس في عنقه . وقوله : (لعلهم إليه يرجعون) : جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيراها، وما في التفسير أولى وأصوب .

فتى يذكرهم : أي بالعيب والإنتقاص .
 على أعين الناس : أي ظاهراً يروونه بأعينهم .
 يشهدون : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ، ويشهدون العقوبة التي
 نزلها به .

أأنت فعلت هذا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب .
 بل فعله كبيرهم هذا : أشار إلى أصبعه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس
 قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَّى بِأصْبَعِهِ تَحَاشِيًا لِلْكَذِبِ .
 فرجعوا إلى أنفسهم : أي بعد التفكير والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم
 لعبادتهم ما لا ينطق .
 نكسوا على رؤوسهم : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا
 كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى .
 ما هؤلاء ينطقون : فكيف تطلب منا أن نسألهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما
 استغل ابراهيم فرصة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة
 فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء
 وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في
 زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين : ﴿من فعل هذا بآلهتنا
 إنه لمن الظالمين﴾ فأجاب بعضهم بعضاً قائلاً : ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي شاباً يذكر
 الآلهة بعيب وازدراء ، واسمه إبراهيم ، وهنا قالوا إذا ﴿فأتوا به على أعين الناس﴾ لنشاهده
 ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره ، وجاءوا
 به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿أأنت فعلت هذا﴾

(١) جائز أن يكون إبراهيم لما قال : متوعداً أصنامهم (تالله لأكيدن أصنامكن) كان هناك من سمعه من ضعفة القوم أو سمعه
 من سمعه يعيب الآلهة قبل أن يتوعداها بالكسر .

(٢) في هذا دليل على أنه كان لا يؤخذ أحد بدعوى أحد قد لا تثبت بل لا بد من التحري حتى تثبت أولاً تثبت كما هو في
 شرعنا الإسلامي .

أي التفسير والتحطيم ﴿يا إبراهيم﴾؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿قال بل فعله^(١) كبيرهم هذا﴾ يشير بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ تقريباً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى: ﴿ثم نكسو على رؤوسهم^(٢)﴾ أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولا مواء على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: ﴿لقد علمت﴾ أي يا إبراهيم ما ﴿هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا بطلان تلك الآلهة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.
- ٢- إقامة البينة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.
- ٣- أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولاً.
- ٤- مشروعية التورية خشية القول بالكذب^(٣).

قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ

(١) قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا يفعلون ولا يضرون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذا؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

(٣) الكذب: هو الاخبار بما يخالف الواقع، والتورية: أن يقول أو يفعل شيئاً ويوري بغيره تجنباً للكذب، وفي الحديث الصحيح: (لم يكذب إبراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: إني سقيم، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم) وهي في الواقع معاريض وليست بالكذب الصريح، وكانت في ذات الله تعالى.

فَعَلِينَا ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

مالا يتفعمكم شيئاً : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضرکم .
أف لكم : أي قبحاً لكم ولما تعبدون من دون الله .
قالوا : حرقوه : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لآلهتكم التي كسرها .
برداً وسلاماً : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه
«الحبل الذي وثق به» .

كيداً : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه .
فجعلناهم الأخسرین : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب
كيدهم ولم يحصلوا على شيء .
ونجيناه ووطاً : أي ابن أخيه هاران .
التي باركنا فيها : وهي أرض الشام .
ويعقوب نافلة : زيادة على طلبه الولد فطلب ولدأ فأعطاه ما طلب وزاده
آخر .

وكلاً جعلنا صالحين : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين
يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك .

معنى الآيات :

(١) يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة ألهمهم ﴿أفتعبدون﴾

(١) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتفريع .

من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴿أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت﴾ ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ﴿أفلا تعقلون﴾ قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿حرقوه﴾ أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿وانصروا آلهمكم﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يده، ورجلاه. ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام. روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليته من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فيخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ونجيناه ولو طأ﴾ أي ونجينا إبراهيم وابن أخيه هاران وهو لوط ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ وهي أرض الشام فنزل إبراهيم

(١) الاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٢) بعد أن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لادوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج: أن الذي قال حرقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس واسمه هيزر وخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: وقيل: إن القاتل: ملكهم نمروء. والله أعلم.

(٤) روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلا أطفأت عن إبراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فلذا أمر الرسول ﷺ بقتلها وسماها الفويسقة.

(٥) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذ، وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج إبراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليهم السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمن فعل نجيته معنى الإخراج فعدي بإلى.

(٦) قيل لها مباركة لكثرة خصبها وأنهارها وثمارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير. إذا لزم مكانه ولم يبرحه.

بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التي بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله: ﴿باركنا فيها للعالمين﴾ أي بارك في أرزاقها بكثرة الاشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله: ﴿للعالمين﴾ وقوله^(١) تعالى: ﴿ووهبنا له﴾ أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد، وزاده يعقوب نافلة وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الرب تعالى كاملة، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومثانة أسلوبه في دعوته^(٢)، وذلك مما آتاه ربه.
- ٢- مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.
- ٣- آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.
- ٤- قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.
- فقال الله تعالى للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل.
- ٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.
- ٦- خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آيَنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ

(١) نافلة: منصوب على الحال وصاحبها: اسحق ويعقوب والنافلة الزيادة غير الموعودة.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ من سورة الأنعام.

الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
 فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
 وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

أئمة

: أي يقتدى بهم في الخير.

يهدون بأمرنا

: أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم
 وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً
 مبلغين.

وكانوا لنا عابدين

: أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا.

ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصلاً بين الخصوم وفقهاً في
 الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله.

تعمل الخبائث

: كاللواط وغيره من المفاسد.

فاسقين

: أي عصاة متمردين عن الشرع تاركين للعمل به.

ونوحاً إذ نادى من قبل

: أي واذكر نوحاً إذ دعا ربه على قومه الكفرة.

من الكرب العظيم

: أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح
 الأرض.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى :
 ﴿وجعلناهم﴾ أي إبراهيم واسحق ويعقوب أئمة هداة يقتدى بهم في الخير ويهدون الناس إلى

دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم . وهو معنى قوله تعالى : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾^(١) وقوله : ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وقوله تعالى : ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى : ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي وكما آتيناه إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتيناه لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتيناه أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقه في الدين . هذه منة وأخرى أنا نجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء إلى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا ، وقوله : ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين .

وقوله تعالى : ﴿ونوحاً﴾ أي واذكر يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم فقال إني مغلوبٌ فانتصر ، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾^(٢) حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين . وقوله : ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ونصرناه بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء ، وأغرقتناهم أجمعين لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين .^(٣)

- (١) وجائز أن يكون معنى (بأمرنا) : أي : بما أنزلنا عليهم بوحينا من الأمر والنهي كأنه قال : بكتابتنا وما بيننا فيه من التشريع المحقق للأخذين به سعادة الدنيا والآخرة والأئمة جمع إمام وهو الرئيس الذي يقتدى به في الخير لا في الشر .
- (٢) (ولوطاً) : منصوب على الاشتغال أي : وآتيناه لوطاً آتيناه . والحكم : الحكمة وهو النبوة والعلم علم الشريعة .
- (٣) الخبائث : جمع خبيثة وهي الفعلة الشنيعة ، ومن خبائثهم : اللواط ، والتضارط في الأندية وحذف الحصى ، والتحرش بين الديك والكلاب . والقرية هي سدوم وعمورة ، وما حولهما إذ كانت سبع مدن قلب جبريل منها ستة وأبقى واحدة للوط وعياله وهي : زغر من كورة فلسطين .
- (٤) من قبل إبراهيم ووط عليهما السلام .
- (٥) الكرب : هو الغم الشديد وهو هنا : الطوفان .
- (٦) السوء : بفتح السين مصدر : القبيح المكروه من القول والفعل وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها .
- ٢- فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .
- ٣- ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحى عباده بعبادتهم ، وخشوعهم له .
- ٤- الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار .
- ٥- التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله .
- ٦- تقرير النبوة المحمدية وتأكيدا إذ مثل هذا القصص لا يتأتى الا لمن يوحى إليه .

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
 نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
 فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
 مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
 وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
 فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾
 وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
 دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في الحرث : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلا .
 نفست فيه ^(١) : أي رعته ليلاً بدون راع .

(١) النفث : الرعي ليلاً والهمل : الرعي بالنهار .

شاهدين : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك .

فقهناها : أي القضية التي جرى فيها الحكم .
وكلاً آتينا حكماً وعلماً : أي كلاً من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها .

يسبحن : أي معه إذا سبح .
وكنا فاعلين : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا .

صنعة لبوس لكم : هي الدروع وهي من لباس الحرب .
لتحصنكم : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح .
فهل أنتم شاكرون : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا .
إلى الأرض التي باركنا : أي أرض الشام .
يفغوصون : أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر .
ويعملون عملاً دون ذلك : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات .
وكنا لهم حافظين : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده ، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى : ﴿ وداود وسليمان ﴾ أي واذكر يانينا داود وسليمان ﴿ إذ يحكمان في الحرث ﴾ أي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي ﴿ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعت فيه ليلاً بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما ، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته ، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الزرع يقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا

ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾^(١) أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان، ولم يعاتب داود على حكمه، وقال: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم.

وقوله: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطيور تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت، وقوله: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطيور تسبح مع سليمان لأننا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ أي داود ﴿صِنْعَةَ لِبُوسٍ لَكُمْ﴾ وهي الدورع السابغة التي تقي لابسها طعن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى ﴿لَتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ؟﴾ أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده، وقوله ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ أي وسخرنا لسليمان ﴿الرَّيْحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة السرعة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ إذ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح تحمل بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام. وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ يخبر تعالى أنه كان وما زال عليمًا بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة.

(١) يروى أن سليمان كان على باب المحكمة فإذا خرج الخصمان سألهما بم قضى بينكما نبي الله داود؟ فقال: قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال وما هو؟ فقال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث إلى آخر ما هو في التفسير.

(٢) اختلف هل كان حكمهما بوحى أو باجتهاد فإن كان بوحى فهو نسخ للحكم الأول بالثاني، وإن كان باجتهاد وهو ما عليه الجمهور، ولم يخطئ داود ولكن الحكم الذي ألهمه سليمان كان أرفق بالطرفين.

(٣) هذا مع إلانة الحديد له فقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ واللبوس في العربية: سلاح الحرب من سيف ورمح ودرع وغيرها واللبوس أيضاً: كل ما يلبس قال الشاعر:

إليس لكل حالة لبوسها إماما نعيمها وإما يؤسها

(٤) قرأ حفص: (لتحصنكم) بالتاء أي: الدورع، وقرأ نافع (ليحصنكم): أي: اللبوس وقرأ ورش (لتحصنكم بالنون، والإحصان: الوقاية والحماية وفي الآية دليل على وجوب الصناعة على الكفاية.

(٥) الاستفهام هنا للأمر بالشكر.

وقوله: ﴿ومن الشياطين من يغفون^(١) له﴾ أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغفون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر، ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكرراً منهم أو خديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به. هذا كله من إنعام الله تعالى على داود وسليمان وغيره كثير فسبحان ذي الأنعام والافضال إله الحق ورب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.
- ٢- بيان حكم الماشية ترعى في حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.
- ٣- فضل التسبيح.
- ٤- وجوب صنع آلة الحرب واعدادها للجهاد في سبيل الله.
- ٥- وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.
- ٦- بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.
- ٧- تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.
- ٨- كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمته تقضيه.

(١) الغفوس: النزول تحت الماء، والغفوص: الذي يغوص لاستخراج اللآليء وفعله يقال له: الغفوصة على وزن حياكة (مهنة).

❁ وَيُوبُكَ إِذْ

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ

﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

- وأيوب : أي واذكر أيوب .
إذ نادى ربه : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده .
مسني الضر : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده .
وذكرى للعابدين : أي عظة للعابدين ، ليصبروا فيثابوا .
وأدخلناهم في رحمتنا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقوله تعالى في الآية الأولى (٨٣) ﴿وأيوب﴾ أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أوبته ، وقد ابتليناه بالعافية والمال والولد ، فشكر وابتليناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر . أذكره ﴿إذ نادى ربه﴾ أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربّ

أي يا رب ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله﴾ من زوجة وولد ﴿ومثلهم معهم﴾ أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر وأما المال فقد ذكر النبي ﷺ أنه أنزل عليه رجلاً من جرّادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه حثيثاً فقال له ربّه في ذلك فقال من ذا الذي يستغنى عن بركتك يا رب . وقوله تعالى : ﴿رحمة من عندنا﴾ أي رحمناه رحمة خاصة ، وجعلنا قصته ذكرى وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون اثتساء بعبدنا أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾^(١).

وقوله تعالى : ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وإدريس وهو اخنوخ وذا الكفل ﴿كل من الصابرين﴾ على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا ، وادخلناهم في رحمتنا فبنانا منهم من بنانا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- علو مقام الصبر ومثله الشكر فالاول على البأساء والثاني على النعماء .
- ٢- فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمهم الله الاستجابة .
- ٣- في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر .
- ٤- من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فصبرَ كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة ﴿إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها﴾ .

(١) هل قول أيوب : (ربّ إني مسني الضرّ) يتنافى مع الصبر؟ والجواب : هذه المسألة ذكر القرطبي في تفسيره نحواً من ستة عشر قولاً ، والصحيح أنّ هذا لا يتنافى الصبر لأنه دعاء ، والدليل هو قوله تعالى : (فاستجبنا له) ولم يكن شكوى لأن الاستجابة تأتي بعد الدعاء لا الاشتكاء ، قال الجنيّد : عرّفه فاقه السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال .

(٢) اختلف في مدة مرضه ، أصبح ما قيل فيها أنها ثمان عشرة سنة وهذا مروى عن النبي ﷺ .

(٣) اختلف في ذي الكفل من هو؟ وأرجح الأقوال ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إن ذا الكفل لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله الثناء عليه) .

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ
لَهُ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا الْنَاسِخِينَ ﴿٩٠﴾
وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَاهُ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

- وذا النون : هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ لأن حوته كبيرة ابتعلته .
- إذ ذهب مغاضباً : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب .
- فظن أن لن نقدر عليه : أي أن لن نجسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته .
- في الظلمات : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل .
- ونجيناه من الغم : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت .
- لا تذرني فرداً : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينة ويرث

من آل يعقوب .

رغباً ورهباً : أي طمعاً فينا ورهباً منا أي خوفاً ورجاءاً .

أحصنت فرجها : أي صانته وحفظته من الفاحشة .

من روحنا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام .

آية للعالمين : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وانعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى : ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون أي يونس بن متى ﴿إذ ذهب معاضباً﴾^(١) لربه تعالى حيث لم يصبر على بقاءه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب ، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه : ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أي ظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يحبسه في بطن الحوت ولا يضيق عليه وهو حسن ظن منه في ربه سبحانه وتعالى ، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث ، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾^(٢) فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله : ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾^(٣) فاستجبنا له ونجينا من الغم الذي أصابه من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته إلى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب . وهو سبب المصيبة ، وقوله تعالى :

(١) قيل : (مغاضباً لربه) أي : لأجل ربه تعالى حيث عصاه قومه فكان غضبه لله تعالى وهو تأويل حسن إذ يقال : فلان غضب لله . أي : لأجله . وجائز أن يكون مغاضباً لقومه إذ ردوا دعوته ولم يستجيبوا له .

(٢) (من الظالمين) حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزه ربه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً .

(٣) روى أبو داود أن النبي ﷺ قال (دعاء ذي النون في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له) .

(١)

﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى: ﴿وزكريا﴾ أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً: ﴿رب﴾ أي يا رب ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي لا تتركني فرداً لا ولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ ذكر هذا اللفظ توسلاً به إلى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله . فوهبه يحيى وأصلح له زوجته بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخلق . وقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها . وقوله: ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي مطيعين ذليلين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات .

وقوله تعالى: ﴿والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعتة مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين ، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي عيسى كلمة الله وروحه ﴿آية﴾ أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدها فيها حيث لا يعبد غيرنا ﴿للعالمين﴾ أي للناس أجمعين

(١) قرأ ابن عامر: (نجي) بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الماضي وإضمار المصدر أي: وكذلك نجى النجاء المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى: ضرب الضرب زيداً.

(٢) قيل: الرغب: الدعاء بيطون الأكف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورهما . روى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا سألتهم الله فاسألوه بيطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم) . وعن ابن عباس: إن رفع اليدين حذاء الصدر هو الدعاء ورفعهما حتى يجاوز بهما الرأس: فهو الابتهاال .

(٣) (رغباً ورهباً) يصح نصبهما على المصدرية وعلى الحال، وعلى المفعول لأجله .

(٤) (أحصنت فرجها): أي: عفت فامتنعت عن الفاحشة، وقيل: إن المراد من فرجها فرج القميص: أي لم تعلق بشياها ربية أي: أنها طاهرة الأنواب وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل، قال السهيلي: هذا من لطيف الكناية لأن القرآن اللطيف إشارة وأنزله عبارة .

(٥) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله لأنه مبعوث من قبله سبحانه وتعالى .

(٦) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى عليه السلام آية .

يستدلون بها على ما ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- فضيلة دعوة ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقوي هذا الخبر.

٢- استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهاو به فقط.

٣- تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.

٤- فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.

٥- فضيلة العفة والاحصان للفرج.

٦- كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيى الموتى بإذن الله تعالى.

إِنَّ هَذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لِنَارٍ جَعُولٌ ﴿٩٣﴾

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ

لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ

أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا

ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

إن هذه أمتكم : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الانبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم .

وأنا ربكم فاعبدون : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري .

وتقطعوا أمرهم بينهم : أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها .

كل إلينا راجعون : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة إلينا وسوف نجزيها بكسبها .

فلا كفران لسعيه : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزي به وافيًا .
وإناله كاتبون : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها .

وحرام : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا .
بأجوج وماجوج : قبيلتان موجودتان وراء سدهما الذي سيفتح عند قرب الساعة .

حـدب : أي مرتفع من الأرض .

ينسلون : أي يسرعون المشي .

الوعد الحق : يوم القيامة .

في غفلة من هذا : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث .

معنى الآيات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم : ﴿إِنَّ هَذِهِ أَمْتُكُمْ﴾ ^(١) أي ملتكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ملة واحد من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشرك وقوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني تعالى على الناس تقطيعهم الإسلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما، وتمزيقه إلى طوائف ونحل، وقوله : ﴿وَكُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه . وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ والحال أنه مؤمن، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً . وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زمريتهم .

وقوله تعالى : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا، وهذا بناء على أن ﴿لَا﴾ مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الله تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة بالتوبة الصادقة وذلك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكهم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم

(١) قرأ الجمهور: (إِنَّ هَذِهِ أَمْتُكُمْ) برفع أمتكم على الخبرية ونصب أمة واحدة على الحال، والوصف . وقرأ بعض: (امتكم أمة واحدة) بالرفع فيهما .

(٢) تفرقوا في الدين واختلفوا فيه .

(٣) (من الصالحات) من للتبعية إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله (وهو مؤمن) وموحد أيضاً فإن الشرك محبط للعمل .

(٤) في حرام قراءات ووجوه منها: (حرام) وهي قراءة الجمهور وحرم مثل جل وحلال . وحرم كمرض، وحرم كشراف، وحرم: كضرب، وحرم كبذل، وحرم كعلم مشددة اللام وحرم كفرح وحرم كقفل تسع قراءات .

لا يرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون ﴿لا﴾ صلة بل هي نافية ^(١) ويرجع المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ فهو بيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدفعهم في الأرض يخربون ويدمرون ﴿وهم من كل حدب﴾ وصبوب ﴿ينسلون﴾ مسرعين. وقوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ وهو يوم الدين والحساب والجزاء وقوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر ﴿يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا ﴿قد كنا في غفلة﴾ أي في دار الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- وحدة الدين وكون الإسلام هودين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.
- ٢- بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.
- ٣- وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.

(١) شاهد أن لا: نافية وليست بصلة، ويكون لفظ الحرام معناه الوجوب قول الخنساء: وإن حراماً لا أرى الدهر باكياً على شجوه إلا بكيت على صخر تريد أختها صخرًا.

(٢) في الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: وأسأل القرية. أي أهل القرية.

(٣) الحدب: ما انقطع من الأرض، والجمع حداب مأخوذ من حدة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازدهاني تواترهم إلي من الحداب

و (ينسلون) يخرجون مسرعين، قال امرؤ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تسئل.

وقال النابغة: عسلان الذئب أمسى قارباً برد الليل عليه فنسل

أي أسرع.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: وتلّه للجبين، وناديتاه أي: للجبين ناديتاه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب إذا: فإذا هي شاخصة ويكون اقترب الوعد الحق: معطوفاً.

(٥) هي: ضمير الأبصار، والأبصار بعدها: تفسير لها كأنه قال: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد.

٤- تقرير حقيقة وهي إذا قُضِيَ بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس إلى ربهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ
 هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
 لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
 بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

وما تعبدون من دون الله : أي من الأوثان والأصنام .

حصب جهنم : أي ما توقد به جهنم .

لو كان هؤلاء آلهة : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قریش

ما وردوها : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون

على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم

من دخول النار.

وكل فيها خالدون : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لهم فيها زفير : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير.
سبقت لهم منا الحسنی : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة.
حسبها : أي حسّ صوتها.

لا يحزنهم الفزع الأكبر : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين.

كطي السجل للكتب : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالى السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف.

كما بدأنا أول خلق نعيده : أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء.

معنى الآيات :

يقول تعالى للمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم، وهم مشركوا قريش يقول لهم مُوعداً: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ من أصنام وأوثان ﴿حصب﴾^(١) جهنم أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة، وقوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال. وقوله تعالى: ﴿كل فيها خالدون﴾ أي المعبودات الباطلة وعابدها الكل في جهنم

(١) قوله ﴿ما تعبدون﴾ فيه دليل على وجود العموم في الألفاظ، فإن ابن الزبير لما نزلت هذه الآية أتت به قريش وقالت له: انظر محمداً شتم آلهتنا. فقال: لو حضرت لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبدونه النصراني واليهود تعبد عزيراً، أفهما من حصب جهنم؟. فعبّيت من مقالته ورأوا أن محمداً قد خصم. فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾. فدلّ قوله تعالى وما تعبدون على العموم وخصه الله تعالى بهذه الآية ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.

(٢) قرأ الجمهور حصب بالصاد، وقرأ علي وعائشة رضي الله عنهما بالطاء أي حطب. والحصب أعجم، إذ كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو حصب.

خالدون. وقوله: ﴿لهم فيها زفير^(١) وهم فيها لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الانين وشدة الأصوات وفضاعة ألوان العذاب وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها-وهم في ما اشتتت أنفسهم خالدون﴾ نزلت هذه الآية رداً على ابن الزُّبَيْرِ عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وأن عيسى والعزير في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح. فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكان يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خالدون، لا يحزنهم الفزع الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون ﴿تتلقاهم الملائكة﴾ عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نظوي السماء﴾ أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿كطى السجل^(٣)﴾ أي الصحيفة للكتب. وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. وقوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً^(٤). وقوله: ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا، وإنا على ذلك لقادرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

(١) الزفير نَفَسٌ يخرج من أقصى الرئتين لضغط الهواء من التأثير بالغم، وهو هنا من أحوال المشركين لا الأصنام.

(٢) لا يُحزنهم بضم الباء من أحزنه، ويفتحها من حزنه قراءتان سبعيتان، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار.

(٣) السجل: الكاتب يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها. هذا المعنى أوضح مما في التفسير.

(٤) الغرل: جمع أغرل وهو من لم يختن فتقطع منه غلفة ذكره، وأول من يكسى إبراهيم كما في صحيح مسلم.

- ٢- من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عبده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.
- ٣- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.
- ٤- بعث الناس حفاة عراة غرلاً لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا
لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّةُ فِتْنَةٍ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ
رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد كتبنا في الزبور : أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

من بعد الذكر : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أن الأرض ^(١)	: أي أرض الجنة.
عبادي الصالحون	: هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة
إن في هذا لبلاغاً	: أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغه لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.
لقوم عابدين	: أي مطيعين الله ورسوله.
رحمة للعالمين	: أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة والكافرون ينجون. من عذاب الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الأمم السابقة.
فهل أنتم مسلمون	: أي أسلموا فلاستفهام للأمر.
وان أدري	: أي ما أدري.
فتنة لكم	: أي اختبار لكم.
على ما تصفون	: من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر.

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الذكر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى : ﴿إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾^(٢) أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٣) يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله محمداً ﷺ إلا رحمة للعالمين

(١) في الأرض : الأرض المقدسة ، وقال مرة انها أرض الكفار ترثها أمة محمد ﷺ

(٢) العابدون قال أبو هريرة وسفيان الثوري هم أهل الصلوات الخمس .

(٣) قال ابن زيد : المؤمنون خاصة ، والعموم أولى وأصح من الخصوص .

إنهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون يتابعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنون من عذاب الإبادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾^(١) يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه وللمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسولنا هذا ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه ﴿فقل اذنتكم﴾ أي أعلمتكم ﴿على سواء﴾ أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليّ وقوله تعالى : ﴿وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ أي وقل لهم يا رسولنا : إنني ما أدري أقرب من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أنني لا أعلم وقته . وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله : ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ أي يعلم طعنكم العلني في الإسلام وكتابه ونبيه ، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحزني وفي هذا إنذار لهم وتهديد ، وهم مستحقون لذلك .

(٢)

وقوله : ﴿وإن أدري﴾ أي وما أدري ﴿لعله﴾ أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له يحربكم للإسلام ونبيه ﴿فتنة لكم﴾ أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متاع لكم بالحياة إلى آجالكم ، ثم تعذبون بعد موتكم . فهذا علمه إلى ربي هو يعلمه ، وبهذا أمرني بأن أقوله لكم . وقوله تعالى : ﴿قال رب احكم بالحق﴾ وفي قراءة قل رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بيني وبين قومي المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نعمتك بهم ، وقوله : ﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾^(٣) أي وربنا الرحمن عز

(١) الاستفهام معناه الأمر أي أسلموا . كقوله تعالى ﴿فهل أنتم متتهون﴾ ؟ أي انتهوا .

(٢) لعله أي الإمهال والتأخير .

(٣) تصفون قرأ الجمهور تصفون بالتاء ، وقرأ بعض يصفون بالياء .

الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى : ﴿إِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم .
- ٢- في القرآن الكريم البُلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة .
- ٣- بيان فضل النبي ﷺ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين .
- ٤- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد .
- ٥- وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجهه العبد من صعاب وأتعاب .

سُورَةُ الْحَجِّ

مكية ومدنية^(١)

وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورِبَ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال : سورة الحج من أعاجيب سور القرآن . نزلت ليلاً ونهاراً سراً وحضراً مكياً ومدنياً سلمياً وحربياً ناسخاً ومنسوخاً محكما ومتشابهاً .

﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلْسَعِيرٍ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- اتقوا ربكم : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى .
 إن زلزلة الساعة : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة .
 تذهل كل مرضعة : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه .
 وتضع كل ذات حمل حملها : أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفرع .
 سكارى وما هم بسكارى : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى
 يجادل في الله بغير علم : أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى .
 شيطان مرید : أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة .
 كتب عليه أنه من تولاه : فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضلّه عن الحق .

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أي خافوا عذابه ، وذلك

(١) روى الترمذي وصححه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) إن زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى قوله : (شديد) قال : أنزلت عليه في سفر : فقال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (ذاك يوم يقول الله لأدم : ابعت بعث النار قال يا رب وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال : فأنشأ المسلمون يكون فقال رسول الله ﷺ : قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أخذ من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقعة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبروا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا . قال : لا أدري قال الثلثين أم لا) . الرقعة : الهة الناتئة في ذراع الدابة والشامة : علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

بطاعته بامثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب. وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فكيف بالعذاب الذي يقع فيها لأهل الكفر والمعاصي، إن زلزلة لها تتم قبل قيامها تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولدها، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتسقط من شدة الفزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقدين لعقولهم وما هم بسكارى بشرب سكر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فخافوه لظهور أماراته ووجود بوادره.

هذا ما دلت عليه الآيتان (١) و (٢) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ بجلال الله وكماله ولشرايعه وأحكامه وسننه في خلقه، ﴿ويتبع﴾ أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل ﴿كل شيطان مريد﴾ أي متجرد من الحق والخير، ﴿كتب عليه﴾ أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضلّه عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما .
- ٢- حرمة الجدل بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله .
- ٣- حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح .
- ٤- موالاة الشياطين واتباعهم يفضي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير .

(١) الذي عليه أكثر أهل التفسير أن هذه الزلزلة تتم بنفخة الفناء بقرينة الحمل والوضع وحديث الترمذي الصحيح دال على أنها بعد البعث، والجمع بينهما: صحيح أولاً لآمن من أن يقع هذا وذاك وهو كذلك والقرآن حمّل الوجه، فهذا الهول العظيم سيقع حتماً في النفخة الأولى، وفي ساحة فصل القضاء، وأما موضوع الحمل والوضع فكائن أيضاً في عرصات القيامة إذ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه فالحامل تبعث حاملاً والمرضع تبعث ترضع أيضاً.

(٢) قال قتادة ومجاهد: من تولّى الشيطان فإنه يضلّه.

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي
 رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
 مِّنْ عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
 وَنُقَرِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
 طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُوَفِّي
 وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
 الْقُبُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

- في ريب من البعث : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث
 الحياة بعد الموت .
- من نطفة : قطرة المني التي يفرزها الزوجان .
- علقة : أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين
 يوماً .
- مضغة : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة إليها بعد
 أربعين يوماً .
- وغير مخلقة : أي مصورة خلقاً تاماً ، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط

قبل تمام خلقه .

لنبين لكم

: أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون .

ونقر في الأرحام ما نشاء : أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً .

لتبلغوا أشدكم

: أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم .

إلى أرذل العمر

: أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف .

لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً : أي فيصير كالطفل في معرفه إذ ينسى كل علم علمه .
هامة : خادمة لأحراك لها مية .

اهتزت وربت

: أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت .

زوج بهيج

: أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه .

ذلك بأن الله هو الحق

: أي الإله الحق الذي لا إله سواه ، فعبادة الله حق وعبادة

غير الله باطل .

وان الساعة آتية

: أي القيامة .

يبعث من في القبور

: أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم احياء كما كانوا قبل

موتهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها ، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي في شك وحيرة وقلق نفسى من شأن بعث الناس أحياء من قبورهم بعد موتهم وفنائهم لأجل حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقدية وهو أن الله تعالى قد خلقكم من تراب أي خلق

(١) هذا دليل قاطع وهو دليل البدأة الأولى فمن قدر على البدأة قادر عقلاً على الإعادة وهي أهون عليه .

أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من نقطة أي ماء الرجل وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقه بعد تحول النقطة إليها ثم من مضغة بعد تحول العلقه إليها وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحوّلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من الرحم كما هو معروف ومشاهد، وفعل الله ذلك من أجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه وتعظموه وتحبوه وتطيعوه وقوله: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً﴾ أي ونقر تلك المضغة المخلقة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانتهاء حملة ونخرجكم طفلاً أي أطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم، ثم ننمىكم ونربىكم بما تعلمون من سنننا في ذلك ﴿ثم لتبغلو أشدكم﴾ أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارضال العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علم كان له قبل هرمه شيئاً هذا دليل البعث وهو دليل عقلي منطقي وبرهان قوي على حياة الناس بعد موتهم إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نقطة ثم من علقه ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية. ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وترى الأرض﴾ أيها الإنسان ﴿هامة﴾ خامدة ميتة لا حراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء ﴿اهتزت﴾ أي تحركت ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وانفخنت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿من كل زوج بهيج﴾ جميل المنظر حسنه، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل

(١) النقطة: المني، وسمي نقطة لقلته.

(٢) العلقه: الدم الجامد، والعلق: الدم العيظ أي: الطري.

(٣) هذه الأطوار أربعة أشهر، قال ابن عباس: وفي العشر بعد الأربعة أشهر ينفخ فيه الروح، فذلك عدّة الوفاة منها أربعة أشهر وعشر، وفي الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إنّ أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نقطة ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات. . . رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

(٤) روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لسقط أقدّمه بين يدي أحب إليّ من ألف فارس أخلفه ورائي).

(٥) أي: فخرج كل واحد منكم طفلاً، ويطلق الطفل على الولد من يوم انفصاله إلى البلوغ وولد كل وحشية يقال له طفل ويوصف به مفرداً كالمصدر فيقال: جارية طفل وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلّام طفل وغلّامان طفل، ويجمع الطفل على أطفال، وأطلقت المرأة: صارت ذات طفل.

وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قوله كهذه قدرة عفة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس واشرافهم . ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة^(١) الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي الرب الحق والإله المعبود الحق ، وما عداه فباطل ﴿وأنه يحيى الموتى﴾ وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك ﴿بأن الله هو الحق﴾ الخ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة .
- ٢- بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته .
- ٣- الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك .
- ٤- تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

(١) لما ذكر تعالى افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره في قوله (يا أيها الناس) إلى قوله : (بهيج) قال ذلك إشارة إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه وإحياء الأرض بعد موتها وانشقاق النبات منها أي : ذلك حصل بسبب أن الله هو الإله الحق دون غيره .

(٢) ومن براهين ألوهيته الحقّة دون من سواه أنه يحيى الموتى وأنه على كل ما يريد قدير وأنه موجد الدنيا والآخرة وسيفني هذه في ساعة آتية لا محالة ، وسيبعث الناس من القبور للحياة الثانية فيخلدوا فيها منهم شقي ومنهم سعيد .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ ۖ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۖ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ
وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ
ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

يجادل في الله : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء
كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى ، وهذا المجادل هو
أبوجهل .

بغير علم : أي بدون علم من الله ورسوله .
ولا كتاب منير : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق
ويبطل الباطل .

ثاني عطفه : أي لاوى عنقه تكبراً ، لأن العطف الجانب من الإنسان .
له في الدنيا خزي : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه .
بظلام للعبيد : أي بذى ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم .
يعبد الله على حرف : أي على شك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به

وأغلب هؤلاء أعراب البادية .

اطمأن به : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به .

وإن أصابته فتنة : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه .

إنقلب على وجهه : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي .

مالا يضره ولا ينفعه : أي صنماً لا يضره إن لم يعبد، ولا ينفعه إن عبده .

لبشش المولى : أي قبح هذا الناصر من ناصر .

ولبشش العشير : أي المعاشر وهو صاحب الملازم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة، وهذه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾^(١) بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد أن يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء، ولا علم من وحي عنده، ولا من كتاب إلهي موحي به إلى أحد أنبيائه . وقوله تعالى : ﴿ثاني عطفه﴾ وصف له في حال مشيه وهو يجز رداءه مصعراً خده مائلاً إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الانتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في الحياتين . وقوله تعالى : ﴿له في الدنيا خزي﴾ أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين، وقوله تعالى : ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروجه في النار ويوم

(١) نير بين الحجة قويا، والمراد من الكتاب : كتب الشرائع مثل : التوراة والانجيل من الكتب الأولى والقرآن آخرها نزولاً .

(٢) في هذه الآية إخبار بغيب فكان كما أخبر تعالى فإن كلا من أبي جهل والنضر بن الحارث قد أذلهما الله وأخذهما بيد، فأبو جهل قتل وأخذ رأسه، والنضر قتل صبراً، والآية قطعاً نزلت بمكة فهي من معجزات القرآن الكريم .

القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى : ﴿وذلك بما قدمت يداك﴾ أي ، يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والهوان وعذاب الحريق بما قدمت يداك من الشرك والظلم والمعاصي ، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ ، وأنت منهم والله ما ظلمك بل ظلمت نفسك ، والله منتزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على شك هذه شخصية ثالثة عطف على سابقتها وهي شخصية بعض الأعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصابهم خير من مال وصحة وعافية اطمأنوا إلى الإسلام وسكنت نفوسهم واستمروا عليه ، وإن أصابتهم فتنة أي اختبار في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه ففسدوا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها ، قال تعالى : ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة ، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس ، وقوله تعالى ﴿يدعو من دون الله﴾ أي ذلك المنقلب على وجهه المرتد يدعو ﴿ملا يضره﴾ أي صنماً لا يضره لو ترك عبادته ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده وقوله تعالى : ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي دعاء وعبادة ملا يضر ولا ينفع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيد أيضاً قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي . وقوله : ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقدواً لها . قال تعالى : ﴿لبئس العشير﴾ المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم يوم القيامة ، تنفيراً لهم من الشرك

(١) هذه الآية نزلت بالمدينة النبوية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً وتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء .

(٢) حرف كل شيء : طرفه وجانبه والآية تمثيل لحال المتردد في عمله .

(٣) أي : في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار ولم يرم منه نفعاً أصلاً وإنما قال : (ضره أقرب من نفعه) ترفيعاً للكلام نحو : (إننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعنى الكلام : القسم والتأخير أي : يدعو والله من ضره أقرب من نفعه ، والمدعو هو الوثن الذي عبده من دون الله تعالى .

(٤) هذه الجملة تحمل الهم والتمنيح للأصنام التي يدعوها المشركون فإنها شر الموالى وشر العشير ، لأن شأن الولي جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيرته فإذا كان العكس كانا شر الموالى والعشراء .

(٥) قال تعالى من سورة يونس : (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وهذا منهم على فرض إن بعثوا أحياء يوم القيامة أو يرجون شفاعتهم في الدنيا .

وعبادة غيره سبحانه وتعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم .
- ٢- ذم الكبر والخيلاء وسوء من كافر أو من مؤمن .
- ٣- عدم جدوى عبادة صاحبها شك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها .
- ٤- لا يصح دين مع الشك .
- ٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين .

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ
يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- وعملوا الصالحات : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير .
- يفعل ما يريد : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك من رحمه المؤمن وعذاب الكافر .
- أن لن ينصره الله : أي محمداً صلى الله عليه وسلم .

- فيلممدد بسبب : أي بحبل .
 إلى السماء : أي سقف بينه وليختنق غيظاً
 هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيبه .
 وكذلك أنزلناه : أي ومثل إنزلنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن .
 هادوا : أي اليهود .
 والصابئين : فرقة من النصارى .
 والمجوس : عبدة النار والكواكب .
 على كل شيء شهيد : أي عالم به حافظ له .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمتتردين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعدوه وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم^(١) وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإننا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوء نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع^(٢) الحبل^(٣)، وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده هذا يذهب عنه الذي يغيبه؟ .

(١) هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكل ما تقدم لقوله : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) ومتضمنة تعليلاً اجمالياً لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك .

(٢) الظاهر أن هذا فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين وهما : فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يغتاظون لانتصار النبي ﷺ لأنهم لا يؤذون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره ﷺ كأننا فكلمنا رأوا نصراً له ازداد غمهم واشتد كربهم لأن انتصاره يحزنهم ويخيفهم .

(٣) قرأ الجمهور : (ليقطع) بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعض (ليقطع) بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف .

(٤) (هل يذهبن كيده ما يغيب) الاستفهام انكاري ، وما : مصدرية أي : هل يذهبن كيده غيبه .

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾ أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحة تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكير فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ وهم المسلمون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين﴾ وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم عبدة الصليب ﴿والمجوس﴾ وهم عبدة النار والكواكب ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعاً سيحكم الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء.
- ٢- إن الله ناصر دينه، ومكرم أهله، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٤- تقرير إرادة الله ومشيبته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد.

(١) هذه الآية نزلت كالفلذكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بالقابهم وأعلمتهم أن الحكم فيهم مؤجل إلى يوم القيامة وسيكون عادلاً لعلم الله تعالى بهم وحفظه لأعمالهم..

(٢) لذا فهم يشتون إلهين إلهاً للخير وإلهاً للشر وهم أهل فارس، وأقدم النحل المجوسية أسسها ملك فارسي قديم في التاريخ يدعى (كبوهرث).

(٣) هذا تفسير لقوله تعالى في الآية: (إن الله يفصل بينهم) إذ الفصل هو الحكم.

الْمُتَرَاتِبَ اللَّهُ

يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ



إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

شرح الكلمات :

- ألم تر : أي ألم تر بقلبك فتعلم .
يسجد له : أي يخضع ويدل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى .
من في السموات : من الملائكة .
والدواب : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض .
حق عليه العذاب : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به .
ومن يهين الله : أي يُشَقِّه في عذاب مهين .
فما له من مكرم : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده ، وقد أشقاه الله .

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى لرسوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾^(١) أيها الرسول بقلبك فتعلم ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ﴾^(٢) من في السموات ﴿ من الملائكة ﴾ ومن في الأرض ﴿ من الجن والدواب ﴾ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴿ وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس ﴾ حق عليهم العذاب أي وجب لهم العذاب وثبت ، فهو لا يسجد سجود عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجد لنا بالصباح والمساء ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ أي ومن أراد الله إشقائه وعذابه فما له من مكرم يكرمه برفع

(١) قال القرطبي : هذه رؤية القلب أي : ألم تر بقلبك ، وعقلك .

(٢) قد استعمل السجود في هذه الآية . في حقيقته ومجازه .

(٣) وكذلك خضوعهم لأحكام الله تعالى فيهم ومجاري أقداره عز وجل عليهم من صحة ومرض وغنى وفقر وحياة وموت .

العذاب عنه واسعاده في دار السعادة وقوله: ﴿إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخلق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة سائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١- تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢- سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣- كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فأكثر افراذه عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهيّن.

٤- التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا﴾

فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ
مِنْ فَوْقٍ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

(١) الجملة تعليلية لما سبق من أحكام الله تعالى بالإكرام والإهانة بحسب الطاعة والعصيان.

شرح الكلمات :

خصمان : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخضم صاحبه .
اختصموا في ربهم : أي في دينه .

قطعت لهم ثياب : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم .
يصهر به مافى بطونهم : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها .
مقامع من حديد : جمع مقمعة وهي آلة من حديد كالمنجن .

وذوقوا عذاب الحريق : أي يقال لهم توبيخاً وتقريعاً : ذوقوا عذاب النار .
ولؤلؤا : أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب .

إلى الطيب من القول : هو شهادة أن لا إله إلا الله .
إلى صراط الحميد : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل إلى رضاه وجنته .
معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿هذان خصمان﴾ ^(١) الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر
﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق، وماتوا
على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ﴿فالذين كفروا﴾ وهم أهل الدين الباطل
ادخلوا النار وفصلت لهم ثياب من نار ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار
المتتهي في الحرارة، ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ من لحم وشحم، ﴿ولهم مقامع
من حديد﴾ يضربون بها ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي من النار بسبب ما ينالهم من
غم عظيم ﴿أعيدوا فيها﴾ أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج

(١) روى مسلم عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً : (إن هذان خصمان اختصموا في ربهم) أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة ، وقال علي رضي الله عنه إني لأول من يجنو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة . يريد قصته في المبارزة هذه ، وعموم الآية يشمل الخصومة بين أهل الإسلام وأهل الكتاب ، كما يشمل خصومة الجنة والنار لحديث مسلم (احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلها الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه يدخلها الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها) .

(٢) قطعت : فصلت أي : تقطع لهم في الآخرة ثياب من نار ، وذكر بلفظ الماضي لأن ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق ، كما قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس ..) أي : يقول الله وجائز أن يكون قد أعدت لهم تلك الثياب ليلبسوها يوم القيامة وهذا أولى . وتلك الثياب من النحاس المذاب وهي السراويل المذكورة في سورة إبراهيم من قطران .

(٣) الصهر : إذابة الشحم والصهارة : ما ذاب منه .

منها، ويقولون لهم: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق . فهذا جزاء الخصم الكافر، وأما الخصم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾^(١) أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب ﴿ولباسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿حرير﴾ وقوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسابيح وكل كلام طيب، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهذا الطريق الموصل إلى رضائهم وهو الإسلام، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا به وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حتى أن الآية نزلت في علي وحزمة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر للمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.
- ٢- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.
- ٤- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى .
- ٥- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ
وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَامِ يُظْلَمِ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ الْعِمْ

٥٥

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤاً.

(٢) قالت العلماء: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة. سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة.

(٣) روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو) وصح قوله ﷺ (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة).

شرح الكلمات :

- كفروا : جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم .
 ويصدون عن سبيل الله : يمنعون الناس من الإسلام ، ويصرفونهم عنه .
 والمسجد الحرام : مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها .^(١)
 العاكف : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام .
 والباد : الطاريء عن مكة النازح إليها .
 بالحاد بظلم : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره .

معنى الآية الكريمة :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل من كفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف الناس عن الدخول في الإسلام ، وعن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامة في كل من كفر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه ، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطاريء القدوم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة والمسجد الحرام للتعبد .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبه كالشرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره . وقوله تعالى : ﴿نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله

(١) هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو شائع لغة شائع تعبيراً .

(٢) أي : وهم يصدون ، وقيل الواو مزيدة أي : إن الذين كفروا يصدون ، وهذا ضعيف والصحيح أن خبر إن محذوف تقديره : خسروا وهلكوا ولا يصح أن يكون نذقه لأنه مجزوم .

(٣) كان في الصدر الأول أبواب دور مكة مفتوحة لكل من يريد النزول بها حاجاً أو معتمراً حتى سرق منزل أحدهم فاتخذ له باباً فأنكر عليه عمر ذلك فقال الرجل : إنما اتخذت الباب لأحفظ لهم متاعهم فتركه عمر فاتخذ الناس من يومئذ الأبواب . قال مالك . دور مكة ليست كالمسجد بل لهم أن يمنعوا من النزول بها من شاءوا .

(٤) (نذقه) جواب من : الشرطية في قوله : (ومن يرد فيه بالحاد) .

والمسجد الحرام ومن أراد فيه إلحاداً^(١) بظلم لنفسه أو لغيره.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- التنديد بالكفر والصدء عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك.

٢- مكة بلد الله وحرمة من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتسك ما لم يظلم ويتنكح حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي ، وخاصة الشرك والظلم والضلal.

٣- عظيم شأن الحرم حيث يؤخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي
شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا
نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

(١) الباء : في إلحاد : الاجماع على أنها صلة لتقوية الكلام لشيوع مثلها في كلام العرب والأصل : ومن يرد فيه إلحاداً قال الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

الفلج : موضع لبني جعدة بن قيس بنجد .

(٢) لا يؤخذ المؤمن بالنية السيئة في أي بلد كان إلا بمكة المكرمة لهذه الآية .

شرح الكلمات :

وإذ بوأنا لإبراهيم : أي أذكر يا رسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت .

أن لا تشرك بي شيئاً ^(١) : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء .

وطهر بيتي : ونظف بيتي من أقدار الشرك وأنجاس المشركين .

وأذن في الناس بالحج : أعلن في الناس بأعلى صوتك .

رجالاً وعلى كل ضامر : مشاة وركباناً على ضوامر الإبل .

فج عميق : طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض .

في أيام معلومات : هي أيام التشريق .

بهيمة الأنعام : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها .

البائس الفقير : أي الشديد الفقر .

ليقضوا تفثهم : أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام .

وليوفوا نذورهم : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم﴾ أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى إبراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربه مكان البيت ليبيّنه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقدار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكْع جمع راعع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمة، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك عن المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق، فأين يذهب

(١) (أن) : الصحيح أنها تفسيرية والقول أو ما في معناه : مقدر فيها نحو وقلنا أو وصينا أو عهدنا .

(٢) يقال : بوأه كذا وبوأ له كذا فاللام مزيدة لتقوية الكلام كما يقال مكنته من كذا، ومكنت له كذا، ومعنى بوأنا لإبراهيم أي : أريناه أصله . وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه .

بالحرم. وقوله: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح إلا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها.
- ٢- مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.
- ٣- جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.
- ٤- وجوب شكر الله تعالى وذكره.
- ٥- جواز الأكل من الهدى ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.
- ٦- وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.
- ٧- وجوب الوفاء بالنذور الشرعية أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.
- ٨- تقرير طواف الإفاضة وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ذَلِكَ وَمَنْ

يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ

لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٠﴾

خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ

السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

(١) لقوله لا وفاء لنذر في معصية الله ، وقال ومن نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه .

(٢) أما طواف القدوم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعدر عند أكثر أهل العلم ، لسقوطه عن الحائض أجمعاً ، ومن أهل العلم من يرى طواف القدوم سنة ليس بواجب .

﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

ذلك : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت .. وكذا وكذا ..

حرّمات الله : جمع حرمة ما حرّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .

فهو خير له عند ربه : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرّمات الله فلا ينتهكها .

إلا ما يتلى عليكم : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به .

فاجتنبوا الرّجس : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .^(١)

واجتنبوا قول الزور : وهو الكذب وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور

حنفاء لله : موحدون له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .

خرّ من السماء : أي سقط .

فتخطفه الطير : أي تأخذه بسرعة .

شعائر الله : أعلام دينه وهي هنا البُذُن بأن تختار الحسنة السمينة منها .

فإنها من تقوى القلوب : أي تعظيمها ناشئ من تقوى قلوبهم .

لكم فيها منافع : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .

إلى أجل مسمى : أي وقت معين وهو نحرها بالحرّم أيام التشريق .

ثم محلها إلى البيت : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرّم .

العتيق

معنى الآيات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي الأمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث

أي إزالة شعر الرأس وقص الشارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا

والضحايا ، ﴿ومن يعظم﴾ منكم ﴿حرّمات الله﴾ فلا ينتهكها ﴿فهو خير له﴾ أي ذلك

التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربه يوم يلقاه وقوله تعالى : ﴿وأحلّت لكم

(١) وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

الأنعام ﴿أي الإبل والبقر والغنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى : ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريدة والطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتُمْ وما ذبح على النصب﴾ وقوله : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإنها رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها غضباً لله وعدم رضا بها وعبادتها، وقوله : ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزّه، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله ، ﴿حنفاء لله غير مشركين﴾ أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام ، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى : ﴿ومن يشرك بالله﴾ إلهاً آخر فعنده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحاله في خسارته وهلاكه هلاك من خرّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور، أو تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبده معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حمأة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى : ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ أي الأمر ذلك من تعظيم حرمت الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسار المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدى للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشئ عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك

(١) الرجس : الشيء القذر، والوثن : التمثال من خشب أو حديد وغيرهما ومن : كونها لابتداء الغاية أولى ليعم الأمر اجتناب كل رجس في اعتقاد أو قول أو عمل إذ كل الأنجاس محرمة .

(٢) لفظ : حنفاء : من الأضداد يقع على الاستقامة والميل معاً، ومعناها مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان إلى الإسلام .

(٣) الشعائر : جمع شعيرة : وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر عباده به وأعلمهم ، والشعار : العلامة، ومنه شعار الحرب وإشعار : البينة لتعلم أنها مهداة للحرم ، فشعائر الله : أعلام دينه لاسيما المناسك وما يتعلّق بها .

(٤) أضيفت التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب، والتقوى من الخوف والخوف في القلب ويشهد لهذا قوله ﷺ : (التقوى ها هنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات .

على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ مَحَلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تعظيم حرمت الله لما فيها من الخير العظيم .
- ٢- تقرير حليّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها .
- ٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله .
- ٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة .
- ٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك .
- ٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها .
- ٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا اللَّهَ وَقَدْ فَتَنَ اللَّهُ أَيُّهُمْ أَشَدُّ فَأَسْلِمُوا وَيَشْرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا

(١) في الصحيح أن رجلاً يسوق بدنة فقال له النبي ﷺ (اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال : اركبها قال : إنها بدنة، وفي الثالثة قال له ﷺ : اركبها وملك) .

(٢) إن كان الهدى في الحج فمحلّه بعد رمي جمره العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدي إلى الحرم فمحلّه مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله .

(٣) وفي الصحيح : (إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور . . .) الحديث .

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
 جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
 لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا
 وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
 اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

منسكاً : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى ،
 ومكان الذبح يقال له منسك .

فله أسلموا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه .

وبشر المختبين : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين .

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصُرت في طاعته .

والبدن : جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى
 الله تعالى .

من شعائر الله : أي من أعلام دينه ، ومظاهر عبادته .

صوافٍ : جمع صافَّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى .

فإذا وجبت جنوبها : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها .

القانع والمعتَر : القانع السائل ^(١) والمعتَر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء
 وعفة .

(١) القانع : من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل ، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور
 العين فعل كعلم ، وفعل : من لا قناعة له فهو يسأل فعل : بفتح العين كنصح ينصح .

كذلك سخرناها : أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لعلكم تشكرون : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته .
لن ينال الله لحومها : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم ، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .

لتكبروا الله على ما هداكم : أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق
وبشر المحسنين : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقله تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكاً أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا ، وقوله : ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة : وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر . وقوله تعالى : ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد ﷺ ﴿وبشر المختبين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المختبين معرفاً بهم الذين تنالهم البشري على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلّت قلوبهم﴾ أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ،

(١) يقال : نسك ينسك نسكاً : إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى ، والذبيحة تسمى نسكة وجمعها : نسك ، ومنها قوله تعالى : (أو صدقة أو نسك) والنسك : الطاعة لله ، وهي عبادته ، ومن ذلك قولهم : تنسك فلان : أي تعبد فهو ناسك ومتنسك ، والنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة ، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدي فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة .

﴿والمقيم﴾ الصلاة أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ مما قل أو كثر ينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم.

وقوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلكم من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا، ﴿لكم فيها خير﴾ عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذ ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي قولوا بسم الله والله أكبر عند نحرها، وقوله: ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾^(٢) الذي يسألکم ﴿والمعتر﴾ الذي يتعرض لكم ولا يسألکم حياءً، وقوله تعالى: ﴿سخرناها لكم﴾ أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناها لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناها لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر. وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (٣٧) قوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لن يرفع إليه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منه، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه.

(١) قرأ الجمهور: بكسر التاء من الصلاة على الإضافة، وقرأ أبو عمرو: (الصلاة) بفتحها على توهم النون، وأن حذفها كان للتخفيف لطول الاسم. وأنشد سيبويه:

الحافظ عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نطف

النطف : التلطف بالعب والاتهام بريية أو فجور.

(٢) البدن : بضم الباء والذال، والبدن : بضم الباء وإسكان الدال لغة فصيحة وقرأ الجمهور: (والبدن) بإسكان الدال واحداً بدنة كثمرة وثمر، وخشبة وخشب وسميت بدنة لأنها تبتدئ، والبدانة : السمن، وتطلق على البقر على الصحيح فمن نذرها أجزاء البقرة، وهي كالبعير تجزى عن سبعة في هدي التمتع والقران.

(٣) أصل هذا اللفظ مأخوذ من صفن الفرس إذا وقف على ثلاثة أرجل، ورفع الرابعة ومنها: تنحر الإبل بعد أن توقف على ثلاثة وتعقد اليد اليسرى منها، وقرئ (صوافي) و(صواف) من الصفاء الذي هو الخلوص لله تعالى أي: خالصة له عز وجل.

(٤) القانع : اسم فاعل من قنع فقنع فهو قانع : إذا سأل وتذلل في السؤال : أما القانع بمعنى : ذي القناعة ففعله قنع بكسر النون قناعة : إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل قال مالك : أحسن ما سمعت أن القانع : الفقير، والمعتر، الزائر وهو موافق في المعنى لما تقدم، ويؤيد هذا قراءة الحسن : (والمعتر) وهو الذي يتعرض لك ويأتيك بدون علم منك.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما : لن يصعد إليه . أي اللحم والدم، ولكن الذي يصل إليه التقوى منكم وما أريد به وجهه.

وقوله تعالى : ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلَّ أن تكبروا الله على ما هداكم إليه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق . وقوله تعالى : ﴿وبشر المحسنين﴾ أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمدًا ﷺ أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوجدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع .
- وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى ، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر .
- ٢- تعريف المختبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم .
- ٣- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام .
- ٤- بيان كيفية نحر البدن ، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها .
- ٥- الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها .
- ٦- وجوب شكر الله على كل إنعام .
- ٧- مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق .
- ٨- فضيلة الإحسان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله ﷺ .

﴿إِنَّ اللَّهَ



يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ
أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَّ جُدِيدُ كُرْفِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

يدافع : قُرِئَء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين .
 خوان : كثير الخيانة لأمانته وعهوده .
 كفور : أي جحد لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه .
 بأنهم ظلّموا : أي بسبب ظلم المشركين لهم .
 بغير حق : أي استوجب إخراجهم من ديارهم .
 إلا أن يقولوا ربنا الله : أي الا قولهم : ربنا الله والله حق ، وهل قول الحق يُسَوِّغُ إخراج قائله ؟

صوامع وبيع : معابد الرهبان وكنائس النصارى .
 وصلوات : معابد اليهود ، باللغة العبرية مفرد هاصلوثا .
 ومساجد : أي بيوت الصلاة للمسلمين .
 من ينصره : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين .
 قوي عزيز : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد .
 إن مكناهم في الأرض : أي نصرناهم على عدوهم ومكناهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم .

ولله عاقبة الأمور . : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويُعاقب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى : ﴿إِنْ اللَّهَ يَدَافِعُ عَنْ (١) الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم . وقوله : ﴿إِنْ اللَّهَ لَا يَجِبُ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به ، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم ، وليس لهم . ومقابلته أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه ، ومن أحبه ودافع عنه وحماه من أعدائه .

وقوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أذن الله تعالى لهم في قتال أعدائهم المشركين بعدما كانوا ممنوعين من ذلك لحكمة يعلمها ربهم ، وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين ، وقوله : ﴿وَإِنْ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا (٢) مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي بدون موجب لإخراجهم اللهم إلا قولهم : ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال ، ونصرة الله تعالى لهم . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل ﴿لَهَدَمْتُ (٣)﴾

(١) روي أن هذه الآية : (إن الله يدافع) . . . نزلت بسبب أن المؤمنين بمكة لما كثرت اضطهاد المشركين لهم فكر بعضهم في اغتيال الكفار ، والاحتياط عليهم والغدر بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله : (كفور) .

(٢) قرأ الجمهور : (يدافع) وقرأ بعضهم : (يدفع) .

(٣) الخَوَّانُ : كثير الخيانة ، وهي الغدر ، والغدر من شر الصفات ، فقد صحَّ (أن الله تعالى ينصب يوم القيامة للغادر لواءً عند أسفه بقدر غدرته : يقال هذه غدرة فلان بن فلان) !!

(٤) هذه الآية نزلت بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إليها وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأول فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم .

(٥) قوله : (إلا أن قالوا ربنا الله . . . الاستثناء منقطع أي : لكن لقولهم ربنا الله أي : وحده لا رب لنا سواه استمرت مدة السلم ثلاث عشرة سنة ، وفي السنة الأولى من الهجرة أذن الله تعالى للمؤمنين بقتال المشركين إذ قد أعذر الله تعالى إليهم .

(٦) في الآية دليل على أن أمر الجهاد متقدم في الأمم قبل هذه الأمة وبه صلحت الشرائع وعبد الناس ربهم ، واستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم .

صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً^(١) وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحوا للمؤمنين أن يعبدوا الله - وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع إليها.

وقوله تعالى: ﴿ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوي﴾ أي قدير ﴿عزيز﴾ غالب فمن أراد نصرته نصره ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله ﴿الذين إن مكناهم﴾ أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه المطلوب منهم، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيه وإقامته، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد، وذلك يوم القيامة، وعليه فليراقب الله وليتق في السر والعلن وليتوكل عليه، ولينب إليه، فإن مرد كل أمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم.
- ٢- كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة.
- ٣- مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أوليائه.
- ٤- بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله.

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وإنما يمتنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام.

(٢) هذه عامة في هذه الأمة وليست خاصة بالخلفاء الراشدين الأربعة ولا بالصحابية والتابعين بل هي عامة فيمن مكن الله تعالى لهم في الأرض فسؤدهم وحكمهم وجب عليهم أن يقوموا بفعل ما ذكر في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- بيان أسس الدولة التي ورث الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي :
إقام الصلاة - إيتاء الزكاة - الأمر بالمعروف - النهي عن المنكر .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتَهُمْ بِكَيْفٍ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبُيُوتُ مُعْتَطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذا فلا تأس إذ
لست وحدك المكذب .

وأصحاب مدين : هم قوم شعيب عليه السلام .
وكذب موسى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط .
فأملت للكافرين : أي أهلتهم فلم أعجل العقوبة لهم .
ثم أخذتهم : أي بالعذاب المستأصل لهم .
فكيف كان نكير : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه ؟
نعم إذ الإستفهام للتقرير .
فهي خاوية على : أي ساقطة على سقوفها .
عروشها

بئر معطلة : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها .
 وقصر مشيد : مرتفع مجصص بالجص .
 فإنها لا تعمى : أي فإنها أي القصة لا تعمى الأبصار فإن الخلل ليس في
 الأبصار : أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة
 والتقليد لأهل الجهل والضلال .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات
 للمؤمنين فإنه لما أُذِن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصره
 لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم
 يلقونه . قال لرسوله ﷺ مسلماً له عن تكذيب المشركين له : ﴿وإن يكذبوك﴾ أيها الرسول
 فيما جئت به من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن ﴿فقد
 كذبت قبلهم﴾ أي قبل مُكذِّبِك من قريش والعرب واليهود ﴿قوم نوح وعاد﴾ قوم هود
 ﴿وتمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وكُذِّب موسى﴾ أيضاً
 مع ما آتينا من الآيات البينات ، وكانت ستي فيهم أني أمليت لهم أي مددت لهم في
 الزمن وأرخت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحققت
 عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾ أي انكاري
 عليهم؟ كان وربك واقعاً موقعه ، وليس المذكورون أخذت فقط . . ﴿فكأين من قرية﴾
 عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها ﴿أهلكتناها وهي ظالمة﴾ أي ضالعة في الظلم أي
 الشرك والتكذيب ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة على سقوفها ، وكم من بئر ماء^(١)
 عذب كانت سقياً لهم فهي الآن معطلة ، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بالجص إذ

(١) الآية في تسليية الرسول ﷺ وتعزيته من جرّاء ما يلاقي من قومه من أنواع التكذيب والعناد والحدود .

(٢) أي : تغيير ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك . والإنكار والنكير : تغيير المنكر .

(٣) العروش : جمع عرش وهو السقف . والمعنى : إنّ جدرانها فوق سقوفها .

(٤) قرأ نافع : (وبير) بدون همزة تخفيفاً .

(١) مات أهله وتركوه هذا ما تضمنته الآيات الأربع (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ حاثاً المكذبين من كفار قريش والعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون لهم قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم ونحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصيح والخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا، وما لهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (٤) وهذا حاصل القول الأفليسير والعلمهم يكسبون عبراً وعظات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتباعدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي .
- ٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار .
- ٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين .
- ٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد . ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله .

(١) (وقصر مشيد) أي : مبني بالشيد وهو الجص أي : مثلها معطل .

(٢) الاستفهام للتعجب من حالهم وهم في غيهم وجهلهم .

(٣) (فإنها ..) أي : الحال أو القصة لا تعمى الأبصار: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما نزلت : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) سأل ابن أم مكتوم النبي ﷺ قائلاً : أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت هذه الآية : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الآية صريحة في أن العقل في القلب، ولا منافاة بين من يرى ذلك في المخ إذ ارتباط كبير بين المخ والقلب في حصول الوعي والإدراك للإنسان .

(٤) ذكر الصدور ظرفاً للقلوب للتأكيد إذا القلوب لا تكون إلا في الصدور فهو كقوله تعالى : (ولا طائر يطير بجناحيه ..) (وكقولهم رأيت بعيني) .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

يستعجلونك بالعذاب : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذرته من عذاب الله .

كألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة .

وكأين من قرية : أي وكثير من القرى أي العواصم والحوضر الجامعة لكل أسباب الحضارة .

أملت لها : أي أمهلته فمددت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب .

نذير مبين : منذر أي مخوف عاقبة الكفر والظلم بين النذارة .

لهم مغفرة ورزق كريم : أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة .

سعوا في آياتنا معاجزين : أي عملوا بجِد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا

وما تحمله من دعوة الى التوحيد وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في إرشاد الرسول ﷺ وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل

فيقول له : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي

خوفتهم به وحذرته منه ، ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد

(١) قيل : نزلت في النضر بن الحارث ورفقائه إذ كانوا يستعجلون العذاب ويطالبون رسول الله ﷺ بإنزاله تحذيراً منهم وعناداً ، وفيهم نزل : (سأل سائل بعذاب واقع) . (واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق... الآية) .

تم ذلك في بدر وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسائة سنة، وربيع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطئ، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي مدينة كبرى ﴿أَمَلَيْتُ لَهَا﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذنها ﴿وَالْيَ الْمَصِيرُ﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لاستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إنما أنا لكم نذير مبين، ﴿فَلَسْتُ بِإِلَهِ وَلَا رَبِّ بِيَدِي عَذَابِكُمْ إِنْ عَصَيْتُمُونِي وَإِنَّمَا كُنْتُ لَكُمْ نَذِيرٌ مَبِينٌ﴾، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه، وأبشر أهل طاعته برحمته، وهو معنى الآية (٥٠) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الأبدين .

(١) النداء لأهل مكة خاصة وللشريعة عامة إذ هو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة والنذير : المخوف عقوبة الشركة والفساد .

(٢) أي : ظانين أنهم يعجزوننا فلم تقو عليهم ولم تقدر على أخذهم لأنهم مكذبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا .

(٣) ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحاً قوله ﷺ : (مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنساء فاطنات طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.
- ٢- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السفلي .
- ٣- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية .
- ٤- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير .
- ٥- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
 أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
 ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
 مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
 قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
 فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ حَتَّى
 تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
 الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

من رسول ولا نبي : الرسول ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بابلاغه .
والنبي مقرر لشرع من قبله .
تمنى في أمنيته : أي قرأ في أمنيته، أي في قراءته .
ثم يحكم الله آياته : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحكم الله آياته أي يثبتها .

فتنة للذين في قلوبهم مرض : أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك .
والقاسية قلوبهم : هم المشركون .
فتخبت له قلوبهم : أي تتطامن وتخضع له قلوبهم .
في مرية منه : أي في شك منه وريب من القرآن .
عذاب يوم عقيم : هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه .
في جنات النعيم : أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه .
فلهم عذاب مهين : أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني .
معنى الآيات :

بعد التسلية الأولى للنبي ﷺ التي تضمنها قوله تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح . . الخ ﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه ﷺ كان يقرأ حول الكعبة في صلاته سورة النجم والمشركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أفأرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى » ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها فلما سجد في آخر السورة سجدوا معه إلا رجلاً كبيراً لم يقدر على السجود فأخذ حثية من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصططح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه

(١) هذا الرجل ، روى البخاري أنه أمية بن خلف ، وقيل هو أبو أحيحة سعيد بن العاص وقيل : هو الوليد بن المغيرة . والله أعلم بأيهم كان .

الآية تسلية له فقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾^(١) ذي رسالة يبلغها ولا نبي مقرر لرسالة نبي قلبه ﴿إلا إذا تمنى﴾ أي قرأ ﴿ألقى للشيطان في أمنيته﴾^(٢) أي في قراءته ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل ويبطل ﴿ما يلقي الشيطان﴾^(٣) من كلمات في أسماع الكافرين أوليائه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولا نقصانا، والله عليم بخلقهم وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه . فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقال: ﴿ليجعل ما يلقي للشياطين﴾ أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ الشك والنفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضللاً على ضلالهم وتُعداً عن الحق فوق بعدهم إذ ما يلقي الشيطان في أسماع أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلal. وقوله تعالى: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدارك. وقوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ وهذا هو الجزء الثاني أي ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته وتدبيره ﴿أنه الحق من ربك﴾ أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام

(١) في هذه الآية دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول لذكر الرسول في الآية ثم النبي: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن كل رسول نبي إذ لا يرسل حتى يوحى إليه وينبأ وليس كل نبي رسولاً إذ ينبئه الله تعالى بما شاء ولا يرسله، وجاء في حديث أبي ذر (إن عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وأن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي جم غفير).

(٢) قال سليمان بن حرب إن (في) هنا هي بمعنى عند أي: ألقى الشيطان عند قراءته ألقى في قلوب المشركين. و(في) بمعنى عند نظير هو قوله تعالى (وليت فينا سنين) أي: عندنا.

(٣) ما روي من خبر في قصة الغرانيق كله ضعيف ولم يثبت فيها حديث صحيح قط، والذي ثبت في الصحيح هو قراءة الرسول ﷺ لسورة النجم وسجوده وسجود المشركين معه والذي عصم منه ﷺ وهو المعصوم أن ينطق بكلمة: تلك الغرانيق العللا. الخ وإنما نطق بها الشيطان وأسمعها المشركين للفتنة كما في التفسير الميثب فيه رأي ابن جرير إمام المفسرين رحمه الله تعالى.

(١) الآيات بعده ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تطمئن وتسكن عنده وتخضع فيزدادون هدى. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضاه وجنته، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المِرْيَةُ والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي فجأة وهي القيامة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ربيبتهم وعلموا أنه الحق حيث لا ينفع العلم.

وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليصهم عن الشرك والمعاصي يدخلهم جنات النعيم، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهو السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة.
- ٢- بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً

(١) قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) جاز أن يكونوا من المؤمنين ومن أهل الكتاب.

(٢) ومثبتهم على الهداية.

(٣) ومن الدين ومن كل ما جاء به النبي ﷺ.

(٤) وعذاب يوم القيامة عذاب عظيم باعتبار أنه يوم لا ليلة له فهذا وجه العقم لأن العقيم هو الذي لا يخلف ولداً، ولما ذكر عذاب يوم القيامة تعين أن يكون هو يوم بدر ومعنى عقمه: أنه لا خير فيه للمشركين ولم يحصلوا منه على فائدة.

(٥) قالوا: الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، وقيل في الآية إشارة إلى يوم بدر وهو بعيد ولا داعي إليه، ودلالة الآية تنفيه.

وأعظم هدىً.

٣- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٤- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ربهم حتى هلكوا في بدر.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
الْرَازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

والذين هاجروا : أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة.

في سبيل الله : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه.

ليرزقنهم رزقاً حسناً : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة.

ليدخلنهم مدخلا يرضونه : أي الجنة يوم القيامة .

ذلك : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه .

ثم بغى عليه : أي ظلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به .

يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول

السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل .

بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه .

من دونه : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عبادته فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب ، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل : ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه ﴿ثم قتلوا﴾ من قبل أعداء الله المشركين ﴿أو ماتوا﴾ حتف أنوفهم بدون قتل ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ﴿ليدخلنهم﴾ يوم القيامة ﴿مدخلاً﴾ يرضونه وهو الجنة ، وقوله تعالى : ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير رزق وأطيبه وأوسع . وقوله : ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حليم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله .

(١) قيل : نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهما إذ ماتا بالمدينة مريضين فقال بعض الناس : من مات في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه . كأنه يعني عثمان وعبد الله فنزلت هذه الآية مسوية بين المجاهد والمهاجر ، ومن شواهد فضل المهاجر ما روي : أن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ كان بروس أميراً على الأرباع فجيبى بجنازتي رجلين أحدهما قتل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حضرته فقال : أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتهما بعثت اقرأوا قول الله تعالى : ﴿والذين هاجروا﴾ . الآية . (٢) قرأ نافع : (مدخلا) يفتح الميم على أنه اسم مكان من دخل المجرد ، وقرأ غيره مدخلا بضم الميم : اسم مكان أيضاً من أدخله يدخله الرباعي مدخلا .

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾^(١) أي الأمر ذلك الذي بينت لكم، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أي ومن أخذ من ظالمه بقدر ما أخذ منه قصاصاً، ثم المعاقب ظلم بعد ذلك من عاقبه فإن المظلوم أولاً وآخرأ تعهد الله تعالى بنصره، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى^(٢) ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنْ انتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وقوله: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ يُولِجُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرة من بُغِيَ عليه من أوليائه. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي المعبود الحق المستحق للعبادة، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرته أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل الجهاد في سبيل الله.^(٣)
- ٢- جواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.
- ٣- بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤- إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

(١) ذلك: في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ مقدّر كما في التفسير. أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك والآية نزلت في حادثة خاصة قاتل فيها المسلمون في الشهر الحرام فحزنوا لذلك، وكان قتالهم اضطرارياً لأن المشركين هم البادئون. (٢) الآية من سورة الشورى.

(٣) والرباط: كالهجرة، والجهاد، فقد روي عن سلمان الفارسي أنه مرّ برجال مرابطين على حصن ببلاد الروم. وطال حصارهم للحصن، وإقامتهم عليه فقال لهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً أجرى الله تعالى عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين) وقرأوا إن شئتم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية.

الْمُتَرَاتِبَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ
 مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾
 الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
 بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ
 اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ
 ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

الم تر	: أي ألم تعلم .
مخضرة	: أي بالعشب والكلأ والنبات .
الغني الحميد	: الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه .
سخر لكم ما في الأرض	: أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به .
أحياكم	: أي أوجدكم احياء بعدما كنتم عدما .
لكفور	: أي كثير الكفر والجحود لربه ونعمه عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾^(١) يا رسولنا ﴿ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾^(٢) أي مطراً فتصبح الأرض بعد

(١) (ألم تر) الخطاب صالح لكل متأهل للرؤية من ذوي العقول، والاستفهام للحض على الرؤية فهو كالأمر والفاء للتفريع إذ يتفرع عن نزول المطر: صيرورة الأرض مخضرة بالنبات.

(٢) هذا انتقال إلى التذكير بمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وشكره بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الإيمان به حق الإيمان وتصديقه بكل ما جاء به ويدعو إليه.

نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزررع، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم.

وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي المحمود في الأرض والسماء بجميل صنعه وعظيم إنعامه وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الدواب والبهائم على اختلافها ﴿وَالْفَلَكَ﴾ أي وسخر لكم الفلك أي السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي بإذنه وتسخير، ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي كيلا تقع على الأرض ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب ف سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بالإِنشاء والإيجاد من العدم، ثم يميّتكم عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ وبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه، فهذه المظاهر لقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره، وتجعل عبادة غيره سُخْفًا وضلالاً عقلياً لا يُقَادَرُ قدره ولا يُعْرَفُ مداه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.
- ٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.

(١) لطيف في تدبيره للخلقة خبير في صنعه . . وهاتان الصفتان متجلتان في تدبيره تعالى للكون وصنعه فيه.

(٢) التسخير: معناه: التذليل للشيء حتى يصبح طوع المسخر له وهو هنا بمعناه، ويعني: تسهيل الانتفاع فيما هو خارج عن قدرة الإنسان بإرسال الرياح ونزول الأمطار.

(٣) وجائز أن يراد بالسماء: ماؤها أي: المطر كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيته وإن كانوا غصباً

٣- بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه .

٤- مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض ، وفي الإحياء والأمانة والبعث .

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ
فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

- جعلنا منسكاً : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها .
فلا ينزع عنك : أي لا ينبغي أن ينازعوك .
هدى مستقيم : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق .
في كتاب : هو اللوح المحفوظ .
ما لم ينزل به سلطاناً : أي حجة وبرهاناً .

المنكر : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيعه .
 يسطون : يبطشون .
 بشر من ذلكم : هو النار .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً^(١)﴾ أي ولكل أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون ﴿هم ناسكوه﴾ أي الآن، فلا تلتفت إلى ما يقوله هؤلاء المشركون، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسوله : ﴿وادع إلى ربك﴾ أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته ﴿إنك لعلی هدی مستقیم﴾ أي طريق قاصد هاد إلى الإسهاد والاكمال وهو الإسلام وقوله : ﴿وإن جادلوك﴾ في بيان بعض المناسك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لا يعلمون وقل : ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة ﴿والله يحكم بينكم﴾ أي يقضي بينكم أيها المشركون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل ودقيق وجلّي وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير . ﴿إن ذلك في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى، و﴿إن ذلك﴾ أي كتبه

(١) سبق مثل هذا النزاع بين المؤمنين والمشركين في التذكية عند قول الله تعالى من سورة الأنعام : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله تعالى : (فلا ينازعنك) معناه : أترك منازعتهم وأعرض عنهم ولا تلتفت إليهم .

(٢) سبق مثل هذه الآية في أول السورة وهو دال على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع عقلاً ولا تنتقض .

(٣) في الآية الكريمة أسلوب المتاركة إذا لم تنفع المجادلة لعدم استعداد الخصم لقبول الحق أو تعذر معرفته له .

(٤) الاستفهام تقريرى بالنسبة للرسول ﷺ والجملة تحمل التسلية له ﷺ والتخفيف مما يلاقي من جدال المشركين وعنادهم .

(١) وحفظه في كتاب المقادير ﴿على الله يسير﴾ أي هين سهل، لأنه تعالى على كل شيء قدير. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المناسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حجة ولا برهاناً بل ماهو إلا إفك افتروه، ليس لهم به علم ولا لبائهم، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير. هذا ما دلت عليه الآية (٧١) وأما قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهي بينات في مدلوها تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿تعرف﴾ يارسلنا ﴿في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي تتغير وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات ﴿يكادون يسطون﴾ أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم واصلاحهم.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي قل لهم يارسلنا أفأنبئكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التي وعدها الله الذين كفروا أي من أمثالكم، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبد به.
- ٢- استحسان ترك الجدل في البدهيات والإعراض عن ما فيها.
- ٣- تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.

(١) أي : الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير إذ هو تعالى لا يعجزه شيء ، ويقول للشيء كن فيكون .

(٢) أي : الغضب والعبوس .

(٣) السطو: شدة البطش يقال : سطا به يسطو: إذا بطش وسواء كان ذلك بسبب وشتم أو ضرب ، وسطا عليه : إذا علاه ضرباً وشتماً .

(٤) (أفأنبئكم) الهمة داخلية على محذوف أي : أنكرهون سماع القرآن ومن يقرأه فانا أنبئكم بشر من ذلك الذي تأذيتم به وكرهتموه؟ وقوله : ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنهم قالوا : نبئنا فقال : النار . الخ .

- ٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ .
 ٥- بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكرهم بالآيات .
 ٦- مشروعية إغاطة الظالم بما يغيظه من القول الحق .

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
 وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

- ضرب مثل : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ...﴾ الخ .
 لن يخلقوا ذباباً : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات .
 ولو اجتمعوا : أي على خلقه فإنهم لا يقدرُون ، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز .
 لا يستنقذوه منه : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم
 ضعف الطالب والمطلوب : أي العابد والمعبود .
 ما قدروا الله حق قدره : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته .
 يصطفي من الملائكة رسلاً : أي يجتبي ويختار كجبريل .
 ومن الناس : كمحمد صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركون يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أَيُّ يَا أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ أَصْنَاماً ضَرْبٌ لَّاهِتِكُمْ فِي حَقَّارَتِهَا وَضَعْفِهَا وَقَلَّةِ نَفْعِهَا مِثْلَ رَائِعٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ . وَبَيْنَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ﴾ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً^(١) وَهُوَ أَحَقَرُ حَيَوَانَ وَأَخْبَثُهُ أَيُّ اجْتَمَعُوا وَاتَّحَدُوا مُتَعَاوِنِينَ عَلَى خَلْقِهِ ، أَوْ لَمْ يَجْتَمِعُوا لَهُ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى خَلْقِهِ وَشَيْءٍ آخَرَ وَهُوَ إِنْ يَسْلُبُ الذَّبَابُ الْحَقِيرَ شَيْئاً مِنْ طَيْبِ آلِهَتِكُمْ الَّتِي تَضَمَّنْ خُونَهَا ، لَا تَسْتَطِيعُ آلِهَتُكُمْ أَنْ تَسْتَرِدَّهُ مِنْهُ فَمَا أضعفها إِذَا وَمَا أَحقرها إِذَا كَانَ الذَّبَابُ أَقْدَرُ مِنْهَا وَأَعَزُّ وَأَمْنَعُ .

وقوله تعالى : ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾^(٢) أَيُّ ضَعْفُ الصَّنَمِ وَالذَّبَابِ مَعاً كَمَا ضَعْفُ الْعَابِدِ الْمَشْرُكِ وَالْمَعْبُودِ الصَّنَمِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أَيُّ قَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَمَانَعُ فِي أَمْرِ يَرِيدُهُ فَكَيْفَ سَاعَ لِلْمَشْرُكِينَ أَنْ يُوْلَهُوا غَيْرَهُ وَيَعْبُدُونَهُ مَعَهُ وَيَجْعَلُونَهُ لَهُ مِثْلاً . هَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَتَانِ الْأُولَى (٧٣) وَالثَّانِيَةُ (٧٤) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمَشْرُكِينَ عِنْدَمَا قَالُوا : ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وَقَالُوا : ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَصْطَفِي أَيُّ يَخْتَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا كَمَا اخْتَارَ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَمِنَ النَّاسِ كَمَا اخْتَارَ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا ﷺ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾^(٥) لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ طَيِّبِهَا وَخَبِيثِهَا ﴿بَصِيرٌ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ صَالِحِهَا وَفَاسِدِهَا وَعِلْمِهِ بِخَلْقِهِ وَبَصَرِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ اقْتَضَى أَنْ

(١) ضرب المثل : هو ذكره وبيانه ، واستعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضع الشيء بشدة ، وهو تعبير شائع في اللغة العربية ، والمثل هنا تشبيه تمثيلي ، إذ هو تشبيه أصنامهم في عجزها وحقارتها بالذباب في عجزه وحقارته وضمنه الإنكار الشديد عليهم في تشبيه أصنامهم بالله عز وجل إذ عبدوها بعبادته وألوهها تأليهه عز وجل .

(٢) الذباب : اسم واحد للذكر والأنثى والجمع والقليل : أذبة الأكثر ذبان والواحدة ذبابة ، ولا يقال ذبابة بالتشديد وكسر الذال ، والمذبذبة : آلة لذب الذبان وذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

(٣) قيل : الطالب : الآلهة ، والمطلوب : الذباب ، والعكس صحيح ، وجائز أن يكون الطالب : عابد الصنم ، والمطلوب : الصنم .

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً ، والإخبار بجملة يصطفي بدل : نصطفي لإفادة الاختصاص أي : هنا الاصطفاء خاص به تعالى لعظيم علمه وحكمته .

(٥) الجملة تعليلية ، وجملة : يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، مقررة لها وتفيد الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل .

يصطفي منهم رسلاً وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الاعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى: ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من أن الله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذ هو رب كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٢- التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين.
- ٣- ما قدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً.
- ٤- إثبات الرسالات للملائكة وللناس معاً.

٥- ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

(١) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أن الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعارضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

واعبدوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وافعلوا الخير : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال.

لعلكم تفلحون : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة .
حق جهاده : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به وهو جهاد الكفار والشیطان والنفس والهوى .

اجتباكم : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة .
من حرج : أي من ضيق وتكليف لا يطاق .
ملة أبيكم : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له .
وفي هذا : أي القرآن .

اعتصموا بالله : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن ثبوته .
ونعم النصير : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم .

معنى الآيات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، نادى الرب تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ، ﴿اركعوا واسجدوا﴾ أمرهم بإقام الصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع ﴿وافعلوا الخير﴾ من كل ما انتدبكم الله إليه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لتتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار.

(١) خصَّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربه وذلت له .

وقوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾^(١) أي أمرهم أيضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفراغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ هذه مِنةٌ ذكر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمم.

وقوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ أي الزموا ملة أبيكم وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قوله: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾ أي القرآن وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أمهم ما أرسلوا به إليهم وعليه فاشكروا هذا الإنعام والإكرام لله تعالى ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ أي تمسكوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاً وحكماً، وقوله تعالى: ﴿هو مولاكم﴾ أي سيدكم ومالك أمركم ﴿فنعم المولى﴾ هو سبحانه وتعالى ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم ما دمت أوليائه تعيشون على الإيمان والتقوى.

(١) هذا من ذكر العام بعد الخاص، والعبادة: الطاعة ولكن مع غاية التعظيم والحب للمطاع.

(٢) الجهاد هنا: قتال الكفار المعتدين والمانعين لدعوة الله وصد الناس عنها والعلة فيه إكمال البشر وإسعادهم بالإسلام لله تعالى (وفي) في قوله (في الله): تعليلية أي: لأجل الله أي: لإعلاء كلمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٣) هذا كقوله تعالى: (فاتقوا الله حق تقاته) فإنه مخصوص بالاستطاعة وقوله بعد: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) مخصص له أيضاً، ويدخل في الأمر بالجهاد هنا: جهاد النفس والشيطان، وكلمة الحق عند من ينكرها لحديث (كلمة عدل عند سلطان جائر).

(٤) الملة: الدين والشريعة ونصب: (ملة): بالزموا ونحوه، والخطاب للعرب إذ إبراهيم أبو العرب المستعربة قاطبة، وهو أيضاً أبو أهل الكتاب وأب كل موحد أبوة تشريف واتباع وتعظيم.

(٥) قوله تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) بعد ذكر السنن إشارة صريحة إلى وجوب شكر الله تعالى على نعمه، وما شكر الله تعالى من لم يقيم الصلاة ويؤت الزكاة كما أن من لم يتمسك بدين الله كافر غير شاكِر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.
- ٢- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾.
- ٣- فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم.
- ٤- فضيلة هذه الأمة المسلمة حيث أعطيت ثلاثاً^(١) لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي عليه السلام اذهب فليس عليك حرج فقال الله لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي عليه السلام أنت شهيد على قومك وقال الله: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ دل على هذا قوله تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.
- ٥- فرضية الصلاة، والزكاة، والتمسك بالشرعية.

(١) ذكر هذا ابن جرير الطبري رواية عن معمر وقتادة.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

مكية

وآياتها مائة وثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

قد أفلح المؤمنون : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون .
في صلاتهم خاشعون : أي ساكنون متظامنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي
ربهم .

عن اللغو معرضون : اللغو كل ما لا رضى فيه لله من قول وعمل وتفكير، معرضون
أي منصرفون عنه .

للزكاة فاعلون : أي مؤدون .

لفروجهم حافظون : أي صائون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة .

أو ما ملكت أيانهم : من الجواري والسرايري إن وجدن .

فمن ابتغى وراء ذلك : أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً .
 فأولئك هم العادون : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع .
 راعون : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم .
 الفردوس^(١) : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾^(٢) يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي :

(١) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة ، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه ولا بقلبه في أكثرها . هذه الصفة تضمنها قوله تعالى : ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٣) .

(٢) إعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه : إنصرفهم عنه وعدم التفاتهم إليه ، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ .

(٣) فعلهم الزكاة أي أدأؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامطة كالنقدين والحبوب والثمار ، وفعلهم لكل مايزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ .

(٤) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملوكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم ، ولكن اللوم

(١) أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال : (إذا سألتكم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة) .
 (٢) روى أحمد والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قوله : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثربنا ولا تؤثر علينا وأرض عنا وأرضنا ثم قال : لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة : (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر .
 (٣) كان السلف الصالح إذا قام أحدهم في صلاته يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا ، وأبصر النبي ﷺ رجلاً يبعث بلحيته في الصلاة فقال : (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) والجمهور على أن الخشوع في الصلاة أحد فرائضها .

والعقوبة على من طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريتة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم .

(٥) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهودهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي حافظون .

(٦) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سنتها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ .

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الخشوع في الصلاة .
- ٢ - تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثلث ، ولزوجها النصف والربع ، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل .
- ٣ - تحريم العادة السرية وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة .
- ٤ - وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات .
- ٥ - تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخِرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

من سلالة : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم .

نطفة في قرار مكين : النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفرزه الفحل ، والقرار المكين الرحم المصون .

العلقة : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمش البيض^(١) .

والمضغة

: قطعة لحم قدر ما يمشغ الأكل .

خلقاً آخر

: أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً .

أحسن الخالقين

: أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين .

معنى الآيات :

ينجز تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾^(٢) يعني آدم عليه السلام ﴿ من سلالة من طين ﴾ أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحلج المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً لله الحمد والمنة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : (قد أفلح) فهي من عطف جملة ابتدائية على مثلها : وهي كعطف قصة على أخرى ، وهذا شروع في الاستدلال على التوحيد والبعث والجزاء بمظاهر القدرة والعلم والحكمة ، وهي مقتضية لعقيدة كل من التوحيد والبعث الآخر حيث أنكرهما وكذب بهما المشركون .

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم ، وأن يكون أحد ذريته إذ السلالة : الشيء المستل أي : المنتزع من غيره فالطينة مسئلة من مادة الطين .

والمني مسئل كذلك من مادة ما يفرزه جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دماً ، وهذه السلالة مخرجة من الطين لأنها من الأغذية ، والأغذية أصلها من الأرض وقوله تعالى : (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) هذا طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم ، وسميت النطفة نطفة : لأنها تنطف أي : تقطر في الرحم في قناة معروفة وهي القرار المكين .

قوله: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلب آدم ﴿في قرار مكين﴾ هو رحم حواء ﴿ثم خلقنا النطفة﴾ المنحدرة من صلب ادم ﴿علقة﴾ أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، ﴿فخلقنا العلقه مضغة﴾ وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل، ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظم^(١) لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي إنساناً آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقه فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جهاداً لا روح فيها وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأننى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعاضم أحسن الصانعين، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين.

وقوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أحياء للحساب والجزاء لتحيا حياة أبدية لا يعقبها موت ولا فناء ولا بلاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته.
- ٢ - بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها.
- ٣ - بيان مآل الإنسان بعد خلقه.
- ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.

(١) وقد أثبت علم الأجنة والتشريح أن النطفة في طورها الثاني تعلق بجدار الرحم طيلة طورها الثاني فهي بمعنى عالقـة ولا منافاة بين كونها علقـة وعالقـة.

(٢) في الحديث الصحيح: (إن أحـدكم ليجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقـة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح). الحديث فإذا نفخ فيه الروح تهباً للحياة والنماء وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وروي أن يهود يزعمون أن العزل هو الموءدة الصغرى، وأن علياً رد هذا وقال: لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع أي: الأطوار التي في هذه الآية.

وَلَقَدْ

خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ
طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي
الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سبع طرائق : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض.

ماء بقدر : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص.

من طور سيناء : جبل يقال له جبل طور سيناء.

تنبت بالدهن : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وصبغ للأكلين : أي يغمس الأكل فيه اللقمة ويأكلها.

في الأنعام لعبرة : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها.

عما في بطونها : أي من اللبن.

منافع كثيرة : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

ومنها تأكلون : أي من لحومها.

تحملون : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر نعمه تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ ^(١) أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى : ﴿ وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة ، وإلا لخرب كل شيء وفسد وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً بقدر ﴾ هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله ﴿ فأسكناه في الأرض ﴾ ^(٢) وإنا على ذهاب به لقادرون • فأنشأنا لكم به جنات ﴾ أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب ﴿ لكم فيها ﴾ أي في تلك البساتين ﴿ فواكه كثيرة ، ومنها تأكلون ﴾ أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لوجودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف .

^(٣) وقوله : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ أي وأنبت لكم به شجرة الزيتون وهي ﴿ تثبت بالدهن وصبغ للأكليين ﴾ فبزيتها يدهن ويؤتدّم فتصبغ اللقمة به وتؤكل . وقوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيثار والتوحيد والطاعة . وقوله : ﴿ نسقيكم مما في بطونها ﴾ من ألبان تخرج من بين فرث ودم ، وقوله : ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها . وقوله : ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر . أفلا تشكرون لله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد ويوحّد في عبادته ؟ .

(١) وفي ذكر أدلة التوحيد إذ تقدم الاستدلال على التوحيد بخلق الإنسان وهذا استدلال بخلق العدالة العلوية .

(٢) الطرائق : جمع طريقة ، وهي اسم للطريق تذكر وتؤنث فهل المراد بها هنا طرق الملائكة أو طرق سير الكواكب وهو سمتها وما تجري فيه أو هي السبع السموات ، ومعنى طرائق : أن بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين ثوبين جعل أحدهما فوق الثاني ، ويكون المعنى طباقاً وهذا هو الراجح . والله أعلم .

(٣) (أسكناه في الأرض) منه ما هو ظاهر كماء الأودية ، والأنهار ، ومنه ما هو باطن ، وهو المياه الجوفية ، وإن الله تعالى على ذهابه من ظاهر الأرض كباطنها قدير ، ويومها تهلك البشرية ، وهذه الآية كقوله : (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين) .

(٤) جمع فاكهة وهي : ما يؤكل تفكهاً بأكله أي : تلذذاً بطعمه من غير قصد القوت ، وما يؤكل لأجل الطعام يقال له : طعام ولا يقال له فاكهة .

(٥) وشجرة : معطوفة على جنات أي : وأخرجنا لكم به شجرة .

(٦) الباء في (بالدهن) للمصاحبة نحو : خرج زيد بسلامة أي : مصحوباً بسلامة .

(٧) قرىء (نسقيكم) بضم النون من أسقاه ، ويفتحها من سقاه كذا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة.
- ٢ - بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده. ^(١)
- ٣ - بيان منافع الزيت حيث هو للدهن والائتداف والإستصباح.
- ٤ - فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم.
- ٥ - وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَبَصُّوْهُ ۖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------|---|
| اعبدوا الله | : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره. |
| أفلا تتقون | : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه. |
| الملاء | : أي أعيان البلاد وكبراء القوم. |

(١) في الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وُجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله (تخرج من طور سيناء) إعلام بأول منبت لها.

ما هذا إلا بشر مثلكم : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه .

أن يتفضل عليكم : أي يسودكم ويصبح آمراً ناهياً بينكم .

ولو شاء الله لأنزل ملائكة : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلاً .

رجل به جنة : أي مصاب بمس من جنون .

فتربصوا به حتى حين : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاؤه .

معنى الآيات :

هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً ﴾ أي قبلك يارسولنا فكذبوه . كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في العبادة ، ولا تعبدوا معه غيره ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم . وقوله : ﴿ أفلا تتقون ﴾ أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم ؟ .

فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه ﴿ ما هذا ﴾ أي نوح ﴿ إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أي يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم . ﴿ ولو شاء الله ﴾ أي أن لا نعبد معه سواه ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ تخبرنا بذلك ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا ﴿ في آبائنا الأولين ﴾ أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين ﴿ إن هو إلا رجل به جنة ﴾ أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون ، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهنا وتسفيه آبائنا ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أي انتظروا به أجله حتى يموت ، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكاً نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿ قال رب أنصرني بما كذبون ﴾ أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وأنصرني عليهم .

(١) فوائد سرد القصص كثيرة منها : تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر مما يلقي من قومه ، ومنها : العظة والاعتبار بما جرى من أحداث ، ومنها تقرير التوحيد وإثبات النبوة المحمدية واللام في : (ولقد أرسلنا) موطئة للقسمة أي : وعزتنا لقد أرسلنا نوحاً .

(٢) قرأ الجمهور بحر (إله) ورفع (غيره) وقرأ بعضهم : بحر (غيره) لأنه نعت لإله المجرور بحرف الجر الزائد ورفع (غيره) هو على المحل إذ محل (إله) الرفع وإنما منع منه حرف الجر الزائد .

(٣) قولهم : هذا ناتج عن نفسياتهم المتهاكة على حب الرئاسة والشرف الموهوم .

(٤) التربص : التوقف على عمل يراد عمله ، والتريث فيه لما قد يغني عنه .

(٥) (قال رب أنصرني) هذه الجملة مسانفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة جواباً لسؤال مقدّر تقديره : لما كذب قومه ماذا فعل ؟ والجواب : دعا عليهم : (قال رب أنصرني) .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .
- ٢ - تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .
- ٣ - بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر .
- ٤ - بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهم الدعاة بها هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان . .

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---|--|
| فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ : | أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك . |
| وَوَحِّينَا وَوَحِّينَا : | أي بمرأى منا ومنظر، وتعليمنا إياك صنعها . |
| وَفَارَ التَّنُورُ : | تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان . |
| فَاسْلُكْ فِيهَا : | أي أدخل في السفينة . |
| وَأَهْلَكَ : | أولادك ونساءك . |
| وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا : | أي لا تكلمني في شأن الظالمين فلاي حكمت بإغراقهم . |
| وَقُلْ رَبِّ : | أي وادعني قائلاً يارب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض . |
| إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : | أي لدلائل وعبر . |

وإن كنا لمبتلين : أي لمختبرين .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاً عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً: ﴿رب انصرني^(١) بما كذبون﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص ﴿أن اصنع الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأعيننا ووحينا﴾ أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن ينفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا رأى تلك العلامة أن يدخل في السفينة من كل زوج أي ذكر وأنثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرورون قطعاً. هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٧) ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا﴾ أي بإهلاك الظالمين المشركين ﴿وفار التنور، فاسلك فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين^(٢)، وأهلك﴾ أي أزواجك وأولادك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي بإهلاكهم كامراته، ﴿ولا تخاطبني في الذين^(٣) ظلموا﴾ أي لا تسألني عنهم فإنني مهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ أي إذا ركبنا واستقررت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين^(٤) وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾ أي من الأرض، وأثن علينا

(١) الباء سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، وجملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة: (أوحينا) لأن الوحي فيه معنى القول دون حروفه، فإن تفسيرية قطعاً.

(٢) الزوج: اسم لكل شيء له شيء آخر متصل به بحيث يجعله شفعاً في حالة ما، والمراد به هنا: أزواج الحيوانات لحفظ نوعها حتى لا تنقرض بالطوفان.

(٣) قرأ حفص (من كل) بتووين كل، وقرأ نافع وغيره بلا تووين أي: بإضافة اثنين إلى كل، وتووين كل تووين عوض أي: من كل ما أمرتك أن تحمله في السفينة.

(٤) أي: في شأنهم فإنهم قد قضى بإهلاكهم ولا راد لقضائه تعالى.

(٥) استويت: أي علوت فوقها واستقررت فيها، وحرف الجر (على) مؤذن بالاستقرار والتمكن منه.

(٦) الظالمين: أي المشركين، لأن الظلم هو الشرك، والنتيجة: الإنجاء من شرهم وأذاهم وشركهم وكفرهم.

(٧) المنزل بضم الميم: وفتح الزاي: مصدر الذي هو الإنزال، وفتح الميم وكسر الزاي هو مكان النزول أي: أنزلني موضعاً مباركاً، والمنزل بفتح الميم والزاي معاً: مصدر نزل نزولاً ومنزلاً.

خيراً فقل ﴿وأنت خير المنزلين﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي المذكور من قصة نوح لدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن، والمطيع من العصي ويتم الجزاء حسب ذلك إظهاراً للعدالة الإلهية والرحمة الربانية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - إثبات الوحي الإلهي وتقدير النبوة المحمدية.
- ٢ - تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين.
- ٣ - بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين.
- ٤ - سنية قول بسم الله والحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا المنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة.
- ٥ - استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا.
- ٦ - بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر.

ثم أنشأنا

مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ۖ أَتَرْفُتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَاهَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ إِذًا خَاسِرُونَ

(١) في الآية تعليم للمؤمنين إذا ركبوا أو نزلوا أن يدعوا بهذا الدعاء بل حتى إذا دخلوا بيوتهم وسلموا فقد كان علي رضي الله عنه إذا دخل المسجد دعا بهذا الدعاء: رب أنزلني... الخ.

﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ
 ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود .

رسولاً منهم : هو هود عليه السلام .

أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره : أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده .

وأترفاهم : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش .

أنكم مخرجون : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم .

هيئات هيئات : أي بعدُ بعدُ كبيراً وقوْعُ ما يعدكم .

إن هي إلا حياتنا الدنيا : أي ماهي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى .

إن هو إلا رجل : أي ماهو إلا رجل افترى على الله كذباً أي كذب .
 على الله تعالى .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعد قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى : ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم﴾ رسولاً منهم ﴿هو هود عليه السلام بأن قال لهم : ﴿أن اعبدوا الله ما

(١) وقيل هم قوم صالح بقرينة قوله تعالى : (فأخذتهم الصيحة) وهي التي أهلك الله تعالى بها ثمود قوم صالح إذ قال تعالى : (فأخذتهم الصيحة مصبحين) من سورة الحجر . وشرح هذا لأن فيها العبرة أكثر لوجود آثارهم في ديارهم شمال الحجاز إلا أن ذكر عاد بعد قوم نوح هو الوارد في كل قصص القرآن وبترجيح الزمان إذ عاد أول أمة أهلكت بعد قوم نوح . والله أعلم .
 (٢) قوله : (فيهم) بدل إليهم : لأن هوداً أو صالحاً كان المرسل من أهل البلاد وفرداً من أفرادهم فلا يحسن أن يقال : إلى إلا إذا كان خارجاً عنهم ليس من أفرادهم ، وذلك كما في أهل سدوم ، وبنوي والقبط فجاء التعبير بإلى نحو : (إلى فرعون وملته) .

لكم من إله غيره ﴿أي اعبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذ لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لا يستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ يحثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته .

وقوله تعالى : ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾ أي وقال أعيان البلاد وأشرافها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم الله تعالى : بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات : قالوا : وماذا قالوا ؟ : قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله : ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من أنواع الطعام ﴿ويشرب مما تشربون﴾ من ألوان الشراب^(١) أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاكم . وقالو : ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ أي خاسرون حياتكم ومكانتكم ، وقالوا ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً﴾ أي فنتيم وصرتم تراباً ﴿أنكم مخرجون﴾ أي أحياء من قبوركم . وقالوا : ﴿هيهات هيهات﴾ أي بُعد بُعداً كبيراً ما يعدكم به هود إنها ما ﴿هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ﴿نموت ونحيا﴾ . جيل يموت وجيل يحيا ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وقالوا : ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم . ﴿وقالوا ما نحن بمبعوثين﴾ هذه مقالاتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل ، وما تبديء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله .

(١) أي : وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ، وصاروا يؤتون بالترفه وهي كالتحفة ، يقال : أترفه المال : إذا أبطره وأفسده .

(٢) في قولهم : يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون . هذه الجملة وإن كانت تعليلاً لبشرية الرسول فإنها دالة على أنهم حقاً مترفون متعمون في ملاذ الأكل والشرب كأنه لا هم لهم إلا ذاك ، كما قيل : من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما هي مجالس المترفين اليوم جل أحاديثهم حول الأكل والشرب ونحوهما .

(٣) الاستفهام للتعجب ، والكلام انتقال من تكذيبهم بكونه رسلاً إليهم إلى التكذيب بما أرسل به من الدين الحق .

(٤) الجمهور من النحاة واللغويين : أن هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعِدَ وهي مبنية على الفتح والكسر أيضاً ولا تُقال إلا مكررة ، قال الشاعر :

فهيهات هيهات العقيق وأهله هيهات خلٍ بالعقيق نواصله

(٥) إن قيل : كيف قالوا : نموت ونحيا وهم منكرون للبعث ؟ قيل في الجواب : إما أن يكون مرادهم نكون نطقاً ميتة ثم نحيا ، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي : نحيا فيها ونموت نحو (واسجدي واركعي) وإما بموت الآباء وحياة الأبناء .

(٦) الافتراء : الكذب الذي لا شبهة فيه للمخبر ، وهو الاختلاق .

- ٢ - أهل الكفر لا يصدر عنهم إلا ما هو شر وباطل لفساد قلوبهم .
 ٣ - الترف يسبب كثيراً من المفسد والشرور ، ولهذا يجب أن يُحذَر بالاعتصام .
 ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة .
 ٥ - تُكَاة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر ، دفعاً للحق وعدم قبوله .

قَالَ رَبِّ

أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾
 فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾
 مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا
 كُلَّ مَاجَاءٍ أُمَّةٍ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
 أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- عما قليل : أي عن قليل من الزمن .
 ليصبحن نادمين : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم .
 فأخذتهم الصيحة : أي صيحة العذاب والهلاك .
 فجعلناهم غثاء : كغثاء السيل وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس .
 فبعداً : أي هلاكاً لهم .
 ثم أنشأنا : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب .
 تترا : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى .
 وجعلناهم أحاديث : أي أهلكناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل .

معنى الآيات :

هذا ما قال هود عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذيبهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كثفاء السيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى : ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب. وقوله تعالى : ﴿وماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي ان كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتقدمه كما لا يمكنها أن تتأخر عنه بحال.

وقوله تعالى : ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترأ﴾ أي يتبع بعضها بعضاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي في الهلاك فكلمنا كذبت أمة رسولها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكتها، وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم ﴿فبعداً﴾ أي هلاكاً منا ﴿للقوم لا يؤمنون﴾ في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد. وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها.

• دَرَجَ الجمهور من المفسرين على أن القصص المذكور هنا كما هو في سائر السور هو قصص هود عليه السلام، وذهب ابن جرير وبعض آخر إلى أنه قصة صالح لقريظة (فأخذتهم الصيحة) وقال الجمهور: يمكن أن تكون الصيحة ضمن عواصف الريح العقيم التي أرسلها تعالى على عاد قوم هود فأخذتهم فهلكوا بها والرياح عصفت بهم فمزقت وشتت شملهم وتركهم كأعجاز نخل خاوية ثم تفتتوا وصاروا كالغثاء وهذا الجمع أحسن.

(١) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز غير المخل وهو: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ثم أنشأنا.

(٢) من في قوله (من أمة) صلة زيدت لتقوية النفي وتوكيده، والأصل ماتسبقت أمة.

(٣) (تترى) على وزن فعلى كدعوى وسلوى، والألف فيه للتأنيث، وأصله وترى من الوتر، الذي هو الفرد أبدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث من الورث، وتجاه من الوجه، ولا يقال: تترى إلا إذا كان هناك تعاقب وانقطاع، وقرئ منوناً تترى، وهو منصوب على الحال في القراءتين معاً.

(٤) جمع أحداثته وهو ما يتحدث به كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجب منه، ومثل هذا التعبير: أحاديث: لا يقال في الخير وإنما يقال في الشر لا غير لقوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وقد يقال في الخير إذا كان مفيداً بذكره نحو قول ابن دريد:

إنما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين .
- ٢ - الآجال للأفراد أو الأمم لا تتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه .
- ٣ - تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم .
- ٤ - كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لا يهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ

هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

وَقَوْمِهِمَا لَنَا عِبْدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ

٤٨ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٤٩ وَجَعَلْنَا

ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَةً ٥٠ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ



شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|--|
| بآياتنا وسلطان مبين | : الآيات هي التسع الآيات وهي الحجة والسلطان المبين . |
| وكانوا قوماً عالين | : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكماً . |
| وقومها لنا عابدون | : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء . |
| ولقد آتينا موسى الكتاب | : أي التوراة . |
| وجعلنا ابن مريم | : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده . |
| إلى ربوة ذات قرار ومعين | : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر . |

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبذ من قصص الأولين للعظة والاعتبار، ولإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى : ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسلطان مبين أي بحجج وبراهين بيّنة دالة على صدق موسى وما يدعوه إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشرف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد فاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ أي خاضعون مطيعون . هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتهم فقالوا : أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيهما وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون . أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا . قال تعالى : ﴿فكذبوهما﴾ ، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل معها إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين ، وقوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ ، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل أتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى . هذه أيادي الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم .

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آية﴾ حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به وعبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه . وقوله تعالى : ﴿وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة عالية صالحة للإستقرار عليها بها فأكفه وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه .

(١) خصّ موسى بآياته الكتاب دون هارون لأنّ هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه ، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة .

(٢) أدمج أمّه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتاناً عظيماً .

(٣) الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهي مثلثة الزاء تضم وتفتح وتكسر ، وهي بفلسطين أو مدينة الرملة وهي من أرض فلسطين .

(٤) المعين : هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام .
- ٢ - التنديد بالإستكبار ، وأنه علة مانعة من قبول الحق .
- ٣ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين .
- ٤ - آية ولادة عيسى من غير أب مقرررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء .

يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

- كلوا من الطيبات : أي من الحلال .
واعلموا صالحاً : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل .
وإن هذه أمتكم : أي ملتكم الإسلامية .
فاتقون : أي بامثال أمري واجتناب نهبي .
فتقطعوا أمرهم : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية .
في غمرتهم : أي في ضلالتهم .
نسارع لهم : أي نعجل .
بل لا يشعرون : أن ذلك استدراج منا لهم .

معنى الآيات :

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

خاطب^(١) عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلا من الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله: ﴿واعملوا صالحاً﴾ كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وقوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على ما يعملون من الصالحات. وقوله: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه وأعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليبتغوه بفعل ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته.

وقوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي دينهم ﴿زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فرقوا دينهم فرقاً فذهبت كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرقة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلا فيه. . . ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن يتنزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه ﴿فلذرم في غمرتهم حتى حين﴾ إذ قال له في سورة الأنعام ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ لست منهم في شيء ﴿وفيه من التهديد ما فيه. وهذا الذي نعه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلّفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة، وبالأأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف. وقوله: ﴿أيحسبون أننا نمدهم به من مال

(١) اختلف في هذا الخطاب هل هو لعيسى عليه السلام نظراً لسياق الحديث أو هو لمحمد ﷺ أو هو عام لكل الرسل، أي: ما من رسول إلا وأمره بما في هذا السياق، وأمة كل رسول تابعة له، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في مثل هذا فلا داعي إلى الترجيح وعدمه ويشهد للعموم قوله ﷺ في الصحيح: (يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المرسلين بما أمر به المؤمنين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) والشاهد في قوله ﷺ (بما أمر به المرسلين).

(٢) قرئ: (وأن) بكسر إن على القطع أي: الابتداء وعلى تقدير قول أو قلنا لهم: (إن هذه) . . الخ وقرئ بفتحها، وهي قراءة الأكثرين على تقدير واعلموا (أن هذه أمتكم) . . الخ.

(٣) كان هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: (ألا إن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) الحديث أخرجه أبو داود ورواه الترمذي وزاد: (قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) وقوله: (ملة) فيه دليل على أن الاختلاف في الفروع غير مقصود وإنما المقصود هو ما كان في أصول الدين وقواعده.

(٤) (إنما): ما: موصولة بمعنى الذي أي: يحسبون يا رسولنا إن الذي نعطيه في الدنيا من مال وولد هو ثواب لهم على شكرهم وكفرهم إنما هو استدراج وإملاء ليس إسراراً في الخيرات واختلف في خبر إن قبيلاً: إنه محذوف وتقدير الكلام: إنما نسارع لهم به في الخيرات، والاستفهام في أيحسبون: إنكار.

وبنين ﴿ مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لا يشعرون بذلك . لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم .
هداية الآيات
من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الأكل من الحلال ، وجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله .
- ٢ - الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه .
- ٣ - حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن .
- ٤ - إذا انحرفت الأمة عن دين الله ، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها ، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير .

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِثَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

مشفقون

: أي خائفون .

لا يشركون

: أي بعبادته أحداً .

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك .

أنهم إلى ربهم راجعون : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم .

وهم لها سابقون : أي يآذن الله في علمه .

ولا نكلف نفساً إلا وُسْعَهَا : إلا طاقتها وما تقدر عليه .

ولدينا كتاب ينطق بالحق : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق .

وهم لا يظلمون : أي بنقض حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيئاتهم .

(١) الخيرات : جمع خير وهو من الجموع النادرة مثل : سرادقات جمع سرادق .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونعى عليهم ذلك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم ويدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً: أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، فقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وأخرى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمِنُونَ﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْرَكُونَ﴾ أي في ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبودونه بما شرع لهم موحدين في ذلك ورابعة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي يؤتون الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لا يقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنئاً لهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه مادام قد بذل جهده إذ هو تعالى ﴿لَا يَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها وما يتسع له جهده.

وقوله: ﴿وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأن أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لا يخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك المعاصي بأن أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لا يظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلا بما كانوا يكسبون.

(١) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ) أَمْ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لَا يَا بَنَتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يَقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ).

(٢) أي: لأنهم: أو من أجل أنهم إلى ربهم راجعون. وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبرة بما يختم به للعبد، وفي البخاري: (وإنما الأعمال بالخواتيم).

(٣) قرئ: (يأتون) من الإتيان، ولا يختلف المعنى إذ هم يأتون الأعمال الصالحة ويفعلونها، وقلوبهم خائفة. كما يعطون ما يعطون من الزكاة والتفقات وقلوبهم وجلة أو يعطون الملائكة أعمالهم التي يكتبونها وقلوبهم وجلة.

(٤) (يسارعون في الخيرات) أي: في الطاعات كي ينالوا بها أعلى الدرجات والغرفات ولم يقل يسارعون إلى الخيرات إذ هم في الخيرات لم يخرجوا من دائرتها أبداً فهم فيها يسارعون. في الآية إشارة إلى أن الصلاة في أول وقتها أفضل، وهكذا السبق في كل خير قبل الغير خير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى .
- ٢ - بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى .
- ٣ - تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين .
- ٤ - تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العدالة .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
 عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ
 ﴿٦٤﴾ لَا تَجْحَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي
 تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰٓ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
 بِهِ سَمِرَاتٍ هَاجِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
 ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ
 كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------------|--|
| في غمرة من هذا | : أي جهالة من القرآن وعمى . |
| ولهم أعمال من دون ذلك | : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان
بالآيات والتوحيد والمراقبة . |
| هم لها عاملون | : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله
تعالى بها . |
| إذا هم يجارون | : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجين مستغيثين ممّا حلّ
بهم من العذاب . |
| تنكصون | : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماع القرآن . |

مستكبرين به : أي بالحرم أي كانوا يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد لأننا أهل الحرم .

سامراً تهجرون : أي تسمرون بالحرم ليلاً هاجرين الحق وسماعه على قراءة

فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من

القول كالفحش والقبح .

: أي محمداً ﷺ .

رسولهم

: أي مجنون .

به جنة

معنى الآيات :

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أننا نمدهم بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات^(١) لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن ، ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ أي دون عمل المؤمنين . ﴿هم لها عاملون﴾ حتى تنتهي بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى : ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر بعذاب القتل والأسر ﴿إذا هم يجأرون﴾ يضجون بالصراخ مستغيثين ، والله تعالى يقول لهم : ﴿لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ هروباً من سماعها حال كونكم ﴿مستكبرين به﴾ أي بالحرم زاعمين أنكم أهل الحرم ، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله : ﴿سامراً تهجرون﴾ أي تسمرون بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تتلى بها عليكم آيات الله . وقد قرئ

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذلك أي : دون الشرك من كبائر الذنوب هم عاملوها لا محالة إذ كتبت عليهم ليدخلوا بها النار ، وما كان دون عمل المؤمنين قطعاً هو الشرك والمعاصي ، فلا منافاة بين ما في التفسير وما روي عن ابن عباس .

(٢) الجؤار : كالخوار يقال : خار الثور يخار : إذا صاح ، وجار الرجل بالدعاء : تضرع به ، قال قتادة : يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم ، وجأروا كذلك يوم أصابهم القحط والجذب فجاءوا حتى كادوا يهلكون بدعوة الرسول ﷺ .

(٣) (تنكصون) : ترجعون وراءكم ، وأصله الرجوع إلى الوراء القهقري . قال الشاعر :

زعموا أنهم على سبل النجاة وإنما نكصوا على الأعقاب

(٤) (سامراً) معناه سماراً أي : جماعة تتحدثون بالليل ، والسمر مأخوذ من السمر الذي هو ظل القمر ، ومنه سمرة اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمرة القمر فسمي التحدث به ، وقرئ (سُماراً) جمع سامر . يقال : جاء من السامر يريد : من القوم الذين يسمرون ، وفي الحديث : كراهة النوم قبل العشاء ، والحديث أي السمر بعدها ، وروي أن عمر رضي الله عنه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول : أسمرأ أول الليل ونومأ آخره !!!

تُهَجَّرُونَ بضم التاء وكسر الجيم أي تقولون أثناء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام، وكانوا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذْبُرُوا الْقَوْلَ﴾ الذي يسمعون من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم ﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ من الدين والشرع ﴿مَا لَمْ يَأْتِ أَبَاءَهُمُ الْأُولِينَ﴾ فقد جاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك. أم لم يعرفوا رسولهم محمدًا ﷺ فهم لهم منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعوا إليها ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ أَكْثَرُهُمْ﴾ للحق كارهون، وهذا هو سر إعراضهم واستكبارهم - إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.

٢ - لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله.

٣ - بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة بيدروهي هروهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعوهم واستكبارهم بالحرم واعتزارهم به جهلاً وضلالاً واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَارَجُكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

(١) وقيل: القول: القرآن: وسمي قولاً لأنهم خطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقرع والتأنيب.

(٢) (أم جاءهم) الخ... أي: فأنكروهم وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم مالا عهد لأبائهم به فلذا أنكروهم وتركوا التدين به، والفاء في: أفلم يذنبوا: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للم تأمل بادئ ذي بدء.

(٣) في قوله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ احتراز عرف في القرآن حتى لا ينقض ببعض الأفراد وهو من اعجاز القرآن وبالع كماله في البلاغة والبيان.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ ﴿٧٤﴾

﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

وَمَا يَنْضَرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

لو اتبع الحق أهواءهم : أي ما يهونه ويستهونه .
أتيناهم بذكرهم : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويذكرون .

أم تسألهم خرجاً : أي مالا مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم .
فخراج ربك خير : أي ما يرزقه الله خير وهو خير الرازقين .
إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام .
عن الصراط لنكيبون : أي عن الإسلام أي متكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه .

للجؤا في طغيانهم يعمهون : لتهاذوا في طغيانهم مصرين عليه .

فما استكانوا : أي ما ذلوا ولا خضعوا .

إذا هم فيه مبلسون : أي آيسون قنطون .

معنى الآيات :

(١)

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقله تعالى : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى

منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحق النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي ما يهونه ويستهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى

(١) اختلف في المراد بالحق ف قيل : هو الله تعالى قاله مجاهد وغيره ، وقيل معناه لو اتبع صاحب الحق ، وقيل : هو مجاز أي : لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعاً ، وما في التفسير أظهر ، وقد استظهره ابن جرير الطبري .

(١) فساد الكون كله علويه وسفليه، وذلك لأنهم أهل باطل لا يرون إلا الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتماً إلى خراب الكون وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم، وقوله: ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾ أي أجراً ومالاً ﴿فَخَرَجَ رَيْكُ خَيْرٍ﴾ أي ثواب ربك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازقين وحاشا رسول الله ﷺ أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾ أي علة تنكبهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعله كفره بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضَرٍّ لِلْجَا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يخبر تعالى أنه لورحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة، وكشف ما بهم من ضر أصابهم من قحط وجذب وجوع ومرض لا يشكرون الله، بل يتهادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعْمَهُونَ حيارى يترددون، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ وهي سنوات الجذب والقحط بدعوة الرسول ﷺ وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر. وقوله: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لَهُمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ فما ذلوا لهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو معركة بدر وما أصاب

(١) وما في الكون العلوي من الملائكة، والسفلي من الجن والإنس، وإلى هذا الإشارة بَمَنْ في قوله: (ومن فيهن).

(٢) الأولى يذكرون بفتح الياء، مبنى للفاعل، والثانية يذكرون بضم الياء مبنى للمفعول.

(٣) قرىء خراجاً أيضاً والمعنى واحد، والمعنى: أسألهم رزقاً فرزق ربك خير، وقيل: الخرج: الجعل والخراج: العطاء، والخرج: المصدر، والخراج: الاسم.

(٤) الصراط في اللغة: الطريق، وسمي الدين طريقاً لأنه طريق إلى الجنة والتائب: العادل عن الشيء المعرض عنه، وهو مشتق من المنكب وهو جانب الكتف.

(٥) (ولو رحمتهم) معطوف على جملة: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وما بينهما: اعتراض باستدلال عليهم وتنديم لهم وقطع لمعاذيرهم أي: أنهم ليسوا بحيث لو استجاب الله جوارهم (دعاهم) عند نزول العذاب بهم وكشفه عنهم لعادوا إلى ما كانوا فيه من الغمرة والشرك والأعمال السيئة. وهذا كقوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون).

(٦) هذا استدلال على مضمون ما في قوله: (ولو رحمتهم) الخ، (وال) في العذاب للعهد أي: بالعذاب المذكور آنفاً في قوله: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب).

(٧) الاستكانة: مصدر بمعنى الخضوع، مشتقة من السكون، لأن الذي يخضع يقطع الحركة أمام من يخضع له.

المشركين من القتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(١) أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - خطر اتباع الهوى وما يفضي به من الهلاك والخسران .
- ٢ - الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير .
- ٣ - التكذيب بيوم القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير .
- ٤ - من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا
لْمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ دَعَوْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|-------------------------------------|
| أنشأ لكم السمع | : أي خلق وأوجد لكم السمع والأبصار . |
| والأفئدة | : جمع فؤاد وهو القلب . |
| قليلًا ماتشكرون | : أي ماتشكرون إلا قليلًا . |
| ذراكم | : أي خلقكم . |

(١) الإبلاس : شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم ، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة .

وإليه تحشرون : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم .
 وله اختلاف الليل والنهار : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار .
 أفلا تعقلون : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق .
 إلا أساطير الأولين : أي ماتقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات
 وأساطير وأخبار الأولين ، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية
 مسطرة مكتوبة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيذان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم : ﴿ وهو الذي أنشأ لكم ^(١) السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أي الله الذي خلق لكم أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويجزيكم ، وقوله : ﴿ قليلاً ماتشكرون ﴾ ^(٢) يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم ، إذ أوجد لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيذان به وبطاعته . وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ أي خلقكم في الأرض ، ﴿ وإليه تحشرون ﴾ إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويجزيكم . وقوله : ﴿ وهو الذي يحيى ويميت ﴾ ^(٣) أي يحيى النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً ، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم .

وقوله تعالى : ﴿ وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ أي والله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا تعقلون أن من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى : ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴾ أي بدل

(١) هذا الكلام الإلهي ، استدلال وامتنان فقد عرفهم بكمال قدرته وعظيم منته .

(٢) جائز أن يكون لهم شكر قليل ، وجائز أن يكون لا شكر لهم البتة ، وإنما هو من باب الاحتراس لا ينقض الخبر . بأدنى شكر منهم .

(٣) جمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الأفراد ، ووجد السمع لأنه مصدر فجري على الأصل .

(٤) هذه بعض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وحده ، والموجبة لتصديقه فيما واعد به وأوعد ، من نعم الآخرة وعذابها .

(٥) (وله اختلاف الليل والنهار) هذه اللام : لام الاختصاص إذ لا قدرة لكائن سواه على اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر ، والضياء والظلام ، وما يجري فيهما من تصارييف الكائنات على اختلافها وتنوعها .

(٦) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم تعقلهم وفهمهم لدلائل التوحيد والبعث والجزاء ، والفاء : للتفريع إذ هذا الكلام متفرع على ما تقدم من الأدلة في السياق .

(٧) في هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة لأن الكلام انتقل من التقرير إلى حكاية ضلالهم ، وبل : للاضراب الإيطالي أي : أبطل كونهم يعقلون مع إثبات إنكارهم للبعث مع علة الإنكار وهي : تقليدهم لآبائهم .

أن يؤمنوا باليوم الآخر لما دلّ عليه من هذه الأدلة التي لا يردّها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قولة المنكرين من الأمم قبلهم: ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً أئنا لمبعوثون﴾ وهو انكار صريح منهم للبعث الآخر. وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله: ﴿لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي لقد وعد هذا آباؤنا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.
- ٣ - سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ

مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ

(١) قرأ الجمهور بهزتين: الأولى. همزة الاستفهام، والثانية: همزة إذ الشرطية وكذلك مع (إنا لمبعوثون) إلا نافعاً وأبا عمرو فقد قرءا بهمزة واحدة اكتفاء بهمزة الاستفهام الأولى: الدالة على الشرط عن همزة الجواب. والاستفهام إنكاري.
(٢) من قبل محمد ﷺ وجملة: (إن هذه لأساطير الأولين جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً لمن قال: كيف رد الأولون والآخرين على هذا القول؟

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَائِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ

شرح الكلمات :

- قل أفلا تذكرون : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو.
- قل أفلا تتقون : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.
- من بيده ملكوت كل شيء : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء.
- وهو يجير ولا يجار عليه : يحفظ ويحمي من يشاء ولا يحمي عليه ويحفظ من أَرَادَهُ بسوء.
- فأنى تسحرون : أي كيف تخذعون وتصرفون عن الحق.
- بل أتيناكم بالحق : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.
- ولعلنا بعضهم على بعض : أي قهراً وسلطاناً.
- عما يصفون : أي من الكذب كزعمهم أن الله ولدأ وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل هؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء ﴿لَمَنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ من المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من هي له فسموه. ولما لم يكن لهم من بُدُّ أن يقولوا ﴿لِلَّهِ﴾ أخبر تعالى أنهم سيقولون لله. إذاً قل لهم : ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يصلح أن يكون له شريك من عباده، وهو رب كل شيء ومليكه. وقوله : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي سَلَّهْم من هو رب السموات السبع وربَّ العرش العظيم. الذي أحاط بالملكوت كله، أي من هو خالق السموات السبع، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمنصرف فيه، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي خالقها وهي لله ملكاً وتديراً وتصريفاً إذا قل لهم يارسولنا ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أنداداً تعبدونها معه، أما تخافون عقابه أما

(١) قل يارسولنا جواباً لهم عما قالوه : (لمن الأرض .. الخ).

(٢) أي : تتعظون فتعلموا .. الخ.

(٣) وتجعلون لله البنات وأنتم تكفرون ذلك لأنفسكم فكيف ترضونه لربكم؟

(١) نخشون عذابه وقوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾، أي سلمهم يارسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسّه بسوء ولا يجار عليه، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أراد به سوء وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله، أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم ﴿فأنى تسحرون؟﴾ أي كيف تتحدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق، وتتكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى: ﴿بل أتيناكم بالحق﴾ أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناكم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل ما يدعون ويقولون. ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ ولا بنت، ﴿وما كان معه من إله﴾ ولا ينبغي ذلك، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد هو أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إله بما خلق، ولحارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى: ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً لله تعالى عما يصفون به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك، والعجز عن البعث. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي مظهر ومابطن، وما غاب وما حضر فلو كان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء. ﴿فتعالى عما يشركون﴾

(١) الملكوت: من صفات المبالغة كالجبروت، والرهبوت، والمراد: ملك كل شيء، وهذا كله احتجاج على العرب لأنهم مقرّون بالله رباً، والاستفهام فيه وفي الذي قبله: تقريري لأنهم مقرّون أن الله هورب السموات وأنه الذي بيده ملكوت كل شيء.

(٢) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضعين الآخرين، ولا خلاف في الموضع الأول لأنه سؤال بمن الملك؟ ومن قرأ في الآخرين بلفظ: الله فلأن السؤال بغير اللام فجاء الجواب على لفظه. ومن أجاب بـ الله، فإنه راعى المعنى إذ رب السموات: مالكها فهي له وملكوت كل شيء لله.

(٣) (بل أتيناكم بالحق): إضراب لإبطال كونهم مسحورين. أي: ليس الأمر كما يخيل إليهم، وإنما أتيناكم بالحق وأكثرهم للحق كارهون، فهذه علة إعراضهم وعدم قبولهم لدعوة الحق، وقولهم فيه (إن هذا إلا أساطير الأولين).

(٤) نفى عنه تعالى اتخاذ الولد كما نفى أن يكون له شريك في الألوهية بالبرهان العقلي وهو: أنه لو كان معه آلهة لاقترسوا الكون وذهب كل إله بما خلق، وقد يحارب بعضهم بعضاً ويعلو من يغلب ولم يكن من مظاهر هذا شيء البتة فثبت النتيجة وهي المذكورة أولاً: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله).

(٥) هذا من جملة أدلة نفي الشريك له تعالى إذ العالم بكل شيء كيف يكون له شريك ولا يعرفه، وقرأ حفص عالم بالجر على أنه نعت لاسم الجلالة في قوله (سبحان الله)، وقرأ نافع بالرفع على أنه خير لمحذوف أي: هو عالم.

(٦) (عما يشركون) ما مصدرية، والمعنى: تعالى عن إشراكهم. أي: هو منزّه عن أن يكون له شريك.

علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيماً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته .
- ٢ - تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته .
- ٣ - تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المقتريين .
- ٤ - الاستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

قُلْ رَبِّ

إِمَّا تُرِيتَنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾
أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

- إما تريني ما يوعدون : أي إن تُريني من العذاب .
ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم .
من همزات الشياطين : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده .
أن يحضرون : أي في أموري حتى لا يفسدوها علي .

جاء أحدهم الموت : أي رأى علاماته ورآه .
برزخ : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا ، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل .

معنى الآيات :

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه ، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاها حتى يحين هلاك قومه ، أن لا يهلكه معهم فقال : ﴿ قل رب إما تريني ^(١) ﴾ أي أن تريني ﴿ ما يوعدون ﴾ أي من العذاب ، ﴿ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ﴾ بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم . وقوله تعالى : ﴿ وإنا على أن نريك مانعهم لقادرون ﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم .
وقوله : ﴿ ادفع بالتي ^(٢) هي أحسن ﴾ هذا قبل أمره بقتالهم : أمره بأن يدفع ما يقولونه له في الكفر والتكذيب بالخلة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الالتفات إليهم . وقوله : ﴿ نحن أعلم بما يصفون ﴾ أي من قولهم لله شريك وله ولد ، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً ، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ لما علمه الاحتراز والتحصن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول ﴿ رب ﴾ أي يارب ﴿ أعوذ بك ﴾ أي استجير بك من همزات الشياطين أي وسوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه على .
وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت ﴾ أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت

- (١) أصل إما : إن ما ، إن شرطية ، وما : صلة لتقوية الشرط ، وجواب الشرط فلا تجعلني مع القوم الظالمين ، علمه ربه هذا الدعاء ليدعوه . أي : إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني عنهم وأبعدني عنهم . وفي الآية تهديد عظيم للمشركين .
- (٢) الجملة تحمل وعيداً آخر مؤكداً للأول الذي تضمنته جملة (رب) إما تريني ما يوعدون .
- (٣) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باق ، وهو الصفع وعدم المؤاخذه فيما بينهم وأما بالنسبة للمشركين والكافرين ، فهو مودعة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم ، وقد أمر به فيما بعد .
- (٤) جمع همزة ، والهمز في اللغة النخس والدفع ، يقال : همزه ونخسه ودفعه ، قال الليث : الهمز : كلام من وراء القفا ، واللمز : مواجهة الشيطان يوسوس بوساوسه في صدر ابن آدم ، الهمس لغة : الكلام الخفي يقال : همس في أذنه بكذا : أسر به إليه .

(٥) هذا التعوذ ، وإن خوطب به الرسول ﷺ فهو لأمره معه معه بل هي أحوج منه إليه ، وهمزات الشيطان : هي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان بها نفسه وقد شكها خالد بن الوليد للنبي ﷺ أنه كان يورق من الليل فأمره أن يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون .

أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه ﴿قال رب ارجعون﴾^(١) أي أخرؤا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى ردّاً عليه ﴿كلا﴾^(٢) أي لا رجوع أبداً، ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ لا فائدة منها ولا نفع فيها، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة، ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٣).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن .
- ٢ - استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه .
- ٣ - مشروعية الاستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لا يفسدوه عليه بالخواطر السيئة .
- ٤ - موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يمكن منه فيموت بندمه وحسرتة ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة .

فَإِذَا نْفِخَ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ

خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(١) (ربّ ارجعون) هذا تمنّ للحياة الدنيا بعد ذهابها، وهيئات هيئات أن تعود!! وقوله : (ارجعون) : خاطب الربّ تعالى بضمير التعظيم وتعظيم المخاطب شائع في كلام العرب .

(٢) كلا : ردع للسامع ليعلم يقيناً إبطال ما يطلبه الكافر من الرجوع .

(٣) البرزخ : هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه : برزخ .

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

في الصور : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء .

المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

تلفح وجوههم النار : أي تحرقها

وهم فيها كالحون : الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه .

ألم تكن آياتي تتلى عليكم : أي يوبخون ويذكرون بالماضي ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن .

غلبت علينا شقوتنا : أي الشقاوة الأزلية التي تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده .

أخرجنا منها فإن عدنا : أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخير إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبى الموحى إليه، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقله تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقوله تعالى : ﴿فإذا نفخ في الناقور فذلك

(١) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، والحشر والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا : من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم !!

يومئذ يوم عسير ﴿ فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب يراعى أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط ، ولا يسأل حميم حميماً وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ قالت : هل تذكرن أهليكم يارسول الله يوم القيامة فقال أما عند ثلاثة فلا : إذا تطايرت الصحف ، وإذا وضع الميزان وإذا نصب الصراط ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون .

وقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة ومن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسر وأبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ أي تحرق وجوههم النار فيكحلون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسوأه وقوله تعالى : ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ؟ ﴾ هذا يقال لهم تأنيباً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجسدي ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله ، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه . وقوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح . وقوله تعالى : ﴿ وكنا قوماً ضالين ﴾ هذا قولهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين . ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ هذا دعاؤهم وهم في جهنم يسألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة ، وهو ما تضمنته الآيات التالية .

(١) ورد ما يخص هذا العموم وهو قوله ﷺ (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي) رواه الطبراني فإنه إن صح يكون مخصصاً للعموم الآية . والله أعلم .

(٢) (تلفح) وتنفع بمعنى واحد لقوله تعالى : (ولإن مستهم نفعة من عذاب ربك) إلا أن تلفح أبلغ من تنفع وأشد .

(٣) (الكحلج) : تكشر في عبوس ، والكالح الذي تشمرت شفتاه وبدت أسنانه قال ابن مسعود : أرايت الرأس المشتط بالنار وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه .

(٤) الاستفهام للتفريع والتأنيب ، والتذكير بما يزيد في حسرتهم وعظيم محتهم وبلائهم .

(٥) قرأ ابن مسعود وبها قرأ الكوفيون إلا حفصاً شقوتنا وقرأ الجمهور شقوتنا

(٦) وما يستقيمون لو ردوا لعلم الله تعالى بهم إذ قال عز وجل : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون) .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات .
- ٢ - تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة .
- ٣ - تقرير أن إسماعيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون .
- ٤ - الاعتذار بالقدر لا ينفع صاحبه ، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنبيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور .

قَالَ أَحْسَنُ أَفِيهَا

وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا
ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذَتْهُمْ
سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------|---|
| إخسأوا | : أي أبعدوا في النار أذلاء مخزيين . |
| فريق من عبادي | : هم المؤمنون المتقون . |
| فأتخذتهم سخرية | : أي جعلتهم محط سخريتهم واستهزائكم . |
| بما صبروا | : أي على الإيمان والتقوى . |
| هم الفائزون | : أي الناجون من النار المنعمون في الجنة . |

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾^(١) هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ وعلل تعالى حكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين يقوله: ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهو فريق المؤمنين المتقين يقولون ﴿ربنا آمنا فاغفر لنا﴾ ذنوبنا ﴿وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بليامهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية. ﴿أنهم﴾ هم الفائزون ﴿برضواني في جناتي لا غيرهم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾.
- ٢ - فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال.
- ٣ - حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه.
- ٤ - فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد.

(١) أي: أبعدوا في جهنم كما يقال للكلب: احسأ أي: أبعد، يقال: حسأ الكلب وأحسأه لازم ومتعد. يروي عن ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (إنكم ماكثون) والصحيح أنه يجيبهم بعد ألف سنة، وعندها ينقطع رجاؤهم ودعائهم ويقل بعضهم على بعض فيتنابحون كالكلاب وقد أطبق عليهم النار.

(٢) الظلم: وضع الشيء في غير موضعه وعابده غير الله تعالى وأضع العبادة في غير موضعها فلذا هو ظالم. والشرك: ظلم عظيم.

(٣) كلال وصهيب وعمار وخباب من فقراء المسلمين الذين كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ويسخرون منهم.

(٤) في الآية دليل على حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به.

(٥) قرء بفتح الهمزة أي: لأنهم هم الفائزون وقرء بكسرهما على الابتداء.

قُلْ

كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَشًا وَآنَاكُمْ
إِلَيْنَا لَأَتُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

كم لبثتم في الأرض : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم ؟ .
فاسأل العادين : يريدون الملائكة التي كانت تعد ، وهم الكرام الكاتبون أو من
يعد أما نحن فلم نعرف .

خلقناكم عبثاً : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا .
فتعالى الله الملك الحق : أي تنزه الله عن العبث .
لا برهان له : الجملة صفة لـ «إلهاً آخر» لا مفهوم لها إذ لا لا يوجد برهان ولا
حجة على صحة عبادة غير الله تعالى إذ الخلق كله مريبوب لله مملوك
له .

حسابه عند ربه : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى : ﴿ قال كم

لبثتم في الأرض عدد سنين؟ ﴿ هذا سؤال طرح عليهم أي سألهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين ﴿ لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾ أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم ، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لا يعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ هذا بالنظر إلى ما تقدم من عمر الدنيا ، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسابهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم . وقوله تعالى : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله : ﴿ لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو ﴿ رب العرش الكريم ﴾ أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض ، ولم لا يكون العرش كريماً وعظيماً ومالكة جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة .

(١) هذا السؤال موجه للمشركين في عرصات القيامة ، والسؤال عن لبثهم في قبورهم وجائز أن يكون عن مدة حياتهم في الدنيا .
(٢) قيل : أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في قبورهم ، وقيل : استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده .
(٣) هذا بالنظر إلى الدار الآخرة لا يعتبر شيئاً يذكر .

(٤) روي بضعف ابن مسعود مَرَّ بمصائب مبتلى فقرأ في أذنه : (أفحسبتم) الآية إلى (رحيم) فبرأ فقال رسول الله ﷺ : (ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال) .
(٥) أي : مهملين كما خلق البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها كقوله تعالى (أبحسب الإنسان أن يترك سدى) .
(٦) (فتعالى الله) : أي تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد ، وعن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً .

وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له﴾ أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح، وقوله: لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على جواز عبادة ما عبده، ومن أين يكون له الحجة والبرهان على عبادة غير الله والله رب كل شيء ومليكه وقوله تعالى: ﴿فإنها حسابه عند ربه﴾ أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسارنا مبيناً لأنه كافر والكافرون لا يفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد. وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي وارحمي واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتنق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.
- ٢ - تنزه الله تعالى عن العبث واللغو واللعب.
- ٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٤ - كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.
- ٥ - الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.
- ٦ - استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

(١) نظرت إلى حذف المفعول في: اغفر وارحم فانقدح في نفسي أن لحذفه سراً وهو: أن يكون عاماً في المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

سُورَةُ الزَّانِيَةِ^(١)

مدنية

وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
 بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ
 عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
 مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ (٣)

شرح الكلمات :

سورة أنزلناها

: أي هذه سورة أنزلناها .

وفرضناها

: أي فرضنا ما فيها من أحكام .

وأنزلنا فيها آيات بينات : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

لعلكم تذكرون

: أي تتعظون فتعملون بها في السورة من أحكام .

الزانية

: من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة .

مائة جلدة

: أي ضربة على جلد ظهره .

رأفة

: شفقة ورحمة .

وليشهد عذابهما

: أي إقامة الحد عليهما .

(١) روي أن عمر رضي الله عنه : كتب يوماً إلى أهل الكوفة . علموا نساءكم سورة النور . كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور ، والغزل .

طائفة : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة .

الزاني لا ينكح إلا زانية : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لا يقع وطء إلا على مثله .^(١)

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ﴿وفرضناها﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام ، وقوله : ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامره ونواهيه وآداب وأخلاق وقوله تعالى : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حران غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعضا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلداً غير مبرح ، وزادت السنة تغريب سنة ، وقوله تعالى : ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ ، أي لا تشفقوا عليهما فتعطلوا حدَّ الله تعالى وتحرموهما من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها ، وقوله : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي فأقيموا عليهما الحد وقوله : ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي إقامة الحد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل .

وقوله تعالى : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ أي لا يبطأ إلا مثله من الزواني أو مشركة لا دين لها ، والزانية أيضاً لا يبطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرك ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولزام هذا أن لا تزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته ، ولا تزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها .^(٥)

(١) أي : إلا مثل الواطئ يريد الزاني بالزانية والمشرک بالمشرکة .

(٢) قرأ الجمهور برفع الزانية وقرأ : عسى الثقفي بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه نحو : زيدا أضربه ، وتقدير الرفع : مما يتلى عليكم الزانية والزاني . على تقديم الخبر ، وقدمت الزانية لأن الزنى في النساء أعز وأقبح وأضر للحمل ، وال : في الزانية والزاني : للجنس ليعم سائر الزناة ، على مرور الأعصر والأيام .

(٣) لا خلاف في أن الذي يقوم بإقامة هذا الحد هو الإمام أو نائبه والسادة في العبيد ، وأن السوط يكون بين اللين والشدّة وسطاً بينهما ، ولا يتعدى هذا الحد إلا أن يجزؤ الناس على الجرائم ويكثر الشر والفساد فيعززون بما يردعهم .

(٤) قيل : إن هذه الآية منسوخة بآية : (وأيكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وما في التفسير أولى وأظهر وبه العمل .

(٥) الجمهور على أن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد استبرائها بحيضة وإذا زنت امرأة الرجل أو زنى هو لا يفسد نكاحهما .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين أو جلد خمسين^(١) جلدة لكل واحد منها إن كانا غير حرين .
- ٢ - وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين .
- ٣ - لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته ، ولا الزانية إلا بعد توبتها .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

- يرمون : أي يقذفون .
المحصنات : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء .
فاجلدوهم : أي حداً عليهم واجباً .
ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات .
إلا الذين تابوا : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم .

معنى الآيتين :

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي^(٢) والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط

(١) لقوله تعالى من سورة النساء (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والمراد به : الإماء والعبيد مثلهن ، ولما كان الموت لا ينصف فعلم أنه الجلد خمسين جلدة .

(٢) قيل : خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفس ومن حيث هو هوى الرجال .

(١) فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية : وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدالته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي عن طاعة الله ورسوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو﴾ بأن كذبوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفاحشة وقوله : ﴿فإن الله غفور﴾ فيغفر لهم بعد التوبة ﴿رحيم﴾ بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقدوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها .^(٢)
- ٢ - سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته .
- ٣ - قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً .^(٣)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ

فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

(١) اختلف في التعريض هل يوجب الحد أو لا؟ فمالك يرى إيجابه إذا حصلت المعرفة بالتعريض وإلا فلا وأخذ التعريض من آية : (إنك لأنت الحليم الرشيد) قاله قوم شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام تعريضاً به لا مدحاً له ومن أمثلة التعريض قول الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شبهه بالنساء .

وقال آخر :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

اتهم القبيلة بالضعف وهو من أحوال النساء .

(٢) للقذف شروط تسعة : العقل والبلوغ وهما للقاذف والمقدوف سواء إذ هما شرط التكليف، وشرطان في الشيء المقدوف به وهما أن يكون القذف بوطىء يوجب الحد وهو الزنى واللواط أو بنفيه من أبيه وخمسة في المقدوف وهي : العقل والبلوغ كما تقدم والاسلام والحرية والعفة .

(٣) الجمهور على أنه لا حد على من قذف كتابياً ذكراً أو أنثى والاجماع على عدم إقامة الحد على من قذف كافراً لأنه لا يحرم الزنى فكيف يحد على من قذف به؟ .

(٤) إن شهد أربعة وأقيم الحد على المقدوف ثم أقر أحد الشهود بأنه كان كاذباً فإن لأولياء الدم بين قتله وبين العفو عنه وبين أخذ ريع الدية منه . هذا مذهب مالك وبه قال أحمد رحمهما الله تعالى .

وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
شرح الكلمات :

يرمون أزواجهم : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه .

إنه لمن الصادقين : أي فيما رماها به من الزنى .

والخامسة : أي والشهادة الخامسة .

ويدرأ عنها العذاب : أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت .

أن تشهد أربع شهادات : أي شهادتها أربع شهادات .

والخامسة : هي قولها غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

ولولا فضل الله عليكم : أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما .
معنى الآيات :

بعد بيان حكم حد القذف العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ أي بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع شهادات قائلاً : أشهد بالله لقد رأيته تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة ﴿لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي فيما رمى به زوجته . وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماها به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم ، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها مازنت ، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله

(١) قرأ الجمهور بتشديد (أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ) (وَأَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا) بلفظ المصدر في (أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ) وتقدر باء الجر قبل أن لأنها هي التي اقتضت فتح أن، وقرأ نافع بتخفيف نون أن في الموضعين وغضب بصيغة الماضي .

(٢) ويعرف باللعان: لأن كلا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كاذباً .

(٣) نزلت هذه الآيات في قضية عويمر العجلاني مع زوجته خولة بنت عاصم أو قيس . فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقضه فيقتلونه أم كيف يفعل ؟ قال رسول الله ﷺ : (قد أنزل الله فيك وفي صاحبك) فذهب فات بها فأتى بها وتلاعنا وكانت هذه الحادثة في شعبان سنة تسع عقب القبول من غزوة تبوك .

(٤) حذف متعلق شهادته لظهوره من السياق أي : شهادته على ما ادعوه مما رما به أزواجه .

(٥) قامت الأربع شهادات مقام أربعة شهود الذين لا بد منهم في القذف بالفاحشة خاصة فشهادة القتل والسرقة وغيرها يكتفى بشاهدين وفي القذف لا بد من أربعة شهود .

(٦) سميت الأيمان هنا شهادة لأنها اقامت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها .

فتقول ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العذاب الذي هو الحد ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ^(١) عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.
- ٢ - بيان كيفية اللعان، وأنه موجب لإقامة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
- ٣ - في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحى إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكِ غُصْبَةً مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

(١) هذا تذييل لما مر من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيَسِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- بالإفك عصبه : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب ، والعصبة الجماعة .
شراً لكم بل هو خير : الشر ما غلب ضرره على نفعه ، والخير ما غلب نفعه على ضرره ،
لكم والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار .
والذي تولى كبره : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين .
لولا أداة تحضيض وحث بمعنى هلاً .
فيما أفضتم فيه : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ .
إذ تلقونه أي تتلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض .
وتحسبونه هيناً : أي من صفات الذنوب وهو عند الله من كبائر ما لأنه عرض مؤمنة
هي زوج رسول الله ﷺ .
سبحانك . : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به .
بهتان عظيم : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه .
يعظكم الله : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبداً .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق
لا يحصون عدداً إذ طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ
ورث فيهم رؤساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمتهم جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت
تضليلاً وتغريباً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردتهم النار باسم

الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباهما ولوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجته إلى الفاحشة.

وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق أو المريسيع، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهودج وجدوا هودج عائشة رضى الله عنها فظنوها فيه فوضعوها على البعير وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه، وما هي فيه، لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت فيه فعادت تلمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها وما زالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمي رضى الله عنه وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرآها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون أسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضى الله عنها فتجلبت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رأي ابن أبي لعنة الله عليه حتى قال والله مانجت منه ولا نجا منها، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، والذي تولى كبره هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة في المدينة واضطربت لها نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وبراءة صفوان رضى الله عنه، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾^(١) أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: ﴿عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة لا يقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر

(١) هذا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، والإفك: الكذب الخالص. الذي لا شبهة فيه يفاجأ به المرء فيبهته فيصير بهتاناً وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو القلب ومن صوره أن يقال في الصادق كاذب والطاهر خبيث ونحو ذلك.

(٢) عصبة: خبر إن، والعصبة: الجماعة يتعصب بعضهم لبعض.

مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها وحسان بن ثابت رضى الله عنه، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصائب وشدة الفتنة وقوله تعالى: ﴿لَّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه .
وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله .

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: ﴿لَوْلَا﴾ أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقتلتن لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم .

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالافك فإنهم لا يأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله . وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم . وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ بَالِغِ اسْتِكْرَامٍ﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ وهذا عتاب وتأديب . وقوله: ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ ، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين .

(١) الكبير: بكسر الكاف قراءة الجمهور ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، وقرئ كبره بضم الكاف.

(٢) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ العصابة وفيه تربية للمسلمين وإرشاد لهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب.

(٣) لولا: هذه مثل سابقتها حرف تحريض.

(٤) لولا هذه حرف امتناع لوجود، امتنع من العذاب لوجود فضل الله ورحمته.

(٥) الإفاضة في القول: التوسع فيه مشتقة من إفاضة الماء على العضو.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ إذ هذه مما لا يصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه. وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿سبحانك﴾ أي يارب ﴿هذا﴾ أي الإفك ﴿بهتان عظيم﴾ بهتوا به أم المؤمنين وصفوان.

وقوله: ﴿يعظكم﴾ الله أي ينهاكم الله خوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة ﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً. وقوله: ﴿وبين الله لكم الآيات﴾ التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.
- ٢ - بشاعة الإفك وعظيم جرمه.
- ٣ - العقوبة على قدر الجرم كبيراً وصغراً قلة وكثرة.
- ٤ - واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذا أنت عند الله من الكاذبين.
- ٥ - حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ

(١) لولا هنا بمعنى: هلا وهي للتوبيخ.

(٢) قال مالك: من سب أبا بكر وعمر آذب ومن سب عائشة كفر لأن عائشة براءها الله تعالى فمن سبها بغير الفاحشة آذب ومن سبها بالفاحشة كفر لأنه كذب الله تعالى.

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي
 مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
 وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

أن تشيع الفاحشة : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا .
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها
 العصبية .

خطوات الشيطان : نزغاته ووساوسه .
 ما زكى منكم من أحد أبداً : أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس
 الإثم .
 ولا يأتل أولوا الفضل منكم : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق
 رضي الله عنه .

والسعة : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير .
 معنى الآيات :

(١) مازال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
 أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي تنتشر وتشتهر ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي في المؤمنين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عداوتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار
 جهنم ، وكفى بهذا الوعيد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي ما
 يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب
 الأليم في الدارين ، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على ما يشرع وذلك

(١) روي أنه ﷺ قال : (أيما رجل شد عضد امرئ من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع ، وأيما
 رجل قال شفاعة دون حد من حدود الله أن يقام فقد عاند الله وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة ، وأيما
 رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء أن يشقيه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يرميه بها في النار ، ثم تلا
 مصداقه من كتاب الله : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) الآية .

لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ هلكتم بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي يامن صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر ، ففاصلوا هذا العدو ، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليظهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم ، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصابة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه إخوانهم ، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له . وقوله : ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصْفَحُوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثانة

(١) (لهلكتم) هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق .

(٢) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي : أنَّ الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وسواس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد .

(٣) لولا هنا : حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته ، والجملة سبقت للامتنان على المؤمنين ليذكروا .

(٤) روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) العشر آيات ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربائه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم) إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال : لا أنزعها منه أبداً . قال ابن المبارك . هذه أرحى آية في كتاب الله .

(٥) الفضل : الزيادة وهي ضد النقص . والسعة : الغنى والائتلاء : الحلف مأخوذ من الآلية التي هي الحلف .

وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا يأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤثوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكر ونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾ فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله ﷺ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الاستئذان عند دخول البيوت المسكونة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ما كضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

(١) (أَلَا تَحِبُّونَ): الاستفهام للإنكار وهو مستعمل في التحضيض والحث على السعي تحصيلاً للمغفرة بالعفو والصفح.

- ٢ - حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.
- ٣ - متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.
- ٤ - على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.
- ٥ - من حلف على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أن غيره خير منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.
- ٦ - وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾
 يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِيُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
 الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
 وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
 مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- يرمون المحصنات : أي العفيفات بالزنى .
- الغافلات : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها .
- المؤمنات : أي بالله ورسوله ووعده الله ووعده .
- يعملون : أي من قول أو عمل .
- يوفيهم الله دينهم الحق : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم .
- الخبيثات : الخبيثات من النساء والكلمات .

للخبِيثين : للخبِيثين من الرجال
والطَيِّيات : من النساء والكلمات
للطيين : أي من الرجال .
أولئك مبرءون مما : أي صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها أي مبرءون مما قاله
يقولون عصبة الإفاك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١)
هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبد الله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي
عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها ﴿لَعْنُوا﴾ أي أبعدها من الرحمة الإلهية
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، ولهم عذاب عظيم ﴿فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ الْحدِّ عَلَيْهِمْ﴾ وفي الآخرة بعذاب النار،
وذلك ﴿يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من سوء الأفعال
وقوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي
جزاءهم الواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق المبين أي الإله الحق الواجب
الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا لغيره .

وقوله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ﴾ أي الخبيثات من النساء والكلمات للخبِيثين من
الرجال كابن أبي ، ﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ أي والخبيثون من الرجال للخبِيثات من النساء
والكلمات وقوله : ﴿وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ﴾ أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من
الرجال كالنبي ﷺ وعائشة رضى الله عنها وقوله : ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أي والطيبون من
الرجال للطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا

(١) هذه الجملة مستأنفة كجملة : (إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونُ أَنْ تُشْعِجَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا .) وكلتا الجملتين تفصيل للموعظة
في قوله تعالى : (يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ لَا تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

(٢) الإجماع على أن حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياساً واستدلالاً وحكماً
وقضاء .

(٣) الغافلات : من اللاتي لا علم لهن بما رمين به وذلك لسلامة صدورهن ويُعدهن - بحكم إيمانهن - عن مواطن الرب .

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً .

(٥) لوصف الله تعالى بالحق له معنيان جليلان . الأول : أنه بمعنى : الثابت الحق لأن وجوده واجب فذاته حق إذ لم يسبق
عليها عدم ولا انتفاء فلا يقبل إمكان العدم . والثاني : أنه تعالى ذو الحق الواجب له على عباده وهو عبادته وحده دون سواه .

(٦) الابتداء بذكر الخبيثات لأن الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين واللام في للخبِيثين :
للاستحقاق .

(٧) المراد من الخبث والطيب : الصفات النفسية . الفواحش : صفات خبث والفضائل صفات طهر .

يقولون ﴿ أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها ، ومبرؤون أي من حالة السوء التي قالها ابن أبي ومن أذاعها معه . وقوله : ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ هذه بشرى لهم بالجنة مقابل مانالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لا يخلو منها مؤمن وهو الستر عنها ومحوها ورزقاً كريماً في الجنة .

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عِظْمُ ذَنْبٍ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ وَقَدْ عَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .
- ٢ - تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب .
- ٣ - تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله .
- ٤ - استحقاق الخبث أهله . فالخبث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث .
- ٥ - استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب .
- ٦ - براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماه بها أهل الإفك .
- ٧ - بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ
قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ

فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

- آمنوا : أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع .
تستأنسوا : أي تستأذنون إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي .
وتسلموا على أهلها : أي تقولوا السلام عليكم أَدْخَلْ ثَلَاثًا .
تذكرون : أي تذكرون أنكم مؤمنون ، وأن الله أمركم بالإستئذان .
أزكى لكم : أي أظهر وأبعد عن الريبة والإثم .
ليس عليكم جناح : أي إثم ولا حرج .
فيها متاع لكم : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها .
ماتبدون : أي ماتظهرونه .
وما تكتمون : أي ماتخفونه إذا فراقوه تعالى ولا تضمروا ما لا يرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَتَسْتَأْذِنُوا قَائِلِينَ أَدْخُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أْذِنَ لَكُمْ بِالْدُخُولِ دَخَلْتُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا أَيْ لَمْ يَأْذِنُوا لَكُمْ لِحَاجَةٍ عَنْدهُمْ فَارْجِعُوا وَعَبَّرَ عَنِ الإِسْتِئْذَانِ بِالِاسْتِنْسَاءِ لِأَمْرَيْنِ أَوَّلُهُمَا أَنَّ لَفْظَ الإِسْتِنْسَاءِ (٣) وَارْدٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الإِسْتِئْذَانِ وَثَانِيَهُمَا : أَنَّ الإِسْتِئْذَانِ مِنْ خِصَائِصِ الْإِنْسَانِ النَّاطِقِ وَعَدَمُهُ مِنْ خِصَائِصِ الْحَيَوَانَ الْمَتَوَحِّشِ إِذْ يَدْخُلُ عَلَى الْمَنْزِلِ بَدُونِ إِذْنٍ إِذْ ذَاكَ لَيْسَ مِنْ خِصَائِصِهِ .

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية أَنَّ امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله : إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمسكن في طرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة . . الخ .

(٢) صحَّ أَنَّ رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (ارجع فقل السلام عليكم) وقال : (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذنوا له) .

(٣) الاستئناس ، معناه طلب الأئس لأهل البيت حتى تزول الوحشة والكراهة وذلك بالاستئذان .

وقوله ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي الاستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالاستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي في البيوت يأذن لكم أي بالدخول فلا تدخلوها وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾ لِأَمْرٍ اقْتَضَى ذَلِكَ ﴿فَارْجِعُوا﴾ وأنتم راضون غير ساخطين. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي أظهر لنفوسكم وأكثر عائدة خير عليكم. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي مطلع على أحوالكم فتشريعه لكم الاستئذان واقع موقعه إذا فاطبعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾. هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لا يستأذنوا عند دخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الاستئذان أي طلب الإذن لا غير.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي يعلم ماتظهرون من أقوالكم وأعمالكم وما تخفون إذا فراقبه تعالى في أوامره ونواهيه وافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الاستئذان وجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته .
- ٢ - الرخصة في عدم الاستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض .

(١) ورد في الصحيح ما يجعل الاستئذان متأكداً فوق المشروعية إذ أن رجلاً اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدراً يرجل به رأسه فقال له رسول الله ﷺ (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البص) وفي الآية توعدهم لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة .

(٢) وإذا قيل له من؟ فلا يقل أنا بل يقول فلان ابن فلان لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال : استأذنت على رسول الله ﷺ فقال : من هذا؟ فقالت أنا فقال النبي ﷺ : أنا أنا كأنه كره ذلك).

- ٣ - من آداب الاستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه ، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أَدْخِلْ ثلاث مرات .
- ٤ - في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
 ذَٰلِكَ أَرَبَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
 يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
 وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
 آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
 أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ
 الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
 وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا
 إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

- يغضوا من أبصارهم^(١) : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل
 لهم أن ينظروا إليهن .
- ويحفظوا فروجهم : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى
 واللواط .

(١) بدأ بالامر بغض البصر قبل الامر بحفظ الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت . أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

أزكى لهم
ولا يدين زينتهن

: أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات .
: أي مواضع الزينة الساقين حيث يوضع الخلخال،
وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس
حيث الشعر والأقراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين
والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب
والقلائد .

إلا ما ظهر منها

: أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيئاً
والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة
كالخمار والعجار والعباءة .

بخمرهن على جيوبهن

: أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي
فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيء من
جسمها .

إلا لبعولتهن
أو نسائهن

: البعل الزوج والجمع بعول .
: أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة
أمامهن .

أو ما ملكت أيأمنهن

: أي العبيد والجواري فللمسلمة أن تكشف وجهها
لخادمها المملوك .

أو التابعين غير أولي الإربة

: أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا
حاجة لهم إلى النساء .

أو الطفل

: أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ .
لم يظهروا على عورات النساء : أي لم يبلغوا سنأ تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء
للتلذذ بهن .

ليعلم ما يخفين من زينتهن
تفleichون

: أي الخلاخل في الرجلين .
: أي تفوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر
والشرف وعالي الغرف في دار النعيم .

معنى الآيات :

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب وأقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ أي مُرِّ يارسولنا المؤمنين بأن يغضوا من^(١) أبصارهم أي بأن يخفصوا أجفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيةات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجته فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب، وقوله : ﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ أي أظهر لنفوسهم من نوافل العبادات ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ أي مُرُّهن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ مما لا يمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لا يمكنها ستره .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر سترًا كاملاً وقوله : ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ أعاد اللفظ ليرتب عليه ما بعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج ، والأب والجد وان علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا ، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبنائه وأن نزلوا ، وابن الأخ

(١) غض البصر واحترام النساء بعدم النظر إليهن معروف في الجاهلية وهذا عنترة بن شداد يقول :

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي ماواها؟

لم يذكر الله تعالى ما يغض البصر من أجله للعلم به وهو : وجود النساء الأجنبيةات ، وكذا ما يحفظ منه الفرج ، وهو : النظر إليه والزنى واللواط .

(٢) (من) جائز أن تكون زائدة في يغضوا أبصارهم ، وجائز أن تكون للتبعض لجواز النظر إلى المحارم .

(٣) ورد في الأمر بغض البصر في السنة قوله ﷺ (إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال : فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقال لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) .

(٤) قال ابن عطية : ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية : أن المرأة مأمورة بأن تُبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر لحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه ، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فيما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه .

وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم. والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات، وعندها المملوك لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف، وعنين ومعتوه وطفل صغير لم يميز دون البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ نهي تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غرض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المهوب والظفر بالمحسوب المرغوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

(١)

- ١ - وجوب غرض البصر وحفظ الفرج.
- ٢ - وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.
- ٣ - بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.
- ٤ - الرخصة في إظهار الزينة للمهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.
- ٥ - حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ما تخفي من زينتها.
- ٦ - وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل.

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾

(١) وجوب غرض البصر عن النظر إلى المحارم والعورات ويستحب ستر العورة عن الزوج، لحديث عائشة: (ما رأيت ذلك منه، ولا رأى ذلك مني) كما يستحب ستر العورة مطلقاً عن الله وملائكته لقوله ﷺ (فأله أحق أن يستحي منه من الناس: لمن قال له: الرجل يكون خالياً).

وَلَيْسَتْ عَفِيفِ الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا
تُكْرَهُوا فَيْتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَتْنُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٢٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٢٤)

شرح الكلمات :

- وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ : أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم .
- وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ : أي وزوجوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم .
- إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ : أي إن يكن الأيامي فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنهم .
- إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ : أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكرماً .
- وَلَيْسَتْ عَفِيفَ : أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام .
- يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ : أي يطلبون المكاتب من الممالك .
- إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا : أي قدرة على السداد والإستقلال عنكم .
- وَآتُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ : أي اعينوهم بثمن نجم من نجوم المكاتب من الزكاة وغيرها .
- عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا : أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا .

عرض الحياة الدنيا

: أي المال .

: أي على البغاء «الزنى» .

ومن يكرههن

مبينات

: للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه .

ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم : أي قبلكم : أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة

يوسف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك .

وموعظة : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (٣٢) أمر جماعة المسلمين أن يزوجوا الأيامي من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا^(١)﴾ والأمر للإرشاد ﴿الأيامي﴾ جمع أيَم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً ، ﴿منكم﴾ أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين . وقوله : ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته ، وتكاليفه من مماليتكم وقوله : ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ غير موسرين لا يمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله : ﴿يَغْنِيهِمُ^(٢)﴾ الله من فضله والله واسع عليم ﴿أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لا يجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى : ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يَغْنِيَهُمُ^(٣)﴾ الله من فضله والله واسع عليم ﴿أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عباده وحاجة المحتاجين منهم . وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه

(١) الخطاب للأولياء ولجماعة المسلمين إن عجز الأولياء أي : زوّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف ، والظهر والتكافل الاجتماعي . والنكاح تجرى عليه الأحكام الخمسة إذ يكون واجباً على من خاف العنت وقدر على مؤونته ، ويسن لمن لم يخف العنت وقدر على مؤونته ويحرم على من لم يخف العنت ولا مؤونة لديه . ويكره لمن لم يخف العنت ويشغله عن طاعة الله تعالى ويباح لمن لا رغبة له فيه وهو قادر عليه .

(٢) اختلف في هل للسيد أن يكره عبده أو أمته على التزويج والذي يبدو أن الإكراه يشرع مع خوف الضرر فإن لم يكن ضرر فلا إكراه .

(٣) في الآية دليل على تزويج الفقير بل قال عمر : عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى : (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله) .

(٤) نكاحاً : أي طُرِّجَ نكاح فحذف المضاف ، وفي الحديث الذي رواه النسائي (ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم : المجاهد في سبيل الله والنائح الذي يريد العفاف ، والمكاتب الذي يريد الأداء) .

الآية وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكتبه . وكان أهلاً للتححر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبه . ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكتبه ، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاذبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وقوله تعالى : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جارتين كانتا لعبد الله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معادة ومسيكة قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكنا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة . وقوله : ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٤) ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنية مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكمّلوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله : ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله : ﴿وموعظة للمتقين﴾ وهي ماتضمنته الآيات من الوعيد والوعيد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامي من المسلمين أحراراً وعبيداً .

٢ - وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى يسر الله أمره .

٣ - عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى .

(١) لا تكون المكاتبه إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد .

(٢) (خيراً) أي : صلاحاً وتقوى وقدرة على الأداء .

- ٤ - تعين مكاتبة العبد إذا توافرت فيه شروط المكاتبة .
 ٥ - حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود .
 ٦ - صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجماً أي قسطاً . على أنك إذا وفيتها في آجالها فانت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .
 ٧ - بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ﴾

وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ
 الزُّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
 لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ
 نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
 لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ
 وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
 رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
 مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الله نور السموات : أي منورهما فلولا له لما كان نور في السموات ولا في

الأرض، والله تعالى نورٌ ^(١) وحجابه النور.

مثل نوره : أي في قلب عبده المؤمن .
 كمشكاة : أي كوة
 كوكب دري : أي مضىء اضاءة الدر الوهاج .
 نور على نور : أي نور النار على نور الزيت .
 يهدي الله لنوره : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه
 برغبته وصدق نيته .

ويضرب الله الأمثال : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه
 ويعقلوا ما يدعوههم إليه .

في بيوت أذن الله أن ترفع : هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة
 وصيانة .

يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ^(٢) : يوم القيامة .
 يرزق من يشاء بغير حساب : أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن
 كان كثيراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ ^(٣) يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا
 هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهدي بهما
 في ظلمات الحياة كما يهدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي
 الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه .

وقوله تعالى : ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ أي كوة في جدار ﴿فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾
 من بلور، ﴿والزجاجة﴾ في صفائها وصقالتها مشرقة ﴿كأنها كوكب دري﴾ والكوكب الدرّي
 هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية، وقوله : ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي وزيت

(١) في الحديث الصحيح : (اللهم أنت نور السموات والأرض) وفي آخر صحيح وقد سئل ﷺ : هل رأيت ربك؟ فقال (نور)
 أنى أراه) وفي آخر (رأيت نوراً).

(٢) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، وأما تقلب
 الأبصار : فإنها بالنظر هنا وهناك لشدة الخوف وعظم الهول . هذه قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق
 والعمى بعد الإبصار .

(٣) قال ابن عباس : (الله نور السموات والأرض) يقول : هادي أهل السموات والأرض .

المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتون والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿نور على نور﴾ أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها. وقوله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي يضرب الله الأمثال للناس الذي ضربه للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.

وقوله: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر ووصى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا، وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بالأذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ أي الله في تلك البيوت ﴿بالغدو﴾ أي بالصباح ﴿والأصال﴾ أي المساء ﴿رجال﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿لاتلهيهم تجارة ولا بيع﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿عن ذكر الله﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألستهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿واقام الصلاة وإتياء الزكاة﴾ أي لاتلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وقوله: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفزع والاهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ليجزيه الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله﴾

(١) أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاج إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.

(٢) قوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ إلى قوله: (عليم) هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.

(٣) قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإن مسته النار ازداد ضوؤه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدئاً على هدئاً ونوراً على نور.

(٤) كون (في بيوت) متعلقاً بقوله (مصباح) أولى وأوضح من تعلقه بيسبح له) وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: (وجعل فيهن نوراً) وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.

(٥) لقول الرسول ﷺ للذي أنشد الضالة: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له) يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلم العلم.

(٦) الأصال: جمع أصيل وهو المساء.

أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك .
- ٢ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم .
- ٣ - الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية ، لا اشتراكية ولا رأسمالية . بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل .
- ٤ - وجوب تعظيم بيوت الله تعالى « المساجد » بتطهيرها ورفع بنائها وإخلاؤها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها .
- ٥ - ثناء الله تعالى على من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

أَوْ كُظِّمَتْ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ

فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُهُ لَمْ

يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ

اللَّهُ يَسْخِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ

(١) أول من أنار مسجد رسول الله ﷺ : تميم الداري ، إذ أتى بقناديل من الشام فعلقها في مسجد رسول الله ﷺ وأسرجها فراها الرسول ﷺ فدعا بقوله ﷺ (نور الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة) .

عَلَّمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

كسراب بقية : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ، والبقية جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض .

الظمان : العطشان .

بحر لحي : أي ذو لجج واللجة معظم الماء وغزير كما هي الحال في المحيطات .

يفشاه موج : يعلوه ويغطيه موج آخر .

يسبح له : ينزه ويقدر بألفاظ التسبيح والتفديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح .

صافات : باسطات أجنحتها .

قد علم صلاته : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب﴾^(١) لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بقية﴾ أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة . ﴿يجسبه الظمان ماء﴾ أي يظنه العطشان ماء وما هو بقاء ولكنه سراب خادع ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ لأنه سراب لا غير . فإلى للخيبة ، خيبة ظمان يقتله العطش فرأى سراباً فجري وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء ، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخر خسراناً مبيناً ، ﴿والله سريع الحساب﴾ فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم . هذا مثل تضمنته الآية الأولى (٣٩) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (٤٠)

(١) سمي السراب سراباً : لأنه يسرب كالماء في جريانه ، والسراب يلتصق بالأرض ، والآل كالسراب إلا أنه يكون كالماء ولكنه مرتفع بين السماء والأرض قال الشاعر :

وكنتم كمهريق الذي في سقائه لزقراق آل فوق رابية صلد

وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر وظلمة العمل السيئ والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه وما يريده منه ، وما أعد له قال تعالى : ﴿أَوْكُظْلِمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ﴾ أي ذي لجج من الماء ﴿يَغْشَاهُ﴾ أي يعلوه ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ . والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا ، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ . أعلم تعالى عباده أن النور له ويده فمن لم يطلبه منه حرمة وعاش في الظلمات والعباد بالله .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ أي ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير صافات أي باسطات أجنحتها تسبح الله تعالى بمعنى تنزهه بالفاظ التنزيه كسبحان الله . فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله تسبح فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى : ﴿كُلٌّ أَتَىٰ مُنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ كَمَا أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَتَسْبِيحَهُ لَهُ﴾ والله عليم بما يفعلون ﴿أَيُّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ ، وَيُجْزِيهِمْ بِهَا وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرٌ إِذْ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ أَيُّ مَصِيرٍ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ الَّذِي يُحْكِمُ فِيهِ بِحُكْمِهِ الْعَادِلُ .

(١) قال الجرجاني الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار ، والثانية في ذكر كفرهم . ونسق الكفر على الأعمال لأن الكفر أيضاً من أعمالهم .

(٢) قيل : المراد بالظلمات : أعمال الكفار ، وبالبحر اللّجي : قلب الكافر ، وبالموج فوق الموج : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة ، وبالسحاب : الرين والختم والطبع على قلبه ، ولذا قال أبي بن كعب : الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار .

(٣) قيل : هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة أو في ربيعة نفسه إذ كلاهما ترفع وطلب الدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام كفرا به ولم يدخلها فيه وماتا كافرين .

(٤) أي : من الجن والإنس .

(٥) قرئ (والطير) بالرفع عطفاً على من . وقرئ بالنصب على نحو : قمت وزيداً أي معه وهو أجود من الرفع ولو قلت قمت أنا وزيد لكان الرفع أجود .

(٦) تسبيح الحال هو ما يُرى من علم الله تعالى وقدرته في آثار الصنعة في المخلوقات ، فالخالق المدبر وحده لا يكون إلّا لها واحداً لا شريك له .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان .
- ٢ - بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها .
- ٣ - بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم .
- ٤ - تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها .
- ٥ - بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السموات وما في الأرض وقوله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي

سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَرِ ﴿٤٤﴾

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|------------------------------|
| يزجي سحاباً | : أي يسوق برفق ويسر . |
| ثم يؤلف بينه | : أي يجمع بين أجزائه وقطعه . |
| ثم يجعله ركاماً | : أي متراكماً بعضه فوق بعض . |
| الودق | : أي المطر . |

يخرج من خلاله :	أي من فرجه ومخارجه .
من جبال فيها من برد :	أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج .
فيصيب به من يشاء :	أي فيصيب بالبرد من يشاء .
سنا برقه :	أي لمعانه .
يذهب بالأبصار :	أي الناظرة إليه
لعبرة :	أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .
كل دابة من ماء :	أي حيوان من نطفة .
على بطنه :	كالحيات والهوام .
على رجلين :	كالإنسان والطيور .
على أربع :	أي كالأنعام والبهائم .
إلى صراط مستقيم :	أي إلى الإسلام .

معنى الآيات :

مازال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواء فقال تعالى : ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله يزجي^(١) سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلف﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي متراكماً بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه وشقوقه . والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله : ﴿ويتزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته ، ويصرفه عمن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر

(١) ذكر تعالى من حججه وبراهينه على ألوهيته شيئاً آخر هو: سوق السحاب وتكوين المطر وإنزاله، وإزجاء السحاب، سوقه يقال: البقرة ازجت ولدها: إذا ساقته أمامها.

(٢) يقال: ركمه يركمه ركماً، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض، والركام المتراكم.

(٣) الودق: إنه البرق، وكونه المطر: أولى ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

(١) القدرة واللطف الإلهي وقوله: ﴿يكاد سنا برق﴾ أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.

وقوله تعالى ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولعان البرق وتقلب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكما له فيعبودونه ويوحدونه مُحَبِّين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعالى: ﴿والله خالق كل دابة﴾ أي من إنسان وحيوان ﴿من ماء﴾ أي نقطة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطيور، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ إذ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي على فعل وإيجاد ما يريد قدير لا يعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلفها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟ وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.

(١) السنا مصدر : لمعان البرق والسنا، ممدود: الرقعة قال: ابن دريد:

زال السنا عن ناظري وزال عن شرف السناء

فالسنا الأول: الرقعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: (يكاد سنا برق) وصف لـ: (سحاباً).

(٢) فخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.

(٣) تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبيهاً على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.

(٤) هذه الجملة ذكرت تذييلاً وتعليلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى .
- ٢ - بيان كيفية نزول المطر والبرد .
- ٣ - مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن زرع وماشية بعض عباده .
- ٤ - مظاهر القدرة والعلم في قلب الليل والنهار على بعضهما بعضاً .
- ٥ - بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة .
- ٦ - امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال .

وَيَقُولُونَ

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

﴿٥٢﴾

(١) قرأ حفص : (ويَتَّقْهِ) بإسكان القاف على نية الجزم لأن مَنْ : شرطية جازمة، وكسرهما الباقيون : لأن جزم المعتل بحذف آخره وأسكن الهاء بعض واختلس كسرتها قالون عن نافع، وأشيع الكسرة الباقيون .

شرح الكلمات :

- ويقولون : أي المنافقون .
 آمنا بالله وبالرسول : أي صدقنا بتوحيد الله وبنبؤة الرسول محمد ﷺ .
 ثم يتول فريق منهم : أي يعرض .
 إذا فريق منهم معرضون : أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ .
 مذعنين : أي مسرعين منقادين مطيعين .
 في قلوبهم مرض : أي كفر ونفاق وشرك .
 أم ارتابوا : أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ .
 أن يحيف الله عليهم ورسوله : أي في الحكم فيظلموا فيه .
 إنما كان قول المؤمنين : هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة .
 المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته، والموجبة للإيمان بالله ورسوله، وما عند الله من نعيم مقيم، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أي صدقنا بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً، وأطعناهما^(١) ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ﴿أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله﴾ ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أي في قضية من قضايا دنياهم، ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول ﷺ وقوله: ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم ﴿يأتوا إليه﴾ أي إلى رسول الله ﷺ ﴿مذعنين﴾ أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الرسول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى: ﴿أفي

(١) قولهم، هذا قول باطل إنهم ما آمنوا ولا أطاعوا وإنما هو قول المنافقين والله شهد إنهم لكاذبون.

(٢) قيل: إن هذه الآية نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي كانت بينهما أرض فقال اليهودي: هيا نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال بشر المنافق لا إن محمداً يحيف علينا فلنحتكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فنزلت.

(٣) لم يقل ليحكم لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ وإنما قدم اسم الله تعظيماً ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبين ومنفذ لا غير.

قلوبهم مرض ﴿أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق. ﴿أم ارتابوا﴾ أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله ﷺ. ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ لا ، لا ، ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ ، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى : ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ أي الصادقين في إيمانهم ﴿إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم : سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الناجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق. وقوله تعالى : في الآية الكريمة الأخيرة (٥٢) ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ أي فيما يأمران به وينهيان عنه ، ﴿ويخش الله﴾ أي يخافه في السر والعلن ، ﴿ويتهقه﴾ أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يغشى محرماً ، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة المنعمون في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرة من ربنا وربهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة .
- ٢ - من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق .
- ٣ - اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق .
- ٤ - فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان .

(١) الاستفهام للتوبيخ والذم وهو أبلغ في التوبيخ وأشد في الذم من مجرد الإخبار كما في المدح أيضاً أبلغ وأشد فيه ، وشاهده قول جرير في المدح :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(٢) حكى أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم فقبل له هل لإسلامك سبب؟ قال : نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت . وقيل له ما هي؟ قال : قوله تعالى : (ومن يطع الله) في الفرائض (ورسوله) في السنن (ويخشى الله) فيما مضى من عمره (ويتهقه) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة . فقال عمر قال النبي ﷺ : (أوتيت جوامع الكلم).

﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ
 لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يُمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾
 قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
 وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُوا بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

- وأقسموا بالله جهد أيمانهم : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم .
 لئن أمرتهم : أي بالخروج إلى الجهاد .
 طاعة معروفة : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم بالله .
 فإن تولوا : أي فإن تولوا أي تعرضوا عن الطاعة .
 عليه ما حمل : أي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .
 وعليكم ما حملتم : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكما .
 وإن تطيعوه تهتدوا : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى خيركم .
 ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يُدِيلَ لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون .

وليمكنهم دينهم : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال.

معنى الآيات :

(١) مازال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿وَأَقْسَمُوا اللَّهَ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي أقسموا للرسول ﷺ مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتني بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم . وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : ﴿لَا تَقْسَمُوا﴾ أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيد، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم وما يقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به . وينهيان عنه ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها، فإنما على الرسول ما حمل من البلاغ والبيان، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقي جزاءه وافيأً عند ربه وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يبحث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي ليس على الرسول هداية القلوب، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فَضْلٌ وَهَلْكَ .
وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي صدقوا الله والرسول (وعملوا الصالحات) فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكمين في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعماليق من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول : ﴿وَلِيُمْكِنَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام

(١) (جهد أيمانهم) أي : طاقة ما قدروا أن يحلفوا . والجهد : بفتح الهاء : منتهى الطاقة وهو : منصوب إما على الحال من أقسموا . أو على المفعول المطلق أي : جهدوا أيمانهم جهداً .

(٢) هنا تم الكلام ، ثم استئناف على تقدير : طاعة معروفة أولى من أيمانكم هذه المبالغين فيها .

(٣) (فإن تولوا) : أصله : تتولوا حذفت التاء الأولى تخفيفاً . وهو حذف شائع وسائغ .

(٤) قال مالك : هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقيل : هذه الآية تضمنت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهو كذلك وصدق ذلك قوله ﷺ : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وفي الآية دليل نبوة الرسول ﷺ وصحة دينه ، إذ تضمنت الآية إخباراً بالغيب فكان كما أخبر تعالى به .

* جملة تذييلية تحمل التهديد لهم إذ هم كاذبون في إيمانهم وغير صادقين في أقوالهم وأعمالهم .

فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى : ﴿وَلِيُبدِلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(١) إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لا يقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتآلب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ما وعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿يَعْبُدُونِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ هذا ثناء عليهم ، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا ومازال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم . وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ^(٢) هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإِنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المستوجبون لعذاب الله ونقمته . عياذا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى .
- ٢ - عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيـمان .
- ٣ - طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران .
- ٤ - صدق وعد الله تعالى لأهل الإيـمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ .
- ٥ - وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات .
- ٦ - الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فَعَرَضَهَا لِلزوال .

(١) فإن قيل : وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة ؟ فالجواب : ليس الأمن مانعا من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) .

(٢) الجملة يصح أن تكون حالاً أي : في حال عبادتهم الله تعالى بالإخلاص والعلم . وجائز أن تكون مستأنفة تحمل الثناء عليهم بعبادة ربهم تعالى وحده .

(٣) المراد بالكفر : كفران النعم ، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط ، وأهمل الدين ، وسلب الله ما أعطى ، وفي هذا دليل آخر على صحة القرآن والنبوة والإسلام إذ هذه أخبار غيب تمت كما أعلنت .

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا أُولَئِهِمُ النَّارُ وَلِبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

وأقيموا الصلاة : أي أدوها أداءاً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها
وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم .

وآتوا الزكاة : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحراث والناطق
كالأنعام من إبل وبقر وغنم .

وأطيعوا الرسول : أي محمداً ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه .

لعلكم ترحمون : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلا يعذبكم فيهما
معجزين في الأرض : أي معجزين الله تعالى بحيث لا يدركهم ولا ينزل بهم نقمته
وعذابه .

ولبئس المصير : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه .

معنى الايتين :

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة
الرسول ﷺ في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين ، ولا يعذبوا
فيهما . وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل
مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ﴾^(١) هذا خطاب للرسول
ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما
أراد بهم من خزي وعذاب ، لا ، لابل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم ، وقد فعل ﴿ وما أواهم
النار ﴾ يوم القيامة ﴿ ولبئس المصير ﴾ نار جهنم يصيرون إليها .

(١) الآية تحمل تسلياً للنبي ﷺ وقرئت بالتاء : (تحسين) خطاب للنبي ﷺ ولكل ذي أهلية من أصحابه والمؤمنين والجملة
مستأنفة استئنافاً ابتدائياً وقرئت الآية : (ولا يحسبن) بالياء وهي قراءة ضعيفة إذ حسب هنا بمعنى ظن ولم يذكر لها إلا مفعولاً
واحداً وهي تنصب مفعولين .

(٢) المعجز : الذي يعجز غيره أي : يجعله عاجزاً عن غلبه ، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .
- ٢ - تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نعمته ويحل عليهم عذابه .
- ٣ - بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لِئَسْتَعِزَّذَنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِزَّذُوا كَمَا اسْتَعِزَّذَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

- ليستأذنكم : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم .
 ملكت أيمانكم : من عبيد وإماء .
 لم يبلغوا الحلم منكم : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فما فوق .
 تضعون ثيابكم : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم .
 ثلاث عورات لكم : العورة ما يستحي من كشفه ، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات .
 بعدهن : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة .
 طوافون عليكم : أي للخدمة .
 بعضكم على بعض : أي بعضكم طائف على بعض .
 فليستأذنوا : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .
 والقواعد من النساء : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن .
 أن يضعن ثيابهن : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار .
 غير متبرجات بزينة : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال .
 وأن يستعففن خير لهن : بأن لا يضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روى من نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

فقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم . وقوله ﴿ليستأذنكم﴾ الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ، أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمروهم بذلك . وقوله : ﴿ثلاث مرات﴾ هي المبينة في قوله : ﴿من قبل صلاة

(١) قيل : إن الآية منسوخة وقيل : هي للندب أو هي واجبة إذ كانوا لا أبواب لغرفهم والصحيح أنها محكمة وأن الاستئذان من هؤلاء المذكورين واجب وسواء كان العبد وغداً أو ذا منظر حسن .

(٢) (ملكتم أيمانكم) هم العبيد والذكر والأنثى في هذا سواء .

الفجر ﴿ وهي ساعات النوم من الليل ﴾، ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهي القيلولة، ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ وهي بداية نوم الليل. وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾^(١) أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة ما يستحي من كشفه وقوله: ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي ولا على الأطفال والخدم ﴿جناح بعدهن﴾ أي بعد المرات الثلاث وقوله: ﴿طوافون عليكم﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة. ﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنه وقوله: ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه وما يحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم ﴿حكيم﴾ فيما يشرع لهم ويفرض عليهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٥٩) ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لا يدخل على غير محارمه إلا بعد الاستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لا يدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ وهم الرجال وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿والله عليم﴾ بخلقه وما يصلح لهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنهن بحيث أصبحت لا ترجون نكاحاً ولا يرجي منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على

(١) يكره تسمية العشاء بالعتمة. روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (لا تغلبكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء وهم معتمون بالإبل وفي رواية فإنها في كتاب الله العشاء وإنها أي الأعراب تعتم بحلاب الإبل وفي الصحيح (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل).

(٢) العورة: في الأصل الخلل والنقص ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه.

(٣) المراد أن الأطفال إذا بلغوا الحلم تغير حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال في الاستئذان على دخول بيوت الغير كما تقدم في آية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا إذا دخلتم بيوتاً . . .) الآية.

(٤) القواعد: جمع قاعد بدون تاء وهي: الأيسة من الحيض والحمل.

(٥) هذه الجملة متضمنة وصفاً كاشفاً للقواعد وليس قيداً.

(١) جسمها حال كونها غير متبرجة أي مظهره زينة لها كخضاب اليمين والأساور في المعصمين والخلخل في الرجلين، أو أحمر الشفتين، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرَ لهنَّ﴾ أي ومن لازمت خمارها وعجارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومالاً، وحسبها أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فليتنق فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الاستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.

٢ - وجوب استئذان الأولاد إذا احتملوا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

٣ - بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سنّاً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقّت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرَ لهنَّ﴾.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا

مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ

أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا

(١) ورد وعيد شديد للمتزججات فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا...).

جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

الخرج

: الضيق والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين في مؤكلة
غيرهم .

أو ما ملكتم مفاتحه : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو
ماشية .

أو صديقكم : أي من صدقكم الود وصدقتموه .
جميعاً أو أشتاتاً : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين .
من عند الله : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها ، وما كان من عند الله فهو خير
عظيم .

طيبة : أي تطيب بها نفس المسلم عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هداية المؤمنين وبيان ما يكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية الكريمة . رفع
تعالى عنهم حرجاً عظيماً كانوا قد شعروا به فآلمهم وهو أنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي
العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل
لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لا يأكلون كما يأكل الأصحاء كما وكيفاً والله يقول :
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ . كما أن أصحاب العاهات قد تخرجوا أيضاً من مؤكلة
الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج
عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على
الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلية في بيوت الآباء للحديث (أنت ومالك لأبيك) والحديث وإن ضعف فما هو إلا
شاهد فقط وإلا فمعلوم بالضرورة أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكرُوا .

أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه ﴿بوكالة وغيرها﴾، ﴿أو صديقكم﴾^(١) وهو من صدقكم المودة وصدقتموه فيها مادام الرضا حاصلًا، وإن لم يحضروا ولا استئذان وإن حضروا. ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الأكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله: ﴿وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ أي مجتمعين^(٢) على قطعة واحدة^(٣) ﴿أو أشتاتاً﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم على أهل البيت قائلاً السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله: ﴿تحية من عند الله﴾ إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله ﴿مباركة﴾ أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المسلم عليهم تطيب بها.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تخرج من الفريقين.

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: الصديق أوكد من القرابة أي: أقوى صلة وقال: ألا ترى استغاثة الجهنميين: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله تعالى قولاً حسناً في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبدولاً، فإذا كان محرراً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلا بإذنه.

(٣) لا ينبغي أن يفهم من كلمة مجتمعين أنهم رجال أجانب مع نساء أجنبيات بل هم محارم لبعضهم بعضاً.

(٤) هذا يشمل الهند ووليمة العرس وغيرها والنهد هو أن يكون القوم في سفر فيجمعون الطعام من بعضهم بعضاً ويخلطونه ويأكلونه مجتمعين فهو جائز مباح.

(٥) ورد كيفية الدخول إلى المنزل وهو أن يقول: (اللهم إني أسألك خير المولى وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله) (في صحيح مسلم).

- ٢ - الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء .
 ٣ - جواز الأكل الجماعي والإنفرادي بلا تخرج .
 ٤ - مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
 عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
 لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
 يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَئِذَا فَلِيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
 أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
 يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

أمر جامع : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام
 كحرب ونحوها .

يُستأذِنُوهُ : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن .

لبعض شأنهم : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم .

دعاء الرسول : أي ندائه فلا ينادي بيا محمد ولكن بيا نبي الله ورسول الله .

كدعاء بعضكم بعضاً : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بيا عمر ويا سعيد مثلاً .

يتسللون منكم لوأذاً : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية .

أن تصيهم فتنة : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا .
 قد يعلم ما أنتم عليه : أي من الإيمان والنفاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر . وقد هنا
 للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً .
 معنى الآيات :

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ ، وإذا
 كانوا معه ﷺ في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب ، لم يذهبوا حتى
 يستأذنه ﷺ ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا
 كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُولُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فِإِذَا
 اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ في هذا
 تعليم للرسول والمؤمنين وتعرض بالمنافقين . فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم
 المؤمنون بالله ورسوله ، ومقابله أن الذين لا يستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله
 ورسوله وهم المنافقون حقاً ، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن
 شاء منهم عن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير عذر شرعي يبيح
 لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم .

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ هذا يحتمل أموراً
 كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغصاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا
 لأن دعاء الرسول لا يرد فليس هو كدعاء غيره ، والثاني أن لا يدعوا الرسول باسمه يا محمد
 ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يا نبي الله ويا رسول الله ، والثالث أن لا يغفلوا في العبارة بل
 عليهم أن يلينوا اللفظ ويرققوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله ﷺ هذا ماتضمنه قوله
 تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾

وقوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك
 المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله ﷺ فيتسللون واحداً بعد آخر بدون أن
 يستأذنوا متلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً ، وفي هذا تهديد بالغ

(١) إنما : أداة حصر، وهي هنا كذلك، فالمعنى أنه لا يتم ولا يكمل إيمان من آمن بالله ورسوله إلا إذا كان من الرسول سامعاً
 غير معنت، فلا يناقض للرسول في قول ولا عمل أبداً .

(٢) يريد : لا يصحوا به من بعيد يا أبا القاسم، بل يعظموه، شاهده من سورة الحجرات : (إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراءك
 الحجرات أكثرهم لا يعقلون) .

الخطورة لأولئك المنافقين. وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾^(١) أي أمر رسول الله وهذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف. وقوله تعالى: ﴿ألا إن الله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد ألا فليتق الله عز وجل في رسوله فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾ إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً. وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة.
- ٢ - وجوب تعظيم رسول الله ﷺ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً.
- ٣ - وجوب طاعة رسول الله ﷺ وحرمة مخالفة أمره ونهيه.
- ٤ - المتجرىء على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

(١) دلت الآية على أن الأمر للوجوب، وتوجيهه أن الله تعالى قد حذر من مخالفة أمره وتوعد بالعقاب عليها بقوله: (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

(٢) قيل: إن (عن) في قوله: (يخالفون عن أمره) زائدة، والتقدير: يخالفون أمره، وقيل: ليست زائدة إذ المعنى: يخالفون بعد أمره فعن بمعنى: عند وهذا كقوله تعالى: (ففسق عن أمر ربه) أي: بعد أمر ربه إياه بأن يسجد لآدم.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

مكية

وآياتها سبع^(١) وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
 ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ﴿٢﴾
 وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
 وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
 وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

- تبارك : أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها .
 الذي نزل الفرقان : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل .
 على عبده : أي محمد ﷺ .
 ليكون للعالمين نذيراً : أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي خوفاً
 لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحده .
 فقدره تقديراً : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا
 نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة .
 ضراً ولا نفعاً : أي لا دفع ضرر ولا جلب نفع .
 موتاً ولا حياة ولا نشوراً : أي لا يقدرّون على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات .

(١) من الجائز أن يكون فيها بعض الآيات مدنية إلا أن أسلوبها ومحتواها ظاهر في أنه مكّي وهو الصحيح ، وسميت بالفرقان
 لذكر لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات .

معنى الآيات :

يثني الرب تبارك وتعالى على نفسه بأنه عَظُمَ خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله : ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله : ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وهو ثناء آخر عظيم أننى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله : ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ أصناماً ﴿لا يخلقون شيئاً وهو يخلقون ولا يملكون لأنفسهم﴾ فضلاً عن غيرهم من عبادهم ﴿ضرراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضرراً ولا جلب نفع ، ولا يملكون موتاً لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً للناس يوم القيامة . أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمتع الله الذي عمّت بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً يتخذون من دونه آلهة أصناماً لاتدفع عن نفسها ضرراً ولا تجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة .
- ٢ - التنديد بالشرك والمشرّكين .

(١) للفظ تبارك دلالات كلها حق ، منها : تقدس ، وتعالى ، ودام وثبت إنعامه . قال الثعلبي : لا يقال : متبارك ولا مبارك لأنه يوقف في أسمائه تعالى وصفاته على ما ورد عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال الطبري :

تباركت لا معطٍ لشيء منعه وليس لما أعطيت يارب مانع

(٢) (ليكون) أي : من نزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ للعالمين نذيراً في الآية دليل على عموم رسالته ﷺ ولم يكن هذا لغيره إلا نوحاً بعد الطوفان ، فقد عمّت رسالته الإنس .

(٣) فيه ردّ على المجوس والثنوية القائلين : هناك خالقان خالق للظلمة وخالق للنور أو خالق للخير وخالق للشر ، وهو رأي عفن وجعل مظلم .

(٤) في هذه الجملة تعجب من اتخاذ المشرّكين آلهة دونة تعالى وهي جمادات لا حياة فيها ولا تملك نفعاً ولا ضرراً .

(٥) النشور : الإحياء بعد الموت قال الأعشى :

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا آفَاكُ
 أَفْتَرَنَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
 ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَتْهَا فِيهِ تُمْلَى
 عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
 مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
 لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثَ
 إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
 الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا أَرْجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 سَبِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

افك افتراه : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى
 هكذا قالوا .

ظلمًا وزورًا : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا
 الكلام المعجز الهادي إلى الإِسعاد والكمال البشري إفكا
 مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه .

اكتبتها : أي طلب كتابتها له فكتبت له .

يعلم السر

أو يلقي إليه كنز

: أي مايسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم .

: أي من السماء فينفق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق .

جنة يأكل منها

رجلاً مسحوراً

: بستان فيه مايعنيه من أنواع الحبوب والثمار .

: مخدوعاً مغلوباً على عقله .

ضربوا لك الأمثال

: أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك

فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً : فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لاتضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آلهة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم آخرون يعنون اليهود ساعده على الإتيان بالقرآن . فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلماً وزوراً ظلماً لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذباً وجعلوا البريء من الكذب والذي لم يكذب قط كاذباً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً . وقوله تعالى : ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ هذه الآية نزلت ردّاً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم . وإذا حدث محمد ﷺ قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد ، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يملئها عليه غيره صباحاً ومساءً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله : ﴿قل أنزلها﴾ أي القرآن

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (قوم آخرون) هم : أبو فكيهة مولى بن الحضرمي وعدّاس وجبر ، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب .

(٢) هذه الجملة ردّ على من زعم من المشركين أنّ محمداً يتلقى القرآن من أهل الكتاب وذكر السردون الجهر لأن من علم السر فهو بالجهر أعلم وأمر آخر : لو كان القرآن مأخوذاً عن أهل الكتاب لما كان فيه زيادة عما عندهم في حين أنّ فيه من العلوم والمعارف ما لا يخطر حتى على البال ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بسورة من مثله .

(٣) الأساطير : جمع أسطورة كأحاديث جمع أحداث . وقال بعضهم إنها جمع أسطار كأقوال وأقاويل : (تملى) أصلها : تملل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف .

﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي سر ما يستره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر، ولولا أن رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ هذه كلمات رؤساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته إلى ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذا فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ^(١) تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقى إليك كنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى: ﴿وقال الظالمون﴾ ^(٢) أي للمؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ماتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لا يدري ما يقول ^(٣) ولا ما يفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ما عليه آباؤكم وقومكم. وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي انظر يارسولنا إلى هؤلاء المشركين المفتونين كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد، وذلك لبعدهم ضلالهم فلا يقدرّون على الرجوع إلى الحق وهو معنى قوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾.

(١) الاستفهام للتعجب، وجملة: (يأكل الطعام) جملة حالية، وقولهم: (هذا الرسول) من باب المجازاة وإلا فهم مكذبون برسالته.

(٢) لولا: حرف تحضيض استعملت هنا في التعجيز أي: لولا أنزل عليه ملك لاتبعناه وإنهم كاذبون.

(٣) (الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول ﷺ يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد أنها شرّ البقاع والمساجد خيراً وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) كتب له ألف ألف حسنة.

(٤) هذا القائل هو: عبدالله بن الزبير أيام جاهليته إذ أسلم فيما بعد وحسن إسلامه.

(٥) هذه الجملة تعجيبة وهي إخبار منه تعالى عن حال المشركين إذ ضلوا في تلقيق المطاعن والبحث عن التهم لدفع الحق وإبطاله فعجزوا وتاهوا في طرق طلبهم ما يظنون به دعوة الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله ومازال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة .
- ٢ - تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .
- ٣ - بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصد عن سبيل الله ، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة .

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
 كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
 أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
 كَانَ عَلَىٰ رَيْكِ وَعَدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- تبارك : أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته .
 خيراً من ذلك : أي الذي اقترحه المشركون عليك .
 ويجعل لك قصوراً : أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون .
 بل كذبوا بالساعة : أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في

الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك .
 تغيطاً وزفيراً : أي صوتاً مزعجاً من تغيطها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به .

مقرنين : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد .
 دعوا هنالك ثبوراً : أي نادوا ياثبورنا أي ياهلاكنا إذ الثبور الهلاك .
 كانت لهم جزاء ومصيراً : أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم ، ومصيراً صاروا إليها لا يفارقونها .
 وعداً مسؤولاً : أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتنا ما وعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ ، إذ قالوا لولا أنزل إليه ملك ، أو يلقي إليه كنز وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى : لرسوله ﷺ : ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي من خلال أشجارها وقصورها ، ﴿ ويجعل لك قصوراً ﴾ لا قصراً واحداً كما قالوا ، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأ والخير فيما يشاء فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث (١) والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها ﴿ بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة ﴾ أي القيامة ﴿ سعيراً ﴾ أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً .

(١) أي : إن شاء جعل لك خيراً من ذاك الذي اقترحه المشركون عليك وأن معنى لو الشرطية وجواب الشرط محذوف . أي : لجعل ولكن لم يشأ ذلك لأنه غير لائق بمقامك في هذه الدار وهو لك في الآخرة .

(٢) قرئ (ويجعل) بالرفع على الاستئناف ، وقراءة الأكثر بالجزم على محل الشرط : إن شاء جعل لك .

(٣) القصر في اللغة : كل بناء رفيع عالٍ حصين . وأما البيت فقد يكون من لبن وطين وقد يكون من شعر .

(٤) بل : هنا للاضراب والانتقال . إضراب على جواب اقتراحهم ، وانتقال إلى ذكر علة كفرهم وعنادهم واقتراحهم ما اقترحوه ، وهو تكذيبهم بالبعث الآخر ، إذ هو سبب عنادهم وكفرهم وفسادهم .

(٥) الساعة : اسم غلب على عالم الخلود . تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيطاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائصهم. ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ﴾ مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاد ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ أي نادوا بأعلى أصواتهم ياثبورا أي ياهلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك : فيقال لهم : خزيًا وتبكيًا وتحسيرًا : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ، فهذا أَوَّان هلاككم وخزيكم وعذابكم وهنا يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء : ﴿أَذَلَّكَ﴾ أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير، وإنما هو التذكير لا غير وقوله : ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى ﴿جَزَاءً﴾ أي ثواباً ، ﴿وَمَصِيرًا﴾ يصيرون إليه لا يفارقونه وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وقوله : ﴿خَالِدِينَ﴾ أي فيها لا يموتون ولا يخرجون ، وقوله : ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلاً﴾ أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ﴾ ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء

(١) إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيط عليهم فقد ورد مرفوعاً أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا بَيْنَ عَيْنِي جَهَنَّمَ مُقْعَدًا . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَهَا عَيْنَانِ؟ قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ كَانَ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول : وكلت بكل من جعل مع الله إلهاً آخره الحديث صححه ابن العربي في القيس .

(٢) إن قيل : كيف قال : (أَذَلَّكَ خَيْرٌ) ولا خير في النار؟ قيل : هذا من باب قول العرب : الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أَنَّ السعادة أحب إليه . قال حسان :

أنهجوهُ ولست له بكفىء فشركما لخيركما الفداء

وقطعاً الرسول ﷺ لا شرَّ فيه البتة .

في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة .

٢ - تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة .

٣ - فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ
يَبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

يَحْشُرُهُمْ	: أي يجمعهم
وما يعبدون من دون الله	: من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن
أم هم ضلوا السبيل	: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك .
سبحانك	: أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك .
ولكن متعتهم	: أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم .
وكانوا قوماً بوراً	: أي هلكى ، إذ البوار الهلاك .
ومن يظلم منكم	: أي ومن يشرك منكم أيها الناس .

وجعلنا بعضهم لبعض فتنة : أي بليّة فالغني مبتلى بالفقير، والصحيح بالمريض،
والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني
والمريض يقول مالي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول ما
لي لا أكون كالشريف مثلاً.

أنصبرون أي اصبروا على ما تسمعون ممن ابتليتكم بهم، إذ
الاستفهام للأمر هنا.

وكان ربك بصيراً أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار
هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم﴾^(١) وما يعبدون
من دون الله ﴿أي اذكر يا رسولنا يوم يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة
والمسيح والأولياء والجن﴾. ﴿فيقول﴾ لمن كانوا يعبدونهم ﴿أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم
ضلوا السبيل؟﴾ أي ما أضللتهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى
عبادتي وحدي دون سواي. فيقول المعبودون ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل
ما لا يليق بجلالك وكمالك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾^(٢) أي لا يصح
منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فضللهم بذلك، ﴿ولكن متعتهم﴾
ياربنا ﴿وآباءهم﴾ من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ
﴿حتى نسوا الذكر﴾^(٣) أي نسواذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً
أي هلكى خاسرين.

وقوله تعالى : ﴿فقد كذبوك بما تقولون﴾^(٤) يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم

(١) قرأ الجمهور : (نحشرهم) بالنون للعظمة، و(يقول) بالياء وهو التفات من التكلم إلى الغيبة حسن. وقرأ حفص وغيره
بالياء في (يحشرهم) و(يقول) معاً وقرأ بعض بالنون فيهما معاً.

(٢) الاستفهام تقرير للاستنطاق والاستشهاد.

(٣) الأولياء جمع ولي بمعنى التابع فإن الولي يرادف المولى فيصدق على كلا طرفي الولاء أي : على السيد والعبد، والناصر
والمصور والمراد هنا من الولي : التابع.

(٤) قيل : الذكر : القرآن، وقيل : الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٥) الفاء الفصيحة إذ أفصحت على جواب شرط محذوف تقديره :

إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوك بما تقولون، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القول فقد جئنا خراسانا

(٦) قرأ الجمهور بالياء وقرأ حفص بالتاء : (تقولون).

تشركون به ، فقامت الحجة عليكم فأنتم الآن لاتستطيعون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً
 أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم .
 وقوله تعالى : ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول
 تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى :
 ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يارسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في
 الأسواق إذا فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم
 يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون .^(١)
 وقوله تعالى : ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي هذه سنتنا في خلقنا نبتي بعضهم
 ببعض فنبتي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشریف بالوضيع ، وننظر
 من يصبر ومن يجزع ونجزى الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك .
 وقوله تعالى : ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها
 المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم . وقوله تعالى : ﴿وكان ربك بصيراً﴾ أي وكان
 ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان
 وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢ - ياهول الموقف إذا سئل المعبودون عن عبدوهم ، والمظلومون عن ظلموهم .
- ٣ - براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم .
- ٤ - خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه .
- ٥ - تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولى الخزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل
 في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم .

(١) أخرج مسلم قوله ﷺ : (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) .

(٢) هذه الجملة تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم .
 والاستفهام في : (أتصبرون) معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله : (فهل أنتم متتهون) .
 أي : عما حرم من الخمر والميسر .

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ
 أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا
 ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرٰٓى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
 حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
 هَبَاءً مَّنْشُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
 وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- لا يرجون لقاءنا : أي المكذبون بالبعث إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة .
 لولا أنزل علينا الملائكة : أي هلاً أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله .
 أو نرى ربنا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك .
 استكبروا في أنفسهم : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم .
 وعتوا عتواً كبيراً : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى .
 ويقولون حجراً محجوراً : أي تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم البشري .
 وقدمنا إلى ما عملوا : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص .
 هباءً منثوراً : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى .
 وأحسن مقيلاً : المقييل مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أقوال المشركين من قريش فقال تعالى ﴿وقال الذين لا

يرجون لقاءنا^(١) وهم المكذبون بالبعث المنكرون للحياة الثانية بكل ما فيها من نعيم وعذاب ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أي هلا أنزل الله علينا الملائكة تشهد لمحمد بالنبوة ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بأن محمداً رسوله وأن علينا أن نؤمن به وبما جاء به ودعا إليه . قال تعالى ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ أي وعزتنا وجلالنا لقد استكبر هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث في شأن أنفسهم ورأوا أنهم شيء كبير وعتوا أي طغوا طغياناً كبيراً في قولهم هذا الذي لا داعي إليه إلا الشعور بالكبر، والطغيان النفسي الكبير، وقوله ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي الذين يطالبون بتزولهم عليهم، وذلك يوم القيامة . لا بشرى يومئذ للمجرمين أي الذين أجمروا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والظلم الفساد: ﴿ويقولون﴾ أي وتقول لهم الملائكة ﴿حجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً عليكم البشرى بل هي للمؤمنين المتقين .

وقوله تعالى ﴿وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ أي وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً كالغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة أو نافذة لا يقبض باليد ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها .

وقوله تعالى ﴿أصحاب الجنة﴾ أي أهلها الذين تأهلوا لها بالإيمان والتقوى يومئذ أي يوم القيامة الذي كذب به المكذبون خير مستقراً أي مكان استقرار وإقامة وأحسن مقيلاً^(٧)

(١) لقاءنا أي : لا يخافون لقاءنا ولا ياملونه ولا يباليون به، وهذا كله ناتج عن تكذيبهم بالبعث والدار الآخرة .
(٢) لما كانت الحياة الدنيا حياة ابتلاء امتنع أن يعطيهم ما طلبوا إذ لو أراهم الله تعالى نفسه أو أراهم ملائكته لآمنوا وبطل حينئذ التكليف الذي أقام تعالى عليه الحساب والجزاء مع أن رؤية الله لا يقدرّون عليها لكن على فرض لو أقدرهم الله عليها .

(٣) العتو: أشد الكفر وأفحش الظلم .

(٤) حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأقام شرائع الله، وكذلك الحال يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين : ومن شواهد أن حجراً بمعنى محرماً وحراماً قول المتلمس :

حَتَّى إِلَى النَّخْلَةِ الْقَصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حَجَرٌ حَرَامٌ لَا تَلُكِ الدَّهَارِيسُ

الدهاريس : الدراهم .

(٥) قدمنا : عمدنا قال الشاعر :

وقدم الخوارج والضلال إلى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال

(٦) تصغير هباء : هُبَيْ واحد : هباء ، وهمز في هباء لالتقاء الساكنين وجمع هباء : أهباء .

(٧) المقيّل : الذي يؤوى إليه في وقت القيلولة للاستراحة فيه وفي الحديث : (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل) وروي أن النبي ﷺ قيل له ما أطول هذا اليوم فقال ﷺ : (والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا) .

أي مكان استراحة من العناء في نصف النهار أي خير وأحسن من أهل النار المشركين المكذبين وفي هذا التعبير إشارة إلى أن الحساب قد ينقضي في نصف يوم الحساب وذلك أن الله سريع الحساب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان .
- ٢- إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح ، ويوم القيامة .
- ٣- نفي البشري عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين .
- ٤- حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة .
- ٥- انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة .

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكُ
تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَ ذَلِكَ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

بالغمم : أي عن الغمام وهو سحاب أبيض رقيق كالذي كان لبني إسرائيل في التيه .

الملك : أي الملك الحق لله ولم يبق لملوك الأرض ومالكها ملك في شيء ولا شيء .

على الكافرين عسيرا : أي صعباً شديداً .

يعض الظالم على يديه : أي ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله .

سبيلا : أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة .
 لم أتخذ فلاناً خليلاً : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً .
 لقد أضلني عن الذكر: أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح .
 وكان الشيطان : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القيامة وبيان أحوال المكذبين بها فقال تعالى ﴿ويوم﴾ أي اذكر ﴿يوم تشق السماء بالغمام﴾ أي عن الغمام ونزل الملائكة تنزيلاً وذلك لمجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء . وقوله تعالى ﴿الملك يومئذ الحق﴾ أي الثابت للرحمن عز وجل لا غيره من ملوك الدنيا ومالكها ، وكان ذلك اليوم يوماً على الكافرين عسيراً لا يطاق ولا يحتمل ما فيه من العذاب والأهوال وقوله ﴿يوم بعض الظالم على يديه﴾ أي المشرك الكافر بيان لعسر اليوم وشدته حيث بعض الظالم على يديه تندماً وتحسراً وأسفاً على تفريطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال . . يقول يا ليتني أي متمنياً : ﴿أتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي طريقاً إلى النجاة من هول هذا اليوم وذلك بالإيمان والتقوى . وينادي مرة أخرى قائلاً ﴿يا ويلتا﴾ أي يا هلكتي احضري فهذا وقت حضورك ، ويتمنى مرة أخرى فيقول ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ وهو شيطان من الإنس أو الجن كان قد صافاه ووالاه في الدنيا فغرر به وأضله عن الهدى . فقال في تحسر ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ أي القرآن بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول وفيه هداي

(١) قرأ نافع (تَشَقَّقَ) بتشديد الشين والقاف، وقرأ حفص : (تشقق) بتخفيف الشين وأصلها تشقق فمن حذف إحدى التائين للتخفيف قرأ بتخفيف الشين ومن أَدغم التاء في الشين شَدَّدها .

(٢) الباء : بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس ، والغمام : سحب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالى فيه : (هل أن ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) .

(٣) الحق : نعت للملك . المبتدأ والخبر: الجار والمجرور، والجملة تتضمن إبطال أي ملك لأحد سوى الرحمن عز وجل إذ هو الملك الحق والمالك الحق .

(٤) مفهوم الخطاب أنه على المؤمنين غير عسير فهو إذا يسير وهو كذلك .

(٥) أهل التفسير على أن هذا الظالم هو عقبة بن أبي معيط وأن خليله أمية بن خلف، فعقبة قتله علي في أسرى بدر وأمية قتله رسول الله ﷺ فكان هذا من دلائل النبوة . لانه أخبر عنهما بهذا قتلًا كافرين إلى النار .

(٦) هذا هو عقبة بن أبي معيط وفلان هو: أمية بن خلف . في الآية دليل على وجوب البعد عن قرناء السوء، وفي الحديث الصحيح : (إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة) رواه مسلم .

وبه هدايتي ، قال تعالى ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أي يورطه ثم يتخلى عنه ويتركه في غير موضع وموطن .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء بذكر أحوالها وبعض أهوالها .
- ٢- إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة .
- ٣- تندم الظلمة وتحسروهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله .
- ٤- بيان سوء عاقبة موالاته شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله .
- ٥- تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن ، ثم لأمه أبي بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المنتدم المتحسر القائل ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر . . .﴾ .

وَقَالَ الرَّسُولُ

يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
 وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
 وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾
 وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
 مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

(١) الخذلون : كثير الخذلان ، وخذله : إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان : معناهما : ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره .

شرح الكلمات:

مهجوراً : أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه .
 هادياً ونصيراً أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح وناصراً لك على كل أعدائك .
 جملة واحدة : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزيور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفريق .
 لتثبت به فؤادك : أي نقوي قلبك لتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها .
 ورتلناه ترتيلاً : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى ليتيسر فهمه وحفظه .

شر مكاناً : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال البعث الآخر الذي أنكره المشركون وكذبوا فقال تعالى ﴿وقال الرسول: ^(١) يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ هذه شكوى الرسول ﷺ بقومه إلى ربه ليأخذهم بذلك . وهجرهم للقرآن تركهم سماعه وتفهمه والعمل بما فيه .

وقوله تعالى : ﴿وكذلك ^(٢) جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك أيها الرسول أعداء لك من مجرمي قومك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من مجرمي قومه ، إذا فاصبر وتحمل حتى تبلغ رسالتك وتؤدي أمانتك ، والله هاديك إلى سبيل نجاحك وناصرك على أعدائك . وهذا معنى قوله تعالى ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنبوة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضاً لا مفزقاً آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل والزيور وهذا من باب التعنت منهم والاقتراحات التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه ، ولكنه الكفر والعناد . ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول ﷺ رد تعالى عليهم

(١) الرسول : هو محمد ﷺ يشكو المشركين من قومه إلى ربه تعالى يوم القيامة لتحقق عليهم كلمة العذاب .

(٢) هذه الجملة تحمل الغراء للنبي ﷺ والتسلية من جراء ما يجد من قومه المكذبين المعادين المحاربين ، ومعنى الآية : وكما جعلنا لك عدواً من قومك وهو أبو جهل جعلنا لكل نبي عدواً .

بقوله ﴿كذلك﴾^(١) أي أنزلناه كذلك منجماً ومفرقاً لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحياء موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة. وقوله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ أي أنزله مرتلاً أي شيئاً فشيئاً ليتيسر حفظه وفهمه والعمل به.

وقوله تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل﴾^(٢) إلا جثنك بالحق وأحسن تفسيراً^(٣) هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً لا جملة واحدة وهو أنهم كلما جاءوا بمثل أو عرض شبهة ينزل القرآن الكريم يبطل دعواهم وتفنيد كذبهم، وإلغاء شبهتهم، وإحقاق الحق في ذلك وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم فيه وقوله تعالى ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾^(٤) أي أولئك المنكرون للبعث المقترحون نزول القرآن جملة واحدة هم الذين يحشرون على وجوههم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم لأنهم مجرمون بالشرك والتكذيب والكفر والعناد. أولئك البعداء شر مكاناً يوم القيامة، وأضل سبيلاً في الدنيا، إذ مكانهم جهنم، وسيلهم الغواية والضلالة والعياذ بالله من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شهادة الرسول ﷺ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعه ولم يفهموه ولم يعملوا به، وشكواهم إياهم إلى الله عز وجل.
- ٢- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عدو من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداة لازم من أهل الباطل لأهل الحق.
- ٣- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً.
- ٤- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً.

(١) جائز أن يكون كذلك من كلام المشركين: أي: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك أي: كالطهارة والإنجيل فيتم الوقف على ذلك ثم ينتدىء (لثبت به فؤادك) وما في التفسير أولى.

(٢) هذا كقولهم: (إن هذا إلا إفك افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين) وقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وقولهم: (إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً) وقولهم: (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كل هذا الذي قالوه ردّ عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعواهم.

(٣) أي: بما يقطع حججهم ويلقمهم الحجر فلا يستطيعون الرد أو القول.

(٤) (سبيلاً) منصوب على التمييز المحول عن فاعل، أي: ضلّت سبيلهم.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادَ وَثُمُودَ
وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَلَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلِّ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نَشُورًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب :

أي التوراة .

وزيراً :

أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة .

إلى القوم الذين كذبوا : هم فرعون وآله .

لما كذبوا الرسل : أي نوحاً عليه السلام .

وجعلناهم للناس آية : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة
للمعتبرين .

وعاداً وثمود : أي اذكر قوم عاد وثمود إلخ . .

وأصحاب الرس : الرس بئر رس فيها قوم نبيهم ، أي رموه فيها وفسده في التراب .

وقرُوناً بين ذلك كثيراً : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قروناً كثيراً .

تبرنا تنبيراً : أي دمرناهم تدميراً .

التي أمطرت مطر السوء : هي سدوم قرية قوم لوط .

لا يرجون نشوراً : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ هذا شروع في عرض أمم كذبت رسلها وردت دعوة الحق التي جاءوا بها فأهلكهم الله تعالى ليكون هذا عظة للمشركين لعلمهم يتعظون فقال تعالى وعزتنا لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب الذي هو التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً، فقلنا أي لهما ﴿أذهبنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾^(١) وهم فرعون وملاه فأتوهم فكذبوهم فدمرناهم تدميراً كاملاً حيث أغرقوا في البحر، وقوله تعالى : ﴿وقوم نوح﴾ أي اذكر قوم نوح أيضاً فإنهم لما كذبوا الرسل أي كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فكانما كذب عامة الرسل أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس بعدهم آية أي عبرة للمعتبرين وقوله ﴿وأعدنا﴾ أي وهبنا للظالمين في الآخرة عذاباً أليماً أي موجعاً زيادة على هلاك الدنيا، وقوله ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس﴾ أي أهلكنا الجميع ودمرناهم تدميراً لما كذبوا رسلنا وردوا دعوتنا، وقروناً أي وأهلكنا قروناً ذلك الذي ذكرنا كثيراً.

وقوله ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أي إقامة للحجة عليهم فما أهلكناهم إلا بعد الإنذار والإعذار لهم. وقوله ﴿وكلاً تبرنا بتبيراً﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً لتكذيبهم رسلنا وردهم دعوتنا. وقوله : ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ أي ولقد مر أي كفار قريش على القرية التي أمطرت مطر السوء أي الحجارة وهي قرى قوم لوط سدوم وعمورة وغيرهما فأهلكهم لتكذيبهم رسولهم وإيتانهم الفاحشة وقوله تعالى ﴿أفلم يكونوا يرون في سفرهم إلى الشام وفلسطين. فيعتبروا بها فيؤمنوا وهو استفهام تقريرى وإذا كانوا يملكون بها ولكنهم لم يعتبروا لعله وهي أنهم لا يؤمنون بالبعث الآخر وهو معنى قوله تعالى ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾^(٢) فالذي لا يرجو أن يبعث ويحاسب ويجزى لا يؤمن ولا يستقيم أبداً.

(١) فرعون وهامان والقيظ.

(٢) في الآية حذف وهو: ما قدرناه في التفسير أي فكذبوهم فدمرناهم تدميراً.

(٣) ذكر الجنس وهو الرسل والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده.

(٤) وجائز أن يكون معنى الآية: هذه سبيلي في كل ظالم أخذه في الدنيا بالدمار والهلاك.

(٥) الرس: في اللغة البئر تكون غير مطوية والجمع رساس قال الشاعر:

تنابلة يحفرون الرساسا

يريد آبار المعادن.

(٦) اقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجب من عدم اعتبارهم.

(٧) النشور: مصدر نشر الميت: أحياه. قال الشاعر: يالكر أشروالي كليباً يالكر أين أين الفرار

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها.
- ٢- بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب.
- ٣- بيان علة تكذيب قريش للرسول ﷺ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ كَادَ
 لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾
 أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
 كَا لَا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

إِن يَتَّخِذُونَكَ :

أي ما يتخذونك .

إِلَّا هُزُوءًا

: أي مهزوءاً به .

أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا : أي في دعواه لأنهم معترفون برسالته والاستفهام للتهكم والاحتقار .

إِنَّ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا .

لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا : أي لصرفنا عنها .

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ : أي أخبرني عن من جعل هواه معبوده فأطاع هواه . فهل تقدر على هدايته .

إن هم إلا كالأنعام : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يخبر تعالى رسوله عن أولئك المشركين المكذبين بالبعث أنهم إذا رأوه في مجلس أو طريق ما يتخذونه إلا هزواً أي مهزواً به احتقاراً وازدراءً له فيقولون فيما بينهم ، ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ وهو استفهام احتقار وازدراء لأنهم يعتقدون أنه رسول الله ويقولون ﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي يصرفنا عن عبادة آلِهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها . وهذا القول منهم ناتج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث وقوله تعالى ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلاً هم أم الرسول والمؤمنون ، وفي هذا تهديد ووعيد بقرب عذابهم وقد حل بهم في بدر فذلوا وأسروا وقتلوا وتبين لهم أنهم أضل سبيلاً من النبی وأصحابه . وقوله تعالى لرسوله وهو يسليه ويخفف عنه آلام إغراض المشركين عن دعوته ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أخبرني عن جعل معبوده هواه فلا يعبد غيره فكلما انتهى شيئاً فعله بلا عقل ولا روية ولا فكر فقد يكون لأحدهم حجر يعبده فإذا رأى حجراً أحسن منه عبده وترك الأول فهذا لم يعبد إلا هواه وشهوته فهل مثل هذا الإنسان الهابط إلى مستوى دون البهائم تقدر على هدايته يا رسولنا؟ ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي حفيظاً تتولى هدايته أم أنك لا تقدر فاتركه لنا يمضي فيه حكمنا .

وقوله ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ أيها الرسول أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يطلب منهم إن هم إلا كالأنعام فقط بل هم أضل سبيلاً من الأنعام إذ الأنعام

(١) جواب (إذا رَأَوْكَ) قوله : (إن يتخذونك إلا هزواً) .

(٢) (رسولاً) منصوب على الحال ، والعائد محذوف تقديره ، بعثه الله حال كونه رسولا .

(٣) الاستفهام للتعجب أي : عجب الله تعالى رسوله من حال المشركين أي : من إضمارهم الشرك وإصرارهم عليه مع إصرارهم أن الله تعالى خالقهم ورازقهم ثم يعمد أحدهم إلى حجر يعبد . قال ابن عباس : الهوى إنه يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) وقد كان الرجل منهم إذا هوى شيئاً عبده حتى إنه ليعبد الحجر أياماً ثم يرى غيره فيترك الأول ويعبد الثاني .

(٤) أي : سماع قبول أو يتفكرون فيما تقول فيعقلونه .

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها في جواب سؤال لأن ما تقدمها في إنكار سماعهم يثير في النفس سؤالاً عن نفي سماعهم وفهمهم فأجيب (إن هم إلا كالأنعام) .

(٦) هم أضل من الأنعام لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء المشركين .

تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان الرسول ﷺ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء .
- ٢- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ما كان ينكر، وآمن بما كان يكفر .
- ٣- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل : أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف بسطه .
ولو شاء الله لجعله ساكناً : أي ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ولا يقصر ولا يطول .

ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل .

ثم نبضناه إلينا قبضاً سيرا : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءاً فجزءاً حتى ينتهي .

ثم جعلنا الليل لباساً : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس .
والنوم سباتاً : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار .
وجعل النهار نشوراً : أي حياة إذ النوم بالليل كالموت والانتشار بالنهار كالبعث .

بشراً بين يدي رحمته : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله ، والمطر هو الرحمة .
ماء طهوراً : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ .
لنحيي به بلدة ميتاً : أي بالزروع والنباتات المختلفة .
أنعاماً وأناسي كثيراً : أي حيواناً وأناساً كثيرين .
ولقد صرفناه بينهم : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية .
ليذكروا : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحّدوا .
فأبى أكثر الناس إلا كفوراً : أي فلم يذكروا وأبى أكثرهم إلا كفوراً جحوداً للنعمة .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾^(١) هذا شروع في ذكر مجموعة من أدلة التوحيد وهي مظاهر لرؤية الله تعالى المقتضية لألوهيته فأولاً الظل وهو المشاهد من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وقد مدّه الخالق عز وجل أي بسطه في الكون ، ثم تطلع الشمس فتأخذ في زواله وانكماشه شيئاً فشيئاً ، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكناً لا يبارح ولا يغادر ولكنه حسب مصلحة عباده جعله يتقاصر ويقبض حتى تقف الشمس في كبد السماء فيستقر ثم لما تدحض الشمس مائلة إلى الغروب يفيء أي يرجع شيئاً فشيئاً فيطول تدريجياً لتعرف به ساعات النهار وأوقات الصلوات حتى يبلغ من الطول حداً كبيراً كما كان في أول النهار ثم يقبض قبضاً سيراً خفياً سريعاً حين تقرب الشمس ويغشاه ظلام الليل . هذه آية من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته بعباده تجلت في الظل الذي

(١) جائز أن تكون الرؤية هنا بصرية وعلمية معاً إذ بالعين يشاهد الظل وزواله وبالقلب يعلم ذلك كذلك .

(٢) الظل بالغداة والفيء بالعشي قال الشاعر :

فلا الظل من برد الضحا نستطيعه ولا الفيء من برد العشي ندوق

قال تعالى فيه ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي تنظر إلى صنيع ربك جل جلاله ﴿كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ينتقل، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ إذ بضوءها يعرف، فلولا الشمس لما عرف الظل وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ حسب سنته ففي خفاء كامل وسرعة تامة يقبض الظل نهائياً ويحل محله الظلام الحالِك.

وثانياً: في الليل والنهار قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ أي ساتراً^(١) يستركم بظلامه كما تستركم الثياب، ﴿والنوم سباتاً﴾ أي وجعل النوم قطعاً للعمل فتحصل به راحة الأبدان ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ أي حياة بعد وفاة النوم فينتشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله تعالى لذلك.

وثالثاً: إرسال الرياح للقيح السحب للإمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجذب قال تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ هو لا غيره من الآلهة الباطلة ﴿أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد.

ورابعاً: إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ أي وأناساً كثيرين وهم الآدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله تعالى.

وخامساً: تصريف المطر بين الناس فيمطر في أرض ولا يُمطر في أخرى حسب الحكمة الإلهية والتربية الربانية. قال تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي بين الناس كما

(١) قال ابن العربي ظن بعض الجهال أن كون الليل لباساً يجزىء من صلى فيه عارياً وهو لا يجزىء ولو أجزأ لأجزأ من أغلق باب غرفته وصلى عرياناً.

(٢) أصل السبت: القطع والتعدد فهو بانقطاع البدن عن العمل تحصل له الراحة لذا قيل للنوم سبات لأنه بالتعدد يكون، وفي التعدد معنى الراحة.

(٣) كان النبي ﷺ إذا أصبح يقول: (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور).

(٤) قيل: إن تكوين الرياح سببه التقاء حرارة جانب من الجوبيرودة جانب آخر تنشأ السحب.

(٥) أكثر الفقهاء على أن الماء الطهور غير الطاهر فالطهور: هو الذي تزال به الأحداث بخلاف الطاهر فلذا كل طهور طاهر وليس كل طاهر طهوراً.

(٦) وجائز أن يراد بقوله (صرفناه بينهم) القرآن الكريم إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضاً.

هو مشاهد إقليم يسقى وآخر يحرم، وقوله تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(١) أي جحوداً لأنعام الله عليهم وربوبيته عليهم والوهيته لهم. وهو أمر يقتضي التعجب والاستغراب. هذه مظاهر الربوبية المقتضية للالوهية، ﴿وَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً.

٢- بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفياء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

٣- الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ

لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا

لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ

(١) قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا، وآيته النحاس وقال: لا نعلم خلافاً أن الكفر هنا هو قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا روى الربيع بن صبيح قال: مُطِرَ النَّاسَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذات ليلة فلما أصبحوا قال النبي ﷺ: (أصبح الناس فيها رجلين: شاكراً وكافراً فأما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه. وأما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا). (٢) أحكام المياه: ١- قليل الماء ينجسه قليل النجاسة وكثيره لا ينجسه. ٢- الماء طهور ما بقي على أصل خلقته فإن خالطه ما غير أحد أوصافه: الريح واللون والطعم سلبت طهوريته. ٣- الماء المتغير بطول المكث طهور. ٤- كره بعض أهل العلم الوضوء بسور النصراني، وقد توضأ عمر من بيت نصرانية وقال لها: اسلمي تسلمي فكشف عن رأسها وإذا به مثل الثغامة وقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن فقال عمر: اللهم أشهد خُرْجَهِ الدارقطني. ٥- سور الكلب لا يتوضأ به ويغسل الإناء سبعا. ٦- ما مات في الماء مما لادم له كالحشرات لا يسلب طهورية الماء. ٧- سور الهر طاهر لحديث أبي قتادة.

وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لبعثنا في كل قرية نذيراً : أي رسولاً ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.
 وجاهدكم به جهاداً كبيراً : أي بالقرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهدك.
 مرج البحرين : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء المالح أن يفسد
 الماء العذب.
 وجعل بينهما برزخاً : أي حاجزاً بين المالح منهما والعذب.
 وحجراً محجوراً : أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو المالح ، ولا يملح
 العذب.
 خلق من الماء بشراً : أي خلق من الماء الإنسان والمراد من الماء النطفة .
 فجعله نسباً وصهراً : أي ذكراً وأنثى أي نسباً ينسب إليه ، وصهراً يصهر إليه أي
 يتزوج منه .
 ما لا يضرهم ولا ينفعهم : أي أصناماً لا تضر ولا تنفع .
 وكان الكافر على ربه ظهيراً : أي معيناً للشيطان على معصية الرحمن .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعداد مظاهر الربوبية المستلزمة للتوحيد قال تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا
 في كل قرية نذيراً﴾ أي في كل مدينة نذيراً أي رسولاً ينذر الناس عواقب الشرك والكفر،

ولكننا لم نشأ لحكمة اقتضتها ربوبيتنا وهي أن تكون أيها الرسول أفضل الرسل وأعظم منزلة وأكثرهم ثواباً فحبوناك بهذا الفضل فكنت رسول كل القرى أبيضها وأسودها فاصبر وتحمل ، واذكر شرف منزلتك ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في أي أمر أرادوه منك ﴿وجاهدهم﴾ به أي بالقرآن وكله حجج وبيانات جهاداً كبيراً. تبلغ فيه أقصى جهدك^(١). بعد هذه الجملة الاعتراضية من الكلام الإلهي قال تعالى مواصلاً ذكر مظاهر ربوبيته تعالى على خلقه . ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ الملح والعذب أي أرسلهما مع بعضهما بعضاً ﴿هذا عذب فرات﴾ أي حلو ﴿سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج﴾ أي لا يشرب ﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ أي ساتراً مانعاً من اختلاط العذب بالملح مع وجودهما في مكان واحد ، فلا ينبغي هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب . وقوله تعالى ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ أي من المني ونطقته خلق الإنسان وجعله ذكراً وأنثى وهو معنى قوله نسباً وصهراً أي ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور ، وذوات صهر يصاهر بهن وهن الإناث . وقوله تعالى ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي على فعل ما يريد من الخلق والإيجاد أو التحويل والتبديل ، والسلب والعطاء هذه مظاهر الربوبية المقترضة لعبادته وتوحيده والمشركون يعبدون من دونه أصناماً لا تنفعهم إن عبدوها ، ولا تضرهم إن لم يعبدوها وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم فيعبدون الشيطان إذ هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وبذلك كان الكافر على ربه ظهيراً إذ لعبادته للشيطان يعينه على معصية الرب تبارك وتعالى وهو معنى قوله تعالى ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وكان الكافر على ربه ظهيراً . أي معيناً للشيطان على الرحمن والعياذ بالله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ يقول تعالى لرسوله إننا لم نرسلك لغير بشارة المؤمنين بالجنة ونذارة الكافرين بالنار أما هداية القلوب فهي إلينا من شئنا هدايته

(١) ولا يخالطه فتور ، وقيل الجهاد بالسيف ويرده أن السورة مكية ولم يجز للسيف ذكر فكيف يكون المراد ، وقيل : بالإسلام وهو أولى من السيف والقرآن أصح ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) الملح يوصف به الماء ، ولا يقال مالح إلا نادراً والأجاج ما كان ملحاً مرأً والعذب . الحلو والفرات : زائد الحلاوة ، والبرزخ : الحاجز المانع والحرام المحرم أن يعذب الملح أو يملح العذب .
(٣) صهر الرجل : قريب زوجته وأصهاره : أقارب زوجته . وختن الرجل من تزوج قريبته ، وأختانه : أقارب من زوجة قريبته ، والحم والجمع أحماء أقرباء زوج المرأة ، والصهر والنسب : معنيان يُقْمان كل قريب تكون بين آدميين ، قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والأنثى على وجه الشرع . وما في التفسير أوضح لأنه كقوله تعالى : (إننا خلقناكم من ذكر وأنثى) .

اهتدى ومن لم نشأها ضل . إلا أن الله يهدي ويضل حسب سنن له قد مر ذكرها مرات .^(١)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد ﷺ .

٢- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع .

٣- من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية .

٤- مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد . وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع .

٥- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

مِنْ أَجْرٍ إِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رِيهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ

عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُنُوبِ

عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ

خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ

أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا ﴿٦٢﴾

(١) من سنن الله تعالى في الهداية والإضلال ، أن من طلب الهداية ورغب فيها وسألها من ربه تعالى ولازم الطلب هداه الله ، ومن رغب عن الهداية وطلب الغواية وسلك مسالكها مفضلاً لها على الهداية وأصر على ذلك أضله الله والعياذ بالله .

شرح الكلمات :

عليه من أجر : أي على البلاغ من أجر اتقاضاه منكم .
سيلاً : أي طريقاً يصل به إلى مرضاته والفوز بجواره ، وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله .

وسبح بحمده : أي قل سبحان الله وبحمده .
في ستة أيام : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد . . . والجمعة .
ثم استوى على العرش : العرش سرير الملك والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب .

فاسأل به خبيراً : أي أيها الإنسان إسأل خبيراً بعرش الرحمن ينبئك فإنه عظيم .
وزادهم نفوراً : أي القول لهم اسجدوا للرحمن زادهم نفوراً من الإيمان .
جعل في السماء بروجاً : هي إثنا عشر برجاً انظر تفصيلها في معنى الآيات .
سراجاً : أي شمساً .

خلفة : أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد .
أن يذكر : أي ما فات في أحدهما فيفعله في الآخر .
أو أراد شكوراً : أي شكراً لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة .

معنى الآيات :

بعد هذا العرض العظيم لمظاهر الربوبية الموجبة للألوهية أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين ما أسألكم على هذا البيان الذي بينت لكم ما تعرفون به إلهكم الحق فتعبدونه وتكملون على عبادته وتسعدون أجراً أي مالاً ، لكن من شاء أن ينفق من ماله في وجوه البر والخير يتقرب به إلى ربه فله ذلك ليتخذ بنفقته في سبيل الله طريقاً إلى رضا ربه عنه ورحمته له .

وقوله ﴿وتوكل﴾ على الحي الذي لا يموت ﴿ ياأمر تعالى رسوله أن يمضي في طريق

(١) وجائز أن يكون (اتخذ إلى ربه سيلاً) باتباع ديني أي : الإسلام حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة والإنفاق في سبيل الله تعالى داخل فيه ، والحمد لله .

(٢) التوكل معناه : اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور مع اتیان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف وأمر ادراك المطلوب إلى الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خلافه ونجاح وغيره .

دعوته مبلغاً عن ربه داعياً إليه متوكلاً عليه أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي الذي لا يموت وغيره يموت، وأمره أن يستعين على دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال ﴿وسبح بحمده﴾ أي قل سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصبر. وقوله تعالى ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أي فلا تكرب لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم وسيجزئهم بها في عاجل أمرهم أو آجله. ثم أثنى تبارك وتعالى على نفسه بقوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ مقدرة بأيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله وكماله. ﴿الرحمن﴾ الذي عمّت رحمته العالمين ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي فاسأل يا محمد بالرحمن خبيراً بخلقه فإنه خالق كل شيء والعليم بكل شيء فهو وحده العليم بعظمة عرشه وسعة ملكه وجلال وكمال نفسه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ أي وإذا قال لهم الرسول أيها المشركون اسجدوا للرحمن ولا تسجدوا لسواه من المخلوقات. قالوا منكربين متجاهلين ﴿ما الرحمن؟﴾ أنسجد لما تأمرنا أي أتريد أن تفرض علينا طاعتك ﴿وزادهم﴾ هذا القول ﴿نفوراً﴾، أي بعداً واستنكاراً للحق والعياذ بالله تعالى. وقوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون له شريك في خلقه أو في عبادته الذي بعظمته جعل في السماء بروجاً وهي منازل الكواكب السبعة السيارة فلذا سميت بروجاً جمع برج وهو القصر الكبير وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث. والكواكب السبعة السيارة هي: المريخ، والزهرة وعطارد، والقمر، والشمس، والمشتري، وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها.

(١) قال (بينهما) ولم يقل بينهما لأنه أراد الصنفين أو النوعين أو الشيتين وهو أخص من كلمة بينهما وأخف على اللسان والمقصود ظاهر بكل من العبارتين جمع أو ثني.

(٢) رجع بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي: أسأل عن الرحمن خبيراً واستشهد بقول الشاعر:
فإن سألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طيب

ف قوله بالنساء أي: عن النساء. ورأي ابن كثير أن المسؤول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق ويعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) إنهم بجهلهم أنكروا اسم الرحمن لله، وقالوا: يأمر بعبادة إله واحد وهو يدعو الله ويدعو الرحمن فأنزل الله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوه فله الأسماء الحسنى) (الإسراء).

وقوله تعالى ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾^(١) هو القمر أي تعاضم وتقديس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وقوله ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه﴾ أي يخلف بعضهما بعضاً فلا يجتمعان أبداً وفي ذلك من المصالح والفوائد مالا يقادر قدره ومن ذلك أن من نسي عملاً بالنهار يذكره في الليل فيعمله، ومن نسي عملاً بالليل يذكره بالنهار فيعمله، وهو معنى قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ فإن الليل والنهار ظرفان للعبادة الصيام بالنهار والقيام بالليل فمن أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه فقد وهبنا له فرصة لذلك وهو الليل للتهجد والقيام والنهار للجهد والصيام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له .
- ٢- وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذي لا يموت وغيره يموت .
- ٣- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه .
- ٤- مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع^(٥).
- ٥- صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما .
- ٦- الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة .

(١) قرئ في الشاذ قُمرًا بضم القاف وإسكان الميم وصاحب القراءة هو عصمة الذي يروي القراءات قال فيه أحمد بن حنبل : لا يكتبوا عنه وقد أولع أبو حاتم بالرواية عنه مع الأسف .

(٢) الخلفة : كل شيء بعد شيء ومنه قيل لليل والنهار خلفه لأن كلا منهما يخلف الثاني إذا ذهب ومنه قيل لورق النبات الذي يخلف الورق الأول خلفه ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

بها العين والأرام يمشين خلفه وأطلاؤهن ينهض من كل مجثم

خلفة : هذه تذهب وتلك تأتي . والعين : جمع عيناء وأعين : واسعات العيون والمراد بقر الوحش والأطلاء : جمع طلاء : ولد البقرة وولد الظبية الصغير، والمجثم : موضع الجثوم : أي المقام .

(٣) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من نام عن حربه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) .

(٤) لو أعطي الداعي إلى الله تعالى من أوقاف وقفت لهذا الغرض أو أعطي من بيت المال ما يسد به خلته ويقضي به حاجته فأخذ فلا حرج .

(٥) هذه السجدة من عزائم السجديات فلا ينبغي أن يتركها القارىء ولا المستمع .

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهِينًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يمشون على الأرض هوناً : في سكونة ووقار.

وإذا خاطبهم الجاهلون : أي بما يكرهون من الأقوال.

قالوا سلاماً : أي قولاً يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا إسلام^(١)

المتاركة .

سجداً وقياماً : أي يصلون بالليل سجداً جمع ساجد .

إن عذابها كان غراماً : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه .

(١) إسلام المتاركة : هو أن يقول قولاً يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتي هي أحسن من الكلمات .

إنها ساءت مستقراً ومقاماً: أي بثست مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

لم يسرفوا ولم يقتروا : أي لم يبدروا ولم يضيّقوا.

وكان بين ذلك قواماً : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً.

التي حرم الله : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب.

إلا بالحق : وهو واحد من ثلاث : كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو

قتل ظلم وعدوان.

يلقى أثاماً : أي عقوبة شديدة.

يبدل الله سيئاتهم حسنات : بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق

طاعاتهم.

معنى الآيات :

لما أنكر المشركون الرحمن ﴿وقالوا وما الرحمن﴾ وأبوا أن يسجدوا للرحمن، وقالوا أن محمداً ينهانا عن الشرك وهو يدعو مع الله الرحمن فيقول يا الله يا رحمن، ناسب لتجاهلهم هذا الاسم الرحمن أن يذكر لهم صفات عباد الرحمن ليعرفوا الرحمن بعباده على حد (خيركم من إذا رُؤي ذكر الله) فقال تعالى ﴿وعباد الرحمن﴾ ووصفهم بثمان صفات وأخبر عنهم بما أعد لهم من كرامة يوم القيامة. الأولى في قوله ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ أي ليسوا جبابة متكبرين، ولا عصاة مفسدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار، ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة.

الثانية : في قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ أي يقضون ليلهم بين السجود

(١) (وعباد الرحمن) مبتدأ والخبر: إن أريد بهم أصحاب الرسول ﷺ خاصة فالخبر: (الذين يمشون) وما بعده نعت لهم وصفات، وإن أريد بهم عامة المؤمنين فالخبر: (أولئك يجزون الغرفة) والصلاة الثمانية: صفات ونعت لهم. وهذا الراجع.

(٢) الهون: اللين والرفق، والمشي الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو غير مشي المتكبرين المعجبين بنفوسهم، وعباد الرحمن يمشون وعليهم السكينة والوقار وفي الحديث: (أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالأيضاع وهو السير مثل الخبب) إن الرسول ﷺ كان إذا زال زال ثقلما ويخطو تكفوًا ويمشي هونا فزع المشية كأنما ينحط من صعب، قيل: نعم هو كما وصف فالتقلع معناه رفع الرجل بقوة حتى لا يمشي مشية المتمسكن الذليل والذريع، الواسع الخطا ومعناه أنه كان يرفع رجله بسرعة ويوسع خطوه كأنما ينحط من صعب فأين هذا الهون المحمدي في المشي من الاختيال والتمايل اعجاباً بالنفس وضرب الأرض كأنما يريد أن يخرقها بنعله. والله تعالى قال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ والمرح: هو مشي الخلاء، والفخر، وقال: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي بضربك إياها برجليك بشدة. ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ مهما حاولت العلو والارتفاع.

(٣) هذا كقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم لا نتبعي الجاهلين).

والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم .

والثالثة: في قوله ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أي مُلِحاً لازماً لا يفارق صاحبه ، ﴿إنها ساءت﴾ أي جهنم ﴿مستقراً ومقاماً﴾ أي بثست موضع إقامة واستقرار .

والرابعة: في قوله ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم ، ولم يقتروا فيقصروا في الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً .

والخامسة: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم كما لا يشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها وهي كل نفس آدمية ما عدا نفس الكافر المحارب فإنها مباحة القتل غير محرمة . ﴿إلا بالحق﴾ وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول ﷺ في حديث الصحيحين (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يرتكبون فاحشة الزنا والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح وقوله تعالى ﴿ومن يفعل ذلك﴾ هذا كلام معترض بين صفات عباد الرحمن . أي ومن يفعل ذلك المذكور من الشرك بدعاء غير الرب أو قتل النفس بغير حق ، أو زناً ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقاباً ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ أي في العذاب ﴿مهاناً﴾ مخزياً ذليلاً ، وقوله تعالى ﴿إلا من تاب﴾ من الشرك وآمن بالله وبلغائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق ﴿وعمل صالحاً﴾ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ﴿فأولئك﴾ المذكورون أي التائبون ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أي يمحو سيئاتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانها صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم ، وقوله ﴿ومن تاب﴾ من غير هؤلاء المذكورين أي رجع إلى الله تعالى بعد غشيانه الذنوب

(١) الأثام: قيل فيه إنه واد في جهنم: قال الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك نلقي أثامنا

وقيل الأثام: العقاب كما في التفسير وشاهده قول الشاعر:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

أي: جزاء وعقوبة .

﴿وعمل صالحاً﴾ بعد توبته ﴿فإنه يتوب الى الله متاباً﴾ أي يرجع إليه تعالى مرجعاً مرضياً حسناً فيكرمه وينعمه في دار كرامته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل .
- ٢- فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار .
- ٣- فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم .
- ٤- فضيلة قيام الليل والخوف من عذاب النار .
- ٥- فضيلة الاعتدال والقصد في النفقة وهي الحسنة بين السيئتين .
- ٦- حرمة الشرك وقتل النفس والزنى وأنها أمهات الكبائر .
- ٧- التوبة تجب ما قبلها . والندب إلى التوبة وأنها مقبولة مالم يغرغر .

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

(١) أنشد بعضهم الآيات التالية في صفة أولياء الله جعلنا الله منهم : فقال :

الله قوم أخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خداماً

قوم إذا جن الظلام عليهم باتوا هنالك سجداً وقياماً

خمس البطون من التعفف ضمراً لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

(٢) روي أن عبد الملك بن مروان سأل بنته فاطمة وهي تحت ابن أخيه عمر بن عبد العزيز وقد زارهما بالمدينة فقال لها كيف نفقتكم؟ فقالت : الحسنة بين السيئتين . تعني قول الله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقيل : المسؤول زوجها عمر وهو الذي أجاب والله أعلم وفي الحديث : (إن من السرف أن تأكل كل ما تشتهي) .

(٣) روى مسلم أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي الذنب أكبر عند الله؟ قال : (أن تجعل الله نداً وهو خلقك) قال ثم أي؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي : قال : أن تزاني حليلة جارك) فأنزل الله تصديقها (الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى (ولا يزنون) .

(٤) وفي الحديث الصحيح : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) والشاهد : (إن الحسنات يذهبن السيئات) .

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
 لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
 صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَحْسَنَتْ مُمْسِقَاتُ مَقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
 لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

لا يشهدون الزور : أي لا يحضرون مجالسه ولا يشهدون بالكذب والباطل .
 وإذا مروا باللغو : أي بالكلام السيء القبيح وكل ما لا خير فيه .
 مروا كراماً : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه .

وإذا ذكروا بآيات ربهم : أي إذا وعظوا بآيات القرآن .
 لم يخرؤا عليها صماً وعمياناً : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها عمياً لا يبصرون
 ولا صماً لا يسمعون بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه ويبصرون ما تعرضه .

قرة أعين : أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم مطيعين لك يعبدونك وحده .

واجعلنا للمتقين إماماً : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك قدوة يقتدون بنا في الخير .

يجزون الغرفة : أي الدرجة العليا في الجنة .
 بما صبروا : أي على طاعتك بامتنال الأمر واجتناب النهي .
 حسنت مستقراً ومقاماً : أي صلحت وطابت مستقراً لهم أي موضع استقرار

(١) أي : أعيننا .

واقامة.

ما يعبأ بكم ربي : أي ما يكثرث ولا يعتد بكم ولا يبالي .
 لولا دعاؤكم : أيه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره .
 فسوف يكون لزاماً : أي العذاب لزاماً أي لازماً لكم في بدر ويوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر صفات عباد الرحمن الذي تجاهله المشركون وقالوا : وما الرحمن فها هي ذي صفات عباده دالة عليه وعلى جلاله وكماله ، وقد مضى ذكر خمس صفات :

والسادسة : في قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾^(١) الزور هو الباطل والكذب وعباد الرحمن لا يحضرون مجالسه ولا يقولونه ولا يشهدونه ولا ينطقون به ﴿وإذا مروا باللغو﴾^(٢) وهو كل عمل وقول لا خير فيه ﴿مروا كراماً﴾ أي مكرمين أنفسهم من التلوث به ، بالوقوف فيه .

والسابعة : في قوله تعالى ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ أي إذا ذكرهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يحنوا رؤوسهم عليها صمماً حتى لا يسمعوها مواعظها ولا عمياناً حتى لا يشاهدوا آثار آياتها بل يحنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها .

والثامنة : في قوله تعالى ﴿والذين يقولون﴾ أي في دعائهم ﴿ربنا هب لنا﴾ أي أعطنا ﴿من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي ما تقر به أعيننا وذلك بأن نراهم يتعلمون الهدى ويعملون به طلباً لمرضااتك يا ربنا ﴿واجعلنا للمتقين﴾ من عبادك الذين يتقون سخطك

(١) قيل في الزور : إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وقال ابن عباس : إنه أعياد المشركين وقال عكرمة : اللغو كان في الجاهلية يسمى الزور ، وقال مجاهد : الغناء : ويطلق اليوم على التصوير والصور إذ هو الزور والكذب قطعاً . والحكم في شاهد الزور أن يجلد أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه . وتسخم الوجه أن يسود بالفحم .

(٢) اللغو : كل سقط من قول أو فعل فيدخل فيه الغناء واللهو وذكر النساء وغير ذلك من المنكر ، وقال بعضهم اللغو كل قول أو عمل لم يحقق لك درهما لمعاشك ولا حسنة لمعادك .

(٣) كراماً : أي معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسونه أهله .

(٤) قرة العين مأخوذ من القر وهو البرد إذ دموع الفرح باردة ودموع الحزن حارة قال الشاعر :

فكم تسخت بالأمس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

ومن ثم قالوا في الدعاء : اقر الله عينك أي : أفرحك .

(١) بطاعتك بفعل أمرك وأمر رسولك واجتناب نهيك ونهي رسولك ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا. قال تعالى مخبراً عنهم بما أنعم به عليهم: ﴿أولئك﴾ أي السامون أنفسهم العالون أرواحاً ﴿يجزون الغرفة﴾ وهي الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة مولاهم، وما يلحقهم من أذى في ذات ربهم ﴿ويلقون فيها﴾ أي تتلقاهم الملائكة بالتهاني والتحيات ﴿تحية وسلاماً﴾ أي بالدعاء بالحياة السعيدة والسلامة من الآفات إذ هي حياة بلا ممات، وسعادة بلا منغصات. وقوله تعالى ﴿خللدين فيها﴾ أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة ﴿حسنت مستقراً﴾ أي طابت موضع إقامة واستقرار. إلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم. وقوله تعالى: ﴿قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ أي قل يا رسولنا لأولئك المشركين المنكرين للرحمن ﴿ما يعبا بكم ربي﴾ أي ما يكثرث لكم أويالي بكم ﴿لولا دعاؤكم﴾ إياه أي عبادة من يعبده منكم إذ الدعاء هو العبادة ما أبالي بكم ولا أكثرث لكم. أما وقد كذبتكم بي وبرسولي فلم تعبدوني ولم توحّدوني وإذا ﴿فسوف يكون﴾ العذاب ﴿لزاماً﴾ وقد أذقتموه يوم بدر، وسوف يلزمهم في قبورهم إلى نشورهم، وسوف يلاحقهم حتى مستقرهم في جهنم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة شهود الزور وحرمة شهادته. (٤)
- ٢- فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً.

(١) وحّد إماماً ولم يجمعه (أئمة) لأن الإمام مصدر كالقيام والصيام أم القوم يؤمهم فهو إمام لهم، والمصدر يطلق فيدل على الواحد والجمع وجائز أن يراد أئمة كقول الرجل أميرنا هؤلاء ومنه قول الشاعر:

يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي إن العواذل لسن لي بأمير

(٢) إذ كانوا يدعونه تعالى في حال الشدة وعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل وإياه معمول للدعاء. المصدر، وجائز أن يكون معناه لولا دعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره فيكون المصدر الذي هو الدعاء مضافاً إلى مفعوله وجواب لولا محذوف تقديره لم يعبا بكم.

(٣) قال الطبري: معناه عذاباً دائماً لازماً. وقيل: فقد كذبتهم فسوف يكون تكذيبكم لزماً لكم أي: جزاؤه وهو العذاب والمعنى واحد وهو لزوم العذاب لهم من أجل تكذيبهم الذي منعهم من تزكية نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال.

(٤) وفي الصحيح: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكثراً فجلس وقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)

- ٣- فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدأيته .
- ٤- فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير .
- ٥- لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبدته كان شر الخليقة^(١).

(١) شاهده قوله تعالى : (أولئك هم شر البرية) وهم الكفار من أهل الكتاب والمشركون (من سورة البينة).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية

وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِيعٌ نَفْسِكَ
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّا نَشَأُنُزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
 أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ
 إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
 كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

طسّم	: الله أعلم بمراده بذلك .
الكتاب المبين	: أي القرآن المبين للحق من الباطل .
باخع نفسك	: أي قاتلها من الغم .
ألا يكونوا مؤمنين	: أي من أجل عدم إيمانهم بك .
آية	: أي نخوفهم بها .
من ذكر	: أي من قرآن .
معرضين	: أي غير ملتفتين إليه .
زوج كريم	: أي صنف حسن .
العزیز	: الغالب على أمره ومراده .
الرحيم	: بالمؤمنين من عباده .

معنى الآيات :

طسّم هذه الحروف المقطعة تكتب طسم ، وتقرأ طا سين ميم بإدغام النون من سين في الميم الأولى من ميم والله أعلم بمراده منها . وفيها إشارة إلى أن القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف وعجز العرب عن تأليف مثله بل سورة واحدة من مثله دال قطعاً على أنه كلام الله ووجهه إلى رسوله ﷺ . وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾^(١) أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب أي القرآن ﴿المبين﴾ أي المبين للحق من الباطل والهدى من الضلال ، والشرائع والأحكام . وقوله تعالى ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتلها ومهلكها ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي إن لم يؤمن بك وبما جئت به قومك ، فاشفق على نفسك يا رسولنا ولا تعرضها للغم القاتل فإنه ليس عليك هدايتهم وإنما عليك البلاغ وقد بلغت ، إنا لو أردنا هدايتهم بالقسر والقهر لما عجزنا عن ذلك ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾^(٢) لها خاضعين ﴿أي إنا لقادرون على أن ننزل عليهم من السماء آية كرفع جبل أو إنزال كوكب أو رؤية ملك فظلت أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة ، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنوا حينئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري .

وقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾^(٣) أي وما يأتي قومك المكذبين لك من موعظة قرآنية وحجج وبراهين تنزيلية تدل على صدقك وصحة دعوتك مما يحدثه الله إليك ويوحى به إليك لتذكرهم به إلا أعرضوا فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه . وقوله تعالى : ﴿فقد كذبوا به﴾^(٤) يخبر تعالى رسوله بأن قومه قد كذبوا بما أتاهم من ربهم من ذكر محدث وعليه ﴿فسياتيهم أنباء﴾ أي أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو عذاب الله تعالى الذي كذبوا برسوله ووحيه وجحدوا توحيدَهُ وأنكروا طاعته وفي الآية وعيد شديد وهم عرضة له في أية لحظة إن لم يتوبوا .

(١) (تلك آيات الكتاب) قال القرطبي رفع على إضمار مبتدأ أي : هذه تلك . الخ وما في التفسير أولى أي : هي آيات الكتاب .
(٢) لأنهم إذا ذلت أعناقهم ذلوا ولا داعي إلى أن يقال : أعناقهم : كبراًؤهم ورؤسائهم وإن ساغ لغة ، إذ المراد أن ينزل عليهم آية تخضعهم وتذلهم رؤساء ومرؤوسين ، والأعناق جمع عنق يضم العين والنون وهو الرقبة ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها ومقتضى ظاهر الكلام هو فضلوا لها خاضعين بأعناقهم ، وعدل عنه إلى إسناد الخضوع إلى الأعناق لأنه يحمل الإشارة إلى خضوع رؤسائهم الحاملين على الكفر والعناد وهذا من بليغ الكلام وبديعه .

(٣) (محدث) أي : مستجد متكرر بعضه يعقب بعضاً ويؤيده .

(٤) (فقد كذبوا) الفاء هي الفصيحة أفصححت عن تكذيبهم الناتج عن إعراضهم والفاء في فسياتيهم) للتعقيب والأنباء جمع نبأ وهو الخبر ذو الشأن ، والجملة تحمل التهديد والوعيد الشديد .

وقوله تعالى ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ إن كانت علة هذا التكذيب من هؤلاء المشركين هي إنكارهم للبعث والجزاء وهو كذلك فلم لا ينظرون إلى الأرض الميتة بالقحط ينزل الله تعالى عليها ماء من السماء فتحيا به بعد موتها فينبت الله فيها من كل زوج أي صنف من أصناف النباتات كريم أي حسن. أليس في ذلك آية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم وحشرهم للحساب والجزاء، فلم لا ينظرون؟ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة واضحة للمشركين على صحة البعث والجزاء. ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الناس بعد موتهم. وقوله تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ يخبر تعالى أن فيما ذكر من إنباته أصناف النباتات الحسنة آية على البعث والحياة الثانية ولكن قضى الله ألا أن أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه فاصبر لحكمه وتوكل عليه وواصل دعوتك في غير غم ولا هم ولا حزن وإن العاقبة لك للمؤمنين بك المتبعين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طاسين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله.
- ٢- بيان ما كان الرسول ﷺ يناله من الغم والحزن وتكذيب قومه له.
- ٣- بيان أن إيمان المكروه لا ينفعه، ولذا لم يكره الله تعالى الكفار على الإيمان بواسطة الآيات.
- ٤- التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها.
- ٥- في إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر.

(١) الاستفهام إنكاري والهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه نحو: اعملوا ولم يروا. الرؤية: معناها النظر بالعين، ولذا عدّي الفعل بالي. والزوج: النوع، والكريم: النفس في نوعه وكم: للتكثير ومن للتبعيض.

(٢) المراد ممن نفى الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجاً.

(٣) الجملة تعليلية تضمنت التذكير بعزة الله تعالى ورحمته فذوا العزة قادر على أن ينزل عذابه بأعدائه وذو الرحمة قادر على رحمة أوليائه كما أن هناك إشارة إلى أن تخلف العذاب اقتضته رحمته سبحانه وتعالى.

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَافِرْعَوْنَ
فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

وإذ نادى ربك	: أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى .
أن ايت	: أي بأن اتت القوم الظالمين .
ألا يتقون	: ألا يخافون الله ربهم ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم ؟
ويضيق صدري	: أي من تكذيبهم لي .
ولا ينطلق لساني	: أي للعقدة التي به .
فأرسل إلى هرون	: أي إلى أخي هرون ليكون معي في إبلاغ رسالتي .
ولهم على ذنب	: أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين .
قال كلا	: أي قال الله تعالى له كلا أي لا يقتلونك .
فاذهبا	: أنت وهرون .
إننا رسول رب العالمين	: أي إليك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ هذا بداية سلسلة من القصص بدئت بقصة موسى وختمت بقصة شعيب وقصها على المشركين ليشاهدوا أحداثها ويعرفوا نتائجها

وهي دمار المكذبين وهلاكهم مهما كانت قوتهم وطالت أعمارهم قال تعالى في خطاب رسوله محمد ﷺ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ أي اذكر إذ نادى ربك موسى في ليلة باردة شاتية بالواد الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ﴿أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ إذ ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا بني إسرائيل باضطهادهم وتعذيبهم ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي قل لهم ألا تتقون أي يأمرهم بتقوى ربهم بالإيمان به وتوحيده وترك ظلم عباده فلا يستفهم معناه الأمر. وقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي قال موسى بعد تكليفه رب إنني أخاف أن يكذبون فيما أخبرهم به وأدعوهم إليه، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ لذلك ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعقدة التي به، وعليه ﴿فَأَرْسَلْ إِلَى هَارُونَ﴾ أي جبريل يبلغه أن يكون معي معينا لي على إبلاغ رسالتي، وقوله ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ هذا قول موسى عليه السلام لربه تعالى شكاً إليه خوفه من قتلهم له بالنفس التي قتلها أيام كان بمصر قبل خروجه إلى مدين فأجابه الرب تعالى ﴿كَلَّا﴾ أي لن يقتلوك. وأمرهما بالسير إلى فرعون فقال ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ وهي العصا واليد ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ أي فبلغاه ما أمرتكما ببلاغه وإنا معكم مستمعون لما تقولان ولما يقال لكما ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ﴾ عند وصولكما إليه ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نحمل رسالة منه مفادها أن ترسل معنا بني إسرائيل لنخرج بهم إلى أرض الشام التي وعد الله بها بني إسرائيل هذا ما قاله موسى وهرون رسولا رب العالمين أما جواب فرعون ففي الآيات التالية.

(١) (أن) تفسيرية لأنها واقعة بعد النداء وهو قول.

(٢) قوم فرعون: بدل من الظالمين.

(٣) (أن يكذبون): الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناسب وهو أن فصارت يكذبونني ثم حذفت ياء الضمير للدلالة الكسرة عليها فصارت (يكذبون).

(٤) قرأ الجمهور يضيق صدري ولا ينطلق لساني بالرفع للفعليين معاً على الاستثفاف وقرئ بنصبهما لغير الجمهور.

(٥) المراد بالنفس: نفس القبطي واسمه فاثور.

(٦) (كلا) للردع والزجر عن هذا الظن.

(٧) لم يقل: رسولا إما لأن رسول بمعنى رسالة إنا ذو رسالة رب العالمين وإما لأن الرسول بمعنى الجمع كالمصادر نحو: هذا عدوي وهؤلاء عدوي، والعرب تقول: هذان رسولي وهؤلاء رسولي.

(٨) قيل: أقام بنو إسرائيل في مصر أربع مائة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إثبات صفة الكلام لله تعالى بنداؤه موسى عليه السلام .
- ٢- لا بأس بإبداء التخوف عند الإقدام على الأمر الصعب ولا يقدر في الإيمان ولا في التوكل .
- ٣- مشروعية طلب العون والمساعدة من المسئولين إذا كلفوا المرء بما يصعب .

قَالَ الْمُرْيُوكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾
 قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
 فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
 عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

قال : أي قال فرعون رداً على كلام موسى في السياق السابق .
 ألم نريك فينا وليداً : أي في منازلنا وليداً أي صغيراً قريباً من أيام الولادة .
 ولبت فينا من عمرك سنين : أي أقمت بيننا قرابة ثلاثين سنة وكان موسى يدعى ابن فرعون لجهل الناس به ورؤيتهم له في قصره يلبس ملابسه ويركب مراكبه .

وفعلت فعلتك التي فعلت : أي قتلت الرجل القبطي .
 وأنت من الكافرين : أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد .
 وأنا من الضالين : إذ لم يكن عندي يومئذ من علم ربي ورسالته ما عندي الآن .
 أن عبدت بني إسرائيل : أي هل تعبيدك لبني إسرائيل يعد نعمة فتمن بها علي ؟

معنى الآيات

ما زال السياق والحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن فرد فرعون على موسى بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال ألم نربك فينا وليداً﴾ أي أتذكر معترفاً أنا ربيناك وليداً أي صغيراً وأنت في حال الرضاع ﴿ولبث فينا﴾ أي في قصرنا مع الأسرة المالكة ﴿سنين﴾ ثلاثين سنة قضيتها من عمرك في ديارنا ﴿وفعلت فعلتك﴾ أي الشنعاء ﴿التي فعلت﴾ وهي قتل موسى القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ أي لنعمنا عليك الحاجد بها، كان هذا رد فرعون فلنستمع إلى رد موسى عليه السلام كما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال فعلتها إذا﴾ أي يومئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين لأنه لم يكن قد علمني ربي ما علمني الآن وما أوحى إلي ولا أرسلني إليكم رسولاً ﴿ففرت منكم لما خفتكم﴾ من أجل قتلي النفس التي قتلت وأنا من الجاهلين ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يحكممني دون فعل ما لا ينبغي فعله ﴿وجعلني من المرسلين﴾ أي من أنبيائه ورسله إلى خلقه ثم قال له ردأ على ما امتن به فرعون بقوله ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبث فينا من عمرك سنين﴾ فقال ﴿وتلك نعمة﴾ أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولداً حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون، نترك رد فرعون إلى الآيات التالية.

(١) الاستفهام للتقرير ومعناه المنّ على موسى والاحتقار له.

(٢) الفعل: المرة وبالكسر: الهيئة وقرأ الجمهور (فعلتك) وهي المرة من الفعل، وشاهد الفعل بالكسر للهيئة قول الشاعر:

كان مشيتها من بيت جارثها مَرَّ السحابة لا ريث ولا عجل

يذكره بقتله القبطي تخويفاً له وتهديداً.

(٣) كان خروج موسى من مصر إلى أن عاد إليها أحد عشر عاماً إلا أشهراً.

(٤) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٥) بناء على أنه قضى ثلاثين سنة في مصر وأحد عشر عاماً خارجها فقد نبئ على رأس الأربعين وهي سنة الله تعالى في الرسل.

(٦) حرف الاستفهام مقدر أي: أو تلك كما هو في التفسير والاستفهام إنكاري أي ينكر موسى على فرعون أن يكون استعباد بني إسرائيل نعمة تعدّ عليهم وهذا التقدير أولى من قول: (إن موسى اعترف لفرعون بنعمة التربية من حيث استعبد غيره وتركه ولم يتعبه) ومن اعترض بأن همزة الاستفهام لا تحذف إذا لم يكن في الكلام أم الدالة عليها محجوج بشواهد كثيرة منها قول الشاعر:

لم أنس يوم الرحيل وفقتها وجفنها من دموعها شرق

وقولها والركاب واقفة تركني هكذا وتنطلق

والشاهد في قوله: تركني إذ الأصل: أتركني فحذفت همزة الاستفهام مع عدم (أم).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري .
- ٢- جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل .
- ٣- جواز إطلاق لفظ الضلال على الجاهل كما قال تعالى ﴿ووجدك ضالاً﴾ كم قال موسى ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي .
- ٤- مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ

لَنْ آتُخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ

أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

وما رب العالمين : أي الذي قلت إنك لرسوله من أي جنس هو؟

رب السموات والأرض وما بينهما : أي خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما .

إن كنتم موقنين : بأن السموات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات

مخلوقة قائمة فخالقها ومالكها هو رب العالمين .

لمن حوله : أي من أشرف قومه ورجال دولته .

ألا تستمعون : أي جوابه الذي لم يطابق السؤال في نظره .

أو لو جئتكم بشيء مبین : أي أتسجنني ولو جئتكم ببرهان وحجة على رسالتي .
فأت به إن كنت من الصادقين: أي فأت بهذا الشيء المبین إن كنت من الصادقين فيما
تقول .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن
الرحمن لما قال موسى ﴿إني رسول رب العالمين﴾ في أول الحوار قال فرعون مستفسراً
في عناد ومكابرة ﴿وما رب العالمين﴾؟ أي أي شيء هو أو من أي جنس من أجناس
المخلوقات فأجابه موسى بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما﴾
أي خالق السموات والأرض وخالق ما بينهما . ومالك ذلك كله ، إن كنتم موقنين بأن كل
مخلوق لا بد له من خالق خلقه ، وهو أمر لا تنكره العقول . وهنا قال فرعون في استخفاف
وكبرياء لمن حوله من رجال دولته وأشراف قومه : ﴿ألا تسمعون﴾^(١) كأن ما قاله موسى أمر
عجب أو مستنكر فعرف موسى ذلك فقال ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي خالقكم
وخالق آبائكم الأولين الكل مربوب له خاضع لحكمه وتصرفه . وهنا اغتاظ فرعون فقال :
﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أراد أن ينال من موسى لأنه أغاظه بقوله
﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فرد موسى أيضاً قائلاً ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾
أي رب الكون كله ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي ما تخاطبون به ويقال لكم وفي هذا الجواب
ما يتقطع له قلب فرعون فلذا رد بما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري﴾
أي رباً سواي ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ أي لأسجننك وأجعلك في قعر تحت الأرض
مع المسجونين . فرد موسى عليه السلام قائلاً ﴿أولو جئتكم بشيء مبین﴾^(٢) أي أتسجنني ولو

(١) لما غلب فرعون في جداله لموسى استفهم بقوله : (فما رب العالمين) وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن رب العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال : (وما رب العالمين) وكان المطلوب أن يقول : ومن رب العالمين؟ ولكنه العلو والتكبر .
(٢) لما علم موسى جهل فرعون وتجاهله أجابه بما يلقيه الحجر ويبطل دعواه في أن الربوبية تكون لبشر أو حجر فقال : (رب السموات ... الخ) .

(٣) استفهم اللعين استفهام تعجب وتهكم مستخفاً بجواب موسى قائلاً (ألا تسمعون) أي إلى قول هذا الذي زعم إبطال عقيدتكم وعقيدة آبائكم ، ولذا أجاب موسى بتقرير جوابه الأول وهو مفحم مبطل لدعوى ربوبية فرعون .
(٤) في جواب موسى عليه السلام هذا تلطف بفرعون وطمع في إيمانه لما بهره به من الردود المحكمة والإجابات المفحمة .

جئت بحجة بينة وبرهان ساطع على صدقي فيما قلت وأدعوكم إليه ؟ وهنا قال فرعون ما أخبر تعالى به ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعي وتقول

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار لسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون.
- ٢- سنة أهل الباطل أنهم يفجرون في الخصومة وفي الحديث (وإذا خاصم فجر).^(١)
- ٣- أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة.

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ
 عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
 تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
 ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّبَ كُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
 لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾
 لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

(١) نص الحديث الشريف كما هو في الصحيح : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) .

شرح الكلمات :

ثعبان مبین	: أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك .
ونزع يده	: أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه .
لساحر عليم	: أي متفوق في علم السحر .
أرجه وأخاه	: أي أخرّ أمرهما .
حاشرين	: أي جامعين للسحرة .
سحار عليم	: أي متفوق في الفن أكثر من موسى .
يوم معلوم	: هو ضحى يوم الزينة عندهم .
هل أنتم مجتمعون	: أي اجتمعوا كي نتبع السحرة على دينهم إن كانوا هم الغالبين .
وإنكم إذاً لمن المقربين :	أي لكم الأجر وهو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لقد تقدم في السياق أن فرعون طالب موسى بالإتيان بالآية أي الحجة على صدق دعواه وها هو ذا موسى عليه السلام يلقي عصاه أمام فرعون وملائته فإذا هي ثعبان ظاهر لا شك فيه ، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين لا يشك في بياضها وأنه بياض خارق للعادة هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٣٢) والثانية (٣٣) ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ^(١) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ^(٢) واعترف فرعون بأن ما شاهده من العصا واليد أمر خارق للعادة ولكنه راوغ فقال ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي موسى ﴿لساحر عليم﴾ أي ذو خبرة بالسحر وتفوق فيه قال هذا للملأ حوله كما قال تعالى عنه ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ وقوله تعالى عنه ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال فرعون هذا تهيجاً للملأ ليثوروا ضد موسى عليه السلام وهذا من المكر السياسي إذ جعل القضية

(١) الثعبان : الحية الضخمة الطويلة ، و(مبين) بمعنى بَيِّن لا خفاء فيه ولا غموض (ونزع يده) أي أخرجها من قميصه بسرعة وشدة إذ هذا ما يدل عليه لفظ النزع ، ولم يذكر المنزع منه لدلالة اللفظ عليه أي : من جيب قميصه .

(٢) إذا : هي الفجائية ومعنى : (لِلناظرين) أي : مما يقصده الناظرون لما فيه من العجب ، وكان جلد موسى أسمر وكانت اليد بيضاء فكان ذلك آية أخرى .

سياسية بحثة وأن موسى يريد الاستيلاء على الحكم والبلاد ويطرد أهلها منها بواسطة السحر، وقال لهم كالمستشير لهم ﴿فماذا تأمرون؟﴾ فأشاروا عليه بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي أخر أمرهما ﴿وابعث في المدائن﴾ أي مدن المملكة رجالاً ﴿حاشرين﴾ أي جامعين ﴿يأتوك﴾ أيها الملك ﴿بكل سحار^(١) عليم﴾ أي ذو خبرة في السحر متفوقة، وفعلاً أخذ بمشورة رجاله ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ أي لموعد معلوم وهو ضحى يوم العيد عندهم واستحثوا الناس على الحضور من كافة أنحاء البلاد وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ فجمع^(٢) السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ﴿فبقى على ديننا ولا نتبع موسى وأخاه على دينهما الجديد﴾ إن كانوا ﴿أي السحرة﴾ هم الغالبين ﴿وهذا من باب الاستحثاث والتحريض على الالتفات حول فرعون وملأته. وقوله تعالى ﴿فلما جاء السحرة﴾ أي من كافة أنحاء البلاد قالوا لفرعون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أئن لنا لأجراً﴾ أي جعلاً إن كنا نحن الغالبين؟ ﴿فأجابهم فرعون قائلاً﴾ نعم وإنكم إذا لمن^(٣) المقربين ﴿أي زيادة على الأجر مكافأة أخرى وهي أن تكونوا من المقربين لدينا، وفي هذا إغراء كبير لهم على أن يبذلوا أقصى جهدهم في الانتصار على موسى عليه السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام.
- ٢- مشروعية استشارة الأمير رجاله في الأمور ذات البال.
- ٣- ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين
- ٤- إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام.

(١) (سحار) فيه وصف ثابت دال على تعاويه للمهنة ورسوخه فيها كنجار وخباط وبناء والوصف بعليم: فيه الحث على الإتيان بالمهارة من السحرة لعظم الموقف.

(٢) دلت الفاء على الفورية واللام كذلك في الميقات أي: لأول الوقت كقوله: (الصلاة لوقتها) أي: في أول وقتها، وقوله (لناس) المراد بالناس أهل بلاده، والاستفهام في (هل أنتم مجتمعون) للاستحثاث على الاجتماع.

(٣) سؤال السحرة الأجر إِدلال بخبرتهم والتذكير بالحاجة إليهم لعلمهم بأن فرعون حريص على غلبهم لموسى، وخافوا أيضاً أن يستخدمهم فرعون بدون أجر لأن الخال حال التعبئة العامة للدفاع عن المعتقدات وأهلها فلذا شرطوا أجرهم قبل الشروع في العمل.

(٤) (إذا) أي: إذا كنتم فعلاً غالبين إن لكم لأجراً عظيماً.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهِمْ وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ألقوا ما أنتم ملقون : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق .
 ما يأفكون : أي ما يقبلونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيتهم حيات تسعى .
 رب موسى وهرون : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر .
 من خلاف : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى .
 ولأصلبكم أجمعين : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على
 الأخشاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن
 إنه بعد إرجاء السحرة فرعون وسؤالهم له : هل لهم من أجر على مباراتهم موسى إن هم غلبوا
 وبعد أن طمأنهم فرعون على الأجر والجائزة قال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾^(١) من
 الحبال والعصي في الميدان ﴿فألقوا حبالهم وعصيتهم﴾ وأقسموا بعزة فرعون إنهم هم

(١) جاء في سورة الأعراف أن السحرة عرضوا على موسى أن يلقى عصاه أو يلقوا حبالهم وعصيتهم وهنا قال لهم موسى عليه
 السلام (ألقوا) بناء على عرضهم ذلك .

الغالبون وفعلًا انقلبت الساحة كلها حيات وثعابين حتى أوجس موسى في نفسه خيفة فأوحى إليه ربه تعالى أن ألق عصاك فآلقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. هذا معنى قوله تعالى في هذا السياق ﴿فآلقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾^(١) ومعنى تلقف ما يأفكون أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثعابين، وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي أنهم لاندهاشهم وما بهرهم من الحق ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله تعالى مؤمنين به، فستلوا عن حالهم تلك فقالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وهنا خاف فرعون تفلت الزمام من يده وأن يؤمن الناس بموسى وهرون ويكفروا به فقال للسحرة: ﴿آمتنم به قبل أن أذن لكم﴾ بذلك أي كيف تؤمنون بدون إذني؟ على أنه يملك ذلك منهم وهي مجرد مناورة مكشوفة، ثم قال لهم ﴿إنه﴾ أي موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي انه لما كان استاذكم تواطأتم معه على الغلب فأظهروا أنه غلبكم، تمويهاً وتضليلاً للجماهير. ثم تهددهم قائلاً ﴿فلسوف تعلمون﴾ عقوبتي لكم على هذا التواطؤ وهي ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي أقطع من الواحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ فلا أبقى منكم أحداً إلا أشده على خشبة حتى يموت مصلوباً، هل فعل فرعون ما توعده به؟ الله أعلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كر عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه تعالى.

(١) يبدو أن الباء في قولهم (بعزة فرعون) هي كالباء في بسم الله للاستعانة والتبرك لا للقسم وهذا أولى بالمقام من الحلف على شيء لا يملكه المرء، وتكون جملة: (إنا نحن الغالبون) مستأنفة استئنافاً بيانياً وليست جواب قسم إلا أنها حملت معنى القسم بما فيه من المؤكدات كأنهم قالوا إنا ورتبنا للغالبون.

(٢) قرأ نافع (تلقف) بتشديد القاف، والأصل: تتلقف فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ حفص (تلقف) بتخفيف القاف من: لقف الشيء يلقفه لقفاً: إذا أخذه بسرعة.

(٣) اللام للقسم. وبم يقسم فرعون؟ يقسم بحسب عادته في إيمانه فقد يقسم بعزته.

٢- مظهر من مظاهر الهداية الإلهية هداية السحرة إذ هم في أول النهار سحرة كفرة وفي آخره مؤمنون برة.

٣- ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا

إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا

أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ

مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ

﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

لا ضير : أي لا ضرر علينا .

لمنقلبون : أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر .

إن كنا أول المؤمنين : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم لأنهم سبقوا بالإيمان .

أن أسر بعبادي : السرى المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل .

إنكم متبعون : أي من قبل فرعون وجيوشه .

لشردمة : أي طائفة من الناس .

لغائظون : أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا .

حادرين : أي متيقظون مستعدون .

ومقام كريم : أي مجلس حسن كان للأمرء والوزراء .

كذلك : أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة .

مشرقين : أي وقت شروق الشمس .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ ^(١) هذا قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم وتوعدهم ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ أي لا ضرر علينا بتقطيعك أيدينا وأرجلنا وتصليبك إيانا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي راجعون إن كل الذي تفعله معنا إنك تعجل برجعنا إلى ربنا وذلك أحب شيء إلينا . وقالوا ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ أي ذنوبنا ﴿إِن كُنَّا أُولَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه البلاد برب العالمين رب موسى وهرون .

بعد هذا الانتصار العظيم الذي تم لموسى وهرون أوحى تعالى إلى موسى ﴿أَن أَسْرِ﴾ بعبادي ﴿أَيِ امْشِ بِهْمَ لَيْلًا﴾ إنكم متبعون ﴿أَيِ مِنْ قَبْلُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ . وَعَلِمَ فِرْعَوْنَ بِعَزْمِ مُوسَى عَلَى الْخُرُوجِ بِنِيِّ إِسْرَائِيلَ فَأَرْسَلَ فِي الْمَدَائِنِ ^(٢) وَكَانَتْ لَهُ مَاتَ الْمَدَن حَاشِرِينَ مِنْ الرِّجَالِ أَيِ جَامِعِينَ وَكَانَهَا تَعْبَثُ عَامَةً . يَقُولُونَ مُحَرِّضِينَ ﴿إِن هَؤُلَاءِ﴾ أي موسى وبني إِسْرَائِيلَ ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي طائفة أفرادها قليلون ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ﴾ أي لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا ﴿وَأِنَّا﴾ أي حكومة وشعباً ﴿لَجَمِيعٌ حٰذِرُونَ﴾ أي متيقظون مستعدون فهلم إلى ملاحقتهم وردهم إلى الطاعة . وعجل تعالى بالمسرة في هذا الخبر فقال تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي آل فرعون ﴿مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْونَ وَكُنُوزَ﴾ أي كنوز الذهب والفضة التي كانت مدفونة تحت التراب ، إذ الطمس كان على العملة فسدت وأما مخزون الذهب والفضة فما زال تحت الأرض ، إذ الكنز يطلق على المدفون تحت الأرض وإن كان شرعاً هو الكنز ما لم تؤد زكاته سواء كان تحت الأرض أو فوقها .

وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ أي إخراجنا لهم كان كذلك ، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي تلك النعم بنى إسرائيل أي بعد هلاك فرعون وجنوده أجمعين . وقوله تعالى ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ﴾ أي فاتبع آل فرعون بنى إسرائيل أنفُسَهُمْ في وقت شروق الشمس ليردوهم ويحولوا بينهم

(١) الضير: مرادف الضّر يقال: ضاره يضيره بمعنى ضره يضره سواء .

(٢) الجملة تعليلية لنفيهم الضرر عليهم .

(٣) لفظ الطمع يطلق ويراد به الظن الضعيف غالباً ويراد به الظن القوي أيضاً كقول إبراهيم عليه السلام : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) .

(٤) قرأ نافع (أن اسر) بهزة وصل إذ هو من سرى يسري وحركت النون لالتقاء الساكنين . وقرأ عاصم : (أن أسر) بسكون أن وقطع همزة أسر لأنه من أسرى ، وأسرى وسرى بمعنى واحد .

(٥) المدائن جمع مدينة وهي البلد العظيم .

(٦) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقيق شأن بني إسرائيل ، والشُرذمة الطائفة القليلة العدد .

(٧) الغيظ : أشد الغضب ، وغاظظون : اسم فاعل من : غاظه بمعنى أغاظه أي : أغضبه أشد الغضب .

(٨) يرى بعضهم أن الله أورث بني إسرائيل نعماً نظير ما كان لفرعون وقومه بدليل آية الدخان : (وأورثناها قوماً آخرين) وبدليل أن بني إسرائيل ما رجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها والله أعلم .

وبين الخروج من البلاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه .

٢- حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته ، وفضل الأسبقية في الخير.

٣- مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهديء من مخاوف الأمة حكومة وشعباً .

٤- دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد .

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَرْزَلْنَاهُمْ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

فلما تراءى الجمعان: أي رأى بعضهما بعضاً لتقاربهما والجمعان جمع بني إسرائيل وجمع فرعون .

إننا لمدركون : أي قال أي أصحاب موسى من بني إسرائيل إننا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده .

قال كلا : أي قال موسى عليه السلام كلا أي لن يدركونا ولن يلحقوا بنا .
فانفلق : أي انشق .

فكان كل فرق كالطود: أي شق أي الجزء المنفرد والطود: الجبل .
وأرزلناهم الآخرين : أي قربنا هنا لك الآخرين أي فرعون وجنده .

إن في ذلك لآية : أي عظة وعبرة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهرون .
معنى الآيات :

هذا آخر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى في بيان نهاية الظالمين وفوز المؤمنين ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ جمع موسى وجمع فرعون وتقاربا بحيث رأى بعضهما بعضا ﴿ قال أصحاب موسى ﴾ أي بنو إسرائيل ﴿ إنا لمدركون ﴾ أي خافوا لما رأوا جيوش فرعون تتقدم نحوهم صاحوا ﴿ إنا لمدركون ﴾ فطمأنهم موسى بقوله ﴿ كلا ﴾ أي لن تدركوا، وعلل ذلك بقوله ﴿ إن معي ربي سيهدين ﴾ إلى طريق نجاتي قال تعالى ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب ﴾ أي اضرب بعصاك البحر فضرب امتثالاً لأمر ربه فانفلق البحر فرقتين كل فرقة منه كالجبل العظيم ﴿ وأزلفنا ﴾ أي قربنا ﴿ ثم الآخرين ﴾ أي أدنينا هناك الآخرين وهم فرعون وجيوشه ﴿ وأنجينا موسى ومن معه ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿ أجمعين ﴾ ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده . قوله تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور من إهلاك فرعون وإنجاء موسى وبني إسرائيل ﴿ لآية ﴾ أي علامة واضحة بارزة لربوبية الله وألوهيته وقدرته وعلمه ورحمته وهي عبرة وعظة أيضاً للمعتبرين ، وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون .

وقوله ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أي وإن ربك يا محمد لهو الغالب على أمره الذي لا يمانع في شيء يريده ولا يحال بين مراده الرحيم بعباده فاصبر على دعوته وتوكل عليه فإنه ناصرك ومذل أعدائك .

- (١) الترائي : تفاعل إذ هو من الجانبين كل جانب رأى الثاني .
(٢) ردع موسى عليه السلام بقوله كلا الظانين أن فرعون مدرّكهم وعلل لعدم إدراك فرعون بقوله : ﴿ إن معي ربي سيهدين ﴾ أي : سيبين لي سبيل النجاة فنسلّكه فنتجوا بإذن الله .
(٣) (الفرق) : القسم من الشيء المنفلق، وعليه فالفرقة : القسمة من البحر التي كانت كالجبل العظيم . ولذا قال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق أي : لكل قبيلة من قبائل بني إسرائيل طريق خاص بها فالبحر انقسم قسمين كان ما بين جانبيه كالفتح العظيم ، وفي ذلك الفتح كانت طرق بني إسرائيل .
(٤) (أزلفنا) أي : جمعنا وقربنا فرعون وملاؤه لإغراقهم وإهلاكهم وسميت مزدلفة وليلة جمع : لازدلفها : أي لقربها من منى أو عرفات وسميت ليلة جمع لاجتماع الحجاج فيها ، قال الشاعر :

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الأجل تزدلف

- (٥) القرطبي رحمه الله تعالى رد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ إلى فرعون وملئه فقال : لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا امرأة فرعون . . . الخ في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات .
- ٢- ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾ إذ قال له عند إرساله (إنني معكما) .
- ٣- ثبوت الوحي الإلهي .
- ٤- آية انفلاق البحر من أعظم الآيات .
- ٥- تقرير نبوة محمد ﷺ بقصة مثل هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بوحي خاص .

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
 نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنفِظُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ
 وَءَابَاؤُكُمْ أَلا تَقْدُمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
 ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
 ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ إبراهيم : أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم .
 لأبيه وقومه : أي آزر والبابليين .

فنظل لها عاكفين : أي فنقيم أكثر النهار عاكفين على عبادتها .
 قالوا بل وجدنا : أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر بل وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن تبع لهم .
 فإنهم عدو لي : أي أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرءون من عابديهم .
 إلا رب العالمين : فإن من يعبد لا يتبرأ منه يوم القيامة بل ينجيه من النار ويكرمه بالجنة .
 فهو يهدين : أي إلى ما ينجيني من العذاب ويسعدني في دنياي وأخراي .
 والذي يميني ثم يميني : أي يميني عند انتهاء أجلي ، ثم يميني ليوم الدين .
 يوم الدين : أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة والبعث الآخر .
 معنى الآيات :

هذا بداية قصص إبراهيم عليه السلام والقصد منه عرض حياة إبراهيم الدعوية على مسامع قريش قوم محمد ﷺ عليهم يتعظون بها فيؤمنوا ويوحدا فيسلموا ويسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ أي اقرأ على قومك من قريش خبر إبراهيم في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ﴿ما تعبدون﴾ مستفهماً إياهم ليرد على جوابهم وهو أسلوب حكيم في الدعوة والتعليم يسألهم ويجيبهم بناء على مقتضى سؤالهم فيكون ذلك أدعى للفهم وقبول الحق : ﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ أي في صور تماثيل ﴿فنظل لها عاكفين﴾ فنقيم أكثر النهار عاكفين حولها نتقرب إليها ونتبرك بها خاشعين خاضعين عندها . ولما سمع جوابهم وقد صدقوا فيه قال لهم ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾ أي إذ تدعونها ﴿أو ينفعونكم﴾ إن طلبتم منهم منفعة ﴿أو يضررون﴾ إن طلبتم منهم أن يضرروا أحداً تريدون ضره أنتم؟ فأجابوا قائلين في كل ذلك لا ، لا ، لا . وإنما وجدنا آباءنا كذلك

(١) (نبأ إبراهيم) قصته مع قومه والهزمة الثانية تخفف وهو أجود من تحقيقها . نبأ إبراهيم أو نبأ إبراهيم ، والمقصود من تلاوة هذه القصة طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعيل أخبار الأولين ومشاهدة ما دار من جدال بين الرسل وأمهم .

(٢) (فنظل) هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار عاكفين حولها لعبادتها وأما في الليل فيعبدون الكواكب لمشاهدتها والتماثيل إنما هي صور لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار .

(٣) أراد أي : إبراهيم بقوله : (هل يسمعونكم) فتح باب المجادلة ليصل إلى إقناعهم إن شاء الله ذلك ، وليست هذه أول محاجة بل حاج إبراهيم أباه على انفراد وحاجه هذه المرة مع قومه ولا شك أن الحجاج دام سنوات فما ذكر هنا غير ما ذكر في الصفات والأنبياء ومريم .

يفعلون ففعلنا مثلهم اقتداءً بهم واتباعاً لطريقتهم، وهنا صارحهم إبراهيم بما يريد أن يفهموه عنه فقال ﴿أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الذين هم أجدادكم الذين ورث عنهم آباؤكم هذا الشرك والباطل ﴿فإنهم عدولي﴾ أي أعداء لي وذلك يوم القيامة إن أنا عبدتهم معكم، لأن كل مَنْ عُبِدَ من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن عبده ويعلن عداوته له طلباً لنجاة نفسه من عذاب الله. وقوله ﴿إلا رب العالمين﴾ فإنه لا يكون عدواً لمن عبده بل يكون ودوداً له رحيماً به. ألا فاعبدوه يا قوم واتركوا عبادة من يكون عدواً لكم يوم القيامة!!

ثم أخذ إبراهيم يذكر ربه ويشني عليه ويمجده تعريفاً به وتذكيراً لأولئك الجهلة المشركين فقال ﴿الذي خلقتني فهو يهدين﴾^(١) أي إلى طريق نجاتي وكمالي وسعادتي وذلك ببيانه لي محابه لأتيتها، ومساخطه لأتجنبها، ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي يغذوني بأنواع الأطعمة ويسقيني بما خلق ويسر لي من أنواع الأشربة من ماء ولبن وعسل، ﴿وإذا مرضت﴾ بأن اعتل جسمي وسقم فهو لا غيره يشفيني، ﴿والذي يمينني﴾ يوم يريد إمامتي عند انتهاء ما حدد لي من أجل تنتهي به حياتي، ثم يحييني يوم البعث والنشور، ﴿والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي﴾^(٢) أي يسترها ويمحو أثرها من نفسي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب على عمل الإنسان في هذه الدار إذ هي دار عمل والآخرة دار جزاء.

وإذا قيل ما المراد من الخطيئة التي ذكر إبراهيم لنفسه؟ فالجواب إنها الكذبات الثلاث التي كانت لإبراهيم طوال حياته الأولى قوله ﴿إني سقيم﴾ والثانية ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ والثالثة قولِي للطاغية إنه أخي ولا تقولي إنه زوجي، هذه الكذبات التي كانت لإبراهيم فهو خائف منها ويوم القيامة لما تطلب منه البشرية الشفاعة عند ربها يذكر هذه الكذبات ويقول إنما أنا من وراء وراء فاذهبوا إلى موسى.

ألا فليتعظ المؤمنون الذين كذبهم لا يعد كثرة!!

(١) حذفت الياء في (يهدين) و(يسقين) و(يشفين) و(يحيين) لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلهما.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ (قال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص .
- ٢- تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين .
- ٣- بيان أن كل من عبد معبوداً غير الله تعالى سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة .
- ٤- بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك .
- ٥- بيان الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى من طريق السؤال والجواب .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾
 وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
 النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِأَيِّبَاتِي إِنَّكَ كَانِ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
 يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزْتُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
 ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنِّي مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
 أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

رب هب لي حكماً : أي يا رب أعطني من فضلك حكماً أي علماً نافعاً وارزقني العمل به .

والحقني بالصالحين : لأعمل عملهم في الدنيا وأكون معهم في الدار الآخرة .
 واجعل لي لسان صدق في الآخرين : أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي بعدي
 واعفّر لأبي : كان هذا منه قبل أن يتبين له أنه عدو لله .
 ولا تخزني يوم يبعثون : أي لا تفضحني .
 بقلب سليم : أي من الشرك والنفاق .
 وأزلفت الجنة للمتقين : أي أدنيت وقربت للمتقين .

وبرزت الجحيم للغاوين : أي أظهرت وجلت للغاوين .
هل ينصرونكم : أي يدفع العذاب عنكم .

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم وخاتمة لما ذكر إبراهيم قومه ووعظهم رفع يديه إلى ربه يسأله ويتضرع إليه فقال ﴿رب هب لي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يمنعني من فعل ما يسخطك عني ويدفعني إلى فعل ما يرضيك عني ، ﴿والحقني بالصالحين﴾ في أعمالهم الخيرية في الدنيا وبمرافقتهم في الجنة^(١) . ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي من عبادك المؤمنين ، ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ الذين يرثونها بالإيمان والتقوى بعد فضلك عليهم ورحمتك بهم ، ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ أي الجاهلين بك وبمحابك ومكارهك فما عبدوك ولا تقربوا إليك . وكان هذا من إبراهيم قبل العلم بأن أباه عدو لله حيث سبق له ذلك أولاً ، إذ قد تبرأ منه بعد أن علم ذلك وقوله ﴿ولا تخزني﴾ أي لا تذلي ﴿يوم يبعثون﴾ أي من قبورهم للحساب والجزاء على أعمالهم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ وهو يوم القيامة ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي لكن من أتى الله أي جاءه يوم القيامة وقلبه سليم من الشرك والنفاق فهذا ينفعه عمله الصالح لخلوه مما يحبطه وهو الشرك والكفر الظاهر والباطن وقوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت وأدנית للمتقين الله ربهم فلم يشركوا به في عبادته ولم يجاهروا بمعاصيه ، ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت وارتفعت للغاوين ﴿أي أهل الغواية والضلالة في الدنيا من المشركين والمفسرين في الإجماع والشر والفساد﴾ وقيل لهم ﴿أي سئلوا في عرصات القيامة﴾ أين ما كنتم تعبدون من دون الله ؟ أروناهم ﴿هل ينصرونكم﴾ مما أنتم فيه

(١) وفي أعالي الدرجات .

(٢) وقد استجاب الله تعالى له حيث اجتمع أهل الأديان على الثناء عليه والانتساب إلى ملته وإن كانوا مبطلين لما خالطهم من الشرك وما هي ذي أمة الإسلام لا تصلي صلاة إلا وتصلي عليه وعلى آله فهذا ذكر حسن خالد وثناء عطر باق قال مالك : لا بأس أن يحب المرء أن يشي عليه صالحاً ويرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى لهذه الآية وغيرها نحو : (سيجعل لهم الرحمن وداً) (وألقيت عليك محبة مني) .

(٣) في هذا رد على من زعم أنه لا يسأل الله جنة ولا يستجيره من النار .

(٤) السليم من الشك والشك وأمراض الكبر والحسد والعجب والغل ولأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح لحديث : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (من الصحيح) .

(٥) أي : تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة المسرة والفرح قبل دخولها . إذ الجنة تزلف والجحيم تبرز ، وهذا في عرصات القيامة .

فيدفعون عنكم العذاب، ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لأنفسهم فيدفعون عنها العذاب إن كانوا من أهل النار لأنهم رضوا بأن يعبدوا ودعوا الناس إلى عبادتهم كالشياطين والمجرمين من الإنس والجن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الجنة تورث ويذكر تعالى سبب إرثها وهو التقوى في قوله ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.
- ٢- مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد.
- ٣- بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته.
- ٤- الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية.

فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

فكفُّوا فيها : أي القوا على وجوههم في جهنم ودرجوا فيها حتى انتهوا إلى قعرها.

والغَاوُونَ : جمع غاٍ وهو الفاسد القلب المندس الروح من الشرك والمعاصي.

وجنود إبليس : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن.

(١) الآية من سورة مريم عليها السلام.

إذ نسويكم برب العالمين : أي في العبادة فعبدناكم كما يعبد الله جل جلاله .
 ولا صديق حميم : أي يهيم أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعذب .
 فلو أن لنا كرة : أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحّد ونعبد ربنا بما شرع لنا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فكذبوا﴾^(١) بعد ذلك الاستفهام التوبيخي التقريعي الذي تقدم في قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾؟ وفشلوا في الجواب ولم يجيدوه إذ هو غير ممكن فأخبر تعالى عنهم بأنهم كذبوا في جهنم - أي كبوا على وجوههم ودحرجوا فيهاهم والغاؤون جمع غاو أي فاسد العقيدة والعمل وجنود إبليس أجمعون من أتباع الشيطان وأعوانه من دعاة الشرك والمعاصي والجريمة في الأرض من الإنس والجن قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾^(٢) أي وهم في جهنم يختصمون كل واحد يحمل الثاني التبعة والمسؤولية فقال المشركون لمن أشركوا بهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ أي ظاهر بين لا يختلف فيه، وذلك ﴿إذ كنا نسويكم برب العالمين﴾ عز وجل فنعبدكم معه، ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ وهم دعاة الشرك والشر والضلال الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها، وأجرموا علينا فأفسدوا نفوسنا بالشرك والمعاصي، وقوله تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ هذا قولهم أيضاً قرروا فيه حقيقة أخرى وهي أنه ليس لهم في هذا اليوم من شافعين يشفعون لهم عند الله تعالى لا من الملائكة ولا من الإنس والجن إذ لا شفاعاة تنفع من مات على الشرك والكفر، وقولهم ولا صديق حميم أي وليس لنا أي من صديق حميم تنفعنا صداقته وولايته .

وقالوا متمنين بعد اليأس من وجود شافعين ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى دار الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ فنؤمن ونوحّد ونتبع الرسل . وهذا آخر ما أخبر تعالى به عنهم من كلامهم في

(١) (كذبوا) أي : كبوا فيها كباً بعد كبٍّ لأن كذبوا مضاعف : كبوا بالتكرير نحو : فكف الدمع أي : كفّه مرة بعد مرة .
 (٢) من الجائز أن يكون هذا من كلام إبراهيم إلا أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رحمه الله تعالى وجملته (وهم فيها يختصمون) حالية، وجملته تالله الخ مقول القول .
 (٣) (إذ) ظرفية وليست تعليلية أي : الوقت الذي كنا نسويكم برب العالمين، وهذا الكلام منهم كلام متندم حزن على ما فاتهم وصدر منه كقول أبي بكر وقد أمسك بلسانه وقال له : أنت أوردتني الموارد وكقوله : يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شرّ تسلم .
 (٤) (لو) حرف تمن وأصلها : لو الشرطية لكنها تنوسي منها معنى الشرط إذ المراد : لو رجعنا إلى الدنيا لآمنّا وعملنا صالحاً، ولما لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمحضت لوللتمني .

جهنم .

وقوله تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ ^(١) أي المذكور من كبكة المشركين والغاوين وجنود إبليس أجمعين في جهنم وخصومتهم فيها وما قالوا وتمنوه وحرمانهم من الشفاعة وخلودهم في النار ﴿لَا يَئِسُ﴾ أي لعبرة لمن يعتبر بغيره ، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ولم يكن أكثر قومك يا رسولنا مؤمنين وإلا لانتفعوا بهذه العبر فآمنوا ووجدوا وأسلموا ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي الغالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الرحيم بعباده إِنَّ أَنَابُوا إِلَيْهِ وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ يَكْرَمُهُمْ فِي جَوَارِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس .
- ٢- تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي .
- ٣- تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر .
- ٤- لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلماً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم .

كَذَّبَتْ

قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾
قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

(١) هذا تكرر ثالث لهذه الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم على الشرك والتكذيب بالنبوة والبعث .

شرح الكلمات :

كذبت قوم نوح المرسلين : قوم نوح الأمة التي بعث فيها، والمراد من المرسلين نوح عليه السلام.

أخوهم نوح

: أي في النسب.

ألا تتقون

: أي اتقوا الله ربكم فلا تعصوه بالشرك والمعاصي.

رسول أمين

: أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم.

من أجر

: أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ.

أنؤمن لك واتبعك الأرذلون: أي كيف نتبعك على ما تدعوننا إليه وقد اتبعك أراذل الناس

أي سفلتهم وأهل الخسة فيهم.

إن حسابهم إلا على ربي : أي ما حسابهم إلا على ربي.

معنى الآيات :

هذه بداية قصص نوح عليه السلام فقال تعالى ﴿كذبت قوم نوح﴾^(١) أي بما جاءهم به نوح من الأمر بالتوحيد وترك الشرك ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي في النسب ﴿نوح ألا تتقون﴾ أي عقاب الله وأنتم تشركون به، وتكذبون رسوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أبلغكم من وحي الله تعالى فاتقوا الله بترك الشرك وأطيعوني فيما أدعوكم إليه وأمركم به ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم مقابل ما أبلغكم من رسالة ربكم. ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ إذ هو الذي كلفني ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه أن يحل بكم وأنتم تكفرون به وتكذبون برسوله وأطيعون فيما أمركم به وأنهاكم عنه. بعد هذا الذي أمرهم به وكرره عليهم من تقوى الله وطاعة لرسوله كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أي أنصدقك ونتابعك على ما جئت به من الدين ﴿واتبعك الأرذلون﴾^(٢) أي سفلة الناس وأخسأؤهم؟.

فأجابهم نوح بقوله ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ فيما يعملونه بعيدين عني من

(١) (كذبت قوم نوح) أثبت الفعل لإرادة جماعة قوم نوح ونظيره: (قالت الأعراب).

(٢) وأخوة مجانسة أو هو من باب قول العرب: يا أخا بني تميم: يريدون: يا واحداً منهم، قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الثائبات على ما قال برهاناً

(٣) جمع التكسير: (أراذل) والأثنى: الرذلي والجمع: الرذّل، وجملة: (واتبعك) حالية، وفيها إضمار قد أي: وقد اتبعك.

الباطن أو الظاهر أنا لا أعلمه ولا أسأل عنه ولا أحاسب عليه، ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾^(١) هو الذي يحاسبهم ويجزيهم لو تشعرون بهذه الحقيقة لما عبتهموني لي وحملتهموني مسئولية عملهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) أي من حولي، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٣) فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس وظيفتي أني أنذر الناس عاقبة الكفر والمعاصي ليقنعوا عن ذلك فينجوا من عذاب الله ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعَبِّدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتركيهم.
- ٢- إثبات أخوة النسب، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين.
- ٣- عدم جواز أخذ أجره على دعوة الله تعالى. ووجوب إبلاغها مجاناً.
- ٤- وجوب التقوى لله تعالى، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٥- لا يجوز طرد الفقراء من مجالس العلم ليجلس مجالسهم الأغنياء وأهل الجاه.

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَفْطَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَاكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

(١) قيل لسفيان: إن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون).

(٢) ظاهر الكلام أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء من المؤمنين كما فعلت قريش.

(٣) جملة: (إن أنا إلا نذير) استئناف في معنى التعليل لعدم طردهم والقصر في الجملة إضافي قصر موصوف على صفة.

شرح الكلمات :

لئن لم تنته : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده .
 من المرجومين : أي المقتولين رجماً بالحجارة .
 فافتح بيني وبينهم فتحاً : أي أحكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم وتنجيني ومن معي من المؤمنين .
 في الفلك المشحون^(١) : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى .
 بعد الباقيين : أي بعد إنجائنا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة أغرقنا الكافرين إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين نوح وقومه إنه لما دعاهم إلى التوحيد وكرر عليهم الدعوة وأفحمهم في مواطن كثيرة وأعيتهم الحجاج لجأوا إلى التهديد والوعيد فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾ أي قسماً بآلهتنا لئن لم تنته يا نوح من تسفيها وسب آلهتنا ومطالبتنا بترك عبادتها ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾^(٢) أي لنقتلنك رمياً بالحجارة . وهنا وبعد دعوة دامت ألف سنة إلا خمسين عاماً رفع نوح شكواه إلى الله قائلاً : ﴿ رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ أي احكم بيننا وافصل في قضية وجودنا مع بعضنا بعضاً فأهلكهم ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ قال تعالى ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ﴾ أي المملوء بأنواع الحيوانات ﴿ ثم أغرقنا بعد الباقيين ﴾^(٣) أي بعد إنجائنا نوحاً ومن معه من المؤمنين بأن ركبوا في الفلك وما زال الماء يرتفع النازل من السماء والنابغ من الأرض حتى غرق كل من على الأرض والجبال ولم ينج أحد إلا نوح وأصحاب السفينة ، قال تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ أي المذكور من الصراع الذي دار بين التوحيد والشرك وفي عاقبة التوحيد وهي نجاة أهله والشرك وهي دمار أهله ﴿ لآية ﴾ أي

(١) الشحن : ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يقل : المشحونة بل قال : (المشحون) لأنه هنا واحد لا جمع .

(٢) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله : (لئن لم تنته لأرجمنك) فإنه بمعنى لاسبكت وأشتمت .

(٣) هذه الجملة قالها تمهيداً للدعاء عليهم .

(٤) ثم : للتراخي الرتي في الاخبار لأن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس .

عبرة^(١). ولكن أهل مكة لم يعتبروا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾^(٢) لما سبق في علم الله تعالى من عدم إيمانهم إذاً فلا تحزن عليهم. ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول الكريم لهو لا غيره العزيز الغالب الرحيم بمن تاب من عباده فإنه لا يعذبه بل يرحمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة أن الظلمة والطغاة إذا أعتيتهم الحجج يلجأون إلى القوة.
- ٢- جواز الاستنصار بالله تعالى وطلب الفتح بين المظلوم والظالمين.
- ٣- سرعة استجابة الله تعالى لعبده نوح وذلك لصبره قروناً طويلة فلما انتهى صبره ورفع شكاته إلى ربه أجابه فوراً فأنجاه وأهلك أعداءه.

كَذَبَتْ

عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٧﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٠﴾

شرح الكلمات :

- كذبت عاد : عاد اسم أبي القبيلة وسميت القبيلة به .
- أخوهم هود : أخوهم في النسب .
- فاتقوا الله : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً .

(١) وجه العبرة أن الله تعالى أنجى الموحدين وأهلك المشركين بعد أن أبلغ نوح رسالته بصبر واحتساب لا نظير لهما إذ دعا وبلغ وأوذى وصبر وصابر ألف سنة إلا خمسين عاماً .

(٢) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزؤون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر أو نفي الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه .

أتبنون بكل ريع	: أي مكان عال مرتفع .
آية	: أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً .
تعشون	: أي بينيانكم حيث تبون مالا تسكنون .
وتتخذون مصانع	: أي حصوناً منيعة وقصوراً رفيعة .
لعلكم تخلدون	: أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه .
وإذا بطشتم	: أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة .
جبارين	: أي عتاة متسلطين .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص هود عليه السلام يقول تعالى ﴿كذبت عاد﴾^(١) أي قبيلة عاد ﴿المرسلين﴾ أي رسول الله هوداً، ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ أي ألا تتقون عقاب الله بترككم الشرك والمعاصي بمعنى اتقوا الله ربكم فلا تشركوا به، وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يخبرهم بأنه رسول الله إليهم يبلغهم عن الله أمره ونهيه وأنه أمين على ذلك فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم، وعليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾^(٢) أي بوصفي رسول الله إليكم فإن طاعتي واجبة عليكم حتى أبلغكم ما أرسلت به إليكم . وقوله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على إبلاغ رسالتي إليكم من أجر أي من أي أجر كان . ولوقل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى إذ هو الذي أرسلني وكلفني فهو الذي أرجو أن يثيني على حمل رسالتي إليكم وإبلاغها إليكم . وعليه فاتقوا الله أي خافوا عقابه بترك الشرك به والمعاصي وأطيعوني بقبول ما أبلغكم به لتكملوا وتسعدوا .

وقوله: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ ينكر هود على قومه إنهماكهم في الدنيا

(١) جملة مستأنفة استئنافاً لعرض الأحداث التاريخية تسلياً للرسول ﷺ وموعظة وذكرى لغيره، وعاد بمعنى القبيلة فلذا أنش الفعل معها، وكانت منازل عاد وديارهم ما بين عُمان وحضر موت شرقاً وغرباً ومتغلغلة في الشمال إلى الرمال وهي الأحقاف .

(٢) الاستفهام معناه الأمر والحض على التقوى التي هي خوف من الله تعالى يحمل على الإيمان به وعبادته وترك عبادة ما سواه .

(٣) الفاء: للتفريع فالجملة متفرعة عن جملة (إني لكم رسول أمين) أي: فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم (واتقوا الله وأطيعون) وحذفت الباء من (فاتقون) مراعاة لرؤوس الآي .

(٤) الرِّيع: المكان المرتفع أو الطريق الفج بين الجبيلين، والآية العلامة: الدالة على الطريق والمراد: بناء عالٍ هو آية في الفن المعماري .

وانشغالهم بما لا يعني وإعراضهم عما يعنيهم فيقول لهم كالمنكر عليهم أتبنون بكل ريع أي مكان عال مرتفع آية أي قصراً مشيداً آية في ارتفاعه وعلوه . تعبثون حيث لا تسكنون فيما تبثون فهو لمجرد اللهو والعبث وقوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ وهي مبان عالية كالحصون أو خزانات الماء أو الحصون ﴿لعلكم تخذلون﴾ أي كيما تخذلون ، وما أنتم بخالدين ، وإنما مقامكم فيها قليل . وقوله ﴿وإذا بطشتم ببطشتم جبارين﴾ أي إذا سطوتم على أحد تسطون عليه سطو العتاة الجبارين فتأخذون بعنف^(١) وشدة بلا رحمة ولا رفق ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم فخافوا عقابه وأليم عذابه ، ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه وأبلغكموه عن ربي فإن ذلك خير لكم من الإعراض والتمادي في الباطل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأمر بالتقوى من النصيح للمأمور بها ، لأن النجاة والفوز لا يتمان للعبد إلا عليها .
- ٢- الرسل أمناء على ما يحملون وما يبلغون الناس .
- ٣- حرمة أخذ الأجرة على بيان الشرع والدعوة إلى ذلك .
- ٤- ينبغي للعبد أن لا يسرف فيبني مالا يسكن ويدخر ما لا يأكل .
- ٥- استنكار العنف والشدة في الأخذ وعند المؤاخذه .

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنَّ هَذَا إِلَّا آخُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

(١) في الجمل الثلاثة تبثون وتتخذون ولعلكم تخذلون توبيخ لهم على هذا السلوك وإنكار عليهم .
(٢) البطش : السطوة والأخذ بعنف ، والجبار : القتال في غير حق والمتسلط العاتي .
(٣) ويدل على قوتهم وشدة قوتهم قولهم : (من أشد منا قوة) من سورة فصلت وكان العرب ينسبون الشيء القوي إلى عاد فيقولون : هذا عادي .

شرح الكلمات :

أمدكم : أي أعطاكم منعماً عليكم .

بأنعام : هي الإبل والبقر والغنم .

عذاب يوم عظيم : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة .

سواء علينا ^(١) : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه فإننا لا نطيعك .

إن هذا إلا خلق الأولين : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين فنحن على طريقتهن ، وما نحن بمعذبين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين نبي الله هود عليه السلام وبين قومه المشركين إذ أمرهم بالتقوى وبطاعته وأمرهم أيضاً بتقوى الله الذي أمدهم أي أنعم عليهم بما يعلمونه من أنواع النعم فإن طاعة المنعم شكر له على إنعامه ومعصيته كفر بإنعامه فقال ﴿ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ﴾ وبين ذلك بقوله ﴿ أمدكم بأنعام ﴾ أي مواشي من إبل وبقر وغنم ﴿ وبنين ﴾ أي أولاد ذكور وإناث ﴿ وجنات ﴾ أي بساتين ﴿ وعيون ﴾ لسقيها وسقيكم وتطهيركم ^(٢) ، ثم قال لهم في إشفاق عليهم ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ إن أنتم أصررتم على الشرك والمعاصي وقد يكون عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، وقد عذبوا في الدنيا بإهلاكهم ويعذبون في الآخرة لأنهم ماتوا كفاراً مشركين عصاة مجرمين ، كان هذا ما وعظهم به نبيهم هود عليه السلام ، وكان ردهم على وعظه ما أخبر تعالى به في قوله ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ أي مستوٍ عندنا وعظك أي تخويفك وتذكيرك وعدمه فما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين وقالوا ﴿ إن هذا ﴾ الذي نحن عليه من البناء والإشادة وعبادة آلهتنا ﴿ إلا خلق الأولين ﴾ أي دأب وعادة من سبقنا من الناس ، وما نحن بمعذبين عليه قال تعالى مخبراً عن نتيجة ذلك

(١) قرأ الجمهور (خُلِقَ) بضم كل من الخاء واللام وهو بمعنى السجية المتمكنة في النفس الباعثة على عمل ما يناسبها ويقال له : القوى النفسية وقرأ غير الجمهور (خَلَقَ) بفتح الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الاختلاق والكذب أي : ما نقوله لنا إنما هو كذب واختلاق .

(٢) أي : من الخيرات ثم فسرهما بقوله : (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) .

(٣) فهو الذي يحب أن يعبد فيذكر ويشكر ولا يكفر .

(٤) اختلف في تحديد معنى قولهم : (إن هذا إلا خلق الأولين) بفتح الخاء وإسكان اللام أي : اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ (خُلِقَ) بضم الخاء واللام معناه عاداتهم لأن الخلق يطلق على الدين والطبع والمروءة ، وما في التفسير أولى بتوجيه الآية .

الحوار وتلك الدعوة التي قام بها نبي الله هود ^(١) ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي كذبوا هوداً فيما جاءهم به ودعاهم إليه وحذرهم منه، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي بتكذيبهم وإعراضهم ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك للمكذبين عبرة لقومك يا محمد لو كانوا يعتبرون ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما سبق في علم الله من عَدَمِ إيمانهم فلذا لم تنفعهم المواعظ والعبر، وإن ربك لهو العزيز الرحيم فقد أخذ الجبابة العتاة فأنزل بهم نقمته وأذاقهم مر عذابه، ورحم أوليائه فأنجاهم وأهلك أعداءهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تنوع أسلوب الدعوة وتذكير الجاحدين بما هو محسوس لديهم مرأي لهم .
- ٢- التخويف من عذاب الله والتحذير من عاقبة عصيانه من أساليب الدعوة .
- ٣- بيان سنة الناس في التقليد واتباع آباءهم وإن كانوا ضللاً جاهلين .
- ٤- تقرير التوحيد والنبوة والبعث إذ هو المقصود من هذا القصص .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُنَاءَ آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

(١) أي : بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (من سورة الحاقة).

شرح الكلمات :

كذبت ثمود المرسلين : أي كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحاً .
 فيما هاهنا آمينين : أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد .
 طلعمها هضيم : أي طلع النخلة لئِن ناعم ما دام في كُفْرَاهُ أي غطاؤه الذي عليه .

وتنحتون من الجبال بيوتاً : أي تنجرون بآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتاً .

فرهين : أي حذقين من جهة وبطرين متكبرين مغترين بصنيعكم من جهة أخرى .

وأطيعون : أي فيما أمرتكم به .
 المسرفين : أي في الشر والفساد بالكفر والعناد .
 الذين يفسدون في الأرض : أي بارتكاب الذنوب العظام فيها .
 ولا يصلحون فيها : أي بفعل الطاعات والقربات .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ (١) أي جحدت قبيلة ثمود ما جاءها به رسولها صالح ، ﴿ إذ قال لهم أخوهم ﴾ في النسب لافي الدين إذ هو مؤمن وهم كافرون ﴿ ألا تتقون ﴾ أي يحضهم على التقوى ويأمرهم بها لأن فيها نجاتهم والمراد من التقوى اتقاء عذاب الله بالإيمان به وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله وقوله ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ يعلمهم بأنه مرسل من قبل الله تعالى إليهم أمين على رسالة الله وما تحمله من العلم والبيان والهدى إليهم . ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ كرر الأمر بالتقوى وطاعته إذ هما معظم رسالته ومتى حققها المرسل إليهم اهتدوا وأفلحوا ﴿ وما أسألكم عليه من أجر ﴾ أبعد تهمة المادة لما قد يقال أنه يريد مالاً فأخبرهم في صراحة أنه لا يطلب على إبلاغهم دعوة ربهم أجراً من أحد إلا من الله رب العالمين إذ هو الذي يثيب ويجزي العاملين له وفي دائرة طاعته وقوله فيما أخبر تعالى به عنه ﴿ أتركون فيما ههنا ﴾ بين

(١) ثمود : أمة تسكن بالحجر شمال الحجاز، وتعرف اليوم بمدائن صالح والمراد من المرسلين : نبي الله صالح عليه السلام، وتكذيبها به معتبر تكذيباً لكل الرسل ، لأن دعوة الرسل واحدة .

(٢) الاستفهام للإنكار أي : ينكر عليهم عدم تقواهم ويحضهم عليها .

(٣) الاستفهام انكاري توبيخي وفيه حضهم على الشكر إذ ما هم فيه من النعمة يقتضي ذلك .

أيديكم من الخيرات ﴿آمين﴾ غير خائفين ، وبين ما أشار إليه بقوله فيما ها هنا فقال ﴿في جنات﴾ أي بساتين ومزارع بمدائنهم وهي إلى الآن قائمة ﴿وعيون وزروع ، ونخل طلعها هضيم﴾ أي لين ناعم ما دام في كفراه أي غلافه ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ لما خولكم الله من قوة ومعرفة بفن النحت حتى أصبحتم تتخذون من الجبال الصم بيوتاً تسكنونها شتاء فتقيكم البرد . وقوله ﴿فرهين﴾ هذا حال من قوله ﴿وتنحتون من الجبال﴾ ومعنى ﴿فرهين﴾ حذقين فن النحت وبطرين متكبرين مغترين بقوتكم وصناعتكم ، إذأ ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم بترك الشرك والمعاصي ﴿وأطيعون﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه وأدعوكم إليه ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ أي على أنفسهم بارتكاب الكبائر وغشيان الذنوب . ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي بمعاصي الله ورسوله فيها ﴿ولا يصلحون﴾ أي جمعوا بين الفساد والإفساد ، وترك الصلاح والإصلاح .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الرسل واحدة ولذا التكذيب برسول يعتبر تكذيباً بكل الرسل .
- ٢- الأمانة شعار كل الرسل والدعاة الصادقين الصالحين في كل الأمم والعصور .
- ٣- مشروعية التذكير بالنعم ليذكر المنعم فيحب ويطاع .
- ٤- التحذير من طاعة المسرفين في الذنوب والمعاصي لوخامة عاقبة طاعتهم .
- ٥- تقرير أن الفساد في الأرض يكون بارتكاب المعاصي فيها .

(١) الطلع : وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنوي يسمى هذا الطلع بالكم بكسر الكاف ويقال له : الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينقلق من نفسه ويؤثر وبعد قليل يصبح بلحاً فبُسرأ فَرُطباً فتمراً وذكر النخل يقال له : فَبَحَال بضم الفاء وتشديد الحاء مفتوحة والجمع فحاحيل .

(٢) (فرهين) قراءة الجمهور ، وقرئ (فارهن) مشتق من الفراهة التي هي الحذق والكياسة أي : عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال .

(٣) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
 نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

شرح الكلمات:

إنما أنت من المسحورين : الذين سحرُوا وبُولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم .
 فأت بآية إن كنت من : إن كنت من الصادقين في أنك رسول فاتنا بآية تدل على
 الصادقين ذلك .

لها شرب ولكم شرب يوم معلوم : أي لها يوم تشرب فيه من العين ولكم يوم آخر معلوم .
 فعقروها فأصبحوا نادمين : أي فلم يؤمنوا فقتلوا فأصبحوا نادمين لما شاهدوا
 العذاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين صالح عليه السلام وقومه ثمود فلما ذكرهم
 وعظهم ردوا عليه بما أخبر تعالى عنهم في قوله ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أي
 الذين سحرُوا وبُولغ في سحرهم حتى غلب على عقولهم فهم لا يعرفون ما يقولون ﴿وَمَا
 أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ تأكل الطعام وتشرب الشراب فلا أنت رب ولا ملك فنخضع لك

(١) وقيل : (من المسحورين) أي : من المعلنين بالطعام والشراب مأخوذ من السحر وهو : الرثة يعنون أنه بشر له رثة يأكل
 ويشرب كسائر الناس فلا يفضلهم وشاهده قول الشاعر :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

موضعين مسرعين إلى الموت وما في التفسير أولى وأظهر .

(١) وفات بآية ﴿ علامة قوية ودلالة صادقة تدل على أنك رسول الله حقاً وأنت من الرسل الصادقين، فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿ قال هذه ناقة ﴾ أي عظمة الخلقة سأل ربه آية فأعطاه هذه الناقة فما زال قائماً يصلي ويدعو وهم يشاهدون حتى أنفلق الجبل وخرجت منه هذه الناقة الآية العظيمة فقال ﴿ هذه ناقة لها شرب ﴾ أي حظ ونصيب من ماء البلد تشربه وحدها لا يرد معها أحد ولكم أنتم شرب يوم معلوم لكم تردونه وحدكم. ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ وحذرهم أن يمسوها بسوء لا يضرب ولا يقتل ولا يمنع من شرب، فإنه يأخذكم عذاب يوم عظيم قال تعالى ﴿ فعقروها ﴾ أي فكذبوه وعصوه وعقروها بأن ضربوها في يديها ورجلها فبركت وقتلوا. فلما عقروها قال لهم صالح ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ فأصبحوا بذلك نادمين ففي صبيحة اليوم الثالث أخذتهم الصيحة مع شروق الشمس فاهلكوا أجمعين ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي علامة كبرى على قدرة الله تعالى وعلمه وأنه واجب الألوهية ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ مع وضوح الأدلة لأنه لم يسبق لهم إيمان في قضاء الله وقدره ﴿ وإن ربك ﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب الذي لا يغالب الرحيم بأوليائه وصالحى عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن السحر من عمل الناس وأنه معلوم لهم معمول به منذ القدم.
- ٢- سنة الناس في المطالبة بالآيات عند دعوتهم إلى الدين الحق.
- ٣- وجود الآيات لا يستلزم بالضرورة إيمان المطالبين بل أكثرهم لا يؤمنون.
- ٤- الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: إن كنت صادقاً فدع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً فدعا وفعل الله ذلك. فقال: (هذه ناقة...) الخ.

(٢) الشرب بكسر الشين وسكون الراء: التوبة في الماء للناقة يوماً تشرب فيه لا يزامونها فيه بأنعامهم وأنفسهم.

(٣) إن قيل: لِمَ ما ينفع الندم وهو توبة فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغ).

(٤) كان: مزيدة لتقوية الكلام، والعبارة جائز أن يراد بها قوم صالح إذ لم يؤمن منهم إلا القليل، وأن يراد بها كفار مكة إذ أكثر المكابرين ما آمن ومات كافراً أو ما آمن في تلك الفترة ثم آمن بعد الفتح.

(٥) قيل: ما آمن معه إلا ألفان وثمانمائة رجل وامرأة وأن قومه كانوا اثني عشر ألف قبيل كل قبيل نحو: اثني عشر ألفاً من سوى النساء والذرية وكان قوم عاد مثلهم ثلاث مرات. ذكر هذا القرطبي في تفسيره ولم يعزه لأحد.

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
 ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
 أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
 مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات : هم سكان مدن سدوم وعمورية وقرى أخرى ولوط هو نبي
 قوم لوط
 الله لوط بن هاران ابن أخى إبراهيم .
 إخوهم لوط : هذه أخوة بلد وسكنى^(١) لا أخوة نسب ولا دين .
 إني لكم رسول أمين : أي إني مرسل إليكم لا إلى غيركم أمين في إبلاغكم
 رسالتي فلا أنقص ولا أزيد .
 فاتقوا الله : بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه .
 وما أسألكم عليه : أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم .
 أتأتون الذكران من العالمين : أي أتأتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء .
 بل أنتم قوم عادون : أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في
 الشر .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص لوط مع قومه أصحاب المؤتفكات قال تعالى ﴿كذبت قوم لوط
 المرسلين﴾ أي كذبوا لوطاً الرسول وتكذبه يعتبر تكذيباً لكافة الرسل لأن دعوة الله واحدة
 كذبوه لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك الفواحش والظلم والشر والفساد إذ قال
 لهم أخوهم لوط هذه أخوة الوطن لا غير إذ لوط بابلي الموطن ودينه الإسلام وأبوه هاران

(١) أي : أخوة مواطنة كما يقال اليوم .

أخو إبراهيم عليه السلام ، وإنما لما أرسل لوط إلى أهل هذه البلاد وسكن معهم قيل لهم أخوهم بحكم المعاشرة والمواطنة الحاصلة ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يأمرهم بتقوى الله ويحضهم عليها لأنهم قائمون على عظام الذنوب فخاف عليهم الهلاك فدعاهم إلى أسباب النجاة وهي تقوى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه . وقال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فلا تشكوا في رسالتي وأطيعون ، وإني غير سائلكم أجراً على تبليغ رسالتي إليكم إن أجري آخذه من رب العالمين الذي حملني هذه الرسالة وأمرني بإبلاغكم إياها وهنا أنكر عليهم أعظم منكر فقال موبخاً مقررماً ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فترتكبون الفاحشة معهم ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أي تتركون ما خلق الله لكم من أزواجكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي متجاوزون الحدود التي رسمها الشرع والعقل والادمية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز إطلاق أخوة الوطن دون الدين والنسب .
- ٢- الأمانة من مستلزمات الرسالة ، إذ كل رسول يقول ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ .
- ٣- سبيل نجاة الفرد والجماعة في تقوى الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ .
- ٤- وجوب إنكار المنكر وتقيحه على فاعله لعله يرعوي .
- ٥- أكبر فاحشة وقعت في الأرض هي فاحشة اللواط . والعياذ بالله تعالى .

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُلُوطُ

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ وَاجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

- (١) الاستفهام للحض على التقوى وهو متضمن الإنكار والتوبيخ .
- (٢) جملة : (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إياهم بالتقوى والطاعة .
- (٣) الاستفهام للإنكار والتوبيخ إذ كانوا يعملون الفاحشة مع الغرباء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة ومع بعضهم بعضاً بصورة خاصة .
- (٤) بل : للانتقال من الوعظ إلى التنديد وتسجيل أكبر العدوان عليهم إذ الجملة الأسمية (أنتم قوم عادون) مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم وفي الإخبار بالجملة : (قوم عادون) إعلام بأن العدوان أصبح سجية فيهم وطبعاً لهم .
- (٥) العادي : من تجاوز حد الحق إلى الباطل ، والحلال إلى الحرام ، فالقوم قد أحل الله لهم فروج نسائهم بالنكاح الشرعي وحرم عليهم إتيان الرجال في أدبارهم فتجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك عادين .

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

شرح الكلمات :

- لئن لم تنته : أي عن إنكارك علينا ما تأتيه من الفاحشة .
من المخرجين : أي من بلادنا وطردك من ديارنا .
لعملكم من القالين : أي المبغضين له البغض الشديد .
رب نجني وأهلي مما يعملون : أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش .
فنجيناها وأهلها : أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهلها وهم امرأته المؤمنة
وابنتاه .
إلا عجوزاً في الغابرين : أي فإننا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين فتركناها
معهن حتى هلكنَّ بينهم لأنها كانت كافرة وراضية بعمل
القوم .
وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا : أي أنزل عليهم حجارة من السماء فأَمْطَرُوا بها بعد قلب
البلاد عاليها سافلها .
فساء مطر المنذرين : أي فقبح مطر المنذرين ولم يمثلوا فما كفوا عن الشر
والفساد .

معنى الآيات :

ما زال السياق فيما دار بين نبي الله لوط وقومه المجرمين فإنه لما ذكرهم ووعظهم
وأمرهم ونهاهم وسمعوا ذلك كله منه أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قَالُوا لئن لم تنته يا
لوط﴾ أي عن إنكارك علينا ما تأتيه من الفاحشة ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي نخرجك
من بلادنا ونطردك من بيننا ولا تبقى ساعة واحدة عندنا إنتبه يا رجل . . فأجابهم لوط

(١) في الجملة إقسام دلت عليه البلام ولا شك أنهم يحلفون بآلهتهم الباطلة والجملة متضمنة تهديداً وإيعاداً بالإبعاد والإخراج من البلد .

(١) الرسول عليه السلام بقوله ﴿إني لعاملكم من القالين﴾ أي إني لعاملكم الفاحشة من المبغضين أشد البغض، ثم التفت إلى ربه داعياً ضارعاً فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعلمون﴾ وهذا بعد أن أقام يدعوهم ويتحمل سنين عديدة فلم يجد بداً من الفرع إلى ربه ليخلصه منهم فقال ﴿ربي نجني وأهلي﴾ من عقوبة وعذاب ما يعملونه من إتيان الفاحشة من العالمين قال تعالى ﴿فنجيناه وأهله﴾ وهم امرأته المسلمة وابنتاه المسلمتان طبعاً إلا عجوزاً وهي امرأته الكافرة المتواطئة مع الظلمة الراضية بالفعللة الشنعاء كانت في جملة الغابرين (٢) أي المتروكين بعد خروج لوط من البلاد لتهلك مع الهالكين قال تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي بعد أن أنجيناً لوطاً وأهله أجمعين باستثناء العجوز الكافرة دمرنا أي أهلكنا الآخرين ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ إنه بعد قلب البلاد سافلها على عاليها أمطر عليهم مطر حجارة من السماء لتصيب من كان خارج المدن المأفوكة المقلوبة.

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذا الذي ذكرنا من إهلاك المكذبين والمسرفين الظالمين آية وعلامة كبرى لمن يسمع ويرى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ (٣) لما سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون ف سبحان الله العظيم . وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وإن ربك يا رسولنا هو لا غيره العزيز الغالب القاهر لكل الظلمة والمسرفين الرحيم بأوليائه وعباده المؤمنين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التهديد بالنفي سنة بشرية قديمة .

(١) القلى : البغض يقال : قليت أقليه قلى وقلاء قال الشاعر :

عليك السلام لا مللت قريبة . ومالك عندي أن تأيت قلاء

أي قلى .

(٢) فعل (غبر) يطلق على البقاء والذهاب كالجون : يطلق على الأبيض والأسود قال الشاعر :

فما وني محمد منذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر

أي : ما بقي .

والأغبار : بقيات الألبان . قال الشاعر :

لا تكسع السول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

يقال كسع الناقة : ترك في ضرعها بقية من اللبن ، وبعده البيت التالي :

واحلب لأصيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

(٣) إذ لم يؤمن إلا إحدى نسائه وابنتاه .

- ٢- وجوب بغض الشر والفساد في أي صورة من صورهما.
- ٣- استجابة دعوة المظلوم لا سيما إن كان من الصالحين.
- ٤- توقع العذاب إذا انتشر الشر وعظم الظلم والفساد.
- ٥- الآيات مهما كانت عظيمة لا تستلزم الإيمان والطاعة.
- ٦- من لم يسبق له الإيمان لا يؤمن ولو جلب عليه كل آية.
- ٧- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته.

كَذَّبَ أَصْحَابُ

لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنْ لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاسٍ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------------|----------------------------------|
| أصحاب الأيكة | : أي الغيضة وهي الشجر الملتف. |
| إذ قال لهم شعيب | : النبي المرسل شعيب عليه السلام. |
| أوفوا الكيل | : أي أتموه. |
| ولا تكونوا من المخسرين | : الذين ينقصون الكيل والوزن. |
| بالقسطاس المستقيم | : أي الميزان السوي المعتدل. |
| ولا تبخسوا الناس أشياءهم | : أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً. |
| ولا تعتوا في الأرض مفسدين | : أي بالقتل والسلب والنهب. |
| والجيلة الأولين | : أي والخليقة أي الناس من قبلكم. |

معنى الآيات :

هذه بداية قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف كشجر الدوم وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين وشعيب أرسل لهما معاً وفي سورة هود ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم ف قيل له أخوهم ، وأما أصحاب الأيكة جماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان ، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكذبوه وهو قوله تعالى ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ أي اتقوا الله وخافوا عقابه ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فاتقوا الله بعبادته وترك عبادة ما سواه وأطيعون أهدكم إلى ما فيه كمالكم وسعادتكم ﴿وما أسألكم عليه﴾ أي على بلاغ رسالة ربي إليكم أجراً أي جزاء وأجرة ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين . وأمرهم بترك أشهر معصية كانت شائعة بينهم وهي تطفيف الكيل والوزن فقال لهم ﴿أوفوا الكيل﴾ أي أتموها ولا تنقصوها ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي الذين ينقصون الكيل والوزن ﴿وزنوا﴾ أي إذا وزنتم ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالميزان العادل ، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً فما يساوي ديناراً لا تعطوا فيه نصف دينار وما يساوي عشرة لا تأخذوه بخمسة مثلاً ومن أجرته اليومية عشرون لا تعطوه عشرة مثلاً ، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تفسدوا في البلاد بأي نوع من الفساد كالقتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصي والذنوب ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ أي الله فخافوا عقابه ﴿والجبلۃ الأولین﴾ أي وخلق الخليفة من قبلكم

- (١) الأيكة وليكة بمعنى واحد كمكة وبكة ، وقيل : الأيكة : الشجر الملتف أي الغليظة وليكة : وهي قراءة نافع . اسم للبلدة ومنعها من الصرف ومن قرأ الأيكة صرفها ، والراجح أنها بمعنى واحد ، وعدم الصرف لانعدام ال لاغير .
- (٢) لم يقل : أخاهم شعيباً : لأنه لا قرابة بينهم بخلاف أهل مدين فهو من أهلها فلذا قال تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ وأصحاب الأيكة أي بادية وهي الشجر الملتف فلذا يقال له الغيضة وكان من شجر الدوم وهو المفل والسدر وثماره النبق .
- (٣) الاستفهام للحض على التقوى والإنكار عليهم عبادة غير الله تعالى . وجملة ﴿إني لكم رسول أمين﴾ تعليلية لأمره بإيأهم بالتقوى وفي (لكم) إشارة إلى أن رسالته إليهم عارضة وكانت بعد رسالته إلى أهل مدين ، فلعلهم أنكروا أن يكون أرسل إليهم فلذا قال : ﴿إني لكم رسول أمين﴾ وفي آية الحجر قال تعالى ﴿وإنهما لبيأمام مبين﴾ والثنية في إنهما إشارة إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين ، ولما جاء العذاب أخذ الكل لأن ذنبهم واحد وقرب المنازل والديار .
- (٤) الظاهر من السياق أن ذنب أصحاب الأيكة وأهل مدين كان واحداً الشرك والتطفيف والبخس للناس فلذا أدمج خطابهم فصاروا فيه أمة واحدة .
- (٥) الجبلۃ : الخلفة وأريد بها المخلوقات ولذا قال : (الأولى) أي : وذوي الجبلۃ الأولى والمعنى خلقكم وخلق الأمم من قبلكم .

اتقوه بترك الشرك والمعاصي تنجوا من عذابه ، وتظفروا برضاه وإنعامه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأمر بالتقوى فريضة كل داع إلى الله تعالى وسنة الدعاة والهداة إذ طاعة الله واجبة .
- ٢- لا يصح لداع إلى الله أن يطلب أجره ممن يدعوهم فإن ذلك ينفرهم .
- ٣- وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة التطفيف فيهما .
- ٤- حرمة بخس الناس حقوقهم ونقصها بأي حال من الأحوال .
- ٥- حرمة الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ

الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

شرح الكلمات :

إنما أنت من المسحرين : أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فليست بملك تطاع .

وإن نظنك لمن الكاذبين : أي وما نحسبك إلا واحداً من الكاذبين .

فأسقط علينا كسفاً : أي قطعاً من السماء تهلكتنا بها إن كنت من الصادقين فيما تقول .

عذاب يوم الظلة : أي السحابة التي أظلتهم ثم التهبت عليهم ناراً .

إن في ذلك لآية : أي لعبرة وعلامة عبرة لمن يعتبر وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة وأهل مدين إنه لما ذكرهم ووعظهم وأمرهم كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت﴾ أي يا شعيب ﴿من المسحرين﴾ الذي غلب السحر على عقولهم فلا يدرون ما يفعلون وما لا يقولون كما أنك بشر مثلنا تأكل الطعام وتشرب الشراب فما أنت بملك من الملائكة حتى نطيعك ، ﴿وإن نظنك﴾ أي وما نظنك إلا من الكاذبين من الناس ﴿فأسقط علينا كسفاً﴾ أي قطعاً من السماء تهلكنا بها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعوى أنك رسول من الله إلينا . فأجابهم قائلاً بما ذكر تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ ولازم ذلك أنه سيجازيكم بعملكم قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ في كل ما جاءهم به واستوجبوا لذلك العذاب ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿فقد أنزل الله تعالى عليهم حراً شديداً أذهب منه الجوّ﴾ أو كاد فلجأوا إلى المنازل والكهوف والسراديب تحت الأرض فلم تغن عنهم شيئاً ، ثم ارتفعت في سماء بلادهم سحابة فذهب إليها بعضهم فوجدها روحاً وبرداً وطيباً فنادى الناس أن هلموا فجاءوا فلما اجتمعوا تحتها كلهم انقلبت ناراً فأحرقتهم ورجفت بهم الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم .

قال تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة لقومك يا محمد على قدرتنا وعلمنا ووجوب عبادتنا وتصديق رسولنا ولكن أكثرهم لا يؤمنون لما سبق في علمنا أنهم لا يؤمنون ، وإن ربك يا محمد لهو العزيز أي الغالب على أمره الرحيم بمن تاب من عباده .

(١) في قولنا: كما أنك... الخ دمج للقولين الذين قيلوا في تفسير: (إنك لمن المسحرين) إذ كل منهما جائز، والقرآن حمّل الوجه.

(٢) إطلاق الظن على اليقين شائع كقوله تعالى: (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم).

(٣) (كسفاً) بكسر الكاف وسكون السين قراءة عامة القراء ما عدا حفصاً فقد قرأ (كسفاً) بتحريك السين جمع كسف بسكونها، والكسف: القطعة والجمع: كسف.

(٤) (الظلة) السحابة التي تظل من تحتها وهي سحابة عظيمة أظلت مساحة كبيرة لما فروا إليها أظلتهم ثم أرسلت عليهم الصواعق فأحرقتهم وكانت من جنس ما طلبوه وهو: الكسف من السماء.

(٥) أي: في ذلك المذكور من عذاب يوم الظلة آية لكفار قريش إذ حالهم كحال أصحاب الأيكة وأهل مدين في الشرك والتطيف في الكيل والوزن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- هذا آخر سبع قصص ذكرت بإيجاز تسلياً للنبي ﷺ وتهديداً للمشركين المكذابين .
- ٢- دعوة الرسل واحدة وأسلوبهم يكاد يكون واحداً : الأمر بتقوى الله وطاعة رسوله .
- ٣- سنة تعلل الناس بأن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فلذا هم لا يؤمنون .
- ٤- المطالبة بالآيات تكاد تكون سنة مطردة ، وقل من يؤمن عليها .
- ٥- تقرير التوحيد والنبوة والبعث وهي ثمرة كل قصة تقص في هذا القرآن العظيم .

وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
 الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
 مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ
 عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
 فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
 فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
 الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------------|--|
| وإنه لتنزيل رب العالمين : | أي القرآن الكريم تنزيل رب العالمين . |
| الروح الأمين : | جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى . |
| وإنه لفى زبر الأولين : | أي كتب الأولين ، واحد الزبر : زبرة وكصفحة وصحف . |
| أولم يكن لهم آية : | أي علامة ودليلاً علم بني إسرائيل به . |
| على بعض الأعجمين : | الأعجمي من لا يقدر على التكلم بالعربية . |
| كذلك سلكناه : | أي التكريب في قلوب المجرمين من كفار مكة . |

معنى الآيات :

لقد أنكر كفار مكة أن يكون القرآن وحياً أوحاه الله تعالى وبذلك أنكروا أن يكون محمد رسول الله ، ومن هنا ردوا عليه كل ما جاءهم به من التوحيد وغيره ، فإيراد هذا القصص يتلوه محمد ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب دال دلالة قطعية على أنه وحي إلهي أوحاه إلى محمد ﷺ وهو بذلك رسوله . فقولته تعالى ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن الذي كذب به المشركون ﴿ تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ﴾ جبريل عليه السلام ﴿ على قلبك ﴾ أي الرسول لأن القلب هو الذي يتلقى الوحي إذ هو محط الإدراك والوعي والحفظ ، وقوله ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ هو علة لنزول القرآن عليه وبه كان من الرسل المنذرين . وقوله ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ أي القرآن مذكور في الكتب الإلهية التي سبقته كالتوراة والإنجيل . وقوله تعالى ﴿ أو لم يكن لهم ﴾ أي لكفار قريش ﴿ آية ﴾ أي علامة على أن القرآن وحي الله وكتابه وأن محمداً عبداً لله ورسوله ﴿ أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ﴾ أي علم بني إسرائيل به كعبد الله بن سلام فقد قال والله إني لأعلم أن محمداً رسول أكثر مما أعلم أن فلاناً ولدي ، لأن ولدي في الإمكان أن تكون أمه قد خانتني أما محمد فلا يمكن أن يكون غير رسول الله وفيهم قال تعالى ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ ومن عرف محمداً رسولاً عرف القرآن وحياً إلهياً .

وقوله تعالى ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين ﴾^(١) أي وبلسان عربي مبين فكان ذلك آية ، وقرأه عليهم الأعجمي ، ما كانوا به مؤمنين . أي من أجل الأنفة والحمية إذ يقولون أعجمي وعربي ؟ وقوله تعالى : ﴿ كذلك سلكناه ﴾ أي التكذيب وعدم الإيمان ﴿ في قلوب

(١) قرأ نافع وحفص وغيرهما (نزل) بالتخفيف ، و(الروح) مرفوع على الفاعلية وقرأ بعض (نزل) بالتضعيف و(الروح) منصوب على المفعولية والفاعل هو الله جل جلاله ، والباء في (به) للمصاحبة .

(٢) (على) : حرف استعلاء وكون القرآن نزل به جبريل على قلب الرسول ﷺ دال على تمكن وصول الوحي واستقراره في القلب . نحو : (على هدى من ربهم) وقد روى البخاري في صفة الوحي فقال عن عائشة : إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) .

(٣) جاء في التوراة قال لي الرب (أي لموسى) أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به . فالمراد من إخوة بني إسرائيل هم العرب . وفي الإنجيل : وأنا أطلب من الأب فيعطيك مغزياً (أي رسولاً) آخر ليملك معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قتله لكم .

(٤) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لاعتدوا بأنهم لا يفهمون عنه ، والمراد من الأعجمي : هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربياً ، والعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية .

المجرمين ﴿١﴾ أي كما سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين لو قرأ القرآن عليهم أعجمي سلكناه أي التكذيب في قلوب المجرمين إن قرأه عليهم محمد ﷺ ، والعلة في ذلك هي أن الإجرام على النفس بارتكاب عظام الذنوب من شأنه أن يحول بين النفس وقبول الحق لما ران عليها من الذنوب وأحاط بها من الخطايا . وقوله ﴿لا يؤمنون به﴾ تأكيد لنفي الإيمان حتى يروا العذاب الأليم أي يستمر تكذيبهم بالقرآن والمنزل عليه حتى يروا العذاب الموعود ، وحيث لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير معتقد الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .
- ٢- بيان أن جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي القرآني على النبي محمد ﷺ .
- ٣- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً من المنذرين .
- ٤- بيان أن القرآن مذكور في الكتب السابقة بشهادة علماء أهل الكتاب .
- ٥- إذا تراكمت آثار الذنوب والجرائم على النفس حجبها عن التوبة ومنعتها من الإيمان .

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

(١) ومذكور من نزل عليه وهو محمد رسول الله ﷺ لإقامته له فيهم كما تقدم في المثليين المذكورين أحدهما من التوراة والثاني من الإنجيل .

شرح الكلمات :

هل نحن منظرون : أي مهملون لنؤمن . والجواب قطعاً : لا لا .
أفرايت : أي أخبرني .
إن متعناهم سنين : أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون .
ما كانوا يوعدون : أي من العذاب .
ما أغنى عنهم : أي أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه .

إلا لها منذرون : أي رسل يندرون أهلها عاقبة الكفر والشرك .
ذكرى : أي عظة .

وما تنزلت به الشياطين : أي لا يتأتى لهم ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به .
وما يستطيعون : أي لا يقدر .
إنهم عن السمع : أي لكلام الملائكة لمعزولون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير النبوة المحمدية واثبات الوحي . لقد جاء في السياق أن المجرمين لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي لا يعلمون به حتى يفاجئهم . فيقولون حينئذ : ﴿هل نحن منظرون﴾ أي يتمنون أن لو يمهلوا حتى يؤمنوا ويصلحوا ما أفسدوا .

وقوله تعالى ﴿أبعذابنا يستعجلون﴾ عندما قالوا للرسول ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كسفاً من السماء﴾ أي قطعاً ، أحق هم أم مجانيين يستعجلون عذاب الله الذي إن جاءهم كان فيه حتفهم أجمعين ؟ ثم قال لرسوله : ﴿أفرايت﴾ يا رسولنا ﴿إن متعناهم سنين﴾ بأن أطلنا أعمارهم ووسعنا في أرزاقهم فعاشوا سنين عديدة ثم جاءهم عذابنا أي

(١) ذكر القرطبي أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ : (أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم يبكي ويقول :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نوم والردى لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في النوم بناج فسالم
تسربما يفتى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

أخبرني هل يغني ذلك التمتع عنهم شيئاً؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي لم يُغن عنهم شيئاً لا بدفع العذاب ولا بتأخيرهِ ولا بتخفيفهِ .

وقوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية﴾^(١) كذلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة ﴿إلا لها منذر﴾ أي كان لها رسل ينذرون أهلها عقاب الله إن أصروا على الشرك والكفر والشر والفساد. وقوله ﴿وذكري﴾ أي عظة لعلهم يتعظون. وقوله ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاك من أهلكنا بعد أن أنذرنا.

ونزل رداً على المشركين المجرمين الذين قالوا إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد كما يأتون للكهان بأخبار السماء. ﴿وما تنزل به الشياطين﴾ كما يزعم المكذبون ﴿وما ينبغي لهم﴾ أي للشياطين أي لا يصلح لهم ولا يتأتى منهم ذلك لأنهم معزولون عن السمع، أي سماع كلام الملائكة إذ أُرصد الله تعالى شهباً حالت بينهم وبين السماع من السماء. . فلذا دعوى المشركين باطلة من أساسها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن المجرمين إذا شاهدوا العذاب تمنوا التوبة ولا يمكنون منها.
- ٢- بيان أن استعجال عذاب الله حمق ونزغ في الرأي وفساد في العقل.
- ٣- بيان أن طول العمر وسعة الرزق لا يغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.
- ٤- بيان سنة الله تعالى في أنه لا يهلك أمة إلا بعد الإنذار والبيان.
- ٥- إبطال مزاعم المشركين في أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان، وأن الشياطين تنزل به.

فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ

مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿١١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَخْفِضْ

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي

(١) (من قرية) من : صلة أي زائدة لتقوية الكلام وتأكيدهِ لأن زيادة المبنى تزيد في المعنى كذا يُقال .

(٢) ذكرى : يصح إعرابها حالاً ومصدراً وخبراً.

(٣) قرأ محمد بن السميع : وما تنزلت به الشياطين وردّ عليه ولم يقلل منه ولعله نظر إلى أن الشيطان مشتق من شاط يشيط، والصواب أنه من شطن لا من شاط.

بِرِّى مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِى
يُرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

شرح الكلمات :

فلا تدع مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة.
وأُنذِرَ عشيرتك الأقربين : وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب.
واخفض جناحك : أي ألن جانبك.
فإن عصوك : أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.
فقل إني بريء مما تعملون : أي من عبادة غير الله سبحانه وتعالى.
الذي يراك حين تقوم : أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك.
وتقلبك في الساجدين : أي ويرى تقلبك مع المصلين راكعاً ساجداً قائماً.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقله تعالى ﴿فلا تدع مع
الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ فيه إحياء وإشارة واضحة بأنه تعريض بالمشركين
الذين يدعون آلهة أصناماً وهي دعوة ترفطهم من نومتهم إنه إذا كان رسول الله ينهى عن عبادة
غير الله وإلا يعذب مع المعذبين فغيره من باب أولى فكأن الكلام جرى على حد إياك
أعني واسمعي يا جارة!! وقوله تعالى ﴿وأُنذِرَ عشيرتك الأقربين﴾ أمر من الله لرسوله أن
يخص أولاً بإنذاره قرابته لأنهم أولى بطلب النجاة لهم من العذاب، وقد امثل الرسول
أمر ربه فقد ورد في الصحاح عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ لما أنزل عليه ﴿وأُنذِرَ

(١) إن الخطاب وإن كان في السياق ما يدل على أنه موجه إلى النبي ﷺ فإنه صالح لكل من يسمعه.

(٢) الجملة معطوفة على التي قبلها وهي ؛ (فلا تدع مع الله إلهاً آخر) إذ نهى عن الشرك وأمره أن يُنذر أقرباءه منه لأنه لا فلاح معه.

(٣) في هذه الآية دليل على أن القرب في الأنساب مع البعد في الأسباب ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر لإرشاده ونصحه. وقال ﷺ (إن لكم رحماً سألها ببلالها).

(١) قال «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله (يعني بالإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي) فإنني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله أي من عذابه شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سألني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

وقوله تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويطأبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿فإن عصوك﴾ أي من أمرت بدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وخلع الأنداد والتخلي عن عبادتها ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ أي من عبادة غير الله تعالى وغير راضٍ بذلك منكم ولا موافق عليه لأنه شرك حرام وباطل مذموم. وقوله تعالى ﴿وتوكل على العزيز﴾ أي الغالب القاهر الذي لا يمانع في شيء يريد الرحيم بالمؤمنين من عباده، والأمر بالتوكل هنا ضروري لأنه أمره بالبراءة من الشرك والمشركين وهي حال تقتضي عداوته والكيد له بل ومحاربتة ومن هنا وجب التوكل^(٢) على الله والاعتماد عليه، وإلا فلا طاقة له بحرب قوم وهو فرد واحد وقوله ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي في صلاتك وحدك ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي ويرى قلبك قائماً وراكعاً وساجداً مع المصلين من المؤمنين، بمعنى أنه معك يسمع ويرى فتوكل عليه ولا تخف غيره وامض في دعوتك ومفاصلتك للمشركين. وقوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تقرير لتلك المعية الخاصة إذ السميع لكل صوت والعليم بكل حركة وسكون يحق للعبد التوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد، وحرمة دعاء غير الله تعالى من سائر مخلوقاته لأنه الشرك الحرام.

(١) رواه مسلم وغيره بألفاظ فيها بعض الاختلاف.

(٢) قرأ نافع (فتوكل) بالفاء وقرأ غيره بالواو، وكلا الحرفين عاطف فالفاء عاطفة على قوله: (فقل إني بريء مما تعملون) وهي للتفريع أيضاً والواو عاطفة على جواب الشرط وهو (إني بريء مما تعملون).

(٣) التوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مهمه وما دام لا كافي إلا الله وجب إذا التوكل عليه عز وجل.

(٤) في الآية دليل على مشروعية صلاة الجماعة وتأكيدها واضح.

- ٢- من مات يدعو غير الله فهو معذب لا محالة مع المعذبين .
- ٣- تقرير قاعدة البدء بالأقارب في كل شيء لأنهم ألصق بقريتهم من غيرهم .
- ٤- مشروعية لين الجانب والتواضع للمؤمنين لاسيما الحديثو عهد بالإسلام .
- ٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله .
- ٦- وجوب التوكل على الله والقيام بما أوجبه الله تعالى .
- ٧- فضل قيام الليل وصلاة الجماعة لما يحصل للعبد من معية الله تعالى .

هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أَوْ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------------|---|
| أنبتكم | : أي أخبركم . |
| أفك أثيم | : أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً أثيم غارق في الآثام . |
| يلقون السمع | : أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل . |
| الغاوون | : جمع غاوٍ : الضلال عن الهدى الفاسد القلب والنية . |
| في كل واد يهيمون | : أي من أودية الكلام وفنونه . |
| | : أي يمضون في كل شعب وواد من الكلام مدحاً أو ذماً كان صدقاً أو كذباً . |
| يقولون ما لا يفعلون | : أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا . |
| وانتصروا من بعدما ظلموا : | أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا المسلمين . |

أي منقلب ينقلبون : أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم .

معنى الآيات :

لما ادعى المبطلون من مشركي قريش أن الرسول ﷺ يتلقى من الشياطين كما تتلقى الكهان منهم رد تعالى عليهم بقوله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟﴾ وأجاب عن السؤال قائلاً ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب يقلب الكذب قلباً فيقول في الظالم عادل، وفي الخبيث طيب، وفي الفاسد صالح، ﴿أثيم﴾ أي كثير الآثام إذ لم يترك جريمة إلا يقارفها ولا سيئة إلا يجترحها حتي يفرق في الإثم فهذا الذي تتحد معه الشياطين وتلقي إليه بما تسمعه من السماء لكونه مثلها في ظلمة النفس وخبث الروح، وأما محمد ﷺ فهو أبعد الناس عن الكذب والإثم فلم يجرب عليه كذب قط ولم يعرف منه ذنب أبداً فكيف تتحد معه الشياطين وتخبره وتلقي إليه بخبر السماء؟ وبهذا بطلت التهمة وقوله ﴿يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ أي إن الشياطين قبل أن يحال بينهم وبين استراق السمع يارصاد الشهب لهم . كانوا يلقون أسماعهم للحصول على الخبر وأكثرهم كاذبون حيث يخلطون مع الكلمة التي سمعوها مائة كلمة كلها كذب منهم ويلقون ذلك الكذب إلى إخوانهم في الكفر والخبث من كهنة الناس .

وقوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ أي أهل الغواية والضلال هم الذين يتبعون الشعراء فيروون لهم وينقلون عنهم، ويصدقونهم فيما يقولون . والدليل على ذلك ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ على وجوههم

(١) هذا الاستفهام صوري واختير له هل لإفادتها التحقيق كقد وهو يحمل التعريض بأن المستفهم عنه مما يسوءهم فلذا استفهموا في هذا السؤال (هل أنبئكم؟)

(٢) وجائز أن يكون من يلقون السمع : الكهان، إذ هم يلقون أسماعهم عند مشاهدة كواكب لتنزل عليهم شياطينهم بالخبر وذلك من إفكهم، وعليه فجملة : (يلقون السمع) صفة (لكل أفاك أثيم) وما في التفسير عليه الكثيرون وكلا المعنيين وارد وصحيح .

(٣) أي : أكثر هؤلاء الأفاكين كاذبون فيما يزعمون أنهم تلقوه من الشياطين فبعضهم لا يتلقى شيئاً وإنما يدعي ذلك، والبعض يتلقى قليلاً فيزيد عليه أضعافه، وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقال : (ليسوا بشيء قيل : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون عليها أكثر من مائة كذبة) .

ماضين في قولهم فيمدحون ويذمون، يهجون، ويفخرون، ويدعون أنهم فعلوا كذا وكذا وما فعلوا فهل محمد ﷺ الذي اتهمتموه بأنه شاعر وما يقوله من جنس الشعر أتباعه غاؤون انظروا إليهم واسألوا عنهم فإنهم أهدى الناس وأبرهم فعلاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم عن الريبة، فلو كان محمد شاعراً لكان أتباعه الغاوين فبذا بطلت الدعوى من أساسها.

وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا﴾ إنه لما ذم الشعراء، استثنى منهم أمثال: عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ممن آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا يردون هجاء المشركين لرسول الله ﷺ وينافحون عن الإسلام وأهله بشعرهم الصادق النقي الطاهر الوفي.

وقوله تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ رسول الله باتهامه بالكهانة مرة وبالشعر مرة أخرى وظلموا الوحي الإلهي بوصفه بما هو بعيد عنه من الكهانة والشعر ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي أي مرجع يرجعون إليه، إنه النار وبئس القرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال فرية المشركين من أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان.
- ٢- إبطال أن الرسول ﷺ كاهن وشاعر.
- ٣- بيان أن الشياطين تتحد مع ذوي الأرواح الخبيثة بالإفك والاثام.
- ٤- بيان أن الشعراء المبطلين أتباعهم في كل زمان ومكان الغاؤون الضالون.
- ٥- جواز نظم الشعر وقوله في تقرير علم أو تسجيل حكمة^(١)، أو انتصار للإسلام والمسلمين بالرد على من يهجو الإسلام والمسلمين.
- ٦- التحذير من عاقبة الظلم فإنها وخيمة.

(١) من كان أتباعه غاوين لا يكون هو إلا غاوياً بل أشد غواية.

(٢) في الآية دليل على جواز دراية الشعر الحسن فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يوماً لعمر بن الشريد: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قال: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت.

(٣) روى عن ابن سيرين أنه أنشد شعراً فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر؟ فقال: ويلك بالك: وهل الشعر إلا كلاماً لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبحه قبيح.

(٤) من شعر نصره الحق قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه والرسول ﷺ يمشي بين يديه وذلك يوم الفتح:

خلو بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم عن تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخليل عن خليله

ومنه قول حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي والذتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أنتشمه ولست له بكشف

فشركما لخيركما الفداء

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

فهرس المجلد الثالث

٥	سورة الرعد من الآية (١)
٣٨	سورة إبراهيم من الآية (١)
٧٠	الجزء الرابع عشر
٧٠	سورة الحجر من الآية (١)
٩٧	سورة النحل من الآية (١)
١٧٢	الجزء الخامس عشر
١٧٢	سورة الإسراء من الآية (١)
٢٣٦	سورة الكهف من الآية (١)
٢٧٦	الجزء السادس عشر
٢٧٦	سورة الكهف من الآية (٧٥)
٢٩٢	سورة مريم من الآية (١)
٣٣٧	سورة طه من الآية (١)
٣٩٤	الجزء السابع عشر
٣٩٤	سورة الأنبياء من الآية (١)
٤٤٩	سورة الحج من الآية (١)
٥٠٤	الجزء الثامن عشر
٥٠٤	سورة المؤمنون من الآية (١)
٥٤٦	سورة النور من الآية (١)
٥٩٦	سورة الفرقان من الآية (١)
٦٠٧	الجزء التاسع عشر
٦٠٧	سورة الفرقان من الآية (٢١)
٦٣٦	سورة الشعراء من الآية (١)

أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ

لِكَلَامِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الرابع

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزينة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من :
راسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية

وآياتها ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

طس	: هذا أحد الحروف المقطعة، يقرأ : طا . سين .
تلك	: أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن .
هدى وبشرى	: أي أعلام هداية للصراط المستقيم ، وبشارة للمهتدين .
زيننا لهم أعمالهم	: أي حبيناهم إليهم حسب سنتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء .
فهم يعمهون	: في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهى .
لهم سوء العذاب	: أي في الدنيا بالأسر والقتل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طس﴾ لقد سبق أن ذكرنا أن السلف كانوا يقولون في مثل هذه الحروف المقطعة : الله أعلم بمراده بذلك ، وهذه أسلم ، وذكرنا أن هناك فائدة قد تقتنص من

الإشارة بتلك أوبذلك، وهي أن القرآن المعجز الذي تحدى به مُنزله عز وجل الإنس والجن قد تألف من مثل هذه الحروف العربية فآلفوا أيها العرب مثله سورة فأكثر فإن عجزتم فآمنوا أنه كلام الله ووحيه واعملوا بما فيه ويدعو إليه .

وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي المؤلف من مثل هذه الحروف آيات القرآن ﴿وكتاب مبين﴾ أي مبين لكل ما يحتاج إلى بيانه من الحق والشرع في كل شؤون الحياة .

وقوله : ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي هادٍ إلى الصراط المستقيم الذي يفضي بسالكه إلى السعادة والكمال في الدارين ، ﴿وبشرى﴾ أي بشارة عظيمة للمؤمنين أي بالله ولقائه والرسول وما جاء به ، ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بأدائها في أوقاتها في بيوت الله تعالى مستوفاة الشروط والأركان والواجبات والسنن والآداب ﴿ويؤتون الزكاة﴾ عند وجوبها عليهم ﴿وهم بالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة ﴿هم يوقنون﴾ بوجودها والمصير إليها ، وبما فيها من حساب وجزاء .

وقوله تعالى : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي بالبعث والجزاء ﴿زيننا لهم أعمالهم﴾ أي حببناها إليهم حتى يأتوها وهي أعمال شر وفساد ، وذلك حسب ستننا فيمن أنكر البعث وأصبح لا يرهب حساباً ولا يخاف عقاباً انغمس في الرذائل والشهوات وأصبح لا يرعوي عن قبيح ﴿فهم﴾ لذلك ﴿يعمهمون﴾ في سُلوكهم يتخبطون لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .
وقوله تعالى : ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا بالأسر والقتل ، وهم في الآخرة هم الأكثر خساراً من سائر أهل النار أي أشد عذاباً .

(١) عَرَفَ الكتاب وتكرَّر القرآن وهما في معنى المعرفة كما يقال : فلان رجل عاقل ، وفلان الرجل العاقل ، والكتاب هو القرآن فُجِّعَ له صفتان تفخيماً وتعظيماً فهو قرآن وهو كتاب ، والكتاب : علم على القرآن بالغلبة ، والقرآن علم بالنقل .

(٢) (مبين) إن كان من أبان اللازم فهو بمعنى بان أي : فهو ظاهر واضح بين في نفسه وفي هذا تنويه وتشريف له ، وإن كان من أبان المتعدي فهو مبين لما أريد منه من أركان العقيدة وأنواع العبادات وأحكام الشريعة وآدابها .

(٣) هدى وبشرى : حال ، والأعراب مقدر اِشَارَ إلى القرآن حال كونه هادياً ومبشراً للمؤمنين به العاملين بما فيه من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق .

(٤) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الموصول وصلته وما عطف عليه نعت للمؤمنين وصِفَ لهم بما تضمنه لفظ الهدى ، وجملة : (وهم بالآخرة هم يوقنون) معطوفة على صلة الموصول فهي نعت ثانٍ للمؤمنين الذين هدوا بالقرآن .

(٥) قوله تعالى : (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب عن سؤال تقديرية : إذا كان القرآن هادياً ومبشراً فما للذين لا يؤمنون بالآخرة لم يهتدوا؟ فالجواب : إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زين الله لهم أعمالهم لذا فهم لا يهتدون ، وتزيين الأعمال قائم على سنة من سنن الله تعالى وهي أن من رفض الحق وأثر الباطل عليه وأصرَّ على اختيار الباطل يحرم الهداية فلا يقبلها ممن جاءه بها كالقرآن والرسول ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إعجاز القرآن إذ آياته مؤلفة من مثل طس ، وحـم وعجز العرب عن تأليف مثله .
- ٢- بيان كَوْن القرآن ، هدى وبشرى للمؤمنين الملتزمين بمتطلبات الإيمان .
- ٣- إنكار البعث والدار الآخرة يجعل صاحبه شر الخليقة وأسوأ حالاً من الكلاب والخنازير
- ٤- وجوب قتال الملاحدة وأخذهم أسراً وقتلاً حتى يؤمنوا بالله ولقائه لأنهم خطر على أنفسهم وعلى البشرية سواء .

وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ

لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَالْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------|---|
| وإنك لتلقى | : أي تلقنه وتحفظه وتعلمه . |
| من لدن حكيم | : أي من عند حكيم عليم هو الله جل جلاله . |
| آنست نارا | : أي أبصرت نارا من بعد حصل لي بها بعض الأنس . |
| سأتيكم منها بخبر | : أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلى مصر في الصحراء . |
| بشهاب قبس | : أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها . |

لعلكم تصطلون : أي تستدفئون .
 أن بورك من في النار : أي بارك الله جل جلاله من في النار وهو موسى عليه السلام
 إذ هو في البقعة المباركة التي نادى الله تعالى موسى منها .
 وسبحان الله رب : أي نزه الرب تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من
 العالمين صفات المحدثين .
 يا موسى إنه أنا الله : أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك
 وباركك .

تهتز كأنها جان : أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة .
 ولم يعقب : أي ولم يرجع إليها خوفاً وفزعاً منها .
 ثم بدل حسناً بعد سوء : أي تاب لعمل صالحاً بعد الذي حصل منه من سوء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقوله تعالى ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه يلقن القرآن ويحفظه ويعلمه من لدن حكيم في تدبيره عليم بخلقه وهو الله جل جلاله وعظم سلطانه .
 وقوله تعالى ﴿إذ قال موسى﴾ اذكر لمنكري الوحي والمكذبين بنبوتك إذ قال موسى إلى آخر الحديث، هل مثل هذا يكون بغير التلقي من الله تعالى . والجواب : لا إذا فأنّت رسول الله حقاً وصدقاً ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ امرأته وأولاده ﴿إني آنست ناراً﴾ أي أبصرتها مستأنساً بها . ﴿سأتیکم منها بخبر أو آتیکم بشهاب قبس لعلکم تصطلرن﴾ أي تستدفئون إذ كانوا في ليلة شتائية باردة وقد ضلوا طريقهم .

(١) قال القرطبي : هذه الآية بسط وتمهيد لما يريد أن يسوق من الأفاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وهو كما قال .

(٢) ﴿إني آنست ناراً﴾ أي : أبصرتها من بعد قال الشاعر :

آنست نبأه وأفرز عنها القصاص عصراً وقد دنا الإمساء

(٣) قرأ عاصم (بشهاب قبس) بتوئين شهاب، وقرأ نافع (بشهاب) بلاثنتين مضاف إلى قبس، والاضافة للنوع كقوله خُرْ وخاتم فضة .

(٤) الاصطلاء : الاستدفاء من البرد، قال الشاعر :

النار فأكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شتاتياً فليصطل

وقوله تعالى ﴿فلما جاءها﴾ أي النار ﴿نودي﴾^(١) أي ناداه ربه تعالى قائلاً: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ أي تقدس من في النار التي هي نور الله جل جلاله . وهو موسى عليه السلام ومن حولها من أرض القدس والشام ، والله أعلم بمراده من كلامه وأنا لنستغفره ونتوب إليه إن لم نوفق لمعرفة مراده من كلامه وخطابه فأغفر اللهم ذنبنا وارحم عجزنا وضعفنا إنك غفور رحيم ، وقوله تعالى ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ نزه تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله وقوله ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أي الذي يناديك هو الله ذو الألوهية على خلقه العزيز الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده الحكيم في قضائه وتدبير وتصريف ملكه بعد أن عرفه بنفسه وأذهب عنه روع نفسه ، أمره أن يلقي العصا تمريناً له على استعمالها فقال ﴿وألقي عصاك﴾ فألقاها فاهتزت كأنها جان أي حية خفيفة السرعة ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولى﴾^(٢) مدبراً أي رجع القهقري فزعاً وخوفاً ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع إليها خوفاً منها فناداه ربه تعالى ﴿يا موسى لا تخف﴾ من حية ولا من غيرها ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾^(٣) ﴿إلا من ظلم﴾ أي نفسه باقتراف ذنب من الذنوب فهذا يخاف لكن إن هو تاب بعد الذنب ففعل حسنات بعد السيئات فإنه لا يخاف لأنني غفور رحيم فأغفر له وارحمه . طمأن تعالى نفس موسى بهذا لأن موسى كان شاعراً بأنه أذنب بقتل القبطي قبل نبوته ورسالته ، وإن كان القتل خطأ إلا أنه تجب فيه الكفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية .
- ٢- مشروعية السفر بالأهل والولد وجواز خطأ الطريق حتى على الأنبياء والأذكىاء .
- ٣- قيومية الرجل على النساء والأطفال .

(١) عن وهب بن منبه قال : فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرأها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها : العُلُق فَعَجِبَ منها . . . (ونودي أن بورك من في النار ومن حولها) .

(٢) أي : خائفاً على عادة البشر .

(٣) الاستثناء منقطع أي : لكن يخاف من ظلم ، ومن ظلم ثم تاب فلا يخاف أيضاً فإن الله غفور رحيم .

(٤) هذا مقول قول أي : يا موسى لا تخف .

(٥) الجملة تعليل للنهي في قوله : (يا موسى لا تخف) .

٤- تجلي الرب تعالى لموسى في البقعة المباركة ومناجاته وتدريبه على العصا والسلاح الذي يقاوم به فرعون وملأه فيما بعد .

٥- الظلم يسبب الخوف والعقوبة إلا من تاب منه وأصلح فإن الله غفور رحيم .

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

في جيبك : أي جيب ثوبك .
من غير سوء : أي برص ونحوه بل هو (البياض) شعاع
في تسع آيات : أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها إلى فرعون .
مبصرة : مضيئة واضحة مشرقة .
وجحدوا بها : أي لم يقرروا ولم يعترفوا بها .
واستيقنتها أنفسهم : أي أيقنوا أنها من عند الله .
ظلمًا وعلوًّا : أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع موسى في حضرة ربه عز وجل بجانب الطور إنه لما أمره بإلقاء العصا فالتقاها فاهترزت وفزع موسى لذلك فولى مدبراً ولم يعقب خائفاً فطمأنه ربه تعالى بأنه لا يخاف لديه المرسلون أمره أن يدخل يده في جيبه فقال ﴿وادخل يدك في جيبك﴾ أي في جيب القميص ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص بل هو

(١) هذا الكلام معطوف على قوله : (وَأَلْقَ عَصَاكَ) وما بينهما اعتراض .

(٢) هذه آية أخرى غير الأولى .

بياض إشراق يكاد يذهب بالأبصار في تسع آيات أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها إلى فرعون وقومه، وبين تعالى علة ذلك الإرسال فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي خارجين عن الاعتدال إلى الغلو والإسراف في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ يحملها موسى مبصرة مضيئة واضحة دالة على صدق موسى في دعوته، رفضوها فلم يؤمنوا بها، ﴿وَقَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، أي الذي جاء به موسى من الآيات هو سحر بين لا شك فيه قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي جحدوا بالآيات وكذبوا وتيقنتها أنفسهم أنها آيات من عند الله دالة على رسالة موسى وصدق دعوته في المطالبة ببني إسرائيل وقوله ظلمًا وعلوا أي حملهم على التكذيب والإنكار مع العلم هو ظلمهم واستكبارهم فإنهم ظالمون مستكبرون. وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي انظر يا رسولنا محمدًا ﷺ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- آية اليد هي إحدى الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام دليلاً على وجود الآيات التي كان الله تعالى يؤيد بها رسله فمن أنكرها فقد كفر.
- ٢- التنديد بالفسق واستحقاق أهله العذاب في الدارين.
- ٣- الكبر والعلو في الأرض صاحبهما يجحد الحق ولا يقربه وهو يعلم أنه حق.
- ٤- عاقبة الفساد في الأرض بالمعاصي سوء، والعياذ بالله تعالى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

(١) التسع آيات هي: العصا، واليد، والطوفان والجراد والقمل، والضفادع والدم، والقحط، وانفلاق البحر، وهو من أعظمها.

(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ﴾ الخ أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه بالآيات ليعتبر بذلك كفار قريش المكذبون بآيات الله ورسوله.

(٣) الخطاب لغير معين ويجوز أن يكون للنبي ﷺ تسلياً له وحملًا له على الصبر من تكذيب قومه له وإصرارهم على الكفر به.

وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ
 وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۚ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
 لِسُلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
 حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا النَّمْلُ آدَخُلُوا
 مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
 تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- علمنا : هو علم ما لم يكن لغيرهم كعرفة لغة الطير إلى جانب
 علم الشرع كالقضاء ونحوه .
 وقالوا الحمد لله : أي شكرًا له .
 على كثير من عباده المؤمنين: أي بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين .
 وورث سليمان داوود : أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي
 أولاده .
 علمنا منطق الطير : أي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صفرت .
 وأوتينا من كل شيء : أي أوتيه غيرنا من الأنبياء والملوك .
 وحشر لسليمان : أي جمع له جنوده من الجن والإنس والطير في مسير له .
 فهم يوزعون : أي يساقون ويرد أولهم إلى آخرهم ليسيروا في نظام .
 لا يحطمنكم سليمان : أي لا يكسرنكم ويقتلنكم .
 وهم لا يشعرون : أي بكم .

أوزعني أن أشكر : أي ألهمني ووفقني لأن أشكر نعمتك التي أنعمت علي .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص داوود وسليمان عليهما السلام ذكر بعد أن أخبر تعالى أنه يلقي رسوله محمداً ويعلمه من لدنه وهو العليم الحكيم ودل على ذلك بموجز قصة موسى عليه السلام ثم ذكر دليلاً آخر وهو قصة داوود وسليمان ، فقال تعالى ﴿ ولقد آتيناك أي أعطينا داوود وسليمان ﴾ علماً أي الوالد والولد علماً خاصاً كمعرفة منطق الطير وصنع الدروع وإلانة الحديد زيادة على علم الشرع والقضاء^(١) وقوله تعالى ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ أي شكرا ربهما بقولهما ﴿ الحمد لله ﴾ أي الشكر لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بما آتاهما من الخصائص والفواضل . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤) وأما الآية الثانية (١٥) فقد أخبر تعالى فيها أنّ سليمان ورث أباه داوود وحده دون باقي أولاده وذلك في النبوة والملك ، لا في الدرهم والدينار والشاة والبعير ، لأن الأنبياء لا يورثون فما يتركونه هو صدقة^(٢) . كما أخبر أن سليمان قال في الناس ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾^(٣) فما يصفر طير إلا علم ما يقوله في صفيّره ، وأوتينا من كل شيء أوتيّه غيرنا من النبوة والملك والعلم والحكمة ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ أي فضل الله تعالى البين الظاهر . وقوله تعالى ﴿ وحشر لسليمان جنوده ﴾ أي جمع له جنوده ﴿ من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ هو إخبار عن مسير كان لسليمان مع جنده ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي جنوده توزع تساق بانتظام . بحيث لا يتقدم بعضها بعضاً فيرد دائماً أولها إلى آخرها محافظة على النظام في السير ، وما زالوا سائرين كذلك حتى أتوا على واد النمل بالشام فقالت نملة من النمل ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وسم لا يشعرون ﴾ قالت هذا

(١) وآتى داود الزبور وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم ، وأن من أوتيّه فقد أوتيّ فضلاً على كثير من المؤمنين .

(٢) قيل : إنّ داود كان له تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوّته وملكوته ولو كان وارثه مال لكان جميع أولاده فيه سواء والزمن بين سليمان ونبينا كان قرابة ألف وثمانمائة سنة .

(٣) قوله ﷺ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة) حديث صحيح .

(٤) أي : في بني اسرائيل قال هذا على جهة الشكر لنعم الله تعالى .

(٥) مما يؤثر عن سليمان عليه السلام في معرفة منطق الطير : (لداو للموت وابنوا للخراب) «لورشان» نوع من الحمام البري أكدر (ليت هذا الخلق لم يخلقوا ولينهم إذ خلقوا عملوا لماذا خلقوا) «لخاخنة» نوع من الحمام البري له طوق (من لا يرحم لا يرحم) «لهدمد» (استغفروا الله يا مذبذبين) «لصرد» (قدموا خيراً تجدوه) «لخطافة» (اللهم العن العشار) «للفراب» (كل شيء هالك إلا وجهه) «للحدأة» (من سكت سلم) «للقطاة» (ويل لمن الدنيا همه) «للقطاة» (سبحان ربي القدوس) «للصفدع» (اذكروا الله يا غافلين) «للديك» .

رحمة وشفقة على بنات جنسها تعلم البشر الرحمة والشفقة والنصح لبني جنسهم لو كانوا يعلمون، واعتذرت لسليمان وجنده بقولها وهم لا يشعرون بكم وإلا لما داسوكم ومشوا عليكم حتى لا يحطمونكم. وما إن سمعها سليمان وفهم كلامها^(١) حتى تبسم ضاحكاً من قولها ﴿وقال رب﴾ أي يارب ﴿أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ أي ويسر لي عملاً صالحاً ترضاه مني، ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي في جملتهم في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الشكر على النعم.
- ٢- وراثة سليمان لداود لم تكن في المال لأن الأنبياء لا يورثون وإنما كانت في النبوة والملك.
- ٣- آية تعليم الله تعالى سليمان منطق الطير وتسخير الجن والشياطين له.
- ٤- فضل النمل على كثير من المخلوقات ظهر في نصح النملة لأخواتها وشفقتها عليهن.
- ٥- ذكاء النمل وفطنته مما أضحك سليمان متعجباً منه.
- ٦- وجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل.
- ٧- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي.

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أُولَئِكَ أَزَبَحْتُهُمْ

(١) قد اختلف في هل كان سليمان يعلم غير منطق الطير من سائر الحيوان، والذي عليه الأكثر أنه كان يعلم أصوات سائر الحيوانات ومن ذلك النمل، قال ابن العربي: من قال إنه لا يعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم، وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم من النبات فكان الشجر يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان؟
(٢) الوزع: الكف عما لا يراد، والوازع: الذي يكف غيره عما لا ينبغي، وفعله: وزع بزع وزعاً، فإذا زيدت فيه همزة السلب فقل: أوزع أي: أزال الوزع الذي هو الكف، ف قوله في الآية: (فهم يوزعون) أي: يكفون أفراد القوات عن التقدم والتأخر حتى يكون السير منتظماً. وقوله: (أوزعني أن أشكر نعمتك) أي: أبعد عني ما يمنعني من شكرك على نعمك. فصار أوزعني كألهمني وأغرني.

(٣) قال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال بعضهم: النعمة وحشية قيديها بالشكر فإنها إذا شكرت قرّت وإذا كفرت قرّت، وقال آخر: من لم يشكر النعمة فقد عرضها لزلوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.

أُولَآئِـنِي بِسُلْطَـنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّـيْنِ ﴿٢٢﴾
 إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَآةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
 عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

وتفقد الطير	: أي تعهدا ونظر فيها .
مالي لا أرى الهدهد	: أعرض لي ما منعني من رؤيته أم كان من الغائبين ؟
لأعذبه عذاباً شديداً	: أي يتنف ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام .
بسلطان مبين	: أي بحجة واضحة على عذره في غيبته .
فمكث غير بعيد	: أي قليلاً من الزمن وجاء سليمان متواضعاً .
أحطت بما لم تحط به	: أي اطلعت على ما لم تطلع عليه .
وجئتك من سبأ	: سبأ قبيلة من قبائل اليمن .
إني وجدت امرأة	: هي بلقيس الملكة .
ولها عرش عظيم	: أي سرير كبير .
فصدهم عن السبيل	: أي طريق الحق والهدى .
ألا يسجدوا لله	: أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله .
	وزيدت فيها «لا» وأدغمت فيها النون فصارت ألا نظيرها لثلاثا
	يعلم أهل الكتاب من آخر سورة الحديد .

يخرج الخبأ في السموات: أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من النباتات والأرض

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصص سليمان عليه السلام قوله تعالى ﴿وتفقد الطير﴾^(١) أي تفقد سليمان جنده من الطير طالباً الهدد لأمر عن له أي ظهر وهويتهياً لرحلة هامة، فلم يجده فقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿مالي لا أرى الهدد﴾^(٢) العارض عرض له فلم أره، ﴿أم كان من الغائبين﴾^(٣) أي بل كان من الغائبين، ﴿لأعذبه عذاباً شديداً﴾ بأن ينتف ريشه ويتركه للهوام تأكله فلا يمتنع منها ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه، ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة على سبب غيبته. قوله تعالى الآية (٢١) ﴿فمكث﴾ أي الهدد ﴿غير بعيد﴾^(٤) أي زمناً قليلاً، وجاء فقال في تواضع رافعاً عنقه مرخياً ذنبه وجناحيه ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وجئتكم من سبأ نبأ يقين﴾^(٥) وسبأ قبيلة من قبائل اليمن، والنبأ اليقين الخبر الصادق الذي لا شك فيه. وأخذ يبين محتوى الخبر فقال ﴿إني وجدت امرأة﴾ هي بلقيس ﴿تملكهم وأوتيت من كل شيء﴾ من أسباب القوة ومظاهر الملك، ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي سرير ملكها الذي تجلس عليه وصفه بالعظمة لأنه مرصع بالجواهر والذهب، وقوله ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أخبر أولاً عن أحوالهم الدنيوية وأخبر ثانياً عن أحوالهم الدينية وقوله ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي الباطلة الشركية ﴿فصدهم﴾^(٦) بذلك ﴿عن السبيل﴾^(٧) أي سبيل الهدى والحق فهم لذلك لا يهتدون لأن يسجدوا لله الذي يخرج الخبء أي المخبوء فهو

(١) (تفقد) بمعنى بحث عن الفقد أي: عدم الوجود أو بحث عن سبب عدم الوجود.

(٢) من خواص الهدد أنه يرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرغ على موضع علم أن به ماء، ونهى النبي ﷺ عن قتله مع ثلاثة وهي: (الضفدع، والنحل، والصرور) أخرجه أبو داود وصححه. ونهى عن قتل النمل إلا أن يضرب ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل.

(٣) (أم) هي المنقطعة التي بمعنى: بل، ولا تخلو من معنى الاستفهام إذ التقدير: بل أكان من الغائبين.

(٤) أي: مكث في غيابه زمناً غير بعيد أو في مكان غير بعيد.

(٥) اسم رجل هو: غبشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لقب بسبأ لأنه أول من سبى في غزوه، وأطلق هنا سبأ على ديار قبيلة سبأ لأن من ابتدائية أي لا ابتداء الأمكنة غالباً.

(٦) (ألا يسجدوا) أصلها أن لا يسجدوا فأدغمت أن في لا النافية فصارت ألا، والمضارع منصوب بأن المدغمة في لا، ولذا تمين تقدير لام جر يتعلق بـ (فصدهم عن السبيل) أي: زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم لأجل أن لا يسجدوا. وما في التفسير من التقدير أوضح أيضاً.

(٧) الخبء: مصدر خبأ الشيء: إذا أخفاه، أطلق على اسم المفعول أي: المخبوء من أجل السالفة في الإخفاء.

من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في السموات من أمطار والأرض من نباتات، ويعلم سبحانه وتعالى ما يخفون في نفوسهم، وما يعلنون عنه بالسنتهم الله لا إله هورب العرش العظيم. وصف الرب تعالى بالعرش العظيم ليقابل وصف بلقيس به، وأين عرش مخلوقة وإن كانت ملكة بنت ملك هو شراحيل من عرش الله الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية استعراض الجيوش وتفقد أحوال الرعية.
- ٢- مشروعية التعزير لمن خالف أمر السلطان بلا عذر شرعي.
- ٣- مشروعية اتخاذ طائرات الاستشكاف ودراسة جغرافية العالم.
- ٤- تحقيق قول الرسول ﷺ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة إذ لم يلبثوا أن غلب عليهم سليمان.
- ٥- بيان أن هناك من كانوا يعبدون الشمس إذ سجودهم لها عبادة.
- ٦- بيان أن الأحق بالعبادة الله الذي لا إله إلا هورب العرش العظيم.
- ٧- مشروعية السجود لمن تلا هذه الآية أو استمع إلى تلاوتها: ﴿الله لا إله إلا هورب العرش العظيم﴾.

❖ قَالَ سَنَنْظُرُ

أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا
فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾
أَلَمْ لَوْ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين : أي بعد اختبارنا لك .

فألقه إليهم : أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم .

ثم تول عنهم : أي تنح جانباً متوارياً مستتراً عنهم .

فانظر ماذا يرجعون : أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب .

يا أيها الملأ : أي يا أشراف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها .

ألقي إلي كتاب كريم : أي ألقاه في حجرها الهدهد .

ألا تعملوا علي : أي لا تتكبروا انقياداً للنفس والهوى .

واتنوني مسلمين : أي منقادين خاضعين .

معنى الآيات :

﴿ قال سننظر ﴾^(١) أي قال سليمان للهدهد بعد أن أدلى الهدهد بحجته على غيبته سننظر باختبارنا لك ﴿ أصدقت ﴾ فيما ادعيت وقلت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ أي من جملتهم . وبدأ اختبارهم فكتب كتاباً وختمه وقال له ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم ﴾ أي تنح جانباً مختفياً عنهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ من القول في شأن الكتاب أي ما يقول بعضهم لبعض في شأنه، فعلاً ذهب الهدهد بالكتاب ودخل القصر من كوة فيه وألقى الكتاب في حجر الملكة بلقيس فارتاعت له وقرأته ثم قالت ﴿ يا أيها الملأ ﴾ مخاطبة أشراف قومها ﴿ إني ألقى إلي كتاب كريم ﴾ وصفته بالكرم لما حواه من عبارات كريمة، ولأنه مختوم وختم الكتاب كرمه ونصّ الكتاب كالتالي [من عبدالله سليمان بن داوود إلى

(١) من الجائز أن يكون سليمان قد خشي أن يكون الكلام الذي سمعه من الهدهد ألقى به الشيطان على الهدهد ليضل سليمان ويفتنه بالبحث عن مملكة موهومة، فلذا قال عليه السلام (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

(٢) في الآية دليل على أن الحاكم يجب عليه أن يقلل عذر المواطن ويدرك العقوبة عنه بظاهر حاله وباطن غدره، وفي الصحيح : (ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل) وللحاكم أن يمتحن المواطن المعتذر حتى يعرف عذره.

(٣) (أم كنت) بمعنى : أنت.

(٤) في الآية دليل على وجوب إرسال الكتب إلى المشركين ودعوتهم إلى الإسلام وتبليغهم دعوة الله عز وجل، وقد كتب النبي ﷺ إلى قيصر وكسرى والمقوقس وغيرهم.

بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي واثنوني مسلمين].

ومضمونه ما ذكرته الملكة بقولها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَوْنَ عَلِيٍّ وَاثْنُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ومعنى إنه من سليمان أي صادر منه وأنه مكتوب ومرسل بسم الله الرحمن الرحيم أي بإذنه وشرعه ألا تعلوا علي أي لا تكبروا علي الحق فإنني بسم الله أطلبكم واثنوني مسلمين أي خاضعين متقادين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الاختبار وإجراء التحقيق مع المتهم.
- ٢- مشروعية استخدام السلطان أفراد رعيته لكفاية المستخدم.
- ٣- مشروعية إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده.
- ٤- مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في الرسائل والكتب الهامة ذات البال لدلالاتها على توحيد الله تعالى وأنه رحمن رحيم، وأنَّ الكاتب يكتب بإذن الله تعالى له بذلك.

قَالَتْ يَأْثِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسَ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

(١) قال القرطبي: الأحسن اليوم بأن يقدم في الكتاب اسم المكتوب إليه قبل اسم الكاتب لأن البداية باسمه تعد استخفافاً بالمكتوب إليه وتكبراً عليه، ومراده أن يكتب الكاتب هكذا إلى حضرة فلان... من فلان... وتقديم اسم الكاتب هو ما عليه السلف الصالح.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يرى رد الكتاب واجباً كرد السلام ولا يسقط إلا من عذر لا سيما إذا سلم صاحب الكتاب فإن رد السلام واجب بلا خلاف.

شرح الكلمات :

أفتوني في أمري : بينوا لي فيه وجه الصواب ، وما هو الواجب اتخاذه إزاءه .
 ما كنت قاطعة أمراً : أي قاضيته .
 حتى تشهدون : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه .
 وأولوا بأس شديد : أي أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب .
 إذا دخلوا قرية : أي مدينة وعاصمة ملك .
 أفسدوها : أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة .
 وكذلك يفعلون : أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم عن حديث قصر الملكة بلقيس وما هي ذي تقول لرجال دولتها ما حكاها تعالى عنها بقوله ﴿قالت يا أيها الملأ افتنوني في أمري﴾^(١) أي أشيروا علي بما ترونه صالحاً ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ أي قاضية بآته فيه ﴿حتى تشهدون﴾ أي تحضروني وتبدوا فيه وجهة نظركم . فأجابها رجالها بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ عسكرية من سلاح وعتاد وخبرة ﴿وأولوا بأس شديد﴾ عند خوضنا المعارك ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ به فأمرني ننقذ إنا طوع يدك .

فأجابتهم بما حكاها الله تعالى عنها ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ أي مدينة عنوة بدون صلح . ﴿أفسدوها﴾ أي خربوا معالمها وبدلوا وغيروا فيها ، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بضربهم وإهانتهم وخلعهم من مناصبهم . ﴿وكذلك﴾ أصحاب هذا الكتاب ﴿يفعلون﴾ وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴿أي الذين نرسلهم من

(١) الإفتاء: الإخبار بالفتوى وهي: إزالة مشكل يعرض، والأمر: الحال المهم وإضافته إلى نفسها، لأنها المخاطبة في كتاب سليمان، ولأنها المضطلة بشؤون الدولة ولذا يقال للحاكم وعالم الدين: ولي الأمر.

(٢) قاطعة أمراً: عاملة عملاً لا تردد فيه بالعزم على أن تجيب به سليمان.

(٣) حذفت ياء المتكلم منه تخفيفاً، وحذفت نون الرفع للتأنيب وبقيت نون الوقاية والمراد من شهودهم: موافقتهم لها على ما تعزم عليه إزاء الكتاب.

(٤) البأس: الشدة على العدو، ومنه (وحين البأس) أي: في مواقع القتال في جوابهم هذا تصريح بأنهم مستعدون للحرب دفاعاً عن مملكتهم.

(٥) فوضوا الأمر إليها لثقتهم بأصالة رأيها وخبرتها السياسية.

(٦) دبرت أن تنفّذ الحرب بطريقة المصانعة والتزلف إلى سليمان بالهدية مصحوبة بكتاب ووفد، وعلى ضوء عودة الوفد تنصرف في الأمر.

قبول الهدية ورفضها وعلى ضوء ذلك نتصرف فإنهم إن قبلوا الهدية المالية فهم أصحاب دنيا، وإن رفضوها فهم أصحاب دين، وعندها نتخذ ما يلزم حيالهم، ولا شك أن هذه الهدية كانت فاخرة وثرينة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ الشورى في الحكم.
- ٢- مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثم ترك الأمر لأهله.
- ٣- مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدريب الرجال على حمله واستعماله.
- ٤- دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة.
- ٥- بيان حسن سياسة الملكة بلقيس وفطنتها وذكاؤها ولذا ورثت عرش أبيها.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
 يَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِنيك بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ إِنيك
 بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
 لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

فلما جاء سليمان : أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه .

فما آتاني الله خير مما آتاكم : إنه أعطاني النبوة والملك وذلك خير مما أعطاكم من المال فقط .
 بهديتكم تفرحون : لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها .
 إرجع إليهم : أي بما أتيت به من الهدية .
 بجنود لا قبل لهم بها : أي لا طاقة لهم بقتالها .
 ولنخرجهم منها : أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ .
 أذلة وهم صاغرون : أي إن لم يأتوني مسلمين أي منقادين خاضعين .
 قبل أن يأتوني مسلمين : فإن لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده .
 قال عفريت من الجن : أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت .
 قبل أن تقوم من مقامك : أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلى الظهر .
 وإني عليه لقوي أمين : أي قوي على حملة أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها .
 وقال الذي عنده علم من الكتاب : أي سليمان عليه السلام .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع سليمان وملكة سبأ إنه لما بعثت بهديتها تختبر بها سليمان هل هو رجل دنيا يقبل المال أو رجل دين ، لتتصرف على ضوء ما تعرف من اتجاه سليمان عليه السلام ، فلما جاء سليمان ، جاءه سفير الملكة ومعه رجال يحملون الهدية قال لهم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قال أتمدوني ﴾^(١) بـمال؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم^(٢) آتاني النبوة والعلم والحكم والملك فهو خير مما آتاكم من المال ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وذلك لحبكم الدنيا ورغبتكم في زخارفها . وقال لرسول الملكة ﴿ إرجع إليهم ﴾ أي بما أتيت به من الهدية ، وعلمهم أنهم إن لم يأتوا إلي مسلمين ﴿ فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ﴾^(٣) أي لا قدرة لهم على قتالهم ، ﴿ ولنخرجهم منها ﴾ أي من مدينتهم سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ أي خاضعون منقادون . ثم قال سليمان عليه السلام لأشرف دولته

(١) الهدية : منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه ومنها ما هو مباح أو مندوب ، فالهدية الحرام : التي تُهدى للحكام والقضاة ليحكموا لصالحها والهدية المكروهة : هدية الكافر والهدية المباحة أو المندوب إليها : هدية المؤمن لأخيه المؤمن للمودة والحب ، لحديث مالك وفيه : قال رسول الله ﷺ : (تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) الشحناء العداوة والبغضاء .

(٢) أي : أتريدوني إلى ما تشاهدونه من أموالي ، والاستفهام للإنكار وقرأ الجمهور : (أتمدوني) بنونين . وقرأ بعض بنون واحدة مشددة .

(٣) (بل) للاضراب الانتقالي من الإنكار عليهم إلى رد هديتهم إليهم .

(٤) الضمير في (بها) عائد على الجنود والضمير في (منها) عائد إلى مدينتهم وهي مأرب أو سبأ على مراحل قليلة من صنعاء .

وأعيان بلاده ﴿يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ فإني لا آخذه إلا قبل مجيئهم مسلمين لا بعده . فنطق عفريت من الجن قائلاً بما أخبر تعالى عنه به ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي مجلس قضائك والذي ينتهي عادة بنصف النهار، ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾ أي قادر على حمله والإتيان به في هذا الوقت الذي حددت لكم وأمين على ما فيه من جواهر وذهب لا يضيع منه شيء . وهنا ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾^(١) وهو سليمان عليه السلام ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ فافتح عينيك وانظر فلا يعود إليك طرفك إلا والعرش بين يديه ﴿فلما رآه مستقراً﴾ بين يديه لهج قائلاً ﴿هذا من فضل ربي﴾ أي علي فلم يكن لي به يد أبداً ﴿ليلبوني﴾ بذلك ﴿أشكر﴾ نعمته علي ﴿أم أكفرها﴾ ﴿ومن شكر﴾ فلنفسه أي عائد الشكر يعود عليه بحفظ النعمة ونمائها ومن كفر أي النعمة ﴿فإن ربي غني﴾ أي عن شكره وليس مفتقراً إليه، كريم قد يكرم الكافر للنعمة فلا يسلبها كلها منه أو يبقها له على كفره .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أهل الآخرة لا يفرحون بالدنيا، وأهل الدنيا لا يفرحون بالآخرة .
- ٢- استعمال أسلوب الإرهاب والتخويف مع القدرة على إنفاذه مع العدو أليق .
- ٣- تقرير أن سليمان كان يستخدم الجن وأنهم يخدمونه في أصعب الأمور .
- ٤- استجابة الله تعالى لسليمان فأحضر له العرش من مسافة شهرين أي من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف الناظر إذا فتح عينه ينظر .
- ٥- وجوب رد الفضل إلى أهله فسليمان قال ﴿هذا من فضل ربي﴾ والجهال يقولون بثورتنا الخلافة، وأبطالنا البواسل .
- ٦- وجوب الشكر، وعائدته تعود على الشاكر فقط، ولكرم الله تعالى قد لا يسلب النعمة فور عدم شكرها وذلك لحلمه تعالى وكرمه .

(١) هذا استئناف ابتدائي أي : كلام غير مرتبط بما سبقه بنوع من الارتباط قريب .

(٢) قال القرطبي : جمهور المفسرين : أن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخا وقيل : هو سليمان عليه السلام ، بقرينة قوله : هذا من فضل ربي ، قال ابن عطية وقالت فرقة وهو سليمان عليه السلام . والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وكان سليمان استبطاً ذلك فقال له على وجه التحقير أنا آتيك به . . . الخ . قيل : يا حي يا قيوم : هو الاسم الأعظم .

(٣) الشكر : قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة .

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا

نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ

أَهْكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ

﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ

سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- قال نكروا لها عرشها : أي غيروا هيأته وشكله حتى لا يعرف إلا بصعوبة .
- أتتهدي : أي إلى معرفته
- أهكذا عرشك : شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك ل قالت نعم .
- قالت كأنه هو : فشبهت عليه فقالت كأنه هو .
- وصدها ما كانت تعبد : أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكاؤها ما كانت تعبد من دون الله .
- ادخلي الصرح : أي بهو الصرح إذ الصرح القصر العالي وفي بهوه بركة ماء كبيرة مغطاة بسقف زجاجي يرى وكأنه ماء .
- فكشفت عن ساقها : ظانة أنها تدخل ماء تمشي عليه فرفعت ثيابها .
- حسبته لجة : أي من ماء غمر يجري .
- صرح ممرد من قوارير : أي مملس من زجاج .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار من أحاديث بين سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ لقد خرجت هي في موكبها الملكي بعد أن احتاطت لعرشها أيما احتياط . إلا أن العرش وصل قبلها بدعوة الذي عنده علم من الكتاب ، وقبل وصولها أراد سليمان أن يختبر عقلها من حيث الحصافة أو الضعف ^(١) فأمر رجاله أن يغيروا عرشها بزيادة ونقصان فيه حتى لا يعرف إلا بصعوبة كما قال عليه السلام ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ إلى معرفته ^(٢) أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ لضعف عقولهم . فلما جاءت ﴿ قيل لها أهكذا عرشك ﴾ فشبها وعليها في التغيير وفي التعبير ، إذ المفروض أن يقال لها هذا عرشك ومن هنا فطنت لتشبيههم ﴿ فقالت : كأنه هو ﴾ إذ لو قالت : هو لقالوا كيف يكون هو والمسافة مسيرة شهرين ولو قالت ليس هو لقليل لها كيف تجهلين سريرك فكانت ذات ذكاء ودهاء ومن هنا قال سليمان لما أعجب بذكائها ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ فحمد الله وأثنى عليه ضمن العبارة التي قالها . وقوله ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اتباعاً لقومها إذ كانوا يعبدون الشمس من دون الله . ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ فهذا سبب عدم إيمانها ونسجيدها وهو ما كان عليه قومها ، وجلس سليمان في بهو صرحه وكان البهو تحته بركة ماء عظيمة فيها أسماك كثيرة وللماء موج ، وسقف البركة مملس من زجاج ، ومع سليمان جنوده من الإنس والجن يحوطون به ويحفونه من كل جانب وأمرت أن تدخل الصرح ^(٣) لأن سليمان الملك يدعوها ﴿ فلما رآته حسبته لجة ﴾ ماء ﴿ فكشفت عن ساقها ﴾ فقال لها سليمان ﴿ إنه صرح ممرد ﴾ أي مملس ﴿ من قوارير ﴾ زجاجية وهنا وقد بهرها الموقف وعرفت أنها كانت ضالة وظالمة نطقت قائلة ﴿ رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وبهذا أصبحت مسلمة سالحة . ولم يذكر القرآن عنها بعد شيئاً

(١) قيل : إن الجن قالوا لسليمان : إنها ضعيفة العقل فلذا أمر بتكثير عرشها ليختبر عقلها ، وقالوا له : إن رجلها كرجل حمار فلذا امتحنها بدخول بهو الصرح لتكشف عن ساقها فيعرف ما قالت الجن عنها .

(٢) الاستفهام للتقرير مع الاختبار وهو المقصود .

(٣) اختلف هل قول : ﴿ وأوتينا العلم ﴾ من قول سليمان أو أحد رجاله أو هو من قول بلقيس ، والراجح أنه من قول سليمان عليه السلام .

(٤) (الصرح) البناء العالي : تقدم أن الجن هم الذين قالوا لسليمان إن رجل بلقيس رجل حمار وطلبوا اختبارها وهم الذين صنعوا بركة الماء في بهو الصرح .

(٥) ذكر القرطبي هنا حكايات أكثرها منقول عن أهل الكتاب منها : أن الجن أول من صنعوا النورة لإزالة شعر الجسم ، وأن سليمان عليه السلام أول من صنع الحمامات ، وهذا يرفع إلى النبي ﷺ وذكر قولين أحدهما أن سليمان تزوج بلقيس وآخر : لم يتزوجها .

فلنسكت عما سكت عنه القرآن .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية .
- ٢- بيان حصافة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها ﴿كأنه هو﴾ .
- ٣- مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكر للعقل والمنطق .
- حرمة كشف المرأة ساقها حتى ولو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة .
- ٥- فضيلة الإلتساء بالصالحين كما اتست بلقيس بسليمان في قولها ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ لِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

أن أعبدوا الله : أي بأن اعبدوا الله .

فريقان يختصمون : أي طائفتان مؤمنة موحدة وكافرة مشركة يختصمون .

تستعجلون بالسيئة : أي تطالبون بالعذاب قبل الرحمة .

لولا تستغفرون الله : أي هلا تطلبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه .
 قالوا اطيرنا بك : أي تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين .
 قال طائرهم عند الله : أي ما زجرتم من الطير لما يصيكم من المكارة عند الله علمه .
 بل أنتم قوم تفتنون : أي تختبرون بالخير والشر .
 تسعة رهط : أي تسعة رجال ظلمة .
 تقاسموا بالله : أي تحالفوا بالله أي طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له .
 لنبيته وأهله : أي لنفقلته والمؤمنين به ليلاً .
 ما شهدنا مهلك أهله : أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا بداية قصص صالح عليه السلام مع قومه ثمود لما ذكر تعالى قصص سليمان مع بلقيس ذكر قصص صالح مع ثمود وذلك تقريراً لنبوة رسوله محمد ﷺ ووضع المشركين من قريش أمام أحداث تاريخية تمثل حالهم مع نبيهم لعلهم يذكرون فيؤمنوا قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ أي قبيلة ثمود ﴿أخاهم﴾ أي في النسب ﴿صالحاً أن اعبدوا﴾ أي قال لهم اعبدوا الله أي وحدوه ﴿فإذا هم فريقان﴾ موحدون ومشركون ﴿يختصمون﴾^(١) فريق يدعو إلى عبادة الله وحده وفريق يدعو إلى عبادة الأوثان مع الله وشأن التعارض أن يحدث التخاصم كل فريق يريد أن يخصم الفريق الآخر . وطالبوا صالحاً بالآيات ﴿وقالوا اثنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أنك رسول إلينا مثل الرسل فرد عليهم وقال ﴿يا قوم لم تستعجلون^(٢) بالسيئة﴾ أي تطالبوني بعذابكم ﴿قبل الحسنة﴾ فالمفروض أن تطالبوا بالحسنة التي هي الرحمة لا السيئة التي هي العذاب . إن كفركم ومعاصيكم هي سبيل عذابكم ، كما أن إيمانكم وطاعتكم هي سبيل نجاتكم وسعادتكم فبادروا بالإيمان والطاعة طلباً لحسنة الدنيا والآخرة . إنكم بكفركم ومعاصيكم تستعجلون عذابكم ﴿لولا﴾ أي هلا

(١) من الخصومة ما قصه الله تعالى في سورة الأعراف في قوله : (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بأرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) .

(٢) الاستفهام إنكاري ، (والسيئة كالحسنة) صفة لمحذوف ، والتقدير لم تستعجلون بالحال السيئة قبل الحال الحسنة ؟

(٣) (هلا) أداة تحضيض حضمهم نبيهم على التوبة بالاستغفار والاقلاع عن الشرك والمعاصي رجاء أن يرحمهم الله تعالى فلا يعذبهم في الدنيا ولا في الآخرة .

﴿تستغفرون الله﴾ بترككم الشرك والمعاصي ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي كي ترجعوا بعد هذا الوعظ والإرشاد. كان جواب القوم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ أي تشاء منا بك وبأتباعك المؤمنين لك، فرد عليهم بقوله ﴿طائرکم عند الله﴾ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكارة عند الله علمه وهو كائن لا محالة، وليست القضية تشاؤماً ولا تيامناً ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ وقوله تعالى ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ أي مدينة الحجر حجر ثمود تسعة رجال ﴿يفسدون في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ وهم الذين تمالؤوا على عقر الناقة ومن بينهم قُرَارُ بن سالف الذي تولى عقر الناقة. هؤلاء التسعة نفر قالوا لبعضهم بعضاً في اجتماع خاص ﴿تقاسموا بالله﴾ أي ليقسم كل واحد منكم قائلاً والله ﴿لنبيته﴾ أي صالحاً ﴿وأهله﴾ أي أتباعه، أي لنأتينهم ليلاً فنقتلهم، ثم في الصباح ﴿نقول لوليه﴾ أي لولي دم صالح من أقربائه، والله ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ ولا مهلكه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نقسم عليه من أنا لم نشهد مهلك صالح ولا مهلك أصحابه.

هداية الآيات

هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.
- ٣- حرمة التشاؤم والتيامن كذلك، ولم يجز الشارع إلا التفاؤل لا غير.
- ٤- العمل بمعاصي الله تعالى هو الفساد في الأرض، والعمل بطاعته هو الإصلاح في الأرض.
- ٥- تقرير أن المشركين يؤمنون بالله ولذا يحلفون به، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لشركهم في عبادة الله تعالى غيره من مخلوقاته.

(١) كانت العرب أكثر الناس تطييراً (واطيرنا) في الآية أصلها: تطيّرنا فقلبت التاء طاء لقرب مخرجها من الطاء وأدغمت في الطاء، وجيء بهمة الوصل للتوصل إلى النطق بالسكن، والتطير معناه: التشاؤم وهو مأخوذ من الطير تطير يميناً أو شمالاً فيتيمنون بذلك أو يتشاءمون.

(٢) الأرض: أرض ثمود وآل فيها: للعهد والرهط: العدد من الثلاثة إلى العشر كالنفر ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

(٣) قرأ الجمهور (مهلك) بضم الميم، وقرأ حفص (مهلك) بفتحها، والمهلك: مصدر ميمي من الرباعي أهلك، أي: ما شهدنا إهلاك من أهلكهم والمراد من وليه: ولي الدم من عصبته. قرأ الجمهور: لنبيته وأهله ثم لنقولن، وقرأ خلاف الجمهور: (لنبيته) (ولتقولن) بناء الخطاب وهو قول الماكرين لبعضهم البعض، والمعنى لا يختلف.

وَمَكْرُوا مَكْرًا

وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنْتَادِرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ

لَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- ومكروا مكرًا : أي دبوا طريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين .
 ومكرنا مكرًا : أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين .
 وهم لا يشعرون : بأننا ندبر لهم طريق هلاكهم .
 بيوتهم خاوية : أي فارغة ليس فيها أحد .
 بما ظلموا : أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي .
 لآية : أي عبرة .
 وأنجينا الذين آمنوا : أي صالحاً والمؤمنين .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ومكروا مكرًا﴾^(١) هذا نهاية قصص صالح مع ثمود تقدم أن تسعة رهط من قوم صالح تقاسموا على تبييت صالح والمؤمنين وقتلهم ليلاً ليحولوا في نظرهم دون وقوع العذاب الذي واعدهم به صالح وأنه نازل بهم بعد ثلاثة أيام ، وهذا مكرهم وطريقة تنفيذه أنهم أتوا صالحاً وهو يصلي في مسجد له تحت الجبل فسقطت عليهم صخرة من الجبل فأهلكتهم أجمعين وهكذا مكر الله بهم وهم لا يشعرون به ، ثم أهلك الله القوم كلهم

(١) أكد كل من مكر الله تعالى ومكرهم بالمصدر إشارة إلى تعظيم كل من المكربين والمكر : التبييت الخفي لإرادة السوء بالممكور به فعاملهم الله تعالى بما عزموا على فعله مع صالح وأهله .

بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جائمين . وهو معنى قوله تعالى ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي انظر يا رسولنا كيف كانت نهاية ذلك المكر وعاقبته ﴿أنا دمرناهم﴾ وقومهم أجمعين ﴿فتلك بيوتهم﴾ خاوية بما ظلموا ﴿أي بسبب ظلمهم أنفسهم بالشرك وظلمهم صالحاً والمؤمنين . وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي الإهلاك للرهط التسعة ولشمود قاطبة ﴿لآية﴾ أي علامة على قدرة الله وعلمه وحسن تدبيره ﴿لقوم يعلمون﴾ إذ هم الذين يرون الآية ويدركونها .

وقوله تعالى : ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يريد صالحاً والمؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبصالح نبياً ورسولاً . وكانوا طوال حياتهم يتقون عقاب الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قاعدة : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .
- ٢- تقرير أن ديار الظالمين مآلها الخراب فالظلم يذر الديار بلا قع .
- ٣- تقرير أن الإيمان والتقوى هما سبب النجاة لأن ولاية الله للعبد تتم بهما .

وَلَوْ طَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ

الرِّجَالُ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

ولوط : أي واذكر لقومك لوطاً إذ قال لقومه .

(١) النظر هنا : قلبي ليس بصرياً لعدم وجود الهلكى بين يدي الناظر .

(٢) قرىء (إنا) بكسر الهمزة على الاستئناف البياني ، وقرىء : (أنا) بفتح الهمزة ، فمن فتح الهمزة لا يحسن له الوقف على مكرهم ، ومن كسر الهمزة جاز له الوقف على مكرهم .

(٣) بيوتهم المنحوتة من الجبال ما زالت إلى اليوم ، وقد وقفنا عليها وهي عجب في فن البناء والنحت .

(٤) زيادة كان في قوله : (وكانوا يتقون) للدلالة على أنهم كانوا متمكنين من التقوى التي هي فعل المأمور واجتناب الشرك والمنهي عنه من اعتقاد وقول وعمل وصفة .

- لقومه : هم سكان مدن عمورية وسدوم .
 الفاحشة : أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط .
 وأنتم تبصرون : إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عياناً بلا ستر ولا حجاب .
 قوم تجهلون : أي قبح ما تأتون وما يترتب عليه من خزي وعذاب .

معنى الآيتين :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه اللوطيين فقال تعالى ﴿ولوطاً﴾^(١) أي واذكر كما ذكرت صالحاً وقومه اذكر لوطاً ﴿إذ قال لقومه﴾ منكرأ عليهم موبخاً مؤنباً لهم على فعلتهم الشنعاء ﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أي قبحها وشناعتها ببصائرهم وبأبصاركم حيث كانوا يأتونها علناً وعياناً وهم ينظرون وقوله ﴿أأنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ أي لا للغة والإحصان ولا للولد والإنجاب بل لقضاء الشهوة البهيمية فشأنكم شأن البهائم لا غير . وفي نفس الوقت أذيتهم نساءكم حيث تركتم إتيانهم فهضمتهم حقوقهن . وقوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ أي قال لهم لوط عليه السلام أي ما كان ذلك الشر والفساد منكم إلا لأنكم قوم سوء جهلة بما يجب عليكم لربكم من الإيمان والطاعة وما يترتب على الكفر والعصيان من العقاب والعذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه قوم لوط من الفساد والهبوط العقلي والخلقي .
- ٢- تحريم فاحشة اللواط وأنها أقبح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم .
- ٣- بيان أن الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة ، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد . ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو

(١) أي : اذكر لوطاً أو : أرسلنا لوطاً ، الكل محتمل وجائز .

(٢) هم أهل سدوم وعمورية .

(٣) أعاد ذكرها لفرط قبحها وشناعتها ، والاستفهام للإنكار والتقييح لفعلتهم الشنعاء .

(٤) (تجهلون) : إما أمر التحريم أو العقوبة ، ووصفهم بالجهل ، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماء ، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظراً إلى تعدد مواقف الوعظ والإرشاد .

تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيم للسعادة والكمال.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِذْ قَالَُوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم أخرجوا آل لوط : هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنة وابنتاه .
من قريبتكم : أي مدينتكم سدوم .
يتطهرون : أي يتنزهون عن الأقدار والأوساخ .
قدرناها من الغابرين : أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين .
فساء مطر المنذرين : أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم أنه حجارة من سجيل .

معنى الآيات :

هذه بقية قصص لوط عليه السلام إنه بعد أن أنكر لوط عليه السلام على قومه فاحشة اللواط وأنبئهم عليها، وقبَّح فعلهم لها أجابوه مهددين له بالطرد والإبعاد من القرية كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : فما كان جواب قومه أي لم يكن لهم من جواب يردون به على لوط عليه السلام ﴿إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم﴾ أي إلا قولهم ﴿أخرجوا آل لوط من قريبتكم﴾ . وعللوا لقولهم هذا بقولهم ﴿إنهم أناسٌ يتطهرون﴾ . أي يتنزهون عن الفواحش . قالوا هذا تهكماً ، لا إقراراً منهم على أن الفاحشة قدر يجب التنزه عنه . ولما بلغ بهم الحد إلى تهديد نبي الله لوط عليه السلام بالطرد والسخرية منه أهلكهم الله تعالى وأنجى لوطاً وأهله إلا إحدى امرأته وكانت عجوزاً كافرة وهو معنى قوله تعالى في الآية (٥٧) ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ حكمنا ببقائها مع الكافرين لتهلك معهم . وقوله تعالى في الآية (٥٨) ﴿وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ هو بيان لكيفية إهلاك قوم لوط بأن

(١) أي : عن أدبار الرجال استهزاء منهم : قاله مجاهد ، وقال قتادة : عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء .

(٢) (من الغابرين) قال ابن كثير : أي من الهالكين مع قومها لأنها كانت رداء لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضا بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها على ضيغان لوط ليأتوا إليهم .

أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود فأهلكهم. ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أي قبح هذا المطر من مطر المنذرين الذين كذبوا بما أنذروا به وأصروا على الكفر والمعاصي. وهذا المطر كان بعد أن جعل الله عاليي بلادهم سافلها، أردف خسفها بمطرٍ من حجارة لتصيب من كان بعيداً عن المُدُن.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة أن الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.
- ٢ - بيان سنة أن المرء إذا أذمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده.
- ٣ - سنة إنجاء الله أوليائه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذرين على الكفر والمعاصي.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ

عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
 أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾
 أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
 رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ
 أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ ؕ أَلَيْسَ
 اللَّهُ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي
 ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

(١) الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم.

رَحْمَتِهِ ۖ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ

أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

اصطفى	: أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته .
آله خير	: أي لمن يعبد .
حدائق ذات بهجة	: أي بساكنات ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها .
يعدلون	: أي يبرهنهم غيره من الأصنام والأوثان .
جعل الأرض قراراً	: أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تضطرب بسكانها .
وجعل خلالها أنهاراً	: أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي .
وجعل لها رواسي	: أي جبالاً أرساها بها حتى لا تتحرك ولا تميل .
بين البحرين حاجزاً	: أي فاصلاً لا يختلط أحدهما بالآخر .
ويكشف السوء	: أي الضر، المرض وغيره .
قليلاً ما تذكرون	: أي ماتعظون إلا قليلاً .
بشراً بين يدي رحمته	: أي مبشرة بين يدي المطر إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر .

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : أي : يبدؤه في الأرحام ، ثم يعيده يوم القيامة .
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ : أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً آخر فعل ما ذكر .

معنى الآيات :

لما أخبر الله تعالى رسوله بإهلاك المجرمين ونجاة المؤمنين أمر تعالى رسوله أن يحمده على ذلك تعليماً له ولأمته إذا تجددت لهم نعمة أن يحمدا الله تعالى عليها ليكون ذلك من شكرها قال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) أي الوصف بالجميل لله استحقاقاً .

(١) قال بعضهم : المأمور بالحمد هنا : لوط عليه السلام ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ .

(١) ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ (٢) الله لرسالته وإبلاغ دعوته إلى عباده ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا على ذلك في الحياتين.

وقوله تعالى : ﴿آ الله خير أمّا يشركون﴾ (٣) أي آ الله الخالق الرازق المدبر القوى المنتقم من أعدائه المكرم لأوليائه؛ عبادته خير لمن يعبد به أم عبادة من يشركون. فقلوه ﴿أمن﴾ (٤) خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء ﴿أي لحاجتكم إليه غسلًا وشرابًا وسقيا﴾ ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أي بساتين محدقة بالجدران والحواجز ﴿ذات بهجة﴾ أي حسن وجمال، ﴿ماكان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي لم يكن في استطاعتكم أن تنبتوا شجرها ﴿أإله مع الله﴾ لا والله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ أي يشركون بربهم أصناماً ويسوونها به في العبادات. وقوله تعالى : ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ (٥) أي قارة ثابتة لا تتحرك بسكانها ولا تضطرب بهم فيهلكوا. ﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾ أي فيما بينها. ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي جبلاً تثبتها، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزاً﴾ (٦) حتى لا يختلط الملح بالعذب فيفسده.

﴿أإله مع الله ؟﴾ والجواب : لا والله. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ولو علموا لما أشركوا

(١) أصل السلام : السلامة والأمن ثابتان لمن يسلم عليه عند ملاقاته إذ قد يكون بينهما إحن فكان لفظ السلام كالعهد بالأمان، وقيل : السلام عليكم : كانت تحية البشر في عهد آدم عليه السلام.

(٢) قال بعضهم : الذين اصطفوا هم أمة محمد ﷺ، وقيل : هم الصحابة ورّد هذا بما هو الحق وهو (أن الذين اصطفوا) هم : رسل الله عليهم السلام وفي الآية تعليم أدب رفيع وهو أن من افتتح كلامه مذكراً أو واعظاً أو معلماً دارساً يفتتح كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ.

(٣) (أالله) الاستفهام تقريرى وهو الإلجاء المخاطب إلى الإقرار، وخير هنا : ليست بمعنى أفضل، إذ لا خير البتة في آلهة المشركين وإنما من باب إيهام الخصم بأنه يعترف له بما يعتقد من خير في إلهه، حتى يُضني ويسمع ويتأمل علّه يهتدي أو هو مثل قول الشاعر :

أنهجهو ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

(٤) (أما) أصلها : أم المعادلة للهمزة وما : الموصولية أدغمت فيها أم فصارت أما والعائد محذوف تقديره : تشركونها، أي ألهمتم بالله تعالى.

(٥) (أم) المنقطعة بمعنى بل للاضراب الانتقالي من الاستفهام التهكمي للاستفهام التقريرى أي : الذي خلق السموات وما عطف عليها خير وأحق بالعبادة.

(٦) هذا استئناف كالنتيجة للكلام قبلها لأن إثبات الخلق والرزق لله تعالى بدليل لا يسعهم إلا الإقرار به ينتج أنه لا إله معه ، والاستفهام إنكاري أي : إنكار وجود إله مع الله الخالق الرازق والجواب : لا إله مع الله.

(٧) القرار : مصدر قرّ يقرّ قراراً الشيء : إذا سكن وثبت، وصفت الأرض بالقرار مبالغة في سكونها وثباتها حيث لا تتحرك ولا تضطرب بأهلها على مدى الحياة في حين أنها سابحة في الفضاء متحركة فيه كل لحظة فسبحان الله العليّ القدير العزيز الحكيم.

(٨) إن هذا الحاجز ليس جسماً غير الماء إنما هو تفاوت الثقل النسبي لاختلاف أجزاء الماء المركب منها الماء المالح والماء العذب، فالحاجز حاجز من طعميهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما.

(١) بالله مخلوقاته . وقوله تعالى : ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي ليكشف ضره ﴿ويكشف السوء﴾ أي يبعده والسوء هو ما يسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجذب . ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الموجود خلف لمن سلف وسيكون سلفاً لمن خلف ﴿أإله مع الله والجواب لا إله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ أي ماتتظنون إلا قليلاً بما تسمعون وترون من آيات الله .

وقوله تعالى : ﴿أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في الليل بالنجوم وفي النهار بالعلامات الدالة والهادية إلى مقاصدكم ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي من يرسل الرياح ويرسلها تتقدم المطر وتبشر به ؟ لا أحد غير الله إذاً . . أإله مع الله . والجواب : لا ، لا . . الله وحده الإله الحق وماعده فباطل .

وقوله تعالى : ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين أصناماً لا تبدى ولا تعيد ولا تخلق ولا ترزق ولا تعطي ولا تمنع . وقوله تعالى : ﴿أَمِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي نطقاً في الأرحام ، ثم بعد حياته يميته ، ثم يعيده وهو معنى ﴿ثم يعيده﴾ .

﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات . والجواب : الله إذاً ﴿أإله مع الله﴾ والجواب : لا ، لا وإن قلتم هناك آلهة مع الله ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن غير الله يفعل شيئاً مما ذكر في هذا السياق الكريم .

هداية الآيات :

- ١ - وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر ، والحمد لله رأس الشكر .
- ٢ - مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام .
- ٣ - التنديد بالشرك والمشركين .
- ٤ - تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة .
- ٥ - تقرير عقيدة البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة .
- ٦ - لا تثبت الأحكام إلا بالأدلة العقلية والعقلية .

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ

(١) قال ابن عباس : المضطر هو : ذو الضرورة المجهد ، والضرورة هي : الحال المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول كالجوع والمرض والخوف ونحوهما من العزوبة وقلة ذات اليد .

(٢) الاستفهام توبيخي إنكاري أي : إنكار أن يكون مع الله إله آخر لما قام على ذلك من الأدلة والحجج المذكورة ، وإله مرفوع بما تعلق به الظرف أو بإضمار يفعل ذلك أي : أإله مع الله يفعل ذلك .

فِي شَكِّ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَآؤُنَا أَبْنَاءَ الْمُخْرُجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
 هَذَا النِّحْنَ وَءِذَا بَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

من في السموات والأرض : الملائكة والناس .

الغيب إلا الله : أي ما غاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه .

أَيَّانَ يَبْعَثُونَ : أي متى يبعثون .

بل ادارك علمهم في : أي تلاحق وهو ما منهم أحد إلا يظن فقط فلا علم لهم بالآخرة
 الآخرة بالمرة .

بل هم منها عمون : أي في عمى كامل لا يبصرون شيئاً من حقائقها .

أَتُنَّا لَمُخْرَجُونَ : أي أحياء من قبورنا .

لقد وعدنا هذا : أي البعث أحياء من القبور .

أساطير الأولين : أي أكاذيبهم التي سطورها في كتبهم .

كيف كان عاقبة : أي المكذبين بالبعث كانت دماراً وهلاكاً وديارهم الخاوية شاهدة
 للمجرمين بذلك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ لما سأل المشركون من قريش النبي ﷺ عن الساعة
 أمره تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ ﴾ الخ . . . والساعة من جملة الغيب بل هي
 أعظمه . ﴿ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ من الملائكة ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ من الناس ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي لكن

(١) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها : من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى
 يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وذكر القرطبي ما خلاصته : أن منجماً أتى به إلى الحجاج
 فاعتقله ثم أخذ حصيات فعدها وقال للمنجم : كم من حصيات في يدي فأخبره بعددها ، ثم أخذ أخرى ولم يعددها وسأل
 المنجم عنها فلم يعرف عددها وكرر هذا ثلاث مرات فلم يعرف المنجم فسأله كيف عرفت في الأولى ولم تعرف في غيرها؟
 قال : لأنك لما عددها خرجت من الغيب فعلمتها أما الغيب فلا يعلمه إلا الله .

الله تعالى يعلم غيب السموات والأرض أما غيره فلا يعلم إلا ما علمه الله علام الغيوب .
 وقوله تعالى : ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أي وما يشعر أهل السموات وأهل الأرض متى
 يبعث الأموات من قبورهم للحساب والجزاء وهذا كقوله تعالى في سورة الأعراف .
 ﴿يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات
 والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ .

وقوله تعالى : ﴿بل أذكر علمهم في الآخرة﴾ قرء ﴿بل أذكر علمهم في الآخرة﴾ أي
 بلغ حقيقته يوم القيامة إذ يصبح الإيمان بها الذي كان غيباً شهادة ولكن لا ينفع صاحبه
 يومئذ . وقرء ﴿بل ادرك علمهم﴾ أي علم المشركين بالآخرة . أي تلاحق وأدرك بعضه
 بعضاً وهو أنه لا علم لهم بها بالمرءة . ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿بل هم في شك منها
 بل هم منها عمون﴾ أي لا يرون شيئاً من دلائلها ، ولا حقائقها بالمرءة ويدل على هذا ما أخبر
 به تعالى عنهم من أنهم لا يؤمنون بالساعة بالمرءة في قوله ﴿وقال الذين كفروا أنذا كنا تراباً
 وآبائنا أئنا لمخرجون﴾ أي من قبورنا أحياء . والاستفهام للانكار الشديد ويؤكدون إنكارهم
 هذا بقولهم :

لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل أي من قبل أن يعدنا محمد . ﴿إن هذا﴾ أي الوعد
 بالبعث والجزاء ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أي أكاذيبهم وحكاياتهم التي يسطرونها في الكتب
 ويقرأونها على الناس . وقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق (٦٩) ﴿قل سيروا في الأرض﴾
 أي قل لهم يارسلنا سيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً أو غرباً ﴿فانظروا كيف كان عاقبة
 المجرمين﴾ أي أهلكناهم لما كذبوا بالبعث كما كذبتهم ، فالقادر على خلقهم ثم إمامتهم قادر
 قطعاً على بعثهم وإحيائهم لمحاسبتهم وجزائهم بكسبهم . فالبعث إذاً ضروري لا ينكره ذو
 عقل راجح أبداً .

(١) أصل : (أذكر) : تدارك فسكنت التاء وأدغمت في الدال وجلبت همزة الوصل فصارت : أذكر .

(٢) (عمون) أصلها : عميون : حذف التاء وضمت الميم تخفيفاً ، والمفرد عم .

(٣) قر نافع : (إذا كنا) بدون همزة استفهام ، وبسهولة همزة أي ، وقرأ حفص بهزتين محققين إذا وأئنا .

(٤) جنوباً حيث ديار عاد ، وشمالاً حيث ديار ثمود ، وغرباً حيث مدين والمؤتفكات .

هداية الآيات :

من هدية الآيات :

- ١ - حصر علم الغيب في الرب تبارك وتعالى . فمن ادعى أنه يعلم ما في غد فقد كذب .^(١)
- ٢ - تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة .
- ٣ - المكذبون يوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك .
- ٤ - إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

- ولا تحزن عليهم . الآية : المراد به تسلية الرسول ﷺ .
 مما يمكرون : أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا .
 متى هذا الوعد : أي بعذابنا .
 بعض الذي تستعجلون : وقد حصل لهم في بدر .
 إن الله لذو فضل على الناس : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم .
 ما تكن صدورهم : أي ما تخفيه وتستره صدورهم .
 وما من غائبة : أي ما من حادثة غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين
 هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة .

(١) شاهده حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها وقد تقدم انفا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث الآخر ولقد تقدم تقرير كل من عقيدة التوحيد بأدلة لأترد، وكذا تقرير عقيدة البعث والجزاء ولكن المشركين مازالوا يعارضون ويمانعون بل ويمكرون فلذا نهى الله تعالى رسوله عن الحزن على المشركين في عدم إيمانهم كما نهاه عن ضيق صدره مما يمكرون ويكيدون له ولدعوة الحق التي يدعو إليها. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٠) وأما الآية الثانية والثالثة فإنه تعالى يخبر رسوله بما يقول أعداؤه ويلقنه الجواب. فقال تعالى : (٧١) ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ - أي بالعذاب - ﴿إن كنتم صادقين﴾ - فيما تقولون وتعدون - ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ أي اقترب منكم ودنا وهو ما حصل لهم في بدر من الأسر والقتل هذا مادلت عليه الآيتان (٧١ و ٧٢).

وقوله تعالى : ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ مؤمنهم وكافرهم إذ خلقهم ورزقهم وعافاهم ولم يهلكهم بذنوبهم ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فهاهم أولاً يستعجلون العذاب ويطالبون به ومع هذا يمهلهم لعلهم يتوبون، وهذا أعظم فضل. وقوله تعالى : ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ أي لا يخفى عليه من أمرهم شيء وسيحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ ووعد لهم وتهديد وقوله تعالى : ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾. وهو اللوح المحفوظ أي إن علم ربك أحاط بكل شيء ولا يعزب عنه شيء وهذا مظهر من مظاهر العلم الإلهي المستلزم للبعث والجزاء، إذ لو قل علمه بالخلق لكان من الجائز أن يترك بعضاً لا يبعثهم ولا يحاسبهم ولا يجزيهم.

- (١) الضيق : بفتح الضاد وكسرهما قرأه الجمهور بالفتح، وقرأ غيرهم بالكسر وحقيقة الضيق : عدم اتساع المكان أو الوعاء لما يراد إدخاله فيه، والمراد به هنا الحالة الحرجة التي تعرض للنفس عند كراهية شيء فيحس بضيق في صدره.
- (٢) ومن أعظم مكرمهم به ﷺ حكمهم الجائر بقتله في مكة لولا أن الله أنجاه منهم.
- (٣) الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والآية نزلت في المستهزئين الذين هلكوا بيدر.
- (٤) هذا تفسير لـ(ردف لكم) يقال : ردفه وأردفه : إذا تبعه كتبعه واتبه وردفه وردد له بمعنى قال الشاعر:
عاد السواد بياضاً في مفارقة لا مرحباً بياض الشيب إذ ردف
والشاهد في ردف وأردف : إذا تبع، وقال آخر:
إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا
- (٥) في إدراج الرزق وتأخير العقوبة.

- (٦) قرئ : تكن من كن الشيء يكنه إذا ستره، وقرأ الجمهور (تكن) من أكن الشيء إذا ستره أيضاً.
- (٧) قال الحسن : الغائبة هنا : القيامة، وهو حق ولكن اللفظ أعم إذ هو يشمل كل غيب وهو ما غاب عن الخلق في الأرض أو في السماء، فالله تعالى يعلمه وكيف لا، وقد كتبه في كتاب المقادير والغائبة : اسم للشيء الغائب، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالتاء في الفاتحة، والعاقبة، والمراد ما غاب عن علم الناس، واشتقاقه من الغيب ضد الحضور.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تسلية الرسول ﷺ لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم .

٢ - بيان تعنت المشركين وعنادهم .

٣ - تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون .

٤ - بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سبحانه وتعالى .

٥ - بيان إحاطة علم الله بكل شيء .

٦ - إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ

بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى

الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ

إِذَا وَلَوْ أَمْذَبِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ

تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

يقص على بنى إسرائيل : أي يذكر أثناء آياته كثيراً مما اختلف فيه بنو إسرائيل .

لهدى ورحمة للمؤمنين : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم .

يقضى بينهم بحكمه : أي يحكم بين بنى إسرائيل بحكمه العادل .

وهو العزيز العليم : الغالب على أمره، العليم بخلقه .

فتوكل على الله : أي ثق فيه وفوض أمرك إليه .

إنك لا تسمع الموتى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى .

ولا تسمع الصم الدعاء : أي ولا تقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع.

إذا ولوا مدبرين : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك .
إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ماتسمع إلا من يؤمن بآيات الله .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إن هذا القرآن﴾ الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ [يقصص على بني إسرائيل] المعاصرين لنزوله (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى عليه السلام ووالدته، إذ غلا فيهما البعض وأفرطوا فأهوهما وفطر فيهما البعض فقالوا في عيسى ساحر، وفي مريم عاهرة لعنهم الله، وكاختلافهم في صفات الله تعالى وفي حقيقة المعاد، وكاختلافهم في مسائل شرعية وأخرى تاريخية . وقوله تعالى : ﴿وإنه لهدى ورحمة﴾ أي وإن القرآن الكريم لهدى، أي لهادٍ لمن آمن به إلى سبيل السلام ورحمة شاملة ﴿للمؤمنين﴾ به، العاملين بما فيه من الشرائع والآداب والأخلاق . وقوله تعالى : ﴿إن ربك﴾ أي أيها الرسول ﴿يقضي بينهم﴾ أي بين الناس من وثنيين وأهل كتاب يوم القيامة بحكمه العادل الرحيم، ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي ينفذ حكمه فيمن حكم له أو عليه ﴿العليم﴾ بالمحقين من المبطلين من عباده فلذا يكون حكمه أعدل وأرحم ولذا ﴿فتوكل على الله﴾ أيها الرسول بالثقة فيه وتفويض أمرك إليه فإنه كافيك . وقوله : ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي إنك يارسلنا على الدين الحق الذي هو الإسلام وخصومك على الباطل فالعاقبة الحسنى لك، لا محالة . وقوله تعالى : ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾ والكفار موتى بعدم وجود روح الإيمان في أجسامهم والميت

(١) هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لكل شك في توحيد الله وفي البعث الآخر وفي نبوة رسوله محمد ﷺ فمن قال: كيف يكون لا إله إلا الله وكيف يكون البعث وكيف يكون محمد رسولاً؟ فالجواب: أن هذا القرآن العظيم أكبر برهان وأعظم دليل على صدق تلك القضايا الثلاث: التوحيد، والبعث، والنبوة.

(٢) هذا التوكيد بأن في المواطن الثلاثة: (إن هذا القرآن) و(إنه لهدى) (إن ربك يقضي) تطلبه الابتداء من جهة وشأن الاخبار من جهة أخرى . لأن عادة الإنسان إذا أخبر بخبر ذي شأن يتساءل في نفسه عن صحته وعدمها فيتعين التأكيد له .

(٣) خصّ المؤمنون بالذكر دون الكافرين لأنهم هم المتفعون به .

(٤) جائز أن يكون المراد من الحكم: الحكمة، أي: يحكم بينهم بالحكمة التي تضع كل شيء في موضعه فلا يحدث حيف ولا جور . وإطلاق الحكم على الحكمة كثير في القرآن منه: (وآتياء الحكم صبيها) ويجوز أن يكون الحكم على ظاهره أو يحكم بينهم بحكمه المعروف بالعدل والنزاهة من الحيف والجور والخطأ .

(٥) الفاء تفريعية أي: فبناء على عزة الله وعلمه فتوكل عليه ولا تخف فإنه لعزته وعلمه لا يضيعك ولا يهمل شأنك .

لا يسمع فلذا لا تقدر على إسماع هؤلاء الكافرين الأموات^(١)، كما انك ﴿لا تسمع الصم﴾ أي الفاقدين لحاسة السمع ﴿الدعاء﴾ أي دعاءك ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي إذا رجعوا مدبرين غير ملتفتين إليك. ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ التي يعيشون عليها فهون على نفسك ولا تكرب ولا تحزن ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي ماتسمع إسماع تفهم وقبول إلا المؤمنين بآيات الله، ﴿فهم مسلمون﴾ أي فهم من أجل إيمانهم مسلمون أي منقادون خاضعون لشرع الله وأحكامه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - شرف القرآن وفضله.

٢ - لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا اهدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

٣ - كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفى كلامه أو عليه وهو العزيز العليم.

٤ - الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون الآيات مهما كانت واضحات.

فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعائهم.

❖ وَإِذَا

وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ
قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تَحْطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(١) احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على عدم إسماع النبي ﷺ موتى بدر لما قيل لها في ذلك ورد عليها قولها إذ استعملت القياس العقلي مع وجود النص ولا قياس مع النص فقد صح أنه ﷺ ناداهم وهم في القلب وقال لهم (أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً. فقيل: يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وتندما وقد خصصت هذه الآية بإسماع أهل القبور. سلام من سلم عليهم.

﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لَيْلٍ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .
دابة من الأرض : حيوان يدب على الأرض لم يرد وَصَفُهَا في حديث صحيح يعول عليه ويقال به ^(١) .

تكلم الناس : بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات .
أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون : أي بسبب أن الناس أصبحوا لا يؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فيبلون بهذه الدابة .

ويوم نحشر : أي اذكر يوم نحشر أي نجمع .
من كل أمة فجأة : أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا .
فهم يوزعون : أي يجمعون برد أولهم على آخرهم .
حتى إذا جاءوا : أي الموقف مكان الحساب .
وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .
بما ظلموا : أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى .
فهم لا ينطقون : أي لاحجة لهم .
والنهار مبصرًا : أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي حق العذاب على الكافرين حيث لم يبق في

(١) مثل تلك الأحاديث : حديث حذافة ونصه : كما رواه أبو داود الطيالسي قال : (ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - مكة - ثم تكمن زمانا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفسوا ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة . قال رسول الله ﷺ ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغوبين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلبت رجومهم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسّمه في وجهه ثم تنطلق فتتميز الكافر من المؤمن) .

الأرض من يأمر بمعروف ولا من ينهى عن منكر ﴿أخرجنا لهم﴾ لفتنتهم ﴿دابة من الأرض﴾ حيوان أَرْضِي ليس بسماوي ﴿تكلمهم﴾ أي بلسان يفهمونه، ﴿أن الناس^(١) كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ هذه علة تكليمهم وهي بأن الناس كفروا وما أصبحوا يوقنون بآيات الله وشرائعه فيخرج الله تعالى هذه الدابة لِحِكْمٍ منها: أن بها يتميز المؤمن من الكافر. وقوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي واذكر يارسولنا ﴿يوم نحشر من كل أمة﴾ من الأمم البشرية ﴿فوجاً﴾ أي جماعة ﴿ومن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ بأن يرد أولهم على آخرهم لينتظم سيرهم ﴿حتى إذا جاءوا﴾ الموقف موضع الحساب يقول الله تعالى لهم: ﴿أكذبتم بآياتي﴾ وما اشتملت عليه من أدلة وحجج وشرائع وأحكام ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾، وهذا تقريع لهم وتوبيخ. إذ كون الانسان لم يحط علماً بشيء لا يجوز له أن يكذب به لمجرد أنه ما عرفه. وقوله: ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي ما الذي كنتم تعملون في آياتي من تصديق وتكذيب. قال تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي وجب العذاب ﴿بما ظلموا﴾ أي بسبب ظلمهم^(٢) ﴿فهم لا ينطقون﴾. أي بعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم لأنهم ظلموا مشركون. وقوله تعالى: ﴿ألم يروا﴾ أي ألم يبصر أولئك المشركون المكذبون بالبعث والجزاء أن الله تعالى جعل ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ وسكونهم هو موتهم على فرشهم بالنوم فيه ﴿والنهار﴾ أي وجعل ﴿النهار مبصراً﴾ أي يبصر فيه ليتصرفوا فيه بالعمل لحياتهم، فنوم الليل شبيه بالموت وانبعاث النهار شبيه بالحياة، فهي عملية موت وحياة متكررة طوال الدهر فكيف ينكر العقلاء البعث الآخر وله صورة متكررة طوال الحياة، ولذا قال تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ أي في ذلك العمل المتكرر للموت والحياة كل يوم وليلة ﴿لآيات﴾ أي براهين وحجج قاطعة على وجود بعث وحياة بعد هذا الموت والحياة. وخص المؤمنين بالذكر وبالوصول على البرهان المطلوب من عملية الليل والنهار لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويبصرون ويفكرون والكافرين أموات والميت لا يسمع ولا يبصر ولا يعي ولا يفكر.

(١) قرأ نافع بكسر إن، والجملة تعليلية لما قبلها، وقرأ حفص بفتحها على تقدير حرف جر قبلها بأن أو لأن للسببية أو التعليل.

(٢) أي: بشركهم إذ الشرك أعظم أنواع الظلم وهو الموجب لدخول النار والخلود فيها.

(٣) الاستفهام هنا للتعجب من حالهم كيف لا يبصرون آيات الله في الكون فتهدبهم إلى توحيد الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج ، وعما قريب تخرج ، وذلك يوم لا يبقى من يأمر بالمعروف ولا من ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين .
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها .
- ٣ - ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون .
- ٤ - في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ
 دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
 صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
 مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--------------------------|---|
| ويوم ينفخ في الصور | : أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور . |
| وكل أتوه داخرين | : أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله عز وجل داخرين أي أذلاء صاغرين . |
| وترى الجبال تحسبها جامدة | : أي تظنها في نظر العين جامدة . |
| وهي تمر مر السحاب | : وذلك لسرعة تسيرها . |

من جاء بالحسنة : وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات .
 فله خير منها : أي الجنة .
 ومن جاء بالسيئة : أي الشرك والمعاصي فله النار يكب وجهه فيها .
 وهم من فزع يومئذ آمنون : أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع هول يوم القيامة .
 ومن جاء بالسيئة فكبت : أي جاء بالسيئة كالشرك وأكل الربا، وقتل النفس، فكبت وجوههم في النار والعياذ بالله أي القوافيها على وجوههم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون : أي ما تجزون إلا بعملكم، ولا تجزون بعمل غيركم .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الباعث على الاستقامة في الحياة . فقال تعالى ﴿ ويوم^(١) ينفخ في الصور ﴾ أي ونفخ إسرافيل بإذن ربه في الصور الذي هو القرن أو البوق ﴿ ففزع^(٢) من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ وهي نفخة الفزع فتفزع لها الخلائق إلا من استثنى الله تعالى وهم الشهداء فلا يفزعون وهي نفخة الفناء أيضاً إذ بها يفنى كل شيء ، وقوله تعالى ﴿ وكل أتوه ﴾ أي أتوا الله تعالى ﴿ داخرين ﴾ أي صاغرين ذليلين أتوه إلى المحشر وساحة فصل القضاء وقوله ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ أي لا تتحرك وهي في نفس الواقع تسير سير السحاب ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ أي أوثق صنعه وأحكمه ﴿ إنه خير بما تفعلون ﴾ وسيجزيكم أيها الناس بحسب علمه ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿ فله خير منها ﴾ ألا وهي الجنة ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ وهي الشرك والمعاصي ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ فذلك

(١) العامل في الظرف محذوف للعلم به أي : وأذكر يوم ينفخ في الصور، والنافخ هو اسرافيل عليه السلام .

(٢) للفزع معنيان، وكلاهما صالح لدلالة هذا اللفظ عليه، الأول : الفزع بمعنى الإسراع : لنداء الداعي، والثاني الخوف والهلع .

(٣) قرأ حفص (وكل أتوه) بالفعل الماضي، وقرأ نافع (أتوه) باسم الفاعل أي : آتون إليه جمع آت .

(٤) قيل : إن قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) هو خطاب للنبي ﷺ خاصة أطلعه فيه على سر من أسرار الكون ولم يبح به لعجز الناس عن إدراكه في ذلك الزمن وحقيقته : أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل يوم وليلة، ودورتها هي تسير معها الجبال فيها قطعاً فيرى المرء الجبال يحسبها جامدة وهي تمر مع الأرض مر السحاب والمرور غير السير فالسير يوم الفناء أما المرور يقال : مر بفلان يحمله معه ولا يقال سار به . وشرح هذا المعنى قوله بعد : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) .

(٥) الصنع مصدر صنع الشيء يصنعه صنعاً .

جزاء من جاء بالسيئة .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) أي لا تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من خير وشر وقد تم الجزاء بمقتضى ذلك فقوم دخلوا الجنة وآخرون كبت وجوههم في النار .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة .
- ٢ - بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان .
- ٣ - فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون .
- ٤ - تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة ، حسنة التوحيد وسيئة الشرك .

إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايِنُهُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|---|
| هذه البلدة | : أي مكة المكرمة والاضافة للتشريف . |
| الذي حرّمها | : أي الله الذي حرم مكة فلا يختل خلاها ولا ينفر صيدها ولا يقاتل فيها . |
| من المسلمين | : المؤمنين المتقادين له ظاهراً وباطناً وهم أشرف الخلق . |
| وأن أتلو القرآن | : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً . |

(١) الاستفهام للنفي كما في التفسير .

سيريكم آياته : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه عند الموت .
ومارباك بغافل عما يعملون : أي ومارباك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزئهم بعملهم .

معنى الآيات :

إنه بعد ذلك العرض الهائل لأحداث القيامة والذي المفروض فيه أن يؤمن كل من شاهده ولكن القوم ما آمن أكثرهم ومن هنا ناسب بيان موقف الرسول ﷺ وهو أنه عبد مأمور بعبادة ربه لا غير ربه الذي هورب هذه البلدة الذي حرّمها فلا يقاتل فيها ولا يصاد صيدها ولا يختل خلاها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن يعرفها، وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً فليس لغيره معه شيء في العوالم كلها علوّها وسفليها وقوله : ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي وأمرني ربي أن أكون في جملة المسلمين أي المنقادين لله والخاضعين له وهم صالحو عباده من الأنبياء والمرسلين . وقوله : ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي وأمرني أن أتلو القرآن تلاوة إنذار وتعليم وتعبداً وتقرباً إليه تعالى وبعد تلاوتي فمن اهتدى عليها فعرف طريق الهدى وسلكه فنتائج الهداية وعائدها عائد عليه هو الذي ينتفع بها . ومن ضل فلم يقبل الهدى وأقام على ضلالته فليس علي هدايته لأن ربي قال لي قل لمن ضل ﴿إنما أنا من المُنذرين﴾ لا من واهبي الإيمان والهداية إنما يهب الهداية ويمن بها الله الذي بيده كل شيء ﴿وقل الحمد لله﴾ وأمرني أن أحمده على كل ما وهبني من نعم لاتعد ولا تحصى ومن أجلها إكرامه لي بالرسالة التي شرفني بها على سائر الناس فالحمد لله والمنة له وقوله ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أي وأعلم هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكم آياته في مستقبل أيامكم وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم «ذوقوا عذاب الحريق» وقوله تعالى ﴿ومارباك بغافل عما تعملون﴾ أي ومارباك الذي أكرمك وفصلك أيها الرسول ﴿بغافل عما تعملون﴾ أيها الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين وسيجزى كلّ بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ففي الآية وعد ووعيد .

(١) قرأ ابن عباس رضي الله عنهما : (ربّ هذه البلدة التي حرّمها) نعتاً للبلدة . وقرأ الجمهور الذي وهو في موضع نصب نعت لربّ .

(٢) أي : في أنفسكم وفي غيركم كما قال تعالى : (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) من سورة فصلت .

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور بناء الخطاب ، وقرأ غيرهم بباء الغيبة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- بيان وظيفة الرسول ﷺ وأنها عبادة الله والإسلام له ، وتلاوة القرآن إنذاراً وإعذاراً وتعليماً وتعبداً به وتقرباً إلى منزله عز وجل .

٢ - بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم .

٣ - النذب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة ولاسيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها .

٤ - بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيراً كانت أو شراً .

٥ - بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما أعلم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب ، فظهر كما أخبر .

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية

واياتها ثمان وثمانون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَّكَانًا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

- طسم : هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ : طاء، سين، ميم .
 تلك : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم .
 نتلو عليك : أي نقرأ عليك قاصين شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبرهما .
 لقوم يؤمنون : أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة .
 علا في الأرض : أي تكبر وظلم فادعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيعاً .
 شيئاً : أي طوائف بعضهم عدو لبعض من باب فَرَّقَ تَسُدُّ .
 ويستحي نساءهم : أي يبقي على النساء لا يذبح البنات لأنه لا يخاف منهن ويذبح الأولاد خوفاً مستقبلاً على ملكه منهم .
 ونريد أن نمن : أي ننعم على الذين استضعفوا فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين .
 ما كانوا يحذرون : من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم .

معنى الآيات :

«طسم» : هذا اللفظ الله أعلم بمراده منه ، وقد أفاد فائدتين عظيمتين الأولى هي إعجاز القرآن الموجب للإيمان به وبمنزلة من أنزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ وذلك أن هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بسورة مثله قد تألف من مثل هذه الحروف المقطعة فدل ذلك على أنه كلام الله ووحيه .

والثانية أنه لما خاف المشركون من تأثير القرآن على نفوس السامعين له وأمروا باجتناب سماعه واستعملوا وسائل شتى لمنع الناس في مكة من سماعه كانت هذه الحروف تضطرهم إلى السماع لغرابتها عندهم فإذا قرأ القارئ طسم وجد احدهم نفسه مضطراً إلى السماع ، فإذا ألقى سمعه نفذ القرآن إلى قلبه فاهتدى به إن شاء الله تعالى له الهداية كما حصل لكثيرين منهم .

وقوله تعالى : ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين أي القرآن المبين

للهدى من الضلال والخير من الشر والحق من الباطل ، وقوله ﴿نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ أي نقرأ قاصين عليك أيها الرسول شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبر موسى^(١) وفرعون وقوله ﴿لقوم يؤمنون﴾^(٢) باعتبارهم أنهم هم الذين ينتفعون بها يسمعون في حياتهم ولأنهم في ظرف صعب يحتاجون معه إلى سماع مثل هذا القصص ليثبتوا على إيمانهم حتى ينصرهم الله كما نصر الذين من قبلهم بعد ضعف كان أشد من ضعفهم وقوله تعالى : ﴿إن فرعون . . .﴾ إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين ، يخبر تعالى فيقول : ﴿إن فرعون . . .﴾ إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد بن الريان الطاغية المدعى الربوبية والألوهية ﴿علا في الأرض﴾ أي أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلب^(٣) وقوله ﴿وجعل أهلها﴾ أي أهل تلك البلاد المصرية ﴿شيعاً﴾ أي طوائف فرق بينها إبقاء على ملكه على قاعدة فرق تسد المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم وقوله ﴿يستضعف طائفة﴾ من تلك الطوائف وهي طائفة بني إسرائيل وكيفية استضعافهم أنه يذبح أبناءهم ساعة ولادتهم ﴿ويستحي نساءهم﴾ أي بناتهم ليكبرن للخدمة وتذبيح الأولاد سببه ان كهانه وسياسييه أعلموه أن ملكه مهدد بوجود بني إسرائيل أقوياء كثر في البلاد فاستعمل طريقة تقليلهم والحد من كثرتهم بذبح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لا يشعرون .

وقوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه ﴿من المفسدين﴾ أي في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لا توصف .

وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ أي ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ أي من بعض خبرهما أنا نريد أي أردنا أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أرض مصر وهم بنو إسرائيل ، نمن عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون وتسلبه ونجعلهم قادة في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لحكم البلاد وسياستها بعد إهلاك فرعون وجنوده وهو معنى قوله :

(١) مفعول (نتلوا) محذوف تقديره نتلوا عليك كلاماً من نبأ موسى .

(٢) وقارون أيضاً حيث ذكر خبره في آخر هذه السورة .

(٣) اللام في (القوم) للتعليل أي : نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون .

(٤) وحسبه أن ادعى الألوهية والربوبية وأنه ابن الشمس .

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾. وقوله ﴿ونري فرعون﴾ أي من جملة ما نلتو عليك أنا أردنا أن نري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ أي من بني إسرائيل ما كانوا يحذرونه من مولود يولد في بني إسرائيل فيذهب بملك فرعون وذلك بما سيذكر تعالى من أسباب وترتيبات هي عجب !

تبتدىء من قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى . . .﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنه كتاب الله حقاً .
- ٢ - تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الالهي .
- ٣ - التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض .
- ٤ - المؤمنون هم الذين ينتفعون بما يتلى عليهم لحياة قلوبهم .
- ٥ - تقرير قاعدة لاحذر مع القدر .
- ٦ - تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بأن لا يزيد على عدد معين من الأطفال .

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ

أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْقَاسِيَةُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ

(١) المراد من الأرض أرض الشام حيث ورثهم أرض الكنعانيين وهم الذين كانوا يعرفون بالجبابرة . أما أرض مصر فإن بني إسرائيل لم يرجعوا إليها بعد أن خرجوا منها هكذا يرى بعضهم وأكثر المفسرين أن بني إسرائيل عادوا إلى أرض مصر وملكوها وسادوا أهلها، والله أعلم .

(٢) قرأ الجمهور (ونرى) بنون العظمة والتكلم، وقرأ بعض (ويرى) بياء الغيبة أي : ويرى فرعون وجنوده .

(٣) الجنود : جمع جند، والجند لفظ دال على جمع ولا واحد له ومعناه : الجماعة من الناس تجتمع على أمر تتبعه .

أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ
رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهٖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

وأوحينا إلى أم موسى : أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بد منها
ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم .
في اليم : أي في البحر وهو نهر النيل .
ولا تخافي ولا تحزني : أي لا تخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه ، إنا رادوه إليك .
فالتقطه آل فرعون : أي أعوانه ورجاله .
ليكون لهم عدواً وحزناً : أي في عاقبة الأمر ، فاللام للعاقبة والصيرورة .
قرة عين لي ولك : أي تقربه عيني وعينك فنفرح به ونُسّر .
وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً : أي من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لا تفكر في شيء
إلا فيه .
إن كادت لتبدي به : أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك .
وقالت لأخته قصيه : أي اتبعني أثره حتى تعرفي أين هو .
فبصرت به عن جنب : أي لاحظته وهي مخفيه تتبعه من مكان بعيد .

معنى الآيات .:

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل
بلغ عشرات السنين . بدأ تعالى بقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ ^(١) أي أعلمناها من
طريق الإلقاء في القلب ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني
إسرائيل المذكور في هذه السنة ﴿فألقيه في اليم﴾ أي بعد أن تجعله في تابوت أي صندوق

(١) اختلف هل كان هذا الوحي إلهاماً أو كان مناماً أو أتاها ملك؟ والأقرب أنها أتاها ملك مع الإجماع أنها لم تكن نبية وإنما
أرسل إليها الملك فكلّمها على نحو تكليم الملك للأفرع والأبرص والأعمى في حديث الصحيحين ، ولم يعرف لها اسم
على الصحيح ، وقال السهيلي اسمها يارخت .

(١) خشب مطلي بالقار، ﴿ولانتخاف﴾ عليه الهلاك ﴿ولانتخزي﴾ على فراقك له ﴿إنا رادوه إليك﴾ لترضعيه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ ونرسله إلى عدوكم فرعون وملائته. قال تعالى : ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أي فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي النيل ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ حيث وجدوه لقطه فأخذوه وأعطوه لأسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون. وقوله تعالى : ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ هذا باعتبار ما يؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك ولكن شاء الله ذلك فكان لهم ﴿عدواً وحزناً﴾ فعاداهم وأحزنهم.

وقوله تعالى : ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين بالكفر والظلم ولذا يكون موسى لهم عدواً وحزناً. وقوله تعالى : ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ قالت هذا حين هم فرعون بقتله لما انتف موسى لحيته وهورضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشام فرعون وأمر بقتله فاعتذرت أسية له فقالت هو ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا وقولها «عسى أن ينفعنا» في حياتنا بالخدمة ونحوها «أو نتخذها ولداً» وذلك بالتبني وهذا الذي حصل ، فكان موسى إلى الثلاثين من عمره يعرف بإبن فرعون وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بما سيكون من أمره وأن هلاك فرعون وجنوده سيكون على يده .
وقوله تعالى : ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي من أي شيء إلا من موسى وذلك بعد أن ألقته في اليم .

وقوله ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي لتصرخ بأنه ولدها وتظهر ذلك من شدة الحزن لكن الله تعالى ربط على قلبها فصبرت لتكون بذلك من المؤمنين بوعد الله تعالى لها بأن يرد إليها ويجعله من المرسلين .

وقوله تعالى : ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي تتبعي أثره وذلك عندما ألقته في اليم وقوله

(١) حكى الأصمعي أنه سمع جارية اعرابية تشد وتقول :

استغفر الله لذنبي كله قُلتُ إنساناً بغير حلة

مثل الغزال ناعماً في دله فانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها : قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت : أو يعدّ هذا فصاحة مع قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى) إلى (إنا رادوه إليك) أي : جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وشاريتين .

(٢) هذه اللام تسمى لام العاقبة والصيرورة على حد قول الشاعر :

وللمنايا تربي كل مرضعة ودورنا لخراب الدهر نبيها

(٣) الحزن : محرّك الوسط كالحزن بإسكانها وضم الحاء مثل الرشد والرشد والعدم والعدم والسقم والسقم لغات .

(٤) اسمها مريم بنت عمران فاتحدت معها مريم أم عيسى في اسمها واسم أبيها عليهم السلام وقيل اسمها كندم في رواية مرفوعة ضعيفة .

﴿فبصرت به عن جنب﴾^(١) أي رآته من بُعد فكانت تمشي على شاطئ النهر وتلاحقه النظر من بعد حتى رآته انتهى إلى فرع الماء الذي دخل إلى قصر فرعون فعلمت أنه قد دخل القصر. وقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يشعرون أنها أخته لما كانت تلاحقه النظر وتتعرف إليه من بعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان تدبير الله تعالى لأوليائه وصالحى عباده وتجلي ذلك فى الوحي إلى أم موسى بارضاعه وإلقائه فى البحر والتقاط آل فرعون له ليتربى فى بيت الملك عزيزاً مكرماً.
- ٢ - بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلي ذلك فيما حل بفرعون وهامان وجنودهما.
- ٣ - فضيلة الرجاء تجلت فى قول آسية «قرة عين لى ولك» فقال فرعون : أمالى فلا . فكان موسى قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون .
- ٤ - بيان عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلا من موسى .
- ٥ - بيان عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول هو ولدى ليمضى وعد الله تعالى كما أخبرها . والحمد لله رب العالمين .

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾^(١٢)
 فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
 أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣)
 وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَّا هُكْمًا وَعَلَّمْنَا كَذَلِكَ فَنَجَّيْنَا
 الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْغَدْوَةِ

(١) (عن جنب) أي : من مكان جنب أي : جانب وناحية قال قتادة : تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده .

فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ وَرَأَيْتُكُمْ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- وحررنا عليه المراضع : أي منعناه من قبول ثدي أيّة مرضعة .
 من قبل : أي من قبل رده إلى أمه .
 فقالت هل أدلكم على : أي قالت أخت موسى .
 أهل بيت يكفلونه لكم : يضمونه إليهم ، يرضعونه ويربونه لكم .
 وهم له ناصحون : أي لموسى ناصحون ، فلما قالوا لها إذا كنت أنت تعرفينه ، قالت لا ، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد .
 فرددناه إلى أمه : أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته .
 ولتعلم أن وعد الله حق : إذ أوحى إليها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين .
 ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسى ولا يعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه .
 ولما بلغ أشده واستوى : أي ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله .
 آتيناه حكماً وعلماً : أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبا ويرسل .
 ودخل المدينة : مدينة فرعون وهي مُنْفُ بعد أن غاب عنها مدة .
 على حين غفلة من أهلها : لأن الوقت كان وقت القيلولة .
 هذا من شيعته : أي على دينه الإسلامي .
 وهذا من عدوه : على دين فرعون والأقباط .
 فوكزه موسى فقضى عليه : أي ضربه بجمع كفه فقضى عليه أي قتله .
 هذا من عمل الشيطان : أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .
 إنه عدو مضل مبين : أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى ، مبين ظاهر الإضلال .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون : إنه بعد أن التقط آل فرعون موسى من النيل وهو رضيع قدموا له المراضع فرفضهن مرضعة بعد أخرى ، فاختار آل فرعون لحبهم لموسى لأن الله تعالى ألقى عليه محبة منه فما رآه أحد إلا أحبه وهذا معنى قوله تعالى في الآية (١٢) ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل رده إلى أمه . وقوله : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ هذه أخته وقد أمرتها أمها أن تقص آثار موسى وتتبع أخباره فلما علمت أن أخاها لم يقبل المراضع وأن القصر في قلق من جراء عدم رضاع موسى تقدمت وقالت ما أخبر الله تعالى به عنها في قوله : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ ويرضعونه ويحفظونه حتى تنتهي مدة رضاعته ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وهنا ارتابوا في أمرها واستنطقوها واتهموها بأنها تعرفه فقالت : لا أعرفه ، إنما عنيت ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ أن أهل هذا البيت ناصحون للملك وهنا استجابوا لها فأنت به أمه فما إن رآها حتى رمى نفسه عليها وأخذ ثديها يمتصه فقالوا لها : ماسر قبوله هذه المرأة فأجابته : بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذنوا لها في إرضاعه في بيتها فعادت به وهو معنى قوله تعالى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أي تفرح وتسر ولا تحزن على فراقه ، ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إذ وعدها بأنه راده إليها . وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها أمه ولا أن الله وعدها بأن يردها إليها . وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ أي موسى ﴿أَشَدَّهُ﴾ أي اكتمال شبابه وهو ثلاثين سنة . ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي حكمة وهي الإصابة في الأمور ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً في الدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل . وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي كما جزينا أم موسى وولدها موسى نجزي المحسنين وقوله

(١) هذا التحريم ليس التحريم الشرعي وإنما هو بمعنى المنع فقط لعدم تكليف الطفل وشاهده قول امرئ القيس :

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام

والمراضع : جمع مرضع بدون تاء إذ ليس في الذكور من يرضع فيفرق بينهما بالتاء .

(٢) الجملة في محل نصب حالية .

(٣) الفاء للعطف والتفريع ، إذ قوله تعالى : (فرددناه إلى أمه) متفرع من قوله (هل أدلكم على أهل بيت) إلى قوله (ناصرحون) .

(٤) قال مالك وربيعة شيخه : الأشد : الحلم لقوله تعالى : (حتى إذا بلغوا النكاح) وهو أول الأشد وأقصاه أربع وثلاثون سنة . واستوى : أي : بلغ أربعين سنة .

(٥) جزاها على استسلامها لأمر ربها وصبرها على فراق ولدها إذ ألقته في اليم وعلى تصديقها بوعد ربها ، ومما جزاها به رده ولدها إليها مصحوباً بالتحف والظرف وهي أمنة ووهب ولدها الحكمة والعلم والنبوة .

تعالى : ﴿ودخل المدينة﴾ أي موسى دخل مدينة مُنْفُ^(١) التي هي مدينة فرعون وكان غائباً فتسرة . ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ لأن الوقت كان وقت القيلولة . ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ على دين موسى وبني إسرائيل وهو الإسلام ﴿وهذا من عدوه﴾ لأنه على دين فرعون والأقباط وهو الكفر . ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ أي طلب غوثه على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله ودفنه في الرمال . وقوله تعالى : ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ أي هذا قول موسى عليه السلام اعترف بأن ضربه القبطي كان من تهيج الشيطان لغضبه فقال : ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو﴾ للإنسان ﴿مضل﴾ له عن طريق الخير والهدى ﴿مبين﴾ أي ظاهر العداوة للإنسان والإضلال .

وقوله تعالى : ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي دعا موسى ربه معترفاً بخطئه أولاً فقال : ﴿رب﴾ أي يارب ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي بقتلي القبطي ﴿فاغفر لي﴾ هذا الخطأ ، فاستجاب الله تعالى وغفر له ، إنه تعالى هو الغفور لذنوب عباده التائبين له الرحيم بهم فلا يعذبهم بذنب تابوا منه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حسن تدبير الله تعالى في منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمه .
- ٢ - بيان حسن رد الفتاة على التهمة التي وجهت إليها وذلك من ولاية الله لها وتوفيقه .
- ٣ - تقرير أن وعد الله حق ، وأنه تعالى لا يخلف الوعد ولا الميعاد .
- ٤ - بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة .
- ٥ - مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم .
- ٦ - وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل ، وأول التوبة الاعتراف بالذنب .

(١) وقيل : منفيس : قاعدة مصر الشمالية ، وقوله : ﴿ودخل المدينة﴾ هذا عطف جزء القصة على جزئها السابق وهو من قوله : ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ وأين كان موسى ؟ قطعاً كان غائباً عن المدينة لأمر من الأمور اقتضى غيابه .

(٢) لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها ، وفرض في جميع الشرائع .

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
الَّذِي اسْتَنْصَرُ بِهٖ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ
يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

- بما أنعمت على : بإنعامك على بمغفرة ذنبي .
فلن أكون ظهيراً للمجرمين : أي معيناً لأهل الإِجرام .
خائفاً يترقب : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .
استنصره بالأمس : أي طلب نصرته فنصره .
يستصرخه : أي يستغيث به على قبضي آخر .
إنك لغوي مبين : أي لذنو غواية وضلال ظاهر .
أن يبطش بالذي هو عدو لهما : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معاً .
إن تريد إلا أن تكون جباراً : أي ماتريد إلا أن تكون جباراً تضرب وتقتل ولا تنبالي بالعواقب .
من المصلحين : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا .

وجاء رجل من أقصى المدينة : أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينة .
 إن الملائكة يأتون بك : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك .
 فاخرج إني لك من الناصحين : أي اخرج من هذه البلاد إلى أخرى .
 فخرج منها خائفاً يترقب : خائف من القتل يترقب ما يحدث له .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن موسى عليه السلام قد قتل قبطياً بطريق الخطأ وأنه اعترف لربه تعالى بخطئه واستغفره، وأن الله تعالى غفر له وأعلمه بذلك بما شاء من وسائل، ولما علم موسى بمغفرة الله تعالى له عاهده بأن لا يكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ مستقبلاً ومن ذلك أن يعتزل فرعون وملائته لأنهم ظالمون مجرمون فقال :

﴿رب بما أنعمت علي﴾ أي بمغفرتك لي خطيائي وذلك بالنظر إلى إنعامك علي بالمغفرة أعاهدك أن لا أكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ هذا مادلت عليه الآية (١٧) أي الأولى في هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وقوله تعالى : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ أي فأصبح موسى في مدينة (مُثْنُ) عاصمة المملكة الفرعونية «خائفاً» مما قد يترتب على قتله القبطي «يترقب» الأحداث ماذا تسفر عنه؟ فإذا الذي يستنصره بالأمس وهو الإسرائيلي الذي طلب نصرته أمس ﴿يستصرخه﴾ أي يستغيثه بأعلى صوته فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلصه قائلاً : ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي لذنو غواية بينة والغواية الفساد في الخلق والدين لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضاً . فلما أن أراد أن يبطش ﴿أي موسى﴾ بالذي هو عدو لهما ﴿وهو القبطي﴾ قال الإسرائيلي ﴿أتريد

-
- (١) يرى بعضهم أن موسى لم يعلم بمغفرة الله تعالى له لأنه لم يكن قد نُبئ بعد وجعل جملة (فغفر له) معترضة وقوله : (بما أنعمت علي) بالهداية والحكمة والعلم لا بالمغفرة لأنه لم يعلم بها . وما في التفسير أظهر وأولى بالسياق .
- (٢) إن قتل موسى للقبطي كان قطعاً خطأ، روى مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال : يا أهل العراق ما أسألکم عن الصغيرة وأركبکم للكبيرة لما سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الفتنة تجيء من ها هنا . وأوماً بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل : (وقلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) .
- (٣) قال ابن عباس : لم يستثن فابتلى من ثاني يوم . هذا إن قلنا : إن كلامه كان خبراً لأدعاء إذ الدعاء لا يجوز الاستثناء فيه لا يقال : ارحمني إن شئت .

أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ﴿ أي تضرب وتقتل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك ﴾ وماتريد أن تكون من المصلحين ﴿ الذين يصلحون بين المتخاصمين قال الإسرائيلي هذا لأنه جبان وخاف من هجمة موسى ظاناً أنه يريد هوما قدم له من القول ﴾ إنك لغوي مبين ﴿ فلما سمع القبطي ما قال مقاتله الإسرائيلي نقلها إلى القصر وكان من عماله فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون إلى ظروفها ونتائجها وما يترتب عليها وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون (حزقيل) وكان مؤمناً يكتنم لإيمانه فأثنى موسى سراً ليخبره بما يتم حياله وينصح له بالخروج من البلاد وهو ماجاء في قوله تعالى في الآية (٢٠) من هذا السياق ﴿ وجاء رجل من أقصا المدينة ﴾ من بعدها فان قصر الملك كان في طرف المدينة وهي مدينة فرعون (مُثْنَفٌ) ﴿ يسعى ﴾ فمشي بسرعة وجد وانتهى إلى موسى فقال ﴿ يا موسى إن الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ قال تعالى : ﴿ فخرج منها ﴾ أي من بلاد فرعون ﴿ خائفاً يترقب ﴾ خائفاً من القتل يترقب الطلب وماذا سيحدث له من نجاة أو خلافة ودعا ربه عز وجل قائلاً : ﴿ رب نجني من القوم الظالمين ﴾ أي من فرعون وملائه أولاً ومن كل ظالم ثانياً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - شكر النعم ، فموسى لما غفر الله تعالى له شكره بأن تعهد له أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً .
- ٢ - سوء صحبة الأحمق الغوى فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى .
- ٣ - لزوم إبلاغ الدولة عن أهل الفساد والشر في البلاد لحمايتها .
- ٤ - وجوب النصيح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة ، لأن موسى من أهل الكمال وماحدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين .

(١) وقيل : اسمه شمعان ، وقال الدارقطني : لا يعرف شمعان بالشين إلا مؤمن آل فرعون ، قال الثعلبي : كان ابن عم فرعون .
(٢) روي عن عطاء ، قيل له : إن أخاً لي يأخذ بقلمه وإنما يحسب ما يدخل وما يخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأذان فقال : من الرأس ؟ قال : خالد بن عبد الله القسري : قال : أما تقرأ ما قال العبد الصالح : (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال عطاء : فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه ، وإنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين ، وفي الحديث : (ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو يرى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم) لاق الدواة : أصلحها .

٥ - الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام قد خاف^(١) خوفاً أدى به إلى الالتجاء إلى ربه بالدعاء فدعاه واستجاب له والله الحمد والمنة .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشَى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنَةُ كَافِرِينَ أَتِيكِ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

شرح الكلمات :

ولما توجه تلقاء مدين	: أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب .
عسى ربي أن يهديني سواء السبيل	: أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك
ولما ورد ماء مدين	: فاستجاب الله له وهدهاه إلى سواء السبيل ووصل مدين .
يسقون	: انتهى إلى بئر يسقى منها أهل مدين .
تذودان	: أي مواشيهم من بقر وابل وغنم .
قال ماخطبكما	: أي أغنامهما منعاً لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة .
	: قال موسى للمرأتين اللتين تذودان ماخطبكما أي ما شأنكما .

(١) من قوله : (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) .

حتى يصدر الرعاء

: لانسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء
وحدنا.

ثم تولى إلى الظل

: أي بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان
جالساً تحتها. ^(١)

لما أنزلت إلي من خير فقير

: أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه عليه السلام.

تمشى على استحياء

: أي واضحة كم درعها على وجهها حياء منه.

معنى الآيات :

ما زال لسياق في شأن موسى عليه السلام بعد حادثة القتل والنصح له بمغادرة بلاد مصر إلى بلاد مدين ^(٢) مدينة شعيب عليه السلام قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي ولما توجه موسى عملاً بنصيحة مؤمن آل فرعون تلقاء مدين أي نحوها وجهتها ولم يكن له علم بالطريق الصحراوي والمسافة مسيرة ثمانية أيام قال : ﴿عسى أن يهْدِنِي رَبِّي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي ترجى ربه سبحانه وتعالى أن يهديه الطريق السوي حتى لا يضل فيهلك ، واستجاب الله له فهداه الطريق حتى وصل إلى بلاد مدين وقوله تعالى في الآية الثانية من هذا السياق (٢٣) ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي وحين ورد ماء مدين وهو بئر يسقي منها الناس مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أي على الماء ﴿أمة من الناس﴾ أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿ووجد من دونهم أمراًتين﴾ وهما بنتا شعيب عليه السلام ﴿تذودان﴾ أي تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس . فسألهما لا تطفلا وإنما حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهما ويصدرون فوجاً بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تذودانهما عن الحوض حتى لا تختلط ولا تشرب فسألهما لذلك قائلاً : ﴿ما خطبكما﴾ أي ما شأنكما فأجابته قائلتين : ﴿لانسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقوي على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد أن يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء

(١) من طعام تفسير لقوله من خير، ومحتاج تفسير لقوله : (فقير).

(٢) لأن بها العبد الصالح شعيب، وقيل : لأجل النسب الذي بينه وبينهم لأن مدين من ولد إبراهيم ، وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن إبراهيم .

(٣) روي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً ركباً فرسا فقال : اتبعني فاتبعه فهداه إلى الطريق وكان ملك مدين لغير فرعون .

(٤) أي : بلغها ووصل إليها ومنه قول زهير :

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

نسقي به ، فلما علم عذرهما سقى لهما ما شيتهما ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ الذي كان جالساً تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال له السمر ، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال : ﴿رب إنى لما أنزلت إلي من خير﴾ أي طعام ﴿فقير﴾ أي محتاج إليه أشد الاحتياج . وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألتهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاها ، فقال لإحدهما إذهبي إليه وقولي له ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فجاءته إحداهما﴾ استجابة الله له ﴿تمشي على استحياء﴾ واضحة كم درعها على وجهها حياء . وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعاً من النساء خراجة ولأجة ، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقيه ونصها ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾!! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقها قال لها موسى : إمشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿قوي أمين﴾ كما سيأتي فيما بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه
- ٢ - بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللاتي يتعففن عن الاختلاط بالرجال .
- ٣ - بيان مروءة موسى في سقيه للمراتين .
- ٤ - فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه .
- ٥ - ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية ، فبتنا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياءً وتقوى .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ

لَا تَحْزَنْ نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا

(١) وتوكله على ربه عز وجل .

(٢) لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله : (فعل الخيرات) وعلى القوة في قوله : (أهم خير أم قوم تبع) وعلى المال في قوله : (وإنه لحب الخير لشديد) .

(٣) السلفع من النساء : الجريئة على الرجال .

يَتَأَبَّتِ اسْتَفْجَرُهُ إِبْرَاهِيمُ خَيْرَ مَنْ اسْتَشَجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
 ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
 تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
 قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

وقص عليه القصاص

: أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة
 له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى
 ماء مدين .

: أي من فرعون وملئه إذ لاسلطان لهم على بلاد
 مدين .

: أي اتخذ أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا .
 ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة .
 : أي تكون أجيراً لي في رعي غنمي .
 : أي ثماني سنوات إذ الحجة عام والجمع حجج .
 : أي جعلت الثمانية عشر فرغبت عشراً فهذا من
 كرمك .

لا تخف نجوت من القوم الظالمين

يا أبت استأجره

القوي الأمين

على أن تأجرني

ثماني حجج

فإن أتممت عشراً فمِنْ عِنْدِكَ

قال ستجدني إن شاء الله من الصالحين : أي الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون .

: أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك .

: أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت .

: وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق

العشرة .

ذلك بيني وبينك

أيما الأجلين قضيت

فلا عدوان على

: أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد
بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم
العقد.

والله على ما نقول وكيل

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ما تم بين موسى وابنتي شعيب من السقي لهما ومجيء إحداهما
تبلغه رسالة والدها ومشيه معها وقوله تعالى ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعبياً ﴿وقص عليه
القصص﴾ أي أخبره بشأنه كله من قتله القبطي خطأ وطلب السلطات له ونصح مؤمن آل
فرعون له بالخروج من البلاد، ووصوله إلى ماء مدين قال له شعيب عندئذ ﴿لا تخف نجوت
من القوم الظالمين﴾ يعني فرعون وحكومته وهذا ما يعرف الآن باللجوء السياسي فأمنه على
نفسه لأن فرعون لا سلطان له على هذه البلاد.

وقال له شعيب: اجلس تعش معنا فقال موسى أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت
لابنتيك ماشيتهما وإني لمن أهل بيت لا يطلبون على عمل الخير عوضاً فقال له شعيب لا ليس
هذا بأجر على سقيك وإنما عادتنا أن نقرى الضيف ونطعم الطعام فأكل ولم ير بذلك بأساً.
وقوله تعالى ﴿قالت إحداهما يأبى استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ يروى
أنها لما قالت ﴿إن خير﴾ من استأجرت القوي الأمين﴾ أثارت حفيظته بهذه الكلمة فسأها:
كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة في سقيه لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر
إليها، فصدقها شعيب وقال لموسى: ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ أي أزوجهك ﴿إحدى ابنتي
هاتين﴾ ﴿على أن تأجرني ثمانين﴾ حجج ﴿أي سنين جمع حجة وهي السنة وقوله ﴿فإن أتممت
عشرًا فمن عندك﴾ أي احساناً منك وكرماً، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بطلب العشرة

(١) التعريف في: (القصص) عوضاً عن المضاف إليه أو هي للمهد أي: القصص المذكور آنفاً.

(٢) إذا السلطان للكنعانيين وهم أهل بأس وشدة ونجدة.

(٣) الجملة تعليلية لجملة الإشارة عليه بالاستئجار.

(٤) قال بعض أهل العلم: وصفته بالقوة لأنه زاحم الرعاء وغلبهم وهم يزدحمون على الماء حتى سقى، وقيل: كانت على
البئر صخرة لا يرفعها إلا العدد من الناس فرفعها موسى وحده.

(٥) الإشارة إلى المرأتين اللتين سقى لهما سواء كانتا حاضرتين في المجلس أو في ذهن موسى.

(٦) هذا جمع عقد النكاح مع عقد الإجارة. والمشهور عند الفقهاء أن الشرط المقارن لعقد النكاح إن كان مما ينافي عقد
النكاح فهو باطل ويفسخ النكاح قبل البناء ويثبت بعده ويلغى الشرط المنافي للنكاح، وأما الشرط غير المنافي للنكاح فهو جائز
ولا حرج فيه لقوله ﷺ في الصحيح: (أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج).

(٧) مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي الذين يوفون بعهودهم فقال موسى رداً على كلامه ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أنا عليّ أن أفي بما اشترطت عليّ وأنت عليك أن تفي بما اشترطت لي على نفسك ﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثمانية أو العشرة ﴿قَضَيْتُ﴾ أي وفيت وأديت ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي بطلب الزيادة على الثمانية ولا على العشرة. فقال شعيب : نعم ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فأشهد الله تعالى على صحة العقد وبذلك أصبح موسى زوجاً لابنة شعيب التي عتيها له والغالب أنها الكبرى التي شهدت له بالأمانة والقوة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تحلى كرم شعيب ومروءته وشهامته في تطمين موسى وإكرامه وإيوائه.
- ٢ - بيان أن الكفاءة شرط في العمل ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة.
- ٣ - مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صدقه وأمانته ليزوجه بها.
- ٤ - مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود بمثل ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.
- ٥ - فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شيع بطنه وإحصان فرجه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٩) ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٠) ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا

(١) (أيما) أي : اسم موصول مبهم : وهو منصوب بـ (قضيت) وزيدت بعده (ما) لتأكيد الكلام ، ولتصير أي شبيهة باسم الشرط ولذا أجيب بجمله (فلا عدوان علي) وهي مقرونة بالفاء.

(٢) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته بل لا بد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

جَانُّ وَلِيٍّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
 مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَبْضَاءَ مِنْ
 غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ
 بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قضى موسى الأجل

أنس

أوجدوة من النار

لعلكم تصطلون

نودي

: أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات .

: أبصر .

: عود غليظ في رأسه نار .

: أي تَسْتَدْفِنُونَ .

: أي ناداه الله تعالى بقوله ياموسى إني أنا الله رب

العالمين .

: قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ

الوادي .

: تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات

البيوت .

: رجع هارباً ولم يعقب لخوفه وفزعه منها .

: أدخلها في جيب قميصك .

: أي عيب كبرص ونحوه .

: اضمم إليك جناحك من الرهب : بأن تضعها على صدرك ليذهب

روعك .

: أي آيتان من ربك على صدق رسالتك .

ولى مدبراً ولم يعقب

اسلك يدك في جيبك

من غير سوء

فذانك برهانان

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصص موسى وهو في طريقه بتدبير الله تعالى إلى مصر، إنه لما

قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره شعيب وقد أتم خير الأجلين وأوفاهما وهو العشر حجج قفل^(١) ماشياً بأهله زوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء والبرد شديد فإذا به يأنس ﴿من جانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿ناراً﴾ فقال لأهله امكثوا هنا ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً﴾ سأذهب إليها ﴿لعلي آتيكم منها بخبر﴾ إذ قد أجد عندها من يدلنا على الطريق أو آتيكم بجذوة^(٢) من النار أي خشبة في رأسها نار مشتعلة ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي من أجل اصطلائكم بها أي استفادتكم بها، هذا ما دلت عليه الآية (٢٩) وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿فلما أتاهاه﴾ أي النار ﴿نودي﴾ أي ناداه مناد ﴿من شاطئ الواد الأيمن^(٣)﴾ في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى ﴿أي ناداه ربه﴾ ياموسى إني أنا الله رب العالمين ﴿وأن ألق عصاك﴾ فآلقها فاهتزت واضطربت وتحركت بسرعة ﴿كأنها جان﴾ أي حية عظيمة من الحيات المعروفة بالجتان ﴿ولى مدبراً ولم يعقب﴾ أي فزع منها فرجع من الفزع إلى الوراء ﴿ولم يعقب﴾ أي ولم يرجع إليها من الرعب، فقال له ربه تعالى ﴿أقبل﴾ أي على العصا ﴿ولا تخف إنك من الأمنين﴾ أي الذين آمنهم ربهم فلا يخافون شيئاً.

وقال له بعد أن رجع ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي أدخل يدك في جيب قميصك وهو الشق الذي يدخل معه الرأس في الثوب ليلبس وقوله ﴿تخرج﴾ أي اليد ﴿بيضاء﴾ كالنور ﴿من غير سوء﴾ أي برص أو نحوه ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أي يدك مع العضد إلى صدرك ﴿من الرهب^(٤)﴾ أي الخوف فإن يذهب عنك بحيث تعود يدك عادية لانور فيها كما كانت من قبل إدخالها في جيبك أولاً.

ثم قال تعالى له ﴿فذانك﴾ أي العصا واليد البيضاء. ﴿برهانان من ربك﴾ أي آيتان

(١) يقال: قفل راجعاً أي: من سفره إلى أهله: والقافلة: الجماعة العائدة من السفر: ويقال لها القافلة وهي في بدء سفرها تفتأ بالعودة السليمة لها وموسى عليه السلام قفل عائداً من رحلته إلى بلاده.

(٢) الجذوة مثلثة الجيم ضمّاً وفتحاً وكسراً: الجمرة الملتهية، والجمع جذأ مثلثة الجيم أيضاً.

(٣) (من) ابتدائية وكذا من الشجرة إذ من الشجرة بدل اشتمال من قوله (من شاطئ الوادي) وشاطئ الوادي وشطه جانبه، والجمع: شطآن وشواطىء.

(٤) (الأيمن) أي: عن يمين موسى، والبقعة والجمع بقع: المكان من الأرض وإن فتحت باؤها جمعت على بقاع كجفنة وجفان وأما بالضم فهي كغرفة وغرف، و(من الشجرة) أي: من ناحيتها، وهل الشجرة من سمر أو عليق: (عوسج) الله أعلم.

(٥) قرأ الجمهور: (الرهب) بفتح الراء والهاء وقرأ بعض بضم الراء وسكون الهاء: (الرُهب) وقرأ عاصم بفتح الراء وسكون الهاء (الرُهب).

(٦) (فذانك) بتخفيف النون لغة قريش وبتشديد مدحها وتخفيفها مع مدحها (فذانيك) لغة هذيل.

تدلان على رسالتك المرسل بها إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين خارجين عن طاعة الله حيث كفروا به وعبدوا غيره وظلموا عباده ، لتدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته وإرسال بني إسرائيل معك لتذهب بهم إلى أرض المعاد أي فلسطين ومآولها من أرض الشام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر .

٢ - مشروعية السفر بالأهل وقد يحصل للمرء أنه يضل الطريق أو يحتاج إلى شيء ويصبر .

٣ - فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وهي من جبل الطور .

٤ - مشروعية حمل العصا لاسيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها .

٥ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله .

٦ - لا يلام على الخوف الطبيعي .

٧ - آية العصا واليد .

٨ - من خاف ، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى .

٩ - التنديد بالفسق وأهله .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ

أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٢﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا

فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا

يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمِنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ

مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ

مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَن تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

- إني قتلت منهم نفساً : أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر .
أفصح مني لساناً : أي أبين مني قولاً .
ردءاً : أي معيئاً لي .
سنشد عضدك بأخيك : أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون .
ونجعل لكما سلطاناً : أي حجة قوية يكون لكما بها الغلب .
فلا يصلون إليكم : أي بسوء .
بآياتنا : أي اذهبا بآياتنا .
فلما جاءهم موسى بآياتنا : أي العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع .
بينات : أي واضحات .
سحر مفترى : أي مختلق مكذوب .
عاقبة الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة .
إنه لا يفلح الظالمون : أي المشركون الكافرون .

معنى الآيات :

لما كلف الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون وحمله رسالته إليه قال موسى كالمشترط لنفسه ﴿رب إني قتلت منهم نفساً﴾ يريد نفس القبطي الذي قتله خطأ أيام كان شاباً بمصر ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أي يقتلونني به إن لم أبين لهم وأفهمهم حجتني ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي أبين مني قولاً وأكثر إفهاماً لفرعون وملئه ﴿فأرسله معي﴾ ردءاً ﴿أي عوناً﴾ ﴿يصدقني﴾ أي يلخص قولي ويحرره لهم فيكون ذلك تصديقاً منه لي ، لا مجرد أي إذا قلت قال صدق موسى . وقوله ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ فيما جئتهم به . فأجابه الرب تعالى قائلاً ﴿سنشد عضدك﴾

(١) قرأ نافع (ردءاً) متون غير مهموز . وقرأ حفص (ردءاً) مهموزاً .

(٢) قرأ نافع (يصدقني) بالجزم لأنه في جواب الطلب الذي هو : (فأرسله معي) وقرأ حفص بالرفع (يصدقني) على أن الجملة حال من الهاء في (أرسله) .

بأخيك ﴿ أي نفويك به ونعينك ﴾ ونجعل لكما سلطاناً ﴿ أي برهاناً وحجة قوية يكون لكما الغلب بذلك . وقوله ﴾ فلا يصلون إليكما ﴾ أي بسوء أبدأً وقوله ﴾ بآياتنا ﴾ أي اذهباً بآياتنا أو يكون لفظ بآياتنا متصلاً بسلطاناً أي سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا ﴿ أنتم ومن اتبعكما الغالبون ﴾ وعلى هذا فلا نحتاج إلى تقدير فاذهباً وقوله تعالى ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا ﴾ العصا واليد وغيرهما ﴿ بينات ﴾ أي واضحات ﴿ قالوا ما هذا ﴾ أي الذي جاء به موسى من الآيات ﴿ إلا سحر مفترى ﴾ أي مكذوب مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ أي الذي جئت به ياموسى في ﴿ آبائنا الأولين ﴾ أي في أيامهم وعلى عهدهم . وهنا رد موسى على فرعون بأحسن رد وهو ما أخبر تعالى به عنه بقوله : ﴿ وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ أي من عند الرب تعالى ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة يوم القيامة .^(١) ولم يقل له اسكت يا ضال ياكافر إنك من أهل النار بل تلتطف معه غاية اللطف امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله ﴿ وقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وقوله ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي الكافرون والمشركون برهم هذا من جملة قول موسى لفرعون الذي تلتطف فيه وألانه غاية اللين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن القصص كان معروفاً معمولاً به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية .
- ٢ - مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين .
- ٣ - مشروعية التلطف في خطاب الجبابة وإلانة القول لهم ، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يُغلَق عليه بالإغلاظ له .

(١) قوله تعالى : (بآياتنا أنتم ومن اتبعكما الغالبون) يجوز أن يكون (بآياتنا) متعلقاً بمحذوف تقديره : اذهباً بآياتنا . ويجوز أن يتعلق بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا فتكون رهبته منكما آية ويجوز أن يتعلق بـ (لا يصلون إليكما) أي : يصرفون عنكما صرفاً بسبب آياتنا كقول الرسول ﷺ : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ويجوز تعليقها أيضاً بـ (الغالبون) أي : بآياتنا .

(٢) هذا شأن المحجوج المغلوب إذا اعنته الحجة يفزع إلى التلفيق والانتهايات الباطلة دفعاً للمعرة .

(٣) كان مقتضى الكلام في سياق الحوار أن يقال : قال موسى بدون واو العطف إلا أنه خولف هنا وأتى بالواو : (وقال موسى) وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسى ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف لو حذفت الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسى عليه السلام فليس فيها ما يلفت النظر .

(٤) (عاقبة الدار) قد يفهم منها فرعون : ما ينتهي إليه الخصام مع موسى إذا كان لا يؤمن بالمعاد وإن كان يؤمن بالمعاد فالأمر واضح .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَهْمَمَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى
إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكَبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنََّّهُمْ إِنَّمَا
لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي
الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات

ما علمت لكم من إله غيري : أي ربا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه
ما أكذبه .

يا هامان : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل
والعمال

فأوقد لي يا هامان على الطين : أي اطبخ لي الأجر وهو اللبن المشوي .

فاجعل لي صرحاً : أي بناءً عالياً، قصرًا أو غيره .

لعلني أطلع إلى إله موسى : أي أقف عليه وأنظر إليه .

وإني لأظنه من الكاذبين	: أي موسى في ادعائه أن له إلهاً غيري .
فنبذناهم في اليم	: أي طرحناهم في البحر غرقى هالكين .
وجعلناهم أئمة	: أي رؤساء يُقتدى بهم في الباطل .
يدعون إلى النار	: أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار .
في هذه الدنيا لعنة	: أي خزيًا وبعداً عن الخير .
هم من المقبوحين	: أي المبعدين من كل خير المشوّهي الخلقة .
القرون الأولى	: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم .
بصائر للناس	: أي فيه من النور ما يهدي كما تهدي الأبصار .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وقال فرعون﴾ إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام وكان الكلام في غاية اللين، مؤثراً خاف فرعون من الهزيمة، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ أي كما ادعى موسى ولكن سأبحث وأتعرف على الحقيقة إن كان هناك إله آخر غيري، فنادى وزيره هامان وأمره أن يعد اللبن المشوي لأنه قوي ويقوم ببناء صرح عال يصل إلى عنان السماء ليبحث بنفسه عن إله موسى إن كان حسب دعواه وإني لأظن موسى كاذباً في دعوى وجود إله له ولكم غيري هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٣٨) ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾^(١) . يعنى في ادعائه أن هناك إلهاً آخر غيري .

قوله تعالى : ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أي أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ الذي يحق

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان بين قوله : ما علمت لكم من إله غيري وبين قوله أنا ربكم الأعلى أربعون سنة ، وكذب عدو الله بل علم أن له رباً هو خالقه وخالق قومه .

(٢) كُني عن البناء بمقدماته ، وفعلاً دارت رحى العمل على أشد ما تكون وفرعون يعلم أنه مجرد تمويه على العامة وشغل لأذهانهم عن معرفة الحق الذي دعا إليه موسى : وهل بني الصرح؟ روي أنه قبل أن يتم سقط فقتل خلقاً كثيراً من العمال والبنائين ، ولعل في قوله تعالى : (وما كيد فرعون إلا في تبات) من سورة المؤمن ، إشارة إلى سقوطه وهلاك القائمين ببنائه .

(٣) (بغير الحق) أي : الموجب لهم الاستكبار ولا يوجد حق يوجب الاستكبار قط .

(٤) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية ، ودفعاً للحق الذي بهر نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج .

لهم الاستكبار ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾^(١) أي كذبوا بالبعث الآخر. قال تعالى : ﴿فأخذناه وجنوده﴾ أي بسبب استكبارهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿فنبذناهم في اليم﴾ أي في البحر وقال لرسوله ﷺ ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ إنها كانت وبالاً عليهم وخساراً لهم . وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي جعلنا فرعون وملاه أئمة في الكفر تقتدي بهم العتاة والطغاة في كل زمان ومكان ﴿يدعون إلى النار﴾ بالكفر والشرك والمعاصي وهي موجبات النار . ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بل يضاعف لهم العذاب ويخذلون ويهانون لأن من دعا إلى سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء .

وقوله تعالى : ﴿وأبغضناهم﴾ أي آل فرعون ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ إنتهت بهم إلى الفرق الكامل والخسران التام ، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي المبعدين من رحمة الله الثاوين في جهنم ولبس مشى المتكبرين وقوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة وذلك بعد إهلاك الظالمين وقوله ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ أي قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوله ﴿بصائر﴾ أي الكتاب بما يحمل من الهدى والنور ﴿بصائر﴾ أي ضياء للناس من بني إسرائيل يبصرون على ضوئه كل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وبياناً لهم ورحمة لمن يعمل به منهم . وقوله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي وجود الكتاب بصائر وهدى ورحمة بين أيديهم حال تدعوهم إلى أن يتذكروا دائماً نعم الله عليهم فيشكروه بالإيمان به وبرسله وبطاعته ورسله عليهم السلام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله وأن الله هو رب العالمين .
- ٢ - تقرير صفة العلو والاستكبار لفرعون وأنه كان من العالين .
- ٣ - بيان كيف تكون عاقبة الظلمة دماراً وفساداً .

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأن الشك في العقائد كفر.

(٢) قبل من هلك مع فرعون من جند كانوا مليوناً وستمائة ألف .

(٣) ناحية بحر القلزم في موضع منه يقال له بطن غريرة .

(٤) المشوحي الخلق المسودي الوجوه زرق العيون فما أقبحهم وما أقبح ما كانوا يصنعون !! يقال : قبحه وقبحه مشدداً ومخففاً أي : نحاه من كل خير ، أو جعله قبيحاً . قال الشاعر :

ألا قبح الله البراجم كلها وقبح يربوعاً وقبح دارما

- ٤ - دعاة الدعارة والخنأ والضلالة والشرك أئمة أهل النار يدعون إليها وهم لا يشعرون .
 ٥ - بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل بإنزال التوراة فيهم كتاباً كله بصائر وهدى ورحمة .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
 الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
 الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَنتَهُمُ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
 وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- وماكنت بجانب الغربي : أي لم تكن يارسولنا حاضرأ بالجانب الغربي من موسى .
 إذ قضينا إلى موسى الأمر : أي بالرسالة إلى فرعون وقومه .
 وماكنت من الشاهدين : حتى تعلمه وتخبر به .
 ولكننا أنشأنا قرونأ فتطاول عليهم العمر : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أئمة طالت أعمارهم فنسوا العهد واندurst العلوم وانقطع الوحي فجنأنا بك رسولأ وأوحينا إليك خبر موسى وغيره .
 وماكنت ثاوياً في أهل مدين : أي ولم تكن يارسولنا مقبياً في أهل مدين فتعرف قستهم .

وماكنت بجانب الطور إذ نادينا : أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك .

ما أتاهم من نذير من قبلك : أي أهل مكة والعرب كافة .
ولولا أن نصيهم مصيبة الخ : أي فيقولوا لولا أي هلا أرسلت إلينا رسولاً لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً .

معنى الآيات

بعد انتهاء قصص موسى مع فرعون وإنزال التوراة ﴿بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون﴾ وكان القصص كله شاهداً على نبوة الرسول محمد ﷺ خاطب الله تعالى رسوله فقال : ﴿وماكنت﴾ أي حاضراً ﴿بجانب الغربي﴾ أي بالجبل الغربي من موسى ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ بإرساله رسولاً إلى فرعون وملائته ﴿وماكنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين إذا فكيف علمت هذا وتتحدث به لولا أنك رسول حق ؟!

وقوله : ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ أي أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت بهم الحياة وامتدت ففسدوا العهود واندست العلوم الشرعية وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره وقوله : ﴿وماكنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ فكيف عرفت حديثهم وعرفت إقامة موسى بينهم عشر سنين لولا أنك رسول حق يوحى إليك نبا الأولين وهو معنى قوله تعالى ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك رسولاً وأوحينا إليك أخبار الغابرين .

وقوله : ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿إذ نادينا﴾ موسى وأمرناه بما أمرناه وأخبرناه بما أخبرنا به ، فكيف عرفت ذلك وأخبرت به لولا أنك رسول حق يوحى إليك . قوله تعالى ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي أرسلناك رحمة من ربك للعالمين ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم

(١) إذ كلّفناه أمرنا ونهينا وألزمناه عهدنا .

(٢) ﴿ولكننا أنشأنا﴾ الخ وجه هذا الاستدراك أنّ المشركين لما تعجبوا من رسالة محمد ﷺ حين لم يسبقها رسالة إلى آبائهم فأعلمهم أن الله تعالى أرسل موسى بعد فترة من الرسل كذلك ولكن لطول الزمن ومضي القرون نسوا رسالة موسى عليه السلام حتى قالوا : ما سمعنا بهذا في الملة الأخيرة .

(٣) أي : ما كان علمك بذلك لحضورك ولكن كان علمك رحمة من ربك فرحمة : منصوب في الآية على تقدير كون محذوف أي : كان علمك رحمة . ويصح النصب على المفعول المطلق أي : ولكن رحمتك رحمة فعلمتك ذلك بواسطة إباحتنا إليك .

من نذير من قبلك ﴿ وهم أهل مكة والعرب أجمعون ﴾ لعلهم يتذكرون ﴿ أي كفى يتعظوا فيؤمنوا ويهتدوا فينجوا ويسعدوا .

وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾ أي عقوبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿ فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ﴿ أي هلا أرسلت إلينا رسولا ﴾ فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ أي لولا قولهم هذا لعاجلناهم ﴿ بالعذاب ولما أرسلناك إليهم رسولا إذا فهم لا يؤمنون ويشكرون ؟؟ !

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بأقوى الأدلة العقلية .
- ٢ - بعثة الرسول محمد ﷺ جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها .
- ٣ - البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين .
- ٤ - جواب ﴿ لولا ﴾ في قوله ﴿ ولولا أن تصيبهم ﴾ . محذوف وقد ذكرناه وهو لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا .

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أَوْتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

(١) (لولا) هنا حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لوجود قولهم (لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) أما لولا الثانية فهي أداة تحضيض .
(٢) في الآية معنى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

شرح الكلمات :

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى كالتوراة .

أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً .

أي هلا أعطي مثل ما أعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالتوراة .

أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه .

وقالوا سحران تظاهرا بعضاً أي قواه .

أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما

فإن لم يستجيبوا لك أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن .

فاعلم أنها يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه

في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير .

أي لا أضل منه قط .

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون : أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نعمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون .

معنى الآيات :

لما قرر تعالى نبوة رسوله محمد ﷺ بأدلته التي لا أقوى منها ولا أوضح وبين حاجة العالم إليها لاسيما العرب وذكر أنه لولا كراهة قولهم : ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ لما أرسل إليهم رسوله . ذكر هنا ما واجه به المشركون تلك الرحمة المهداة فقال عنهم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ أي محمد النبي ﷺ قالوا : ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ أي من الآيات كالعصا واليد البيضاء حتى نؤمن به ونصدق رسالته قال

(١) ولاخذهم بالعذاب جزاء كفرهم وشركهم وفسادهم .

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة أفصح عن جواب طلب متقدم وهو قول المشركين . لولا أرسلت إلينا رسولاً أي : هلا أرسلت إلينا رسولاً مطالبين بذلك بالبحاح .

تعالى : ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا﴾^(١) . وقالوا : ﴿إنا بكل كافرون﴾ وذلك أن قريشاً لما كثرت المؤمنين وهالهم الموقف بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم بوصفهم أهل الكتاب الأول عن مدى صدق محمد ﷺ فيما يقوله فأجابهم اليهود بأنهم يجدون نعوت النبي الأمي في التوراة وأنه رسول حق وليس بكذاب ولا دجال فما كان من المشركين من قريش إلا أن أعلنوا كفرهم بالتوراة وقالوا : التوراة والقرآن ﴿سحران﴾^(٢) تعاونا فلا نؤمن بهما ولا نصدق من جاء بهما وقرىء ﴿ساحران﴾ أي موسى ومحمد عليهما السلام فلا نؤمن بهما .

هذا معنى قوله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾ أي بكل منهما كافرون فكيف لا يخجلون اليوم ويطالبون محمداً أن يعطى مثل الذي أعطي موسى من الآيات ياللعجب أين يذهب بعقول المشركين !!؟

وقوله تعالى : ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أي قل يارسولنا هؤلاء المشركين الذين كفروا بالتوراة والقرآن ﴿فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أنزله بعلمه يكون أكثر هداية من التوراة والقرآن . . أتبعه ! ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم بأن الفرقان والتوراة سحران تظاهرا . وقوله تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ بالإتيان بكتاب من عند الله تعالى هو أهدى من الفرقان والتوراة ومن أين لهم بذلك . . إنه المستحيل ! إذاً فاعلم أنهم إنما يتبعون أهواءهم فيما يقولون ويدعون فلا عقل ولا نقل عندهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾؟! اللهم إنه لا أضل منه . والنتيجة أنه لا أضل من هؤلاء المشركين من قريش وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي الظالمين﴾^(٣) هذا بيان لسنة الله تعالى في الظالمين الذين أكثروا من الظلم وتوغلوا فيه عقيدة بالشرك وعملاً بالمعاصي فإنه يحرمهم الهداية فلا يهتدون أبداً .

وقوله تعالى : ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ أي لقد وصلنا أي هؤلاء المشركين

(١) أي : موسى ومحمد تعاونا على السحر .

(٢) قرأ نافع (ساحران تظاهرا) وقرأ حفص : (سحران) إخبار بالمصدر .

(٣) المراد بالظالمين : الكاملون في الظلم وهو ظلم الأنفس وظلم الناس وظلم الشرك وهو أعظمها . (إن الشرك لظلم عظيم) وكذا إتيان الفواحش .

(٤) التوصيل مبالغة في الوصل وهو : ضم شيء إلى شيء وربطه به ، والقول القرآن ألفاظه وصل بعضها ببعض إذ نزل منجماً كلما نزل أي وصل بالآخر حتى اكتمل ، ووصلت معانيه بعضها ببعض بإحكام وإتقان لم يُعهدا في كتاب غيره وصل وعده بوعيده وترغيبه بترهيبه .

من قومك يارسولنا أي وصلنا لهم القول بأخبار الماضين، وما أحللتنا بهم من بأسنا ونقمنا وعظيم عقوباتنا لما كفروا كما كفر هؤلاء وكذبوا بما كذب به هؤلاء وصلنا لهم القول مبيناً واضحاً موصولاً أوله بآخره رجاء أن يتذكروا فيذكروا فيؤمنوا ويوحداً فينجوا من العذاب ويرحموا بدخول الجنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان تناقض المشركين وكل من يتبع الهوى ويترك الهدى الإلهي .
- ٢ - بيان تحدي المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك فبان بذلك أنهم يتبعون أهواءهم وأنه لا أضل منهم اليوم .
- ٣ - بيان سنة الله في حرمان المتوغلين في الظلم من الهداية الإلهية .
- ٤ - بيان أن الله عز وجل وصل القول لأهل مكة مفصلاً مبيناً لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم .

الَّذِينَ

ءَايَنَتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ
 قَالُوا ءَأَمْنَابِهِ ءِإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
 أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ
 السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
 أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

- الذين آتيناهم الكتاب من قبله : أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم .
 وإذا يتلى عليهم : أي القرآن .
 إنا كنا من قبله مسلمين : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه .

أجرهم مرتين : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا بمحمد ﷺ

ويدرءون بالحسنة السيئة : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منها .
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه : أي الكلام اللاغبي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق درهماً للمعاش ولا حسنة للمعاد .

سلام عليكم : هذا سلام المشاركة أي قالوا قولاً يسلمون به .
لأنبتني الجاهلين : أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى .

معنى الآيات :

إن قوله تعالى : ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ يشمل أيضاً اليهود والنصارى من أهل الكتاب إذ هم كالعرب فيما بين لهم من أخبار الماضين وفصل من أبناء إهلاك الأمم السابقة وما أنزل من بأساء وعذاب بالمكذبين ، إذ الجميع مطالبون بالإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والكفر والمعاصي للنجاة والسعادة فذكر تعالى هنا أن فريقاً من أهل الكتاب يؤمنون بالنبي محمد لأنه الحق من ربهم . فقال تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ أي القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ أي من قبل نزول القرآن ﴿مسلمين﴾ أي موحدين منقادين نعبد الله بما شرع على لسان موسى وعيسى عليهما السلام هذه الآية تعني مجموعة من آمن من أهل الكتاب على عهد رسول الله ونزول القرآن منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما . وقوله تعالى : ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ أي مضاعفاً لأنهم آمنوا برسولهم وعملوا بما جاء به من الحق وآمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به من الهدى وقوله ﴿ويدرءون﴾ أي يدفعون ﴿بالحسنة﴾ وهي الصفح والعفو ﴿السيئة﴾ وهي الأذى من سب وشتم . وقوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي

(١) ذكر عدة أقوال في هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية منها وهو أقربها لأن السورة مكية أنها نزلت في النجاشي وأصحابه إذ وجهه بائني عشر رجلاً فجلسوا إلى النبي ﷺ وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم فآمنوا بالنبي ﷺ فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه فقال لهم . خيبيكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا أن صدقتموه وما رأينا ركباً أحق منكم ولا أجهل . فقالوا : سلام عليكم لم نال أنفسنا رشداً لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

(٢) ومن قبل محمد ﷺ كذلك .

(٣) ثبت في الصحيح (أن ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به وتبعه وصدقته فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أذهبها فأحسن أذهبها ثم أعنتها وتزوجها فله أجران) قال الشعبي : خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة .

(٤) شاهده حديث معاذ : (أتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

(٥) هذا الإنفاق عام في المال والعلم والجاه إذ كل ذلك من رزق الله والكل يُنفق منه في سبيل الله .

يتصدقون بفضول أموالهم حيث تنبغي الصدقة .

وقوله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللّٰغُوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي وإذا سمع أولئك المؤمنون من أهل الكتابين اللغو من سفهاء الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ولا إلى قائله وأجابوا قائلين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ أي نتائجها حيث نجزي بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ حيث تجزون بها ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي اتركونا، إنا لا نبتغي^(١) محبة الجاهلين، لما في ذلك من الأذى والضرر الناتج عن سلوك أهل الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين .

٢ - فضيلة من يدرء بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله .

٣ - فضيلة من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول ما يسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي قولاً يسلمون به . وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة .

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَنْبِيعُ الْهَدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

(١) أي : لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة والمخاصمة .

الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

إنك لا تهدي من أحببت : أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه .
وقالوا : أي مشركو قريش .

إن نتبع الهدى معك : أي إن نتبعك على ما جئت به وندعو إليه وهو الإسلام .
نتخطف من أرضنا : أي تتجراً علينا قبائل العرب وبأخذوننا .
يجي إليها ثمرات كل شيء : أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شيء من كل ناحية .
رزقاً من لدنا : أي رزقاً لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة .
بطرت معيشتها : أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي .

يبعث في أممها رسولاً : أي في أعظم مدنها . وهي العاصمة .
إلا وأهلها ظالمون : بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي . . . بِالْمُهْتَدِينَ﴾ هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عم الرسول ﷺ إذ كان النبي ﷺ يرغب في إسلامه لما له من سאלفة في الوقوف إلى جنب النبي ﷺ بحميه ويدافع عنه فلما حضرته الوفاة زاره النبي ﷺ وعرض عليه الشهادتين فكان يقول له : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة وكان حوله عواده من كفار قريش ، ومشائخها فكانوا ينهونه عن ذلك حتى قالوا له : أترغب عن دين أبائك ؟ أترغب عن ملة عبد المطلب أبيك حتى قال هو على ملة عبد المطلب ومات . فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنهاه الله فلم يستغفر له بعد ونزلت هذه الآية كالعزاء له ﷺ فقال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحَبِّتَ﴾ هدايته يانبينا ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته لعلمه أنه يطلب الهداية ولا يرغب عنها كما يرغب عنها أبو طالب وأبو لهب وغيرهما ،

(١) روى البخاري سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ .

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بالذين سبق في علمه تعالى أنهم يهتدون .

وقوله تعالى : ﴿إن تتبع الهدي معك نتخطف من أرضنا﴾ هذا اعتذار اعتذر به بعض رجالات قريش^(١) فقالوا نحن نعرف أن ماجئت به حق ولكننا نخشى إن آمنّا بك واتبعناك يتألب علينا العرب ويرموننا عن قوس واحدة ونصبح نتخطف من قبل المغيرين كما هو حاصل لغيرنا، وبذلك نحرم هذا الأمن والرخاء وتسوء أحوالنا، لهذا نعتذر عن متابعتك فيما جئت به وأنت تدعو إليه من الكفر بآلهتنا وهدمها والتخلي عنها . فقال تعالى في الرد على هذا الاعتذار الساقط البارد ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً^(٢) يجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ أي لم يوطئ لهم أرض بلد حرمانه فلا يسفك فيه دم ، ولا يصاد فيه صيد ، ولا يؤخذ فيه أحد بجريرة ، أليس هذا كافياً في أن يعلموا أن الذي جعل لهم حرماً آمناً قادر على أن يؤمنهم إذا آمنوا وأسلموا، ومن باب أولى . ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فهذه علة إصرارهم على الشرك والكفر . إنها الجهل بالله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته . ومعنى يجيبى أو تجبى إليه ثمرات كل شيء أي يحمل إليه ويساق من أنحاء البلاد ثمرات كل شيء من أنواع الأرزاق وكان ذلك رزقاً منه تعالى لأهل الحرم . أفلا يشكرون .

وقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ أي وكثيراً من أهل القرى أهلكناهم (بطرت معيشتها) لما بطروا عيشتهم فلم يشكروا نعمة الله عليهم فأسرفوا في الظلم والمعاصي فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي ديارهم ﴿لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾^(٣) كديار عاد وثمود والمؤتفكات . ﴿وكنّا نحن الوارثين﴾ لها، فلم نورثها غيرهم وتركناها خاوية خالية لم تسكن . أما يذكرون هذا فيعلموا بذلك قدرتنا فيتقوا فينا ويتوكلوا علينا ويؤمنوا ويوحّدوا ويستقيموا على منهج الحق الذي جئت يارسلونا به .

وقوله : ﴿وما كان ربك﴾ يأياها الرسول ﴿مهلك القرى﴾ أي أهل المدن والحوضر ﴿حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ كما بعثك في أم القرى مكة ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أي لم يكن

(١) من القائلين هذا القول من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف القرشي وكان هذا القول من تملّاحهم فاجاب تعالى عما اعتل به هؤلاء فقال : (أولم نمكن لهم حرماً آمناً . الخ .

(٢) الاستفهام للإنكار عليهم أن يكون الله تعالى لم يمكن لهم حرماً آمناً

(٣) قرأ نافع تجبى بالياء، وقرأ حفص بالياء، والجبى : الجمع، والجلب، ومنه جباية الزكاة أي جمع أموالها، وجباية الحوض ما يجمع فيها الماء من البئر .

(٤) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم فهم فيه آمنون مطمئنون ألا وهي الجهل فهو علةتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك .

(٥) بطرت : جهلت شكر معيشتها .

(٦) (إلا قليلاً) أي : كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون .

(٧) الجملة في محل نصب صفة لـ (رسولاً) .

من سنة الله تعالى هذا بل لا يهلك أمة حتى يبعث في أم بلادها رسولا يتلو عليهم آيات الله المبينة للحق من الباطل والخير من الشر وجزاء ذلك وقوله تعالى : ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ أي ولم يكن من سنة الله تعالى في عبادة أن يهلك القرى إلا بعد ظلم أهلها.

فلإهلاك شرطان :

الأول : أن يبعث الرسول يتلو آياته فيكذب ويكفر به وبما جاء به .

والثاني : أن يظلم أهل القرى ويعتدوا وذلك باظهار الباطل والمنكر وإشاعة الشر والفساد في البلاد وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده إنه لأرحم بهم من أنفسهم ، وكيف ومن أسماؤه وصفاته الرحمن الرحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير مبدأ لاهادي إلا الله . الهداية المنفية هي ائارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات ، وترك الشرك والمعاصي . والهداية المثبتة ، يقول الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . تلك هداية الدعوة والوعظ والارشاد ، ومنه ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي يدعوهم إلى الهدى .

٢ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهلين من تعظيم الحرم وأهله ليهيء بذلك لسكان حرمه أمناً وعيشاً كما قال تعالى ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش (٢ - ٤) .

٣ - من رحمة الله وعدله أن لا يهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لهلاكها شرطان :

١ - أن يبعث فيهم رسولا يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور .

٢ - أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والاصرار على الكفر والمعاصي .

٤ - التاريخ يعيد نفسه كما يقولون فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجة تألب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين فغطلوا الحدود وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة واباحوا كبائر الاثم كالربا وشرب الخمر وترك الصلاة حتى لا يقال عنهم أنهم رجعيون متمزتون فيمنعهم المعونات ويحاصرونهم اقتصادياً .

(١) أي : ألا بعد أن ظلموا بالشرك والمعاصي بارتكاب عظام الذنوب وكبائر الاثم ، وذلك لتنزه الرب تبارك وتعالى عن الظلم .

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا مَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
 فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

وما أوتيتم من شيء : أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع .
 فمتاع الحياة الدنيا وزينتها : فهو ما تمتعون به وتزينون ثم يزول ويفنى .
 وما عند الله خير وأبقى : أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقى .
 أفلا تعقلون : لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لا عقل له .
 وعداً حسناً : أي الجنة .
 فهو لاقيه : أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة .
 من المحضرين : أي في نار جهنم .

معنى الآيتين :

لقد سبق في هذا السياق أن المشركين اعتذروا عن الإسلام بعذر مادي بحت وهو وجود
 عداوة بينهم وبين سائر العرب . يترتب عليها حروب وتعطل التجارة إلى غير ذلك . فقوله
 تعالى هنا ﴿وما أوتيتم^(١) من شيء﴾ فمتاع الحياة الدنيا ﴿هو خطاب لهم ولكل من يؤثر الحياة
 الدنيا على الآخرة فيستحل المحرمات ويعطل الأحكام ويضيع الفرائض والواجبات
 لتعارضها في نظره مع جمع المال والتمتع بالحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شيء﴾
 أي من مال ومتاع وإن كثر ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا ﴿وزينتها﴾ أي
 تتمتعون وتزينون به أياماً أو أعواماً ثم ينفذ ويزول ، أو تموتون عنه وتتركونه ﴿وما عند الله﴾

(١) في هذه الآية الكريمة تذكرة لقريش التي أثرت الدنيا على الآخرة فردت الإسلام مخافة أن يؤثر على حياتها الاقتصادية والأمنية في تصورها الهابط المتهالك وهي أيضاً تذكرة لكل الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة .

(٢) (من) بيانية فقوله : (من شيء) بيان لما في قوله : (وما أوتيتم) والمتاع ما يتمتع به زماناً ثم يزول ، والزينة تطلق على ما يحسن الأجسام .

من نعيم الجنة ﴿خير وأبقى﴾ خير في نوعه وأبقى في مدته، فالأول رديء وتصحبه المنغصات ويعقبه الكدر. والثاني جيد صالح خال من المنغصات والكدورات وباق لا يبلى ولا يفنى ولا يزول ولا يموت صاحبه ويخلفه وراءه. ﴿أفلا تعقلون﴾ يامن تؤثرون الفاني على الباقي والردىء على الجيد والخبيث على الطيب. وقوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو المؤمن الصادق في إيمانه المؤكد له بصالح عمله، ﴿وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو الجنة دار السلام فهو لاقية ﴿أي لاق موعده بإذن الله بمجرد أن يلفظ أنفاسه وتخرج إلى السماء روحه﴾. ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فهو يأكل ويشرب وينكح كالبهائم ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ في جهنم في دار العذاب والهوان، والجواب: لا يستويان أبداً وشتان ما بينهما، فالأول وهو المؤمن الصالح الموعود بدار السلام لا يقارن بالكافر المهالك على الدنيا ثم يتركها فجأة ويجد نفسه مع أهل الكفر والإجرام في عذاب وهون لا يفارقه ولا يخرج منه أبداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون ما يضره، ويبعثه على ما ينفعه فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ما ينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.
- ٢ - بيان فضل الآخرة على الدنيا.
- ٣ - وعد الله للمؤمن بالجنة خير مما يؤتاه الكافر من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
 يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا

(١) الاستفهام إنكاري ينكر فيه تعالى التسوية فضلاً عن المفاضلة بين مؤمن وعده ربُّه النعيم المقيم في الآخرة وكافر متعه اليوم بمتع زائلة فانية عما قريب تنتهي وتزول ويؤول أمره إلى دار الشقاء والعذاب الأبدي وهي دار البوار.

(٢) جملة (فهو لاقية) معترضة بين طرفي المقابلة في المفاضلة.

لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ويوم يناديهم : أي الرب سبحانه وتعالى .
كنتم تزعمون : أي أنهم شركاء لي فعبدتوهم معي .
حق عليهم القول : أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال .
أغورناهم : أي فغوروا ولم نكرهمهم على الغي .
تبرأنا إليك : أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم .
وقيل ادعوا شركاءكم : أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه .
لو أنهم كانوا يهتدون : أي لما رأوا العذاب ودُّوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين .

ويوم يناديهم : أي الله تبارك وتعالى .
فعميت عليهم الأنباء : أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها .
فهم لا يتساءلون : أي انقطعوا عن الكلام .
فأما من تاب وآمن : أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك .
وعمل صالحاً : أدى الفرائض والواجبات .
فعسى أن يكون من المفلحين : أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وعسى من الله تعالى لاتفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقيق الموعد به .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله واذكر يوم ينادي^(١) ربك هؤلاء المشركين وقد ماتوا على شركهم فيقول لهم

(١) بعد تقرير النبوة انتقل الكلام إلى تقرير ركني العقيدة : التوحيد والبعث ، فيوم معمول لمحدوف تقديره : أذكر يا رسولنا يوم ينادي الجبار أولئك المحضرين في جهنم يناديهم للتوبيخ والتقريع .

﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي أنهم شركائي هذا سؤال تقريع وتأنيب والتقريع والتأنيب ضرب من العذاب الروحي الذي هو أشد من العذاب الجسدي . وقوله تعالى ﴿قال الذين﴾ حق عليهم القول ﴿أي نطق الرؤساء من أئمة الضلال وهم الذين﴾ حق عليهم العذاب في نار جهنم ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ ﴿أغويناهم﴾ فغوا ﴿كما غوينا﴾ أي ما أكرهناهم على الغواية ، ﴿تبرأنا إليك﴾ أي منهم . ﴿ماكانوا إيانا يعبدون﴾ أي بل كانوا يعبدون أهواءهم لاغير . وقوله : ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي يقال للمشركين تهكماً بهم واستهزاء ، ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي لينصروكم ويخلصوكم مما أنتم فيه من الذل والهوان .

قال تعالى : ﴿فدعوهم﴾ بالفعل نادوا ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذا لا يقدر واحد من الإنس أو الجن أن يقول هذا كان يعبدني ، بل كل معبود يتبرأ من عبده كما قالوا في الآية قبل ذي تبرأنا إليك أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم وقوله تعالى : ﴿ورأوا العذاب﴾ بأعينهم فاشتدت حسرتهم وودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين . وقوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم﴾ أي ربهم قائلاً ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ ؟ أخبرونا كيف كان موقفكم مع من أرسلنا إليكم ؟ هل آمنتهم بهم واتبعتموهم أم كذبتموهم وحاربتموهم قال تعالى : ﴿فعميت﴾ عليهم الأنبياء يومئذ ﴿أي فخفيت عليهم الأخبار التي يمكنهم أن يحتجوا بها فلم يجدوا حجة واحدة ولذا﴾ ﴿فهم لايتساءلون﴾ أي لايسأل بعضهم بعضاً لأنه سقط في أيديهم وعلموا أنهم صالو الجحيم لا محالة . وقوله تعالى : ﴿فأما من تاب﴾ من هؤلاء المشركين اليوم من الشرك وآمن بالله ولقائه ورسوله وعمل صالحاً فأدى الفرائض والواجبات ﴿ففعسى أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة ، فهذه دعوة سخية لكل مشرك وكافر وفاسق أن يتخلى عن الباطل المتلبس به ويؤمن بالإيمان الصحيح ويعمل صالحاً بأداء الفرائض فإنه ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار فهل من تائب ؟ !

(١) لم تعطف جملة . (قال الذين) بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار .

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام .

(٣) أي : أضللناهم كما كنا ضالين ، وذلك أنهم دعوهم إلى عبادتهم فعبدوهم ، ولذا قال قتادة : هؤلاء هم الشياطين ، وقيل : هم الرؤساء ، والكل صحيح .

(٤) (تبرأنا) أي : تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم ، وأنكروا أنهم كانوا يعبدونهم .

(٥) خفيت الأنبياء على جميع المسؤولين فسكتوا كلهم إذا لم يروا جواباً ينفع في هذا الموقف الرهيب .

(٦) هذه الفاء الفصيحة كأن سائلاً قال بعد أن عرف حال المشركين في النار : وما حال غيرهم يا ترى ؟ فاجيب بأن من تاب من الشرك وعمل صالحاً بأداء الفرائض ففلاحه العظيم واجب له متأكد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالشرك والمشركين .
- ٢ - براءة الرؤساء في الضلالة من المرؤوسين .
- ٣ - التحذير من الغواية وهي الضلال والانغماس في الذنوب والآثام .
- ٤ - خذلان المعبودين عابديهم يوم القيامة وتبرؤهم منهم .
- ٥ - باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك .

وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يخلق ما يشاء	: أي من خلقه .
ويختار	: أي من يشاء لنبوته وطاعته .
ما كان لهم	: أي للمشركين .
الخيرة	: أي الاختيار في شيء .
سبحان الله	: أي تنزيها لله عن الشرك .
يعلم ما تكن صدورهم	: أي ما تسر وتخفي من الكفر وغيره .
له الحمد في الأولى	: أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة .
وفي الآخرة	: أي في الجنة .
وله الحكم	: أي القضاء النافذ .
وإليه ترجعون	: بعد النشور وذلك يوم القيامة .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحذيرهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من الذل والعذاب ، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه . وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار ، وذلك من وجهين : الأول أنه لاحق لهم في الاختيار . إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها ما يشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يَخْلُقُ ولا يَخْلُقُ فيكشف يصح منه اختيار . والثاني بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد : من خلقكم ؟ لقالوا : الله ؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم ما يعبدون ويبين لهم كيف يعبدون ، إذ هو مولا لهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم ما يعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة . قال تعالى : (٦٨) ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . أي وربك يا محمد يخلق ما يشاء ممن يريد خلقهم ويختار من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان . أما عبده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد . وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول : «اللهم خِرْ لي واختر لي» وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات . وقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وهذا برهان أن الخيرة له وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار . أما الذي لا يعلم ما يكنه أخوه في صدره بل ولا ما يظهره آخر إلى جنبه أي لا يعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء . وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى وهو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لا معبود بحق سواه الذي له الحمد

(١) قيل نزلت ردأ على الوليد بن المغيرة حين قال : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . كما هي ردة على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة .

(٢) جائز أن يكون (ما) موصولاً مفعولاً به لفعل : يختار ، والعائد محذوف أي : ويختار الذي لهم فيه خيرة ، كما أن الخلق من خصائصه ، إذ قال (وربك يخلق ما يشاء) فكذلك الاختيار له دون غيره ، وجائز أن يكون الوقف التام على (ويختار) ، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار .

(٣) الخيرة : اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (الطيرة والخيرة) .

في الدنيا إذ كل مافي الدنيا هو خلقه وفضله وإنعامه، وله الحمد في الآخرة، يحمده أهل الجنة إذ قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بل الحياة الدنيا كالأخرة. تختتم بالحمد لله. قال تعالى ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿وله الحكم وإليه ترجعون﴾ أي وله الحكم أي القضاء في الدنيا والآخرة ﴿وإليه ترجعون﴾ فكما أن الحكم خاص به فكذلك الرجوع إليه، ويوم يرجعون إليه يحكم بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير مبدأ «ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختار الله له».
- ٢ - تعين طلب الاختيار في الأمر كله من الله تعالى بقول العبد «اللهم خّر لي واختر لي».
- ٣ - تأكيد سنة الاستخارة وهي إذا هم العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لا تكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح وهو «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به». ويسمي حاجته التي هم بها من سفر أو زواج أو بناء أو تجارة أو غراسة.
- ٤ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد.
- ٥ - وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتُرُونَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم	: أي أخبروني .
سرمداً	: أي دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار .
بضياء	: أي ضوء كضوء النهار .
ليل تسكنون فيه	: أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة .
لتسكنوا فيه	: أي في الليل .
ولتبتغوا من فضله	: أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار .
ولعلمكم تشكرون	: أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة .
ونزعنا من كل أمة شهيداً	: أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها عليه السلام .
فقلنا هاتوا برهانكم	: أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة .
فعلموا أن الحق لله	: أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لالسواه .
وضل عنهم ما كانوا يفترون	: أي وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل عليهم السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد وهو حول أنداد الله تعالى من مخلوقاته فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ ، قل لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وهو

خالقهم ورازقهم ومدير أمر حياتهم ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي دائماً ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار ﴿إلى يوم القيامة﴾ أخبروني هل هناك ﴿إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ كضياء النهار، والجواب لا أحد وإذا فكيف تشركون به أصناماً. ﴿أفلا تسمعون﴾ ما يقال لكم . وقل لهم أيضاً ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي دائماً متصلاً لا يخلفه ليل أبداً ﴿إلى يوم القيامة﴾ إلى إنقراض هذا الكون وانتهاء هذه الحياة وقيام الناس لربهم من قبورهم يوم القيامة ﴿من إله غير الله﴾ أي أي إله غير الله ﴿يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ فتخلدون إلى الراحة بالنوم والسكون وعدم الحركة فيه ، وإذا قلتم لا أحد يأتينا بليل نسكن فيه إذاً فما لكم لا تبصرون هذه الآيات ولا تسمعون ماتحملة من الأدلة والحجج القاطعة القاضية بأنه لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق سواه . وقوله تعالى : ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ إذ ليس واجباً عليه ذلك وإنما هو فضل منه ورحمة فالليل تسكنون فيه والنهار تتحركون فتبتغون رزقكم من فضل الله ، وبذلك تهيئون للشكر إذا أكلتم أو شربتم أو ركبتم أو نزلتم قلتم الحمد لله ، والحمد لله رأس الشكر، كما أن الليل والنهار ظرف للعبادة التي هي الشكر، فالعبادات لا تنفع إلا في الليل والنهار، فالصيام في النهار والقيام بالليل والصلاة والصدقات فيهما . وقوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم﴾ أي اذكروا يا رسولنا لهم تنبيهاً وتعليماً يوم يناديهم الرب تبارك وتعالى فيقول لهم : ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لي فعبدتوهم ، وهل يرجى أن يجيبوا لا ، لا ، وإنما هذا السؤال ونظائره هو سؤال تبكيت وتأنيب وتوبيخ وهو نوع من العذاب النفسي الذي هو أشد من العذاب الجسمي . وقوله تعالى : ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي وأذكر لهم هذا الموقف من مواقف القيامة الصعبة ﴿ونزعنا﴾ أي أحضرنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يشهد عليها وهو

(١) حقق الهمزة من (أرأيتم) حفص ، وخففها ورش فقلها ألفاً تخفيفاً (أرأيتم) .

(٢) (سرمداً) أي : دائماً . قال طرفة بن العبد .

لعمرك ما أمري عليّ بغمّة نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد

(٣) أي : بنهار تبصرون فيه معاشكم ويصلح فيه ثماركم ونباتاتكم .

(٤) فيه تصريح بأن الليل بما يحصل فيه من سكون وراحة للأبدان والعقول من الهم والتفكير، والنهار بما يحصل فيه من عمل ونشاط للكسب وتحصيل الرزق نعمة الله على العباد اقتضتها رحمته بهم فله الحمد وله المنة .

(٥) أعيد هذا الموقف مرة أخرى ليذكر فيه حالاً لم تذكر في الأول وهي : إشهد الأنبياء على أممهم ، وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية إذ هذه الآية كآية (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) .

نبيها، ويشهد الرسول أنه بلغ ونصح وأنذر، ويقال لهم : ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تعبدون وتدعون . قال تعالى : ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي تبين لهم أن الحق لله أي أن الدين الحق لله فهو المستحق لتأليه المؤهلين وطاعة المطيعين وقربات المتقربين لا إله غيره ولا رب سواه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - إشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج ، وأن الإبصار يكون مع الضوء ، ولا يتم مع الظلام بحال من الأحوال .
- ٢ - البرهنة القوية على وجوب توحيد الله إذ لا رب يدبر الكون سواه .
- ٣ - كون النهار والليل ظرفان للسكون وطلب العيش هما من رحمة الله تعالى أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والاعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولا يسخطه .
- ٤ - بيان أهوال القيامة ، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها .
- ٥ - إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق .

﴿إِنَّ الْقُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ

عَلَيْهِمْ وَءَايَنَّا مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَثَرَتْ جَمْعًا

(١) (هاتوا) أحضروا، والأمر مستعمل هنا للتعجيز إذ هم عاجزون عن الاتيان بأدنى حجة عن صحة شركهم وكفرهم ببقاء ربهم، فعاب عليهم ما كانوا يكذبونه من الادعاءات الفارغة من أن أصنامهم تشفع لهم .



وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

شرح الكلمات :

إن قارون كان من قوم موسى : أي ابن عم موسى عليه السلام .
فبغى عليهم : أي ظلمهم واستطال عليهم .
ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة : أي أعطاه الله من المال ما ينقل عن الجماعة حمل مفاتيح خزائنه .

لاتفرح إن الله لا يحب الفرحين : أي لاتفرح فرح البطرو والأشر .
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : أي اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات .
على علم عندي : أي لعلم الله تعالى بأنى أهل لذلك .
وأكثر جمعاً : أي للمال .
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب .
معنى الآيات :

هذا بداية قصص قارون الباغي ، وهو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم عليه السلام . فهو ابن عم موسى بن عمران وابن خالته أيضاً وكان يلقب المنور لحسن صورته ، ووافق كما نافق السامري المطرود . قال تعالى في ذكر خبره ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي إسرائيلي ابن عم موسى بن عمران الرسول . ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي على بني إسرائيل أي ظلمهم وطفى عليهم ، ولعل فرعون كان قد أسند إليه إمارة على بني إسرائيل فأطعته وملك أموالاً كثيرة ففرته وأهته . وقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ . وهذا الخبر الإلهي دليل على ماكان للطاغية

(١) هذا استئناف ابتدائي للذكر قصة لها مغزاها ونتائجها من الموعظة والذكرى .

(٢) ومعزى هذا القصص أولاً : تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا لا يقصه غير من يوحى إليه بحال . ثانياً : تضمن القصص الرد على المعجبين بالمال ومتاع الحياة الدنيا وبيان نهايتهم المؤلمة ، وثالثاً : عرض مشابه لموقف أصحاب الرسول ﷺ مع أغنياء مكة وهم يتطاولون عليهم بالمال والجاه . كما كان قارون مع ضعفة بني إسرائيل وفي ذلك عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين .

(٣) (ما إن مفاتحه) الأكثرون على أنَّ (ما) موصول ، وصلتها جملة : (إنَّ مفاتيحه) وأنكر بعض أن يتبدلي الصلة بحرف إن فقالوا : (ما) موصوفة وما بعدها في محل الصفة ، والمفاتيح : جمع مفتاح بكسر الميم : اسم آلة الفتح .

(٤) (تنوء) : من ناء بالشيء ينوء ثقل عليه ، والباء : في (بالعصبة) للمصاحبة ، وليست للسببية ، إذ هي كما في قول امرئ القيس :

وأردف أعجازاً وناء بكلل

والعصبة : الجماعة من الخمسة إلى العشرة فأكثر .

قارون من أموال بحيث أن المفاتيح تثقل كاهل العصابة أي الجماعة من الرجال لو حملوها كلها وذلك لثقلها . وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قومه﴾ أي من بني إسرائيل واعظين له مذكّرين ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي بأموالك فرح الأشر البطر ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي الأشرين البطرين الذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون . ﴿وَابْتَغِ﴾ أي اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من أموال ﴿الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ بأن تصدّق منها وأنفق في سبيل الله كبناء مسجد أو مدرسة أو ميثم أو ملجأ إلى غير ذلك من أوجه البر والإحسان . ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ﴾ ^(١) من الدنيا ﴿فَكَلْ وَاشْرَبْ وَابْسُ وَارْكَبْ وَاسْكُنْ وَلَكِنْ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ وَلَا غِيْلَةٍ﴾ ، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ عبادة الله تعالى وطاعته وأحسن إلى عباده بالقول والعمل ﴿كَمَا أَحْسَنَ﴾ أي الله تعالى إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بترك الفرائض وارتكاب المحرمات . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ومن لم يحبه الله أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة فبعد هذه الموعظة من قومه الصالحين أهل العلم والبصيرة ردّ هذا الطاغية قارون بما أخبره تعالى عنه في قوله في الآية (٧٨) ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي لا تهددوني ولا تخوفوني بسلب مالي عني إن أنا لم أحسن فإن هذا المال ﴿قَدْ أُوتِيتُهُ﴾ أي آتانيه الله على علم منه بأنني أهل له ولذا أعطاني وزاد عطائي وأكثره قال تعالى في الرد عليه في زعمه هذا ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي يقول ما يقول من الزعم الكاذب ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ، كعاد وثمود وقوم إبراهيم فلو كان كثرة المال دليلاً على حب الله ورضاه عن أهله ، ما أهلك عاداً وثموداً وقوم نوح من قبل وكانوا أشد قوة وأكثر مالاً ورجالاً وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي إذا أكثر العبد من الإجرام بالشرك والمعاصي حق عليه كلمة العذاب وأن عذابه لا يسأل عن ذنوبه بل يؤخذ فجأة كما أن هؤلاء المجرمين سيدخلون النار بغير حساب فلا يسألون ولا يحاسبون . قال تعالى : ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ^(٢) فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴿أَيُّ وَيُرْمُونَ فِي جَهَنَّمَ وَيَقَالُ لَهُمْ﴾ : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ^(٣) .

(١) أشار ابن عمر إلى هذا القول في قوله : احثر لديك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . ومن تأولها بالعمل للآخرة فقط شاهده قول الشاعر :

مما تجمع الدهر كله رداءً ان تلوى فيهما وحنوط

(٢) الفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي الجامعة لترك الفرائض وإتيان الكبائر .

(٣) وقال ابن زيد : لعلم الله تعالى بفضلني ورضاه عني أي : إني أوتيتها باستحقاقي .

(٤) أي : لا يسأل سؤال استعتاب ليتوب أما سؤال التقرير والتوبيخ فلا مانع منه ، وذلك كقوله تعالى : (ولا يستعتبون) وقوله (وما هم بمعصين) .

(٥) (سَيِّئَاتِهِمْ) إنهم سود الوجوه زرق العيون .

(٦) المجرمون : هم الذين أجروا على أنفسهم أي : خبثوها بكثرة ما يرتكبون من الجرائم كالكفر والظلم وكبائر الذنوب ، كالقتل ظلماً وأكل الربا وتعاطي الخمر والزنى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - المال والمنصب العالي عرضة لإفساد المرء إلا من رحم الله عز وجل وقليل ما هم .
- ٢ - حرمة الفرع بالمال والإمارة إذا كان الفرع فرح بطر وفخر واعتزاز وكبر وخيلاء .
- ٣ - من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويرشدون ويوجهون .
- ٤ - من الحزم للمرء أن يطلب من المال والجاه والمنصب أعلى الدرجات في الجنة .
- ٥ - حلية الأكل من الطيب والشرب من الطيب واللبس والركوب والسكن من غير إسراف ولا خيلاء ولا كبر .
- ٦ - العافية والمال وعز السلطان يصاب صاحبها بالاغترار إلا من رحم الله

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ

فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُلُوبُكُمْ إِنَّهُمْ لَذُحْطٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
مَكَانَهُ بِأَلَامٍ مُسِيٍّ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنًا
وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في زيته

يأليت لنا مثل مأوتي قارون

: أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية .

: أي تمنوا أن لو أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون .

إنه لذو وحظ عظيم

: أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير .

وقال الذين أوتوا العلم

: أي اعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء .

ويلكم

: أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا .

ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً : أي ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين

الصالحات وهو الجنة خير من حطام الدنيا الفاني .

ولا يلقاها إلا الصابرون

: أي ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون على الإيثار والتقوى .

فخسفنا به وبداره الأرض

: أي أسخنا الأرض من تحته فساخنت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام .

تمنوا مكانه بالأمس

: أي الذين قالوا يأليت لنا مثل ما أوتي قارون فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الامارة والزينة والمال والجاه .

ويكأن الله ييسط

: أي أعجبُ عالماً أن الله ييسط الرزق لمن يشاء .

ويقدر

: أي يضيّق .

ويكأنه لا يفلح الكافرون

: أي أعجبُ عالماً أنه لا يفلح الكافرون أي أنهم لا يفوزون بالنجاة من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص قارون الباغي قال تعالى ﴿فخرج على قومه﴾^(١) أي قارون في يوم عيد أو مناسبة خرج على قومه وهم يشاهدون موكبه ﴿في زينته﴾ الخاصة من الثياب والمراكب . قوله تعالى : ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي من قوم موسى وهم المفتونون بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة وما أكثرهم اليوم وقبل وبعد اليوم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿يأليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون من المال والزينه ﴿إنه لدوحظ عظيم﴾^(٢) أي بخت ونصيب ورزق ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أي الشرعي^(٣) الديني العالمون بالدنيا والآخرة . وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما قالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي ويحكم هلكتم إن كنتم تؤثرون هذا الفاني على الباقي ﴿ثواب الله﴾ وهو الجنة خير من هذا الزخرف الفاني ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ ولازم ذلك أنه ترك الشرك والمعاصي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يلقاها﴾ أي^(٤) هذه الجملة من الكلام : ﴿ثواب الله خير لمن آمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحاً﴾ في حياته بأداء الفرائض والنوافل وترك المحرمات والردائل أي ولا يلقى هذه الكلمة ﴿إلا الصابرون﴾ من أهل الإيمان والتقوى هم الذين يلقنهم الله إياها فيقولونها لصفاء أرواحهم وزكاة أنفسهم وقوله تعالى في الآية (٨١) ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ يخبر تعالى أنه خسف بقارون وبداره الأرض انتقاماً منه لكفره ونفاقه وبغيه وكبريائه . وقوله تعالى ﴿فما كان له من فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ لما أراد الله خذلانه بخسف الأرض به وبداره ومن فيها من أعوانه الظلمة والمجرمين . ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي لنفسه فنجأها مما حل بها من الخسف في باطن الأرض التي ما زال يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾^(٥) يخبر تعالى

(١) لم تؤثر فيه موعظة واعظيه ولم ينتفع منها بشيء لظلمة نفسه وقساوة قلبه لما ران عليه من الذنوب فخرج في مظهر الكبرياء والتعدي .

(٢) الحظ : القسم الذي يُعطاه المقسوم له .

(٣) في الآية دليل قوي على أن الجاهل بالله وشراعه ووعده ووعيد هو سبب كل شر وفساد في الأرض ، وأن العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض .

(٤) (يلقاها) الضمير عائد على ما دل عليه قولهم : (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) وهو هذه الموعظة ، ولا يلهمها وتلقى في روعه وينطق بها إلا أهل الصبر على الطاعات وعن المعاصي تنصفوا لذلك نفوسهم فيلهمون مثل هذه الموعظة .

(٥) الفاء هنا : للترتيب والتعقيب فقد خسف به يوم خروجه في زينته .

(٦) أي : تمنوا منزلته بين الناس ، وهي منزلة المال والترف والجاه والرفعة ومعنى : مكانه : ما كان عليه من منزلة العلو والرفعة .

عن الذين قالوا يوم خرج عليهم قارون في زينتته ياليت لنا مثل ما أوتي قارون يخبر تعالى عنهم أنهم لما شاهدوا الخسف الذي حل بقارون وبداره قالوا ويكان الله ييسط الرزق لمن يشاء أي نعجب عالمين، أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي على من يشاء فاليسط والقبض كله لله ويبد الله فما لنا لا نفرع إلى الله نطلب رضاه ولا نتمنى ما تمنينا وقد أصبح ذاهباً لا يرى بعين ولا يلمس بيدين، ﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون﴾ أي نعجب أيضاً عالمين بأنه لا يفلح الكافرون كقارون وفرعون وهامان أي لا يفوز الكافرون لا بالنجاة من العذاب ولا بدخول الجنان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى
- ٢ - بيان موقف أهل العلم الديني وأنهم رُشد أي حكماء يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر.
- ٣ - بيان أن البغي يؤخذ به البغاة في الدنيا ويعذبون به في الآخرة.
- ٤ - بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل وأن ذا الإيمان أقرب إلى التوبة ممن لا إيمان له.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِصِينَ
﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) (ويكان الله) قيل : ويكان : مركبة من وي وهو اسم فعل بمعنى أعجب وكاف الخطاب وأن الناصبة، ومعنى الكلام : أعجب يا هذا من بسط الرزق لمن شاء، قال عترة، والشاهد في قوله : ويك، قال :
ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عترة أقدم
وذهب بعض إلى أن أصل ويك : ويك أعلم أنه كذا فحذفت اللام والفعل، فصارت ويك.
(٢) أي : يضيق الرزق ولا يوسع.
(٣) أي : لولا أن من الله فعافانا مما ابتلى قارون به من المال والظلم والطغيان لحل بنا ما حل به من الخسف والخسران.

شرح الكلمات :

- تلك الدار الآخرة : أي الجنة، دار الأبرار.
- لا يريدون علواً في الأرض : أي بغياً ولا استطالة على الناس.
- ولا فساداً : أي ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي.
- والعاقبة : أي المحمودة في الدنيا والآخرة.
- للمتقين : الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون مالا يرضى به الله تعالى.
- من جاء بالحسنة : أي يوم القيامة والحسنة : أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.
- فله خير منها : أي تضاعف له عشرة أضعاف.
- ومن جاء بالسيئة : السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق أن ثواب الله وهو الجنة خير لمن آمن وعمل صالحاً فأشار إليه تعالى بقوله ﴿تلك الدار الآخرة﴾ التي هي الجنة إذ هي آخر دار يسكنها المتقون فلا يخرجون منها. نجعلها، هذا هو الخبر عن قوله تلك الدار الآخرة فأخبر تعالى أنه يجعلها مأوى ومسكناً للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، لا يريدون استطالة على الناس وتعالياً وتكبراً عليهم وبغياً، ولا فساداً بارتكاب المعاصي كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر، وقوله تعالى : ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل الإيمان والتقوى وهم المؤمنون الذين يتقون مساخط الله عز وجل، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنهيات. وقوله تعالى : ﴿من جاء﴾ أي يوم القيامة ﴿بالحسنة﴾ وهي الطاعات لله ورسوله ﴿فله﴾ جزء مضاعف الحسنة بعشر أمثالها وقد تضاعف إلى أكثر بشرط أن لا تكون حسنة أعطيت له من حسنات ظالم في الدنيا فهذه لا تتضاعف. إذ تضاعف الحسنة التي باشرها، كما

(١) الجملة ابتدائية وهو بدء مشوق، قرأ الفضل بن عياض هذه الآية ثم قال : ذهب الأمامي ها هنا أي : أمانى الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب.

(٢) روى سفيان بن عيينة أن علياً بن الحسين وهو راكب مر على مساكين يأكلون كسراً لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فنلا هذه الآية : (تلك الدار الآخرة . .) إلى (فساداً) ثم نزل وأكل معهم.

(٣) الجملة تذييلية تقرر حقيقة أخرى وهي الإشارة بالتقوى والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل التقوى.

لاتضاعف حسنة من هم بحسنة ولم يعملها فإنها تكتب له حسنة ولا تضاعف لعدم مباشرته إياها وقوله ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي يوم القيامة. والسيئة أثر معصية الله تعالى ورسوله في نفسه ﴿فلا يجزى﴾ إلا مثلها أي لا تضاعف عليه وذلك لعدالة الله تعالى ورأفته بعباده، وهو معنى قوله تعالى ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أي في الدنيا إذ هي دار العمل والآخرة دار الجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والعمل بالمعاصي، وأنه الفساد في الأرض.
- ٢ - بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.
- ٣ - العقابة الحسنى وهي الجنة لأهل الإيمان والتقوى.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ
تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

إن الذي فرض عليك القرآن : أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه

لرأذك إلى معاد : أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه.

وماكنت ترجو : أي تأمل أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك .
 إلا رحمة من ربك : لكن برحمة من الله وفضل أنزله عليك .
 فلا تكونن ظهيراً : أي فمن شكر هذه النعمة أن لا تكون معيناً للكافرين .
 ولا يصدنك : أي لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك .
 وادع إلى ربك : أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به .
 ولا تدع مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر له .
 كل شيء هالك : أي فاني .
 إلا وجهه : أي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ما عداه .
 معنى الآيات :

تقدم في السياق الكريم الدعوة إلى أصول الدين الثلاثة : التوحيد، النبوة، البعث والجزاء وهذه خاتمة ذلك في هذه السورة الكريمة فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي أنزله عليك وفرض عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ، ﴿لِرَادِّكَ﴾ أي لمرجعك ^(١) ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وهو العودة إلى مكة بعد خروجك منها واشتياقك إلى العودة إليها وإلى الجنة بعد وفاتك لأنك دخلتها ليلة عُرج بك إلى السماء وفي هذا تقرير لنبوته ﷺ بالوحي إليه ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فإنه تعليم له ﷺ بما يرد به على المشركين الذين اتهموه بأنه ضال في دعوته وخروجه عن دين آبائه وأجداده علمه أن يقول لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى وهو أنا، رسول الله ، ومن هو في ضلال مبين وهو أنتم أيها المشركون . وقوله ﴿وماكنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب﴾ أي وما كنت يا محمد تأمل أن ينزل عليك القرآن، وذلك قبل بعثته ﷺ ، وقوله ﴿إلا رحمة من ربك﴾ أي لكن رحمة ربك عليك اقتضت إنزاله عليك لتكون رسول الله للعالمين، وهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم فاشكره بما يلي :

(١) ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي عوناً لهم بحال من الأحوال .

(١) ختمت هذه السورة المكية بخاتمة نزلت بالمدينة، وهي بشرى له ﷺ بأن مرده إلى مكة فاتحاً قاهراً غالباً وحقق الله تعالى له ذلك فبعد ثمان سنوات من هجرته ظهر مصداق هذه البشرى .
 (٢) مرجعك : اسم فاعل من أرجعه الرباعي فهو مرجع له .
 (٣) وفسر المعاد بالجنة لأنه دخلها ليلة المعراج، وأخرج منها وبقيت نفسه ملتصقة بها فبشر بأن الله تعالى سيرده إليها .
 (٤) الاستثناء منقطع لذا فسر بلكن .

(٢) ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ فترك تلاوتها وإبلاغها والعمل بها . وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية .

(٣) ﴿وادع إلى ربك﴾ ادع الناس إلى توحيد ربك والعمل بشرعه .

(٤) ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي فتبرأ منهم ولا ترضى بشركهم وادعهم إلى خلافه وهو التوحيد .

(٥) ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر لا بالدعاء ولا بالنذر والذبح ولا بتقديم أي قربان أو طاعة لغير الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا تقرير للتوحيد وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للتوحيد بإبطال أن يكون هناك إله مع الله .

وقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(١) يخبر تعالى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ذاهب بلا مثوبة عليه . كما أن كل شيء سوى الله عز وجل فانٍ ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى كقوله ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿وله الحكم﴾ أي القضاء العادل بين عباده وقوله ﴿وال إليه ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء يوم بعثكم وحشركم إليه عز وجل ، وفي هذا تقرير للبعث والجزاء . والحمد لله أولاً وآخراً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - معجزة القرآن في وقوع الغيب بعد الإخبار به وذلك حيث عاد الرسول ﷺ إلى مكة بعد الخروج منها .
- ٢ - مشروعية الملاينة في الجدال والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال أسلوب التشكيك .
- ٣ - حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لاسيما ضد المؤمنين .
- ٤ - وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها .
- ٥ - تقرير التوحيد والبعث والنبوة المحمدية .
- ٦ - فناء كل شيء إلا الله تعالى إلا ماورد الدليل بعدم فناءه وعدُّ منه ثمانية نظمها بعضهم بقوله :

هي العرش والكرسي نار وجنة
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(١) قال مجاهد : معناه إلا هو ، وقال سفيان ، وأبو العالية : إلا ما أريد به وجهه أي : ما يفعل من الطاعات لأجله ، كما قال الشاعر :

استغفر الله ذنباً لست مُحصيه ربّ العباد إليه الوجه والعمل

سُورَةُ الْجَنْكِبُوتِ

(١) مكية

وآياتها تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

الْم : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب ألم وتقرأ ألف لام ميم .

وهم لا يفتنون : أي لا يخبرون بآيتين به حقيقة إيمانهم من التكليف ومنها الصبر على الأذى .
ولقد فتنا الذين من قبلهم : أي اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس .
فليعلمن الله الذين صدقوا : أي في إيمانهم ، وليعلمن الذين كذبوا فيه بما يظهر من أعمالهم .

أن يسبقونا : أي يفوتونا فلا ننتقم منهم .

(١) روي أن الآيات الأولى منها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة ، وقال علي بن أبي طالب : نزلت بين مكة والمدينة .

سواء ما يحكمون : أي بشس الحكم هذا الذي يحكمون به ، وهو حسابهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم .
 من كان يرجو لقاء الله : أي من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه فليعلم أن أجله لآت فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال .
 ومن جاهد : أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس .
 فإنها يجاهد لنفسه : أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه .
 ولنجزينهم أحسن : أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه .

معنى الآيات :

آلَمْ : الله أعلم بمراده به وهذا هو مذهب السلف في هذه الحروف وهو تفويض علمها إلى منزلها عز وجل وقوله ﴿أحسب الناس﴾ أي أظن الناس ﴿أن يقولوا آمناً﴾ فيكتفى منهم بذلك و﴿وهم لا يفتنون﴾ أي ولا يختبرون بل لا بد من اختبار بالتكاليف الشاقة كالهجرة والجهاد والصلاة والصيام والزكاة وترك الشهوات والصبر على الأذى . والآية وإن نزلت في مثل عمار بن ياسر وبلال وعياش فإنها عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، واللفظ عام هنا ، لأن اسم الجنس إذا دخلت عليه «ال» أفادت استغراق جميع أفرادها . وقوله تعالى : ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ من الأمم السابقة فهي إذ أسنة ماضية في الناس لا تتخلف . وقوله تعالى ﴿فليعلمن﴾ الله الذين صدقوا ﴿في إيمانهم﴾ أي يظهر ذلك ويعلمه مشاهدة بعد أن علمه قبل إخراجه إلى الوجود حيث قدر ذلك وكتبه في كتاب المقادير وذلك بتكليفهم وقيامهم بما كلفوا به من

(١) قال مجاهد وغيره : نزلت هذه الآية مسلية للمعذبين بمكة المتخلفين عن الهجرة وهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ، وياسر أبوه وسمية أمه إذ كانت صدورهم تضيق بالعذاب وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين .

(٢) روى البخاري عن خباب بن الارت قال : (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعونا؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون) وروى ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟ قال : (الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتدّ بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة!!) .

(٣) وفي الحديث : (من أسر سريرة الـبسه الله رداءها) أي : أظهرها عليه .

شاق الأفعال وشاق التروك، إذ الهجرة والجهاد والزكاة أفعال، وترك الربا والزنا والخمر تروك ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ حيث ادَّعوا الإيمان ولما ابتلوا بالتكاليف لم يقوموا بها، فبان بذلك عدم صدقهم وإنهم كاذبون في دعواهم أنهم مؤمنون. وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ أي أظن ﴿الذين يعملون السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ أي يفوتونا فلم نأخذهم بالعذاب. ﴿سواء ما يحكمون﴾ به لأنفسهم أي قبح حكمهم هذا من حكم لفسادهم، إذ أقاموه على ظن منهم أن الله تعالى لا يقدر عليهم وهو على كل شيء قدير وأنه لا يعلمهم وهو بكل شيء عليم. وقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ أي ﴿من كان﴾ يؤمن ويؤمل لقاء الله وذلك يوم القيامة فليعلم أن أجل الله المضروب لذلك لآت قطعاً وعليه فليستعد للقاءه بما يناسبه وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والعمل الفاسد، ومن هنا دعوى المرء أنه يرجو لقاء ربه ولم يعمل صالحاً يثاب عليه، دعوى لاتصح قال تعالى في سورة الكهف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (١١٠) وقوله ﴿وهو السميع العليم﴾ أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأعمالهم، فدعوى الإيمان ظاهرة من العبد أو باطنة لقيمة لها مالم يقم صاحبها الدليل عليها وذلك بالإيمان والجهاد للعدو الظاهر والباطن. وقوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإننا يجاهد لنفسه﴾ أي منفعة هذه العبادة عائدة على العبد نفسه أما الله عز وجل فهو في غنى عن عمل عباده غنى مطلقاً وهذا ما دل عليه قوله: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كل ماسوى الله تعالى عالم ويجمع على عوالم وعالمين^(١). وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ هذا وعد من الله تعالى لمن آمن من عباده وذلك على إيمانه وصالح عمله فعلاً وتركاً بأنه يكفر عنه سيئاته التي عملها قبل الإسلام وبعده. ومعنى يكفرها عنهم يغطيها ويسترها ولم يطالبهم بها كأنهم لم يفعلوها. وقوله ﴿ولنجزيهم﴾ أي على أعمالهم الصالحة ﴿أحسن﴾ أي بأحسن عمل عملوه فتكون أعظم ماتكون مضاعفة. وهذا من تكرمه على عباده الصالحين ليجزي بالحسنة أضعافها مئآت المرات.

(١) قال ابن عباس: المراد بهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل والأسود بن العاص بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن وائل.

(٢) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لا بد أن يأتيه.

(٣) المراد بجهاد العدو الظاهر الكفار والباطن النفسي.

(٤) جمع ملحق بمذكر سالم نحو: الحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة أن الإيثار يصدق بالأعمال أو يكذب .
- ٢ - بيان ضرورة التكليف لما يشق على النفس فعله أو تركه ولكن ليس بهالاً يطاق .
- ٣ - تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمناً ما فإنها واقعة لا محالة .
- ٤ - ثمره الجهاد عائدة على المجاهد نفسه . فلذا لا ينبغي أن يمنها على الله تعالى بأن يقول فعلت وفعلت .
- ٥ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الوعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات بتكفير السيئات والجزاء الأحسن أي هذا يتم يوم البعث .

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا

(١) يصح إعراب (حسناً) على أنه منصوب على نزع الخافض أي : بالحسن، نحو: وصيته خيراً، أي : بالخير، ويصح أيضاً أن يكون العامل محذوفاً تقديره ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما حسناً، كما قال الشاعر:
عجبت من دهما إذ تشكونا ومن أبي دهما إذ يوصينا
خيراً بها كأنما خافونا

أي يوصينا أن نفعل بها خيراً

وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ووصينا الانسان : أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا .

بوالديه حسناً : أي إيصاءً ذا حسن ، وذلك ببرهما وعدم عقوبتهما .

وإن جاهدك : أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك .

لندخلهم في الصالحين : أي لندخلهم مدخلهم في الجنة .

فتنة الناس : أي أذاهم له .

كعذاب الله : أي في الخوف منه فيطيعهم فيناق .

إنا كنا معكم : أي في الإيوان وإنما أكرهنا على ما قلنا بالسنتنا .

إتبعوا سبيلنا : أي ديننا ومانحن عليه .

ولنحمل خطاياكم : أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم ، فالكلام

خبر وليس إنشاء .

وليحملن أثقالهم : أي أوزارهم ، والأوزار الذنوب .

وأثقالاً مع أثقالهم : أي من أجل قولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا .

عما كانوا يفترون : أي يكذبون .

معنى الآيات :

(١)

هذه الآيات نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان ما هذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فنصير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه ، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم

(١) روى مسلم وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : نزلت في أربع آيات فذكر قصته قال : قالت أم سعد : أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما فنزلت هذه الآية .

تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال : يا أماء لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاء ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولوقل ، وإيصال الخير بهما من كل ما هو خير قولاً كان أو فعلاً . وقوله تعالى : ﴿وإن جاهدك﴾ أي بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئاً من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما كما فعل سعد بن أبي وقاص مع والدته في عدم إطاعتها . وقوله ﴿إني مرجعكم﴾ أولاداً والدين ﴿فانثبكم بما كنتم تعملون﴾ وأجزيكم به فلذا قدموا طاعتي على طاعة الوالدين ، فإني أنا الذي أحاسبكم وأجزيكم بعملكم أنتم وإياهم على حد سواء . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التي هي العبادات التي تعبد الله تعالى بها عباده المؤمنين ، فشرعها لهم وبينها رسوله ﷺ كالذكر وقراءة القرآن والصلاة والصيام والصدقات والجهاد والحج وما إلى ذلك . هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الحق والعمل الصالح الخالي من الشرك والرياء . يقسم الله تعالى أنه يدخلهم في مدخل الصالحين وهم الأنبياء والأولياء في الجنة دار السلام . وقوله تعالى : ﴿ومن الناس﴾ من يقول آمنا بالله ﴿الآية هذه نزلت في أناس كانوا بمكة وآمنوا وأعلنوا عن إيمانهم فاضطهدهم المشركون فكانوا ينافقون فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله﴾ أي آذاه المشركون نافق وارتد ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي أذاهم له وتعذيبهم إياه ﴿كعذاب الله﴾ يوم القيامة فوافق المشركين على الكفر . وقوله تعالى : ﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان وإنما كنا مكرهين وهذه نزلت فيمن خرجوا من مكة إلى بدر مع المشركين لما انهزم المشركون وانتصر المسلمون وأسروا قالوا ﴿إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان فرد تعالى دعواهم بقوله ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي الناس . وقوله تعالى : ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ تقرير لما سبق في الآية قبل وليترتب عليه الجزاء على الإيمان وعلى النفاق . فعلمه تعالى يستلزم الجزاء العادل فأهل الإيمان يجزيهم بالنعيم المقيم وأهل النفاق بالعذاب المهين . أولئك في دار السلام وهؤلاء في دار البوار . وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ أي ديننا

(١) قال الضحاك هذه الآية نزلت في ناس من المنافقين في مكة كانوا يؤمنون فإذا أؤذوا رجعوا إلى الشرك .

(٢) الاستفهام للتقرير فلذا يجاب ببلى .

وما نحن عليه ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾^(١) أي قال رؤساء قريش لبعض المؤمنين اتركوا سبيل محمد ودينه واتبعوا سبيلنا وديننا، وإن كان هناك بعث وجزاء كما يقول محمد ﷺ - نحن مستعدون أن نتحمل خطاياكم ونجازي بها دونكم فأكذبهم الله تعالى بقوله : ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ و ﴿إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ولنحمل خطاياكم . وقال تعالى مقسماً بعزته وجلاله : ﴿وليحملن أثقاهم﴾ أي أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقاهم﴾ أي وأوزاراً أي ذنباً مع أوزارهم التي هي ذنوبهم وذلك من أجل ما قالوا لهم . ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون من أنهم يحملون خطايا المؤمنين يوم القيامة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب بر الوالدين في المعروف وعدم طاعتها فيما هو منكراً كالشرك والمعاصي .
- ٢ - بشرى المؤمنين العاملين للصالحات بإدخالهم الجنة مع النبيين والصديقين .
- ٣ - ذم النفاق وكفر المنافقين وإن ادعوا الإيثار فما هم بمؤمنين .
- ٤ - بيان ما كان عليه غلاة الكفر في مكة من العتو والطغيان .
- ٥ - تقرير مبدأ من سن سنة سيئة فعلية وزررها ووزر من عمل بها كما في الحديث الصحيح^(٢) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

(١) جزم الفعل (ولنحمل) على الأمر، قال الفراء والزجاج : هو في تأويل الشرط والجزاء أي : أن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، كما قال : مدثر بن شيبان الضمري .

تقول خليلتي لما اشتكتنا سيدركتنا بنو القرم الهجان
فقلت ادعي وأدع فإن أندى لصوت أن ينادى داعيان

أي : إن دعوت دعوت .

(٢) نص الحديث كما هو في الصحيح : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً) وفي الصحيح أيضاً (ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل) .

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا نوحاً : أي نوحاً بن لَمَك بن مُتَوْشَلُخ بن ادريس من ولد

شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة .

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً : أي فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين سنة .

فأخذهم الطوفان : أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم .

وهم ظالمون : أي مشركون .

وجعلناها آية للعالمين : أي عبرة للناس يعتبرون بها فلا يشركون ولا يعصون .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما كان يلاقه رسوله والمؤمنون من مشركي قريش ذكر تعالى نوحاً وإبراهيم وكلاهما قد عانى ولاقى مالم يلاقه محمد ﷺ وأصحابه ليكون ذلك تسلياً لهم وتخفيفاً عنهم فقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ وقوم نوح يومئذ هم البشرية جمعاء . إذ لم يكن غيرهم ﴿ فلبث فيهم ﴾ أي مكث يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وترك الأصنام الخمسة التي كانت لهم وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء الخمسة رجالاً صالحين فلما ماتوا بنوا على قبورهم ووضعوا لهم تماثيل بحجة أنها تذكرهم بالله فيرغبوا في الطاعة والعمل الصالح ثم زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم فبعث الله تعالى إليهم نوحاً رسولاً فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة هؤلاء ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ يدعوهم فلم يستجيبوا له ﴿ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ فاستجاب الله له فأنجاه وأصحاب السفينة وهم المؤمنون وهلك في الطوفان زوجته وولده كنعان وسائر البشر إلا نوحاً

(١) روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (أول نبي أرسل واختلف في سني عمره : فروى عن أنس أن النبي ﷺ قال : لما بعث الله نوحاً إلى قومه وبعثه وهو ابن لخمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال : يا نوح يا أكبر الأنبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟ قال مثل رجل بنى له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر .

(٢) العدول عن السنة إلى العام حتى لا يحصل تكرار في لفظ السنة وهو من بلاغة الكلام .

ومن معه في السفينة ، وكانوا قرابة الثمانين نسمة ، وخلف نوحاً ثلاثة أولاد هم سام وهو أبو العرب وفارس والروم وهم الجنس السامي وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ويافث وهو أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي لأنفسهم بالشرك . ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾ ومن بين مافيها أبناءه الثلاثة (١) سام وحام ويافث ومنهم عمر الكون بالبشر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وقوله ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي حادثة الطوفان ومنها السفينة ومكث تلك المدة الطويلة مع قلة المستجيبين ﴿ آيَةً ﴾ أي عبرة ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي للناس ليعتبروا بها فلا يعصوا رسلهم ولا يشركون بهم هذا إذا اعتبروا وقليل من يعتبر .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان سنة الله تعالى في ارسال الرسل لهداية الخلق .
- ٢ - بيان قلة من استجاب لنوح مع المدة الطويلة فيكون هذا تسلياً لرسول الله ﷺ والدعاة من بعده .
- ٣ - بيان اهلاك الله تعالى الظالمين وإنجائه المؤمنين وهي عبرة للمعتبرين .

وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقَرُّوا لَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا

(١) الطوفان : مأخوذ من أطاف بالشيء يطيف وهو كثاف يطوف طوفاً وطوفاناً قال النحاس يقال : لكل كثير مطيف بالجميع . من مطر أو قتل أو موت طوفان .

(٢) في البخاري أن قتادة قال : بقيت السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة . وقيل : إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج ، وكان الجودي الذي رست فوقه قرب (باقرى) وهي قرية من جزيرة بن عمر بالموصل شرقي دجلة .

(٣) الضمير في : (وجعلناها) عائد إلى السفينة ، وما في التفسير أعم وأشمل .

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُيِّنُ

شرح الكلمات :

ولإبراهيم

: أي واذكر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم، وعلى قراءة

الرفع: ومن المرسلين إبراهيم.

اعبدوا الله واتقوه : أي آمنوا به ووجدوه في عبادته واتقوا أن تشركوا به وتعصوه.

أوثنائاً

: أصناماً وأحجاراً وصُوراً وتمائيل.

وتخلقون إنكاً

: أي تخلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان آلهة وتعبدونها.

فابتغوا عند الله الرزق : أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل

المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

واعبدوه

: أي بالإيمان به وتوحيده واشكروه بطاعته.

وإن تكذبوا

: أي يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر

فقد كذب أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ.

وما على الرسول

: أي محمد ﷺ.

إلا البلاغ المبين

: وقد بلغ وبين فبرئت ذمته وأنتم المكذبون ستحل بكم نعمة الله.

معنى الآيات :

هذا القصص معطوف على قصص نوح لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين ولتذكير قريش بأنها في إصرارها على الشرك والتكذيب للرسول ﷺ صائرة إلى مآصار إليه المكذبون من قبل إن لم تنب إلى الله وترجع إليه بالإيمان والطاعة وترك الشرك والمعاصي قال تعالى : ﴿ وإبراهيم ﴾ أي^(١) واذكر يارسولنا إبراهيم خليلنا ﴿ إذ قال لقومه ﴾ البابليين ومن بينهم والده آزر يا قوم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أي بتوحيده في عبادته ﴿ واتقوه ﴾ بترك الشرك والعصيان وإلا حلت بكم عقوبته ونزل بكم عذابه وقوله ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أي الإيمان والتوحيد والطاعة خير لكم من الكفر والشرك والعصيان. إذ الأول يجلب الخير والثاني يجلب الشر ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ الخير

(١) ويجوز أن يكون منصوباً بـ (أنجيناً) معطوفاً على الهاء.

والشر وتفرقون بينها وقوله عليه السلام ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ يخبرهم معرفاً لهم بخطئهم فيقول ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أي أصناماً وتمائيل وعبادة الأصنام والأوثان عبادة باطلة لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم ضرراً. إن الذي يجب أن يعبد الله الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت السميع البصير. أما الأوثان فلا شيء في عبادتها إلا الضلال واتباع الهوى. وقوله لهم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي وتصنعون كذباً تختلقونه اختلاقاً عندما تقولون في التماثيل والأصنام إنها آلهة. وقوله عليه السلام لقومه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يخبرهم عليه السلام معرفاً لهم بحقيقة هم عنها غافلون وهي أن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون لهم رزقاً لأنهم لا يقدرّون على ذلك فما الفائدة إذاً من عبادتهم وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم إلى عبادة الله الواحد القهار فقال ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق فإنه مالكة والقادر على إعطائه ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ بالإيمان به وبرساله وبتوحيده ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ يرزقكم ويحفظ عليكم الرزق وقوله ﴿إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ ذكرهم بعلّة غفلتهم ومصدّر جهلهم وهي كفرهم بالبعث فأعلمهم أنهم إليه تعالى لا إلى غيره يرجعون. إذاً فليتعرفوا إليه ويعبدوه طلباً لرضاه وإكرامهم يوم يلقونه. وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ أي يا أهل مكة رسولنا وتنكروا وحيناً وتكفروا بلقائنا فلستم وحدكم في ذلك. ﴿فَقَدْ كَذَبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قوم نوح وعاد وفرعون وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وغيرهم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾ أي رسولنا محمد ﷺ إلا البلاغ المبين وقد بلغكم وأنتم الآن بين خيارين لا ثالث لهما: الأول أن تعظوا بما أسمعناكم وأريناكم من آياتنا فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا فتكملوا وتسعدوا وإما أن تبقوا على إصراركم على الشرك والكفر والعصيان فسوف يحل بكم ما حل بأمثالكم، إذ كفاركم ليسوا بخير من كفار أولئك الذين انتقم الله منهم وأذاقهم سوء العذاب. هذا ما دلت عليه الآية (١٨) وهي معترضة بين الآيات التي اشتملت على قصص

(١) إنما: ما: كافة أوثاناً منصوب بـ (تعبدون).

(٢) قال أبو عبيدة: الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما اتخذ من حصى أو حجارة.

(٣) سلك إبراهيم في دعوة قومه هذه سبيل الاستدلال بالنعم الحسية لأن إثباتها أقرب إلى أذهان العوام، وعدى الشكر باللام لما تفيد اللام من الاختصاص أي: الاستحقاق.

(٤) القصد من هذه الجملة: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه نكايه به أو تشفّ منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ، وإن كان من كلام إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويعاً للأسلوب.

(٥) أي: والثاني: أن تبقوا على إصراركم أعني الخيار الثاني بعد الأول.

إبراهيم عليه السلام . وسر الاعتراض هو وجود فرصة في سياق الكلام قد تلفت أنظار القوم وتأخذ بقلوبهم إذ الآيات كلها مسوقة لهدايتهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب عبادة الله وتقواه طلباً للنجاة من الخسران في الدارين .
- ٢ - بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادة الله عن طريق الأدلة العقلية .
- ٣ - ماعبد الناس الأوثان إلا من جهلهم وفقرهم فلذا يجب أن يعلموا أن الله هو ربهم المستحق لعبادتهم وأن الله تعالى هو الذي يسد فقرهم ويرزقهم ومن عداه لا يملك ذلك لهم
- ٤ - وجوب شكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته وصرف النعم فيما من أجله أنعم بها على عبده .
- ٥ - تسلية الرسول ﷺ وتأنيب المشركين من أهل مكة .

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ
مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۚ
أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

أولم يروا : أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم .

يبدىء الله الخلق

: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء .

ثم يعيده

: أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفناؤه
يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ
وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة .

إن ذلك

: أي أن الخلق الأول والثاني هو الاعادة .
: أي سهل لاصعوبة فيه ، فكيف إذا ينكر
المشركون البعث .

على الله يسير

قل سيروا في الأرض

: أي قل يارسولنا لقومك المكذبين بالبعث
سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق
وأنشأه ، تستدلون بذلك على قدرته عل
البعث الآخر .

ثم الله ينشيء النشأة الآخرة

: أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث
الآخر الذي أنكره الجاهلون .

وإليه تعلقون

: أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم
فيحاسبكم ويميزكم بأعمالكم ، الحسنة بخير
منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً .

وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء : أي بغالبيين ولا فائتين بالهروب فإن الله
غالبكم .

ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير : ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير
ينصركم من الله تعالى .

يشسوا من رحمتي : أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم
كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث وقد قررت الآيات السابقة
أصلي التوحيد والنبوة المحمدية وفي هذه الآيات تقرير الأصل الثالث وهو البعث والجزاء في

(١) الدار الآخرة. قال: ﴿أولم يروا﴾ أي أولئك المنكرون للبعث، أيكذبون؟، ولم ينظروا كيف يبدىء الله الخلق أي خلق الإنسان، فإن ذلك دال على إعادته متى أراد الله الخالق ذلك، ثم هو تعالى يعيده متى شاء، ﴿إن ذلك﴾ أي الخلق والإعادة بعد الفناء والبلل ﴿على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه أبداً.

(٢) وقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي قل يارسلونا للمكذبين بالبعث الآخر ﴿سيروا في الأرض﴾ شرقاً وغرباً ﴿فانظروا كيف بدأ﴾ تعالى خلق تلك المخلوقات التي تشاهدونها من أرض، وسماء، وانهار، وأشجار، وحيوان، وإنسان، إنها كلها كانت عدماً فأنشأها الله تعالى ثم هو سيفنيها ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ وذلك بأن يعيد حياة الإنسان ليحاسبه على كسبه في الدنيا ويجزيه به خيراً أو شراً، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ إذاً فلا يستنكر عليه إعادة الناس أحياء بعد نهاية هذه الحياة الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون. وقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ هذه فائدة وحكمة البعث الآخرة وهي المجازاة على العمل في هذه الحياة فيعذب أهل الكفر به وبرسوله والذين لم يزكوا أنفسهم بالإيمان وصالح الأعمال فيدخلهم جهنم دار الشقاء والعذاب ويرحم أهل الإيمان والتقوى الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والصالحات. وقوله: ﴿والإله يقلبون﴾ أي إلى الله ربكم ترجعون بعد الموت والفناء وإنشاء النشأة الآخرة وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي الله تعالى ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ بل أنتم مهوورون له خاضعون لسلطانه لا يمكنكم الهرب منه ولا الخلاص بحال من الأحوال. وليس لكم من دونه تعالى ولي يتولاكم فيدفع عنكم العذاب ولا نصير ينصركم فلا تغلبون ولا تعذبون وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ التي جاءت بها

(١) الاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على عدم استعمال عقولهم إذ ينكرون البعث وأمامهم صوره دالة عليه فهو يبدىء الشمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبداً ويخلق المرء ثم يميتة بعد أن يخلق منه ولداً ويخلق من الولد ولداً، وهكذا تتكرر عملية البعث أمامهم فما لهم لا يرونها؟!.

(٢) هذا الأمر للإرشاد والتوجيه والنصح لو كانوا يعقلون.

(٣) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله: (كيف بدأ الخلق) ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٤) الجملة تذييلية أعلن فيها عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء أراد: البدء كالإعادة سواء.

(٥) المعجز: هو الذي يجعل غيره عاجزاً عن فعل ما وهو هنا كناية عن الغلبة والانقلاب، قرّر بهذه الجملة عجزهم التام في الأرض التي هم يسكنونها، وحتى في السماء لو فرض أنهم يرقونها وما هم بأهل لذلك كما قال الأعشى.

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقبت أسباب السماء بسلّم

رساله ﴿ولقائه﴾ وهو البعث الآخر الموجب للوقوف بين يدي الله للسؤال والحساب والجزاء هذا إن كان للعبد ما يحاسب عليه من الخير، أما إن لم يكن له حسنات فإنه يُلقى في جهنم بلا حساب ولا وزن إذ ليس له من الصالحات ما يوزن له ويحاسب به، ولذا قال تعالى : ﴿أولئك﴾ أي المكذبون بآيات الله ولقائه ﴿يسئسوا من رحمتي﴾ إذ تكذيبهم بالقرآن مانع من الإيثار والعمل الصالح وتكذيبهم بيوم القيامة مانع لهم أن يتخلوا عن الشرك والمعاصي، أو يعملوا صالحاً من الصالحات لتكذيبهم بالجزاء، فهم يائسون من الجنة. ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ أي موجه وهو عذاب النار في جهنم والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب استعمال العقل للاستدلال على الغائب بالحاضر وعلى المعلوم بالموجود.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وذكر أدلتها التفصيلية.
- ٣ - تقرير عجز الانسان التام وأنه لا مهرب له من الله تعالى ربه ومالكة وهي حال تستدعي الفرار إلى الله اليوم بالإيمان والتقوى.
- ٤ - إنذار المكذبين بأنهم إن ماتوا على التكذيب بالبعث لا يدخلون الجنة بحال، وسيعذبون في نار جهنم أشد العذاب.

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

- (١) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته والمفصلة لأنواع عباداته.
- (٢) أخبر عن بأسهم بالفعل الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سيأسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي قوم إبراهيم عليه السلام .
 إلا أن قالوا اقتلوه : أي إلا قولهم اقتلوه أو حرقوه .
 إن في ذلك لآيات : أي في كون النار لم تحرق الخليل ويخرج منها سالماً .
 لقوم يؤمنون : لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات لحياة قلوبهم .
 أوثاناً مودة بينكم : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك .
 في الحياة الدنيا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا .

يكفر بعضكم ببعض : أي يكفر المتبعون بآبائهم ويتبرأون منهم .
 ويلعن بعضكم بعضاً : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه لما أفحمهم بالحجة وبين لهم باطلهم وكشف لهم عن جهلهم وضلالهم لجأوا كعادة الطغاة من أهل الكفر والباطل إلى التهديد بالقوة فقالوا ما أخبر به تعالى عنهم : ﴿فما كان جواب قومه﴾ فما كان جوابهم أي عما سمعوا من الحجج والبراهين على بطلان الشرك وصحة التوحيد ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ أي إلا قولهم اقتلوا إبراهيم بالسيف ونحوه أو حرقوه بالنار، ونفذوا جريمتهم بالفعل وأوقدوا النار وألقوه فيها، وقال الله جل جلاله للنار ﴿يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما أمرت وخرج إبراهيم سالماً لم تحرق النار سوى كتافه الذي شد به يده ورجلاه . وهو مادل عليه قوله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي في كون النار لم تحرق إبراهيم فيتخلف طبعها وتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم فلم تحرقه، (آيات) أي دلائل قدرة الله تعالى ورحمته وحكمته ولكن تلك الآيات لا ينتفع بها غير المؤمنين ، لأنهم أموات لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون . أما المؤمنون فهم أحياء فينتفعون بما يسمعون ويبصرون لأن الإيمان بمثابة

(١) عاد السياق الكريم إلى الحديث عن قصة إبراهيم بعد تلك الجمل الاعترافية التي تخللت القصة بقصد إثارة شعور قريش وتحريك ضمائرهم رجاء أن تطلب الهداية فتحصل عليها إذ هي المقصودة من سوق القصة .
 (٢) ثم اتفقوا على تحريقه ونفذوا ما اتفقوا عليه فألقوه في النار ونجاه الله فله الحمد وله المنة .

الروح في البدن فإن وجد في القلب حيي الجسم وإن فارقه فالجسم ميت فلا العين تبصر الأحداث ولا الأذن تسمع الآيات. وقوله: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ هذا من جملة قول إبراهيم لقومه وهو يعظهم ويرشدهم فأخبرهم بحقيقة يتجاهلونونها وهي أنهم ما اتخذوا تلك الأوثان آلهة يعبدونها إلا لأجل التعارف عليها والتوadd والتحاب من أجلها، فيقيمون الأعياد لها ويجتمعون حولها فيأكلون ويشربون لا أنهم حقيقة يعتقدون أنها آلهة وهي أحجار نحتوها بأيديهم ونصبوها تماثيل في سوح دورهم وأمام منازلهم (ويوم القيامة) أي في الآخرة فالعكس هو الذي سيحدث لهم حيث (يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً) أي يكفر المتبوعون وهم الرؤساء بمن اتبعوهم وهم الأتباع من الدهماء وعوام الناس، ﴿ويلعن بعضهم بعضاً﴾ كل من الأتباع والمتبوعين يطلب بعد الآخر عنه، وعدم الاعتراف به وذلك عند معاناة العذاب ولم تبق تلك الروابط والصلات التي كانت لهم في هذه الحياة!! وقوله: ﴿وما واكم النار﴾ أي ومقرمكم الذي يؤويكم جميعاً فتستقرون فيه هو النار ﴿ومالكم من ناصرين﴾ بعد أن أذككم الله الذي أشركتم به أوثاناً، فجعلتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن الظلمة سنتهم أنهم إذا أعيتهم الحجاج يلجأون إلى استعمال القوة.
- ٢ - في عدم إحراق النار دليل على أن الله تعالى قادر على إبطال السنن إذا شاء ذلك، ومن هنا تكون الكرامات والمعجزات إذ هي خوارق للعادات.
- ٣ - بيان أن الخرافيين في اجتماعهم على البدع لم يكن ذلك عن علم بنفع البدعة وإنما لعنصر التوadd والتعارف والتلاقي على الأكل والشرب كما قال إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾.

(١) قرأ نافع (مودة) بالتثنية منصوباً، وقرأ حفص بدون تنوين منصوباً مضافاً إلى الظرف، وقرأ ابن كثير وغيره (مودة) بالرفع مضاف إلى (بينكم) على أنه خبر إن وما: اسمها.

(٢) قال القرطبي: معنى الآية: جعلتم الأوثان تتحابون عليها في الحياة الدنيا.

(٣) قال القرطبي: تتبرأ الأوثان من عبادها، والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين).

(٤) قيل: يحشرون في النار الرؤساء والأتباع والأوثان كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقوله: (وقودها الناس والحجارة) وهي الأوثان التي كانت تعبد من دون الله عز وجل.

﴿ فَاَمِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ ﴾

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

فأمن له لوط

: أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه .

مهاجر إلى ربي

: أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني .

ووهبنا له إسحق ويعقوب

: أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم اسحق الابن ويعقوب الحفيد .

في ذريته النبوة والكتاب

: فكل الأنبياء بعده من ذريته وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته .

وآتيناه أجره في الدنيا

: وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على السبنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية .

وإنه في الآخرة لمن الصالحين

: أي هو أحدهم ، فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا ، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأوليائه وصالحو عباده .

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم الخليل في هذا السياق الكريم فأخبر تعالى أن إبراهيم بعد الجهاد الطويل في الدعوة إلى عبادة الرحمن الرحيم لم يؤمن له ولم يتابعه على الحق الذي دعا إليه إلا لوط بن هاران أخيه فقال تعالى : ﴿ فَاَمِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ ﴾ أي إبراهيم ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ فترك بلاد قومه من سواد العراق وارتحل إلى أرض الشام فأكرمه الله تعالى جزاء

(١) المهاجرة : مفاعلة من الهجر الذي هو الترك لما كان ملازماً له وحرف إلى الأصل فيه الانتهاء ، وهي هنا أفادت التعليل : أي لأجل ربي إذ هو الذي أمره بها من أجل أن يعبد في دار هجرته هو وأهله .

(٢) من قرية كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ ، وامراته سارة ، وهو أول من هاجر في سبيل الله وأول من هاجر من أمة محمد ﷺ في سبيل الله تعالى : عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة .

(١)

هجرته إلى ربه عز وجل بها أخبر به في هذا السياق حيث قال : ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وهبه أي أعطاه ولده إسحق بن سارة وولد اسحق وهو يعقوب، وجعل كافة الأنبياء من ذريته وجعل الكتاب فيهم أيضاً فالتوراة أنزلت على موسى، والزبور على داود، والانجيل على عيسى وهم من ذرية إبراهيم، والقرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وقول إبراهيم هو كما قال : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ وصف ربه بالعزة والحكمة . فقال : ﴿إنه هو العزيز^(١) الحكيم﴾ أي الغالب القاهر ﴿الحكيم﴾ الذي وضع كل شيء في موضعه، ودلائل العزة أن أنجى إبراهيم من أيدي الظلمة الطغاة ومن مظاهر الحكمة أن نقله من أرض لاخير فيها إلى أرض كلها خير وأكرمه فيها بما ذكر في قوله ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وقوله تعالى : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ حيث رزقه أطيب الأرزاق في دار هجرته ورزقه الثناء الحسن من كل أهل الأديان الإلهية كاليهودية والنصرانية، والإسلام وهو خاتم الأديان هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه من الصالحين ذوي الدرجات العلا والمنازل العالية في مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حصيلة دعوة إبراهيم كذا سنة وأنها كانت إيذان واحد بها وهو لوط عليه السلام وفي هذا تسلية للرسول الكريم ﷺ .
- ٢ - بيان إكرام الله تعالى لمن يهاجر إليه ويترك أهله وداره .
- ٣ - بيان ما أكرم الله تعالى به إبراهيم من خير الدنيا والآخرة جزاء صبره على دعوة الله تعالى .

وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ آلَ فَحِشَةٍ

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

(١) هذه الهبة كان قبلها هبة إسماعيل إذ ولد قبل اسحق عليهم السلام .
 (٢) هذه الجملة واقعة موقع التعليل لمضمون جملة (إني مهاجر إلى ربي) لأن من كان عزيزاً يعتز به جاره، ومن كان حكيماً لا يأمر بغير ما هو خير للامور الممتثل لأمره .

فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرُ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
 أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ
 ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

ولوطاً إذا قال لقومه : أي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدّوم .
 أنتم لتأتون الفاحشة : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم .
 ماسبقكم بها من أحد : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم .
 وتقطعون السبيل : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم .

وتأتون في ناديكم المنكر : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط .

فما كان جواب قومه : أي إلا قولهم اتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه أهل سدّوم وعمورية والغرض من سياقه تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذه القصص لا يتم لأحد إلا من طريق الوحي ، وتسلية الرسول من أجل ما يلاقي من عناد المشركين ومطالبتهم بالآيات والعذاب قال تعالى : واذكر يارسولنا لقومك^(١) لوطاً ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ وهي الفعل القبيحة ويزيدها قبحاً أن الناس قبل قوم لوط لم تحدث فيهم هذه الخصلة ولم يعرفها أحد من العالمين ، ثم يواصل لوط إنكاره وتشنيعه عليهم فيقول : ﴿انتم لتأتون الرجال﴾ أي في أدبارهم ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يعتدون على المارة بعمل الفاحشة معهم قسراً وبسلب أموالهم وبذلك امتنع الناس من المرور فانقطعت السبيل ، كما أنهم بإتيانهم الذكران عطلوا النسل

(١) (لوطاً) منصوب إما على تقدير اذكر كما في التفسير أو على تقدير وأرسلنا أو أنجبنا كما تقدم في قوله تعالى : (وابراهيم ..)

(٢) الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقرير على جريمتهم التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين .

بقطع سبيل الولادة، وزاد لوط في تأنيبهم والإنكار عليهم والتوبيخ لهم فقال ﴿وتأتون في ناديكُم المنكر﴾ والنادي محل اجتماعهم وتحديثهم وإتيان المنكر فيه كان بارتكاب الفاحشة مع بعضهم بعضاً، وبالتضارب فيه، وحل الإزار، والقذف بالحصى وما إلى ذلك^(١) مما يؤثر عنهم من سوء وقبح. قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بعد أن أنبههم ووبخهم ناهياً لهم عن مثل هذه الفواحش ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي ما كان جوابهم إلا المطالبة بعذاب الله، وهذه طريقة الغلاة المفسدين والظلمة المتكبرين، إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى القوة يستعملونها أو يطالبون بها. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي لما طالبوه بالعذاب، وقد أعياه أمرهم لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض واستجاب الله تعالى له ونصره وسيأتي بيان ذلك في الآيات بعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر قصص لا يتم إلا عن طريق الوحي .
- ٢ - تسلية الرسول ﷺ من أجل ما يعاني من المشركين من كفر وعناد ومطالبة بالعذاب .
- ٣ - قبح الفاحشة وحرمتها وأسوأها فاحشة اللواط .
- ٤ - وجوب إقامة الحد على اللوطي الفاعل والمفعول لأن الله تعالى سماها فاحشة وسمى الزنا فاحشة ووضع حداً للزنى فاللوطية تقاس عليه ، وقد صرحت السنة بذلك فلا حاجة إلى القياس .
- ٥ - التحذير من العبث والباطل قولاً أو عملاً وخاصة في الأنديّة والمجتمعات .

(١) من ذلك : أنهم كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك ، والصفيّر وتطريف الأصابع بالحناء وفرقتها ، ويحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، روى هذا الترمذي وحسنه .

(٢) هذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم قطعاً .

(٣) الإفساد في الأرض : هو العمل بمعاصي الله ورسوله ﷺ فكل عامل بالمعاصي فهو مفسد في الأرض ، إذ فعل المعاصي يورث الفقر والخوف وهما شرّ ما يتقى .

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِنِّي فِيهَا لِوَطْأٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

بالبشرى

: أي إسحق ويعقوب بعده .

هذه القرية

: أي قرية لوط وهي سدوم .

قالوا نحن أعلم بمن فيها : أي قالت الرسل نحن أعلم بمن فيها .

كانت من الغابرين

: أي كانت في علم الله وحكمه من الباقيين في العذاب .

سيء بهم

: أي حصلت لهم مساءة وغم بسبب مخافة أن يتصددهم قومه

بسوء .

وضاق بهم ذرعاً

: أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه

بسوء .

رجزاً

: أي عذاباً من السماء .

بما كانوا يفسقون

: أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة .

ولقد تركنا منها آية : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لاهياة فيه .
لقوم يعقلون : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص لوط عليه السلام ، إنه بعد أن ذكرهم وخوفهم عذاب الله قالوا كعادة المكذبين الهالكين فاثنتا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وأنه عليه السلام استنصر ربه تعالى عليهم ، واستجاب الله تعالى له وفي هذه الآية بيان ذلك بكيفيته ، قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل عم لوط ﴿بِالْبُشْرَى﴾ التي هي ولادة ولد له هو إسحق ومن بعده يعقوب ولد إسحق عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ . ﴿قَالُوا﴾ أي قالت الملائكة لإبراهيم ﴿إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يريدون قرية قوم لوط وهي سدوم وعللوا لذلك بقولهم ﴿إِن أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي لأنفسهم بغشيان الذنوب وإتيان الفواحش ، ولغيرهم إذ كانوا يقطعون السبيل وهنا قال لهم إبراهيم : ﴿إِن فِيهَا لُوطًا﴾ ليس من الظالمين بل هو من عباد الله الصالحين فأجابته الملائكة فقالوا : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ منك يا إبراهيم . ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ من الهلاك ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ كانت من الغابرين ﴿وَذَلِكَ لَطَوَّلَ عَمَرُهَا فَسَوْفَ تَهْلِكُ مَعَهُمْ لِكُفْرِهَا وَمُعَالَاتِهَا لِلظَّالِمِينَ﴾ . وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ أي ولما وصلت الملائكة لوطاً قادمين من عند إبراهيم من فلسطين ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ أي استاء بهم وأصابه غم وهم خوفاً من قومه أن يسيئوا إليهم ، وهم ضيوفه نازلون عليه ولما رأت ذلك الملائكة منه طمأنوه بما أخبر به تعالى في قوله : ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ على من سيهلك من أهلك مع قومك الظالمين . ﴿إِنَّا مَنجُوكَ﴾ من العذاب أنت وأهلك أي زوجتك المؤمنة وبنتيك ، ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ أي العجوز الظالمة فإنها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الذين طالت أعمارهم واستهلك مع الهالكين . وقوله تعالى في الآية (٣٤) : ﴿إِنَّا مَنزَلُونَا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾

(١) (لما) حرف وجود لوجود نحو: لما جاء الحق ذهب الباطل . وهي أداة تدل على التوقيت كما هي ظرف ملازم للاضافة إلى جملة بعدها .

(٢) البُشْرَى : اسم للبشارة التي هي : الإخبار بما يسر المخبر .

(٣) الجملة تعليلية لما تقدمها من الإهلاك .

(٤) قرأ الجمهور نافع وحفص : (لمنجوك) بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير (منجوك) بتخفيفها من : أنجاه ينجي ، ونجي وأنجي بمعنى .

بما كانوا يفسقون ﴿ أي أخبرت الملائكة لوطاً بما هم فاعلون لقومه وهو قولهم ﴿ إنا منزلون على أهل هذه القرية ﴿ أي مدينة سدوم ﴿ رجزاً ﴾ أي عذاباً من السماء وهي الحجارة بسبب فسقهم بإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين . قال تعالى : ﴿ ولقد تركنا منها ﴿ أي من تلك القرية ﴿ آية بيّنة ﴾ ، أي عظة وعبرة ، وعلامة واضحة على قدرتنا على إهلاك الظالمين والفاستقين . وقوله تعالى : ﴿ لقوم يعقلون ﴾ إذ هم الذين يتدبرون في الأمور ويستخلصون أسبابها وعواملها ونتائجها وآثارها أما غير العقلاء فلا حظ لهم في ذلك ولا نصيب فهم كالبهائم التي تنساق إلى المجزرة وهي لاتدري وفي هذا تعريض بمشركي مكة وماهم عليه من الحماقة والغفلة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حلم إبراهيم ورحمته تجلياً في دفاعه عن لوط وأهله .
- ٢ - تقرير مبدأ : من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، حيث العلاقة الزوجية بين لوط وامراته العجوز لم تنفعها وهلكت لأنها كانت مع الظالمين بقلبها وسلوكها .
- ٣ - مشروعية الضيافة وتأكيدها في الإسلام لحديث الصحيح « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .
- ٤ - التنديد بالفسق عن طاعة الله وهو سبب هلاك الأمم والشعوب .
- ٥ - فضيلة العقل إذا استعمله صاحبه في التعرف إلى الحق والباطل والخير والشر .

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾

(١) المعنى : ولقد تركنا من القرية آثاراً دالة عليها ، وهي بقايا القرية المغمورة بماء بحيرة لوط تلوح من تحت المياه ، مع بقايا لون الكبريت والمعادن التي رجمت بها قريتهم .

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه .

أخاهم شعبياً : أي أخاهم في النسب .

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً .

وارجوا اليوم الآخر : أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه .

ولا تعثوا في الأرض مفسدين : أي ولا تعيشوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها .

فأخذتهم الرجفة : الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة .

في دارهم جاثمين : لاصقين بالأرض أمواتاً لا يتحركون .

معنى الآيتين :

هذا موجز لقصة شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين ، والعبرة منه إهلاك تلك الأمة لما كذبت رسولها واستمرت على الشرك والمعاصي لعل قريشاً تعتبر بما أصاب هذه الأمة من هلاك ودمار من أجل تكذيبها لرسولها وعصيانها لربها قال تعالى ﴿ وإلى مدين ﴾^(١) أي وأرسلنا إلى مدين ﴿ أخاهم شعبياً ﴾ وهو نبي عربي فلما انتهى إليهم برسالته قال ﴿ يا قوم اعبدوا الله ﴾ أي وحدوه في عبادته وأطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه من التطفيف في الكيل والوزن ، ﴿ وارجوا اليوم الآخر ﴾ ، أي آمنوا بيوم القيامة وتوقعوا دائماً مجيئه وخافوا مافيه من أهوال وأحوال فإن ذلك يساعدكم على التقوى وقوله : ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ وذلك أنهم ينقصون الكيل والوزن ويبخسون الناس أشياءهم ويفسدون في الأرض بالمعاصي . وقوله تعالى : ﴿ فكذبوه ﴾ أي كذب أصحاب مدين نبيهم شعبياً فيما أخبرهم به ودعاهم إليه ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾^(٢) أي رجفة الهلاك من تحتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين على الركب

(١) هذه القصة معطوفة على سابقتها: قصة نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام

(٢) إن طلبت المناسبة بين قصة لوط وقصة أصحاب مدين فإنها في كون مدين من أبناء إبراهيم وكون لوط من الأسرة الإبراهيمية وأوضح من هذا السبب قرب الديار من بعضها، فمدين غير بعيدة من قرى لوط .

(٣) أمره إياهم برجاء اليوم الآخر دال على أنهم ما كانوا يؤمنون باليوم الآخر أو ذكرهم به لغفلتهم عنه بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

(٤) العثر: بالواو كالذنوب والعثر بالياء كالعصي : أشد الفساد، وفعله : عثا يعثر، وعثر كرضي يعثر كيرضي بمعنى واحد .

(٥) الفاء للسببية ، (والرجفة) الزلزال الشديد الذي ترجف منه الأرض والقلوب وكانت هذه الزلازل مصحوبة بصيحة شديدة انخلعت منها القلوب .

هلكى وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر .

٢ - حرمة الفساد في الأرض وذلك بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

٣ - بيان نعمة الله تعالى على المكذبين والظالمين والفاسقين .

وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ
لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَوَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾
وَقُرُوبَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وعاداً وثموداً

: أي وأهلكنا عاداً القبيلة وثمود القبيلة كذلك .

وقد تبين لكم من مساكنهم

: أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر
شمال الحجاز والشحر جنوب اليمن .

عن السبيل

: أي سبيل الهدى والحق التي بينتها لهم رسلهم .

كانوا مستبصرين

: أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم .

وقارون وفرعون وهامان

: أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق .

فاستكبروا : أي عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسله .
وما كانوا سابقين : أي فائتين عذاب الله أي فارين منه ، بل أدركهم .
فكلأ أخذنا بذنبه : أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا .
ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً : أي ريحاً شديدة ، كعاد
ومنهم من أخذته الصيحة : أي ثمود .
ومنهم من خسفنا به الأرض : أي كقارون .
ومنهم من أغرقنا : كقوم نوح وفرعون .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات قبل ذي إهلاكه لقوم لوط وقوم شعيب وقوم نوح من قبل لما ردوا
دعوته وكذبوا رسله ذكر بقية الأقوام الذين كذبوا بآيات الله ورسله فأهلكهم ، فقال عز
وجل : ﴿وعاداً وثموداً﴾^(١) أي وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود ، وثمود قوم صالح ! وقوله
تعالى : ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أي وقد تبين لكم يامعشر كفار مكة ومشركي قريش
من مساكنهم بالحجر^(٢) والشجر^(٣) من حضرموت ما يؤكد لكم إهلاكنا لهم ، إذ مساكنهم الخاوية
دالة على ذلك دلالة عين . وقوله تعالى : ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي وقد زين لهم
الشيطان أعمالهم من الشرك والشر والظلم والفساد وصددهم بذلك التزيين عن السبيل ،
سبيل الإيمان والتقوى المورثة للسعادة في الدنيا والآخرة . وقوله : ﴿وكانوا مستبصرين﴾^(٤) أي
ذوي بصائر أي معرفة بالحق والباطل والخير والشر لما علمتهم الرسل ولكن آثروا أهواءهم
على عقولهم فهلكوا . وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين . وقوله تعالى : ﴿وقارون
وفرعون وهامان﴾ أي أهلكنا قارون الإسرائيلي ابن عم موسى عليه السلام ، أهلكناه ببغيه
وكفره ، فخسفنا به الأرض وبداره أيضاً ، وفرعون وهامان أغرقناهما في اليم بكفرهما وطغيانهما

(١) وجه المناسبة ظاهر بين هذه الآيات وسابقتها وهي إتمام ذكر كل من قص تعالى في كتابه قصصهم مفصلة في الاعراف وهود والشعراء والنمل والقصص ، فذكر بإيجاز من لم يذكرهم في هذا العرض من هذه السورة ، فذكر عاداً وثموداً وقارون وفرعون وهامان .

(٢) وعاداً جائز أن يكون منصوباً بفعل مقدر ، وأهلكنا عاداً أو أذكر عاداً .

(٣) الجملة حالية .

(٤) مدائن صالح .

(٥) منازل عاد .

(٦) الاستبصار: البصارة بالأمور ، والسين والتاء للتأكيد كالاستحباب بمعنى الحب ، والمراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمور لما لهم من عقول صالحة للنظر والإدراك ، وما في التفسير وجه أحسن من هذا .

وظلمهما واستعلاهما وذلك بعدما جاءهم موسى بالبينات من الآيات والحجج الواضحات التي لم تُبق لهم عذراً في التخلف عن الإيمان والتقوى ولكن ﴿فاستكبروا في الأرض﴾^(١)، أرض مصر وديارها فرفضوا الإيمان والتقوى ﴿وما كانوا سابقين﴾ ولا فائتين فأحل الله تعالى بهم. نقمته وأنزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين. ثم في الآية الأربعين من هذا السياق بين تعالى أنواع العذاب الذي أهلك به هؤلاء الأقوام، فقال: ﴿فكلاً﴾^(٢) أي فكل واحد من هؤلاء المكذبين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم﴾^(٣) من أرسلنا عليه حاصباً أي ريحاً شديدة كعاد. ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كشمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون، وقوله تعالى. ﴿وما كان الله ليزلهم﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى الظلم فيظلمهم، ﴿ولكن كانوا﴾ أي أولئك الأقوام ﴿أنفسهم يظلمون﴾ بالشرك والكفر والتكذيب والمعاصي فأهلكوها بذلك، فكانوا هم الظالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الشيطان هو سبب هلاك الأقوام وذلك بتزيينه لهم الشر والقبيح كالشرك والباطل والشر والفساد.
- ٢ - بيان أن الاستكبار كالظلم عاقبتها الهلاك والخسران.
- ٣ - بيان أن الله تعالى ما أهلك أمة حتى يبين لها ما يجب أن تتقيه من أسباب الهلاك والدمار فإذا أبت إلا ذاك أوردتها الله موارد.

مَثَلُ الَّذِينَ

أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

(١) إن فرعون وهامان وقارون شأنهم شأن أبي جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ما حملهم على الكفر والعناد إلا الاستكبار في البلاد.

(٢) (فكلاً) : الفاء للتفريع على ما سبق : قوله تعالى : (وعاداً) إذ التنوين عوض عن كلمة أي : فكل واحد ممن ذكروا من عاد إلى قارون أخذ الله أي : أهلك بذنبه، ولم يظلمهم الله تعالى بإهلاكه إياهم.

(٣) الفاء للتفريع إذ هذا التفصيل بعد الفاء متفرع عن ذلك الإجمال المذكور في قوله : (فكلاً أخذنا بذنبه).

(٤) شاهده في قول الله تعالى من سورة التوبة : (وما كان الله ليضل قوماً حتى يبين لهم ما يتقون) والإضلال سبيل الهلاك وطريقه.

اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
 لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
 ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء : أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها .
 كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً : أي لنفسها تأوي إليه .
 أوهن البيوت : أضعف البيوت وأقلها جدوى .
 يعلم ما يدعون من دونه من شيء : أي من الأوثان والأصنام وغيرها .
 وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبير أمور خلقه .
 وما يعقلها إلا العالمون : أي العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره .
 خلق الله السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يعبد لا لله ولا لباطل .
 أتُل ما أوحى إليك من الكتاب : اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن .
 وأقم الصلاة : بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها .
 تنهى عن الفحشاء والمنكر : أي الصلاة بما توجهه من نور في قلب العبد يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر .
 ولذكر الله أكبر : أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه كما أن ذكر

الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة
وغيرهما.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى نعمته على أعدائه الذين كفروا به وأشركوا غيره في عبادته وكذبوا رسله وكان ذلك تنبيهاً وتعليماً للمشركين والكافرين المعاصرين لنزول القرآن لعلهم يستجيبن للدعوة المحمدية فيؤمنوا ويوحّدوا ويسلموا فيسلموا من العذاب والخسران . ذكر هنا في هذه الآيات مثلاً لعبادة الأوثان في عدم نفعها لعبادتها والقصد هو تقرير التوحيد، وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته وقال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله ﴾ أي شركاء وهي الأصنام والأوثان يعبدونها راجين نفعها وشفاعتها لهم عند الله تعالى ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ اتخذت بيتاً ﴿ لتأوي إليه قصد وقايتها مما تخاف من جراء برد أو اعتداء حشرة عليها، ﴿ وإن أوهن ﴾ البيوت لبست العنكبوت ﴾ والحال أن أوهن البيوت أي أضعفها وأحقرها شأنها وأقلها مناعة هو بيت العنكبوت فهذه حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله ﴿ أولياء ﴾ أي اصناماً يرجون النفع، ودفع الضر بها فهم واهمون في ذلك غالطون، مخطئون، إنه لا ينفع ولا يضر إلا الله فليعبدوه وحده وليتركوا ما سواه . وقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي لو كان المشركون يعلمون أن حالهم في عبادتهم غير الله في عدم الانتفاع بها كحال العنكبوت في عدم الانتفاع ببيتها الواهي لما رضوا بعبادة غير الله وتركوا عبادة الله الذي بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء . وقوله تعالى : ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ﴾ فيه تهديد للمشركين المصيرين على الشرك بأنه لا يخفى عليه ما هم عليه من دعاء غيره، ولو شاء لأهلكهم كما أهلك من قبلهم ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في تدبير خلقه ولذا يعجل العقوبة لمن يعجل الحكمة ويؤخرها لمن يؤخرها عنه لحكمة فلا يغتر المشركون بتأخير العذاب، ولا يستدلون به على رضا الله تعالى بعبادتهم، وكيف يرضاها وقد أهلك أمماً بها وأنزل كتابه وبعث رسوله لإبطالها والقضاء عليها وقوله

(١) العنكبوت : صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف : منها صنف يسمى لبث العنكبوت، وهو الذي يفترس الذباب وكلها تتخذ لنفسها نسيجاً تنسجه من لعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر خيوطاً فتحتجب فيه ويسمى بيتاً لشبهه بالخيمة لأنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر، وجملة : (اتخذت بيتاً) حال من العنكبوت ويصغر على العنكبوت ويجمع على : عناكب .
(٢) ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾ .. هذه الجملة معترضة مبيّنة لوجه الشبه وتجري هذه الجملة مجرى المثل يضرب للشيء إذا قلت فائدته وجدواه .

(١)

تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي وهذه الأمثال نضربها للناس لأجل إيقاظهم وتبصيرهم وهدايتهم ، وما ﴿يعقلها إلا العالمون﴾ أي وما يدرك مغزاها ﴿وماتهدف إليه من التنفير من الشرك العائق عن كل كمال وإسعاد في الدارين﴾ ﴿إلا العالمون﴾ أي بالله وشرائعه وأسرار كلامه ومانهدي إليه آياته . وقوله تعالى : ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ إخبار بأنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وهي مظاهر قدرته وعلمه وحكمته موجبة لعبادته بتعظيمه وطاعته ومحبته والإجابة إليه والخوف منه . وخلقها بالحق لا بالباطل وذلك من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن كفر به فترك ذكره وشكره كان كمن عبث بالسموات والأرض وأفسدها ، لذا يعذب نظراً إلى عظم جرمه عذاباً دائماً أبدياً . وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي إن في خلق السموات والأرض بالحق ﴿لآية﴾ أي علامة بارزة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ، وهذه موجبات ألوهيته على سائر عبادته فهو الإله الحق الذي لا رب غيره . ولا إله سواه وبعد هذا البيان والبرهان لم يبق عذر لمعتذر ، وعليه ف ﴿اتل﴾ أيها الرسول ﴿ما أوحى إليك من الكتاب﴾ تعليماً وتذكيراً وتعبداً وتقرباً ﴿وأقم الصلاة﴾ طرقي النهار وزلفاً من الليل فإن في ذلك عوناً كبيراً لك على الصبر والثبات وزاداً عظيماً لرحلتك إلى الملكوت الأعلى . وقوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى^(٢) عن الفحشاء والمنكر﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فإن الصلاة بما توجد من إشراقات النفس والقلب والعقل حال تحول بين العبد وبين التلوث بقاذورات الفواحش ومفاسد المنكر وذلك يفيد إقامتها لا مجرد أدائها والإتيان بها . وإقامة الصلاة تتمثل في الإخلاص فيها لله تعالى أولاً ثم بطهارة القلب من الالتفات إلى غير الرب تعالى أثناء أدائها ثانياً ، ثم بأدائها في أوقاتها المحددة لها وفي المساجد بيوت الله ، ومع جماعة المسلمين عباد الله وأوليائه ، ثم بمراعاة أركانها من قراءة الفاتحة والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه ، والسجود على الجبهة والأنف والطمأنينة فيه ، وآخر أركانها الخشوع وهو السكون ولين القلب وذرف الدمع . هذه هي الصلاة التي

(١) (وتلك الأمثال) مبتدأ والخبر: جملة (نضربها للناس).

(٢) عنه ﷺ أنه قال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه).

(٣) لفظ السموات والأرض: يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما.

(٤) المراد من: (اتل): مداومة تلاوة ما أوحى إليه وهو القرآن الكريم.

(٥) قيل لابن عطية: إن حماداً وابن جريج والكلبي يقولون: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد فيها. قال: هذه عجمة أي: نسبهم إلى قلة الفهم وهو كذلك للحديث وهو قوله ﷺ: (من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) وقال له أحد الصحابة: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق. فقال: سينهاه ما تقول. يعني صلاته.

توجد طاقة النور التي تحول دون الانغماس في الشهوات والذنوب وإتيان الفاحشة وارتكاب المنكر. وقوله تعالى : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من إقامة الصلاة لأن الصلاة أثناء أدائها مانعة عاصمة لكن إذا خرج منها، قد يضعف تأثيرها، أما ذكر الله بالقلب واللسان في كل الأحيان فهو عاصم مانع من الوقوع في الفحشاء والمنكر وفي اللفظ معنى آخر وهو أن ذكر الله للعبد في الملكوت الأعلى أكبر من ذكر العبد للرب في ملكوت الأرض ويدل عليه قوله : «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه» كما في الحديث الصحيح . وقطعاً والله لذكر الرب العبد الضعيف أكبر من ذكر العبد الضعيف الرب العظيم . اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لآلائك . وقوله : ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾^(١) فيه وعد وعيد، فإن علمه يترتب عليه الجزاء فمن كان يصنع المعروف جزاه به، ومن كان يصنع السوء جزاه به . اللهم ارزقنا صنائع المعروف وأبعد عنا صنائع السوء آمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام .
- ٢ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد .
- ٣ - فضل العلماء على غيرهم، العلماء بالله، بصفاته وأسمائه وآياته، وشرائعه، وأسرارها .
- ٤ - وجوب تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وذكر الله، إذ هي غذاء الروح وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى .
- ٥ - بيان فائدة إقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

(١) في الآية وازع المراقبة، وعليه فتلاوة القرآن وإقام الصلاة وذكر الله تعالى ومراقبته . هذه الأربعة تمثل سبيل السلام إلى دار السلام من سلكه نجا ومن تنكب هلك، والعباد بالله العليم الحكيم .

❖ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ
ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ولا تجادلوا أهل الكتاب :

أي لا تحاجوا ولا تناظروا اليهود ولا النصارى .

إلا بالتي هي أحسن :

أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله
بآياته والتنبيه على حججه .

إلا الذين ظلموا منهم :

أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية
وبقوا حربا على المسلمين .

وكذلك أنزلنا إليك الكتاب :

أي وكإنزالنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك
الكتاب .

فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون : أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول
به وكتابه .

ومن هؤلاء من يؤمن به :

أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلا آمن به
كثيرون .

ولا تخطه يمينك

: أي تكتب بيدك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب .

لارتاب المبطلون

: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك .

بل هو آيات بينات

: أي محمد صلى الله عليه وسلم نعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب .

وما يجحد بآياتنا إلا

: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل .

الظالمون

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل لكتاب﴾ هذا تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يأخذون به مستقبلاً عندما يتصلون بأهل الكتاب ويحتكون بهم فقال عز وجل مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أمته ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ الذين هم اليهود والنصارى فنهاهم عن مجادلتهم وهي خصامهم ومجادلتهم ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وذلك بدعوتهم إلى الله تعالى ليؤمنوا برسوله ويدخلوا في دينه الإسلام والتنبيه على حجج الله وأدلة وحيه وكتابه . وقوله ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وهم الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين ولم يؤدوا الجزية وناصبوا المسلمين الحرب والعداء فهؤلاء لا يجادلون ولكن يُحَكِّم فيهم السيف فيقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقوله تعالى : ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ . هذا تعليم آخر للمؤمنين وهو : إن أخبرهم أهل الكتاب بشيء لا يوجد في الإسلام ما يشبهه ولا ما ينفيه وأدعواهم أنه في كتابهم في هذه الحال فقولوا ما أرشدنا الله تعالى إلى قوله وهو : ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا﴾

(١) ذكر القرطبي الخلاف في هل هذه الآية منسوخة أو محكمة ، ورجح قول مجاهد وهي أنها محكمة ، وما في التفسير على هذا وهو الصواب .

(٢) الجدال والمجادلة مصدران لجدال ، والمراد بالمجادلة : إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره . والجدل : شدة الخصومة وهو مأخوذ من الجدال الذي هو القتل للحبل . ونحوه إذا قواه ، والمجادل بقرى رأيه بما يراه ويورده من حجج .

(٣) وجه المجادلة بالحسنى لأهل الكتاب لأنهم أهل علم متأهلون للفهم وقبول الحق متى اتضح لهم بخلاف جهال المشركين فإن تهجين عبادتهم وتفضيع طريقتهم قد يكون أنجع فيهم .

إلى آخر الآية حتى لا نكون قد كذبنا بحق ولا آمناً بباطل ، وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم^(١)، وقولوا ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ .

وقوله تعالى ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي وكأنزلنا الكتب السابقة على رسل سبقوا كموسى ودادود وعيسى عليهم السلام أنزلنا إليك أنت يا محمد الكتاب أي القرآن وقوله تعالى : ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به . ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ . فهذا إخبار بغيب فكما علم الله تعالى المؤمنين كيف يكونون مع أهل الكتاب عندما يتصلون بهم ويعيشون معهم في المدينة وغيرها أخبر أن الذين آتاهم الكتاب أي التوراة والانجيل وهم الراسخون في العلم يؤمنون أي بالقرآن وقد آمن عبدالله بن سلام وكثير من أحبار أهل الكتاب ، وآمن من المشركين كثيرون فكان الأمر كما أخبر . وقوله تعالى : ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ فهو كما أخبر لا يجحد بالآيات القرآنية ويكذب بها إلا كافر مظلم النفس خبيثها وقوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ هو كما قال عز وجل لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قبل القرآن أي كتاب ، ولا كان يخط بيمينه أي كتاب لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب أي فلو كان قبل نزول القرآن عليه يقرأ ويكتب لكان للمبطلين^(٢) مجال للشك في صحة دعوى النبوة المحمدية ونزول القرآن عليه ، ولكن لم يكن قبل القرآن يقرأ أي كتاب ، ولم يكن يخط بيمينه أي خط ولا كتاب فلم يبق إذاً للمشركين ما يحتجون به أبداً . وقوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور^(٣) الذين أوتوا العلم﴾ أي بل الرسول ونعوته وصفاته ومنها وصف الأمية آيات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . . وقوله تعالى : ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ في التوراة والانجيل والقرآن ﴿إلا الظالمون﴾ أنفسهم من الماديين اليهود والنصارى الذين يأكلون وترأسون على حساب الحق والعياذ بالله تعالى .

(١) نفرد به البخاري رحمه الله تعالى .

(٢) قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية .

(٣) أي : ليس هو كما يقول المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وكذلك في صدور الذين أوتوا العلم ، وهم أصحاب محمد ﷺ ، والمؤمنون به ، وهذا لا يتناقض مع ما في التفسير ، إذ الوجهان صحيحان ، وقال كعب في صفة هذه الأمة : إنهم حكماء علماء وهم في الفقه أنبياء .

(٤) والمشركون كاليهود والنصارى في هذا أي : الجحود بالآيات .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- (١) مشروعية مجادلة أهل الكتاب من أهل الذمة بالتي هي أحسن .
- (٢) حرمة سؤال أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » .
- (٣) منع تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم إذا أخبروا بشيء ووجوب قول : ﴿ آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ .
- (٤) إخبار القرآن بالغيب قبل وقوعه فيقع كما أخبر فيكون ذلك آية على أنه وحي الله تعالى .
- (٥) تقرير صفة الأمية في النبي صلى الله عليه وسلم كما هي في الكتب السابقة .

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ

آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

لولا أنزل عليه آيات : أي قال كفار قريش هلا أنزل على محمد آيات من ربه كنافقة صالح ، وعصا موسى .

(١) رواه ابن جرير عن عبدالله بن مسعود قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال .

قل إنما الآيات عند الله : أي قل لهم يارسلونا الآيات عند الله ينزلها متى شاء .
 أو لم يكفهم أنا أنزلنا : أي أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب
 عليك الكتاب عليك .
 إن في ذلك لرحمة وذكرى : أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة
 صالح .

والذين آمنوا بالباطل : وهو ما يعبد من دون الله .
 وكفروا بالله : وهو الإله الحق .
 أولئك هم الخاسرون : أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقلوه تعالى : ﴿وقالوا﴾ أي أهل مكة ﴿لولا أنزل
 عليه آيات من ربه﴾ أي هلاً أنزل على محمد آيات من ربه كناقصة صالح وعصا موسى
 ومائدة عيسى إذ هذا الذي يعنون بالآيات أي معجزات خارقة للعادة . قال تعالى لرسوله
 صلى الله عليه وسلم قل يارسلونا لقومك المطالبين بالآيات دليلاً على صدق نبوتك قل
 لهم : أولاً : الآيات التي تطالبون بها هي عند الله وليست عندي فهو تعالى ينزلها متى
 شاء وعلى من شاء . وثانياً ﴿إنما أنا نذير مبين﴾ أي وظيفتي التي أقوم بها هي إنذار أهل
 الظلم من عاقبة ظلمهم وهي عذاب النار فلذا لا معنى بمطالبتني بالآيات . وثالثاً أو لم
 يكفهم آية أن الله تعالى أنزل عليّ كتابه فأنا أتلوه عليكم صباح مساء فأي آية أعظم من
 كتاب من أمي لا يقرأ ولا يكتب تُتلى آياته تحمل الهدى والنور وهو في الوقت نفسه رحمة
 وذكرى أي موعظة لقوم يؤمنون فهي معجزة ثابتة قائمة باقية يجد فيها المؤمنون الرحمة
 فيتراحمون بها ويجدون فيها الموعظة فهم يتعظون بها ، فأين هذا من معجزة تبقى ساعة
 ثم تذهب وتروح كمائدة عيسى أو عصا موسى . ورابعاً : شهادة الله برسالتي كافية لا
 يُطلب معها دليل آخر على نبوتي ورسالتي ، فقد قال لي ربي : ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم

(١) قرأ ابن كثير وحزمة : (آية) بالافراد ، وقرأ الجمهور ونافع وحفص بالجمع (آيات).

(٢) أخرج الدارمي في سننه أن النبي ﷺ أتى بكشف فيه كتاب فقال (كفى بقوم ثلاثة : أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما
 جاء به نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله تعالى هذه الآية : (أو لم يكفهم).

شهِيداً^(١) . ربي الذي يعلم ما في السموات والأرض من كل غيب ومن ذلك علمه بأنِّي رسوله فشهِد لي بذلك بإنزاله عليَّ هذا الكتاب وأخيراً وبعد هذا البيان يقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو تأليه المخلوقات من دون الله ﴿وَكَفَرُوا﴾ بأولوية الله الحق ﴿أُولَئِكَ﴾ البعداء في الفساد العقلي وسوء الفهم ﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفتهم حين اشتروا الكفر بالإيمان واستبدلوا الضلالة بالهدى .
هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث فلتعد تلاوتها بالتأني والتدبر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير النبوة المحمدية بالأدلة القاطعة التي لا تُرد ، وهي أربع كما ذكر آنفاً .
(٢) بيان أكبر معجزة لإثبات النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي نزول القرآن الكريم عليه وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري^(٣) : «ما من نبي إلا أُوتِيَ ما على مثله آمن البشر ، وكان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فانا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» .

(٣) القرآن الكريم رحمة وذكرى أي عبرة وعظة للمؤمنين به وبمن نزل عليه .

(٤) تقرير خسران المشركين في الدارين لاستبدالهم الباطل بالحق والعياذ بالله تعالى .

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ



(١) (شهِيداً) أي : يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسول وأن هذا كتابه .

(٢) قال يحيى بن سلام : الباطل هنا : إبليس وهو شامل لإبليس ولعبادة الأوثان وما في التفسير أعم ، إذ اللفظ يشمل عبادة غير الله مطلقاً وهو الباطل .

(٣) أخرجه ابن كثير بهذا اللفظ : (وما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقال : أخرجاه من حديث الليث .

شرح الكلمات :

- ويستعجلونك بالعذاب : أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم .
 ولولا أجل مسمى : أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجاءهم .
 وليأتينهم بغتة : فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال .
 وإن جهنم لمحيطة بالكافرين : أي من كل جانب وهم فيها وذلك يوم يغشاهم .
 يوم يغشاهم العذاب : أي من فوقهم ومن تحت أرجلهم .
 ذوقوا ما كنتم تعملون : أي ويقول لهم الجبار ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات القريبة أن المكذبين بالرسالة المحمدية طالبوا بالعذاب تحدياً منهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : إئتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين في أنك نبي ورسول إلينا وفي هذه الآية يعجب تعالى رسوله أي يحمله على أن يتعجب من حق المشركين وطيشهم وضلالهم إذ يطلبون بالعذاب فيقول له ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى﴾ للعذاب أي وقت محدد له لا يتقدمه ولا يتأخره ﴿لجاءهم العذاب﴾ . ثم أخبر تعالى رسوله مؤكداً خبره فقال ﴿وليأتينهم﴾ أي العذاب ﴿بغتة﴾ لا محالة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه ، ثم كرر تعالى حمل رسوله على التعجب من سخف المشركين الذين لا يطيقون لسعة عقرب ولا نهشة أفعى يطلبون بالعذاب فقال ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿لامحالة كقوله﴾ ﴿أتى أمر الله﴾ ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ أي يغطيهم ويغمرهم فيكون ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ وجهنم محيطه بهم

(١) من بين المطالبين بالعذاب : أبو جهل ، والنضر بن الحارث إذ قالا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب وفيهم نزل : (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين . . .)

(٢) المعنى : لولا الأجل المعين لحلول العذاب بهم لجاءهم العذاب عاجلاً لأن كفرهم يستحق تعجيل عقابهم ، ولكن الله أراد تأخير الحكم يعلمها منها : إمهالهم ليؤمن من يؤمن منهم ، ومنها ليعلموا أن الله لا يستغفر استعجالهم ومنه إظهار رحمته بعباده وحلمه عليهم .

(٣) حكى استعجالهم العذاب بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم لإفادة التعجب منها كما في قوله تعالى : (يجادلنا في قوم لوط) .

(٤) (من فوقهم) حال مؤكدة ، إذ غشيان العذاب لا يكون إلا من فوق ، وقوله (ومن تحتهم) احتراز عما قد يوهمه الغشيان من الفوقية خاصة .

(١) ويقول الجبار تبارك وتعالى موبخاً لهم ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) مشروعية التعجب إذا وجدت أسبابه الحاملة عليه .
- (٢) بيان مدى حُقم وجهل وسفه الكافرين والمشركين بخاصة .
- (٣) بيان أن تأخير العذاب لم يكن عن عجز وإنما هو لنظام دقيق إذ كل شيء له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر .

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

إن أَرْضِي واسعة : أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة .

فإياي فاعبدون : فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون .

كل نفس ذائقة الموت : أي لا يمنعنكم الخوف من الموت أن لاتهاجروا في سبيل الله فإن الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة .

(١) وحكم عالية تقدم بعضها إزاء رقم أربعة قبل ذا .

(٢) قرأ بعضهم (ونقول) بنون التكلم والتعظيم .

ثم إلينا ترجعون : أي بعد موتكم ترجعون إلى الله فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه وأسعده ، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه .
لنبؤنهم : أي لننزلهم من الجنة غرماً تجرى من تحتها الأنهار .
الذين صبروا : أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى .

وكآين من دابة لاتحمل : أي لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها ، والله يرزقها فلا رزقها
عذر لمن ترك الهجرة خوفا من الجوع والخصاصة .
وهو السميع العليم : أي السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم .

معنى الآيات :

لا شك أنه بعد ذلك التأنيب الإلهي للمشركين وتهديدهم بالعذاب وتوعددهم بعذاب جهنم وتوبيخهم فيها على شركهم وباطلهم لا شك أن رد الفعل من المشركين هو الضغط على المؤمنين المستضعفين في مكة فأرشدهم الله تعالى إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليتمكنوا من عبادة الله تعالى ، فناداهم بقوله عز وجل : ﴿ياعبادي^(١) الذين آمنوا﴾ أي بي وبرسولي ولقائي ﴿إن أرضي واسعة﴾ فهاجروا فيها ، ولا ترضوا بالبقاء مع الكفر تهانون وتلزمون بعبادة غيري من آلهة المشركين ، ﴿فإياي فاعبدون﴾ لا تعبدوا معي غيري .
وعليه فهاجروا في سبيل مرضاتي ولا تخشوا موتاً ولا فقراً فإن كل نفس ذائقة الموت هاجر صاحبها أو لم يهاجر ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله : ﴿ثم إلينا ترجعون^(٢)﴾ ، لا محالة فمن رجع إلينا وهو مؤمن مطيع منفذ لأوامرنا مجتنب نواهينا أسعدناه ، ومن رجع إلينا وهو كافر بنا عاصٍ لنا مهمل أوامرنا مرتكب نواهينا أشقىناه . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرماً^(٣)﴾ أي لننزلهم من الجنة دار الإسعاد ﴿غرماً

(١) قال القرطبي هذه الآية نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة وهو كذلك إلا أنها عامة في كل من منع من عبادة الله تعالى في أرض عليه أن يهاجر إلى أخرى يعبد الله تعالى فيها إذ العبادة هي علّة خلقه ووجوده لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

(٢) قرأ الجمهور: (ترجعون) وقرأ البعض بالياء (يرجعون).

(٣) روى مسلم: (أن أهل الجنة ليرآون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو من المغرب لتفاضل ما بينهم ، وقيل له ﷺ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ! قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين).

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴿ أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها . هذا بيان لمن مات وهو مؤمن عامل بالصالحات ومنها الهجرة في سبيل الله . وقوله ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ أي ذلك الإنزال في الغرف في الجنان هو الإسعاد المترتب على الإيمان والهجرة والعمل الصالح بالإيمان والهجرة والعمل الصالح عمل الجنة وما فيها من النعيم أجرة ذلك العمل . وأثنى الله تعالى على الجنة فقال : ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ ووصفهم بقوله ﴿ الذين صبروا ﴾ أي على الإيمان والهجرة والطاعة ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فخرجوا من ديارهم تاركين أموالهم لا يحملون معهم زاداً كل ذلك توكلوا على ربهم وقوله تعالى : ﴿ وكأين^(١) من دابة لا تحمل رزقها ﴾ لضعفها وعجزها أي وكثير من الدواب من الإنسان والحيوان من يعجز حتى عن حمل طعامه أو شرابه لضعفه والله عز وجل يرزقه بما يسخر له من أسباب وما يهيئ له من فرص فيطعم ويشرب كالأقوياء والقادرين ، وعليه فلا يمنعكم عن الهجرة مخافة الفاقة والفقر فالله تعالى تكفل برزقكم ورزق سائر مخلوقاته . (وهو السميع) لأقوالكم (العليم)^(٢) ببواطنكم وظواهركم وأعمالكم وأحوالكم فارهبوه ولا ترهبوا سواه فإن في طاعته السعادة والكمال وفي معصيته الشقاء والخسران .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده فيها لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر .

(٢) لا معنى للخوف من الموت إذا وجب العمل كالهجرة والجهد لأن الموت حق ولا بد منه .

(٣) بيان جزاء أهل الصبر والتوكل من أهل الإيمان والهجرة والتقوى .

(٤) لا يمتنع المؤمن من الهجرة خوفاً من الجوع في دار هجرته إذ تكفل الله برزقه .

(١) وكأين : أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم ، والتقدير : أي كشيء كثير من العدد من دابة قال ابن عباس : الدواب هي كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفار .
(٢) وهو السميع لدعائكم العليم بما في نفوسكم من إخلاص لله تعالى في أعمالكم وتوكلكم ورجائكم من الرزق .

وَلَيْنَ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ
 مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
 وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم

: أي المشركين .

وسخر الشمس والقمر

: أي ذللها يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران .

فأنى يؤفكون

: أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم . وهو

أن الخالق المدبر هو الإله الحق الذي يجب توحيده في
 عبادته .

الله يبسط الرزق لمن يشاء : أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده امتحانا للعباد .

هل يشكر الله أو يكفر نعمه .

ويقدر له

: أي ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط .

ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد

موتها ليقولن الله

: إذا كيف يشركون به أصناماً لا تنفع ولا تضر؟ .

قل الحمد لله

: أي قل لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم .

بل أكثرهم لا يعقلون

: أي انهم متناقضون في فهمهم وجوابهم .

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب : أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها فهي لهو يتلهى بها الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة .
 وإن الدار الآخرة هي : أي الحياة الكاملة الخالدة ، ولذا العمل لها أفضل من الحيوان العمل للدنيا .
 لو كانوا يعلمون : أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك وتذكير المشركين لعلمهم بوحدون . يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين الذين يؤذون المؤمنين ويضطهدونهم من أجل توحيدهم لله تعالى لو سألتهم ﴿ من خلق السموات والأرض ﴾ أي من أوجدهما من العدم ، ومن سخر الشمس والقمر في فلكيهما يسيران الحياة كلها ليجيبك قائلين الله . ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته إنها حال تستدعي التعجب وقوله تعالى : ﴿ الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ هذا مظهر من مظاهر الحكمة الإلهية والتدبير الحكيم وهو موجب له الألوهية نافٍ لها عما سواه . فهذا ييسط الرزق له فيوسع عليه في طعامه وشرابه وكسائه ومركوبه ومسكنه ، وهذا يضيق عليه في ذلك لماذا؟! والجواب إنه يوسع امتحانا للعبد هل يشكر أو يكفر ، ويضيق ابتلاء للعبد هل يصبر أو يسخط . ولذا فلا حجة للمشركين في غناهم وفقر المؤمنين فالغنى لا يدل على رضا الله على العبد ولا على سخطه . والفقر كذلك لا يدل على سخط ولا على رضا . وقوله تعالى ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ تقرير لحكمته ورحمته وعدله وتدبيره فهو يوسع لحكمة ويضيق لحكمة لعلمه بعباده وما يصلحهم وما يفسدهم إذ من الناس من يصلحه الغنى ، ومنهم من يصلحه الفقر ، والإفساد كذلك وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ أي ولئن سألت يارسلنا هؤلاء المشركين فقلت من نزل من السماء

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب .

(٢) نزلت الآية رداً على المشركين الذين غيروا المؤمنين بالفقر وقالوا لهم : لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء ، وهذا تمويه منهم إذ في الكافرين فقراء أيضاً .

(٣) هذه الجملة تذييلية لإفادة أن ذلك كله جار على حكمة لا يُطلع عليها .

ماء المطر فأحيا به الأرض بعد موتها بالقحط والجذب لأجابوك قائلين : الله إذا قل لهم : الحمد لله على اعترافكم بالحق لو أنكم تعملون بمقتضاه فما دام الله هو الذي ينزل الماء ويحيى الأرض بعد موتها فالعبادة إذا لا تنبغي إلا له فلم إذا تعبدون معه آلهة أخرى لا تنزل ماء ولا تحيي أرضا ولا غيرها ، ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ إذ لو عقلوا ما أشركوا بربهم أحجاراً وأصناماً ولا ما تناقضوا هذا التناقض في أقوالهم وأفعالهم يعترفون بالله رباً خالقاً رازقاً مديراً ويعكفون على الأصنام يستغيثون بها ويدعونها ويعادون بل ويحاربون من ينهاهم عن ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ أي التي أعمت الناس عن الآخرة وصرفتهم عن التزود لها ما هي ﴿إلا لهو ولعب﴾^(١) إذ يتشاغل بها الكافر ويعمل لها الليل والنهار ثم يموت ويخرج منها صفر اليدين كالأطفال يلعبون طوال النهار ثم يعودون بلا شيء سوى ما نالهم من التعب فالواجب أن تحول إلى عمل صالح ثم يرتزود به العبد إلى آخرته إذ الآخرة هي الحيوان أي الحياة الكاملة الخالدة فلها يعمل العاملون ، وفي عملها يتنافس المتنافسون . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿وإن الآخرة﴾ أي الدار الآخرة ﴿لهي الحيوان﴾^(٢) أي الحياة التي يجب أن نعمل لها لبقائها وخيريتها ، وقوله : ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي نعم إذ لو علموا أن الآخرة خير لما أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة ، ولكن جهلهم هو سبب إعراضهم ، فدواؤهم العلم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) التعجب من تناقض المشركين الذين يؤمنون بربوبية الله ويجحدون ألوهيته .
- (٢) بيان حقيقة وهي أن الغنى والفقر لا يدلان على رضا الرب ولا على سخطه ، وإنما يدلان على علم الله وحكمته وحسن تدبيره .
- (٣) بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وعظمة الآخرة وعلو قيمتها . فلذا أحق الناس وأشدهم سفاهة من يعمى عن الآخرة ويكفر بها ويبصر الدنيا ويؤمن بها .

(١) (الحمد لله) أي : على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته على كل شيء أراد .

(٢) اللهو : ما يلهو به الناس أي : يشتغلون به عن الأمور المكثرة أو يعمرن به أوقاتهم الخلية عن الأعمال .

(٣) الحيوان : يقع على كل شيء حي ، وحيوان : عين في الجنة ، وقيل : أصل الحيوان حيوان فأبدلت إحداهما وأوآ لاجتماع المثلين .

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

في الفلك

مخلصين له الدين

إذا هم يشركون

ليكفروا بما آتيناهم

فسوف يعلمون

ويخطف الناس من حولهم

أفبالباطل يؤمنون

ذلك .

والذين جاهدوا فينا

لنهديهم سبلنا

: أي في السفينة .

: أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة .

: أي يفاجئونك بالشرك وهو دعاء غير الله تعالى .

: أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم .

: أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا ألقوا في جهنم .

: أي يُسبون ويُقتلون في ديار جزيرتهم .

: أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل ، ينكر تعالى عليهم

: أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتزكية نفوسهم

وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر

المحاربين للإسلام والمسلمين .

: أي لنوفقنهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا

ونعينهم على تحصيله .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في التنديد بالمشركين وشركهم فقد تقدم في السياق أنهم يعترفون بربوبية الله تعالى إذ لو سُئلوا عمن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر لقالوا الله ولو سُئلوا عمن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها لقالوا الله . ومع هذا هم يشركون بالله آلهة أوثانا ، وكما يعترفون بربوبية الله ثم يشركون به الأصنام ، فإنهم إذا ركبوا في الفلك أي في سفينة من السفن وجاءهم موج واضطربت بهم وخافوا الغرق دعوا الله تعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي الدعاء فسألوه وحده دون آلهتهم أن ينجيهم من الغرق . ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ ونزلوا سالمين من الغرق إذا هم يشركون يفاجئونك بالشرك فهذا التناقض منهم كالتناقض في اعترافهم بربوبية الله تعالى ثم بالإشراك به . ومردُّ هذا إلى الجهل والتقليد والعناد والمجاداة والمكابرة . هذا ما دلت عليه الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾^(١).

وقوله تعالى في الآية (٦٦) : ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي عودتهم إلى الشرك بعد نجاتهم من الغرق ونزولهم في البر كان كأنه من أجل أن يكفروا بنعمة الله تعالى بإنجائهم من الغرق ، إذ لو لم يكفروا لاستمروا على الاخلاص لله بدعائه وعبادته وحده دون الآلهة التي تركوها عند حلول الشدة ومعاناة البلاء . وقوله تعالى : ﴿وليتمتعوا﴾ قرىء بسكون اللام ورجح ابن جرير هذه القراءة فيكون المعنى : وليتمتعوا في دنياهم بما آتاهم الله من متاع الحياة الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك بعد موتهم وهي عذاب الآخرة ، والأمر حينئذ في قوله وليتمتعوا للتهديد والوعيد .

أما على قراءة جر اللام وليتمتعوا فالجملة معطوفة على قوله ليكفروا أي أخلصوا في الشدة وأشركوا في الرخاء ليكفروا وليتمتعوا بما أوتوا في الحياة ، ولم يكن ذلك بنافعهم ولا بمغن عنهم من الله شيئاً فسوف يعلمون ما يحل بهم من عذاب وما ينزل بهم من بلاء وشقاء .

(١) قال القرطبي : يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطاناً . وقيل : إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس والملاح لغرقنا ، وهو كما قال ، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل : لولا الطبيب لمات فلان ، ولولا الكلب لسرقنا .

(٢) (ليكفروا) هذه اللام هي لام كي ، والظاهر أنها للعاقبة وما يؤول إليه الأمر ، وقيل هي لام الأمر ، وإن كانت كذلك فهو للتهديد والوعيد ، ويقوّي هذا الوجه قراءة من قرأها من القراء السبعة بسكون اللام (وليتمتعوا) .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٦٧) ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ أي ألم ير أولئك المشركون الكافرون بنعمة الله في الإنجاء من الغرق نعمة أخرى، وهي أن جعل الله تعالى لهم حرماً آمناً يسكنونه آمين من غارات الأعداء وحروب الظالمين المعتدين ، لا يعتدي عليهم في حرمهم ولا يظلمون في حين أن الناس من حولهم في أطراف جزيرتهم وأوساطها يتخطفون فتشُّ عليهم الغارات ويقتلون ويؤسرون في كل وقت وحين ، أليست هذه نعمة من أعظم النعم تستوجب شكرهم لله تعالى بعبادته وترك عبادة ما سواه . ولذا قال تعالى عاتباً عليهم مندداً بسلوكهم : ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أي بالشرك وعبادة الأصنام يصدقون ويعترفون ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ أي يجحدون إنعام ربهم عليهم فلا يشكرونه بعبادته وتوحيده فيها . وقوله تعالى في الآية الرابعة (٦٨) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه﴾ وصفهم بالظلم القطيع في حالتين الأولى في كذبهم على الله بتحريم ما أحل وتحليل ما حرم واتخاذ شركاء لله زاعمين أنها تشفع لهم عند الله عز وجل والثانية في تكذيبهم للحق الذي جاءهم به رسول الله وهو الدين الاسلامي بعقائده وشرائعه حيث كذبوا بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا التسجيل لأكبر ظلم عليهم قال تعالى : ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾؟ والاستفهام للتقرير أي إن في جهنم مثوى أي مسكناً للكافرين من أمثالهم وهم كافرون ظالمون وذلك جزاؤهم ولبس الجزاء جهنم

وقوله تعالى في الآية الخامسة (٦٩) ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ في هذه الآية بشرى سارة ووعد صدق كريم ، وذلك أن من جاهد في سبيل الله أي طلباً لمرضاة الله بالعمل على إعلاء كلمته بأن يعبد ولا يعبد معه سواه فقاتل

(١) هو مكة والحرم حولها.

(٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة لعلهم يذعنون له بالطاعة.

(٣) الاستفهام للانكار والتعجب أيضاً.

(٤) المثوى المستقر الدائم، والمثوى كالمأوى وزناً ومعنى والاستفهام هنا للتقرير.

(٥) جاهدوا الكفار والفاسق والشيطان والنفس أما جهاد الكفار فلم يؤذن فيه في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية إلا أنه لا مانع أن ينزل الحكم قبل أن يشرع العمل. ولكنه منتظر، وأما جهاد النفس فهو لازم لا يفارق وكذا جهاد الشيطان عليه لعائن الله.

(٦) المعية هنا: معية إعانة وتسدّد ونصرة على الأعداء المحاربين من الكفار والشياطين والنفس.

المشركين يوم يؤذن له في قتالهم يهديه الله تعالى أي يوفقه إلى سبيل النجاة من المرهوب والفوز بالمحبوب ، وكل من جاهد في ذات الله نفسه وهواه والشيطان وأوليائه فإن هذه البشرى تناله وهذا الوعد ينجز له وذلك أن الله مع المحسنين بعونه ونصره وتأييده على من جاهدهم في سبيل الله ، والمراد من المحسنين الذين يحسنون نياتهم وأعمالهم وأقوالهم فتكون صالحة مثمرة لركاة نفوسهم وطهارة أرواحهم . اللهم اجعلنا منهم وآتنا ما وعدتهم إنك جواد كريم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان أن مشركي العرب لم يكونوا ملاحدة لا يؤمنون بالله تعالى وتقرير أنهم كانوا موحدين توحيد الربوبية مشركين في توحيد الألوهية أي العبادة .
- (٢) إيقاظ ضمائر المشركين بتنبههم بنعم الله تعالى عليهم لعلمهم يشكرون .
- (٣) لا ظلم أعظم من ظلم من افتري على الله الكذب ، وكذب بالحق لما جاءه وانتهى إليه وعرفه فانصرف عنه مؤثرا دنياه متبعا لهواه .
- (٤) بشرى الله لمن جاهد المشركين وجاهد نفسه والهوى والشياطين بالهداية إلى سبيل الفوز والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة .
- (٥) فضل الإحسان وهو إخلاص العبادة لله تعالى وأداؤها متقنة مُجَوِّدة كما شرعها الله تعالى ، وبيان هذا الفضل للإحسان بكون الله تعالى مع المحسنين بنصرهم وتأييدهم والإنعام عليهم وإكرامهم في جواره الكريم .

سُورَةُ الرُّومِ

مكية

وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝
يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝
وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝

شرح الكلمات :

: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب آلم ، وتقرأ ألف ،

آلم

لام ، ميم

: أي غلبت فارس الروم .

غُلِبَتِ

: إسم رجل هوروم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم سميت

الروم

به قبيلة لأنه جدها .

: أي أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرض يقال لها

في أدنى الأرض

الجزيرة «بين دجلة والفرات» .

وهم من بعد غلبهم سيغلبون: أي وهم أي الروم من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها .

: أي في فترة ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنين .

في بضع سنين

: أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أولاً ثم في غلب

الله الأمر من قبل ومن بعد

الروم أخيراً الله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن .

ويومئذ يفرح المؤمنون : أي ويوم تغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المشركين عبدة النار ، وينصرهم هم على المشركين في بدر.

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً وأنجزه لهم . لا يخلف الله وعده : أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون : كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده . يعلمون ظاهراً من الحياة : أي لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع وإنما الدنيا يعلمون ما ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة .

وهم عن الآخرة هم غافلون : أي عن الحياة الآخرة ، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى ذلك من عقائد وأفعال وتروك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الْم﴾ : أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف القول بأن الله أعلم بمراده به ، مع الإشارة إلى أنه أفاد فائدتين الأولى أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد أعجز العرب على تأليف مثله فدل ذلك على أنه وحي الله وتزييله ، وأن من نزل عليه نبي الله ورسوله وأن ما يحمل من تشريع هو حاجة البشرية ولا تصلح ولا تكمل ولا تسعد إلا به وعليه ، والثانية أنها لما كان المشركون يمنعون من سماع القرآن مخافة تأثيره على المستمع له جاء تعالى بمثل هذه الفواتح للعديد من سور كتابه فكانت تضطرهم إلى الاستماع إليه لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطباتهم .^(١) وقوله تعالى : ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ :^(٢) أي غلبت فارس الروم في ﴿أدنى الأرض﴾ أي أرض الشام الأقرب إلى بلاد فارس وذلك في أرض الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات

(١) هذا الخبر المقصود منه لازم الفائدة ، إذ الله يعلم ذلك ، وإنما المراد نحن نعلم ذلك فلا يهتكم أيها المشركون ذلك ولا تتناولوا به على رسولنا وأوليائنا فإننا نعلم أنهم سيغلبون من غلبهم في بضع سنين لا يُعد الغلب في مثله غلباً .
(٢) اختلف في أدنى الأرض هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير أو أدنى الأرض إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب ، وهذا الخلاف سببه الخلاف في تحديد موقع المعركة فإن كانت بالجزيرة فأدنى الأرض هو بالنسبة إلى أرض فارس وإن كانت الواقعة بالأردن فهي أقرب إلى أرض الروم وإن كانت الواقعة بأذرعاء جنوب الشام فهي أقرب إلى ديار العرب الحجاز وما حوله والراجع الأول كما في التفسير .

وقوله : ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ أي وهم من بعد غلب فارس الروم ستغلب الروم فارساً وقوله : ﴿في بضع سنين﴾ : أي في فترة زمنية ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنوات وقوله ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي الأمر في ذلك لله تعالى من قبل الغلب ومن بعده إذ هو المتصرف في خلقه . وقوله ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ أي ويوم يَغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار ، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر . وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق . وقوله تعالى : ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ أي ينصر تعالى من يشاء نصره من عباده وقد شاء نصر المؤمنين والروم فنصرهم في وقت واحد منجزاً بذلك وعده الذي واعد به منذ بضع سنين^(١) ، وهو العزيز أي الغالب على أمره القادر على إنجاز وعده الرحيم بأوليائه وصالحيه عباده . وقوله ولكن ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ كتدبير الله وقدرته وعزته وفوائده شرعه وأسرار دينه ، ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير معاشهم من زراعة وصناعة وتجارة ، وفي نفس الوقت هم عن الحياة الآخرة غافلون عما يجب عليهم فعله وتركه ليسعدوا فيها بالنجاة من النار وسكنان الجنان في جوار الرحمن سبحانه وتعالى .

- (١) قبل ، وبعد : مبنين على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه أي : من قبل الغلب وبعده .
 (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم ولأيامهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وذكر أن أبا بكر رآه قريشاً في كلام طويل ، وقال الترمذي فيه حديث حسن صحيح غريب نقله القرطبي .
 (٣) وقيل كان النصر يوم صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في واقع الأمر نصراً للمؤمنين ، وما في التفسير أصح لحديث الترمذي وقد حسنه وصححه وقال فيه غريب .
 (٤) قال الحسن بلغ - والله - من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وفي هذا قال بعضهم شعراً :

ومن البلية أن ترى لك صاحباً في صورة الرجل السميع المبصر
 فطن بكسل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير صحة الاسلام وأنه الدين الحق بِصِدْقٍ ما يخبر به كتابه من الغيوب .
- (٢) بيان أن أهل الكتاب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملاحدة من بلاشفة شيوعيين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .
- (٣) بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ما يسعدهم في الآخرة ويكملهم من العقائد الصحيحة والشرائع الحكيمة الرحيمة التي لا يكمل الإنسان ولا يسعد إلا عليها ، ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير المعاش من زراعة وصناعة وتجارة ، اما عن سر الحياة الدنيا ولماذا كانت فهم لا يعلمون شيئاً كما هم عن الحياة الآخرة غافلون بالمرة فلا يبحثون عما يسعد فيها ولا عما يشقى . والعياذ بالله تعالى من الغفلة عن دار البقاء في السعادة أو الشقاء .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَقِيبَ الَّذِينَ آسَؤُوا السَّوْءَ
أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات في أنفسهم

: أي كيف خُلِقُوا ولم يكونوا شيئاً ، ثم كيف أصبحوا رجالاً .

: أي لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل .

: وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل .

: أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم .

: قلبوها للحرث والفرس والإنشاء والتعمير .
: أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون .

: أي بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها .
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك .

: أي بالتكذيب والشرك والمعاصي والسوءى هي الحالة الأسوأ .

: أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية واستهزائهم بها .
أن كذبوا بآيات الله
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به من طريق ذكر الأدلة العقلية التي تحملها الآيات القرآنية فقوله تعالى ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ أي أينكرون البعث ولم يتفكروا في أنفسهم كيف كانوا عديمًا ثم وجدوا أطفالًا ثم شبابًا ثم رجالًا كهولًا وشيوخًا ثم يموتون أليس القادر على خلقهم وتربيتهم ثم إمامتهم قادر على بعثهم وحسابهم ومجازاتهم على كسبهم في هذه الحياة الدنيا وقوله تعالى ﴿ما خلق الله

(١) (في أنفسهم) ظرف للتفكر، وليس مفعولا لفعل يتفكروا لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خلق أنفسهم بل في خلق السموات والأرض وما بينهما .

السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق^(١) وأجل مسمى ﴿أي لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليذكر ويشكر، ثم إذا تم الأجل المحدد لهما افناهما ثم بعث عباده ليحاسبهم هل ذكروا وشكروا أو تركوا ونسوا و كفروا ثم يجزيهم بحسب إيمانهم وطاعتهم أو كفرهم وعصيانهم.

وقوله تعالى ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يخبر تعالى أنه مع ظهور الأدلة وقوة الحجج على صحة عقيدة البعث والجزاء فإن كثيراً من الناس كافرون بالبعث والجزاء وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي أيكذب أولئك المشركون بالبعث والجزاء ولم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هلاكاً ودماراً ، ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ بالإنشاء والتعمير والزراعة والفلاحة ﴿وعمروها﴾ عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء ، ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ ، ولما أهلكهم لم يكن ظالماً لهم بل كانوا هم الظالمين لأنفسهم. أليس في هذا دليلاً على حكمة الله وعلمه وقدرته فكيف ينكر عليه بعثه لعباده يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم؟

وقوله تعالى ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أي الأعمال فلم يصلحوها حيث كذبوا برسول الله وشرائعه. وقوله: ﴿السوأي﴾ أي عاقبة الذين أساءوا والسوأي أي العاقبة السوأي وهو خسراهم وهلاكهم، وقوله ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ أي من أجل أنهم كذبوا بآيات الله ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ وأصروا على ذلك ولم يتوبوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية المثبتة لها.

(٢) كفر أكثر الناس بالبعث مع كثرة الأدلة وقوتها.

(١) جائز أن يكون (إلا بالحق) معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمى: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فنائها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة. (٢) فينظروا بأبصارهم ويصائرهم فلما كذبوا أهلكهم الله وما كان ظالماً لهم بل هم الظالمون لأنفسهم بالشرك والمعاصي. (٣) أي: بالمعجزات والأحكام الشرعية.

(٤) السوأي: تأنيت الأسوأ، كالحسنى تأنيت الأحسن، والأسوأ. الأقبح من الأفعال والأقوال والمعتقدات، وجائز أن يكون المراد بالسوأي هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى الجنة في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) أي الجنة.

(٥) العلة أنهم لا يفكرون أي: لا يعملون خواطرهم في النظر والتأمل هذا هو سر عدم إيمانهم إذ لو نسب المفكرون إلى غيرهم لما كانت النسبة واحداً إلى مليون:

ولم أر كالأرجال تفاوتاً لدى الفكر حتى عُد ألف بواحد

٣) مشروعية السير في الأرض للاعتبار مع اشتراط عدم حصول إثم في ذلك بترك واجب أو بفعل محرم .

٤) بيان جزاء الله العادل في أن عاقبة الإساءة السوأى^(١).

٥) كفر الاستهزاء بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته .

اللَّهُ

يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ
شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَذِّبْنَ فَرَقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ثم إليه ترجعون : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس .

يُبْلِسُ المجرمون : أي يياسوا من النجاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون .

وكانوا بشركائهم كافرين : أي يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم

يتفرقون : أي ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب

النار .

في روضة يحبرون : أي في روضة من رياض الجنة يُسَرُّون ويفرحون .

في العذاب محضرون : أي مُدخلون فيه لا يخرجون منه .

(١) أي : عاقبة الشرك والمعاصي وهما سوء والإساءة عاقبتهمما السوءى أي : أشد العقوبات وإنكاهما في الدنيا وفي الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض صور حية صادقة لما يتم بعد البعث من جزاء، فقوله تعالى ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده، ثم إليه ترجعون﴾ إعلان واضح صريح قاطع للشك مزيل للبس بأن الله رب السموات والأرض وما بينهما هو الذي بدأ الخلق فخلق ما شاء ثم يميت ثم يعيده، وإليه لا إلى غيره ترجع الخليقة كلها راضية أو ساخطة محبة أو كارهة، هكذا قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء مُدللًا عليها بأقوى دليل وهو وجوده تعالى وقدرته التي لا تُحد وعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لا يخلو منها عمل، فقال ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾.

وقوله عز وجل في الآية الثانية عشر (١٢) ﴿ويوم تقوم الساعة يُبلسُ المجرمون﴾ هذا عرض لما بعد البعث فذكر أنه لما تقوم الساعة ويُبعث الناس يُبلس المجرمون أي يياسون من الرحمة وينقطعون عن الكلام لعدم وجود حجة يحتجون بها. وقوله ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾ أي ولم يكن لهم من يشفع لهم من شركائهم الذين عبدوهم بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله، فأيسوا من شفاعتهم وكفروا بهم أيضاً أي أنكروا أنهم كانوا يعبدونهم خوفاً من زيادة العذاب. هذه حال المجرمين الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي، الحامل عليها تكذيبهم بآيات الله ولقائه. وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ هذا عرض آخر يخبر تعالى أنه إذا قامت الساعة تفرق الناس على أنفسهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وبين ذلك مقرّناً بعلله فقال: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدّقوا بالله رباً وإلهاً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً لا دين يقبل غيره وبالبعث والجزاء حقاً. ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي عبدوا الله تعالى بما شرع لهم من العبادات إذ الصالحات هي المشروع من الطاعات القولية والفعلية فهؤلاء المؤمنون

(١) يقال: أبلس يبلس إبلاسا: إذا سكت متحيراً وانقطعت حجته وأيس أن تكون له حجة، قال الشاعر:

يا صاح هل تعرف رسماً مكراً
قال نعم أعرفه وأبلساً
والمكرس: الذي بعث فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضاً

(٢) قيل في: (فأما) أن معناها: دع ما كنا فيه ونخذ في غيره، وقيل معناها: مهما كنا في شيء فخذ في غير ما كنا فيه، والمعنى متقارب، والحقيقة أنها أداة شرط وتفصيل، تفصيل لما أجمل في الكلام السابق عليها وشرط ولذا قرن جوابها بالفاء.

العاملون للصالحات ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾^(١) من رياض الجنة ﴿يَجْبُرُونَ﴾^(٢) أي يُسْرُونَ ويفرحون بما لا قُوَّةَ من الرضوان والنعيم المقيم، وذلك بفضل الله تعالى عليهم وبما هداهم إليه من الإيمان، وما وفقهم إليه من عمل الصالحات. وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ فقد أخبر عن جزائهم مقروناً بعلّة ذلك الجزاء وهو الكفر بتوحيد الله تعالى، والتكذيب بالآيات القرآنية وما تحمله من حجج وشرائع وأحكام، وبلقاء الآخرة وهو لقاء الله تعالى بعد البعث للحساب والجزاء، فجزاؤهم أن يحضروا في العذاب دائماً وأبداً لا يغيّبون عنه، ولا يفتر عنهم، وهم فيه خالدون هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض مشاهد القيامة.
- (٢) تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقده المبطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر.
- (٣) تقرير مبدأ السعادة والشقاء يوم القيامة فأهل الإيمان والتقوى في روضة يجبرون، وأهل الشرك والمعاصي في العذاب محضرون.

فَسَبِّحْ حَنَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ

وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُمِجِّي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

(١) الروضة: كل أرض ذات أشجار وماء وأزهار قال الأعشى:

وما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

(٢) (يجبرون): ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم يقال: فلان حسن السبر والحبر، وفي الحديث: (يخرج رجل من النار ذهب حبره وسيره).

تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَيْتِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

فسبحان الله

: أي سبحوا الله أي صلوا .

حين تمسون

: أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب
وصلاة العشاء .

وحين تصبحون

: وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح .

وله الحمد في السموات والأرض : أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض .

وعشيا

: أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر .

وحين تظهرون

: أي تدخلون في الظهر وفيه صلاة الظهر .

يخرج الحي من الميت

: أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة .

ويخرج الميت من الحي

: أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من
الدجاجة الحية .

ويحي الأرض بعد موتها

: أي يحييها بالمطر فتحيا بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة .

وكذلك تخرجون

: أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين .

ومن آياته

: أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد
موتكم .

أن خلقكم من تراب

: أي خلقه إياكم من تراب ، وذلك بخلق آدم الأب الأول .

تنتشرون

: أي في الأرض بشراً تعمرونها .

لتسكنوا إليها

: أي لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بعضاً بحكم التجانس
في البشرية .

وجعل بينكم مودة

: أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر
ويرحمه .

معنى الآيات :

قوله سبحانه وتعالى في هذه السياق : ﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ.....﴾ الآية^(١) لما بين تعالى بدء الخلق ونهايته باستقرار أهل الجنة وأهل النار في النار وهذا عمل يستوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله كما يستلزم حمده ، ولما كانت الصلوات الخمس تشتمل على ذلك أمر بإقامتها في المساء والصباح والظهيرة والعشي فقال تعالى : ﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ﴾ أي سبحوا الله ﴿حين تمسون﴾ أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح . وقوله تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أن له الحمد مستحقاً له دون سائر خلقه في السموات والأرض . وقوله ﴿وعشيّاً﴾ معطوف على قوله ﴿حين تصبحون﴾ أي وسبحوه في العشي . وهي صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ أي وسبحوه حين تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر.

وقوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي ومن مظاهر الجلال والكمال الموجبة لحمده وطاعته والمقتضية لقدرته على بعث عباده ومحاسبتهم ومجازاتهم أنه يخرج الحي كالإنسان من النطفة والطيور من البيض والبيضة والمؤمن من الكافر ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ كالنطفة من الإنسان والبيضة من الدجاجة وسائر الطيور التي تبيض . وقوله ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ أي ومن مظاهر وجوده وقدرته وعلمه ورحمته أيضاً أنه يحيي الأرض أي بالمطر بعد موتها بالجذب والقحط فإذا هي رابية تهتز بأنواع النباتات والزرور وقوله : ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي وكإخراج الحي من الميت والميت من الحي وكإحيائه الأرض

(١) في هذه الآية الكريمة : (فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ) يأمر تعالى عباده المؤمنين بعبادته في الأوقات المذكورة في الآية ، وأعظم العبادات الصلاة لأنها مشتملة على ذكره وشكره .

(٢) هذه الفاء للتفريع إذ هذا الأمر متفرع عما قبله إذ بين تعالى أن الإيمان والعمل الصالح منج لصاحبه فبناء على ذلك فاقموا الصلاة .

(٣) العشي والعشية من صلاة العصر إلى غروب الشمس حسب دلالة الآية لتدخل صلاة العصر والإمساء : تدخل فيه صلاة المغرب والعشاء والصبح في الإصباح والظهر في الظهيرة .

(٤) كون النطفة تحمل حيوانات منوية لا يتنافى مع إطلاق الموت عليها إذ المراد من الموت الذي يوصف به الشيء كما وصفت الأرض بالموت إذا يبست ولم يكن بها نبات ، وجة البر والشعير بالموت إذ الحياة تحدث للأرض بعد نزول المطر عليها والحة بعد تفاعلها مع التربة الثرية وكذا النطفة تحمل مادة الحياة كالأرض والحة ولا تظهر فيها إلا بعد تفاعلها الخاص في الرحم .

(٥) في هذه الآية دليل على مشروعية القياس وصحته ، وجه القياس في الآية هو قياس المعاد على الخلق الأول والإيجاد .

بعد موتها: يُحْيِيكُمْ ويخرجكم من قبوركم للحساب والجزاء إذ القادر على الأول قادر على الثاني. ولا فرق.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ أي ومن آياته الدالة على وجوده وعلمه وقدرته المستوجبة لعبادته وحده والمقررة لقدرته على البعث والجزاء خَلَقَهُ للبشرية من تراب^(١) إذ خلق أباهما الأول آدم عليه السلام من تراب، وخلق حواء زوجه من ضلعه ثم خلق باقي البشرية بطريقة التناسل. فإذا هي كما قال سبحانه وتعالى: بشر ينتشرون في الأرض متفرقين في أقطارها يعمرونها بإذنه تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي ومن آياته أي حججه وأدلتها الدالة على وجوده وعلمه ورحمته المستوجبة لعبادته وتوحيده فيها والدالة أيضاً على قدرته على البعث والجزاء خلقه لكم أيها الناس من أنفسكم أي من جنسكم الأدمي أزواجاً أي زوجات لتسكنوا إليها بعامل التجانس، إذ كل جنس من المخلوقات يطمئن إلى جنسه ويسكن إليه، وقوله ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أي جعل بين الزوجين مودة أي محبة ورحمة أي شفقة إلا إذا ظلم أحدهما الآخر فإن تلك المودة وتلك الرحمة قد ترتفع حتى يرتفع الظلم ويسود العدل والحق. وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ﴾ أي دلائل وحجج واضحة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ باستعمال عقولهم في النظر والفكر فإنهم يجدون تلك الأدلة على قدرة الله وعلمه ورحمته وكلها مقتضية لتوحيد الله ومحبه وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه، مع تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المجرمون المكذبون.

(١) ووجه آخر للمخلوق من تراب وهو أن النطف التي هي أصل خلق الإنسان بعد الأبوين آدم وحواء قد تكونت من الغذاء، وأن الغذاء قد تكون من نبات الأرض، وأن نبات الأرض مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنبته فهذا كان تكوين الإنسان من تراب فكان آية وأمر آخر هو أن التراب بارد يابس، وهو طبع الموت وطبع الحياة الحرارة والرطوبة، فمن ذلك البارد اليابس ينشأ المخلوق الحي الرطب فسيحان الخلاق العليم.

(٢) الانتشار الظهور والتفرق هنا وهناك في البلاد والأقطار تعملون سامعين مبصرين منكم الصالح ومنكم خلافة وهو الفاسد.

(٣) ضمن لتسكنوا لتميلوا لذا عُدِّي باللام وفي الآية دليل على عدم تزوج الأدمي بغير الأدمية كالجنية إذ لا يحصل الأنس إلا بالجنس والاية تُؤمِّي إلى أن أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة وذلك أن الختانين إذا التقيا هيجا ماء الصلب فإذا نزل حصل السكون ووقف الهيجان كما هو معروف.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) وجوب تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله .

(٢) وجوب حمد الله على آلائه وإنعامه .

(٣) وجوب إقام الصلاة .

(٤) بيان أوقات الصلوات الخمس^(١)

(٥) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ورحمته المقتضية لتوحيده والمقررة لعقيدة البعث والجزاء .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِينَ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ

خُوفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم

دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

(١) روى عن ابن عباس أنه سئل هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال نعم : وقرأ هذه الآية ومنها أخذ الإمام الشافعي أوقات الصلوات الخمس وأخذها مالك من آية الإسراء (أقم الصلاة لدلوك الشمس) الآية .

شرح الكلمات :

- ومن آياته : أي حججه وبراهينه الدالة على قدرته على البعث والجزاء .
- واختلاف ألستكم : أي لغاتكم من عربية وعجمية والعجمية بينها اختلاف كثير .
- والوانكم : أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة .
- للعالمين : أي للعقلاء على قراءة للعالمين^(١) بفتح اللام ، ولأولي العلم على قراءة كسر اللام .
- وابتغاؤكم من فضله : أي طلبكم الرزق باحضار أسبابه من زراعة وتجارة وصناعة وعمل .
- لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وفهم وإدراك لا مجرد سماع الأصوات .
- يرىكم البرق خوفاً وطمعاً : أي إراءته إياكم البرق خوفاً من الصواعق والظوفان وطمعاً في المطر .
- أن تقوم السماء والأرض بأمره : أي قيام السماء والأرض على ما هما عليه منذ نشأتها بقدرته وتدبيره .
- دعوة من الأرض : أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة اسرافيل .
- إذا أنتم تخرجون : أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بذكر الأدلة والبراهين العقلية فقولته تعالى : ﴿ومن آياته﴾ أي حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء وعلى وجوب توحيده ﴿خلق السموات والأرض﴾ فخلق بمعنى إيجاد السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من أكبر الأدلة وأقواها على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة لتوحيده ومثبتة لقدرته على البعث والجزاء ، مقررة له ، وقوله : ﴿واختلاف ألستكم﴾ أي

(١) بالفتح قرأ نافع وبالكسر قرأ حفص ولكل منهما متابع على ما قرأ والمعنى واحد إذ لا يكون العالم عالماً بدون عقل فكل عالم عاقل والعاقل يهديه عقله إلى أن يعلم فيعلم أيضاً .

(٢) قال القرطبي اللسان في الفهم وفيه اختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية واختلاف الألوان في الصورة من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين ، فلا بد من فاعل فعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل الدليل على الباري سبحانه وتعالى .

لغاتكم من عربية وعجمية ولهجاتكم بحيث لكل ناطق لهجة تخصه يتميز بها إذا سمع صوته عرف بها من بين ملايين البشر، ﴿وَأَلْوَانَكُمْ﴾ واختلاف ألوانكم أيها البشر من أبيض إلى أسود ومن أحمر إلى أصفر مع اختلاف الملامح والسمات بحيث لا يوجد اثنان من ملايين البشر لا يختلف بعضهما عن بعض حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر إن في هذا وذاك ﴿لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي لحجبا ظاهرة وبراهين قاطعة بعضها للعالمين وذلك البياض والسواد وبعضها للعلماء كاختلاف اللهجات ولامح الوجوه والسمات المميزة الدقيقة والكل أدلة على قدرة الله وعلمه ووجوب عبادته وتوحيده في ذلك مع تقرير عقيدة البعث والجزاء

وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي ومن آياته الدالة على قدرته على البعث والجزاء منامكم بالليل فالنوم كالموت والانتشار في النهار لطلب الرزق كالبعث بعد الموت فهذه عملية للبعث بعد الموت تتكرر كل يوم وليلة في هذه الحياة الدنيا، وقوله ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ أي في ذلك المذكور من النوم والانتشار لطلب الرزق لدلائل وحجج على قدرة الله على البعث لقوم يسمعون نداء الحق والعقل يدعوهم إلى الإيمان بالبعث والجزاء فيؤمنون فيصبحون يعملون للقاء ربهم ويستجيون لكل من يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه ويتقربوا إليه.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٤) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي ومن حججه تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضيات توحيده والإيمان بلفائه إراءته^(١) أيها الناس البرق خوفاً للمسافرين من الأمطار الغزيرة ومن الصواعق

(١) ذكر العالمين والعلماء في التفسير إشارة إلى القراءتين إذ قرأ نافع والجمهور للعالمين بفتح اللام وقرأ حفص بكسر العين للعالمين وهم العلماء.

(٢) المنام مصدر ميمي وهو من الأعراض لا من الذات وامره عجيب إذ لو قيل لإنسان نم ولك مكافأة أعظم مكافأة لا يقدر على أن ينام إلا على سنة النوم وهو الاسترخاء والاضطجاع وإغماض العينين فترة حتى ينام، ولو شاء الله ما نام كما لو شاء ما هب من نومه.

(٣) اختيار لفظ السماع مع آية النوم فيه إشارة إلى أن النائم يفقد السماع حال نومه بدون إرادته ولا اختياره.

(٤) جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٥) التعبير بالمصدر «إراءته» إشارة إلى أن من أهل التفسير من يقول إن «أَنْ» المصدرية محذوفة نحو قول الشاعر:

ألا أيها اللاتمي احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد

إذ التقدير أن احضر فحذف أن، ويصح أن يكون المعنى ومن آياته أنه يريكم فحذف أن واسمها وبقي الخبر وهو جملة يريكم والكل واسع وجائز.

الشديدة أن تصيبهم ، وطمعاً في المطر الذي تحيا به مزارعكم وتنبت به أرضكم فيتوفر لكم أسباب رزقكم ، وقوله : ﴿ وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها ﴾ أي ومن آياته تنزله تعالى من السماء ماءً وهو ماء المطر فيحيي به الأرض بالنباتات والزرع بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها لا زرع ولا نبت إن في ذلك المذكور من إنزال الماء وإحياء الأرض بعد إراءته عباده البرق خوفاً وطمعاً لآيات دلائل وحجج على قدرته على البعث والجزاء ولكن يرى تلك الدلائل ويعقل ويفهم تلك الحجج قوم يعقلون أي لهم عقول سليمة يستعملونها في النظر والاستدلال فيفهمون ويؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ أي ومن آياته تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته والموجبة لتوحيده والمقررة لنبوة نبيه ولقائه للحساب والجزاء قيام السماء والأرض منذ خلقهما فلا السماء تسقط ، ولا أرض تغور فهما قائمتان منذ خلقهما بأمره تعالى أليس في ذلك أكبر دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم أحياء لحسابهم على كسبهم ومجازاتهم .

وقوله تعالى : ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ ^(١) أي أقام السماء والأرض للحياة الدنيا يحيي فيهما ويميت حتى تنتهي المدة المحددة للحياة فيهلك الكل ويفنيه ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة ﴾ ينفخ اسرافيل في الصور ﴿ إذا أنتم تخرجون ﴾ من الأرض استجابة لتلك الدعوة ، وذلك للحساب والجزاء العادل على العمل في هذه الحياة الدنيا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده وترك عبادة من سواه .

(٢) مشروعية طلب الرزق بالمشي في الأرض واستعمال الوسائل المشروعة لذلك .

(٣) تقرير أن الذين يتنفعون بأسماعهم وعقولهم هم أهل حياة الإيمان إذ الإيمان روح متى دخلت جسماً حيّاً وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويفكر ويعقل .

(٤) تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح البشري بعد عقيدة الإيمان بالله رباً وإلهاً .

(١) إذا الأولى شرطية والثانية فجائية سادة مسد فاء الجواب وصيغة الدعاء كما ذكرها القرطبي : يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كقوله تعالى : ﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾ .

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي
مَا رَزَقْتَكُمْ فَاتَّخَفْتُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي
مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وله من في السموات والأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا وعبداً .

كل له قانتون^(١) : أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس

والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أَرادها فلا يتعطل منها حكم .

وهو أهون عليه : أي أيسر وأسهل نظراً إلى أن الاعادة أسهل من البداية .

وله المثل الأعلى : أي الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوجدانية .

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في قضائه وتصرفه .

ضرب لكم مثلاً : أي جعل لكم مثلاً .

من أنفسكم : أي منتزعا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم .

(١) القنوت الطاعة وهي الانقياد والخلايق كلها متطوعة لما أَراد الله منها فلا يتخلف قضاؤه تعالى وحكمه فيها بحال من الأحوال .

كخيفتكم

نفصل الآيات

: أي تخوفكم من بعضكم بعضاً أيها الأحرار.
: أي نبينها بتنوع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب
الأمثال.

بل اتبع الذين ظلموا : أي ليس الأمر قصوراً في البيان حتى لم يؤمن المشركون
أهواءهم وانما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.
فمن يهدي من أضل الله؟ : أي لا أحد فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون بذكر
الأدلة العقلية وتصريف الآيات فقال تعالى ﴿وله﴾ أي الله المحي المميت الوارث الباعث
سبحانه وتعالى ﴿من في السموات والأرض﴾ أي من ملائكة وجان وإنسان فهو خلقهم
وهو يملكهم ويتصرف فيهم. وقوله: ﴿كل له قانتون﴾ أي مطيعون منقادون فالملائكة لا
يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والجن والإنس منقادون لما أراده منهم من حياة
وموت ونشور وأما عصيانهم في العبادات فهو غير مقصود لأنه التكليف الذي هو علة
الحياة كلها ومع هذا فهم منقادون باختيارهم وإراداتهم الحرة ما كتبه عليهم أزلاً والله أكبر
ولله الحمد وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي هو الله الذي يبدأ خلق
ما أراد خلقه في كل يوم وساعة من غير شيء ويهبه الحياة ثم يسلبها منه في آجال سماها
ثم يعيده يوم القيامة أحب الناس أم كرهوا. وقوله ﴿وهو أهون﴾ عليه أي الإعادة أيسر
وأسهل عليه فليس على الله شيء صعب ولا شاق ولا عزيز ممتنع، وإنما خرج الخطاب
على أسلوب المتعجبين من إعادة الخلق بعد فنائه فأعلمهم أن المتعارف عليه عندهم أن
الإعادة أسهل من البداءة ليفهموا ويقتنعوا، وإلا فلا شيء صعب على الله تعالى ولا شاق
ولا عسير، إذ هو يقول للشيء متى أرادته كن فيكون. وقوله تعالى ﴿وله المثل الأعلى في

(١) ذكر القرطبي لتفسير كلمة (قانتون) تفاسير عدة عن السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة
مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(٢) قال القرطبي: أما بدء خلقه فبعولقه في الرحم قبل ولادته وأما إعادته فحياؤه بعد الموت في النفخة الثانية للبعث فجعل
ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب.

(٣) أهون بمعنى هين، لقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيراً، والعرب تطلق أفعل على فاعل قال الشاعر:

إن الذي شمل السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

(٤) أي ثبت له واستحق الشأن الأتم الذي لا يقاس بشؤون الناس المتعارفة وإنما بقصد التقريب لأفهامكم والأعلى الأعظم
البالغ نهاية العظمة والقوة.

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ وله أي الله سبحانه وتعالى الوصف الأكمل في السموات والأرض وهو الألوهية والوحدانية فهو الرب الذي لا إله إلا هو المعبود في السماء والأرض لا إله إلا هو فيهما ولا رب غيره لهما وهو العزيز الغالب المنتقم ممن كفر به وعصاه الحكيم في تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه . وقوله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾ أي جعل لكم مثلاً مأخوذاً منتزعا من أنفسكم وهو: ﴿ هل لكم ^(١) من ما ملكتم أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ﴾ أي انه ليس لكم من ممالئكم وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه ابداً، إذا فكذلك الله تعالى لا يرضى أن يكون من عبيده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها . . وقوله ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي تخافون عبيدكم كما تخافون بعضكم بعضاً أيها الأحرار، أي لا يكون هذا منكم ولا ترضون به إذا فالله - وله المثل الأعلى - كذلك لا يرضى أبداً أن يكون مخلوق من مخلوقاته ملكاً كان أو نبياً أو وثناً أو صنماً شريكاً له في عبادته . ، وقوله: ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ أي نبينها بتنوين الأساليب وضرب الأمثال ﴿ لقوم يعقلون ﴾ إذ هم الذين يفهمون معاني الكلام وما يراد من أخباره وقصصه وأمثاله وأوامره ونواهيهِ . ، وقوله تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾ أي ليس الأمر قصوراً في الأدلة ولا عدم وضوح في الحجج وإنما الظالمون اتبعوا أهواءهم أي ما يهوونه ويشتهونه بغير علم من نفعه وجدواه لهم فضلوا لذلك . فمن يهديهم ، وقد أضلهم الله حسب سنته في الإضلال . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ فمن يهدي من أضل الله ﴾ ؟ أي لا أحد وقوله ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي يهدونهم بعد أن أضلهم الله ، والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير عقيدة البعث والتوحيد بذكر الأدلة وضرب الأمثال وتفصيل الآيات .

(١) ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم .

(٢) من في قوله مثلاً من أنفسكم للابتداء وفي قوله من أنفسكم للتبويض وفي قوله من شركاء زائدة . قال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين والمعنى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فإن لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم الله شركاء .

(٣) المراد به القرطبي إذ قال عند تفسير هذه الآية : وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لاتصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك .

٢) تَقَرُّدُ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي كُلِّ جَلالٍ وَكَمالٍ .

٣) استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام .

٤) عظم فائدة هذا المثل «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم الآية» حتى قال بعضهم: فَهَمْ هَذَا المثل أفضل من حفظ كذا مسألة فقهية .

٥) علّة ضلال الناس اتباعهم لأهوائهم بغير علم وبانصرافهم عن الهدى بالاسترسال في اتباع الهوى .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات

فأقم وجهك للدين حنيفاً: أي سدد وجهك يارسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلا إليه .

حنيفاً : أي مائلاً عن سائر الأديان إليه ، وهو بمعنى مقبلاً عليه .
فطرة الله : أي صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالى .

لا تبديل لخلق الله : أي لا تعملوا على تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظاً انشائية معنى .

الدين القيم : أي المستقيم الذي لا يفضل الأخذ به .
منيبين إليه : أي راجعين إليه تعالى بفعل محابه وترك مكارهه .

(١) لما أقام عليهم الحجة ذكر تعالى أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم وتقليد آباءهم وأسلافهم .

وكانوا شيعا : أي طوائف وأحزاباً كل فرقة فرقة بما هي عليه من حق وباطل .

معنى الآيات

لما قرر تعالى عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بالأدلة وضمن ذلك عقيدة النبوة وإثباتها للنبي صلى الله عليه وسلم أمر رسوله والمؤمنون تبع له فقال ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾^(١) أي أنصبوا وجوهكم أيها الرسول والمؤمنون للدين الحق دين الإسلام القائم على مبدأ التوحيد والعمل الصالح ، فلا تلتفتوا إلى غيره من الأديان المنحرفة الباطلة . وقوله ﴿فَطَرَهُ﴾^(٢) الله التي فطر الناس عليها ﴿أي أقيموا وجوهكم للدين الحق الذي فطر الله الإنسان عليه تلك الفطرة التي هي خلق الإنسان قابلاً للإيمان والتوحيد . وقوله : ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغيروها بل نموها وبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد . فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى نحو فهل أنتم متتهون فهي بمعنى انتهوا وهي أبلغ من انتهوا فكذا : لا تبديل أبلغ من لا تبدلوا . وقوله : ﴿ذَلِكَ الدِّينَ الْقِيمَ﴾^(٣) أي لزوم ما فطر عليه المرء من الإيمان بالله وتوحيده . . وابرار ذلك في الواقع بالإيمان بالله وبما أمر بالإيمان به من أركان الإيمان وعبادة الله تعالى وهي طاعته بفعل ما يأمر به وينهى عنه مخلصاً له ذلك لا يشاركه فيه غيره من سائر مخلوقاته هو الدين القيم الذي يجب أن يكون عليه الإنسان وقوله : ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يخبر تعالى بأن ما قرره من الدين القيم كما بيّنه في الآيات أكثر الناس لا يعلمونه ولا يعرفونه وهو كما أخبر سبحانه

(١) فأقم وجهك : هذه الفاء هي الفاء القصبة إذ هي مفصحة عن جواب سؤال مقدر تقديره هنا إذا علمت أحوال المعرضين عن الحق بعد ظهور دلائله فأقم وجهك والمراد من الأمر دوام إقامة الوجه والاستمرار عليه .

(٢) حنيفاً منصوب على الحال أي حال كونك معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المنحرفة الباطلة إلى دين الله الحق الذي لم يبدل ولم يغير وهو الإسلام .

(٣) فطرة : جائز أن يكون منصوباً على المفعولية المطلقة أي فطر الله تعالى الإنسان على ذلك فطرة ، وجائز أن يكون منصوباً على أنه مفعول به أي واتبع فطرة الله والتقدير : فأقم وجهك للدين حنيفاً واتبع فطرة الله .

(٤) قيم كهيمن ولين مفيد قوة الاتصاف بمصدره أي الدين البالغ قوة القيام أي الاستقامة والبعد عن الاعوجاج . يقال عود مستقيم وقيم من تشبيه المعقول بالمحسوس .

(٥) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الرسول ﷺ مقررّاً حقيقة أن الإسلام هو دين الفطرة : يقول ما من مولود يولد إلا على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . الجمعاء أي جامعة لأعضائها لا نقص فيها والجدعاء التي يجدهع أي يقطع منها عضو كالذيل أو الأذن .

وتعالى . وقوله ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾^(١) أي أقيموا وجوهكم للدين القيم حال كونكم راجعين إليه تعالى تائبين إليه من كل دين غير هذا الدين ، ومن كل طاعة غير طاعته تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي . وقوله : ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي خافوه تعالى إذ عذابه شديد فلا تتركوا دينه لأي دين ولا طاعته لأي مطاع غير الله تعالى ورسوله وقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي حافظوا عليها في أوقاتها وأدوها كما شرعها كمّية وكيفية فإنها سقيا الإيمان ومُنية الخشية والمحبة لله تعالى . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا﴾^(٢) ينهى تعالى المؤمنين أهل الدين القيم الذي هو الإسلام أن يكونوا من المشركين في شيء من ضروب الشرك عقيدة أو قولاً أو عملاً . فكل ملة غير ملة الإسلام أهلها مشركون كافرون سواء كانوا مجوساً أو يهوداً أو نصارى أو بوذة أو هندوكاً أو بلاشفة شيوعيين إذ جميعهم فرقوا دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه وهو دين الفطرة وهو الإسلام وكانوا شيعاً أي فرقاً وأحزاباً كل فرقة تنتصر لما هي عليه وتتنحزب له . فأصبح كل حزب منهم بما لديهم من دين فرحين به ظناً منهم أنه الدين الحق وهو الباطل قطعاً ، لأنه ليس دين الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان وهو الإسلام القائم على توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده أن يعبدوه به لِيَكْمُلُوا على ذلك ويسعدوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب الإقبال على الله تعالى بعبادته والاخلاص له فيها .
- (٢) الإسلام دين الله الذي خلق الإنسان متاهلاً له ولا يقبل منه دين غيره .
- (٣) وجوب الإنابة إلى الله تعالى والرجوع إليه في كل حال .
- (٤) وجوب تقوى الله عز وجل وإقام الصلاة .
- (٥) البراءة من الشرك والمشركين .
- (٦) حرمة الافتراق في الدين الإسلامي ووجوب الاتحاد فيه عقيدة وعبادة وقضاء .

(١) شاهد الانابة بمعنى التوبة في قول الشاعر :

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد انابوا

ومنيي حال من أقم وجهك وجمع لأن الأمة مخاطبة معه ﷺ .

(٢) قرأ الجمهور فرقوا وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ، والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشبع أي توافق رأياً وتجمع عليه والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعهم واحدة .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات

وإذا مس الناس ضر	: أي إذا مس المشركين ضر أي شدة من مرض أو فقر أو قحط .
منيبين إليه	: أي راجعين بالضراعة والدعاء إليه تعالى دون غيره .
رحمة	: يكشف ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق .
يشركون	: أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغيره .
ليكفروا بما آتيناهم	: أي ليكون شكرهم لله كفرا بنعمه والعياذ بالله .
أم أنزلنا عليهم سلطانا	: أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به .
بما قدمت أيديهم	: أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة .
إذا هم يقنطون	: أي يياسون من الفرج بزوال الشدة .
يسط الرزق لمن يشاء	: أي يوسع امتحانا له .
ويقدر	: أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء .

معنى الآيات :

لما أمر تعالى رسوله والمؤمنين بإقامة الدين ونهاهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أخبر تعالى عن المشركين أنهم إذا مسهم الضر وهو المرض والشدة كالقحط والغلاء ونحوها دعوا ربهم تعالى منيبين إليه أي راجعين إليه بالدعاء والضراعة لا يدعون غيره. وهو قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ وقوله : ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ أصابهم برحمة من عنده وهي الصحة والرخاء والخصب ونحوه ﴿وَإِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي كثير ﴿بِرَبِّهِمْ يَشْرَكُونَ﴾ فيعبدون الأصنام والأوثان بأنواع العبادات، وقوله ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي أشركوا بالله بعد إنعامه عليهم ليكفروا بما آتاهم من نعمة كشف الضر عنهم إذا ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ أيها الكافرون بما خولكم الله من نعمة فسوف تعلمون عاقبة كفركم لنعم الله وشرككم به يوم تردون عليه حفاة عراة لا ولي لكم من دونه تعالى ولا نصير

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرَكُونَ﴾ أي ما الذي شجعهم على الشرك وجعلهم يصرون عليه حتى إذا تركوه ساعة الشدة عادوا إليه ساعة الرخاء أنزلنا عليهم سلطاناً أي حجة من كتاب ونحوه فهو ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به اللهم لا ، لا ، وإنما هو الجهل والتقليد والعناد وقوله ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ هذه حال أهل الشرك والكفر والجهل من الناس إذا أذاقهم الله رحمة من خصب ورخاء وصحة فرحوا بها فرح البطر والأشر ﴿وَلَنْ تَصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من جذب وقحط ومرض وفقر، ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيهِمْ﴾ من الذنوب والمعاصي ومنها مخالفة سنن الله في الكون ﴿وَإِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي ييأسون من الفرج وذلك لكفرهم بالله وجهلهم بأسمائه

(١) الضُّرُّ بضم الضاد سوء الحال في البدن أو العيش أو المال وهذه الجملة الخبرية تحمل السامع على التعجب من حال المشركين كيف يخلصون لله تعالى الدعاء في الشدة ويشركون به في الرخاء يا للعجب !!

(٢) هذه لام التعليل في ظاهرها ولكنها آلت لمعنى العاقبة في واقعها.

(٣) الأمر للتهديد والتوعد على كفران النعم واستبدال شكرها بالكفر بالمنعم عز وجل والشرك به.

(٤) أم أنزلنا: أم للاضراب الانتقالي فهي بمعنى بل، وحرف الاستفهام مقدر أي أنزلنا عليهم الخ. وهو انكاري أن الله تعالى لم ينزل عليهم حجة تبيح لهم الشرك وتقرره.

(٥) هذه الصفة وإن كان المراد بها المشركون فإنها قد يتصف بها بعض المؤمنين فتجد أحدهم يصاب بالبطر عند حلول النعم ويترك الشكر ويقتطع عند حلول النعم والشدة وينسى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى فهو كما قال الشاعر:

كحمار السوء إن اعلفته رمح الناس وإن جاع نهق

وصفاته .

وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي ألم يروا بأعينهم أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء امتحانا له أي شكر أم يكفر، ﴿ويقدر﴾ أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء أيصبر أم يضجر ويسخط . إذ لو كانت لهم عيون يبصرون بها وقلوب يفقهون بها لما أيسوا من رحمة الله وفرجه ولا ما قنطوا . وقوله تعالى ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ أي المذكور من تدبير الله في خلقه بالإعطاء والمنع ﴿لآيَاتٍ﴾ أي حججا ودلائل تدل المؤمنين على قدرة الله ولطفه ورحمته وحكمته في تدبير ملكه وملكوته ف سبحانه من إله عظيم ورب غفور رحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان جهل المشركين وضلال عقولهم بما ذكر تعالى من صفاتهم وأحوالهم .
- (٢) بيان تهديد الله تعالى للمصرين على الشرك والكفر بعذاب يوم القيامة .
- (٣) بيان حال أهل الشرك والكفر والجهل في فرحهم بالنعمة فرح البطر والأشر وبأسهم وقنوطهم عند نزول البلاء بهم والشدة .
- (٤) مظهر حكمة الله وتدبيره في الرزق توسعة وتقديرا وإدراك ذلك خاص بالمؤمنين لأنهم أحياء يبصرون ويفهمون بخلاف الكافرين فهم أموات لا إبصار ولا إدراك لهم .

فَاتِذَا الْقَرْيَتَانِ

حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءٌ أَنْتُمْ مِنْ رَبِّا
لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءٌ أَنْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ

شُرَكَائِكُمْ مِّنْ يَّفْعَلُونَ ذَٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُمْ وَتَعَالٰى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

فَات ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ : أي أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة .
والمسكين : أي المعدم الذي لا مال له أعطه حقه في الطعام والشراب
والكساء .

وابن السبيل : أي اعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء
والطعام .

ذلك خير : أي ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله
تعالى إذ يثيبهم ربهم أحسن ثواب .

وما آتيتم من رباً : أي من هدية أو هبة وسميت رباً لأنهم يقصدون بها زيادة
أموالهم .

ليربوا في أموال الناس : أي ليكثر بسبب مايرده عليكم من أهديتموه القليل ليرد
عليكم الكثير .

فلا يربوا عند الله : أي لا يباركه الله ولا يضاعف أجره .
فأولئك هم المضعفون : أي الذين يؤتون أموالهم صدقة يريدون بها وجه الله

فهؤلاء الذين يضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة .
هل من شركائكم : أي من أصنامكم التي تعبدونها .

من يفعل من ذلكم من شيء : والجواب لا أحد ، إذا بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها .
سبحانه وتعالى عما يشركون : أي تنزه الرب عن الشرك وتعالى عن المشركين .

معنى الآيات

لما بيّن تعالى في الآية السابقة لهذه انه ييسط الرزق لمن يشاء امتحانا ويقدر على من
يشاء ابتلاء أمر رسوله وامته التابعة له بإيتاء ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والمسكين وابن السبيل ، إذ منع

الحقوق الواجبة لا يزيد في سعة الرزق ولا في تضيقه، إذ توسعة الرزق وتضييقه مرده إلى تدبير الله تعالى الحكيم العليم هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فَأْتِذَا الْقَرَبَىٰ حَقَّهُ﴾ أي من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وهو من لا يملك قوته ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر ينزل البلد لا يعرف فيها أحداً، وحقهما : إيواءهما وإطعامهما وكسوتيهما وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي ذلك الإيتاء من الحقوق خير حالاً ومآلاً للذين يريدون وجه الله تعالى وما عنده من ثواب. وقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بالنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وبدخول الجنة يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لِّرَبِّوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي وما أعطيتكم من هبات وهدايا تريدون بها أن يُرَدَّ عليكم بأكثر مما أعطيتكم فهذا العطاء لا يربو عند الله ولا يضاعف أجره بل ولا يؤجر عليه وقوله : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي صدقات تريدون بها وجه الله ليرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء وجه الله ﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يخبر تعالى المشركين من عباده موبخاً لهم على شركهم مقرأً : الله لا غيره هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً ثم رزقكم بما تنموا به أجسادكم وتحفظ به حياتكم من أنواع الأغذية ثم يميتكم عند نهاية آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء على الكسب في هذه الدنيا ثم يقول لهم ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مِّن يَّفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ؟ والجواب لا وإذا فلم تعبدونهم من دون الله، فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون. ثم نزه تعالى نفسه عن الشرك، وتعالى عن المشركين فقال ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

(١) الخطاب وإن كان موجهاً للنبي ﷺ فأمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمناً وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه في الصحيح.

(٢) استئناف لتقرير عقيدة التوحيد وإبطال التنديد والتوبيخ والتقريع على الشرك الذي هو أعظم أنواع الظلم وصاحبه أخط الناس قدراً وأفسدهم ذوقاً وعقلاً.

(٣) الاستفهام إنكاري مشبوب بالنفي لقربة من المؤكدة لنفي الجنس والاشارة في قوله من ذلكم إلى ما ذلك من الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

(٤) قرأ الجمهور بالياء وقرأ غيرهم ببناء الخطاب بدون الفتحة من الغيبة إلى الخطاب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب اعطاء ذوى القربى حقوقهم من البر والصلة .
- (٢) وجوب كفاية الفقراء وابناء السبيل في المجتمع الإسلامي .
- (٣) جواز هدية الثواب^(١) الدنيوي كأن يهدي رجل شيئاً يريد أن يُردَّ عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة ، وتسمى هذه الهدية : هدية الثواب وهي للرسول محرمة لقوله تعالى له : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ .
- (٤) بيان مضاعفة الصدقات التي يراد بها وجه الله تعالى .
- (٥) ابطال الشرك والتنديد بالمشركين وبيان جهلهم وضلال عقولهم .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

(١) الهبة ثلاث أنواع الأول هبة يريد بها صاحبها وجه الله تعالى كأن يهب عبداً صالحاً هبة إكراماً له واسعاداً فهذه جائزة ويشيب عليها الله تعالى والثانية هبة يريد بها صاحبها رد أكثر منها كأن يهدي فقير لغني أو مأمور لأمير فهذه ثوابها ما يعطيه له من أهداه ولا اجر له عند الله . وله أن يطالب من أهداه للثواب ولم يشبهه والثالثة الصدقات تعطى للفقراء فهي هبة لله والله يشيب عليها إن خلت من الربا فإذا شابها رياء فلا ثواب فيها .

شرح الكلمات :

ظهر الفساد في البر والبحر : أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.

بما كسبت أيدي الناس : أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء .
ليذيقهم بعض الذي عملوا : أي تم ذلك وحصل ليذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم .
لعلهم يرجعون : كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة .
قل سيروا في الأرض : أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله سيروا .

عاقبة الذين من قبل : أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسولهم وشركهم بربهم إنها هلاكهم .
فأقم وجهك للدين القيم : أي استقم على طاعة ربك عابداً له مبلغاً عنه منفذاً لأحكامه .

لا مرد له من الله : أي لا يرده الله تعالى لأنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة .
يصدعون : أي يفرقون فرقتين .
يمهدون : أي يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح أعمالهم .

معنى الآيات :

تقدم في السياق الكريم إبطال الشرك بالدليل العقلي إلا أن المشركين مصرون على الشرك وبذلك سيحصل فساد في الأرض لا محالة فأخبر تعالى عنه بقوله في هذه الآية الكريمة (٤١) فقال ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ أي انتشرت المعاصي في البر والبحر وفي الجو اليوم فعبء غير الله واستبيحت محارمه وأوذى الناس في أموالهم وأبدانهم وأعراضهم وذلك نتيجة الإعراض عن دين الله وإهمال شرائعه وعدم تنفيذ أحكامه . وقوله ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بظلمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم . وقوله : ليذيقهم بعض الذي عملوا أي فما يصيبهم من جذب وقحط وغلاء وحروب وفتن إنما أصابهم الله به ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ من الشرك والمعاصي لا بكل ما فعلوا إذ لو أصابهم

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحابها وأولاهها بفهم الآية الكريمة وانفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه .

(٢) قرأ الجمهور ليذيقهم بالياء وقرأ البعض بالنون .

بكل ذنوبهم لأنهي حياتهم وقضى على وجودهم^(١)، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. وقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ قل يارسلونا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالاً أو جنوباً أو غرباً فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دماراً وهلاكاً فهل ترضون أن تكونوا مثلهم. وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي انتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم يارسلونا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتادبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وادعوا إليه وعلموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين وقوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي افعلوا ذاك الذي أمرتكم به قبل مجيء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء، وقوله ﴿لا مرد له من الله﴾ أي إنه لا يرده الله إذا جاء ميّعاده لأنه قضى بآتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا. وقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون أي يفرقون فرقتين كما يتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار. وقوله: ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أي من كفر اليوم فعائد كفره عليه يوم القيامة، ﴿ومن عمل صالحاً﴾ أي اليوم ﴿فلأنفسهم يمهّدون﴾ أي يوطئون فرشهم في الجنة إذ عائدة عملهم الصالح تعود عليهم لا على غيرهم، وقوله ﴿ليجزى﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴿أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أوليائه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها انها زكّت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط، وقوله ﴿إنه﴾ لا يحب الكافرين ﴿هذه الجملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير، ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.

(١) شاهده قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً (فاطر).

(٢) شاهده قول الشاعر:

وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

جذيمة الأبرشي كان ملكاً وتديماه هما مالك وعقيل نادماه اربعين سنة ثم ماتوا وتدماني في البيت ثنية تدمان

(٣) شاهده قوله تعالى من سورة الشورى (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير).

(٤) اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

(٥) علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى بدلالة السياق عليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) ظهور الفساد بالجذب والغلاء أو بالحرب والأمراض يسبقه حسب سنة الله تعالى ظهور فساد في العقائد بالشرك، وفي الأعمال بالفسق والمعاصي .
- (٢) وجوب الاستقامة على الدين الإسلامي عقيدة وعبادة وقضاء وحكماً .
- (٣) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثه ووقائعه
- (٤) بيان أن الله تعالى يحب المتقين ويكره الكافرين

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَوْكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- ومن آياته أن يرسل الرياح : أي ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء والموجة لعبادته وحده .
- مبشرات : أي تبشر العباد بالمطر وقربه .
- وليذيقكم من رحمته : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق .
- ولتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر .
- ولعلكم تشكرون : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحدوا ربكم .
- رسلا إلى قومهم : أي كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام .
- فجاءوهم بالبينات : أي بالحجج والمعجزات .
- الذين أجزموا : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي .

حقاً علينا نصر المؤمنين : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقاً وأوجبناه علينا فهو كائن
لامحالة.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير ألوهية الله تعالى وعدله ورحمته، فقال تعالى ﴿ومن آياته﴾ أي ومن آياتنا الدالة على ألوهيتنا وعدلنا في خلقنا ورحمتنا بعبادنا إرسالنا الرياح مبشرات^(١) عبادنا بقرب المطر الذي به حياة البلاد والعباد لإرسال الرياح أمر لا يقدر عليه إلا الله، وتدبير يقصر دونه كل تدبير ورحمة تملو كل رحمة. وقوله: ﴿وليديقمكم من رحمته﴾ أي بإنزال المطر المترتب عليه الخصب والرخاء، وقوله: ﴿ولتجري الفلك﴾ أي السفن في البحر إذ الرياح كانت قبل اكتشاف البخار هي المسيرة للسفن في البحر صغيرها وكبيرها. وقوله ﴿بأمره﴾ أي بإذنه وإرادته وتدبيره الحكيم، وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي لتطلبوا الرزق بالتجارة في البحر من إقليم إلى آخر تحملون البضائع لبيعها وشرائها وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي فعل الله تعالى بكم ذلك فسخره لكم وأقدركم عليه رجاء أن تشكروا ربكم بالإيمان به وبطاعته وتوحيده في عبادته. فهل أنتم ياعباد الله شاكرون؟ ، وقوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ يارسولنا ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فجاءوا أقوامهم بالبيّنات والحجج النيرات كما جئت أنت قومك فكذبت تلك الأقوام رسلهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ فأهلكناهم، ونجينا الذين آمنوا ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ألا فلتعتبر قريش بهذا وإلا فستحل بها نقمة الله فيهلك الله المجرمين وينجي رسوله والمؤمنين كما هي سنته في الأولين والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير الربوبية لله المستلزمة لألوهيته بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والعدل .

- (١) قبل في الرياح مبشرات لأنها تتقدم المطر فهي كالمبشرة بمجيئه .
(٢) قال يأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتياط على حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فاغرقتها فمن هنا قال يأمره والا فالرياح وحدها لن تفرق السفن وتعوقها عند السير .
(٣) حقاً هذه الكلمة من صيغ الالتزام يقال فلان محفوف بكذا أي لازم له شاهده في قول الأعشى :
لمحفوظة أن تستجيب ليصوته
حقاً خبر كان مقدم على اسمها وهو نصر المؤمنين ولا التفات إلى من رأى الوقف على (حقاً).

(٢) بيان أن الله تعالى ينعم على عباده من أجل أن يشكروه بعبادته وتوحيده فيها فإذا كفروا تلك النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها عذبهم بما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء .
(٣) بيان أن الله منتقم من المجرمين وإن طال الزمن ، وناصر المؤمنين كذلك .

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا
مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

فتثير سحباً : أي تحركه وتهيججه فيسير وينتشر .
ويجعله كسفا : أي قطعاً متفرقة في السماء هنا وهناك .
فترى الودق : أي المطر يخرج من خلال السحاب .
إذا هم يستبشرون : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم .
لمبلسين : أي قنطين آيسين من إنزاله عليهم .
إن ذلك لمحبي الموتى : أي القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو الله تعالى .

فأروه مصفراً : أي رأوا النبات والزرع مصفراً للجائحة التي أصابته وهي ريح الدبور المحرقة.

لظلوا من بعده يكفرون : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم السابقة

ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر قدرة الله تعالى في الكون قال تعالى: ﴿الله الذي يرسل^(١) الرياح﴾ أي ينشئها ويبعث بها من أماكن وجودها فتثير تلك الرياح سحباً أي تزعجه وتحركه فيسطه تعالى في السماء كيف يشاء من كثافة وخفة وكثرة وقلة، ﴿ويجعله كسفاً^(٢)﴾ أي قطعاً فترى أيها الرائي الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من بين أجزاء السحاب. وقوله ﴿فإذا أصاب به﴾ أي بالمطر ﴿من يشاء من عباده إذا هم﴾ أي المصابون بالمطر في أرضهم. ﴿يستبشرون﴾ أي يفرحون. ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ أي المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي مكتئبين حزينين قانطين وقوله تعالى ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ أي فانظر يارسولنا إلى آثار رحمة الله أي إلى آثار المطر كيف ترى الأرض قد اخضرت بعد بيس وحييت بعد موت. فإذا رأيت ذلك علمت أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى من قبورهم وذلك يوم القيامة وقوله ﴿يضللهم﴾ أي يضلهم على كل شيء قدير، تعليل لعظم قدرته وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى فعل كل شيء أرادته. وقوله ﴿ولئن أرسلنا ريحا﴾ أي وعزتنا وجلالنا لئن أرسلنا ريحاً فيه إعصار فيه نار فأحرقت تلك النباتات وأبيستها فراها أولئك الذين هم بالأمس فرحون فرح بطر بالغيث ﴿يكفرون﴾ بربههم أي يقولون: ما هو كفر من الفاظ السخط وعدم الرضا وذلك لجهلهم

(١) استئناف مبدؤه باسم الله الأعظم الدال على قدرته وواسع علمه فهو الذي يرسل الرياح وينزل من السماء ماء ويحيي به الأرض هو الله الرب القادر على إحياء الناس بعد موتهم والمستحق لعبادتهم دون سواء والرياح قرأ بها الجمهور وقرأ بعض الریح بالإفراد ومما عرف بالعادة أن الرياح للإمطار والريح للدمار.

(٢) الكسف جمع كسف أي قطعة والمراد أن الله تعالى يرسل الرياح فتثير السحاب ويكون عاما مجللاً للسماء كافة ويكون منه قطعاً قطعاً لحكمة تتطلب ذلك والكسف بكسر الكاف وسكون السين كالكسف بكسر الكاف وفتح السين كلاهما جمع كسفه كسده وسدر وقرء من خلله وجائز أن يكون جمع خلال أيضاً.

(٣) وفسر بآيسين أي قانطين ازلين كما في الحديث أي في ضيق وشدة وفسر بيشين والكل صحيح.

(١) وكفرهم . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴾ أي أنك يا رسولنا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين لأنهم صم لا يسمعون وعمي لا يبصرون لما ران على قلوبهم من الذنوب فعطل حواسهم وأنت بحكم بشريتك وقدرتك المحدودة لا تستطيع إسماع الموتى كلامك فيفهموه ويعملوا به كما لا تستطيع إسماع الصم نداءك إذا هم ولُّوا مدبرين إذ لو كانوا مقبلين عليك قد تفهمهم ولو بالإشارة أما إذا ولُّوا مدبرين عنك فلا يمكن إسماعهم . إذاً فهون على نفسك ولا تحزن عليهم . وقوله : ﴿ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي إنك ما تسمع سماع قبول وانقياد وإدراك إلا من يؤمن بآياتنا أي إلا المؤمنين الذين آمنوا بآيات الله وعرفوا حججه فآمنوا به ووحدوه فهم مسلمون أي منقادون خاضعون مطيعون فهؤلاء في إمكانك إسماعهم وهدايتهم بإذن الله إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة والحجج العقلية .
- (٢) بيان كيفية إنشاء السحاب ونزول المطر وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم الإلهي .
- (٣) بيان حال الكافر في أيام الرخاء وأيام الشدة فهو في الشدة يقط وفي الرخاء يكفر ، وذلك لفساد قلبه بالجهل بالله تعالى وآياته .
- (٤) الاستدلال بالمحسوس الحاضر على المحسوس الغيبي .
- (٥) بيان أن الكفار أموات ، ولذا هم لا يسمعون ولا يبصرون وأن المؤمنين أحياء لأنهم يسمعون ويبصرون ، إذ الحياة لها آثارها في الجسم الحي والموت كذلك .

❦ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

(١) قال القرطبي . أي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لإفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم فلا يتنها لك إسماعيل وهدايتهم وقرأ الجمهور تسمع بالتاء وقرأ ابن كثير يسمع ورفع الصم على أنه فاعل وقرأ الجمهور هادي وقرأ ابن كثير تهدي .

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَكِنَّا كُنْمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات

الله الذي خلقكم من ضعف : أي من نطفة وهي ماء مهين .

ثم جعل من بعد ضعف قوة : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب .

ثم جعل من بعد قوة ضعفاً : أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب
وشيبة : أي الهرم

كذلك كانوا يؤفكون : أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في الليث كانوا يصرفون
في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة فانصرفهم
عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم لمدة لبثهم في
قبورهم .

لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم : أي في انكارهم للبعث والجزاء .

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضي الله
تعالى بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم﴾^(١)
وحده ﴿من ضعف﴾^(٢) أي من ماء مهين وهي النطفة ثم جعل من بعد ضعف أي ضعف الطفولة

(١) هذا الاستئناف كسابقه الاستدلال به علم قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وعظيم تدبيره في خلقه وهي موجبة التوحيد
له والنبوة لرسوله والبعث لعباده ليحاسبهم ويجزئهم برحمته وعدله .

(٢) قرأ نافع والجمهور من ضعف بضم الضاد في الألفاظ الثلاثة في هذه الآية وهي لغة الحجاز، وقرأ حفص بالفتح وهي
لغة تميم ومن ابتدائية أي ابتداء خلقكم من ضعف وهي النطفة ولا أضعف منها .

﴿قوة﴾ وهي قوة الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة﴾ أي قوة الشباب والكهولة ﴿ضعفًا﴾ أي ضعف الكبر ﴿وشيبة﴾ أي الهرم وقوله تعالى ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم﴾ بخلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء ويريده فهو تعالى قادر على احياء الأموات وبعثهم، إذ القادر على إيجادهم من العدم قادر على بعثهم من الرّم. وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي القيامة ﴿يقسم المجرمون﴾ أي يحلف المجرمون من أهل الشرك والمعاصي ﴿مالبثوا غير ساعة﴾ أي لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من زمن. وقوله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث في القبر كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالله تعالى ولقائه، والصارف لهم ظلمة نفوسهم بسبب الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله﴾ أي في كتاب المقادير ﴿إلى يوم البعث﴾ وهو يوم القيامة ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ لعدم إيمانكم بالله وبآياته والكتاب الذي أنزله

وقوله فيومئذ أي يوم إذ يأتي يوم البعث ﴿لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أي عن شركهم وكفرهم بقاء ربهم، ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضى الله تعالى من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية التي لا ترد بحال.
- (٢) بيان اطوار خلق الإنسان من نقطة إلى شيخوخة وهرم.
- (٣) فضل العلم والإيمان وأهلها.
- (٤) بيان ان معذرة الظالمين لا تقبل منهم، ولا يستعتبون فيرضون الله تعالى فيرضى عنهم.

(١) الشيبة اسم مصدر الشيب وعطف الشيبة على الضعف إشارة إلى عدم وجود قوة بعدها وإنما يأتي الفناء كما قيل الشيب نذير الموت وهو كذلك.

(٢) روى أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت اللهم امتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ لقد سألت الله تعالى لأجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سلبه أن يعيدك من عذاب جهنم وعذاب القبر في الصحيح.

(٣) يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير. وأرض مأفوكه ممنوعة من المطر.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات

ولقد ضربنا للناس

: أي جعلنا للناس .

من كل مثل

: أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير
كالأمثال لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحّدوا .

ولئن جئتهم بآية

: أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة .

إن أنتم إلا مبطلون

: أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون فيما تقولون
وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه .

الذين لا يعلمون

: أي ما أنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه من الآيات
البيّنات .

فاصبر إن وعد الله حق

: أي اصبر يارسولنا على أذاهم فإن العاقبة لك إذ وعدك
ربك بها ووعد الله حق .

ولا يستخفك الذين لا

: أي لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون ببقاء الله على
الخفة والطيش فتترك دعوتك إلى ربك .

يوقنون

معنى الآيات

بعد إيراد العديد من الأدلة وسوق الكثير من الحجج وعرض مشاهد القيامة في الآيات
السابقة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون من قريش قال تعالى : ﴿ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي جعلنا للناس في هذا القرآن من أساليب

(١) قال القرطبي : أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبهم على التوحيد وصدق الرسل .

الكلام وضروب التشبيه، وعرض الأحداث بصور مثيرة للدهشة موقظة للحس، ومنبهة للضمير، كل ذلك لعلمهم يذكرون فيؤمنوا فيهدتوا للحق فينجوا ويسعدوا، ولكن أكثرهم لم ينتفعوا بذلك، ﴿ولئن جثتهم^(١) بأية﴾ أي بحجة من معجزة وغيرها تدل على صدقك وصحة دعوتك وما جثت به ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي منهم^(٢) ﴿إن انتم﴾ أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون ﴿إلا مبطلون﴾ أي من أهل الباطل فيما تقولون وتدعون إليه من الدين الحق والبعث الآخر. وقوله ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي كذلك الطبع على قلوب الكافرين الذين لوجثتهم بكل آية لم يؤمنوا عليها لما ران على قلوبهم وما ختم به عليها، يطبع على قلوب الذين لا يعلمون^(٣)، إذ ظلمة الجهل كظلمة الشرك والكفر تحجب القلوب عن الفهم والإدراك فلا يحصل إيمان ولا استجابة لدعوة الحق وقوله ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يأمر تعالى رسوله أن يلتزم بالصبر على دعوته والثبات عليها في وجه هذا الكفر العنيد، حتى ينصره الله تعالى إذ واعده بالنصر في غير ما آية ووعد الله حق فهو ناجز لا يتخلف. وقوله: ﴿ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾ أي اصبر ولا يحملنك عناد المشركين وإصرارهم على الكفر والتكذيب على الخفة والطيش والاستجهاال بترك الحلم والصبر. والمراد بالذين لا يوقنون كل من لا يؤمن بالله ولقائه إيمانا يقينيا إذ هذا الصنف من الناس هو الذي يستفز الإنسان ويحملة على أن يخرج عن اللياقة والأدب والعياذ بالله:

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

(١) اعذار الله تعالى إلى الناس بما ساقه تعالى في كتابه من أدلة الإيمان وحجج الهدى.

(١) أي كآيات موسى من فلق البحر والعصا أو آيات عيسى كإحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص.

(٢) أي من الناس لقوله ولقد ضربنا للناس وهو لفظ عام يشمل الكافر والمؤمن.

(٣) في هذه الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهدتدون إلى سبيل الخير وطريق السعادة والكمال ولذا أوجب الرسول ﷺ طلب العلم على كل مسلم في قوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم بربهم ومحابه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أداها لتزكوا بها نفوسهم وتظهر أرواحهم وقلوبهم.

(٤) وفسر بيستفزك الذين في محل رفع فاعل وبعض العرب يعربونه إعراب جمع المذكر السالم فيقولون للذون رفعاً والذين نصباً وجراً قال الشاعر:

نحن للذون صبحوا الصبح يوم النخيل غارة ملحاحاً

(٥) الاستخفاف: طلب خفة الشيء بفقد ثقله ورضانته فيغضب ويترك العمل. والذين لا يؤمنون هم المشركون كالنضر بن الحارث وابي جهل والمراد بنفي اليقين عنهم. اليقين بالأمور البديهيات اليقينية للناس لكون الله تعالى خلق كل شيء ورب كل شيء وقدرته على كل شيء إذ هذه يقينيات لدى عامة الناس.

- (٢) أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه فيصبح لا يفهم ولا يعقل شيئاً وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم .
- (٣) وجوب الصبر والتزام الحلم والأناة مهما جهل الجاهلون .

سُورَةُ الْقِيَامَةِ مكية^(١)

وآياتها أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

شرح الكلمات :

الْم هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب آلَم ، وتقرأ : ألف لام ميم .

تلك

: أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم .

الحكيم

: أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله ، ولا خلل فيه ، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدى وتشريع .

هدى ورحمة

: أي هو هدى يهتدي به ورحمة يرحم بها .

للمحسنين

: أي الذين يراقبون الله تعالى في كل شؤونهم إذ هم الذين يجدون الهدى والرحمة في القرآن الكريم أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك .

(١) قال قتادة : غير آيتين أولهما ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وقال بن عباس غير ثلاث آيات أولهن : ولو أن ما في الأرض من الخ ..

أولئك : أي المحسنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة .
على هدى من ربهم : أي هم على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبداً .
المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب .

معنى الآيات

قوله تعالى : ﴿آلَمْ﴾ أحسن ما يفسر به مثل هذه الحروف المقطعة قول : الله أعلم بمراده به وقد أفادت هذه الحروف فائدة عظيمة ، وذلك من جهتين الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثير به فيتهدي إلى الحق من يحصل له ذلك ، وقالوا : ﴿لَا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ كانت هذه الحروف بنغمها الخاص ومُدودها العجيبة تضطر المشرك إلى الإصغاء والاستماع فحصل ضد مقصودهم وكفى بهذه فائدة . والثانية أنهم لما ادعوا أن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين كأنما قيل لهم هذا القرآن الذي ادعيتم فيه كذا وكذا قد تألف من هذه الحروف صَ ، نَ ، قَ ، يَسَ ، طَسَ ، آلَمْ فالقوا سورة مثله وأتوا بها للناس فيصبح لكم ما تدعون فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا ووجدوا واستقيموا على ذلك تعزوا وتكرموا وتكملوا وتسعدوا .

وقوله : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ أي هذه الآيات هي آيات القرآن الكريم الموصوف بالحكمة إذ هو لا يخلط ولا يغلط ولا يخطئ بل يضع كل شيء في موضعه اللائق به في كل ما قال فيه وحكم به ، وأخبر عنه أو به من سائر المعارف والعلوم التي حواها كما هو حكيم بمعنى محكم لا نسخ يطرأ عليه بعد تمامه كما طرأ على الكتب السابقة ، ومحكم أيضا بمعنى لا خلل فيه ، ولا تناقض بين أخباره وأحكامه على كثرتها وتنوع أسبابها ومقتضيات نزولها ، وقوله : ﴿هدى﴾ ورحمة للمحسنين^(١) أي هو بيان هداية ورحمة تنال المحسنين وهم الذين أحسنوا عبادتهم لربهم فخلصوها من الشرك والرياء وأتوا بها على

(١) تلك في محل رفع مبتدأ وآيات الكتاب الخبر .

(٢) هدى ورحمة نصبا على الحال على حد هذه ناقة الله لكم آية وقرئ هدى ورحمة بالرفع على أن هدى خبر ثان ورحمة معطوف عليه وهي قراءة حمزة .

(٣) وجائز أن يكون المحسنين الفاعلين للחסنات والمحسنين إلى غيرهم كالوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين ومن ذكروا في آية الحقوق العشرة من سورة النساء «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا الخ . . .

الوجه المرضي لله تعالى وهو ما بينه رسوله صلى الله عليه وسلم من كيفية العبادات وبيان فعلها وأدائها عليه . وقوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي المحسنين الذين يقيمون الصلاة أي يؤدون الصلوات الخمس مُراعى فيها شروطها مستوفاة أركانها وسننها الواجبة منها والمستحبة ، ويؤتون الزكاة أي يخرجون زكاة أموالهم الصامئة كالذهب والفضة أو العُمل القائمة مقامهما والحرث من تمر وزيتون ، وحبوب مقتاة مدخرة والناطقة من إبل وبقر وغنم وذلك إن حال الحول في الذهب والفضة والعمل وفي بهيمة الأنعام أما الحرث والغرس فيوم حصاده وجداده . وقوله : ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي والحال هم موقنون بما أعده الله من ثواب جزاء على الإحسان والإيمان والإسلام الذي دلت عليه صفاتهم في هذا السياق الكريم وقوله : ﴿وأولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يخبر تعالى عن المحسنين أصحاب الصفات الكريمة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر والإيقان بثواب الله تعالى فيه انهم على هدى أي طريق مستقيم وهو الإسلام هداهم الله تعالى إليه ومكنهم من السير عليه وبذلك أصبحوا من المفلحين الذين يفوزون بالنجاة من النار، ويدخول الجنة دار الأبرار . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرة منك برّ كريم تواب رحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان إعجاز القرآن حيث أُلّف من مثل آلم، وصّ، وطسّ، ولم يستطع خصومه تحديده .
- (٢) بيان معنى الحكيم وفضل الحكمة .
- (٣) بيان أن القرآن بيان للهدى المنجي المسعد ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه .
- (٤) فضل الصلاة والزكاة واليقين .
- (٥) بيان مبنى الدين : وهو الإيمان والإسلام والإحسان .^(١)

(١) شاهد هذا حديث جبريل في مسلم : إذ سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان فدل ذلك على أن مبنى الدين الإسلامي هذه الثلاثة (الإيمان والإسلام والإحسان) .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
 لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
 كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَالَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ
 بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأْنَا فِيهَا
 مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
 خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

شرح الكلمات

ومن الناس : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش .
 لهو الحديث : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء .
 ليضل عن سبيل الله : أي ليصرف الناس عن الإسلام وبعدهم عنه فيضلوا .
 ويتخذها هزواً : أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزواً أي مهزواً به مسخوراً منه .
 ولَّى مستكبراً : أي رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفرأوعناداً وكبراً كأن لم يسمعها .
 في أذنيه وقرأ : أي ثقل يمنع من السماع كالصمم .
 بغير عمد ترونها : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتى لا تقع على الأرض .
 رواسي : أي جبال راسية في الأرض بهاترسو الأرض أي تثبت حتى لا تميل .

(١) هذا عطف على جملة (تلك آيات الكتاب الحكيم) كأنما قال كانت تلك حال الكتاب الحكيم وهي حال تدعو إلى كل كمال وإن من الناس معرضين عنه يؤثرون لهو الحديث ففي الاخبار تعجب من حال هذا الإنسان الذي يعرض عن الهدى إلى الضلال وعن الخير إلى الشر .

وبث فيهما من كل دابة: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض.

من كل زوج كريم : أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه .
 هذا خلق الله : أي المذكور مخلوقه تعالى إذ هو الخالق لكل شيء .
 من دونه : أي من الآلهة المزعومة التي يعبدونها الجاهلون .
 بل الظالمون : أي المشركون .

معنى الآيات

لما ذكر تعالى عباده المحسنين وأثنى عليهم بخير وبشرهم بالفلاح والفوز المبين ذكر صنفاً آخر على النقيض من الصنف الأول الكريم فقال: ﴿ومن الناس^(١) من يشتري لهو الحديث ليضل^(٢) عن سبيل الله بغير علم﴾ أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث الكلدي حليف قريش يشتري لهو الحديث أي الغناء إذ كان يشتري الجواري المغنيات ويفتح ناديا للهو والمجون ويدعو الناس إلى ذلك ليصرفهم عن الإسلام حتى لا يجلسوا إلى نبيّه ولا يقرأوا كتابه بغير علم منه بعاقبة صنيعه وما يكسبه من خزي وعار وعذاب النار. وقوله ﴿ويتخذها هزواً^(٣)﴾ أي يتخذ سبيل الله التي هي الإسلام هزواً أي شيئاً مهزواً به مسخوراً منه بما في ذلك الرسول والمؤمنون والآيات الكلّ يهزأ به ويسخر منه لجهله وظلمة نفسه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ لهم عذاب مهين أي أولئك البعداء وهم كل من يشتري الغناء يغني به نساء ورجال أو آلات ممن اتخذوا الإسلام وشرائعه هزواً وسخرية ليصدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله الموصلة إلى رضاه ومحبته وجنته. أولئك: مَنْ تِلْكَ صفتهم لهم عذاب مهين بكسر أنوفهم وبذلهم يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه

(١) معنى الكلام من الناس - يا للعجب - من يشغله لهو الحديث واللوع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم، هذه الآية إحدى ثلاث آيات في القرآن الكريم تحرم الغناء والأولى آية بني إسرائيل وهي قوله تعالى واستغفر من استغفرت منهم بصوتك والثالثة آية النجم: وأنتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية يقال اسمد لنا أي غني لنا.

(٢) لهو الحديث هو الغناء، صح أن ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن لهو الحديث فقال بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء وقال ابن جرير الطبري قد اجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال الرسول ﷺ وسلم عليكم بالسواد الأعظم، ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

(٣) قرأ الجمهور ليضل بضم الباء أي ليضل غيره فهو إذا ضال مضل وقرأ ابن كثير ليضل بفتح الباء أي ليزداد ضلالاً على ضلال.

(٤) قرأ نافع بالرفع عطفاً على يشتري وقرأ حفص بالفتح عطفاً على ليضل.

آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعهما كأن في أذنيه وقراً^(١)

أي وإذا قُرئت على هذا الصنف من الناس آيات الله لتذكيره وهدايته رجع مستكبراً كأن لم يسمعهما تتلى عليه وهي حالة من أقبح الحالات لدلالاتها على خبث هذا الصنف من الناس وكبرهم . وقوله ﴿كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا﴾^(٢) كأن به صمم لا يسمع القول وهنأعجل الله له بما يحزنه ويخزيه فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ والتبشير بما يضر ولا يسر يحمل معه التهكم وهذا النوع من الناس مستحق لذلك وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هذا صنف آخر مقابل لما قبله وهم أهل الإيمان والعمل الصالح بشرهم ربهم بجنت النعيم والخلود فيها وقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي وعدهم بذلك وعداً صادقاً لا يخلف وأحقه لهم حقاً لا يسقط . ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب الذي لا يُحال بينه وبين مُراد الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه .

وقوله ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٣) أي من مظاهر قدرته وعزته وحكمته خلقه السموات ورفعها بغير عمد مرئية لكم وفي هذا التعبير إشارة إلى أن هناك أعمدة غير مرئية وهي سنة نظام الجاذبية التي خلقها بقدرته وجعل الأجرام السماوية متماسكة بها . وقوله : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي من مظاهر قدرته وحكمته إلقاء الجبال الرواسي على الأرض لتحفظ توازنها حتى لا تميل بأهلها فيفسد ويسقط ما عليها وتندم الحياة عليها وهو معنى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي تميل ، وإذا مالت تصدع كل ما عليها وخرب وقوله : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة للإيمان بالله ولقائه والمستلزمة لتوحيده تعالى في عبادته ، فسائر أنواع الدواب على كثرتها واختلافها الله الذي خلقها وفرقها في الأرض تعمورها وتزيئها . وقوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو ماء المطر ﴿فَنَابَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي صنف من أصناف الزروع والنباتات مما

(١) (ولي) هذا تمثيل للإعراض عن آيات الله التي تتلى عليه ومستكبراً حال مُبِين وأن إعراضه كان لاعت إهمال أو تفريط وإنما كان

عن كبر كأن لم يسمعهما تكرار التشبيه لفائدة الإخبار بأنه مرة لم يسمعهما مع وجود حاسة السمع وأخرى مع عدم وجودها .

(٢) قرأ نافع أذنيه بإسكان الدال تخفيفاً وقراً الجمهور أذنيه بتحريك الدال مضمومة .

(٣) انتصاب وعد الله على المفعول المطلق وانتصاب حقاً على الحال .

(٤) ترونها في محل جر نعت لعمد ومعنى هذا أن هناك عمداً غير مرئية ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من السموات .

(٥) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لتلا تميد والكل جائز .

هو نافع وصالح للإنسان هذا المذكور أيضاً مظهر من مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة الربانية الموجبة للإيمان بالله وآياته ولقائه وتوحيده في عباداته ومن هنا قال تعالى : ﴿ هذا خلق الله ﴾ أي كل ما ذكر من المخلوقات في هذه الآيات هو مخلوق لله والله وحده خالقه فأروني أيها المشركون المكذبون ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه من سائر المخلوقات يتحداهم بذلك . فعجزوا . وقوله تعالى ﴿ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ أي إنهم عبدوا غير الله وكذبوا بقاء الله لا عن علم لديهم أو شبهة كانت لهم بل الظالمون وهم المشركون في ضلال مبين فهم تائهون في أودية الضلال حيارى بجهلهم في حياتهم فدواؤهم العلم والإيمان فمتى آمنوا وعلموا لم يبق مجال لكفرهم وشركهم وعنادهم فلهذا فصلّ تعالى الآيات وعرض الأدلة والحجج عرضاً عجيباً لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحّدوا فيكملوا ويسعدوا فضلاً منه ورحمة . وهو العزيز الرحيم

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) حرمة غناء النساء للرجال الأجانب .
- (٢) حرمة شراء الأغاني في الأشرطة والاسطوانات التي بها غناء العواهر والخليعين من الرجال .
- (٣) حرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه .
- (٤) دعوة الله تقوم على دعامتي الترهيب والترغيب والبشارة والندارة .
- (٥) بيان شتى مظاهر القدرة والعلم والعز والحكمة الموجب للإيمان والتوحيد .
- (٦) لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية وإنما ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء . والعياذ بالله تعالى .

وَلَقَدْءَاثَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

(١) خلق الله بمعنى مخلوقه .

(٢) بل للاضراب الانتقالي من المجادلة إلى تسجيل ضلالهم وهو اعتقادهم إلهية الأصنام كما يقول المناظر دع عنك هذا وانتقل إلى كذا .

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
 لُقْمَنُ لِبَنِّهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
 وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ
 إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
 لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ ۖ
 وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَرِ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أي أعطينا لقمان السوداني القاضي : أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

أن اشكر الله

: أي اشكر الله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره.

لابنه وهو يعظه

: أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغباً له مرهباً.

ووصينا الإنسان

: أي عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما وطاعتهما.

وهنا على وهن

: أي ضعفاً على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة والإرضاع.

وفصاله في عامين

: أي مدة رضاعه تنتهي في عامين ، وبذلك يفصل عن

(١) هذه الآية : وإن جاهدك والتي قبلها ووصينا الإنسان نزلنا في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم وان أمة حَمَنَه بنت أبي سفيان بن أمية خلقت ألا تأكل حتى يكفر سعد أو تموت جوعاً وعطشاً حتى يعير بها مدى الحياة (ياقاتل أمة) إلا أنها لما آياها سعد أسلمت، وأكلت وشربت.

(٢) هو لقمان بن باعوراء بن ناصور بن تارح وهو أزر أبو إبراهيم كذا نسب ابن اسحق وقال السهيلي هو لقمان بن عتفاد بن سرون وكان نوبياً من أهل آيلة ، قال وهب كان ابن اخت أيوب أو ابن خالته عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان رجلاً حكيماً ولم يكن نبياً ومن حكمه قوله إن القلب واللسان إذا طابا فليس شيء أطيب منهما وإذا خبثا فليس شيء أخبث منهما وقوله وقد قيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً وقوله الصمت حكمة وقليل فاعله.

الرضاع.

وإن جاهدك

: أي بذلا جهدهما في حملك على الشرك.

وصاحبهما في الدنيا معروفا : أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف وهو البر والإحسان

وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله .

من أناب إليَّ

: أي رجع إليَّ بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد

صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين وهذه القصة اللقمانية اللطيفة مشوقة لذلك قال تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي أعطينا عبدنا لقمان الحكمة وهي الفقه في الدين والإصابة في الأمور ورأسها مخافة الله تعالى بذكره وشكره الذي هو طاعته في عبادته وتوحيده فيها . وقوله : ﴿أن اشكر الله﴾ أي وقلنا له اشكر الله خالقك ما أنعم به عليك بصرف تلك النعم فيما يرضيه عنك ولا يسخطه عليك . وقوله تعالى ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أي ومن شكر الله بطاعته فإن ثمره الشكر وعائدته للشاكر نفسه بحفظ النعمة والزيادة فيها أما الله فإنه غني بذاته محمود بفعاله فلا يفتقر إلى خلقه في شيء إذ هم الفقراء إليه سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : ﴿وإذ قال لقمان﴾ أي واذكر يارسلنا لهؤلاء المشركين قول لقمان لابنه وأخص الناس به وهو ينهاه عن الشرك الذي نهيتكم أنا عنه فغضبتهم وأصررت عليه عناداً ومكابرة فقال له : بما أخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه﴾ أي يأمره وينهاه مرغباً له في الخير مرهباً له من الشر : ﴿يابني لا تشرك بالله﴾ أي في عبادته أحداً . وعلل لنهيهِ ليكون أوقع في نفسه فقال : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ والظلم وضع الشيء في غير موضعه ويترتب عليه الفساد والخسران الكبير، وعبادة غير الله وضع لها في غير موضعها إذ العبادة حق الله على عباده

(١) وجائز أن تكون أن التفسيرية أي مفسرة للفظ الحكمة بأنها الشكر لله تعالى وهي أقوال القيت إليه بالإهام ففي الحكمة معنى القول دون حروفه . كما فسرت (حاجة) في قول الشاعر لأنها بمعنى القول .

إن تحملاً حاجة لي خف محملها تستوجباً منة عندي بها ويدأ
أن تقرأن على أسماء ويحكمنا مني السلام وإن لا تخبرا أحداً

(٢) قيل كان اسم ابنه ثارن وقيل مشكم وقيل أنعم والله أعلم .

(٣) روي مسلم أنه لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينما لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم .

(١)

مقابل خلقهم ورزقهم وكلاءهم في حياتهم وحفظهم وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي عهدنا إلى الإنسان أمرين أيأه ببر والديه أي أمه وأبيه، وبرهما بذل المعروف لهما وكف الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف، وقوله تعالى: ﴿حملته﴾ أي الإنسان أمه أي والدته ﴿وهنا على^(٢) وهن﴾ أي ضعفا على ضعف وشدة على أخرى وهي آلام وأتعاب الحمل والطلق والولادة والإرضاع فلهذا تأكد برها فوق بر الوالد مرتين لحديث الصحيح: [من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك] وقوله ﴿وفصاله في عامين﴾ أي فطام الولد من الرضاع في عامين فأول الرضاع ساعة الولادة وآخره تمام الحولين ويجوز فصله عن الرضاع خلال العامين، وقوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ هذا الموصى به وهو أن يشكر الله تعالى وذلك بطاعته تعالى فيما يأمره به وينهاه عنه، وذكره بقلبه ولسانه وقوله ﴿ولوالديك﴾ إذ هما قدما معروفا وجميلا فوجب شكرهما، وذلك ببرهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله، لأن طاعة الله كشكره قبل طاعة الوالدين وشكرهما وقوله ﴿إلى المصير﴾ أي الرجوع بعد الموت وهذه الجملة مؤكدة لواجب شكر الله تعالى وبر الوالدين لما تحمله من الترهيب والترهيب فالمطيع إذا رجع إلى الله أكرمه والعاصي أهانه. وما دام الرجوع إليه تعالى حتميا فطاعته بشكره وشكر الوالدين متأكدة متعينة. وقوله تعالى ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ أي وإن جاهدك أيها الإنسان والداك وبذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم وهو عامة الشركاء إذ ما هناك من يصح إشراكه في عبادة الله قط. فلا تطعهما في ذلك أبداً، ﴿وصاحبهما في الدنيا﴾ أي في الحياة بالمعروف وهو برهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله تعالى ورسوله، وقوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ أي اتبع طريق من أناب إلي بتوحيدي وعبادتي والدعوة إلي

(١) الراجع أن هاتين الآيتين وقعتا اعتراضاً بين كلام لقمان الأول والثاني وأنها نزلتا في شأن والده سعد بن أبي وقاص وللاعتراض فائدة وهي التنوع في الأسلوب لإذهاب السآمة وتجديد نشاط ذهن للحفظ والفهم وجائز أن يكون الاعتراض والآيات من كلام لقمان.

(٢) روى أن الحسن قال لو منعت والدة ولدها من شهود صلاة العشاء شفقة عليه فلا يطعمها.

(٣) الوهن بإسكان الهاء مصدر وهن يهن من باب ضرب وهن بفتح الواو والهاء من باب وجل يوجل وجل. والمعنى أي وهناً واقعاً على وهن كقولهم (عوداً على بدء) أي رجع عوداً على بدء.

(٤) معروفاً نعت لمصدر محذوف تقديره مصاحباً معروفاً. وفي الآية دليل على جواز بر الأم الكافرة أو الأب لحديث أسماء إذ قالت يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال نعم، والدة أسماء هي قتيلة بنت عبد العزى والدة عائشة هي أم رومان قديمة الإسلام.

وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والآية نزلت في سعد ابن أبي وقاص حيث أمرته أمه أن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك قبل إسلامها وبذلت جهداً كبيراً في مراودة ابنها سعد رضي الله عنهما وقوله ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي جميعاً فأنبكم بما كنتم تعملون وأجزيتكم بعملكم الخير بالخير والشر بالشر فاتقوني بطاعتي وتوحيدي والإنابة إليَّ في كل أموركم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .
- (٢) بيان الحكمة وهي شكر الله تعالى بطاعته وذكره إذ لا يشكر إلا عاقل فقيه .
- (٣) مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد .
- (٤) التهويل في شأن الشرك وإنه لظلم عظيم .
- (٥) بيان مدة الرضاع وهي في خلال العامين لا تزيد .
- (٦) وجوب بر الوالدين وصلتهما .
- (٧) تقرير مبدأ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف .
- (٨) وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة .

يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ

(١) الآية عامة في سائر المؤمنين فعلى كل مؤمن اتباع الصالحين في كل زمان ومكان والافتداء بهم وعليه مجانية أهل الضلال والفسق والعصيان وعدم اتباعهم في باطلهم وضلالهم وفسقهم وعصيانهم .

(٢) روى أن سفيان بن عيينة قال من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما .

(٣) صح الحديث بلفظ إنما الطاعة في المعروف ولفظ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْصِمَ الصَّلَوةَ وَأُمِرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَآنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- إنها إن تك مثقال حبة : أي توجد زنة حبة من خردل .
فتكن في صخرة : أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد .
لطيف خبير : أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت .
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : أي أمر الناس بطاعة الله تعالى ، وانهم عن معصيته .
من عزم الأمور : أي مما أمر الله به عزمًا لا رخصة فيه .
ولا تصعر خدك للناس : أي ولا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبراً .
مرحاً : أي مختالاً تمشي خيلاء .
مختال فخور : أي متبخر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر .
واقصد في مشيك : أي إئتد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر .
واعغضض من صوتك : أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت .
إن أنكر الأصوات : أي أقبح الأصوات وأشدّها نكارة عند الناس لأن أوله زفير
وآخره شهيق .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في قصص لقمان عليه السلام فقال تعالى مخبراً عن لقمان بقوله
لابنه ثاران ﴿يا بني﴾ إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿١٦﴾ أي إن تك زنة حبة من خردل من

(١) تكرير النداء حكمته تجديد نشاط السماع وقرأ نافع مثقال بالرفع على انه فاعل تك وكان التي مضارعها تك تامة وقرأ
حفص مثقال بالفتح على أن كان ناقصة ومثقال خبرها وقوله انها أي القصة أو الحالة المسؤول عنها .
(٢) روي أن ناران بن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يقابلها الله ؟ فقال لقمان يا بني إنها
إن تك مثقال حبة الخ . . فما زال ابنه يضطرب حتى مات قاله مقاتل رحمه الله .

خير أو شر من حسنة أو سيئة ﴿فتكن في صخرة^(١) أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ ويحاسب عليها ويجزي بها، ﴿إن الله لطيف﴾ أي باستخراجها ﴿خير﴾ بموضعها وعليه فاعمل الصالحات واجتنب السيئات وثق في جزاء الله العادل الرحيم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٦) أما الآية الثانية (١٧) فقد تضمنت أمر ولده بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذلك فقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله : ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ أي أدها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ﴿وأمر بالمعروف﴾ أي بطاعة الله تعالى فيما أوجب على عباده ﴿وانه عن المنكر﴾ أي عما حرم الله تعالى على عباده من اعتقاد أو قول أو عمل . ﴿واصبر على ما أصابك﴾ من أذى ممن تأمرهم وتنهاهم ، وقوله ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أي إن إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذات الله من الأمور الواجبة التي هي عزائم وليست برخص . وقوله تعالى ﴿ولا تصغر خدك للناس﴾ هذا مما قاله لقمان لابنه نهاه فيه عن خصال ذميمة محرمة وهي التكبر على الناس بأن يخاطبهم وهو معرض عنهم بوجهه لا وعنفه، وهي مشية المرح والاختيال والتبختر، والفخر بالنعم مع عدم شكرها وقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب كل مختال^(٢) فخور﴾ هذا مما قاله لقمان لابنه لما نهاه عن التكبر والاختيال والفخر أخبره أن الله تعالى لا يحب من هذه حاله حتى يتجنبها ولده الذي يعظه بها وبغيرها وقوله في الآية (١٩) ﴿واقصد في^(٣) مشيك﴾ أي إمش متثدأ في غير عجلة ولا إسراع إذ الاقتصاد ضد الإسراف . وقوله : ﴿واغضض من صوتك﴾ أمره أن يقتصد في صوته أيضاً فلا يرفع صوته إلا بقدر الحاجة . كالمقتصد لا يخرج درهمه إلا عند الحاجة ويقدرها وقوله ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ ذكر هذه الجملة لينفره من رفع صوته بغير حاجة فذكر له أن أقبح الأصوات صوت الحمير^(٤) لأنه عال مرتفع وأوله زفير وآخره

(١) قيل أن الصخرة تكون تحت الأرض السابعة لأنها ليست في السماء ولا في الأرض .

(٢) الصعر الميل ومنه قول الشاعر :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

والصعر كالصيد داء يصيب الإبل فتلوى منه أعناقها .

(٣) شاهده في الحديث الصحيح لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فقوله ولا تدابروا يشمل تصغير الوجه أي ميله .

(٤) المختال ذو الخيلاء قال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة والفخور هو الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله تعالى (قاله مجاهد) .

(٥) ما روى أن النبي ﷺ كان إذا مشى أسرع فإنما أريد به السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت المظهر للمسكنة والذلة .

(٦) بالحمار يضرب المثل في البلادة وينهى عن رفع الصوت لغير حاجة حتى لا يكون صوت المتكلم كصوت الحمار الممقوت والحمار إذا نهق فإنه رأى شيطاناً كما في الحديث ، وركبه النبي ﷺ تواضعاً ، وقيل نهيق الحمار دعاء عن الظلمة .

شهيق . هذا آخر ما قص تعالى من نبال لقمان العبد الصالح عليه السلام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب مراقبة الله تعالى وعدم الاستخفاف بالحسنة والسيئة مهما قلت وصغرت .
- (٢) وجوب إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلحق الأمر والناهي من أذى .
- (٣) حرمة التكبر والاختيال في المشي ووجوب القصد في المشي والصوت فلا يسرع ولا يرفع صوته إلا على قدر الحاجة .

الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات

ألم تروا : أي ألم تعلموا أيها الناس .

سخر لكم ما في السموات : أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم .

وما في الأرض : أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها .

وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة : أي أوسع وأتم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال

الخلق وتسوية الأعضاء .

وباطنة : أي المعرفة والعقل .

من يجادل في الله : أي يخاصم في توحيد الله مُنكراً له مكذباً به .

بغير علم : أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي .

ولا هدى ولا كتاب منير : أي سنة من سنن الرسل ، ولا كتاب إلهي منير واضح بين .

أو لو كان الشيطان : أي يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم إلى موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي .

معنى الآيات

عاد السياق بعد نهاية قصة لقمان إلى خطاب المشركين لهدايتهم فقال تعالى ﴿ألم تروا﴾ أيها الناس الكافرون بالله وقدرته ورحمته أي ألم تعلموا بمشاهدتكم ﴿أن الله سخر لكم﴾ أي من أجلكم ﴿ما في السموات﴾ من شمس وقمر وكواكب ومطر، وسخر لكم ما في الأرض من أشجار وأنهار وجبال ووهاد وبحار وشتى الحيوانات ومختلف المعادن كل ذلك لمنافعكم في مطاعمكم ومشاربكم وكل شؤون حياتكم، ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ أي أوسعها وأتمها نعم الإيجاد ونعم الإمداد حال كونها ظاهرة كحسن الصورة وتناسب الأعضاء وكمال الخلق، وباطنة كالعقل والإدراك والعلم والمعرفة وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعد، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ومع هذا البيان والإنعام والاستدلال على الخالق بالخلق وعلى المنعم بالنعم فإن ناساً يجادلون^(١) في توحيد الله وأسمائه وصفاته ووجوب طاعته وطاعة رسوله بغير علم من وحي ولا استدلال من عقل، ولا كتاب منير واضح بين يحتاجون به ويجادلون بأدلته .

وقوله تعالى ﴿وإذا قيل﴾ أي لأولئك المجادلين في الله بالجهل والباطل ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ أي على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من هدى، قالوا لا، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وثنية وتقاليد جاهلية، قال تعالى : ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم﴾ أي أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم ﴿إلى عذاب السعير﴾ أي النار المستعرة الملتهبة والجواب لا، ولكن اتبعوهم فسوف يردون معهم النار ويشس الورد المورود .

(١) ذكر نعم الله الموجبة لشكره بعبادته وحده وترك عبادة من سواه .

(٢) قرأ نافع وحفص نعمه بالجمع وقرأ آخرون بالافراد نعمته وهي داله على الجمع لأنها اسم جنس دال على متعدد بدليل قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

(٣) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق والباطنة ما ستر على العبد من سيء العمل وقيل النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل .

(٤) قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي بغير حجة نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو فجاءت صاعقة فأخذته قاله مجاهد .

(٥) هذا عام في اليهودي السائل وفي المشركين الذين طالما سألوا وجادلوا النبي ﷺ بجهلهم وتقليد آباءهم وهم من أجهل الناس .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- (١) تعيين الاستدلال بالخلق على الخالق وبالنعمة على المنعم .
- (٢) وجوب ذكر النعم وشكرها لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .
- (٣) حرمة الجدل بالجهل ودون علم .
- (٤) حرمة التقليد في الباطل والشر والفساد كتقليد بعض المسلمين اليوم للكفار في عاداتهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم .

❖ وَمَنْ يُسَلِّمْ

وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ومن يسلم وجهه إلى الله : أي أقبل على طاعته مخلصاً له العبادة لا يلتفت إلى غيره
من سائر خلقه .

وهو محسن : أي والحال أنه محسن في طاعته اخلاصاً واتباعاً .

فقد استمسك بالعروة الوثقى : أي تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال .

والإله عاقبة الأمور : أي مرجع كل الأمور إلى الله سبحانه وتعالى .

نمتعهم قليلاً : أي متاعاً في هذه الدنيا قليلاً إي إلى نهاية آجالهم .

ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ : أي ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار والغليظ :

الثقيل .

قل الحمد لله
لا يعلمون
معنى الآيات

أي إحمد الله على ظهور الحجة بأن تقول الحمد لله .
أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم .

بعد إقامة الحجة على المشركين في عبادتهم غير الله وتقليدهم لأبائهم في الشرك والشر والفساد قال تعالى مرغباً في النجاة داعياً إلى الإصلاح : ﴿ومن يُسلم وجهه إلى الله﴾^(١) أي يقبل بوجهه وقلبه على ربه يعبدّه مُتَذَلِّلاً له خاضعاً لأمره ونهيه . ﴿وهو محسن﴾ أي والحال أنه محسن في عبادته اخلاصاً فيها لله ، واتباعاً في أداها لرسول الله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي قد أخذ بالطرف الأوثق فلا يخاف انقطاعاً أبداً وقوله تعالى : ﴿والى الله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى أن مردّ الأمور كلها لله تعالى يقضي فيها بما يشاء فليفوّض العبد أموره كلها لله إذ هي عائدة إليه فيتخذ بذلك له يداً عند ربه ، وقوله لرسوله : ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ أي أسلم وجهك لربك وفوض أمرك إليه متوكلاً عليه ومن كفر من الناس فلا يحزنك كفره أي فلا تكثر به ولا تحزن عليه ﴿إلينا مرجعهم﴾ أي فإن مردهم إلينا بعد موتهم ونشورهم ﴿فننشيئهم بما عملوا﴾ في هذا الدار من سوء وشر ونجزئهم به . ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي بما تكنه وتخفيه من اعتقادات ونيات وبذلك يكون الحساب دقيقاً والجزاء عادلاً . وقوله تعالى : ﴿نمتعهم قليلاً﴾ أي نمهل هؤلاء المشركين فلا نعالجهم بالعقوبة فيمتنعون مدة آجالهم وهو متاع قليل ﴿ثم نضطرهم﴾ بعد موتهم ونشرهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ أي نلجئهم إلباء إلى عذاب غليظ ثقیل لا یحتمل ولا یطاق وهو عذاب النار . نعوذ بالله منها ومن كل عمل يؤدي إليها وقوله تعالى في الآية (٢٥) ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي ولئن سألت يارسلونا هؤلاء المشركين قائلًا لهم : من خلق السموات والأرض لبادروك

(١) أسلم وسلم بمعنى ، إلا أن التضعيف للتكثير وعدي باللام نحو قول أسلمت وجهي لله ، وعدي مرة بإلى قال القرطبي معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهوداته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى راجع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه .

(٢) قرأ نافع يُحزنك بضم الياء وكسر الزاي يُحزنك وقرأ حفص يحزنك بفتح الباء وضم الزاي يحزنك فالأولى مضارع أحزنه يحزنه كأعلم يعلمه والثاني مضارع حزنه كنصره ينصره .

(٣) الجملة تعليلية لما سبقها من أحكام .

(٤) جملة نمتعهم قليلاً مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلاً يقول ما الذي يترتب على علمه تعالى بذات الصدور فالجواب أنه يمتعهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ .

بالجواب قائلين الله إذا قل الحمد لله على إقامة الحجة عليكم باعترافكم، وما دام الله هو الخالق الرازق كيف يعبد غيره أو يعبد معه سواء أين عقول القوم؟ وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون موجب الحمد ولا مقتضاه، ولا من يستحق الحمد ومن لا يستحقه لأنهم جهلة لا يعلمون شيئاً. وقوله تعالى: ﴿الله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقا وملكا وعبيدا ولذا فهو غني عن المشركين وعبادتهم فلا تحزن عليهم ولا تبال بهم عبدوا أو لم يعبدوا ﴿إن الله هو الغني﴾ عن كل ماسواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بعظيم فعله وجميل صنعه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

(١) بيان نجاة أهل لا إله إلا الله وهم الذين عبدوا الله وحده بما شرع لهم على لسان رسوله محمد ﷺ

(٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء.

(٣) بيان أن المشركين من العرب موحدون في الربوبية مشركون في العبادة كما هي حال الناس اليوم يعتقدون أن الله رب كل شيء ولا رب سواه ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره، ويخافون غيره ويرهبون سواه. والعياذ بالله.

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ

مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ

وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات:

ولو أن ما في الأرض: أي من شجرة.

أقلام: أي يكتب بها.

والبحر: أي المحيط.

يمده سبعة أبحر: أي تمده

ما نفدت كلمات الله: أي ما انتهت ولا نقصت.

إن الله عزيز حكيم : أي عزيز في انتقامه غالب على ما أرادته حكيم في تدبير خلقه .
ما خلقكم ولا بعثكم : أي ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم إلا كخلق
وبعث نفس واحدة .

معنى الآيتين ^(١)

قوله تعالى ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ أي لو أن شجر الأرض كله قطعت أغصانه شجرة شجرة حتى لم تبقى شجرة وُثِرَت أقلاماً، والبحر المحيط صار مداداً ومن ورائه سبعة أبحر أخرى تحولت إلى مداد وتمد البحر الأول وكتب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله لنفد البحر والأقلام ولم تنفد كلمات الله ، وذلك لأن الأقلام والبحر متناهية ، وكلمات الله غير متناهية فعلم الله وكلامه كذاته وصفاته لا تنهاى بحال ، نزلت هذه الآية رداً على اليهود لما قيل لهم ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالوا وكيف هذا وقد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء . كما نزل رداً على أبي بن خلف قوله تعالى : ﴿ما خلقكم﴾ ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ^(٢) إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يخلقنا الله خلقاً جديداً في يوم واحد ليحاسبنا ويجزينا ، ونحن خلقنا أطواراً وفي قرون عديدة فأنزل تعالى قوله ﴿ما خلقكم ولا بعثكم﴾ إلا كخلق وبعث نفس واحدة ﴿إن الله سميع بصير﴾ فكما يسمع المخلوقات ولا يشغله صوت عن صوت ، وبصيرهم ولا تحجبه ذات عن ذات كذلك هو يبعثهم في وقت واحد ولو أراد خلقهم جملة واحدة لخلقهم لأنه يقول للشيء كن فيكون .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

(١) بيان سعة علم الله تعالى وأنه تعالى متكلم وكلماته لا تنفد بحال من الأحوال .

(٢) بيان أن ما أوتيه الإنسان من علوم ومعارف ما هو بشيء إلى علم الله تعالى .

(١) قيل في سبب هذه الآية المدنية على رأي ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود قالوا : يا محمد كيف عطينا بهذا القول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ونحن قد أوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه وعندها أنها تبيان كل شيء . فقال الرسول ﷺ التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الآية .

(٢) من شجرة من بيانية وفي التعبير بدلو : دلالة على أن مضمون الكلام افتراضي ، ولكن لو كان المفترض لما يخرج عما أخبر تعالى به وهو نفاد الأقلام والمداد وبقاء كلام الله تعالى لأن المراد من الكلمات كلام الله تعالى .

(٣) في الآية إيجاز بالحذف إذ التقدير ما خلقكم إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة .

(٤) ما خلقكم فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب .

(٥) جملة إن الله سميع بصير صالحة لأن تكون تعليلية أو استثنائية بيانية .

(٣) بيان قدرة الله تعالى وانها لا تحد ولا يعجزها شيء .
(٤) إثبات صفات الله كالعزة والحكمة والسمع والبصر .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ
كَأُظْلَلٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ

﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

ألم تر

: أي ألم تعلم أيها المخاطب .

ان الله يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً منه في النهار، ويدخل جزءاً من النهار
في الليل بحسب الفصول .

وسخر الشمس والقمر : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا تكلان إلى يوم القيامة
وهو الأجل المسمى لهما .

ذلك بأن الله هو الحق : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو
الإله الحق .

وأن ما يدعون من دونه الباطل : أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل .
بنعمت الله : أي بإفضاله على العباد وإحسانه إليهم حيث هيأ أسباب
جريها .

لكل صبار شكور	: أي صبار عن المعاصي شكور للنعم .
وإذا غشيهم موج	: أي علاهم وغطاهم من فوقهم .
كالظلل	: أي كالجبال التي تظل من تحتها .
فمنهم مقتصد	: أي بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر .
كل ختار كفور	: أي غدار كفور لنعم الله تعالى .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال الشرك والكفر قال تعالى ﴿ألم تر﴾ ^(١) أي ألم تعلم أيها النبي أن الله ذا الألوهية على غيره ﴿يولج الليل في النهار﴾ بإدخال جزء منه في النهار ﴿ويولج النهار في الليل﴾ بإدخال جزء منه في الليل وذلك بحسب الفصول السنوية ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ^(٢) يسبحان في فلكيهما المنافع الناس إلى أجل مسمى أي إلى وقت محدد معين عنده سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة، وأن الله تعالى بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم صالحها وفاسدها وسيجزىكم بها وقوله ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي ذلك الإيلاج لليل في النهار والنهار في الليل وتسخير الشمس والقمر، وعلم الله تعالى بأعمال العباد ومجازاتهم عليها قاطع لكل شك بأن الله هو إله الحق، وأن ما يدعون من دونه من أوثان هو الباطل ^(٣)، وقاطع بأن الله تعالى ذا الألوهية الحققة هو العلي الكبير أي ذو العلو المطلق الكبير الذي ليس شيء أكبر منه إذ هو رب كل شيء ومالكة والفاهر له والمتحكم فيه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى ﴿ألم تر﴾ يا محمد ﴿أن الفلك﴾ أي السفن ﴿تجري في البحر بنعمت الله﴾ تعالى على خلقه حيث يسر لها أسباب سيرها وجريها في البحر وهي تحمل السلع والبضائع

(١) ألم تر: الاستفهام تقريرى بالنسبة إلى الرسول ﷺ وهو إنكارى بالنسبة إلى غيره ينكر على أهل الغفلة غفلتهم وأهل الإعراض عن النظر إعراضهم إذ لو نظروا وفكروا لاهتدوا إلى توحيد الله ويعتبه عباده للحساب والجزاء يوم القيامة .

(٢) قال القرطبي: ذللهما بالطلوع والأفول تقديراً للاجال، وإتماماً للمنافع والآية في تقرير التوحيد بذكر مظاهر علم الله وقدرته وحكمته .

(٣) جائز أن يكون المراد بالباطل الشيطان إذ هو الذي زين عبادة الأصنام والأوثان وأمرهم بها فلذا أطلق لفظ الباطل عليه .

والأقوات من إقليم إلى إقليم وهي نعم كثيرة. سخر ذلك لكم ليريكم^(١) من آياته الدالة على ربوبيته وألوهيته وهي كثيرة تتجلى في كل جزء من هذا الكون. وقوله ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٌ﴾ أي علامات ودلائل على قدرة الله ورحمته وحكمته وهي موجبات عبادته وتوحيده فيها، وقوله ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي فيها عبرٌ لكل عبد صبور على الطاعات صبور عن المعاصي صبور عما تجرى به الأقدار شكور لنعم الله تعالى جليلها وصغيرها أما غير الصبور الشكور فإنه لا يجد فيها عبرة ولا عظة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَازِلَةٌ﴾ أي إذا غشي المشركين موج وهم على ظهر السفينة فخافوا ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي دعوا الله وحده ولم يذكروا آلهتهم. فلما نجاهم بفضله ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ فلم يفرقوا ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ أي في إيمانه وكفره لا يُغالي في كفره ولا يعلن عن إيمانه. وقوله ﴿وَمَا يَجِدُ أَبْيَاتًا﴾ القرآنية والكونية وهي مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لألوهيته ﴿إِلَّا كُلَّ خَتَّارٍ﴾ أي غدار بالعهود ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم لا خير فيه البتة والعياذ بالله تعالى من أهل الغدر والكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

(١) تقرير التوحيد وإبطال الشرك بذكر الأدلة المستفادة من مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته.

(٢) فضيلة الصبر والشكر والجمع بينهما خير من افتراقهما.

(٣) بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء.

(١) من آياته من للتبعض من بعض آياته ما يشاهدون به مظاهر قدرة الله ولطفه ورحمته. قال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الأرض الطرق ومفتاح السماء الدعاء.

(٢) صبار صيغة مبالغة كثر الصبر وشكور كذلك كثير الشكر قال بعضهم صبار لقضائه، شكور على نعمائه وما في التفسير أعم وأشمل روى أن الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر.

(٣) الظلل جمع ظلة وهو ما أظلم من سحاب.

(٤) فُسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات منها مؤوف بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد مقتصد في القول مضمحل للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور. وما في التفسير أشمل وأسلم.

(٥) قال القرطبي جحد الآيات إنكار أعينها والجحد بالآيات إنكار دلائلها.

(٦) اختر الغدر وجحود الفضل وفعله ختر كضرب يختار قال عمرو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يدك من غدر وختر

وقال الأعشى

بالأبلق الفردي من تيماء منزله حصن حصين وجار غير ختار

٤) شر الناس الختار أي الغدار الكفور.

٥) ذم الختر وهو أسوأ الغدر وذم الكفر بالنعم الإلهية.

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ
الْفُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات

اتقوا ربكم

: أي خافوا فآمنوا به واعبدوه وحده تنجوا من عذابه .

واخشوا يوما

: أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه .

لا يجزي والد عن ولده

: أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئا .

إن وعد الله حق

: أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو

كائن .

لا تغرنكم الحياة الدنيا

: أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا .

ولا يفرنكم بالله الفرور

: أي الشيطان يغتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم

فيجسرکم على المعاصي ويسوفکم في التوبة .

وينزل الغيث

: أي المطر .

ويعلم ما في الأرحام

: أي من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه .

ماذا تكسب غدا

: أي من خير أو شر والله يعلمه .

معنى الآيتين الكریمتین

هذا نداء عام لكل البشر يدعوهم فيه ربهم تعالى ناصحاً لهم بأن يتقوه بالإيمان به وعبادته وحده لا شريك له وأن يخشوا يوماً عظيماً فيه من الأهوال والعظائم ما لا يقادر قدره بحيث لا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إذ كل واحد لا يريد إلا نجاة نفسه فيقول نفسي نفسي وهذا لشدة الهول يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً ولو كان أقرب قريب، وهو يوم آت لا محالة حيث وعد الله به الناس ووعد الله حق والله لا يخلف الميعاد، ويقول لهم بناءً على ذلك ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بملاذها وزخارفها وطول العمر فيها، ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ ذي الحلم والكرم ﴿الغرور﴾ أي الشيطان من الإنس أو الجن يحملكم على تأخير التوبة ومزاولة أنواع المعاصي بتزيينها لكم وترغيبكم فيها فانتبهوا فإن الموت لا بُد منه وقد يأتي فجأة فالتوبة التوبة يا عباد الله هذه نصيحة الرب تبارك وتعالى لعباده فهل من مستجيب؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٣).

أما الآية الثانية (٣٤) فالله جل جلاله يخبر عباده بأنه استقل بعلم الساعة متى تأتي والقيامة متى تقوم وليس لأحد أن يعلم ذلك كائناً من كان وهذه حال تتطلب من العبد أن يعجل التوبة ولا يؤخرها، كما استقل تعالى بعلم وقت نزول المطر في يوم أو ليلة أو ساعة من ليل أو نهار، ويعلم ما في الأرحام أرحام الإنث من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أحمر أو أسود ومن طول وقصر ومن إيمان أو كفر ولا يعلم ذلك سواه ويعلم ما يكسب كل إنسان في غده من خير أو شر أو غنى أو فقر، ويعلم أين تموت كل نفس من بقاع الأرض وديارها ولا

(١) فإن قيل لقد ثبت بالسنة ما ظاهره خلاف هذا فقد قال ﷺ من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم، وقال من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له حجاً من النار فالجواب أن المراد بالآية أن الولد لا يحمل ذنب والده وأن الوالد لا يحمل ذنب ولده، وأما موت الأولاد فأجر المصيبة مع الصبر والاحتساب هو الذي منع الوالد من دخول النار كما أن تربية البنات والإحسان إليهن جعل الله تعالى جزاءه النجاة من النار فليس في الحديث أن الولد يجزي عن والده ولا الوالد يجزي عن ولده.

(٢) ولا مولود: مبتداً وهو ضمير فصل والخبر جاز مرفوع بضمه مقدرة على حرف العلة المحذوف للتخفيف، وذكر الولد والوالد لأنهما أشد شفقة على بعضهما ورحمة وحماية من غيرهما.

(٣) الغرور بالفتح (الفعول) من أمثلة المبالغة أي كثير التغرير بالإنسان وهو الشيطان عليه لعائن الرحمن والغرور الخداع بما ظاهره حسن وباطنه ضرر.

(٤) قال مقاتل هذه الآية نزلت في رجل من أهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال إن امرأتى حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ ولقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم فأخبرني ماذا أعمل غداً؟ فأخبرني متى تقوم الساعة؟ فأنزل الله تعالى الآية.

(٥) روى أن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ الرسول ﷺ إن الله عنده علم الساعة الخ الآية.

(١) يعلم ذلك إلا الله ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مفاتيح الغيب خمسة وقرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ «في الصحيح»
وقوله إن الله عليم أي بكل شيء وليس بهؤلاء الخمسة فقط خبير بكل شيء من دقيق أو جليل من ذوات وصفات وأحوال وبواطن الأمور كظواهرها وبهذا وجب أن يُعبد وحده بما شرع من أنواع العبادات التي هي سُلَم النجاح ومرقى الكمال والإسعاد في الدارين

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- (١) وجوب تقوى الله عز وجل بالإيمان به وتوحيده في عبادته .
- (٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- (٣) التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا ، والتحذير من الشيطان أي من اتباعه والاغترار بما يُزينه ويحسنه من المعاصي .
- (٤) بيان مفاتيح الغيب الخمسة واختصاص الرب تعالى بمعرفتها .
- (٥) كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته .
- (٦) ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلية في قوله تعالى ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال هو كذا وذلك لوجود أشعة عاكسة أما المنفي عن كل حد إلا الله أن يقول المرء : إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقرب منها ولا يجربها في ولادتها السابقة ، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأية محاولة .

(١) في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية وفي رواية أبي هريرة (وخمس لا يعلمهن إلا الله وعله تسميتها مفاتيح الغيب أنها من أمور الناس المغيبة عنهم فإذا وقعت كان وقوعها كفتح مغلق بمفتاح فالإنسان قد يعرف متى يصلي متى يسافر متى يتزوج أما هذه الخمسة فلا علم له بها أبداً حتى يفتح الله بابها ويظهرها .

(٢) المفاتيح جمع مفتاح آلة الفتح والمعنى أن هذه الأمور الخمسة وهي متعلقة بالإنسان لا يظهرها إلى الوجود ولا يفتح مغلقها الغيبي إلا الله جل جلاله إذ بيده مفاتيحها .

سُورَةُ السَّجْدَةِ

(١) مكية

وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات
آلم

: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب آلم، ويقرأ ألف لام

ميم

لا ريب فيه : أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين .
 أم يقولون افتراه : أي بل يقولون أي المشركون اختلقه وكذبه .
 قوما ما أتاهم من نذير : أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب .
 لعلهم يهتدون : أي بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام .
 في ستة أيام : هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس
 والجمعة .

ثم استوى على العرش : أي استوى على عرشه يدير أمر خلقه .

(١) وتسمى سورة آلم السجدة، وتنزيل السجدة وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يصلي بها الصبح يوم الجمعة يقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والسجدة والثانية بالفاتحة وسورة الإنسان كما ورد أنه كان يقرأها مع سورة الملك عند النوم وفي كل منهما ثلاثون آية .

من ولي ولا شفيع : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله ولي يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم .

أفلا تتذكرون : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا .

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿آلَمْ﴾ هذه الحروف المقطعة في فواتح عدة سور الأسلم أن لا تؤول ويكتفى فيها بقول الله أعلم بمراده بها . وقد اخترنا من أقاويل المفسرين أنها أفادت فائدتين : الأولى أنه لما كان المشركون من قريش في مكة يمنعون سماع القرآن مخافة أن يتأثر السامع به فيؤمن ويوحد فكانت هذه الحروف تستهويهم بنغمها الخاص فيستمعون فينجذبون ويؤمن من شاء الله إيمانه وهدايته والثانية بقرينة ذكر الكتاب بعدها غالباً : أن هذا القرآن الكريم قد تألف من مثل هذه الحروف آلم ، طس ، حم ، ق فآلفوا أيها المكذبون سورة من مثله وآل فاعلموا أنه تنزيل من الله رب العالمين فلما عجزوا قامت عليهم الحجة ولم يبق شك في أنه تنزيل الله وكتابه أنزله على نبيه محمد ﷺ وقوله تعالى : ﴿تنزيل الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿لارب فيه﴾ أي لاشك في أنه نزل من رب العالمين على محمد ﷺ . وليس بشعر ولا يسجع كهان ، ولا أساطير الأولين وقوله تعالى : ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي بل يقولون افتراه محمد واختلقه وأتى به من تلقاء نفسه اللهم لا إنه لم يفتره ﴿بل هو الحق من ربك﴾ أي جاءك من ربك وحياً أوحاه إليك ، ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم مشركوا العرب لتنذرهم بأس الله وعذابه إن بقوا على شركهم وكفرهم ، وقوله ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم فينجوا ويكملوا ويسعدوا وقوله : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما﴾ أي من مخلوقات ﴿في ستة أيام﴾ من مثل أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ولذا كانت الجمعة من أفضل الأيام ﴿ثم استوى على العرش﴾ عرشه سبحانه

(١) تنزيل مرفوع بالابتداء والخبر لا ريب فيه ، أو خبر على تقدير مبتدأ أي هذا تنزيل أو المتلو عليك تنزيل الكتاب ، ويكون لا ريب فيه محل نصب على الحال .

(٢) لا ريب فيه أي لما اشتمل من الإعجاز العلمي حيث عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وعجز فصحاء العرب على الإتيان بسورة مثل سورة . ولما عرف به صاحبه الذي نزل عليه وجاء به وهو محمد ﷺ من الصدق الكامل حيث لم يكذب قط وقد أخبر أنه تنزيل الله رب العالمين .

(٣) أم هذه هي المنقطعة ولذا قدرت ببل والاستفهام في التفسير ، وصيغة المضارع (يقولون) لاستحضار الحالة الماضية إثارة للتعجب في نفس السامع .

(٤) النذير المعلم المخوف بعواقب الشرك والمعاصي والفساد والشر ، والقوم الجماعة العظيمة الذين يجمعهم أمر يكون كالقوام لهم من نسب أو وطن أو غرض تجمعوا من أجله والمراد بهم عامة العرب في كل ديارهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً إذ فقدوا العلم الإلهي منذ قرون عدة .

(٥) سئل مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وتعالى استوى استواء يليق به يدبر أمر مخلوقاته . الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما هو الذي أنزل الكتاب وأرسل الرسول وهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه ما للعرب ولا للبشرية كلها من إله غيره ، وليس لها من غيره من ولي يتولاها بالنصر والإنجاء إن أراد الله خذلانها وإهلاكها ، وليس لها شفيع يشفع لها عنده إذا أراد الانتقام منها لشركها وشرها وفسادها وقوله : ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلموا أيها العرب المشركون أنه لا إله لكم إلا الله فتعبده وتوحدوه فتنجوا من عذابه وتكملوا وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله ووحيه أوحاه إلى رسوله .
- (٢) ابطال ما كان المشركون يقولون في القرآن بأنه شعر وسجع كهان وأساطير الأولين .
- (٣) بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإنذار .
- (٤) بيان الزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما .
- (٥) إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى .
- (٦) تقرير انه ما للبشرية من إله إلا الله وأنه ليس لها من دونه من ولي ولا شفيع فما عليها إلا أن تؤمن بالله وتعبده فتكمل وتسعد على عبادته .

يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ

(١) في نفي الشفيع رد على قول بعضهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله على تقدير انهم يبعثون يوم القيامة إذ قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو في قضاء حوائجهم في الدنيا .

مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

شرح الكلمات :

يدبر الأمر من السماء إلى الأرض : أي أمر المخلوقات طوال الحياة .
ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شؤونها .
ألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا .
عالم الغيب والشهادة : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه .
بدأ خلق الإنسان من طين : أي بدأ خلق آدم عليه السلام من طين .
من سلالة من ماء مهين : أي خلق ذرية آدم من علقه من ماء النطفة .
ثم سواه ونفخ فيه من روحه : أي سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حياً .
كما سوى آدم ايضاً ونفخ فيه من روحه فكان حياً .
والأفئدة : أي القلوب .
قليلاً ما تشكرون : أي ما تشكرون الله على نعمة الایجاد والامداد إلا شكراً قليلاً لا يوازي قدر النعمة .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتبوة والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة الإلهية ، فقوله تعالى ﴿يدبر الأمر﴾ أي أمر المخلوقات ﴿من السماء﴾ حيث العرش وكتاب المقادير ﴿إلى الأرض﴾ حيث تتم الحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع ، والغنى والفقر والحرب والسلام ، والعز والذل فالله تعالى من فوق عرشه يدبر أمر الخلائق كلها في عوالمها المختلفة ، وقوله ثم يعرج أي الأمر إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما يعد الناس اليوم من أيام هذه الدنيا . ومعنى ﴿يعرج إليه﴾ في يوم

(١) ورد في سورة الحج قوله تعالى ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وفي هذه الآية ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وفي سورة المعارج ﴿تنزع الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ، وقد كثرت أقوال أهل التفسير في تحديد هذه الأيام حتى قال ابن عباس أيام سماها الله سبحانه وما أدري ما هي ؟ فأكره أن أقول فيها ما لا أعلم وأحسن ما يقال فيها أن اليوم الذي ذكر في سورة الحج هو عبارة عن الزمان وتقديره عند الله وأن يوم سورة المعارج هو يوم القيامة يوم الحساب وأن هذا اليوم هو آخر أيام الدنيا حيث ينتهي التدبير والتصرف لانقضاء الحياة الدنيا وهو كما ذكر تعالى .

القيامة أي يرد إليه حيث عم الكون الفناء ولم يبق ما يدبر في هذه الأرض لفنائها وفناء كل ما كان عليها. وقوله ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ أي ما غاب عن الناس وما حضر فشاهدوه أي العالم بكل شيء وقوله العزيز الرحيم: أي الغالب على مراده من خلقه الرحيم بالمؤمنين من عباده، وقوله ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ أي أحسن خلق كل مخلوق خلقه أي جود خلقه وأتقنه وحسنه. وقوله ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ أي وبدأ خلق آدم من طين وهو الإنسان الأول، ﴿ثم جعل نسله﴾ أي نسل الإنسان من ﴿سلالة﴾ وهي العلقة ﴿من ماء مهين﴾ وهو النطفة، وقوله ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ أي سوى آدم ونفخ فيه من روحه، كما سوى الإنسان في رحم أمه أي سوى خلقه ثم نفخ فيه من روحه فكان إنساناً حياً، وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا لحاجتكم إلى ذلك لأن حياتكم تتطلب منكم مثل ذلك ومع هذه النعم الجليلة ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ أي لا تشكرون إلا شكراً قليلاً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- (١) بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق.
- (٢) بيان صفات الله تعالى من العلم والعزة والرحمة.
- (٣) بيان كيفية خلق الإنسان ومادة خلقه.
- (٤) شكر العباد - إن شكروا - لا يوازي نعم الله تعالى عليهم.
- (٥) وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته.

وَقَالُوا أَلَمْ نَكُنْ فِي الْأَرْضِ نَافِلِينَ

خَلَقَ جَدِيدًا بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوقَنكُمْ

مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

(١) ذلك اسم الإشارة عائد إلى اسم الجلالة أي ذلك الرب العظيم والإله الحكيم الذي خلق السموات والأرض وما بينهما المدير للملكوت المتصرف في الموجودات هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم المستحق للعبادة والمحبة والخوف دون غيره من سائر المخلوقات.

(٢) قرأ نافع وحفص خلقه بصيغة الماضي وقرأ بعض خلقه بإسكان اللام على أنه مصدر خلق يخلق خلقاً وهو يدل اشتغال من كل شيء ومعنى أحسن أتقن وأحكم قال عكرمة: ليست أستاذ القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة.

(٣) المهين الممتن الذي لا يعاب به.

(٤) وجائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقاً فهو كناية عن العدم توبيخاً لهم وتأنياً.

شرح الكلمات

أثذا ضللنا في الأرض : أي غبنا فيها حيث فنيها وصرنا ترابا .
 أثنا لفي خلق جديد : أي أنعود خلقاً جديداً بعد فنائنا واختلاطنا بالتراب .
 بل هم بقاء ربهم كافرون: أي لم يقف الأمر عند استبعادهم للبعث بل تعداه إلى كفرهم بقاء ربهم ، وهو الذي جعلهم ينكرون البعث .
 قل يتوفاكم ملك الموت : أي يقبض أرواحكم ملك الموت المكلف بقبض الأرواح .
 ثم إلى ربكم ترجعون : أي بعد الموت ، وما دمت لا تمنعون أنفسكم من الموت سوف لا تمنعونها من الحياة فرجوعكم حتمي لا محالة .

معنى الآيتين

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة فأخبر تعالى عن منكري البعث فقال ﴿وقالوا﴾^(١) أي منكروا البعث الآخر ﴿أثذا ضللنا في الأرض﴾^(٢) أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابا فيها ﴿أثنا لفي خلق جديد﴾ أي لعائدون في خلق جديد . وهذا منهم انكار للبعث واستبعاد له ، فقال تعالى مخبراً عن علة انكارهم للبعث وهي أنهم بقاء ربهم كافرون إذ لو كانوا يؤمنون بقاء الله الذي وعدهم به لما أنكروا البعث والحياة لذلك ، وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى : يتوفاكم عند نهاية آجالكم ﴿ملك الموت﴾ الذي وكله ربّه بقبض أرواحكم ، ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ بعد ذلك وما دمت لا تدفعون الموت عن أنفسكم فكيف تدفعون الحياة عندما يريد الله منكم؟ وهل دفعتموها عندما كنتم عدماً فأوجدكم الله وأحياكم .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

(١) تقرير عقيدة البعث والجزاء .

- (١) الجملة استئناف لحكاية عقيدتهم في إنكار البعث والجزاء ليعلل لها بالعلة المناسبة ثم يقرر عقيدة البعث التي أنكروها وتجبوا من حقيقتها بما هو لازم لها .
 (٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد ، والضلال الدخول في الأرض والغياب فيها إذ كل ما غاب في شيء ولم يظهر له وجود يقال ضل فيه كما يضل الماء في اللبن والميت في القبر قال الحارث الغساني شعراً :
 قَاب مَضْلُوهُ بَعِينَ جَلِيَّةً وَغَوَّوْهُ بِالْجَوْلَانِ حَزَمَ وَنَائِلَ

(مضلوهُ أي مغيبوه)

- (٣) بل هم بقاء ربهم كافرون ، بل للإضراب عن كلامهم أي ليس إنكارهم البعث لاستبعاده واستحالته لوجود الأدلة الواضحة على إمكانه بل وجوبه وإثبات الباعث لهم على التكذيب به هو كفرهم التقليدي .
 (٤) لم يرد اسم ملك الموت في القرآن غير أن أهل السنة على أن اسمه عزرائيل بمعنى عبد الله .

(٢) الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بلقاء الله تعالى
 (٣) بيان أن لقبض الأرواح ملكاً وله أعوان من الملائكة وأن الأرض جعلت لملك الموت
 كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
 ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ
 مِنِّي لَا لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
 فَذُوقُوا بِمَا فَسَبَّحْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

إذ المجرمون : أي المشركون المكذبون بلقاء ربهم .
 ناكسوا رؤوسهم : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي .
 ربنا أبصرنا : أي ما كنا ننكر من البعث .
 وسمعنا : أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا .
 فارجعنا : أي إلى دار الدنيا .
 لآتيناك كل نفس هداها : أي لو أردنا هداية الناس قسراً بدون اختيار منهم لفعلنا .
 ولكن حق القول مني : أي وجب وهو لأملاؤن جهنم من الجنة والناس أجمعين .
 إنا نسيناكم : أي تركناكم في العذاب .
 عذاب الخلد : أي العذاب الخالد الدائم .
 بما كنتم تعملون : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها وما يجري للمكذبين

(١)

بها في الدار الآخرة قال تعالى : ﴿ولو ترى﴾ يارسولنا ﴿إذ المجرمون﴾ وهم الذين أجزموا على أنفسهم فدنسوها بالشرك والمعاصي الحامل عليها التكذيب بقاء الله ، ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾ أي مطشطوها خافضوها عند ربهم من الحياء والخزي الذي أصابهم عند البعث . لرأيت أمراً فظيماً لا نظير له . وقوله تعالى ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ هذا قول المجرمين وهم عند ربهم أي ياربنا لقد أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث والجزاء وسمعنا منك أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا . ﴿فارجعنا﴾ أي إلى دار الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً ﴿إنا موقنون﴾ أي الآن ولم يبق في نفوسنا شك بأنك الإله الحق ، وبأن لقاءك حق ، وقوله تعالى : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ وذلك لما طالب المجرمون بالعودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فأخبر تعالى انه ما هناك حاجة إلى ردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويعملوا الصالحات ، إذ لو شاء هدايتهم لهداهم قسراً منهم بدون اختيارهم ، ولكن سبق أن قضى بدخولهم جهنم فلا بد هم داخلوها وهو معنى قوله : ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي وجب العذاب لهم وهو معنى قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ أي الجن ﴿والناس أجمعين﴾ أي من كفار ومجرمي الجن والإنس معاً .

وقوله ﴿فذوقوا﴾ أي العذاب والخزي ﴿بما نسيتم﴾ أي بسبب نسيانكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب . ﴿وذوقوا عذاب﴾ الخلد بما كنتم تعملون ﴿من الشرك والمعاصي﴾ هذا يقال لهم وهم في جهنم تبكيئاً لهم وتقريعاً زيادة في عذابهم ، والعياذ بالله من عذاب النار .

(١) الخطاب للرسول ﷺ لشرفه وأمنه تابعة له والمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب العجاب من ذلثهم وخزيهم/ وندامتهم .

(٢) هذا مقول قول محذوف بعد ناكسوا رؤوسهم يقولون أو قائلين ربنا الخ .

(٣) هذا كقولهم في آية : ﴿أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتنبع الرسل﴾ .

(٤) هذه الجملة اعتراضية بين قوله أبصرنا وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله ولو شئنا لآتينا الخ . رد عليهم حيث طلبوا العودة إلى الدنيا ليؤمنوا ويوحدا

(٥) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس والآخر أولى بالآية .

(٦) قد يعبر بالدوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لاحتساسها به كاحتساسها بذوق المطعم قال الشاعر:

فلقد هجرها إن كنت تزعم أنها فساد ألا يا ربنا كذب الزعم

فاطلق اللوق على الهجر وهو غير مطعم ولكنه محسوس بالنفس .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) التنديد بالإجرام والمجرمين وبيان حالهم يوم القيامة .
- (٢) بيان عدم نفع الإيمان عند معاينة العذاب .
- (٣) بيان حكم الله في امتلاء جهنم من كل من مجرمي الإنس والجن .
- (٤) تقرير حكم السبيبة فالأعمال سبب للجزاء خيراً كان أو شراً .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ

بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------|--|
| إذا ذكروا بها | : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد . |
| خروا سجدا | : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض . |
| وسبحوا بحمد ربهم | : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون سبحان ربي الأعلى . |
| وهم لا يستكبرون | : أي عن عبادة ربهم في كل آحاينهم بل يأتونها خاشعين متذللين . |
| نتجافى جنوبهم | : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل . |
| خوفا وطمعا | : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة . |

ما أخفي لهم من قرة : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده أعين من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسره وتفرح .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وهم المكذبون بآيات الله ولقائه ذكر جزاء المؤمنين وهم الذين آمنوا بآيات الله ولقائه ذكرهم بأجمل صفاتهم فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ حق الإيمان ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا ﴾ أي قرئت عليهم وكانت من الآيات التي فيها السجدة ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على التراب ، ﴿ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي نزهوه وقدسوه اثناء سجودهم بقولهم سبحان ربي الأعلى ، والحال أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله مطلقاً بل يأتونها متذللين خاشعين .

وقوله ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ هذه بعض صفاتهم أيضاً وهي أنهم يباعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد . وقوله ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي في حال صلاتهم وفي غيرها وهو دعاء تميز بخوفهم من عذاب ربهم وطمعهم في رحمته فهم يسألون ربهم النجاة من النار ودخول الجنة . وقوله ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يتصدقون بفضول أموالهم زيادة على أداء الزكاة كتهجدهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس .

وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ يخبر تعالى عن جزائهم عنده فيقول : فلا تعلم نفس ما خبأ الله تعالى لهم من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم أي

(١) في الآيات تسلية للرسول ﷺ عما يجده من إعراض المشركين المكذبين بالبعث والجزاء في الدار الآخرة والقائلين . أم يقولون افتراه فأعلمه إنما يؤمن من ذكرهم بصفاتهم ، والقصر اضافي والمراد من الآيات آيات القرآن الكريم .

(٢) الخروء الهوي من علو إلى أسفل والسجود وضع الجبهة على الأرض إرادة التعظيم والخضوع .

(٣) الجملة حال من الموصول والتجافي التباعذ والمشاركة ، والمضاجع جمع مضجع الفراش والجنب جمع جنب ، والمراد تباعدهم عن فرشهم لقيام الليل ، ومن صلى العشاء في جماعة والصبح في جماعة تناوله الوصف ، وشاهد التجافي قول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه بمدح النبي ﷺ فيقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع

بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(٤) هذا كقول الرجل : هذا لا يعلمه إلا الله ، وقرة الأعين كناية عن السرور وعظيم الفرح .

(٥) قرأ الجمهور ما أخفي بصيغة الماضي المجهول ، وقرأ غيرهم أخفي بالمضارع المعلوم

تُسَر وتفرح وقوله ﴿جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ أي جزاءهم بذلك النعيم بعملهم الخيري الإسلامي الذي كانوا في الدنيا يعملونه وقد ذكر بعضه في الآيات قبل كالصلاة والصدقات .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) فضيلة التسبيح في الصلاة وهو سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود .

(٢) ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله .

(٣) فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد والدعاء خوفاً وطمعاً .

(٤) بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات وهو انه تعالى [أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت] الخ .

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا

لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ

جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ

لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ

(١) روى الترمذي بسند صحيح عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليس على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطايا كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية .

(٢) في الصحيح قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى . أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

- أفمن كان مؤمناً : أي مصداقاً بالله ورسوله ولقاء ربه
 كمن كان فاسقاً : أي كافراً لا يستون .
 جنات المأوى نزلاً : النزل ما يعد للضيف من قرى .
 من العذاب الأدنى : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجذب والقتل والأسر .
 العذاب الأكبر : هو عذاب الآخرة في نار جهنم .
 لعلهم يرجعون : أي يصيبهم بالمصائب في الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحّدوا .
 ومن أظلم ممن ذكر بآيات : لا أحد أظلم منه أبداً .
 ربه فأعرض عنها
 إنا من المجرمين منتقمون : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ أي كافراً ينفي تعالى إستواء الكافر مع المؤمن فلذا بعد الاستفهام الإنكاري أجاب بقوله تعالى : ﴿لا يستون﴾ ثم بيّن تعالى جزاء الفريقين وبذلك تأكد بُعد ما بينهما فقال ﴿أما الذين آمنوا﴾ بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام شرعاً وديناً ﴿وعملوا الصالحات﴾ بأداء الفرائض والنوافل في الغالب بعد اجتنابهم الشرك والمحارم ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ أي ضيافة لهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ وأما الذين فسقوا عن أمر الله فلم يوحّدوا ولم يطيعوا فعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا ﴿فمأواهم﴾ النار ﴿أي مقرهم ومحل مثواهم وإقامتهم لا يخرجون﴾ كلما أرادوا ﴿أي هموا أن يخرجوا منها أعيدها فيها من قبل الزبانية تدفعهم عن أبوابها، وقيل لهم﴾ إذلالاً لهم وإهانة ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ إذ كانوا مكذّبين بالبعث والجزاء وقالوا ﴿أنذا ضللنا في الأرض أثنا خلق جديد﴾ .

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب والمراد بالفاسق هنا الكافر لمقابلة المؤمن وفسقه بترك عبادة ربه وعبادة الأوثان والأصنام .

(٢) النزل بضمين مشتق من النزول وهو ما يعد للضيف النازل بك من قرى وهو الطعام والشراب والفراش .

(٣) المأوى مكان الإيواء أي الرجوع إليه والاستقرار فيه .

وقوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ وهو عذاب الدنيا بالقحط والغلاء والقتل والأسر ﴿ودون العذاب الأكبر﴾ وهو عذاب يوم القيامة ﴿لعلهم^(١) يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه فاعل ذلك بكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلًا قد تاب منهم كثيرون وقوله ﴿ومن أظلم ممن دُكرَ بآيات ربه ثم أعرض^(٢) عنها﴾ أي وعظ بها وخوف كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم القرآن وكان بعضهم يعرض عنها فلا يسمعها ويرجع وهو مستكبر والعياذ بالله فمثل هؤلاء لا أحد أشد منهم ظلمًا وقوله تعالى ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ يخبر تعالى أنه لا محالة منتقم من أهل الاجرام وهم أهل الشرك والمعاصي ، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ثلاثة أصناف من أهل الإجماع الخاص وهم :

(١) من اعتقد «عقد» لواء في غير حق أي حمل راية الحرب على المسلمين وهو مبطل غير محق .

(٢) من عق والديه أي آذاهما بالضرب ونحوه ومنعهما برهما ولم يطعهما في معروف .

(٣) من مشى مع ظالم ينصره رواء ابن جرير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر والبار والفاجر والمطيع والفاسق .

(٢) بيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين .

(٣) بيان أن الله تعالى كان يأخذ قريشاً بالوأن^(٤) المصائب لعلهم يتوبون .

(٤) بيان أنه لا أظلم ممن ذكر بآيات الله فيعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً .

(١) الجملة استئنافها بياني جواباً لمن قال لم يذيقهم العذاب الأدنى وهو عذاب الدنيا ! دون العذاب الأكبر ؟ فكان الجواب : لعلهم يرجعون وهو تعليل للحكم السابق .

(٢) عطف الإعراض على التذكير بالآيات بُنِيَ للدلالة على التراخي بين زمن التذكير والإعراض كقول الشاعر :
لا يكشف الغماد إلا ابن حره يرى غمرات الموت ثم يزورها

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فهو جواب لمن تساءل عن جزاء صاحبه الإعراض بعد التذكير بالآيات وهو قوله تعالى إنا من المجرمين منتقمون .

(٤) من ذلك سنوات الجذب التي أكلوا فيها العهن وأصبح أحدهم يرى السماء وكأنها دخان من شدة الجوع .

وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي أنزلنا عليه التوراة .

فلا تكن في مرية من لقائه : أي فلا تشك في لقاءك بموسى عليه السلام ليلة الإسراء
والمعراج .

وجعلناه هدى لبني اسرائيل : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» هدى أي هادياً لبني اسرائيل .
وجعلنا منهم أئمة يهدون : أي وجعلنا من بني اسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون
الناس بأمرنا لهم بذلك وإذنا به .

وكانوا بآياتنا يوقنون : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه على
عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعد .

إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة : أي بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والكافرين
والمشركين والموحدين .

فيما كانوا فيه يختلفون : من أمور الدين .

أو لم يهد لهم : أي أغفلوا ولم يبين .

كم أهلكنا من قبلهم من : أي إهلكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم
وشرهم وتكذيبهم لرسولهم .

يمشون في مساكنهم : أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام
 كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما .
 إن في ذلك لآيات : أي دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه .
 أفلا يسمعون : أي أصمّوا فلا يسمعون هذه المواعظ والحجج .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي أعطينا موسى بن عمران أحد أنبياء بني إسرائيل الكتاب الكبير وهو التوراة . إذاً فلم ينكر عليك المشركون أن يؤتيك ربك القرآن كما أتى موسى التوراة ، وفي هذا تقرير لأصل من أصول العقيدة وهي الوحي والنبوة المحمدية . وقوله ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أي فلا تكن يامحمد في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه وطلب إليه أن يراجع ربه في شأن الصلاة فراجع حتى أصبحت خمساً بعد أن كانت خمسين وقوله ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أي الكتاب أو موسى كلاهما كان هادياً لبني إسرائيل إلى سبيل السلام والصراط المستقيم . وقوله ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ أي قادة هداة يهدون الناس إلى ربهم فيؤمنون به ويعبدونه وحده فيكملون على ذلك ويسعدون وذلك بأمره تعالى لهم بذلك . وقوله ﴿لما صبروا﴾ أي عن أذى أقوامهم^(١) ، ﴿وكانوا بآياتنا﴾ الحاملة لأمرنا ونهينا ، ووعدنا ووعيدنا ﴿يوقنون﴾ أي تأملوا لحمل رسالة الدعوة بشيئين : الصبر على الأذى واليقين التام بصحة ما يدعون إليه ونفعه ونجاته وقوله تعالى ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه سبحانه وتعالى الذي يفصل بين المختلفين من الأنبياء وأمهم ، وبين الموحدين والمشركين والسنيين والبدعيين فيحكم بإسعاد أهل الحق وإشقاء أهل الباطل وفي الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له .

(١) هذا الإخبار استطراد المراد به تسلية النبي ﷺ والفاء في قوله فلا تكن للتقرير .

(٢) وجاز أن يكون المعنى فلا تكن في شك من أنك لقيته ليلة الإسراء والمعراج وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول وقيل فلا تكن في شك من أنه سيلقاك من الأذى والتكذيب ما لقيه موسى ، وما في التفسير هو الحق .

(٣) المرية : الشك والتردد والمقصود من النهي التثبيت كقوله ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ ، وليس النهي لطلب ترك الشك إذ لم يكن شك قط .

(٤) لما صبروا لما بمعنى حين صبروا عن أذى أقوامهم ، وقرأ خلاف الجمهور لما صبروا أي لاجل صبرهم جعلناهم أئمة ، فما مصدرية واللام قبلها لام التعليل .

(٥) هو ضمير فصل ومعنى يفصل يقضي ويحكم .

وقوله ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ أي أعموا فلم يُبين لهم إهلاكنا لأمم كثيرة ﴿يمشون في مساكنهم﴾ مآرين بهم في أسفارهم إلى الشام كمداثن صالح، وبلاد مدين، وبحيرة لوط أنا قادرون على إهلاكهم إن أصروا على الشرك والتكذيب كما أهلكنا القرون من قبلهم. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي في إهلاكنا أهل القرون الأولى لما أشركوا وكذبوا دلالات وحججا وبراهين على قدرة الله وشدة انتقامه ممن كفر به وكذب رسوله وقوله ﴿أفلا يسمعون﴾ أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ التي تتلى عليهم فيتوبوا من الشرك والتكذيب فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير النبوة المحمدية وتأکید قصة الإسراء والمعراج .
- (٢) الكتاب والسنة كلاهما هادٍ للعباد إن طلبوا الهداية فيهما .
- (٣) بيان ما تُنال به الإمامة في الدين . وهو الصبر وصحة اليقين .
- (٤) كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة .
- (٥) في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ إِلَى الْبَرِّ فَنُخْرِجُ
 بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
 ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

(١) هذا بناء على أن همزة الاستفهام داخله على محذوف والاستفهام للإنكار عليهم عدم رؤيتهم مصارع الهالكين من قبلهم وهي واضحة بينه فضمن يهد معنى يبين فلذا عُدي باللام ومثله (أولم يهد للذين يرون الأرض من بعد أهلها) آية الأعراف.

(٢) جملة يمشون في محل نصب على الحال.

(٣) الاستفهام تقريرى مشوب بالتوبيخ واختير لفظ يسمعون لأن أخبار الأمم الهالكة كانت شائعة مستفيضة بينهم فلم لا يسمعونها سماع اتعاظ واعتبار.

شرح الكلمات

أو لم يروا أنا نسوق الماء : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا .

إلى الأرض الجرز : أي اليابسة التي لا نبات فيها .

تأكل منه أنعامهم : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم .

أفلا يبصرون : أي أعموا فلا يبصرون أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على البعث .

متى هذا الفتح : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب .

ولا هم ينظرون : أي ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار .

وانتظر إنهم متظرون : أي وانتظر يارسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم متظرون بك موتاً أو قتلاً ليستريحوا منك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح الاجتماعي فيقول تعالى ﴿أو لم يروا﴾ أي أغفل أولئك المكذبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا ﴿أنا نسوق الماء﴾^(١) ماء الأمطار أو الأنهار ﴿إلى الأرض الجرز﴾^(٢) اليابسة التي مابها من نبات فنخرج بذلك الماء الذي سقناه إليما بتدابيرنا الخاصة ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم﴾ وهي إبلهم وأبقارهم وأغنامهم ﴿وأنفسهم﴾ فالأنعام تأكل الشعير والذرة وهم يأكلون البر وال فول ونحوه ﴿أفلا يبصرون﴾ أي أعموا فلا يبصرون آثار قدرة الله على إحياء الموتى بعد الفناء والبلى كإحياء الأرض الجرز فيؤمنوا بالبعث الآخر وعليه يستقيموا في عقائدهم وكل سلوكهم . وقوله ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾^(٣) إن كنتم صادقين ﴿حكى تعالى عنهم ما يقولونه للمؤمنين لما يخوفونهم بعذاب الله يقولون لهم متى هذا الفتح أي الحكم والفصل يستعجلونه لخفة أحلامهم وعدم إيمانهم .

(١) الرؤية هنا بصرية واختير المضارع نسوق لاستحضار الصورة المعجبية الدالة على قدرة الله تعالى ولطفه بعباده ورحمته بهم ، وسوق الماء هو بسوق السحاب ، والسوق هو إزجاء الماشي من ورائه .

(٢) الجرز وصف للأرض التي انقطع نباتها ، وهو مشتق من الجرز وهو انقطاع النبات والحشيش إما بسبب يمس الأرض أو بالرعي ، والجرز القطع ولذا سمي السيف القاطع جُرْزاً قال الشاعر يصف أسنان ناقته :
تنسى على الشوك جُرْزاً مقضباً والهزم تدريه إفزاء عجباً

(٣) الفتح : النصر والقضاء كانوا إذا قال لهم المؤمنون سيحكم الله بيننا وبينكم يوم القيامة فيثيب المؤمن ويعاقب الكافر يقولون لهم مستهزئين ساخرين متى هذا الفتح أو الحكم .

وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم . فقال ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ أي إذا جاء يوم الفتح بيننا وبينكم لا ينفع نفساً كافرة إيمانها عند رؤية العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يؤخرون ويمهلون ليتوبوا ويستغفروا فيتاب عليهم ويغفر لهم إذ سُنَّه الله أن من عاين العذاب لا تقبل توبته . وقوله تعالى ﴿فأعرض عنهم﴾ أي فأعرض يارسلنا عن هؤلاء المكذبين ﴿وانتظر﴾ ما سينزل بهم من عذاب ﴿إنهم﴾ ^(١) منتظرون ﴿ما قد يصيبك من مرض أو موت أو قتل ليستريحوا منك في نظرهم . كما هم منتظرون أيضاً عذاب الله عاجلاً أو آجلاً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها .
- (٢) استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم .
- (٣) بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار .

سُورَةُ الْأَحْزَابِ مدنية

وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

(١) هذا إجابة لهم ورد عليهم والفتح جائز أن يكون فتح مكة أو يوم بدر أو يوم القيامة إذ هو اليوم الذي يحكم الله تعالى فيه بين عباده .

(٢) الانتظار الترقب مشتق من النظر كأنه مضارع أنظره فانتظر وحذف مفعول «انتظره للتحويل أي انتظر أياماً يكون لك النصر فيها، ويكون الخسران لأعدائك فيها، وفي الأمر بالانتظار إيماء بالبشرى للمؤمنين والوعيد للكافرين .

(٣) جملة أنهم منتظرون لتعليل للأمر بالانتظار .

شرح الكلمات :

اتق الله : أي دم على تقواه بامتثالك أوامره واجتنابك نواهيه .
ولا تطع الكافرين : أي المشركين فيما يقترحون عليك .
والمنافقين : أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به .

إن الله كان عليماً حكيماً : أي عليماً بخلقه ظاهراً وباطناً حكيماً في تدبيره وصنعه واتباع ما يوحى إليك من ربك . أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات .
وتوكل على الله : أي فوض أمرك إليه وامض في ما أمرك به غير مبالٍ بشيء .

معنى الآيات :

لقد واصل المشركون اقتراحاتهم التي بدأوها بمكة حتى المدينة وهي عروض المصالحة بينه وبينهم بالتخلي عن بعض^(١) دينه أو بطرد بعض أصحابه ، والمنافقون قاموا بدورهم في المدينة بتهديده صلى الله عليه وسلم بالقتل غيلة إن لم يكف عن ذكر آلهة المشركين في هذا الظرف بالذات نزل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾ ناداه ربّه تعالى بعنوان النبوة تقريراً لها وتشريفاً له ولم يناده باسمه العلم كما نادى موسى وعيسى وغيرهما بأسمائهم فقال ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين^(٢) والمنافقين^(٣) إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي اتق الله فخفه فلا تقبل اقتراح المشركين ، ولا ترهب تهديد المنافقين بقتلك إن الله كان وما يزال عليماً بكل خلقه وما يحدثون من تصرفات ظاهرة أو باطنة حكيماً في تدبيره وتصريفه أمور

(١) هذا من قوله تعالى في سورة الاسراء ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفtri علينا غيره، وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن تبنتك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ .

(٢) نداءه تعالى نبيه ﷺ بعنوان النبوة تشريف له وتقدير لنبوته ونداده بعنوان الرسالة في موضعين من كتابه وذلك في سورة المائدة . وأمره أن يخبر البشرية كلها بأنه رسول الله اليهم وحدث عنه فوصفه بالرسالة «محمد رسول الله» ولم يناده باسمه العلم لشهرته وعدم الحاجة إليه وحتى لا يدعي أحد انه هو المعنى بهذا الاسم وله ﷺ خمسة أسماء كما جاء ذلك في حديث الموطأ : لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب .

(٣) الطاعة : العمل بما يأمر به الغير أو يشير به لأجل تحقيق غرض له صالحاً كان أو فاسداً .

(٤) سبب نزول هذه الآية أن وفداً جاء من مكة بعد غزوة أحد برئاسة أبي سفيان واجتمعوا بعد أن آمن رسول الله ﷺ دخولهم المدينة بعدد من النافقين على رأسهم ابن أبي ومعتب بن قشير وطعمة بن ابيرق فسألوا رسول الله ﷺ أن يترك ذكر آلهة قريش كخطوة في المصالحة فغضب المسلمون وهم عمر بقتلهم فنزلت هذه الآية : ولا تطع الكافرين والمنافقين .

خلقه وعباده فهو تعالى لعلمه وحكمته لا يخذلك ولا يتركك، ولا يُمكن اعداءك وأعداءه منك بحال وقوله ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من تشريعات خاصة وعامة ولا تترك منها صغيرة ولا كبيرة إذ هي طريق فوزك وسُلم نجاتك أنت وامتك تابعة لك في كل ذلك، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ هذه الجملة تعليلية تحمل الوعد والوعيد إذ علم الله بأعمال العباد صالحها وفاسدها يستلزم الجزاء عليها فمتى كانت صالحة كان الجزاء حسناً وفي هذا وعده ومتى كانت فاسدة كان الجزاء سوءاً وفي هذا الوعيد. وقوله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أمر تعالى رسوله وأُمَّته تابعة له أن يتوكل على الله في أمره ويمضي في طريقه منفذاً أحكام ربه غير مبال بالكافرين ولا بالمنافقين، وأعلمه ضمناً أنه كافيه متى توكل عليه وكفى بالله كافياً ووكيلاً حافظاً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب تقوى الله تعالى بفعل المأمور به وترك المنهي عنه .
- (٢) حرمة طاعة الكافرين والمنافقين فيما يقترحون أو يهددون من أجله .
- (٣) وجوب اتباع الكتاب والسنة والتوكل على الله والمضي في ذلك بلا خوف ولا وجل .

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي

جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ اَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ
بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا



شرح الكلمات :

ما جعل الله لرجل من قلوبين : أي لم يخلق الله رجلاً بقلبين كما ادعى بعض المشركين .
في جوفه

تظاهرون منهن أمهاتكم : يقول الرجل لامراته : أنت عليّ كظهر أمي .
وما جعل ادعياءكم أبناءكم : أي ولم يجعل الدعيّ ابناً لمن ادّعاه .
ذلكم قولكم بأفواهكم : أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أمّاً ولا الدعي ابناً .

هو أقسط عند الله : أي أعدل .
فإخوانكم في الدين ومواليكم : أي أخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم يعرف أبوه فقولوا له : يا أخي أو ابن عمي .

ليس عليكم جناح فيما أخطأتم : أي لا حرج ولا اثم في الخطأ، فمن قال للدعي خطأ به
يا ابن فلان فلا إثم عليه .

ولكن ما تعمدت قلوبكم : أي الاثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعي لمن ادّعاه .

وكان الله غفوراً رحيماً : ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد .

معنى الآيات :

لما كان القلب محط العقل والإدراك كان وجود قلبين في جوف رجل واحد يحدث تعارضاً يؤدي إلى الفساد في حياة الإنسان ذي القلبين لم يجعل الله تعالى لرجل قلبين في جوفه كما ادعى بعض أهل مكة أن أبا معمر جميل بن معمر الفهري كان له قلبان لما شاهدوا من ذكائه ولباقة وحذقه وغره ذلك فقال إن لي قلبين أعقل بهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم فكانت الآية رداً عليه قال تعالى ﴿ما جعل الله لرجل^(١) من قلوبين^(٢) في جوفه﴾ وفيه إشارة إلى أنه لا يجمع بين حب الله تعالى وحب أعدائه وطاعة الله وطاعة

(١) يروى أنه لما انهزمت قريش يوم بدر رأى أبو سفيان جميل بن معمر المدعي أن له قلبين رآه منهزماً واحدى نعليه في رجله والأخرى في يده، فسأله أبو سفيان ما حال الناس؟ قال انهزموا فقال له ما بال أحد نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال : ما شعرت فانفضح في دعواه .

(٢) القلب بضمة لحم صغيرة على هيئة (صنوبر) خلقها الله تعالى في الأدمي وجعلها محلاً للعلم، وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان، وهو محل العلم ومحل الخطرات والوساوس ومحل الصدق واليقين ومحل الشك والكذب، ومحل الانزعاج والطمأنينة فسبحان الله الخلاق العليم .

أعدائه، وقوله، ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ أي لم يجعل الله تعالى المرأة المظاهر منها أمّاً لمن ظاهر منها كأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي وكان أهل الجاهلية يعدون الظهار محرّماً للزوجة كالأم فأبطل الله تعالى ذلك وبيّن حكمه في سورة المجادلة، وأن من ظاهر من امرأته يجب عليه كفارة: عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً.

وقوله تعالى ﴿وما جعل ادعياءكم﴾ أبناءكم﴾ أي لم يجعل الله الدعيّ إنّناً إذ كانوا في الجاهلية وفي صدر الإسلام يطلقون على المتبنّي إنّناً فيترتب على ذلك كامل حقوق البنوة من حرمة الزواج بامراته إن طلقها أو مات عنها، وقوله ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي ما هو إلا نطق بالفم ولا حقيقة في الخارج له إذ قول الرجل للدعيّ أنت ولدي لم يُصيرهُ ولده وقول الزوج لزوجته انت كأمي لم تكن أمّاً له. وقوله تعالى ﴿والله يقول الحق﴾ فلا يطلق على المظاهر منها لفظ أم، ولا على الدعي لفظ ابن، ﴿وهو يهدي السبيل﴾ أي الأقوم والأرشد سبحانه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى في الآية (٥) من هذا السياق ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ أي ادعوا الأديعاء لأبائهم أي انسبوهم لهم يافلان بن فلان. فإن دعوتهم إلى آبائهم أقسط وأعدل في حكم الله وشرعه. ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ فادعوهم باسم الإخوة الإسلامية فقولوا هذا أخي في الإسلام. ﴿ومواليكم﴾ أي بنو عمكم فادعوهم بذلك فقولوا يابن عمي وإن كان الدعي ممن حررتّموه فقولوا له مولاي ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي إثم أو حرج ﴿فيما أخطأتم به﴾ من قول أحدكم للدعي يابن فلان لمن ادعاه خطأ لسان بدون قصد، أو ظناً منكم أنه ابنه وهو في الواقع ليس ابنه ولكن الإثم في التعمد والقصد المتعمد، وقوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي غفوراً لمن تاب رحيماً لم يعاجل بالعقوبة من عصى لعله يتوب ويرجع.

(١) هذه الآية نزلت في شأن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ إذ تبناه رسول الله ﷺ قبل البعثة النبوية، إذ كان عبداً رقيقاً لخديجة فأهدته لرسول الله ﷺ ولما جاء أبوه وعرفه طلبه فخيره رسول الله ﷺ بين الذهاب مع والده والبقاء معه فاختار العبودية على الحرية فتبناه رسول الله ﷺ وأصبح من يومئذ يعرف بزيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية فأبطلت التبني ففي هذا نسخ للسنة بالكتاب.

(٢) أخذ عطاء وكثير من العلماء من السلف أخذوا من هذه الآية أنه لا مؤاخذه مع الخطأ من ذلك إذا حلف المرء ألا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يظن أنه هو فإنه لا يحنث، أو حلف أن لا يفارق غريمه حتى يقضيه دينه فأعطاه دراهم فوجدها زيوفاً لا يحنث، وروى البخاري من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام، كما روى وليس من رجل ادعى لغريم أبيه وهو يعلم إلا كفره.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) إبطال التحريم بالظهار الذي كان في الجاهلية .
- (٢) إبطال عادة التبني ، وما يترتب عليها من حرمة نكاح امرأة المتبني .
- (٣) وجوب دعاء الدعي المتبني بأبيه إن عُرف ولو كان حماراً .
- (٤) إن لم يعرف للمدعي أب دُعي بعنوان الإخوة الإسلامية ، أو العمومة أو المولوية
- (٥) رفع الحرج والإثم في الخطأ عموماً وفيما نزلت فيه الآية الكريمة خصوصاً وهو دعاء الدعي باسم مُدعيه سبق لسان بدون قصد ، أو بقصد لأنه يرى أنه ابنه وهو ليس ابنه .

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم
مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا



شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|--|
| النبي أولى بالمؤمنين من | : أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به |
| أنفسهم | من أنفسهم . |
| وأزواجه أمهاتهم | : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضى الله عنهن . |

وأولوا الأرحام بعضهم أولى : أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين .
 ببعض
 إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم : بأن توصوا لهم وصية جائزة وهي الثلث فأقل .
 معروفاً

كان ذلك في الكتاب مسطوراً: أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ .

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم : أي أذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلى عبادته .

ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى: أي وأخذنا بخاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وقدم محمد صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفاً وتعظيماً له .

وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً : أي شديداً والميثاق: العهد المؤكد باليمين .
 ليسأل الصادقين عن صدقهم : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبيكياً للكافرين بهم .
 وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً : أي فأناب المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً أي موجعاً .

معنى الآيات :

لما أبطل الله تعالى عادة التبني وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة الكلبي فكان يعرف بزيد بن محمد صلى الله عليه وسلم وأصبح بذلك يدعى بزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم تعالى كافة المؤمنين أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وإن أزواجه أمهاتهم^(١) في الحرمة فلا تحل امرأة النبي لأحد بعده صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أن ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾

(١) هذه الأمومة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال أما في الإرث فلا كما أنه لا تبيح النظر إليهن والخلو بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال : وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب .

(٢) صح أنه ﷺ لا يصلي على ميت ترك ديناً ولم يترك سداً فلما فتح الله عليه ، قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وقال أيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه ، فأكّد ﷺ بالفعل والقول هذه الحقيقة .

أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلبه منهم هو أحق به من أنفسهم ، وبذلك أعطى الله تعالى رسوله من الرفعة وعلو الشأن ما لم يُعط أحداً غيره جزاء له على صبره على ما أخذ منه من بنوة زيد رضي الله عنه الذي كان يُدعى يزيد بن محمد فأصبح يعرف يزيد بن حارثة .

وقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١) يريد في الإرث فأبطل تعالى بهذه الآية التوارث بالإيمان والهجرة والحلف الذي كان في صدر الإسلام وأصبح التوارث بالنسب والمصاهرة والولاء لا غير . وقوله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ التوارث بالأرحام أي بالقربات مكتوب في اللوح المحفوظ وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ أي إلا أن توصوا بوصية جائزة وهي الثلث لأحد من المؤمنين والمهاجرين ومن حالقتم فلا بأس فهي جائزة ولا حرمة فيها ، وقوله ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي المذكور من التوارث بالقربات لا غير وجواز الوصية بالثلث لمن أبطل أرثهم بالإيمان والهجرة والمؤاخاة ، في اللوح المحفوظ وهو كتاب المقادير مسطوراً أي مكتوباً مسطراً فلا يحل تبديله ولا تغييره . وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ أي اذكر يارسولنا لقومك أخذنا الميثاق وهو العهد المؤكد باليمين من النبيين عامة بأن يعبدوا الله وحده ويدعوا أممهم إلى ذلك ، ومن أولى العزم من الرسل خاصة وهم أنت يا محمد و نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢) أعيد اللفظ تكراراً لتقريره ، وليرتب عليه قوله ﴿لَيْسَ أَلَيْسَ﴾ تعالى يوم القيامة ﴿الصَّادِقِينَ﴾ وهم الأنبياء ﴿عَنْ صَدْقِهِمْ﴾ في تبليغ رسالتهم تقريراً لأممهم الذين كفروا وكذبوا . فأتى المؤمنين ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي موجعاً وهو عذاب النار

(١) أولى ببعض متعلق بالمؤمنين أي أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين وذلك في كتاب الله المتضمن لشريعة وهو القرآن والمتضمن لقضائه وقدره وهو اللوح المحفوظ فبطل التوارث بالإسلام والهجرة والمعاقدة والتحالف وثبت بالولاء والنسب والمصاهرة لاغير .

(٢) اختلف في الوصية للكافر من يهودي أو نصراني والراجح أنها إن كانت مسردة له ومحبة فإنها لا تجوز إذ مودتهم محرمة وإن كانت لمعنى آخر كإحسان قدمه الكتابي للمسلم فرأى أن يكافئه عليه فأوصى له بشيء إذا مات فلا حرج .

(٣) قال القرطبي : أي عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضاً وما في التفسير شامل لهذا ولغيره مما ذكر فيه .

(٤) خص هؤلاء بالذكر تعظيماً لهم وتشريفاً لأنهم أصحاب شرائع وكتب وأولو العزم من الرسل .

(٥) جائز أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم ووفائهم بما عهد إليهم وهذا هو الأرجح وجائز أن يسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان ، والحقيقة أن كلا من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالى ، فقد جاء في الأعراف قوله تعالى (فلنسلن الذين أرسل إليهم ولنسلن المرسلين) .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب تقديم ما يريده الرسول من المؤمن على ما يريده المؤمن لنفسه .
- (٢) حرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأنهن أمهات المؤمنين وهو صلى الله عليه وسلم كالأب لهم .
- (٣) بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام .
- (٤) جواز الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل .
- (٥) وجوب توحيد الله تعالى في عبادته ودعوة الناس إلى ذلك .
- (٦) تقرير التوحيد بأخذ الميثاق به على كافة الأنبياء والمرسلين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
 مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
 وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
 مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
 مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا
 فِرَارًا ﴿٥﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
 لَا تَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

اذكروا نعمة الله عليكم
جنود

: أي اذكروا نعمة الله أي دفاعنا عنكم لشكروا ذلك .
: أي جنود المشركين المتحزبين .

ريحا وجنودا لم تروها

: هي جنود الملائكة والريح ريح الصبا وهي التي تهب من
شرق .

بما تعملون بصيرا

: أي بصيراً بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات
للمعركة .

إذ جاءوكم من فوقكم

: أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة .
: أي من غرب وهم قريش وكنانة .

ومن أسفل منكم

: أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة
الفرع .

وإذ زاغت الأبصار

وبلغت القلوب الحناجر

: أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف .

وتظنون بالله الظنونا^(١)

: أي المختلفة من نصر وهزيمة ، ونجاة وهلاك .

هنالك ابتلى المؤمنون

: أي ثم في الخندق وساحة المعركة أختبر المؤمنون .

وزلزلوا زلزالا شديدا

: أي حركوا حراكا قويا من شدة الفرع .

والذين في قلوبهم مرض

: أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم .

ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا : أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورا وباطلاً .

يا أهل يثرب لا مقام لكم . : أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول الخندق فارجعوا إلى

دياركم .

إن بيوتنا عورة .

: أي غير حصينة .

إن يريدون إلا فرارا

: أي من القتال إذ بيوتهم حصينة .

ولو دخلت عليهم

: أي المدينة أي دخلها العدو الغازي .

ثم سئلوا الفتنة

: أي ثم طلب إليهم الردة إلى الشرك لآتوها أي أعطوها

وفعلوها .

وما تلبثوا بها إلا يسيرا

: أي ما تريضوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا .

(١) قرأ الجمهور الظنونا جمع ظن بالفتح بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف لأن الفواصل مثل الاسجاع .
ومن القراء من أثبتها وقفاً وحذفها وصلا والكل جائز ومثلها في هذه السورة واطعنا الرسولاً ، وأضلونا السبيلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾^(١) الآيات هذه قصة غزوة الخندق أو الأحزاب قصتها تبارك وتعالى على المؤمنين في معرض التذكير بنعمه تعالى عليهم ليذكروا بالإنقياد والطاعة لله ورسوله وقبول كل ما يشرع لهم لإكمالهم وإسعادهم في الحياتين فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمتم بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً وشرعاً ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوش عدّة على غزوكم في عقر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألّهم عليهم وحزب أحزابهم حُيي بن أخطب النضري يريد الانتقام من الرسول والمؤمنين إذ أجلوهم عن المدينة وأخرجوهم منها فالتحقوا بيهود خيبر وتيما، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم أمر بحفر الخندق تحت سفح جبل سلع غربي المدينة، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربية علمها من ديار قومه فارس.

وتم حفر الخندق في خلال شهر من الزمن وكان صلى الله عليه وسلم يعطي لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً أي عشرين متراً، وما إن فرغوا من حفره حتى نزلت جيوش المشركين وكانوا قرابة اثني عشر ألفاً ولما رأوا الرسول والمسلمين وراء الخندق تحت جبل سلع قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فتناوشوا بالنبال ورمى عمرو بن عبد ود القرشي بفرسه في الخندق فقتله علي رضي الله عنه ودام الحصار والمناوشة وكانت الأيام والليالي باردة والمجاعة ضاربة أطنابها قرابة الشهر. وتفصيل الأحداث للقصة فيما ذكره تعالى فيما يلي :

فقوله تعالى ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هي جنود المشركين من قريش ومن بني أسد وغطفان ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ لما جاءكم جنود المشركين وحاصروكم في

(١) إذ ظرف للزمان الماضي متعلق (بنعمة) لما فيها من معنى الإنعام أي اذكروا ما أنعم الله به عليكم وقت مجيء جنود العدو إليكم لقتالكم فهزمهم الله جل جلاله بما شاء من وسائل.

(٢) اختلف في السنة التي كانت فيها غزوة الأحزاب فقال قوم كانت سنة خمس وقال آخرون كانت سنة أربع وكانت في شوال، وسميت بغزوة الأحزاب لتحزب المشركين على قتال الرسول والمؤمنين فصاروا حزبا واحداً.

(٣) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فرأيت يترجز بكلمات ابن رواحه ويقول: اللهم لولا أنت ما أهدتنا ولا تصدقنا ولا صليتنا

فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

(٤) هي جنود الملائكة الذين كانوا يلقون الرعب في قلوب المشركين حتى تخاذلوا وقرروا العودة إلى بلادهم.

سفع سلع أرسلنا عليهم ريحاً وهي ريح الصبا المباركة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وهي الريح الغربية. وفعلت بهم الصبا الأفاعيل حيث لم تبق لهم ناراً إلا أطفأتها ولا قدراً على الأثافي إلا أراقته، ولا خيمة ولا فسطاطاً إلا أسقطته وأزالته حتى اضطروا إلى الرحيل وقوله ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة فأصابتهم بالفرع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والحمد لله وقوله تعالى ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ أي بكل أعمالكم من حفر الخندق والمشادات والمناورات وما قاله وعمله المنافقون لم يغب عليه تعالى شيء وسيجزىكم به المحسن بالإحسان والمُسِيء بالإساءة.

وقوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم﴾ أي المشركون ﴿من فوقكم﴾ أي من الشرق وهم غطفان بقيادة عيينة بن حصن وأسد، ﴿ومن أسفل منكم﴾ وهم قريش وكنانة أي من الجنوب الغربي وهذا تحديد لساحة المعركة، وقوله ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أي مالت عن كل شيء فلم تبق تنظر إلا إلى القوات الغازية من شدة الخوف، ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أي ارتفعت بارتفاع الرثين فبلغت منتهى الحلقوم^(١). وقوله ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب، وهذا تصوير للحال أبدع تصوير وهو كما ذكر تعالى حرفياً.

وقوله تعالى ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان والزمان الذي حدّق العدو بكم ﴿أبتلي المؤمنون﴾ أي اختبرهم ربهم ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعجه الشدائد والفتن من السريع الانهزام والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي أزعجوا وحركوا حراكاً شديداً لعوامل قوة العدو وكثرة جنوده، وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل المجاعة والحصار، والبرد الشديد وما أظهره المنافقون من تخاذل وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحزاب وقوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي النفاق لضعف إيمانهم

(١) قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني لنصرة النبي ﷺ وقالت الشمال ان مخوة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا وهي الريح الشرقية، (مخوة) من أسماء ريح الشمال لأنها تمحو السحاب.
(٢) وقيل هذا من باب المبالغة على إضمار كادت أي ارتفعت من أماكنها لشدة الخوف حتى كادت تبلغ الحناجر جمع حنجرة، قال الشاعر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي كادت تقطر، والحنجرة والحنجور حرف الحلق أي طرفه.

(٣) من بين القائلين طعمة بن أريق ومعتب بن قشير وجماعة قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحد منا أن يتبرز.

﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ أي من النصر ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلاً: وذلك أنهم لما كانوا يحفرون في الخندق استعصت عليهم صخرة فابت أن تنكسر فدعي لها الرسول صلى الله عليه وسلم فضربها بالمعول ضربة تصدعت لها ويرق منها بريق أضاء الساحة كلها فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون، ثم ضربها ثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لاتي المدينة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير الفتح وكبر المسلمون وضرب ثالثة فكسرها وبرقت لها برقة كسابقتها وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد سلمان فرقى من الخندق فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط فالتفت رسول الله إلى القوم فقال هل رأيتم ما رأى سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله فأعلمهم أنه على ضوء ذلك البريق رأى قصور مدائن كسرى كآنياب الكلاب وإن جبريل أخبرني أن أمتي ظاهرة عليها كما رأيت في الضربة الثانية قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ورأيت في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا أبشروا أبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق. فلما طال الحصار واشتدت الأزمة واستبد الخوف بالرجال قال المنافقون وضعفاء الإيمان ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ إذ قال معتب^(١) بن قشير يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً ما هذا إلا وعد غروراً!!

وقوله ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي من المنافقين. وهو أويس بن قيطى أحد رؤساء المنافقين ﴿يا أهل يثرب﴾ أي المدينة قبل أن يبطل الرسول هذا الاسم لها ويسمياها بالمدينة ﴿لا مقام لكم﴾ أي في سفح سلع عند الخندق ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم داخل المدينة بحجة أنه لا فائدة في البقاء هنا دون قتال، وما قال ذلك إلا فراراً من القتال وهروباً من المواجهة، وقوله تعالى ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ أي يطلبون الإذن لهم بالعودة إلى منازلهم بالمدينة بدعوى أن بيوتهم عورة أي مكشوفة أمام العدو وهم لا يأمنون عليها

(١) تقدم انه من رواية النسائي والنهر.

(٢) لفظ الطائفة يطلق على الواحد فأكثر والمعنى أوس بن قيطي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه لشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

(٣) يثرب هي المدينة وسمّاها النبي ﷺ طيبة وطابه قال السهيلي سعى العرب في الجاهلية المدينة يثرب، لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن قهلايل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن ارم.

(٤) قرأ نافع والجمهور لا مقام بفتح الميم وهو اسم لمكان القيام، وقرأ حفص بضم الميم المقام وهو اسم لمحل الإقامة.

وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ أي ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلاً. ﴿ولو دخلت عليهم﴾ المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب^(١) ثم ﴿سئلوا الفتنة﴾ أي ثم طلب منهم العدو الغازي الذي دخل عليهم المدينة الردة أي العودة إلى الشرك ﴿لأتوها﴾ أعطوها فوراً ﴿وماتلبثوا بها إلا يسيراً﴾ حتى يردوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكرون بها فتزداد طاعتهم لله ورسوله.
- (٢) عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضاً صادقاً لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبارة.
- (٣) بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين.
- (٤) بيان أن حُسن الظن بالله ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.
- (٥) بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درساً للمؤمنين.
- (٦) تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا

اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ

(١) نُمّ العطف بها هنا للترتيب الزمني، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون العطف بالواو، لأن المذكور بعد حرف العطف داخل في فعل الشرط ووارد عليه جوابها فعدل عن الواو إلى ثم لأجل التنبيه على أن ما بعد ثم أهم من الذي قبلها أي أنهم مع ذلك يأتون الفتنة.

لَا يُخَوِّنُهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
 عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
 كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
 بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل : أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد قالوا : والله لئن
 أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي الأعداء .

وكان عهد الله مسؤولا : أي صاحب العهد عن الوفاء به .
 وإذا لا تمتعون إلا قليلا : أي وإذا فررت من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا
 قليلا وتموتون .

من ذا الذي يعصمكم من الله : أي من يجيركم ويحفظكم من الله .
 إن أراد بكم سوءاً : أي عذابا تستأثرون له وتكربون .
 قد يعلم الله المعوقين منكم : أي المشبطين عن القتال المفلسين إخوانهم عنه حتى
 لا يقاتلوا مع رسول الله والمؤمنين .

هلم إلينا : أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم .

ولا يأتون البأس إلا قليلا : أي ولا يشهدون القتال إلا قليلا دفعاً عن أنفسهم تهمة
 النفاق .

أشحة عليكم : أي بخلاء لا ينفقون على مشاريعكم الخيرية كنفقة
 الجهاد وعلى الفقراء .

تدور أعينهم كالذي يغشى : أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجبنهم كالمحتضر
 عليه من الموت الذي يغشى عليه أي يغمر عليه من آلام سكرات الموت .
 سلقوكم بالسنة حداد : أي آذوكم بالسنة ذربة حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة

كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال .

أشحة على الخير : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول .

أولئك لم يؤمنوا : أي إنهم لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح فلذا هم جنباء عند اللقاء بخلاء عند العطاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى : ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي ولقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، ﴿وكان عهد الله مستولاً﴾ أي يُسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به . وقوله تعالى : ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي قل لهم يارسولنا إنه لن ينفعكم الفرار أي الهروب من الموت أو القتل لأن الأجل محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله ﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلاً﴾ أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلاً من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾ أي قل لهم يارسولنا تبكيثا لهم وتأنيباً وتعلماً أيضاً : من ذا الذي يعصمكم أي يجيركم ويحفظكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ أي ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي سلامة وخيراً فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يُجَار عليه وقوله تعالى ﴿ولا يجدون لهم من

(١) ذكر بعضهم أن هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة إذ هموا بالرجوع يوم أحد، وقيل هم من فاتهم وقعة بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وما في التفسير أرجح لدلالة السياق عليه .

(٢) المراد بعهد الله كل عهد يعاهد عليه العبد ربه فإنه يجب عليه الوفاء به وإن تركه سئل عنه وحوسب به يوم القيامة .

(٣) الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر فالأدبار الظهور وتولية الأدبار كناية عن الفرار .

(٤) في الكلام محذوف تقديره أو يجرمكم أن أراد بكم رحمة وهذا يعرف بدلالة الاقتضاء إيجازاً للكلام كقول الراعي : إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيوناً

أي وكحلن العيون .

(٥) الاستفهام للنفي أي لا أحد يعصمهم مما أراد الله تعالى بهم .

دون الله ولياً ولا نصيراً^(١) أي ولا يجد المخالفون لأمر الله العصاة له ولرسوله من دون الله ولياً يتولاهم فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء، ولا نصيراً ينصرهم إذا أراد الله إذلالهم وخُذْلانهم لسوء أفعالهم، وقوله تعالى في الآية (١٨) في هذا السياق ﴿قد يعلم الله^(٢) المعوقين منكم﴾ أخبرهم تعالى بأنه قد علم المعوقين أي المشبطين عن القتال والمخذلين بما يقولونه سرّاً في صفوف المؤمنين كالطابور الخامس في الحروب وهم أناس يذكرون في الخفاء عظمة العدو وقوته يرهبون منه ويخذلون عن قتاله . وقوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ أي تعالوا إلينا إلى المدينة واتركوا محمداً وأصحابه يموتون وحدهم فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور. وقوله ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلاً﴾ أي ولا يشهد القتال ويحضره أولئك المنافقون المشبطنون والذين قالوا إن بيوتنا عورة إلا قليلاً إذ يتخلفون في أكثر الغزوات وإن حضروا مرة قتالا فإنما هم يدفعون به معرة التخلف ودفعاً لتهمة النفاق التي لصقت بهم .

وقوله تعالى ﴿أشحة عليكم﴾ وصفهم بالبخل بعد وصفهم بالجبن وهما شر صفات المرء أي الجبن والبخل أشحة عليكم أي بخلاء لا ينفقون معكم لا على الجهاد ولا على الفقراء والمحتاجين وقوله تعالى ﴿فإذا جاء الخوف﴾ أي بسبب هجوم العدو ﴿رأيتم﴾ أيها الرسول ﴿ينظرون إليك﴾ لا تذهبن بك ﴿تدور أعينهم﴾ من الخوف ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ وهو المحتضر يُغشى عليه لما يعاني من سكرات الموت وهذا تصوير هائل لمدى ما عليه المنافقون من الجبن والخوف وعلة هذا هو الكفر وعدم الإيمان بالقدر والبعث والجزاء

وقوله ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ أي راحت أسبابه بانتهاء الحرب ﴿سلفوكم بالسنة﴾ أي سلفكم أولئك الجبناء عند اللقاء أي ضربوكم بالسنة ذربة حادة كالحديد بالمطالبة بالغنيمة أو بالتبجح الكاذب بأنهم فعلوا وفعلوا . وهذا حالهم إلى اليوم

(١) المراد بالولي من يتولى نفعهم والنصير من يتولى نصرهم في الحرب .

(٢) قد تفيد التحقيق فهي مؤكدة لمضمون الجملة لتطلب المقام ذلك لوجود شك لدى المخاطبين ، والمعوقين جمع معوق وهو من يكثر منه العوق وهو المنع من العمل والحيلولة دونه والصيغة صيغة مبالغة نحو طوف وغلف وسع .

(٣) أشحة جمع شحيح والقياس أشحاء لكنهم عدلوا عنه فقالوا أشحة والضمير في عليكم يعود إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين ، والشح البخل بما في الوسع اعطاؤه .

(٤) الخوف هنا توقع القتال من الجيشين .

وقوله ﴿أشحة على الخير﴾ أي بخلاء على مشاريع الخير وما ينفق في سبيل الله فلا ينفقون لأنهم لا يؤمنون بالخلف ولا بالثواب والأجر وذلك لكفرهم بالله ولقائه. ولذا قال تعالى ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ فسجل عليهم وصف الكفر ورتب عليه نتائجه فقال ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أي أبطلها فلا يثابون عليها لأنها أعمال مشرك وأعمال المشرك باطلة، وقوله ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي إبطال أعمالهم وتخيبهم فيها وحرمانهم من جزائها يسير على الله ليس بالعسير. ولذا هو واقع كما أخبر تعالى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب الوفاء بالعهد إذ نقض العهد من علامات النفاق.
- (٢) ترك الجهاد خوفاً من القتل عمل غير صالح إذ القتال لا ينقص العمر وتركه لا يزيد فيه.
- (٣) الشح والجبن من صفات المنافقين وهما شر الصفات في الإنسان.
- (٤) الثروة وكثرة الكلام والتبجح بالأقوال من صفات أهل الجبن والنفاق.
- (٥) الكفر محبط للأعمال.

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ

لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوَأَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ

(١) أولئك أصحاب تلك الصفات الذميمة الصادرة عن قلوب لم يخالطها بشاشة الإيمان فلذا أحبط الله أعمالهم لأنها لم تكن ثمرة إيمان صحيح فلذا هي فاسدة لا تزكي النفس ولا يستحق صاحبها أجراً.

قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ
 أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
 وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ : أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم قريش وغطفان .
- لَمْ يَذْهَبُوا : أي لم يعودوا إلى بلادهم خائبين .
- وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ : أي مرة أخرى فرضاً
- يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ : أي من جنهم وخوفهم يتمنون أن لو كانوا في البادية مع سكانها .
- يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ : أي إذا كانوا في البداية لو عاد الأحزاب يسألون عن أنبائكم أي أخباركم هل انهزمتم أو انتصرتم .
- وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا : أي لو كانوا بينكم في الحاضرة ما قاتلوا معكم إلا قليلاً .
- أَسْوَأَ حَسَنَةٍ : أي قدوة صالحة تقتدون به صلى الله عليه وسلم في القتال والثبات في موطنه .
- هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : من الابتلاء والنصر .
- وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : في الوعد الذي وعد به .
- وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا : أي تصديقاً بوعده الله وتسليماً لأمر الله .
- صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ : أي وفوا بوعدهم .
- فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ : أي وفى بنذره فقاتل حتى استشهد .
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ : أي ما زال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر

القتل في سبيل الله .

وما بدلوا تبديلاً أي في عهدهم بخلاف المنافقين فقد نكثوا عهدهم .
ورد الله الذين كفروا بغيظهم : أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين .
وكفى الله المؤمنين القتال : أي بالريح والملائكة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في سرد أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الذين قالوا إن بيوتنا عورة وقالوا لإخوانهم هلم إلينا أي اتركوا محمداً في الواجهة وحده إنهم لجبنهم ظنوا أن الأحزاب لم يعودوا إلى بلادهم مع أنهم قد رحلوا وهذا منتهى الجبن والخوف وقوله تعالى ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أي مرة أخرى على فرض وتقدير ﴿يودوا﴾ يوشك ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي خارج المدينة مع الأعراب في البادية لشدة خوفهم من الأحزاب الغزاة، وقوله تعالى ﴿يسألون عن أنباءكم﴾ أي أخباركم هل ظفروا بكم الأحزاب أو لا ، ﴿ولو كانوا فيكم﴾ أي بينكم ولم يكونوا في البادية ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ وذلك لجبنهم وعدم إيمانهم بفائدة القتال لكفرهم بلقاء الله تعالى وما عنده من ثواب وعقاب هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٠)

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢١) ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ أي : لقد كان لكم أيها المسلمون أي : من مؤمنين صادقين ومنافقين كاذبين في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة أي قدوة صالحة فاقفوا به في جهاده وصبره وثباته ، فقد جاع حتى شد بطنه بعصاة وقاتل حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ومات عمه وحفر الخندق بيديه وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر فأتسوا به في الصبر والجهاد والثبات إن كنتم ترجون الله أي تنظرون ما عنده من خير في مستقبل أيامكم في الدنيا والآخرة وترجون اليوم الآخر أي ترتقبونه وما فيه من سعادة

(١) قرئ لو أنهم بُدئ جمع باد كفاً وغزى ، يقال بدا فلان يبدو إذا خرج إلى البادية وهي البادية والبدوة بالكسر والفتح .

(٢) أي هل هلك محمد وأصحابه ، أم غلب أبو سفيان وأحزابه ؟ أي يودون لو أنهم بادون سائلون عن أنباءكم من غير مشاهدة قتال لفرط جبنهم .

(٣) هذه الآية تحمل عتاباً شديداً للمتخلفين عن القتال والأسوة بضم الهمزة قراءة عاصم وبالكسر قراءة الجمهور وهي اسم لما يؤتى به أي يقتدى به : ويعمل مثل عمله وجمع الاسوة أسى وأسى .

(٤) اختلف في الاتساء برسول الله ﷺ هل هو على الإيجاب أو الندب أو هو على الإيجاب . حتى يقوم دليل الاستجاب أو هو على العكس ، والصواب أنه فيما هو واجب واجب وفيما هو مستحب مستحب .

وشقاء، ونعيم مقيم أو جحيم وعذاب أليم. وتذكرون الله تعالى كثيراً في كل حالاتكم وأوقاتكم، فاقتدوا بنبئكم فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلا عن عجز والله المستعان. وقوله تعالى في الآية الثالثة في هذا السياق (٢٢) ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي لما رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أحاطت بهم ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ بخلاف ما قاله المنافقون حيث قالوا ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقوله ﴿وما زادهم﴾ أي رؤيتهم للأحزاب على كثرتهم ﴿إلا إيماناً﴾ بصادق وعد الله ﴿وتسليماً﴾ لقضائه وحكمه، وهذا ثناء عطر على المؤمنين الصادقين من ربهم عز وجل.

وقوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ هذا ثناء آخر على بعض المؤمنين الذين لما تخلفوا عن بدر فتأسفوا ولما حصل انهزام لهم في أحد عاهدوا الله لئن أشهدهم الله قتالاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتلن حتى الاستشهاد فأخبر تعالى عنهم بقوله فمنهم من قضى نحبه أي وفي بنذره فقاتل حتى استشهد ومنهم من ينتظر القتل في سبيل الله، وقوله تعالى ﴿وما بدّلوا تبديلاً﴾ أدنى تبديل في موقفهم فثبتوا على عهدهم بخلاف المعوقين من المنافقين فإنهم بدّلوا وغيروا ما عاهدوا الله عليه وقوله تعالى ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أي أجرى تعالى تلك الأحداث فكانت كما قدرها في كتاب المقادير، ليجزي الصادقين بصدقهم فيكرمهم وينعمهم في جواره ويعذب المنافقين بناره إن شاء ذلك فيميتهم قبل توبتهم، أو يتوب عليهم فيؤمنوا ويوحدا ويدخلوا الجنة مع المؤمنين الصادقين وهو معنى قوله: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ ذلك لهم قضاء وقدر أو يتوب عليهم فيتوبوا فلا يعذبوا، وقوله ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ إخبار منه تعالى عن نفسه بأنه كان ذا ستر على ذنوب التائبين من عباده رحيماً بهم فلا يعاقبهم بعد توبتهم.

(١) المراد من الوعد الذي ذكره هو ما تضمنته آية البقرة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ الآية أي قوله إلا إن نصر الله قريب كما أن الرسول ﷺ قد أخبرهم بقدم الأحزاب عليهم وأن الله ناصرهم عليهم.

(٢) في هذه الجملة تعريض بالمنافقين الذين عاهدوا الله لا يولون الأبرار ثم ولوا راجعين وعادوا إلى بيوتهم تاركين الرسول والمؤمنين في المواجهة.

(٣) الجملة تعليلية أي ثم الذي تم من الوفاء والغدر والصبر والجزع والهزيمة والنصر لعله أن يجزي الله الصادقين بما يناسب صدقهم وهو المغفرة ويجزي المنافقين بما يناسب نفاقهم.

وقوله تعالى في آخر هذا السياق (٢٥) ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ وهم قريش وكنانة وأسد وغطفان ردهم بغيظهم أي بكرهم وغمهم حيث لم يظفروا بالرسول والمؤمنين ولم يحققوا شيئاً مما أملوا تحقيقه، وكفى الله المؤمنين القتال حيث سلط على الأحزاب الريح والملائكة فانهمزوا وفروا عائدين إلى ديارهم لم ينالوا خيراً. وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد إيجاداً عزيزاً أي غالباً على أمره لا يمتنع منه شيء أرادته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير أن الكفر والنفاق صاحبهما لا يفارقه الجبن والخور والشح والبخل.
- (٢) وجوب الاتساء برسول الله في كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه.
- (٣) ثناء الله تعالى على المؤمنين الصادقين لمواقفهم المشرفة ووفائهم بعهودهم.
- (٤) ذم الانهزاميين الناكثين لعهودهم الجبناء من المنافقين وضعاف الإيمان.
- (٥) بيان الحكمة في غزوة الأحزاب، ليجزي الصادقين الخ.

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

ظاهروهم

: أي ناصرهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم.

من صياصيههم

: أي من حصونهم والصياصي جمع صيصية وهي كل ما

يمنتع به

وقذف في قلوبهم الرعب : أي ألقى الخوف في نفوسهم فخافوا

وأرضاً لم تطاوها : أي لم تطاوها بعد وهي خير إذ فتحت بعد غزوة

الخنندق.

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ قالت: أبو سفيان بن حرب وعيينه بن بدر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هذا شروع في ذكر غزوة بني قريظة إذ كانت بعيد غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة في آخر شهر القعدة وخلاصة الحديث عن هذه الغزوة أنه لما ذهب الأحزاب وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة وكان بنو قريظة قد نقضوا عهدهم وانضموا إلى الأحزاب من المشركين عوناً لهم على رسول الله والمؤمنين فلما ذهب الأحزاب وانصرف الرسول والمؤمنون من الخندق إلى المدينة فما راع الناس إلا ومنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي إلى بني قريظة فلا يصلين أحدكم العصر إلا ببني قريظة وهي على أميال من المدينة وذلك أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم فقال يا رسول الله وضعت السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فقام رسول الله وأمر منادياً ينادي بالذهاب إلى بني قريظة وذهب رسول الله والمسلمون فحاصروهم قرابة خمس وعشرين ليلة وجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله أتزلون على حكمي فأبوا فقال أتزلون على حكم سعد بن معاذ؟ فقالوا نعم فحكمه فيهم فحكم بأن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مقررراً للحكم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات. فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار وخرج إلى سوق المدينة فحفر فيها خندقاً ثم جيء بهم وفيهم حبي بن أخطب الذي حزّب الأحزاب وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وأمر علياً والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق.

وبذلك انتهى الوجود اليهودي المعادي بالمدينة النبوية. والحمد لله.

فقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ﴾ أي الله تعالى بقدرته ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي ظاهروا الأحزاب وكانوا عوناً لهم على الرسول والمؤمنين وهم يهود بني قريظة ﴿مَنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ أي أنزلهم من حصونهم الممتنعين بها، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ ولذا

(١) المظاهرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) كان سعد رضي الله عنه قد أصابه سهم في غزوة الخندق فوضعه رسول الله ﷺ في خيمة بالمسجد ليتمكن من زيارته وكان رضي الله عنه لما أصابه السهم دعا الله تعالى : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها وإن كنت أنهيت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة فاستجاب الله تعالى له وحكمه رسول الله ﷺ فيهم فحكم عليهم بأن تقتل مقاتليهم وتسبى نساؤهم وذرايرهم.

(٣) الصياصي واحد صيص، والمراد حصونهم التي يتمنعون بها. قال الشاعر:

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

والصيصة: شوكة الحائك وصياصي البقر قرونها لأنها تتمنع بها.

قبلوا التحكيم فحكم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم فيهم بقتل المقاتلة من الرجال وسبي النساء والذراري وهو معنى قوله تعالى ﴿فريقا تقتلون﴾ وهم الرجال ﴿وتأسرون فريقا﴾ وهم النساء والأطفال، وقوله ﴿وأورثكم أرضهم﴾ الزراعية ﴿وديارهم﴾ السكنية ﴿وأموالهم﴾ الصامته والناطقة وقوله ﴿وأرضاً لم تطئوها﴾ أي أورثكم أرضاً لم تطئوها بعد وهي أرض خيبر^(١) حيث غزاها رسول الله في السنة السادسة بعد صلح الحديبية وفتحها الله عليهم وقوله ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ تذييل المراد به تقرير ما أخبر تعالى به من نصر أوليائه وهزيمة أعدائه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان عاقبة الغدر فإن قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فآبادوهم عن آخرهم ولم يبق إلا الذين لاذب لهم وهم النساء والأطفال.
- (٢) بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضاً لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة وكثيرة.
- (٣) تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنَّ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

(١) وقال مقاتل هي خيبر إذ لم يكونوا قد نالوها بعد فوعدهم الله إياها وقال الحسن فارس والروم، وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة والكل صالح ومقبول، وما في التفسير أقرب لأنها أرض اليهود فالسياق ساعد على أنها أرض خيبر، وقال صاحب التحرير أنها أرض بني النضير لأنهم ما فتحوها عنوة فلم نطأها حوافر الخيل ولا أقدام الأبطال.

(٢) وفيه الإيحاء ببشرى فتوحات تعقب هذا الفتح.

يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

قل لأزواجك : أي اللاتي هن تحت يومئذ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة عليهن ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوسع به عليهن .

فتعالين : أي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يومئذ قد اعتزلهن شهراً .
امتعن : أي متعة الطلاق المشروعة على قدر حال المطلق سعة وضيقاً .

أسرحكن سراحاً جميلاً: أي اطلقكن طلاقاً من غير إضرار بكن .

تردن الله ورسوله والدار الآخرة : أي تردن رضا الله ورسوله والجنة .

فإن الله أعد للمحسنات: أي عشرة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على الإحسان العام .
بفاحشة مبينة : أي بنشوز وسوء خلق يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ : أي مرتين على عذاب غيرهن ممن آذين أزواجهن .
وكان ذلك على الله يسيراً : أي مضاعفة العذاب يسيرة هيئة على الله تعالى .

معنى الآيات :

شاء الله تعالى أن يجتمع نساء الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآين نساء الأنصار والمهاجرين قد وُسِّعَ عليهن في النفقة لوجود يسر وسعة رزق بين أهل المدينة، أن يطالبن بالتوسعة في النفقة عليهن أسوة بغيرهن وكن يومئذ تسعا وهن عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية فأبلغت عائشة ذلك رسول الله صلى

الله عليه وسلم فتأثر لذلك ، لعدم القدرة على ما طُلب منه وقعد في مشربة له واعتزلهن شهراً كاملاً حتى أنزل الله تعالى آية التخيير وهي هذه ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ من لذيذ الطعام والشراب وجميل الثياب وحلي الزينة ووافر ذلك كله فتعالين إلى مقام الرسول الرفيع ﴿أمتعن﴾ المتعة المشروعة في الطلاق ﴿وأسرحكن﴾ أي أطلقكن ﴿سراحاً جميلاً﴾ أي لا إضرار معه ، ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي رضاهما ﴿والدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿فإن الله أعَدَّ﴾ أي هيأ وأحضر ﴿للمحسنات﴾ طاعة الله ورسوله ﴿منكن أجراً عظيماً﴾ وهو المقامات العالية في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في دار السلام .

وخيَّرن صلى الله عليه وسلم امثالاً لأمر الله في قوله ﴿قل لأزواجك﴾ وبدأ بعائشة فقال لها: إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمرني أبويك أي تطلبين أمرهما في ذلك وقرأ عليها الآية فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، وتتابعن على ذلك فما اختارت منهن امرأة غير الله ورسوله والدار الآخرة فأكرمهن الله لذلك وأنزل على رسوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً﴾

وقوله تعالى ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ أي بخصلة قبيحة ظاهرة كسوء عشرة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى ﴿يضاعف لها العذاب﴾ يوم القيامة لأن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبواب الكفر والعياذ بالله تعالى . ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي وكان تضعيف العذاب على من أتت بفاحشة مبينة شيئاً يسيراً على الله لا يعجزه حتى لا يفعله وهذا لأمرين الأول لأن أذية الرسول من أبواب الكفر والثاني لعلو مقامهن وشرفهن فإن ذا الشرف والمنزلة العالية يُستقبح منه القبيح أكثر مما يستقبح من غيره .

(١) عامة أهل السنة والجماعة على أن الرجل إذا خير زوجته فاختارت الطلاق كان طلاقاً أما إذا خيرها فاختارت عدم الطلاق فليس عليها شيء ولا يقع طلاق ما دامت لم تختره واختارت دعمه وهو البقاء .

(٢) معنى إرادة الحياة الدنيا إيثارك ما في الحياة الدنيا من متع وترف على الاشتغال بالطاعات والزهد في زينة الحياة الدنيا ومظاهرها الساحرة الخلابه .

(٣) نص الحديث: يا عائشة اني أريد أن اعرض عليك أمراً أحبُّ ألا تتعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك ، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلى عليها الآية . قالت أفيك يا رسول الله استشيرني أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة .

(٤) ناداهن الله تعالى بعنوان نساء النبي اعلان عن شرفهن وكمالهن بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

(٥) إذا اطلق لفظ الفاحشة معروفاً بال فهو الزنى ، وإذا ورد نكره فهو المعصية كما في هذه الآية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) مشروعية تخيير الزوجات فإن اخترن الطلاق تَطْلُقْنَ وإن لم يخترنه فلا يقع الطلاق .
- (٢) كمال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الدنيا وزينتها .
- (٣) مشروعية المتعة بعد الطلاق وهي أن تعطى المرأة شيئاً من المال بحسب غنى المطلّق وفقره لقوله تعالى ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾
- (٤) وجوب الإحسان العام والخاص، الخاص بالزوج والزوجة والعام في طاعة الله ورسوله .
- (٥) بيان أن سيئة العالم الشريف أسوأ من سيئة الجاهل الوضع . ولذا قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين كمثل من الأمثال السائرة للعظة والاعتبار .

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَلَاحًا تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

ومن يقنت منكم لله ورسوله : أي ومن يطع منكم الله ورسوله .
نؤتها أجراها مرتين : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف
عمل امرأة أخرى من غير نساء النبي .

واعتدنا لها رزقا كريما : أي في الجنة .

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء : أي لستن في الفضل كجماعات النساء .

إن اتقين : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله .

فلا تخضعن بالقول : أي نظراً لشرفكن فلا ترققن العبارة .

فيطمع الذي في قلبه مرض : أي مرض النفاق أو مرض الشهوة .

وقلن قولا معروفا : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه .

وقرن في بيوتكن : أي أقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة .

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متفنججات كفعل نساء الجاهلية الأولى قبل الاسلام .

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس : أي إنما أمركن بما امركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليظهركن من الأدناس والردائل .
واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة : أي الكتاب والسنة لتشكرون الله على ذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع أزواج النبي أمهات المؤمنين فبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الحياة الدنيا وزينتها أصبحن ذوات رفعة وشأن عند الله تعالى ، وعند رسوله والمؤمنين . فأخبرهن الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهي وتطع رسوله محمداً ﷺ فلا تعص له أمراً ولا تسىء إليه في عشرة ، وتعمل صالحاً من النوافل والخيرات نؤتها أجرها مرتين أي نضاعف لها أجر عملها فيكون ضعف أجر عاملة أخرى من النساء غير أزواج الرسول ﷺ . وقوله : ﴿واعتدنا لها رزقا كريماً﴾ أي في الجنة فهذه بشارة بالجنة لنساء النبي أمهات المؤمنين التسع اللاتي نزلت هذه الآيات في شأنهن .

(٣) هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣١) وقوله تعالى : ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ أي يا زوجات النبي أمهات المؤمنين إنكن لستن كجماعات النساء إن شرفكن أعظم ومقامكن أسمى وكيف واثنت أمهات المؤمنين وزوجات خاتم النبيين فاعرفن قدركن بزيادة الطاعة لله ولرسوله ، وقوله إن اتقيتن أي إن هذا الشرف حصل لكن بتقواكن لله فلازمن التقوى إنكن بدون تقوى لا شيء يذكر شأنكن شأن سائر النساء . وبناء عليه ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي لا تلين الكلمات وترققن الصوت إذا تكلمتن مع الأجانب من الرجال . وقوله تعالى : ﴿فيطمع الذي في

(١) التاء في اعتدنا بدل عن أحد الدالين من اعد لقرب مخرجها وقصد التخفيف .

(٢) أعيد خطابهن من قبل الله تعالى كما أعيد نداؤهن تشريفاً لهن وإظهاراً للاهتمام بالخبر . واحد بمعنى واحد قلبت همزته وأوا .

(٣) هذا الشرط معتبر في التقوى ، إذ بين لهن أن هذا الشرف وهذه البشارة بالجنة إنما كانت بشرط التقوى والتقوى اجتناب وامتنال .

(٤) قال ابن عباس : المرأة تندب إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام .

قلبه مريض ﴿ نفاق أو ضعف إيمان مع شهوة عارمة تجعله يتلذذ بالخطاب وقوله: ﴿وقلن قولاً﴾^(١) معروفاً وهو ما يؤدى المعنى المطلوب بدون زيادة ألفاظ وكلمات لا حاجة إليها. وقوله: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن الا لحاجة لا بد منها وقوله: ﴿ولا تبرجن﴾ أي إذا خرجتن لحاجة ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي قبل الإسلام إذ كانت المرأة تتجمل وتخرج متبخرة متكسرة متغنجة في مشيتها وصوتها تفتن الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وأقمن الصلاة﴾ بأدائها مستوفاة الشروط والأركان والواجبات في أوقاتها مع الخشوع فيها ﴿وأتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله﴾ بفعل الأمر واجتناب النهي. أمرهن بقواعد الإسلام وأهم دعائمه. وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أي إنما أمرناكن ونهيناكن إرادة إذهاب الدنس والإثم ابقاءً على طهركن يا أهل البيت النبوى.

وقوله تعالى: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أي كاملاً تاماً من كل ما يؤثم ويدسى النفس ويدنسها. وقوله تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب والسنة وهذا أمر لهن على جهة الموعظة وتعدد النعمة.

وقوله تعالى: ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ أي بكم يا أهل البيت خبيراً بأحوالكم فنقوا فيه وفوضوا الأمر إليه. والمراد من أهل البيت هنا أزواج النبي ﷺ^(٢) وفاطمة وأبنائها الحسن والحسين وعلي الصهر الكريم رضي الله عن آل بيت رسول الله أجمعين وعن صحابته أكتعين^(٣) أبتعين أبصعين ..

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- لا شرف الا بالتقوى. ان اكرمكم عند الله اتقاكم.

٢- بيان فضل نساء النبي وشرفهن.

(١) قرأ نافع وحفص وقرن بفتح القاف من قرر كعلم يقرر والأمر اقررن فحذفت الراء الأولى تخفيفاً وألغيت حركتها على القاف، فسقطت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها عندما تحركت القاف الساكنة فصارت وقرن، وقرأ الجمهور بكسر القاف.

(٢) المعنى العام للآية: ما يريد الله لكن مما أمركن به. ونهاكن عنه إلا عصمتكن من النقائص وتحليتكن بالكمالات ودوام ذلك لكن فلم يرد بكن مقتاً ولا نكايه.

(٣) من جهل الرافضة وما وضع لهم من قواعد في دينهم لآخراجهم من الإسلام وإبعادهم عن جماعة المسلمين قصرهم هذه الآية على علي وفاطمة والحسين دون أزواج النبي ﷺ مع أن الخطاب في الآية لأزواج النبي ﷺ وحديث الكساء لا ينافي ادخال سائر نساء النبي في أهل بيته إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر المعروفة في لغة القرآن ونصه في صحيح مسلم عن عائشة قالت خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

- ٣- حرمة ترفيق المرأة صوتها وتليين عباراتها اذا تكلمت مع أجنبي .
 ٤- وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لا بد منها .
 ٥- حرمة التبرج وهي أن تتزين المرأة وتخرج بادية المحاسن متبخرة في مشيتها .
 ٦- على المسلم أن يذكر ما شرفه الله به من الإيمان والإسلام ليترفع عن الدنايا والرذائل .
 ٧- بيان أن الحكمة هي السنة النبوية الصحيحة .
 ٨- الإشارة الى وجود جاهلية ثانية وقد ظهرت منذ نصف قرن وهي تبرج النساء بالكشف عن الرأس والصدور والسيقان وحتى الأفخاذ .

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ
 فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
 وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- إن المسلمين والمسلمات : إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً والمسلمات أيضاً .
 والمؤمنين والمؤمنات : أي المصدقين بالله رباً وإلهاً والنبي محمد نبياً ورسولاً والإسلام ديناً وشرعاً والمصدقات .
 والقانتين والقانتات : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء .
 والصادقين والصادقات : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات .
 والصابرين والصابرات : أي الحاسبين نفوسهم على الطاعات فلا يتركوها وعن المعاصي فلا يقربوها وعلى البلاء فلا يسخطوه ولا يشتكوا الله إلى عباده والحابسات .

الخاصعين والخاصعات : أي المتذللين لله المختبتين له والخاصعات من النساء كذلك.

والمصدقين والمتصدقات : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه والمؤديات كذلك.

والحافظين فروجهم : أي عن الحرام والحافظات كذلك الا على أزواجهن أو ما ملكت أيما نهم بالنسبة للرجال أما النساء فالحافظات فروجهن الا على أزواجهن فقط.

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات : أي بالالسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلاثمائة مرة في اليوم واللييلة زيادة على ذكر الله في الصلوات الخمس.

أعد الله لهم مغفرة : أي لذنوبهم وذنوبهن.
وأجرأً عظيماً : أي الجنة دار الأبرار.

معنى الآيات :

هذه الآية وإن نزلت جواباً عن تساؤل بعض أزواج النبي ﷺ إذ قلن للنبي ﷺ : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى هذه الآية المباركة إن المسلمين والمسلمات، فإن مناسبتها لما قبلها ظاهرة وهي أنه لما أثنى على آل البيت بخير فإن نفوس المسلمين والمسلمات تشوق لخير لهم كالذي حصل لآل البيت الطاهرين فذكر تعالى أن المسلمين والمسلمات الذين انقادوا لأمر الله ورسوله وأسلموا وجوههم لله فلا يلتفتون إلى غيره، كالمؤمنين والمؤمنات بالله رباً وإلهاً ومحمداً نبياً ورسولاً والإسلام ديناً وشرعاً، كالقانتين أي المطيعين لله ورسوله والمطيعات في السراء والضراء والمنشط والمكره في حدود الطاقة البشرية، كالصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات كالصابرين أي الحابسين نفوسهم على الطاعات فعلاً، وعن المحرمات تركاً، وعلى البلاء رضاً وتسليماً والصابرات كالخاصعين في صلاتهم وسائر طاعاتهم والخاصعات لله تعالى كالمصدقين بأداء زكاة أموالهم وبفضولها عند الحاجة إليها والمتصدقات كالصائمين رمضان والنوافل كعاشوراء والصائمات، كالحافظين فروجهم عما حرم الله تعالى عليهم من المناكح وعن

(١) روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت الآية، وروى أحمد والنسائي وابن جرير عن أم سلمة أنها قالت قلت ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فنزلت.

(٢) بدىء بذكر الإسلام لأنه علم على الملة المحمدية وهو يعم الإيمان وعمل الجوارح ثم ذكر الإيمان لأنه كالطاقة المحركة والدافعة إلى القول الحق والطاعة لله ورسوله.

كشفها لغير الأزواج والحافظات، كالذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار ذكر القلب واللسان والذاكرات^(١) الكل الجميع أعد الله تعالى لهم مغفرة لذنوبهم إذ كانت لهم ذنوب، وأجرأ عظيماً أي جزاء عظيماً على طاعاتهم بعد إيمانهم وهو الجنة دار السلام جعلنا الله منهم ومن أهل الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم ودخول الجنة إن اتصفوا بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية وهي عشر صفات أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى .
- ٢- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب .
- ٣- تقرير مبدأ التساوى بين الرجال والنساء في العمل والجزاء في العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً وأماماخص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن والله يقول الحق ويهدي السبيل .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

(١) حذف من الآخر لدلالة الأول والمحذوف فروجهن، ولأن ذكر فروج النساء غير لائق ذكره وسماعه لما عرف به أهل هذه الملة من عدم الرضا بذكر النساء لصيانتهم عن الابتدال والمهانة.

(٢) وحذف المقابل في الذاكرات طلباً للإيجاز غير المخل لأن الذكر الآخر مع ذكر الأول مع العلم به إطناب لا داعي له قال الشاعر:

وَكُنْتُ مَدْمَاءً كَانَ مَتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنُ مُذْهَبٍ

(٣) قال مجاهد: لا يكون العبد ذاكرًا لله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضطجعاً، وقال أبو سعيد الخدري «من أبْقِظَ أهله بالليل وصلياً أربع ركعات كانا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

أَزْوَاجَ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا
 ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ
 يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى
 بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ
 رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ما كان لمؤمن ولا مؤمنة : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة .

أن يكون لهم الخيرة من أمرهم : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع .

فقد ضل ضلالاً مبيناً : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأ واضحاً .

أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أي أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعمت عليه بالعتق وهو زيد بن حارثة .

واتق الله : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها .

وتخفى في نفسك : أي وتخفى في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجها الله إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنى .

ما الله مبديه : أي مظهره حتماً وهو زواج الرسول من زينب بعد طلاقها .

وتخشى الناس : أي يقولوا تزوج محمد مطلقة مولاه زيد .

والله أحق أن تخشاه : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج .

فلما قضى زيد منها وطراً : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها لتعاليتها عليه بشرف نسبها ومحتد آبائها .

زوجناكها

: إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن
من أحدٍ وذلك سنة خمس وأشبع الناس لحماً وخبزاً في
وليمة عرسها.

كَيْلا يكون على المؤمنين حرج : أي إثم في تزوجهم من مطلقات أدعيائهم .

وكان أمر الله مفعولاً : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لا بد كائن .

ولا يخشون أحداً إلا الله : أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يبالون بقول الناس .

وكفى بالله حسيباً : أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً لهم عليها يوم الحساب .

ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم : أي لم يكن أباً لزيد ولا لغيره من الرجال إذ مات أطفاله
الذكور وهم صغار .

وخاتم النبيين

: أي لم يجرىء نبي بعده إذ لوجاء نبي بعده لكان ولده أهلاً للنبوّة
كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾^(١) الآيات هذا شروع في قصة زواج زيد بن حارثة
الكلبي مولى رسول الله ﷺ بزَيْنَب بنت جحش بنت عمّة النبي أميمة بنت عبدالمطلب إنه لما
أبطل الله التبني وحرّمه بقوله : ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وقوله : ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ تبع ذلك
أن لا يرث الدعي ممن ادعاه، وأن لا تحرم مطلقة على من تبناه وادعاه وهكذا بطلت الأحكام
التي كانت لازمة للتبني، وكون هذا نزل به القرآن ليس من السهل على النفوس التي اعتادت
هذه الأحكام في الجاهلية وصدر الإسلام أن تتقبلها وتدعن لها بسهولة فأراد الله تعالى أن يخرج
ذلك لحيز الوجود فآلهم رسوله أن يخطب زينب لمولاه زيد، واستجابت زينب للخطبة فهما منها
أنها مخطوبة لرسول الله لتكون أماً للمؤمنين ولكن تبين لها بعد ليال أنها مخطوبة لزيد بن حارثة
مولى رسول الله وليست كما فهمت وهنا أخذتها الحمية وقالت لن يكون هذا لن تتزوج شريفة
مولى من موالى الناس ونصرها أخوها على ذلك وهو عبدالله بن جحش . فنزلت هذه الآية وما

(١) روى قتادة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش وكانت
بنت عمته خطبتها لمولاه زيد بن حارثة فظنت أن الخطبة له ﷺ فلما تبين أنها لمولاه زيد كرهت وأبت وامتنعت فنزلت الآية
فأذعن وقبِلت .

كان لمؤمن^(١) ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فما كان منها إلا أن قبلت عن رضى الزواج من زيد وتزوجها زيد وبحكم الطباع البشرية فإن زينب لم تخف شرفها على زيد وأصبحت ترفع عليه الأمر الذي شعر معه زيد بعدم الفائدة من هذا الزواج فأخذ يستشير رسول الله موله ويستأذنه في طلاقها والرسول يأبى عليه ذلك علماً منه أنه إذا طلقها سيزوجه الله بها إنهاءً لقضية جعل أحكام الدعى كأحكام الولد من الصُّلب فكان يقول له: اتق الله يا زيد لا تطلق بغير ضرورة ولا حاجة الى الطلاق واصبر على ما تجده من أمرتك، وهنا عاتب رسول الله ﷺ ربه عز وجل إذ قال له: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ أي اذكر إذ تقول ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي بنعمة الإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن عتقته ﴿أَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾، وتخفى في نفسك وهو أمر زواجك منها، ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي مظهره لا محالة من ذلك ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا محمد تزوج امرأة ابنه زيد، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. وقد أراد منك الزواج من زينب بعد طلاقها وانقضاء عدتها هدماً وقضاء على الأحكام التي جعلت الدعى كابن الصُّلب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أي حاجته منها بالزواج بها وطلقها ﴿زَوْجَانِهَا﴾ إذ تولينا عقد نكاحها منك دون حاجة الي ولي ولا إلى شهود ولا إلى مهر أو صداق وذلك من أجل أن لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أديعائهم إذا قضوا منهن وطراً، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي وما قضى به الله واقع لا محالة وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي من إثم أو تضيق في قول أو فعل شيء افترضه الله تعالى عليه والزمه به سنة الله في الذين خلوا من قبل من الأنبياء، وكان أمر الله أي مقضيه قدراً مقدوراً أي واقعاً نافذاً لا محالة. وقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي

(١) هذه الصيغة هي لنفي الحال والشأن فهي أبلغ من صيغ النهي أي أن مثل هذا القول والعمل مما لا يكون ولا ينبغي أن يكون نحو قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) وفي الآية دليل على أن الكفاءة تعتبر في الأديان لافي الأنساب بل هي نص في هذا.

(٢) الخيرة اسم مصدر من تخير ومثلها الطيرة من تطير ولم يسمع على هذا الوزن غيرهما، ووقع لفظ مؤمن ومؤمنة نكرة في سياق النفي فافادتا العموم.

(٣) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كان رسول الله كاتماً شيئاً من الرحي لكتّم هذه الآية (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية وكذا قالت في آية عبس وتولى وهو كما قالت رضي الله عنها وأرضاها.

(٤) جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: إن زينب تؤذي بلسانها وتفعل وتفعل! وإني أريد أن أطلقها فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله الآية.

(٥) إن قيل كيف يأمر زيداً بعدم طلاق زينب وهو يعلم أنه سيطلقها ويزوجها الله تعالى بها؟ الجواب لا حرج في هذا ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان والإسلام وهو يعلم أنه لا يؤمن، لأن الأمر لاقامة الحجة ومعرفة العقوبة.

(٦) ما كان يخشاه هو إرجاف المنافقين واليهود قولهم: أبهى عن نكاح زوجة الابن ويتزوج زوجة ابنه زيد.

(٧) روى أن زينب كانت تقول لرسول الله ﷺ إني لأدل عليك بثلاث! ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدى وجدك واحد، وأن الله انكحك إياي من السماء، وأن السفر في ذلك جبريل.

هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنّها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يتلفتون إلى الناس يقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيباً أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً عليها ومُجازِها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغاراً وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس بابنه وإن كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء التبني وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبي بعده فلو كان له ولد ذكر رجلاً لكان يكون نبياً ورسولاً كما كان أولاد إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود، ولما أراد الله أن يختم الرسالات برسائه لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيه بل توفاهم صغاراً، أما البنات فكبرن وتزوجن وأنجبن ومتن حال حياته إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى : ﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ فما أخبر به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله في قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن المؤمن الحق لا خيرة عنده في أمر قضى فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع .
- ٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة .
- ٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ .
- ٤- بيان شدة حياء الرسول ﷺ .
- ٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألسنة المؤمنين الى يوم الدين .
- ٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقد نكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك .
- ٧- تقرير حديث ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه .
- ٨- إبطال أحكام التبني التي كانت في الجاهلية .
- ٩- تقرير نبوة الرسول ﷺ وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم

مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً .
اذكروا الله ذكراً كثيراً : أي بقلوبكم وألسنتكم .
وسبحوه بكرة وأصيلاً : أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحاً ومساءً .
هو الذي يصلي عليكم : أي يرحكمكم .
وملائكته : أي يستغفرون لكم .
ليخرجكم من الظلمات : أي يرحكمكم ليديم اخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .
تحيتهم يوم يلقونه سلام : أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم .
وأعد لهم أجراً كريماً : أي وهباً لهم أجراً كريماً وهو الجنة .

معنى الآيات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم ، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ لا حذله ولا حصر إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية ، وسبحوه بكرة وأصيلاً بصلاة الصبح وصلاة العصر . ويقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس . وقوله تعالى : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله ﷺ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل - وقوله وقد جاءه اعرابيان فقال احدهما يا رسول الله أي الناس خير؟ قال : من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتثبت به . فقال ﷺ لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى .

(٢) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل ، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه ﷺ وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه .

(٣) الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى ، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى : فاذكروني اذكركم . وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذي يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن .

رحمته لهم ، وصلاة ملائكته الاستغفار لهم وقوله ليخرجكم من الظلمات أي من ظلمات الكفر والمعاصي الى نور الإيمان والطاعات . فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات إلى النور . وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ وهذه علاوة أخرى زيادة على الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم . وقوله ﴿تحتهم يوم يلقونه سلام﴾ أي وتحتهم يوم القيامة في دار السلام إذ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم أي أمان وأمنة لكم فلا خوف ولا حزن . وقوله ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ أي هيا لهم وأحضر أجراً كريماً وهي الجنة . فسبحان الله ما أكرمه وسبحان الله ما أسعد المؤمنين . فيا لفضيلة الإيمان وطاعة الرحمن طلب منهم أن يذكروه كثيراً وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً وأعطاهم ما لا يقادر قدره فسبحان الله ما أكرم الله . والحمد لله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب ذكر الله تعالى كثيراً ليل نهار ووجوب تسبيحه صباح مساء .
- ٢- بيان فضل الله على المؤمنين بصلاته عليهم وصلاة ملائكته ورحمته لهم .
- ٣- تقرير عقيدة البعث بذكر بعض ما يتم فيها من سلام الملائكة على أهل الجنة .
- ٤- بشرى المؤمنين الصادقين بالجنة .

يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَنَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ
مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

(١) ورد أن ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وروي عن البراء بن عازب في قوله تعالى : تحتهم يوم يلقونه سلام قال فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه .

شرح الكلمات :

شاهدا : أي على من أرسلناك إليهم .
 ومبشراً : أي من آمن وعمل صالحاً بالجنة .
 ونذيراً : أي لمن كفروا أشرك بالنار .
 وداعياً إلى الله بإذنه : أي وداعياً إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى .
 وسراجاً منيراً : أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى سبيل الفلاح .

ولا تطع الكافرين والمنافقين : أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك .
 ودع اذاهم : أي أترك اذاهم فلا تقابلهُ بأذى آخر حتى تأمر فيهم بأمر .
 وتوكل على الله : أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

هذا نداء خاص بعد ذلك النداء العام فالأول كان للمؤمنين والرسول إمامهم على رأسهم . وهذا نداء خاص لمزيد تكريم الرسول وتشريفه وتكليفه أيضاً فقال تعالى : ﴿يا أيها النبي﴾ محمد ﷺ ﴿إنا أرسلناك﴾ حال كونك شاهداً على من أرسلناك إليهم يوم القيامة تشهد على من أجاب دعوتك ومن لم يجبهها ، ومبشراً لمن استجاب لك فأمن وعمل صالحاً بالجنة ، ونذيراً لمن أعرض فلم يؤمن ولم يعمل خيراً بعدذاب النار ، وداعياً إلى الله تعالى عباده إليه ليؤمنوا به ويوحده ويطيعوه بأمره تعالى لك بذلك ، وسراجاً منيراً يهتدى بك من أراد الاستهداء إلى سبيل السعادة والكمال .

وقوله تعالى : ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي أنظر بعد دعوتك إياهم ، وبشر المؤمنين منهم أي الذين استجابوا لك وآمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ألا وهو مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة دار النعيم المقيم والسلام التام . وقوله تعالى : ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما

(١) قال القرطبي : هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم .

(٢) قال قتادة شاهداً على أمته بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم .

(٣) ورد في الصحيح والموطأ ومسلم أن للرسول ﷺ خمسة أسماء وهي محمد وأحمد والمحيي والهاشر والعاقب وهل شاهد ومبشر ونذير ورؤوف ورحيم أسماء؟ الظاهر أنها صفات ومن عدها أسماء فقد ذكر ابن العربي في أحكامه أن له ﷺ سبعة وستين اسماً .

(٤) عن عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وقد كان أمر علياً ومعاداً رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل علي (يا أيها النبي) الآية .

يقترحون عليك من أمور تتنافى مع دعوتك ورسالتك، ودع أذاهم أي اترك أذيتهم واصبر عليهم حتى يأمرك ربك بما تقوم به نحوهم، وتوكل على الله في أمرك كله، فإنه يكفيك وكفى بالله وكيلًا أي حافظًا وعاصمًا يعصمك من الناس.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان الكمال المحمدي الذي وهبه إياه ربه تبارك وتعالى .
- ٢- مشروعية الدعوة الى الله إذا كان الداعي متأهلاً بالعلم والحلم وهما الإذن .
- ٣- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والظالمين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه .
- إذا نكحتم المؤمنات ^(١) : أي إذا عقدتم عليهن ولم تبنوا بهن .
- من قبل أن تمسوهن : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن .
- فما لكم عليهن من عدة : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة إذ العدة على المدخول بها .
- فمتعوهن : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جبراً لخاطرهن .
- وسرّحوهن سراحاً جميلاً : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرار بهن .

معنى الآية الكريمة :

(٧) ينادى الله تعالى عباده المؤمنين المسلمين فيقول لهم معلماً مشرعاً لهم : ﴿إذا نكحتم

(١) بمناسبة طلاق زيد لزينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد خطبها رسول الله ﷺ وزوجه ربه بها وله الحمد ناسب ذكر حكم المطلقة قبل البناء وأنها لا عدة عليها، وأنه لا مهر لها ولكن لها المتعة إن لم يكن قد سعى لها مهراً.

(٢) النكاح حقيقة في الوطء ويطلق ويراد به العقد كما في هذه الآية الكريمة ولم يرد في القرآن الكريم النكاح إلا والمراد منه العقد، لأنه في معنى الوطء، وهذا من أدب القرآن حيث يكتفى عن الوطء بمثل المباشرة والملامسة والقربان والتغشي والإتيان.

المؤمنات ﴿أي عقدتم عليهن﴾، ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي من قبل الدخول عليهن الذي يتم بالخلوة في الفراش، ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ تعتدونها عليهن لا بالاقراء ولا بالشهور إذ العدة لمعرفة ما في الرحم وغير المدخول بها معلومة أن رحمها خالية، فإن سميت لهن مهراً فلهن نصف المسمى والمتعة على سبيل الاستحباب، وإن لم تسموا لهن مهراً فليس لهن غير المتعة وهي هنا واجبة لهن بحسب يسار المطلق وإعساره وقوله: ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ أي خلوا سبيلهن يذهبن إلى ذويهن من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- جواز الطلاق قبل البناء.

٢- ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة بل لها أن تتزوج ساعة ما تطلق.

٣- المطلقة قبل البناء إن سمي لها صداق فلها نصفه، وإن لم يسم لها صداق فلها المتعة واجبة يقدرها القاضي بحسب سعة المطلق وضيقه.

٤- حرمة أذية المطلقة بأي أذى، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

٥- مشروعية المتعة لكل مطلقة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ

(١) استدلل بعض العلماء بقوله تعالى ثم طلقتموهن لما في ثم من المهلة على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح أي العقد، وأن من طلق امرأة قبل العقد عليها طلاقه لاغ لا عبرة به، وأن عيناها فانه لا يلزمه هذا مذهب نحو من ثلاثين صحابياً وتابعياً واماما سمي البخاري منهم اثنين وسبعين وفي الحديث لا طلاق قبل النكاح وقال الجمهور ان عيناها تطلق وإن لم يعينها فلا طلاق عليه.

(٢) استدلل الظاهرية بهذه الآية على أن من طلق طلاقاً رجعيّاً ثم راجع قبل أن تنقضي العدة ثم طلقها قبل أن يمسه انه ليس عليها أن تتم عدتها وليس عليها عدة أخرى قياساً على المطلقة قبل البناء والجمهور على انها تستقبل عدة أخرى وعليه مالك وجمهور فقهاء مكة والكوفة والمدينة.

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- آتيت أجورهن : أي أعطيت مهرهن .
 مما أفاء الله عليك : أي مما يسبى كصفية وجويرية .
 اللاتي هاجرن معك : أي بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر .
 وهبت نفسها للنبي : أي وأراد النبي ان يتزوجها . بغير صداق .
 خالصة لك من دون المؤمنين : أي بدون صداق .
 قد علمنا ما فرضنا عليهم : أي على المؤمنين .
 في أزواجهم : أي من الأحكام كأن لا يزيدوا على أربع ، وأن لا يتزوجوا الا
 بولي ومهر وشهود .
 وما ملكت أيمانهم : أي بشراء ونحوه وان تكون المملوكة كتابية ، وأن تستبرأ قبل
 الوطء .
 لكيلا يكون عليك حرج : أي ضيق في النكاح .

معنى الآية الكريمة :

هذا النداء الكريم لرسول رب العالمين يحمل لرسول الله ﷺ إجازة ربانية تخفف عنه أتعابه
 التي يعانها ﷺ لقد علم الله ما يعاني رسوله وما يعالج من أمور الدين والدنيا فمن عليه بالتخفيف

ورفع الحرج فقال ممناً عليه ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي مهرهن وأحللنا لك ﴿ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من سبايا الجهاد كصفية بنت حبيب وجويرية بنت الحارث، ﴿وبينات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ من مكة إلى المدينة.

أما اللاتي لم تهاجر فلا تحلّ لك، وامرأة مؤمنة أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة لا كافرة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر وأراد النبي أن يستنكحها حال كون هذه الواهة خالصة لك دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر لم تحل له بل لا بد من المهر والولي والشهود. وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي على المؤمنين في أزواجهم من أحكام كأن لا يزيد الرجل على أربع، وأن لا يتزوج إلا بولي ومهر وشهود، والمملوكة لا بد أن تكون كتابية أو مسلمة، وأن لا يطأها قبل الاستبراء بحیضة قد علمنا كل هذا وأحللنا لك ما أحللنا خصوصية لك دون المؤمنين وذلك تخفيفاً عليك لكيلا يكون عليك حرج أي ضيق ومشقة وكان الله غفوراً لك ولمن تاب من المؤمنين رحيماً بك وبالمؤمنين.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لنبيه في التخفيف عليه رحمة به فأباح له أكثر من أربع، وقصر المؤمنين على أربع أباح له الواهة نفسها أن يتزوجها بغير مهر ولا ولي ولم يبيح ذلك للمؤمنين فلا بد من مهر وولي وشهود.
- ٢- تقرير أحكام النكاح للمؤمنين وأنه لم يطرأ عليها نسخ بتخفيف ولا بتشديد.
- ٣- بيان سعة رحمة الله ومغفرته لعباده المؤمنين.

(١) هذه الآية من المتقدم في التلاوة المتأخر في النزول ونظيرها آيتي الوفاة في البقرة على رأى الجمهور. إذ مضمون هذه الآية التوسعة على الرسول ﷺ إكراماً له لما تحمله من نكاح زينب ثم قصره في الآيات بعد على من تحته من النساء إكراماً لهن أيضاً وذلك في قوله لا يحل لك النساء من بعد. ثم لم يقبض حتى رفع الله تعالى عنه الحظر إكراماً وإعلاء من شأنه إذ قالت عائشة. ما مات رسول الله ﷺ وسلم حتى أحل له النساء.

(٢) وحد العم والخال وجمع العمات والخالات لأن العم والخال استعمل استعمال أسماء الأجناس الدالة على متعدد واللفظ موحد كالإنسان واللفظ واحد وهو دال على كل إنسان من بني آدم.

(٣) المعية هنا «معك» هي الاشتراك في الهجرة لا في الصبغة إذ أحل له من هاجرت سواء كانت في رفقة أو في رفقة أخرى، ولم يهاجر في رفقة امرأة قط.

(٤) من جملة خصائصه ﷺ أن فرض عليه أموراً لم تفرض على الأمة كقيام الليل مثلاً وأباح له أموراً لم تُبَحَّ للأمة كنكاح الواهة بدون مهر، وحرم عليه أموراً لم تحرم على الأمة كحرمة الصدقة ذكر هذه الخصائص القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَايَتِ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا



شرح الكلمات :

- ترجي من تشاء منهن : أي تؤخر من نسائك .
وتؤوي إليك من تشاء : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها .
ومن ابتغيته : أي طلبت .
ممن عزلت : أي من القسمة .
فلا جناح عليك : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك خيره ربه في ذلك بعد
أن كان القسم واجبا عليه .
ذلك أدنى أن تقر أعينهن : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء أقرب إلى
أن تقر أعينهن ولا يحزن .
ويرضين بما آتيتهن : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه ، والعزل والايواء .
والله يعلم ما في قلوبكم : أي من حب النساء - أيها الفحول - والميل الى بعض دون بعض
وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظم مهامه .
وكان الله عليماً حليماً : أي عليماً بضعف خلقه حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل
التوبة .
لا يحل لك النساء من بعد : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترتك إكراماً
لهن وتخفيفاً عنك .

ولا أن تبدل بهن من أزواج: أي بأن تطلق منهن وتتزوج أخرى بدل المطلقة لا . لا .

ولو أعجبك حسنهن : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنهن .

الا ما ملكت يمينك : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسرى بالمملوكة ،

وقد تسرى ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر وولدت له

إبراهيم ومات في سن رضاعه عليه السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في شأن التيسير على رسول الله ﷺ والتخفيف فقد تقدم أنه أحل له النساء يتزوج من شاء مما ذكر له وخصه بالواحدة نفسها يتزوجها بدون مهر ولا ولي وفي هذه الآية الكريمة (٥١) ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ الآية وسع الله تعالى عليه بأن أذن له في أن يعتزل وطء من يشاء ، وأن يرجىء من يشاء ، وأن يؤوي إليه ويضم من يشاء وأن يطلب من اعتزلها إن شاء فلا حرج عليه في كل ذلك ، ومع هذا فكان يقسم بين نسائه ، ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك اللهم إلا ما كان من سودة رضى الله عنها فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها . هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ وقوله ذلك أدنى أي ذلك التخيير لك في شأن نساءك أقرب أن تقر أعينهن أي يفرحن بك ، ولا يحزن عليك ، ويرضين بما تفضل به عليهن من إيواء ومباشرة .

وقوله تعالى ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي أيها الناس من الرغبة في المخالطة ، وميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض ، وإنما خير الله رسوله هذا التخيير تيسيراً عليه وتخفيفاً لما له من مهام لا يطمع فيها عظماء الرجال ولو كان في القوة والتحمل كالجبال أو الجمال .

وقوله تعالى ﴿وكان الله عليماً﴾ أي بخلقه وحاجاتهم . حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل ممن تاب التوبة .

(١) ترجى بدون همزة وترجىء مهموز لغتان فصيحتان من أرجى وأرجأ الأمر إذا أخره والآية تحمل التوسعة والتخفيف عنه ﷺ فاسقط عنه واجب القسم بين أزواجه ومع هذا فكان يقسم . لأن الآية تفيد التخيير والاذن لا غير .

(٢) الجناح الميل يقال جنحت السفينة إذا مالت إلى الأرض أي لا ميل عليك بلوم أو توبيخ أو عتاب . في الآية وجوب القسمة بين الزوجات والعدل بينهما فيعطى لكل زوجة يوماً وليلة فيقيم عندها في يومها ولو كانت مريضة أو نفساء أو حائضاً وإن مرض هو فذلك إلا أن يأذن له بالتمريض عند إحداهن كما استأذن رسول الله ﷺ بأن يمرض في بيت عائشة رضى الله عنها فأذن له في ذلك .

(١)

وقوله تعالى في الآية (٥٢) ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ أي لا يحل لك يا رسولنا النساء بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترن الله واخترتك وأنت رسوله واخترن الدار الآخرة فاعترافاً بمقامهن قصرك الله عليهن بعد الآن فلا تطلب امرأة أخرى يبدل أو بغير بدل، ومعنى يبدل: أن يطلق منهن واحدة أو أكثر ويتزوج بدلها. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ﴾ وقوله ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أي فلا بأس بأن تتسرى بالجارية تملكها وقد تسرى بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر مع بغلة بيضاء تسمى الدلدل وهي أول بغلة تدخل الحجاز، وقد أنجبت مارية إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وتوفى في أيام رضاعه عليه وعلى والده ألف ألف سلام.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ أي حفيظاً عليهما فخافوه وراقبوه ولا تطلبوا رضا غيره برضاه فإنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه به حياتكم وإليه مرجعكم بعد مماتكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه.
- ٢- ما خير الله فيه رسوله لا يصح لأحد من المسلمين اللهم إلا أن يقول الرجل للمرأة كبيرة السن أو المريضة أي فلانة إنني أريد أن أتزوج أحسن نفسي وأنت كما تعلمين عاجزه فإن شئت طلقتك، وإن شئت تنازلت عن ليلتك فإن اختارت البقاء مع التنازل عن حقها في الفراش فلا بأس بذلك.
- ٣- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح ما لا يقادر قدره.
- ٤- تقرير مبدأ (ما ترك أحد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه) تجلّى هذا في اختيار نساء رسول الله ﷺ ولرسوله والدار الآخرة.
- ٥- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال.

[تنبيه هام]

إذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالزواج بأكثر من أربع كان لحكم عالية، وكيف والمشرع هو الله العليم الحكيم من تلك الحكم العالية ما يلي :

(١) اختلف في أحكام هذه الآية ونسخها وهل نسخها بالكتاب أو السنة والراجح أنها منسوخة بآية ترجى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ورجع بعضهم نسخها بالسنة إذ قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

- (١) اقتضاء التشريع الخاص بالنساء ومنه مالا يطلع عليه إلا الزوجان تَعَدُّ الزوجات ليروين الأحكام الخاصة بالنساء، ولصحة الرواية وقبولها في الأمة تعدد الطرق وكثرة الرواة والروايات.
- (٢) تَطْلُب الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى مناصرين لها أقوياء ولا أفضل من أصهار الرجل الداعي فإنهم يحكم العرف يقفون إلى جنب صهرهم محققاً أو مبطلاً كان.
- (٣) أن المؤمنين لا أحب إليهم من مصاهرة نبي الله ليظفروا بالدخول عليه في بيته والخلوة به وما أعزها. فأَي المؤمنين من لا يرغب أن تكون أمه أو أخته أو بنته أما لكل المؤمنين إني والله لا أحب إلي من أن أكون أنا وزوجتي وسائر أولادي خداماً في بيت رسول الله ﷺ. فلذا وسع الله على رسوله لِيَسَّعَ عَلَى الْأَقْل لِلْأَرَامِل وَرَبَات الشرف حتى لا يندس شرفهن.
- (٤) قد يحتاج رسول الله ﷺ إلى مكافأة بعض من أحسن إليه ولم يجد ما يكافئه به ويراه راجباً في مصاهرته فيجيبه لذلك ومن هذا زواجه بكل من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.
- (٥) قد زوجه ربه بزینب وهو كاره لذلك يتهرب منه خشية قاله الناس وما كانوا يعدونه منكراً وهو التزوج بامرأة الدعي المتبنی بعد طلاقها أو موت زوجها هذه بعض الحكم التي اقتضت الإذن لرسول الله ﷺ في التزوج أكثر من أربع مع عامل آخر مهم وهو قدرة رسول الله ﷺ على العدل والكفاية الأمر الذي لن يكون لغيره أبداً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
 لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءَ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
 إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا: أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به .

إلا أن يؤذن لكم : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام .

غير ناظرين إناه : أي غير متظرين وقت نضجه أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم

المدعوين إليه بأن يستغل أحدكم الاذن بالدعوة للطعام فيأتي قبل الوقت

ويجلس في البيت فيضايق رسول الله ﷺ وأهله .

فاذا طعمتم فانتشروا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين الي بيوتكم أو

أعمالكم ولا يبق منكم أحد .

ولا مستأنسين لحديث : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً .

إن ذلكم كان يؤذي النبي : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ

فيستحي منكم : أي أن يخرجكم .

والله لا يستحي من الحق : أن يقوله ويأمر به ولذا أمركم أن تخرجوا .

من وراء حجاب : أي ستر كباب ورداء ونحوه .

أطهر لقلوبكم وقلوبهم : أي من الخواطر الفاسدة .

إن ذلكم كان عند الله عظيماً : أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنباً عظيماً .

إن تبدوا شيئاً أو تخفوه : أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته أو تخفوه

في نفوسكم فسيجزىكم الله به شر الجزاء .

لا جناح عليهن في آباءهن . الخ : أي لا حرج على نساء الرسول في أن يظهرن لمحارمهن

المذكورين في الآية .

ولا نسائهن
ولا ما ملكت أيماهن
: أي من الإماء والعبيد في أن يرونهن ويكملونهن من دون حجاب.

واتقين الله : أي يا نساء النبي فيما أمرتن به من الحجاب وغيره.

معنى الآيات :

لما بين تعالى لرسوله ما ينبغي له مراعاته من شأن أزواجه أمهات المؤمنين بين تعالى بهذه الآية (٥٤) ما يجب على المؤمنين مراعاته أيضاً نحو أزواج النبي أمهاتهم فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حقاً وصدقاً ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بالدخول إلى طعام تطعمونه غير ناظرين إناؤه أي وقته، وذلك أن هذه الآية والمعروفة بآية الحجاب نزلت في شأن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لما أكلوا طعام الوليمة التي أقامها رسول الله ﷺ لما تزوجه الله بزينب بنت جحش رضى الله عنها، وكان الحجاب ما فرض بعد على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله ﷺ وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله ﷺ على البيت فيدخل ويخرج رجاء أن يخرجوا معه فلم يخرجوا واستحى ﷺ أن يقول لهم هيا فاخرجوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى غير ناظرين إناؤه يعني ذلك النفر ومن يريد أن يفعل فعلهم فإذا وجه إليه أخوه استدعاء لحضور وليمة بعد الظهر مثلاً أتى إلى المنزل من قبل الظهر يضابق أهل المنزل فهذا معنى غير ناظرين إناؤه أي وقته لأن الإنى هو الوقت.

وقوله ولكن إذا دعيتم فادخلوا أي فلا تدخلوا بدون دعوة أو إذن فاذا طعتم أي فرغتم من الأكل فانصرفوا منتشرين في الأرض فهذا إلى بيته وهذا إلى بيت ربه وهذا إلى عمله. وقوله: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي ولا تمكثوا بعد الطعام يحدث بعضكم بعضاً مستأنسين بالحديث. حرم تعالى هذا عليكم أيها المؤمنون لأنه يؤذى رسوله. وإن كان الرسول لكمال أخلاقه لا يأمركم بالخروج حياءً منكم فالله لا يستحي من الحق فلذا أمركم بالخروج بعد الطعام

(١) غير ناظرين إناؤه غير منصوب على الحال والآية تضمنت الأدب في حال الجلوس والطعام كما تضمنت مشروعية الحجاب.

(٢) أي غير منتظرين وقت نضجه، وإناءه مقصور، وفيه لغات إني بكسر الهمزة وأني بفتح الهمزة والتون وأنا بفتح الهمزة والمد قال الخطيب:

وأخرت العشاء إلى سهيل أو الشعرى فطال بي الاناء
والفعل أنى يأتي أنى إذا حان وأدرك وفرغ.

مراعاة لمقام رسوله محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي طلبتم شيئاً من الأمتعة التي توجد في البيت كإئناء ونحوه فاسألوهن من وراء حجاب أي باب وستر ونحوهما لا مواجهة لحرمة النظر إليهن. وقوله ذلكم أظهر لقلوبكم أنتم أيها الرجال وقلوبهن أيتها الأمهات أظهر أي من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب فحل أنثى أو خاطبت امرأة فحلا من الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي ما ينبغي ولا يصح أن تؤذوا رسول الله أي أذى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أي ولا أن تزوجوا بعد وفاته نساء إناهن محرمات على الرجال تحريم الأمهات تحريماً مؤكداً لا يحل بحال، وقوله تعالى: ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ أي المذكور من أذى رسول الله والزواج من بعده بنسائه كان عند الله أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادر قدره ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) وقوله تعالى إن تبدوا شيئاً أي تظهروه أو تخفوه أي تستروه يريد من الرغبة في الزواج من نساء الرسول بعد موته ﷺ فإن الله كان بكل شيء عليمًا وسيجزىكم بتلك الرغبة التي أظهرتموها أو أخفيتموها في نفوسكم شرّ الجزاء وأسوأه. فاتقوا الله وعظّموا ما عظم من حرّات رسوله ﷺ. هذا ما دلت عليه الآية (٥٤).

وقوله تعالى في الآية (٥٥) لا جناح عليهن أي لا تضيق ولا حرج ولا إثم على النساء المؤمنات من أزواج النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين في أن يظهرن وجوههن ويكلمن بدون حجاب أي وجها لوجه آباهن الأب والجد وإن علا، وابناءهن الابن وابن الابن وإن نزل وابن البنت كذلك وإن نزل. وإخوانهن وابناء إخوانهن وإن نزلوا وأبناء اخواتهن وإن نزلوا، ومما ليكن من إماء وعبيد.

وقوله تعالى ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أمر من الله لنساء النبي ونساء المؤمنين بتقوى الله فيما نهاهن عنه وحرّمه عليهن من إبداء الوجه للأجانب غير المحارم المذكورين في

(١) روى أبو داود عن أنس بن مالك قال عمر: وافقت ربي في أربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت الحجاب على نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله عز وجل وإذا سألتموهن الآية.

(٢) روى أن رجلاً من المنافقين لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة قال: فما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات وقال ﷺ زوجاتي في الدنيا من زوجاتي في الآخرة وهذه علة من علل التحريم أيضاً.

(٣) روى أنه لما نزلت آية الحجاب تسأل الأباء والأقارب: هل نحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية لأجناح عليهن في آبائهن الخ.

(٤) لما ذكر تعالى الرخصة للمحارم أمر النساء بتقواه تعالى فامرهن بذلك حتى لا يتجاوزن من أذن لهن بالنظر إليهم في المحارم إلى غيرهم وذلك لئلا تحفظ النساء وكثرة استرسالهن.

الآية وتذكيرهم بشهود الله تعالى لكل شيء وإطلاعه على كل شيء ليكون ذلك مساعداً على التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما ينبغي للمؤمنين أن يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.
- ٢- بيان كمال الرسول ﷺ في خلقه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه أخرج من البيت فقد انتهى الطعام.
- ٣- وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عباده.
- ٤- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.
- ٥- حرمة أذية رسول الله ﷺ وانها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.
- ٦- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.
- ٧- حرمة نكاح ازواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك.
- ٨- بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها أمامهم وتخطبهم بدون حجاب.
- ٩- الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقه في محارمه.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

يصلون على النبي : صلاة الله على النبي هي ثأؤه ورضوانه عليه، وصلاة الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.

صلوا عليه وسلموا تسليماً : أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

يؤذون الله ورسوله : أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد.

يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بغير ما اكتسبوا : أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم تهماً باطلة لم يكتسبوا منها شيئاً.

فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً : أي تحملوا كذباً وذنوباً بيناً ظاهراً.

يدنين عليهم من جلايبهن : أي يرخين على وجههن الجلاب حتى لا يبدو من المرأة إلا عين واحدة تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.

ذلك أدنى أن يعرفن : أي ذلك الإذناء من طرف الجلاب على الوجه أقرب .

فلا يؤذين : أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.

وكان الله غفوراً رحيماً : أي غفوراً لمن تاب من ذنبه رحيماً به بقبول توبته وعدم تعذيبه بذنب تاب منه .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة ما يجب على المؤمنين من تعظيم نبيهم واحترامه حياً وميتاً أعلن في هذه الآية (٥٦) عن شرف نبيّه الذي لا يدانيه شرف وعن رفعة التي لا تدانيها رفعة فأخبر أنه هو سبحانه وتعالى يصلى عليه وأن ملائكته كذلك يصلون عليه^(١) وأمر المؤمنين كافة أن يصلوا عليه فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ فكان واجباً على كل مؤمن ومؤمنة أن يصلى على النبي ﷺ ولو مرة في العمر يقول:

(١) اختلف في الضمير في يصلون على من يعود والصحيح أنه عائد على الله تعالى والملائكة معاً ولا حرج لأنه قول الله تعالى والله أن يرفع من يشاء من عباده لجمع ضمير الملائكة مع ضميره، وليس هذا من باب ومن يعصهما الذي أنكره رسول الله ﷺ إذ ذاك من قول خطيب وهذا قول الله تعالى وليس من حقنا أن نعترض على الله تعالى وروى أن ابن عباس قرأ وملائكته بالرفع أي يصلون وعليه فانفصل الضمير وأصبح خاصاً بالله تعالى وهو وجه وما تقدم أولى لقراءة الكافة بالنصب.

اللهم صل على محمد وسلم وتسليماً. وقد بينت السنة أنواعاً من صيغ الصلاة والسلام على الرسول أعظمها أجراً الصلاة الإبراهيمية وهي واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة، وتستحب استحباباً مؤكداً عند ذكره ﷺ وفي مواطن أخرى. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٦) أما الآية الثانية (٥٧) فقد أخبر تعالى عباده أن الذين يؤذون الله بالكذب عليه أو انتقاصه بوصفه بالعجز أو نسبة الولد إليه أو الشريك وما إلى ذلك من تصوير الحيوان إذ الخلق اختص به الله فلا خالق الا هو فلا تجوز محاكاته في الخلق، ويؤذون رسول الله ﷺ بسب أو شتم أو انتقاص أو تعرض له أو لآل بيته أو أمته أو سنته أو دينه هؤلاء لعنهم الله في الدنيا والآخرة أي طردهم من رحمته، وأعد لهم أي هياً واحضر لهم عذاباً مهيناً لهم يذوقونه بعد موتهم ويوم بعثهم يوم القيامة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٥٨) أما الآية الرابعة (٥٩) فإنه لما كان المؤمنات يخرجن بالليل لقضاء الحاجة البشرية إذ لم يكن لهن مراحيض في البيوت وكان بعض سفهاء المنافقين يتعرضون لهن بالغمز والكلمة السفهية وهم يقصدون على عاداتهم الإماماء لا الحرائر فتأذى بذلك المؤمنات وشكون إلى أزواجهن ما يلقين من تعرض بعض المنافقين لهن فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب هو الملاءة أو العباءة تكون فوق الدرع السابغ الطويل، أي مرهن بأن يدنين من طرف الملاءة على الوجه حتى لا يبقى إلا عين واحدة ترى بها الطريق، وبذلك يعرفن انهن حرائر عفيفات فلا يؤذيهن بالتعرض لهن أولئك المنافقون السفهاء عليهم لعائن الله. وقوله تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أخبر عباده أنه تعالى كان وما زال غفوراً لمن تاب من عباده رحيماً به فلا يعذبه بعد توبته.

(١) صيغة الصلاة الإبراهيمية هي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.
(٢) غير ضار أن يقول المالكية الصلاة سنة مؤكدة في التشهد الأخير إذ السنة مؤكدة عند المالكية هي الواجب عند الشافعي وأحمد وإذا فلا فرق.

(٣) من هذه المواطن بدء الدعاء وختمه، وافتتاح الخطبة بعد حمد الله والثناء عليه ويوم الجمعة وليلتها ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث منها، حديث مسلم من صلى عليّ مرة صلى الله بها عشراً وروى النسائي أن النبي ﷺ خرج عليهم يوماً والبشر يرى في وجهه فقالوا انا لنرى البشر في وجهك فقال: أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك انه لا يصلي عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً.

(٤) روى البخاري في صحيحه قال قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يقول الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإن شئت قبضتهما.

(٥) من أظف أنوع الأذى الذي تعرض له رسول الله ﷺ أنه كان يوماً يصلي حول الكعبة فجاء عقبة بن أبي معيط يسلي جزور ووضع على ظهره بين كتفيه الشريفتين فجاءت فاطمة وهي جارية صغيرة فألقته بعيداً عن ظهر أبيها ونالت من المشركين وانصرفت فرضى الله عنها وارضاها.

(٦) تقدم ذكر أزواجه ﷺ وأما بناته ففاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان شرف الرسول محمد ﷺ ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة.
- ٢- بيان ما يتعرض له من يؤذى الله ورسوله من غضب وعذاب.
- ٣- بيان مقدار ما يتحملة من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لم يفعلوا أو يؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض.
- ٤- وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها إلا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة إلى ابداء العين إذ تسبل قماشاً على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

لِّإِن لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ
أَيُّهَا نَقِضُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْتُلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

- لئن لم يتنه المنافقون : أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.
- والذين في قلوبهم مرض : أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.
- والمرجعون في المدينة : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها
- كقولهم العدو على مقربة من المدينة أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلى ذلك.

لنغرينك بهم : أي لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً : أي في المدينة إلا قليلاً من الأيام ثم يخرجوا منها أو يهلكوا.

ملعونين : أي مبعدين عن الرحمة .
 أينما ثقفوا أخذوا : أينما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تفتيلًا .
 سنة الله في الذين من قبل : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية أينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تفتيلًا .
 ولن تجد لسنة الله تبديلاً : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته .

معنى الآيات :

لقد تقدم أن بعض النسوة اشتكين ما يلقيهن من تعرض المنافقين لهن عند خروجهن ليلاً لقضاء الحاجة، وأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين أن يدين من جلايبهن وعلة ذلك أن يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون وكان ذلك إجراءً وقائياً لا بد منه، ثم أقسم الجبار بقوله ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ أي وعزتي وجلالي لئن لم ينته هؤلاء المنافقون من نفاقهم وأعمالهم الاستفزازية والذين في قلوبهم مرض الشهوة وحب الفجور والمرجفون الذين يكذبون الأكاذيب المرجفة أي المحركة للنفوس كقولهم : العدو زاحف على المدينة والسرية الفلانية انهزمت أو قتل أكثر أفرادها لئن لم ينته هؤلاء لنفريئك بهم أي لنحرشئك بهم ثم لنسلطنك عليهم . ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة الا قليلاً، ثم يُخرجوا منها أو يهلكوا ملعونين أي يخرجون ملعونين أي مطرودين من الرحمة الإلهية التي تصيب سكان المدينة النبوية، وحينئذٍ أينما ثقفوا أي وجدوا وتمكن منهم أخذوا أي أسرى وقتلوا تفتيلًا حتى لا يبقى منهم أحد .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٠) ﴿لئن لم ينته المنافقون...﴾ والثانية (٦١) ﴿ملعونين...﴾ الخ . أما الآية الثالثة (٦٢) سنة الله في الذين خلوا من قبل، أي لقد سن الله تعالى هذا سنة في المنافقين من أنهم إذا لم ينتهوا يلعنون ثم يُسلط عليهم من يأخذهم ويقتلهم تفتيلًا، وقوله : ولن تجد لسنة الله تبديلاً يُخبر تعالى أن ما كان من قبل السنن كالطعام

(١) يرى الكثيرون أن الصفات الثلاث لجنس واحد وهم المنافقون فقد اجتمعت فيهم هذه الصفات الثلاث والواو مضممة وليست للمطف وشاهده قو الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

فهو رجل واحد بثلاث صفات .

(٢) لنفريئك اللام للقسم أي وعزتنا وجلالنا لنفريئك .

(٣) سنه منصوب على المصدر أي سن الله تعالى ذلك سنة ثم أضيف المصدر إلى فاعله .

(٤) الجملة تذييلية المراد بها تأكيد العذاب الحائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا أو يتوبوا والمعنى لن تجد لسنة الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً .

يشبع والماء يروى والنار تحرق والحديد يقطع لا يبدله تعالى بل يبقى كذلك لأنه مبني على أساس الحكم التشريعية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالمنافقين وتهديدهم بامضاء سنة الله تعالى فيهم إذا لم يتوبوا.
- ٢- مشروعية إبعاد أهل الفساد من المدن الإسلامية أو يتوبوا بترك الفساد والإفساد، وخاصة المدينة النبوية الشريفة.
- ٣- بيان ان ما كان من الأشياء من قبل السنن لا يتبدل بتبدل الأحوال والظروف بل يبقى كما هو لا يبدله الله تعالى ولا يغيره.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَافْضَلْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

يسألك الناس عن الساعة : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة فاليهود سألوهم امتحاناً والمشركون تكذيباً بها واستعجالاً لها.

قل إنما علمها عند الله : أي أجب السائلين قائلًا إنما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.

وما يدريك : أي لا أحد يدريك أيها الرسول أي يخبرك بها إذ علمها لله وحده.

لعل الساعة تكون قريباً : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام .
 وأعد لهم سعيراً : أي ناراً متسعة .
 خالدين فيها : أي مقدراً خلودهم فيها إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها .
 تقلب وجوههم في النار : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شيه يقلب في النار .

يا ليتنا اطعنا الله : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول .
 وقالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا : هذا قول الأتباع يشكون إلى الله سادتهم ورؤساءهم .
 فأضلونا السبيلاً : أي طريق الهدى الموصول إلى رضا الله عز وجل بطاعته .
 آتاهم ضعفين من العذاب : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا .
 والعنهم لعناً كبيراً : أي أخزهم خزيّاً متعدد المرات في عذاب جهنم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾^(١) أي ميقات مجيئها والسائلون مشركون وأهل الكتاب فالمشركون يسألون عنها استبعاداً لها فسؤالهم سؤال استهزاء واليهود يسألون امتحاناً للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمره تعالى أن يجيب السائلين بجواب واحد وهو إنما علمها عند الله ، أي انحصر علمها في الله تعالى إذ أخفى الله تعالى أمرها عن الملائكة والمقربين منهم والأنبياء والمرسلين منهم كذلك فضلاً عن غيرهم فلا يعلم وقت مجيئها الا هو سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : ﴿وما يدريك﴾ أي لا أحد يعلمك بها أيها الرسول ، وقوله ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ أي وما يشعرك يا رسولنا لعل الساعة تكون قريبة القيام وهي كذلك قال تعالى : ﴿اقترب الناس حسابهم﴾ وقال ﴿اقتربت الساعة﴾ فأعلمم بالقرب ولم يعلم بالوقت لحكم عالية منها استمرار الحياة كما هي^(٢) حتى آخر ساعة .

وقوله تعالى : ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً﴾ المكذبين بالساعة المنكرين لرسالتك الجاحدين بنبوتك لعنهم فطردهم من رحمته أعد لهم ناراً مستعرة في جهنم خالدين فيها إذا دخلوها لم

(١) شاهد قرب الساعة في السنة قوله ﷺ في الصحيح بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السابة والوسطى . وحذفت التاء من قريباً ذهاباً بالساعة إلى اليوم كما حذفت من قريب في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ذهاباً بالرحمة إلى العفو .

(٢) من الحكم العالية لإخفاء الساعة أن يكون العبد مستعداً لها بالإيمان وصالح الأعمال في كل وقت وكذلك ساعة الفرد وهي الموت .

يخرجوا منها أبداً ﴿ لا يجدون ولياً ﴾ أي يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ ولا نصيراً ﴾ أي ينصرهم ويخلصهم من محتتم في جهنم. وقوله: ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ تصرف من جهة إلى جهة كما يقلب اللحم عند شيه يقولون عند ذلك يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول يتحسرون متمنين لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ولم يكونوا عصوا الله والرسول. وقوله تعالى: ﴿ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ ^(١) هذه شكوى منهم واعتذاراً واني لهم أن تقبل شكواهم وينفعهم اعتذارهم. اطعناهم فيما كانوا يأمرونا به من الكفر والشرك وفعل الشر فاضلونا السبيلا أي طريق الهدى فعشنا ضالين ومتنا كافرين وحشرنا مع المجرمين. ﴿ ربنا ﴾ أي يا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي ضاعف يا ربنا لسادتنا وكبراءنا الذين أضلونا ضاعف لهم العذاب فعذبهم ضعفي عذابنا، والعنهم أي واخزمهم في العذاب خزيّاً كبيراً يتوالى عليهم دائماً وأبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجيئها غيره.
- ٢- بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر احوال الكافرين فيها.
- ٤- بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

(١) وجائز أن تقلب الوجوه أيضاً من لفح النار من الاسوداد إلى الاخضرار.

(٢) قرىء ساداتنا بكسر التاء جمع سيد.

(٣) الضعف بكسر الضاد العدد المماثل للمعدود فالاربعة ضعف الاثنين وقرى كثيرا وكبيراً وكثيراً يناسب قولهم ضعفين.

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

- يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله .
- لا تكونوا كالذين آذوا موسى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو إسرائيل مع موسى إذ آذوه بقولهم إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آذر .
- فبرأه الله مما قالوا : أي أراهم أنه لم يكن به أدرة وهي انتفاخ إحدى الخصيتين .
- وكان عند الله وجيهاً : أي ذا جاهٍ عظيم عند الله فلا يُخَيَّبُ له مسعى ولا يرد له مطلباً .
- وقولوا قولاً سديداً : أي صدقاً صائباً .
- يصلح لكم أعمالكم : أي الدينية والدنيوية إذ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال والفوز بشمارها .
- فقد فاز فوزاً عظيماً : أي نال غاية مطلوبة وهو النجاة من النار ودخول الجنة .
- إنا عرضنا الأمانة : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية وما ائتمنه عليه أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل .
- فأبين ان يحملنها وأشفقن منها : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة تضييعها .
- وحملها الإنسان : أي آدم وذريته .
- إنه كان ظلوماً جهولاً : أي لأنه كان ظلوماً أي كثير الظلم لنفسه جهولاً بالعواقب .

ليعذب الله المنافقين : أي وتحملها الإنسان قضاء وقدرًا ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات فيغفر لهم ويرحمهم وكان الله غفوراً رحيمًا.

معنى الآيات :

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ينادى الله تعالى مؤمني هذه الأمة ناهياً لهم عن أذى نبيهم بأدنى أذى، وأن لا يكونوا كبنى اسرائيل الذين آذوا موسى في غير موطن ومن ذلك ما ذكره ﷺ عنه في قوله من رواية مسلم أن بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض، وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر وأخذ يغتسل وإذا بالحجر يهرب بالثوب فيجرى موسى وراءه حتى وقف به على جمع من بنى اسرائيل فرأوا أنه ليس به أدره ولا برص كما قالوا فهذا معنى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً أي ذا جاه عظيم.

ومما حصل لرسول الله ﷺ من أذى أذاه في إتهام زوجه بالفاحشة من قبل أصحاب الإفك وقول بعضهم له وقد قسم مالا هذه قسمة ما أريد به وجه الله.

وقول بعضهم اعدل فينا يا رسول الله فقال له ويحك إذا لم اعدل أنا فمن يعدل؟ وكان يقول يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر!! هذا ما دلت عليه الآية الاولى (٦٩) أما الآية الثانية (٧٠) فقد نادى تعالى عباده المؤمنين الذين نهاهم عن أذية نبيهم وأن لا يكونوا في ذلك كقوم موسى بن عمران ناداهم ليأمرهم بأمرين الأول بتقواه عز وجل إذ قال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله. ﴿اتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه. فأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه. والثاني بالتزام القول الحق الصائب السديد، ورتب على الأمرين صلاح أعمالهم ومغفرة ذنوبهم إذ قول الحق والتزام الصدق مما يجعل الأقوال والأعمال مثمرة نافعة، فشمر زكاة النفس وطهارة الروح. ثم أخبرهم مبشراً بإياهم بقوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأمر والنهي فقد فاز فوزاً عظيماً وهي سعادة الدارين: النجاة من كل مخوف والظفر بكل محبوب مرغوب ومن

(١) ورواه البخاري بمعناه أيضاً.

(٢) قال أهل العلم في وضع موسى ثوبه على حجر ودخوله الماء عرياناً دليل على جواز مثل هذا الصنيع وهو كذلك، وهذا الجواز لا يتنافى الاستحباب إذ التستر مستحب بلا خلاف.

(٣) القول السديد هو لا إله إلا الله وهو القصد الحق وهو الذي يوافق ظاهره باطنه، وهو ما أريد به وجه الله دون سواه فالقول السديد الصائب يشمل كل هذا الذي ذكر.

ذلك النجاة من النار ودخول الجنة . هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَبُذْلاً فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ يخبر تعالى منبهاً محذراً فيقول : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهي شاملة للتكاليف الشرعية كلها ولكل ما أئتمن عليه الإنسان من شيء يحفظه لمن ائتمنه عليه حتى يرده إليه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال بعد أن خلق لها عقلاً ونطقاً فهمت الخطاب وردت الجواب فأبت تحملها بثوابها واشفقت وخافت من تبعاتها، وعرضت على الإنسان آدم فحملها بتبعاتها من ثواب وعقاب لأنه كان ظلوماً لنفسه يوردها موارد السوء جهولاً بعواقب الأمور . هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (٧٢) وهي قوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . وقوله تعالى : ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ أي بتبعة النفاق والشرك، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي تَمَّ عرضُ الأمانة وقبولُ آدم لها ليؤول الأمر إلى أن يكفر بعض أفراد الإنسان فيعذبوا بكفرهم الذي نجم عن تضييع الأمانة، ويؤمن بعض آخر فيفرط بعض التفريط ويتوب فيتوب الله عليه فيغفر له ويدخله الجنة وكان الله غفوراً رحيمًا ومن آثار ذلك أن تاب الله على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم ورحمهم بإدخالهم الجنة فسبحان الله المدبر الحكيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهي .
- ٢- صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس ، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في

(١) روى معمر عن الحسن أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال قالت وما فيها؟ قيل لها إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال وما هي؟ قال إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك قال فقد تحملتها يارب . قال مجاهد فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر .

(٢) فكان الإنسان فريقين فريق ظلوم وفريق راشد عالم .

(٣) ليعذب اللام متعلقة بحمل أي حملها ليعذب العاصي ويشاب المطيع فهي لام التعليل . وتعليبهم نتيجة إضاعتهم الأمانة ، ورحمة المؤمنين والمؤمنات نتيجة محافظتهم على الأمانة برعايتهم لها وسر ذلك أن التكاليف عملها يزكى النفس ويطهرها فتتأهل للجنة، وعدم عملها بتركها بسبب خبث النفس وهو يؤهل للنار وعذابها .

(٤) ذكر المنافقات والمشركات لأن المقام ك مقام الإشهاد يتطلب ذكر الشاهد إقامة للحجة وإظهاراً للعدالة ولأن الجزاء للعادي يتطلب التخصيص على من يقضي له أو عليه .

القول والعمل وهو القول السديد المنافى للكذب والانحراف في القول والعمل .

٣- طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدارين .

٤- وجوب رعاية الأمانة وأدائها ، ولم يخل أحد من أمانة .

٥- وصف الإنسان بالظلم والجهل والكفر والمهانة والضعف في آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات . وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله ﴿إِلا المصلين﴾ الى قوله ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ .

(١)

سُورَةُ السَّجْدَةِ
مكية

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجِئُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

الحمد لله

: أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له .

الذي له ما في السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتدبيراً .

وله الحمد في الآخرة : أي يحمده فيها أوليائه وهم في رياض الجنان ، كما له الحمد في الدنيا .

وهو الحكيم الخبير : أي الحكيم في أفعاله الخبير بأحوال عباده .

يعلم ما يُلج في الأرض : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز .

وما يخرج منها : أي من نبات وعيون ومعادن .

وما ينزل من السماء : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها .

(١) هذه السورة «الحمد لله» هي إحدى خمس سور مفتحة بالحمد لله ومن كلهن مكيات أولهن الفاتحة وآخرهن فاطر.

وما يعرج فيها : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت .
وهو الرحيم الغفور : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى عباده بأن له الحمد والشكر الكاملين التامين ، دون سائر خلقه ، فلا يحمد على الحقيقة إلا هو أما مخلوقاته فكل ما يُحمد له هو من عطاء الله تعالى لها وإفاضته عليها فلا يستحق الحمد على الحقيقة إلا الله ، كما أخبر تعالى بموجب حمده وشكره وهو أن له ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصرفاً وليس لأحد سواه من ذلك شيء هذا في الدنيا ، ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ إذ يكرم أوليائه فينزلهم دار السلام فيحمدونه على ذلك ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبأ من الجنة حيث نشاء﴾ وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ في تصريف أمور عباده وسائر مخلوقاته وتدبيرها الخير بأحوالها العليم بصفاتها الظاهرة والباطنة .

وقوله ﴿يعلم ما يلج﴾ أي ما يدخل في الأرض من مطر وكنوز وأموات ، ﴿وما يخرج منها﴾ أي من الأرض من نبات ومعادن ومياه ، وما ينزل من السماء من أمطار وملائكة وأرزاق ، ﴿وما يعرج فيها﴾ أي يصعد من ملائكة وأعمال العباد . وهو مع هذه القدرة والجلال والكمال هو وحده الرحيم بعباده المؤمنين الغفور للتائبين . بهذه الصفات الثابتة للذات الإلهية وهي صفات جلال وجمال وكمال استحق الرب تعالى العبادة دون سواه فكل تأليه لغيره هو باطل ومنكر وزور يجب تركه والتخلي عنه ، والتنديد بفاعله حتي يتركه ويتخلى عنه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- وجوب حمد الله تعالى وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان .

- (١) الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله ، إذ النعم كلها منه وله الحمد في الأولى لأنه المالك وله الحمد في الآخرة كذلك .
- (٢) الجملة عطف على الصلة أي والذي له الحمد في الآخرة ، وفيها إشارة إلى أنه مالك الأمر في الآخرة .
- (٣) الذي يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها يعلم من باب أولى ما يدب على سطحها وما يزحف فوقها والذي يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم من باب أولى ما يجول في أرجائها ويعلم سير كواكبها .
- (٤) وكذا من الثلوج والبرد والصواعق .
- (٥) حمده تعالى نفسه دليل على أنه محب الحمد . ولذا كان الحمد رأس الشكر وشاهده قول الرسول ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى أنه حمد نفسه .

٢- بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال .

٣- لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى .

٤- بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه .

٥- تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ^١
 قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ^٢
 ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ^٣
 وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ^٤
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ^٥
 كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ^٦
 لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ^٧
 الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ^٨
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لا تأتينا الساعة

: أي القيامة .

لا يعزب عنه

: أي لا يغيب عنه .

مثقال ذرة

: أي وزن ذرة : أصغر نملة .

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : أصغر من الذرة ولا أكبر منها .
 إلا في كتاب مبين : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه .
 ليجزي الذين آمنوا : أي أثبت في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزي صاحبه .
 والذين سعوا في آياتنا : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم .
 معاجزين : أي مغالبين لنا ظانين عجزنا عنهم ، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم
 ولا نحاسبهم ولا نجزيهم .
 عذاب من رجز اليم : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوأه .
 ويرى الذين اتوا العلم : أي ويعلم الذين اتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب كعبدالله
 ابن سلام وأصحابه .
 الذي أنزل إليك من ربك هو الحق : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى .
 ويهدي إلى صراط العزيز
 الحميد : أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصول إلى رضاه وجواره
 الكريم وهو الإسلام . والعزیز ذو العزة والحمد المحمود .

معنى الآيات :

بعد ما قررت الآيات السابقة توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ذكر تعالى في هذه الآيات تقرير
 عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى مخبراً بما قاله منكروا البعث والجزاء : ﴿وقال الذين كفروا لا
 تأتينا الساعة﴾^(١) وهو انكار منهم للبعث إذ الساعة هي ساعة الفناء والبعث بعدها ، وأمر رسوله أن
 يقول لهم : ﴿بلى وربّي لتأتينكم﴾ أي أقسم لهم بالله تعالى ربه ورب كل شيء لتأتينهم أحبوا
 أم كرهوا ثم أثني الرب تبارك وتعالى على نفسه بصفة العلم إذ البعث يتوقف على العلم كما
 يتوقف على القدرة والقدرة حاصلة، إذ خلقهم ورزقهم ويميتهم . فذكر تعالى أنه عالم الغيب وهو
 كل ما غاب في السموات وفي الأرض . وأخبر أنه لا يعزب أي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة أي^(٢)
 وزن ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر أيضاً إلا في كتاب مبين أي

(١) روى أن أبا سفيان هو الذي قال هذه المقالة حيث قال لإخوانه من أهل الكفر بمكة واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً
 ولا نبعث فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليه دعواه بقوله (قل بلى وربّي لتبعثن) الآية .

(٢) الساعة علم بالغلبة في القرآن على يوم القيامة وساعة النشر والحشر .

(٣) قرأ نافع وعنه ورش عالم بالرفع على الابتداء وقرأ حفص بالخفض نعت لاسم الجلالة .

(٤) قال القرطبي مثقال ذرة أي قدر نملة صغيرة .

بَيِّنْ وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل أحداث العالم فلا حركة ولا سكون وقع أو يقع في الكون الا وله صورته ووقته في اللوح المحفوظ.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة وقوله تعالى في الآية (٤) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي إذ الحكمة من كتابة الأحداث صغيرها وكبيرها ومن البعث الآخر هي ليجزي تعالى الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض والسنن بما ذكر من جزائهم في قوله: ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وزرزق كريم﴾ في الجنة وقوله في الآية (٥) ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بَيِّنْ فيه جزاء الكافرين بعد أن بين جزاء المؤمنين ذلك الجزء الذي هو حكمة وعلة البعث وكتابة الأعمال في اللوح المحفوظ فقال: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي والذين عملوا جهدهم في إبطال آيات الله إذ قالوا فيها أنها من كلام الكهان وانها شعر وأساطير الأولين حتى لا يؤمنوا ولا يوحّدوا أولئك البعداء في الخسّة والانحطاط لهم جزاء، عذاب من رجز أليم^(١) والرجز سيء العذاب وأشدّه ومعنى أليم أي ذي ألم وإيجاع شديد.

وقوله تعالى: في الآية (٦) ويرى الذين أوتوا العلم، أي ويعلم علماء أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب. الذي أنزل إليك من ربك وهو القرآن الكريم هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد، وعلم أهل الكتاب بأن القرآن حقٌ ناتج عن موافقته لما في كتاب الله التوراة من عقيدة القدر وكتابة الأعمال دقيقها وجليلها في اللوح المحفوظ ليجزي بها الله تعالى المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية (٦) والأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ويعلم﴾ أي ويعلم ﴿الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو الإسلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية.
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.
- ٣- طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن.
- ٤- تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول ﷺ ودليلها المقرر لها.

(١) قال القرطبي أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا وما في التفسير أشمل وأوضح.

(٢) قرأ نافع بجر أليم نعت لرجز وقرأ حفص برفع أليم نعت لعذاب المرفوع.

(٣) على هذا التفسير أن الآية مدنية كما قال بعضهم حيث استثنائها من آيات السورة وجائز أن يراد بالذين أوتوا العلم أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب والأصحاب رضوان الله عليهم إذ هم من أولى العلم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ

يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ

بِهِمْ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَايَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وقال الذين كفروا : أي قال بعضهم لبعض على جهة التعجيب .

هل ندلكم على رجل : أي محمد صلى الله عليه وسلم .

إذا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ : أي قطعتم كل التقطيع .

إنكم لفي خلق جديد : أي تبعثون خلقاً جديداً لم ينقص منكم شيء .

أم به جنة : أي جنون تخيل له بذلك .

بل الذين لا يؤمنون بالآخرة

في العذاب والضلال البعيد : أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو

جنونه . بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة

في العذاب في الآخرة ، وفي الضلال البعيد في الدنيا .

أفلم يروا : أي ينظروا .

إلى ما بين أيديهم وما خلفهم : أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من

كل جهة من السماء والأرض .

أو نسقط عليهم كسفاً : أي قطعاً جمع كسفة أي قطعة .

إن في ذلك لآية : أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم .

لكل عبد منيب : أي لكل مؤمن منيب إلى ربه رجّاع إليه في أمره كله .
معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء إنه لما قررها تعالى في الآيات قبل أورد هنا ما يتقوله المشركون بينهم في تهكم واستهزاء واستبعاد للحياة الآخرة . فقال تعالى حاكياً قولهم : ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة أي بعضهم لبعض متعجبين ﴿هل ندلكم﴾ ^(١) على رجل ﴿يعنون محمداً﴾ ^(٢) ﴿ينبئكم﴾ أي يخبركم بأنكم إذا متم وتمزقت لحومكم وتكسرت عظامكم وذهبت في الأرض تراباً تبعثون في خلق جديد بعد أن مزقتم كل ممزق أي كل التمزيق فلم يبق شيء متصل ببعضه بعضاً . ﴿أفترى على الله كذباً﴾ أي محمد فكذب على الله هذا القول وزوره عنه وادعى أنه أخبره بوجود بعث جديد للناس بعد موتهم لحسابهم وجزائهم؟! أم به جنة أي به مس من جنون فهي تخيل له صور البعث وما يجري فيه وهو يخبر به ويدعو إلى الإيمان به؟ وهنا رد الله تعالى عليهم كذبهم وباطلهم فقال ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ أي ليس الأمر كما يقولون من أن النبي افترى على الله كذباً ، أو به جنون فتخيل له البعث وانما الأمر الثابت والواقع المقطوع به أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يوم القيامة . وفي الضلال البعيد اليوم في الدنيا وشؤمهم أتاهم من تكذيبهم بالآخرة .

ثم قال تعالى مهدياً لهم لعلمهم يرتدعون عن التهجم والتهكم بالنبي ﷺ ﴿أفلم يروا﴾ أي أعموا فلم يروا الي ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أفلم ينظروا كيف هم محاطون من فوقهم ومن تحتهم ومن أمامهم ومن ورائهم أي الأرض تحتهم والسماء فوقهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ فيعودون فيها ﴿أو نسقط عليهم﴾ ^(٣) كسفاً أي قطعاً من السماء فتهلكهم عن آخرهم فلا يجدون مهرباً والجواب لا ، لأنهم مهما جروا هاربين لا تزال السماء فوقهم والأرض تحتهم والله قاهر لهم متى شاء خسف بهم أو أسقط السماء عليهم . وقوله تعالى ﴿إن في ذلك

(١) الاستفهام مستعمل في العرض مثل : (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي يعرض عليه ما هو صالح له . والاستفهام في الآية وإن كان للعرض فهو مكنى به عن التعجب أي هل ندلكم على أعجوبة وهي رجل ينبئكم بهذا النبأ .

(٢) التمزق والتفرق والتشتت .

(٣) هذه الجملة (افترى) صفة ثانية لرجل والصفة الأولى هي قوله ينبئكم .

(٤) في الجملة إدماج يصف به حالهم في الآخرة مع وصف حالهم في الدنيا إذ أخبر أنهم في الآخرة في العذاب وفي الدنيا في الضلال البعيد .

(٥) المراد بما بين أيديهم هو ما يستقبله الإنسان من الكائنات السماوية والأرضية ، وبما خلفهم وهو ما وراء الإنسان من الكائنات الأرضية والسماوية .

(٦) قرأ نافع كسفاً بسكون السين وقرأ حفص بفتحها .

لآية لكل عبد منيب ﴿أي إن في ذلك المذكور من إحاطة السماء والأرض وقدرة الله على خسف من شاء خسف الأرض بهم وإسقاط كسف من السماء على من شاء ذلك لهم آية . وعلامة بارزة على قدرة الله على إهلاك من شاء ممن كفروا بالله وبرسوله وكذبوا ببلقائه . وكون المذكور آية لكل عبد منيب دون غيره لأن المنيب هو الرجاء إلى ربه كلما أذنب أب لخشيته من ربه فالخائف الخاشي هو الذي يجد الآية واضحة أمامه في إحاطة الأرض والسماء بالإنسان وقدرة الله على خسف الأرض به أو إسقاط السماء كسفاً عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي ﷺ .
- ٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه .
- ٣- لفت الأنظار الى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده .
- ٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب . والإنابة الرجوع الى التوبة بعد الذنب والمعصية ، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
سَبِغَتٍ وَقَدَرٍ فِي السَّرْدِ ۖ وَأَعْمَلُوا صِلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غَدُوَهَا شَرْوَرًا ۖ وَاحْهَاشَهُرٌ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ ۖ وَجَفَانٍ ۖ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ ۖ رَّاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

الشُّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا داود منا فضلاً : أي نبوة وملكاً .

يا جبال أوبي معه

: أي وقلنا يا جبال أوبي معه أي رجعي معه بالتسبيح .

والطير

: أي والطير تسبح أيضاً معه .

وألنا له الحديد

: أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كما يشاء .

أن اعمل سابغات

: أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف .

وقدر في السرد

: أي اجعل المسمار مناسباً للحلقة ، فلا يكن غليظاً ولا

دقيقاً ، أي اجعل المسامير مقدرة على قدر الحلق لما

يترتب على عدم المناسبة من فساد الدرع وعدم الانتفاع بها .

ولسليمان الريح غدوها شهر

ورواحها شهر

: أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة

الى منتصف النهار مسيرة شهر ورواحها من منتصف

النهار الى الليل شهر كذلك أي مسافة شهر .

وأسلنا له عين القطر

: أي وأسلنا له عين النحاس .

ومن يزغ منهم

: أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه ندقه من

عذاب السعير .

من محارب

: جمع محارب المقصورة تكون الى جوار المسجد

للتعبد فيها .

وجفان كالجواب

: أي وقصاع في الكبر كالحياض التي حول الآبار يجبي

إليها الماء .

وقدور راسيات

: أي وقدور كبار ثابتات على الأثافي لكبرها لا تحول .

إلا دابة الأرض	: أي الأرضة .
تأكل منسأته	: أي عصاه بلغة الحبشة .
فلما خر	: أي سقط على الأرض ميتاً .
تبينت الجن	: أي انكشف لها فعرفت .
في العذاب المهين	: وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة .

معنى الآيات :

يذكر تعالى في هذا السياق الكريم مظاهر قدرته وإنعامه على عباده المؤمنين ترغيباً في طاعته وترهيباً من معصيته فيقول : ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ ^(١) وهو النبوة والزبور «كتاب» والملك . وقلنا للجبال ﴿أوبي مع سليمان﴾ أي ارجعي صوت تسبيحه ^(٢) والطيور أمرناها كذلك فكان إذا سبح ردد تسبيحه الجبال والطيور . وهذا تسخير لا يقدر عليه إلا الله . وقوله : ﴿وألنا له الحديد﴾ ^(٣) وهذا امتنان آخر وهو تسخير الحديد له وتليينه حتى لكأنه عجينة يتصرف فيها كما شاء ، وقلنا له اعمل دروعاً طويلة سابغات تستر بها في الحرب ، (وقدر في السرد) وقوله ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي اعملوا بطاعتي وترك معصيتي فأدوا الفرائض والواجبات واتركوا الآثم والمحرمات . وقوله : ﴿إني بما تعملون بصير﴾ فيه وعدٌ ووعد إذ العلم بالأعمال يستلزم الثواب عليها إن كانت صالحة والعقاب عليها إن كانت فاسدة .

وقوله تعالى : ﴿ولسليمان الريح﴾ أي سخرنا لسليمان بن داود الريح ﴿عُذوها شهر ورواحها شهر﴾ أي تقطع مسافة شهر في الصباح ، وأخرى في المساء أي من منتصف النهار إلى الليل فتقطع مسيرة شهرين في يوم واحد ، وذلك أنه كان لسليمان مركب من خشب يحمل فيه الرجال والعتاد وترفعه الجان من الأرض فإذا ارتفع جاءت عاصفة فتحملها ثم تتحول إلى رخاء فيوجه سليمان السفينة حيث شاء بكل ما تحمله وينزل بها كسفينة فضاء تماماً . وقوله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ وهو النحاس فكما الآن لداود الحديد للصناعة أجرى لسليمان عين النحاس لصناعته فيصنع ما شاء من آلات وأدوات النحاس .

(١) بين تعالى بهذه الآية أن إرسال نبيه محمد ﷺ لم يكن أمراً خارقاً للعادة ولا منافياً لمقتضيات العقول إذا أرسل من قبله رسلاً وآتى داود من الإنعام ما قرر به رسالته وأثبت به نبوته وكذا ولده سليمان عليهما السلام .

(٢) والطيور منصوب بالمعطف على المنادى «يا جبال» . لأن المعطوف المعروف على المنادى يجوز نصبه ورفعته والنصب أولى .

(٣) الحديد تراب معدني إذا صهر بالنار امتزج بعضه ببعض ولأن وأمك : طريقته وتشكيله فإذا برد تصلب .

(٤) قدر الشيء جعله على قدر معين والسرد هو تركيب حلقاتها ومساميرها بصورة متناسبة بحيث لا يعظم المسمار فيغلق الحلقة ، ولا يرق فلا تمسكه .

(٥) لما عدد عليه نعمه أمره بشكره وهو العمل الصالح الشامل للحمد والشكر والطاعة والصبر .

وقوله تعالى ﴿ومن الجن﴾ أي وسخرنا من الجن من يعمل بين يديه أي أمامه وتحت رقابته يعمل له ما يريد عمله من أمور الدنيا. وذلك بإذن ربه تعالى القادر على تسخير ما يشاء لمن يشاء. وقوله ﴿ومن يزغ منهم﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿عن أمرنا﴾ أي عما أمرناهم بعمله وكلفناهم به ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك يوم القيامة. وقوله ﴿يعملون له ما يشاء﴾ بيان لما في قوله ﴿من يعمل بين يديه﴾ من محاريب قصور أو بيوت تكون ملاصقة للمسجد للتعبد فيها، وتمثيل أي صور من نحاس أو خشب إذ لم تكن محرمة في شريعتهم وجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة تتسع لعشرة من الأكلة، كالجواب أي في الكبر والجابية حوض يفرغ فيه ماء البثر ثم يسقى به الزرع أو قدور راسيات أي ويعملون له قدوراً ضخمة لا تتحول بل تبقى دائماً موضوعة على الأثافي ويطبخ فيها وهي في مكانها وذلك لكبرها ومعنى راسيات ثابتات على الأثافي.

وقوله تعالى ﴿اعملوا﴾ أي قلنا لهم اعملوا آل داود شكراً أي اعملوا الصالحات شكراً لله تعالى على هذا الإفضال والإنعام أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا ربكم في أمره ونهيه يكن ذلك منكم شكراً لله على نعمه. روى أنه لما أمروا بهذا الأمر قال داود عليه السلام لآله أيكم يكفيني النهار فلما أكفيكم الليل فصلوا لله شكراً فما شئت أن ترى في مسجدهم راکعاً أو ساجداً في أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيت. وكفى شاهداً أن سليمان مات وهو قائم يصلي في المحراب. وقوله تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ هذا إخبار بواقع وصدق الله العظيم الشاكرون لله على نعمه قليل وفي كل زمان ومكان وذلك لإستيلاء الغفلة على القلوب من جهة ولجهل الناس بربهم وإنعامه من جهة أخرى.

وقوله تعالى في الآية (١٤) ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي توفيناه: ما دلهم على موته إلا دابة في الأرض أي الأرضة المعروفة تأكل منسأته فلما أكلتها خر على الأرض، وذلك أنه سأل ربه أن يعمى خبر موته عن الجن، حتي يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب كما هم يدعون، فمات وهو متكئ على عصاه يصلي في محرابه، والجن يعملون لا يدرون بموته فلما مضت مدة من الزمن وأكلت الأرضة المنسأة وخر سليمان على الأرض علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان ولما أقاموا مدة طويلة في الخدمة والعمل الشاق وهم لا يدرون. هذا معنى

(١) وجائز أن يكون هناك ملك بيده سوط من نار أو شهاب يضرب به الشيطان إن عصى سليمان كما روى عن السلف.

(٢) قال الشاعر:

تروح على آل المخلوق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

أي لا متلاتها.

قوله تعالى ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خثر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب﴾ - كما كان يدعى بعضهم - ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي الذي كان سليمان يصبه عليهم لعصيانهم وتمردهم على الطاعة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات .
- ٢- فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله .
- ٣- مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بآلاف السنين .
- ٤- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خطأه الدليل كتحريم الصور والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم .
- ٥- وجوب الشكر على النعم ، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها .
- ٦- تقرير أن علم الغيب لله وحده .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ
(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
(١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ (١٧)
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)

(١) الآية صريحة في أن من الجن من كان يدعي علم الغيب يضلل اخوانه من الجن والإنس به ، وإذ تبين للجن إن دعوى علم الغيب ممن ادعاهها باطلة علم كذلك الإنسان أن الجن ما كانوا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حين مات وتركوا العمل وفروا بعيدين .

(٢) لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستثن فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم . وفي البخاري أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون . وحديث الموطأ . إلا ما كان رقماً في ثوب فهو وإن خص جميع الصور فإن حديث عائشة رضي الله عنها دل على كراهيته إذ قال لها أخرجيه عني فهتكته والرخصة في لعب البنات لما في الصحيح على شرط أن لا تكون كأشباه التماثيل .

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ



شُكُورٍ

شرح الكلمات :

- لقد كان لسبأ في مسكنهم : أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم .
آية : أي علامة على قدرة الله وهي جنتان عن يمين وشمال .
بلدة طيبة ورب غفور : أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها ، والله رب غفور .
فأعرضوا : أي عن شكر الله وعبادته .
سيل العرم : أي سد السيل العرم .
ذواتى أكل خمط وأثل : أي صاحبتى أكل مَرَّ بشعٍ وشجر الأثل .
ذلك : أي التبديل جزيناهم بكفرهم .
القرى التي باركنا فيها : هي قرى الشام مبارك فيها .
قرى ظاهرة : أي متواصلة من اليمن إلى الشام .
وقدرنا فيها السير : أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقلون في قرية ويبيتون في أخرى .
فجعلناهم أحاديث : أي لمن جاء بعدهم أي أهلكتناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولاً بين الناس .
ومزقناهم كل ممزق : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق .
إن في ذلك لآيات : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً .
لكل صبار شكور : أي صبار على الطاعات وعن المعاصي شكور على النعم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنعامه على آل داود وشكرهم له وأخبر أنه قليل من عباده من يشكر إنعامه عليه ذكر أولاد سبأ وأنه أنعم عليهم بنعم عظيمة وأنهم ما شكروها فأنزل بهم نقمته وسلبهم نعمته

وذلك جزاء لكل كفور. فقال تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾ أي لقد كان لأولاد سبأ وهم الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، ومن أنمار جنعم وبيجلة ومن أولاد سبأ أربعة سكنوا في الشام وهم لخم وجدام وغسان، وعاملة وأبوهم سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقوله تعالى ﴿في مسكنهم﴾ أي في مسكنهم ﴿آية﴾ أي علامة على قدرة الله وإفضاله على عباده وهي جنتان عن يمين وشمال الوادي أي جنتان عن يمين الوادي وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأرب. كلوا من رزق ربكم أي قلنا لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أي هذا الإنعام بالإيمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله. وقوله ﴿بلدة طيبة﴾ أي هذه بلدة طيبة وهي صنعاء اليمن مناخها طيب وتربتها طيبة لا يوجد بها وباء ولا هوام ولا حشرات كالعقارب ونحوها، ﴿ورب غفور﴾ يغفر ذنوبكم متى أذنبتم وتبتم واستغفرتهم. ولكن أبطرتهم هذه النعم فكفروها ولم يشكروا كما قال تعالى ﴿فأعرضوا﴾ بأن كذبوا رسل الله إليهم وعصوا الله ورسله فانتقم الله منهم لإعراضهم وعدم شكرهم كما هي سنته في عباده. قال تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك بأن خرب السد، وذهبت المياه وماتت الأشجار وأمحلَّت الأرض، وتبدلت قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل خمط﴾ أي مُرٍ بشع وهو شجر الأراك وأثل وهو الطرفاء، وشيء من سدر قليل. هذا جزاء من أعرض عن ذكر الله وفسق عن أمره وخرج عن طاعته. قال تعالى ﴿ذلك﴾ أي الجزاء ﴿جزيناكم بما كفروا﴾ بسبب كفرهم وقوله: ﴿وهل نجازى إلا الكفور﴾ أي وهل نجازى بمثل هذا الجزاء وهو تحويل النعمة الي نعمة غير الكفور.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ وهي مدن الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي مدناً ظاهرة على المرتفعات من الأرض، وذلك من صنعاء عاصمتهم إلى الشام قرابة أربعة آلاف وسبعمئة قرية أي مدينة، وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي يجعل المسافات بين كل مدينة ومدينة متقاربة بحيث يخرج المسافر بلا زاد من ماء أو طعام فلا يقيّل إلا في مدينة ويخرج بعد

(١) قرأ نافع مسكنهم بالجمع وقرأ حفص بالإفراد مسكنهم وجمعه مساكن.

(٢) إذ لو اجتمعت البشرية كلها على اخراج شجرة من خشبة يابسة لما استطاعت فكيف بأنواع النوار والوانه واختلاف طعمه وروائح وأزهاره.

(٣) في الآية إشارة إلى أن الذنب ملازم للإنسان لا يعصم منه إلا من أراد الله عصمته كأنبيائه، ولذا أعلمهم أن المنعم بهذه النعم رب غفور يغفر ذنب عباده إذا تابوا إليه فدعاهم بهذا إلى التوبة وأن الذنب مع التوبة لا يسبب الهلاك العام أو سلب النعم ما دام هناك توبة تعقب الذنب.

(٤) قرأ حفص وهل تُجازي بنون العظمة والبناء للفاعل والكفور مفعول به منصوب وقرأ نافع والجمهور وهل يجازي بياء الغيبة مضمومة والفعل مبني للمفعول والكفور نائب فاعل والمعنى ما يجازي ذلك الجزاء إلا الكفور أي الشديد الكفر عظيمه.

(٥) هذه الآية والتي بعدها ذكرنا تنميماً للقصة.

القبيلة فلا ينام الا في مدينة أخرى حتى يصل الى الشام أو إلى المدينة التي يريد. وهذا كان لهم قبل هدم السد وتفرقهم وقوله تعالى: ﴿سَيُرَوُّ فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ أي وقتلنا لهم سيروا بين تلك المدن الليالي والأيام ذوات العدد آمنين من كل ما يخاف. وما كان منهم الا أنهم بطروا النعمة وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم. أي حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا راحل^(١). قال تعالى ﴿ووظلموا أنفسهم﴾ إذ بإعراضهم وحسدكم وبطروا النعمة كانوا قد ظلموا أنفسهم فعرضوا لعذاب الحرمان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقوله تعالى ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يروون أخبارهم ويقصون قصصهم بعد أن هلكوا وبادوا. وقوله تعالى ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرقناهم في البلاد كل فريق بحيث لا يرجى لهم عود اتصال أبداً فذهب الأوس والخزرج الى يثرب والمدينة النبوية وهم الأنصار، وذهب غسان الى^(٢) الشام، والأزد الى عُمان، وخزاعة الى تهامة واصبحوا مضرب المثل يقال: ذهبوا شذر مذر. وتفرقوا أيادي سبأ، أي مذاهب سبأ وطرقها. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي إن في إناعام الله على أبناء سبأ ثم في نعمته عليهم لما بطروا النعمة وكفروا الطاعة لعبراً يعتبر بها كل صبور على الطاعات فعلاً وعن المعاصي تركاً، ﴿شكور﴾ أي كثير الشكر على النعم. اللهم اجعلنا لك من الشاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.
- ٢- التحذير من كفر النعم بالاسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.
- ٣- خطر الحسد وانه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- ٤- فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

(١) قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قرأ الجمهور باعد فعل أمر من باعد يساعد وقرأ بعض بقَد فعل أمر من بعد يبعد على وزن جند، وقرأ بعض آخر باعد فعلاً ماضياً.

(٢) قيل ان المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمنين من الجوع والخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً ولباباً وحالهم كحال بني اسرائيل كما قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض حيث ملوا أكل اللحم والعسل.

(٣) قال الشعبي فلحقت الأوس والخزرج (الأنصار) بيثرب (المدينة) وغسان وجذام ولخم بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة. فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول. تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ أي مذاهب سبأ وطرقها.

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
 فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ
 إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ
 اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِّن شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
 وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ
 قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ
 ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه : أي صدق ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم .

فاتبعوه : في الكفر والضلال والإضلال .

الا فريقا منهم : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون فإنهم لم يتبعوه

وخاب ظنه فيهم زاده الله خيبة إلى يوم القيامة .

وما كان له عليهم من سلطان : أي ولم يكن لإبليس من تسلط منا عليهم لا بعصا ولا سيف

ولأنما هو التزيين والإغراء بالشهوات .

إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة

ممن هو منها في شك : أي لكن أذننا له في إغوائهم - إن استطاع - بالتزيين والإغراء

لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل
 سوءاً .

وربك على كل شيء حفيظ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ وسيجزى الناس بما

كسبوا .

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته .
 لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض : أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه .
 وما لهم فيها من شرك : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض .
 وماله منهم من ظهير : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء .

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له : أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها .
 حتى إذا فزع عن قلوبهم : أي ذهب الفزع والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى .
 قالوا : ماذا قال ربكم ؟ : أي قال بعضهم لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق أي في الشفاعة .
 وهو العليُّ الكبير : العلي فوق كل شيء علو ذات وقهر وهو الكبير الذي كل شيء دونه .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما حدث لسبأ من تقلبات وكان عامل ذلك هو تزوين الشيطان وإغواؤه أخبر تعالى عن حال الناس كل الناس فقال ﴿لقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ أي فيهم لما علم ضعفهم أمام الشهوات فاستعمل تزوينها كسلاح لحربهم ﴿فاتبعوه﴾ فيما دعاهم إليه من الشرك والإسراف والمعاصي ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ وهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم الذين أسلموا لله وجوههم وهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سبيل لإغوائهم فإنهم لم يتبعوه . هذا ما دلت عليه الآية (٢٠) وقوله تعالى : ﴿وما كان له﴾ أي للشيطان ﴿عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ أي قوة مادية ولا معنوية من حجج وبراهين ، وإنما أذن له في التحريش والوسواس والتزوين وهذا الإذن لعله وهي ظهور حال الناس ليعلم من يؤمن بالآخرة وما فيها من جنات ونيران ، وقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فالمؤمنون بالآخرة يتحملون مشاق التكليف فينهضون بها ويتجنبون الشهوات فينجون من النار ويدخلون الجنة ، والذين لا يؤمنون بالآخرة لا ينهضون بواجب ولا يتجنبون حراماً فيخسرون أنفسهم

(١) قرأ نافع والجمهور صدق بتخفيف الدال وقرأ حفص صدق بالتضعيف والجملة يبدو أنها معطوفة على قوله تعالى : وقال الذين كفروا هل ندلكم وهو قول كفار مكة وما بين هذه الآيات وتلك اعتراض للعظة والاعتبار والمقصود من هذه الآية تنبيه المؤمنين إلى مكائد الشيطان وسوء عاقبة من يتبعه حتى يلعنوه ولا يتبعوه . قال الحسن لما أبط آدم وحواء عليهما السلام من الجنة إلى الأرض وهبط إبليس قال إبليس أما إذا أصبت من الأيوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف فكان ذلك ظناً من إبليس فأنزل الله تعالى لقد صدق عليهم إبليس ظنه .

(٢) أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب فإما علم الغيب فقد علمه تبارك وتعالى فقله تعالى ، (إلا لنعلم) الخ . . . جواب لقوله وما كان له عليهم من سلطان .

وأهلهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين . وقوله تعالى ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو يحصى أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها ويجزيهم بها .

وقوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أي قل يا رسولنا بعد هذا العرض والبيان الشافي الذي تقدم في هذا السياق للمشركين من قومك ما دمت مصرين على الشرك بحجة أن شركاءكم ينفعون ويضررون وأنهم يشفعون لكم يوم تبعثون ادعوهم غير أن الحقيقة التي يجب أن تسمعوها وتعلموها - وأنتم بعد ذلك وما ترون وتهوون - هي أن الذين تدعونهم من دون الله وجعلتموهم لله شركاء لا يملكون مثقال ذرة أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض لا يملكونها استقلالاً ولا يملكونها شركة مع الله المالك الحق ، وهو معنى قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ ﴿وما لهم فيها﴾ أي في السموات والأرض من شرك بمعنى شركة ولو بأذن نسبة . وشيء آخر وهو أن شركاءكم الذين تدعونهم ليس لله تعالى منهم من ظهير أي معين حتى لا يقال بحكم حاجة الرب إليه ندعوه فيشفع لنا عنده ، وشيء آخر وهو أن الشفاعة عند الله لا تتم لأحد ولا تحصل له إلا إذا رضى الله تعالى بالشفاعة لمن أريد الشفاعة له ، وبعد أن يأذن أيضاً لمن أراد أن يشفع . فلم يبق إذاً أي طمع في شفاعة آلهتكم لكم لا في الدنيا ولا في الآخرة إذاً فكيف تصح عبادتهم وهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشفعون لأحد في الدنيا ولا الآخرة . وقوله تعالى ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ إلى آخره بيان لكيفية الشفاعة يوم القيامة وهي أن الشافع المأذون له في الشفاعة عندما يسأل الله تعالى فيجيبه الرب تعالى فيصاب بخوف وفرع شديد ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ أي زال ذلك الفرع والخوف قالوا لبعضهم البعض ماذا قال ربكم؟ فيقولون مستبشرين قالوا : الحق أي أذن لنا في الشفاعة وهو العلي الكبير أي العلى فوق خلقه بذاته وقهره وسلطانه الكبير الذي ليس مثله سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أن إبليس صدق ظنه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم .

(١) هذا الأمر للتحدي والتوبيخ وهو خطاب للمشركين المؤلهين الأصنام بعد ما ساق من دلائل التوحيد فيما عرفوا من حياة داود وسليمان وأهل سبأ أمر رسوله أن يتحداهم ويوبخهم على شركهم وباطلهم .

(٢) الظاهر أن من طلبوا الشفاعة لما أذن الله تعالى لهم وأصابهم الفرع والخوف فلما ذهب ذلك من قلوبهم سألوا الملائكة عما قال الله تعالى فتجيبهم الملائكة قال الحق أي قبل شفاعتكم .

٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه .

٣- بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائن من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة ، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم ، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضى له بها . ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من ملك أو نبي أو ولي أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهي الدعاء ، والعياذ بالله تعالى .

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
وَإِنَّا أَوْلِيَآكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ
لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْدِمُونَ
﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

قل من يرزقكم من السموات والأرض : من السموات ياتزال المطر ومن الأرض يانبات الزروع .
قل الله : أي إن لم يجيبوا فأجب انت فقل الله ، إذ لا جواب عندهم سواه .

وإنا وإياكم لعلی هدی أو فی

ضلال مبين : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا لعلی هدی أو فی
ضلال مبين ، وقطعا فالموحدون هم الذين علی هدی

والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفاً بهم
لعلهم يفكرون فيهدتدون.

قل لا تسألون عما أجرمتنا : أي أنكم لا تسألون عن ذنوبنا.
ولا تُسأل عما تعملون : أي ولا تُسأل نحن عما تعملون. وهذا تلطفاً بهم أيضاً ليراجعوا
أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.
قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق : أي قل لهم سيجمع بيننا ربنا يوم القيامة ويفصل
بيننا بالحق وهذا أيضاً تلطفاً بهم وهو الحق.

قل أروني الذين ألحقتم به : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع
الله فإن أروه إياهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة
عليهم. وقال لهم اتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم
وما تعملون؟! وما تعملون؟!

كلا بل هو الله العزيز الحكيم: كلا: لن تكون الأصنام أهلاً للعبادة بل المعبود الحق الواجب
العبادة هو الله العزيز الحكيم.
كافة للناس : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.
بشيراً ونذيراً : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بعذاب النار.
قل لكم ميعاد يوم : هو يوم القيامة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تبكيت المشركين وإقامة الحجج عليهم بتقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال
تعالى للرسول ﷺ سل قومك مبكثاً لهم: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض﴾^(١) بإنزال
الأمطار وإرسال الرياح لواقع وإنبات النباتات والزرع والثمار وتوفير الحيوان للحوم واللبن
ومشتقاته؟ وإن تلعثوا في الجواب أو ترددوا خوف الهزيمة العقلية فأجب أنت قائلاً الله. إذ ليس
من جواب عندهم سواه.

وقوله ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف

(١) لما أبطل بتلك الحجج آلهة المشركين حيث دعاؤها لا يجدي نفعاً للداعين لأنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الأرض ولا شفاعتها تنفع عابديها قرّر بهذه الآيات استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره، واستعمل أسلوب الجدال
لإقامة الحجة على الخصم فقال: قل من يرزقكم.

(٢) وإياكم معطوف على محل اسم إن المنصوب والجملة معطوفة على الاستفهام «قل من يرزقكم الخ» وهذا يقال له أسلوب
المنصف وهو أن لا يذكر المجادل لمن يجادله ما يغيظه أو يشير حفيظته رجاء هدايته إلى الحق.

بالخصم المعاند حتى لا يلج في العناد ولا يفكر في الأمر الذي يجادل فيه، وإلا فالرسول والمؤمنون هم الذين على هدى، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه عله يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابه. فقوله: ﴿لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ هو حق فإنهم لا يسألون عن ذنوب الرسول والمؤمنين، ولكن الرسول والمؤمنين لا ذنب لهم وإنما هو من باب التلطف في الخطاب، وأما المشركون فإن لهم أعمالاً من الشرك والباطل سيجزون بها والرسول والمؤمنون قطعاً لا يسألون عنها ولا يؤاخذون بها ما داموا قد بلغوا ونصحوا. وقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يحكم ويفصل بيننا ﴿بالحق وهو الفتح﴾ أي الحاكم العليم بأحوال خلقه فأحكامه ستكون عادلة لعلمه بما يحكم فيه ظاهراً وباطناً. وفي هذا جذب لهم بلطف ودون عنف ليقروا بالبعث الآخر الذي ينكرونه بشدة. وقوله ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين أروني آلهتكم التي اشركتموها بالله والحقتموها به وقلتم في تلبيتكم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك. الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهكذا يتحداهم رسول الله بإذن الله أن يروه شركاء لله حقيقة يسمعون ويبصرون ينفعون ويضرون ولما كان من غير الممكن الإتيان بهم غير أصنام وتمائيل زجرهم بعنف لعلهم يستفيقون من غفلتهم فقال: ﴿كَلَّا، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي ليست تلك الأصنام بآلهة تعبد مع الله بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره ومراده الحكيم في تدبير خلقه وشؤون عباده.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي لم نرسلك يا رسولنا لمهمة غير البشارة والنذارة فلذا لا يحزنك إعراضهم وعدم استجابتهم فبشر من آمن بك واتبعك فيما جئت به، وأنذر من كفر بك ولم يتابعك على الهدى الذي تدعو إليه.

(١) وهذا أيضاً من الباب الأول وهو حمل الخصم على عدم اللجاج في الخصومة ليبقى قادراً على الفهم وقبول الحق متى ظهر له للاح.

(٢) الأمر هنا للتمييز لإقامة الحجة عند ثبوت عجز المخاصم، ولما ثبت عجزهم زجرهم بكلمة كلا وردعهم بها، وحملهم على الاعتراف ببطان آلهتهم.

(٣) ولما تقرر مبدأ التوحيد عطف عليه تقرير النبوة المحمدية فقال وما أرسلناك. وبذلك ثبت رسالته.

(٤) في الكلام تقديم وتأخير إذ الأصل وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(١) فيه تعزية للرسول أيضاً إذ الواقع أن أكثر الناس لا يعلمون إذ لو علموا لما ترددوا في عبادة الله وتوحيده والتقرب إليه طمعاً فيما عنده وخوفاً مما لديه .
 وقوله: ﴿ويقولون﴾ أي أهل مكة من منكري البعث والجزاء ﴿متى هذا الوعد﴾ أي العذاب الذي تهددنا به وتخوفنا بنزوله بنا إن كنتم أيها المؤمنون صادقين فيما تقولون لنا وتعدونا به . وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد على استهزائهم وتكذيبهم بقوله: ﴿قل لكم ميعاد﴾^(٢) يوم معين عندنا محدد لا تستأخرون عنه ساعة لو طلبتم ذلك لتتوبوا وتستغفروا ولا تستقدمون أخرى لو طلبتم تعجيلة إذ الأمر مبرم مُحكم لا يقبل النقص ولا الزيادة ولا التبديل ولا التغيير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب الى رشده .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوى في ذلك .
- ٣- تقرير عقيدة النبوة المحمدية ، وعموم رسالة النبي ﷺ الى الناس كافة .
- ٤- يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيره بحال .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا
 بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
 اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
 عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ شُرَكَائِيْنَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماء وصفاته وما عنده وما لديه ، ولا محابة ولا مكارهه .

(٢) الاستفهام للاستبعاد مشوباً بالتعجب من كثرة سؤالهم عن هذا الوعد .

(٣) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته ببيانته .

أَسْتَضِعُّهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

ولا بالذي بين يديه : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل .
يرجع بعضهم إلى بعض القول : أي يقول الاتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبين
في الآيات .

أنحن صددناكم عن الهدى : أي ينكر المتكبرون وهم المتبوعون أن يكونوا صدوا التابعين
لهم عن الهدى بعد إذ جاءهم بواسطة رسوله .

بل كنتم مجرمين : أي ظلمة فاسدين مفسدين .
بل مكر الليل والنهار : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي
جعلنا نكفر بالله

ونجعل له أنداداً : أي شركاء نعبدهم معه فنناداه بهم .
وأسروا الندامة : أي اخفوها إذ لا فائدة منها أو أظهروها أي أظهروا الندم إذ أسر
الندامة له معنيان أخفى وأظهر .

وجعلنا الاغلال في أعناق : أي وجعلنا الأغلال جمع غل حديدة تجعل في عنق المجرم .
هل يجزون الا ما كانوا يعملون : أي ما يجزون الا ما كانوا يعملون .

معنى الآيات .

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء فيخبر تعالى فيقول : ﴿وقال الذين
كفروا﴾ أي من مشركي مكة قالوا للرسول والمؤمنين لن نؤمن^(١) بهذا القرآن الذي أنزل على
محمد ، ولا بالذي أنزل على من تقدمه من الأنبياء كالتوراة والإنجيل ، وذلك لما احتج عليهم

(١) القائل هذا هو أبو جهل بن هشام وذلك أن المشركين سألو أهل الكتاب من اليهود فلما أعلموهم بما يوافق ما يقول
الرسول ويدعو إليه من التوحيد والبعث والجزاء والرسالة قالوا : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي من التوراة
والإنجيل .

بتقرير التوراة والإنجيل للتوحيد والنُّبوت والبعث والجزاء قالوا لن نُؤمن بالجميع عناداً ومكابرة. وجحوداً وظلماً. ولازم هذا أنهم ظلمة معاندون ومن باب دعوتهم إلى الهدى ستعرض الآيات لهم حالهم يوم القيامة فيقول تعالى لرسوله وهم يسمعون ولو ترى^(١) يا رسولنا إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول^(٢) أي يتحاورون متلايمين. يقول الذين استضعفوا وهم الفقراء المرءوسون الذين كانوا أتباعاً لكبرائهم وأغنيائهم، يقولون للذين استكبروا عليهم في الدنيا: لولا أنتم أي صرفتمونا عن الإيمان واتباع الرسول لكنا مؤمنين فيرد عليهم الكبراء بما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي ما صددناكم أبداً بل كنتم مجرمين أي أصحاب إجرام وفساد ويرد عليهم المستضعفون قائلين بما أخبر تعالى به عنهم ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل^(٣) والنهار﴾ أي بل مكرهم بنا في الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً. قال تعالى ﴿وأسروا الندامة﴾ أي أخفوها لما رأوا العذاب. قال تعالى: ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي شددت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال وهي جمع غل حديدة يشد بها المجرم، ثم أدخلوا الجحيم إذ كانوا في موقف خارج جهنم، وقوله تعالى: ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي ما يُجزَوْنَ إلا ما كانوا يعملون فالجزاء بحسب العمل إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، وكانت أعمالهم كلها شر وظلم وباطل.

هذا وجواب لولا في أول السياق محذوف يُقدر بمثل: لرأيت أمراً فظيماً واكتفي بالعرض لموقفهم عن ذكره فإنه أنتم وأشمل.

(١) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً هائلاً مدهشاً ومحيراً.

(٢) الاستفهام إنكاري. أنكروا عليهم قولهم أنهم صدوا عن الإيمان.

(٣) المكر في اللغة الاحتيال والخديعة يقال مكر به يمكر فهو مكر ومكار.

(٤) مكر الليل والنهار الإضافة بمعنى في.

(٥) مكرهم مبتدأ والخبر محذوف تقديره صدنا وهو جملة فعلية.

(٦) الضمير في أسروا عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين والمعنى أنهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيء لهم وذلك عقب المحاورة التي دارت بينهم، فعلموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها.

(٧) الاستفهام إنكاري بقرينة الاستثناء بعده أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون أي من الشرك والظلم والشر والفساد إذ الجزاء من جنس العمل هو العدل المطلوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تشابه حال الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين . ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بالقرآن ولا بالتوراة والإنجيل .
- واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قول الله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾ .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة ، ومشهد من مشاهد .
- ٣- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشرف الناس اذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسله من الحق والدين الصحيح .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ

مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
 قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
 زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ
 بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
 ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
 إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
 أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

- الا قال مترفوها : أي رؤساؤها المنعمون فيها من اهل المال والجاه .
نحن أكثر أموالاً وأولاداً : أي من المؤمنين .
يسبط الرزق لمن يشاء : امتحاناً أيشكر العبد أم يكفر .
ويقدر : أي يضيق ابتلاء أيصبر المرء أم يسخط .
ولكن أكثر الناس لا يعلمون : أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض .
تقربكم عندنا زلفي : أي قربى بمعنى تقريباً .
إلا من آمن وعمل صالحاً : أي لكن من آمن وعمل صالحاً هو الذي تقربه تقريباً .
وهم في الغرفات آمنون : أي من المرض والموت وكل مكروه .
والذين سعوا في آياتنا : أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه .
معاجزين : أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوقونا فلم نعاقبهم .
وما أنفقتم من شيء : أي من مال في الخير .
وهو خير الرازقين : أي المعطين الرزق . أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير ﴾ هذا شروع في تسليمة الرسول ﷺ ببيان حال من سبق من الأمم وما واجهت به رسلها فقال تعالى ﴿ وما أرسلنا في قرية ﴾ أي مدينة من المدن ﴿ من نذير ﴾ إلا قال ﴿ مترفوها ﴾ أي أهل المال والثروة المتنعمون بألوان المطاعم والمشارب والملابس والمراكب .
قالوا لرسول الله ﴿ إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ فردوا بذلك دعوتهم . ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ﴾ فاعتزوا بقوتهم ، ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كذبوا بالبعث والجزاء كما أن كلامهم مُشعر بأنهم مغترون بأن ما أعطاهم الله من مال وولد كان لرضاه عنهم وعدم سخطه عليهم . وقوله تعالى ﴿ قل إن ربي يسبط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم إن ربي جل جلاله يسبط الرزق لمن يشاء امتحاناً له لا لرضى عنه ولا لبغض له ، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبغضه ولا لمحبتة ، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ومن بينهم مشركو قريش لا يعلمون أن بسط الرزق

(١) المترفون الذين أعطاهم الله الترف وهو النعيم وسعة العيش في الدنيا وفي بناء المترفون للمجهول تعريض وتذكير لهم بالمنعم تعالى عليهم يذكرون فيشكرون .

(٢) بسط الرزق تيسيره وتكثيره مأخوذ من بسط الثوب وهو نشره ليتسع لصاحبه وتقدير الرزق معناه إعطاؤه مقدراً ، ويقابله ما يعطى بغير حساب .

(٣) مفعول لا يعلمون محذوف وقد ذكر في التفسير وهو أنهم لا يعلمون الحكمة في بسط الرزق وتضييقه .

كتضييقه عائد إلى تربية الناس بالسراء والضراء امتحاناً وابتلاء . وقوله تعالى : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى﴾ يخبر تعالى المشركين المغترين بالمال والولد يقول لهم وما أموالكم ولا أولادكم بالحال التي تقرّبكم منا وتجعلنا نرضى عنكم وندنيكم منا زلفى أي قري .
﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ أي لكن من فعلوا الواجبات والمندوبات ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون لهم جزاء الضعف^(١)، أي جزاء تضاعف لهم حسناتهم فيه ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ، وذلك بسبب عملهم الصالحات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي غرفات الجنة آمنون من الموت ومن كل مكروه ومنغص لسعادتهم .

وقوله تعالى : ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يخبر تعالى أن الذين يعملون بجهد وحرص في إبطال آياتنا وإطفاء نور هدايتنا في كتابنا وقلوب عبادنا المؤمنين ويطنون أنهم معجزون لنا أي فائتونا لا ندرّكهم ولا نعاقبهم هؤلاء المغرورون في العذاب محضرون أي كأنك بهم وهم محضرون في جهنم يعذبون فيها أبداً .

فقوله تعالى : ﴿قل إن ربي﴾ أي قل يا رسولنا مرة أخرى تقريراً لهذه الحقيقة العلمية التي خفيت على الناس وجهلها قومك وهي أن الله يسط الرزق لمن يشاء امتحاناً لا حياً فيه ولا بغضاً له . وإنما امتحاناً له هل يشكر أو يكفر فإن شكر زدناه وأكرمناه وإن كفر سلبناه ما أعطيناه وعذبناه ، ﴿ويقدر له﴾ أي لمن شاء من عبادته ابتلاء له لا بغضاً له ولا حياً فيه . وإنما لتتظر هل يصبر على الابتلاء أو يسخط ويضجر فتريد في بلائه وشقائه . . وقوله تعالى : ﴿وما أنفقتم^(٢) من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ في هذا دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فإن التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه . وختم هذا بوعده الصادق وهو أن من أنفق في سبيل الله شيئاً أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل إنه يرزق ووصف به .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء .
- ٢- بيان اغترار المترفين بما أتاهم الله من مال وولد ظانين أن ذلك من رضا الله تعالى عليهم .

(١) الضعف بمعنى المضاعف المكرر مرة وأكثر حتى يبلغ اضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وهي سنة الإنفاق في الجهاد .
(٢) من في قوله «من شيء» بيانية وجملة فهو يخلفه جواب الشرط وجملة وهو خير الرازقين تنذير للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث الصحيح يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ، وما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً «في الصحيح» .

٣- بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض ، وانها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حب الله ولا على بغضه للعبد .

٤- بيان ما يقرب الى الله ويدنى منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتنون بالمال والولد .

٥- بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنه محض في جهنم لا محالة .

٦- بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالا .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

ويوم نحشرهم جميعا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعاً أي جميع المشركين .
 أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ : أي يقول تعالى هذا للملائكة تقريراً للمشركين وتوبيخاً لهم .
 قالوا سبحانك : أي قالت الملائكة سبحانك أي تقديساً لك عن الشرك وتزريهاً .
 أنت ولينا من دونهم : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يترأوا منهم .
 بل كانوا يعبدون الجن : أي الشياطين التي كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك عبادتهم لها .
 فالיום لا يملك بعضهم لبعض : أي لا يملك المعبودون للعابدين .
 نفعاً ولا ضراً : أي لا يملكون نفعهم فينفعونهم ولا ضرهم فيضرونهم .

ونقول للذين ظلموا : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين .

عذاب النار التي كنتم بها

تكذبون : أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو النار.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء والتوحيد . قال تعالى لرسوله ﷺ واذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ أي المشركين ﴿جميعاً﴾ فلم نبق منهم أحداً، ثم نقول للملائكة وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنياً: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ فتتبرأ الملائكة من ذلك وينزهون الله تعالى عنه الشرك فيقولون: ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عن الشرك وتقديساً ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أما هم فلا ولاية بيننا وبينهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ أي الشياطين ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ أي مصدقون فاطاعوهم في عبادة الأصنام وعصوك وعصوا رسلك فلم يعبدوك ولم يطيعوا رسلك.

وقوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعضكم نفعا ولا ضرا﴾ أي يقال لهم هذا القول تيسيراً وإبلاساً أي قطعاً لرجائهم في أن يشفعوا لهم . وقوله تعالى ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي كنتم تكذبون بها في الدنيا فذوقوا اليوم عذابها . والعياذ بالله من عذاب النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير لعقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها.
- ٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين إنما كانوا يعبدون الشياطين إذ هي التي زينت لهم الشرك . أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلاً عن أن يأمرهم به .
- ٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة .

(١) هذا الكلام متصل بما قبله وهو قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون إذ السياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض أحوال أهل النار وما يجري لهم من أمور.

(٢) هذا كقوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟﴾ وهو سؤال تقرير وتوبيخ لا للمستول ولكن لعابديه من الإنس والجن.

(٣) روى أن بني مُلَيْح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم الملائكة وأنهم بنات الله، وهو قوله تعالى في سورة الصافات ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾.

وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَإِنْتَنَايَتَدَتِ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ آيِنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ
 يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آيِنَهُمْ فَاكْذَبُوا رُسُلِي
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ
 تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ
 مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آياتنا بينات

: أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بيّنة الدلالة .

قالوا ما هذا الا رجل

: أي ما محمد الا رجل من الرجال .

يريد أن يصدكم عما

: أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لألهتكم التي كان يعبدها

كان يعبد آباؤكم

آباؤكم من قبل .

إلا إفك مفترى

: أي إلا كذب مختلق مزور .

وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ .

إن هذا الا سحر مبين

: أي ما هذا أي القرآن الا سحر مبين أي محمد ساحر والقرآن

سحر .

من كتب يدرسونها

: أي يقرأونها فأباحث لهم الشرك وأذنت لهم فيه .

وما ارسلنا إليهم قبلك من نذير : أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم الى الشرك .

وما بلغوا معشار ما آتيناهم : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكناهم معشار ما آتيناهم هؤلاء

من الحجج والبيانات (١) .

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والهلاك والجواب كان واقعاً موقعه لم يخطئه بحال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مواقف المشركين المخزية والتنديد بهم والوعيد الشديد لهم . قال تعالى ﴿وَإِذَاتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي مشركي قريش وكفارها ﴿آيَاتِنَا بَيْنَاتٌ﴾ أي يتلوها رسولنا واضحات الدلالة بينات المعاني فيما تدعو اليه من الحق وتندد به من الباطل . كان جوابهم أن قالوا : ما هذا إلا رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم . أي ما محمد إلا رجل أي ليس بمملكٍ يريد أن يصدكم أي يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان والأحجار . فسبحان الله أين يذهب بعقول المشركين أما يخجلون لما يقولون عما كان يعبد آباؤكم من الأصنام والأوثان ، إنه يصدكم حقاً عن عبادة الأوثان ولكن إلى عبادة الرحمن . وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿وَقَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا إِفْكَ﴾ أو كذب ﴿أَفْتَرَاهُ﴾ أي اختلقه وتخرصه من نفسه أي قالوا في القرآن وما يحمل من تشريع وهدى ونور قالوا فيه إنه كذبه محمد ﷺ سبحانه الله ما أشد سخف هؤلاء المشركين . وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي قالوا في الرسول وما جاءهم به من الدعوة إلى التوحيد والإصلاح ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي ما هذا إلا سحر مبين ، وذلك لما رأوا من تأثير الرسول والقرآن في نفوسهم إذ كان يحرك نفوسهم ويهزها هزاً .

بعد هذا العرض لمواقف المشركين قال تعالى : ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي مشركي قريش ﴿مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ أي اصبروا على الشرك وما أعطيناهم من كتب يقرأونها فوجدوا فيها الإذن بالشرك أو مشروعيته فتمسكوا به ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي رسول فأجاز لهم الشرك أو سنه لهم فهم على سنته ، اللهم لا ذا ولا ذاك . فكيف إذاً هذا الإصرار على الشرك وهو باطل لم ينزل به كتاب ولم يبعث به رسول .^(٣)

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي من الأمم البائدة ﴿وَلَمْ يَلْفُوا﴾ أي ولم يبلغ

(١) ما هذا يعنون القرآن الكريم وكذا قولهم إن هذا إلا سحر فإنهم يعنون القرآن الكريم أيضاً وإن بمعنى ما النافية والاسناد بعدها دال عليها .

(٢) الجملة حالية من ضمير قالوا ما هذا .

(٣) أي أنه ليس لهم ما يثبتون به من أقل دليل وأدنى شبهة كما هي الحال عند أهل الكتاب إذ قالوا عندنا كتابنا وجاءتنا رسلنا أما المشركون فليس لهم من ذلك شيء .

(٤) في الآية تسلية للرسول ﷺ في تكذيبهم له ﷺ وتهديد لهم . التسلية في قوله « وكذب الذين من قبلهم » والتهديد في « فكذبوا رسلي فكيف كان نكير » والفاء للتفريع أي في قوله فكذبوا رسلي .

(١) هؤلاء من القوة معشار ما كان لأولئك الأقوام الهالكين، ومع ذلك أهلكناهم، فكيف كان نكيرى أي كيف كان إنكارى عليهم الشرك وتكذيب رسلى كان بإبادتهم واستئصالهم. أما يخاف هؤلاء الضعفاء أن تحل بهم عقوبتنا فنهلكهم عن آخرهم كما أهلكنا من قبلهم ولما لم يرد الله إبادتهم بعد أن استوجبوها بالتكذيب لرسوله والإصرار على الشرك والكفر قال لرسوله قل لهم ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أي بخصلة واحدة وهي أن تقوموا لله أي متجردين من الهوى والتعصب ﴿مثنى﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وفرادي﴾ أي واحداً واحداً، ثم تفكروا في حياة محمد ﷺ ومواقفة الخيرة معكم وبعده عن كل أذى وشر وفساد فإنكم تعلمون يقيناً أنه ما بصاحبكم محمد من جنة ولا جنون إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أي ما هو ﷺ إلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم وهو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريدكم لكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكري.
- ٢- ضعف كفار قريش وتشدهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.^(٢)
- ٣- تقرير النبوة المحمدية وإثباتها وذلك ينفي الجنة عنه ﷺ وإثبات أنه نذير.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفِ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾
قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ

(١) المعشار العشر إذ هو الجزء العاشر كالمربع الذي يعطي لقائد الكتبة من الغنائم وهو ربعها.
(٢) هذا انتقال من حكاية أقوال المشركين والرد عليهم إلى دعوتهم للانصاف في النظر والتأمل في الحقائق ليتضح لهم خطاهم وهذا من باب الإعداد لهم في المجادلة ليهلك من يهلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.
(٣) قال القرطبي : وقيل المعشار هو عشر العشر، والعشر هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردي وهو أظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل وما فسرت به الآية في التفسير أرجح وأوضح، وإن أريد به ما أتى الله هذه الأمة من العلم والبيان فهذا المعنى صحيح غير أنه لا يتلاءم مع سياق الآيات.

سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَافَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ
 مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَمْنَابِهٖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ
 مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
 بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
 كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

قل إن ربي يقذف بالحق : أي يلقي بالوحي الحق إلى أنبيائه . ويقذف الباطل بالحق أيضا فيدمغه .

وما يبدىء الباطل وما يعيد : أي وما يبدىء الباطل الذي هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له .

فإنما أضل على نفسي : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري .
 إنه سميع قريب : أي سميع لما أقول لكم قريب غير بعيد فلا يتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه .

إذ فزعوا فلافوت : أي إذ فزعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا .

وأنى لهم التناوش من مكان : أي لما شاهدوا العذاب قالوا آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا .
 (التناوش) التناول من مكان بعيد .

كما فعل بأشياءهم من قبل : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل .
 في شك مرّيب : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمثون إلى شيء أبداً .

معنى الآيات :

لما لج المشركون في الخصومة والعناد ودعاهم الله تعالى الى أمثل حل وهو أن يقوموا متجربين لله تعالى من الهوى والتعصب يقوموا اثنين اثنين أو واحداً واحداً لأن الجماعة من شأنها أن تختلف مع الآراء ثم يتفكروا في حياة الرسول وما دعاهم إليه من الهدى والحق فإنكم تعلمون انه ليس كما اتهمتموه بالجنون وإنما هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد يخاف وقوعه بكم ونزوله عليكم هنا أمره تعالى أن يقول لهم وكوني نذيراً لكم مما أخاف عليكم لا أسألكم على إنذاري لكم أجراً ﴿١﴾ إن أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿٢﴾ أي مطلع عليّ عالم بصدقني ويجزيني على إنذاري لكم إذ كلفني به فقمتم به طاعة له . وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ (٣) أي قل لهم يارسولنا إن ربي يقذف بالحق أي يلقي بالوحي على من يشاء من عباده ﴿علام الغيوب﴾ أي وهو علام الغيوب يعلم من هو أهل للوحي إليه والإرسال فيوحي إليه ويرسله كما أوحى إليّ وارسلني إليكم نذيراً وبشيراً . وقوله تعالى : ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي قل لهم يارسولنا جاء الحق وهو الإسلام الدين الحق ، فلم يبق للباطل الذي هو الشرك والكفر مكان ولا مجال ، وما يبدىء الباطل وما يعيد ؟ أي أنه كما لا يبدىء لا يعيد فهو ذاهب لا أثر له أبداً وقوله : ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ أي أعلمهم بأنك إن ضللت فيما أنت قائم عليه تدعو إليه فإنما عائد ضلالك عليك لا عليهم ، وإن اهتمدت فهدايتك بفضل ما يوحي إليك ربك من الهدى والنور ﴿إنه سميع قريب﴾ سميع لأقوالك وأقوال غيرك غير بعيد فيتعذر عليه مجازاة عباده صاحب الإحسان بالإحسان وصاحب السوء بالسوء . وقوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أي لرأيت أمراً قطعياً يقول تعالى لرسوله ولو ترى إذ فرع المشركون في ساحات فصل القضاء يوم القيامة فرعوا من شدة الهول والخوف وقد أخذوا من مكان قريب والقوا في جهنم لرأيت أمراً فظيماً في غاية الفظاعة . وقوله ﴿فلا فوت

(١) أي جعلنا على تبليغ الرسالة فإن سألتكموه فهو لكم .

(٢) جائز أن يكون المعنى يقذف الباطل بالحق فيدمغه فإذا هو زهق كذا روي عن ابن عباس وقال قتادة بالحق أي بالوحي وعنه أن الحق القرآن والكل صحيح وما في التفسير أقرب وأوضح .

(٣) علام مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب والغيوب جمع غيب وقرأ الجمهور بضم الغين وكسرهما بعضهم كبيت إذ يجوز لها الضم والكسر والآية فيها معنى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفيها رد على المعترضين على الوحي إلى محمد ﷺ .

(٤) لما أفحمهم في الآيات السابقة وقطع طريق الاستدلال عليهم وتركهم في غيهم حيارى أمر رسوله أن يقول لهم تاركاً جدالهم لعدم الفائدة منه بعد وضوح الحق ﴿إن ضللت﴾ الآية فعل هذا إنهاء لجدل عقيم .

(٥) الخطاب للرسول ﷺ ولكل ذي أهلية وجواب لو محذوف كأن اللفظ لا يقدر على تصويره على حقيقته لفظاته وهو كذلك .

لهم ﴿ لا يفوتون الله تعالى ولا يهربون من قبضته . وقوله تعالى : ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ ^(١) أي قالوا بعد ما بُعثوا وفزعوا من هول القيامة قالوا آمنا به أي بالله وكتابه ولقائه ورسوله ، قال تعالى ﴿ واني لهم ^(٢) التناوش ﴾ أي التناول للإيمان من مكان بعيد إذ هم في الآخرة والإيمان كان في الدنيا فكيف يتناولونه بهذه السهولة ويقبل منهم وينجون من العذاب هذا بعيد جداً ولن يكون أبداً وقد كفروا به من قبل أي لا سيما وأنهم قد عُرض عليهم الإيمان وهم قادرون عليه فرفضوه فكيف يمكنون منه الآن . وقوله ﴿ ويقذفون بالغيب ^(٣) من مكان بعيد ﴾ أي وها هم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمداً ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون كاذب ومرة ساحر ومرة شاعر وأخرى مجنون وكل هذا رجماً بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه وأخيراً قال تعالى : ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ وهو الإيمان الموجب للنجاة كما فعل بأشياعهم ^(٤) أي أشباههم وأنصارهم من أهل الكفر والتكذيب لما جاءهم العذاب قالوا آمنا ولم ينفعهم إيمانهم وأهلكوا فآلقوا في الجحيم ، وقوله ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾ أي مشركو قريش وكفارها أخبر تعالى أنهم كانوا في الدنيا في شك من توحيدنا ونبيينا ولقائنا مريب أي موقع لهم في الريب والاضطراب فلم يؤمنوا فماتوا على الكفر والشرك وهذا جزاء من يموت على الشرك والكفر .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الله تعالى ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ، ويحتسب أجره على الله عز وجل .
- ٢- بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد إذ ما هو إلا سُنَيَات والإسلام ضارب بجرائنه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام .
- ٣- الإيمان الاضطراب لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب .
- ٤- الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب .

(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو اليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن إذ الكل واجب الإيمان وقد كفروا بالكل وكذبوا .
(٢) أنى استفهام عن المكان وهو مستعمل هنا للإنكار والتناوش التناول السهل وأكثر وروده في شرب الإبل شرباً خفيفاً من الحوض ونحوه قال الشاعر :

باتت تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

أي تتناول الماء من أعلاه ولا تغوص مشافرها فيه .

(٣) القذف الرمي باليد من بعد ويستعار للقول بلون ترو ولا دليل وهو كقولهم في الأصنام هم شفعائنا عند الله وكتكذيبهم بالبعث والتوحيد والنبوة .

(٤) الأشياع : المتشابهون في النحلة وإن كانوا سالفين وأصل المشايعة المتابعة في العمل .

(٥) هذه الجملة تعليلية لكل ما سبق في تكذيبهم وعنادهم وجهلهم وضلالهم إذ الشك وعدم اليقين هو الذي يقع صاحبه في أودية الضلال والباطل .

سُورَةُ فَاطِمَةَ

مكية

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الحمد لله

: أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد ومقتضى الحمد ما ذكر

بعد .

فاطر السموات والأرض

: أي خالقهما على غير مثال سابق .

جاعل الملائكة رسلا

: أي جعل منهم رسلا إلى الأنبياء كجبريل عليه السلام .

أولى أجنحة

: أي ذوى أجنحة جمع جناح كجناح الطائر .

يزيد في الخلق ما يشاء

: أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل مائة جناح .

وما يمسك

: أي الله من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره سبحانه وتعالى .

وهو العزيز الحكيم

: أي الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه .

اذكروا نعمة الله عليكم

: أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم

في حرمكم .

هل من خالق غير الله يرزقكم : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكم .

من السماء والأرض ؟ : أي يأنزل المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض .

لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا هو إذا فاعبدوه ووحده .
فأنى توفكون : أي كيف تصرفون عن توحيده مع اعترافكم بأنه وحده الخالق
الرازق .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾^(١) أي الشكر الكامل والحمد التام لله استحقاقاً، والكلام خرج مخرج الخبر ومعناه الإنشاء أي قولوا الحمد لله . واشكروه كما هو أيضاً إخبار منه تعالى بأن الحمد له ولا مستحق غيره ومقتضى حمده . فطره السموات والأرض أي خلقه لهما على غير مثال سابق ولا نموذج حاكاه في خلقهما . وجعله الملائكة رسلًا إلى الأنبياء وإلى من يشاء من عباده بالإلهام والرؤيا الصالحة . وقوله ﴿أولي أجنحة﴾ صفة للملائكة أي أصحاب أجنحة مثني أي اثنين اثنين، وثلاث أي ثلاثة ثلاثة ورباع أي أربعة أربعة . وقوله ﴿يزيد في الخلق﴾ أي خلق الأجنحة ما يشاء فقد خلق لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحاح ويزيد في خلق ما يشاء من مخلوقاته وهو على كل شيء قدير .

وقوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ يخبر تعالى أن مفاتيح كل شيء بيده فما يفتح للناس من أرزاق وخيرات وبركات لا يمكن لأحد من خلقه أن يمسكها دونه وما يمسك من ذلك فلا يستطيع أحد من خلقه أن يرسله ، وهو وحده العزيز الغالب على أمره ومراده فلا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى الحكيم في صنعه وتدبير خلقه . وقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ هذا نداؤه تعالى لأهل مكة من قریش يأمرهم بعده بأن يذكروا نعمه تعالى عليهم حيث خلقهم ووسع أرزاقهم وجعل لهم حرماً آمناً والناس يتخطفون من

(١) يصح في فاطر الجبر على النعت والرفع على القطع أي هو فاطر والنصب على المدح أي أمدح فاطر، والفطر: الشق يقال فطرته فانفطر وتفطر، وفطر ناب البعير إذا شق اللحم وطلع، والفاطر: الخالق، قال ابن عباس كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرته أي أنا ابتدأتها والمراد بالسموات والأرض العالم كله .

(٢) المراد بالملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (ملك الموت) وما شاء الله .

(٣) جائز أن يكون في ملاحظة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور ودخل في العبارة فإنها عامة .

(٤) لفظ الرحمة نكرة دال على الكثرة والشيوع فهو يتناول كل ما هو رحمة من النبوة والعلم إلى المطر والرزق إلى النصر والفوز .

(٥) أي بعد أن ناداهم أمرهم بأن يذكروا نعمه عليهم إذ نداه المأمور يلفت نظره ويحضر حواسه لاستقبال ما يلقى إليه ويؤمر به أو يحذر منه .

حولهم خائفون يأمرهم بذكر نعمه لأنهم إذا ذكروها شكروها بالإيمان به وتوحيده . وقوله ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟﴾ والجواب لا أحد إذ لا خالق إلا هو ولا رازق سواه فهو الذي خلقهم ومن السماء والأرض رزقهم . السماء تمطر والأرض تنبت بأمره . إذا فلا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو فكيف إذا تصرفون عن الحق بعد معرفته إن حالكم لعجب . هذا ما دل علي قوله تعالى ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه .
- ٢- تقرير الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلاً .
- ٣- وجوب اللجوء الى الله تعالى في طلب الخير ودفع الضر فإنه بيده خزائن كل شيء .
- ٤- وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافظاً على شكرها بطاعة الله ورسوله .
- ٥- تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد .
- ٦- العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره .

وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذَّابٌ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

(١) قرئ غير الله بالجر وقرأ الجمهور غير بالرفع على محل خالق المرفوع محلاً في الآية دليل أن الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى .

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي يا رسولنا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك .

فقد كذبت رسل من قبلك : أي فلست وحدك كذبت إذاً فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبر من قبلك .

وإلى الله ترجع الأمور : وسوف يجزى المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم .
ولا يفرنكم بالله الغرور : أي ولا يفرنكم بالله أي في حلمه وإمهاله الغرور أي الشيطان .

فاتخذوه عدواً : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يفركم به واطيعوا ربكم عز وجل .
انما يدعو حزبه : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد .
ليكونوا من أصحاب السعير : أي ليؤزل أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة .
لهم مغفرة وأجر كبير : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الجنة وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات .

معنى الآيات :

(١) لما أقام تعالى الحجة على المشركين في الآيات السابقة قال لرسوله ﷺ ﴿وإن يكذبوك﴾ بعدما أقيمت عليهم الحجة فلست وحدك المكذب فقد كذبت قبلك رسل كثيرون جاءوا أقوامهم بالبينات والزبر وصبروا إذاً فاصبر كما صبروا ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ وسوف يقضى بينك وبينهم بالحق فينصرك في الدنيا ويخذلهم ، ويرحمك في الآخرة ويعذبهم .

وقوله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ أي يا أهل مكة وكل مغرور من الناس بالحياة الدنيا أعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا بطول أعماركم وصحة أبدانكم وسعة أرزاقكم ، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة ﴿ولا يفرنكم بالله﴾ أي حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ وهو الشيطان حيث يتخذ من حلم الله تعالى عليكم وإمهاله لكم طريقاً إلى إغوائكم وإفسادكم بما يحملكم عليه من تأخير التوبة والإصرار على المعاصي ، والاستمرار عليها ﴿إن الشيطان

(١) في هذه الآية تعزية الله تعالى لرسوله ﷺ وتسليته له بالتأسي بمن قبله من الرسل وتكذيب أممهم لهم .

(٢) قرأ الجمهور ترجع بضم التاء وقرأ بعض بفتحها والكل صحيح ومآل المعنى واحد .

(٣) الغرور بالضم مصدر غره غره غروراً ، وبالفتح الشيطان وهو المراد هنا وصيفته من صيغ المبالغة (فعل) إذ هو كثير الغرور يأتيهم من حيث حلم الله وإمهاله فيصرفهم عن الحق مغرراً بإيهم بأنهم لو كانوا على باطل لأهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم ويسوف آخذين بحلم الله فيصرفهم عن التوبة .

(١) لكم عدو ﴿بالغ العداوة ظاهرها فاتخذوه أنتم عدواً كذلك فلا تطيعوه ولا تستجيبوا لندائه﴾ ، ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي أتباعه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ أي النار المستعرة ، إنه يريد أن تكونوا معه في الجحيم . إذ هو محكوم عليه بها أزلاً وقوله تعالى : ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم . هذا حكم الله في عباده وقراره فيهم : وهم فريقان مؤمن صالح وكافر فاسد ولكل جزاء عادل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ ويدخل فيها كل دعاة الحق إذا كُذِّبوا وأوذوا فعليهم أن يصبروا .
- ٢- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق .
- ٣- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق وسلامة البدن .
- ٤- التحذير من الشيطان وجوب الاعتراف بعبادته ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقبيح والشر .
- ٥- بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان ، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان .

أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا

(١) يكفي في إثبات عداوته أنه أخرج أبونا من الجنة ، وأنه تعهد بإضلالهم وإغوائهم كقوله لأغوينهم أجمعين وقوله ولاخلنهم ولامنينهم .

(٢) الذين كفروا : الجملة مستأنفة بياناً لأنه بعد التحذير من طاعة الشيطان يلوح في الأذهان سؤال : ما جزاء من أطاع الشيطان وما جزاء من عصاه ؟ فالجواب الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ويرى بعضهم أنها ابتدائية ذكرت فذلك لما تقدم من الكلام .

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- أفمن زين له سوء عمله : أي قبيح عمله من الشرك والمعاصي .
فراه حسناً : أي رآه حسناً زيناً لا قبيح فيه .
فلا تذهب نفسك عليهم : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم .
حسرات : أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم .
إن الله عليم بما يصنعون : وسيجزئهم بصنيعهم الباطل .
فتشير سحابة : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير .
فسقناه الى بلد ميت : أي لا نبات به .
فأحيينا به الأرض : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع .
كذلك النشور : أي البعث والحياة الثانية .
فلله العزة جميعاً : أي فليطلب العزة بطاعة الله فإنها لا تنال إلا بذلك .
إليه يصعد الكلم الطيب : أي الى الله تعالى يصعد الكلم الطيب وهو سبحانه الله والحمد لله والله أكبر .
والعمل الصالح يرفعه : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع الى الله الكلم الطيب .
يمكرون السيئات : أي يعملونها ويكسبونها .
ومكر أولئك هو يبور : أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل .
خلقكم من تراب : أي أصلكم وهو آدم .
ثم من نطفة : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذرية آدم .

ثم جعلكم أزواجاً : أي ذكراً وأنثى .
وما تحمل من أنثى : أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه .
وما يعمر من معمر : أي وما يطول من عُمر ذي عُمر طويل إلا في كتاب .
ولا ينقص من عمره : أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل الا في كتاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقوية روح الرسول ﷺ والشدة من عزمه أمام تقلبات المشركين وعنادهم ومكرهم فقال تعالى : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ ^(١) أي أفمن زين له الشيطان ونفسه وهواه قبيح عمله وهو الشرك والمعاصي فرآه حسناً كمن هداه الله فهو على نور من ربه يرى الحسنة حسنة والسيئة سيئة والجواب : لا ، لا . وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يضل بعدله وحسب سننه في الإضلال من يشاء من عباده ، ويهدي بفضل من يشاء هدايته إذا فلا تذهب نفسك أيها الرسول على عدم هدايتهم حسرات فتهلك نفسك تحسراً على عدم هدايتهم . وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فلذا لا داعي إلى الحزن والغم مادام الله تعالى وهوربهم قد أحصى أعمالهم وسيجزئهم بها . وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرِ سَحَابًا﴾ أي تزعجه وتحركه . ﴿فَسَقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ ^(٢) أي لا نبات ولا زرع به ﴿فَاحِينَا بِهِ الْأَرْضُ بِعَدِّ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى إذ بعد فناء العالم ينزل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت الإنسان من عظم يقال له عَجَبُ الذَّنْبِ فيتم خلقه ، ثم يرسل الله تعالى الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تخطيء روح جسدها . وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات ويساقون إلى المحشر ويجزى كل نفس بما كسبت والله سريع الحساب .

(١) الهمزة للاستفهام الإنكاري والغاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ والعزيم الشيطان والمزين له سوء عمله (من) الموصولية وهي من ألفاظ العموم تتناول من قبل أن الآية نزلت فيه وهو أبو جهل ثم هي صادقة على كل من زين له الشيطان الشرك والشر والفساد فرآها حسنة ، (ومن) مبتدأ والخبر محذوف قد يقدر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقد يقدر كمن هداه الله كما في التفسير وقد يقدر بغير ما ذكر .
(٢) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل إنهم اليهود والنصارى والمجوس وسوء عمله معاداة الرسول ﷺ ، وقيل إنهم الخوارج وسوء عمله تحريف التأويل وقيل الشيطان وعمله الإغراء وقيل كفار قريش وهو الظاهر .

(٣) قرأ الجمهور فلا تذهب نفسك بفتح التاء ورفع السين من نفسك وقرئ بضم التاء ونصب نفسك على أنها مفعول به .

(٤) الراجع من الأقوال لغة أن ميت مشددة وميت مخفف لا فرق بينهما وشاهده قول الشاعر :

ليس من مات واستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقوله تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فليطلبها من الله تعالى بطاعته و طاعة رسوله فإن العزة لله جميعاً فالعزيز من أعزه الله والدليل من أذله، إنهم كانوا يطلبون العزة بالأصنام فاعلموا أن من يريد العزة فليطلبها من مالکها أما الذي لا يملك العزة فكيف يعطيها لغيره إن فاقد الشيء لا يعطيه. وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أي إلى الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه إلى الله تعالى فإذا كان قول بدون عمل فإنه لا يرفع إلى الله تعالى ولا يثيب عليه، وقد ندد الله تعالى بالذين يقولون ولا يعملون فقال ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. وقوله ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي يعملونها وهي الشرك والمعاصي ﴿لهم عذاب شديد﴾ هذا جزاؤهم، ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي ومكر الذين يعملون السيئات ﴿هو يبور﴾ أي يفسد ويبطل.

وقوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب﴾ أي خلق أصلنا من تراب وهو آدم، ثم خلقنا نحن ذريته من نطفة وهي ماء الرجل وماء المرأة، ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي ذكراً وأنثى. هذه مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وتوحيده والمقتضية للبعث والجزاء، وقوله ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر﴾ أي يزداد في عمره، ولا ينقص من عمره فلا يزداد فيه إلا في كتاب وهو كتاب المقادير. هذا مظهر من مظاهر العلم، وبالعلم والقدرة هو قادر على إحياء الموتى وبعث الناس للحساب والجزاء. ولذا قال تعالى ﴿إن ذلك﴾ أي المذكور من الخلق والتدبير ووجوده في كتاب المقادير على الله يسير أي سهل لا صعوبة فيه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فإن ذلك يؤدي بالعبد إلى أن يصبح يرى الأعمال القبيحة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدي أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصي والذنوب.
- عملية إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على بعث الناس أحياء بعد موتهم.

(١) المكر: تدبير الحاق الضرر بالغير في خفية. والمراد هنا أن الذين يمكرون بالرسول ﷺ والمؤمنين مكرهم يذهب سدى ولا يفلحون فيه كما أن الآية تشير إلى أن كل من يمكر مكر السوء فإن عاقبة مكره تعود عليه وبالا وخسرانا كقوله تعالى ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

(٢) فما يكون حمل ولا وضع أي ولادة إلا بعلمه، فلا يخرج شيء عن تدبيره وحكمته وما يعمر سماء معمرّاً باعتبار ما هو صائر إليه وفي الحديث الصحيح: من أحب أن ييسر له في رزقه وينسأ له في أثره أي أجله فليصل رحمه.

٣- مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقياً بدون طاعة الله ورسوله.

٤- علم الله المتجلى في الخلق والتدبير يُضاف إليه قدرته تعالى التي لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء.

٥- تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِنَبْتِغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

شرح الكلمات :

عذب فرات	: أي شديد العذوبة.
وهذا ملح أجاج	: أي شديد الملوحة.
ومن كل تأكلون	: أي ومن كل منهما.
لحماً طرياً	: أي السمك.
حلية تلبسونها	: أي اللؤلؤ والمرجان.

- مواخر : أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر .
 لتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى .
 ولعلكم تشكرون : أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم .
 ويولج الليل في النهار : أي يدخل الليل في النهار فيزيد .
 ويولج النهار في الليل : أي يدخل النهار في الليل فيزيد .
 وسخر الشمس والقمر : أي ذللهما .
 كل يجري لأجل مسمى : أي في فلكه إلى يوم القيامة .
 والذين تدعون : أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام .
 ما يملكون من قطمير : أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهي بيضاء رقيقة .
 ولو سمعوا : أي فرضاً ما استجابوا لكم .
 يكفرون بشرككم : أي يتبرأون منكم ومن عبادتكم إياهم .
 ولا يُنبئك مثل خبير : أي لا ينبئك أي بأحوال الدارين مثلي فإني خبير بذلك عليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته تدبيره لخلقه وهي مظاهر موجبة لله العبادة وحده دون غيره، ومقتضية للبعث الذي أنكره المشركون قال تعالى ﴿وما يستوي البحران﴾ أي لا يتعادلان. ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ أي ماؤه عذب شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي ماؤه شديد الملوحة لمرارته مع ملوحته، فهل يستوي الحق والباطل هل تستوي عبادة الأصنام مع عبادة الرحمن؟ والجواب لا. وقوله: ﴿ومن كل تأكلون﴾ أي ومن كل من البحرين العذب والملح تأكلون لحمًا طرياً وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ أي اللؤلؤ والمرجان. وهي حلية يتحلى بها النساء للرجال، وقوله ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ أي وترى أيها السامع لهذا الخطاب ﴿الفلك﴾ أي السفن مواخر في البحر تمخر عباب البحر وتشق ماءه غادية رائحة تحمل الرجال والأموال، سخرها وسخر البحر ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي الرزق بالتجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي سخر لكم البحر لتبتغوا من فضله ورجاء أن تشكروا. لم يقل لتشكروا كما قال

(١) معنى سائغ شرابه أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإسائة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة قال الشاعر:

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

(٢) المالح من الطعام والشراب: هو الذي يجعل فيه الملح والملح بكسر الميم وسكون اللام الشيء الموصوف بالملوحة بذاته لا بإلقاء الملح فيه والأجاج الشديد الملوحة.

لتبتغوا لأن الابتغاء حاصل من كل راكب ، وأما الشكر فليس كذلك بل من الناس من يشكر ومنهم من لا يشكر، ولذا جاء بأداة الرجاء وهي لعل وقوله ﴿يولج الليل^(١) في النهار﴾ أي يدخل جزءاً من الليل في النهار فيطول، ويقصر الليل ﴿ويدخل النهار في الليل﴾ أي يدخل جزءاً منه في الليل فيطول كما أنه يدخل النهار في الليل، والليل في النهار بالكلية فإنه إذا جاء أحدهما ذهب الآخر ويشهد له قوله تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ ولازمه والنهار نسلخ منه الليل، فإذا الليل ليل والنهار نهار.

وقوله ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما فما يسيران الدهر كله بلا كلل ولا ملل لصالح العباد إذ بهما كان الليل والنهار، وبهما تعرف السنون والحساب وقوله ﴿كل يجري﴾ أي كل منهما يجري ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى وقت محدد وهو يوم القيامة. ولما عرف تعالى نفسه بمظاهر القدرة قدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته قال للناس ﴿ذلكم^(٢) الله ربكم له الملك﴾ أي بعد أن أقام الحجة وأظهر الدليل لم يبق الا الإعلان عن الحقيقة التي يتنكر لها الكافرون فأعلنها بقوله ﴿ذلكم﴾ ذو الصفات العظام والجلال والإكرام هو الله ربكم الذي لا رب لكم سواه له الملك، وليس لغيره فلا يصح طلب شيء من غيره، إذ الملك كله لله وحده، وأما الذين تدعون من دونه أي تعبدونهم من دونه وهي الأصنام والأوثان وغيرها من الملائكة والأنبياء والأولياء فإنهم لا يملكون من قديم فضلاً عن غيره ثمرة فما فوقها لأن الذي لا يملك قطميراً - وهو القشرة الرقيقة على النواة - لا يملك بعيراً.

وقوله ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ نعم لا يسمعون لأنهم جمادات وأصنام من حجارة فكيف يسمعون وعلى فرض لو أنهم سمعوا ما استجابوا لداعيهم لعدم قدرتهم على الاستجابة. وقوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ فهم إذاً محنة لكم في الدنيا تنحتونهم وتحمونهم وتعبدونهم ويوم القيامة يكونون أعداء لكم وخصوصاً فيتبرءون من شرككم إياهم في عبادة الله، فتقوم عليكم الحجة بسببهم فما الحاجة إذاً إلى الإصرار على عبادتهم وحمائيتهم والدفاع عنهم. وقوله تعالى ﴿ولا ينبئك﴾ أيها السامع ﴿مثل خبير﴾ وهو الله تعالى فالخبير أصدق من ينبئ

(١) هذا استدلال بمظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة بما في العالم العلوي بعد الاستدلال بما في العالم السفلي من ذلك.

(٢) هذا استئناف موقعه موقع النتيجة من الأدلة السابقة وهي أدلة مفصلة في غاية القوة والوضوح.

(٣) جاء في القرآن ذكر النقيير والقطمير والفتيل واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح : أن النقيير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط الأبيض في وسط النواة، وأن القطمير اللقافة البيضاء على النواة.

(٤) خبير صفة مشبهة مشتقة من خبر بضم الياء فلان الأمر إذا علمه علماً لا شك فيه وأجريت هذه الجملة مجرى المثل يقال (ولا ينبئك مثل خبير).

وأصح من يقول فالله هو العليم الخبير وما أخبر به عن الآلهة في الدنيا والآخرة في الدنيا عن عجزها وعدم غناها وفي الآخرة عن براءتها وكفرها بعبادة عابديها . فهو الحق الذي لا مرية فيه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته .
- ٢- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها .
- ٤- بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة .
- ٥- تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم ، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) **﴿إِنْ يَشَاءُ ذَهَبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- أنتم الفقراء إلى الله : أي المحتاجون إليه في كل حال .
والله هو الغني الحميد : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه ، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها .
ويأت بخلق جديد : أي بدلا عنكم .

وما ذلك على الله بعزیز : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع .
ولا تزر وازرة وزر أخرى: أي في حكم الله وقضائه بين عباده أن النفس المذنبة الحاملة
لذنبها لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل وازرة تحمل وزرها
وحدها .

وان تدع مثقلة : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة .
لا يحمل منه شيء : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها حتى لو
دعت ابنها أو أباه أو أمها فضلا عن غيرهم ، بهذا حكم الله سبحانه
وتعالى .

يخشون ربهم بالغيب : أي لأنهم ما رأوا بأعينهم .
ومن تزكى : أي طهر نفسه من الشرك والمعاصي .
فإنما يتزكى لنفسه : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتهما عائدة عليه .

معنى الآيات :

بعد تلك الأدلة والحجج التي سبقت في الآيات السابقة وكلها مقرررة ربوبية الله تعالى
والوحيته وموجبة توحيده وعبادته نادى تعالى الناس بقوله ﴿يا أيها الناس﴾ ليعلمهم بأنه وإن خلقهم
لعبادته وأمرهم بها وتوعد بالآليم العذاب لمن تركها ولم يكن ذلك لفقر منه إليها ولا لحاجة به إليهم
فقال ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله^(١)، والله هو الغني الحميد﴾ إن عبادة الناس لربهم تعود عليهم
فيكملون عليها في أخلاقهم وأرواحهم ويسعدون عليها في دنياهم وآخرتهم أما الله جل جلاله
فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية . وهو الغني عن كل ما سواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بنعمه فكل
نعمة بالعباد موجبة له الحمد والشكر . وقوله ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ وهذا دليل
غناه ؛ وافتقارهم كما هو دليل قدرته وعلمه ، وقوله : ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي إذهابهم
والإتيان بخلق جديد غيرهم ليس بالأمر العزيز الممتنع ولا بالصعب المتعذر بل هو اليسير السهل
عليه تعالى .

(١) في قوله تعالى أنتم الفقراء قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الفقر على الناس وهو قصر إضافي بالنسبة إلى الله تعالى أي أنتم المفتقرون إلى الله وليس هو بمفتقر إليكم ووصفه تعالى نفسه بالحميد إشعار بأن غناه مقترن بوجوده فهو يحمده لما يسديه من المعروف إلى عباده .

(٢) الجملة بيانية فهي مبنية لغناه وموجب حمده والثناء عليه ببيان قدرته على إعدام الموجود من عباده والإتيان بخلق جديد غيرهم ومن كان هكذا هو الغني الحق والمحمود الحق فله الحمد وله المنة .

وقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(١) هذا مظهر عدالته تعالى فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم فلا يؤاخذ بغير جرم، ولا يحمل وزر نفس نفساً أخرى لم تذنّب ولم تزر بل كل نفس تؤخذ بذنبها إن كانت مذنبه هذه عدالته تتجلى لعباده يوم يعرضون عليه في يوم كله هول وفزع يدل عليه قوله ﴿وان تدع مثقلة﴾^(٢) أي بذنوبها ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان﴾^(٣) من تدعوه ﴿ذا قريب﴾^(٤) كالولد والبنت. وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي إنما تنذر يارسولنا ويقبل إنذارك ويتنفع به من يخشون ربهم ويخافون عذابه بالغيب وأقاموا الصلاة، أما غيرهم من أهل الكفر والعناد والجحود فإنهم لا يقبلون إنذارك ولا ينتفعون به لظلمة جهلهم وكفرهم وقساوة قلوبهم، ومع هذا فأنذر ولا عليك في ذلك شيء فإن من تزكّى بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكّى لنفسه لا لك ولا لنا، ومن أبى فعلية إباؤه، وإلينا مصير الكل وسنجزى كلّ بما كسب من خير وشر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾^(٥)

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.
- ٢- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.
- ٣- بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

(١) وازرة صفة لمحنوف أي نفس وازرة وكذا وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة وتزر أصلها توزر فحذفت الواو تخفيفاً إذ الفعل وزر يوزر فحذفت الواو كما حذفت في وعد يعد ووزن يزن.

(٢) وإن تدع مثقلة أي أحداً إلى حملها.

(٣) أي المدعو ذا قريب.

(٤) قال الفضيل بن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا ولدي ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول بلى يا أمه فتقول يا بني قد أثقلتني ذنوبي فأحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول إليك عني يا أمه فأني بذنبي عنك مشغول.

(٥) الجملة مستأنفة بيانية لأن الحال تستدعي سؤالاً وهو لم يمتأثر المشركون بالإنذار فالجواب إنما يقبل النذارة ويستجيب للمنذر أهل الإيمان والخشية لله تعالى لأنهم أحياء وأما الكافرون فهم أموات وهل يستجيب غير الحي؟ وفي الآية دليل على قوة تأثير الصلاة في تزكية النفوس وتطهير الأرواح.

(٦) هذه الجملة تذييل للجملة المذيل بها قبلها وهي قوله تعالى: ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما تفيد التسليّة للرسول ﷺ والتهديد للكافرين أيضاً فإن صار إلى الله أخذه بذنبه.

- ٤- بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين .
 ٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة .
 ٦- تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
 ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
 إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
 أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ
 أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
 الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
 وَغَرَاطِيِبٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- وما يستوى الأعشى والبصير : أي لا يستويان فكذاك الكافر والمؤمن لا يستويان .
 ولا الظلمات ولا النور : أي لا يستويان فكذاك الكفر والإيمان لا يستويان .
 ولا الظل ولا الحرور : أي لا يستويان فكذاك الجنة والنار لا يستويان .
 وما يستوى الأحياء ولا الأموات : فكذاك لا يستوى المؤمنون والكافرون .
 وما أنت بمسمع من في القبور : أي فكذاك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات .

إن أنت إلا نذير : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.

إنا أرسلناك بالحق : أي بالدين الحق والهدى والكتاب.

وإن من أمة إلا خلا فيها نذير : أي سلف فيها نبي يندرهما.

جاءتهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والأدلة الواضحة.

وبالزبر وبالكتاب المنير : أي وبالصحف كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالنوراة والإنجيل.

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب هو واقع موقعه والحمد لله.

معنى الآيات :

لما تقدم في السياق الكريم أن إنذار الرسول ﷺ لا يتفجع به إلا المؤمن المقيم للصلاة وإن الكافر المكذب الجاحد لا يتفجع به ذكر تعالى هنا مثلاً للكافر والمؤمن وانهما لا يستويان فقال ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾^(١) فالأعمى الكافر والبصير المؤمن وهما لا يستويان في عقل ولا شرع ﴿ولا الظلمات﴾^(٢) ولا النور﴾ أي ولا تستوى الظلمات ولا النور كما لا يستوى الكفر والإيمان ولا الظل ولا الحرور، فبرودة الجو، لا تستوى مع حرارته فكذلك الجنة لا تستوى مع النار، وقوله ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أي ولا المؤمنون مع الكافرين كذلك وقوله تعالى ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾^(٣) هذا شروع في تسليية الرسول ﷺ من أجل ما يجد في نفسه من إعراض قومه وعدم استجابتهم لدعوته، فأخبره ربه بأنه تعالى قادر على أن يسمع من يشاء إسماعه وذلك لقدرته على خلقه أما أنت أيها الرسول فإنك لا تسمع الأموات وانما تسمع الأحياء، والكفار شأنهم شأن الأموات في القبور فلا تقدر على إسماعهم. ولا يحزنك ذلك فإنك ما أنت إلا نذير، والنذير ينذر ولا يسأل عمن أجابه ومن لم يجبه.

وقوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ بهذا الخبر يقرر تعالى رسالة رسوله محمد ﷺ وأنه أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً لمن آمن به واتبع هداة بالجنة، ونذيراً لمن كفر به وعصاه

(١) قال القرطبي الكافر والمؤمن والعالم والجاهل.

(٢) قيل لا زائدة في كل من قوله تعالى ولا الظل ولا الحرور ولا الأموات واختلف في أيهما يكون بالليل وأيهما يكون بالنهار الحرور أو السموم وفي حديث الرسول ﷺ بيان ذلك وأن كلاهما يقع في النهار كما يقع في الليل إذ قال ﷺ : فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهريرها.

(٣) قال قطرب أحد أعلام اللغة : الحرور : الحر والظل البرد.

(٤) قرأ الجمهور بتنين بسمع وقرئ بسمع بكسرة واحدة والمراد بمن في القبور الكفار حيث أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات فإنك لا تسمع من مات قلبه بالجهل وظلمة الكفر.

بالنار. وقوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(١) يخبر تعالى أن رسوله محمداً ليس الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة بل إنه ما من أمة من الأمم الا مضى فيها نذير، فلا يكون إرساله عجباً لكفار قريش إذ هذه سنة الله تعالى في عباده يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم ثم قال لرسوله ﷺ معزياً له مسلياً ﴿وإن يكذبوك﴾ فلم يكونوا أول من كذب فقد كذب الذين من قبلهم ﴿جاءتهم رسُلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ أي جاءتهم رسُلهم بالحجج القواطع والبراهين السواطع، والمعجزات الخوارق، وبالصحف والكتب المنيرة لسبيل الهداية وطريق النجاة والفلاح. ومنهم من آمن ومنهم من كذب وكفر وبعد إمهال وإنظار دَلَّ عليه العطف بـ ثم أخذ الذين كفروا بعذاب ملائم لكفر الكافرين. ﴿فكيف كان نكير﴾ أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة الشديدة والإهلاك التام إنه كان واقعاً موقعه، موافياً لطالبه بكفره وعناده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.
- ٢- الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.
- ٣- تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ وتأكيده رسالته.
- ٤- تسلية الدعاة ليتذرعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.
- ٥- بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(١) أي سلف فيها نبي قال ابن جريج إلا العرب إذ أراد أنه لم يخل فيهم نذير مطلقاً فهذا غير صحيح إذ بعث فيهم إسماعيل وتبع وغيرهما وإن أراد في الزمن القريب فهذا صحيح.

(٢) في الآيات تسلية للنبي ﷺ ظاهرة تطلبها المقام حيث أصر المشركون على تكذيبه وعدم الإيمان بما جاءهم به من الهدى والدين الحق.

(٣) استفهام مستعمل في التعجب من حالهم مفرغ بالفاء على قوله أخذت الذين كفروا والتكثير اسم لشدة الإنكار وهو هنا كناية عن شدة العقاب لأن الإنكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب وحذفت ياء المتكلم في تكيري تخفيفاً ولرعاية الفواصل في الوقف.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٤٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٤٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- ثمرات مختلفا ألوانها : أي كاحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره .
ومن الجبال جدد : أي طرق في الجبال إذ الجدة الطريق ومنه جادة الطريق .
بيض وحمرة مختلف ألوانه : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضا .
وغرابيب سود ^(١) : منها الأبيض والأصفر والأسود الغريب .
ومن الناس والدواب والأنعام : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود .
مختلف ألوانه كذلك : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها .
انما يخشى الله من عباده : أي العالمين بجلاله وكماله ، إذ الخشية متوقفة على معرفة العلماء المخشي .
يتلون كتاب الله : أي يقرأونه تعبدًا به .
تجارة لن تبور : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها .
غفور شكور : أي غفور للذنوب عباده التائبين شكور لأعمالهم الصالحة .

معنى الآيات :

هذا السياق الكريم ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ ^(٢) في بيان تفاوت المخلوقات واختلافاتها فمن مؤمن إلى كافر، ومن صالح إلى فاسد ومن أبيض إلى أحمر أو أسود وابتدأه تعالى بخطاب رسوله مقررًا له بقوله ﴿ألم تر﴾ أي ألم تبصر بعينك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ما بين تمر أصفر وآخر أحمر، وآخر أسود وهذا واضح في التمر

(١) الغريب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غريب .

(٢) من هداية هذه الآية الإشارة الواضحة إلى وجود اختلاف بشري جليّ فطري كما هو في سائر الكائنات الأرضية، وفي النباتات والحيوانات وحتى الجبال والمعادن ومن عرف هذا هان عليه اختلاف الناس ولم يحزن له ولم يهتم ويكرب .

والعنب والفواكه والخضر، ومن الجبال كذلك. فإن فيها جدد أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسوداء والجبال نفسها كذلك، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر كما في جدد الجبال نفسها وكما في الثمار. ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولا يجنى منه العبرة إلا العالمون قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وأهل مكة جهال لا يفكرون ولا يهتدون فلا غربة إذا لم يخشوا الله تعالى ولم يوحده وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم.

وقوله تعالى في ختام السياق: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ كشف عن حقيقة ينبغي أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم فإنه عزيز لا يمانع فيما يريده وغفور لذنوب التائبين من عباده ومهما كانت ذنوبهم إلا فليتب أهل مكة فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب إذ في التوبة نجاة، وفي الإصرار هلاك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سراً أحياناً وعلانية أحياناً أخرى. يُخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم يرجون تجارة لن تبور أي لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أو هداهم لذلك ووفقههم إليه تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله. وعلة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين فيغفر ذنوبهم ويدخلهم جنته شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم فلذا يضاعف لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وله الحمد والمنة.

(١) الجدد جمع جدّة وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه.

(٢) في الجملة قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الخشية على العلماء دون الجهلة وبهذا علّا شأن العلماء وعظم قدرهم قال رسول الله ﷺ: إن فضل العالم على العابد كفضلي على أذاكم ثم تلا إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ والمراد بالعلماء العالمون بالله أي بأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه وما عنده من نعيم لأولياته وما لديه من عذاب لأعدائه، وآية العالم الخشية لله والمجبة له تعالى فمن لم يَخْشَ اللَّهَ تعالى فليس بعالم.

(٣) الجملة تدليلية مشعرة بغنى الله تعالى عن عباده قدير على أخذهم متى أراد بهم ذلك، ذو مغفرة لهم متى تابوا إليه وطلبوا مرضاته ولو عرف المشركون هذا ما أصروا على الشرك ولكنهم لا يعلمون.

(٤) لما أثنى على العلماء بما وصفهم به من الخشية وكان في الكلام إيجاز أوضحه بهذه الجملة فقال إن الذين يتلون كتاب الله، وما تلا كتاب الله غير مؤمن عالم ولا أقام الصلاة وأنفق سراً وعلانية إلا ذو خشية ومحبة بعدما وصفهم وحددهم بشرهم بقوله يرجون تجارة لن تبور.

(٥) التوفية جعل الشيء وافياً أي تاماً لا نقیصة فيه ولا غبن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات .
- ٢- العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء .
- ٣- فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات .
- ٤- في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا، وللعاملين أن يزيدوا .

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------|---|
| من الكتاب | : أي القرآن الكريم . |
| مصدقاً لما بين يديه | : أي من الكتب السابقة كالنوراة والإنجيل . |
| ثم أورثنا الكتاب | : أي الكتب التي سبقت القرآن إذ حصلها في القرآن الكريم . |
| الذين اصطفينا | : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . |

- فمنهم ظالم لنفسه : بارتكاب الذنوب .
 ومنهم مقتصد : مؤد للفرائض مجتنب للكبائر .
 ومنهم سابق بالخيرات : مؤد للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر .
 بإذن الله : أي بتوفيقه وهدايته .
 ذلك : أي إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير .
 ولؤلؤاً : أي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب .
 أحلنا دار المقامة : أي الإقامة وهي جنات عدن .
 لا يمسن فيها نصب : أي تعب .
 ولا يمسن فيها لغوب : أي إعياء من التعب ، وذلك لعدم التكليف فيها .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ أي القرآن الكريم هو ﴿الحق﴾ أي الواجب عليك وعلى أمتك العمل به لا ما سبقه من الكتب كالنوراة والإنجيل ، ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي أمامه من الكتب السابقة ، وقوله ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾^(١) فهو تعالى يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لما داخلها من التحريف والتغيير فلذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم إليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به وأخذته نوراً تمشى به في حياتها المادية هذه أرسلك وأوحى إليك هذا الكتاب الكريم وأوجب عليك وعلى أمتك العمل به .
 وقوله تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ يخبر تعالى أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق إذ كل ما في النوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم فامة القرآن قد ورثها الله تعالى كل الكتاب الأول . وقوله تعالى : ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾^(٢) بالتقصير في العمل وارتكاب بعض الكبائر ، ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدى للفرائض المجتنب للكبائر ،

(١) في الآية الإشادة بالكتاب الذي يتلوه المؤمنون فيثابون ويزادون لأنه الكتاب الحق الخالي من الزيادة والنقص المصدق لما تقدمه من الكتب الإلهية السابقة وضمن هذا يقرر النبوة المحمدية وأنبأها والإشادة بصاحبها .
 (٢) الخبر : العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية وصاحب هذه الصفة هو الذي يجب أن يعبد ويتقى .

(٣) حاول كثير من المفسرين البعد عن الحقيقة التي تضمنتها هذه الآية وهي أن أمة محمد ﷺ إن هي التي قال الله تعالى فيها هو اجتباكم والاجتباء كالاصطفاء والظالم لنفسه لا يكون الكافر ولا المنافق وإنما هو المؤمن يغشى بعض الكبائر وما في التفسير هو الحق فتأمل .

(٤) فمنهم : هذه الفاء التريمية التفصيلية حيث فصل بها مجمل الذين أوتوا الكتاب والبداية بالظالمين لأنفسهم إيماء إلى أنهم غير محرومين من جنات عدن دفماً لمن يتوهم أنهم لما كانوا ظالمين لا يدخلون الجنة .

﴿ومنهم سابق للخيرات بإذن الله﴾ وهو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب للكبائر والصغائر. وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الإيراث للكتاب هو الفضل الإلهي الكبير وهو ﴿جنات عدن^(١) يدخلونها يوم القيامة يحلون فيها من أساور﴾ جمع سوار ما يجعل في اليد ﴿من ذهب ولؤلؤا﴾ أي أساور من لؤلؤ، ولباسهم فيها حرير.

وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ أي كل الحزن فلا حزن يصيبهم إذا لا موت في الجنة ولا فراق ولا خوف ولا هم ولا كرب فمن أين يأتي الحزن. وقولهم ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قالوا هذا لأنه تعالى غفر للظالم وشكر للمقتصد عمله فأدخل الجميع الجنة فهو الغفور الشكور حقاً حقاً.

وقولهم: ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ أي الإقامة من فضله هذا ثناء منهم على الله تعالى بإفضاله عليهم، وقولهم ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أي إعياء من التعب وصف لدار السلام وهي الجنة الخالية من النصب واللغوب جعلنا الله من أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.
- ٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنها الأمة المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو آئيل الى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله .
- ٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور من الذهب واللؤلؤ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ

(١) جنات عدن يدل اشتغال من قوله ذلك الفضل الكبير.

(٢) لما دخلوا جنات عدن حمدوا الله وأنشأوا عليه وإن قيل كيف دخل الظالم لنفسه الجنة وهو ظالم قلنا هذا الظلم هو ليس ظلماً لربه بأن عبد غير الله ولا هو ظلم لغيره وإنما هو ظلم لنفسه بارتكاب بعض الذنوب وهذا غير مانع من دخول الجنة إذ هو وارث بوصفه مؤمناً والجنة تورث والورثة يستوي فيهم البار مع العاق فلا يمنع من الإرث العاق بل يرث كالبار سواء بسواء.

(٣) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

عَذَابُهَا كَذَلِكَ يُحْزَى كُلُّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ
غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

لا يقضى عليهم : أي بالموت فيموتوا ويستريحوا .
كذلك نجزي كل كفور : أي كذلك الجزاء نجزي كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا .
وهم يصطرخون فيها : أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها .
يقولون : أي في عويلهم وصراخهم ربنا أخرجنا أي منها نعمل صالحاً .
أو لم نعمركم ما يتذكر فيه : أي وقتاً يتذكر فيه من تذكر .
وجاءكم النذير : أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصي .
إنه عليم بذات الصدور : أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال الحياة .

خلائف في الأرض : يخلف بعضهم بعضاً . والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره .
فعليه كفره : أي وبإل كفره .
إلا مقتاً : أي الا غضباً شديداً عليهم من الله عز وجل .
إلا خساراً : أي في الآخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح ذكر جزاء أهل الكفر والمعاصي فقال :

﴿والذين كفروا﴾ أي بالله وآياته ولقائه ﴿لهم نار جهنم﴾ أي جزاء لهم ﴿لا يقضى عليهم﴾^(١) أي بالموت فيموتوا حتى يستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولا طرفة عين . وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي الجزاء ﴿نجزي كل كفور﴾ أي مبالغ في الكفر أكثر منه . وقوله : ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ أي في جهنم أي يصرخون بأعلى أصواتهم في بكاء وعويل يقولون : ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي من النار ورددنا إلى الحياة الدنيا ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي من الشرك والمعاصي . فيقال لهم : ﴿أولم نعمركم﴾ أي أنطلبون الخروج من النار لتعملوا صالحاً ولم نعمركم أي نطل أعماركم بحيث يتذكر فيها من يريد أن يتذكر وجاءكم النذير^(٢) فلم تجيبوه وأصررتم على الشرك والمعاصي ، إذا فذوقوا عذاب النار ﴿فما للظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي من نصير ينصرهم فيخرجهم من النار . وقوله تعالى : ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي كل ما غاب في السموات والأرض ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ومن ذلك أنه عليم بما في قلوبكم وما كنتم مصرين عليه من الشرك والشر والفساد ولو عشتُم الدهر كله .

وقوله تعالى : ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً وفي ذلك ما يمكن من العظة والاعتبار إذ العاقل من اعتبر بغيره فقد هلك قبلكم أمم بذنوبهم فلم لا تتعظون بهم وقد خلفتموهم وجئتم بعدهم إذا فلا عذر لكم أبداً .

ويعد هذا البيان فمن كفر فعليه كفره هو الذي يتحمل جزاءه ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم ﴿الامتن﴾ أي بعداً عن الرحمة وبغضاً شديداً ، ﴿ولا يزيد الكافرين﴾ أي المصيرين على الكفر كفرهم ﴿إلا خساراً﴾ أي هلاكاً في الآخرة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مُرَّ العذاب وأليمه الذي هو جزاء الكافرين .
- ٢- الإعداء لمن بلغه الله من العمر أربعين سنة .

(١) قال القرطبي لما ذكر أهل الجنة وأحوالهم ومقاتلتهم ذكر أهل النار وأحوالهم ومقاتلتهم .

(٢) هذا كقوله تعالى : ثم لا يموت فيها ولا يحيى من سورة الأعلى .

(٣) يصطرخون مبالغة في يصرخون افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد أي يصيحون من شدة ما أصابهم .

(٤) الاستفهام للتفريق والتوبيخ والواو عاطفة قولاً محذوفاً تقديره يقولون ربنا أخرجنا ونقول ألم نعمركم والتعمير تطويل العمر .

(٥) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب قال الشاعر :

رأيت الشيب من نُذُرِ المنايا لصاحبه وحسبك من نذير . وما في التفسير أصح .

(٦) أي خلفاً بعد خلف وقرناً بعد قرن ، والخلف هو التالي للتقدم .

٣- الكافر يعذب أبداً لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أفلح عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٤- في كون البشرية أجيالاً جيلاً يذهب وآخر يأتي مجالاً للعظة والعبرة والعاقلة من اعتبر بغيره.

٥- الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنِّي بِغَدِ الظَّالِمِينَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ

إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ

مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ

وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا

﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

قل أرايتم

: أي أخبروني .

تدعون من دون الله

: أي تعبدون من غير الله وهى الأصنام .

أروني ماذا خلقوا

: أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي أي جزء منها خلقوه .

أم لهم شرك

: أي أم لهم شركة في خلق السموات .

إلا غروراً

: أي باطلاً إذ قالوا إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم القيامة وتقربنا

إلى الله زلفى .

يمسك السموات والأرض أن تزولا : أي يمنعها من الزوال .

إن أمسكها من أحد من بعده : أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك .

إنه كان حليماً غفوراً : أي حليماً لا يعجل بالعقوبة غفوراً لمن ندم واستغفر .

لئن جاءهم نذير : أي رسول .

من إحدى الأمم : أي اليهود والنصارى .

فلما جاءهم نذير : أي محمد صلى الله عليه وسلم .

ما زادهم الا نفوراً : أي مجيئه إلا تباعداً عن الهدى ونفرة منه .

ومكر السيئ : أي الشرك والمعاصى .

ولا يحيق المكر السيئ : أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له .

سنة الأولين : أي سنة الله فيهم وهي تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه .

ولن تجد لسنة الله تبديلاً : أي فلا يبدل العذاب بغيره .

ولن تجد لسنة الله تحويلاً : أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين من قومك : ﴿أرايتم شركاءكم الذين تدعون﴾ أي تعبدون من دون الله أخبروني : ماذا خلقوا من الأرض حتي استحقوا العبادة مع الله فعبدتموهم معه؟ أم لهم شرك في السموات بأن خلقوا جزءاً وملكوه بالشركة . والجواب قطعاً لم يخلقوا شيئاً من الأرض وليس لهم في خلق السموات شركة أيضاً إذا فكيف عبدتموهم مع الله؟ وقوله تعالى : ﴿أم آتيناكم﴾ أي أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بينة بصحة الشرك . والجواب ومن أين لهم هذا الكتاب الذي يبيح الشرك؟ بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلاً إذ الحقيقة أن المشركين لم يكن لهم كتاب يحتجون به على صحة الشرك ،

(١) هذا شروع في بطلان الشرك وتحقيق التوحيد بالأسلوب الجدلي العقلي والاستفهام تقرير في قوله أرايتم شركاءكم أروني أي أروني شيئاً خلقوه من الأرض .

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء ، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وانزال المطر .

(٣) إن نافية بمعنى وهاه بقرينة الاستثناء والغرور الأباطيل تغرؤ وهي قول السادة للسفلة إن هذه الآلهة تنفعكم وتقربكم وتنفع لكم كما أن الشياطين توحى لهم بذلك من طريق الوسوسة .

وإنما هو أن الظالمين وهم المشركون ما يعد بعضهم بعضاً وهو أن الآلهة ستشفع لنا وتقربنا إلى الله زلفى إلا غروراً وباطلاً فالرؤساء غرّروا بالمرء وسين وكذبوا عليهم بأن الآلهة تشفع لهم عند الله وتقربهم منه زلفى فلهذا عبدوها من دون الله وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ يخبر تعالى عن عظيم قدرته ولطفه بعباده، ورحمته بهم وهي أنه تعالى يمسك السموات السبع والأرض أن تزولا أي تتحول عن أماكنهما، إذ لو زالتا لخرب العالم في لحظات، وقوله: ﴿وَلَنْ زَالَتَا﴾ أي ولو زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، وقوله إنه كان حليماً غفوراً إذ حلمه هو الذي غرّ الناس فعصوه، ولم يطيعوه، واشركوا به ولم يوحدوه ومغفرته هي التي دعت الناس إلى التوبة إليه، والإنابة إلى توحيدهِ وعبادته.

وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٤٢) ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يخبر تعالى عن المشركين العرب بأنهم في يوم من الأيام كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم أي غاية اجتهدهم فيها لئن جاءهم رسول يرشدهم ويعلمهم لكانوا أهدي أي أعظم هداية من إحدى الطائفتين اليهود والنصارى. هكذا كانوا يحلفون ولما جاءهم نذير أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه إلا نفوراً أي بعداً عن الدين ونفرة منه، واستكباراً في الأرض، ومكر السيئ الذي هو عمل الشرك والظلم والمعاصي.

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ إخبار منه تعالى بحقيقة يجهلها الناس وهي أن عاقبة المكر السيئ تعود على الماكرين بأشوأ العقاب وأشد العذاب وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون وهم مصرون على المكر السيئ وهو الشرك ومحاربة الرسول وأذية المؤمنين. إلا سنة الأولين وهي إهلاك الماكرين الظالمين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ﴾ أيها

(١) لما بين لهم عجز آلهتهم وعدم قدرتها على خلق شيء في السموات والأرض بين لهم أن خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد شيء إلا بإيجاده ولا يبقى شيء إلا بإيقائه.

(٢) إن نافية بمعنى ما أي ما أمسكهما أحد سواه.

(٣) هذا كان منهم قبل البعثة النبوية فقد بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه لئن جاءهم نذير أي نبي ليكونن أهدي من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب وكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم ما تمنوه نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

(٤) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روى أن كعباً قال لابن عباس إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال اقرأ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ومن أمثال العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكباً، وجملة لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٥) السنة الطريقة والجمع سنن.

الرسول ﴿تبديلاً﴾ بأن يتبدل العذاب بغيره بالرحمة مثلاً ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ بأن يتحول العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه إذا فليعاجل قومك الوقت بالتوبة وإلا فهُمْ عرضة لأن تمضى فيهم سنة الله بعذابهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٢- بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب.
- ٣- بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال.
- ٤- بيان كذب المشركين، ورجوعهم عما كانوا يتقاولونه بينهم من أنه لو أرسل إليهم رسولاً لكانوا أهدي من اليهود أو النصارى.
- ٥- تقرير حقيقة وهي أن المكر السيئ^(١) عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يرى أن ثلاثة على أهلها راجع، وهي المكر السيئ، والبغي، والنكث لقوله تعالى ﴿إنما بغيكُم على أنفسكم﴾. وقوله ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ وقوله ﴿ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ شَيْءٌ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى
ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَيُّ اللَّهِ كَانَ يَعْبَادُهُ بِصِيرًا ﴿٤٥﴾

(١) المكر إخفاء الأذى وهو سيئ لأنه غدر وخديعة.

شرح الكلمات :

وكانوا أشد منهم قوة : أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسلهم .
وما كان الله ليعجزه من شيء : أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه .
إنه كان عليمًا قديرًا : أي عليمًا بالأشياء كلها قديرًا عليها كلها .
بما كسبوا : أي من الذنوب والمعاصي .
ما ترك على ظهرها : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي كل ذي روح .

إلى أجل مسمى : أي يوم القيامة .
فإن الله كان بعباده بصيرًا : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيرًا كان أو شرًا .

معنى الآيات :

لما هدد الله تعالى المشركين بامضاء سنته فيهم وهي تعذيب وإهلاك المكذبين إذا أصروا على التكذيب ولم يتوبوا . قال ﴿أو لم يسيروا﴾ أي المشركون المكذبون لرسولنا ﴿في الأرض﴾ شمالاً أو جنوباً ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كقوم صالح وقوم هود، إنها كانت دماراً وخساراً ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾^(١) أي من هؤلاء المشركين اليوم قوة وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ أي لم يكن ليعجز الله شيء فيفوت الله ويهرب منه ولا يقدر عليه بل إنه غالب لكل شيء وقاهر له وقوله : ﴿إنه كان عليمًا قديرًا﴾ تقرير لقدرته وعجز كل شيء أمامه ، فإن العليم القدير لا يعجزه شيء بالاختفاء والتستر ، ولا بالمقاومة والهرب .
وقوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ وهي الآية الأخيرة من هذا السياق (٤٥) أي ولو كان الله يؤاخذ الناس بذنوبهم فكل من أذنب ذنباً انتقم منه فأهلكه ما ترك على ظهر الأرض من نسمة ذات روح تدب على وجه الأرض ، ولكنه تعالى يؤخر الظالمين ﴿إلى أجل مسمى﴾^(٢) أي معين الوقت محده إن كان في الدنيا ففي الدنيا ، وإن كان يوم القيامة ففي القيامة . وقوله

(١) الجملة في محل نصب حالية أي كان عاقبتهم الاضمحلال وكانوا أشد قوة من هؤلاء فيكون استئصال هؤلاء أقرب .

(٢) أي هبكم أنكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفاً في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذلك لعلمه وقدرته ، إذا فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم .

(٣) قال ابن مسعود ، يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام : قال ابن جرير هنا الناس وحدهم وهو كذلك .

(٤) قال مقاتل الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل هو يوم القيامة ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ .

﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ يخبر بأنه إذا جاء أجل الظالمين فإنه تعالى بصير بهم لا يخفى عليه منهم أحد فيهلكهم ولا يبقى منهم أحداً لكامل علمه وعظيم قدرته، ألا فليتنق الله الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية السير في الأرض للعبرة لا للتنزه واللغو واللعب.
- ٢- بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإنابة إليه.
- ٣- حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلاً ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال.

سُورَةُ الْيُسُفٰى

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰۤسَ ۝۱ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمَ ۝۲ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝۳ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝۴ تَنْزِيلَ الْغَزِيْزِ الرَّحِيْمِ ۝۵ لِّنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا اُنْذِرَ اٰبَاؤُهُمْ فَهُمْ غٰفِلُوْنَ ۝۶ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلٰى اَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝۷ اِنَّا جَعَلْنَا فِىْ اَعْنَاقِهِمْ غَلٰلًا فَهٰى اِلٰى

(١) قوله فإن الله كان بعباده بصيراً هو كالجواب لمن قال وكيف يهلك كل من في الأرض وفيهم الصالحون والمؤمنون فقال إنه كان بعباده بصيراً فقد ينجي من لا يستحق الهلاك ويهلك من يستحقه.

(٢) ورد في فضل هذه السورة حديث أبي داود عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال اقرأوا يس على موتاكم وورد عن أبي الدرداء أو أم الدرداء عنه ﷺ قال ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه، وأخرج الدارمي عن أبي هريرة عنه ﷺ من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة وخرجه الحافظ أبو نعيم أيضاً.

الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنْذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

يس

: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا
ياسين والله أعلم بمراده به .

والقرآن الحكيم

: أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو
لذلك حكيم ومحكم أيضاً بعجيب النظم وبيد المعاني .

إنك لمن المرسلين

: أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم .
: أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام .

على صراط مستقيم

تنزيل العزيز الرحيم : أي القرآن^(١) تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به الرحيم بمن تاب إليه .
ما أنذر آباؤهم : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة .

فهم غافلون

: أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون
ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال .

لقد حق القول على أكثرهم : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون .

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال .

فهي إلى الأذقان

: أي أيديهم مجموعة إلى أذقانهم، والأذقان جمع ذقن وهو
مجمع اللحيين .

فهم مقمحون

: أي رافعورؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون
بأيديهم خيراً، ولا يذعنون برؤوسهم إلى حق .

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع تنزيل . أما على قراءة النصب فالتقدير اقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو أمدح تنزيل .

فاغشيناهم فهم لا يبصرون : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون .
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم .
تنذرهم لا يؤمنون

من اتبع الذكر : أي القرآن .

وأجر كريم : أي بالجنة دار النعيم والسلام .

إنا نحن نحي الموتى : أي نحن ربّ العزة نحى الموتى للبعث والجزاء .

ونكتب ما قدموا وآثارهم ^(١) : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم ، وآثارهم أي خطاهم إلى

المساجد وما استنّ به أحد من بعدهم .

في إمام مبين : أي في اللوح المحفوظ .

معنى الآيات :

﴿يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْلَمَ بِمَرَادِهِ بِهِ﴾ (والقرآن الحكيم) أي المحكم نظماً ومعنى وذو الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه أقسم تعالى بالقرآن الحكيم على أن محمد ﷺ نبياً رسولاً فقال ﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ الذي هو الإسلام . وقوله ﴿تنزيل﴾ ^(١) العزيز الرحيم أي هذا القرآن هو تنزيل الله ﴿العزيز﴾ في الانتقام ممن كفر به وكذب رسوله ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وصالحى عباده . وقوله ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ أي أرسلناك وأنزلنا إليك الكتاب لأجل أن تنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من فترة طويلة وهم مشركو العرب إذ لم يأتهم رسول من بعد إسماعيل عليه السلام ﴿فهم غافلون﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم عليه من الشرك والشر والفساد، ومعنى تنذرهم تخوفهم عذاب الله تعالى المترتب على الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ أي أكثر خصوم النبي ﷺ من كفار قريش كأبي جهل حق عليهم القول الذي هو قوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فوجب لهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون إذ لو آمنوا لما عذبوا، وعدم إيمانهم لم يكن مفروضاً عليهم

(١) وهم بعض فقال هذه الآية نزلت بالمدينة في بني سلمة والصحيح أن السورة كلها مكي وليس فيها مدني وإنما قرأ ﷺ هذه الآية محتجاً بها على بني سلمة لما أرادوا النزول قرب المسجد فقال لهم بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . وقرأ هذه الآية ، ونكتب ما قدموا وآثارهم .

(٢) كره مالك رحمه الله تعالى التسمية بيّس وهو كذلك لعدم علمنا بالمراد منه وليس هو باسم للنبي ﷺ إذ ذكر أسماء الخمسة ولم يذكر بينها يس ولا حجة في قول الرافضي :

يا نفس لا تمضي بالود جاهدة على المودة إلا آل ياسين

(٣) والقرآن الواو للقسام والقرآن مقسم به وجواب القسم : إنك لمن المرسلين وعلى صراط مستقيم خير ثان لأن .

(٤) قرأ نافع والجمهور تنزيل بالرفع على أنه خير محذوف المبتدأ أي هو تنزيل والضمير عائذ على القرآن المقسم به وقرأ حفص تنزيل بالنصب على المصدرية أو على تقدير أعنى أو أخص فيكون مدحاً وإشادة بشأنه وهو الحق .

وإنما هو باختيارهم وحرية إرادتهم إذ لو كان جبراً لما استحقوا العذاب عليه . وقوله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي﴾ أي أيديهم ﴿إلى الأذقان﴾ مشدودة بالأغلال ﴿فهم مقمحون﴾ أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل لحالهم في عدم مدّ أيديهم للإنفاق في الخير، وعدم إذعان رؤوسهم لقبول الحق وقوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ وهذا تمثيل آخر لحالهم وهي أنهم زينّت لهم الحياة الدنيا فأصبحوا لا يرون غيرها فهو سد أمامهم ومانع لهم من الإيمان وترك الشرك والمعاصي ، وصورت لهم الآخرة بصورة باطلة مستحيلة الوقوع فكان ذلك سداً من خلفهم فهم لذلك لا يتوبون ولا يذكرون لعدم خوفهم من عذاب الآخرة وقوله تعالى ﴿وأغشيناهم﴾ هذا مبالغة في إضلالهم فجعل على أعينهم غشاوة من كره الرسول ﷺ وبغض ما جاء به فهم لذلك عمى لا يبصرون . وقوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ هذا إخبار منه تعالى بأن هذه المجموعة من خصوم الرسول ﷺ من أكابر مجرمي مكة استوى فيهم الإنذار النبوي وعدمه فهم لا يؤمنون فكان الله تعالى يقول لرسوله إن هؤلاء العتاة من خصومك إنذارك لهم لا ينفعهم فأنذر الذين ينفعهم إنذارك ودع من سواهم وهو قوله تعالى ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أي القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي خافه فلم يعصه وهو لا يراه ، كما لم يعصه عندما يخلو بنفسه ولا يراه غيره فمثل هذا بشره بمغفرة منا لذنوبه وأجر كريم على صالح عمله وهو الجنة دار المتقين وقوله تعالى : ﴿إنا نحن نحى الموتى﴾ أي للبعث والجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي أولئك الأموات أيام حياتهم من خير وشر ، ﴿وآثارهم﴾ أي ونكتب آثارهم وهو ما استُئِنَّ به من سننهم الحسنة أو السيئة . ﴿وكل شيء﴾ أي من أعمال العبادة وغيرها ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ ، وسنجزى كلّ بما عمل . وفي هذا الخطاب تسليّة لرسول الله ﷺ .

(١) وجائز أن يكون هذا بيان لحالهم في الناريوم القيامة ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسياق يؤكد.

(٢) أنذرتهم أصل الهمزة الاستفهام ولكنها هنا للتسوية متمحفة لها .

(٣) شاعده حديث مسلم عن النبي ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وكذا حديثه الآخر : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته ﷺ .
- ٢- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم .
- ٣- بيان أن الرسول محمداً ﷺ بعث على فترة من الرسل .
- ٤- بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات إليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما .
- ٥- بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق .
- ٦- بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجرى بها كما يجرى على عمله الذي باشره بيده .
- ٧- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام . ومعنى المبين أي ان ما كتب فيه بين واضح لا يجهل منه شيء .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُ بِأَنفُسِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَئِيرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- واضرب لهم مثلاً : أي واجعل لهم مثلاً .
 أصحاب القرية : أي انطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم .

إذ جاءها المرسلون : أي رسل عيسى عليه السلام .
 فعززنا بثالث : أي قوبنا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث وهو حبيب بن النجار .
 وما علينا إلا البلاغ المبين : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه
 والأبرص والمريض وإحياء الموتى .

إنّا تطيرنا بكم : أي تشاء منا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم .
 قالوا طائركم معكم : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم .
 أئن ذكرتم : أي وعظمت وخوفتم تطيرتم وهذا توبيخ لهم .
 بل أنتم قوم مسرفون : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ ^(١) أي واضرب أيها الرسول لقومك المصرين على الشرك
 والتكذيب لك ولما جتتهم به من الهدى ودين الحق ﴿مثلاً أصحاب القرية﴾ فإن حالهم في
 التكذيب والغلو في الكفر والعناد كحال هؤلاء . إذ جاءها المرسلون وهم رسل عيسى عليه
 السلام إذ بعث برسولين ثم لما آذوهما بالضرب والسجن بعث بشمعون الصفي رأس الحواريين
 تعزيزاً لموقفهما كما قال تعالى ﴿فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ ^(٢) فقالوا لأهل انطاكية ﴿إنّا إليكم
 مرسلون﴾ من قبل عيسى عليه السلام ندعوكم إلى عبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان ﴿فقالوا ما
 أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أي ما أنتم إلا تكذبون علينا
 في دعواكم أنكم رسل إلينا فقال الرسل ﴿ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون﴾ فواجهوا شك القوم فيهم
 بما يدفع الشك من القسم وتأكيد الخبر بالجملة الاسمية ولام التوكيد فقالوا : ﴿ربنا يعلم إنّا
 إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي البين الواضح فإن قبلتم ما دعوناكم إليه فذلك
 حظكم من الخير والنجاة وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسار . ورد أهل انطاكية على
 الرسل قائلين : ﴿إنّا تطيرنا بكم﴾ أي تشاء منا بكم حيث انقطع عنا المطر بسببكم فرد عليهم
 المرسلون بقولهم ﴿طائركم معكم﴾ أي شؤمكم في كفركم وتكذيبكم ، ولذا حبس الله المطر

(١) اضرب أي اجعل والمثل للتشبيه والمعنى اجعل أصحاب القرية والمرسلين إليهم شهباً لأهل مكة وإرسالك إليهم .

(٢) كان هذا بعد رفع عيسى إلا أنه كان بإذن الله تعالى فلذا قال تعالى أرسلنا إليهم .

(٣) قرىء عززنا بالتخفيف والمعنى واحد .

(٤) كان أهل انطاكية من اليهود ومن اليونان .

(٥) وجائز أن يكون قد حدث بينهم تشاجر وتشاحن نتيجة قبول الدعوة من أفراد منهم فحصل بينهم شجار وخلاف لم يأنفوه فقالوا ما قالوا
 متشائمين ، وفي الحديث : لا عدوى ولا طيرة وإنما الطيرة على من تطير .

• لئن لم تنتهوا من دعواكم بأنكم رسل إلينا بترك ألهتنا لترجمنكم بالحجارة وليمسكنكم منا عذاب اليم .

عليكم . ثم قالوا لهم موبخين لهم : ﴿أئن ذكرتكم﴾ ^(١) أي وعظمتم وخوفتكم بالله لعلكم تتقون تطيرتكم . بل أنتم أيها القوم ﴿مسرّفون﴾ أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك والعدوان .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب المثل وهو تصوير حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار .
- ٢- تشابه حال الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان .
- ٣- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم الى التهديد والوعيد .
- ٤- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ
لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

وجاء رجل : أي جاء حبيب بن النجار صاحب يس .
من أقصى المدينة : أي من أقصا دور المدينة وهي انطاكيا العاصمة .

(١) الاستفهام إنكاري ويل للإضراب الانتقالي أضرب عن دعواهم لبطانها وانتقل بهم إلى الحقيقة وهي اسرافهم في الشرك والشر والفساد .

: أي يشتد مسرعاً لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل
عيسى الثلاثة.

قال يا قوم اتبعوا المرسلين : أي رسل عيسى عليه السلام.

اتبعوا من لا يسألكم أجراً : اتبعوا من لا يطلبكم أجراً على إبلاغ دعوة الحق.

وهم مهتدون : أي الرسل إنهم علي هداية من ربهم ما هم بكذابين.
فطرنني : أي خلقني.

إن يردن الرحمن بضر : أي بمرض ونحوه.

ولا ينقذون : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إني إذا لفي ضلال مبين : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدتها لفي ضلال مبين.

إني آمنت بربكم فاسمعون : أي صارع قومه بهذا القول وقتلوه.

قيل ادخل الجنة : قالت له الملائكة عند الموت ادخل الجنة.

يا ليت قومي يعلمون : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

بما غفر لي ربي وجعلني : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك.

من المكرمين

معنى الآيات :

ما زال السياق في مثل أصحاب القرية إنه بعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات ما أبرأوا به المرضى بل وأحيوا الموتى بإذن الله وأصبح لهم أتباع مؤمنون غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل ، وبلغ ذلك حبيب بن النجار وكان شيخاً مؤمناً موحداً يسكن في طرف المدينة الأقصى فجاء يشتد سعياً على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه رؤساً بأرجلهم قال تعالى ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ - أنطاكية - ﴿رجل يسعى﴾^(١) أي يمشى بسرعة لما بلغه أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته : ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ وسأل الرسل هل طلبتم على إبلاغكم

(١) هذا الرجل هو حبيب بن النجار صاحب ياسين كما في الحديث والرجل كان مصاباً بالجذام سنين وشفاه الله تعالى على يد رسل عيسى وبذلك آمن وأسلم وبقي في أرض أنطاكية يعبد الله تعالى حتى بلغه هم أهل المدينة أنطاكية بالبطش بالرسل جاء مسرعاً لينفذ دعوتهم ويدعو إلى الله تعالى بما أخبر به تعالى في هذه الآيات.

(٢) المراد بالمرسلين رسل عيسى الذين أرسلهم بالوصية إليهم إلى أنطاكية من بينهم شمعون الذي عزز به الرسول قبله.

دعوة عيسى أجراً قالوا لا . فقال ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهدایتهم . وقال له القوم وأنت تعبد الله مثلهم ولا تعبد آلهتنا؟ فقال : ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ أي وأي شيء يجعلني لا أعبد وهو خلقتي ﴿واليه ترجعون﴾ أي بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم . ثم اغتنم الفرصة ليدعو إلى ربّه فقال مستفهماً ﴿أأخذ من دونه آلهة﴾ أي أصناماً وأوثاناً لا تسمع ولا تبصر ﴿إن يردن الرحمن بضرًا لا تغن عني شفاعتهم شيئاً﴾^(١) وإن قل ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ أي إني إذا أنا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لفي ضلال مبين واضح لا يحتاج إلى دليل عليه . ورفع صوته مبلغاً ﴿إني آمنت بربكم﴾ أي بخالقكم ورازقكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان ﴿فاسمعون﴾ وهنا وثبوا عليه فقتلوه . ولما قيل له ادخل الجنة ورأى نعيمها ذكر قومه ناصحاً لهم فقال : ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾^(٢) أي يعلمون بما غفر له وجعله من المكرمين وهو الإيمان والتوحيد حتي يؤمنوا ويوحّدوا فنصح قومه حياً وميتاً وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام والمؤمن الصادق الإيمان ينصح ولا يغش ويرشد ولا يفضل ومهما قالوا له وفيه ومهما عاملوه به من شدة وقسوة حتى الموت قتلاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً .
- ٢- بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال .
- ٣- وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً .
- ٤- بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين .

(١) إن يردن ولا تغن ولا ينقذون ، فاسمعون حذف منها كلها ياء المتكلم مراعاة للتخفيف ولظهورها وعدم اللبس مع حذفها ، وجملة إن يردن في محل نصب نعت .

(٢) إني إذا لفي ضلال مبين الجملة جواب للاستفهام الإنكاري في قوله أأخذ من دونه آلهة أي إن أخذت من دون الله آلهة إني في ضلال مبين .

(٣) بما غفر : ما مصدرية تسبك بمصدر نحو بمغفرة ربي لي .

(٤) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين .

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَصْبَحَ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴿٢٨﴾
 كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- وما أنزلنا على قومه : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية .
 من بعده : أي من بعد موته .
 من جند من السماء : أي من الملائكة لإهلاكهم .
 وما كنا منزلين : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك .
 إن كانت إلا صيحة واحدة : أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام .
 فإذا هم خامدون : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون .
 يا حسرة على العباد : أي يا حسرة العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية التألم . والعباد هم المكذبون للرسل الكافرون بتوحيد الله .
 ما يأتيهم من رسول إلا كانوا : هذا سبب التحسر عليهم .
 به يستهزئون : ألم يروا كم أهلكنا قبلهم : أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم .
 من القرون : وإن كل لما جميع لدينا : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة .
 محضرون : لحسابهم ومجازاتهم .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي قوم حبيب بن النجار ﴿من بعده﴾ أي بعد موته ﴿من جند من السماء﴾ للانتقام من قومه الذين قتلوه لأنه أنكر عليهم الشرك ودعاهم إلى التوحيد وما كنا منزلين إذ لا حاجة تدعو إلى ذلك . إن كانت إلا صيحة واحدة من ﴿جبريل عليه السلام﴾ فإذا هم خامدون أي هلكى ساكنون ميتون لا حراك لهم ولا حياة فيهم وقوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد﴾ أي يا حسرة العباد على أنفسهم احضري أيتها الحسرة هذا أوان حضورك ﴿ما يأتهم﴾ من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿هذا موجب الحسرة ومقتضيها وهو استهزاؤهم بالرسول . وقوله تعالى ﴿ألم يروا﴾ أي أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يعلموا القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين ، ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ فيكون هذا هادياً لهم واعظاً فيؤمنوا ويوحداً فينجوا من العذاب ويسعدوا . وقوله تعالى ﴿وإن كل﴾ أي من الأمم الهالكة وغيرها من سائر العباد ﴿لما جميع لدينا محضرون﴾ أي إلا لدينا محضرون لفصل القضاء يوم القيامة فينجو المؤمنون ويهلك الكافرون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل انطاكية بصيحة واحدة .
- ٢- إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم .
- ٣- حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها .
- ٤- طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم ، والعاقل من اعتبر بغيره .
- ٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء .

(١) هذا تابع لقصة حبيب بن النجار صاحب ياسين والجملة معطوفة على جملة قيل ادخل الجنة .
 (٢) كون جبريل هو الذي صاح فيهم وارد عند أهل التفسير فإن ثبت عن النبي ﷺ وجب الإيمان به وإلا فلا يجب ولا يلزم الإيمان به إذ جائز أن يكون ملكاً آخر غير جبريل .
 (٣) العباد جمع عبد من عباد الله تعالى والعبيد جمع عبد مملوك للناس .
 (٤) الحسرة شدة الندم مشوباً بتلهف على نفع فائت .
 (٥) الاستثناء مفرغ من أحوال عامة من الضمير في «يأتهم» أي لا يأتهم رسول في حال من أحوالهم إلا استهزأوا به .
 (٦) قرأ نافع وإن كل لما بتخفيف الميم وشددها حفص فعلى تخفيفها تكون إن مخففة من الثقيلة واللام هي اللام الفارقة وما مزيدة للتوكيد . وإن قدرت ما نافية وجب تشديد لما إذ تكون بمثابة الاستثناء أي وما كلهم إلا محضرون لدينا .

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ
وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

- وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة .
أَحْيَيْنَاهَا : بأنزال المطر عليها فأصبحت حية بالنبات والزروع .
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ : أي بساتين .
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقه .
أَفَلَا يَشْكُرُونَ : أي أفىرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخز منهم .
سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا : أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأصناف كلها .
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ : أي الذكور والإناث .
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ : من المخلوقات كالتي في السموات وتحت الأرضين .

معنى الآيات :

لما تقدم في الآيات قبل هذه تقرير عقيدة البعث والجزاء في قوله وإن كل لما جميع لدينا محضرون ذكر هنا الدليل العقلي على صحة إمكان البعث فقال ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ﴾ أي على صحة البعث الأرض الميتة التي أصابها المحل فلا نبات فيها ولا زرع أحييناها بالمطر فأنبتت من كل زوج بهيج فهذه آية أي علامة كبرى وحجة واضحة على إمكان البعث إذ الخليقة تموت ولم يبق إلا الله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ثم ينزل الله تعالى ماء

(١) وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ مَبْتَدَأُ والخبر الأرض الميتة . قرأ نافع الميتة بتشديد الياء وسكنها حفص .

من تحت العرش فتحيا البشرية على طريقة الأرض الميتة ينزل عليها المطر فتحيا بالنبات. وهذه المرة تحيا بالبشر إذ يُركب خلقهم من عظم يقال له عجب الذنب هو في بطن الأرض لا يتحلل ومنه يركب الخلق كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحيح. هذا معنى قوله تعالى في الاستدلال على البعث ﴿وَأَيَّة لِّهَمَّ الْاَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أي حَبُّ الْبُرِّ فمنه أي من ذلك يأكلون الخبز. وقوله ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض الميتة جنات أي بساتين من نخيل وأعناب، وفجرنا فيها من العيون أي عيون الماء، هذه مظاهر القدرة والعلم الإلهي وكلها تشهد بصحة البعث وإمكانه وأن الله تعالى قادر عليه وعلى مثله. وقوله تعالى ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ أي من ثمر المذكور^(١) من النخل والعنب وغيره. وقوله ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي لم تخلقه ولم تكونه أيديهم بل يد الله هي التي خلقتهم أفلا يشكرون يوبخهم على عدم شكره تعالى على ما أنعم به عليهم من نعمة الغذاء. وقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأزواج كلها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ يقدس تعالى نفسه ويزهوها عن العجز عن إعادة الخلق ويذكر بآيات القدرة والعلم وهي نظام الزوجية إذ كل المخلوقات أزواج أي أصناف من ذكر وأنثى فالنباتات على سائر اختلافها ذكر وأنثى والناس كذلك وما هو غائب عنا في السموات وفي بطن الأرض أزواج كذلك ولا وتر أي لا فرد إلا الله تعالى فقد تنزه عن صفات الخلاق، ومنها كان للحياة الدنيا نوع آخر هو لها كالزوج وهي الحياة الآخرة فهذا دليل عقلي من أقوى الأدلة على الحياة الثانية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور والمنكرات.

٢- دليل نظام الزوجية وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.

(١) الثمر بمنزلة الحب للسبيل وهو ما يغله النخل والعنب، وقرأ الجمهور بفتحيتين. وقرأه خلافهم بضميتين.
(٢) جائز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم وإنما الله جل جلاله هو الذي أنبته وسخره لهم وجائز أن تكون ما موصولة أي والذي عملته أيديهم من أصناف الحلاوات والأطعمة وما يتخذونه كالخبز والجبن وما إلى ذلك وما في التفسير أرجح وأدل على نعم الله وقدرته وقرأ الجمهور ومما عملته بهاء الضمير وقرأ بعض عملت بدونه.
(٣) الأزواج جمع زوج ويطلق على كل من الذكر والأنثى، وعلى الأصناف المختلفة فإن أريد بالأزواج الذكر والأنثى فمن ابتدائية في المواقع الثلاثة وإن أريد بها الأصناف فمن بيانية في المواطن الثلاثة: ولقوله: ومما لا يعلمون مقابل محذوف تقديره وما يعلمون وهذا من دلالة الإشارة.

٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان ويطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى
عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار : وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار أي نزيل النهار عن الليل فإذا هم مظلّمون بالليل .

لمستقر لها

: أي مكان لها لا تتجاوزوه .

ذلك تقدير العزيز العليم

: أي جريها في فلکها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه العليم بكل خلقه .

والقمر قدرناه منازل

: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة .

حتى عاد كالمرجون القديم

: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر .

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك : أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر فيجتمعان في الليل .

القمر

: أي بأن يأتي قبل انقضائه .

ولا الليل سابق النهار

: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلک يسبحون أي يسبّرون والفلک دائرة مستديرة كفلکة المغزل وهو مجرى النيرين والكواكب السيارة .

وكل في فلک يسبحون

معنى الآيات :

ما زال السياق في البرهنة على إمكان البعث ووقوعه لا محالة فقال تعالى ﴿وآية﴾ أي علامة لهم أخرى على قدرة الله على البعث ﴿الليل نسلخ^(١) منه النهار﴾ أي انفصل عنه النهار بمعنى نزيله عنه فإذا هم في الليل مظلّمون أي داخلون في الظلام فهذه آية على قدرة الله على البعث وقوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ أي تجري في فلكها منه تبتدىء سيرها وإليه ينتهي سيرها وذلك مستقرها، ولها مستقر آخر وهو نهاية الحياة الدنيا، وإنها لتسجد كل يوم تحت العرش وتستأذن باستئاف دورانها فيأذن لها كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ وكونها تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربّها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أخرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها وقوله تعالى ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي الغالب على مراده العليم بكل خلقه، وتقدير سير الشمس في فلكها بالثانية وتقطع فيه ملايين الأميال أمر عجب ونظام سيرها طوال الحياة فلا يختل بدقيقة ولا يرتفع مستواها شبراً ولا ينخفض شبراً إذ يترتب على ذلك خراب العالم الأرضي كل ذلك لا يقدر عليه إلا الله، أليس المبدع هذا الإبداع في الخلق والتدبير قادر على إحياء من خلق وأمات؟ بلى، بلى إن الله على كل شيء قدير. وقوله تعالى ﴿والقمر قدرناه^(٢) منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ هذه آية أخرى على إمكان البعث وحتميته والقمر كوكب منير يدور حول الأرض يتنقل في منازل الشمانية والعشرين منزلة بدقة فائقة وحساب دقيق ليعرف بذلك سكان الأرض عدد السنين والحساب إذ لولاه لما عرف يوم ولا اسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن. فالقمر يبدأ هلالاً صغيراً ويأخذ في الظهور فيكبر بظهوره شيئاً فشيئاً حتى يصبح

(١) السليخ الكشط والتزع كسلخ الشاة من جلدها فيبقى اللحم أبيض كذلك يسليخ تعالى النهار من الليل فيبقى الناس في ظلام حالك.

(٢) جائز أن يكون في الكلام حذف أي آية لهم الشمس تجري وجائز أن يكون الشمس مبتدأ وتجري الجملة خبر أي آية أخرى.

(٣) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمآل أي يصير أمرها فتؤول إلى مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب» قال قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع في مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.

(٤) جائز أن يكون قدرناه له منازل أو قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بها بمنزل وهي : السرطان، البطين، الشريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيان، الأكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرع المقدم، الفرع المؤخر، بطين الحوت. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها.

في نصف الشهر بدرا كاملا، ثم يأخذ في الأفول والاضمحلال بنظام عجب حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم أي كعود العرجون أصفر دقيق مقوس كل ذلك لفائدة الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض اليس هذا آية كبرى على قدرة الله العزيز العليم على إعادة الحياة لحكمة الحساب والجزاء؟ بلى إنها لآية كبرى فقله ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي لا يسهل على الشمس ولا يصح منها أن تدرك القمر فيذهب نوره بل لكل سيره فلا يلتقيان إلا نادرا في جزء معين من الأفق فيحصل خسوف القمر وكسوف الشمس. وقوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ بل كل من الليل والنهار يسير في خط مرسوم لا يتعداه فلذا لا يسبق الليل النهار ولا النهار الليل فلا يختلطان إلا بدخول جزء من هذا في هذا وجزء من ذلك في ذا^(١) وهو معنى ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وقوله ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر والكواكب السيارة في فلك يسبحون فلذا لا يقع فيها خلط ولا ارتطام بعضها ببعض إلى نهاية الحياة فيقع ذلك ويخرب الكون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتما.
- ٢- ذكر القرآن لأمر الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحى إليه هو رسول الله قطعا.
- ٣- ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والامي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحجة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ

(١) هذا لأن سير القمر سريع وسير الشمس دونه فلا تدركه.

(٢) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وحي. بضمير الجمع وهما اثنان الشمس والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشم الكواكب أيضاً.

(٣) هذا لما بين بينها من أبعاد لا يقدر قدرها ولا يعرف مداها إلا الله خالقها فلذا لا يدرك بعضها بعضاً لشدة الأبعاد بين مداريها.

وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
 ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آية لهم : أي علامة لهم على قدرتنا على البعث .

أنا حملنا ذريتهم : أي ذريات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان . نجينا ذريتهم لأنهم
 مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون .

في الفلك المشحون: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف .
 وخلقنا لهم من مثله : أي من مثل فلك نوح ما يركبون .

فلا صريخ لهم : أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم .
 ومتاعاً إلى حين : أي وتمتعاً لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم .
 اتقوا ما بين أيديكم : أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة .

وما خلفكم : أي من عذاب الآخرة إذا أصررتكم على الكفر والتكذيب .
 وما تأتيتهم من آية : أي وما تأتيتهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبيّنة من بيناته الدالة
 على توحيد الله وصدق الرسول إلا كانوا عنها معرضين غير ملتفتين إليها ولا
 مباليين بها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض الآيات الكونية للدلالة على البعث والتوحيد والنبوة فقال تعالى ﴿وآية
 لهم﴾ أي أخرى غير ما سبق ﴿أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾^(١) أي حملنا ذرية قوم نوح

(١) قرأ نافع ذرايتهم جمع ذرية وقرأ حفص بالإفراد ذريتهم اسم جمع فهو بمعنى ذرياتهم . لفظ الذرية وإن كان أساساً
 يطلق على الأولاد فإنه أطلق هنا على الآباء والأجداد إذ الكل هم ذرية لآدم عليه السلام والمشحون الموقر بما حمل فيه من
 سائر المخلوقات .

المؤمنين فأنجيناهم بإيمانهم وتوحيدهم وأغرقنا المشركين فهي آية واضحة عن رضا الله تعالى عن المؤمنين الموحدين وسخطه على الكافرين المشركين المكذبين إن في هذا الإنجاء للموحدين والإغراق للمشركين آية وعبرة لو كان مشركو قريش في مكة يفقهون . وقوله تعالى ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهذه آية أخرى أيضا وهي أن الله أنجى الموحدين في فلك لم يسبق له مثيل ثم خلق لهم مثله ما يركبون إلى يوم القيامة ولو شاء عدم ذلك لما كان لهم فلك إلى يوم القيامة . وآية أخرى ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ وهي قدرته تعالى على إغراق ركب السفن الكافرين وإن فعلنا لم يجدوا صارخا ولا مغيثا يغنيهم وينجيهم من الغرق ﴿إلا رحمة منا﴾ اللهم إلا رحمتنا فإنها تنالهم فننجيهم ليمتنعوا في حياتهم بما كانوا يتمتعون به إلى حين حضور آجالهم المحدودة لهم . وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أي وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بآيات الله المعرضين عن دينه المشركين به اتقوا ما بين أيديكم من العذاب حيث موجبه قائم وهو كفركم وعنادكم ، وما خلفكم من عذاب الآخرة إذ مقتضيه موجود وهو الشرك والتكذيب رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أعرضوا كأنهم لم يسمعوا . وقوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات﴾ كلام ربهم القرآن الكريم تحمل الحجج والبراهين على صحة ما يدعون إليه من الإيمان والتوحيد إلا كانوا عنها معرضين تمام الإعراض كأن قلوبهم قُدت من حجر والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذرية قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذرية والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد .
- ٢- حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلا لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟
- ٣- بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل .
- ٤- الإشارة بالمثلية في قوله ﴿من مثله﴾ إلى تنوع السفن من البوارج والغواصات والطربيدات الحربية .

(١) الصريخ هو الصارخ وهو المستغيث المستنجد تقول العرب جاءهم الصريخ أي المنكوب المستنجد لينقذوه وهو فاعل بمعنى فاعل .

(٢) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريخ .

(٣) جواب إذا محذوف تقديره أعرضوا وقد ذكر في التفسير .

(٤) الجملة واقعة موقع التذيل وتحمل معنى التأكيد لما سبق من معنى وهو أنهم إذا دعوا إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء أعرضوا ولم يستجيبوا .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
 ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
 وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
 ﴿٥١﴾ قَالُوا ابْنُوا لَنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
 وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
 وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
 نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

وإذا قيل لهم انفقوا : أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين انفقوا علينا .

مما رزقكم الله : أي من المال .

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه : أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه .
 إن أنتم إلا في ضلال مبين : أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه .

متى هذا الوعد : أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه .

ما ينتظرون إلا صيحة واحدة : أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل .

تأخذهم وهم يخصمون : أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .
 فلا يستطيعون توصية : أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية .
 ولا إلى أهلهم يرجعون بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو
 المقاهي والملاهي .
 فإذا هم من الأحداث : أي القبور إلى ربهم ينسلون أي يخرجون بسرعة .
 قالوا يا ويلنا من بعثنا من مردنا : أي قال الكفار : من بعثنا من قبورنا؟
 هذا ما وعد الرحمن : أي هذا ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون أي فيما أخبروا
 به .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾ ^(١) أي وإذا قيل لأولئك المشركين المكذابين الملاحدة والقاتل هم
 المؤمنون فقد روي أن أبا بكر الصديق كان يطعم مساكين المسلمين فلقبه أبو جهل فقال يا أبا
 بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال : نعم . قال : فما باله لا يطعمهم؟ قال ابتلى قوماً
 بالفقر وقوماً بالغنَى وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل، والله يا أبا بكر
 إن أنت إلا في ضلال مبين . أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم
 أنت فنزلت هذه الآية وبهذه الرواية اتضح معنى الآية الكريمة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للكفار
 ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ على المساكين ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ الأمرين لهم بالإففاق
 ﴿أنطعم من لو شاء الله أطعمه﴾ قالوا هذا استهزاء وكفرا ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم أيها المسلمون
 ﴿إلا في ضلال مبين﴾ أي إلا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبر فيه .
 وقوله ﴿ويقولون متى﴾ ^(٢) هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿أي ويقول أولئك الملاحدة المكذبون بالبعث
 استهزاء واستعجالاً : متى هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المسلمون إن كنتم صادقين في
 دعواكم .

(١) اختلف في من هذه قوله؟ وما في التفسير وأنها قوله أبي جهل لأبي بكر أرجحها وأقربها إلى واقع الحال والصق بالسياق
 ولا مانع أن يقولها الزنادقة والملاحدة والمستهزئين في كل زمان ومكان .

(٢) الاستهزاء للاستبعاد وهو مشوب بالسخرية والاستخفاف لأنه ناجم عن قلوب مظلمة من جراء الكفر والإلحاد قال
 الشاعر :

متى يأتي هذا الموت لا يُلَفِّ حاجةً لنفس إلا قد قضيت قضاءها

والشاهد في الاستخفاف .

قال تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة اسرافيل في الصور وهي نفخة الفناء ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾^(١) أي يختصمون في أسواقهم يبيعون ويشترون، وفي مجالسهم العامة والخاصة إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون قال تعالى ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يوصي بها أحدهم لابنه أو أخيه، ولا إلى أهلهم أي منازلهم وأزواجهم وأولادهم يرجعون بل يصعقون في أماكنهم. وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي صور إسرافيل وهو قرن ويقال له البوق أيضا نفخة البعث من القبور أحياء فإذا هم من الأجداث جمع جدث وهو القبر ينسلون أي ماشين مسرعين إلى ربهم لفصل القضاء والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في هذه الدنيا من إيمان وكفر وإحسان وإساءة وعدل وظلم. قالوا يا ويلنا أي نادوا ويلهم وهلاكهم لما شاهدوا من أهوال الموقف ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾^(٢) وأجابهم المؤمنون بقولهم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ إذ واعدنا الله بلفائه وأخبرت الرسل به وبتفاصيله وقوله تعالى ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدنيا محضرون﴾ أي ما هي إلا صيحة واحدة لإسرافيل فإذا الكل واقف بين يدي الله تعالى ليحاسب ويجزي قال تعالى ﴿فاليوم لا تغلظ نفس شيئا﴾ أي في هذا اليوم الذي وقفت الخليقة فيه بين يدي ربها لا تغلظ نفس شيئا لا بنقص حسنة من حسناتها ولا بزيادة سيئة على سيئاتها. ولا تجزون أيها العباد إلا ما كنتم تعملون من خير وشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان علو الكافرين وطغيانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.
- ٣- الساعة لا تأتي إلا بغتة.
- ٤- الانقلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه

(١) يخصمون بمعنى يختصمون في أمور دنياهم فيموتون في أماكنهم وقد ادغمت التاء في الصاد فتفتح عن ذلك قراءات أشهرها قراءة نافع يخصمون بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة وقرأ حفص يخصمون بكسر الخاء والصاد المشددة وقرأ قالون يخصمون بسكون الخاء مع الاختلاس.

(٢) قال ابن عباس وقادة ينسلون يخرجون ومنه قول امرئ القيس: فسلني ثيابي من ثيابك تنسلي ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج من بطن أمه وقيل يسرعون، والنسلان والفسلان الإسراع في السير ومنه مشية الذئب قال: عسلان الذئب امسى قارباً برد الليل عليه فنسل

(٣) جائز أن يكون هذا ما وعد الرحمن الخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم صرخوا بالحقيقة التي كانوا يكذبون بها فاعترفوا قائلين: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وجائز أن يقال لهم كما في التفسير، فإن قلنا بالقرول الأول لا يصح الوقف على من مرقندا، وإن قلنا بالقرول المثبت في التفسير صح الوقف ويصبح هذا ما وعد الرحمن كلاماً مستأنفاً.

والظاهر أنها أربع الأولى نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفرع^(١) والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.

٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِّئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ
مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

في شغل فاكهون : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء .
وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام .
فاكهون : أي ناعمون بالتلذذ بالنعيم وذلك لطيب العيش .
على الأرائك : أي الأسرة ذات الحجلة .
ولهم ما يدعون : أي ما يتمنون ويطلبون .
سلام قولاً من رب رحيم : أي سلام بالقول من رب رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه وتعالى .

معنى الآيات :

ما إن حضروا بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء حتى أعلن عما يلي : إن أصحاب الجنة اليوم^(٢) في شغل فاكهون أي إنهم في شغل عما فيه أصحاب النار إنهم في شغل بالنعيم المقيم فاكهون أي ناعمون بالتلذذ بالوان المطاعم والمشارب والحوار العين إنهم وأزواجهم في ظلال الجنة على الأرائك^(٣) أي الأسرة ذات الحجلة متكئون . لهم فيها أي في دار السلام فاكهة

(١) هذه النفخة مختلف فيها ودليها حديث البخاري إذ فيه يقول الرسول ﷺ «فأكون أول من يفيق فإذا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ولا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى» .

(٢) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد : شغلهم افتضااض العذارى وقيل شغلهم زيارة بعضهم بعضاً ، والشغل بضم الشين وسكون الغين ويجوز ضم الغين مع الشين .

(٣) فاكهون بالالف وفكهون بدونه كفرحين لغتان وفسر بفرحين ومعجبين وبمسرورين والكل صحيح إذ هو من جملة النعيم الذي هم فيه .

(٤) الأرائك جمع أريكة كسفيئة وسفائن قال الشاعر :

كان احمرار الورد فوق غصونه بوقت الضحى في روضه المتضاحك
خحدود عذارى قد خجلن من الحياء تهادين بالريحان فوق الأرائك

من كل زوج ولون ونوع ولهم ما يدعون أي ما يتمنون ويطلبون ، وأعظم من ذاك سلام الرب تعالى عليهم ^(١) سلام قولاً من رب رحيم أي سلام من الله بالقول لا بغيره من أنواع السلامة والسلام . فقد روى البغوي أن رسول الله ﷺ قال بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ يسطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة . فذلك قوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير المعاد .

٢- بيان نعيم الجنة .

٣- سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم .

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ

أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

(١) استئناف قطع من أن يعطف على ما قبله للاهتمام بمضمونه وسلام مرفوع بالابتداء وهو نكرة وتنكيره للتعظيم ولذا صح الابتداء به وحذف الخبر لدلالة المصدر وهو قولاً عليه ، والتقدير سلام يقال لهم قولاً من الله تعالى ، ومن ابتدائية ، وتنوين رب للتعظيم .

عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

وامتازوا اليوم أيها المجرمون : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها الصالحون إلى الجنة .

ألم أعهد إليكم : أي ألم أوصيكم بترك عبادة الشيطان وهي طاعته .
 وأن اعبدوني : أي ويأمر تعبدوني وحدي وذلك في كتيبي وعلى السنة رسلي .
 هذا صراط مستقيم : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن . هو الإسلام الموصول إلى دار السلام .

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقا كثيرا .
 أفلم تكونوا تعقلون : أي اطعموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم .

هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون : أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم . . . الخ .
 اليوم نختم على أفواههم ^(١) : أي عندما يقولون : والله ربنا ما كنا مشركين .
 ولو نشاء لطمسنا على أعينهم : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا ،
 ولكننا لم نشأ ذلك رحمة منا .
 فاستبقوا الصراط : أي فابتدروا الطريق كمعادتهم فكيف يبصرون .

ولو نشاء لمسخناهم على : أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في امكتنهم التي
 مكانتهم : أي هم فيها فلا يستطيعون مضيا ولا يرجعون .

ومن نعلمه ننكسه في الخلق : أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفا عاجزا .

أفلا يعقلون : أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم .
 فتؤمنون وتوحدون فتنجون من العذاب وتسعدون .

(١) روى مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ أسندون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجزني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجبر علي إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتيين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فنعكن كنت أناضل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي يأمر تعالى المجرمين وهم الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك وارتكاب المعاصي فأفسدها يأمرهم بأن يتميزوا عن المؤمنين فينفردوا وحدهم ويسار بأهل الجنة إلى الجنة، ثم يوبخ تعالى المجرمين أهل النار بقوله ﴿ألم أعهد إليكم﴾^(١) موصياً إياكم على السنة رسلي وفي كتبي بأن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وبأن تعبدوني وحدي، ولا تعبدوا الشيطان معي فتشركوه في عبادتي هذا صراط مستقيم أي ترك عبادة الشيطان والقيام بعبادة الرحمن هذا هو الإسلام الصراط المستقيم الذي لا ينتهي بالسالكين إلا إلى باب دار السلام. وقوله ﴿ولقد أضل منكم جبلاً﴾ أي خلقا كثيراً هذا من كلام الله الموبخ به للمجرمين. وقوله ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ وهذا تقريع وتوبيخ أيضاً أي اطعمتموه وهو عدوكم وعصيتموني وأنا ربكم فلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم، وواجب عبادتي عليكم لأنني خلقتكم ورزقتكم وكلا تكمل الليل والنهار إذا فهذه جهنم^(٢) التي كنتم بها تكذبون اصلوها أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون بالله وآياته ولقائه وتكذبون رسله. وقوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ هذا يحدث لما يعرضون على ربهم فيعرض عليهم أعمالهم فينكرون فعندئذ يختم الله على أفواههم فلا يستطيعون الكلام وتنطق باقي جوارحهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ فأعميناهم ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي ابتدروا الطريق كعادتهم فأنى يبصرون الطريق وقد طمس على أعينهم فلا مقلة فيها ولا حاجب، ولكن الله لم يشأ ذلك لرحمته وحلمه على عباده، وقوله ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم﴾ أي ولو نشاء مسخ هؤلاء المجرمين من المشركين لمسخناهم في أماكنهم من منازلهم فلا يستطيعون مضيا في الطريق ولا رجوع إلى خلف أي لا ذهاباً ولا إياباً، وقوله تعالى ﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾ فزده رأساً على عقب

(١) يقال مازة فأنماز وامتاز، وميزه فتميز وامتازوا أمر من امتاز ويمتاز إذ انفرد عما كان مختلطاً به، والمراد بذلك سوقهم إلى النار بعد أن دخل المؤمنون الجنة.

(٢) الاستفهام للتقرير والتوبيخ على إيمانهم وصيته تعالى إليهم بأن لا يعبدوا الشيطان.

(٣) قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون الاستفهام للتقريع والتأنيب.

(٤) قوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون أي على السنة رسلي فكذبتم بها وواصلتم شرككم وكفرتم. اصلوها اليوم أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم الذي دس نفوسكم وخبثها فحرمتم بذلك دار السلام.

(٥) المكائنة تأنيث المكان على تأويله بالبقعة.

(٦) قرأ الجمهور نكسه بفتح النون الأولى وسكون الثانية مضارع نكس رأسه وقرأها عاصم نكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة.

فكما كان طفلا ينمو شيئا فشيئا في قواه العقلية والبدنية حتى شب واكتهل فكذلك ننكسه في خلقه فيأخذ يضعف^(١) في قواه العقلية والبدنية يوما فيوما حتى يصبح أضعف عقلا وبدنا منه وهو طفل. وقوله أفلا تعقلون أيها المكذبون المجرمون أن القادر على هذا وغيره وعلى كل شيء يريد قادر على أن يحييكم بعد موتكم ويبعثكم من قبوركم ويحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير المعاد وبيان مواقف منه.
- ٢- تأكيد عداوة الشيطان للإنسان.
- ٣- عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيئه أعماله وفاسدها.
- ٤- التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسخ ونحوه.
- ٥- مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ
 ﴿٧١﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾
 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
 وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

(١) قال سفيان إذا بلغ المرء ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر:
 من عاش أخلفت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر

شرح الكلمات :

وما علمناه الشعر

وما يتنبى له

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين

: أي وما علمنا رسولنا محمد ﷺ الشعر فما هو شاعر.

: أي وما يصلح له ولا يصح منه .

: أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلا ذكر أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر لما يظهر من الحقائق العلمية .

: أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون .

: أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة .

لينذر من كان حياً

ويحق القول على الكافرين

: الأنعام هي الإبل والبقر والغنم .

أنعاما فهم لها مالكون

: أي سخرناها لهم وجعلناها قاهرين لها يتصرفون فيها .

وذلكناها لهم

: أي من بعضها يركبون وهي الإبل ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون .

فمنهاركوبهم ومنها يأكلون

: المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان

ولهم فيها منافع ومشارب

: أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى على هذه النعم بالإيمان والطاعة .

أفلا يشكرون

: أي أصناماً يعبدونها زعماً منهم أنها تنصرهم بشفاعتها لهم عند الله .

واتخذوا من دون الله آلهة

: أي لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم .

لا يستطيعون نصرهم

: أي لا يقدر على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون . لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسخها أحد بسوء فبدل

وهم لهم جند محضرون

: أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبوثون لنصرتها .

: أي إنك لست مرسلأ وإنك شاعر وكاهن ومفتري .

فلا يحزنك قولهم

: أي انهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق .

إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾^(١) ردّ على المشركين الذين قالوا في القرآن شعر وفي الرسول شاعر فقال تعالى ﴿وما علمناه﴾ أي نبينا محمد ﷺ ﴿الشعر﴾، وما ينبغي له ﴿أي لا يصح منه ولا يصلح له﴾. ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي ما هو الذي يتلوه إلا ذكر يذكر به الله وعظة يتعظ به المؤمنون ﴿وقرآن مبين﴾ مبين للحق مظهر لمعالم الهدى أنزلناه على عبدنا ورسولنا لينذر به من كان حياً أي القلب والضمير لإيمانه وتقواه لله ويحق أي به القول وهو العذاب على الكافرين لأنهم لا يهتدون به فيعيشون على الضلال ويموتون عليه فيجب لهم العذاب في الدار الآخرة. وقوله ﴿أولم يروا﴾ أي أعمي أولئك المشركون ولم يروا مظاهر قدرتنا وإحساننا الموجبة لعبادتنا وهي ﴿أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، والمراد بالأنعام الماشية من إبل وبقر وغنم وقوله ﴿وذللناها لهم﴾ أي سخرناها لهم بحيث يركبون ويحلبون ويحملون وينحرون ويدبحون ويأكلون، ولولا هذا التسخير لما قدروا عليها أبداً. وقوله ﴿ولهم فيها منافع ومشارب﴾ المنافع كالصوف والوبر والشعر ﴿والمشارب﴾ جمع مشرب وهي الألبان في ضروعها يحلبون منها ويشربون. وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ يوبخهم على أكل النعم وعدم الشكر عليها، وشكر الله عليها هو الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي اتخذ أولئك المشركون آلهة هي أصنامهم التي يعبدونها لعلمهم ينصرون أي رجاء نصرتها لهم وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون. قال تعالى في إبطال هذا الرجاء وقطعه عليهم ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وقوله ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي والحال أن المشركين هم جند تلك الأصنام محضرون ، عندها يدافعون عنها ويحمونها ويغضبون لها فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك. وقوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أي لا تحزن لما يقول قومك من أنك لست مرسلًا، وأنتك شاعر

(١) انه ﷺ مع أصالته في الأدب الرفيع وكيف وهو قرشي مضري لا يحسن إنشاء بيت من الشعر حتى إنه أنشد يوماً بيت طرفة فقال :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

فقال أبو بكر والله إنك لرسول الله إذ عجز البيت هكذا ويأتيك بالأنباء من لم تزود.

(٢) وما علمناه الشعر أي وما أوحينا إليه شعراً وما علمناه إياه.

(٣) مما عملت (ما) موصولة بمعنى الذي وحذف العائد وهو الضمير لطول الاسم أي عملته. وإن قلناه «ما» مصدرية فلا حاجة إلى مراعاة العائد ولا تقديره.

(٤) قرىء يحزنك بضم الياء من أحزنه يحزنه وقرىء يحزنك بفتح الياء وضم الزاي، والنهي عن الحزن نهي عن أسبابه الموجبة له، إذ الحزن لا يملك الإنسان دفعه ولكن يستطيع تجنب مثيراته والمراد من هذا النهي تسلية الرسول ﷺ عما يواجهه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر وما إلى ذلك.

(١)

وساحر وكاهن إلى غير ذلك من أقاويلهم، ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ وسنجزئهم عن قولهم الباطل ونأخذهم بكذبهم وافتراءهم عليك كما نحن نعلم أنهم ما قالوا الذي قالوا إلا حسداً لك، وإلا فهم يعلمون أنك رسول الله وما أنت بالساحر ولا الشاعر ولا المجنون، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون .
- ٢- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان .
- ٣- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليماً وتذكيراً .
- ٤- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمدہ عليها .
- ٥- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرها وهم جند معاً لنصرتها من أن يمسخها أحد بسوء .

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا

خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ

مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

(١) جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون جملة تذييلية المراد منها أمران تطمين الرسول ﷺ على كفاية الله تعالى له وإن كيدهم لا يضره وتهديد للمشركين بإعلامهم أن الله مطلع على ما يمتكرون وسيجزيهم به .

﴿٨٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿٨٣﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

شرح الكلمات :

- أو لم ير الإنسان : أي المنكر للبعث كالعاصي بن وائل السهمي ، وأبي بن خلف .
أنا خلقناه من نقطة : أي من مني إلى أن صيرناه رجلاً قوياً .
فاذا هو خصيم مبين : أي شديد الخصومة بينها في نفي البعث .
وضرب لنا مثلاً : أي في ذلك ، إذ أخذ عظماً وفته أمام رسول الله وقال أياحي ربك هذا؟
ونسى خلقه : أي وأنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلاً يخاصم فالقادر على الخلق الأول قادر على الثاني .
من يحيى العظام وهي رميم : أي وقد رمّت وبلت .
من الشجر الأخضر نارا : أي من شجر المرخ والعفار يحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار .
بقادر على أن يخلق مثلهم : أي مثل الأناسي .
بلى : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس .
إذا أراد شيئاً : أي خلق شيء وإيجاده .
بيده ملكوت : أي ملك كل شيء ، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه .
وإليه ترجعون : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء تلك العقيدة التي يتوقف عليها غالباً هداية الإنسان وإصلاحه فقال تعالى رداً على العاصي بن وائل السهمي وأبي بن خلف حيث جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففته وذراه وقال أنزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله

(١) ﴿نعم يَمِيتُك ثم يحييُك ثم يحشرك إلى جهنم ونزلت هذه الآيات ﴿أو لم ير الإنسان﴾ أي أنكر البعث وهو يعلم أنا خلقناه من نقطة أي من ماء مهين وسويناه رجلاً فإذا هو خصيم لنا أي مخاصم يرد علينا ويشرك بنا وينكر إحياءنا للأموات وبعثهم يوم القيامة فكيف يعمرى هذا العمى ويجهل هذا الجهل القبيح ، إذ القادر على البدء قادر عقلاً على الإعادة وهي أهون عليه . وقوله ﴿وضرب لنا﴾ أي هذا المنكر للبعث مثلاً أي جعل لنا مثلاً وهو انكاره علينا قدرتنا على البعث حيث جعل إعادتنا للخلق أمراً عجيباً وغريباً إذ قال ﴿من يحيى العظام وهي رميم﴾ (٢) أي قد رمت وبليت . ونسى خلقه من ماء حقير وكيف جعله الله بشراً سوياً يجادل ويخاصم فلو ذكر أصل نشأته لخبجل أن ينكر إحياء العظام وهي بالية رميم ؟ ولما قال من يحيى العظام وهي رميم ؟ . وقوله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ وهذا هو القياس العقلي الجلي الواضح إذ بالبدهة أن من أوجد شيئاً من العدم قادر على إيجاد مثله . وقوله ﴿وهو بكل خلق﴾ أي مخلوق عليم فالعلم والقدرة إذا اجتماعاً كان من السهل إيجاد ما أعدم بعد أن كان موجوداً فأعدم لاسيما أن الموجد من العدم هو المخبر بالإعادة ويقدرته عليها .

هذا برهان قطعي وثاني برهان في قوله ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي النار وتشعلونها ، ووجه الاستدلال أن البعث لو كان مستحيلاً عقلاً وما هو بمستحيل بل هو واجب الوقوع لكان على الله غير مستحيل لأن الله تعالى قد أوجد من المستحيل ممكناً وهو النار من الماء ، إذ الشجر الأخضر (٤) ماء سار في أغصان الشجرة . ومع هذا يوجد منها النار ، فكان هذا برهاناً عقلياً يسلم به العقلاء ولا ينازعون فيه أبداً ، وبرهان ثالث وهو في قوله ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟؟ وجه البرهنة فيه أننا ننظر إلى السموات السبع وما فيها من خلق عجيب وإلى الأرض وما فيها كذلك وننظر إلى الإنسان فنجد

(١) روي أيضاً أن العاصم بن وائل أتى النبي ﷺ بعظم حائل فقال يا محمد أتري أن الله يحيى هذا بعد ما رم ؟ فقال النبي ﷺ نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الآية .

(٢) يقال رمّ العظم يرم فهو رميم ورمم وقال رميم ولم يقل رميمه لأنها معدولة عن فاعله نحو بغيًا لم يقل بغية لأنه معدول عن باغية

(٣) هذا الكلام مستأنف ابتدائياً الغرض إقامة الحجة العقلية على صحة البعث وإمكانه وهو ما أنكره المشركون واستبعدوه فذكر لهم أن الذي يخرج من الماء الرطب البارد النار وهما لا يجتمعان ، قادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير .

(٤) قال القرطبي يعني بالآية مع في المرخ والعفار وهي زنادة العرب التي يشعلون بها النار ، ومن ذلك قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار .

لا شيء. إذا قوبل بالسموات والأرض فنحكم بأن من خلق السموات والأرض على عظمها قادر من باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى بعد موته وبلاه وفنائه. ولذا أجاب تعالى عن سؤاله بنفسه فقال ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ أي الخلاق لكل ما أراد خلقه العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها، وبرهان رابع في قوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ووجه الاستدلال أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاده أن يقول له كن فهو يكون. لا يستنكر عليه عقلاً أن يحيي الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم.

وأخيراً ختم هذا الرد المقنع بتزويه نفسه عن العجز فقال ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾^(١) أي ملك كل شيء ﴿واليه ترجعون﴾ أحببتهم أم كرهتهم أيها الأدميون منكروين كنتم للبعث أم مقرين به مؤمنين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة.
- ٢- مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة.
- ٣- تزويه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص.
- ٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له.

(١) بلى لنقض النفي أي بل هو قادر على أن يخلق مثلهم كقوله اليس الله بأحكم الحاكمين؟ فالجواب بلى أي هو أحكم الحاكمين إبطال لما نفته ليس إذ هي حرف نفي.

(٢) فسبحان: نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك والعجز. والملكوت، والملكوتى: بمعنى نحو جبروتى ورحموتى من الجبروت والرحموت والعرب تقول جبروتى خير من رحموتى.

(٣) الملكوت مبالغة في الملك بكسر الميم من ذلك قولهم رهوت خير من رحموت أي ليرهبك الناس خير من أن يرحموك لأن مع الرهبة العزة ومع الرحمة الضعف والعجز.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية

وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالَّتِيلَتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
 إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
 مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَمَلِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ
 الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

- والصافات صفا : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء .
 فالزاجرات زجرا : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله .
 فالتليات ذكرا : أي فالجماعات التاليات للقرآن ذكرا .
 إن إلهكم لواحد : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد .
 رب السموات والأرض وما : أي هوربُ السموات والأرض وما بينهما أي خالقهما ومالكهما بينهما ومدير الأمر فيهما .
 ورب المشارق : أي والمغارب وهي مشارق الشمس ومغاربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب .

(١) جائز أن تكون الجماعات التالية لكلام الله تعالى من الملائكة ومن البشر روى مسلم أنه ﷺ قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء .

وحفظا من كل شيطان مارد : أي وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة .
 لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العلاء .
 ويقذفون من كان جانب دحورا : يُرمون بالشهب من كل جوانب السماء دحورا أي إبعادا لهم .
 عذاب واصب : أي دائم لا يفارقهم .
 إلا من خطف الخطفة : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب .
 فاتبعه شهاب ثاقب : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده .
 معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والصافات صفا﴾^(١) هذا قسم إلهي يؤكد به تعالى إلهيته على عباده فقد أقسم بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا أي قرآنا، وسواء قلنا أقسم بهذه المخلوقات إذ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وإنما الممنوع أن يقسم العبد بغير ربه تعالى . أو قلنا أقسم تعالى بنفسه أي ورب الصافات الخ فالقسم حاصل من أجل تقرير التوحيد، وهذا الإقسام جار على عرف البشر في أنهم إذا أخبروا بشيء يشكون في صحته فيؤكد لهم المُخبر الخبر باليمين ليزيل الشك من نفوسهم . وقوله ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾^(٢) هو المقسم عليه وهو أن إله البشرية كلها واحد وهو الله خالقها ورازقها وليس لها من إله غيره، وما عندها من آلهة فهي آلهة باطلة ويكفي في بطلانها أنها أصنام وصور وتمائيل وصلبان لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر . وقوله ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ تدليل على وحدانية الله تعالى إذ هو خالق السموات والأرض وما بينهما وما لهما ومدير الأمر فيهما، ورب المشارق أيضا والمغارب أي مشارق الشمس ومغاربها إذ كل يوم تشرق وتغرب في درجة معينة فالإله الحق هو الخالق للعوالم والمدير لها لا الذي ينحته الرجل بيده ويقول هو إلهي زورا وباطلا . ألا فليتححر المشركون من أسر الشيطان ويعبدوا الرحمن . وقوله تعالى ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٣) هذه مظاهر القدرة والعالم

(١) روى مسلم وغيره عنه ﷺ قال «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف» .

(٢) هذا جواب القسم وهو المقسم عليه والصفات الملائكة تصف أجنتها في السماء أو تصف للصلاة كما يصف المؤمنون للصلاة في الدنيا، وجائز أن يراد بالصفات صفوف المؤمنين في الصلاة وفي الجهاد .

(٣) رب السموات والأرض خير لمبتدأ محذوف تقديره هو رب السموات الخ .

(٤) هذه الجملة بمثابة الدليل على ربوبية الله تعالى الموجبة للإلهية له سبحانه وتعالى دون سواه .

(٥) قرأ الجمهور بزينة الكواكب بإضافة زينة إلى الكواكب وقرأ حفص بتنوين زينة وجر الكواكب على البدلية ومنهم من نصب الكواكب على الاختصاص والكواكب جمع كوكب وهي تلك الأجرام الكرية السماوية ومنها الثوابت ومنها السيارة وهي كل ما يرى في السماء ما عدا الشمس والقمر وتسمى النجوم وهي تختلف في أحجامها .

والحكمة إنه وحده تعالى زين السماء الدنيا أي القريبة من الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المنيرة. وقوله ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ أي وحفظنا السماء حفظا تاما من كل شيطان عادٍ متمرد عن الطاعة. وقوله ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ أي لا يسمعون إلى الملائكة في السماء حتى لا ينقلوا أخبار الغيب إلى أوليائهم من الكهان في الأرض. وقوله ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرمى أولئك المردة من الشياطين من قبل الملائكة من كل جهة من جهات السماء دحورا أي لذرهم وإبعادهم. وقوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب﴾ لأولئك المردة من الشياطين عذاب واصب موجه دائم وقوله ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي اختطف الكلمة بسرعة ﴿فأتبعه شهاب﴾ ثاقب أي كوكب مضى. فثقبه فقتله أو أحرقه أو خبله أي أفسده، وبهذا حُميت السماء بالملائكة من دخول الشياطين إليها واستراق السمع. والحمد لله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويرها بعظمتها المقرر ضمنا لعظمة خالقها وإما بياناً لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.
- ٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.
- ٣- بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.
- ٤- بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال للكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ

-
- (١) قال أهل العلم النجوم ثلاثة للاعتدال بها في ظلمات البر والبحر وكزينة للسماء بما فيها من أنوار وللحفظ من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة فمن طلبها لغيرها فقد أساء واعتدى.
- (٢) قرأ الجمهور لا يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرأ حفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم مفتوحين الأصل لا يسمعون من التسمع فقلبت التاء سيناً وأدغمت في السين.
- (٣) الواصب : الدائم يقال صبب وصوبا إذا دام وهو عذاب الآخرة.
- (٤) يقال له في علم الهيئة النيزك وعن ابن عباس الشهاب لا يقتل ولكن يخترق ويخبل.

وَيَسْخَرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْوَلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَنْبَغِي لَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكُمْ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

فاستفتهم : أي استخبر كفار مكة تقريراً وتوبيخاً .
أهم أشد خلقاً أم من خلقنا : أي خلقهم في ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم ، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات .
من طين لازب : أي يلصق باليد .
بل عجبت ويسخرون : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث ، وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به .
وإذا ذكروا لا يذكرون : أي وإذا وعظوا لا يتعظون .
وإذا رأوا آية يستسخرون : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرّر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون أي يستهزئون .
قل نعم وأنتم داخرون : أي قل لهم يارسولنا نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء .
فإنما هي زجرة واحدة : أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية .
هذا يوم الدين : أي يوم الحساب والجزاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء وقوله تعالى فاستفتهم أي استخبرهم واطلب جوابهم أي بقولك أنتم أشد خلقاً أي في ذواتكم وفي إحيائكم بعد مماتكم أم من خلقه الله من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما؟ والجواب معلوم وهو أن خلق غيرهم

(١) مأخوذ من استفتاء المفتي والفتيا هي اخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص في غرض ما والاستفتاء هنا تقرير .

من العوالم أشد خلقاً إذا فكيف ينكرون البعث بدعوى استحالة وجوده لصعوبته قال تعالى ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي خلقنا أباهم آدم من طين لازب أي لاصق يلصق باليد ثم خلقناهم بطريق التناسل أفيعجزنا إعادة خلقهم مرة أخرى والجواب لا. لا وقوله تعالى ﴿بل عجب﴾ أي من تكذيبهم بالبعث لوضوح الأدلة على إمكانه ووجوب وجوده ﴿ويسخرون﴾ أي وهم يسخرون من ذلك أي يستهزئون من قولك بالبعث وإمكانه. وقوله تعالى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي بالآيات لعلمهم يذكرون فيؤمنون ويوحدون لا يذكرون لقساوة قلوبهم وظلمة ذنوبهم بالشرك والمعاصي. وقوله ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أي يسخرون ويستهزئون ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جاء به محمد ﷺ من القول والعمل إلا سحر مبين أي بين ظاهر وهم في ذلك كاذبون قطعاً للفرق بين السحر الذي هو تخيل باطل وبين الحق الثابت عقلاً ووحياً من دقائق الشرع وأصول الدين من الإيمان بالله واليوم الآخر وقوله ﴿أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ هذا قول المكذبين من المشركين يقولونه متعجبين مستبعدين للبعث قال تعالى ردّاً عليهم قل يارسلنا لهم ﴿نعم﴾ تبعثون أحياء ﴿وأنتم داخرون﴾ أي صاغرون ذليلون وأمر إعادةكم لا يتطلب أكثر من أن ينفخ اسرافيل في الصور فإذا أنتم أحياء تخرجون من قبوركم ﴿فإنما هي زجرة﴾ أي صيحة واحدة فإذا هم قيام ﴿ينظرون﴾ ويقولوا أي عند قيامهم من قبورهم ﴿ياويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر هذا أوان حضورك أي يدعون على أنفسهم بالهلاك لشدة ما شاهدوا من هول القيامة كقول أحدهم ياليتها كانت القاضية. وقولهم هذا يوم الدين اعتراف منهم بالبعث والجزاء ولكن في وقت ما هو بنافع لهم الاعتراف فيه أي هذا يوم الحساب والجزاء فيقال لهم ﴿هذا يوم الفصل﴾^(١) الذي يفصل الله تعالى فيه بين عباده فيما كانوا فيما يختلفون فيحكم بينهم بالعدل، وقوله تعالى ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ فيه توبيخ لهم أي هذا يوم البعث الذي كنتم تكذبون به وتقولون مستبعدين له أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو أبأؤنا الأولون أي وآبأؤنا الأولون أيضاً.

(١) بل للاضراب الانتقالي من التقرير التوبيخي إلى حالهم العجب قرأ الجمهور عجب بفتح التاء والخطاب للنبي ﷺ وقرأ ابن مسعود بضم التاء ونسبة العجب إلى الله تعالى ليست كنسبته إلى خلقه كسائر صفاته تعالى.

(٢) سخريتهم هذه من محاجة النبي ﷺ إذ أنماهم بالآيات القرآنية الحاملة للأدلة العقلية وهم لجهلهم وعجزهم يدفعونها بالاستسغار والإنكار وهذا غاية الجهل والضلال.

(٣) الاستفهام إنكاري وجملة وأنتم داخرون في محل نصب على الحال.

(٤) جائز أن يكون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون من قول الله تعالى والملائكة لهم جائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد .
- ٢- بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه .
- ٣- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه .
- ٤- عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب .

﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾
 مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
 قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------------|---|
| أحشروا الذين ظلموا | : أي أنفسهم بالشرك والمعاصي . |
| وأزواجهم | : أي قرنائهم من الشياطين . |
| من دون الله | : أي من غير الله من الأوثان والأصنام . |
| فاهدوهم | : أي دلوهم وسوقوهم . |
| إلى صراط الجحيم | : أي إلى طريق النار . |
| وقفّوهم إنهم مسئولون | : أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسئولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم . |
| ما لكم لا تناصرون | : أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا توبيخا لهم . |

إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين : أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل وتحسنون له الشر فتأمرونه بالشرك وتنهونه عن التوحيد .

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين : أي قال قرناؤهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساساً مؤمنين .

وما كان لنا عليكم من سلطان : أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل .
بل كنتم قوما طاغين : أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في موقف عرصات القيامة إنهم بعد اعترافهم بأن هذا يوم الدين وردَّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ يقول الجبار عز وجل ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي احشروا الذين ظلموا بالشرك والمعاصي ، وقوله ﴿ وأزواجهم ﴾ أي قرنائهم^(١) من الجن ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الأصنام والأوثان . وقوله تعالى ﴿ فاهدوهم^(٢) إلى صراط الجحيم ﴾ يقول الله عز وجل فاهدوهم أي دلوهم إلى طريق النار . ويقول ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ ثم يسألون ﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا . كيف ينصر بعضهم بعضاً في مثل هذا الموقف الرهيب بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون ذليلون وقوله تعالى ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي أقبل الاتباع على المتبوعين يتساءلون أي يتلاومون كل يلقي بالمسؤولية على الآخر . فقال الاتباع من الإنس لقرنائهم من الجن ما أخبر تعالى به عنهم ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي والشمال أي توسسون لنا فتَحَسِّنُون لنا الشر والشرك بل تأمرونا به وتحضوننا عليه . فرد عليهم قرناؤهم بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أي ما كنتم مؤمنين فكفرناكم ولا

(١) ظلموا بمعنى اشركوا لأن الشرك اقبح أنواع الظلم شاهده قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والأمر في قوله (احشروا) الله عز وجل والمأمور الملائكة والمأمور يحشرهم المشركون .

(٢) وفسر أزواجهم أيضاً بأشباعهم وقرناؤهم وهم من الجن وما في التفسير أولى .

(٣) أي سوقوهم إلى النار والمأمور الملائكة كما تقدم .

(٤) ما لكم لا تناصرون أي ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

(٥) اضطرب أهل التفسير في تفسير تأتوننا عن اليمين وأقوالهم متضاربة فمنهم من قال تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قال قتادة ، ومنهم من قال اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه انكم تأتوننا من كل جهة تحاولون اغواءنا واضلالنا .

صالحين فأفسدناكم، ولا موحدين فحملناكم على الشرك. هذا أولا وثانيا ما كان لنا عليكم من سلطان أي من حجج قوية أقنعناكم بها، ولا قدرة لنا أرهقناكم بها فاتبعتمونا، بل كنتم أنتم قوما طاغين أي ظلمة متجاوزين الحد في الإسراف والظلم والشر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان صورة لموقف من مواقف عرصات القيامة.
- ٢- بيان أن الأشباه في الكفر أو في الفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.
- ٣- عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
 فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
 ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوَاءَ الْهَيْئَةِ
 لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--------------------------|--|
| فحق علينا قول ربنا | : أي وجب علينا العذاب . |
| إننا لذائقون | : أي العذاب نحن وأنتم . |
| فأغويناكم إننا كنا غاوين | : أي أضللناكم إننا كنا ضالين |
| فإنهم يومئذ | : أي يوم القيامة . |
| في العذاب مشتركون | : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين . |
| إننا كذلك نفعل بالمجرمين | : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد . |
| إنهم كانوا إذا قيل لهم | : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم |
| | الرسول . |

لا إله إلا الله يستكبرون : أي قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون ولا يوحدون .

لشاعر مجنون يعنون محمد ﷺ : بل جاء بالحق وصدق: أي بل جاء بلا إله إلا الله وهو الحق الذي جاءت به المرسلين وقد صدقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما ذكر تعالى من تساؤلات الظالمين وما قاله الأتباع للمتبعين وما قاله المتبعون للاتباع ف قوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون﴾ هذا قول المتبعين لأتباعهم قالوا لهم فبسبب غايتنا وضلالنا وجب علينا العذاب إنا وأنتم لذائقوه لا محالة . وقالوا لهم أيضا معترفين باغوائهم لهم فأغويناكم إنا كنا غاوين هذا قول الجن للإنس قال تعالى ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ وذلك لاشتراكهم في الشرك والشر والفساد . وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ من سائر الأصناف كالزناة وأكلة الربا وسافكي الدماء فنعذب الصنف مع صنفه وهذا عائد إلى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشيعهم وأضربهم وقوله تعالى ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يخبر تعالى عن مشركي قريش أنهم كانوا في الدنيا إذا قال لهم رسول الله أو أحد المؤمنين قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ويشمئزون ولا يقولونها بل ويقولون أننا لثاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون النبي محمد ﷺ يصفون القرآن بالشعر ومحمدا ﷺ تاليه وقارئه بالشعر ولما يدعوهم إليه من الإيمان بالبعث والجزاء بالجنون والرسول في نظرهم مجنون . فرد تعالى عليهم بقوله ﴿بل جاء بالحق﴾ أي لم يمكن رسولنا بشاعر ولا مجنون بل جاء بالحق فأنكرتموه وكذبتم به تقليدا وعنادا فقلتم ما قلتم . وإنما هو قد جاء بالحق الذي هو لا إله إلا الله ﴿وصدق المرسلين﴾ الذين جاءوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والدعوة إليها والحياة والموت عليها .

- (١) أي وجب علينا قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب شاهده قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقول الرسول ﷺ إن الله عز وجل كتب للنار أهلا وللجنة أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم .
- (٢) إنهم كانوا : هذه الجملة تعليلية للحكم السابق وهو بيان العلة منه وفي الكلام حذف تقديره أنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله فحذف القول للعلم به .
- (٣) شاهده حديث ابن أبي حاتم قوله ﷺ وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه إلى الله وهو في الصحيح بأوسع منه .
- (٤) أي لقول شاعر فحذف القول لظهوره .
- (٥) بل للاضراب الاتقالي أي اضرب عن قولهم : شاعر مجنون الباطل وقد سبق الحق المبين وهو شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه .
- ٢- بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التُّهم الباطلة وردَّ الله تعالى عليها .
- ٣- التعظيم من شأن لا إله إلا الله وانها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي محمداً ﷺ .
- ٤- تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية .

إِنَّكُمْ

لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
 فَوَآكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّقَبَّلِينَ
 ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ
 ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ
 الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- وما تجزون إلا ما كنتم تعملون : أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي .
 إلا عباد الله المخلصين : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده فإنهم
 يجزون بأكثر أعمالهم إذ الحسنة بعشر أمثالها وأكثر .
 لهم رزق معلوم : أي في الجنة بكرة وعشيا .
 فواكه : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه فليس
 هو لحفظ أجسامهم حية كما في الدنيا .
 وهم فيها مكرمون : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئاً بخلاف أهل النار
 يقال لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون .

من معين : أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على الأرض.

لذة للشاربين : أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين .
 لا فيها غول : أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم .
 ولا هم عنها ينزفون : أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا .
 قاصرات الطرف : أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن .
 عين : أي واسعات الأعين الواحدة عيناء .
 بيض مكنون : أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غبار ولا غيره .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ هذا يقال لأهل النار وهم موقوفون يتساءلون ومن جملة ما يقال لهم عندئذ هذا القول فيخبرون بأنهم ذائقوا العذاب الأليم الموحج، وأنهم ما يجزون إلا بما كانوا يعملون فلا يظلمون بالجزاء بل هو جزاء عادل السيئة بمثلها. وهنا استثنى تعالى جزاء عباده المؤمنين الذي استخلصهم لعبادته فعبدوه ووحده فإنيهم يجزون بأكثر من أعمالهم فضلاً منه عليهم وإحساناً إليهم فالحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعائة وأكثر، فقال ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وبين تعالى بعض جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي يأكلونه بكرة وعشياً^(١)، وقوله فواكه فيه إشارة إلى أنهم لا يأكلون ولا يشربون لحفظ أجسادهم من الموت والفناء، وإنما يأكلون ما يأكلون ويشربون ما يشربون تلذذاً بذلك لا لدفع غائلة الجوع كما في الدنيا. ﴿وهم مكرمون﴾ أي في الجنة حيث لا تلحقهم إهانة أبداً، وقوله في جنات النعيم أضاف الجنة إلى النعيم مبالغة في وصفها بالنعيم حتى جعل الجنة جنة النعيم فجعل للنعيم وهو النعيم جنة، وأخبر أنهم متكئون فيها على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض وهم في جلسات تنعم، وأخبر عنهم أنهم في حال جلوسهم متقابلين يسقون بواسطة خدم من الملائكة خاص فقال ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي من خمر تجرى بها الأنهار كأنها عيون الماء، ووصف

(١) الأصل لذائقون العذاب فحذفت النون تخفيفاً وأضيف لذائقوا إلى العذاب فخفض ولو نصب لجاز كقول الشاعر:

فألفيته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قليلا

(٢) إلا عباد الله المخلصين: الاستثناء منقطع في معنى الاستدراك وهو تعقيب الكلام بما يضاده أو يرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه وهو الغالب في الاستدراك قرأ الجمهور المخلصين باسم المفعول وقرأها غيرهم باسم الفاعل بكسر اللام والمراد بهم أمة محمد ﷺ كما روي عن الشافعي قوله:

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخصمي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيا

(٣) عطف بيان من رزق معلوم والمعنى أن طعامهم كله من الأطعمة التي يتفكه بها لا مما يؤكل للشبم.

الخمير بأنها بيضاء وأنها لذة عظيمة للشاربين لها، وأنها لا فيها غول وهو ما يقتال أبدانهم كالصداع ووجع البطن فقال ﴿لَا فِيهَا غُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ﴾^(١) أي لا يسكرون بها فتذهب بعقولهم. وقوله ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرَفِ﴾ يعني أن لهم نساء هن أزواج لهم ومعنى قاصرات الطرف أي على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم وذلك لحسنهم وجمالهم فلا تنظر الواحدة منهم إلا إلى زوجها. وقوله ﴿عَيْنٌ﴾ أي واسعات العين ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٢) هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء ومعنى ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور لا يناله غبار ولا أي أذى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا.
- ٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة.
- ٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل.
- ٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشرابا وجلوسا واستمتاعا.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

يَقُولُ أَهْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْ نَا

لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ

الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي

(١) ينزفون بالبناء للمجهول لقراءة الجمهور من نزف الشارب فهو منزوف ونزيف شبهوا عقل الشارب بالدم يقال نزف دم الجريح أي أفرغ وأصله من نزف الرجل ماء البئر إذا نزحه ولم يبعد منه شيئاً. وقرأ البعض ينزفون من أنزف الرباعي الشارب إذا ذهب عقله بالسكر أي صار ذا نزف فالهمزة للصيرورة لا للتعدية.

(٢) العرب تشبه النساء بالبيض لصفائهن وبياضهن قال امرؤ القيس الشاعر الجاهلي :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

أطلق لفظ البيضة على المرأة.

لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
 الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

فأقبل بعضهم على بعض	: أي أقبل أهل الجنة .
يتساءلون	: أي عما مرّ بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها .
إني كان لي قرين	: أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر .
يقول لي أئنك لمن المصدقين	: أي يقول تبكيئاً لي وتوبيخاً أي بالبعث والجزاء .
أءنا لمدينون	: أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكاراً وتكديها .
هل أنتم مطلعون	: أي معي إلى النار لننظر حاله وما هو فيه من العذاب .
فاطلع فراه في سواء الجحيم	: أي في وسط النار .
تالله إن كدت لتردين	: أي قال هذا تشميتاً به ، ومعنى تردين تهلكني .
لكنت من المحضرين	: أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها .
أفما نحن بميتين	: أمخلدون فما نحن بميتين ، والاستفهام للتقرير أي نعم .
إلا موتتنا الأولى	: التي ماتوها في الدنيا .
لمثل هذا فليعمل العاملون	: أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل
	العاملون وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئات .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان نعيم أهل الجنة فقد قال بعضهم لبعض بعد أن جلسوا على السرر متقابلين يتجاذبون أطراف الحديث متذكرين ما مرّ بهم من أحداث في الحياة الدنيا فقال أحدهم إني كان لي في الدنيا قرين أي صاحب يقول لي استهزاء وإنكاراً للبعث الآخر ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث والجزاء على الأعمال في الدنيا . ويقول أيضاً مستبعداً منكراً ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾ أي محاسبون ومجزيون . ثم قال ذلك القائل لبعض

أهل مجلسه ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أي معي على أهل النار لنرى صاحبي فيها ونسأله عن حاله فكانهم أبوا عليه ذلك وأبوا أن يطلعوا أما هو فقد أطلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسطها، وقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال تالله﴾ أي والله ﴿إن كدت لتردين﴾ أي تهلكني لما كنت تنكر عليّ الإيمان بالبعث وتسخر مني وتشمت بي لإيماني وعملي الصالح الذي كنت أرجو ثوابه وهو حاصل الآن وقال أيضاً ﴿ولولا نعمة ربّي﴾ عليّ بالعصمة والحفظ لكنت من المحضرين الآن في جهنم معك. ثم قال له ﴿أما نحن بميتين إلّا موتنا الأولى﴾ والاستفهام تقريرى فهو يقرره ليقول نعم مخلصون نحن في الجنة وأنتم في النار. ثم قال إن هذا أي الخلود في دار النعيم ﴿لهو الفوز العظيم﴾ إذ كان نجاة من النار وهي أعظم مرهوب مخوف، ودخولاً للجنة دار السلام والنعيم المقيم. قال تعالى ﴿لمثل هذا﴾ أي هذا الفوز العظيم بالنجاة من النار والخلود في دار الأبرار ﴿فليعمل العاملون﴾ أي فليواصلوا عملهم وليخلصوا فيه لله ربّ العالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضاً، والعرض التلفازي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.

٢- التحذير من قراء السوء كالشباب الملحد وغيره.

٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً.

٤- لا موت في الآخرة وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.

٤- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.

(١) أورد البخاري إيرادات لا حاجة إليها منها قيل القرين هو من الشياطين وقرىء من المصدقين بتشديد الصاد والداد من التصديق بالمال، وجعل أنتم مطلعون أنه من قول الله تعالى أو قول ملك. وما في التفسير هو الصواب ولا داعي لإيراد ما بخلافه إذ لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر.

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه يقال تعبت حتى انقطع سوائي أي وسطي وقال بعض العلماء، لولا أن الله عرفه إياه لما عرفه إذ تغير حبه وسببه أي اللون والهيئة.

(٣) إن كدت إن مخفقة من الثقلة واسمها ضمير ثان محذوف واللام في لتردين هي الدالة على أن إن ليست نافية ولذا تُسمى باللام الفارقة.

(٤) ويحترز أن يكون هذا القول موجهاً إلى أصحاب الأرائك أهل النعيم بعد أن فرغ المؤمن من الحديث مع قرينه في سواء الجحيم قال لرفاقه في النعيم مقرأً أفا نحن بميتين .. الآية.

والسياق يساعد على جواز هذا.

(٥) قيل لأحد الحكماء: ما شر من الموت؟ قال الذي يتمنى فيه الموت وقال الشعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً

وكون لاموت في الآخرة صح فيه الحديث إذ يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ
 الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
 تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
 ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ تَوَنَّيْنَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
 عَلَيْهَا لَشَوْبَاتٍ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
 إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
 وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
 مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

أذلك خير نزلا

: أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نزلًا وهو ما يعد للنازل من
 ضيف وغيره .

أم شجرة الزقوم

: المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعما ومرارة .

إنّا جعلناها فتنة للظالمين

: أي امتحانًا واختبارًا لهم في الدنيا وعذابًا لهم في الآخرة .

تخرج في أصل الجحيم

: أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتها .

طلعها كأنه رؤوس الشياطين

: أي ما يطلع من ثمرها أولاً كالحيات القبيحة المنظر .

إن لهم عليها لشوبًا من حميم

: أي بعد أكلها يسقون ماء حميما فذلك الشوب أي الخلط .

إنهم ألفوا آباءهم

: أي وجدوا آباءهم .

فهم على آثارهم يهرعون

: أي يسرعون مندفعين إلى اتباعهم بدون فكر ولا روية .

ولقد أرسلنا فيهم منذرين

: أي رسلا منذرين لهم من العذاب .

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين

: إنها كانت عذابًا أليما لإصرارهم على الكفر .

إلا عباد الله المخلصين

: فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما أعدّه لأهل الإيمان به وطاعته وطاعة رسوله من النعيم المقيم في الجنة دار الأبرار قال أذلك^(١) المذكور من النعيم في الجنة خير نزلاً والنزل ما يُعد من قرى^(٢) للضيف النازل وغيره أم شجرة الزقوم، أي ثمرها وهو ثمر سمج مرقبيح المنظر. ثم أخبر تعالى أنه جعلها فتنة للظالمين من كفار قريش إذ قالوا لما سمعوا بها كيف تنبت الشجرة في النار والنار تحرق الشجر، فكذبوا بها فكان ذلك فتنة لهم. ثم وصفها تعالى بقوله ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ أي في قعرها وتمتد فروعها في دركات النار. وقوله طلّعها أي ما يطلع من ثمرها في قبح منظره ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ لأن العرب تضرب المثل بالشیطان في القبح كما أن هناك حيات يسمونها بالشیطان قبيحة المنظر وقوله فإنهم أي الظلمة المشركين لاكلون منها أي من شجرة الزقوم لشدة جوعهم فمالثون منها البطون أي بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾ وذلك أنهم لما يأكلون يعطشون فيسقون من حميم فذلك الشوب من الحميم إذ الشوب الخلط والمزج يُقال شاب اللبن بالماء أي خلطه به وقوله ﴿ثم إن مرجعهم إلى الجحيم﴾ أي مردهم إلى الجحيم بعدما يأكلون ويشربون في مجالس خاصة بالأكل والشرب يردون إلى نار الجحيم.

وقوله تعالى ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى والرشاد ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ أي يهرولون مسرعين وراءهم يتبعونهم في الشرك والكفر والضلال وقوله تعالى ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ أي فليس هؤلاء أول من ضل ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي في أولئك الضالين من الأقسام السالفين منذرين أي رسلاً ينذرونهم فلم يؤمنوا فأهلكناهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إنها كانت هلاكاً ودماراً للكافرين. وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منه تعالى لعباده المؤمنين الصالحين وهم الذين استخلصهم لعبادته بذكره وشكره فأمنوا وأطاعوا فإنه تعالى نجاهم وأهلك أعداءهم الكافرين المكذبين وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بما لا مزيد عليه.

(١) أذلك خير: مبتدأ وخبر ونزلاً تمييز، والمعنى أنعيم الجنة خير نزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً؟

(٢) قرى الضيف هو ما يُعد له من طعام وشراب وفراش ويسمى النزل بضم النون والزاي ويجوز تسكين الزاي.

(٣) مما تعارف عليه العرب أنهم يصورون كل قبيح (بصورة الشياطين) قال امرؤ القيس:

أبقتلونني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوالي

انظر كيف صور سهامه المحددة بصورة أنياب الأغوال ولا يوجد اغوال في الواقع وإنما مجرد تصور وتقدير لا غير.

(٤) هذا الطعام والشراب مقابل ما لأهل الجنة من رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم.

(٥) الإهراع الإسراع من شخص يستحثه بشيء على الإسراع والهرولة.

(٦) الاستثناء متصل لأن المخلصين كانوا من جملة المنذرين فصدقوا المنذرين واتبعواهم وذلك باستخلاص الله تعالى لهم لعبادته والدعوة إليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب .
- ٢- تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة .
- ٣- التنديد بالاتباع في الضلال للأبء والأجداد وأهل البلاد .
- ٤- إهلاك الله تعالى للظالمين وانجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة .

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ

الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ

عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- ولقد نادانا نوح : أي قال إني مغلوب فانتصر «من سورة القمر» .
- فلنعم المجيبون : أي له إذ نجيناه وأهلكنا الكافرين من قومه .
- من الكرب العظيم : أي عذاب الغرق بالطوفان .
- وجعلنا ذريته هم الباقين : إذ عامة الناس كانوا من ذريته سام ، وحام ويافت .
- وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه ثناء حسنا عند سائر الأمم والشعوب .
- سلام على نوح في العالمين : أي سلام منا على نوح في العالمين أي في الناس أجمعين .
- إننا كذلك نجزي المحسنين : أي كما جزينا نوحاً بالذكر الحسن والسلام في العالمين نجزي المحسنين .
- ثم أغرقنا الآخرين : أي كفار قومه المشركين بعد إنجاء المؤمنين في السفينة .

معنى الآيات :

على إثر ذكره تعالى إهلاك المنذرين وإنجائه المؤمنين من عباده المخلصين ذكر قصة تاريخية لذلك وهي نوح وقومه حيث أنذر نوح قومه ولما جاء العذاب أنجى الله عباده المخلصين وأهلك المكذبين المنذرين فقال تعالى في ذكر هذه القصة الموجزة ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعانا لنصرته من قومه ﴿فقال رب انصرني بما كذبون﴾ وقال إني مغلوب فانتصر ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن له ﴿ونجيناه وأهله﴾ باستثناء امرأته وولده كنعان ﴿من الكرب العظيم﴾ وهو عذاب الغرق. وقوله ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ إلى يوم القيامة وهذا جزاء له على صبره في دعوته وإخلاصه وصدقه فيها إذ كل الناس اليوم من أولاده الثلاثة وهم ^(١) سام وهو أبو العرب والروم وفارس، وحام وهو أبو السودان ويافت وهو أبو الترك والخزر وهم التتار ضيقوا العيون ولهذا سماوا الخزر من خزر العين وهو ضيقها وصغرها، وياجوج وماجوج، وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي في أجيال البشرية التي أتت بعده وهو الذكر الحسن والثناء العطر المعبر عنه بقوله تعالى ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا نوحا لإيمانه وصبره وتقواه وصدقه ونصحه وإخلاصه نجزي المحسنين في إيمانهم وتقواهم وهذه بشرى للمؤمنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ ثناء عليه وبيان لعله الإكرام والإنعام عليه. ودعوة إلى الإيمان بالترغيب فيه، وقوله ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أغرقناهم بالطوفان بكفرهم وشركهم وتكذيبهم بعد أن أنجيناه المؤمنين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانته لإعدائه.
- ٢- إجابة دعاء الصالحين لاسيما عندما يظلمون.
- ٣- فضل الإحسان وحسن عاقبة أهله.
- ٤- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة.
- ٥- قول سلام على نوح في العالمين إذا قاله المؤمن حين يمسي ^(٣) أو يصبح يحفظه الله تعالى من

(١) عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ويافت وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاث ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم : وولد يافت الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير، قال مجاهد لسان صدق في الأنباء.

(٣) وقال سعيد بن المسيب وبلغني أنه من قال حين يمسي «سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» ذكره أبو عمرو ابن عبد البر في التمهيد ونقله عنه القرطبي.

لسعة العقرب. وأصح منه قول: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لصحة الحديث في ذلك.

❖ وَإِنْ مِنْ

شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكُفَّاءُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا نَحْنُ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

وإن من شيعته لإبراهيم : وإن من أشياع نوح على ملته ومنهاجه إبراهيم الخليل عليهما السلام.

إذ جاء ربه بقلب سليم : أي أتى ربه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب سبحانه وتعالى .

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ : أي حين قال لأبيه وقومه المشركين أي شيء تعبدون؟

أنفكا آلهة دون الله تريدون؟ : أي كذبا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله؟

فما ظنكم برب العالمين : أي شيء هو؟ أترون أنه لا يسخط عليكم ولا يعاقبكم فتعبدون

(١) روى مالك في الموطأ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال : من نزل منزلاً فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل .

غيره وهو ربكم ورب العالمين .	
: أي إيهاماً لهم إذ كانوا يؤلهون النجوم .	فنظر نظرة في النجوم
: أي عليل أي ذو سقم وهو المرض والعلة .	فقال إني سقيم
: أي رجعوا إلى ما هم فيه وتركوه قابلين عذره .	فتولوا عنه مدبرين
: أي مال إليها خفية .	فراغ إلى آلهتهم
: أي بقوة يمينه فكسرها بفأس وحطمها .	فراغ عليهم ضرباً باليمين
: أي يمشون بقوة وسرعة .	فأقبلوا إليه يزفون
: من الحجارة والأخشاب والمعادن كالذهب والفضة .	ما تنحتون
: أي وخلق ما تعبدون من أصنام وكواكب .	وما تعملون
: واملأوه حطباً وأضرموه فيه النار فإذا التهب ألقوه فيه .	فقالوا ابنوا له بنيانا
: أي المقهورين الخائبيين في كيدهم إذ نجى الله إبراهيم .	فجعلناهم الأسفلين

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قصة نوح مقررأ بها نصره أوليائه وخذلان أعدائه ذكر قصة أخرى هي قصة إبراهيم وهي أكبر موعظة لكفار قريش لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدعون أنهم على ملته وملة ولده إسماعيل فلذا أطال الحديث فيها فقال سبحانه وتعالى ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ أي وإن من أشياع نوح الذين هم على ملته ومنهجه إبراهيم خليل الرحمن ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ أي إذ أتى ربه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب تعالى في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، منكرأ عليهم عبادة الأصنام فلو كان في قلبه أدنى التفاتة إلى غيره طمعا أو خوفا ما أمكنه أن يقول الذي قال بل كان في تلك الساعة سليم القلب ليس فيه نظر لغير الله تعالى وقوله ﴿أنفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أكذبأ هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله حيث جعلتموها بكذبكم بالستكم آلهة وهي أحجار وأصنام . وقوله ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ وقد عبدتم الكذب دونه إذ آلهتكم ما هي إلا كذب بحت . أترون أن الله لا يسخط عليكم ولا

(١) وقيل هاء الضمير عائلة إلى محمد ﷺ ليكون المعنى وإن من شيعه محمد إبراهيم وهو حقاً من شيعته ولكن السياق ياباه بل المراد نوح عليه السلام .

(٢) قيل في مجيئه ربه بقلب سليم إما أن يكون عند دعائه إلى توحيده ، أو عند إلقائه في النار .

(٣) الاستفهام إنكاري إذ هو أنكر على قومه عبادة وتآليه غير الله تعالى ، وقوله فما ظنكم برب العالمين استفهام متفرغ عما قبله وهما الإنكار الأول والثاني . فالأول انكر عليهم اتخاذهم آلهة دونه تعالى والثاني انكر عليهم سوء ظنهم بالله حتى عبدوا آلهة غيره .

يعاقبكم؟ وقوله ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ هنا كلام محذوف دل عليه المقام وهو أن أهل البلد قد عزموا على الخروج إلى عيد لهم يقضونه خارج البلد، فعرضوا عليه الخروج معهم فاعتذر بقوله إني سقيم أي ذو سقم بعد أن نظر في النجوم موهماً لهم أنه رأى ما دله على أنه سيصاب بسقم وهو مرض الطاعون وكان القوم منجمين ينظرون إلى النجوم فيدعون أنهم يعرفون بذلك الخير والشرك الذي ينزل إلى الأرض بواسطة الكواكب فأوهمهم بذلك فتركوه خوفاً من عدوى الطاعون، أو تركوه قبولاً لعذره^(١) هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ ﴿فتولوا عنه﴾ أي لذلك ورجعوا إلى أمورهم وما هم عازمون عليه من الخروج إلى العيد خارج البلد وهو معنى فتولوا عنه مدبرين وهنا وقد خلا له المكان الذي فيه الآلهة من الحراس والعباد والزوار للآلهة في بهوها الخاص فنفذ ما حلف على تنفيذه في مناظرة كانت بينه وبين بعضهم إذ قال ﴿تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ وبدأ المهمة فقال للآلهة وأنواع الأطعمة أمامها تلك الأطعمة من الحلويات وغيرها التي يتركها المشركون لتباركها الآلهة ثم يأكلونها رجاء بركتها ﴿ألا تأكلون﴾ عارضاً عليها الأكل سخريّة بها فلم تجبه ولم تأكل فقال لها ﴿مالكم لا تنطقون﴾ ثم انهال عليها ضرباً بفأس بيده اليميني فكسرها وجعلها جذاً أي قطعاً متناثرة. فلما رجعوا من عيدهم مساء وجاءوا بهو الآلهة ليأخذوا الأطعمة وجدوا الآلهة مكسرة. ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أي مسرعين بأن طلبوا من رجالهم إحضاره على الفور فأحضره وأخذوا يحاكمونه فقال في دفاعه ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ أي بأيديكم من أصنام بعضها من حجر وبعض من خشب ومن فضة ومن ذهب أيضاً، ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من كل عمل من أعمالكم فلم لا تعبدونه، وتعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر، ولما غلبهم في الحجة وانهزموا أمامه أصدروا أمرهم بإحراقه بالنار فقالوا ﴿ابنوا له بنياناً﴾ أي فرنا عظيماً واملأوه حطباً وأضرموا فيه النار حتى إذا التهب فألقوه في جحيمة وهو معنى قوله تعالى ﴿فقالوا ابنوه له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ وقوله تعالى ﴿فأرادوا﴾ أي بإبراهيم ﴿كيداً﴾ أي شراً وذلك بعزمهم على إحراقه وتنفيذهم ما عزموا عليه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي المتهورين المغلوبين إذ قال تعالى للنار ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت فخرج منها إبراهيم ولم يحرق سوى كتافيه الذي في يديه ورجليه وخيب الله سعي المشركين وأذلهم أمام إبراهيم وأخزاهم

(١) شاهد هذا حديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً اثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال هي اختي الحديث.

وهو معنى قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْآخِرِينَ﴾^(١) وقد جمع الله تعالى لهم بين الخسران في كل ما أملوه من عملهم والذل الذي ما فارقهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- أصل الدين واحد فالإسلام هو دين الله الذي تعبد به آدم فمن بعده إلى محمد ﷺ .
- ٢- كمال إبراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال [هل لك حاجة يا إبراهيم فقال أما إليك فلا] .
- ٣- من أقبح الكذب ادعاء أن غير الله يعبد مع الله تبركا به أو طلبا لشفاعته .
- ٤- وجوب تغيير المنكر عند القدرة عليه .
- ٥- بيان ابتلاء إبراهيم وأنه ألقى في النار فصبر، ولذا أكرمه ربه بما سيأتي في السياق بيانه .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنْ

(١) هذه الجملة من سورة الأنبياء ذكرت هنا شاهداً مبيناً لغاية كيدهم وهو خسرانهم فيما دبروا وفعلوا .

الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

إني ذاهب إلى ربي سيهدين : أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبد فيه فلا أمتنع فيه من عبادته .

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ : أي ولدًا من الصالحين .

بِغْلَامٍ حَلِيمٍ : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له .

فلما بلغ معه السعي : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر فيه على العمل كسبع سنين فأكثر .

فانظر ماذا ترى : أي من الرأي الرشيد .

من الصابرين : أي على الذبح الذي أمرت به .

فلما أسلما : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد وانقادا له .

وتله للجبين : أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض ولكل إنسان جبينان أيمن وأيسر والجهة بينهما .

قد صدقت الرؤيا : أي بما عازمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلى منى وصرعه على الأرض وإمرار السكين على حلقه .

إن هذا لهو البلاء المبين : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم .

وفديناه بذبح عظيم : أي كبش كبير .

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه ثناءً وذكرًا حسنًا فيمن جاء بعده من الناس .

وباركنا عليه وعلى إسحاق : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتى إن عامة الأنبياء من ذريتهما .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة إبراهيم الخليل إنه بعد أن ألقى به في النار وخرج بحمد الله سالمًا

قرر الهجرة وترك البلاد، وقال ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أي إني ذاهب إلى حيث أذن لي ربي بالهجرة إليه حيث أتمكن من عبادته فذهب إلى بلاد الشام ونزل أولا بحران من الشام، وقوله سيهدين أي يثبتني بدوام هدايته لي. ودعا ربه قائلا ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ أي ارزقني أولاداً صالحين. فاستجاب الله تعالى له وذلك انه سافر في أرض القدس مع زوجته سارة وانتهى إلى مصر، وحدث أن وهب طاغية مصر جارية لسارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لزوجها ابراهيم فتسراها فولدت له غلاما هو اسماعيل وهو استجابة الله تعالى لابراهيم في دعائه عند هجرته ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ وهو قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾. وقد أخذ سارة ما يأخذ النساء من الغيرة لما رأت جارية ابراهيم أنجبت له اسماعيل فأمر الله ابراهيم بأن يأخذها وطفلها إلى مكة إبعادا لها عن سارة ليقبل تألمها. وهناك بمكة رأى ابراهيم رؤيته ورؤيا الأنبياء وحي وقال لاسماعيل ما أخبر تعالى به في قوله، ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾ كابر سبع سنين فأكثر بمعنى أصبح قادرا على العمل معه ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾ أي استشاره ليرى رأيه في القبول أو الرفض فأجاب اسماعيل قائلا ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما يأمر بك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ وفعلنا خرج به ابراهيم من حول البيت إلى منى وانتهى إلى مكان تجاوز به مكان الجمرات الثلاث وتله للجبين أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض وأخذ المدينة ووضعها على رقبته والتفت لأمر ما وإذا بكبش أملح والهاتف يقول اترك ذاك وخذ هذا فترك الولد وذبح الكبش وكانت آية. وهو قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾، وقوله تعالى ﴿وناديناك أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار البين وبذلك تأهل للخلعة وأصبح خليل الرحمن، وقوله تعالى ﴿وفديناه﴾ أي اسماعيل ﴿بذبح عظيم﴾ أي بكبش عظيم. وهو الذي

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغ الثالثة عشرة من عمره وفي هذا أقوال ولهذا في التفسير قلنا سبع سنين فأكثر إذ بداية السعي من السابعة والبلوغ ينتهي إلى الخامسة عشر.

(٢) قيل إن ابراهيم لما رأى الرؤيا كانت ليلة يوم التروية وهو ثامن الحجة فسمى اليوم يوم التروية إذ تروى فيه ويوم التاسع عرف أن الرؤيا حق لذا سمي يوم عرفة ويوم العاشر خرج بإسماعيل ليذبحه فسمى يوم النحر لذلك والله أعلم.

(٣) اختلف في أيهما الذبيح أم اسحق والراجح انه اسماعيل لأن الذبيح كان في مكة ولم يكن في الشام لأن اسماعيل عاش بمكة ولم يعيش بالشام ولأن هاجر كانت في مكة وسارة كانت بالشام وبلغ الخلاف حتى قال بعضهم نفوذ فكان التفويض مذهبا ثالثا والذي أثار هذا الخلاف هم أهل الكتاب يريدون سلب هذا الفضل عن النبي محمد ﷺ وفي الآيات الآتية إشارة إلى ذلك:

إن الذبيح هُديت إسماعيل	نطق الكتاب بذلك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا	وأتى به التفسير والتأويل
إن كنت أمته فلا تنكر له	شرفا به قد خصه التفضيل

ذبحه ابراهيم وترك اسماعيل وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي أبقينا عليه ثناء عاطرا وذكرنا حسنا فيمن جاء بعده من الأمم والشعوب. ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي سلام من الله على ابراهيم كذلك أي كذلك الجزاء الذي جرى به الله تعالى ابراهيم على إيمانه وهجرته وصبره وطاعته يجزي المحسنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ وفي هذا ثناء عاطر على المؤمنين، وقوله ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ وهذا يوم جاءه الضيف من الملائكة وهم في طريقهم إلى المؤتفكات قرى قوم لوط، وذلك بعد أن بلغ من العمر عتياً وامراته سارة كذلك إذ قالت ساعة البشرى ﴿ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ وعجبا لمن يقول إن الذبيح اسحق وليس اسماعيل، وقوله تعالى ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾ أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتى إن عامة الأنبياء من بعدهما من ذريتهما. وقوله تعالى ﴿ومن ذريتهما﴾ أي ابراهيم واسحق ﴿محسن﴾ أي مؤمن صالح ﴿وظالم لنفسه﴾ بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضل الهجرة في سبيل الله وأن أول هجرة كانت في الأرض هي هجرة ابراهيم من العراق إلى الشام.
- ٢- بيان أن الذبيح هو اسماعيل وليس هو اسحق كما يقول البعض وكما يدعي اليهود.
- ٣- وجوب بر الوالدين وطاعتهما في المعروف.
- ٤- فضل ابراهيم وعلو مقامه وكرامته عند ربه.
- ٥- فضل الإحسان وجزاء المحسنين.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ

وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ

﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ

الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا

(١) ضَعَّفَ القرطبي رواية الرجل الذي نادى رسول الله ﷺ قاتلا يا ابن الذبيحين فضحك ﷺ فلا أرى وجهاً صحيحاً لتضعيفها إذ صح أن الذبيح الأول هو اسماعيل والثاني عبدالله الوالد إذ كل منهما أريد ذبحه والله فداه والله الحمد والمنة.

عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ
 ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
 عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد منّا على موسى وهرون	: أي بالنبوة والرسالة.
ونجيناها وقومهما	: أي بني اسرائيل.
من الكرب العظيم	: أي استعباد فرعون لياهم واضطهادهم لهم
ونصرناهم	: على فرعون وجنوده.
الكتاب المستبين	: أي التوراة الموضحة الأحكام والشرائع.
وهديناهما الصراط المستقيم	: أي الإسلام لله رب العالمين.
وتركنا عليهما في الآخرين	: أي أبقينا عليهما في الآخرين ثناء حسنا.
سلام على موسى وهرون	: أي سلام منّا على موسى وهرون.
إنا كذلك	: أي كما جزيناها ونجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين.
إنهما من عبادنا المؤمنين	: أي جزيناها بما جزيناها به لإيمانها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله وإنعامه على من يشاء من عباده فبعد ذكر إنعامه على ابراهيم وولده إسحق ذكر من ذريتهما المحسنين موسى وهرون فقال تعالى ﴿ولقد منّا على موسى وهرون﴾ أي بالنبوة والرسالة، ﴿ونجيناها وقومهما﴾ أي بني اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ الذي هو استعباد فرعون والأقباط لهم واضطهادهم زمناً طويلاً ﴿ونصرناهم﴾ أي على فرعون وملأته ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ ﴿وآتيناهما﴾ أي أعطيناهما ﴿الكتاب المستبين﴾ وهو التوراة الواضحة

(١) كانت النبوة والرسالة منة لأن موسى لم يكتسبها بعمل وهارون اعطاها بدعوة أخيه موسى فلم يكتسبها بأي جهد فهي إذاً منة محضة.

(٢) إذ خرج فرعون في جيش عرمرم قوامه مائة ألف من الفرسان فقط ثم نجى الله تعالى بني اسرائيل وأغرق فرعون وجنده أجمعين فكان نصراً عظيماً لموسى على فرعون وملأته أجمعين.

(٣) موسى أوتي الكتاب أصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى.

الأحكام البين الشرائع لا خفاء فيها ولا غموض. ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ وهو الدين الصحيح الذي هو الإسلام دين الله الذي بعث به كافة رسله ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي وأبقينا عليهما الذكر الحسن والثناء العطر فيمن بعدهما ﴿سلام على موسى وهرون﴾ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾^(١) أي كما جزيناها لإحسانهما نجزي المحسنين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ فيه بيان لعله ما وهبهما من الإنعام والإفضال وهو الإيمان المقتضي للإسلام والإحسان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله موسى وهرون عليهما السلام.
- ٢- بيان إنعام الله تعالى على بني اسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.
- ٣- بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصاً بأمة الإسلام.
- ٤- بيان فضل الإحسان والإيمان.

وَإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتَقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ

الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

(١) انا كذلك نجزي المحسنين جملة تذييلة وإن تحمل معنى التعليل والتوكيل والمحسنون من أحسنوا طاعة الله تعالى فأطاوعوه بما يحب من أفعال وتروك على نحو ما شرعه لهم وجملة أنهما من عبادنا المؤمنين تعليلية للإنعام السابق.

شرح الكلمات :

وإن إلياس لمن المرسلين : إلياس هو أحد أنبياء بني اسرائيل من سبط هرون أرسله الله تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام .

أتدعون بعلا : أي صنما يسمى بعلا .
وتذكرون أحسن الخالقين : أي وتركون عبادة الله أحسن الخالقين .
فإنهم لمحضرون : أي في النار .
إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم نجوا من النار .
وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرا حسنا .
سلام على إل ياسين : أي سلام منا على إلياس .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله تعالى على بعض أنبيائه ورسله فقال تعالى ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ وهو من سبط هرون عليه السلام أحد أنبياء بني اسرائيل أخبر تعالى أنه من المرسلين أي اذكر إذ قال لقومه وهم أهل مدينة بعلبك وما حولها ﴿ألا تتقون﴾ أي الله تعالى بعبادته وترك عبادة غيره، وهذا دليل على أنه رسول. وقوله عليه السلام ﴿أتدعون بعلا﴾ هذا إنكار منه لهم على عبادة صنم كبير لهم يسمونه بعلا، أي كيف تعبدون صنما بدعائه والركوف عليه والذبح والنذر له، وتركون عبادة الله أحسن الخالقين، الله ربكم^(١) ورب آبائكم الأولين. قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي في أنه لا إله إلا الله ﴿فماتوا وهم كافرون﴾ فاحضروا في جهنم فهم من المحضرين فيها، وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي الموحدين فإنهم ليسوا في النار بل هم في الجنة. وقوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي وأبقينا له ذكرا حسنا في الذين جاءوا من بعده من الناس. وقوله تعالى ﴿سلام﴾ أي منا ﴿على إل ياسين﴾ ﴿إنا كذلك﴾ أي كما جزينا إلياس لإحسانه في طاعتنا ﴿نجزي المحسنين﴾ وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أي

(١) قدم تعالى ذكر نوح وإبراهيم وموسى وكلهم رسل أصحاب شرائع وعقب عليهم بذكر ثلاثة آخرين ليست لهم شرائع مستقلة وهم إلياس ولوط ويونس ويوسف واسم إلياس في كتب بني اسرائيل «إيلياء».

(٢) عد في جملة المرسلين لأن الله تعالى أمره بتبليغ ملوك بني اسرائيل أن الله غضب عليهم من أجل عبادة الأصنام. فإطلاق اسم الرسول عليه كإطلاقه على اسم رسل عيسى عليه السلام في سورة يس.

(٣) ألا تتقون الهزمة للاستفهام الانكاري ينكر عليهم عدم تقواهم لله، ولا نافية وحذف مفعول يتقون للعلم به. أي ألا تتقون الله تعالى أو عذابه ونقمه.

(٤) قرأ نافع آل ياسين كآل محمد، وقرأ حفص إل بكسر الهزمة وسكون اللام. واختلف هل إل ياسين معناه إلياس، أو معناه ذوو ياسين كآل بني فلان، والراجح أن المراد بآل ياسين أنصاره. نحو قول النبي ﷺ آل محمد كل تقى.

(٥) قرأ نافع والأكثر الله بالرفع على الابتداء، وقرأ حفص الله بالنصب على عطف البيان على أحسن الخالقين.

استحق تكريمنا والجزاء الحسن لأنه من عبادنا المؤمنين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد ، والتنديد بالشرك .

٢- هلاك المشركين ونجاة الموحدين يوم القيامة .

٣- فضل الإحسان ومجازاة أهله بحسن الجزاء .

٤- فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال .

وَإِنَّ لُوطًا

لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا

فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَمُرُونَّ عَلَيْهِمْ

مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

شرح الكلمات :

وإن لوطا لمن المرسلين . أي وإن لوطا وهو ابن هاران أخي ابراهيم الخليل لمن جملة

الرسل أيضا .

إذ نجيناه وأهله أجمعين : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطا إذ

نجيناه وأهله اجمعين من عذاب مطر السوء .

إلا عجوزا في الغابرين : أي إلا امرأته الكافرة هلكت في الغابرين أي الباقين في

العذاب .

ثم دمرنا الآخرين : أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطاً والمؤمنين معه .

وإنكم لتمرون عليهم : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل والنهار .

أفلا تعقلون : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعظون فتؤمنوا

وتوحدوا .

(١) سياق قصة الياس فيها تذكير للرسول ﷺ ولقرش أيضاً إذ على الرسول أن يبلغ وليس عليه أن يأتي قومه بالعذاب ولو طالب به المدعوون فإن الياس لم يعذب الله قومه في الدنيا وترك عذابهم إلى الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على من اصطفى من عباده فقال تعالى ﴿وإن لوطاً﴾ وهو ابن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام ﴿لمن المرسلين﴾ أي لمن جُملة رسلنا ﴿إذ نجيناه﴾ أي اذكر إنعامنا عليه إذ نجيناه من العذاب وأهله اجمعين ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ وهي امرأته إذ كانت مع الكافرين فبقيت معهم فهلكت بهلاكهم . وقوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي ممن عدا لوطاً ومن آمن به من قومه . وقوله ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ هذا خطاب لأهل مكة المشركين إذ كانوا يسافرون للتجارة إلى الشام وفلسطين ويمرون بالبحر الميت وهو مكان الهالكين من قوم لوط أصبح بعد الخسف بحرأً ميتاً لا حياة فيه البتة . وقوله ﴿أفلا تعقلون﴾ توبيخ لهم وتقريع على عدم التفكير والتدبر إذ لو فكروا لعلموا أن الله تعالى أهلكهم لتكذيبهم برسولهم وكفرهم بما جاءهم به من الهدى والدين الحق ، وقد كذب هؤلاء فأَي مانع يمنع من وقوع عذاب بهم كما وقع بقوم لوط من قبلهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة لوط ورسالته .
- ٢- بيان العبرة في إنجاء لوط والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين المكذبين به .
- ٣- بيان أن لا شفاعة تنفع ولو كان الشافع أقرب قريب إلا بعد أن يأذن الله للشافع وبعد رضائه عن المشفوع له .
- ٤- وجوب التفكير والتعقل في الأحداث الكونية للاهتمام بذلك إلى معرفة سنن الله تعالى في الكون والحياة .

(١) يقال مَرَّ به ومر عليه بمعنى إلا أن التمكن والمباشرة بالمرور به يعلى أكثر منه بالباء ومصباحين حال منصوب على الحالية بالياء والنون لأنه جمع سلامة للمذكر .

(٢) جيء بالمضارع في لتمرون للايقاظ والاعتبار لا في حقيقة الإخبار .

(٣) خرج لوط مع عمه إبراهيم عليه السلام بعد حادثة اللقاء إبراهيم في النار ونجاته منها فأمن له لوط وخرج معه مهاجراً فأرسله الله تعالى إلى أصحاب المؤتفكات وهي قرى سدوم وعمورة .

(٤) الاستفهام للإنكار والتقريع على جهالتهم وغفلتهم وعدم استعمال عقولهم للاهتمام .

(٥) اخذ هذا الحكم من كون لوط عليه السلام لم يشفع لزوجه في النجاة من الهلاك الذي أصاب المفسدين وذلك لكفرها وفسادها .

وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنِ

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ

مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ

كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

﴿١٤٥﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَبْنَيْنَاهُ شَجَرَةً

مِّنْ يَقْطِينَ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

فَأَمَّنُوا فَمَرَّغْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

شرح الكلمات :

وإن يؤنس لمن المرسلين : أي وإن يؤنس بن متى الملقب بذئ النون لمن جملة المرسلين .
 إذ أتى إلى الفلك المشحون : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب .
 فساهم فكان من المدحضين : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين .
 فالتقمه الحوت وهو ملِيمٌ : أي ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه .
 للبت في بطنه إلى يوم يبعثون : أي لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة .
 فنبدناه بالعراء : أي فالتقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل .

وهو سقيم : أي عليل كالفرخ المتوف الريش .
 شجرة من يقطين : أي الدباء : القرع .
 إلى مائة ألف أو يزيدون : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف .
 فأمَّنوا فمرَّغْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ : أي فأمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلى آجالهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر من أنعم الله تعالى عليهم بما شاء من وجوه الإنعام . فقال عز وجل عطفا عما سبق ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ أي وإن عبدنا يونس بن متى ذا النون لمن جُملة من منّا عليهم بالنبوة والرسالة . ﴿إذ أبق﴾ أي في الوقت الذي هرب من قومه لما لم يؤمنوا به وواعدهم العذاب وتأخر عنهم فاستعجل فهرب من المدينة وهي نينوى^(١) من أرض الموصل بالعراق ، فوصل الميناء فوجد سفينة مبحرة فركب وكانت حمولتها أكبر من طاقتها فوقفت في عرض البحر لا تتقدم ولا تتأخر فرأى ربّان السفينة أنه لا بد من تقليل الشحنة ولّا غرق الجميع ، وشح كل راكب بنفسه فاقترعوا فكان يونس من المدحضين أي المغلوبين في القرعة فرموه في البحر فالتقمه حوته ، وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه من فراره من دعوة قومه إلى الله لما ضاق صدره ولم يطق البقاء معهم . وهذا معنى قوله تعالى ﴿إذ أبق﴾ إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم^(٢) . وقوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه﴾ أي بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم القيامة بأن يصير بطن الحوت قبراً له أي فلولا أن يونس كان من المسبحين أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء لما كان يُلهم قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، ولما كان يستجاب له ولذا قال رسول الله ﷺ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» ، فإن صوت يونس سمع تحت العرش فعرفه بعض الملائكة فذكروا ذلك لربهم تعالى فأخبرهم أنه عبده يونس ، وأنه كان من المكثرين الصلاة والذكر والدعاء قبل البلاء فلذا استجاب الله تعالى ونجاه من الغم ، وهو معنى قوله تعالى ﴿فنبذناه بالبراء﴾ أي بوجه الأرض العارية من الشجر وكل ظل وهو كالفرخ المتتوف الريش نضج لحمه من حرارة جوف الحوت وأنبت تعالى عليه شجرة من يقطين أي فرع تظله بأوراقها

(١) نينوى كانت مدينة عظيمة من مدن الآشوريين وكان بهامائة ألف أسير من بني اسرائيل أسرههم الآشوريون فأرسل الله تعالى إليهم يونس من فلسطين .

(٢) اقترعوا هو معنى قوله تعالى فساهم والمساهمة مشتقة من السهام التي واحدها سهم لأنهم كانوا يقتربون بالسهم وهي أعواد النبال وتسمى الألام أيضاً والقاء في فساهم للتفريع .

(٣) أبق يابق إباقاً العبد إذا فرّ من مالكه .

(٤) الاقتراع مشروع فقد فعله رسول الله ﷺ في ثلاثة مواطن منها القرعة بين نساءه إذا أراد السفر بواحدة منهن وشرع الاقتراع فيما إذا تساوت الحقوق والمصالح لأجل دفع الضغائن كالاستهام على من يلي أمر كذا من خلافة أوزان أو الالف الأول وما إلى ذلك من قسمة دار أو أرض .

(٥) المليم اسم فاعل من الأم يلوم إذا فعل ما يلومه عليه الناس فهو جعلهم لاثمين له بفعله فهو ألأمهم على نفسه .

الحريرية الناعمة والتي لا ينزل بساحتها الذباب، وسخر له أروية «غزالة» فكانت تأتيه صباح مساء فتفشح عليه أي تفتح رجلها وتدني ضرعها منه فيرضع حتى يشبع إلى أن تماثل للشفاء وعاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين لتوبة أحدثوها عند ظهور امارات العذاب فتاب الله عليهم . وقوله تعالى ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾^(١) أي أرسلناه إلى قومه وهم أهل نينوي وكان تعدادهم مائة ألف وزيادة كذا ألفا فآمنوا أي بالله ربنا وبالإسلام دينا وبيونس نبيا ورسولا وتابوا بترك الشرك والكفر فجزيناهم على إيمانهم وتوبتهم بأن كشفنا عنهم العذاب الذي أظلمهم ، ومتعناهم أي أبقينا عليهم يتمتعون بالحياة إلى نهاية آجالهم المحدودة لهم في كتاب المقادير

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة يونس ورسالته وضمن ذلك تقرير رسالة محمد ﷺ .
- ٢- مشروعية الركوب في السفن البحرية .
- ٣- مشروعية الاقتراع لفض النزاع في قسمة الأشياء ونحوها .
- ٤- فضل الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح وعظيم نفعها عند الوقوع في البلاء .^(٢)
- ٥- تقرير مبدأ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .^(٣)
- ٦- بركة أكل اليقطين أي الدباء القرع إذ كان النبي ﷺ يأكلها ويلتقطها من حافة القصعة .
- ٧- فضل قوم يونس إذ آمنوا كلهم ولم تؤمن أمة بكاملها إلا هم .

فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ

وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْثَاوَهُمْ

شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ

اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

(١) أو بمعنى بل على قول الكوفيين واستشهدوا بقول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم إلا بعداد

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(٢) روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال دعاء ذي النون في بطن الحوت ولا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين « لم يدع

به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له .

(٣) بعض حديث صحيح رواه مسلم وغيره .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ
نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات:

فاستفتهم	: أي استخبر كفار مكة توبيخاً لهم وتقريعاً.
ولهم البنون	: أي فيختصون بالأفضل الأشرف.
ليقولون ولد الله	: أي لقولهم الملائكة بنات الله.
أصطفى البنات	: أي اختار البنات على البنين.
أفلا تذكرون	: أي إن الله تعالى منزّه عن الصاحبة والولد.
أم لكم سلطان مبين	: أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون.
فأتوا بكتابكم	: أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم ذلك.
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا	: إذ قالوا الملائكة بنات الله.
ولقد علمت الجنة إنهم	: أي في العذاب.
لمحضرون	
سبحان الله عما يصفون	: أي تنزيهاً لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.
إلا عباد الله المخلصين	: أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

معنى الآيات:

بعد تقرير البعث والتوحيد والنبوة في السياق السابق بالأدلة والحجج والبراهين القاطعة أراد تعالى إبطال فرية من أسوأ الفرى التي عرفتها ديار الجزيرة وهي قول بعضهم^(١) إن الله تعالى قد أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وهم بنات الله، وهذا لا شك أنه من إيهاء الشيطان لإغواء الإنسان

(١) قال القرطبي في بيان من قال هذه القولة القذرة الفاسدة الباطلة قال: ذلك جبهة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبدالدار زعموا أن الملائكة بنات الله.

واضلالة فقال تعالى لرسوله استفتهم أي استخبرهم موبخا لهم مقرعا قائلا لهم ﴿الربك البنات ولهم البنون﴾، أي أما تخجلون عندما تنسبون لكم الأسنى والأشرف وهو البنون، وتجعلون لله الأخس والأدنى وهو البنات وقوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ أي حضروا يوم خلقنا الملائكة فعرفوا بذلك أنهم إناث، والجواب لا إنهم لم يشهدوا خلقهم إذا فلم يكذبون وقوله تعالى ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ أي ألا إن هؤلاء المشركين الضالين من كذبهم الذي عاشوا عليه واعتادوه يقولون ولد الله وذلك بقولهم الملائكة بنات الله، وإنهم ورب العزة لكاذبون في قيلهم هذا الذي هو صورة لإفكهم الذي يعيشون عليه. وقوله تعالى ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ هذا توبيخ لهم وتقريع أصطفى أي هل الله اختار البنات على البنين فلذا جعلهم إناثا كما ترعمون. مالكم كيف تحكمون هذا الحكم الباطل الفاسد. أفلا تذكرون فنذكروا أن الله تعالى منزّه عن الصاحبة والولد أم لكم سلطان مبين أي ألكم حجة قوية تثبت دعواكم والحجة القوية تكون بوحى من الله في كتاب أنزله يخبر فيه بما تقولون إذا ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه ما تدعون ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم.

ومن أين لكم الكتاب، وقد كفرتم بكتابكم الذي نزل لهدايتكم وهو القرآن الكريم. وهكذا أبطل الله هذه الفرية بأقوى الحجج. وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ أي بين الله تعالى ﴿وبين الجنة نسبا﴾^(١) بقولهم أصهر الله تعالى إلى الجن فتزوج سروات الجن إذ سألهم أبو بكر: من أمهات الملائكة فقالوا سروات الجن وقوله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي في العذاب، فكيف يكون لهم نسب ويعذبهم الله بالنار. فالنسب يكرم نسيبه لا يعذبه بالنار، وبذلك بطلت هذه الفرية الممقوتة، فنزه الله تعالى نفسه عن مثل هذه الترهات والأباطيل فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾. ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي فإنهم لا يصفون ربهم بمثل هذه النقائص التي هي من صفات العباد العجزة المفتقرين إلى الزوجة والولد أما رب كل شيء ومالكة وخالقه فلا يقبل

(١) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والتأنيب.

(٢) أصطفى. الهزمة للاستفهام وهزمة الوصل محذوفة والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقريع واصطفى بمعنى اختار البنات على البنين وقرأ الجمهور بهزمة القطع للاستفهام وقرأ بعض بهزمة الوصل دون هزمة القطع إلا أنها منوثة.

(٣) مالكم ما اسم استفهام عن ذات وهي مبتدأ ولكم خبر، والمعنى: أي شيء حصل لكم؟

(٤) أفلا تذكرون قرأ نافع تذكرون بتشديد الدال والكاف معاً إذ الأصل تذكرون فادغمت إحدى التائين في الذال. وقرأ حفص تذكرون بتخفيف الذال لحذف التاء الثانية والاستفهام إنكاري.

(٥) النسب القرابة العمودية بالأباء والأمهات والأفقية كالإخوان والأعمام والمعنى فوي النسب لله تعالى وهو نسب البنوة لرعهم أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٦) المحضرون المجلوبون للحضور، والمراد المحضرون للعقاب والعذاب.

(٧) الاستثناء منقطع وجائز أن يكون من الحضور للعقاب فإن عباد الله لا يحضرون للعقاب ولا يعاقبون وجائز أن يكون منقطع من سبحان الله عما يصفون فإن عباد الله لا يصفون الله بالنقائص كما في التفسير وهو أولى من الأول.

العقل أن ينسب إليه الصاحبة والولد. فلذا عباد الله الذين استخلصهم لمعرفة والإيمان به وعبادته لا يصفون ربهم جل جلاله بصفات المحدثين من خلق الله. ولا يكونون من المحضرين في النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إبطال فرية بني ملحان من العرب الذين زين لهم الشيطان فكرة الملائكة بنات الله، ووجود نسب بين الله تعالى وبين الجن.
- ٢- مشروعية دحض الباطل بأقوى الحجج وأصح البراهين.
- ٣- الحجة الأقوى ما كانت من وحي الله في كتاب من كتبه التي أوحى بها إلى رسله.

﴿فَأَنكُم مَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١)

﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾ (١٦٢) ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣) ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦)

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ﴾ (١٦٧) ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ (١٦٨) ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩) ﴿فَكْفُرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠)

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩) ﴿فَكْفُرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠)

شرح الكلمات :

- وما تعبدون : أي من الأصنام.
- إلا من هو صال الجحيم : أي مقدر له عذاب النار.
- إلا له مقام معلوم : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه.
- وإننا نحن الصافون : أي أقدامنا في الصلاة.
- وإننا نحن المسبحون : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به.
- وإن كانوا يقولون : أي كفار مكة.
- لو أن عندنا ذكرا : أي كتابا من كتب الأمم السابقة.
- فكفروا به : أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.
- فسوف يعلمون : أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحداوا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال باطل المشركين فقد قال لهم تعالى ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ من أصنام أيها المشركون . ما أنتم بمضلين أحداً إلا أحداً هو صال الجحيم حيث كتبنا عليه ذلك في كتاب المقادير فهو لا بد عامل بما يوجب له النار فهذا قد يفتتن بكم وبعبادتكم فيضل بضلالكم . وقوله تعالى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإننا لنحن الصافون وإننا لنحن المسبحون﴾ هذا قول جبريل للنبي ﷺ أخبره بأن الملائكة تصف في السماء للصلاة كما يصف المؤمنون من الناس في الصلاة ، وانهم من المسبحين لله الليل والنهار وقد أخبر النبي ﷺ بأنه ما من موضع شبر في السماء إلا عليه ملك ساجد أو قائم وقوله تعالى ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ أي مشركو العرب ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل ، لكننا عباد الله المخلصين أي لكننا عباداً لله تعالى نعبده ونوحده ولا نشرك به أحداً . فرد تعالى على قولهم هذا إذ هو مجرد تمنٍ كاذب بقوله فكفروا به أي فكفروا بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الكريم . إذاً فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم إن لم يتوبوا وهو هلاكهم وخسرانهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ من كتب الله عليه النار فسوف يصلها .
- ٢- تقرير عبودية الملائكة وطاعتهم لله وأنهم لا يتجاوزون ما حد الله تعالى لهم .
- ٣- فضل الصفوف في الصلاة وفضل تسويتها .
- ٤- بيان كذب المشركين إذ كانوا يدعون أنهم لو أنزل عليهم كتابٌ كما أنزل على من قبلهم لكانوا عباد الله المخلصين أي الذين يعبدونه ويخلصون له العبادة .

(١) جائز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجائز أن تكون مصدرية أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام ما تفتنون على الله عبداً من عباده بإضلاله وإفساده إلا عبداً قضى الله بعذابه فهو صال الجحيم ، وفي الآية رد على نفاة القدر ، ومن أحسن ما قيل شعراً قول لبيد بن ربيعة :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ربنا والعجل
أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

- (٢) الأصل صالي الجحيم وحذفت الياء لعدم النطق بها لوجود همزة الوصل .
- (٣) هذا من قول الملائكة . قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ﷺ عند سدة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ أهنا تفارقني ؟ فقال ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم .
- (٤) روى مسلم أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم في المسجد فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقالوا يارسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف .
- (٥) وإن كانوا ليقولون : إن مخففة من الثقلة واللام للابتداء وهي الفارقة بين المخففة والنافية .

٥- تهديد الله تعالى للمشركين على كذبهم بقوله فسوف يعلمون .

وَلَقَدْ

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَنُؤَلِّهِمْ هَهُنَا حِينَ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِزَّابْنَا دَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات :

سبقت كلمتنا : هي قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي .
وإن جندنا لهم الغالبون : أي للكافرين بالحجة والنصرة .
فَنُؤَلِّهِمْ هَهُنَا حِينَ : أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال .
وَأَبْصِرْهُمْ : أي أنظرهم .
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ : أي العذاب .
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ : أي أعرض عنهم .
سُبْحَانَ رَبِّكَ : أي تنزيها لربك يا محمد .
عَمَّا يَصِفُونَ : أي تنزيها له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك .
وسلام على المرسلين : أي أَمَنَةٌ من الله لهم في الدنيا والآخرة .
والحمد لله رب : أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه العالمين وإهلاك أعدائه .

معنى الآيات :

لما ختم السياق الأول بتهديد الكافرين بقوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون﴾ أخبر تعالى

رسوله بما يطمئنه على نصر الله تعالى له فقال ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾^(١) وهي قوله ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

أي بالحجة والبرهان، وبالرمح والسنان. وقوله ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ يأمر رسوله أن يعرض عن المشركين من قومه حتى حين يأمره فيهم بأمر^(٢)، أو ينزل بهم بلاء أو بأساً وقوله ﴿وأبصرهم﴾ أي أنظرهم فسوف يبصرون لا محالة ما ينزل بهم من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة. وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، ينكر تعالى عليهم استعجالهم العذاب الدال على سفههم وخفة أحلامهم إذما يستعجل العذاب إلا أحق جاهل وعذاب من استعجلوا إنه عذاب الله!! قال تعالى ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ أي بفناء دارهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي بش صبايحهم من صباح إنه صباح هلاكهم ودمارهم ثم أمر تعالى مرة أخرى رسوله أن يتول عنهم وينتظر ما يحل بهم فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ وفي الآية من التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين مالا يقادر قدره. وأخيراً نزه تعالى نفسه عما يصفه به المشركون من الولد والشريك وسلم على المرسلين، وحمد نفسه مشيراً إلى مقتضى الحمد وموجبه وهو كونه رب العالمين فقال ﴿سبحان ربك﴾ يا محمد ﴿رب العزة﴾ ومالكها يعز بها من يشاء ويذل من يشاء ﴿عما يصفون﴾ من الصاحبة والولد والشريك، ﴿وسلام﴾ منا ﴿على المرسلين﴾ وأنت منهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصره أوليائه وإهلاكه أعداءه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- وعد الله تعالى لرسوله بالنصر وقد أنجزه ما وعده والحمد لله.

٣- استحباب ختم الدعاء أو الكلام بقراءة جملة ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ لورود ذلك في السنة.

(١) جائز أن يكون المراد قوله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ الآية.

(٢) قال الحسن : لم يقتل من أصحاب الشرائع أحد قط.

(٣) كاذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلمهم أو يأتي يوم بدر أو الفتح

(٤) كرر للتأكيد، وكذا وتول عنهم مكرر للتأكيد.

(٥) سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (سبحان الله) فقال هو تنزيه الله عن كل سوء.

(٦) يصفون الله عز وجل بأن له صاحبة وله ولداً وشريكاً.

(٧) ذكر القرطبي أن النبي ﷺ كان يختم صلاته غير مرة بقول : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ صَ ١١١

مكية

وآياتها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَُوا وَآلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣ وَعَجِبُوا
أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ٤ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٥
أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ ٥ وَأَنْطَلِقُ لِمَالٍ
مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنْ هَذَا الشَّيْءُ إِلَّا رِأْدٌ ٦
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ٧ أَمْ نَزَّلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ
٨ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١

شرح الكلمات :

ص : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب ص ويقرأ صاد الله أعلم
بمراده به .

والقرآن ذي الذكر أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى ما الأمر كما
يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر وشاعر وكاذب .

بل الذين كفروا في عزة وشقاق : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة

فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه .

وكم أهلكنا قبلهم من قرن: أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم .

فنادوا ولات حين مناص : أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة .

وعجبوا : أي وما اعتبر بهم أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ .

قالوا ساحر كذاب : أي لما يظهره من الخوارق ولما يسنده إلى الله تعالى من

الإرسال والإنزال .

أجعل الآلهة إلهاً واحداً: أي لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، فقالوا كيف يسع الخلاق إلـه واحداً؟

إن هذا لشيء عجاب : أي جعل الآلهة إلهاً واحداً أمر عجيب .

وانطلق الملائكة منهم أن امشوا : أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ

وسمعوا منه قوله لهم قولوا لا إله إلا الله .

إن هذا لشيء يراد : أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد من تنفيذه .

في الملة الآخرة : أي ملة عيسى عليه السلام .

إن هذا إلا اختلاق : أي ما هذا إلا كذب مختلق .

أنزل عليه الذكر من بيننا : أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف .

بل هم في شك من ذكرى : أي بل هم في شك من القرآن والوحي ولذا قالوا في الرسول

ما قالوا .

بل لما يذوقوا عذاب : أي بل لم يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوه لما كذبوا بل آمنوا ولا

ينفعهم إيمان .

أم عندهم خزائن رحمة ربك : أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا .

أم لهم ملك السموات والأرض : أي ليس لهم ذلك .

فليرتقوا في الأسباب : أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو

يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنى لهم ذلك .

جند ما هنالك مهزوم : أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر .

من الأحزاب : أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ^(١) أما ص فإنه أحد حروف الهجاء ومذهب السلف فيه أن

(١) قرأ الجمهور ص بالسكون وقرأ الحسن وأبي بن كعب صاد بكسر الدال وبدون تنوين، وتوجيهها أنها من صاذى يصادي

إذا عارض نحو ﴿فأنت له تصدى﴾ أي تتعرض والمصادات المعارضة، والمعنى عارض القرآن بعملك وقابله به، فاعمل

بأوامره وإنه عن نواهيه أو اتله وتعرض لقراءته .

يقال الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذي يجب الإيمان به ويوكل أمر معناه إلى من أنزله، وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف قد أفادت فائدتين فليطلبهما من شاء من القراء الكرام من السور المفتحة بمثل هذه الحروف نحو طس، آلم. وأما قوله ﴿والقرآن﴾ هو كتاب الله هذا المنزل على محمد ﷺ ﴿وذي الذكر﴾ معناه التذكير إذ به يذكر الله تعالى والجملة قسم أقسم الله به فقال ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ وجواب القسم محذوف تقديره ما الأمر كما يقول هؤلاء المشركون من أن النبي محمدا ﷺ ساحر وشاعر وكاذب ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ أي بل هم في عزة نفس وكبرياء وخلاف وعداوة مع النبي ﷺ والمؤمنين فحملهم ذلك على أن يقولوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون يقينا أن النبي محمدا ﷺ أبعد الناس عن السحر والشعر والكذب والجنون. وقوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناها بتكذيبها لرسولها فلما جاءهم العذاب نادوا صارخين مستغيثين ﴿ولات حين مناص﴾ أي وليست الساعة ساعة نجاة ولا هرب، فلم لا يعتبر مشركو مكة بمثل هؤلاء. لم يعتبروا ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة وهو محمد ﷺ. وقال الكافرون ﴿أي لم يعتبروا وعجبوا وقالوا فيه﴾ ﴿ساحر كذاب﴾. ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ أي عجب أي كيف يسع العباد إله واحد إن هذا لأمر يتعجب منه غاية العجب، لأنهم قاسوا الغائب وهو الله تعالى على الشاهد وهو الإنسان الضعيف فوقعوا في أفحش خطأ وأقبحه.

وقوله تعالى ﴿وانطلق الملائمة منهم﴾ وهم يقولون لبعضهم بعضا امشوا واصبروا على آلهتكم ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ أي منا إمضاؤه وتنفيذه. قالوا هذا وما بعده من القول لما اجتمعوا بالرسول ﷺ في منزل عمه أبي طالب لمفاوضة الرسول في شأن دعوته فلما قال لهم الرسول ﷺ قولوا لا إله إلا الله قاموا من المجلس وانطلقوا يمشون ويقولون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي على عبادتها فلا تتخلوا عنها ﴿إن هذا﴾ أي الدعوة إلى لا إله إلا الله لشيء.

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفا له. في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه وقيل الموعظة وقيل فيه أسماء الله وتمجيده.

(٢) وذكر لجواب القسم أمور منها ما في التفسير وهو أمثلها وقيل الجواب بل الذين كفروا وقيل الجواب إنه لمن عند الله تعالى أي القرآن المؤلف من حروف ص وغيره.

(٣) النداء رفع الصوت ومنه الحديث «اللقه على بلال فإنه أندى منك صوتاً» القرن الأمة.

(٤) ولات هي لا النافية زيدت فيها التاء كما زيدت في رُبْتُ وثمت وهي مشبهة بليس وهي مختصة بنفي أسماء الزمان والمناص النجاة والغوث وهو مصدر ميمي من ناضَ إذ فاتته والمعنى فتادوا مبتهلين في حال ليس فيها وقت نجاة وغوث.

(٥) المعجاب وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا لأن وزن فعال بضم أوله يدل على تمكن الوصف مثل طوال أو كرام.

كبير يراد منا إمضاؤه وتنفيذه لصالح غيرنا . ما سمعنا بهذا أي بالتوحيد في الملة الآخرة أي الدين الأخير وهو ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام . ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي ما هذا الذي يدعو إليه محمد إلا كذب اختلقه لم ينزل عليه ولم يُوحَ به إليه . وواصلوا كلامهم قائلين ﴿أنزل عليه الذكر﴾ أي القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس هو بأكبرنا سناً ولا بأشرفنا نسباً . فكيف يكون هذا؟ وقوله تعالى ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾ أي لم يكن بالقوم جهل بصدق محمد في قوله وسلامة عقله، وإنما حملهم على ذلك هو شكهم في القرآن وما ينزل به من الحق ويدعو إليه من الهدى، وهذا أولاً وثانياً إنهم لما يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوا عذاب الله على تكذيبهم ما كذبوا، وسوف يذوقونه ولكن لا ينفعهم يومئذ تصديق ولا إيمان . وقوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك يا رسولنا العزيز أي الغالب الوهاب أي الكثير العطاء من النبوة وغيرها وعندئذ لهم أن يعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولكن فهل لهم من خزائن رحمة ربك شيء والجواب لا إذا فلم ينكروا هبة الله لمحمد بالنبوة والوحي والرسالة . . وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾ أي بل ألهم ملك السموات والأرض وما بينهما؟ إذا كان هذا لهم ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ سبباً بعد سبب حتى ينتهوا إلى السماء السابعة ويمنعوا الوحي النازل على محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى . ومن أين لهم ذلك وهم الضعفاء الحقيرون إنهم كما قال تعالى فيهم ﴿جند ما هنالك مهزوم^(١) من الأحزاب﴾ أي جند حقير من جملة أحزاب الباطل والشر مهزوم هنالك بيدرو يوم الفتح بإذن الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الله تعالى أن يقسم بما يشاء بخلاف العبد لا يقسم إلا بربه تعالى .
- ٢- بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء وعداء للنبي ﷺ .
- ٣- بيان جهل المشركين في استنكارهم للإله إلا الله محمد رسول الله .
- ٤- تحدي الرب تعالى للمشركين إظهاراً لعجزهم ودعوة لهم إلى النزول إلى الحق وقبوله .
- ٥- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك .
- ٦- ذم كلمة الأحزاب ومدلولها إذ لا تأتي الأحزاب بخير .

(١) جند ما هنالك (ما) مزيدة للتأكيد أي تأكيد حقارة جند إن قيل التكرير للتحقير وإن كان للتعظيم فهي لتوكيده وهنالك إشارة إلى مكان بعيد، ومهزوم مضموع ذليل قد انقطعت حجتهم وذهبت قوتهم وفي الخطاب تسلياً للنبي ﷺ بمعنى لا تحفل بهم ولا تقم لشأنهم .

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ

فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُهُمْ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ مَالَهَا

مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَاقَ بَلِّ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ

مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم	: أي قبل هؤلاء المشركين من قريش .
وفرعون ذو الأوتاد	: أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه .
وأصحاب الأيكة	: أي الغيضة وهم قوم شعيب .
إن كل إلا كذب الرسل	: أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه .
فحق عقاب	: أي وجبت عقوبتي عليهم .
صيحة واحدة	: هي نفخة اسرافيل في الصور نفخة .
مالها من فواق	: أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شئ .
عجل لنا قطننا	: أي صك أعمالنا لنرى ما أعددت لنا إذ القط الكتاب .
ذا الأيد	: أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى .
إنه أواب	: أي رجاع إلى الله في كل أموره .
بالعشي والإشراق	: أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب والإشراق من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى .

والطير محشورة له : أي والطير مجموعة .

وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب : أي وأعطينا داود الحكمة . وهي الإصابة في الأمور والسداد فيها وفصل الخطاب . الفقه في القضاء ومن ذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر .

معنى الآيات :

السياق الكريم في تسلية النبي ﷺ وتهديد المشركين عليهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ أي صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشائق ، ﴿وشمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب ، ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿إن كل الأكلاب الرسل﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿فحق عقاب﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقبتهم ، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿إلا صيحة واحدة مالها من فوق﴾ أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام . وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآيات من سورة الحاقة . قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء ، ربنا عجل لنا قطناً أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء ، وإنما قالوا هذا استهزاء وعناداً أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي القوة في دين الله ﴿إنه أواب﴾ أي رجع إلى الله تعالى

(١) صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلاً فقالت له يابن الزانين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلى من ستة وجوه وهي : ١- المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلف . ٢- إن كان القذف حقاً لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حداً واحداً كما هو مذهب أبي حنيفة . ٣- أقام الحد بدون مطالبة المقدوف به . ٤- إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما . ٥- أنه حدها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة . ٦- أنه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد .

(٢) مفعول كذبت محذوف سيذل عليه ما يأتي من قوله : ﴿إن كل الأكلاب الرسل﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملة بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول ﷺ .

(٣) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يثق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر :

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرْس أوتاد

(٤) الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب محلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يبعده ويحلبها مرة ثانية فالفواق هو ما بين الحلبتين والرضعتين .

(٥) القط : هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد ويسمى بالصك .

(٦) الأيد ليست جمع يد وإنما المراد بها القوة والشدة . وهو مصدر آد يشد أيداً . إذا قوى واشتد ومنه التأيد الذي هو التقوية . قال تعالى ﴿فأواكم وأيدكم بنصره﴾ .

(٧) شاهده قوله ﷺ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أواباً ﴿في الصحيحين﴾ .

أذكره لتأسى به في صبره وقوته في الحق وقوله تعالى ﴿إنا سخرنا﴾ الآيات بيان لإنعام الله تعالى على داود لتعظم الرغبة في الاقتداء به، والرغبة إلى الله تعالى فيما لديه من إفضالات ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾^(١) أي إذا سبح داود في المساء من بعد العصر إلى الغروب وفي الإشراق وهو وقت الضحى سبحت الجبال معه أي رددت تسبيحه كرامة له والطير محشورة أي وسخرنا الطير محشورة أي مجموعة تردد التسبيح معه، وقوله ﴿كل له أبواب﴾ أي كل من الجبال والطير أبواب أي رجاء يسبح الله تعالى. وقوله ﴿وشددنا ملكه﴾ أي قوينا ملك داود بمنحنا إياه كل أسباب القوة المادية والروحية. ﴿وآتيناه الحكمة﴾ وهي النبوة والإصابة في الأمور والسداد فيها قولاً كانت أو فعلاً. ﴿وفصل الخطاب﴾ أي حسن القضاء والبصيرة فيه، والبيان الشافي في كلامه. فبه اقتده يارسولنا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش وتكذيبها وعنادها.
- ٢- تهديد قريش إذا أصرت على التكذيب بأشد أنواع العقوبات.
- ٣- بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بأخبار الله تعالى وشرائع.
- ٤- مشروعية الأسوة والاقتداء بالصالحين.
- ٥- بيان آية تسخير الله تعالى الجبال والطير لداود تسبح الله تعالى معه.
- ٦- حسن صوت داود في قراءته وتسبيحه.
- ٧- مشروعية صلاة الإشراق والضحى.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ دَفَفَرِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أمر بهذه الآية بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثني أم هانئ. أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة (الضحى) وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق. وروى البخاري عن أبي هريرة قال أو صاني خليلي بثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر. (٢) شاهده قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري وقد سمعه يقرأ القرآن ويرتل بحسن صوت لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود. والمزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت آلة الزمر مزماراً.

وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً
وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّمْ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَّآبٍ

شرح الكلمات :

- هل أتاك : الاستفهام هنا للتعجب أي حمل المخاطب على التعجب .
نبا الخصم : أي خبر الخصم الغريب في بابهِ العجيب في واقعه .
إذ تسوروا المحراب : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول من الباب فقصدوا
سوره ونزلوا من أعلى السور .
بغى بعضنا على بعض : أي تعدى بعضنا على بعض .
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكمك .
واهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق .
إِنَّ هَذَا أَخِي : أي عَلَى دِينِي فِي الْإِسْلَامِ .
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا : أي اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكتها .
وعزني في الخطاب : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني .
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ : أي بطلبه نعتك وضمها إلى نعاجه .
مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضا .
وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ : أي أيقن داود أنما فتته ربه أي اختبره .
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا : أي طلب المغفرة من ربه بقوله استغفر الله وسقط ساجدا على
وَأَنَابَ الأرض وَأَنَابَ أي رجع تائبا إلى ربه .
وَإِن لَّمْ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ : وإن لم نجدنا لزلْفى
وَحُسْنُ مَّآبٍ : أي وحسن مرجع عندنا وهي الجنة والدرجات العلا فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول وحمله على الصبر على ما يعاني من كفار قريش من تطاول وأذى فقال له ربه تعالى ﴿هل أتاك﴾ إلى آخر الآيات . وذلك أن داود^(١) عليه السلام ذكر مرة في نفسه ما أكرم الله تعالى به إبراهيم واسحق ويعقوب من حسن الشئاء الباقي لهم في الناس ، فتمنى مثله فقيل له إنهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذي ابتلوا به ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر فاخبره الله تعالى بناء على رغبته فأرسل إليه ملكين في صورة رجلين فتسورا عليه المحراب كما يأتي تفصيله في الآيات وهو قوله تعالى ﴿وهل أتاك﴾ يا رسولنا نبأ الخصم^(٢) وهما ملكان في صورة رجلين ، ولفظ الخصم يطلق على الواحد والأكثر كالعدو فيقال هذا خصمي وهؤلاء خصمي ، وهذا عدوي ، وهؤلاء عدو لي . وقوله ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ أي طلّعوا على سور المنزل الذي هو المحراب في عرف بني اسرائيل ولم يدخلوا من الباب لأن الحرس منعهم من ذلك ، لأن لداود وقتا ينقطع فيه للعبادة فلا يسمح بمقابلة أحد وقوله ﴿إذ دخلوا على داود وهو في محرابه ففرغ منهم﴾ أي ارتاع واضطرب نفسا ﴿فقالوا لا تخف خصمان﴾ أي نحن خصمان ﴿بنى بعضنا على بعض﴾ أي اعتدى بعضنا على بعض جثنا نتحاكم إليك ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي لا تجر في الحكم ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أي إلى وسط الطريق فلا تمل بنا عن الحق . ثم عرضا عليه القضية فقال أحدهما وهو المظلوم عارضا مظلمته ﴿إن هذا أخي﴾ أي في الإسلام ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال لي أكفليها﴾ أي ملكنيها أضمرها إلى نعاجي ، ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي وغلبن في الكلام والجدال وأخذها مني . فقال داود على الفور وبدون أن يسمع من الخصم الثاني ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ وعلل لذلك بقوله ﴿وإن كثيراً من الخطاء﴾ أي الشركاء في زرع أو ماشية أو تجارة ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم أهل الإيمان والتقوى فإنهم يسلمون من

(١) ذكر المفسرون هنا نقلا عن كتب بني اسرائيل عجائب وغرائب في قصة داود هذه من أبشعها أنه نظر من كوة المحراب فرأى امرأة تغتسل فأحبها وطلبها بأن أرسل زوجها إلى الجهاد ليموت قتيلًا حتى يتزوج داود امرأته بعد موته عرضا عن هذه الأباطيل منزهي نبي الله عن هذه الأكاذيب الممجوجة التي لا يرتكها أقل الناس إيمانا وشأنا كما نسبوا إلى يوسف ما نسبوا ، رواية عن اليهود وهم أكاذب خلق الله تعالى بعد أن لعنوا بظلمهم .

(٢) لا خلاف بين المفسرين ان الخصمين كانا ملكين . انتهى .

(٣) شاهده قول الشاعر :

وخصم غضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

(٤) إذ طرف للزمان الماضي متعلق بمحذوف تقديره : تحاكم الخصم إذ تسوروا الخ .

(٥) سواء الصراط أي وسط الطريق وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق .

مثل هذه الاعتداءات، ﴿وقليل ما هم﴾ أي وهم قليل جداً، وهنا طار الملكان من بين يدي داود وعرجا إلى السماء فعلم عندئذ أنما فتنه ربه كما رغب إليه وأنه لم يصبر حيث قضى بدون أن يسمع من الخصم الثاني فكانت زلة صغيرة أرته أن ما ناله إبراهيم واسحق ويعقوب من الكمال كان نتيجة ابتلاء عظيم، وهنا استغفر داود ربه ﴿وخَرَّ رَاكِعاً﴾ يبيكي ويطلب العفو وأناب إلى ربه في أمره كله، وذكر تعالى أنه قبل توبته وعفا عنه فقال تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ أي لقربة عندنا ﴿وحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الدرجات العلا في دار الأبرار، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضله ورحمته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فائدة عرض مثل هذا القصص تقوية قلب الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده وحمله على الصبر.
- ٢- تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذا القصص لا يتأتى له قصه إلا بوحي إلهي.
- ٣- تقرير جواز تشكل الملائكة في صورة بني آدم.
- ٤- حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام.
- ٥- وجوب التوبة عند الوقوع في الذنب^(٣)
- ٦- مشروعية السجود عند قراءة هذه الآية ﴿وخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَاب﴾.

﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ

(١) أطلق الركوع وأريد به السجود وهو شائع كما في قول الشاعر:

فخر على وجهه راكعاً وتاب إلى الله من كل ذنب

(٢) وكثيراً ما كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي.

(٣) في البخاري قال ابن عباس قال ﷺ ليست من عزائم القرآن وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها قال ابن العربي : والذي عندي أنها ليست موضع سجود ولكن النبي ﷺ سجد فيها فسجدنا بالاعتداء به وقد صح عن النبي ﷺ سجود الشكر. ولما بشر بقتل أبي جهل قام فضلى ركعتين شكراً لله تعالى.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
 ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
 الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

- إنا جعلناك خليفة : أي خلفت من سبقك تدبر أمر الناس بإذننا .
 ولا تتبع الهوى : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهي .
 فيضلك عن سبيل الله : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه .
 إن الذين يضلون عن سبيل الله : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى .
 بمانسوا يوم الحساب : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى .
 باطلا : أي عبثا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق .
 ذلك ظن الذين كفروا : أي ظن أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثا لا لحكمة مقصودة منها ظن الذين كفروا .
 فويل للذين كفروا من النار : أي من واد في النار بعيد غوره كريحه لا يطاق .
 مبارك : أي لا تفارقه البركة يجدها قارئه والعامل به والحاكم بما فيه .
 وليتذكر أولوا الألباب : أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجعة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر قصة داود للعظة والاعتبار وتثبيت فؤاد النبي ﷺ فقال تعالى ﴿يا داود﴾ أي^(١)

(١) افتتاح الخطاب بالنداء لاسترعاء وعي المخاطب ليهتم بما سيقال له .

(١) وقلنا له أي بعد توبته وقبولها يا داود ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي بالعدل الموافق لشرع الله ورضاه، ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وهو ما تهواه نفسك دون ما هو شرع الله، ﴿فيضلك﴾ أي اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله المفضي بالعباد إلى الإسعاد والكمال وذلك أن الأحكام إذا كانت مطابقة للشرعية الإلهية انتظمت بها مصالح العباد ونفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لا غير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين، وقوله تعالى ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ القائم على الإيمان والتقوى وإقامة الشرع والعدل هؤلاء ﴿لهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة بما نسوا يوم الحساب﴾ أي بسبب نسيانهم ليوم القيامة فتركوا العمل له وهو الإيمان والتقوى التي هي فعل الأوامر الإلهية واجتناب النواهي في العقيدة والقول والعمل، وقوله تعالى في الآية (٢٧) ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ ينفي تعالى ما يظنه المشركون وهو أن خلق الكون لم يكن لحكمة اقتضت خلقه وإيجاده وهي أن يعبد الله تعالى بذكره وشكره المتمثل في الإيمان والتقوى. وقوله ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي ظن أن الله خلق السماء والأرض وما بينهما لا لحكمة مقصودة وهي عبادة الله تعالى بما يشرع لعباده من العبادات القلبية والقولية والفعلية ظن الذين كفروا من كفار مكة وغيرهم. ثم توعدهم تعالى على كفرهم وظنهم الخاطيء الذي نتج عنه كفرهم وعصيانهم فقال ﴿قويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل للذين كفروا من واد في جهنم بعيد الغور كرية الريح. وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا أولاً رد لما زعمه المشركون من أنهم يعطون في الآخرة من النعيم مثل ما يعطى المؤمنون، وثانياً ينفي تعالى أن يسوى بين من آمن به واتبع هداة فاطاعه في الأمر والنهي، وبين من أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي كما نفى أن يجعل المتقين الذين آمنوا واتبوا فتركوا الشرك والمعاصي كالفجار الذين فجروا أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحدا فعاشوا كفاراً فجاراً وماتوا على ذلك. أي

(١) لا يقال يا خليفة الله إلا لرسوله أما من عدا الرسل فإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله وليس خليفة لله تعالى والصحابة قالوا لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ.

(٢) الفاء هي السببية والمضارع بعدها منصوب وفي الآية تحريم اتباع هوى النفس المسبب الخروج عن دائرة العدل والحق. وفي الآية دليل على أنه لا يجوز الحكم بعلم الحاكم بل بالبينّة والشهود وقد روي أن النبي ﷺ اشترى فرساً فجحدّه البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي؟ فقام خزيمة فشهد فحكم عليه.

(٣) سمي يوم القيامة يوم الحساب لما يجري فيه من حساب الناس بما كسبوا من خير وشر وسمي يوم الدين للمجازاة التي تتم بعد الحساب، وسمي يوم الفصل للفصل بين الناس والحكم لهم فيما بينهم.

فحاشا لله رب العالمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين أن يسوي بين أهل الإيمان والتقوى وبين أهل الشرك والمعاصي بل ينعم الأولين في دار النعيم، ويعذب الآخرين في سواء الجحيم وقوله تعالى في الآية (٢٩) ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي هذا كتاب مبارك أنزلناه على رسولنا ليدبروا آياته بمعنى يتأملوها ويترووها بعقولهم فيحصلوا على هداية القلوب والعقول فيؤمنوا بالله ويعملوا بطاعته فينجوا ويسعدوا. وليذكر أولوا الألباب أي وليتعض بمواعظه ويتزجر بزواجه أولو الألباب أي العقول السليمة ووصف الكتاب وهو القرآن بالبركة هو كما أخبر الله لا تفارق القرآن البركة وهي الخير الدائم فكل من قرأه متدبراً عرف الهدى ومن قرأه تقرّباً حصل على القرب وفاز به ومن قرأه حاكماً عدل في حكمه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الحكم بالعدل على كل من حكم ولا عدل في غير الشرع الإلهي .
- ٢- حرمة اتباع الهوى لما يفضي بالعبد إلى الهلاك والخسار.
- ٣- تقرير البعث والجزاء .
- ٤- إبطال ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثاً وباطلاً .
- ٥- تنزيه الرب تعالى عن العبث والظلم .
- ٦- فضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر .
- ٧- بركة القرآن لا تفارقه أبداً وما طلبها أحد إلا وجدها .

وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي

أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

(١) ليدبروا أصلها ليتدبروا فأدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما .

(٢) الألباب العقول والواحد لب ويجمع على ألَب كما جُمع بؤس على أبؤس قال أبو طالب قلبي إليه مشرف الالب، والتذكر هو استحضار الذهن ما كان يعلمه كاستحضار ما هو منسي أيضا .

(٣) بركة القرآن تتجلى في صرفها النفس عن السوء ودفعها إلى الخير وذلك لمن يقرأ القرآن موقناً به متدبراً له فإن له في كل حرف عشر حسنات مع ما يفيضه على روحه من نور المعرفة وحب الآخرة .

شرح الكلمات :

ووهبنا لداود سليمان : أي ومن جملة هباتنا لداود الأبواب أن وهبنا له سليمان ابنه .
 نعم العبد إنه أواب : أي سليمان أي رجاء إلى ربه بالتوبة والإنابة .
 الصافنات الجياد : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث الجياد أي السوابق .
 حب الخير : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي صلاة العصر لإنشغاله باستعراض الخيل للجهاد .

حتى توارت بالحجاب : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين .
 ردوها علي : أي ردوا الخيل التي استعرضتها آنفا فشغلتنني عن ذكر ربي .
 فطفق مسحاً بالسوق : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل واعناقها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله على داود^(١) حيث قال ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ فذكر تعالى أنه وهبه سليمان وأثنى على سليمان بأنه نعم العبد لله ، ولعل لتلك الأفضلية بقوله ﴿إنه أواب﴾^(٢) أي كثير الأبوة إلى الله تعالى ، وهي الرجوع إلى الله بذكره واستغفاره عند الغفلة والنسيان العارض للعبد ، وأشار تعالى إلى ذلك بقوله ﴿إذ عرض^(٣) عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ أي الخيل القوية على السير التي إذا وقفت تأبى أن تقف على أربع كالحمير بل تقف على ثلاث وترفع الرابعة ، والجياد هي السريعة العدو ، وهذا العرض كان استعراضاً منه لها إعداداً لغزو أرادته فاستعرض خيله فانشغل بذلك عن صلاة العصر فلم يشعر إلا وقد غربت الشمس وهو معنى قوله تعالى

﴿حتى توارت﴾ أي استترت الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي بالأفق الذي حجبها عن أعين الناظرين .
 فندم لذلك وقال ﴿إني أحببت حب الخير﴾ أي الخيل ﴿عن ذكر ربي﴾ وصلى العصر ، ثم عاد إلى إكمال الاستعراض فردها رجاله عليه فجعل يمسح بيده^(٤) سوقها وأعناقها حتى أكمل استعراضها هذا وجه الأبوة التي وصف بها سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿إنه أواب﴾ .

(١) جملة نعم العبد في محل نصب على الحال والمخصوص بالمدح محذوف أي سليمان .

(٢) الجملة تعليلية لما سبقها .

(٣) العارض هم سواس خيله . والعرض هو الإمراء والإحضار أمام الرائي والجياد جمع جواد وهو الفرس الشديد الحفر ، كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها . والجواد يجمع على أجواد وأجاود .

(٤) الصافنات صفة لموصوف محذوف وهو الخيل أو الأفراس وهو الذي يقف على ثلاث قوائم والواحدة صافنة .

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن قوله فطفق مسحاً بالسوق والاعتناق أنه ذبحها وأطعمها الفقراء لأنها ألهمته عن الصلاة وما في التفسير هو اختيار ابن جرير وهو الحق والصواب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الولد الصالح هبة إلهية لوالده فليشكر الله تعالى من وهب ذلك .
- ٢- الثناء على العبد بالتوبة الفورية التي تعقب الذنب مباشرة .
- ٣- جواز استعراض الحاكم القائد قواته تفقداً لها لما قد يحدثه فيها .
- ٤- إطلاق لفظ الخير على الخيل فيه تقرير أن الخيل إذا ربطت في سبيل الله كان طعامها وشرابها حسنات لمن ربطها في سبيل الله كما في الحديث الصحيح «الخيول لثلاث» .
- ٥- ربط الطائرات النفاثة في الحظائر اليوم والمدركات وإعدادها للقتال في سبيل الله حل محل ربط الجياد من الخيل في سبيل الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا

سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
 لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ
 كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا
 عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ يُعِندْنَا لَظْفَىٰ وَحُسْنُ

مَثَابِ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- ولقد فتنا سليمان : أي ابتليناه .
 والقينا على كرسية جسدًا : أي شق ولد ميت لا روح فيه .
 ثم أناب : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه .
 وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من : أي أعطني ملكاً لا يكون لسواي من الناس .
 بعدي : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره .
 فسخرنا له الريح : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رخاء حيث أصاب	: أي لينة حيث أراد.
والشياطين كل بناء وغواص	: أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في البحر.
مقرنين في الأصفاد	: أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون المظلمة وذلك إذا تمردوا وعصوا أمراً من أوامره.
هذا عطاؤنا	: أي وقلنا له هذا عطاؤنا.
فامنن أو امسك	: أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.
بغير حساب	: أي بمنّا لك.
وإن له عندنا لزلفى	: أي وإن لسليمان عندنا لقربة يزم القيامة.
وحسن مآب	: أي مرجع في الجنة في الدرجات العلا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على آل داود فقد أخبر تعالى هنا عما منّ به على سليمان فأخبر تعالى انه ابتلاه كما ابتلى أباه داود وتاب سليمان كما تاب داود ولم يسقط ذلك من علو منزلتهما وشرف مقامهما قال تعالى في الآية (٣٤) ﴿وَلَقَدْ فْتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي ابتليناه، وذلك انه كما أخبر رسول ﷺ في الصحيح أنه قال لأطآن الليلة مائة جارية تلد كل جارية ولداً يصبح فارساً يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله أي لم يستثن ووطىء نساءه في تلك الليلة فعوقب لعدم استثنائه فلم يلدن إلا واحدة جاءت بولد مشلول بالشلل النصفي فلما وضعت أمه أتوا به إلى سليمان ووضعوه على كرسيه. وهو قوله تعالى ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَداً﴾ ثم أناب ﴿سُلَيْمَانَ إِلَى رَبِّهِ فَاغْتَفَر﴾ وتاب فتاب الله عليه وقال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلِكاً﴾ لا ينبغي لأحد من بعدي ﴿أَي لَا يَكُونُ مِثْلُهُ لِسِوَايَ مِنَ النَّاسِ وَتَوَسَّلْ إِلَى اللَّهِ فِي قَبُولِ دَعَائِهِ بِقَوْلِهِ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ

(١) ذكر المفسرون لهذه الفتنة عدة أمور وهي قصص أشبه بالخرافات الاسرائيلية أمثلها مارواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان وكان يحبها فهوى أن يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى وما في التفسير أصح وأقرب إلى تفسير الآيات.

(٢) نص الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون.

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال إن عفريت من الجن نفلت عليّ البارحة ليقطع على صلاتي فحماني الله تبارك وتعالى منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿رَب اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلِكاً﴾ لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴿فرددته خاشاً.

الوهاب ﴿ فاستجاب الله تعالى له فسخر له الريح تجري بأمره حيث يريد لأنها تحمل بساطه أو سفينته الهوائية التي غدوها شهر ورواحها رخاء أي لينة حيث أصاب أي أراد، كما سخر له شياطين الجن منهم البناء الذي يقوم بالبناء للدور والمصانع ومنهم الغواص في أعماق البحر لاستخراج اللآلي، ومنهم من إذا عصاه وتمرد عليه جمع يديه إلى عنقه بصفدٍ ووضع تحت الأرض. هذا ما جاء في قول الله تعالى ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾^(١) وقوله تعالى ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي اعطيناه ما طلب منا وقلنا له هذا اعطائنا لك فامنن أي أعط ما شئت لمن شئت وامنع ما شئت عمن شئت بغير حساب منا عليك. وفوق هذا وإن لك عندنا يوم القيامة للقرية وحسن المرجع وهو قوله تعالى ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قول بعضهم حسنات الأبرار سيئات المقربين إذ عدم الاستثناء في قوله لأطان الليلة مائة جارية الحديث عوقب به فلم تلد امرأة من المائة إلا واحدة وولدت طفلاً مشلولاً، وعوقب به نبينا فانقطع عنه الوحي نصف شهر وأكربه ذلك لأنه لم يستثن عندما سئل عن ثلاث مسائل وقال غدا أجيبكم.
- ٢- مشروعية التوبة من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً.
- ٣- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى.
- ٤- بيان إنعام الله تعالى على عبده سليمان.
- ٥- بيان تسخير الله تعالى لسليمان الريح والجن وهذا لم يكن لأحد غيره من الناس.

وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لِّأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
 بِنُصَبٍّ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَىٰ ۚ
 وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ ۚ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(١) الأصفاد جمع صفد بفتح الصاد والفاء القيد من حديد.

شرح الكلمات :

واذكر عبدنا أيوب : أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم .

بنصب وعذاب : أي بضرٍّ وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سبياً وتأذُّباً مع الله تعالى .

اركض برجلك : أي اضرب برجلك الأرض تنبع عين ماء .

هذا مغتسل بارد وشراب : أي وقلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه ، وتشرب فتشفى .

ضغثاً : أي حزمة من حشيش يابس .

ولا تحنث : بترك ضربها .

نعم العبد : أي أيوب عليه السلام .

إنه أواب : أي رجاع إلى الله تعالى .

معنى الآيات :

(١) مازال السياق في ذكر قصص الأنبياء ليثبت به فؤاد نبيِّه محمد ﷺ فقال تعالى له ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ وهو أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام ﴿إذ نادى ربه﴾ أي دعاه قائلاً ﴿ربِّ إني قد مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ أي ألم شديد ، وذلك بعد مرض شديد دام مدة تزيد على كذا سنة ، وقال في ضراعة أخرى ذكرت في سورة الأنبياء ﴿ربِّ اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ قال تعالى ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وقوله ﴿اركض﴾ برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴿أي لما أراد الله كشف الضر عنه قال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض ينبع منها ماء فاشرب منه واغتسل تشف ففعل فشفي كأن لم

(١) قال القرطبي أمر النبي ﷺ بالاعتداء بهم في الصبر على المكاره .

(٢) قرأ الجمهور بنصب بضم النون وتسكين الصاد وقرئ بنصب بفتحها كحزن وحزن فالنصب الشر والبلاء الشديد والنصب بالتحريك التعب والإعياء .

(٣) الباء في بنصب سببية أي مسني نصب وعذاب بسبب وسوسة الشيطان لي فنصب النصب والعذاب إلى الشيطان لأنهما كانا بسبب وسواسه .

(٤) الركض التحريك يقال ركب الدابة إذا حركها برجليه فركضت أي تحركت بسرعة وجملة اركض مقولة لقول محذوف أي قلنا له اركض برجلك .

(٥) أي ماء فيه شفاء ومغتسل اسم مفعول أي مغتسل به هو من باب الحذف والايصال مثل تمرن بالديار ولا تعرجوا : فكلامكم إذا عليّ حرام . أي تمرن بالديار فحذف الباء .

يكن به ضرر البتة . وقوله تعالى ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ أي عوضه الله تعالى عما فقد من أهل وولد، وقوله ﴿رحمة منا﴾ أي كان ذلك التعويض لأيوب رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴿أي عبرة لأولي القلوب الحية الواعية يعلمون بها أن الله قد يبتلي أحب عباده إليه ليرفعه بذلك درجات عالية ما كان ليصل إليها دون الابتلاء في ذات الله والصبر عليه . وقوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ أي قلناله خذ بيدك ضغثاً أي حزمة من حشيش يابس واضرب به امرأتك ضربة واحدة إذ في الحزمة مائة عود وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة لما حصل منها من تقصير في يوم من أيام حياتهما، فأفاته ربه تعالى بما ذكر في هذه الآية . وقوله تعالى ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ أي قد اختبرناه بالمرض وفقد الأهل والمال والولد فوجدناه صابراً، وبذلك أثنى عليه بقوله ﴿نعم العبد﴾ أي أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ربه في كل امره لا يعرف إلا الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة محمد ﷺ من طريق هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بالوحي الإلهي .
- ٢- قد يبتلي الله تعالى من يحبه من عباده ليزيد في علو مقامه ورفعة شأنه .
- ٣- فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة .
- ٤- مشروعية الفتيا وهي خاصة بأهل الفقه والعلم .
- ٥- وجوب الكفارة على من حنث في يمينه .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى

الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ

(١) لم تشر الآيات إلى أن أيوب رزى بموت أهله ولا بفقد ماله وسباق الآيات لا يدل على أن أيوب مات أهله من بنين وأحفاد وما يذكر هنا من كونه فقد أهله بموتهم ثم أحياهم الله تعالى له هو من أحاديث بني إسرائيل، والظاهر أن الله تعالى حفظ لأيوب أهله ووهبه مثلهم أي أعطاه أهله وزاده ضعفهم ولو أراد ما تقوله الناس لقال وأحيينا له أهله ووهبنا له مثلهم والله أعلم .

(٢) هذه الفتيا مما خص الله تعالى بها عبده أيوب فلا تتعداه إلى غيره والنبي ﷺ قال إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وفعلت الذي هو خير وما روى أبو داود من أن رجلاً مريضاً وجب عليه حد فأفتاهم الرسول ﷺ بضربه بعشكول نخل به مائة عود فضر به ضربة واحدة فإن الخبر إن صح فالعلة هي مرضه الشديد وعلته القائمة به .

(٣) الجملة تعليلية لما تقدم من إنعام الله تعالى على أيوب أي وهبه الله ذلك الانعام لصبره على ما ابتلاه به وكذا جملة إنه أواب .

إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ
وَلِإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مِثَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ
﴿٥٠﴾ مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَنْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمٍ
الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- واذكر عبادنا : أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة .
أولى الأيدي : أي أصحاب القوى في العبادة .
والأبصار : أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم .
بخالصة : أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها .
لمن المصطفين الأخيار : أي من المختارين الأخيار جمع خير .
هذا ذكر : أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا .
وان للمتقين : أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات .
لحسن مآب : أي مرجع أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاء .
متكئين فيها : أي على الأرائك .
يدعون فيها بفاكهة : أي يطالبون فيها بفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب إيذاناً بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا .
قاصرات الطرف : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرن إلى غيرهم .
أنراب : أي أسنانهن متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة .
ماله من نفاد : أي ليس له انقطاع أبداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر الأنبياء وما أكرموا به على صبرهم ليكون ذلك مثبِتاً للنبي ﷺ على دعوته والصبر عليها والتحمل في سبيل الوصول بها إلى غاياتها فقال تعالى له ﴿واذكر﴾ أي يا نبيِّنا

﴿عبادنا﴾ لتتأسى بهم وهم ﴿إبراهيم واسحق﴾ وولده ﴿يعقوب﴾ حفيده ﴿أولي﴾ أي أصحاب ﴿الأيدي﴾ أي القوى في العبادة والطاعة ﴿والأبصار﴾ أي أبصار القلوب وذلك بالفقه في الدين ومعرفة أسرار التشريع، وقوله تعالى ﴿إنا أخلصناهم﴾ أي خصصناهم ﴿بخالصة﴾ أي بخالصة امتازوا بها هي ذكر الدار أي ذكر الدار الآخرة بالعمل لها والدعوة إليها بالإيمان والتقوى، وقوله ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ أي المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خير وهو المطبوع على الخير وقوله ﴿وإذكر﴾ أي يا نبينا للأنبياء ﴿اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ وقوله ﴿وكل﴾ أي من داود ومن ذكر بعده من الأنبياء كانوا من الأخيار، وقوله ﴿هذا ذكر﴾ أي لهم بالثناء الحسن لهم في الدنيا، ﴿وان للمتقين﴾ هم وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات ﴿لحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الجنة حيث يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وفسر ذلك المرجع بقوله تعالى ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ ﴿متكئين فيها﴾ أي على الأرائك الأسرة بالحجلة، ﴿يدعون فيها﴾ أي يطالبون فيها ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ ولم يذكر الطعام إشارة إلى أن مآكلهم ومشاربهم لمجرد التلذذ لا للتغذي بها كما في الدنيا، وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يخبر تعالى أن لأولئك المتقين في الجنة قاصرات الطرف أي نساء قاصرات الطرف أي حاسبات له على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم من الأزواج وقوله ﴿أتراب﴾ أي في سن واحدة وهي ثلاث وثلاثون سنة. وقوله تعالى ﴿هذا ما توعدون﴾ أي يقال لهم هذا ما توعدون ﴿ليوم الحساب﴾ أي هذا المذكور من النعيم هو ما يعدكم به ربكم يوم القيامة. وقوله ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ أي ليس له انقطاع ولا فناء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وفي الحديث «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

٢- فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائما لأنها تساعد على الطاعة.

(١) أما إبراهيم فقد ذكر الله تعالى ما ابتلاه به من إلقائه في النار وكذا يعقوب من فقدته ليوسف عليهم السلام وأما اسحاق فلم يذكر له في القرآن ابتلاء ولعله ذكر بين مبتلين وهما أصله وفرعه فكان ذلك ابتلاء له أيضاً.

(٢) جمع يد والمراد بها القوة لا الجارحة نحو السماء بنيناها بأيدينا ولما لموسعون.

(٣) قرأ نافع بخالصة ذكر الدار بإضافة خالصة إلى الدار وقرأ حفص بتوتين خالصة فتكون ذكر الدار عطف بيان على خالصة.

(٤) جائز أن يكون الأخيار جمع خير بإسكان الياء وجمع خير بتشديدها مكسورة نحو أموات جمع ميت وميت.

(٥) اللام للاختصاص ليست للملك ولا للتعليل بل للاختصاص إذ هي مختصة بالمتقين دون غيرهم.

(٦) مفتحة منصوب على الحال والأبواب مرفوع بمفتحة لأنه نائب فاعل.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٨) شاهده حديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة «حديث صحيح».

٣- فضل التقوى وأهلها وبيان ما أعد لهم يوم الحساب .

٤- نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون .

٥- فضيلة الائتساء بالصالحين والاعتداء في الخير بهم وهم أولوا القوة في العبادة والبصيرة في الدين .

هَذَا وَآيَاتُ

لِلطَّٰغِيْنَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا الْمَآءَ هَٰذَا ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوْهُ حَمِيْمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوْهُ لَنَا فَنَسُوا الْفَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا لَا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذَتْهُمْ
سَخَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لِحَقُّ نَحَاسٍ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

هذا : أي المذكور للمتقين .

وإن للطاغين : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد .

لشر مآب : أي جهنم يصلونها .

فنبس المهاد : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي .

هذا فليذوقوه : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه .

حميم : أي ماء حار محرق .

وعساق : أي قيح وصيد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار .

وآخر من شكله أزواج : أي وعذاب آخر كالحميم والعساق أصناف .

هذا فوج مقتحم معكم : أي يقال لهم عند دخولهم النار هذا فوج مقتحم معكم .
 لا مرحباً بهم : أي لاسعة عليهم ولا راحة لهم إنهم صالو النار .
 قالوا أي الاتباع للطاغين : بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا .
 قالوا ربنا من قدم لنا هذا : أي الاتباع أي من كان سبياً في عذابنا هذا في جهنم فزده عذاباً .
 وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً : أي قال الطاغون وهم في النار ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعددهم من
 الأشرار في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب .
 اتخذناهم سخرى : أي كنا نسخر منهم في الدنيا .
 أم زاغت عنهم الأبصار : أي امفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم .
 إن ذلك لحق تخاصم أهل النار : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل
 النار .

معنى الآيات :

بعد ذكر نعيم أهل الإيمان والتقوى ناسب ذكر شقاء أهل الكفر والفجور وهو أسلوب التهيب
 والترغيب الذي امتاز به القرآن الكريم في هداية العباد . فقال تعالى ﴿ هذا ﴾^(١) أي ما تقدم ذكره
 من نعيم أهل السعادة ﴿ وإن للطاغين ﴾ وهم المشركون الظلمة كأبي جهل وعتبة بن معيط
 والعاص بن وائل ﴿ لشر مآب ﴾ أي لأسوأ مرجع وأقبحه وهو ﴿ جهنم يصلونها وبئس المهاد ﴾ هي يمهدها
 الظالمون لأنفسهم . وقوله تعالى ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ أي هذا حميم وغساق
 فليذوقوه والحميم الماء الحار المحرق والغساق ما سال من جلود ولحوم وفروج الزناة من أهل
 النار كالقيح والصدید وقوله ﴿ وآخر من شكله ﴾ أي وعذاب آخر من شكل الأول ﴿ أزواج ﴾ أي
 أصناف عديدة وقوله تعالى ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ أي يقال عند دخولهم النار هذا فوج أي
 فريق مقتحم معكم النار، فيقول الطاغون ﴿ لا مرحباً بهم ﴾ أي لا سعة ولا راحة لهم ﴿ إنهم صالو

(١) هذا مستعمل في الانتقال من غرض إلى غرض تشبیه للغرض الذي قبله تشبیه بكلمة وبعد .

(٢) الفاء في فيش المهاد للترتيب والسبب .

(٣) الغساق سائل في جهنم يقال غسق الجرح إذا سال منه ماء أصفر . قرأ الجمهور «غساق» بالتخفيف وقرأه حفص وبعض
 بالتشديد فهما لغتان فيه والتشديد للمبالغة في غاسق وهو أقرب .

(٤) وآخر صفة لموصوف محذوف أي وعذاب آخر من شكله أي من مثله أزواج أي أصناف متعددة .

(٥) يبدو أن القائل هم الزبانية يخاطبون الطغاة وهم يعذبونهم هذا فوج .

(٦) لا مرحباً نفي للكلمة التي يقولها المزور لمن زاره وهي انشاء دعاء للوفاة . وهي مصدر بوزن مفعول ، والعامل فيه محذوف
 تقديره أتيت رجلاً أي مكاناً ذا رجب ، فإذا أرادوا نفيه قالوا لا مرحباً بكم . قال الشاعر :

لا مرحباً بذي ولا أهلاً به إذا كان تفريق الأجرة في غد

النار ﴿أي داخلوها محترقون بحرهما ولهيبها، فيرد الأتباع عليهم قائلين ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم﴾ أي لا سعة ولا راحة ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ إذ كنتم تأمروننا بالشرك والكفر والفجور قال تعالى ﴿فبئس القرار﴾ أي الذي انتهى إليه الطاغون وأتباعهم في النار، وقالوا أيضا ما اخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي العذاب ﴿فزده عذابا ضعفا في النار﴾ أي ياربنا ضاعف لهم العذاب مرتين لأنهم هم الذين قدموه لنا يوم كانوا يدعوننا إلى الشرك والباطل ويحضوننا عليه . وقوله تعالى ﴿وقالوا﴾ أي الطغاة ﴿ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار﴾^(١) بيننا ﴿أتخذناهم﴾^(٢) في الدنيا ﴿سخريا﴾^(٣) نسخر منهم يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمّار وصهيب وخبيب، أمفقودون هم ﴿أم زاغت عنهم﴾ أبصارنا فلم نرهم، قال تعالى ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ أي إن ذلك الكلام الذي دار بين أهل النار حق وصدق هو تخاصم أهل النار فاسمعهو أيها المشركون اليوم آيات تتلى وغداً يوم الحساب حقائق تشهدوه وغصص تتجرع وحسرات تمزق الأكباد والقلوب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ذم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الظلم والكفر وبيان جزاء أهله يوم القيامة .
- ٢- بيان ما يجري من خصام بين أهل النار للعظة والاعتبار .
- ٣- شكوى الأتباع ممن اتبعوهم في الضلال ومطالبتهم بمضاعفة العذاب لهم .
- ٤- تذكّر أهل لنار فقراء المسلمين الذين كانوا يعدونهم متخلفين ورجعيين لأنهم كانوا لا يأتون الفجور والشرور مثلهم .

(١) بل للاضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم، وأنهم هم أولى به منه، والباء في بهم للبيان فهي بمعنى اللام أي لا مرحبا لهم يستحقونه عندنا .

(٢) جمع شر بمعنى أشر كالأخبار جمع خير بمعنى أخير .

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور أتخذناهم بهمة الاستفهام وحذفت همزة الوصل والجملة بدل من جملة «ما لنا لا نرى رجلا» .. أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار، وأم بمعنى بل أي بل زاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم وزاغت بمعنى مالت .

(٤) قرأ نافع سخرياً بضم السين وقرأ حفص بكسرهما كما في سورة المؤمنون والسجدة الاستهزاء .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
 عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
 لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

قل	أي يارسولنا لمشريكي قومك أي مخوفاً من عذاب الله .
وما من إله إلا الله الواحد القهار	أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار .
العزیز الغفار	أي الغالب الذي لا يمانع في مراده الغفار للتائبين من عباده .
قل هو نبأ عظيم	أي قل يارسولنا لكفار مكة القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم .
أنتم عنه معرضون	لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه .
بالملا الأعلى	أي بالملائكة عندما شؤروا في خلق آدم .
إذ قال ربك للملائكة	أي اذكروا لهم تدليلاً على أنه يوحى إليك القرآن إذ قال ربك للملائكة .
خالق بشرا من طين	أي خالق آدم من مادة الطين وقيل فيه بشر لبؤ بشرته .
من روحي	الروح جسم لطيف يسري في الجسم سريان النار في الفحم أو الماء في الشجر أو الكهرباء في الأسلاك .
إلا إبليس	أي لم يسجد .
استكبر	عن السجود لآدم كبراً وحسداً له .

معنى الآيات :

بعد كل ذلك العرض للقصص ولما في الجنة والنار وما تقرر به من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء أمر تعالى رسوله أن يقول لمشركي قريش ﴿إنما أنا منذر﴾^(١) أي مخوف من عذاب الله الواجب لكل من كفر به وكذب بآياته ولقاه وترك عبادته وعبد الشيطان عدوه ، كما أخبركم مقررا انه ليس هناك من إله قط إلا الله الواحد في ذاته وصفاته وربوبيته وعبادته القهار لكل قاهر والجبار لكل جبار رب السموات والأرض وما بينهما أي مالك لها متصرف فيها دون شريك له في ذلك . العزيز الانتقام ممن كفر به وعصاه الغفار لمن أناب إليه واتبع هداه . وقوله تعالى ﴿قل هو نبي عظيم أنتم عنه معرضون﴾ أي يأمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين من أهل مكة هو أي القرآن وما حواه من تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وعرض القصص والأحداث ووصف الجنة والنار نبأ عظيم أي خبر ذو شأن عظيم أنتم عنه معرضون تأبون سماعه والإيمان به والاهتداء بهديه . بدعوى أنني اختلقته وافتريته وهي حجة داحضة وأدلتكم في ذلك واهية . كيف يكون ما اتلوه عليكم من القرآن افتراء مني عليكم وعلى الله ربي وربكم . وانه ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون عندما قال الله للملائكة ﴿إني خالق بشراً من طين﴾ وقال ﴿أنني جاعل في الأرض خليفة﴾ فقال الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ كيف عرفت أنا هذا وحدثت به لو لم يكن وحياً من الله أوحاه إلي . يا قوم إنه ما يوحى إلي إلا انما أنا نذير مبين أي

(١) في هذه الآيات الثلاث الترهيب والترغيب ببيان قدرة الله وجبروته وبيان ربوبيته الموجبة للالوهية المستلزمة لمغفرته ورحمته لمن تاب إليه بتوحيده وطاعته بعد الإيمان به وبرسوله ولقائه .

(٢) كون الثناء هو القرآن هذا ما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله تعالى ، ومن فسره بما سبق ذكره من الانذار وما عرض من أحوال أهل الجنة وأهل النار فإن ما في التفسير شامل لكل ذلك وهادٍ إليه ودال عليه والحمد لله .

(٣) قوله تعالى : ما كان لي من علم الخ استئناف لأجل الاستدلال على صدق القرآن بأنه وحى من الله تعالى ولولا أنه وحى لما كان للرسول علم به لا إجمالاً ولا تفصيلاً ولهذا الاستدلال نظائر نحو وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم إذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا .

(٤) قال بعض المفسرين تخاصم الملا الأعلى هو اشراف قريش فيما بينهم سرا وقال آخرون هو تخاصم أهل النار وقيل والصواب ما في التفسير وهو أن الملا الأعلى الملائكة وما جرى بينهم في شأن السجود لآدم وامتناع إبليس عن ذلك والآية بعد تفسير هذا الاختصاص وأما حديث السنن فلم يرد به ما في هذه الآيات ونصه «إني قتت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت لا أدري يا رب - أعادها ثلاثاً - فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدرتي فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت في الكفارات . قال وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام . قال سل قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفي غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك هذا «حديث المنام» .

بَيْنَ النِّذَارَةِ . فلم يوحِ إِلَيَّ الأمرُ بالتسلطِ عليكم وأخذكم بالشدة لاستعبدكم وتكونوا خولا لي
 وخداماً لا ، لا . إنما يوحى إِلَيَّ لتقرير حقيقة واحدة وهي أنني نذير لكم ولغيركم من عذاب الله
 المعدّ لمن كفر به وأشرك في عبادته ، وفسق عن طاعته . وقوله تعالى في الآية (٧١) ﴿ إِذْ قَالَ
 رَبُّكَ لِلْمَلَأُتِئَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ هو آدم عليه السلام ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ ﴾ أي أتممت خلقه
 ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴾ فحيى وصار بشراً سوياً ﴿ فَقَعَوْا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ أي خرّوا على الأرض
 ساجدين له طاعة لأمرنا وتحيّة لعبدنا ، ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَأُتِئَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ سواء من كان منهم
 في السموات أو في الأرض ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ استكبر عن السجود لآدم لزعمه الكاذب أنه خير منه
 لكونه من النار وآدم من طين ، ولحسده أيضاً حيث فضله وفُضِّلَ عليه ، وكان بذلك الكبر والحسد
 من الكافرين إذ جحد معلوماً من طاعة الله بالضرورة وكيف وهو يتلقى الخطاب من الله تعالى
 بلا واسطة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد بأدلته .

٢- تقرير النبوة والوحي بشواهد من نبا الملائكة الأعلى .

٣- عداوة إبليس لآدم وأن الحامل عليها الحسد والكبر وهما من شر صفات العبد .

٤- تقرير أن من القياس ما هو شر وباطل كقياس إبليس إذ قاس النار على التراب فرأى أن النار
 أفضل فهلك بذلك ، إذ التراب أفضل النار تحرق والتراب يحيى ، وشتان ما بين الموت والحياة .

قَالَ

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾
 قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ
 مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
 ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

- لما خلقت بيدي : أي للذي خلقته بيدي وهو آدم فدل ذلك على شرفه .
 استكبرت أم كنت من العالين : استكبرت الآن أم كنت من قبل من العالين المتكبرين
 والاستفهام للتوبيخ . والتقريع لإبليس .
 فاخرج منها : أي من الجنة .
 فإنك رجيم : أي مرجوم مطرود .
 وأن عليك لعنتي إلى يوم الدين : أي طرده من الجنة وألحقه لعنة وهي الطرد من الرحمة إلى يوم
 الدين أي الجزاء وهو يوم القيامة .
 قال رب فانظرنى : أي أخر موتي وأبق عليّ حياً إلى يوم يبعثون أي الناس .
 إلى يوم الوقت المعلوم : أي إلى النفخة الأولى وهي نفخة الموت والفناء .
 إلا عبادك منهم المخلصين : أي الذين استخلصتهم للإيمان بك وعبادتك ومجاورتك في
 الجنة .
 قل ما أسألكم عليه من أجر : لا أسألكم على البلاغ أجراً تعطونه لي .
 وما أنا من المتكلفين : أي المتقولين القرآن وما أنذركم به من تلقاء نفسي .
 إن هو إلا ذكر للعالمين : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين .
 ولتعلمن نبأه بعد حين : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد
 للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر ما دار بين الربّ تعالى وعدوه إبليس من حديث في الملائكة الأعلى إذ قال تعالى بعد أن امتنع إبليس من السجود لآدم ﴿يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾^(١) أي أي شيء جعلك تمتنع من السجود لآدم وقد أمرتك بذلك ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي الآن ﴿أَمْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) من العالين أي المستكبرين ، وهذا الاستفهام من الله تعالى توبيخ لإبليس وتقرّيع له . وأجابه إبليس بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فاستعمل اللعين القياس الفاسد المردود عند أرباب العقول ، إذ النار لم تكن أبداً خيراً من الطين ، النار تحرق ونهايتها رماد ، والطين لا يحرق ومنه سائر أنواع المغذيات التي بها الحياة الحبوب والثمار والفواكه والخضر واللحوم وحسبه أنه أصل الإنسان ومادة خلقته فأى شرف للطين أعظم لو كانا للعين يعقل . وهنا قال تعالى له ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مطرود مبعد لا ينبغي أن تبقى في رحمة الله ، ﴿وَأَنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ لا تفارقك على مدى الحياة وهي بُعد من رحمتي طوال الحياة .

وهنا قال اللعين لما آيس من الرحمة ﴿رَبِّ فَانظُرْنِي﴾ أي ابق عليّ حياً لا تمتني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ حتى يتمكن من إغواء بني آدم ، ولا يموت إذا ماتوا في النفخة الأولى فلا يذوق هو الموت وعلم الله ما أضمره في نفسه فرد عليه بقوله ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي الممهلين المبقى على حياتهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو النفخة الأولى حتى يموت مع سائر الخلائق ولما علم اللعين أنه أنظر قال في صفاقة وجه ووقاحة قول مقسماً بعزة الله ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوْنُهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فاستثنى اللعين عباد الله المؤمنين المتقين الذين استخلصهم الله لطاعته وجواره في دار كرامته . وهنا قال تعالى رداً على اللعين ﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾ أي أنا الحق ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي من الإنس والجن أجمعين . وإلى هنا انتهى ما دار من خصومة في الملائكة الأعلى ، وكيف عرف محمد ﷺ هذا وأخبر به لولا أنه

(١) ذكر صاحب تفسير التحرير أن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة معللاً ذلك بعدم أهلية إبليس بعد إبلاسه لذلك لما فيه من الشرف والكمال ولم أقف على من رأى هذا الرأي غيره والله أعلم بصحته أو خطئه .
(٢) في قوله بيدي إثبات صفة اليدين لله تعالى وقد وردت أحاديث صحيحة تقرر ذلك وتثبتة فوجب الإيمان بهذه الصفة الذاتية لله تعالى مع تنزيهه تعالى أن يكون يده تشبه يدي من له يدان من خلقه لأن الله تعالى ليس كمثله شيء .
(٣) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى من العالين أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل فلذا امتنعت من السجود لآدم عليه السلام .

(٤) قرأ الجمهور قال فالحق بنصب الحق على أنه مفعول مطلق تقديره أحق الحق ، وقرأ حفص بالرفع على تقدير فالحق قولي ، أو أنا الحق أي على الابتداء ، وأما الحق الثاني فهو منصوب إجماعاً لفعل أقول .

وحَيَّ يوحى إليه . وهنا قال تعالى لرسوله قل لقومك المكذبين برسالتك ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على البلاغ ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين﴾^(١) الذين يقولون على الله ويقولون ما لم يقل ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ من الإنس والجن يذكرون به فيؤمنون ويهتدون ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ أي ولتعرفن صدق ما أخبر به من وعد ووعد وصلاحيه ما تضمنه من تشريع بعد حين ، وقد عرف بعضهم ذلك يوم بدر ، ويوم الفتح ، ويوم موته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ذم الكبر والحسد وحرمتها وبيان جزائهما .
- ٢- مشروعية القياس إن كان قياساً صحيحاً ، وبيان اخطار القياس الفاسد .
- ٣- مشروعية القسم بالله وبصفاته وأسمائه .
- ٤- بيان أن من كتب الله سعادتهم لا يقوى الشيطان على اغوائهم وإضلالهم .
- ٥- لا يجوز أخذ الأجرة على بيان الحق والدين .
- ٦- ذم التكلف^(١) المفضي إلى الكذب والتقول على الله وعلى الرسول والمؤمنين .
- ٧- ظهر مصداق ما أخبر به القرآن بعد حين قصير وطويل .

(١) التكلف : معالجة الكلفة وهو ما يشق على المرء عمله أو علمه أو قوله لعدم قدرته على ذلك روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم ، ولا يتكلف ، فإن قوله لا أعلم علم وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ . روى أن للمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه ، ويتعاطى مالا ينال ، ويقول مالا يعلم . وروى الدارقطني أن النبي ﷺ مر في بعض أسفاره على رجل جالس على مقرة له . وقال له عمر يا صاحب المقرة أولفت السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي ﷺ يا صاحب المقرة لا تخبره ، هذا متكلف ، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور ، كما روى مالك في الموطأ أن عمر خرج في ركب معهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضاً فقال عمرو بن العاص يا صاحب الحوض هل ترد السباع حوضك؟ فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فإننا نرد على السباع وترد علينا .

سُورَةُ الزُّمَرِ^(١)

مكية

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- تنزيل الكتاب : أي القرآن من الله .
العزیز الحکیم : أي العزيز في ملكه وانتقامه الحكيم في صنعه وتدبير خلقه .
مخلصا له الدين : أي مفردا إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحدا .
الله الدين الخالص : أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه .
أولياء : أي شركاء وهي الأصنام .
ليقرّبونا إلى الله زلفى : أي تقريبا وتشفع لنا عند الله .
من هو كاذب كفار : أي كاذب أي على الله كفار بعبادته غير الله تعالى .
سبحانه : أي تنزيها له عن الولد والشريك .

(١) سميت بالزمر لذكر لفظ الزمر فيها ولم يذكر في غيرها قط والزمر جمع زمرة وهي الفوج المتبوع بفوج آخر .

هو الله الواحد القهار : أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه القهار لخلقه.

معنى الآيات :

تنزيل الكتاب^(١) من الله العزيز الحكيم يخبر تعالى ان تنزيل القرآن كان منه سبحانه وتعالى وهو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه . ولم يكن عن غيره بحال من الأحوال^(٢) وقوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾^(٣) يخبر تعالى رسوله بقوله ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن العظيم ﴿بالحق﴾ في كل ما جاء فيه ودعا إليه من العقائد والعبادات والأحكام وعليه ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي العبادة فلا تعبد معه غيره فإن العبادة لا تصلح لغيره أبداً ﴿ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾^(٤) أي شركاء يعبدونهم ويقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي تقريبا ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا هؤلاء يحكم الله بينهم في ما هم فيه مختلفون مع المؤمنين الموحدون وذلك يوم القيامة وسيجزى بعدله كلا بما يستحقه من إنعام وتكريم أو أشقاء وتعذيب . وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ يخبر تعالى بحرمان أناس من هدايته وهم الذين توغلوا في الفساد فكذبوا على الله تعالى وعلى عباده وأصبح الكذب وصفاً لازماً لهم ، وكفروا وبالغوا في الكفر بالله وآياته ورسوله ولقائه فأصبح الكفر وصفاً ثابتاً لهم ، إذ هذه سنته في حرمان العبد من الهداية ليمضي فيه حكم الله بأشقائه وتعذيبه يوم القيامة . وقوله تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما يزعم المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله ، وكما قال النصارى المسيح ابن الله ، وكما قال اليهود محزير بن الله ، ولو أراد الله أن يكون له ولدٌ لاصطفى واختار مما يخلق ما يشاء ، ولا يتركهم ينسبون إليه الولد افتراء عليه وكذباً ، ولكنه تعالى منزّه عن صفات المحدثين وافتقار المخلوقين إذ هو الله ذو الألوهية على سائر خلقه الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه وحكمه القهار لسائر خلقه فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه .

(١) تنزيل الكتاب ، أي القرآن - جائز أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ والخبر من الله وجائز أن يكون تنزيل خبر والمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل .

(٢) بالحق الباء للملازمة أي ملابساً للحق فلا باطل معه .

(٣) فيه تقرير نبوته ﷺ والإعلان عن شرفه بإنزال الكتاب عليه .

(٤) الفاء للتفريع ، أي فبناء على إنزالنا عليك الكتاب فاعبد الله ، ومخلصاً حال ، والدين العبادة ، وإخلاص العبادة تجريدتها من الالتفات إلى غير الله تعالى لطلب مدح أو نفع أو دفع مكروه أو اتقاء ذم .

(٥) ألا الله الدين الخالص افتتاح الجملة بالآلة للتنبية على شرف ما دخلت عليه والتنويه به اللام في لله للملك والاستحقاق وفي الآية دليل على وجوب الإخلاص في العبادة ووجوب النية فيها ولا عبادة بدون نية صحيحة ولا يضر النية الخاطئة يخطر بالقلب لا يملك المرء دفعه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير النبوة المحمدية .

٢- تقرير التوحيد .

٣- بطلان الشرك والتنديد بالمشركين .

٤- تقرير البعث والجزاء يوم القيامة .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥﴾
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ
مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

خلق السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو العبث .

يكور الليل على النهار : أي يدخل أحدهما في الآخر فإذا جاء الليل ذهب النهار

والعكس كذلك .

وسخر الشمس والقمر : أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض .

خلقكم من نفس واحدة : هي آدم عليه السلام .

ثم جعل منها زوجها : هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر .

وأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ : أي أَنْزَلَ المطر فَأَنْبَت العشب فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها .

ثمانية أزواج : أي من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين .

يخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً من بعد خلق : أي أطواراً طوراً بعد طور نطفة فعلقه فمضغة .

في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة .

ولا تزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى .

إنه عليم بذات الصدور : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره .

معنى الآيات :

هذه الآيات الكريمة في تقرير التوحيد بذكر الأدلة والبراهين التي لا تدع للشك مجالاً في نفوس العقلاء فقال تعالى في الآية (٥) ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي أوجدهما خلقاً على غير مثال سابق وخلقهما بالحق لغايات سامية شريفة وليس للباطل والعبث ومن تلك الغايات أن يعبد فيها فيذكر ويشكر . وقوله ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أي يغشى هذا هذا فيغطيه به ويستره كأنما لُفَّ عليه وغشاه به وهذا برهان ثان فالأول برهان الخلق للسموات والأرض وبرهان ثالث في قوله ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يدوران في فلكيهما إلى قيام الساعة وفي ذلك من الفوائد والمصالح للعباد ما لا يقادر قدره من ذلك معرفة عدد السنين والحساب . وقوله ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ إعلان وتنبيه بأنه تعالى عزيز في بطشه وانتقامه من أعدائه غفار لعباده التائبين إليه . وقوله تعالى في الآية (٦) ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدم عليه السلام فقد صح أنه

(١) هذه الجملة بيان لجملة هو الله الواحد القهار .

(٢) وهذه الجملة بيان ثانٍ أيضاً وحقيقة التكوين أنه اللف واللي يقال كور العمامة على رأسه إذا لفها ولَوَّاهَا وهذا تمثيل بديع لتعاقب الليل والنهار .

(٣) كل التوئين للعوض أي كل واحد منهما يجري لأجل مسمى هو أجل فنائهما .

(٤) استئناف ابتدائي وجملة فإنكم الخ استدلال على صفة العزة والمغفرة في العزيز الغفار .

لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ذريته وأشهدهم على أنفسهم، ولهذا جاء العطف بـ ﴿إِذْ قَالَ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي بعد أن مسح على ظهر آدم وأخرج ذريته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم خلق حواء من ضلعه الأيسر، وهذا برهان وآخر في قوله ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ضأن وماعر وهي ذكر وأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج فهي ثمانية أزواج وجائز أن يكون أصل هذه الأنعام قد أنزله من السماء كما أنزل آدم وحواء من السماء، ^(١) وجائز أن يكون أنزل الماء فنبت العشب وتكونت هذه الأنعام من ذلك فالأصل الإنزال من السماء وتدرج الخلق كان في الأرض. وبرهان رابع في قوله ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم نكسو العظام لحماً فإذا هو إنسان كامل وقوله ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة بطن الأم، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، وهي غشاء يكون للولد وفي الحيوان يقال له السلي وقوله بعد ذكر هذه البراهين قال ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي خالقكم ومعبودكم ﴿الْحَقُّ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود إلا هو إذ لا تصلح العبادة إلا له ﴿فَأَنَّى تَصْرَفُونَ﴾ أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال إن أمركم عجب. وقوله في الآية (٧) ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أي بعد أن بين بالأدلة القاطعة وجوب الإيمان به ووجوب عبادته، وأنه الرب الحق وإله الحق أعلم عبادته أن كفرهم به لا يضره أبداً لأنه غني عنهم وعن سائر خلقه إلا أنه لرحمته بعباده لا يرضى لهم الكفر لما يسببه لهم من شقاء وخسران، كما أنهم إن آمنوا وشكروا يرضه لهم فيثيبهم أحسن ثواب ويجزيهم أحسن جزاء. وقوله ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هذا مظهر من مظاهر عدله بين عباده وهو أن نفساً ذات وزر أي ذنب لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل نفس تحمل وزرها وتحمل تبعته ونتائجه وحدها. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ

(١) ووجه ثالث وهو جائز أن يكون الإنزال بمعنى التسخير نحو وأنزلنا الحديد أي ذللناه لكم تصنعون منه السيوف والرماح وهذا كقولك نزل فلان على رأي فلان قال الشاعر:

أنزلي الدهر على حكمه من شاق عالٍ إلى خفض

(٢) أي طوراً بعد طور لقوله ﷻ ﴿إِنْ أَحَدُكُمْ لِيَجْمَعْ خَلْقَهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر يكتب أربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد الحديث «مسلم».

(٣) هذه الجملة كالفضلكة والنتيجة لما سبق من ذكر آيات العلم والقدرة والرحمة الموجبة للألوهية الحق للرب الحق سبحانه وتعالى.

(٤) فأنى تصرفون الاستفهام للانكار مشوباً بالتعجب من حال انصرافهم عن الحق بعد ظهور أدلته وسطوع براهينه، عجا لكم كيف صرفتم وبناء الفعل للمجهول إشارة واضحة إلى أنهم يصرفون بقوى غير قواهم وهي قوى الشياطين التي تزين لهم الباطل وتبغض لهم الحق.

بما كنتم تعملون ﴿ أي فيخبركم بأعمالكم خفيها وجليها صغيرها وكبيرها ﴾ ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ ﴿ فضلاً عما كان عملاً ظاهراً غير باطن ويجزيكم بذلك الخير بمثله والشر بمثله . فهذا ربكم الحق والهمك الصدق فآمنوا به ووحدوه ولا تشركوا به وأطيعوه ولا تعصوه تنجوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة . ولا يهلك على الله إلا هالك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان آيات الله في الكون وإيرادها أدلة على التوحيد .
- ٢- بيان إفضال الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم .
- ٣- بيان أن الكفر أعجب من الإيمان إذ أدلة الإيمان لا تعد كثرة وأما الكفر فلا دليل عليه البتة ومع هذا أكثر الناس كافرون .
- ٤- بيان غنى الله تعالى عن خلقه واقتداره بالخلق إليه .
- ٥- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة وتقريرها .
- ٦- بيان إحاطة علم الله بالخلق وعلمه بأفعالهم وأحوالهم ظاهراً وباطناً .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ۚ أَنَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ ۚ ۝٩﴾

شرح الكلمات :

- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ : الإنسان أي المشرك .
 ضُرٌّ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه .

دعا ربه منيباً إليه : أي سأل ربّه كشف ما أصابه من ضرر راجعاً إليه معرضاً عن سواه .

إذا خوله نعمة منه : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضرر .
 نسي ما كان يدعو إليه من قبل : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله سبحانه وتعالى .
 وجعل الله أنداداً : أي شركاء .
 ليضل عن سبيله : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام .
 قل تمتع بكفرك قليلاً : أي قل يا نبينا لهذا الكافر الضال المضل تهديداً تمتع بكفرك بقية أجلك .

إنك من أصحاب النار : أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم .
 قانت آتاء الليل : أي مطيع لله آتاء الليل أي ساعات الليل ساجداً وقائماً في الصلاة .

إنما يتذكر أولوا الألباب : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد، فقال تعالى مخبراً عن حال المشرك بربه المتخذ له أنداداً يعبدها معه ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرَرٌ دَعَا رَبَّهُ مَنِيْبًا إِلَيْهِ﴾ أي سأل ربّه راجعاً إليه رافعاً إليه يديه يا رباه يا رباه سائلاً تفريج مابه وكشف ما نزل به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوْلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ نَّسِي مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ حتى إذا فرّج الله كربته ونجاه، ترك دعاء الله، وأقبل على عبادة غير الله، ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ أَندَادًا﴾ أي شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ نفسه وغيره . وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول له نياية عن الله تعالى قل يارسولنا لهذا المشرك الكافر تمتع بكفرك قليلاً أي مدة بقية عمرك إنك من أصحاب النار، هكذا هدده ربّه وخوفه بعاقبة أمر الشرك والتنديد لعله ينتهي فيتوب توبة صادقة ويرجع إلى الله رجوعاً حسناً

(١) الأناء جمع أنى مثل أمعاء ومعى وأقفاء وقفى والأنى الساعة .

(٢) الإنسان هنا اسم جنس دال على غير معين بل هو عام في كل مشرك بالله تعالى كافر به .

(٣) قوله اعطاه إذ التخويل الإعطاء والتملك دون قصد عوض مأخوذ من الخول وهو اسم للعبد والخدم وفي الحديث إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم «الحديث» .

(٤) اللام لام العاقبة، أي هولم يقصد إضلال نفسه .

(١) جميلاً. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية الثانية (٩) فيقول تعالى ﴿أَمِنْ هُوَ قَائِتٌ﴾ أي مطيع لله ورسوله في أمرهما ونهيهما ﴿أَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي ساعات الليل تراه ساجداً في صلاته أو قائماً يتلو آيات الله في صلاته، وفي نفس الوقت هو يحذر عذاب الآخرة ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربه وهي الجنة أن يجعله الله من أهلها أهذا خير أم ذلك الكافر الذي قيل له تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، والجواب معلوم للعقلاء وقوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ محاب الله ومكارهه وهم يعملون على الإتيان بمحاب الله تقرباً إليه، وعلى ترك مكارهه تحبباً إليه، هل يستوى هؤلاء العاملون مع الذين لا يعلمون ما يحب وما يكره فهم يتخبطون في الضلال تخبط الجاهلين؟ والجواب لا يستوون وإنما يتذكر بمثل هذا التوجيه الإلهي والإرشاد الرباني أصحاب الأبواب أي العقول السليمة الراجحة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٢- الكشف عن داخلية الإنسان قبل أن يؤمن ويُسلم وهو أنه إنسان متناقض لا خير فيه ولا رشد له، فلا يرشد ولا يكمل إلا بالإيمان والتوحيد.
- ٣- بشرى الضالين عن سبيل الله المضلين عنه بالنار.
- ٤- مقارنة بين القانت المطيع، والعاصي المضل المبين، وبين العالم والجاهل، وتقدير أفضلية المؤمن المطيع على الكافر العاصي. وأفضلية العالم بالله وبمحابه ومكارهه والجاهل بذلك.
- ٥- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه ولولا العمل بالعلم لاستويا في الخسة والانحطاط.

قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

(١) قرأ نافع آمن هو قانت بتخفيف الميم - وقرأ حفص آمن بتشديدها وجائز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر مقدر نحو آمن هو قانت أفضل أم من هو كافر وعلى قراءة التشديد فالهمزة للاستفهام وآمن كلمتان أم المعادلة أدغمت في من المبتدأ وجائز أن تكون أم منقطعة لمجرد الإضراب الانتقالي.

(٢) وهو أنهما لا يستويان بحال من الأحوال.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُوهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
 ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ
 وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

اتقوا ربكم : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى .

للمذين أحسنوا : أي أحسنوا العبادة .

حسنة : أي الجنة .

أرض الله واسعة : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم .

أمرت : أي أمرني ربي عز وجل .

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعبادة .

أول المسلمين : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها

عذاب يوم عظيم : أي عذاب يوم القيامة .

قل : أي يارسولنا للمشركين .

الله أعبد : أي لا أعبد معه سواه .

مخلصا له ديني : أي مفرداً إياه بطاعتي وانقيادي .

فاعبدوا ما شئتم : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم

من الأوثان فإنكم خاسرون .

خسروا أنفسهم : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار .

وأهلهم : أي الحور العين اللاتي كن لهم في الجنة لو آمنوا واتقوا بفعل الطاعات وترك المنهيات

ظلل من النار : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم .

ذلك : أي المذكور من عذاب النار.
يا عباد فاتقون : أي يا من أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون فلذلك اتقون بالإيمان والتقوى.

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات الخمس توجيهات وإرشادات ربانية للمؤمنين والرسول ﷺ ففي الآية الأولى (١٠) يأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين اتقوا ربكم أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وذلك بطاعته وطاعة رسوله ، ويُعلمهم معللاً أمره بإياهم بالتقوى بأن للذين أحسنوا الطاعة المطلوبة منهم الجنة ، كما يعلمهم أنهم إذا لم يقدروا على الطاعة بين المشركين فليهاجروا إلى أرض يتمكنون فيها من طاعة الله ورسوله فيقول ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي فهاجروا فيها ويشجعهم على الهجرة لأجل الطاعة فيقول ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ أي على الاغتراب والهجرة لأجل طاعة الله والرسول ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أي بلا كيل ولا وزن ولا عد وذلك لأنه فوق ذلك . وفي الآية الثانية (١١) والثالثة (١٢) يأمر تعالى رسوله موجهاً له بأن يقول للناس ﴿أني أمرت﴾ أي أمرني ربي أن أعبد الله باعتقاد وقول وفعل ما يأمرني به وترك ما ينهاني عنه من ذلك مخلصاً له الدين ، فلا اشرك في دين الله أحداً أي في عبادته أحداً ، كما أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة أي أول من يسلم قلبه وجوارحه الظاهرة والباطنة لله تعالى وفي الآيات الرابعة (١٣) والخامسة (١٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين إني أخاف إن عصيت ربي ، فرضيت بعبادة غيره وأقررتها عذاب يوم عظيم كما يأمره أن يقول الله أعبد أي الله وحده لا شريك له أعبد حال كوني مخلصاً له ديني . وأما انتم أيها المشركون إن أبيتم التوحيد فاعبدوا ما شئتم من آلهة دونه تعالى ويأمره أن يقول لهم إن الخاسرين بحق ليسوا أولئك الذين يخسرون دنياهم فيفقدون الدار والبعير أو المال والأهل والولد بل هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، وذلك

(١) وفسر بعضهم الصبر بالصوم حقاً الصوم من الصبر وحسب الصوم اجراً أن يقول الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به» . الا أن الآية عامة في الصبر في مواطنه الثلاث وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء . ومن ذلك الهجرة إلى دار الإسلام .

(٢) ذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ولا معنى لهذا النسخ إذ النسخ لا يكون في الأخبار . وإنما الآية من باب القرض والتقدير إذ الرسول معصوم ولا يعصي وإذا لا خوف عليه وإنما من باب طلب الهداية للآخرين قال له قل هذا .

(٣) الأمر هنا للتهديد والوعيد والتوبيخ وليس للإذن بعبادة غير الله إذ القرآن كله نزل ليعبد الله تعالى وحده ولا يعبد معه سواه فكيف يأذن بعبادة ما شاءوا من آلهة .

(٤) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما من أحد إلا وخلق الله له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله . وهو كذلك لقوله تعالى أولئك هم الوارثون أي يرث المسلم الكافر يرثه في أهله ومكانه في الجنة وسبب الإرث الإيمان والتقوى بإذن الله تعالى .

بتخليدهم في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور العين المعدة لهم في الجنة لو أنهم آمنوا واتقوا. إلا ذلك أي هذا هو الخسران المبين ثم يوضح ذلك الخسران بالحال التالية وهي أن لهم وهم في النار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل أي طبقات من فوقهم طبقة ومن تحتهم أخرى وكلها دخان ولهب وحر وأخيراً قوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الخسران وعذاب الظلل يخوف الله تعالى به عباده المؤمنين ليواصلوا طاعتهم وصبرهم عليها فينجوا من النار ويظفروا بالجنة وقوله يا عباد فاتقون أي يا عبادي المؤمنين فاتقون ولا تعصون يحذرهم تعالى نفسه، والله رءوف بالعباد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان عناية الله تعالى برسوله والمؤمنين إذ أرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم.
- ٢- وجوب التقوى والصبر على الأذى في ذلك.
- ٣- تقرير التوحيد بأن يعبد الله وحده.
- ٤- فضل الإسلام وشرف المسلمين.
- ٥- تقرير البعث والجزاء بيان شيء من أهوال الآخرة وعذاب النار فيها.
- ٦- كل خسران في الدنيا إذا قيس بخسران الآخرة لا يعد خسراناً أبداً.

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتُمْ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

والذين اجتنبوا الطاغوت^(١) أن : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله .
يعبدوها

وأنا بوا إلى الله : أي بالايمن به وعبادته وتوحيده فيها .
لهم البشرى : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور .
فيتبعون أحسنه : أي أوفاه وأكملة وأقربه إلى مرضاة الله تعالى .
أولوا الألباب : أي العقول السليمة .

أفمن حق عليه كلمة العذاب : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالى لأملأن جهنم .
أفأنت تنفذ من في النار : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها .
لكن الذين اتقوا ربهم : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك .
تجري من تحتها الأنهار : أي من خلال قصورها وأشجارها .
وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً فهو منجزه لهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار من عبدة الأوثان وأن لهم من فوقهم ظللاً من النار ومن تحتهم ظللاً ذكر تعال الذين اجتنبوا تلك الطواغيت فلم يعبدوها، وما أعد لهم من النعيم المقيم فجمع بذلك بين الترهيب والترغيب المطلوب لهداية البشر وإصلاحهم فقال عز وجل ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي أن يعبدوها وهي الأوثان وكل مازين الشيطان عبادته ودعا الناس إلى عبادته وأضافوا إلى اجتناب الطاغوت الإنابة إلى الله تعالى بعبادته وتوحيده فيها هؤلاء لهم البشرى وهي في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ويرونها عند نزول الموت وفي القبر وفي الحشر وكل هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ يأمر تعالى رسوله أن يبشر صنفاً من عباده بما بشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا بوا

(١) الطاغوت مصدر أو اسم مصدر فعله طغا وهل هو واوي أو يائي خلاف والأشهر أنه واوي نحو طغا طفواً كعلا يعلو علواً وقولهم الطغيان دال على أنه يائي وتأوه زائدة كما زيدت في رحمت وملكوت وقيل هو اسم أعجمي كجالت وطالت .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ (البقرة) ومن السنة قوله ﷺ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له في بيان قوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ من سورة يونس ومن القرآن ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فهذه عند الموت .

إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله فيتبعون أحسن ما يسمعون، ويتركون حسنه وسيئه معاً فهؤلاء لهم همم عالية ونفوس تواقه للخير والكمال شريفة فاستوجبوا بذلك البشري على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من رب العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ فحسبهم كمالاً أن اثنى تعالى عليهم . اللهم اجعلني منهم ومن سألت لي وله ذلك . وقوله ﴿أفمن﴾ حق عليه كلمة العذاب ﴿أي وجب له العذاب قضاءً وقدرًا فأسرف في الكفر والظلم والإجرام والعدوان كأبي جهل والعاص بن وائل فأحاطت به خطيئاته فكان من أصحاب النار فهل تستطيع أيها الرسول اتقاذه من النار وتخليصه منها؟ والجواب لا . إذا فهون على نفسك واركهم لشأنهم وما خلقوا له وحكم به عليهم . وقوله تعالى ﴿لكن الذين اتقوا﴾ فآمنوا وعملوا الصالحات لهم غرف في الجنة من فوقها غرف وهي العلية تكون فوق الغرفة تجري من تحتها الأنهار من تحت القصور والأشجار انهار الماء واللبن والعسل والخمر . وقوله ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تعالى بها وعداً حقاً فهو منجزه لهم إذ هو تعالى لا يخلف الميعاد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- كرامة زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي إذ هذه الآية تعنيهم فقد رفضوا عبادة الطاغوت في الجاهلية قبل الإسلام ثم أنابوا إلى ربهم فصدقت الآية عليهم .
- ٢- فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء .
- ٣- إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار أزلًا لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل .
- ٤- بيان ما أعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى من نعيم الجنة وكرامة الله لأهلها .

(١) جائز أن يراد بكلمة أحسن حسنه فهم يستمعون القول من قائله ويفهمونه فإن كان حقاً وهدى أخذوا به وإن كان باطلاً وضلالاً تركوه وابتعدوا عنه . فقد روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وجاءوا إلى أبي بكر حين أسلم فأخبرهم بإيمانه فأمنوا .
(٢) الاستفهام الأول والثاني كلاهما إنكاري ينكر الله تعالى على رسوله حزنه وألمه على عدم إيمان عمه أبي لهب وولده ومن لم يؤمن من قرابته ممن وجبت لهم النار في سابق علم الله فهم لا يؤمنون ، ولذا فرع عنه قوله أفانت تنقذ من في النار؟ إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك .

الْم تَرُ

أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرْتَهُ مُصْفَرَّائِمَ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٦١﴾
أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

فسلكه ينابيع في الأرض : أي أدخله في الأرض فصار جاريا تحتها ينبع منها فكان بذلك
ينابيع .

مختلفا ألوانه : أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر وأنواعه من بر وشعير
وذرة .

ثم يهيج فتراه مصفرا : أي يبس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرا .

ثم يجعله حطاما : أي فتاتا متكسرا .

إن في ذلك لذكرا : أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون حطاما
تذكيرا .

أفمن شرح الله صدره للإسلام : أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد .

فهو على نور من ربه : أي فهو يعيش في حياته على نور من ربه وهو معرفة الله
وشرائعه .

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر : ويل كلمة عذاب للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم يؤمن به الله ولم تعمل بما فيه .

أحسن الحديث كتاباً : هو القرآن الكريم .

متشابهاً : أي يشبه بعضه بعضاً في النظم والحسن وصحة المعاني .

مثنائي : أي ثنى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام .

تقشعر منه جلود الذين يخشون : أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر وعيده . ربهم

ثم تلين جلودهم وقلوبهم : أي تطمئن وتلين .

إلى ذكر الله : أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من نعيم مقيم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم تر﴾ هذه الآية الكريمة تقرر التوحيد والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم الإلهيين ، وهما مقتضيان لوجود الله أولاً ثم وجوب الإيمان به وبلقائه فقال تعالى مخاطباً رسوله ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ وهو المطر ^(١) ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ أي أدخله فيها وأخرجه منها ينابيع بواسطة حفر وبدونه ، ثم يخرج به زرعاً من قمح وشعير وذرة وغيرها مختلفاً ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر ﴿ثم يهيج﴾ حسب سنة الله تعالى في ذلك فيجف ﴿فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ أي فتاتا متكسراً كالتبن كل هذا يتم بقدرة الله وعلمه وتدبيره ففيه موعظة وذكرى لأولى القلوب الحية تهديهم إلى الإيمان بالله وبآياته ولقائه ، وما يستتبع ذلك من الطاعة والتوحيد وقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي وسع صدره وفسحه فقبل الإسلام ديناً فاعتقد عقائده وعمل بشرائعه فامتثل أوامره واجتنب نواهيه فهو يعيش على نور من ربه ومقابل هذا محذوف اكتفى بالأول عنه وتقديره كمن طبع الله على قلبه وجعل صدره حرجاً ضيقاً فلم يقبل الإسلام ولم يدخل فيه ، وعاش على الكفر والشرك والمعاصي فهو يعيش على ظلمة الكفر ودخن الذنوب

(١) تضمنت هذه الآية الكريمة مثالين زيادة على ما دلت عليه بظاهر كلماتها المثال الأول هو أن القرآن الكريم ينزل من عند الله فيحيى الله تعالى به القلوب الميتة فتحى وتشرق وتبلغ الكمال في الطهر والإشراق . والثاني هو أن حياة الإنسان تبتدىء بنطفة المني فتستقر في الرحم ثم تخرج طفلاً ثم يكبر فيصبح شاباً فكهلاً ثم يهرم ويهلك . والخطاب صالح لكل من له أهلية النظر .

(٢) شرح الصدر عبارة عن قبول الهدى والاستنارة به ، والاستفهام إنكاري ومن مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ضاق صدره بالكفر وغشيته ظلمته فهو لا يعي ولا يفهم ما يقال له وما يدعى إليه من الهدى والخير أي هل حالهما واحدة والجواب لا .

(١) وقوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ يتوعد الله تعالى بالعذاب أصحاب القلوب القاسية من سماع القرآن وهذه أسوأ حال العبد إذا كان يهلك بالدواء ويضل بالهدى فسماع القرآن الأصل فيه أن يلين القلوب الصالحة للحياة فإذا كانت القلوب ميتة غير قابلة للحياة سماع القرآن زادها موتاً وقسوة، ويدل على هذا قوله ﴿أَوَلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فهذا يتهم متعذرة إذا كان الدواء يزيد في علتهم وآيات الهداية تزيد في ضلالتهم. وقوله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول يوماً لرسول الله ﷺ حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿كُتِبَ فِي مِثْقَاتِ الْبُيُوتِ﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في حسن اللفظ وصحة المعاني ﴿مِثْقَاتٍ﴾ أي يثني فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص، ﴿تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي عند سماع آيات الوعيد فيه ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ إذا سمعوا آيات الوعد ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ إذا سمعوا حججه وأدلته وقوله ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته ويشهد له قوله تعالى من سورة الرعد ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي أنزله وجعله هادياً يهدي به من يشاء هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي. وقوله ﴿وَمَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ لما سبق في علم الله ولوجود مانع منع من هدايته كالإصرار والعناد والتقليد. فهذا ليس له من هاد يهديه بعد الله أبداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- مظاهر العلم والقدرة الإلهية الموجبة للإيمان به وبرسوله ولقائه .

(١) من بمعنى عن لتضمين المساواة في الإعراض والنفور إذ يقال اعرض عن كذا ونفر عنه وذكر الله هنا القرآن كما في التفسير.

(٢) ﴿أَوَلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لمن سأل عن قساوة قلوب المتوعدين بالويل فقبل له إنه ضلالهم الواضح المبين.

(٣) روي أن سعد بن أبي وقاص قال قال أصحاب رسول الله ﷺ يوماً لو حدثتنا فأنزل الله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ وهذا كما قالوا يوماً لو قصصت علينا فنزل : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ، وقولهم لو ذكرتنا فنزل : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ، وفي هذا دليل على أنه لا يليق بأمة القرآن أن تلهو بالتمثيلات والروايات وأندية اللهو اللب.

(٤) تقشعر أي تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد وتلين قلوبهم عند سماع آيات الرحمة وتطمئن إلى ذكر الله تعالى يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أنا أعلم متى يستجاب لي ، وذلك إذا اقشعر جلدي ، ووجل قلبي وفاضت عينا ي وهو مروي عن ثابت البناني وأم الدرداء أن الوجمل في القلب كاحتراق السعة .

- ٢- بيان أن القلوب قلبان قلب قابل للهداية وآخر غير قابل لها .
 ٣- بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل .
 ٤- فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين يتفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيده ، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده .

أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
 ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ : أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن آمن .
 سُوءَ الْعَذَابِ : أقساه وأشدّه .
 وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ : أي المشركين في جهنم .
 ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ : أي جزاء كسبكم الشر والفساد .
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي من قبل أهل مكة .
 فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ : أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه . أو من حيث لا يخطر
 بِبَالِهِمْ : لا يشعرون
 فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ : أي المسخ والذل والإهانة .
 وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ : أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا .
 يَعْلَمُونَ

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير البعث والجزاء فبقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سِوَى الْعَذَابِ﴾ يوم القيامة إذ ليس له ما يتقي به العذاب لأن يديه مغلولتان إلى عنقه فهو يتلقى العذاب بوجهه وهو أشرف أعضائه أفهذا الذي يتلقى العذاب بل سوء العذاب كمن أمن العذاب ودخل الجنة؟ والجواب لا يستويان . وقوله تعالى ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين وهم في النار يقول لهم زبانية جهنم توبيخاً لهم وتقريعاً ذوقوا ما كنتم تكسبون من أعمال الشرك والمعاصي هذا جزاؤه فذوقوه عذاباً أليماً . وقوله تعالى ﴿كَذِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كذب قبل أهل مكة أمم وشعوب كذبوا رسلهم فأذاقهم الله الحزني في الحياة الدنيا وذلك كالذل والمسخ والقتل والأسر والسبي وللعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وهم صائرون إليه لا محالة وقوله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كانوا يعلمون عنه علماً يقينياً ما كذبوا رسلهم ولا كفروا بربهم . فهلكوا بجهلهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث والجزاء بذكر شيء من أحوال يوم القيامة .
- ٢- تهديد قريش على إصرارها على التكذيب للرسول وما جاءها به من الإسلام .
- ٣- العذاب على التكذيب والمعاصي منه الديني ، ومنه الأخروي .
- ٤- لو علم الناس عذاب الآخرة علماً يقينياً ما كذبوا ولا كفروا ولا ظلموا فالجهل هو سبب الهلاك والشقاء دائماً .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي

هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

(١) قال عطاء وابن زيد يرمي مكتوفاً في النار فأول شيء تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر في النار على وجهه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم والاستفهام إنكارى وفي الكلام حذف تقديره كمن هو آمن في جنات النعيم .

(٢) الالتقاء مصدر ومعناه تكلف الوقاية وهي الصون والدفع وفعل اتقى يتعدى إلى مفعولين ويتعدى بالياء كما في قول الشاعر :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

(٣) للظالمين إظهار في محل إخبار إذ المفروض أن يقال وقيل لهم والنكتة التنديد بالشرك إذ هو الظلم وبيان العلة الموجبة لإلقاتهم في جهنم على وجوههم وهي الظلم الذي هو الشرك .

غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

ولقد ضربنا للناس في هذا : أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من الأمم
القرآن من كل مثل السابقة .

لعلهم يتذكرون : أي يتعظون فينزعجون عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى
الإيمان والتوحيد .

قرآنا عربيا غير ذي عوج : أي حال كون المثل المجمعول قرآنا عربيا لا لبس فيه ولا
اختلاف فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه .

متشاكسون : أي متنازعون لسوء أخلاقهم .

ورجلا سلما : أي خالصا سالما لرجل لا شركة فيه لأحد .

هل يستويان مثلا : الجواب لا الأول في تعب وحيرة والثاني في راحة وهدوء بال .

الحمد لله : أي على ظهور الحق وبطلان الباطل .

إنك ميت : أي مقضي عليك بالموت في وقته .

وانهم ميتون : أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم .

عند ربكم تختصمون : أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء فيحكم الله

بينكم .

فيما كنتم فيه تختلفون : أي من الشرك والتوحيد والإيمان والتكذيب .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾^(١) يخبر تعالى بما

(١) ضرب المثل ذكره والمثل الصفة الحسنة وللناس جنس الناس ويدخل فيه العرب أولا لأنه بلغتهم والناس تابعون لهم في ذلك .

من به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحها وفسادها ونجاتها وخسرانها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج^(١) فيه أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فعل ذلك لهم لعلهم يتذكرون أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون فينجون من العذاب ويسعدون. وقوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً^(٢) مسلماً لرجلٍ هل يستويان﴾ إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد إلا الله فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة والطباع الجافة فهم يتنازعونه هذا يقول له تعال والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد أمره ونأهيه واحد هل يستويان أي الرجلان والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم وقوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ أي الثناء بالجميل لله والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على أنه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

وقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ نزلت لما استبطأ المشركوت موت الرسول ﷺ أي لا شماتة في الموت إنك ستموت يارسولنا ويموتون. وقوله تعالى ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ أي مؤمنكم وكافركم قويكم وضعيفكم تقفون بين يدي الله ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين والدنيا معا.

(١) غير ذي عوج أي لا اختلاف فيه ولا تضاد ولا لحن فيه ولا شك قال الشاعر:

وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب

(٢) متشاكسون أي مختلفون أو متعاسرون يقال رجل شكس وشرس وضرس ويقال شاكسني فلان أي. ماكنسي وشاخني في

حقي.

(٣) قرأ الجمهور سلماً وقرأ غيرهم سالماً بمعنى خالصاً فمعنى القراءتين واحد وهو الخلوص لمالك واحد.

(٤) الاستفهام إنكاري أي لا يستويان، مثلاً منصوب على التمييز لنسبة يستويان أي في أي شيء ميز لي.

(٥) لما سلم الخصم بأنه لا يستوي الموحد والمشرك تعين حمد الله تعالى إذ لا يعقل أن يقول المرء باستواء الرجل الذي يشترك فيه عدة رجال والآخر الذي هو خالص لرجل واحد، فكذلك الذي يعبد إلهاً واحداً لا يستوي مع من يعبد آلهة متعددة.

(٦) قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون. والميت بالتشديد من هو صائر إلى الموت والميت بسكون الياء من فارقه الحياة،

في هذه الآية نعي لكل إنسان بالموت إذ أن رجلاً نعي لرجل أخاه ووجده يأكل فقال له كل فقد نعي إلي أخي من قبلك فقال

وكيف وأنا أول من نعاه فقال له قد نعاه الله إلئى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية ضرب الأمثال للمبالغة في الإفهام والهداية لمن يراد هدايته .
- ٢- بيان مثل المشرك والموحد ، فالمشرك في حيرة وتعب ، والموحد في راحة وهدوء بال .
- ٣- تقرير أن كل نفس ذائقة الموت .
- ٤- بيان أن خصومة ستكون يوم القيامة ويقضي الله تعالى فيها بالحق لأنه هو الحق .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
 إِذْ جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٣) وَالَّذِي
 جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن كذب على الله؟ : أي بأن نسب إليه ما هو برىء منه كالزواج والولد والشريك .
 وكذب بالصدق إذ جاءه؟ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء .
 مثنى للكافرين : أي مأوى، ومكان إقامة ونزول
 والذي جاء بالصدق وصدق به : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول
 الله .

أولئك هم المتقون : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي .
 ذلك جزاء المحسنين : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم .
 ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا: أي ييسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم ذنوبهم .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عباده منذراً محذراً بأنه لا أظلم من أحد كذب على الله . فقال عنه ما لم يقل
 أو حرم ولم يحرم أو أذن ولم يأذن، أو شرع ولم يشرع، أو كذب بالصدق وهو القرآن والنبي
 وما جاء به من الهدى ودين الحق أي فلا أحد أظلم ممن كان هذا حاله كذب على الله وكذب
 بالصدق .

وقوله تعالى : ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾؟ هذا بيان لجزاء الكاذبين والمكذبين
 وهم الكافرون بسبب كذبهم على الله وتكذيبهم له فيخبر تعالى مقررًا أن جزاءهم الإقامة

(١) الاستفهام تقريرى والمثوى مكان الإقامة وهو مصدر ثوى بالمكان يثوى ثواء وثوىاً مثل مضى يمضي مضاً ومضياً .

(١)

الدائمة في جهنم . وقوله تعالى : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به ، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أولاً رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين .^(٢)

وقوله تعالى : ﴿أولئك هم المتقون﴾ يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي ، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد ، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه .

وقوله : ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ أي ذلك المذكور في قوله لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى : ﴿ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئات أي وفقهم للإحسان ويسره لهم ، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئته ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضاً وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به ، وبما جاء به رسوله ﷺ من الدين .
- ٢ - بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذابين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين .

(١) والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون . وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو «من» لدلالة السياق عليه .

(٢) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر ، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من أو إذ لا يكون من جاء بالصدق هو المصدق به .

(٣) الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة .

(٤) في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم . وفي الحديث الصحيح «الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» .

٣ - الترغيب في الصدق في الاعتقادات والأقوال والأعمال .

٤ - فضل التقوى والإحسان وبيان جزائهما عند الله تعالى يوم القيامة .

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ
 أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا
 عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

أليس الله بكاف عبده؟ : بلى هو كاف عبده ورسوله محمداً ﷺ كل ما يهمله .

ويخوفونك بالذين من دونه: أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك ويضررك .

أليس الله بعزيز ذي انتقام : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من عاداه .

ليقولن الله : أي لوضح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة .

قل أفرأيتم : أي أخبروني .

هل من ممسكات رحمته : والجواب لا لا إذا فقل حسبي الله ، ولا حاجة لي بغيره .
 اعملوا على مكائتكم : أي على حالتكم التي أنتم من الكفر والعناد .
 إني عامل : أي على حالتي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد .
 من يأتيه عذاب يخزيه : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط .
 ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح وهو عذاب النار بعد الموت .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الدفاع عن الرسول والرد على مناوئيه وخصومه الذين استبطأوا موته فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ فلا شماتة إذاً في الموت وقوله : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ دال على أن القوم حاولوا قتله ﷺ لما لم يمت بأجله وفعلاً قد قرروا قتله وأعطوا الجوائز لمن يقتله ، ففي هذه الآية طمأن الله رسوله على أنهم لا يصلون إليه وأنه كافيه مؤامراتهم وتهديداتهم فقال عز وجل أليس الله بكاف عبده ؟ والجواب بلى إذ الاستفهام تقريرى كافيه كَلَّ ما يهيمه ويسوءه وقوله : ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ أي ويخوفك يارسولنا المشركون بما يعبدون من دوننا من أصنام وأوثان بأن تصيبك بقتل أو خيل فلا يهملك ذلك فإن أوثانهم لا تضر ولا تنفع ولا تجلب ولا تدفع ، وقوله : ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾ ، وقد هداك ربك فليس لك من يضلك أبداً ، كما أن من أضله الله كقومك فليس له من هاد يهديه أبداً . وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴾ بلى فهو إذاً سينتقم من أعدائه لأوليائه ان استمروا في أذاهم وكفرهم وعنادهم ، وقد فعل سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ﴾ أي أوجدهما من غير مثال سابق ﴿ ليقولن الله ﴾ فما دام اعترافهم لازماً بأن الله تعالى هو الخالق فلم عبادة غيره والإصرار عليها مما أفضى بهم إلى أذية المؤمنين وشن الحرب عليهم . وقوله : ﴿ قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ﴾ أي من الأصنام والأوثان أخبروني ﴿ إن أرادني الله بضير ﴾ ما ﴿ هل هن كاشفات ضره أو أراداني برحمته ﴾ صحة وعافية وغنى ونصر ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ والجواب لا فإنها جماد لا تقدر

(١) الاستفهام للتقرير ، وحذفت ياء كاف لأنه اسم منقوص وترد في الوقف جوازا وقرأ الجمهور عبده وقرأ غيرهم عباده ليدخل المؤمنون معه ﷺ .

(٢) هذا شاهده قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام وكيف أخاف ما أشركتم فإنهم خوفوه بآلهتهم فأنكر عليهم ذلك وعابهم بعدم الخوف من الله تعالى .

(٣) الاستفهام تقريرى والجملة تحمل الوعيد الشديد للمشركين الكائدين الماكرين بالرسول ﷺ والمؤمنين والانتقام المكافاة بالشر على الشر وهو مشتق من النقم الذي هو الغضب .

(٤) قال مقاتل فسألهم رسول الله ﷺ فسكتوا وقال بعضهم لا تدفع شيئاً ولكنها تشفع !!

على إعطاء ولا على إمساك إذا فقل حسبي الله أعبدته وأتوكل عليه إذ هو الذي يضر وينفع ويجلب الخير ويدفع السوء والشر. وقوله ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي على الله وحده يتوكل المتوكلون فيثقون في كفايته لهم فيفوضون أمورهم إليه ويتعلقون به. وينفضون أيديهم من غيره.

وقوله تعالى: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي لما أبيتم إلا العناد مصرين على الشرك بعد ما قامت الحجج والأدلة القاطعة على بطلانه فاعملوا على مكانتكم أي حالتكم التي عليها من الشرك والعناد ﴿إني عامل﴾ أنا على حالتي من الإيمان والتوحيد والانقياد. والنتيجة ستظهر فيما بعد لا محالة ويعلم المحق من المبطل، والمُهتدي من الضال وهي قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي يذله ويكسر أنفه بالقتل والأسر والجوع والقحط وقد أصاب المشركين هذا في مكة وبدر. وقوله: ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ وهو عذاب النار في الآخرة نعوذ بالله من العذابين عذاب الخزي في الحياة الدنيا وعذاب النار في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير كفاية الله وولايته لعباده المؤمنين وخاصة ساداتهم من الأنبياء والأولياء.
- ٢ - تقرير مقتضى الولاية وهو النعمة من أعدائه تعالى لأوليائه وإن طال الزمن.
- ٣ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد.
- ٤ - مظاهر ربوبية الله الموجبة لألوهيته.
- ٥ - وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه.
- ٦ - تقرير إنجاز الله وعده لرسوله والمؤمنين.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بَوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي

(١) (من) استفهامية علقت فعل تعلمون عن العمل في مفعوله.

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ
قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآيِمِلِينَ شَيْعَاءَ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق : أي أنزلنا عليك يا رسولنا القرآن بالحق أي ملتبساً به .
وما أنت عليهم بوكيل : أي ليس عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان
الله يتوفى الأنفس حين موتها : أي ينهى حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم .
والتي لم تمت في منامها : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء
مقبوض .

فيمسك التي قضى عليها الموت : أي يقبضها لحكمة بالموت عليها حال النوم .
ويرسل الأخرى إلى أجل : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية
أجله المحدود له .
مسمى

إن في ذلك لآيات لقوم : أي في قبض الأرواح وإرسالها، والقدرة على ذلك دلائل
يتفكرون : وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره
المشركون .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ : أَي أَنْ كَفَّارِ مَكَّةَ لَا يَتَفَكَّرُونَ وَلَوْ كَانُوا يَتَفَكَّرُونَ لَمَا انْتَكَرُوا
الْبَعْثَ ، وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ لَوْضُوحَ بَطْلَانِ ذَلِكَ .
قُلْ أُولُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً : أَي قُلْ لَهُمْ أَشْفَعُ لَكُمْ شُرَكَاءُكُمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً
يَنْتَكِرُ عَلَيْهِمْ دَعْوَاهُمْ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ وَهِيَ أَصْنَامٌ لَا تَمْلِكُ وَلَا
تَعْقِلُ .

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً : أَي أَخْبِرْهُمْ أَنَّ جَمِيعَ الشَّفَاعَاتِ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَشَفَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ
وَالشَّهَدَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَطْفَالِ مَمْلُوكَةٌ لِلَّهِ فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .
وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ : أَي وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لَا إِلَّا إِلَّا اللَّهُ نَفَرَتْ
نَفُوسُ الْمُشْرِكِينَ وَانْقَبَضَتْ وَظَهَرَ الْغَضَبُ وَالسَّخَطُ فِي
وُجُوهِهِمْ .

وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ : أَي الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى .
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ : أَي فَرَحُونَ جَذَلُونَ وَذَلِكَ لِافْتِنَانِهِمْ بِهَا وَنَسْيَانِهِمْ لِحَقِّ اللَّهِ
تَعَالَى وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ مُقَابِلَ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ لَهُمْ .

معنى الآيات :

إِنَّ السِّيَاقَ الْكَرِيمَ كَانَ فِي عَرْضِ الصَّرَاحِ الدَّائِرِ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ فِدَافِعَ اللَّهِ
تَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ وَدَفَعَ عَنْهُ كُلَّ أَذَى وَمَكْرُوهِ وَتَوَعَّدَ خُصُومَهُ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَذَا يَسْلِيهِ
وَيُصْبِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أَي الْقُرْآنَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ أَي لِهَدَايَةِ النَّاسِ وَاصْلَاحِهِمْ
﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي مُلْتَبَساً بِالْحَقِّ ، فَمَنْ اهْتَدَى بِالْقُرْآنِ فَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَانَدَ ذَلِكَ لَهُ حَيْثُ يَنْجُو
مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ ضَلَّ لِعَدَمِ قَبُولِهِ هَدَايَةَ الْقُرْآنِ فَأَصْرَعَ عَلَى الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي فَإِنَّمَا
يُضِلُّ عَلَى نَفْسِهِ أَي عَائِدٌ ضَلَالَهُ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ هُوَ الَّذِي يَحْرِمُ الْجَنَّةَ وَرَضَا اللَّهُ تَعَالَى وَيُلْقَى
فِي النَّارِ خَالِداً فِيهَا وَعَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَفَارِقُهُ أَبَداً .

وقوله : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أَي لَمْ يُوَكَّلْ إِلَيْكَ أَمْرُ هَدَايَتِهِمْ فَتَجِدُ نَفْسَكَ فِي هَمٍّ مِنْ
ذَلِكَ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ إِنَّكَ لَمْ تَكَلَّفْ حِفْظَ أَعْمَالِهِمْ وَمَحَاسِبَتِهِمْ عَلَيْهَا ، وَلَا أَمْرَ
هَدَايَتِهِمْ فَتَجِيرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

(١) فِي الْآيَةِ مَزِيدٌ بَيَانٌ شَرَفَهُ ﷺ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ عَلَيْهِ وَتَقْرِيرِ رِسَالَتِهِ ، وَاللَّامُ فِي النَّاسِ لِلتَّلْعِيلِ وَالْبَاءُ فِي الْحَقِّ لِلْمَلَابَسَةِ .
وَفِي الْكَلَامِ مُحَذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ لِنَفْعِ النَّاسِ وَهَدَايَتِهِمْ بِقُرْيَانِهِ قَوْلُهُ بَعْدَ «فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» .

وقوله تعالى: في الآية الثانية من هذا السياق (٤٢) ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أي يقبض أرواحها ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي عند نهاية أجلها فيأمر تعالى ملك الموت فيخرج الروح بإذن الله ويقبضها، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي يقبضها بمعنى يجبسها عن التصرف، حال النوم، فإن أراد موتها قبضها ولم يردها إلى جسدها، وإن لم يرد وفاتها أرسلها فتعود إلى الجسد ويعيش صاحبها إلى الأجل المسمى له وهي نهاية عمره إن في ذلك القبض للروح والإرسال، والوفاة والإحياء آيات إلهية دلائل وحجج كلها قاضية بأن القادر على هذا قادر على البعث والنشور الذي كذب به المشركون كما أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو صاحب الحق المطلق في الطاعة والعبادة ولا تنبغي العبادة إلا له. وقوله ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهم الأحياء بالإيمان أما الأموات وهم الكافرون فلا يجدون في ذلك آية ولا دليلاً وذلك لموتهم بالشرك والكفر.

وقوله تعالى: في الآية الثالثة (٤٣) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي بل اتخذ المشركون الذين كان المفروض فيهم أن يهتدوا على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لو كانوا يتفكرون بدل أن يهتدوا إلى توحيد الله اتخذوا من دونه أوثاناً سموها شفعاء يرجون شفاعتها لدى الله في قضاء حوائجهم. وذلك لجهلهم وسخف عقولهم. قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي قل لهم اشفعون لكم ولو كانوا لا يملكون شيئاً من أسباب الشفاعة ومقتضياتها ولو كانوا لا يعقلون معنى الشفاعة ولا يفهمونه لأنهم أصنام وأحجار والاستفهام للتبكيث والتقريع. لو كان القوم يشعرون. ثم أمر تعالى رسوله أن يعلن عن الحقيقة وإن كانت عند المشركين مرة ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ أي جميع أنواع الشفاعة هي ملك لله مختصة به فلا يشفع أحد إلا بإذنه، إذا فاطلبوا الشفاعة من مالكها الذي له ملك السموات والأرض، لا ممن هو مملوك له، ولا يعقل حتى معنى الشفاعة ولا يفهمها وقوله ثم

(١) المراد بالأنفس الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات ويطلق على الروح قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه فما رآته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رآته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها فلحقها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

(٢) شاهد هذا من السنة حديث الصحيحين وفيه قوله ﷺ إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينبض بداخله إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. والشاهد في إمساك الروح في المنام وإرسالها.

(٣) أم هذه هي المنقطعة وهي للإضراب الانتقالي وهو انتقال من تشيع شركهم إلى إبطال معاذيرهم في شركهم.

إليه ترجعون أي بعد الموت أحببتم أم كرهتم؟ فاتخذوا لكم يداً عنده بالإيمان به وتوحيده في عبادته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هذا كشف عن حال المشركين، وما هم عليه من الجهل والسفه إنهم إذا سمعوا لا إله إلا الله ينفرون وينقبضون ويظهر ذلك غضباً في وجوههم، يكادون يسطون على من قال لا إله إلا الله، وإذا ذكر الذين من دونه أي وإذا ذكر الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم يستبشرون فرحون مسرورون، وهذا عائد إلى افتنانهم بأصنامهم، ونسيانهم لحقوق ربهم عليهم وهي الإيمان به وعبادته وحده مقابل ما خلقهم ورزقهم ودبر حياتهم، ولكن أنى لأهل ظلمة النفس وانتكاس القلب أن يعوا ويفهموا؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف.
- ٢ - مظاهر قدرة الله في الموت والحياة مما يقتضي الإيمان به ويلقائه وتوحيده.
- ٣ - إبطال حجة المشركين في عبادة الأوثان من أجل الشفاعة لهم إذ الشفاعة كلها لله.
- ٤ - بيان خطأ من يطلب الشفاعة من غير الله، إذ لا يملك الشفاعة إلا هو^(١).
- ٥ - بيان سفه المشركين وضلالهم في غضبهم عند سماع التوحيد، وفرحهم عند سماع الشرك.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ

فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُم مِّنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

وَبَدَأَهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الشفاعة أمر معنوي فملكها معناه تحصيل إجابتها إذ الأمور المعنوية لا تملك.

شرح الكلمات :

قل اللهم فاطر السموات والأرض : قل يانبيينا : يا الله ياخالق السماوات والأرض .
عالم الغيب والشهادة : أي ياعالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار والحواس
والشهادة خلاف الغيب .

فيما كانوا فيه يختلفون : أي من أمور الدين عقائد وعبادات .
ولو أن للذين ظلموا : أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي .
وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون : أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنون .
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قل اللهم ﴾ ^(١) هذا إرشاد من الله تعالى لرسوله أن يفزع إليه بالدعاء والضرعة
إذ استحکم الخلاف بينه وبين خصومه وضاق الصدر أي قل يارسلنا يا الله ﴿ فاطر السموات
والأرض ﴾ أي خالقها ، ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي ما غاب عن الأبصار والحواس فلم
يُدرک ، والشهادة وهو مارؤي بالأبصار وأدرک بالحواس ﴿ أنت تحكم بين عبادك ﴾ مؤمنهم
وكافرهم ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من الإيمان بك وبلقائك وصفاتك وعبادتك ووعدك
ووعيدك اهذني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
وقوله تعالى : ولو أن للذين ظلموا أي أنفسهم بالشرك وهو الظلم العظيم وبغشيان المعاصي
والذنوب لو أن لهم عند معاينة العذاب يوم القيامة ما في الأرض جميعا من أموال ونفائسها ومثله
معه وقبل منهم الفداء لافتدوا به من سوء العذاب ، ولما ترددوا أبداً وهذا دال على شدة العذاب
وأنه لا يطاق ولا يحتمل مع حرمانهم من الجنة ونعيمها .

وقوله تعالى : ﴿ وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ^(٢) أي وظهر لهم أي لأولئك الذين إذا ذكر
الله وحده اشمأزت قلوبهم وإذا ذكرت الأصنام فرحوا بذلك واستبشروا وبدا لهم من ألوان
العذاب ما لم يكونوا يظنون ولا يحتسبون . وقوله تعالى : ﴿ وبدا لهم سيئات ماكبوا ﴾ ^(٣) أي من

(١) رواه مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يستفتح به صلاته من الليل وروي عن سعيد بن جبير أنه قال إني لأعرف آية
ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه قوله ﴿ قل اللهم فاطر السموات ﴾ . الخ .

(٢) روي أن محمد ابن المنذر جزع عند موته جزعا شديداً وقيل له ما هذا الجزع ؟ قال : أخاف آية من كتاب الله ﴿ وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

(٣) السيئات جمع سيئة وهو وصف أضيف إلى موصوفه وهو الموصول ﴿ ماكبوا ﴾ أي مكسوباتهم السيئات وتأنيشها باعتبار
شهرة إطلاق السيئة على الفعل القبيحة .

الشرك والكفر والفسق والعصيان أي ظهر لهم وتجلى أمامهم فاشتد كربهم وعظم الأمر عندهم، وحق بهم ما كانوا به يستهزئون أي أحاط بهم وحق عليهم العذاب الذي كانوا إذا ذكر لهم وعيداً وتخويفاً استهزأوا به وسخروا منه ومن يذكروهم به ويخوفهم منه كالرسول ﷺ والمؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء وهو «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» إذ ثبتت السنة به .

والآية ذكرت أصله .

٢ - بيان عظم العذاب وشدته يوم القيامة وأن المرء لو يقبل منه فداء لا فتدى منه بما في الأرض من أموال ومثله معه .

٣ - التحذير من الاستهزاء بأخبار الله تعالى ووعدته ووعيده .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ
نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

فإذا مس الإنسان ضرر دعانا : أي أصاب الإنسان الكافر ضرر أي مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضرره .

ثم إذا خولناه نعمة منا : ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما . قال أي ذلك الكافر إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأنني استحقته

بل هي فتنة : أي تلك النعمة لم يعطها لأهل بيته لها، وإنما أعطاها فتنة واختباراً له .

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن ما أعطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس لرضا الله تعالى عنهم .

قد قالها الذين من قبلهم : أي قال قولتهم من كان قبلهم كفارون فلم يلبثوا أن أخذوا فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم : أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي من كفار قريش . سيئات ما كسبوا^(١) : أي كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر .

وما هم بمعجزين : أي فائتين الله تعالى ولا غالبين له .

أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق : أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله ييسط الرزق . لمن يشاء ويقدر : أي يوسع له لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء .

إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحاناً والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمر خلقه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان حيرة المشركين وفساد قلوبهم نتيجة كفرهم وجهلهم فقوله تعالى :

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي .

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ يعني ذاك الكافر الذي إذا ذكر الله وحده اشمأزَّت نفسه وإذا ذكرت الأوثان سرُّ وفرح واستبشر هذا الإنسان إذا مسَّه ضرٌّ من مرض أو غيره مما يضر ولا يسر دعا ربَّه منيئاً إليه ولم يشرك معه في هذه الحال أحداً لعلمه أن الأوثان لا تكشف ضرراً ولا تعطي خيراً، وإذا خوله الله تعالى نعمة من فضله ابتلاء له قال إنما أوتيت الذي أوتيت على علم من الله بأنني أهل لذلك^(١)، فأكذبه الله تعالى فقال بل هي فتنة، ولكن أكثرهم أي أكثر المشركين لا يعلمون أن الله تعالى إذا أعطاهم إنما أعطاهم ليفتنهم لا لحبه لهم ولا لرضاً عنهم. والدليل على أن ذلك العطاء للمشركين فتنة لا غير أن قولتهم هذه قد قالها الذين من قبلهم كفارون وغيره فلم يلبثوا حتى أخذهم الله بذنوبهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من أموال طائلة، قال تعالى: فأصابهم سيئات ما كسبوا فلم يؤخّذوا بدون ذنب بل أخذوا بذنوبهم وهو قوله تعالى فأصابهم سيئات^(٢) ما كسبوا وقوله تعالى والذين ظلموا من هؤلاء أي من كفار قريش سيصيبهم أيضاً سيئات ما كسبوا من الشرك والعناد والظلم، وماهم بمعجزين لله فائتيه أبداً وكيف وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا وأسروا في بدر والفتح.

وقوله تعالى أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي أقالوا مقاتلتهم تلك ولم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط فلم يكن بسطه الرزق حياً في المبسوط له، ولا التضيق كرهاً للمضيق عليه، وإنما البسط كالتضييق لحكمة التربية والتدبير، ولكن الكافرين لا يعلمون هذا فجعلهم بالحكم جعلهم يقولون الباطل ويعتقدونه أما المؤمنون فلا يقولون مقاتلتهم لعلمهم ونور قلوبهم فلذا هم يجدون الآيات في مثل هذا التدبير واضحة دالة على علم الله وحكمته وقدرته فيزدادون إيماناً ونوراً وبصيرة.

هداية الآيات :

١ - بيان تناقض أهل الكفر والجهل والضلال في كل حياتهم لأنهم يعيشون على ظلمة الجهل

(١) في هذه الآية بيان حقيقة وهي أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله رباً فهم أفضل من كفار البلاشفة الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله تعالى كما أن كفار قريش أحسن حالاً من بعض جهال المسلمين اليوم إذ يخلصون الدعاء لله في الشدة وجهال المسلمين يشركون في الرخاء والشدة معاً وذلك بدعائهم الأولياء والأموات والاستغاثة بهم في كل حال.

(٢) قال بعضهم على علم أي بوجوه الكسب وطرق تنمية المال وتكثيره حتى لا يحمده الله ولا يشكره ولا منافاة بين هذا وما في التفسير إذ بعضهم يقول هذا وبعض يقول ذاك.

(٣) أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

(٤) الاستفهام إنكاري ينكر تعالى عليهم انتفاء علمهم بذلك لأنهم تسببوا في انتفاء العلم فلذا تضمن الاستفهام توبيخاً لهم.

والكفر.

(١)

٢ - تقرير ما من مصيبة إلا بذنب جلي أو خفي كبير أو صغير.

٣ - بيان أن بسط الرزق وتضييقه على الأفراد أو الجماعات لا يعود إلى حُب الله للعبد أو كرهه له، وإنما يعود لسنن التربية الإلهية وحكم التدبير لشؤون الخلق.

٤ - أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالآيات والدلائل لأنهم أحياء يبصرون ويعقلون أما أهل الكفر فهم أموات لا يرون الآيات ولا يعقلونها.

٥ - تهديد الله تعالى للظالمين ووعيده الشديد بأنه سيصيبهم كما أصاب غيرهم جزاء ظلمهم وكسبهم الفاسد.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾
 ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءٍ إِلَيْكَ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

(١) شاهذه قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ الآية من الشورى وقوله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو عنه أكثره رواه ابن أبي حاتم . قال لما نزلت هذه الآية قاله رسول الله ﷺ .

شرح الكلمات:

يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.
 لا تقنطوا من رحمة الله: أي لا تياسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة.
 إن الله يغفر الذنوب جميعاً: أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحاً
 وأنيبوا إلى ربكم: أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة.
 وأسلموا له: أي أخلصوا له أعمالكم.
 واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من: أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه.
 ربكم
 أن تقول نفس يا حسرتي: أي نفس الكافر والمجرم يا حسرتي أي ياندامتي.
 على ما فرطت في جنب الله: أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيره.
 وإن كنت لمن الساخرين: أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين.
 لو أن لي كرة فأكون من المحسنين: أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذاً من المؤمنين الذين أحسنوا
 القصد والعمل.
 بلى قد جاءتك آياتي: أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنى الهداية بل قد جاءتك آياتي
 فكذبت بها واستكبرت.

معنى الآيات: ^(١)

لقد صح أن أناساً كانوا قد أشركوا وقتلوا وزنوا فكبر عليهم ذلك وقالوا نبعث إلى رسول الله ﷺ من يسأله لنا هل لنا من توبة فإن قال: نعم، وإلا بقينا على ما نحن عليه وقبل أن يصل رسولهم نزلت هذه الآية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي أفرطوا في ارتكاب الجرائم فكانوا بذلك مسرفين على أنفسهم ﴿لا تقنطوا﴾ أي لا تياسوا ﴿من رحمة الله﴾ في أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة، إن أنتم تبتم إليه وأنبتم ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ لمن تاب منها فإنه تعالى لا يستعصي عليه ذنب فلا يقدر على مغفرته وعدم المؤاخذه عليه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) لقد ذكر لسبب نزول هذه الآية عدة مناسبات وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا حاجة إلى ذكرها وما في التفسير كافٍ وهو ما تضمنته رواية البخاري.

(٢) قوله تعالى ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ تعليل للنهي عن اليأس والقنوط من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي أيها المذنبون المسرفون أنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا إلى طاعته بفعل المأمور وترك المنهي وأسلموا له أي اخلصوا أعمالكم ظاهراً وباطناً له مبادرين بذلك حلول العذاب قبل أن يحل بكم ثم لا تنصرون أي لا تقدرّون على منعه منكم ولا دفعه عنكم.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في هذا القرآن العظيم فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي وخذوا بالعزائم واتركوا الرخص مبادرين بذلك أيضاً حلول العذاب قبل أن يحل بكم بغتة أي فجأة وأنتم لا تشعرون به، بادروا بالتوبة والإنابة والإسلام الصادق ظرفاً تقول فيه النفس يا حسرتاً على ما فرطت في جنب الله أي يا حسرتي ياندامتى الحاملة لي الغم والحزن احضري هذا وقت حضورك على تفريطي في جانب حق الله تعالى حيث ما عبدته حق عبادته فلا ذكرته ولا شكرت له ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين ياله من اعتراف يودي بصاحبه في سواء الجحيم، بادروا يا عباد الله هذا وذاك ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة﴾ أي رجعة إلى الحياة الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ أي المؤمنين الذين أحسنوا النية والقصد والعمل. قال تعالى: راداً على تمنياتهم الكاذبة ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما زعمت أيها المتمني بقولك ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ للشرك والمعاصي التي وقعت بها في جهنم بل جاءتك آياتي هادية لك مرشدة فكذبت بها واستكبرت عن العمل بما جاء فيها وكنت من الكافرين بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.
- ٢ - دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين - بالإنابة إليه والإسلام الخالص له.
- ٣ - تقرير البعث والجزاء بذكر ما يحدث فيه وما يجري في ساحته من أهوال.

(١) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل بإلى.

(٢) النصر: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.

(٣) الحسرة: الندامة الشديدة والألف في (يا حسرتاً) عوض عن ياء المتكلم.

(٤) قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به، وقال أبو عبيدة أي في ثواب الله وما في

التفسير جامع شامل والجنب والجانب بمعنى واحد.

(٥) هذه كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي للخوارج لما قالوا لا حكم إلا لله.

(٦) الكرة: الرجعة ولو للتمني فهي وليت سواء.

- ٤ - وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً .
- ٥ - الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة .
- ٦ - إبطال مذهب الجبرية الذين يرون أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب ، كقول أحدهم لو أن الله هداني لفعلت كذا أو تركت كذا .
- ٧ - فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين .

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرِ اللَّهُ تَأْمُرُوفِيْ أَعْبُدُ أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ
 فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

- ويوم القيامة : أي بأن يبعث الناس من قبورهم .
- ترى الذين كذبوا على الله : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه سبحانه وتعالى .

وجوههم مسودة : أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم .

أليس في جهنم مثوى للمتكبرين : أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى إن لهم فيها لمثوى بشس هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى .

وينجي الله الذين اتقوا : أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي .

بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون : أي يفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم السوء أي العذاب ولا هم يحزنون لما نالهم من النعيم .

له مقاليد السموات والأرض : أي مفاتيح خزائن السموات والأرض .

أولئك هم الخاسرون : أي الخاسرون لأنفسهم وأهلهم يوم القيامة .

قل أفغير الله تأمروني أعبد : قل يارسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم آلهتهم أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون .

لئن أشركت : أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته لحبط عملك ولكنت من الخاسرين .

بل الله فاعبد وكن من الشاكرين : أي بل أعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلا هو وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية .

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق الأمر بتعجيل التوبة قبل الموت فيحصل الفوت، وذلك لأن يوم القيامة يوم أهوال وتغير أحوال وفي الآيتين الآتيتين بيان ذلك قال تعالى : ﴿يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾^(١) بأن نسبوا إليه الولد والشريك والتحليل والتحريم وهو من ذلك براء هؤلاء ﴿وجوههم مسودة﴾^(٢) علامة أنهم كفروا وكذبوا وأنهم من أهل النار .

(١) هم الذين نسبوا إليه ما هو منزعه عنه كالشريك والصاحبة والولد، ويدخل في هذا كل من نسب إلى الله تعالى صفة لا دليل له فيها، وكذا من شرع شيئاً ونسبه إلى الله تعالى ليقبل منه ويروج، ولا يدخل أهل الاجتهاد إذا اخطأوا في الأدلة والحكم المقيس الذي لا نص فيه ولا يجوز أن يقال فيه قال الله أو أمر أو شرع تحاشياً من النسبة إلى الله تعالى بغير نص من كتاب أو سنة .

(٢) جملة وجوههم مسودة مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، لأن الرؤيا بصرية وليست قلبية .

وقوله تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾^(١) أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله أي تلك حال وهذه أخرى وهي أن الله تعالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء بفوزهم بالجنة لا يمسهم السوء في عرصات القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ما تركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلاً عن أن تجب لسواه.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾^(٢) أي له ملكاً حقاً مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلا يصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الذي يقدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ماعبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسراً مبيناً بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا ردٌ على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بالهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ لن يكون هذا مني أبداً كيف أعبد غير الله وهو

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً والاستفهام للتقرير.

(٢) التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاطف على غيره لأنه يعد نفسه عظيماً وفي التنديد به من حديث مسلم «إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

(٣) المقاليد جمع إقليد وجمع على غير قياس والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزرع وضروع ومعادن وغيرها.

(٤) غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف إن مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

(٥) قرأ نافع تأمرون بنون واحدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تقرير لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.

ربي ومالك أمري وهو الذي كرمني بالعلم به وأوحى إليَّ شرائعه . فلتياسوا فإن مثل هذا لن يكون أبداً، ووصفهم بالجهل لأن جهلهم^(١) بالله وعظمته هو الذي سول لهم عبادة غيره والتعصب لها .

وقوله تعالى : ﴿ولقد أوحى إليك أي أوحى الله إليك كما أوحى إلى الأنبياء من قبلك بالتالي وهو وعزة الله وجلاله لئن أشركت بنا غيرنا في عبادتنا ليحبطن^(٢) عملك أي يبطل كله ولا تثاب على شيء منه وإن قل ، ولتكونن بعد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين . ثم أمر تعالى رسوله مقررًا التوحيد مبطلاً الشرك بقوله : ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾^(٣) أي الله وحده فاعبده وكن من الشاكرين له على إنعامه وأفضاله عليك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - إسوداد الوجه يوم القيامة علامة الكفر والخلود في جهنم .
- ٢ - ابيضاض الوجه يوم القيامة علامة الإيمان والخلود في الجنة .
- ٣ - تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله وما يدور فيه .
- ٤ - بيد الله كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً، ومن طلب شيئاً من غير الله فهو من أجهل الخلق .
- ٥ - التنديد بالشرك وبيان خطورته إذ هو محبط للأعمال بالكلية .
- ٦ - وجوب عبادة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه وجوب حمده وشكره إذ كل إنعام منه وكل إفضال له . فله الحمد والمنة .

(١) العرب مع انهم أميون يعترفون بفضل العالم على الجاهل قال شاعرهم :

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

(٢) حيوط العمل بطلاته حيث لا يثاب عليه والخسران مقيد بأن يموت على الردة أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر .

(٣) بل للإبطال أي إبطال عبادة ما دعاه إليه المشركون وقصره على عبادة الله وحده وأمره أن يكون في جملة الشاكرين لله إنعامه عليهم بنعمة الإسلام .

(٤) شاهده آية آل عمران ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ الآية .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

وما قدروا الله حق قدره : أي ما عظموا الله حق عظمتهم ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم .

والأرض جميعا قبضته : أي والأرض بجميع أجزائها قبضته .

والسموات مطويات : أي والسموات السبع مطويات يمينه .

سبحانه وتعالى عما يشركون : أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان .

ونفخ في الصور : أي نفخ اسرافيل نفخة الصعق .

ثم نفخ فيه أخرى : أي مرة أخرى وهي نفخة القيام لرب العالمين .

وأشرفت الأرض بنور ربها : أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلى لفصل القضاء .

ووضع الكتاب : أي كتاب الأعمال للحساب .

وجيء بالنبيين والشهداء : أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم ، والشهداء محمد وأمه .

وقضي بينهم بالحق : أي بالعدل وهم لا يظلمون لا بنقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم .

وهو أعلم بما يفعلون : أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(١) إنه بعد أن قرر تعالى التوحيد وندد بالشرك والمشركين أخبر تعالى ناعياً على المشركين شرهم ودعوتهم نبهاً للشرك بأنهم بفعلهم ذلك ماقدروا الله حق قدره أي ماعظموه حق عظمتهم وذلك لجهلم به تعالى حين عبدوا معه غيره ودعوا نبيه إلى ذلك، وقوله : ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾^(٢) فالذي يجعل الأرض بكل طبقاتها وأجزائها في قبضته والسموات يطويها بيمينه فالسموات والأرض جميعاً في يده، ويقول أنا الملك أين الملوك. فصاحب هذه القدرة العظمى كيف يعبد معه آلهة أخرى هي أصنام وتماثيل أوثان. ولذا نزه تعالى نفسه بقوله ﴿سبحانه﴾ أي تنزهه وتقدس عن الشريك والنظير والصاحبة والولد وعن صفات المحدثين، وتعالى عما يشركون أي ترفع عن أن يكون له شريك وهو رب كل شيء ومليكه.

وقوله تعالى : ونفخ في الصور الآية هذا عرض لمظاهر القدرة التي يتنافى معها عقلاً وجود من يستحق العبادة معه سبحانه وتعالى، والنافخ في الصور أي البوق اسرافيل قطعاً إذ هو الموكل بالنفخ في الصور فإذا نفخ هذه النفخة صعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فهذا استثناء دال على أن بعضاً من المخلوقات لم يصعق في هذه النفخة، ﴿ثم نفخ فيه﴾ أي في الصور نفخة ﴿أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ هذه النفخة تسمى نفخة القيام لله رب العالمين لأجل الحساب وقوله تعالى : ﴿وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ أي كتاب الأعمال للحساب ﴿وجيء بالنبئين﴾ ليشهدوا على أممهم وجيء بالشهداء وهم أمة

(١) حق قدره فيه إضافة الصفة إلى الموصوف فتحق صفة، والقدر موصوف إذ الأصل (ما قدروا الله قدره الحق) فالحق منصوب على النيابة عن المفعول المطلق.

(٢) جرد جميع من التاء إذ لم يقل والأرض جميعاً جرياً على الغالب وقد أثبت في قول الشاعر:

فلو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفاساً

ونصب جميعاً على الحال.

(٣) شاهده في البخاري قوله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟» وفي الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت قلت فإين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم، وفي رواية على الصراط يا عائشة.

(٤) الصور البوق ينادي به البعيد المتفرق مثل الجيش، والمراد هنا نداء الخلق لحضور الحشر أحياء للحساب والجزاء.

(٥) بالتتابع للآيات القرآنية المتضمنة لأحوال الدار الآخرة نجد أن النفخات للمصور أربع نفخات: وهي نفخة الفناء، ونفخة البعث، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. وفي هذه الآيات ذكر نفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين سميت هذه نفخة صعق لأن الخلاق يصعقون ولا يموتون بدليل حديث البخاري «فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى» لفظ مسلم. قال القرطبي والإفاقة إنما تكون من غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله أعلم.

(٦) الكتاب اسم جنس والمراد صحائف أعمال العباد الحاوي للحسنات والسيئات.

محمد يشهدون على الأمم السابقة بأن رسلها قد بلغتهم دعوة الله، وشهادة أمة محمد قائمة على ما أخبرهم تعالى في كتابه القرآن الكريم أن الرسل قد بلغت رسالات ربها لأممها، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً عدولاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. وقوله: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وحكم الله تعالى بين العباد بالعدل، ووفي كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهو تعالى أعلم بما يفعلون حتى من العاملين أنفسهم ولذا سيكون الحساب عادلاً لا حيف فيه لخلوه من الخطأ والغلط والجهل والنسيان لتتزه الباري عز وجل عن ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر عظمة الرب تعالى التي يتنافى معها الشرك به عز وجل في عباداته .
- ٢ - تقرير البعث والجزاء بيان أحواله وما يجرى فيه .
- ٣ - بيان عدالة الله في قضائه بين عباده في عرصات القيامة .
- ٤ - فضيلة هذه الأمة بقبولها شاهدة على الأمم التي سبقتها .

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُوهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ

نَبَّأُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾
 وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

- وسيق الذين كفروا : أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا .
 إلى جهنم زمراً : أي جماعات، جماعة المشركين، وجماعة المجرمين وجماعة الظالمين .
 وقال لهم خزنتها : أي الموكلون بالنار من الملائكة الواحد خازن .
 ألم يأتكم رسل : هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ .
 حقّت كلمة العذاب : أي وجب العذاب للكافرين .
 وسيق الذين اتقوا : أي وسأقت الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به .
 وفتحت أبوابها : أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت لاستقبالهم .
 والحمد لله الذي صدقنا وعده : أي أنجز لنا وعده بالجنة .
 وأورثنا الأرض : أي أرض الجنة وصورة الإرث نظراً إلى قوله تعالى في وعده لهم تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً^(١)
 نَبَّأُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ : أي نزل من حيث نشاء .
 فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ : أي الجنة .
 حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ : أي مُحدقين بالعرش من كل جانب .
 يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون سبحان الله وبحمده .
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ : أي وقضي الله بمعنى حكم بين جميع الخلائق بالعدل .
 وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : أي وقالت الملائكة والمؤمنون الحمد لله رب العالمين على استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

(١) وجه الورث ان الله تعالى خلق لكل انسان منزلا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فاهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار .

معنى الآيات :

بعد الفراغ من الحكم على أهل الموقف وذلك بأن حكم تعالى فيهم بحسب عملهم فوق كل عامل بعمله من كفر ومعاصٍ ، أو إيمان وطاعة قال تعالى مخبراً عن مصير الفريقين ﴿وسيق^(١) الذين كفروا﴾ أي ساقطهم الملائكة بشدة وعنف لأنهم لا يريدون الذهاب ﴿إلى جهنم زمراً﴾ أي جماعات ولفظ الزمرة مشتق من الزمر الذي هو الصوت إذ الغالب في الجماعة أن يكون لها صوت . وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ إذ كانت مغلقة كأبواب السجون لا تفتح إلا عند المجيء بالسجناء ، ﴿وقال لهم خزنتها﴾ قبل الوصول إليها موبخين لهم ﴿ألم يأتكم^(٢) رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أي المبينة لكم الهدى من الضلال والحق من الباطل ، وما يحب ربكم من العقائد والأقوال والأعمال والصفات والذوات وما يكره من ذلك ، ويدعوكم إلى فعل المحاب لتنجوا وترك المكاهر لتنجوا وتسعدوا . فأجابوا قائلين بلى أي جاءتنا بالذي قُلتُم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن منهم فوجب لنا العذاب ، وعندئذ تقول لهم الملائكة ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس أي جهنم مثوى المتكبرين أي قبح مأوى المتكبرين في جهنم من مأوى .

وقوله تعالى : ﴿وسيق^(٣) الذين اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكریم إلى الجنة دار السلام زمراً زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات ﴿حتى إذا جاءوها﴾ وقد فتحت أبوابها من قبل لاستقبالهم مُعززين مكرمين ، فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أرواحكم بأعمالكم الطيبة فطاب مقامكم في دار السلام فنعم التحية حيوا بها مقابل تأنيب وتوبيخ الزبانية لأهل النار . وقوله لهم فادخلوها أي الجنة حال كون خلودكم مقدراً لكم فيها . فقالوا بعد دخولهم الجنة ونزلها في

(١) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الدين كفروا إلى النار والذين آمنوا إلى الجنان والزمر جمع زمرة كظلمة وظلم وغرفة ، وهي جماعة بعد جماعة قال الشاعر :

وترى الناس إلى منزله زمراً تتنابه بعد زمرة

(٢) الخزنة جمع خازن كسدنة وسادن .

(٣) الاستفهام للتقرير مع التوبيخ والتقريع .

(٤) قال وهب : تستقبلهم الزبانية بمقام من حديد فيدفعونهم بمقامهم فإنه ليقع في الدفعة الأولى بعدد ربيعة ومضر . قال تعالى ﴿ولهم مقام من حديد﴾ .

(٥) سوق أهل النار طردهم إلى النار بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان وسوق أهل الجنة سوق مراكبهم إلى دار السلام إنهم لا يذهب بهم إلا راكبين وشتان ما بين السوقين .

(٦) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف ، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب .

قصورها الحمد لله الذي صدقنا وعده يعنون قوله تعالى : ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ ، وقولهم ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي أرض الجنة نتبوا منها حيث نشاء أي ننزل منها حيث نريد النزول ، وفي قولهم أورثنا الأرض إشارة إلى أنهم ورثوها من أبويهم آدم وحواء إذ كانت لهم قبل نزولهما منها . وقولهم فنعم أجر العاملين أي الجنة والمراد من العمل الإيمان والتقوى في الدنيا ، بأداء الفرائض واجتناب النواهي وقوله تعالى : ﴿وترى الملائكة﴾ أيها الرائي ﴿حافين من^(١) حول العرش﴾ أي محققين بعرش الرحمن أي سريره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي قائلين : سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم . قال تعالى مخبراً عن نهاية الموقف : ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ أي وقضى الله بين الخلاق بالعدل ، ولما استقر أهل النار وأهل الجنة حمد الله على الاستقرار التام والحكم العادل الرحيم وقيل الحمد لله رب العالمين أي حمدت الملائكة ربها وحمده معهم المؤمنون وهم في دار النعيم المقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان إهانة أهل النار بسوقهم على أرجلهم بعنف وتأنيبهم وتوبيخهم .
- ٢ - التنديد بالاستكبار عن عبادة الله وعباده تعالى .
- ٣ - بيان إكرام الله تعالى لأوليائه إذ يُحملون على نجائب رجالها من ذهب إلى الجنة ، ويلقون فيها تحية وسلاماً . تحية احترام وإكرام ، وسلام أمان من كل مكروه .
- ٤ - بيان نهاية الموقف باستقرار أهل النار من الكفار والفجار في النار ، واستقرار أهل الجنة من المؤمنين الاتقياء الأبرار في الجنة دار الأبرار .
- ٥ - ختم كل عمل بالحمد فقد ابتداء الله الخالق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وختم بالحمد ، وقيل الحمد لله رب العالمين .

(١) من زائدة لتقوية الكلام نحو ما جاءني من أحد .

(٢) قال قتادة في هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد فقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) وختم بالحمد فقال « وقضى بينهم بالحق » وقيل الحمد لله رب العالمين « فحسن الاقتداء به فيبدأ العبد قوله بالحمد ويختمه بالحمد .

سُورَةُ غَاثِرٍ ١١

مكية

وآياتها خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ
الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦

(١) وتسمى أيضا سورة المؤمن وسورة الطول وهي أول آل حم التي يقال لها ديباج القرآن وعرائس القرآن ويقال ذوات حَم وذكر القرطبي أن رجلاً من أهل الشام كان ذا بأس شديد فقيل لعمر وقد سأل عنه أنه تابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حَم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم ختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحباً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أثنى الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله يغفر لي وعدني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحداً منكم زل زلة فسدوده وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

شرح الكلمات : حَم

: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا : حَمَ ويقرأ هكذا :
حَامِئِم.

تنزيل الكتاب من الله : أي تنزيل القرآن كائن من الله .
العزیز العليم : أي الغالب على مراده ، العليم بعباده ظاهراً وباطناً حالاً
ومآلاً .

غافر الذنب : أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته
شديد العقاب ذي الطول : أي مشدد العقوبة على من كفر به ، ذي الطول أي الإنعام
الواسع على من آمن به وأطاعه .

لا إله إلا هو إليه المصير : أي لا معبود بحق إلا هو إليه مرجع الخلائق كلهم .
ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون .
فلا يغررك تقلبهم في البلاد : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار .
والأحزاب من بعدهم : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح ، وهم عاد وثمود وقوم
لوط .

وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل .
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق : أي ليزيلوا به الحق ويبطلوه .
فكيف كان عقاب : أي كان واقعاً موقعه حيث أهلككم ولم يبق منهم أحداً .
كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا : أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : حَمَ : الله أعلم بمراده به

وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف أفادت فائدتين الأولى أن العرب المشركين في مكة
كانوا قد منعوا المواطنين من سماع القرآن حتى لا يتأثروا به فيكفروا بآلهتهم فقد أخبر تعالى
عنهم في قوله من سورة فصلت فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون ﴾ فكانت هذه الحروف المقطعة بنغمها الخاص تستهويهم فيسمعوا فكانت
فائدة عظيمة . والثانية أن المشركين لما أصرروا على أن القرآن لم يكن حياً وإنما هو من جنس
ما يقوله الشعراء والكهان . وأصحاب الأساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله وهو مركب
ومؤلف من هذه الحروف آلم طس حَمَ والذي قوى هذه النظرية أنه غالباً ما يذكر القرآن بعد

ذكر هذه الحروف مثل آلم تلك آيات الكتاب، حم تنزيل الكتاب، حم والكتاب المبين فهاتان الفائدتان من أحسن ما استنبطه ذو الشأن في تفسير القرآن، وما عدا ذلك فلا يحسن روايته لخلوه من فائدة معقولة، ولا رواية عن الرسول وأصحابه منقولة.

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل هو مصدر هذا القرآن إذ هو الذي نزله تنزيلاً على عبده ورسوله، ووصف نفسه بالعزة والعلم فقال العزيز أي في انتقامه من أعدائه الغالب على أمره ومراده فلا يحال بينه وبين ما يريد العليم بخلقه وحاجاتهم ومتطلباتهم، فأنزل الكتاب لهدايتهم وإصلاحهم. وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ أعلم أنه تعالى يغفر ذنب المستغفرين ويقبل توبة التائبين وأنه شدد العقوبة على من كفر به وعصاه. وقوله ذي الطول أي الإنعام الواسع والفضل العظيم ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبير خلقه.

لما أثنى تبارك وتعالى على نفسه بما هو أهله أخبر رسوله بأنه ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ القرآنية الحاوية للحجج القواطع والبراهين السواطع على توحيد الله ولقائه وعلى نبوة رسول الله ما يجادل فيها ﴿إلا الذين كفروا﴾ وذلك لظلمة نفوسهم وفساد قلوبهم، وعليه فاصبر ولا تغتر بظاهر ما هم عليه من سعة الرزق وسلامة البدن، وهو معنى قوله: ﴿فلا يغرك تقلبهم في البلاد﴾ أي آمنين معافين في أبدانهم وأرزاقهم فإنهم مهملون لا مهملون، والدليل فقد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون، وقد همت كل أمة من تلك الأمم برسولها لتأخذته فتقتله أو تنكل به. وقد جادلوا بالباطل كما جادل قومك من قريش ليدحضوا به الحق أي ليزيلوه ويبعدوه بباطلهم. فأخذتهم فكيف كان عقاب أي كان واقعاً موقعه والحمد لله إذ قطع الله دابرهم وأنهى وجودهم وخصومتهم.

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) لا إله إلا هو في موضع الصفة لله عز وجل فتكون الصفة السابقة في هذه الآية الكريمة.

(٣) مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئة عن سؤال من قال ما دام هذا القرآن تنزيلاً من العزيز الحكيم وهو أمر لا ريب فيه فلم يجادل فيه هؤلاء المشركون فاجابهم بقوله «ما يجادل في كتاب الله إلا الذين كفروا» الآية.

(٤) الغرور ظن المرء شيئاً حسناً وهو بضده يقال غرك إذا جعلك تظن الشيء حسناً ويكون التغيرير بالقول أو بتحسين صورة الشيء.

(٥) الأحزاب هم الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب والعناد كعاد وثمود ومن بعدهم.

وقوله ﴿وكذلك حقَّتْ كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾^(١) أي كما وجب حكمه بإهلاك تلك الأمم المكذبة لرسالتها الهامة بقتلها وقد أهلكهم الله فعلاً حقَّتْ كلمة ربك على الذين كفروا لأنهم أصحاب النار والمراد من كلمة ربك قوله لأملأن جهنم الآية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن القرآن الكريم مصدر تنزيله هو الله تعالى إذ هو الذي أوحاه ونزله على رسوله محمد ﷺ وبذلك تقررت نبوة الرسول محمد ﷺ.
- ٢ - بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه العزيز العليم الحكيم ذي الطول غافر الذنب قابل التوب لا إله إلا هو.
- ٣ - تقرير التوحيد والبعث والجزاء.
- ٤ - تقرير مبدأ أن الله تعالى يمهّل ولا يهمل، وأن بطشه شديد.

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(١) حقَّتْ أي وجبت ولزمت مأخوذ من الحق لأنه لازم.

(٢) قرأ نافع كلمات بالجمع وقرأ حفص بالإنفراد وهي اسم جنس بمعنى الجمع.

(٣) الإجماع على وجوب الوقف على قوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ ثم يستأنف القراءة قائلا الذين يحملون العرش... الخ إذ يفصح أن يتبادر إلى ذهن السامع أن أصحاب النار هم الذين يحملون العرش.

شرح الكلمات :

الذين يحملون العرش

ومن حوله

يسبحون بحمد ربهم

ويؤمنون به

ويستغفرون للذين آمنوا

: أي الملائكة حملة العرش.

: أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.

: أي يقولون سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم هذه صلاتهم وتسبيحهم.

: كيف لا وهم عنده، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.

: أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي تربطهم بهم.

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما : أي يقولون ياربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.

: أي فيما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك فاغفر للذين تابوا إليك فعبدوك ووحدوك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.

: أي احفظهم من النار فلا تُعذبهم بها.

: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.

: أي بقوله تعالى : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتهم الأنهار.

: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك والكفر.

: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.

: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذ.

: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه ولم تعذبه.

: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.

وقهم عذاب الجحيم

جنات عدن

التي وعدتهم

ومن صلح من آبائهم

وقهم السيئات

ومن تق السيئات يومئذ

فقد رحمته

وذلك

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ^(١) يخبر تعالى عن عظمته وموجبات الإيمان به وبآياته وتوحيده ولقائه فيقول الذين يحملون العرش أي عرشه من الملائكة كالملائكة الذين يحفون بعرشه الجميع ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ تسييحاً مقروناً بالحمد بأن يقولوا سبحان الله وبحمده ويؤمنون به أي يؤمنون بوحديته وعدم الإشراك في عبادته ويستغفرون ^(٢) للذين آمنوا لرابطة الإيمان التي ربطتهم بهم ولعل هذا السر في ذكر إيمانهم لأن المؤمنين إخوة واستغفارهم هو طلب المغفرة من الله للمؤمنين من عباده . وهو معنى قوله : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي يقولون متوسلين إليه سبحانه وتعالى بصفاته﴾ ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي ياربنا وسعت رحمتك وعلمك سائر المخلوقات فاغفر للذين تابوا أي إليك فتركوا الشرك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام فانقادوا لأمرك ونهيك، وقهم عذاب الجحيم أي احفظهم ياربنا من عذاب النار وأدخلهم جنات عدن أي إقامة من دخلها لا يخرج منها ولا يبغى عنها حولا لكمال نعيمها ووفرة السعادة فيها . ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي وادخل كذلك من صلح بالإيمان والتوحيد من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فالحقهم بدرجاتهم ليكونوا معهم وإن قصرت بهم أعمالهم . وقولهم إنك أنت العزيز الحكيم توسل أيضاً إليه تعالى بصفتي العزة والغلبة والقهر لكل المخلوقات والحكمة المتجلية في سائر الكائنات . وقولهم : ﴿وقهم السيئات﴾ أي واحفظهم من جزاء سيئاتهم بأن تغفرها لهم وتسترها عليهم حتى يتأهلوا للحاق بأبنائهم الذين نسألك أن تلحقهم بهم ، ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿فقد رحمته﴾ ، ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم لقوله تعالى : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ . ومعنى ومن تق السيئات أي تقيه عذابها وذلك بأن يغفرها لهم ويعفو عنهم

(١) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» .

(٢) قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة .

(٣) قبل هذا معطوف على محذوف تقديره وينزهونه عما يقول الكافرون ويستغفرون الخ .

(٤) رحمة منصوب على التمييز وعلماً معطوف عليه ، والتمييز محول عن فاعل إذ التقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء .

(٥) قد لا يحتاج الأمر إلى تقدير محذوف فيقال وقهم جزاء السيئات إذ السيئات جمع سيئة «فَيَعْلَمُ» من السوء وهو ما يضر ولا يسر فالسيئة كل ما يسوء من عذاب وخوف ، وهلع فدعاء الملائكة دعاء بالنجاة مما يسوء المؤمنين يوم القيامة ولذا قالوا ومن تق السيئات أي ما يسوءه من العذاب فقد رحمته بدخول الجنة وما في التفسير هو رأي الجمهور من المفسرين .

(٦) قال مطرف بن عبدالله : وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ، وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين وتلا هذه الآية الذين يحملون العرش إلى قوله فقد رحمته .

فلا يؤاخذهم بها، فينجوا من النار ويدخلوا الجنة وذلك أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان عظم الرب تعالى .
- ٢ - بيان فضل الإيمان وأهله .^(١)
- ٣ - فضل التسييح بقول : سبحان الله وبحمده فقد صح أن من قالها مائة مرة حين يصبح أو حين يمسي غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أي في الكثرة .
- ٤ - بشرى المؤمنين بأن الله تعالى يجمعهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة ، وقد استجاب الله للملائكة وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان

ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ . ﴿

إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنِنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتُنْتِنِ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوُمنُوا فَأَلْهَكُمُ اللَّهُ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

(١) في الصحيحين .

(٢) يكفي كرامة للمؤمن أنه نائم على فراشه والملائكة تستغفر الله له ، وتدعوه بالنجاة من النار ويدخل الجنة كما في قوله الذين يحملون العرش الآية .

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُوقٌ لَا يَخْفَى
 عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
 الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

ينادون لمقت الله : أي تناديهم الملائكة لتقول لهم لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم، والمقت أشد البغض.

إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون : أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.

أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين : أي أمتنا مرتين الأولى عندما كنا عدماً فخلقتنا، والثانية عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين الأولى لما أخرجتنا من بطون أمهاتنا أحياء فهذه مرة والثانية بعد أن بعثتنا من قبورنا أحياء.

فاعترفنا بذنوبنا : أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.
 فهل إلى خروج من سبيل : أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذلكم : أي العذاب الذي أنتم فيه.

بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم : أي بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد.

يريكهم آياته : أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم.

وما يتذكر إلا من ينيب : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده.

يلقي الروح من أمره : أي يلقي بالوحي من أمره على من يشاء من عباده .
 لينذر يوم التلاق : أي لينذر من يوحى إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل
 السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة .
 يوم هم بارزون : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر .
 لمن الملك اليوم : أي لمن السلطان اليوم .
 معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى حال المؤمنين وأنهم هم وأزواجهم وذرياتهم في دار النعيم يبين في هذه
 الآيات الثلاث حال الكافرين في النار جرياً على أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب فقال
 تعالى مخبراً عن أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بربهم ولقائه وتوحيده ينادون أي تناديهم
 الملائكة فتقول لهم - بعد أن يأخذوا في مقت أنفسهم ولعن بعضهم بعضاً - ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ^(١)
 مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وذلك لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فتكفرون
 وتجددون متكبرين .

وهنا في الآية الثانية (١٠) يقولون وهم في جهنم ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا
 اثنتين﴾ يعنون بالموتيتين الأولى وهم نطف^(٢) ميتة والثانية بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم ،
 ويعنون بالحيتين الأولى التي كانت لهم في الدنيا قبل موتهم والثانية التي بعد البعث ،
 وقولهم : ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أي التي قارفناها في الحياة الدنيا وهي الكفر والشرك والمعاصي .
 وقولهم بعد هذا الاعتذار ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي فهل من طريق إلى الخروج من النار
 والعودة إلى الحياة الدنيا لنصلح ما أفسدنا ، ونطيع من عصينا؟ والجواب قطعاً لا سبيل إلى
 ذلك أبداً ، وبقاؤكم في العذاب ليس ظلماً لكم وإنما هو جزاء وفاق لكم ثم ذكر تعالى علة
 عذابهم بقوله ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾ بالله وتوحيده ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أي وإن
 يشرك بالله تؤمنوا كقولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملك وما ملك وقوله فالحكم

(١) اللام في جواب قسم أي والله لمقت الله الخ والخطاب هم الملائكة وجائز إن لم يكن راجحاً أن يكون المعنى لَمَقَّتْ
 الله إياكم لما كنتم تدعون إلى الإيمان في الدنيا على أيدي رسلهم فتكفرون مقت الله ذلك أشد من مقتكم أنفسكم اليوم .

(٢) جائز أن تكون الموتة الأولى لما كانوا في الرحم قبل نفخ الروح ، وجائز أن يكون العدم السابق للوجود في الرحم شاهده
 آية البقرة ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ .

(٣) سر اعتراضهم هذا أنهم يرجون من وراء الخروج من النار ظناً منهم أنه نافع لهم شاهده قولهم مستعطفين : ﴿فهل إلى
 خروج من سبيل﴾ .

الله العلي الكبير، وقد حكم بعدابكم فلا سبيل إلى نجاتكم . فامقتوا أنفسكم ونوحوا على أرواحكم فما ذلكم بمجديكم ولا بمخفف العذاب عنكم . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ هذا خطاب للناس في هذه الحياة الدنيا خطاب لمشركي قريش بعد أن عرض عليهم صورة صادقة حية لحالهم في جهنم يوم القيامة عاد يخاطبهم داعياً لهم إلى الإيمان فقال هو أي المعبود بحق الله الذي يريكم آياته أي حججه ودلائل وحدانيته وقدرته على بعثكم ومجازاتكم ﴿ وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾ من المطر وغيره . ومع ذلك البيان وهذا الإفضال ، ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ أي فلا يتعظ إلا من شأنه الإنابة إلى ربه تعالى في كل شأنه . وقوله تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ هذا خطاب للموحدين يأمرهم تعالى بالاستمرار على توحيد الله في عباداته والاخلاص لله تعالى في كل أعمالهم ، ولو كره الكافرون ذلك منهم فإنه غير ضائرم .

وقوله تعالى : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾ أي هو الله ذو الدرجات الرفيعة والعرش العظيم ﴿ يلقي الروح ﴾ من أمره على من يشاء من عباده ﴿ أي يلقي بالوحي من أمره الذي يريد إنفاذه إلى خلقه على من يشاء من عباده ممن يصطفاهم وينبئهم من أجل أن يندروا عباده يوم التلاقي وهو يوم القيامة إذ يلتقي أهل الأرض بأهل السماء والمخلوقون بخالقهم وهو قوله ﴿ لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ﴾ من قبورهم لا شيء يستترهم ، ﴿ لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ ، وفي هذا الموقف العظيم يقول الجبار سبحانه وتعالى : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ؟ فلا يجيبه أحد رهبة منه وخوفاً فيجيب نفسه بنفسه قائلاً : ﴿ الله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ من خير وشر لتمام العدالة الإلهية ، ويؤكد ذلك قوله : ﴿ لا ظلم اليوم . إن الله سريع الحساب ﴾ ويأخذ في محاسبتهم فلا ينتصف النهار إلا وأهل الجنة في الجنة قائلون في أحسن مقيل اللهم اجعلني منهم ومن قال آمين .

-
- (١) جائز أن يكون الخطاب هنا موجهاً إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وكونه عاماً يشمل الموحدين والمشركين أو ليزداد المؤمنون إيماناً ولتتوب المشركون أما قوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فظاهر في أنه خطاب للمؤمنين .
- (٢) رفيع الدرجات خير والمبتدأ محذوف تقديره هو عائد على الله ورفيع الدرجات خير وهو يحتمل أمرين كلاهما حق الأول أن الله تعالى هو ذو الشأن العظيم والصفات العلا والأسماء الحسنى والقدر الأعلى والثاني أنه تعالى رافع درجات أوليائه في دار كرامته إذ رفيع إما أن يكون صفة مشبهة عائدة إلى الذات الإلهية العلية ، أو فعيل بمعنى فاعل أي رافع درجات أوليائه .
- (٣) فيه تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي لمن يشاء من عباده فبعد تقرير البعث والتوحيد قرر النبوة المحمدية وهذه أصول الدين التي عليها مدار الحياة الإيمانية .
- (٤) هذا عرض أيضاً لأحوال يوم القيامة المقصود منه التذكير به والدعوة إلى تقوية الإيمان به إذ هو عامل إصلاح النفوس مع بيان عظمة الله وعدله وهي موجبات توحيده وطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة هذا فيما لو أذن للعبد أن يعتذر فلا ينفعه اعتذار.
- ٢ - تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٣ - بيان أفضال الله على العباد إذ يريهم آياته لهدايتهم ويرزقهم وهم يكفرون به .
- ٤ - وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحده ولو كره ذلك المشركون .
- ٥ - تقرير النبوة، وبيان الحكمة فيها وهي انذار الناس من عذاب يوم القيامة حيث الناس بارزون لله لا يخفى على الله منهم شيء فيحاسبهم بعلمه وعدله فلا ينقضي نهار إلا وقد استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار اللهم أعذنا من نار جهنم .

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|---|
| يوم الآزفة : | أي يوم القيامة . |
| إذ القلوب لدى الحناجر : | أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر . |
| كاظمين : | أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدرُوا . |
| مال للظالمين من حميم : | أي ليس للمشركين من محب قريباً كان أو بعيداً . |
| يعلم خائنة الأعين : | أي الله تعالى يعلم العين إذا سرقت النظر إلى محرم . |
| والله يقضى بالحق : | أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق . |
| والذين يدعون من دونه : | أي والذين يدعوههم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلاً كان أو جوراً لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر . |

معنى الآيات :

بعد بيان الموقف الصعب في عرصات القيامة في الآيات السابقة قال تعالى لرسوله ﴿وأنذرهم﴾^(١) يارسولنا أي خوف قومك ﴿يوم الآزفة﴾^(٢) وهي القيامة القريبة والتي قد قربت فعلاً وكل ما هو - ات قريب أنذرهم قربها حتى لا يوافوها بالشرك والمعاصي فيخسروا خسراناً مبيئاً، أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب من شدة الخوف ترتفع إلى الحناجر وهم يكظمونها فلا هي تخرج فيموتوا ولا هي تعود إلى أماكنها فيستريحوا.

﴿ما للظالمين﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي ﴿من حميم﴾ قريب أو حبيب يدفع عنهم العذاب ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم وتقبل شفاعته ويطاع فيها لا ذا ولا ذاك يالفضاعة الحال وقوله تعالى : ﴿يعلم خائنة الأعين﴾^(٣) يخبر تعالى عن سعة علمه وواسع اطلاعه أنه يعلم خائنة الأعين وهي العين تسترق النظر إلى المحارم، ويعلم ﴿ما تخفي الصدور﴾^(٤) أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمه من خير وشر، ولذا فسوف يكون الحساب دقيقاً ومن نوقش الحساب عذب. ﴿والله يقضي بالحق﴾ أي يحكم بالعدل، ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي والذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان ﴿لا يقضون بشيء﴾^(٥) لأنهم لا يسمعون ولا يُبصرون. وقوله ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فلذا إذا حكم يحكم بالحق ويقدر على إنفاذ الحكم فيجزى السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه .

(١) يقال أزف فلان يأزف أزفاً قال النابغة :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالنا وكان قد

(٢) القلوب : جمع قلب وهو البضعة الصنوبرية الشكل التي تتحرك دائماً ما دام الجسم حياً تدفع الدم إلى الشرايين التي بها حياة الجسم .

(٣) الحناجر جمع حنجرة بفتح الحاء والجيم وهي الحلقوم .

(٤) أي الله جل جلاله يعلم الأعين الخائنة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها .

(٥) قال ابن عباس وما تخفي الصدور أي هل يزني بها من سرق النظر إليها لو خلا بها أو لا .

(٦) قرأ نافع تدعون بالتاء وقرأ حفص بالياء يدعون .

(٧) من جملتي والله يقضي بالحق وجملة والذين يدعون من دونه قبلها تألف قصر القضاء على الله تعالى قصر قلب أي دون الأصنام . كما أفيد القصر من ضم الجملتين في قول الشاعر :

تسيل على حد الطبات نفوسنا وليست على غير الطبات تسيل

- ٢ - إنعدام الحميم والشفيع للظالمين يوم القيامة .
 ٣ - بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
 ٤ - قضاء الله عدل وحكمه نافذ وذلك لكمال علمه وقدرته .

❖ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- أو لم يسيروا في الأرض : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض .
 فينظروا : أي بأعينهم .
 كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم : إنها كانت دماراً وخساراً ووبالاً عليهم .
 كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً .
 فأخذهم الله بذنوبهم : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم .
 وما كان لهم من الله من واق : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واق يقيهم منه .
 ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات .
 فكفروا : أي بتلك الحجج والآيات .
 فأخذهم الله : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم .
 إنه قوي شديد العقاب : هذا تعليل لأخذه إياهم .

معنى الآيات :

تقدم في السياق تخويف الله تعالى لمشركي قريش بعذاب الآخرة، ومبالغة في نصحهم وطلب هدايتهم خوفهم بعد عذاب الآخرة بعذاب الدنيا لعلهم يتوبون فقال: أولم يسيروا في^(١) الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض أي أغفل هؤلاء المجاحدون المعاندون ولم يسيروا في البلاد شمالاً وجنوباً حيث ديار عاد في الجنوب وديار ثمود في الشمال فينظروا بأعينهم كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كعاد وثمود كان أولئك أشد من هؤلاء قوة وآثاراً في الأرض من حيث البناء والعمران والقدرة على الحرب والقتال، فأخذهم الله بذنوبهم^(٢) أي بذنوب الشرك والتكذيب والمعاصي، ولما أخذهم لم يوجد لهم من عقاب الله وعذابه من واق يقيهم ما أنزل الله بهم وما أحله بساحتهم. فما لهؤلاء المشركين لا يتعظون ولا يعتبرون والعاقل من اعتبر بغيره.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هذا تعليل لأخذ الله لأولئك الأقوام من عاد وثمود وغيرهم إذ ما أخذهم إلا بعد أن أنذرهم وأعذر إليهم فلما أصروا على الكفر والتكذيب أخذهم بذنوبهم. وقوله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾^(٣) تعليل أيضاً للأخذ الكامل الذي أخذهم به لعظم قوته وشدة عقابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.^(١)
- ٢ - الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تتبدل ولا تتحول.
- ٣ - من أراد الله عقابه لا يوجد له واق يقيه، ولا حام يحميه، ومن تاب تاب الله عليه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقَرُونِ
فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ

(١) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم سيرهم في ديار الهالكين ليروا بأعينهم آثار الهالكين ويفكروا في سبب هلاكهم ليحصل لهم بذلك العبرة المطلوبة لهم.

(٢) الباء في بذنوبهم متسببة إذ هلاكهم متسبب عن ذنوبهم وهي الشرك والمعاصي.

(٣) الجملة تعليلية لما قبلها من أخذ الله تعالى المشركين بذنوبهم في التكذيب والشرك والمعاصي.

(٤) إلا أن يشاء الله إيقافها أو تبديلها فهو على ما يشاء قدير.

عِنْدَنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- بآياتنا وسلطان مبين : أي بحججنا، وبرهان بين ظاهر
 هامان وقارون : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين .
 فقالوا ساحر كذاب : أي لما رأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا : ساحر كذاب دفعاً
 لقومهم حتى لا يؤمنوا به .
 فلما جاءهم بالحق من عندنا : أي جاءهم موسى بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله
 وطالبهم بإرسال بني إسرائيل معه .
 قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه : أي اقتلوا الأولاد الذكور .
 واستحيوا نساءهم : أي بناتهم بمعنى أتركوهن حيات .
 وما كيد الكافرين إلا في ضلال : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع .
 ذروني أقتل موسى وليدع ربه : أي دعوني وأتركوني وليدع ربه ليمنعه مني .
 إني أخاف أن يبدل دينكم : أي يغير عبادتكم لآلهتكم لعبادة إلهه .
 أو أن يظهر في الأرض الفساد : بالقتل والتخريب ونحوه .
 إني عذت بربي وربكم : أي استجرت بخالقي وخالقكم .
 من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء على
 الحساب الأعمال .

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الربانية لقريش إلى الإيمان والتوحيد والتصديق بالبعث والجزاء، وما فيها من مظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته وعدله، وبعد ذلك العرض لأحوال القيامة، وبيان الجزاء لكل من الكافرين والمؤمنين فيها كأنه يُرى رأي العين، وبعد ذلك الترغيب والترهيب مما في الدنيا والآخرة والمشركون لا يزدادون إلا عُتُوًّا وطغياناً بعد كل ذلك قص الله تعالى على رسوله قصة موسى مع فرعون يُسْلِيه بها ويصبره وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون وقومه فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي قبلك يا رسولنا - موسى بن عمران بآياتنا أي بآدلتنا وحججنا على صدق دعوته وصحة رسالته، وسلطان مبین أي وبرهان ظاهريين أرسلناه إلى فرعون وهامان وقارون فهامان وزير فرعون وقارون من أرباب الملايين وهو وإن لم يكن من آل فرعون لأنه من بني إسرائيل إلا أنه مالا فرعون ووقف في صفه، فلما بلغهم موسى دعوة ربه وأراهم الحجج والبراهين قالوا ساحر كذاب فرموه بقاصمتين السحر والكذب حماية لمصالحهم وخوفاً من تغيير الوضع عليهم.

وقوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ أي فلما جاءهم موسى بالصدق من عند الله كان رَدُّ الفعل منهم أن أمروا بقتل المذكور من أولاد الذين آمنوا معه، واستحياء بناتهم للخدمة والإمتحان وهو ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ وقوله تعالى وما كيد فرعون إلا في ضلال ﴿عام في كل كيد كافر يطله الله تعالى ولا يضر به أوليائه وقوله تعالى : ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لا شك أن هذا القول الدال على طغيان فرعون كان بعد أن انهزم في ميادين عدة أراد أن يسترد بعض ما فقد فقال ذروني أقتل موسى أي اتركوني أقتل موسى ﴿وليدع ربه﴾ أي ليمنعه مني، وعلل لقوله هذا بقوله إني أخاف أن يبدل دينكم، أي بعد أن يغلب عليكم فتدينون بدينه أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.

ورد موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله : ﴿وقال موسى إني عدت بربي

(١) هي الآيات التسع.

(٢) خص بالذكر هامان وقارون لقوة تأثيرهما في البلاد وإدارة الدولة وعز السلطان.

(٣) لما بهرتهم الآيات وعجزوا عن مقاومتها رموا موسى بالسحر واتهموه بالكذب كرد فعل وهروباً من المواجهة.

(٤) من الجائز أن يكون قد قال له بعض رجاله أما تخاف أن يدعوك ربه فتتهلك فاجابه قاتلاً وليدع ربه.

وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿ قال موسى هذا لما سمع مقالة فرعون التي يهدده فيها بالقتل فأعلمهم أنه قد استجار بالله وتحصن به فلا يقدر أحد على قتله، وقوله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من يؤمن بيوم الحساب لا يقدم على جريمة القتل وإنما يقدم عليها من لا يؤمن بحساب ولا جزاء في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تسلية الرسول وحمله على الصبر والتحمل وهو في أشد الظروف صعوبة .

٢ - عدم تورع الظلمة في كل زمان عن الكذب وتلفيق التهم للأبرياء .

٣ - التهديد بالقتل شنشنة الجبارين والطفة في العالم .

٤ - أحسن ملاذ للمؤمن من كل خوف هو الله تعالى رب المستضعفين .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا

فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ

لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ

بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا

أَهْدِيكُمْ إِلَّا لِسَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وقال رجل من آل فرعون هو شمعان بن عم فرعون .

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ أي لأن يقول ربي الله؟ والرجل هو موسى عليه السلام .

(١) متكبر: متعظم عن الإيمان بالله، وصفته أنه لا يؤمن بيوم الحساب .

بالبينات من ربكم : أي بالمعجزات الظاهرات .
 فعلية كذبه : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم .
 يصبكم بعض الذي يعدكم : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا عاجلاً غير آجل .

من هو مسرف كذاب : أي مسرف في الكفر والظلم كذاب لا يقول الصدق ولا يفوه به .
 ظاهرين في الأرض : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها .
 فمن نصرنا من بأس الله إن جاءنا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أوليائه .
 ما أرىكم إلا ما أرى : أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل موسى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد : أي إلا طريق الرشد والصواب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عما دار في قصر فرعون فقد أبدى فرعون رغبته في إعدام موسى معللاً ذلك بأمرين أن يبدل دين الدولة والشعب، والثاني أن يظهر الشغب في البلاد والتعب للدولة والمواطنين معاً. وهاهو ذا رجل مؤمن من رجالات القصر يكتنم إيمانه بموسى وبما جاء به من التوحيد خوفاً من فرعون وملئه. ولنستمع إلى ما أخبر تعالى به عنه : ﴿وقال رجل مؤمن﴾^(١) أي بموسى ﴿من آل فرعون﴾ إذ هو ابن عم فرعون واسمه شمعان كسلمان قال : ﴿أتقتلون﴾^(٢) ينكر عليهم قرار القتل ﴿رجلاً﴾ أن يقول ربي الله ﴿أي لأن قال ربي الله﴾ وقد جاءكم من البينات ﴿وهي الحجج والبراهين كالعصا واليد﴾ من ربكم ﴿الحق الذي لا رب لكم سواه﴾ ﴿وإن يك كاذباً﴾ أي وإن فرضنا أنه كاذب فإن ضرر كذبه عائد عليه لا عليكم ﴿وإن يك صادقاً﴾ وهو صادق ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ من العذاب العاجل . إن الله تعالى لا يهدي أي لا يوفق إلى النصر والفوز في أموره ﴿من هو مسرف﴾ متجاوز الحد في الاعتداء والظلم ﴿كذاب﴾ مفتر يعيش على الكذب فلا يعرف الصدق . وبعد أن بين لهم هذه الحقيقة العلمية

(١) في نص هذا الخبر تسلية للنبي ﷺ .

(٢) الاستفهام للإنكار ينكر على فرعون وملئه عزمهم على قتل موسى عليه السلام .

(٣) لم يكن قوله وإن يك كاذباً شكاً في صدق موسى وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدل والخصومة وحذفت النون من وإن يك لكثرة الاستعمال .

(٤) أي إن لم يصبكم إلا بعض الذي يعدكم به هلكتم ، وجائز أن يطلق البعض وهو يريد الكل وهو سائح وشائع قال الشاعر :
 قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٥) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسى وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون .

الثابتة أقبل عليهم يعظهم فقال: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي غالبين في الأرض أي أرض مصر بكامل ترابها وحدودها. لكن إن نحن أسرفنا في الظلم والافتراء فقتلنا أولياء الله فجاءنا بأس الله عقوبة لنا فمن ينصرنا؟ إنه لا ناصر لنا أبداً من الله فتفهموا ما قلت لكم جيداً، ولا يهلك على الله إلا هالك، وهنا قام فرعون يرد على كلمة الرجل المؤمن فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم بشيء إلا وقد رأيته صائبا وسديداً، يعني قتل موسى عليه السلام، وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد أي إلا إلى طريق الحق والصواب، وكذب والله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضل الإيمان وفضل صاحبه فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال هم مؤمن آل فرعون هذا، وحبيب النجار مؤمن آل ياسين وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.
- ٢ - فصاحة مؤمن آل فرعون هي ثمرة إيمانه وبركته العاجلة فإن لكلماته وقع كبير في النفوس.
- ٣ - التنديد بالإسراف في كل شيء والكذب والافتراء في كل شيء وعلى أي شيء.
- ٤ - من عجيب أمر فرعون ادعاؤه أنه يهدي إلى الرشاد والسداد والصواب في القول والعمل، حتى ضرب به المثل ف قيل: فرعون يهدي إلى الرشاد.

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِلَيَّ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَنْقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدِيرِينَ
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(١) روى البخاري وغيره أن المشركين تعرضوا للرسول ﷺ حول الكعبة بسوء فجاء أبو بكر يصرخ فيهم اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فضربوه ضرباً شديداً حتى أغمى عليه فلما أفاق قال كيف رسول الله ﷺ؟ قال عليّ أبو بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن أبا بكر ما أخفى إيمانه بل أظهره وأوذي ومؤمن آل فرعون كتم إيمانه ولم يؤذ.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ
مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يُطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- وقال الذي آمن : أي مؤمن آل فرعون .
مثل يوم الأحزاب : أي عذابا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح وعاد وثمود .
مثل دأب قوم نوح : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم .
يوم التناد : أي يوم القيامة وقيل فيه يوم التنادي لكثرة النداءات فيه إذ ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة .
يوم تولون مدبرين : أي هاربين من النار إلى الموقف .
ولقد جاءكم يوسف من قبل : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق عليهما السلام من قبل مجيء موسى إليكم اليوم .
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا : أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلى اليوم .
كذلك يضل الله من هو مسرف : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم .
مرتاب : أي شاك فيما قامت الحجج والبيانات على صحته .
يجادلون في آيات الله بغير سلطان : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان .
كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا : أي كبر جدالهم بالباطل مقتا عند الله وعند الذين آمنوا .

كذلك : أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار من كلام في مجلس الحكومة، وهاهوذا مؤمن آل فرعون يتناول الكلمة بعد فرعون الذي أعاد تقرير ما عزم عليه من قتل موسى عليه السلام فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله : ﴿وقال الذي آمن﴾ وهنا أعلن عن إيمانه الذي كان يكتمه ياقوم إني أخاف عليكم أي إن أنتم أصررتم على قتل موسى وقتلتموه ﴿أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ وهو اليوم الذي أخذ الله فيه قوم نوح، وعاد وثمود أي أخاف عليكم جزاء عادتهم وهي استمرارهم على الكفر والشك والتكذيب حتى حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه وواصل وعظه قائلاً، ﴿وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين﴾ أي فارين من النار هاربين إلى الموقف وهو يوم القيامة الذي تكثر فيه النداءات والصرخات ﴿مالك من الله من عاصم﴾ يعصمكم من العذاب وينجيكم منه. وبعد هذا الوعظ البليغ قال ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ إشارة إلى أن القوم لم يتأثروا بكلامه فقال متعزياً بعلمه بتدبير الله في خلقه فقال : ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ فإن من كتب الله عليه الضلالة ليصل إلى الشقاوة بكسبه فلا هادي له أبداً، إذ الله لا يهدي من يضل ثم قال لهم مواصلاً كلامه ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بالبينات والحجج الدالة على توحيد الله ووجوب طاعته، غير أنكم مع الأسف ﴿مازلتم في شك مما جاءكم به﴾ فلم تؤمنوا ولم توقنوا ﴿حتى إذا هلك﴾ أي مات عليه السلام فرحتم بموته ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ متخربين متقولين على الله بدون علم فأضلكم الله بكذبكم عليه ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف﴾ في الكذب مثلكم ﴿مرتاب﴾ في كل شيء لا يعرف اليقين في شيء، والعياذ بالله، ثم

(١) قراءة العامة التناد بتخفيف الدال من النداء وهو الدعاء والطلب للحضور أو الإغاثة وقرئ التناد بتشديد الدال من نذ البعير إذا هرب إذ هم فعلاً يهربون وشاهده في الآية يوم تولون مدبرين . والجمهور على حذف الياء وقفاً ووصلاً . وبعضهم أثبتوا وصلاً ووقفاً وكلا القراءتين صحيحة .

(٢) هذه الجملة في موقع الحال والعاصم المانع والمحافظ .

(٣) لما تفرس فيهم عدم نفع النصيح لهم أثر عتابهم ولومهم بقوله ولقد جاءكم يوسف النخ واللام في ولقد جاءكم لام القسم لأنهم كالمتكبرين فلذا أكد الخبر بالقسم .

(٤) إذا اسم للزمان الماضي مجرورة بحتى قبلها وليست بظرف أي حتى زمن هلاك يوسف قلم . . والقائل أسلافهم الغابرون يوم مات يوسف عليه السلام .

(٥) المسرف : المفرط في فعل أو قول مالا خير فيه ، والمرتاب الشديد الريب أي الشك .

أعلمهم أن الذين يجادلون في آيات الله يريدون إبطال الحق وإطفاء نوره بكلامهم بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم جدالهم ذلك أكبر مقتا أي أشد شيء يمقته الله ويبغضه من صاحبه، وكذلك عند الذين آمنوا. وختم كلامه بقوله ﴿كَذَلِكَ يُطِيعُ اللَّهُ﴾ أي كإضلال من هو مسرف مرتاب يطيع الله ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ﴾ أي قلب كل إنسان متكبر على الإيمان والطاعة متجبر متعاضم يريد إجبار الناس على مراده ومايهواه. وإلى هنا انتهى كلام الرجل المؤمن والكلمة الآن إلى فرعون الطاغية وسنقرأها في الآيات التالية بعد رؤية ما في الآيات من هداية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذا قال.
- ٢ - التذكير بالأمم الهالكة إذ العاقل من اعتبر بغيره.
- ٣ - التخويف من عذاب الآخرة وأحوال القيامة.
- ٤ - التنديد بالإسراف والارتباب وعدم اليقين.
- ٥ - حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.
- ٦ - عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يهدي أبداً.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَكْهَنُونَ ابْنِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ

(١) جائز أن يكون هذا من كلام مؤمن آل فرعون ختم به كلامه معهم. وجائز أن يكون من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون.

(٢) المتكبر هو ذو الكبر والجبار الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه وعتوه وقرأ الجمهور على كل قلب متكبر. بإضافة قلب إلى متكبر وقرأ بعضهم بتنوين قلب بدون إضافة فيكون متكبر نعتاً لقلب.

دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

ياهامان ابن لي صرحاً : هاماان وزير فرعون والصرح البناء العالي .
أسباب السموات : أي طرقها الموصلة إليها .
وإني لأظنه كاذباً : أي وإني لأظن موسى كاذباً في زعمه أن له إلهاً غيري .
سوء علمه : أي قبيح عمله .
وصد عن السبيل : أي عن طريق الهدى .
إلا في تباب : أي خسار وضياح بلا فائدة تذكر .
إنما هذه الحياة الدنيا متاع : أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتاً ثم يزول .
دار القرار : أي الاستقرار والبقاء الأبدى .
يرزقون فيها بغير حساب : أي رزقا واسعاً بلا تبعة ولا تعقيب .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فيما يدور من كلام بين مؤمن آل فرعون وفرعون نفسه إذ تقدم قول المؤمن وماحواه من نصيح وإرشاد وهاهو ذا فرعون يرد بطريق غير مباشر على^(١) ما قاله المؤمن فقال: لوزيره هاماان ﴿ياهامان ابن لي صرحاً﴾ أي بناءً عالياً ﴿لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ أي في دعواه أن له إلهاً غيري وهذا من فرعون مجرد مناورة كاذبة يريد أن يموه بها على غيره إبقاء على مركزه وقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أي ومثل هذا التزيين في قول فرعون زين له سوء عمله وهو أقبح ما يكون، ﴿وصد عن السبيل﴾^(٣) أي وصرف عن

(١) خاف فرعون أن يؤثر كلام مؤمن آل فرعون في الذين سمعوه فأوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يظهر صوابه ثبتهم على دينهم فقال لوزيره ابن لي صرحاً الخ.

(٢) أسباب السموات بدل من أسباب الأول. والأسباب جمع سبب وهو ما يوصل إلى مكان بعيد فيطلق على الحبل ويطلق على الطريق والمراد هنا طُرُق السموات كما في قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلته وإن يرق أسباب السماء بسلم

(٣) قرأ نافع وصد بفتح الصاد من صد اللازم. يصد أو المتعدي أي صد نفسه وصد غيره وقرأ حفص وصد بالبناء للمجهول أي بصد الصاد أي صده الله وصرفه عقوبة له لشدة كفره وظلمه.

طريق الحق والهدى، وقوله تعالى: ﴿وما كيد فرعون﴾ أي مكره وتدبيره لقتل موسى عليه السلام وقتل أبناء المؤمنين ﴿إلا في تاب﴾ أي خسار وضياح لم يتحقق منه شيء، لأن الله تعالى ولي موسى والمؤمنين فلم يمكن فرعون منهم بحال. وبعد أن أخبر تعالى عن فرعون في محاولته الفاشلة أخبر تعالى عن الرجل المؤمن^(١) وما قاله للقوم من نصيح وإرشاد فقال: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الرشد والصواب في حياتكم لتنجوا من العذاب وتفوزوا بالنعيم المقيم في الجنة. فقال: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي لا تعدو كونها متاعاً قليلاً يُتَمَتَّع به ثم يذهب سريعاً، ﴿وإن الآخرة﴾ أي الحياة الآخرة بعد انتهاء هذه الحياة ﴿لهي دار القرار﴾ أي الاستقرار والإقامة الأبدية، فاعملوا لدار البقاء وتجافوا عن دار الفناء واعلموا أن الحساب سريع وأن ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ وذلك لعدالة الرب تبارك وتعالى، ومن عمل صالحاً من الأعمال الصالحة التي شرعها الله لعباده وتعبدهم بها والحال أنه مؤمن أي مصدق بالله وبوعده ووعيده يوم لقائه فأولئك أي المؤمنون العاملون للصالحات من الذكور والإناث يدخلون الجنة دار السلام يرزقون فيها بغير حساب أي رزقاً واسعاً لا يلحق صاحبه تبعة ولا تعب ولا نصب.

هداية الايات :

من هداية الايات :

- ١ - التحذير من تزيين الأعمال القبيحة نتيجة الإدمان عليها والاستمرار على فعلها فإن من رُئِنَتْ له أعماله السيئة فأصبح يراها حسنة هلك والعياذ بالله.
- ٢ - التحذير من الاغترار بالدنيا والغفلة من الآخرة إذ الأولى زائلة والآخرة باقية واختبار الباقي على الفاني من شأن العقلاء.
- ٣ - مشروعية التذكير بالحساب والجزاء وما يتم في الدار الآخرة من سعادة وشقاء.

(١) هو مؤمن آل فرعون الذي أظهر إيمانه بعد كتمان.

(٢) يريد بالدار دار السلام الجنة ودار البوار النار.

(٣) لأن جملة قوله تعالى «وهم مؤمن» حالية وإن كانت شرطاً في صحة الأعمال الصالحة وفي قبولها ولذا لما لم يذكر الإيمان قبل العمل الصالح ذكره في الجملة الحالية ليدل على تقدمه وشرطيته.

(٤) قرأ الجمهور يدخلون بالبناء للفاعل وقرأ بعض يدخلون بضم الياء وفتح الخاء بالبناء للمجهول والمعنى واحد إذ من دخل دخل بإذن الله ومن أدخل أدخل بإذن الله وفضله.

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى
 النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَاجِرَمَ
 أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
 ﴿٤٤﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
 مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ
 يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
 آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

أدعوكم إلى النجاة : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

وتدعونني إلى النار : أي إلى عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالى .
 ما ليس لي به علم : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى .
 وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار : أي وأنا أدعوكم إلى الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب على أمره الغفار لذنوب التائبين من عبادة المؤمنين به .
 لا جرم أن ما تدعونني إليه : أي حقا أن ما تدعونني إلى الإيمان به وعبادته .
 لي له دعوة في الدنيا والآخرة : أي ليس له دعوة حق إلى عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وأن المسرفين هم أصحاب النار: أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار

الواجبة لهم .

فوقاه الله سيئات ما مكروا : أي فحفظه الله من مكروهم به ليقتلوه .
 وحاق بآل فرعون سوء العذاب : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون .
 النار يعرضون عليها غدواً وعشيا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحاً ومساءً
 وذلك أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين .

ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نصائح وإرشاد مؤمن آل فرعون فقد قال ما أخبر به تعالى عنه
 في قوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ ^(١) مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ أَي مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ
 مَعَ تَرْكِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، وَذَلِكَ بِدَعْوَتِكُمْ لِي إِلَى الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ
 تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أَي مَا لَا عِلْمَ لِي بِصِحَّةِ إِشْرَاكِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ
 تَعَالَى . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ أَي لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ أَدْعُوكُمْ
 إِلَى الْعَزِيزِ أَي الْغَالِبِ الَّذِي لَا يُغْلِبُ الْغَفَّارَ لِلذُّنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ مَهْمَا كَانَتْ ، وَأَنْتُمْ
 تَدْعُونَنِي إِلَى أَذْلِ شَيْءٍ وَأَحْقَرِهِ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ لِأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ . لَا جَرَمَ أَي حَقًّا أَنْ مَا
 تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لِأَوْفَنِ بِهِ وَأَعْبَدَهُ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ حَقٌّ يَدْعَى بِهَا إِلَيْهِ ، وَلَدَعْوَةٍ اسْتِجَابَةٍ فَإِنَّهُ
 لَا يَسْتَجِيبُ لِي دَعَاءَ أَبَدًا لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ . وَشَيْءٌ آخَرٌ يَقُومُ وَهُوَ أَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ
 أَي لَا مَحَالَةَ نَرْجِعُ إِلَيْهِ فَالْوَاجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ وَنَعْبُدَهُ وَنُوحِدَهُ مَا دَامَ رَجُوعُنَا إِلَيْهِ ، وَآخَرُ وَهُوَ أَنْ
 الْمُسْرِفِينَ ^(٢) هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي الْكَفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي فَتَجَاوَزُوا
 الْحَدَّ فِي ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ أَي أَهْلُهَا الَّذِينَ لَا يَفَارِقُونَهَا وَلَا تَفَارِقُهُمْ .

(١) الاستفهام هنا تعجبي باعتبار تقييده بجملة الحال وهي وتدعونني إلى النار إذ هي في موضع الحال تقدير مبتدأ أي وأنتم تدعونني إلى النار .

(٢) هذه جملة بيان لجملة وتدعونني إلى النار .

(٣) العدول عن اسم الجلالة إذ لم يقل أدعوكم إلى الله إلى الصفتين العزيز والغفار لإيضاح الاستدلال على استحقاقه الإقرار بالآلوهية والعبادة .

(٤) ليس له دعوة توجب له الآلوهية وليس له استجابة دعوة تنفع له هذه ولا تلك فبأي حق إذا يدعى ويعبد؟

(٥) أي ليس له شفاععة في الدنيا ولا في الآخرة .

(٦) الإسراف هنا الإفراط في الكفر والظلم بسفك دماء بني إسرائيل بذبح أبنائهم وليصرف فرعون عن عزمه عن قتل موسى عليه السلام وفي الكلام تعريض بالذين يخاطبهم إذ هم مسرفون إلى أبعد حد في الظلم والكفر .

وقوله: ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ يبدو أنه قال هذا القول لما رفضوا دعوته وهموا بقتله ويدل عليه قوله: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

وقوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ أي حفظه الله تعالى من مكروهم به ليقتلوه فنجاه الله تعالى إذ هرب منهم فبعث فرعون رجلاً في طلبه فلم يقدرُوا عليه ونجّاه موسى وبني إسرائيل وقوله ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ وذلك بأن أغرقهم الله في البحر أجمعين.

وقوله ﴿النار يعرضون عليها﴾ إخبار بأن أرواح آل فرعون تعرض في البرزخ على النار غدواً وعشياً وذلك بأن تكون في أجواف طير سود على خلاف أرواح المؤمنين فإنها تكون في أجواف طير خضر ترعى في الجنة. إلى يوم القيامة.

ويوم تقوم الساعة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم والعياذ بالله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار، بين من يدعو إلى العزيز الغفار ليؤمن به ويُعبد وبين من يدعو إلى اوثان لا تسمع ولا تبصر وهي أحقر شيء وأذله في الحياة، وبين من يدعو من لا يستجيب له في الدنيا والآخرة وبين من يدعو من يستجيب له في الدنيا والآخرة.
- ٢ - التنديد بالإسراف وفي كل شيء.
- ٣ - نعم ما ختم به مؤمن آل فرعون وعظه ونصحه لقومه وهي فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.
- ٤ - إثبات عذاب القبر ونعيمه إذ آل فرعون تعرض أرواحهم على النار صباح مساء.

(١) هذا الكلام مشاركة لهم وإنهاء لخطابهم كأنه استشعر منهم ما جعله ينهي الكلام معهم إما لاحظ في ذلك من ملامحهم أو من كلام سمعه منهم.

(٢) ما مكروا: ما مصدرية أي سيئات مكروهم.

(٣) حاق: أحاط والعذاب الفرق.

(٤) في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

وَإِذِ يَتَحَاجُّونَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
 لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
 ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
 قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ
 جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
 قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
 بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
 ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وَإِذِ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ : أي وانذرهم يوم الآفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.

فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ : أي الاتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك.

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ؟ : أي فهل تدفعون عنا شيئاً من النار.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ : فلا مراجعة أبداً فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة فهم

في الجنة ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.

يخفف عنا يوماً من العذاب : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له .
 إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا : أي بأن نظهر دينهم ، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك .

في الحياة الدنيا

ويوم يقوم الأشهاد : أي وتنصرهم يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسل
 بالبلاغ .

ولهم اللعنة ولهم سوء الدار : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي
 الآخرة أي شدة عذابها .

معنى الآيات :

هذا عرض آخر للنار وما يجرى فيها بعد العرض الذي كان لآل فرعون في النار يعرض على
 كفار قريش ليشاهدوا مصيرهم من خلاله إذا لم يتوبوا إلى الله من الكفر والتكذيب والشرك
 تضمنته ست آيات قال تعالى : ﴿ وإذ يتحاجون في النار ﴾ أي وأنذرهم واذكر لهم إذ يتحاجون
 في النار أي يتخاصمون فيها فيقول الضعفاء الأتباع الذين كانوا يتبعون أغنياء وأقوياء البلاد
 طمعاً فيهم وخوفاً منهم . قالوا للذين استكبروا بقوتهم عن الإيمان ومتابعة الرسل ، إنا كنا لكم
 تبعاً أي تابعين ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ أي فهل في إمكانكم أن تخففوا عنا حظاً
 من عذاب النار؟ فأجابوهم قائلين بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قال الذين استكبروا إنا
 كل فيها أي نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد ففضى بالجنة لأهل الإيمان والتقوى ، وبالنار
 لأهل الشرك والمعاصي هذه كانت خصومة الأتباع مع المتبوعين ولم تنته إلى طائل إلا زيادة
 الحسرة والغم والهم . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ وهم الملائكة
 المكلفون بالنار وعذابها قالوا لهم ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ أي مقدار يوم
 من أيام الدنيا إذ الآخرة لا ليل فيها وإنما هي يوم واحد . فردت عليهم الملائكة قائلة بما أخبر
 تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ أي أنقولون ادعوا لنا ربكم
 ليخفف عنكم العذاب أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي بالحجج الظاهرة الدالة على
 وجوب الإيمان والتقوى بترك الشرك والمعاصي . قالوا بلى أي اعترفوا فقالت لهم الملائكة إذاً

(١) التحاج : الاحتجاج من جانبين فأكثر أي إقامة كل فريق حجة للفريق المضاد المخاصم .

(٢) تبعاً : اسم لمن يتبع غيره يستوي فيه الواحد وأكثر نحو خدم وحشم .

(٣) فهل أنتم مغنون هنا معناه الحث على طلب خلاصهم من النار واللوم على تركهم وعدم الاهتمام بما هم فيه من العذاب .

(٤) الذين في النار هذا شامل للضعفاء والمستكبرين والخزنة جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذاب أهلها .

(١) فادعوا أنتم ربكم ولكن لا يستجاب لكم إذ ما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلا يستجاب له أبداً
 وقوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ تقرير لحقيقة عظمى ، وهي أن من سنة الله في رسله أنه
 ينصرهم بانتصار دينهم وما يهدون ويدعون إليه ، وإن طال الزمن واشتدت الفتن والمحن ، أو
 بإهلاك أممهم المكذبة لهم وإنجائهم والمؤمنين معهم قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
 آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي وينصرهم في الآخرة يوم يقوم الأشهاد
 وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكافرين بالتكذيب ،
 وقوله : ﴿وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ﴾ إذا أذن لهم في الاعتذار لا تقبل معذرتهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾
 أي البعد من الرحمة والجنة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة وهو أشد عذابها .
 هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين .
- ٢ - التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة .
- ٣ - عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله .
- ٤ - عدم قبول المعذرة يوم القيامة .
- ٥ - عدم استجابة الدعاء في النار .
- ٦ - بيان وعد الله لرسوله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره
 ويقرره وإن طال الزمن ، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم .

(١) أي تولوا أنتم أمر أنفسكم وادعوا والأمر هنا للتسوية أي سواء دعوتهم أو تركتم لا يستجاب لكم .
 (٢) هذه الآية والتي بعدها جاءت كالنتيجة لكل ما سبق في السورة من قوله تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾
 فكل ذلك لتلك المواقف والمشاهد في الدنيا والآخرة عبرتها المستخلصة منها هي هذه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية وهي تسليّة
 للرسول ﷺ وبشرى له ولأتباعه المؤمنين .

(٣) الأشهاد : الملائكة والرسول ومؤمنو هذه الأمة .

(٤) هذه الجملة بدل من جملة ويوم يقوم الأشهاد والظالمون هم المشركون .

(٥) تقديم الجار والمجرور «لهم» في الجملتين : لهم اللعنة ولهم سوء الدار للاهتمام بالانتقام منهم .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا موسى الهدى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة.
وأورثنا بني إسرائيل : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات
الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان.
واصبر إن وعد الله حق : أي واصبر يا محمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك
حق.

واستغفر لذنبك : ليقبلي بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتركية لنفسك.
وسبح بحمد ربك : أي نزه ربك وقدسهُ بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.
بالعشي والإبكار : بالمساء وأول النهار أي في أوقات الصلوات الخمس كلها.
إن في صدورهم إلا كبر : أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدل في الحق، لا أن
لهم علماً يجادلون به، وإنما حبهم العلو والغلبة حملهم على ذلك.
فاستعذ بالله : أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ونياتهم
وأحوالهم.

لخلق السموات والأرض: أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.
أكبر من خلق الناس : أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى.

معنى الآيات :

قوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى الآية شروع في تسليّة الرسول ﷺ عما يلاقي من قومه فأعلمه تعالى أنه قد سبق أن أرسل موسى وآتاه الكتاب الذي هو التوراة وأورثه في بني إسرائيل هدى أي هاديا لهم في ظلمات الحياة إلى الحق والدين الصحيح الذي هو الإسلام وذكرى لأولى الألباب أي يذكر به أولوا العقول، ولا قى موسى من قومه أشد مما لاقت إذا فاصبر على ما تعانيه من قريش وأن العاقبة لك فإن وعد الله حق وقد قال إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة.

وقوله: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾^(١) أرشده إلى مقومات الصبر والموفرات له وهي ذكر الله تعالى بالاستغفار والدعاء والصلاة والتسبيح فيها وخارجها. فأعظم عون على الصبر الصلاة فلذا كان ﷺ إذا حز به أمر فرّج إلى الصلاة وقوله ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ أي حجة من علم إلهي أتاهم بطريق الوحي إن في صدورهم أي ما في صدورهم إلا كبر ما هم بباليغية أي لا يصلون إليه بحال وهو الرئاسة عليك والتحكم فيك وفي أصحابك. وعليه فاستعذ بالله من شرهم ومن مكرهم إنه تعالى هو السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم وأعمالهم، وسوف لا يمكن لهم منك أبداً لقدرته وعلمه وعجزهم وجهلهم.

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض﴾^(٢) هذا رد على منكري البعث والجزاء الآخر فلما قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون.. قال تعالى: وعزتنا وجلالنا لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم

(١) الهدى الذي أوتيّه موسى هو ما أوحى إليه من الأمر بالدعوة إلى الدين الحق، وما أنزل عليه من الشريعة والكتاب الذي هو التوراة.

(٢) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه قيل ذنبه ﷺ الذي كان قبل البعثة والعصمة، وقيل ذنب أمته، وقيل الصغائر ومخالفة الأول وقيل المراد هو تعبد الله رسوله بالدعاء إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

(٣) هما صلاة الصبح وصلاة العصر ومعنى بحمد ربك أي بالشكر له والثناء عليه.

(٤) جملة إنه هو السميع العليم تعليمية، ومفعول المستعاذ منه في قوله فاستعذ بالله محذوف لعرض التعميم في كل ما يخاف منه.

(٥) اللام في جواب قسم محذوف كما في التفسير، وخلق السموات والأرض شامل لكل ما فيهما من مخلوقات وعقيدة البعث الآخر من جملة ما يجادل فيه الذين كفروا.

المرة الأولى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ^(١) هذه الحقائق العلمية لجهلهم وبعدهم عن العقليات لما عليهم من طابع البداوة وإلا فإعادة الشيء أهون من بدئه عقلا فليس الاختراع كالاصلاح للمخترع إذا فسد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان منة الله تعالى على موسى وبني إسرائيل تتكرر لمحمد ﷺ وأمته بإنزال الكتاب وتوريثه فيهم هدى وذكرى لأولى الألباب .

٢ - وجوب الصبر والتحمل في ذات الله ، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة .

٣ - أكثر من يجادل بالباطل ليزيل به الحق إنما يجادل من كبر يريد الوصول إليه وهو تعالى والغلبة والقهر للآخرين .

٤ - تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي ، وهو أن البدء أصعب من الإعادة ومن أبدأ أعاد ، ولا نصب ولا تعب !!

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَّارْتِيَابٍ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمْ

(١) لا يعلمون لانشغالهم بالباطل عن الحق فتركوا التفكير والتأمل لذا هم لا يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض قادر عقلاً على خلق الناس بعد إماتته لإياهم وبعثهم أحياء كما خلقهم أول مرة .

اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَنُؤْفِكُونَ
كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٤﴾



شرح الكلمات :

وما يستوي الأعمى والبصير : لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان .
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء : لا يستويان أيضاً فكذلك لا يستوي الموقن والشاك
قليلاً ما تتذكرون : أي ما يتذكرون إلا تذكروا قليلاً والتذكر الانتعاض .
إن الساعة لآتية : أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك فيها .

إن الذين يستكبرون عن عبادتي : أي عن دعائي .
سيدخلون جهنم داخرين : أي صاغرين ذليلين .
لنسكنوا فيه : أي لتتقطعوا عن الحركة فتستريحوا .
والنهار مبصراً : أي مضيئاً لتتمكنوا فيه من الحركة والعمل .
ولكن أكثر الناس لا يشكرون : أي الله تعالى بحمده والثناء عليه وطاقته .
ذلكم الله ربكم : أي ذلكم الذي أمركم بدعائه ووعدكم بالاستجابة الذي جعل لكم الليل والنهار وأنعم عليكم بجلالته النعم الله ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم سواه .
فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثران وأصنام لا تسمع ولا تبصر .

كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين الله يجحدون يجحدون بآيات الله يصرفون عن الحق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد، فقله تعالى ﴿وما يستوي﴾^(١) أي في حكم

(١) وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن والضال والمهتدي .

العقلاء ﴿الأعمى﴾ الذي لا يبصر شيئاً والبصير الذي يبصر كل شيء يقع عليه بصره فكذلك لا يستوي المؤمن السميع المبصر، والكافر الأعمى عن الدلائل والبراهين فلا يرى منها شيئاً الأصم الذي لا يسمع نداء الحق والخير، ولا كلمات الهدى والرشاد. كما لا يستوي في حكم العقلاء المحسن المؤمن العامل للصالحات، والمسيء الكافر العامل للسيئات، وإذا كان الأمر كما قررنا فلم لا يتعظ القوم به ولا يتوبون إنهم لظلمة نفوسهم ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾ أي لا يتعظون إلا نادراً.

وقوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية﴾ يخبر تعالى أن الساعة التي كذب بها المكذبون ليستمروا على الباطل والشر فعلاً واعتقاداً لآتية حتماً، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها لوجود صارف قوي وهو عدم تذكرهم، وانكبابهم على قضاء شهواتهم.

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾. إنه لما قرر ربوبيته تعالى وأصبح لا محالة من الاعتراف بها قال لهم: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ أي سلوني أعطكم وأطيعوني أنبكم فأنتم عبادي وأنا ربكم. ثم قال لهم: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ ودعائي فلا يعبدوني ولا يدعوني سوف أذلهم وأهينهم وأعذبهم جزاء استكبارهم وكفرهم وهو معنى قوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أو صاغرين ذليلين يعذبون بها أبداً.

وفي الآية (٦١) عرفهم تعالى بنفسه ليعرفوه فيؤمنوا به ويعبدوه ويوحده، ويكفروا بما سواه من مخلوقاته فقال: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي جعله مظلماً لتقطعوا فيه عن الحركة والعمل فتستريحوا ﴿والنهار مبصراً﴾ أي وجعل لكم النهار مبصراً أي مضيئاً يمكنكم التحرك فيه والعمل والتصرف في قضاء حاجاتكم، وليس هذا من إفضال الله عليكم بل إفضاله وإنعامه أكثر من أن يذكر وقرر ذلك بقوله: ﴿وإن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله على إفضاله وإنعامه عليهم فلا يعترفون بإنعامه ولا يحمده.

(١) قرأ نافع قليلاً ما يتذكرون بالياء قرأ حفص تتذكرون بالفاء ولكل وجه بلا غي وكان تذكرهم قليلاً لعدم علمهم فهم كالأموأ لجهلم فهم لا يتذكرون وإن تذكروا قليلاً ينقطعون فلا يحصل المراد من التذكر.

(٢) المراد بالساعة ساعة البعث والقيام من القبور. إنه بعد ذكر الأدلة المقررة للبعث كان هذا إعلاناً عن تحقق مجيئها وتأكيده الخبر بأن ولام الابتداء لزيادة التحقيق والمراد تحقق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها.

(٣) روى الترمذي عن النعمان بن بشير وصححه أن النبي ﷺ قال الدعاء هو العبادة. ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. وروى أن النبي ﷺ قال: يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله.

(٤) (جعل) إن كانت بمعنى خلق تعدت إلى مفعول واحد كما هي هنا وإن كانت بمعنى صير تنصب مفعولين نحو جعلت الثوب سروالاً.

بألسنتهم ولا يطيعونه بجوارحهم، وذلك لاستيلاء الشيطان والغفلة عليهم ثم واصل تعريف نفسه لهم ليؤمنوا به بعد معرفته ويكفروا بالآلهة العمياء الصماء التي هم عاكفون عليها صباح مساء فقال جل من قائل: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ ^(١) الذي عرفكم بنفسه ﴿خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو. وقوله: ﴿فَأَنى تَتُفَكَّرُونَ﴾ أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم والمنعم عليكم، إلى أوثان وأصنام لا تنفعكم ولا تضركم. فسبحان الله كيف توفكون كذلك يوفك أي كانصرفكم أنتم عن الإيمان والتوحيد مع وفرة الأدلة وقوة الحجج يصرف أيضاً الذين كانوا بآيات الله يجحدون في كل زمان ومكان لأن الآيات الإلهية حجج وبراهين فالمكذب بها سيكذب بكل شيء حتى بنفسه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حقيقة وهي أن الضدين لا يجتمعان فالكفر والإيمان، والاحسان والإساءة والعمى والبصر والصمم والسمع هذه كلها لا تستوي بعضها ببعض فمحاولة الجمع بينها محاولة باطلة ولا تنبغي.
- ٢ - قرب الساعة مع تحتم مجيئها والأدلة على ذلك العقلية والنقلية كثيرة جداً.
- ٣ - فضل الدعاء وقد ورد أن النبي ﷺ قال ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله. وللدعاء المستجاب شروط منها: أن يكون القلب متعلقاً بالله معرضاً عما سواه وأن لا يسأل ما فيه إثم، ولا يعتدي في الدعاء فيسأل ما لم تجر سنة الله به كأن يسأل أن يري الجنة بقطة أو أن يعود شاباً وهو شيخ كبيراً أو أن يرزق الولد وهو لا يتزوج.
- ٤ - الدعاء ^(٢) هو العبادة ولذا من دعا غير الله فقد أشرك بالله.
- ٥ - بيان إنعام الله وإفضاله والمطالبة بشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه ويطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

(١) الإشارة إلى اسم الجلالة في قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ الخ.

(٢) أنى اسم استفهام عن الكيفية وأصله استفهام عن المكان ثم نقل إلى الحالة.

(٣) تقدم تخريجه وأنه من سنن الترمذي وأنه صحيح الإسناد وشسع النعل: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها يضرب به المثل في الفاقة يقال لا يملك شسع نعل.

(٤) روي بإسناد لا بأس به من لم يسأل الله يغضب عليه ومن لم يدع الله غضب عليه أيضاً حسنهما ابن كثير في تفسيره.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ
 بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ
 إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
 الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا
 شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ وَلَتَبَلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى
 وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
 قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

- قرارا : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير .
 بناء : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيك .
 وصوركم : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم .
 من الطيبات : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة .
 فتبارك الله : أي تعظم وكثرت بركاته .
 فادعوه مخلصين له الدين : أي أعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا في عباداته دعاء كان أو غيره .

قل إني نهيت : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون .
وأمرت أن أسلم لرب العالمين : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي .
هو الذي خلقكم من تراب : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من
نطفة ثم من علقه .
ثم لتبلغوا أشدكم : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين .
ومنكم من يتوفى من قبل : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم .
ولتبلغوا أجلاً مسمى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلاً مسمى وهو نهاية
العمر المحددة لكل إنسان .
ولعلكم تعقلون : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقه إلى طفل إلى
شاب إلى كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه
وحكمته فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا .
يحيي ويميت^(١) : أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً ، ويميته عند نهاية أجله .
فإذا قضى أمراً : أي حكم بوجوده .
فإنما يقول له كن فيكون : أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد
شيئاً قال له كن فهو يكون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تعريف العباد بربهم سبحانه وتعالى حتى يؤمنوا به ويعبدوه
ويوحده إذ كمالهم وسعادتهم في الدارين متوقفان على ذلك قال تعالى : ﴿الله الذي جعل
لكم الأرض قراراً أي قارة في مكانها ثابتة في مركز دائرتها لا تتحرك بكم ولا تتحول عليكم
فتضطرب حياتكم فتهلكوا، وجعل السماء بناءً مُحْكَمًا وسقفاً محفوظاً من التصدع والانفطار
والسقوط كلاً أو بعضاً، وصوركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات التي
خلقها لكم وهي كل ما لذ وطاب من حلال الطعام والشراب واللباس والمراكب ذلكم الفاعل

(١) في قوله يحيي ويميت المحسن البديعي المسمى بالطباق .

(٢) القرار مصدر قر إذا سكن وهو هنا من صفات الأرض لأنه خبر عن الأرض والمعنى انه جعلها قارة «ساكنة» غير مائلة ولا
مضطربة إذ لو لم تكن قارة لكان الناس في عناء شديد من اضطرابها وتزلزلها، وقد يفضي ذلك بأكثر الناس إلى الهلاك وهذا
في معنى قوله : ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ ومن مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته أن تدور الأرض في
فلكها دورة منتظمة بدقة فائقة فلا تخرج عن مدارها مقدار شبر بل أصبح فسكنت وقرت وهي متحركة فسبحان الله العلي
العظيم .

(٣) [فأحسن صوركم الفاء للعطف والتعقيب ورزقكم فهاتان نعمتان عظيمتان نعملة الإيجاد ونعمة الإمداد] .

لكل ذلك الله ربكم الذي لا رب لكم سواه ولا معبود بحق لكم غيره . فتبارك الله رب العالمين أي خالق الانس والجن ومالكهما والمدبر لأمرهما ، هو الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون لا إله أي لا معبود للعالمين إلا هو فادعوه مخلصين له الدين أي اعبده وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً قائلين الحمد لله رب العالمين ^(١) أي حامدين له بذلك ، هذا ما تضمنته الآيتان (٦٤ ، ٦٥) وقوله تعالى : ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ أي قل يانبينا لقومك إني نهاني ربي أن أعبد الذين تدعون من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر وذلك لما ^(٢) جاءني البينات من ربي وهي الحجج والبراهين على بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادته سبحانه وتعالى ، وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي وأمرني ربي أن أسلم له فأقناده وأخضع لأمره ونهيه وأطرح بين يديه وأفوض أمري إليه وقوله : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب نظراً إلى أصلهم وهو آدم ، ثم من نطفة مني ثم من علقه دم متجمد ، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ، ثم لتبلغوا أشدكم أي اكتمال أبدانكم وعقولكم بتخيطكم الثلاثين من أعماركم ، ثم لتكونوا شيوخاً بتجاوزكم الستين . ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله قبل بلوغه سن الشيخوخة والهرم وما أكثرهم ، وفعل بكم ذلك لتعيشوا وتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون إذا تفكرتم في خلق الله لكم على هذه الأطوار فتعرفوا أن ربكم واحد وأنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم سواه .

وقوله هو الذي يحيي ويميت يحيي النطف الميته فإذا هي بعد أطوارها بشراً أحياء ويميت الأحياء عند نهاية آجالهم وهو حي لا يموت والانس والجن يموتون ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء إذا أَرَادَهُ كُنْ فيكون ولا يتخلف أبداً هذا هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين وَجَبَتْ محبته وطاعته ولزمت معرفته إذ بها يُحَبُّ ويعبد ويطاع .

(١) إنشاء الثناء على الله تعالى بعد ذكر موجبات ذلك من نعمة الإيجاد والإمداد والهداية إلى الدين الحق بعبادة الله وحده كما هي السنة في تعقيب الحمد والثناء على الله تعالى بعد كل نعمة ينعم بها على عباده .

(٢) لما هذه يقال فيها التوقيفية أي حصل نهْيٌ عن عبادة غير ربي في الوقت الذي جاءتني البينات وفي الآية تعريض بالمشركين إذ لم ينتهوا عن عبادة غير الله وقد جاءتهم البينات من ربهم .

(٣) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والإرزاق والإحياء والإماتة وكلها معرفة به تعالى وموجبة له العبادة والمحبة والإنابة والرغبة والرغبة ونافية لها عما سواه من سائر خلقه .
- ٢ - تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .
- ٣ - بيان خلق الإنسان وأطوار حياته وهي من الآيات الكونية الموجبة للإيمان بالله وتوحيده في عبادته إذ هو الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي نَصَرَفُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا

بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْطُلُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ

مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ

نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْتَسَ

مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

يجادلون في آيات الله : أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق هادية إليه .

أنى يصرفون : أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين .

الذين كذبوا بالكتاب : أي بالقرآن

و بما أرسلنا به رسلنا من وجوب الاسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان بلفاقته.

فسوف يعلمون : أي عقوبة تكذيبهم.
إذ الأغلال في أعناقهم : أي وقت وجود الأغلال في أعناقهم يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

ثم في النار يسجرون : أي يوقدون
ثم يقال لهم أين ما كنتم : أي يسألون هذا السؤال تبكيتاً لهم وخزياً.
تشركون من دون الله : أي تعبدونهم مع الله.
قالوا ضلوا عنا : أي غابوا عنا فلم نرهم.
بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً : أي انكروا عبادة الأصنام، أو لم يعتبروا عبادتها شيئاً وهو كذلك.

كذلك يضل الله الكافرين : أي مثل اضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.
بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق : أي بالشرك والمعاصي.
وبما كنتم تمرحون : أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح.
فبئس مثوى المتكبرين : أي دخول جهنم والخلود فيها بشئ ذلك مأوى للمتكبرين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان بالبعث والجزاء، وتقرير نبوة محمد ﷺ فقوله تعالى ﴿الم تر﴾ أي يا محمد ﴿إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآنية لابطالها وصرف الناس عن قبولها أو حملهم على إنكارها وتكذيبها والتكذيب بها وهذا تعجيب من حالهم. وقوله تعالى : ﴿أنى يصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته . وقوله ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ الذي هو القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة تكذيبهم وقت ما تكون الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون أي تسحبهم الزبانية في الحميم

(١) وقيل هذه الآية نزلت في القدرية نفاة القدر وقيل في المشركين والعبرة بعموم اللفظ فهي عامة في المشركين والمكذبين المجادلين في آيات الله وأحاديث رسوله ﷺ لصرفها عن مراد الله إحقاقاً لباطلهم وإثباتاً لمذهبهم الفاسد.

(٢) الأغلال جمع غل بضم الغين : حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعنق. سئل ابن عرفة هل يجوز أن يقاد اليوم الأسير والجاني بالغل في عنقه؟ قال لا يجوز وإنما يقاد الجاني من يده لنهي رسول الله ﷺ عن الإحراق بالنار وقال إنما يعذب بالنار رب النار.

هو ماء حار تناهى في الحرارة ثم في النار يسجرون أي توقد بهم النار كما توقد بالحطب، هذا عذاب جسماني ووراء عذاب روحاني إذ تقول لهم الملائكة توبيحاً وتبكيئاً وتأنيباً وتقريراً: ﴿أين ما كنتم تشركون﴾ أي أين أوثانكم التي كنتم تعبدونها مع الله؟ فيقولون: ضلوا عنا أي غابوا فلم نرهم، بل ما كنا ندعو من قبل شيئاً هذا إنكار منهم حملهم عليه الخوف أو هو بحسب الواقع أنهم ما كانوا يعبدون شيئاً إذ عبادة الأصنام ليست شيئاً لبطانها.

وقوله ﴿ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أي حل بكم هذا العذاب بسبب فرحكم بالباطل من شرك وتكذيب وفسق وفجور، في الدنيا، وبسبب مرحكم أيضاً وهو أشد الفرح وأخيراً يقال لهم ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ باباً بعد باب وهي أبواب الدركات ﴿خالدين فيها﴾ لا تموتون ولا تخرجون ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أي ساء وقبح مثواكم في جهنم من مثوى أي مأوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - التعجيب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.
- ٢ - إبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.
- ٣ - ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح.
- ٤ - ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم.

(١) قال مجاهد يطرحون في النار فيكونون وقوداً لها: يقال سجرت التنور أي أوقدته وسجرت ملاته أيضاً ومنه والبحر المسجور أي المملوء. وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾.

(٢) الاستفهام بآين يكون عن المكان وأريد به هنا التنبيه على الخلط والفضيحة في الموقف.

(٣) ما مصدرية في الموضعين والتقدير أي ذلكم العذاب الذي وقعتم فيه مسبب على فرحكم ومرحكم الذين كانا لكم في الدنيا إذ الأرض المراد بها الدنيا.

(٤) خالدين حال مقدرة أي مقدر خلودكم فيها و﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ متفرع على الخلود والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا
 نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِّئَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
 وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
 بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ
 لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
 اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

فاصبر إن وعد الله حق : أي فاصبر يا رسولنا على دعوتهم متحملاً أذا هم فإن وعد ربك
 بنصرك حق .

فإما نرينك بعض الذي نعدهم : أي من العذاب في حياتك .

منهم من قصصنا عليك : أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم وهم خمسة وعشرون .
 أن يأتي بآية إلا بإذن الله : أي لأنهم عبيد مربوبون لا يفعلون إلا ما يأذن لهم به
 سيدهم .

وخسر هنالك المبطلون : أي هلك أهل الباطل بعذاب الله فخسروا كل شيء .
 جعل لكم الأنعام : أي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضاً .
 ولكم فيها منافع : أي من اللبن والنسل والوبر .

ولتبلغوا عليها حاجة في : أي حمل الأثقال وحمل أنفسكم من بلد إلى بلد، لأنها كسفن

فأي آيات الله تنكرون : أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الانكار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الإلهية للمشركين إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والتي تلون فيها الأسلوب وتنوعت فيها العبارات والمعاني ، والمشركون يزدادون عتواً قال تعالى لرسوله أمراً إياه بالصبر^(١) على الاستمرار على دعوته متحملاً الأذى في سبيلها ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ فيخبره بأن ما وعده به ربه حق وهو نصره عليهم وإظهار دعوة الحق ولو كره المشركون. وقوله ﴿فإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ أي من العذاب الدنيوي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا يرجعون﴾ فنعذبهم بأشد أنواع العذاب في جهنم ، وننعم عليك بجوارنا في دار الإنعام والتكريم أنت والمؤمنون معك . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٨) ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ يخبر تعالى رسوله مؤكداً له الخبر مسلياً له حاملاً له على الصبر بأنه أرسل من قبله رسلاً كثيرين منهم من قص خبرهم عليه ومنهم من لم يقصص^(٢) وهم كثير وذلك بحسب الفائدة من القصص وعدمها وأنه لم يكن لأحدهم أن يأتي بآية كما طالب بذلك قومه ، والمراد من الآية المعجزة الخارقة للعادة ، إلا بإذن الله ، إذ هو الوهاب لما يشاء لمن يشاء ، فإذا جاء أمر الله بإهلاك المطالبين بالآيات تحدياً وعناداً ومكابرة قضى بالحق أي حكم الله تعالى بين الرسول وقومه المكذبين له المطالبين بالعذاب تحدياً ، فنجى رسوله والمؤمنين وخسر هنالك المبطلون من أهل الشرك والتكذيب.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧٩) الله الذي جعل لكم الأنعام يعرفهم تعالى بنفسه مقررًا ربوبيته الموجبة لألوهيته فيقول الله أي المعبود بحق هو الذي جعل لكم الأنعام على وضعها الحالي الذي ترون لتركبوا^(٣) منها وهي الإبل ، ومنها تأكلون ومن بعضها تأكلون كالبقرة والغنم ولا تركبون ، ولكن فيها منافع وهي الدرّ والوبر والصوف والشعر والجلود ولتبلغوا عليها حاجة في

(١) أمره تعالى رسوله بالصبر في الآية هو تسلياً له ﷺ إذ أخبره أنه ينتقم له من أعدائه في حياته أو في الآخرة وهذا كان لاستبطاء النبي ﷺ والمؤمنين النصر.

(٢) فأما أصلها فإن حرف شرط قرنت بما الزائدة للتأكيد ولذا الحقت نون التوكيد بفعل الشرط وعطف عليه أو توفينك وهو فعل شرط ثانٍ.

(٣) قال ابن كثير وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف وهو كذلك إذ لم يذكر في القرآن إلا خمسة وعشرون نبياً ورسولاً.

(٤) اللام متعلقة بجعل لكم الأنعام ومن في الموضعين للتبويض أي تركبون من بعضها وتأكلون من بعضها.

صدوركم وهي حمل أثقالكم والوصول بها إلى أماكن بعيدة لا يتأتى لكم الوصول إليها بدون الإبل سفائن البر، وقوله وعليها أي على الإبل وعلى الفلك «السفن» تحملون أي يحملكم الله تعالى حسب تسخيرها لكم.

وأخيراً يقول تعالى بعد عرض هذه الآيات القرآنية والكونية يقول لكم ﴿ويريكم آياته﴾ في أنفسكم وفي الآفاق حولكم ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾^(١) وكلها واضحة في غاية الظهور والبيان والاستفهام للإنكار عليهم علّهم يرجعون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الصبر على دعوة الحق والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى .
- ٢ - الآيات لا تعطي لأحد إلا بإذن الله تعالى إذ هو المعطي لها فهي تابعة لمشيئته .
- ٣ - من الرسل من لم يقصص الله تعالى أخبارهم ، ومنهم من قص وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً . وعدم القص لأخبارهم لا ينافي ببيان عددهم إجمالاً لحديث أبي ذر في مسند أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم عدّة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة جماعاً غفيراً .
- ٤ - ذكر منة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوباً لبعضها لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(١) اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركة في ما يضاف إليه أي وهو مستعمل هنا في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن يذكر دون غيره من الآيات فأفاد أن جميع الآيات صالحة للدلالة على وجود الله ووحدانيته في ألوهيته .

(٢) جمع بعضهم من ذكروا في القرآن من الآيات الآتية فقال

حتم على كل ذي التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر وبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

الرسل المجمع على أنهم رسل خمسة عشر وهم : نوح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، هود ، صالح ، شعيب ، موسى ، هارون ، عيسى ، يونس ، محمد ﷺ والمختلف في رسالتهم بعد الإجماع على نبوتهم باقي الخمسة والعشرين واختلف في نبوة لقمان وذو القرنين والخضر ومريم عليهم السلام .

﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
 مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا أَمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
 مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ
 اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

شرح الكلمات :

أفلم يسيروا في الأرض : أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً وغرباً.
 كيف كان عاقبة الذين من : أي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب
 قبلهم مدائن.

وآثاراً في الأرض : أي وأكثر تأثيراً في الأرض من حيث الإنشاء والتغيير.
 فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون: أي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية
 فرحوا بما عندهم من العلم : أي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل
 بعينه.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا : أي عذابنا الشديد النازل بهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قريش بما يذكرهم به وما يعرض عليهم من صور حية لمن
 كذب ولمن آمن لعلمهم يهتدون قال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي أعجزوا فلم يسيروا
 في الأرض أرض الجزيرة شمالاً ليروا آثار ثمود في مدائنهم وجنوباً ليروا آثار عاد، وغرباً ليروا
 آثار أصحاب الأيكة قوم شعيب والمؤتفكات قرى قوم لوط : فينظروا نظر تفكر واعتبار كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم . كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض من مصانع وقصور وحدائق وجنات
 فما أغنى عنهم لما جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من مال ورجال وقوة مادية .

(١) الفاء للتفريع وهمزة الاستفهام داخل على محذوف أي أعجزوا فلم يسيروا والاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم النظر
 في آثار الهالكين ليحصلوا على العبرة المطلوبة لهم ليؤمنوا ويوحداً فينجوا من العذاب .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٢) أما الآية الثانية (٨٣) فهي قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن المكذبين الهالكين أنهم لما جاءتهم رسلهم بالحجج والأدلة الظاهرة على توحيد الله والبعث والجزاء وصدقهم في النبوة والرسالة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ المادي وسخروا من العلم الروحي واستهزأوا بأهله فرحاً ومرحاً، ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كان نتيجة كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم، فلما رأوا عذاب الله الشديد وقد حاق بهم أعلنوا عن توبتهم ﴿فقالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي قالوا لا إله إلا الله. قال تعالى ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أي شديد عذابنا ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وأخبر تعالى أن هذه سنة من سنته في خلقه وهي أن الإيمان لا ينفع عند معاينة العذاب إذ لو كان يقبل الإيمان عند رؤية العذاب وحلوله لما كفر كافر ولما دخل النار أحد. وقول ﴿وخسر﴾ هنالك أي عند رؤية العذاب وحلوله ﴿الكافرون﴾ أي المكذبون المستهزئون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات

- ١ - مشروعية السير في البلاد للعة والاعتبار تقوية للإيمان.
- ٢ - القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئاً إذا أرادهم الله بسوء.
- ٣ - بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم إلا أنها لا تغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال القرطبي فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة أقوال قال مجاهد إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة مصدر سنّ يسن سناً وسنه أي سن الله عز وجل في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب وجائز أن يكون سنة منصوب والإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

(٣) خسر هنالك هذه الجملة كالفعل لقله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وهنالك اسم إشارة إلى مكان استعير للإشارة إلى الزمان أي خسروا وقت رؤيتهم بأسنا.

سُورَةُ فَصَّلَاتٍ^(١)

مكية

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ
 آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
 مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
 فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ (٥)

شرح الكلمات :

حَمْدٌ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حَم، ويقرأ هكذا حَا
 مِيم.

تنزيل من الرحمن الرحيم: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.

فصلت آياته : أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي لقوم يعلمون إذ هم الذين
 ينتفعون.

بشيراً ونذيراً : أي مبشراً أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذراً المكذبين
 الكافرين بالخسران.

فأعرض أكثرهم : أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.

فهم لا يسمعون : أي سماع تعقل وتدبر ليبتفعوا بما يسمعون.

في أكنة : أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستر.

(١) وتسمى سورة حَم السجدة وتسمى سورة المصاييح وسورة الأموات لذكر المصاييح والأموات والسجدة وفصلت فيها.

وفي آذاننا وقر : أي ثقل فلم نطق السمع .
ومن بيننا وبينك حجاب : أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تفعل .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حَمَّ﴾ هذا أحد الحروف المقطعة وتفسيره أن يقال فيه وفي أمثاله من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده به . وقد ذكرنا ما أثّرنا عن أهل العلم فائدتين هامتين لمثل هذه الحروف المقطعة في أول سورة غافر، وفي العديد من السور المفتحة بهذه الحروف فليرجع إليها ولتعرف وتحفظ وقوله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾^(١) أي هو منزله على عبده ورسوله محمد ﷺ وليس كما يقول المبطلون . وقوله ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي هو كتاب فخم جليل القدر فصلت آيته أي بينت حال كون ذلك التفصيل ﴿قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون﴾ لسان العرب ويفهمون معاني الكلام وأسراره . وقوله ﴿بشيرًا ونذيرًا﴾ وحال كونه أيضًا بشيرًا لأهل الإيمان وصالح الأعمال بالفوز بالجنة والنجاة من النار؟ ونذيرًا للمشركين المكذبين من عذاب النار، وقوله تعالى : ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أنه مع بيان الكتاب ووضوح ما جاء به ودعا إليه من التوحيد والخير أعرض أكثر كفار قريش عنه ولم يلتفتوا إليه فهم لا يسمعون ولا يريدون سماعه بحال، وقالوا معتردين بأقبح الأعذار: قلوبنا في أكنة أي أغطية تسترّها من أجل أن لا نفهم ما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء المقتضي لمتابعتك والسير وراءك، وفي آذاننا وقر أي ثقل فلا تقوى على سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب ساتر وحائل لنا عنك فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تعمل فتركنا كما تركناك، واعمل على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا وهذه نهاية المفاصلة التي أبدتها قريش للرسول ﷺ .

-
- (١) تنزيل مبتدأ وسوغ الابتداء به ما في التكرير من معنى التعظيم كأن قيل تنزيل عظيم ومن الرحمن الرحيم الخبر وكتاب بدل من تنزيل وفصلت صفة لكتاب .
(٢) في إعراب قرآنًا عدة وجوه أظهرها أن النصب على الحال وجائز أن يكون على الاختصاص بالمدح .
(٣) فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدي فلم يهتدوا ومن البشارة فلم يعنوا بها ومن النذارة فلم يحذروها فكانوا في أشد الحمالة إذ لم يُعنوا بالخير ولم يحذروا الشر فلم يأخذوا بالحيلة لأنفسهم .
(٤) روي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً فقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه .
(٥) وقيل اعمل على هلاكنا فإننا عاملون على هلاكك وقيل غير هذا وما في التفسير أولى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تعين تعلم اللغة العربية على كل مسلم يريد أن يفهم كلام الله القرآن العظيم .
- ٢ - اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب وهي البشارة والنذارة .
- ٣ - بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- قل إنما أنا بشر مثلكم : أي لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم .
 يوحى إلي أنما الهكم إله واحد : أي يوحى إلي بأن الهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد لا ثاني له ولا أكثر .
 فاستقيموا إليه : يا خلاص العباد له دون سواه . (١)
 واستغفروه : أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي .
 وويل للمشركين : أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضاداته بآلهة باطلة .

(١) شاهده قول الأصوليين ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب وما دام لا يفهم الشرع إلا بلغة القرآن وجب تعلم هذه اللغة .
 (٢) ذنوبكم التي قارفتوها من الشرك والمعاصي قبل التوبة التي هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ .

لا يؤتون الزكاة : أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يظهرونها من أضرار الشرك والمعاصي .
لهم أجر غير ممنون : أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها لا ينقطع بحال هو أجر غير ممنون .

معنى الآيات :

إنه بعد تلك المفصلة التي قام بها المشركون حفاظاً على الوثنية وجهل الجاهلية أمر تعالى رسوله أن يقول لهم إنما أنا بشر مثلكم في آدميتي لم أدع يوماً غيرها فلم أقل إني ملك ، إلا أنني أفضلكم بشيء وهو أنه يوحى إليّ من قبل ربي ، والموحي به إلي هو أنما الحكم الحق إله واحد لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ، وعليه فاخلعوا تلك الأوثان واستقيموا^(١) إليه تعالى بإخلاص العبادة والوجوه إليه ، واستغفروه من آثار الذنب السابق قبل الاستقامة على الإيمان والتوحيد وقوله تعالى : ﴿وويل للمشركين﴾ يخبر تعالى أن الويل وهو مر العذاب إذ من معاني الويل أنه صديد وقبح أهل النار وما يسيل من أبدانهم وفروجهم للمشركين بربهم الذين لا يؤتون زكاة أموالهم ، وهم بالآخرة هم كافرون أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء فلذا هم لا يتركون شراً ولا يفعلون خيراً إلا ما قل وندر والنادر لا حكم له .

وقوله تعالى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله وعده ووعيده وشرعه وعملوا الصالحات بأداء الفرائض والكثير من النوافل بعد تجنبهم الشرك والكبائر من الذنوب والمعاصي هؤلاء لهم أجر غير ممنون مقابل إيمانهم وصالح أعمالهم ، والأجر هو الثواب والمراد به الجنة إذ نعيمها لا ينقطع على من ناله وفاز به بحال من الأحوال .

هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة والتوحيد .

٢ - وجوب الاستقامة على شرع الله .

٣ - وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً .

٤ - وجوب الزكاة في الأموال ، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال .

(١) استقيموا إليه أي وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسألة إليه كما يقال للرجل استقم إلى منزلك أي لا تعرج إلى شيء غير القصد إليه .

(٢) قال ابن عباس لا يؤتون الزكاة أي لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة وقال بعضهم إن قريشاً كانوا ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ فنزلت هذه الآية .

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن الوعيد المتقدم فكان سائلاً يقول فإن اتعظ هؤلاء المشركون وتابوا من الشرك وترك المعاصي فما جزاؤهم ؟ فالجواب أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

(٤) المن القطع ومن صدقته فقد قطعها قال الشاعر :

لعمرك ما بابي بذئ غلق
على الصديق ولا خيرى بممنون

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)
 وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿ ١١ ﴾
 فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿ ١٢ ﴾

شرح الكلمات :

- بالذي خلق الأرض في يومين : أي الأحد والاثنين .
 وتجعلون له أنداداً : أي شركاء وهذا داخل في حيز الإنكار الشديد عليهم .
 ذلك رب العالمين : أي الله مالك العالمين وهم كل ما سواه عز وجل من سائر
 الخلائق .
 وجعل فيها رواسي : أي جبلاً ثوابت
 وبارك فيها : أي في الأرض بكثرة المياه والزرع والضرع .
 وقدر فيها أقواتها : أي أقوات الناس والبهائم .
 في أربعة أيام : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والاثنين والثلاثاء
 والأربعاء .
 سواء للسائلين : أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا
 نقصان .
 ثم استوى إلى السماء : أي قصد بإرادته الربانية إلى السماء وهي دخان قبل أن تكون
 سماء .

ففضاهن سبع سموات في يومين: أي الخميس والجمعة ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها.

وأوحى في كل سماء أمرها^(١) : أي ما أراد أن يكون فيها من الخلق والأعمال.

وزينا السماء الدنيا بمصابيح : أي بنجوم.

وحفظاً : أي وحفظناها من إستراق الشياطين السمع بالشهب الموجودة فيها.

ذلك تقدير العزيز العليم : أي خلق العزيز في ملكه العليم بخلقه.

معنى الآيات :

إنه بعد الإصرار على التكذيب والإنكار من المشركين أمر تعالى رسوله أن يقول لهم ﴿قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إن كفرهم عجب منكم هل تعلمون بمن تكفرون إنكم لتكفرون بالذي خلق الأكوان كلها عليها وسفلها في ستة أيام، أين يذهب بعقولكم يا قوم أتستطيعون جحود الله تعالى وجحود آياته وهذه الأكوان كلها آيات شاهدات على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وموجبة له الربوبية عليها والألوهية له فيها دون غيره من سائر خلقه وأعجب من ذلك أنكم تجعلون له أنداداً أي شركاء تسوونهم به وهم أصنام لا تسمع ولا تبصر فكيف تُسوَّى بالذي خلق الأرض في يومين أي الأحد والاثنين، وهو رب العالمين أجمعين أي رب كل شيء ومليكه ومالكة.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٩) ﴿وجعل فيها﴾ أي في الأرض رواسي أي جبالاً ثوابت ترسو في الأرض حتى لا تميد بأهلها ولا تميل فيخرب كل شيء عليها، ﴿وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والرزق والضرع والخيرات ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ تقديرًا يعجز البيان عن وصفه، والقلم عن رقمه والآلات الحاسبة عن عدّه. وذلك كله من الخلق والتقدير ﴿في أربعة أيام سواء﴾ لمن يسأل عنها إنها الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء أي مقدرة بأيامنا هذه التي تكونت نتيجة الشمس والقمر والليل والنهار فلا تزيد يوماً ولا تنقص آخر.

(١) الوحي : الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه فأوحى اليهم أي أومأ اليهم بما يدل على معنى سبحوا بكرة وعشياً قال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم أي لم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً؟ ومعنى الكفر به تعالى الكفر بانفراده بالألوهية. فلما أنكروا ألوهيته كان كإنكارهم صفات ذاته فصح أنهم كفروا به.

(٣) قال قتادة ومجاهد : خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها في يومي الثلاثاء والأربعاء.

(٤) أي في تنمة أربعة أيام.

وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ في الآية الثالثة (١٠) يخبر تعالى أنه بعد خلق الأرض استوى إلى السماء أي قصد بإرادته التي تعلو فوق كل إرادة ﴿إلى السماء وهي دخان﴾ أي بخار وسديم ارتفع من الماء الذي كان عرشه تعالى عليه فقال لها كما قال ﴿للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي طائعتين أو مكرهتين لا بد من مجيئكما حسب ما أردت وقصدت فأجابتا بما أخبر تعالى عنهما في قوله: ﴿قالتا أئتنا طائعتين﴾ أي لم يكن لنا أن نخالف أمر ربنا، ﴿ففضاهن سبع سموات في يومين﴾ وهما الخميس والجمعة، ﴿وأوحى في كل سماء أمراً﴾ أي ما أراد أن يخلقه فيها ويعمرها به من المخلوقات والطاعات. وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي النجوم وحفظاً أي وجعلناها أي النجوم حفظاً من الشياطين أن تسترق السمع فإن الملائكة يرحمونهم بالشهب من النجوم فيحترقون أو يخلبون. وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي ذلك المذكور من الخلق والتقدير تقدير العزيز في ملكه أي الغالب على أمره العليم بتدبير ملكه وأعمال وأحوال خلقه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الكفر بالله لا ذنب فوقه فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار أوثاناً تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

٢ - بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية وهي ستة أيام أي على قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه مبدوءة بالأحد منتهية بالجمعة، وقدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيهما بكلمة التكوين «كن» ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً.

٤ - لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية ثم استوى إلى السماء المشعر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله، والأرض بعد ذلك دحاها من سورة والنازعات المفهوم أن دَحَوُ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دَحَوُ الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله خلق الأرض في يومين على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن،

(١) قال ابن عباس قال الله تعالى للسماء اطلمي شمسك وقمرك وكواكبك وأجري سحابك ورياحك وقال للأرض شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين ﴿قالتا أئتنا طائعتين﴾.

(٢) في الأحاديث الصحيحة أن الله خلق آدم يوم الجمعة وأنه آخر أيام الأسبوع وأنه خيرها وأفضلها وأن اليهود والنصارى قد اختلفوا فيه فهدى الله الذين آمنوا إليه.

وتقدير الأقوات في قوله وقدر فيها أقواتها لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ما قدره إلى حيز الوجود، وحينئذ لا تعارض بين ما يدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السموات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد أن خلق السموات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك.

٤ - بيان فائدتين عظيمتين للنجوم الأولى أنها زينة السماء بها تضاء وتشرق وتذهب الوحشة منها والثانية أن ترمي الشياطين بالشهب من النجوم ذات التاج الناري.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاوُةً^ط أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ آخِرُ^ط وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى
الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾

(١) والثالثة الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة قال تعالى «والنجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر».

شرح الكلمات :

فإن أعرضوا : أي كفار قريش عن الإيمان والتوحيد بعد ذلك البيان المفصل .
 فقل أنذرتكم صاعقة : أي خوفتكم صاعقة تنزل بكم فتهلككم إن أصررتم على هذا الكفر .
 من بين أيديهم ومن خلفهم : أي أنتهم رسلهم تعرض عليهم دعوة الحق من أمامهم ومن ورائهم .
 لو شاء ربنا لأنزل ملائكة : أي بدلاً عنكم أيها الرسل من البشر .
 بغير الحق : أي بغير أن يأذن الله لهم بذلك العلو والاستكبار والتجبر .
 ريحاً صرصراً : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة .
 في أيام نحسات : أي مشثومات عليهم لم يفلحوا بعدها .
 ولعذاب الآخرة أحرزى : أي أشد خزياً من عذاب الدنيا .
 فاستجبوا العمى على الهدى : أي استجبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام والإيمان نور .
 الذين آمنوا وكانوا يتقون : أي الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قريش فقال تعالى : ﴿فإن أعرضوا﴾ ^(١) بعد ذلك البيان الذي تقدم لهم في الآيات السابقة المبين لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجب للإيمان بالله ولقائه وتوحيده فقل لهم أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة تنزل بكم إن أصررتم على إعراضكم مثل صاعقة عاد وثمود أي عذاباً مهلكاً كالذي أهلك الله به عاداً وثموداً .

وقوله : ﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ وهم هود وصالح من بين أيديهم ومن خلفهم كناية أن الرسول بلغهم دعوة الله لهم إلى الإيمان والتوحيد بعناية فائقة فكان يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم يدعوههم ، قائلاً لهم : لا تعبدوا إلا الله فإنه الإله الحق وما عداه فباطل فكان جوابهم لهم لا نؤمن لكم ولا نقبل منكم لو شاء الله ما تقولون لنا لأنزل به ملائكة يدعوننا إليه لا أن يرسل مثلكم من البشر وأخيراً قالوا لهم فإننا بما أرسلتم به كافرون فأياسوا الرسل من إجابتهم . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٢) والثانية (١٣) وفي الآية الثالثة (١٤) بين تعالى حال القوم كلاً على حدة فقال فاما عاد أي قوم هود فاستكبروا في الأرض بغير الحق فحملهم الكبر الناجم عن القوة

(١) أي استمروا على إعراضهم بعد دعوتك إياهم والحاك فيها .

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه ، وتطلق على الحادثة المفيدة السريعة الإهلاك .

(٣) جملة الا تعبدوا إلا الله تفسير لجملة وجاءتهم الرسل .

(٤) هذا قول عاد وثمود لرسولهم هود وصالح فحكي بهذا اللفظ .

(٥) لما حكى الله تعالى قولتي عاد وثمود لرسولهم وهو قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة فصل في هذه الآيات حال كل من القبيلتين إتماماً للتذكير بحالهما والموعظة بالعذاب الذي أصابهما فقال فاما عاد . الخ .

المادية على رفض دعوة هود عليه السلام وقالوا فيه وفي دعوته الكثير وقد مر في سورة هود وبآتي في سورة الأحقاف مفصلاً ما أجمل هنا، وقوله بغير الحق أي أن استكبارهم لاحق لهم فيه أولاً لضعفهم أمام قوة الله عز وجل، وثانياً لم يأذن الله تعالى لهم بالاستكبار فهو بغير حق إذاً. وقوله: ﴿وقالوا من أشد منا قوة﴾ وهذا منهم تحد صريح وعلو وعتو واضحان، ولذا تحداهم الله تعالى بالقوة فقال عز وجل أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أعموا ولم يروا أن الله الذي خلقهم قطعاً هو أشد منهم قوة. إذ كل قوة لهم مصدرها الله هو خالقهم وواهب القوة لهم، فقوتهم ليست ذاتية ولكنها موهوبة إذ يُخلق أحدهم وهو لا يقدر على دفع أدنى شيء عن نفسه وقوله: وكانوا بآياتنا يمجحدون هذا تسجيل عليهم أكبر ذنب وهو جحودهم بآيات الله التي جاء بها رسول الله هود عليه السلام كما جحدت قريش آيات الله، وقوله تعالى فأرسلنا أي بمجرد أن تأكد كفرهم بجحودهم بآيات الله أرسل الله تعالى عليهم ريحا صرصراً أي باردة ذات صوت مزعج دامت سبع ليال وثمانية أيام فلم تبق منهم أحداً وهي أيام نحسات عليهم مشؤمات قال تعالى لنذيقهم أي أرسلناهم عليهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد خزيًا وإهانة لهم وذلة، وهم لا ينصرون أي لا ناصر لهم من الله عز وجل. هذا بيان حال عاد. وأما ثمود فقد قال تعالى وأما ثمود قوم صالح فاستحبوا الضلال على الهدى والكفر على الإيمان وقتلوا الناقة وهُمُوا بقتل صالح فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وذلك صباح السبت فأخذتهم صيحة انخلت لها قلوبهم فرجفت الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم، وذلك بما كانوا يكسبون من الشرك والظلم والكفر والعناد. ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي وكانوا أربعة آلاف مؤمن ومؤمنة وهو معنى قوله تعالى في ختام الحديث: ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون.

(١) وهذا اغترار بقوة أجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب.

(٢) أصلها من صرر من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل نحو كبكبو أصلها كيبو وتجعجف الثوب أصلها تجحف والصرصر هي الشديدة البرودة قال الحطيط:

المطعمون إذا هبت بصرصرة الحاملون إذا استودوا على الناس

ومعنى استودوا إذا سئلوا الدية.

(٣) قرأ نافع بسكون الحاء ويجوز كسرهما وبه قرأ حفص على أنه صفة مشبهة من نحس إذا أصابه النحس إصابة سوء أو ضرر والنحسات بسكون الحاء جمع نحس.

(٤) شروع في تفصيل حال ثمود بعد عاد والهداية التي كانت لهم هداية إرشاد وتكليف بواسطة رسولهم صالح وما آتاهم الله من معجزة الناقة العظيمة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق ، والاستمرار في التمرد والعصيان .
- ٢ - تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله .
- ٣ - دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات .
- ٤ - التنديد بالاستكبار وأنه سبب الكفر والعصيان .
- ٥ - لا مصيبة إلا بذنب «بما كانوا يكسبون» أي من الذنوب .
- ٦ - الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنتا الولاية ولاية الله تعالى لقوله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ

أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْمٌ لِّمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

(١) أي لقوله تعالى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون أي بسبب كسبهم السيئات .

(٢) الآية من سورة يوسف عليه السلام .

شرح الكلمات :

فهم يوزعون : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين .
 حتى إذا ما جاءوها : أي حتى إذا جاءوها أي النار .
 بما كانوا يعملون : أي من الذنوب والمعاصي .
 وهو خلقكم أول مرة : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم .
 وما كنتم تسترون : أي عند ارتكابكم الفواحش والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتركوا الفواحش والذنوب .
 ولكن ظننتم أن الله لا يعلم : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله لا يعلم ذلك منكم .
 أرداكم : أي أهلككم .
 فإن يصبروا فالنار مثوى لهم : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي ماوى لهم .
 وإن يستعذبوا : أي يطلبوا العتبي وهي الرضا فلا يعتبون أي لا يرضى عنهم هذه حالهم أبداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة قريش إلى أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وفي هذا السياق عرض لمشهد من مشاهد القيامة وهو مشهد حيّ رائع يعرض أمامهم .
 إذ يقول تعالى : ويوم يحشر أعداء الله إلى النار أي اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله أي الذين كفروا به فلم يؤمنوا ولم يتقوا ؛ إلى النار فهم يوزعون يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيساقون مع بعضهم بعضاً . حتى إذا ما جاءوها أي انتهوا إليها ، وادعوا أنهم مظلومون وأخذوا يتنصلون من ذنوبهم ، وقالوا إنهم لا يقبلون شاهداً من غير أنفسهم فيأمر الله تعالى أسمعهم وأبصارهم وجلودهم فتشهد عليهم بما كانوا يعملون ، وهو قوله تعالى : ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ وهنا رجعوا إلى جلودهم يلومون عليهم ويعتبون وهو ما أخبر تعالى به في قوله : وقالوا لجلودهم ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ لَنَا﴾ فأجابتهم جلودهم بما أخبر تعالى عنهم في هذا السياق ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول

(١) يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها .

(٢) حرف ابتداء في اللفظ أي أن ما بعدها جملة مستأنفة إلا أنها تفيد معنى الغاية «وما» في ما جاءوها مزيدة للتوكيد .

(٣) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب واقتضاح وإلا إدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم أنزلهم منزلة العقلاء .

مرة ﴿أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أمانكم ثم أحياءكم﴾ وإليه ترجعون ﴿وهأنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطافه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون﴾^(١) أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالتار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبداً، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبي أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم بمستبشرين﴾^{من المحسنين} أي فما هو بحاصل لهم أبداً فهم إذا بشر التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.
- ٢ - التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.
- ٣ - التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه.
- أولا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.
- ٤ - وجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال المعجز عن الطاعات ولا سيما عند المعجز عن العمل للمرض والضعف كالكبير ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ﴾

قُرْنَاءَ فَرِيقَيْنَا لَهُمْ مَّابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ

(١) في الصحيحين جادة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي أن عبدالله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبدالله فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ ..

كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْجِدُونَ
﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

وقيضنا لهم قرناء : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين .
فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم : أي حسنا لهم الكفر والشرك ، وإنكار البعث والجزاء .
وحق عليهم القول في أمم قد خلت : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت قبلهم من
الجن والإنس .

والغوا فيه لعلكم تغلبون : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرأه .
ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون .
أعداء الله : أي من كفروا به ولم يتقوه .

أرنا للذين أضلانا من الجن والإنس : أي إبليس من الجن ، وقابيل بن آدم .
نجعلهما تحت أقدامنا : أي في أسفل النار ليكونا من الأسفلين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المعرضين من كفار قريش ، فقال تعالى : ﴿ وقيضنا^(١) لهم ﴾ أي بعثنا لهم قرناء من الشياطين ، وذلك بعد أن أصروا على الباطل والشر فخبثوا
خبثًا سهَّلَ لأخبار الجن الاقتران بهم فزينا لهم الكفر والمعاصي القبيحة في الدنيا فها

(١) قيضنا : أثننا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم قد يكونون من الجن ومن الإنس إذ الشياطين من الجنسين .

هم منغمسون فيها، كما زينوا لهم الكفر بالبعث والجزاء وإنكار الجنة والنار حتى لا يقصروا في الشر ولا يفعلوا الخير أبداً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم، وما خلفهم﴾.

وقوله تعالى: ﴿فحق عليهم القول﴾ أي بالعذاب ﴿في أمم﴾ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿في حكم الله وقضائه بمقتضى سنة الله في الخسران﴾. هذا ما دلت عليه الأولى (٢٥) وهي قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناً فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٦) ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ يخبر تعالى عن أولئك المعرضين عن كفار قريش وأنهم قالوا لبعضهم بعضاً لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ حتى لا تتأثروا به، والغوا فيه أي الغطوا وصيحوا بكلام لهو وصفقوا وصفروا حتى لا يتأثر به من يسمعه من الناس لعلكم تغلبون أي رجاء أن تغلبوا محمداً على دينه فتبطلوه ويبقى دينكم. وهذا منتهى الكيد والمكر من أولئك المعرضين عن دعوة الإسلام.

وكان رد الله تعالى على هذا المكر في الآية التالية (٢٧) فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأنه سيذيق الذين كفروا عذاباً شديداً وذلك يوم القيامة وليجزينهم أسوأ أي أقبح الذي كانوا يعملون أي يجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون. ثم قال تعالى: ذلك الجزاء المتوعد به الذين كفروا هو جزاء أعداء الله الذين حاربوا رسوله ودعوته وحتى كتابه أيضاً. وذلك الجزاء هو النار لهم فيها دار الخلد أي الإقامة الدائمة جزاء بما كانوا بأياتنا يجحدون فلم يؤمنوا بها ولم يعملوا بما فيها وقوله تعالى في الآية (٢٩) وقال الذين كفروا الآية

(١) في أمم حال من الضمير في عليهم أي حق عليهم حالة كونهم في أمم أمثالهم قد سبقوهم والظرفية هنا مجازية بمعنى التبعض أي هم من جملة أمم فدخلت من قبلهم قال الشاعر:

إن تك عن أحسن الصنعة مأفوا كاففي آخرين قد انكروا

(٢) قال ابن عباس كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا له والغوا فيه فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصباح وفي الصحيح أنهم أخرجوا أبا بكر من مكة خوفاً أن يفتن أبناءهم ونساءهم بقرآته القرآن لرقعة صوته وبكائه.

(٣) دار الخلد هي النار نزلت النار منزل الظرف فكانت بذلك دار الخلد والخلد البقاء المؤبد في عالم الشقاء.

يخبر تعالى عن الكافرين وهم في النار إذ يقولون ربنا أي ياربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس أي اللذين كانا سببا في إضلالنا بتزيينهم لنا الباطل وتقييحهم لنا الحق أرناهم نجعلهما تحت أقدامنا في النار ليكونا من الأسفلين أي في الدرك الأسفل من النار إذا النار دركات واحدة تحت الأخرى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق الذي هو الاسلام فخبث من جراء كسبه . الشر والباطل وتوغله في الظلم والفساد يبعث الله تعالى عليه شيطانا يكون قرينا له فيزين له كل قبيح ، ويقبح له كل حسن .
- ٢ - بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو عند قراءة القرآن حتى لا يسمع ولا يهتدي به .
- ٣ - تقرير البعث والجزاء .
- ٤ - بيان نعمة أهل النار على من كان سببا في إضلالهم وإغوائهم ، ومن سن لهم سنة شر يعملون بها كإبليس ، وقابيل بن آدم عليه السلام . إذ الأول سن كل شر والثاني سن سنة القتل ظلما وعدوانا .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

(١) أرنا أي عينا لنا الذين أضلانا من الجن والإنس كناية عن إرادة الانتقام منهم بأن يطوهم بأقدامهم انتقاماً منهم وتعديباً لهم لأنهم كانوا السبب في شقوتهم قرأ الجمهور أرنا بكسر الراء وقرأ غيرهم بسكون الراء أرنا كما خففوا فخذ إلى فخذ بسكون الخاء .

(٢) هذا التعليل أرادوا به التوطئة لاستجابة الله تعالى لما علموا من غضب الله تعالى أن يتوسلوا إليه تعالى بذلك .

شرح الكلمات :

قالوا ربنا الله : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره
واللهم الذي لا إله لهم سواه .

ثم استقاموا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل
الأوامر وترك النواهي .

تتنزل عليهم الملائكة : أي عند الموت وعند الخروج من القبر بحيث تلتقاهم هناك .
أن لا تخافوا ولا تحزنوا : أي بأن لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته ولا
تحزنوا عما خلفتم وراءكم .

نحن أولياؤكم في الحياة : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا .
الدنيا وفي الآخرة

ولكم فيها ما تدعون : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتريات لكم .
نزلا من غفور رحيم : أي رزقا مهيا لكم من فضل رب غفور رحيم .

معنى الآيات :

لما بين تعالى حال الكافرين في الدار الآخرة وهي أسوأ حال بين حال المؤمنين في الآخرة
وهي أحسن حال وأطيب مآل فقال إن الذين قالوا ربنا الله أي لا رب لنا غيره ولا إله لنا سواه، ثم
استقاموا فلم يشركوا به في عبادته أحداً فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك هؤلاء
تتنزل عليهم الملائكة أي تهبط عليهم وذلك عند الموت بأن تقول لهم لا تخافوا على ما أنتم
مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم وأبشروا بالجنة دار
السلام التي كنتم توعدها في الكتاب وعلى لسان الرسول . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا إذا

(١) في صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك
وفي رواية غيرك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم وزاد الترمذي قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ قال فأخذ بلسان
نفسه وقال هذا .

(٢) ذكر القرطبي في تفسير الاستقامة أكثر من عشرة أقوال للمصاحبة والسلف، ثم قال وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها
«اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلًا وداوموا على ذلك» .

(٣) قال وكيع وابن أبي زيد البشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وشاهد هذا قوله ﷺ من أحب لقاء الله
أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت : قال ﷺ ليس ذلك كراهة الموت ولكن
المؤمن إذا حُضِرَ جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون لقي الله تعالى فأحب الله
لقاءه قال وإن الفاجر والكافر إذا حُضِرَ جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه قال
ابن كثير وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه .

كنا نسددكم ونحفظكم من الوقوع في المعاصي ، وفي الآخرة نستقبلكم عند الخروج من قبوركم حتى تدخلوا جنة ربكم . ولكم فيها أي في الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون أي تطلبون مما ترغبون فيه وتشتهون . نزل أي قرئ وضيافة من لدن رب غفور لكم رحيم بكم لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - فضل الإيمان والاستقامة عليه بأداء الفرائض واجتناب النواهي .
- ٢ - بشرى أهل الإيمان والاستقامة عند الموت بالجنة وهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي هذه وفي الآخرة عند خروجهم من قبورهم .
- ٣ - في الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذه الأعين ، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا
إِلَّا أَلْدُو حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَزْنِ عَنْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله : أي لا أحد أحسن قولاً منه أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته .

وعمل صالحاً وقال إنني من : وعمل صالحاً وهي شرط أيضاً وقال إنني من المسلمين شرط المسلمين ثالث .

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة : أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة .
 ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالرضى ، والقطيعة بالصلة .
 كأنه ولي حميم : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك .
 وما يلفاها إلا الذين صبروا : أي وما يعطي هذه الخصلة التي هي أحسن .
 إلا ذو حظ عظيم : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال .
 وإما ينزغنك من الشيطان نزغ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر .
 فاستعد بالله : أي فاستجر بالله قائلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
 إنه هو السميع العليم : أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بما يصيهم وينزل بهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بشرى أهل الإيمان وصالح الأعمال ذكر هنا بشرى ثانية لهم أيضاً فقال : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذه ثلاثة شروط الأول دعوته إلى الله تعالى بأن يعبد فيطاع ولا يعص ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر والثاني وعمل صالحاً فأدى الفرائض واجتنب المحارم ، والثالث وفاخر بالإسلام معتزاً به وقال إنني من المسلمين ، فلا أحد أحسن قولاً من هذا الذي ذكرت شروط كما له ، ويدخل في هذا أولاً الرسل ، وثانياً العلماء ، وثالثاً المجاهدون ورابعاً المؤذنون وخامساً الدعاة الهداة المهديون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٣) . وقوله تعالى : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ هذا تقرير إلهي يجب أن يعلم وهو أن الحسنة لا تستوي مع السيئة وأن السيئة لا تستوي مع الحسنة فالإيمان لا يساوى بالكفر ، والتقوى لا تساوى بالفجور ، والعدل لا يساوى بالظلم .

كما أن أن جنس الحسنات لا يتساوى ، وجنس السيئات لا يتساوى بل يتفاضل فصيام رمضان لا يساوي بصيام رجب أو محرم تطوعاً ، وسيئة قتل المؤمن لا تستوي مع شتمه أو ضربه وقوله

(١) يدخل في هذه الآية دخولاً أولياً رسول الله ﷺ إذ هو أحق وأجدر وهي نازلة فيه رداً على الذين يلغون في القرآن عند سماعه وهي تتناول كل مؤمن متصف بهذه الصفات المعبر عنها في التفسير بالشروط .

(٢) لا في قوله ولا السيئة صلة زيدت للتأكيد إذ الأصل ولا تستوي الحسنة والسيئة وشاهدها قول الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾^(١) أي بعد أن عرفت يارسلنا عدم تساوي الحسنة مع السيئة إذا فادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن من غيرها فإذا الذي بينك وبينه عداوة قد انقلب في بره بك واحترامه لك واحتفائه بك كأنه ابن عم لك يحبك ويحترمك ولما كانت هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي أحسن لا تتأتى إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة قال تعالى : ﴿وما يلقاها﴾ أي وما يعطي هذه الخصلة ﴿إلا الذين صبروا﴾ فكان الصبر خلقاً من أخلاقهم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ في الأخلاق والكمال النفسي ، في الدنيا ، والأجر العظيم وهو الجنة في الآخرة .

وقوله تعالى : ﴿وما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ يرشد الرب تعالى عبده ورسوله وكل فرد من أفراد أمته إن نزغه من الشيطان نزغ بأن وسوس له بفعل شر أو ترك خير ، أو خطر له خاطر سوء أن يفرغ إلى الله تعالى يستجير به فإن الله تعالى هو السميع العليم فالاستجارة به من الشيطان تحمي العبد وتقيه من وسواس الشيطان وما يلقيه في النفس من خواطر سيئة ، والله الحمد والمنة على هذه الارشاد الرباني الذي لا يستغنى عنه أحد من عباده .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين .
- ٢ - فضل الإسلام والاعتزاز به والتفاخر الصادق به .
- ٣ - تقرير أن الحسنة لا تتساوى مع السيئة . كما أن الحسنات تتفاوت والسيئات تتفاوت .
- ٤ - وجوب دفع السيئة من الأخ المسلم بالحسنة من القول والفعل .
- ٥ - فضل العبد الذي يكمل في نفسه وخلقه فيصبح يدفع السيئة بالحسنة .

(١) قال ابن عباس ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك . وقيل أيضا هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقال مجاهد هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى (بالتى هي أحسن) .

(٢) قال ابن عباس في هذه الآية ادفع بالتى هي أحسن إلى قوله ولي حميم امره الله تعالى بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وهو كما قال رضى الله عنه .

(٣) فائدة الاستعاذة بالنسبة إلى الرسول ﷺ تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي ﷺ لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للنعمة وصقل للنفس مما يغنان على القلب كما قال الرسول ﷺ «إنه ليغان على قلبي وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» .

٦ - وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس أو ألقى بخاطر سوء إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم.

وَمِنْ آيَاتِهِ

الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنَّ أَسْتَكَبرُوا فَأَلْزَمَ الْفِرْيَانُ
رَبَّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته

: أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده .

الليل والنهار

: أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر .

لا تسجدوا للشمس ولا للقمر : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته
الدالة عليه .

إن كنتم إياه تعبدون

: أي إن كنتم حقاً تريدون عبادته فاعبدوه وحده فإن العبادة لا
تصلح لغيره .

فالذين عند ربك

: أي الملائكة .

وهم لا يسأمون

: أي لا يملون من عبادته ولا يكلون .

ترى الأرض خاشعة

: أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة .

اهتزت وربت

: أي تحركت ، وانتفخت وظهر النبات فيها .

إن الذي أحياها لمحيي الموتى : أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ومن آياته أي ومن جملة آياته العديدة الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده ، الليل والنهار وتعاقبهما وانتظام ذلك بينهما فليس الليل سابق النهار ، وكذا الشمس والقمر خلقهما وسيرهما في فلكيهما بانتظام ودقة فائقة وحساب دقيق وعليه فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر أيها الناس فانهما مخلوقان من جملة المخلوقات ، ولكن اسجدوا لخالقهما إن كنتم إياه تعبدون كما تزعمون . ثم قال تعالى : لرسوله فإن أبوا أن يستجيبوا لك ويسمعوا ما قلت لهم مستكبرين فاعلم أن الذين عند ربك وهم الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من ذلك ولا يملون .

وقوله : ومن آياته أي علامات قدرته على إحياء الموتى للبعث والجزاء إنك أيها الإنسان ترى الأرض أيام المحل والجذب هامة جامدة لا حركة لها فإذا أنزل الله تعالى عليها ماء المطر اهتزت وربت أي تحركت تربتها وانتفخت وعلاها النبات وظهرت فيها الحياة كذلك إذا أراد الله إحياء الموتى أنزل عليهم ماء من السماء وذلك بين النفختين نفخة الفناء ونفخة البعث فينبتون كما ينبت البقل وقوله : إن الذي أحيانا بعد موتها لمحيي الموتى إنه تعالى على فعل كل شيء أرادته قدير لا يمتنع عنه ولا يعجزه ، وكيف لا ، وهو إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لله العباداة دون غيره من خلقه .
- ٢ - بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس ويسجدون لها من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل فالعبادة لا تكون للمخلوقات الخاضعة في حياتها للخالق وإنما تكون لخالقها ومسخرها لمنافع خلقه .
- ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة وهو موت الأرض بالجذب ثم حياتها

(١) لا شك أن هناك من كان يسجد للشمس في بلاد العرب ففي اليمن كانوا يعبدون الشمس على عهد ملكة سبا لقوله تعالى على لسان الهمداني «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله» ووجد في أصنام قريش صنم يقال له شمس ولذا سموا عبد شمس .

(٢) لا شك أن هنا سجدة من عزائم السجادات إلا أنهم اختلفوا في موضع السجود فمالك يرى أنه يسجد عند قوله «إن كنتم إياه تعبدون» والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم يرى السجود عند «وهم لا يسأمون» والأمر واسع ففي أي الموضعين سجد أجزاء والحمد لله .

(٣) في الآية تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير عقيدة الألوهية وسيأتي في الآيات بعد تقرير النبوة المحمدية وهذه أعظم أركان العقيدة الإسلامية . التوحيد البعث والجزاء والنبوة وباقي أركان العقيدة تابعة لهذه الأركان العظيمة .

بالغيث، إذ لا فرق بين حياة النبات والأشجار في الأرض بالماء وبين حياة الإنسان بالماء كذلك في الأرض بعد تهيئة الفرصة لذلك بعد نفخة الفناء ومضي أربعين عاماً عليها ينزل من السماء ماء فيحيا الناس وينبتون من عجب الذنب كما ينبت النبات، بالبذرة الكامنة في التربة.

٥ - تقرير قدرة الله على كل شيء أرادته، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته. بعد الإيمان به وتأليهه.

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

يلحدون في آياتنا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤلونها على غير تأويلها لابطال حق أو إحقاق باطل.

لا يخفون علينا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.

أم من يأتي آمناً يوم القيامة : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقي في النار.

اعملوا ما شئتم : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذنًا لهم في العمل كما شاءوا.

إن الذين كفروا بالذكر : أي جحدوا بالقرآن أو الحدوا فيه فكفروا بذلك.

وإنه لكتاب عزيز : أي القرآن لكتاب عزيز أي منيع لا يقدر على الزيادة فيه ولا النقص منه.

لا يأتيه الباطل من بين يديه : أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً وهذا معنى من بين يديه.

ولا من خلفه . : أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً

وهذا معنى من خلفه، كما أنه ليس قبله كتاب يتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع.

معنى الآيات :

يتوعد الجبار عز وجل الذين يلحدون في آيات كتابه بالتحريف والتبديل والتغيير بأنهم لا يخفون عليه، وأنه سينزل بهم نقمته إن لم يكفوا عن إلحادهم.

وقوله : أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إذا كان لا يوجد عاقل يقول الذي يلقى في النار خير ممن يأتي آمناً يوم القيامة فالإلقاء في النار سببه الكفر والإلحاد والباطل فليترك هذه من أراد النجاة من النار، والأمن يوم القيامة من كل خوف من النار وغيرها سببه الإيمان والتوحيد فليؤمن ويوحد الله تعالى في عبادته ولا يلحد في آياته من أراد الأمن يوم القيامة بعلمه أنه خير من الإلقاء في النار. هذا أسلوب في الدعوة عجيب انفرد به القرآن الكريم.

وقوله تعالى : ﴿اعملوا ما شئتم﴾^(١) إنه بما تعملون بصير ﴿هذا الكلام يقال للمستهترين بالأحكام الشرعية المستخفين بها فهو تهديد لهم وليس إذناً وإباحة لهم أن يفعلوا ما شاءوا من الباطل والشرك والشر، ويدل على التهديد قوله بعد إنه بما تعملون بصير.

ومثله قوله إن الذين كفروا بالذكر أي القرآن، وإنه لكتاب عزيز أي منيع بعيد المنال لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير.

ولما كان المراد من هذا الكلام التهديد سكنت عن الخبر إذ هو أظهر من أن يذكر والعبارة قد تقصر عن أدائه بالصورة الواقعة له. وقد يقدر لنفعلن بهم كذا وكذا . . .

وقوله تنزيل من حكيم حميد أي القرآن المنيع كما له وشرفه ومناعته أثنه أنه تنزيل من حكيم في أفعاله وسائر تصرفاته حميد بذلك وبغيره من فواضله وآلائه ونعمه.

(١) الأمر هنا ليس للإباحة وإنما هو للتهديد كما في التفسير.

(٢) قوله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ الجملة تعليلية متضمنة الوعيد والتهديد فهي مؤكدة لما تضمنه قوله تعالى ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من التهديد.

(٣) الخبر مقدر تقديره : هالكون أو معذبون وما ذكر في التفسير في تقدير الخبر حسن.

(٤) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة الإلحاد في آيات الله بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل .
- ٢ - التهديد الشديد لكل من يحرف آيات الله أَوْ يُؤَوِّلُهَا عَلَى غَيْرِ مَرَادِ اللَّهِ مِنْهَا .
- ٣ - تقرير مناعة القرآن وحفظ الله تعالى له ، وأنه لا يدخله النقص ^(١) ولا الزيادة إلى أن يرفعه الله إليه إذ منه بدأ وإليه يعود .

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِّقِلْ

لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَيُّ عَجَمٍ
 وَعَرَبِيٍّ قُلُّ هُوَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِيْنَ
 لَا يُؤْمِنُوْنَ فِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 يَنَادُوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَاخْتَلَفَ فِيْهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) تضمنت الآية ست صفات للقرآن العظيم هي كالتالي : انه ذكر يذكر الناس بما يغفلون عنه . انه ذكر للعرب أي شرف لهم كقوله ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ انه كتاب عزيز والعزیز النفس والمنیع ، أيضاً إذ أعجز الإنس والجن أن يأتيوا بمثله انه لا يتطرق إليه الباطل ولا يخالطه بحال انه مشتمل على الحكمة وهو حكيم وذو حكمة وحاكم أيضاً وانه تنزيل من حميد والحميد المحمود حمداً كثيراً .

شرح الكلمات :

- ما يقال لك : أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ .
- إلا ما قد قيل للرسول من قبلك : أي من التكذيب لهم والكذب عليهم .
- إن ربك لذو مغفرة : أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته .
- وذو عقاب أليم : أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصرين على الكفر والباطل .
- ولو جعلناه قرءاناً أعجبياً : أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا : هلا أنزل القرآن بلغة العجم .
- لقالوا : لولا فصلت آياته : أي بينت حتى نفهمها .
- أعجمي وعربي : أي أقرآن أعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتاً منهم وعناداً ومجادلة .
- هدى وشفاء : أي هدى من الضلالة ، وشفاء من داء الجهل وما يسببه من أمراض .
- والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر : أي ثقل فهم لا يسمعون وهو عليهم عمى فلا يفهمونه .
- أولئك ينادون من مكان بعيد : والمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له .
- ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوراة .
- فاختلف فيه : أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هي الحال في القرآن الكريم .
- ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم هناك .
- لقضي بينهم : أي لحكم بين المختلفين اليوم وأكرم الصادقون وأهين الكاذبون .
- وما ربك بظلام للعبيد : أي وليس ربك يارسولنا بذئ ظلم للعبيد .

معنى الآيات :

بعد توالي الآيات الهادية من الضلالة الموجبة للإيمان كفار قريش لا يزيدهم ذلك إلا عناداً وإصراراً على تكذيب الرسول والكفر به وبما جاء به من عند ربه ، ولما كان الرسول بشراً يحتاج إلى عون حتى يصبر أنزل تعالى هذه الآيات في تسليته ﷺ وحمله على الثبات والصبر فقال

تعالى : ﴿ ما يقال لك ﴾^(١) يارسولنا من الكذب عليك والتكذيب لك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك . وقوله تعالى : إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب فلذا لا يتعجل بإهلاك المكذبين رجاء أن يتوبوا ويؤمنوا ويوحدا ، وذو عقاب أليم أي موجع شديد لمن مات على كفره .

وقوله تعالى : ولو جعلناه قرآناً أعجباً أي كما اقترح بعض المشركين ، لقالوا : لولا فصلت آياته أي هلا بُيِّنَتْ لنا حتى نفهمها ، ثم قالوا : أعجمي وعربي أي أقرأناً أعجمي ونبي عربي مُسْتَكْرِينَ ذلك متعجبين منه وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم والنبي الكريم وتوحيد الرب الكريم .

ولما علم تعالى ذلك منهم أمر رسوله أن يقول لهم قل هو أي القرآن الكريم هدى وشفاء هدى يهتدي به إلى سبل السعادة والكمال والنجاح ، وشفاء من أمراض الشك والشرك والنفاق والعجب والرياء والحسد والكبر ، والذين لا يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً هو أي القرآن في آذانهم وقر أي حمل ثقیل أولئك ينادون من مكان بعيد ولذا فهم لا يسمعون ولا يفهمون .

هذه تسليية وأخرى في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلّفوا فيه فمنهم المصدق ومنهم المكذب ، ومنهم العامل بما فيه المطبق ومنهم المعرض عنه المتبع لهواه وشيطانه الذي أغواه وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه لحكم لأهل الصدق بالنجاة وأهل الكذب بالهلاك والخسران وقوله : وإنهم لفي شك منه أي من القرآن مربب أي موقع في الريبة وذلك من جراء محادثته والمعاندة والمجادلة ، وقوله : من عمل صالحاً فلنفسه وهذه تسليية أعظم فإن من عمل صالحاً في حياته بعد الإيمان فإن جزاءه قاصر عليه ينتفع به دون سواه ، ومن أساء أي عمل السوء وهو ما يسوء النفس من الذنوب والآثام فعلى نفسه عائد . سوءه الذي عمله ولا يعود على غيره ، وأخرى في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد أي ليس هو تعالى بذی ظلم لعباده . فقوله تعالى من عمل صالحاً فلنفسه عائد ذلك ومن أساء فعليها أي عائد الإساءة إن فيه لتسليية لكل من أراد أن يتسلى ويصبر .

١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فهي جواب لسؤال يثيره قوله تعالى ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ الخ .

٢) في الآية إشارة واضحة إلى عموم رسالته ﷺ .

٣) معنى قرآناً كتاباً مقروءاً إذ ورد في الحديث الصحيح تسمية الزبور قرآناً بمعنى يقرأ ويكتب إذ قال ﷺ « إن داود يسر له القرآن فكان يقرأ القرآن كله «الزبور» في حين يسرج له فرسه .

٤) حقيقة الشفاء زوال المرض وهو هنا مستعار للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس كما يزول المرض عند حصول الشفاء .

٥) فيه تسليية للرسول ﷺ على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك فقد أوتي موسى الكتاب فاختلّف فيه بالتصديق والتكذيب والعمل والترك .

٦) المراد بنفي الظلم من الله للعبيد أنه لا يعاقب من ليس منهم بمجرم ، لانه تعالى لما وضع الشرائع وأرسل الرسل صار ذلك قانوناً فمن تعدها مهملاً له معرضاً عنه فقد استوجب العذاب وتعذبه عدل وليس بظلم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تسلية الرسول أي حملة على الصبر والسلوان ليواصل دعوته إلى نهايتها.
- ٢ - بيان مدى ما كان عليه المشركون من التكذيب للرسول والمعاندة والمجاهدة.
- ٣ - القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان ، وأهل الكفر فهم على العكس من أهل الإيمان .
- ٤ - بيان سنة الله في الأمم السابقة في اختلافها على أنبيائها وما جاءتها به من الهدى والنور .
- ٥ - قوله تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ أجرى مجرى المثل عند العالمين .
- ٦ - نفي الظلم عن الله مطلقاً^(١).

(١) فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . وأيضاً فالله هو الملك وهل ما يفعله الملك العليم الرحيم العادل في ملكه وعبيده يقال له ظلم ؟ والجواب لا .

❖ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيْنَ
شُرَكَاءُى قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

إليه يرد علم الساعة ^(١) :

أي إلى الله يرد علم الساعة أى متى تقوم إذ لا يعلمها إلا هو .

وماتخرج من ثمرات من أكمامها : أى من أوعيتها واحد الإكمام كَمَ وكَم الثوب مخرج اليد .

وماتحمل من أنثى : أى من أي جنس كان إنساناً أو حيواناً .

ولاتضع إلا يعلمه : أى لاتضع حملها إلا ملاسماً بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء .

قالوا أدناك : أى أعلمناك الآن .

ماننا من شهيد : أى ليس منا من يشهد بان لك شريكاً أبداً .

وظنوا ما لهم من محيص : أى أيقنوا انه ما لهم من مهرب من العذاب .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى ان علم الغيب قد انحصر فيه فليس لأحد من خلقه علم الغيب وخاصة علم الساعة أى علم قيامها متى تقوم؟ كما أخبر عن واسع علمه وانه محيط بكل الكائنات فما تخرج من ثمرة من كمها وعائها وتظهر منه إلا يعلمها على كثرة الثمار والأشجار ذات الأكمام ، و ماتحمل من أنثى بجنين ولاتضعه يوم ولادته أو إسقاطه إلا يعلمه أي يتم ذلك بحسب علمه تعالى وإذنه ، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه ، ومع هذا فالجاهلون يتخذون له شركاء أنداداً من أحجار وأوثان يعبدونها معه ظلماً وسفهاً . ويوم يناديهم وذلك فى يوم القيامة أين شركائي؟ أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لى ، فيتبرءون منهم ويقولون : آذناك

(١) روي أن المشركين قالوا يا محمد إن كنت نبيا فخيرنا متى قيام الساعة فنزلت ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ والرد الإرجاع .

(٢) الأكمام جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكُمة بضم الكاف والثانيث مثله وهو الجف وكفرى الطلع يقال له كفه .

(٣) فهذه ثلاثة أمور وجب رد علمها إلى الله تعالى الأول علم ماتخرجه أكمام النخل من الثمر بقدره وجودته وثباته وسقوطه والثاني حمل الأنثى من الناس والحيوان والتي تلقح والتي لا تلقح ، والثالث وقت وضع الأجنة فهذه وجب رد علمها إلى الله تعالى إذ لا يعلمها إلا هو كسائر الغيوب .

(٤) ويوم يناديهم : متعلق بمحذوف تقديره ما ذكر يوم يناديهم ، لما سألوا عن الساعة أعلمهم أن أمر علم وقتها مرده إلى الله وحده فناسب ذكر بعض أحداثها فذكر لهم ذلك .

أعلمناك الآن أنه مامنا من شهيد يشهد بأن لك شريكا إنه لا شريك لك وضل عنهم أي غاب عنهم
ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا، وظنوا أيقنوا مالهم من محيص أي مهرب من عذاب الله .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استنثار الله تعالى بعلم الغيب وخاصة علم متى تقوم الساعة .
- ٢ - إحاطة علم الله تعالى بكل شيء فما تخرج من ثمرة من أوعيتها ولا تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلم الله تعالى وإذنه .
- ٣ - براءة المشركين يوم القيامة من شركهم ، وغياب شركائهم عنهم .

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

لا يأسم الإنسان من دعاء الخير : أي لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية .
وإن مسه الشر فيئوس قنوط : أي المرض والفقر وغيرهما فيئوس من رحمة الله قنوط ظاهر
عليه اليأس .

من بعد ضراء مسته : أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به .
ليقولن هذا لى : أي استحققته بعملى ومما لى من مكانة .
وما أظن الساعة قائمة : أي ينكر البعث ويقول : ما أظن الساعة قائمة .
إن لى عنده للحسنى : أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث ان لى عند
الله الجنة .

أعرض ونأى بجانبه : أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبختراً مختالاً في مشيته .
 فذو دعاء عريض : أي فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يارباه يارباه .

معنى الآيات : (١)

يخبر تعالى عن الإنسان الكافر الذي لم ترك نفسه ولم تطهر روحه بالإيمان وصالح الأعمال انه لا يسأم ولا يمل من دعاء الخير أي المال والولد والصحة والعافية فلا يشبع من ذلك بحال . ولئن مسه الشر من ضر وفقر ونحوهما فهو يثوس^(٢) قنوط يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسر قنوط ظاهر عليه آثار اليأس في منطقة وفي حاله كله هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٩) ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ وأما الآية (٥٠) فإن الله تعالى يخبر ايضاً عن الإنسان الكافر إذا أذاقه الله رحمة منه من مال وصحة واجتماع شمل مثلاً ، وذلك من بعد ضراء مسته من مرض وفقر ونحوهم ليقولون لجهله وسفهه : هذا لي أي استحققته بمالي من جهد ومكانه وعلم وإذا ذكر بالساعة من أجل أن يفرق أو يتصدق يقول ما أظن الساعة قائمة كما تقولون وإن قامت على فرض صحة قولكم إن لي عنده أي عند الله للحسنى أي للحالة الحسنى من غنى وغيره وجنة إن كانت كما تقولون .

وقوله تعالى ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أي يوم القيامة عند عرضهم علينا ، ولنذيقهم من عذاب غليظ يخلدونه فيه لا يخرجون منه أبداً .

وقوله تعالى في الآية الأخيرة (٥١) وإذا انعمنا على الإنسان بنعمة المال والولد والصحة أعرض عن ذكرنا وشكرنا وتخلى عن طاعتنا ونأى بجانبه متباعداً متبختراً مختالاً يكاد يضاهي الطاووس في مشيته . وإذا سلبناه ذلك ومسّه الشر من مرض وفقر وجهد وبلاء فهو ذو دعاء عريض لنا يارب يارب يارب . هذا ليس الرجل الأول الذي ييأس ويقنط ، ذاك كافر ، وهذا مؤمن ضعيف الإيمان جاهل لا أدب عنده ولا خلق . وما أكثر هذا النوع من الرجال في المسلمين اليوم والعياذ

(١) قيل المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميه بن خلف . والآية تحمل وصفاً للإنسان الكافر أياً كان والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة .

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» .

(٣) اليأس كالقنوط من رحمة الله كفر بالمؤمن لقوله تعالى ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ .

(٤) اشتملت الآية على خلقين عجيبين الأول خلق البطر بالنعمة والغفلة عن الشكر الله تعالى والثاني اليأس والقنوط من رجوع النعمة بعد فقدها .

(٥) يروى عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للكافر أمتيتان أما في الدنيا فيقول لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ، وأما في الآخرة فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين .

(٦) النأي البعد وهو كناية عن عدم التفكير في المنعم عليه ليشكره فعبّر عن هذا بالبعد .

بالله تعالى قال أول عائد إلى ظلمة نفسه بالكفر، وهذا عائد إلى سوء تربيته وسوء خلقه وظلمة جهله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان حال الإنسان قبل الإيمان والاستقامة فإنه يكون أخط المخلوقات قدراً وأضعفها شأنًا .

٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض الأحداث فيها .

٣ - ذم اليأس والقنوط والكبر والاختيال ، والكفر للنعم ونسيان المنعم وعدم شكره .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

قل أرأيتم إن كان من عند الله : أي أخبروني إن كان القرآن من عند الله كما قال النبي ﷺ .

ثم كفرتم به : أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله .

من أضل ممن هو في شقاق بعيد : أي من يكون أضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا أحد .

في الآفاق وفي أنفسهم : أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات وأسرار خلقها

وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة .

حتى يتبين لهم أنه الحق : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقا ، وأن الإسلام حق .

ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى .

ألا إنهم بكل شيء محيط : أي علماً وقدرة وعزة وسلطاناً .

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله أن يقول للمكذبين بالوحي الإلهي الذي يمثل القرآن الكريم حيث قالوا فيه شعر وسحر وأساطير الأولين يأمره أن يقول لهم مستفهما لهم أرأيتم أي أخبروني إن كان أي القرآن الذي كذبت به من عند الله وكفرتم به أي كذبتهم؟ من يكون أضل منكم وأنتم تعيشون في

شفاق بعيد اللهم لا أحد يكون أضل منكم عن طريق الهدى إذا فلم لا تثوبون إلى رشدكم وتؤمنون بآيات ربكم فتكملوا عليها وتسعدوا.

ثم قال تعالى : سنريهم^(١) آياتنا الدالة على صدقنا وصدق رسولنا فيما أخبرناهم به ودعوناهم إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء وذلك في الآفاق أي من أقطار السموات والأرض مما ستكشف عنه الأيام من عجائب تدبير الله ولطائف صنعه ، وفي أنفسهم أيضا أي في ذاتهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، من ذلك فتح القرى والأمصار وانتصار الإسلام كما أخبر به القرآن ، ووقعة بدر وفتح مكة من ذلك وما ظهر لِحَدِّ الآن من كشوفات في الآفاق وفي الأنفس مما أشار إليه القرآن ما هو أعجب من ذلك قوله تعالى : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ فنظام الزوجية السارى في كل جزئيات الكون شاهد قوى على صدق القرآن وأنه الحق من عند الله ، وإن الله حق وأن الساعة حق وقوله تعالى : ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟﴾ هذا توبيخ لهؤلاء المكذبين بإعلامهم أن شهادة الله كافية في صدق محمد وما جاء به إن الله هو المخبر بذلك والأمر بالإيمان به فكيف يطالبون بالآيات على صدق القرآن ومن نزل عليه والله المرسل للرسول والمنزل للكتاب وقوله تعالى : ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ إعلام منه تعالى بما عليه القوم من الشك في البعث والجزاء وهو الذى سبب لهم كثيرا من أنواع الشر والفساد. وقوله : ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ علما وقدره وعزة وسلطانا فما أخبر به عنهم من علمه وماسيجزيهم به من عذاب إن أصروا على كفرهم من قدرته وعزته. ألا فليثق الله امرؤ مصاب بالشك في البعث وكل الظواهر دالة على حتميته ووقوعه في وقته المحدد له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالكفر بالقرآن والتكذيب بما جاء فيه من الهدى والنور.
- ٢ - لا أضل ممن يكذب بالقرآن لأنه يعيش في خلاف وشقاق لا أبعد منه.
- ٣ - صدق وعد الله تعالى حيث أرى المشركين وغيرهم آياته الدالة على وحدانيته وصحة دينه وصدق أخباره ما آمن عليه البشر الذين لا يعدون كثرة.

(١) الشقاق العداء والمراد به العداء لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوّة المحمدية.

(٢) الآيات تشمل آيات القرآن والآيات الخارجة عن القرآن.

(٣) الآفاق جمع أفق الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها والناحية من قبة السماء.

(٤) قال القرطبي «وفي أنفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين ، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما ، وفي أذنيه وكيف يفرق بين الأصوات المختلفة إلى غير ذلك.

(٥) المعنى : تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم.

(٦) وصف الله بالمحيط هو كذلك محيط بعلمه وقدرته وقهره لكل خلقه.

- ٤ - مامن اكتشاف ظهر ويظهر إلا القرآن أدخله في هذه الآية سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم .
 ٥ - الإشارة إلى أن الإسلام سيعلم صحته وسيدين به البشر أجمعون في يوم ما من الأيام .
 ٦ - تقرير البعث والجزاء . ومظاهر قدرة الله تعالى المقررة له .

سُورَةُ الشُّورَى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ عَسَقَ ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝٦

شرح الكلمات :

حم عسق^(١) : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا : حم عسق وتقرأ هكذا . حَامِيمٌ عَيْنٌ سِينٌ قَافٌ .

كذلك يوحى^(٢) إليك وإلى الذين

من قبلك : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك .

الذى يوحى إليك .

له ما في السموات وما في الأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا .

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه .

يتفطرن من فوقهن : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله .

والذين اتخذوا من دونه أولياء : أي آلهة يعبدونها .

(١) ان قيل لم ما وصلت حم عسق ببعضهما كما وصلت في ألمص ، المر فالجواب ان عسق ثلاثة أحرف فلم توصل بـ حم بخلاف ألمص المر فإن الموصول حرف واحد وهو الصاد والراء .

(٢) العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع إذ بان إيحاء الرسول متجدد لا ينقطع مدة حياة النبي ﷺ .

الله حفيظ عليهم
وما أنت عليهم بوكيل
: أي يحصى لهم أعمالهم ويجزيهم بها .
: أي ولست موكلًا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ .
معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم عسق﴾ الله أعلم بمراده به وقد تقدم التنبيه إلى أن هذا من المتشابه الذى يجب الإيمان به وتفويض أمر فهم معناه إلى منزله وهو الله سبحانه وتعالى وقد ذكرنا أن له فائدتين جليلتين تقدمتا فى كثير من فواتح السور المبدوءة بمثل هذه الحروف المقطعة فليرجع إليها .
وقوله ﴿كذلك يوحى إليك﴾^(١) أي مثل ذلك الإيحاء بأصول الدين الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والبعث يوحى إليك بمعنى أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من الرسل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره لأوليائه وقوله ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وهو العلى أى ذو العلو المطلق على خلقه العظيم فى ذاته وشأنه وحكمه وتدبيره سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .^(٢)

وقوله تعالى ﴿تكاد السموات ينفطرن﴾ أي يتصدعن ويتشققن من فوقهن من عظمة الرب تبارك وتعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم أى يصلون له ويستغفرون لمن فى الأرض أي يطلبون المغفرة للمؤمنين فهذا من العام الخاص بما فى صورة المؤمن إذ فيها ويستغفرون للذين آمنوا وقوله تعالى ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ إخبار بعظيم صفاته عز وجل وهما المغفرة والرحمة يغفر لمن تاب من عباده ويرحم بالرحمة العامة سائر مخلوقاته فى هذه الحياة ويرحم بالرحمة الخاصة عباده الرحماء وسائر عباده المؤمنين فى دار السلام وقوله تعالى : ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي شركاء آلهة يعبدونهم هؤلاء الله حفيظ عليهم فيحصى عليهم أعمالهم ويجزيهم بها يوم القيامة ، وليس على الرسول من ذلك شىء إن عليه إلا البلاغ وقد بلغ وهو معنى قوله : ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتجزيهم بها وفى الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه لأنه كان يشق عليه إعراض المشركين وإصرارهم على الشرك بالله تعالى .

(١) المعنى الإجمالي لهذه الجملة هو كما فى قوله ﴿إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فهو تشبيه إياه بالأنبياء .

(٢) العزيز الحكيم : وصفان لاسم الجلالة هما مقتضى الوحي الإلهي إذ الوحي يكون من عزيز لا يحال بين إرادته وحكيم يضع الأمور فى مواضعها فلا يعاب عليه اختياره للوحي إليك .

(٣) هذه الجملة مقررة لما تقدم من جلال الله وكماله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده ولقائه وبعثه رسوله .

(٤) قرأ نافع وحده يكاد بالياء وقرأ باقي القراء حفص وغيره بالتاء وسبب نفطرن هو الخوف من عظمة الرب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما «فقرأ أي خوفاً» .

(٥) أي ينزهونه عما لا يجوز وصفه به وعما لا يليق بجلاله ، وقيل يتعجبون من جرأة المشركين فيسبحون .

(٦) لما أقام تعالى الحجج والبراهين على توحيده ونبوة رسوله فسبحت له الملائكة واستغفرت للمؤمنين الموحدين وبقي المشركين على اتخاذهم أولياء كأنما قال لرسوله لا يهلك أمرهم فإن الله يحصى أعمالهم ويحفظها لهم ويجزيهم بها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وحدة الوحي بين سائر الأنبياء إذ هي تدور على التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والترغيب فى العمل الصالح ، والترهيب من العمل الفاسد .
- ٢ - بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إن السموات تكاد يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين^(١)
- ٣ - تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه بانه غير موكل بحفظ أعمال المشركين ومجازاتهم عليها انما هو الله تعالى ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ آتَاخُذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--------------------------|--|
| وكذلك أوحينا إليك | : أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك . |
| قرآنًا عربياً | : أي بلسان عربى . |
| لتنذر أم القرى ومن حولها | : أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى مكة ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا على الشرك . |
| وتنذر يوم الجمع | : أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق . |
| لأريب فيه | : أي لاشك فى مجيئه وجمع الناس فيه . |

(١) جائز أن يكون المستغفرين للمؤمنين حملة العرش وقد ورد هذا في السنة وأن يكن غيرهم يستغفرون لمن في الأرض عندما يرون كفرهم وباطلهم وجراتهم على ربهم يطلبون لهم عدم المؤاخذه إذ لو أخذهم بذنوبهم لاهلكهم .

فريق في الجنة

: أي المؤمنون المتقون .

وفريق في السعير

: أي الكافرون .

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة .

ولكن يدخل من يشاء في رحمته : أي في الإسلام أولاً ثم في الجنة ثانياً .

والظالمون ماله من ولي ولا نصير : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولا نصير ينصرهم فهم في النار .

أم اتخذوا من دون الله أولياء : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء ألَّهُوهُم من دون الله .

فالله هو الولي : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولا تنصر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾^(١) أي ومثل ذلك الإيحاء الذي أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك أوحينا إليك قرآنا عربياً أي بلسان عربي يفهمه قومك لأنه بلسانهم لتنذر به أي تخوف أم القرى^(٢) ومن حولها من الناس عاقبة الشرك والكفر والظلم والفساد وتنذر أيضاً الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة فإنه يوم هول عظيم وشر مستطير ليتوقوه بالإيمان والتقوى . إنه يوم يكون فيه الناس والجن فريقين لثالث لهما : فريق في الجنة بإيمانه وتقواه الله بفعل أوامره وترك نواهيه ، وفريق في السعير بشركه وكفره بالله وعدم تقواه فلا امثال أمراً ولا اجتناب نهياً .

وقوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾^(٣) أي في الدنيا على دين الإسلام الذي هو دين آدم فنوح وإبراهيم فسائر الأنبياء موسى وعيسى ومحمد ﷺ . إذ هو عبارة عن الإيمان بالله وبما أمر الله بالإيمان به ، والانقياد لله ظاهراً وباطناً بفعل محابته تعالى وترك مكاربه ولو كانوا في الدنيا على ملة الإسلام لكانوا في الآخرة فريقاً واحداً وهو فريق الجنة ولكن لم يشأ ذلك لحكم عالية فهو تعالى يدخل من يشاء في رحمته في الدنيا وهي الإسلام وفي الآخرة هي الجنة ، والظالمون أي المشركون الذين رفضوا التوحيد والإسلام لله ماله من ولي ولا نصير فهم إذا في عذاب السعير . وقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا﴾^(٤) أي الظالمون من دون الله أولياء من دون الله ليشفعوا

(١) القرآن مصدر نحو غفران وأطلق على المقروء مبالغة في الانصاف بالمقروئية لكثرة ما يقرأه القارئون لحسنه وفوائده وعظيم مشيئته .

(٢) كنيست مكة بأم القرى لأنها أقدم المدن العربية وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها .

(٣) جملة فريق الخ ابتدائية لأنها جواب لمن سأل عن حال الناس وهم مجتمعون في عرصات القيامة فأجيب بأنهم فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير .

(٤) سبق هذا الكلام مستأنفاً استئنافاً ابتدائياً لغرض تسليية الرسول ﷺ والمؤمنين لما ينالهم من هم وكرب من عدم إيمان من يدعونهم إلى الإيمان ولم يؤمنوا .

(٥) أم الإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر على المشركين اتخاذهم أولياء من دون الله لا تنفعهم أي نفع ويتبركون الله الولي الحميد فهو أحق بأن يتخذ ولياً في الدنيا والآخرة .

لهم جهلا منهم بأنه لا يشفع أحد إلا بإذن الله ورضاه فعلوا ذلك وما كان لهم ذلك لأن الولي الحق هو الله فلم لا يتخذونه وليا، وهو الولي الحميد وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير فمن أحق بأن يتولى من يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير أم من لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، والجواب معلوم، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي .
- ٢ - شرف مكة بتسميتها أم القرى أى أم المدن والحوضر .
- ٣ - مشروعية التعليل للأفعال والأحكام .
- ٤ - إنقسام الناس يوم القيامة إلى سعيد وشقي لاغير .
- ٥ - لم يشأ الله ان يجعل الناس أمة واحدة لحكم عالية علمها إليه سبحانه وتعالى .
- ٦ - من طلب ولاية غير الله هلك؟ ومن والى الله دون من سواه كفاه الله ما أهمه في دنياه وآخره .

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ

إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ أَنْ تَعْلَمِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وما اختلفتم فيه من شيء : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين .
فحكمه إلى الله : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحي على رسوله
وفي الآخرة إذ الحكم له دون غيره .

ذلکم الله ربی علیہ توکلت وإلیہ : أي قل لهم يارسولنا ذلكم الحاكم العدل العظيم الله ربی علیہ

أنيب : توكلت أي فوضت أمرى إليه ، وإليه لا إلى غيره أرجع فى أمورى كلها .

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق .
جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي بأن جعلكم ذكراً وأنثى ، ومن الأنعام كذلك .
يذروكم فيه : أي يخلقكم فى هذا التدبير وهو من الذكر والأنثى يخرجكم .

ليس كمثله شيء : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلا يكون مخلوق مثله بحال من الأحوال .
وهو السميع البصير : أي السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم .
معنى الآيات :

(١) يقول تعالى وما اختلفتم فيه من شيء من أمور الدين والدنيا أيها الناس فحكمه إلى الله تعالى هو الذي يحكم فيه بالعدل فردوه إليه سبحانه وتعالى فإنه يقضى بينكم بالحق . وهنا أمر رسوله أن يقول للمشركين ذلكم المذكور بصفات الجلال والكمال الحكم العدل الذى يقضى ولا يقضى عليه الله ربي الذى ليس لى رب سواه عليه توكلت ففوضت أمرى إليه واثقاً فى كفايته وإليه وحده أنيب أى أرجع فى أمورى كلها ، ثم واصل ذكر صفاته الفعلية فقال فاطر السموات والأرض أى خالق السموات السبع والأرض مبدعهما من غير مثال سابق ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ إذ خلق حواء من ضلع آدم ثم جعلكم تتناسلون من ذكر وأنثى ومن الأنعام أزواجا أيضاً وهما الذكر والأنثى وقوله ﴿يذروكم فيه﴾ أي يخلقكم فيه أي فى هذا النظام نظام الذكر والأنثى كان الذكورة والأنوثة معمل من المعامل يتم فيه خلق الإنسان والحيوان فسبحان الخلاق العليم .
وقوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٢) هذا تعريف عرف تعالى به نفسه ليعرف بين عباده وهو أنه عز وجل ليس مثله شيء أي فلا شيء مثله فعرف بالتفرد بالوحدانية فالذى ليس له

(١) قول القرطبي هذا حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين ما هو بظاهره ، بل هو إرشاد الله لرسوله والمؤمنين أن يقولوا لمن خالفهم من المشركين وأهل الكتاب إن الله قد حكم بصحة الإسلام فهو الدين الذي يجب أن يدين به الإنسان لربه عز وجل لا غيره من الأديان الباطلة .

(٢) الجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير فاطر .

(٣) الذرة : بث الخلق وتكثيره والمضارع يذروكم لإفادة الحدوث والتجدد المستمرين .

(٤) ومعنى ليس كمثله شيء : ليس مثله شيء فالكاف مقحمة لا غير ، ولما كانت للتشبيه ومثله كذلك فهي إذاً لتأكيد نفي التشبيه لله تعالى .

(٥) لما كانت جملة ليس كمثله شيء صفة سلبية أعقب عليها بصفات ايجابية وهي كونه تعالى سميعاً بصيراً ، وهكذا الحكم فى صفات الله تعالى فيثبت له ما أثبت هو لنفسه وإثبته له رسوله من الصفات العلى وينفى عنه من صفات النقص كالمثلية والتشبيه ما نفاه تعالى هو عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ .

مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى ييسر الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاءً، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا إليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب رد ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم فيه وهو الرد إلى الكتاب والسنة.
- ٢ - وجوب التوكل عليه والإجابة إليه في كل الأمور.
- ٣ - تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان باسمائه الحسنى وصفاته العليا.
- ٤ - وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمه ويضيق لأخرى.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ^(١٤)

(١) المقاليد جمع إقليد أو مقلاد على غير قياس وهو المفتاح، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده، فلذا هو ييسر الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته.

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ «الآية من سورة النساء».

شرح الكلمات :

ماوصى به نوحاً والذي أوحينا : أي شرع لكم من الدين الذى وصى به نوحا والذي أوحينا به إليك

وما وصينا به إبراهيم وموسى : أي والذي وصينا باقى أولى العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات .

أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه : أي بأن اقيموا الدين الذى شرع لكم ولا تضيعوه ولا تختلفوا فيه .

كبر على المشركين ماتدعوهم : أي عظم على كفار قريش ماتدعوهم إليه وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الله يجتبي إليه من يشاء : أي يختار الى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك .

ويهدى إليه من ينيب : أي ويوفق لطاعته من ينيب اليه في أمره ويرجع إليه في جميع شأنه ، بخلاف المعرضين المستكبرين .

بغيا بينهم : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله .

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا ما قضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة .

لقضى بينهم : أي لحكم الله بينهم فاهلك الكافرين وأنجى المؤمنين .

وإن الذين أورثوا الكتاب من : أي وإن الذين أورثوا الكتاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب .

بعدهم : أي لفى شك منه مريب : أي لفى شك مما جتتهم به من الدين الحق وهو الإسلام .

معنى الآيات :

(١) يخاطب تعالى رسوله والمؤمنين فيقول وقوله الحق : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً ﴾ إذ هو أول حامل شريعة من الرسل والذي أوحينا إليك يا محمد وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى من أولى العزم من الرسل ﴿ أن أقيموا الدين ﴾ وهو دين واحد قائم على الإيمان والتوحيد والطاعة لله في أمره ونهيه وإقامة ذلك بعدم التفريط فيه أو في شيء منه ، وعدم التفرق فيه ، لأن التفرق فيه بسبب تضيعه كلا أو بعضاً .

(١) المراد مما شرع لنا هو الإيمان به تعالى رباً وإلهاً وعبادته وحده وترك عبادة ما سواه ، أما الأحكام فتختلف بحسب الأمم والأزمان فهذه الآية هي كقوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

(٢) ان أقيموا الدين في محل رفع خبر . أي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه أي الموصى به هو إقامة الدين ، وإقامته جعله قائماً تعتقد عقائده وتؤدي عبادته وتقام أحكامه لا يسقط منه شيء .

(١) وقوله تعالى : ﴿كبر على المشركين من كفار قريش ماتدعوهم إليه﴾ أي عظم عليهم ولم يطبقوا حمله ماتدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام، إذا فادعهم واصبر على اذاهم والله يجتبي اليه أي يختار للإيمان به وعبادته من يشاء ممن لا يصرون على الباطل، ولا يستكبرون عن الحق إذا عرفوه، ويهذى إليه أي ويوفق لطاعته مَنْ مِنْ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربّه في أموره كلها.

(٢) وقوله تعالى : ﴿وماتفرقوا﴾ أي وماتفرق العرب واليهود والنصارى في دين الله فآمن بعض وكفر بعض الأمن بعد ما جاءهم العلم الصحيح يحمله القرآن الكريم ونبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. والحامل لهم على ذلك هو البغي والحسد. وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وهو عدم معالجة هذه الأمة المحمدية بعذاب الإبادة والاستئصال، وترك عذابهم إلى يوم القيامة لولا هذا لعجل لهم العذاب من أجل اختلافهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين. وهو معنى قوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم﴾ أي فرغ منهم بالفصل بينهم بإهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين.

(٣) وقوله تعالى : ﴿وان الذين أورتوا الكتاب من بعدهم﴾ أي من بعد اليهود والنصارى وهم العرب إذ أنزل الله فيهم كتابه القرآن الكريم لفي شك منه أي من القرآن والنبي والدين الإسلامي مريب أي بالغ الغاية في الريبة والاضطراب النفسى، كما ان اللفظ يشمل اليهود والنصارى إذ هم أيضا ورثوا الكتابين عمن سبقهم وأنهم فعلا في شك من القرآن ونبيه والإسلام وشرائعه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - دين الله واحد وهو الإيمان والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله.
- ٢ - حرمة الاختلاف فى دين الله المسبب تضييع الدين كلا أو بعضا.
- ٣ - مرد التفرق فى الدين إلى الحسد والبغى بين الناس، فلو لم يحسد بعضهم بعضا ولم يبغي بعضهم على بعض لما تفرقوا فى دين الله ولأقاموه مجتمعين فيه.

(١) قال قتادة كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعلمها ويظهرها على من نأواها.

(٢) قال ابن عباس يعني قريشاً وهو صحيح إذ كانوا يقولون : لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكننا عباد الله المخلصين. وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم إلا أن دخول أهل الكتاب في هذا الخطاب وارد وله شواهد. إذ الآية مبينة لسنة من سنن الله تعالى وهي لكون الأمة متحدة على الباطل فإذا جاءها الحق قبله أناس ورفضه آخرون فيكون التفرق.

(٣) أي في تأخير العذاب على مستحقه إلى الموعد الذي حدده لهم في الدنيا أو في الآخرة لكان عز وجل حكم بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.

(٤) ال في الكتاب للجنس ليشمل التوراة والإنجيل معاً.

فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَنَّهُمْ
دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ



شرح الكلمات :

فلذلك فادع

: أي فالى ذلك الدين الذى شرع الله لكم ووصى به نوحاً وأوحاه
إليك يا محمد فادع عباد الله .

واستقم كما أمرت

: أي استقم على العمل به ولا تنزع عنه واثبت عليه كما أمرك
الله .

ولا تتبع أهواءهم

: أي ولا تتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فترك الحنيفية التى
بعثت بها فإنها الحق .

وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب

: أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .
: أي أمرنى ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذى هو خلاف
الجور .

وأمرت لأعدل بينكم

: أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم .

الله ربنا وربكم

: وسيجزى كل منا بعمله خيراً كان أو شراً .

لنا أعمالنا ولكم أعمالكم

: أي ما هناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق .

لا حجة بيننا وبينكم

: أي يوم القيامة .

الله يجمع بيننا

: أي يجادلون فى دين الله نبيه محمداً ﷺ .

والذين يحاجون فى الله

: أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود .

من بعد ما استجيب له

حجتهم داحضه : أي باطله عند ربهم .
وعليهم غضب : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فلذلك فادع﴾ ^(١) أى فإلى ذلك الدين الحق الذى هو الإسلام الذى شرعه الله لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك فادع جميع الناس عربهم وعجمهم فإنه دين الله الذى لا يقبل دينا سواه ، ولا يكمل الإنسان في أخلاقه ومعارفه وأدابه ولا يسعد في الدارين إلا عليه واستقم ^(٢) عليه كما أمرك ربك ، فلا تزغ عنه ولا تعدل به غيره فإنه الصراط المستقيم الذى لا يزيغ عنه إلا هالك ولا تتبع أهواء المشركين ولا أهواء أهل الكتاب . وقل في صراحة ووضوح آمنت بما أنزل الله من كتاب فلا أومن ببعض وأكفر ببعض كما أنتم عليه معشر اليهود والنصارى ، وقل لهم أمرنى ربى أن أعدل بينكم في الحكم إذا تحاكمتم إليّ ، كما أنى لأفرق بينكم إذ اعتبركم على الكفر سواء فكل من لم يكن على الإسلام الذى كان عليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والذى عليه أنا واصحابى اليوم فهو كافر من أهل النار .

وقوله تعالى ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى أمرنى أن أقول لكم هذا الله ربنا وربكم إذ لا رب سواه فهو رب كل شيء ومليكه ، لنا أعمالنا ولكم اعمالكم وسيُجزى كل منا بعمله السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها ، إلا أن الكافر لا تكون له حسنة مادام قد كفر بأصل الدين فلم يؤمن بالله ولقائه ، ولا بوحية ولا برسوله وقوله ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أى اليوم إذ ظهر الحق ولاح الصبح لذى عينين فلا داعى إلى الجدال والخصومة معكم يا أهل الكتابين من يهود ونصارى الله يجمع بيننا يوم القيامة إذ المصير فى النهاية إليه لا إلى غيره وسوف يحكم بيننا فيما اختلفنا فيه فيقضى لأهل الحق بالنجاة من النار ودخول الجنة ويقضى لأهل الباطل بالنار والخلود فيها .

وقوله تعالى : ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ ^(٣) أى في دين الله النبى والمؤمنين يريدون أن يردوهم

(١) قال القرطبي اللام هنا بمعنى إلى وله نظائر مثل بأن ربك أوحى لها أي إليها وأولى أن تكون اللام للتعليل أي لأجل ما ذكر من الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فادع .

(٢) الاستقامة الاعتدال والسين والتاء فيها للمبالغة مثل أوجب استجاب والمراد هنا الاستقامة المعنوية وهي ملازمة الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة والتمسك بأهـداب الشريعة .

(٣) كما أمرت هذه الكاف كالتى في قوله تعالى واذكروه كما هداكم أعطيت معنى التقليل مثل كما صليت على إبراهيم وما في التفسير أولى من هذا فإن المراد على نحو ما أمرك لا تخالفه .

(٤) هذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فقد نصر الله رسوله وحكم اليهود وعدل بينهم وذلك في المدينة وخيبر تيماء والآية نزلت بمكة .

(٥) هذه صور من صور الإنصاف والعدل .

(٦) قال مجاهد في قوله تعالى والذين يحاجون في الله الآية قال هؤلاء رجال طمعوا أن تعود الجاهلية بعد ما دخل الناس في الإسلام . وقيل إنهم اليهود والنصارى والكل جائز ويقع وواقع وما في التفسير أوضح وأصح .

إلى باطلهم من بعد ما استجيب للرسول ودخل الناس في دين الله أفواجا، هؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم أى باطلة، وعليهم غضب أي من ربهم ولهم عذاب شديد فى الدنيا والآخرة هذه الآية نزلت فى يهود بالمدينة نصبوا انفسهم خصوما لأصحاب رسول الله يجادلونهم يريدون تشكيكهم فى الإسلام والعودة بهم إلى وثنية الجاهلية وكان هذا قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فرد تعالى عليهم وأسكتهم بهذه الآية متوعدا إياهم بالغضب والعذاب الشديد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم إذ لانجاة للبشرية إلا بالإسلام.
- ٢ - حرمة اتباع أهواء أهل الأهواء والسير^(١) معهم وموافقتهم فى باطلهم.
- ٣ - وجوب الاستقامة على الإسلام عقائد وعبادات وأحكام قضائية وآداب وأخلاق.
- ٤ - تعين ترك الحجاج والمخاصمة مع أهل الكتاب وكذا أهل الأهواء والبدع لانا على الحق وهم على الباطل، فكيف نحاجهم إذ الواجب أن يسلموا وكفى.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ

(١) الأهواء جمع هوى وهو الحب وغلب على حب مالا نفع فيه إذ هو نابع عن ميل نفساني منافع للخير والعدل ويغلب إطلاق لفظ العشق عليه.

مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

الله الذى أنزل الكتاب الحق : أي أنزل القرآن متلبساً بالحق والصدق لا يفارقه أبداً.
والميزان : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحقق الحق.
وما يدريك لعل الساعة قريب : أي أي شيء يجعلك تدري قرب الساعة إلا أن يكون الوحي الإلهي.

يستعجل بها الذين لا يؤمنون : أي يطالب المكذبون بها لأنهم لا يخافون ما فيها لعدم إيمانهم به.
والذين آمنوا مشفقون منها : أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لا يدرون ما يكون لهم فيها من سعادة أو شقاء ولذا هم مشفقون.

ويعلمون أنها الحق : أي ان الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.
إن الذين يمارون فى الساعة : أي إن الذين يجادلون فى الساعة شاكين فى وقوعها.
الله لطيف بعباده : أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم.
من كان يريد حرث الآخرة : أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.
نزد له فى حرثه : أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.
ومن كان يريد حرث الدنيا : أي من كان يريد بعمله متاع الحياة الدنيا من طيباتها.
تؤتة منها وماله فى الآخرة من : أي نعطة منها ما قدر له وليس له فى الآخرة من حظ ولا نصيب.

نصيب نصيب
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين : أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من الدين.
مالم يأذن به الله : أي مالم يشعره الله تعالى وهو الشرك.
ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم : أي ولولا كلمة الفصل التى حكم الله بها بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾^(١) يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنه هو

(١) جازئ أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل الكتب الإلهية إذ الله تعالى هو منزلها وجاتئ ان يكون المراد به القرآن . وال فيه للتفخيم من شأنه كانه الكتاب الفذ في بابيه .

الذى أنزل الكتاب أى القرآن بالحق والصدق وأنزل الميزان وذلك من أجل احقاق الحق فى الأرض وإبطال الباطل فيها، فلا يعبد إلا الله ولا يحكم إلا شرع الله وفى ذلك كمال الإنسانية وسعادتها، وقوله تعالى : ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ أى أى شىء جعلك تدري قرب الساعة إنه الوحى الإلهى لا غير ﴿وقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ أى الذين لا يؤمنون بالبعث الآخر والجزاء فيه هم الذين يطالبون بإتيانها فى غير وقتها ويستعجلون الرسول بها بقولهم متى الساعة؟ أما المؤمنون بالبعث والجزاء فإنهم مشفقون أى خائفون من وقوعها لأنهم لا يدرون مصيرهم فيها ولا يعلمون ما هم صائرون اليه من سعادة أو شقاء وقوله ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى والمؤمنون يعلمون أن الساعة حق واجبة الوقوع ليحكم الله فيها بين عباده ويجزى كل واحد بعمله، ويقتضى فيها من المظلوم للظالم فلذا هي واقعة حتما لا تتخلف أبداً.

وقوله تعالى : ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأن الذين يشككون فى الساعة ويجادلون فى صحة وقوعها فى ضلال عن الهدى والصواب والرشد، بعيد لا يرجى لهم معه العودة إلى الصواب والهدى فى هذه المسألة من مسائل العقيدة. وقوله تعالى ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ يخبر تعالى بأنه ذو لطف بعباده مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم يكفر به الكافرون ويعصيه العاصون وهو يطعمهم ويسقيهم ويعفو عنهم ولا يهلكهم بذنوبهم فهذا من دلائل لطفه بهم. يرزق من يشاء أى يوسع الرزق على من يشاء ويقدر على من يشاء حسب ما تقتضيه تربيتهم فلا يدل الغنى على الرضاء ولا الفقر على السخط. وهو تعالى القوى القادر الذى لا يعجزه شىء العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه وقوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه﴾، وهذا من مظاهر لطفه بعباده وهو أن من أراد منهم بعمله ثواب الآخرة وما أعد الله فيها للمؤمنين المتقين نزلده فى حرثه أى يضاعف له أجر عمله الحسنة بعشر الى سبعمائة ويضاعف لمن يشاء ومن كان يريد بعمله حرث الدنيا أى متاع الحياة الدنيا يؤته على قدر عمله للدنيا وهو ما قدره له أزلاً وجعله مقدوراً له لا بد نائله، وماله فى الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل لها فلا حظ ولا نصيب له فيها إلا النار وبئس القرار.

وقوله تعالى فى الآية (٢١) ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ يقول

(١) هل المراد من الميزان العدل أو هو الآلة التي يوزن بها والظاهر أنه الآلة التي يوزن بها إذ بها يتم العدل ولقوله تعالى .. ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وإنزاله إلهام وضعه والعمل به .

(٢) ما استفهامية أى من جعلك تدري قرب الساعة . قال ابن عباس ما قال تعالى فيه وما أدراك فقد أدراه، وما قال فيه وما يدريك فإنه لم يدرك به .

(٣) المراد بالحرث العمل والكسب قال الشاعر:

كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

بهذه الآية رد على من زعم أن المرء لو دخل ماء للتبرد فيه أن له أن يصلي به لأن الآية نص فى إرادة العمل والثواب بحسب الإرادة التي هي النية .

(٤) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

ألمشركين من كفار قريش شركاء من الشياطين شرعوا لهم ديناً وهو الشرك لم يأذن به الله، وهذا إنكار عليهم، وإعلان غضب شديد من أجل شركهم الذى زينته لهم الشياطين فصرفتهم عن الدين الحق إلى الدين الباطل، ولذا قال: ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم أى ولولا أنه تعالى قضى بأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعذبهم فى الدنيا وأهلكهم فيها قبل الآخرة، وذلك لاتخاذهم ديناً لم يشرعه لهم. وقوله تعالى وإن الظالمين أى المشركين لهم عذاب أليم أى موجع وذلك يوم القيامة وهذا وعيد للمشركين الذين اتخذوا الجاهلية والشرك وعبادة الأوثان ديناً وأعرضوا عن دين الله الذى أوصى به نوحاً وأوحاه الى محمد خاتم رسله، كما أوصى به ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان بعض الحكمة فى إنزال الكتاب أى القرآن والميزان وهو أن يحكم الناس بالقسط.
- ٢ - بيان قرب الساعة وأن معرفة قربها كان بالوحى الإلهى مثل اقتراب للناس حسابهم.
- ٣ - المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها.
- ٤ - بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر.
- ٥ - بيان وجوب إصلاح النيات فإن مدار العمل قبولاً ورفضاً بحسبها.
- ٦ - حظر التشريع بجميع أنواعه عن غير الله ورسوله.

تَرَى الظَّالِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ

لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

كَذَّبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ترى الظالمين مشفقين مما

كسبوا

: أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين من جزاء
ما عملوا.

وهو واقع بهم

: أي وهو أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم
معذبون به لا محالة.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات : آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا
المحارم.

في روضات الجنات

: أي هم في روضات الجنات، والروضة في الجنة أنزه مكان
فيها.

لهم ما يشاءون عند ربهم

: أي لهم فيها ما تشتهيهم أنفسهم وتلذه أعينهم في جوار ربهم.

قل لا أسألكم عليه أجراً

: أي قل يا رسولنا لقومك لا أسألكم على التبليغ أجراً أي ثواباً.

إلا المودة في القربى

: أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتي.

ومن يقترب حسنة

: أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.

نزد له فيها حسناً

: أي نضاعفها له أضعافاً.

أم يقولون افترى على الله كذباً : أي أيقول هؤلاء المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً
فنسب إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولا بوحيه.

فإن يشاء الله يختم على قلبك : أي إن يشاء الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن أي إن

الله قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.

ويمحو الله الباطل ويحق الحق : أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل.

بكلماته

: أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن .

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده : أي هو تعالى الذى يقبل توبة التائبين من عباده .

ويعفو عن السيئات : أي لا يؤاخذ بها من تاب منها فهذا هو الإله الحق لا الأصنام

التي ليس لها شيء مما هو الله ألبتة .

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي ويحبب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا

الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيههم سؤلهم .

ويزيدهم من فضله : أي يعطيهم ما سألوا ويعطهم ما لم يسألوه من الخير .

والكافرون لهم عذاب شديد : أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ترى الظالمين يوم القيامة مشفقين أى خائفين مما كسبوا أي من جزاء ما كسبوا من الشرك والمعاصي، وهو أى العذاب واقع بهم نازل عليهم لامحالة وقوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ أى فى الوقت الذى يكون فيه الظالمون مشفقين مما كسبوا يكون الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وعملوا الصالحات من الفرائض والنوافل بعد اجتناب الشرك والكبائر فى روضات الجنات وهى أنزهها وأحسنها لهم ما يشاءون من النعيم مما تشتهيهِ الأنفس وتلذذ الأعين كل ذلك فى جوار رب كريم وقوله تعالى ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾^(١) أى ذاك الذى أخبر تعالى به أنهم فيه من روضات الجنات وغيره هو الفضل الكبير الذى تفضل الله تعالى عليهم به .

وقوله فى الآية الثانية (٢٣) ﴿ذلك الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى ذلك المذكور من روضات الجنات وغيره هو الذى يبشر الله تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى كتابه وعلى لسان رسوله .

وقوله تعالى : ﴿قل لا أسألكم^(٢) عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه من المشركين لا أسألكم على إبلاغى إياكم دعوة ربى الى الإيمان به وتوحيده لتكملوا وتسعدوا أجراً أى مالاً لكن أسألكم أن تودوا قرابتي منكم فلا تؤذوني وتمنعوني من الناس حتى

(١) هذا عرض لما يجري من أحوال فى عرصات القيامة وما ينتهي إليه الموقف من إسعاد أهل الإيمان والعمل الصالح وإشقاء أهل الشرك والمعاصي .

(٢) لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى معرفة كنه صفته لأن الله تعالى إذا قال كبير كان مما لا يقادر قدره .

(٣) هذا الخطاب خاص بقریش قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن ومعنى الآية قل لا أسألكم عليه أى على البلاغ أجراً أى ثواباً وجزاء إلا أن تؤذوني من قرابتي منكم أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني وتنصروني حتى أبلغ رسالتي وذلك أنه ما من بطن من بطون قریش إلا وفيه للرسول ﷺ قرابة رحم وأما توجيه الآية على آل رسول الله ﷺ فهو تمحل واضح إلا أن حب آل البيت وتعظيمهم واجب أكيد ووردت فيه أحاديث كثيرة صالحة للاحتجاج بها .

ابلغ دعوة ربى .

وقوله تعالى : ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي من يعمل حسنة نزد له فيها حسنا بأن نضاعفها له اذ الله غفور للثائين من عباده شكور للعاملين منهم فلا يضيع أجر من أحسن عملا .
وقوله : ﴿أم يقولون أفترى^(١) على الله كذباً﴾ أي بل يقولون أفترى على الله كذباً أي يقول المشركون إن محمداً أفترى على الله كذباً فادعى أن القرآن من كلام الله ووجه ما هو إلا افتراء افتراء على الله . فأبطل الله تعالى هذه الدعوة وقال : ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أي يطبع على قلبك فتتسى القرآن ولا تقدر على قوله والنطق به ، فكيف إذا يقال إنه يفترى على الله كذباً والله قادر على منعه والإحالة بينه وبين مايقوله . وقوله : ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ هذا شأنه تعالى يمحو الباطل ويحق الحق بالقرآن وقد فعل فَمَحَا الباطل وأحق الحق فمات رسول الله ﷺ وفي الجزيرة من يعبد غير الله تعالى . وقوله ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فلواسع علمه وعظيم قدرته محا الباطل وأحق الحق بالقرآن ولو كان القرآن مفتري مامحا باطلاً ولا أحق حقاً وقوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ أي إن تابوا إليه وأنابوا ، ويعفوا عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها ، ويعلم ما يفعلون في السرو العلن ويجزى كل بما عمل وهو على كل شىء قدير .^(٢)

وقوله تعالى : ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيب دعاءهم فيما طلبوه ويزيدهم من فضله فيعطيه ما لم يطلبوه فما أعظم كرمه وما أوسع رحمته !! هذا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وأما الكافرون فلهم عذاب شديد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير حق القرابة ووجوب المودة فيها . واحترام قرابة الرسول ﷺ وتقديرها .
 - ٢ - تبرئة رسول الله ﷺ من الافتراء على الله عز وجل .
 - ٣ - مضاعفة الحسنات ، وشكر الله للصالحات من أعمال عباده المؤمنين .
 - ٤ - وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها ، وقد كان رسول ﷺ يتوب الى الله فى اليوم مائة مرة .
- وللتوبة ثلاثة شروط : الاقلاع الفورى عن المعصية ، والاستغفار ، والندم على ما فعل من

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر تعالى على المشركين الذين قالوا إن محمداً يفترى على الله الكذب فيقول أرسلني الله وما أرسله ويقول القرآن من وحي الله ، والله ما أوحى اليه فانكر تعالى هذا على قائله ووضح لهم أن دعواهم لا تمت إلى الواقع بصلة .

(٢) فاعل يستجيب هو الله عز وجل والذين مفعول به في محل نصب والسين والتاء للتأكيد إذ استجاب هو بمعنى أجاب .

المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم . وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الأدمي بآداء الحق أو بطلب العفو منه .

هـ - وعد الله تعالى باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات وهم أولياء الله تعالى الذين أن سألوا أعطاهم وإن استعاذوه أعادهم وإن استنصروه نصرهم . اللهم اجعلنا منهم وأحشرنا فى زمرةهم .

❖ وَلَوْ سَطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ

لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ
خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا
كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

ولو سبط الله الرزق لعباده : أي لو وسع الرزق لجميع عباده .

لبغوا فى الأرض : أي لطفوا فى الأرض جميعا .

ولكن ينزل بقدر ما يشاء : أي ينزل من الأرزاق بقدر ما يشاء فيسقط ويضيق .

إنه بعباده خبير بصير : أي إنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من

يصلحه ومنهم من يصلحه الفقر ومنهم من يفسده .

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا : أي المطر من بعد يأسهم من نزوله .

وينشر رحمته : أي بركات المطر ومنافعه فى كل سهل وجبل ونبات وحيوان .

وهو الولي الحميد : أي المتولى لعباده المؤمنين المحسن إليهم الم محمود عندهم .

ومابث فيهما من دابة : أي فرق ونشر من كل ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم .
وهو على جمعهم إذا يشاء قدير : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة قدير .
وما أصابكم من مصيبة : أي بليته وشدة من الشدائد كالمرض والفقر .
فيما كسبت أيديكم : أي من الذنوب والآثام .
ويعفو عن كثير : أي منها فلا يؤاخذ به ، وما عفا عنه في الدنيا لا يؤاخذ به في الآخرة .
وما أنتم بمعجزين في الأرض : أي وَلَسْتُمْ بِفَائِتِي اللَّهِ وَلَا سَابِقِيهِ هَرَباً مِنْهُ إِذَا أَرَادَ مُؤَاخَذَتَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا شروع في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة لرؤية الله تعالى المستلزمة لألوهيته على عبادته فقال تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ أي رب العباد الرزق فوسعه عليهم لبغوا في الأرض فطفعا بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضاً ولزم ذلك فساد كبير^(١) في الأرض قد تتعطل معه الحياة بكاملها .
ولكن ينزل بقدر ما يشاء أي ينزل من الأرزاق بمقادير محددة حسب تدبيره لحياة عباده ويدل على هذا قوله إنه بعباده خير بصير أي إنه بما تتطلبه حياة عباده ذات الأجل المحدودة ، والأعمال المقدرة الموزونة ، والنتائج المعلومة أزلاً . هذا مظهر من مظاهر العلم والقدرة والحكمة ومظهر آخر في قوله ، ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ ، فإنزال المطر بكميات ومقادير محدودة وفي أماكن محددة ، وفي ظروف محددة هذا التصرف ماقام إلا على مبدأ القدرة القاهرة والخبرة التامة ، انه يمنع عن عباده المطر فيمحلوها ويجذبوا حتى يئاسوا ويظهر عجزهم وعجزا آلهتهم التي يعبدونها ظلماً فاضحاً إذ لا تستحق العبادة بحال من الأحوال ثم ينزل الغيث وينشر الرحمة فتعم الأرزاق والخيرات والبركات ، وهو الولي الذي لا تصلح الولاية لغيره الحميد أي المحمود بصنائع بره وعوائد خيره ومظاهر رحمته . هو الولي بحق والمحمود

(١) روى أن خباب بن الارت قال هذه الآية نزلت فينا نظرنا إلى أموال بني النضير وقرىظة وقينقاع فتمنيانها فنزلت ﴿ولو بسط الله﴾ الآية والآية تضمنت ردأ على من يقول ما دام الله يستجيب للذين آمنوا الخ لم لا يسألونه سعة الرزق فيغنهم ويشريهم بالأموال فكان الجواب ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض .

(٢) وشاهده من السنة هو قوله ﷺ فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم .

(٣) القدر بفتح الحين : المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير ، دال على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون ووصف بصير دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت .

(٤) الغيث المطر وسمي غيثاً لأن به غيث الناس المضطرين .

بحق، ومظهر آخر فى قوله تعالى ومن آياته الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لربوبيته لسائر خلقه والمستلزمة لألوهيته على سائر عبادته : ﴿خلق السموات والأرض﴾ ايجادهما بما هما عليه من عجائب الصفة، ومابث أى فرق ونشرفيهما من دابة تدب على الأرض، أو ملك بسبح فى السماء. فهذا الخلق والإبداع ناطق بربوبيته تعالى صارخ بألوهيته لعباده فلم إذاً يعبد غيره من مخلوقاته وتترك عبادته وفوق هذا المظهر للخلق والرزق والتدبير مظهر آخر وهو قدرته تعالى على جمع سائر خلقه فى صعيد واحد ومتى؟ وإنه بعد إفنائهم وتصييرهم عظاما ورفاتا، وهو معنى قوله : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير^(١).

وقوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(٢)، وهذا مظهر آخر للقدرة والعلم يتجلى فيما يصيب الإنسان من مصيبة فى نفسه وولده وماله إن كل مصاب ينزل بالإنسان فى هذه الحياة ناتج «عن مخالفة لله تعالى فيما وضع من القوانين والشرائع والسنن. وأعظم دلالة أن يُعطّل القانون الماضى ويوقف مفعوله فيكسب العبد الذنب ولا يؤاخذ به عفواً من الله تعالى عليه، وهو معنى قوله تعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾. فله الحمد وله المنة. ومظهر آخر من مظاهره قدرة الله وعلمه وحكمته هو أن الناس مهما أوتوا من قوة وتدبير وعلم ومعرفة لم ولن يعجزوا الله تعالى ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض﴾ فالسما فوهم والأرض نحنهم إن يشأ يخسف الأرض من تحتهم أو يسقط السماء كسفا من فوقهم. فالى أين المهرب والجواب الى الله فقط بالاستسلام له والانقياد بالطاعة وفى ذلك نجاتهم وعزهم وكرامتهم زيادة على سعادتهم وكمالهم فى الحياتين وقوله : ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أى وليس لكم أيها الناس مع عجزكم من ولي يتولاكم ولا ناصر ينصركم. إذاً ففروا الى الله بالإيمان به والإسلام له تنجوا وتسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان الحكمة فى تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة.
- ٢ - من مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته على عبادته إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط وخلق السموات والأرض ومابث فيها من دابة.
- ٣ - بيان حقيقة علمية ثابتة وهى أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف.
- ٤ - بيان أنه مامن مصيبة تصيب المرء فى نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.

(١) تقرير لعقيدة البعث والجزاء أثناء تقرير عقيدة التوحيد والنبوة المحمدية.

(٢) قرأ نافع بما كسبت وقرأ حفص فيما كسبت بزيادة الفاء.

(٣) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفو الله عنه أكثر. وشاهد آخر من كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

٥ - بيان أن من الذنوب ما يعفو الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكريماً واحساناً.^(١)

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام : أي ومن علامات ربوبيته للخلق ايجاد السفن
كالجبال في البحار وتسخير البحار للسفر فيها لمنافع العباد.

إن يشأ يسكن الريح : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.

فيظللن رواكد على ظهره : أي تقف السفن وتظل راکدة حابسة على ظهر البحر.

ان في ذلك لايات : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار
وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على
وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لكل صبار شكور : أي إن هذه الآيات لا يراها ولا يتفجع بها إلا من كان صباراً عند
الشدايد والمحن شكوراً عند الآلاء والنعم.

أو يوقعهن بما كسبوا : أي وان يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها
بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

ويعفو عن كثير : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ
بها إذ لو آخذ بكل ذنب مابقي أحد على وجه الأرض لقلة من
لا يذنب فيها.

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف
العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مالهم من محيص : أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده
ناسين آلهتهم الباطلة.

(١) ولذا قال علي رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما
يبقى بعد كفارته وعفوه ؟.

معنى الآيات :

ما زال السياق فى ذكر مظاهر الربوبية المستلزمة لألوهية الله تعالى ووجوب عبادته وحده دون سواه فقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (١) أى ومن حججه عليكم يا عباد الله الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته أيضا هذه السفن الجوار فى البحر كأنها جبال عالية تسير من إقليم إلى إقليم بتسخير الله تعالى البحار وإرسال الرياح وهى تجرى بمنافعكم حيث تنقل الركاب والبضائع من إقليم إلى آخر. فهذا مظهر قدرة الله ورحمته، وإن يشأ تعالى إسكان الريح فإنها تنسكن فلا تهب ولا تنسم بنسيم ألينة فتقف السفن وتركد على سطح الماء فلا تتحرك، وإن يشأ أيضا يرسل عليها عواصف من الريح فتضطرب وتغرق بما فيها ومن فيها وذلك بذنوب أصحابها إن القاعدة الثابتة المقررة أنه مامن مصيبة إلا بذنوب. وهذا معنى قوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾.

وقوله تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أى إن فى هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن عليها وركودها عند سكون الريح لحجج واضحة قوية على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته ولكن لا يراها ولا ينتفع بها أمثال البهائم، ولكن هى من نصيب كل عبد صبار على طاعة الله وبلائه شكور لآلائه ونعمه عليه.. (٢)
وقوله ﴿أَوْ يوبقهن بما كسبن﴾ (٣). وقوله ﴿ويعف عن كثير﴾ (٤) أى

ولا يؤاخذ بكل ذنب فقد يعفو عن كثير من الذنوب. إذ لو عاقب على كل ذنب وأخذ بكل خطيئة لما بقى على الأرض أحد إذ ما من أحد إلا ويذنب اللهم إلا ما كان من المعصومين من الأنبياء والمرسلين فإنهم لا يذنبون، ولكن قد يذنب أصولهم وفروعهم فيهلكون ومن أين يوجدون!!

(١) الجوار جمع جارية والأعلام جمع علم والعلم الجبل والآيات جمع آية وهى العلامة الدالة على الشيء الهادية إليه المعرفة به. وسميت السفينة جارية لأنها تجري فى البحر وسميت الشابة من النساء جارية لأنها تجري فيها ماء الشباب. قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم واستشهد بقول الخنساء وهى ترضي أخاها صخراً.

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

(٢) يقال ركد الماء ركوداً سكن وكذلك الريح والسفن والشمس إذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت فى مكان فهو راكد والرواكذ جمع راكدة مؤنث راكد.

(٣) أى وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوق السفن أى يغرقهن بذنوب أهلها إذ الباء سببية.

(٤) ويعفو عن كثير أى من أهلها فلا يغرقهم معها، كما يتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يؤاخذ بها. ويعف مجزوم بحذف آخره لأنه معطوف على إن يشأ يسكن الريح أى وإن يشأ يعف.

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾^(١) أي وعندما تكون الريح عاصفة وتضطرب السفن وتشرف على الغرق هنا يعلم المشركون الذين يخاصمون رسول الله ويجادلونه في الوحي الإلهي ويكذبون به يعلمون انهم في هذه الحال ما لهم من محيص أى من ملجأ ولا مهرب من الله إلا إليه فيجأرون بدعاء الله وحده كما قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مظاهر ربوبية الله وألوهيته على خلقه .
- ٢ - فضل الصبر والشكر وفضيلة الصابرين الشاكرين .
- ٣ - تقرير قاعدة مامن مصيبة إلا بذنب مع عفو الله عن كثير .
- ٤ - عند معاينة العذاب يعرف الإنسان ربه ولا يعرف غيره .

فَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُنَّعِ
 الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَبِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا
 غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
 الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
 وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ
 بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

(١) قرأ نافع ويعلم بالرفع على انه كلام مستأنف وقرأ حفص ويعلم بالنصب عطفاً على فعل مدخول للام التعليل وتضمن (أن) بعده، والتقدير ليتقم منهم ويعلم الذين يجادلون الخ .

(٢) المحيص مصدر ميمي من خاص يحيص حيصاً إذا أخذ في الفرار والهرب مائلاً في سيره وفي حديث أبي سفيان : فخاصوا حيصة حمر الوحش . والمعنى ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله تعالى .

شرح الكلمات :

فما أوتيتم من شيء : أي فما أعطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولد والمطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والمركب .

فمتاع الحياة الدنيا : أي يتمتع به زماناً ثم يزول ولا يبقى .

وما عند الله خير وأبقى : أي وما عند الله من ثواب الآخرة فهو خير في نوعه وأبقى في مدته .

للدنّ آمنوا وعلى ربهم : أي ما عند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية :

يتوكلون

الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الأثم والفواحش،

والتجاوز عن أساء إليهم، والاستجابة لربهم في كل مادعاهم

إليه فعلاً أو تركاً، وإقام الصلاة والمشورة بينهم^(١) والإنفاق مما

رزقهم الله، والانتصار عند البغي عليهم هذه عشر صفات

أصحابها ما أعدّه الله تعالى لهم يوم يلقونه خير من متاع الدنيا

بكامله .

وجزاء سيئة سيئة مثلاً : أي جزاء سيئة المسىء عقوبته بما أوجبه الله عليه .

فمن عفا وأصلح فأجره على الله : أي فمن عفا عن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه فأجره على الله

ثابت له .

إنه لا يحب الظالمين : أي لا يحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن في عقوبته .

ولمن انتصر بعد ظلمه : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ منه بحقه .

فأولئك ما عليهم من سبيل : أي لمؤاخذتهم، لأنهم ما بدأوا بالظلم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء﴾ فمتاع الحياة الدنيا ﴿هذا شروع في بيان صفات الكمال

في المسلم التي يستوجب بها نعيم الآخرة ضمن التعريض بزينة الحياة الدنيا الفانية فقال تعالى

﴿فما أوتيتم﴾ أيها الناس من مؤمن وكافر من شيء في هذه الحياة الدنيا من لذيذ الطعام والشراب

وجميل اللباس، وفاخر المساكن وأجمل المناكح وأفره المراكب كل ذلك متاع الحياة الدنيا يزول

ويفنى . أما ما عند الله أي ما أعدّه الله لأوليائه في الدار الآخرة فهو خير وأبقى ولكن لمن أعدّه؟

(١) ومما قيل في المشورة نظماً قول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فإن الخوافي قوة للقوام

الخوافي ريشات إذا ضم الطير جناحيه خفيت، والقوام عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش .

(٢) قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء﴾ فمتاع الحياة الدنيا . ﴿يريد من الغنى والسعة في الدنيا .

والجواب للذين آمنوا أي بالله وآياته ولقائه ورسوله ويكل ماجاء به والذين على ربهم لأعلى سواه يتكولون ثقة في كفايته واعتماداً عليه، والذين يجتنبون أى يتركون كبائر الإثم كالشرك والقتل والظلم وشرب الخمر وأكل الحرام والفواحش كالزنى واللواط. والذين إذا غضبوا يتجاوزون عمن أغضبهم ويغفرون له زلته أو إساءته إليهم والذين استجابوا لربهم عندما ناداهم ودعاهم لكل ماطلبه منهم، والذين أقاموا الصلاة فأدوها على وجهها المطلوب لها من خشوع مراعين شرائطها واركناها وواجباتها وسننها وآدابها، والذين أمرهم شورى بينهم أى أمرهم الذى يهمهم في حياتهم أفراداً وجماعات وأماماً وشعوباً يجتمعون عليه ويتشاورون فيه ويأخذون بما يلهمهم ربهم بوجه الصواب فيه. والذين مما رزقهم الله من مال وعلم وجاء وصحة بدن ينفقون شكراً لله على ما رزقهم واستزاده للثواب يوم الحساب. والذين إذا أصابهم البغي أى إذا بغى عليهم البغاه الظلمة من الكافرين ينتصرون لأنفسهم إعذاراً لها وإكراماً لأنها انفس الله وليها فالعزة واجبة لها. هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شىء لو عاش الدهر كله فقيراً نقيّاً محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب إذ ما عند الله تعالى. له خير وأبقى مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لا يحرمون من طيبات الحياة الدنيا بل هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئاً يذكر إلى جانب ما عند الله يوم يلقونه ويعيشون في جواره.

وقوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ هذا هو الحكم الشرعى جزاء المسيء العقوبة بما أوجب الله تعالى له في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. وقوله تعالى فمن عفا عمن أساء إليه، وأصلح ما بينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء فأجره على الله وهو خير له وأبقى من شفاء صدره بعقوبة اخيه الذى أساء إليه. وقوله تعالى ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ تعليل لعظم الأجر لمن عفا أي كونه تعالى لا يحب الظالمين ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح. وقوله : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي وللذى ظلم فانتصر لنفسه وردّ الظلم عنها فهو لا سبيل لكم إلى أذيتهم وعقوبتهم. هذا حكم الله وشرعه.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنا وإن كبير الإثم الشرك وهو كذلك.

(٢) وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم، قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في أبي بكر حين لامه الناس على إنفاقه ماله كله وحين شتم فحلّم.

(٣) قال ابن زيد : هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول ﷺ حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة.

(٤) قال ابن العربي : الشورى ألفة للجماعة ومسار للمعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وفي الحديث ما خاب من استشار ولا ندم من استشار وما عال من اقتصد. والشورى والمشورة بمعنى واحد.

(٥) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل والعفو يكون في الفتنة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - متاع الحياة الدنيا إذا قوبل بما أعد الله للمؤمنين المتقين لا يعد شيئاً يذكر ابداً .
- ٢ - بيان أكمل الشخصيات الإسلامية وهى الشخصية التى تتصف بالصفات العشر التى تضمنتها الآيات الأربع ذات الرقم (٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩) .
- ٣ - مشروعية القصاص وعقوبة الظالم .
- ٤ - عدم مؤاخذه من ظلم فأخذ بحقه بلا زيادة عنه مالم يكن حداً فإن الحدود يقيمها الإمام .
- ٥ - فضيلة العفو على الإخوة المسلمين والإصلاح بينهم .

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ

يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ

لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

وَتَرْتَبَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٌ مِّنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ

مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ

فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ

مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أى بالعقوبة والأذية .

على الذين يظلمون الناس : أى يعتد ون عليهم فى أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم .

ويبغون فى الأرض بغير الحق : أي يطلبون فى الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام .
ولمن صبر وغفر : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عن أساء إليه .
إن ذلك : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء .
لمن عزم الأمور : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعا .
ومن يضل الله : أي حسب سنته فى الإضلال .
فماله من ولي من بعده : أي فليس له من أحد يتولى هدايته ويقدر عليها .
هل إلى مرد من سبيل : أي هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكتها لنعود إلى الدنيا .
وتراهم يعرضون عليها : أي على النار خاشعين خائفين متواضعين .
ينظرون من طرف خفى : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول إلى السيف لايملاً عينه منه .
يوم القيامة : أي لخلودهم فى النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين فى دار السلام .
إلا إن الظالمين : أي المشركين .
فى عذاب مقيم : أي دائم لا يخرجون منه وهو عذاب الجحيم .
ومن يضل الله فما له من سبيل : أي طريق إلى الهداية فى الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة .

معنى الآيات :

لقد تقدم قوله تعالى فى الآية قبل هذه : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾
فلما نفى عن المنتصرين السبيل إلى عقوبتهم أثبت هنا أن السبيل إلى العقوبة والمواخذة هو
على الذين^(١) يظلمون الناس بالاعتداء عليهم فى أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم ويبغون فى
الأرض بغير الحق أى يطلبون الفساد فيها بالشرك والظلم والمعاصى ، وليس فى الشرك
والظلم والمعاصى من حق يبيحها، وقوله ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أي للذين يبغون فى الأرض
بغير الحق لهم عذاب أليم أي موجه وهو عذاب الدنيا بعقوبتهم الصارمة ويوم القيامة ان لم
يتوبوا من الظلم والفساد فى الأرض .
وقوله تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾^(٢) يخبر تعالى مؤكداً الخير بلام
الابتداء ان من صبر فلم ينتصر لنفسه من أخيه المسلم وغفر لأخيه زلته فتجاوز له عنها فان ذلك
المذكور من الصبر والتجاوز من معزومات الأمور المطلوبة شرعاً .

(١) هذه الآية تقابل آية التوبة ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ حيث نفت السبيل على المحسنين وهو لومهم وعتابهم وهذه
أثبتته على المسيئين الظالمين .

(٢) قال العلماء هذا فيمن ظلمه مسلم فإنه مندوب إلى الصبر وعدم المواخذة وهو المغفورون أن رجلاً سب آخر في مجلس
الحسن البصري فكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ
ضيقها الجاهلون ، والعزم عقد النية على العمل والثبات عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ^(١) أي ومن يضلله الله تعالى حسب سنته في الإضلال فليس له من أحد من بعد الله يهديه . وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين لما رأوا العذاب أي عذاب النار يقولون : متمنين الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويؤخذوا حتى ينجوا من عذاب النار ويدخلوا الجنة مع الأبرار : هل إلى مرد من سبيل ؟ أي هل إلى مرد إلى الدنيا من طريق ؟ قال تعالى ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار خاشعين خاضعين متواضعين من الذل ينظرون من طرف خفي ^(٢) يسترقون النظر لا يملأون أعينهم من النظر إلى النار لشدة خوفهم منها . وهنا يقول الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك لخلودهم في النار وحرمانهم من الوصول إلى الحور العين في الجنة دار الأبرار ، ويعلن معلن فيقول : ألا إن الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي في عذاب مقيم لا يبرح ولا يزول وقوله تعالى ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ يخبر تعالى بأنه لم يكن لأولئك الظالمين من أهل النار من أولياء من دون الله ينصرونهم بتخليصهم من العذاب . وقوله : ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي فما له طريق إلى هدايته في الدنيا وإلى الجنة يوم القيامة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - لاسبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه .
- ٢ - وجوب معاقبة الظالم والضرب على يديه .
- ٣ - فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل .
- ٤ - لا أعظم خسرانا ممن يخلد في النار ويحرم الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

أَسْتَجِيبُوا

لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا

(١) من ولي (من) زائدة للتوكيد إذ الكلام فماله ولي من بعده وكذلك في قوله الآتي ﴿وما كان لهم من أولياء﴾ فمن زائدة للتوكيد .

(٢) الطرف مصدر طرف يطرف طرفاً إذا حرك جفنه ولذا هو لا يشئ ولا يجمع قال تعالى ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ ويطلق الطرف على العين كما في هذه الآية قال الشاعر :

ففض الطرف إليك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَنَا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَ شَاءَ
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- استجيبوا لربكم : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة .
من قبل أن يأتي يوم : أي يوم القيامة .
لأمرده من الله : أي إذا أتى لا يرد بحال .
مالك من ملجأ يومئذ : أي تلجأون إليه وتتحصنون فيه .
ومالك من نكير : أي وليس لكم ماتنكرون به ذنوبكم لأنها فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .
فإن أعرضوا : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة .
إن عليك إلا البلاغ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ .
وإننا إذا أذقنا الإنسان منارحة : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية .
وإن تصبهم سيئة : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك .
بما قدمت أيديهم : أي من الذنوب والخطايا .
فإن الإنسان كفور : أي للنعمة والمنعم والإنسان هو غير المؤمن التقى .
لله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا .
يهب لمن يشاء إناثا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات .
ويهب لمن يشاء الذكور : أي ويعطى من يشاء الأولاد الذكور .
أو يزوجهم ذكرا وإناثا : أي يجعلهم ذكورا وإناثا .
ويجعل من يشاء عقيما : أي لا يلد ولا يولد له .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لأحوال وظالمين فى عرصات القيامة طلب الرب تعالى من عباده أن يجيبوه لما طلبه منهم إنقاذاً لأنفسهم من النار فقال : ﴿استجيبوا لربكم﴾ ^(١) بمعنى أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والطاعات قبل فوات الفرصة وذلك قبل الموت وقبل يوم القيامة اليوم الذى إذا جاء لامرءه من الله ، إذ لا يقدر على رده إلا الله والله أخبر أنه لا يرد فممن يرد إذا؟ فبادروا بالتوبة الى ربكم قبل مجيئه حيث لا يكون لكم يومئذ ملجأ تلجأون إليه هاربين من العذاب ولا يكون لكم نكير يمكنكم أن تنكروا به ذنوبكم إذ قد جمعت لكم فى كتاب واحد لم يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة الا أحصاها عدأ. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وهى قوله تعالى : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن ياتي يوم لامرء له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير﴾ ^(٢) . وقوله تعالى فى الآية الثانية (٤٨) ﴿فإن أعرضوا﴾ أى لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والطاعة فما أرسلناك عليهم حفيظاً رقيباً تحصى أعمالهم وتحفظها لهم وتجازيهم بها. إن عليك إلا البلاغ أى ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت وبرئت ذمتك فلا يهملك أمرهم ولا تحزن على اعراضهم . . وقوله تعالى : ﴿وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أى نعمة كسعة رزق وصحة بدن وكثرة مال وولد فرح بها فرح البطر والأشر ، وهذا الإنسان هو الكافر أو الجاهل الضعيف الإيمان . وإن تصبهم سيئة أى ضيق عيش ومرض وفقير بما قدمت ايديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور سرعان ما ينسى النعمة والمنعم ويقع فى اليأس والقنوط هذا الإنسان قبل أن يؤمن ويسلم ويحسن فإذا آمن وأسلم وأحسن تغير طبعه وطهر نبعه وأصبح يشكر عند النعمة ويصبر عند النقمة . وقوله تعالى : ﴿الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء﴾ ^(٣) إنه يحكم سلطانه على الأرض والسماء فانه يتصرف كيف يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم له ذكوراً وإناثاً ، ويجعل من يشاء من الناس عقيماً لا يولد ولا يولد له ، وهذا ناتج عن علم أحاط بكل شىء ، وقدرة أخضعت لها كل شىء وهذا معنى قوله ﴿إنه عليم قدير﴾ ^(٤) . فالواجب أن يسلم العبد لربه فيما وهبه وأعطاه إذ الله يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ، ومن السفه الاعتراض على حكم الله .

(١) السين والفاء للتوكيد واللام لربكم لتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول نحو شكرت له وحمدت له وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين إذ الأصل أجابه واستجابه .

(٢) النكير : اسم مصدر أنكر ينكر إنكاراً والنكير اسم المصدر إذ نقصت حروفه والمعنى مالكم إنكار لما جوزيتم به إذ لا يسعكم إلا الاعتراف .

(٣) الإذاقة كناية عن الإصابة والمراد بالرحمة أثرها وهى النعمة والتقدير وإننا إذا رحمنا الانسان فأصنناه بنعمة .

(٤) الجملة مستأنفة بيانية إذ لسائل أن يقول لم لا يفطر الله الإنسان على خلق الشكر فكان الجواب لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء .

(٥) الجملة تعليلية ففصنا العلم والقدرة بهما يكون الولد ولا يكون فليسلم الأمر لله فى العقم والولادة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الاستجابة لله تعالى فى كل مادعا العبد إليه ، وذلك قبل أن يطلب الاستجابة ولا يمكن منها .
- ٢ - على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده ، ولا يضرهم بعد ذلك شيء .
- ٣ - بيان طبع الانسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات .
- ٤ - لله مطلق التصرف فى الملكوت كله فلا يصح الاعتراض عليه فى شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لا تدركها عقول العباد .
- ٥ - وجود عقم فى الرجال وعقم فى النساء ، ولا بأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر . اماما ظهر الآن من بنوك المني ، والإنجاب بطريق صب ماء فحل فى فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لا يدينون لله بالطاعة له والتسليم لقضائه ، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لحياء لهم ولا إيمان لمن لحياء له ، وحسبهم قبحا فى سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون انقاذ حياة ولا طلب رضا الله رب الأرض والسماوات .

وَمَا كَانَ

لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

إلا وحياً أو من وراء حجاب : أي إعلاماً خفياً سريعاً فى يقظة أو منام ، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات .

أو يرسلوا رسولا : أي أو يرسل ملكاً فى صورة إنسان فيكلمه مبلغاً عن الله تعالى .

إنه علي حكيم : أي الله تعالى ذو علو على سائر خلقه حكيم فى تدبير خلقه .

وكذلك أوحينا إليك : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن .

روحاً من أمرنا : أي وحياً ورحمة من أمرنا الذى نوحيه إليك .

ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان : أي لم تكن قبل تدري أي شىء هو الكتاب ، ولا الإيمان الذى هو قول وعمل واعتقاد .

ولكن جعلناه نوراً نهدي به : أي جعلنا القرآن نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا الى صراطنا .

وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم : أي الإسلام .

ألا إلى الله تصير الأمور : أي ترجع أمور جميع العباد فى يوم القيامة إلى الله تعالى معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ﴾^(١) يخبر تعالى أنه ليس من شأن البشر كائناً من كان أن يكلمه الله تعالى إلا وحياً بأن يعلمه بطريق سريع خفى إلهاماً أو مناماً فيفهم عن الله تعالى ما ألقاه فى روعه جازماً أنه كلام الله ألقاه اليه بهذه طريقة وثانية أن يكلمه الله تعالى فيسمعه كلامه بدون أن يرى ذاته كما كلم موسى عليه السلام غير مرة . وثالثة أن يرسل إليه رسلاً كجبريل عليه السلام فيبلغه كلام ربه تعالى هذا معنى قوله تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ ﴾ أي ذو علو على خلقه ﴿ حكيم ﴾ فى تدبيره لخلقهم .

وقوله : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا أى كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يا محمد روحاً وهو القرآن وسمى روحاً لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأجسام بالأرواح ، وقوله

(١) روى غير واحد أن الآية نزلت رداً على قوله من قال للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنما لن يؤمن لك حتى تفعل ذلك وجائز أن يكون اليهود الذين أشاروا بهذا على كفار قريش وجائز أن يكون اليهود هم القائلون له .

(٢) الروح بضم الراء القلب أو العقل ، وبالفتح الفزع . وفي الحديث إن روح القدس نفثت فى روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب والحديث صحيح . وأدرج بعضهم خذلوا ما حل ودعوا ما حرم .

(٣) اختلف الفقهاء فىمن حلف ألا يكلم فلاناً فكتب إليه أو أرسل إليه رسلاً فهل يحنت؟ أوجه الأقوال أنه إذا اشترط المشافهة فى حلفه أنه لا يحنت وإن لم يشترطها يحنت ولا يحنت إن سلم عليه فى الصلاة أما فى خارجها فإنه يحنت .

(١) ﴿من أمرنا﴾ أي الذى نوحى إليك الشامل للأمر والنهى والوعد والوعيد وقوله تعالى : ﴿وما كنت تدري ما الكتاب﴾ أى القرآن ﴿ولا الإيمان﴾ الذى هو عقيدة وقول وعمل . وقوله : ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ أي جعلنا القرآن نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان بنا وتوحيدنا وطلب مرضاتنا بفعل محابنا وترك مساخطنا .

وقوله : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم أى وإنك يارسلونا لتهدى إلى صراط مستقيم الذى هو الدين الإسلامى وقوله ﴿صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض﴾ أى خلقا وملكا وعبداً ﴿والى الله تصير الأمور﴾ أى وإليه تعالى مصير كل شيء ، ومرد كل شيء إذ هو المالك الحق والمدير لأمر المخلوقات كلها، ولذا وجب تفويض الأمر إليه والرضا بحكمه وقضائه ثقة فيه وفى كفايته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان طرق الوحي وهى ثلاثة الأولى الإلقاء فى الروح يقظة أو مناماً والثانية أن يكلم الله النبي بدون أن يرى ذاته عز وجل كما كلم موسى فى الطور وكلم محمداً ﷺ فى الملكوت الأعلى والثالث أن يرسل إليه الملك إما فى صورته الملائكية أو فى صورة رجل من بنى آدم فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحىه من أمره .

٢ - القرآن الكريم روح تحيا به القلوب الميتة كما تحيا الأجسام بالأرواح .

٣ - القرآن نور يستضاء به فى الحياة فتعرف به طرق السعادة وسبل النجاة .

(١) أى من شأننا العظيم المقتضى الإيحاء إليك بالقرآن الحاوي للشرائع والأحكام وأنواع الهدايات المكملة للإنسان الأخذ بها المسعدة له فى الحياتين .

(٢) المنفى من الإيمان هو التفصيلي أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمناً موحداً، ولذا لم يقل وماكنت مؤمناً فالمنفى شرائع الإيمان وتفصيله .

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
۝٧ فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ : حَامِيمٌ

والكتاب المبين : أي القرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام .

إنا جعلناه قرآنًا عربيًا : أي جعلناه قرآنًا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به .

لعلكم تعقلون : أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب ، ماتمرون به وماتنهون عنه .

وإنه في أم الكتاب لدينا : أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلها عندنا .

لعلي حكيم : أي لذنو علو شأن على الكتب قبله لا يوصل إلى مستواه في

علوه ورفعته حكيم أي ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها .

أفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا : أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا أي لاننزل القرآن بأمركم

ونهيكم ووعدكم ووعيدكم .

أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ : لأن كنتم قوماً مسرفين متجاوزين الحد في الشرك والكفر كلا لانفعل .

وكم أرسلنا من نبي في الأولين : أي وكثيراً من الأنبياء أرسلناهم في القرون الأولى من الأمم الماضية .

فاهلكنّا أشد منهم بطشا : أي فانزلنا عذابنا بأشدهم قوة ويطشا من قومك فاهلكناهم .

ومضى مثل الأولين : أي ومضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين .
معنى الآيات :

حم الله أعلم بمراده به ، والكتاب المبين^(١) أى والقرآن الموضح لكل ماينجى من عذاب الله ويكسب جنته ورضاه وهذا قسم أقسم الله به ، والمقسم عليه قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربياً﴾ أى جعلنا الكتاب المبين الذى هو القرآن عربياً أى بلسان العرب ولغتهم .

وقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ بيان للحكمة فى جعل القرآن عربياً أى كي تعقلوا معانيه وتفهموا مراد الله منزله منه فيما يدعوكم إليه فيسهل عليكم العمل به فتكملوا وتسعدوا وقوله ﴿وإنه﴾ أى القرآن ﴿فى أم الكتاب﴾ أى اللوح المحفوظ لدينا عندنا ﴿لعلي﴾ أى ذو علو وشأن على سائر الكتب قبله حكيم ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها .

وقوله تعالى : ﴿أنضرب^(٢) عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ أى أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا فلا ننزل القرآن حتى لا تؤمروا ولا تنهوا من أجل أنكم قوم مسرفون فى الشرك والكفر والتكذيب كلا لا نفعل إذا الاستفهام للانكار عليهم وقوله ﴿وكم أرسلنا من نبي فى الأولين﴾ أى وكثيرا من الأنبياء أرسلنا فى الأمم السابقة وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون أي ما أتى أمة من تلك الأمم رسول منا إلا سخروا منه واستهزأوا به ، وبما جاءهم به من الإيمان والتوحيد ودعاهم إليه من فعل الصالحات وترك المحرمات إذا فاصبر على قومك فإنهم سالكون سبيل من سبقهم فى الكفر والتكذيب والسخرية والاستهزاء . وقوله تعالى : ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أى أهلكنا من هم أشد بطشا فى تلك الأمم الماضية لما كذبوا رسلنا واستهزأوا بهم فكيف بهؤلاء الذين هم أضعف منهم وأقل قوة وقدرة فأحرى بهم أن لا يمتنعوا من عذابنا متى أردنا إنزاله بهم . وقوله ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أى مضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين كقوم عاد وثمود واصحاب مدين والمؤتفكات ألم يكن لقومك فى ذلك عبرة لو كانوا يعتبرون ؟ .

(١) الكتاب هو القرآن أقسم به تعالى للإعلان عن مكانته وعلو شأنه وجعله قرآناً يقرأ بلسان العرب مكتوباً فى سطورهم ، ومحفوظاً فى صدورهم للعلّة الحكيمة التي تضمنها قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ .

(٢) الفاء للتفريع والاستفهام إنكارى أى أنحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجديد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن؟ كما لا يجوز أن تضرب عنكم صفحا فلا ننزل القرآن من أجل إسرافكم فى الشرك والتكذيب ، والصنع : الإعراض بصفح الوجه أى جانبه وهو أشد الإعراض .

(٣) قرأ نافع ﴿إن كنتم﴾ بكسر الهمزة وقرأ حفص ﴿أن كنتم﴾ بأن المصدرية . وإقحام «وقمأ» إشارة إلى أن الإسراف صار طبعاً لهم لا يفارقهم .

(٤) كم أرسلنا إلى قوله إلى الأولين تضمن الكلام الإلهي أمرين الأول تسليّة الرسول ﷺ والمؤمنين والثاني تهديد المشركين المسرفين بأنهم يتعرضون للهلاك الذي تعرضت له أمم قبلهم أشد منهم بطشاً وأكثر منهم قوة فأهلكوا وبقوا أثراً بعد عين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الإقسام بالله تعالى .
- ٢ - بيان شرف القرآن الكريم وعلو مكانته على سائر الكتب السابقة .
- ٣ - كون الناس مسرفين فى الشرك والفساد لا يمنع وعظهم ونصحهم وارشادهم .
- ٤ - بيان سنة بشرية وهى أنهم ما يأتىهم من رسول إلا استهزأوا به .
- ٥ - فى إهلاك الأقوى دليل على أن إهلاك من هو دونه أحرى وأولى لا سيما مع شدة كفره .

﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿١١﴾ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم

: أى ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يا رسولنا .

من خلق السموات والأرض : أى من بدأ خلقهنّ وأوجدهن ليقولن خلقهن الله ذو العزة والعلم .

الذى جعل لكم الأرض مهذاً^(١) : أى الله الذى جعل لكم الأرض فراشا كالمهد للصبي .

(١) قرأ نافع مهذاً وقرأ عاصم مهذاً . والمهاد اسم للشيء يمهد أي يوطأ ويسهل لما يحل فيه . والمهد مراد به هنا المهاد .

وجعل لكم فيها سبلاً : أي طرقاً .
 لعلكم تهتدون : أي إلى مقاصدكم في أسفاركم .
 ماء بقدر : أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفاناً مغرقاً ومهلكاً .
 فأنشأنا به بلدة ميتة : أي فأحيينا به بلدة ميتة أي لانبثاق فيها ولازراع
 كذلك تخرجون : أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم
 وتخرجون من قبوركم .
 والذي خلق الأزواج كلها : أي خلق كل شيء إذا الأشياء كلها زوج ولم يعرف فرد إلا الله .
 وجعل لكم من الفلك والأنعام : أي السفن ، والإبل .
 لتستروا على ظهوره : أي تستقروا على ظهور ما تركبون .
 وما كنا له مقرنين : أي مطيقين ولاضابطين .
 وإنا إلى ربنا لمنتقلون : أي لصاترون إليه راجعون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد بقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين من قومك قائلاً من خلق السموات والأرض أي من أنشأهم وأوجدهم بعد عدم لبادروك بالجواب قائلين الله ثم هم مع اعترافهم بربوبيته تعالى لكل شيء يشركون في عبادته أصناماً وأوثاناً . في آيات أخرى صرحوا باسم الجلالة الله وفي هذه الآية قالوا : العزيز العليم أي الله ذو العزة التي لا ترام والعلم الذي لا يحاط به . وقوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدياً ﴾ أي فراشاً وبساطاً كمهد الطفل وهذا من كلام الله تعالى لا من كلام المشركين إذ انتهى كلامهم عند العزيز العليم فلما وصفوه تعالى بصفتي العزة والعلم ناسب ذلك ذكر صفات جليلة أخرى تعريفاً لهم بالله سبحانه وتعالى فقال تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدياً ﴾ أي بساطاً وفراشاً ، وجعل لكم فيها سبلاً أي طرقاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم لنيل حاجاتكم في البلاد هنا وهناك ، والذي نزل من السماء ماء بقدر وهو المطر بقدر أي بكميات موزونة على قدر الحاجة منها فلم تكن ضحلة قليلة لاتنفع ولا طوفاناً مغرقاً مهلكاً ، وقوله

(١) من الجائز أن يكون العزيز العليم من قول المشركين إذ هم لا ينكرون عزة الله وعلمه وقدرته كما درجنا عليه في التفسير إذ هو الظاهر من اللفظ والسياق وجائز أن يكون من قول الله تعالى وهما صفتان لاسم الجلالة (الله) الذي أجابوا به في غير آية من القرآن ثم ذكر من صفاته الموجبة لعبادته وحده دون من سواه فذكر ست صفات من صفات الجلال والكمال وهي متضمنة لإنعامه وإفضاله على عباده بخلقهم ورزقهم .
 (٢) كون الأرض مهدياً لا ينافي كون جسمها كروياً .

(١) ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ أي أحيينا بذلك المطر بلدة ميتا أي أرضا يابسة لانبات فيها ولازراع . وقوله ﴿كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ أي مثل ذلك الأحياء للأرض الميتة يحييكم تعالى ويخرجكم من قبوركم أحياء . وقوله ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ هذا وصف آخر له تعالى بأنه خلق الأزواج كلها من الذكر والأنثى ، والخير والشر والصحة والمرض ، والعدل والجور ، إذ لا فرد إلا هو سبحانه وتعالى وفي الحديث الصحيح الله وتر يحب الوتر قل هو الله أحد وقوله ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ هذا وصف آخر بصفاته الفعلية الدالة على وجوده وقدرته وعلمه والموجبة للوحيته إذ جعل للناس من الفلك أي السفن ما يركبون ومن الأنعام كالإبل ومن البهائم كالخيل والبغال والحمير كذلك وقوله ﴿لَتَسْتَوتُوا عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي تستقروا على ظهوره أي ظهور ما تركبون ، ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استوتيتم عليه وتقولوا بالستتكم سبحانه الذي سخر لنا هذا أي الله لنا واقدرنا على التحكم فيه ، وما كنا له أي لذلك الحيوان المركوب بمقرنين أي بمطيقين ولا ضابطين لعجزنا وقوته ، ﴿وَأَنَا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ أي لصاترون إليه بعد موتنا راجعون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد يذكر صفات الربوبية المقتضية للألوهية .
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣ - معجزة القرآن في الأخبار بالزوجية وقد قرر العلم الحديث نظام الزوجية وحتى في الذرة فهي زوج موجب وسالب .
- ٤ - مشروعية التسمية والذكر عند ركوب ما يركب فإن كان سفينة أو سيارة قال العبد بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وإن كان حيوانا قال عند الشروع باسم الله وإذا استوى قاعداً : سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإننا إلى ربنا لمنقلبون .^(٣)

(١) أصل النثر البسط لما كان مطوياً وأريد به هنا إحياء الأرض بالنبات بعد محلها وبسببها وحسن إطلاق لفظ النثر لانتشار الحياة فيها بالنباتات .

(٢) ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ أي إن إحياءكم بعد موتكم وخروجكم من الأرض مستترين فيها كإحياء الأرض بالمطر وانتشار النباتات والزرع فيها فبأي حق تنكرون البعث وتكذبون به؟ .

(٣) روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي أن علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم حمد الله ثلاثاً وكبر الله ثلاثاً ثم قال سبحانه لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك ف قيل له مما ضحكك؟ فقال رأيت رسول الله فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مما ضحكك يا رسول الله فقال ﷺ يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال ربي اغفر لي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ
يَا بُنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي
الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ أَنْثَىٰ أَسْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا الْوَسْءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنِيتَهُمْ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

- وجعلوا له من عبادته جزءاً : أى وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض من عبادته جزءاً إذ قالوا الملائكة بنات الله .
- إن الإنسان لكفور مبين : أى إن الإنسان المعترف بأن الله خلق السموات وجعل من عبادته جزءاً هذا الإنسان لكفور مبين أى لكثير الكفر بينه .
- وأصفاكم بالبنين : أى خصصكم بالبنين وأخلصهم لكم .
- بما ضرب للرحمن مثلاً ^(١) : أى بما جعل للرحمن شبهاً وهو الولد .

(١) المراد من المثل : الأنثى بدليل قوله تعالى في سورة النحل ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ .

ظل وجهه مسوداً وهو كظيم : أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلىء غيظاً .
أو من يُنشأ في الحلية : أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءاً هو البنت التي تربي في الرينة .

وهو في الخصام غير مبين : أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة .
عباد الرحمن إناثاً : أي لأنهم قالوا بنات الله .
أشهدوا خلقهم : أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم .
ستكتب شهادتهم : أي سيكتب قولهم إن الملائكة إناثاً .
ويسألون : أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطلة ويعاقبون عليها .
مالهم بذلك من علم : أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم .

إن هم إلا يخرصون : أي ماهم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم بعضاً .
أم آتيناهم كتاباً من قبله : أي أم أنزلنا عليهم كتاباً قبل القرآن .
فهم به مستمسكون : أي متمسكون بما جاء فيه ، والجواب لم يقع ذلك أبداً .
بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لأبائهم .
وإنا على آثارهم مهتدون : أي علي طريقتهم وملتهم ماشون وهي عبادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان .

إلا قال مترفوها : أي متنعموها .
إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي ملّة ودين .
وإنا على آثارهم مقتدون : أي على طريقهم متبعون لهم فيها .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد ، والمكذبين إلى التصديق فقال تعالى مُنْكَرًا عليهم باطلهم موبخاً لهم على اعتقاده والقول به ، فقال ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أي وجعل أولئك المشركون الجاهلون لله جزءاً أي نصيباً من خلقه حيث قالوا الملائكة بنات الله ، وهذا من أكذب الكذب وأكفر الكفر إذ كيف عرفوا أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله ، وأنهم يستحقون العبادة مع الله فعبدوهم؟ حقاً إن الإنسان لكفور مبين أي كثير الكفر وكبيره وبينه لا يحتاج فيه إلى دليل وقوله تعالى : ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم^(١) بالبنيين﴾ أي أتقولون أيها المشركون المفترون اتخذ الله مما يخلق من

(١) قال الحسن يعد المصائب وينسى النعم ومبين معناه مظهر للكفر .

(٢) أم اتخذ الميم صلة أي زائدة لتقوية الكلام والاستفهام للتوبيخ والتأنيب .

(٣) ﴿أصفاكم﴾ قال القرطبي : اختصم وأخلصكم بالبيين يقال أصفيت بكذا أي أثرته به وأصفيته الود أخلصته له .

المخلوقات بناتٍ، وخصكم بالبنين^(١)، بمعنى أنه فضلكم على نفسه بالذكور الذين تحبون ورضي لنفسه بالإناث اللاتي تبغضون. عجباً منكم هذا الفهم السقيم. وقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً أي بما جعل الله شبهاً وهو الولد ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون الله البنات كذباً وافتراءً، إذا ولد لأحدهم بنت فبشربها أي أخبر بأن امرأته جاءت ببنت ظل وجهه طوال النهار مسوداً من الكآبة والغم وهو كظيم أي ممتلئ غماً وحزنًا. وقوله تعالى: ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ ينكر تعالى عليهم ويوبخهم على كذبهم وسوء فهمهم فيقول: أيجترئون ويبلغون الغاية في سوء الأدب ويجعلون الله من يربى في الزينة لنقصانه وهو البنات، وهو في الخصام غير مبين لخفة عقله حتى قيل ما أدلت امرأة بحجة إلا كانت عليها لالها. فقلوه ﴿غير مبين﴾ أي غير مظهر للحجة لضعفه بالخلق وهى الأنثى والضمير عائذ على من في قوله ﴿أومن ينشأ في الحلية﴾ أي الزينة.

وقوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ أي حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلباً لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى: موبخا لهم مقيماً الحجة على كذبهم أشهدوا خلقهم أي أحضروا خلقهم عندما كان الله يخلقهم، والجواب لا، ومن أين لهم ذلك وهم مازالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم بل ولا آدم أصلهم عليه السلام وقوله تعالى ﴿أي ستكتب شهادتهم﴾ هذه وهى قولهم إن الملائكة بنات الله ويسألون عنها ويحاسبون ويعاقبون عليها بأشد أنواع العقاب، لأنها الكذب والافتراء، وعلى؟ إنه على الله، والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن^(٢) ما عبدناهم﴾. أي قال أولئك المشركون المفترون لمن أنكر عليهم عبادة الملائكة وغيرها من الأصنام قالوا: لو شاء الرحمن منا عدم عبادتهم ما عبدناهم. قال تعالى في الرد عليهم ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أي ليس لهم أي علم برضا الله تعالى بعبادتهم لهم، ما هم في قولهم ذلك إلا يخرصون أي يقولون بالخرص والكذب إذ العلم يأتي من طريق الكتاب أو النبى ولا كتاب عندهم ولا نبى فيهم قال بقولتهم، ولذا قال تعالى منكرًا

(١) أي في المجادلة والإدلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها.

(٢) في الآية دليل على جواز لبس الذهب والحريز للنساء وهو إجماع إلا أن بعض السلف كان ينزهه عنه لقول أبي هريرة إياك يا بنىة والتحلي بالذهب فإني أخاف عليك اللهب، وقرأ نافع ﴿ينشأ﴾ وقرأ حفص ﴿ينشأ﴾ فالأول بتخفيف الشين والثاني بتشديد الأول من: أنشأ والثاني من نشأ.

(٣) قرأ نافع عند الرحمن وقرأ حفص عباد الرحمن ولا منافاة والملائكة عند الرحمن في الملكوت الأعلى في حضرة القدس يتلقون خطاب الله مباشرة بلا واسطة وهم في واقع الأمر عباد الرحمن وجملة (الذين هم عند الرحمن إناثاً) صفة للملائكة فهي في محل نصب.

(٤) فسولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان إرادة كونه وإرادة تكليفية شرعية فالإرادة الكونية القدريّة هذه لا تتخلف أبداً فما شاء الله كان والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلف لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختياراً وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه والمشركون لا علم لهم بهذا فلذا نفى عنهم العلم راداً باطلهم بجعلهم.

عليهم قولتهم الفاجرة ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ بِهِ مَسْتَمْسِكُونَ﴾؟ لا لا، ما آتاهم الله من كتاب ولا جاءهم قبل محمد من نذير إذا فلا حجة لهم إلا التقليد الأعمى للأباء والأجداد الجهال الضلال وهو ما حكاه تعالى عنهم في قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴿١﴾ وَأَنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ أي ماشون مقتفون آثارهم وقوله تعالى: ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي رسول إلا قال مترفوها أي متنعموها بنضارة العيش وغضارته ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي ملة ودين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ أي متبعون لهم فيها. فهذه سنة الأمم قبل أمتك يارسولنا فلا تحزن عليهم ولاتك في ضيق بما يقولون ويعتقدون ويفعلون أيضا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى آخر الآية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير صفة من صفات الإنسان قبل شفاثه بالإيمان والعبادة وهي الكفر الواضح المبين.
- ٢ - وجوب إنكار المنكر ومحاولة تغييره في حدود ما يسمح به الشرع وتتسع له طاقة الإنسان.
- ٣ - بيان حال المشركين العرب في الجاهلية من كراهيتهم البنات خوف العار وذلك لشدة غيرتهم.
- ٤ - بيان ضعف المرأة ونقصانها ولذا تكمل بالزينة، وإن النقص فيها فطري في البدن والعقل معاً.
- ٥ - بيان أن من قال قولاً وشهد شهادة باطلة سوف يسأل عنها يوم القيامة ويعاقب عليها.
- ٦ - حرمة القول على الله بدون علم فلا يحل أن ينسب إلى الله تعالى شيء لم ينسبه هو تعالى لنفسه.
- ٧ - حرمة التقليد للأباء وأهل البلاد والمشايخ فلا يقبل قول إلا بدليل من الشرع.

﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤) ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢٥) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) ﴿بَلْ

(١) لفظ الأمة هنا يراد به الدين والملة والطريقة أيضاً ومن شواهد ذلك :

كُنَّا عَلَىٰ أُمَّةٍ أَبَاثَنَا وَيَقْتَدِي الْآخِرَ بِالْأَوَّلِ

وهل يستوي ذو أمة وكفور؟

مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٩﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ أَهُمُ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
 بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

قال أولو جنتكم بأهدى مما : قال لهم رسولهم : أتتبعون آباءكم ولو جنتكم بأهدى أي بخير
 وجدتم عليه آباءكم مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال .
 قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون : أي قال المشركون لرسولهم ردأ عليهم إنا بما أرسلتم به كافرون
 أي جاحدون منكرون غير معترفين به .
 فانظر كيف كان عاقبة المكذبين : أي كانت دماراً وهلاكاً إذاً فلا تكثر بتكذيب قومك يارسلنا .
 وإذا قال إبراهيم : أي وأذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن
 إني براء مما تعبدون : أي برىء مما تعبدون من أصنام لا أعبدوها
 ولا اعترف بها .
 إلا الذي فطرني فإنه سيهدين : أي لكن الذي خلقتني فإني أعبدته وأعترف به فإنه سيهديني أي
 يرشدني إلى ما يكملني ويسعدني في الحياة الدنيا وفي الآخرة .
 وجعلها كلمة باقية في عقبه ^(١) : أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » باقية دائمة في
 ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه .
 لعلهم يرجعون : أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها
 وهي لا إله إلا الله .

(١) لفظ العقب الوارد في الآية وفي الحديث الصحيح من أعمر عُمرى فهي له ولعقبه فإنها للذي أعطها لا ترجع إلى الذي أعطها لأنه أعطى عطاء وقعت فيه الموارث قال ابن العربي ترد هذه اللفظة على أحد عشر لفظاً وهي الولد والبنون والذرية والعقب والنسل والآل والقرابة والعشيرة والقوم والموالي .

بل تمتعت هؤلاء وآباءكم : أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعجلهم بالعقوبة .
حتى جاءهم الحق ورسول : أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين
مبين لا شك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى
والأحكام الشرعية .

وقالوا لولا نزل هذا القرآن على : أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نُعاقبهم،
رجل من القريتين عظيم هلاً نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف
أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف .
أهم يقسمون رحمة ربك؟ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال أهم
يقسمون رحمة ربك إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات . وليس
لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده .

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا
الحياة الدنيا ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأعلى من
الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فننبئ من نشاء .
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغنى الفقير خادماً يسخره
في خدمته بأجرة مقابل عمله .
ورحمة ربك خير مما يجمعون : أي واللجنة التي أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذي
يجمع هؤلاء المشركون الكافرون .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قول المشركين لرسولهم : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ «ملة» ﴿وإنا على أثارهم
مقتدون﴾ ، قال مخبراً عن قول الرسول لأمة المكذبة المقلدة للآباء الظالمين ﴿قال: أولو﴾^(١)
جئكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أي اتبعون آباءكم ولا تتبعوني ولو جئكم بأهدى إلى
الخير والسعادة مما وجدتم عليه آباءكم، وهذا إنكار من الرسول عليهم في صورة استفهام وهو
توبيخ أيضاً إذ العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريباً كان أو بعيداً . وقوله تعالى ﴿قالوا إنا بما
أرسلتم به كافرون﴾^(٢) هذا قول الأمم المكذبة المشركة لرسولهم أي كل أمة قالت هذا لرسولها :
إنما بما أرسلتم به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء والشرع وأحكامه كافرون أي منكرون

(١) قرأ نافع والجمهور قل بصيغة الأمر وقرأ حفص قال بصيغة الماضي فيعود الضمير إلى نذير الذين قالوا ﴿إنا وجدنا
آباءنا﴾ . الخ . وأما على قراءة نافع فهو أمر للرسول ﷺ ليقول للمشركين ما أمره أن يقوله لهم .
(٢) هذا الاستفهام تفريري إلا أنه مشوب بالإنكار والتوبيخ .
(٣) في قولهم هذا معنى التهكم برسولهم إذ أثبتوا لهم الرسالة وهم مكذبون بها كقول قريش مال هذا الرسول يأكل الطعام .

مكذبون غير مصدقين، قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾^(١) أي لتكذيبهم فأهلكناهم فانظر يا رسولنا كيف كان عاقبتهم وهم المكذبون إنها دمار شامل وهلاك تام. وليذكر هذا قومك لعلمهم يذكرون.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ أي واذكر يا رسولنا لقومك قول إبراهيم الذي ينتسبون إليه باطلا لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون أي إنني براء من آلهتكم التي تعبدونها فلا أعبدوها ولا اعترف بعبادتها. وقوله ﴿إلا الذي فطرني﴾ أي لكن اعبد الله الذي خلقني فهو أحق بعبادتي مما لم يخلقني ولم يخلق شيئا وهو مخلوق أيضا. وقوله فإنه سيهدين أي يرشدني دائما إلى مافيه سعادتي وكما لى. وقوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ أي وجعل براءته من الشرك والمشركين، وعبادته خاصة بالله رب العالمين جعلها كلمة باقية في ذريته حيث وصاهم بها كما جاء ذلك في سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ أي بأن لا يعبدوا إلا الله وهي إذا كلمة لا إله إلا الله ورثها إبراهيم في بنيه لعلهم يرجعون إليها كلما غفلوا ونسوا وتركوا عبادة الله تعالى والإنابة إليه بعوامل الشر والفساد من شياطين الإنس والجن فيذكرون ويتوبون إلى الله تعالى فيوحدونه ويعبدونه فجزى الله إبراهيم عن المؤمنين خيرا. وقوله تعالى: ﴿بل تمتع هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أي بل لم يتحقق ماترجاه إبراهيم كاملا إذا أشرك من بنيه من أشرك ومنهم هؤلاء المشركون المعاصرون لك أيها الرسول وآباءهم، ومتعمهم بالحياة حتى جاءهم الحق الذي هو هذا القرآن يتلوه هذا الرسول المبين أى الموضح لكل الأحكام والمبين لكل الشرائع. ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون هكذا قالت قريش لما جاءها الحق الذي هو القرآن الحامل للشرائع والأحكام والرسول المبين لذلك والموضح له قالوا هذا سحر يسحرنا به، وإنا به أى بالقرآن والرسول كافرون أى جاحدون منكرون مكذبون وقالوا أبعد من ذلك فى الشطط والغلط وهو محاكاة تعالى عنهم فى قوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي هلا نزل هذا القرآن على رجل شريف ذى مكانه مثل الوليد بن المغيرة^(٤) فى مكة أو عروة بن مسعود فى الطائف

(١) الفاء للتفريع وفي الآية تهديد وعيد لكفار قريش بأن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم.

(٢) لما ادعى المشركون أنهم مقلدون آباءهم في الدين ذكر لهم ما ينبغي أن يقلدوه من آباءهم هو إبراهيم وإسماعيل وإلا فليس الأمر كما يدعون وإنما هم متبعون أهواءهم.

(٣) بل للإضراب الإبطالي أي لم يحصل ما رجاه إبراهيم كاملا بل هناك من لم يرجع إلى التوحيد من ذرية إبراهيم إذ جاء عمرو بن لحي بالآصنام وعبدها آباء هؤلاء وهم لها عابدون حتى مجيء الحق ورسوله محمد ﷺ.

(٤) هذا المشهور من الأقوال في الرجلين ومنهم من قال هما عمير بن عبدياليل الثقفي من الطائف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد، وقيل عظيم الطائف هو حبيب بن عمرو أما القريتان فلا خلاف في أنهما مكة والطائف لكونهما أكبر مدن تهامة.

وهذه نظرة مادية بحتة إذ رأوا أن الشرف بالمال، ولما كان محمد ﷺ لا مال له ولا ثراء رأوا أنه ليس أهلاً للرسالة ولا للمتابعة عليها، فرد تعالى عليهم نظريتهم المادية الهابطة هذه بقوله : ﴿أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾؟ أما يخجلون عندما قالوا أهم يقسمون رحمة ربك فيعطون منها من شاءوا ويمنعون من شاءوا أم نحن القاسمون؟ إنا قسمنا بينهم معيشتهم : طعامهم وشرابهم وكساهم وسكنهم ومركوبهم في الحياة الدنيا فالعاجز حتى عن إطعام نفسه وسقيها وكسوتها كيف لا يستحي أن يعترض على الله في اختياره من هو أهل لنبوته ورسالته؟ وقوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي في الرزق فهذا غني وذاك فقير من أجل أن يخدم الفقير الغني وهو معنى قوله تعالى : ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾، إذ لو كانوا كلهم أغنياء لما خدم أحد أحداً وتعطلت الحياة وقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة دار السلام خير مما يجمعون من المال الذي فضلوا أهله وإن كانوا من أخط الناس قدراً وأدناهم شرفاً. ورأوا أنهم أولى بالنبوة منك لمرض نفوسهم بحب المال والشهوات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - من الكمال العقلي ان يتبع المرء الهدى ولو خالفه قومه وأهل بلاده .
- ٢ - وجوب البراءة من الشرك والمشركين وهذا معنى لا إله إلا الله .
- ٣ - فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً .
- ٤ - لا يعترض على الله أحد في شرعه وتدبيره إلا كفر والعياذ بالله تعالى .
- ٥ - بيان الحكمة في الغنى والفقر، والصحة والمرض والذكاء والغباء .

وَلَوْ لَا

أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ

لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرَرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزَخْرَفَ وَإِنْ

(١) الاستفهام انكاري متضمن التوبيخ لهؤلاء الزاعمين اختيار من شاءوا للاصطفاء والرسالة فلموا انه لا حق لهم في هذا الاختيار إذ هم لا خيار لهم حتى في طعامهم وشرابهم فضلاً عن اختيار من يرسل ومن لا يرسل .

(٢) الجملة تعليلية للتفاضل في الرزق أي فاضل بينهم في الغنى والفقر ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً أي يستخدم الغني الفقير في قضاء حاجته وليأخذ الفقير منه ما يسد به حاجته والسخرى هنا بمعنى التسخير للعمل وليس بمعنى السخرية والاستهزاء إذ أجمع السبعة على قراءة ضم السين وعدم كسرها .

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة

: أي على الكفر.

ومعارج

: أي كالسلم والمصعد الحديث والمعارج جمع معرج وهو المصعد.

عليها يظهر

: أي يعلنون عليها إلى السطوح.

وزخرفا

: أي ذهباً أي لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وذهب وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضة وبعضها من ذهب.

وان كل ذلك

: أي وما كل ذلك المذكور.

لما متاع الحياة الدنيا

: أي وماكل ذلك الامتاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.

والآخرة

: أي الجنة ونعيمها خير لأهل الايمان والتقوى من متاع الدنيا.

معنى الآيات :

لما فضل تعالى الجنة على المال والمتاع الدنيوي في الآيات السابقة قال هنا : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن (يعنى نفسه عز وجل) لبيوتهم سقفاً من فضة، ومعارج عليها يظهر^(١)ون أي مراقى ومساعد عليها يعلنون الى الغرف والسطوح من فضة ولجعلنا كذلك لبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون من فضة أيضاً، وزخرفاً أي وذهباً أي بعض المذكور من فضة وبعضه من ذهب ليكون أجمل وأبهى من الفضة وحدها، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به الناس ثم يزول ويذهب بزوالهم وذهابهم . والآخرة عند ربك أي الجنة وما فيها من نعيم مقيم للمتقين الذين آمنوا واتقوا الشرك والمعاصي وما عند الله خير مما عند الناس، وما يبقى خير مما يفنى، ولذا قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف «طين» لاختار العاقل الآخرة على الدنيا، وهو اختيار ما يبقى على ما يفنى .

(١) المعارج السلم وجمع السلم سلايم وواحد المعارج معرج ومعرج بكسر الميم وفتحها وهي المرقاة والجمع مراقى .

(٢) روي ان نابغة بن جعدة أنشد رسول الله ﷺ قائلا :

علونا السماء عزة ومهابة وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فغضب الرسول ﷺ وقال : إلى أين ؟ قال إلى الجنة قال «أجل ان شاء الله» وهنا قال الحسن : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل ؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الميل إلى الدنيا وطلب متاعها فطرى فى الإنسان فلذا لو أعطيتها الكافر بكفره لمال إليها كل الناس وطلبوها بالكفر.

٢ - هوان الدنيا على الله وعدم الاكتراث بها إذ قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذى وصححه وفى صحيح مسلم : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^(١).

٣ - بيان أن الآخرة خير للمتقين .

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ومن يعش عن ذكر الرحمن : أي يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن متجاهلاً له .

نقيض له شيطاناً : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه .

فهو له قرين : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان .

وإنهم ليصدونهم عن السبيل : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى .

ويحسبون أنهم مهتدون : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن

(١) أنشد بعضهم في ذم الدنيا فقال :

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم

وطاعته أنهم مهتدون أى انهم على الحق والصواب وذلك بتزيين
القرين لهم .

بعد المشرقين

: أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه .

ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم : أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك
والمعاصي .

انكم فى العذاب مشتركون : اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم .

أفأنت تسمع الصم أو تهذى : أي إنك يارسولنا لاتسمع الصم ، ولا تهذى العمى والقوم قد
أصمهم الله وأعمى أبصارهم لأنهم عشاوا عن ذكره .

العمى

ومن كان فى ضلال مبين : أي كما انك لاتقدر على هداية من كان فى ضلال مبين عن
الحق والهدى .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى عرض الهداية على الضالين بالكشف عن أحوالهم وإضاءة الطريق
لهم قال تعالى : ﴿ومن يعش^(١) عن ذكر الرحمن﴾ أي يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن
الذى هو القرآن وعبادة الرحمن متجاهلاً ذلك نقيض له شيطاناً أى نسب له نتيجة إعراضه شيطاناً
ونجعله له قريناً لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة . فهو له قرين دائماً . وقوله تعالى : ﴿وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون﴾ أي وان القرناء الذين جعلهم تعالى حسب سنته
فى الأسباب والمسببات للعاشين عن ذكره يصدونهم بالتزيين والتحسين لكل المعاصي حتى
انغمسوا فى كل إثم وولغوا فى كل باطل وشر ، وضلوا عن سبيل الهدى والرشد ومع هذا يحسبون
أنهم مهتدون وغيرهم هم الظالمون^(٢)

وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءنا﴾ أي يوم القيامة قال العاشى عن ذكر الرحمن باليت متمنياً
ببنى وبينك بعد المشرقين أي يتمنى لو أن بينه وبين قرينه من الشياطين من البعد كما بين
المشرق والمغرب . قال تعالى لأولئك العاشين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك
والمعاصي فى الدنيا أنكم فى العذاب مشتركون أي إن اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم ولا
مجد ابداً . وقوله تعالى لرسوله : ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهذى العمى ومن كان فى ضلال

(١) هذا مضارع عشا يشعوا عشا كغزا (يفزوا) غزوا إذا نظر إلى الشيء نظراً غير ثابت يشبه نظر الأعشى والعشا بفتح العين
والشين اسم ضعف العين عن رؤية الأشياء . وعشى كرضى إذا كان فى بصره آفة العشا .

(٢) يقض يقض تقيضاً فالتقيض : الإناحة وتهية شيء لملزمة شيء لعمل حتى يتم وهو مشتق من اسم جامد وهو يقض البيضاء أي
القشر المحيط بالبحر ، وهو لا يفارقه حتى يخرج منها الفرج فيتم ما أتبع له القيض .

(٣) قرأ نافع جاءنا أي من يعش عن ذكر الرحمن والشيطان المقيض له وقرأ حفص بالإفراد جاءنا أي العاشى عن ذكر
الرحمن .

(٤) الاستفهام إنكارى وفى الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتسجيل أن الكافر أصم أعمى ومقابله المؤمن يسمع ويبصر .

مبين ﴿ ينكر تعالى على رسوله ظنه أنه يقدر على هدايتهم وحده بدون إرادة الله تعالى ذلك لهم إذ كان ﷺ يجتهد في دعائهم، وهم لا يزدادون إلا تعامياً وتجاهلاً وكفراً فقال تعالى يخاطب رسوله ﴿ أفأنت ﴾ والاستفهام للانكار تسمع الصم الذين ذهب الله بأسماعهم، أو تهدي العمى الذين ذهب الله بأبصارهم، ومن كان في ضلال مبين عن الحق وسبيل الرشd والهدى إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك وترفق في دعوتك فإنك لا تكلف غير البلاغ وقد بلغت.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة الله تعالى فيمن يعرض عن ذكر الله فإنه يسبب له شيطاناً يضلّه ويحرمه الهداية أبداً فيقيم على الذنوب والآثام ضالاً الطريق المنجى المسعد وهو يحسب انه مهتدٍ، وهذا يتعرض له المعرضون عن الكتاب والسنة كالمبتدعة واصحاب الأهواء والشهوات والعياذ بالله تعالى .
- ٢ - الاشتراك في العذاب يوم القيامة لا يخففه .
- ٣ - بيان أن من اعماه الله وأصمه حسب سنته في ذلك لا هادى له ولا مسمع له ولا مبصر .

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فإما نذهب بك : أي فإن نذهب بك أي نميتك قبل تعذيبهم^(١)، وما زائد ادغمت فيها إن الشرطية فصارت إمّا .

فإنا منهم منتقمون : أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة .

وإما نرينك الذي وعدناهم : أي وإن نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب .

(١) أو بالخروج من مكة مكراً عليه من قبل أعدائك، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكراً ولا ملجأً ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة كما هو في التفسير.

فإننا عليهم مقتدرون : أي لا يعوقنا عائق لأنا عليهم قادرون .
فاستمسك بالذى أوحى إليك : أي دم على استمسالك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه .

إنك على صراط مستقيم : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك .
وإنه لذكر لك ولقومك : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك .
وسوف تسألون : أي عن القرآن أى عن العمل به بتطبيق شرائعه وإبلاغه
لغيركم

وأسأل من ارسلنا من قبلك من : أي أسأل مؤمنى أهل الكتابين التوراة والانجيل .
رسلنا

اجعلنا من دون الرحمن آلهة : أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب لم يعبدون
نجعل أبداً فليفهم هذا مشركو مكة .

معنى الآيات :

(١) مازال السياق الكريم فى دعوة كفار قريش إلى الإيمان والتوحيد فقوله تعالى ﴿فإنما نذهب بك﴾ أي إن نذهب بك أى نخرجك من بين أظهرهم فإننا منهم منتقمون أى فنعذبهم كما عذبنا الأمم من قبلهم عندما يخرجون رسولهم أو نرينك الذى وعدناهم من نصرك عليهم وغلبتك لهم فإننا عليهم مقتدرون أى قادرون على أن نفعل بهم ذلك .

وقوله تعالى : ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم﴾ أي فتمسك يارسولنا بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك إنك على صراط مستقيم وهو الإسلام الذى لا يشقى من تمسك به فعاش عليه ومات عليه . وقوله تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ أي وإن القرآن الذى أوحى إليك وأمرت بالتمسك به هو ذكر لك أي شرف وأى شرف ولقومك من قريش كذلك إذا آمنوا به وعملوا بما جاء فيه وسوف تسألون عن العمل به وتطبيق أحكامه والالتزام بشرائعه .

(١) الفاء تفريعية فالجملة متفرعة عما تقدم من قوله أفأنت تسمع الصم الخ والذهاب هنا قابل للموت والإخراج كرهاً بقرينة الوعيد المترتب عليه .

(٢) فاستمسك الفاء تفريعية عما قبلها والآية تحض على التمسك بالإسلام تشريعاً وعملاً .

(٣) هذه الآية كآية الأنبياء وهي : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ ومنشأ هذا الشرف هو أن قريشاً نزل القرآن بلغتها فكل الناس محتاجون إلى معرفة لغتهم ليعرفوا ما طلب منهم من عقائد وعبادات وآداب فبهذا شرفت قريش .

(٤) من فسر السؤال بالعمل هو حق وكذا من فسر بالشكر فهو حق لأن شكر العلم العمل به وتعليمه .

(١) وقوله ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ؟﴾ أي وأسأل يارسولنا مؤمني أهل الكتابين التوراه والانجيل إذسؤالهما سؤال رسلهم الذين ماتوا من قبلك هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون؟ وسوف يجيبونك بقولهم حاشا لله أن يأذن بعباده غيره من خلقه وهو الله لا إله إلا هو، وهذا من أجل تنبيه أذهان قريش إلى خطأها الفاحش في اصرارها على عبادة الأصنام إن القرآن نزل لهدايتهم وهداية غيرهم من بنى آدم على الإطلاق إلا أنهم هم أولاً وغيرهم ثانياً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - من سنة الله في الأمم إذا أخرج الرسول قومه مكرها انتقم الله تعالى له منهم فأهلكهم .
- ٢ - صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ماتوفاه حتى أقر عينه بنصره على أعدائه .
- ٣ - وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً .
- ٤ - شرف هذه الأمة بالقرآن فإن أضاعته أضاعها الله وأذلها وقد فعل ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ

بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرِ الدَّاعِ لَنَا

رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ ﴿٥٠﴾

(١) جائز أن يكون الكلام على ظاهره وأن النبي ﷺ قد جمع الله تعالى له العديد من الرسل والأنبياء في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج وسألهم فأجابوا بالحق وهو أن الله تعالى لم يأذن أبداً في عبادة غيره وجائز أن يكون في الكلام حذف دل عليه واقع الحياة إذ لا يسأل الأموات وإنما يسأل الأحياء وتقدير المحذوف وأسأل أتباع من أرسلنا من قبلك وهم مؤمنو أهل الكتابين من أتباع موسى وعيسى كما هو في التفسير.

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا :	أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته .
إلى فرعون وملأه :	أي وقومه من القبط .
إذ هم منها يضحكون :	أي سخرية واستهزاء .
ومانريهم من آية :	أي من آيات العذاب كالطوفان .
إلا هي أكبر من أختها :	أي من قرينتها التي قبلها من الآيات .
وقالوا يا أيها الساحر :	أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه .
بما عهد عندك :	أي من كشف العذاب عنا إن آمنا .
إنا لمهتدون :	أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون .
إذا هم ينكتون :	أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا﴾ إيراد هذا القصص هنا كان لمباشرة حال قريش بحال فرعون من جهة إذ قال رجال قريش لم لا يكون الرسول من ذوى المال والجاه كالوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود وقال فرعون : أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أي حقير يعنى موسى عليه السلام . ومن جهة أخرى كان لتسليية الرسول ﷺ وحمله على الصبر كما صبر موسى وهو أحد أولى العزم الخمسة فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا الدالة على صدق موسى فى رسالته إلى فرعون وقومه بأن يعبدوا الله ويتركوا عبادة غيره ، وإن يرسلوا مع موسى بنى إسرائيل ليذهب بهم إلى أرض المعاد «فلسطين» فلما جاءهم قال إنى رسول رب العالمين جئتكم لأمركم بعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه ، إذ لا يستحق العبادة إلا الله . فطأبوه بالآيات على صدق دعواه فلما جاءهم بالآيات العظام فاجأوه بالضحك منها والسخرية والاستهزاء بها وهو معنى قوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ أي وما نرى فرعون وملأه من آية إلا هي أكبر دلالة على صدق موسى من الآية التى سبقتها . قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم

(١) أي استهزاء وسخرية يوهمون أتباعهم أن تلك الآيات سحر وتخيل وأنهم قادرون على الإتيان بمثلها .
 (٢) الأخوة هنا بمعنى المشاكلة والمجانسة النوعية كما يقال هذه صاحبة تلك أي قريبة منها فى المعنى والكبر المراد به الكبير فى الدلالة على صدق موسى وصحة دعوته إذ المعجزات تتفاوت فى العظمة كما قال الشاعر:
 من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

(١)

يرجعون الى الحق فيؤمنون ويوحدون . وقالوا لموسى يا أيها الساحر أى العليم بالسحر المتبحر فيه ظنا منهم أن المعجزات كانت عمل سَاحِرٍ . أدع لنا ربك بما عهد عندك إنا لمهتدون أى سل ربك يرفع عنا هذا العذاب كالطوفان والجراد والقمل والضفادع إنا مؤمنون وكانوا كلما نزل بهم العذاب سألوا موسى ووعدوه بالإيمان به إن رفع الله عنهم العذاب وفى كل مرة ينكثون عهدهم وهو قوله تعالى ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ أي ينقضون العهد ولا يؤمنون كما واعدوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - الآيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لاستلزم الإيمان ممن شاهدها .
- ٢ - قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلمهم يتوبون إليه .
- ٣ - حرمه خلف الوعد ونكث العهد، وأنهما من آيات النفاق وعلاماته .

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ

قَالَ يَاقَوْمِ الْإِنسِ إِلَىٰ مُلْكِ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ

مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرِّيْنِ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ

فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّاءَ اسْفُونَا

أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(١) هذا النداء في هذا الموقف كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقيير وتعظيم علمائهم السحرة لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته وأيَّه تكتب بدون ألف اتباعاً للمصحف وحذفت الألف نظراً إلى سقوطها في النطق للوصل والهاء حرف تنبيه أتى بها للفصل بين أي وبين نعتها في النداء .

(٢) هذا جرياً على اعتقاد الأقباط ، وهو أن لكل أمة أو قبيلة رباً خاصاً بها لذا قالوا لموسى أدع لنا ربك .

شرح الكلمات :

ونادى فرعون فى قومه : أي نادى فيهم افتخاراً وتبجحاً بما عنده .
 وهذه الأنهار تجري من تحتي : أي من النيل تجري من تحت قصورى .
 أفلا تبصرون : أي عظمتى وما أنا عليه من الجلال والكمال .
 أم أنا خير : أي من موسى الذى هو مهين ولا يكاد يبين أي يفصح للثغة التى فى لسانه .

فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب : أي هلاً ألقى عليه أسورة من ذهب من قبل الذى أرسله .
 أو جاء معه الملائكة مقترنين : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضها تشهد له بالرسالة .
 فاستخف فرعون قومه : أي استفز فرعون قومه أي قال لهم ماحركهم به فخفوا لطاعته .
 إنهم كانوا قوماً فاسقين : أي أطاعوه لكونهم قوماً فاسقين ففسقهم هو علة طاعتهم .
 فلما آسفونا انتقمنا منهم : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم .
 فجعلناهم سلفاً : أي فرعون وقومه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم .
 ومثلاً للآخرين : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فى قصة موسى مع فرعون قال تعالى : ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾ ^(١) لأجل الافتخار والتطاول إرهاباً للناس قال يا قوم أليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار أى أنهار النيل ^(٢) تجري من تحتي أى من تحت قصوره، أفلا تبصرون فإذا ابصرتم فقولوا أنا خير ^(٣) من هذا الذى هو مهين أى حقير يتولى الخدمة بنفسه، ولا يكاد يبين أى يفصح بلسانه لعله به وهى اللثغة أم هو؟ .
 فلولا ألقى عليه أسورة ^(٤) من ذهب أى هلاً ألقى عليه من أرسله أسورة من ذهب أو بعث معه الملائكة مقترنين يشهدون له بالرسالة . قال تعالى : ﴿فاستخف قومه﴾ أى استفزهم بقوله هذا وحركهم فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ، والفاسق جبان خواف يستجيب بسرعة للباطل ان كان ممن يخاف عادة كالحاكم الظالم .

- (١) قيل لما كشف الله عنهم العذاب بدعوة موسى أضمر فرعون وملؤه نكت العهد الذى أعطاه لموسى وهو أنهم يهتدون بخاف فرعون أن يتبع قومه موسى فقام بهذه المناورة الرخيصة فنادى فى قومه فجمعهم وقال فيهم ما ذكر تعالى .
- (٢) هذه الأنهار هي فروع النيل وهي أربعة هي نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس .
- (٣) جائز أن تكون الأنهار له تسلط على مصابها فلذا هدد قومه بذلك .
- (٤) أم أنا خير (أم) المتقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي والتقدير بل أنا خير والاستفهام تقريرى أراد تفضيل نفسه على موسى عليه السلام والمهين : الذليل الذى لم يكن من بيوت الشرف والجاه .
- (٥) قرأ نافع والجمهور أسورة جمع أسوار لغة فى سوار، وقرأ حفص أسورة جمع سوار والمراد من قوله ألقى عليه أسوره يريد إن كان ملكاً أو رسولا كما يزعم لم لا يلقى إليه من السماء أسورة كالتى يلبسها ملوك فارس ومصر، أو تأتي معه الملائكة يشهدون له بالرسالة بما يدعى وكل هذا من باب دفع معرة الهزيمة التى لحقته .

وقوله تعالى : ﴿فلما آسفونا﴾ أي أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين أي فلم نبق منهم أحداً والمراد فرعون وجنوده . وقوله تعالى فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين أي جعلنا فرعون ، ومن أغرقنا معه من ملائجه وجيوشيه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم ، ومثلاً يتمثل به من بعدهم فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد ، وأولى من يعتبر بهذا قریش التي نزل لِيُنَبِّهَهَا ويحرك كامن نفسها لتنبته من غفلتها فتؤمن وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين . ٢ - الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين . ٣ - الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء . ٤ - التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش .

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا

خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ

﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

وَلَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

ولما ضرب ابن مريم مثلاً : أي ولما جعل عيسى بن مريم مثلاً ، والضارب ابن الزبيري .
إذا قومك منه يصدون : أي إذ المشركون من قومك يصدون أي يضحكون فرحاً بما سمعوا .

(١) السلف : جمع سالف كخادم وحرس جمع لحارس والسالف : من يسبق غيره في الوجود .

- وقالوا ألّهتنا خير أم هو؟ : أي ألّهتنا التي نعبدّها خير أم هو أي عيسى بن مريم فنرضى أن تكون ألّهتنا معه .
- ماضربوه لك إلا جدلاً : أي ماجعلوه أي المثل لك إلا خصومة بالباطل ليعلمهم أن الماغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى عليه السلام .
- بل هم قوم خصمون : أي شديداو الخصومة .
- إن هو إلا عبد أنعمنا عليه : أي ماهو أي عيسى إلا عبد انعمنا عليه بالنبوة .
- وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل : أي لوجوده من غير أب كان مثلاً لبنى إسرائيل لغرابته يستدل به على قدرة الله على مايشاء .
- ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة : أي ولو شاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة .
- فى الأرض يخلفون : أي يعمرّون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم .
- وإنه لعلم للساعة : أي وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة تُعلم بنزوله إذا نزل .
- فلا تمترن بها : أي لاتسكن فيها أى فى إثباتها ولا فى قربها .
- واتبعون هذا صراط مستقيم : أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو الإسلام .
- ولا يصدنكم الشيطان : أي ولا يصرفنكم الشيطان عن الإسلام .
- إنه لكم عدو مبين : أي إن الشيطان لكم عدو بين العداوة فلا تتبعوه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ روى أن ابن الزبعرى قال لرسول الله ﷺ : لما نزلت آية الأنبياء إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال : أهذا لنا ولألّهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله ﷺ هو لكم ولألّهتكم ولجميع الأمم ، فقال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة، أليست النصرارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون العزيز وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وألّهتنا معهم ، وفرح بها المشركون وضحكوا وضجوا بالضحك مرتفعة أصواتهم بذلك ونزلت فى هذه الحادثة الآية : ﴿ولما ضرب بن مريم مثلاً﴾ أى ولما جعل ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلاً إذ جعله مشابهاً للأصنام من حيث أن النصرارى اتخذوه إلهاً وعبدوه من دون الله ، وقال ، فإذا كان عيسى والعزير

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبّه به لأن ابن الزبعرى شبه ألّهتهم بعيسى فى أنها عبدت من دون الله مثله فإذا كانوا فى النار فعيسى كذلك .

والملائكة فى النار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم ففرح بها المشركون وصدوا وضجوا^(١) بالضحك . وقالوا آلهتنا خير ام هو أى المسيح ؟ قال تعالى لرسوله : ماضربوه لك إلا جدلاً أى ماضرب لك ابن الزبعرى هذا المثل طلباً للحق وبحثاً عنه وانما ضربه لك لأجل الجدل والخصومة بل هم قوم خصمون مجبولون على الجدل والخصام .

وقوله إن هو أى عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة ، وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله وانه عز وجل على كل مايشاء قدير إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان .

وقوله تعالى : ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أى ولونشاء لأهلكناكم يابنى آدم ولم نبق منكم أحداً . وجعلنا بَذَلْكُمْ فى الأرض ملائكة يخلفونكم فيها فيعمرونها ويعبدون الله تعالى فيها ويوحدهونه ولا يشركون به سواه .

وقوله ﴿وانه لعلم للساعة﴾ أى وإن عيسى عليه السلام لعلامة للساعة أى إن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان علامة على قرب الساعة . فلا تمترن بها أى فلا تشكن فى إتيانها فانها آتية وقريبة . وقوله واتبعون أى وقل لهم يارسلونا واتبعون على التوحيد وماجئكم به من الهدى هذا صراط مستقيم أى الإسلام القائم على التوحيد الذى نزل به القرآن وجاء به رسول الله ﷺ . ولا يصدنكم الشيطان عن الإسلام بوساوسه وإغوائه فيصرفكم عن التوحيد والإسلام إنه لكم عدو مبين وليس أدل على عداوته من أنه اخرج آدم بإغوائه من الجنة حسداً له وبغيا عليه . فمثل هذا العدو لا يصح أبداً الاستماع إليه والمشي وراءه واتباع خطواته . ومن يتبع خطواته يهلك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن قريشا أوتيت الجدل والقوة فى الخصومة .
- ٢ - ذم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل وفى الحديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل .
- ٣ - شرف عيسى وعلو مكانته وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة .
- ٤ - تقرير البعث والجزاء .
- ٥ - حرمة اتباع الشيطان لأنه يضل ولا يهدى .

(١) قرأ نافع يصدون من صد يصد عن كذا إذا أعرض فيصدون بمعنى يعرضون عن القرآن ويقولون إن فيه تناقضاً من أجل فرية ابن الزبعرى ، وقرأ حفص يصدون بكسر الصاد من الصد بمعنى الصخب والضجيج .
(٢) وجائز أن يكون الضمير فى (وانه) عائد إلى القرآن أو إلى المنزل عليه محمد ﷺ إذ قال ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى مشيراً إليهما . وما فى التفسير مروي عن كبار التابعين مجاهد وقناة وابن عباس الصاحب الجليل رضى الله عنهما ولذا قدمته فى التفسير .

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَالْأَبِينِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ
تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

ولما جاء عيسى بالبينات : أي ولما جاء عيسى بن مريم إلى بنى إسرائيل بالمعجزات والشرائع .

قال قد جئتكم بالحكمة : أي قال لبنى إسرائيل قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل .
والأبين لكم بعض الذى : أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة من
تختلفون فيه : أمر الدين وغيره .

فاتقوا الله وأطيعوا : أي خافوا الله وأطيعوا فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهى .

إن الله ربي وربكم فاعبدوه : أي إن الله إلهي والهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له .
هذا صراط مستقيم : أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام
المعبر عنه بالصراط المستقيم .

فاختلف الأحزاب من بينهم : أي فى شأن عيسى أهو الله : أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .
فويل للذين ظلموا من عذاب : أي فويل للذين كفروا بما قالوا فى عيسى من الكذب
وبالباطل .

يوم اليم : أي ماينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ماقلوه فى
هل ينظرون إلا الساعة أن : عيسى إلا الساعة أن تأتيتهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى جدل المشركين فى مكة وفرحهم بالباطل الذى قاله ابن الزبعرى فى شأن

الملائكة والعزير وعيسى عليهم السلام من أنهم في النار مع من عبدوهم، وبرأ تعالى الملائكة والعزير وعيسى لأنهم ما أمروا الناس بعبادتهم حتى يؤاخذوا بها، وإنما امر بعبادتهم الشيطان فالشيطان ومن عبدوهم هم الذين في النار. وذكر تعالى شرف عيسى ومكانته وأنه عبد أنعم عليه بالنبوة وجعله مثلاً لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله تعالى إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وإنما خلقه من تراب ذكر رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ليكون ذلك موعظة لكفار مكة فقال تعالى ولما جاء عيسى بالبينات أي جاء بنى إسرائيل مصحوباً بالبينات هي الإنجيل والمعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص وما إلى ذلك، قال لهم قد جئكم بالحكمة أي النبوة من عند الله، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة وأمور الدين إذا فاتقوا الله يابنى إسرائيل أي خافوا عقابه المترتب على معاصيه وأطيعون فيما أبلغكموه من أمر ونهى عن الله تعالى، إن الله ربي وربكم أي الإلهي وألهكم لا إله إلا هو فاعبدوه بفعل محابه وترك مساخطه حبا فيه وتعظيماً له ورهبة ورغبة. وقوله ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي هذا الذي دعوتكم إليه من اتقاء الله، وطاعة رسوله وعبادته وحده هو الطريق المستقيم الذي يفضي بسالكه إلى سعادة الدارين. قال تعالى: فاختلف الأحزاب من بينهم أي من بين بنى إسرائيل من يهود ونصارى فقالت طائفة من اليهود إفتراء أن عيسى ابن مريم ابن زنا وأمه بغي وقالوا ساحر. وقال النصارى: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

قال تعالى ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب أليم﴾ أي مؤلم فتوعدهم الرب تعالى بالويل الذي هو وادٍ يسيل في جهنم بما يتجمع من صديد فروج أهل النار وأبدانهم من دماء وقروح وأوساخ وهو عذاب يوم القيامة الأليم توعده هؤلاء الظالمين بما قالوا في عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام وقال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا الساعة﴾ أي ما ينظرون إلا الساعة لأنهم ماتوا إلى الله ولا راجعوا الحق فيما قالوه في عيسى بل أصروا: اليهود يصفونه بأخس الصفات والنصارى يصفونه بالألوهية التي هي حق الله رب عيسى ورب العالمين أن تأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون لأنهم مشغولون بالذرة والهدرجين والاستعمار والتجارة والانغماس في الشهوات كما هو واقع ومشاهد اليوم. وصدق الله العظيم.

(١) قال بن عباس يريد إحياء الموتى وإبراء الأسقام وخلق الطير والمائدة وغيرها والإخبار بكثير من الغيوب.

(٢) أي اتقوا الشرك ولا تعبدوا إلا الله وحده ومن قال هذا فكيف يكون إلهاً يعبد وهو عبد يعبد ويوحى؟

(٣) ومن اختلافاتهم التي نعت عليهم اختلاف فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعقوبية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله وقالت الملكية ثالث ثلاثة أحدهم الله قاله الكلبي وغيره.

(٤) الجملة مستأنفة بياناً لما تقدم مما يشير في النفس تساؤلاً فكان الجواب أن العذاب آت وأهله ما ينظرون إلا الساعة وأهل العذاب هم المختلفون من أهل الكتاب والمشركين إذ الجميع ظلموا بالشرك والكفر والتكذيب والآية تدعوهم إلى التوبة لينجوا من العذاب الأليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل .
- ٢ - وجوب التقوى لله وطاعة الرسول ، وتوحيد الله فى عبادته .
- ٣ - بيان شؤم الخلاف ، ومايجره من التوغل فى الكفر والفساد .
- ٤ - وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا فى الإسلام بالويل وهو عذاب يوم أليم .

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

- الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو : أى الأحياء يوم إذ تأتيهم الساعة بغته .
إلا المتقين : فإن محبتهم تدوم لهم لأنها كانت فى الله وطاعته .
يعباد لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون : أى ينادون فىقال لهم لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون
بل تحبرون أى تسرون وتكرمون .
يطاف عليهم بصحاف من ذهب : أى يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام
وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ .
وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ : أى فى الجنة ما تشتهيه الأنفس تلذذاً به وتلذه الأعين نظراً
الأعين إليه .
وتلك الجنة التى أورثتموها بما : أى يقال لهم وهذه هى الجنة التى أورثكموها الله بأعمالكم

كنتم تعملون

الصالحه التي هي ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث الساعة قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أي الأحباء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتقطع تلك الخلّة والمودة وتصبح عداً لأنها كانت على معصية الله تعالى وقوله إلا المتقين أي الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه فإن مودتهم وخلتهم لا تنقطع لأنها كانت محبة في الله وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل يناديهم ربهم بقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، ويصفهم بقوله ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ أي بالقرآن وكانوا مسلمين أي منقادين لله ظاهراً وباطناً ، ويقول لهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أي أنتم وزوجاتكم المؤمنات تفرحون وتسرون وقوله تعالى : ﴿يطاف عليهم﴾ بيان لنعيم الجنة الذي ينعمون به وهو انه يطاف عليهم بصحاف من ذهب وهي قصاع ، فيها الذ الطعام وأشهاء ، وأكواب من ذهب أيضا فيها الذ الشراب والأكواب جمع كوب وهو إناء لاعروة له ولا خرطوم - حتى يمكن الشرب منه من أي جهة من جهاته وفيها أي في الجنة ماتشتهيه الأنفس من سائر المستلذات ، وتلذذ الأعين من سائر المرئيات ويقال لهم لكم ماتشتهون وانتم فيها خالدون لا تخرجون منها ولا تموتون فيها .

وقوله تعالى : ﴿وتلك الجنة﴾ أي وهذه هي الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون من الصالحات والخيرات ، ووجه الوراثة أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزليْن أحدهما في الجنة والثاني في النار فكل من دخل الجنة ورث منزل أحد دخل النار فهذا أوجه التوارث والباء في بما

(١) ذكر القرطبي رواية عن النقاش ان هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبا عقبة فقال أمية له وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تنفل في وجهه ففعل عقبة عليهما لعائن الله ذلك فندر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر صبراً وقتل أمية في المعركة ففيهم نزلت هذه الآية والآية عامة في كل كافر وظالم .

(٢) قرأ نافع والجمهور يا عبادي بالياء بعد الدال وهي ياء المتكلم وقرأ حفص بحذفها تخفيفاً لدلالة اللفظ والسياق عليها .

(٣) روي ان المنادي لما يقول يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون يرفع أهل العرصة رؤوسهم فيقول المنادي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤوسهم إلا المسلمين .

(٤) في الصحيحين عن حذيفة انه سمع رسول الله ﷺ يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة . وفي صحيح مسلم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبسلون ولا يتغوطون ولا يتمخطون . قالوا فما بال الطعام ؟ قال جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير .

(٥) أشار إليها بلام البعد لعلوها وعظيم منازلها وسمو درجاتها .

كنتم تعملون سببة أى بسبب اعمالكم الصالحة التى زكت نفوسكم وطهرت أرواحكم فاستوجبتم دخول الجنة وارث منازلها.

وقوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١) أى يقال لهم هذا إكراماً لهم وإسعاداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - كل خلة يوم القيامة تنقطع إلا خلة كانت فى الله والله سبحانه وتعالى ، ولذا ينبغى أن تكون المودة فى الدنيا لله لا لغيره تعالى .
- ٢ - بيان فضل التقوى وشرف المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصى .
- ٣ - بيان أن الرجل يجمع الله بينه وبين زوجته المسلمة فى الجنة .
- ٤ - بيان نعيم أهل الجنة من طعام وشراب وسائر المستلذات .
- ٥ - الإيمان والعمل الصالح سبب فى دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصى سبب فى دخول النار .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ : أى أن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصى فى جحهم خالدون لا يخرجون ولا يموتون .

لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ : أى لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس .

(١) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها وبابسها، وبانمها يقال له الفاكهاني .

ونادوا يا مالک ليقتض علينا ربك : أي نادوا مالكا خازن النار قائلين له ليمتنا ربك .
 قال إنكم ماكثون : أي أجابهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله إنكم
 ماكثون أي مقيمون في عذاب جهنم دائما .
 لقد جئناكم بالحق ولكن : أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا والحق
 أكثركم للحق كارهون التوحيد وعبادة الله بما شرع فكره أكثركم الحق .
 أم أبرموا أمراً فإنما مبرمون : أي أحكموا في الكيد للنبي محمد ﷺ فإنما محكمون كيدنا في
 إهلاكهم .
 ورسلنا لديهم يكتبون : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون ما يسرون وما يعلنون .
 معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الجنة ونعيمها ذكر في هذه الآيات النار وعذابها وهذا هو الترغيب والترهيب
 الذي امتاز به أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الإصلاح
 قال تعالى ﴿إن المجرمين﴾^(١) أي الذين أجمعوا على أنفسهم فافسدوها بالشرك والمعاصي هؤلاء
 في عذاب جهنم خالدون ، لا يفر عنهم العذاب أي لا يخفف وهم فيه أي في العذاب مبلسون أي
 ساكتون آيسون قانطون . وقال تعالى وما ظلمناهم في تعذيبنا لهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم
 الظالمين ، حيث دسوا أنفسهم بالشرك والمعاصي .
 وقوله تعالى : ﴿ونادوا يا مالک ليقتض علينا ربك﴾^(٢) يخبر تعالى أن أصحاب ذلك العذاب
 الدائم الذي لا يفر فيخفف نادوا مالكا خازن النار وقالوا له ليمتنا ربك فنستريح من العذاب .
 فأجابهم مالک بعد ألف سنة قائلًا قال أي ربي إنكم ماكثون أي في عذاب جهنم ، وعلل لهذا
 الحكم بالمكث أبداً فقال : لقد جئناكم بالحق أي أرسلنا إليكم رسولنا بالحق يدعوكم إليه وهو
 الإيمان والعمل الصالح المزكى للنفوس فكره أكثركم ذلك فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً مؤثري
 شهوات الدنيا على الآخرة فتمتم على الشرك والكفر فهذا جزاء الكافرين .

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلاً بعد أن علم بحال أهل الإيمان والتقوى يسأل عن حال أهل الإجماع فأجيب بأن
 المجرمين الخ .

(٢) قال ابن مسعود وأبو الدرداء قرأ النبي ﷺ : ونادوا يا مال أي رخم الاسم المنادى بحذف الحرف الأخير منه وهو شائع في
 كلام العرب فيقال في مالک يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم قال الشاعر :

يا حار لا أرئين منكم بدهاية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقال آخر :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزعمت صرمني فأجملني

(٣) روى هذا الترمذي وهناك رواية أخرى في ذكر المدة التي يجابون بعدها .

(٤) الذين كرهوا الحق هم الرؤساء حفاظاً على مراكزهم وأما الاتباع فلم يكرهوا الحق ولكن اتبعوا الرؤساء فماتوا على الشرك
 والكفر فدخلوا النار معهم .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَمْرُؤُا أَمْراً فَإِنَّا مَبْرُؤُونَ﴾ أي بل أمر هؤلاء المشركون أمراً يكيدون فيه للرسول ودعوته فإن فعلوا ذلك فإننا مبرمون أي محكمون أمراً مضاف لهم بتعذيبهم وإبطال ما أحكموه من الكيد للرسول ودعوته . وقوله : ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ نسمع ذلك ورسلنا وهم الحفظة لديهم يكتبون مايقولون سراً وجهاً . روى أن ثلاثة نفر قالوا وهم تحت استار الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع وقال الثاني ان كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم فنزلت ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ أي نسمع سرهم ونجواهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان عقوبة الإجرام على النفس بالشرك والمعاصي .
- ٢ - عذاب الآخرة لا يطاق ولا يقادر قدره يدل عليه طلبهم الموت ليستريحوا منه وماهم بميتين .
- ٣ - أكبر عامل من عوامل كراهية الحق حب الدنيا والشهوات البهيمية في الأكل والشرب والنكاح هذه التي تُكره إلى صاحبها الدين وشرائعه التي قد تقيد من الإسراف في ذلك .

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ



(١) أم المنقطعة تفسر ببل للاضراب الانتقالي والاستفهام محذوف الأداة تخفيفاً أي أأمرؤا أمراً والاستفهام تقريرى والمراد بالأمر ما يبتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة فأبرم الله أمراً فاهلكهم في بدر .

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ وبالنجوى ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي .

شرح الكلمات :

قل ان كان للرحمن ولد : أي قل يارسلنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فرضاً .

فأنا أول العابدين : أي فأنا أول من يعبد تعظيماً لله واجلالاً ولكن لا ولد له فلا عبادة إذاً لغيره .

سبحان رب السموات : أي تنزه وتقدس

عما يصفون : أي عما يصفون به الله تعالى من ان له ولداً وشركاء .

فذرهم يخوضوا ويلعبوا : أي اتركهم يارسلنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم .

وهو الذي في السماء إله : أي معبود في السماء .

وفي الأرض إله : أي ومعبود في الأرض .

وتبارك الذي له ملك السموات : أي تعظم وجل جلال الذي له ملك السموات .

وعنده علم الساعة : أي عنده علم وقت مجيئها .

معنى الآيات :

سبق أن بكت تعالى المشركين في دعواهم أن الملائكة بنات الله وتوعدهم بالعذاب على قولهم الباطل وهنا قال لرسوله محمد ﷺ قل لهم إن كان للرحمن^(١) ولد كما تفترون فرضاً وتقديراً فأنا أول العابدين له^(٢)، ولكن لم يكن للرحمن ولد . فلم أكن لأعبد غير الله تعالى ، هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ . وقوله : ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾ نزه تعالى نفسه وقدها وهو رب السموات والأرض ورب العرش أي مالك ذلك كله وسلطانه عليه جميعه عما يصفه المشركون به من أن له ولداً وشركاء . وهنا قال تعالى لرسوله إذا أصروا على باطلهم من الشرك والعذاب على الله والافتراء عليه فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم عذابهم المعد لهم وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ أي معبود في السماء ومعبود في الأرض أي معظم غاية التعظيم ، ومحبوب غاية الحب ومتذلل له غاية الذل في الأرض والسماء وهو الحكيم في صنعه وتدبيره العليم بأحوال خلقه فهل مثله تعالى يفتقر الى زوجة وولد تعالى

(١) يروى عن ابن عباس والحسن والسدي أن . إن ليست شرطية وهي نافية بمعنى ما وتقدير الكلام ما كان للرحمن ولد . وهنا تم الكلام ثم قال فأنا أول العابدين وهذا الرأي ضعيف ويتنافى مع السياق وما في التفسير هو الصواب .

(٢) له أي لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له إيتاء المطلق .

(١) وقوله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ﴿أي تعظم وجل جلاله وعظم سلطانه الذى له ﴿ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ والدنيا والآخرة، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - مشروعية التلطف فى الخطاب والتنزل مع المخاطب لإقامة الحجة عليه كقوله تعالى : ﴿وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ وكما هنا قل إن كان للرحمن ولد من باب الفرض والتقدير فانا أول العابدين له ولكن لا ولد له فلا أعبد غيره سبحانه وتعالى .

٢ - تهديد المشركين بعذاب يوم القيامة .

٣ - إقامة البراهين على بطلان نسبه الولد إلى الله تعالى .

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

ولا يملك الذين يدعون : أي يعبدونهم .

من دونه : أي من دون الله .

الشفاعة : أي لأحد .

إلا من شهد بالحق : أي لكن الذى شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا

الذى تناله شفاعة الملائكة والأنبياء .

فأنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته .

وقيله : أي قول النبى يارب إن هؤلاء .

(١) تعظم وتسامى عما يصفه به المشركون من الشريك والصاحبة والولد وتبارك هو خير لفظاً وإنشاء معنى إذ هو لفظ أريد به المدح العظيم لذى الخير العظيم .

فاصفح عنهم : أي أعرض عنهم .
وقل سلام فسوف : أي امرئ سلام منكم ، فسوف تعلمون عاقبة كفركم .

معنى الآيات :

لما أعلم تعالى في الآية السابقة أن رجوع الناس إليه يوم القيامة ، وكان المشركون يزعمون أن آلهتهم من الملائكة وغيرها تشفع لهم يوم القيامة واتخذوا هذا ذريعة لعبادتهم فأعلمهم تعالى في هذه الآية (٨٦) أن من يدعونهم بمعنى يعبدونهم من الأصنام والملائكة وغيرهم من دون الله لا يملكون الشفاعة لأحد ، فالله وحده هو الذي يملك الشفاعة ويُعطيها لمن يشاء هذا معنى قوله تعالى : ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ وقوله تعالى ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ أي استثنى الله تعالى أن من شهد بالحق أي بأنه لا إله إلا الله ، وهو يعلم ذلك علماً يقيناً فهذا قد يشفع له الملائكة أو الأنبياء فقال عز وجل ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم فالموحدون تنالهم الشفاعة بإذن الله تعالى . وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلفهم لأجابوك قائلين الله . فسبحان الله كيف يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد العبادة فلذا قال تعالى : ﴿فأنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته يعرفون أن الله هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته .

وقوله ﴿وقيله﴾ (١) يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ أي ويعلم تعالى قيل رسوله وشكواه وهي يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لما شاهد من عنادهم وتصلبهم شكاهم إلى ربه تعالى فأمره ربه عز وجل أن يصفح^(٢) عنهم أي يتجاوز عما يلقاه منهم من شدة وعنث وأن يقول لهم سلام وهو سلام متاركة لسلام تحية وتعظيم أي قل لهم امرئ سلام . فسوف تعلمون عاقبة : هذا الإصرار على الكفر والتكذيب فكان هذا منه تهديداً لهم يذكر ما ينتظرهم من أليم العذاب إن ماتوا على كفرهم .

(١) مثل عيسى والعزير.

(٢) وهم يعلمون الجملة الحالية وفي هذا دليل على أن من لم يفهم معنى لا إله إلا الله ويقولها لا تنفعه ولا ينال بها الشفاعة يوم القيامة إذ لا بد من فهمه ماذا نفى وماذا أثبت ولذا إيمان المقلد اختلف في صحته أهل العلم .

(٣) أنى اسم استفهام عن المكان فمحله نصب على الظرفية أي إلى أي مكان يصرفون؟ وماضي يؤفكون أفك أفكاً على وزن ضرب يضرب ضرباً وأفك كضربه .

(٤) هذا على قراءة نافع وهي نصب قبله أما على قراءة حفص فقبله مجرور عطفاً على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيل رسوله كذا . وهو (قيل) مصدر قال كالقول ، وأصله قول فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبح والضمير في قبله يعود إلى النبي ﷺ إذ هو القائل يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لطول ما دعاهم وهو معرضون عن الحق مصرّون على الكفر .

(٥) مثل هذا (فاصفح وقل سلام) منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة .

(٦) قرأ نافع تعلمون بالتاء وقرأ حفص والجمهور يعلمون بالياء فالأول مما أمر الله تعالى رسوله أن يقوله للمشركين ، والثاني على أنه وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه ينتقم من المكذبين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - لا يملك الشفاعة يوم القيامة إلا الله تعالى فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لا يشفع ، ولا يُشَفَّعُ إلا لأهل التوحيد خاصة أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم .
- ٢ - مشركو العرب على عهد النبوة موحدون في الربوبية مشركون في العبادة .
- ٣ - مشروعية الصفح والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى .

فهرس المجلد الرابع

٤ سورة النمل من الآية (١)
٣٢ الجزء العشرون
٣٢ سورة النمل من الآية (٥٦)
٥٠ سورة القصص من الآية (١)
١٠٨ سورة العنكبوت من الآية (١)
١٤٠ الجزء الحادي والعشرون
١٤٠ سورة العنكبوت من الآية (٤٦)
١٥٧ سورة الروم من الآية (١)
١٩٦ سورة لقمان من الآية (١)
٢٢١ سورة السجدة من الآية (١)
٢٣٨ سورة الأحزاب من الآية (١)
٢٦٥ الجزء الثاني والعشرون
٢٦٥ سورة الأحزاب من الآية (٣١)
٣٠٠ سورة سبأ من الآية (١)
٣٣٥ سورة فاطر من الآية (١)
٣٦٤ سورة يس من الآية (١)
٣٧٣ الجزء الثالث والعشرون
٣٧٣ سورة يس من الآية (٢٨)
٣٩٦ سورة الصافات من الآية (١)
٤٣٥ سورة ص
٤٦٥ سورة الزمر
٤٨٦ الجزء الرابع والعشرون
٤٨٦ سورة الزمر من الآية (١)

٥١٢	سورة غافر
٥٥٩	سورة فصلت
٥٨٧	الجزء الخامس والعشرون
٥٨٧	سورة فصلت من الآية (٤٧)
٥٩٢	سورة الشورى
٦٢٦	سورة الزخرف
٦٦٣	الفهرس

أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ

لكلامِ العَلِيِّ الكَبِيرِ

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الخامس

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزينة ومنقحة ومصححة وبهامشها

نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من :
راسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الدُّجَانِ

مكية وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ (٤)
أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ (٥) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ (٩)

شرح الكلمات :

: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم وتقرأ هكذا
حاميم .

: أي القرآن المظهر للحلال والحرام في الأقوال والأعمال
والاعتقادات .

والكتاب المبين

: أي في ليلة القدر من رمضان .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ

فيها يفرق كل أمر حكيم : أي يفصل كل أمر محكم من الأجل والأرزاق وسائر الأحداث .

أمرأ من عندنا : أي فيها في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمرأ من عندنا أي أمرنا بذلك أمرأ من عندنا .

إنّا كنا مرسلين رحمة من ربك : أي إنّا كنا مرسلين الرسل محمداً ومن قبله رحمة من ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب .

إنه هو السميع العليم : أي السميع لأصوات مخلوقاته العليم بحاجاتهم .
إن كتم موقنين : أي بأنه رب السموات والأرض فأمنوا برسوله واعبدوه وحده .

بل هم في شك يلعبون : أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالى لخلقه وإلا لعبدوه وأطاعوه بل هم في شك يلعبون بالأقوال والأفعال لا يقرن لهم في ربوبية الله تعالى وإنما هم مقلدون لأبائهم في ذلك .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿حم﴾ هذا أحد الحروف المقطعة وهو من المتشابه الذي يفرض فهم معناه إلى منزله فيقول : المؤمن : الله أعلم بمراده به ، وقد ذكرنا له فائدتين جليلتين تقدمتا غير مأمرة الأولى : أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثير به جاءت هذه الفواتح بصيغة لم تعهدا العرب في لغتها فكان إذا قرأ القارئ رافعا صوته ماداً به هذه الحروف يستوقف السامع ويضطره إلى أن يسمع فإذا سمع تأثر واهتدى غالباً وأعظم بهذه الفائدة من فائدة الثانية : أنه لما ادعى العرب أن القرآن ليس وحياً إلهياً وإنما هو شعر أو سحر أو قول الكهان أو أساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله فعجزوا فتحداهم بعشر سور فعجزوا فتحداهم بسورة فعجزوا فأعلمهم أن هذا المعجز إنما هو مؤلف من مثل هذه الحروف حمّ طسّم آلم فآلفوا نظيره فعجزوا فقامت عليهم الحجة لعجزهم وتقرر أن القرآن الكريم كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله ويؤكد هذه الفائدة أنه غالباً إذا ذكرت هذه الحروف في فواتح السور يذكر القرآن بعدها نحو طس تلك آيات القرآن ، حم والكتاب المبين ، آلم تلك آيات الكتاب الحكيم .

قوله تعالى ﴿والكتاب المبين﴾ هذا قسم أقسم الله تعالى بالقرآن تنويراً بشأنه والله أن يقسم بما يشاء فلا حرج عليه وإنما الحجر على الإنسان أن يحلف بغير ربه عز وجل ، والمراد من الكتاب المبين المقسم

(١) ورد في فضل هذه السورة عدة أحاديث ضعيفة ولكنها قد ترتفع إلى درجة الحسن منها : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة .

به القرآن العظيم ، وقوله : ﴿إنا أنزلناه﴾ أى القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ أى كثيرة البركة والخير وهى ليلة القدر^(١) والتى هى خير من ألف شهر . وقوله ﴿إنا كنا منذرين﴾ ، ولذلك أرسلنا الرسول وأنزلنا القرآن لننذر الناس عذاب يوم القيامة حيث لا ينجى منه إلا الإيمان والعمل الصالح ، ولا يعرفان إلا بالوحي فكان لابد من الرسول الذى يوحى إليه ولا بد من الوحي الحامل لبیان الإيمان وأنواع العمل الصالح . وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أى فى تلك الليلة المباركة يفصل كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم فى تلك السنة من أحداث فى الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنى والفقر والصحة والمرض والتولية والعزل فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ ليم احداثها فى تلك السنة حتى إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو فى عداد من يموت فلا تنتهى السنة إلا وقد مات وقوله : ﴿أمرأ^(٢) من عندنا إن كنا مرسلين﴾ أى كان ذلك أمراً من عندنا أمرنا به .

وقوله : إنا كنا مرسلين أى الرسل محمداً فمن قبله من الرسل رحمة من ربك بالناس المرسل إليهم إنه هو السميع لأقوالهم وأصواتهم العليم بحاجاتهم ، فكان ارسال الرسل رحمة من ربك أيها الرسول فاحمده واشكره فإنه أهل الحمد والثناء وقوله : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أى خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، أى بأنه رب السموات والأرض وما بينهما فاعبدوه وحده فانه لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . وقوله تعالى : ﴿بل هم فى شك يلعبون﴾ دال على أن إقرارهم بأن الله رب السموات ورب الخلق عندما يسألون لم يكن عن يقين إذ لو كان على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به إذا فهم فى شك يلعبون بالأقوال فقط كما يلعبون بالأفعال ، لا يقين لهم فى ربوبيته تعالى وإنما هم مقلدون لأبائهم فى ذلك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان فضل ليلة القدر وأنها فى رمضان .

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن حيث ابتدأ نزوله فى غار حراء فى شهر رمضان وجائز أن يكون نزل كله فى ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل منجماً فتم نزوله خلال ثلاث وعشرين سنة .

(٢) نصب أمراً من عندنا على الحال ، والأمر الحكيم المشتمل على الحكمة ورحمة مفعول لأجله من إنا كنا مرسلين .
(٣) رويت آثار وأحاديث يزعم أصحابها أن الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان وردها أهل العلم قال ابن العربي : ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان هو باطل لأن الله تعالى قال فى كتابه الصادق القاطع : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فنص على أن ميقات نزوله فى رمضان ثم عين زمانه من الليل ها هنا بقوله فى ليلة مباركة فمن زعم أنه فى غيره فقد أعظم الغرابة على الله . وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث واحد يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الأجل فيها فلا تلتفتوا إليها .

٢ - تقرير عقيدة القضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ .

٣ - ارسال الرسل رحمة من الله بعباده ، فلم يكن زمن الفترة وأهلها أفضل من زمن الوحي .

٤ - لم يكن أفراد المشركين بربوبية الله تعالى لخلقه عن علم يقيني بل هم مقلدون فيه فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته ، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى
النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِن كُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

فارتقب : أي انتظر .
بدخان مبين : أي هو ما كان يراه الرجل من قريش لشدة الجوع بين السماء والأرض من دخان .
يغشى الناس : أي يغشى أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد .
ربنا اكشف عنا العذاب : أي ياربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك .
أنى لهم الذكرى : أي من أى وجه يكون لهم التذكر والحال أنه قد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون .
معلم مجنون : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول .
إنكم عائدون : أي إلى الكفر والجحود .
البطشة الكبرى : أي الأخذة القوية التي أخذناهم بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا .

معنى الآيات :

(١) قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ﴾ الآية نزلت بعد أن دعا رسول الله ﷺ على قريش يوم كثر استهزاؤهم به وسخريتهم منه وبما جاء به من الدين الحق فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف أي

(١) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء الخ . وقيل ارتقب معناه أحفظ لأن الرقيب يطلق على الحافظ .

سبع سنين من القحط والجذب فأمره ربه أن ينتظر ذلك فقال له فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب آلیم، واستجاب تعالى لرسوله وأصاب قريشاً بقحط وجذب ماتت فيه مواشيهم وأصابهم جوع أكلوا فيه العهن^(١) وشربوا فيه الدم، وكان الرجل يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخاناً يغشى بصره من شدة الجوع، حتى ضرعوا إلى الله وبعثوا إلى الرسول يطلبون منه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عنهم هذا العذاب وهو معنى قوله تعالى : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب آلیم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ أي برسولك وبما جاء به من الهدى والدين الحق .

وقوله تعالى : ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءكم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ أي ومن أين يأتيهم التذكر فينبوا إلى ربهم وسلموا له، والحال أنه قد جاء رسول مبين للحق مظهر له فعرفوه أنه رسول حق وصدق ثم تولوا عنه أى أعرضوا عنه وعما جاء به وقالوا معلم أي^(٢) هو رجل يعلمه غيره الذى يقوله ولم يكن رسولا وقالوا مجنون فلذا تذكرهم وتوبتهم مستبعدة جداً . وقوله تعالى : إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون فعلاً كشف الله عنهم عذاب المخمصة ونزل الغيث بديارهم وسعدت بلادهم بعد شقاء دام سبع سنوات، وعادوا إلى الشرك وحرب الإسلام والمسلمين .

وقوله تعالى : ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ أى وارتقب يارسولنا يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون^(٣)، وكان ذلك بيد حيث انتقم الله منهم فقتل رجالهم بل صناديدهم وأسروا من أسر منهم، وكانت بطشة لم تعرفها قريش قط .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - صدق وعد الله لرسوله واستجابة دعائه ﷺ .

٢ - الإيمان عند معاينة العذاب لا يجدي ولا ينفع .

(١) العهن الصوف يصبغ بالدم ويشوى ويؤكل لشدة الجوع الذي أصابهم .

(٢) لا منافاة بين هذا الدخان الثابت بالقرآن والسنة، وبين الدخان الذي هو من أشرط الساعة والثابت بالسنة الصحيحة في حديث مسلم وهو أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر - الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وأجوج وأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

(٣) أنى اسم استفهام الأصل أنه يستفهم به عن المكان ويتوسع فيه فيستفهم به عن الحال كما هي هنا والاستفهام هنا إنكاري أي كيف يتذكرون وهم في شك يلعبون وبجملة وقد جاءهم رسول حالية فهي في محل نصب .

(٤) أي لم يكتفوا بالإعراض بل زادوا عليه الاقتراء والسبب إذ قالوا معلم مجنون .

(٥) يقال انتقم منه أي عاقبه والنقمة بالكسر والفتح والجمع نقم كعقب ونقمت ككلمات والظرف (يوم) متعلق بجملة (إنا منتقمون) أي منتقمون يوم البطش .

- ٣ - بيان ما قابلت به قريش دعوة الإسلام من جحود وكفران .
 ٤ - إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك آية أنه وحى الله وكلامه تعالى .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
 كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾
 وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
 بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
 رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
 مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون : أي ولقد اختبرنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من الأقباط .

وجاءهم رسول كريم : أي موسى بن عمران صلوات الله عليه وسلامه .
 أن أدوا إلي عباد الله : أي ادفعوا إلي عباد الله بنى إسرائيل وارسلوهم معي .
 إني لكم رسول أمين : أي إني رسول الله اليكم أمين على وحيه ورسالته .
 وأن لاتعلوا علي الله : أي وبأن لاتطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه .
 إني آتيكم بسُلطان مبین : أي بحجة واضحة تدل على صدقي في رسالتي وما اطلبكم به .

وإني عذت بربي وربكم أن أي واني قد اعتصمت بربي وربكم واستجرت به ان ترجموني ترجمون

وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون : أي إن لم تصدقوني فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني .
 فدعا ربه : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهما بقتله نادى ربه يارب .
 إن هؤلاء قوم مجرمون : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم .
 فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون : أي فأجابه ربه بأن قال له فأسر بعبادي أي بنى إسرائيل ليلاً إن

فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم .

وأترك البحر رهواً : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهواً ساكناً كما هو حين دخلته مع بني إسرائيل .

إنهم جند مغرقون : أي وإن فرعون وقومه جندُ الله مُغرقهم في البحر .
معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد فتننا﴾ ^(١) هذا شروع في قصة موسى مع فرعون لوجود تشابه بين أكابر مجرمي قريش وبين فرعون في ظلمه وعُلوّه ، والقصد تسليّة الرسول ﷺ ، وتخفيف ألمه النفسي من جرّاء ما يلاقى من أكابر مجرمي قريش في مكة فقال تعالى : ﴿ولقد فتننا قبلهم﴾ أي قبل كفار قريش قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم أي على ربه وعلى قومه من بني إسرائيل هو موسى بن عمران عليه السلام ، أن أدوا أي بأن أدوا أي ادفعوا إلى عباد الله بني إسرائيل وأرسلوهم معي إنني لكم رسول أمين على رسالتي صادق في قلبي ، وبأن لاتعلوا على الله أي بأن لاتطفخوا على الله فتكفروا به وتعصوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه . إنني آتيكم بسلطان مبين أي بحجة بينة واضحة على صحة ما أطلبكم به . وإنني عذت بربي وربكم أي استجرت وتحصنت أن ترجمون بأقوالكم ^(٢) أو أعمالكم ، وإن لم تؤمنوا أي لم تصدقوا بما جئتكم به فاعتزلون ولما أبوا إلا أذاه وأرادوا قتله دعا ربه قائلاً رب إن هؤلاء قوم مجرمون كفرة ظلمة يعني فرعون وملأه فأوحى إليه ربه تعالى فأسر ^(٣) بعبادي أي بني إسرائيل إذ هم المؤمنون وغيرهم من القبط كافرون ليلاً في آخر الليل وأعلمه أن فرعون وجنوده متبعون لهم ليردوهم وينكلوا بهم . وقوله تعالى : ﴿وأترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون﴾ ^(٤) . إنه لما ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فلقطين ودخل بنو إسرائيل البحر فاجتازوه أراد موسى أن يضرب البحر ليلتئم كما كان حتى لا يدخله فرعون وجنده فيدركوهم فقال له ربه تعالى أترك البحر رهواً أي ساكناً كما كان حين دخلتموه حتى إذا دخل فرعون وجنوده اطبقناه عليهم إنهم جند مغرقون وهذا الذي حصل فنجى ^(٥) الله موسى وبني إسرائيل وأغرق فرعون وجنوده أجمعين .

(١) فتننا بمعنى أبتلينا وهو الأمر بالإيمان والطاعة أي عاملتهم معاملة المختبر لهم وذلك بيعث موسى وأخيه هارون عليهما السلام .

(٢) كأنهم هددوه بالقتل فلذا استجار بالله تعالى .

(٣) الرجم بالقول الكذب على الشخص والافتراء عليه كذباً والرجم بالأعمال معناه القتل بالحجارة .

(٤) قرأ نافع وغيره بهمزة وصل وقرأ حفص وغيره بهمزة قطع لأن الفعل ثلاثياً نحو سرى يسري سريراً وأسرى يسري أسيراً .

(٥) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر ورهوا منصوب على الحال والرهوة الفجوة الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجله ومعناه : أترك البحر مفتوحاً ساكناً حتى يدخل فرعون وجنده فيههلكون .

(٦) جملة إنهم جند مغرقون تعليلية ومغرقون مقضياً ومحكوم بإغراقهم .

(٧) وكانت هذه النجاة يوم عاشوراء وهو عاشر شهر المحرم لحديث صيام اليهود فيه لأن الله أنجا فيه موسى وبني إسرائيل فصامه الرسول ﷺ وأمر بصيامه وقال نحن أولى بموسى منهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجود تشابه كبير بين فرعون وكفار قريش فى العلو والصلف والكفر والظلم .
- ٢ - مشروعية الاعتبار بما سلف من أحداث فى الكون والانتساء بالصالحين .
- ٣ - وجوب الاستعاذة بالله تعالى والاستجارة به إذ لا مجير على الحقيقة إلا هو ولا واقى سواه .
- ٤ - مشروعية دعاء الله تعالى على الظالمين وسؤاله النصر عليهم والنجاة منهم .

كَمْ

تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَنِعْمَةٍ
 كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٤٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٤٨﴾
 فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ
 بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٥٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ وَءَايَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٥٣﴾

﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------------------------|--|
| كم تركوا من جنات | : أي بساتين وحدائق غناء . |
| ومقام كريم | : أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة . |
| ونعمة كانوا فيها فاكهين | : أي نضرة عيش ولذاته كانوا فيها ناعمين . |
| وأورثناها قوما آخرين | : أي بنى إسرائيل . |
| فما بكت عليهم السماء والأرض | : أي لهوانهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم . |
| وما كانوا منظرين | : أي مهملين حتى يتوبوا . |
| من العذاب المهين | : أي قتل ابنائهم واستخدام نساءهم . |
| ولقد اخترناهم على علم على العالمين | : أي اخترناهم على علم منا على عالمى زمانهم من الإنس والجن . وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم . |

وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء : أعطيناهم من النعم مافيه بلاء مبين أى واضح كانفلاق
مبين البحر والمن والسلوى.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى قصة موسى عليه السلام مع عدو الله فرعون عليه لعائن الرحمن قال تعالى : ﴿كم تركوا من جنات﴾ أى كم ترك فرعون وجنوده الذين هلكوا معه فى البحر أى تركوا كثيراً من الجنات أى البساتين والعيون الجارية فيها سقى الزروع ، ومقام كريم أى منازل حسنة ومحافل مزينة بأنواع الزينة والمحفل مكان الاحتفال ، ونعمه^(١) أى متعة عظيمة كانوا فيها فاكهين أى ناعمين مترفين وقوله تعالى : كذلك هكذا كانت نعمتهم فسلبناهما منهم لكفرهم بنا وتعاليمهم على شرائعنا وأوليائنا ، ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ هم بنو إسرائيل إذ رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون . وقوله تعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ، لأنهم كانوا كافرين لم يعملوا على الأرض خيراً ولم يعرج إلى السماء من عملهم خيراً فلم يكن إنما يبكى المسلم تبكيه الأرض التى كان يسجد عليها ويعبد الله تعالى فوقها وتبكيه السماء التى كان كل يوم وليلة يصعد إليها عمله الصالح ، وقوله وماكانوا منظرين أى مهملين بل عاجلهم الرب بالعقوبة ، ولم يمهلهم علمهم يتوبون لعلم الله تعالى بطبع قلوبهم وكم واعدوا موسى إن رفع عنهم العذاب يؤمنون ، وما آمنوا . وقوله تعالى ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين هذه بعض آياديه على بنى إسرائيل وهى أنه نجاهم من العذاب المهين الذى كان فرعون وقومه يصوبونه عليهم إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم للخدمة والامتهان وأى عذاب مهين أكبر من هذا؟ من فرعون أى من عذاب فرعون الذى كان ينزله بهم إنه كان عالياً من المسرفين أى كان فرعون جباراً طاغياً من المسرفين فى الكفر والظلم . وقوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى بنى إسرائيل على علم أى منا على العالمين أى عالمى زمانهم من الثقلين الإنس والجن ، وقوله تعالى : ﴿وآتيناهم﴾ أى اعطيناهم من الآيات ﴿مافيه بلاء مبين﴾ أى اختبار عظيم ومن تلك الآيات انفلاق البحر ،

(١) كم للكثير كرب للتقليل غالباً .

(٢) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتنعم . والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنّة وما أنعم به على المرء ومثلها النعماء والنعمة .

(٣) كذلك قيل الأمر كذلك فيوقف على كذلك وقيل كذلك أفعل بمن عصاني أو كذلك كان أمرهم .

(٤) يرى بعضهم أن المراد بقوم آخرين أنهم غير بنى إسرائيل وإنما هم من الأقباط أهل مصر أنفسهم لأن بنى إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها مستدلاً بأن الله تعالى قال ﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل﴾ ولم يقل ﴿ولقد نجيناهم﴾ فيعود الضمير على بنى إسرائيل لكن فى آية الشعراء قال تعالى ﴿كذلك وأورثناها بنى إسرائيل﴾ فهذا نص صريح وطريق الجمع أن يقال ان بنى إسرائيل بعد موت موسى وانتصارهم على الكنعانيين والمعالقة وإقامة دولة فى فلسطين دخلوا مصر وحكموها أما على عهد سليمان فإنهم حكموا غالب المعمورة وهذا وجه الجمع والله أعلم .

(٥) فى هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهى نعمة ظاهرة - عذابه شديد - اختبار يتميز به الكافر من المؤمن - ابتلاء بالشدة والرخاء .

وتظليل الغمام لهم والمن والسلوى فى التيه الى غير ذلك مما هو اختبار عظيم لهم أيشكرون أم يكفرون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان سنة الله فى سلب النعم وإنزال النقم بمن كفر نعم الله ولم يشكرها فعصى ربه واطاعه هواه ونفسه فترك الصلاة واتبع الشهوات وترك القرآن واشتغل بالأغاني ، وأعرض عن ذكر الله واقبل على ذكر الدنيا ومفاتها .

٢ - بيان هوان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله ، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله وعلى الكون كله حتى ان السماء والأرض تبكيهم إذا ماتوا .

٣ - ذم العلوفى الأرض وهو التكبر والإسراف فى كل شيء .

٤ - بيان أن الله يبتلى أي يختبر عباده بالخير والشر .

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآيَاتِنَا أَنْ كُتِبَ صَدِيقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَّ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

إِنَّ هَؤُلَاءِ : أي المشركين من قريش .

إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى : أي لاهياة بعدها ولا موت وهذا تكذيب بالبعث الآخر .

ومانحن بمنشرين : أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا .
 فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين : أي فأت يامحمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقاً في أننا بعد موتنا وبلانا نبعث أحياء من قبورنا .
 أهم خير أم قوم تبع والذين من : أي هؤلاء المشركون خير في القوة والمناعة أم قوم تبع والذين قبلهم
 قبلهم : أي قبلهم كعاد .
 أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين : أي انزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قوما مجرمين .
 لاعبين : أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح .
 ماخلقناهما إلا بالحق : أي إلا لأمر اقتضى خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر .
 إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين : أي إن يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميعادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه .
 يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً : أي يوم لا يكفي قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه .
 ولاهم ينصرون : أي لا ينصر بعضهم بعضاً .
 إلا من رحم الله : أي لكن من رَحِمَهُ الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر .
 إنه هو العزيز الرحيم : أي الغالب المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في طلب هداية قوم النبي محمد ﷺ فما ذكر قصص موسى وفرعون إلا تنبيها وتذكيراً لعلمهم يتذكرون فقال تعالى : ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الأذنون الهابطين بعقولهم إلى أسوأ المستويات مايستحون ولايخجلون فيقولون إن هي إلا موتتنا الأولى منكرين للبعث والجزاء ليواصلوا كفرهم وفسقهم ، فلذا قالوا ومانحن بمنشرين أي بمبعوثين أحياء من قبورنا كما تعدنا يامحمد ، وإن أصررتهم على قولكم بالحياة الثانية فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) في ذلك وقولهم فأتوا وإن كنتم ليس من باب تعظيم الرسول ﷺ وإنما شعور منهم أنه ليس وحده في هذه الدعوة بل وراءه من هو دافع له على ذلك^(٢) .

(١) ان هي إلا موتتنا الأولى مبتدأ وخبر نحو إن هي إلا حياتنا الدنيا فإن نافية بمعنى ما والضمير مبتدأ وما بعد إلا الخبر .

(٢) قيل في هذا القائل أنه أبو جهل قال للرسول ﷺ يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلاً صادقاً لسأله عما كان بعد الموت .

(٣) جائز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وجائز أن يكون مع المؤمنين وهذا هو الظاهر لأن النبي ﷺ كان معه أصحابه يدعون بدعوته وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ومن آمن معه من أعيان مكة وأشرفها كعثمان وعلي وعمر رضي الله عنهم أجمعين .

(١) -

وقوله تعالى : ﴿أَمْ خَيْرِ أُمِّ قَوْمٍ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ أَنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ؟
 انهم ليسوا بخير منهم بأي حال لافى المال ولا فى الرجال فكما أهلكناهم نهلك هؤلاء ، وأهلكنا
 الأولين لأنهم كانوا مجرمين أي على أنفسهم بالشرك والمعاصى ، وهؤلاء مجرمون أيضا فهم
 مستوجبون للهلاك وسوف يهلكون إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحداو ويطيعوا الله ورسوله .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ﴾ ما خلقناهما إلا بالحق
 ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ هذا دليل على البعث والجزاء إذ ليس من الحكمة ان يخلق الله
 الكون لا لشيء ثم يعدمه ولا شيء وراء ذلك هذا من اللعب والعبث الذى ينتزه عنه العقلاء
 فكيف بواهب العقول جل وعزانه ما خلق الكون إلا ليذكر فيه ويشكر فمن ذكره فيه وشكره أكرمه
 وجزاه بأحسن الجزاء ، ومن تركه وكفره أهانه وجزاه بأسوء الجزاء وذلك يتم بعد نهاية هذه الحياة
 ووجود الحياة الثانية وهو يوم القيامة .

ولذا قال تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي إن يوم القيامة لفصل القضاء
 والحكم بين الناس فيما اختلفوا من التوحيد والشرك ، والبرور والفجور هو ميعادهم الذى
 يحضرون فيه اجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون أي يوم لا يكفى أحد قريب
 كابن العم عن أحد بدفع شيء من العذاب عنه ، وَلَا يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا ، وقوله تعالى
 إلا من رحم الله أي لكن من رحم الله فى الدنيا بالإيمان والتوحيد فإنه يرحمه فى الآخرة فيشفع
 فيه وليأمن أوليائه انه تعالى هو العزيز أي الانتقام من أعدائه الرحيم بأوليائه . والناس بين ولي الله
 وعدو فأوليائه هم المؤمنون المتقون وأعداؤه هم الكافرون الفاجرون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ - الإجماع هو سبب الهلاك والدمار كيفما كان فاعله .

٣ - تبع الحميرى كان عبدا صالحا ملكاً حاكماً وكان قومه كافرين فأهلكهم الله وأنجاه ومن معه

(١) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيرا من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله والمراد من قوم تبع أقوام ملوك
 التابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرى للفرس وقيصر للروم .

(٢) في مسند أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال «لَا تَسْبُوا تَبِعًا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ» ولذا ذكر تعالى هلاك قومه ولم يذكره معهم
 ويقال له أسعد ويكنى أبا كرب وكان قبل البعثة المحمدية بألف سنة أو ما يقارب ذلك وقصة حياته مشهورة في كتب السيرة
 وفي كتابنا هذا الحبيب بيان ذلك .

(٣) إنه غزا المدينة بعد عودته من غزو العراق وأراد خرابها ثم ترك لما علم من قبل اليهود أنها مهاجرة نبي اسمه أحمد فقال
 شعراً تركه عند أهلها فتوارثوه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فادّاه إليه ومر بالكعبة فكساها وهذا شعره :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
 فلمد عمري إلى عمره لكننت وزيرا له وابن عم

من المؤمنين الصالحين ففي هذا الملك الصالح عبرة لمن يعتبر.

٤ - تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث فيما يخلق ويهب، ويأخذ ويعطى ويمنع.

٥ - يوم القيامة وهو يوم الفصل ميعاد الخليقة كلها حيث تجمع لفصل القضاء.

٦ - لاتنفع قرابة ولاخلة ولاصداقة يوم القيامة، ولكن الإيمان والعمل الصالح.

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ٤٣

طَعَامُ الْأَثِيمِ ٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥ كغلي

الْحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ

صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ

٥٠

شرح الكلمات :

إن شجرة الزقوم : أي الشجرة التي ثمر الزقوم وهي من اخبت الشجر ثمرأ مرة وقبحاً.

طعام الأثيم : أي ثمرها طعام الأثيم أبي جهل وأصحابه من ذوى الأثام الكبيرة.

كالهمل : أي كدريدى الزيت الأسود.

يغلى فى البطن كغلي الحميم : أي الماء الشديد الحرارة.

خذوه فاعتلوه : أي يقال للزبانية خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.

إلى سواء الجحيم : أي إلى وسطها.

ذق انك أنت العزيز الحكيم : أي ذق العذاب إنك كنت تقول ما بين جبلي مكة أعز وأكرم منى.

ما كنتم به تمترون : أي إن هذا العذاب الذى كنتم تمترون به أى تشكون فيه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر النار وما فيها من ضروب العذاب فقال تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ كأي جهل وأضرابه من ذوى الأثام، وشجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم طلعتها كأنه رؤوس الشياطين فى القبح وثمرها الذى هو الزقوم مر أشد المرارة جعلها الله تعالى

طعام الأثيم أبى جهل وذوى الأثام الكبيرة. وقوله تعالى فى الاخبار عنها ﴿كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم﴾ أى كدردى الزيت يغلى فى بطون الأثمين كغلى الحميم أى الماء الحار الشديد الحرارة. وقوله تعالى : ﴿خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم﴾ ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أى يقال للزبانية وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذابها خذوه فاعتلوه أى ادفعوهم واجذبوه بعنف إلى وسط الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أى صبوا فوق رأسه الماء الحار الشديد الحرارة ويقال له : تهكما به ذق إنك أنت العزيز الكريم (١) أى كما كنت تقول فى الدنيا إذ كان أبو جهل يقول : ما بين جبلى مكة أعز وأكرم منى ، وكان يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبدة وتمر العجوة ويقول لهم ترقموا هذا هو الزقوم الذى يهددنا به محمد اللهم صلى وسلم على نبينا محمد وقوله تعالى : ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾ أى يقال لهم إن هذا أى العذاب الذى كنتم تشكون فى أنه كائن يوم القيامة ، وذلك لتكذيبهم بالبعث والجزاء يوم القيامة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ - عظم عذاب النار وفضاعة ما يلاقيه ذوو الأثام الكبيرة فيها .

٣ - يوجد شجرة بأريحا من الغور لها ثمر كالتمر حلو عفيص ، لنواه دهن عظيم المنافع عجيب الفعل فى تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والقرص وعرق النسا والريح اللاحجة فى حق الورك ، يشرب منه زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام ، وربما أقام الزمنى ، والمقعدين . ذكر هذا صاحب حاشية الجمل على الجلالين عند تفسير هذه الآية . ولو أمكن أخذ هذا الثمر واستخراج زيته والتداوى به لكان خيرا .

٤ - من أشد أنواع العذاب فى النار العذاب النفسى بالتهكم والسخرية من المعذبين وهو العذاب المهين الذى يُهين المعذبين ويدوس كرامتهم .

(١) قرأ نافع تغلي. بالتاء وقرأ حفص بالياء على رجوع الضمير إلى الطعام لا إلى المهل .

(٢) العتل القود بعنف وشدة . وقرأ نافع فاعتلوه بضم التاء وقرأ حفص فاعتلوه بجر التاء .

(٣) هذا مقول قول . محذوف تقديره : قولوا له ذق . . . والذوق مستعار للإحساس وصيغة الأمر هنا مستعملة فى الإهانة وجملة . إنك أنت العزيز الكريم جملة تعليلية للأمر قبله ذق انك . والمراد بها التهكم والازدراء إذ المراد أنك أنت الذليل المهان .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٢﴾
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٣﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
 فَاكِهَةٍ آمَنِينَ ﴿٥٤﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
 إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ فَضْلًا
 مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

ان المتقين فى مقام آمين : أي إن الذين اتقوا ربهم فى الدنيا فآمنوا وعملوا الصالحات
 بعد اجتناب الشرك والمعاصى فى مجلس آمين لا يلحقهم فيه
 خوف بحال .

فى جنات وعيون : هذا هو المقام الأمين .
 من سندس واستبرق : أي مارق من الديباج ، وما غلظ منه .
 متقابلين : أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لأن الأسرة تدور بهم .
 كذلك ، وزوجناهم : أي الأمر كذلك وزوجناهم .
 بحور عين : أي بنساء بيض واسعات الأعين .
 يدعون فيها : أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكل فاكهة .
 آمنين : أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوف .

لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة : أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها .
 الأولى

فإنما يسرناه بلسانك : أي سهلنا القرآن بلغتك .
 لعلهم يتذكرون : أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون لكنهم لا يؤمنون .
 فارتقب إنهم مرتقبون : أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار عقب عليه بذكر حال أهل الجنة وهذا هو أسلوب الترغيب والترهيب الذى تميز به القرآن الكريم لأنه كتاب دعوة وهداية زيادة على أنه كتاب تشريع وأحكام فقال عز من قائل : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ آمِينَ﴾ فى جنات وعيون ﴿فَأخْبِرْ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ فِي الدُّنْيَا فَمَاتُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَلَمْ يَشْرِكُوا بِهِ هَؤُلَاءِ فِي مَقَامٍ آمِينَ أَيُّ فِي مَجْلِسٍ آمِنٍ لَا يُلْحَقُهُمْ فِيهِ خَوْفٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْأَمْنِ بِقَوْلِهِ ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أَيُّ بِسَاتِينَ وَعْيُونَ. يَلْبَسُونَ أَيُّ ثِيَابِهِمْ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ، وَالسُّنْدُسُ مَارِقٌ مِنَ الْحَرِيرِ وَالِاسْتَبْرَقُ مَا غُلِظَ مِنْهُ، وَقَوْلُهُ مُتَقَابِلِينَ أَيُّ لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ لِأَنَّ الْأُسْرَةَ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا تَدُورُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَذَلِكَ﴾ أَيُّ الْأَمْرِ كَذَلِكَ أَيُّ كَمَا وَصَفْنَا وَزَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، الْحُورَاءُ مِنَ النِّسَاءِ الْبَيَاضِ وَمِنْ فِي عَيْنَيْهَا حُورٌ وَهُوَ كَبْرُ بَيَاضِ الْعَيْنِ عَلَى سَوَادِهَا وَالْعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءٍ وَهِيَ وَاسِعَةُ الْعَيْنَيْنِ. وَقَوْلُهُ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ أَيُّ يَطْلُبُونَ الْخِدْمَةَ أَنْ يُوَافِقَهُمْ بِكُلِّ فَاكِهَةٍ حَالُ كَوْنِهِمْ آمِنِينَ مِنْ انْقِطَاعِهَا وَمِنْ ضَرَرِهَا وَمِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ يُلْحَقُ بِسَبَبِهَا أَوْ بِسَبَبٍ غَيْرِهَا.

وقوله تعالى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أَيُّ لَا يَذُوقُونَ فِي الْجَنَّةِ الْمَوْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ الْأُولَى الَّتِي ذَاقُوهَا فِي الدُّنْيَا فَإِنْ أَهْلُهَا لَا يَمْرَضُونَ وَلَا يَهْرُمُونَ وَلَا يَمُوتُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، وَهَذَا دَالٌ عَلَى أَنَّ غَيْرَ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ قَدْ يَذُوقُونَ عَذَابَ الْجَحِيمِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ بِخِلَافِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ الْبَتَّةَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيُّ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْعَامَ وَالتَّكْرِيمَ فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ إِذْ لَمْ يَسْتَوْجِبُوهُ لِمَجْرَدِ تَقْوَاهُمْ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَدِيثٍ مُسْلَمٍ «سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ». وَقَوْلُهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. أَيُّ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَهُوَ كَمَا فِي قَوْلِهِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿فَمَنْ زَحْرَجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. (٥)

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسِرْنَهَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّ فَإِنَّمَا سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ بِلِغَتِكَ الْعَرَبِيَّةِ

(١) المقام بضم الميم مكان الإقامة، والمقام بالفتح مكان القيام ويتناول السكن وما يتبعه. وقراءه نافع بضم الميم وقراءه حفص بفتح الميم.

(٢) من سندس من لبياح الجنس والميين محذوف دل عليه يلبسون أي ثياباً.

(٣) عن ابن مسعود أن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم. وقال مجاهد إنما سميت الحور حوراً لأنهن يحارن الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن ولا منافاة بين هذه الصفات. وروى أن إخراج القمامة من المسجد مهوور الحور العين في أثرتين أحدهما عن أنس ونصه كنس المساجد مهوور الحور العين.

(٤) الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

(٥) الباء سببية أي يسرناه بالفهم بسبب لغتك العربية إذ المراد باللسان اللغة لا الجارحة المعروفة.

لعلهم يتذكرون فيتعتظون فيؤمنون ويتقون . لكن أكثرهم لم يتعظ فارتقب ما يحل بهم فإنهم منتظرون ما يكون لك من نجاح أو إخفاق .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - فضل التقوى وكرامة أهلها والتقوى هي خشية من الله تحمل على طاعة الله بفعل محابه وترك مكارهه .

٢ - بيان شيء من نعيم أهل الجنة ترغيباً في العمل لها .

٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٤ - بيان الحكمة من تسهيل فهم القرآن الكريم وهو الاتعاظ بالمقتضى للتقوى .

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

مكية وآياتها سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَةٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

حم

: هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا : حم ويقرأ هكذا :

حَامِيمٌ .

: أي القرآن .

: أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم في تدبيره .

تنزيل الكتاب

من الله العزيز الحكيم

إن فى السموات والأرض
آيات

: أى إن فى خلق السموات والأرض .
: أى لدلالات واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه
وحكمته وهى موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه .
: أى لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات .
: أى وفى خلقكم أيها الناس وتركيب أعضائكم وسلامة
بنيانكم .

للمؤمنين
وفى خلقكم

ومابث من دابة
آيات لقوم يوقنون

: أى وماخلق ونشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها .
: أى علامات على قدرة الله تعالى على البعث الآخر إذ الخالق
لهذه العوالم قادر على إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات
لا يراها إلا القوم الموقنون فى ايمانهم بربوبية الله والوهيته
وصفات الجلال والكمال له .
: أى بمجىء هذا وذهاب ذاك وطول هذا وقصر ذاك على مدى
الحياة .

واختلاف الليل والنهار

وما أنزل الله من السماء من : أى من مطر، وسمى المطر رزقا لأنه يسببه .
رزق

فأحيا به الأرض بعد موتها : أحيا بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجذب .
وتصريف الرياح : أى من صبا إلى دبور، ومن شمال إلى جنوب، ومن سموم إلى
باردة ومن نسيم إلى عاصفة .

آيات لقوم يعقلون : أى فى اختلاف الليل والنهار وانزال المطر وأحياء الأرض
وتصريف الرياح دلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه
وحكمته واقتضاء ذلك ربوبية الله والوهيته، لقوم يعقلون أى
يستعملون عقولهم فى إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من
مقدماتها .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم﴾ : الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذى أمرنا أن نؤمن به ونفوض
أمر معناه إلى من أنزله سبحانه وتعالى . وقد ذكرنا مرات فائدتين لهذه الحروف المقطعة فلتراجع
فى أكثر السور المفتحة بالحروف المقطعة كحم الدخان السورة التى قبل هذه السورة . وقوله

تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أي تنزيل القرآن كان من عند الله العزيز أي الانتقام من أعدائه الحكيم في تدبير أمور خلقه وقوله تعالى : ﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي في خلقهما وإيجادهما ومافيهما من عجائب الصنعة لآيات للمؤمنين^(١) تدلهم على استحقاق ربهم للعبادة دون سواه من سائر خلقه ، ونُحْصِ المؤمنين بهذه الآيات لأنهم أحياء يسمعون ويبصرون ويعقلون فهم إذا نظروا في السموات والأرض تجلت لهم حقائق أن الخالق لهذه العوالم لن يكون إلا قادراً عليمًا حكيمًا عزيزاً ومن ثم وجب أن لا يعبد إلا هو ، وكل عبادة لغيره باطلة .
وقوله : وفي خلقكم أيها الناس أي في أطوار خلقكم من نقطة إلى علقة إلى مضغة إلى بشر سوى الخلقة معتدل المزاج والتركيب له سمع وبصر ونطق وفكر .

وما يبيث من دابة أي وما يخلق وما يفرق وينشر في الأرض من أنواع الدواب والبهائم والحيوانات على اختلافها من برية وبحرية آيات لقوم يوقنون أي يوقنون في إيمانهم بالله تعالى وآياته ، كما يوقنون بحقائق الأشياء ، الثابتة لها فالواحد مع الواحد اثنان والموجود ضد المعدم ، والأبيض خلاف الأسود ، والابن لا بد له من أب ، والعذب خلاف المر فأصحاب هذا اليقين يرون في خلق الإنسان والحيوان آيات دالة على وجود الله وعلمه وعزته وحكمته وقدرته على البعث والجزاء الذي أنكره عادمو العقول من المشركين والكافرين . وقوله : ﴿وَإِخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي بتعاقبهما بمجيء الليل وذهاب النهار ، والعكس كذلك وبطول أحدهما وقصر الآخر تارة والعكس كذلك وما أنزل الله من السماء من رزق أي من مطر هو سبب الرزق فأحيا به الأرض بعد موتها بنبس النبات وموته عليها ، وتصريف الرياح من صبا إلى دبور ، ومن شمال إلى جنوب ومن رخاء لينة إلى عاصفة ذات برد أو سموم إن في المذكورات آيات حجيحاً ودلائل دالة على وجود عبادة الله وتوحيده في ذلك ، ولكن لقوم يعقلون أي لذوى العقول النيرة السليمة . أما الذين لا يعقلون لهم فلا يرون ولا في غيرها آية فضلاً عن آيات .

(١) تنزيل الكتاب مبتدأ خبره من الله وإيثار وصفي العزيز الحكيم من بين أسماء الله وصفاته الإيماء إلى أن هذا الكتاب ذو نبأ عظيم فهو عزيز بعهة منزله لا يقدر على مثله وذو حكم لا يخلو منها .

(٢) كون الآيات للمؤمنين دون الكافرين باعتبار أنهم هم المنتفعون بها لأنهم يسمعون ويبصرون ويعقلون والكافرون فاقدون لذلك فلم تكن الآيات لهم لعدم انتفاعهم بها .

(٣) اليقين لا يكون إلا بعد الإيمان فالإيمان يثمر اليقين فالمؤمن يرى في خلق السموات والأرض أي في إيجادهما على ما هما عليه آيات على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته فيرتفع إيمانهم إلى مرتبة اليقين فيرون في أدق الأشياء كالأجنة في الأرحام وما هو أخفى يرون فيه آيات تزيد في يقينهم وتحملهم على حبهم لله وطاعتهم له والتقرب إليه .

(٤) والعقل مرتبة ثالثة بعد الإيمان واليقين في باب الاهتداء فالذي يرى اختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وما ينجم عنها من نباتات وزروع ولم يهتد إلى الإيمان فيؤمن فهو غير عاقل ولا يصح نسبته إلى العقل .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم .
- ٢ - الإيمان ^(١) أعم من اليقين ومقدم عليه في الترتيب واليقين أعلى في الرتبة .
- ٣ - فضل العقل السليم إن استخدم في الخير وما ينفع .
- ٤ - تقرير الوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته في الخلق والتدبير والعلم والحكمة .

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
 اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتُ
 اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٨﴾ وَإِذْ عَلِمْنَا مِّنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
 وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا
 هُدًى وَلِذِينَ كَفَرُوا بَآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

تلك آيات الله : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أي حججه الدالة على وحدانيته .

تتلوها عليك بالحق : أي نخبرك عنها بالحق لا بالباطل كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كذبا وباطلا .

فبأي حديث بعد الله وآياته : أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم وبعد حججه هذه .

تؤمنون : أي تصدقون والجواب أنكم لا تؤمنون .

ويل لكل أفَّاك أثيم : أي عذاب الويل لكل كذاب ذي آثام كبيرة وكثيرة .

(١) من شروط التكليف العقل بلا خلاف بين أئمة الإسلام والكافر غير مكلف بفروع الشريعة أيضاً لأنه لو عقل لآمن ولو آمن لكلف فالكافر لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل فكيف يكلف؟

يسمع آيات الله تتلى عليه : أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه .
ثم يصبر مستكبراً كان لم : أي ثم يصبر على الكفر حال كونه مستكبراً عن الإيمان
يسمعها والتوحيد كان لم يسمعها .
وإذا علم من آياتنا شيئاً : أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه من القرآن .
اتخذها هزوا : أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزواً بها متهمكها ساخراً منها .
لهم عذاب مهين : أي ذواهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم .
من ورائهم جهنم : أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة ، والوراء يطلق على الأمام
كذلك .
ولا يغنى عنهم ماكسبوا شيئاً : أي لا يكفى عنهم ماكسبوه من المال والأفعال التي كانوا
يعتزون بها شيئاً من الإغناء .
ولما اتخذوا من دون الله من : أي ولا يغنى عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة عبدوها
أولياء دون الله تعالى
هذا هدى : أي هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد
ﷺ هدى أى كله حجج وبراهين ودلالات هادية .
والذين كفروا بآيات ربهم : أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به وبقوا على ضلالهم من
الشرك والمعاصي .
لهم عذاب من رجز أليم : أي لهم عذاب موجه من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فى طلب هداية قريش فبعد أن بين تعالى آياته فى الآفاق وفى الأنفس
قال لرسوله ﷺ تلك آيات الله أى تلك الآيات المذكورة أى آيات الله أى حججه الدالة على وجوده
وعلمه وقدرته وموجبة لرُبوبيته على خلقه وألوهيته فهو الإله الحق الذى لا إله إلا هو حق سواء .
وقوله فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون أى إن لم يؤمن هؤلاء المشركون بالله رباً وإلهاً لأرب
غيره ولا إله سواه ، وبآياته القرآنية الحاملة للهدى والخير والنور فبأي شيء يؤمنون أى يصدقون
لا شيء يؤمنون لأن الاستفهام إنكارى والإنكار كالنفي فى معناه .

وقوله ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾^(١) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصبر مستكبراً كان لم يسمعها هذا

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة على علو شأنها وعزة مراتبها ولولا هذا لقال هذه آيات الله لقرب ذكرها .
(٢) صاحب هاتين الصفتين كثرة الإفاك وكثرة الإثم هو في خبث نفسه كالشياطين سواء بسواء إذ مثله هو الذي تنزل عليه الشياطين
ويتحد معها على الخبث والكفر والشر والإفساد .

وعيد من الله تعالى شديد لكل كذاب يقلب الكذب فيصف الطاهر بالخبث والخبث بالطيب والكاذب بالصادق، والصادق بالكاذب أثيم منغمس في كبائر الإثم والفواحش. يسمع هذا الأفك الأثيم آيات الله تتلى عليه وهي القرآن الكريم، ثم يصصر على الكفر مستكبراً عن الإيمان به وبما يدعوه إليه من التوحيد، كأن لم يسمع تلك الآيات. قال تعالى لرسوله فبشره^(١) بعذاب أليم وقوله تعالى وإذا علم أي ذلك الأفك الأثيم من آياتنا شيئاً كأن تبخله الآية أو الآيات من القرآن اتخذها هزواً أي أخذ يهزأ بها ويسخر منها، ويواصل ذلك فيجعلها هزواً بها، قال تعالى: أولئك أي الأفكوك الأثيمون وما أكثرهم لهم عذاب مهين أي فيه إهانة زائدة تنكسر منها أنوفهم التي كانت تأنف الحق وتستكبر عنه. وقوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ هذا وعيد لهم تابع للأول إذ أخبر تعالى أن من ورائهم جهنم وذلك يوم القيامة ولفظ الورا يطلق ويراد به الأمام فهو من الألفاظ المشتركة في معنيين فأكثر وقوله ﴿ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً﴾ أي ولا يكفى عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جاههم ولا كل ما كسبوا في هذه الدنيا أي لا يدفع ذلك عنهم شيئاً من العذاب، وكذلك لا تغنى عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله شيئاً من دفع العذاب. ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره، وكيف والعظيم جل جلاله وصفه بأنه عظيم.

وقوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾ أي هذا القرآن هدى أي يخرج من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد لما فيه من الهدى والنور، ولما يدعو إليه من الحق والعدل والخير والذين كفروا به وأعرضوا عنه وهو آيات الله وحججه على خلقه هؤلاء لهم عذاب من رجز أليم أي عذاب هو من أشد أنواع العذاب لأنهم بالكفر بالآيات لم يزكوا أنفسهم ولم يطهروها فماتوا على أخبث النفوس وشرها فلا جزاء لهم إلا رجز العذاب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - القرآن نور وأعظم نور فمن لم يهتد عليه لا يرجى له الهداية أبداً.
- ٢ - الوعيد الشديد لأهل الإفك والآثام، والإفك الكذب المقلوب.
- ٣ - شر الناس من إذا سمع آيات الله استهزأ وسخر منها أو ممن يتلوها.

(١) البشارة تكون بالخبر السار الذي تنهلُّ به البشرة بالبشر والطلاق والتبشير بالعذاب يورث اسوداد الوجه وكلوجه فالبشارة هنا من باب التهكم به أو لكون البشرة تتغير للخير فصح إطلاق البشارة عليه.

(٢) في الآية إشارة إلى أن أصحاب هذه الصفات يكونون من أرباب الأموال لأنهم يكتسبون بها بكل وسيلة ولو ببيع عقولهم وضمايرهم وأموالهم والمحافظة عليها من عوامل ردهم لدعوة الإسلام ومحاربتها كما هو مشاهد.

(٣) هذا هدى أي هذا القرآن هدى في ذاته وما يدعو إليه ومن كفر به فحرم الهداية فلم يهتد فلا جزاء له إلا جزاء العذاب الأليم.

٤ - لم يغن عمن مات على الكفر شيء من كسب في هذه الحياة الدنيا من مال وولد وجاه وسلطان .

٥ - لم يغن عن المشرك ما كان يعبد من دون الله أو مع الله من أصنام وأوثان وملائكة أو أنبياء أو أولياء .

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣) ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥)

شرح الكلمات :

الله الذي سخر لكم البحر : أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة سخر لكم أي لأجلكم البحر بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها .
لتجري الفلك فيه بأمره : أي جعله كذلك لتجري السفن فيه بإذن الله تعالى .
ولتبتغوا من فضله : أي لتسافروا إلى طلب الرزق من إقليم إلى إقليم .
ولعلكم تشكرون : أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم .
وسخر لكم مافي السموات : أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء وأمطار .
وما في الأرض جميعا : أي ومافي الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالى .
إن في ذلك لآيات : أي علامات ودلائل وحجج على وجود الله والوحيته
لقوم يتفكرون : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون في وجود هذه المخلوقات ومن أوجدها ولماذا أوجدها فتجلى لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنوا ويوحدا .
قل للذين آمنوا يغفروا : أي قل يارسولنا للمؤمنين من عبادنا يغفروا أي يتجاوزوا

ولا يؤخذوا.

الذين لا يرجون أيام الله : أي لا يتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون : أي ليجزى تعالى يوم القيامة قوماً منهم وهم الذين علم تعالى أنهم لا يؤمنون بما كسبوه من أذى الرسول والمؤمنين .

من عمل صالحاً فلنفسه : أي فهو الذي يرحم ويسعد به .
ومن أساء فعليها : أي ومن عمل سوءاً فالعقوبة تحل به لا بغيره .
ثم إلى ربكم ترجعون : أي يعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذى.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هداية قوم النبي ﷺ فقلوه تعالى : ﴿الله الذي سخر لكم﴾^(١) تذكير لأولئك المعرضين بالحجج والآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فهو تعالى يعرفهم أن ما بهم من نعم هي من الله لا من غيره من تلك الآلهة الباطلة. الله لا غيره هو الذي سخر لكم أي ذلل ويسر وسهل مافي السموات من شمس وقمر ونجوم وسحب وأمطار ورياح لمنافعكم، وسخر لكم مافي الأرض من جبال وأشجار وأنهار وبحار ومعادن وحيوانات على اختلافها كل ذلك منه وهو وهبه لكم، إن في ذلك المذكور من إنعام الله عليكم بكل ما سخر لكم لأيات لقوم يتفكرون فيهديهم تفكيرهم إلى وجوب حمد الله تعالى وشكره بعد أن آمنوا به ووحده في ربوبيته وألوهيته . وقوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾^(٢) ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ . يأمر تعالى رسوله أن يقول لصحابته أيام الخوف في مكة قبل الهجرة إصغفحوا وتجاوزوا عمن يؤذيكمن من كفار قريش ، ولا تردوا الأذى بأذى مثله بل اغفروا لهم ذلك وتجاوزوا عنه ، وقد نسخ هذا بالأمر بالجهاد .

وقوله تعالى ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للأمر بالصفح والتجاوز أي ليؤخر لهم

(١) ذكر تعالى في هذه الآيات كمال قدرته وتعام نعمته على عباده وبين أنه خلق ما خلق لمنافعهم .

(٢) منه من ابتدائه أي جميع ذلك المذكور المسخر من عند الله تعالى ليسر لغيره فيه أدنى شركة وموقع (منه) موقع الحال أي سخر لكم ما سخر حال كونه منه .

(٣) التفكير هو منبع الإيمان واليقين والعقل إذ من فكر عقل ومن عقل آمن ومن آمن أيقن ومن أيقن طلب النجاة من النار والفوز بالجنة بالإيمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي .

(٤) يغفروا مجزوم لأنه في جواب الأمر «قل» وجائز أن يكون مجزوماً بتقدير لام الأمر محذوفة أي ليغفروا .

(٥) جائز أن يراد بأيام الله : ثوابه وعقابه أو نصره لأوليائه وإيقاعه بأعدائه . أو البعث الآخر ولقائه .

ذلك الى يوم القيامة ويجزيهم به أسوأ الجزاء لأنه كسب من شر المكاسب إنه أذية النبي والمؤمنين أولياء الله ، وفي تنكير قوما يدل على أن بعضهم سيؤمن ولا يعذب يوم القيامة فلا يعذب إلا من مات على الكفر والشرك منهم .

وقوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً فانفسه﴾^(١) أي من عمل صالحاً في هذه الحياة الدنيا من إيمان وطاعة لله ورسوله في أوامرها ونواهيها فزكت بذلك نفسه وتأهل لدخول الجنة فإن الله يدخله الجنة ويكون عمله الصالح قد عاد عليه ولم يعد على غيره إن الله غني عن عمل عباده ، وغير العامل لا تطهر نفسه ولا تزكو بعمل لم يباشره بنفسه ، وقوله ومن أساء أي في حياته فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً يزكي به نفسه ، فجزاء كسبه السيء من الشرك والمعاصي عائد على نفسه عذاباً في النار وخلوداً فيها^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي إنكم أيها الناس بعد هذه الحياة وما عملتم فيها من صالح وسيء ترجعون إلى الله يوم القيامة ويجزيكم كلاً بحسب عمله الخير بالخير والشر بمثله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة^(٣).
- ٢ - بيان علة الإنعام الإلهي على العبد وهي أن يشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وصرف تلك النعم في مرضاته تعالى لافى معاصيه الموجبة لسخطه .
- ٣ - مشروعية التسامح مع الكفار والتجاوز عن أذاهم في حال ضعف المسلمين .
- ٤ - تقرير قاعدة أن المرء لا يؤخذ بجريرة غيره .
- ٥ - تقرير أن الكسب يؤثر في النفس ويكون صفة لها وبه يتم الجزاء في الدار الآخرة من خير وغيره قال تعالى سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (الأنعام) .

(١) العمل الصالح شرطه الإيمان ولذا ما ذكر العمل الصالح في القرآن إلا والإيمان مقروناً به إلا ما ندر كهذه الآية .
(٢) الخلود في النار خاص بالمشركين والكافرين أما أهل الإيمان والتوحيد فلا يخلدون في النار لحسنة الإيمان والتوحيد .
(٣) هذه الأصول الثلاثة عليها مدار استقامة العبد وجل السور المكية تعالجها فلا تكاد توجد سورة تخلو من تحقيقها والدعوة إليها .

وَلَقَدْءَانِنَا

بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَنِينَ مِنَ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

والحكم : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين على الوجه الذي يحقق العدل والنبوة ورزقناهم من الطيبات : أي جعلنا فيهم النبوة كنبة موسى وهارون وداود وسليمان، ورزقهم من الطيبات كالمَن والسلوى وغيرهما.

وفضللناهم على العالمين : أي على عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم.

إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا : أي لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ببعثة النبي محمد ﷺ بينهم بغيا بينهم أي حسداً للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم.

ثم جعلناك على شريعة^(١) من : أي ثم جعلناك يارسولنا على شريعة من أمر الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

(١) الشريعة لغة المذهب والملة ويقال لمشركة الماء أي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع شرائع.

فاتبعها : أي الزم الأخذ بها والسير على طريقها فأنها تفضي بك إلى سعادة الدارين .

ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون : من مشركى العرب ومن ضلال أهل الكتاب .
إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً : أي إن أنت تركت ما شرع لك واتبعت ما يترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم إنك إن اتبعتهم لن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والآخري شيئاً .

وإن الظالمين بعضهم أولياء : أي ينصر بعضهم بعضاً في الدنيا أما في الآخرة فإنهم بعض

والله ولي المتقين : أي متوليهم في أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم .
هذا بصائر للناس وهدى : أي هذا القرآن أي أنوار هداية يهتدون به إلى ما يكملهم ورحمة لقوم يوقنون ويسعدهم ، وهدى ورحمة ، ولكن لأهل اليقين في إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه أما غير الموقنين فلا يرون هداية ولا يجدون رحمته لأن شكهم وعدم إيقانهم يتعذر معهما أن يعملوا به في جد وصدق وإخلاص .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قوم النبي ﷺ فعرض عليهم حالاً شبيهة بحالهم لعلهم يجدون فيها ما يذكروهم ويعظمهم فيؤمنوا ويوحداوا قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل ﴾ أي اعطينا بني إسرائيل وهم أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل وهو ابن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن آتيناهم ﴿ الكتاب ﴾ التوراة ﴿ والحكم ﴾ وهو الفقه بأحكام الشرع والإصابة في العمل والحق فيها ثمرة إيمانهم ونفوسهم ﴿ والنبوة ﴾ فجعلنا منهم أنبياء ورسلًا كموسى وهارون ويوسف وداود وسليمان وعيسى ، وفضلناهم ﴿ على العالمين ﴾ أي على فرعون وقومه من الأقباط ، وعلى من جاور بلادهم من الناس ، وذلك أيام إيمانهم واستقامتهم ، وآتيناهم بينات من الأمر أمر الدين تحملها التوراة والانجيل ﴿ فما اختلفوا إلا ﴾ من بعد ما جاءهم العلم ﴿ الإلهي ﴾ يحمله القرآن ونبهه فاختلفوا فيما كان عندهم من الأنباء عن نبي آخر الزمان ونعوته وماسيوره الله وأمه من الكمال الدنيوي والآخري فحملهم بغى حدث

(١) ذكر تعالى لنبية ﷺ ما أعطي بني إسرائيل من إفضالات ثم ذكر ما أعطاه هو ﷺ ليكون ذلك جاريًا على سنته في إكرام من يشاء من عباده فلا يكون ذلك داعيًا إلى إنكار المشركين ولا أهل الكتاب نبوة نبيه محمد ﷺ لو كانوا يعقلون .

(٢) بأن جمع الله لهم بين استقامة الدين والخلق وبين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين أصول العدل فيهم مع حسن العيش وشمول الأمن والرخاء لهم .

(٣) أي علمناهم حججا وعلوما في أمر دينهم ونظام حياتهم بحيث يكونون على بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلى سلامته من الشرور والمفاسد .

بينهم وهو الحسد على الكفر فكفروا به وكذبوه فهذه الآية نظيرها آية البقرة: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾. وكقوله في سورة البينة ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى ﴿إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ من جهة، ومن جهة أخرى إعلام منه تعالى بأنه سيحكم بينهم ويفصل ويؤدى كل واحد ثمرة كسبه من خير وشرفى هذه الحياة وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أي من أمر ديننا الإسلام الذي هو دين الأنبياء من قبلك فلم تختلف شريعتك في أصولها على شرائعهم، وعليه فاتبعها ولا تحذ عنها متبعاً أهواء الذين لا يعلمون من زعماء قريش الذين يقدمون لك اقتراحاتهم من الوقت إلى الوقت ولا أهواء ضلال أهل الكتابين من اليهود والنصارى إنهم جهال لا يعلمون هدى الله، ولا ما هو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة في الآخرة، ولا هو سبيل العزة والكرامة والدولة والقوة في الدنيا.

وقوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ أي إنك إن اتبعت أهواءهم واستوجبت العذاب لن يدفعوا عنك ولن يكفوك شيئاً منه، وقوله: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي في الدنيا فيتعاونون على الباطل والشر أما في الآخرة فلا ينصر بعضهم بعضاً ولا هم ينصرون من قبل أحد والله ولي المتقين، أما المتقون فالله وليهم في الدنيا والآخرة، فعليك بولاية الله، ودع ولاية أعدائه، فإنها لن تغني عنك شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿هذا بصائر للناس﴾ يريد القرآن الكريم إنه عيون القلوب بها تبصر النافع من الضار والحق من الباطل فمن آمن به وعمل بما فيه اهتدى إلى سعادته وكماله ومن لم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ضل وشقى. وقوله ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ أي أن القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة عليه يهتدى المهتدون، ويرحم المرحومون وهم الذين ايقنوا بهدايته ورحمته فعملوا به عقائد وعبادات وأحكاماً وآداباً وأخلاقاً فحصل لهم ذلك كما حصل للسلف الصالح من هذه الأمة، وما زال القرآن كتاب هداية ورحمة لكل من آمن به وأيقن فعمل وطبق بجد وصدق أحكامه وشرائعه وآدابه وأخلاقه التي جاء بها وقد كان خلق النبي ﷺ القرآن لقول عائشة رضي الله عنها في الصحيح كان خلقه القرآن.

(١) على للاستعلاء أي التمكن والثبات والشريعة الدين والملة المتبعة والأمر الشأن العظيم والأمر هو أمر الله تعالى الذي أراده لك ولأمتك من الدين المنجي المسعد في الدارين.

(٢) البصائر جمع بصيرة وهي إدراك العقل. الأمور على حقيقتها شبهت ببصر العين.

(٣) القرآن هدى ورحمة لكل من يهتدي بهداء ويتعرض لرحمته العمل به وخص به لذلك أهل اليقين لأنهم القادرون على الأخذ بهدايته والتعرض لرحمته والعمل به.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي ﷺ وقومه من العرب .
 - ٢ - بيان إفضال الله تعالى على بنى إسرائيل حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة .
- ومع هذا اختلفوا فى الحق حسداً وطمعاً فى الرئاسة وإقامة مملكة بنى إسرائيل من النيل الى الفرات .

٣ - تقرير البعث والجزاء والنبوة والتوحيد .

- ٤ - وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم التنازل عن شىء منها .
- ٥ - تقرير ولاية الله تعالى لأهل الإيمان به وتقواه بفعل محابه وترك مساخطه .
- ٦ - بيان أن القرآن كتاب هداية وإصلاح ، ولا يتم شىء من هداية الناس وإصلاحهم إلا عليه .

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

اجترحوا السيئات : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصي .

سواء محياهم ومماتهم : أي محياهم ومماتهم سواء ، لا لا المؤمنون فى الجنة والمشركون فى النار .

سواء ما يحكمون : أي ساء حكماً حكمهم بالتساوى مع المؤمنين .

ولتجزى كل نفس بما كسبت : أي وليجزى الله كل نفس ما كسبت من خير وشر .

أفرايت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرنى عن من اتخذ إلهه أي معبوده هواه .

واضله الله على علم : أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية .
 وجعل على بصره غشاوة : أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل .
 أفلا تذكرون : أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعتظون .
 معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات قبل هذه الظالمين والمتقين وجزاء كل منهم وأنه كان مختلفا باختلاف نفوس الظالمين والمتقين خبثاً وطهراً ذكر هنا ما يقرر ذلك الحكم وهو اختلاف جزاء الظالمين والمتقين فقال : أم حسب^(١) الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوها بجوارحهم ، والمراد بها الشرك والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به ، وعملوا الصالحات من إقام الصلاة وآتاه الزكاة وصيام رمضان والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك من الصالحات سواء محياهم ومما تنهم ساء ما يحكمون أي ساء حكماً حكمهم هذا ومعنى هذا أن الله تعالى أنكر على من يحسب هذا الحساب ويظن هذا الظن الفاسد وهو أن يعيش الكافر والمؤمن في هذه الحياة الكافر يعيش على المعاصي والذنوب والمؤمن على الطاعة والحسنات ثم يموتون ولا يجزى الكافر على كفره والمؤمن على إيمانه ، وأسوأ من هذا الظن ظن آخر كان لبعضهم وهو أنهم إذا ماتوا يكرمون وينعم عليهم بخير ما يكرم به المؤمنون وينعم به عليهم . وهذا غرور عجيب ، فأنكر تعالى عليهم هذا الظن الباطل وحكم أنه لا يسوي بين بر وفاجر ، ولا بين مؤمن وكافر لأن ذلك مناف للعدل والحق والله خلق السموات والأرض بالحق ، وأنزل الشرائع وأرسل الرسل ليعمل الناس في هذه الحياة الدنيا فمَن آمن وعمل صالحاً كانت الحسنات له جزاء ، ومن كفر وعمل سوءاً كانت جهنم جزاءه ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ، ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾^(٢) أي من خير وشر ، وهم لا يظلمون لأن العدالة الإلهية هي التي تسود يوم القيامة وتحكم .

وقوله تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي جعل معبوده ماتهواه نفسه فما هويت قولاً إلا قاله ، ولا عملاً إلا عمله ولا اعتقاداً إلا اعتقده ضارباً بالعقل والشرع عرض الحائط فلا يلتفت

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعد أم استفهام إنكاري أي لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . والآية نزلت كما قال البغوي في نفر من المشركين في مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا .

(٢) ساء ما يحكمون هذه الجملة تذييل لما قبلها من إنكار حسابهم وما اتصل به من المعاني ، والحياة والممات مصدران ميميان من الحياة والموت .

(٣) الباء للتعويض لأن ما كسبه النفس لا تجزى به وإنما تجزى بمثله وما يناسبه من خير أو شر .
 (٤) الاستفهام للتعجب من حال هذا الذي اتخذ إلهه هواه والمخاطب الرسول ﷺ وكل ذي أهلية لأن يفهم عن الله تعالى من المؤمنين .

(١) إليهما ولا يستمع الى ندائهما. وقوله تعالى ﴿وأضله الله على علم﴾ أي منه تعالى حيث سبق في علمه أن هذا الإنسان لا يهتدي ولو جاءته كل آية فكتب ذلك عليه فهو كائن لا محالة، وقوله ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ أي وختم تعالى على سمعه حسب سنته في ذلك فأصبح لا يسمع الهدى ولا الحق كأنه أصم لا يسمع، وأصبح لا يعقل معاني ما يسمع وما يقال له كأنه لا قلب له، وأصبح لما على بصره من ظلمة لا يرى الأدلة ولا العلامات الهادية الى الحق والى الطريق المستقيم المفضي بسالكه إلى النجاة من النار ودخول الجنة. وقوله تعالى : ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ وقد أضله الله والجواب لا أحد. كقوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لا يهدي من يضل﴾ أي من أضله الله تعالى حسب سنته في الإضلال وهي أن يدعى العبد الى الحق والمعروف والخير فيتكبر ويسخر ويحارب فترة يصبح بعدها غير قابل لهداية فهذا لا يهديه أحد بعد أن أضله الله تعالى . (٢)

وقوله تعالى : ﴿أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تذكرون فتتعظون أيها الناس فتؤمنوا وتوحدوا وتعملوا الصالحات فتكملوا وتسعدوا في الدنيا وتنجو من النار وتدخلوا الجنة في الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بطلان اعتقاد الكافرين في أن الناس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفاسده.

٢ - تقرير البعث والجزاء.

٣ - موعظة كبيرة في هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات إلى آخرها حتى إن أحد رجال السلف الصالح قام يتهجّد من الليل فقرأ حتى انتهى الى هذه الآية فأخذ يرددّها ويبكى حتى طلع الفجر.

٤ - التنديد بالهوى والتحذير من اتباعه فقد يفضي بالعبد الى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فيصبح معبوده هواه لا الرب تعالى مولاه.

٥ - التحذير من ارتكاب سنن الضلال المفضي بالعبد إلى الضلال الذي لا هداية معه.

(١) على علم أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد ولكن أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلاً للهداية كما في التفسير.

(٢) قرأ نافع تذكرون بتشديد الذال وقرأه حفص بتخفيفها الأولى على إدغام إحدى التائين في الذال فشددت والثانية على حذف إحدى التائين فخففت.

(٣) من الكلمات الماثورة في هذا قولهم ثلاث من المهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
 عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَبَاءَنَا إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا: أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة، وليس وراءها حياة أخرى.

نموت ونحيا : أي يموت بعضنا ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيا ويموتوا.

وما يهلكنا إلا الدهر : أي وما يميتنا إلا مرور الزمان علينا.

وما لهم بذلك من علم : أي وليس لهم أدنى علم على قولهم لا من وحى وكتاب إلهي ولا من عقل صحيح.

إن هم إلا يظنون : أي ما هم إلا يظنون فقط والظن لا قيمة له ولا يبنى عليه حكم وإذا تلى عليهم آياتنا بينات : أي وإذا قرئت عليهم الآيات الدالة على البعث والجزاء الأخرى بوضوح.

ما كان حجتهم : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم.

إلا أن قالوا اتوا بآبائنا : إلا قولهم احيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.

إن كنتم صادقين : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.

قل الله يحييكم ثم يميتكم : أي قل لهم يارسلنا الله الذي يحييكم حين كنتم نطفاً ميتة، ثم يميتكم.

ثم يجمعكم إلى يوم القيامة : أي ثم بعد الموت يجمعكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء.

لا ريب فيه : أي يوم القيامة الذي لا ريب ولا شك في مجيئه في وقته المحدد له.

ولكن أكثر الناس لا يعلمون : أي لا يعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحي الإلهي لكفرهم بالرسول والكتب.

معنى الآيات :

تقدم فى الآيات بيان اعتقاد بعض المشركين فى استواء حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة وأن الله تعالى أبطل ذلك الاعتقاد منكرًا له عليهم ، وهنا حكى قول منكرى البعث بالكلية ليرد عليهم وفى ذلك دعوة لعامة الناس إلى الإيمان والعمل الصالح للإسعاد والكمال فى الحياتين والله الحمد والمنة فقال عز وجل : ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾^(١) أي وقال منكرو البعث والجزاء يوم القيامة ما هناك إلا حياتنا هذه التى نحياها وليس وراءها حياة أخرى ، إننا نموت ونحيا أي نموت نحن الأحياء ونحيا أبناءنا من بعدنا وهكذا تستمر الحياة أبدًا يموت الكبار ونحيا الصغار ، وما يهلكنا إلا الدهر أي وما يميتنا ويفنينا إلا مرور الزمان وطول الأعمار وهو إلحاد كامل وإنكار للمخالق عز وجل وهو تناقض منهم لأنهم إذا سئلوا من خلقهم يقولون الله فينسبون إليه الخلق وهو أصعب ولا ينسبوا إليه الإماتة وهى أهون من الخلق فرد تعالى عليهم مذهبهم «الدهرى» بقوله : ﴿ومالهم بذلك من علم إن هم الا يظنون﴾ أي ليس لهم على معتقدتهم هذا أدنى علم نقلياً كان ولا عقلياً أي لم يتلقوه عن وحي أوحاه الله الى من شاء من عباده ولا عن عقل سليم راجح لا ينقض حكمه كالواحد مع الواحد اثنان والأبيض خلاف الأسود وما إلى ذلك من القضايا العقلية التى لا ترد فهؤلاء الدهريون ليس لهم شيء من ذلك مالههم إلا الظن والخرص وقضايا العقيدة لا تكون بالظن. والظن أكذب الحديث .

وقوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ أي وإذا قرأ عليهم رسول الله ﷺ آيات القرآن الدالة على البعث والجزاء تدعوهم إلى الإيمان به واعتقاده ﴿ما كان حجتهم﴾ أي لم تكن لهم من حجة يردون بها مادعوا إليه إلا قولهم^(٢) : اثنا بآبائنا ان كنتم صادقين أي أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأحضرهم عندنا ان كنتم صادقين فيما تخبروننا من البعث والجزاء . فقال تعالى فى رد هذه الشبهة وبيان للحق فى المسألة قل الله يحييكم ثم يميتكم ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي قل يارسولنا لهؤلاء الدهريين المنكرين للبعث الله يحييكم إذ كنتم نطقاً ميتة

(١) هي ضمير القصة والشأن وجملة نموت ونحيا مبينة لجملة ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ليس بعد هذا العالم عالم آخر فالحياة هي هذه لا غير.

(٢) روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : (كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر). قال الله تعالى (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار).

(٣) قال القرطبي كان المشركون أصنافاً منهم هؤلاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من يشك فى البعث ولا يقطع بإنكاره.

(٤) فإن قيل لم سمى قولهم حجة وليس هو بحجة؟ قيل لأنهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم.

(٥) أي أحيوا لنا الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون.

(٦) جملة لا ريب فيه حال من يوم القيامة أي لا ريب فى وجوده وكونه لا ريب فيه لأنه علة الحياة كلها فلولا ما كانت هذه الحياة فمن هنا لا معنى للشك فيه بالكلية.

فأحياكم، ثم يميتكم بدون اختياركم فالفادر على الإحياء والإماتة وفعلًا هو يحيى ويميت لا يحيل العقل أن يحيى من أحياءهم ثم أماتهم وإنما لم يحيهم اليوم كما طلبتم لأنه لا فائدة من إحيائهم بعد أن أحياءهم ثم أماتهم هذا أولاً وثانياً إحياءهم لكم اليوم يتنافى مع الحكمة العالية فى خلق هذه الحياة الدنيا والآخرة إذ خلقوا ليعملوا، ثم يجازوا بأعمالهم خيرها وشرها. ولهذا قال ثم يجمعكم أي أحياء فى يوم القيامة للحساب والجزاء وقوله لا ريب فيه أي لا شك فى وقوعه ومجيئه إذ مجيئه حتمى لقيام الحياة الدنيا كلها عليه. ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا لأمرين الأول أنهم لا يفكرون ولا يتفكرون والثانى أنهم لتكذيبهم بالوحي الإلهى سدوا فى وجوههم طريق العلم الصحيح فهم لا يعلمون، ولا يعلمون حتى يؤمنوا بالوحي ويسمعوه ويتفهموه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير البعث والجزاء.
- ٢ - الرد على الدهريين وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدهر وينفون وجود الخالق عز وجل.
- ٣ - بيان أن الكفار لا دليل لهم عقلى ولا نقلى على صحة الكفر عقيدة كان أو عملاً.
- ٤ - عدم إحياء الله تعالى للمطالبين بحياة من مات حتى يؤمنوا لم يكن عن عجز بل لأنه يتنافى مع الحكمة التى دار عليها الكون كله.
- ٥ - بيان أن أكثر الناس لا يعلمون وذلك لأنهم كذبوا بالوحي الإلهى فى الكتاب والسنة.
- ٦ - بيان انه لا علم صحيح إلا من طريق الوحي الإلهى.

وَلِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَنْذِرُ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

ولله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .
يخسر المبطلون : أي ويوم تقوم الساعة التي أنكرها الكافرون يخسر أصحاب
الباطل بصيورتهم إلى النار .
وترى كل أمة جائية : أي كل أمة ذات دين جائية على ركبها تنتظر حكم الله فيها .
تدعى إلى كتابها : أي إلى كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرا فخير وإن
كان شرا فشر .

اليوم تجزون ما كنتم تعملون : أي يقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر .
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق : أي ديوان الحفظة الذي دونه من أعمال العقلاء من الناس
شاهد عليكم بالحق .

إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون .
فيدخلهم ربهم في رحمته : أي فيدخلهم في جنته .
ذلك هو الفوز المبين : أي الفوز البين الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة .
أفلم تكن آياتي تتلى عليكم : أي يقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم .
فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قوما كافرين .
إن وعد الله حق : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت .

إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين : أي ما كنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه لا غير ولا نجزم به .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ولله ملك السموات
والأرض﴾ خلقا وإيجاداً وملكاً وتصرفاً ومن كان هذا وصفه من القدرة والعلم والحكمة لا ينكر
عليه بعث العباد بعد موتهم وجمعهم للحساب والجزاء . وقوله ويوم تقوم الساعة التي ينكرها
المنكرون يومئذ يخسر المبطلون يخسرون كل شيء حتى أنفسهم يخسرون منازلهم في الجنة
يرثها عنهم المؤمنون ويرثون هم المؤمنون منازلهم في النار ذلك هو الخسران المبين وقوله تعالى :

(١) ويوم تقوم الساعة : هو ظرف متعلق بيخسر قدم عليه للاهتمام به ويومئذ تأكيد ليوم تقوم الساعة .

﴿وترى كل أمة جاثية﴾^(١) أي وترى أيها الرسول يوم القيامة كل أهل دين وملة وقد جثوا على ركبهم خوفاً وذلاً مستوفزين للعمل بما يؤمرون به. وقوله ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ أي الذي أنزل على نبيها لتعمل بما جاء فيه من عقائد وشرائع ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي في الدنيا من خير وشر. فإذا حاولوا الإنكار قيل لهم: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق، وهو كتاب الأعمال الذي دونته الحفظة وقوله ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي نأمر ملائكتنا بنسخ أعمالهم أي بآبائهم وحفظها وهما ذى بين أيديكم ناطقة صارخة بما كنتم تعملون.

قال تعالى مفصلاً للحكم الناتج عن شهادة الكتاب ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي وتركوا الشرك والمعاصي فيدخلهم ربهم جزاء لهم في رحمته وهي الجنة دار المتقين ذلك هو الفوز المبين أي إدخالها الجنة بعد إنجائهم من النار هو الفوز المبين إذا الفوز معناه، النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. هذا جزاء أهل الإيمان والتقوى وأما الذين كفروا وهم أهل الشرك والمعاصي فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم؟ بل كانت تتلى عليكم فاستكبرتم عنها فلم تتعرفوا إلى ما فيها وإلى ما تدعوا إليه، وكنتم باستكباركم عنها قوما مجرمين^(٢) على أنفسكم إذا أفسدتموها بالشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم إن وعد الله حق﴾ أي وعده تعالى بالبعث والجزاء حق لا بد واقع والساعة آتية لا ريب فيها أي جاثية لا محالة ولا ريب في وقوعها بحال من الأحوال قلتم ما ندري ما الساعة متجاهلين لها متعجبين من وقوعها. وقلتم إن نظن إلا مجرد ظن فقط وما نحن بمستيقنين^(٣) بمجيئها، وهذا بالنسبة إلى بعض الناس، وإلا فقد تقدم أن بعضهم كان ينكر البعث بالكلية وهذا ظاهر في كثير من الناس الذين يؤمنون بالله وبلقائه وهم لا يفترون من المعاصي ولا يقصرون عن فعل الشر والفساد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يقع يوم القيامة.
- ٢ - تقرير عقيدة كتابة أعمال العباد وتقديمها لهم يوم القيامة في كتاب خاص.

(١) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين والجثو البروك على الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.
(٢) فأما . الخ هذه الفاء عاطفة لمُفْضَل من الكلام على مُجْمَل منه وهو قوله تعالى وترى كل أمة جاثية والبدأ بتفصيل حال المؤمنين تعجيلاً للمسرة لهم وتنويعاً بشأن الإيمان والعمل الصالح.
(٣) إقحام لفظ (قوما) للدلالة على أن الإجماع صار خلقاً لهم مخالفاً لنفوسهم حتى صار مما يمتقون به ولولا هذا لقال بل كنتم مجرمين، دون ذكر (قوم) والاستفهام في قوله أفلم تكن آياتي للتقرير والتوبيخ.
(٤) هذه الجملة تأكيد لجملة إن نظن إلا ظناً، والسين والتاء في بمستيقنين للمبالغة في عدم حصول الفعل.

- ٣ - تقرير أن الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، وأن الشرك والمعاصي سبب الخسران المبين.
- ٤ - الظن في العقائد كالكفر بها، والعياذ بالله تعالى.

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِيفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُفَرْتُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

- وبدأهم سيئات ما عملوا : أي ظهر لهم في يوم القيامة جزاء سيئات ما عملوه في الدنيا من الشرك والمعاصي .
- وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا .
- وقيل اليوم ننساكم : أي وقال الله تعالى لهم اليوم ننساكم أي نترككم في النار .
- كما نسيتم لقاء يومكم هذا : أي مثل ما نسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجي فيه وهو الإيمان والعمل الصالح ، وترك الشرك والمعاصي .
- ومأواكم النار : أي ومحل إقامتكم النار .
- ومالكم من ناصرين : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار .
- ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزواً هزواً أي شيئاً مهزواً به .
- وغرّتكم الحياة الدنيا : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات .
- ولا هم يستعيبون : أي لا يؤذن لهم في الاستعتاب ليعتوبوا فيتوبوا .

فلله الحمد رب السموات ورب : أي فله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه .

الأرض

وله الكبرياء في السموات : أي العظمة والحكم النافذ الناجز على من شاء .

والأرض

وهو العزيز الحكيم : أي وهو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه .
معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مشاهد القيامة وبعض ما يتم فيها من عظام الأمور لعل السامعين لها يتعظون بها فقال تعالى : ﴿وبدأهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (١) أي وظهر للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء ظهر لهم وشاهدوا العذاب الذي كانوا إذا ذكروا به أو خوفوا منه استهزأوا به وسخروا منه . وقد حل بهم ونزل بساحتهم وأحاط بهم وقال لهم الرب تعالى اليوم نساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي نترككم في عذاب النار كما تركتم العمل المنجي من هذا العذاب وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي . ومأواكم النار أي هي مأواكم ودار إقامتكم ﴿ومالكم من ناصرين﴾ أي وليس لكم من ينصركم فيخلصكم من النار، وعلة هذا الحكم عليهم بيئها تعالى بقوله ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً﴾ (٢) وغرّتم الحياة الدنيا أي حكم عليكم بالعذاب والخذلان بسبب اتخاذكم آيات الله الحاملة للحجج والبراهين الدالة على وجود الله وجوب توحيده وطاعته هزواً أي شيئاً مهزواً به ، ﴿وغرّتم الحياة الدنيا﴾ بزخرفها وزينتها، وطول أعماركم فيها فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً ينجيكم من هذا العذاب الذي حاق بكم اليوم . قال تعالى ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ وترك مخاطبتهم إشعاراً لهم بأنهم لا كرامة لله لهم اليوم فلم يقل فاليوم لا تخرجون منها، بل عدل عنها إلى قوله ﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ أي لم يطلب منهم أن يعتبوا رهبهم بالتوبة إليه، إذ لا توبة بعد الموت والرجوع إلى الدنيا غير ممكن في حكم الله وقضائه . وهنا تعظم حسرتهم ويشتد العذاب عليهم ويعظم كربهم .

وقوله تعالى : ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ أي رب كل شيء ومليكه حمد نفسه، وقصر الحمد عليه بعد أن أنجز ما أوعده به الكافرين، وذكر موجب الحمد وهو سلطانه القاهر في السموات وفي الأرض، وقوله ﴿وله الكبرياء﴾ أي العظمة والسلطان ﴿في

(١) من أنواع الاستهزاء ما روي أن العاص بن وائل قال لخباب بن الأرت وقد طالبه بدین له عليه لئن بعثت كما تقول لأوتين ملا وولدا في الآخرة فاقض منه دينك .

(٢) التعبير بالمأوى إشارة إلى تأييد الخلود فيها إذ المأوى مكان الإيواء والاستقرار ولا مكان غيره .

(٣) الهزء مصدر كالخلق أطلق أريد به اسم المفعول أي مهزواً به .

(٤) الغاء للتفريع فهذه الجملة (الحمد لله) والثناء عليه متفرع عما ورد في هذه السورة من مظاهر ربوبيته تعالى والطفه وإحسانه بإحقاق الحق وإبطال الباطل وعدله في قضائه بين عباده .

(٥) تقديم الجار والمجرور في قوله فلله الحمد، وقوله وله الكبرياء مؤذن بالحصص والاختصاص والكبرياء هي الكبر الحق العظيم وهما الكمال في الذات والكمال في الصفات والوجود .

السموات والأرض وهو العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، الشديد الانتقام، الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه الحكيم في تدبير خلقه ويتجلى ذلك في إكرام أوليائه برحمتهم، وإهانة أعدائهم بتعذيبهم في دار العذاب النار وبئس المصير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر موجب للعذاب .
- ٢ - تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل ، وكما يدين الفتى يدان .
- ٣ - مشروعية الحمد عند الفراغ من أي عمل صالح أو مباح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
أَتُنْثَوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

حَم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا : حَمَ ويقرأ هكذا : حَامِيم .

تنزيل الكتاب : أي تنزيل القرآن .

من الله العزيز الحكيم : أي من لدن الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه .

إلا بالحق وأجل مسمى : أي ما خلقنا السموات والأرض إلا خلقا متلبسا بالحق وبأجل
مسمى لفنائهما .

(١) وجه تسميتها بالأحفاف لذكر لفظ الأحفاف فيها ولم يكن لها اسم غيره والأحفاف جمع حفف بكسر الحاء وسكون القاف الرمل المستطيل الكبير .

عما أنذروا معرضون : أي عن ما خوفوا به من العذاب معرضون عنه غير ملتفتين إليه .
ما تدعون من دون الله : أي من الأصنام والأوثان .

أروني ماذا خلقوا من الأرض : أي أشيروا إلى شيء خلقوه من الأرض .

أم لهم شرك في السموات : أي أم لهم شركة .

أتثوني بكتاب من قبل هذا : أي منزل من قبل القرآن .

أو إثارة من علم : أي بقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام .

إن كنتم صادقين : أي في دعواكم أن عبادة الأصنام والأوثان تقرّبكم من الله تعالى .

من لا يستجيب له إلى يوم القيامة : أي لا أحد أضل ممن يدعو من لا يستجيب له في شيء .

يطلبه منه أبداً .

وهم عن دعائهم غافلون : أي وهم الأصنام أي عن دعاء المشركين إياهم غافلون لا يعرفون

عنهم شيئاً .

وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء : أي في يوم القيامة كانت الأصنام أعداء لعابديها .

وكانوا بعبادتهم كافرين : أي وكانت الأصنام بعبادة المشركين لها جاحدة غير معترفة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به إذ هذه من المتشابه الذي يجب الإيمان به وتفويض أمر معناه إلى الله منزله . وقوله ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ أي تنزيل القرآن الكريم من لدن الله العزيز الحكيم العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وتدبيره . وقوله تعالى ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ من العوالم والمخلوقات ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا لحكم عالية وليس من باب العبث واللعب ، وإلا بأجل مسمى عنده وهو وقت إفنائهما وانتهاء وجودهما لاستكمال الحكمة من وجودهم . وقوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾^(١) يخبر تعالى بأن الذين كفروا بتوحيد الله ولقائه وآياته ورسوله عما خوفوا به من عذاب الله المترتب على كفرهم وشركهم معرضون غير مباليين به ، وذلك لظلمة نفوسهم ، وقساوة قلوبهم . وقوله تعالى ﴿قل أرايتم ما

(١) هذه الجملة حالية فهي في موضع نصب حال من الضمير المقدر في متعلق الجار والمجرور في قوله : (بالحق) والمقصود من الإخبار هو التعجيب من إعراض الكافرين عن دعوة الحق التي يُدعون إليها وهي : الإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك ، والمعاصي لنجاتهم وسعادتهم .

(٢) (عما أنذروا) جائز أن تكون (ما) موصولة ، والعائد محذوف أي : أنذروهم وجائز أن تكون مصدرية أي : عن إنذارهم معرضون .

(٣) (قل أرايتم) : الاستفهام تقريرى هو بمعنى : أخبروني ، وفعل أروني للتعجيز لإبطال دعوى الشرك بالله تعالى ، والعاجز عن خلق شيء كيف يستحق العبادة ، والتأليه ، و(ماذا خلقوا) هو بمعنى ماذا الذي خلقوا أي : أي شيء خلقوه .

تدعون من دون الله ﴿أي من الأصنام والأوثان﴾ ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي من شيء .
 ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ ولو أدنى شرك وأقله، وقوله ﴿اثتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة
 من علم﴾ أي بقية من علم تشهد بصحة عبادة ودعاء آلهة لم تخلق شيئاً من الأرض وليس لها
 أدنى شرك في السموات ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أنها آلهة تستحق أن تُعبد . وقوله تعالى
 ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ ينفي تعالى على علم
 تام أنه لا أضل من أحد يدعو من غير الله تعالى معبوداً لا يستجيب له في قضاء حاجة أو قضاء
 وطر مهما كان صغيراً أبداً وحقا لا أحد أضل ممن يقف أمام جماد لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق
 يدعو ويسأله حاجته وقوله ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ أي وأولئك الأصنام المدعوون غافلون
 تماماً عن داعيهم لا يعلمون عنه شيئاً لعدم الحياة فيهم ، ولو كانوا يوم القيامة يُنطقهم الله
 ويتبرعون ممن عبدوهم ويخبرون أنهم ما عبدوهم ولكن عبدوا الشيطان الذي زين لهم عبادتهم ،
 وهو ما دل عليه قوله تعالى ﴿وإذا حشر الناس﴾ أي ليوم القيامة كانوا لهم أعداء وخصوماً وكانوا
 بعبادتهم من دعاء وذبح ونذر وغيره كافرين أي جاحدين غير معترفين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إثبات النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله على رسوله المنزل عليه وهو محمد ﷺ
- ٢- انتفاء العبث عن الله تعالى في خلقه السموات والأرض وما بينهما وفي كل أفعاله وأقواله .
- ٣- تقرير حقيقة علمية وهي من لا يخلق لا يُعبد .
- ٤- بيان أنه لا أضل في الحياة من أحد يدعو من لا يستجيب له أبداً كمن يدعون الأصنام والقبور
 والأشجار بعنوان التوسل والاستشفاع والتبرك .

(١) (من علم) أي : من أهل العلم السابقين غير مكتوبة في الكتب ، وهذا التوسيع عليهم في أنواع الحج ليكون عجزهم
 بعد ذلك أقطع لحجتهم وإبطال دعواهم في الشرك . ذكر القرطبي عند تفسير : (أو أثارة من علم) أن بعضهم فسر الأثارة :
 بالخط ، وإن نبيا كان يخط ، والمراد التعرف إلى علم الغيب ، وختم القول بكلمة لابن العربي أنهى بها الموضوع ، إذ قال :
 إن الله تعالى لم يبق في الأسباب الدالة على الغيب إلا الرؤيا إذ هي جزء من النبوة ، وقال الحسن لا غير وأنشد لبعضهم :

القال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أفعال

(٢) الاستفهام للإنكار والتعجب معاً ، والمعنى : لا أحد أشد ضلالاً وأعجب حالاً ممن يدعون . . الخ .

(٣) الجملة حالية ، وجملة : (وإذا حشر الناس) معطوفة عليها .

(٤) فالعابدون كالمعبودين سواء في التبرؤ من بعضهم بعضاً يوم القيامة وإعلان العداء لبعضهم بعضاً .

وَإِذَا

تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا
 سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ
 لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ
 وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
 إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ : أي أهل مكة من كفار قريش، والآيات آيات القرآن والبيانات
 الواضحات.

قال الذين كفروا للحق لما

جاءهم : أي من كفار قريش للحق أي القرآن لما قرأه عليهم رسول الله ﷺ .
 هذا سحر مبين : أي قالوا في القرآن سحر مبين أي ظاهر لما رأوا من تأثيره على النفوس .
 أم يقولون افتراه : أي بل يقولون افتراه أي اختلقه من نفسه .
 قل إن افتريته : أي قل لهم يانبيينا إن اختلقته من نفسي .
 فلا تملكون لي من الله شيئا : أي فأنتم لا تملكون لي من الله شيئا إن أراد أن يعذبني .
 هو أعلم بما تفيضون فيه : أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح والطمع في
 وفي القرآن .

كفى به شهيداً بيني وبينكم : أي كفى به تعالى شهيداً بيني وبينكم .
 ما كنت بدعاً من الرسل : أي لم أكن أول رسول فأكون بدعاً من الرسل بل سبقني رسل
 كثيرون .

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم : أي في هذه الحياة هل أخرج من بلدي، أو أقتل، وهل

تُرجمون بالحجارة أو يُخسف بكم .

إن أتبع إلا ما يوحى إليّ : أي ما أتبع إلا ما يوحى إليّ ربي فأقول وأفعل ما يأمرني به .
وما أنا إلا نذير مبين : أي وما أنا إلا نذير لكم بين الانذار .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة العرب عامة وقريش خاصة إلى الإيمان والتوحيد فإذا قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن دعوة لهم إلى الإيمان والتوحيد قالوا ردّاً عليه ما أخبر به تعالى في قوله ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ أي على كفار قريش ﴿ آياتنا بينات ﴾ أي ظاهرات الدلالة واضحات المعاني ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بالله وبرسوله ولقائه وتوحيده قالوا ﴿ للحق ﴾ وهو القرآن ﴿ لما جاءهم هذا سحر مبين ﴾ بل قالوا ما هو أشنع في الكذب وأبشع في النظر إذ قالوا ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿ أم يقولون افتراء ﴾ أي بل يقولون افتراءه ﴿ أي بل يقولون افتراءه أي اختلقه وتخترعه من نفسه وليس هو بكلام الله ووحى إليه . وقوله تعالى ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ﴾ أي على فرض أنني افتريته على الله وقلت أوحى إليّ ولم يوح إليّ وأراد الانتقام مني بتعديبي ، فهل أنتم أو غيركم تستطيع دفع العذاب عني ، وعليه فكيف اعرض نفسي للعذاب بالافتراء على الله تعالى ، فهذا لن يكون مني أبداً . وقوله تعالى ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه ﴾ أي الله جل جلاله هو أعلم من كل أحد بما تخوضون فيه مندفعين في الكلام تطعنون في وفي القرآن فتقولون في ساحر وفي القرآن سحر مبين وتقولون في مفتر وفي القرآن افتراء إلى غير ذلك من المطاعن والنقائص . ﴿ كفي به شهيداً بيني وبينكم ﴾ أي كفى بالله شهيداً عليّ وعليكم فيما أقول وفيما تقولون وسيجزي كلا بما عمل . ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ لمن تاب فتوبوا إليه يغفر كفركم وخوضكم في الباطل ويرحمكم فإنه تعالى غفور لمن تاب رحيماً بمن آمن وأتاب . وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ يأمر تعالى رسوله أن

(١) (للحق) اللام تعليلية . وليست للتعدي ، أي : قال الكافرون بعضهم لبعض لاجل رد الحق وإبطاله ، هذا سحر مبين ، والحق : القرآن ، يصفونه بالسحر حتى لا يؤمنوا به .

(٢) (أم) هي المنقطعة المقدرة بـ ، والاستفهام أي : يقولون افتراء والاستفهام وبل للإضراب الانتقالي من نوع إلى آخر من أنواع ضلالهم ، والاستفهام للنفي والإنكار معاً .

(٣) (تفيضون فيه) أي : من قول الباطل والخوض في تكذيب الحق ، إذ الإفاضة في الشيء : الخوض فيه والاندفاع ، ومنه : أفاضوا في الحديث : إذا اندفعوا يقولون ، وأفاض الناس من عرفات إلى مزدلفة ، أي : اندفعوا .

(٤) إذ هو يعلم صدقي ويعلم أنكم مبطلون .

(٥) الغفور لمن تاب من عباده الرحيم بالمؤمنين .

(٦) البدع : الأول : والبدع كالبدع بكسر الباء مثل : نصف ونصيف ، وأبدع في كذا أتى بالبدع فيه أي بما لم يأت به غيره ، والبدع : صفة مشبهة ، وهو من أسماء الله تعالى ، ومعناه : خالق الأشياء ومخترعها .

يقول لأولئك المشركين المفيضين في الطعن في القرآن والرسول في أغلب أوقاتهم وأكثر مجالسهم ﴿ما كنت بدعاً من الرسل﴾ أي ما أنا بأول عبد نبي وأرسل فأكون بدعاً في هذا الشأن فينكر عليّ أو يستغرب مني بل سبقتني رسل كثيرة . وقوله ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ أي وقل لهم أيضاً أنني لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي مستقبلاً فهل أخرج من هذه البلاد أو أقتل أو تقبل دعوتي وأنصر ولا ما يفعل بكم من تعذيبكم بحجر أو مسخ أو هدايتكم ونجاتكم . وقوله ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين﴾ أي ما أتبع إلا الذي أوحى إليّ ربّي باعتقاده أو قوله أو عمله ، فلا أحدث ولا أبتدع شيئاً لم يوح الله به ابداً ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي ما أنا بالذي يملك شيئاً لنفسه أو لغيره من خير أو ضرر وإنما أنا نذير من عواقب الكفر والتكذيب والشرك والمعاصي فمن قبل إنذارني فكف عما يسبب العذاب نجا ، ومن رفض إنذارني فأمره إلى ربّي إن شاء عذبه وإن شاء تاب عليه وهدهد ورحمه .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِمَّا فُكٌّ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(١) هذا ردّ على المتعنتين من المشركين الذين يطالبون الرسول ﷺ بما لم يكن في وسعه من أمور الغيب ، وليس معناه كما قيل : إنه لا يدري هل يكون بعد موته في الجنة أو في النار ، ولا يدري هل يكون المشركون في النار أو الجنة ، إذ هذا قول باطل . وأما حديث عثمان بن مظعون في البخاري (فإنه لما قالت المرأة رحمة الله عليك يا أبا السائب إن الله أكرمك فقال لها : وما يدريك أن الله أكرمه فإني وأنا رسول الله لا أدري ما يفعل بي) فإن المراد منه عدم الجزم بمصير من مات من المسلمين ووجوب تفويض الأمر إلى الله تعالى .

شرح الكلمات :

قل أرأيتم : أي أخبروني ماذا تكون حالكم .

إن كان من عند الله : أي إن كان القرآن من عند الله .

وكفرت به : أي وكذبتم به أي بالقرآن .

وشهد شاهد من بني اسرائيل : أي وشهد عبد الله بن سلام .

على مثله فآمن : أي عليه إنه من عند الله فآمن .

واستكبرتم : أي واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا ألستم ظالمين .

لو كان خيرا ما سبقونا إليه : أي لو كان ما جاء به محمد من القرآن والدين خيرا ما سبقنا إليه المؤمنون .

وإذ لم يهتدوا به : أي بالقرآن العظيم .

فسيقولون هذا إفك قديم : أي هذا القرآن إفك قديم أي هو من كذب الأولين .

وهذا كتاب مصدق : أي القرآن مصدق للكتب التي سبقته .

لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا : أي حال كونه بلسان عربي لينذر به الظالمين المشركين .

وبشرى للمحسنين : وهو أي القرآن بُشرى لأهل الإحسان في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم .

ثم استقاموا : أي فلم يرتدوا واستمروا على فعل الواجبات وترك المحرمات .

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون : أي في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة .

بما كانوا يعملون : أي جزاهم الله بما جزاهم به بنفي الخوف والحزن عليهم

بأعمالهم الصالحة وتركهم الأعمال الفاسدة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قوم النبي ﷺ من قريش الذين ردوا الدعوة وقالوا في كتابها سحر مبين وفي صاحبها مفتر فقال تعالى لرسوله قل يا محمد لأولئك المشركين الذين قالوا في القرآن سحر مبين ﴿أرأيتم﴾^(١) أي أخبروني ماذا تكون حالكم إن كان القرآن من عند الله . وكفرت به وشهد شاهد من بني اسرائيل وهو عبد الله بن سلام على^(٢) مثله أي على التوراة أنها نزلت من

(١) الاستفهام تقريرى للتوبيخ ، ومفعولا (أرأيتم) محذوفان تقديرهما : أنفسكم ظالمين .

(٢) المثل : المماثل أي : المشابه في فعل أو صفة ، وضمير مثله : عائد على القرآن ، وجائز أن يكون المراد بالمثل : التوراة ، والشاهد هو موسى عليه السلام أو عبد الله بن سلام كما في التفسير ، وجائز أن يكون لفظ (مثل) مقحماً زائداً نحو : (ليس كمثلته شيء) أي : ليس مثله شيء ، ويكون المعنى . وشهد شاهد - وهو عبد الله بن سلام - على صدق القرآن وكونه وحى الله أوحاه إلى رسوله ﷺ .

عند الله وهي مثل القرآن فلا يستنكر أن يكون القرآن نزل من عند الله لا سِيَّما والكتابان التوراة والقرآن يصدق بعضهما بعضاً، بدلالتهما معاً على أصول الدين كالتوحيد والبعث والجزاء والثواب والعقاب ومكارم الأخلاق والعدل والسوفاء بالعهد. ﴿فَأَمَّنْ﴾ هذا الشاهد^(١) واستكبرتم ﴿أي وكفرتم أنتم مستكبرين عن الإيمان بالحق ألم تكونوا شر الناس وأظلمهم وتحرمون الهداية إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فحرموها الهداية الإلهية وقوله تعالى في الآية (١١) ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ هذا القول جائز أن يقوله يهود المدينة للمؤمنين بها، وجائز أن يقوله المشركون في مكة وفي غيرها من العرب إذ المقصود هو الاعتذار عن عدم قبول الإسلام بحجة أنه لا فائدة منه تعود عليهم في دنياهم ولا خير يرجونه منه إن دخلوا فيه إذ لو كان فيه ما يرجون من الفوائد المادية لا اعتنقوه ودخلوا فيه ولم يسبقهم إليه الفقراء والمساكين. وهو معنى ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي في شأن الذين قالوا لو كان الإسلام خيراً ما سبقونا إليه فآمنوا وكفرنا. وقوله تعالى ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ أي وإن ظهر عنادهم وعظم عتوهم واستكبارهم فعموا فلم يهتدوا بالقرآن فسيقولون ﴿هذا إفك قديم﴾ وقد قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ومعنى إفك قديم كذب أفكه غير محمد وعثر عليه فهو يقول به ما أفسد هذا القول وما أقبحه وأقبح قائله.

وقوله تعالى ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة﴾ أي ومن قبل القرآن الذي أنكر المشركون نزوله كتاب موسى التوراة وقد أنزلناه عليه إماما يؤتم به فيقود المؤمنين به العاملين بهدايته إلى السعادة والكمال وأنزلنا اليوم القرآن هدى ورحمة وبشرى للمحسنين. وهو ما دل عليه قوله وهذا كتاب مصدق لما قبله من الكتب لسانا عربيا أي أنزلناه لسانا عربيا لينذر به رسولنا المنزل عليه

(١) لاجبة إلى أن نقول الشاهد هو موسى عليه السلام بحجة أن السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بعد الهجرة، إذ من الجائز أن تكون السورة مكية والآيات مدنية، وهو الحق في هذه والله أعلم.

(٢) الجملة تعليلية لما هو محذوف في الكلام وهو: ضللتكم ضلالا لا يرجى لكم هداية بعده، لأن الله لا يهدي القوم الظالمين.

(٣) اللام تعليلية أي: قالوا ما قالوه لأجل الذين آمنوا حتى يردوا دعوتهم ولا يقبلوا الإسلام.

(٤) ضمير (سبقونا) عائد إلى غير مذكور وأرادوا به المستضعفين مثل بلال وعمار ووالده وسمية وزينة على وزن شرير، وسكير: أمة رومية كانت من السابقات إلى الإسلام.

(٥) المضارع هنا مراد به سيديمون قولهم هذا كلما أرادوا رد القرآن: قالوا هذا إفك قديم.

(٦) كلمة (لسانا) فيها إيماء إلى أنه عربي اللغة لا الأخلاق والعادات العربية والأحكام القبلية لأنها فسدت بالشرك وانقطاع الوحي وموت العلماء قروناً عديدة.

(١) وهو محمد ﷺ لينذر به الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذاب الله المترتب على تدسية النفوس بأوضاع الشرك والمعاصي وهو بُشْرَى للمحسنين من المؤمنين الذين أحسنوا النية والعمل بالفوز العظيم يوم القيامة وهو النجاة من النار ودخول الجنة وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢) بعد أن ذكر تعالى المبطلين وباطلهم عَقَبَ على ذلك بذكر المحسنين وأعمالهم على نهج التهيب والترغيب فأخبر تعالى أن الذين قالوا ربنا الله أي آمنوا وصرحوا بإيمانهم وجأهروا به ثم استقاموا على منهج لا إله إلا الله فعبدوا الله بما شرع وتركوا عبادة غيره حتى ماتوا على ذلك هؤلاء يخبر تعالى عنهم أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة فهم آمنون في الحيات الثلاث، وبشرهم بالجنة فأخبر أنهم أصحابها الخالدون فيها، وأشار إلى أن ذلك الفوز والبشرى كانا نتيجة أعمالهم في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح الذين دل عليها قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- اعتبار الشهادة وانها أداة يتوصل بها إلى احقاق الحق وابطال الباطل فلذا يشترط عدالة صاحبها والعدالة هي اجتناب الكبائر واتقاء الصغائر غالباً.
- ٢- تقرير قاعدة من جهل شيئاً عاداه، إذ المشركون لما لم يهتدوا بالقرآن قالوا هذا إفك قديم :
- ٣- بيان تأخري وتلاقي الكتابين التوراة والقرآن فشهادة أحدهما للآخر أثبتت صحته .
- ٤- وجوب تعلم العربية لمن أراد أن يحمل رسالة الدعوة المحمدية فينذر ويبشر .
- ٥- فضل الاستقامة حتى قيل انها خير من ألف كرامة ، والاستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلك القرآن وبينت السنة .

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ

(١) قرأ نافع (لتنذر) بالتاء الفوقية خطاب للرسول ﷺ وقرأ حفص (لينذر) بالياء أي : القرآن .
(٢) ثم للتأخي الرتبى ، إذ الإيمان يحصل بالنظر والتأمل دفعة واحدة وأما الاستقامة فتحتاج إلى مراقبة النفس وذكر الوعد والوعيد في كل طاعة من فعل أو ترك .
(٣) روى مسلم والترمذي وغيرهما عن عبدالله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ (قل آمنت بالله ثم استقم) .

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ووصينا الانسان بوالديه : أي أمرناه أمراً مؤكداً بالإيصاء .

إحساناً^(١) : أي أن يُحسن بهما إحساناً وهو المعاملة بالحسنى .

حملته أمه كرها ووضعته كرها : أي حملته أثناء حملها في بطنها على مشقة وولده كذلك على مشقة .

وحمله وفصاله ثلاثون شهرا : أي مدة حملها في بطنها وفطامه من الرضاع ثلاثون شهرا .

حتى إذا بلغ أشده : أي اكتمال قوته البدنية والعقلية وهي من الثلاث والثلاثين فما فوق .

رب أوزعني أن أشكر نعمتك : أي ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك بصرفها فيما تحب .

وأن أعمل صالحا ترضاه : أي وبأن أعمل صالحا ترضاه مني أي تقبله عني .

ونتجاوز عن سيئاتهم : أي فلا نؤاخذهم بها بل نغفرها .

في أصحاب الجنة : أي في جملة أصحاب الجنة وعدادهم .

وعد الصادق الذي كانوا يوعدون : أي في مثل قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات

تجري من تحتها الأنهار الآية .

معنى الآيات :

إن الفرد كالجماعة فقد أوصى تعالى الإنسان بالإحسان بوالديه وبيرهما في جميع كتبه وعلى السنة كافة رسله ، والإنسان بعد ذلك قد يحسن وبراً وقد يسيء ويَعُوقُ ، فكَذلك الجماعة والأمة من الناس يرسل إليهم الرسول فمنهم من يؤمن ومنهم من يكذب ، ومنهم من يتابع ومنهم من يخالف فلما ذكر تعالى اختلاف قوم النبي ﷺ في الإيمان بما جاء به ، والكفر به ذكر أن هذه حال

(١) قرأ نافع (حسناً) و (كرهاً) بفتح الكاف ، وقرأ حفص (إحساناً) و (كرهاً) بضم الكاف .

الإنسان فقال تعالى ﴿ووصينا الإنسان﴾ أي جنس الإنسان أي أمرناه بما هو آكد من الأمر وهو الوصية بالديه أي أمه وأبيه إحسانا بهما وذلك بكف الأذى عنهما وإيصال الخير بهما وطاعتهما في المعروف وبرهما أيضا بعد موتهما. فمن الناس من ينفذ هذه الوصية ومنهم من يهملها ولا ينفذها وقوله، حملته أمه كرها ووضعته كرها بيان لوجوب الإحسان بهما وبرهما إذ معاناة الأم وتحملها مشقة الحمل تسعة أشهر ومشقة الوضع وهي مشقة لا يعرفها إلا من قاسى آلامها كالأمهات. وقوله ﴿وحمله﴾ وفصاله ثلاثون شهرا^(١) بيان لمدة تحمل المشقة إنها ثلاثون شهرا بعضها للحمل وبعضها للإرضاع والتربية وقوله تعالى حتى إذا بلغ أي عاش حتى إذا بلغ أشده أي اكتمال قواه البدنية والعقلية وذلك من ثلاث وثلاثين سنة إلى الأربعين وبلغ أربعين سنة قال أي الإنسان البار بالديه المنفذ للوصية الإلهية كأبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ بلغ الأربعين من عمره بعد البعثة المحمدية بستين. ﴿قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ﴾^(٢) وهي نعمة الإيمان والتوحيد والإسلام عليّ وعلى والديّ إذ آمن وآمن أبواه أبو قحافة عثمان بن عامر التيمي وآمنت أمه أم الخير سلمى، وأولاده عامة من بنين وبنات ولم يحصل لأحد من الصحابة أن سأل ربه أن يدفعه دفعا إلهاميا وتوفيقا ربانيا لأن يشكر نعمة الله عليه وعلي والديه بالإسلام، وأن يدفعه كذلك إلى العمل الصالح الذي يرضاه الله ويتقبله عن صاحبه، وقد استجاب له ربه فأعتق تسعة أعبد مؤمنين من استرقاق الكافرين لهم منهم بلال رضي الله عنه، وقوله ﴿واصلح لي في ذريتي﴾ أي اجعل الصلاح ساريا في ذريتي حتى يشملهم جميعا وقد استجاب الله تعالى له فأمن أولاده أجمعون ذكورا وإناثا، وقوله ﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ هذا توسل منه رضي الله عنه لقبول دعائه فقد توسل إلى ربه بالتوبة من الشرك والكفر إلى الإيمان والتوحيد، وبالإسلام إلى الله وهو الخضوع لله والانقياد لأمره ونهيه. وقوله تعالى ﴿أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم﴾ فلا يؤاخذهم بها بعد توبتهم منها في جملة أصحاب الجنة إذ لا يدخل الجنة أحد إلا بعد مغفرة ذنبه، وقوله ﴿وعد الصدق﴾^(٣)

(١) روي من عدة طرق أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) وحمله وفصاله ثلاثون شهرا هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى من سورة البقرة: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) دلّنا على أن أقل مدة الحمل: ستة أشهر، فلا يثبت الحمل بأقل من ستة أشهر ويثبت بالسبعة والثمانية والتسعة، فمن بنى بامرأة وولدت قبل ستة أشهر من البناء بها فالولد لا يلحق الزوج.

(٣) لم يخص الدعاء للوالدين في هذا الوقت بالذات؟ لأنه وقت يصبح فيه الولد مشغولا بزوجة وأولاد وتكاليف فهو في هذه الحال أحوج ما يكون إلى عون الله تعالى على بر والديه.

(٤) من بركة صلاح الذرية أن يدعو الولد لوالده بعد موته ففي صحيح الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له).

(٥) قرأ نافع: (يتقبل) (ويتجاوز) بالبناء للمفعول، (وأحسن) مرفوع نائب فاعل، وقرأ حفص بنون المتكلم فيهما ونصب (أحسن) على أنه مفعول به.

(٦) الوعد: مصدر بمعنى المفعول كالرد بمعنى المردود.

أي أنجز لهم هذا لأنه وعد صدق وعدهم فأنجزه لهم ، وقوله ﴿الذين كانوا يوعدون في الكتاب﴾ مثل قوله تعالى ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ الآية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب البر بالوالدين بطاعتهما في المعروف والإحسان بهما بعد كف الأذى عنهما .
- ٢- الإشارة إلى أن مدة الحمل قد تكون ستة أشهر فأكثر ، وأن الرضاع قد يكون حولين فأقل .
- ٣- جواز التوسل بالتوبة إلى الله والانقياد له بالطاعة .
- ٤- فضيلة آل أبي بكر الصديق على غيرهم من سائر الصحابة ما عدا آل بيت رسول الله ﷺ .
- ٥- بشارة الصديق وأسرته بالجنة ، إذ آمنوا كلهم وأسلموا أجمعين وماتوا على ذلك .

وَالَّذِي قَالَ

لَوْلَدَيْهِ أَفِي لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبَتْكُمْ
فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

والذي قال لوالديه : الذي اسم موصول استعمل استعمال الجنس فدل على متعدد
بدليل الخبر عنه وهو أولئك الذين حق عليهم القول .

أفٍ لكما

: أي نتناً وقبحاً لكما .

أن أخرج

: أي من القبر حياً بعد موتي .

وقد خلت القرون

: أي مضت الأمم قبلي ولم يخرج منها أحد من قبره .

وهما يستغيثان الله : أي يطلبان الغوث برجوع ولدهما إلى الإيمان بعد الإلحاد والكفر .

ويلك آمن

: أي يقولان له إن لم ترجع ويلك أي هلاكك أي هلكت آمن

بالبعث .

إن وعد الله حق

: وقد وعد العباد بالرجوع إليه ومحاسبتهم على أعمالهم

ومجازاتهم بها .

فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين : أي ما القول بوجود بعث للناس أحياء بعد الموت إلا أكاذيب الأولين .

أولئك الذين حق عليهم القول : أي وجب عليهم القول بالعذاب يوم القيامة .

في أمم قد خلت من قبلهم : أي في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس .

ولكل درجات مما عملوا : أي ولكل من المؤمنين البارين ، والكافرين الفاجرين درجات

مما عملوا درجات المؤمنين في الجنة ودرجات الكفار في النار .

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا : أي يقال لهم أذهبتم طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا .

واستمعتم بها : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا .

فالיום تجزون عذاب الهون : أي جزاؤكم عذاب الهوان .

بما كنتم تستكبرون في الأرض : أي تتكبرون في الأرض .

بغير الحق : أي إذ لا حق لكم في الكبر والكبرياء لله ، ولم يأذن لكم فيه .

وبما كنتم تفسقون : أي تخرجون عن طاعة الله ورسوله .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الرجل المؤمن وأعماله الصالحة ومواقفه المشرفة ذكر هنا الرجل الكافر وأعماله الباطلة ومواقفه السيئة وذلك من باب الدعوة إليه تعالى بالترغيب والترهيب فقال تعالى ﴿والذي^(١)

(١) قيل : إن هذه الآية نزلت في أحد ابني أبي بكر الصديق عبدالرحمن أو عبدالله وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك ، ومن قال به رد اسم الإشارة (أولئك الذين حق عليهم القول . .) إلى من طالب الولد بإحيائهم ممن ماتوا على الشرك لأن كلا من عبدالله وعبدالرحمن قد أسلم وحسن إسلامه استجابة الله دعوة أبي بكر .

قال لوالديه أفٍ لكمّا أنعداني^(١) أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ﴿ يخبر تعالى عن أخبث إنسان هو ذاك الملحد العاق لوالديه المنكر للبعث والجزاء إذ قال لوالديه أمه وأبيه أفٍ لكمّا أي تنناً وقبحاً لكمّا أنعداني بأن أخرج من قبري حياً بعد ما مت ، وقد مضت أمم وشعوب قبلي ، وما خرج منها أحد من قبره فكيف تعداني أنتما ذلك إن هذا لتخلف عقلي وتأخر حضاري وقوله تعالى ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ أي والداه يستغيثان الله ويستصرخانه طلباً لإغاثتهما بهداية ولدهما الملحد الشيوعي ، ويقولان للولد ويلك أي هلاكك حضري يا ولد هلكت آمن بالبعث والجزاء وصلّ وصمّ واترك الزنا والخمر ويلك إن وعد الله حق أي إن ما وعد الله به عباده من إحيائهم للحشر والحساب والجزاء حق فلا يتخلف أبداً فيرد عليهما الولد الملحد الدهري بما أخبر تعالى به عنه في قوله فيقول ﴿ ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي أكاذيبهم التي كانوا يعيشون عليها ويقصونها في مجالسهم ، وبما أن الذي قال لوالديه لفظه مفرد ولكنه دال على جنس كان الخبر جمعاً فقال تعالى في الإخبار عنهم ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول ﴾ أي القول بالعذاب الدال عليه قوله تعالى ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، وفي قوله ﴿ في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ أي في جملة أمم سبقتهم في الإلحاد والكفر من العالمين عالم الجن وعالم الإنس وقوله ﴿ إنهم كانوا خاسرين ﴾ وأي خسران أعظم من عبد يخسر نفسه وأهله ويعش في جهنم خالداً فيها أبداً . وقوله تعالى ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ أي ولكل من المؤمنين البارين والكافرين العاقين درجات مما عملوا من خير أو شر إلا أن درجات المؤمنين في الجنة تذهب في علو متزايد ودرجات الكافرين في النار تذهب في سفل متزايد إلى أسفل سافلين . وقوله تعالى ﴿ وليوفيهم أعمالهم ﴾ كاملة غير منقوصة الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وهم لا يظلمون بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة . وقوله تعالى ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ أي أذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين يوم يعرضون على النار ويقال لهم في توبيخ وتقريع ﴿ أذهبتم

(١) (أنعداني) الاستفهام للإنكار والتعجب .

(٢) (أن أخرج) أي : من قبري حياً بعد موتي وفنائي ، إنكاراً منه للبعث الآخر .

(٣) وقد أجاب الله دعاء أبي بكر وزوجه أم رمان حيث أسلم ابنهما رضي الله عنهم أجمعين .

(٤) (أساطير الأولين) أي : أحاديثهم وما سطروه مما لا أصل له .

(٥) الإشارة هنا إلى أولئك الذين ذكرهم ابن أبي بكر كعبدالله بن جدعان وعثمان بن عمرو ومشايخ قريش فقال ابن فلان وأين فلان إنكاراً منه للحياة بعد الموت .

(٦) خسروا أعمالهم حيث ضاع سعيهم في الحياة الدنيا وخسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة .

(٧) (ولكل) التنوين عوض أي : لكل من الفريقين المؤمنين والكافرين الأبرار والفجار درجات مما عملوا ، وهي مراتبهم التي لهم في الجنة أو في النار .

(٨) قرأ الجمهور (وليوفيهم) بالنون وقرأ حفص (وليوفيهم) بالياء .

طبياتكم في حياتكم الدنيا ﴿ أي باقبالكم على الشهوات والملاذ ناسين الدار الآخرة فاستمتعتم بكل الطيبات ولم تبقوا للآخرة شيئاً ﴾ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴿ أي الهوان ﴾ ﴿ بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ إذ لا حق لكم في الكبر لضعفكم وعجزكم إنما الكبرياء لله الملك الحق أما أنتم فقد ظلمتم باستكباركم عن الإيمان بربكم ولقائه وعن طاعته ﴿ وبما كنتم تفسقون ﴾ أي وبفسقكم عن طاعة ربكم وطاعة رسوله . إذا فادخلوا جهنم داخرين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر .
- ٢- بيان حنان الوالدين وحبهما لولدهما وبذل كل ما يقدران عليه من أجل إسعاده وهدايته .
- ٣- التحذير من الانغماس في الملاذ والشهوات والاستمتاع .
- ٤- التحذير من الكبر والفسق وأن الكبر من أعمال القلوب والفسق من أعمال الجوارح .
- ٥- مدى فهم السلف الصالح لهذه الآية ﴿ أذهبتم طبياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . (١) قرأ يزيد حتى بلغ ﴾ ﴿ وبما كنتم تفسقون ﴾ ثم قال تعلمون والله إن أقواما يستطعون حسناتهم (٢) استبقى رجل طبياته إن استطاع ولا قوة إلا بالله .
- (٢) روي أن عمر بن الخطاب كان يقول لو شئت لكنت أطيحكم طعاما وألينكم لباسا ، ولكن استبقي طبياتي .

وذكر أنه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله ، قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال له خالد بن الوليد لهم الجنة ، فاغوررت عينا عمر رضي الله عنه وقال لئن كان حظنا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا .

﴿ وَأَذْكُرُ أَخَعَادِي إِذْ أَنْذَرْتُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ ۚ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَفَكَّرَ عَنْ إِلَهِنَا فَأَنَّا بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ وَلَكِنِّي أَرَى كُفْرَكُمْ قَوْمًا بَٰتِلُونَ ﴿٢٣﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

واذكر أئحاع : أي نبي الله هوذا عليه السلام .
 إذ أنذر قومہ بالأحقاف : أي خوف قومہ عذاب الله بوادي الأحقاف .
 وقد خلت النذر : أي مضت الرسل .
 من بين يديه ومن خلفه : أي من قبله ومن بعده إلى أممهم .
 ألا تعبدوا إلا الله : أي أنذروهم بأن لا يعبدوا إلا الله .
 إني أخاف عليكم : أي إن عبدتم غير الله .
 عذاب يوم عظيم : أي هائل بسبب شرككم بالله وكفركم برسالتي .
 أجتئنا لتأفكنا عن آلهتنا : أي لتصرفنا عن عبادتها .
 فأتنا بما تعدنا : أي من العذاب على عبادتها .
 إن كنت من الصادقين : أي في انه يأتينا قطعاً كما تقول .
 قال إنما العلم عند الله : أي علم مجيء العذاب ليس لي وإنما هو لله وحده .
 وأبلغكم ما أرسلت به إليكم : أي وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم .
 ولكني أراكم قوما تجهلون : أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإسعاد والكمال وإلا
 كيف تستعجلون العذاب مطالبين به .
 فلما رأوه عارضاً : أي رأوا العذاب سحاباً يعرض في الأفق .
 مستقبل أوديتهم : أي متجها نحو أوديتهم التي فيها مزارعهم .
 قالوا هذا عارض ممطرنا : أي قالوا مشيرين إلى السحاب هذا عارض ممطرنا .
 بل هو ما استعجلتم به : أي ليس هو بالعارض الممطر بل العذاب الذي استعجلتموه .
 ريح تدمر كل شيء : أي ريح عاتية تهلك كل شيء تمر به .
 بأمر ربها : أي بإذن ربها تعالى .

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم : أي أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق إلا مساكنهم .
كذلك نجزي القوم المجرمين : أي كذلك الجزاء الذي جازينا به عاداً قوم هود وهو الهلاك
الشامل نجزي المجرمين من سائر الأمم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قوم النبي محمد ﷺ فقال تعالى ﴿واذكر﴾ أي لقومك
للعبرة والاعتاظ ﴿أخا عاد﴾ وهو هود عليه السلام والأخوة هنا أخوة نسب لا دين . اذكره ﴿إذ أنذر
قومه بالأحقاف﴾ إذ خوفهم عذاب الله إن لم يتوبوا إلى الله ويوحده، والأحقاف وادي القوم^(١)
الذي به مزارعهم ومنازلهم وهو ما بين حضرموت ومهرة وعُمان جنوب الجزيرة العربية . وقوله
﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ أي وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده في أممهم .
أي لم يكن هود أول نذير، ولا أمته أول أمة انذرت العذاب وقوله ﴿الّا تعبدوا إلا الله﴾ أي كل
رسول أنذر أمته عاقبة الشرك فأمرهم أن لا يعبدوا إلا الله، وهو معنى لا إله إلا الله التي دعا إليها
محمد ﷺ أمته فهي أمر بعبادة الله وترك الشرك فيها، وقوله ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾
يوم هائل عظيم وهو يوم القيامة، فكان رد القوم ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أجئنا لثأفكنا﴾
أي تصرفنا عن عبادة آلهتنا ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما^(٢)
توعدنا به وتهددنا، فأجابهم هود عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه بقوله ﴿قال﴾ أي هود ﴿إنما
العلم عند الله﴾ أي علم مجيء العذاب وتحديد وقته هذا ليس لي وإنما هو الله منزله، فمهمتي^(٣)
أن أنذركم العذاب قبل حلوله بكم وابلغكم ما أرسلت به إليكم من الأمر بالتوحيد والنهي عن
الشرك والمعاصي، ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ أي بما يضركم وما ينفعكم في الدنيا والآخرة^(٤)
وإلا كيف تستعجلون العذاب وتطالبون به إذ المفروض أن تطلبوا الرحمة والسعادة لا العذاب
والشقاء قوله تعالى ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ أي فلما رأى قوم هود العذاب متجهاً^(٥)

(١) الأحقاف : جمع حقف بكسر وسكون : الرمل العظيم المستطيل .

(٢) وجائز أن تكون (النذر) جمع نذارة، وكونها الرسل هو الذي عليه المفسرون .

(٣) الاستفهام إنكاري والإفك، بفتح الهزة الصرف، وبالكسر الكذب أو أسوأه .

(٤) جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدمه وهو : (فأتنا بما تعدنا) ولفظ الصادقين، أبلغ في الوصف مما لو قالوا، إن كنت صادقاً .

(٥) (ال) في (العلم) للاستغراق العرفي أي : علم كل شيء، ومنه علم وقت مجيء العذاب .

(٦) أي : تجهلون صفات الله تعالى وحكمة إرسال الرسل، وتجهلون حتى ما ينفعكم وما يضركم وإلا فكيف تطلبون بالعذاب، كما في التفسير .

(٧) الفاء هنا : للتفريع فما ذكر بعدها متفرع عما تقدمها من قصة هود مع قوم .

نحو أوديتهم التي بها مزارعهم ومنازلهم ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾^(١) أي هذا سحب يعرض في السماء ذاهباً صوب وادينا ليسقينا، وهو معنى قوله ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ أي ممطر أراضي المصابة بالجفاف الشديد. قال تعالى ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ أي ليس بالسحاب الممطر بل هو العذاب الذي طالبتهم به لجهلكم وخفة أحلامكم، ويئنه بقوله ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ أي تحمل في ثناياها العذاب الموجع، تدمر كل شيء، تمر به فتهلكه ﴿بأمر ربها﴾ أي بإذنه وقد أتت عليهم عن آخرهم ولم ينج إلا هود والذين آمنوا معه برحمة من الله خاصة، ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾ أي لا يرى الرائي إذا نظر إليهم إلا مساكنهم خالية ما بها أحد. قال تعالى ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾^(٢) أي كهذا الجزاء بالدمار والهلاك نجزي المجرمين أي المفسدين أنفسهم بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان سنة الله في الأمم في إرسال الرسل إليهم
- ٢- وبيان مهمة الرسل وهي النذارة والبلاغ.
- ٣- بيان سفه وجهل الأمم التي تطالب بالعذاب وتستعجل به.
- ٤- بيان أن عاداً أهلك بالريح الدبور، وأن نبينا محمد ﷺ نصر بريح الصبا كما في الحديث الصحيح.
- ٥- بيان سنة الله تعالى في إهلاك المجرمين وهم الذين يصرون على الشرك والمعاصي.

وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ

(١) العارض: السحاب الذي يعترض جو السماء، والاستقبال التوجه نحو الشيء ليكون قبالة.
(٢) قرأ الجمهور ومنهم نافع: (لا ترى) بالشاء المفتوحة، وقرأ حفص وغيره (لا يرى) بالياء والبناء للمجهول، والمراد بالمساكن: آثارها وبعض الجدران الشاحصة منها.
(٣) في الآية دليل على إفساد الأجرام وأنه سبب كل هلاك، وحقيقته: أنه إفساد الروح بالشرك والمعاصي فعلا وتركاً.

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۚ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه : أي ولقد مكننا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من مثلها .

وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً : وجعلنا لهم أسماعاً وأبصاراً .
 فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفندتهم من شيء : أي من الإغناء .
 إذ كانوا يجحدون بآيات الله : أي لعله هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البينة .
 وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به .
 ولقد أهلكنا ما حولكم من : أي من أهل القرى كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين .
 القرى

وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون : أي كررنا الحجج وضررنا الأمثال ونوعنا الأساليب لعلهم يرجعون إلى الحق فيؤمنون ويوحدون .
 فلولا نصرهم الذين اتخذوا من : أي فهلا نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين اتخذوهم من دون الله قرباناً آلهة : دون الله آلهة يتقربون بهم إلى الله في زعمهم .
 بل ضلوا عنهم : أي غابوا عنهم عند نزول العذاب .
 وذلك إفكهم وما كانوا يفترون : أي خذلان آلهتهم لهم وعدم نصرتهم لهم بل غيابهم عنهم هو إفكهم وافتراؤهم الذي كانوا يفترونه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في مطلب هداية قريش انه لما قص تعالى عليهم قصة عاد وتجلت فيها عظات كثيرة وعبرة كبيرة قال لهم ﴿ولقد مكناهم﴾^(١) أي قوم عاد مكناهم في الأرض فأعطيناهم من مظاهر

(١) الجملة في محل نصب على الحال من واو الجماعة في قوله : (قالوا أجتنا) والكلام مستعمل في التعجب من عدم انتفاعهم بمواهب عقولهم .

(١) ﴿فَإِن مَّكُنَّا فِيهِ﴾ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً أَي قُلُوباً
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ أَي أَسْمَاعُهُمْ وَلَا أَبْصَارَهُمْ وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْإِغْنَاءِ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ أَي بِحُجُجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجوب تَوْحِيدِهِ وَحَاقَ أَي نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ
الَّذِي كَانُوا إِذَا خَوْفُوا بِهِ وَأَنْذَرُوا اسْتَهْزَأُوا وَسَخَرُوا وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ
الْقُرَى﴾ كَعَادَ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطَ وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ وَقَوْلُهُ ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ أَي وَكْرَرْنَا الْحُجُجَ
وَضَرَبْنَا الْأَمْثَالَ وَنَوَعْنَا الْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي انصَرَفُوا عَنْهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ
وَالِاسْتِقَامَةُ فَأَبَوْا إِلَّا الْإِصْرَارَ عَلَى الشُّرْكِ وَالْبَاطِلِ فَأَهْلَكْنَاهُمْ. (٢) فَلَوْلَا أَي فَهَلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً يَنْتَقِرُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ فِي زَعْمِهِمُ وَالْجَوَابُ مَا نَصَرُوهُمْ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
أَي غَابُوا فَلَمْ يَعْتَرَوْهُمْ عَلَيْهِمُ بِالْكَلِمَةِ. قَالَ تَعَالَى ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أَي ذَلِكَ الَّذِي
تَمَّ لَهُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْعَذَابِ هُوَ إِفْكُهُمْ أَي كَذِبُهُمْ وَافْتَرَاؤُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَعِيشُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ
هَلَاكِهِمْ.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق عن أمر الله ، والاستمرار على الخروج
على طاعته إذا استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته
ولا علوه وتطاوله .

٢- بيان أن الآيات والحجج وضرب الأمثال وسوق العبر والعظات لا تنفع في هداية العبد ، إذا
لم يرد الله هدايته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ﴾ ويحقيق به العذاب ويهلكه جزاء تكذيبه وكفره
وإعراضه وفسقه .

(١) ﴿فَإِن مَّكُنَّا فِيهِ﴾ (ما) موصولة (وإن) نافية عدولا عن النفي بما حتى تجتمع ميمان ، الموصولة والنافية ارتقاء في
الأسلوب .

(٢) التمكن : إعطاء المكنة : بفتح الميم وكسر الكاف وهي : القدرة والقوة ، يقال : مكن من كذا وتمكن إذا قدر عليه ،
ومكنه أقدره عليه .

(٣) أصل لولا إذا دخلت على الجملة الفعلية كانت للتخفيض على تحصيل ذلك الفعل فإذا كان الفاعل غير المخاطب
بالكلام كانت للتوبيخ ، إذ لا طائل في تخفيض المخاطب على فعل غيره ، والإتيان بالموصول لما في الصلة من التنبيه
على الخطأ والغلط في عبادة الأصنام التي لم تغن عنهم شيئاً كقول الشاعر :

إن الذين ترونهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

(٤) الكلام تضمن التوبيخ للأمم الهالكة على شركهم وعنادهم لرسلهم تعريضاً بقريش المصرة على الخطأ نفسه الذي
هلكت به الأمم المجاورة لها لعلهم يتذكرون فيتوبون .

(٥) (وذلك إفكهم) هذه فدلالة قوله تعالى : (فلولا نصرهم الذين اتخذوا) الخ والإشارة إلى ما تضمنه قوله : اتخذوا من دون
الله قرباناً آلِهَةً والافتراء نوع من الكذب كابتكار الأخبار الكاذبة ، ويرادف الاختلاق .

٣- بيان غياب الشركاء من الأنداد التي كانت تعبد عن عابديها فضلاً عن نصرتها لهم وذلك الخذلان هو جزاء كذبهم وافتراءهم في الحياة الدنيا.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ
 ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ
 مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
 ﴿٣٠﴾ يَتَقَوْمَنَا أَحْيُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ
 ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ
 فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن : أي واذكر إذ أملنا إليك نفراً من الجن جن نصيبين أو نينوي .
 فلما حضروه قالوا انصتوا : أي حضروا سماع القرآن قالوا أي بعضهم لبعض أصغوا
 لاستماع القرآن .

فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين : أي فرغ من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوفين
 لهم من العذاب .

مصدقاً لما بين يديه : أي من الكتب السابقة كالتوراة والانجيل والزبور وغيرها .

يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم : أي من العقائد في الشرائع والاسلام .

ويجركم من عذاب أليم : أي ويحفظكم هو عذاب يوم القيامة .

فليس بمعجز في الأرض : أي فليس بمعجز الله هرباً منه فيفوته .

أولئك في ضلال مبين : أي الذين لم يجيبوا داعي الله وهو محمد ﷺ إلى الإيمان .

: أي في ضلال عن طريق الإسعاد والكمال ظاهر بين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قوم النبي ﷺ إنه بعد أن ذكرهم بعاد وما أصابها من دمار وهلاك نتيجة شركها وكفرها وإصرارها على ذلك فقال تعالى ﴿واذكر أخا عاد﴾ إلى آخر الآيات ذكرهم هنا بما هو تقرير لهم وتوبيخ إذ أراهم أن الجن خير منهم لسرعة استجابتهم للدعوة والقيام بتبليغها فقال تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ أي اذكر لقومك من كفار مكة وغيرها إذ صرفنا إليك نفراً من الجن وهم عدد ما بين السبعة إلى التسعة من جن نصيبين وكانوا من أشرف الجن وسادتهم صرفناهم إليك أي أملناهم إليك وأنت تقرأ في صلاة الصبح ببطن نخلة بين مكة والطائف صرفناهم إليك يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي أصغوا واستمعوا ولا تشوشوا، قاله بعضهم لبعض، فلما قضى أي القرآن فرغ منه، ولما إلى قومهم أي رجعوا إلى قومهم من الجن بنصيبين وبنينوي منذرين إياهم أي مخوفينهم من عذاب الله إذا استمروا على الشرك والمعاصي فماذا قالوا لهم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى^(١) وهو القرآن مصداقاً لما بين يديه أي من الكتب الإلهية التي سبق نزولها كصحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل، ووصفوا القرآن بما يلي يهدي إلى الحق والصواب في كل شيء، اختلف فيه الناس من العقائد والديانات والأحكام، ويهدي إلى صراط مستقيم أي طريق قاصد غير جور ألا وهو الإسلام دين الأنبياء عامة^(٢)

وقالوا مبلغين منذرين ﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله﴾ وهو محمد رسول الله ﷺ ﴿وآمنوا به﴾ أجيئوه إلى ما يدعوا إليه من توحيد الله وطاعته وآمنوا بعموم رسالته وبكل ما جاء به من الهدى ودين الحق ويكون جزاؤكم على ذلك أن ﴿يعفو لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم﴾ أي يغفر لكم الذنوب التي بينكم وبين الله تعالى بسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها، وأما الذنوب التي بينكم وبين بعضكم بعضاً فإنها لا تغفر إلا من قبل المظلوم نفسه باستسماعه أو رد الحق إليه، وقوله

(١) الجملة معطوفة على قوله (واذكر أخا عاد) وإن طلبت المناسبة بين هذه الآيات وما تقدمها في السورة فهي قوله تعالى (وأولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين).

(٢) النفر: العدد دون العشرين.

(٣) (أنصتوا) أمر بتوجيه الأسماع إلى الكلام اهتماماً به لثلا يفوت منه شيء وفي الحديث: (أن النبي ﷺ أمر جابراً في حجة الوداع فقال له: استنصت الناس) قبل أن يبدأ خطبته ﷺ.

(٤) جملة: (قالوا يا قومنا) الخ مبنية لقوله تعالى: (منذرين).

(٥) ظاهر الآية أنهم كانوا يهوداً مؤمنين بموسى ولم يكونوا على دين عيسى عليه السلام.

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: استجاب لهم سبعون رجلاً من قومهم فأتوا النبي ﷺ فوافقوه بالبطحاء «مكة» فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم.

ويجركم من عذاب أليم أي ويحفظكم منقذاً لكم من عذاب أليم أي ذي ألم موجع وهو عذاب النار، ثم قالوا: ﴿ومن لا يجب داعي الله﴾ أي لم يستجب لنداء محمد فيؤمن به ويوحّد الله تعالى فليس بمعجز في الأرض أي لله بل الله غالب على أمره ومهما حاول الهرب فإن الله مدرّكه لا محالة ﴿وليس له من دون الله أولياء﴾ يتولون أمره ولا أنصار ينصرونه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي المذكورون في هذا السياق ممن لم يجيبوا داعي الله محمد ﷺ ﴿في ضلال مبين﴾ أي في عمى وغواية بين أمرهم واضح لا يستره شيء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- إثبات عالم الجن وتقريره في هذا السياق ولذا كان إنكار الجن كإنكار الملائكة كفراً.
- ٢- وجوب التأدب عند تلاوة القرآن بالإصغاء التام.
- ٣- وجوب البلاغ عن رسول الله ﷺ وفي الحديث بلغوا عني ولو آية.
- ٤- الإعراض عن دين الله يوجب الخذلان والحرمان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ مَخْلَقَهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَىٰ
إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِغٌ فَبَلِّغْ يٰمُحَمَّدُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾

(١) اختلف في: هل مؤمنوا الجن يدخلون الجنة أو لا؟ فذهب أبو حنيفة والحسن البصري قبله إلى أن ثوابهم أن ينجوا من النار فقط ثم يكونون تراباً كسائر الحيوان، وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى أنهم يدخلون الجنة، وحجة المانعين من دخولهم الجنة هذه الآية ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ ودليل من قال بدخولهم الجنة قوله تعالى في هذه السورة ﴿لكل درجات مما عملوا﴾.

شرح الكلمات :

ولم يعنى بخلقهن : أي لم يتعب ولم ينصب لخلق السموات والأرض .
بقادر على أن يحيى الموتى بلى : أي انه قادر على إحياء الموتى وإخراجهم أحياء من قبورهم
للحشر .

ويوم يعرض الذين كفروا على النار : أي ليعذبوا فيها .

أليس هذا بالحق : أي يقال لهم تقريباً : أليس هذا أي العذاب بحق ؟ .

قالوا بلى وربنا : أي انه لحق وربنا حلفوا بالله تأكيداً لخبرهم .

فاصبر : أي يارسلنا محمد على أذى قومك .

أولوا العزم : أي أصحاب الحزم والصبر والعزم وهم نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم وهم أصحاب

الشرائع .

ولا تستعجل لهم : أي ولا تستعجل نزول العذاب لأجلهم .

كأنهم يوم يرون العذاب : أي في الآخرة .

لم يلبثوا إلا ساعة : أي لم يقيموا في الدنيا إلا ساعة من نهار وذلك لطول

العذاب .

بلاغ : أي هذا القرآن بلاغ للناس أي تبليغ لهم .

هل يهلك إلا القوم الفاسقون : أي ما يهلك إلا القوم التاركون لأمر الله المعرضون عنه

الخارجون عن طاعته .

معنى الآيات :

ما زال السياق في مطلب هداية قريش الكافرة بالتوحيد المكذبة بالبعث والنبوة فقال تعالى ﴿أو لم يروا﴾ أي أعموا ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ إنشاء وإبداعاً من غير مثال سابق ﴿ولم يعي﴾ أي ينصب ويتعب ﴿بخلقهن﴾ أي السموات والأرض بقادر على أن يحيى الموتى لحشرهم إليه ومحاسبتهم ومجازاتهم بحسب أعمالهم في الدنيا الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ وقوله تعالى ﴿يوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ لما أثبت البعث وفرره ذكر بعض ما يكون فيه فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي تعرضهم الزبانية على النار فيقولون لهم

(١) الاستفهام إنكاري ، وجوابه قوله تعالى : ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ .

(٢) عني كرضي وعني كيرضى وهو : العجز في الحيلة والرأي وأما الإعياء بمعنى التعب ففعله : أعيا يعي إعياء إذا تعب ، وجائز أن يكون عني بمعنى نصب وتعيب .

(٣) أظهر في موضع الإضمار للإشارة إلى علة الحكم وهي : الكفر تحذيراً منه .

تقريباً وتوبيخاً ﴿أليس هذا بالحق؟﴾^(١) أي أليس هذا التعذيب بحق؟ فيقولون مقسمين على ثبوته بما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فلما اعترفوا قيل لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب كفركم أي جحودكم لتوحيد الله ولقائه. ثم أمر تعالى رسوله أن يتدرّع بالصبر وأن يتمثل صبر أولي العزم ليكون أقوى منهم صبراً كما هو أعلى منهم درجة فقال له فاصبر يارسولنا على ما تلاقي من أذى قومك من تكذيب وأذى فائت لذلك كما ثبت أولوا العزم من قبلك، والظاهر أنهم المذكورون في قوله تعالى من سورة الأحزاب ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾، ومن الجائز أن يكون عدد أولي العزم أكثر مما ذكر وقوله تعالى ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لما أمره بالصبر نهاه عن استعجال العذاب لقومه فقال فاصبر ولا تستعجل العذاب لهم. ﴿كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾^(٢) تعليل لعدم استعجال العذاب لأنه قريب جداً حتى إنهم يوم ينزل بهم ويرونه كأنهم لم يلبثوا في الدنيا على طول الحياة فيها إلا ساعة من نهار وقوله تعالى ﴿بلاغ﴾ أي هذا القرآن وما حواه من تعليم وبيان للهدى تبليغ للناس وقوله ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ ينفي تعالى هلاك غير الفاسقين عن أوامره الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- الكفر هو الموجب للنار والكفر هو تكذيب بوجود الله تعالى وهو الإلحاد أو تكذيب بلقائه تعالى أو بآياته أو رسله، أو شرائعه بعضاً أو كلاً.
- ٣- وجوب الصبر على الطاعات فعلاً، وعن المعاصي تركاً، وعلى البلاء بعدم التضرُّج والسخط.
- ٤- إطلاق الفسق على الكفر باعتباره خروجاً عن طاعة الله فيما يأمر به من العقائد والعبادات وينهى عنه من الشرك والمعاصي.

(١) الاستفهام تقريرى وتنديم على ما كانوا يزعمونه من الباطل، وإقسامهم بقولهم: (وربنا) من باب التحنن والتخضع تلمساً للنفوس وعدم المؤاخذة.

(٢) العزم: نية محققة على عمل أو قول دون تردد، والمحمود منه ما كان في امتثال أوامر الله ورسوله واجتناب نواهيها، ودونه ما كان فيما يجلب خيراً ويدفع شراً.

(٣) (من نهار) وصف لساعة، وكونها من نهار إشارة إلى قلتها وعدم طولها بخلاف ساعة الليل فإنها ترى طويلة. (وبلاغ) خبر، والمبتدأ محذوف تقديره: هذا بلاغ.

(٤) (فهل يهلك) الاستفهام للنفي ولذا صح الاستثناء منه، (وال) في (القوم) للجنس ليشمل كل من فسق، والفسق: الخروج عن طاعة الله والرسول ﷺ بالإصرار على الشرك والكفر.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ١١٠

أو القتال

مدنية

وآياتها ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله : أي كفروا بتوحيد الله ولقائه وبآياته ورسوله وصدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام .

أضل أعمالهم : أي أخطأ أعمالهم الخيرية كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرى لها أثر يوم القيامة .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي آمنوا بالله وآياته ورسوله ولقائه وأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي .

وآمنوا بما نزل على محمد : أي بالقرآن الكريم .

كفر عن سيئاتهم : أي محاه عنهم ذنوبهم وغفرها لهم .

وأصلح بالهم : أي شأنهم وحالهم فهم لا يعصون الله تعالى .

ذلك : أي اضلال أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين .

(١) تسميتها بسورة محمد أكثر وأشهر في كتب التفسير والحديث معاً .

بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل : أي الشيطان في كل ما يملئهم ويزينه لهم من الكفر والشرك والمعاصي .

وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم : أي التوحيد والعمل الصالح .

كذلك يضرب الله للناس أمثالهم : أي كما بيّن تعالى حال الكافرين، وحال المؤمنين في هذه الآية يبين للناس أمثالهم ليعتبروا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾^(١) هذه جملة خبرية أخبر تعالى فيها عن حال من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيل الله أي الإسلام غيره من الناس أضل الله عمله فأحبطه فلم يحصل له ثواب في الآخرة، ولازمه انه هالك في النار، وتكون هذه الجملة كأنها جواب لسؤال نشأ عن قوله تعالى في خاتمة سورة الأحقاف قبل هذه السورة وهي فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أي ما يهلك إلا القوم الفاسقون فقال قائل من هم القوم الفاسقون؟ فكان الجواب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو وجه ارتباط بين السورتين حسن . هذا وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾^(٢) أي بالله ورسوله وآياته ولقائه وعملوا الصالحات أي أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت الحرام ووصلوا الأرحام وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولو بالاستعداد للقيام بذلك إذ بعض هذه الصالحات لم يشرع بعد وآمنوا بما نزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة لأنها وحي إلهي يتلقاه رسول الله ﷺ وفي صحيح الحديث [وإني أوتيت القرآن ومثله معه] وقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ أي القرآن لأنه ناسخ للكتب قبله ولا ينسخ بكتاب بعده . فهو الحق الثابت الباقي إلى نهاية الحياة . وقوله ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أي محاه عنهم ذنوبهم وأصلح بالهم أي شأنهم وحالهم فلم يفسدوا بعد بشرك ولا كفر

(١) الكفر الإشراك بالله والصد عن سبيل الله، هو صرف الناس عن اتباع النبي ﷺ، والدخول في الإسلام، ويدخل فيه الصد عن المسجد الحرام للاعتماد والحج .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلاً: أبو جهل والحارث بن هشام وذكرهم، وهم الذين أطعموا الناس يوم بدر ليشبوا على القتال ولا يفروا، أبطل أعمالهم لعله شركهم وكفرهم والآية عامة في كل كافر وما بعدها في كل مؤمن .

(٣) أصل الإضلال: الخطأ عن الطريق، ولما كان المطعمون عملوا عملاً ظنوا أنه خير لهم ونافع فلما أبطله الله تعالى عليهم فلم ينتفعوا به كانوا كمن ضل طريقه فشقى وملك .

(٤) هذه فئة المؤمنين المقابلة لفئة الكافرين ذكر لها ثلاث صفات كما لتلك ثلاث صفات وهي: الإيمان المقابل للكفر، والإيمان بما نزل على محمد المقابلة للصد عن سبيل الله، وعمل الصالحات المقابلة لما فعله المطعمون من الطعام .

(٥) الباطل: يطلق على القلب وعلى العقل، وعلى ما يخطر للمراء من التفكير وهو أكثر إطلائه ولعله حقيقة فيه، ومجاز في غيره، ويطلق أيضاً على الحال والشأن، والقدر لحديث (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبت) .

(١)

هذا جزاؤهم على إيمانهم وصالح أعمالهم . وقوله تعالى ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ وهو الشيطان وما يزينه من أعمال الشرك والشر والفساد ، ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ وهو القرآن وما جاء به ودعا إليه من العقائد الصحيحة والعبادات المزيكية للنفس المهدبة للأرواح . أي ذلك الجزاء للذين كفروا والذين آمنوا بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم . وقوله تعالى ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي مثل هذا التبيين لحال الكافرين وحال المؤمنين في هذه الآيات يبين الله للناس أمثالهم أي أحوالهم بالخسران والنجاح ليعتبروا فيسلوكوا سبيل النجاح ، ويتجنبوا سبيل الخسران ، فضلا منه تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان طريقي الفلاح والخسران فطريق الفلاح الإيمان والعمل الصالح وطريق الخسران الشرك والمعاصي .
- ٢- بيان أن أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك له في ماله وولده .
- ٣- بيان الحكمة في ضرب الأمثال وهي هداية الناس إلى ما يُفلحون به ، فينجون من النار ويدخلون الجنة .

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا انْتَحَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبُودٌ وَإِمَّا فَدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ
وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) هذا تبيين للسبب الأصلي في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين والباء : بأن : سببية ، واسم الإشارة مبتدأ والخبر : قوله (بأن الذين ..) الخ والإشارة إلى ما تقدم من الخبرين (أضل أعمالهم) و(كفر عنهم سيئاتهم) .
(٢) هذه الجملة تذييل لما سبق من بيان حال كل من الكافرين والمؤمنين (ويضرب) بمعنى يلقي ميئاً ، والأمثال : جمع مثل وهو : الحال التي تمثل صاحبها أي : تشهره للناس وتعرفهم به فلا يلتبس بنظائره .

فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ

فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

فإذا لقيتم الذين كفروا

: أي إذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتم الذين كفروا في ساحة المعركة فاضربوا رقابهم ضرباً شديداً تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان.

حتى إذا أنخستموهم

: أي أكثرتم فيهم القتل ولم يصبح لهم أمل في الانتصار عليكم.

فشدوا الوثاق

: أي فأسروهم بدل قتلهم وشدوا الوثاق أي ما يوثق به الأسير من إسار قدأ كان أو حبلا حتى لا يفتلتوا ويهربوا.

فإما منأ بعد وإما فداء^(١)

: أي بعد أسركم لهم وشد وثاقهم إما أن تمنوا منأ أي تفكوكهم من الأسر مجاناً، وإما تفادونهم بمال أو أسير مسلم، وهذا بعد نهاية المعركة.

حتى تضع الحرب أوزارها

: أي واصلوا القتال والأخذ والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها وهي آلتها وذلك عند إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم فهذه غاية انتهاء الحرب حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. أي الأمر ذلك الذي علمتم من استمرار القتال إلى غاية إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم وذمتكم.

ذلك

: أي بغير قتال منكم كأن يخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوباء ونحوه.

ولو يشاء الله لانتصر منهم

: ولكن أمركم بالقتال وشرعه لكم لحكمة هي أن يلبو بعضكم ببعض أي يختبركم من يقاتل منكم ومن لا يقاتل، والمؤمن يُقتل فيدخل الجنة والكافر يُقتل فيدخل النار.

ولكن ليلو بعضكم ببعض

والذين قتلوا في سبيل الله^(٢) : أي قتلهم العدو، وقرىء قاتلوا في سبيل الله.

(١) (منأ) و(فداء) : منصوبان على المفعولية المطلقة أي : تمنون منأ وإما تفدون فداء.

(٢) قرأ نافع (قاتلوا) بالبناء للفاعل، وقرأ حفص : (قوتلوا) بالبناء للمفعول.

فلن يضل أعمالهم	: أي لا يحبطها ولا يبطلها .
سيهديهم ويصلح بالهم	: أي سيوفقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ويصلح شأنهم .
ويدخلهم الجنة عرفها لهم	: أي ويدخلهم يوم القيامة الجنة بينها لهم فعرفوها بما وصفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .
ان تنصروا الله	: أي في دينه ورسوله وعباده المؤمنين .
ينصركم ويثبت أقدامكم	: أي على عدوكم ويثبت أقدامكم في المعارك .
والذين كفروا فتعسأ لهم	: أي تعسوا تعسا أي هلاكاً وخيبة لهم .
وأضل أعمالهم	: أي احبطها وأبطلها فلم يحصلوا بها على طائل .
ذلك	: أي الضلال والتعس .
بأنهم كرهوا ما أنزل الله	: أي من القرآن المشتمل على أنواع الهدايات والاصلاحات .
فأحبط أعمالهم	: أي أبطلها وأضلها فلا يتتفعون بها لا في الدنيا ولا في الآخرة .

معنى الآيات :

لقد تقدم أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد أضل أعمالهم وذلك لكفرهم وصدهم عن سبيل الله إذا كان الأمر كذلك فليقاتلوا لانتهاء كل من المفسدين كفرهم وصدهم غيرهم عن الإسلام وهذا ما دل عليه قوله تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب أي فاضربوا رقابهم ضرباً يفصل الرأس عن الجسد وواصلوا قتالهم حتى إذا انخسفتموهم أي أكثرتم فيهم القتل، فشدوا الوثاق أي^(١) أحكموا ربط الأسرى بوضع الوثاق وهو الحبل في أيديهم وأرجلهم حتى لا يتمكنوا من قتلهم ولا الهرب منهم وبعد ذلك أنتم وما يراه إمامكم من المصلحة العليا فإن رأى المن فمنا عليهم مجاناً بلا مقابل، وإما تفادونهم فداء بمال، أو برجال، وستظل تلك حالكم قتل وأخذ وأسر ثم من وعفو مجاني، أو فداء بعوض ومقابل إلى أن تضع الحرب أوزارها أي اثقالها من عدد وعتاد حربي، وذلك لوصولكم إلى الغاية من الحرب وهي أن يسلم الكافر، أو يدخل في ذمة المسلمين، وهو معنى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

(١) الفاء للتفريع أي : تفريع هذا الكلام على ما قبله، والمقصود تهيؤ شأن الكافرين في قلوب المسلمين، واغراء المسلمين بقطع دابر الكافرين و(إذا) : ظرفية شرطية، وجوابها : (فضرب الرقاب) واللقاء معناه المواجهة في ساحة الحرب .
(٢) (فضرب) : نصب ضرب على المفعولية المطلقة أي : فاضربوا الرقاب ضرباً، والجملة كناية عن قتل المشركين في ساحة المعركة سواء كان الضرب بالسيف أو الرمح أو السهام، فصارت هذه الجملة لما تحمله من معاني الأخذ بالشدّة كأنها مثل سائر .

(٣) (الوثاق) بفتح الواو، ويجوز كسرهما الشيء الذي يوثق به وهو كناية عن الأسر إذ الأسر يستلزم وضع الإسر في يد الأسير ليقاد به .

ويكون الدين لله ﴿١﴾ . وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي الأمر الذي علمتم من استمرار القتل والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها بالدخول في الإسلام ﴿٢﴾ أو في ذمة المسلمين وقوله ولو شاء الله لانتصر منهم أي بدون قتالٍ منكم ولكن بخسف أو وباء أو صواعق من السماء ولكن لم يفعل ذلك من أجل أن يُلَوِّعَ بعضكم ببعض أي ليختبركم بهم . فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم فيعاقب من شاء منهم بأيديكم ، ويتوب على من يشاء منهم كذلك ، إذ انتصاركم عليهم ووقوعهم تحت سلطانكم يساعدهم على التوبة إلى الله والرجوع إلى الحق فيسلموا فيفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وقوله تعالى ﴿والذين قاتلوا في سبيل الله﴾ وفي قراءة والذين قُتِلُوا في سبيل الله وهذه عامة في شهداء أحد وغيرهم وإن نزلت الآية فيهم فإن الله تعالى يخبر عن إنعامه عليهم بقوله فلن يضل أعمالهم سيهدهم في الدنيا ويوقفهم إلى كل خير ويصلح شأنهم ، ويدخلهم في الآخرة الجنة عرفها لهم أي بينها لهم في كتابه ولسان رسوله وطيبها لهم أيضاً ، وفي الآخرة يهديهم إلى منازلهم في الجنة كما قال الرسول ﷺ [فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا] «البخاري» ، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ أي يامن آمنتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً إن تنصروا الله بنصر دينه ونبيه وأوليائه بقتال أعدائه ينصركم الله ويجعل الغلبة لكم ، ويثبت أقدامكم في كل معترك لقيتم فيه المشركين والكافرين . وهذا وعد من الله تعالى كم أنجزه لعباده المؤمنين في تاريخ الجهاد في سبيل الله ، وقوله تعالى والذين كفروا فتعسّأ لهم أي تعسّأ^(١) وهلكوا هلاكاً وخابوا وخسروا ، وأضل أعمالهم فلم يعثروا عليها ولم يروا لها أدنى فائدة ذلك الجزاء وتلك العقوبة بأنهم أي بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله أي من القرآن من آيات التوحيد والشرائع والأحكام فأحبط أي لذلك أعمالهم فخسروا في الحياتين .

(١) الأوزار: جمع وزر كحمل وأحمال ، والمراد بها الأثقال من العتاد الحربي وهي كناية عن انتهاء الحرب بنصر الإسلام والمسلمين .

(٢) اختلف في : هل هذه الآية منسوخة أو محكمة والصحيح أنها محكمة وأن الإمام مخير بين القتل والأسر والفداء والمن ولكن لا بد من النظر في مصلحة الإسلام والمسلمين فنظر الحاكم يكون محققاً للمصلحة العامة .

(٣) (قاتلوا) قراءة نافع و(قتلوا) قراءة حفص كما تقدم في النهر قرئاً .

(٤) قال ابن عباس (عرفها لهم) أي طيبها لهم بأنواع الملاذ مأخوذ من العرف بفتح العين : الرائحة الطيبة .

(٥) التعس : الشقاء ، ويطلق على الهلاك والخيبة والسقوط والانحطاط .

(٦) (تعسأ) : منصوب على المفعولية المطلقة كما في التفسير ويجوز أن يكون مستعملاً في الدعاء عليهم لقصد التحقير والتفضيع لشأنهم وهو مثل سقياً ورعياً له وتبأ له وويحاً له ، وإن كان هذا فإنه يتعين تقدير قول محذوف أي : فقال الله : تعساً لهم . كقول أم مسطح : تعس مسطح دعاء عليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الجهاد على أمة الإسلام ومواصلته كما بين تعالى في هذه الآيات إلى أن لا يبقى كافر يحارب بأن يدخلوا في الإسلام أو يعاهدوا ويدخلوا في ذمة المسلمين ويقبلوا على إصلاح أنفسهم وإعدادها للخير والفلاح.
- ٢- إمام المسلمين مخير في الأسرى بين المنّ والفداء، والقتل أيضا لأدلة من السنة.
- ٣- بشرى المجاهدين في سبيل الله بإكرام الله لهم وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة.
- ٤- يظفر بالنصر الحقيقي من نصر الله تعالى في دينه وأوليائه.
- ٥- إنذار الكافرين بالتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾
 إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
 وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةَ مِنْ قَرْيَتِكَ
 الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ
 مِنْ زِينَةٍ لَهُ سُوءُ عَمَلٍ وَاتَّبَعُوا هَوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفلم يسيروا في الأرض : أي أغفل هؤلاء المشركون فلم يسيروا في البلاد.
 فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : أي كيف كانت نهاية الذين من قبلهم كعاد وثمود.
 دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها: أي دمر عليهم مساكنهم فاهلكهم وأولادهم وأموالهم
 وللكافرين أمثال تلك العاقبة السيئة.

وأن الكافرين لا مولى لهم : أي لا ناصر لهم .
والذين كفروا يتمتعون ويأكلون : أي بمتع الدنيا من مطاعم ومشارب وملابس ويأكلون .
كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم : أي كآكل الأنعام بنهم وازدراء والنار مأواهم .
وكأين من قرية هي أشد قوة : أي وكثير من أهل قرية هي أشد قوة .
من قرينك التي أخرجتك : أي مكة إذ أخرج أهلها النبي ﷺ .
أفمن كان علي بينة من ربه : أي على حجة وبرهان من أمر دينه فهو يعبد الله على علم .
كمن زين له سوء عمله : أي كمن زين الشيطان له سوء عمله .
واتبعوا أهواءهم : أي واتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام والجواب ليسوا سواء ولا
مماثلة بينهما أبدا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾^(١) يوبخ تعالى المشركين المصريين على الشرك والكفر على إصرارهم على الشرك والعناد فيقول أغفلوا ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط إذ دمر تعالى عليهم بلادهم فأهلكهم وأولادهم وأموالهم فيعتبروا بذلك ، وقوله تعالى ﴿ وللكافرين ﴾ أمثال تلك العاقبة المدمرة ، وعيد لكفار مكة بأن ينزل عليهم عقوبة كعقوبة الأولين إن لم يتوبوا من شركهم وإصرارهم عليه ، وعنادهم فيه . وقوله ﴿ ذلك ﴾^(٢) أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين بسبب أن الله مولى الذين آمنوا أي وليهم ومتولي أمرهم وناصرهم . وأن الكافرين لا مولى لهم لأن الله تعالى خاذلهم ومن يخذله الله فلا ناصر له . وقوله تعالى ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ هذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بأن يدخلهم يوم القيامة جنات أي بساتين تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وقوله ﴿ والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الدنيا بملأها وشهواتها ، ﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ إذ ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ، ولذا هم لا

(١) الفاء للتفريع ، تفريع هذه الجملة الكلامية على الجملة السابقة وهي : (والذين كفروا فتعسأ لهم) والاستفهام للتقرير التوبيخي .

(٢) جائز أن يكون اسم الإشارة منصرفا إلى مضمون قوله تعالى (وللكافرين أمثالها) فيفيد أن ما أصاب المشركين من الدمار والخزي والعار بسبب أن الله ناصر الذين آمنوا وما في التفسير في غاية الوضوح .

(٣) كلام مستأنف استئنافا بيانياً ، إذ هو بمثابة جواب لمن سأل عن حال المؤمنين في الآخرة وحال الكافرين في الدنيا ، أما في الآخرة فالأمر معلوم وهو أنهم أصحاب النار هم فيها خالدون إذ بين تعالى حال المؤمنين في الآخرة ، وحال الكافرين في الدنيا .

يلتفتون إلى الآخرة. ﴿والنار مثوى لهم﴾^(١) أي مقام ومنزل ومصير، وهذا وعيد شديد للكافرين. وهذا هو الترغيب والترهيب الذي هو سمة بارزة في أسلوب القرآن في الهداية البشرية وقوله تعالى ﴿وكأين^(٢) من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلا ناصر لهم﴾ هذه الآية نزلت ساعة خروج الرسول ﷺ من بيته إلى غار ثور مهاجراً فقد التفت إلى مكة وقال أنت أحب البلاد إلى الله وأحب بلاد الله إليّ ولو أن المشركين لم يُخرجوني لم أخرج منك. ومعنى الآية الكريمة وكثير من القرى أهلها أشد قوة من أهل قريتك «مكة» التي أخرجك أهلها حيث حكموا بإعدامه ﷺ أهلكتناهم أي أهل تلك القرى فلا ناصر وجد لهم عند إهلاكنا لهم. فكانت هذه الآية تحمل تسليّة لرسول الله ﷺ وأي تسليّة!! وقوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي على علم وبرهان من صحة معتقده وعبادته لله تعالى راجياً ثوابه خائفاً من عقابه وهؤلاء هم المؤمنون، كمن زين له سوء أي قبيح عمله من الشرك والكفر فهو يعبد الأصنام، واتبعوا أهواءهم هم في ذلك فلم يتبعوا وحياً إلهياً ولا عقلاً إنسانياً فهل حالهم كحال من ذكروا قبلهم والجواب لا يتماثلان إذ بينهما من الفوارق كما بين الحياة والموت، واللجنة والنار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قاعدة : العاقل من اعتبر بغيره .
- ٢- تقرير ولاية الله لأهل الإيمان والتقوى .
- ٣- بيان الفرق بين الماديين وأهل الإيمان والاستقامة على منهج الإسلام .
- ٤- تسليّة الرسول ﷺ تخفيفاً من آلامه التي يعانها من إعراض المشركين وصدوفهم عن الإسلام .

مَثَلُ الْجَنَّةِ

الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ

(١) المثوى: مكان النواء، الذي هو الاستقرار، وشاهده قول الشاعر:

أَذْنَتْنَا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوِيْمَلْ مِنْهُ النَّوَاءُ

(٢) (كأين) تدل بوضعها على كثرة العدد مثل كم والمراد بالقرية أهلها بدليل أهلكتناهم إذ لم يقل: أهلكتناها، والمراد بالقرية هنا: مكة أم القرى وأضيفت إلى النبي ﷺ تشريفاً لها زيادة على شرفها إذ هي بلد الله الأمين.

(٣) أطلق الإخراج على ما عامل به المشركون الرسول ﷺ من الجفاء والأذى ومحاربة نشر الدعوة فكان ذلك سبب خروجه منها، فأطلق الإخراج على مسبباته، وإلا فالرسول ﷺ خرج باختياره ولم يكرهه المشركون على الخروج بل كانوا يحاولون منعه من الخروج.

يَنْغَيِّرُ طَعْمَهُ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الجنة التي وعد المتقون : أي صفة الجنة دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين له .
من ماء غير آسن : أي غير متغير الريح والطعم لطول مكثه .
وأنهار من عسل مصفى : أي من الشمع وفضلات النحل .
وسقوا ماء حميماً : أي حاراً شديداً الحرارة .
فقطع أمعاءهم : أي مصارينهم فخرجت من أديبارهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾^(١) هذه الآية الكريم تضمنت شرحاً وافياً لأنهار الجنة، وشراب أهل النار، كما اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتقوى وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة، وبين حال أهل النار وهم خالدون فيها وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشديد فقوله تعالى ﴿مثل الجنة﴾ أي صفتها الممثلة لها الشارحة لحالها التي وعد المتقون أي التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين له وهم أولياؤه الذين عبدوه ووجدوه فأطاعوه في الأمر والنهي فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي . فيها أنهار من ماء غير آسن^(٢) أي غير متغير الطعم ولا الريح بطول المكث وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أي بحموضة ولم يصر قارصاً ولذلك لم يتغير ريحه أيضاً وأنهار من خمرة لذة للشاربين أي وفيها أنهار من خمر هي لذة لمن يشربها وسبب لذاذتها أنها غير كدرة ولا مسكرة ولا ريح غير طيبة لها، وأنهار من عسل مصفى أي وفيها أنهار من عسل مصفى أي من الشمع وفضلات النحل وقوله ولهم فيها من كل الثمرات أي من سائر أنواع

(١) هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ فيها بيان لما قد يسأل عنه السائل . (ومثل الجنة) مبتدأ والخبر محذوف يقدر بمثل مما سيوصف لكم أو ما سيتلى عليكم أو مما يتلى عليكم مثل الجنة وجملة : (فيها أنهار) بدل مفصل من مجمل .

(٢) آسن الماء : كضرب بأسن ، وكنصر وفرح أيضاً فهو آسن : إذا تغير لونه .

(٣) اللذة : وصف وليست اسماً وهي تأتي اللذ أي اللذيذ قال الشاعر :

ذكرت شبابي اللذ غير قريب ومجلس لهو طاب بين شروب

واللذذة انفعال نفساني .

الثمار من فواكه وغيرها. ومع ذلك مغفرة من ربهم لسائر ذنوبهم فهل يستوى من هذه حالهم بحال من هو خالد في النار لا يخرج منها وسقوا ماء حميما حارا شديد الحرارة فلما سقوه وشربوه قطع أمعاءهم^(١) أي مصارينهم فخرجت من أديبارهم والعياذ بالله من النار وحال أهل النار اللهم أجرنا من النار اللهم أجرنا من النار اللهم أجرنا من النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التقوى هي السبب المورث للجنة هكذا جعلها الله عز وجل ، والتقوى هي بعد الإيمان فعل المأمورات وترك المنهيات من سائر أنواع الشرك والمعاصي .
- ٢- بيان بعض نعيم الجنة من الشراب والفواكه .
- ٣- بيان بعض عذاب النار وهو الخلود فيها وشرب الحميم .
- ٤- تقرير البعث والجزاء ، وأن لا مماثلة بين أهل السعادة وأهل الشقاء .

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا^ج
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَانَهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ
ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- ومنهم من يستمع إليك : أي ومن الكفار المنافقين من يستمع إليك في خطبة الجمعة .
- ماذا قال آنفا : أي الساعة أي استهزاء منهم وسخرية يعنون انه شيء لا يرجع إليه ولا يعتد به لعدم فائدته .

(١) : الأمعاء : جمع معى بكسر الميم وقد فتحت وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد نزوله من المعدة ، ويسمى عفج بوزن كتف .

- طبع الله على قلوبهم : أي بالكفر فلذا هم لا يعون .
 واتبعوا أهواءهم : أي في الكفر والنفاق .
 والذين اهتموا : أي المؤمنون .
 زادهم هدى : أي زادهم الله هدى .
 وآتاهم تقواهم : أي ألهمهم ما يتقون به عذاب الله تعالى .
 فهل ينظرون إلا الساعة : أي ما ينتظر أهل مكة إلا الساعة .
 أن تأتيهم بغتة : أي فجأة .
 فقد جاء أشراطها : أي علاماتها كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان .
 فأنى لهم إذ جاءتهم ذكراهم : أي أنى لهم إذا جاءتهم التذكرة الذي ينفعهم إذ قد أغلق باب التوبة .
 فاعلم انه لا إله إلا الله : أي فبناء على ما تقدم لك يا نبينا فاعلم أنه لا يستحق العبودية إلا الله فاعبده وتوكل عليه .
 واستغفر للذنبك : أي قل استغفر الله أو اللهم اغفر لي .
 وللمؤمنين والمؤمنات : أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات .
 والله يعلم متقلبكم : أي متصرفكم في النهار وأنتم تتصرفون في أمور دنياكم .
 ومثواكم : أي مكان ثواكم وإقامتكم ونومكم بالليل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ومنهم من يستمع إلى هذه الآية (١٦) والآية التي بعدها مدنيّتان لا شك لأنهما نزلت في شأن المنافقين قال تعالى مخبراً رسوله عن بعض المنافقين ﴿ومنهم﴾ أي ومن بعض المنافقين ﴿من يستمع إليك﴾ أي إلى حديثك يوم الجمعة وأنت تخطب الناس على المنبر ﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾ أي من المسجد ﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من أصحابك كعبد الله بن مسعود ﴿ماذا قال آنفاً﴾^(١)، وقولهم هذا ظاهر عليه الخبث إذا لو كانوا مؤمنين محبين لقالوا

(١) روي عن مقاتل أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول ورفاعة بن التابوت والحارث بن عمرو وزيد بن الصلت، ومالك بن الدخشم من المنافقين بالمدينة إلا أن مالك بن الدخشم قد أسلم وحسن إسلامه والاستماع السماع ولكن بعناية واهتمام يتظاهرون بذلك نفاقاً لا غير .

(٢) هم نفر من أصحاب الرسول ﷺ منهم عبدالله بن مسعود، وأبو الدرداء وابن عباس وإن كان يومها صغيراً فإنه لا مانع أن يسأل ويوجب لما هو مؤهل له من طلب العلم والكمال فيه .

(٣) (آنفاً) : أي الآن وهو أقرب الأوقات، وسؤالهم هذا سؤال استهزاء، وآنفاً لم يُسمع إلا ظرفاً هكذا، وقيل هو مشتق من الأنف لأنه أول ما يظهر من البعير فاطلق على أقرب الوقت . ومنه أمر أنف، ورقة أنف لم ترع بعد قال الشاعر:
 ويحرم سر جارنهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

ماذا قال رسول الله ﷺ، ولكن قالوا ماذا قال آنفاً، وهم يعنون أن ما قاله الرسول ﷺ ليس بشيء مفيد يرجع إليه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء في الشر والنفاق الذين طبع الله على قلوبهم أي بالكفر والنفاق وذلك لكثرة ثلوثهم بأضرار الكفر والنفاق حتى ران على قلوبهم ذلك فكان ختماً وطابعاً على قلوبهم، واتبعوا أهواءهم فهما علتان الأولى الطبع المانع من طلب الهداية والثانية اتباع الهوى وهو يعمي ويصم، فلذا هم لا يهتدون، وقوله تعالى ﴿والذين اهتدوا﴾ إلى الإيمان الصحيح والعمل الصالح زادهم الله هدى حسب سنته في نماء الأشياء وزكاتها وزيادتها، وآتاهم تقواهم أي ألهمهم ما يتقون وأعانهم على ذلك فهم يتقون مسأخطة الله تعالى ومن أعظمها الشرك والمعاصي. وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (١٨) فهل ينظرون أي كفار قريش^(١) من زعماء الكفر في مكة إلا الساعة أي ما ينتظرون إلا الساعة أي القيامة أن تأتيهم بغتة أي فجأة إن كانوا ما ينظرون بإيمانهم إلا الساعة فالساعة قد جاء أشراطها وأول أشراطها بعثة محمد ﷺ وثانيها الدخان، وثالثها انشقاق القمر. وقوله تعالى ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ أي أنى لهم التذكر الذي ينفعهم إذا جاءت الساعة بل شروطها أي بظهور علامات الكبري لا تقبل التوبة من أحدهم يكن مؤمناً لقوله تعالى من سورة الأنعام ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾. على كل حال فالآية تستبطن إيمان كفار مكة وتذكر عليهم تأخر إيمانهم الذي لا داعي له مع ظهور أدلة العقل والنقل ووضوح الحجج والبراهين الدالة على توحيد الله ووجوب عبادته وحده دون من سواه ولذا قال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات أي فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي له العبادة وتصلح له إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكة واستغفر أي اطلب من ربك المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات، وهذا الكلام وإن وجهه للرسول ﷺ فالمراد منه على الحقيقة أو بالأصالة غيره ﷺ فكانما قال تعالى يا عباد الله أيها الناس والرسول على

(١) مما ذكر في هذه الزيادة أنه آتاهم ثواب تقواهم في الآخرة وأنه يبين لهم ما يتقون وأنه وفقهم للأخذ بالعزائم وترك الرخص وما في التفسير أشمل وأوضح.

(٢) يبدو أنه ما هناك حاجة إلى تخصيص كفار قريش بهذا الخطاب وإن كانوا داخلين فيه لأن السورة مدنية.

(٣) أي: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة.

(٤) في صحيح مسلم عن حذيفة والبراء قالا: كنا نتذكر الساعة إذا أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: (يما نتذكرون؟ قلنا نتذكر الساعة. قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات،: الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن).

(٥) هذه الآية من أدلة وجوب العلم قبل القول والعمل، وهو ما بوب به البخاري رحمه الله تعالى.

(٦) لا ذنب للرسول ﷺ لعصمته، وإنما هو من باب قوله ﷺ (إنه ليغان على قلبي وإنني استغفر الله في اليوم مائة مرة).

ومعنى يغان: يغام ويغشى، وقيل إنه غين أنوار لا غين أغيار.

رأسكم اعلموا انه لا إله إلا الله واستغفروا لذنوبكم مؤمنين ومؤمنات والله يعلم متقلبكم أي تصرفكم في النهار في مصالح معاشكم ومعادكم ويعلم مثواكم في فرسكم نائمين فهو يعلمكم على ما أنتم عليه في كل ساعة من ليل أو نهار فاحشوه واتقوه حتى تفوزوا برضاه في جنات النعيم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- من الجائز أن تكون السورة مكية وبها آية أو أكثر مدنية.
 - ٢- التحذير من اتباع الهوى فإنه يعمي ويصم والعياذ بالله.
 - ٣- بيان أن لقيام الساعة أشراطاً أي علامات تظهر قبلها فتدل على قربها.
 - ٤- وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله ، وذلك يتم على الطريقة التالية :
- الاعتراف بأن الإنسان مخلوق كسائر المخلوقات حوله ، وكل مخلوق لابد له من خالق فمن خالق الإنسان والكون إذاً؟ والجواب قطعاً : الله . فما دام الله هو الخالق فمن عداه مخلوق مفتقر إلى الله خالقه في حفظ حياته ، ومن يؤله ويُعبد إذاً الخالق أم المخلوق؟ والجواب : الخالق . إذاً تعين انه لا معبود إلا الله وهو معنى لا إله إلا الله ولما كانت العبادة لا تعرف إلا بالوحي وجب الإيمان برسول الله فكان لابد من زيادة محمد رسول الله فنقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
 طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
 فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾

(١) المثوى : المال والمرجع .

(٢) روى مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى).

شرح الكلمات :

- لولا نزلت سورة : أي هلاً نزلت سورة يقول هذا المؤمنون طلباً للجهاد .
- سورة محكمة : أي لم ينسخ منها شيء من أوامرها ونواهيها .
- وذكر فيها القتال : أي طلب القتال بالدعوة إليه والترغيب فيه .
- في قلوبهم مرض : أي شك وهم المنافقون .
- نظر المغشي عليه من الموت : أي خوفاً من القتال وكراهية له فتراهم ينظرون إلى الرسول مثل نظر المغشي عليه من سكرات الموت .
- فأولى لهم طاعة وقول معروف : أي فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له .
- فإذا عزم الأمر : أي فرض القتال وجد أمر الخروج إليه .
- فلو صدقوا الله : أي وفواله ما تعهدوا به من أنهم يقاتلون .
- لكان خيراً لهم : أي الوفاء بما تعهدوا به خيراً في دنياهم وآخرتهم .
- فهل عسيتم أن توليتم : أي أعرضتم عن الإيمان الصوري الذي أنتم عليه وأعلنتم عن كفركم .
- أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم : أي تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي ولا تصلوا أرحامكم .
- فأصمهم وأعمى أبصارهم : أي فعل تعالى ذلك بهم فلذا هم لا يسمعون الحق ولا يبصرون الخير والمعروف .

معنى الآيات :

قوله تعالى ويقول الذين آمنوا إلى آخر السورة ظاهرة أنه مدني وليس بمكي وهو كذلك فأغلب أي السورة مدني إذاً، ولا حرج : لأن القتال لم يفرض إلا بعد الهجرة النبوية والنفاق لم يظهر إلا بعد الهجرة كذلك والسياق الآن في علاج النفاق وأمور الجهاد قال تعالى ويقول الذين آمنوا من أصحاب رسول الله ﷺ متمنين الجهاد لولا نزلت سورة^(١) أي هلاً أنزل الله سورة قرآنية تأمر بالجهاد قال تعالى فإذا أنزلت سورة محكمة ليس فيها نسخ وذكر فيها القتال أي الأمر به والترغيب فيه . رأيت يا محمد الذين في قلوبهم مرض أي مرض الشك والنفاق ينظرون إليك يا رسولنا^(٢) نظر أي مثل نظر المغشي أي المغمي عليه من الموت أي من سياقات الموت وسكراته . قال تعالى

(١) شوقاً إلى الجهاد وما أعد الله من ثواب لأهله، كما هو اشتياق للوحي ونزوله .

(٢) نظر مغمومين مغتاظين بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت .

﴿فأولى لهم﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون دعاء عليهم بالهلاك أي هلاك لهم لجبنهم ونفاقهم وصالح أن يكون بمعنى الأجر بمثلهم طاعة لله ورسوله وقول معروف أي حسن لرسول الله ﷺ . وقوله تعالى فإذا عزم أي جد الأمر للجهاد فلو صدقوا الله ما عاهدوا عليه من أنهم يقاتلون مع رسوله لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة . ثم قال لهم مخاطباً إياهم توبيخاً وتقريعاً فهل عسيتم بكسر السين وفتحها قراءتان إن توليتم أي عن الإيمان الصوري إلى الكفر الظاهر فاعلتم عن ردتكم أن تفسدوا في الأرض بفعل الشرك وارتكاب المعاصي وتقطعوا أرحامكم بإعلان الحرب على أقربائكم المؤمنين الصادقين . هذا إذ كان التولى بمعنى الرجوع إلى الكفر العلني وإن كان بمعنى الحكم فالأمر كذلك إذا حكموا يفعلون ما هو أعظم من الشرك والفساد في الأرض وتقطيع الأرحام ، وأخيراً سجلت الآية (٢٢) لعنة الله فقال تعالى أولئك أي البعداء في الخسة والحطة الذين لعنهم الله فابعدهم من رحمته فأصمهم عن سماع الحق وأعمى أبصارهم عن رؤية الهدى والطريق المستقيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- جواز تمنى الخير والأولى أن يسأل الله تعالى ولا يتمنى بلفظ ليت كذا .
- ٢- في القرآن محكم ومنسوخ من الآيات وكله كلام الله يُتلى ويتقرب به إلى الله تعالى ويعمل بالمحكم دون المنسوخ وهو قليل جداً .
- ٣- ذم الجبن والخور والهزيمة الروحية .
- ٤- شر الخلق من إذا تولى أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي .

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانِ

أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ
اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ

(١) أولى : قال الأصمعي معناه قاربه ما يهلكه .

(٢) قرأ نافع وحده بكسر السين وفتحها ما عداه حفص وغيره .

﴿٤٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

أفلا يتدبرون القرآن : أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل .
أم على قلوب أقفالها : أي بل على قلوب لهم أقفالها فهم لا يفهمون إن تدبروا .
إن الذين ارتدوا على أدبارهم : أي رجعوا كافرين بنفاقهم .
من بعد ما تبين لهم الهدى : أو من بعدما تبين لهم صدق الرسول وصحة دينه بالحجج والبراهين .
الشیطان سول لهم وأملى لهم : أي زين لهم الشيطان نفاقهم وأملى لهم أي واعداهم بطول العمر ومناهم .
ذلك بأنهم قالوا الذين كرهوا ما : أي ذلك الإضلال بسبب قولهم للذين كرهوا ما أنزل الله وهم أنزل الله
سنطيعكم في بعض الأمر : أي بأن نتعاون معكم على عداوة الرسول وبتشبيط المؤمنين عن الجهاد وكان ذلك سرا منهم لا جهره فأظهره الله لرسوله .
يضربون وجوههم وأدبارهم : أي بمقامع من حديد يضربون وجوههم وظهورهم .
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله : أي التوفّي على الحالة المذكورة من الضرب على الوجوه والظهور بسبب اتباعهم ما أسخط الله من الشرك والمعاصي .
وكرهوا رضوانه : أي ما يرضيه تعالى من التوحيد والعمل الصالح .
فأحبط أعمالهم : أي أبطلها فلم يحصلوا منها على ثواب حسن .
معنى الآيات :

ما زال السياق في تأديب المنافقين بعييهم والإنكار عليهم وتهديدهم لعلمهم يرجعون إذ حالهم كحال المشركين في مكة فقال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾^(١) أي مالهم؟ أغفلوا فلم يتدبروا

(١) الاستفهام للتعجب من سوء عملهم بالقرآن وإعراضهم عن سماعه و(بل) للإضراب الانتقالي أي : بل على قلوبهم أقفال، والتدبر : التفهم مشتق من دبر الشيء أي : خلفه .

القرآن أي يتفكروا فيه فيعرفوا الحق من الباطل والهدى من الضلال لأن القرآن نزل لبيان ذلك .
 أم على قلوب أقفالها أي بل على قلوب لهم أقفالها أي أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل
 الله في كتابه من المواعظ والعبر والحجج والأدلة والبراهين حتى يكون الله هو الذي يفتح تلك
 الأقفال، والله تعالى يقفل ويفتح حسب سنن له في ذلك وقد ذكرنا هذا المعنى مرات في بيان
 الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ أي رجعوا إلى الكفر بقلوبهم
 دون ألسنتهم وهم المنافقون من بعد ما تبين لهم الهدى أي صدق الرسول ﷺ وصحة دينه
 الإسلام هؤلاء المرتدون الشيطان سؤل لهم أي زين لهم ذلك الارتداد وأملى لهم أي واعداهم
 ممّنًا لهم بطول العمر والبقاء الطويل في الحياة والعيش الطيب الواسع فيها وقوله تعالى ذلك أي
 الإضلال الذي حصل لهم بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله من القرآن والشرائع وإبطال
 الشرك والشر والفساد وهم المشركون قالوا لهم سرا وخفية سنطيعكم في بعض الأمر، وذلك
 كعدم قتالكم وتشبيط الناس عن القتال إلى غير ذلك مما أسروه لإخوانهم المشركين . وقوله تعالى
 والله يعلم إسرارهم^(١) يخبر تعالى أنهم لما كانوا يسرون كلمات الكفر للمشركين كان تعالى مطلعاً
 عليهم فهو يعلم إسرارهم وأسرارهم وما هو ذا قد أطلع عليهم رسوله والمؤمنين . وقوله تعالى
 فكيف أي حالهم إذا توفتهم الملائكة ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب وهم يضربون
 بمقامع من حديد وجوههم وأدبارهم أي ظهورهم . وقوله تعالى ذلك أي العذاب النازل بهم
 بسبب أنهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر به وبرسوله . وكرهوا رضوانه أي ما يرضيه عنهم وهو
 الجهاد في سبيله فأحبط الله أعمالهم أي أبطلها فلم يشبههم عليها لأنهم مشركون كافرون وعمل
 المشرك والكافر باطل وهو خاسر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تدبر القرآن الكريم عند تلاوته أو سماعه وهو تفهم معانيه في حدود قدرة المسلم على الفهم .

(١) ويعرفوا كذلك ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام من عزة ونصر في الدنيا، ومن نعيم مقيم في الآخرة .

(٢) لم يقل على قلوبهم فنكر القلوب وقال : (على قلوب) لتدخل قلوب غيرهم فلا يكون خاصاً بهم ، والقفل : حديدة يغلق بها الباب .

(٣) اختلف في هؤلاء المرتدين فقال قتادة هم كفار أهل الكتاب وقال ابن عباس وغيره : هم المنافقون ، وكونهم المنافقين أعم إذ من اليهود منافقون .

(٤) قرأ نافع والجمهور (أسرارهم) بفتح الهمزة ، وقرأ حفص (إسرارهم) بكسرهما فالإسرار بالكسر : مصدر أسر إسراراً وبالفتح جمع سر .

٢- الارتداد عن الإسلام كالرجوع عن الطاعة إلى المعصية سببهما تزيين الشيطان للعبد ذلك وإملاؤه له بالتمني والوعد الكاذب.

٣- من الردة التعاون مع الكافرين على المؤمنين بأي شكل من أشكال التعاون ضد الإسلام والمسلمين.

٤- تقرير عقيدة عذاب القبر وأنه حق ثابت أعادنا الله منه آمين.

أَمْ حَسِبَ

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ﴿٢٩﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|--|
| في قلوبهم مرض | : أي مرض النفاق. |
| أن لن يخرج الله أضغانهم | : أي أن لن يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين. |
| ولو نشاء لأريناكمهم | : أي لعرفناكم بهم فلعرفتهم. |
| سيماهم | : أي بعلاماتهم. |
| ولتعرفنهم في لحن القول | : أي إذا تكلموا عندك في لحن القول أي معناه وذلك بأن يُعرِّضوا فيه بتهجين أمر المسلمين أي تقيح أمرهم. |
| والله يعلم أعمالكم | : أي أيها المؤمنون إن الله يعلم أعمالكم وسيجزيكم بها خيراً. |
| ولنبلونكم | : ولنختبرنكم بالجهد وغيره من التكليف. |
| حتى نعلم | : أي نعلم علم ظهور لكم ولغيركم إذ الله يعلم ذلك قبل ظهوره لما حواه كتاب المقادير. |

المجاهدين منكم والصابرين : أي الذين جاهدوا وصبروا من غيرهم .
ونبلوا أخباركم : أي ونُظهِر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره .

إن الذين كفروا : أي بالله ولقائه ورسوله وما جاء به من الدين الحق .
وصدوا عن سبيل الله : أي عن الإسلام .

وشاقوا الرسول : أي خالفوه وعادوه وحاربوه .
من بعد ما تبين لهم الهدى : أي عرفوا أن الرسول حق والإسلام حق كاليهود وغيرهم .
لن يضرروا الله شيئا : أي من الضرر لأنه متعال أن يناله خلقه بضرر .
وسيحبط أعمالهم : أي يبطلها فلا تثمر لهم ما يرجونه منها في الدنيا والآخرة .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين بكشف عوارهم وإزاحة الستار عما في قلوبهم من الشك والنفاق فقال تعالى ﴿أم﴾ أي أحسب الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والمرض هو مرض النفاق الناجم عن الشك في الإسلام وشرائعه أن لن يخرج الله أضغانهم أي أحقادهم فيظهرها لرسوله والمؤمنين فحسبانهم هذا باطل وقوله تعالى لرسوله ﴿ولو نشاء لآريناكم فلعرفتهم بسيماهم﴾ أي بعلامات النفاق فيهم وقوله ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ أي وعزتي وجلالي لتعرفنهم في لحن القول أي في معاني كلامهم إذا تكلموا عندك وبين يديك فإن كلامهم لا يخلو من التعريض بالمؤمنين بانتقاصهم والقدح في أعمالهم، كما قيل «من أضمر سريرة ألبسه الله رداءها» وقوله تعالى في خطابه المؤمنين ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ ولازمه أنه سيجزيكم بها فاصبروا على الإيمان والتقوى . ﴿ولنبلونكم﴾ أي ولنختبرنكم بالجهاد والإنفاق والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ أي حتى نظهر ذلك لكم فتعرفوا المجاهد من القاعد والصابر من الضاجر منكم وبينكم، ﴿ونبلوا أخباركم﴾ أي ما تخبرون به عن أنفسكم وتحدثون به فنظهر الصدق من خلافه فيه، ولذا كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا، وقوله جل ذكره ﴿إن

(١) (أم) هي المنقطعة المقدرة بيل وهمزة الاستفهام : فبيل : للاضراب الانتقالي، والاستفهام إنكاري .

(٢) الأضغان : جمع ضغن كحمل وأحمال، وهو الحقد والعداوة ومحلها القلب : قال الشاعر :

الضارين بكل أبيض مبخدم والطاعنين مجامع الأضغان

(٣) (لحن القول) هو ما يفهم من الكلام بالتعريض والإشارة لا بصريح القول .

(٤) بَلَا يَبْلُوا بَلُوا المرء اختبره، فالبلو: الاختبار والتعرف على حال الشيء، ويكون في الشرع بالأمر والنهي .

(١) الذين كفروا أي كذبوا الله ورسوله ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ أي الإسلام فصرفوا الناس عنه بأي سبب من الأسباب، ﴿وشاقوا الرسول﴾ أي خالفوه وعادوه وحاربوه ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ أي ظهر لهم الحق وأن الرسول حق والإسلام حق بالحجج والبراهين هؤلاء الكفرة لن يضرروا الله شيئا من الضرر لتنزّهه عن صفات المحدثين من خلقه ولا متناعه تعالى وعزته، ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ أي يبطلها عليهم فلا ينالون بها ما يؤملون في الدنيا بذهاب كيدهم وخيبة أملهم إذ ينصر الله رسوله ويعلي كلمته، وفي الآخرة لأن أعمال المشرك والكافر باطلة حابطة لا ثواب عليها سوى ثواب الجزاء المهين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان حقيقة وهي من أسر سريرة ألبسه الله رداءها فكشفه للناس.
- ٢- ومن أحب شيئا ظهر على وجهه وفتلات لسانه.
- ٣- تقرير قاعدة وهي أنه لا بد من الابتلاء لمن دخل في الإسلام ليكون الإيمان على حقيقته لا إيمانا صوريا أدنى فتنة تصيب صاحبه يرتد بها عن الإسلام.
- ٤- أعمال المشرك والكافر باطلة لا ثواب خير عليها لأن الشرك محبط للأعمال الصالحة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤) ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٥) ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ أَوْ تُجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ (٣٦) ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا فِيْ حِفْظِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجَ أَصْفَنَكُمْ﴾ (٣٧) ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ تَدْعُونَ﴾

(١) يدخل في هذا اللفظ كفار قريش وكفار اليهود والمنافقون.

لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَأَنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

ولا تبطلوا أعمالكم : أي بالرياء والشرك والمعاصي
وصدوا عن سبيل الله : أي عن الإسلام .
فلن يغفر الله لهم : أي لأنهم ماتوا على الكفر والكفر محبط للعمل .
فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم : أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح مع الكفار .
وأنتم الأعلون : أي الغالبون القاهرون .
ولن يترككم أعمالكم : أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها .
إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : أي الاشتغال بالدنيا والتفرغ لها ما هو إلا لهو ولعب لعدم الفائدة منه .

ولا يسألكم أموالكم : أي ولا يكلفكم بإنفاق أموالكم كلها بل بالزكاة فقط .
فيحفركم تبخلوا : أي بالمبالغة في طلبكم المال تبخلوا .
ويخرج أضغانكم : أي أحقادكم ويغضكم لدين الإسلام .
فإنما يبخل عن نفسه : أي عائد ذلك على نفسه لا على غيره فهو الذي يحرم الثواب .
وان تولوا يستبدل قوما غيركم : أي عن طاعة الله وطاعة رسوله يأت بأخرين غيركم .
ثم لا يكونوا أمثالكم : أي في الطاعة أي يكونوا أطوع منكم لله ورسوله .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الكفار ومشاققتهم لرسوله ﷺ نادى المؤمنين وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله فقال يا أيها الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً اطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي فيما يأمرانكم به وينهاينكم عنه من المعتقدات والأقوال والأعمال ولا تبطلوا أعمالكم أي وينهاهم أن (١) يقولوا : (يا أيها الذين آمنوا) وجملته النداء معترضة بين جملة (إن الذين كفروا وصدوا) الخ وبين (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار) .

(٢) إبطال العمل : جعله باطلاً أي : لا فائدة منه ولا ثواب ، فالإبطال تنصف به الأشياء الموجودة ، وكان الحسن البصري يقول : لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي ، وما يبطل العمل على الحقيقة هو أمور ثلاثة : الشرك والرياء ، وأداء العمل على غير الوجه المشروع عليه .

يطلبوا أعمالهم بالشرك والرياء والمعاصي والمراد من إبطال الأعمال أي حرمانهم من ثوابها. ثم أعلمهم مذكرا واعظا لهم فقال إن الذين كفروا أي بالله ورسوله وصدوا عن سبيل الله أي عن الإسلام بأي سبب من الأسباب ثم ماتوا وهم كفار قبل أن يتوبوا. فهؤلاء لن يغفر الله لهم ويعذبهم العذاب المعد لأمثالهم وقوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ينهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يضعفوا عن قتال أعدائهم من الكافرين ويدعوا الكافرين إلى الصلح والمهادنة وهم أقوياء قادرون وهو معنى قوله وأنتم الأعلون أي الغالبون القاهرون. ولن يتركم أعمالكم أي لا ينقصكم أجر أعمالكم بل يجزيكم بها ويزيدكم من فضله وقوله ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ هذه حقيقة وهي أن الحياة الدنيا إن أقبل عليها العبد ناسيا الدار الآخرة مقبلا على الدنيا لن تكون في حقه إلا لهواً ولعباً باعتبار أنه لم يظفر منها على طائل ولم تعد عليه بعائد خير وإسعاد كاللاعب اللاهي بشيء يلعب ويلهو فترة ثم لا يعود عليه ذلك اللعب بشيء كلعب الصبيان ولهوهم فإنهم يلهون ويلعبون بجد ثم يعودون إلى والديهم يطلبون الطعام والشراب. وقوله وإن تؤمنوا أي الإيمان الصحيح وتتقوا ما يغضب ربكم ويسخطه عليكم من الشرك والمعاصي يؤتكم أجوركم المترتبة على الإيمان والتقوى. وقوله ولا يسألكم أموالكم أي ولا يطلب منكم أموالكم كلها أي كراهة إحفائكم بذلك إن يسألكموها فيحفكم أي بكثرة الإلحاح عليكم تبخلوا إذ هذا معروف من طباع البشر أن الإنسان إذا ألح وألحف عليه في الطلب يبخل بالمال ولم يعطه وقد يترك الإسلام لذلك، وقوله ويخرج أضغانكم أي أحقادكم وبغضكم للدين وكراهيتكم له ولذا لم يسألكم أموالكم وقوله تعالى : ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ أي جزءاً من أموالكم في الزكاة أو الجهاد لا كل أموالكم لما يعلم تعالى من شح النفس بالمال وقوله ﴿فمنكم من يبخل﴾ أي يمنع ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه إذ هي التي حرمها أجر النفقة في سبيل الله ذات الأجر العظيم وقوله ﴿والله الغني وأنتم

(١) الفاء للتفريع.

(٢) والأعلون) معناه الغالبون المنتصرون.

(٣) أي : لا ينقصكم، ومنه الموتور: الذي قُتل له قاتل، وفي الحديث الصحيح : (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله).

(٤) يقال : أحفى في المسألة وألح بمعنى واحد.

(٥) (ها) : حرف تنبيه، وفي إعراب الجملة وجهان الأول : وهو أن يكون (أنتم) مبتدأ، و(هؤلاء) منادي معترض، و(تدعون) الخبر، والثاني : أن يكون (أنتم) مبتدأ و(هؤلاء) خبره، وجملة : (تدعون) مستأنفة مؤكدة ومقررة لما سبق.

(٦) أي : في الحال وجائز أن يدعو في المستقبل، إذ الجهاد مستمر والحاجة إلى الإنفاق لا تنقطع، سبيل الله : المراد بها الجهاد وهي كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى.

(٧) (يجوز في (يبخل) أن يعدى بمن ويعلى يقال : بخل عليه بكذا أو يبخل عنه بكذا أو يُضْمَن معنى أمسك، وحينئذ فتعديته يعلى نحو: أمسك عليك لسانك.

الفقراء ﴿١﴾ إلى الله تعالى فهو غني عنكم لا يحضكم على النفقة لحاجته إليها ولكن لحاجتكم أنتم إليها إذ بها تزكوا نفوسكم وتقوم أموركم وتنصروا على عدوكم وقوله وإن تتولوا أي ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله يستبدل الله بكم قوما غيركم أي يذهبكم ويأت بآخرين ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونون أطوع لله تعالى منكم وأسرع امتثالا لما يطلب منهم . وحاشاهم أن يتولوا وما تولوا ولا استبدل الله تعالى بهم غيرهم . وإنما هذا من باب حثهم على معالي الأمور والأخذ بعزائمها نظرا لمكانتهم من هذه الأمة فهم أشرفها وأكملها وأطوعها لله وأحبها له ولرسوله ﷺ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب طاعة الله وطاعة رسوله .
- ٢- وجوب اتمام العمل الصالح من صلاة وغيرها بالشروع فيه .
- ٣- بطلان العمل الصالح بالرياء أو بإفساده عند أدائه أو بالردة عن الإسلام .
- ٤- حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم .
- ٥- التنفير من الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة .
- ٦- حرمة البخل مع الجدة والسعة .

سُورَةُ الْفَتْحِ^(١)

مدنية

وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

(١) نزلت ليلاً بعد صلح الحديبية بين مكة والمدينة قال فيها رسول الله ﷺ : (لقد أنزلت علي الليلة سورة لمهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) • البخاري .

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
 الْمُتَفِيقِينَ وَالْمُتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
 بِأَلَلِّهِ ظَنِّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

- إنا فتحنا لك فتحا مبينا : أي قضينا لك بفتح مكة وغيرها عنوة بجهادك فتحا ظاهرا بينا .
 ليغفر لك الله : أي بسبب شكرك له وجهادك في سبيله .
 ما تقدم من ذنبك وما تأخر : أي ما تقدم الفتح وما تأخر عنه .
 ويتم نعمته عليك : أي ينصرك على أعدائك وإظهار دينك ورفع ذكرك .
 ويهديك صراطا مستقيما : ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه يُفضي بك إلى رضوان ربك .
 وينصرك الله نصرا عزيزا : أي وينصرك الله على أعدائك ومن ناواك نصرا عزيزا لا يغلبه غالب ، ولا يدفعه دافع .
 أنزل السكينة في قلوب المؤمنين : أي الطمأنينة بعد ما أصابهم من الاضطراب والقلق من جراء الصلح .
 وكان الله عليما حكيما : أي عليما بخلقه حكيما في تدبيره لأوليائه .
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات : أي قَضَى بالفتح ليشكروهم ويجاهدوا في سبيله ليدخلهم جنات .

وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً : أي وكان ذلك الإدخال والتكفير للسيئات فوزاً عظيماً .
 ويعذب المنافقين والمنافقات : والمشركين والمشركات أي يعذبهم بالهم والحزن لما يرون
 من نصرة الإسلام وعزة أهله .
 الظانين بالله ظن السوء : أي أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه .
 عليهم دائرة السوء : أي بالذل والعذاب والهوان .
 وكان الله عزيزاً حكيماً : أي كان وما زال تعالى غالباً لا يُغلب حكيماً في الانتقام من
 أعدائه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ الآيات هذه فاتحة سورة الفتح التي قال فيها رسول الله
 ﷺ [لقد أنزلت عليّ سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً
 مبيناً﴾] وذلك بعد صلح الحديبية سنة ست من الهجرة وفي منصرفه منه وهو في طريقه عائداً مع
 أصحابه إلى المدينة النبوية . وقد خالط أصحابه حزن وكآبة حيث صدوا عن المسجد الحرام
 فعادوا ولم يؤدوا مناسك العمرة التي خرجوا لها ، وتمت أحداث جسام تحمل فيها رسول الله ﷺ
 مالا يقدر عليه من أولى العزم غيره فجزاه الله وأصحابه وكافأهم على صبرهم وجهادهم بما
 تضمنته هذه الآيات إلى قوله ﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾ فقوله تعالى ﴿إنا فتحنا لك﴾
 يارسولنا ﴿فتحاً مبيناً﴾ أي قضينا لك بفتح مكة وخير وغيرهما ثمرة من ثمرات جهادك وصبرك
 وهو أمر واقع لا محالة وهذا الصلح بداية الفتح فاحمد ربك واشكره ليغفر لك بذلك وبجهادك
 وصبرك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك بنصرك على أعدائك وعلى كل من ناوأك ،
 ويهديك صراطاً مستقيماً أي ويرشدك إلى طريق لا اعوجاج فيه يفضي بك وبكل من يسلكه إلى
 الفوز في الدنيا والآخرة وهو الإسلام دين الله الذي لا يقبل ديناً سواه . وينصرك الله نصراً عزيزاً
 أي وينصرك ربك على أعدائك وخصوم دعوتك نصراً عزيزاً إي ذا عز لا دُل معه هذه أربع عطايا

(١) الماضي هنا بمعنى المستقبل إذ فتح مكة المومي إليه كان سنة ثمانٍ وأطلق الماضي مع إرادة المضارع لتحقيق الوقوع
 وتأكده نحو: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) واللام في (لك) : لام الأجل أي : فتحنا لأجلك .

(٢) اضطرب المفسرون في تعليق لام (ليغفر لك) فالسيوطي علقه بكلمة (بجهادك) زادهابعد جملة ليغفر لك أي : بجهادك
 يوم فتحك مكة ، وفي التفسير قدرنا جملتي : فاحمده على الفتح واشكره عليه ليغفر لك . وأما الذنب مع إجماعهم أنه لا
 ذنب كبير لعصمته ﷺ فإن أحسن ما قيل فيه هو ما يلي : أما الذنب المتقدم فهو قوله ﷺ في بدر : (اللهم إن تهلك هذه
 العصابة لا تُعبد في الأرض أبداً فأوحى إليه : من أين تعلم هذا؟ فكان هذا الذنب المتقدم ، والثاني : أنه لما انهزم
 المسلمون : يوم حنين قال لعنه ناولني كفاً من حصياء فناوله فرمى به المشركين فانهزموا فقال لأصحابه : (لولا أني رميتهم ما
 انهزموا) فهذا الذنب المتأخر . والحقيقة أن هذا لو عُذ ذنباً لكان من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

كانت لرسول الله ﷺ ففرح بها وهي مغفرة الذنب السابق واللاحق ، الفتح للبلاء ، الهداية إلى أقوم طريق يقضي إلى سعادة الدارين ، والنصر المؤزر العزيز ، فلذا قال أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً . وقوله تعالى ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ أي هو الله المنعم عليك بما ذكر لك الذي أنزل السكينة أي الطمأنينة على قلوب المؤمنين من أصحابك وكان عددهم ألفاً وأربعمائة صاحب أنزل السكينة عليهم بعد اضطراب شديد أصاب نفوسهم دل عليه قول عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ ألسنت نبي الله حقاً؟ قال : بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت فلم نُعطى الدنية في ديننا إذا؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري . قلت أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى ، قلت : فلم نُعطى الدنية في ديننا؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بِغُرْزِهِ أي سر على نهجه ولا تخالفه . فوالله إنه لعلى الحق ، قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف به؟ قال بلى . قال فهل أخبرك انه العام؟ قلت : لا قال فإنك تأتيه وتطوف به . وقوله ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ أي بشرائع الإسلام كلما نزل حكم آمنوا به وعملوا به ومن ذلك الجهاد وبذلك يكون إيمانهم في ازدياد . وقوله تعالى والله جنود السموات والأرض أي ملائكة السماء وملائكة الأرض وكل ذي شوكه وقوة من الكائنات هو الله كغيره ويسخره كما شاء ومتى شاء فقد يسلط جيشاً كافراً على جيش كافر نصره لجيش مؤمن والمراد من هذا انه تعالى قادر على نصره نبيه ودينه بغيركم أيها المؤمنون وكان الله وما زال أزلاً وأبداً عليهما بخلقه حكيماً في تدبير أمور خلقه . وقوله تعالى ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك ﴾ أي الإدخال للجنة وتكفير السيئات فوزاً عظيماً أي فتح على رسوله والمؤمنين ليشكروا بالطاعة والجهاد والصبر أي تم كل ذلك ليدخل المؤمنين والمؤمنات الآية . . . وقوله ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات

(١) (السكينة) السكون والطمأنينة ، قال ابن عباس : كل سكينة في القرآن فهي بمعنى الطمأنينة إلا في البقرة . يريد قوله تعالى : (فيه سكينة من ربكم) .

(٢) هذه الجملة تذييلية مذيّل بها الكلام السابق ، والجنود : جمع جند ، والجند : اسم للجماعة المقاتلين لا واحد له من لفظه وجمع باعتبار الجماعات التي يتكون منها وهي المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة .

(٣) الآم : لام التعليل متعلقة بفعل ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ وذكر المؤمنات مع المؤمنين هنا لدفع ما يتوهم أن هذا الوعد خاص بالمؤمنين دون المؤمنات في حين أن موقف أم سلمة كان عظيماً إذ استشارها رسول الله ﷺ حين أبى أصحابه أن يتحللوا فأشارت عليه بما جعلهم يتحللون .

(٤) هذا معطوف على قوله تعالى : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات ﴾ وهذا التعذيب المذكور في الآية تعذيب خاص زائداً على عذاب الكفر والنفاق وفي قوله : ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ إشارة إلى ذلك .

والمشركين والمشركات ﴿ أَي فَتَحَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَنَصَرَهُمْ وَوَهَبَهُمْ مَا وَهَبَهُمْ مِنَ الْكَمَالِ لِيَكُونَ ذَلِكَ غَمًا وَهَمًا وَحُزْنًا يَعَذِّبُ اللَّهُ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَوْلُهُ ﴿ الْعَظَائِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ ﴾ ^(١) هَذَا وَصَفٌ لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ حَيْثُ إِنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَعْلِي كَلِمَتَهُ وَلَا يَظْهَرُ دِينُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾ أَخْبَارًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ دَائِرَةَ السُّوءِ تَكُونُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَمَعْنَى أَعَدَّ هِيَ وَأَحْضَرَ لَهُمْ ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مَصِيرًا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَالْجَانُ . بَعْدَ نِهَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يَنْصُرُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَيَهْزِمُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ أَي غَالِبًا لَا يَمَانَعُ فِي مَرَادِهِ ﴿ حَكِيمًا ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ وَصْنَعِهِ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الذنب الذي غفر لرسول الله ﷺ من المعلوم بالضرورة انه ليس من الكبائر في شيء وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .
- ٢- إنعام الله على العبد يوجب الشكر والشكر يوجب المغفرة وزيادة الإنعام .
- ٣- بيان مكافأة الله لرسوله والمؤمنين على صبرهم وجهادهم .
- ٤- بيان أن الكافرين يحزنون ويُغْمَوْنَ لِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَزْمِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَذَابًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

(١) (ظنُّ السُّوءِ) بفتح السين : قراءة العشرة في قوله : (ظنُّ السُّوءِ) وفي (عليهم دائرة السوء) الجمهور على الفتح ، وقرأ بعض بضم السين . وهما لغتان كالكره والكُره . ، والضعف والضعف بالفتح والضم .
(٢) ومعنى ظنهم بالله ظن السوء : أن الله ما وعد الرسول بالفتح ولا أمره بالخروج إلى العمرة ولم ينصر رسوله ﷺ .

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
 اللَّهُ فَمُتَّوِّتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

شاهدا ومبشرا ونذيرا	: أي شاهدا على أمتك أمة الدعوة يوم القيامة ومبشراً من آمن منهم وعمل صالحا بالجنة ونذيراً من كفر أو عصى وفسق بالنار.
ليؤمنوا بالله ورسوله	: أي هذا علة للإرسال .
وتعزروه وتوقروه	: أي ينصروه ويعظموه وهذا لله وللرسول .
وتسبحوه بكرة وأصيلا	: أي الله تعالى بالصلاة والذكر والتسبيح .
إن الذين يبايعونك	: أي بيعة الرضوان بالحديبية .
إنما يبايعون الله	: لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى .
يد الله فوق أيديهم	: أي لأنهم كانوا يبايعون الله إذ هو الذي يجاهدون من أجله ويتلقون الجزاء من عنده .
فمن نكث	: أي نقض عهده فلم يقاتل مع الرسول والمؤمنين .
فإنما ينكث على نفسه	: أي وبال نقضه عهده عائد عليه إذ هو الذي يجزي به .
فسيؤتيه أجرا عظيما	: أي الجنة إذ هي الأجر العظيم الذي لا أعظم منه إلا رضوان الله عز وجل .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان ما أنعم الله تعالى به على رسوله فقال تعالى ﴿إنا أرسلناك شاهداً^(١) لله تعالى بالوحدانية والكمال المطلق له عز وجل وشاهداً على هذه الأمة التي أرسلت فيها وإليها عربها وعجمها ومبشراً لأهل الإيمان والتقوى بالجنة ونذيراً لأهل الكفر والمعاصي أي مخوفاً لهم من عذاب الله يوم القيامة . وقوله تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي أرسلناه كذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴿وتعزروه﴾ بمعنى تنصروه ﴿وتوقروه﴾ بمعنى تجلوه وتعظموه وهذه واجبة لله ولرسوله الإيمان والتعزير والتوقير، وأما التسبيح والتقديس فهو لله تعالى وحده ويكون بكلمة سبحان الله وبالصلاة وبالذكر لا إله إلا الله ، وبدعاء الله وحده

(١) بيان لحكمة الإرسال وما يترتب عليه (وشاهداً) إنه بالنظر إلى شهادته يوم القيامة فهي حال مقدرة، وبالنظر إلى شهادته في الدنيا مع تبشيره ونذارته فهي حال مقارنة . (وإنا أرسلناك) الخ . . كلا مستأنف ابتدائي .

وقوله ﴿بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١) أي تسبحون الله بكرة أي صباحاً وأصيلاً أي عشية وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يخبر تعالى رسوله بأن الذين يبايعونه على قتال أهل مكة وأن لا يفروا عند اللقاء، إنما يبايعون الله إذ هو تعالى الذي أمرهم بالجهاد وواعدهم الأجر فالعقد وإن كانت صورته مع رسول الله فإنه في الحقيقة مع الله عز وجل، ولذا قال ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله تعالى ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي نقض عهده فلم يقاتل ﴿فَإِنَّمَا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ بمعنى وفى ﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ من نصره الرسول والقتال تحت رايته حتى النصر ﴿فَسِيَّوِيهِ﴾^(٢) الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الذي هو الجنة دار السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة محمد ﷺ والإعلان عن شرفه وعلو مقامه .
- ٢- وجوب الإيمان بالله ورسوله ووجوب نصره الرسول وتعظيمه ﷺ .
- ٣- وجوب تسبيح الله وهو تنزيهه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله مع الصلاة ليلاً ونهاراً .
- ٤- وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقض العهد ونكثه .

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ
بِالسِّنَةِ هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى

(١) البكرة: أول النهار، والأصيل: آخره أي: غداة وعشيا. قال الشاعر:
لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأجلس في أفيائه بالأصائل

جمع أصيل: العشي.

(٢) هذه هي البيعة التي بايعها المسلمون النبي ﷺ يوم الحديبية تحت الشجرة (السُمره) وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأول من بايع النبي ﷺ تحت الشجرة: أبو سنان الأسدي، وتسمى بيعة الرضوان لقوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة).

(٣) قرأ نافع (فسنوتيه) بالنون، وقرأ حفص (فسنوتيه) بالياء التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة.

أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- المخلفون من الأعراب : أي الذين حول المدينة وقد خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع .
- شغلنا أموالنا وأهلونا : أي عن الخروج معك .
- فاستغفر لنا : أي الله من ترك الخروج معك .
- يقولون بألسنتهم : أي كل ما قالوه هو من ألسنتهم وليس في قلوبهم منه شيء .
- قل فمن يملك لكم من الله شيئا : أي لا أحد لأن الاستفهام هنا للنفي .
- إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً : ويخبرهم على تركهم صحبة رسول الله ﷺ خوفا من قريش .
- بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول : أي حسبتم أن قريشا تقتل الرسول والمؤمنين فلم يرجع منهم والمؤمنون أحد إلى المدينة .
- وظننتم ظن السوء : هو هذا الظن الذي زينه الشيطان في قلوبهم .
- وكنتم قوما بورا : أي هالكين عند الله بهذا الظن السيء ، وواحد بور بائر . هالك .
- فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا : أي نارا شديدة الاستعار والالتهاب .
- يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء : يغفر لمن يشاء وهو عبد تاب وطلب المغفرة بنفسه ، ويعذب من يشاء وهو عبد ظن السوء وقال غير ما يعتقد وأصر على ذلك الكفر والنفاق .
- وكان الله غفورا رحيمًا : كان وما زال متصفا بالمغفرة والرحمة فمن تاب غفر الله له ورحمه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين في الحضر والبادية وذلك بتأنيبهم وتوبيخهم وذكر معائبهم إرادة إصلاحهم فقال تعالى لرسوله ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع^(١) وكانوا أهل بادية وأعرابا حول المدينة استنفرهم رسول الله ﷺ ليخرجوا معه إلى مكة للعمرة تحسبا لما قد تقدم عليه قريش من قتاله ﷺ إلا أن هؤلاء المخلفين من الأعراب أصابهم خوف وجبن من ملاقة قريش وزين لهم الشيطان فكرة أن الرسول والمؤمنين لن يعودوا إلى المدينة فإن قريشا ستقضي عليهم وتنهي وجودهم فلذلك خلفهم الله وحرّمهم صحبة نبيه والمؤمنين فحرموا من مكربة بيعة الرضوان وأخبر رسوله عنهم وهو عائد من الحديبية بما يلي ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ معتردين لك عن تخلفهم ﴿شغلنا أموالنا﴾ فتخلفنا لأجل إصلاحها، ﴿وأهلونا﴾ كذلك ﴿فاستغفر لنا﴾ أي اطلب لنا من الله المغفرة. ولم يكن هذا منهم حقا وصدقا بل كان باطلا وكذبا فقال تعالى فاضحاً لهم ﴿يقولون بالاستتهم ما ليس في قلوبهم﴾ فهم إذاً كاذبون. وهنا أمر رسوله أن يقول لهم أخبروني إن أنتم عصيتم الله ورسوله وتركتم الخروج مع المؤمنين جبنا وخوفا من القتل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرأ أي شرأ لكم أو أراد بكم نفعأ أي خيراً لكم؟ والجواب قطعاً لا أحد إذاً فإنكم كنتم مخطئين في تخلفكم وظنكم معاً، وقوله ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ اضرب تعالى عن كذبهم واعتذارهم ليهدهم على ذلك بقوله ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ وسيجزيك به وما كان عملهم إلا الباطل والسوء، ثم اضرب عن هذا أيضاً إلى آخر فقال ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ إذ تقتلهم قريش فتستأصلهم بالكلية. وزين ذلك الشيطان في قلوبكم فرأيتموه واقعاً، وظننتم ظن السوء وهو أن الرسول والمؤمنين لن ينجوا من قتال قريش لهم، وكنتم أي بذلك الظن قوما بورا لا خير فيكم هلكن لا وجود لكم. وقوله تعالى ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعدنا للكافرين سعيراً﴾ وهو إخبار أريد به تخويفهم لعلهم يرجعون من باطلهم في اعتقادهم وأعمالهم إلى الحق قولاً وعملاً، ومعنى أعدنا أي هيأنا وأحضرنا وسعيراً بمعنى نار مستعرة شديدة الالتهاب وقوله في الآية الأخيرة من هذا السياق (١٥) ﴿والله ملك﴾^(٣)

(١) والدليل كذلك، وخرج من أسلم مائة رجل من بينهم مرداس بن مالك الأسلمي والدعباس الشاعر، وعبد الله بن أبي أوفى وزاهر بن الأسود، وأهبان بن أوس وسلمة بن الأكوع الأسلمي، ومن غفار: خُفاف بن أيماء ومن مزينة: عائذ بن عمرو، وتخلف عن الخروج أكثرهم.

(٢) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة : (بل كان الله بما تعملون خبيراً) وإن مخففة من الثقلية، واسمها: ضمير الشأن (ولن) لإفادة استمرار النفي، وأكد أيضاً بـ(أبداً) لأن ظنهم كان قوياً.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله تعالى : (فمن يملك لكم من الله شيئا) وهو انتقال من التخويف الشديد إلى الإطماع في المغفرة والرحمة ليكون سبباً في هدايتهم، وتقديم الرحمة على العذاب مشعر بذلك.

السموات والأرض ﴿أي بيده كل شيء﴾ ﴿يغفر لمن يشاء﴾ من عباده ويعذب من يشاء فاللائق بهم التوبة والإنابة إليه لا الإصرار على الكفر والنفاق فإنه غير مجد لهم ولا نافع بحال وقد تاب بهذا أكثرهم وصاروا من خيرة الناس ، وكان الله غفورا رحيما فغفر لكل من تاب منهم ورحمه .
ولله الحمد والمنة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك دال على أنه كلام الله أوحاه إلى رسوله ﷺ .
- ٢- لا يملك النفع ولا الضر على الحقيقة إلا الله ولذا وجب أن لا يطمع إلا فيه ، ولا يرهب إلا منه .
- ٣- حرمة ظن السوء في الله عز وجل ، ووجوب حسن الظن به تعالى .
- ٤- الكفر موجب لعذاب النار ، ومن تاب تاب الله عليه ، ومن طلب المغفرة في صدق غفر له .
- ٥- ذم التخلف عن المسابقة في الخيرات والمنافسة في الصالحات .

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لَتَأْخُذُوا هَٰذَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

المخلفون من الأعراب : أي المذكورون في الآيات قبل هذه وهم غفار وجهينة ومزينة وأشجع .

إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها : أي مغانم خيبر إذ وعدهم الله بها عند رجوعهم من الحديبية .

ذرونا تتبعكم : أي دعونا نخرج معكم لنصيب من الغنائم .

يريدون أن يبدلوا كلام الله : أي أنهم بطلبهم الخروج إلى خيبر لأخذ الغنائم يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر .

كذلك قال الله من قبل

: أي قاله تعالى لنا قبل عودتنا إلى المدينة فلن تتبعونا ولن تخرجوا معنا.

فسيقولون بل تحسدوننا

: أي فسيقولون بل تحسدوننا وفعلنا فقد قالوا ذلك وزعموا انه ليس امراً من الله هذا المنع، وإنما هو من الرسول والمؤمنين حسداً لهم، وهذا دال على نفاقهم وكفرهم والعياذ بالله.

بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً : أي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلاً وفي أمور الدنيا لا غير.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين من الحضر والبادية وذلك بالحديث عنهم وكشف عوارهم ودعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق عند ظهور انحرافهم وسوء أحوالهم فقال تعالى لرسوله . سيقول المخلفون الذين تقدم الحديث عنهم وأنهم تخلفوا عن الحديبية من الأعراب الذين هم مزينة وجهينة وغفار وأشجع . أي سيقولون لكم إذا انطلقتم إلى مغانم^(١) لتأخذوها ذرونا نتبعكم، وذلك أن الله تعالى بعد صلح الحديبية وما نال أهلها من آلام نفسية أكرمهم بنعم كثيرة منها انه واعدهم بغنائم خيبر بأن يتم لهم فتحها ويغنمهم أموالها وكانت أموالاً عظيمة، فلما عادوا إلى المدينة وأعلن الرسول ﷺ عن الخروج إلى خيبر جاء هؤلاء المخلفون يطالبون بالسير معهم لأجل الغنيمة لا غير، قال تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وهو وعده لأهل الحديبية بأن يُغنمهم غنائم خيبر، ولذا أمر رسوله أن يقول لهم لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل أي فقد أخبرنا تعالى بحالكم ومقالكم هذا قبل أن تقولوه وتكونوا عليه . وقوله ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ هذا من جملة ما أخبر تعالى به رسوله والمؤمنين قبل قولهم له وقد قالوه أي ما منعتمونا من الخروج إلى خيبر إلا حسداً لنا أن ننال من الغنائم أي لم يكن الله أمركم بمنعنا ولكن الحسد هو الذي أمركم وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً أي وصمهم بوصمة الجهل وجعلها هي علة تخطيهم وحيرتهم وضلالهم، انهم قليلو الفهم والإدراك فليسوا على مستوى الرجل الحاذق الماهر البصير الذي يحسن القول والعمل .

(١) هي مغانم خيبر لأن الله تعالى وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر سواء، ولم يغب منهم عنها إلا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضر.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال لهم : (إن خرجتم لم أمتعكم إلا أنه لا سهم لكم) وقالوا هذا حسد.

(٣) (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي : يريدون أن يغيروه يعني يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد به أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وعد الله رسوله والمؤمنين بغنائم خيبر وهم في طريقهم من الحديبية إلى المدينة وانجازه لهم دال على وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته وكلها موجبة للإيمان والتوحيد وحب الله والرغبة إليه والرهبة منه .

٢- بيان حيرة الكافر واضطراب نفسه وتخبط قوله وعمله .

٣- ذم الجهل وتقييحه إنه بشئ الوصف يوصف به المرء ، ولذا لا يرضاه حتى الجاهل لنفسه فلو قلت لجاهل يا جاهل لا تفعل كذا أو لا تقل كذا لغضب عليك .

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدٍ
نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

قل للمخلفين من الأعراب : أي الذين تخلفوا عن الحديبية وطالبوا بالخروج إلى خيبر لأجل الغنائم اختباراً لهم .

ستدعون إلى قوم أولي بأس : أي ستدعون في يوم ما من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس وشدة شديد في الحرب .

تقاتلونهم أو يسلمون : أي تقاتلونهم . أو هم يسلمون فلا حاجة إلى قتالهم .

فإن تطيعوا : أي أمر الداعي لكم إلى قتال القوم أصحاب البأس الشديد .

يؤتكم الله أجراً حسناً : أي عودة اعتباركم مؤمنين صالحين في الدنيا والجنة في الآخرة .

وإن تتولوا : أي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا للحديبية .

يعذبكم عذاباً أليماً : في الدنيا بالقتل والاذلال وفي الآخرة بعذاب النار .

حرج : أي إثم .

ومن يتول : أي يعرض عن طاعة الله ورسوله .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين من الأعراب إذ قال تعالى للرسول ﷺ قل للمخلفين الذين أصبح وصف التخلف شعاراً لهم يعرفون به وفي ذلك من الذم واللوم والعتاب ما فيه قل لهم مختبراً إياهم ^(١) يستدعون في يوم من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس شديد في الحروب تقاتلونهم ، أو يسلمون فلا تقاتلوهم وذلك بأن يرضوا بدفع الجزية وهؤلاء لا يكونون إلّا نصارى أو مجوساً فهم إما فارس وإما الروم وقد اختلف في تحديدهم فإن طيعوا الأمر لكم بالخروج الداعي للجهاد فتخرجوا وتجاهدوا يؤتكم الله أجراً حسناً غنائم في الدنيا وحسن الصيت والأحدوة والجنة فوق ذلك ، وإن تتولوا أي تعرضوا عن طاعة من يدعوكم ولا تخرجوا معه كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا مع رسول الله إلى مكة للعمرة خوفاً من قريش ورجاء أن يهلك الرسول والمؤمنون ويخلو لكم الجوّ يعذبكم عذاباً أليماً أي في الدنيا بأن يسلط عليكم من يعذبكم وفي الآخرة بعذاب النار وقوله تعالى ليس ^(٢) على الأعمى حرج الآية إنه لما نزلت آية المنافقين قل للمخلفين من الأعراب وكان ختامها وإن تولوا عن الجهاد يعذبكم عذاباً أليماً خاف أصحاب الأعداء من مرض وغيره وبكوا فأنزل الله قوله ليس على الأعمى حرج أي إثم إذا لم يخرج للجهاد ولا على الأعرج حرج وهو الذي به عرج في رجله لا يقدر على المشي والجري والكبر والفر ولا على المريض حرج وهو المريض بالطحال أو الكبد أو السعال من الأمراض

(١) في هذه الآية دليل على خلافة أبي بكر إذ هو الذي دعا إلى قتال أصحاب مسليمة الكذاب ، إذ هم الذين لا تقبل منهم الجزية وإنما الإسلام أو القتل ، لقوله تعالى : (تقاتلونهم أو يسلمون) أما فارس أو الروم فهم مجوس ونصارى قد تؤخذ منهم الجزية .

(٢) وقيل : إنهم أصحاب مسليمة الكذاب ، وقال رافع بن خديج . والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد) فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فقلنا : إنهم هم .

(٣) قال ابن عباس لما نزلت : (وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) قال أهل الزمانة : كيف بنا يا رسول الله ﷺ فنزلت (ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج) أي : لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد .

(٤) العرج : آفة تعرض لرجل واحدة ، قال مقاتل : هم أهل الزمانة الذين تخلفوا عن الحديبية ، وقد عذرهم . وفي هذه الآية بيان من يجوز لهم التخلف عن الجهاد ، ولا إثم عليهم وهم العميان والمرضى والعرج .

المزمنة التي لا يقدر صاحبها على القتال وكان يعتمد على الفر والكر ولائد كذلك من سلامة البدن وقدرته على القتال.

وقوله ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ أي في أوامرها ونواهيها ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وهذا وعد صادق من رب كريم رحيم ، ومن يتول عن طاعة الله ورسوله يُعذبه عذاباً أليماً وهذا وعيد شديد قوي عزيز ألا فليتنق الله امرؤ فإن الله شديد العقاب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الاختبار والامتحان لمعرفة القدرات والمؤهلات .
- ٢- بيان أن غزو الإسلام ينتهي إلى أحد أمرين إسلام الأمة المغزوة أو دخولها في الذمة بإعطائها الجزية بالحكم الإسلامي وسياسته .
- ٣- دفع الإثم والحرَج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض .
- ٤- بيان وعد الله ووعيده لمن أطاعه ولمن عصاه ، الوعد بالجنة . والوعيد بالنار .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

شرح الكلمات :

لقد رضي الله عن المؤمنين : أي الراسخين في الإيمان الأقوياء فيه وهم أهل بيعة الرضوان من أصحاب رسول الله ﷺ .

إذ يبايعونك

: أي بالحديثة أيها الرسول محمد ﷺ .

تحت الشجرة : أي سمرة وهم ألف وأربعمائة بايعوا على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا .

تحت الشجرة

(١) قرأ نافع (ندخله) و(نعذبه) بالنون ، وقرأ حفص : (يدخله) (يعذبه) بالياء .

فعلّم ما في قلوبهم فأنزل: أي علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء فأنزل الطمأنينة السكينة عليهم

وأناهم فتحاً قريباً : أي هو فتح خبير بعد انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة.

وفي آخر المحرم من سنة سبع غزوا خبير ففتحها الله تعالى عليهم.

ومغانم كثيرة يأخذونها : أي من خبير.

وكان الله عزيزاً حكيماً : أي كان وما زال تعالى عزيزاً غالباً حكيماً في تصرفه شؤون عباده.

معنى الآيتين :

قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين^(٢) هذا إخبار منه تعالى برضاه عن المؤمنين الكاملين في إيمانهم وهم ألف وأربعمائة الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت شجرة سمرة إلاّ الجذ بن قيس الأنصاري فإنه لم يبايع حيث كان لاصقاً بإبط ناقته مختبئاً عن أعين الأصحاب وكان منافقاً ومات على ذلك لا قرت له عين. وسبب هذه البيعة كما ذكره غير واحد أن النبي ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له «وهو الاعتمار» وذلك حين نزل الحديبية. فعمقوا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش «فرق من شتى القبائل يُقال لهم الأحابيش واحدهم أحبوش يقال لهم اليوم : اللفيف الأجنبي عبارة عن جيش أفراده من شتى البلاد والدول. فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ. وهنا دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليهم، ولكنني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فراح عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها فتزل عن دابته فحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره

(١) هذا رجوع إلى تفصيل ما جرى به الله تعالى أهل بيعة الرضوان الذي تقدم إجماله في قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) الآية.

(٢) في قوله تعالى عن المؤمنين (إذ يبايعونك) إعلام بأن من لم يبايع ممن خرج مع الرسول ﷺ كالجد بن قيس لم يُفَرِّضْ برضى الله تعالى وأنه غير مؤمن.

حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قتل . فقال الرسول ﷺ عندئذ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، هذا معنى قوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم﴾ أي من الصدق والوفاء فأنزل السكينة أي الطمأنينة والثبات عليهم وأثابهم أي جزاهم على صدقهم ووفائهم فتحاً قريباً هو صلح الحديبية وفتح خيبر ، ومغانم كثيرة يأخذونها وهي غنائم خيبر ، وكان الله عزيزاً أي غالباً على أمره ، حكيماً في تدبيره لأوليائه .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١- بيان فضل أهل بيعة الرضوان وكرامة الله لهم برضاه عنهم .
- ٢- ذكاء عمر وقوة فراسته إذ أمر بقطع الشجرة خشية أن تعبد ، وكم عبدت من أشجار في أمة الإسلام في غيبة العلماء وأهل القرآن .
- ٣- مكافأة الله تعالى للصادقين الصابرين المجاهدين من عباده المؤمنين بخير الدنيا والآخرة .

وَعَدَّكُمْ اللَّهُ

مَغَانِمَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ

النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا

-
- (١) (إذ يبايعونك) ظرف متعلق بـ (رضي) والمضارع بمعنى الماضي وإنما جيء بالمضارع لاستحضار حالة المبايعة الجليلة وصورتها العظيمة . وكون الرضى حصل قبل انتهاء البيعة إيداناً بفضلها وفضل أهلها .
 - (٢) (تحت الشجرة) التعريف للشجرة للعهد الذي عرفه أهلها حين كان النبي ﷺ جالساً في ظلها فبايع أصحابه كلهم إلا الجد بن قيس وكان منافقاً غير مؤمن فلم يبايع كما في التفسير ، حيث كان لاصقاً بإبط ناقتة .
 - (٣) المغانم الكثيرة : هي مغانم بلاد خيبر من أرض وأنعام ومتاع وحوايط وبساتين ، ووصف الغنائم بجملة يأخذونها دال على تحقيق حصول فائدة هذا الوعد لجميع أهل البيعة وبشارة لهم بأنه لم يهلك منهم أحداً قبل حصولهم على هذه الغنائم وكذلك كان والحمد لله .
 - (٤) هذه الجملة معترضة ذيل بها قوله تعالى : (وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها) لأن ما حصل لهم من نصر وخير كان من مظاهر عزة الله وعظيم حكمته .

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْلُوا أَلَا دَبَّرْتُمْ لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةُ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها: أي من الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس غربا .
فجعل لكم هذه : أي غنيمة خبير .
وكف أيدي الناس عنكم : أي أيدي اليهود حيث هموا بالغارة على بيوت الصحابة وفيها
أزواجهم وأولادهم وأموالهم فصرفهم الله عنهم .
ولتكون آية للمؤمنين : أي تلك الصرفة التي صرف اليهود المتآمرين عن الاعتداء
على عيال الصحابة وهم غُيِّب في الحديبية أو خبير آية يستدلون
بها على كلاءة الله وحمايته لهم في حضورهم ومغيبيهم .
ويهديكم صراطا مستقيما : أي طريقا في التوكل على الله والتفويض إليه في الحضور
والغيبة لا اعوجاج فيه .
وأخرى لم تقدرُوا عليها : أي ومغنم أخرى لم تقدرُوا عليها وهي غنائم فارس والروم .
قد أحاط بها : أي فهي محروسة لكم إلى حين تغزون فارس والروم
فتأخذونها .
ولو قاتلكم الذين كفروا : أي المشركون في الحديبية .
للولوا الأديار : أي لانهزموا أمامكم واعطوكم أدبارهم تضربونها .
سنة الله التي قد خلت من قبل : أي هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين الصابرين سنة ماضية في
كل زمان ومكان .
وهو الذي كف أيديهم عنكم : حيث جاء ثمانون من المشركين يريدون رسول الله والمؤمنين
ليصيبوهم بسوء .

وأيدىكم عنهم بطن مكة : فأخذهم أصحاب رسول الله أسرى وأتوا بهم إلى رسول الله
فغفا عنهم .

من بعد أن أظفركم عليهم : وذلك بالحديبية التي هي بطن مكة .
معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله تعالى وإنعامه على المؤمنين المباعين الله ورسوله على مناجزة
المشركين وقتالهم وأن لا يفروا فقد ذكر أنه أنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم خبير
الكثيرة فعطف على السابق خبراً عظيماً آخر فقال ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم
هذه﴾ أي غنيمة خبير، ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ وذلك أن يهود المدينة تمالأوا مع يهود خبير
وبعض العرب على أن يغيروا على دور الأنصار والمهاجرين بالمدينة ليقتلوا من بها وينهبوا ما
فيها فكف تعالى أيديهم وصرفهم عما هموا به كرامة للمؤمنين، وقوله ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾
أي تلك الصرفة التي صرف فيها قلوب من هموا بالغارة على عائلات وأسر الصحابة بالمدينة
وهم غُيب بالحديبية آية تهديهم إلى زيادة التوكل على الله والتفويض إليه والاعتماد عليه . وقوله
﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ أي ويسدكم طريقاً واضحاً لا اعوجاج فيه وهو أن تثقوا في أموركم
كلها بربكم فتتوكلوا عليه في جميعها فيكفيكم كل ما يهكم، ويدفع عنكم ما يضركم في
مغيبيكم وحضوركم . وقوله تعالى ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ أي وغنائم أخرى
لم تقدروا وهي غنائم الروم وفارس . وقد أحاط الله بها فلم يفلت منها شيء حتى تغزوا تلك البلاد
وتأخذوها كاملة، ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ ومن مظاهر قدرته أن يغنمكم وأنتم أقل عدداً
وعدداً غنائم أكبر دولتين في عالم ذلك الوقت فارس والروم . وقوله ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ أي ومن جملة انعامه عليكم أنه لو قاتلكم أهل مكة وأنتم
بيطنها لنصركم الله عليهم ولا نهزموا أمامكم مولينكم ظهورهم ولا يجدون ولياً يتولاهم بالدفاع
عنهم ولا ناصراً ينصرهم لأننا سلطانكم عليهم . وقوله تعالى ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾
أي في الأمم السابقة وهي أن الله ينصر أوليائه على أعدائه لا بد فكان هذا كالسنن الكونية التي

(١) هذه الجملة مستأنفة بياناً إذ قوله تعالى : (وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها) يشير في نفس أحدهم سؤالاً وهو:
هل بعد هذا الفتح والغنائم من غنائم أخرى فكان الجواب : (وعدكم الله مغانم . .) الخ فقولي في التفسير نعتف ليس هو
من باب العطف النحوي وإنما هو من باب الإرداف والإلحاق .

(٢) هذه مئة أخرى عظيمة حيث صرف عنهم قتال قريش لهم وإلا لكانوا يتعرضون لأتباع قد تحول بينهم وبين ما أوتوه من
فتح خبير والفوز بغنائمها .

(٣) (وليكون) هذه الجملة علة لأخرى مقدرة وهي ولتذكروها (ولتكون آية) الخ أي : كف أيدي الناس عنكم لتذكروها ولتكون
آية .

لا تتبدل، وهو معنى قوله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾، وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٤) ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ هذه منة أخرى وكرامة عظيمة وهي أن قريشا بعثت بثمانين شاباً إلى معسكر رسول الله في الحديبية لعلهم يصيبون غرة من الرسول وأصحابه فينالونهم بسوء فأوقعهم تعالى أسرى في أيدي المسلمين فمن الرسول ﷺ عليهم بالعفو فكان ذلك سبب صلح الحديبية. وقوله ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ أي مطلعاً عالماً بكل ما يجري بينكم فهو معكم لولايته لكم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- صدق وعد الله لأصحاب رسوله في الغنائم التي وعدهموها فتحقت كلماته بعد وفاة رسول الله ﷺ وهي غنائم فارس والروم.
- ٢- كرامة الله للمؤمنين إذ حمى ظهورهم من خلفهم مرتين الأولى ما هم به اليهود من غارة على عائلات وأسر الصحابة بالمدينة النبوية، والثانية ما هم به رجال من المشركين للفتك بالمؤمنين ليلاً بالحديبية إذ مكّن الله منهم رسوله والمؤمنين، ثم عفا عنهم رسول الله واطلق سراحهم فكان ذلك مساعداً قوياً على تحقيق صلح الحديبية.
- ٣- بيان سنة الله في أنه ما تقاتل أولياء الله مع أعدائه في معركة إلا نصر الله أوليائه على أعدائه.

هم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ
لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) روي عن أنس أنه قال: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه فأخذناهم سلباً فاستحييناهم فأنزل الله تعالى: (وهو الذي كف أيديهم) الآية.

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

هم الذين كفروا وصدوكم عن : أي بالله ورسوله ومنعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام .

المسجد الحرام

والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ^(١) : أي ومنعوا الهدي محبوساً حال بلوغ محله من الحرم .

ولولا رجال مؤمنون ونساء : أي موجودون في مكة .

مؤمنات

لم تعلموهم : أي لم تعرفوهم مؤمنين ومؤمنات .

أن تطأوهم : أي قتلأ لهم عند قتالكم المشركين بمكة .

فتصيبكم منهم مرة بغير علم : أي إثم وديات قتل الخطأ وعتق أو صيام لأذن لكم الله تعالى في دخول مكة .

ليدخل الله في رحمته من يشاء : أي لم يؤذن لكم في دخول مكة فاتحين ليدخل الله في الإسلام من يشاء .

لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا : أي لو تميزوا فكان المؤمنون على حدة والكافرون على حدة منهم عذاباً أليماً لأذاكم في الفتح وعذبنا الذين كفروا بأيديكم عذاباً أليماً وذلك بضربهم وقتلهم .

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم : أي لعذبناهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الجاهلية وهي الأنفة المانعة من قبول الحق ولذا منعوا الرسول وأصحابه من دخول مكة وقالوا كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا واللات والعزى ما دخلوها .

(١) جائز أن يكون : (أن يبلغ محله) بدل اشتغال من الهدي ، وجائز أن يكون معمولاً لحرف جر محذوف وهو (عن) أي أن يبلغ محله .

(٢) المحل : بكسر الحاء : مَحَلُّ الْجَلِّ مشتق من فعل حَلَّ ضد حَرَّمَ أي المكان الذي يحل فيه نحر الهدي ، وذلك بمكة عند المروة بالنسبة للعمرة ، ومنى بالنسبة للحج .

فأنزل الله سكينته على رسوله: أي فهم الصحابة أن يخالفوا أمر رسول الله بالصلح فأنزل الله وعلى المؤمنين سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح .
 وألزمهم كلمة التقوى : أي ألزمهم كلمة لا إله إلا الله إذ هي الواقعة من الشرك .
 وكانوا أحق بها وأهلها : أي أجدر بكلمة التوحيد وأهلًا للتقوى .
 وكان الله بكل شيء عليماً : أي من أمور عباده وغيرها ومن ذلك علمه بأهلية المؤمنين وأحقيتهم بكلمة التقوى «لا إله إلا الله» .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن صلح الحديبية فقال تعالى في المشركين ذاماً لهم عائباً عليهم صنيعهم ﴿هم الذين كفروا﴾ أي بالله ورسوله وصدوكم عن المسجد الحرام أن تدخلوه وأنتم محرمون والهدى معكوفاً أي وصدوا الهدى والحال أنه محبوس ^(١) يَنْتَظَرُ به دخول مكة لينحر وقوله تعالى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ بمكة لم تعلموهم لأنهم كانوا يخفون إسلامهم غالباً، كراهة أن تطاؤهم أثناء قتالكم المشركين فتصيبكم منهم معرفة غير علم منكم بهم والمعرفة العيب والمراد به هنا التبعة وما يلزم من قتل المسلم خطأ من الكفارة والدية لولا هذا لأذن لكم في دخول مكة غازين فاتحين لها وقوله تعالى ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ أي لم يأذن لكم في القتال ورضي لكم بالصلح ليدخل في رحمته من يشاء فالمؤمنون نالهم رحمة الله إذ لم يؤذوا بدخولكم مكة فاتحين والمشركون قد يكون تأخر الفتح سبباً في إسلام من شاء الله تعالى له الإسلام لاسيما عندما رأوا رحمة الإسلام تتجلى في ترك القتال رحمة بالمؤمنين والمؤمنات حتى لا يتعرضوا للأذى فدين يراعي هذه الأخوة دين لا يحرم منه عاقل . وقوله تعالى ﴿لوتزيلوا﴾ أي ^(٢) لو تميز المؤمنون والمؤمنات عن المشركين بوجودهم في مكان خاص بهم لأذننا لكم في دخول مكة وقتال المشركين وعدبناهم بأيديكم عذاباً أليماً وقوله ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم

(١) الهدى، والهدى بكسر الدال وتشديد الياء، لغتان، والواحدة هدية.

(٢) كسleme بن هشام وعباس بن أبي ربيعة وأبي جندل بن سهيل . وأشباههم، وجواب لولا محذوف تقديره: لأذن الله لكم في دخول مكة ولسلطانكم عليهم.

(٣) (بغير علم) فيه تفضيل للصحابة وإخبار عن كمالهم في الخلق والدين، وهذا كقول النملة في سليمان وجنوده: (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) .

(٤) (لوتزيلوا) أي: تميزوا وتفرقوا . (ولو) حرف امتناع لامتناع الشرط وهو التفرق، فامتنع التسلسل، والقتل بالإذن للمسلمين بقتالهم وقتلهم . وفي هذا دليل على أنه لا يجوز إغراق باخرة للكافرين فيها مسلمون، ولا ضرب حصن بالقذائف داخله مسلمون وهو ما رآه مالك .

(٥) يجوز أن يكون الطرف، (إذ) متعلقاً بقوله تعالى: (لعدبنا) وجائز أن يعلق بمحذوف تقديره: واذكروا إذ جعل الخ .

(١) الحمية حمية الجاهلية ﴿ هذا تعليل للإذن بقتال المشركين في مكة وتعذيبهم العذاب الأليم لولا وجود مؤمنين ومؤمنات بها يؤذيهم ذلك والمراد من الحمية الأنفة والتعاضم وما يمنع من قبول الحق والتسليم به وهذه من صفات أهل الجاهلية فقد قالوا، كيف نسمح لهم بدخول بلادنا وقد قتلوا أبناءنا واللات والعزى ما دخلوا علينا أبداً، وقوله تعالى ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ وذلك لما هم المؤمنون بعدم قبول الصلح لما فيه من التنازل الكبير للمشركين وهم على الباطل والمؤمنون على الحق فلما حصل هذا في نفوس المؤمنين أنزل الله سكينته عليهم وهي الطمأنينة والوقار والحلم فرضوا بالمصالحة وتمت وكان فيها خير كثير حتى قيل فيها إنها فتح أولي أو فاتحة فتوحات لا حد لها. وقوله تعالى ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ وكانوا أحق بها وأهلها أي وشرف الله وأكرم المؤمنين بالزامهم التشريعي بكلمة لا إله إلا الله. إذ هي كلمة التقوى أي الواقية من الشرك والعذاب في الدارين وجعلهم أحق بها وأهلها. أي أجدر من غيرهم بكلمة التوحيد وأكثر أهلية للتقوى وكان الله بكل شيء عليماً ومن ذلك علمه بأهلية أصحاب رسول الله بما جعلهم أهلاً له من الإيمان والتقوى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان حكم المحصر وهو من منع من دخول المسجد الحرام وهو محرم بحج أو بعمرة فإنه يتحلل بذبح هدي ويعود إلى بلاده، ويذبح الهدى حيث أحصر، وليس واجبا إدخاله إلى الحرم.

٢- الأخذ بالحيطة في معاملة المسلمين حتى لا يؤذى مؤمن أو مؤمنة بغير علم.

٣- بيان أن كلمة التقوى هي لا إله إلا الله.

٤- الإشارة إلى ما أصاب المسلمين من ألم نفسي من جراء الشروط القاسية التي اشترطها ممثل قريش ووثيقة الصلح. وهذا نص الوثيقة وما تحمله من شروط لم يقدر عليها إلا رسول الله بما آتاه الله من العلم والحكمة والحلم والصبر والوقار، ولما أنزل الله ذلك على المؤمنين من السكينة فحملوها وارتاحت نفوسهم لها نص الوثيقة: «ورد أن قريشا لما نزل النبي ﷺ الحديدية بعثت إليه ثلاثة

(١) قال الزهري، حميتهم أنفهم من الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعمهم من دخول مكة. (٢) ورد في (كلمة التقوى) آثار منها: أنها لا إله إلا الله، ومنها أنها لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومنها أنها: لا إله إلا الله وأكبر ومنها أنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والكل حق لا باطل فيه.

رجال هم سهيل بن عمرو القرشي ، وحويطب بن عبدالعزيز ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن يخلي له قريش مكة من العام المقبل ثلاثة أيام فقبل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ، فكتب ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال النبي ﷺ اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا وتم الصلح على ثلاثة أشياء هي :

- ١- أن من أتاهم من المشركين مسلماً ردوه إليهم .
- ٢- أن من أتاهم من المسلمين لم يردوه إليهم .
- ٣- أن يدخل الرسول والمؤمنون مكة من عام قابل وقيمون بها ثلاثة أيام لا غير ولا يدخلها بسلاح .

فلما فرغ من الكتاب قال ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا .

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

لقد صدق الله رسوله الرؤيا: أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام الحديبية حقاً .
بالحق

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله: هذا مضمون الرؤيا أي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله
الله آمينين .

محلقين رؤوسكم ومقصرين : أي حالقين جميع شعوركم أو مقصرينها .

لا تخافون : أي أبداً حال الإحرام وبعده .
 فعلم ما لم تعلموا : أي في الصلح الذي تم ما لم تعلموا من ذلك المعرة التي
 كانت تلحق المسلمين بقتالهم إخوانهم المؤمنين وهم لا
 يشعرون .

فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً : هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل .
 هو الذي أرسل رسوله بالهدى : فلذا لا يخلفه رؤياه بل يصدقه فيها .
 ودين الحق

ليظهره على الدين كله : أي ليعليه على سائر الأديان بنسخ الحق فيها، وإبطال الباطل
 فيها، أو بتسليط المسلمين على أهلها فيحكمونهم .
 وكفى بالله شهيدا : أي انك مرسل بما ذكر أي بالهدى ودين الحق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في صلح الحديبية وما تم فيه من أحداث فقال تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله﴾ أي
 محمداً ﷺ ﴿الرؤيا بالحق﴾ أي الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ وأخبر بها أصحابه عند خروجه
 من المدينة إلى مكة فقد أخبر بها أصحابه فسروا بذلك وفرحوا ولما تم الصلح بعد جهاد سياسي
 وعسكري مرير، وأمرهم الرسول أن ينحروا ويحللوا اندهشوا لذلك وقال بعضهم أين الرؤيا التي
 رأيت؟ ونزلت سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها قوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام
 إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ ، وقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
 فلما جاء العام القابل وفي نفس الأيام من شهر القعدة خرج رسول الله ﷺ والمسلمون محرمين يُلبون
 وأخلت لهم قريش المسجد الحرام فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة وتحللوا من عمرتهم
 فمنهم المحلق ومنهم المقصر .

- (١) روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال : إن المنام لم يكن موقناً بوقت أي : فقد تأخر الرؤيا سنوات أو شهوراً أو أياماً فكان
 ما بين رؤيا رسول الله ﷺ وظهور مصداقها في الواقع سنة كاملة .
 (٢) (بالحق) الباء للملابسة، وهو ظرف مستقر وقع صفة لمصدر محذوف تقديره أي : صدقاً ملاسماً للحق .
 (٣) (إن شاء الله) هل هذا الاستثناء من جملة ما رآه النبي ﷺ في منامه فأعاده كما سمعه في الرؤيا ويكون هذا تعليماً من
 الله عز وجل للمؤمنين أن يقولوا مثله في كل ما هو مستقبل من الأقوال والأعمال أو قاله رسول الله ﷺ عملاً بقول الله تعالى :
 (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .
 (٤) (آمنين) (محلقين) (ومقصرين) : منصوبة على الحال، وجملة (لا تخافون) في موضع الحال أيضاً مؤكدة لـ (آمنين)
 الحال .

وقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا فأثبت الصلح وقرره لأنه لو كان قتال ولم يكن صلح لهلك المؤمنون بمكة والمؤمنات بالحرب وتحصل بذلك معرة كبرى للمسلمين الذين قتلوا اخوانهم في الإسلام هذا من بعض الأمور التي اقتضت الصلح وترك القتال وقوله وجعل من دون ذلك فتحاً قريباً الصلح^(١) فتح، وفتح خيبر فتح، وفتح مكة فتح، وكلها من الفتح القريب. وقوله هو الذي أرسل رسوله أي محمد بالهدى ودين الحق أي الإسلام فكيف إذا لا يصدق رؤياه كما ظن البعض وكفى بالله شهيداً على أنك يا محمد مرسل بما ذكر تعالى من الهدى والدين الحق وإظهاره على الدين كله بنسخ الحق الذي فيه وإبطال الباطل الذي ألصق به. أو بتسليط المسلمين على قهر وحكم أهل تلك الأديان الباطلة وقد حصل من هذا شيء كبير.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١- تقرير أن رؤيا الأنبياء حق .
- ٢- تعبير الرؤيا قد يتأخر سنة أو أكثر .
- ٣- مشروعية الحلق والتقصير للتحلل من الحج أو العمرة وإن الحلق أفضل لتقدمه .
- ٤- مشروعية قول إن شاء الله في كل قول أو عمل يراد به المستقبل .
- ٥- الإسلام هو الدين الحق وما عداه فباطل .

مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

(١) ومن أنواع الفتح القريب ما تم بالهدنة من دخول الناس في الإسلام إذ أصبح الناس آمنين فيتصلون بالمؤمنين ويتعرفون إلى الإسلام ويدخلون فيه، فدخل في الإسلام أعداد هائلة في هذه الهدنة.

شرح الكلمات :

محمد رسول الله والذين معه :	أي أصحابه رضوان الله عليهم .
أشداء على الكفار	: أي غلاظ لا يرحمونهم .
رحماء بينهم	: أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد .
تراهم ركعاً سجداً	: أي تبصرهم ركعاً سجداً أي راكعين ساجدين .
يبتغون فضلاً من الله ورضواناً	: أي يطلبون بالركوع والسجود ثواباً من ربهم هو الجنة ورضواناً هو رضاه عز وجل .
سيماهم في وجوههم	: أي نور وبياض يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا في الدنيا .
ذلك	: أي الوصف المذكور .
مثلهم في التوراة	: أي صفتهم في التوراة كتاب موسى عليه السلام .
أخرج شطأه	: أي فراخه .
فآزره	: أي قواه وأعانه .
فاستغلظ فاستوى	: أي غلظ واستوى أي قوياً .
على سوقه	: جمع ساق أي على أصوله .
يعجب الزراع	: أي زارعيه لحسنه .
ليغيظ بهم الكفار	: هذا تعليل أي قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار .

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى انه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله شهادة منه بذلك أخبر أيضاً عنه بما يؤكد تلك الشهادة فقال تعالى ﴿محمد^(١) رسول الله والذين معه﴾ من أصحابه ﴿أشداء على الكفار﴾ أي غلاظ قساة عليهم، وذلك لأمرين الأول انهم كفروا بالله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يجيبوه، والله يغيظهم لذلك فهم إذا غلاظ عليهم لذلك والثاني أن الغلظة والشدة قد تكون سبباً في هدايتهم لأنهم يتألمون بها، ويرون خلافها مع المسلمين فيسلمون فيرحمون ويفوزون . وقوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ أي فيما بينهم يتعاطفون يتراحمون فترى أحدهم يكره أن يمس جسمه أو ثوبه جسم الكافر أو ثوبه، وتراه مع المسلم إذا رآه صافحه وعانقه ولاطفه

(١) جازئ الوقف على (رسول الله) مبتدأ وخبر، ويبدأ الكلام: (والذين معه أشداء...) الخ وهو الأشبه، وجازئ أن يكون: (والذين معه) عطف على (محمد رسول الله) والخبر: (أشداء...) الخ.

وأعانه وأظهر له الحب والود. وقوله تعالى ﴿تراه﴾ أي تبصرهم أيها المخاطب ﴿ركعاً سجداً﴾^(١) أي راكعين ساجدين في صلواتهم ﴿يبتغون﴾ أي يطلبون بصلاتهم بعد إيمانهم وتعاونهم وتحاببهم وتعاطفهم مع بعضهم، يطلبون بذلك ﴿فضلاً من ربهم ورضواناً﴾ أي الجنة ورضا الله. وهذا أسمى ما يطلب المؤمن أن يدخله الله الجنة بعد أن ينقذه من النار ويرضى عنه. وقوله ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ أي علامات إيمانهم وصفائهم في وجوههم من أثر السجود إذ يبعثون يوم القيامة غُراً محجلين من آثار الوضوء ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ وفي الدنيا عليهم سيما التقوى والصلاح والتواضع واللين والرحمة. وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور ﴿مثلهم في التوراة﴾^(٢) و﴿مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾^(٣) أي فراخه ﴿فأزره﴾ أي قواه وأعانه ﴿فاستغظ﴾ أي غلظ ﴿فاستوى﴾ أي قوي ﴿على سوقه﴾ جمع ساق ما يحمل السنبلة من أصل لها ﴿يعجب الزراع﴾ أي الزارعين له وذلك لحسنه وسلامته ثمرته وقوله تعالى ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ أي قواهم وكثرهم من أجل أن يغيظ بهم الكفار ولذا ورد عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى أن من يغيظه أصحاب رسول الله فهو كافر وقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجراً عظيماً﴾ هو الجنة. هذا وعد خاص بأصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم وهناك وعد عام لسائر المؤمنين والمؤمنات وذلك في آيات أخرى مثل آية المائدة ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾.

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

- ١- تقرير نبوة رسول الله وتأكيد رسالته.
- ٢- بيان ما كان عليه رسول الله وأصحابه من الشدة والغلظة على الكفار والعطف والرحمة على أهل الإيمان وهذا مما يجب الاتساء بهم فيه والاقتداء.
- ٣- بيان فضل الصلاة ذات الركوع والسجود والطمأنينة والخشوع.

(١) إخبار بكثرة ركوعهم وسجودهم وهو كذلك، إذ لم تر الدنيا أكثر من المسلمين ركوعاً وسجوداً من سائر الأمم التي دانت لله بالإسلام.

(٢) السيمة: (العلامة ولها ثلاثة مظاهر، الأول: هو ببوسة في الجبهة ولا يعتمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض، والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح. والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الآية.

(٣) موجود في التوراة قبل تحريفها إذ فيها نعت هذه الأمة ونعت نبيها محمد ﷺ وهي إلى الآن واليهود يتأولونها هروباً من الحق حتى لا يُلزموا به.

(٤) فراخ الزرع فروع الحبة منه.

(٥) الجملة تعليلية لما سبقها من صفات أصحاب النبي ﷺ أي: وهبهم ذلك الكمال ليغيظ بهم الكفار.

- ٤- صفة أصحاب رسول الله في كل من التوراة والإنجيل ترفع من درجتهم وتعلي من شأنهم .
- ٥- بيان أن أصحاب رسول الله ﷺ بدأوا قليلين ثم أخذوا يكثرون حتى كثروا كثرة أغاظت الكفار .
- ٦- بُغض أصحاب رسول الله ﷺ يتنافى مع الإيمان منافاة كاملة لاسيما خيارهم وكبارهم كالخلفاء الراشدين الأربعة والمبشرين بالجنة العشرة وأصحاب بيعة الرضوان ، وأهل بدر قبلهم . ولذا روي عن مالك رحمه الله تعالى : أن من يغيظه أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر .

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

وآياتها ثمانى عشرة آية
وهي بداية المفصل^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

(١) الرواية كما رواها القرطبي هي : روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية : (محمد رسول الله والذين معه . .) حتى بلغ : (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) فقال مالك من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية . يريد الزمته بالكفر .

(٢) أشهر الأقوال أن أول المفصل (الحجرات) وأول وسط المفصل (عبس) وأول قصار المفصل : (والضحى) هذا أشهر أقوال المالكية ، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل وفي الظهر والعشاء بمتوسطه وفي المغرب بقصاره .

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا : أي لا تتقدموا بقول ولا فعل إذ هو من قدم بمعنى تقدم .
 بين يدي الله ورسوله : كمن ذبح يوم العيد قبل أن يذبح رسول الله ﷺ ، وكإرادة أحد
 الشيخين تأمير رجل على قوم قبل استشارة الرسول ﷺ .
 واتقوا الله إن الله سميع عليم : أي خافوا الله انه سميع لأقوالكم عليم بأعمالكم .
 لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي : أي إذا نطقتم فوق صوت النبي إذا نطق .
 ولا تجهروا له بالقول كجهر : أي إذا ناجيته فمعه فلا تجهروا في محادثتكم معه كما تجهرون
 بعضكم لبعض فيما بينكم إجلالا له ﷺ وتقديراً .
 أن تحبط أعمالكم : أي كراهة أن تبطل أعمالكم فلا تثابون عليها .
 وأنتم لا تشعرون : بحبوطها وبطلانها . إذ قد يصحب ذلك استخفاف بالنبي ﷺ
 لا سيما إذا صاحب ذلك إهانة وعدم مبالاة فهو الكفر والعياذ
 بالله .
 يغيضون أصواتهم عند رسول : أي يخفضونها حتى لكانهم يسارونه ومنهم أبو بكر رضي الله
 عنه .
 امتحن الله قلوبهم للتقوى : أي شرحها ووسعها لتحمل تقوى الله . مأخوذ من محن الأديم
 إذا وسعه .
 لهم مغفرة وأجر عظيم : أي مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾^(١) لو بحثنا عن المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها لتجلت لنا
 واضحة إذا رجعنا بالذاكرة إلى موقف عمر رضي الله عنه وهو يريد أن لا يتم صلح بين المؤمنين
 والمشركين ، وإلى موقف الصحابة كافة من عدم التحلل من إحرامهم ونحر هداياهم والرسول
 يأمر وهم لا يستجيبون حتى تقدمهم ﷺ فنحر هديه ثم نحروا بعده وتحللوا ، إذ تلك المواقف
 التي أشرنا إليها فيها معنى تقديم الرأي والقول بين يدي الله ورسوله وفي ذلك مضرة لا يعلم مداها
 إلا الله ، ولما انتهت تلك الحال وذلك الطرف الصعب أنزل الله تعالى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾

(١) ذكر لسبب نزول هذه السورة عدة روايات منها ما ذكره الواحدي ورواه البخاري وهو أن ركباً من بني تميم قدم على رسول
 الله ﷺ فقال أبو بكر أمر القمعاق بن معبد ، وقال عمر : أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي فقال عمر ما
 أردت خلافتك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا ..) الخ .

أي بالله رباً وإلهاً وبالإسلام شرعةً ودينًا وبمحمد نبياً ورسولاً ناداهم بعنوان الإيمان ليقول لهم ناهياً ﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي قولوا ولا عملاً ولا رأياً ولا فكراً أي لا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعاً لما قال الله ورسوله، وشرع الله ورسوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك فإن التقدم بالشيء قبل أن يشرع الله ورسوله فيه معنى أنكم أعلم وأحكم من الله ورسوله وهذه زلة كبرى وعاقبتها سوأى. ولذا قال واتقوا الله إن الله سميعٌ ﴿أَي لَأَقُولُكُمْ﴾ عليهم ﴿بأعمالكم وأحوالكم﴾. ومن هنا فواجب المسلم أن لا يقول ولا يعمل ولا يقضي ولا يُفتي برأيه إلا إذا علم قول الله ورسوله وحكمهما وبعد أن يكون قد علم أكثر أقوال الله والرسول وأحكامهما، فإذا لم يجد من ذلك شيئاً اجتهد فقال أو عمل بما يراه أقرب إلى رضا الله تعالى فإذا لاح له بعد ذلك نص من كتاب أو سنة عدل عن رأيه وقال بالكتاب والسنة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١) أما الآية الثانية (٢) وهي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنها تطالب المسلم بالتأدب مع رسول الله ﷺ فأولاً نهاهم رضي الله عنهم عن رفع أصواتهم فوق صوت رسول الله ﷺ إذا هم تحدثوا معه وأوجب عليهم إجلال النبي وتعظيمه وتوقيره بحيث يكون صوت أحدهم إذا تكلم مع رسول الله أخفض من صوت الرسول ﷺ ولقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا كلم رسول الله يساره الكلام مسارةً وثانياً نهاهم إذا هم ناجوا رسول الله ﷺ أن لا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض بل يجب عليهم توقيره وتعظيمه. وأعلمهم أنه يخشى عليهم إذا هم لم يوقروا رسول الله ولم يجلووه أن تحبط أعمالهم كما تحبط بالشرك والكفر وهم لا يشعرون. إذ رُفِعَ الصوت للرسول وندأؤه بأعلى الصوت يا محمد يا محمد أو يا نبي الله ويا رسول الله وبأعلى الأصوات إذا صاحبه استخفاف أو إهانة وعدم مبالاة صار كفراً محبطاً للعمل قطعاً. وفي الآية الثالثة (٣) يشني الله تعالى على أقوام يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله أي في حضرته وبين يديه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هؤلاء يخبر تعالى أنه امتحن قلوبهم للتقوى أي وسعها وشرحها

(١) هذه السورة نزلت في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب زيادة على ما تضمنت من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

(٢) ومن هنا قال العلماء: لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

(٣) شاهده حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن (بم تحكم؟ قال بكتاب الله تعالى قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ).

(٤) روى البخاري (أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فاتاه فوجده في بيته منكساً رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال شر، كان: يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال: إذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

(١) لتحمل تقوى الله والرسول ﷺ يقول التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاثاً، ويذكر لهم بشرى نعم البشرية وهي أن لهم منه تعالى مغفرة لذنوبهم، واجراً عظيماً يوم يلقونه وهو الجنة دار المتقين جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- لا يجوز للمسلم أن يقدم رأيه أو اجتهاده على الكتاب والسنة فلا رأي ولا اجتهاد إلا عند عدم وجود نص من كتاب أو سنة وعليه إذا اجتهد أن يكون ما اجتهد فيه أقرب إلى مراد الله ورسوله، أي الصق بالشرع، وإن ظهر له بعد الاجتهاد نص من كتاب أو سنة عاد إلى الكتاب والسنة وترك رأيه أو اجتهاده فوراً وبلا تردد.

٢- بما أن الله تعالى قد قبض إليه نبيه ولم يبق بيننا رسول الله نتكلم معه أو نناجيه فنخفض أصواتنا عند ذلك فإن علينا إذا ذكر رسول الله بيننا أو ذكر حديثه أن نتأدب عند ذلك فلا نضحك ولا نرفع الصوت، ولا نظهر أي استخفاف أو عدم مبالاة وإلا يخشى علينا أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر.

٣- على الذين يغشون مسجد رسول الله ﷺ أن لا يرفعوا أصواتهم فيه إلا لضرورة درس أو خطبة أو أذان أو إقامة.

إِنَّ الَّذِينَ

يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُم

(١) هذا بعض حديث صحيح أخرجه غير واحد من أصحاب السنن.

الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

إن الذين ينادونك من وراء: أي حجرات نسائه والذين نادوه وفد من أعراب بني تميم منهم
الحجرات الزيرقان بن بدر والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن.

أكثرهم لا يعقلون : أي فيما فعلوه بمحلل الرفيع ومقامك السامي الشريف.
ولو أنهم صبروا حتى تخرج: أي ولو أنهم انتظروك حتى تخرج بعد قيامك من قيلولتك.
إليهم

لكان خيراً لهم : أي من ذلك النداء بأعلى أصواتهم من كل أبواب الحجرات.
والله غفور رحيم : أي غفور لمن تاب منهم رحيم بهم إذ أساءوا مرتين الأولى
برفع أصواتهم والثانية كانوا ينادونه ويقولون أن اخرج إلينا فإن
مدحنا زين وذمنا شين.

فاسق نبأ : أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب والنبأ الخير
ذو الشأن.

فتبينوا : أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا.

أن تصيبوا قوماً بجهالة : أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم.

فتصيحوا على ما فعلتم نادمين : أي فتصيحوا على فعلكم الخاطئ نادمين.

واعلموا أن فيكم رسول الله : أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا الباطل فإن الوحي ينزل
وتفصحون بكذبكم وباطلكم.

لو يطيعكم في كثير من الأمر: أي لوقعتم في المشقة الشديدة والإثم أحياناً.
لعتتم

وكره إليكم الكفر والفسوق: أي بغض إلى قلوبكم الكفر والفسوق كالكذب والعصيان
والعصيان بترك واجب أو فعل محرم.

أولئك هم الراشدون : أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريه الكفر
وما ذكر معه هم الراشدون أي السالكون سبيل الرشاد.

فضلاً من الله ونعمة : أي أفضل بذلك عليهم فضلاً وأنعم إنعاماً ونعمة .
والله عليهم حكيم : أي عليهم بخلقه وما يعملون حكيم في تدبيره لعباده هذا بعامة
وبخاصة عليهم بأولئك الراشدين حكيم في إنعامه عليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تأديب المؤمنين إزاء نبهم ﷺ فقد عاب تعالى أقواماً معهم جفاء وغلظة
قيل أنهم وفد من أعراب بني تميم منهم الزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن
جاءوا والرسول قائل وقت القيلولة ووقفوا على أبواب الحجرات^(١) ينادون بأعلى أصواتهم يا محمد
يا محمد ﷺ أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية الكريمة
تأديباً لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات﴾ حجرات نساء الرسول ﷺ وكانت أبواب
الحجرات إلى المسجد . ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ أي فيما فعلوه بمقام الرسول الشريف ومكانته
الرفيعة . ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ بعد هبوبك من قيلولتك ﴿لكان خيراً﴾ أي من
ذلك النداء بتعالى الأصوات من وراء الحجرات وقوله تعالى ﴿والله غفور رحيم﴾ أي غفور لمن
تاب منهم رحيم بهم إذ لم يعجل لهم العقوبة وفتح لهم باب التوبة وأدبهم ولم يعنف ولم يغلظ،
وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٦) ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ هذه الآية وإن كان لها سبب في نزولها
وهو أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأتي بركة أموالهم،
وكان بينهم وبين أسرة الوليد عداً في الجاهلية فذكره الوليد وهاب أن يدخل عليهم دارهم وهذا
من وسواس الشيطان فرجع وستر على نفسه الخوف الذي أصابه فذكر أنهم منعه الزكاة وهموا
بقتله فهرب منهم فغضب رسول الله ﷺ وَهُمْ بغزوهم . وما زال كذلك حتى أتى وفد منهم
يسترضي رسول الله ويستعتب عنده خوفاً من أن يكون قد بلغه عنهم سوء فأخبروه بأنهم على
العهد وأن الوليد رجع من الطريق ولم يصل إليهم وبعث الرسول خالد بن الوليد من جهة فوصل

(١) الحجرات : جمع حجرة وهي تسع تدخل ضمن البيت النبوي .

(٢) هذا الاحتراس دال على أن من الوفد من كان متداباً مع رسول الله ﷺ فلم يناد نداهم بصوت عال وألفاظ نابية لا تليق
بمقام الرسول ﷺ .

(٣) أي : لو انتظروا خروجك لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم وكان النبي ﷺ لا يحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل
فيها بمهمات نفسه فكان إزعاجه في تلك الحالة من سوء الأدب .

(٤) فسر الفاسق . بالكاذب وبالمعلن بالذنب، وبالذي لا يستحي من الله وهو قابل لكل ما ذكر .

(٥) أن تصيبوا : أي : لتلا تصيبوا .

إليهم قبل المغرب فإذا بهم يؤذنون ويصلون المغرب والعشاء فعلم أنهم لم يرتدوا وأنهم على خير والحمد لله . وجاء بالزكوات وأنزل الله تعالى هذه الآية قلت إن هذه الآية وإن نزلت في سبب معين فإنها عامة وقاعدة أساسية هامة فعلى الفرد والجماعة والدولة أن لا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد الثبوت والتبين الصحيح كراهية أن يصيبوا فرداً أو جماعة بسوء بدون موجب لذلك ولا مقتضى الاقالة سوء وفرية قد يريد بها صاحبها منفعة لنفسه بجلب مصلحة أو دفع مضرة عنه . فالأخذ بمبدأ الثبوت والتبين عند سماع خبر من شخص لم يعرف بالتقوى والاستقامة الكاملة والعدالة التامة واجب صونا لكرامة الأفراد وحماية لأرواحهم وأموالهم . والحمد لله على شرع عادل رحيم كهذا . فقلوه ﴿إن جاءكم فاسق﴾ المراد بالفاسق من يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب كالكذب مثلاً ، والنبا الخبير ذو الشأن والتبين الثبوت وقلوه ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ أن تصيبوهم في أبدانهم وأموالهم بعدم علم منكم وهي الجهالة وقلوه ﴿فتصيحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أي من جرأ ما اتخذتم من إجراء خاطيء ، وقلوه تعالى في الآية (٧) ﴿واعلموا﴾ يلفت الرب تعالى نظر المسلمين إلى حقيقة هم غافلون عنها وهو وجود الرسول ﷺ حياً بينهم ينزل عليه الوحي فإن هذه حال تتطلب منهم التزام الصدق في القول والعمل وإلا يفضحهم الوحي فوراً إن هم كذبوا في قول أو عمل كما فضح الوليد لما أخبر بغير الحق . هذا أولاً وثانياً لو كان الرسول ﷺ يطيعهم في كل ما يروونه ويقترحونه لوقعوا في مشاكل تُعرضهم لمشاق لا تطاق ، بل وفي آثام عظام . هذا معنى قوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ وقلوه ﴿ولكن الله حبيب إليكم﴾^(١) الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴿فوقاكم كثيراً من أن تكذبوا على رسولكم أو تقتربوا عليه أو تفرضوا آراءكم﴾ وقلوه ﴿أولئك هم الراشدون﴾^(٢) أي أولئك أصحاب رسول الله هم السالكون سبيل الرشاد فلا يتهوكون ولا يضلون وقلوه ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي هدايتهم كانت فضلاً من الله ونعمة ، والله عليهم بهم وبنياتهم وبواعث نفوسهم حكيم^(٣) في تدبيره فأهل أصحاب رسول الله

(١) لو: حرف امتناع لامتناع ، امتنعت طاعته ﷺ لهم فامتنع عنهم الذي هو: الوقوع في المشقة والشدة .

(٢) (لكن) هذه الاستدراكية العاطفة ، وهذا الاستدراك ناشيء عن كون بعضهم يجب أن يطيعه رسول الله ﷺ فأعلموا أن الله حبيب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين ، فكفاهم خواطر السوء ، ورغبات الباطل ، فلم يبق مجال للاقتراحات التي تسيء إليهم وإلى جناب نبيهم ﷺ .

(٣) الرشاد ، والرشد: ما كان خلاف الفئ ، والباطل والسيء .

(٤) نصب: (فضلاً ونعمة) على المفعولية المطلقة .

(٥) جملة: (والله عليهم حكيم) تذييلية لما تقدم من قوله: (واعلموا أن فيكم رسول الله) إلى قوله: (ونعمة) .

للخير وأضفاه عليهم فهم أفضل هذه الأمة على الإطلاق ولا مطمع لأحد أتى بعدهم أن يفوقهم في الفضل والكمال في الدنيا ولا في الآخرة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين وعنا معهم آمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان سمو المقام المحمدي وشرف منزلته ﷺ.
- ٢- وجوب الثبوت في الأخبار ذات الشأن التي قد يترتب عليها أذى أو ضرر بمن قيلت فيه، وحرمة التسرع المفضي بالأخذ بالظنة فيندم الفاعل بعد ذلك في الدنيا والآخرة.
- ٣- من أكبر النعم على المؤمن تحبيب الله تعالى الإيمان إليه وتزيينه في قلبه، وتكره الكفر إليه والفسوق والعصيان وبذلك أصبح المؤمن أرشد الخلق بعد أصحاب رسول ﷺ.

وَلَمَّا طَابَ إِفْتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْنَتُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِهَا لَأَلْقَىٰ الْقَلْبُ بِشَىْءٍ لَّا تَسْمُرُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

وَلَا تَحْسَبُواوَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

وإن طائفتان من المؤمنين : أي جماعتان قل أفرادهما أو كثروا من المسلمين .
اقتتلوا فأصلحوا بينهما : أي هموا بالاعتقال أو باشره فعلا فأصلحوا ما فسد بينهما .
فإن بغت إحداهما على الأخرى : أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم
الله .

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء : أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتى
إلى أمر الله ترجع إلى الحق .
فإن فاءت فأصلحوا بينهما : أي رجعت إلى الحق بعد مقاتلتها فأصلحوا بينهما بالعدل أي
بالعدل .

وأقسطوا إن الله يحب : أي وأعدلوا في حكمكم إن الله يحب أهل العدل .
المقسطين

إنما المؤمنون إخوة : أي في الدين الإسلامي .
فأصلحوا بين أخويكم : أي إذا تنازعوا شيئا وتخاصما فيه .
واتقوا الله لعلكم ترحمون : أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه .
لا يسخر قوم من قوم : أي لا يزدركم قوما آخرين ويحتقرونهم .
عسى أن يكونوا خيرا منهم : أي عند الله تعالى والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس .
ولا تلمزوا أنفسكم : أي لا تعيبوا بعضكم بعضا فإنكم كفرد واحد .
ولا تنازروا بالألقاب : أي لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه نحو يا فاسق يا جاهل .

بش الاسم الفسوق بعد : أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه .
الإيمان

ومن لم يتب فأولئك هم : أي من لمز ونيز المؤمنين فأولئك البُعداء هم الظالمون .
الظالمون

اجتنبوا كثيرا من الظن : أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن .
إن بعض الظن إثم : أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين .

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم : أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها .
بعضا

أحب أحدكم أن يأكل لحم : أي لا يحسن به حب أكل لحم أخيه ميتا ولا حيا معا .
أخيه ميتا

فكرهتموه : أي وقد عرض عليكم الأول فكرهتموه فأكروهوا أي كما كرهتم
أكل لحمه ميتا فأكروهوه حيا وهو الغيبة .

وجعلناكم شعوباً وقبائل : أي جمع شعب والقبيلة دون الشعب .

لتعارفوا : أي ليعرف بعضكم بعضا فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب .

إن أكرمكم عند الله أتقاكم : أي أشدكم تقوى لله بفعل أوامره وترك نواهيه هو أكرم عند الله .

إن الله عليم خبير : أي عليم بكم وبأحوالكم خبير بما تكونون عليه من كمال
ونقص لا يخفى عليه شيء من أشياء العباد .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾^(١) الآيات ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم واعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي ففي الآيتين (٩) و (١٠) من هذا السياق يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من الوقت إلى الوقت وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية وعوامله كثيرة لا حاجة إلى ذكرها فقال تعالى ﴿وإن طائفتان﴾ أي جماعتان ﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾ ولو كان ذلك بين اثنين فقط ﴿فأصلحوا﴾ أيها المسلمون ﴿بينهما﴾^(٢) بالقضاء على أسباب الخلاف وترضية الطرفين بما هو حق وخير وليس هذا

(١) قال مجاهد : نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج حيث تقاتل حيان من الأنصار بالمصي والنعال .

(٢) قال القرطبي : بالدعاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما وقضاء رسول الله ﷺ كذلك كما قال معاذ : أحكم بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ .

بصعب مع وجود قلوب مؤمنة وهداية ربانية وقوله ﴿فَإِنْ بَغَتْ أَحَدَاهُمَا﴾ أي اعتدت إحدى الطائفتين بعد الصلح ﴿عَلَى الْآخَرَى﴾ بأن رفضت حكم الله الذي قامت المصالحة بموجبه ﴿فَقَاتِلُوا﴾ مجتمعين ﴿التي تبغي﴾ أي تعتدي ﴿حتى تفيء إلى أمر الله﴾ أي إلى الحق ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي أذعنت للحق ورضيت به ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا﴾ في حكمكم دائما وأبدا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١) وقوله تعالى في الآية (١٠) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقرر تعالى الأخوة الإسلامية ويقصر المؤمنين عليها قصرا فليس المؤمنون إلا إخوة لبعضهم بعضا ولذا وجب رَأْبُ كُلِّ صَدْعٍ وَإِصْلَاحُ كُلِّ فِسَادٍ يظهر بين أفرادهم وعدم التساهل في ذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك فلا تتوانوا أو تتساهلوا حتى تسفك الدماء المؤمنة وتتصدع بنیان الإيمان والإسلام في دياره وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا يتصدع بنيانكم ولا تشتت أمتكم وتصبح جماعات وطوائف متعادية يقتل بعضها بعضا. ولما لم يتق المؤمنون الله في الإصلاح الفوري بين الطوائف الإسلامية المتنازعة حصل من الفساد والشر ما الله به عليم في الغرب الإسلامي والشرق. وقوله في الآية (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ إذ من عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما سخرية المؤمن بأخيه واحتقاره لضعف حاله وراثته ثيابه وقلة ذات يده فحرم تعالى بهذه الآية على المسلم أن يحتقر أخاه المسلم ويزدريه منبهاً إلى أن من احتقر وازدري به وسخر منه قد يكون غالباً خيراً عند الله من المحقر له والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس والرجال في هذا والنساء سواء فلا يحل لمؤمنة أن تزدرى وتحقر أختها المؤمنة عسى أن تكون عند الله خيراً منها منزلة والعبرة بالمنزلة عند الله لا عند الناس وكما حرم السخرية بالمؤمنين والمؤمنات لإفضائها إلى العداوة والشحناء ثم التقاتل حرم كذلك اللمز والتنازع بالألقاب فقال تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ومعنى لا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضاً بأي عيب من العيوب فإنكم كشخص واحد فمن عاب

(١) هذه الآية نص صريح في وجوب قتال أهل البغي، وهم الذين يخرجون عن إمام المسلمين ظمناً وعدواناً بعد دعوتهم إلى الطاعة لله ورسوله وإمام المسلمين، ولا التفات إلى مَنْ يرى غير هذا، ومن أحكام قتال أهل البغي أنه لا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم أي لا يجهز عليه قتلاً ولا تسي ذرايعهم ولا نسأؤهم ولا أموالهم.

(٢) روى مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال (المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا).

(٣) الآية دليل على أن اسم الإيمان لا يزول بالبغي فإن الله تعالى قال (بين أخويكم) فأثبت أخوة الإيمان ولم يسقطها بالبغي. روى أن علياً سئل عن قتال أهل البغي من أهل الجمل، وصفين، أمشرون هم؟ قال: لا، من الشرك فرؤا فليل: أمنافقون؟ قال لا لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، فليل له فما حالهم؟ قال: إخواننا بقوا علينا.

(٤) قال عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً.

أخاه المسلم كأنما عاب نفسه كما أن المعاب قد يرد العيب بعيب من عابه وهذا معنى ولا تلمزوا أنفسكم وقوله ولا تنازروا بالألقاب أي لا يلقب المسلم أخاه بلقب يكرهه فإن ذلك يفضي إلى العداوة والمقاتلة وقوله ﴿بش الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي قبح أشد القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد أن أصبح مؤمناً عدلاً كاملاً في أخلاقه وآدابه فلا يحل لمؤمن أن يقول لأخيه يا فاسق أو ياكافر أو يا عاهر أو يا فاسد، إذ بش الاسم اسم الفسوق كما أن الملقب للمسلم بألقاب السوء يعد فاسقاً وبش الاسم له أن يكون فاسقاً بعد إيمانه بالله ولقائه والرسول وما جاء به، وقوله تعالى ﴿ومن لم يتب﴾ أي من احتقار المسلمين وازدراؤهم وتلقيبهم بألقاب يكرهونها ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المتعرضون لغضب الله وعقابه. وقوله في الآية (١٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ ينادي الله تعالى المسلمين بعنوان الإيمان إذ به أصبحوا أحياء يسمعون ويبصرون ويقدرّون على الفعل والترك إذ الإيمان بمثابة الروح إذا احلت الجسم تحرك فأبصرت العين وسمعت الأذن ونطق اللسان وفهم القلب.

(١) فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ وهو كل ظن ليس له ما يوجبه من القرائن والأحوال والملابسات المقتضية له، ويعلل هذا النهي المقتضى للتحريم فيقول ﴿إن بعض الظن اثم﴾ وذلك كظن السوء بأهل الخير والصلاح في الأمة فإن ظن السوء فيهم قد يترتب عليه قول باطل أو فعل سوء أو تعطيل معروف، فيكون إثمًا كبيراً، وقوله ﴿ولا تجسسوا﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايهم بالبحث عنها والاطلاع عليها لما في ذلك من الضرر الكبير، وقوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ أي لا يذكر أحدكم أخاه في غيبته بما يكره وهنا يروى في الصحيح من الأحاديث ما معناه أن رجلاً سأل الرسول ﷺ عن الغيبة فقال له ذكر أخاك بما يكره فقال الرجل فإن كان فيه ما يكره قال فإن كان فيه ما يكره فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته والبهتان أسوأ الغيبة. وقوله أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟ والجواب لا قطعاً إذا فكما عرض عليكم لحم أخيك ميتاً فكرهتموه فأكروها إذا أكل لحمه حياً وهو عرضة والعرض أعز

(١) قالت العلماء: الظن هنا هو التهمة بدون قرينة حال تدل عليها أو تدعو إليها وقد صح الحديث بتحريم الظن السيء بقوله ﷺ في رواية الصحيح (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً).

(٢) الغيبة عامة في الدين والخلق والحسب والنسب ولا وجه لتخصيصها بواحد مما ذكر، وكيف وقد فرها النبي ﷺ بقوله (ذكر أخاك بما يكره).

(٣) قال قتادة كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً، واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب جارية بذلك قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

وأغلى من الجسم وقوله ﴿واتقوا الله﴾ في غيبة بعضكم بعضاً فإن الغيبة من عوامل الدمار والفساد بين المسلمين، وقوله ﴿إن الله ثواب رحيم﴾ جملة تعليلية للأمر بالتوبة فأخبر تعالى انه يقبل توبة التائبين وأنه رحيم بالمؤمنين ومن مظاهر ذلك انه حرم الغيبة للمؤمن لما يحصل له بها من ضرر وأذى. وقوله تعالى في الآية (١٣) ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ هذا نداء هو آخر نداءات الله تعالى عباده في هذه السورة وهو أعم من النداء بعنوان الإيمان فقال ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ من آدم وحواء باعتبار الأصل كما أن كل آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ ويطوناً وأفخاذاً وفصائل كل هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر ولكن جعلكم شعوباً وقبائل وعائلات وأسر لحكمة التعارف المقتضي للتعاون إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطاً في نفسه وخلقه وفساداً في سلوكه إن أكرمكم عند الله أتقاكم^(١). إن الشرف والكمال فيما عليه الإنسان من زكاة روحه وسلامة خلقه وإصابة رأيه وكثرة معارفه وقوله تعالى ﴿إن الله عليم خبير﴾ جملة تعليلية يبين فيها تعالى أنه عليم بالناس عليم بظواهرهم وبواطنهم وبما يكملهم ويسعدهم بخير بكل شيء في حياتهم فليسلم له التشريع بالتحليل والتحريم والأمر والنهي فإنه على علم بالحال والمآل وبما يسعد الإنسان وبما يشقيه فآمنوا به وأطيعوه تكملوا وتسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب مبادرة المسلمين إلى إصلاح ذات البين بينهم كلما حصل فساد أو خلل فيها.
- ٢- وجوب تعاون المسلمين على تأديب أية جماعة تبغي وتعتدي حتى تفيء إلى الحق.
- ٣- وجوب الحكم بالعدل في أية قضية من قضايا المسلمين وغيرهم.
- ٤- تقرير الأخوة الإسلامية ووجوب تحقيقها بالقول والعمل.
- ٥- حرمة السخرية واللمز والتنازع بين المسلمين.
- ٦- وجوب اجتناب كل ظن لا قرينة ولا حال قوية تدعو إلى ذلك.
- ٧- حرمة التجسس أي تتبع عورات المسلمين وكشفها وإطلاع الناس عليها.

(١) روى الترمذي أن النبي ﷺ (خطب بمكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم غيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان: برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله).

٨- حرمة الغيبة والنميمة . والنميمة هي نقل الحديث على وجه الإفساد ولذا يجوز ذكر الشخص وهو غائب في مواطن هي التظلم بأن يذكر المسلم من ظلمه لازالة ظلمه ، الاستعانة على تغيير المنكر بذكر صاحب المنكر . الاستفتاء نحو قول المستفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له ذلك ، تحذير المسلمين من الشر بذكر فاعله قصد أن يحذروه ، المجاهر بالفسق لا غيبة له ، التعريف بلقب لا يعرف الرجل إلا به .

٩- حرمة التفاخر بالأنساب ووجوب التعارف للتعاون .

١٠- لا شرف ولا كرم إلا بشرف التقوى وكرامتها ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقَكُمْ﴾ وفي الحديث [لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى] رواه الطبراني .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤)
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءُثْمَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

قالت الأعراب آمنا : هم نفر من بني أسد قدموا على الرسول وقالوا له آمنا وهم غير مؤمنين .

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا : أي قل لهم إنكم ما آمتم بعد ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا وانقذنا.

ولما يدخل الإيمان في قلوبكم : أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم ولكنه يتوقع له الدخول.

وإن تطيعوا الله ورسوله : أي في الإيمان والقيام بالفرائض واجتناب المحارم.

لا يلتكم من أعمالكم شيئاً : أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً.

إن الله غفور رحيم : أي غفور للمؤمنين رحيم بهم إن هم صدقوا في إيمانهم.

إنما المؤمنون : أي حقاً وصدقاً لا ادعاء ونطقاً هم.

الذين آمنوا بالله ورسوله : أي بالله رباً وإلهاً وبالرسول محمد نبياً ورسولاً.

ثم لم يرتابوا : أي لم يشكوا فيما آمنوا به.

وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في

سبيل الله : أي جاهدوا مع رسول الله أعداء الله وهم الكافرون بأموالهم

وأنفسهم.

أولئك هم الصادقون : أي في إيمانهم لا الذين قالوا آمنا بالستهم واستسلموا ظاهراً

ولم يسلموا باطناً.

قل أتعلمون الله بدينكم : أي قل لهم يا رسولنا أي لهؤلاء الأعراب أتشعرون الله

بدينكم.

يمنون عليك أن أسلموا : أي كونهم أسلموا بدون قتال وغيرهم أسلم بعد قتال.

قل لا تمنوا عليّ إسلامكم : أي لا حق لكم في ذلك بل الحق لله الذي هداكم للإيمان إن

كنتم صادقين في دعواكم أنكم مؤمنون.

إن الله يعلم غيب السموات : أي إن الله يعلم ما غاب في السموات وما غاب في الأرض فلا

يخفى عليه أمرٌ من صدقٍ في إيمانه وأمرٌ من كذب، ومن أسلم

والأرض

رغبة ومن أسلم رهبة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾^(١) هؤلاء جماعة من أعراب بني أسد وفدوا على رسول الله ﷺ

(١) هذه الآية نزلت في أعراب بني أسد، وليست عامة في كل الأعراب لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كبعض أعراب أسلم وغفار وجهينة ومزينة.

بالمدينة بأولادهم ونسائهم في سنة مجدية فأظهروا له الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في نفوسهم، فكانوا يغدون على الرسول ﷺ ويروحون ويقولون: أتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، ونحن قد جئناكم بالأطفال والعيال والذراير ولم نقاتلكم كما قاتلكم بنو فلان وبنو فلان، يمينون على رسول الله وهم يريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله تعالى هذه الآية تربية لهم وتعلima إتاما لما اشتملت عليه سورة الحجرات من أنواع الهداية والتربية الإسلامية فقال تعالى ﴿قال الأعراب﴾ أعراب بني أسد آمنوا أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوتك. قل لهم ردا عليهم لم تؤمنوا بعد، ولكن الصواب أن تقولوا أسلمنا أي أذعنا للإسلام وانقدنا لقبوله وهو الإسلام الظاهري، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد وسيدخل إن شاء الله. وإن تطيعوا الله ورسوله أيها الأعراب في الإيمان الحق وفي غيره من سائر التكاليف لا يلتكم أي لا ينقصكم الله تعالى من أجور أعمالكم الصالحة التي تعملونها طاعة لله ورسوله شيئا وإن قل. وقوله إن الله غفور رحيم في هذه الجملة ترغيب لهم في الإيمان الصادق والإسلام الصحيح فأعلمهم أن الله تعالى غفور للتائبين رحيم بهم وبالمؤمنين فتوبوا إليه واصدقوه يغفر لكم ويرحمكم وقوله تعالى في الآية (١٥) إنما المؤمنون الآية يعرفهم تعالى بالإيمان الصحيح دعوة منه لهم لعلهم يؤمنون فقال ﴿إنما المؤمنون﴾ أي حقا وصدقا الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً ورسوله نبيا مطاعاً، ثم لم يرتابوا، أي لم يشكوا ابدا في صحة ما آمنوا به، وجاهدوا أي أنفسهم فالزموها الاستعداد للنهوض بالتكاليف الشرعية في المنشط والمكروه، كما جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعداء الإسلام من المشركين والكافرين وذلك الجهاد بالنفس والمال لا هدف له إلا طلب رضا الله سبحانه وتعالى أي لم يكن لأي غرض مادي دنيوي وإنما لرضا الله وإعلاء كلمة الله هؤلاء هم الصادقون في دعوى الإيمان وقوله تعالى في الآية (١٦) ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أي قل يارسولنا لأولئك الأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم أتعلمون الله بدينكم أي بإيمانكم وطاعتكم وتشعرون بهما والحال أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم إنه لا معنى لتعليمكم الله بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الأرض وهو بكل شيء عليم إنه مظهر من مظاهر جهلكم بالله تعالى، إذ لو علمتم أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض من دقيق

(١) (لا يلتكم) أي لا ينقصكم يقال: لاته يلبته، ويلوته إذا نقصه وقرأ أبو عمرو (لا يالتكم) مهموزا من الت يالت التنا نحو قوله تعالى: (وما التناهم من عملهم من شيء) وشاهد الأول:

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

(٢) لما نزلت هذه الآية: (إنما المؤمنون) حلف الأعراب أنهم مؤمنون في السر والعلانية فأكدبهم الله تعالى في دعواهم الكاذبة فأنزل عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي: الذي أنتم عليه؟

وجليل لما فهمتم بما فهمتم به من إشعاركم الله بإيمانكم وطاعتكم له . وقوله تعالى في الآية (١٧) ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١) أي يَمَنُّ أولئك الأعراب عليك يا رسولنا إيمانهم إذ قالوا آمنا بك ولم نقاتلك كما فعل غيرنا قل لهم لا تمنوا عليَّ إسلامكم واضرب عن هذا وقل لهم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان ، فالمنة لله عليكم لا أن تمنوا أنتم على رسوله . وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي كل ما غاب في السموات وما غاب في الأرض من سائح في السماء وسابح في الماء وسارح في الغبراء فليس في حاجة أن تعلموه بدينكم وتمنونه على رسوله ﷺ والله بصير بما تعملون من عمل قل أو كثر خفي أو ظهر فاعلموا هذا وتادبوا مع الله وأحسنوا الظن فيه تنجو من هلاك لازم لمن أساء الظن بالله وأساء الأدب مع رسول الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان طبيعة أهل البادية وهي الغلظة والجفاء والبعد عن الكياسة والأدب .
- ٢- بيان الفرق بين الإيمان والإسلام إذا اجتمعا فالإيمان من أعمال القلوب والإسلام من أعمال الجوارح . وإذا افترقا فالإيمان هو الإسلام ، والإسلام هو الإيمان والحقيقة هي أنه لا يوجد إيمان صحيح بدون إسلام صحيح ، ولا إسلام صحيح بدون إيمان صحيح ، ولكن يوجد إسلام صوري بدون إيمان ، وتوجد دعوى إيمان كاذبة غير صادقة .
- ٣- بيان المؤمنين حقا وهم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .
- ٤- بيان حكم المنّ وأنه مذموم من الإنسان ومحمود من الرحمن عز وجل وحقيقة المن هي عد النعمة وذكرها للمنعم عليه وتعدادها المرة بعد المرة .
- ٥- بيان إحاطة علم الله بسائر المخلوقات ، وأنه لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء .

(١) (يمنون) إشارة إلى قولهم جئناك بالأنفال والعيال كما تقدم في التفسير .

(٢) (أن أسلموا) حرف الجر محذوف الأصل ، بأن أسلموا أي : إسلامهم .

(٣) ذيل الكلام بهذه الجملة (إن الله يعلم) الخ ليعلموا أن الله لا يكتم وأنه لا يكذب عليه لعلمه بالغيب كلها ، وفي هذا تقويم لأخلاقهم وتربية وتاديب لهم .

سُورَةُ قَاتِ

مكية

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنَ إِنَّ الْمَجِيدَ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَمْ دَامَتُنَا وَكُنَّا نُرَابًا ذَلِكِ
رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ
حَفِیْظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ



شرح الكلمات :

ق : هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب هكذا ق وتقرأ هكذا قاف .

والقرآن المجيد : أي والقرآن المجيد أي الكريم قَسَمِي لقد أرسلنا محمدا مبلغا عنا .

بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم : أي بل عجب أهل مكة من مجيء منذر أي رسول منهم ينذرهم عذاب الله يوم القيامة .

فقال الكافرون هذا شيء : أي فقال المكذبون بالبعث هذا أي البعث بعد الموت والبلوى عجيب

أئذا متنا وكنا ترابا : أئذا متنا وصرنا ترابا أي رفاة وعظاما نخرة نرجع أحياء .

ذلك رجع بعيد : أي بعيد الإمكان في غاية البعد .

قد علمنا ما تنقص الأرض منهم : أي قد أحاط علمنا بكل شيء فعلمنا ما تنقص الأرض من

(١) صح في الموطأ وفي مسلم أن النبي ﷺ قرأ بهذه السورة في صلاة الصبح وفي عيدي الأضحى والفطر أيضاً مع سورة القمر .

أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم وعظامهم فكيف يستبعد منا إحيائهم بعد موتهم.

وعندنا كتاب حفيظ : أي كتاب المقادير الذي قد كتب فيه كل شيء ومن بين ذلك

أعداد الموتى وأسمائهم وصورهم وأجسامهم ويوم إعادتهم .

بل كذبوا بالحق لما جاءهم : بل كذب المشركون بما هو أقيح من تكذيبهم بالبعث وهو

تكذيبهم بالنبوة المحمدية وبالقرآن ومن نزل عليه .

فهم في أمر مريب : أي مختلط عليهم فهم فيه مضطربون لا يثبتون على شيء إذ

قالوا مرة سحر ومرة قالوا شعر ومرة كهانة وأخرى أساطير .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ق﴾ الله أعلم بمراده به إذ هو من الحروف المقطعة الأحادية نحو ص . ونّ وقوله

تعالى ﴿والقرآن المجيد﴾ أي الكريم فالقرآن مجيد كريم لما فيه من الخير والبركة إذ قراءة

الحرف الواحد منه بعشر حسنات . وقوله والقرآن المجيد قسم والجواب محذوف تقديره إن

محمداً لرسول أمين . وقوله تعالى ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أي إنهم لم يستنكروا

أصل الإرسال إليهم وإنما أنكروا كون المرسل بشراً مثلهم ينذرهم عذاب يوم القيامة وهم لا

يؤمنون بالبعث الآخر فلذا قالوا ما أخبر تعالى به عنهم وقوله ﴿فقال الكافرون﴾ أي بالبعث ﴿هذا

شيء عجيب﴾

أي أمر يدعو إلى التعجب إذ من مات وصار تراباً لا يعقل أن يبعث مرة أخرى فيُسأل ويحاسب

ويجزى وقد أفصحوا عن معتقدهم بقولهم ﴿أنذا متنا وكنا تراباً﴾ ذلك الرجوع إلى الحياة رجوع بعيد

التحقيق . قال تعالى ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ هذه برهنة واضحة

على إبطال دعواهم وتحقيق عقيدة البعث أي قد علمنا ما تنقص الأرض منهم بعد الموت من

لحم وعظم ، وعندنا كتاب حفيظ قد حوى كل شيء وحفظه مادة وكمية وكيفية بمقتضاه يعود

(١) المجيد : المتصف بقوة المجد ، والمجد والمجادة : الشرف الكامل ، وكرم النوع ولذا فالقرآن يفوق في مجده كل كلام على الإطلاق حتى الكلام الموحى به إلى رسل الله عليهم السلام .

(٢) (بل) للاضراب الانتقالي ، وهو انتقال من تقرير النبوة المحمدية التي أثبتتها بالقسم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء إذ

أورد قول الكافرين المنكرين لها ثم أثبتها بالأدلة القاطعة من عدة آيات كأنما قال : دع ذا واسمع ما أقول . (وأن جاءهم) مجرور بمن محذوف أي من أن جاء ويعد السبك من مجيئهم .

(٣) الاستفهام للإبطال والتعجب والتعجب منه محذوف تقديره أنرجع إلى الحياة بعد انعدامنا بالموت وصيرورتنا تراباً؟

(٤) قوله (ما تنقص الأرض) إشارة إلى أن هناك أجساداً لا تبدي كلها بل يبقى أعضاؤها ، وإلى أن عجب الذنب لا يفنى ولا يبدي بل يبقى كما هو ليعاد الخلق به يوم القيامة .

(٥) التنكير في (كتاب) للمتعظيم ويدل عليه قوله (حفيظ) .

الخلق كما بدأ لا ينقص منه شيء وقوله ، ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ أي إن هناك ما هو أشنع من إنكارهم وأقبح عقلا وهو تكذيبهم بالقرآن ومن أنزل عليه وهو الحق من الله فلذا هم فيه في أمر مريج أي مختلط فمرة قالوا في الرسول إنه ساحر وقالوا شاعر وقالوا مفتر كذاب وقالوا في القرآن أساطير الأولين فهم حقا في أمر مريج مختلط عليهم لا يدرون ما يقولون ويثبتون عليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان شرف القرآن ومجده وكرمه .
- ٢- تقرير البعث والوحي الإلهي .
- ٣- البرهنة الصحيحة الواضحة على صحة البعث والجزاء وإمكانهما .
- ٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير كتاب المقادير .

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ
مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾
رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم : أي أعموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى السماء كائنة فوقهم فيعلموا أن استبعادهم للبعث غير صحيح .

كيف بنيناها وزيناها : أي كيف بنيناها بلا عمد . وزيناها بالكواكب .

وما لها من فروج : أي وليس لها من شقوق تعيها .

والأرض مددناها ^(١) : أي بسطناها

(١) (الأرض) منصوب على الاشتغال أي : مددنا الأرض مددناها .

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي : أي جبالا رواسي ثوابت لا تسير ولا تتحرك مثبتة للأرض كي لا تميد بأهلها.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ^(١) : أي وأنبتنا في الأرض من كل صنف من أنواع النباتات حسن . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب : أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى منا لكل عبد منيب إلى طاعتنا رجاء إلينا .

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارَكًا : أي ماء المطر كثير البركة . فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ : أي أنبتنا بماء السماء بساتين وحب الحصيد أي المحصول من البر والشعير .

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ^(٢) : أي وأنبتنا بالنخل الطوال العاليات . لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ : أي لها طلع منضد متراكب بعضه فوق بعض . رِزْقًا لِلْعِبَادِ : أي أنبتنا ما أنبتنا من الجنات والحب الحصيد والنخل

الباسقات قوتا للعباد ورزقا لهم مؤمنهم وكافرهم . وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا : وأحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه بلدة ميتا لا نبات فيها من الجذب الذي أصابها والقحط .

كَذَلِكَ الْخُرُوجِ : أي كما أخرجنا النبات من الأرض الميتة بالماء نخرجكم أحياء من قبوركم يوم القيامة بماء ننزله من السماء على الأرض فتنبثون كما ينبت البقل .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث وهي العقيدة التي بُنِيَ عليها كل إصلاح يراد للإنسان بعد عقيدة الإيمان بالله تعالى رباً وإلهاً قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي أعمي أولئك المنكرون للبعث المكذبون ببقاء ربهم يوم القيامة فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى حجم السماء الواسع العالي الرفيع الكائن فوقهم وقد رفع بلا عمد ولا سند . وقد زينه خالقه بكواكب نيرة وأقمار منيرة وشموس مضيئة ولم يُر في السماء

(١) (من) ليست للتمييز بل هي للتأكيد إلا أن زيادتها مع الإثبات نادرة كما هي هنا .

(٢) لا يقال للطويل : باسق إلا إذا كان طوله في علو وارتفاع أما ما يكون طوله في امتداد وانسلاط فلا يقال له باسق .

(٣) الاستفهام للإنكار عليهم عدم النظر لتقرر به عقيدة البعث والجزاء ، والفاء تفريعية على إنكارهم السابق للبعث الآخر .

(٤) (فوقهم) ظرف في محل الحال ، وأطلق البناء على خلق العلويات بجامع الارتفاع والاستمسك وعدم السقوط والانهار .

من تصدع ولا شقوق ولا تفطر الحياة كلها أليس القادر على خلق السماء قادر على إحياء موتى خلقهم وأماتهم بقدرته أليس القادر على الخلق ابتداء وعلى الإماتة ثانية بقادر على إحياء من خلق وأمات؟ وقوله ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي مالهم لا ينظرون إلى الأرض أي بسطها وألقى فيها الجبال لشبيتها حتى لا تميز بهم، وقوله ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي صنف من النباتات والزرع بهيج المنظر حسنه، وقوله ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ وقوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي أليس الذي أنزل من السماء ماء مباركا لما يكثر به من الخيرات والبركات من النبات والحيوان فأنبت به جنات أي بساتين من أشجار ونخيل وأعناب، وأنبت به حب الحصيد وهو كل حب يحصد عند طيبه من قمح وشعير وذرة وغيرها وأنبت به النخل الباسقات العاليات المرتفعات في السماء لها طلوعها النضيد المتراكب بعضها فوق بعض ليتحول إلى رطب شهى يأكله الإنسان وقوله رزقا للعباد أي قوتا لهم يقتاتون به مؤمنين وكافرين إلا أن المؤمن إذا أكل شكر والكافر إذا أكل كفر، وقوله ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي بالماء الذي أنزلناه من السماء مباركا بلدة ميتا لا نبات بها ولا عشب ولا كلاً فأصبحت تهتز رابية كذلك الخروج أي هكذا يكون خروجكم من قبوركم أيها المنكرون للبعث ينزل الله من السماء ماء فتنبتون وتخرجون من قبوركم كما يخرج الشجر والزرع من الأرض بواسطة الماء المبارك فبأي عقل تنكرون البعث أيها المنكرون. إنها كما قال تعالى ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث بمظاهر القدرة الإلهية في الكون.
- ٢- مشروعية النظر والاعتبار فيما يحيط بالإنسان من مظاهر الكون والحياة للعبارة طلباً لزيادة الإيمان والوصول به إلى مستوى اليقين.
- ٣- فضل العبد المنيب وفضيلة الإنابة إلى الله تعالى والمنيب هو الذي يرجع إلى ربه في كل ما يهيمه والإنابة التوبة إلى الله والرجوع إلى طاعته بعد معصيته.

كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ

- (١) من آيات القدرة والعلم الإلهيين: كون السماء على شكل قبة مرفوعة في قالب لا تشقق فيها ولا تصدع مزينة بأنواع النجوم والكواكب.
- (٢) بلى إنه لقادر بلا مرية ولا شك.
- (٣) (رزقاً) منصوب على أنه مفعول لأجله.

لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
 ﴿١٤﴾ أَفَعَيِّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم قوم نوح : أي قبل قومك يا رسولنا بالبعث والتوحيد والنبوة قوم نوح .
 وأصحاب الرس وثمود : أي وكذب أصحاب الرس وهي بشر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام وثمود وهم أصحاب الحجر قوم صالح .

وعاد وفرعون : وكذبت عاد قوم هود ، وكذب فرعون موسى عليه السلام .
 وإخوان لوط وأصحاب الأيكة : أي وكذب قوم لوط أخاهم لوطا ، وكذب أصحاب الأيكة شعيبا .

وقوم تبع : أي وكذب قوم تبع الحميري اليمني .
 كل قد كذب الرسل : أي كل من ذكر قد كذب الرسل فلست وحدك المكذب يا محمد ﷺ .

فحق وعيد

أفعيينا بالخلق الأول^(١) : أي أفعيينا بخلق الناس أولا والجواب لا إذا فكيف نعيى بخلقهم ثانية وإعادتهم كما كانوا؟ .

بل هم في لبس من خلق جديد : أي هم غير منكرين لقدرة الله عن الخلق الأول بل هم في خلط وشك من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وهي أن كل من مات منهم يرونه ينفى ولا يعود حياً .

معنى الآيات :

(١) ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثبات النبوة للرسول ﷺ فقال تعالى ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قريش المكذبين بالبعث والجزاء وبالنبوة المحمدية كذبت قبلهم قوم نوح وهي أول أمة كذبت وعاش نوح نبيها ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوها إلى الله فلم يؤمن منهم أكثر من نيف وثمانين نسمة ، وأصحاب الرس أيضا قد أخذوا نبيهم ورسوه في بشر فقتلوه فأهلكهم الله

(١) أي : (أفعيينا) به فنعني بالبعث وهو توبيخ لمنكري البعث وجواب على قولهم ذلك رجع بعيد يقال : عييت بالأمر : إذا لم تعرف وجهه هذا في المعاني أما في الذوات فمعنى عجز ولم يقدر عليه .

(٢) هذا استئناف ابتدائي الغرض منه تسلية الرسول ﷺ بإعلامه أن أمما كثيرة قد كذبت رسلها قبل تكذيب قومه له ﷺ .

تعالى في بشر كانوا يقيمون على أصنام حولها يعبدونها فأهلكهم في تلك البشر وأهلك ثموداً وهم قوم صالح، وعاداً وهم قود هود وفرعون موسى وقوم لوط،^(١) وأصحاب الأيكة أي الشجر الملتف إذ كانوا يعبدون أشجار تلك الأيكة، وقوم تبع وهو تبع الحميري اليمني. وقوله تعالى ﴿كل كذب الرسل﴾ أي كل تلك الأمم التي ذكرنا كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم ولا بما جاءهم به من التوحيد والشرع، فحق وعيد أي فوجب لذلك عذابهم الذي واعدتهم به على السنة رسلي إن لم يؤمنوا فأهلكناهم أجمعين وقومك يا محمد هي موعودة أيضاً بالعذاب إن لم يبادروا بالإيمان والطاعة. وقوله تعالى ﴿أفعينا بالخلق الأول﴾ والجواب لا إذ الاستفهام للنفي أي لم يعي الله تعالى بخلق كل ما خلق من الملائكة والإنس والجن فكيف إذا يعنى بالإعادة وهي أهون من البدء والبدائية، وقوله تعالى ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ أي أنهم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في لبس أي خلط وشك من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة حيث هم يرون الناس يموتون ولا يحيون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تعزية الرسول ﷺ وتسليته بإعلامه بأن قومه ليسوا أول من كذب الرسل.
- ٢- تهديد المصريين على التكذيب من كفار قريش بالعذاب إذ ليسوا بأفضل من غيرهم وقد أهلكوا لما كذبوا.

٣- تقرير البعث والجزاء وإثبات عقيدتهما بالأدلة العقلية كبدة الخلق.

٤- ضعف إدراك المنكرين للبعث لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ ﴿٦٦﴾ إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ

(١) قوله تعالى : (وإخوان لوط) عبر بالإخوان دون القوم تنويع للأسلوب والمراد بهم قوم لوط، والأخوة هنا أخوة تلازم ومواطنة وما هي بأخوة دين ولا نسب وأصحاب الأيكة : هم قوم شعيب عليه السلام.

(٢) أي : صدق وعده فيهم ووجب وقوعه عليهم.

(٣) الاستفهام للإنكار والتغليظ إذ لا يسمعون إلا الاعتراف بأن الله تعالى الذي خلق كل شيء في الأرض والسماء ومن جملة ذلك خلقهم هم المنكرون للبعث فكيف يعجز عن إعادة خلقهم مرة أخرى للجزاء والحساب.

(٤) (بل) للإضراب الإبطالي أي : ما عينا بالخلق الأول.

﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ



شرح الكلمات :

ولقد خلقنا الإنسان : أي خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة اقتضت خلقه فلم نخلقه عبثاً .

ونعلم ما توسوس به نفسه : أي ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما في نفسه من خواطر وإرادات .

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد : أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يُسر ويظهر أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه .

إذ يتلقى المتلقيان : أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عمله فيكتبانه .

عن اليمين وعن الشمال قعيد^(١) : أي أحدهما عن يمينه قعيد والثاني عن شماله قعيد أيضاً .

ما يلفظ من قول : أي ما يقول من قول .

إلا لديه رقيب عتيد : أي إلا عنده ملك رقيب حافظ عتيد حاضر معد للكتابة .

وجاءت سكرة الموت بالحق : أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً .

ذلك ما كنت منه تحيد : أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع .

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد : أي ونفخ إسرافيل في الصور الذي هو القرن ذلك يوم الوعيد للكفار بالعذاب .

معها سائق وشهيد : أي معها سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد يشهد عليها .

(١) هذه الحكمة هي ذكره تعالى وشكره بأنواع العبادات لقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وسائر المخلوقات هي لأجل الناس فعاد الأمر إلى أن المخلوقات كلها مخلوقة لعلّة العبادة .

(٢) القعيد بمعنى المقاعد كالجلوس بمعنى المجالس .

لقد كنت في غفلة من هذا : أي من هذا العذاب النازل بك الآن .
 فكشفنا عنك غطاءك : أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم .
 فبصرك اليوم حديد : أي حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ حسب سنتنا في الخلق خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة اقتضت خلقه منا ولم نخلقه عبثاً ونحن نعلم ما توسوس به نفسه أي ما تتحدث به نفسه من إرادات أو خواطر، ونحن أي رب العزة والجلال أقرب إليه من حبل الوريد فلو أردنا أن نأخذ منه أو نعطيه أو نسمع منه أو نعلم به لكننا على ذلك قادرين وقربنا في ذلك منه أقرب من حبل عنقه إلى نفسه وذلك في الوقت الذي يتلقى فيه الملكان المتلقيان سائر أقواله وأعماله يشتاها ويحفظانها وقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد أي أحد الملكين وهما المتلقيان عن يمينه قاعد والثاني عن شماله قاعد هذا يكتب الحسنات وذاك يكتب السيئات .

ولفظ قعيد معناه قاعد كجلس بمعنى مجالس أو جالس، وقوله تعالى ﴿ما يلفظ من قول﴾ أي ما يقول الإنسان إلا لديه رقيب عتيد أي إلا عنده ملك رقيب حافظ، وعتيد حاضر لا يفارقه مدى الحياة إلا أنهما يتناوبان ملكان بالنهار و ملكان بالليل ويجتمعون في صلاتي الصبح والعصر وقوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ أي وإن طال العمر فلا بد من الموت وها هي ذي قد جاءت سكرة الموت أي غمرته وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر للبعث والدار الآخرة المكذب به يراه عياناً . ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ أي يقال له هذا الموت الذي كنت منه تحيد أي تهرب وتفزع . وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي نفخ اسرافيل في الصور أي القرن الذي قد التقمه وجعله في فيه من يوم بعث النبي الخاتم نبي آخر الزمان محمد ﷺ وهو ينتظر متى يؤمر فينفخ نفخة الفناء ذلك أي يوم ينفخ في الصور هو يوم الوعيد بالعذاب للكافرين، وفعلنا نفخ في الصور نفخة البعث بعد نفخة الفناء ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ أي ملك يسوقها إلى

(١) تقدم بيان الحكمة للخلق تحت رقم واحد من هذا السياق في شرح الكلمات .

(٢) الوريد : واحد الشرايين، وهو ثاني شريائين يخرجان من التجويف الأيسر من القلب وهما عرقان يكتنفان صفحتي العنق في مقدمتهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه، والحبل : العرق والجمع عروق ويختلف أسمه باختلاف موضعه من الجسم .

(٣) السكرة : اسم لما يعترى الإنسان من ألم واختلال في المزاج يحده من إدراك العقل فيختل الإدراك ويعتري العقل غيوبة وهو مشتق من السكر وهو الغلق لأنه يغلط العقل، ومنه جاء وصف السكران .

(٤) يوم وعيد للكافرين ويوم وعد صادق للمؤمنين، ولما كان السياق في دعوة الكافرين إلى الإيمان ذكر الوعيد دون الوعد .

المحشر وملك شاهد يشهد عليها . ويقال لذلك الذي جاء به سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه
لقد كنت في غفلة من هذا أي كنت في الدنيا في غفلة عن الآخرة وما فيها وغفلت عنك من شهواتك
ولذاتك وغرورك بالحياة الدنيا من هذا العذاب النازل بك الآن فكشفنا عنك غطاءك أي أزلنا
عنك غفلتك بما تشاهده اليوم عيانا بيانا من ألوان العذاب فبصرك اليوم حديد أي حاد تدرك به
وتبصر ما كنت تكفر به في الدنيا وتُنكره .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان قدرة الله وعلمه وأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده ألا فليتيق الله امرؤ .
- ٢- تقرير عقيدة أن لكل إنسان مكلف ملكين يكتبان حسناته وسيئاته .
- ٣- بيان أن للموت سكرات قطعها اللهم هون علينا سكرات الموت .
- ٤- ساعة الاحتضار يؤمن كل إنسان بالدار الآخرة إذ يرى ما كان ينكره يراه بعينه .
- ٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض بعض أحوال وأهوال الآخرة .

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
ءَاخَرًا فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخَصِمُوا لَدِيَ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾^(١)

شرح الكلمات :

وقال قرينه : أي الملك الموكل به .
هذا ما لدي عتيد : أي هذا عمله حاضر لدي .

(١) قرأ نافع : (يوم يقول) بالياء، وقرأ حفص (تقول) بالنون .

كل كفار عنيد : أي كثير الكفر والجحود لتوحيد الله وللقائه ولرسوله معاند كثير العناد.

مناع للخير معتد مريب : أي مناع للحقوق والواجبات من المال وغيره.
الذي جعل مع الله إلهاً آخر : أي أشرك بالله فجعل معه آلهة أخرى يعبدها.
ربنا ما أطغيته : أي يقول قرينه من الشياطين ياربنا ما أطغيته أي ما حملته على الطغيان.

ولكن كان في ضلال بعيد : أي ولكن الرجل كان في ضلال بعيد عن كل هدى متوغلا في الشرك والشر.

وقد قدمت إليكم بالوعيد : أي قدمت إليكم وعيدي بالعذاب في كتيبي وعلى لسان رسلي.

ما يبدل القول لدي : أي ما يغير القول عندي وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين.

يوم نقول لجهنم هل امتلأت : أي وما الله بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم هل امتلأت.
ونقول هل من مزيد : أي لم أمتليء هل من زيادة فيضع الجبار عليها قدمه فتقول قط قط.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مشاهد القيامة وأحوال الناس فيها فقال تعالى ﴿وقال قرينه﴾ ^(١) أي قال قرين ذلك الكافر الذي جئ به إلى ساحة فصل القضاء ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه . قال قرينه وهو الملك الموكل به هذا ما لدي أي من أعمال هذا الرجل الذي وكلت بحفظ أعماله وكتابتها عنيد أي حاضر . وهنا يقال لمن استحق النار ﴿ألقيا في جهنم﴾ وهو خطاب لمن جاء به وهما السائق والشهيد ﴿كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب﴾ فهذه خمس صفات قد اجتمعت في شخص واحد فأوبقته الأولى كفار أي كثير الكفر الذي هو الجحود لما يجب الإيمان به والتصديق من سائر أركان الإيمان الستة ، والثانية عنيد والعنيد التارك لكل ما وجب عليه المعاند في الحق المعاكس في المعروف وهي شر صفة ، الثالثة مناع للخير أي كثير المنع للخير مالا كان أو غيره لا يبذل معروفاً قط ، الرابعة معتد أي على حدود

(١) الواو واو الحال ، والجملة حالية ، وصاحب الحال تاء الخطاب في قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) والقرين ، بمعنى مقرون وهو مأخوذ من القرن بفتح القاف والراء وهو الجبل إذ كانوا يقرنون البعير بعثله بجبل سموه القرن .

(٢) اختلف في تحديد القرين على ثلاثة أقوال وما ذكر في التفسير هو أرجحها .

(٣) وجاز أن يكون خطاباً لواحد بصيغة التثنية على حد قول الشاعر: فقا نيك من ذكرى حبيب ومزمل .

الشرع معتد على الناس ظالم لهم بأكل حقوقهم وأذيتهم في أعراضهم وأموالهم وأبدانهم الخامسة مريب أي شاك لا يعرف التصديق بشيء من أمور الدين فهو جامع لكل أنواع الكفر وقوله ﴿الذي جعل مع الله إلهاً﴾ وهذا وصف سادس وهو أسوأ تلك الصفات وهو اتخاذها آخر يعبد دون الله تعالى وقوله تعالى ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ هذا أمر آخر أكد به الأمر الأول وهو ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. وقوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ قال هذا القول القرين لما قال المشرك معتذراً رب إن قريني من الشياطين أظفاني فرد عليه القرين بما أخبر تعالى به عنه في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فقال الرب تعالى ﴿لا تختصموا لدي^(١) وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ فرد الله حجة كل من الكافر والقرين من الشياطين وأعلمهما أنه قد قدم إليهما بالوعيد في كتبه وعلى ألسن رسله من كفر بالله وأشرك به وعصى رسله فإن له نار جهنم خالداً فيها أبداً. وقوله تعالى ﴿ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ أخبر^(٢) تعالى أن حكمه نافذ فيمن كفر به وعصى رسله إذ سبق قوله لإبليس عندما أخرج آدم من الجنة بوسواسه وهو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. فهذا القول الإلهي لا يبدل ولا يقدر أحد على تغييره وتغييره وقوله ﴿وما أنا بظلام للعبيد نفى تعالى الظلم عن نفسه والظلم هو أن يعذب مطيعاً، أو يدخل الجنة كافراً عاصياً. وقوله تعالى ﴿يوم نقول لجنهم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ أي اذكر يا نبينا لقومك المنهمكين في الشرك والمعاصي ما ينتظر أمثالهم من عذاب جهنم اذكر لهم يوم نقول لجنهم هل امتلأت فتقول هل من مزيد بعدما يدخل فيها كل كافر وكافرة من الإنس والجن وتقول طالبة الزيادة هل من مزيد؟ ولما لم يبق أحد يستحق عذاب النار يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها في بعض وتقول قط قط والحديث معناه في الصحيحين وغيرهما.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- التحذير من الصفات الست التي جاءت في الآية وهي الكفر والعناد ومنع الخير والاعتداء

(١) النهي عن المخاصمة دال على أن النفوس الكافرة ادعت أن قرانها أطفوها، وأن القرناء اتصلوا من ذلك، وأن النفوس أعادت القول فكانت بذلك خصومة فأسكتهم الحق عز وجل بقوله : (لا تختصموا لدي).

(٢) المبالغة في وصف (ظلام) راجعة إلى تأكيد النفي المطلق إذ المراد لا أظلم شيئاً من الظلم، وليس المعنى ما أنا بكثير الظلم أو شديده إذ الأمر في أمثلة المبالغة أن يقصد بها المبالغة في النفي. قال طرفة :

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يستترد القوم أرفد

إذ لم يرد نفي كثرة حلوله التلاع وإنما أراد كثرة النفي إذ هو لم يحل في تلعلة بالمرة جنباً وخوفاً.

والشك والشرك .

٣- بيان خصومة أهل النار من إنسان وشيطان .

٤- نفي الظلم عن الله تعالى وهو كذلك فلا يظلم الله أحدا من خلقه .

٥- إثبات صفة القدم للرب تعالى كما يليق هذا الوصف بذاته التي لا تشبه الذوات سبحانه وتعالى عن صفات المحدثين من خلقه .

وَأُزْلِفَتْ

الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ

﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا

بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

وَأُزْلِفَتْ الجنة للمتقين : أي قربت الجنة للمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي .

غير بعيد (٢) : أي مكانا غير بعيد منهم بحيث يرونها .

لكل أواب حفيف : أي رجاء إلى طاعة الله كلما ترك طاعة عاد إليها حافظ لحدود الله .

من خشي الرحمن بالغيب : أي خاف الله تعالى فلم يعصه وإن عصاه تاب إليه وهو لم يره .

وجاء بقلب منيب : أي مقبل على طاعته تعالى .

أدخلوها بسلام : أي ويقال لهم وهم المتقون أدخلوها أي الجنة بسلام أي مع

سلام وحال كونكم سالمين من كل مخوف .

ولدينا مزيد : أي مزيد من الانعام والتكريم في الجنة وهو النظر إلى وجه الله الكريم .

(١) أخرج مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض ، وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة) نزع هنا بعض أهل العلم كالقرطبي إلى تأويل القدم ففسرها بما يقدم للنار من أقوام وأولوا كذلك لفظ الرجل في حديث (حتى يضع الله عليها رجله) وقالوا الرجل بمعنى العدد الكثير من الناس كالرجل من الجراد، ولا داعي لهذا التأويل الذي لم يؤوله رسول الله ﷺ وهو يحدث به أصحابه فالأسلم للمؤمن أن يؤمن بصفات الله ويمررها كما جاءت فالقدم، والرجل كالتدوين والعين صفات ذات الله يؤمن العبد بها وهو يعتقد أنها لا تشبه صفات العباد وهي كذلك والحمد لله .

(٢) (غير بعيد) نعت لمحذوف تقديره مكاناً غير بعيد من المتقين والإزلاف التقريب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير البعث والجزاء بذكر بعض مظاهره قال تعالى بعد ما ذكر ما لأهل النار من عذاب ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾ أي أدنيت وقربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وهم الذين اتقوا الله تعالى بترك الشرك والمعاصي فلا تركوا فريضة ولا غشوا كبيرة^(١). وقوله تعالى هذا ما توعدون أي يقال لهم هذا ما توعدون أي من النعيم المقيم ، لكل أبواب حفيظ أي رجاء إلى طاعة الله تعالى حفيظ أي حافظ لحدود الله . حفيظ أيضا لذنوبه لا ينساها كلما ذكرها استغفر الله تعالى منها . وقوله من خشى الرحمن بالغيب هذا بيان للأواب الحفيظ وهو من خاف الرحمن تعالى بالغيب أي وهو غائب عنه لا يراه ولم يعصه بترك واجب ولا بفعل حرام ، وقوله وجاء بقلب منيب أي إلى ربه أي مقبل على طاعته بذكر الله فلا ينساه ويطيعه فلا يعصيه ، وقوله تعالى ادخلوها أي يقال لهم أي للمتقين ادخلوها أي الجنة بسلام أي مسلما عليكم وسالمين من كل مخوف كالموت والمرض والألم والحزن وذلك يوم الخلود أي في الجنة وفي النار فأهل الجنة خالدون فيها وأهل النار خالدون فيها وقوله لهم ما يشاءون أي لأهل الجنة ما يشاءون أي ما تشتهيه أنفسهم وتلذذ أعينهم وقوله ولدينا مزيد أي وعندنا لكم مزيد من النعيم وهو النظر إلى وجهه الكريم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضل التقوى وكرامة المتقين على رب العالمين .
- ٢- فضل الأواب الحفيظ وهو الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربه .
- ٣- بيان أكبر نعيم في الجنة وهو رضا الله والنظر إلى وجهه الكريم .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ

(١) عطف على (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) .

(٢) أو تركوا وغشوا ولكن تابوا وصحت توبتهم فقبلت منهم فهم كمن لم يترك فريضة ولم يغش كبيرة إذ التوبة تجب ما قبلها ، والثائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٣) أي : حضر يوم القيامة مصاحباً قلبه المنيب إلى الله ، وفي الحديث : (من مات على شيء بعث عليه) فهذا العبد عاش ومات على قلب منيب فبعث به شاهد عليه بالإجابة إلى ربه .

(٤) هذا كقوله تعالى : (ادخلوها بسلام آمين) .

(٥) هذا المطلق من الأخبار مقيد قطعاً بمن مات على الشرك والكفر أما من مات على الإيمان والتوحيد فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها إلى الجنة ومن ينكر هذا كالخوارج فقد كذب الله ورسوله ومن كذب الله ورسوله عامداً فقد كفر .

لَهُ قُلُوبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبِرْ لِّلشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ
عَنَّهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

وكم أهلكنا قبلهم من قرن : أي كثيرا من أهل القرون قبل كفار قريش أهلكناهم .
هم أشد منهم بطشا : أي أهل القرون الذين أهلكناهم قبل كفار قريش هم أشد قوة
وأعظم أخذًا من كفار قريش ومع هذا أهلكناهم .
فنقبوا في البلاد هل من محيص : أي بحثوا وفتشوا في البلاد عليهم يجدون مهرباً من الهلاك فلم
يجدوا .

إن في ذلك لذكرى : أي إن في المذكور من إهلاك الأمم القوية موعظة .
لمن كان له قلب أو ألقى السمع : أي الموعظة تحصل للذي له قلب حي وألقى سمعه يستمع .
وهو شهيد : وهو شهيد أي حاضر أثناء استماعه حاضر القلب والحواس .
وما مسنا من لغوب : أي من نصب ولا تعب .
فأصبر على ما يقولون : أي فأصبر يا رسولنا على ما يقوله اليهود وغيرهم من التشبيه لله
والتكذيب بصفاته .

وسبح بحمد ربك قبل طلوع

الشمس : أي صل حامداً لربك قبل طلوع الشمس وهي صلاة الصبح .

وقبل الغروب : أي صل صلاة الظهر والعصر .

ومن الليل فسبحه : أي صل صلاتي المغرب والعشاء .

وأدبار السجود : أي بعد أداء الفرائض فسبح بالفاظ الذكر والتسبيح .

واستمع : أي أيها المخاطب إلى ما أقول لك .

يوم ينادي المناد من مكان قريب : أي يوم ينادي إسرافيل من مكان قريب من السماء وهو صخرة

بيت المقدس فيقول أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة

واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن

لفصل القضاء .

يوم يسمعون الصيحة بالحق : أي نفخة إسرافيل الثانية وهي نفخة البعث يعلمون عاقبة

تكذيبهم .

: أي من القبور .

ذلك يوم الخروج

يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً : أي يخرجون من قبورهم مسرعين بعد تشقق القبور عنهم .

ذلك حشر علينا يسير : أي ذلك حشر للناس وجمع لهم في موقف الحساب يسير

سهل علينا .

نحن أعلم بما يقولون : أي من الكفر والباطل فلا تيأس لذلك سنتقم منهم .

وما أنت عليهم بجبار : أي بحيث تجبرهم على الإيمان والتقوى .

فذكر بالقرآن : أي عظ مرغباً مرهباً بالقرآن فاقرأه على المؤمنين فهم الذين

يخافون وعيد الله تعالى ويطمعون في وعده .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض العظيم لأحوال القيامة وأهوالها على كفار قريش المكذبين بالتوحيد والنبوة

والبعث ولم يؤمنوا فكانوا بذلك متعرضين للعذاب فأخبر تعالى رسوله أن هلاكهم يسير فكم^(١)

أهلك تعالى ﴿قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً﴾ أي قوة وأخذاً ولما جاءهم العذاب فروا يبحثون

(١) قوله تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم) هذا تعريض بالتهديد للمشركين وتسلية للنبي ﷺ . (وكم) خبرية .

عن مكان يحيصون إليه أي يلجأون فلم يجدوا وهو معنى قوله تعالى ﴿فَنَقِبوْا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾؟ وقوله تعالى ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾^(٦) أي الذي ذكرنا من قوله وكما أهلكنا قبلهم من قرن لذكرى أي موعظة يتعظ بها عبد كان له قلب حيٍّ وألقى سمعه يستمع وهو شهيد أي حاضر بكل مشاعره وأحاسيسه. وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسْنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي نصب أو تعب، هذا الخبر ردُّ الله تعالى به على اليهود الذين قالوا أتم الله خلق السموات والأرض في يوم الجمعة واستراح يوم السبت فلذا هم يستبتون أي يستريحون يوم السبت فرد تعالى عليهم بقوله ﴿وَمَا مَسْنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي تعب، إذ التعب يلحق العامل من الممارسة والمباشرة لما يقوم بعمله والله تعالى يخلق بكلمة التكوين فلذا لا معنى لأن يصيبه تعب أو نصب أو لغوب وقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ﴾ أي فاصبر يارسلنا على ما يقوله يهود وغيرهم من الكفر والباطل واستعن على ذلك أي على الصبر وهو صعب بالصلاة والتسبيح قبل طلوع الشمس^(٧) وقبل الغروب، ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم فشمّل هذا الإرشاد والتعليم الإلهي الصلوات الخمس^(٨)، إذ قبل طلوع الشمس فيه صلاة الصبح وقبل الغروب فيه صلاة الظهر والعصر ومن الليل فيه صلاة المغرب والعشاء، ولنعم العون على الصبر الصلاة، ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وقوله وأدبار السجود أي بعد الصلوات الخمس سبّح ربك متلبساً بحمده. نحو سبحان الله والحمد لله والله أكبر. وقوله ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ ينادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي واستمع أيها الخاطب يوم ينادي اسرافيل من مكان

(١) (النقب) الثقب فالتنقيب مأخوذ منه، ومعنى الآية أي: ذللوا وأخضعوا وتصرفوا في الأرض بالحفر والغرس والبناء ونحت الجبال وإقامة السدود والحصون وما إلى ذلك من مظاهر القوة في الأرض ولم يُغن ذلك عنهم من الله شيئاً وجاءهم الموت من حيث لا مهرب منه ولا محيص.

(٢) المحيص: مصدر ميمي من: حاص: إذا عدل عن الطريق وهرب فالمحيص: المهرب، والاستفهام إنكاري وهو بمعنى النفي.

(٣) الإشارة إلى كل ما ذكر من الاستدلال والتهديد في الآيات السابقة والذكرى: التذكرة العقلية لمن توفر له ثلاثة شروط: القلب الحي وإلقاء السمع للإصغاء وحضور البال.

(٤) (في الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ جرير (وسبح بحمد ربك...))

(٥) وجائز أن يراد بها نوافل الصلاة فيكون الذي قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر ولكن ما في التفسير أولى وأصح وأنها الصلوات الخمس إذ السورة مكية ونزلت بعد فرض الصلوات الخمس.

(٦) قرأ نافع: (وإدبار) بكسر الهمزة، وقرأ حفص (وإدبار) بفتحها.

(٧) التعبير بالاستماع فيه معنى التشويق لما يسمع، والمعنى، أقم الصلاة وهي زادك إلى الدار الآخرة وانتظر موعد الجزاء فإنه كائن يوم ينادي المنادي للقيام للجزاء على الصبر والصلاة كما هو على الشرك والعصيان، والآية تحمل التسلية وتدعو إلى الصبر والصلاة.

قريب وهو صخرة بيت المقدس وهو مكان قريب من السماء فيقول المنادي وهو اسرافيل أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقوله ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ وهي نفخة إسرافيل الثانية نفخة البعث ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور ويوم يرى المكذبون عاقبة تكذيبهم . وقوله يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً أي يخرجون مسرعين ذلك المذكور من تشقق الأرض وخروجهم مسرعين حشر علينا لهم يسير أي سهل لا صعوبة فيه ، وقوله نحن أعلم بما يقولون فيه تسلياً للرسول ﷺ وفيه تهديد لكفار قريش . وقوله وما أنت عليهم بجبار أي بذى قوة وقدرة فائقة تجبرهم بها على الإيمان والاستقامة وعليه فمهمتك ليست الإكثار وأنت عاجز عنه وإنما هي التذكير ﴿فذكر بالقرآن﴾ إذا ﴿من يخاف وعيد﴾ وهم المؤمنون الصادقون والمسلمون الصالحون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية تخويف العصاة والمكذبين بالعذاب الإلهي وقربه وعدم بعده .
- ٢- للانتفاع بالمواعظ شروط أن يكون السامع ذا قلب حي واعٍ وأن يلقى بسمعه كاملاً وأن يكون حاضر الحواس شهيداً .
- ٣- وجوب الصبر والاستعانة على تحقيقه بالصلاة .
- ٤- مشروعية الذكر والدعاء بعد الصلاة فرادى لا جماعات .
- ٥- تقرير البعث وتفصيل مبادئه .
- ٦- المواعظ ينتفع بها أهل القلوب الحية .

(١) قرأ نافع (تشقق) بفتح التاء وتشديد الشين وأصلها تشقق بتثنية فأدغمت التاء الثانية في الشين بعد قلبها شيناً، وقرأ حفص بتخفيف الشين على حذف إحدى التائين .

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية

وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۝١ فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا ۝٢ فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا ۝٣
فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوُفْعٌ ۝٦
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ۝٩ قُنُلُ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ۝١٣ ذُوقُوا
فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------------|---|
| والذاريات ذروا : | أي الرياح تذرروا التراب وغيره ذروا . |
| فالحاملات وقرا : | أي السحب تحمل الماء . |
| فالجاريات يسرا : | أي السفن تجري على سطح الماء بسهولة . |
| فالمقسمات أمرا : | أي الملائكة تقسم بأمر ربها الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد . |
| إن ما توعدون لصادق : | أي إن ما وعدكم به ربكم لصادق سواء كان خيراً أو شراً . |
| وإن الدين لواقع : | أي وأن الجزاء بعد الحساب لواقع لا محالة . |
| والسمااء ذات الحبك : | أي ذات الطرق كالطرق التي تكون على الرمل والحبك جمع حبيكة . |
| إنكم لفي قول مختلف : | أي يا أهل مكة لفي قول مختلف أي في شأن القرآن والنبى ﷺ فمنهم من يقول القرآن سحر وشعر وكهانة ومنهم من يقول النبي كاذب أو ساحر أو شاعر . |

يؤفك عنه من أفك : أي يصرف عن النبي والقرآن من صرف .
 قتل الخراصون : أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب .
 الذين هم في غمرة ساهون : أي في غمرة جهل تغمرهم ساهون أي غافلون عن أمر
 الآخرة .

يسألون أيان يوم الدين : أي يسألون النبي ﷺ سؤال استهزاء متى يوم القيامة؟ وجوابهم
 يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون فيها .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والذاريات﴾ ^(١) هذا شروع في قسم ضخيم أقسم الله تعالى به وهو الذاريات ذروا أي
 الرياح تذروا التراب وغيره من الأشياء الخفيفة ﴿فالحاملات﴾ ^(٢) وقرأ ﴿أي السحب تحمل الماء﴾ ﴿فالجاريات﴾ ^(٣)
 يسراً أي السفن تجري على سطح الماء فالمقسمات أمرا أي الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار
 وغيرها بأمر ربها كل هذا قسم أقسم الله به وجوابه إنما توعدون أيها الناس من البعث والجزاء
 بالنعيم المقيم أو بعذاب الجحيم لصادق وإن الدين أي الجزاء العادل لواقع أي كائن لا محالة .
 وقوله والسماء ذات الحبك هذا قسم آخر أي ذات الطرق كالتي على الرمل جمع حبيكة بمعنى
 طريقة إنكم لفي قول مختلف هذا جواب القسم فمنكم من يقول محمد ساحر ومنكم من يقول
 كاذب أو كاهن . ومنكم من يقول في القرآن سحر وشعر كهانة وقوله تعالى يؤفك عنه من أفك أي
 يصرف عن القرآن ومن نزل عليه من أفك أي صرف بقضاء الله وقدره . وقوله تعالى قتل
 الخراصون أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب والظن الذين هم في غمرة جهل
 تغمرهم ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة وما لهم فيه من عذاب لو شاهدوه ما ذاقوا طعاما ولا
 شرابا لذيقا .

(١) هنا ذكر القرطبي موعظة عجيبة وهي أن رجلاً يقال له : صبيغ بلغ عمر عنه أنه يسأل عن تفسير مشكل القرآن فقال : اللهم
 أمكني منه فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن فلما فرغ قام إليه الرجل وقال : يا أمير المؤمنين
 ما الذاريات ذروا؟ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلد به ثم قال : ألبسوه ثيابه واجعلوه على قتب وأبلغوا به أهله ثم ليقيم
 خطيباً فليقل : إن صبيغاً طلب العلم فأنخطأ فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم . وأخرى وهو أن ابن الكواء سأل
 علياً رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ما (الذاريات) قال : ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعتأ .

(٢) ﴿فالحاملات﴾ وقرأ السحب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر: أي الحمل الثقيل .

(٣) جائز أن يراد بـ (الجاريات) السفن، وأن يراد بها الرياح تجري بالسحب بعد تراكمها، واليسر: اللين والهنون، أي
 الجاريات جريئاً لنا حيناً شأن السير بالشيء الثقيل كما قال الأعشى .

كان مشيتها من بيت جاريتها مشي السحابة لا ريث ولا عجل

(٤) (الحبك) بفتح فسكون : إجادة النسيج وإتقان الصنع، وجائز أن يكون المراد بالحبك حبك السماء أي : نجومها لأنها
 تشبه الطرائق الموشاة في الثوب . وعن الحسن أنها طرائق المجرة أو طرائق السحاب، والكل جائز .

وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين أي متى قيام الساعة ومجيئها وهم في هذا مستهزون ساخرون وجوابهم في قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون ويقال لهم ذوقوا فتنكم أي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون أي تطالبون به رسولنا بتعجيله لكم استخفافا وتكديبا منكم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء حيث أقسم تعالى على ذلك .
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر في قوله يؤفك عنه من أفك .
- ٣- لعن الله الخراصين الذين يقولون بالخرص والكذب ويسألون استهزاء وسخرية لا طلبا للعلم والمعرفة للعمل .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءٍ أَنْتَهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ

﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ

لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ

نُطِقُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين في جنات وعيون ^(١) : أي إن الذين اتقوا ربهم في بساتين وعيون تجري خلال تلك البساتين والقصور التي فيها كقوله تجري من تحتها الأنهار.

آخذين ما آتاهم ربهم : أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الثواب.

(١) لما ذكر تعالى مآل الكافرين وهو أنهم على النار يفتنون أي : يعذبون كما قال الشاعر :

كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون

ذكر مآل المؤمنين المتقين فقال : (إن المتقين) فذكر ما هم فيه من النعيم المقيم .

إنهم كانوا قبل ذلك محسنين : أي كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا أي في عبادة ربهم وإلى عباده .

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون : أي كانوا في الدنيا يحيون الليل ولا ينامون فيه إلا قليلا .
وبالأسحار هم يستغفرون : أي وفي وقت السحور وهو السدس الأخير من الليل يستغفرون يقولون ربنا اغفر لنا .

وفي أموالهم حق للسائل والمحروم : أي للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لتعففه وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة .

وفي الأرض آيات للموقنين : أي من الجبال والأنهار والأشجار والبحار والإنسان والحيوان دلالات على قدرة الله مقتضية للبعث والموجبة للتوحيد للموقنين أما غير المؤمنين فلا يرون شيئا .

وفي أنفسكم أفلا تبصرون : أي آيات من الخلق والتركيب والاسماع والابصار والتعقل والتحرك أفلا تبصرون ذلك فتستدلون به على وجود الله وعلمه وقدرته .

وفي السماء رزقكم وما توعدون : أي من الأمطار التي بها الزرع والنبات وسائر الأقوات وما توعدون من ثواب وعقاب إن كل ذلك عند الله في السماء مكتوب في اللوح المحفوظ .

فورب السماء والأرض إنه لحق : إنه لحق أي ما توعدون لحق ثابت .
مثل ما أنكم تنطقون : أي إن البعث لحق مثل نطقكم فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق والجواب لا يشك فكذلك ما توعدون من ثواب وعقاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي كذب بها المشركون في مكة فقال تعالى إن المتقين في جنات وعيون أي إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك الواجبات ولا بفعل المحرمات هؤلاء يوم القيامة في بساتين وعيون تجري في تلك البساتين وقوله آخذين ما آتاهم ربهم أي ما أعطاهم ربهم من ثواب هو نعيم مقيم في دار السلام . ثم ذكر تعالى مقتضيات هذا العطاء العظيم والثواب الجزيل فقال إنهم كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا فأحسنوا نياتهم وأعمالهم اخلصوها لله ربهم وأتوا بها وفق ما ارتضاه وشرعه لعباده بلا زيادة ولا نقصان كما أحسنوا إلى عباده ولم يسيئوا إليهم بقول ولا عمل هذا موجب وآخر انهم كانوا

قليلًا من الليل ما يهجعون أي لا ينامون من الليل إلا قليلاً إذ أكثر الليل يقضونه في الصلاة وهو التهجد وقيام الليل وبالأسحار أي وفي السدس الأخير من الليل هم يستغفرون أي يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وثالث وفي أموالهم حق للسائل والمحروم أي وزيادة على الزكاة المفروضة في كل مال بلغ النصاب فإنهم أوجبوا على أنفسهم في أموالهم حقاً يبذلونه للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لحياته وعفته. هذه موجبات العطاء الكريم الذي أعطاهم ربهم من النعيم المقيم في جنات وعيون. وقوله تعالى وفي الأرض آيات للموقنين أي وفي ما خلق في الأرض من مخلوقات من جبال وأنهار وزروع وضروع وأنواع الثمار، وإنسان وحيوان آيات أي دلائل وعلامات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكلها موجبة له التوحيد ومقررة لقدرته على البعث الآخر والجزاء وكون هذه الآيات للموقنين مبني على أن الموقنين ذووا بصائر وإدراك لما يشاهدون في الكون فكلما نظروا إلى آية في الكون ازداد إيمانهم وقوى فبلغوا اليقين فيه فأصبحوا أكثر من غيرهم في الاهتداء والانتفاع بكل ما يسمعون ويشاهدون. وقوله تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ أي وفي أنفسكم أيها الناس من الدلائل والبراهين المتمثلة في خلق الإنسان واطواره التي يمر بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى طفل إلى شاب فكهمل وفي إدراكه وسمعه وبصره ونطقه إنها آيات أخرى دالة على وجود الله وتوجيهه وقدرته على البعث والجزاء وقوله ﴿أفلا تبصرون﴾ توبيخ لأهل الغفلة والاعراض عن التفكير والنظر إذ لو نظروا بأبصارهم متفكرين ببصائرهم لاهتدوا إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء. وقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أي^(١) يخبر تعالى عباده أن رزقهم في السماء يريد تدبير الأمر في السماء والأمطار التي هي سبب كل الثمار والحبوب وسائر الخضر والفواكه التي هي غذاء الإنسان في السماء وقوله وما توعدون من خير وشر من رحمة وعذاب الكل في السماء إذ الأمر لله وهو يحكم بالرحمة والعذاب على من يشاء وكتاب المقادير الذي كتب فيه كل شيء هو في السماء. وقوله تعالى فورب السماء والأرض

(١) الهجوع: النوم ليلاً، والتهجاع: النومة الخفيفة قال الشاعر:

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع

والفعل هجع يهجع هجوعاً، و(ما) زائدة لتقوية الكلام أي: كانوا ينامون قليلاً من الليل، والجملة: (وكانوا قليلاً) الخ بدل من جملة: (كانوا قبل ذلك محسنين) بدل بعض من كل.

(٢) هذا متصل بالقسم في قوله: (والذاريات) إنه بعد أن حقق عقيدة البعث بالإقسام عليها عطف شواهد من الأدلة على ذلك.

(٣) مما هو آية في النفس أن المرء يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط فذلك الآية في النفس.

(٤) يروى أن الحسن رحمه الله تعالى كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم.

إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون هذا قسم منه تعالى أقسم فيه بنفسه على أن البعث والجزاء يوم القيامة حق ثابت واجب الوقوع كائن لا محالة إذا كنا لا نشك في نطقنا إذا نطقنا أن ما نقوله ونسمعه لا يمكن أن يكون غير ما نطقنا به وسمعناه فكذلك البعث الآخر واقع لا محالة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما للمتقين من نعيم مقيم في الدار الآخرة.
- ٢- بيان صفات المتقين من التهجد بالليل والاستغفار في آخره والانفاق في سبيل الله.
- ٣- بيان أن في الأرض كما في الأنفس آيات أي دلائل وعلامات على قدرة الله على البعث والجزاء.
- ٤- بيان أن في السماء رزق العباد فلا يطلب إلا من الله تعالى وأن ما نُوعِدُهُ من خير وشر أمره في السماء ومنها ينزل بأمره تعالى فليكن طلبنا الخير من الله دائماً وتعوذنا من الشر بالله وحده.

هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَى
 أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
 ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَمٍ عَلِيمٍ
 ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
 ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

(١) (ما) في ﴿مثل ما أنتم تنطقون﴾ مزيدة للتوكيد، والمضارع ﴿تنطقون﴾ جيء به بدلاً عن المصدر نطقكم لإفادته التشبيه بنطقهم المتجدد المحسوس لهم وتقدير الكلام أن ما توعدونه من البعث والجزاء لحق مثل نطقكم الذي لا تنكرونه إذ لا يوجد من ينكر نطقه أبداً.

(١) (ما) في ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ مزيدة للتوكيد، والمضارع ﴿تنطقون﴾ جيء به بدلاً عن المصدر نطقكم الذي لا تنكرونه إذ لا يوجد من ينكر نطقه أبداً.

(٢) قيل : خص النطق من بين سائر الحواس : لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه، والنطق سليم من ذلك.

(٣) ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية قصة ماثورة عن الأصمعي خلاصتها : أن أعرابياً قال له : اقرأ عليّ من كلام الرحمن شيئاً فقرأ عليه : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ففهمها الأعرابي على حقيقتها فكسر قوسه ونحر بعيره فتصدق به وتاب إلى ربه ولقيه بعد سنة فطلب منه أن يسمعه من كلام الرحمن فقرأ عليه فورب السماء والأرض إنه لحق . . الآية فأخذ الأعرابي رداءه وهو يقول : من يغضب الرحمن . وما زال يردد ما حتى مات .

شرح الكلمات :

هل أتاك حديث	: أي قد أتاك يا نبينا حديث أي كلام .
ضيف ابراهيم المكرمين	: أي جبريل وميكائيل وإسرافيل أكرمهم إبراهيم الخليل .
وقالوا سلاما	: أي نسلم عليك سلاما .
قال سلام قوم منكرون	: أي عليكم سلام أنتم قوم منكرون أي غير معروفين .
فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين	: أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ .
فقال ألا تأكلون	: أي فأمسكوا عن الأكل فقال لهم ألا تأكلون .
فأوجس منهم خيفة	: أي فأضمر في نفسه خوفا منهم .
بغلام عليم	: أي بولد يكون ذا علم كبير غزير .
فأقبلت امرأته في صرة	: أي في رنة وصيحة .
فصكت وجهها	: أي لطمت وجهها أي ضربت بأصابعها جبينها متعجبة .
وقالت عجوز عقيم	: أي كبيرة السن وعقيم لم يولد لها قط .
قالوا كذلك قال ربك	: أي قالت الملائكة لها كالذي قلنا لك قال ربك .
إنه هو الحكيم العليم	: أي انه هو الحكيم في تدبيره وتصريف شؤون عباده . العليم
	بما يصلح للعبد ومالا يصلح ليفرض الأمر إليه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾^(١) هذا الحديث يشتمل على موجز قصة قد ذكرت في سورة هود والحجر والمقصود منه تقرير نبوة محمد ﷺ إن مثل هذا القصص لا يتم لأمي لا يقرأ ولا يكتب إلا من طريق الوحي كما أنه يحمل في نهايته التهديد بالوعيد لمشركي قريش المصرين على الكفر والتكذيب والإجرام الكبير إذ في نهاية القصة يسأل إبراهيم الملائكة قائلا فما خطبكم أيها المرسلون فيجيئون قائلين إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين أي لتدميرهم وإهلاكهم من أجل إجرامهم، وقريش في هذا الوقت مجرمة مستحقة للعذاب كما استحقه إخوان لوط . فقوله تعالى في خطاب رسوله هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

(١) هذا الكلام مستأنف ابتدائي سيق لتسليية الرسول ﷺ وتقرير نبوته وإنذار قومه المكذبين المصرين على الشرك والظلم، ولفظ الضيف، يطلق على الواحد وأكثر وافتتاح الكلام بهل للتفخيم للحدث الذي يخبر عنه والتوهيل من شأنه .

(٢) قال فيهم المكرمين : لخدمة إبراهيم إياهم وإكرامه لهم بتقديم العجل الحنيذ، وقيل هم مكرمون من قبل الله تعالى .

(١) الخليل وهم ملائكة في صورة رجال من بينهم جبريل وميكائيل وإسرافيل إذ دخلوا عليه أي على إبراهيم وهو في منزله فسلموا عليه فرد السلام ثم قال أنتم قوم منكرون أي لا نعرفكم بمعنى أنكم غرباء لستم من أهل هذا البلد فلذا سارع في إكرامهم فراغ إلى أهله أي عدل ومال إلى فقربه إليهم وكأنهم أمسكوا عن تناوله فعرض عليهم الأكل عرضاً بقوله ألا تأكلون فقالوا إنا لا نأكل طعاماً إلا بحقه. فقال إذاً كلوه بحقه، فقالوا وما حقه؟ قال أن تذكروا اسم الله في أوله وتحمدوا الله في آخره أي تقولون بسم الله في البدء والحمد لله في الختم فالتفت جبريل إلى ميكائيل وقال له حقٌّ للرجل أن يتخذ ربه خليلاً ولما لم يأكلوا أوجس منهم خيفة أي خوفاً أي شعر بالخوف في نفسه منهم لعدم أكلهم لأن العادة البشرية وهي مستمرة إلى اليوم إذا أراد المرء بأخيه سوءاً لا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام، ولا يأكل طعامه هذا حكم غالبى وليس عاماً. قالوا لا تخف وبشروه بغلام وأعلموه أنهم مرسلون من ربه إلى قوم لوط لإهلاكهم من أجل أفعالهم وبشروه بغلام يولد له ويكبر ويولد له فالأول اسحق والثاني يعقوب كما جاء في سورة هود فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب وقوله ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أخذت في رنة لما سمعت البشرى فصكت أي لطمت وجهها بأصابع يدها متعجبة وهي تقول أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب إذ كان عمرها تجاوز التسعين وعمر إبراهيم تجاوز المئة وكانت عقيماً لا تلد قط فلذا قالت عجوز عقيم كيف ألد يا للعجب؟ فأجابها الملائكة قائلين كذلك أي هكذا قال ربك فاقبلي البشرى واحمديه واشكريه. إنه تعالى هو الحكيم في تصرفاته في شؤون عباده العليم بما يصلح لهم وما لا يصلح فليفوض الأمر إليه ولا يعترض عليه.

(١) قيل إنهم كانوا تسعة وسمى منهم غير الثلاثة رفاثيل عليه السلام.

(٢) في الآية مشروعية السلام إلقاء ورداً إلا أن الإلقاء سنة والرد واجب لأية النساء: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها).

(٣) الصرة: الصبحة والضجة، والصرة، الجماعة، والصرة: الشدة من كرب وغيره قال الشاعر:

فألقه بالهاديات ودونه جوارحها في صرة لم تزيل

الهاديات: أوائل بقر الوحش وجوارحها: متخلفاتها ولم تزيل لم تنفرق والشاهد في الصرة هنا فإنها بمعنى الضجة والجماعة والشدة. وهو يمدح فرسه الذي ألحقه بأوائل بقر الوحش الذي يصيد.

(٤) نص آية هود: (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب).

(٥) أي: كيف ألد وأنا عجوز عقيم (عجوز خبر، وعقيم) بدل منه والمبتدا محذوف أي: أنا والعجوز يشترك فيه المذكر والمؤنث يقال رجل عجوز وامرأة عجوز فهو فعول بمعنى فاعل مشتق من العجز والعقيم كذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو فعيل بمعنى مفعول مأخوذ من عقمها الله: إذا خلقها لم تحمل بجنين، وكانت سارة لم تحمل قط.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية .
- ٢- فضيلة إبراهيم أبي الأنبياء وإمام الموحدين .
- ٣- وجوب إكرام الضيف .
- ٤- الخوف الفطري عند وجود أسبابه لا يقدر في العقيدة ولا يعد شركا .

الجزء السابع والعشرون

❖ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

قال فما خطبكم أيها المرسلون : أي ما شأنكم أيها المرسلون .
إلى قوم مجرمين : أي إلى قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة .
حجارة من طين : أي مطبوخ بالنار .
مُسَوَّمَةً : أي معلمة على كل حجر اسم من يرمى به .
للمسرفين : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران .
غير بيت من المسلمين : وهو بيت لوط وأبنتيه ومن معهم من المؤمنين .
وتركنا فيها آية : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود مُتَنُّ .

للذين يخافون العذاب الأليم : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة إنه لاحظ بعد أن عرف أنهم سادات الملائكة أن مهمتهم لم تكن مقصورة على بشارته فقط بل هي أعظم فلذا سألهم قائلا : فما خطبكم أيها المرسلون؟ فأجابوه قائلين : إنا أرسلنا أي أرسلنا ربنا عز وجل إلى قوم مجرمين أي

(١) الفاء : هي الفاء الفصيحة إذ أفصحنا أي : دلت على كلام محذوف تقديره : لما كتتم مرسلين من قبل الله تعالى فما خطبكم أي ما شأنكم وما مهمتكم العظيمة التي جئتم لها؟ .

(٢) هم أهل سدوم وعمورية .

على أنفسهم بالكفر وفعل الفاحشة، والعلة من إرسالنا إليهم هي لنرسل عليهم حجارة من طين مطبوخ بالنار، وتلك الحجارة مسومة أي معلمة عند ربك للمسرفين أي قد كتب على كل حجر اسم من يرمى به، وذلك في السماء قبل أن تنزل إلى الأرض. وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ أي من تلك القرية وهي سدوم من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهو بيت لوط عليه السلام وما به سوى لوط وابنتيه ومن الجائز أن يكون معهم بعض المؤمنين إذ قيل كانوا ثلاثة عشر نسمة وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود متن كالبحرية وتعرف الآن بالبحر الميت. وقوله للذين يخافون العذاب الأليم وهم المؤمنون الذين يخافون عذاب الآخرة حتى لا يفعلوا فعل قوم لوط من الكفر وإتيان الفاحشة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- جواز تشكل الملائكة بصورة رجال من البشر.
- ٢- التنديد بالإجرام وفاعليه.
- ٣- جواز الإهلاك بالعذاب الخاص الذي لم يعرف له نظير.
- ٤- تقرير حقيقة علمية وهي أن كل مؤمن صادق الإيمان مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا حتى يحسن إسلامه بانبئائه على أركان الإيمان الستة.^(١)

وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانُهُ قَالًا سَحِرًا أَوْ يَحْنُونُ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَدْرُمْنَ شَيْءٌ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ

- (١) (من طين) فيه احتراس من أن تكون من البرد الذي ينزل مع المطر من السماء، وجائز أن تكون من بركان قذفته الأرض فارفع بقوة الضغط فسقط عليهم فدمرهم بأمر الله تعالى وتديره فيهم.
- (٢) قوله: (من المؤمنين): إشارة إلى أن سبب نجاتهم هو إيمانهم وفي قوله: (من المسلمين) كذلك أي: سبب النجاة الإسلام كما هو التنويه بشأن كل من الإيمان والإسلام إذ الدعوة النبوية تدور عليهما.
- (٣) الضمير: (فيها) عائذ إلى القرية التي أصبحت خربة تدل على قدرة الله تعالى ونقمته من أعدائه.
- (٤) هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. كما في آية البقرة، (ليس البين) وفي حديث جبريل عند مسلم.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَنَاقِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه آية كآية سدوم.

بسلطان مبين : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا.

فتولى بركنه : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.

وقال ساحر أو مجنون : أي وقال فرعون في شأن موسى ساحر أو مجنون.

فنبذناهم في اليم : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.

وهو مليس : أي أت بما يلام عليه إذ هو الذي عرض جيشاً كاملاً

للهلاك زيادة على ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسى وهرون

وهما رسولان.

وفي عاد : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة على قدرتنا وتدبيرنا.

الريح العقيم : أي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر

وهي الدبور، لقول الرسول ﷺ نصرت بالصبا وهي الريح

الشرقية وأهلك عاد بالدبور وهي الريح الغربية في

الحجاز.

ما تذر من شيء أتت عليه : من نفس أو مال.

إلا جعلته كالريم : أي البالي المتفتت.

وفي ثمود : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة على قدرة الله وكرمه تعالى

للكفر والإجرام.

إذ قيل لهم : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلى انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.

فأخذتهم الصاعقة : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

فما استطاعوا من قيام : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذب بهم.

وقوم نوح من قبل : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وفي موسى ﴾ ^(١) الآية إنه تعالى لما ذكر إهلاك قوم لوط وجعل في ذلك آية دالة على قدرته وعلامته تدل العاقل على نقمه تعالى ممن كفر به وعصاه ذكر هنا في هذه الآيات التسع من هذا السياق أربع آيات أخرى ، يهتدى بها أهل الإيمان الذين يخافون يوم الحساب فقال عز من قائل : وفي موسى بن عمران نبي بنى إسرائيل إذ أرسلناه إلى فرعون ملك القبط بمصر ﴿ بسلطان مبين ﴾ أي بحجة قوية ظاهرة قوة السلطان وظهوره وهي العصا ^(٢) فلم يستجب لدعوة الحق فتولى بركنه أي بجنده الذي يركن إليه ويعتمد عليه ، وقال في موسى رسول الله إليه : هو ساحر أو مجنون فانتقمنا منه بعد الإصرار على الكفر والظلم فنبذناهم أي طرحناهم في اليم البحر فهلكوا بالغرق . في هذا الصنيع الذي صنعناه بفرعون لما كذب آية من أظهر الآيات .

وقوله تعالى : ﴿ وفي عاد ﴾ حيث أرسلنا إليهم أخاهم هوداً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكذبوه ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً ^(٣) ماتدر من شيء أتت عليه أي مرت به من أنفس أو أموال الا جعلته كالريميم ^(٤) البالي المتفتت في هذه الإهلاك آية من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله الموجبة لربوبيته وعبادته والمستلزلة لقدرة تعالى على البعث والجزاء يوم القيامة .

وقوله تعالى ﴿ وفي ثمود ﴾ ^(٥) إذ أرسلنا إليهم أخاهم صالحاً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك الشرك فكذبوه وطلبوه بآية تدل على صدقه فأعطاهم الله الناقة آية فعقروها استخفافاً منهم وتكديباً ﴿ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ أي إلى إنقضاء الأجل الذي حدد لهلاكهم . فبدل أن يؤمنوا ويسلموا

(١) (وفي موسى) أي : وتركتنا أيضاً في قصة موسى آية ، والعطف على قوله : (وفي الأرض آيات للموقنين) .

(٢) / وجائز أن يكون غير العصا من الآيات التسع .

(٣) / وجائز أن يكون بقرته كما قال عنترة :

فما أوهى مراس الحرب ركني ولكن ما تقادم من زمني

أراد بركنه : قوته ، وركن الشيء : جانبه الأقوى .

(٤) (أو بمعنى الواو أي : قال مرة في موسى ساحر وقال مرة أخرى مجنون وشاهده قول الشاعر :

أثعلبة الفوارس أورياحاً عدلت بهم طهية والخشابة

أي : وورياحاً فأو بمعنى الواو العاطفة لا غير وطهية كسمية : حي من تميم والخشابة : بطون من تميم أيضاً .

(٥) (وفي عاد) أي : وتركتنا في عاد آية كالتى في موسى .

(٦) ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعة البتة مأخوذة من : امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد ، وهي الدبور لقول الرسول ﷺ في الصحيح (نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور) .

(٧) (الريميم) الشيء الهالك البالي . قاله مجاهد ، ومنه قول الشاعر :

تركنتي حين كف الدهر من بصري وإذ بقيت كعظم الرمة البالي

مأخوذ من رمّ العظم : إذا بلى يقال : رمّ العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم .

(٨) (وفي ثمود) أي : وتركتنا في ثمود آية للموقنين دالة على قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته .

فيعبدوا الله ويوحده عتوا عن أمر ربهم وترفعوا متكبرين ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صاعقة العذاب وهم ينظرون بأعينهم الموت يتخطفهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ من مجالسهم وهم جاثمون على الركب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ في إهلاك ثمود أصحاب الحجر آية للذين يخافون العذاب الأليم فلا يفعلوا فعلهم حتى لا يهلكوا هلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾ ^(١) من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿أَيُّ وَفِي إِرسَالِنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ ثُمَّ إِهْلَاكِنَا لَهُمْ بِالطُّوفَانِ وَانْجَاثِنَا الْمُؤْمِنِينَ آيَةً مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَبُوبِيَّتِهِ وَأَلُوهُيَّتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَالمُسْتَلْزِمَةِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ الَّذِي يَصْرِ الْمَلَا حِدَةَ عَلَى إِنْكَارِهِ لِيُوَاصِلُوا فَسَقَهُمْ وَفُجُورَهُمْ بِلَا تَأْنِيبٍ ضَمِيرٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير كل من التوحيد والنبوة والبعث لما في الآيات من دلائل على ذلك.
- ٢- قوة الله تعالى فوق كل قوة إذ كل قوة في الأرض هو الذي خلقها ووهبها.
- ٣- اتهام المبطلين لأهل الحق دفعاً للحق وعدم قبول له يكاد يكون سنة بشرية في كل زمان ومكان.
- ٤- من عوامل الهلاك العتو عن أمر الله أي عدم الإذعان لقبوله، والفسق عن طاعته وطاعة رسله.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

(١) قرأ حمزة والكسائي (وقوم) بالكسر أي: وفي قوم نوح آية، وقرأ الجمهور بالنصب أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود ومدين.

شرح الكلمات :

والسماء بنيناها بأيدٍ : أي وبنينا السمااء بقوة ظاهرة في رفع السمااء وإحكام البناء .
وإنا لموسعون : أي لقادرون على البناء والتوسعة .

والأرض فرشناها : أي مهّدها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد .

فنعم الماهدون : أي نحن أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيري الحسن الكبير .

ومن كل شيء خلقنا زوجين : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكراً وأنثى ، خيراً وشرّاً ، علوّاً وسفلاً .

لعلكم تذكرون : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره .

ففرّوا إلى الله : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته .

إني لكم نذير مبين : أي إني وأنا رسول الله إليكم منه تعالى نذير مبين بين النذارة أي أخوفكم عذابه .

ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبدوا مع الله إلهاً أي معبوداً آخر إذ لا معبود بحق إلا هو .

إني لكم نذير مبين : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة أخوفكم عذابه إن عبدتم معه غيره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة له تعالى الربوبية لكل شيء والألوهية على كل عباده . فقال تعالى : ﴿والسمااء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ فهذا أكبر مظهر من مظاهر القدرة الإلهية إنه بناء السمااء وإحكام ذلك البناء وارتفاعه وما تعلق به من كواكب ونجوم وشمس وقمر ثم هذا الخلق بقوة الله التي لا توازيها قوة . وقوله ﴿وإنا لموسعون﴾ أي لقادرون على توسعته أكثر مما هو عليه ، وذلك لسعة قدرتنا .

(١) هذا عرض آخر لمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الدالة على قدرته على البعث الآخر (والسمااء) : منصوب على الاشتغال ، والأيد جمع يد وكثر إطلاقه على القوة نحو : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أي : القوة ، والموسع : القادر على توسعة ما يريد توسعته من رزق وغيره .

ومظهر ثانٍ هو في قوله: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾^(١) والأرض فرشها بساطاً ومهداً مهاداً فنعم الماهدون نحن نعم الماهد الله تعالى لها إذ غيره لا يقدر على ذلك ولا يتأتى له، وثالث مظاهر القدرة في قوله: ﴿وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فهذا لفظ عام يعم سائر المخلوقات وأنها كلها أزواج وليس فيها فرد قط. والذوات كالصفات فالسماء يقابلها الأرض، والحر يقابله البرد، والذكر يقابله الأنثى، والبر يقابله البحر، والخير يقابله الشر، والمعروف يقابله المنكر، فهي أزواج بمعنى أصناف كما أن سائر الحيوانات هي أزواج من ذكر وأنثى. وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي خلقنا من كل شيء زوجين رجاء أن تذكروا فتعلموا أن خالق هذه الأزواج هو الله الفرد الصمد الواحد الأحد لا إله غيره ولا رب سواه فتعبدوه وحده ولا تشركوا به سواه من سائر خلقه.

وقوله تعالى ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي بعد أن تبين لكم أيها الناس أنه لا إله غير الله ففرّوا إليه تعالى أي بالإيمان به ويطاعته ويفعل فرائضه وترك نواهيه اهربوا إلى الله يا عباد الله بالإسلام إليه والانتقياد لطاعته إنني لكم منه تعالى نذير من عقاب شديد، ونذاتي بينة لا شك فيها وأنصح لكم أن لا تجعلوا مع الله إلهاً آخر أي معبوداً غيره تعالى تعبدونه إن الشرك به يحبط أعمالكم ويحرم عليكم الجنة فلا تدخلوها أبداً واعلموا أنني لكم منه عز وجل نذير مبين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد والبعث بمظاهر القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء.

٢- ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة انبهر لها العقل الإنساني وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقرره في غير موضع منه: سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن

(١) نصب الأرض على الاشتغال، والفرش: البسط يقال: فرش البساط: إذا نشره وقوله: (فنعم الماهدون) أثنى تعالى على نفسه بهذه المنة على خلقه وهي: بسط الأرض وتمهيداً للحياة عليها وفي هذا تعليم للعباد أن يحمدا الله ويشكروه: فله الحمد تعالى وله المنة.

(٢) في خلق الله تعالى للذكر والأنثى والتناسل منهما دليل ظاهر على البعث الذي ينكره الكافرون فمن فكر في إيجاد الحياة من جماد كالنطفة سهل عليه الإيمان بالحياة الثانية بعد انتهاء هذه ولذا عقب على ذلك بجملة (لعلكم تذكرون) وهي جملة تحليلية.

(٣) الفاء للتفريع إنه بعد أن بين للمشركين ضلالهم وخطأهم في الشرك والكفر وإنكار البعث بما ساق من الأدلة وأبرز عن البراهين القطعية قال لرسوله: قل لهم أيها الناس ففرّوا إلى الله أي: اهربوا إليه لينجيكم من الخسران فإنه ليس لكم إلا هو فآمنوا به واعبدوه ووجدوه وعلل ذلك بقوله لهم (إنني لكم منه نذير مبين).

أنفسهم ومما لا يعلمون. فدل هذا قطعاً أن القرآن وحي الله وأن من أوحى به إليه وهو محمد بن عبد الله لن يكون إلا رسول الله ﷺ.

٣- التحذير من الشرك فإنه ذنب عظيم لا يغفر إلا بالتوبة الصحيحة النصوح.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْبُهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنُفِّلْنَاهُمْ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من رسول.

إلا قالوا ساحر أو مجنون : أي هو ساحر أو مجنون.

أتواصوبه بل هم قوم طاغون : أي اتواصت الأمم كل أمة توصى التي بعدها بقولهم للرسول هو ساحر أو مجنون، والجواب، لا أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على قولهم هذا الطغيان.

فتول عنهم فما أنت بملوم : أي اعرض عنهم يا رسولنا فما أنت بملوم لأنك بلغتهم فأبرأت ذمتك.

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين : أي عظم بالقرآن يا رسولنا فإن الذكرى بمعنى التذكير ينفع المؤمنين أي من علم الله أنه يؤمن.

وما خلقت الجن والإنس : أي خلقتهم لأجل أن يعبدوني فمن عبدني أكرمته ومن ترك عبادتي أهنته.

ما أريد منهم من رزق : أي لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم .
وما أريد أن يطعمون : أي لا أريد منهم ما يريد أرباب العبيد من عبيدهم هذا
يجمع المال وهذا يعد الطعام ، فالله هو الذي يرزقهم .
ذو القوة المتين : أي صاحب القوة المتين الشديد الذي لا يعجزه شيء .
ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم : أي نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين ماتوا
على الكفر .
فلا يستعجلون : أي فلا يطالبوني بالعذاب فإن له موعداً لا يُخلفونه .
من يومهم الذي يوعدون : أي يوم القيامة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك الأدلة المقررة للتوحيد والبعث والمستلزمة للرسالة المحمدية والمشركون ما
زالوا في إصرارهم على الكفر والتكذيب قال تعالى مسلماً رسوله مخففاً عنه ما يجده من إغراض
وتكذيب : ﴿ كذلك ﴾ أي الأمر والشأن كذلك وهو أنه ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل قومك
من رسول الا قالوا فيه هو ساحر أو مجنون كما قال قومك لك اليوم . ثم قال تعالى : ﴿ اتواصوا^(١)
به ﴾ أي بهذا القول كل أمة توصى التي بعدها بأن تقول لرسولها : ساحر أو مجنون . بل هم قوم
طاغون أي لم يتواصوا به وإنما جمعهم على هذا القول الطغيان الذي هو وصف عام لهم فإن
الطاغي من شأنه ان ينكر ويكذب ويتهم بأبعد أنواع التهم والحامل له على ذلك طغيانه . وما
دام الأمر هكذا فتول عنهم يا رسولنا أي أعرض عنهم ولا تلتفت إلى أقوالهم وأعمالهم فما أنت
بمعلوم في هذا القول لأنك قد بلغت رسالتك وأديت أمانتك ولا يمنعك هذا التولى عنهم أن تذكر
أي عِظَ بالقرآن بل عِظْ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الذين علم الله تعالى أنهم يؤمنون ممن
هم غير مؤمنين الآن كما تنفع المؤمنين حالياً بزيادة إيمانهم وصبرهم على طاعة الله ربهم .
وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٢) أي لم يخلقهما للهو ولا للعب ولا

(١) أو: بمعنى الواو إذ هم مرة يقولون ساحر ومرة يقولون مجنون وليس معنى ساحر أو مجنون أن يكون إما ساحراً أو مجنوناً فتكون أو لأحد الشيتين .

(٢) الاستفهام للتعجب ، و(بل) للاضراب الإبطالي ، أي لم يتواصوا بهذا القول الفاسد ، وإنما جمعهم الطغيان فقالوا ما قالوا ولم يتخلف قوم منهم في ذلك .

(٣) قوله : ﴿ وما خلقت ... ﴾ الخ فيه تعريض بالمشركين والكافرين التاركين لعبادته تعالى ، والإنس . واحده إنسي ، والاستثناء مفرغ من علل لم تذكر ، والإرادة هنا ، هي الإرادة الشرعية التكليفية ليست الإرادة الكونية التي لا تتخلف ، ولذا فلا معنى لمن قال : المراد بالناس هنا المؤمنون فقط ، أو هو على تقدير لامرهم وأنهاهم أو أن المراد من العبادة : ظهور قدرة الله تعالى فيهم من الخلق والإحياء والإماتة .

لشيء وإنهما خلقهما ليعبدوه بالإذعان له والتسليم لأمره ونهيهِ . وقوله تعالى ﴿ وما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ أي إن شأني معهم ليس كشأن السادة مالكي العبيد الذين يتعبدونهم بالقيام بحاجاتهم . هذا يجمع المال وهذا يُعَدُّ الطعام بل خلقتهم ليعبدوني أي يوحدوني في عبادتي ، إذ عبادتهم لي مع عبادة غيري لا أقبلها منهم ولا أثيبهم عليها بل أعذبهم على الطاعة حيث عبدوا من لا يستحق أن يعبد من سائر المخلوقات .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(١) قرر به غناه عن خلقه ، وأعلم أنه ليس في حاجة إلى أحد وذلك لغناه المطلق ، وقدرته التي لا يعجزها في الأرض ولا في السماء شيء .
وقوله فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي إذا عرفت حال من تقدم من قوم عاد وثمود وغيرهم فإن لهؤلاء المشركين ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي نصيباً من العذاب وعبر بالذنوب التي هي الدلو المملأ بالماء عن العذاب لأن العذاب يصب عليهم كما يصب الماء من الدلو ولأن الدلاء تأتي واحداً بعد واحد فكذلك . الهلاك يتم لأمة بعد أمة حتى يسقوا كلهم مرّ العذاب ، وقوله ﴿ ولا يستعجلون ﴾ أي ما هناك حاجة بهم إلى استعجال العذاب فإنه آت في إبانته ووقته المحدد له لا محالة . وقوله تعالى ﴿ فويل للذين كفروا ﴾ أي بالله ولقائه والنبى وما جاء به ويل لهم من يومهم الذي يوعدون أي العذاب الشديد لهم من يومهم الذي أوعدهم الله تعالى به وهو يوم القيامة والويل وإد في جهنم يسيل بصديد أهل النار والعياذ بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة بشرية وهي التكذيب والانتهاك بالباطل وقلب الحقائق لكل من جاءهم يدعوه إلى خلاف مألوفهم وما اعتادوه من باطلٍ وشرٍ فيدفعون بالقول فإذا أعياهم ذلك دفعوا بالفعل وهي الحرب والقتال .
- ٢- بيان أن طغيان النفس يتولد عنه كل شر والعياذ بالله .
- ٣- مشروعية التذكير ، وأنه ينتفع به مَنْ أراد الله إيمانه ممن لم يؤمن ، ويزداد به إيمان المؤمنين الحاليين .
- ٤- بيان علة خلق الإنس والجن وهي عبادة الله وحده .

(١) الجملة تعليلية لما سبقها من قوله : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ (والرزاق) : كثير الإرزاق و(ذو القوة) : صاحبها ومن خصائص (ذو) أنها لا تضاف إلا إلى أمر مهم ، (والمتين) : الكامل في قوته الذي لا يُعارض ولا يُداني .
(٢) في قوله تعالى (ذنوباً) إشارة إلى ما حصل لصناديد قريش إذ بعد قتلهم ألفوا في قلب بيدر فكان ذلك مصداق قوله (فإن للذين كفروا ذنوباً) وهي الدلو المملأ فعبجاً لهذا القرآن العظيم .

- ٥- بيان غنى الله تعالى عن خلقه، وعدم احتياجه اليهم بحال من الأحوال .
٦- توعدهم الرب تبارك وتعالى الكافرين وأن نصيبهم من العذاب نازل بهم لا محالة .

سُورَةُ الطُّورِ

مكية

وآياتها تسع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مُورًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يَدْعُوثُ إِلَى نَارٍ
جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤
أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------|---|
| والطور | : أي والجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام . |
| وكتاب مسطور | : أي وقرآن مكتوب . |
| في رق منشور | : أي في جلد رقيق أو ورق منشور . |
| والبيت المعمور | : أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون أبداً |
| والسقف المرفوع | : أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض . |
| والبحر المسجور | : أي المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض . |

يوم تمور السماء موراً : أي تتحرك وتدور.
 في خوض يلعبون : أي في باطل يلعبون أي يتشاغلون بكفرهم.
 يدعون الى نار جهنم دعا : أي يدفعون بعنف دفعاً
 افسح هذا : أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن .
 أم أنتم لا تبصرون : أي أم عدمتم الأبصار فأنتم لا تبصرون .
 اصلوها : أي اصطلوا بحرهما .
 فاصبروا أو لا تصبروا : أي صبركم وعدمه عليكم سواء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والطور﴾^(١) وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور هذه خمسة أشياء عظام أقسم الله تعالى بها، وبالتبع لما يقسم الله تعالى به يرى أنه إذا أقسم بشيء إنما يقسم به إما لكونه مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية، كالسماء مثلاً، وإما لكونه معظماً نحو لعمرك إذ هو إقسام بحياة النبي صلى الله عليه وسلم. وإما لكونه ذا فائدة للإنسان ونفع خاص به كالتين والزيتون وقوله تعالى ﴿والطور﴾ وهو جبل الطور الذي كلم تعالى عليه موسى وهو مكان مقدس، وقوله ﴿وكتاب مسطور في رق منشور﴾ أي منشور في ورق أو جلد رقيق وهو التوراة أو القرآن والإقسام به لما فيه من حرمة وقُدسية عند الله تعالى، والبيت المعمور وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة بحيث لو وقع لوقع فوقها والسقف المرفوع وهو السماء وهي كالسقف للأرض وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ومثلها البحر المسجور أي المملوء بكميات المياه الهائلة فإنه مظهر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية هذا القسم الضخم جوابه أو المقسم عليه هو قوله إن عذاب ربك يا رسولنا لواقع ماله من دافع ليس له من دافع يدفعه ابداً، وإن له وقتاً محدداً يقع فيه، وعلامات تدل عليه وهي

(١) (الطور): الجبل باللغة السريانية ونقل إلى العربية بهذا اللفظ بمعنى الجبل وأصبح علماً بالغلبة على جبل طور سيناء الذي ناجى الله تعالى فيه نبيه موسى عليه السلام.

(٢) الرُّق: يفتح الراء، ما رق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور: المبسوط وجائز أن يكون المراد به التوراة أو القرآن، إذ القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف وتقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ والرُّق بكسر الراء المِلِك.

(٣) جائز أن يكون المراد بالبيت المعمور الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وجائز أن يكون بيتاً في السماء كما في التفسير، ويقال له: الضُّراح بضم الضاد وفي الطبري: أن علياً سُئل عن البيت المعمور فقال: بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً.

(٤) جائز أن يكون المراد بالبحر: البحر الأحمر، (القلزم) الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وملاه. لمناسبة ذكر الطور، وجائز أن يكون المحيط ووصف بالمسجور وهو المملوء: حتى لا يدخل فيه الأنهار التي تملأ بالأمطار والأودية والسيول.

(٥) زيدت (من) في قوله تعالى (ما له من دافع) لتأكيد النفي.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(١) أي تتحرك بشدة وتدور وتسير الجبال سيراً فتكون كالهباء المنبث هنا وهناك فويل يومئذ للمكذبين والويل واد في جهنم مملوء بقيح وصديد أهل النار، والمكذبون هم الكافرون بالله وبما جاءت به رسله عنه من أركان الإيمان وقواعد الإسلام وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي في باطلهم وكفرهم يتشاغلون به عن الإيمان الحق والعمل الصالح المزكى للنفس المطهر لها. وقوله ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾ أي يوم يدفعون بشدة وعنف الى جهنم ويقال لهم توبيخاً وتقريعاً لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون. أخبرونا: أفسح^(٢) هذا أي العذاب الذي أنتم فيه الآن تعذبون أم أنتم لا تبصرون فلا تعاینونه. ويقال لهم ايضاً تبكيتاً وتقريعاً فاصبروا على عذاب النار ولا تصبروا سوءاً عليكم اي صبركم وعدمه عليكم سواء. إنما تجزون ما كنتم تعلمون أي في الدنيا من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث والجزاء.
- ٢- لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير الله تعالى.
- ٣- عرض سريع لأحوال القيامة وأحوال المكذبين فيها.
- ٤- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين أي الذين اتقوا ربهم فعبده وحده بما شرع لهم فأدوا الفرائض

واجتنبوا النواهي.

- (١) المور: التحرك باضطراب، ومور السماء: اضطراب أجسامها من الكواكب، واختلال نظامها عند نهاية الحياة.
- (٢) (يوم يدعون) بدل اشتغال من (يوم تمور السماء مورا).
- (٣) (أم) هي المنقطعة التي تقدر ببل والاستفهام، والاستفهام هنا للتوهم والتوبيخ والتقدير: بل أنتم لا تبصرون أي المراثيات.
- (٤) (إنما تجزون): جملة تعليلية وإن حرف توكيد وما الموصولة بها هي الكافة وإنما المركبة من إن المشددة وما: الكافة لها عن العمل أفادت التعليل.

فاكهين : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التي آتاهم ربهم .
ووقاهم عذاب الجحيم : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار .
على سرر مصفوفة : أي بعضها الى جنب بعض .
وزوجناهم بحور عين : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حسانها .
معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار ذكر حال أهل الجنة وهذا أسلوب الترغيب والترهيب الذي أمتاز به القرآن الكريم فقال تعالى مخبراً عن حال أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي الذين اتقوا في الدنيا الشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين ونعيم مقيم يحوى كل ما لذ وطاب مما تشتهيهِ الأنفس وتلذذهُ الأعين . فاكهين بما آتاهم ربهم أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة الموصوفة بقول الله تعالى : لا مقطوعة ولا ممنوعة . ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي حفظهم من عذاب النار . ويقال لهم : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب ما كُنتُمْ تعملونه من أعمال البر والإصلاح بعد الفرائض واجتناب الشرك والمعاصي . وقوله ﴿مُتَكِّثِينَ﴾ أي خال كونهم وهم في نعيمهم متكثين على سرر مصفوفة قد صُف بعضها الى جنب بعض . وقوله تعالى ﴿وَزُوجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم بزوجات من الحور العين والهور جمع حوراء وهي التي يغلب بياض عيناها على سوادها والعين جمع عَيْنَاء وهي الواسعة العينين . جعلنا الله ممن يُزَوَّجون بهن إنه كريم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل التقوى وكرامة أهلها .
- ٢- بيان منة الله وفضله على أهل الإيمان والتقوى وهم أولياء الله تعالى .
- ٣- مشروعية الدعاء بكلمة هنيئاً لمن أكل أو شرب اثتساء بأهل الجنة .
- ٤- الإيمان والأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة وليست ثمناً لها لأن الجنة أغلى من عمل

(١) (فاكهين) : أي : ذوي فاكهة كثيرة ، يقال : رجل فاكه : أي فواكهة كما يقال : لابن وتامر أي : ذولبن وتمر ، قال الشاعر :
 وَغَرَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنُ الصَّيْفِ تَامِرُ
 وفعله فكه كفرح فهو فاكه وفكه ، وقرأ الجمهور بالأول وقرأ أبو جعفر بالثاني ، والفاكه : من طابت نفسه وشُرت بما به من النعيم .

(٢) الهنيء : مالا تنفيس فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم : ليهناكم ما صرتم إليه (هنيئاً) .
 (٣) (سرر) : جمع سرير ، وفي الكلام حذف تقديره : متكثين على نمارق سرر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت ، والسرير كما بين مكة وأيلة .

الانسان، وانما العمل الصالح يزكى النفس فيؤهل صاحبها لدخول الجنة فالباء في قوله ﴿بِمَا﴾
 كنتم تعملون ﴿سَبِيَّةٌ﴾ وليست للعوض كما في قولك بعثك الدار بألف مثلاً.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّيَّاشٍ هُنَّ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ
 فِيهَا كَاسًا لَا لَعُوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
 ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّه
 عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

- والذين آمنوا : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.
 واتبعهم ذريتهم بإيمان : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.
 أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصروا في ذلك.
 وما أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً.
 كل امرئ بما كسب رهين : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل.
 ينتزعون فيها كأساً : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأساً من خمر.
 لا لغو فيها ولا تأثيم : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو كل كلام لا خير فيه ولا إثم.
 ويطوف عليهم غلمان : أي ويدور بهم خدم لهم.
 كأنهم لؤلؤ مكنون : أي مَصُونٌ.
 وأقبل بعضهم على بعض : أي يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا وما
 وصلوا إليه في الآخرة.

قالوا إنا كنا قبل : أي قالوا مشيرين الى علة سعادتهم إنا كنا قبل أي في الدنيا.

في أهلنا مشفقين : أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين أي خائفين من عذاب الله تعالى.

فمن الله علينا : أي بالمغفرة.

ووقانا عذاب السموم : أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم .
إنا كنا ندعوه : أي في الدنيا نعبد موحدين له .

إنه هو البر الرحيم : أي المحسن الصادق في وعده الرحيم العظيم الرحمة .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وإنعامه على أوليائه في الجنة إذ قال تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾ أي حق الإيمان الذي هو عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان واتبعتهم ذريتهم بإيمان كامل صحيح إلا أنهم لم يبلغوا من الأعمال الصالحة ما بلغه آباؤهم ألحقنا بهم ذريتهم لتقر بذلك أعينهم وتعظم مسرتهم وتكمل سعادتهم باجتماعهم مع ذريتهم . وقوله تعالى : ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ أي وما نقصنا الآباء من عملهم الصالح من شيء بل وفيناهموه كاملاً غير منقوص ورفعنا إليهم أبناءهم بفضل منا ورحمة . وقوله تعالى : ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ إخبار منه تعالى أن كل نفس عنده يوم القيامة مرتنة بعملها تجزى به إلا أنه تعالى تفضل على أولئك الآباء فرفع الى درجاتهم أبناءهم تفضلاً واحساناً . وقوله عز وجل : ﴿وأمددناهم﴾ أي الآباء والأبناء من سكان الجنة بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان . هذا طعامهم أما الشراب فإنهم يتنازعون أي يتعاطون في الجنة كأساً من خمر لا لغو فيها . أي لا تسبب هذياناً من الكلام إذ اللغو الكلام الذي لا فائدة منه . وقوله : ﴿ولا تأثيم﴾ أي وليس في شربها إثم وقوله تعالى : ﴿ويطوف عليهم غلمان﴾ أي خدم لهم كأنهم في جمالهم وحسن منظرهم لؤلؤ مكنون في أصدافه .

(١) قرأ الجمهور (وَاتَّبَعْتَهُمْ) وقرأ أبو عمرو وحده (وَاتَّبَعْنَاهُمْ) وقرأ الجمهور (ذُرِّيَّتَهُمْ) بالإنفراد، وقرأ ابن عامر بالجمع : (ذُرِّيَّتَهُمْ) مفعول لَاتَّبَعْنَاهُمْ ، وقرأ نافع (ذُرِّيَّتَهُمْ) الأخيرة بالجمع وقرأها حفص بالإنفراد (ذُرِّيَّتَهُمْ) كالأولى .

(٢) (وما ألتناهم) قرأ الجمهور بفتح اللام ، وقرأ ابن كثير بكسر اللام ، والواو للحال ، فالجملة حالية ، والمعنى : أن الله تعالى ألحق بهم ذريتهم في الدرجة من دون أن ينقص من حسناتهم شيئاً .

(٣) الجملة معترضة بين جملة : (وما ألتناهم) وجملة (وأمددناهم) والجملة تقرير لعدالة الرب تعالى في الحكم بين عباده فيجزي كل نفس بما كسبت ، وله أن يتفضل ويرفع من يشاء درجات .

(٤) أطلق التنازع على التداول والتعاطي والمعنى : أن بعضهم يصب للبعض ويناوله إيثاراً له وكرامة .

(٥) اللغو: سقط الكلام وهذيانه الصادر عن خلل في العقل . والتأثيم : ما يؤثم به فاعله من ضرب أو شتم أو تمزيق ثوب .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي عما كان لهم في الدنيا، وما انتهوا إليه في الآخرة من هذا النعيم المقيم . وقالوا مشيرين الى سبب نعيمهم في الآخرة إنا كنا أي في الدنيا في أهلنا مشفقين أي خائفين من عذاب ربنا فترتب على ذلك أن من الله علينا بدخول الجنة ووقانا عذاب السموم الذي هو عذاب النار الذي ينفذ الى المسام والعياذ بالله تعالى . إنا كنا من قبل أي في الدنيا قبل الآخرة ندعوه ونتضرع إليه أن يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة إنه هو تعالى البر بأوليائه الرحيم بعباده المؤمنين

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وصف كامل لأهل الجنة وهو تقرير في نفس الوقت للبعث والجزاء بذكر ما يكون فيه .
- ٢- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله بالحاق الابناء قليل العمل الصالح بآبائهم الكثيري العمل الصالح .
- ٣- تقرير قاعدة أن المرء يوم القيامة يكون رهين كسبه لا يفكه الا الله عز وجل فمن استطاع أن يفك رقبته فليفعل وذلك بالإيمان والإسلام والإحسان .
- ٤- فضيلة الإشفاق في الدنيا من عذاب الآخرة .
- ٥- فضل الدعاء والتضرع الى الله تعالى .

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ

رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ

الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ

بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ

﴿٣٤﴾

(١) قرأ نافع بفتح همزة أنه على تقدير حرف جرّ لانه للتعليل ، وقرأ حفص بالكسر . والجملة تعليلية .

شرح الكلمات :

فذكر فما أنت بنعمة ربك : أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم
فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحي إليك .

بكاهن ولا مجنون : أي بمتعاطٍ للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة رئي من الجن
ولا أنت بمجنون .

نتربص به ريب المنون : أي تنظر به حوادث الدهر من موت وغيره .
أم تأمرهم أحلامهم بهذا : أي تأمرهم أحلامهم أي عقولهم بهذا و هو قولهم إنك
كاهن ومجنون لم تأمرهم عقولهم به .

أم هم قوم طاغون : أي بل هم قوم طاغون متجاوزون لكل حد تقف عنده
العقول .

أم يقولون تقوله؟ : أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه .
فليأتوا بحديث مثله : أي فليأتوا بقرآن مثله يخلقونه بأنفسهم .
إن كانوا صادقين : أي في أن محمداً صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن .
معنى الآيات :

بعد ذلك العرض لأحوال أهل النار وأهل الجنة فلم يبق الا التذكير يا رسولنا فذكر أي قومك
ومن تصل اليهم كلمتك من سائر الناس بالقرآن وما يحمل من وعد ووعد؛ وما يدعو إليه من
هدى وطريق مستقيم، فما أنت بنعمة ربك أي بما أولاك ربك من راحة العقل وكمال الخلق
وكرم الفعال وشرف النبوة بكاهن تقول الغيب بواسطة رئي من الجن، ولا مجنون تخط القول
وتقول بما لا يفهم عنك ولا يعقل .

وقوله تعالى : ﴿أم يقولون شاعر نترئص^(١) به ريب المنون﴾ أي بل يقولون هو شاعر كالنابغة
وزهير تربص به حوادث الدهر حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء ولا ندخل معه في
خصومة وجدل قد يغلبنا . وقوله تعالى قل تربصوا أي ما دمت قد رأيتم التربص بي فتربصوا فإني
معكم من المتربصين، وقوله تعالى : ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ والاستفهام للنفي والتوبيخ
والجواب لم تأمرهم عقولهم بهذا بل هم قوم طاغون أي إن طغيانهم هو الذي يأمرهم بما يقولون

(١) أم : هي المنقطعة المفسرة ببل والاستفهام قبل للإضراب الانتقالي من قول إلى آخر والاستفهام إنكاري .

(٢) روى الطبراني عن قتادة : أنهم كانوا يقولون : تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني
فلان، (والمنون) من أسماء الموت، والريب : الحدوث، والمعنى : ينتظرون به أحداث الدهر المفضية به إلى الموت .

(٣) أمر الله رسوله أن يقول لهم (تربصوا) بي ريب المنون فإني متربص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون فيها وفي
هذا : معنى المفاصلة وإنهاء الجدل والمخاصمة .

ويفعلون من الباطل والشر والفساد وقوله أم يقولون تقوله والجواب وإن قالوا تقوله فإن قولهم لم ينبع من عقولهم ولم يصدر من أحلامهم بل عن كفرهم وتكذيبهم بل لا يؤمنون، والدليل على صحة ذلك تحدى الله تعالى لهم بالإتيان بحديث مثله وعجزهم عن ذلك فلذا هم لا يعتقدون ولا يرون أن الرسول تقول القرآن من عنده، وإنما لما لم يؤمنوا به لا بد أن يقولوا كلمة يدفعون بها عن أنفسهم فقالوا تقوله فقال تعالى ﴿ بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ﴾ أي مثل القرآن ﴿ إن كانوا صادقين ﴾ في قولهم إن الرسول تقوله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب التذكير والوعظ والارشاد على أهل العلم بالكتاب والسنة لأنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته.
- ٢- ذم الكهانة بل حرمتها لأنها من أعمال الشياطين، والكاهن من يقول بالغيب.
- ٣- ذم الطغيان فانه منبع كل شر ومصدر كل فتنه وضلال.
- ٤- حرمة الكذب مطلقا وعلى الله ورسوله بخاصة لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا.

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

(١) (بل لا يؤمنون) أي : علة لقولهم (تقوله) إذ هم يعرفون تمام المعرفة أنه ليس من قول الرسول ﷺ وإنما مما يوحى إليه من الله تعالى وإنما قالوا : تقوله لعدم إيمانهم، ثم تحداهم الحق تعالى بقوله (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) في دعواهم أنه تقوله أي : فليتقوله مثله !!

شرح الكلمات :

- أم خلقوا من غير شيء؟ : أي من غير خالقٍ خلقهم وهذا باطل .
- أم هم الخالقون؟ : أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده .
- أم خلقوا السموات والأرض؟ : أي لم يخلقوهما لأن العجز عن خلق أنفسهم دال على عجزهم عن خلق غيرهم .
- بل لا يوقنون :
- : أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون إذ لو كانوا موقنين لما عبدوا غير الله ولأمنوا برسوله ﷺ .
- أم عندهم خزائن ربك :
- : أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخسوا من شاءوا بذلك من الناس .
- أم هم المسيطرون :
- : أي المتسلطون الغالبون فيتصرفون كيف شاءوا .
- أم لهم سلم يستمعون فيه :
- : أي ألهم مرقى إلى السماء يرقون فيه فيسمعون كلام الملائكة فيأتون به ويعارضون الرسول في كلامه .
- فليأتوا بسultan مبين :
- : أي بحجة بينة تدل على صدقه (١) وليس لهم في ذلك كله شيء .
- أم له البنات ولكم البنون؟ :
- : أي أله تعالى البنات ولكم البنون إن أقوالكم كلها من هذا النوع لا واقع لها أبداً إنها افتراءات .
- أم تسألهم أيها الرسول أجراً :
- : أي على إبلاغ دعوتك .
- فهم من مغرم مثقلون :
- : أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون فكرهوا ما تقول لذلك .
- أم عندهم الغيب فهم يكتبون :
- : أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به .
- أم يريدون كيداً :
- : أي مكرأ وخديعة بك وبالدين .
- فالذين كفروا هم المكيدون :
- : أي الكافرون هم المكيدون المغلوبون .
- أم لهم إله غير الله :
- : أي ألهم معبود غير الله والجواب : لا .
- سبحان الله عما يشركون :
- : أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان .

معنى الآيات :

بعد أن أمر تعالى رسوله بالتذكير وأنه أهل لذلك لما أفاض عليه من الكمالات وما وهبه من المؤهلات . أخذ تعالى يلقي رسوله الحجج فيذكر له باطلهم موبخاً إياهم به ثم يدمغه بالحق في أسلوب قرآني عجيب لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله : ﴿أَمْ خَلَقُوا^(١) مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي أخلقوا من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٢) والجواب لم يُخلقوا من غير خالق ، ولا هم خلقوا أنفسهم إذ الأول باطل فما هناك شيء موجود وجد بغير مُوجد؟! والثاني محال؛ إن المخلوق لا يوجد قبل أن يخلق فكيف يخلقون أنفسهم وهم لم يخلقوا بعد؟! ويدل على جهلهم وعمي قلوبهم ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم أنه ذكر أنه لما قدم على رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في شأن فداء الأسرى سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور قال فلما بلغ في القراءة عند هذه الآية ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ كاد قلبي يطير . سمعها وهو مشرك فكانت سبباً في إسلامه فلو فتح القوم قلوبهم للقرآن لأنارها واسلموا في أقصر مدة .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٣) والجواب : لا ، إذ العاجز عن خلق ذبابة فما دون عن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجز . وقوله تعالى ﴿بَلْ لَا يوقنون﴾ أن الله هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض فقولهم عند سؤال من خلقهم : الله ، وعن خلق السموات والأرض : الله لم يكن عن يقين إذ لو كان عن يقين منهم لما عبدوا الأصنام ولما أنكروا البعث ولما كذبوا بنبوّة محمد ﷺ . وقوله تعالى : ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي من الأرزاق والخيرات والفواضل والفضائل فيخصوا من شاءوا ومنها ويحرموا من شاءوا والجواب ليس لهم ذلك فلم إذا ينكرون على الله ما أتى رسوله من الكمال والإفضال؟ أم هم المسيطرون أي الغالبون القاهرون المتسلطون فيتصرفون كيف شاءوا في الملك؟ والجواب : لا ، إذا فلم هذا التحكم الفاسد .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَياتٌ مَسْتَمَعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي ألهم مرقى

(١) هذا إضراب انتقالي إلى إبطال نوع آخر من شبهتهم في إنكار البعث إذ السورة مكية ، والغالب على هذه السورة معالجة عقيدة البعث الآخر والاستفهام المقدر بعد (أم) تقريرية .

(٢) الاستفهام المقدر هنا إنكاري .

(٣) الاستفهام تقريرية ، وبإل الطرفة قبل الاستفهام للانتقال وهكذا يورد . قولهم مقرر لهم ثم يكر عليه فيبطله في جميع هذه الجمل المبدوءة بـ أم المنقطعة .

(٤) السلم : المصعد ، وجمعه سلالم قال الشاعر :

ومن هاب أسباب المنية يلقها ولورام أسباب السماء بسلم

وقال آخر :

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا يبنى له في السموات السلالم

أحجاء البلاد : أرجاؤها ونواحيها .

يرقون فيه إلى السماء فيستمعون إلى الملائكة فيسمعون منهم ما يمكنهم أن ينازعوا فيه رسولنا محمداً ﷺ فليأت مستمعهم بحجة واضحة ظاهرة على دعواه ومن أين له ذلك وقد حجبت الشياطين والجن عن ذلك فكيف بغير الجن والشياطين.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ أي الله تعالى البنات ولكم البنون إن جميع ما تقولونه من هذا النوع هو كذب ساقط بارد، واقتراء مقوت مجوج إن نسبتهم البنات لله كافية في رد كل ما يقولون ومبطله لكل ما يدعون فإنهم كذبة مفترون لا يتورعون عن قول ما تحيله العقول، وتنزه عنه الفهوم. وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أي أتسألهم يا رسولنا عما تبلغهم عنا أجراً فهم لذلك مغتمون ومتعبون فلا يستطيعون الإيمان بك ولا يقدرّون على الأخذ عنك.

وقوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾^(١) أي أعندهم علم الغيب فهم منهمكون في كتابته لينازعوك فيما عندك ويحاجوك بما عندهم، والجواب من أين لهم ذلك، وقوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي يريدون بك وبدينك كيداً؛ ليقتلوك ويطلوا دينك فالذين كفروا هم المكيدون ولست أنت ولا دينك. ولم يمض عن نزول هذه الآيات طويلاً زمن حتى هلك أولئك الكائدون ونصر الله رسوله وأعز دينه والحمد لله رب العالمين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي ألهم إله أي معبود غير الله يعبدونه والحال أنه لا إله إلا الله ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه الله وتقّس عما يشركونه به من أصنام وأوثان لا تسمع ولا تبصر فضلاً عن أن تضر أو تنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بذكر دلائله.
- ٢- تقرير النبوة المحمدية.
- ٣- تسفيه أحلام المشركين.
- ٤- عدم مشروعية أخذ أجرٍ على إبلاغ الدعوة.
- ٥- لا يعلم الغيب إلا الله.

(١) حاصل معنى هذا: أنهم لا قبل لهم بإنكار ما جحدوه من البعث والوعيد والنبوة ولا بإثبات ما أثبتوه من الشرك وما وصفوا به الرسول ﷺ من صفات مستحيلة الوقوع.

(٢) لم يمض يسير زمن حتى هلك رؤساء الشرك في بدر مصداق قوله تعالى: (هم المكيدون) كقوله: (ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله).

(٣) الاستفهام إنكاري.

(٤) نزه تعالى نفسه أن يكون له شريك كما زعم المشركون وادعوا باطلا فأبطل بذلك كل دعاويهم في تأليه غيره تعالى من الأصنام والشياطين.

٦- صدق القرآن في أخباره آية أنه وحى الله وكلامه صدقاً وحقاً إنه لم يمض إلا قليل من الوقت أي خمسة عشر عاماً حتى ظهر مصداق قول الله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا

مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وإن يروا كسفا من السماء

ساقطاً

: أي وإن ير هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم .

: أي يقولوا في القطعة سحاب متراكم يطرنا ولا يؤمنوا .

يقولوا سحاب مركوم

فذرهم حتى يلاقوا يومهم

: أي فاتركهم إذا يجاهدون ويعاندون حتى يلاقوا يومهم

الذي فيه يصعقون

الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم .

يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً

: أي اتركهم الى ما ينتظرهم من العذاب ما داموا مصرين

ولا هم ينصرون

على الكفر وذلك يوم لا يغنى عنهم مكرهم بك شيئاً من

الإغناء .

وإن للذين ظلموا عذاباً دون

: أي وإن لهؤلاء المشركين الظلمة عذاباً في الدنيا دون

ذلك

عذاب يوم القيامة وهو عذاب القحط سبع سنين وعذاب
القتل في بدر.

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة .
واصبر لحكم ربك : أي بإمهالهم ولا يضق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم
تعجيل العذاب لهم .
فإنك بأعيننا : أي بمرايئنا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم
بك .

وسبح بحمد ربك حين تقوم : أي واستعن على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات
الخمس والذكر بعدها والضراعة والدعاء صباح مساء .

معنى الآيات :

يذكر تعالى من عناد المشركين أنهم لورأوا العذاب نازلاً من السماء في صورة قطعة كبيرة من
السماء ككوكب مثلاً لما أذعنوا ولا آمنوا بل قالوا في ذلك العذاب سبحانه مركوم الآن يسقى ديارنا
فترتوي وترتوي أراضينا وبهائمنا . إذاً فلما كان الأمر هكذا فذرهم يا رسولنا في عنادهم وكفرهم
حتى يلاقوا وجهاً لوجه يومهم الذي فيه يصعقون أي يموتون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم
ينصرون ، فيذهب كيدهم ولا يجدون له أي أثر بحيث لا يغني عنهم أدنى إغناء من العذاب
النازل بهم ولا يجدون من ينصرهم ، وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أي أنفسهم أي بالكفر والتكذيب والشرك والمعاصي
عذاباً دون ذلك المذكور من عذاب يوم القيامة وهو ما أصابهم به من سِنِي القحط والمجاعة وما
أنزله بهم من هزيمة في بدر حيث قتل صناديدهم وذلوا وأهينوا ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك ،
ولو علموا لما أصرروا على العناد والكفر .

وقوله تعالى : واصبر لحكم ربك وقضائه بتأخير العذاب عن هؤلاء المشركين ، ولا تخف ولا
تحزن فإنك بأعيننا أي بمرايئنا نراك ونحفظك ، وجمع لفظ العين على أعين مراعاة لنون
العظمة وهو المضاف إليه «بأعيننا» .

وقوله ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك

(١) يقال في مثل هذا : هو منسوخ بآية السيف .

(٢) هو ما كانوا يكيدون للرسول ﷺ وما يمكرون به .

(٣) جائز أن يكون عذاب القبر .

(٤) شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ (من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه :
سبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك) .

ومن الليل ايضاً فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر
فسبح بصلاة الصبح وغيرها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان عناد كفار قريش ومكابرتهم في الحق ومجاذبتهم فيه .
- ٢- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وهي للدعاة بعده ايضاً .
- ٣- تقرير وخامة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة .
- ٤- وجوب الصبر على قضاء الرب وعدم الجزع .
- ٥- مشروعية التسبيح عند القيام من النوم بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحيى ويميت وهو على كل شيء قدير والحمد لله الذي أحيانى بعدما أماتنى وإليه النشور.

سُورَةُ النَّجْمِ مكية

وآياتها ثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥)
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١) أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ

(١) يرى ابن مسعود رضي الله عنه أن قوله : (حين تقوم) شامل لكل قيام يقومه من أي مكان .

نَزَلَتْ أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
 إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
 مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- والنجم إذا هوى : أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها .
 ما ضل صاحبكم : أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهدى .
 وما غوى : أي وما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد .
 وما ينطق عن الهوى : أي عن هوى نفسه أي ما يقوله عن الله تعالى لم يصدر فيه عن هوى نفسه .
 إن هو إلا وحي يوحى : أي ما هو إلا وحي إلهي يوحى إليه .
 علمه شديد القوى : أي علمه ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام .
 ذو مرة : أي لسلامة في جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة .
 فاستوى وهو بالافق الأعلى : أي استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التي خلقه الله عليها فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قدسد الأفق إلى المغرب وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه في صورته التي خلقه الله عليها .
 ثم دنا فتدلى : أي وقرب منه فتدلى أي زاد في القرب .
 فكان قاب قوسين أو أدنى : أي فكان في القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين .
 فأوحى إلى عبده ما أوحى : أي فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلى النبي ﷺ .
 ما كذب الفؤاد ما رأى : أي ما كذب فؤاد النبي ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام .
 أفتمارونه على ما يرى : أي أفتجادلونه أيها المشركون على ما يرى من صورة جبريل .

ولقد رآه نزلة أخرى : أي على صورته مرة أخرى وذلك في السماء ليلة أسرى به .

عند سدرة المنتهى : وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة .
عندها جنة المأوى : أي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين أولياء الله .

إذ يغشى السدرة ما يغشى : أي من نور الله تعالى ما يغشى .

ما زاغ البصر وما طغى : أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن الحد الذي حدده له .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى : أي رأى جبريل في صورته ورأى رفقاً أخضر سد أفق السماء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والنجم﴾ ^(١) إلى قوله ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ يقرر به تعالى نبوة محمد عبده ورسوله ﷺ وقد أقسم بالنجم إذا هوى وهو نجم الثريا إذا غاب في الأفق على أنه ما ضل محمد صاحب قريش الذي صاحبه منذ ولادته ولم يغب عنها ولم تغب عنه مدة تزيد على الأربعين سنة فهي صحبة كاملة ما ضل عن طريق الهدى وهم يعرفون هذا ، وما غوى أيضاً أية غواية وما لابس جهل في قول ولا عمل فغوى به . وما ينطق بالقرآن وغيره مما يقوله ويدعو إليه عن هوى نفسه كما قد يقع من غيره من البشر إن هو إلا وحى يوحى أي ما هو أي الذي ينطق به ويدعو إليه ويعمله إلا وحى يوحى إليه . علمه إياه ملك شديد القوى ذو مرة أي سلامة عقل وبدن فكان بذلك قوياً روحياً وعقلياً وذاتياً وهو جبريل عليه السلام وقوله : ﴿فاستوى﴾ أي جبريل ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ ومعنى استوى استقر ﴿ثم دنى فتدلى﴾ أي تدلى فدنا أي قرب شيئاً فشيئاً حتى كان من الرسول ﷺ قاب قوسين أي قدر قوسين والقوس معروف آلة للرمي ﴿أو أدنى﴾ أي من قاب قوسين ^(٥) .

(١) أصل النجم : الطلوع والظهور يقال : نجم السَّن إذا طلع ، ونجم السر إذا ظهر وأطلق النجم بالغلبة على الثريا . الهوى : السقوط يقال : هوى يهوى هوىاً كمضى يمضي مضياً . وهوى يهوى هوىاً : إذا خسر للسجود ، ومن الحب يقال : هوى يهوى هوى كرضي يرضى رضاً : إذا أحب .

(٢) الغي : ضد الرشd ، والغواية مثله : وهو فساد الرأي وتعاطي الإنسان الباطل من الأقوال والأفعال مما لا خير فيه البتة .

(٣) الهوى : ميل النفس إلى ما تحبه أو تحب أن تفعله دون اقتضاء العقل السليم الحكيم له وفعله : هوى يهوى كرضي يرضى هوىً .

(٤) (شديد القوى) صفة لموصوف محذوف أي : علمه ملك شديد القوى هو جبريل اجمعاً ، والمرة : تطلق على قوة الذات وعلى متانة العقل معاً ، وعليهما كان جبريل عليه السلام .

(٥) أي : مقدار قوسين .

وقوله تعالى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾^(١) أي فأوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ وقوله ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه محمد ببصره وهو جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ذات الستائة جناح طول الجناح ما بين المشرق والمغرب. وقوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ هذا خطاب للمشركين المنكرين لرؤية النبي ﷺ ينكر تعالى ذلك عليهم بقوله ﴿أفتمارونه﴾ أي تجادلونه وتغالبنه أيها المشركون على ما يرى ببصره. ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أي مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى﴾ وذلك ليلة أسرى به ﷺ، ووصفت هذه السدرة وهي شجرة النبق بأن أوراقها كأذان الفيلة وأن ثمرها كغلال هجر قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسننها، وسميت سدرة المنتهى لانتهاه علم كل عالم من الخلق إليها أو لكونها عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة. وقوله ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي الجنة التي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء، والمتقين أولياء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ أي من نور الله تعالى، والملائكة من حب الله مثل الغربان حين تقفز على الشجر كذا روى ابن جرير الطبري. وقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾^(٢) أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع فوق الحد الذي حدده. ﴿ولقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي رأى جبريل في خلقه الذي يكون فيه في السماء ورأى رفقاً أخضر قد سد الأفق ورأى من عجائب خلق الله ومظاهر قدرته وعلمه ما لا سبيل إلى إدراكه والحديث عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة لمحمد وإثباتها بمالا مجال للشك والجدال فيه.
- ٢- تنزيه الرسول ﷺ عن القول بالهوى أو صدور شيء من أفعاله أو أقواله من اتباع الهوى.
- ٣- وصف جبريل عليه السلام.
- ٤- إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل وعلى صورته التي يكون في السماء عليها مرتين.
- ٥- تقرير حادثة الإسراء والمعراج وإثباتها للنبي ﷺ.
- ٦- بيان حقيقة سدرة المنتهى.

(١) (ما أوحى) إبهام من أجل التفضيم أي : أوحى إليه شيئاً عظيماً.
 (٢) (نزلة) على وزن فعلة من النزول دال على المرة أي : رآه إذ نزل إليه مرة أخرى.
 (٣) السدر شجر معروف صحراوي فيه ثلاث ميزات : ظل ظليل وثمر لذيذ ورائحة ذكية.
 (٤) هذا الوصف رواه مسلم في صحيحه.
 (٥) في قوله (ما يغشى) من التفضيم ما فيه.
 (٦) جملة : (لقد رأى من آيات ربه) تذييل أي : رأى آيات أخرى غير سدرة المنتهى وجنة المأوى وما غشي السدرة من البهجة والجلال والآيات : دلائل عظمة الله تعالى.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
الَّتِي لَهَا الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أَوَّسَيْتُهُ
ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ : أي أخبروني عن أصنامكم التي اشتققت لها أسماء من أسماء الله وأنتموها .

ومناة الثالثة الأخرى ^(١)

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ : وجعلتموها بناتٍ لله ، افتراء على الله وكذباً عليه .
الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم .

تِلْكَ إِذْ أَوَّسَيْتُهُ ضِيزَى : أي قسمتكم هذه إذا قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير تامة .

إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها .

أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ : أي سميتُموها بها أنتم وآباؤكم .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ : أي لم ينزل الله تعالى وحياً يأذن في عبادتها .
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب .

(١) هدمها خالد بن الوليد بأمر رسول الله ﷺ ولما شرع في هدمها قال لها : يا عَزَّ كُفْرَانِكَ لَا سِبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

وما تهوى الأنفس : أي وما يتبعون الا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم .
 أم للإنسان ما تمنى : أي بل للإنسان ما تمنى والجواب لا ليس له كل ما يتمنى .
 فله الآخرة والأولى : أي إن الآخرة والأولى كلاهما لله يهب منهما ما يشاء لمن يشاء .

وكم من ملك في السموات : أي وكثير من الملائكة في السموات .
 لا تغنى شفاعتهم شيئاً : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد حتى يكون الله قد أذن لهم
 ورضى للمسموح له بالشفاعة .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى مظاهر قدرته وعظمته وعلمه وحكمته في الملكوت الأعلى جبريل وسدرة
 المنتهى وما غشاها من نور الله وما أرى رسوله من الآيات الكبرى، خاطب المشركين بقوله
 ﴿أفأرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ أي أعميتم فرأيتم هذه الأصنام أهلاً لأن تسوئ
 بمن له ملكوت السموات والأرض وعبدتموها معه على حقارتها ودناءتها، وأزددتم عمى فاشتقتم
 لها من أسماء الله تعالى أسماء فمن العزيز اشتقتم العزى ومن الله اشتقتم اللات، وجعلتموها
 بنات لله افتراء على الله بزعمكم أنها تشفع لكم عند الله . أخبروني ألكم الذكر لأنكم تحبون
 الذكران وترضون بهم لأنفسكم، وله الأنثى لأنكم تكرهونها ولا ترضون بها لأنفسكم، إذا كان
 الأمر على ما رأيتم فإنها قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة وناقصة غير تامة فكيف ترضونها لمن
 عبدتم الأصنام من أجل التوسل بها إليه ليقضى حوائجكم؟ إن هي الا أسماء سميتوها أنتم
 وآباؤكم . إن أصنامكم أيها المشركون لا تعدو كونها أسماء لآلهة لا وجود لها ولا حقيقة في عالم
 الواقع إذ لا إله إلا الله، أما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فلم تكن آلهة تحيي وتميت وتعطي
 وتمنع وتضر وتنفع . إن هي أي ما هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

(١) انتقل الكلام من تقرير النبوة المحمدية إلى تقرير الإلهية الربانية، واللات أصله: لات فأدخلوا عليه ال فصار اللات،
 وهي صنم لثقيف كانت قريش والعرب يعبدونه، وقيل: هو وصف لرجل كان يلت السوق للحجاج ثم صنع له صنم تمثالاً وألته
 ثقيف وقريش وجمهور العرب والعزى اسم مشتق من العز وهي فعلى كبرى: صنم عليه بناء كان بوادي نخلة فوق (ذات
 عرق) ميقات أهل العراق قريباً من الطائف ومناة: صنم كان لخزاعة كان بالمشلل حذو قديد بين مكة والمدينة وكان الأوس
 والخزرج يهلون منه ويطوفون به كالسمي بين الصفا والمروة .

(٢) تقديم الجار والمجرور في (ألكم الذكر) للاهتمام بالاختصاصي .

(٣) (ضيزى) اسم كدلفي وشعري، وهو مشتق من ضاز يضيز ضيزاً: إذا ظلم وتعدى ويخس وانتقص . قال الشاعر:

ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

سلطان أي لم ينزل بها وحيًا يأذن بعبادتها. وهنا التفت الجبار جل جلاله في الخطاب عنهم وقال ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي إن هؤلاء المشركين ما يتبعون في عبادة هذه الأصنام إِلَّا الظن، فلا يقين لهم في صحة عبادتها. كما يتبعون في عبادتها ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي هوى أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ فبين لهم الصراط السوي فأعرضوا عنه وهو الحق من ربهم. وتعلقوا بالأمانى الكاذبة وأن أصنامهم تشفع لهم، أم للانسان ما تمنى^(١) والجواب ليس له ما تمنى، إذ لله الآخرة والأولى يعطى منها ما يشاء ويمنع ما يشاء وكم من ملك في السموات لا يعدون كثرة لا تغنى شفاعتهم شيئاً من الإغناء ولو قلَّ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع من الملائكة وغيرهم، ويرضى عن المشفوع له، وإلا فلا شافع ولا شفاعاة تنفع عند الله الملك الحق المبين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالشرك والمشركين وتسفيه أحلامهم لعبادتهم اسماء لا مسميات لها في الخارج إذ تسمية حجراً إلهاً لن تجعله إلهاً.
- ٢- بيان أن المشركين في كل زمان ومكان ما يتبعون في عبادة غير الله إلا أهواءهم.
- ٣- بيان أن الانسان لا يعطى بأمانيه، ولكن بعمله وصدقه وجده فيه.
- ٤- بيان أن الدنيا كالآخرة لله فلا ينبغي أن يُطلب شيء منها إلا من الله مالکها.
- ٥- كل شفاعاة تُرجى فهي لا تحقق شيئاً إلا بتوفر شرطين الأول أن يأذن الله للشافع في الشفاعاة والثاني أن يكون الله قد رضي للمشفوع له بالشفاعة والخلاصة هي : الإذن للشافع والرضا عن المشفوع.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾

(١) الاستفهام المقدر بعد أم إنكاري المقصود منه إبطال حصول الإنسان على ما يتمناه.
(٢) هذه الجملة تأكيد لإبطال حصول الإنسان على ما يتمناه وإبطال الاعتقاد المشركين في أن آلهتهم تشفع لهم عند الله عز وجل.

شرح الكلمات

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة .

ليسمون الملائكة تسمية

الأنثى

: أي ليطلقون على الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا بنات الله .

وما لهم به من علم : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدى من نبي ولا

عقل سوى

إن يتبعون إلا الظن^(١) : أي في تسميتهم الملائكة إنثاءً إلا مجرد الظن ، والظن لا

تقوم به حجة ولا يعطى به حق .

فأعرض عن تولى عن ذكرنا : أي القرآن وعبادتنا .

ولم يرد إلا الحياة الدنيا: ولم يرد من قوله ولا عمله إلا ما يحقق رغائبه من الدنيا .

ذلك مبلغهم من العلم : أي ذلك الطلب للدنيا نهاية علمهم إذ أثروا الدنيا على الآخرة .

معنى الآيات :

لما ندد تعالى بالمشركين الذين جعلوا من الأصنام والأوهام والأمانى آلهة وجادلوا دونها وجادلوا ذكر ما هو علة ذلك التخطي والضلال فقال : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ دار السعادة الحقنة أو الشقاء ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ فلو آمنوا بالآخرة لما سمو الملائكة بنات الله لأن المؤمن بالآخرة يحاسب نفسه على كل قول وعمل له تبعه يخشى أن يؤخذ بها بخلاف الذي لا يؤمن بالآخرة فإنه يقول ويفعل ما يشاء لعدم شعوره بالمسئولية والتبعة التي قد يؤخذ بها فيهلك ويخشى كل شيء وهو تعليل سليم حكيم .

وقوله تعالى : ﴿وما لهم به من علم﴾ أي ليس لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله أي علم يعتد به إن يتبعون فيه إلا الظن والظن أكذب الحديث ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً وبناء على هذا أمر الله تعالى رسوله أن يعرض عن تولى منهم عن الحق بعد معرفته وعن الهدى بعد مشاهدته فقال تعالى ﴿فأعرض عن تولى عن ذكرنا﴾ أي القرآن والإيمان والتوحيد والطاعة ، ولم يرد بقوله وعمله واعتقاده إلا الحياة الدنيا إذ هو لا يؤمن بالآخرة فلذا هو قد كيّف حياته بحسب

(١) حذّر النبي ﷺ من القول بالظن وكذا العمل به ففي الصحيح قال (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) !!

(٢) نفى العلم عنهم حجة قاطعة على ادعائهم لأنّ ما لا يثبت بالعلم النقلي أو العقلي لا تقوم به حجة ولا يثبت به شيء وقد ونههم تعالى في قوله : (أشهدوا خلفهم سنكتب شهادتهم ويسألون) ؟

(٣) قيل نزلت هذه الآية في الضر بن الحارث ، والوليد بن المغيرة ، والآية نزلت قبل الأمر بالجهاد .

الدنيا فكل تفكيره في الدنيا، وكل عمله لها فيصبح بذلك أشبه بالآلة منه بالحيوان. وتصبح الحياة معه عقيمة الفائدة فلذا يجب الإعراض عنه وتركه إلى أن يأذن الله فيه بشيء.

وقوله تعالى ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أي هذا الطلب للدنيا هو ما انتهى إليه علمهم فلذا هم آثروها عن الآخرة التي لم يعلموا عنها شيئاً.

وقوله تعالى في خطاب رسوله ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي إن ربك أيها الرسول هو أعلم منك ومن غيرك بمن ضل عن سبيله قدراً وأزلاً فضل في الحياة الدنيا أيضاً، وهو أعلم بمن اهتدى، قضاء وقدراً وواقعاً في الحياة الدنيا وسيجزي كلاً بما عمل من خير أو شر فلا تأس يا رسولنا ولا تحزن وفوض الأمر إلينا فإننا عالمون ومجازون كل عامل بما عمل في دار الجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أكثر الأمراض مردها إلى قلب لا يؤمن بالآخرة.
- ٢- أكثر الفساد في الأرض هو نتيجة الجهل وعدم العلم اليقيني.
- ٣- التحذير من الماديين فإنهم شر وخطر وواجب الإعراض عنهم لأنهم شر الخليقة.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

بِالْحُسْنٰى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ اِلَّا اللَّمَمَ

اِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ اِذَا اَنْشَأَ كُرْمًا مِّنَ الْأَرْضِ

وَ اِذَا اَنْتُمْ اِحْتَجُّوْا فِي بُطُوْنٍ اُمَّهَتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ

بِمَنْ اَتَقَىٰ ﴿٣٢﴾

(١) قال الفراء: صغرهم وازدري بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

(٢) هذه الجملة تعليل لجملة: (فأعرض عن تولى) والجملة متضمنة زيادة على التسلي للرسول ﷺ الوعد والوعيد فالوعد للمهتدين من الرسول والمؤمنين والوعيد للمشركين الضالين عن سبيل الهدى فإن جزاءهم الشقاء في دار الشقاء.

شرح الكلمات :

ولله ما في السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً.

ليجزى الذين أساءوا بما

عملوا : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي .

ويجزى الذين أحسنوا : ويشيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالحسنى بالجنة .

الذين يجتنبون كبائر الإثم : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهو كل ذنب وُضع له حد أو لعن فاعله أو تُوعَد عليه بالعذاب في الآخرة .

والفواحش إلا اللمم : أي الذنوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل واللمم صغائر الذنوب التي تكفر باجتناب كبائرهما .

هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض .

وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد .

فلا تزكوا أنفسكم : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب .

هو أعلم بمن اتقى : أي منكم بمن اتقى ومنكم وبمن فجر فلا حاجة إلى ذكر ذلك منكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير ربوبيته تعالى المطلقة لكل شيء إذ تقدم في السياق قوله تعالى : ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ وهنا قال عز من قائل ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء هداية تابعة لحكمة وإضلال كذلك يدل عليه قوله تعالى ﴿ليجزى الذين أساءوا﴾ أي إلى أنفسهم بما عملوا من الشرك والمعاصي يجزيهم بالسوء وهي جهنم ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ إلى أنفسهم فزكوها وطهروها بالإيمان والعمل الصالح يجزيهم بالحسنى التي هي الجنة وقوله ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم﴾^(١) والفواحش ﴿بيّن فيه وجه إحسان المحسنين إلى أنفسهم حين طهروها بالإيمان وصالح الأعمال ولم يلوثوها بأوصار كبائر الإثم من كل ما تُوعَد فاعله بالنار أو يُلعن أو إقامة حدٍ، أو غضب الرب .

(١) هذه اللام هي لام التعليل إذ أوجد الله تعالى العوالم العلوية والسفلية من أجل الإنسان، وأوجد الإنسان للذكر والشكر فمن ذكر وشكر وهو المحسن فله الجنة ومن نسي وكفر فله السوء وهي النار .

(٢) أي : بالمتوبة الحسنى وهي الجنة، والحسنى صفة لموصوف محذوف وهي المتوبة .

(٣) (الذين يجتنبون) الخ صفة للذين أحسنوا أي : أحسنوا بفعل الواجبات واجتنبوا كبائر الذنوب والسيئات حتى لا تلوث أرواحهم بعد تطهروها بالأعمال الصالحة .

(١) والفواحش من زنا ولواط وبخل وقوله ﴿إلا اللّم إن ربك واسع المغفرة﴾ أي لكن اللّم يتجاوز عنه وهو ما ألم به المرء وتاب منه أو فعله في الجاهلية ثم أسلم، وما كان من صفات الذنوب كالظنرة والكلمة والتمرة. وقد فسر بقول الرسول ﷺ إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. فمغفرة الله واسعة تشمل كل ذنب تاب منه فاعله كما تشمل كل ذنب من الصفات.

وقوله تعالى ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ أعلم بضعفنا وغرائزنا وحاجاتنا وعجزنا مما نحن بأنفسنا ولذا تجاوز لنا عن اللّم الذي نلّم به بحكم العجز والضعف، فله الحمد والمنة. وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ ينهى الرب تعالى عباده المؤمنين عن تزكية المرء نفسه بإدعاء الكمال والطهر الأمر الذي يكون فخراً وإعجاباً والإعجاب بالنفس محبط للعمل كالرياء والشرك فقوله ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أي لا تشهدوا عليها بأنها زكية برؤية من الذنوب والمعاصي وقوله ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي إن الله أعلم بمن اتقى منكم ربه فخاف عقابه فادى الفرائض واجتنب المحرمات منا ومن المتقى نفسه فلذا لا تمدحوا أنفسكم له فإنه أعلم بكم من أنفسكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ربوبية الله تعالى لكل شيء وهي مستلزمة لإلوهيته.
- ٢- تقرير حرية إرادة الله يهدى من يشاء ويضل ويعذب من شاء ويرحم إلا أن ذلك تابع لحكم عالية.
- ٣- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل.
- ٤- تقرير قاعدة أن الصفات تكفر باجتناب الكبائر.
- ٥- حرمة تزكية النفس وهي مدحها والشهادة عليها بالخير والفضل والكمال والتفوق.

(١) عن ابن عباس: هو الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه، واستشهد قائلا:

إن تغفر اللهم تغفر جمياً وأي عبد لك ما ألما

(٢) في الآية دليل على كراهة تزكية العبد نفسه أو تزكية غيره ففي الحديث الصحيح: (أنه لم يرض لهم تسمية برة وقرأ: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ الآية: وقال سمّوها زينب) وفي الصحيح (أنه سمع رجلاً يمدح آخر فقال له: ويلك قطعت عنق صاحبك - مرارا - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسبي ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك) روى مسلم (أن رجلاً أتى عثمان فأنشأ عليه في وجهه، فجعل المقداد بن الأسود يحثو التراب في وجهه ويقول: أمرنا رسول الله أن نحثو التراب في وجوه المداحين).

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
 ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَنزُرُ وَزِرَةً وَزَرَ أُخْرَى
 ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ
 يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى
 ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾
 وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنْ
 عَلَيْهِ النَّشَأَةُ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
 السَّعَرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ إِفْكَى ﴿٥١﴾
 وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ
 أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- أفرأيت الذي تولى : أي عن الإسلام بعد ما قارب أن يدخل فيه .
 أعطى قليلاً وأكدى : أي أعطى من زعم أنه يتحمل عنه العذاب الآخرة أعطاه
 ما وعده من المال ثم منع .
 أعنده علم الغيب فهو يرى : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب والجواب لا .
 أم لم ينبا بما في صحف : أي لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي
 التوراة وعشر صحف كانت لابراهيم عليه السلام .
 ألا تنزر وازرة وازر أخرى : أي أنه لا تحمل نفس مذنب ذنب غيرها .
 وأن ليس للإنسان إلا ما سعى : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سعي غيره شيء .
 وأن سعيه سوف يرى : أي يُبصر يوم القيامة ويراه بنفسه .

ثم يجزاه الجزاء الأوفى	: أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه .
إن إلى ربك المنتهى	: أي المرجع والمصير إليه ينتهى أمر عباده بعد الموت ويجازيهم .
وأنه أضحك وأبكى	: أي أفرح من شاء فأضحكه ، وأحزن من شاء فأبكاه .
وإنه أَمَاتَ وأَحْيَا	: أَمَاتَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْيَا فِي الْآخِرَةِ .
وإنه خلق الزوجين	: أي الصنفين الذكر والأنثى .
من نقطة إذا تمنى	: أي من منى إذا تمنى تُصَبُّ فِي الرَّحِمِ .
وأن عليه النشأة الأخرى	: أي الخلقة الثانية للبعث والجزاء .
وأنه هو أغنى واقنى	: أي وأنه هو وحده أغنى بعض الناس بالكفاية ، واقنى بعض الناس بالمال المقتنى المدخر للقتية .
وأنه هو رب الشعرى	: أي خالقها ومالكها وهى كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون .
وأهلك عاداً الأولى	: أي قوم هود عليه السلام .
وتموداً فما أبقي	: أي أهلكتها أيضاً فلم يبق منهم أحداً وهم قوم صالح .
وقوم نوح من قبل	: أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وتمدود وقوم لوط .
والمؤتفكة أهوى	: أي وقرى قوم لوط اسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض إذ الاثتفك الانقلاب .
ففشاها ما غشى	: أي بالعذاب ما غشى حيث جعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل .

معنى الآيات :

إن هذه الآيات ترسم صورة لقرشي جاهل هو الوليد بن المغيرة إذ قدر له أن استمع إلى قراءة رسول الله ﷺ فهش لها ودعاه الرسول فأسلم أو أوشك أن يسلم فعلم به أحد المشركين من شياطينهم فجاءه فعيه بإسلامه وترك دين آبائه فاعتذر له الوليد بأنه يخاف عذاب الله فقال له الشيطان القرشي وكان فقيراً والوليد غنياً أعطنى كذا من المال شهرياً أو اسبوعياً أو سنوياً وأنا اتحمل عنك العذاب الذي تخافه وعد إلى دينك وثابت عليه فوافق الوليد على العرض وأخذ

(١) يعطيه المال. ثم أكد أي قطع عنه ما كان يعطيه ومنعه. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآيات تسلياً لرسول الله ﷺ وتعليماً وتحذيراً لكل من تبلغه ويقرأها أو تقرأ عليه فقال تعالى في أسلوب حمل فيه السامع على التعجب: ﴿أفأريت الذي تولى﴾ أي عن الإسلام بعد أن قارب الوصول إليه والدخول فيه، ﴿وأعطى قليلاً﴾ أي من المال للشيطان المشرك الذي اتفق معه على أن يتحمل عليه العذاب مقابل مال يعطيه إياه أفساطاً، ﴿وأكدى﴾ أي قطع ومنع لأن الذي يحفر بئراً في أرض أحياناً تصادفه كدية من الأرض الصلبة يعجز عن الحفر فينقطع عن الحفر ويمتنع كذلك الوليد أعطى ثم امتنع وهو معنى أكدى أي انتهى إلى كدية من الأرض الصلبة.

وقوله تعالى: ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ (٢) أي أن المرء في إمكانه أن يتحمل عذاب غيره يوم القيامة والجواب لا علم غيب عنده لا من كتاب ولا من سنة، أم لم ينبأ بما في صحف موسى وهي التوراة وإبراهيم الذي وفي لربه في كل ما عهد به إليه من ذبح ولده حيث تله للجبين ليذبحه، ومن بناء البيت والهجرة والختان بالقدم إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة. أي ألم ينبأ أي يخبر هذا الرجل الجاهل بما في صحف موسى بن عمران نبي بنى إسرائيل وإبراهيم أبو الأنبياء ثم بين تعالى ما تضمنته تلك الصحف من علم فقال:

- ألا تزر وازرة وزر أخرى أن لا تحمل نفس مذنبية ذنب نفس أخرى.
 - وأن ليس للإنسان من ثواب يوم القيامة إلا ما سعى في تحصيله بنفسه وهذا لا يتعارض مع قول الرسول ﷺ في الصحيح إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به إذ هذه الثلاثة أمور من عمل الإنسان وسعيه الولد انجبه ورباه والصدقة الجارية أوقفها بنفسه والعلم تعلمه ويثّه في الناس وعلمه فالجميع من سعيه وكسبه.
 - وأن سعيه أي عمله في الدنيا من خير وشر سوف يرى علانية ويجزى به خيراً كان أو شراً.
- والجزاء الأوفى أي الأكمل الأتم.

(١) يقال: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في حفرة كدية أو جبلاً فلا يمكنه أن يحفر، ثم استعمل فيمن أعطى ولم يتم، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخره. قال الحطية:

أعطى قليلاً ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

(٢) الاستفهام إنكاري أي: ينكر عليه ما ادعاه من تحمل العذاب عن غيره، وفيه معنى التعجب فيما ادعاه كأنه يعلم الغيب ويشاهده، وليس له ذلك.

(٣) (أن لا تزر وازرة) أن: هي المخففة من الثقيلة، وموضعها جائز أن يكون حرفاً بدلاً من (ما) في قوله (بما في صحف) وجائز أن يكون في موضع رفع على إضمار: هو، وهو ما يفهم من التفسير.

(٤) يظهر أن هذا العام خصصته السنة فقد أجاز النبي ﷺ الحج والعمرة عن الغير كما أجاز الصدقة كذلك وقد يقال إن الذي يحج أو يتصدق عن غيره هو بمثابة توسل إلى الله تعالى طالب منه المغفرة والرحمة فإذا استجاب الله تعالى له غفر للميت ورحمه وهذا جزاء كل عمل صالح.

- وأن إلى ربك المنتهى أي إليه تصير أمور عباده بعد الموت ويحكم فيها ويجزيهم بها.
- وأنه هو أضحك وأبكى أي أفرح من شاء وأحزن فضحك الفرح وبكى الحزن. أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار. زيادة على من أفرح في الدنيا ومن أحزن.
- وأنه أمات وأحيا أمات عند نهاية أجل العبد وأحياه في قبره ويوم نشره وحشره وأحيا بالإيمان وأمات بالكفر وأمات بالقحط وأحيا بالمطر.
- وأنه خلق الزوجين أي الصنفين الذكر والأنثى من سائر الحيوانات من نقطة أي قطرة المني إذا تمنى^(١) أي تصب في الأرحام.
- وأن عليه تعالى النشأة الأخرى أي هو الذي يقوم بها فيحيي الخلائق بعد موتهم يوم القيامة.
- وأنه هو أغنى وأقنى أي أغنى بعض الناس فسد حاجتهم وكفاهم مؤونتهم، وأقنى آخرين أعطاهم مالاً كثيراً فاقتنوه قنيتاً.
- وأنه هو رب الشعري ذلك الكوكب الذي يطلع خلف الجوزاء فالله خالقه ومالكه ومسخره وقد عبده الجاهلون واتخذوه رباً وإلهاً وهو مربوب مألوه.
- ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ قوم هود أرسل عليهم ريحاً صرصراً ما أتت على شيء إلا جعلته كالرميم، عاد تلك الأمة القائلة من أشد منا قوة دمر الله عليهم فأهلكهم أجمعين.
- وثموداً فما أبقي أي وأهلك ثمود قوم صالح بالحجر فما أبقي منهم أحداً.
- وقوم نوح من قبل عاد وثمود أهلكهم إنهم كانوا هم أظلم من غيرهم وأطغى.
- والمؤتفكة أي قرى قوم لوط سدوم وعموره أهلكهم فرفع تلك القرى إلى عنان السماء ثم أهوى بها إلى الأرض وأرسل عليهم حجارة من طين من سجيل فغشى تلك المدن من العذاب الأليم ما غشى^(٢) عذاب يعجز الوصف عنه هذا هو الله رب العالمين الذي اتخذ الجبال له أنداداً فعبدها معه.

(١) قيل: لا يوجد في المخلوقات من يضحك ويبكي إلا الإنسان وقيل إن القرد يضحك ولا يبكي، وإن البعير يبكي ولا يضحك. والله أعلم.

(٢) قيل: سميت منى: منى لأنها تمنى فيها الدماء أيام التشريق وهو كذلك.

(٣) قال القرطبي: اختلف فيمن كان يعبد كوكب الشعري فقيل: كانت تعبده حمير وخزاعة وقيل: إن أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذا كان المشركون يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لما خالفهم ودعا إلى التوحيد.

(٤) قرأ الجمهور (عاداً) بإظهار تنوين عاد، وقرأ ورش (عاداً الأولى) بحذف همزة الأولى بعد نقل حركتها إلى اللام المعرفة وادغام نون التنوين من عاد في لام (لولى).

(٥) قرأ الجمهور (وثموداً) بالتنوين وقرأ حفص (وثمود) وقرأ حفص وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة.

(٦) نصب المؤتفكة، على الاشتغال وأهوى. أي جعلها هاوية والإهواء: الإسقاط وجيء بصلتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها لأجل التهويل، والذي غشاها: هو مطر من الحجارة المحمأة.

(٧) (ما) موصول فاعل (غشاها).

هذا هو الله الإله الحق الذي اتخذ الناس من دونه آلهة لا تعلم ولا تحكم ولا تقدر.
هذا هو الله العزيز المنتقم لأوليائه من أعدائه يشقي عبداً عاداه ويسعد آخر والاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ربوبية الله تعالى وإثبات ألوهيته بالبراهين والحجج التي لا ترد بحال.
- ٢- تقرير عدالة الله تعالى في حكمه وقضائه.
- ٣- مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.
- ٤- تقرير حقيقة علمية وهي أن العمل الذي يزكى النفس أو يُدنسها هو ذاك الذي يباشره المرء بنفسه وباختياره وقصده ونيته.
- ٥- تحذير الظلمة والطغاة من أهل الكفر والشرك من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الدمار والخسران.

فَبَايَ الْآلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴿٥٥﴾

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْزَفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

- فباي آلاى ربك : أي فباي أنعم ربك عليك وعلى غيرك أيها الإنسان .
نتمارى : أي تتشكك أو تكذب .
هذا نذير من النذر الأولى : أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى أي رسول مثل الرسل الأولى الذين ارسلوا الى أقوامهم .
أزفت الأرفة : أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلاً .
ليس لها من دون كاشفة ① : أي ليس لها أي للقيامة من دون الله نفس كاشفة لها مظهرة لوقتها، إذ لا يجليها لوقتها الا الله سبحانه وتعالى .
أفمن هذا الحديث : أي القرآن .

تعجبون وتضحكون : أي تعجبون تكذباً به ، وتضحكون سخرية منه كذلك .
 وأنتم سامدون : أي لاهون مشغلون بالباطل من القول كالغناء والعمل
 كعبادة الأصنام والأوثان .
 فاسجدوا لله : أي الذي خلقكم ورزقكم وكلائكم ولا تسجدوا للأصنام .
 واعبدوا : أي وذلوا لله واخضعوا له تعظيماً ومحبة ورهبة فإنه إلهكم
 الحق الذي لا إله لكم غيره .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض العظيم لمظاهر القدرة والعلم والحكمة وكلها مقتضية للربوبية والألوهية لله سبحانه وتعالى خاطب الله تعالى الإنسان فقال ﴿فبأي آلاء ربك﴾^(١) أي بعد الذي عرضنا عليك في هذه السورة من مظاهر النعم والنقم وكلها في الباطن نعم فبأي آلاء ربك تمارى أي تشكك أو تكذب ، وكلها ثابتة أمامك لا تقدر على إنكارها واخفائها بحال من الأحوال .
 ثم قال تعالى : ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾^(٢) يشير إلى أحد أمرين إما إلى ما في هذه السورة والقرآن كله من نذر أو إلى النبي محمد ﷺ وكلا الأمرين حق القرآن نذير ومحمد نذير من النذر الأولى التي سبقتها وهم الرسل ، أو ما خوَّفَ به الرسل أقوامها من عذاب الله تعالى العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة . ألا فاحذروا أيها الناس عاقبة إعراضكم .
 وقوله تعالى : ﴿ازفت الأزفة﴾ يخبر تعالى أن القيامة قد آن أوانها وحضرت ساعتها إنها لقريبة جداً . ليس لها من دون الله نفس كاشفة تكشف الستار عنها وتظهرها بل تبقى مستورة لحكمة إلهية حتى تفاجأ بها البشرية وويل يومئذ للمكذبين .

وقوله تعالى توبيخاً للمشركين والمكذبين : ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي غفلتم كل هذه الغفلة فتعجبون من هذا الحديث الإلهي والكلام الرباني وهو القرآن . ﴿وتضحكون﴾ كأن قلوبكم أصابها الموت ، ولا تبكون على أنفسكم وقد بعتموها للشيطان ليقدمها إلى نار جهنم خطباء ،

(١) فبأي نعم ربك تشك أيها الإنسان المكذب ، والآلاء : النعم ، واحدها إلى وإلى وإلى وألوا كدلو .
 (٢) التماري : التشكك ، وهو تفاعل من المرية ، ولا يصح أن يكون المراد بالمخاطب النبي ﷺ لأن الرسول ﷺ لا يشك أبداً ، وإن قاله بعضهم ، ورده إمام المفسرين ابن جرير الطبري .
 (٣) حقيقة النذير : أنه المخبر عن حدث مضر بالمخبر ، وجمعه : نذر ويطلق النذير على الإنذار فهو إذاً اسم مصدر ، ومنه : (فستعلمون كيف نذير) أي : إنذاركم .

وأنتم سامدون ساهون لاهون تُغنون وتلعبون . ويلكم أنقذوا أنفسكم فاسجدوا لله واعبدوا،^(١) فإنه لا نجاة لكم من العذاب الأليم إلا بالاطراح بين يديه اسلاماً له وخضوعاً . تعبدونه بتوحيده في عبادته، وتسلمون له قلوبكم ووجوهكم فلا يكون لكم غير الله مالوها ومعبوداً تعظمونه وتحبونه وتتقربون إليه بفعل محابه وترك مكاره .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان قرب الساعة وخفاء ساعتها عن كل خلق الله حتى تأتي بغتة .
- ٢- ذم الضحك مع الانغماس في الشهوات .
- ٣- الترغيب في البكاء من خشية الله .
- ٤- كراهية الغناء واللهو واللعب .
- ٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية لمن يتلوها ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجديات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوها مع رسول الله ﷺ حول الكعبة كما في الصحيح .

سُورَةُ الْقَمَرِ مكية

وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ

(١) السمود: الغناء بلغة حمير والمعنى: فرحون بأنفسكم تنغنون بالأغاني لقلة اكترائكم بما تسمعون من القرآن، وفعله: سمد يسمد والأمر: استمدلنا أي غن لنا.

(٢) جائز أن يراد بالسجود: الصلاة والعبادة والتوحيد إذ كانت الصلاة يومئذ قد فرضت، وجائز أن يكون المراد بالسجود الخضوع لله والإذعان له بالإيمان والتوحيد بعد ترك الشرك والكفر، وصح أن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة سجد فسجد المشركون بسجوده متأثرين بما أسمعهم الشيطان من مدح ألهمهم بقوله: تلك الغرائق العلاء . وإن شفاعتهن لترتجى .

﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ ﴿٦﴾
 خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

اقتربت الساعة وانشق القمر : أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلتقتين على جبل أبي قبيس .

وإن يروا آية يُعرضوا : أي وإن يروا كفار قريش آية أي معجزة يعرضوا عنها ولا يلتفتوا إليها .

ويقولوا سحر مستمر : أي هذا سحر مستمر أي قوى من المرة أو دائم غير منقطع .

وكل أمر مستقر : أي وكل من الخير أو الشر مستقر باهله في الجنة أو في النار .

ولقد جاءهم من الأنباء : أي من أنباء الأمم السالفة مما قصه القرآن .
 ما فيه مزدجر : أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزرهم عن التكذيب والكفر .

حكمة بالغة : أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة .

فما تغن النذر : أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئاً .

فتولَّ عنهم : أي لذلك فأعرض عنهم .

يوم يدعو الداع إلى شيء نكر : أي يدع الداع إلى موقف القيامة .

يخرجون من الاجداث : أي من القبور .

مهطعين الى الداع : أي مسرعين إلى نداء الداع .

هذا يوم عسر : أي صعب شديد .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ يخبر تعالى أن ساعة نهاية الدنيا وفنائها وقيام القيامة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق معجزة للنبي ﷺ وبعثه النبي ﷺ علامة من علامات الساعة، وانشقاق القمر كان بمكة حيث طالبت قريش النبي ﷺ بمعجزة تدل على نبوته فسأل الله تعالى انشقاق القمر فانشق فلقطين على جبل أبي قبيس فلقعة فوق الجبل وفلقعة وراءه فشاهدته قريش ولم تؤمن وهو معنى قوله تعالى : ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ أي هذا سحر قوي شديد. قال تعالى ﴿وكذبوا﴾ أي رسولنا وما جاءهم به من التوحيد والوحي واتبعوا في هذا التكذيب أهواءهم لا عقولهم ولا ما جاء به رسولهم. وقوله تعالى ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي وكل أمر من خير أو شر مستقر بصاحبه إما في الجنة أو النار. وقوله تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنبياء﴾ أي من أخبار الأمم السابقة وكيف أهلكها الله بتكذيبها رسلها وإصرارها على الشرك والكفر، وذلك في القرآن الكريم ما فيه مزدجر أي جاء من الأخبار الواعظة المذكورة من قصص الأنبياء مع أممهم ما فيه زاجر عن التكذيب والمعاصي هو حكمة بالغة تامة، والحكمة القول الذي يمنع صاحبه من التردى والهلاك بصرفه عن أسباب ذلك.

(٢)

وقوله تعالى ﴿فما تغن النذر﴾ أي عن قوم كذبوا بالحق لما جاءهم واتبعوا أهواءهم ولم يتبعوا هدى ربهم ولا عقولهم. إذا فتول عنهم يا رسولنا واطرهم إلى حكم الله فيهم. وقوله : ﴿يوم يدعو الداع إلى شيء نكر﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم يدعو الداع إلى شيء نكر وهو موقف القيامة خشعاً أبصارهم وكل أجسامهم وانما ذكرت الأبصار لأنها أدل على الخشوع من سائر الاعضاء ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أي القبور جمع جدث وهو القبر كأنهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم وانتشارهم مهطعين إلى الداع أي مسرعين إلى داع الله إلى ساحة الموقف وفصل

(١) إنها بالنسبة لما مضى من أيام الدنيا لقريبة جداً إذ أكثر عمر الدنيا قد انقضى، خطب يوماً رسول الله ﷺ فقال (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى) وما نرى من الشمس إلا يسيراً.

(٢) (مستمر) : يكون بمعنى ذاهب من قولهم مَرَّ الشيء واستمر : إذا ذهب ويكون بمعنى محكم قوي شديد مأخوذ من المرة وهي القوة، وكونه مستمراً نافذاً أولى بالمعنى.

(٣) وجائز أن يكون (مستقر) في أم الكتاب : كائن لا محالة أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله فيكون في الخبر يشرى للنبي ﷺ.

(٤) أصل : (مزدجر) مزتر من زجرته فانزجر فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجي التاء والدال، أي : جاءهم من الأخبار الواعظة ما يزرهم عن الكفر، لو قبلوه واتعظوا به.

(٥) أي : جاءهم من مواظ القرآن وزواجره ما هو حكمة بالغة إلى المقصود مفيدة لصاحبها.

(٦) جائز أن تكون (ما) نافية أي : لا تغني النذر شيئاً عن تلك حاله، وجائز أن تكون استفهامية أي : أي شيء تغني النذر مع الإصرار على الكفر والتوغل في الباطل، والاستفهام للنفي أيضاً.

(٧) (نكر) ما تنكره النفوس وتكرهه، ونكر : وزنه نادر نحو أنف : بمعنى جديد.

القضاء . يومئذ يقول الكافرون هذا يوم عسير وهو كذلك عسير شديد العسر ولكن على المؤمنين يسير غير عسير . كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير مفهومه أنه على المؤمنين يسير .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- ذكر بعض علامات الساعة . كبعثه النبي ﷺ وانشقاق القمر معجزة له ﷺ .
- ٣- التنديد باتباع الهوى ، والتحذير منه فإنه مهلك .
- ٤- عدم جدوى النذر لمن يتنكر لعقلة ويتبع هواه .

كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كَفَرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

شرح الكلمات :

- فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ : أي كذبوا نوحا عبد الله ورسوله وقالوا هو مجنون .
- وَازْدُجِرَ : أي انتهره وزجره بالسب والشتم .
- فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ : أي فسأل ربه قائلاً رب إني مغلوب فانتصر أي لي .
- بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ : أي منصب انصبابا شديدا .
- وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا : أي تتبع نبعا .

فالتقى الماء

: أي ماء السماء وماء الأرض .

على أمر قد قدر

: أي في الأزل ليغرقوا به فيهلكوا .

وحملناه على ذات ألواح ودسر : أي حملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ودسر وهو ما يدسر

به الألواح من مسامير وغيرها . واحد الدسر دسار ككتاب .

تجرى بأعيننا

: أي بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا لها .

جزاء لمن كان كفر : أي أغرقناهم انتصاراً لمن كان كفر وهو نوح كفروا نبوته وكماله .

ولقد تركناها

: أي إغراقنا لهم على الصورة التي تمت عليها .

آية

: أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر الى اليوم .

فهل من مذكر

: أي معتبر ومتعظ بها .

فكيف كان عذابي ونذر

: أي ألم يكن واقعاً موقعه .

ولقد يسرنا القرآن للذكر

: أي سهلناه للحفظ ، وهيأناه للتذكير .

فهل من مذكر

: أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ يخبر تعالى مسلياً رسوله مخوفاً قومه فيقول ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قريش قوم نوح وهو أول رسول أرسل الى قوم مشركين فكذبوا عبدنا رسولنا نوحاً كذبوه في دعوة التوحيد كذبوه في دعوة الرسالة ، ولم يكتفوا بتكذيبه فقالوا مجنون أي هو مجنون ﴿وازدجر﴾ أي انتهروه وزجروه ببذيء القول وسىء الفعل فدعا أي نوح ربه قائلاً ﴿أني مغلوب فانتصر﴾ لي ياربي ، فاستجاب الله تعالى له ففتح أبواب السماء بماء منهمر أي منصب انصباباً شديداً ، وفجرنا الأرض عيوناً نابعة من الأرض فالتقى الماء النازل من السماء والتابع من الأرض ﴿على أمر قد قدر أي قدره الله في الأزل وقضى بأن يهلكهم بماء الطوفان وقوله تعالى ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ والدسر جمع واحده دسار ككتاب وكتب وهو ما تُدَسَّرُ به الألواح من مسامير وغيرها وقوله تعالى ﴿تجرى﴾ وهي حاملة لعوالم شتى ﴿بأعيننا﴾ أي بمرأى منا محفوظة بحفظنا لها وقوله ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أي أغرقناهم انتصاراً لعبدنا نوح وجزاء له على صبره مع

(١) أخبر تعالى أن قوم نوح كذبوا الرسل . وكان في الكلام اجمال ففصله بقوله : (فكذبوا عبدنا) أي : نوحاً ، وقالوا مجنون ، وفيه إشارة إلى أن المكذب برسول يعتبر مكذباً بكل الرسل .

(٢) (مجنون) خبر لمبتدأ محذوف أي : هو مجنون . والجمله مقولة القول .

(٣) (منهمم) أي : كثير والهمم : الصب ، وكان انهمار الماء بدون سحب وقيل استمر أربعين يوماً .

(٤) التقى الماء ان النازل من السماء والتابع من الأرض (على أمر قد قدر) أي : على مقدار معين لم يزد أحدهما على الآخر .

طول الزمن لقد أقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. وقوله ﴿ولقد تركناها آية﴾ أي تلك الفعلة التي فعلنا بهم وهي إغراقنا لهم تركناها آية للاعتبار لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر إلى اليوم.

وقوله تعالى ﴿فهل من مذكر﴾ ^(١) أي معتبر ومتعظ بها. وقوله ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ ^(٢) ألم يكن واقعاً موقعه ؟ بلى. وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه للحفظ وهيئناه للتذكر. فهل من مذكر؟ أي فهل من متعظ به حافظ له والاستفهام للأمر أي فاتعظوا به واحفظوه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تسلية الرسول ﷺ.

٢- تحذير قريش من الاستمرار في الكفر والمعاندة.

٣- تقرير حادثة الطوفان والتي لا ينكرها إلا سفيه لم يحترم عقله.

٤- فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ^(١٨) **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ** ^(١٩) **تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ** ^(٢٠) **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي** ^(٢١) **وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ** ^(٢٢)

شرح الكلمات :

كذبت عاد : أي نيبها هوداً عليه السلام فلم تؤمن به ولا بما جاء به .
فكيف كان عذابي ونذر ^(٣) : أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم وإنذارى لهم كان أشد ما يكون .

إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً : أي ريحاً عاتية ذات صوت شديد .

(١) أصل مذكر مُتذكر أبدلت التاء ذالاً كما أبدلت الذال دالاً وأدغمت الدالان الأولى في الثانية فصارت مذكر أي معتبر متعظ .

(٢) ونذر: تقدم أنه اسم مصدر كالإنذار.

(٣) قال القرطبي : وقعت نذر في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحاليين أي : في الوصل والوقف، وقرأها ورش في الوصل لا غير. وحذفها الباقون ولا خلاف في حذف النون في قوله : (فما تغن النذر) والواو في قوله : (يدع) وأما الياء من (الداع) أثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل وحذفها الباقون.

في يوم نحس مستمر : أي في يوم نحس أي شؤم مستمر دائم الشؤم قوّة حتى هلكوا .

تنزع الناس كأنهم أعجاز^(١) : أي تقتلعهم من الحفر التي اندسوا فيها وتصرعهم فتدق رقابهم .

نخل منقعر : منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع .

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به .

فهل من مذكر : أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن فإن منزله سهّل للتذكير .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كذبت عاد﴾ هذا القصص الثاني في هذه السورة يذكر بإيجاز تسلياً لرسول الله ﷺ وتهديداً لقومه المكذبين وذكرى للمؤمنين فقال تعالى كذبت عاد أي قوم هود كذبوا رسول الله هودا عليه السلام وكفروا بما جاءهم به من التوحيد والشرع وقالوا اثنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأرسل تعالى عليهم ريحاً صرصراً ذات صوت شديد في يوم نحس^(٢) وكان مساء الأربعاء لثمان خلون من شهر شوال مستمر بشدة وقوة وشؤم عليهم مدة سبع ليال وثمانية أيام تنزع تلك الريح الناس وقد دخلوا حفراً تحصنوا بها فتتزعزعهم منها نزاعاً وتخرجهم فتصرعهم فتدق رقابهم فتنفصل عن أجسادهم فيصيرون والحال هذه لطول أجسامهم كأنهم أعجاز نخل منقعر أي منقلع ساقط على الأرض . وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ هذا الاستفهام للتحويل أي إنه كان كأشد ما يكون العذاب والإنذار . وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي سهلناه وهيئناه بفضل منا ورحمة للحفظ ولولا هذا التسهيل ما حفظه أحد، وهيئناه للتذكر به . فهل من مذكر أي من متذكر والاستفهام للأمر كأنما قال : فاحفظوه وتذكروا به .

(١) جملة : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) في موضع نصب على الحال من الناس .

(٢) النحس : سوء الحال ، وقد انجرّ إلى المسلمين بواسطة عقائد المجوس التشاؤم بيوم الأربعاء من آخر الشهر ، ولا تشاؤم في الإسلام والنحس كان على الكافرين الذين أهلكهم الله تعالى فلا ينسحب النحس على الناس طوال الحياة .

(٣) (منقعر) قال القرطبي : سئل المبرد عن ألف مسألة من جملتها قيل له : ما الفرق بين قوله تعالى : (ولسليمان الريح عاصفة) و(جاءتها ريح عاصف) وقوله : (أعجاز نخل خاوية) و(أعجاز نخل منقعر) ؟ فقال : كل ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً أو إلى المعنى تأنيهاً . هـ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان عقوبة المكذبين لرسول الله وما نزل بهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة.
- ٢- بيان أن قوة الانسان مهما كانت أمام قوة الله تعالى هي لا شيء ولا ترد عذاب الله بحال.
- ٣- بيان تسهيل الله تعالى كتابه للناس ليحفظوه ويذكروا به ، ويعملوا بما جاء فيه ليكملوا ويسعدوا في الحياتين.

كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
 مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ
 مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابُ
 الْأَشِرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّةَ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
 وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
 فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْفُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- كذبت ثمود بالنذر : أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسل لأن النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا .
- فقالوا أبشر منا واحداً نتبعه : أي كيف نتبع بشراً واحداً منا إنكاراً منهم للإيمان بصالح عليه السلام .
- إنا إذا لفي ضلال وسعر : أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون .
- ألقى عليه الذكر من بيننا : أي لم يوح إليه من بيننا أبداً وإنما هو كذاب أشير .

بل هو كذاب أشر : أي فيما ادّعى أنه ألقى إليه من الوحي أشراً بمعنى متكبر.

ستعلمون غدا : أي في الآخرة.

من الكذاب الأشر : وهو هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

إنا مرسلو الناقة فتنة لهم : أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.

فارتقبهم واصطبر : أي انتظر وراقب ماذا يصنعون وما يصنع بهم، واصبر على أذاهم.

ونبتهم أن الماء قسمة بينهم : أي ماء بثرهم مقسوم بينهم وبين الناقة فيوم لها ويوم لهم.

كل شرب محتظر : أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به الناقة أو ثمود.

فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر : أي فملوا ذلك الشرب وشموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف ليقتلها فتعاطى السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها.

إنا أرسلنا عليهم صبيحة واحدة : هي صبيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.

فكانوا كهشيم المحتظر : أي صاروا بعد هلاكهم وتمزق أجسادهم كهشيم

المحتظر وهو الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيدان الرقيقة يحظر بها لغنمه يحفظها من البرد والذئاب.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ هذا القصص الموجز الثالث وهو قصص ثمود قوم صالح فقال تعالى في بيانه ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي التي أنذرها نبيها صالح وهي ألوان العذاب كما كذبت فيما جاء به من الرسالة فقالوا في تكذيبهم له عليه السلام : ﴿أبشراً منا واحداً نتبعه﴾ أي كيف يتم ذلك منا ويقع؟ عجبٌ هذا إنا إذا لقي ضلال وسعر إنا إذا اتبعناه وهو واحد لا غير منا أيضاً فهو كغيره من أفراد القبيلة لفي بعد عن الصواب وذهاب عن كل رشد، وسعر أي وجنون أيضاً،

(١) أي : أتبع فرداً وترك جماعة؟ قرأ الجمهور : (بشراً) منصوباً على الاشتغال، ورفع بعضهم على الابتداء، وواحد : نعت يتبع المنعوت في النصب والرفع.

(٢) الشعر : الجنون، والمسعود : المجنون قال الشاعر :

تخال بها سِعراً إذا السُفر هزها ذَمِيلٌ وإيقاع من السير متعب
يصف ناقته بالسعر لشدة نشاطها.

وقالوا مستنكرين متعجبين ﴿ألقني الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشرف﴾ أي متكبر.
قال تعالى رداً عليهم سيعلمون غدا يوم ينزل بهم العذاب ويوم القيامة أيضاً من الكذاب
الأشر أصالح أم هم، لن يكونوا إلا هم فهم الذين أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم
جاثمين.

وقوله تعالى: ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم﴾ أي كما طلبوا إذ قالوا لصالح إن كنت رسول الله
حقاً فسله يخرج لنا من هذه الصخرة في هذا الجبل ناقة فقام يصلى ويدعو وما زال يصلى ويدعو
حتى تمخض الجبل وخرجت منه ناقة عشاء آية في القوة والجمال، وقال لهم هذه ناقة الله لكم
آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم أليم. ومعنى فتنة لهم أي
امتحاناً واختباراً لهم هل يؤمنون أو يكفرون، ولذا قال تعالى لصالح فارتقبهم واصطبر أي انظر
إليهم وراقبهم من بُعد واصطبر على أذاهم. ونبئهم أي أخبرهم بأمرنا أن الماء ماء برهم الذي
يشربون منه قسمة بينهم أي مقسوم بينهم للناقة يوم وليلة يوم، وقوله كل شرب محتضر أي كل
نصيب خاص بصاحبه يحضره دون غيره. وما تشربه الناقة من الماء نحيله إلى لبن خالص وتقف
عند كل باب من أبواب المدينة ليحلبوا من لبنها وطالت المدة وملوا اللبن والسعادة فتادوا
صاحبهم غدار بن سالف عاقر الناقة فتعاطى^(١) السيف وتناوله وعقرها بضرب رجلها بالسيف ثم
ذبحها. وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي﴾ الذي أنزلته بهم بعد عقر الناقة كيف كان إنذارى لهم
أما العذاب فقد كان أليماً وأما الإنذار فقد كان صادقاً، والويل للمكذبين. وهذا بيانه قال تعالى
﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام فانخلعت لها قلوبهم فأصبحوا
في ديارهم جاثمين كهشيم المحتظر أي ممزقين محطمين مبغثرين هنا وهنا كحطب وخشب
وعشب الحظائر التي تجعل للأغنام.

(١) قال القرطبي: روي أن صالحاً صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عيَّنوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشاء
وبراء.

(٢) (واصطبر) أصل الكلمة واصتبر قلبت التاء طاءً موافقة للصاد في الإطباق.

(٣) روي عن جابر قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك قال: (أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات هؤلاء
قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث الله لهم ناقة فبعث الله عز وجل إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم
وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غيها).

(٤) الشرب بكسر الشين: الحظ من الماء، ومعنى محتضر: أي يحضره من هو له دون غيره إذ هو من الحضور بخلاف
الغياب.

(٥) (فتعاطى) مضارع عاطاء معاطاء وهو مشتق من عطا يعطو: إذا تناول ما يطلبه من شيء كأنهم كانوا مترددين في عقرها
كل واحد يريد إعطاء غيره آلة العقر حتى أخذها غدار وعقرها.

(٦) المحتضر: اسم فاعل: الرجل الذي يتخذ الحظائر لغنمه من الحطب والعيذان وأغصان الشجر.

وقوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ يدعو الله تعالى هذه الأمة الى كتابه قراءة وحفظاً وتذكراً فإنه مصدر كمالهم وسعادتهم لا سيما وقد سهله وهياه لذلك . ولا يهلك على الله الا هالك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله في إهلاك المكذبين .
- ٢- بيان أن الآيات لا تستلزم الإيمان والا فآية صالح من أعظم الآيات ولم تؤمن بها قوم ثمود .
- ٣- أشقى أمة الإسلام عقبة بن أبي معيط الذي وضع سلى الجزور على ظهر الرسول ﷺ وهو يصلى حول الكعبة، وعافر ناقة صالح غدار بن سالف كما جاء في الحديث .
- ٤- دعوة الله الى حفظ القرآن والتذكير به فإنه مصدر الإلهام والكمال والإسعاد .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا

بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا

عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ

أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

كذبت قوم لوط بالنذر : كذبت قوم لوط بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام .

إنا أرسلنا عليهم حاصبا : أي ريحاً ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إلا آل لوط نجيناهم بسحر : أي بنتاه وهو معهم نجاهم الله تعالى من العذاب حيث غادروا البلاد قبل نزول العذاب بها.

نعمة من عندنا : أي إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم .
كذلك نجزي من شكر : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزي من شكرنا بالإيمان والطاعة .

ولقد أنذرهم بطشتنا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب .
فَتَمَارَوْا بالنذر : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها .
ولقد روادوه عن ضيفه^(١) : أي أن يخلى بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخشوا بهم .
فطمسنا أعينهم : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقي وجوههم .

ولقد صبحهم بكرة عذاب : أي نزل بهم بكرة صباحاً عذاب مستقر لا يفارقهم أبداً مستقر
هلکوا به في الدنيا ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة .

ولقد يسرنا القرآن للذكر : أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه .
فهل من مذكر؟ : أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة .

ولقد جاء آل فرعون النذر : أي قوم فرعون الإنذارات على لسان موسى وهرون عليهما السلام .

كذبوا بآياتنا كلها : أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع التي آتيناهم موسى .
فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر : أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوى مقتدر على كل شيء لا يعجزه شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر موجز لقصص عدد من الأمم السابقة تسلياً لرسول الله ﷺ

(١) ليخشوا بهم، أي : بآياتهم الفاحشة، في القاموس : الخبت : الزنا، وخبت ككرم : إذا زنى وخبت المرأة : إذا زنت فهي خبيثة، والزاني : خبيث .

وتهديداً للمشركين المصيرين على الشرك بالله والتكذيب لرسول الله ﷺ، وانذاراً لأهل الشرك والمعاصي في كل زمان ومكان فقال تعالى ﴿كذبت قوم لوط﴾^(١) وهم أهل قرى سدوم^(٢) وعمورة كذبوا رسولهم لوطاً بن أخى إبراهيم عليه السلام هاران. كذبوا بالنذر وهى الآيات التى أنذرهم لوط بها وخوفهم من عواقبها.

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾^(٣) أى لما كذبوا بالنذر وأصروا على الكفر وإتيان الفاحشة أرسلنا عليهم حاصباً ريحاً تحمل الحصباء الصغيرة فأهلكناهم بعد قلب البلاد بجعل عاليها سافلها. وقوله تعالى ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾^(٤) والمراد من آل لوط لوط ومن آمن معه من ابتتيه وغيرهما نجاهم الله تعالى بسحر وهو آخر الليل. وقوله ﴿نعمة من عندنا﴾ أى كان انجاؤهم إنعاماً منا عليهم ورحمة منا بهم. وقوله تعالى ﴿كذلك نجزي من شكر﴾ أى كهذا الإنجاء أى من العذاب الديني نجزي من شكرنا فآمن بنا وعمل صالحاً طاعة لنا وتقربا إلينا وقوله تعالى: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾^(٥) أى إننا لم نأخذهم بظلم منا ولا بدون سابق إنذار منا لا، لا بل أخذناهم بظلمهم، وبعد تكرار إنذارهم، فكانوا إذا أنذروا تماروا بما أنذروا فجادلوا فيه مستهزئين مكذبين، ومن أعظم ظلمهم أنهم راودوا لوطاً عن ضيفه من الملائكة وهم في صورة بشر، فلما راودوه عنهم ليفعلوا الفاحشة ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فأصبحت كسائر وجوههم لا حاجب ولا مقلة ولا مكان للعين بالكلية وقلنا لهم فذوقوا عذابي ونذري أى لأولئك الذين راودوا لوطاً عن ضيفه، أما باقى الأمة فهلاكهم كان كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ولقد صحبهم بكرة﴾ أى صباحاً ﴿عذاب مستقر﴾ أى دائم لهم ملازم لا يفارقهم ذاقوه في الدنيا موتاً وصاحبهم بزرخاً ويلازمهم في جهنم لا يفارقهم.

^(٦) وقلنا لهم فذوقوا عذابي ونذر حيث كنتم تمارون وتستهزئون وقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أى القرآن للحفظ وسهّلناه للفهم والاتعاظ به والتذكر فهل من مذكر أى فهل من متذكر متعظ معتبر فيقبل على طاعة الله متجنباً معاصيه فينجو ويسعد وقوله تعالى: ﴿ولقد جاء

(١) عَرَفَ قوم لوط بالاضافة إليه عليه السلام لأنه لم يكن لتلك الأمة اسم عند العرب يعرفون به.

(٢) بعضهم يرويهما بالذال المعجمة وبعضهم بالذال المهملة، وعمورة بعضهم يرويهما بلفظ عمورية.

(٣) ﴿إنا أرسلنا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن من سمع بتكذيبهم تساءل عما فعل الله بهم.

(٤) لوط داخل في آله بفحوى الخطاب فلا يقال: لم لم يذكر لوط وذكر آله دونه.

(٥) البطشة المرة: أى الأخذة بشدة وعنف وقوة.

(٦) هذه المرة الثالثة ينوه فيها القرآن الكريم ولم يذكر هنا ما ذكر في المرتين قبل من قوله: (فكيف كان عذابي ونذر) اكتفاء بما سبق ذكره بعداً عن التكرار غير المجدي.

(١) آل فرعون النذر أي قوم فرعون من القبط وجنده منهم كذلك جاءتهم النذر على لسان موسى وأخيه هارون فكذبوا وأصروا على الكفر والظلم، وكذبوا بآيات الله كلها وهي تسع آيات آتاها الله تعالى موسى أولها العصا وآخرها انفلاق البحر فبسبب ذلك أخذناهم أخذ عزيز غالب لا يمانع في مراده مقتدر لا يعجزه شيء فأغرقناهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بالالتزام وتقرير التوحيد وإثبات النبوة لمحمد ﷺ . إذ أفعال الله العظيمة من إرسال الرسل والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات من أجل أن الناس لم يعبدوا ولم يطيعوا دال على ربوبيته وألوهيته، وقص هذا القصص من أمي لم يقرأ ولم يكتب دال على نبوة محمد ﷺ .

٢- بيان جزاء الشاكرين لله تعالى بالإيمان به وطاعته وطاعة رسله .

٣- مشروعية الضيافة وإكرام الضيف، وفي الحديث: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

٤- تيسير القرآن وتسهيله للحفظ والانعاط والاعتبار.

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ

فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ

وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ



شرح الكلمات :

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ : أي أكفاركم يا قريش خير من أولئكم الكفار المذكورين من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وملائهم؟ فلذا هم

(١) هذا آخر قصة تضمنتها سورة القمر تذكيراً وإنذاراً لكفار قريش لعلهم يؤمنون ويوحدون، والمراد من آل فرعون: أتباعه من رجال دولته وجنوده وقومه الأقباط، والشاهد من القصة أنهم كذبوا فأخذوا، فليعلم هذا المصرون على التكذيب من كفار قريش. (٢) خمس منها في آية الأعراف: (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد، والقمل والضفادع والدم). والأربع الأخرى هي انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر وسنو القحط والطمس على الأموال وانفلاق البحر، فهذه التسع آيات التي كذبوا بها كلها. (٣) في الصحيح .

لا يعذبون.

أم لكم براءة في الزبر : أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الزبر أي الكتب الإلهية.

أم يقولون نحن جميع منتصر : أم يقولون أي كفار قريش نحن جميع أي جمع منتصر على محمد وأصحابه.

سيهزم الجمع ويولون الدبر : أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هاربين منهزمين وكذلك كان في بدر.

بل الساعة موعدهم : أي الساعة موعدهم بالعذاب والمراد من الساعة يوم القيامة.

والساعة أدهى وأمر : أي وعذاب الساعة وأهوالها أي هي أي أعظم بلية وأمر أي أشد مرارة من عذاب الدنيا قطعاً.

معنى الآيات :

يقول تعالى مبكنا مشركي قريش مؤنباً إياهم وهم الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم يقول الله تعالى لهم : ﴿أَكْفَارَكُمْ﴾^(١) يا قريش خير من كفار الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون فلذا هم آمنون من العذاب الذي نزل بكفار الآخرين، أم لكم براءة من العذاب جاءت في الكتب مسطورة اللهم لا ذا ولا ذاك ما كفاركم بخير من أولئكم، وليس لكم براءة في الزبر، وإنما أنتم مهملون فلما أن تتوبوا وأما أن تؤخذوا.

وقوله تعالى عنهم ﴿أم يقولون نحن جميع﴾^(٢) أي جمع منتصر على كل من يحاربنا ويريد أن يفرق جمعنا نعم قالوا هذا، ولكن سيهزم الجمع ويولون الدبر، وقد تم هذا في بدر بعد سنين ثلاث أو أربع وهزم جمعهم في بدر وولوا الأدبار هاربين إلى مكة.

وقوله تعالى ﴿بل الساعة موعدهم﴾^(٣) أي الساعة التي ينكرونها ويكذبون بها هي موعد عذابهم

(١) جميع : اسم للجماعة كأنهم قالوا : نحن جماعة منتصرة على من يريد حربنا وذكرنا الصفة (منتصر) مراعاة للفظ الجميع لا لدلالته على متعدد.

(٢) جائز أن يكون الاستفهام على بابيه حيث يطلب منهم أن يفصحوا عن الحقيقة فإن قالوا كفارنا خير قيل لهم ما وجه الخيرية، وإن قالوا : الكل سواء قيل إذا فسوف تؤخذون بالعذاب كما أخذ الأولون.

(٣) أم : للإضراب الانتقالي وما يقدر بعدها من استفهام هو للإنكار أي : بل ما لكم براءة في الزبر من العذاب حتى تكونوا آمنين مع تكذيبكم وكفركم.

(٤) (أم) هي المنقطعة المفسرة ببل للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعدها للتوبيخ.

(٥) فكانت هذه آية على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله لتحقق الغيب الذي أخبر به.

(٦) الساعة في القرآن : علم بالغلبة على يوم القيامة والحساب والجزاء.

الحق أما عذاب الدنيا فهو ليس شيء إذا قيس بعذاب الآخرة. ﴿والساعة أدهى﴾ أي أعظم بلية وأكبر داهية تصيب الإنسان وعذابها ، ﴿وأمر﴾ أي وعذابها أمر من عذاب الدنيا كله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان حقيقة يغفل عنها الناس وهي أن الكفر كله واحد ومورد للهلاك .
- ٢- لا قيمة أبداً لقوة الإنسان إزاء قوة الله تعالى .
- ٣- صدق القرآن في إخباره بغيب لما يقع ووقع كما أخبر وهو آية انه وحي الله وكلامه .
- ٤- القيامة موعد لقاء البشرية كافة بحيث لا يتخلف عنه أحد .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾
وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كُلَّمَجَّ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

إن المجرمين في ضلال : أي الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في
وسعر

ذوقوا مس سقر : أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا
مس سقر جهنم .

إننا كل شيء خلقناه بقدر : أي إننا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له وذلك
بكتابه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فهو
يقع كما كتب كمية وصورة وزمانا ومكاناً لا يتخلف في شيء
من ذلك .

وما أمرنا الا واحدة

: أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا مرة واحدة فيتم وجوده .

كلمح بالبصر

: الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة .

ولقد أهلكنا اشياعكم

: أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة .

فهل من مذكر؟

: أي فاذكروا واتعظوا بهذا خيراً لكم من هذا الإعراض .

وكل شيء فعلوه في الزبر

: أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظه من الملائكة .

وكل صغير وكبير مستطر

: أي وكل صغير وكبير من سائر الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ مستطر مكتوب .

إن المتقين في جنات ونهر

: ان الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره في جنات يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفى .

في مقعد صدق

: أي في مجلس حق لا لغوبه ولا تأثيم .

عند مليك مقتدر

: عند مليك أي ذي ملك وسلطان مقتدر على ما يشاء وهو الله جل جلاله .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ يخبر تعالى عن حال المجرمين وهم الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك وغشيان الذنوب يخبر تحذيراً وإنذاراً بأن المجرمين في ضلال في حياتهم الدنيا، وسعر ونار مستعرة متأججة يوم القيامة يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا تهكمأ بهم من سقر تذوقوا العذاب، وسقر طبق من أطباق جهنم وباب من أبوابها وقوله تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ إعلام منه تعالى عن نظام الكون الذي خلقه

(١) (سقر) قال عطاء : سقر : الطبق السادس من جهنم ، ومسها : هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها ، وسقر : اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنه اسم مؤنث معرفة وكذلك جهنم ولظى .

(٢) روى الترمذي وحسنه وصححه عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت : (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا من سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر) . وروى مسلم عن طاووس قال : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كل شيء بقدر : قال : وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ : (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) .

تعالى وهو أن كل حادث يحدث في هذا العالم قد سبق به علم الله وتقديره له فحدّد ذاته وصفاته وأعماله ومآله إلى جنة أو إلى نار، إن كان انساناً أو جانا وليس هناك شيء يحدث بدون تقدير سابق له وعلم تام به قبل حدوثه.

وقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾^(١) يخبر تعالى عن قدرته كما أخبر عن علمه بأنه تعالى إذا أراد إيجاد شيء في الوجود لم يزد على أمر واحد وهو كُن فإذا بالمطلوب يكون كما أراد تعالى أزلاً أن يكون، وبسرعة كسرعة لمح البصر الذي هو نظرة سريعة.

وقوله تعالى وهو يخاطب مشركي قريش ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي أمثالكم في الكفر والعصيان أي من الأمم السابقة ﴿فهل من مدكر﴾ أي متذكر متعبر قبل فوات الوقت وحصول المكروه من العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

وقوله تعالى ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي أولئك المشركون ﴿هو في الزبر﴾ أي في كتب الحفظ من الملائكة الكرام الكاتبين، وكل صغير وكبير من أعمالهم وأعمال غيرهم بل كل حادث في الأكوان هي مسطرة في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

وقوله تعالى ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾^(٢) هذا الإخبار يقابل الإخبار الأول أن المجرمين في ضلال وسعر فالأول إعلام وتحذير وترهيب وهذا إخبار وبشرى وترغيب حيث أخبر أن المتقين الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره إنهم في جنات بساتين ذات قصور وحور، وأنهار وأشجار هم جالسون في مقعد صدق^(٣) في مجلس حق لا لغو يسمع فيه ولا تأثيم يلحق جالسه عند^(٤) ملك أي ذي ملك وسلطان مقتدر على فعل كل ما يريده سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

(١) (إلا واحدة) أي : مرة واحدة (كلمح البصر) أي : قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر، واللحم، النظر بعجلة، يقال لمح والمحه : إذا أبصره بنظر خفيف.

(٢) قرئ في غير السبع ونهر بضم النون والهاء جمع نهار أي لا ليل لهم كسحاب وشحب قال الفراء : أنشدني بعض العرب :

إن تك ليلياً فأني نهرٌ متى أرى الصبح فلا أنتظر

وقال آخر :

لولا الثريدان هلكنا بالضحي ثريد ليل وثريد بالنهر

(٣) (مقعد صدق) قال القرطبي : أي : مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة، والعندية هنا عندية القريبى والزلفى والمكانة والرتبة العالية والمنزلة الشريفة في جوار أرحم الراحمين ورب العالمين.

(٤) (ملك) أبلغ من ملك وهو بمعنى : مالك، و(مقتدر) أبلغ من قادر، والتذكير في ملك، ومقتدر : للتعظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مصير المجرمين وضمنه تخويف وتحذير من الإجرام الموبق للإنسان .
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر .
- ٣- تقرير أن أعمال العباد مدونة في كتب الكرام الكاتبين لا يترك منها شيء .
- ٤- تقرير أن كل صغيرة وكبيرة من أحداث الكون هي في كتاب المقادير اللوح المحفوظ .
- ٥- بيان مصير المتقين مع الترغيب في التقوى إذ هي ملاك الأمر وجماع الخير .
- ٦- ذكر الجوار الكريم وهو مجاورة الله رب العالمين في الملكوت الأعلى في دار السلام .

سُورَةُ الرَّحْمَنِ^(١)

مكية

وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ⑤ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩
فِيهَا فَنَكِهَهُ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن) وذكره صاحب الإتيان كذلك.

شرح الكلمات :

الرحمن

: اسم من أسماء الله تعالى .

علم القرآن

: أي علم من شاء من عباده القرآن .

خلق الإنسان

: آدم كما خلق ذريته أيضاً .

علمه البيان

: أي علم آدم البيان الذي هو النطق والإعراب عما في

النفس بلغة من اللغات كل هذا تعليم الله عز وجل ولولا الله

ما نطق إنسان .

الشمس والقمر بحسبان

: أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما .

والنجم والشجر يسجدان

: النجم ما لا ساق له من النبات ، والشجر ما له ساق

يسجدان يخضعان لله تعالى بما يريد منهما في طوعية

كالسجود من المكلفين .

والسما رفعها

: أي فوق الأرض وأعلاها .

ووضع الميزان

: أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آله .

الا تطفوا في الميزان

: أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من

آلات .

وأقيموا الوزن بالقسط

: أي بالعدل .

ولا تخسروا الميزان

: أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه .

والأرض وضعها للأنام

: أي أثبتها وخفضها كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة

الأنام عليها وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي روح .

فيها فاكهة والنخل

ذات: أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من

أنواع الفواكه الكثيرة ، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية

طلعها .

والحب ذو العصف

: أي وفي الأرض الحب من بُرّ وشعير وعصفه تبته .

والرياحان

: نبت معروف ، والمراد به أنواع الرياحين المسمومة ذات الريح

الطيب .

فبأي آلاء ربكما تكذبان

: أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان وهي

كثيرة لا تعد ولا تحصى . والجواب لا بشيء من نعمك ربنا

نكذب فلك الحمد .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(١) يُخبر تعالى أنه هو الرحمن الذي علم نبيه محمد ﷺ القرآن لا كما يقول المبطلون إنما يعلمه بشر. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وهي متجلية ظاهرة فيما يعدد من آلاء ونعم. منها خلقه الإنسان آدم وذريته، وتعليمهم البيان وهو النطق والإبانة عما في نفوسهم. ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾^(٢) يجريان لإفادة الناس في معرفة أوقات عباداتهم، وآجال ديونهم وهي مظاهر الرحمة، ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ والنجم غذاء بهائمكم والشجر فيه فاكهتكم وبعض غذائكم ﴿يسجدان﴾ خضوعاً لله بما أراد منهما لا يعصيان كما يعصي الثقلان. والسماء رفعها عن الأرض ولم يلصقها بالأرض إنعاماً منه على الثقلين في رفعها وتزيينها بكواكبها وشمسها وقمرها، ﴿ووضع الميزان﴾^(٣) أي العدل حيث أمر به وألهم وضع آله وغرز في النفوس حبه والرغبة فيه، من أجل ألا تجوروا في الميزان، ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل، ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تنقصوه إذا وزنتم بل وفوه كل هذا إنعام وألوان من رحمت الرحمن. والأرض وضعها للأنام أي أثبتها وخفضها ودحاها لحياة الأنام. وهم الإنس والجان والحيوان، ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ أي أوعية الطلع، والحب البر والشعير ذو العصف أي التبن والريحان هذه أنواع الطعام للإنسان والحيوان طعام وفاكهة وريحان كل هذه مظاهر الرحمة التي أفاضها الرحمن. ﴿فبأي آلاء ربكما﴾^(٤) يا معشر الجن والإنس ﴿تكذبان﴾. لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الرحمن مثل اسم الله لا يصح أن يطلق على غير الرب تبارك وتعالى، فيقال فلان عزيز أو رحيم أو عليم أو حكيم، ولكن لا يقال رحمان، كما لا يقال إله أو الإله أو الله.

(١) اختير اسم الرحمن دون سائر الأسماء الإلهية لأمر منها: أنه الاسم الذي كان المشركون ينكرونه، ومنها الرد على الزاعمين أن الرسول ﷺ يعلمه بشر فأخبر تعالى أن الرحمن هو الذي علم القرآن، ومنها: أن يكون في هذا الخبر براعة استهلال إذ السورة تعدد عشرات النعم، ومصدرها الرحمن عز وجل.

(٢) (علم القرآن) هذا الخبر عن الرحمن، و(خلق الإنسان) خبر ثان و(علمه البيان) خبر ثالث، و(الشمس والقمر بحسبان) خبر رابع، والرباط تقديره بحسبانه، فالضمير عائد على الرحمن سبحانه وتعالى.

(٣) الحسبان: مصدر حسب بمعنى: عد كالغفران: مصدر غفر والباء للملابسة.

(٤) أصل الميزان: اسم آلة الوزن، والوزن: تقدير تعادل الأشياء، وضبط مقادير ثقلها، و(وضع) بمعنى: جعل ومنه الحديث: (فضعها حيث أراك الله) أي: اجعلها.

(٥) سمي التبن عصفاً: لأن الريح تعصف به لخته.

(٦) الفاء للتفريع على ما تقدم من ضروب النعم العظيمة.

- ٢- ورد في الصحيح في فضل تعلم القرآن قوله ﷺ خيركم من تعلم القرآن وعلمه .
- ٣- وجوب إقامة العدل والتواصي به ، ومراقبة الموازين لدى التجار وإصلاح فاسدها .
- ٤- وجوب شكر الله على آلائه .
- ٥- استحباب قول لا شيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد عند سماع قراءة فبأي آلاء ربكما تكذبان .
- ٦- مشروعية تعلم علم الفلك لمعرفة القبلة ومواقيت الصلاة والصيام والحج .

خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
 مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾
 رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
 ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

خلق الإنسان من صلصال : أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة كال فخار وهو ما طبخ من الطين .

وخلق الجان من مارج من نار : أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط احمر وازرق واصفر .

رب المشرقين ورب المغربين : أي مشرق الشتاء، مشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما . وكذا المغربين في الصيف والشتاء

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان ، فمن قائل : اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره ، وقيل : المرجان : الخرز الأحمر ، وقيل : المرجان : عظام اللؤلؤ وكباره .

مرج البحرين يلتقيان : أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين .

بينهما برزخ لا يبغيان : أي بينهما حاجز لا يبغي أحدهما على الآخر فيختلط به .
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أي يخرج من مجموعها الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ.

وله الجوار المنشآت في : أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال البحر كالأعلام عظماً وارتفاعاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر ما أفاض الرحمن جل جلاله من رحمته التي وسعت كل شيء من آلاء ونعم لا تحصى ولا تعد ولا تحصر فقال تعالى ﴿خلق الإنسان﴾ أي الرحمن الذي تجاهله المبطلون وقالوا: وما الرحمن؟ الرحمن الذي خلق الإنسان آدم أول إنسان خلقه ومن أي شيء خلقه ﴿في صلصال﴾ أي من طين ذي صلصلة وصوت ﴿كالفخار﴾ خلق الإنسان، وخلق الجن وهو عالم كعالم الإنسان خلق أصله من مارج وهو ما مرج واختلط من لهب النار. فبأي يا معشر الجن والإنس ﴿آلاء ربكما تكذبان﴾ إنها نعم تفوق عد الإنسان من رب المشرقين ورب المغربين من خلقهما من ملكهما من سخرهما لفائدة الإنسان؟ إنه الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. الرحمن مرج البحرين الملح والعذب أرسلهما على بعضهما فمرجا. كأنهما اختلطا إذ جعل بينهما برزخاً حاجزاً فهما لا يبغيان فلا يختلط أحدهما بالثاني، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من خلق في مجموع البحرين اللؤلؤ والمرجان وهما خرز أبيض وأحمر وأخضر وفائدة من خلقهما الرحمن؟ انها لفائدة الإنسان إذا هما نعمة ورحمة من رحمت الرحمن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ﴿وله الجوار﴾ أي للرحمن الجوار المنشآت المصنوعات في البحر في أحواض السفن كالأعلام علواً وارتفاعاً تظهر في البحر كما تظهر الجبال في البر لمصلحة من خلقها الرحمن لمصلحة الإنسان فهي إذا رحمة

(١) الصلصال: الطين اليابس، والفخار: الطين المطبوخ، ويسمى الخزف وجائز أن يكون كالفخار في محل نصب حال من الإنسان أي: خلقه من صلصال فصار الإنسان كالفخار في لونه وصلابته.

(٢) الاستفهام هنا: للتوبيخ على ترك الشكر.

(٣) المرج: الإرسال كقولهم: مرج الدابة: أرسلها ترعى في المرج. والمعنى: أرسل البحرين بحيث لا يحبس ماؤهما عن الجري ولا عن الالتقاء ببعضهما البعض، ومع هذا فقد جعل بينهما برزخاً، وهو الفاصل الذي يفصل الماء الملح الأجاج عن العذب الفرات. هذه مظاهر القدرة والعلم الموجبة للتوحيد والشكر بالطاعة.

(٤) جائز أن تكون من في منهما: للسببية نحو: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وجائز أن تكون للابتداء وهو الأظهر.

(٥) الجوار: صفة لموصوف محذوف وهو السفن أي: وله السفن الجوار في البحر، وجمع الجوار جارية.

الرحمن ونعمته على الإنسان فبأي آلاء ربكما يا معشر الإنس والجن تكذبان؟ اقروا واعترفوا واشكروا الرحمن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق الإنسان والجان فالأول من طين لازب ذي صلصال كالفخار والثاني من مارج من نار وأخبر الرسول ﷺ أن خلق الملائكة كان من نور^(١).
- ٢- معرفة مطالع الشمس ومغاريها في الشتاء والصيف وهما مطلعان ومغربان.
- ٣- معرفة صناعة اللؤلؤ والمرجان، والسفن التي هي في البحر كالجبال علواً وظهوراً.
- ٤- وجوب شكر الرحمن على إنعامه على الإنس والجان.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٣٦) وَيَبْقَى

وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(٣٨) يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٩) فَبِأَيِّ

آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ (٤١) فَبِأَيِّ

آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ

أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ

إِلَّا بِإِذْنِ (٤٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا

شَوَاطِئٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ (٤٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ (٤٦)

شرح الكلمات :

كل من عليها فان : أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فان أي هالك.

(١) الحديث في صحيح مسلم.

ويبقى وجه ربك : أي ذاته ووجه سبحانه وتعالى .
 ذو الجلال والإكرام : أي العظمة والإنعام على عباده عامة والمؤمنين بخاصة .
 يسأله من في السموات : أي يسألونه حاجاتهم التي تتوقف عليها حياتهم من الرزق والأرض
 والقوة على العبادة . والمغفرة للذنوب ، والعزة من الرب .
 كل يوم هو في شأن : أي كل وقت هو في شأن : شؤون يديرها وفق تقديره لها
 يرفع أقواماً ويضع آخرين
 سنفرغ لكم أيها الثقلان^(١) : أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا
 ونجزي كلاً بما عمل .
 إن استطعتم أن تنفذوا : أي إن قدرتم على أن تخرجوا .
 من أقطار السموات والأرض : أي من نواحي السموات والأرض .
 فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان : أي فاخرجوا . لا تنفذون إلا بقوة ولا قوة لكم وهذا تعجيز
 لهم .
 يرسل عليكم شواظ من نار : أي من لهب النار الخالص الذي لا دخان فيه .
 ونحاس : أي دخان لا لهب فيه ، ولا يبعد أن يكون نحاساً مذاباً .
 فلا تنتصرون : أي لا تمتنعان من السوق إلى المحشر .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أيادي الرحمن الرحيم قال عز من قائل ﴿كل من عليها فان﴾^(١)
 كل من على الأرض من إنسان وحيوان فان : هالك ، لا تبقى له روح ولا ذات ،
 ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(٢) حتى لا يموت والإنس والجن يموتون فبأي آلاء ربكما
 تكذبان أنعمة إيجادكما وإمدادكما بالأرزاق والخيرات طوال الحياة أم بنعمة إنهاء أتعابكما
 وتكاليفكما أم بإهلاك أعدائكما ، وإدنائكما من النعيم المقيم في جنات النعيم ، قولوا خيراً لكم
 لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . وقوله الرحمن ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾^(٣)

(١) قيل في الإنس والجن : الثقلان لأنهما أثقلا وأثعبا بالتكاليف .

(٢) الضمير عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر نحو (توارت بالحجاب) . لأن المقام دال عليها .

(٣) أطلق لفظ الوجه وأريد به ذات الرب تعالى جرياً على عرف العرب في كلامهم إذ يطلقون الوجه على الذات والوجه معاً ، ومعنى (فان) أي : صائر إلى الفناء .

(٤) جائز أن يكون في الفناء نعمة لا تدرك فلذا صح إيراد جملة : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وأي نعمة أعظم من انتهاء هذه الحياة بكل ما فيها للانتقال إلى الحياة الدائمة حيث الخلد والبقاء فهي لأهل السعادة نعمة توجب أعظم الشكر .

(٥) السؤال : الدعاء فالملائكة يسألونه تعالى أن يغفر للذين آمنوا وهو قولهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وفرياتهم) .

أي يطلبونه بلسان القول أو الحال ما هم في حاجة إليه مما يحفظ وجودهم ويغفر ذنوبهم وقوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١) أي لا يفرغ الدهر كله يدبر أمر السماء والأرض يرفع أقواماً ويضع آخرين . وقول الرحمن ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ من الإنس والجن فنحاسبكما ونجزيكما محسنكما بالإحسان وسيثكما بالسوء والخسران ، وهذا يوم تقومون للرحمن ، حفاة عراة وتقفا بين يديه للحكم فيكما والقضاء بينكما فبأي آلاء ربكما تكذبان أبالعدل في الحكم بينكما أم بإسعاد صالحكما واشقاء مجرميكما .

وقول الرحمن ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا﴾ أي تخرجوا ﴿من أقطار السموات والأرض﴾ أي من جوانبهما وأطرافهما ﴿فانفذوا﴾ أي اخرجوا هاربين من قضائي وحكمي لكما وعليكما لا تنفذون إلا بقوة قاهرة غالبية ولا قوة لكم ولا سلطان هكذا يتحداهما الرحمن وهم يساقون الى ساحة فصل القضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أنعمة أحيائكما بعد موتكما أم بنعمة إكرام صلحائكما وإهانة فاسديكما وهي العدالة التي لا رحمة ولا نعمة في الحياة الدنيا تساويهما . وقوله تعالى ﴿يرسل عليكم شواظ﴾ أي لهب النار الخالص من الدخان ، ونحاس وهو دخان خالص فلا تنتصران هذا إن أردتما الفرار من عدالتي وعدم الإذعان لقضائي وحكمي فيكما . فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبعظمة ربكم وقوة سلطانه أم برحمة مولاكم ولطفه بكم اللهم لا شيء من آلائك نكذب ربنا ولك الحمد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- بيان جلال الله وعظمته وقوة سلطانه .
- ٣- بيان عجز الخلائق أمام خالقها عز وجل .
- ٤- وجوب حمد الله تعالى وشكره على السراء والضراء .

(١) التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره (والثقلان) ثنية ثقل ، وهل سمي الإنسان ثقلاً لأنه محمول على الأرض والصحيح أن الإنسان والجن سمي بالثقلين لإثقالهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائر لأنه يطير .

(٢) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يُعد عشرة عشرة دون آحاد .

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
 ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
 إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
 يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِي
 الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- فإذا انشقت السماء : أي انفتحت أبوابا لنزول الملائكة الى الأرض لتسوق الخلائق الى المحشر.
- فكانت وردة كالدهان : أي السماء محمرة احمرار الأديم أو الفرس الأحمر وذابت فكانت كالدهان في صفائها وذوبانها.
- فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس : أي يوم يخرجون من قبورهم لا يسألون عن ذنوبهم لما ولا جان لهم من علامات كاسوداد الوجوه وبياضها ، ويسألون عند الحساب.
- يعرف المجرمون بسيماهم : أي سواد الوجوه وزرقة العيون.
- فيؤخذ بالنواصي والأقدام : أي تضم ناصية المجرم الى قدميه ويؤخذ فيلقى في جهنم.
- هذه جهنم التي يكذب بها : أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا.
- المجرمون : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي.
- يطوفون بينها وبين حميم آن : أي يسعون مترددين بينها وبين ماء حار قد انتهت حرارته الى حد لا مزيد عليه وهو الحميم الآن يسقونه إذا عطشوا واستغاثوا يطلبون الماء لإرواء غلتهم العطشة.

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال القيامة وأحوال الموقف فقال جل جلاله وعظم سلطانه : ﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي تفتحت لنزول الملائكة فكانت أبواباً بعد أن احمرت وتغيرت زرقنتها لحمرة كحمرة الأديم الأحمر أو الفرس الأحمر أو الوردة الحمراء كل ذلك صالح لتشبيه لونها به وذابت فكانت كالدهان كما جاء وصفها في سورة المعارج يوم تكون السماء كالمهل . وهو دُرْدِيّ الزيت وعكره . فيومئذ أي يوم إذ يقع هذا يعظم الكرب ويشد البلاء ويخرج الناس من قبورهم لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي انسى ولا جنى فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أي باسوداد وجوههم وزرقة أعينهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي فيجمع الملك المكلف الإنس أو الجن المجرم بين ناصيته وقدميه ويأخذه فيرمي به في نار جهنم فبأي آلاء ربكما تكذبان أبنة العادلة أم بنعمة إكرام المتقين الصالحين . قولوا لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد .

وقوله تعالى ﴿هذه جهنم﴾ أي يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على أنفسهم بالشرك والمعاصي في الحياة الدنيا قال تعالى ﴿يطوفون﴾ أي يسعون متردين ﴿بينها وبين حميم آن﴾ أي ماء حار اشتدت حرارته فبلغت حداً لا مزيد عليه يسقونه إذا استغاثوا من العطش . فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ إن خزي المجرمين وتعذيبهم نعمة تُقربها الفطرة البشرية ولا يقدرها الا من ذاق طعم الخوف والعذاب الذي ينزله المجرمون بالمتقين فلذا كان تعذيبهم يوم القيامة نعمة ، كما أن هذا العرض لأحوال يوم القيامة وأحوالها نعمة إذ عليه آمن المؤمنون واتقى المتقون ، فلذا قال تعالى بعد وصف حال أهل النار فبأي آلاء ربكما تكذبان؟^(١)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان الانقلاب الكوني وخراب العالم للقيامة .
- ٢- يبعث الناس من قبورهم ولهم علامات تميزهم فيعرف السعيد والشقي .
- ٣- التنديد بالإجرام وهو الشرك والظلم والمعاصي .

(١) جملة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) جواب الشرط (فإذا انشقت السماء . .) الخ وجملة : فبأي آلاء ربكما تكذبان) معترضة بين الشرط والجواب .

(٢) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئة عن قوله : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) والسيما : العلامة .

(٣) المعنى : أنهم ينتقلون بين مكان النار وبين الماء الحار فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبريد فلاح لهم الماء فأتوه فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار وهكذا حالهم تطواف بين النار والحميم .

(٤) (أن) اسم فاعل من أتى يأتي فهو أن : إذا اشتدت حرارته وبلغت منتهاها في الحر .

(٥) وجائز أن يكون تكريراً للتقرير والتوبيخ كنظائره .

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عِشَانِ
 تَجْرِيانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زَوَاجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

ولمن خاف مقام ربه جنتان : أي ولمن خاف الوقوف بين يدي الله في عرصات القيامة
 فأمن واتقى جنتان

ذواتا أفنان : أي أغصان من شأنها أن تُورق وتثمر وتمد الظل .

فيهما من كل فاكهة زوجان : أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان .

بطائنهما من استبرق : أي بطائن الفرش من استبرق وهو ما غلظ من الديباج

والظواهر من السندس وهو مرقق من الديباج الذي هو
 الحرير

وجنى الجنتين دان : أي وما يُجنى من ثمار الجنة دان قريب التناول يناله القائم

والقاعد .

فيهن قاصرات الطرف : أي قاصرات النظر بأعينهن على أزواجهن فقط .

لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان .

كأنهن الياقوت والمرجان : أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفائه والمرجان اللؤلؤ الأبيض .

هل جزاء الإحسان إلا : أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم .
الإحسان

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تعداد النعم وذكر أنواعها فقال تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ أي الوقوف بين يديه في ساحة فصل القضاء يوم القيامة فأطاعه بأداء الفرائض واجتناب المحرمات ﴿جنتان﴾ أي بستانان فبأي آلاء ربكما تكذبان أبتابة أحدكم الذي إذا هم بالمعصية ذكر قيامه بين يدي ربه فتركها فأتابه الله بجنتين . وقوله ذواتا أفنان هذا وصف للجنتين وصفهما بأنهما ذواتا أفنان جمع فتن لون أفنان ألوان ولأشجارها أغصان من شأنها تورق وتثمر وتمد الظلال فبأي آلاء ربكما تكذبان أبهذا النعيم والإبتابة للمتقين تكذبان .

وقوله ﴿فيهما عينان تجريان﴾ أي في الجنتين ذواتي الأفنان عينان تجريان بالماء العذب الزلال الصافي خلال تلك القصور والأشجار فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنسان أمثل هذا العطاء والإفضال تكذبان؟ وقول الرحمن فيهما من كل فاكهة زوجان أي في تينك الجنتين من كل فاكهة من الفواكه صنفان فلا يكتفى بصنف واحد إتماماً للنعيم والتنعم فبأي آلاء ربكما تكذبان أمثل هذا الإنعام والإكرام لأهل التقوى تكذبان؟ وقوله ما أوسع رحمته وهو الرحمن ﴿متكئين﴾ أي حال تنعمهم على فرش على الأرائك بطائن تلك الفرش من استبرق وهو الغليظ من الديباج أما الظواهر فهي السندس وهو مارق من الديباج . وقوله ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أي وثمارها التي تجنى من أشجارها دانية أي قريبة التناول يتناولها المتقى وهو مضطجع أو قاعد أو قائم ، لا شوك فيها ولا بعد لها فبأي آلاء ربكما تكذبان أمثل هذا الإنعام والإكرام

(١) (مَنْ) مِنْ أَلْفَاظِ الْعُموم كَالْجَنس .

(٢) جنتان تحفان بقصره أو واحدة عن يمين القصر وأخرى عن شماله ولا يعرف مدى سعتهما إلا الله تعالى ، وذلك لما ثبت أن أحدهم يعطى مثل الدنيا عشر مرات واللام في (لمن خاف) لام الملك .

(٣) يطلق الفنن على اللون وعلى الفصن فأفنان الفاكهة : ألوانها المختلفة ، وأفنان الشجر أغصانه ، قال النابغة :

بُكَاءَ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مَفْجَعَةً عَلَى فَنَنِ تَغْنِي

(٤) الاستفهام في قوله : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) تكرر بتكرار النعم ، وهو للتقرير والتوبيخ والحث على الشكر بالعبادة والتوحيد فيها .

(٥) (متكئين) حال من (ولمن خاف مقام ربه) .

(٦) البطائن : جمع بطانة بكسر الباء مشقة من البطن خلاف الظهر وضد البطانة الظهارة ، فالبطانة : أسفل الثوب والظهارة : ظهره .

(١) تكذبان . قول الرحمن : ﴿فيه قاصرات الطرف﴾ أي وفي تينك الجنتين نساء من الحور العين ﴿قاصرات الطرف﴾ أي العين على أزواجهن فلا ترى إلا زوجها أي فلا تنظر إلا إلى زوجها وتقول له وعزة ربي وجلاله وجماله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك .

وقوله ﴿لم يطمئن﴾ أي لم يجامعن فيفتضهن قبل أزواجهن ﴿إنس ولا جان﴾ أي لم يجامع الإنسية قبل زوجها الإنسي وإنسي ولم يجامع الجنية قبل زوجها الجنى جان فبأي آلاء ربكما تكذبان أمثل هذا الإنعام تكذبان؟

وقوله ﴿كانهن الياقوت﴾ أي في صفائهن ﴿والمرجان﴾ في بياضهن إذ الحوراء منهن يرى مخٌ ساقها تحت ثيابها كما يرى الخيط أو السلك في داخل الياقوته لصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان أمثل هذا العطاء والإنعام تكذبان .

وقوله عظم فضله وجل عطاؤه وهو الرحمن ﴿هل جزاء الإحسان﴾ أي في الإيمان والطاعات من العبادات ﴿إلا الإحسان﴾^(٢) إليه بمثل هذا النعيم العظيم الذي ذكر في هذه الآيات . فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الإنس والجان فقولوا : لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الخوف من الله تعالى وذلك كأن تعرض للعبد المعصية فيتركها خوفاً من الله تعالى .
- ٢- فضل نساء أهل الجنة في جبهن لأزواجهن بحيث لا ينظرون إلا إليهم .
- ٣- بيان أن أفضل النساء في الدين تلك التي تقصر نظرها على زوجها فتحبه ولا تحب غيره من الرجال .
- ٤- بيان أن الجن المتقين يدخلون الجنة ولهم أزواج كما للإنس سواء بسواء .
- ٥- الإشادة بالإحسان وبيان جزائه والإحسان هو إخلاص العبادة لله والإتيان بها على الوجه الذي شرع أداؤها عليه ، مع الإحسان إلى الخلق بكف الأذى عنهم وبذل الفضل لمن احتاجه منهم .

(١) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللائي كن لهم في الدنيا إذ مَنَّهن أزواجهن والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا .

(٢) جملة : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) تذييل لما قبلها من الجمل المتضمنة إيمان المؤمنين وعملهم الصالح وإحسانهم فيه ، والاستفهام للنفي .

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٣﴾ مَذْهَبَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
 عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
 فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
 فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧٥﴾ مُتَكِينٌ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرُكٌ أَشْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ	: أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه .
مَذْهَبَانِ	: أي مسودتان من شدة خصرتهما .
فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ	: أي فوارتان دائماً وأبداً تفوران بالماء العذب الزلال .
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ	: أي في الجنات الأربع نساءٌ خيرات الأخلاق حسان الوجه
حُورٌ	: أي أولئك الخيرات حور أى بيض والواحدة حوراء أي بيضاء .
مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ	: أي مستورات محبوسات على أزواجهن في الخيام والخيمة من در مجوف مضافة الى القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلاً .
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ	: أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة أحد .

على رفرف خضر

: أي على وسائد أو بسط الواحدة رفرفة خضر جمع أخضر.

وعبقري حسان

: أي طنافس جمع طنفسة بساط له خمل رقيق أي بسط حسان.

تبارك اسم ربك

: أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.

ذي الجلال والإكرام

: أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلى عباده.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى وإفضاله على عباده فقال ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه من السابقين وهاتان لمن خاف مقام ربه من أصحاب اليمين وقد يكون العكس كذلك والله أعلم بأي الجنتين أفضل، اللهم ارزقنا ما شئت منهما فإننا بعبثك راضون ولك حامدون شاكرون فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام وإفضال تكذبان؟ وقوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾^(١) مخضرتان إلى حد الاسوداد فإن الأخضر من الأشياء إذا اشتدت خضرته ضربت إلى السواد ويقال فيها مدهامة فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي إنعام تكذبان يا معشر الجن والإنس ﴿فيهما﴾ في الجنتين ﴿عينان نضاختان﴾ أي فوارتان بالماء دائماً وأبداً، فبأي آلاء ربكما تكذبان بأي إفضال وإحسان تكذبان وقول الرحمن فيهما أي في الجنتين فاكهة ونخل ورومان لفظ الفاكهة قد يعم النخل والرومان ويصبح ذكر النخل والرومان لمزيد فضيلة كذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات الخمس في قوله حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى فبأي آلاء ربكما تكذبان. لا بشيء بآلاء ربنا نكذب ربنا فللك الحمد. وقوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ أي في الجنتين نساء من خيرات جمع خيرة خيرات الأخلاق حسان الوجوه. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أمثل هذا الإنعام والإكرام على أولياء الرحمن تكذبان؟ ﴿حور مقصورات في الخيام﴾^(٢) إن أولئك الخيرات حور جمع حوراء وهي البيضاء، والحوراء كذلك من يغلب بياض عينيها سوادهما وهو من جمال النساء محبوسات في الخيام لا ينظرن إلى غير أزواجهن، والخيمة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً مضافة إلى قصورهم.

(١) مدهامتان) وصف مشتق من الدهمة، بضم الدال وهو لون السواد الناتج عن شدة الخضرة.

(٢) الاستفهام كسابقه للتقرير والتوبيخ.

(٣) عطف النخل والرومان على (فاكهة) من باب عطف الجزء على الكل أو الخاص على العام كقوله تعالى: (وملائكته ورسله وجبريل وميكال).

(٤) (خيرات) يسكون الباء جمع خيرة وهو وصف لموصوف محذوف أي: نساء خيرات، والأصل: خيرات بتشديد الباء المكسورة جمع خيرة مؤنث خير وهو المختص بوصف الخير ضد الشر وخفف في الآية طلباً للخلقة مع السلامة من اللبس.

(٥) المقصورات: صفة للمعروف أي: نساء مقصورات والقصور على الخيمة بعدم الخروج منها: وصف للترف والنعيم بحيث لا تخرج من الخيمة والقصر لغناها بخلاف من تخرج للعمل لحاجتها إلى العمل في البستان أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْنِ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ أي لم يجامعهم فيفتض بكارتهن أنس ولا جان من قبل أزواجهن في الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ والجواب: لا شيء من آلاء ربنا نكذب ربنا فلك الحمد.

وقوله تعالى: ﴿مُتَكِّثِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ﴾ أي متكئين على رفرف خضر والرفرف جمع رفرفة أي على وسائد أو بسط خضر، وعبقري حسان أي على طنافس ذات خمل دقيق. فبأي آلاء ربكما تكذبان بنعم الدنيا أم بنعم البرزخ أم بنعم الآخرة لا شيء من آلاء ربنا نكذب.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي تبارك اسم ربك أي تقدس وكثرت بركات اسم ربك الرحمن ذي الجلال أي العظمة والإكرام لأوليائه وصالحى عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن نعيم الآخرة أعظم وأجل من نعم الدنيا.
- ٢- فضيلة التمر والرمان فلنبحت منافعهما فإن الحقيقة بنت البحث.
- ٣- فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاة الخراة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما.
- ٤- بيان أن الجن يدخلون الجنة ويسعدون فيها.
- ٥- البركة تنال ببسم الله الرحمن الرحيم.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مكية

وآياتها ست وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْعِنِهَا كَاذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝

(١) الرفرف: اسم جمع رفرفة، وهي ما يسط على الفراش للنوم عليه، ويغلب عليها اللون الأخضر، ولذلك شبه ذو الرمة الرياض بالبسط العبقري في قوله:

حتى كأن رياض القف ألسها من وشي غبقر تجليل وتنجيد

وكانت الثياب الخضر. عزيزة إذ هي لباس الملوك والكبراء. قال النابغة:

يصون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب

(٢) العبقري: وصف لكل ما كان فائقاً في صفته عزيز الوجود وهو نسبة إلى عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتيان والحسن، ومنه قول الرسول ﷺ في رؤياه لعمر: (فلم أر عبقرياً يفري فريه).

(٣) جمع طنفسة وهي البساط ذو الخمل، و(حسان) جمع حسناء، وهو وصف لعبقري لانه اسم جمع.

﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
 فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

إذا وقعت الواقعة : أي قامت القيامة وقيل فيها الواقعة لأنها واقعة لا محالة .
 ليس لوقعتها كاذبة : أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا .
 خافضة رافعة : أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة .

إذا رجت الأرض رجاً : أي حركت حركة شديدة .
 وبُست الجبال بساً : أي فتتت تفتتاً
 فكانت هباءً منبثاً : أي غباراً منتشرأ .
 وكنتم أزواجاً ثلاثة : أي في القيامة أصنافاً ثلاثة .
 فأصحاب الميمنة : أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم .
 ما أصحاب الميمنة : أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة .
 وأصحاب المشأمة : أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائهم .
 ما أصحاب المشأمة : أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار .
 والسابقون : أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة .

السابقون : تعظيم لشأنهم .
 أولئك المقربون : أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة .

في جنات النعيم : في بساتين النعيم الدائم .

معنى الآيات :

(١) قوله تعالى في تقرير البعث والجزاء الذي كذب به المشركون وأنكروه في إصرار وعناد ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ أي إذا قامت القيامة ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي نفس تكذب بها إذ يؤمن بها الجميع ، خافضة لأقوام أي مظهرة لحالهم بأنهم أهل النار ، رافعة لآخرين مظهرة لحالهم بأنهم من أهل الجنة . وقوله : ﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ أي حركت حركة شديدة ، ﴿وبست الجبال﴾ بساً أي إذا بست الجبال أي فتت تفتتاً ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ أي غباراً متشراً .

وقوله تعالى ﴿وكنتم﴾ أي أيها الناس ﴿أزواجاً﴾ أي أنواعاً ثلاثة : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمقربون فأصحاب الميمنة أو الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ما أصحاب الميمنة أي أن شأنهم عظيم وذلك بدخولهم الجنة دار النعيم . وأصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال أي اليساريون الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم أي بمياسرهم ما أصحاب المشأمة أي شأنهم حقير وذلك بدخولهم النار . والسابقون إلى الإيمان والطاعة في أول ظهور الدعوة السابقون هذا تعظيم لشأنهم وإعلان عن فوزهم وكرامتهم في جنات النعيم وهي بساتين ذات نعيم دائم جعلنا الله منهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث والجزاء في الآخرة .
- ٢- الإيمان والتقوى يرفعان والشرك والمعاصي يضعان ويخفضان .
- ٣- السابقون الى الطاعات لهم فضل الاسبقية في كل زمان ومكان .
- ٤- اليساريون هم اشقياء الدنيا والآخرة . لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامة أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق .

- (١) (الواقعة) علم بالغلبة على القيامة ، وأصل الواقعة : الحادثة ، ومن ذلك قولهم واقعة أحد أو بدر مثلاً ، وإذا ظرف ضمن معنى الشرط متعلق بالكون المقدر في قوله : (في جنات النعيم) وليس لوقعتها مستأنفة بيانية .
- (٢) (إذا رجت الأرض) بدل من (إذا) الأولى ، وجواب الشرط (إذا) الأولى والمبدلة منها هو قوله : (فأصحاب الميمنة) . الخ .
- (٣) البس : بمعنى التفتت للأجزاء المجموعة ، ومنه : البسيمة : للسويق ويطلق البس على السوق للماشية ، وفي الحديث : (فيأتي قوم فييسون بأموالهم وأهلهم - أي : يسوقونهم - والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) .
- (٤) الهباء : ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار .
- (٥) (أصحاب الميمنة) : (ما) مبتدأ والخبر : أصحاب الميمنة ، والجملة خبر فأصحاب الميمنة وكذا (ما أصحاب المشأمة) .
- (٦) (يجوز أن يكون (السابقون) : خير عن الأول ، وجملة : (أولئك المقربون) مستأنفة ، ويجوز أن يكون (السابقون) الثاني : ويجوز أن تكون تأكيداً للأول ، والخبر : جملة (أولئك) .

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ

﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ

﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ

﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ

الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا

تَأْتِيماً ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- ثلة من الأولين : أي جماعة من الأمم الماضية .
 وقليل من الآخرين : أي من أمة محمد ﷺ . هؤلاء هم السابقون
 على سرر موضونة : أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر .
 ولدان مخلدون : أي على شكل الأولاد لا يهرمون فيخدمونهم أبداً .
 بأكواب وأباريق : يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها ،
 وأباريق لها عرا وخراطيم .
 وكأس من معين : أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنى جارية من نهر لا ينقطع
 أبداً .
 لا يصدعون : أي لا يحصل لهم من شربها صداع .
 ولا ينزفون : أي ولا تذهب عقولهم يقال نزف الشارب وأنزف إذا ذهب عقله
 بالسكر .
 وفاكهه مما يتخيلون : أي يختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة .
 وهور عين : أي ولهم نساء بيض عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد
 العيون وبياضها .
 كأمثال اللؤلؤ المكنون : أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ
 المصون .

لغواً ولا تأنيماً : أي لا يسمعون في الجنة لغواً أي فاحش الكلام ومالاخير فيه ولا ما يوقع في الإثم .
إلا قبيلاً سلاماً سلاماً : إلا قولاً سلاماً سلاماً أي لا يسمعون إلا السلام من الملائكة ومن بعضهم بعضاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أحوال الناس إذا قامت القيامة فذكر أنهم يصيرون أصنافاً ثلاثة أصحاب يمين وأصحاب شمال وسابقين . وهنا يقول في السابقين إنهم ثلثة أي جماعة من الأولين أي من الأمم الماضية الذين أسلموا وسبقوا إلى الإسلام مع أنبيائهم ، وقليل من الآخرين^(١) أي من هذه الأمة أمة محمد ﷺ وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والهجرة والجهاد يذكر نعيمهم فيقول وقوله الحق : ﴿على سرر موضونة﴾ أي إنهم على سرر موضونة أي منسوجة ومشبكة بالذهب والجواهر ، حال كونهم متكئين عليها متقابلين لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه ، ﴿يطوف عليهم﴾ أي للخدمة ﴿ولدان﴾ غلمان ﴿مخلدون﴾ لا يكبرون فيهرمون ولا يتغيرون بل يبقون كذلك أبداً يطوفون عليهم بأكواب جمع كوب وهو قدح لا عروة له ، وأباريق جمع أبريق وهو إناء له عروة وخرطوم ، ﴿وكأس من معين﴾ والكأس هنا إناء شرب الخمر والمعين ما كان جارياً لا ينضب والمراد بكأس من نهر الخمر .

وقوله تعالى ﴿لا يصدعون عنها﴾ أي لا يصيبهم صدادع من شربها ، ولا يتزفون أي لا تذهب عقولهم بشربها بخلاف خمر الدنيا فإنها تصيب شاربها بالصداع وذهاب العقل غالباً وقوله تعالى ﴿وفاكهة﴾ ويطوف عليهم الغلمان بفاكهة وهو ما يتفكه به وليس بغذاء رئيسي ومن سائر الفواكه ، مما يتخيرون أي يختارون . ولحم طير مما يشتهون أي مما تشتهيه أنفسهم .

وقوله ﴿وحور عين﴾ أي ولهم في الجنة حور عين يستمتعون بهن ، واحدة الحور حوراء . وهي البيضاء وواحدة العين العيناء وهو واسعة العينين والحور في العين أن يكون بياضها أكثر من

(١) قوله : ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين) اعتراض بين جملة (في جنات النعيم) وجملة : (على سرر موضونة) وثلثة : خبر لمبتدأ محذوف أي هم : ثلثة الخ .

(٢) من الأولى والثانية تبعضية .

(٣) قيل : إنهم على سن واحدة ، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : الولدان هم أولاد المسلمين الذين يموتون صغاراً . وقال سلمان : هم أولاد المشركين الذين يموتون صغاراً . والله أعلم .

(٤) التصديق : الإصابة بالصداع ، وهو وجع الرأس من الخمار الناشيء عن السكر أي لا تصيبهم الخمر بصداع ، وعنها بمعنى : لا يصيبهم صدادع ناشيء عنها .

(٥) قرأ نافع (يُزفون) بفتح الزاي من : أنزفه وقرأها حفص (يُزفون) بكسر الزاي من أنزف القاصر ، إذا سكر وذهل عقله .

سوادها وهو ضرب من الجمال ، وقوله ﴿كأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي المصون في كِنِّه أو صدفه .
يريد أنهم جميلات مصونات غير مبتذلات وقد تقدم في الرحمن أنهم مقصورات في الخيام .
وقوله تعالى ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزاءهم ربهم جزاء بما كانوا يعملونه من الصالحات
بعد الإيمان والتوحيد وترك المعاصي .

وقوله تعالى وهو من إتمام النعيم أنهم لا يسمعون في جنات النعيم ما يكدر صفو نعيمهم أو
ينقص لذة حياتهم من قول بلدي سَيِّء فلا يسمعون فيها أي في الجنة لغوا أي كلاماً فاحشاً ولا
تأثيماً وهو ما يؤثم قائله وسامعه . إلا قليلا أي قولاً سلاماً سلاماً أي إلا ما كان من سلام الرب تعالى
عليهم وهو أكبر نعيمهم وسلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض اللهم اجعلنا منهم
قل آمين أيها القاريء واطمع فإن ربنا غفور رحيم سميع الدعاء قريب مجيب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير البعث والجزاء بذكر أحوال الدار الآخرة .

٢- بيان شيء من نعيم أهل الجنة وخاصة السابقين منهم .

٣- بيان أن السابقين يكونون من سائر الأمم المسلمة .

٤- بيان فضل خمر الجنة على خمر الدنيا المحرمة .

٥- تقرير قاعدة أن الجزاء من جنس العمل .

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ

الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ

﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا

مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ

أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنْ

الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: مالا يحصل حسنة للمعاد ولا درهما للمعاش وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل قول إذ
الحياة: حياة سعادة وسرور وجبور.

شرح الكلمات :

وأصحاب اليمين ما أصحاب : هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة فذكر السابقين وما أعد لهم وهذا ذكر لأصحاب اليمين وما أعد

اليمين

لهم من نعيم مقيم .

: في شجر السدر وثمره النبق ومخضود لا شوك فيه .

في سدر مخضود

: أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلى أسفله فليس

وطلع منضود

له ساق بارزة .

: أي دائم إذ لا شمس تنسخه وإن ظل شجرة في الجنة

وظل ممدود

يسير الراكب فيه مائة سنة لا يقطعه .

: أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل

وماء مسكوب

في غير أخدود أو أنبوب .

: أي غير مقطوعة في زمن ، ولا ممنوعة بثمر .

لا مقطوعة ولا ممنوعة

: أي على السرر العالية الرفيعة .

وفرش مرفوعة

: أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله وحور عين .

إنا أنشأناهن إنشاء

إذ كانت الواحدة منهن في الدنيا عجوزاً شمطاء عمشاء

رمضاء فأنشأها ربها إنشاءً جديداً بكرةً تتغنج وتتعشق عرباء

تتودد لزوجها وتتحبب .

: الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمى

فجعلناهن أبكاراً

العدراء .

: الواحدة عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة

عرباً

التبعل .

: أي مستويات في السن الواحدة يقال لها تَرَبُّ والجمع

أتراباً

أتراب .

: وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين

لأصحاب اليمين

وهم أهل الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها .

ثلة من الأولين

: أي من الأمم السابقة .

: أي من أمة محمد ﷺ .

وثلة من الآخرين

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال الآخرة وذكر ما لكل صنف من أصناف الناس الثلاثة من سابقين وأصحاب يمين وأصحاب شمال فقال تعالى ﴿وأصحاب اليمين﴾^(١) وهم الذين إذا وقفوا في عرصات القيامة أخذ بهم ذات اليمين وهم أهل الإيمان والتقوى في الدنيا وقوله تعالى : ﴿ما أصحاب اليمين﴾^(٢) تفخيم لشأنهم وإعلان عن كرامتهم ثم بين ذلك بقوله : ﴿في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة﴾^(٣) إنهم في هذا النعيم الدائم المقيم إنهم يتفكهون بالنبق الذي هو أحلى من العسل وأنعم من الزبد شجرة مخضود الشوك لا شوك به ، ويتفكهون بالطلح أي ثمره وهو الموز، والماء المصبوب الجارى ، والفاكهة الكثيرة التي لا تقطع بالفصول الزمانية كما هي الحال في فاكهة الدنيا يوجد منها في الصيف مالا يوجد في الشتاء مثلاً ولا ممنوعة بثمر غال ولا رخيص وفي فرش مرفوعة عالية علو الدرجات التي هي فيها وقوله : ﴿إنا أنشأناهم إنشاء﴾^(٤) يعني الحور العين اللاتي سبق في الآيات ذكرهن منهن من أنشأهن الله إنشاء لم يسبق لهن خلق ووجود، ومنهن نساء الدنيا فقد كانت فيهن السوداء والعمشاء والرمضاء والعجوز فيعيد تعالى إنشاءهن فيجعلهن من بين الحور العين كأنهن اللؤلؤ المكنون، وقوله ﴿فجعلناهم أبقاراً﴾ عذارى لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان غرباً أتراباً العروب هي المتحبة الى زوجها العاشقة له المتغنجة والأتراب المتساويات في السن، وترب الإنسان من ولد معه في وقت واحد فمس جلده التراب مع مس التراب جلدك وقوله لأصحاب اليمين أي أنشأ هؤلاء الحور العين لأجل أصحاب اليمين ليستمتعوا بهن . وقوله ﴿ثلة من الأولين﴾ أي من الأمم الماضية ﴿وثلة من الآخرين﴾ أي من هذه الأمة المسلمة اللهم اجعلنا منهم واحشرونا في زميرهم وادخلنا الجنة معهم .

(١) هذا شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة على إثر تفصيل شؤون السابقين .

(٢) الإخبار بـ (ما أصحاب اليمين) : فيه من التفخيم ما فيه !!

(٣) خبر محذوف المبتدأ تقديره : هم في سدر .

(٤) لا مقطوعة ولا ممنوعة : هذا وصف للفاكهة ، والنفي هنا أثبت من الإثبات لأنه بمنزلة وصف وتوكيد .

(٥) لما ذكر الفرش قد يخطر بالبال هل هناك نساء يكن بصحبة أهلها؟ فأجيب بقوله : ﴿إنا أنشأناهم﴾ أي : الحور العين (إنشاء) فكانت الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ، وضمير المؤنث (أنشأناهم) عائد إلى غير مذكور في الكلام لكنه ملحوظ في الأفهام .

(٦) العرب : جمع عروب ، ويقال : عربة ويجمع على عربات ، وهذا اسم خاص بالمرأة المتحبة إلى زوجها كما في التفسير .

(٧) الأتراب : جمع ترب وهي المرأة التي تساوى سنها سن من تضاف إليه من النساء ، وقيل : إن الترب خاص بالمرأة ، وأما المساواة في السن من الرجال فيقال له قرن ، ولذة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله وإنعامه على المؤمنين المتقين .
- ٢- بيان أن المعجوز في الدنيا إذا دخلت الجنة تصير شابة حسناء حوراء عروباً .
- ٣- تقرير أن ثمن الجنة الإيمان والتقوى فلا دخل للحسب ولا للنسب والأول كالأخر على حد سواء فيها .

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ

الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمَاءً نَّالَمُبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلِ اتَّ
أَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ
شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------|--|
| وأصحاب الشمال | : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا . |
| في سموم | : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد . |
| وحميم | : أي ماء حار شديد الحرارة . |
| وظل من يحموم | : أي دخان شديد السواد . |

لا بارد ولا كريم : أي لا بارد كغيره من الظلال ولا كريم حسن المنظر.
كانوا قبل ذلك : أي في الدنيا.
مترفين : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.
يصرون على الحنث العظيم : أي الذنب العظيم وهو الشرك.
وكانوا يقولون أئذا متنا الآن : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر.
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.
أيها الضالون المكذبون : أي الضالون عن طريق الهدى المكذبون بالبعث والجزاء.
من شجر من رقوم : أي من أخصب الشجر المرّ في غاية الكراهة والبشاعة طعماً ولوناً.
فشاربون شرب الهيم : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان والهيمى العطشى.
هذا نزلهم يوم الدين : أي هذا ما أعد لهم من قرى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان أحوال الأصناف الثلاثة التي انقسمت البشرية إليها عند خروجها من قبورها فذكر حال السابقين وحال أصحاب اليمين وذكر هنا حال أصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال فقال تعالى : ﴿وأصحاب الشمال^(١) ما أصحاب الشمال﴾ تنديد بحالهم وإعلان عن سوء عاقبتهم وما هم فيه من عذاب إنهم ﴿في سموم^(٢)﴾ أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسم ﴿وحميم﴾ وهو ماء حار شديد الحرارة هذا شرابهم، ﴿وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾ إنه دخان أسود شديد السواد ﴿لا بارد﴾ كغيره من الظلال ﴿ولا كريم﴾ أي وليس بذى حسن في منظره. وقوله تعالى ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ هذه علة جزائهم بالعذاب الأليم

(١) هذا شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التوزيع إلى هولها وفضاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين.

(٢) (السموم) : الريح الشديدة الحرارة التي لا بلل معها كأنها مأخوذة من السم.

(٣) (الحموم) : الدخان الأسود مشتق من الحمم على وزن صُرد اسم للفحم والحممة : الفحمة. وفي قوله تعالى : (وظل من يحموم) تهكم ظاهر.

(٤) الجملة تعليلية إذ هي علة لما أصاب أصحاب الشمال من الهون والدون والعذاب الأليم.

(٥) ظاهر اللفظ أن الترف هو سبب كفرهم وإصرارهم على ذلك وجائز أن يكون الترف بعض السبب لا كله، والعبرة بالواقع والإشارة في قوله : (قبل ذلك) عائدة إلى السموم والحموم والظل من يحموم.

إنهم كانوا في الدنيا منعمين لا يصلون ولا يصومون ولا يجاهدون ولا يربطون، ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي على الإثم العظيم أي الشرك وكبائر الإثم والفواحش.

﴿وكانوا يقولون﴾ منكرين للبعث والجزاء جاحدين باليوم الآخر - ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أي أحياء كما كنا في الدنيا ﴿أو أبأئنا﴾ أيضا مبعوثون كذلك والاستفهام في الموضوعين للاستبعاد والإنكار. وهنا أمر تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بقوله ﴿قل﴾ أي قل لهم: ﴿إن الأولين والآخرين﴾ أي أنتم وآباؤكم من عهد آدم والآخرين منكم ومن ذريتكم إلى نهاية حياة الإنسان ﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ أي لوقت يوم معلوم عند الله محدد باليوم والساعة والدقيقة ﴿ثم إنكم أيها الضالون﴾ عن سبيل الهدى المعرضون عن الحق المكذبون بالبعث لدخلون جهنم ما كنون فيها أبداً ولا نكم ﴿لأكلون من شجر من زقوم﴾ وهو شجر ثمر وأخبط ما يؤكل مرارة ﴿فماثلون منه﴾ بطونكم لما يصيبكم من الجوع الشديد، ﴿فشاربون عليه من الحميم﴾ فشاربون شرب الهيم أي الماء الحار الشديد الحرارة مكثرين منه كما تكثر الإبل الهيم انتهى أصابها العطش واشتد بها داء الهيم الذي أصابها. قوله تعالى ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ أي هذا الذي ذكرنا من طعام الضالين المكذبين وشرابهم هو نزلهم الذي نزلهم يوم الدين وأصل النزول ما يعد للضيف النازل من قرى: طعام وشراب وفراش.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أصحاب الشمال يدخل فيهم كل كافر وجد على وجه الأرض فإنهم في التقسيم ثلث الناس وفي الواقع هم أضعاف أضعاف السابقين وأصحاب اليمين لأن أكثر الناس لا يؤمنون.
- ٢- التنديد بالتترف والتنعيم في هذه الحياة الدنيا فإنه يقود إلى ترك التكليف الشرعية فيهلك

(١) صيغة المضارع (يصرون) دالة على تجدد الإصرار منهم.

(٢) قرأ الجمهور ومنهم حفص بإثبات الاستفهام الأول والثاني، وقرأ نافع بالاستفهام في (أإذا متنا) والإخبار في (إننا لمبعوثون).

(٣) (مجموعون): أي: مبعوثون دفعة واحدة جميعاً دفعة لما قد يتوهم أنهم يبعثون على فترات كما كان وجودهم وموتهم في الدنيا على فترات مختلفة.

(٤) هذا من جملة أمر الرسول ﷺ أن يقول لهم.

(٥) الهيم: جمع أهيم وهو البعير الذي أصابه الهيم بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل يورثها حمى في الأمعاء فلا تزال تشرب ولا تروى والمؤث هيمي إذ المذكر أهيم.

(٦) قرأ نافع وحفص: (شرب) بضم الشين، وقرأ بعض شرب بفتح الشين مصدر شرب يشرب شرباً.

(٧) النزول: بضم النون والزاي: ما يعد للضيف ويقدم له من طعام وشراب وهو هنا تشبيه تهكمي كالاستعارة كما في قول الشاعر:

وكنّا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

صاحبه لذلك لا لكون طعامه وافراً وشرابه لذيذاً .
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما لا مزيد عليه من العرض والوصف لحال الناس .

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْتُ الْإِنشَاءَ الْأَوَّلَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفْكَهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا الْمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

نحن خلقناكم : أي أوجدناكم من العدم .
فلولا تصدقون : أي فهلا تصدقون بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على
الإعادة بعد الفناء والبلى .
أفرايتم ما تمنون : أي الذي تصبونه من المني بالجماع في أرحام نسائكم .

أنتم تخلقونه

نحن قدرنا بينكم الموت

وما نحن بمسبوقين

على أن نبدل أمثالكم

وننشئكم فيما لا تعلمون

ولقد علمتم النشأة الأولى

أفلا تذكرون

أفرايتم ما تحرثون

أنتم تزرعونوه

أم نحن الزارعون

لو نشاء لجعلناه حطاماً

فظلمتم تفكهون

إنا لمغرمون

بل نحن محرومون

أفرايتم الماء الذي تشربون

أنتم أنزلتموه من المزن

أم نحن المنزلون

لو نشاء لجعلناه أجاجاً

: أي بشراً أم نحن الخالقون له بشراً.

: أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلاً
معيناً لا يتعداه ولا يتأخر منه بحال من الأحوال.

: أي بعاجزين.

: أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.

: أي ونوجدكم في صور لا تعلمونها وهذا تهديد لهم
بمسخهم وتحويلهم إلى أبشع حيوان وأقبحه.

: أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.

: فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على إعادة
خلقكم مرة أخرى بعد موتكم وفنائكم.

: أي من إثارة الأرض بالمحراث والقاء البذر فيها.
: أي تبتونه.

: أي نحن المنبتون له يقال زَرَعَهُ الله أي أنبته.

: أي لو نشاء لجعلنا الزرع حطاماً يابساً بعد أن أصبح
سنبلاً وقارب أن يفرك فتحرمون منه.

: أي تتعجبون في مجالسكم من الجائحة التي أصابت
زرعكم.

: أي قائلين إنا لمغرمون أي ما أنفقناه على حرثه ورعايته
معذبون به.

: أي لسنا بمعذبين به وإنما نحن محرومون من زرعنا وما
بذلناه فيه ليس لنا من حظ ولا جد أي غير محظوظين ولا

مجدودين.

: أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة
عليه.

: أي من السحاب في السماء إلى الأرض.

: أي له إلى الأرض.

: أي ملحاً مراً لا يمكن شربه.

فلولا تشكرون : أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة .
 أفرأيتم النار التي تورون : أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر .
 أنتم أنشأتم شجرتها : أي خلقتم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ .
 أم نحن المنشئون : أي نحن المنشئون لتلك الأشجار .
 نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين^(١) : أي جعلنا تلك النار تذكرة أي تذكر بنار جهنم .
 فسبح باسم ربك العظيم : أي نزه اسم ربك عما لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم أو الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك سبحان ربي العظيم .

معنى الآيات :

السياق هنا في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون وذلك بذكر الأدلة العقلية الموجبة للعلم واليقين في المعلوم المطلوب تحصيله قال تعالى ﴿نحن خلقناكم﴾ وأنتم معترفون بذلك إذ لما نسألکم من خلقکم تقولون الله . إذا ﴿فلولا تصدقون﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث والحياة الثانية إذ القادر على الخلق الأول قادر على الإعادة . وهذه أدلة قدرتنا تأملوها أولاً ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أي أخبرونا عما تمنون أي تصبونه في أرحام نساءكم بالجماع ﴿أنتم تخلقونه﴾ ولذا ﴿أم نحن الخالقون﴾ والجواب نحن الخالقون إذ القادر على خلقكم بواسطة هذا الإماء والتكوين في الأرحام قادر على خلقكم بطريق آخر وثانياً ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ وقضينا به عليكم فلا يستطيع أحد منكم أن يمنعنا من إماتته وفي الوقت المحدد له . بحيث لو طلب التقديم أو التأخير لما قدر على ذلك أليس القادر على خلقكم وإماتتكم قادر على بعثكم

(١) المقوي : من نزل القوى والقواء والقي أيضاً : أي الأرض القفر التي لا شيء فيها ولا أنيس بها يقال : أقوت الدار وقويت أيضاً أي : خلت من سكانها ، قال النابغة :

يا دار مية بالعلاء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقال عنترة :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

(٢) موقع هذه الجملة : الاستدلال والتعليل لما تضمنته جملة (إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) من عقيدة البعث والجزاء وتقديرها .

(٣) الفاء للتفريع فالجملة متفرعة عن قوله تعالى (نحن خلقناكم) وهي متضمنة للتخصييض على التصديق بالبعث الآخر إذ لولا هنا للتخصييض على ذلك .

(٤) الاستفهام للتقرير بتعيين خالق الجنين من النطفة إذ لا يسعهم إلا الإقرار بأن خالق الجنين من النطفة هو الله .

بلى وثالثاً ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون﴾ بحسب نخلفكم في صور وأشكال غير ما أنتم عليه فنخلقكم خلقاً ذميماً وقبيحاً كالقردة والخنازير، وما نحن بعاجزين عن ذلك فهل نعجز إذا عن بعثكم بعد موتكم أحياء لنحاسبكم ونجزىكم ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ كيف تمت لكم بما لا تنكرونه .

إذا ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على خلقكم ثانية مع العلم أن الإعادة ليست بأصعب من الإنشاء من عدم لا من وجود. ورابعاً ﴿أفرأيت ما تحرثون﴾^(١) من إثارة الأرض واللقاء البذر فيها أخبرونا أنتم تنبتون الزرع ﴿أم نحن الزارعون﴾ له أي المنبتون والجواب معروف وهو أننا نحن الزارعون لا أنتم. إذا فالقادر على إنبات الزرع قادر على إنباتكم في قبوركم على نحو إنبات الزرع وعجب الذنب هو النواة التي تنبتون منها وخامساً هو أن ذلك الزرع الذي أنبتناه لو نشاء لجعلناه بعد نضرتة وقرب حصاده حطاماً يابساً لا تنتفعون منه بشيء فظلمت تفكهون متعجبين من حرمانكم من زرعكم تقولون ﴿إننا لمغرمون﴾ أي ما أنفقناه على حرثه و رعايته معذبون به ثم تضربون عن قولكم ذلك إلى قول آخر وهو قولكم ﴿بل نحن محرومون﴾ ما لنا من حظ ولا جد فيه أي لسنا محظوظين ولا مجدودين. إن إنبات الزرع ثم حرمانكم منه بعد طمعكم في الانتفاع به مظهر من مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وتدبيره وكلها دالة على قدرته على بعثكم لمحاسبتكم ومجازاتكم على عملكم في هذه الحياة الدنيا. وسادساً الماء الذي تشربون وحياتكم متوقفة عليه أخبروني ﴿أنتم أنزلتموه﴾ من السحاب ﴿أم نحن المنزلون﴾ والجواب نحن المنزلون لا أنتم هذا أولاً وثانياً لو نشاء لجعلنا الماء ملحاً مراً لا تنتفعون منه بشيء وإننا لقادرون فهلا تشكرون هذا الإحسان منا إليكم بالإيمان بنا والطاعة لنا. وسابعاً النار التي توروون وتشعلونها أخبروني ﴿أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ والجواب نحن لا أنتم فالذي يوجد النار في الشجر قادر على أن يبعثكم أحياء من قبوركم ليحاسبكم على

(١) السبق: كناية عن الغلبة والتعجيز، لأن السبق يستلزم أن السابق غالب للمسبوق فمعنى: وما نحن (بمسبوقين) أي . غير مغلوبين . قال الشاعر:

كأنك لم تسبق من الدهر مرة إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

(٢) الشبه قوي بين تحويل النطفة إلى جنين، والحبة إلى نبات فهي مناسبة عجيبة بين الدليلين .

(٣) أصل (فظلمت) فخذلت إحدى اللامين تخفيفاً كما حذفت إحدى التاءين من (تفكهون) إذ الأصل (تفكهون).

(٤) هذا بناء على أن الغرام: هو العذاب كقوله تعالى: (إن عذابها كان غراماً) أو هو من الغرامة التي هي ذهاب مال المرء وأخذه منه بغير عوض .

سلوككم ويجزيكم به . وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها﴾ أي النار ﴿تذكراً﴾ لكم تذكركم بنار الآخرة فالذي أوجد هذه النار قادر على إيجاد نار أخرى لو كنتم تذكرون وجعلناها أيضاً متاعاً أي بلغة للمقوين المسافرين يتبلغون بها في سفرهم حتى يعودوا إلى ديارهم . فالقادر على الخلق والإيجاد والتدبير لمصالح عباده قادر على إيجاد حياة أخرى يجزي فيها المحسنين اليوم والمسيئين إذ الحكمة تقتضي هذا وتأمّر به .

وقوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾^(١) بعد إقامة الحجة على منكرى البعث بالأدلة العقلية أمر تعالى رسوله أن يسبح ربه أي ينزهه عن اللعب والعبث اللازم لخلق الحياة الدنيا على هذا النظام الدقيق ثم إنفائها ولا شيء وراء ذلك . إذ البعث والحياة الآخرة هي الغاية من هذه الحياة الدنيا فالناس يعملون ليحاسبوا ويجزوا فلا بد من حياة أكمل وأتم من هذه الحياة يتم فيها الجزاء وقد بينها تعالى وفصلها في كتبه وعلى السنة رسله، وضرب لها الأمثال فلا ينكرها الا سفيه هالك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- إقامة الأدلة والبراهين العديدة على صحة البعث وإمكانه عقلاً .
- ٣- بيان من الله تعالى على عباده في طعامهم وشرابهم .
- ٤- وجوب شكر الله تعالى على إفضاله وإنعامه .
- ٥- في النار التي توقدها عبرة ، وعظة للمتقين .
- ٦- وجوب تسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله من العبث والشريك .

❖ فَلَا أُقْسِمُ



بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَّلَمُونَ عَظِيمٌ

- (١) المقوى : الداخل في القواء وهو القفر، فالمقوون، الداخلون في القواء الذي هو القفر والقفار وهذه حال المسافرين، والمقوى أيضاً : الجائع القفر البطن الخاوي من الطعام، فالنار يتمتع بها المسافرون للاستضاء والاستدفاء وطبخ الطعام .
- (٢) الباء في باسم : زائدة لتوكيد اللصوق أي : اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب والتعقيب، واسم الرب هو الله الدال على ذاته سبحانه وتعالى، والتسبيح . التنزيه عما لا يليق ولفظه سبحانه الله أي : نزهه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث .
- (٣) في الصحيح : (لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم) قال الرسول ﷺ : (اجعلوها في ركوعكم) فكان المصلي إذا ركع قال : سبحان ربي العظيم ثلاثاً أو أكثر امتثالاً لأمر الله ورسوله .

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- فلا أقسم : أي فاقسم ولا صلة لتقوية الكلام وتأکید القسم .
بمواقع النجوم : أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضا ومطالعها كذلك .
وإنه : أي القسم بها .
لو تعلمون عظيم : أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم .
إنه : أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به المشركون .
في كتاب مكنون : أي مصون وهو المصحف .
لا يسمه الا المطهرون : أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثا أكبر وأصغر
تنزيل من رب العالمين : أي منزل من رب العالمين وهو الله جل جلاله .
أفبهذا الحديث : أي القرآن .
أنتم مدهنون : أي تلينون القول للمكذبين به مما لآء منكم لهم على التكذيب
به والكفر .
وتجعلون رزقكم : أي شكر الله على رزقكم .
أنكم تكذبون : أي تكذبيكم بسقيا الله وتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾^(١) أي أقسم بمواقع النجوم وهي مطالعها ومغاربها وإنه
أي قسمي هذا لقسم لو تعلمون أي لو كنتم من أهل العلم عظيم . لأن النجوم ومنازلها ومطالعها
ومساقطها ومغاربها التي تغرب فيها أمور عظيمة في خلقها وتدبير الله فيها انه لقسم بشيء عظيم .

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي : فاقسم بمواقع النجوم وقيل : هي نفي أي ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف
فقال : فاقسم كقول الرجل : لا والله ما كان كذا وكذا ، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام سابق وقيل : لا بمعنى
ألا أداة تنبيه وشاهده قول الشاعر :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

والمقسم عليه هو قوله إنه أي المكذب به لقرآن كريم^(١)، لا كما قال المبطلون شعر وسحر وكذب واختلاق ﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ سواء ما كان في اللوح المحفوظ أو في مصاحفنا فلا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون من الأحداث الصغرى والكبرى ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ أي منزل منه سبحانه وتعالى ولذا وجب تقديسه وتعظيمه فلا يمسه إلا طاهر من الشرك والكفر وسائر الأحداث.

وقوله تعالى ﴿أفبهذا الحديث﴾ أي القرآن أنتم مدهنون تُلينون القول للمكذبين به مما لاة منكم لهم على التكذيب به والكفرو وتجعلون رزقكم أي^(٢) وتجعلون شكر الله تعالى على رزقه لكم أنكم تكذبون أي تكذبيكم بسقيا الله لكم بالأمطار وتقولون مطرنا ينوء كذا ونوء كذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، وإن العبد لا يقسم إلا بربه تعالى.
- ٢- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية، وأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى.
- ٣- وجوب صيانة القرآن الكريم، وحرمة مسه على غير طهارة.
- ٤- حرمة المداينة في دين الله تعالى وهي أن يتنازل عن شيء من الدين ليحفظ شيئاً من دنياه والمدارة جائزة وهي أن يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه

فَلَوْلَا

إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

(١) (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به.
(٢) قال القرطبي: اختلف في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع لحديث عمرو بن حزم، وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحمام وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي وأحمد.

(٣) (تنزيل) بمعنى: منزل من إطلاق المصدر وإرادة المفعول كالرد بمعنى المردود.

(٤) صلح وضع لفظ الرزق موضع الشكر لأن شكر الرزق يسبب الزيادة في الرزق فاطلق السبب وأريد المسبب.

الْيَمِينِ ۝ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَتَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ
۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

شرح الكلمات :

فلولا

: أي فهلاً وهي للحض على العمل والحث عليه .

إذا بلغت الحلقوم

: أي مجرى الطعام وذلك وقت النزح .

وأنتم تنظرون

: أي وأنتم أيها الممرضون والعواد تنظرون إليه .

ونحن أقرب إليه منكم

: أي ورسلنا ملك الموت وأعوانه أقرب إلى المحتضر منكم .

ولكن لا تبصرون

: أي الملائكة .

فلولا إن كنتم غير مدينين

: أي فهلاً إن كنتم غير مدينين أي محاسبين بعد الموت .

ترجعونها إن كنتم صادقين

: أي ترجعون الروح الى الجسم بعد وشوك مفارقتها له إن كنتم صادقين في انكم لا تبعثون ولا تحاسبون .

فأما إن كان

: أي الميت .

من المقربين

: أي من السابقين وهو الصنف الأول من الأصناف الثلاثة التي تقدمت في أول السورة .

فروح وريحان

: أي استراحة وريحان أي رزق حسن وجنة نعيم .

وأما إن كان من أصحاب: أي من الصنف الثاني فسلام لك يا صاحب اليمين من اليمين

أصحاب اليمين . أي من اخوانك يسلمون عليك فإنهم في جنات النعيم .

فتزل من حميم

: أي فله نزل من ماء حار شديد الحرارة .

وتصلية جحيم

: أي احتراق بها .

إن هذا لهو حق اليقين

: أي إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو حق اليقين .

فسبح باسم ربك العظيم : أي نزهه وقدس اسم ربك العظيم .
معنى الآيات :

بعد تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن كلام الله وتنزيله عاد السياق الكريم الى تقرير البعث والجزاء فقال تعالى ﴿فلولا إذا بلغت﴾ أي الروح ﴿الحلقوم﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وأنتم﴾ في ذلك الوقت ﴿تنتظرون﴾ مريضكم وهو يعانى من سكرات الموت ، ونحن أقرب إليه منكم أي رسلنا أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون إذ لا قدرة لكم على رؤية الملائكة ما لم يتشكلوا في صورة إنسان . وقوله ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ أي محاسبين بعد الموت ومجزيين بأعمالكم ترجعونها الروح بعد ما بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين في أنكم غير مدينين لله بأعمالكم ، أي فلا يحاسبكم عليها ولا يجزيكم بها .

وقوله تعالى ﴿فأما إن كان﴾ أي المحتضر من المقربين وهم السابقون ﴿فروح وريحان﴾ أي فإن له الاستراحة التامة من عناء تعب الدنيا وتكاليفها وريحان وهو الرزق الحسن وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين الذين سبقوك الى دار السلام .

وأما إن كان المحتضر من المكذبين لله ورسوله المنكرين للبعث الآخر الضالين عن الهدى ودين الحق ﴿فنزل من حميم﴾ أي ضيافة على الماء الحار هذه ضيافته وتصلية جحيم أي واحتراق بالجحيم .

وقوله تعالى ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أي هذا الذي حدثناك به عن المحتضرين الثلاثة وما لهم وما نالهم لحق اليقين . وقوله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يأمر تعالى رسوله بالتسبيح باسم

(١) لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها كما قال حاتم .

(٢) (لولا) حرف تحضيض مستعمل هنا في التعميز ، لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حُض عليه كان عاجزاً (وإذا بلغت) ظرف متعلق بـ (ترجعونها) مقدم عليه لتحويله والتشويق إلى الفعل المحضوض عليه .

(٣) (وأنتم) الجملة حالية وكذا جملة (ونحن أقرب إليه منكم) حالية أيضاً .

(٤) الفاء للتفريع إذ ما بعدها من بيان حال من مات من سعادة أو شقاء متفرع عن الموت وانتهاء الحياة .

(٥) الروح : الراحة أي : هو في راحة ونعيم ، وعلى قراءة رُوح بضم الراء فالمعنى : أن روح المؤمن معها الريحان وهو الطيب والريحان شجر لورقه وقضباناه رائحة ذكية طيبة .

(٦) التصلية : مصدر صلاة المشدد : إذا أحرقه وشواه يقال : صلى اللحم تصلية : إذا شواه والجحيم : النار المؤججة ، وهو علم على جهنم دار العذاب .

(٧) هذه الجملة تذييل لجميع ما تقدم في هذه السورة من وعد ووعيد واستدلال على تقرير النبوة والبعث والتوحيد ويدخل فيه دخولا أولياً الأقرب ذكراً وهو ما ذكر في التفسير .

(٨) اشتملت جملة : (إن هذا لهو حق اليقين) على أربع مؤكدات وهي : إن ، ولأم الابتداء ، وضمير الفصل ، وإضافة شبه المترادفين وهما : الحق واليقين ، وخامس وهو الجملة الاسمية لإفادتها الدوام والثبوت .

ربه العظيم صح أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم، والتسبيح
التقديس والتنزيه لله تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- بيان عجز كل الناس أمام قدرة الله تعالى .
- ٣- ان في عجز الإنسان على رد روح المحتضر ليعيش بعد ذلك ولو ساعة دليلا على أنه لا إله إلا الله
- ٤- بيان فضل السابقين عن أصحاب اليمين .
- ٥- القرآن الكريم أحكامه كلها عدل وأخباره كلها صدق .
- ٦- مشروعية قول العبد سبحانه الله ويحمده سبحانه الله العظيم وهما من الكلم الطيب وكذا
سبحان ربي العظيم حال الركوع .

سُورَةُ الْحَجَّارِ

مدنية

وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

سبح لله ما في السموات : ^(١) أي نزه الله تعالى جميع ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال ^(٢).

وهو العزيز الحكيم : أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.
 له ملك السموات والأرض : أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.

يحيى ويميت : يحيى بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.
 وهو على كل شيء قدير : وهو على فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء ^(٣).
 هو الأول والآخر : أي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ^(٣).
 والظاهر والباطن : أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء ^(٣).

وهو بكل شيء عليم : أي لا يغيب عن علمه شيء ولو كان مثقال ذرة في السموات والأرض.

في ستة أيام : أي من أيام الدنيا مقدرة بها أولها الأحد وآخرها الجمعة.
 ثم استوى على العرش ^(٤) : أي ارتفع عليه وعلا.

(١) (الله) الإله المنفرد بالإلهية ومعنى : سبح نزه وورد لفظ التسييح بالمصدر في (سبحان الذي أسرى بعبده) وبالماضي في الحشر والحديد والصف، والمضارع في الجمعة والتغابن، والأمر في الأعلى فسبح تعالى بكل ألفاظ التسييح.

(٢) رد أهل العلم القول بأن تسييح غير العالمين هو تسييح دلالة لا تسييح قالة، إذ لو كان تسييح دلالة وظهور لما قال: (ولكن لا تفقهون تسييحهم) إذ تسييح الدلالة مفهوم معلوم.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنا الدين وأغننا من الفقر).

(٤) قال القرطبي: قد جمع تعالى بين الاستواء على العرش وبين (وهو معكم) والأخذ بالظاهر تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض. وأقول: إن كان يعني بالتأويل قول السلف: معنا بعلمه وقدرته فهذا صحيح ومع هذا فإنه لا تناقض أبداً إذ هو تعالى على عرشه بائن من خلقه، والخلق كله بين يديه كحبة خردل يتصرف فيه كما يشاء لا يغيب عن علمه ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يعجزه شيء فيهما ولذا قال بعضهم: إن محمداً ﷺ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت.

يعلم ما يلج في الأرض	: أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات .
وما يخرج منها	: أي من نبات ومعادن .
وما ينزل من السماء	: أي من رحمة وعذاب .
وما يمرج فيها	: أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة .
وهو معكم أينما كنتم	: أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم .
والله بما تعملون بصير	: أي لا يخفي عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء .
والى الله ترجع الأمور ^(١)	: أي مرد كل شيء الى الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء .
يولج الليل في النهار	: أي يدخل جزءاً من الليل في النهار وذلك في الصيف .
ويولج النهار في الليل	: ويدخل جزءاً من النهار في الليل وذلك في الشتاء كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقى الا ليل أو نهار إذ أحدهما دخل في ثانيهما .
وهو علیم بذات الصدور	: أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات .

معنى الآيات :

يخبر تعالى في هذه الآيات الخمس عن وجوده وعظمته من قدرة وعلم وحكمة ورحمة وتدبيره وملكه ومرد الأمور إليه وكلها مظاهر الربوبية الموجبة للألوهية فأولا تسبيح كل شيء في السموات والأرض أي تنزيهه عن كل نقص كالزوجة والولد والشريك والوزير المعين والعجز والجهل ، ثانياً إنه تعالى العزيز ذو العزة التي لا ترام العظيم الانتقام الحكيم في تدبير ملكه فلا شيء في خلقه هو عبث أو لهو أو باطل . ثالثاً له ملك السموات والأرض ملكاً حقيقياً يتصرف كيف يشاء يهب من شاء ويمنع من شاء . رابعاً يحيى من العدم ويميت الحى الموجود ، خامساً هو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء ولا يعجز عن شيء متى أراد الشيء وقال له كن فهو يكون ولا يتخلف .

(١) قرأ الجمهور ونافع وحفص وغيرهما (ترجع) بالبناء للمفعول وقرأ بعض (ترجع) بالبناء للفاعل ، رجوع الأمر معناه : مرد كل شيء إلى الله تعالى إذ هو خالقه ومدبره والحاكم فيه إذ هو رب العالمين وإله الأولين والآخرين .

سادساً: هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء إذ له ميراث السموات والأرض. سابعاً: علمه محيط بكل شيء. ثامناً: خلقه السموات والأرض في ستة أيام الدنيا ابتداء من الأحد وانتهاء بالجمعة وما مسه من لغوب ولا تعب ولا نصب ثم استوى على العرش يدبر ملكوت خلقه بالحكمة ومظاهر العدل والرحمة. تاسعاً: مع علوه وبعده من خلقه فالخلق كله بين يديه يعلم ما يلج في الأرض أي يدخل فيها من أمطار وأموات وما ينزل من السماء من مطر ورحمة وعذاب وملك وغيره، وما يعرج أي يصعد فيها من ملك ومن عمل صالح ودعاء وخاصة دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن الله أبداً. وعاشراً: معية الله تعالى الخاصة والعامة فالخاصة مَعِيَّتُهُ بنصره لأوليائه، والعامة عِلْمُهُ بكل عباده وسائر خلقه، وقدرته عليهم وعلمه بهم. الحادي عشر: بصره تعالى بكل أعمال عباده فلا يخفى عليه شيء منها ليحاسبهم بها ويجزيهم عليها. الثاني عشر: له ملك السموات والأرض أي كل ما في السموات وما في الأرض من سائر الخلق هو ملك الله تعالى وحده لا شريك له فيه ولا في غيره. الثالث عشر: رد كل الأمور إليه فلا يقضى فيها غيره ولا يحكم فيها سواه والظاهر منها كالباطن. الرابع عشر: إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل لمصلحة عباده وفائدتهم إذ لولا هذا التدبير الحكيم لما صلح أمر الحياة ولا استقام هذا الوجود.

وأخيراً علمه^(١) الذي أحاط بكل شيء وتغلغل في كل خفي حتى ذات الصدور من خاطر ووسواس وهم وعزم ونية وإرادة فسبحانه من إله لا إله غيره ولا رب سواه، بهذه المظاهر من الكمالات استحق العبادات فلا تصح العبادة لغيره، ولا تنبغي الطاعة لسواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل التسبيح وأفضله سبحانه الله ويحمده سبحانه الله العظيم.^(٢)
- ٢- مظاهر القدرة والعلم والحكمة في هذه الآيات الخمس هي موجبات ربوبية الله تعالى وألوهيته وهي مقتضية للبعث الآخر والجزاء فيه.
- ٣- في خلقه تعالى السموات والأرض في ستة أيام وهو القادر على خلقهما بكلمة التكوين تعليم لعباده الثاني في الأمور وعدم العجلة فيها لتخرج متقنة صالحة نافعة.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات: من أول سورة الحديد كأنه يعني مجموع هذه الأسماء والصفات الخمسة عشر.

(٢) في الصحيح: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحانه الله ويحمده سبحانه الله العظيم).

٤- بطلان دعاء غير الله تعالى ورجاء غيره إذ له ملك السموات والأرض وليس لغيره شيء من ذلك.

٥- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه وتقواه وذلك لعلمه بظواهرنا وبواطننا وقدرته على مجازاتنا عاجلاً وأجلاً.

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَوَافِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
 مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
 وَمَالَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
 أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ
 لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَالَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ
 وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُوا
 وَكَلَّاءَ اللَّهِ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا
 الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

آمنوا بالله ورسوله : أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد واثبتوا على
 إيمانكم يا من آمنتُم قبل .
 وأنفقوا : أي وتصدقوا في سبيل الله .
 مما جعلكم مستخلفين فيه : أي من المال الذي استخلفكم الله فيه إذ هو مال من
 قبلكم وسيكون لمن بعدكم .

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا : أي صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها .
لهم أجر كبير : أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة .

ومالكم لا تؤمنون بالله؟ : أي أي شيء يمنعكم من الإيمان .
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم : أي والحال أن الرسول بنفسه يدعوكم لتؤمنوا بربكم .
وقد أخذ ميثاقكم : أي على الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم .

إن كنتم مؤمنين : أي مريدين الإيمان فلا تترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا .

هو الذي ينزل على عبده : أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسوله لتؤمنوا به ينزل على عبده محمد ﷺ .

آيات بينات : هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البينات الدلالة .

ليخرجكم من الظلمات إلى : أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والنور والعلم .

وإن الله بكم لرءوف رحيم : ويدلكم على ذلك إرسال رسوله إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم من الظلمات إلى النور .

ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله : أي أي شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله .
والله ميراث السموات والأرض : أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلى الله فأنفقوه في سبيله يؤجركم عليه . وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم .

من قبل الفتح وقاتل : أي لا يستوى مع من أنفق وقاتل بعد صلح الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين .

وكلأ وعد الله الحسنی : أي الجنة ، والجنة درجات .
من ذا الذي يقرض الله : أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد .

قرضا حسنا : أي قرضا لا يريد به غير وجه الله تعالى .
فيضاعفه له : أي الدرهم بسبعمائة درهم .

وله أجر كريم : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم .

معنى الآيات

بعد ذكر الأدلة والبراهين على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتبرحيده فيها وتقرير البعث والجزاء يوم لقائه رحمة منه ورافقة بعباده أمرهم جميعاً مؤمنينهم وكافريهم بالإيمان به وبرسوله محمد ﷺ فالمؤمنون مأمورون بزيادة الإيمان والثبات عليه والكافرون مأمورون بالإيمان والمبادرة إليه . وبما أن الآيات نزلت بالمدينة بعد الهجرة وبعد صلح الحديبية فإن هذه الأوامر والتوجيهات الإلهية تشمل المؤمنين الصادقين والمنافقين الكاذبين في إيمانهم تشمل الراغبين في الإيمان في مكة وغيرها وهم يترددون في ذلك فوجه الخطاب إلى الجميع لهدايتهم ودخولهم في رحمة الله الإسلام بسرعة ودون تباطؤ فقال تعالى ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي صدقوا بوحداية الله ورسالة رسول الله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الأموال، ووجه الاستخلاف أن العبد يرث المال عمن سبقه ويموت ويتركه لمن بعده فلا يدفن معه في قبره . وقوله تعالى ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة والرضوان فيها . وهذا الإخبار يفيد تشييط الهمم الفاترة والعزائم المترددة . وقوله : ﴿ وبالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ﴾ أي أي شيء يجعلكم لا تؤمنون وفرص الإيمان كلها متاحة لكم فإيمانكم الفطري صارخ في نفوسكم إذ كل من سألكم : من خلقكم؟ من خلق العالم حولكم؟ سماء وأرضا تقولون الله . وأنتم في حريمه وحمي بيته والرسول الكريم بين أيديكم يدعوكم صباح مساء إلى الإيمان بربكم وقد أخذ الله ميثاقكم عليكم بأن تؤمنوا به وذلك يوم أخرجكم في صورة الذر من صلب آدم أبيكم وأشهدكم على أنفسكم فشهدتم . إذاً ما هذا التردد إن كنتم تريدون الإيمان فآمنوا قبل فوات الأوان .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ﴾ أي إنكم تدعون إلى الإيمان بالله الذي ينزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات واضحة المعاني بينات الدلائل كل ذلك ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، فما لكم لا تؤمنون إذاً ما هذا التردد والتلكؤ يا عباد الله في الإيمان بالله وبرسول الله ، وإن الله بكم لرءوف رحيم فاعرفوا هذا وآمنوا به ويدلكم على ذلك إنزاله الكتاب وإرساله الرسول وتوضيح الأدلة

(١) قوله : (مستخلفين) دال على أن أصل الملك لله تعالى وما العبد إلا مستخلف فيه فتعين أن يتصرف فيه بإذن المالك الحق فلا يفتق إلا حيث يأذن ويرضى سبحانه وتعالى .

(٢) (وما لكم لا تؤمنون) الاستفهام للتوبيخ أي : أي عذر لكم في ألا تؤمنوا وكل دواعي الإيمان وأسبابه متوفرة لكم .

(٣) جملة : (والرسول) : حالية .

(٤) (إن كنتم مؤمنين) أي : إن كنتم مريدي الإيمان فهذه دواعيه قد كملت وأسبابه قد حضرت أخذ عليكم الميثاق فيه والرسول يدعوكم إليه . فبادروا ولا تباطأوا .

واقامة الحجج والبراهين ١

وقوله: ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ التي هي سبيل إسعادكم وإكمالكم بعد نجاتكم من العذاب في الحياتين مع العلم أن الله ميراث السموات والأرض إذا ما بأيديكم هو الله هو آهيه لكم ومسترده منكم فلم لا تنفقون منه.

وقوله تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أي صلح الحديدية لقول الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ والمراد به صلح الحديدية. أي لا يستوون في الأجر والمثوبة مع من قاتل وأنفق بعد الفتح. قال تعالى ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً﴾ من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أي الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى عليه إنفاقكم وقاتلكم وعدمهما كما لا يخفى عليه نياتكم وما تخفون في نفوسكم فاحذروه وراقبوه خيراً لكم.

وقوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ أي مخلصاً فيه لله طيبة به نفسه ﴿فيضاعفه له﴾ ربه في الدرهم سبعمائة درهم، ﴿وله أجر كريم﴾ ألا وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الإيمان بالله ورسوله وتقويته.
- ٢- وجوب الإنفاق في سبيل الله من زكاة ونفقة جهاد وصدقة على الفقراء والمساكين.
- ٣- بيان لطف الله ورأفته ورحمته بعباده مما يستلزم محبته وطاعته وشكره.
- ٤- الإنفاق في المجاعات والشدائد والحروب أفضل منه في اليسر والعافية.
- ٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله بمضاعفة الأجر حتى يكون الدينار بألف دينار عند الله تعالى وما عند الله خير وأبقى، وللآخرة خير من الأولى.

(١) الاستفهام للتوبيخ واللوم والعتاب وهذا مخاطب به المؤمنون.

(٢) جازئ أن يكون المراد بالفتح : فتح مكة، وكونه صلح الحديدية أولى وأرجح.

(٣) في الكلام حذف دل عليه المذكور وهو : (مَنْ أنفق بعد الفتح وقاتل) وقد ذكرته في التفسير بدون الإشارة إلى الحذف.

(٤) روى أشهب عن مالك أنه قال : ينبغي أن يقدم أهل الفضل والعزم وقد قال تعالى : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل). ولهذا قدم أبو بكر على سائر الصحابة لأنه أول من آمن وأول من أنفق وأول من قاتل قدمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وقدمه المؤمنون في الخلافة، وقال فيه علي رضي الله عنه : سبق النبي ﷺ وثنى أبو بكر وثالث عمر فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلده حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة) ومما يشهد لقول مالك قوله ﷺ (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) وفي بعض الروايات : (يعرف لعالمنا حقه).

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
بُشِّرَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفِقُونَ وَالْمُتَفَقِتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا انْظُرُوا نَفْسَ مَنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَلَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ



شرح الكلمات :

(١) يسعى نورهم بين أيديهم: أي يتقدمهم نورهم الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل
والصالح بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه
وبأيامانهم إلى الجنة.

بشراكم اليوم جنات تجري: أي تقول لهم الملائكة الذين أعدوا لاستقبالهم
من تحتها الأنهار بشراكم ..

ذلك هو الفوز العظيم : أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي
لا أعظم منه .

المنافقون والمنافقات : أي الذين كانوا يخفون الكفر في نفوسهم ويظهرون

(١) (يسعى نورهم) عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم بحيث إذا وقفوا وقف وإذا مشوا تقدمهم بين
أيديهم .

الإيمان والإسلام بألسنتهم .

نقتبس من نوركم : أي أنظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق .

قل ارجعوا وراءكم فالتمسوا: أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا وراءكم إلى الدنيا حيث يطلب النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن النور
الشرك والمعاصي فيرجعون وراءهم فلم يجدوا شيئاً .

فضرب بينهم بسور له باب : أي فضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال له باب باطنه الذي باطنه الرحمة هو من جهة المؤمنين الرحمة .

وظاهره من قبله العذاب : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب .
ينادونهم ألم نكن معكم : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم في الدنيا على الطاعات أي فنصلى كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون وننفق كما تنفقون .

قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وغرکم بالله الغرور : أي كتم معنا على الطاعات .
أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين .
أي الدوائر بالمسلمين أي كنتم تنتظرون متي يهزم المؤمنون فتعلنون عن كفركم وتعودون إلى شرككم .
أي وغرکم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفر وكره إليكم الإيمان الشيطان .

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا : أي مال تفدون به أنفسكم إذ لا مال يومئذ ينفع ولا ولد .
أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا .
أي مستقرکم ومكان إيوائکم النار وهي أولى بكم لخبت نفوسكم .

وبئس المصير : أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار .

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ هذا الظرف متعلق بقوله ﴿ولهم أجر كريم﴾ في آخر الآية السابقة

(١) الخطاب في قوله : ﴿ ترى ﴾ لغير معين إذ هو صالح لكل ذي أهلية للخطاب والرؤية .

(١) أي لهم أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات في عرصات القيامة نورهم الذي اكتسبوه بإيمانهم وصالح أعمالهم في دار الدنيا ذلك النور يمشى أمامهم يهديهم إلى طريق الجنة، وقد أعطوا كتبهم بإيمانهم. وتقول لهم الملائكة الذين أعدوا لتلقيهم واستقبالهم بشاركم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار أي تجري الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل من خلال الأشجار والقصور خالدين فيها ماكين أبدا لا يموتون ولا يخرجون. قال تعالى ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ إذ هو نجاة من النار ودخول الجنان في جوار الرحمن. وقوله تعالى ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من من قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات، والمنافقون والمنافقات وهم الذين كانوا في الحياة الدنيا يخفون الكفر في أنفسهم ويظهرون الإيمان بالسستهم والإسلام بجوارحهم يقولون للذين آمنوا انظرونا أي اقبلوا علينا بوجوهكم ذات الأنوار نقتبس من نوركم أي نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق مثلكم قيل فيقال لهم استهزاء بهم ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ إشارة إلى أن هذا النور يطلب في الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال فيرجعون إلى الوراء وفوراً يضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عال ﴿له باب باطنه﴾ وهو يلي المؤمنين فيه الرحمة ﴿وظاهره﴾ وهو يلي المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾ فيأخذون في نذائهم ألم نكن معكم على الطاعات أيها المؤمنون فقد كنا نصلى معكم ونجاهد معكم وننفق كما تنفقون فيقول لهم المؤمنون بلى أي كنتم معنا في الدنيا على الطاعات في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربصتم بنا الدوائر لتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلى شرككم، وارْتَبِمْ أي شككتكم في صحة الإسلام وفي عقائده ومن ذلك البعث الآخر وغررتكم الأمانى الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر، حتى جاء أمر الله بنصر رسوله وإظهار دينه وغركم بالله الغرور أي بالإيمان بالله أي بعد معاجلته لكم بالعذاب والستر عليكم وعدم كشف الستار عنكم وإظهاركم على ما أنتم عليه من الكفر الغرور أي الشيطان إذ هو الذي زين لكم الكفر وذكركم بعفو الله وعدم مؤاخذته لكم.

قال تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ أي فداء مهما كان ولا من الذين كفروا كذلك

(١) وجه عطف المؤمنات على المؤمنين هنا وفي نظائره من القرآن إشارة بل التنبيه إلى أن حظوظ النساء في الإسلام مساوية لحظوظ الرجال إلا فيما خصص فيه من أحكام قليلة مبينة في الكتاب والسنة.

(٢) التقدير: فقال لهم بشاركم.

(٣) (خالدين) حال مقدرة أي: حالة كونهم مقدرين الخلود فيها إذ لم يدخلوها بعد.

(٤) هذا بدل من اليوم الأول.

(٥) قال الكلبي: يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون نوراً خاصاً بهم فيبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمة فاطفاً بذلك نور المنافقين فذلك قوله تعالى: (ربنا أتمم لنا نورنا) يقوله المؤمنون خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: (انظرونا نقتبس من نوركم) هذا أحسن توجيه للآية الكريمة.

مَاوَاكُم النَّارُ أَيَّ مَحَلٍّ إِيوَاثِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ الدَّائِمَةُ النَّارُ هِيَ مَوَاكِمُ أَيٍّ مِنْ يَتَوَلَّاهُمْ وَيَضْمَكُمْ فِي أَحْضَانِهِ وَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ لَخَبَثَ نَفْسُكُمْ وَعَفَنَ أَرْوَاحُكُمْ مِنْ جَرَاءِ النِّفَاقِ وَالْكَفْرِ، وَبَشَرِ الْمَصِيرِ الَّذِي صَرْتُمْ إِلَيْهِ إِنَّهُ النَّارُ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث يذكر أحداثه وما يجري فيه .
- ٢- تقرير أن الفوز ليس ربح الشاة والبعير ولا الدار ولا البستان في الدنيا وإنما هو الزحزحة عن النار ودخول الجنان يوم القيامة هذا هو الفوز العظيم .
- ٣- من بشائر السعادة لأهل الإيمان قبل دخول الجنة تلقى الملائكة لهم إعطاؤهم كتبهم بأيمانهم ووجود نور عال يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يتقدمهم على الصراط إلى الجنة .
- ٤- نور يوم القيامة في وجوه المؤمنين أخذوه من الدنيا وفي الحديث : بشر المشائين في الظلمة إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة .
- ٥- بيان صفات المنافقين في الدنيا وهي إبطان الكفر في نفوسهم والتربص بالمؤمنين للانقضاض عليهم متى ضعفوا أو هزموا وأمانهم في عدم نصرة الإسلام . وشكهم الملازم لهم حتى أنهم لم يخرجوا منه إلى أن ماتوا شاكين في صحة الإسلام وما جاء به وأخبر عنه من وعد ووعد .

﴿ أَلَمْ يَأْنٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦)

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا

(١) المولى : من يتولى غيره ، وما دامت النار هي التي تولتهم لتذيقهم ألوان عذابها صح إطلاق المولى عليها مع أن النار تتكلم وتتغبط فلذا كانت تتولى أهلها فتسقيهم مر العذاب .

(٢) الحديث رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ونصه : (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- ألم يأن للذين آمنوا : أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح .
 أن تخشع قلوبهم لذكر الله : أي تلبين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده .
 وما نزل من الحق : أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد .
 ولا يكونوا كالذين أوتوا : أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة .
 الكتاب من قبل
 فطال عليهم الأمد : أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم .
 فقس قلوبهم : أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم فقس لذلك قلوبهم فلم تلن لذكر الله .
 وكثير منهم فاسقون : أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق أكثرهم فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه .
 اعلموا أن الله يحيى الأرض : أي بالغيث ينزل بها وكذلك يحيى القلوب بالذكر والتذكير بعد موتها فتلبين وتخشع لذكر الله ووعده ووعيده .
 قد بينا لكم الآيات لعلكم : أي بينا لكم الآيات الدالة على قدرتنا وعلمنا ولطفنا ورحمتنا تعلقون رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يريدها ويوبقها .
 إن المصدقين والمصدقات : أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك .
 واقرضوا الله قرضاً حسناً : أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه والنفس طيبة به وراجية من ربها جزاءه .
 يضاعف لهم : أي القرض الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ألف ألف .
 والذين آمنوا بالله ورسوله : أي صدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسوله هداة ودعاة صادقين .

أولئك هم الصديقون : أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية .
والشهداء عند ربهم لهم : أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في الجنة لهم
أجرهم ونورهم أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة .
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا : أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع
والأحكام .

أولئك أصحاب الجحيم : أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبداً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(١) أي بالله رباً وإلهاً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وبوعد الله ووعديه
صدقا وحقا ألم يحن الوقت لهم أن تخشع قلوبهم فتلين وتطمئن إلى ذكر الله وتخشع كذلك ﴿وما
نزل من الحق﴾ في الكتاب الكريم فيعرفون المعروف ويأمرون به ويعرفون المنكر وينهون عنه
إنها لموعظة إلهية عظيمة وزادها عظمة أن تنزل في أصحاب رسول الله تستبطن قلوبهم . فكيف
بمن بعدهم .

وقوله : ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي من قبل البعثة المحمدية وهم اليهود
والنصارى فطال عليهم الأمد وهو الزمان الطويل بينهم وبين أنبيائهم فلم يذكروا ولم يرشدوا .
فقتل قلوبهم من أجل ذلك وأصبح أكثرهم فاسقين عن دين الله خارجين عن شرائعه لا يعرفون
معروفاً ولا ينكرون منكراً .

وقوله تعالى ﴿اعلموا﴾ أي أيها المؤمنون المصابون ببعض الغفلة فكثرت مزاحمهم وضحكهم
﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ يحييها بالغيث فتنبت وتزدهر فكذلك القلوب ^(٢) تموت بترك
التذكير والتوجيه والإرشاد وتحيا على التذكير والإرشاد .

وقوله تعالى : ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ أي وضحناها لكم في هذا الكتاب الكريم لعلكم

(١) روى مسلم عن ابن مسعود قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله تعالى بهذه الآية : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . . .) إلا أربع سنين قال الخليل : العتاب خطاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجهة .

(٢) هنا فعلا : أنى يأتي مشتق من الإنى وهو اسم جامد بمعنى الوقت وأن يبين مشتق من الأين الذي هو الحين قال الشاعر :
ألم أيش لي أن تجل عمايتي وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين أي : بين أنى يأتي وبين أن يبين .

(٣) عن مالك قال : بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه : لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتفسدوا قلوبكم ، فإن القلب القاسي يبعد من الله ولكنكم لا تعلمون ، ولا تنتظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجالان : معافى وميتلى ، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

(٤) وكذلك القلوب تقسوا فتليينها بعد قساوتها يكون بذكر الله والدار الآخرة والتذكير بهما .

تعقلون أي لنعدكم بذلك لتعقلوا عما نُخاطبكم به وننصح لكم فيه فاذكروا هذا ولا تنسوه .
 وراجعوا قلوبكم وتعهدوها بذكر الله والدار الآخرة . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمَصْدُقِينَ﴾ أي
 المتصدقين بفضول أموالهم في سبيل الله والمصدقات أي والمتصدقات كذلك وأقرضوا الله قرضاً حسناً بما أنفقوه
 في الجهاد طيبة به نفوسهم لا منة فيه ولا رياء ولا سمعة هؤلاء يضاعف لهم أي ثواب صدقاتهم
 وإقراضهم ربهم إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف ولهم أجر كريم وهو الجنة
 والذين آمنوا بالله ورسله فصدقوا بالله رباً وإلهاً وبرسل الله المصطفين هداة إلى الله ودعاة إليه
 هؤلاء هم الصديقون^(١) ففازوا بمرتبة الصديقية والشهداء الذين^(٢) استشهدوا في معارك الجهاد هم
 الآن عند ربهم لهم أجرهم ونورهم أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة . هؤلاء
 الأصناف الثلاثة مثلهم مثل السابقين وأصحاب اليمين . والذين كفروا أي بالله ورسله وكذبوا
 بآياتنا أي بآيات ربهم الحاوية لشرائعهم وعبادته فلم يعبدوه بها هؤلاء الأذنون هم أصحاب الجحيم الذين
 يلازمونها وتلازمهم أبداً نعوذ بالله من حالهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله وما عنده من نعيم وما لديه من نكال وعذاب .
- ٢- وجوب التذكير للمؤمنين والوعظ والإرشاد والتعليم خشية أن تقسو قلوبهم فيفسقوا كما فسق
 أهل الكتاب ويكفروا كما كفروا .
- ٣- تقرير حقيقة وهي أن الأرض تحيا بالغيث والقلوب تحيا بالعلم والمواعظ والتذكير بالله .
- ٤- بيان أصناف المؤمنين ورتبهم وهم المتصدقون والمقرضون في سبيل الله أموالهم والمؤمنون بالله
 ورسله حق الإيمان والصديقون وشهداء الجهاد في سبيل الله جعلنا الله منهم .

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

(١) الصديق : هو من آمن بالله ورسله ولم يكذب طرفه عين ، ومن ذكروا بالفوز بها ، أبو بكر الصديق ومؤمن آل فرعون
 وصاحب يس ، وفي الحديث : (ولا يزال المرء يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) فهذا مطلب سهل اللهم
 حققه لنا .

(٢) اختلف في هل (الشهداء) موصول بما قبله أو مقطوع فإن كان موصولاً فالصديقون والشهداء : هم المؤمنون بالله ورسله ،
 وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرى لامة محمد ﷺ وإن كان مقطوعاً فقد فاز
 الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم ، وهذا ما ذهب إليه في التفسير ، وهو ما اختاره ابن جرير .

وَالْأَوَّلِدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ
 مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
 مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
 سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : أي ان الحياة الدنيا أشبه بالأمور الخيالية قليلة النفع
 سريعة الزوال.

وزينة : أي ما يترزين به المرء من أنواع الزينة والزينة سريعة التغير
 والزوال.

وتفاخر بينكم وتكاثر في : أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاخراً وتكاثراً
 الأموال والأولاد في الأموال والأولاد.

كمثل غيث أعجب الكفار : أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها من الدار الآخرة
 ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار أي الزراع أعجبهم نباته أي ما
 نبت به من الزرع.

ثم يهيج فتاره مصفراً : أي ييس فتراه مصفراً آن أوان حصاده.

ثم يكون حطاماً : ثم يتحول بسرعة إلى حطام يابس يتفتت.

الامتاع الغرور : أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا
 حقيقة لها.

سابقوا إلى مغفرة من ربكم : أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم وتدخلوا
 جنة ربكم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي الموعود به من المغفرة والجنة.

والله ذو الفضل العظيم : أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيماً.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يزيد في كمالهم وسعادتهم في الحياتين فخطبهم قائلاً : اعلّموا أيها المؤمنون الذين استبطانا قلوبهم أي خشوعها إذ الإقبال على الدنيا هو سبب الغفلة عن الآخرة ومتطلباتها من الذكر والعمل الصالح ﴿ أنما الحياة الدنيا لعب^(١) ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ هذه حقيقتها وهي أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال . فلا تغتروا بها ولا تقبلوا بكلكم عليها أنصح لكم بذلك . فاللهو كاللعب لا يُخلِفان منفعة تعود على اللاهي اللاعب ، والزينة سرعان ما تتحول وتغير وتزول والتفاخر بين المتفاخرين مجرد كلام ما وراءه طائل أبداً والتكاثر لا ينتهي إلى حد ولا يجمع إلا بالشقاء والنصب والتعب ثم يذهب أو يُذهب عنه فلا بقاء له ولا دوام وله تبعات لا ينجو منها صاحبها إلا برحمة من الله وإليكم مثل الحياة الدنيا إنها ﴿ كمثل غيث^(٢) ﴾ أي مطر ﴿ أعجب الكفار ﴾ أي الفلاحين الذين كفروا بذرة بالتربة ﴿ نباته ﴾ الذي نبت به أي المطر ﴿ ثم يهيج فتراه ﴾ بعد أيام ﴿ مصفراً ﴾^(٣) ثم يهيج أي ييس ﴿ ثم يكون حطاماً ﴾ يتفتت هذه هي الدنيا من بدايتها إلى نهايتها المؤلمة أما الآخرة ففيها عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي لا بد لهم منه يفارقونه ، ومغفرة من الله ورضوان لأهل التوحيد وصالح الأعمال وما الحياة الدنيا وقد عَرَضْنَا عليكم مثالها فما هي إلا متاع الغرور أي إنها لا حقيقة لها وكل ما فيها من المتع التي يتمتع بها إلا غرور باطل . وعليه فأنصح لكم سابقوا إلى مغفرة من ربكم أي سارعوا بالتوبة مسابقين بعضهم بعضاً لتغفر ذنوبكم وتدخلوا جنة ربكم التي عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله أي هُيئت وأحضرت. فهي مُعدة مهياة . ذلك فضل الله أي المغفرة ودخول الجنة يؤتيه من يشاء ومن سارع إلى التوبة فأمن وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والآثام فهو ممن شاء له فضله ولذلك وفقه للإيمان وصالح الأعمال . والله ذو الفضل

(١) في هذه الآية الكريمة تنبيه عظيم إلى علة كل معوق عن الكمال والإسعاد من أمراض الشح والحرص والغفلة وإثارة الملاذ والجري وراءها ألا وإنها حب الدنيا العاجلة ، وفي الأثر : حب العاجلة رأس كل خطيئة .

(٢) اللهو واللعب : كل ما شغل عن ذكر الله تعالى ، والإكثار منهما دليل على خسة العقل وضعفه ، وصورتها تُرى من لعب الأطفال وتلهيهم بما يلعبون به من أنواع اللعب ، والزينة : ما يُتَزَنُّ به من لباس وأثاث ونحوهما والتفاخر والتكاثر تحمل عليهما النفس الضعيفة ويولدهما الغرور وهما من صفات المفتونين بحب الحياة الدنيا .

(٣) جائز أن يكون ﴿ كمثل ﴾ في موضع خبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : هي أي الحياة الدنيا ﴿ كمثل غيث ﴾ .

(٤) الإصفرار بعد الهيجان واليبوسة بعد الإصفرار أما الهيجان فهو عبارة عن سرعة بلوغ النبات مستواه كبلوغ الإنسان أشده ثم يأخذ في الإصفرار فيصفر فلذا عبر به ثم الدالة على التراخي ، وبعد الإصفرار اليبوسة وهي الإفناء والتلاشي .

(٥) بعد أن كشف لهم عن حال الدنيا وأنها سريعة الزوال حثهم على المسابقة بتصحيح الإيمان وتقويته بالعمل الصالح للفور بالجنة فله الحمد وله المنة .

العظيم فلا يستبعد منه ذلك المطلوب المرغوب من النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا .
- ٢- الدعوة إلى المسابقة في طلب مغفرة الذنب ودخول الجنة .
- ٣- بيان الجنة وبيان ما يكسبها وهو الإيمان بالله ورسله ومستلزماته من التوحيد والعمل الصالح .

مَا أَصَابَ

مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَاءِ تَدَكُّكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة في الأرض : أي بالجذب وذهاب المال .
ولا في أنفسكم : أي بالمرض وفقد الولد .
إلا في كتاب من قبل أن نبرأها : أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها .

إن ذلك على الله يسير : أي سهل ليس بالصعب .
 لكيلا تأسوا على ما فاتكم : أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي مما تحبون من الخير .
 ولا تفرحوا بما آتاكم : أي بما أعطاكم فرح البطر أما فرح الشكر فهو مشروع .
 والله لا يحب كل مختال فخور : أي مختال بتكبره بما أعطى ، فخور أي به على الناس .
 الذين يبخلون : أي بما وجب عليهم أن يبذلوه .
 ويأمرون الناس بالبخل : أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه .
 ومن يتول : أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربهم .
 فإن الله غني : أي غني عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره .

حميد : أي محمود بجلاله وجماله وآلائه ونعمه على عباده .
 بالبينات : أي بالحجج والبراهين القاطعة على صدق دعوتهم .
 وأنزلنا معهم الكتاب والميزان : أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام .
 ليقوم الناس بالقسط : أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره .
 فيه بأس شديد : أي لتقوم حياتهم فيما بينهم على أساس العدل .
 وغيره . أي في الحديد بأس شديد والمراد آلات القتال من سيف وغيره .

ومنافع للناس : أي ينتفع به الناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها .
 وليعلم الله من ينصره ورسله : أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأساً شديداً ليعلم الله من ينصره في دينه وأوليائه وينصر رسله المبلغين عنه .
 بالغيب : أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا .
 إن الله قوى عزيز : أي لا حاجة إلى نصره أحد وإنما طلبها يتعبد بها عباده .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في إرشاد المؤمنين وتوجيههم إلى ما يكملهم ويسعدهم فقال تعالى : ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ أي ما أصابكم أيها المؤمنون من مصيبة في الأرض بالجذب والقحط أو الطوفان أو الجوائح تصيب الزرع ﴿ولا في أنفسكم﴾ بالمرض وفقد الولد إلأ وهي في كتاب أي في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ مكتوبة بكميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي وذلك قبل خلق الله تعالى لها

وإيجادها. وقوله: ﴿إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي علمه بها وكتابتها لها قبل خلقها وإيجادها في وقتها سهل على الله يسير.

وقوله ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا﴾ أي أعلمناكم بذلك بعد قضائنا وحكمنا به أزلاً من أجل ألا تحزنوا على ما فاتكم مما تحبون في دنياكم من الخير، ولا تفرحوا بما آتاكم^(١) فرح الأشر والبطر فإنه مضر أما فرح الشكر فلا بأس به فقد ينعم الله على العبد ليشكره.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يحذر أوليائه من خصلتين ذميتين لا تنبغيان للمؤمن وهما الاختيال أي التكبر والفخر على الناس بما أعطاه الله وَحَرَمَهُمْ. وقوله ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ هذا بيان لمن لا يحبهم الله وهم أهل الكبر والفخر بذكر صفتين قبيحتين لهم وهما البخل الذي هو منع الواجب والأمر بالبخل والدعوة إليه فهم لم يكتفوا ببخلهم فأمرؤا غيرهم بالبخل الذي هو منع الواجب وعدم بذله والعباد بالله من هذه القبائح الأربع. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي^(٢) عن الإيمان والطاعة وعدم قبول وعظ الله وإرشاده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن سائر خلقه لأن غناه ذاتي له لا يستمد من غيره ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي محمود بجلاله وجماله وإنعامه على سائر عباد.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج القواطع وأنزلنا معهم الكتاب الحاوي للشرائع والأحكام التي يكمل عليها الناس ويسعدون وأنزلنا الميزان وذلك ليقوم الناس بالعدل أي لتقوم حياتهم على أساس العدالة والحق.

وقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب للدين والعدل للدنيا أنزلنا الحديد لهما معاً للدين والدنيا فيما فيه من البأس الشديد في الحروب فهو لإقامة الدين بالجهاد ﴿وَمَنَافِعَ لِلنَّاسِ﴾ إذ سائر الصناعات متوقفة عليه فهو للدنيا.

(١) إنه لما بين تعالى لأوليائه المؤمنين علة الإفساد والشر وهي حب العاجلة أعلمهم تشجيعاً لهم على الزهد فيها والإعراض عنها أن ما يصيب أحدهم من فقر، أو مرض أو خوف قد يقضي إلى الموت هو مما كتبه الله تعالى عليهم أزلاً وأنه واقع بهم لا محالة فلذا لا داعي إلى الحزن كما أن ما يحصل للعبد مما هو خلاف ذلك من المال والولد لا ينبغي أن يفرح به وبذلك يتغلب على الدنيا ويفوز بالآخرة.

(٢) وفي إعلام الله تعالى أوليائه بعدم حب المختال الفخور دفع لهم إلى الامام حيث التنزه عن حب العاجلة التي هي المعوق لهم عن الكمال والإسعاد الأخروي.

(٣) في الآية تحذير من الجزع وقلة الصبر في السير إلى الله تعالى بالتخلي عن حب العاجلة.

فقد ذكرهم بأن التولي أي الرجوع بعد الضرب في طريق الآخرة حيث الجوار الكريم مما يسبب تخلي الرب عن العبد، فإنه تعالى غني حميد لا حاجة به إلى طاعة العباد ولا إلى حمدهم.

(٤) كلام مستأنف المراد به أن ما كلف به عباده من طاعته بذكره وشكره إنما هو لمجرد الابتلاء وليس حاجة إليه لأنه الغني الحميد فإنه أرسل الرسل وأنزل الكتب وأوجد أسباب القوة المادية لمجرد الابتلاء، ذلك الابتلاء المترتب عليه الإسعاد والإشقاء فإنه تعالى يسعد بطاعته ويشقى بمعصيته وهذا هو العدل الكريم البر بعباده المؤمنين الرحيم.

(١) وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي من الحكمة في إنزال الحديد أن يعلم الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم والوقوف إلى جانبهم وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي وهم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم وإن عرفوه بقلوبهم .
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ إعلام بأنه لا حاجة به إلى نصرة أحد من خلقه وذلك لقوته الذاتية وعزته التي لا ترام ، وإنما كلف عباده بنصرة دينه ورسله وأوليائه تشريفاً لهم وتكريماً وليرفعهم بذلك الى مقام الشهداء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر .
- ٢- بيان الحكمة في معرفة القضاء والقدر والإيمان بهما .
- ٣- حرمة الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل .
- ٤- بيان إفضال الله وإنعامه على الناس بإرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان وإنزال الحديد بما فيه من منافع للناس وبأس شديد .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾

(١) هذا العلم : علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالى مستور عن عباده لا أنه علم يستجد لله تعالى فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده ، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحجة به على عباده .

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم : أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً هو الأب الثاني للبشر وإبراهيم هو أبو الأنبياء .

والكتاب : أي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان .

فمنهم مهتد : أي من أولئك الذرية أي سالك سبيل الحق والرشاد .

وكثير منهم فاسقون : أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه .

ثم قفينا على آثارهم برسلنا : أي أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى .

وقفينا بعيسى بن مريم : أي أتبعناهم بعيسى بن مريم لتأخره عنهم في الزمان .

وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه : أي على دينه وهم الحواريون وأتباعهم .

رأفة ورحمة : أي ليناً وشفقة .

ورهبانية ابتدعوها : أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم . وهي اعتزال

النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد .

إلا ابتغاء رضوان الله : أي إلا طلباً لرضوان الله عز وجل .

فما رعوها حق رعايتها : أي لم يلتزموا بما نذروه على أنفسهم من الطاعات .

فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم : أي فأعطينا الذين ثبتوا على إيمانهم وتقواهم أجرهم .

وكثير منهم فاسقون : لا أجر لهم ولا ثواب إلا العقاب .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه كما أرسل رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان أرسل كذلك نوحاً وإبراهيم فنوح هو أبوالبشر الثاني^(١) وإبراهيم هو أبوالأنبياء من بعده ذكرهما لمزيد شرفهما، ولما لهما من آثار طيبة فقال ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة﴾ أي في أولادهما النبوة والكتاب فهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحق وإسماعيل وإسحاق وباقي الأنبياء من ذرية إبراهيم وقوله ﴿فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ أي فمن أولئك الذرية المهتدي وأكثرهم فاسقون وقوله ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي رسولا بعد رسول إلى عيسى بن مريم، وقفينا بعيسى بن مريم أي أتبعناهم بعيسى

(١) هذا كلام معطوف على سابقه المراد منه تفصيل ما أجمل في قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . .) الخ وهو من باب عطف الخاص على العام .

(٢) كآكثر قوم هود وقوم صالح وقوم شعيب، وقوم تبع وغيرهم والمراد بالفسق هنا : الخروج عن جادة الإيمان والتوحيد، والوقوع في مضلات الشرك والكفر .

(٣) التقفيه : اتباع الرسول على أثر الآخر مشتق لفظها من القفا .

بن مريم كل ذلك لهداية العباد إلى ما يكملهم ويسعدهم وقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ أي آتينا عيسى بن مريم الإنجيل وجعلنا في^(١) قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة والرافة اللين وأشد الرحمة . وقوله ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها الذين اتبعوا عيسى ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي لم يكتبها الله تعالى عليهم لما فيها من التشديد ولكن ما ابتدعوها الا طلباً لرضوان الله ومرضاته فما رعوها حق رعايتها حيث لم يوفوا بما التزموا به من ترك الدنيا والإقبال على الآخرة حيث تركوا النساء ولبسوا الخشن من الثياب وأكلوا الخشن من الطعام ونزلوا الصوامع والأديرة .

ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك ، وكان بينهم جماعة رفضوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم ، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية ، وعاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا الى الصوامع والأديرة ، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله . وهو مادل عليه قول الله تعالى : ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب وعبدوا الله تعالى بما شرع ، وقوله ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين أتوا من بعدهم إلى يومنا هذا إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل ولم يلتزموا بالرهبة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة .

هداية الایتین

من هداية الایتین :

- ١- بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل .
- ٢- بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدى بعض ويضل بعض فيفسق .

(١) وذلك لأن عيسى عليه السلام بعث لتهذيب نفوس بني اسرائيل واقتلاع جذور القسوة من قلوبهم تلك القسوة التي أثمرها حب الدنيا والإقبال على الشهوات والملاذ الفانية .

(٢) الرهبانية : نسبة إلى الراهب وهو الخائف من الله تعالى ، والأصل أن يقال الراهبية ، فزيدت فيها النون كما زيدت في شعرائي ولحياني ورباني وكذا نصراني على غير قياس .

(٣) جملة : (ما كتبناها عليهم) مبينة لجملة (ابتدعوها) .

٣- ثناء الله على عيسى بن مريم واتباعه بحق من الحواريين وغيرهم إلى أن غيرت الملوك دين المسيح وضل الناس وأصبحوا فاسقين عن دين الله تعالى .

٤- تحريم البدع والابتداع ولا رهبانية في الإسلام ولكن يعبد الله بما شرع .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ءِ وَجَعَلَ لَكُم
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ءِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ ءِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ءِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي بعيسى بن مريم وموسى من قبله .
اتقوا الله وآمنوا برسوله : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه .
يؤتكم كفلين : يعطكم الله نصيبين من الأجر مقابل إيمانكم بنبينا
وبمحمد ﷺ .

ويجعل لكم نوراً تمشون فيه : أي في الدنيا إذ تعيشون على هداية الله وفي الآخرة
تمشون به على الصراط .

لئلا يعلم أهل الكتاب : أي لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء
من فضل الله . واللام في لئلا مزيدة لتقوية الكلام .

معنى الآيتين :

(١) هذا نداء الله لأهل الكتاب بعد أن ذكر نبذة عن رسلهم واتباعهم نادى الموجودين منهم بعنوان
الإيمان أي يا من آمنتم بالرسل السابقين حسب ادعائكم اتقوا الله فلا تفرقوا بين رسل الله وآمنوا

(١) استعمل الإيمان هنا استعمالاً لقبياً إذ المراد بالذين آمنوا : اليهود والنصارى إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه ورسله في
الجملة .

برسوله محمد ﷺ يؤتكم أي يعطكم كفلين أي حظين ونصيبين من رحمته ومشوته ويجعل لكم نوراً تمشون به في الدنيا وهو الهداية الإسلامية إذ الإسلام صراط مستقيم صاحبه لا يضل ولا يشقى وتمشون به في الآخرة على الصراط إلى دار السلام الجنة، ويغفر لكم ذنوبكم الماضية والحاضرة والله غفور رحيم^(١). وذلك ليعلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في الإسلام أنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله أي لا يقدرّون على الحصول على شيء من فضل الله^(٢)، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- أعظم نصيحة تقدم لأهل الكتاب لو أخذوا بها تضمنها نداء الله لهم وما وعدهم به في هذه الآية الكريمة .
- ٢- فضل الإيمان والتقوى إذ هما سبيل الولاية والكرامة في الدنيا والآخرة .
- ٣- إبطال مزاعم أهل الكتاب في احتكار الجنة لهم ، وإعلامهم بأنهم محرمون منها ما لم يؤمنوا برسول الله ويتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

(١) هذا بناء على أن (لا) زائدة في قوله : (ثلاث يعلم أهل الكتاب) إذ الأصل لأن يعلم فزيدت اللام لتوكيد الكلام فصارت (ثلاث يعلم) أي : لأن يعلم .

(٢) أي : إلا باذن الله إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب إسرائيل فلذا جحدوا نبوة رسالة محمد ﷺ وكفروا بهما فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا ، وكان هذا إعلاماً منه تعالى أن أهل الكتاب لا يقدرّون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمداً ﷺ وهم كارهون منكرون مكذبون ، وهم بين خيار بين إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار وإما الإصرار على إنكار رسالته والكفر به مع الخسران في الحياتين ولا يهلك على الله إلا هالك .

مدينة وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

قد سمع الله قول التي : أي تراجعك أيها النبي في شأن زوجها أوس بن
تجادلك في زوجها الصامت.

وتشتكى إلى الله : أي وحدتها وفاقتها وصبية صغاراً إن ضمتهم إليه ضاعوا
وإن ضمهم إليها جاعوا.

والله يسمع تحاوركما : أي تراجعكما أنت أيها الرسول والمحاورة لك وهي خولة
بنت ثعلبة.

إن الله سميع بصير : أي لأقوالكما بصير بأحوالكما.

الذين يظاهرون منكم من : أي يحرمون نساءهم بقول أنت عليّ كظهر أمي .
نسائهم

ما من أمهاتهم : أي ليس من بأمهاتهم .
إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم : ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم ، أو أرضعنهم .
وإنهم ليقولون منكراً من : أي وإنهم بالظهار ليقولون منكراً من القول وزوراً أي
القول وزوراً كذباً .

وإن الله لعفو غفور : أي على عباده أي ذو صفح عليهم غفورٌ لذنوبهم إن تابوا
منها .

والذين يظاهرون من نسائهم^(١) : أي بأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي أو أختي ونحوها
من المحارم .

ثم يعودون لما قالوا : أي يعزمون على العودة للتي ظاهروا منها ، إذ كان الظهار
في الجاهلية طلاقاً .

فتحرير رقبة من قبل أن : أي فالواجب عليه تحرير رقبة مؤمنة قبل أن يجامعها .
يتماسا

ذلكم توعظون به : أي تؤمرون به فافعلوه على سبيل الوجوب .
فمن لم يجد فصيام شهرين : أي فمن لم يجد الرقبة لانعدامها أو غلاء ثمنها فالواجب
صيام شهرين متتابعين .

من قبل أن يتماسا : أي من قبل الوطء لها .
فمن لم يستطع : أي الصيام لمرض أو كبر سن .
فإطعام ستين مسكيناً : أي فعلية قبل الوطء ، أن يطعم ستين مسكيناً يعطى لكل
مسكين مداً من^(٢) بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير
ونحوهما من غالب قوت أهل البلد .

ذلك : أي ما تقدم من بيان حكم الظهار الذي شرع لكم
لتؤمنوا بالله ورسوله : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران .

(١) قرأ نافع (يظهرون) أصلها (يتظهرون) فادغمت التاء في الظاء فصارت يظهرون بتشديد الظاء والهاء وقرأ حفص
(يظاهرون) .

(٢) وردت روايات متعددة في كمية الإطعام الإجماع على أنها إطعام ستين مسكيناً ، وإنما الخلاف في المقدار ، فأظهرها
وأصحها حديث البخاري وفيه : (فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً . فتصدق بها على ستين مسكيناً فهذا ظاهر في
أنها ستون مداً لكل مسكين مد لأن الخمسة عشر صاعاً بستين مداً إذ الصاع أربعة أمداد بمد النبي ﷺ .

وتلك حدود الله : أي أحكام شرعه .
ولللكافرين عذاب أليم : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قد سمع الله﴾ هذه الآية الكريمة نزلت في خولة بنت ثعلبة الأنصارية وفي زوجها أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين كان قد ظاهر منها زوجها أوس ، فقال لها في غضب غير مغلق أنت عليّ كظهر أمي ، وكان الظهار يومئذ طلاقاً ، وكانت المرأة ذات أطفال صغار وتقدم بها وبزوجها السن فجاءت لرسول الله ﷺ تشكو إليه ما قال زوجها فذكرت للرسول ﷺ ضعفها^(١) وضعف زوجها وضعف أطفالها الصغار ، وما زالت تراجع الرسول ﷺ وتحاورة في شأنها وشأن زوجها حتى نزلت هذه الآيات الأربع من فاتحة سورة المجادلة التي سميت بها السورة فقليل سورة المجادلة بكسر الدال ، ويصح فتحها فقال تعالى مخاطباً رسوله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي قد سمع الله قول المرأة التي تجادللك أي تراجعك في شأن زوجها الذي ظاهر منها ، وتشتكى إلى الله بعد أن قلت لها : والله ما أمرت في شأنك بشيء ، تشكو إلى الله ضعف حالها . ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أي مراجعتكما لبعضكما بعضاً الحديث وأجابكم^(٢) إن الله سميع بصير أي سميع لأقوال عباده عليم بأحوالهم وهذا حكم الظهار فافهموه واعملوا به .

أولاً : أن الظهار الذي هو قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي لا يجعل المظاهر منها أمّاً له إذ أمه هي التي ولدته وخرج من بطنها ، والزوجة لا تكون أمّاً بحال من الأحوال .
ثانياً : هذا القول كذب وزور ومنكر من القول وقائله آثم فليتب إلى الله ويستغفره .
ثالثاً : لولا عفو الله وصفحه على عباده المؤمنين ومغفرته للتائبين لعاقبهم على هذا القول الكذب الباطل .

رابعاً : على الذين يظاهرون من نسائهم ثم يهودون لما قالوا أي يعزمون على وطئها بعد الظهار منها فالواجب عليهم قبل الوطء لها تحرير رقبة ذكراً كانت أو أنثى صغيرة أو كبيرة لكن مؤمنة لا كافرة ، فمن لم يجد الرقبة لانعدامها ، أو غلاء ثمنها فيجزئه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع لعله قامت به فالواجب إطعام ستين مسكيناً يعطى كل مسكين مدّاً من برّ أو نصف صاع من

(١) من جملة ما روي أنها قالت : يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني ، فقال لها رسول الله ﷺ : ما أوحى إليّ في هذا شيء فقالت : يا رسول الله أوحى إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟ فقال : هو ماقلت لك فقالت : إلى الله أشكو لا إلى رسوله فأنزل الله (قد سمع الله ..) الخ .

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) .

غير البر كالشعير والتمر ونحوهما كل ذلك من قبل أن يتماشيا من باب حمل المطلق على المقيد إذ قيد الأول بقيل المسيس^(١) فيحمل هذا الأخير عليه .

وقوله ﴿ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي ذلك الذي تقدم من بيان حكم الظهار شرعه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله إذ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فطاعة الله ورسوله إيمان ومعصيتهما من الكفران . وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي لا تعتدوها بل قفوا عندها وللكافرين بها المتعدين لها عذاب اليم أي ذو ألم موجه جزاء تعديهم حدود الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إجابة الله لأوليائه بتفريج كربهم وقضاء حوائجهم فله الحمد وله الشكر .
- ٢- حرمة الظهار باعتباره منكراً وكذباً وزوراً فيجب التوبة منه .
- ٣- بيان حكم المظاهر وهو أن عليه عتق رقبة قبل أن يجامع امرأته المظاهر منها . فإن لم يجد الرقبة المؤمنة صام شهرين متتابعين من الهلال إلى الهلال وإذا انقطع التابع لمرض بنى على ما صامه . فإن لم يستطع لمرض ونحوه أطعم ستين مسكيناً فأعطى لكل مسكين على حدة مداً من بر أو مدين من غير البر كالشعير والتمر .
- ٤- لو جامع المظاهر قبل إخراج الكفارة أثم فليستغفر ربّه وليخرج كفارته . ولا شيء عليه لحديث الترمذي الصحيح .
- ٥- طاعة الله ورسوله إيمان ، ومعصية الله ورسوله من الكفران .

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِنُوا
كَمَا كُنْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ

(١) من مس امرأته قبل الكفارة فليكيف عنها مرة أخرى حتى يكفر لحديث النسائي : (أن رجلاً ظاهر من امرأته ولم يكفر حتى وطئها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمره ألا يقربها حتى يكفر) .

(٢) هل على المرأة إذا ظهرت من زوجها شيء؟ الجمهور: أنه لا شيء عليها وإن كفرت كفارة يمين فذلك اللائق بها .

مِنْ تَحْوَى ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمُ
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما .
كُتِبُوا كما كتبت الذين من : أي ذُلُّوا وأهينوا كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم
قبلهم رسولهم .
وقد أنزلنا آيات بينات : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات دالة على صدق الرسول .
عذاب مهين : أي يوقعهم في الذل والهوان .
يوم يبعثهم الله جميعاً : أي يوم القيامة .
أحصاه الله ونسوه : أي جمعه وعدّه ونسوه هم .
والله على كل شيء شهيد : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء .
ما يكون من نجوى : أي من متناجين .
ثلاثة إلا هو رابعهم : إلا هو تعالى رابعهم بعلمه بهم ، وقدرته عليهم .
ولا أدنى من ذلك : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان .
إلا هو معهم أينما كانوا : أي في أي مكان من الأرض أو السماء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ هذه الآية تحمل بشرى لرسول الله ﷺ بإعلامه
بهزيمة قريش وهي تحزب الأحزاب لحربه في غزوة الخندق فقال تعالى ﴿إن الذين يحادون الله
ورسوله﴾ أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما كُتِبُوا أي ذُلُّوا وأهينوا كما كتبت الذين من قبلهم
الذين كذبوا رسلهم فأكتبهم الله أي أذلهم وأهانهم .
وقوله تعالى : ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ كلها دالة على صدق رسولنا فيما جاءهم به ودعاهم

(١) المحادة والمشاقة والمعاداة متقاربة المعنى فالمحاد الواقف في حد وخصمه في آخر، وكذا المشاقق: هو في شق والآخر في شق مقابل، وكذا المعادي هو في عدوة والآخر في أخرى مقابلة له، والعدوة: هي عدوة الوادي أحد جانبيه .
(٢) الكبت: الخزي والإذلال، وعبر في الآية بالماضي (كتبوا) لتحقيق وقوعه كقوله تعالى: (أتى أمر الله).

إليه ، ومع هذا عادوه وحاربوه فلهذا يكتبهم الله ويدلهم في الدنيا وللكافرين أمثالهم عذاب مهين ^(١)
يوم القيامة يوم يبعثهم الله جميعاً لا يتخلف منهم أحد فينبئهم بما عملوا من الشر والفساد .
أحصاه الله إذ كتبه ملائكته وكتب قبل فعلهم له في كتاب المقادير اللوح المحفوظ ونسوه لعنى
قلوبهم وكفرهم بربهم ولقائه فلا يذكرون لهم ذنباً حتى يتوبوا منه ويستغفروا . وقوله تعالى ﴿والله
على كل شيء شهيد﴾ أي زيادة على أن أعمالهم كتبها في اللوح المحفوظ وأن الملائكة من
الكرام الكاتبين قد كتبوها فإن الله تعالى شهيد على كل شيء فلا يقع شيء إلا تحت بصره
وعلمه .

وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات﴾ تقرير لما سبق من إحاطة علم الله بكل
شيء وأن أعمال أولئك المخالفين المحادين محصية معلومة وسيجزى بهم بها . أي ألم تعلم يا
رسولنا أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من دقيق الأشياء وجليلها ورد أن جماعة
من المنافقين تخلفوا يتناجون بينهم إغاطة للمؤمنين فنزلت هذه الآية تعرض بهم وتكشف الستار
عن نياتهم . ﴿ما يكون من نجوى﴾ أي من ذوي نجوى أو من متناجين ثلاثة إلا وهو رابعهم ،
أي إلا والله تعالى رابعهم بعلمه بهم وقدرته عليهم وهذه فائدة المعية العلم والقدرة على الأخذ
والعطاء ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك كالأثنين ، ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه
وقدرته وإحاطته أينما كانوا تحت الأرض أو فوقها في السماء أو دونها ، ثم ينبئهم أي يخبرهم
ويعلمهم بما عملوا يوم القيامة ليجزيهم به ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ تقرير لما سبق من علمه
بالمحادين له وبالمنافيين المناوئين للمؤمنين وسيجزى الكل بعدله وهو العزيز الحكيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وعيد الله الشديد بالإكبات والذل والهوان لكل من يحاد الله ورسوله .
- ٢- إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاء لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة
الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء .
- ٣- الإرشاد إلى أن التناجي للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة

(١) الجملة معطوفة على جملة (كتبوا) وال (د) في الكافرين : للجنس ليعم الوعيد كل كافر .
(٢) يجوز أن يكون (يوم) متعلقاً بالكون المقدر الذي تعلق به (للكافرين عذاب مهين) أي للكافرين عذاب مهين (يوم
يبعثهم الله) وجائز أن يكون منصوباً على تقدير فعل اذكر كما هو شائع في أمثاله .
(٣) النجوى اسم مصدر فعله : نجاهه يتناجى مناجاة واسم المصدر نجوى فهو بمعنى التناجي أي : ما يكون تناجي ثلاثة من
الناس إلا الله مطلع عليهم كرايع لهم وكل سرار نجوى .

أو سبعة ليكون الواحد عدلاً مرجحاً للخلاف قاضياً فيه إذ اختلف اثنان لا بد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف أربعة لا بد من خامس يرجح جانب الخلاف.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ
وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِي نِسْ الْمَصِيرِ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا
بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى الذين نهوا عن : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون .
النجوى

ثم يعودون لما نهوا

: أي من التناجى تعمداً لأذية المؤمنين بالمدينة .

ويتناجون بالآثم والعدوان

: أي بما هو إثم في نفسه ، وعداوة الرسول والمؤمنين .

ومعصية الرسول

: أي يتناجون فيوصى بعضهم بعضاً بمعصية الرسول وعدم طاعته .

وإذا جاءوك حيوك

: أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم السلام عليك .

بما لم يحبك به الله

: أي حيوك بلفظ السلام عليك ، وهذا لم يحيى الله به رسوله بل

حياه بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

ويقولون في أنفسهم : أي سراً فيما بينهم .
لولا يعذبنا الله بما نقول : أي هلا يعذبنا الله بما نقول له ، فلو كان نبياً لعاجلنا الله بالعقوبة .

حسبهم جهنم يصلونها : أي يكفيهم عذاب جهنم يصلونها فبئس المصير لهم .
فلا تتناجوا بالإثم والعدوان : أي فلا يناج بعضكم بما هو إثم ولا بما هو عدوان وظلم ولا بما هو معصية للرسول .

وتناجوا بالبر والتقوى : أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوى وهي طاعة الله والرسول .

إنما النجوى من الشيطان : أي إنما النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان أي بتغريه .
ليحزن الذين آمنوا : أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم .

وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله : ألا وليس التناجى بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى .
وعلى الله فليتوكل المؤمنون : أي وعلى الله لا على غيره يجب أن يتوكل المؤمنون .

معنى الآيات :

قوله تعالى ألم تر الآية . . هذه نزلت في يهود المدينة والمنافقين فيها . إذ كانوا يتناجون أي يتحدثون سراً على مرأى من المؤمنين ، والوقت وقت حرب فيوهمون المؤمنين إن عدواً قد عزم على غزوهم ، أو أن سرية هزمت أو أن مؤامرة تحاك ضدهم فنهاهم رسول الله ﷺ عن التناجى ، وقال لا يتناج اثنان دون ثالث وأبوا إلا أن يتناجوا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب رسوله منهم ويوعدهم بعد فضحهم وكشف الستار عن كيدهم للمؤمنين ومكرهم بهم فقال تعالى لرسوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى وهي التناجى المحادثة السرية أمام الناس ، ثم يعودون لما نهوا عنه عصيانياً وتمرداً عن الرسول ﷺ ، ويتناجون لا بالبر والتقوى ، ولكن بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول أي بما هو إثم في نفسه كالغيبة والبذاء في القول ، وبالعدوان وهو الاعتداء على المؤمنين وظلمهم ، وبمعصية الرسول فيوصى بعضهم بعضاً بمعصيان الرسول وعدم طاعته في أمره ونهيه . هذا وشر منه أنهم إذا جاءوا رسول الله ﷺ حيّوه بما لم يحيه به الله فلم يقولوا السلام عليكم ولكن

(١) الحديث ثابت في الصحيح وفي الموطأ قوله ﷺ : (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد) وفي الحديث دليل على التحريم ونظيره : أن يتكلم اثنان بلغة غير لغة الثالث فإنه كنجوى اثنين دون ثالث .

(٢) الاستفهام للتعجب والمراد به توبيخ اليهود الذين نزلت الآية فيهم مع إخوانهم المنافقين .

(٣) كتبت (معصيت) بالتاء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة ، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالتاء وأما في الوصل فلا بد من التاء .

يقولون السام عليكم والسام الموت يلوون بها ألسنتهم، ويأتون الرسول واحداً واحداً ليحيوه بهذه التحية الخبيثة ليدعوا عليه بالموت لعنة الله عليهم ما أكثر أذاهم وما أشد مكرمهم وما أنتن خبثهم ويقولون في أنفسهم أي فيما بينهم لو كان محمد نبياً لأخذنا الله بما نقول له من الدعاء عليه بالموت وهذا معنى قوله تعالى عنهم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ أي هلاً عذبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ لو كان نبياً^(١). قال تعالى حسبهم عذاباً جهنم يصلونها يحترقون بحرها ولظاها يوم القيامة فبئس المصير الذي يصيرون إليه في الدار الآخرة جهنم وزقومها وحميمها وضريعها وغسلينها ويحمومها وفوق ذلك غضب الله ولعنته عليهم.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتكم﴾ هذه الآية والتي بعدها نزلت في تربية المؤمنين روحياً وتهذيبهم أخلاقياً فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله إذا تناجيتكم لأمر استدعى ذلك منكم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فتكون حالكم كحال اليهود والمنافقين ولكن ﴿تناجوا بالبر والتقوى﴾ أي بما هو خير في نفسه لا إثم فيه وبطاعة الله ورسوله إذ هما التقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون يوم القيامة لمحاسبتكم ومجازاتكم فاتقوه بطاعته وطاعة رسوله.

وقوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ أي هو الدافع إليها والحامل عليها وذلك لعله وهي أن يوقع المؤمنين في غم وحزن، وليس التناجى ولا الشيطان بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى لحكم عالية يعلمها الله، ولذا فلا تحزنوا ولا تغتموا لما ترون من تناجى أعدائكم من اليهود والمنافقين، وتوكلوا على الله في أموركم كلها. وعلى الله تعالى لا على غيره فليتوكل المؤمنون في كل زمان ومكان. فإن الله تعالى كافٍ من يتوكل عليه كافيه كل ما يهمه والله على ذلك قدير.

(١) قال ابن العربي: جهل هؤلاء اليهود أن الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة من سبه فقد قال ﷺ (لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيههم ويرزقهم).

(٢) روى الترمذي وصححه عن أنس (أن يهودياً أتى على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فقال: السام عليكم. فردّ عليه النبي ﷺ وقال أتدرون ما قال هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال كذا ردوه عليّ فردوه فقال: قلت السام عليكم؟ قال: نعم فقال النبي عند ذلك إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليكم ما قلت، فأنزل الله تعالى (وإذا جاؤوك) الآية.

(٣) الجمهور أن حرمة تناجى الاثنين دون الثالث والثلاثة دون الرابع وهكذا هو باقٍ على تحريره وليس مخصوصاً بحالة الحرب كما في عهد رسول الله ﷺ لأن الفاظ الحديث عامة. منها حديث الصحيح عن ابن عمر: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد). وقوله ﷺ (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين في كل زمان ومكان .
- ٢- إذا حيا الكافر المؤمن ورد عليه المؤمن رد عليه بقوله وعليكم لما صح أن النبي ﷺ دخل عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال ﷺ وعليكم . فقالت عائشة رضى الله عنها عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم . فقال لها عليه الصلاة والسلام يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش فقالت ألا تسمعون يقولون السام ؟ فقال لها أو ما سمعت ما أقول : وعليكم . فأنزل الله هذه الآية رواه الشيخان .
- ٣- إذا سلم الذمي وكان سلامه بلفظ السلام عليكم لا بأس أن يرد عليه بلفظه .
- ٤- حرمة التناجى بغير البر والتقوى لقوله تعالى إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس الآية من سورة النساء^(١) .
- ٥- لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك .
- ٦- وحوب التوكل على الله وترك الأوهام والوساوس فإنها من الشيطان .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدْ مُوَبِّينَ يَدَى بُحْبُوكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(١) اختلف في جواز ومنع السلام على أهل الكتاب والذي عليه الجمهور جوازه للسنة الصحيحة في ذلك ويرى بعضهم وجوب الرد لعموم الآية : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .
 (٢) هي قوله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) .

﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ بَحْثَكُمْ صَدَقْتُمْ فَاذْكُرُوا تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

تفسحوا في المجالس : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.
فافسحوا يفسح الله لكم : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.
انشزوا فانشزوا : أي قوموا للصلاة أو لغيرها من أعمال البر.
يرفع الله الذين آمنوا منكم : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.

والذين اتوا العلم درجات : أي ويرفع الذين اتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم والعمل.

إذا ناجيتم الرسول : أي أردتم مناجاته.
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ.
ذلك خير لكم وأطهر : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر لذنوبكم.

فإن لم تجدوا : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.
فإن الله غفور رحيم : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة إثم.

أشفقتم أن تقدموا بين يدي : أي أخفقتم الفقر أن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.
نجواكم صدقات؟
فاذْكُرُوا تَفْعَلُوا : أي تذكروا الصدقات، وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.
واطيعوا الله ورسوله : أي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.
والله خير بما تعملون : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تربية المؤمنين وتهذيبهم ليكملوا ويسعدوا فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ أي إذا قال لكم الرسول ﷺ أو غيره توسعوا في المجلس ليجد غيركم مكاناً بينكم فتوسعوا ولا تضنوا بالقرب من الرسول أو من العالم الذي يعلمكم أو المذكر الذي يذكركم وإن أنتم تفسحتم أي فإن الله تعالى يكافئكم فيوسع عليكم في الدنيا بسعة الرزق وفي البرزخ في القبر وفي الآخرة في غرفات الجنان .

وقوله تعالى : ﴿وإذا قيل انشزوا﴾ أي قوموا من المجلس لعله أو للصلاة أو للقتال أو لفعل بر وخير فانشزوا أي خفوا وقوموا يشكم الله فيرفع الله الذين آمنوا منكم درجات بالنصر والذكر الحسن في الدنيا وفي غرف الجنة في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجات عالية لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل .

وقوله : ﴿والله بما تعملون خبير﴾ يذكرهم تعالى بعلمه بهم في جميع أحوالهم ليراقبوه ويكثروا من طاعته ويحافظوا على تقواه .

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ أمرهم تعالى إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ ويكلمه وحده أن يقدم صدقة أولاً ثم يطلب المناجاة وكان هذا لمصلحة الفقراء أولاً ثم للتخفيف^(١) عن رسول الله ﷺ إذ كل مؤمن يود أن يخلو برسول الله ﷺ ويقرب منه ويكلمه والرسول بشرٌ لا يتسع لكل أحد فشرع الله هذه الصدقة فأعلمهم أنه يريد التخفيف عن رسوله . فلما علموا ذلك وتخرجوا من بذل صدقة وأكثرهم فقراء

(١) قال قتادة : كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض ، وروي عن ابن عباس أن هذا في صفوف القتال إذ كانوا يتشاحون على الصف الأول فأمروا بالفسح لبعضهم حتى يتمكنوا من الوقوف في الصف الأول مع رسول الله ﷺ واللفظ عام يشمل هذا وذاك . قال القرطبي : والصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو علم أو ذكر أو مجلس صلاة كيوم الجمعة وفي الحديث الصحيح : (نهى رسول الله ﷺ أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا) .

(٢) قال قتادة : المعنى : اجبوا إذا دعيت إلى أمر بمعروف ، والنشر : الارتقاء مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها ، ومنه قيل للمرأة التي تترفع على زوجها ناشز .

(٣) في الآية مدح لأهل العلم : قاله ابن مسعود وفي الحديث : (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) . وقيل لعمر رضي الله عنه في مولى استخلفه فقال : إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض أما إن نبيكم ﷺ قد قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين) وعن ابن عباس : خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختر العلم فأعطى المال والملك معه .

(٤) قال ابن عباس : نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن رسوله فأنزل هذه الآية فلما نزلت كفت الناس .

لا يجدها نسخ تعالى ذلك ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالي ونسخها الله تعالى بقوله الآتي
أشفقتم. الآية.

وقوله تعالى ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾^(١) أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم حيث
تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم وأطهر أي لنفوسكم لأن النفس تطهر بالعمل الصالح وقوله
تعالى ﴿فإن لم تجدوا﴾ أي ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه ﷺ ولا حرج عليكم لعدم
وجدكم فإن الله غفور لكم رحيم بكم. وقوله تعالى ﴿ءأشفقتم﴾^(٢) أي أخفتم الفاقة والفقراء إن أنتم
ألزمتهم بالصدقة بين يدي كل مناجاة وعليه فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم برفع هذا الواجب
ونسخه فرجع بكم إلى عهد ما قبل وجوب الصدقة فأقيموا الصلاة بأدائها في أوقاتها في جماعة
المؤمنين مراعين شرائطها وأركانها وسننها وآدابها وآتوا الزكاة الواجبة في أموالكم. وأطيعوا الله
ورسوله في أمرهما ونهيهما يكفكم ذلك عوضاً عن الصدقة التي نسخت تخفيفاً عليكم ورحمة
بكم.

وقوله ﴿والله بما تعملون خبير﴾^(٣) أي فراقبوه في طاعته وطاعة رسوله تفلحوا فتنجوا من النار
وتدخلوا الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الندب إلى فضيلة التوسع في مجالس العلم والتذكير.
- ٢- الندب والترغيب في القيام بالمعروف وأداء الواجبات إذا دعى المؤمن إلى ذلك.
- ٣- فضيلة الإيمان وفضل العلم والعمل به.
- ٤- مشروعية النسخ في الشريعة قبل العمل بالمنسوخ وبعده إذ هذه الصدقة نسخت قبل أن
يعمل بها اللهم إلا ما كان من علي رضي الله عنه فإنه أخبر أنه تصدق بدينار وناجى رسول الله
ﷺ ثم نسخت هذه الصدقة فكان يقول في القرآن آية لم يعمل بها أحد غيري وهي فضيلة له
رضي الله عنه.

(١) قال ابن العربي : في الآية دليل على أن الأحكام لا ترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال (ذلك خير لكم وأطهر)
ثم نسخ ذلك مع كونه خيراً وأطهر. ولكن قد يقال إن ما نسخ من أجله قد يكون أكثر منفعة للمسلمين في دينهم ودنياهم ،
وإن كان خافياً عن المسلمين لا يعلمونه.

(٢) الاستفهام المراد به لوم الأصحاب على تأخرهم عن المناجاة لما فرضت عليها الصدقة. قيل كان ما بين الآيتين الناسخة
والمنسوخة عشرة أيام.

(٣) الجملة تذييل لجملة : (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهي كناية عن التحذير من التفريط في طاعة الله ورسوله ﷺ.

(٤) روي أن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب
إلي من حمر النعم : تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى.

هـ- في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في الواجبات والمحرمات عوض عما يفوت المؤمن من النوافل.

﴿الْمُتَرِّ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

الْمُتَرِّ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا .
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أي اليهود .
مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذنبون .

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير مؤمنين .
يَعْلَمُونَ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي .
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً : أي سترًا على أنفسهم وأموالهم فادعوا الإيمان كذبًا وحلفوا أنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين .

فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم وقتالهم .

فيحلفون له كما يحلفون لكم : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون .
ويحسبون أنهم على شيء : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق .
استحوذ عليهم الشيطان : أي غلب عليهم الشيطان .
فأنساهم ذكر الله : فلم يذكروه بآلستهم إلا تقية ولا يذكرون وعده ولا وعيده .
أولئك حزب الشيطان : أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده .
ألا إن حزب الشيطان هم : أي إن أتباع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في الخاسرون صفقة حياتهم .

معنى الآيات :

في هذه الأيام التي نزلت فيها هذه السورة كان النفاق بالمدينة بالغاً أشده ، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحيزين ضد الإسلام والمسلمين وذلك قبل اجلائهم من المدينة ففي هذه الآية يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معاً ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى ﴿ ألم تر ﴾ أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنين . يقول تعالى هؤلاء المنافقون ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم من اليهود بل هم مذبذبون حيارى يترددون بينكم وبين اليهود معكم في الظاهر ومع اليهود في الباطن .

وقوله تعالى : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ أي أنهم كاذبون إذ كانوا يأتون رسول الله ويحلفون له أنهم مؤمنون به وبما جاء به وهم يعلمون أنهم كاذبون إذ هم غير مؤمنين به ولا مصدقين . فتوعدهم الله عز وجل بقوله : ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً ﴾ أي هيأ لهم وأحضره وذلك يوم القيامة ، وندد بصنيعهم وقبح سلوكهم بقوله إنهم ساء ما كانوا يعملون ولذا أعد لهم العذاب (١) الاستفهام تعجبي ووجه التعجب من حالهم أنهم تولوا قوماً من غير جنسهم وليسوا على دينهم وإنما حملهم الاشتراك في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين .

(٢) عُرف اليهود في القرآن بأنهم المغضوب عليهم وتكرر ذلك في القرآن الكريم .

(٣) روي عن عكرمة وابن عباس في سبب نزول هذه الآية : أن النبي ﷺ كان جالساً في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال يبيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر شيطان فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق قد عاينه النبي ﷺ فقال . علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ قال دعني أجيبك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعاً أنه ما كان من ذلك شيء فأنزل الله تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعاً) .

الشديد لسوء سلوكهم وقبح أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم﴾^(١) جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ﴿أي اتخذ هؤلاء المنافقون أيمانهم التي يحلفونها لكم بأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين اتخذوها ستارة ووقاية يقون بها أنفسهم من القتل وأموالهم من الأخذ فصدوا بتلك الأيمان الكاذبة المؤمنين عن سبيل الله التي هي قتالهم لأنهم كفار مشركون يجب قتالهم حتى يدخلوا في دين الله أو يهلكوا لأنهم ليسوا أهل كتاب فتقبل منهم الجزية.

وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب مهين﴾ أي يوم القيامة يهانون ويدلون به.

وقوله تعالى ﴿لن تغني عنهم﴾^(٢) أي يوم القيامة أموالهم التي يجمعونها ويتمتعون بها اليوم كما لا تغني عنهم أولادهم الذين يعتزون بهم من الله شيئاً من الإغناء فلا تقبل منهم فدية فيفتدون بأموالهم ولا يطلبون من أولادهم نصرة فينصرونهم. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ولا يحيون.

وقوله تعالى ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ إي اذكر يا رسولنا يوم يبعثهم الله جميعاً في عرصات القيامة فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون لكم اليوم أنهم مؤمنون^(٣) ويحسبون اليوم أي يظنون أنهم على شيء من الصواب والحق. ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان أي غلب عليهم فانساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلاً كما أنساهم ذكر وعده ووعيده فلذا هم لا يرغبون فيما عنده ولا يرهبون مما لديه. أولئك حزب الشيطان أي أتباعه وجنده. ألا إن حزب الشيطان أي أتباعه وجنده هم الخاسرون أي المغبونون في صفقتهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(١) ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلاً قد يسأل: ما الذي حملهم على الحلف الكاذب؟ فالجواب اتخاذهم أيمانهم جنة والجنة الوقاية من جن إذا استتر أي: وقاية من شعور المسلمين ليتمكنوا من الصد عن الإسلام تحت شعاره.

(٢) في الآية إشارة إلى أن كبار المنافقين كانوا ذوي ثروة ومال وهذا من الأسباب الحاملة لهم على البقاء على الكفر حفاظاً على أموالهم ومراكزهم في المجتمع في نظرهم، فأخبر تعالى أن ما لهم الذي يحافظون عليه أولادهم الذين يعتزون بهم إذا نزل بهم عذاب الله لن يغني ذلك عنهم من الله شيئاً.

(٣) صح الحديث بأن من مات على شيء يبعث عليه، ولما مات المنافقون على النفاق بعتوا عليه، فلذا يحلفون لله تعالى أنهم كانوا مؤمنين كما هم يحلفون في الدنيا بأنهم مؤمنون وهم كاذبون، وهذا كقوله تعالى: (وما كان فتنتهم إلا أن قالوا والله ما كنا مشركين). وهذا في عرصات القيامة.

(٤) مجرد استحوذ: حاذ الشيء: إذا احاطه وصرفه كيف يريد، يقال: حاذ العير: إذا جمعها وساقها غالباً لها فاشتقوا منه استفعل: للاستيلاء، والتدبير والمعالجة ولا يقال استحوذ إلا لمن كان عاقلاً يحسن التدبير والتصريف.

(٥) جيء بحرف التنبيه والاستفتاح (ألا) تنبيهاً على أهمية ما دخلت عليه وأنه مما يحق أن ينتبه له. وضمير الفصل (هو) لإفادة القصر، وهو قصر إدعائي للمبالغة في مقدار خسارتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة موالة اليهود.

٢- حرمة الحلف على الكذب وهي اليمين الغموس.

٣- من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾
 لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
 حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾
 شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه.

أولئك في الأذلين : أي المغلوبين المقهورين.

كتب الله لأغلبن أنا ورسلي : أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم بأن يغلب بالحق أو السيف.

يوادون من حاد الله ورسوله : أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم : أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع للصحابه.

أولئك كتب في قلوبهم الإيمان : أي أثبت الإيمان في قلوبهم .

وأيدهم بروح منه : أي برهان ونور وهدى .

رضى الله عنهم ورضوا عنه : أي رضى الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم في الجنة .

ألا أن حزب الله هم المفلحون : أي ألا إن جند الله وأوليائه هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى موجها المؤمنين مرشداً لهم إلى أقوم طريق وأكمل الأحوال فيقول : ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من الدين الحق ﴿أولئك﴾ أي المخالفون في زمرة الأذلين في الدنيا والآخرة . وقوله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ أي كتب في اللوح المحفوظ وقضى بأن يغلب رسوله أعداءه بالحجة والسيف . ﴿إن الله قوى عزيز﴾ أي ذو قوة لا تقهر وعزة لا ترام فلذا قضى بنصرة رسوله على أعدائه مهما كانت قوتهم .

وقوله تعالى : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله وباليوم الآخر﴾ يقول تعالى لرسوله لا تجد أناساً يؤمنون بالله إيماناً صادقاً بالله رباً وإلهاً وباليوم الآخر يوادون بالمحبة والنصرة من حاد الله ورسوله بمخالفتهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من توحيد الله وطاعته وطاعة رسوله ولو كانوا أقرب قريب إليهم من أب أو ابن أو أخ أو عشيرة . وقوله تعالى ﴿أولئك كتب﴾ أي الله تعالى في قلوبهم الإيمان أي أثبتهم وقرره فيها فهو لا يبرح ينير لهم طريق الهدى حتى ينتهوا إلى جوار ربهم .

(١) (الأذلين) جمع الأذل وهو : الأكثر ذلاً من كل ذليل والذل المهانة والصغار والاحتقار .

(٢) روي أن مقاتلاً قال : قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبدالله بن أبي بن سلول أنظنون أن الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها ، والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك فأنزل الله تعالى : (كتب الله لأغلبن) أي : قضى الله ذلك .

(٣) من بعث منهم بالحجة فإنه غالب بالحجة ومن بعثه بالسيف فهو غالب بالسيف بإذنه تعالى .

(٤) ذكر لنزول هذه الآية عدة أسباب وهي وإن لم تنزل في كلها فإنها منطبقة عليها ف قيل : إنها نزلت في عبدالله بن عبدالله ابن أبي بن سلول فقد جاء لوالده بفضلة ماء من شراب رسول الله ﷺ لعل الله يظهر قلبه من النفاق فسأله ما هذا فأخبره فقال عليه لعائن الله : فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها فغضب وجاء يستأذن رسول الله ﷺ في قتله فلم يأذن له ، وقيل نزلت في أبي بكر الصديق لما ضرب والده بشدة لما سب له رسول الله ﷺ وقيل : نزلت في الذين بارزوا أقرباءهم يوم بدر .

(١) ﴿وَأَيُّدُهُمْ بَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي ببرهان ونور منه سبحانه وتعالى هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي بساتين غناء تجري الأنهار المختلفة من خلال الأشجار والقصور خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً، وفوق ذلك رضي الله عنهم بطاعتهم إياه ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة دار المتقين.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي أولئك العالون في كمالاتهم الروحية حزب الله أي جنده وأولياؤه، ثم أعلن تعالى عن فوزهم ونجاحهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) أي الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- كتب الله الذل والصغار على من حاده وحاد رسوله بمخالفتهما فيما يحببان ويكرهان.
- ٢- قضى الله تعالى بنصرة رسوله فنصره إنه قوي عزيز.
- ٣- حرمة موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب، وقد قاتل أصحاب رسول الله آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم في بدر. وفيهم نزلت هذه الآية تبشرهم برضوان الله تعالى لهم، وإنعامه عليهم اللهم اجعلنا منهم واحشرونا في زميرهم.

سُورَةُ الْحَشْرِ (١)

مدنية وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ

(١) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.
(٢) استدل مالك بهذه الآية (لا تجد قوماً...) الخ على معادة القدرية وترك مجالستهم. إذا كان هذا في القدرية فكيف بالرافضة؟!

(٣) روي أن داود عليه السلام قال: إلهي: أمن حزبك وحول عرشك؟ فأوحى الله إليه: يا داود: الغاضة أبصارهم النقية قلوبهم السليمة أكفهم. أولئك حزبي وحول عرشي.

(٤) وسماها ابن عباس سورة بني النضير لذكر قصة بني النضير فيها وسماها الرسول ﷺ (سورة الحشر) في حديث الترمذي عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر (هو الله) الخ وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي كذلك). وقال فيه: حسن غريب.

لَأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
 عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي : أي نزه الله تعالى وقُدَّسَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْقَالَ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 الْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ سَائِرِ الْكَائِنَاتِ .
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ : أي العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه .
 هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ : أي أخرج يهود بنى النضير من ديارهم بالمدينة .
 أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ

لَأَوَّلِ الْحَشْرِ : أي لأول حشر كان وثاني حشر كان من خير إلى الشام .
 مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا : أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بنى النضير يخرجون من
 ديارهم .

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ : أي وظن يهود بنى النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضى الله
 مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِجْلَائِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ .

(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (سَبَّحَ اللَّهُ) الْخِ تَذْكِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَسْبِيحِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الْوُجُودِ، وَتَرَكَهُ مَهْلِكَةً كَالَّتِي
 حَلَّتْ بِبَنِي النَّضِيرِ لِتَرْكِهِمْ ذَلِكَ .

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا : أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يوتون منه .
وقذف في قلوبهم الرعب : أي وقذف الله تعالى الخوف الشديد من محمد وأصحابه .
يخربون بيوتهم بأيديهم : أي يخربون بيوتهم حتى لا يتفتح بها المؤمنون وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم .
وأيدى المؤمنين : أي كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتلهم .
فاعتبروا يا أولى الأبصار : أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعمدوا إلا على الله سبحانه وتعالى .
ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء : أي ولولا أن كتب الله عليهم الخروج من المدينة .
لعذبهم في الدنيا : أي بالقتل والسبي كما عذب بنى قريظة إخوانهم بذلك .
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله : جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم لله ورسوله ومعاداتهم لهما .
ما قطعتم من لينة أو تركتموها : أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع .
فبإذن الله وليخزي الفاسقين : أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليجزى الله الفاسقين يهود بنى النضير .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن جلالة وعظمته بأنه سبحانه أي نزهه عن كل النقائص من الشريك والصاحبة والولد والعجز والنقص مطلقاً بلسان القال ولسان الحال جميع ما في السموات وما في الأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والشجر والحجر والمدر، وأنه هو العزيز الانتقام الحكيم في تدبير حياة الأنام . هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم يهود بنى النضير^(١) أجلاهم من ديارهم بالمدينة لأول الحشر^(٢) إلى أذرعات بالشام ومنهم من نزل بخيبر وسيكون لهم حشر آخر حيث حشرهم عمر وأجلاهم من خيبر إلى الشام .

وقوله تعالى في خطاب المؤمنين : ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي من ديارهم وظنوا هم أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فخاب ظنهم إذ أتاهم أمر الله من حيث لم يظنوا وذلك بأن قذف في

(١) بنو النضير : ربط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد ﷺ وكان من أمرهم ما قص تعالى في هذه السورة .

(٢) الحشر : الجمع أي : جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا : حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها أي : جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله : (لأول الحشر) هي لام التوقيت التي تدخل على أول الوقت نحو (فطلقوهن لعدتهن) أي : لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه .

قلوبهم الرعب والخوف الشديد من الرسول وأصحابه حتى أصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين. المؤمنون يخربونها من الظاهر لفتح البلاد وهم يخربونها من الباطن وذلك أن الصلح الذي تم بينهم وبين الرسول والمؤمنين أنهم يحملون أموالهم إلا الحلقة أي السلاح ويجلون عن البلاد إلى الشام وهو أول حشر لهم فكانوا إذا أعجبهم الباب أو الخشبة نزعوها من محلها فيخرب البيت لذلك. وقوله تعالى ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ أي البصائر والنهي أي اتعظوا بحال بنى النضير الأقوياء كيف قذف الله الرعب في قلوبهم وأجلوا عن ديارهم فاعتبروا يا أولى البصائر فلا تغتروا بقواكم ولكن اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه.

وقوله تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾^(١) أزلا في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالسبي والقتل كما عذب بنى قريظة بعدهم. ولهم في الآخرة عذاب النار، ثم علل تعالى لهذا العذاب الذي أنزله وينزله بهم بقوله: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي خالفوهما وعادوهما، ومن يشاق الله يعاقبه بأشد العقوبات فإن الله شديد العقاب. وقوله تعالى ﴿ما قطعتم من لينة﴾^(٢) أي من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع قائمة على أصولها فقد كان ذلك بإذن الله فلا إثم عليكم فيه فقد أسرّ به المؤمنين وأخزى به الفاسقين اليهود.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان جلال الله وعظمته مع عزه وحكمته في تسبيحه من كل المخلوقات العلوية والسفلية وفي إجلاء بنى النضير من ديارهم وهو أول حشر وإجلاء تم لهم وسيعقبه حشر ثانٍ وثالث^(٣).
- ٢- بيان أكبر عبرة في خروج بنى النضير، وذلك لما كان لهم من قوة ولما عليه المؤمنون من ضعف ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة وتركوا البلاد والأموال ورحلوا إلى غير رجعة. فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغتر العقلاء بقواهم المادية بل عليهم أن يعتمدوا على الله أولاً وآخراً.

٣- علة هزيمة بنى النضير ليست إلا محادثتهم لله والرسول ومخالفتهم لهما وهذه سنته تعالى في

(١) الفرق بين الجلاء والإخراج أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد وأما الإخراج قد يكون بدون ذلك وكلاهما مفارقة المراء وطنه ويقال: جلا المراء بنفسه وأجلاه غيره.

(٢) كان هذا من باب إلباء العدو إلى ترك المقاومة والاستسلام. واللينية: بمعنى: النخلة، واختير لفظ اللينة دون النخلة: لخفته وهو اللون دون العجوة والبرني.

(٣) الحشر: أي الجمع الأول هو إجلاؤهم من المدينة، والثاني: هو إجلاؤهم عن الديار الحجازية على يد عمر رضي الله عنه لوصية الرسول ﷺ بذلك في قوله (لا يجمع دينان في الجزيرة) والثالث: هو إجلاؤهم من فلسطين بعد تجمعهم فيها وإقام دولتهم. جاء بهذا حديث مسلم: (لتقاتلن اليهود...) الحديث فسوف يتم إجلاؤهم حتى لا يجتمعوا مرة أخرى إلى قيام الساعة.

كل من يحاده ويحاد رسوله فإنه ينزل به أشد أنواع العقوبات .

٤- عفو الله تعالى على المجتهد إذا أخطأ وعدم مؤاخذته ، فقد اجتهد المؤمنون في قطع نخل بني النضير من أجل إغاثتهم حتى ينزلوا من حصونهم . وأخطأوا في ذلك إذ قطع النخل المشر فساد ، ولكن الله تعالى لم يؤاخذهم لأنهم مجتهدون .

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ

عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِلَّذِي الْقُرَى وَلِلَّذِي الْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

(١) وما آفاء الله على رسوله منهم : أي وما رد الله ليد رسول الله ﷺ من مال بني النضير .
فما أوجفتم عليه من خيل ولا : أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلاً ولا إبلاً أي لم تعانوا
ركاب فيه مشقة .

ولكن الله يسלט رسله على من : أي وقد سلط رسول الله محمداً ﷺ على بني النضير ففتح
يشاء بلادهم صلحاً .

وما آفاء الله على رسوله من أهل : أي وما رد الله على رسوله من أموال أهل القرى التي لم يوجف
القرى عليها بخيل ولا رِكَابٍ .

فله وللرسول ولذي القربى : أي لله جزء وللرسول جزء ولقراة الرسول جزء ولليتامى جزء
واليتامى والمساكين وابن وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم على المذكورين

(١) (فما أوجفتم) هذه الفاء واقعة في جواب الذي ، إذ الموصول فيه معنى الشرط فقله : (وما آفاء) أي : والذي آفاه الله على رسوله منهم فما أوجفتم ... الخ .

السبيل

بالسوية .

كى لا يكون دولة بين الأغنياء : أي كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء الأقوياء ولا يناله منكم الضعفاء والفقراء .

وما آتاكم الرسول فخذوه وما : أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو أمركم به فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه .
واتقوا الله إن الله شديد العقاب : أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله وأحذروا عقوبة الله على معصيته ومعصية رسوله فإن الله شديد العقاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في غزوة بنى النضير إنه بعد الصلح الذي تم بينهم وبين رسول الله ﷺ وقد تركوا حوائطهم أي بساتينهم فيثاً لرسول الله ﷺ ورغب المسلمون في تلك البساتين ورأى بعضهم أنها ستقسم عليهم كما تقسم الغنائم فأبى الله تعالى ذلك عليهم وقال : ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي وما رد الله تعالى على رسوله من مال بنى النضير . وكلمة رد تفسير لكلمة أفاء لأن الفاء الظل يتقلص ثم يرجع أي يُردّ وأموال بنى النضير الأصل فيها لرسول الله ﷺ لأن بنى النضير عاهدوا رسول الله ﷺ وبمقتضى المعاهدة أبى عليهم أموالهم فإذا نقضوا العهد وخانوا لم يستحقوا من المال شيئاً لا سيما وأنهم تأمروا على قتله وكادوا ينفذون جريمتهم التي تحملوا تبعاتها ولو لم ينفذوها. وبداية القضية كالتالي :

أن المعاهدة التي تمت بين الرسول ﷺ وبين بنى النضير من جملة بنودها أن يؤدوا مع الرسول ما يتحمل من ديات . وبعد وقعة أحد بنصف سنة حدث أن عمرو بن أمية الضمري قتل خطأ رجلين من بنى كلب أو بنى كلاب فجاء ذووهم يطالبون بديتهم من رسول الله ﷺ إذ هو المسئول عن المسلمين فخرج ﷺ إلى بنى النضير في قريتهم^(١) التي تبعد عن المدينة بميلين يطالب بالإسهام في دية الرجلين الكلابيين بحكم المعاهدة فلما انتهى إليهم أنزلوه هو وأصحابه بأحسن مجلس وقالوا ما تطلبه هو لك يا أبا القاسم ثم خلوا بأنفسهم وقالوا ان الفرصة سانحة للتخلص من الرجل فجاءوا برحى «مطحنة» من صخرة وطلعوا بها إلى سطح المنزل وهموا أن يسقطوها على رأس رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الجدار مع أصحابه ، وقبل أن يسقطوا الرحى أوحى الله إلى رسوله أن قم من مكانك فإن اليهود أرادوا إسقاط حجر عليك ليقتلوك فقام ﷺ على الفور

(١) وكانت تسمى الزهرة وكان لها خمسة حصون .

وتبعه أصحابه وسقط في أيدي اليهود. وما إن رجع الرسول ﷺ حتى أعلن الخروج إلى بني النضير فإنهم نقضوا عهدهم ووجب قتالهم فنزل بساحتهم وحاصرهم وجرت سفارة وانتهت بصلح يقضى بأن يجلو بنو النضير عن المدينة يحملون أموالهم على إبلهم دون السلاح ويلتحقوا بأذرعات بالشام فكان هذا أول حشر لهم إلى أرض المعاد والمحشر إلا أسرتين نزلتا بخبير أسرة بني الحقيق الذين منهم حيي ابن اخطب والد صفية زوج رسول الله ﷺ. ولهذه الغزوة بقية ستأتي عند قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآيات.

من هنا علمنا أن مال بني النضير هو لرسول الله ﷺ أفاءه الله عليه فقال وما أفاء الله على رسوله منهم أي من بني النضير. ولما طمع المؤمنون فيه قال تعالى رداً عليهم فما أوجفتُم عليه أي على أموال بني النضير أي ما ركبتم إليه خيلاً ولا إبلًا ولا أسرعتم عدوًا إليهم لأنهم في طرف المدينة فلم تتحملوا سفراً ولا تعباً ولا قتالاً موتاً وجراحات فلذا لاحق لكم فيها فإنها فيء وليست بغنائم. ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بدون حروب ولا قتال فيفيء عليهم بمال الكفرة الذي هو مال الله فيرده على رسله، وقد سلط الله حسب سنته في رسله محمداً ﷺ على أعدائه بني النضير فحاز المال بدون قتال ولا سفر فهو له دون غيره ينفقه كما يشاء ومع هذا فقد أنفقه ﷺ ولم يبق منه إلا قوت سنة لأزواجه رضى الله عنهن وأرضاهن. وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء قدير﴾ لا يمتنع منه قوى، ولا يتعزز عليه شريف سري.

وقوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ أي من أموال أهل القرى التي ما فتحت عنوة ولكن صلحاً فتلك الأموال تقسم فيئاً على ما بين تعالى فله وللرسول ولذي القربى أي قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب. واليتامى الذين لا عائل لهم، والمساكين الذين مسكتهم الحاجة وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن بلاده وداره وماله. وعلة ذلك بينها تعالى بقوله: ﴿كيلاً يكون﴾ أي المال ﴿دولة﴾ أي متداولاً بين الأغنياء منكم، ولا يناله الضعفاء والفقراء فمن الرحمة والعدل أن يقسم الفيء على هؤلاء الأصناف المذكورين وما لله فهو ينفق في المصالح العامة وكذلك ما للرسول بعد وفاته ﷺ والباقي للمذكورين، وكذا خمس الغنائم فإنه يوزع على المذكورين في هذه الآية أما الأربعة أخماس فعلى المجاهدين.

(١) الإيجاف: ضرب من سير الخيل وهو سير سريع والمراد: الركض للإغارة (والركاب) اسم جمع للإبل التي تركب.

(٢) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز إذ التقدير: ولكن الله سلط عليهم رسوله، والله يسلط رسله على من يشاء.

(٣) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فالأولى كانت بخاصة قسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في بيان حكم الفيء في الإسلام.

(٤) (دولة): ما يتداوله المتداولون، والتداول: التعاقب في التصرف في شيء وأصبحت خاصة بتداول الأموال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من مال وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ﴾ أي من مال وغيره فانتهوا عنه واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله وأحذروا عقابه فإن الله شديد العقاب أي معاقبته قاسية شديدة لا تطاق فيا ويل من تعرض لها بالكفر والفجور والظلم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن مال بني النضير كان فيئاً خاصاً برسول الله ﷺ .
- ٢- أن الفئء وهو ما حصل عليه المسلمون بدون قتال وإنما بفرار العدو وتركه أو بصلح يتم بينه وبين المسلمين هذا الفئء يقسم على ما ذكر تعالى في هذه الآية إذ قال وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل . وأما الغنائم وهي ما أخذت عنوة بالقوة وسافر إليها المسلمون فإنها تُخمس خمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يوزع بينهم بالسوية، والاربعة الأخماس الباقية تقسم على المجاهدين الذين شاركوا في المعارك وخاضوها للراجل قسم وللفراس قسمان .
- ٣- وجوب طاعة رسول الله ﷺ وتطبيق أحكامه والاستئنان بسننه المؤكدة وحرمة مخالفته فيما نهى عنه أمته روى الشيخان أن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله الواشحات^(١) والمتنصتات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن فقالت بلغني أنك لعنت كيت وكيت . فقال : مالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عز وجل؟ فقالت لقد قرأت ما بين لحي المصحف فما وجدته، قال إن كنت قرأته فقد وجدته . أما قرأت قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت : بلى . قال : فإنه ﷺ قد نهى عنه . أي الوشم الخ . .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجَرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء وما في التفسير هو الذي عليه الأكثر منهم وهو الراجح والله أعلم .
(٢) الوشم معروف ، ملعونة فاعلته والمفعول لها ، والتنصص نتف الشعر من الوجه والتفلج توسعة ما بين الأسنان بمنشار وغيره للتجمل بذلك .
(٣) الإيتاء : مستعار لتبليغ الأمر إليهم إذ جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم كقوله تعالى : (خذوا ما آتيناكم بقوة) إذ يريد التشريع الذي شرعه لهم في التوراة .

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
 وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾
 وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
 وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
 غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

يبتغون فضلا من الله ورضوانا : أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقاً يكفيهم ورضاً منه تعالى .

أولئك هم الصادقون : أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله ورسوله .

والذين تبوءوا الدار والإيمان : أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألفوا الإيمان بعدما اختاروه على الكفر .

من قبلهم : أي من قبل المهاجرين .

ولا يجدون في صدورهم حاجة : أي حسداً ولا غيظاً .

مما أوتوا : أي مما أوتى إخوانهم المهاجرون من فىء بنى النضير .

ويؤثرون على أنفسهم : أي في كل شيء حتى إن الرجل منهم تكون تحته المراتان فيطلق أحدهما ليزوجها مهاجراً .

ولو كان بهم خصاصة : أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدون بها .

ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله تعالى حرص نفسه على المال والبخل به .

والذين جاءوا من بعدهم : أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين الى يومنا هذا فما بعد .

ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين : أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء .
 آمنا

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن فيء بنى النضير وتوزيع الرسول ﷺ له فقال تعالى ﴿للفقراء﴾ أي أعجبوا أن يعطى فيء بنى النضير للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون أي حال كونهم في خروجهم يطلبون فضلاً من الله أي رزقاً يكف وجوهمهم عن المسألة ورضواناً من ربهم أي رضاً عنهم لا يعقبه سخط. إذ كان الرسول ﷺ أعطى فيء بنى النضير للمهاجرين ولم يعط للأنصار إلا ما كان من أبى دجانة وسهل بن حنيف فقد ذكر الرسول الله ﷺ حاجة فأعطاهما. فتكلم المنافقون للفتنة وعابوا صنيع رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب منهم الرسول والمؤمنين في إنكارهم على عطاء رسول الله ﷺ المهاجرين دون الأنصار، وهو قوله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ أي في إيمانهم إذ صدقوا القول بالعمل، وما كان معتقداً باطنياً أصبح عملاً ظاهراً بهذه الأوصاف التي ذكر تعالى للمهاجرين أعطاهم الرسول من فيء بنى النضير. وأما الأنصار الذين لم يعطهم المال الزائل وهم في غير حاجة إليه فقد أعطاهم ما هو خير من المال. واسمع ثناءه تعالى عليهم: ﴿والذين تبوءوا الدار﴾ أي المدينة النبوية والإيمان أي بواؤه قلوبهم وأحبوه وألفوه. من قبلهم أي من قبل نزول المهاجرين إلى المدينة يحبون من هاجر إليهم من سائر المؤمنين الذين يأتون فراراً بدينهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة أي حسداً ولا غيظاً مما أوتوا أي مما أعطى الرسول ﷺ المهاجرين. ويؤثرون على أنفسهم غيرهم من المهاجرين ولو كان بهم خصاصة أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدون بها، وفي السيرة من عجيب إشارهم العجب العجائب في أن الرجل يكون تحته امرأتان فيطلق إحداها فإذا انتهت عدتها زوجها أخاه المهاجر فهل بعد هذا الإيثار من إيثار؟.

(١) وقيل: إنَّ (للفقراء) بيان لقوله: (ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ويكون: (للفقراء) : قيلاً لذي القربى بحيث لا يعطى منهم إلا الفقراء، وهذا مردود رده الشافعي على أبي حنيفة رداً عنيماً.

(٢) (أخرجوا) : أي : أحوجهم المشركون إلى الخروج وكانوا مائة رجل كذا قال القرطبي.

(٣) تبوءوا الدار والإيمان) لما كان التبوؤ يكون في الأماكن كان لابد من تقدير لكلمة الإيمان نحو: تبوءوا الدار والتزمو الإيمان أو ألفوا الإيمان على حد قولهم: علفتها تبناً وماءً بارداً. أي: وسقيتها ماءً.

(٤) في العبارة تجوز أي: من قبل نزول أكثر المهاجرين أو من قبل نزول الرسول ﷺ بالمدينة وهو سيد المهاجرين وسيد جميع العالمين.

(٥) أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة (أن رجلاً بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته: نومي الصبيان وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك) فنزلت هذه الآية: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَوْقُ شَحْ نَفْسِهِ﴾ أي من يقيه الله تعالى مرض الشح وهو البخل بالمال والحرص على جمعه ومنعه فهو في عداد المفلحين وقد وقى الأنصار هذا الخطر فهم مفلحون فهذا أيضاً ثناء عليهم وبشرى لهم .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد المهاجرين الأولين والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان يقولون في دعائهم الدائم لهم ﴿رَبَّنَا﴾ أي يا ربنا ﴿اغْفِرْ لَنَا﴾ أي ذنوبنا واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهم المهاجرون والأنصار، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بك وبرسولك ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي ذو رأفة بعبادك ورحمة بالمؤمنين بك فاستجب دعاءنا فاغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً لهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل المهاجرين والأنصار، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفران .
- ٢- فضيلة الإيثار على النفس .
- ٣- فضيلة إيواء المهاجرين ومساعدتهم على العيش في دار الهجرة المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله تعالى فراراً بدينهم ونصرة لإخوانهم المجاهدين والمرابطين .
- ٤- خطر الشح وهو البخل بما يجب إخراجه من المال والحرص على جمعه من الحلال والحرام .
- ٥- بيان طبقات المسلمين ودرجاتهم وهي ثلاثة بالإجمال :
- ١- المهاجرون الأولون .
- ٢- الأنصار الذين تبوءوا الدار «المدينة» وألفوا الإيمان .
- ٣- من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين إلى قيام الساعة من أهل الإيمان والتقوى .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾

الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ

(١) ومما ورد في ذم الشح قوله ﷺ (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم).

أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
 ﴿١١﴾ لَيْنَ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
 وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
 لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْنِنُ لَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
 مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدِّمْ بِأَسْهُمٍ يَبْنِيهِمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
 جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

الم تر	: أي ألم تنظر.
نافقوا	: أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.
لإخوانهم الذين كفروا من أهل :	أي يهود بني النضير.
الكتاب	
لئن أخرجتم	: أي من دياركم بالمدينة.
لنخرجن معكم	: أي نخرج معكم ولا نبقى بعدكم في المدينة.
وإن قوتلتم	: أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه.
لننصرنكم	: أي بالرجال والسلاح.
والله يشهد إنهم لكاذبون	: أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير.
ولئن نصروهم	: أي وعلى فرض أنهم نصروهم ليولين الأدبار ثم لا ينصرون
	المنافقون كاليهود سواء.
لأنتم أشد رهبة في صدورهم	: أي تالله لأنتم أشد خوفاً في صدورهم.
من الله	: لأن الله تعالى يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم.
ذلك بأنهم	: أي المنافقين.
قوم لا يفقهون	: لظلمة كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله.

لا يقاتلونكم جميعاً	: أي لا يقاتلكم يهود بني النضير مجتمعين .
إلا في قرى محصنة	: أي بالأسوار العالية .
أو من وراء جُدُر	: أي من وراء المباني والجدران أما المواجهة فلا يقدرون عليها .
بأسهم بينهم شديد	: أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد .
تحسبهم جميعاً	: أي مجتمعين .
وقلوبهم شتى	: أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه .
بأنهم قوم لا يعقلون	: إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق ولما كفروا به وتفرقوا فيه فهذا دليل عدم عقلهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة بني النضير فيقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿ألم تر﴾ أي تنظر يا رسولنا إلى الذين نافقوا وهم عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس إذ بعثوا إلى بني النضير حين نزل بساحتهم رسول الله ﷺ لحربهم بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا وإن قوتلتهم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم غير أنهم لم يفوا لهم ولم يأتهم منهم أحد وقذف الله الرعب في قلوبهم فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجلبهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة «السلاح» هذا معنى قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين﴾ نافقوا يقولون لإخوانهم في الكفر من أهل الكتاب «يهود بني النضير» لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أي في نصرتكم والوقوف إلى جنبكم أحداً كائنا من كان وإن قوتلم أي قاتلكم محمد ﷺ ورجاله لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم وفعلاً لم يقاتلوا معهم ولم يخرجوا معهم كما خرجوا من ديارهم . وهو قوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وعلى فرض أنهم نصرورهم ليولن الأدبار هاربين من المعركة، ثم لا ينصرون اليهود كالمنافقين سواء . وقوله تعالى : ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنهم أشد رهبة أي خوفاً في صدور المنافقين من الله

(١) بعد ذكر ما حل ببني النضير من خزي وعذاب حيث أجلاوا عن ديارهم تاركينها وراءهم وذكر ما أفاء الله على رسوله من أموالهم شرع تعالى في تعجيب رسوله والمؤمنين من حال المنافقين وما لحقهم من عار وشار فقال لرسوله ﷺ ﴿ألم تر إلى الذين﴾ الخ .

(٢) الاستهزاء للتعجب والأخوة هي أخوة التلاقي في الكفر وفي بغض الإسلام ورسوله وأهله . فما هي بأخوة نسب ولا دين .

(٣) جملة (لئن أخرجوا ..) الخ بيان لجملة : (والله يشهد إنهم لكاذبون) .

تعالى لأنهم يرون أن الله تعالى يؤجل عذابهم، وأما المؤمنون فإنهم يأخذونهم بسرعة للقاعدة (من بدل دينه فاقتلوه) فإذا أعلنوا عن كفرهم وجب قتلهم وقتالهم.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾^(١) هذا بيان لجبنهم وخوفهم الشديد من الرسول ﷺ والمؤمنين. إذ لو كانوا يفقهون لما خافوا العبد ولم يخافوا المعبود.

وقوله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي اليهود والمنافقون ﴿إلا في قرى محصنة﴾ بأسوار وحصون أو من وراء جدر أي في المباني ووراء الجدران. وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد أي العداوة بينهم قوية والبغضاء شديدة تحسبهم جميعاً في الظاهر وأنهم مجتمعون ولكن ﴿قلوبهم شتى﴾ أي متفرقة لا تجتمع على غير عداوة الإسلام وأهله، وذلك لكثرة أطماعهم وأغراضهم وأنانيتهم وأمراضهم النفسية والقلبية.

وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ إذ لو كانوا يعقلون لما حاربوا الحق وكفروا به وهم يعملون فعرضوا أنفسهم لغضب الله ولعنته وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان.
- ٢- خلف الوعد آية النفاق وعلاماته البارزة.
- ٣- الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولا تنفك عنهم.
- ٤- عامة الكفار يبدون متحدين ضد الإسلام وهم كذلك ولكنهم فيما بينهم تمزقهم العداوات وتقطعهم الأطماع وسوء الأغراض والنيات.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُ أَوْبَالٍ أَمْرِهِمْ وَّهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بُرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

(١) الفقه: إدراك المعاني الدقيقة والأسرار الخفية في كلام أهل الحكمة وذوي البصيرة.

(٢) الجملة بدل اشتمال من جملة: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي: لا يقاتلكم اليهود مع المنافقين مجتمعين في جيش واحد وفي الآية تهديد لليهود بني قريظة أما بنو النضير فقد انتهى أمرهم.

(٣) (شتى): جمع شتيت: بمعنى مفارق كقتيل وقتلى.

(٤) (ذلك) الإشارة إلى ما ذكر من عدم اتفاقهم وتفرق قلوبهم، والباء سببية ونفي العقل عنهم نفي لازمة وهو ما يقود إليه من النجاة والسعادة.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
 نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كمثل الذين من قبلهم قريباً : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ

كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر.

ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحربهم لرسول الله ولهم عذاب أليم
 في الآخرة.

كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : أي ومثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم
 كمثل الشيطان إذ قال للإنسان .

أكفر فلما كفر قال إني بريء منك : أي قال له الشيطان بعد أن كفره إني بريء منك .

وذلك جزاء الظالمين : أي خلودهما في النار أي الغاوي والمغوى ذلك جزاءهما
 وجزاء الظالمين .

ولتنظر نفس ما قدمت لغد : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر .

ولا تكونوا كالذين نسوا الله : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته .

فأنساهم أنفسهم : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيراً قط .

لا يستوى أصحاب النار : أي لأن أصحاب الجنة فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر
 وأصحاب الجنة بالمرغوب المحبوب . وأصحاب النار خاسرون

أصحاب الجنة هم الفائزون في جهنم خالدون، فكيف يستويان؟

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ ^(١) هذه الآية (١٥) والثتان بعدها (١٦) و (١٧) في بقية الحديث عن بني النضير إذ قال تعالى مثل بني النضير في هزيمتهم بعد نقضهم العهد كمثل الذين من قبلهم في الزمان والمكان وهم بنو قينقاع إذ نقضوا عهدهم فأخرجهم رسول الله ﷺ وذاقوا وبال أمرهم أي عاقبة نقضهم وكفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم أي موجه شديد وقوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ ^(٢) بوسائله الخاصة فلما كفر الإنسان تبرأ منه الشيطان وقال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين كذلك حال بني النضير مع المنافقين حيث حرضوهم على الحرب والقتال ووعدوهم أن يكونوا معهم ثم خذلوهم وتركوهم وحدهم .

وقوله تعالى : ﴿فكان عاقبتهم﴾ أي عاقبة أمرهما أي الإنسان والشيطان أنهما في النار خالدين فيها، وذلك أي خلودهما في النار جزاء الظالمين أي المشركين والفاسقين عن طاعة الله عز وجل .

وبعد نهاية قصة بني النضير نادى تعالى المؤمنين ليوجههم وينصح لهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً اتقوا الله بفعل أوامره، واجتنب نواهيه، ولتنتظر نفس ما قدمت لغد أي ولينظر أحدكم في خاصة نفسه ماذا قدم لغد أي يوم القيامة . واتقوا الله، أعاد الأمر بالتقوى لأن التقوى هي ملاك الأمر ومفتاح دارالسلام والسعادة، وقوله تعالى : ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ يشجعهم على مراقبة الله تعالى والصبر عليها . وقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أي لا تكونوا كأناس تركوا العمل بطاعة الله وطاعة رسوله فعاقبهم ربهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لها خيراً وأصبحوا بذلك فاسقين عن أمر الله تعالى خارجين عن طاعته . وقوله تعالى ﴿لا يستوى أصحاب النار

(١) هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم، وحذف حرف العطف لأن الكلام معطوف على سابقه وهو (كمثل الذين من قبلهم) الخ لأن حذف حرف العطف شائع تقول : أنت عاقل أنت كريم أنت كذا بلا حرف عطف .

(٢) هنا روى غير واحد من السلف حديثاً يتضمن قصة تشرح هذه الآية الكريمة كمثل الشيطان إذ قال للإنسان . . الخ وهي أن راهباً تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزین له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفاً أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزّلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم فسجد له ففترأ منه فأسلمه لقاتليه وتركه، واسم هذا الراهب، برصيصا .

(٣) أطلق لفظ الغد وأريد به يوم القيامة جرياً على عادة العرب فإنهم يطلقون لفظ الغد كتابة عن المستقبل، وقيل إطلاق لفظ الغد هنا إشارة إلى قرب الساعة كما قال الشاعر: فإن يك صدر هذا اليوم ولي فإن غداً لناظره قريب

(٤) هذه الجملة : (لا يستوى) الخ تذييل لما سبقها وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين .

وأصحاب الجنة ﴿٤﴾، أصحاب النار في الدرجات السفلى، وأصحاب الجنة في الفرديس العلا فكيف يستويان، إذ أصحاب الجنة فائزون، وأصحاب النار خاسرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ضرب مثل لحال الكافرين في عدم الاتعاظ بحال غيرهم.
- ٢- التحذير من سبل الشيطان وهي الإغراء بالمعاصي وتزيينها فاذا وقع العبد في الهلكة تبرأ الشيطان منه وتركه في محنته وعذابه.
- ٣- وجوب التقوى بفعل الأوامر وترك النواهي.
- ٤- وجوب مراقبة الله تعالى والنظر يومياً فيما قدم الإنسان للأخرة وما أخر.
- ٥- التحذير من نسيان الله تعالى المقتضى لعصيانته فإن عقوبته خطيرة وهي أن ينسى الله العبد نفسه فلا يقدم لها خيراً قط فيهلك ويخسر خسراناً مبيئاً.
- ٦- عدم التساوى بين أهل النار وأهل الجنة، إذ أصحاب النار لم ينجو من المرهوب وهو النار، ولم يظفروا بمرغوب وهو الجنة، وأصحاب الجنة على العكس سلموا من المرهوب، وظفروا بالمرغوب نجوا من النار ودخلوا الجنان.

لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا

الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةٍ
 اللَّهُ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
 الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
 يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل :	أي وجعلنا فيه تميزاً وعقلاً وإدراكاً .
لرأيت خاشعاً متصدعاً	أي لرأيت ذلك الجبل متشققاً متطامناً ذليلاً .
من خشية الله	أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدى حقه من التعظيم .
وتلك الأمثال نضربها للناس ^(١)	أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس .
لعلهم يتفكرون	أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون .
هو الله الذي لا إله إلا هو	أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عز وجل .
عالم الغيب والشهادة	أي عالم السر والعلانية .
هو الرحمن الرحيم	أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما .
هو الله الذي لا إله إلا هو	أي لا معبود بحق إلا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك .
الملك القدوس	أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به .
السلام المؤمن المهيمن	أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص المصدق رسله بالمعجزات . المهيمن : الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم .
العزیز الجبار المتكبر	أي العزيز في انتقامه الجبار لغيره على مراده ، المتكبر على خلقه .
سبحان الله عما يشركون	أي تنزيهاً لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة
هو الله الخالق البارئ	أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات المنشئة لها من العدم .
المصور	أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة .
له الأسماء الحسنى	أي تسعة وتسعون اسماً كلها حسنى في غاية الحسن .
يسبح له ما في السموات والأرض	أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض .
وهو العزيز الحكيم	أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في جميع تدبيره .

(١) هذه الجملة في الآيات تذييل لأن ما قبلها سبق مساق المثل فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله تعالى في كلامه المراد منها أن يتفكر فيها الناس ليهتدوا إلى ما ينجيهم ويسعدهم .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ . . .﴾ لما أمر تعالى في الآيات السابقة ونهى ووعظ وذكر بما لا مزيد عليه أخبر أنه لو أنزل هذا القرآن العظيم على جبل بعد أن خلق فيه إدراكاً وتمييزاً كما خلق ذلك في الإنسان لَرُؤِيَ ذلك الجبل خاشعاً ذليلاً متصدعاً متشققاً من خشية الله أي من الخوف من الله لعله قصّر في حق الله وحق كتابه ما أداهما على الوجه المطلوب، وفي هذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه . ثم أخبر تعالى أنّ ما ضرب من أمثال في القرآن ومنها هذا المثل المضروب بالجبل . يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلى طريق كمالهم وسعادتهم ثم أخبر تعالى عن جلاله وكماله بذكر أسمائه وصفاته فقال ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو، عالم الغيب والشهادة أي السر والعلن والموجود والمعدوم والظاهر والباطن . هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم بعباده المؤمنين، الملك الذي له ملك السموات والأرض والمدير للأمر في الأرض والسماء،^(٢) القدوس الطاهر المنزه عن كل نقص وعيب عن الشريك والصاحبة والولد . السلام ذو السلامة من كل نقص مفيض السلام على من شاء من عباده . المؤمن المصدق رسله بما آتاهم من المعجزات المصدق عباده المؤمنين فيما يشكون إليه مما أصابهم، ويطلبونه ما هم في حاجة إليه من رغائبهم وحاجاتهم، المهيمن على خلقه الرقيب عليهم المتحكم فيهم لا يخرج شيء من أعمالهم وتصرفاتهم عن إرادته وإذنه، العزيز الغالب على أمره الذي لا يمانع فيما يريد . الجبار للكل^(٣) على مُرادِهِ وما يريده، المتكبر على كل خلقه وله الكبرياء في السموات والأرض والجلال والكمال والعظمة .

وقوله تعالى ﴿سبحان الله عما يشركوه﴾ نزه تعالى نفسه عما يشرك به المشركون من عبدة الأصنام والأوثان وغيرها من كل ما عبّد من دونه سبحانه وتعالى هو الله الخالق الباريء المصور :

(١) (لو) هذه حرف امتناع لامتناع أي : امتنع إنزال القرآن على جبل فامتنعت رؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني .

(٢) لفظ القدوس : مشتق من القدس بلغة الحجاز وهو : السطل لأنه يتطهر به، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء للتطهر وغيره قال ثعلب اللغوي : كل اسم على وزن فعول فهو مفتوح الأول نحو سعود، وكلوب، وتثور إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيها أكثر من الفتح .

(٣) لاسم السلام ثلاث معانٍ صادقة : منها ذو السلامة كما في التفسير ومنها ذو السلام : أي المسلم على عباده في الجنة : ومنها الذي سلم من كل عيب وبريء من كل نقص .

(٤) الجبار : قال ابن عباس : هو العظيم وجبروت الله : عظمتة وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم : نخلة جبارة . قال الشاعر :

سوامق جَبَّارٌ أثيث فروعُه وعالين قنواناً من البسر أحمرَا

السوامق : مرتفعات، وأثيث : الملتف : والقنوان : العذق .

المقدر للخلق البارئ له المصور له في الصورة التي أراد أن يوجد عليها. له الأسماء الحسنى وهي مائة اسم الا اسماً واحداً كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في صحيح البخارى وأسماءه متضمنة صفاته وكل أسمائه حسنى وكل صفاته عليا منزه عن صفات المحدثين يسبح له ما في السموات والأرض من مخلوقات وكائنات أي ينزهه ويقدسه عما لا يليق به ويدعوه ويرغب إليه في بقائه وكمال حياته. وهو العزيز الحكيم الغالب على أمره الحكيم في تدبير ملكه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهي والوعد والوعيد الأمر الذي لو أن جبلاً ركب فيه الإدراك والتمييز كالإنسان ونزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله.
- ٢- استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد. ٣- تقرير التوحيد، وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ٤- إثبات أسماء الله تعالى، وأنها كلها حسنى، وأنها متضمنة صفات عليا.
- ٥- ذكر أسمائه تعالى تعليم لعباده بها ليدعوه بها ويتوسلوا بها إليه.

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ (١)

مدنية وآياتها ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي
وَأَبْغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

(١) قال القرطبي: المشهور في اسم هذه السورة أنه الممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل، وهو الذي جزم به السهلي، والمراد من الممتحنة الآية التي في هذه السورة إذ بها تمتحن المرأة التي تحيي مهاجرة من بلادها وتترك زوجها. والآية هي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الخ ورجح الحافظ ابن حجر فتح الحاء باسم المفعول أي: المرأة الممتحنة.

يُثَقِّفُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- لا تتخذوا عدوى وعدوكم : أي الكفار والمشركين .
أولياء تلقون إليهم بالمودة : أي لا تتخذوهم أنصاراً توادونهم .
وقد كفروا بما جاءكم من الحق : أي الإسلام عقيدة وشرعية .
يخرجون الرسول وإياكم : أي بالتضييق عليكم حتى خرجتم فارين بدينكم .
أن تؤمنوا بربكم : أي لأجل أن آمنت بربكم .
إن كنتم خرجتم جهاداً في : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المودة .
سبيلي وابتغاء مرضاتي
تسرون إليهم بالمودة : أي توصلون إليهم خبر خروج الرسول لغزوهم بطريقة سرية .
ومن يفعله منكم : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها .
فقد ضل سواء السبيل : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلى الإسهاد .
إن يثقفوكم : أي أن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكان ما .
يكونوا لكم أعداء : أي لا يعترفون لكم بمودة .
ويبسطوا إليكم أيديهم : أي بالضرب والقتل .
والسنتهم بالسوء : أي بالسب والشتم .
وودوا لو تكفرون : أي وأحبوا لو تكفرون بدينكم ونبيلكم وتعودون إلى الشرك معهم .

لن تنفعكم أرحامكم ولا : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقريباً إليهم من أولادكم أجل أن يراعوا لكم أقباءكم وأولادكم المشركين بينهم فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة .
يوم القيامة يفصل بينكم : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في النار .

معنى الآيات :

(١) فاتحة هذه السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...﴾ الآيات . نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة وكان من المهاجرين الذين شهدوا بدرًا روى مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال اتناوروضة خاخ «موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً» فإن بها ظعينة «امرأة مسافرة»^(٧) معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا نهدي خيلنا أي نسرعها فإذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت ما معي كتاب . فقلنا لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب^(٨) «أي من عليك» فأخرجته من عقاصها أي من ظفائر شعر رأسها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا به من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟ فقال لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرأة ملصقة في قريش «أي كان حليفاً لقريش ولم يكن قرشياً» وكان من معك من المهاجرين لهم قربات يحمون بها أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله كفوراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وإن كتابي لا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن الله ناصرك عليهم . فقال النبي ﷺ صدق . فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ من الكفار والمشركين ﴿أولياء﴾ أي أنصاراً ﴿تلقون إليهم﴾^(٩) بالمودة أي أسرار النبي ﷺ الحربية ذات الخطر والشأن . والحال أنهم قد كفروا بما جاءكم من الحق الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله . يخرجون الرسول وإياكم من^(١٠) دياركم بالمضايقة لكم حتى هاجرتهم فارين بدينكم، أن تؤمنوا بربكم أي من أجل أن آمتتم بربكم . ، أمثل هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء تدلون إليهم بالمودة . . إنه لخطأ جسيم

(١) العدو: ذو العداوة وهو فعول بمعنى فاعل من عدا يعدو وأصله مصدر على وزن فعول مثل قبول، ولما كان على وزن المصادر عومل معاملة المصدر فاستوى في الوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .
 (٢) تسمى سارة مولاة لأبي عمرو بن صيغر بن هاشم بن عبد مناف وهي يومئذ مشركة .
 (٣) في رواية ، أو لتلقين الثياب أي : لتجردنك من ثيابك .
 (٤) جائز أن تكون جملة : (تلقون) في محل نصب على الحال من ضمير (لا تتخذوا) والإلقاء حقيقة : رمي ما في اليد على الأرض ، واستعير للإلقاء الشيء بدون تدبر في موقعه أي : تصرفون إليهم مودتكم بدون تأمل في آثارها الضارة .
 (٥) الجملة : حال من الضمير في كفروا وحكيت بالمضارع لاستحضار الصورة البشعة في الذهن .
 (٦) أي : لأن تؤمنوا بالله ربكم علة وسبب إخراجهم إياكم من دياركم أي : هو اعتداء حملهم عليه أنكم آمتتم بالله ربكم .

ممن فعل هذا .

(١١)

وقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي أي لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين وطلباً لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء من دوني تلقون إليهم بالمودة .

وقوله تعالى تسرون إليهم بالمودة أي تخفون المودة إليهم بنقل أخبار الرسول السرية والحال أني ﴿أعلم﴾ منكم ومن غيركم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ . وها قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة والتي تتضمن فضح سر رسولي في عزمه على غزوهم مفاجأة لهم حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أنفس .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أي الولاء والمودة للمشركين فقد ضل سواء السبيل أي خطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف يريد جانب الإسلام الصحيح .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْأَسَاءِ وَوَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ﴾ أي أنهم أعداؤكم حقاً إن يثقفوكم أي يظفروا بكم متمكنين منكم يكونوا لكم أعداء ولا يبالون بمودتكم إياهم ، ويبسطوا إليكم أيدهم بالضرب والقتل والسننهم بالسب والشتن وتمنوا كفركم لتعودوا إلى الشرك مثلهم .

(١٢)

وقوله تعالى : ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين وادتم الكفار من أجلهم من عذاب الله في الآخرة إذ حاطب كتب الكتاب من أجل قرابته وأولاده فبين تعالى خطأ حاطب في ذلك .
وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ بأن تكونوا في الجنة أيها المؤمنون ويكون أقرباؤكم وأولادكم المشركون في النار . فما الفائدة إذاً من المعصية من أجلهم؟! والله بما تعملون بصير فراقبوه واحذروه فلا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة موالاة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة دون المسلمين .

(١١) هذه الجملة شرطية ذيل بها النهي : (لا تتخذوا عدوي) والغرض هو تأكيد الكلام السابق .

(١٢) الجملة بيانية لسابقتها ، وجملة : (وأنا أعلم) حالية فيها معنى التعجب بضميمة التي قبلها .

(١٣) (لن تنفعكم ..) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ الذي يسمع جملة : (ودوا لو تكفرون) بتطلع إلى ما يترتب على الكفر فيجاء بجملة : لن تنفعهم أرحامهم ولا أولادهم ولو في قوله : (ودوا لو تكفرون) مصدرية أي : ودوا كفرهم .

- ٢- الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية الى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى .
- ٣- بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة .
- ٤- فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل .
- ٥- قبول عذر الصادقين الصالحين ذوى السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهداً منه .
- ٦- عدم انتفاع المرء بقربائه يوم القيامة إذا كان مسلماً وهم كافرون .

قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ
 إِنَّا بَرَاءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
 قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
 رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾
 لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--|----------------------------|
| قد كان لكم | : أي أيها المؤمنون . |
| أسوة حسنة | : أي قدوة صالحة . |
| في إبراهيم والذين معه | : من المؤمنين فأتسوا بهم . |
| إذ قالوا لقومهم | : أي المشركين . |
| إنا براء منكم ومما تعبدون من : أي نحن متبرئون منكم ، ومن أوثانكم التي تعبدونها . | |
| دون الله | |

كفرنا بكم : أي جحدنا بكم فلم نعترف لكم بقرابة ولا ولاء.
وبدا بيننا وبينكم العداوة : أي ظهر ذلك واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا خفاء.
والبغضاء

حتى تؤمنوا بالله وحده : أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده.

وإليك أنبنا : أي رجعنا في أمورنا كلها.
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا : أي بأن تظهرهم علينا فيفتنوننا في ديننا ويفتنون بنا يرون أنهم على حق لما يغلبوننا.

لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة : أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر : أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم القيامة.

ومن يتول : أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلى الكفر.

فإن الله غني حميد : أي فإن الله ليس في حاجة إلى إيمانه وصبره فإنه غني بذاته لا يفقر إلى غيره، حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على عباده.

معنى الآيات :

لما حرم تعالى على المؤمنين موالاة الكافرين مع وجود حاجة قد تدعو إلى موالاتهم كما جاء ذلك في اعتذار حاطب بن أبي بلتعة أراد تعالى أن يشجعهم على معاداة الكافرين وعدم موالاتهم بحال من الأحوال لما في ذلك من الضرر والخطر على العقيدة والصلة بالله وهي أعز ما يملك المؤمنون أعلمهم بأنه يوجد لهم أسوة أي قدوة حسنة في إبراهيم خليله والمؤمنين معه^(١) فإنهم على قلتهم وكثرة عدوهم وعلى ضعفهم وقوة خصومهم تبرأوا من أعداء الله وتكفروا لأية صلة تربطهم بهم فقالوا ما قص الله تعالى عنهم في قوله ﴿إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ «من أصنام وأوثان» كفرنا بكم فلم نعترف لكم بوجود يقتضى مودتنا ونصرتنا لكم، وبدا أي ظهر بيننا وبينكم العداوة^(٢) والبغضاء بصورة مكشوفة لا ستار عليها لأننا موحدون وأنتم مشركون،

(١) قرأ نافع (أسوة) بكسر الهمزة، وقرأها حفص بالرفع وهي القدوة الصالحة.

(٢) هم : سارة وزوجها ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالى : (والذين معه).

(٣) العداوة : هي المعاملة بالسوء والاعتداء والبغضاء نفرة النفس والكراهية للمبغض.

لأننا مؤمنون وأنتم كافرون، وسوف تستمر هذه المعادة وهذه البغضاء بيننا وبينكم حتى تؤمنوا بالله وحده رباً وإلهاً لا ربَّ غيره ولا إله سواه إذا فأتسوا أيها المسلمون بإمام الموحدين إبراهيم اللهم إلا ما كان من استغفار إبراهيم لأبيه فلا تأتسوا به ولا تستغفروا لموتاكم المشركين فإن إبراهيم قد ترك ذلك لما علم أن أباه لا يؤمن وأنه يموت كافراً وأنه في النار فقال تعالى إلا قول إبراهيم^(١) لأبيه «آزر» لاستغفرون لك وما أملك لك من الله من شيء أي غير الاستغفار. وكان هذا عن وعد قطعه له ساعة المفارقة له إذ قال في سورة مريم: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنه كان بي حفيظاً﴾ وجاء في سورة التوبة قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾.

وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا﴾ أي رجعنا من الكفر إلى الإيمان بك وتوحيدك في عبادتك، وإليك المصير. أي مصير كل شيء يعود إليك وينتهي عندك فتقضى وتحكم بما تشاء. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا أي لا تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويردونا إلى الكفر، ويفتنون بنا فيرون أنهم لما غلبونا أنهم على حق ونحن على باطل فيزدادون كفراً ولا يؤمنون. واغفر لنا ربنا أي ذنوبنا السالفة واللاحقة فلا تؤاخذنا بها إنك أنت العزيز الغالب المنتقم ممن عصاك الحكيم في تدبيرك لأوليائك فدبر لنا ما ينفعنا ويرضيك عنا. هذا الابتهال والضراعة من قوله تعالى ربنا عليك توكلنا إلى الحكيم من الجائز أن يكون هذا مما قاله إبراهيم والمؤمنون معه وأن يكون إرشاداً من الله للمؤمنين أن يقولوه تقوية لإيمانهم وتثبيتاً لهم عليه كما فعل ذلك إبراهيم ومن معه. وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم^(٢) أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تأكيد لما سبق وتقرير له وتحريك للهمم لتأخذ به. وقوله لمن^(٣) كان يرجو بالله واليوم الآخر إذ هم الذين ينتفعون بالعبر ويأخذون بالنصائح لحياة قلوبهم بالإيمان.

وقوله تعالى: ومن يتول أي عن الأخذ بهذه الأسوة فيوالى الكافرين فإن الله غني عن إيمانه وولايته له التي استبدلها بولاية أعدائه حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على خلقه.

(١) الاستثناء منقطع إذ هذا القول ليس من جنس قولهم: (إنا براء منكم) إذ قول إبراهيم لأبيه لاستغفرون لك هو رفق بأبيه وهو مغاير للتبرؤ.

(٢) الفتنة: اضطراب الحال وفساده، ومعنى الآية: سؤال الله تعالى أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا أي: أن لا يسلط عليهم الذين كفروا حتى لا يفتنهم في دينهم ويجوز أن يكون فتنة: اسم فاعل أي: لا تجعلنا بضعفتا فانتين لهم صارفين لهم عن الإسلام كما هو في التفسير وهو واضح غاية الوضوح.

(٣) (فيهم): أي في إبراهيم والمؤمنين معه، والأسوة الحسنة: القدوة الصالحة أي: اقتدوا بهم في البراءة من الشرك والمشركين.

(٤) هذه الجملة بدل من جملة: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة ..).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الاقتداء بالصالحين في الإيتساء بهم في الصالحات.
- ٢- حرمة موالاة الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب.
- ٣- كل عداوة وبغضاء تنتهى برجع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك.
- ٤- لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ.
- ٥- وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين الأول خشية أن يغلبهم الكافرون فيفتنهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر والثاني حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبياً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ

يَبْنَكُمْ وَيُنْزِلَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
 ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم

مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- عاديتم منهم : أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة لأمره .
- مودة : أي محبة وولاء وذلك بأن يوفقهم للإيمان والإسلام فيؤمنوا ويسلموا
- ويصحبوا أولياءكم .
- والله قدير : أي على ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلاً منهم .
- لم يقاتلوكم في الدين : أي من أجل الدين .
- أن تبروهم : أي تحسنوا إليهم .

وتقسطوا إليهم : أي تعدلوا فيهم فتصفوهم
 إن الله يحب المقسطين : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا.
 وظاهروا على إخراجكم : أي عاونوا وناصروا العدو على إخراجكم من دياركم.
 أن تولوهم : أي تتولهم بالنصرة والمجبة.
 فأولئك هم الظالمون : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء
 في غير موضعه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الموالاتة للكافرين فإنه لما حرم تعالى ذلك، وكان
 للمؤمنين قرابات كافرة وبحكم إيمانهم واستجابتهم لنداء ربهم قاطعوهم فَبَشَّرَهُمُ تعالى في هذه
 الآية الكريمة بأنه عز وجل قادر على أن يجعل بينهم وبين أقربائهم مودة فقال عز من قائل
 ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أي من المشركين ﴿مودة﴾^(١). وذلك بأن
 يوفقهم للإسلام، وهو على ذلك قدير وقد فعل وله الحمد والمنة فقد فتح على رسوله مكة وبذلك
 آمن أهلها إلا قليلاً فكانت المودة وكان الولاء والإيحاء مصداقاً لقوله عز وجل عسى الله أن يجعل
 بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فقد تاب عليهم بعد أن هدامهم
 وغفر لهم ما كان منهم من ذنوب ورحمهم.

وقوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾^(٢)
 بمضايقتكم أن تبروهم أي بالإحسان إليهم بطعام أو كسوة أو إركاب وتقسطوا أي تعدلوا فيهم
 بأن تصفوهم وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التي
 ذكر تعالى. وهي :

أولاً: أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا.

(١) هذا بعد أن يسلم الكافرون ويوحد المشركون فعلاً فقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة والاهم المسلمون كآبي سفيان بن
 حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ومن مظاهر هذه المودة تزوج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان
 وبذلك لانت عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمة في العدواة حتى إنه لما بلغه تزوج النبي ﷺ بها قال: ذلك الفحل لا
 يقدر أنفه أي: لا يضرب أنفه، وهي كلمة مدح.

(٢) اختلف في هل هذه الآية محكمة أو منسوخة بقتال المشركين؟ والذي عليه أكثر أهل العلم سلفاً وخلفاً أنها محكمة بما
 ذكر فيها من شروط وأن العمل بها باق ببقاء الإسلام كما هو في التفسير.

(٣) روى البخاري ومسلم وأبو داود أن قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر الصديق قدمت عليها أمها في فترة الهدنة بين الرسول
 ﷺ والمشركين وأهدتها قرطاً وأشياء فكرهت أن تقبل ذلك فأنت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فأذن لها في قبول هدية أمها
 واستأذنته في صلتها؟ فقال لها صلي أمك.

وثانيا: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا وإجائنا إلى الهجرة.

وثالثا: أن لا يعاونوا عدواً من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ترغيب لهم في العدل والانصاف حتى مع الكافر وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ﴾ عن موالاة الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا أي أعانوا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولُوهُمْ﴾ أي ينهاكم عن موالاتهم. ﴿وَمَنْ يَتْلِهِمْ مِنْكُمْ﴾ معرضاً عن هذا الإرشاد الإلهي والأمر الرباني ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لأنفسهم المتعرضون لعذاب الله ونقمته لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعدما عرفوا ذلك وفهموه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان حكم الموالاة الممنوعة والمباحة في الإسلام.
- ٢- الترغيب في العدل والإنصاف بعد وجوبهما للمساعدة على القيام بهما.
- ٣- تقرير ما قال أهل العلم: أن عسى من الله تفيد وقوع ما يرجى بها وجوده لا محالة. بخلافها من غير الله فهي للترجي والتوقع وقد يقع ما يُترجى بها وقد لا يقع.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
 مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
 فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ
 مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَشَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا
 ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ
 شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
 أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات : أي المؤمنات بالستهن مهاجرات من الكفار.
- فامتنحنوهن : أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن الا رغبة في الإسلام لا بغضباً لأزواجهن، ولا عشقاً لرجال من المسلمين.
- فإن علمتموهن مؤمنات : أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.
- فلا ترجعوهن إلى الكفار : أي لا تردوهن إلى الكفار بمكة.
- لا من حل لهن ولا هم يحلون : لا المؤمنات يحلن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون لهن
- وآتوهن ما أنفقوا : أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التي أعطوها لأزواجهن.
- ولا جناح عليكم أن تنكحوهن: أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن لانفساخ العقد بالإسلام. وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقي شروط النكاح.
- ولا تمسكوا بعصم الكوافر : أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. وكذا من ارتدت ولحقت بدار الكفر. إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة إن كان مدخولاً بها.
- واسألوا ما أنفقتم : أي أطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.
- وليسألوا ما أنفقوا : أي على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن.
- وإن فاتكم شيء من أزواجكم: أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم إلى الكفار مهرها فعاقبتهم أي الكفار فغنمتم منهم غنائم.
- فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل: أي فأعطوا الذين ذهب أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا ما أنفقوا عليهن من مهور.
- واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون : أي وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون فأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

معنى الايتين :

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ﴾ الايتين (١٠) و (١١) نزلتا بعد صلح الحديبية إذ تضمنت وثيقة الصلح أن من جاء الرسول ﷺ من مكة من الرجال رده إلى مكة ولو كان مسلماً، ومن جاء المشركين من المدينة لم يردوه إليه ولم ينص عن النساء، وأثناء ذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة من مكة إلى المدينة فلحق بها أخوها عمار^(١) والوليد ليرادها إلى قريش فنزلت هذه الآية الكريمة فلم يرداها عليهما ﷺ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً والإسلام ديناً إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتنحنوهن^(٢) - الله أعلم بإيمانهن - فإن علمتموهن أي غلب على ظنكم أنهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار وصورة الامتحان أن يقال لها احلفي بالله أي قللي بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً لزوجي، ولا عشقاً لرجل مسلم.

وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ لأن الإسلام فصم تلك العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته، إذ حرم الله نكاح المشركات، وإنكاح المشركين، ولذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين.

وقوله تعالى ﴿وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها أعطوه ما أنفق عليها من مهر والذي يعطيه هو جماعة المسلمين وإمامهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي تتزوجهن إذا آتيتوهن أجورهن أي مهرهن مع باقي شروط النكاح من ولي وشاهدين وانقضاء العدة في المدخول بها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ أي إذا أسلم الرجل وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم، وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة

(١) وكذلك جاءت سبيعة الأسلمية مهاجرة هاربة من زوجها صفيي، وجاءت أميمة بنت بشر هاربة من زوجها ثابت بن الشمرخ، فجاء أزواجهن مطالبين بهن فقال زوج سبيعة للنبي ﷺ إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تجف بعد فنزلت هذه الآية.

(٢) ذكر القرطبي أن أخوي أم كلثوم أتيا النبي ﷺ مع اختهما مهاجرتين وأن النبي ﷺ ردهما على المشركين ولم يرد اختهما أم كلثوم وكانت تحت عمرو بن العاص وهو مشرك يومئذ، وذكر ابن كثير: أن أخوي أم كلثوم وفدا يطالبان بأختهما لا مهاجرتين وهذا الظاهر.

(٣) لما كانت المعاهدة لم تنص على النساء بلفظ صريح وهو لفظ أحد وهو صالح للرجال والنساء نزلت هذه الآية مخرجة للنساء من عموم لفظ (أحد) فالآية مبينة أو ناسخة والكل صالح.

(٤) اختلف في صيغة الامتحان فقال ابن عباس: كانت المحنة أن تستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقاً لرجل منا بل حباً لله ورسوله فإن حلفت على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يرداها.

ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت، ولا يحل الإمساك بها وفائدة ذلك لو كان تحت الرجل نسوة له أن يزيد رابعة لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة واسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة لأن الإسلام قطع العصمة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصم جمع عصمة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدي لكم وليسألوا هم ما أنفقوا وأعطوهم ايضاً مهوور نسائهم اللاتي أسلمن وهاجرن إليكم وقوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم بخلفه وحاجاتهم حكيم في قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وليرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع. (١)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا أي وإن ذهب بعض نسائكم إلى الكفار مرتدات، وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم، ثم غزوتهم وغنمتهم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها الذي ذهب زوجته إلى دار الكفر ولم يحصل على تعويض أعطوه مثل ما أنفق. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١- وجوب امتحان المهاجرة فإن علم اسلامها لا يحل إرجاعها الى زوجها الكافر لأنها لا تحل له، واعطاؤه ما أنفق عليها من مهر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمهر وولي وشاهدين إن كانت مدخولاً بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حرج في الزواج بها فوراً.

(٢)

٢- حرمة نكاح المشركة.

٣- لا يجوز الإبقاء على عصمة الزوجة المشركة، وللزوج المسلم الذي بقيت زوجته على الكفر، أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت ان يسأل كذلك ما أنفق عليها.

٤- ومن ذهب زوجته ولم يُردَّ عليه شيء مما أنفق عليها، ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا

(١) (عاقبتهم) أي: غزوتهم فغنمتهم فأعطوا الذين ذهب أزواجهم من المسلمين. حكى الثعلبي: عن ابن عباس أن ستاً من النسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين وسماهن واحدة وأكرههن: أم الحكم بنت أبي سفيان وفي هذه نزلت الآية.

(٢) الجملة تذييلية المراد منها تحريض المؤمنين على الوفاء بما أمروا به ونهوا عنه واتباع اسم الجلالة بجملة (الذي أنتم به مؤمنون) إشارة إلى أن الإيمان يبعث على التقوى التي هي: امتثال واجتناب.

(٣) اختلف في الرجل يسلم وتحتة كافرة أو كافرة تسلم وهي تحت زوج كافر. والذي عليه الشافعي وأحمد أن العصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يفرق بينهما ولا يحلان لبعضهما. وقال مالك: يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.

فإن من ذهبت زوجته ولم يعرض عنها يعطى ما أنفق من الغنيمة قبل قسمتها . وإن لم تكن غنيمة
فجماعة المسلمين وإمامهم يساعدونه ببعض ما أنفق من باب التكافل والتعاون .
٥- وجوب تقوى الله تعالى بتطبيق شرعه وانفاذ أحكامه والرضا بها .

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَدْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك : أي يوم الفتح والرسول ﷺ على الصفا وعمر أسفل منه .
فبايعهن : أي على أن لا يشركن بالله شيئاً إلى ولا يعصينك في معروف .

أن لا يشركن بالله : أي أي شيء من الشرك أو الشركاء .
ولا يقتلن أولادهن : أي كما كان أهل الجاهلية يقتلون البنات وأدأ لهن .
ولا يأتين ببهتان يفتريه : أي بكذب يكذبهن فيأتين بولد ملقوطة وينسبه إلى الزوج وهو ليس بولده .

ولا يعصينك في معروف : أي ما عرفه الشرع صالحاً حسناً فأمر به وانتدب إليه . أو ما عرفه الشرع منكراً محرماً .

فبايعهن : أي قبل بيعتهن .
واستغفر لهن الله : أي أطلب الله تعالى لهن المغفرة لما سلف من ذنوبهن وما قد يأتي .

قوماً غضب الله عليهم : أي اليهود .

قد يشسوا من الآخرة : أي من ثوابها مع إيقانهم بها ، وذلك لعنادهم النبي مع علمهم بصِدْقِهِ .

كما يشس الكفار من أصحاب : أي كيأس من سبقهم من اليهود الذين كفروا بعبسى وماتوا القبور على ذلك فهم أيضاً قد يشسوا من ثواب الآخرة .

معنى الآيات :

(١) قوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾ إلى قوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ هذه آية بيعة النساء ، فقد بايع عليها رسول الله ﷺ نساء قريش يوم الفتح وهو جالس على الصفاء وعمر دونه أسفل منه ، وهو يبايع ، وطلب إليه أن يمد يده فقال إني لا أصافح النساء فبايعهن على أن لا يشركن^(١) بالله شيئاً أي من الشرك أو الشركاء ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن كما كان نساء الجاهلية يثدن بناتهن ولا يأتين ببهتان أي كذب يفترينه أي يكذبنه بين أيديهن وأرجلهن أي لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن ، ولا يعصينك في معروف بصورة عامة وفي النياحة بصورة خاصة إذ كان النساء في الجاهلية يُنحن على الأموات ويشققن الثياب ومخدشن الوجوه قال تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ، ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله فيما مضى من ذنوبهن وما قد يأتي إن الله غفور رحيم .

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود لا تتولوهم بالنصرة والمحبة وقد يشسوا من الآخرة أي من ثواب الله فيها بدخول الجنة وذلك لعنادهم رسول الله ﷺ وكفرهم به مع علمهم أنه رسول الله ومن كفر به وكذبه أو عانده وحاربه لا يدخل الجنة فلذا هم آيسون من دخول الجنة . وقوله تعالى ﴿كما يشس الكفار من

(١) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله تعالى : يا أيها النبي إذا جاءك . . الخ الآية وكان ﷺ إذا أقرن بذلك بقولهن قال لهن ﷺ انطلقن فقد بايعتمكن ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام) .

(٢) روي أن النبي ﷺ لما قال : (على أن لا يشركن بالله شيئاً قالت هند بنت عتبة وهي متنبهة والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك . أخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط ولما قال : ولا يسرقن قالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله قوتاً فقال أبو سفيان هو لك حلال فضحك النبي ﷺ وعرفها لأنها كانت متنبكة لما نالت من حمزة رضي الله عنه وقال : أنت هند؟ فقالت : عفا الله عما سلف . ثم قال : ولا يزنين فقالت هند : أو تزني الحرة؟

(٣) قال قتادة : لا ينحن ولا تخلو امرأة منهن إلا بذى محرم وفي صحيح مسلم عن أم عطية : لما نزلت هذه الآية قالت يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد أن أسعدهم فقال ﷺ إلا آل فلان فأذن لها أن تفي بوعدها .

(٤) (كما يشس الكفار) صالح لأن يكون معنى الكلام كما يشس الكفار من عودة أصحاب القبور إليهم . وكما يشس أصحاب القبور من العودة إلى الحياة الأولى ، وما في التفسير اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى .

أصحاب القبور) أي كما يش إخوانهم الذين ماتوا قبلهم من دخول الجنة إذ كفروا بعيسى عليه السلام وحاربوه ووالدته واتهموا عيسى بالسحر ووالدته بالعهر، والعياذ بالله فيش هؤلاء من دخول الجنة كما يش من مات منهم ممن هم أصحاب قبور .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين وجوب الوفاء بها .
- ٢- حرمة الشرك وما ذكر معه من السرقة والزنا وقتل الأولاد والكذب والبهتان وإلحاق الولد بغير أبيه .
- ٣- حرمة النياحة وما ذكر معها من شق الثياب وخمش الوجوه والتحدث مع الرجال الأجانب .
- ٤- بعد الحرية كل البعد من الزنا إذ قالت هند وهي تباع أو تزني الحرية؟ قال لا تزني الحرية .
- ٥- حرمة مصافحة النساء لقوله ﷺ في البيعة إني لا أصافح النساء .
- ٦- حرمة موالة اليهود بالنصرة والمحبة .

سُورَةُ الصَّافِّاتِ

مدنية وآياتها أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
 كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ
 بَلِيْنٌ مَرَّصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا لِمَ
 تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا

زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

سبح لله ما في السموات وما في الأرض أي نزهه وقدس بلسان القال والحال جميع ما في السموات
وما في الأرض من كائنات .

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه .
لم تقولون ما لا تفعلون : أي لأي شيء تقولون قد فعلنا كذا وكذا وأنتم لم تفعلوا؟
والاستفهام هنا للتوبيخ والتأنيب .

كبر مقتاً عند الله : أي عظم مقتاً والمقت : أشد البغض والمقيت والممقوت
المبغوض .

أن تقولوا ما لا تفعلون : أي قولكم ما لا تفعلون يبغضه الله أشد البغض .
صفاً كأنهم بنيان مرصوص : أي صافين : ومرصوص ملزق بعضه ببعض لا فرجة فيه .
لم تؤذوني : أي إذ قالوا أنه آدر كذباً فويخهم على كذبهم وأذيتهم له .
وقد تعلمون أنني رسول الله : أي أتؤذوني والحال أنكم تعلمون أنني رسول الله إليكم .
إليكم

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم : أي فلما عدلوا عن الحق بإيذائهم موسى أزاغ الله قلوبهم أي
أمالها عن الهدى .

والله لا يهدي القوم الفاسقين : أي الذين فسقوا وتوغلوا في الفسق فما أصبحوا أهلاً للهداية .
يا بني إسرائيل : أي أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل ، ولم يقل يا قوم كما قال
موسى لأنه لم يكن منهم لأنه ولد بلا أب ، وأمه صديقة .

مصدقاً لما بين يدي : أي قبلي من التوراة .

يأتي من بعده اسمه أحمد : هو محمد رسول الله ﷺ وأحمد أحد أسمائه الخمسة المذكوران والماحي ، والعاقب والحاشر.

فلما جاءهم بالبينات : أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات .
قالوا : هذا سحر مبين : أي قالوا في المعجزات إنها سحر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ يُخبر تعالى أنه قد سبحه جميع ما في السموات وما في الأرض بلسان القال والحال، وأنه العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره لا يمانع في مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لملكه . بعدما أثنى تعالى على نفسه بهذا خاطب المؤمنين بقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾^(١) لفظ النداء عام والمراد به جماعة من المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه فلما علموه ضعفوا عنه ولم يعملوا فعاتبهم الله تعالى في هذه الآية ولتبقى تشريعاً عاماً إلى يوم القيامة فكل من يقول فعلت ولم يفعل فقد كذب وبش الوصف الكذب ومن قال سأفعل ولم يفعل فهو مخلف للوعد وبش الوصف خلف الوعد وهكذا يربى الله عباده على الصدق والوفاء . وقوله تعالى ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ أي قولكم نفعل ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت أي يُبغض أشد البغض .

وقوله تعالى ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله﴾ أي صافين متلاصقين لا فرجة بينهم كأنهم بنيان مرصوص بعضه فوق بعض لا خلل فيه ولا فرجة كأنه ملحم بالرصاص .

وقوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم والحال أنكم تعلمون أنني رسول الله إليكم حقاً وصدقاً ، وقد آذوه بشتى أنواع الأذى بالسنتهم السليطة وآرائهم الشاذة من ذلك قولهم إن موسى آذر ولذا هو لا يغتسل معنا ، ومعنى آذر به أدرة وهي انتفاخ الخصية .

(١) في جامع الترمذي عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله تعالى : ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ . الخ السورة . ورواه الحاكم وأحمد وغيره .

(٢) اللام حرف جر والميم حرف استفهام وهو هنا إنكاري توبيخي .

(٣) النداء بوصف الإيمان فيه التعريض بأن الإيمان من شأن صاحبه أن لا يخلف إذا وعد وأن يفى إذا نذر لأنه روح وصاحبه حي قادر على الفعل والترك بخلاف الكفر وأهله .

(٤) (مقتاً) : منصوب على التمييز وهو تمييز نسبة والتقدير : كبر ممقوتاً قولكم مالا تفعلون .

(٥) هذا جواب لقولهم : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فبين لهم أحب الأعمال إليه وهو أحب العاملين عنده فله الحمد وله المنة .

(٦) لعل وجه المناسبة بين قصة موسى هنا وعتاب المؤمنين على فرار من فريوم أحد هو : أن قوم موسى أيضاً جبنوا عن قتال عدوهم وقالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون .

وقوله تعالى : ﴿فلما زاغوا﴾ أي مالوا عن الحق بعد علمه غاية العلم فأثروا الباطل على الحق والشر على الخير والكفر على الإيمان عاقبهم الله فصرف قلوبهم عن الهدى نعمة منه تعالى عليهم ، وذلك لأنه سته تعالى فيمن عرض عليه الخبر فأباه بعد علمه به ، ثم دعى إليه فلم يستجب ثم رغب فيه فلم يرغب وواصل الشر مختاراً له عندئذ يصبح ما اختار من الفسق أو الكفر أو الظلم أو الإجرام طبعاً له وخلقاً ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير . وعلى هذا يؤول مثل قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، والله لا يهدي القوم المجرمين ، والله لا يهدي القوم الكافرين لأنه تعالى أضلهم حسب سته في الإضلال فلا يستطيع أحد غيره تعالى أن يهدي عبداً أضله الله على علم وهذا معنى قوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لا يهدي من يضل﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ أي اذكر يا رسولنا للاتعاظ والعبرة قول عيسى بن مريم لليهود : يا بني إسرائيل نسبهم إلى جدهم يعقوب الملقب بإسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة وهذا برهان على صدقي في دعوتي إذ لم أخالف فيما أدعو إليه من عبادة الله وحده ما في التوراة كتاب الله عز وجل وهو بين أيديكم فوافقنا دال على أن مصدر تشريعنا واحد هو الله عز وجل فكما آتتم بموسى وهرون وداود وسليمان آمنوا بي فإني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلماذا قال رسول الله ﷺ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ، إذ ابراهيم لما كان بيني البيت مع اسماعيل كانا يتقاولان ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك . .﴾ الآية .
وقوله تعالى ﴿فلما جاءهم﴾ أي محمد ﷺ بالبينات أي بالحجج الدالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه في العقيدة والشريعة كفروا به وقالوا في القرآن هذا سحر مبين كما قالها فرعون مع موسى . وكما قالتها اليهود مع عيسى عليه السلام .

(١) وجه مناسبة قصة عيسى لما قبلها أن بني إسرائيل كما فسقوا عن أمر الله وعصوا رسوله موسى فسقوا كذلك عن أمر الله وعصوا عيسى وكفروا فكان هذا تعزية لرسول الله ﷺ لما لقيه ويلقاه من اليهود .

(٢) هل الاسم هو عين المسمى ؟ خلاف كبير والصحيح : أن الاسم هو اللفظ الدال على ذات به تميز عن سائر الذوات .

(٣) رواه ابن اسحق بسند جيد ورواه أحمد بالفاظ مختلفة .

(٤) جائز أن يكون الضمير في جاءهم عائذ إلى عيسى عليه السلام وعلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه سحر أو ساحر قرأ الجمهور (سحراً) في الآيات وقرأ بعضهم : ساحر أي : محمد أو عيسى عليهما السلام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان غنى الله تعالى عن خلقه وأنه سبحانه لله ما في السموات وما في الأرض وأن ما شرعه لعباده من العبادات والشرائع إنما هو لفائدتهم وصالح أنفسهم يكملوا عليه أرواحاً وخلقاً ويسعدوا به في الحياتين .
- ٢- حرمة الكذب وخلف الوعد إذ قول القائل أفعَل كذا ولم يفعل كذب وخلف وعِد . ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشد البغض ، ومن مقتته الله فقد أبغضه أشد البغض وكيف يفلح من مقتته الله .
- ٣- فضيلة الجهاد والوحدة والاتفاق وحرمة الخلاف والقتال والصفوف ممزقة حسياً أو معنوياً .
- ٤- التحذير من مواصلة الذنب بعد الذنب فإنه يؤدي إلى الطبع وحرمان الهداية .
- ٥- بيان كفر اليهود بعميسى عليه السلام وازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ .
- ٦- بيان كفر النصارى إذ رفضوا بشارة عيسى وردوها عليه ولم يؤمنوا بالمبشر به محمد ﷺ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن افترى على الله : أي لا أحد أعظم ظلماً ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد الكذب والشريك ، والقول والحكم وهو تعالى برىء من ذلك .

وهو يدعى إلى الإسلام : أي والحال أن هذا الذي يفترى الكذب على الله يدعى

إلى الإسلام الذي هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه .

والله لا يهدي القوم الظالمين : أي من ظلم ثم واصل الظلم يصبح الظلم طبعاً له فلا

يصبح قابلاً للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك .

ليطفثوا نور الله بأفواههم : أي يريد المشركون بكذبهم على الله وتشويه الدعوة الإسلامية، ومحاربتهم لاهلها يريدون إطفاء نور الله القرآن وما يحويه من نور وهداية بأفواههم وهذا محال فإن إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله إطفاءه .
هو الذي أرسل رسوله بالهدى : أي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى أي بالهداية البشرية .
ودين الحق : أي الإسلام إذ هو الدين الثابت بالوحي الصادق .
ليظهره على الدين كله : أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام ديناً .
ولو كره المشركون : أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون .

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾^(١) والحال أنه يدعى إلى الإسلام الدين الحق إنه لا أظلم من هذا الإنسان أبداً، إن ظلمه لا يقارن بظلم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٧) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾. أي اختلق الكذب على الله عز وجل وقال له كذا وكذا أو قال أو شرع كذا وهو لم يقل ولم يشرع . كما هي حال مشركي قريش نسبوا إليه الولد والشريك وحرّموا السوائب والبحائر والحامات وقالوا في عبادة أصنامهم لو شاء الله ما عبدناهم إلى غير ذلك من الكذب والاختلاق على الله عز وجل . وقوله وهو يدعى إلى الإسلام إذ لو كان أيام الجاهلية حيث لا رسول ولا قرآن لهان الأمر أما أن يكذب على الله والنور غامر والوحي ينزل والرسول يدعو ويبين فالأمر أعظم والظلم أظلم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨) ﴿يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم﴾^(٢) أي يريد أولئك الكاذبون على الله القائلون في الرسول : ساحر وفي القرآن إنه سحر مبين إطفاء نور الله الذي هو القرآن وما حواه من عقائد الحق وشرائع الهدى وبأى شيء يريدون إطفاءه إنه بأفواههم وهل نور الله يطفأ بالأفواه كنور شمعة أو مصباح . إن نور الله متى أراد الله إتمامه إطفاء نور القمر أو الشمس أيسر من إطفائه فليعرفوا هذا وليكفوا عن محاولاتهم الفاشلة فإن الله يريد أن يتم نوره ولو كره

(١) الاستفهام وإن كان للنفي فهو متضمن الإنكار الشديد على كل من المشركين وأهل الكتابين إذ الجميع افترؤا على الله الكذب، فالمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: عيسى ابن الله .

(٢) استئناف بياني ناشيء عن الاخبار عنهم بأنهم افترؤا على الله الكذب في الوقت الذي هم يدعون إلى الإسلام فلما فضحهم القرآن راموا إطفاء نور الله الذي هو كتابه ورسوله ودينه بأفواههم بالكذب والدعاوى الباطلة بل والحروب الشرسة القاسية .

(٣) اللام في (ليطفثوا) زائدة لتأكيد الكلام وتقويته إذ الأصل يريدون إطفاء نور الله .

(٤) (والله متم نوره) قرأ نافع بتنوين الميم من متم ونصب نوره على المفعولية، وقرأ حفص بدون تنوين على أن متم مضاف إلى نور ونور مضاف إلى الضمير .

المشركون إنه تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق دين الله الحق الذي هو الإسلام ليظهره على الدين كله وذلك حين نزول عيسى إذ يبطل يومها كل دين ولم يبق الا الإسلام ولو كره ذلك المشركون فإن الله مظهره لا محالة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- عظم جرم الكذب على الله وأنه من أفضع أنواع الظلم .
- ٢- حرمان الظلمة المتوغلين في الظلم من الهداية .
- ٣- إثناس المحاولين إبطال الإسلام وانهاؤه وجوده بأنهم لا يقدرון إذ الله تعالى أراد إظهاره فهو ظاهر منصور لا محالة .
- ٤- تقرير نبوة محمد ﷺ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ
طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا أَنْصَرُوا
مَنْ اللَّهُ وَفَتَحَ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَمَنَّى طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- هل أدلكم على تجارة : أي أرشدكم إلى تجارة رابحة .
تنجيكم من عذاب أليم : أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم .
تؤمنون بالله ورسوله : أي تصدقون بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً لله تعالى .

وتجاهدون في سبيل الله : أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهاداً في سبيل الله تعالى .
 ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون : أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة خير لكم من تركها حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار .

يفغر لكم ذنوبكم ويدخلكم أي هذا هو الربح الصافي مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل
 جنات تجري من تحتها الأنهار الذي هو المال والنفس مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم
 ومساكن طيبة في جنات عدن وأموالكم .

ذلك الفوز العظيم : أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم هو حقاً الفوز العظيم .

وأخرى تحبونها نصر من الله : أي وعلاوة أخرى تحبونها قطعاً إنها نصر من الله لكم ولدينكم
 وفتح قريب للأمصار والمدن ، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وفتح قريب وهناء .

وبشر المؤمنين : أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين بذاك الفوز وهذه العلاوة .

كونوا أنصار الله : أي لتنصروا دينه ونبيه وأوليائه .
 كما قال عيسى بن مريم : أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين ، والحواريون
 للحواريين من أنصارى إلى الله أصحاب عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً .
 قال الحواريون نحن أنصار الله

فأمنت طائفة من بني اسرائيل : أي بعيسى عليه السلام ، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء .
 وكفرت طائفة : أي من بني إسرائيل فقالوا إنه ابن الله رفعه إليه .
 فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم : فافتلت الطائفتان : فنصرنا وقوينا الذين آمنوا .
 فأصبحوا ظاهرين : أي غالبين عالين .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله هل لنا أن ندلكم على تجارة عظيمة الربح ثمرتها النجاة من عذاب أليم في

(١) هذا جواب ما سألوا عنه وطلبوا معرفته وهو: أحب الأعمال إلى الله تعالى ، والاستفهام مستعمل في العرض كما يقال: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟ على سبيل العرض والترغيب والتشويق إلى ما يذكر له .

(١١)

الدنيا والآخرة. وقوله ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ هذا هو رأس المال الذي تقدمونه. إيمان بالله ورسوله حق الإيمان، جهاد في سبيل الله بالنفس والمال وأنه إلى أن هذه الصفقة التجارية خير لكم من عدمها إن كنتم تعلمون ربحها وفائدتها. ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ إنها النجاة من العذاب الدنيوي والآخرى أولاً، ثم مغفرة ذنوبكم وإدخالكم جنات تجري من تحتها الأنهار، أي من تحت قصورها وأشجارها، ومساكن طيبة في جنات عدن أي إقامة دائمة. ثانياً ثم زاد الحق في ترغيبهم فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ إنه النجاة من النار، ودخول الجنة، فلا فوز أعظم منه قط هذا ولكم علاوة على ذلك الربح العظيم وهي ما أخبر تعالى عنها بقوله: ﴿وأخرى تحبونها﴾ أي وفائدة أخرى تحبونها: نصر من الله أي لكم على أعدائكم ولديكم على سائر الأديان وفتح قريب لمكة ولباقى المدن والقرى فى الجزيرة وما وراءها. وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر يا رسولنا الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبوعدنا ووعدنا بحصول ما ذكرناه كاملاً، وقد تم لهم كاملاً ولله الحمد والمنة | وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا نداء ثانٍ في هذا السياق الكريم ناداهم بعنوان الإيمان أيضاً إذ الإيمان هو الطاقة المحركة الدافعة فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله﴾ أي التزموا بنصرة ربكم وإلهكم الحق في دينه ونبيه وأوليائه المؤمنين. قولوا كما قال الحواريون لما دعاهم عيسى نبينهم لنصرته قائلاً من أنصارى إلى الله أي من ينصروني في حال كونى متوجهاً إلى الله انصر دينه وأوليائه، فأجابوه قائلين نحن أنصار الله. فكونوا أنتم أيها المسلمون مثلهم، وقد كانوا رضي الله عنهم كما طلب منهم.

(١) جملة: (تؤمنون) بيانية لأهل العرض السابق يشير سؤالاً وهو: ما الذي يريد أن يدلنا عليه؟ فالجواب: الإيمان والجهاد.

(تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله .. الخ.

(٢) (يغفر لكم) بالجزم لأن الفعل واقع موقع جواب الطلب إذ: تؤمنون وتجاهدون لفظهما لفظ الخبر ومعناهما الإنشاء أي:

آمنوا وجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم، وجزم (ويدخلكم) أيضاً على المطف على يغفر.

(٣) (وأخرى) الجملة معطوفة على (يغفر لكم) وما بعدها وحىء بالجملة اسمية للدلالة على الثبوت والتحقق، فأخرى: مبتدأ خبره محذوف أي: وأخرى لكم أي ثابتة لكم وتحبون: صفة لأخرى.

(٤) لقد شوق الله أصحاب رسوله إلى تحقيق الإيمان بالجهاد فأيقنوا وعزموا على الجهاد فأصبح أسمى أمانيتهم فأنجز الله لهم ما وعدهم فأمر رسوله أن يشرهم بما وعدهم تعجيلاً للمصرة.

(٥) الأنصار: جمع نصير وهو الناصر: القوي النصرة، وقرأ نافع (كونوا أنصاراً لله) بتثنية (أنصاراً) وقرأ حفص بدون تنوين مضاف إلى اسم الجلالة.

(٦) الحواريون: جمع حوارى يفتح الحاء وتخفيف الواو وهي معربة عن الحبشية (حواريًا) وهو الصاحب الصفي وأطلق هذا الاسم على أصحاب عيسى الاثنى عشر رجلاً، وقد سمي النبي ﷺ الزبير بن العوام حواريه على التشبيه بأحد الحواريين فقال: (لكل نبي حوارى وحوارى الزبير).

وقوله تعالى ﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي فاقْتلوا فأيدنا أي قوينَا ونصرنا الذين آمنوا وهم الذين قالوا عيسى عبدالله ورسوله رفعه ربه تعالى إلى السماء، على عدوهم وهم الطائفة الكافرة التي قالت عيسى ابن الله رفعه إليه تعالى الله أن يكون له ولد.

وقوله تعالى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(١) أي غالبين عالين إلى أن احتال اليهود على إفساد الدين الذي جاء به عيسى وهو الإسلام أي عبادة الله وحده بما شرع أن يعبد به فحينئذ لم يبق من المؤيدين إلا أنصار قليلون هنا وهناك وعلا الكفر والتلثيت واستمر الوضع كذلك إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ فانضم إلى الإسلام من انضم من النصارى فأصبحوا بالإسلام ظاهرين على عدوهم من المشركين المؤلهين لعيسى والحيارى في تقويمه مرة يقولون هو الله، ومرة يقولون: هو ابن الله، ومرة يقولون: ثالث ثلاثة هو الله. وضللهم وتركهم في هذه المتاهات الانتفاعيون من الرؤساء والجاهلون المقلدون من المرءوسين كما فعل نظرائهم في الإسلام فحولوه إلى طوائف وشيع إلا أن الإسلام تعهد الله بحفظه إلى يوم القيامة فمن أرادته وجده صافياً كما نزل في كتاب الله وستة رسوله ﷺ ومن لم يردده وأراد الضلالة وجدها في كل عصر ومصر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الجهاد بالمال والنفس وأنه أعظم تجارة رابحة.
- ٢- تحقيق بشرى المؤمنين التي أمر الله رسوله أن يبشرهم بها فكان هذا برهاناً على صحة الإسلام وسلامة دعوته.
- ٣- بيان استجابة المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ لما طلب منهم من نصرة رسول الله ﷺ ودينه والمؤمنين معه. وهى نصرة الله تعالى المطلوبة.

(١) (ظاهرين) أي : غالبين يقال : ظهر عليه أي غلبه وهو مشتق من الظهر الذي هو العمود الوسط من جسد الإنسان والدواب ، ومثل الظهر: التأييد مشتق من اليد وكذا عضده : إذا نصره وقواه مأخوذ من العضد.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ^(١)

مدنية وآياتها احدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
 مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

يسبح لله ما في السموات وما في : أي ينزه الله تعالى عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض

الأرض من سائر الكائنات بلسان القال والقال ، ولم يقل (من) بدل (ما) تغليبا لغير العاقل لكثرة علي العاقل .

: أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب .

: أي محمدا ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي .

: أي يطهروهم أرواحاً وأخلاقاً .

ويعلمهم الكتاب والحكمة : أي هدى الكتاب وأسرار هدايته .

وإن كانوا من قبل لفى ضلال : أي وإن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال الشرك مبين والجاهلية .

وآخرين منهم لما يلحقوا بهم : أي وآخرين مؤمنين صالحين لما يلحقوا أي لم يحضروا حياة رسول الله ﷺ وهو يعلم الكتاب والحكمة، وسيلحقون بهم وهم

(١) سورة الجمعة أي : السورة التي يذكر فيها لفظ الجمعة وهل المراد بالجمعة يوم الجمعة أو صلاة الجمعة الظاهر أن المراد بلفظ الجمعة : صلاة الجمعة ، وجائز أن يكون المراد يوم الجمعة وقد نزلت الجمعة جملة واحدة سنة ست من الهجرة .

كل من لم يحضر حياة رسول الله ﷺ من العرب والعجم .
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي كون الصحابة حازوا فضل سبق هذا فضل يؤتيه من يشاء
فلا اعتراض ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل
عظيم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يسبحه
بمعنى ينزهه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله من سائر مظاهر العجز والنقص ويقدسه كذلك
وذلك بلسان الحال والقال وهذا كقوله من سورة الإسراء وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن
لا تفقهون تسبيحهم . ومع هذا شرع لنا ذكره وتسبيحه وتعبدنا به ، وجعله عوناً لنا على تحمل
المشاق واجتياز الصعاب فكم أرشد رسوله له في مثل قوله : سبح اسم ربك ، وسبحه بكرة
وأصيلاً ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً
طويلاً . وواعد على لسانه رسوله بالجزاء العظيم على التسبيح في مثل قوله ﷺ «من قال سبحان
الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» ورغب فيه في مثل قوله : «كلمتان
ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم» .

وقوله ﴿الملك القدوس﴾ أي المالك الحاكم المتصرف في سائر خلقه لا حكم إلا له . ومرد الأمور
كلها إليه المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله من سائر النقائص والحوادث .
وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي كل خلقه ينزهه ويقدسه وهو العزيز الغالب على أمره
الذي لا يُحال بينه وبين مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لأوليائه وفي ملكه وملكوته . وقوله تعالى :
﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾ أي بعث في الأمة العربية الأمية رسولا منهم هو محمد
ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي معروف النسب إلى جده الأعلى عدنان من ولد اسماعيل بن
إبراهيم الخليل .

وقوله : ﴿يتلو عليهم آياته﴾ أي آيات الله التي تضمنها كتابه القرآن الكريم وذلك لهدايتهم
وإصلاحهم ، وقوله ويزكيهم أي ويطهرهم أرواحاً وأخلاقاً وأجساماً من كل ما يندس الجسم

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وكونه
ﷺ أمياً ومن أمة أمية هو دليل معجزته وصدق نبوته .
(٢) (رسولا منهم) قال ابن اسحق : ما من حي من أحياء العرب إلا ورسول الله ﷺ فيهم قرابة وقد ولدوه إلا حي تغلب فإن
الله تعالى طهر نبيه ﷺ منهم لنصرايتهم ، فلم يجعل لهم عليه ولادة .

ويدنس النفس ويفسد الخلق. وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة. أي يعلمهم الكتاب الكريم يعلمهم معانيه وما حواه من شرائع وأحكام، ويعلمهم^(١) الحكمة في كل أمورهم والإصابة والسداد في كل شؤونهم، يفقههم في أسرار الشرع وحكمه في أحكامه. وقوله وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين أي والحال والشأن أنهم كانوا من قبل بعثته فيهم لفي ضلال مبين ضلال في العقائد ضلال في الآداب والاخلاق ضلال في الحكم والقضاء في السياسة، وإدارة الأمور العامة والخاصة.

وقوله تعالى: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم أي وآخرين من العرب والعجم جاءوا من بعدهم وهم التابعون وتابعوا التابعين^(٢) إلى يوم القيامة آمنوا وتعلموا الكتاب والحكمة التي ورثها رسول الله فيهم لما يلحقوا بهم في الفضل لأنهم فازوا بالسبق إلى الإيمان وبصحبة رسول الله ﷺ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد.

٢- تقرير النبوة المحمدية.

٣- بيان فضل الصحابة على غيرهم.

٤- شرف الإيمان والمتابعة للرسول وأصحابه رضي الله عنهم.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَتْسَى مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فانزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجع حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال: وفيما سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء نعم فقد دخلت فارس في الإسلام بعد الفتح العمري وآمن رجال فوفوا وكانوا من أفاضل الرجال وصدق رسول الله ﷺ إلا أن الحزب الوطني الذي تكون في الظلام للانتقام من الإسلام فعل العجب في إفساد أمة الإسلام ومن ذلك ضرب الأمة بالمذهب الرافضي الذي فرق المسلمين ودمرهم أيما تدمير. (٣) من العرب وغيرهم من سائر العجم كبعض الفرس والروم والبربر والسودان والترك والمغول والاكراذ والصين والهند وغيرهم وفي هذا معجزة قرآنية إذ صدق قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وقد لحقوا فآمنوا وتعلموا وزكوا.

دُونَ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

حملوا التوراة

: أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآداباً وأخلاقاً

ثم لم يحملوها

: أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعتهم ﷺ والأمر بالإيمان

فجحدوا نعتهم وحرفوه ولم يؤمنوا به وحاربوه .

بئس مثل القوم الذين كذبوا: أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله لليهود هو

كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كتباً من العلم وهو لا يدري ما

بآيات الله

فيها .

قل يا أيها الذين هادوا

: أي اليهود المتدينون باليهودية .

إن زعمتم أنكم أولياء لله من : أي وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خاصة بكم .

دون الناس

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين : أي ان كنتم صادقين في أنكم أولياء الله فتمنوا الموت مؤثرين

الآخرة على الدنيا ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذا .

بما قدمت أيديهم

: أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا يتمنون .

والله عليم بالظالمين

: أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب

الآليم .

تفرون منه

: أي لأنكم لا تتمنونه أبداً وذلك عين الفرار منه .

فإنه ملاقيكم

: أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهاً لوجه .

ثم تردون إلى عالم الغيب: أي إلى الله تعالى يوم القيامة .

والشهادة

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي كلفوا بالعمل بها من اليهود والنصارى ثم لم يحملوها أي ثم لم يعملوا بما فيها من أحكام وشرائع ومن ذلك جحدهم لنعوت النبي محمد ﷺ والأمر بالإيمان به واتباعه عند ظهوره . وقوله تعالى : ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ أي كمثل حمار يحمل على ظهره أسفاراً من كتب العلم النافع وهو لا يعقل ما يحمل ولا يدري ماذا على ظهره من الخير، وذلك لأنه لا يقرأ ولا يفهم^(١) . وقوله تعالى ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه تعالى لأهل الكتاب من يهود ونصارى . وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين، ولهذا ما هداهم إلى الإسلام . لتوغلهم في الظلم والكفر والشر والفساد لم يكونوا أهلاً لهداية الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ أي قل يا رسولنا يا أيها الذين هادوا أي يا من هم يدعون أنهم على الملة اليهودية، إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس حيث ادعيتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة لكم دون غيركم إلى غير ذلك من دعاويكم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في دعاويكم إذ الموت طريق الدار الآخرة فتمنوه لتموتوا فتستريحوا من كرب الدنيا وأتعبها .

وقوله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ أخبر تعالى وهو العليم أنهم لا يتمنونه في يوم من الأيام أبداً، وبين تعالى علة ذلك بقوله : بما قدمت أيديهم من الذنوب والآثام الموجبة للعذاب . وقوله ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أي من أمثال هؤلاء اليهود وسيجزئهم بظلمهم عذاب الجحيم . وقوله تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ أي قل لهم يا رسولنا إن الموت الذي تفرون منه ولا تتمنونه فراراً وخوفاً

(١) قال بعض أهل العلم : أبطل الله ادعاء اليهود في ثلاث آيات من هذه السورة افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله : (فتمنوا الموت) وبأنهم أهل كتاب فشبهم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة فلم يبق لهم ما يفخرون به على المسلمين .

(٢) أنشد بعضهم عائياً بعض من يحمل رواية الحديث وهو لا يفهم المراد منها :
إن الرواة على جهل بما حملوا مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال يحمل الودع تنتفع

الودع والواحدة ودعة مناقيف صغار تخرج من قاع البحر .

(٣) الأمر في قوله تعالى : (فتمنوا الموت) للتعجيز فلذا لم يفعلوا ولو فعلوا لما بقيت فيهم عين تطرف ؛ لأنهم كاذبون .

(٤) جملة ﴿الذي تفرون منه﴾ صفة للموت، وفيه إشارة إلى خطائهم في الهلع والخوف من الموت ولا تعارض بين هذه الآية وهي تدعو إلى تمنى الموت، وبين النهي عنه في الحديث الصحيح : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) لأن طلب التمني من اليهود كان لتحديدهم، والنهي عن تمنى الموت كان بسبب الجزع من الضر حيث يجب الصبر لما في المرض من تكفير الذنوب، وفي الحديث : (من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) وهذا الحديث يفسر ما تقدم فإن العبد الصالح إذا كان في سياقات الموت يحب الموت للقاء الله تعالى، والعبد غير الصالح يكره لقاء الله كراهية اليهود لما يعلم من ذنوبه وعظيم آثامه فهو يخاف الموت لذلك .

منه فإنه ملائكتكم لا محالة حيثما كنتم سوف يواجهكم وجهاً لوجه ثم تُردون إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى الذي يعلم ما غاب في السماء والأرض، ويعلم ما يسر عباده، وما يعلنون وما يظهرون وما يخفون فينبئكم بما كنتم تعملون ويجزيكم الجزاء العادل إنه عليم حكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ذم من يحفظ كتاب الله ولم يعمل بما فيه .
- ٢- التنديد بالظلم والظالمين .
- ٣- بيان كذب اليهود وتدجيلهم في أنهم أولياء الله وأن الجنة خالصة لهم .
- ٤- بيان أن ذوى الجرائم أكثر الناس خوفاً من الموت وفراراً منه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- إذا نودي للصلاة : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر .
- من يوم الجمعة : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال .
- فاسعوا إلى ذكر الله : أي امضوا إلى الصلاة .
- وذروا البيع : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء .

(١) من أحسن ما قيل في الوعظ بالموت قول طرفة :

وكفى بالموت فاعلم واعظاً لمن الموت عليه قد قدر
فأذكر الموت وحاذر تركه إن في الموت لذي اللب عبر
كل شيء سوف يلقى حتفه في مقام أو على ظهر سفر
والمنايا حوله ترصده ليس ينجيه من الموت حذر

وقال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلته ولورام أسباب السماء بسلم

وابتغوا من فضل الله : أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعى والعمل .
 تفلحون : أي تنجون من النار وتدخلون الجنة .
 انفضوا إليها : أي إلى التجارة .
 وتركوك قائماً : أي على المنبر تخطب يوم الجمعة .
 ما عند الله خير من اللهو ومن : أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة : التجارة .
 والله خير الرازقين : أي فاطلبوا الرزق منه بطاعة واتباع هداة .

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾ أي إذا أذن المؤذن بعد زوال يوم الجمعة وجلس الإمام على المنبر ﴿فاسمعوا إلى ذكر الله﴾ أي امضوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة إذ بهما يُذكر الله تعالى . وقوله ﴿وذروا البيع﴾ إذ هو الغالب من أعمال الناس ، والا فساتر الأعمال يجب إيقافها والمضي إلى الصلاة .
 وقوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها والمضي إلى أداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة خير ثواباً وعاقبة .
 وقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض أي لكم بعد انقضاء الصلاة أن تفرقوا حيث شئتم في أعمال الدين والدنيا . تبتغون من فضل الله ، ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم اذكروا الله ولا تنسوه واذكروه ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون أي رجاء فلاحكم وفوزكم في دنياكم وآخرتكم .

(١) المراد من النداء : الأذان الذي يكون فيه الإمام على المنبر إذ كان الأذان واحداً حتى زاد عثمان رضي الله عنه ثانياً حين كثر الناس بالمدينة .

(٢) لفظ الجمعة : بضم كل من الجيم والميم ، ويتسكين الميم ، والجمع : جمع كغرفة وغرف وجمعات كغرفات وكان يومها يسمى العروبة بفتح العين وقيل أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وقيل : الأنصار ، وأول جمعة صليت في الإسلام هي الجمعة التي جمع فيها أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير أهل المدينة وصلوها وكانوا اثني عشر رجلاً : وأول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة هي جمعته في بني سالم بن عوف وهو في طريقه من قباء إلى المدينة ، وأول جمعة بعدها كانت بجواتي : قرية من قرى البحرين .

(٣) ليس المراد بالسعي الجري واشتداد العدو وإنما هو المشي والمضي لحديث الصحيح : (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أثنوها وعليكم السكينة) ومن إطلاق السعي والمراد المضي والعمل لا غير قول الشاعر :
 أسعي على جل بني مالك كل امريء في شأنه ساعي

وفي القرآن : (من أراد الآخرة وسعى لها سعيها) .

(٤) ذكر الله : الصلاة والخطبة قبلها .

(٥) لا خلاف في حرمة البيع والشراء عند الأذان الثاني .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ هذه الآية نزلت في شأن قافلة زيت كان صاحبها دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري رضى الله عنه قدمت من الشام ، وكان عادة أهل المدينة إذا جاءت قافلة تجارية تحمل الميرة يستقبلونها بشيء من اللهو كضرب الطبول والمزامير . وصادف قدوم القافلة يوم الجمعة والناس في المسجد ، فلما انقضت الصلاة وطلع رسول الله ﷺ على المنبر يخطب ، وكانت الخطبة بعد الصلاة لا قبلها كما هي بعد ذلك فخرج الناس يتسللون حتى لم يبق مع الرسول ﷺ الا اثنا عشر رجلاً وامراً فنزلت هذه الآية تعيب عليهم خروجهم وتركهم نبيهم يخطب . فقال تعالى في صورة عتاب شديد ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي خرجوا إليها ﴿وتركوك﴾ يا رسولنا قائماً على المنبر تخطب . وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ أي أعلمهم يا نبينا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من اللهو والتجارة التي خرجتم إليها ، ﴿والله خير الرازقين﴾ فاطلبوا الرزق منه بطاعته وطاعة رسوله ولا يتكرر منكم مثل هذا الصنيع الشين . وإلا فقد تتعرضون لعذاب عاجل غير أجل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب صلاة الجمعة وجوب المضى إليها عند النداء الثاني الذي يكون والامام على المنبر .^(١)
- ٢- حرمة البيع والشراء وسائر العقود إذا شرع المؤذن يؤذن الاذان الثاني .
- ٣- الترغيب في ذكر الله والإكثار منه والمرء يبيع ويشترى ويعمل ويصنع ولسانه ذاكر .
- ٤- ينبغي أن لا يقل المصلون الذين تصح صلاة الجمعة بهم عن اثني عشر رجلاً أخذاً من حادثة انفضاض الناس عن الرسول ﷺ وهو يخطب الى القافلة حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً .

(١) ورد في فضل الجمعة والغسل لها قوله ﷺ (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه) وقوله : (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر) (مسلم) وقوله : (غسل الجمعة واجب على كل محتلم) (في الصحيح).

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- إذا جاءك المنافقون : أي حضر مجلسك المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه .
قالوا نشهد أنك لرسول الله : أي قالوا بالستتهم ذلك وقلوبهم على خلافه .
والله يشهد إنَّ المنافقين : أي والله يعلم أن المنافقين لكاذبون أي بما أضمره من أنك
لكاذبون غير رسول الله .
اتخذوا ايمانهم جنة : أي سترة ستروا بها أموالهم وحققوا بها دماءهم .
فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بها عن سبيل الله أي الجهاد فيهم .
إنهم ساء ما كانوا يعملون : أي قبيح ما كانوا يعملونه من النفاق .
ذلك : أي سوء عملهم .
بأنهم آمنوا ثم كفروا : أي آمنوا بالستتهم ، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا على ذلك .
فطبع على قلوبهم : أي ختم عليها بالكفر .

فهم لا يفقهون

تعجبك أجسامهم

: أي الإيمان أي لا يعرفون معناه ولا صحته .

: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صحيحاً وصحيحاً ذلق
اللسان .

وإن يقولوا تسمع لقولهم

كأنهم خشب مسندة

: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم .

: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب
مسندة أي أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام .

يحسبون كل صيحة عليهم

: أي يظنون كل صوت عال يسمعون كنداء في عسكر أو إنشاد
ضالة عليهم وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن يتزل فيهم ما
يبيح دماءهم .

هم العدو فاحذرهم

: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفشوا شرك أو يريدوك
بسوء .

قاتلهم الله أنى يؤفكون

: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره
وبراهينه .

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ لنزول هذه السورة سبب هو أن زيد بن أرقم رضى الله عنه
قال كنت مع عمى فسمعت عبدالله بن أبي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمى فذكر ذلك
لرسول الله ﷺ فأرسل رسولاً إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ
وكذبني فأصابني هم لم يصبنى مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون
الى قوله الأعز منها الأذل فأرسل الى رسول الله ﷺ ثم قال إن الله قد صدقك .

قوله إذا جاءك المنافقون أي إذا حضر مجلسك المنافقون عبدالله بن أبي ورفاقه قالوا نشهد
إنك لرسول الله وذلك بألسنتهم دون قلوبهم . قال تعالى : ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ سواء شهد
بذلك المنافقون أو لم يشهدوا . والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون في شهادتهم لعدم مطابقة
قولهم لاعتقادهم . اتخذوا أيمانهم جنة أي جعلوا من أيمانهم الكاذبة جنة كجنة المقاتل يسترون

(١) رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما كانت هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق سنة خمس من الهجرة .

(٢) جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وفائدة هذا الاعتراض دفع ما قد يتوهمه من يسمع جملة : (والله يشهد إن
المنافقين لكاذبون) أنه تكذيب لجملة (إنك لرسول الله) .

بها كما يستتر المحارب بجنته فوق رأسه ، فهم بأيمانهم الكاذبة أنهم مؤمنون وقوا بها أنفسهم وأزواجهم وذرياتهم من القتل والسي ، وبذلك صدوا عن سبيل الله أنفسهم وصدوا غيرهم ممن يقتدون بهم وصدوا المؤمنين عن جهادهم بما أظهروه من إيمان صوري كاذب . قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يذم تعالى حالهم ويقبح سلوكهم ذلك وهو اتخاذ أيمانهم جنة وصددهم عن سبيل الله وقوله تعالى الآية رقم ٣ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي سوء عملهم وقبح سلوكهم ناتج عن كونهم آمنوا ثم شكوا أو ارتابوا فنافقوا وترتب على ذلك أيضاً الطبع على قلوبهم فهم لذلك لا يفقهون معنى الايمان ولا صحته من بطلانه وهذا شأن من توغل في الكفر أن يختم على قلبه فلا يجد الإيمان طريقاً الى قلب قد أقفل عليه بطابع الكفر وخاتم النفاق والشك والشك .

وقوله تعالى في الآية (٤) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي وإذا رأيت يا رسولنا هؤلاء المنافقين ونظرت إليهم تعجبك أجسامهم لجمالها إذ كان ابن أبي جسيماً صبيحاً وإن يقولوا تسمع لقولهم وذلك لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم . وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ وهو تشبيه رائع : انهم لطول أجسامهم وجمالها وعدم فهمهم وقلة الخير فيهم كأنهم خشب مسندة على جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال .

وقوله تعالى : ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ وذلك لخوفهم والرعب المتمكن من نفوسهم نتيجة ما يضمرون من كفر وعداء وبغض للإسلام وأهله فهم إذا سمعوا صيحة في معسكر أو صوت منشد ضاله يتوقعون أنهم معينون بذلك شأن الخائن وأكثر ما يخافون أن ينزل القرآن بفضيحتهم وهتك أستارهم . قال تعالى هم العدو فاحذرهم يارسولنا إن قلوبهم مع أعدائك فهم يترصدون بك الدوائر .

قال تعالى : ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾ فسجل عليهم لعنة لا تفارقهم إلى يوم القيامة كيف يصرفون عن الحق وأنواره تغمرهم القرآن ينزل والرسول يعلم ويزكي وأثار ذلك في المؤمنين

(١) الفاء للتفريع فجملة (فصدوا عن سبيل الله) متفرعة عن جملة (اتخذوا أيمانهم جنة) .

(٢) الجملة تذييلية من أجل تفضيع حالهم ، والتنديد بسوء سلوكهم .

(٣) الإشارة إلى قوله : (إنهم ساء ما كانوا يعملون) .

(٤) هذه الجملة معطوفة على سابقتها وهي (فهم لا يفقهون) وهي واقعة موقع الاحتراس والتميم لدفع إيهام من يفره ظاهر صورهم وأشكالهم كما في قول حسان رضي الله عنه . :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام العصافير

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ قوله تعالى : (يحبسون كل صيحة عليهم) يثير تساؤلات فاجيب السائل المتطلع بقوله تعالى : (هم العدو فاحذرهم) ونفسيتهن المريضة هي التي جعلتهن يحبسون كل صيحة عليهم كما قال المتنبي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونته وصدق ما يعتاده من توهم

ظاهرة في آرائهم وأخلاقهم . ولم يشاهدوا شيئاً من ذلك والعياذ بالله من عمى القلوب وانطماس البصائر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الكذب ما خالف الاعتقاد وإن طابق الواقع .
- ٢- التحذير من الاستمرار على المعصية فإنه يوجب الطبع على القلب ويحرم صاحبه الهداية .
- ٣- التحذير من الاغترار بالمظاهر كحسن الهندام وفصاحة اللسان .
- ٤- الكشف عن نفسية الخائن والظالم والمجرم وهو الخوف والتخوف من كل صوت أو كلمة خشية أن يكون ذلك بيانا لحالهم وكشفاً لجرائمهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ
مِنَهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------|---|
| وإذا قيل لهم تعالوا | : أي معتذرين . |
| لووا رؤوسهم | : أي رفضوا الاعتذار الى رسول الله ﷺ . |
| ورأيتهم يصدون | : أي يعرضون عما دُعوا إليه وهم مستكبرون . |

سواء عليهم استغفرت لهم : أي يارسولنا .
 أم لم تستغفر لهم :
 لن يغفر الله لهم : أي ليأس من مغفرة الله لهم .
 إن الله لا يهدي القوم الفاسقين : أي لأن من سنة الله انه لا يهدي القوم الفاسقين المتوغلين في
 الفسق عن طاعة الرب تعالى وهم كذلك .
 يقولون : أي لأهل المدينة .
 لا تنفقوا على من عند رسول الله : أي من المهاجرين .
 حتى ينفضوا : أي يتفرقوا عنه .
 لئن رجعنا إلى المدينة : أي من غزوة كانوا فيها هي غزوة بنى المصطلق .
 ليخرجن الاعز منها الأذل : يعنون بالأعز أنفسهم ، وبالأذل المؤمنين .
 والله العزة ولرسوله وللمؤمنين : أي الغلبة والعلو والظهور .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في الحديث عن المنافقين فقوله تعالى في الآية (٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك عندما قال ابن أبي ما قال من كلمات خبيثة منها قوله في المهاجرين : سمن كلبك يأكلك . وقوله لصاحبه : لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد ﷺ ، وقوله مهدداً لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز يعني نفسه ورفاقه المنافقين الأذل يعني الأنصار والمهاجرين . فلما قال هذا كله وأكثره في غزوة بنى المصطلق وأخبر به رسول الله ﷺ فجاء فحلف بالله ما قال شيئاً من ذلك أبداً وذهب فنزلت هذه السورة الكريمة تكذبه . ولما نزلت هذه السورة بفضيحته جاءه من قال له : يا أبا الحباب « كنية ابن أبي » إنه قد نزل فيك آي شدداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه أي عطفه إلى جهة غير جهة من يخاطبه وقال : أمرتموني أن أؤمن فأمنت وأمرتموني أن أعطى زكاة مالي فأعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فنزلت هذه الآيات الثلاث وإذا قيل لهم تعالوا أي معتردين يستغفر لكم رسول الله . لووا رؤوسهم أي رفضوا العرض ورأيتهم يصدون عنك وهم مستكبرون والمراد بهم ابن أبي عليه لعائن الله قال تعالى لرسوله : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فأياهم رسول الله من المغفرة لهم ، وعلل تعالى ذلك بقوله : إن الله لا يهدي القوم الفاسقين^(١)

(١) سبب نزول هذه السورة والآيات منها أن النبي ﷺ غزا بني المصطلق على ماء يقال له (المريسيغ) من ناحية قديد إلى الساحل فازدحم أجير لعمر يقال له : جهجاه مع حليف لابن أبي يقال له : سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالأنصار فجاء ابن أبي وقال كلماته الخبيثة التي هي في التفسير . ونزلت السورة .

(٢) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب .

وابن أبي من أكثر الفاسقين فسقاً! إذ جمع بين الكذب والحلف الكاذب والنفاق والشقاق والعداء والكبر والكفر الباطني وذكر تعالى قولات هذا المنافق واحدة بعد واحدة فقال هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله أي قال لإخوانه لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفروا عن رسول الله ﷺ فقرعه رب العزة وأدبه ببيان فساد ذوقه ورأيه فقال تعالى : ﴿ والله خزائن السموات ^(١) والأرض ﴾ فجميع الأرزاق بيده وهو الذي يرزق من يشاء والمنافق نفسه رزقه على الله فكيف يدعى انه إذا لم ينفق على من عند رسول الله يجوعون فينفرون يطلبون الرزق بعيداً عن محمد ﷺ . ولكن المنافقين لعماهم وظلمة نفوسهم ومرض قلوبهم لا يفقهون هذا ولا يفهمونه ، ولذا قال رئيسهم كلمته الخبيثة . تلك كانت القولة الأولى . والثانية هي قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قالها في غزوة بني المصطلق وهي غزوة سبها أن رسول الله ﷺ أعلم أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبوجويرية زوج رسول الله ﷺ إحدى أمهات المؤمنين . فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المربيع من ناحية قديد إلى الساحل فوق القتال فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وأفاءها على المؤمنين ، واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه جويرية بوصفها بنت سيد القوم إكراماً لها ثم عتقها وتزوجها فرأى المؤمنون أن ما بأيديهم من السبي لا ينبغي لهم وقد أصبحوا أصهار نبيهم فعتقوا كل ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية بنت الحارث فقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

^(٢) في هذه الغزاة قال ابن أبي قولته الخبيثة وذلك أن رجلين أنصاريًا ومهاجرًا تلاحيا على الماء فكسع المهاجر الأنصاري برجله فصاح ابن أبي قائلاً عليكم صاحبكم ، ثم قال : والله ما مثلنا ومحمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وغاب عن ذهن هذا المنافق أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين أي الغلبة والظهور والعلو لا للمنافقين والمشركين الكافرين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك ولا غيره لعمى بصائرهم ولما

(١) (الخزائن) جمع خزانة وهي البيت الذي يخزن فيه الطعام . روى الترمذي أن عمر رضي الله عنه قال للرسول ﷺ إشفافاً عليه ورحمة به : ما كلفك الله يا رسول الله مالا تقدر عليه ، عندما قال لرجل سأل عطاء ابتع علي فإذا جاء شيء قضيته فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله ﷺ وعرف في وجهه البشر وقال : بهذا أمرت .

(٢) تقدم ذكر اسميهما وهما : جهجاه ، وسنان .

(٣) تقدم أن هذا الماء كان بالمشيل .

(٤) كسعه : ضربه في دبره .

بلغ الغزاة المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي في عرض الطريق واستل سيفه فلما جاء أبوه يمر قال له والله لا تمر حتى تقول: محمد الأعز وأنا الأذل، فلم يبرح حتى قالها: وكان ولده مؤمناً صادقاً من خيرة الأنصار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا ينفع الاستغفار للكافر ولا الصلاة عليه بحال.
- ٢- ذم الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار. فمن قيل له استغفر الله فليستغفر ولا يتكبر بل عليه أن يقول: استغفر الله أو اللهم اغفر لي.
- ٣- مصادر الرزق كلها بيد الله تعالى فليطلب الرزق بطاعة الله ورسوله لا بمعصيتهما.
- ٤- العزة الحقة لله ولسوله وللمؤمنين، فلذا يجب على المؤمن أن لا يذل ولا يهون لكافر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم : أي لا تشغلكم.
عن ذكر الله : كالصلاة والحج وقراءة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان.
ومن يفعل ذلك فاولئك هم : أي ومن ألهته أمواله وأولاده عن أداء الفرائض فترك الصلاة أو
الخاسرون
الحج وغيرهما من الفرائض فقد خسر ثواب الآخرة.
وأنفقوا مما رزقكم الله : أي النفقة الواجبة كالزكاة وفي الجهاد والمستحبة.

لولا أخرتني : أي هلا أخرتني يطلب التأخير ولا يقبل منه .
فأصدق وأكن من الصالحين : أي حتى أركى وأحج وأكثر من النوافل والأعمال الصالحة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾^(١) نادى تعالى المؤمنين لينصح لهم أن لا تكون حالهم كحال المنافقين الذين تقدم في السياق تأديبهم فقال لهم يا من آمتتم بالله ورسوله : لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم أي لا تشغلکم عن ذكر الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه والإكثار من طاعته والتقرب إليه بأنواع القرب . ثم خوفهم نصحاً لهم بقوله : ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي بأن ألهته أمواله وأولاده عن عبادة الله فأولئك البعداء هم الخاسرون يوم القيامة بحرمانهم من الجنة ونعيمها ووجودهم في دار العذاب لا أهل لهم فيها ولا ولد . وبالعز وجل في إرشادهم فقال : ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ مبادرين الأجل فإنكم لا تدرون متى تموتون . من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول^(٢) متمنياً طالباً حائثاً في طلبه : ربّ أي يارب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي إلى وقت قريب من هذا فأصدق بمالي ، وأكن من الصالحين فأحج وأتقرب إليك يارب بما تحب من أنواع القربات والطاعات ولكن لا ينفعه التمني ولا الطلب والدعاء ، لأن حكم الله الأزلي أنه تعالى لن يؤخر^(٣) نفساً أي نفس إذا جاء أجلها أي إذا حضر وقت وفاتها وقوله تعالى : ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يحض المؤمنين على إصلاح أعمالهم والتزود لأخرتهم بإعلامهم بأنه مطلع على أعمالهم خبير بها .

(١) قد تكون المناسبة بين هذه الآية وما سبقها هي قول المنافقين : (لا تنفقوا على من عند رسول الله) فحذر تعالى المؤمنين من التأثير بالنظرية المادية التي يحملها ابن أبي وصرخ بها ، ودعاهم إلى الإتفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان بالموت أو الفقر وقلة ما ينفقون .

(٢) هي النافية اشربت معنى النهي فجزمت المضارع وفي الآية دليل على أن ما لا يشغل عن ذكر الله من مال وولد لا إثم فيه .

(٣) ذكر الله هنا مستعمل في الحقيقة والكناية فيشمل الذكر باللسان وهو فعل سائر الطاعات ، والذكر بالقلب : وهو التذكر الموجب للطاعة .

(٤) قال القرطبي : في الآية دليل على وجوب تعجيل أداء الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلاً وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها . وهو كما قال رحمه الله تعالى .

(٥) المضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب ، وجزم (أكن) لأنه في جواب الطلب مباشرة فلم تسبقه الفاء حتى يتعين نصبه بأن المضمرة .

(٦) (نفساً) نكرة في سياق النفي وهو (ولن يؤخر) تعم كل نفس ، والمراد من النفس الروح وقيل فيها : نفس أخذاً من النفس وهو الهواء الذي يخرج من الأنف والفم من كل حيوان ذي رئة وسميت روحاً أخذاً من الروح بفتح الراء لأن الروح به ، والروح : الراحة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة التشاغل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائض والواجبات .
- ٢- حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسويفاً وتماطلاً مع الإيمان بفرضيته .
- ٣- وجوب الزكاة والترغيب في الصدقات الخاصة كصدقة الجهاد والعامه على الفقراء والمساكين .
- ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

سُورَةُ النَجْمِ

مكية الا آخرها فمدني وآياتها ثمانني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَاتِعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- يسبح لله : أي ينزه الله ويقدسه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله .
- ما في السموات وما في الأرض : أي من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال .
- له الملك وله الحمد : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام .
- وهو على كل شيء قدير : أي هو ذو قدرة كاملة على فعل ما أراد ويريد .

فمنكم كافر ومنكم مؤمن : أي فبعضكم مؤمن موقن بربه ولقائه وبعضكم كافر جاحد دهرى، والواقع شاهد.

وصوركم فأحسن صوركم : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.
وإليه المصير : أي المرجع يوم القيامة.

والله عليم بذات الصدور : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

معنى الآيات : ^(١) يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴿ يخبر تعالى معلماً عباده ببروبيته الموجبة قوله تعالى ﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ بأنّه يسبحه جميع خلائقه في الملكوت الأعلى والأسفل وقوله ﴿ له عبادته وطاقته وطاعته رسوله بأنّه يسبحه جميع خلائقه في الملكوت الأعلى والأسفل وقوله ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ أي أنّه له الملك وهو الملك الحق وأنّه له الحمد وهو الثناء الجميل ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي وأنّه على فعل كل شيء قدير لا يعجزه شيء ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ أي وأنّه خالق الكل فمن عباده المؤمن به ومنهم الكافر كما هو الواقع. وأنّه بما يعمل عباده من خير أو شر من حسنات أو سيئات خبير أي مطلع وسيجزي الكل بأعمالهم حسناتها وسيئها، وأنّه خلق السماوات والأرض ^(٢) بالحق لا للهو ولا اللعب ولا للعبث بل بالحق وهو أن يذكر ويشكر من عباده وأنّه صور العباد في الأرحام فأحسن صورهم وجملها، فهي أجمل المخلوقات الأرضية على الإطلاق، وإنّه إليه لا إلى غيره المرجع يوم القيامة فيحاسب ويجزي وهو الحكم العدل العزيز الحكيم. وإنّه تعالى يعلم ما في السماوات والأرض من سائر المخلوقات والحوادث والأحداث، وإنّه يعلم ما يُسر عباده من أعمال وأقوال ونيات، وما يعلنون من ذلك. وأنّه عليم بذات الصدور أي ما فيها من أسرار وخواطر ونيات وأرادات. ^(٤)

أخبر عباده بهذا ليؤمنوا به ويعبدوه دون غيره فيكملون ويسعدون بعبادته فله الحمد وله المنة

وهو الرحمن الرحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تعليم الله تعالى عباده وتعريفهم بجلاله وكماله ليؤمنوا به ويعبدوه ليكملوا ويسعدوا في

(١) اللام في قوله : (له) مزيدة لتقوية الكلام إذ فعل سَبَّحَ يتعدى بنفسه يقال : سبَّحه : إذا نزهه وقال : (ما في السماوات) ولم يقل : من تغليباً لغير العاقل لكثرة.

(٢) (له الملك) : تقديم الخبر على المبتدأ هنا للدلالة على الاختصاص فهو تعالى مختص بكل من الملك والحمد.

(٣) الباء في (بالحق) للملابسة أي خلقاً ملتبساً بالحق بعيداً عن اللهو، واللعب والباطل.

(٤) في الآيات تقرير البعث وإمكانه بحجج عقلية لا تردّها العقول الراجعة والفطر السليمة.

الحياتين بالإيمان به وبطاعته وطاعة رسوله .

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ المؤمن مؤمن ، والكافر كافر مكتوب ذلك في كتاب المقادير ، ثم يظهره تعالى في عالم الشهادة قائما على سننه في خلقه .

٣- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه لأنه عليم بذات الصدور .

الْمَ يَا تَكُمُ نَبَاُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

الم يا تكم نبا الذين كفروا من : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم .
قبل

فذاقوا وبال أمرهم : أي عقوبة كفرهم في الدنيا .

ولهم عذاب أليم : أي في الآخرة .

ذلك : أي العذاب في الدنيا والآخرة .

بأنه كانت تأتيتهم رسلهم : أي بسبب أنها كانت تأتيتهم رسلهم .

بالبينات : أي بالحجج القواطع الدالة على صحة رسالاتهم .

فقالوا : أبشر يهدونا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين : أبشر يهدونا ؟

فكفروا وتولوا : أي فكفروا برسلمهم وتولوا عنهم أي أعرضوا .

واستغنى الله : أي عن إيمانهم .

والله غني حميد : أي غنى عن خلقه محمود بأفعاله وآلائه على خلقه .

معنى الآيتين :

بعد أن بين تعالى للناس مظاهر ربوبيته المقتضية لعلمه وقدرته وحكمته وعدله ورحمته في الآيات السابقة والموجبة لألوهيته قرر في هاتين الآيتين نبوة رسالة نبيه محمد ﷺ فقال لكفار

مكة ﴿ألم يأتكم نبي﴾ أي خبر ﴿الذين كفروا من قبل﴾ كقوم عاد وثمود وأصحاب مدين ، ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾^(٣) أي عقوبة كفرهم التي كانت عقوبة ثقيلة شديدة فأهلكوا في الدنيا بعذاب إبادة استتصالي ، وفي الآخرة لهم عذاب أليم^(٤) وبين لهم سبب ذلك الهلاك والعذاب فقال : ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على أنهم رسل إليهم ، وأنه لا إله إلا الله فلا تصح العبادة لغير الله ، فيقابلونهم بالسخرية والإعراض والاستنكار وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿فقالوا أبشر يهودنا﴾ أي كيف يكون بشر مثلكم يهدوننا ، وبذلك كفروا وتولوا عن الإيمان والإسلام . واستغنى الله عن إيمانهم فأهلكهم لما كفروا به وبرسله . ولم يأسف أو يأس عليهم لعدم حاجته إليهم والله غنى عنهم وعن سائر خلقه حميد أي محمود بأفعاله الشاهدة بكماله وجلاله وجماله .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- توبيخ من يستحق التوبيخ وتأنيب من يستحق التأنيب .
- ٢- التكذيب للرسول والكفر بتوحيد الله موجب للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة .
- ٣- تقرير نبوة رسول الله ﷺ وإثباتها لأن شأنه شأن الرسل من قبله .

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُ اللَّهُ نَبِيًّا
لَنَبْعَثَنَّ ثُمَّ لِلنَّبِيِّنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(١) الاستفهام تقريرى

(٢) حذف المضاف إليه مع (قبل) ونوى معناه دون لفظه فلذا بنيت قيل على الضم والتقدير: نبي الذين كفروا من قبلكم .

(٣) الوبال: السوء، وما يكره، والأمر: الشأن والحال .

(٤) أي: في الآخرة لأن العطف يقتضى المغايرة .

(٥) الإشارة عائدة إلى المذكور قبلها وهو الوبال والعذاب الأليم .

(٦) الاستفهام في (أبشر) استفهام إنكارى إيطالي .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا : أي قالوا كاذبين إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم .
 قل بلى وربي لتبعثن : قل لهم يا رسولنا بلى لتبعثن ثم تنبئون بما عملتم .
 وذلك على الله يسير : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله .

والنور الذي أنزلنا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه .
 ليوم الجمع : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع .
 ذلك يوم التغابن : أي يغيب المؤمنون الكافرين يأخذ منازل الكفار في الجنة
 واخذ الكفار منازل المؤمنين في النار .
 ذلك الفوز العظيم : أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من
 تحتها الأنهار هو الفوز العظيم .
 بشس المصير : أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلاً للجحيم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قریش إنه بعد أن ذكرهم بمصير الكافرين من قبلهم وفي ذلك دعوة واضحة لهم إلى الإيمان بتوحيد الله وتصديق رسوله . دغاهم هنا إلى الإيمان بأعظم أصل من أصول الهداية البشرية وهو الإيمان بالبعث والجزاء وهم ينكرون ويجاحدون ويعاندون فيه فقال في أسلوب غير المواجهة بالخطاب زعم^(١) الذين كفروا والزعم ادعاء باطل وقول إلى الكذب أقرب منه إلى الصدق . أن لن يبعثوا أي أنهم إذا ماتوا لن يبعثوا أحياء يوم القيامة .
 قل لهم يا رسولنا : ﴿ بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ ولازم ذلك الجزاء العادل على كل أعمالكم وهي أعمال فاسدة غير صالحة مقتضية للعذاب والخزي في جهنم ﴿ وذلك على الله يسير ﴾ أي وأعلمهم أن بعثهم وتنبئتهم بأعمالهم وإثابتهم عليها أمر سهل هين لا صعوبة فيه وبعد هذه

(١) هنا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً المخاطب فيه رسول الله ﷺ يذكر فيه كفر المشركين بالبعث ويرد عليهم بتقرير مانفوه وزعموا أنه غير واقع ، والزعم : القول الموسوم بمخالفة الواقع ، ويطلق على الخبر المشكوك في وقوعه .

(٢) (وذلك على الله يسير) : تذييل ، واسم الإشارة عائد إلى البعث المفهوم من قوله : (لتبعثن) .

(١) اللفته اللطيفة دعاهم دعوة كريمة إلى طريق سعادتهم ونجاتهم فقال عز وجل: ﴿فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وبنبوة رسوله وبالنور الذي أنزلنا وهو القرآن الكريم، واعمَلُوا الصالحات وتباعدوا عن السيئات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي وسيجزيكم بأعمالكم. وذلك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة ويجازيكم بأعمالكم خيراً وشرها ذلك يوم التغابن (٢) الحقيقي حيث يرث أهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، وهذا قائم على أساس أن الله تعالى أوجد لكل إنسان منزلاً في الجنة وآخر في النار، فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة وحاز منزله ومنزل إنسان آخر هو في النار فحصل بذلك الغبن بينه وبين من هو في النار قد ورث منزله فيها وبعد هذا الدعاء الخاص الموجه إلى كفار قريش قال تعالى واعدوا عامة الناس عربهم وعجمهم من وجد منهم ومن لم يوجد بعد: ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته (٤) ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم لأنه نجا من النار ودخل الجنة هذا وعده الصادق لمن آمن وعمل صالحاً. وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بالله ورسوله ولقائه وكذبوا بآياتنا أي القرآن وما فيه من شرائع وأحكام والتكذيب مانع من العمل الصالح قطعاً إذا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار والخلود فيها هذا وعيده تعالى المقابل لوعده السابق اللهم اجعلنا من أهل وعدك ولا تجعلنا من أهل وعيدك يا واسع الفضل يا رحمن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير البعث والجزاء.

٢- تقرير التوحيد والنبوة.

٣- بيان كون القرآن نوراً فلا هداية في هذه الحياة إلا به فمن طلبها في غيره ما اهتدى.

(١) (فَأَمْنُوا) : الفاء هي الفصيحة إذ أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: فإذا علمتم هذه الحجج وتذكرتم ما حل بأسلافكم من العقاب فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لتنجوا مما حل بالكافرين من أمثالكم.

(٢) الإتيان باسم الإشارة بدل الضمير كان لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه مع ما يفيد اسم الإشارة من البعد والعلو نحو: (ذلك الكتاب) والتغابن: تفاعل صادر بين اثنين هذا مغبون وذاك غابن، والغبن: أن يُعطى البائع ثمناً دون ثمن بضاعته.

(٣) هذه الآية متضمنة تفصيلاً لما أجمل في الجمل قبلها وتحمل عفواً عاماً لمن آمن من الكافرين ووجد من المشركين بأن الله تعالى سيعفو عنهم ويغفر لهم ويدخلهم الجنة.

(٤) قرأ نافع: (نكفر) و(يدخل) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى المتكلم. وقرأ حفص (يكفر) و(يدخل) بياء الغيبة على مقتضى الظاهر.

(٥) أي: والذين استمروا على الكفر والتكذيب ولم يتوبوا بالإيمان وترك الشرك والمعاصي فجزاؤهم الملائم لخبت نفوسهم من جزاء الشرك والمعاصي هو ما ذكر تعالى من الخلود في النار.

- ٤- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح وبيان أنهما مفتاح دار السلام .
٥- التحذير من الكفر والتكذيب بالقرآن وشرائعه وأحكامه فان ذلك يقود الى النار .

مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله : أي ما أصابت احداً من الناس مصيبة إلا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه .

ومن يؤمن بالله يهد قلبه : أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضا بقضائه فيسترجع ويصبر .

فإن توليتم : أي عن طاعة الله ورسوله فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم إذ عليه إِبلاغكم لا هدايتكم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(١) في هذه الآية رد على الكافرين الذين يقولون لو كان المسلمون على حق ، وما هم عليه حقاً لصانهم الله من المصائب في الدنيا ، ولما سلط عليهم كذا وكذا . . . فأخبر تعالى أنه ما من أحد من الناس تصيبه مصيبة في نفس أو وليد أو مال إلا وهي بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ، ومن يؤمن بالله رباً وإلهاً عليمًا حكيمًا وأن ما أصابه لم

(١) قال القرطبي : قيل سبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا : لو كان ما عليه المسلمون حق لصانهم الله من المصائب في الدنيا ورد تعالى عليهم بأن المصائب التي تصيب العبد هي بإذن الله ولها أسبابها مرتبطة معها وهي سنن الله تعالى لا تتخلف .

(٢) أنشأت المصيبة لأنها بمعنى الحادثة والإذن : أصله إجازة الفعل لمن يفعله والمراد هنا أن ما يصيب العبد من خير وشر هو بتدبير الله تعالى في ربطه الأسباب بالمسببات فعاد الأمر إلى إذنه تعالى بوقوع ما أراد من خير أو غيره .

يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يهد قلبه فيصبر ويسترجع فيؤجر وتخف عنده المصيبة بخلاف الكافر بالله وقضائه وقدره .

وقوله تعالى ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فلا يخفى عليه شيء فلا يحدث حدث في الكون الا بعلمه وإذنه وهذه حال تقتضى الرضا بالقضاء والقدر والتسليم لله تعالى فيما يقضى به على عبده وفي ذلك خير كثير لا يعرفه إلا أصحاب الرضا بالقضاء والتسليم للعليم الحكيم .

وقوله تعالى ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يأمر تعالى عباده عامة بطاعة الله وطاعة رسوله لأن كمال الإنسان وسعادته مرتبطة بهذه الطاعة التي هي عبارة عن تطبيق نظام دقيق ينتج صفاء روح وزكاة نفس يتأهل بها العبد إلى النزول بالملكوت الأعلى «الجنة دار الأبرار» .

وقوله ﴿فإن توليتهم﴾ أي أعرضتم عن هذه الدعوة فرفضتم طاعة الله ورسوله فلا ضرر على رسولنا ولا ضرر إذ عليه البلاغ المبين وقد بلغ مبيناً غاية التبيين ، وأما هدايتكم فلم يكلف بها إذ لا يقدر عليها ولا يكلف الله نفساً إلا طاقاتها .

وقوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي أن الذي أمركم بطاعته وطاعة رسوله هو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح الا له لأنه الخالق لكم الرازق المدير لحياتكم ، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفي المؤمن الذي يتوكل عليه يكفيه كل ما يهمه من أمر دنياه وآخرته . ولا كافي إلا هو سبحانه وتعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر .

٢- وجوب الصبر عند نزول المصيبة والرضا والتسليم لله تعالى في قضائه وحكمه ، ومن تكن هذه حاله يهد الله قلبه ويرزقه الصبر وعظيم الأجر ويلطف به في مصيبته وإن هو استرجع قائلاً إنا لله وإنا إليه راجعون أخلفه الله عما فقدته وآجره .

٣- وجوب طاعة الله وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

٤- تقرير التوحيد .

(١) (يهد قلبه) عندما تصيبه المصيبة فيسترجع أي : يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ويصبر ، فإيمان هو السبب في حصول هداية القلب فإذا هدى القلب حصل الاسترجاع وحصل الصبر وخف وقع المصيبة .

(٢) الجملة معطوفة على قوله : (وأطيعوا الله) فهي في معنى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وتوكلوا على الله وحده لأن الطاعة تتطلب عملاً وجهداً وهما يتطلبان اعتماداً على الله إذ هو المعين للعبد على الطاعة دون غيره فليكن التوكل عليه وحده .

(٣) (يهد قلبه) فيسترجع ويصبر ، والإيمان الصحيح هو الذي ينتج هداية القلب فإذا اهتدى القلب إلى معرفة حكم الله وقضائه صبر وظفر .

٥- وجوب التوكل على الله تعالى وهو فعل المأمور وترك المنهى وتفويض الامر لله بعد ذلك .
ولن يكون الا خيراً بإذن الله تعالى .

يَأْتِيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِيَّاكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقُضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

إن من أزواجكم وأولادكم عدوا : أي من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدواً أي يشغلونكم
لكم
فاحذروهم
عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا .
: أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو
الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصدق على ذوي الحاجة .
وان تعفوا
وتصفحوا وتغفروا
: أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد .
: أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم
عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله .
: أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم .
فان الله غفور رحيم

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته .

والله عنده أجر عظيم : أي فآثروا ما عنده تعالى على ما عندكم من مال وولد .
فاتقوا الله ما استطعتم : أي افعلوا ما تقدرون عليه من أوامره ، واجتنبوا نواهيه كلها .
ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال .

يضاعفه لكم : أي الدرهم بسبعمائة .
والله شكور حلیم : أي يُجازي على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة .

معنى الآيات :

هذه الآيات الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ نزلت في أناس كان لهم أزواج وأولاد عاقوهم عن الهجرة والجهاد فترة من الوقت فلما تغلبوا عليهم وهاجروا ووجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تعلموا وتفقهوا في الدين فتأسفوا عن تخلفهم فهموا بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة أن يعاقبوهم بنوع من العقاب من تجويع أو ضرب أو تشريب وعتاب فأنزل الله تعالى هذه الآيات يا أيها الذين آمنوا أي يا أيها المؤمنون إن من أزواجكم وأولادكم أي من بعضهم لا كلهم إذ منهم من يساعد على طاعة الله ويكون عوناً عليها عدواً لكم يصرفكم عن طاعة الله والتزود للدار الآخرة ، وقد ينازعونكم في دينكم ودنياكم إذا فاحذروهم أي كونوا منهم على حذر أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير من هجرة وجهاد وغيرهما وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي عمن شغلوكم عن طاعة الله فعاقوكم عن الهجرة والجهاد فلم تضربوهم ولم تجوعوهم ولم تثربو عليهم ولم تعاتبوهم بل تطلبون العذر لما قاموا به نحوكم يكافئكم الله تعالى بمثله فيعفو عنكم ويصفح ويغفر لكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم لأزواجكم وأولادكم الذين آخروا هجرتكم وعطلوكم عن الجهاد في سبيل الله .

(١) قال القرطبي : قال ابن عباس : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي بالمدينة النبوية شكاً إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده ، وعط عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها جملة إلا هؤلاء الآيات (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم . . . الخ .

(٢) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدو يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو ، ويجب الحذر على المؤمنين ، ويكون الحذر بوجهين : إما لضرر في البدن وإما لضرر في الدين ، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك وأنذره به .

(٣) (من) للتبويض إذا ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدواً .

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ^(١) أي إنما أموالكم وأولادكم أي كل أموالكم وأولادكم فتنه واختبار من الله لكم هل تحسنون التصرف فيهم فلا تعصوا الله لأجلهم لا بترك واجب ولا بفعل ممنوع، أو تسيئون التصرف فيحملكم جهنم على التفریط في طاعة الله أو التقصير في بعضها بترك واجب أو فعل حرام والله عنده أجر عظيم فأثروا ما عند الله على ما عندكم من مال وولد، إن ما عند الله باق، وما عندكم فانٍ، فأثروا الباقي على الفاني .
وقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ^(٢) هذا من إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين إنه لما علمهم أن أموالهم وأولادهم فتنه وحذرهم أن يؤثرهم على طاعة الله ورسوله علم أن بعض المؤمنين سوف يزهدون في المال والولد، وأن بعضاً سوف يعانون أتعاباً ومشقة شديدة في التوفيق بين خدمة المصلحتين فأمرهم أن يتقوه في حدود ما يطيقون فقط وخير الأمور الوسط فلا يفرط في ولده وماله، ولا يفرط في علة وجوده وسبب نجاته وسعادته وهي عبادة الله تعالى التي خلق لأجلها وعليها مدار نجاته من النار ودخوله الجنة.

وقوله تعالى واسمعوا ما يدعوكم الله ورسوله إليه ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله من أموالكم خيراً لأنفسكم من عدم الإنفاق فإنه شر لكم وليس بخير.

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْذُ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾ أعلمهم أن عدم الإنفاق ناتج عن شح النفس، وشح النفس لا يقى منه إلا الله، فعليكم باللجوء إلى الله تعالى ليحفظكم من شح نفوسكم فادعوه وتوسلوا إليه بالإنفاق قليلاً قليلاً حتى يحصل الشفاء من مرض الشح الذي هو البخل مع الحرص الشديد على جمع المال والحفاظ عليه ومن شفي من مرض الشح أفلح وأصبح في عداد المفلحين الفائزين بالجنة بعد النجاة من النار. وقوله ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ هذا الترغيب عظيم من الله تعالى للمؤمنين في النفقة في سبيله

(١) (فتنة) أي : بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى ، روي عن ابن مسعود انه كان يقول : لا تقولوا : اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقبل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن .

(٢) هل هذه الآية مخصصة لأية آل عمران : (فاتقوا الله حق تقاته) هذا هو الظاهر إذ من غير الممكن أن يتقى الله حق تقاته أي : تقواه الحق فلو أن العبد ذاب ذوباناً من خشية الله تعالى ما اتقى الله حق تقاته .

(٣) قال القرطبي : اسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه ، والآية أصل في السمع والطاعة في بيعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة ولأولى الأمر .

(٤) يصح في نصبه ثلاثة أوجه الأول أن يكون الخير بمعنى المال ويكون خيراً مفعولاً به ، والثاني : أن يكون (خيراً) نعتاً لمصدر محذوف أي أنفقوا إنفاقاً خيراً ، والثالث أن يكون منصوباً بفعل مضمر دل عليه أنفقوا أي ابتوا في الإنفاق خيراً لأنفسكم .

(٥) المضاعفة : هي إعطاء الضعف ، والشكور : فعول بمعنى فاعل أي : مبالغة في الشكر .

إذ سماها قرضاً والقرض مردود وواعد بمضاعفتها وزيادة أخرى أن يغفر لهم بذلك ذنوبهم، واشتراط الحسن للقرض اشتراط معقول وهو أن يكون المال الذي أقرض الله حلالاً لا حراماً، وأن تكون النفس طيبة به لا كارهة له، وهذا من باب النصح للمؤمنين ليحصلوا على الأجر مضاعفاً. وقوله تعالى ﴿والله شكور حليم﴾ ترغيب أيضاً لهم في الإنفاق لأن الشكور معناه يُعطي القليل فيكافيء بالكثير، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة. ومثله يقرض القرض الحسن. وقوله ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ترغيب أيضاً في الإنفاق إذا أعلمهم أنه لا يغيب عنه من أمورهم شيء يعلم الخفي منها والعلني، وما غاب عنهم فلم يروه وما ظهر لهم فشهدوه فذو العلم بهذه المثابة معاملته مضمونة لا يخاف ضياعها ولا نسيانها. وقوله ﴿العزیز الحکیم﴾ أي العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم في إجراء أحكامه وتدبير شؤون عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن من بعض الزوجات والأولاد عدواً فعلى المؤمن أن يحذر ذلك ليسلم من شرهم.
- ٢- الترغيب في العفو والصنع والمغفرة على من أساء أو ظلم.
- ٣- التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.
- ٤- وجوب تقوى الله بفعل الواجبات وترك المنهيات في حدود الطاقة البشرية.
- ٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله تعالى والتحذير من الشح فإنه داء خطير.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية وآياتها ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ

اللَّهُ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

شرح الكلمات :

- يا أيها النبي : أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأمرته بدليل ما بعده .
إذا طلقتم النساء : أي إذا أردتم طلاقهن .
فطلقوهن لعدتهن : أي لقبل عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه .
وأحصوا العدة : أي احفظوا مدتها حتى يمكنكم المراجعة فيها .
واتقوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه .
لا تخرجوهن من بيوتهن : أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتى تنقضي عدتها .
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة : أي إلا أن يؤذين بالبذاء في القول وسوء الخلق ، أو يرتكبن فاحشة من زنا بينة ظاهر لا شك فيها .
وتلك حدود الله : أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها حتى تنقضي عدتها .
لا تدرى لعلَّ الله يحدث بعد : أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها فراجعها إذا لم
ذلك أمراً تكن الثالثة من الطلاقات .

معنى الآية

قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ ^(١) يخاطب الله تبارك وتعالى رجال أمة الإسلام في شخصية نبيها محمد ﷺ فيقول : إذا طلقتم أي إذا أردتم طلاقهن لأمر اقتضى ذلك فطلقوهن لعدتهن أي لأول عدتهن وذلك في طهر لم تجامع فيه لتعد ذلك الطهر أول عدتها . وقوله تعالى :

(١) في سنن ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها بأمر الله تعالى وقيل له : راجعها فإنها قوامه صوامة رضي الله عنها وأرضاها، وضعف الحديث، وعلى كل حال فالآية تشريع عام لأمة الإسلام بغض الطرف عن سبب النزول .

(٢) وردت أحاديث كثيرة ضعيفة السند ومجموعها يدل على كراهية الطلاق وأنه عمل غير صالح إن كان بدون ضرورة وهي رفع الضرر عن أحد الزوجين . الجمهور أن من طلق واستثنى فله ما استثناه فلو قال : أنت طالق إن شاء الله فله استثنائه ولا طلاق عليه .

﴿وأحصوا العدة﴾ أي احفظوها فاعرفوا بدايتها ونهايتها لما يترتب على ذلك من أحكام من صحة المراجعة وعدمها، ومن النفقة، والإسكان وعدمهما. وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فامتثلوا أوامره وقفوا عند حدوده فلا تتعدوها، لا تخرجوهن أي المطلقات من بيوتهن اللاتي طلقن فيهن، ولا يخرجن أي ويجب أن لا يخرجن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كزناً ظاهراً أو تكون سيئة بذينة اللسان فتؤذي أهل البيت أذى لا يتحملونه فعندئذ يباح إخراجها.

وقوله تعالى: ﴿وتلك حدود الله﴾ أي المذكورات من الطلاق لأول الطهر، وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن، وقوله ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ فيتجاوزها ولم يقف عندها فقد ظلم نفسه وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً.

وقوله تعالى: ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي بأن يجعل الله تعالى في قلب الرجل رغبة في مراجعة مطلقة فيراجعها، وفي ذلك خير كثير.

هداية الآية :

من هداية الآية :

- ١- بيان السنة في الطلاق وهي أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها بجماع.^(١)
- ٢- أن يكون الطلاق واحدة لا اثنتين ولا ثلاثاً.
- ٣- وجوب إحصاء العدة ليعرف الزوج متى تنقضي عدة مطلقة لما يترتب على ذلك من أحكام الرجعة والنفقة والإسكان.
- ٤- حرمة إخراج المطلقة من بيتها الذي طلقت فيه إلى أن تنقضي عدتها إلا أن ترتكب فاحشة ظاهرة كزناً أو بداءة أو سوء خلق وقبيح معاملة فعندئذ يجوز إخراجها.

فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ

(١) وأن يكون واحدة لا اثنتين أو ثلاثاً، وطلاق البدعة خلافه وهو: أن يطلقها وهي حائض أو في طهر جامعها فيه أو بلفظ اثنين أو ثلاث ومن أهل العلم من لا يعد الطلاق البدعي طلاقاً، ومنهم من يمضيه واحتج المانعون والمجيزون بحديث ابن عمر في الصحيح: (إذ طلق ابن عمر زوجته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال له: ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل) فمن قال: إن الرسول ﷺ قد حسبها له طلقة قال الطلاق في الحيض يمضي وهو بدعة، ومن قال: إن الرسول ﷺ لم يعد لها بل قال له: (إذا طهرت ليطلق أو ليمسك) قال: الطلاق في الحيض بدعة ولا يمضي.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
 بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

- فإذا بلغن أجلهن : أي قاربن انقضاء عدتهن .
 فأمسكوهن بمعروف : أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر .
 أو فارقوهن بمعروف : أي أتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة .
 وأشهدوا ذوى عدل منكم : أي اشهدوا على الطلاق وعلى الرجعة رجلين عدلين منكم أي
 من المسلمين فلا يشهد كافر .
 وأقيموا الشهادة لله : أي لا للمشهود عليه أوله بل لله تعالى وحده .
 ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله : أي ذلكم المذكور من أول السورة من أحكام يؤمر به وينفذه
 واليوم الآخر : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .
 ومن يتق الله : أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما .
 يجعل له مخرجاً : أي من كرب الدنيا والآخرة .
 ويرزقه من حيث لا يحتسب : أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل .
 فهو حسبه : أي كافيه ما يهيمه من أمر دينه ودنياه .
 قد جعل الله لكل شيء قدراً : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حداً وأجلاً وقدراً ينتهى إليه .

معنى الآيتين :

(١) ما زال السياق الكريم في بيان العِدَّةِ وأحكام الطلاق والرجعة . قال تعالى : ﴿فإذا بلغن﴾ أي
 المطلقات أجلهن أي قاربن انقضاء العدة فأمسكوهن بمعروف أيراجعوهن على أساس حسن
 العشرة والمصاحبة الكريمة لا للإضرار بهن كأن يراجعها ثم يطلقها يطول عليها العدة فهذا لا

(١) هذا لقوله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن) أي : قاربن من انقضاء الأجل .

(١) يجوز لحرمة الإضرار بالناس وفي الحديث: لا ضرر ولا ضرار. وقوله ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك بأن يعطيها ما بقي لها من مهرها ويؤتمتعها بحسب حاله غنى وفقراً. وقوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أي أشهدوا على النكاح والطلاق والرجعة أما الإشهاد على النكاح فركن ولا يصح النكاح بدونه، وأما في الطلاق والرجعة فهو مندوب، وقد يصح الطلاق والرجعة بدونه، ويشترط في الشهود أن يكونوا عدولاً، وأن يكونوا مسلمين لا كافرين. وقوله: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي أدوها على وجهها ولا تراعوا فيها إلا وجه الله عز وجل. وقوله: ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي ذلكم المأمور به من أول السورة كالطلاق في طهر لم يجامعها فيه وكإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها والإمساك بالمعروف والفراق بالمعروف والإشهاد في النكاح والطلاق والرجعة والإقساط في الشهادة كل ذلك يوعظ به أي يؤمر به وينفذه المؤمن بالله واليوم الآخر إذ هو الذي يخاف عقوبة الله وعذابه فلا يقدم علي معصيته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أتى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فبم تأمرني؟ قال أمرك وإياها أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت المرأة نعم ما أمرك به فجعلنا يكثران منها فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم وجاء بها إلى أبيه فنزلت هذه الآية، وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل كرب فرجاً، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال، ومن يتوكل على الله تعالى في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يضيع حقوقه فإن الله تعالى يكفيه ما يهيمه من أمر دينه ودنياه. وقوله تعالى ﴿إن الله بالغ أمره﴾ أي منفذ أمره في عبادته لا يعجزونه أبداً، وقد جعل لكل شيء قدراً أي مقداراً وزماناً ومكاناً فلا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط، ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد الله.

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) المتعة واجبة للمطلقة التي لم يفرض لها صداق ولغيرها من المطلقات سنة مستحبة.

(٣) وأن يكونا ذكراً فالنساء شهداتهن خاصة في الأموال لا غير.

(٤) قرأ نافع (إن الله بالغ أمره) بتوئين بالغ ونصب أمره على أنه معمول لاسم الفاعل المتون، وقرأ حفص بإضافة بالغ إلى أمره فبالغ مرفوع بدون تنوين وأمر: مجرور بالإضافة إليه.

(٥) أي: لكل شيء من الشدة والرخاء أجل ينتهي إليه. قاله القرطبي: وما في التفسير أوضح وأشمل.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١- لا تصح الرجعة إلا في العدة فإن انقضت العدة فلا رجعة وللمطلقة ان تزوج من شاءت هو أو غيره من ساعة انقضاء عدتها.
- ٢- لا تحل المراجعة للإضرار، ولكن للفضل والإحسان وطيب العشرة.
- ٣- مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة معاً.
- ٤- يشترط في الشهود العدالة، فإذا خفت العدالة في الناس استُكثِرَ من الشهود.
- ٥- وعد الله الصادق بالفرج القريب لكل من يتقه سبحانه وتعالى، والرزق من حيث لا يرجو.
- ٦- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٧- كفاية الله لمن توكل عليه.^(١)

وَالَّتِي يَسِّنْ

مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

- واللاتي يسِّن من المحيض : والنسوة اللاتي يسِّن من الحيض .
 إن ارتبتم : أي شككنم في عدتهن .
 واللاتي لم يحضن : أي لكبر سن أو صغر سن .
 وأولات الأحمال : أي ذوات الأحمال : النساء الحوامل .
 أجلهن : أي في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن .

(١) روى القرطبي عن الربيع بن خيثم قوله : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) . (إن تقرضوا الله قرصاً حسناً يضاعفه لكم) (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) .

ذلك أمر الله : أي ذلك المذكور في العدة وتفاصيلها .
أنزله إليكم : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق والرجعة والعدة فقال تعالى : ﴿واللاتي يشن^(١) من المحيض﴾ أي لكبر سنهن كمن تجاوزت الخمسين من عمرها إذا طلقت بعد الدخول بها . إن ارتبتم^(٢) أيها المؤمنون في مدة عدتهن ، فعدتهن ثلاثة أشهر . واللاتي لم يحضن أي لصغرهن كذلك ، عدتهن ثلاثة أشهر وقوله ﴿وأولات الأحمال﴾ أي الحوامل إن طُلِقن أو مات عنهن أزواجهن أجلهن في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن أي وضع حملهن فمتى ولدت ما في بطنها من جنين فقد انقضت عدتها ولو وضعته قبل استكمال التسعة أشهر ، إن لم تعتمد إسقاطه بالإجهاض المعروف اليوم عند الكوافر والكافرين .

وقوله تعالى : ﴿ومن يتق الله﴾ أي منكم أيها المؤمنون في هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق والرجعة والعدة فلا يخالف أمره في ذلك يكافئه الله تعالى من فضله فيجعل له من أمره يسرا فيسهل عليه أمره ويرزقه ما تقر به عينه ويصلح به شأنه .

وقوله تعالى : ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ أي ذلك المذكور من الأحكام في هذه السورة من الطلاق والرجعة والعدة وتفصيلها حكم الله أنزله إليكم لتأتمروا وتعملوا به فاعملوا به ولا تهملوه طاعة لله وخوفاً من عذابه ومن يتق الله في أوامره ونواهيه فيؤدي الواجبات ويتجنب المحرمات يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً أي يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- بيان العدة وهي كالتالي :

١- متوفى عنها زوجها وهي غير حامل عدتها : أربعة أشهر وعشر ليال .

(١) روي أن عدداً من الصحابة وهم : أبي بن كعب وخلاد بن النعمان ومعاذ بن جبل كل واحد سأل رسول الله ﷺ عن عدة الصغيرة والكبيرة ممن لا يحضن وعدة الحامل كذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية : (واللاتي يشن) . والآية مخصصة لعمر آية البقرة ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فقد نزلت سورة الطلاق بعد سورة البقرة .

(٢) اليأس : عدم الأمل والميؤوس منه في الآية هو : الحيض وسواء كان قد وجد وانعدم أم لم يوجد بعد .

(٣) أطلق الفقهاء على التي تحيض وانقطع حيضها وهي لم تبلغ سن اليأس أطلقوا عليها : (المرتابه) والزموها بأن تترتب تسعة أشهر وهي مدة الحمل فإن لم تحض ولم يظهر لها حمل اعتدت بثلاثة أشهر فتم لها سنة ثم لها أن تزوج لانقضاء عدتها .

- ٢- متوفى عنها زوجها وهى حامل : عدتها وضع حملها. ^(١)
- ٣- مطلقة لا تحيض لكبر سنها أو لصغر سنها وقد دخل بها : عدتها ثلاثة أشهر.
- ٤- مطلقة تحيض عدتها ثلاثة قروء أي حيض تبتدىء بالحيضة التي بعد الطهر الذي طلقت فيه . أو ثلاثة اطهار ^(٢) كذلك الكل واسع ولفظ القراء مشترك دال على الحيض وعلى الطهر.
- ٥- بيان أن أحكام الطلاق والرجعة والعدد مما أوحى الله به وأنزله في كتابه فوجب العمل به ولا يحل تبديله أو تغييره باجتهاد أبداً.
- ٦- فضل التقوى وأنها باب كل يسر وخير في الحياة الدنيا والآخرة.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ
عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتِمُّوا إِلَيْنَّكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ
تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

- من وجدكم : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقة في بعض سكنه .
- ولا تضاروهن : أي لا تطلبوا ضررهن بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة .

(١) اختلف في الحامل تسقط هل تنقضي عدتها بالإسقاط أو لا فالإجماع إن كان ما سقط منها ولد تام الخلقة فإن عدتها انتهت بذلك ، واختلف فيما إذا كان السقط مجرد علقة أو مضغة والراجع أنها تحل لأن العبرة بخلو الرحم يقيناً وقد خلا بالإسقاط .

(٢) الاعتداد بالاطهار أولى لما فيه من التخفيف على المعتدة ولظاهر الآية (فطلقوهن لعدتهن) أي : لأول عدتهن وهو الطهر الذي طلقها فيه ولم يمسه .

- لتضييقوا عليهن : أي لأجل أن تضييقوا عليهن السكن فيتركه لكم ويخرجن منه .
 وإن كنَّ أولات حمل : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن .
 فإن أرضعن لكم : أي أولادكم .
 فاتوهن أجورهن : فاعطوهن أجورهن على الإرضاع هذا في المطلقات .
 وأتمروا بينكم بمعروف : أي وتشاورا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر يتهدى باتفاق على أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط .
 وإن تعاسرتم : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة .
 لينفق ذو سعة : أي لينفق على المطلقات المرضعات ذو الغنى من غناه .
 ومن قدر عليه رزقه : ومن ضيق عليه عيشه فلينفق بحسب حاله .

معنى الآيتين :

بعد بيان الطلاق بقسميه الرجعي والبائن وبيان العدد على اختلافها بين تعالى في هاتين الآيتين أحكام النفقات والإرضاع فقال تعالى : ﴿أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي من وسعكم ولا تضاروهن بأي مضارة لا في السكن ولا في الإنفاق ولا في غيره من أجل أن تضييقوا عليهن فيتركن لكم السكن ويخرجن . وهؤلاء المطلقات طلاقاً رجعياً وهن حوامل أو غير حوامل . وقوله تعالى ﴿وَأَنْكِحُوا الْأُولَاتِ اللَّاتِيْنَ كُنَّ أُولَاتٍ لِّكُمْ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي وإن كانت المطلقة طلاق البتة أي طلقها ثلاث مرات فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن أي أسكنوهن وأنفقوا عليهن إلى أن يلدن فإن وضعت حملها فهما بالخيار إن شاءت أرضعت له ولده بأجرة يتفقان عليها وإن شاء هو أرضع ولده مرضعاً غير أمه وهو معنى قوله تعالى فإن أرضعن لكم فاتوهن أجورهن واثمروا بينكم بمعروف وذلك يتم بتبادل الرأي إلى الاتفاق على أجرة معينة ، وإن تعاسرا بأن طلب كل واحد عسر الثاني أي تشاحاً في الأجرة فلم يتفقا فلترضع له أي للزوج امرأة أخرى من نساء القرية .

- (١) قال أشهب عن مالك : يخرج عنها إذا طلقها ويتركها في المنزل للآية (أسكنوهن) والصحيح أن المنزل إذا كان يتسع لهما معاً هي في حجرة وهو في أخرى فلا داعي لإخلائها لها وإن كان لا يتسع إلا لواحد فنعم يجب أن يتركها لها ، وقوله تعالى : (من حيث سكنتم) يقرر أن السكنى تكون في بيت الزوج المطلق .
 (٢) المضارة : الإضرار ، والمراد بالتضييق المحرم : إخراجهن أو أذاهن بأي أذى . فقوله تعالى : (ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن) شامل للمضايقة في السكنى والنفقة وفي العدة بأن يطلقها حتى إذا كادت تنقضي عدتها راجعها ثم يطلقها .
 (٣) هل على المرأة أن ترضع ولدها؟ إن كانت عصمة الزوجية قائمة فالصحيح أنها ترضع ولدها وجوباً وإن انفصلت عروة الزوجية فلا يجب على الوالدة إرضاع إلا إذا لم يقبل غيرها وخيف عليه الموت فيتعين عليها إرضاعه بأجرة إن شاءت . وأبو حنيفة لا يرى وجوب الإرضاع على الأم مطلقاً ويرى بعض العكس . والوسط ما قدمناه وهو الحق .

وقوله تعالى : ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أمر تعالى المؤمن إذا طلق أن ينفق على مطلقة التي ترضع له ولده أو التي هي في عدتها في بيته بحسب يساره وإعساره أو غناه وافتقاره، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاه من قدرة أو غنى وطول والقاضى هو الذي يقدر النفقة عند المشاحة وتكون بحسب دخل الرجل وما يملك من مال .

وقوله تعالى : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ هذا وعد صدق أتمه لأصحاب رسوله حيث كانوا في عسر ففتح عليهم ملك كسرى والروم فأبدل عسرهم يسراً . وأما غيرهم فمشرط بالتقوى كما تقدم ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١- وجوب السكن والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعيّاً .
- ٢- وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الحامل حتى تضع حملها .
- ٣- وجوب السكنى والنفقة للمتوفى عنها زوجها وهي حامل .
- ٤- المطلقة البائن والمبتوتة لم يقض لهما رسول الله ﷺ بنفقة ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحاك ، ومن الفضل الذي ينبغي أن لا ينسى أن كانت محتاجة الى سكن أو نفقة ان يسكنها مطلقها وينفق عليها مدة عدتها . وأجره عظيم لأنه أحسن والله يحب المحسنين .
- ٥- النفقة الواجبة تكون بحسب حال المطلق غنى وفقراً والقاضى يقدرها ان تشاحا .
- ٦- المطلقة طلاقاً بائناً إن أرضعت ولدها لها أجره إرضاعها حسب اتفاق الطرفين الأم والأب .
- ٧- بيان القاعدة العامة وهي أن لا تكلف نفس إلا وسعها .

وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ

عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَيْهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنُهَا

عَدَابًا تُكْرَأُ ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

(١) في الآية دليل على وجوب نفقة الولد على والده وأما الأم فلا إلا للضرورة كأن يموت الوالد أو يعجز، وكانت الأم قادرة فلتنفق وجوباً على طفلها .

(٢) وصف المالكية حديث فاطمة بالغرابية ، وأن عمر رضي الله عنه لم يقل به ، وقال : لا تترك كتاب الله لقول امرأة يعني أن الآية عامة في كل مطلقة لا فرق بين البائن وغيرها ، فالسكنى والنفقة للجميع وهو أرحم وأعظم أجراً والله أعلم .

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَنُلُّوْا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ
 لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ
 اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

- وكآين من قرية : أي وكثير من قرية أي مدينة .
 عنت عن أمر ربها : أي عصت يعنى أهلها عصوا ربهم ورسله .
 عذاباً نكراً : أي فظيلاً
 ذكراً رسولاً : أي القرآن وأرسل إليكم رسولاً هو محمد ﷺ .
 من الظلمات إلى النور : أي من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد .
 قد أحسن الله له رزقا : أي رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها أبداً .
 ومن الأرض مثلهن : أي سبع أرضين أرضاً فوق أرض كالسموات سماء فوق سماء .
 ينزل الأمر بينهن : أي الوحي بين السموات والأرض .
 لتعلموا ان الله على كل شيء : أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب
 قدير : لتعلموا ..

معنى الآيات :

لما قرر تعالى أحكام الطلاق والرجعة والعدة والنفقات وقال ذلك أمر الله أنزله إليكم ، وأوجب

العمل به حذر في هذه الآية من إهمال تلك الأحكام ونجاهلها وعدم القيام بها فقال: ﴿وكأين من قرية﴾ أي كثير من المدن عتا أهلها أي ترفعوا متكبرين عن أوامر الله ورسله فلم يمثلوها وعن الحقوق فلم يؤدوها حاسبها الله تعالى في الدنيا حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً أي قظيماً. فذاقت بذلك وبال أمرها أي عقوبته وكان عاقبة أمرها خسراً أي خساراً وهلاكاً وأعد الله لهم عذاباً شديداً هو عذاب يوم القيامة وفي تكرار الوعيد تحذير من الوقوع فيه بالشرك والظلم. وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه فلا تهملوا أحكامه ولا تعطلوها فيحل بكم ما حل بغيركم ممن عتوا عن أمر ربهم ورسله يا أولى الألباب أي العقول الذين آمنوا قد أنزل إليكم ذكراً هو القرآن ﴿رسولاً﴾ هو محمد ﷺ ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ ووضحت في نفسها لا خفاء فيها ولا غموض، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات أي ظلمات الكفر والشرك إلى النور نور الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.

وقوله تعالى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ هذا وعد كريم من رب رحيم يعد كل من آمن به وعمل صالحاً أن يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له فيها رزقاً وهو نعيم الجنة الذي لا ينفد ولا ينقطع أبداً.

وقوله ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ أي سبع أرضين واحدة فوق الأخرى كالسموات سماء فوق سماء هذا هو الله المعبود بحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه.

وقوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ أي

(١) (وكأين): اسم لعدد كثير مبهم يفسره ما يميزه بعده من اسم مجرور بمن وهو بمعنى: كم الخبرية، والمراد بالقرية: أهلها والقرية: المدينة الكبيرة.

(٢) (حاسبناها) بمعنى: جازيناها مجازاة دقيقة دقة الحساب.

(٣) قرأ نافع (نكراً) بضم النون والكاف، وقرأ حفص (نكراً) بضم النون وإسكان الكاف. والعذاب النكر: ما ينكره المرء من فظاعة كيفيته إنكاراً شديداً.

(٤) جائز أن يكون (رسولاً) بدل اشتغال من (ذكر) لتوقف الذكر على الرسول، وجائز أن يكون (رسولاً) معمولاً لفعل محذوف تقديره وأرسل إليكم رسولاً، وهذا واضح.

(٥) قرأ نافع (مبينات) بفتح الباء، وقرأ حفص (مبينات) بكسرهما والمعنى واحد.

(٦) قرأ نافع ندخله بالنون وقرأ حفص يدخله بالياء.

(٧) أحسن الله له رزقاً قوله أحسن أبلغ من أعد لأن الإحسان لا يكون إلا بعد الإعداد.

(٨) كون الأرضين سبعاً يشهد له قوله تعالى ومن الأرض مثلهن أي مثل السموات السبع ويشهد له السنة الصحيحة فقد روى عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين. ومثله أبي هريرة وفيه قال رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حق إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة.

(٩) المراد بالأمم هنا أمم الله تعالى وهو ما يدبر به شؤون مخلوقاته في الأرض والسماء. من موت وحياة وغيرهما وأمر ونهي وعطاء ومنع وغيرهما، والله أعلم بمراحه من كلامه وهو العليم الحكيم.

أعلمكم بخلقه العظيم من السموات والأرضين ويتنزل الأمر بينهما في كل وقت وحين لتعلموا أنه تعالى على كل شيء قدير لترغبوا فيما عنده وأنه أحاط بكل علما لترهبوه وتراقبوه، وبذلك تنهيون لإنعامه ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من ترك الأحكام الشرعية وإهمالها والعبث بها.
- ٢- بيان منة الله على هذه الأمة بإنزال القرآن عليها وإرسال الرسول إليها.
- ٣- بيان أن الكفر ظلمة وإن الإيمان نور.
- ٤- بيان عظمة الله تعالى وسعة علمه.

سُورَةُ التَّحْنِثِ

مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُنْوَإِ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا

(١) وتسمى سورة النبي أيضاً.

خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِينَاتٍ تَنَبَّيْتُ عَيْدَاتٍ سَيَّحَتِ تَنَبَّيْتُ وَأَبْكَارًا

شرح الكلمات :

- لم تحرم ما أحل الله لك : أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك .
تبتغي مرضات أزواجك : أي بتحريمها .
قد فرض لكم تحلة أيمانكم : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة .
وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه : هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما .
حديثاً : هو تحريم مارية وقوله لها لا تفشي .
فلما نبات به : أي نبات حفصة عائشة أي أختبرها به ظناً منها أنه لا حرج في ذلك باجتهاد .
وأظهره الله عليه : أي اطلعه عليه أي على المنبأ به .
عرف بعضه : أي لحفصة .
وأعرض عن بعض : أي تكروا منه ﷺ .
إن تتوبا إلى الله : أي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما .
فقد صغت قلوبكما : أي مالت إلى تحريم مارية أي سرهما ذلك .
وإن تظاهرا عليه : أي تتعاونوا أي على النبي ﷺ فيما يكرهه .
فإن الله هو مولاه : أي ناصره .
وصالح المؤمنين : أي أبوبكر وعمر رضي الله عنهما .
والملائكة بعد ذلك ظهير : أي ظهراء وأعوان له .
قانتات : أي عابدات .
سائحات : أي صائحات أو مهاجرات .
معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت فتواطأت أنا وحفصة إن أبتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل إني أجِدُ منك ريع مغافير: أكلت مغافير: فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له. فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى أن تتوبا، المغافير جمع مغفور بقله من البقول.

رحیم ﴿ في هذا عتاب من الله تعالى لرسوله ﷺ إذ حرم جاريته مارية ترضية ^(١) وذلك أنه ﷺ خلا بها في بيت إحدى نسائه فاطلمت عليه فقالت يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها أي مارية عليه حراماً ترضية لصاحبة الحجرة والفراش. فأنزل الله تعالى هذه الآيات مشتملة على هذه القصة فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ يعني جاريته مارية القبطية أم إبراهيم. ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ أي تطلب رضاهن ﴿والله غفور رحيم﴾ بك فلا لوم عليك بعد هذا ولا عتاب فجاريته لا تحرم عليك وكفر عن يمينك. إذ قال لها هي علي حرام والله لا أطؤها.

وقوله تعالى ﴿قد فرض لكم تحلة إيمانكم﴾ أي ما تتحللون به من إيمانكم إذا حلفتكم وهي ما جاء في سورة المائدة من قوله تعالى ﴿فكفارتهم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتكم وقوله تعالى والله مولاكم أي متولى أمركم وناصركم. وهو العليم بأحوال عباده الحكيم في قضائه وتدبيره لخلقه.

وقوله تعالى ﴿وإذ أسر النبي﴾ أي أذكر إذ أسر النبي لبعض أزواجه حديثاً وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما إذ قال لها لقد حرمت فلانة والله لا أطاها وطلب منها أن لا تفشي هذا السر. فحدثت به عائشة وكانت متصافية معها توادها.

فاطلع الله تعالى رسوله على ذلك. فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه لحفصة وأعرض عن بعض تكراً منه ﷺ. قالت أي حفصة من أنباك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير. وقوله: إن تنوبا إلى الله أي حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما أي مالت إلى تحریم مارية أي سركما ذلك. وجواب الشرط تقديره تقبل توبتكما. وقوله تعالى: ﴿وان تظاهرا عليه﴾ أي تتعاوننا عليه ﷺ فيما يكرهه، فإن تعاونكما يا حفصة وعائشة رضي الله عنكما لن يضره شيئاً فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر، والملائكة بعد ذلك ظهير له أي ظهراء وأعوان له عن كل من يؤذيه أو يريد به سوء.

(١) ترضية أي لبعض أزواجه أي طلباً لرضاها وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

(٢) اختلف أهل العلم فيمن حرم شيئاً فإن كان غير الزوج فالجمهور على أنه لا يحرم ولا كفارة عليه، وبعض يقول عليه كفارة يمين: أما الزوجة فقد بلغت الأقوال فيها ثمانية عشر قولاً أعدلها أن من حرم زوجته بلفظ أنت حرام أو بالحرام إن نوى طلاقها فعليه طلقة، وإن لم ينو طلاقها فإن عليه كفارة يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، وقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

(٣) تحلة اليمين كفارتها أي من حلف على شيء وأراد أن يعود إليه فليكفر عن يمينه وليأت ما حلف عليه.

وقوله تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾، وفي هذا تخويف شديد لأمهات المؤمنين وتأديب رباني كبير لهن إذ وعد رسوله أنه لو طلقهن لأبدله خيراً منهن ﴿مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات﴾ أي صائحات أو مهاجرات، ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي بعضهن ثيبات وبعضهن أبكاراً إلا أن الرسول ﷺ لم يطلقهن والله تعالى لم يبدله فهن زوجاته في الدنيا وزوجاته في الآخرة هذا وأنه إلى أن خلافاً كبيراً بين أهل التفسير في الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه وعاتبه ربه عليه. وأحله الله له هل هو شراب كان يحبه، أو هو جاريته مارية ومن الجائز أن يكون غير ما ذكر؛ لأن الله تعالى لم يذكر نوع ما حرم رسوله على نفسه، وإنما قال لم تحرم ما أحل الله لك. والجمهور على أن المحرم مارية، وفي البخاري أنه العسل والله أعلم فلذا أستغفر الله تعالى أن أكون قد قلت عليه أو على رسوله مالا يرضيهما أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله إن ربي غفور رحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوته ﷺ وبشريته الكاملة.
- ٢- أخذ الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى من هذه الآية أن من قال لزوجه أنت حرام أو حرمتك وهو لم ينو طلاقها أن عليه كفارة يمين لا غير، وذكر القرطبي في هذه المسألة ثمانية عشر قولاً للفقهاء أشدها البتة وأرفقها أن فيها كفارة يمين كما هو مذهب الامامين الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى.
- ٣- كرامة الرسول ﷺ على ربه.
- ٤- فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا

(١) قيل سمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه فكذلك الصائم لا زاد معه.

(٢) نعم من الجائز أن يكون غير ما ذكر ولكن يتبع لروايات وأقوال العلماء سلفاً وخلفاً ثبت أن الأمر يدور بين أن ما حرمه ﷺ على نفسه ترضية هو جاريته مارية، أو العسل لا غيرهما.

الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
آتِنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

قوا أنفسكم وأهليكم : أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ .
ناراً وقودها الناس والحجارة : أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله ، لا بالحطب ونحوه .

لا تعتذروا اليوم : أي لأنه لا ينفعكم اعتذار ، يقال لهم هذا عند دخولهم النار .
توبة نصوحاً : أي توبة صادقة بأن لا يعاد الى الذنب ولا يراد العود إليه .
يوم لا يخزي الله النبي والذين : أي بإدخالهم النار .
آمنوا

يسعى نورهم بين أيديهم : أي أمامهم ومن كل جهاتهم على قدر أعمالهم .
وبأيمانهم
ربنا آتّم لنا نورنا : أي إلى الجنة ، لأن المنافقين ينطفئ نورهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هذا نداء الله إلى عباده المؤمنين يعظهم وينصح لهم فيه أن يقوا أنفسهم وأهليهم من زوجة وولد ، ناراً عظيمة ، وقودها

(١) قال علي رضي الله عنه ومجاهد وقتادة : قوا أنفسكم بأفعالكم ، وقوا أهليكم بوصيتكم . قال ابن العربي هذا هو الصحيح لما يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقول الشاعر :
علفتها تبناً وماء بارداً ، أي وسقيتها ماء بارداً .

(٢) إن الوقاية لا تتم إلا بالإيمان وصالح الأعمال بعد اجتناب الشرك والمعاصي ، وهذا يتطلب العلم بذلك وتوطين النفس على العمل بما يعلم من ذلك فعلاً لما يفعل وتركاً لما يترك فليأخذ العبد نفسه وأهله بهذا نصحاً له ولهم حتى يقي نفسه وبقي أهله .

أي ما توقد به الناس من المشركين والحجارة التي هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها يقون أنفسهم بطاعة الله ورسوله تلك الطاعة التي تزكي أنفسهم وتؤهلهم لدخول الجنة بعد النجاة من النار. وقوله تعالى ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي على النار قائمون عليها وهم الخزنة التسعة عشرة غلاظ القلوب^(١) والطباع شداد البطش إذا بطشوا ولا يعصون الله أي لا يخالفون أمره، وينتهون إلى ما يأمرهم به وهو معنى ويفعلون ما يؤمرون. وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾^(٢) هذا يقال لأهل النار ينادون ليقل لهم: لا تعتذروا اليوم حيث لا ينفع الاعتذار. وإنما تجزون ما كنتم تعملون الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ هذا هو النداء الثاني الذي ينادى فيه الله تعالى عباده المؤمنين يأمرهم فيه بالتوبة العاجلة النصوح التي لا يعود صاحبها إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، ويعددهم ويبشرهم يعددهم بتكفير سيئاتهم، يبشرهم بالجنة دار النعيم المقيم فيقول ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم﴾ أي بعد ذلك ﴿جنت تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه أي بإدخالهم الجنة. وقوله تعالى ﴿نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمنهم﴾ أي وهم مجتازون الصراط يسألون ربهم أن يقي لهم نورهم لا يقطعه عنهم حتى يجتازوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنم كما يسألونه أن يغفر لهم ذنوبهم التي قد يردون بها إلى النار بعد اجتياز الصراط.

وقولهم: إنك على كل شيء قدير هذا توسل منهم لقبول دعائهم حيث توسلوا بصفة القوة والقدرة لله تعالى فقالوا إنك على كل شيء قدير فأتهم لنا نورنا واغفر لنا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب العناية بالزوجة والأولاد وتربيتهم وأمرهم بطاعة الله ورسوله ونهيهم عن ترك ذلك.
- ٢- وجوب التوبة الفورية على كل من أذنب من المؤمنين والمؤمنات وهي الإقلاع من الذنب فوراً

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وروى مرفوعاً ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب.

(٢) لأن عذرهم لا ينفعهم. والقصد من هذا النهي هو تحقيق اليأس لهم.

(٣) قال القرطبي اختلف في تحديد التوبة النصوح على ثلاث وعشرين قولاً وقدم ما في التفسير على تلك الأقوال.

(٤) عسى من الله تعالى واجبة، ويشهد لهذا قوله ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٥) قال ابن عباس ومجاهد: هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين.

أي تركه والتخلى عنه، ثم العزم على أن لا يعود اليه في صدق، ثم ملازمة الندم والاستغفار كلما ذكر ذنبه استغفر ربه وندم على فعله وإن كان الذنب متعلقاً بحق آدمي كأخذ ماله أو ضرب جسمه أو انتهاك عرضه وجب التحلل منه حتى يعفو ويسامح.

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أُوْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادٍ نَّاصِلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِن الْقَنِينِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

جاهد الكفار	: أي بالسيف .
والمنافقين	: أي باللسان .
واغلظ عليهم	: أي أشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين .
فخانتاهما	: أي في الدين إذ كانتا كافرتين .
فلم يغنيا عنهما	: أي نوح ولوط عن امرأتيهما .
من الله شيئاً	: أي من عذاب الله شيئاً وإن قل .
امرأة فرعون	: أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسى .

أحصنت فرجها : أي حفظته فلم يصل اليه الرجال لا بنكاح ولا زنا .
 فنفعنا فيه من روحنا : أي نفعنا في كُفِّ درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس .
 وصدقت بكلمات ربها : أي بولدها عيسى أنه كلمة الله وعبدته ورسوله .

معنى الآيات :

في الآية الأولى (٩) يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعدما ناداه بعنوان النبوة تشريفاً وتكريماً بأمره بجهاد الكفار والمنافقين فالكفار بالسيف، وشن الغارات عليهم حتى يسلموا، والمنافقون بالقول الغليظ والعبارة البليغة المخيفة الحاملة للوعيد والتهديد. وقوله تعالى : ﴿واغلظ عليهم﴾ أي أشدد وطأتك على الفريقين على المنافقين باللسان، وعلى الكافرين باللسان. ومأواهم جهنم وبئس المصير إذا ماتوا على نفاقهم وكفرهم، أو من علم الله موتهم على ذلك. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠) ضرب الله مثلاً في عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن مهما كانت درجة القرابة عنده. وهو امرأة نوح^(١) وامرأة لوط إذ كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول فخانتهما في دينهما فكانتا كافرتين فامرأة نوح نفشى سر من يؤمن بزوجها وتخبر به الجابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به وكانت تقول لهم إن زوجها مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة وتدل المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلوا عليه في بيته وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان. فلما كانتا كافرتين لم تُغن عنهما قرابتهما بالزوجية شيئاً. ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا النار مع الداخلين من قوم نوح وقوم لوط. هذا مثل وآخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها، وهو - المثل - امرأة فرعون الكافر الظالم آسيا بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى مع من آمن فلما عرف فرعون إيمانها أمر بقتلها فلما علمت بعزم الطاغية على قتلها قالت في مناجاتها لربها: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله الذي هو الكفر والظلم حتى لا أكون كافرة بك ولا ظالمة لأحد من خلقك، ونجني من القوم الظالمين أي من عذابهم فُشدت أيديها وأرجلها لتلقى عليها صخرة عظيمة إن هي أصرت على الإيمان فرفعت بصرها إلى السماء فرأت بيتها في الجنة ففاضت روحها شوقاً إلى الله وإلى بيتها في الجنة وقد

(١) من المعلوم أن الكفار يُدعون إلى الإسلام أولاً مبيناً لهم ما فيه من الهدى والخير وما يجلبه لأهله من الكمال والإسماع، فإن أبوا فليقاتلوا.

(٢) ومأواهم جهنم هذا عائد على الفريقين الكافرين والمنافقين معاً.

(٣) قال مقاتل اسم امرأة نوح وإلهة واسم امرأة لوط والعة وروي مرفوعاً بضعف أن اسم امرأة نوح واغلة وامرأة لوط والهة والله أعلم.

(٤) الإجماع أن خيانة المرأتين كانت في الدين ولم تكن في العرض وإنما هي في الكفر والنفاق.

رأته فوصلت الصخرة اليها بعد أن فاضت روحها فنجأها الله من عذاب القتل الذي أرادها لها^(١) فرعون وعصابته الظلمة الكافرون.

وقوله تعالى ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها. عطف تعالى مريم على آسيا ليكون المثل مُكوناً من امرأتين مؤمنتين، كالمثل الأول كان مُكوناً من امرأتين كافرتين فقال عز وجل ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها عن الرجال في الوقت الذي عم البغاء والزنا ديار بني اسرائيل كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها فلم يضر ذلك مريم لما كانت عفيفة طاهرة بل أكرمها الله لما أحصنت فرجها بأن أرسل إليها روحه جبريل عليه السلام وأمره أن ينفخ في كم درعها فسرت النفخة بقدرة الله تعالى في جسمها فحملت بعبسى الذي كان بكلمة الله كن فكان في ساعة وصول هواء النفخة وولده للفرور كرامة الله للتي أحصنت فرجها خوفاً من الله وتقربا اليه، وما ضرها أن العهر والزنا قد انتشر حولها ما دامت هي طاهرة كما لم يضر كفر فرعون آسيا الطاهرة. وكما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتيهما الكافرتين الخائنتين.

قال ابن عباس رضي عنهما ما بغت امرأة نبي قط، وهو كما قال فوالله ما زنت امرأة نبي قط لولاية الله تعالى لأنبيائه فكيف يخزيهم ويذلهم حاشاء تعالى أن يخزي أوليائه أو يذلهم فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى فخانتاهما الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار. وقوله تعالى: وصدقت بكلمات ربها أي بشرائه وبكتبه التي أنزلها على رسله، وكانت من القانتين أي المطيعين لله تعالى الضارعين له المخبتين.

(١) قال يحيى بن سلام: ما ضربه الله مثلاً للذين كفروا يحذره عائشة وحفصة رضي الله عنهما من مخالفتهما حين نظاهرتها على رسول الله ﷺ وما ضربه تعالى مثلاً لامرأة فرعون ومريم بنت عمران ضربه ترغيباً لعائشة وحفصة في التمسك بالطاعة والنيات عليها والصحيح أنه حث لكل المؤمنين على الصبر في الشدة مهما كانت.

(٢) قرأ نافع وكتابه وجائز أن يكون الإنجيل وهو كتاب ابنها عيسى عليه السلام وجائز أن يكون المراد به ما كتبه الله وقدره وقرأ حفص وكتبه بالجمع أي أمنت بسائر كتب الله تعالى المنزل عليه فالكتاب في قراءة نافع اسم جنس صادق على جميع كتب الله تعالى المنزل.

(٣) لم قال من القانتات؟ لأنه أراد من القوم القانتين وهم المكثرون من العبادة وفي هذا ثناء عليها وعلى قومها الصالحين وأنها نبئت طيبة في نبات طيب كقول القائل: وهل يبت الخطي إلا وشيجه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الجهاد في الكفار بالسيف وفي المنافقين باللسان، وعلى حكام المسلمين القيام بذلك لأنهم خلفاء النبي ﷺ في أمته.
- ٢- تقرير مبدأ: لا تزر وازرةٌ وزر أخرى. فالكافر لا ينتفع بالمؤمن يوم القيامة.
- ٣- والمؤمن لا يتضرر بالكافر ولو كانت القرابة روحية نبوة أو إنسانية أو أبوة أو بنوة فإبراهيم لم يضره كفر آزر، ونوح لم يضره كفر كنعان ابنه، كما أن آزر وكنعان لم ينفعهما إيمان وصلاح الأب والإبن^(١).
هذا وقرابة المؤمن الصالح تنفع المؤمن دون الصالح لقوله تعالى والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم.

(١) الآية في سورة الطور.

مكية وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

تبارك الذي بيده الملك : أي تعظم وكثر خير الذي بيده الملك أجمع ملكاً وتصرفاً
وتدبيراً.

وهو على كل شيء قدير : أي وهو على إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.

الذي خلق الموت والحياة : أي أوجد الموت والحياة فكل حي هو بالحياة التي خلق الله
وكل ميت هو بالموت الذي خلق الله.

ليبلوكم أيكم أحسن عملاً : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملاً ثم يميّتكم
ويحييكم ليجزيكم.

وهو العزيز الغفور : أي وهو العزيز الغالب على ما يريده الغفور العظيم المغفرة
للتائبين.

(١) وتسمى الواقعة والمنجية وورد في فضلها أحاديث أصحابها حديث السنن وهو قوله ﷺ ان سورة في القرآن ثلاثين آية
شفعت لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك.

طباقا

: أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماس بينها.

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت : أي من تباين وعدم تناسب.

هل ترى من فطور

: أي من شقوق أو تصدع.

كرتين

: أي مرتين مرة بعد مرة.

خاسئا وهو حسير

: أي ذليلاً مبعداً كالأتعباً منقطعاً عن الرؤية إذ لا يرى خللاً.

بمصاييح

: أي بنجوم مضيئة كالمصاييح.

رجوما للشياطين

: أي مراجع جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمى.

وأعتدنا لهم عذاب السعير

: أي وهبنا لهم عذاب النار المسعرة الشديدة الانتقاد.

معنى الآيات :

قوله ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ مجّد الربّ تعالى نفسه وعظمها وأثنى عليها بما هو أهله من الملك والسلطان والقدرة والعلم والحكمة فقال عز وجل تبارك أي تعظم وكثر خير الذي بيده الملك الحقيقي يحكم ويتصرف ويدير بعلمه وحكمته لا شريك له في هذا الملك والتدبير والسلطان. ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فما أراد (٢) ممكناً إلا كان، ولا أراد انعدام ممكنٍ إلا انعدم. الذي خلق الموت والحياة لحكمة عالية لا باطلا ولا عبثاً كما يتصور الكافرون والملاحدة الدهريون بل ﴿ليلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ أي خلق الحياة بكل ما فيها، ليذكر ويشكر من عباده فمن ذكر وشكر وأحسن ذلك، أعد له جناتٍ ينقله إليها بعد نهاية الحياة والعمل فيها، ومن لم يذكر ولم يشكر أو ذكر وشكر ولم يحسن ذلك بأن لم يخلص فيه لله، ولم يؤده كما شرع الله أعد له ناراً ينقله إليها بعد نهاية الحياة الدنيا حياة العمل، إذ هذه الحياة للعمل، وحياة الآخرة للجزاء على العمل. وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الغفور﴾ ثناء آخر أثنى به تعالى على نفسه فأعلم أنه العزيز الغالب الذي لا يُحال بينه وبين ما يريد الغفور العظيم المغفرة إذ يغفر الذنوب للتائب ولو كانت مثل الجبال وزيد البحر. وقوله ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ هذا ثناء آخر بعظيم القدرة وسعة

(١) القرطبي : تبارك قال الحسن تقدس، وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه.

(٢) التعبير بالممكن وغير الممكن فيه جواب لمن قال من المبطلين إن كان الله على كل شيء قديراً فهل يقدر أن يخلق الهاً مثله : والجواب أن خلق إله مثل الله غير ممكن فلذا لا يخلقه سبحانه وتعالى.

(٣) قدم ذكر الموت على الحياة لأن الموت أكبر واعظ للإنسان. قال العلماء الموت ليس عدماً محضاً ولا فناً صرفاً، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبديل حال وانتقال من دار إلى دار. والحياة عكس ذلك.

(٤) ليلوكم أي ليعاملكم معاملة المختبر لكم فيرى أحسنكم عملاً من أسوأه وقد رتب الجزاء على ذلك، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه أي أخلصه لله تعالى وأصوبه أي أداه كما شرعه بلا زيادة ولا نقصان.

العلم والحكمة خلق سبع سموات طباقا سماء فوق سماء مطابقة لها ولكن من غير مماسة إذ ما بين كل سماء وأخرى هواء وفراغ مسيرة خمسمائة عام فالمطابقة المعادلة والمساواة في الجرم لا بوضع سماء على الأخرى كغطاء القدر مثلا . وقوله ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي من اختلاف أو تضاد وتباين والسماء فوقك فإنك لا تجد إلا الاتساق والانتظام لا تصدع ولا انفطار وإن شئت فارجع البصر وانظر هل ترى من فطور أي إنك لا ترى ذلك ثم ارجع البصر كرتين^(١) فإنك لا تجد تفاوتاً ولا تبايناً أبداً ولو نظرت الدهر كله كل ما في الأمر أن بصرك أيها الناظر إلى السماء يرجع إليك خاسئاً أي ذليلاً مبعداً مما أراد، وهو حسير أي قليل تعب وقوله تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ أي هذه الدانية من الأرض القريبة منها بمصابيح هي النجوم والكواكب. وجعلناها أي النجوم رجوماً للشياطين ترجم بها الملائكة شياطين الجن الذين يريدون استراق السمع من كلام الملائكة حتى لا يفتنوا الناس في الأرض عن دين الله عز وجل. وقوله تعالى ﴿واعتدنا لهم عذاب السعير﴾^(٢) أي وهبنا للشياطين عذاب السعير يعذبون به يوم القيامة كسائر الكافرين من الإنس والجن.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ربوبية الله تعالى بعرض دلائل القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة وهي موجبة لألوهيته أي عبادته دون من سواه عز وجل .
- ٢- بيان الحكمة من خلق الموت والحياة .
- ٣- بيان الحكمة من خلق النجوم وهي في قول قتادة رحمه الله : أن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : زينة لسماء الدنيا ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها .^(٣)

(١) كرتين منصوب على المصدر لأن الكرة الرجعة فكرتين بمعنى رجعتين أي مرة بعد أخرى والعامل فارجع .

(٢) يقال خست الكلب أي أبعدته وطردته .

(٣) سميت الكواكب مصابيح لإضاءتها .

(٤) الرجوم جمع رجم وهو اسم لما يرجم به أي ما يرمى به الرامي من حجر وغيره من باب تسمية المفعول بالمصدر مثل الخلق للمخلوق والرد للمردود، والمراد من النجوم التي يرمى بها هي الشهب التي تنفصل عن النجوم والكواكب، وجائز أن تكون كواكب صغيرة ترمى بها الشياطين شأنها شأن الشهب لحديث : الكوكب الذي انقض الباحة . .

(٥) لا يقولن قائل : الشياطين خلقوا من نار فكيف يعذبون بها؟ والجواب : السعير أقوى من مادة النار التي خلقوا منها كما أن الشياطين تحولوا عن أصل المادة التي خلقوا منها . تحول الإنسان من طين إلى لحم وعظم وعصب ودم .
(٦) تمام قوله : فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به، وتعدى وظلم .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ
 ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

كفروا بربهـم : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه .
 إذا ألقوا فيها : أي في جهنم ألقنهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة .
 سمعوا لها شهيقا : أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً مزعجاً كصوت الحمار .
 وهي تفور تكاد تميز من الغيظ : أي تغلي تكاد تتقطع من الغيظ غضباً على الكفار .
 سألهم خزنتها : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب .
 ألم يأتكم نذير : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة ؟ .
 وقلنا ما نزل الله من شيء : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء .
 إن أنتم إلا في ضلال كبير : أي ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل .
 لو كنا نسمع أو نعقل : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لأمنا وعبدنا الله وما كنا اليوم في أصحاب السعير .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أنه أعد للشياطين مسترقي السمع من الملائكة في السماء عذاب السعير عطف عليه قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي جحدوا ألوهيته ولقاءه فما عبدوه ولا

(١) هذا تتميم للكلام السابق أي كما كان للشياطين عذاب السعير فللذين كفروا عذاب جهنم ويشس المصير .

آمنوا به من الإنس والجن عذاب جهنم وبئس المصير هي أي جهنم يصيرون إليها وينتهون إلى عذابها شربها الحميم وطعامها الضريع والزقوم، وقوله تعالى في وصف ما يجري في النار ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾ ^(١) إذا ألقى الكافرون في النار سمعوا لها شهيقاً أي صوتاً منكراً مزعجاً كصوت الحمار إذا شهق أو نهق. ﴿وهي تفور﴾ تغلي ﴿تكدأ تميز﴾ أي تقرب أن تنقطع من الغيظ الذي هو شدة الغضب وغضبها من غضب الرب مالكةا لما غضب الجبار غضبت لغضبه، وكل مؤمن بالله عارف به يغضب لما يغضب له ربه ويرضى لما يرضى به ربه. وقوله تعالى ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ أي جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ أي الملائكة الموكلون بالنار وعذابها وهم الزبانية وعددهم تسعة عشر ملكاً سألوهم سؤال توبيخ وتقريع لأنهم يعلمون ما يسألونهم عنه ﴿ألم يأتكم نذير﴾ أي رسول في الدنيا يدعوكم إلى الإيمان والطاعة؟ فيجيئون قائلين ﴿بلى﴾ قد جاءنا نذير ولكن كذبنا الرسل وقلنا لهم ردّاً على دعوتهم ﴿ما نزل الله من شيء﴾ أي مما تقولون وتدعوننا إليه ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ أي وقلنا لهم ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال عقلي وخطأ تصوري كبير. ثم رجعوا إلى أنفسهم يوبخونها بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ قال تعالى ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً﴾ أي بعداً بعداً من رحمة الله ﴿لأصحاب السعير﴾ أي سعي جهنم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري فيها من عذاب وعقاب.
- ٢- بيان أن تكذيب الرسل كفر موجب للعذاب، وتكذيب العلماء كتكذيب الرسل بعدهم أي في وجوب العذاب المترتب على ترك طاعة الله ورسوله.
- ٣- بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التدين تأخر عقلي ونظر رجعي.
- ٤- تقرير أن الكافر اليوم لا يسمع ولا يعقل أي سماعاً ينفعه وعقلاً يحجزه عن المهالك باعتراف أهل النار إذ قالوا ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.

(١) قال عطاء الشهيق في الصدور والزفير في الحلق.

(٢) قال حسان:

تركتم قدركم لا شيء فيها وقدّر القوم حامية تفور

أي تغلي.

(٣) أصل تميز تتميز أي تنقطع وينفصل بعضها عن بعض قيل هذا التغيظ هو من شدة الغيظ على أعداء الله، وقيل هو من الغليان.

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

(٥) إن أنتم إن نافية بدليل الاستثناء بعدها.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
 وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
 يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- يخشون ربهم بالغيب : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه .
 لهم مغفرة وأجر كبير : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة .
 ألا يعلم من خلق : أي كيف لا يعلم سرهم كما يعلم جهرهم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه .
 وهو اللطيف الخبير : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم .
 ذلولا : أي سهلة للمشي والسير عليها .
 فامشوا في مناكبها : أي في جوانبها ونواحيها .
 وإليه النشور : أي إليه وحده مهمة نشرهم أي إحياءكم من قبوركم للحساب والجزاء .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء الكافرين وأنه عذاب السعير رغب في الإيمان والطاعة للنجاة من السعير فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾^(١) أي يخافونه وهم لا يرونه، وكذا وهم في غيبة عن الناس فيطيعونه ولا يعصونه هؤلاء لهم مغفرة لما فرط من ذنوبهم وأجر كبير عند ربهم أي الجنة . ولما قال بعض المشركين في مكة لاتجهروا بالقول فيسمعكم إله محمد فيطلعه على قولكم قال تعالى رداً عليهم وتعليماً ﴿وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ فإنه يعلم السر وما هو أخفى منه كحديث

(١) بعد ذكر جزاء أهل الكفر والشرك والشر والفساد ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والتوحيد والخير والصلاح فكان الأسلوب أسلوب الترهيب والترغيب الذي عرف به القرآن الكريم كتاب الهداية الإلهية .

النفس وخواطرها ﴿١﴾ إنه عليم بذات الصدور ﴿٢﴾ أي بما هو مكنون مستور في صدور الناس ﴿٣﴾ ألا يعلم من خلق ﴿٤﴾ أي كيف لا يعلم من خلقهم وهو اللطيف بهم الخبير بأحوالهم وأعمالهم . وقوله تعالى ﴿٥﴾ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ﴿٦﴾ أي سهلة فامشوا في مناكبها جوانبها ونواحيها شرقاً وغرباً وكلوا من رزقه الذي خلق لكم ، وإليه وحده نشوركم أي إحيائكم وإخراجكم من قبوركم ليحاسبكم ويجزيكم على إيمانكم وطاعتكم بخير الجزاء وهو الجنة ونعيمها ، وعلى كفر من كفر منكم وعصى بشر الجزاء وهو النار وعذابها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الإيمان بالغيب ومراقبة الله تعالى في السر والعلن .
- ٢- مشروعية السير في الأرض لطلب الرزق من التجارة والفلاحة وغيرهما .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ إِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٍ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- أن يخسف بكم الأرض : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها .
 فإذا هي تمور : أي تتحرك وتضطرب حتى يتم الخسف بكم .
 أن يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً عاصفاً نرميكم بالحصباء فهلكون .
 كيف نذير : أي كان عاقبة انذاري لكم بالعذاب على السنة وسلي .

- (١) إنه عليم بذات الصدور الجملة تعليل للتسوية بين السر والجهر من أقوال المشركين نحو قوله أصبروا أو لا تصبروا أي استوى عنده السر والجهر كما استوى عند أهل النار الصبر والجزع .
- (٢) ألا يعلم السر من خلق السر أي أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالماً بما في قلوب العباد . إذ لا بد وأن يكون الخالق عالماً بما خلق والاستفهام إنكاري وجملة وهو اللطيف الخبير في محل نصب حال .
- (٣) ذلولاً فعول بمعنى مفعول أي مذلة مسخرة متقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وغرس وبناء وإنشاء وتعمير .

فكيف كان نكير : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب والجواب كان إنكاراً حقاً واقعاً موقعه .

صافات : أي باسطات أجنحتها .

ويقبضن : أي ويمسكن أجنحتهن .

ما يمسكهن إلا الرحمن : أي حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها .

معنى الآيات :

يقول تعالى واعظاً عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فيكملوا ويسعدوا أأمتتم من في السماء الذي هو العلو المطلق وهو الله عز وجل في عليائه فوق عرشه بائن من خلقه أن يخسف بكم الأرض لتهلكوا كلكم في جوفها فإذا هي حال الخسف تمور أي تتحرك وتضطرب حتى تغور في بطنها والجواب لم يأمنا ذلك فكيف إذا يصرون على الشرك والتكذيب للرسول وقوله ﴿أم أمتتم من في السماء﴾ وهو الله عز وجل أن يرسل عليكم حاصباً أي ريحاً تحمل الحصباء والحجارة فهلكهم ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي إنذاري لكم الكفر والتكذيب أي انه حق وواقع مقتضاه وقوله تعالى ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ كعاد وثمود وغيرهما أي كذبوا رسلي بعدما أنكروا عليهم الشرك والكفر فأهلكناهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري لهم كان حقاً وواقع المقتضى وقوله تعالى ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ أي باسطات أجنحتهن ويقبضنها ما يمسكهن في حالة البسط أو القبض إلا الرحمن الذي أنكره المشركون وقالوا وما الرحمن وهم يعيشون في رحمته التي وسعت كل شيء وهي متجلية حتى في الطير تحفظه من السقوط والتحطيم أي أينكرون ألوهية الله ورحمته ولم يروا إلى الطير وهي صافات وقابضات أجنحتها ولا يمسكها أحد من الناس فمن يمسكها إذا؟ إنه الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه بما شاء من السنن والنواميس التي يحكم بها خلقه ويدبر بها ملكوته إن أمر المشركين في كفرهم بالله لعجب وقوله ﴿إنه بكل شيء

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما أأمتتم عذاب من في السماء إن عصيتموه يريد أن يصيبكم به إن أصررتكم على تكذيبه وتكذيب رسوله . هكذا عقيدة السلف في إثبات صفة العلو لله تعالى ، وأما الخلف فيقولون : أأمتتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه وملائكته هروياً إلى التأويل حتى لا يصفوا الله تعالى بما وصف به نفسه من العلو الذاتي فما أضل القوم والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم أمنهم من الخسوف بهم وهم قائمون على معاصي توجب لهم ذلك .

(٢) أم : هي المنقطعة التي تؤول ببل والاستفهام وهو إنكاري تعجي ينكر عليهم أمنهم من عذاب الله بإرسال حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط فهلكهم كما أهلكتهم إذ هم متعرضون لذلك بتكذيبهم وشركهم وكفرهم وحذفت الياء من نذيري ونكيري وهي ضمير المتكلم حذفت تخفيفاً .

(٣) الهمزة داخلة على محذوف أي أغفلوا ولم يروا إلى الطير فوقهم حال كونها صافات أجنحتها وتقبضها أحياناً ولم تسقط فتجلى لهم قدرة الله ورحمته ليؤمنوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا .

بصير ﴿١﴾ سواء عنده السابح في الماء والسارح في الغبراء والطائر في السماء والمستكن في الأحشاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تحذير المعرضين عن الله وإنذارهم بسوء العواقب إن استمروا على إعراضهم فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من السماء وليس هناك من يؤمنهم ويجيرهم بحال من الأحوال . إلا إيمانهم وإسلامهم لله عز وجل .

٢- في الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حي وعقل يعقل به .

٣- من آيات الله في الأفاق الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته الموجبة لعبادته وحده طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه ويقبضهما ولا يسقط إذ المفروض أن يبقى دائماً يخفق بجناحيه يدفع نفسه فيطير بمساعدة الهواء أما إذا قبض أو بسط المفروض أنه يسقط ولكن الرحمن عز وجل يمسكه فلا يسقط .

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي

هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ

﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ

وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا

عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ

فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي

كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

جند لكم : أي أعوان لكم .
 من دون الرحمن : أي غيره تعالى يدفع عنكم عذابه .
 إن الكافرون : أي ما الكافرون .
 إلا في غرور : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم .
 إن أمسك رزقه : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله .
 بل لجوا في عتو ونفور : أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تمادوا في التكبر والتباعد عن الحق .

أفمن يمشي مكبا : أي واقعا على وجهه .
 أمن يمشي سويا : أي مستقيما .
 والأفئدة : أي القلوب .
 قليلا ما تشكرون : أي شكركم قليل .
 ذرأكم في الأرض : أي خلقكم في الأرض وإليه تحشرون لا إلى سواه .
 متى هذا الوعد : أي الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة .
 قل إنما العلم عند الله : أي علم مجيئه عند الله لا غير .
 فلما رأوه زلفة : أي لما رأوا العذاب قريباً منهم في عرصات القيامة .
 سيئت وجوه الذين كفروا : أي تغيرت مسودة .
 هذا الذي كنتم به تدعون : أي هذا العذاب الذي كنتم بإنذاره تكذبون وتطالبون به تحدياً منكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى مخاطباً لهم ﴿أَمِنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جند لكم ينصركم من دون الرحمن؟﴾ أي من هذا الذي هو جند لكم أيها المشركون بالله تعالى ينصركم من دون الرحمن إن أراد الرحمن بكم سوءاً فيدفعه عنكم . وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أي ما الكافرون إلا في غرور أوقعهم الشيطان فيه زين لهم الشرك ووعدهم ومناهم

(١) أمن هي (أم) المنقطعة المقدرة ببل ومن الاستفهامية ادغمت في ميم أم فصارت أمن والاستفهام للتبكيك والتأنيب والاضراب الانتقالي إذ تنقل من توبيخهم على عدم التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن آثار قدرة الله ورحمته إلى التبكيت بضعفهم وقلة الناصر لهم سوى الرحمن الذي يكفرون به .

(٢) الجملة معترضة مقررة لما قبلها والالتفات فيها من الخطاب إلى الغيبة لانتضاء حالهم الإعراض عنهم والإظهار في موضع الإضمار إذ قال إن الكافرون ، ولم يقل إن هم إلا في غرور لذهمهم بالكفر وتعليل غرورهم به .

أنه لا حساب ولا عقاب، وإن آلهتهم تشفع لهم وقوله تعالى ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾ أي أي من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك الله رزقه عنكم فلو قطع عليكم المطر ما أتاكم به أحد غير الله. وقوله تعالى ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ أي انهم لم يتأثروا بهذا التبكيت والتأنيب بل تماردوا في الكبر والتباعد عن الحق. وقوله تعالى ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم؟﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد تبياناً لحالهما وتحقيقاً لواقع مذهبهما فقال أفمن يمشي مكباً أي واقفاً على وجهه هذا هو المشرك الذي سيكب على وجهه في جهنم أهدى أم من يمشي سوياً أي مستقيماً على صراط مستقيم أي طريق مستقيم هذا هو الموحد فأيهما أهدى؟ والجواب قطعاً الذي يمشي سوياً على صراط مستقيم إذاً النتيجة أن الموحد مهتد والمشرک ضال. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي وأنتم لا تنكرون ذلك فمالكم إذاً لا تشكرون المنعم عليكم بهذه النعم وذلك بالإيمان به وبرسوله وطاعته واطاعة رسوله إنكم ما تشكرون إلا قليلاً وهو اعترافكم بأن الله هو المنعم لا غير. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ أي قل لهم يارسولنا الله هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم لا أصنامكم التي لا تخلق ذباباً وإليه تعالى وحده تحشرون يوم القيامة إذاً فكيف لا تؤمنون به وبرسوله ولا تشكرونه ولا تخافونه وإليه تحشرون فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أي ويقول الكافرون لرسول الله والمؤمنين: متى هذا الوعد الذي تعدونا به وهو يوم القيامة أي متى يجيء؟ وهنا قال تعالى لرسوله إجابة لهم على سؤالهم: قل ﴿إنما العلم عند الله﴾ أي علم مجيء يوم القيامة عند الله، وليس هو من شأني وإنما أنا نذير منه مبين لا غير. وقوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿زلفة﴾ أي قريباً منهم ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي أساءها الله فتغيرت بالأسوداد والكتابة

(١) آمن هذا الذي: القول فيها كالقول في سابقها سواء.

(٢) مكباً اسم فاعل من اكب اللزم أما المتعدي فهو كبه يكبه وجواب الاستفهام الأول هو جملة أهدى وحذف جواب الاستفهام الثاني لدلالة الأول عليه.

(٣) أهدى أي أكثر هداية واستقامة والسوي هو الشديد الاستواء وهو الاعتدال والاستقامة.

(٤) جائز أن يراد بالمكب على وجهه أبو جهل، والسوي على صراط مستقيم أبو بكر رضي الله عنه والمثل عام في كل مشرك وموحد أو كافر ومؤمن.

(٥) كقوله تعالى: قل إنما علمها عند ربي الآية من سورة الأعراف.

(٦) زلفة: اسم مصدر من أزلف إزلاًفاً إذا أقرب، والأزلفى القرية والمنزلة. وإلفاء في فلما رأوه زلفة هي الفصيحة إذ أعربت من جملتين وترتيب الشرطية عليها كأنه قيل وقد أتاهم الموعود به فأروه، فلما رأوه زلفة سيئت أي أسودت وجوه الذين كفروا لئلا فيها من الخوف والحزن.

والحزن . وقيل لهم أو قالت لهم الملائكة هذا العذاب الذي كنتم به تطالبون متحدين رسولنا والمؤمنين وتقولون : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق .
- ٢- تقرير حقيقة ثابتة وهي انحراف الكافر وضلاله واستقامة المؤمن وهدايته .
- ٣- وجوب الشكر لله تعالى على نعمة السمع والبصر والقلب وذلك بالإيمان والطاعة .
- ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِى
أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
الرَّحْمَنُ ۖ أَمَّا بِنَاهِ ۖ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------------------|---|
| قُلْ أَرَأَيْتُمْ | : أي أخبروني . |
| وَمَنْ مَعِى | : أي من المؤمنين . |
| أَوْ رَحِمَنَا | : أي لم يهلكنا . |
| فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ | : أي فمن يحفظ ويبقى الكافرين العذاب . |
| قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ | : أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته . |
| إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا | : أي غائراً لا تناله الدلاء ولا تراه العيون . |
| بِمَاءٍ مَعِينٍ | : أي تراه العيون لجريانه على الأرض . |

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى لرسوله قل لهؤلاء المشركين الذين

تَمَنُّوا مَوْتَكُمْ وَقَالُوا نَتْرَبُصْ بِهِ رَبِّبِ الْمُنُونِ قُلْ لَهُمْ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أَيُّ أَخْبَرُونِي ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فَلَمْ يَهْلِكْنَا بِعَذَابٍ ﴿فَمَنْ يَجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟﴾ وَالْجَوَابُ : لَا أَحَدٌ إِذَا فَمَاذَا تَتَفَعَّلُونَ بِهَلَاكِنَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَيُّ قُلْ يَارَسُولُنَا لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَتَرَكْ عِبَادَةَ غَيْرِهِ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا أَيُّ اعْتَمَدْنَا عَلَيْهِ وَفَوْضْنَا أَمْرَنَا إِلَيْهِ فَسَتَعْلَمُونَ فِي يَوْمٍ مَا مِنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مِمَّنْ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَقَوْلُهُ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أَيُّ غَائِرًا ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أَيُّ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ يَارَسُولُنَا تَذَكِّرًا لَهُمْ أَخْبَرُونِي إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ الَّذِي تَشْرَبُونَ مِنْهُ «بِثَرٍ زَمْزَمٍ» وَغَيْرَهَا غَائِرًا لَا تَنَالُهُ الدَّلَاءُ وَلَا تَرَاهُ الْعَيُونَ . فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَالْجَوَابُ لَا أَحَدٌ إِذَا فَلَمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِهِ وَتُوَحِّدُونَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَتَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ بِهَا؟ .

هَدَايَةُ الْآيَاتِ :

من هَدَايَةِ الْآيَاتِ :

- ١- بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمَشْرِكُونَ مِنْ عِدَاوَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَنُّوا مَوْتَهُ .
- ٢- وَجُوبُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْإِيمَانِ .
- ٣- مَشْرُوعِيَّةُ الْحِجَاجِ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ .

سُورَةُ الْقَلَمِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

(١) جَاءَ هَذَا فِي سُورَةِ الطُّورِ . إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتْرَبُصْ بِهِ رَبِّبِ الْمُنُونِ .

(٢) فَتَحَ كُلُّ مَنْ يَأْيُ أَهْلَكْنِي وَمَنْ مَعِيَ . نَافِعٌ وَحَقِصٌ سَوَاءٌ .

(٣) الْاسْتِفْهَامُ لِلنَّفْيِ .

(٤) وَهِيَ بِثَرٍ مِيمُونَ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا كَثِيرٌ زَمْزَمٍ .

(٥) مَعِينٌ أَصْلُهَا مَعْيُونٌ كَمَبِيعٍ أَصْلُهَا مَبِيعٌ فَتَقَلَّتْ ضَمَّةُ الْيَاءِ إِلَى الْعَيْنِ قَبْلُهَا فَالْتَقَى سَاكِنَانِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ فَحُذِفَتْ الْوَاوُ . ثُمَّ كَسَرَتْ الْعَيْنُ لِتَصْبِحَ الْيَاءُ .

(٦) رَوَى اسْتِجَابُ قَوْلِ الْقَارِئِ : اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا قَرَأَ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ وَرَوَى أَنْ جَاهِلًا مُلْحَدًا لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ : تَأْتِي بِهَا الْفُؤُوسُ وَالْمَعَاوِلُ فَذَهَبَ مَاءُ عَيْنَيْهِ وَعَمِيَ . وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالْجِرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ .

فَسْتَبْصِرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

- نَ : هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا نَ ويُقرأ هكذا نُون .
والقلم وما يسطرون : أي والقلم الذي كتب به الذكر «القدر» والذي يخطون ويكتبون .
ما أنت بنعمة ربك : أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال .
بمجنون : أي بذي جنون كما يزعم المشركون .
غير ممنون : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدا .
بأيكم المفتون : أي بأيكم الجنون .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿نَ﴾ هذا أحد الحروف ^(١) المقطعة نحوق، وص، وحَم الله أعلم بمراده به وقوله تعالى ﴿والقلم وما يسطرون﴾ أي والقلم الذي كتب أول ما خلق وقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى بذلك وما يسطرون أي وما تسطره وتكتبه الملائكة نقلا من اللوح المحفوظ، وما يكتبه الكرام الكاتبون من أعمال العباد قسمي أي أقسم تعالى بشيئين الأول القلم، والثاني ما سطر به وكتب مما خلق من كل شيء . ^(٢) والمقسم ^(٣) عليه قوله ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ تكذيب للمشركين الذين قالوا إن محمداً مجنون بسبب ما رأوا من الوحي والتأثير به على من هداه الله للإيمان، وقوله تعالى ﴿وان لك لأجراً غير ممنون﴾ هذا داخل تحت القسم أي مقسم عليه وهو أن للنبي ﷺ أجراً غير مقطوع أبداً بسبب ما قدمه من أعمال صالحة أعظمها ما بينه من الهدى وما سنّه من طرق الخير إذ من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين كما أن الجنة أجر كل عمل صالح وللرسول فيها أجر غير مقطوع بل له أعلاها وأفضلها

(١) روى عن بعض السلف أن: نون هي الدواة، وكونه أحد الحروف المقطعة أولى لنظائره من ص. ، وق. وتيس. ، وطس. وفي إدغام النون في واو والقلم قراءتان سبعيتان الفك والإدغام.

(٢) جائز أن يكون ما موصولة. أي والذي يسطرونه وجائز أن تكون مصدرية أي ومسطورهم.

(٣) جواب القسم وهو ثلاثة أشياء الأول نفى الجنون عنه ﷺ والثاني ثبوت الأجر له ﷺ والثالث كونه على أعظم خلق حيث تحلى بكل أدب في القرآن حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن.

(٤) الباء بنعمة ربك سببية أي ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنوناً والباء في مجنون زائدة لتقوية النفي وتأكيد.

وقوله ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾^(١) هذا أيضا داخل في حيز المقسم عليه وهو أن النبي محمداً ﷺ لعلی خلق أي أدب عظیم حيث أدبه ربّه فكيف لا يكون أكمل الخلق أدباً وسيرته وما خوطب به في القرآن من مثل خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین . ومثل وشاورهم في الأمر ومثل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك إلى غير ذلك من الآداب الرفیعة التي أدب الله بها رسوله مما جعله أكمل الناس أدبا وخلقا وقد سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن وقال هو عن نفسه أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وقوله تعالى ﴿فستبصر^(٢) ویبصرون بأیکم المفتون﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال یارسولنا واصبر على دعوتنا فستبصر بعد قليل من الزمن ویبصر قومك المتهمون لك بالجنون بأیکم^(٣) المفتون أي المجنون أنت - وحاشاك - أو هم . وقوله تعالى ﴿إن ربك هو أعلم بما ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ في هذا الخبر تعزية لرسول الله ﷺ وتسلیة له لیصبر على دعوة الله وفيه تهديد ووعيد للمشرکین المکذبین فكون الله أعلم من کُل أحد بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين معناه أنه سيعذب حسب سنته الضال وسيرحم المهتدي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مسألة أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه .
- ٢- بيان فضل القلم الذي يكتب به الهدى والخير .
- ٣- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ كان ذلك بالقلم الذي أول ما خلق الله .
- ٤- بيان كمال الرسول ﷺ في أدبه وأخلاقه وجعله قدوة في ذلك .

(١) ورد في فضل الخلق أحاديث . اتق الله حیثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ، وحديث ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله تعالى لیبغض الفاحش البذيء . (صحيح) .

(٢) قال ابن عباس فستعلم ویعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وما في التفسير وارد وحق ولعله المراد وما قاله ابن عباس حق ووارد .

(٣) بأیکم المفتون ، أي اسم مبهم یعترف بما یضاف هو إليه ، وله مواقع كثيرة في الكلام فقد يشرب معنى الموصول ومعنى الشرط ومعنى الاستفهام ، ومعنى التنويه بكامل . فقله بأیکم المفتون معناه أي رجل أو أي فريق منكم المفتون فأی هنا في محل نصب معمول فستبصر ویبصرون أیکم المفتون إذ الیاء زائدة كالباء في وامسحوا برؤوسکم .

(٤) الجملة تعليلية لما ینبیء عنه ما قبله من اعتدائه ﷺ وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة ومع أنها تعليلية فإنها متضمنة للتسلیة للرسول ﷺ كما فی التفسير .

فَلَا تُطْع

الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعُ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ودوا لو تدهن : أي تمنوا وأحبوا لو تدين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء .
فيدهنون : فيلينون لك ولا يغفلون لك في القول .
كل حلاف مهين : أي كثير الحلف بالباطل حقير .
هماز مشاء بنيم : أي عياب مغتاب .
معتد أثيم : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم و أموالهم أثيم يرتكب الجرائم
والآثام .
عتل بعد ذلك زنيم : أي غليظ جاف . زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن
المغيرة .
قال أساطير الأولين : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحى قرآني .
سنسمه على الخرطوم : أي سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم
بدر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾^(١) أي بناء على أنك أيها الرسول مهتد وقومك ضالون فلا تطع

(١) التاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله . وعليه فلا تطع المكذبين الخ . . . نهى ﷺ عن طاعة المشركين في أي شيء يريدونه منه مما هو رضاء بالشرك وسكوت عنه ممالة لهم وسكوتاً عن باطلهم مقابل ترك أذاهم له .

هؤلاء الضالين المكذبين بالله ولقائه ويك وبما جئت به من الدين الحق وقوله ﴿ودوا لو تدهن^(١) فيدهنون﴾ أي ومما يؤكد لك عدم مشروعية طاعتهم فيما يطالبون ويقترحونه عليك أنهم ودوا أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم فمآلهم بسكوتك عن آلهتهم فيدهنون بالكف عن أذيتك بترك السب والشتيم. وقوله تعالى ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ بعدما نهاه عن إطاعة الكافرين عامة نهاه عن طاعة أفراد شريرين لا خير فيهم البتة كالوليد بن المغيرة فقال: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين^(٢)﴾ أي حقير. ﴿هماز﴾ عياب ﴿مشاء بنميم﴾ أي مغتاب نمام ينقل الحديث على وجه الإفساد ﴿مناغ للخير﴾ أي يبخل بالمال أشد البخل ﴿معتد أثيم﴾ أي ظالم للناس معتد على أموالهم وأنفسهم ﴿أثيم﴾ كثير الإثم لغشيانه المحرمات وقوله ﴿عتل بعد ذلك^(٣) زنيم﴾ أي غليظ الطبع جاف لا أدب معه. ﴿زنيم﴾ أي دعي في قريش وليس منهم. وقوله تعالى ﴿أن كان ذال مال وبينن إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي لأجل أن كان ذا مال وبينن حمله الشعور بالغنى على التكذيب بآيات الله فإذا تليت عليه وسمعها قال أساطير الأولين ردًا لها ووصفها بأنها أسطورة أي أكذوبة مسطرة ومكتوبة من أساطير الأولين من الأمم الماضية. قال تعالى ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نجعل له سمة شر وقبح يُعرف بها مدى حياته تكون بمثابة من جدع أنفه أو وسم على أنفه فكل من رآه استقبح منظره.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- التنديد بأصحاب الصفات التالية كثرة الحلف بالكذب، المهانة، الهمة النميمة، الغيبة، البخل، الاعتداء، غشيان الذنوب، الغلظة والجفاء، الشهرة بالشر.
- ٢- التحذير من كثرة المال والولد فإنها سبب الطغيان ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.
- ٣- التنديد بالمكذبين بآيات الله تعالى جملة أو تفصيلاً. والعياذ بالله تعالى.

(١) ودوا لو تدهن هذا بيان لما نهى عنه من طاعتهم، وفعل تدهن مشتق من الإدهان وهو الملاينة والمصانعة وهو مأخوذ من دهن الشيء بالدهان ليلينه ويريق، والمداينة محرومة والمداراة جائزة والفرق بينهما أن المداينة يتنازل من شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دينه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دينه.

(٢) المهين: الوضيع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح وكذا الفاجر العاجز.

(٣) العتل: الجافي الشديد، ومنه أخذ العتل الذي يجز الناس ويدفعهم بعنف ليدخلهم في السجن ونحوه. ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
أَعْدُوا عَلَيْنَا حَرْثُكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْنَا عَلَىٰ حَرِّ قَدَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ لَوْلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَٰعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

إنا بلوناهم : أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا
نعم الله عليهم بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا
فأصبناهم بالقحط والقتل لعلهم يتوبون كما امتحنا أصحاب
الجنة المذكورين في هذا السياق .

ليصرمنها^(١) : أي ليجذنها أي يقطعون ثمارها صباحاً .

فطاف عليها طائف من ربك

: أي نار فأحرقتها .

وهم نائمون

: أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد .

فأصبحت كالصريم

: أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها .

على حرثكم

: أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتى لا يسمع بهم .

وهم يتخافتون

(١) الصرم : الجذ والقطع ، والجز أيضاً بالزاي كلها بمعنى القطع والكسر .

وغدوا على حرد قادرين : أي وغدوا صباحاً على قصد قادرين على صرمها قبل أن يطلع عليهم المساكين .

إننا لضالون : أي مخطئوا الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه .

بل نحن محرومون : أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا بل نحن محرومون منها لعزمناعلى حرمان المساكين منها .

قال أوسطهم : خيرهم تقوى وأرجحهم عقلاً .

لولا تسبحون : أي تسبحون الله وتستثنون عندما قلتم لنصرمنها مصبحين .

يتلاومون : أي يلوم بعضهم بعضاً تندماً وتحسراً .

إننا إلى ربنا راغبون : أي طامعون .

كذلك العذاب : أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمرنا وعصانا .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقال تعالى ﴿إننا بلوناهم﴾ يعني كفار قريش أي امتحناهم واختبرناهم بالآلاء والنعم لعلهم يشكرون فلم يشكروا ثم بالبلاء والنقم أي بالقحط والجذب والقتل لعلهم يتوبون كما بلونا أصحاب الجنة فتابوا ثم ذكر تعالى قصة أصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا إليه ورجعوا إلى طاعته فقال ﴿إننا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ (١) إذ أقسموا - حلفوا - ﴿لنصرمنها مصبحين﴾ أي ليقطعن ثمارها ويجدونه في الصباح الباكر قبل أن يعلم المساكين حتى لا يعطوهم شيئاً . ولا يستثنون أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا إلا أن يشاء الله . ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ يارسولنا وهو نار أحرقتها ﴿فأصبحت كالصريم﴾ أي الليل المظلم الأسود الشديد السواد . ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي نادى بعضهم بعضاً وهم إخوة كثير في أول الصباح قائلين ﴿اغدوا على حرثكم﴾ إن كنتم فعلاً جادين في الصرام هذا الصباح . ﴿فانطلقوا مسرعين وهم يتخافتون﴾ يتشاورون في صوت خافت حتى لا

(١) قيل إن هذه الجنة «البستان» كانت على فراخ من صنعاء اليمن وكانت بعد رفع عيسى عليه السلام ، كانت لرجل مؤمن يؤدي حق الله تعالى فلما مات صارت لأولاده فعزموا على منع الناس ما كان والدهم يعطيه لمن يحضر الجداد من فقراء ومساكين فعاقبهم الله فاحترقت وفي الآيات بيان ذلك .

(٢) في الآية أدب سام وهو أن من كان له من الزرع أو التمر ما يُجدد، ينبغي أن لا يجده ليلاً حتى لا يحرم الفقراء من الأكل منه وأن عليه أن يمنح من يحضر الجداد والقطع شيئاً يسيراً من زرعه أو ثمره ، وآية سورة النساء ظاهرة في هذا وهي قوله تعالى (وإذا حضر القسمة أولوا القربى) إلى قوله (فارزقوهم منه) الآية .

(١)

يفطن لهم فقراء البلد ومساكينها وأجمعوا على ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ كما كانوا يدخلونها ويأخذون منها أيام حياة والدهم رحمة الله عليه قال تعالى ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ أي وانطلقوا صباحاً على حرد أي قصد تام قادرين على أن لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين بل يجدونها ويحملونها إلى مخازنهم ولا يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين . قال تعالى ﴿ فلما رأوها ﴾ محترقة سوداء مظلمة ﴿ قالوا ﴾ ما هذه جنتنا ﴿ إنا لضالون ﴾ عنها بأن أخطئنا الطريق إليها ، ولما علموا أنها هي ولكن احترقت ليلاً اضربوا عن قولهم الأول وقالوا ﴿ بل نحن محرومون ﴾ أي منها لعزمتنا على منع المساكين منها وقد كان والدنا يمنحهم منها ويعطيهم شكراً لله وأداء لحقه . وهنا تكلم أوسطهم أي خيرهم تقوى وأرجحهم عقلاً بما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ أي ألم يسبق لي أن قلت لكم لما قلتم لنصرمنها مصبحين ولم تستنوا فقلت لكم هلا تستنون واطلق لفظ التسبيح على الاستثناء لأن التسبيح تنزيه لله عن الشرك وسائر النقائص ومنها العجز والاستثناء تنزيه لله عن ذلك لأن الذي يقول أفعل ولم يستثن اعطى لنفسه قدرة كقدرة الله الذي إذا قال أفعل فعل ولا يعجز فهو هنا اشرك نفسه في صفة من صفات الله تعالى فلذا كان الاستثناء تسبيحاً لله وتنزيهاً له عن المشاركة في صفاته وأفعاله . فلما ذكرهم أخوهم العاقل الرشيد قالوا ﴿ سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴾ فتابوا بهذا الاعتراف قال تعالى ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلأومون ﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً على خطأهم في عزيمتهم على حرمان المساكين وعلى عدم الاستثناء في اليمين قالوا من جملة ما قالوا ﴿ يا ويلنا ﴾ أي ياهلنا كنا احضر ﴿ إنا كنا طاغين ﴾ أي متجاوزين حدود الله التي حذرنا غفلة منا وجهلاً بأنفسنا وبما يعاقب به أمثالنا . وهنا بعد أن رجعوا على أنفسهم باللوم وإلى الله بالتوبة رجوا ربهم ولم يياسوا من رحمته فقالوا ﴿ عسى أن يبدلنا ربنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ هكذا ابتلوا بالنعمة ثم بسلبها فتابوا

(١) في الآية دليل على أن العزم الأكيد يؤاخذ عليه العبد لأن أصحاب الجنة عزموا على أن يحرموا الفقراء فعاقبهم الله على عزمهم .

(٢) الحرد : يطلق على المنع وعلى القصد القوي وعلى السرعة والغضب أيضاً وجملة وغدوا . . إلخ حالة .

(٣) لا داعي إلى تفسير لضالون بالضلال الذي هو الخروج عن طاعة الله بل المراد من الضلال هو عدم اهتمامهم إلى جنتهم بأن ضلوا طريقها .

(٤) الاستفهام تقرير ، ولولا للتخفيف .

(٥) قيل إنهم تعاقبوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنع كما يصنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله ما هو خير منها ، سئل فتادة عن أصحاب الجنة : أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال للسائل لقد كلفتنى تعباً !

(٦) قرأ نافع أن يبدلنا بتشديد الدال ، وقرأ حفص بالتخفيف من أبدل يبدل الرباعي .

مهل كفار قريش وقد ابتلوا بالنعمة ثم سلبوها فهل يتوبون كما تاب أصحاب الجنة؟ إنما سبقت هذه القصة تذكيراً وتعليماً فهلا يتذكرون فيتوبوا؟ قال تعالى ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمر الله وعصاه ﴿وَلْعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإن عذاب الدنيا وقته محدود وأجله معدود أما عذاب الآخرة فإنه أبدي لا يحول ولا يزول.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الابتلاء يكون بالسراء والضراء أي بالخير والشر وأسعد الناس الشاكرون عند السراء الصابرون على طاعة الله ورسوله عند الضراء.
- ٢- مشروعية التذكير بأحوال المبتلين والمعافين ليتخذ من ذلك طريق إلى الشكر والصبر.
- ٣- صلاح الآباء ينفع أبناء المؤمنين فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذي كان يتصدق على المساكين من غلة بستانه وعلامة انتفاعهم بتوبتهم.
- ٤- مشروعية الاستثناء في اليمين وأنه تسبيح لله تعالى ، وأن تركه يوقع في الإثم ولذا إذا حنث الحالف الذي لم يستثن ثلوث نفسه بإثم كبير لا يُمحي إلا بالكفارة الشرعية التي حددها الشارع وهي إطعام أو كسوة عشرة مساكين أو عتق رقبة فإن لم يقدر على واحدة من هذه الأنواع صام ثلاثة أيام ليمحي ذلك الذنب من نفسه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ

﴿٣٥﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ

لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ

عَلَيْنَا بِلُغَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّا لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ

بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

(١) قيل إن هذا وعظ لأهل مكة بالرجوع إلى الله تعالى لما ابتلاهم بالجذب لدعاء النبي ﷺ عليهم أي كفعلنا نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا.

خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

إن للمتقين^(١) : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به ووحدوه فاتقوا بذلك الشرك

والمعاصي .

عند ربهم جنات النعيم : أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم عز وجل .

أنفجعل المسلمين كالمجرمين : أي أنحف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين

متساوين في العطاء والفضل والجواب لا ، لا يستوي أصحاب

النار وأصحاب الجنة .

أم لكم كتاب فيه تدرسون : أي تقرأون فعلمتم بواسطته ما تدعون .

إن لكم فيه لما تخيرون : أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرأون أن لكم فيه ما تختارونه .

أم لكم أيمان علينا بالغة : أي ألكم عهود منا موثقة بالآيمان لا نخرج منها ولا نتحلل إلى

يوم القيامة .

إن لكم لما تحكمون : أي أعطيناكم عهودنا الوثيقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم

كما تشاءون .

سلهم أيهم بذلك زعيم : أي سلهم يارسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون

الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة

أفضل مما يعطى المؤمنون .

أم لهم شركاء : أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا يكفلون

لهم به ما ادعوه وحكموا به لأنفسهم وهو أنهم يعطون أفضل مما

يعطى المؤمنون يوم القيامة .

يوم يكشف عن ساق : أي يوم يعظم الهول ويشد الكرب ويكشف الرب عن ساقه

الكريم التي لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء .

ترهقهم ذلة : أي تغشاهم ذلة يالها من ذلة .

وقد كانوا يدعون إلى السجود : أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون من

وهم سالمون : أي علة ولا يصلون حتى لا يسجدوا تكبراً وتعظماً .

(١) المتقون هم الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وعبدوه وحده فآطاعوه وأطاعوا رسوله فلم يشركوا ولم يفسقوا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِنَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) الآيات نزلت رداً على المشركين الذين ادعوا متبجحين أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون قياساً منهم على حالهم في الدنيا حيث كانوا أغنياء والمؤمنون فقراء فقال تعالى ﴿إِنَ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ أي جنات كلها نعيم لا شيء فيها غيره . ثم قال في الرد منكراً على المشركين دعواهم مقررًا مؤنباً إياهم في سبعة استفهامات إنكارية تقريرية أولها قوله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَجْهَهُمْ وَأَطَاعُوهُ بِكُلِّ جَوَارِحِهِمْ كَالْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَارْتِكَابِ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ كَالشُّرْكَ وَسَائِرِ الْمَوْبِقَاتِ أَيْ نَحِيفَ وَنَجُورَ فِي حُكْمِنَا فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ فِي الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَسَوَى بَيْنَهُمَا وَثَانِيهَا قَوْلُهُ : مَا لَكُمْ ؟ أَيْ أَيْ شَيْءٍ حَصَلَ لَكُمْ حَتَّى ادَّعَيْتُمْ هَذِهِ الدَّعْوَى وَثَالِثُهَا كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَيْ كَيْفَ أَصْدَرْتُمْ هَذَا الْحُكْمَ مَا حُجَّتْكُمْ فِيهِ وَدَلِيلُكُمْ عَلَيْهِ ؟ وَرَابِعُهَا قَوْلُهُ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أَيْ أَعِنْدَكُمْ كِتَابٌ جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تَقْرَأُونَ فِيهِ هَذَا الْحُكْمَ الَّذِي حُكِّمْتُمْ بِهِ لِأَنْفُسِكُمْ بِأَنْكُمْ تَعْطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلَ مِمَّا يَعْطَى الْمُؤْمِنُونَ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لِمَا تُخَيِّرُونَ أَيْ أَلْكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تَخْتَارُونَ وَالْجَوَابُ . لَا . لَا وَخَامِسُهَا قَوْلُهُ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ أَيْ أَيْ الْكُفْرَ عَهْدُنَا مُوثَقَةً بِأَيْمَانٍ لَا تَحُلُّ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنْ لَكُمْ مَا حُكِّمْتُمْ بِهِ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْكُمْ تَعْطُونَ أَفْضَلَ مِمَّا يَعْطَى الْمُؤْمِنُونَ وَسَادِسُهَا ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ﴾^(٥) بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَيْ سَلِّمُوا يَارَسُولُنَا عَنْ زَعِيمِهِمُ الَّذِي يَكْفُلُ لَهُمْ مَضْمُونُ الْحُكْمِ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِهِ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْهُمْ يَعْطُونَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِمَّا يَعْطَى الْمُؤْمِنُونَ سَابِعُهَا قَوْلُهُ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أَيْ أَلَهُمْ شُرَكَاءُ مُوَافِقُونَ لَهُمْ فِي هَذَا الَّذِي قَالُوهُ يَكْفُلُونَهُ لَهُمْ فَلْيَأْتُوا بِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي ذَلِكَ . بِهِذِهِ الِاسْتِفْهَامَاتِ الْإِنْكَارِيَةِ التَّقْرِيرِيَةِ السَّبْعَةِ نَفَى تَعَالَى عَنْهُمْ كُلَّ مَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِ فِي

(١) إِنْ لِلْمُتَّقِينَ اسْتِفْهَامٌ بَيَانِي نَاشِئٌ عَنْ سَوْأَلٍ إِذَا كَانَ جِزَاءُ الْمُجْرِمِينَ مَا ذَكَرَ فَمَا جِزَاءُ الْمُتَّقِينَ ؟ فَاجِبٌ : إِنْ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . وَاللَّامُ لَا اسْتِحْقَاقٌ ، وَاضَافَةُ الْجَنَّاتِ إِلَى النَّعِيمِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا خَالِصَةُ النَّعِيمِ مَا فِيهَا لَيْسَ فِي جَنَّاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْبَعُوضِ وَالْحَشَرَاتِ أَوْ مَا يُؤْذِي مِنْ شَوْكٍ وَنَحْوِهِ .

(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَتْ كُفَّارُ مَكَّةَ إِنَّا نَعْطِي فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا مِمَّا نَعْطُونَ فَتَزَلَتْ : أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟

(٣) الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ أَيْ إِنْكَارِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُجْرِمِينَ فِي الْجِزَاءِ مَعَ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ . . وَكَذَا سَائِرُ الِاسْتِفْهَامَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ .

(٤) أَمْ لَكُمْ لِلْإِضْرَابِ الْإِنْكَارِيِّ مِنْ دَلِيلٍ إِلَى آخِرِ الِاسْتِفْهَامِ إِنْكَارِيٍّ كَثِيرٍ مَعَ مَا يَفِيدُ مِنَ التَّائِبِ وَالتَّقْرِيعِ .

(٥) الِاسْتِفْهَامُ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ لِلتَّهْكُمِ .

تصحيح دعواهم الباطلة عقلاً وشرعاً . وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(٧) أي اذكر لهم يارسولنا مبينا واقع الأمر يوم القيامة ، ليخرجلوا من تشدقهم بدعواهم الساقطة الباردة اذكر لهم يوم يعظم الهول ويشد الكرب ، ويأتي الرب لفصل القضاء ويكشف عن ساق فيخر كل مؤمن ومؤمنة ساجداً ويحاول المنافقون والمنافقات السجود فلا يستطيعون إذ يكون ظهر أحدهم طبقاً واحداً أي عظماً واحداً فلا يقدر على السجود وذلك علامة شقائه المترتب على نفاقه في الدنيا . ويدعون إلى السجود أي امتحاناً لهم ليعرف من كان يسجد إيماناً واحتساباً ممن كان يسجد نفاقاً ورياء فلا يستطيعون لأن ظهر أحدهم يصبح عظماً واحداً خاشعة أبصارهم لا تطرف من شدة الخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عظيمة وقوله وقد كانوا يدعون إلى السجود أي في الدنيا وهم سالمون معافون في أبدانهم ولا يسجدون تكبراً وكفراً بالله ربهم وبشرعه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير أن المجرمين لا يساوون المؤمنين يوم القيامة إذ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فمن زعم أنه يعطى ما يُعطاه المؤمنون من جنات النعيم فهو مخطيء في تصويره كاذب في قوله .

٢- بيان عظم هول يوم القيامة وأن الرب تبارك وتعالى يأتي لفصل القضاء ويكشف عن ساق فلا يبقى أحد إلا سجد وأن الكافر والمنافق لا يستطيع السجود عقوبة له وفضيحة إذ كان في الدنيا يدعى إلى السجود لله فلا يسجد أي إلى الصلاة فلا يصلي تكبراً وكفراً .

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّى

(١) جائز أن يكون يوم يكشف متعلق بقوله فلياتوا بشركائهم ويكون من باب حسن التخلص من الرد على المشركين إلى ذكر أهوال يوم القيامة .

(٢) لولا ما صح عن النبي ﷺ في الصحيح : إذ يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً . لقلنا في الآية أنها كناية عن أهوال يوم القيامة ولكن مع صحة الحديث فالآية دالة على أهوال يوم القيامة ومثبتة صفة ذات الرب تبارك وتعالى عن صفات المحدثين .

أَنْ تَذَرَكُمْ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لِنِيدَ بِالْعِرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

ذرني ومن يكذب :	: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق .
بهذا الحديث	: أي بالقرآن الكريم .
سنستدرجهم	: أي نستنزلهم درجة درجة حتى نصل بهم إلى العذاب .
وأملئ لهم	: أي وامهلهم .
إن كيدي متين	: أي شديد قوي لا يطاق .
فهم من مغرم مثقلون	: أي فهم مما يعطونكه مكلفون حملا ثقيلا .
أم عندهم الغيب	: أي اللوح المحفوظ .
فهم يكتبون	: أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه .
ولا تكن كصاحب الحوت	: أي يونس في الضجر والعجلة .
وهو مكظوم	: أي مملوء غمًا .
بالعراء	: أي الأرض الفضاء .
وهو مذموم	: لكن لما تاب نُبِذَ وهو غير مذموم .
فاجتبه ربه	: أي اصطفاه .
ليزلقونك بأبصارهم	: أي ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك .
وما هو إلا ذكر	: أي محمد ﷺ .
للعالمين	: أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون .

معنى الآيات :

بعد ذلك التفریع الشدید للمشرکین المکذبین الذی لم یؤثر فی نفوسهم أدنى تأثير قال تعالى لرسوله ﴿فذرني﴾^(١) أي بناء على ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث أي دعني وإياهم ، والمراد من

(١) الفاء للتفريع والترتيب فما بعدها متفرع عما قبلها مترتب عليه .

الحديث القرآن الكريم^(١) «سنستلرجهم» أي نستزلهم درجة درجة (من حيث لا يعلمون) حتى تنتهي بهم إلى عذابهم المترتب على تكذيبهم وشركهم . وقوله تعالى ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي وأمهلهم فلا أعجلهم بالعذاب فأوسع لهم في الرزق وأصحح لهم الجسم حتى يروا أن هذا لكرامتهم عندنا وأنهم خير من المؤمنين ثم نأخذهم . وهذا من كيدي الشديد الذي لا يطاق ، وقوله تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أي بل أسألهم على تبليغ الدعوة أجراً مقابل التبليغ فهم من مغرم مثقلون أي فهم يشعرون بحمل ثقل من أجل ما يعطونك من الأجر فلذا هم لا يؤمنون بك ولا يتابعونك على دعوتك . أم عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما هم يقولون به ويقرّونه والجواب لا إذا فاصبر يارسولنا لحكم ربك فيك وفيهم وامض في دعوتك ولا يشي عزمك تكذيبهم ولا عنادهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس بن متى أي في الضجر وعدم الصبر . إذ نادى وهو مكظوم أي مملوء غمّاً فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقوله لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم أي لولا أن أدركته رحمة الله تعالى حيث ألهمه الله التوبة ووفقه لها لنبذ أي لطرح بالفضاء وهو مذموم لكن لما تاب الله عليه طُرح على ساحل البحر وهو غير مذموم بل محمود فاجتبه ربه أي اصطفاه مرة ثانية بعد الأولى فجعله من الصالحين أي الكاملين الصلاح من الأنبياء والمرسلين ، ومعنى اجتبه مرة ثانية لأن الاجتباء الأول إذ كان رسولا في أهل نينوي وغاضبه فتركهم ضجراً منهم فعوقب وبعد العقاب والعتاب اجتبه مرة أخرى وأرسله إلى أهل بلاده بعد ذلك الانقطاع قال تعالى من سورة اليقطين فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فممتعناهم إلى حين . وقوله تعالى ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ أي وإن يكاد الذين كفروا ليصرعونك من شدة النظر إليك وكلهم غيظ وحنق عليك بأبصارهم ﴿لما

(١) وجائز أن يكون المراد من الحديث الإخبار عن البعث والجزاء مما تضمنه قوله يوم يكشف عن ساق الخ وجائز أن يكون

القرآن كما في التفسير وقيل فيه حديث لما فيه من الأخبار عن الله وعن الأمم والجنة والنار .

(٢) وأملي مضارع أملى إذا أهمل وأنظر وأخر مشتق من الملا . مقصوداً وهو الحين والوقت ومنه الملوان الليل والنهار فأملئ بمعنى طول في الزمان .

(٣) أم بمعنى بل للإضراب الانتقالي من حجة إلى أخرى ومن دليل إلى آخر .

(٤) إضراب آخر كالأول وفي الكلام حذف تقديره أم عندهم علم الغيب كقوله تعالى ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ من سورة النجم .

(٥) الفاء للتفريع .

(٦) المراد بحكم الرب تعالى عنا أمره وهو ما حملة رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة .

(٧) المكظوم المحبوس المسدود عليه يقال كظم الباب إذا أغلقه وكظم النهر إذا سدّه ومنه كظم الغيظ وهو حبسه في النفس وعدم إظهاره بقول أو فعل .

سمعوا الذكر^(١) أي القرآن نقرأه عليهم. ويقولون إنه لمجنون حسداً لك، وصرفاً للناس عنك، وما هو أي محمد ﷺ إلا ذكر للعالمين أي يذكر به الله تعالى الإنس والجن فليس هو بمجنون كما يقول المكذبون المفتنون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ردّ الأمور إلى الله إذا استعصى حلّها فالله كفيل بذلك .
- ٢- لا يصح أخذ أجره على تبليغ الدعوة .
- ٣- وجوب الصبر على الدعوة مهما كانت الصعاب فلا تترك لأذى يصيب الداعي .
- ٤- بيان حال المشركين مع الرسول ﷺ وما كانوا يضرّمونه له من البغض والحسد وما يرمونه به من الاتهامات الباطلة كالجنون والسحر والكذب .

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

مكية وآياتها ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوُا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾

(١) جائز أن يكون الضمير وما هو عائد إلى القرآن وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائد إلى الرسول ﷺ الذي قالوا فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنى التذكير بالله والجزاء إذ هذا من فعله ﷺ.

شرح الكلمات :

(١) الحاقة

: أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة .

بالقارة

: أم بالقيامة لأنها تفرع القلوب بالخوف والهول .

فأهلكوا بالطاغية

: أي بطغيانهم وعثوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضاً .

بريح صرصر عاتية

: أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزانها في الهبوب .

حسوماً

: أي متتابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكي القاطع للداء .

كأنهم أعجاز نخل خاوية : أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء .

والمؤتفكات بالخاطئة : أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ .

أخذة رابية

: أي زائدة في الشدة على غيرها .

لما طفا الماء

: أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها .

حملناكم في الجارية

: أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين .

وتعياها أذن واعية

: أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمع .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ (٢) أي أي شيء هي؟ (٣) وما أدراك ما الحاقة أي أي شيء أعلمك (٤)

بها، والمراد بها القيامة لأنها حاقة المجيى واجبته لا محالة . وقوله تعالى ﴿كذبت ثمود وعاد

بالقارة﴾ أي كذبت ثمود قوم صالح وعاد قوم هود بالقارة أي بالقيامة . فهم كفكار قريش

مكذبون بالبعث والجزاء . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية أي بطغيانهم وعثوهم عن أمر ربهم

(١) هو اسم للسورة . روى أحمد أن عمر رضي الله عنه قال خرجت يوماً بمكة أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام فوقفت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر (أي في خاطري) فقرأ (وما هو بقول شاعر قليلاً ما يؤمنون) قلت : في خاطري كاهن . فقرأ (ولا يقول كاهن قليلاً ما تذكرون) تنزيل من رب العالمين) إلى آخر السورة فوقع في قلبي كل موقع . وسماها بعضهم (السلسلة) وبعضهم (الداعية) .

(٢) الحاقة اسم فاعل من حق الشيء فهو حاق إذا ثبت وقوعه ، والظاهر أنها وصف لموصوف محذوف أي الساعة الحاقة أو الواقعة الحاقة ، ومافي التفسير واضح وأولى .

(٣) ما اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم والمعنى الحاقة أمر عظيم لا يدرك كنهه والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبر المبتدأ الثاني والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول وجملة وما أدراك ما الحاقة معترضة بين جملة الحاقة وكذبت ثمود .

(٤) روي عن ابن عباس وسفيان بن عيينة . كل ما ورد في القرآن بلفظ وما أدراك بصيغة الماضي فقد أدراه أي أعلمه به ، وكل ما ورد بصيغة المضارع وما يدريك فقد طوى عنه ولم يعلمه به فالأول (وما أدراك ما هية نار حامية) (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) والثاني (وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) . .

(٥) كذبت ثمود كلام مستأنف بين فيه من كذبوا بالحاقة وهي الفارقة وسميت بالقارة من قولهم (قوارع الدهر) أي أهواله وشدائده فهي تفرع القلوب .

فأخذتهم صيحة طاغية،^(١) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي ذات صوت شديد عاتية أي عتت على خزانها في الهبوب. سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي متتابعات بلا انقطاع حسماً لوجودهم كما يحسم الدواء بالكي الحاسم للداء المتتابع. وقوله تعالى فترى أيها الرسول القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي فترى القوم في تلك الليالي والأيام صرعى ساقطين على الأرض كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة ليس في أجوافها شيء فهل ترى لهم من باقية أي من نسلهم لا شيء إذ هلكوا كلهم أجمعون، وقوله تعالى ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات^(٢) بالخاطئة أي بالأفعال الخاطئة وهي الشرك والمعاصي وبينها تعالى بقوله ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي زائدة في الشدة على غيرها وقوله تعالى ﴿إنا لما طغى الماء﴾ أي ماء الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح حملناكم في الجارية أي حملنا آباءكم في الجارية التي هي سفينة نوح عليه السلام وقوله لنجعلها لكم تذكرة أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة وتعيها أي وتحفظ هذه العظة أذن حافظة لا تنسى ما هو حق وخير من المعاني.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- بيان أن كلا من عاد وثمود كانوا يكذبون بالبعث وبيان ما أهلكهم الله به.
- ٣- بيان أن معصية الرسول موجبة للعذاب الدنيوي والأخروي.
- ٤- التذكير بحادثة الطوفان وما فيها من عظة وعبرة.

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ

نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ^(١٢) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَاذَكَّةَ وَاحِدَةً^(١٤)

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ^(١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ

(١) هي أشبه بصيحة النفخ في الصور وثمود هم قوم صالح منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وتعرف اليوم بمدائن صالح على أميال من مدينة العلا اليوم. وأما عاد فمنازلهم كانت بالأحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت باليمن وأهلكوا بريح صرصر.

(٢) قيل بدأ من صباح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في آخر الشتاء.

(٣) أي المتقلبات من اثتفك الشيء إذ قلب قراهم الخمسة منع وصعر وعمر ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قلبها الملك فجعل عاليها سافلها.

(٤) وجائز أن يكون الضمير في ليجعلها عائد إلى العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- نفخة واحدة : أي النفخة الأولى .
حملت الأرض والجبال : أي رُفعت من أماكنها .
فدكتنا دكة واحدة : أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كشيء مهيل .
وقعت الواقعة : أي قامت القيامة .
فهي يومئذ واهية : أي مسترخية ضعيفة القوة .
على أرجائها : أي على أطرافها وحافاتنا .
ثمانية : أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة .
لا تخفى منكم خافية : أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الدافع إلى فعل الخير وترك الشر في الدنيا فقال تعالى ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾^(١) أي نفخ اسرافيل في الصور الذي هو البوق أو القرن النفخة الأولى وهو المراد بقوله ﴿نفخة واحدة﴾ ، وقوله تعالى ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي ضرب بعضها ببعض فاندكت فصارت هباء منبثاً ، ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ أي انفطرت وتمزقت ﴿فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة مسترخية . ﴿والملك على أرجائها﴾ أي على أطرافها وحافاتنا ، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أي ثمانية من الملائكة أربعة هم حملة العرش دائماً وزيد عليهم أربعة فصاروا ثمانية قال تعالى ﴿يومئذ تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية﴾ أي سريرة مما كنتم تسرون .

- (١) الفاء تفريعية لتفريع ما بعدها من تفصيل أحوال الدار الآخرة على ما تقدم من ذكر الحاقة أي القيامة والمكذابين بها وما نالهم من عذاب في الدنيا .
(٢) الملك اسم جنس المراد به أعداد هائلة من الملائكة .
(٣) قيل هم ثمانية صفوف ، وقيل ثمانية أعشار أي نحو ثمانين من عدد الملائكة . وما في التفسير هو الراجح الصحيح .
(٤) أصل العرض إمرار الشيء على من يريد التأمل فيه كعرض السلعة على المشتري وكاستعراض الجيوش اليوم والمراد بالعرض الحساب والجزاء .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- بيان كيفية الانقلاب الكوني لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية .
- ٣- تقرير العرض على الله عز وجل للحساب ثم الجزاء .

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ

كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ

حَسَابِيَّةً (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)

شرح الكلمات :

هاؤم	: أي خذوا
إني ظننت	: أي علمت .
راضية	: أي يرضى بها صاحبها .
قطوفها دانية	: أي ما يقتطف ويجنى من الثمار .
بما أسلفتم	: أي بما قدمتم .
في الأيام الخالية	: أي الماضية .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري في يوم القيامة فقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ (١٩) أي إنه بعد مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل

(١) الفاء لتفصيل ما أجمل فيما تقدمها من الكلام ، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره فيؤتى كل آخذ كتاب أعماله فأما من أوتي كتابه . . الخ والباء للمصاحبة في يمينه وفي إعطاء الكتاب باليمين كرامة وتبشير لصاحبه كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عراية باليمين

(٢) هاؤم هذا اللفظ مركب من ها ممدود أو مقصور مبني على الفتح ومعناه تعالوا أو خذوا كما في الرباء ها وهاء أي خذ . يقال ها يارجل اقرأ وللإثنين هاؤما يارجلان وهاؤم يارجل ، وللمرأة هاء بكسر الهمزة وهاؤما للثنتين وهاؤمن لجمع الإناث والأصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف .

(٣) قيل نزلت هذه الآية فأما من أوتي كتابه بيمينه الخ . . في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي والآية التالية لها وأما من أوتي كتابه بشماله نزلت في أخيه الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، والمعنى عام في كل سعيد وشقي .

القضاء تعطى الكتب فمن أخذ كتابه بيمينه ، ومن أخذ كتابه بشماله فأما من أوتي كتابه الذي ضم حسناته بيمينه فيقول في فرح عظيم ^(١) هاؤم أي خذوا كتابي فاقراؤه إنه مشرق كله ما فيه سواد السيئات ، ويُعلل لسلامة كتابه من السيئات فيقول إني ظننت أي علمت أنني ملاقٍ حسابيه لامحالة فلذا لم أقارف السيئات وإن قدر عليّ شيء فقارفته جهلاً فإني تبت منه فوراً فانمحي أثره من نفسي فلم يكتب عليّ قال تعالى مخبراً عن آثار نجاحه في سلامة كتابه من السيئات فهو في عيشة راضية . أي يرضاها لهناؤها وسعة خيراتها في جنة عالية قطوفها أي جناها وما يقتطف منها دانية أي قريبة التناول ينالها بيده وهو متكئ على أريكته ويقال لهم كلوا واشربوا من طعام الجنة وشرابها هنياً ويذكر لهم سبب فوزهم فيقول ﴿بما أسلفتم﴾ أي قدمتم لأنفسكم ﴿في الأيام الخالية﴾ أي أيام الدنيا الماضية إذ كانوا مؤمنين صوامين قوامين بالمعروف آمرون وعن المنكر ناهين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء أي الإيمان باليوم الآخر .
- ٢- آثار الإيمان بالبعث والجزاء ظاهرة في سلامة كتاب المؤمن من السيئات . وقد علل لذلك بقوله إني ظننت أنني ملاقٍ حسابي فلذا لم أعصِ ربي .
- ٣- إثبات حقيقة هي قول العامة الدنيا مزرعة الآخرة أي من عمل في الدنيا نال ثمار عمله في الآخرة خيراً أو شراً .

وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً
 وَلَمْ أَدْرِمَ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ
 عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
 صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ
 كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

(١) كتابه الهاء فيه وفي الآتي بعده هي هاء السكت عند الوقف إلا أنها أبقيت في الوصل والوقف مراعاة للسجع ولعلها تحكي صوت صاحبها يوم القيامة زيادة في التقرير والتوكيد حتى لهجة أحدهم محفوظة لم تتغير .
 (٢) القطوف جمع قطف بكسر القاف وسكون الكاف .

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

- يا ليتني لم أوت كتابي : أي يتمنى أنه لم يعط كتابه لما رأى فيه من السيئات .
 كانت القاضية : أي الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث .
 هلك عني سلطانية : أي قوتي وحجتي .
 خذوه : أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر .
 فغلوه : أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل .
 ثم الجحيم صلوه : أي ثم في النار المحرقة أدخلوه وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية .
 حميم : أي من قريب ينفعه أو صديق .
 إلا من غسلين : أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجري من أحداث وقد تقدم ذكر الذي أوتي كتابه^(١) بيمينه وما له من كرامة عند ربه وفي هذه الآيات ذكر الذي أوتي كتابه بشماله وماله من مهانة وعذاب جزاء كفره فقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ أي في عرصات القيامة فيقول بعد النظر فيه وما يلوح له فيه من السيئات ﴿يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾ يتمنى لو أنه لم يعط كتابه ولم يدر ما حسابه وأن الموتة التي ماتها في الدنيا يتمنى لو كانت القاطعة لحياته حتى لا يبعث، ثم يواصل تحسره وتحزنه قائلاً ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ أي مالي والهباء في مالي وفي كتابيه وحسابيه وفي ماليه وسلطانيه يقال لها هاء السكت يوقف عليها بالسكون قراءة كافة القراء وقوله ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ أي ذهبت عني حججي^(٢) فلم أجد ما احتج به لنفسي قال تعالى للزبانية

(١) تقدم أنه أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي وزوجته هي أم المؤمنين تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة وإن الشقي هو الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة .

(٢) أي بشماله ووراء ظهره وهو كتاب سيئاته من الشرك والمعاصي كبيرها وصغيرها .

(٣) هذا من عظم ما يشاهد من شدة الحساب وشناعته هذا داخل في حيز متمنيات، كما هو إشارة إلى أنه كان في الدنيا لا يؤمن بالحساب ولم يدر ما يجري فيه ولذا أصابته الحيرة هنا وألم به الكرب .

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿خذوه فغلوه﴾ أي شدوا يديه في عنقه بالغل ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أي أدخلوه فيها وصلوه بحرهما المرة بعد المرة كما يصلى الكباش المشوى المصلي ، ﴿ثم في سلسلة﴾ طويلة ﴿ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ ولم يعرف مدى طول هذه الذراع إلا أنه إذا كان الكافر ما بين كتفيه كما بين مكة وقديد قرابة مائة وخمسين ميلاً فإن السلسلة في ذرعها السبعين ذراعاً لا بد وأن تكون مناسبة لهذا الجسم ﴿فاسلكوه﴾ أي أدخلوه فيها فتدخل من فمه وتخرج من دبره كسلك الخرزة في الخيط وذكر تعالى علة هذا الحكم عليه فقال ﴿إنه كان أي في الدنيا لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ فانهضرت جريمته في شيئين الكفر بالله ومنع الحقوق الواجب في المال ثم أخبر تعالى عن حال هذا الكافر الشقي في جهنم فقال ﴿فليس له اليوم ها هنا﴾ أي في جهنم ﴿حميم﴾ أي صديق أو قريب ينتفع به فيدفع عنه العذاب أو يخففه ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ أي وليس له طعام يأكله إلا من طعام الغسلين الذي هو صديد أهل النار فإنهم عندما يأكلون شجر الغسلين يكون كالمسهل في بطونهم فيخرج كل ما في بطونهم وذلك هو الغسلين الذي يأكلونه ذلك الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون أي الذين ارتكبوا خطيئة الكفر والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها .
- ٢- المال الذي باع المفلسون فيه الأمة والملة لا يغني يوم القيامة عن صاحبه شيئاً .
- ٣- التنديد بالكفر بالله وأهله .
- ٤- عظم جريمة منع الحقوق المالية من الزكاة وغيرها .

(١) خذوه مقول قول ذكر في التفسير وغلوه أمر من غله يغله إذا وضع الغل وهو القيد الذي يجعل في عنق الجاني .

(٢) صلى النار يصلها إذا أصابه حرها أو استدفأ بها، ويعدى بالتضعيف فيقال صلاه النار وبالهزم أيضاً أصلاه يصله ناراً .

(٣) الطعام بمعنى الإطعام وضع موضعه كوضع العطاء موضع الإعطاء كما في قول الشاعر:

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائه الرثاعا

الرتاع الإبل ترتع .

(٤) الحميم هنا الغريب الذي يرق له ويدفع عنه المكروه ، وهو مأخوذ من الماء الجار كأنه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له .

(٥) الغسلين فعلين مأخوذ من الغسل كأنه ينغسل في أبدانهم وهو صديد أهل النار السائل من جروحهم وخروجهم قال الضحاك : الغسلين شجر وهو شر الطعام وأبشعه وهو من أطعمة أهل النار مثل الضريع والزقوم وبناء على ما ذكر أن الغسلين مجموع شجر اسمه الغسلين وما تجمع من صديد أهل النار من دم وعرق ونحوه فصدق عليه لفظ الغسلين وهذا من اعجاز القرآن البلاغي .

فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
 إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾
 وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
 نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
 مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِيرٌ
 لِّلْمُنْثِقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
 الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

بما تبصرون وما لا تبصرون : أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء .
 انه لقول رسول كريم : أي القرآن قاله تبليغا رسول كريم هو محمد ﷺ .
 وما هو بقول كاهن : أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء .
 لأخذنا منه باليمين : أي بالقوة أو لأخذنا بيمينه لنقتله .
 ثم لقطعنا منه الوتين : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان .
 حاجزين : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس وجمع لأن احد يدل على الجمع نحو لا نفرق بين أحد من رسله وبين لا تقع إلا بين اثنين فأكثر .
 وإنه لحسرة على الكافرين : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذبين به .
 وإنه لحق اليقين : أي الثابت يقينا أو اليقين الحق .
 فسبح باسم ربك العظيم ^(١) : أي نزه ربك العظيم الذي كل شيء أمام عظمتة صغير حقير أي قل سبحان ربي العظيم .

(١) الباء للمصاحبة والزيادة لتقوية الكلام والتقدير سبح اسم ربك والتقدير نزه اسم ربك في أن يسمى به غيره إذ سمي المشركون العزى بدل العزيز واللات بدل الله وجائز أن يكون اسم مقحماً والتقدير فسبح ربك أي نزهه عن الشريك والشبيه وعن كل نقص وهو العظيم الذي ليس شيء أعظم منه .

معنى الآيات:

(١) قوله تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون أي فلا الأمر كما ترون وتقولون أيها المكذبون أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون من المخلوقات في الأرض وفي السموات إنه أي القرآن لقول رسول كريم على ربه تعالى وهو محمد ﷺ أي إنه تبليغه وقوله إليكم وما هو بقول شاعر. كما تقولون كذباً قليلاً ما تؤمنون أي إن إيمانكم قليل ضيق الدائرة فلو كان واسعاً لانسع للإيمان بالقرآن إنه كلام الله ووحيه وليس هو من جنس الشعر لمخالفته له نظاماً ومعنى. وما هو بقول كاهن قليلاً ما تذكرون أي وليس القرآن بقول كاهن قليلاً ما تذكرون أي تذكركم قليل جداً فلو تذكرتم كثيراً لعلمتم أن القرآن ليس بكلام الكهان لملازمته للصدق والحق والهدى ولبعد قائله عن الإثم والكذب بخلاف قول الكهان فإن سدها ولحمته الكذب وقائله هو الإثم كله فأين القرآن من قول الكهان؟ وأين محمد الرسول من الكهان اخوان الشيطان إنه تنزيل من رب العالمين أيها المكذبون الضالون. وأمر آخر وهو أن الرسول محمد ﷺ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ونسبها إلينا لأخذنا منه باليمين أي لبطشنا به وأخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين فيهلك إذ الوتين هو عرق القلب إذا قطع مات الإنسان وإذا فعلنا به هذا فمن منكم يجحزنا عنه؟ وهو معنى قوله تعالى ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ وقوله تعالى ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿للتذكرة﴾ أي موعظة عظيمة للمتقين الذين يخافون عقاب الله ويخشون نقمه وعذابه وإنا لنعلم أن منكم أيها الناس مكذبين ليس بخاف عنا أمرهم وسنجزيهم وصفهم وانه لحسرة على الكافرين أي يوم القيامة عندما يرون المؤمنين به يؤخذ بهم ذات اليمين إلى دار السلام والمكذبين به يؤخذ بهم ذات الشمال إلى دار

(١) الفاء للتفريع لإثبات أن القرآن منزل من عند الله تعالى ونفي ما ادعاه المشركون.

(٢) هذا بناء على أن لا رد لكلام سابق وليست زائدة وكونها زائدة لتأكيد الكلام أولى من كونها نافية، إذ وجدت في فاتحة سورتي القيامة والبلد وليس قبلهما ما ينفي كأنه يقول لا أقسم لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم كالمخرج من الإقسام.

(٣) جائز أن يكون لفظ قليلاً في الموضعين مراداً به انتفاء ذلك كلية لأنه وقع بقله، وقليلاً صفة لموصوف محذوف أي إيماناً قليلاً، وتذكراً قليلاً، وما مزيدة لتوكيد الكلام كما في قول الشاعر:

قليلاً به ما يحمدنك وارث إذا نال مما كنت تجمع مغنماً

(٤) النقول نسبة قول إلى من لم يقله، والأقاويل جمع أقوال الذي هو جمع قول.

(٥) من مزيدة لتأكيد النفي وللتخصيص على العموم وفي الآية دليل أن من يدعي أنه يوحى إليه لا يلبث طويلاً حتى يأخذه الله تعالى.

(٦) التذكرة اسم مصدر بمعنى التذكير وهو التنبيه إلى مغفول عنه.

(٧) خص المتقون لأنهم هم المنتفعون به لاستعدادهم بقوة إيمانهم وصحة علمهم وكمال رغبتهم في الطاعة.

(٨) في الكلام إيجاز والتقدير إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن ونحن نعلم أنه سيكون منكم مكذبون.

(٩) جائز أن يكون الضمير عائداً على التكذيب إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة وجائز أن يكون عائداً على القرآن لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الأعمال.

البوار. وإنه لحق اليقين^(١) أي اليقين الحق. بعد هذا التقرير في إثبات الوحي والنبوة أمر تعالى رسوله الذي كذب برسالاته المكذبون أمره أن يستعين على الصبر بذكر الله تعالى فقال له ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي قل سبحان ربي العظيم منزها اسمه عن تحريفه وتسمية المحدثات به معظما ربك غاية التعظيم إذ هو العليّ العظيم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- الله تعالى أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لحكم عالية وليس للعبد أن يحلف بغير الرب تعالى.

٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣- وصف الرسول بالكرم وبكرامته على ربه تعالى.

٤- عجز الرسول ﷺ عن الكذب على الله تعالى وعدم قدرته على ذلك لو أرادته ولكن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله كما قال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله رداً على أبي سفيان لما قال له لم نجرب عليه كذباً قط .

٥- مشروعية التسبيح بقول سبحان ربي العظيم إن صح أنه لما نزلت قال النبي ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم فكانت سنة مؤكدة سبحان ربي العظيم ثلاثاً في الركوع أو أكثر.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

مكية وآياتها أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ
 اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي
 يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
 إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ

(١) أي القرآن الكريم بلا خلاف.

﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ ذِئْبِ بَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

سأل سائل : أي دعا داع بعذاب واقع .
ليس له دافع من الله : أي فهو واقع لا محالة .
ذي المعارج : أي ذي العلو والدرجات ومساعد الملائكة وهي السموات .
تعرج الملائكة والروح إليه : أي تصعد الملائكة وجبريل إلى الله تعالى .
في يوم كان مقداره خمسين ألف : أي تصعد الملائكة وجبريل من منتهى امره من أسفل الأرض
سنة : السابعة إلى منتهى امره من فوق السموات السبع في يوم مقداره
خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق .
إنهم يرونه بعيداً : أي العذاب الذي يطالبون به لتكذيبهم وكفرهم بالبعث .
يوم تكون السماء كالمهل : أي كذائب النحاس .
وتكون الجبال كالعهن : أي كالصوف المصبوغ الوانا في الخفة والطيران بالريح .
ولا يسأل حميم حميماً : أي قريب قريبه لانشغال كل بحاله .
يبصرونهم : أي يبصر الأخماء بعضهم بعضاً ويتعارفون ولا يتكلمون .
وصاحبتة : أي زوجته .
وفصيلته التي تؤويه : أي عشيرته التي تضمه إليها نسباً وتحميها من الأذى عند
الشدة .

إنها لظى نزاعة للشوى ^(١) : أي ان جهنم هي لظى نزاعة للشوى جمع شواة جلدة الرأس .
أدبر وتولى : أي عن طاعة الله ورسوله وتولى عن الإيمان فأنكره وتجاهله .

(١) قرأ نافع والجمهور برفع نزاعة وقرأ حفص بنصها .

: أي جمع المال وجعله في وعاء ومنع حق الله تعالى فيه فلم
ينفق منه في سبيل الله .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ هذه الآيات نزلت رداً على دعاء النضر بن الحارث ومن وافقه اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب اليم فأخبر تعالى عنه بقوله ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له من دافع من الله﴾ أي انه واقع لا محالة إذ ليس له دافع من الله ﴿ذي المعارج﴾ أي صاحب العلو والدرجات ومساعد الملائكة وهي السموات وقوله تعالى ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾ أي تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ أي يصعدون من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع في يوم مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق ﴿فأصبر صبراً جميلاً﴾ وقوله تعالى ﴿أنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾ يعني أن المشركين المكذبين يرون العذاب بعيداً لتكذيبهم بالبعث الآخر . ونحن نراه قريباً وبين تعالى وقت مجيئه فقال ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي تذوب فتصير كذائب النحاس ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي الصوف المصبوغ خفة وطيراناً بالريح وهذا هو الانقلاب الكوني حيث فني كل شيء ثم يعيد الله الخلق فإذا الناس في عرصات القيامة واقفون حفاة عراة ﴿لا يسأل حميم حميماً﴾ لانشغال كل بنفسه كما قال تعالى ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عن السؤال عن غيره أو عن سؤال غيره وقوله تعالى ﴿يبصرونهم﴾ أي عدم سؤال بعضهم بعضاً ليس ناتجاً عن عدم معرفتهم لبعضهم بعضاً لا بل يبصرهم ربهم بهم فيعرف كل قريب قريبه ولكن اشتغاله بنفسه يحول دون سؤال غيره ، ويشرح هذا المعنى قوله تعالى يؤذ المجرم أي ذو الاجرام على نفسه بالشرك والمعاصي لو يفتدي من عذاب يومئذ بينه أي أولاده الذكور ففضلاً عن الإناث وصاحبه أي زوجته وأخيه وفصيلته التي تؤويه بأن تضمه إلى نسبها والفصيلة العشيرة انفصلت

- (١) قرأ نافع سأل بدون همزة تخفيفاً وقرأ حفص سأل بالهمزة على الأصل .
(٢) وإن كانت الباء في بعذاب بمعنى عن فيكون السائل سأل عن العذاب لمن يقع أو متى يقع كقوله تعالى فاسأل به خبيراً أي عنه خبيراً وكقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيب

ومن بلاغة القرآن تغذية سأل بالباء ليكون صالحاً للاستفهام والدعاء والاستعجال .

- (٣) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة .
(٤) الغاء للتفريع إذ سبق أن السائل بالعذاب كان مستهزئاً مستخفاً فلذا أمر الله رسوله بالصبر الجميل على ما يقوله المشركون .
(٥) الجملة تعليلية لكل من جملة سأل سائل بعذاب وللأمر بالصبر .
(٦) قرأ نافع يومئذ بفتح يومئذ وقرأ الجمهور بكسرهما بإضافة عذاب إليها .

من القبيلة ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه لتتصور عذاباً يود المجرم من خوفه منه أن يفتردي بكل شيء في الأرض كيف يكون؟ ومن هنا يرى القريب قريبه ولا يسأله عن حاله لانشغال نفسه عن نفس غيره. وقوله تعالى ﴿كَلَّا﴾ أي لا قرابة يومئذ تنفع ولا فداء يقبل ﴿إِنهَا﴾ أي جهنم ﴿لظَى نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ أي لجلدة الرأس ولكل عضو غير قاتل للإنسان إذا نزع منه. تدعو أي جهنم المسماة لظى تدعو تنادي إليّ يا من أدبر عن طاعة الله ورسوله وتركها ظهره فلم يلتفت إليها وتولى عن الإيمان فلم يطلبه تكميلاً له ليصبح إيماناً يحمله على الطاعات وجمع الأموال فأوعاها في أوعية ولم يؤد منها الحقوق الواجبة فيها من زكاة وغيرها إذ في المال حق غير الزكاة. ومن دعت جهنم دفع إليها دفعاً كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دُعَاءً﴾ نعوذ بالله من جهنم وموجباتها من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة سؤال العذاب فإن عذاب الله لا يطاق ولكن تسأل الرحمة والعافية.
- ٢- وجوب الصبر على الطاعة وعلى البلاء فلا تسخط ولا تنزع.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٤- عظم هول الموقف يوم القيامة وصعوبة الحال.
- ٥- التنديد بالمعرضين عن طاعة الله ورسوله الجامعين للأموال المشتغلين بها حتى سلبتهم الإيمان والعباد بالله فأصبحوا يشككون في الله وآياته ولقائه.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُ رُجُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا

الْمُصْلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ

بِیَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ

(١) كلا حرف ردع وإبطال لكلام سابق.

(٢) ومنه الحديث لا تؤعي فيوعى عليك أي لا تمسكي عن الإنفاق فيمسك عليك.

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْغَىٰ وَرَاءَ
 ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
 ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
 ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا	: أي إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً أي كثير الجزع
على صلاتهم دائمون	سريعه وكثير المنع حريصاً عليه .
حق معلوم	: أي لا يقطعونها أبداً ما داموا أحياء يعقلون .
للسائل والمحروم	: أي نصيب معين عينه الشارع وهو الزكاة .
يصدقون بيوم الدين	: أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياءً وتعففاً .
مشفقون	: أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء .
لفروجهم حافظون	: أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية .
أو ما ملكت أيمانهم	: أي صائمون لها عن النظر إليها وعن الفاحشة .
فأولئك هم العادون	: أي من الشُّرَيَات من الجوّاري التي يملكونها .
لأماناتهم	: أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام .
راعون	: أي ما اتّمنوا عليه من أمور الدين والدنيا .
قائمون	: أي حافظون غير مفرطين .
يحافظون	: أي يقيمون شهاداتهم لا يكتُمونها ولا يحرفونها .
	: أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان والواجبات والسنن .

معنى الآيات :

قوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ أَي هَذَا الْإِنْسَانِي الْمُنْتَصِبُ الْقَامَةُ الضَّاحِكُ الَّذِي سَمِيَ بِالْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ

بنفسه ورؤية محاسنها ولنسيانه واجب شكر ربّه هذا الإنسان خلق هلوياً قابلاً لوصف الهلع فيه عند بلوغه سن التمييز والهلع مرض نفسي عرضه الذي يُعرف به جزعه الشديد متى مسه الشر، ومنعه القوي للخير متى مسه وظفر به. فقد فسر تعالى الهلع بقوله، ﴿إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾. ثم ذكر تعالى ما يعالج به هذا المرض باستثنائه من جنس الإنسان من يتصفون بالصفات الآتية وهي عبارة عن عبادات شرعية بعضها فعل وبعضها ترك من شأنها القضاء على هذا المرض الخطير المسمى بالهلع والذي لا يعالج إلا بما وصف تعالى في قوله:

(١) إدامة الصلاة بالمواظبة عليها ليل نهار إذ قال تعالى ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ وبشرط أن تؤدي إيماناً واحتساباً وأداءً صحيحاً بمراعاة شروطها وأركانها وسننها.

(٢) الاعتراف بما أوجب الله في المال من حق وإعطاء ذلك الحق بطيب نفس لمن سأل ولمن لم يسأل ممن هم أهل للزكاة والصدقات لقوله ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.

(٣) التصديق الكامل بيوم القيامة وهو البعث والجزاء لقوله تعالى ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾.

(٤) الإشفاق والخوف من عذاب الله عند عروض خاطر المعصية بترك واجب أو فعل محرم لقوله تعالى ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي دائماً وأبداً لأن عذاب ربهم غير مأمون الوقوع.

(٥) حفظ الفرج بستره عن أعين الناس ما عدا الزوج وصيانه من فاحشة الزنا واللواط وجلد عميرة أي الاستمناة باليد والمعروف اليوم بالعادة السرية لقوله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من السراي ﴿فإنهم غير ملومين﴾ في إتيانهم أزواجهم وجواربهم اللاتي ملكوهن بالجهاد أو الشراء الشرعي وقوله تعالى ﴿فمن ابتغى﴾ أي طلب ما وراء الزوجة والسرية ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون الذين تجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك معتدين ظالمين.

(٦) حفظ الأمانات والعهود ومن أبرز الأمانات وأقوى العهود ما التزم به العبد من عبادة الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله والوفاء بذلك حتى الموت زيادة على أمانات الناس والعهود لهم الكل واجب الحفظ والرعاية لقوله ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

(١) الاستثناء منقطع أي لكن المصلين الذين وصفهم كيت وكيت وهي ثمان صفات وهي صفات المؤمنين الصادقين.

(٢) الدوام على الشيء عدم تركه وذلك في كل عمل بحسب ما يعتبر دواماً فيه.

(٧) إقامة الشهادة بالاعتدال فيها بحيث يؤديها ولا يكتمها ويؤديها قائمة لا اعوجاج فيها لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾^(١).

(٨) المحافظة على الصلوات الخمس مستوفاة الشروط والأركان من الخشوع إلى الطمأنينة في الركوع والسجود والاعتدال في القيام لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ بعد أدائها وعدم قطعها بحال من الأحوال.

فهذه الوصفة الربانية متى استعملها الإنسان المؤمن تحت إشراف عالم رباني إن وجدته وإلا فتطبيقها بدون إشراف ينفع بإذن الله متى اجتهد المؤمن في حسن تطبيقها برىء من ذلك المرض الخطير وأصبح أهلاً لإكرام الله تعالى في الدار الآخرة قال تعالى في ختام هذه الوصفة ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مَكْرُمُونَ﴾ أي أولئك المطبقون لهذه الوصفة الناجحون فيها ﴿فِي جَنَّاتٍ مَكْرُمُونَ﴾ في جوار ربهم اللهم اجعلنا منهم يا غفور يا رحيم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بين شر صفات الإنسان وانها الهلع .

٢- بيان الدواء لهذا الداء داء الهلع الذي لا فلاح معه ولا نجاح .

٣- انحصار العلاج في ثماني صفات أو ثماني مركبات دوائية .

٤- وجوب العمل بما اشتملت عليه الوصفة من واجبات .

٥- حرمة ما اشتملت عليه الوصفة من محرمات .

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ

﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ

أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ مَنْهُمْ

(١) قرأ نافع شهادتهم بالإفراد وقرأ حفص شهاداتهم بالجمع وقراءة الإفراد بمعنى الجمع لأن شهادة اسم جنس تدل على متعدد.

(٢) القيام بالشهادة : الاهتمام بها وحفظها إلى أن تؤدي.

(٣) والإكرام : التعظيم وحسن اللقاء أي هم مع جزائهم بالجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء . في جنات خير أولئك ومكرمون خير ثانٍ .

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- قبلك مهطعين؟ : أي نحوك مديمي النظر إليك .
عزيرين : أي جماعات حلقا حلقا يقولون في استهزاء بالمؤمنين لئن دخل
هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم .
إنا خلقناهم مما يعلمون : أي من مني قدر وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات المزكية
للنفوس .
على أن نبدل خيرا منهم : أي إنا لقادرون على أن نهلكهم ونأتي بأناس خير منهم .
وما نحن بمسبوقين : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من اهلاك القوم والإتيان بخير
منهم .
يوم يخرجون من الأجداث : أي من القبور مسرعين إلى المحشر .
سراعا كانوا إلى نصب يوفضون : أي كأنهم في إسراعهم إلى المحشر إلى نصب أي شيء
منصوب كراية أو علم يسرعون .
ترهفهم ذلة : أي تغشاهم ذلة .
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون : أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة .
معنى الآيات :

قوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين يخبر تعالى مقبحا سلوك المشركين إزاء رسوله ﷺ
فيقول ما للذين كفروا من كفار مكة قبلك أي جهتك حيث كنت في المسجد الحرام مهطعين أو
مسرعين مديمي النظر إليك عن اليمين وعن الشمال عزيرين أي عن يمينك وعن شمالك عزيرين جمع عزة
أي جماعة فهم حلق حلق يستمعون إلى قراءتك بحثا عن كلمة يمكنهم أن يشنعوا بها عليك
ويجعلونها مطعنا في دعوتك أي سخرية يسخرون بها وبك ويقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل
هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم فرد تعالى عليهم منكرا طمعهم الفارغ بقوله ﴿أيطمع كل امرئ﴾^(١)

(١) الاستفهام إنكاري تعجبي من تجمع المشركين إلى النبي ﷺ مستهزئين بما يسمعون من وعد المؤمنين بالجنة ووعد
المشركين بالنار، ومعنى الآية أي شيء ثبت للذين كفروا في حال إعطائهم إليك .
(٢) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة فما للذين كفروا .

منهم أن يدخل جنة نعيم ﴿أي بستان إكرام وتنعم كلا لن يتم هذا لهم ولن يكون وهم أنجاس الأرواح بالشرك والمعاصي﴾، ولفت النظر إلى أصل الخلقة وهي المنى القدر والقدر لا يدخل دار السلام فمن أراد الجنة فليزك نفسه وليطهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعداً لها عملياً سببها من الشرك والمعاصي وهو ما تضمنه قوله تعالى ﴿إنا خلقناهم﴾^(١) مما يعلمون ﴿وقوله عز وجل﴾ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴿أي فلا الأمر كما يتصورون من أنهم لا يبعثون بعد موتهم أقسم برب المشارق الثلاثمائة والستين مشرقاً ومغرباً حيث الشمس تطلع كل يوم في مطلع وتغرب في آخر لا تعود إليه إلا بعد سنة في مثل ذلك اليوم فأقسم تعالى بنفسه، والمقسم عليه قوله ﴿إنا لقادرون﴾ أي على أن نهلكهم ونأتي بخير منهم ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي عاجزين عن ذلك فكيف إذا لا نعيدهم أحياء بعد موتهم يوم القيامة ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي أمر تعالى رسوله أن يتركهم وما يخوضون فيه من اللهو واللعب والباطل في القول والعمل، وهو تهديد خفي لهم ﴿حتى يلاقوا﴾ على ما هم عليه من أدران الشرك وأوضار المعاصي يومهم الذي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة وشرح حال اليوم فقال يوم يخرجون من الأجداث أي القبور جمع جدث سراعاً أي مسرعين كأنهم إلى نصب أي شيء منصوب من راية أو علم أو تذكار يوفضون أي يحشرون مسرعين حال كون أبصارهم خاشعة أي ذليلة من الفزع والخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عجيبة عظيمة . وقوله تعالى ﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ أي هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة الذي أنكروه وكذبوا به ها هو ذا قد حصل فليتجرعوا غصص الندم واللوان العذاب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان الحال التي كان عليها الرسول ﷺ في مكة بين ظهراي قريش وما كان يلاقي من أذاهم .
- ٢- بيان أن الجنة تدخل بالطهارة الروحية من قدر الشرك والمعاصي وإلا فأصل الناس واحد المنى القدر باستثناء آدم وحواء وعيسى فأدم أصله الطين وحواء خلقت من ضلع آدم ، وعيسى كان بتنفخ روح القدس في كم درع مريم فكان بكلمة الله تعالى ومن عدا الثلاثة فمن ماء مهين ونطفة قدرة .

(١) في قوله تعالى إنا خلقناهم مما يعلمون ازدراء بهم وتهكم من حالهم إذ يجادلون ويعاندون وهم مخلوقون من نطفة مذرة .

(٢) النصب بفتح النون وسكون الصاد : الصنم قرأ نافع نصب بفتح وسكون وقرأ حفص نصب بضم كل من النون والصاد والمعنى واحد وهو الصنم قال الشاعر :

وذا النَّصْبُ المنصوب لا تنسكته لعافية والله ربك فاعبدا

٣- الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان الثانية .

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٥- بيان أن حياة أهل الكفر مهما تراءى لهم ولغيرهم أنها حياة مدنية سعيدة لم تعد كونها باطلا ولها ولعبا .

سُورَةُ نُوحٍ

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾

شرح الكلمات :

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين .

أن أنذر قومك : أي بإنذار قومك .

إني لكم نذير مبين : أي بين النذارة ظاهرها .

أن اعبدوا الله : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئا .

واتقوه : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به .

وأطيعون : فيما أمركم به وأنهاكم عنه لأنني مبلغ عن الله ربي وربكم .

يغفر لكم من ذنوبكم : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي فمن زائدة لتقوية الكلام أو

هي تبعية لأن ما كان حقا لأدمي كمال وعرض لا يغفر إلا بالتوبة .

ويؤخركم إلى أجل مسمى : أي إلى نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير فلا يعجل

لكم بالعذاب .

إن أجل الله : أي بعذابكم .

لا يؤخر : إن لم تؤمنوا .

لو كنتم تعلمون : أي لا منتم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾^(١) يخبر تعالى لافتاً نظر منكري رسالة نبيه محمد ﷺ من مشركي قريش وكفار مكة أن محمداً رسول الله ليس بأول رسول حتى تنكر رسالته، كما أن السورة بجملتها فيها تسليية لرسول الله ﷺ مما يلاقي من مشركي قومه إذ نوح عليه السلام قد لاقى ما هو أشد وأطول مدة والآيات ناطقة بذلك وقوله تعالى ﴿أن انذر قومك﴾ أي أرسلناه بإنذار قومه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم^(٢) هو عذاب الدنيا بالاستتصال وعذاب الآخرة بالاستمرار والدوام . وقوله تعالى ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ أي امثل نوح أمر ربه وقال لقومه يا قوم أني لكم نذير مبين أي مخوف من عواقب كفركم بالله وشرككم به . ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾^(٣) اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً واتقوه فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به، وأطيعون فيما أمركم به وأنهاكم عنه لأنني مبلغ عن الله ربي وربكم ولا أمركم إلا بما يكملكم ويسعدكم ولا أنهاكم إلا عما يضركم ولا يسركم فإن تجيسوا لما دعوتكم إليه يغفر لكم^(٤) من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى نهاية آجالكم فلا يعاجلكم بالعقوبة ﴿إن أجل الله﴾ أي بعذابكم إذا جاء لا يؤخر ﴿لو كنتم تعلمون﴾^(٥) أي لو علمتم ذلك لأنتم إلى ربكم فتنتم إليه واستغفرتموه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية إذ الذي أرسل نوحاً يرسل محمداً ﷺ ومن شاء إلى من شاء .
- ٢- تقرير التوحيد إذ نوح أرسل إلى قوم مشركين لإبطال الشرك وتحقيق التوحيد .
- ٣- تقرير معتقد القضاء والقدر لقوله ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي في كتاب المقادير .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ

(١) نوح هو ابن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن برد بن مهلايل بن أنوش ابن قينان بن شيت بن آدم عليه السلام .

(٢) جائز أن يكون العذاب في الدنيا وإن يكون عذاب النار يوم القيامة .

(٣) إن مفسرة كالتى في قوله أن أنذر قومك .

(٤) جائز أن يكون من زائدة لتقوية الكلام وأن تكون تبعية إذ بعض الذنوب لا تغفر إلا بالتحلل من أصحابها وهي حقوق الأدميين .

(٥) روي أنهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

فِيءَ إِذَا نِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا
 ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
 لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
 يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ
 لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
 وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
 طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
 وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
 إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا
 سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- ليلا ونهارا : أي دائما باستمرار .
 إلا فرارا : أي مني ومن الحق الذي ادعوههم إليه وهو عبادة الله وحده .
 جعلوا أصابعهم في آذانهم : أي حتى لا يسمعون ما أقول لهم .
 واستغشوا ثيابهم : أي تغطوا بها حتى لا ينظروا إلي ولا يروني .
 وأصروا : أي باطلهم وما هم عليه من الشرك .
 يرسل السماء عليكم مدرارا : أي ينزل عليكم المطر متتابعاً كلما دعت الحاجة إليه .
 ويجعل لكم جنات : أي بساتين .
 مالكم لا ترجون لله وقاراً : أي لا تخافون لله عظمته وكبريائه وهو القاهر فوق عباده .
 وقد خلقكم أطوارا : أي حالا بعد حال فطورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة .
 وجعل الشمس سراجا : أي مضيئة .

أثبتكم من الأرض نباتاً : أي أنشأكم من تراب الأرض .
ثم يعيدكم فيها : أي تقبرون فيها .
ويخرجكم منها إخراجاً : أي يوم القيامة .
سبلاً فجاجاً : أي طرقاً واسعة .
معنى الآيات :

هذه الآيات تضمنت لوحة مشرقة يهتدي بضوئها الهداة الدعاة إلى الله عز وجل إذ هي تمثل عرض حال قدمه نوح لربه عز وجل هو خلاصة دعوة دامت قرابة تسعمائة وخمسين سنة ولنصغ إلى نوح عليه السلام وهو يشكو إلى ربه ويعرض عليه ما قام به من دعوة إليه فقال ﴿رب إني دعوت قومي﴾ وهم أهل الأرض كلهم يومئذ ﴿ليلاً ونهاراً﴾ أي بالليل وبالنهار إذ بعض الناس لا يمكنه الاتصال بهم إلا ليلاً ﴿فلم يزدهم دعائي﴾ إياهم إلى الإيمان بك وعبادتك وحدك ﴿إلا فراراً﴾ مني ومما أدعوهم إليه وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم بأن يستغفروك ويتوبوا إليك لتغفر لهم ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ حتى لا يسمعوا ما أقول لهم ، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي تغطوا بها حتى لا يروني ولا ينظروا إلى وجهي كراهة لي وبغضا في ﴿وأصروا﴾ على الشرك والكفر إصراراً متزايداً عناداً ﴿واستكبروا استكباراً﴾ عجباً .^(١)

﴿ثم إني دعوتهم﴾ إلى توحيدك في عبادتك وإلى ترك الشرك فيها ﴿جهاراً﴾ أي مجاهرًا بذلك ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً﴾ بحسب الجماعات والظروف أطرق كل باب بحثاً عن استجابتهم للدعوة وقبولهم للهدى فقلت ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أي ينزل عليكم المطر متتابعاً فلا يكون قحط ولا محل ﴿ويمدكم بأموال وبنين﴾ كما هي رغبتكم ﴿ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ذات نخيل وأعناب ﴿ويجعل لكم أنهاراً﴾ تجري في تلك البساتين تسقيها . ثم التفت إليهم وقال لهم منكرًا عليهم استهتارهم وعدم خوفهم ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ أي ما دهاكم أي شيء جعلكم لا ترجون لله وقاراً لا تخافون عظمتهم وقدرته وكبرياءه ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرة الله تعالى فقال لهم ﴿ألم تروا كيف

(١) قرأ نافع دعائي بفتح العين واسكنها حفص .

(٢) أي إلا تباعدوا عن الإيمان وإعراضاً عنه .

(٣) إذ قالوا له : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون والحامل لهم على هذا القول الكبير الذي تجاوزوا الحد فيه .

(٤) إنه كان غفاراً هذا منه عليه السلام ترغيب لهم في التوبة قال الفضيل بن عياض قول العبد أستغفر الله معناه أقلني .

(٥) يرسل السماء المراد المطر لا السماء هذا كقول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم دعني وإن كانوا غضاباً

(٦) يروى عن الحسن البصري أن رجلاً شكا إليه الجدوية فقال له استغفر الله ، وشكا آخر إليه الفقر فقال له استغفر الله ، وشكا لي آخر جفاف بستانه فقال له استغفر الله وقال له آخر ادع الله أن يرزقني ولدًا فقال له استغفر الله ، فقبل له في ذلك ، فقال : ما قلت من عندي شيئاً إن الله يقول في سورة نوح ﴿فلنستغفر ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ .

خلق الله سبع سموات طباقاً ﴿سما﴾ فوق سماء مطابقة لها ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ ينير ما فوقه من السموات وما تحته من الأرض ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ وهاجا مضيئاً يضيء بوجهه السموات ويقفاه الأرض كالقمر ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ إذ أصلكم من تراب والنفط أيضاً من الغذاء المكون من التراب ثم خلقتكم تشبه النبات وهي على نظامه في الحياة والنماء .
 ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي في الأرض بعد الموت فتدفنون فيها ﴿ويخرجكم منها﴾ أيضاً ﴿إخراجاً﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ أي مفروشة مبسوطة صالحة للعيش فيها والحياة عليها ، ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ أي طرقاً واسعة وهكذا تجول بهم نوح عليه السلام في معارض آيات الله الكونية وكلها دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبة للعبادة له عقلاً ونفياً عما سواه كانت هذه مشكلة نوح وعرض حاله على ربه وهو أعلم به وفي هذا درس عظيم للدعاة الهداة المهديين جعلنا الله منهم آمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- رسم الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلوين الأسلوب .
- ٢- بيان كره المشركين للتوحيد والموحدين انهم لبغضهم لنوح ودعوة التوحيد سدوا آذانهم حتى لا يسمعوها وغطوا وجوههم حتى لا يروه واستكبروا حتى لا يروا له فضلاً .
- ٣- استعمال الحكمة في الدعوة فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد .
- ٤- استنبط بعض الصالحين^(١) من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد .

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا إِنْهَتِكُمْ وَلَا تَنْذِرُنَا وَدَاوَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

(١) أي في السماء الدنيا، إذ يقال أتاني بنو تميم وأتيت بني تميم والمراد بعضهم .

(٢) تقدم أنه الحسن البصري رحمه الله تعالى .

شرح الكلمات :

عصوني : أي لم يطيعوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك الشرك بك .

واتبعوا : أي السفلة منهم والفقراء .

من لم يزد ماله وولده : أي الرؤساء المنعم عليهم .

إلا خسارا : أي طغيانا وكفرا .

مكرا كبارا : أي عظيمي جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه أذى شديدا .

وقالوا : أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم .

لا تذرني آلهتكم : أي لا تترك آلهتكم .

ولا تذرني : أي ولا تترك كذلك ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا .

وقد أضلوا : أي بالأصنام كثيرا من الناس حيث أمروا بعبادتها .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الكريم الذي تقدم به رسول الله نوح عليه السلام إلى ربه ليعذره ويكرمه تقدم بشكوى مشفوعة بالدعاء بالهلاك على الظالمين ﴿فقال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا﴾ أي طغيانا وكفرا . ﴿ومكروا مكرا كبيرا﴾ أي عظيمي جدا حيث كانوا يعرضون بنوح وقد يضربونه وهو صابر محتسب وقالوا لبعضهم البعض متواصين بالباطل ﴿لا تذرني الهتك﴾ وسموا منها رؤساءها وهم خمسة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وقد أضلوا كثيرا أي من عباد الله حيث ورثوا هذه الأصنام فيهم فتبعهم الناس على ذلك فضلوا ثم دعا عليهم قائلا ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾ قال هذا بعد أن أيس من إيمانهم وعدم هدايتهم لطول ما مكث بينهم يدعوهم وهم لا يزدادون إلا كفرا وضلالا .

(١) يعني كبراءهم وأغنياءهم وأهل الترف فيهم الذين لم يزد ماله وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا .

(٢) كبارا : نحو قراء وعجائب وطوال وعمال .

(٣) روى البخاري عن ابن عباس : ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت .

(٤) قال ابن عباس : رجا نوح الأبناء بعد الآباء فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا .

(٥) من عجيب ما يدعو إليه الشيطان أن يعوق ونسرا عبدا في القرن الرابع عشر في قرية ليوه حيث كانوا يستسقون بهما ، وإن يغوث ويعوق وود وسواع ونسر كانت موزعة بين القبائل العربية وفي يعوق يقول الشاعر :

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الشكوى إلى الله تعالى ولكن بدون صخب ولا نصب .
- ٢- بيان أن السفلة والفقراء يتبعون الرؤساء والأغنياء وأصحاب الحظ .
- ٣- بيان أن المكر من شأن الكافرين والظالمين .
- ٤- بيان أن المشركين لضلالهم يطلقون لفظ الآلهة على من يعبدونهم من الأصنام والأوثان .
- ٥- مشروعية الدعاء على الظالمين عند اليأس من هدايتهم .

مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
 دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
 كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي
 مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

- مما خطيئاتهم أغرقوا : أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان .
 فأدخلوا نارا : أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار .
 ديارا : أي من يدور يذهب ويجيء أي لم يبق أحد .
 إن تذرهم : أي أحياء لم تهلكهم .
 إلا تبارا : أي هلاكاً وخساراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ ^(١) يخبر تعالى عن نهاية قوم نوح بعد أن دعا عليهم نوح لما علم بالوحي الإلهي أنهم لا يؤمنون فقال تعالى مما خطيئاتهم أي ومن خطيئاتهم أي بسبب خطيئاتهم التي هي الشرك والظلم والتكذيب والأذى لنوح عليه السلام أغرقوا بالطوفان فلم يبق منهم أحد ﴿فأدخلوا نارا﴾ أي بمجرد ما يفرق الشخص وتخرج روحه يدخل النار في البرزخ . وقوله تعالى ﴿فلم

(١) مما خطيئتهم (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم ومن تعليلية وما الزائدة لتوكيد معنى التعليل .

(٢) الفاء تفرعية .

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴿وهو كذلك فمن ينصر من يريد هلاكه وخزيه وعذابه﴾ ثم ذكر تعالى دعوة نوح التي كان الطوفان بها والهلاك وهي قوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَاراً﴾ أي لا تترك ولا تبق على الأرض اليابسة كلها يومئذ من الكافرين بخلاف المؤمنين ﴿ذِيَاراً﴾^(١) أي إنساناً يدور أي يذهب ويحيى أي لا تبق من الكافرين أحداً ثم علل لطلبه الهلاك للكافرين فقال ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ عن صراطك الموصول إلى رضاك وذلك هو عبادتك وحدك وطاعتك وطاعة رسولك ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي إلا من يفجر عن دينك ويكفر بك وبرسولك قال نوح هذا لطول التجارب التي عاشها مع قومه إذ عاشهم قرابة عشرة قرون ثم دعا الله تعالى له ولوالديه ولمن دخل مسجده ومصلاه من المؤمنين والمؤمنات، وأن لا يزيد الظالمين إلا خساراً وهلاكاً فقال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٢).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- هلاك قوم نوح كان بخطاياهم فالخطايا إذا موجبة للهلاك.
- ٢- تقرير عذاب القبر فقوم نوح ما إن اغرقوا حتى ادخلوا ناراً.
- ٣- مشروعية الدعاء على الظلمة والكافرين والمجرمين.
- ٤- مشروعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.
- ٥- يستحب البدء في الدعاء بنفس الداعي ثم يعطف من يدعو لهم.

سُورَةُ الْجِنِّ

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

(١) ديار: اسم مخصوص بالوقوع في النفي يعم كل إنسان وهو مشتق من اسم الدار.

(٢) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ: الجملة تعليلية.

(٣) يريد عند بلوغ الولد سن التكليف لا أنه يفجر ويكفر بمجرد ما يولد وصيغة فعال للمبالغة في الموصوف بالكفر.

(٤) اسم أبيه لمك واسم أمه شمعى بنت أنوس.

(٥) التبار: الهلاك والخسران.

(٦) قرأ نافع بكسر إن في كل ما ورد في سورة الجن ما عدا أنه استمع نفر من الجن وأن المساجد لله ففتح أن وفتحها حفص إلا بعد القول وفإن له نار جهنم.

عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَن تَقُولَ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ۝

شرح الكلمات :

- أنه استمع : أي إلى قراءتي .
نفر من الجن : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة .
قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا : أي لبعضهم بعضاً قرآنا عجبا أي يتعجب منه لفصاحته وغزارة معانيه .
يهدي إلى الرشد : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل .
وأنه تعالى جد ربنا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه .
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد .
سفيهننا : أي جاهلنا .
شططا : أي غلوا في الكذب بوصفه الله تعالى بالصاحبة والولد .
على الله كذبا : حتى تبين لنا انهم يكذبون على الله بنسبة الزوجة والولد إليه .
يعودون : أي يستعيذون .
فزادوهم رهقا : أي إثما وطغيانا .
أن لن يبعث الله احدا : أي لن يبعث رسولا إلى خلقه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ (١) يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول معلنا

(١) أصل أوحى ووحى فقلبت الواو همزة كما قلبت في وإذا الرسل اتقت والأصل وقتت، وهو جائز في كل واو مضمومة نحو ورخ وأرخ.

(٢) يرى ابن إسحق أن هذا اللقاء بالجن كان عند عودة النبي ﷺ من الطائف، ولا مانع من حصول الخبرين مرة عند عودته من الطائف وتكون هذه الأولى، والثانية هي المذكورة في التفسير.

للناس مؤمنهم وكافرهم أنه قد أوحى الله تعالى إليه نبأ مفاده أن نفرا من الجن ما بين الثلاثة إلى العشرة قد استمعوا إلى قراءته القرآن وذلك ببطن نخلة والرسول يصلي بأصحابه صلاة الفجر وكان الرسول ﷺ عامدا مع أصحابه إلى سوق عكاظ . وكان يومئذ قد حيل بين الشياطين وخبر السماء حيث أرسلت عليهم الشهب فراجع الشياطين بعضهم بعضا فانتهاوا إلى أن شيئا حدث لامحالة فانطلقوا يضربون في مشارق الأرض ومغاربها يتعرفون إلى هذا الحدث الجلل الذي مُنعت الشياطين بسببه من السماء فتوجه نفر منهم إلى تهامة فوجدوا الرسول ﷺ يصلي الصبح بأصحابه فاستمعوا إلى قراءته في صلاته فرجعوا إلى قومهم من الجن فقالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشd فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ فأنزل الله تعالى هذه السورة «سورة الجن» مفتتحة بقوله ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ أي أعلن للناس يارسولنا أن الله قد أوحى إليك خبرا مفاده أن نفرا من الجن قد استمعوا إلى قراءتك فرجعوا إلى قومهم وقالوا لهم ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أي يتعجب من فصاحته وغزارة معانيه . يهدي إلى الرشd والصواب في العقيدة والقول والعمل ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وفي هذا تعريض بسخف البشر الذين عاش الرسول بينهم إحدى عشرة سنة يقرأ عليهم القرآن بمكة وهم مكذبون به كارهون له مصرون على الشرك والجن بمجرد أن سمعوه آمنوا به وحملوا رسالته إلى قومهم وها هم يدعون بدعاية الاسلام ويقولون ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا﴾ أي وآمنا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطاننا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وحاشاه وإنما نسب إليه ذلك المفترون . ﴿وأنه كان يقول سفيها على الله شططا﴾ هذا من قول الجن واصلوا حديثهم قائلين وأنه كان يقول جاهلونا على الله شططا أي غلوا في الكذب بوصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد تقليدا للمشركين واليهود والنصارى ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا﴾ أي وقالوا لقومهم وإنا كنا نظن أن الإنس والجن لا يكذبون على الله ولا يقولون عليه إلا الصدق وقد علمنا الآن أنهم يكذبون على الله ويقولون عليه ما لم يقله وينسبون إليه ما هو منه براء . وقالوا ﴿وأنه كان رجال من الإنس

(١) ما ذكر في التفسير من شأن استماع الجن قراءة الرسول وما أوحى الله تعالى به إلى رسوله في شأن هذه الحادثة هو في مسلم والترمذي .

(٢) جملة استمع خبر إن والاسم هو ضمير الشأن والجملة في محل نائب فاعل لأوحى .

(٣) الرشd بضم الراء وإسكان الشين والرشd بفتح الراء والشين معاً هما الخير والصواب والهدى .

(٤) الجد بفتح الجيم : العظمة والجلال ومنه قول أنس كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيننا : أي عظم وجل وأنه تعالى : قرأ نافع بكسر الهمزة عطفاً على قولهم إنا سمعنا قرآنا وقرأ حفص بفتح الهمزة على تقدير آمنا بأنه تعالى جد ربنا .

(٥) يجوز فتح أنه وكسرها فمن فتحها جعلها من كلام الجن راداً لها إلى قوله أنه استمع ومن كسرها جعلها مبتدأ في قول الله تعالى .

يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً^(١) يخبرون بخبر عجيب وهو أنه كان رجال من الناس من العرب وغيرهم إذا نزلوا منزلاً مخوفاً في واد أو شعب يستعيذون برجال من الجن كأن يقول الرجل أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فزاد الإنس الجن بهذا اللجأ إليهم والاحتماء بهم رهقاً أي إثماً وطغياناً. إذ ما كانوا يطمعون أن الإنس تعظمهم هذا التعظيم حتى تستجير بهم. وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً أي وقالوا مخبرين قومهم وأنهم أي الإنس ظنوا كما ظننتم أنتم أيها الجن أن لن يبعث الله أحداً رسولا ينذر الناس عذاب الله ويعلمهم ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً رسولاً للثقلين الإنس والجن معاً.
- ٢- بيان علو شأن القرآن وكماله حيث شهدت الجن له بأنه عجب فوق مستوى كلام الخلق.
- ٣- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.
- ٤- تقرير أن الإنس كالجن قد يكذبون على الله وما كان لهم ذلك.
- ٥- حرمة الاستعانة بالجن والاستعاذة بهم لأن ذلك كالعبادة لهم.

وَأَنَا الْمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ^ط فَمَنْ
يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ
بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ
وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى
ءَامَنَّا بِهِ^ط فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

(١) قال مقاتل أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الإسلام عافوا بالله وتركوهم.

(٢) الرهق الخطيئة والإثم وغشيان المحارم، وباستعاذة الإنس بالجن يحصل الإثم والخطيئة.

وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
تَحَرَّوْا رَشْدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

وأنا لمسنا السماء : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا .
حرساً شديداً : أي حراسا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة .
وشهباً : أي نجوما يرمى بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمى به .
مقاعد للسمع : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون .
شهاباً رصداً : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع .
رشداً : أي خيراً وصلاًحاً .
كنا طرائق قدا : أي مذاهب مختلفة إذا الطرائق جمع طريقة . والقدا جمع قدة وهي الضروب والأجناس المختلفة .

ولن نعجزه هرباً : أي لانفوته هاربين في الأرض أو في السماء
لما سمعنا الهدى : أي القرآن الداعي إلى الهدى المخالف للضلال .
بخساً ولا رهقاً : أي نقصاً من حسناته ولا إثماً يحال عليه ويحاسب به .
ومنا القاسطون : أي الجاثرون عن قصد السبيل وهو الإسلام .
تحرروا رشداً : أي تعمدوا الرشداً فطلبوه بعناية فحصلوا عليه .
فكانوا لجهنم حطباً : أي وقوداً تتقد بهم يوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ما قالته الجن بعد سماعها القرآن الكريم . وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي طلبناها كعادتنا ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ أي ملائكة أقوياء يحرسونها وشهباً نارية يرمى بها كل مسترق للسمع منا . وقالوا : ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا﴾ أي من السماء ﴿مقاعد﴾ أي أماكن معينة لهم ﴿للسمع﴾ أي لأجل الاستماع من ملائكة

(١) الشهب جمع شهاب ككتاب وكتب وهو ما يؤخذ من الكواكب النارية فيرمى به الجن . والحرس جمع حارس ولم يقل شديدين نحو قولنا السلف الصالح بدل الصالحين . وجمع الحرس أحراس كسلف وأسلاف .

(٢) الذين كانوا يسترقون السمع هم مرءة الجن وشياطينهم . ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الجن هم أولاد الجان المخلوق من مارج نار وأن الشياطين هم أولاد إبليس وأن من فسق عن أمر الله تعالى وتمرد على شرعه فخبث واشتد خبثه أصبح شيطاناً ويلحق بالشياطين الذين لا خير فيهم البتة .

السماء. ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ أي أرصد له خاصة فيرمى به فيحرقه أو يخبله، وقالوا ﴿وانا لاندرى أشرُ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ أقول عجباً لهؤلاء المؤمنين من الجن كيف تأدّبوا مع الله فلم ينسبوا إليه الشر ونسبوا إليه الخير فقالوا ﴿أشر أريد بمن في الأرض﴾ ولو أساءوا الأدب مثلنا لقالوا أشر أراد الله بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً أي خيراً وصلاً قالوا هذا لما وجدوا السماء قد ملئت حرماً شديداً وشهباً وهو تفكير شديد ناتج عن وعي وإدراك سليم. وهذا التغير في السماء الذي وجدوه سببه أن الله تعالى لما نبأ رسوله محمداً ﷺ وأخذ يوحى إليه حمى السماء حتى لا يسترق الشياطين السمع ويشوشوا على الناس فيصرفوهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وهو الرشد الذي أراد الله لعباده وقالوا ﴿وانا منا الصالحون﴾ أي المؤمنون المستقيمون على الإيمان والطاعة ﴿ومنا دون ذلك﴾ ضعف إيمان وقلة طاعة، ﴿كنّا طرائق قديداً﴾ أي مذاهب^(١) وأهواء مختلفة. ﴿وانا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض﴾ أي إن أراد بنا سوءاً ومكروها ولن نعجزه هرباً إن طلبنا في الأرض أو في السماء. ﴿وانا لما سمعنا الهدى آمناً به﴾ أي بالقرآن الذي هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً﴾ أي نقصاً من حسناته يوم القيامة ﴿ولا رهقاً﴾ أي إثماً يضاف إلى سيئاته ويعاقب به وهو لم يرتكبه في الدنيا. وقالوا ﴿وانا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي الجاثرون عن قصد السبيل وهو الإسلام. فمن أسلم أي انقاد لله تعالى بطاعته وخلص من الشرك به فهؤلاء تحروا الرشد^(٢) وفازوا به، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ توقد بهم وتستعر عليهم وعلى الكافرين الجاثرين أمثالهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجود تجانس بين الجن والملائكة لقرب مادّتي الخلق من بعضها إذ الملائكة خلقوا من مادة النور، والجن من مادة النار، ولذا يرونهم ويسمعون كلامهم ويفهمونه.
- ٢- من الجن أدباء صالحون مؤمنون مسلمون أصحاب لرسول الله ﷺ.
- ٣- ذم الطرق والأهواء والاختلافات.
- ٤- الاشارة بالعدل وتحري الحق والخير.

(١) كان منهم اليهودي والنصراني والمجوسي، ولما جاء الإسلام أصبح منهم المسلم وأصبح من المسلمين قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة لأنهم تابعون للناس في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم.

(٢) تحروا رشداً أي قصدوا طريق الحق وتوخوه، ومنه تحري القبله للصلاة. أي طلبها بناية وقصد للحصول عليها.

وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْنِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَالْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

- على الطريقة : أي الإسلام..
 ماء غدقا : أي مالا كثيرا وخيرات كبيرة.
 لنفثنهم فيه : أي نخبرهم أيشكرون أم يكفرون.
 عن ذكر ربه : أي القرآن وشرائعه وأحكامه.
 عذابا صعدا : أي شاقا.
 فلا تدعوا : أي فيها مع الله أحدا.
 عبد الله يدعوه : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة.
 عليه لبدا : أي في ركوب بعضهم بعضا تراحما لأجل أن يسمعوا قراءته.
 ضرا ولا رشدا : أي غيا ولا خيرا.
 ملتحدا : أي ملتجأ ألجا إليه فاحفظ نفسي.
 أي بلاغا : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم.
 وأقل عددا : أي أعوانا المسلمون أم الكافرون.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي وأوحى إليّ أن لو استقام هؤلاء المشركون من كفر قريش استقاموا على الإيمان والتوحيد والطاعة لله ولرسوله - وهم يشكون القحط - ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ فتكثر أموالهم وتتسع أرزاقهم ، ﴿لَنُفْتِنَنَّهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم في ذلك الخير الكثير أيشكرون أم يكفرون؟ ثم إن شكروا زادهم ، وإن كفروا سلبهم وعذبهم . وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي القرآن وما يدعو إليه من الإيمان وصالح الأعمال ولم يتخلّ عن الشرك وسوء الأفعال ﴿نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي ندخله في عذاب شاق في الدنيا بالذل والمهانة والفقر والرزالة والنذالة . وفي الآخرة في جهنم حيث السموم والحميم ، والضريع والزقوم . وقوله ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي ومما أوحى إليّ أن المساجد لله فإذا دخلتموها للعبادة فلا تدعو فيها مع الله أحداً إذ كيف البيت له وأنت فيه وتدعو معه غيره زيادة على أن الشرك محرم وصاحبه في النار فإنه من غير الأدب أن يكون المرء في بيت كريم ويدعو معه غيره من فقراء الخلق أو أغنيائهم وقوله ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي وأوحى إليّ أنه لما قام عبد الله ورسوله محمد ﷺ يدعونه في الصلاة يبطن نخلة كاد الجن أن يكونوا عليه لبداً أي كالشيء المتلبد بعضه فوق بعض . وقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ هذا إجابة لقريش عندما قالوا له ﷺ لقد جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك أي نحفظك فأمر أن يقول لهم إنما أدعوري أي أعبدته إلهاً واحداً ولا أشرك به أحداً . وأن يقول أيضاً إني لا أملك لكم يا معشر قريش الكافرين ضراً ولا رشداً أي ضلالاً ولا هداية إنما ذلك لله وحده يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأمر أن يقول لهم أيضاً إني لن يجيرني من الله أحدٌ إن أنا عصيته وأطعتكم ، ولن أجد من دونه أي من غيره ملتجئاً أي ملتجئاً التّجأ إليه . وقوله إلا بلاغاً من الله ورسالاته أي لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً من الله

(١) غدقاً أي واسعاً كبيراً ، يقال غدقت العين تغدق فهي غدقة إذا كثرت ماؤها . وهذا الوعد الإلهي المشروط هو عام في الناس أجمعين وفي كل زمان ومكان وهو كقوله . ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولما استقام السلف الصالح حصل لهم هذا الموعود كاملاً .

(٢) روى عن ابن عباس أن العذاب الصعد جبل في جهنم يكلفون صعوده وكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت . وهو ضرب من أنواع العذاب في دار الشقاء .

(٣) جائز أن يكون المراد بالمساجد أعضاء السجود السبعة لحديث إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب أي أعضاء ويقوى هذا الجواز قول عطاء : مساجدك أعضاءك التي أمرت أن تسجد عليها فلا تذللها لغير خالقها . وما في التفسير أولى بالآية .

(٤) اللبد جمع لبدة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبته .

(٥) شاهده قول الشاعر :

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية عني وما من قضاء الله ملتحد

ورسالته فإني أبلغكم عنه ما أمرني به وأرشدكم إلى ما أرسلني به من الهدى والخير والفوز وقوله ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ أي يخبر تعالى موعداً أن من يعصي الله بالشرك به وبرسوله بتكذيبه وعدم اتباعه فيما جاء به فإن له جزاء شركه وعصيانه نار جهنم خالدين فيها أبداً. وقوله ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عددا﴾ أي فإن استمروا على شركهم وتكذيبهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من عذاب يوم القيامة فسيعلمون عندئذ من أضعف ناصراً أي من ناصره ضعيف أو قوي، ومن أقل عدداً من أعوانه المؤمنون محمد وأصحابه أم هم المشركون المكذبون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الاستقامة على منهج الله تعالى القائم على الإيمان والطاعة لله ورسوله يفضي بسالكة إلى الخير الكثير والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة.
- ٢- المال فتنة وقل من ينجح فيها قال عمر رضي الله عنه أينما يكون الماء يكون المال وأينما يكون المال تكون الفتنة.
- ٣- حرمة دعاء غير الله في المساجد وفي غيرها إلا أنها في المساجد أشد قبحا.
- ٤- الخير والغير والهدى والضلال لا يملكها إلا الله فليطلب ذلك منه لا من غيره.
- ٥- معصية الله والرسول موجبة لعذاب الدنيا والآخرة.

قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ

مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

- قل إن أدري : أي قل ما أدري .
 ماتوعدون : أي من العذاب .
 أمدا : أي غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو .
 فلا يظهر : أي لا يطلع .
 من ارتضى من رسول : أي فإنه يطلعه .
 رسدا : أي ملائكة يحفظونه حتى يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس .
 ليعلم : أي الله عليمٌ يظهر أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم .
 أحصى كل شيء عددا : أي أحصى عدد كل شيء .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ قل إن أدري ﴾ أمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين المطالبين بالعذاب استخفافا وعناداً وتكذيباً أمره أن يقول لهم ما أدري أقرب ما وعدكم ربكم به من العذاب بحيث يحل بكم عاجلا أم يجعل له ربي أمدا أي غاية وأجلا بعيدا يعلمه هو ولا يعلمه غيره . عالم الغيب ^(١) إذ هو عالم الغيب وحده فلا يظهر علي غيبه أي لا يطلع على غيبه احدا من عباده إلا من ارتضى من رسول أي رضيه أن يبلغ عنه فإنه يطلعه مع الاحتياط الكافي حتى لا يتسرب الخبر الغيب إلى الناس ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ﴾ الرسول المرتضى ومن خلفه رسداً من الملائكة ثم يطلعه ضمن الوحي الذي يوحى إليه . وذلك ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل قبله قد بلغت رسالات ربها لما أحاطها تعالى به من العناية حتى انه إذا جاءه الوحي كان معه أربعة ملائكة يحمونه من الشياطين حتى لا يسمعوها خبر السماء فيبلغوه أولياءهم من الإنس ، فتكون فتنة في الناس وقوله ﴿ وأحاط ﴾

(١) قرأ نافع ربي بفتح الباء ، وقرأ حفص ربي بإسكان الباء ممدودة .

(٢) عالمٌ تحت لربي . والغيب : ما غاب عن العبادة ، ومعنى عالم الغيب أي العليم بكل ما هو غائب عن أعين الناس كالملائكة والجن وما سيحدث من أحداث في الكون .

(٣) قالت العلماء لما تمدح الله تعالى بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول يطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه لحدسه وتخمينه وكذبه .

(٤) فإنه يسلك الخ يعني ملائكة يحفظونه من أن يقرب منه شيطان في صورة الملك فيحفظ الوحي من استراق الشيطان والإلقاء إلى الكهنة .

(٥) معنى الآية : ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما أبلغ هو الرسالة . وفي الكلام حذف تقديره أخبرنا بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ .

أي الله جل جلاله ﴿بما لديهم﴾ أي بما لدى الملائكة والرسل علما ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾^(١)
 أي وأحصى عدد كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .
 هداية الآات :

من هداية الآيات :

- ١- استشار الله تعالى بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله .
- ٢- قد يطلع الله تعالى من ارتضى أن يطلعه من الرسل على غيب خاص ويتم ذلك بعد حماية كاملة من الشياطين كيلا ينقلوه إلى أوليائهم فيفتنوا به الناس .
- ٣- بيان إحاطة علم الله بكل شيء واحصائه تعالى لكل شيء عددا .

سُورَةُ الْمُرْجَمِ

أولها مكي وآخرها مدني^(١) وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْجَمُ^(١) قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا^(٢) نِصْفَهُ^(٣) أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا^(٤)
 أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا^(٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا^(٦)
 ثَقِيلًا^(٧) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَقْوَمُ قِيلًا^(٨) إِنَّ لَكَ فِي
 النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا^(٩) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا^(١٠)
 رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا^(١١)

شرح الكلمات :

- يا أيها المزمحل : أي المتلفف بشيابه أي النبي ﷺ .
 قم الليل : أي صل .
 إلا قليلا : أي نصف الليل .
 نصفه أو انقص منه قليلا : أي انقص من النصف إلى الثلث .
 أو زد عليه : أي إلى الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل .

(١) عددا منصوب على الحال أو على المصدر أي أحصى وعد كل شيء عددا .

(٢) آخرها هو قوله إن ربك يعلم أنك تقوم إلى آخر آية منه .

ورتل القرآن ترتيلاً : أي ترسل في قراءته وبينه تبييناً .
 إنا سنلقي عليك قولاً : أي قرأنا .
 ثقيلًا : أي محمله ثقيلًا العمل به لما يحوى من التكاليف .
 إن ناشئة الليل : أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تُسمى ناشئة .
 هي أشد وطئًا : أي هي أقوى موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن فيها .
 وأقوم قِيلًا : أي أبين قولاً وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات .
 واذكر اسم ربك : أي دم على ذكره ليلاً ونهاراً على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد .

وتبتل إليه تبتلاً : أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهكم .
 لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره .
 فاتخذهُ وكيلًا : أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها المزمل﴾ نادى الرب تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ مذكراً إياه بتلك الساعة السعيدة التي فاجأه فيها الوحي لأول مرة فرجع بها ترجف بوادره فانتهى إلى خديجة وهو يقول زملوني دثروني فالمزمل هو المتزمل أي المتكلف في ثيابه ليقول له قم الليل إلا قليلاً أي صل في الليل نصفه أو انقص منه قليلاً إلى الثلث ﴿أوزد عليه﴾ أي على النصف إلى الثلثين وامتل الرسول أمر ربه فقام مع أصحابه حتى تورمت أقدامهم . ثم خفف الله تعالى عنهم ونزل آخر هذه السورة بالرخصة في ترك القيام الواجب وبقي الندب والاستحباب وقوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾^(١) يرشده ربه إلى أحسن التلاوة وهي الترسل وعدم السرعة حتى يبين الكلمات تبييناً وترقى القلب في معانيها . وقوله ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلًا﴾ يخبره ربه تعالى بأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلًا هو

(١) في هذا النداء بهذه الصفة معنى التلطف والتحب كقوله ﷺ لعلي قم أبا تراب ولعبد الرحمن بن صخر أبا هريرة، ولخديجة بن اليمان يوم الخندق قم يا نومان .

(٢) المزمل اسم فاعل والمدثر كذلك من تزل وتذر والأصل المتزمل والمتذر .

(٣) كان هذا القيام قبل فرض الصلوات الخمس واستمر بعد فرضها واجباً على النبي ﷺ دون أمته .

(٤) الجمهور يقرأ أو انقص بضم الواو للتخلص من التقاء الساكنين، وبعضهم بكسرهما أو انقص .

(٥) جائز أن يكون الترتيل المأمور به في الصلاة وقيام الليل وفي غيره ذلك من تلاوة القرآن الكريم والترتيل مأخوذ من قولهم ثغر مرتل وهو المفجع الأسنان أي المفروق بينهما فالترتيل هو تفرقة الحروف وعدم جمعها بحيث يخرج كل حرف من مخرجه يفسره قول عائشة رضي الله عنها . في وصف الترتيل لو أراد السامع أن يعد الحروف لعدّها لا كسردهم هذا .

(٦) هذه الجملة مستأنفة معترضة بين قوله قم الليل وبين قوله إن ناشئة الليل لما كلفه بقيام الليل وكان شاقاً أعلمه بأنه هياه لما هو أشق من قيام الليل وهو حمل الرسالة وإبلاغها .

القرآن فإنه ثَقِيلٌ مَهِيبٌ ذو تكاليف العمل بها ثَقِيلٌ إنها فرائض وواجبات أعلمه ليوطن نفسه على العمل ويهيئها لحمل الشريعة علماً وعملاً ودعوة. وقوله ﴿إِنْ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ يخبر تعالى مُعلماً أن ساعات الليل من بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل القيام فيها يجعل السمع يواطىء القلب على فهم معاني القرآن الذي يقرأه المصلي، وقوله وأقوم قِيلاً أي أبين قولاً وأصوب قراءة من قراءة الصلاة في النهار. وقوله ﴿إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يخبر تعالى رسوله بأن له في النهار أعمالاً تشغله عن قراءة القرآن فلذا أرشده إلى قيام الليل وترتيل القرآن لتفرغه من عمل النهار وقوله ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي داوم على ذكره ليلاً ونهاراً على أي وجه كان الذكر من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل. وقوله ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الله ﴿تَبْتَئِلْ﴾ أي انقطع إليه في العبادة إخلاصاً له وفي طلب حوائجك، وفي كل ما يهكم من أمر دينك ودنياك وقوله ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي هو تعالى ربّ المشرق والمغرب أي مالك المشرقين والمغربين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا تنبغي العبادة إلا له ولا تصح الألوهية إلا له أيضاً وقوله ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي من كل ما يهكم فإنه يكفيك وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- النذب إلى قيام الليل وأنه دأب الصالحين وطريق المتقربين.
- ٢- النذب إلى ترتيل القرآن وترك العجلة في تلاوته.
- ٣- صلاة الليل أفضل من صلاة النهار لتواطىء السمع والقلب فيها على فهم القرآن.
- ٤- النذب إلى ذكر الله تعالى بأي وجه من صلاة وتسبيح وطلب علم ودعاء وغير ذلك.

وَأَصْبِرْ

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

(١) الجملة تعليلية للأمر بقيام الليل وترتيل القرآن كأنه قال له قم الليل لأن ناشئته التي تنشئها بعد النوم هي أشد مواطاة أي موافقة بين السمع والقلب لتفهم القرآن وأبين للقرآن عند الطلق به.
(٢) إن لك في النهار الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار لأن في النهار أعمالاً أخرى يقوم بها المرء وجائز أن يراد أن في النهار متسع للصلاة وتلاوة القرآن.

وَكَاثَ الْجِبَالِ كَثِيْبًا مَّهِيْلًا ﴿١٤﴾ اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْكُمْ رَسُوْلًا شَهِدًا
 عَلَيْكُمْ كَمَا اَرْسَلْنَا اِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُوْلًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُوْلَ
 فَاَخَذْنَاهُ اَخْذًا وَّيِيْلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْقُوْنَ اِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
 الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهٖ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُوْلًا ﴿١٨﴾
 اِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اُتَّخِذْ اِلَىٰ رَبِّهٖ سَبِيْلًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- واصبر على ما يقولون : أي على ما يقوله لك كفار مكة من أذى كقولهم شاعر وساحر وكاذب .
 واهجرهم هجرا جميلا : أي اتركهم تركا جميلا أي لا عتاب معه .
 وذرنني : أي اتركني .
 والمكذبين : أي صناديد قريش فإني أكفكهم .
 أولي النعمة : أي أهل التمتع والترف .
 ومهلهم قليلا : أي انتظرهم قليلا من الزمن حتى يهلكوا بيدري .
 إن لدينا انكالا : أي قيودا وهي جمع بَكل وهو القيد من حديد .
 وطعاما ذا غصة : أي يغص في الحلق هو الزقوم والضريع .
 يوم ترجف الأرض : أي تتزلزل .
 كثيباً مهيلًا : أي رملا مجتمعاً مهيلًا أي سائلا بعد اجتماعه .
 فأخذناه أخذًا وبيلا : أي ثقيلًا شديدًا غليظًا .
 فكيف تنقون يوما : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيبا .
 السماء منفطر به : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم .
 كان وعده مفعولا : أي وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة .
 إن هذه تذكرة : أي ان هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس .
 اتخذ إلى ربه سبيلا : أي طريقا بالإيمان والطاعة إلى النجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تربية الرسول ﷺ وامته بأنواع التربية الربانية الخاصة فقال تعالى لرسوله ﴿واصبر^(١) على ما يقولون﴾ أي كفار قريش من كلام يؤذونك به كقولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وما إلى ذلك، وقوله ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ يرشد تعالى رسوله إلى هجران كفار قريش وعدم التعرض لهم والهجر الجميل هو الذي لا عتاب معه وقوله ﴿وذربي والمكذبين أولي النعمة﴾ أي اتركني والمكذبين من صناديد قريش أولي النعمة أي النعم والترف ﴿ومهلهم قليلا﴾ أي انظرهم ولا تستعجل فإنني كافيكهم، ولم يمض إلا زمن يسير حتى هلكوا في بدر على أيدي المؤمنين. وقوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما﴾ أي عندنا للمكذبين بك في الآخرة أنكالا قيودا من حديد وجحيما أي نارا مستعرة محرقة وعذابا أليما أي موجعا وطعاما هو الزقوم والضريع ذا غصة أي يغص في حلق آكله، وعذابا أليما أي موجعا وذلك يحصل لأهله وينالهم يوم ترجف الأرض والجبال، أي تتحرك وتضطرب وكانت الجبال كثيبا أي من الرمل مهيبا سائلا بعد اجتماعه. وقوله تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ أي يا أهل مكة وكل من ورائها من سائر الناس والجن ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ بما تعملون في الدنيا لتجزوا بها في الآخرة وقوله ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ أي موسى بن عمران عليه السلام ﴿فعمى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وييلا﴾ أي غليظا شديدا. وقوله تعالى مخاطبا الكفارين المكذبين ﴿فكيف تتقون يوما﴾ أي عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وذلك لهول وللكره الذي يقع وحسبه أن السماء منفطر^(٢) به أي مشقة بسبب أهواله. وذلك يوم يقول الرب تعالى لآدم يا آدم ابعث بعث النار أي خذ من كل ألف من أهل الموقف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ولم ينج من كل ألف إلا واحد هنا يشتد البلاء ويعظم الكرب. وقوله ﴿كان وعده مفعولا﴾ أي وعده تعالى بمجيء هذا اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة وقوله ﴿إن هذه تذكرة﴾ أي إن هذه الآيات المشتملة على ذكر القيامة وأهوالها تذكرة وعظة وعبرة ﴿لمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ فليتخذها وهي الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

(١) لما أمره بالانقطاع إليه بالعبادة أمره بالصبر على ما يقوله خصومه من كفار قريش من طعن فيه وفي أتباعه وفيما جاء به أيضا من الهدى والنور.

(٢) الهجر الجميل هو الذي يكتفى فيه بحقيقة الهجران وهي المقاطعة لا غير فليس هناك أذى معها والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه والجهر الجميل الذي لا عتاب معه والصفح الجميل هو الذي لا مؤاخذه معه.

(٣) قال مقاتل نزلت في المطعميين يوم بدر وهم عشرة. قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية لم يكن (يسير) حتى وقعت وقعة بدر.

(٤) الكلام مستأنف ابتدائي والمناسبة هي التخلص من الأمر بالصبر إلى ذكر وعيد القوم وذكر فرعون بالذات لأنه أهلكه غروره وتكبره كما هي حالة أكابر مجرمي مكة، فسوف يحل بهم ما حل بفرعون من الهلاك.

(٥) لم يقل منفطرة بالهاء لأن السماء يذكر ويؤث أو هو كقولهم امرأة مريض أي ذات إرضاع، والسماء ذات انفطار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وجوب الصبر على الطاعة وعن المعصية .

٢- الهجر الجميل هو الذي لا عتاب فيه .

٣- تقرير النبوة المحمدية .

٤- تقرير البعث والجزاء

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَهُ ^ط مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَن لَّنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ ^ط وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضًىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^ط فَاقْرَأْ ^ط وَامَّا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

أنك تقوم : أي للتهجد .

أدنى : أي أقل .

وطائفة : أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك .

والله يقدر الليل والنهار : أي يحصيها ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقى .

علم أن لن تحصوه : أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشق عليكم .

فتاب عليكم : أي رجع بكم إلى التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل .

فاقرأوا ما تيسر : أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين .

وأقيموا الصلاة : أي المفروضة .

وآتوا الزكاة : أي المفروضة .

وأقرضوا الله قرضاً حسناً : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن .

وما تقدموا لأنفسكم من خير : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها .

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله بأنه يعلم ما يقومه من الليل هو وطائفة من أصحابه وأنهم يقومون أحياناً أدنى من ثلثي الليل أي أقل ويقومون أحياناً النصف والثلث ، كما في أول السورة هذا معنى قوله تعالى ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾ ، وقوله ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي يحصي ساعاتهما فيعلم ما مضى من الليل وما بقى من ساعاته ، وقوله ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي لن تطبقوا ضبط ساعاته فيشق عليكم قيام أكثره تحريماً منكم لما هو المطلوب . ﴿فتاب عليكم﴾ لذلك وبهذا نسخ قيام الليل الواجب وبقي المستحب يؤدي ولو بركتين في أي جزء من الليل وكونهما بعد صلاة العشاء أفضل وقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن أي صلوا من الليل ما تيسر اطلق لفظ القرآن وهو يريد الصلاة لأن القرآن هو الجزء المقصود من صلاة الليل ، ، وقوله ﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ فذكر فيه تعالى ثلاثة أعمار لهم وهي المرض ، والضرب في الأرض للتجارة والجهاد في سبيل الله وكلها يشق معها قيام الليل فرحمة بالمؤمنين نسخ الله تعالى هذا الحكم الشاق بقوله ﴿فاقروا ما تيسر منه﴾ ، كرره تأكيداً لنسخ قيام الليل الذي كان واجباً وأصبح بهذه الآية مندوباً . وقوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي المفروضتين . وقوله وأقرضوا الله قرضاً حسناً أي انفقوا في سبيل الله الذي هو الجهاد فإن الحسنه فيه بسبعمائة وما تقدموا لأنفسكم من نوافل الصلاة والصدقات والحج وسائر العبادات تجدوه عند الله يوم القيامة هو خيراً وأعظم أجراً . وقوله واستغفروا الله من كل ما يفرط منكم من تقصير في جنب الله تعالى إن الله غفور رحيم يغفر لمن تاب ويرحمه فلا يؤاخذ به بذنب قد تاب منه .

- (١) هذا هو النصف الأخير من سورة المزمّل الذي نزل بالمدينة أما النصف الأول فقد نزل بمكة . . افتتاح الكلام بهذه الجملة إن ربك يعلم . . الخ مشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به في أول السورة .
- (٢) هذه الجملة هي المقصودة من الكلام السابق لها إذ كان تمهيداً لها .
- (٣) أطلق القرآن وأراد الصلاة كقوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاطلق الصلاة وأراد القراءة وهنا أطلق القراءة وأراد الصلاة تجزئاً .

- (٤) قال طائوس : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله .
- (٥) من هذه الآية أخذ مالك وأحمد والشافعي أن أقل ما يجزى في الصلاة قراءة الفاتحة كاملة ، ولا تصح صلاة بدونها للأحاديث الواردة في ذلك وهذا بالنسبة للإمام والمنفرد . وهذا عند القدرة على قراءتها وحفظها فإن عجز سبى وركب أي قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان الرسول ﷺ وأصحابه يقومونه من الليل تهجدًا .
- ٢- نسخ واجب قيام الليل وبقاء استحبابه وندبه ^(١) .
- ٣- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .
- ٤- الترغيب في التطوع من سائر العبادات .
- ٥- وجوب الاستغفار عند الذنب وندبه واستحبابه في سائر الأوقات لما يحصل من التقصير .

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ^(١) ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرُ سِيرٍ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------|---|
| يا أيها المدثر | : أي يا أيها المدثر أي المتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ . |
| قم فأنذر | : أي خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحّدوا . |
| وربك فكبر | : أي عظم ربك من إشراك المشركين . |
| وثيابك فطهر | : أي طهر ثيابك من النجاسات . |
| والرجز فاهجر | : أي أدم هجرانك للأوثان . |

(١) ورد في فضل قيام الليل أحاديث صحاح كثيرة منها قول عبدالله بن عمرو قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل وحديث عبدالله بن عمر وفيه قال رسول الله ﷺ نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل .
(٢) في هذا النداء ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحالته ، وعبر عنه بصفته ، ولم يقل يا محمد أو يا فلان ليستشعر اللين والعطف من ربه .

ولا تمنن تستكثر : أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له .
فإذا نقر في الناقدور : أي نفخ في الصور النفخة الثانية .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها المدثر﴾^(١) أي المتلفف في ثيابه والمراد به النبي ﷺ روى الزهري^(٢) قال فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً فجعل يعدو شواهد رؤوس الجبال ليرتدئ منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول إنك نبي الله فيسكن جاشه وتسكن نفسه ، فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك فقال بينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فجثت منه رعباً فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني فزملناه أي فدثرناه فأنزل الله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر قال الزهري فأول شيء أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . وعليه فهذا النداء الإلهي كان بعد فترة الوحي الأولى ناداه ملقباً له بهذا اللقب الجميل تكريماً وتلطفاً معه ليقوم بأعباء الدعوة وما أشد ثقلها ، ومن يقدر عليها إنها أعباء ثقيلة اللهم لقد أعنت عليها رسولك فأعني على قدر ما أقوم به منها ، وإن كان ما أقوم به منها لا يساوي جمرة من لظى ولا قطرة من ماء السماء . يا أيها المدثر في ثيابه يا محمد رسولنا قم فأنذر لم يبق لك مجال للنوم والراحة فأنذر قومك في مكة وكل الثقيلين من وراء مكة أنذرهم عذاب النار المترتب على الكفر والشرك بالواحد القهار وربك فكبر أي وربك فعظمه تعظيماً يليق بجلاله وكماله فإنه الأكبر الذي لا أكبر منه والعظيم الذي لا أعظم منه فأعلن عن ذلك بلسانك قائلاً الله أكبر ويحالك فلا تذلل إلا له ولا ترغب إلا فيه وكبره بأعمالك فلا تأت منها إلا ما أذن لك فيه أو أمرك به ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر ثيابك من النجاسات مخالفاً بذلك ما عليه قومك ؛ إذ يجرون ثيابهم ولا يتنزّهون من أبوالهم ﴿والرجز فاهجر﴾ أي والأصنام التي يعبدونها قومك فاهجرها فلا تقربها ودُم على هجرانها على دعوتك أجراً ، ولا تمنن عطاء أعطيته لغيرك تستكثر به ما عندك إن ذاك مناف لأجمل الأخلاق وكريم السجاياء وسامي الآداب . ولربك وحده دون سواه فاصبر على كل ما تلقاه في سبيل إبلاغ رسالتك ونشر دعوتك دعوة الخير والكمال هذا الذي أدب به الله رسول الله في فاتحة دعوته . ثم نزل بعد فإذا نقر في الناقدور والناقدور البوق الذي ينفخ فيه اسرافيل والنقر يحدث صوتاً

(١) هذا يسمى بهدية الثواب وهي جائزة للامة محرمه عليه ﷺ بهذه الآية . ولا تمنن تستكثر .

(٢) روى أحمد عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فإذا نقر في الناقدور﴾ قال قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ، فقال : أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا .

والصوت هو صوت البوق والمراد به النفخة الثانية نفخة البعث والجزاء فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير صعب شديد لا يحتمل ولا يطاق على الكافرين غير يسير^(١) فذكر به من تدعوهم فإن التذكير به نافع إن شاء الله ، ولذا كان من أعظم أركان العقيدة التي إن تمكنت من النفس نهياً صاحبها لحمل كل ثقل ولإتفاق كل غال ورخيص ولفراق الأهل والدار الإيمان بالله واليوم الآخر إذ هما محور العقيدة وعليهما مدار الإصلاح والهداية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الجد طابع المسلم ، فلا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب ومن فارق هذه فليتهم نفسه في إسلامه .
- ٢- وجوب تعظيم أسمائه وصفاته وتعظيم كلامه وكتابه ، وتعظيم شعائره تعظيم ما عظم .
- ٣- وجوب الطهارة للمؤمن بدناً وثوباً ومسجداً . أكلاً وشرباً وفرشاً ونفساً وروحاً .
- ٤- حرمة العجب فلا يعجب المؤمن بعمله ولا يزكي به نفسه ولو صام الدهر ، وأنفق الصخرة وجاهد الدهر .
- ٥- وجوب الصبر على الطاعات فعلا وعلى المعاصي تركاً وعلى البلاء تسليماً ورضاً .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَاءَ رَهَقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُ فُكِّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَسَفِ
يُؤْثِرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا لَأَقُولُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

(١) في الآية دليل على أن حال المؤمنين في عرصات القيامة غير حال الكافرين في الشدة والبلاء .

شرح الكلمات :

ذرني ومن خلقت وحيداً: أي اتركني ومن خلقته وحيداً منفرداً بلا مال ولا ولد فانا أكفيكه .
وبنين شهوداً : أي يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم وأغلب الوقت حاضرون ولا

يغيبون .

ومهدت له تمهيداً : أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش .

عنيدا

: أي معانداً وهو الوليد بن المغيرة المخزومي .

سأرقه صعوداً : أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار أبداً .

إنه فكر وقدر : أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك .

ثم نظر ثم عبس وبسر : أي تروى في ذلك ثم عبس أي قبض ما بين عينيه ثم بسر أي كبح وجهه .

ثم أدبر واستكبر : أي عن الإيمان واستكبر عن اتباع الرسول ﷺ .

سحر يؤثر : أي ينقل من السحرة كمسيلمة وغيره .

سأصلبه سقر : سأدخله جهنم وسقر اسم لها يدخله فيها لإحراقه بنارها .

لا تبقي ولا تذر : أي لا تترك شيئاً من اللحم ولا العصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان لإدامة العذاب .

لواحة للبشر : أي محرقة مسودة لظاهر جلد الإنسان وهو بشرته والجمع بشر .

عليها تسعة عشر : أي ملكاً وهم خزنتها .

معنى الآيات :

لقد تحمل رسول الله ﷺ عبء الدعوة وأمر بالصبر وشرع ﷺ في إنذار قومه وبدأت المعركة كآحر وأشد ما تكون إذ أعلم قومه وهم من هم أنه لا إله إلا الله وأنه هو رسول الله فتصدى له طاغية من أعظم الطغاة ساد الوادي مالاً وولداً وجاهاً عريضاً حتى لقب بريحانة قريش هذا هو الوليد بن المغيرة صاحب عشرة رجال من صلبه وآلاف الدنانير من الذهب فلما أُرهب رسول الله وأخافه قال له ربّه تبارك وتعالى ﴿ذرني﴾ أي دعني والذي خلقته ﴿وحيداً﴾^(١) فريداً بلا مال ولا ولد،

(١) عن ابن عباس: كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير.

﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ واسعا تمدّه به الزراعة والتجارة فصلا بعد فصل ويوما بعد يوم،
 ﴿وبنين شهودا﴾ لا يغيبون كما يغيب الذين يطلبون العيش كما أنهم لمكانتهم يستشهدون
 فيشهدون فهم شهود على غيرهم. ويشهدون المحافل وغيرها. ﴿ومهدت له تمهيدا﴾ أي^(١)
 بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه العريض في ديار قومه، ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ أي أن
 أزيده من المذكور في الآيات ﴿كلا﴾ أي لن أزيده بعد اليوم، وعلل تعالى لمنعه الزيادة بقوله:
 ﴿إنه كان لآياتنا﴾ «القرآنية» «عنيدا﴾ أي معانداً يحاول إبطالها بعد رفضه لها. ﴿سأرهقه
 صعودا﴾ أي سأكلفه عذابا شاقا لا قبل له به وذلك جبل من نار في جهنم يكلف صعوده كلما
 صعد سقط وذلك أبداً. وعلل أيضا لهذا العذاب الذي أعده له وأوعده به فقال تعالى ﴿إنه فكر﴾
 أي فيما يقول في القرآن لما طلبت منه قریش أن يقول فيه ما يراه من صلاح أو فساد. ﴿وقدر﴾
 في نفسه ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي لعن كيف قدر ذلك التقدير الذي هو قوله ﴿إن هذا إلا سحر
 يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾. ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ فلعله الله لعتين تلازمانه واحدة في الدنيا
 والأخرى في الآخرة وقوله تعالى عنه ﴿ثم نظر﴾ أي تروى ﴿ثم عبس﴾ أي قطب فقبض ما بين
 عينيه ﴿وبسر﴾ أي كلع وجهه فاسود. فقال اللعين نتيجة تفكير وتقدير ونظر ﴿إن هذا إلا سحر
 يؤثر﴾ أي ما هذا القرآن إلا سحر ينقل عن السحرة في اليمن ونجد والحجاز ﴿إن هذا إلا قول
 البشر﴾ أي ما هذا الذي يتلوه محمد ﷺ إلا قول البشر قال تعالى موعداً إياه على قوله الكافرة
 ﴿إفاجرة﴾ «سأصليه سقر﴾ أي سأدخله نار سقر يصطلي بنارها، ثم عظمّ تعالى من شأن سقر فقال
 ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي شيء يدريك ما هي وما شأنها فإنها عظيمة ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي
 لا تبقي لحما ولا تذر عصبا بل تأتي على الكل لواحاة للبشر أي تحرق الجلود وتسودها. والبشر
 جمع بشرة الجلد ومن ذلك سمي الآدميون بشرا لأن بشرتهم مكشوفة ليست مستورة بوبر ولا
 صوف ولا شعر ولا ريش. وقوله تعالى ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي على سقر ملائكة يقال لهم الخزنة
 عدتهم تسعة عشر ملكاً لقد كان لنزول هذه الآية سبب معروف وهو أن قریشا اتهمت الوليد بأنه
 صبا أي مال إلى دين محمد فسمع ذلك منهم فأنكر وحلف لهم فطلبوا إليه إن كان صادقا أن

(١) قال القرطبي: التمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة: ومنه مهد الصبي.

(٢) يقال عند يعند كضرب يضرب أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند.

(٣) رواه الترمذي. وقال فيه غريب.

(٤) قال السدي يعنون أنه من قول سيار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ ففسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك.

(٥) ما استفهامية أي شيء يدريك وما سقر ما استفهامية مبتدأ وسقر خبره.

(٦) البشر جمع بشرة ومعنى لواحاة مغيرة للون البشر بالسواد يقال لاحة الحر أو البرد أو المرض إذا غيره قال الشاعر:

تقول ما لاحك يا مسافر يابنة عمي لاحنى الهواجر

يقول في القرآن كلمة يصرف بها العرب عن محمد وما يقوله ويدعو إليه فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي ويقرأ في صلاته فاستمع إليه ففكر وقدر كما أخبر تعالى عنه في هذه الآيات وقال قوله الفاجرة الكافرة. إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر بعد أن وصف القرآن وصفا دقيقا بقوله ووالله إن لقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلَى أي عليه فقالوا والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه فقال دعوني حتى افكر ففكر وقال ما تقدم فنزلت هذه الآيات ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ إلى قوله ﴿تسعة عشر﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- المال والبنون والجاه من عوامل الطغيان إلا أن يُسلم الله عبده من فتنتها.
- ٢- من أكفر الناس من يعاند في آيات الله يريد صرف الناس عنها وإبطال هدايتها.
- ٣- بيان ما ظفر به طاغية قريش الوليد بن المغيرة من لعنة وعذاب شديد.
- ٤- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
- ٥- تقرير البعث والجزاء.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا
وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

أصحاب النار : أي خزنتها مالك وثمانية عشر معه .
إلا ملائكة : أي لم نجعلهم بشرًا ولا جنًّا حتى لا يرحمهم بحكم

الجنس .

وما جعلنا عدتهم
إلا فتنة للذين كفروا
: أي كونهم تسعة عشر .
: أي ليستخفوا بهم كما قال أبو الأشدين الجمحي فيزدادوا
ضلالاً .

ليستيقن الذين أوتوا الكتاب : أي ليحصل اليقين لأهل التوراة والإنجيل بموافقة القرآن
لكتايبهما التوراة والإنجيل .

ولا يرتاب : أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في حقيقة ذلك .
وليقول الذين في قلوبهم مرض : أي مرض النفاق .
ماذا أراد الله بهذا مثلاً : أي أي شيء أراد الله بهذا العدد الغريب استنكاراً منهم .
كذلك : أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه يضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء .

وما هي إلا ذكرى للبشر : أي وما النار إلا ذكرى للبشر يتذكرون بها .
إذ أدير : أي ولي ومضى .
إذا اسفر : أي أضاء وظهر .
إنها لإحدى الكبر : أي جهنم لإحدى البلايا العظام .
نذيراً للبشر : أي عذاب جهنم نذير لبني آدم .
لمن شاء منكم : أي أيها الناس .
أن يتقدم : أي بالطاعة .
أو يتأخر : أي بالمعصية .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ هذه
الآية نزلت ردّاً على أبي الأشدين كلفة الجمحي الذي قال لما سمع قول الله تعالى ﴿وما أدراك ما
سقر لا تبقي ولا تذر لواحاً للبشر عليها تسعة عشر﴾ قال لقريش ساخراً مستهزئاً أنا أكفيكم سبعة
عشر واكفوني أنتم اثنين ، ومرة قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي
الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة . فأنزل الله تعالى قوله ﴿وما جعلنا
أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي لم نجعلهم بشراً ولا جنّاً حتى لا يرحموا أهل النار بخلاف لو

كانوا بشرا قد يرحمون بني جنسهم ولو كانوا جناً فكذلك ، ولذا جعلهم من الملائكة فلا تناسب بينهم وبين الإنس والجن والمراد بأصحاب النار خزنتها وهم مالك وثمانية عشر هؤلاء رؤساء في جهنم أما من عداهم فلا تتسع لهم العبارة ولا حتى الرقم الحسابي وكيف قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ ، وقوله ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ ^(١) أي كونهم تسعة عشر ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾ ليزدادوا ضللاً وكفراً وقد تم هذا فإن أبا جهل كآبي الأشدين قد فتنا بهذا العدد وازدادوا ضللاً وكفراً بما قالوا ، وقوله تعالى ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أي أخبرنا عن عددهم وأنه تسعة عشر ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ^(٢) لموافقة القرآن لما عندهم في كتابهم . ويزداد الذين آمنوا إيماناً فوق إيمانهم عندما يرون أن التوراة موافقة للقرآن الكريم كشاهد له ، وقوله ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي حتى لا يقعوا في ريب وشك في يوم من الأيام لما اكتسبوا من المناعة بتضافر الكتابين على حقيقة واحدة . وقوله ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ أي وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا ليقول الذين في قلوبهم مرض وهو النفاق والشك والكافرون الكفر الظاهر من قريش وغيرهم ماذا أراد الله بهذا مثلاً أي أي شيء أراد الله بهذا الخبر الغريب غرابة الأمثال قالوا هذا استنكاراً وتكذيباً . فهذه جملة علل ذكرها تعالى لإخباره عن زبانية جهنم ثم قال وقوله الحق ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهُدَى مصدقه يضل الله من يشاء إضلاله ويهدي من يشاء هدايته . وقوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ هذا جواب أبي جهل القائل أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر استخفافاً وتكذيباً فأخبر تعالى أن له جنوداً لا يعلم عددها ولا قوتها إلا هو وقد ورد أن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم ، ولا عجب وأربعة ملائكة يحملون العرش الذي هو أكبر من السموات والأرضين فسبحان الخلاق العليم سبحانه الله العزيز الرحيم سبحانه الله ذي الجبروت والملكوت . وقوله تعالى وما هي أي جهنم إلا ذكرى للبشر أي تذكرة يذكرون بها عظمة الله

(١) تقدير الكلام : ما جعلنا ذكر عدتهم لعلّهم وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا .

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فتنة بمعنى ضلالة للذين كفروا يريد أبا جهل وذويه ، وقيل إلا عذاباً كقوله تعالى ﴿يوم هم على النار يفتنون فوقاً ففتنكم﴾ .

(٣) قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب . علة ثانية لفعل وما جعلنا والاستيقان قوة اليقين والمراد من الاستيقان قوة اليقين .

(٤) أوتوا الكتاب هم اليهود . فقد روى الترمذي بسنده إلى جابر بن عبد الله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندري حتى نسأل .

(٥) هذه الجملة كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها المبطلون الضالون وإضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف وفيها الإيماء بنصره ﷺ بتلك الجنود التي هم جنود ربه عز وجل .

(٦) جائز أن يكون الضمير (وما هي) عائد إلى عدة الملائكة التسعة عشرة وجائز أن يكون عائداً إلى الآيات القرآنية أو إلى سقر أو إلى جنود ربك وهذا من الاعجاز القرآني وأن الكلمة الواحدة تدل على ما لا يدل عليه عشرات الكلمات .

(١) وقوله ﴿كَلَّا وَالْقَمَرُ وَاللَّيْلُ إِذَا أَدْبَرَ وَالصَّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي كلا أي ليس القول كما يقول من زعم من المشركين أنه يكفي أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها. والقمر والليل إذا أدبر ولى ذاهبا والصبح إذا أسفر أي أضاء وأقبل ﴿إِنهَا لِأَحَدَى الْكَبَرِ﴾ أي أقسم تعالى بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على أن جهنم^(٢) لإحدى الكبر أي البلايا العظام ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ أي بني آدم، وقال نذيرا ولم يقل نذيرة وهي جهنم لأنها بمعنى العذاب أي عذابها نذير للبشر. وقوله ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ في طاعة الله ورسوله حتى يبلغ الدرجات العلا، ﴿وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَأَخَّرَ﴾ في معصية الله ورسوله حتى ينزل الدرجات السفلى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان الحكمة من جعل عدد الزبانية تسعة عشر والإخبار عنهم بذلك.
- ٢- موافقة التوراة والإنجيل للقرآن من شأنها أن تزيد إيمان المؤمنين من الفريقين.
- ٣- في النار من الزبانية مالا يعلم عددهم إلا الله تعالى خالقهم.
- ٤- جهنم نذير للبشر أي عذابها نذير للبشر لمن شاء أن يتقدم بالطاعة أو يتأخر بالمعصية.

كُلُّ

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرِيدُ

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسامع فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق ذهب ابن جرير إلى أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة على الزبانية كما في التفسير. وعليه فالوقوف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقوف لا يحسن عليها بل على القمر.

(٢) القول بانها سفر أقرب من جهنم لتقدم ذكر سفر بلفظها والأمر واسع.

كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنْشَرَةً ﴿٥٣﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ ﴿٥٤﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٥﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

كل نفس

: أي مأمورة منهية .

رهينة

: أي مرهونه مأخوذة بعملها في جهنم .

إلا أصحاب اليمين : أي المؤمنين فهم ناجون من النار وهم في جنات النعيم يتساءلون عن
المجرمين .

ولم نك نظعم المسكين : أي بخلا بما آتاهم الله .

وكنا نخوض

: أي في الباطل وفيما يكره الله تعالى مع الخائضين .

نكذب بيوم الدين

: بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بثواب ولا عقاب .

حتى أنا الباقين

: أي الموت .

عن التذكرة معرضين

: أي الموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يقبلون عليها .

حُمر مستنفرة

: أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة .

فرت من قسورة

: أي هربت من أسدٍ أشدَّ الهرب .

بل يريد كل امرئ منهم : أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم بل يريد كل
واحد منهم .

أن يؤتى صحفاً منشرة : أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلى فلان آمن بنينا
محمد واتبعة .

إنه تذكرة

: أي عظة وعبرة .

فمن شاء ذكره

: أي قرأه واتعظ به .

هو أهل التقوى

: أي هو أهل لأن يتقي لعظمة سلطانه وأليم عقابه .

وأهل المغفرة

: أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده والموحدين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿كل نفس﴾ أي يوم القيامة ﴿رهينة﴾ بمعنى مرهونة محبوسة أي كل نفس مأمورة منهيّة بمعنى مكلفة بخلاف نفوس غير المكلفين من أطفال ومجانين وقوله ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم قد فك رهنتهم وهم في جنات النعيم يتساءلون فيما بينهم عن أصحاب الجحيم وكيف حالهم ثم يتصلون بهم وهم في جنات النعيم والمجرمون في سواء الجحيم ، ويتم الاتصال برؤية الشخص وسماع كلامه وفي الصناعات الحديثة اليوم ما جعل هذا امراً معقولاً فيقولون لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ أي أدخلكم في سقر فأجابوهم قائلين ﴿لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ . فذكروا لهم أعظم الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والتخوض مع أهل الباطل في كل شر وفساد والتكذيب بيوم القيامة وانه لا حساب ولا جزاء أي لا ثواب ولا عقاب وأنهم مع هذه الجرائم الموجبة للسلوك في سقر لم يتوبوا منها حتى أتاهم اليقين الذي هو الموت فإن من مات دخل الدار الآخرة من عبثها وهي القبر فلذا قالوا حتى أتانا اليقين أي الموت . وقد يقال ألم يكن هناك شفعاء من الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء يشفعون؟ والجواب هو في قوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أي لم تكن لهم شفاعة لأنهم ملاحدة مجرمون . وقوله تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي فما لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يذكرون بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضون عنها هاربين منها فارين ﴿كانهم حمر﴾ وحشية ﴿مستنفرة فرت من قسورة﴾ أي فرت هاربة أشد الهرب من أسد من أسود الصحراء الطاغية إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتاباً من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد ﷺ وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبهما غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿حتى﴾^(١) تنزل علينا كتاباً نقرأه﴾ هذا معنى قوله تعالى ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة﴾ . وقوله تعالى ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ أي ليس الأمر كما يقولون ويدعون بل إن علة إعراضهم الحقيقية هي عدم خوفهم من عذاب الله يوم القيامة . وقوله تعالى ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أي ألا إن هذا القرآن تذكرة فمن شاء ذكره أي قرأه فاعتظ به فأمن بالله

(١) الآية من سورة الإسراء وهي (أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) إذ روي أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك .

واتقاه فإنه ينجو ويسعد في جوار مولاه ومن لم يشأ ذلك فحسبه سقر وما أدراك ما سقر. وقوله تعالى ﴿وما يذكرون﴾ إلا أن يشاء الله ﴿أي ما يذكر من يذكر إلا بمشيئة الله فلا بد من الافتقار إلى الله وطلب توفيقه في ذلك إذ لا استقلال لأحد عن الله ولا غنى بأحد عن الله بل الكل مفتقر إليه ومشيئته تابعة لمشيئته وقوله ﴿هو﴾ أهل التقوى وأهل المغفرة ﴿لقد صَحَّ﴾ أن النبي ﷺ فسر هذه الآية فقال قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فكأن كل نفس مرهونة بكسبها هو الإيمان والتقوى.
- ٢- بيان أكبر الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والخوض في الباطل وعدم التصديق بالحساب والجزاء.
- ٣- لا شفاعة يوم القيامة لمن مات وهو يشرك بالله شيئاً.
- ٤- مرد الانحراف في الإنسان إلى ضعف إيمانه بالبعث والجزاء.
- ٥- الله جل جلاله هو ذوا الأهلية الحق لأمرين عظيمين التقوى فلا يتقى على الحقيقة إلا هو والمغفرة فلا يغفر الذنوب إلا هو اللهم اغفر ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

سُورَةُ الْقِيَمَةِ

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ۖ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۖ بَلَىٰ

(١) قرأ نافع وما تذكرون بالياء على الالتفات، وقرأ حفص وما يذكرون بالياء على الغيبة.
(٢) تعريف جزئي الجملة مفيد للقصر أي الله وحده المتأهل للتقوى والمغفرة لا سواه.
(٣) الحديث رواه الترمذي وقال فيه حسن غريب ونصه: قال الله تعالى (أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً. فأنا أهل أن أغفر له).

يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَتَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْمَفْرُءَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَنْبُؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- لا : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء .
- أقسم بيوم القيامة : أي الذي كذب به المكذبون .
- ولا أقسم بالنفس اللوامة : أي لتبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون .
- اللوامة : أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة وإن أساءت لامت عن عدم التقصير .
- أيحسب الإنسان : أي الكافر الملحد .
- أن لن نجمع عظامه : أي ألا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء .
- بلى قادرين : أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه .
- على أن نسوي بنانه : أي نجعل أصابعه كخف البعير أو حافر الفرس فلا يقدر على العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه . كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردّها كما كانت كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات .
- بل يريد الإنسان : أي بإنكاره البعث والجزاء .
- ليفجر أمامه : أي ليواصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث .
- يسأل أيان يوم القيامة : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف .
- فإذا برق البصر : أي دهش وتحير لما رأى ما كان به يكذب .
- وخسف القمر : أي أظلم بذهاب ضوئه .

وجمع الشمس والقمر : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة.

أين المفر : أي إلى أين الفرار.

كلا : ردع له عن طلب الفرار.

لا وزر : أي لا ملجأ يتحصن به.

بل الإنسان على نفسه بصرة : أي هو شاهد على نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله.

ولو ألقى معاذيره : أي فلا بد من جزائه ولو ألقى معاذيره.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾^(١) أي ما الأمر كما تقولون أيها المنكرون للبعث والجزاء أقسم بيوم القيامة الذي تنكرون وبالنفس اللوامة التي ستحاسب وتجرى لا محالة لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير. وقوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان ألنّ نجتمع عظامه﴾ أي بعد موته وفنائه وتفرق أجزائه في الأرض، والمراد من الإنسان هنا الكافر الملحد قطعاً ﴿بلى قادرين على﴾^(٢) أن نسوي بنانه ﴿أي بلى نجتمعها حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه أي أصابعه بأن نجعلها كخف البعير أو حوافر الحمير، فيصبح يتناول الطعام بفمه كالكلب والبغل والحمار. وقوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾^(٣) أي ما يجهل الإنسان قدرة خالقه على إعادة خلقه ولكنه يريد أن يواصل فجوره مستقبلة كله فلا يتوب من ذنوبه ولا يؤوب من معاصيه لأن شهواته مستحكمة فيه، وقوله تعالى ﴿يسأل أيان يوم القيامة؟﴾ يخبر تعالى عن المنكر للبعث من أجل مواصلة الفجور من زنا وشرب خمر بأن يقول أيان يوم القيامة استبعاداً واستنكاراً

(١) في (لا) هنا توجيهان الأول ما أثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوى سابقة إبطالا لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) أنها حرف نفي أدخل على (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم السامع أن المتكلم يهمل أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

(٢) لتبعثن هو جواب القسم.

(٣) بلى حرف إبطال للنفي أي بل نجتمعها أي العظام المتفرقة حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه.

(٤) بل هنا للإضراب الانتقالي من تقريره حقيقة إلى أخرى أعجب وأغرب وهي الكشف عن سر إنكار الملاحدة للبعث وهو مواصلتهم الفجور عن كل خلق ودين ومروء وأدب لانهم لم يهتم لشهواتهم البهيمية.

(٥) اللام في ليفجر هي اللام التي يكثر وقوعها بعد مادتي الأمر والإرادة نحو وأمرت لأعدل بينكم ويريد الله ليبين لكم، وقول كثير:

أريد لأنسى جها فكأنما تمثل لي ليلى بكل مكان.

وينصب الفعل بعدها بأن مضمرة وهل هي للتعليل أو زائدة خلاف.

(١) وتسويفا للتوبة فبين تعالى له وقت مجيئه بقوله ﴿فإذا برق البصر﴾ أي عند الموت بأن تحير واندهش ﴿وخسف القمر﴾ أي أظلم وذهب ضوءه، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة ﴿يقول الإنسان﴾ الكافر ﴿يومئذ أين المفر؟﴾ أي إلى أين الفرار يا ترى؟ قال تعالى ﴿كلّا﴾ أي لا فرار اليوم من قبضة الجبار أيها الإنسان الكافر ﴿لا وزر﴾ أي لا حصن ولا ملتجأ وإنما ﴿إلى ربك﴾ اليوم ﴿المستقر﴾ أي الانتهاء والاستقرار إما إلى جنة وإما إلى نار وقوله تعالى ﴿يُنبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ أي يوم تقوم الساعة يخبر الإنسان من قبل ربه تعالى بما قدم من أعماله في حياته الخير والشر سواء وبما أخر بعد موته من سنة حسنة سنّها أو سيئة كذلك وقوله تعالى ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ أي عندما يتقدم الإنسان للاستنطاق فيخبر بما قدم وأخر هناك يحاول أن يتنصل من بعض ذنوبه فتتطرق جوارحه ويختم على لسانه فيتخذ من جوارحه شهود عليه فتلك البصيرة (٢) ولو ألقى معاذيره واعتذر ولا يقبل منه ذلك لكونه شاهداً على نفسه بجوارحه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- بيان إفصال الله على العبد في خلقه وتركيب أعضائه .
- ٣- معجزة قرآنية اثبتها العلم الصناعي الحديث وهي عدم تسوية خطوط الأصابع .
- ٤- فكما خالف تعالى بين الإنسان والإنسان وبين صوت وصوت فرّق بين خطوط الأصابع فلذا استعملت في الإمضاءات وقبلت في الشهادات .
- ٥- تقرير مبدأ أن المؤمن يثاب على ما أخر من سنة حسنة يعمل بها بعده كما يَأثم بترك السنة السيئة يعمل بها كذلك بعده .

(١) قرأ نافع برق البصر بفتح الراء ومعناه لمع من شدة شخوصه فهو لا يطرف وقرأ برق بكسر الراء ومعناه دهش وتحير . وهذا عند موت الإنسان .

(٢) البصيرة جائز أن يراد بها الملكان بقرينة . ولو ألقى معاذيره أي لو أرخى ستوره إذ الستر بلغة اليمن المعذار وجائز أن يكون المراد بها الإنسان نفسه أي حجة على نفسه وما في التفسير أولى بمعناها .

(٣) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعاً ، لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذير كمقبرة ومقابر ، والمراد من معاذير الإنسان : ما يعتذر به كقولهم : ما جاءنا من بشير ولا نذير وقولهم (رب ارجعون لعلنا نعمل صالحاً) وقولهم (هؤلاء أضلونا) وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين .

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢)
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

شرح الكلمات :

- لا تحرك به لسانك : أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه .
لتعجل به : أي مخافة أن يتفلت منك .
إن علينا جمعه : أي في صدرك
وقرآنه : أي قراءتك له بحيث تُجربه على لسانك .
فإذا قرأناه : أي قرأه جبريل عليك .
فاتبع قرآنه : أي استمع قراءته .
ثم إن علينا بيانه : أي لك بتفهيمك ما يشكل عليك من معانيه .
كلا : أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء .
يحبون العاجلة : أي الدنيا فيعملون لها .
ويذرون الآخرة : أم ويتركون الآخرة فلا يعملون لها .
ناصرة : أي حسنة مضيئة .
إلى ربها ناظرة : أي إلى الله تعالى ربها ناظرة بحيث لا تحجب عنه تعالى .
باسرة : أي كالحة مسودة عابسة .
تظن : أي توقن .
أن يفعل بها فاقرة : أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .

معنى الآيات :

لما ندد تعالى بالمعرضين عن القرآن المكذبين به وبالبعث والجزاء ذكر في هذه الآيات المقبلين على القرآن المسارعين إلى تلقيه فكانت المناسبة بين هذه الآيات وسابقاتها المقابلة بالتضاد .

(١) فقال تعالى مؤدباً رسوله محمداً ﷺ ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل فراغ جبريل من قراءته عليك. إذ كان ﷺ حريصاً على القرآن يخاف أن يتفلت منه شيء فأكرمه ربه بالتخفيف عليه وطمأنه أن لا يفقد منه شيئاً فقال له ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ مخافة أن يتفلت منك ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُعَةٌ﴾ أي في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ على لسانك حيث نسهل ذلك ونجريه على لسانك، ﴿فَإِذَا قُرِئَهُ﴾ أي قرأه جبريل عليك ﴿فَاسْتَمِعْ﴾ له ثم اقرأه كما قرأه واعمل بشرائعه وأحكامه. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانٌ﴾ أي إنا نبين لك ما يشكل عليك من معانيه حتى تعمل بكل ما طلب منك أن تعمل به. وقوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ عاد السياق الكريم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء والتي عليها وعلى الإيمان بالله مدار الإصلاح والتهديب فقال ﴿كَلَّا﴾ أي ليس كما تدعون من عدم إمكان البعث والجزاء لأنكم تعلمون أن القادر على إيجادكم اليوم وإعدامكم غداً قادر على إيجادكم مرة أخرى، ولكن الذي جعلكم تكذبون بالبعث والجزاء هو حبكم للحياة للعاجلة أي للدنيا وما فيها من لذات وشهوات، وترككم للآخرة أي للحياة الآخرة لأنها تكلفكم الصلاة والصيام والجهاد، والتخلي عن كثير من اللذات والشهوات. بعد أن كشف عن نفسيات المكذبين توبيخاً لهم وتقريعاً عرض على أنظارهم منظراً حياً وصورة ناطقة لما يتجاهلون من شأن الآخرة فقال ﴿وَجْهٌ يُومِئُ﴾ أي يوم إذ تقوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾ أي حسنة مضيئة مشرقة لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا مشرقة بنور الإيمان وصالح الأعمال ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ سعيدة بلقاء ربها مكرمة بالنظر إليه وهي في جواره ﴿وَجْهٌ يُومِئُ بَاسِرَةٌ﴾ أي كالحلة مسودة عابسة وذلك لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا تعيش على ظلمة الكفر وعفن الذنوب ودخان المعاصي فانطبعت النفس على الوجه فهي باسرة حالكة عابسة ﴿تَنْظُنْ﴾ أي توقن أي الوجوه والمراد أصحابها ﴿أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي داهية عظيمة تكسر فقار

(١) روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزله الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) فكان يحرك شفثيه، وحرك سفيان شفثيه. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات وجائز أن يبين له الوعد والوعيد بتحقيقهما.

(٣) كلا حرف ردع إبطال وفي التفسير بيان ما أبطل بها.

(٤) وشاهد هذا الحديث: نضر الله امرأة سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها.

(٥) نفى المعتزلة والخوارج وعامة الفرق الضالة نفوا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ودعوا بذلك الكتاب والسنة فهذه الآية صريحة في جواز النظر إلى وجه الله تعالى وآية المطففين. (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فغيرهم من أهل الإيمان وصالح الأعمال غير محجوبين، ومن السنة حديث البخاري وغيره (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) فافعلوا (متفق عليه) وأحاديث أخرى ويكتفي بإجماع أهل السنة والجماعة.

(٦) الفقرة بكسر الفاء وتفتح والجمع فقر وفقر وفقرات وفقرات خرزات الظهر.

الظهر منها وهي القاؤه ﴿في سفر وما أدراك ما سفر لا تبقي ولا تذر لراحة للبشر عليها تسعة عشر﴾ ، فاذكروا هذا يا بشرًا !!

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٤٦﴾ وَقِيلَ لِمَنْ رَاقٍ ﴿٤٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٤٨﴾ وَالنَّفْسِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٤٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٥٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلِيَ
﴿٥١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٥٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٥٣﴾ أَوَّلَى لَكَ
فَأَوَّلَى ﴿٥٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿٥٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٥٦﴾
أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِى ﴿٥٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٥٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

إذا بلغت

: أي النفس .

التراقي

: جمع ترقوة أي عظام الحلق .

وقيل من راق

: أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفى ؟

وظن أنه الفراق

: أي أيقن انه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم .

والنفث الساق بالساق

: أي النفث احدى ساقيه بالأخرى أو النفث شدة فراق الدنيا بشدة اقبال

الآخرة وما فيها من أهوال .

إلى ربك يومئذ المساق : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلى ربها وخالقها لتلقى جزاءها .

فلا صدق ولا صلى : أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلى .

ولكن كذب

: أي بالقرآن .

وتولى

: أي عن الإيمان .

يتمطى

: أي يتبختر في مشيته إعجابا بنفسه .

أولى لك

: أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب ببقاء ربه .

فأولى

: أي فهو أولى بك .

ثم أولى لك فأولى

: أي وليك المكروه مرة ثانية فأولى فهو أولى بك أيضا .

ان يترك سدى

: أي مهملا لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ويجزى في الآخرة .

تمنى : أي تصب في الرحم .
فخلق فسوى : أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقلوه تعالى ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما تحسب أيها الإنسان أن الله لا يجمع عظامك ولا يحييك ولا يجزيك انظر إليك وانت على فراش الموت إلى أين يكون مساقك إذا بلغت روحك التراقي^(١) من عظام حلقك وقال عوادك وممرضوك هل من راق يريك أو طبيب يداويك وأيقنت أنه الفراق لدنياك وأهلك وذويك، والتفت ساقك اليميني باليسرى وشدة فراقك الدنيا بشدة إقبالك على الآخرة هنا انظر إلى أين يذهب بك أما جسمك فألى مقره في الأرض تواريك، وأما روحك فألى ربك ليحكم فيك. وقد كذبت بآياته وكفرت بالآث. فلا صدقت ولا صليت، ولكن كذبت وتوليت كان هذا نصيبك من دينك، وأما دنياك، فقد كنت تتمطى استكباراً وتبختر اعجاباً. إذا ﴿أولى لك فأولى﴾ أي وليك الهلاك في الدنيا ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أي وليك العذاب في الآخرة وعودة إلى تقريعك وتوبيخك يامن كفرت ربك وتنكرت لأصلك اسمع ما يُقال لك أحسبت أنك تترك سدى، تعيش سهيلاً، لا تؤمر ولا تنهى، لا يؤخذ منك ولا تُعطي كلا ألم تك قبل كفرك وجحودك نطفة قطرة ماء من مني تمنى قل بلى أو أولى لك فأولى، ثم كنت علقه فخلقك الله جل جلاله منها فسوى خلقك بتعديل أعضائك فجعل من نوعك الذكر والأنثى. قل لي برك هل تنكر ذلك فإن قلت لا. قلنا أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى؟ سبحانه اللهم بلى^(٢).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- مشروعية الرقية إذا كانت بالقرآن أو الكلم الطيب.

٢- التنويه بشأن الزكاة والصلاة فرائض ونوافل.

(١) التراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتفة لنقرة النحر موضع الحشجة قال دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي

(٢) أي التفت شدة فراقك الدنيا بشدة إقبالك على الآخرة هذا أحد وجهين في تفسير الآية وفي التفسير كلا الوجهين إلا أن في هذا خفاء فأوضحته هنا.

(٣) ما هناك حاجة إلى أن يقال هذا في أبي جهل إذ هو خطاب لكل إنسان كافر مشرك ضال وسواء كان قد مضى أحواله اليوم أو يأتي غدا إذ لفظ الإنسان في قوله تعالى أيعسب الإنسان لفظ عام.

(٤) لقد استأنسني الأسلوب الأدبي فأخذت أخاطب الإنسان الهالك مقرأ موبخاً بما تضمنته الآيات فهم مدلولها للاعطاء والاعتناء بهديها، فإن لم يك هذا مرضياً عندك فاعف عني واغفر لي. آمين.

٣- تحريم العجب والكبرياء والتبختر في المشي .

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٥- الإنسان لم يخلق عبثا والكون كله كذلك .

٦- مشروعية قول سبحانك اللهم بلى لمن قرأ هذه الآية أو سمعها إماماً كان أو مأموماً وهي ﴿اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ .

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّا

الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ

يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا

﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُم مِّنْهُ شَرًّا ذَٰلِكَ

الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّعْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

: أي قد أتى .

هل أتى

(١)

أخلط من ماء الرجل وماء المرأة فهذا مبدأ خلق الإنسان ابن آدم . وقوله ﴿نبتليه﴾ أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي وذلك عند تأمله لذلك بالبلوغ والعقل ولذلك جعله سميعاً بصيراً إذ بوجود السمع والبصر معاً أو بأحدهما يتم التكليف فإن انعدم فلا تكليف لعدم القدرة عليه . وقوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بينا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب واستبان له بذلك أيضاً طريق الغي والردى إذ هما النجدان إن عرف أحدهما عرف الثاني وهو في ذلك إما أن يسلك سبيل الهدى فيكون شكوراً، وإما أن يسلك سبيل الغي والردى فيكون كفوراً، والشكور المؤمن الصادق في إيمانه المطيع لربه، والكفور المكذب بآيات الله ولقائه . وقوله تعالى ﴿إنا أعتدنا للكافرين﴾ الآيات شروع في بيان ما أعد لكل من سالكي سبيل الرشد وسالكي سبيل الغي فقال بادئاً بما أعد لسالكي سبيل الغي موجزاً في بيان ما أعد لهم من عذاب بخلاف ما أعد لسالكي سبيل الرشد فإنه نعيم تفصيله محبوب والإطناب في بيانه مرغوب فقال ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا﴾ يسحبون بها في النار، وأغلالاً تغل بها أيديهم في أعناقهم وسعيراً متأججاً وجحيماً مستعراً . هذا موجز ما أعد لسالكي سبيل الغي أما سالكي سبيل الرشد فقد بينه بقوله ﴿إن الأبرار﴾ أي المؤمنين المطيعين في صدق لله والرسول ﴿يشربون من كأس﴾ ملى شرباً مزاجها كافوراً ومزجت بالكافور لبرودته وبياض لونه وطيب رائحته عينا يشرب بها عباد الله لعذوبة مائها وصفائه أصبحت كأنها أداة يشرب بها ولذا قال يشرب بها ولم يقل يشرب منها وقوله يفجرونها تفجيراً أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا من غرفهم وقصورهم ومجالس سعاداتهم . وقوله ﴿يوفون بالنذر﴾ قطع الحديث عن نعيمهم ليذكر بعض فضائلهم ترغيباً في فعلهم ونعيمهم، ثم يعود إلى عرض النعيم فقال ﴿يوفون بالنذر﴾ أي كانوا في دار الدنيا يوفون بالنذر وهو ما يلتزمون من طاعات لربهم كالصلاة والصيام والحج والصدقات تقريباً

(١) الجملة حالية من الإنسان .

(٢) إما حرف تفصيل وهو بسيط عند الجمهور وقال سيويه هو مركب حرف إن الشرطية وما النافية، ولما تجردت إن من الشرطية وما من النفي أصبحت إما حرف تفصيل بسيط في الواقع وليس مركباً .

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب للسؤال عن حال كل من الشاكر والكفور فكان الكلام بياناً لحال كل منهما .

(٤) الأبرار جمع بر وبار، وهو المكثر من فعل البر الذي هو الخير ولذا كان البر من أسماء الله تعالى، قال تعالى : إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم ويجمع البر على بررة .

(٥) جائز أن تكون الباء في بها بمعنى من التبعيضية وجائز أن يكون يشرب مضمناً معنى يروى أي يروى بها عباد الله ومن شواهد هذه الباء قول الشاعر :

شربت بماء البحر ثم تدفقت متى لجج خضر لهن نثيج

متى بمعنى في والنثيج مَرَّ سريع مع صوت والشاهد في بماء البحر .

(٦) النذر هو ما يوجب المكلّف على نفسه في الطاعة بحيث لو لم يوجه له لم يلزمه .

(١) إلى ربهم وتزلفا إليه ليحرزوا رضاه عنهم وتلك غاية مناهم . وقوله ويخافون يوما كان شره مستطيرا أي وكانوا في حياتهم يخافون يوم الحساب يوم العقاب يوما كان شره فاشيا منتشرا ومع ذلك يطعمون الطعام على حبه أي مع حبهم وشهوتهم له ورغبتهم فيه ، يطعمونه مسكينا فقيرا مسكته الفقر وأذلت الحاجة ، ويتيما لا عائل له ولا مال عنده ، وأسيرا سجيننا بعيد الدار نائي المزار لا يعرف له أصل ولا فصل يطعمونهم ولسان حالهم أو قالهم يقول إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء تجازونا به في يوم ما من الأيام ولا شكورا ينالنا منكم . إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا أي كالح الوجه مسوداً ثقيلاً طويلاً لا يطاق . واستجاب الله لهم وحقق بفضله مناهم فوقاهم الله شر ذلك اليوم العبوس القمطير ، ولقاهم نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وجزاهم بما صبروا على فعل الصالحات وعن ترك المحرمات جنةً وحريرا ، وما سيذكر بعد في الآيات التالية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الابن وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده .
- ٢- حاسنا السمع والبصر وجودهما معاً أو وجود أحدهما ضروري للتكليف مع ضميعة العقل .
- ٣- بيان أن الإنسان أمامه طريقان فليسلك أيهما شاء وكل طريق ينتهي به إلى غاية فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم ، وطريق الغي - يوصل إلى دار الشقاء الجحيم .
- ٤- وجوب الوفاء بالنذر فمن نذر شيئا لله وجب أن يفي بنذره إلا أن ينذر معصية فلا يجوز له الوفاء بنذره فيها فمن قال لله على أن أصوم يوم أو شهر كذا وجب عليه أن يصوم ومن قال لله علي أن لا أصل رحمي ، أو أن لا أصلي ركعة مثلا فلا يجوز له الوفاء بنذره وليصل رحمه وليصل صلاته ولا كفارة عليه .
- ٥- الترغيب في إطعام الطعام للمحتاجين إليه من فقير ويتيم وأسير .

(١) يقال استطار الحريق إذا انتشر قال حسان

وهان على سرة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض .

(٢) ما يروى عن فاطمة وعلي رضي الله عنهما في مرض الحسين وما نذر الله في شأنهما حديث موضوع باطل رده أهل العلم جملة وتفصيلا .

مُتَكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً
 مِن فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِن فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
 وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا
 ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا
 ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ
 خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَكْوَاجُ مِن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا
 طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- على الأرائك : أي على الأسرة بالحجلة واحد الأرائك أريكة .
 ولا زمهريرا : أي ولا بردا شديدا ولا قمرا إذ هي قضاء من نفسها .
 ودانية : أي قريبة . منهم ظلال أشجار الجنة .
 وذلت قطوفها تذليلا : أي بحيث ينالها المؤمن قائما وقاعدا ومضطجعا .
 وأكواب : أي أقداح بلا عرا .
 من فضة : أي يرى باطنها من ظاهرها .
 قدروها تقديرا (١) : أي على قدر الشاربين بلا زيادة ولا نقص .
 ويسقون فيها كأسا : أي خمرا .
 كان مزاجها زنجبيلا : أي ما تمزج وتخلط به زنجبيلا .
 مخلدون : أي بصفة الولدان لا يشيئون .
 لؤلؤا منثورا : أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في الخدمة .

(١) في عرف الأولين إطلاق الكأس على الخمر فلا يقال كأس ما لم يكن بها خمر فلذا يطلقون لفظ الكأس على الخمر والآية شاهد ذلك .

وإذا رأيت ثم	: أي في الجنة رأيت نعيماً لا يوصف وملكا واسعا لا يقدر.
ثياب سندس	: أي حرير.
واستبرق	: أي ما غلظ من الديباج.
وحلوا	: أي تحليهم الملائكة بها.
شرابا طهورا	: أي فائقا على النوعين السابقين ولذا أسند سقيه إلى الله عز وجل.
إن هذا	: أي النعيم.
مشكورا	: أي مرضيا مقبولا.

معنى الآيات:

(١) ما زال السياق الكريم في ذكر ما أعد الله تعالى للأبرار من عباده المؤمنين المتقين فقال تعالى ﴿مُتَكِّثِينَ﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ التي هي الأسرة بالحجال ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنة شمساً ولا زمهرياً﴾ إن كان المراد بالشمس الكوكب المعروف فالزمهرير القمر، فلا شمس في الجنة ولا قمر وإن كان المراد بالشمس الحر فالزمهرير البرد وليس في الجنة حر ولا برد وكلا المعنيين مراد وواقع فلا شمس في الجنة ولا قمر لعدم الحاجة إليهما ولا حر ولا برد كذلك. ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قرية منهم أشجارها فهي تظللهم ويجدون فيها لذة التظليل وراحتهم ومتعة وإن لم يكن هناك شمس تستلزم الظل. ﴿وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي ما يقطف من ثمار أشجارها مدلل لهم بحيث يناله القائم والقاعد والمضطجع فلا شك به ولا بعد فيه سهل التناول لأن الدار دار نعيم وسعادة وراحة وروح وريحان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي يطوف عليهم الخدم الوصفاء بآنية من فضة ومن ذهب ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أي أقداح لا عرى لها كانت بفضل الله وإكرامه ﴿قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ يرى باطنها من ظاهرها لصفائها مادتها فضة وصفائها صفاء الزجاج ولذا سميت قارورة وجمعت على قوارير. ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي قدرها الخدم الطائفون عليهم بحيث لا تزيد فتفيض (٢) ولا تنقص فلا يجمل منظرها. وقوله ﴿وَيَسْقُونَ فِيهَا كَاسًا﴾ أي خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي ما تمزج به ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ من عين في الجنة ﴿تَسْمَى سُلْسِيلًا﴾ (٣) وقوله

(١) متكئين منصوب على الحال وصاحب الحال الضمير في جزاءهم.

(٢) الأريكة السرير بالحجلة والحجلة كلُّه تنصب على السرير لتقي الحر والشمس ولا يقال في السرير أريكة ما لم يكن بالحجال كما لا يقال للسجل سجلاً ما لم تكن الدلو ملأى ولا الذنوب ذنوباً ما لم يكن ملأى، ولا يقال للكأس كأس ما لم تكن ملأى بالخمر ولا يقال مهدي للطبق ما لم تكن عليه الهدية.

(٣) التقدير لكل من أحجامها والمشروب الذي بها.

(٤) يقال شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسيل ما كان في غاية السلاسة.

تعالى ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أي يطوف على أولئك الأبرار في الجنة ولدان غلمان مخلدون لا يهرمون ولا يموتون حالهم دائما حال الغلمان لا تتغير ﴿إذا رأيتهم﴾ ونظرت إليهم ﴿حسبتهم﴾ في جمالهم وانتشارهم في الخدمة هنا وهناك ﴿لؤلؤا منشورا﴾. ويقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإذا رأيتهم﴾ أي هناك في الجنة ﴿رأيت نعيما﴾ لا يوصف ﴿وملكا كبيرا﴾ لا يقادر قدره ﴿عاليتهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ يخبر تعالى أن عاليهم أي فوقهم ثياب سندس أي حرير خضر واستبرق وهو ما غلظ من الديباج. وثياب من استبرق بعضها بطائن وبعضها ظواهر البطائن ما يكون تحت الظواهر وقوله تعالى ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ أي وحلهم ربهم وهم في دار كرامته أساور من فضة ومن ذهب أيضا إذ يحذف المقابل للدلالة المذكور عليه نحو سراويل تقيكم الحر أي وأخرى تقيكم البرد وقوله ﴿وسقاهم شرابا طهورا﴾ هذا غير ما ذكر فيما تقدم هذا إكرام خاص وهو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم وأن هذا الشراب بالغ مبلغا عظيما في الطهارة لوصفه بالطهور. ويقال لهم تكريما لهم وتشويقا لغيرهم من أهل الدنيا الذين يسمعون هذا الخطاب التكريمي إن هذا النعيم من جنات وعيون وأرائك وغلمان وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك ﴿كان لكم جزاء﴾ على إيمانكم وتقواكم ﴿وكان سعيكم﴾ أي عملكم في الدنيا ﴿مشكورا﴾ أي مرضيا مقبولا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صور من الجزاء الآخروي.
- ٢- حرمة استعمال أواني الذهب والفضة لقول الرسول ﷺ ﴿هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة﴾.
- ٣- حرمة الخمر لحديث ﴿من شرب الخمر في الدنيا لا يشربها في الآخرة إن مات مستحلا لها﴾.
- ٤- مشروعية اتخاذ خدم صالحين يخدمون المرء ويحسن إليهم.
- ٥- حرمة لبس الحرير على الرجال وإباحته للنساء، وكالحرير الذهب أيضا.

(١) ومن سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب، وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قيل حلّي الرجل الفضة وحلي النساء الذهب، وقيل تارة يلبسون الفضة وتارة يلبسون الذهب ومن الجائز أن يجمع لهم بين الفضة والذهب ليكون لأحدهم سواران من فضة وسواران من ذهب.

(٢) قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم شرابا طهورا قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحدهما لتجري عليهم بنصرة النعيم فلا تتغير أبقارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين.

إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ ءَأَتِمُّوا كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّا
هَؤُلَاءِ نَحْنُ الْغَالِجُونَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- نزلنا عليك القرآن تنزيلا : أي شيئا فشيئا ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة .
فاصبر لحكم ربك : أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس .
ولا تطع منهم آثما أو كفورا : الآثم هنا عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة .
واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا : أي صل الصبح والظهر والعصر .
ومن الليل فاسجد له : أي صل صلاة المغرب والعشاء .
وسبحه ليلا طويلا : أي تهجد بالليل نافلة لك .
يحبون العاجلة : أي الدنيا .
ويذرون وراءهم يوما ثقيلا : أي يوم القيامة .
وشددنا أسرهم : أي قوينا أعضائهم ومفاصلهم .
وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا : أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلا منهم بعد أن نهلكهم .
إن هذه تذكرة : أي عظة للناس .
اتخذ إلى ربه سبيلا : أي طريقا إلى مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح وترك

الشرك والمعاصي .

: أي الجنة .

: أي في النار والأليم ذو الألم الموجه .

في رحمته

أعد لهم عذاباً أليماً

معنى الآيات :

لقد عرض المشركون على رسول الله ﷺ عرضاً مفاده أن يترك دعوة الله تعالى إلى عبادته وتوحيده ويعبد ربه وحده ويترك المشركين فيما هم فيه وله مقابل ذلك مال أو أزواج أو رئاسة وما إلى ذلك فأبى الله تعالى له ذلك وأنزل قوله ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك﴾ على تحمل رسالتك وتبليغها إلى الناس ﴿ولا تطع منهم﴾ أي من مشركي قريش ﴿آثماً﴾ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة ﴿ولا كفوراً﴾ كالوليد بن المغيرة أي لا تطعهما فيما طلبا إليك وعرضاً عليك، وواصل دعوتك واستعن بالصلاة والتسبيح والذكر والدعاء، وفي قوله تعالى ﴿بكرة وأصيلاً﴾ إشارة إلى صلاة الصبح والظهر والعصر، وفي قوله ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء، وقوله ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ صريح في أنه التهجد إذ الصلاة نعم العون للعبد ولذا كان ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة وقوله تعالى ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ أي الدنيا يعني بهم كفار قريش يحبون الدنيا وسميت بالعاجلة لأنها ذاهبة مسرعة، ﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ هو يوم القيامة فلم يؤمنوا ولم يعملوا بما يسعدهم فيه ويذكرهم تعالى بأنه خالقهم وقادر على تبديلهم بغيرهم فيقول ﴿نحن خلقناهم﴾ أي أوجدناهم من العدم ﴿وشددنا أسرهم﴾ أي قويتنا ظهورهم وأعضاءهم ومفاصلهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي جعلنا أمثالهم في

(١) إنا نحن نزلنا: أي ما افترينه ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يقول المشركون .

(٢) الفاء هي الفصيحة إذ هي واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الأمر ما علمت وهي ردهم دعوتك ومطالبتهم بتركها والتخلي عنها مقابل عارض من الدنيا فاصبر لحكم ربك فيهم ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واستعن بالصبر والصلاة .

(٣) الأصيل جمعه الأصائل والأصل كقولك سفائن وسفن قال الشاعر:

ولا بأس منها إذا دنا الأصل

وقال آخر في الأصائل وهو جمع الجمع :

لمعري لانت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيانه بالأصائل

(٤) من الليل : من للتبويض أي من بعض الليل لا كله .

(٥) الجملة تحمل التوبيخ والتقريع لأهل مكة لحبهم العاجلة وتركهم الآخرة .

(٦) جائز أن يكون وراءهم بمعنى بين أيديهم ولما لم يعملوا له كانوا كالتاركين له وراءهم غير ملتفتين إليه .

(٧) الأسر: الخلق يقال شديد الأسر أي الخلق والمراد بالخلق الأوصال والمفاصل وفقر الظهر ومن ذلك الشرح فإنه إذا خرج البول أو الغائط تقبض الموضع ولولا هذا التماسك لبق البول سائلاً والعذرة متناثرة .

الخلقة بدلا عنهم وأهلكناهم ولو شاء تعالى ذلك لكان ولكنه لم يشأ مع أنه في كل قرن يبدل جيلا بجيل هذا يميتة وهذا يحييه وهو على كل شيء قدير. وفي خاتمة هذه السورة المشتملة على أنواع من الهدايا الكثيرة يقول تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أي هذه السورة موعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى رضاه أولا ثم مجاورته في الملكوت الأعلى ثانيا، ولما أعطى تعالى المشيئة قيدها بأن يشاء الله ذلك المطلوب أولا، ومن هنا وجب الافتقار إلى الله تعالى بدعائه والضراعة إليه وهو قوله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إن الله كان عليما بخلقه وبما يصلحهم أو يفسدهم حكيمًا في تدبيره لأوليائه خاصة ولباقي البشرية عامة فله الحمد وله المنّة. وقوله ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١) إنه بهذا يدعو كافة البشرية إلى الافتقار إليه ليغنيهم وإلى عبادته ليزكيهم وإلى جواره فيطهرهم ويرفعهم هؤلاء أولياؤه من أهل الإيمان والتقوى ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي أهانهم لكفرهم به وشركهم في عبادته فأعد لهم عذابا مؤلما موجعا نعوذ بالله من عذابه وشديد عقابه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.
- ٢- على المؤمن أن يستعين بالصلاة والذكر والدعاء فإنها نعم العون.
- ٣- استحباب نافلة الليل.
- ٤- مشيئة الله عز وجل قبل فوق كل مشيئة.
- ٥- القرآن تذكرة للمؤمنين.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ (١) فَالْعَصِصَةِ عَصْفًا ۝ (٢) وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝ (٣)
فَالْفَرْقَةِ فَرْقًا ۝ (٤) فَالْمُلْقِيَةِ ذِكْرًا ۝ (٥) عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝ (٦) إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ

(١) والظالمين مفعول لفعل محذوف تقديره ويعذب الظالمين وجملة أعد لهم عذاباً أليماً تفسير للفعل المحذوف.

﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتَ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
 ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- والمرسلات عرفاً : المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتابعة .
 فالعاصفات عصفاً : فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدتها .
 والناشرات نشراً : الرياح تنشر المطر وتفرقه في السماء نشراً .
 فالملقيات ذكراً : أي فالملائكة تلقى بالوحي على الأنبياء للتذكير به .
 عذراً أو نذراً : أي للاعذار بالنسبة إلى أقوام أو إنذار بالنسبة إلى آخرين .
 إنما توعدون لواقع : أي إنما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة .
 فإذا النجوم طمست : أي محى نورها وذهبت .
 وإذا السماء فرجت : أي انشقت وتصدعت .
 وإذا الجبال سيرت : أي نسفت فإذا هي هباء منبث مفروق هنا وهناك .
 وإذا الرسل أقتت : أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه .
 ليوم الفصل : أي اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والمرسلات عرفاً﴾^(١) هذا بداية قسم لله تعالى أقسم فيه بعدة أشياء من مخلوقاته والله أن يقسم بما شاء ، والحكمة من الإقسام أن تسكن النفوس للخبر وتطمئن إلى صدق المخبر فيه وبذلك يحصل الغرض من إلقاء الخبر على السامعين والمقسم به هنا المرسلات وهي الرياح المتتابعة الطيبة العذبة والعاصفات منها وهي الشديدة الهبوب التي قد تعصف بالأشجار وتقتلعها وبالمباني وتهدمها والناشرات نشراً وهي الرياح المعتدلة التي تنشر السحاب وتفرقه أو تسوقه

(١) روى البخاري عن ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفاً فسمعتني أم الفضل (امراة العباس) فبكت وقالت : بُني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لأخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب .

(٢) العصف : قوة هبوب الريح ، والنشر : ضد الطي واستعمل في الإظهار والايضاح . والعصف حالة المضرة والنشر حالة النفع جائز أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات الملائكة وكونها الرياح أظهر في التفسير وهو اختيار ابن جرير .

للإمطار وإنزال المطر والفارقات فرقا وهي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل والملقيات ذكرا عذرا أو نذرا وهي الملائكة تلقى بالوحي على من اصطفى الله تعالى من عباده للاعذار والإنذار أي تعذر أناسا وتنذر آخرين هذا هو القسم والمقسم هو الله والمقسم عليه هو قوله جل ذكره إن ما توعدون أيها الناس من خير أو شر لواقع أي كائن لا محالة وعليه فأصلحوا أعمالكم بعد تصحيح نياتكم فإن الجزاء واقع لا يتخلف أبدا ولا يتغير ولا يتبدل ومتى يقع هذا الموعد الكائن لا محالة والجواب يقع في يوم الفصل إذا فما هو يوم الفصل والجواب يوم يحضر الله الشهود من الملائكة والرسل ويفصل بين الناس ومتى يكون يوم الفصل والجواب إذا النجوم طمست أي ذهب نورها ومحي وإذا السماء فرجت أي انشقت وتصدعت وإذا الجبال نسفت أي فنت وإذا الرسل أقت أي حدد لها وقت معين تحضر فيه وهو يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل تفخيم ل شأنه وإعلام بهوله وقوله تعالى ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم يقع الفصل العذاب الهائل الكبير ﴿للمكذبين﴾ بالله وبآياته ولقائه ورسوله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير خالقه عز وجل .
- ٣- علامات القيامة وظاهرة الانقلاب الكوني العام وهي انطماس ضوء النجوم وانفراج السماء ونسف الجبال .
- ٤- الوعيد الشديد بالويل الذي هو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره للمكذبين بما يجب التصديق به من أركان الإيمان الستة ، والوعد والوعيد الإلهيين .

(١) قرأ نافع عذرا بإسكان الذال وبضمها في نذرا وسكن الذال فيهما معاً حفص والنذر اسم مصدر بمعنى الإنذار وكذا عذرا وهما مفعولان لأجله أي لأجل الإعذار والإنذار أي الإعذار للمحقين والإنذار للمبطلين أو البشرى للمؤمنين والنذارة للكافرين .

(٢) نسف الجبال دكها وتصييرها تراباً مفرقاً وتسييرها كالهباء في الهواء .

(٣) ما أدراك : استفهام ، وكذا ما يوم الفصل والمراد من الاستفهام الأول الاستبعاد والإنكار ومن الثاني التهويل من شأن يوم الفصل الذي هو يوم القيامة حيث تم الفصل فيه بين الخلائق ويتم بأن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير .

(٤) قيل أن هذا الوادي هو مستنقع صديد أهل الشرك والكفر ليعلم أهل العقول أنه لا شيء أقدر منه قذارة ولا أنث من تنناً ولا أشد مرارة ولا أشد سواداً منه وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعظم واد في جهنم .

أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ
 ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
 أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ
 مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
 أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ
 شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

ألم نهلك الأولين : أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى البعثة النبوية وذلك بتكذيبهم .

ثم نتبعهم الآخرين : أي إن أصرروا على التكذيب ككفار مكة .

كذلك نفعل بالمجرمين : أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين .

ويل يومئذ للمكذبين : أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين .

من ماء مهين : أي المنى والمهين الضعيف .

في قرار مكين : أي حريز وهو الرحم .

إلى قدر معلوم : أي إلى وقت الولادة .

فقدروا : أي خلقه .

فنعم القادرون : أي نحن على الخلق والتقدير .

كفاتا : أي تكفت الناس أي تضمهم أحياء فوق ظهرها وأمواتا في بطنها .

رواسي شامخات : أي جبال عاليات .

فُرَاتًا : أي عذبا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين﴾ إنه لما أقسم تعالى على وقوع ما أوعده به المكذبين من عذاب يوم القيامة وذكر وقت مجيئه وعلامات ذلك وذكر أن

الرسول أقنت ليوم الفصل وهو اليوم الذي يفصل فيه تعالى بين الخلائق فيقتص من الظالم للمظلوم، ويجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وتوعد المكذبين بذلك فقال ويل يومئذ للمكذبين دلت هنا على قدرته على إهلاك المكذبين بما سبق له أن فعله بالمكذبين فقال في استفهام تقرير لا ينكر ﴿ألم نهلك الأولين﴾ من الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط إلى زمن البعثة النبوية ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ فقد أهلك أكابر مجرمي قريش في بدر وقوله ﴿وكذلك نفعل بالمجرمين﴾ وهو وعيد صريح وحقا والله لقد أهلك المجرمين ولم ينج من الهلاك مجرم وويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدردنا فنعم القادرون﴾. هذا استدلال آخر على قدرة الله وعلمه للذين لا يتم البعث والجزاء إلا عليهما قدرة لا يعجزها شيء وعلم لا يخفى معه شيء فقال مستفهما استفهما تقريريا ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي ضعيف هو المني ﴿فجعلناه﴾ أي الماء ﴿في قرار مكين﴾ أي حريز حصين وهو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو زمن الولادة ﴿فقدردنا﴾ أي خلق الجنين على أحسن صورة أدق تركيب المسافات بين الأعضاء كما بين العينين كما بين اليدين والرجلين كما بين الأذنين كلها مقدرة تقديرا عجيبا لا تزيد ولا تنقص ﴿فنعم القادرون﴾ على الخلق والتقدير معا والجواب بلى ولم إذا تكفرون وتكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وقوله ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراثا؟﴾ هذا استدلال آخر على قدرة الله على البعث والجزاء والاستفهام فيه للتقرير أيضا ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ أي مكان كفاية مأخوذ من كفت الشيء إذا ضمه إلى بعضه بعضا والأرض ضامة للناس كفاية لهم كافتة الأحياء على ظهرها يسكنون ويأكلون ويشربون والأموات في بطنها لا تضيق بهم أبدا كما لم تضق بالأحياء ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿رواسي شامخات﴾ أي جبال عاليات

(١) لفظ الإجماع أصبح كالعلم على أهل الشرك والكفر إذ هم الذين أجروا على أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدّها إفسادا للروح وهو الشرك والكفر وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

(٢) هذا التكرار والتقرير والتأكيد وسيكرر في عدة آيات في هذه السورة ومعناه قد سبق مع أول ذكره.

(٣) الاستفهام للتقرير وهو لا يخلو من معنى التوبيخ والتفريع للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء.

(٤) فجعلنا: الفاء للتفريع والتفصيل لكيفية الخلق.

(٥) قرأ نافع فقدردنا بتشديد الدال وقرأها حفص بالتخفيف فالتخفيف بمعنى قدردنا تقديرا أي فعلناه على تقدير معين، وقدردنا بالتخفيف أي جعلناه على مقدار مناسب ولذا معنى القراءتين واحد وشاهده من الحديث قوله ﷺ في الهلال إذا غم عليكم فاقدروا له أي قدروا له المسير والمنازل ومن الشائع قولهم قدر على فلان الموت وقدر عليه الموت بالتشديد والتخفيف.

(٦) قال القرطبي كفاتا أي ضامة تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه. وهو قوله ﷺ قصوا أظفاركم وادفنوا قلاماتكم.

(٧) الكفات اسم للشيء الذي يكفت فيه أي يجمع ويضم فيه فهو اسم من كفت إذا جمع فالكفات اسم لما يكفت الوعاء اسم لما يبي الضمام اسم لما يضم.

﴿وَأَسْقِنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ أي عذبا وهو ماء السماء ناقعا في الأرض وجاريا في الأودية والأنهار والجواب بلى ، بلى إذا مالكم أيها المشركون كيف تكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم إذا حان وقت هلاكهم أي ﴿يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل؟﴾

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- الاستدلال على البعث والجزاء بالقدرة والعلم إذ هما أساس البعث والجزاء .
- ٣- بيان انعام الله تعالى على عباده في خلقهم ورزقهم وتدبير حياتهم أحياء وأمواتا .
- ٤- بيان أن الناس أكثرهم لا يشكرون .
- ٥- الوعيد الشديد للمكذبين الكافرين .

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلَتُ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَاأُولِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|--|---|
| انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون : أي من العذاب . | |
| ظل ذي ثلاث شعب | : أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلى ثلاث شعب لعظمته . |
| لا ظليل | : أي كنين ساتر يكن ويستتر . |
| ولا يغني من الهب | : أي ولا يرد شيئا من الحر . |
| إنها | : أي النار . |
| بشر كالقصر | : أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه . |
| كأنه جمالة صفر | : أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمها وارتفاعها |

وكالجمال في هيئتها ولونها والجمال الأصفر الأسود الذي يميل إلى صفرة.

هذا يوم لا ينطقون : أي فيه بشيء .
ولا يؤذن لهم : أي في العذر .
جمعناكم والأولين : أي من المكذبين قبلكم .
فإن كان لكم كيد فكيدون : أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الحياة كلها قوله تعالى ﴿انطلقوا﴾^(١) هذا يقال للمكذبين يوم القيامة وهم في عرصاتها يقال لهم تقيعاً وتبكيتاً انطلقوا إلى^(٢) ما كنتم به تكذبون وهو عذاب الآخرة ويتهم بهم ويسخرون منهم فيقولون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب وهو دخان النار إذا ارتفع يتشعب إلى ثلاث شعب وذلك لعظمته لا ظليل أي ليس هو ظلاً حقيقياً كظل لشجرة والجدار فيكن ويسترو ولا يغني^(٣) من اللهيب فيدفع الحر وقال تعالى في وصفها ﴿إنها﴾ أي النار ﴿ترمي بشرراً كالقصر﴾ الشررة الواحدة كالقصر في كبره وارتفاعه كأنه أي الشرر جمالة صفراء أي الشررة كالجمال الأصفر وهو الأسود المائل إلى الصفرة . ثم قال تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يتوعد المكذبين به وبآياته ولقائه ورسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ أي هذا يوم القيامة يوم لا ينطقون أي فيه بشيء ﴿ولا يؤذن لهم﴾ أي في الاعتذار فهم يعتذرون لا اعتذار ولا إذن به . ولطول يوم القيامة وتجدد الأحداث فيه يخبر القرآن مرة باعتذارهم وكلامهم في موطن ، وينفيه في آخر ، إذ هو ذاك الواقع في موطن يتكلمون بل ويحلفون كاذبين وفي موطن يغلب عليهم الخوف والحزن فلا يتكلمون بشيء وفي موطن يطلب منهم أن يتكلموا فيتكلموا وفي أخرى لا ، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وعيد لكل المكذبين بهذا وبغيره وقوله تعالى ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ أي يقال لهم يوم القيامة وهم

(١) هذا الخطاب للمكذبين في يوم الفصل وهو مقول قول محذوف دل عليه صيغة الخطاب ولذا قلت في التفسير هذا يقال للمكذبين .

(٢) وأعيد لفظ انطلقوا على طريقة التكرير قصد التوبيخ والإيماء .

(٣) الاغناء جعل الغير غنياً أي غير محتاج في ذلك الغرض وعدي الفعل بمن هنا على معنى البدلية أو لتضمنه معنى يبعد .

(٤) قرأ نافع جمالات جمع جمالة بكسر الجيم وقرأ حفص جمالة بالإنفراد والجمالة اسم جمع لطائفة من الجمال أي الشررة الواحدة في عظمها كأنها جمالة صفر ، والصفرة لون الشرر والصفير جمع أصفر كحمر جمع أحمر .

(٥) تكرر لتوبيخهم ، والإشارة في هذا إلى المشهد الذي يشاهدونه في يوم فصل القضاء الذي كانوا ينكرونه ويكذبون به .

(٦) هذا كقوله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) والمخاطبون في قوله جمعناكم المشركون المكذبون بيوم الفصل .

في عرصاتها هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة والمكذبين الأولين من قبلها، فإن كان لكم كيد أي حيلة على خلاصكم مما أنتم فيه فكيدون أي احتالوا عليّ وخلصوا أنفسكم يقال لهم تبكيثا لهم وخزيا وهو عذاب روحي أشدّ ألمًا من العذاب الجسماني ﴿وَلَّيْلٌ^(١) يَوْمُذِلِّ لِلْمَكْذِبِينَ﴾ أي ويل يوم إذ يجيء يوم الفصل للمكذبين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التهكم والسخرية والتبكيث من ألم أنواع العذاب الروحي يوم القيامة.
- ٢- عرصات القيامة واسعة والمقام فيها طويل والبلاء فيها شديد.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يتم فيه.
- ٤- التكذيب هو رأس الكفر، وبموجبه يكون العذاب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّيْلٌ يَوْمَذِ
لِلْمُكْذِبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْزَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّيْلٌ يَوْمَذِ
لِلْمُكْذِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّيْلٌ
يَوْمَذِ لِلْمُكْذِبِينَ ﴿٤٩﴾ فَيَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|---|
| إِنَّ الْمُتَّقِينَ | : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره. |
| في ظلال | : أي في ظلال الأشجار الوارفة. |
| وعيون | : أي من ماء ولبن وخمر وعسل. |
| مما يشتهون | : لا مما يجدون كما هي الحال في الدنيا. |
| إننا كذلك نجزي المحسنين | : أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين. |
| كلوا وتمتعوا | : أي في هذه الحياة الدنيا. |

(١) تكرير للوعيد والتهديد وهو متصل بما قبله اتصال نظائره فيما سبق وفيما يلحق.

وإذا قيل لهم اركعوا : أي صلوا لا يصلون .

بعده يؤمنون : أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال .

معنى الآيات :

من باب الترغيب والترهيب وهو أسلوب أمتاز به القرآن الكريم ذكر تعالى ما للمتقين من نعيم مقيم بعد ذكر ما للمكذبين الضالين من عذاب الجحيم فقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ وهم الذين اجتنبوا الشرك والمعاصي ﴿فِي ظِلَالٍ وَعِیُونَ﴾^(١) في ظلال أشجار الجنة وعيونها من ماء ولبن وخمر وعسل وفواكه كثيرة متنوعة مما يشتهون على خلاف الدنيا إذ الناس يأكلون مما يجدون فلوا اشتهاوا شيئاً ولم يجدوه ما أكلوه وأما دار النعيم فإن المرء ما انتهى شيئاً إلا وجده وأكله وهذا هو السر في التعبير في غير موضع بكلمة مما يشتهون . ومن إتمام النعيم أن يقال لهم تطيبوا لخواطرهم كلوا واشربوا هنيئاً أي متهئين بما كنتم تعملون من الصالحات وتتركون من السيئات . وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين أي كهذا الجزاء الذي جزينا به المتقين نجزي به المحسنين . ويل يومئذ للمكذبين أي بهذا الوعد الكريم . قوله تعالى ﴿كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ . هذا قول الله تعالى لمشركي قريش وكفارها يهددهم الرب تبارك وتعالى ناعياً عليهم إجماعهم حتي يحين وقتهم وقد حان حيث أعلمهم أنهم لا يتمتعون إلا قليلاً وقد أهلكوا في بدر . وقوله ﴿وَلِيلَ يَوْمِئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هو توعدهم بالعذاب الأليم لمن يكذب بوعد الله هذا ووعد ذاك . وقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أي صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي لا يصلون ولا يخشعون ولا يتواضعون فيقبلون الحق ويؤمنون به ، ويل يومئذ للمكذبين بشرائع الله وهذه التاركين للصلاة وقوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي فبأي كتاب يؤمن هؤلاء المكذبون إذا لم يؤمنوا بالقرآن وذلك لما فيه من الخير والهدى ولما يدعو إليه من السعادة والكمال كما أنه معجز بألفاظه ومعانيه بخلاف الكتب غيره فمن لم يؤمن به لا يرجى له أن يؤمن بغيره بحال من الأحوال .

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم كما هي الحال في الدنيا يأكل الآدمي للبقاء على حياته إذ لو ترك الغذاء هلك .

(٢) هذا مقول قول محذوف أي يقال لهم كلوا واشربوا .

(٣) إن المحسنين هم المتقون ، وإنما ذكر صفة الإحسان لأن التقوى التي هي فعل وترك متوقفة على الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالى المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات .

(٤) يذكر أن مالكا رحمه الله تعالى : دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع ، فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع فقيل له في ذلك قال خشيت أن أكون من الذين (إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) .

(٥) الفاء هي الفصيحة أي إن لم تؤمنوا بهذا القرآن فبأي حديث بعده تؤمنون والاستفهام إنكاري تعجبي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه المؤمنين المتقين المحسنين .
- ٢- بيان نعيم أهل التقوى والاحسان وفضلهما أي فضل التقوى والإحسان .
- ٣- صدق القرآن في أخباره إذ وعيد الله لأكابر مجرمي مكة نفذ بعد أقل من خمس سنوات .
- ٤- من دخل مسجدا وأهله يصلون فليدخل معهم في صلاتهم وإن كان قد صلى حتى لا يكون غيره راکعا لله وهو غير راکع وقد جاء في الصحيح هذا المعنى .

سُورَةُ النَّبَاِ

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
 ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
 أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

عم^(١) : أي عن أي شيء؟

يتساءلون : أي يسأل بعض قريش بعضا .

عن النبأ العظيم : أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر .

الذي هم فيه مختلفون : أي ما بين مصدق ومكذب .

سيعلمون : عاقبة تكذيبهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من قبورهم .

أوتادا : أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد .

سباتا : أي راحة لأبدانكم .

(١) عم أصلها عن ما فادغمت النون في الميم فصارت عما وحذفت الألف تخفيفاً فصارت عم فمن حرف جر وما حرف استفهام، وقدم الاستفهام لما له من حق الصدارة وأصل التركيب يتساءلون عن أي شيء؟

لباسا	: أي ساتراً بظلامه وسواده .
وجعلنا النهار معاشا	: أي وقتاً للمعاش كسبا وأكلاً .
شدادا	: أي قوية محكمة الواحدة شديدة والجمع شداد .
سراجا وهاجا	: أي ضوء الشمس وهاجا وقاداً .
المعصرات	: أي السحابات التي حان لها أن تمطر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها .
ثجاجا	: أي صبابا .
وجنات ألفافا	: أي بساتين ملتفة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿عَمِيتَسَاءَلُونَ﴾ أي عن أي شيء يتساءل رجال قريش فيسأل بعضهم بعضاً إنهم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون إنه ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر. قال تعالى ردعاً لهم وتخويفاً كلا سيعلمون عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم لرسولنا وإنكارهم لتوحيدنا ولقائنا، ثم كلا سيعلمون يوم يبعثون من قبورهم ويحشرون إلى نار جهنم حين لا ينفعهم علم ولا يجديهم إيمان. وقوله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾ الآيات فذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة ما يوجب الإيمان به وتبتيده ورسوله ولقائه لو كان القوم يعقلون فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾ أي فراشاً ووطاء للحياة عليها؟ وهل يتم هذا بدون علم وقدرة والجبال أوتادا تثبت الأرض بها فيأمنون على حياتهم من الميدان وسقوط كل بناء وخلقناكم أزواجاً الخلق مظهر من مظاهر القدرة والعلم وكونهم أزواجاً مظهر من مظاهر الحكمة والرحمة وجعلنا نومكم سباتاً أي راحة لأبدانكم. وجعلنا الليل لباساً ساتراً بظلامه. وجعلنا النهار معاشاً للعيش كسباً له وتمتعا به. وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وهي السموات

-
- (١) عن النبا العظيم متعلق بمحذوف تقديره يتساءلون عن النبا العظيم وهو الخبر الكبير وهو البعث بعد الموت إذ العرب فيه ما بين مصدق ومكذب، ويدل عليه السياق.
- (٢) كلا حرف ردع ومعمول سيعلمون محذوف تقديره «سيعلمون» بما فيه تكذيبهم بالبعث والنبوة والتوحيد.
- (٣) كلا هنا بمعنى حقاً سيعلمون صحة ما هم به مكذبوه وله منكرون.
- (٤) هذا الاستئناف المبدوء باستفهام تقريرى جاء لعرض مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات إيمان به وبلقائه ونبوة رسوله وعبادته وحده دون سواء.
- (٥) الزوج: هو مكرر الواحد وشاع إطلاق الزوج على كل من الذكر والأنثى فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

السبع الشديدة القوة البناء لا تفنى ولا تزول إلى أن يأذن هو سبحانه وتعالى بزوالها، وجعلنا سراجا وهاجا هو الشمس المشرقة المضيئة. وأنزلنا من المعصرات أي السحابات التي حان لها أن تمطر تشبيهاً لها بالجارية المعصر التي قاربت الحيض ماء ثجاجاً صباباً وإبلاً، وذلك لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا الحب كالبر والذرة لطعامكم، والنبات كالكلأ والعشب لحيواناتكم، وجنات أي بساتين ملتفة الأشجار غناء بالثمار المختلف الألوان، والطعوم كل هذه المذكورات مفتقرة إلى قدرة لا يعجزها شيء وعلم أحاط بكل شيء وحكمة لا يخلو منها شيء ورحمة تعم كل شيء والله وحده ذو القدرة والعلم والحكمة والرحمة فكيف ينكر توحيده ويكذب رسوله، ويستبعد بعثه للناس يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم في هذه الدار وهي مختلفة منها الصالح ومنها الفاسد هل من الحكمة في شيء أن يظلم الظالمون ويفسد المفسدون، ويعدل العادلون ويصلح المصلحون ويموتون سواء ولا يكون هناك حياة أخرى يجزي فيها المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه اللهم لا لا إنه لا بد من حياة أخرى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية في كل الآيات من قوله ألم نجعل الأرض مهادا إلى قوله وجنات ألفافا.
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت وناف، ومصدق ومكذب.
- ٣- سيحصل العلم الكامل بهذه المختلف فيها بين الناس عند نزع الروح ساعة الموت، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها إذ قضى الأمر وانتهى الخلاف.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَنَاتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغِينِ
مَثَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا لَاحِمًا وَغَسَقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا

لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- إن يوم الفصل : أي الفصل بين الخلائق ليجزي كل امرئ بما كسب .
كان ميقاتا : أي ذا وقت محدد معين لدى الله عز وجل فلا يتقدم ولا يتأخر .
يوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ إسرافيل في الصور .
فتأتون أفواجا : أي تأتون أيها الناس جماعات جماعات إلى ساحة فصل القضاء .
وفتحت السماء : أي لنزول الملائكة .
وسيرت الجبال : أي ذهب بها من أماكنها .
فكانت سرايا : أي مثل السراب فيترأى ماء وهو ليس بماء فكذاك الجبال .
إن جهنم كانت مرصدا : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعا يرجعون إليها .
لابئين فيها أحقابا : أي دهورا لا نهاية لها .
لا يذوقون فيها بردا : أي نوما ولا شرابا مما يشرب تلذذا به إذ شرابهم الحميم .
وغساقا : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم .
جزاء وفاقا : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار .
كذابا : أي تكذيبا .
فلن نزيدكم إلا عذابا : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى آيات قدرته على البعث والجزاء الذي أنكره المشركون واختلفوا فيه ذكر في هذه الآيات عرضا وافية للبعث الآخر وما يجري فيه ، وبدأ بذكر الأحداث للانقلاب الكوني ، ثم ذكر جزاء الطاغين تفصيلا فقال عز وجل ﴿إن يوم الفصل﴾ أي بين الخلائق كان ميقاتا لما أعد الله للمكذبين بلقاءه الكافرين بتوحيده المنكرين لرسالة نبيه فيه، يجزيهم الجزاء الأوفى ، ثم ذكر تعالى أحداثا تسبقه فقال ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي يوم ينفخ إسرافيل نفخة البعث وهي الثانية فتأتون أيها الناس أفواجا أي جماعات . ﴿وفتحت السماء﴾ أي انشقت ﴿فكانت أبرابا﴾ لنزول الملائكة منها ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ هباء منبثا كالسراب في نظر الراثي . وقوله تعالى

(١) قال القرطبي : أي وقتا مجمعا للأولين والآخرين لما وعد الله من الجزاء وسمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلائق .

﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾^(١) أي إنه بعد الحساب يأتي الجزاء وهماهي ذي جهنم قد أرصدت وأعدت فهي مرصاد، مرصاد لمن؟ للطاغين المتجاوزين الحد الذي حدد لهم وهو أن يؤمنوا بربهم ويعبدوه وحده ويتقربوا إليه بفعل محابه وترك مكارهه فتجاوزوا ذلك إلى الكفر بربهم والإشراك به وتكذيب رسوله وفعل مكارهه وترك محابه هؤلاء هم الطاغون الذي أرصدت لهم جهنم فكانت لهم مرصاداً ومرجعاً ومآباً ﴿لا تبش فيهما أحقاباً﴾ أي دهوراً، ﴿لا يدوقون فيها برداً﴾ أي نوما لأن النوم يسمى البرد في لغة بعض العرب، ﴿ولا شراباً﴾ ذا لذة ﴿إلا حميماً﴾ وهو الماء الحار ﴿وغساقاً﴾ وهو ما يسيل من صديد أهل النار ﴿جزاء وفاقاً﴾ أي موافقاً لذنوبهم لأنه لا أعظم من الكفر ذنباً ولا من النار عذاباً ثم ذكر تعالى مقتضى هذا العذاب فقال ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ أي ما كانوا يؤمنون بالحساب ولا بالجزاء ولا يخافون من ذلك ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ أي بآياته وحججه تكذيباً زائداً. وقوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ إذ كانت الملائكة تكتب أعمالهم وتحصيها عليهم فهم يتلقون جزاءهم العادل ويقال لهم توبيخاً وتبكيتاً وهم في أشد العذاب وأمره ﴿فذوقوا فلن نزيدكم﴾ إلا عذاباً فيعظم عندهم الكرب ويستحكم من نفوسهم اليأس. وهذا جزاء من تنكر لعقله فكفر بربه وآمن بالشیطان وعبد الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالطغيان وبيان جزاء الظالمين.
- ٢- التنديد بالتكذيب بالبعث والمكذبين به.
- ٣- أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم كلها محصاة عليها ويجزون بها.
- ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر آثارها.
- ٥- أبدية العذاب في الدار الآخرة وعدم امكان نهايته.

(١) قال الحسن : إن على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجيء بجواز حُبس والمرصاد : المكان للرصد أي الرقابة.

(٢) قال القرطبي : أي ما كتبت في النار ما دامت الأحقاب وهي لا تنقطع كلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمين والأحقاب الدهور والحقب بالكرة السنة والجمع حقب قال الشاعر :

كنا كندماناً جديمة حقباً من الدهر حتى قبل لنا يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالك لطلول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة.

(٣) من شواهد البرد بمعنى النوم قول العرب منع البرد البرد. أي منع النوم ومنه قول الشاعر :

ولو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً

(٤) قال أبو برزة سألت النبي ﷺ عن أشد آية في القرآن؟ فقال : قوله تعالى : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ
 حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفا من ربهم وعذابه .
 مَفَازًا : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة .
 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا : أي بساتين وأعنابا .
 وَكَوَاعِبَ : أي شابات تكعبت ثديهن الواحدة كاعب والجمع كواعب .
 أَتْرَابًا : أي في سن واحدة وأتراب جمع واحده ترب .
 وَكَأْسًا دِهَاقًا : أي خمرًا كأسها مملأى بها .
 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا : أي في الجنة لغوا أي باطلا ولا كذبا من القول .
 عَطَاءٌ حِسَابًا : أي عطاء كثيرا كافيا يقال أعطاني فأحسبني .
 يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ : ملك عظيم يقوم وحده صفا والملائكة صفا وحدهم .
 مَا بَا : أي مرجعا سليما وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون النجاة .
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر .
 يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقول الله تعالى للبهائم كوني ترابا وذلك بعد
 الاقتصاد لها من بعضها بعضا .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء المستلزمة لعقيدة التوحيد والنبوة بعد أن

ذكر تعالى حال الطغاة الفجار وبين مصيرهم غاية البيان ثنى بذكر المتقين الأبرار وبين مصيرهم وأنه جنات تجري من تحتها الأنهار فقال وقوله الحق وخبره الصدق ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أي مكان فوز ونجاح ويُنَبِّئُهُ بقوله حدائق أي بساتين وأعنابا وكواعب جمع كاعب الفتاة ينكعب نديها أي يستدير ويرتفع كالكمب وذلك عند بلوغها وقوله في وصفهن ﴿أُتْرَابًا﴾ جمع ترب أي في سن واحدة دون الثلاثين سنة ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي كأس خمر ملأى ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي في الجنة ﴿لَعُفُوا وَلَا كُذِّبُوا﴾ لا قولاً باطلا ولا كذباً. وقوله تعالى ﴿جزاء من ربك عطاء حساباً﴾ أي جزاءهم ربهم بذلك فجعله عطاء كافياً ووصف الجبار نفسه تعليماً وتذكيراً فأبدل من قوله من ربك: قوله ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي مالكهما والمتصرف فيهما ﴿الرَّحْمَنِ﴾ رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يوم يقوم الروح ﴿ملك عظيم لا يقادر قدره وحده صفاً والملائكة صفاً﴾ هنا لا يملك أحد من الخلق ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ خِطَابًا﴾ وقوله ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ بين يديه ﴿إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ﴾ قولا ﴿صَوَابًا﴾ وفي الصحيح أن النبي محمداً ﷺ هو أول من يكلم الله عز وجل في الموقف حيث يأتي تحت العرش فيخبر ساجدا فلا يزال ساجدا يحمد الله تعالى بمحامد يلهمها ساعتئذ فيقول له الرب تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقوله تعالى ﴿ذلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ الذي لا مرية فيه ولا شك وهو يوم الفصل وبناء عليه فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً أي مرجعاً إليه بالإيمان والطاعة. وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي خوفناكم عذاباً قريباً جداً يبتدىء بالموت ولا ينتهي أبداً، وذلك ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير أو شر أي يرى جزاء عمله عياناً إن كان عمله خيراً جزى بمثله وإن كان شراً جزى بمثله. ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ إنه لما يرى البهائم بعد القصاص لها صارت تراباً يتمنى الكافر وهو في عذابه أن لو كان تراباً مثل البهائم ولولا العذاب وشدته ودوامه لما تمنى أن يكون تراباً أبداً.

(١) المتقون هم الذين اتقوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه فحافظوا بذلك على زكاة نفوسهم فاستوجبوا لذلك الجنات واستحقوها فاللام للمتقين هي لام الاستحقاق.

(٢) حدائق بدل بعض من كل والحدائق جمع، حديقة، البستان: المحاط بجدار.

(٣) دهاقاً بمعنى ملأى وهذا من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فالدهاق كالدهق مصدر وأريد به المدهوق أي المملوء.

(٤) كافياً: تفسير كلمة حساباً إذ من أعطي ما يكفيه يقول حسي.

(٥) الإذن اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول للمأذون، وهو مشتق من أذن له إذا استمع إليه. نحو: (وأذنت لربها وحقت).

(٦) هذه الجملة كالفلكة لما تقدم من وعد ووعد وإنذار وتبشير سيق مساق التنويه بيوم الفصل الذي هو اليوم الحق الثابت قطعاً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان كرامة المتقين وفضل التقوى .
- ٢- وصف جميل لنعيم الجنة .
- ٣- ذم الكذب واللغو وأهلهما .
- ٤- بيان شدة الموقف وصعوبة المقام فيه .
- ٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٦- الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيئ الفاسد .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَالسَّيِّقاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَاَلْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾
تَتَّبِعُهَا الرَّاادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا
خَشَعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا الْمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْنَا ذَاكُنَا
عِظْمًا مَخْرَجَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- والنازعات غرقا : أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة .
والناشطات نشطا : أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطا أي تسهلها برفق .
والسايحات سبحا : أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلى الأرض .
فالسابقات سبقا : أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة .
فالمديرات أمرا : أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم .

يوم ترجف الراجفة : أي النفخة الأولى نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها .
 تتبعها الرادفة : أي النفخة الثانية .
 واجفة : أي خائفة قلقة .
 أننا لمرودون في الحافرة: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة إذ الحافرة اسم لأول الأمر .
 تلك إذا كرة خاسرة : أي رجعة إلى الحياة خاسرة .
 فإنما هي زجرة واحدة : أي نفخة واحدة .
 فإذا هم بالساهرة : أي بوجه الأرض سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام .

معنى الآيات :

قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات هذا قسم عظيم أقسم تعالى به على أنه لا بد من البعث والجزاء حيث كان المشركون ينكرون ذلك حتى لا يقفوا عند حد في سلوكهم فيواصلوا كفرهم وفسادهم جريا وراء شهواتهم كل أيامهم وطيلة حياتهم كما قال تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه فأقسم تعالى بخمسة أشياء وهي النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ، ورجح أنهم أصناف من الملائكة وجائز أن يكون غير ذلك ولا حرج إذ العبرة بكونه تعالى قد أقسم ببعض مخلوقاته على أن البعث حق ثابت وواقع لا محالة ، وتقدير جواب القسم بـ **لَتَبْعَثَنَ** ثم **لَتَنْبُؤَنَ** بما عملتم إذ هو معهود في كثير من الإقسام في القرآن كقوله تعالى من سورة التغابن زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وسيتم ذلك البعث والجزاء يوم ترجف الراجفة التي هي النفخة الأولى التي ترجف فيها العوالم كلها ويفنى فيها كل شيء ، ثم تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور أحياء وأن بين النفختين

(١) يقال: رجع فلان إلى حافرة أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها برجليه وهو يمشي قال الشاعر:

أحافرة على صلح وشيب معاذ الله من سفه وعار

أي أرجع إلى حالة الشباب بعد الصلح والشيب، والشاهد في إنكاره الرجوع إلى حياته الأولى .

(٢) النازعات جمع نازعة وهي الجماعة من الملائكة والنزع هو اخراج الروح من الجسد مشبه بنزع الدلو من البئر . ولذا يقول فلان في حالة النزع للمحتضر وغرقاً اسم مصدر عدل عن المصدر الذي هو إغراقاً لمناسبة سبها ونشطا وسبقا في الآيات ومعناه الإغراق في نزع الروح من أقصى الجسد .

(٣) إذ يرى بعضهم أنها النجوم ويرى بعضهم أنها جماعات الخيل الغازية ، والرماة أو الفرسان إلا أن الراجح أنها الملائكة ، فالنازعات الملائكة تنزع أرواح الكافرين والنشاطات تنشط أرواح المؤمنين نشاطاً تأخذها بسرعة كما ينشط العقال من يد البعير والسابحات تسبح بأرواح المؤمنين ترفعها إلى الملكوت الأعلى ، فالسابقات الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، فالمدبرات ، الملائكة تقوم بتدبير ما أسند الله إليها قبض الأرواح ، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح ، ونفخ الأرواح إلى غير ذلك .

(٤) إطلاق الراجفة والرادفة على الصيحة إطلاق سائح وهو إطلاق على مسبة الراجفة وهي الصيحة والرادفة التي جاءت بعدها وهي الصيحة الثانية .

أربعين سنة كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة أي خائفة قلقه أبصارها خاشعة أي أبصار أصحاب تلك القلوب خاشعة أي ذليلة خائفة . وقوله تعالى يقولون أي منكرو البعث أننا للمردودون في الحافرة أي أنرد بعد الموت إلى الحياة من جديد كما كنا أول مرة، أنذا كنا عظاما نخرة أي بالية مفتتة وقولهم هذا استبعاد منهم للبعث وانكار له، وقالوا تلك إذا كرة خاسرة يعنون أنهم إذا عادوا إلى الحياة مرة أخرى فإن هذه العودة تكون خاسرة وهي بالنسبة إليهم كذلك إذ سيخسرون فيها كل شيء حتى أنفسهم كما قال تعالى قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين . وقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل الثانية نفخة البعث ﴿فإذا هم﴾ أولئك المكذبون وغيرهم من سائر الخلق بالساهرة أي وجه الأرض وقيل فيها الساهرة لأن من عليها يومئذ لا ينامون بل يسهرون أبدا. فرد تعالى بهذا على منكري البعث الآخر وقرره عز وجل بما لا مزيد عليه إعدارا وإنذارا ولا يهلك على الله إلا هالك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الله تعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته بخلاف العبد لا يجوز له أن يقسم بغير ربه تعالى .
- ٢- بيان أن روح المؤمن تنزع عند الموت نزعا سريعا لا يجد من الألم ما يجده الكافر .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالإقسام عليها وذكر كيفية وقوعها .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾
 إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرَكَنِي ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
 آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
 فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ
 ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

موسى : أي موسى بن عمران عليه السلام .
 بالواد المقدس طوى : أي بالواد الطاهر المبارك المسمى بطوى .
 اذهب إلى فرعون : أي بأن اذهب إلى فرعون .
 إنه طغى : أي تجاوز حده كعبد إلى ادعاء الربوبية والألوهية .
 إلى أن تزكى : أي تسلم فتطهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالى .
 وأهديك إلى ربك : أي أرشدك إلى معرفة ربك الحق فتحشاه وتطيعه فتنجو من عذابه .
 فأراه الآية الكبرى : أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة على صدق موسى .
 ثم أدبر يسعى : أي بعد ما كذب وعصى رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده .
 لحرب موسى وقال كلمة الكفر أنا ربكم الأعلى فلا طاعة إلا لي .
 فأخذه الله نكال الآخرة والأولى : أي عذبه تعالى عذاب الآخرة وهو قوله أنا ربكم الأعلى وعذاب الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري .

معنى الآيات :

قوله تعالى هل أتاك حديث موسى الآيات . . المقصود من هذه الآيات تسليية الرسول ﷺ وهو يعاني من تكذيب قومه له ولما جاء به من التوحيد والشرع فقص تعالى عليه طرفاً من قصة موسى مع فرعون تخفيفاً عليه ، وتهديداً لقومه بعقوبة تنزل بهم كعقوبة فرعون الذي كان أشد منهم بطشاً وقد أهلكه الله فأغرقه وجنده . . فقال تعالى هل أتاك يارسولنا حديث موسى بن عمران ، إذ ناداه ربّه بالواد المقدس طوى أي بالواد المطهر المبارك المسمى طوى ناده فأعلمه أولاً أنه لا إله إلا هو وأمره بعبادته ، ثم أمره بأن يذهب إلى فرعون الوليد بن الريان ملك القبط بمصر فقال له اذهب إلى فرعون إنه طغى أي عتا وتكبر وظلم فأفحش في الظلم والفساد . وعلمه ما يقول له إذا انتهى إليه فقل لك إلى أن تزكى أي إلى أن تسلم فتزكروا روحك وتطهر بالإسلام وأهديك إلى ربك فتخشى أي وأرشدك إلى ربك وأعرفك به فتخشى أي عقابه فتترك الظلم والطغيان قال تعالى فأراه الآية الكبرى والتي هي اليد والعصا ، فكذب فرعون موسى في دعوته وعصى ربّه

(١) هل الاستفهام هنا صوريّ المراد به تشويق السامع إلى الخير ولذا استعمل فيه هل التي هي بمعنى قد للتحقيق أي قد أتاك حديث موسى العجيب فاستمع .

(٢) إذ اسم زمان بدل اشتغال من حديث موسى .

(٣) قرأ نافع تزكى بتشديد الزاي وقرأ حفص بتخفيفها فمن شددھا أدغم فيها إحدى تائي تزكى ومن خفف حذف إحدى التائين لأن أصل الفعل تزكى بتائين .

(٤) الهداية : الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا سلكه المرء وصل إلى مرغوبه .

فلم يستجب له ولم يطعه فيما أمره به ودعاه إليه من الإيمان برسالة موسى وإرسال بني إسرائيل معه بعد الإسلام لله ظاهراً وباطناً. ثم أدبر فرعون أي عن دعوة الحق رافضاً لها يسعى في الباطل والشر ﴿فحشر﴾ رجاله وجنده ﴿فنادى﴾ أي ناداهم ليعدهم إلى حرب موسى ﴿فقال﴾: أنا ربكم الأعلى ﴿يعني أنه لا رب فوقه﴾، فأخذه الله أي عذبه نكال أي عذاب الآخرة أي الكلمة وهي قوله أنا ربكم الأعلى ونكال الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري وبين الكلمتين الخبيثتين أربعون سنة فالأولى قالها في بداية الدعوة حيث ادّعى أنه بحث واستقصى في البحث واجتهد وأنه بعد كل ذلك الاجتهاد لم يعلم أن للناس من قومه من إله سواه. وقوله تعالى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى أي فيما قص تعالى من خبر موسى وفرعون لعبرة أي عظة لمن يخشى الله وعذاب الدار الآخرة فيؤمن ويتقي أي فيزداد إيماناً وتقوى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الداعي إلى الله تعالى وحمله على الصبر في دعوته حتى ينتهي بها إلى غاياتها.
- ٢- اثبات مناجاة موسى لربه تعالى وأنه كلمه ربه كفاحاً بلا واسطة.
- ٣- تقرير أن لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام أي بالعمل بشرائعه.
- ٤- لا تحصل الخشية من الله للعبد إلا بعد معرفة الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء.
- ٥- وجود المعجزات لا يستلزم الإيمان فقد رأى فرعون أعظم الآيات كالعصا واليد وما آمن.
- ٦- التنديد والوعيد الشديد لمن يدعي الربوبية والألوهية فيأمر الناس بعبادته.

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ ﴿٣٣﴾

(١) النكل القيد قال تعالى (إن لدينا أنكالاً) جمع نكل ويطلق النكال على العذاب والهروب منه وأخذ منه فعل نكل تنكيلاً أي عذبه تعذيباً فنكال الأولى أي عذاب الأولى ونكال الآخرة عذاب الآخرة كما هو مبين في التفسير.
(٢) لمن يخشى : أي يخشى الله تعالى وهو المؤمن التقي إذ مثله النفسي هو الذي يجد العظة والعبرة فيما يعرض عليه من أحداث فاصلة أما الكافر فأنى له أن يسمع حتى يبصر؟

شرح الكلمات :

أنتم أشد خلقاً أم السماء؟ أي أشد خلقاً.

رفع سمكها : أي غلظها وارتفاعها.

فسواها : أي جعلها مستوية سطحاً واحداً ما فيها نتوء ولا انخفاض.

وأغطش ليلها : أي أظلمه جعله مظلماً.

وأخرج ضحاها : أي ضوءها ونهارها.

والأرض بعد ذلك دحاها : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء ثم دحا الأرض أي بسطها

وأخرج منها ماءها ومرعاها.

والجبال أرساها : أي أثبتها على سطح الأرض لتثبت ولا تميد بأهلها.

متاعاً لكم ولأنعامكم : أي أخرج من الأرض ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم

ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.

معنى الآيات :

قوله تعالى أنتم أشد خلقاً الآيات^(١) . سبقت هذه الآيات الكريمة لتقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أكبر دليل عقلي لا يرده العاقل ابداً وهو أن السماء في خلقها وما خلق الله فيها، وأن الأرض في خلقها وما خلق الله فيها أشد خلقاً وأقوى وأعظم من خلق الإنسان بعد موته فالبشرية كلها لا يساوي حجمها حجم كوكب واحد من كواكب السماء ولا سلسلة واحدة من سلاسل الجبال في الأرض فضلاً عن السماء والأرض . إذاً فالذي قدر على خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها قادر قطعاً ومن باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى وقد خلقه أولاً فإعادة خلقه بإحيائه بعد موته أيسر وأسهل وأمكن من خلقه أولاً على غير مثال سبق ، ولا صورة تقدمت ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا يفكرون وهذا عرض الآيات قوله تعالى أنتم أشد خلقاً أيها المنكرون للبعث المكذبون به أم السماء والجواب الذي لا شك فيه هو أن السماء أشد خلقاً منهم وبيان ذلك فيما يلي :

(١) بناها فهي سقف للأرض مرفوعة فوقها مسواة فلا انقطاع فيها ولا ارتفاع لبعض وانخفاضاً لبعض آخر بل هي كالزجاجة في سمتها واعتدالها في خلقها .

(١) الاستفهام تقريرى أي الجاؤم إلى الإقرار والاعتراف بأن خلق السماء أعظم من خلقهم إذاً كيف ينكرون البعث والحياة الثانية .

(٢) المراد بالسماء السماء الدنيا المشاهدة للناس ، وإن كان لفظ السماء يطلق إطلاقاً أسماء الأجناس الدالة على أكثر من واحد والبناء للسماء وهو خلقها في صورة بناء رفيع .

(١) رفع سمكها فإن غلظها مقدر بمسيرة خمسمائة عام.

(٣) أغطش ليلاً فجعله مظلماً.

(٤) وأخرج ضحاها فجعل نهارها مضيئاً. هذه هي السماء. والأرض بعد ذلك أي بعد أن خلقها أولاً وقبل السماء عاد إليها فدحاها بأن بسطها للأنام وأخرج منها ماءها فجعل فيها عيونها وأخرج منها مرعى وهو ما يرعى من سائر الحبوب والثمار والنبات والأشجار منفعة للإنسان ولحيوانه المفتقر إليه في ركوبه^(٣) وطعامه وشرابه وما ذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة في الأرض لا يقل عما ذكر في السماء إن لم يكن أعظم فكيف إذا ينكر الإنسان على ربه أن يعيده حياً بعد إماتته له ليحاسبه وليجزيه إنه بدل أن ينكر يجب عليه أن يشكر، ولكن الإنسان ظلم كفار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢- بيان إفضال الله تعالى على الإنسان وإنعامه عليه .

٣- مشروعية الاستدلال بالكبير على الصغير وبالكثير على القليل وهو مما يعلم بداهة وبالضرورة إلا أن الغفلة أكبر صارف وأقوى حایل فلا بد من إزالتها أولاً .

فَإِذَا جَاءَتْ لِطَآئِمَةٌ

الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ

لِمَن يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ

هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى

(١) السمك يفتح السين وتسكين الميم الرفع في الفضاء، وهو مصدر سمك إذا رفع والسمك محرك السين والميم الحوت المعروف واحده سمكة كبقرة.

(٢) اختلف في أيها خلق الله تعالى أولاً الأرض أم السماء والراجح أنها الأرض أولاً لقوله (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض... إلى قوله ثم استوى إلى السماء) الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولاً ثم السموات ثم عاد إلى الأرض فدحاها بمعنى أخرج منها ماءها ومرعاها أي أعدها إعداداً خاصاً لحياة الإنسان والحيوان وهو المراد من قوله دحاها إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.

(٣) إذ هو المراد من قوله تعالى في الآية (ولأنعامكم) التي هي الإبل والبقر والغنم فالإبل يُركب ظهرها، ويشرب لبنها ويؤكل لحمها.

﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
 ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهَنَاهَا ﴿٤٤﴾ تَمَّا أَنْتَ مُنْذِرُ
 مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾
 شرح الكلمات :

الطامة الكبرى : أي النفخة الثانية وأصل الطامة الداهية التي تعلو على كل داهية .
 ما سعى : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر .
 فأما من طفئ : أي كفر وظلم .
 وآثر الحياة الدنيا : أي باتباع الشهوات .
 فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى : أي النار مأواه .
 مقام ربه : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر .
 ونهى النفس عن الهوى : أي المردى المهلك باتباع الشهوات .
 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب .
 عن الساعة : أي القيامة للحساب والجزاء .
 أيان مرساها : أي متى وقوعها وقيامها .
 فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا : أي في أي شيء من ذكرها أي ليس عندك علمها حتى تذكرها .
 إِلَى رَبِّكَ مُنْهَنَاهَا : أي منتهى علمها إلى الله وحده فلا يعلمها سواه .
 لَمْ يَلْبَثُوا : أي في قبورهم .
 إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا : أي عشيّة يوم أو ضحى تلك العشيّة .
 معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى مظاهر قدرته في حياة الناس وما خلق لهم فيها تدليلاً على البعث والجزاء وذكر
 في هذه الآيات مظاهر قدرته في معادهم تدليلاً على قدرته على بعثهم بعد موتهم ومحاسبتهم
 ومجازاتهم فقال عز من قائل ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ أي القيامة وسميت بالطامة الكبرى
 لأنها تطم على كل شيء ولا يعظمها شيء لا ريح عاد ولا صيحة ثمود ولا رجفة يوم الظلة . ﴿يَوْمَ

(١) فالفاء للتفريع عما تقدم إن تقدم مظاهر قدرته في الكون والحياة تدليلاً على قدرته على البعث والجزاء ففرع عنه بيان
 أحوال البعث وما يجري فيه تقريراً له ووقوفاً بالمنكرين له على مصيرهم فيه مبالغة في طلب هدايتهم وإقامة الحجة عليهم .
 (٢) أصل الطامة الحادثة التي تطم أي تلو وتغلب أمثالها من الأحداث الجسام والمراد بها هنا القيامة ، قال سفيان الطامة
 هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار للزبانية قال الشاعر :

إن بعض الحب يعمي ويصم وكذلك البغض آدمي وأطم

يتذكر الإنسان ما سعى ﴿ من خير أو شر لأنه أيقن انه محاسب ومجزى بعمله . ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أبرزها فظهرت لمن يراها لا يخفيها شيء . والناس بعد ذلك مؤمن وكافر والطريق طريقان طريق جنة وطريق نار . ﴿فأما من طغى﴾ أي عتا عن أمر ربّه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه . ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ على الآخرة فعمل للدنيا وصرف كل جهده وطاقته لها، ولم يعمل للآخرة فما صام ولا صلى ولا تصدق ولا زكى ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ أي مأواه ومستقره ومثواه شرابه الحميم وطعامه الزقوم ﴿وأما من خاف مقام ربّه﴾ وهو الوقوف بين يديه لمساءلته ومجازاته فأدى الفرائض واجتنب النواهي ، ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ أي نفسه عن هواها فلم يجبها في هوى ييغضه الله ولم يطعها في شيء حرمه الله فإن الجنة دار السلام والأبرار والمتقين الأخيار هي مأواه ولنعم المأوى هي حيث العيون الجارية والسرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبتوثة والكواعب العرب الأتراب ولقاء الأحباب^(١) . وقوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي يسألك يارسولنا المنكرون للبعث عن الساعة أي قيامها ومتى رسوها وثبوتها وهي كالسفينة سائرة ليل نهار متى ترسو؟ قيم أي في أي شيء أنت من ذكرها أي ليس عندك علمها فتذكرها لهم إلى ربك وحده علم وقت مجيئها وساعة رسوها لتنتقل الناس من دنياهم إلى آخرتهم ، وبذلك تنتهي رحلتهم ويستقر قرارهم . وينتهي ليلهم ونهارهم . وقوله تعالى إنما أنت منذر من يخشاها أي ليس إليك يارسولنا علمها ولا منتهى أمرها إنما أنت مهمتك غير ما يطلب منك إنها انذار من يخشى الساعة ويخاف حلولها لإيمانه بها وبما يكون فيها من تعيم وجحيم أما من لا يؤمن بها فهو لا يخافها وسؤاله عنها سؤال استهزاء ، فلا تحفل بهم ولا تهتم لهم فإنهم يوم يرونها كأن لم يلبثوا في دنياهم هذه وقبورهم إلا عشية أو ضحاها أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية لما يستقبلون من أهوال الموقف وفضائع العذاب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالها وصفاتها .
- ٢- الناس يوم القيامة مؤمن تقى في الجنة، وكافر وفاجر في النار .
- ٣- بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب والساعة .
- ٤- بيان أي الشدائد ينسى بعضها بعضا فإن عذاب القبر يهون أمام عذاب النار .

(١) كل ما ذكر من قولنا العيون إلى لقاء الأحباب هو من القرآن . يروى أن بلالاً وهو في سياقة الموت يغمى عليه فإذا أفاق ووجد أمرأته تبكي : يقول لها لا تبكي : غذا ألقى الإخيه محمداً وصحبه
(٢) اسم استفهام أريد به الإنكار مشوباً بالتعجب من إلحاح المشركين على الرسول ﷺ أن يعين لهم وقتها .

سُورَةُ عَبَسَ
مكية وآياتها ثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكِّي ۖ (٣) أَوْ
يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى ۚ (٤) أَمْ أَمِنَ اسْتَغْنَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٦)
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ
عَنْهُ نَلْهَى ۚ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۖ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ
(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۖ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۖ (١٦)

شرح الكلمات :

- عبس : أي النبي ﷺ بمعنى كبح وجهه وتغير.
وتولى : أي عرض.
أن جاءه الأعمى : أي لأجل أن جاء عبدالله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش للإسلام.
لعله يزكى : أم يتطهر من الذنوب.
أو يذكر : أي يتعظ.
فتنفعه الذكرى : أي الموعظة.
وأما من استغنى : عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.
فأنت له تصدى : أي تقبل عليه وتتصدى له.
وما عليك ألا يزكى : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيته نفسه بالإسلام.
يسعى : أي في طلب الخير من العلم والهدى.
فأنت عنه تلهى : أي تشاغل.
كلا : أي لا تعد لمثل ذلك.
إنها تذكرة : أي الآيات عظة للخلق.

مكرمة	: أي عند الله .
مرفوعة	: أي في السماء .
مطهرة	: أي منزهة عن مس الشياطين .
بأيد سفره	: كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ .
كرام بررة	: مطيعين لله وهم الملائكة .
معنى الآيات :	(١)

قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ هذا عتاب لطيف يعاتب به الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا ﷺ فالذي عَبَسَ بمعنى قطب وجهه وأعرض هو رسول الله ﷺ والأعمى الذي لأجله عَبَسَ رسول الله وأعرض عنه هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين . وسبب هذا العتاب الكريم أن رسول ﷺ كان في مكة يوما ومعه صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبدالمطلب وأمّية بن خلف يدعوهم إلى الإسلام مجتهدا معهم يرغبهم ويرهبهم طمعا في إسلامهم فجاء عبد الله بن أم مكتوم ينادي يارسول الله أقرني وعلمي مما علمك الله وكرر ذلك مرارا فانزعج لذلك رسول الله ﷺ فكره رسول الله ﷺ قطعه لحديثه مع القوم فعبس وتولى عنه لايحييه ، وما إن عاد النبي ﷺ إلى منزله حتى نزلت هذه الآيات ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي قطب وأعرض ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وما يدريك ﴿أَيُّ مَا يَعْلَمُكَ أَنَّهُ﴾ يزكى ﴿بِمَا يَطْلُبُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَيُّ يَرِيدُ زَكَاةَ نَفْسِهِ وَتَطْهِيرَ رُوحِهِ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْكَ ، أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ . أَيُّ مَا يَعْلَمُكَ لَعَلَّهُ يَنْدَاهُ لَكَ وَطَلَبَهُ مِنْكَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ فَيَتَعَطَّ بِهِ وَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ مِنْكَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾ أي عن الإيمان والإسلام وما عندك من العلم بالله والمعرفة استغنى بماله وشرفه في قومه ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي تتعرض له مقبلا عليه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى﴾ أي وأي شيء يلحقك من الأذى إن لم يتزك ذلك المستغنى عنك بشرفه وماله . وكرر تعالى العتاب بالكلمات العذاب فقال ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ

(١) عَبَسَ : أي النبي ﷺ ومعنى عَبَسَ قطب ما بين عينيه كراهية لما نابه وحصل له مما أزعجه .

(٢) انظر مضمون هذه الآية في قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي . . الآية وأخرى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية . الأولى من سورة الأنعام والثانية من الكهف .

(٣) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى : مجرور بحرف جر محذوف وهو اللام أي لأن جاءه وهذا الحذف مطرد وأصل التركيب لأجل مجيء الأعمى له .

(٤) يَزْكَى أصلها يَزْكَى أي يطلب التزكية لنفسه فأدغمت التاء في الزاي فصارت يَزْكَى .

(٥) قرأ نافع تصدى بتشديد الصاد والذال معاً ، وقرأ حفص بتخفيف الصاد ، فمن شدد أدغم إحدى التائين في الصاد ومن خفف حذفها .

(٦) العذاب : جمع عذبه بمعنى الحلوة الطيبة إذ كل حلو طيب هو عذب .

يخشى ﴿ جاءك مسرعا يجري وراءك يناديك بأحبَّ الأسماء إليك يا رسول الله والحال انه يخشى الله تعالى ويخاف عقابه فلذا هو يطلب ما يزكي به نفسه ليقبها العقاب والعذاب ﴾ ﴿فأنت عنه تلهي﴾ ^(١) أي تتشاغل بغيره ﴿كلا﴾ أي لا تفعل مثل هذا مرة أخرى. وقوله تعالى ﴿إنها تذكرة﴾ أي هذه الآيات وما تحمل من عتاب حبيب إلى حبيب موعظة ﴿فمن شاء﴾ من عباد الله ﴿ذكره﴾ أي ذكر هذا الوحي والتنزيل ﴿في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة﴾ مكرمة عند الله تعالى مرفوعة في السماء مطهرة منزهة عن مس الشياطين لها ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ أي مطيعين لله صادقين هم الملائكة كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ وما أقرب هذا الوصف من مؤمن كريم النفس طاهر الروح يحفظ كتاب الله ويعمل به بيده مصحف يقرأه ويرتل كلام الله فيه وقد جاء في الصحيح ^(٢) أن هذا العبد الذي وصفت مع السفرة الكرام البررة. اللهم اجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان مقام النبي ﷺ وأنه أشرف مقام وأسماء دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه وما يدريك.
- ٢- إثبات ما جاء في الخبر أدبني ربي فأحسن تأديبي فقد دلت الآيات عليه.
- ٣- بلغ رسول الله ﷺ بتأديب ربه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان إذا جاءه ابن أم مكتوم يوسع له في المجلس ويجلسه إلى جنبه ويقول له مرحبا بالذي عاتبني ربي ^(٣) من أجله وولاه على المدينة مرات، وكان مؤذناً له في رمضان.
- ٤- استحالة كتمان الرسول ﷺ لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لو كان للرسول أن يكتم شيئاً من وحي الله لكتّم الله تعالى له في عبس وتولى.

(١) تلهي : أصلها تلهي حذف إحدى التائين تخفيفاً، وتلهي تطلب التلهي أو حصل له وهو الانشغال بشيء وترك الآخر.

(٢) في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأه وهو يتعاهده وهو عليه شاق شديد فله أجران.

(٣) قال الثوري فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يسطل له رداءه ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول : هل من حاجة؟ واستخلفه بالمدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال أنس فرايته يوم القادسية راكباً وعليه درع وراية سوداء.

قُدِلَ الْإِنْسَانُ

مَا أَكْفَرُهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ
 السَّبِيلَ يَسْرُهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا
 يَقْضِ مَا أَمَرُهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
 (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْثْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًا (٢٨)
 وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ
 وَلَا تَنْعَمُكُمْ (٣٢)

شرح الكلمات :

- قتل الإنسان : لعن الإنسان الكافر .
 ما أكفره (١) : أي ما حمّله على الكفر؟ .
 من أي شيء خلقه : من نطفة خلقه .
 فقدّره : أي من نطفة إلى علقه إلى مضغة فبشر سوي .
 ثم السبيل يسره : أي سبيل الخروج من بطن أمه .
 إذا شاء أنشره : أي إذا شاء إحياءه أحياءه .
 كلا : حقا أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدى ما عليه من الحقوق .
 لما يقض ما أمره : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله .
 إلى طعامه : أي كيف قدر ودبر له .
 حبا وعنبا : أي الحب الحنطة والشعير والعنب هو المعروف .
 وقضبا : أي القث الرطب وسمي قضبا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة .
 وحدائق غلبا : أي كثيرة الأشجار والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر .
 وفاكهة وأبا : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه والأب التبن وما ترعاه البهائم .
 متاعا لكم ولأنعامكم : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم .

(١) جائز أن تكون ما تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما أجراه مثلا .
 أي أعجبوا لخلق من نطفة مع كفره بربه .

معنى الآيات :

بعدما عاتب الربّ تبارك وتعالى رسوله على انشغاله بأولئك الكفرة المشركين وإعراضه عن ابن أم مكتوم الأعمى فكان أولئك المشركون هم السبب في إعراض الرسول ﷺ عن ابن أم مكتوم وفي عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ فاستوجبوا لذلك لعنة الله تعالى عليهم لكفرهم وكبريائهم جرّة الله تعالى شخصا منهم غير معلوم والمراد كل كافر متكبر مثلهم فقال ﴿قتل الإنسان﴾ أي الكافر ﴿ما اكفره﴾ أي ما حمّله على الكفر والكبر. فلينظر ﴿من أي شيء خلقه﴾ ربه الذي يكفر به؟ إنه خلقه من نقطة قدرة ﴿خلقته فقدرة﴾ أي أطوارا نقطة فعلاقة فمضغة. أمن كان هذا حاله يليق به أن يكفر ويتكبر ويستغني عن الله؟ فلينظر إلى مبدئه ومنتهاه وما بينهما مبدأه نقطة مدرة وآخره جيفة قدرة. وهو بينهما حامل عذرة. كيف يكفر وكيف يتكبر؟ وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ فلولا أن الله تعالى يسر له طريق الخروج من بطن أمه والله ما خرج. ﴿ثم أماته﴾ بدون استشارته ولا أخذ رايه ﴿فأقبره﴾ هيا له من يقبره وإلا لأنتن وتعفن وأكلته الكلاب، ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ ﴿كلا﴾. أما يصح هذا المغرور أما يفيق هذا المخدوع. ﴿لما يقض ما أمره﴾ فما له لا يقضي ما أمره ربه من الإيمان به وطاعته ﴿فلينظر هذا الإنسان إلى طعامه﴾ الذي حياته متوقفة عليه كيف يتم له بتقدير الله تعالى وتدبيره لعله يذكر فيشكر ﴿إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا﴾ كالبر والشعير والذرة وسائر الحبوب المقتاتة وغبا يأكله رطبا ويابساً ﴿وقضب﴾ وهو القث الرطب يقضب أي يقطع مرة بعد مرة وهو علف البهائم، ﴿وزيتونا﴾ يأكله حبا ويدمن به زيتا ﴿ونخلا﴾ يأكله ثمرة بسرا ورطبا وتمرا ﴿وحدائق غلبا﴾ أي بساتين ملتفة الأشجار كثيرتها الواحدة غلباء ﴿وفاكهة وأبا﴾ الفاكهة لكم والأب علف لدوابكم ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ أي هذه المذكورات بعضها متاعا لكم أي منافع تتمتعون بها وبعضها لأنعامكم وهو القضب والأب منفعة لها تعيش عليها فبأي وجه تكفر ربك يا أيها الإنسان الكافر؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي مقتضية للإيمان به وبآياته ورسوله ولقائه.

(١) يقال قبره إذا دفنه وأقبره إذا هيا له من يقبره.

(٢) أنشره ونشره بمعنى واحد أي أحياه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٣) لأهل العلم في حقيقة (كلا) هذه كلام طويل واختلاف كبير والراجح أنها كما هي الغالب فيها أنها للردع أي ردع له على كفره واستمرار غفلته وإعراضه وجهله وعدم علمه، وجملة لما يقض بيانية أي بيان علة كفره وعناده وهي أنه لم يقض ما أمر به من النظر والتأمل ولو فعل ذلك لعرف واهتدى، ومن هنا أمره أن ينظر إلى طعامه.

(٤) هناك لطيفة تستشف من هذه الآية وهي أن طعام الإنسان كالمثل للدنيا في مبدئها ومنتهاها فإن طعامه وإن ملحه وفلفله فإنه يصير إلى عذرة منتنة.

(٥) يقال للأسد الأغلب لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جمعا.

٢- الاستدلال بالصنعة على الصانع . وأن أثر الشيء يدل عليه ، ولذا يتعجب من كفر الكافر بربه وهو خلقه ورزقه وكلأ حياته وحفظ وجوده إلى أجله .

٣- بيان أن الإنسان لا يزال مقصراً في شكر ربه ولو صام الدهر كله وصلى في كل لحظة من لحظاته .

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٨﴾
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٩﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٤٠﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٤١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٤٢﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٤٣﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٤﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

فإذا جاءت الصاعقة : أي النفخة الثانية .

وصاحبه : أي زوجته .

شأن يغنيه : أي حال تشغله عن شأن غيره .

مسفرة : أي مضيئة .

عليها غبرة : أي غبار .

ترهقها قتر : أي ظلمة من سواد ومعنى ترهقها تغشاها .

الكفرة الفجرة : أي الجامعون بين الكفر والفجور .

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى بداية أمر الإنسان في حياته ومعاشه فيها ذكر تعالى معاده ومآله فيها فقال عز من قائل ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾^(١) وهي القيامة ولعل تسميتها بهذا الاسم الصاعقة نظراً إلى نفخة الصور التي تصخ الأذان أي تصمها بمعنى تصيبها بالصمم لشدتها . وهي النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ﴾ أي زوجته ﴿وبنيهِ﴾ وهؤلاء أقرب الناس إليه

(١) الفاء للتفريع هذا الكلام متفرع على ما قبله كما في التفسير أنه بعد أن ذكر الإنسان بمبدأ خلقه ومنتهى حياته في الدنيا فرع على ذلك بيان حياته الآخرة ومصيره فيها .

(٢) قال بعضهم أول من يفر يفر قابيل من أخيه هابيل ، وقال الحسن أول من يفر يوم القيامة إبراهيم يفر من أبيه نوح من ابنه لوط من امرأته .

ومع هذا يفر عنهم أي يهرب خشية أن يطالبوه بحق لهم عليه فيؤخذ به . وقوله تعالى ﴿لَکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ أي حال وأمر ﴿یَغْنِیْهِ﴾ عن السؤال عن غيره ولو كان أقرب قريب إليه . هنا ورد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ قائلة يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة ، ثم انتظرت ساعة فقالت يا نبي الله كيف يحشر النساء؟ قال كذلك حفاة عراة قالت واسواتناه من يوم القيامة : قال وعن ذلك تسألين إنه قد نزلت علي آية لا يضرک کان عليك ثياب أم لا قالت أي آية هي يا نبي الله قال ﴿لَکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یَغْنِیْهِ﴾ . وقوله تعالى ﴿وَجْوهُ یَوْمَئِذٍ مَّسْفُورَةٌ﴾ أي مضيئة مشرقة ﴿صَاحِکَةٌ مَّسْتَبْشِرَةٌ﴾ وهي وجوه المؤمنين والمؤمنات أهل التقوى وجوههم حسنة مشرقة بالأنوار مستبشرون بالقدوم على ربهم والنزول بجواره الكريم . ﴿وَجْوهُ یَوْمَئِذٍ﴾ أي تقوم القيامة ويحشر الناس لفصل القضاء ﴿علیها غبرة﴾ أي غبار ﴿ترهقها﴾ أي تغشاها ﴿فترة﴾ . أي ظلمة وسواد أولئك أي الذين علیهم الغبرة وتغشاهم الفترة هم ﴿الکفرة﴾ في الدنيا ﴿الفجرة﴾ فيها الذين عاشوا على الکفر والفجور وماتوا على ذلك والفجور هو الخروج عن طاعة الله تعالى بترك الواجبات وغشيان المحرمات کالربا والزنا وسفک الدماء .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بیان شدة الهول يوم القيامة يدل عليه فرار المرء من أقربائه .
- ٢- خطر التبعات على العبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة .
- ٣- شدة الهول والفرع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف .
- ٤- ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورا على الوجه وإشراقا له وإضاءة وثمره الکفر والفجور تظهر ظلمة وسوادا على الوجه وغبارا .
- ٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض صورة من صورها .

(١) روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أينظر بعضنا بعضا؟ قال يا فلانة لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه . غرلاً: جمع أغرل وهو من لم تؤخذ غلغة ذكره بالختان .

(٢) مسفرة من طول قیام الليل والضرب في سبيل الله يقال أسفر الصبح إذا أضاء وأسفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مكية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوءُ دَسَّيِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

إذا : أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الأثني عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت .

كورت : أي لفت وذهب بنورها .

انكدرت : أي انقضت وتساقطت على الأرض .

سيرت : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا .

وإذا العشار : أي النوق الحوامل .

عطلت : أي تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر .

الوحوش حشرت : أي جمعت وماتت .

وإذا البحار سجرت : أي أوقدت فصارت نارا .

وإذا النفوس زوجت : أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر .

وإذا الموءودة : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة .

سئلت : أي تبيكتنا لقاتلها .

بأي ذنب قتلت : أي بلا ذنب .

وإذا الصحف نشرت : أي صحف الأعمال فتحت وبسطت .

- وإذا السماء كَشِطَتْ : أي نزعَت من أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة .
 وإذا الجحيم سمرت : أي النار أجمت .
 وإذا الجنة أزلقت : أي قرّبت لأهلها ليدخلوها .
 علمت نفس ما أحضرت : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر .

معنى الآيات :

قوله تعالى إذا الشمس كورت إلى قوله علمت نفس ما أحضرت اشتمل على اثني عشر حدثاً جللاً ، ستة أحداث منها في الدنيا وستة في الآخرة وكلها معتبرة شرطاً لجواب واحد وهو قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت أي من خير وشر لتجزى به والسياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي انكرها العرب المشركون وبالغوا في إنكارها مبالغة شديدة وكونها عليها مدار إصلاح الفرد والجماعة وأنه بدونها لا يتم إصلاح ولا تهذيب ولا تطهير عَنِ القرآن بها عناية فائقة ويدل لذلك أن فواتح سور والصفات والذاريات والطور والمرسلات والنازعات والتكوير والانفطار والانشقاق والبروج والفجر كل هذه بما فيها من إقسامات عظيمة هي لتقرير عقيدة البعث والجزاء .

وهذه الأحداث الستة التي تقع في الدنيا وهي مبادئ الآخرة :

- (١) تكوير الشمس بلفها وذهاب ضوئها .^(١)
 - (٢) انكدار النجوم بانقضائها وسقوطها على الأرض .^(٢)
 - (٣) تسيير الجبال بذهابها عن وجه الأرض واستحالتها إلى هباء يتطاير .^(٣)
 - (٤) تعطيل العشار وهي النوق الحوامل فلا تحلب ولا تركب ولا ترعى لما أصاب أهلها من الهول والفرع وكانت أفضل أموالهم وأحبها إلى نفوسهم .^(٤)
 - (٥) حشر الوحوش وموتها وهي دواب البر قاطبة .
 - (٦) تسجير البحار باشتعالها ناراً .^(٥)
- وهذه الأحداث الستة التي تقع في الآخرة :

- (١) قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة فتلف وقال الربيع كورت ورمي بها .
- (٢) انكدرت تهافتت وتناثرت ، وقال أبو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب إذا انكسر قال العجاج يصف صقراً :
 أبصر خربان فضاء فانكدر تقضي الباز إذا البازي كثر
- (٣) العشار واحداه عشاء وهي التي مضى على حملها عشرة أشهر ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع .
- (٤) أو جائز أن يكون تسجير البحار فيضانها بتجاوز مياهها معدل سطوحها ، وجائز أن تشتعل فيها النار فتحترق ، وظاهرة وجود البترول تحت سطحها تدل على أنها تحترق وتُسَجَّرُ كما يُسَجَّرُ التنور .

(١) تزويج النفوس وهو قرنهما بأجسادها بعد خلق الأجساد لها، وبعد ذلك بأمثالها في الخير والشر.

(٢) سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به؟

(٣) نُشِرُ صحف الأعمال وفتحها وبسطها.

(٤) كشط السماء أي نزعها من أماكنها نزع الجلد عن الشاة عند سلقها.

(٥) تسعير النار أي تأجيحها وتقويتها.

(٦) إزلاف الجنة وتقريبها لأهلها أهل الإيمان والتقوى.

وجواب هذه الأحداث التي وقعت شرطاً لحرف «إذا» هو قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت من حسنات فتصير بها إلى الجنة، أو سيئات فتصير بها إلى النار. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان مفصل عن مبادئ القيامة، وخواتيمها وفي حديث الترمذي الحسن الذي قال فيه رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت.

٣- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح إذ بهما المصير إلى الجنة.

٤- التهريب من الشرك والمعاصي إذ بهما المصير إلى النار.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾

﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾

﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿مُطَاعٍ﴾

﴿ثُمَّ آمِينَ﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقى الْمُبِينِ﴾

(١) الواد: دفن الطفلة وهي حية، وكان العرب في الجاهلية يثدنون البنات خشية العار، ويقتلون أولادهم خشية الفقر أو لنذرهم إياهم للالهة.

(٢) الكشط إزالة الإهاب «الجلد» عن الحيوان الميت.

(٣) روي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجريت القصة.

﴿٢٢﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾
 فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
 يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

- الخنس : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل .
- الجواري الكنس : أي التي تجري أحيانا وتكنس في مكانها أحيانا أخرى والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدراري الخمسة عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .
- إذا عسعس : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد .
- تنفس : أي امتد حتى يصير نهاراً بيناً .
- إنه : أي القرآن .
- لقول رسول كريم : أي جبريل كريم على الله تعالى وأضيف إليه القرآن لنزوله به .
- ذو قوة : أي شديد القوى .
- عند ذي العرش مكين : أي عند الله تعالى ذي مكانة .
- مطاع ثم أمين : أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمين على الوحي .
- وما صاحبكم بمجنون : أي محمد ﷺ أي ليس به جنون .
- ولقد رآه بالأفق المبين : أي ولقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها بالأفق الأعلى البين من ناحية المشرق .
- وما هو على الغيب : أي وما محمد ﷺ على الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء .
- بضنين : أي بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله .
- وما هو بقول شيطان رجيم : أي وليس القرآن بقول شيطان مسترق للسمع مرجوم .
- فأين تذهبون : أي فأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه .
- ما هو إلا ذكر للعالمين : أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن .
- أن يستقيم : أي يتحرى الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه .
- وما تشاءون إلا أن يشاء الله : أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما أشأها عبده .

معنى الآيات :

لما قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء بوصف كامل لأحداثها وكان الوصف من طريق الوحي فافتقر الموضوع إلى صحة الوحي والإيمان به فإذا صح الوحي وآمن به العبد آمن بصحة البعث والجزاء. ومن هنا أقسم تعالى بأعظم قسم على أن القرآن نزل به جبريل على محمد ﷺ وما يقوله محمد ﷺ هو كلام الله ووحيه وليس هو بمجنون يقول ما لا يدري ويهذر بما لا يعني ولا هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى إخوانهم من الكهان بل هو كلام الله صدقا وحقا وما يخبر به هو كما يخبر صدق وحق فقال تعالى فلا أي ليس^(١) الأمر كما تدعون بأن ما يقوله رسولنا هو من جنس ما تقوله الكهنة. ولا مما يقوله الشعراء، ولا هو بكلام مجانين. ولا هو سحر الساحرين أقسم بالخنس الجوارى الكنس أي بكل ما يخنس ويجري ويكنس من الظباء وبقر الوحش والكواكب والدراري الخمسة عطاردة والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. والمراد من الخنوس الاختفاء والكنوس إيوائها إلى مكانسها مواضع إيوائها. وقوله والليل إذا عسعس أي أقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر إذ لفظ عسعس بمعنى أقبل وأدبر فهو لفظ مشترك بين الإقبال والإدبار والصبح إذا تنفس أي امتد ضوءه فصار نهائاً بينا أقسم بكل هذه المذكرات على أن القرآن الذي يصف لكم البعث والجزاء حق الوصف هو قول رسول كريم أي جبريل الكريم على ربه ذي قوة لا يقادر قدرها فلا يقدر إنس ولا جن على انتزاع ما عنده من الوحي ولا على زيادة فيه أو نقص منه. عند ذي العرش سبحانه وتعالى مكين أي ذي مكانة محترمة مطاع في السموات أمين على الوحي هذا أولاً وثانياً والله وما صاحبكم محمد ﷺ بمجنون كما تقولون ولقد رآه أي رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق المبين رآه على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح رآه بالأفق ناحية الشرق وقد سد الأفق كله، والأفق بين والنهار طالع. وما هو أي محمد ﷺ على الغيب بضنين^(٣) أي بمظنون فيه التهمة بأن يزيد فيه أو ينقص منه أو يبدل فيه أو يغير كما هو ليس ببخيل فيظن فيه أنه يكتسب منه شيئاً أو يخفيه بخلاً به أو ينقص منه شحاً به وبخلاً. وما هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى أوليائهم من الإنس فيخلطون فيه ويكذبون. وقوله تعالى

(١) فلا أقسم الفاء للتفريع أي لتفريع الكلام اللاحق على السابق وجائز أن تكون لا مزيدة لتقوية القسم، وكونها نافية رداً على باطل المشركين أو لا كما في التفسير.

(٢) الخنس جمع خانسة وهي التي تخنس. أي تختفي، والكنس جمع كائنة: كنس الظبي إذا دخل كناسه بكسر الكاف وهو البيت الذي يتخذ للمبيت، وقيل الكنوس أن تأوي إلى مكانسها وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش والظباء. قال الأعشى:

فلما أتينا الحي أتلع أنس كما أتلعت تحت المكانس ريرب

(٣) فريء في السبع بظنين بالظاء ومعناه بمنهم من ظننت كذا وقرئ بضنين بالضاد بمعنى ببخيل ولذا شرحت الآية مراعياً فيها القراءتين وكلا المعنيين صحيح فلا هو ﷺ بمنهم على الوحي ولا ببخيل به ولا بغيره.

(١) فأين تذهبون ينكر عليهم مسلكتهم الشائن في تكذيب رسوله محمد ﷺ واتهامه بالسحر، والقرآن بالشعر والكهانة والأساطير. وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين أي ما القرآن الكريم إلا ذكر للعالمين من الإنس والجن يذكرون به خالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم وما له عليهم من حق العبادة وواجب الشكر ويتعظون به فيخافون ربهم فلا يعصونه بترك فرائضه عليهم ولا بارتكاب ما حرمه عليهم وقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم على منهاج الحق فيتحرى الحق أولا ويؤمن به ويعمل بمقتضاه ثانيا. ولما سمع أبو جهل هذه الآية ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم. أنزل تعالى قوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ فأكبت اللعين فاعلم أن من شاء الاستقامة من العالمين لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله تعالى له ولو لم يشأها الله تعالى والله ما شاءها العبد أبدا إذ مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد، وفي كل ما يشاؤه الإنسان فإن مشيئة الله سابقة لمشيئته لأن الإنسان عبد والله رب والرب لا مشيئة تسبق مشيئته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وأسمائه وصفاته.
- ٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
- ٣- بيان صفات جبريل الكمالية الأمانة، القوة، علو المكانة، الطاعة، الكرم.
- ٤- براءة الرسول مما اتهمه به المشركون.
- ٥- بيان أن مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد. فلا يقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

(١) فأين القادة لتفريع التوبيخ فهناك اسم استفهام عن المكان والاستفهام إنكاري.

وَأَخْرَجَتْ^(٥) يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ^(٦) لَذَى
خَلَقَكَ فَسَوْدَكَ فَعَدَلَكَ^(٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ^(٨)
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ^(٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ^(١٠) كِرَامًا
كُنِينِينَ^(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ^(١٢)

شرح الكلمات :

- إذا السماء انفطرت : أي انشقت .
وإذا الكواكب انتثرت : أي تساقطت .
وإذا البحار فجرت : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحرًا واحدًا المالح والعذب سواء .
وإذا القبور بعثرت : قلب ترابها وبعث موتاها .
علمت نفس ما قدمت : أي من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله وذلك عند قراءتها كتاب أعمالها .
ما غرك ربك : أي شيء خدعك وجراك على عصيانه .
الذي خلقتك : أي بعد أن لم تكن .
فسواك : أي جعلك مستوى الخلقة سالم الأعضاء .
فعدلك : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أطول أو رجل أطول من الأخرى .
كلا بل تكذبون بالدين : ليس الكرم هو الذي غره وإنما جرّاه على المعاصي تكذيبه بالدين الذي هو الجزاء بعد البعث حيًّا من قبره .
وإن عليكم لحافظين كراما : أي وإن عليكم لملائكة كراما على الله تعالى حافظين لأعمالكم .
كاتبين : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسننها وقبيحها .

معنى الآيات :

قوله تعالى إذا السماء انفطرت أي انشقت وإذا الكواكب انتثرت أي انفطرت وتساقطت وإذا

(١) إذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط . وجوابه علمت نفس ما قدمت وأخرت .
(٢) صيغة الماضي في انفطرت وانتثرت ، وفجرت وبعثرت للدلالة على تحقق الوقوع نحو (أتى أمر الله) .

البحار فجرت أي اختلط ماؤها ببعضه ببعض ملحقها بعذبها لانكسار ذلك الحاجز الذي كان يفصلهما عن بعضهما لزلزلة الأرض إيداناً بخراب العالم، وإذا القبور بعثرت قلبت وأخرج ما فيها من الأموات، إذا حصلت هذه الأحداث الأربعة ثلاثة منها في الدنيا وهي انفطار السماء وانتشار الكواكب وتفجر البحار وهذه تتم بالنفخة الأولى والرابع وهو بعثرة القبور يتم في الآخرة بعد النفخة الثانية، وعندها تعلم نفس ما قدمت وما أخرت وهذا جواب إذا في أول الآيات. ومعنى علمت نفس أي كل نفس مكلفة ما قدمت من أعمال حسنة أو سيئة، وما أخرت من أعمال لحقتها بعدها وذلك ماسته من سنن الهدى أو سنن الضلال، لحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها لا ينقص من أوزارهم شيء، وهذا العلم يحصل للنفس أولاً مجملًا وذلك عند ابيضاض الوجوه واسودادها، ويحصل لها مفصلاً عندما تقرأ كتاب أعمالها. وقوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم يخاطب تعالى الإنسان الكافر والفاجر ليسأله موبخاً إياه مقررًا مؤنباً بقوله ما غرك أي أي شيء خدعك وجراك على الكفر بربك الكريم وعصيانه بالفسق عن امره والخروج عن طاعته. وهو القادر على مؤاخذتك والضرب على يديك ساعة ما كفرت به أو عصيته أليس هو الذي خلقك فسوى خلقك وعدل أعضائك وناسب بين أجزائك في أي صورة ما شاء ركبك إن شاء يبضك أو سودك طولك أو قصرك جعلك ذكراً أو أنثى إنساناً أو حيواناً قرداً أو خنزيراً هل هناك من يصرفه عما أراد لك والجواب لا أحد إذا كيف يسوغ لك الكفر به وعصيانه والخروج عن طاعته ويعد هذا التوبيخ والتأنيب قال تعالى كلا أي ما غرك كرم الله ولا حلمه بل تكذيبكم بالدين أي بالبعث والجزاء في الدار الآخرة هو الذي جراكم على الكفر والظلم والإجرام وما علمتم والله إن عليكم لحافظين يحفظون عليكم أعمالكم ويحسونها لكم ويكتبونها في صحائفكم. يعلمون ما

(١) بعثرت: انقلب باطنها ظاهرها إذ البعثرة الانقلاب يقال بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض.

(٢) ليس بلام أنها بمجرد ما يحصل الذي جعلت إذا شرطاً له يتم العلم للنفس، وإنما إذا قامت القيامة بحصول الانقلاب الكوني وحشر الناس لفصل القضاء ثم يحصل للنفس. فتعلم ما قدمت وما أخرت.

(٣) الإنسان هنا للجنس وقيل المراد به أبو الأسد بن كلدة الجمحي والاستفهام للإتكار عليه كفره والتعجب من حاله وندائه يا أيها الإنسان مشعر بالاهتمام.

(٤) (فعدلك) قرأ نافع فعذلك بتشديد الدال. وقرأ حفص بتخفيفها.

(٥) روي أن النبي ﷺ قرأ (إذا السماء انفطرت) قال غره جهله قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال (ما غرك بربك الكريم) ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني ستورك المرخاة لأن الكريم هو الستار نظمه ابن السماك فقال:

يا كاتم الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله وستره طول مساويكا

تفعلون في السر والعلن وسوف تفاجأون يوم تعلم نفس ما قدمت وأخرت بصخائف أعمالكم وقد حوت كل أعمالكم لم تغادر صغيرة منها ولا كبيرة ويتم الجزاء بموجبها.
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان أحداث تسبق يوم البعث وذلك في نفخة الفناء وأما النفخة الثانية وهي نفخة البعث حيث تجمع الخلائق ويجرى الحساب فتعطى الصحف وتوزن الأعمال وينصب الصراط، ثم إلى جنة أو إلى نار.

٢- التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإن أوزارها تكتب عليه وهو في قبره.

٣- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس أو الجن.

٤- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنه أكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة.

٥- تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسناتها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف لحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ

الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ

﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

إِنَّ الْأَبْرَارَ : أي المؤمنين المتقين الصادقين.

وإِنَّ الْفُجَّارَ : أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ : أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ : أي بمخرجين.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ : أي أي شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك.

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا : أي من المنفعة وإن قلت.

والأمر يومئذ لله : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه .

معنى الآيات :

تقدم أن العرض على الله حق وإن المجازاة تكون بحسب الأعمال التي عملها المرء، وأنها محفوظة محصاة عليه بواسطة ملائكة كرام . وأن الناس يومئذ كما هم اليوم مؤمن بار وكافر فاجر . بين تعالى جزاء الكل مقرونا بعلة الحكم فقال عز وجل إن الأبرار لفي^(١) نعيم أي في الجنة دار السلام وذلك لبرورهم وهو طاعتهم لله في صدق كامل وإن الفجار لفي جحيم أي نار ذات جحيم وذلك لفجورهم وهو كفرهم وخروجهم عن طاعة ربهم . وقوله يصلونها أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الدين أي يوم الجزاء الذي كفروا به فأدى بهم إلى الفجور وارتكاب عظام الذنوب . وقوله وما هم عنها بغائبين أي إذا دخلوها لا يخرجون منها . وقوله وما أدراك ما يوم الدين أي وما يعلمك يارسولنا ما يوم الدين إنه يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين هكذا يخبر تعالى عن عظم شأن هذا اليوم . ويؤكد ذلك فيقول ثم ما أدراك ما يوم الدين ويكشف عن بعض جوانب الخطورة بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من المنفعة حيث يكون الأمر كله فيه لله وحده ولا تنفع فيه الشفاعة إلا بإذنه وما للظالمين فيه من شفيع ولا حميم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم وفاجر كافر فهو في جحيم .
- ٢- بيان عظم شأن يوم الدين وأنه يوم عظيم .
- ٣- بيان أن الناس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة إذ لا يشفع أحد إلا بإذن الله والكافرون هم الظالمون، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع .

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، إذ تقدم من الكلام ما يجعل المرء يتشوق إلى معرفة مصير الناس يوم القيامة والأبرار جمع بر وهو التقي المطيع الصادق والنعيم اسم لما ينعم به .

(٢) يصلونها قال القرطبي يُصيهم حرها ولهيها وهذا قطعاً بعد دخولها .

(٣) كونهم لا يغيبون عنها دال على أن الفجار هم المشركون والكافرون إذ المؤمنون لا يخلدون في النار .

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

مدنية الأوائل مكة الأواخر وآياتها ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

ويل	: كلمة عذاب ، وواد في جهنم .
للمطففين	: المنقصين في كيل أو وزن البخسين فيهما .
إذا اکتالوا على الناس	: أي من الناس .
يستوفون	: الكيل .
وإذا كالوهم	: أي كالوا لهم .
أو وزنوهم	: أي وزنوا لهم .
يخسرون	: أي ينقصون الكيل أو الوزن .
ألا	: استفهام توبيخي انكاري .
يظن	: أي يتيقن .
ليوم عظيم	: أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور .
يوم يقوم الناس	: أي من قبورهم .
لرب العالمين	: أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ويل للمطففين^(١) هذه الآيات الأولى من سورة المطففين قال أحد الأنصار رضي الله عنه
كنا أسوأ الناس كيلا^(٢)، حتى إنه ليكون لأحدنا مكيالان مكيال يشتري به وآخر يبيع به، وما إن

(١) روى النسائي عن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى : (ويل
للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، قال القرطبي : فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا .

(٢) أيام نزول هذه السورة كان أهل المدينة يكيلون وأهل مكة يزنون ثم شاع الكيل والوزن في كلا البلدين معاً .

نزلت فينا ويل للمطففين حتى أصبحنا أحسن كيلا ووزنا . وصدق هذا الصاحب الجليل فوالله لقد نزلت المدينة مهاجرا عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف فوجدتهم على ما كانوا عليه ولقد كنت أشفق عليهم إذا كالوا لي أو وزنوا لي . فقله تعالى ويل للمطففين يتوعد سبحانه وتعالى بواد في جهنم بسيل صديد أهل النار الذين يبغسون الناس الكيل والميزان أي ينقصونهم وبينهم تعالى بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون أي اشتروا منهم يأخذون كيلهم وافيًا وكذا إذا وزنوا وإذا كالوهم أي كالوا لهم^(١) أو وزنوا لهم يخسرون أي ينقصون . قال تعالى موبخا لهم منكرا ألا يظن أولئك المطففون أنهم مبعوثون من قبورهم ليوم عظيم هو يوم الدين والجزاء والحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين خاشعين ذليلين ينتظرون حكمه فيهم ، ويطول بهم الموقف المائة سنة وأكثر وإن أحدهم ليلجمه العرق إلجاما ومنهم من يصل العرق إلى نصف أذنيه والروايات في هذا كثيرة وصحيحة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- حرمة التطفيف في الكيل والوزن وهو أن يأخذ زائداً ولو قل أو ينقص عامداً شيئاً ولو قل . وما كان بغير عمد ولا قصد فإنه مما يُعفا عنه .
- ٢- التذكير بالبعث والجزاء وتقديرهما .
- ٣- عظم يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحكم بينهم ويجزي كلا بعمله خيرا أو شرا .

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾

(١) يروي بعضهم أن التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة وأسوأ الناس سرقة من يسرق في صلاته وروي عن سالم بن أبي الجعد : قال الصلاة بمكيال فمن أوفى أوفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل .
(٢) شاهده قول الشاعر :

ولقد جنيتك اكموا وعساقلًا ونهيتك عن بنات الأوبر

والشاهد في قوله جنيتك أي جنيت لك .

(٣) المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل ، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن والتطفيف هو النقص من حق المقدار في الموزون والمكيال ، وهو مصدر طفف إذا بلغ الطفاف ، والطفاف ما قصر عن ملء الإناء من شراب أو طعام ، ويطلق الطف على ما تجاوز عرض المكيال فهي زيادة طفيفة أو نقصان طفيف وهما محل النهي وفاء أو نقصان .

(٤) روى مالك والبخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال خمس بخمس : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشى فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون ، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر .

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

- كلا : أي حقا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون .
- لفي سجين : سجين علم على كتاب ديوان الشر دُونَ فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة وهو أيضا موضع في أسفل الأرض السابعة فيه سجين الذي هو ديوان الكتب وبه أرواح الأشقياء عامة .
- كتاب مرقوم : أي مسطور بين الكتابة فيه أعمالهم .
- يوم الدين : أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء .
- كل معتد : أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالى وحقوق غيره .
- أثيم : منغمس في الآثام مكثر منها .
- أساطير الأولين : أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في التحذير من الظلم والفسق عن أوامر الرب تبارك وتعالى وقوله تعالى كلا أي ليس الأمر كما يظن المطففون والباخسون للحقوق أنه لادقة في الحساب والجزاء أو أن مثل هذا لا يكتب ولا يحاسب عليه ولا يجزى به حقا إن كتاب الفجار أي الظلمة الفاجرين عن الشرع وحدوده لفي سجين موضع في أسفل الخلق به أرواح الكافرين والظالمين وكتب أعمالهم ، وقوله ﴿وما أدراك ما سجين﴾ أي وما أعلمك يارسولنا ما سجين تفخيم لشأنه . وقوله كتاب مرقوم بيان لكتاب الفجار أي انه مكتوب مسطور بين الكتابة ، ويل يومئذ للمكذبين أي العذاب الأليم بوادي الويل يوم القيامة للمكذبين بالله وآياته ولقائه المكذبين بيوم الجزاء والحساب وقوله تعالى : ﴿وما يكذب به إلا كل معتد أثيم﴾ يريد وما يكذب بيوم الجزاء والحساب إلا كل معتد ظالم متجاوز للحد أثيم مرتكب للذنوب والآثام بفسقه عن أوامر ربه وخروجه عن طاعة الله بغشيانه

(١) كلا كلمة ردع وزجر لأولئك الذين يطففون ألا فليترجروا ويتركوا التطفيف والبخس في الكيل والوزن .

(٢) الاستفهام للتهويل من شأن سجين .

(٣) كتاب خبر محذوف المبتدأ والتقدير هو أي كتاب الفجار كتاب وقوم .

(٤) الأثيم مبالغة في الإثم أي كثير الإثم والإثم كل اعتقاد أو قول أو عمل ضار قبيح أو فاسد .

المحارم وقوله ﴿ إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ هذابيان لذلك المعتدي الأثيم هو انه إذا قرئت عليه آيات الله تذكيرا له وتعليلما ردها بقوله أساطير الأولين أي هذه حكايات وأخبار الأولين مسطرة مكتوبة وأنكر كتاب الله وكذب به .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان كتاب الفجار وأنه في سجين وسجين ديوان تدون فيه سائر كتب الفجار من أهل النار وموضع أسفل الأرض السابعة مستودع لكتب أعمال الفجار من كفار وفساق ولأرواحهم إلى يوم القيامة ولفظ سجين مشتق من السجن الذي هو الحبس .
- ٢- الوعيد الشديد للمكذبين بالله وبآياته ولقائه .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- ران على قلوبهم : أي غطى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق .
- ما كانوا يكسبون : أي من الذنوب والآثام .
- لمحجوبون : أي يحال بينهم وبين رؤية الرب إلى يوم القيامة .
- لصالوا الجحيم : أي لداخلوها ومحقرون معذبون بها .
- هذا الذي كنتم به تكذبون : أي يقال لهم توبيخا وخزيا لهم وهم في العذاب هذا الذي كنتم به تكذبون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في التنديد بالاعتداء والمعتدين والإثم والأثمين فقال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي ما الأمر كما يدعون من أن القرآن أساطير الأولين وإنما ران على

(١) الران والرین مصدران لران يرین ریناً وراناً كالغيب والغاب والذيم والذام .

(١) قلوبهم أي غشاها وغطاها أثر الذنوب والجرائم فحجبها عن معرفة الحق وقوله، وقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي ردعا لهم وزجرا عن أقوالهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة إنهم عن ربهم لمحجوبون فلا يرونه ولا يرون كرامته ثم إنهم لصالو الجحيم أي لداخلوها ومصطلون بحرهما معذبون بأنواع العذاب فيها ثم يقال لهم توبيخا وخزيا وتأنيبا هذا أي العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون حتى واصلتم كفركم وإجرامكم فحل بكم هذا الذي أنتم فيه الآن فذوقوا فلن تزدادوا إلا عذابا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها حيث يؤدي ذلك بالعبد إلى أن يُحرم التوبة ففي حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

٢- تقرير رؤية الله تعالى في الآخرة بدليل قوله إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي الأشقياء إذا فالسعداء غير محجوبين فهم يرون ربهم ويشهد له قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ

﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ

﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي

وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾

خَتَمُوهُمْ بِمِسْكِ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْاجِعُ

مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

(١) روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

شرح الكلمات :

كتاب الأبرار : أي كتاب أعمالهم والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون .
 لفي عليين : أي في موضع يسمى عليين في أعلى الجنة .
 كتاب مرقوم : أي كتاب مرقوم بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة .
 يشهده المقربون : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء ويحفظونه لأنه يحمل أماناً لصاحبه من النار وفوزه بالجنة .

إن الأبرار لفي نعيم : أي إن الذين يروا ربهم بطاعته بأداء الفرائض واجتناب النواهي لفي نعيم الجنة .

على الأرائك : أي على الأسرة ذات الحجال .

ينظرون : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم .

تعرف في وجوههم نضرة النعيم : أي حسنه وبريقه وتلألؤه .

من رحيق : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس .

مختوم : أي مختوم على إنائها لا يفك ختمه إلا هم .

ختامه مسك : أي آخر شرابها يفوح برائحة المسك .

وفي ذلك : أي لا في غيره .

فليتنافس المتنافسون : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم .

ومزاجه من تسنيم : أي ومزاج شرابهم من عين تجري من عال تسمى التسنيم .

عينا يشرب بها المقربون : عينا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين .
 معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى كتاب الفجار وما ختم له به ذكر كتاب الأبرار وما ختم له به فقال كلا أي حقا إن كتاب الأبرار وهم جمع بر أو بار وهو المؤمن الذي بر ربه بطاعته في أداء فرائضه واجتناب نواهيهِ وكان صادقا في ذلك كتاب أعمال هؤلاء الأبرار في عليين وما أدراك^(١) يارسولنا ما عليون إنه موضع في أعلى الجنان . وقوله كتاب مرقوم يريد كتاب الأبرار الموضوع في عليين كتاب مرقوم

(١) الاستفهام للتفخيم والتعظيم بشأن عليين إذ هو في أعلى مرتبة وأسمى منزلة .

(٢) قال البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عليون في السماء السابعة تحت العرش .

بأمان من الله لصاحبه من النار والفوز بالجنة يشهده المقربون أي مقربو كل سماء يحضرونه ويحفظون له ويشهدون بما فيه من الأمان لصاحبه من النار والفوز بالجنة . وقوله تعالى إن الأبرار^(١) وأصحاب الكتب المودعة في عليين لفي نعيم يريد يوم القيامة والنعيم هو نعيم الجنة وهذا لون منه على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إنهم جالسون على الأرائك ينظرون^(٢) باستحسان وإعجاب ملكهم الكبير الذي ملكهم الله تعالى وقد يمتد مسافة ألفي سنة وينتهي إليه بصرهم تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي حسنه وبريقه وتلألؤه وقوله يسقون من رحيق مختوم أي من خمر هي الرحيق صافية لا دنس فيها ولا غش مختوم على أوانيها لا يفكها إلا هم . ختامه مسك آخر هذا الشراب^(٣) يفوح برائحة المسك الأذفر فهي طيبة الرائحة للغاية . وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أي وفي مثل هذا النعيم لا في غيره من حطام الدنيا وشرابها وملكها الزائل يجب أن يتنافس المتنافسون أي في طلبه بالإيمان وصالح الأعمال بعد البعد كل البعد عن الشرك وسبي الأقوال وقبح الأفعال . وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون . أي إن ذلك الرحيق يمزج لأصحاب اليمين بماء عين تسمى التسنيم ويشربه المقربون صرفا أي خالصا بدون مزج من عين التسنيم وقوله يشرب بها الباء بمعنى من أو ضمن يشرب معنى يلتذ أي يلتذ بها وقد سبق في سورة الإنسان وقلت إنها لطيب شرابها تكاد تكون آلة للشرب فتكون الباء للآلة على بابها نحو شربت بالكأس .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الثناء على الأبرار وبيان ما أعد الله تعالى لهم وهم المؤمنون المتقون الصادقون في ذلك .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجري فيها .
- ٣- الترغيب في العمل الصالح للحصول على نعيم الجنة لقوله تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ .

(١) الأبرار جمع برهم أهل الطاعة والصدق فيها .

(٢) وقيل ينظرون إلى أعدائهم في النار وهم على أرائكهم ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز .

(٣) الرحيق هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش ، النيرة قال حسان :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

والبريص نهر بدمشق ويردى نهر آخر بها ويصفه يخرج والرحيق الخمر البيضاء .

(٤) يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة أي ضنت به ولم أحب أن يصير إليه وذلك لحسنه وجوده وتعلق النفس به .

إِنَّ الَّذِينَ

أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ
حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾
عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانَُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

إن الذين أجروا : أي على أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأمّية بن خلف وعتبة بن أبي معيط .

من الذين آمنوا : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب .

يتغامزون : أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم .

فكهين : أي إذا رجعوا إلى ديارهم وأهلهم يرجعون نشاوى فرحين معجبين بحالهم .

وإذا رأوهم : أي وإذا رأى أولئك الفكهون رأوا المؤمنين .

قالوا إن هؤلاء لضالون : إن هؤلاء يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ لضالون

بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد .

وما أرسلوا عليهم حافظين : أي ولم يكلفهم الله تعالى بحفظ أعمالهم ورعاية أحوالهم .

ولأنما هم متطفلون .

فاليوم : أي يوم القيامة .

من الكفار يضحكون : أي من أجل ما هم فيه من العذاب حيث يرونهم وهم على أرائكهم .

هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر

والفساد؟ والجواب نعم نعم نعم .

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى حال الأبرار في دار الأبرار وذكر ما شاء الله أن يذكر من نعيمهم ترغيباً وتعليماً بعد أن ذكر في الآيات قبلها حال المجرمين وما أعد لهم من عذاب في دار العذاب . ذكر تعالى هنا في خاتمة السورة ما أوجب للمجرمين وهو النار، وما أوجب للمؤمنين وهو الجنة فذكر طرفاً من سلوك المجرمين وآخر من سلوك المؤمنين فقال عز من قائل إن الذين أجروا أي على أنفسهم أي أفسدوها بالشرك والشر والفساد كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي وغيرهم كانوا من الذين آمنوا كبلال وعمار وصهيب وخبيب وأضرابهم من فقراء المؤمنين يضحكون استهزاء بهم وسخرية . وإذا مروا بهم في شوارع مكة وحول المسجد الحرام يتغامزون يشيرون إليهم بالجفن والحاجب على عادة المتكبرين وإذا انقلبوا أي رجعوا إلى أهلهم في ديارهم انقلبوا فكهين^(١) ناعمين معجبين بحالهم فرحين بما عندهم وإذا رأوهم أي وإذا رأى أولئك المجرمون المؤمنين أشاروا إليهم وقالوا إن هؤلاء لضالون بتركهم دينهم واعتناق دين محمد الجديد في نظرهم . قال تعالى وما أرسلوا عليهم^(٢) حافظين أي على أعمالهم وأحوالهم حتى يقولوا ما قالوا وإنما هم متطفلون يدعون ما ليس لهم لقبح سلوكهم وسوء فهمهم، قال تعالى فاليوم^(٣) يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أي من الكفار على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إلى الكفار وهم في النار ويضحكون منهم وهم يعذبون ولا عجب في كيفية رؤيتهم لهم وهم في النار أسفل سافلين والمؤمنون في أعلى عليين إذ البث التلفزيوني اليوم قطع العجب وأبطله . وقوله تعالى هل ثوب^(٤) الكفار أي هل جوزي الكفار على أفعالهم الإجرامية؟ والجواب معلوم مما تقدم إذ وصفت حالهم وبين عذابهم والعياذ بالله من عذابه وأليم عقابه .

(١) الإجماع مصدر أجم إذا ارتكب الجرم وهو الإثم العظيم وأعظمه الشرك والكفر.

(٢) معنى يضحكون منهم أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفسق والضعف أو ترك دينهم إلى دين آخر قال الحارث بن عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عشمية كأن لم ترقلي أسيراً يمانياً

(٣) قرأ نافع والجمهور فاكهين بصيغة اسم الفاعل، وقرأ حفص بدون ألف على أنه جمع فكه صفة مشبهة، والمعنى واحد كفارح وفرح .

(٤) الجملة متضمنة معنى التهكم بأولئك الضاحكين الساخرين من فقراء المؤمنين .

(٥) تقديم الظرف فالיום للاهتمام به لأنه يوم الجزاء وفيه تشفى صدور المؤمنين من الأعداء .

(٦) الجملة فلذلك ما تقدم من اعتداء المشركين على المؤمنين وما ترتب عليه من الجزاء يوم القيامة والاستفهام بهل تقريرى وتعجب من عدم إفلاتهم منه بعد دهور، وثوب بمعنى أعطى الثواب يقال أثابه وثوبه إذا أعطاه ثوابه وهو جزاء عمله وفي التفسير الثواب تهكم واضح بالمشركون نحو بشرهم بعذاب أليم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- التنديد بالإجرام والمجرمين .

٢- بيان ما كان عليه المشركون في مكة إبان الدعوة وما لقيه المؤمنون منهم .

٣- بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم ويضحكون منهم وهم في نعيمهم والمشركون في جحيمهم .

٤- بيان إكرام الله لأوليائه ، وإهانته تعالى لأعدائه .

سُورَةُ الْأَنْشُقُقِ

مكية وآياتها خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا حَافِلًا قِيَهُ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلَبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

إذا السماء انشقت : أي بالغمام وهو سحب أبيض رقيق وذلك لتزول الملائكة .

وأذنت لربها : أي سمعت وأطاعت .

وحقت : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه .

وإذا الأرض مدت : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل .

وألقت ما فيها وتخلت : أي ألقت ما فيها من الموتى ألقتهم أحياء إلى ظهرها وتخلت عنه أي عما كان في بطنها.

إنك كادح : أي عامل كاسب للخير أو الشر.
إلى ربك كدحا : أي إلى أن تلقى ربك وأنت تعمل وتكسب فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.

فملاقه : أي ملاق ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.
كتابه : أي كتاب عمله وذلك بعد البعث.
وينقلب إلى أهله مسرورا: أي بعد الحساب اليسير يرجع إلى أهله في الجنة من الحور العين فرحا.

وراء ظهره : أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.
يدعو ثبورا : أي ينادي هلاكه قائلا واثبورا واثبورا أي ياهلاكه.
ويصلى سميرا : أي ويحرق بالنار تحريقا وينضج انضاجا بعد أخرى على قراءة يُصلَّى بالتضعيف.

إنه ظن أن لن يحور : أي انه كان في الدنيا يظن انه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت فلذا لم يعمل خيرا قط ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ يخبر تعالى أنه إذا انشقت السماء أي تصدعت وتفطرت وذابت فصارت كالدهان ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ أي وسمعت لأمر ربها واستجابت ﴿فَكَانَتْ﴾ كما أمرها الله أن تكون منشقة منفطرة حتى تكون كالمهل ، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ﴾ من الأديم واتسعت رقعتها حيث زال منها الجبال والأكام والمباني والعمارات وأصبحت قاعا صفصفا ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي ما في بطنها من أموات ﴿وتخلت﴾ عنه أي عما كان في بطنها ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في ذلك كله أي سمعت وأجابت ﴿وحقت﴾ أي وحق لها أن تسمع وتجب وتطيع

(١) شاهده قوله ﷻ ما أذن الله لشيء كإذنه لشيء يتغنى بالقرآن أي ما استمع لشيء الخ . وقال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أذنوا بمعنى سمعوا.

(٢) إذا ظرف خافض لشرطه منوصب بجوابه.

(١)

وجواب إذا الأولى والثانية واحد وهو ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ أو ما أحضرت كما تقدم نظيره في التكوير والانفطار. وقوله تعالى ﴿يا أيها الإنسان﴾ أي يا بن آدم ﴿إنك كادح إلى ربك﴾ كدحا ﴿أي إنك عامل تعمل يوميا وليل نهار إلى أن تموت وتلقى ربك إنك لا تبرح تعمل لا محالة وتكسب بجوارحك الخير والشر إلى الموت حيث تنتقل إلى الدار الآخرة وتلقى ربك وتلاقيه هذا يشهد له قول الرسول ﷺ في الصحيح ^(٢) [كلكم يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها]، إذا فمن الخير لك يا أيها الإنسان المكلف أن تعمل خيرا تلاقي به ربك فيرضى عنك به ويكرمك إنك حقا ملاق ربك بعملك فأنصح لك أن يكون عملك صالحا وانظر إلى الصورة التالية ^(٣) فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴿لأنه حوى الخير ولا شر فيه﴾ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴿ينظر في كتابه ويقرر هل فعلت كذا فيعترف ويتجاوز عنه وينقلب إلى أهله في الجنة وهم الحور العين والنساء المؤمنات والذرية الصالحة يجمعهم الله ببعضهم كرامة لهم وهو قوله تعالى ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وأما من أوتي كتابه ﴿أي كتاب أعماله

حضورك ﴿ويصلى﴾ سعيرا ﴿أي ويدخل نارا مستعرة شديدة الالتهاب ويصلى أيضا فيها تصلية أي ينضج فيها لحمه المرة بعد المرة وأبدا. والعياذ بالله وعلة ذلك وسببه هو ﴿أنه كان في أهله﴾ في الدنيا ﴿مسرورا﴾ لا يخاف الله ولا يرجو الدار الآخرة يعمل ما يشاء ويترك ما يشاء إنه ظن أن لن يحور أي انه لا يرجع حيا بعد موته ولا يحاسب ولا يجزى هذه علة هلاكه وشقائه فاحذروها

أيها الناس اليوم فآمنوا بربكم ولقائه واعملوا عملاً ينجيكم من عذابه . وقوله تعالى ﴿بلى إن ربه كان به بصيراً﴾ أي ليحورن وليبعثن وليحاسبن وليس كما يظن انه لا يبعث ولا يحاسب ولا يجزى بل لابد من ذلك كله إن ربه تعالى كان به ويعمله بصيراً لا يخفى عليه من أمره شيء ونتيجة لذلك تم له هذا الحساب والعقاب بآمر العذاب وأشدّه دخول النار وتصلية جحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان مقدماته في انقلاب الكون .
- ٢- بيان حتمية لقاء الإنسان ربه .
- ٣- كل إنسان مكلف بالعقل والبلوغ فهو عامل وكاسب لا محالة إلى أن يموت ويلقى ربه .
- ٤- أهل الإيمان والتقوى يحاسبون حساباً يسيراً وهو مجرد عرض لا غير ويفوزون أما من نقوش الحساب فقد هلك وعذب لأنه لا يملك حجة ولا عذراً .
- ٥- التمتع في الدنيا والانكباب على شهواتها وملاذها مع ترك الطاعات والصالحات ثمرة عدم الإيمان أو اليقين بالبعث والجزاء .

فَلَا أُقْسِمُ

بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ
﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- بالشفق : أي بالحرمة في الأفق بعد غروب الشمس .
وما وسق : أي دخل عليه من الدواب وغيرها .
إذا اتسق : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض .

(١) جائز أن يكون (لا) صلة أي فاقسم بالشفق وكونها نافية لكلام سابق كما في التفسير هو اختيار بن جرير .

طبقا عن طبق : أي حالا بعد حال الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة .
فما لهم لا يؤمنون : أي أي مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم والحجج كثيرة تتلى عليهم .

وإذا قرىء عليهم القرآن: أي تلى عليهم وسمعه .
لا يسجدون : أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا .
بما يوعون : أي يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب .
لهم أجر غير ممنون : أي غير مقطوع .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ فلا أقسم ﴾ أي فليس الأمر كما تدعون من أنه لا بعث ولا جزاء أقسم بالشفق وهي حمرة الأفق بعد غروب الشمس والليل وما وسق أي وما جمع من كل ذي روح من سابح في الماء وطائر في السماء وسارح في الغبراء والقمر إذا اتسق أي اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض .
وجواب القسم قوله تعالى لتركين طبقا عن طبق أي حالا بعد حال الموت ثم الحياة، ثم العرض، ثم الحساب، ثم الجزاء فهي أحوال وأحوال فليس الأمر كما تتصورون من أنه موت ولا غير . وقوله تعالى ﴿ فما لهم لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ أي ما للناس لا يؤمنون أي شيء منعمهم من الإيمان بالله ورسوله والدار الآخرة مع كثرة الآيات وقوة الحجج وسطوع البراهين . وما لهم أيضا إذا تلى عليهم القرآن وسمعه لا يخضعون ولا يخشعون ولا يخرون ساجدين مع ما يحمل من أنواع الحجج والبراهين وقوله تعالى بل الذين كفروا أي بدل أن يؤمنوا ويسلموا يكذبون والله أعلم بما يوعون في قلوبهم من الكفر والتكذيب وفي نفوسهم من الحسد والكبر والغل والبغض وبناء على ذلك فيشرهم يارسلنا أي اخبرهم بما يسوءهم بعدذاب أليم عاجلا وأجلا إلا الذين آمنوا أي منهم آمنوا بالله ورسوله وآيات الله ولقائه وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض واجتنبوا

(١) أكثر أهل العلم على أن الشفق الحمرة بعد غروب الشمس قال الفراء سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر . وقال الشاعر : وأحمر اللون كمحمر الشفق .

(٢) من شواهد هذه الحقيقة قول الشاعر :

كذلك المرء إن ينسأ له أجل يركب على طبق من بعده طبق

(٣) الاستفهام للإنكار عليهم والتعجب من حالهم في ترك الإيمان .

(٤) يكذبون صيغة المضارع تدل على استمرار تكذيبهم والصلة هي الكفر . فلو آمنوا ما كذبوا ولكفرهم يكذبون رسول الله ﷺ فيما جاء به وأخبر عنه .

(٥) فيشرهم الفاء للتفريع والترتيب والبيارة هنا للتهكم بهم .

(٦) الاستثناء منقطع بمعنى لكن الذين آمنوا، الخ .

المحارم فهو لا لهم اجر أي ثواب عند الله إلى يوم يلقونه غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع في الجنة دار السلام . اللهم اجعلنا من أهلها برحمتك يا أرحم الراحمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان أن الإنسان مقبل على أحوال وأهوال حالا بعد حال وهو لا بعد هول إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

٢- بيان أن عدم إيمان الإنسان بربه أمر يستدعي العجب إذ لا مانع للعبد من الإيمان بخالقه وهو يعلم أنه مخلوق وقد تعرف إليه فأنزل كتبه وبعث رسله وأقام الأدلة على ذلك .

٣- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية وهي وإذا قرأ عليهم القرآن لا يسجدون .

٤- علم الله تعالى بما يعي الإنسان في قلبه وما يحمل في نفسه فذكره للعبد بأن يراقب ربه فلا يعي في قلبه إلا الإيمان ولا يحمل في نفسه إلا الخير فلا غل ولا حسد ولا شك ولا عداة ولا بغضاء .

سُورَةُ الْبُرُوجِ

مكية وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- ذات البروج : أي منازل الشمس والقمر الاثنى عشر برجاً .
 واليوم الموعود : أي يوم القيامة إذ وعدت الله تعالى عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء .
 وشاهد : أي يوم الجمعة .
 ومشهود : أي يوم عرفة .
 قُتل أصحاب الأخدود : أي لُعن أصحاب الأخدود .
 الأخدود : أي الحفر تحفر في الأرض وهو مفرد وجمعه أخاديد .
 إذ هم عليها قعود : أي على حافتها وشفيرها .
 وما نقموا منهم : أي ما عابوا أي شيء سوى إيمانهم بالله تعالى .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والسماوات ذات البروج﴾^(١) هذا قسم من أعظم الأقسام إذ أقسم تعالى فيه بالسماوات ذات البروج وهي منازل الشمس والقمر الاثنا عشر برجاً،^(٢) وباليوم الموعود وهو يوم القيامة إذ وعد الرب تعالى عباده أن يجمعهم فيه ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون وبالشاهد وهو يوم الجمعة وبالمشهود وهو يوم عرفة وجواب القسم أو المقسم عليه محذوف قد يكون تقديره لتبعثن ثم لتنبؤن لأن السورة مكية والسور المكية تعالج العقيدة بأنواعها الثلاثة التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، وجائز أن يكون الجواب قتل بتقدير اللام وقد نحو لقد قتل أي لعن أصحاب الأخدود وهي حفر حفرها الكفار وأججوا فيها ناراً وأتوا بالمؤمنين المخالفين لدينهم وعرضوا عليهم الكفر أو الإلقاء في النار فاختاروا الإلقاء في النار مع بقاء إيمانهم حتى إن امرأة كانت ترضع صبيّاً فأحجمت عن إلقاء نفسها مع طفلها في النار فأنطق الله الصبي فقال لها : أماء امضي فإنك على الحق فأتحممت النار . وقوله ﴿إذ هم عليها قعود﴾ بيان للحال التي كانوا يفتنون فيها المؤمنين والمؤمنات إذ كانوا على شفير النار وحافتها قاعدين ، وقوله تعالى ﴿وهم على ما يفعلون

(١) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماوات ذات البروج وروي أيضاً عنه أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ في العشاء بالسماوات أي السماوات ذات البروج والسماوات والطارق .

(٢) البروج هي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوماً ثم يستتر ليلتين . وتسير الشمس في كل برج منها شهراً وهي الحمل ، والثور ، والجد ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت ، والبروج في لغة العرب القصور .

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وقال فيه حديث حسن غريب ، وجائز أن يكون الشهود الكرام الكاتبين والمشهود عليهم بنو آدم ، وجائز أن يكون الشاهد هذه الأمة والشهود عليهم سائر الأمم وجائز غير ما ذكر .

بالمؤمنين ﴿ من الإلقاء في النار والارتداد عن الإسلام ﴾ ﴿شهود﴾ أي حضور، ولم يغيروا منكراً ولم يأمرُوا بمعروف. وقوله تعالى ﴿وما نقموا منهم﴾ أي وما عابوا عنهم شيئاً سوى إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض، فحسب العبد من الله هذه الصفات فإنها توجب الإيمان بالله وطاعته ومحبته وخشيته وهي كونه سبحانه وتعالى عزيزاً في انتقامه لأولياته حميداً يحمد له لآلائه ونعمه سائر خلقه مالكا لكل ما في السموات والأرض ليس لغيره ملك في شيء معه وعلمه الذي أحاط بكل شيء دل عليه قوله وهو على كل شيء شهيد. فكيف ينكر على المؤمن إيمانه بربه ذي الصفات العلا. والجلال والجمال والكمال. سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. وقوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي فتنوهم عن دينهم فأحرقوهم بالنار ﴿ثم لم يتوبوا﴾ بعد فتنتهم للمؤمنين والمؤمنات ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جزاء لهم. ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ عذاب جهنم في الدار الآخرة وعذاب الحريق في الدنيا. فقد روي أنهم لما فرغوا من إلقاء المؤمنين في النار والمؤمنون كانت تفيض أرواحهم قبل وصولهم إلى النار فلم يحسوا بعذاب النار والكافرون خرجت لهم النار من الأخاديد وأحرقتهم فذاقوا عذاب الحريق في الدنيا، وسيذوقون عذاب جهنم في الآخرة هذا بالنسبة إلى أبدانهم أما أرواحهم فإنها بمجد مفارقة الجسد تلقى في سجين مع أرواح الشياطين والكافرين وقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا﴾ بالله وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله رباً وإلهاً وعبدوه بأداء فرائضه وترك محارمه ﴿لهم جنات﴾ أي بسايتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها. وقوله تعالى ﴿ذلك الفوز الكبير﴾ حقا هو فوز كبير، لأنه نجاة من النار أولاً ودخول الجنة ثانياً. كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

(١) إن الذين فتنوا الخ. . الآية عامة ليست خاصة بأصحاب الأخدود ولا بكفار قريش، وإنما هي عامة في كل من فتن المؤمنين والمؤمنات في دينهم

فصرفهم عنه بأنواع من التعذيب وجزاؤهم ما ذكر في الآية وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق إلا من تاب قبل موته وقد عد ممن فتنوا المؤمنين والمؤمنات في مكة أبو جهل رأس الفتنة وأمية بين خلف والأسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة وعد من المعذبين المفتونين بلال بن رباح، وأبو فكيهة وخباب بن الارت وياسر والد عمار وعامر بن فهيرة وعدد من النساء المعذبات حمامة أم بلال، وزينيرة، وسمية والدة عمار.

(٢) هذا الكلام مستأنف يبين فيه تعالى جزاء من آمن وعمل صالحاً وهو دعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والشر والفساد. إنه لما ذكر جزاء الكفر وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان وصالح الأعمال.

(٣) اسم الإشارة (ذلك) عائد إلى ما اختصهم الله تعالى به من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل في دار السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢- فضل يومي الجمعة وعرفة .
- ٣- بيان ما يُبتلى به المؤمنون في هذه الحياة ويصبرون فيكون جزاؤهم الجنة .
- ٤- الترهيب والترغيب في ذكر جزاء الكافرين والمؤمنين الصالحين .

إِنَّ بَطْشَ

رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ
وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِيبٌ أَنْ تُجِيبَهُ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- إن بطش ربك : أي أخذه إذا أخذ الكافر شديد .
- يبدىء ويعيد : أي يبدىء الخلق ويعيده بعد فنائه ويبدىء العذاب ويعيده .
- الغفور الودود : أي لذنوب عباده المؤمنين المتعدد لأوليائه .
- ذو العرش المجيد : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه والمجيد المستحق لكمال صفات العلو .

- في تكذيب : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة .
- من ورائهم محيط : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره .
- قرآن مجيد : أي كريم عظيم .
- في لوح محفوظ : أي من الشياطين والمراد به اللوح المحفوظ .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما توعد به الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم أخبر رسوله معرضاً بمشركي قومه وطغاتهم الذين آذوا المؤمنين في مكة من أجل إيمانهم أخبره بقوله ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي إن أخذه إذا بطش أخذه أليم شديد ودلل على ذلك بقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ﴾ فالقادر على البدء والإعادة بطشه شديد . وقوله ﴿يَبْدِئُ﴾ أي الخلق ثم يعيده . ويبدئ العذاب أيضاً ثم يعيده ﴿وهو الغفور الودود﴾ فهو قادر على البطش بأعدائه ، وهو الغفور لذنوب أوليائه ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أي صاحب العرش خلقاً وملكا المجيد العظيم الكريم ، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ إذ لا يُكره تعالى على شيء ولا يقدر أحد على إكراهه .

وقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ كيف أهلكهم الله لما طغوا وبغوا وكفروا وعصوا نعم قد أتاك وقرأته عن قومك الكافرين ولم ينتفعوا به لأنهم يعيشون في تكذيب لك يحيط بهم لا يخرجون منه لأنه تكذيب ناشئ من الكبر والحسد والجهل فلذا هم لم يؤمنوا بعد . وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي هم في قبضته وتحت قهره وسلطانه لا يخفى عليه منهم شيء ولا يحول بينه وبينهم متى أراد أخذهم شيء . وقوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ يرد بهذا على المشركين الذين قالوا في القرآن إنه سحر وشعر وأساطير الأولين فقال ليس هو كما قالوا وأدعوا وإنما هو قرآن مجيد في لوح محفوظ من الشياطين فلا تمسه ولا تقربه ولا من غير الشياطين من سائر الخلق أجمعين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة .

- (١) يرى بعضهم أن قوله إن بطش ربك هو جواب القسم والسماء ذات البروج . وأنه وإن كان جائزاً فإن تقديره في أول الكلام أولى من تأخيره . وهذه الآية مستأنفة تحمل الوعيد والتعريض بمجرمي قريش كأبي جهل وأضرابه .
- (٢) إنه هو يبدئ ويعيد الجملة تعليلية إذ الذي يبدئ ويعيد لا يكون بطشه إلا قوياً شديداً ومن مظاهر الكمال الإلهي جمعه بين صفتي البطش ، والمغفرة والود ، فهنيئاً لأوليائه ، ويا ويل أعدائه .
- (٣) روي أن أناساً دخلوا على أبي بكر في مرضه الذي مات فيه يعودونه فقالوا له ألا نأتيك بطبيب؟ قال قد رأيته قالوا فما قال لك؟ قال قال لي : إني فعال لما أريد وفي بعض الروايات قال الطبيب أمرضني .
- (٤) فهو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون ، وعاد وثمود قبله .
- (٥) بل للإضراب الإبطالي أي ليس القرآن كما يصفونه بأنه أساطير الأولين ، وإفك مفترى وما إلى ذلك مما قالوه في القرآن من رده وعدم الإيمان به بل هو قرآن مجيد بالغ الغاية في المجد والشرف والسمو والعلو في ألفاظه ومعانيه ، وما يحمل من هدى وتشريع وأنه في مناعته لا تصل إليه أيدي الخلق بالتحريف والتبديل إذ هو في لوح محفوظ .
- (٦) قرأ نافع وحده يرفع محفوظ صفة القرآن وجره الباقون حفص وغيره على أنه نعت للفظ لوح وحفظ اللوح حفظ للقرآن المكتوب عليه .

٢- إن الله تعالى لكرمه يتودد لأوليائه من عباده .

٣- فائدة القصص هي الموعظة تحصل للعبد فلا يترك واجباً ولا يغشى محرماً .

٤- بيان إحاطة الله تعالى بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه .

٥- شرف القرآن الكريم ، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره .

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية وآياتها سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَالْهُمُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴿١٤﴾ إِنْ هُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رَوْدًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

والطارق : أي كل ما يطرق ويأتي ليلاً وسمي النجم طارقاً لطلوعه ليلاً .

النجم الثاقب : أي الثريا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره .

لما عليها حافظ : أي إلّا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها .

خلق من ماء دافق : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنى مدفوق أي مصبوب في الرحم .

من بين الصلب والترائب : الصلب : عظم الظهر من الرجل ، والترائب عظام الصدر والواحدة

تريية .

يوم تُبْلَى السرائر : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات . والسرائر جمع سريرة

كالسر .

ذات الرجع	: أي ذات المطر لرجوعه كل حين والرجع من أسماء المطر.
ذات الصدع	: أي التصدع والتشقق بالنبات.
لقول فصل	: أي يفصل بين الباطل وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.
وما هو بالهزل	: أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.
يكيدون كيداً	: أي يعملون المكائد للنبي ﷺ.
وأكيد كيدا	: أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه.
أمهلهم رويدا	: أي زمنا قليلا وقد أخذهم في بدر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والسما والطارق﴾^(١) هذا قسم إلهي حيث أقسم تعالى بالسما والطارق ولما كان لفظ الطارق يشمل كل طارق آت بليل، وأراد طارقاً معيناً فخم من شأنه بالاستفهام عنه الدال على تهويله فقال ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ ثم بيّنه بقوله ﴿النجم الثاقب﴾ وكل نجم هو ثاقب للظلام بضوئه. والمراد به هنا الثريا لتعارف العرب على إطلاق النجم على الثريا. هذا هو القسم والمقسم عليه هو قوله تعالى ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾^(٢) وهنا قراءتان سبعيتان الأولى بتخفيف ميم لما وحينئذ تصبح زائدة لتقوية الكلام لا غير واللام للفرق بين إن النافية والمؤكدة الداخلة على الأسم وهو هنا ضمير شأن محذوف والتقدير أنه أي الحال والشأن كل نفس عليها حافظ. والثانية بتشديد لَمَّا وحينئذ تكون إن نافية بمعنى ما ولما بمعنى إلّا ويصير الكلام هكذا. ما كل نفس إلّا عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر. وقوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان﴾ أي الكافر المكذب بالبعث والجزاء ﴿مِمَّ خُلِق﴾ أي من أي شيء خلق. وبين تعالى مما خلقه بقوله ﴿خُلِق من ماء دافق﴾ أي ذي اندفاق وهو المنيّ يصب في الرحم يخرج من بين الصلب والترائب أي يخرج الماء من صلب الرجل وهو عظام ظهره وترائب المرأة وهي محل القلادة من صدرها، وقد اختلف في تقدير فهم هذا الخبر عن الله تعالى وجاء

(١) قال العلماء افتتاح السورة بالقسم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق اليه.

(٢) وما أدراك استفهام المراد منه تهويل الأمر وتعظيمه.

(٣) الإخبار بأن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها لحاسب عليها وتجزى بها إثبات للبعث الآخر بطريق الكناية.

(٤) قرأ نافع بتخفيف الميم من لما وشددها حفص.

(٥) الفاء للتفريع إذ الجملة متفرعة عن قوله إن كل نفس لما عليها حافظ إن شك الإنسان في حقيقة البعث فلينظر في أصل نشأته وجائز أن تكون الفاء الفصيحة.

(٦) هذا جواب الاستفهام (مم خلق) إذ من ابتدائية وما استفهامية وحذف ألفها تخفيفاً لتقدم حرف الجر عليها نحو عم؟ ولم؟ والجار والمجرور متعلق بخلق بعده والإنسان منكر البعث.

العلم الحديث فشرح الموضوع وأثبت أن ماء الرجل يخرج حقاً مما ذكر الله تعالى في هذه الآية وأن ماء المرأة كذلك يخرج مما وصف عز وجل وصدق الله العظيم . وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي الذي خلقه مما ذكر من ماء دافق فجعله بشراً سوياً ثم أماته بعد أن كان حياً قادراً على إرجاعه حياً كما كان وأعظم مما كان . وذلك يوم تبلى السرائر أي تختبر الضمائر وتكشف الأسرار وتعرف العقائد والنيات الصالحة من الفاسدة والسليمة من المعيبة ويومها ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ليس لهذا الكافر والمكذب بالبعث والحياة الثانية ماله قوة يدفع بها عن نفسه عذاب ربّه ولا ناصر ينصره فيخلصه من العذاب . وقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّدُوعِ﴾ أقسم تعالى بالسماوات ذات السحب والغيوم والأمطار، والأرض ذات التشقق عن النباتات والزرور المختلفة على أن القرآن الكريم قول فصل وحكم عدل في كل مختلف فيه من الحق والباطل فما أخبر به وحكم فيه من أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها هو الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا كذب معه وقوله تعالى وما هو بالهزل أي وليس القرآن باللعب الباطل بل هو الحق من الله الذي لا باطل معه . وقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي إن كفار قريش يمكرون بالنبي محمد ﷺ وبدعوته مكراً ويكيدون لهما كيداً . وقوله ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي وأنا أمكر بهم أكيد لهم كيداً فمن يغلب مكروه وكيده الخالق المالك أم المخلوق المملوك؟ فمهل الكافرين يارسولنا أمهلهم قليلاً ، فقد كتبنا في كتاب عندنا ﴿لَا غَلْبَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ وقد أنجز الله وعده لرسوله والمؤمنين فلم يمض إلا سنيت قلائل ، ولم يبق في مكة من سلطان إلا الله ، ولا من معبود يعبد إلا الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير المعاد والبعث والجزاء . ٢- تقرير أن أعمال العباد محصية محفوظة وأن الحساب يجري بحسبها . ٣- بيان مادة تكوين الإنسان ومصدر تكوين تلك المادة .
- ٤- التحذير من إسرار الشر وإخفاء الباطل ، وإظهار خلاف ما في الضمائر ، فإن الله تعالى عليم بذلك ، وسيختبر عباده في كل ما يسرون ويخفون .

(١) جائز أن يكون على رَجْعِهِ ماء في الصلب كما كان قادراً إلا أن ما في التفسير أولى بقرينة يوم تبلى السرائر وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث .

(٢) تبلى تختبر وتمتحن لإظهار ما كان مستوراً مخبوءاً فيها من كفر وإيمان وخير وشر . ورد عن السلف أن الوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة من السرائر ، وأن حيض المرأة وحملها من السرائر إذ في إمكانها إخفاء وإظهاره .

(٣) السرائر جمع سريرة وهي ما يسر العبد ويخفيه في نفسه . وما يستره من أعماله . قال الأحوص :

سبقى لها في مضمرة القلب والحشاء سريرة ويوم تبلى السرائر

٥- إثبات أن القرآن قول فصل ليس فيه من الباطل شيء وقد تأكد هذا بمرور الزمان فقد صدقت أنباؤه ونجحت في تحقيق الأمن والاستقرار أحكامه .

سُورَةُ الْأَعْلَى

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ (٥) سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى ۝ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ (٧) وَنُيِّسِرُكَ لِلْإِسْرَى ۝ (٨) فذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ (١٠) وَيَجْنِبُهَا الْأَشْقَى ۝ (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ

فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ (١٣)

شرح الكلمات :

سبح اسم ربك : أي نزه اسم ربك أن يُسمى به غيره وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا باجلال واکبار ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

الأعلى

: أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء .

الذي خلق فسوى

: أي الإنسان فسوى أعضائه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة .

والذي قدر فهدى

: أي قدر ما شاء لمن شاء وهده إلى إتيان ما قدره له وعليه .

والذي أخرج المرعى

: أي أنبت العشب والكلأ .

فجعله غثاء أحوى

: أي بعد الخضرة والنضرة هشيمًا يابسًا أسود .

سنقرئك فلا تنسى

: أي القرآن فلا تنساه بإذننا .

إلا ما شاء الله

: أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من القرآن بلفظه فإنه يُنسي فيه رسوله ﷺ .

ونيسرك لليسرى : أي للشرعية السهلة وهي الإسلام .
 فذكر إن نفعت الذكرى : أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر عظم بالقرآن .
 ويتجنبها : أي الذكرى أي يتركها جانباً فلا يلتفت إليها .
 الأشقى : أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلاً .
 يصلى النار الكبرى : أي نار الدار الآخرة .
 لا يموت فيها ولا يحيا : أي لا يموت فيستريح ، ولا يحيا فيها .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ هذا أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأُمته تابعة له بأن ينزه اسم ربّه عن أن يسمى به غيره، أو أن يذكر في مكان قدر، أو أن يذكر بعدم اجلال واحترام، والأعلى صفة للربّ تبارك وتعالى دالة على علوه على خلقه فالخلق كله تحته وهو قاهر له وحاكم فيه . الذي خلق فسوى أي أوجد من العدم المخلوقات وسوى خلقها كل مخلوق بحسب ذاته فعدل أجزاءه وسوى بينها فلا تفاوت فيها ﴿والذي قدر فهدى﴾ أي قدر الأشياء في كتاب المقادير من خير وغيره وهدى كل مخلوق إلى ما قدره له أو عليه فهو طالب له حتى يدركه في زمانه ومكانه وعلى الصورة التي قدر عليها ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي ما ترعاه البهائم من الحشيش والعشب والكلأ . ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ أي فجعله بعد الخضرة والنضرة هشيمًا متفرقًا يابسًا بين سواد وبياض وهي الحوة هذه خمس آيات الآية الأولى تضمنت الأمر بتتزيه اسم الله . والأربع بعدها في التعريف به سبحانه وتعالى حتى يعظم اسمه وتعظم ذاته وتنزه عن الشريك والصاحبة والولد . وقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ هذه عِدَّةٌ من الله تعالى لرسوله . لعل سببها أنه كان ﷺ إذا جاءه جبريل بالآيات يخاف نسيانها فيستعجل قراءتها قبل فراغ جبريل عليه السلام من إملائها عليه فيحصل له بذلك شدة فطمأنه ربّه أنه لا ينسى ما يقرئه جبريل ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن ينسيه إياه لحكمة اقتضت ذلك فإنه ينساه فقد كان ﷺ ينسى وذلك لما أراد الله أن ينسخه من كلامه .

(١) روي في السنن لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم . فكانوا يقولون في سجودهم سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فأكثر .

(٢) إن تنزيه الاسم مستلزم لتتزيه المسمى ، فلذا لا حاجة إلى القول بأن اسم صلة قصد بها تعظيم المسمى . استشهاداً بقول ليبيد :

إلى الحول تم اسم السلام عليكما فتتزيه اسم الله وتقديسه مطلوب

بل من أسمى المطالب، وتنزيه الله تعالى يكون بنفي الشريك عنه والولد ونفي كل نقص عنه قولاً واعتقاداً وما يقرر أن تنزيه الاسم مستلزم لتتزيه المسمى قول الرسول ﷺ اجعلوها في سجودكم . لأنها دالة على تنزيه الرب تعالى وتعظيمه .

(٣) الأحوى : الموصوف بالحوة وهي لون من الألوان سمرة تقرب من السواد، وأحوى صفة لغثاء الذي هو اليابس من النبات .

(٤) الاستثناء مفرغ أي إلا الذي شاء الله أن تنساه فإنك تنساه .

وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ هذه الجملة تعليلية لقدرة الله تعالى على أن يحفظ على رسوله القرآن فلا ينساه ومعنى يعلم الجهر وما يخفى أي أن الله تعالى يعلم ما يجهر به المرء من قراءة أو حديث وما يخفيه الكل يعلمه الله بخلاف عباده فإنهم لا يعلمون ما يخفى عليهم ويُسرُّ به وقوله تعالى ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي للطريقة السهلة الخالية من الحرج وهي الشريعة الإسلامية التي بنيت على أساس أن لا حرج في الدين (وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله تعالى ﴿فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ﴾^(١) من آيسناك من إيمانهم أو لم تنفع . لأنه ﷺ مأمور بالبلاغ فيبلغ الكافر والمؤمن ويذكر الكافر والمؤمن . والأمر بعد الله . وقوله تعالى ﴿سَيَذَكِّرْ مِنْ يَخْشَى﴾ أي سيذكر ويتعظ من يخشى عقاب الله لإيمانه به ومعرفته له ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي الذكري ﴿الْأَشْقَى﴾ أي أشقى الفريقين فريق من يتذكر وفريق من لا يتذكر ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي يدخل النار الكبرى نار يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ من جراء عذابها فيستريح ﴿وَلَا يَخِيا﴾^(٢) فيها ويسعد إذ الشقاء لازمه . وهذه حال أهل النار ونعوذ بالله من حال أهل النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تسبيح اسم الله وتزويده عما لا يليق به كوجوب تنزيه ذات الله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله .
- ٢- مشروعية قول سبحان ربِّي الأعلى عند قراءة هذه الآية سبج اسم ربك الأعلى .
- ٣- وجوب التسبيح بها في السجود في كل سجدة من الصلاة سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فأكثر .
- ٤- مشروعية قراءة هذه السورة في الوتر فيقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والأعلى وفي الثانية بالفاتحة والكافرون ، وفي ركعة الوتر بالفاتحة والصمد أو الصمد والمعوذتين .
- ٥- أحب الرسول ﷺ سورة الأعلى لأنها سورة ربه وأن ربه بشره فيها بشارتين عظيمتين الأولى أنه يُيسره لليسرى ، ومن ثم ما أخير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما والثانية أنه حفظه من النسيان بأن جعله لا ينسى . ولذا كان يُصلي بهذه السورة الجمع والأعياد والوتر في كل ليلة فصلى الله عليه وسلم .

(١) في الجملة تعريض بأن بين كفار قريش من لم تنفعهم الذكرى ، ومع هذا فالتذكير متعين للجميع إقامة للحجة .
 (٢) قوله ولا يخيا في الجملة احتراس مما قد يظن أنه ما دام الجهنمي أنه لا يموت فسوف يحى حياة عادية لا عذاب فيها فرغ هذا التوهم بهذه الجملة (ولا يحى) أي حياة راحة من العذاب كما قال القائل :
 ألا ما لنفسٍ لا تموت فينقضي عنها ولا تحيا حياة لها طعم

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ

هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

أفْلَحَ

: أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة .

من تزكى

: أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي .

وذكر اسم ربه

: أي في كل أحيائه عند الأكل وعند الشرب وعند النوم وعند الهبوب منه وفي الصلاة وخارج الصلاة من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير .

فصلى

: أي الصلوات الخمس والنوافل من رواتب وغيرها .

تؤثرون

: أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة .

إن هذا لفي الصحف الأولى : أي إن هذا وهو قوله قد أفْلَحَ إلى قوله وأبْقَى .

صحف إبراهيم

: إذ كانت عشر صحف .

وموسى

: أي توراته .

معنى الآيات :

قوله تعالى قد أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وذكر اسم ربه فصلى يخبر تعالى بفلاح عبد مؤمن زكى نفسه أي طهرها بالإيمان وصالح الأعمال، وذكر اسم ربه على كل أحيائه عند القيام من النوم عند الوضوء بعد الوضوء في الصلاة وبعد الصلاة وعند الأكل والشرب وعند اللباس فلا يخلو من ذكر الله ساعة فصلى الصلوات الخمس وصلى النوافل . ومعنى الفلاح الفوز والفوز هو النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب . والمراد منه في الآية النجاة من النار ودخول الجنة لأية آل عمران ﴿فَمَنْ زَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ . وقوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي تفضلونها على الآخرة فتعملون لها وتنسون الآخرة فلا تقدمون لها شيئاً .

(١) قوله تزكى فيه معنى المعالجة وهي أنه عمل على تزكية نفسه بإبعادها عما يخبثها من الشرك والآثام، ثم بتحليلها بالعبادات المذكية لها وهي الإيمان وصالح الأعمال .

هذا هو طبعكم أيها الناس إلا من ذكر الله فصلى بعد أن آمن واهتدى في حين أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى خيراً نوعاً وأبقى مدة حتى قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف . . طين لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى ، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وقوله تعالى ﴿إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ أي إن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إلى قوله خير وأبقى مذكور في كل من صحف إبراهيم وكانت له عشر صحف ولموسى ، التوراة .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة ، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولاً ثم يأتي المسجد يكبر ، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك .
- ٢- التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة .
- ٣- توافق الكتب السماوية دليل أنها وحى الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام .

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مكية وآياتها ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

- (١) قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى . قال فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى ؟
- (٢) لقد كان لموسى صحف كثيرة إذ هي مجموع صحف أسفار التوراة والصحف جمع صحيفة على غير قياس إذ القياس صحائف وصار صحف أشهر وأفصح من صحائف كما قالوا في جمع سفينة سفن فكان أفصح من سفائن .

شرح الكلمات :

- هل أذاك : أي قد جاءك .
- الغاشية : أي القيامة وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها .
- وجوه يومئذ : أي يوم إذ تقوم الساعة .
- خاشعة : أي ذليلة أطلق الوجوه وأراد أصحابها .
- عاملة ناصبة : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال .
- تصلى نارا حامية : ترد هذه الوجوه نارا حامية قد اشتدت حرارتها .
- تسقى من عين آنية : أي بلغت أنها من الحرارة يقال أني الحميم إذا بلغ متناه .
- إلا من ضريع : أي أحبث طعام وأنته ، وضريع الدنيا نبت يقال له الشبرق لا ترعاه الدواب لخبثه .
- وجوه يومئذ ناعمة : أي حسنة نضرة .
- لسعيها راضية : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها .
- لاغية : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل .
- وأكواب : أقداح لا عُرا لها موضوعة على حافة العين للشرب .
- ونمارق مصفوفة : أي ومساند جمع نمرقة مصفوفة الواحدة إلى جنب الأخرى للاستناد إليها .
- وزرابي مبثوثة : أي بسط وطنافس لها خمل ومالا خمل لها يسمى سجادة ومعنى مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿هل أذاك حديث الغاشية﴾^(١) هذا خطاب من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ يقول له فيه هل أذاك نبا الغاشية وخبرها العظيم وحديثها المهيل المخيف إن لم يكن أذاك فقد أذاك الآن إنه حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها وصعوبة مواقفها واشتداد أحوالها وإليك عرضاً سريعاً لبعض ما يجري فيها : ﴿وجوه يومئذ﴾^(٢) تغشاهم الغاشية ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿ناصبة﴾ أي

(١) افتتح تعالى هذه السورة بالاستفهام بهل المفيد لمعنى قد التي هي للتحقيق من أجل التشويق إلى ما يخبر به لما فيه من العلم والمعرفة وما يحوي من موعظة كبرى .

(٢) الغاشية : القيامة علم لها بالغلبة واشتق لها هذا الاسم من الغشيان الذي هو التغطية إذ هي تغطي الناس بأهوالها وتذهل عقولهم وتغطيها .

(٣) هذه الجملة بيان لجملة حديث الغاشية بينها بذكر أحوالها وأهوالها إذ المقصود العبرة وتقرير البعث الذي أنكره المشركون وذكر الوجوه كناية عن أصحابها إذ يطلق الوجه ويراد به الذات .

ذات نصب وتعب من جرّ السلاسل والأغلال، وتكليف أشق الأعمال ﴿تصلى نارا حامية﴾ أي ترد نارا ﴿تسقى﴾ أي فيها ﴿من عين آنية﴾ قد بلغت أنها وانتهت إلى غايتها في حرارتها هذا هو الشراب أما الطعام فإنه ليس لهم طعام إلا من ضريع ^(١) قبيح اللون خبيث الطعم متنن الريح، ﴿لا يسمن﴾ أكله ولا يغنيه من جوع. هذه حال من كفر وفجر كفر بالله وبآياته ولقائه ورسوله، أو فجر عن طاعة الله ورسوله فترك الفرائض وغشي المحارم هذه وجوه ويومئذ ناعمة أي نضرة حسنة فإنها لسعيها راضية أي لسعيها في الدنيا وهو إيمانها وصبرها إيمانها وجهادها إيمانها وتقواها إيمانها وعملها الصالح أصحاب هذه الوجوه راضون بأعمالهم لما رأوا من ثوابها والجزاء عليها.

إنهم أدخلوا في جنة عالية لا يقادر علاها، لا تسمع فيها لاغية أي كلمة باطلة تنغص سعادتهم ولا كلمة نابية تقلق راحتهم. فيها عين جارية من غير أخذود حفر لها، فيها سرر مرفوعة قدراً وحالاً ومكاناً، وأكواب أقداح لا عرا لها من ذهب وفضة موضوعة لشربهم إن شاءوا شربوا بأيديهم أو ناولتهم غلمانهم، ذاك لون من الشراب أما الفراش فإنها سرر مرفوعة، ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، وسائد قد صفت للراحة والاتكاء الواحدة إلى جنب الأخرى طنافس ذات خمائل مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة. هذه لمحة خاطفة عن الدار الآخرة تعتبر ذكرى للذاكرين وعظة للمتقين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر عرض سريع لها.
- ٢- من أسماء القيامة الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.
- ٣- بيان أن في النار نصباً وتعباً. على عكس الجنة فإنها لا نصب فيها ولا تعب.
- ٤- من مؤلفات النفس البشرية لغو الكلام وكذبه باطله وهو ما ينزه عنه المؤمنون أنفسهم.

(١) الضريع هو يابس ثمر الشريق بكسر الشين وإسكان الباء وكسر الراء وهو نبت ذو شوك فإذا يبس يقال له ضريع ويصير مسموماً أي فيه مادة السم القاتلة هذا طعام أهل النار وجائز أن يكون الضريع شجر في النار ينتج عنه عصير الغسلين.

(٢) وجوه يومئذ ناعمة. هذه الجملة غير معطوفة على الوجوه الأولى، لأن المقصود من الكلام هو بيان القيامة وما يكون فيها من عذاب وشقاء للمكذبين بها. فلما تم الحديث عنها قد يشق السامع إلى معرفة حال المؤمنين بها فأجيب بقوله وجوه يومئذ ناعمة الخ. فهو استئناف بياني.

(٣) قرأ نافع لا تسمع بالبناء للمجهول ولاغية نائب فاعل وقرأ حفص لا تسمع بالبناء للفاعل ولاغية مفعول به.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

أفلا ينظرون : أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار .
إلى الإبل كيف خلقت : أي خلقا بديعا معدولا به عن سنن سائر المخلوقات .
وإلى السماء كيف رفعت : أي فوق الأرض بلا عمد ولا مستند .
وإلى الجبال كيف نصبت : أي على وجه الأرض نصبا ثابتا لا يتزلزل .
وإلى الأرض كيف سطحت : أي بسطت .
فذكر : أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيده .
بمسيطر : أي بمسلط .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ ^(١) أي أينكرون البعث والجزاء وما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم وما أعد لأعدائه من عذاب الجحيم . أفلا ينظرون نظرة اعتبار إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فهل خلق الإبل على تلك الصورة العجيبة وذاك التسخير لها وما فيها من منافع إذ يشرب لبنها ويركب ظهرها ويؤكل لحمها لا يدل على قدرة الخالق على إحياء الموتى وهل خلق السماء بكواكبها وشمسها وقمرها ثم رفعها بغير عمد يدعمها ولا سند يسندها لا يدل على قدرة الله على بعث الموتى أحياء ليحاسبهم ويجزيهم ، وهل نصب الجبال بعد خلق ترابها وإيجاد صخورها لا يدل على قدرة الله خالقها

(١) هذا الكلام متفرع عما سبقه إذ إنكار المشركين للبعث والجزاء وللتوحيد الناتج عن جهلهم وغفلتهم وعدم تفكيرهم فلذا استحثهم على النظر والتفكير موبخا لهم على ترك ذلك .

(٢) كيف خلقت بدل اشتغال من الإبل ، وكيف في محل نصب على الحال والعامل فيه ما ذكر بعدها وأما وإلى السماء وما بعدها فإنها معطوفات على جملة إلى الإبل وأعراب كيف واحد والإبل اسم جمع للبركان لا مفرد لها من لفظه .

على بعث الرمم وإحياء الأجساد البالية كيف شاء ومتى شاء وهل خلق الأرض بكل ما فيها ثم بسطها وتسطيحها للحياة عليها والسير فوقها وتعميرها بأنواع العمران لا يدل على قدرة الله على البعث والجزاء . فما للقوم لا ينظرون ولا يفكرون وقوله تعالى ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ بعد لفت أنظار المشركين إلى ما لو نظروا إليه وتفكروا فيه لاهتدوا إلى الحق وعرفوا أن الخالق لكل شيء لا يعجزه بعث عباده ولا جزاؤهم . أمر رسوله أن يقوم بالمهمة التي أنيطت به وهي التذكير دون الهداية التي هي لله وحده دون سواء فقال له ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ﴾ أي ذكر بمظاهر قدرتنا وآياتنا في الآفاق والآثنا على العباد إنما أنت مذكر ليس غير . وقوله ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ أي بمتسلط تجبرهم على الإيمان والاستقامة وقوله ﴿ إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾ أي لكن من تولى عن الإيمان فكفر بآياتنا ورسولنا ولقائنا فيعذبه الله العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة . وقوله تعالى ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ أي رجوعهم إلينا لا إلى غيرنا . ﴿ ثم إن علينا ﴾ لا على غيرنا ﴿ حسابهم ﴾ ومن ثم سوف نجزيهم الجزاء اللائق بهم ، ولذا فلا يضرك يارسولنا إعراضهم ولا توليهم . وحسبك تذكيرهم فمن اهتدى نجا ونجاته لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها إذ عاقبة ضلاله وهي الخسران التام عائدة عليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به .
- ٢- بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده .
- ٣- بيان أن مصير البشرية إلى الله تعالى وهي حال تقتضي الإيمان به تعالى وطاعته طلبا للنجاة من عذابه والفوز برحمته . وهو مطلب كل عاقل لو أن الناس يفكرون .

(١) من مظاهر رحمة الله ولطفه بعباده أن يوجه عباده إلى سبيل هدايتهم توجيها خاليا من العناء والمشقة فالعربي يركب بعيره في طريقه إلى حاجته فينظر إليه وهو راكبه وينظر إلى السماء فوقه وإلى الجبال حواليه وإلى الأرض تحت قدميه فيسأل اليس القادر على خلق هذا قادراً على البعث؟ فيجيب نفسه بلى إنه قادر .

(٢) روي أن علياً أتى يمرتد عن الإسلام فاستتابه ثلاثة أيام فلم يتب وأصر على الردة فضرب عنقه وقرأ (إلا من تولى وكفر) .

سُورَةُ الْفَجْرِ

مكية وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

والفجر	: أي فجر كل يوم .
وليل عشر	: أي عشر ذي الحجة .
والشفع والوتر	: أي الزوج والفرد .
والليل إذا يسر	: أي مقبلاً أو مدبراً .
لذي حجر	: أي حجى وعقل .
بعاد إرم	: هي عاد الأولى .
ذات العمداد	: إذ كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً .
جابوا الصخر بالواد	: أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتا بوادي القرى .
ذي الأوتاد	: أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه .
طغوا في البلاد	: أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد .
فأكثروا فيها الفساد	: أي الشرك والقتل .
سوط عذاب	: أي نوع عذاب .
لبالمرصاد	: أي يرصد أعمال العباد ليجزئهم عليها .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر﴾ ^(١) هذه أربعة أشياء قد أقسم الله تعالى بها وهي الفجر وفي كل يوم فجر وجائز أن يكون قد أراد تعالى فجر يوم معين وجائز أن يريد فجر كل يوم ، وليال عشر وهي العشر الأول من شهر الحجة وفيها عرفة والأضحى وقد أشاد بها رسول الله ﷺ وقال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من عشر ذي الحجة والشفع وهو كل زوج والوتر وهو كل فرد فهو إقسام بالخلق كله والليل إذا يسر مقبلاً أو مدبراً فهو بمعنى الليل إذا سار والسير يكون صاحبه ذاهباً أو آيياً وقوله تعالى ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي حجر ولب وعقل أي نعم فيه قسم عظيم وجواب القسم أو المقسم عليه جائز أن يكون قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ الآتي ، وجائز أن يكون مقدراً مثل لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ، وهذا لأن السورة مكية وهي تعالج العقيدة ومن أكبر ما أنكره المشركون البعث والجزاء فلذا هذا الجواب مراد ومقصود . ويدل عليه ما ذكر تعالى من مظاهر قدرته في الآيات بعد والقدرة هي التي يتأتى بها البعث والجزاء فقال عز وجل ﴿الم تر كيف فعل ربك﴾ أي ألم تنظر بعيني قلبك كيف فعل ربك بعباد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وهي عاد الأولى قوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة ، وقال لهم نبيهم هود وزادكم في الخلق بسطة فقد كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً ، ولفظ إرم عطف بيان لعاد فإرم هي عاد قوم هود ووصفها بأنها ذات عماد وأنها لم يخلق مثلها في البلاد هو وصف لها بالقوة والشدة وفعلها كانوا أقوى الأمم وأشدها ولازم طول الأجسام أن تكون أعمدة المنازل كأعمدة الخيام من الطول ما يناسب سكانها في طولهم . ومع هذه القوة والشدة فقد أهلكهم الله الذي هو أشد منهم قوة وقوله تعالى ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ ^(٢) أي وانظر كيف فعل ربك بثمود وهم أصحاب الحجر (مدائن صالح) شمال المدينة النبوية قوم صالح الذين كانوا أقوىاء أشداء حتى

(١) لصلحية الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عدداً كثيراً فروى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب وأولى ما يقال أن الله تعالى أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عده تعالى ما بين شفع ووتر ، إذ الشفع ما يكون ثانياً لغيره ، والوتر الشيء المفرد .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) قرأ نافع والجمهور والوتر بفتح الواو وكسرها حفص .

(٤) ألم تر استفهام تقرير والمخاطب به النبي ﷺ وهو متضمن التعريض بالمشركين المعاندين ، كما هو متضمن الوعد بنصر رسوله ﷺ والرؤية قلبية أو هي بمعنى ألم ينتهي إلى علمك فعل ربك بعباد الخ .

(٥) عاد اسم أبي قبيلة وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

(٦) وكون عاد إرم هم قوم هود عليه السلام يرجحه ذكر ثمود بعدهم في السياق كما هو في سائر قصص القرآن .

إنهم قطعوا الصخور نحتاً لها فجعلوا منها البيوت والمنازل كما قال تعالى ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ والمراد بالواد واديهم الذي كان بين جبلين من جبالهم التي ينحتون منها البيوت . فمعنى جابوا الصخر بالواد أي قطعوا الصخور بواديهم وجعلوا منها مساكن لهم تقيهم برد الشتاء القارص وحر الصيف اللافح ، ومع هذا فقد أهلكهم الله ذو القوة المتين وقوله ﴿وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وانظر يارسولنا كيف فعل ربك بفرعون صاحب المشائق والقتل والتعذيب إذ كان له أربعة أوتاد إذا أراد قتل من كفر به وخرج عن طاعته قيد كل يد بوتد وكل رجل بوتد ويقتله كما هي المشائق التي وضعها الطغاة الظلمة فيما بعد . وقوله تعالى ﴿الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وهو الشرك والمعاصي فأهلكهم الله أجمعين عاد إرم وثمود وفرعون وملأه إذ صب عليهم ربك سوط عذاب^(١) أي نوع عذاب من أنواع عذابه فأهلك عاد إرم بالريح الصرصر ، وثمود بالصيحة العاتية ، وفرعون بالغرق في البحر . وقوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي لكل جبارعات وطاغية ظالم أي هو تعالى يرصد أعمال العباد ليجزيهم بها في الدنيا وفي الآخرة . ولفظ المرصاد يطلق على مكان يرصد فيه تحركات الصيد الذي يصاد ، أو تحركات العدو وهو كبرج المراقبة . والرب تبارك وتعالى فوق عرشه والخلقة كلها تحته يعلم ظواهرها وبواطنها ويراقب أعمالها ويجزيها بحسبها قال تعالى ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضل الليالي العشر من أول ذي الحجة إلى العاشر منه .
- ٢- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة مستلزم لقدرته تعالى على البعث والجزاء والتوحيد والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة .
- ٣- التحذير من عذاب الله ونقمه فإنه تعالى بالمرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداة أن يصب عليهم سوط عذاب .

(١) جائز أن يكون الموصول مراداً به عاد إرم وثمود وفرعون ، وكونه عائداً إلى فرعون أولى وإن كان الجميع طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد بالشرك والظلم والفساد .

(٢) السوط آلة ضرب يتخذ من جلد يضفر ظفراً فيصبح كالعصا فتضرب به الخيل لتسرع في جريها ، ويطلق العرب لفظ سوط على كل عذاب يكون فيه السوط ، وسوط عذاب هو من إضافة الصفة إلى الموصوف إذ كلمة سوط صفة للعذاب والعرب يطلقون لفظ سوط العذاب على كل نهاية العذاب حتى قال الشاعر :

لم تر أن الله أظهر دينه وصب على الكفار سوط عذاب

فَأَمَّا

الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
 ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾
 كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ
 الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
 وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

فأما الإنسان : أي الكافر المشرك .

ابتلاه : أي اختبره .

وأكرمه ونعمه : أي بالمال والجاه ونعمه بالخيرات .

أكرم من : أي فضلني لمالي من مزايا على غيري .

فقدّر عليه رزقه : أي ضيقه ولم يوسع عليه .

أهان من : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية في

جسمه .

كلا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول .

التراث : أي الميراث .

أكلا لما : أي أكلاً كثيراً ولماً شديداً إذ يلمون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا

يورثونهم من التركة .

حبا جما : أي حبا شديداً كثيراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبَّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(١) لقد تقدم قول الله

(١) الفاء للتفريع وما بعدها متفرع عما قبلها، وفي التفسير بيان ذلك وتوضيحه فليتأمل .

(٢) قرأ نافع ربي في الموضعين بفتح الياء وقرأ حفص بسكون الياء ممدودة .

تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ وهو دال على أن الله تعالى يحب من عبده أن يعبدّه ويشكره ليكرمه في دار كرامته يوم لقائه، وإعلام الله تعالى عباده بأنه بالمرصاد يراقب أعمالهم دلالة على أنه يخوفهم من معاصيه ويرغبهم في طاعته واضحة فتلخص من ذلك أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر وأنه يحب لهم الشكر فأما الإنسان فماذا يحب وماذا يكره قال تعالى عنه فأما الإنسان وهو المشرك وأكثر الناس مشركون إذا ما ابتلاه ربه أي اختبره فأكرمه بالمال والولد والجاه ونعمه بالأرزاق والخيرات لينظر الله هل يشكر أو يكفر فيقول مفاخراً ربي أكرم من أي فضلني على غيري^(١) لما لي من فضائل ومزايا لم تكن لهؤلاء الفقراء وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني أي وأما إذا ما اختبره وضيق عليه رزقه لينظر تعالى هل يصبر العبد المختبر أو يجزع فيقول ربي أهانني أي أذلني فأفقرني.

وقوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا وَتَحْبُونَ الْمَالَ حَبًّا جَمًّا﴾ أي ألا فارتدعوا أيها الماديون الذين تقيسون الأمور كلها بمقاييس المادة فالله جل جلاله يوسع الرزق اختباراً للعبد هل يشكر نعم الله عليه فيذكرها ويشكرها بالإيمان والطاعة ويضيق الرزق امتحاناً هل يصبر العبد لقضاء ربه أو يجزع. وإنما أنتم أيها الماديون ترون أن في التوسعة إكراماً وفي التضيق إهانة كلاً ليس الأمر كذلك، ونظريتمكم المادية هذه أنتكم من حبكم الدنيا واغتراركم بها ويشهد بذلك إهانتكم لليتامى وعدم إكرامكم لهم لضعفهم وعجزهم أمامكم، وعدم الاستفادة المادية منهم. وشاهد آخر أنكم لاتحضون أنفسكم ولا غيركم على إطعام المساكين وهم جياع أمامكم، وآخر أنكم تأكلون التراث أي الميراث أكلاً لما شديداً تجمعون مال الورثة من الأطفال والنساء إلى أموالكم. وتحرمون الضعيفين الأطفال والنساء. وآخر وتحبون المال حبا جما أي قويا شديداً. كلاً ألا ارتدعوا واخرجوا من دائرة هذه النظرية المادية قبل حلول العذاب، ونزول ما تكرهون. فآمنوا بالله ورسوله.

(١) قرأ نافع أكرمني وأهانني بياء ساكنة في الوصل ويحذفها في الوقف وقرأ حفص بدون ياء في الوصل والوقف معاً. وكتابة الياء مفصلة عن النون إشارة إلى أنها تحذف في الوقف.

(٢) كلاً حرف زجر وردع للإنسان القائل أكرم من وأهانني إذ قوله باطل ولم يقم على علم بالإكرام ولا بالإهانة فالإكرام علته الاختيار هل يشكر العبد أو يكفر، وتقدير الرزق تضيقه علته الامتحان هل يصبر العبد أو يسخط هذه هي الحقيقة والعبد الكافر الجاهل يرى أن الإكرام لشخص المكرم والإهانة كذلك.

(٣) لما أي جمعاً شديداً يقال لممت الطعام ألمه إذا جمعته وأكلته ومنه قول بعضهم لم الله شملك أو شعئك أي جمع ما تفرق من أمرك.

(٤) جما أي كثيراً حلاله وحرامه إذ الجم الكثير يقال جم الشيء يجم جمواً فهو جم وجام. ومنه جم الماء في الحوض أو البئر إذا اجتمع والجموم البئر الكثيرة الماء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- النظرية المادية لم تكن حديثة عهد إذ عرفها الماديون في مكة من مشركي قريش قبل أربعة عشر قرناً.
- ٢- وجوب اكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين.
- ٣- وجوب اعطاء الموارث لمستحقيها ذكورا أو اناثا صغارا أو كبارا.
- ٤- التنديد بحب المال الذي يحمل على منع الحقوق، ويزن الأمور بميزانه قوة وضعفا.

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا

دَكًّا ﴿٤١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٤٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٤٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٤٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٤٧﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٤٨﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿٤٩﴾ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

إذا دكت الأرض دكا : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزالا قويا فلم يبق عليها شاخص البتة .

- والملك صفا صفا : أي والملائكة أي صفا بعد صف .
- وجيء يومئذ بجهنم : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك .
- يتذكر الإنسان : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده، يوم لقائه .
- وأنى له الذكرى : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكرى .
- قدمت لحياتي : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال .
- لا يعذب عذابه أحد : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته .
- ولا يوثق وثاقه أحد : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله عز وجل .

يا أيتها النفس المطمئنة: أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشائر النجاة.
 ارجعي إلى ربك : أي إلى جواره في دار كرامته أي الجنة.
 فادخلي في عبادي : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.
 وادخلي جنتي : أي دار كرامتي لأوليائي.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إِذَا دَكَتِ الْأَرْضُ دَكَاً﴾ ^(١) هو كقوله ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾
 ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي لفصل القضاء ^(٢) والملك صفاً صفاً ^(٣) بعد صف، ﴿وَجِيءَ يَوْمُئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تجر سبعين ألف
 زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك. هنا وفي هذا اليوم وفي هذه الساعة ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾
 المهمل المفرط المعرض عن دعوة الرسل، الكافر بقاء الله والجزاء على الأعمال ﴿وَأَنْتَ لَهُ الذَّكْرَى﴾ هنا
 يتذكر وماذا يتذكر؟، وكفره كان عريضاً وشره كان مستطيراً، ماذا يتذكر وهل تنفعه الذكرى، اللهم لا، لا وماذا
 عساه أن يقول في هذا الموقف الرهيب يقول نادماً متحسراً ﴿يَالَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أي هذه
 الحياة المائلة بين يديه، وهل ينفعه التمني اللهم لا، لا.

قال تعالى مخبراً عن شدة العذاب وقوة الوثاق ﴿فِيَوْمِئِذٍ﴾ أذ تقوم القيامة ويحيى الربّ لفصل
 القضاء ويحيا بجهم ويتذكر الإنسان ويأسف ويتحسر في هذا اليوم يقضي الله تعالى بعذاب
 أهل الكفر والشرك والفجور والفسوق فيعذبون ويوثقون بأمر الله وقضائه في السلاسل ويغلون في
 الأغلال ويذوقون العذاب والنكال الأمر الذي ما عرفه الناس في الدنيا أيام كانوا يعذبون المؤمنين
 ويوثقونهم في الحبال وهو ما أشار إليه بقوله : ﴿فِيَوْمِئِذٍ لَا يَعْذِبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ أي لا يعذب
 عذاب أحد في الدنيا مهما بالغ في التعذيب عذاب الله في الآخرة ﴿وَلَا يُوَثِّقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ﴾ ^(٤) أي
 لا يوثق أحد في الدنيا وثاق الله في الآخرة هذه صورة من عذاب الله لأعدائه من أهل الشرك به
 والكفر بآياته ورسوله ولقائه وأما أهل الإيمان به وطاعته وهم أولياؤه الذين آمنوا في الدنيا وكانوا
 يتقون فيها هم ينادون فاستمع ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى صادق وعد الله ووعيده في كتابه
 وعلى لسان رسوله فآمنت واتقت وتخلت عن الشرك والشر فكانت مطمئنة بالإيمان وذكر الله قريرة

(١) الدك الحطم والكسر، دك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.

(٢) الملك اسم جنس المراد به الملائكة وصفاً صفاً أي خلفه ووراءه.

(٣) أنى اسم استفهام بمعنى أين له الذكرى والاستفهام مستعمل في الإنكار والنفي معاً والتقدير وأين له نفع الذكرى

(٤) جائز أن يعود الكلام على الإنسان الكافر ويكون معناه أنه يعذب عذاباً لا يعذبه أحد غيره ويوثق وثاقاً لا يوثقه غيره من المؤمنين، وما في التفسير أولى.

(٥) الوثاق بمعنى الإيثاق يقال أوثقته إيثاقاً.

العين بحب الله ورسوله، وما وعدها الرحمن ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى جواره في دار كرامته حال كونك ﴿راضية﴾ ثواب الله لك مرضيا عنك من قبل مولاك ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في جملة عبادي الصالحين ﴿وادخلي جنتي﴾ فيقال لها هذا عندما يرسل الله الأرواح إلى الأجساد يوم المعاد، فإذا دخلت تلقتها الملائكة بالسلام وتساق إلى ساحة العرض وتعطى كتابها بيمينها وثم يقال لها ادخلي في عبادي أي في جملتهم وادخلي جنتي بعد مرورها على الصراط اللهم اجعل نفسي مثل تلك النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعد الرحمن وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير المعاد بعرض شبه تفصيلي ليوم القيامة.
- ٢- بيان اشتداد حسرة المفرطين اليوم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله يوم القيامة.
- ٣- بشرى النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعدته ووعيده، عند الموت وعند القيام من القبر وعند تطاير الصحف.

سُورَةُ الْبَلَدِ

مكية وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ ۝
أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ۝ أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝

(١) إن كان هذا القول وهو بشرى عظيمة للمؤمن يقال عند الموت فمعنى ارجعي إلى ربك هو على ظاهره أي ارجعي إلى جوار ربك وكرامته وحسن ثوابه كما في التفسير. وإن كان هذا يقال يوم القيامة فمعنى إلى ربك إلى صاحبك أي إلى الجسد الذي كانت فيه، وذلك بعد خلق الله تعالى الأجساد وجائز أن يراد المعنيان فيقال هذا عند الموت. ويقال لها ذلك يوم القيامة وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه فاللفظ واحد وهو صالح لموقفين مختلفين وسبحان الله العظيم.

(٢) أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية الدعاء الآتي اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بملقاتك وترضى بقضائك وتقنع بعباداتك.

﴿٧﴾ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ

النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

لا أقسم بهذا البلد : أي مكة .

وأنت حل بهذا البلد : أي وأنت يا نبي الله محمد حلال بمكة .

ووالد وما ولد : أي وآدم وذريته .

في كبد : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة .

أيحسب أن لن يقدر : أي أيطن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويا شديدا .

أهلك ما لا لبدا : يقول هذا مفاخر بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها مالا كثيرا .

أيحسب أن لم يره أحد : أي أيطن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه .

وهديناه النجدين : أي بينا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا

به رسلنا وأنزلنا به كتبنا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ هذا قسم لله تعالى أقسم فيه بمكة بلده الأمين والرسول بها وهو حلّ يقاتل ويقتل فيها وذلك يوم الفتح الموعود . وقد قتل ﷺ يومها ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وأقسم بوالد وما ولد فالوالد آدم وما ولد ذريته منهم الأنبياء والأولياء وجواب القسم أو المقسم عليه قوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي في نصب وتعبد لا يفارقانه منذ تخلقه في بطن أمه إلى وفاته بانقضاء عمره ثم يكابد شدائد الآخرة ثم إما إلى نعيم لا نصب معه ولا تعب ، وإما إلى جحيم لا يفارقه ما هو أشد من النصب والتعب عذاب الجحيم هكذا شاء الله وهو العليم الحكيم . وفي هذا الخبر الإلهي المؤكد بأجل قسم على أن الإنسان محاط منذ نشأته إلى نهاية أمره بالنصب والتعب ترويح على نفوس المؤمنين بمكة وهم

(١) الابتداء بالقسم للتشويق إلى ما يذكر بعد القسم ، ولا مزيدة لتقوية الكلام .

(٢) جملة وأنت حل بهذا البلد معترضة بين المتعاطفين وفائدتها تسلية للرسول ﷺ وعده بنصره على أعدائه .

(٣) لقد خلقنا : هذا جواب القسم والإنسان للجنس ولا يراد به واحد بعينه وبعضهم يرى أن المراد به أبو الأشدين أسيد بن كلدة الجمحي .

(٤) من مظاهر أن الإنسان مربوب وأن له رباً يسيره ويدبر حياته كونه لا يفارق النصب والتعب مدة حياته وهو لا يريد ذلك .

يعانون من الحاجة والاضطهاد والتعذيب أحيانا من طغاة قريش لا سيما المستضعفين كياسر وولده عمار وبلال وصهيب وخبيب ، وحتى الرسول الكريم ﷺ فهو لم يسلم من أذى المشركين فإذا عرفوا طبيعة الحياة وأن السعادة فيها أن يعلم المرء أن لا سعادة بها هان عليهم الأمر وقل قلقهم وخفت آلامهم . كما هو تنبيه للطغاة وإعلام لهم بما هم عنه غافلون لعلهم يصحون من سكرتهم بحب الدنيا وما فيها وقوله عز وجل ﴿ أَيْحَسِبُ ۖ الْإِنسَانُ ۖ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدًا ۚ هَذَا الْإِنسَانُ ۖ الَّذِي قِيلَ لَهُ أَبُو الْأَشَدِّينَ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ فِي عِدَاوَةِ الرَّسُولِ ۖ وَالْإِسْلَامَ وَيَتَّبِعُ ۚ بِذَلِكَ يَقُولُ ۚ أَهَلَكْتَ مَالًا لَبِداً ۚ كَثِيرًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ رَآهُ وَعَلِمَ ۚ الْقَدْرَ الَّذِي أَنْفَقَهُ ۚ وَسَوْفَ يُحَاسِبُ عَلَيْهِ وَيُجْزِيهِ بِهِ ۚ وَلَنْ يُنَجِّيَهُ اِعْتِقَادُهُ الْفَاسِدُ أَنَّهُ لَا بَعَثَ وَلَا جَزَاءَ ۚ قَالَ تَعَالَىٰ مُقَرَّرًا لَهُ بِقُدْرَتِهِ وَنِعِمِّهِ عَلَيْهِ ۚ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۚ ﴾^(١) أي أعطيناه عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به ويفصح عن مراده وزيناه بشفتين يستر بهما فمه وأسنانه ثم هديناه النجدين أي بينا له طريق الخير والشر والسعادة والشقاء بما أودعنا في فطرته وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا أنسي هذا كله وتعامى عنه ثم هو ينفق ما أعطيناه في حرب رسولنا وديننا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- شرف مكة وحرمتها وعلو شأن الرسول ﷺ وسمو مقامه وهو فيها وقد أحلها الله تعالى له ولم يحلها لأحد سواه .
- ٢- شرف آدم وذريته الصالحين منهم .
- ٣- اعلان حقيقة وهي أن الإنسان لا يبرح يعاني من أتعاب الحياة حتى الممات ثم يستقبل شدائد الآخرة إلى أن يقر قراره وينتهي تطوافه باستقراره في الجنة حيث يستريح نهائيا ، أو في النار فيعذب ويتعب أبدا .

فَلَا أَفْحَمَ الْعُقْبَةَ^(١١) وَمَا أَدْرَكَكَ مَا الْعُقْبَةُ^(١٢)
فَكَ رَقَبَةٍ^(١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ^(١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ

(١) الاستفهام إنكاري مشبع بالتوبيخ والتقريع .

(٢) ألم نجعل الاستفهام تقريرى وفيه معنى التوبيخ .

(٣) الشفتين واحدهما شفة وأصلها شفو فقلبت الواو هاء فصارت شفة وتجمع على شفاة .

(٤) النجد الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل ، والمراد بالنجدين طريقا الخير والشر كما في التفسير .

﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بَٰئِثِينَ ءَانَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾
شرح الكلمات :

فلا اقتحم : أي فهلا تجاوز.

العقبة : أي الطريق الصعب في الجبل ، والمراد به النجاة من النار.

فك رقبة : أي اعتق رقبة في سبيل الله تعالى .

في يوم ذي مسغبة : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة .

يتيما ذا مقربة : أي أطعم يتيما من ذوي قرابته .

مسكينا ذا متربة : أي أطعم فقيراً لاصقاً بالتراب ليس له شيء .

وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله .

وتواصوا بالمرحمة : أي أوصى بعضهم بعضاً برحمة الفقراء والمساكين .

أصحاب اليمين : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون .

أصحاب المشأمة : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار .

مؤصدة : أي مطبقة لانا فذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ فهذا أنفق أبو الأشدين ما أنفقه في عداوة محمد ﷺ هلا أنفقه

في سبيل الله فاقتحم بها العقبة فتجاوزها ، وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ هذا تفخيم لشأنها

وتعظيم له وقوله ﴿فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان

من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ بهذه الأمور الأربعة تقتحم العقبة وتجتاز

فينجو صاحبها من النار والأمور الأربعة هي :

(١) ذهب القرطبي إلى أن فلا هي بمعنى هلا التي هي للتخفيض ، وهو ما قررناه في التفسير وجائز أن يكون استفهاماً إنكارياً ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه .

(٢) الاستفهام للتشويق إلى معرفة حقيقة العقبة .

(٣) فك رقبة وما بعدها بيان للعقبة ، إذ التقدير هي فك رقبة . والمراد من فك الرقبة عتقها . وفي الحديث من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار .

(٤) هذه الجملة عطف على الجملة المسوقة للذم والتوبيخ .

- فك رقة وقد ورد من اعتق رقة مؤمنة فهي فداؤه من النار.
- إطعام في يوم ذي مسغبة أي مجاعة يتيما ذا مقربة أي قرابة أو مسكينا ذا متربة أي ذا لصوق بالأرض لحاجته وشدة فقره.
- إيمان صادق بالله ورسوله وآيات الله ولقائه يحيا به قلبه.
- تواصى بالصبر أي مع المؤمنين المستضعفين بالثبات على الحق ولزوم طريقه وتواصي بالمرحمة مع أهل المال أن يرحموا الفقراء والمساكين فیسدوا خلتهم ويقضوا حاجتهم.
- بهذه الأربعة تجتاز العقبة وينجو المرء من عذاب الله ، وفي مثل هذا تنفق الأموال لا أن تنفق في الدسائس والمكر بالصالحين وخداع المؤمنين.
- وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ لما ذكر الإيمان والعمل الصالح وهما المنجيان من عذاب الله تعالى ذكر ضدتهما وهما الكفر والمعاصي وهما المهلكان الشرك والمعاصي لأن الكفر بآيات الله لازمه البقاء على الشرك المنافي للتوحيد ، والعصيان المنافي للطاعة وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب المشأمة﴾ أي الشمال ﴿عليهم نار مؤسدة﴾ مغلقة الأبواب مطبقة هي جزاؤهم لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بمن ينفق ماله في معصية الله ورسوله ، والنصح له بالإِنفاق في الخير فإنه أجدى له ، وأنجى من عذاب الله .
- ٢- بيان أن عقبة عذاب الله يوم القيامة تقتحم وتجتاز بالإِنفاق في سبيل الله وبالإيمان والعمل الصالح والتواصي به .
- ٣- التنديد بالكفر والوعيد الشديد لأهله .

سُورَةُ الشُّمُسِ

مكية وآياتها خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ①
وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ②
وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④
وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤
وَالْأَرْضُ وَمَا خَلَقَهَا ⑥

(١) البيتيم : الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ .

﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

وضحاها : أي ونهارها

إذا تلاها : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.

إذا جلاها : أي إذا أضاءها.

إذا يغشاها : أي غشى الشمس حتى تظلم الأفاق.

وما بناها : أي ومن بناها وهو الله عز وجل حيث جعل السماء كالسقف للأرض.

وما طحاها : أي ومن بسطها وهو الله عز وجل.

وما سواها : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله عز وجل.

فألهمها فجورها : أي فبين لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.

أفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.

وقد خاب : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.

من دساها : أي دسّ نفسه إذا أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي وأصل دساها دسساها

فأبدلت إحدى السينين ياءً.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والشمس وضحاها﴾^(١) إلى قوله ﴿وقد خاب من دساها﴾ تضمنت هذه الآيات العشر قسماً إلهياً من أعظم الأقسام ومقسماً عليه وهو جواب القسم ومقسماً لهم وهم سائر الناس فالقسم كان بما يلي بالشمس وضحاها وبالقمر إذا تلاها أي تلا الشمس إذا طلع بعد غروبها وذلك ليلة النصف من الشهر وبالنهار إذا جلاها إذا أضاء فكشف الظلمة أو الدنيا، وبالليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس حتى تظلم الأفاق وبالسماء وما بناها على أن ما تكون غالباً لغير العالم وقد تكون للعالم

(١) افتتحت بالقسم للتشويق إلى أخبارها ولم يقسم الله تعالى على شيء كما أقسم على جواب هذا القسم وهو حكم تقرير مصير الإنسان في الحياة الآخرة.

(٢) الضحى هو وقت ارتفاع الشمس مقدار رمح عن سطح الأرض فيما يرى الراثي إلى قبيل الزوال بربع ساعة تقريباً. وفيه تقع صلاة الضحى.

(٣) جائز أن تكون (ما) في الجمل الثلاثة (وما بناها) (وما طحاها) (وما سواها) مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها، والنفس وتسويتها إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

كما هي هنا فالذي بناها هو الله سبحانه وتعالى بالأرض وما طحاها أي بسطها وهو الله تعالى وبالنفس وما سواها أي خلقها وعدل خلقها وهو الله تعالى وقوله فألهمها فجورها وتقواها أي خلقها وسوى خلقها وألهمها أي بين لها الخير والشر أي ما تعمله من الصالحات وما تتجنبه من المفسدات فأقسم تعالى بأربع من مخلوقاته العظام وبِنفسه وهو العلي العظيم على ما دل عليه قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ^(١) مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وهو المقسم عليه وهو أن من وفقه الله وأعانه فزكى نفسه أي طهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعدا لها عما يندسها من الشرك والمعاصي فقد أفلح بمعنى فاز يوم القيامة وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة لأن معنى الفوز لغة هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب وأن من خذله الله تعالى لما له من سوابق في الشر والفساد فلم يزك نفسه بالإيمان والعمل الصالح ودسها أي دسها أخفاها وأحمّلها بما أفرغ عليها من الذنوب وما غطاها من آثار الخطايا والآثام فقد خاب بمعنى خسر في آخرته فلم يفلح فخسر نفسه وأهله وهو الخسران المبين .

هداية الايات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها الرب تعالى .
- ٢- بيان بما يكون به الفلاح ، وما يكون به الخسران .
- ٣- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح والترهيب من الشرك والمعاصي .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ

بَطْغُونَهَا^(١١) إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا^(١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا^(١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا^(١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا^(١٥)

(١) قد أصلها لقد أفلح لأنها جواب القسم وحذفت اللام لطول جمل القسم إذ بلغت ثمان جمل .

(٢) فعل دَسَّ كان دسّ فابدلوا السين الآخرة ياء لوجود ثلاثة أحرف من نوع واحد طلباً للتخفيف ، وأصل دَسَّى دس من دس الشيء إذا أخفاه بين شيئين حتى لا يظهر ومعنى دسها هو كما في التفسير أخفاها بما صب عليها من أوزار الذنوب فتدست وتدنت .

شرح الكلمات :

ثمود	: أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام .
بطغواها	: أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي .
إذ انبعث	: أي انطلق مسرعا .
أشقاها	: أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قُدار .

رسول الله	: أي صالح عليه السلام .
ناقة الله وسقياها	: أي ذروها وشربها في يومها .
فكذبوه	: أي فيما أخبرهم به من شأن الناقة .
فعمروها	: أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها .
فدمدم	: أي اطبق عليهم العذاب فأهلكهم .
بذنبهم	: أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة .
فسواها	: أي سوى الدمدم عليهم فلم يفلت منهم أحد .
ولا يخاف عقباها	: أي ولا يخاف الربّ تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله إذا هو قتل أحدا أو عذبه .

معنى الآيات : (١)

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾ إلى قوله ﴿ولا يخاف عقباها﴾ هذه الآيات سيقَّت للتدليل على أمور هي أن الذنوب موجبة لعذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن تكذيب الرسول الذي عليه كفار مكة منذر بخطر عظيم إذا استمروا عليه فقد يهلكهم الله به كما أهلك أصحاب الحجر قوم صالح، وأن محمداً رسول الله حقاً وصدقا وإن انكار قريش له لا قيمة له، وأنه لا إله إلا الله . وأن البعث والجزاء ثابتان بأدلة قدرة الله وعلمه فقوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾ إخبار منه تعالى المراد به إنذار قريش من خطر استمرارها على التكذيب وتسليية الرسول والمؤمنين وقوله ﴿بطغواها﴾ أي بسبب ذنوبها التي بلغت فيها حد الطغيان الذي هو الإسراف ومجاوزة الحد في الأمر . وبين تعالى

(١) ثمود هي القبيلة المعروفة قوم صالح عليه السلام ومنازلهم بالحجر وهم أصحاب الحجر والجملة بيانية، لأن من سمع جواب القسم وهو فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها وخسرانه تشوق إلى مثال لذلك فكان تكذيب ثمود وهلاكها .

(٢) الطغور اسم مصدر وهي كالطغيان الذي هو فرط الكبر والباء سببية أي كذبت ثمود رسولها صالحاً عليه السلام بسبب طغواها، لأن الكبر إذا عظم في الإنسان يحمله على الجحود والمعاندة والتكذيب .

(١) ظرف ذلك بقوله ﴿إذ انبعث﴾ أشقى تلك القبيلة الذي هو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل في الشقاوة فيقال أشأم من قدار وقال فيه رسول الله أشقى الأولين والآخرين قدار بن سالف وقوله فقال لهم رسول الله أي صالح ناقة الله أي احذروها فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ذروها وسقياها أي وماء شربها إذ كان الماء قسمة بينهم لها يوم ولهم يوم . ﴿فكذبوه﴾ في ذلك وفي غيره من رسالته ودعوته إلى عبادة الله وحده ﴿فعقروها﴾ أي فذبحوها ﴿فلمدم عليهم ربهم﴾ أي أطبق عليهم العذاب وعملهم به فلم ينج منهم أحد وذلك بذنبهم لا بظلم منه تعالى ، فسواها في النعمة والعذاب ولا يخاف عقابها أي تبعة تلحقه من هلاكها إذ هو رب الكل ومالك الكل وهو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن نجاة العبد من النار ودخوله الجنة متوقف على زكاة نفسه وتطهيرها من أضرار الذنوب والمعاصي ، وأن شقاء العبد وخسرانه سببه تدنيسه نفسه بالشرك والمعاصي وكل هذا من سنن الله تعالى في الأسباب والمسببات .
- ٢- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر وموجب للهلاك والدمار في الدنيا والعذاب في الآخرة .
- ٣- تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم كأصحاب مدين وقوم لوط وفرعون .
- ٤- انذار كفار قريش عاقبة الشرك والتكذيب والمعاصي من الظلم والاعتداء .

(١) انبعث مطلق بعث أي بعثته فانبعث ، إذا القوم بعثوا قُداراً أي أرسلوه فانبعث إجابة لهم إذ كان عقره الناقة بموافقتهم ورضاهم . بل بتحريضهم له ودفعهم إليها .
 (٢) ناقة الله منصوب على التحذير كما في التفسير والإضافة للتشريف والسقيا اسم مصدر من سقى يسقي سقيا .
 (٣) فعقروها: العقير هو جرح البعير في يديه ليترك على الأرض من الألم فإذا برك ذبح هذا الأصل ثم أصبح يطلق عقير البعير على ذبحه . والفاء في فعقروها للترتيب .
 (٤) المعقبي اسم لما يحصل عقب فعل من الأفعال من تبعة لصاحبه أو ثبوة فهي كالعاقبة وهي الحال التي تعقب من خير وشر .

سُورَةُ اللَّيْلِ^(١)

مكية وآياتها احدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾
 فَسَنِيَسِرُّهُ لِّلْيسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾
 فَسَنِيَسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

إذا يغشى : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به .
 إذا تجلَّى : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية وليست شرطية .

وما خلق الذكر والأنثى : أي ومن خلق الذكر والأنثى آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله تعالى .
 إن سعيكم لشتى : أي ان عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة ومنه السيئة الموجبة للنار .
 من أعطى واتقى : أي حق الله وانفق في سبيل الله واتقى ما يسخط الله تعالى من الشرك والمعاصي .

وصدق بالحسنى : أي بالخلف لحديث اللهم أعط منفقا خلفاً .
 فسنيسرهُ لليسرى : أي فسنيسرهُ للخلة أي الخصلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليجب له به الجنة في الآخرة .
 وأما من بخل واستغنى : أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله واستغنى بماله عن الله فلم يسأله من فضله ولم يعمل عملاً صالحاً يتقرب به إليه .
 وكذب بالحسنى : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة .

(١) قال صلى بنا عمر بن عبدالعزيز المغرب فقرأ (والليل إذا يغشى) فلما بلغ (فأنلرتكم نارا تلظى) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعدها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى .

فسنيسره للعسرى : فسنيهته للخله العسرى وهى العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون قائده إلى النار.
إذا تردى : أي في جهنم فسقط فيها.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والليل﴾ أقسم تعالى بالليل ^(١) ﴿إذا يغشى﴾ بظلامه الكون، وبالنهار ﴿إذا تجلى﴾ أي تكشف وظهر وهما آيتان من آيات الله الدالتان على ربوبيته تعالى الموجبة لألوهيته، وأقسم بنفسه جل وعز فقال ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ أي والذي خلق الذكر والأنثى آدم وحواء ثم سائر الذكور وعامة الإناث من كل الحيوانات وهو مظهر لا يقل عظمة على آيتي الليل والنهار والمقسم عليه أو جواب القسم هو قوله ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنات الموجبة للسعادة والكمال في الدارين ومنه السيئات الموجبة للشقاء في الدارين أي دار الدنيا ودار الآخرة. وبناء على هذا ﴿فأما من أعطى﴾ حق الله في المال فأنفق وتصدق في سبيل الله ﴿واتقى﴾ الله تعالى فآمن به وعبدته ولم يشرك به ﴿وصدق بالحسنى﴾ التي هي الخلف أي العوض المضاعف الذي واعد به تعالى من ينفق في سبيله في قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وفي قول الرسول ﷺ في الصحيح ^(٢) [ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا ملكان يترلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً]، فسنيهته للخله اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ويثيبه عليه في الآخرة بالجنة ﴿وأما من بخل﴾ بالمال فلم يعط حق الله فيه ولم يتصدق متطوعاً في سبيل الله ﴿واستغنى﴾ بماله وولده وجاهه فلم يتقرب إلى الله تعالى بطاعته في ترك معاصيه ولا في أداء فرائضه وكذب بالخلف من الله

(١) من لطائف هذا الإقسام بالليل والنهار وهما ضدان الإشارة إلى تضاد الذكر والأنثى والحسن والسوء والعسر واليسر والتصديق والتكذيب وهذا محتوى هذه السورة.

(٢) تجلى النهار وضوح ضوئه أقسم الله تعالى بكل من الليل وظلمته والنهار وضوئه لما في ذلك من مظاهر قدرة الله وعظمته على خلق الظلمات والنور.

(٣) يرى بعضهم أن المقسم به المصدر بناء على أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب تبارك وتعالى فإنه أعظم أقسام.

(٤) كلمة الحسنى صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك فصارت اسماً لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقبة والخلف على المنفق في سبيل الله وهو الراجح هنا لاختيار ابن جرير له.

(٥) رواه البخاري وغيره.

(٦) في الآية دليل على أن الجود من مكارم الأخلاق والبخل من أرذلها، وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء كما ليس البخل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء والبخل الذي يمنع في موضع العطاء.

تعالى على من ينفق في سبيله ﴿فسنيسره للعسرى﴾^(١) أي فسنهيئه للخلة العسرى وهي العمل بما يكره الله تعالى ولا يرضاه من الذنوب والآثام ليكون ذلك قائده إلى النار. وقوله تعالى ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾^(٢) يخبر تعالى بأن من بخل واستغنى وكذب بالحسنى حفاظا على ماله وشحا به وبخلا أن ينفقه في سبيل ربه هذا المال لا يغني عنه شيئا يوم القيامة إذا ألقي به في نار جهنم فتردى ساقطا فيها على أم رأسه كما قال تعالى ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي لعدم الحسنات الكافية فيها ﴿فأما هاهو وما أدراك ما هي نار حامية﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان عظمة الله وقدرته وعلمه الموجبة لربوبيته المقتضية لعبادته وحده دون سواه.
- ٢- تقرير القضاء والقدر وهو أن كل انسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء لحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له، مع تقرير أن من وفق للعمل بما يرضى الله تعالى كان ذلك دليلا على انه مكتوب سعيدا إذا مات على ما وفق له من العمل الصالح. وأن من وفق للعمل المسخط لله تعالى كان دليلا على انه مكتوب شقاوته إن هو مات على ذلك.
- ٣- تقرير أن التوفيق للعمل بالطاعة يتوقف حسب سنة الله تعالى على رغبة العبد وطلبه ذلك والحرص عليه واختياره على غيره وتسخير النفس والجوارح له. كما أن التوفيق للعمل الفاسد قائم على ما ذكرنا في العمل الصالح وهو اختيار العبد وطلبه وحرصه وتسخير نفسه وجوارحه لذلك هذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

إِنَّ عَلَيْنَا

لِلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۖ (١٤)
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتَقَى ۖ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۖ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۖ (٢١)

(١) في قوله فسنيسره للعسرى تهكم به نحو فبشره بعذاب اليم.

(٢) حديث صحيح.

(٣) التردي السقوط من أعلى إلى أسفل المقضي بصاحبه إلى الهلاك.

شرح الكلمات :

إن علينا للهدى : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية .
وإن لنا للآخرة والأولى : أي ملك ما في الدنيا والآخرة نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا .

فأنذرتكم

: أي خوفتكم .

نارا تلظى

: أي تتوقد .

لا يصلها

: أي لا يدخلها ويحترق بلهبها .

إلا الأشقى

: أي إلا الشقى .

الذي كذب وتولى

: كذب النبي ﷺ فيما جاء به وتولى أعرض عن الإيمان به وبما

جاء به من التوحيد والطاعة لله ورسوله .

وسيجنبها الآتقى

: أي يبعد عنها التقى .

يتزكى

: أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلى غير الله فهو لذلك

خال من الرياء والسمعة .

وما لأحد عنه من نعمة تجزى

: أي ليس لأحد من الناس عليه منة فهو يكافئه بذلك .

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى

: لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

ولسوف يرضى

: أي يعطيه الله تعالى من الكرامة ما يرضى به في دار السلام .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إن علينا للهدى﴾ الآيات . . . بعد أن أعلم تعالى عباده أنه ييسر لليسرى من أعطى واتفق وصدق بالحسنى ، وأنه ييسر للعسرى من بخل واستغنى وكذب بالحسنى أعلم بحقيقة أخرى وهي أن بيان الطريق الموصل بالعبد لليسرى هو على الله تعالى متكفل به وقد بينه بكتابه ورسوله فمن طلب اليسرى فأولاً يؤمن بالله ورسوله ويوطن نفسه على طاعتها ويأخذ في تلك الطاعة يعمل بها وثانياً يتفق في سبيل الله ما يطهر به نفسه من البخل وشح النفس ويظهر فقره وحاجته إلى الله تعالى بالتقرب إليه بالنوافل وصالح الأعمال وبذلك يكون قد يسر فعلاً لليسرى وقوله تعالى ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي الدنيا وعليه فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ ولا يحصل عليها بحال فطلب الآخرة يكون بالإيمان والتقوى ، وطلب الدنيا يكون بالعمل حسب ستننا في الكسب وحصول المال وقوله تعالى ﴿فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلها إلا الأشقى الذي كذب

(١) المراد بالآخرة الجنة ، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم وسعادة وشقاء وفوز وخسران .

(٢) تنكير (ناراً) للتهويل ، وجملة تلظى نعت ومعنى تلظى : تلهب من شدة الاشتعال .

(٣) يذكر بعض المفسرين أن المراد بالأشقى أمية بن خلف ونظراؤه من أكابر مجرمي قريش ، واللفظ عام يشمل كل من ينطبق عليه الوصف المذكور .

وتولى ﴿ أي فناء على ما بيننا لكم فقد أنذرتكم أي خوفتكم نارا تلظى أي تتوقد التهاها لا يصلها لا يدخلها ويصطلي بحرهما خالدا فيها أبدا إلا الأشقى أي الأكثر شقاوة وهو المشرك وقد يدخلها الشقي من أهل التوحيد ويخرج منها بتوحيده، حيث لم يكذب ولم يتول، ولكن فجر وعصى، وما أشرك وما تولى، وقوله تعالى ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أي يعطي ماله في سبيل الله يتزكى به من مرض الشح والبخل وآثار الذنوب والإثم، وقوله ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء^(١) وجه ربه الأعلى﴾ أي فهو ينفق ما ينفقه في سبيل الله خاصة وليس ما ينفقه من أجل أن عليه لأحد من الناس فضلا أو يدا فهو يكافئه بها لالا، وإنما هو ينفق ابتغاء وجه ربه الأعلى أي يريد رضا ربه تعالى لا غير. قال تعالى ﴿ولسوف يرضى﴾ أي ما دام ينفق ابتغاء وجهنا فقط فسوف نكافئه ونعطيه عطاء يرضى به وذلك في الجنة دار السلام. هذه الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان في مكة يشتري العبيد من مواليهم الذين يعذبونهم من أجل إسلامهم فكان يشتريهم ويعتقهم لوجه الله تعالى ومنهم بلال رضي الله عنه فقال المشركون إنما فعل ذلك ليد عنده أي نعمه فهو يكافيه بها فأكذبهم الله في ذلك وأنزل قوله وسيجنبها الأتقى الآيات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الله تعالى متكفل بطريق الهدى فأرسل الرسل وأنزل الكتاب فابان الطريق وأوضح السبيل.
- ٢- بيان أن الله تعالى وحده الدنيا والآخرة فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله تعالى فالآخرة تطلب بالإيمان والتقوى والدنيا تطلب باتباع سنن الله تعالى في الحصول عليها.
- ٣- بيان فضل أبي بكر الصديق وأنه مبشر بالجنة في هذه الآية الكريمة.

(١) الابتغاء الطلب بجد فهو أبلغ من البغي.

(٢) ولسوف يرضى لتحقيق الوعد في المستقبل، إذا اللام لام الابتداء لتأكيد الخبر هذه السورة تحمل معنى جوامع الكلم إذ تضمنت كل ما يرغب فيه الراغبون من الكمال والفوز والفلاح وهي آخر متوسط المفصل.

سُورَةُ الضُّحَى

مكية وآيتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- والضحى : أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال .
والليل إذا سجي : غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة .
ما ودعك : أي ما تركك ولا تخلى عنك .
وما قلى : أي ما أبغضك .
ألم يجدك يتيما : أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته .
فآوى : أي فأواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب .
ووجدك ضالا : أي لا تعرف ديننا ولا هدى .
ووجدك عائلا : أي فقيرا .
فأغنى : أي بالقناعة ، وبما يسرُّ لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق .
فلا تقهر : أي لا تذله ولا تأخذ ماله .
فلا تنهر : أي لا تنهره بجزر ونحوه .
وأما بنعمة ربك فحدث : أي اذكر ما أنعم الله تعالى به عليك شكرا له على ذلك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والضحى﴾ والليل إذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى ﴿^(١)﴾ هذا قسم من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أقسم له به على أنه ماتركه ولا أبغضه . وذلك أنه أبطأ عنه الوحي أياما فلما رأى ذلك المشركون فرحوا به وعيروه فجاءت امرأة وقالت له ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فحزن لذلك النبي ﷺ فأنزل الله سورة الضحى يقسم له فيها بالضحى وهو أول النهار من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى ما قبل الزوال بقليل ، وبالليل إذا سجدى أي غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة فيه ﴿ما ودعك ربك﴾ يا محمد أي تركك ﴿وما قلى﴾ أي ما أبغضك ﴿وللاخرة خير لك من الأولى﴾ أي الدنيا وذلك لما أعد الله لك فيها من الملك الكبير والنعيم العظيم المقيم . وسوف يعطيك ربك من فواضل نعمه حتى ترضى في الدنيا من كمال الدين وظهور الأمور في الآخرة الشفاعة وأن لا يبقى أحد من أمته أهل التوحيد في النار والوسيلة والدرجة الرفيعة التي لا تكون لأحد سواه .

وقوله تعالى ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى﴾ هذه ثلاث منن لله تعالى على رسوله منها عليه وذكره بها ليوقن أن الله معه وله وأنه ما تركه ولن يتركه وحتى تنتهي فرحة المشركين ببطء الوحي وتأخره بضعة أيام . فالمنة الأولى أن والد النبي ﷺ قد مات عقب ولادته وأمه ماتت بعيد فطامه فأواه ربّه بأن ضمّه إلى عمه أبي طالب فكان أبا رحيما وعمما كريما له حصنا منيعا له ، ولم يتخل عن نصرته والدفاع عنه حتى وفاته والثانية منّة العلم والهداية فقد كان ﷺ يعيش في مكة كأحد رجالاتها لا يعرف علما ولا شرعا وإن كان معصوما من مقارفة أي ذنب أو ارتكاب أية خطيئة إلا أنه ما كان يعرف إيمانا ولا إسلاما ولا شرعا كما قال تعالى : ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ والثالثة منّة عليه بالغنى بعد الحاجة فقد مات والده ولم يخلف أكثر من جارية هي بركة أم أيمن وبضعة جمال ، فأغناه الله بغنى القناعة فلم يمد يده لأحد قط وكان يقول

(١) هذا القسم لتأكيد الخبر الذي حملته الآيات بعده ، وكتبت (الضحى) بالالف المقصورة وأصلها الواو فكان المفروض أن تكتب بالالف الثابتة ولم تكتب بها مراعاةً للمناسبة مع أكثر الكلمات : سجدى وقلى والأولى

(٢) ما ودعك جواب القسم ولم يقرن باللام ، لأن الجملة المنفية لا تتطلب اللام . وما قلى معطوفة على ما ودعك ومعنى ما ودعك ما تركك ومعنى وما قلاك ما أبغضك شديد بغض ولا ضعيف .

(٣) في البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة هي أم جميل العواء امرأة أبي لهب : فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ولم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله والضحى . وقيل لما سئل عن الروح وأصحاب الكهف وفي القرنين ، فقال سأخبركم غداً ولم يستش فموتب بانتظار الوحي خمسة عشر يوماً وقال المشركون قلاه . فأنزل الله سورة الضحى .

(٤) الاستفهام للتقرير وكذا الاستفهامات بعده .

(١) [ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس] هذه ثلاث ممن إلهية وما أعظمها والمنة تتطلب شكرا والله يزيد على الشكر ومن هنا أرشد الله تعالى رسوله إلى شكر تلك النعمة ليزيده عليها فقال فأما ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ لا تقهره بأخذ ماله أو إذلاله أو أذاه ذاكرًا رعاية الله تعالى لك أيام يتمك. ﴿وأما السائل﴾ وهو الفقير المسكين وذو الحاجة يسألك ما يسدّ خلته فاعطه ما وجدت عطاءً أو رده بكلمة طيبة تشرح صدره وتخفف ألم نفسه ولا تنهره بزجر عنيف (٣) ولا بقول غير لطيف ذاكرًا ما كنت عليه من حاجة وما كنت تشعر به من احتياج ﴿وأما بنعمة ربك﴾ فحدث ﴿أي اشكر نعمة الإيمان والإحسان والوحي والعلم والفرقان وذلك بالتحدث بها إبلاغًا وتعليمًا وتربية وهداية فذاك شكرها والله يحب الشاكرين هكذا أدب الله جل جلاله رسوله وخليفه

فأكمل تأديبه وأحسه

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- الدنيا لا تخلو من كدر وصدق الله العظيم ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ .

٢- بيان علو المقام المحمدي وشرف مكانته .

٣- مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملاً للعبد على الصبر والشكر.

٤- وجوب شكر النعم بصرفها في مرضاة المنعم عز وجل (٤).

٥- تقرير معنى الحديث (إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه)

سُورَةُ الشُّرُحِ

مكية وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَنْشَرَحَّ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي

أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ

مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

(١) مغفوج في الصحيحين .

(٢) في الصحيح : أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين .

(٣) روى أبو داود والترمذي وصححه قوله ﷺ لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

(٤) في الصحيحين : عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالاجر كله قال : لا ما دعوتهم لهم وأنيتهم عليهم ، هذه الأحاديث دالة على وجوب شكر المنعم عز وجل بحمده والثناء عليه ، وأن شكر ذي النعمة من الناس كذلك ولو بالدعاء له والثناء عليه .

شرح الكلمات :

ألم : الاستفهام للتقرير أي إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه .
نشرح لك صدرك : أي بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيمانا وحكمة .
ووضعنا عنك وزرك : أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك .
الذي أنقض ظهرك : أي الذي أثقل ظهرك حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك .
ورفعنا لك ذكرك : أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد .
فإن مع العسر يسرا : أي مع الشدة سهولة .
فاذا فرغت : أي من الصلاة .
فانصب : أي اتعب في الدعاء .
وإلى ربك فارغب : أي فاضرع إليه راغبا فيما عنده من الخيرات والبركات .
معنى الآيات :

(١) قوله تعالى ﴿ ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ﴾ هذه ثلاث من آخرى بعد المنن الثلاث التي جاءت في السورة قبلها منها الله تعالى على رسوله بتقريره بها فالأولى بشرح صدره ليتسع للوحي ولما سيلقاه من قومه من سيء القول وباطل الكلام الذي يضيق به الإنسان والثانية وضع الوزر عنه فإنه ﷺ وإن لم يكن له وزر حقيقة فإنه كان يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة والتقرب إلى الله تعالى في وقت ما قبل النبوة ونزول الوحي عليه إذ عاش عمرا أربعين سنة لم يعرف فيها عبادة ولا طاعة لله ، أما مقارفة الخطايا فقد كان محفوظا بحفظ الله تعالى له فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرًا ولم يقل أو يفعل إثما قط . فقد شق صدره وهو طفل في الرابعة من عمره وأخرجت منه العلقة التي هي محطة الشيطان التي ينزل بها من صدر الإنسان ويوسوس بالشر للإنسان والثالثة رفع الذكر أي ذكره ﷺ إذ قرن اسمه باسمه تعالى في التشهد وفي الأذان والإقامة وذلك الدهر كله وما بقيت الحياة . وقوله تعالى ﴿ فإن مع العسر

(١) ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني التأذين ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال المؤذن في الخمس أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فلو العرش محمود وهذا محمد

(٢) في الصحيح عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه أن النبي ﷺ قال فينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة إذ كان معه حمزة وابن عمه جعفر فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا . قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيمانا وحكمة .

يسرا إن مع العسر يسرا ﴿ فهذه بشرى بقرب الفرج له ولأصحابه بعد ذلك العناء الذي يعانون
والشدة التي يقاسون ومن ثم بشرى ﴿^(١) أصحابه وهو يقول [لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر
يسرين] وقوله ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴿ هذه خطة لحياة المسلم وضعت لنبي
الإسلام محمد ﷺ ليطبقها أمام المسلمين ويطبقونها معهم حتى الفوز بالجنة والنجاة من النار
وهي فإذا فرغت من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصب لعمل
ديني أخروي فمثلا فرغت من الصلاة فانصب نفسك للذكر والدعاء بعدها، فرغت من الصلاة
والدعاء فانصب نفسك لدنياك، فرغت من الجهاد فانصب نفسك للحج . ومعنى هذا أن المسلم
يحيا حياة الجد والتعب فلا يعرف وقتا للهو واللعب أو للكسل والبطالة قط وقوله إلى ربك فارغب
ارغب بعد كل عمل تقوم به في مثوبة ربك وعطائه وما عنده من الفضل والخير إذ هو الذي تعمل
له وتنصب من أجله فلا ترغب في غيره ولا تطلب سواه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما أكرم الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره .
- ٢- بيان أن انشراح صدر المؤمن للدين واتساعه لتحمل الأذى في سبيل الله نعمة عظيمة .
- ٣- بيان أن مع العسر يسرا دائما وأبدا، ولن يغلب عسر يسرين فرجاء المؤمن في الفرج دائم .
- ٤- بيان أن حياة المؤمن ليس فيها لهو ولا باطل ولا فراغ لا عمل فيه أبدا ولا ساعة من الدهر قط
وبرهان هذه الحقيقة أن المسلمين من يوم تركوا الجهاد والفتح وهم يتراجعون إلى الوراء في
حياتهم حتى حكمهم الغرب وسامهم العذاب والخسف حتى المسخ والنسخ وقد نسخ إقليم
الأندلس ومسخت أقاليم في بلاد الروس والصين حتى الأسماء غيّرت .

(١) رواه ابن جرير والحديث مرسل وقال ابن مسعود . والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
ولن يغلب عسر يسرين .

(٢) روى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أيشرح الصدر؟ قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة؟
قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت .

سُورَةُ التِّينِ

مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

والتين والزيتون : هما المعروفان التين فاكهة والزيتون ما يستخرج منه الزيت .
وطور سينين : جبل الطور الذي ناجى الرب تعالى فيه موسى عليه السلام .
وهذا البلد الأمين : مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها فمن دخلها أمن .
لقد خلقنا الإنسان : جنس الإنسان آدم عليه السلام وذريته .
في أحسن تقويم : أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب .
أسفل سافلين : أي إلى أرذل العمر حتى يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم .
أجر غير ممنون : أي غير منقطع فالشيخ الهرم الخرف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته
على العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ هذا قسم جليل من أقسام الرب تعالى حيث أقسم فيه بأربعة أشياء وهي التين وهو التين المعروف وهو أشبه شيء بفاكهة الجنة لخلوه من العجم^(١) . وما يوجد بداخل الفاكهة كالنواة ونحوها، والزيتون وهو ذو منافع يؤكل ويدهن به ويستصبح به ويتداوى به كذلك، ويطور سينين وهو جبل سينا في فلسطين إذ تم عليه أكبر

(١) عامة أهل السلف ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن المراد من التين والزيتون هما المعروفان قال غير واحد هو نبتكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت .

(٢) المعجم - النوى .

حدث في تاريخ الحياة وهو أن الله تعالى كلم موسى بن عمران نبي بني اسرائيل عليه عدة مرات وأسمعه كلامه وتجلى للجبل فصار دكا. وبمكة أم القرى التي دحيت الأرض من تحتها وفيها بيت الله وحولها حرمه هذا قسم عظيم وجوابه قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ ولقد تضمن هذا الجواب لذلك القسم أكبر مظاهر القدرة والعلم والرحمة وهي موجبة للإيمان بالله وتوحيده ولقائه وهو ما كذب به أهل مكة وأنكروه وبيان ذلك أن الإنسان كائن حي مخلوق فخالقه ذو قدرة قطعاً وتعديل خلقه بنصب قامته وتسوية أعضائه وحسن سمته وجمال منظره دال على علم وقدرة وهي موجبة للإيمان بالله ولقائه إذ القادر على خلق الإنسان اليوم وقبل اليوم قادر على خلقه غداً كما شاء متى شاء ولا يرد هذا إلا أحق جاهل، وقوله ثم رددناه أسفل سافلين وذلك بهرم بعض أفرادهم والنزول بهم إلى ما أسفل من سن الطفولة حيث يصبح الرجل فاقدًا لعقله وقواه فيفقد قواه العقلية والبدنية وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ وهو أن ما كانوا يقومون به من الفرائض والنوافل وسائر الطاعات والقربات لا ينقطع أجرهم^(١) منها بكبرهم وعدم قيامهم بها في سن الشيخوخة والههم والخرف بخلاف الكافر والفاجر والفاسق فليس لهم أعمال لا تنقطع إلا من سن منهم سنة سيئة فإن ذنبه لا ينقطع ما بقي من يعمل بتلك السنة السيئة. وقوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾^(٢) أي فمن يقدر على تكذيبك يارسلنا بعد هذه الآيات والحجج والبراهين الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فمن يكذب بالبعث والجزاء على الكسب الإرادي الاختياري في هذه الحياة من خير وشر فإنه وإن كذب بالدين وهو الجزاء الآخروي على عمل المكلفين في هذه الحياة الدنيا فإن هذا التكذيب قائم على أساس العناد والمكابرة إذ الحجج الدالة على يوم الدين والجزاء فيه تجعل المكذب به مكابراً أو جاحداً لا غير. وقوله تعالى ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ بلى فليس هناك أعدل من الله وأحسن حكماً فكيف يظن إذا أن الناس يعملون متفاوتين في أعمالهم في هذه الدنيا ثم يموتون سواء ولا جزاء بعد بالثواب ولا بالعقاب هذا ظلم وباطل ومنكر ينزهه الرب عنه سبحانه وتعالى ففضيلة البعث الآخر لا تقبل الجدل والمماحكة بحال من الأحوال.

(١) صح الحديث أن النبي ﷺ قال إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً. وعن ابن عمر: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله.

(٢) وجائز أن يكون الخطاب للإنسان الكافر توبيخاً له وإلزاماً للحجة أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر فما يحملك على أن تكذب وعليه فلا استفهام توبيخي.

(٣) روي أن ابن عباس وعلياً رضي الله عنهما كانا إذا قرأا أليس الله بأحكم الحاكمين قالوا بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وروى الترمذي عن أبي هريرة من قرأ سورة التين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان منافع التين والزيتون واستحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما .

٢- بيان شرف مكة . وحرمها .

٣- بيان فضل الله على الإنسان في خلقه في أحسن صورة وأقوم تعديل .

٤- تقرير فضل الله على الإنسان المسلم وهو أنه يطيل عمره فإذا هرم وخرف كتب له كل ما كان يعمل من الخير ويحاسبه من الشر .

٥- مشروعية قول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين بعد قراءة والتين إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك .

سُورَةُ الْعَجَلِ

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

اقْرَأْ

أي أوجد القراءة وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان .

باسم ربك

: أي بذكر اسم ربك .

الذي خلق

: أي خلق آدم من سلالة من طين .

خلق الإنسان

: أي الإنسان الذي هو ذرية آدم .

من علق

: أي جمع علقه وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقه أي قطعة من الدم الغليظ .

وربك الأكرم

: أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه .

الذي علم بالقلم

: أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم .

علم الإنسان

: أي جنس الإنسان .

ما لم يعلم

: أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ هذه الآيات الخمس من أول ما نزل من القرآن الكريم لأحاديث الصحاح^(١) فيها فإن مما اشتهر في ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي حراء يتحنث فيه أي يزيل الحنث فراراً مما عليه قومه من الشرك والباطل حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت الحديث .

وقوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقرأ بادئاً قراءته بذكر اسم ربه أي باسم الله الرحمن الرحيم وقوله ﴿الذي خلق﴾ أي خلق الخلق كله وخلق آدم من طين وخلق الإنسان من أولاد آدم من علق والعلق اسم جمع واحده علقه وهي قطعة من الدم غليظة كانت في الأربعين يوماً الأولى في الرحم نطفة ثم تطورت إلى علقه تعلق بجدار الرحم ثم تتطور في أربعين يوماً إلى مضغة لحم ، ثم إما أن يؤذن بتخليقها فتخلق وإما لا فيطرحها الرحم قطعة لحم وقوله ﴿اقرأ وربك﴾ تأكيد للأمر الأول لصعوبة الأمر واندهاش الرسول ﷺ للمفاجأة ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ أي وربك الأكرم هو الذي علم بالقلم عباده الكتابة والخط . وقوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ أي من كرمه الذي أفاض منه على عباده نعمه التي لا تحصى إنه علم الإنسان بواسطة القلم ما لم يكن يعلم من العلوم والمعارف وهذه إشادة بالقلم وأنه واسطة العلوم والمعارف والواسطة تشرف بشرف الغاية المتوسط لها فلذا كان لا أشرف في الدنيا من عباد الله الصالحين والعلوم الإلهية في الكتاب والسنة وما دعوا إليه وحضوا عليه من العلوم النافعة للإنسان .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية .
- ٢- مشروعية ابتداء القراءة بذكر اسم الله ولذا افتتحت سور القرآن ما عدا التوبة بيسم الله الرحمن الرحيم .

(١) منها حديث عائشة : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم . رواه البخاري .

(٢) العلقه الدم الجامد والجمع علق ، والعلقه قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه .

(٣) قيل سمي القلم قلماً لأنه يقلم أي يقطع ، ومنه تغليم الظفر صح أن النبي ﷺ قال . أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه .

- ١- بيان نظور النطفة في الرحم إلى علقه ومنها يتخلق الإنسان .
- ٤- اعظام شأن الله تعالى وعظم كرمه فلا أحد يعادله في الكرم .
- ٥- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم إذ المعارف والعلوم لم تدون إلا بالكتابة والقلم .
- ٦- بيان فضل الله تعالى على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط .

كَلَّا إِنَّ

الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ ۖ (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْفَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
(١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا نُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

شرح الكلمات :

كلا^(١) : أي لا أداة استفتاح وتنبيه لكسر إن بعدها .

إن الإنسان : أي ابن آدم قبل أن تهذب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية .

ليطفي : أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته .

أن رآه استغنى : أي عندما يرى نفسه قد استغنى بما له أو ولده أو سلطانه .

إن إلى ربك الرجعى : أي إن إلى ربك أيها الرسول الرجعى أي الرجوع والمصير .

الذي ينهى عبدا إذا صلى : أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله .

إن كان على الهدى : أي هو رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي

أو أمر بالتقوى العدناني .

(١) كلا الأصل فيها أنها أداة ردع وزجر وذلك إذا تقدمها ما يقتضي ذلك وتكون بمعنى حقاً، وتكون بمعنى إلا التي هي أداة استفتاح وتنبيه . وهي هنا تتردد من أمرين بين أن تكون بمعنى حقاً أو بمعنى إلا ، وذلك لعدم تقدم كلام يقتضي الردع والزجر، لأن الآيات الخمس الأولى نزلت في أول ما نزل وما بعد كلا نزل بعد ذلك بفترة طويلة وجائز أن تكون ردعاً لمن قال قولاً أو عملاً استحق به ذلك .

إن كذب وتولى	: أي هو أبو جهل .
لئن لم ينته	: أي من أذية رسولنا محمد ﷺ ومنعه من الصلاة خلف المقام .
لنسفعا بالناصية	: أي لناخذن بناصيته ونسحبه إلى نار جهنم .
فليدع ناديه	: أي رجال مجلسه ومنتداه .
سندع الزبانية	: أي خزان جهنم .
كلا	: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر .
واقترب	: أي منه تعالى وذلك بطاعته .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان قبل أن يهذبته الإيمان والمعارف الإلهية المشتملة على معرفة محاب الله تعالى، ومساخطه أنه إذا رأى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سلطانه أو بالكلِّ وما أصبح في حاجة إلى غيره يطغى فيتجاوز حدَّ الآداب والعدل والحق والعرف فيتكبر ويظلم ويمنع الحقوق ويحتقر الضعفاء ويسخر بغيره . وأبو جهل كان مضرب المثل في هذا الوصف وصف الطغيان حتى قيل إنه فرعون هذه الأمة، وها هو ذا رسول الله ﷺ يصلي في المسجد الحرام خلف المقام فيأتيه هذا الطاغية ويهدده ويقول له لقد نهيتك عن الصلاة هنا فلا تعد، ويقول له إن وجدت لك مرة أخرى آخذ بناصيتك وأسحبك على الأرض فينزل الله تعالى هذه الآيات ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ فيقف برسوله على حقيقة ما كان يعلمها وهي أن ما يجده من أبي جهل وأضرابه من طغاة قريش علتة كذا وكذا ويسليه فيقول له وإن طغوا وتجبروا إن مرجعهم إلينا وسوف ننتقم لك منهم ﴿إن إلى ربك﴾ يارسولنا ﴿الرجعى﴾ إذا فاصبر على أذاهم وانتظر ما سيحل بهم إن مصيرهم إلينا لا إلى غيرنا وسوف ننتقم منهم ثم يقول له قولا يحمل العقلاء على التعجب من سلوك أبي جهل الشائن مع رسول الله ﷺ ﴿أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى﴾؟ وهل الذي يصلي ينهى عن الصلاة وهل الصلاة جريمة وهل في الصلاة ضرر على أحد؟ فكيف ينهى عنها؟ ويقول له ﴿أرأيت إن كان﴾ أي المصلي الذي نهى عن الصلاة وهو الرسول نفسه ﷺ

﴿على الهدى﴾ الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما؟ ﴿أو أمر بالتقوى﴾ أي أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة، هل الأمر بالهدى والتقوى أي بأسباب النجاة والسعادة يعادي ويحارب؟ ويضرب ويهدد؟ إن هذا لعجب العجائب. ويقول رأيت يارسولنا إن كذب هذا الذي ينهى عبدا إذا صلى أي كذب بالحق والدين وتولى عن الإيمان والشرع، كيف يكون حاله يوم يلقي ربه؟ ﴿ألم يعلم أن الله يرى﴾ أي يرى أفعاله الاستفزازية المقيتة وتطاوله على رسول الله وتهديده له بالضرب إن وجده يصلي خلف المقام. بعد هذه الدعوة للطاغية لعله يرجع إلى الحق إذا سمعه، وإذا به يزداد طغيانا ويقول في مجلس قريش يقول واللات والعزى لئن رأيت محمدا ﷺ يصلي لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه على التراب، وفعلنا أتى إلى النبي ﷺ وهو يصلي ليطأ على ركبته فإذا به ينكص على عقبه، ويتقي بيديه، فقيل له مالك فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾ أي صاحبها وهو أبو جهل أي لئن لم ينته عن أذية رسولنا وتعرضه له في صلاته ليمنعه منها لتأخذ بناصيته ونجره إلى جهنم عيانا. ﴿فليردع﴾ حيثنذ رجال نادية ومجلس قومه فإننا ندعو الزبانية أي خزنة النار من الملائكة كلا فليردع هذا الطاغية وليعلم أنه لن يقدر على أن يصل إلى رسولنا بعد اليوم بأذى.

وقال تعالى لرسوله بعد تهديده للطاغية، وردعه له، وارتدع فعلا ولم يجرو بعد ذلك اليوم أن يمد لسانه، ولا يده بسوء لرسول الله ﷺ قال لرسوله ﷺ ﴿لا تطعه﴾ فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام فقد كفييناك شره ﴿واقترب﴾ إلينا بالطاعات ومن أهمها الصلاة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان سبب نزول الآيات كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة.
- ٢- بيان طبع الإنسان إذا لم يهذب بالإيمان والتقوى.
- ٣- نصرة الله لرسوله ﷺ بالملائكة عيانا في المسجد الحرام.
- ٤- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل وأنه كان أظلم قريش لرسول الله وأصحابه.
- ٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه السورة إذا قرأ فاسجد واقترب شرع له السجود^(١) إلا أن يكون يصلي بجماعة في الصلاة السرية فلا يسجد لثلاث يفتنهم.

(١) روى أصحاب الصحيح قوله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

(٢) ورد في الذكر حال السجود أن الساجد يقول (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق بحوله وقوته سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم اكتب لي بها أجرا وامح عني بها وزرا وارفع لي بها ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود).

سُورَةُ الْقَدَرِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَوْثُرَ ﴿٤﴾
فِيهَا يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مَنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

إنا أنزلناه : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا .
في ليلة القدر : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضي فيها قضاء السنة كلها .
وما أدراك ما ليلة القدر : أي إن شأنها عظيم .

ليلة القدر خير من ألف شهر : أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

والروح فيها

: أي جبريل في ليلة القدر .

يأذن ربهم

: أي ينزلون بأمره تعالى لهم بالنزول فيها .

من كل أمر

: أي من كل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك .

سلام هي حتى مطلع الفجر : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١) أي القرآن الكريم الذي كذب به المكذبون وأنكره الكافرون يخبر تعالى أن ما يتلوه عبده ورسوله محمد ﷺ هو حق وحى الله وكتابه أنزله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وذلك في ليلة الحكم والقضاء التي يقضي الله فيها ما يشاء من أحداث العالم

(١) وجائز أن يطلق لفظ أنزلناه في ليلة القدر على الخمس الآيات التي أنزلت بغار حراء في رمضان وهي اقرأ باسم ربك . . إلى ما لم يعلم أي باعتبار بداية نزوله ، وما في التفسير عليه أتمته .

من رزق وأجل وغيرهما إلى بداية السنة الآتية وذلك كل سنة وهذا كقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ إذ ما قضاه الله تعالى وحكم بوجوده قد كتب في اللوح المحفوظ ومنه القرآن الكريم ثم في ليلة القدر تؤخذ نسخة من أحداث السنة فتعطى الملائكة وتنفذ حرفياً في تلك السنة، ولذلك كان لليلة القدر بمعنى التقدير شأن عظيم ففضلها الله على ألف شهر وأخبر عن سبب فضلها أن الملائكة تنزل فيها وجبريل معهم بإذن ربهم أي ينزلون بإذن الله تعالى لهم وأمره إياهم بالنزول ينزلون مصحوبين بكل أمر قضاه الله وحكم به في تلك السنة من خير وشر من رزق وأجل ولفضل هذه الليلة كانت العبادة فيها تفضل غيرها من نوعها بأضعاف مضاعفة إذ عمل تلك الليلة يحسب لصاحبه عمل ألف ليلة أي ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقوله ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ أي هي سلام من كل شر إذ هي كلها خير من غروب الشمس إلى طلوع فجرها إنها كلها سلام سلام الملائكة على العابدين من المؤمنين والمؤمنات وسلامة من كل شر. والحمد لله الذي جعلنا من أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٣- فضل ليلة القدر وفضل العبادة فيها.
- ٤- بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأنه ابتدئ نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضاً.
- ٥- الندب إلى طلب ليلة القدر للفرز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان وأرجى

(١) فاتحة سورة الدخان.

(٢) الاستفهام للتفخيم من شأن ليلة القدر أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر ذات الشأن العظيم وإظهار لفظ ليلة القدر بعد وما أدراك ما ليلة القدر دال على الاهتمام بها كقول عدي :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نخس الموت ذا الغني والفقير

(٣) لحديث مالك في الموطأ سمعت من أثق فيه يقول : إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الأمم قبله فكانه تقاصر أعمار أمته ألا يلفوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر.

(٤) حديث الصحيحين : من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٥) أرجح الأقوال في ليلة القدر أنها في الوتر من العشر الأواخر من كل عام لحديث الصحيح التمسوها في الوتر من العشر الأواخر وإن من صلى العشاء ليلتها في الجماعة ينال فضلها لما قاله مالك في الموطأ وهو قول سعيد بن المسيب (من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ومثله لا يدرك بال رأي).

ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين لحديث الصحيح التمسوها في العشر الأواخر .

٦- استحباب الإكثار من قراءة القرآن وسماعه فيها لمعارضة جبريل الرسول ﷺ^(١) القرآن في رمضان مرتين .

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ^(٢)

مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ
حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ
فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ (٢) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ (٣) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ۖ (٤)

الْقِيَمَةُ ۖ (٥)

شرح الكلمات :

من أهل الكتاب : أي اليهود والنصارى .

والمشركين : أي عبدة الأصنام .

منفكين : أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه .

حتى تأتيهم البينة : أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم .

رسول من الله : أي محمد رسول الله ﷺ .

صحفا مطهرة : أي من الباطل .

(١) معارضة القرآن ثابتة في الصحيح وفضل الدعاء فيها ثابت في الصحيح . قالت عائشة يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر

فما أقول؟ قال قولِي اللهم إنيك عفوتحب العفو فاعف عني .

(٢) وتسمى سورة القيامة ولم يكن، وورد في فضلها حديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ

عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك؟ قال . نعم . فبكي . وفي هذا الحديث انه لا يأنف الفاضل أن يقرأ القرآن أو

يتعلم العلم عن المفضول .

فيها كتب قيمة : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة .
 إلا من بعد ما جاءتهم البينة : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم .
 وما أمروا : أي في كتبهم التوراة والانجيل .
 حنفاء : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام .
 دين القيمة : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ وهم اليهود والنصارى ^(١) والمشركون هم عباد الأصنام لم يكونوا منفصلين عما هم عليه من الديانة تاركين لها إلى غاية مجيء البينة لهم فلما جاءتهم البينة . وهي محمد ﷺ وكتابه انفكوا أي انقسموا فمنهم من آمن بمحمد ﷺ وكتابه والدين الإسلامي ومنهم من كفر فلم يؤمن . وقوله تعالى ﴿رسول من الله﴾ هو محمد ﷺ وقوله ﴿يتلو صحفاً﴾ أي يقرأ على ظهر قلب ما تضمنته تلك الصحف المطهرة من الباطل والمشتعلة على كتب ^(٢) من عند الله قيمة أي مستقيمة لا انحراف فيها عن الحق ولا بعد عن الهدى والمراد من الصحف المطهرة القرآن الكريم . وقوله تعالى ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﷺ وهي محمد ﷺ وكتابه إذ كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبي آخر الزمان وأنه النبي الخاتم للنبوات فلما جاءهم تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض . في حين أنهم ما أمروا في كتبهم وعلى السنة رسلهم . وكذا في القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة بأن يؤدوها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها ويؤتوا الزكاة التي أوجب الله في الأموال لصالح الفقراء والمساكين . وذلك دين القيمة أي وهذا هو دين الملة القيمة المستقيمة الموصلة للعبد إلى رضا الرب وجنات الخلد بعد انجائه من العذاب والغضب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرتها كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل ولم

(١) قال ابن عباس أهل الكتاب اليهود الذين كانوا بالمدينة وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع ولفظ الآية أعم وأشمل إذ تناول اليهود مطلقاً والنصارى كذلك .

(٢) انفك ينفك انفكاً مضارع فكه فانفك ومعناه الإزالة والإفلاق أي لم يكونوا مقلعين عمّا هم عليه أو زائلين عنه تاركين له متتهين عنه .

(٣) إن قيل الكتب هي التي تشتمل على صحف فكيف يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة ؟ والجواب نعم الصحف تكون كتاباً وإذا كثرت كونت كتباً والقرآن العظيم كثرة صحفه كونت كتاباً باعتبار ما حواه من الشرائع والأحكام والقصص والأخبار .

- تصبح صالحة للإسلام والهداية البشرية ولا فرق بين اليهودية والنصرانية والمجوسية .
- ٢- إن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية بفارغ الصبر لعلمهم بما أصاب دينهم من فساد، ولما بعث رسول الله ﷺ وجاءتهم البينة على صدقه وصحة ما جاء به تفرقوا فآمن البعض^(١) وكفر البعض .
- ٣- مما يؤخذ على اليهود والنصارى أنهم في كتبهم مأمورون بعبادة الله تعالى وحده والكفر بالشرك مائلين عن كل دين إلى دين الإسلام وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فما بالهم لما جاءهم الإسلام بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه . والجواب أنهم لما انحرفوا عز عليهم أن يستقيموا لما ألفوا من الشرك والضلالة والباطل .
- ٤- بيان أن الملة القيمة والدين المنجي من العذاب المحقق للاسعاد والكمال ما قام على أساس عبادة الله وحده وأقام الصلاة وابتاء الزكاة والميل عن كل دين إلى هذا الدين الإسلامي .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾
جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ	: أي بالإسلام ونبيه وكتابه هم اليهود والنصارى .
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ	: أي شر الخليقة .
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	: أي آمنوا بالإسلام ونبيه وكتابه وعملوا الصالحات .
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ	: أي هم خير الخليقة .
جَنَّاتُ عَدْنٍ	: أي بساتين إقامة دائمة .
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ	: أي بطاعته .
وَرَضُوا عَنْهُ	: أي بشوابه .

(١) شاهده قوله تعالى : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به أي كفر من كفر منهم الآية من سورة البقرة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ إنه بعد أن بين الدين الحق المنجي من العذاب والموجب للنعيم وهو الدين الإسلامي أخبر تعالى أن من كفر به من أهل الكتاب ومن المشركين هم في نار جهنم خالدين فيها هذا حكم الله فيهم لكفرهم بالحق واعراضهم عنه بعد ما جاءتهم البينة وعرفوا الطريق وتنكبوه رضا بالباطل واقتناعا بالكفر والشرك بدل الإيمان والتوحيد هؤلاء الكفرة الفجرة هم شر الخليقة كلها. وهو معنى قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ كما أخبر تعالى بأن جزاء من آمن بالله ورسوله وعمل بالدين الإسلامي فأدى الفرائض واجتنب النواهي وسابق في الخيرات والصالحات هؤلاء هم خير البرية إذ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وقوله ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي جزاء أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى والدين الحق أولئك هم خير الخليقة وقوله ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم يلقونه وذلك بعد الموت ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي بساتين إقامة دائمة خالدين فيها أبدا أي لا يخرجون منها ولا يموتون أبدا وقوله ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي رضى الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ورضوا عنه بسبب ما وهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي ذلك الجزاء المذكور وهو جزاء عظيم إذ جُمع لأهله فيه بين سعادة الروح وسعادة البدن معا هو جزاء عبد خاف ربه فلم يعصه حتى لقيه بعد موته وإن عصاه يوما تاب وإن أخطأ رجع حتى مات وهو على الطاعة لا على المعصية.

(١) كفروا أي من بعد ما جاءتهم البينة من الطوائف الثلاثة حكم الله تعالى فيهم بأنهم شر الخليقة فهُمْ شر من القردة والخنازير وأخبث أنواع الحيوان كالحيات والثعابين لأنهم كفروا بربهم وفسقوا من أمره واستوجبوا لعنته وعذابه فكانوا بذلك شر البرية.

(٢) البرية الخليقة إذ هي من بَرٍّ إذا خلق والباري الخالق وأصل البرية: البرية قلبت الهمزة ياء وأدغمت في الياء فصارت البرية بياء مشددة وقرأ نافع البرية مهموزا على الأصل وخففها حفص فقرأ البرية كالخليفة وزناً.

(٣) أي في حكم الله وقضائه وحصلت لهم الخيرية بإيمانهم بربهم واستقامتهم على منهج شرعه فكملوا في أرواحهم وأخلاقهم ونهياً للملوكوت الأعلى فكانوا بذلك خير البرية اللهم اجعلنا منهم.

(٤) قول البعض رضي أعمالهم هروبا من عقيدة السلف والا فالآية. نَصُّ في رضاه تعالى عنهم وإن كانت الأعمال سببا في رضاه إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضى الله فرضي عنهم ورضى الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالى ورضوان من الله أكبر.

(٥) الخشية الموجبة لهذا النعيم المقيم هي ثمرة العلم إذ لا خشية بلا علم قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فلذا وَجِبَ طلب العلم وهو العلم بالله ومحابه ومكارهه ووعدته ووعيده إذ هذا هو العلم الذي يثمر الخشية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بشس الجزاء .
- ٢- بيان جزاء من آمن بالإسلام ودخل فيه وطبق قواعده واستقام على الأمر والنهي فيه وهو نعم الجزاء رضى الله والخلود في دار السلام .
- ٣- فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ^(١)

مدنية وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- إذا زلزلت الأرض : أي حركت لقيام الساعة .
وأخرجت الأرض أثقالها : أي كنوزها وموتاهها فألقته وتخلت .
مالها : أي وقال الكافر ما لها أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة .
تحدث أخبارها : أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهلها .
أوحى لها : أي بأن تحدث أخبارها فحدثت .
يصدر الناس أشتاتًا : أي من موقف الحساب .

(١) وتسمى سورة الزلزال لوجود لفظ الزلزال فيها وهو قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، واشتهرت بسورة الزلزلة وهي تسمية بالمعنى إذ ليس فيها لفظ الزلزلة . ورد أنها تعدل ربع القرآن أو نصفه والحديث ضعيف .

ليروا أعمالهم : إي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار .
مئقال ذرة : زنة نملة صغيرة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ^(١) أي تحركت حركتها الشديدة لقيام الساعة وأخرجت الأرض أثقالها من كنوز وذلك في النفخة الأولى ، وأموات وذلك في النفخة الثانية ففي الإخبار اجمال إذ المقصود تقرير البعث والجزاء ليعمل الناس بما ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة . وقوله ﴿وقال الإنسان مالها؟﴾ ^(٢) لا شك أن هذا الإنسان السائل كان كافراً بالساعة ولذا تساءل أما المؤمن فهو يعلم ذلك لأنه جزء من عقيدته . وقوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ أي تخبر بما جرى عليها من خير وشر بلسان القول أو الحال . وهي في ^(٣) هذا الإخبار مأمورة لقوله تعالى ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي بذلك وقوله ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ أي يوم تزلزل الأرض وتهتز للنفخة الثانية نفخة يصدر الناس فيها أشتاتاً أي يصدرون من ساحة فصل القضاء فمن أخذ ذات اليمين ومن أخذ ذات الشمال ليروا أعمالهم أي جزاء أعمالهم في الدنيا من حسنة وسيئة فالحسنة تورث الجنة والسيئة تورث النار . وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً﴾ أي وزن ذرة من خير في الدنيا يشب عليه في الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة أي وزن ذرة من شر في الدنيا يجزبه في الآخرة إلا أن يعفو الجبار عز وجل وبما أن الكفر مانع من دخول الجنة فإن الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا يرى جزاءها في الدنيا ، وليس له في الآخرة شيء منها وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها إذ سألت الرسول ﷺ عن عبدالله بن جدعان هل ينفعه في الآخرة ما كان يفعله في الدنيا من إطعام الحجيج وكسوتهم فقال لها . لا إنه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . كما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يأكل مع الرسول ﷺ ونزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره الآية فرجع أبو بكر يده من الطعام وقال إني لراء ما عملت من خير وشر؟ فقال

(١) إضافة الزلزال إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وللإشارة إلى هوله وقضاة لما عرف الناس من أهوال الزلزال إذا وقع والزلزال بكسر الزاء مصدر ويفتحها اسم مصدر . وهو مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين . فلما قصدوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل فقالوا في زل زلزل كما قالوا في كبه كبكه .

(٢) مالها استفهام ناشئ عن دهشة وحيرة للمفاجأة . أي ما للأرض زلزلت هذا الزلزال .

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فقال أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، وتقول عمل يوم كذا وكذا فهذه أخبارها وجملة (يومئذ تحدث) جواب الشرط (إذا زلزلت) .

(٤) الأشتات جمع شت بمعنى متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال .

(٥) يحكى أن أعرابياً آخر (خيراً يره) فقيل له قدمت وأخرت فقال :

خذنا بطن هرشي أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

وفات الأعرابي أن تقديم لفظ الخير تنويه به وبأمله ولذا قدم في الآية .

النبي ﷺ إن ما ترى مما تكره فهو من مثاقيل ذرٍّ شرٍّ كثير، ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢- الإعلام بالانقلاب الكوني الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات .

٣- تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته بعبادته وحده دون سواه .

٤- تقرير حديث الصحيح اتقوا النار ولو بشق تمرة.^(١)

٥- الكافر عمله الخيري ينفعه في الدنيا دون الآخرة .

٦- المؤمن يجزي بالسيئة^(٢) في الدنيا ويدخر له صالح عمله للآخرة .

سُورَةُ الْعَنَادِيَّاتِ

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا ﴿١﴾ وَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَاَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا

﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّمَا عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ

الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

والعاديات : أي والخيل تعدو في الغزو.

(١) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة . رواه البخاري وفي الموطأ أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة فأعطته إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟

(٢) شاهده حديث أبي بكر السالف الذكر.

ضبحا	: أي تضبح ضبحا والضبح صوت الخيل إذا عدت أي جرت .
فالموريات قدحا	: أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل .
فالمغيرات صبحا	: أي الخيل تغير على العدو صباحا .
فأثرن به نقعا	: هيجن به أي بمكان عدوها نقعا أي غبارا .
فوسطن به جمعا	: أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته .
لكنود	: لكفور بجحد نعمه تعالى عليه .
لشهيذ	: أي يشهد على نفسه بعمله .
وإنه لحب الخير	: أي المال .
إذا بعثر	: أي أثير وأخرج ما في القبور .
وحصل ما في الصدور	: بين وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والعاديات ضبحا﴾ الآيات إلى قوله ﴿أفلا يعلم﴾ تضمنت قسما إلهيا عظيما على حقيقة كبرى يجهلها كثير من الناس وهي كفر الإنسان لربه ولنعمه عليه يعد المصائب وينسى النعم والفواضل وهذا بيان ما أقسم تعالى به وهو العاديات ضبحاً وهي الخيل تضبح أي تخرج صوتاً خاصاً غير الصهيل المعروف فالموريات قدحا أي الخيل توري النار بحوافرها إذا مشت فوق الحجارة ليلاً ويدخل ضمن هذا كل قاذحة للنار فالمغيرات صبحا أي جماعات الخيل يركبها فرسانها للإغارة على العدو بها صباحاً . وقوله فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أي فأنارت الخيل النقع وهو الغبار والتراب عند سيرها بفرسانها فتوسطت جمع العدو وكتائبه لقتال أعداء الله الكافرين بالله وآياته ولقائه المفسدين في الأرض بالشرك والمعاصي هذا ما أقسم الله تعالى به وهو الخيل ذات الصفات الثلاث : العدو والإوراء والإغارة والمقسم عليه قوله ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ المراد من الإنسان الكافر والجاهل بربه تعالى الذي لم تهذب روحه بمعرفة الله ومحابه ومكارهه ولم يترك نفسه بفعل المحاب وترك المكاهه هذا الإنسان أقسم تعالى على أنه كفور لربه تعالى ولنعمه عليه أي شديد الكفر كثيره بذكر المصائب ويشعر بها ويصرخ لها ويصر عليها وينسى النعم والفواضل عليه فلا يذكرها ولا يشكر الله تعالى عليها . فالكنود الكفور . وقوله تعالى

(١) الأفراس تعدو (القرطبي) تضبح أي تحمحم إذا عدت وأصل الضبح والضباح للثعالب كالنبح والنباح للكلاب .

(٢) يروى عن النبي ﷺ أنه قال في العاديات أنها الإبل تعدو في الحج من عرفة إلى مزدلفة وإلى منى إلا أن الخيل أولر بهذه الصفات .

(٣) فسر السلف الكنود بالهلوع والجهود والجهول والحقود والمنوع ، وفعله كند يكند كنوداً من باب دخل يدخل دخلاً أي كفر النعمة وجحدتها .

وإنه على ذلك لشهيد أي وإنا الله تعالى على هذا الوصف في الإنسان لشهيد فأخبر تعالى بما علمه من الإنسان وشهد به عليه كما أن الإنسان شهيد بأعماله وصنائع أقواله وأفعاله شهيد على نفسه بالكفر والجحود. وقوله وإنه لحب الخير لشديد هذا مما أقسم تعالى عليه أيضا وهو وصف للإنسان الكنود وهو انه شديد حب المال وسمي المال خيرا تسمية عرفية إذ تعارف الناس على ذلك كما أنه خير من حيث أنه يحصل به الخير الكثير إذا أنفق في مرضاة الله تعالى.

وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنْ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي أيكفر الإنسان بربه ويحمد نعمه عليه وإحسانه إليه ويحب المال أشد الحب فيمنع حقوق الله فيه ويكتسبه مما حرم الله عليه وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ﴾ أي بعثت القبور وأخرج ما فيها من البشر للحساب والجزاء ووقفوا بين يدي الله تعالى وأفرز ويّين ما كان خفيا في الصدور من الاعتقادات والنيات الصالحة والفاصلة ولا يخفى على الله تعالى منهم شيء حيث ﴿إِنْ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ كما هو اليوم خبير إلا أنها ساعة الحساب والمجازاة فذكر فيها علم الله تعالى وخبرته بالظواهر والبواطن والضمائر والسرائر فلا يخفى على الله من ذلك شيء وسيتم الجزاء العادل بحسب هذا العلم وتلك الخبرة الإلهية. فلو علم الكفور من الناس المحب للمال هذا وأيقنه لعدّل من سلوكه وأصلح من اعتقاده ومن أقواله وأعماله فالآيات دعوة إلى مراقبة الله تعالى بعد الإيمان والاستقامة على طاعته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيول أمس، ونفاث الطائرات اليوم.
- ٢- بيان حقيقة وهي أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه يذكر المصيبة إذا أصابته وينسى النعم التي غطته إلا إذا آمن وعمل صالحا.

(١) شاهده قوله تعالى : إن ترك خيرا فلولوا الدين الآية. وقال عدي :

ماذا تُرجي النفوس من طلب الخير — وحب الحياة — كما ربهما

كما ربهما غامها من الكرب الذي هو الغم.

(٢) الهمة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع ، والمفعول محذوف لتذهب النفس في طلبه مذاهب تقديره. أفلا يعلم إذا بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور العذاب الذي هو جزاء الكفر والجحود والبخل.

(٣) حصل معناه جمع وأحصى أو جمع وعد ليحاسب العبد عليه.

(٤) بعث أي قلب من أسفل إلى علو، والمراد إحياء ما في القبور من الأموات.

(٥) هذه الجملة مستأنفة علة لتحقيق الجزاء وإثباته ذلك الجزاء الذي يحصل يوم خروج الناس من قبورهم وحسابهم على أعمالهم.

٣- بيان أن الإنسان يحب المال حبا شديدا إلا إذا هذب بالإيمان وصالح الأعمال .

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

سُورَةُ الْقَطْرِ عَثَا

مكية وآيتها احدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ٩ نَارٍ حَامِيَةٍ ١٠ نَارٍ حَامِيَةٍ ١١

شرح الكلمات :

القارعة : القيامة وسميت القارعة لأنها تفرع القلوب بأهوالها .

ما القارعة : أي أي شيء هي ؟ فالاستفهام للتهويل من شأنها .

وما أدراك ما القارعة : زيادة في تهويل أمرها وتعظيمه .

كالفراش المبعوث : أي كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض .

كالعهن المنفوش : أي كالصوف المندوف هذه حالها أولا ثم تكون كشيئا مهيلا ثم تكون هباء منبثا .

في عيشة راضية : أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له .

فأمه هاوية : أي مأواها ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار .

نار حامية : أي هي نار حامية .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿القارعة﴾^(١) إلى آخر السورة الكريمة تضمنت آياتها الإحدى عشرة آية وصفاً لعقيدة البعث والجزاء التي كذب بها المشركون وأنكروها وبالغوا في انكارها فأخبر تعالى أن القيامة التي تقرر الناس بأهوالها وعظائم ما يجري فيها بحيث يكون الناس وهم أشرف الكائنات الأرضية يكونون في خفة أحلامهم وحيرة عقولهم كالفراش المبعوث وهو غوغاء الجارد وتجمعه وتراكمه وانتشاره وهو يموج بعضه فوق بعض. وتكون الجبال على رسوها وعلوها وضخامة ذواتها كالعهن المنفوش أي كالصوف المندوف بالمنداف وهو يتطاير هنا وهناك. هذا في أول الأمر وقد تكون كالرمل المتهيل. ثم كالهباء المنبت فإذا بعثوا ووقفوا بين يدي ربهم لحسابهم ومجازاتهم ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي موازين حسناته فقد نجا من النار وهو ﴿في عيشة راضية﴾ أي مرضية له وهو بها راض وكيف لا وهي الجنة دار النعيم المقيم. ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي قلت حسناته وكثرت سيئاته أو لم يكن له حسنة بالمرة كأهل الكفر والشرك ﴿فأما هاوية﴾^(٢) أي فأمه التي تضمه إليها وتؤيه عندها هاوية بحيث يهوى فيها على أم رأسه وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما هي؟﴾ أي هي ﴿نار حامية﴾^(٣) هذا الاستفهام للتهويل من شأنها وهي كذلك لا أشد هولاً منها إنها النار دار البوار والخسران أعاذنا الله تعالى منها وعق رقابنا منها اللهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صورة صادقة لها.
- ٢- التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله تعالى فيها.
- ٣- تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.
- ٤- تقرير أن الناس يوم القيامة فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

(١) القارعة مبتدأ (ما) اسم استفهام مبتدأ ثان القارعة خبره والجملة خبر عن المبتدأ الأول والاستفهام للتهويل من شأنها والتفخيم لامرأها. وجملة ما أدراك ما القارعة تضمنت استفهاماً آخر للتهويل من شأنها أيضاً كالتأكيد للأول والظرف يوم يكون مفعول فيه أي تكون أو تحصل يوم يكون الناس كالفراش.

(٢) سميت النار أما لأهلها لأنهم يؤوون إليها كما يأوي الأبى إلى أمه قاله ابن زيد ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض مقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

(٣) في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حرجهم، قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله، قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرجها.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ (١)

مكية وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

شرح الكلمات :

ألهاكم

: أي شغلکم عن طاعة الله تعالى .

التكاثر

: أي التباهي بكثرة المال .

حتى زرتم المقابر

: أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتى متم ونقلتم إلى المقابر .

كلا

: أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر .

سوف تعلمون

: أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد .

كلا

: أي حقا .

لو تعلمون علم اليقين : أي علما يقينيا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم .

لترون الجحيم

: أي النار .

يومئذ

: أي يوم ترون الجحيم عين اليقين .

عن النعيم

: أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ هذا خطاب الله تعالى للمشتغلين بجمع المال وتكثيره للمباهاة به

(١) إلا البخاري فإنه يرى أنها مدنية والصحيح أنها مكية ولعل البخاري تأثر بما رواه من أن النبي ﷺ قال لأبي بكر في بستان ابن تيهان إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه .

(٢) ألهاكم شغلکم قال امرؤ القيس :

فمثلك حبلی قد طرقت ومرضع فآلهيتها عن ذي ثنائم محول

أي شغلتها .

والتفاخر الأمر الذي ألهاهم عن طاعة الله ورسوله فماتوا ولم يقدموا لأنفسهم خيراً فقال تعالى لهم ألهاكم أي شغلكم التكاثر أي في الأموال للتفاخر بها والمباهاة بكثرتها ﴿حتى زرتهم المقابر﴾^(١) أي بعد موتكم نقلتم إليها لتبقوا فيها إلى أن تخرجوا منها للحساب والجزاء أي يوم القيامة . وقوله لهم ﴿كلا﴾ أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا السلوك المفضي بكم إلى الهلاك والخسران . سوف تعلمون عاقبة تشاغلكم عن طاعة الله ورسوله والتزود للدار الآخرة ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ كرّر الوعيد والتهديد . وقوله ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي ﴿حقاً لو تعلمون ما تجدونه في قبوركم ويوم بعثكم ونشوركم لما تشاغلتم بالأموال وتكاثرتم فيها . وقوله ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ هذا جواب قسم نحو وعزتنا لترون الجحيم أي النار وذلك يوم القيامة المشرك يراها ويصلاها والمؤمن يراها وينجيه الله تعالى منها . ثم لترونها عين اليقين أي الأمر الذي لا شك فيه إذ يؤتى بجهنم فيراها أهل الموقف أجمعون وقوله ﴿ثم لتسألن يومئذ﴾ أي يوم ترون الجحيم عين اليقين ﴿عن النعيم﴾ الذي كان لكم في الدنيا من صحة وفراغ وأمن وطعام وشراب . فمن أدى شكره نجا ، ومن لم يؤد شكره أخذ به ولا يعفى إلا عن ثوب يستر العورة وكسرة خبز تسد الجوعة وجحريكن من الحر والبرد وقد صح أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمرو ابن التيهان [هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة يشير إلى بسر ورطب وماء بارد] وصح أيضاً [انه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه؟]

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره وترك طاعة الله ورسوله من أجله .

(١) في صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر ، قال : يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس . وروى البخاري قوله ﷺ لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

(٢) هذه الجملة تأكيد للاولى وهي سوف تعلمون ، ومفعول تعلمون محذوف تقديره تعلمون سوء مغبة لهوكم بالتكاثر مشغولين عن طاعة الله ورسوله مشغولين بجمع الأموال والتكاثر بها .

(٣) جواب لو تعلمون علم اليقين محذوف كما حذف الاول تقديره لتبين لكم حال مفضع عظيم والإضافة في علم اليقين إضافة بيانية لأن اليقين علم .

(٤) وجائز أن تكون كلاهما كالاولى للردع والزجر وكونها بمعنى حقاً أولى .

(٥) اختلف في تحديد النعيم المذكور الذي نسأل عنه يوم القيامة فقيل له الأمن والصحة وقيل الصحة والفراغ ، وقيل شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن . وفي البخاري عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ .

- ٢- إثبات عذاب القبر وتأكيده بقوله حتى زرت المقابر كلا سوف تعلمون أي في القبر.
- ٣- تقرير عقيدة البعث وحتمية الجزاء بعد الحساب والاستنطاق والاستجواب.
- ٤- حتمية سؤال العبد عن النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها في الدنيا فإن كان شاكرًا لها فاز وإن كان كافرًا لها أخذ والعياذ بالله.

سُورَةُ الْعَصْرِ

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

والعصر : أي الدهر كله .

إن الإنسان : أي جنس الإنسان كله .

لفي خسر : أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحًا خسر كل الخسران .

وتواصوا بالحق : أي أوصى بعضهم بعضًا باعتقاد الحق وقوله والعمل به .

وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به .

معنى الآيات : (١)

قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الآيات الثلاث تضمنت هذه الآيات حكمًا ومحكومًا عليه ومحكومًا به فالحكم هو ما حكم به تعالى على الإنسان كل الإنسان من النقصان والخسران والمحكوم عليه هو الإنسان ابن آدم والمحكوم به هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحًا والربح والنجاة من الخسران لمن آمن وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فقوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾

(١) ذكر أهل التفسير في تحديد كلمة العصر أقوالاً منها أنها صلاة العصر لأنها الصلاة الوسطى ، ومنها عصر النبي ﷺ وما في التفسير أعم وأولى .

(٢) الإنسان (ال) فيه لاستغراق الجنس إلا أنه خاص بالموجودين في زمن النزول للآية ومن بلغته الدعوة الإسلامية ، أما من كانوا قبل نزول الآية وظهور الإسلام فلا يدخلون في عموم لفظ الإنسان ولو قيل بالعموم لكان حقاً أيضاً .

هو قسم أقسم الله به والعصر هو الدهر كله ليله ونهاره وصبحه ومساؤه وجواب القسم قوله تعالى ﴿إِنْ الْإِنْسَانُ لَفِي خَسْرٍ﴾ أي نقصان وهلكة وخسران إذ يعيش في كِبَدٍ ويموت إلى جهنم فيخسر كل شيء حتى نفسه التي بين جنبيه وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهوؤلاء استثناهم الله تعالى من الخسر فهم رابحون غير خاسرين وذلك بدخولهم الجنة دار السعادة والمراد من الإيمان الإيمان بالله ورسوله وما جاء به رسوله من الهدى ودين الحق والمراد من العمل الصالح الفرائض والسنن والنوافل، وقوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي باعتقاده وقوله والعمل به وذلك باتباع الكتاب والسنة، وقوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بالحق اعتقادا وقولا وعملا وبالصبر على ذلك حتى يموت أحدهم وهو يعتقد الحق ويقول به ويعمل بما جاء فيه فالإسلام حق والكتاب حق والرسول حق فهم بذلك يؤمنون ويعملون ويتواصون بالثبات على ذلك حتى الموت.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات حتى قال الإمام الشافعي لو ما أنزل الله تعالى على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم .
- ٢- بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام .
- ٣- بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح المجتنبين للشرك والمعاصي .
- ٤- وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مكية وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ (١) الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ۝ (٢)
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ (٤)
وَمَا أَدْرَبَكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْعَدَةِ ۝ (٧) إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ۝ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝ (٩)

(١) حقيقة الصبر منع المرء نفسه مما هو مناف لطاعة الله ورسوله فعلا أو تركاً.

شرح الكلمات :

ويل لكل همزة لمزة : كلمة يطلب بها العذاب وواد في جهنم الهمزة كثير الهمز واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد.

جمع مالا وعدده : أي أحصاه وأعدّه لحوادث الدهر.

يحسب أن ماله أخلده : أي يجعله خالدا في الحياة لا يموت.

كلا : أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.

لينبذن : أي ليطرحن في الحطمة.

في الحطمة : أي النار التي تحطم كل ما يلقي فيها.

تطلع على الأفتدة : أي تشرف على القلوب فتحرقها.

مؤصدة : أي مغلقة مطبقة.

في عمد ممددة : أي يعذبون في النار بأعمدة ممددة.

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ يتوعد الربّ تبارك وتعالى بواد في جهنم يسيل بصديد أهل النار وقبوحهم كل همزة لمزة أي كل مغتاب عيّاب ممن يمشون بالنميمة ويبغون للبراء العيب وقوله ﴿الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾ هذا وصف آخر لتلك الهمزة اللمزة وهو أنه ﴿جمع مالا﴾ كثيرا من حرام وحلال ﴿وعدده﴾ أي أحصاه وعرف مقداره وأعدّه لحوادث الدهر كما يزعم. ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي يظن أنه لا يموت لكثرة أمواله ومتى كان المال ينجي من الموت؟ إنه الغرور في الحياة ، لو كان المال يُخلد أحدا لأخلد قارون ، وقوله تعالى ﴿كلا﴾ لا يخلده ماله بل وعزتنا وجلالنا ﴿لينبذن﴾ أي يطرحن ﴿في الحطمة﴾ النار المستعرة التي تحطم كل ما يلقي فيها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾^(٢) هذا الاستفهام لتعظيم أمرها وتهويل شأنها ، وبينها تعالى بقوله ﴿نار الله الموقدة﴾ أي المستعرة المتأججة ، ﴿التي تطلع على

(١) قال ابن عباس هم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب.

(٢) قال عطاء بن أبي رباح : الهمزة الذي يغتاب ويظن في وجه الرجل ، واللمزة الذي يغتابه من خلقه إذا غاب قال حسان :

همزتك فاخضعت بذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

(٣) كلاً رد لما توهمه الكافر وردع له وزجر على اعتقاده وقوله إذ كلاهما فاسد باطل.

(٤) اللام موطة للقسام.

(٥) الحطمة دركة من درك النار قيل أنها الثانية وقيل الرابعة أو هي اسم من أسماء جهنم.

الأفتدة ﴿أي تشرف على القلوب فتحرقها، وقوله تعالى ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾^(١) أي إن النار على أولئك الهمازين للمازين مطبقة مغلقة الأبواب وقوله تعالى ﴿في عمد ممددة﴾ أي يعذبون في النار بعمد ممددة، والله أعلم كيف يكون تعذيبهم بها إذ لم يطلعنا الله تعالى على كيفيته .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢- التحذير من الغيبة والنميمة .

٣- التنديد بالمعتزين بالأموال المعجبين بها .

٤- بيان شدة عذاب النار وفضاعته .

سُورَةُ الْفَيْثِيلِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

ألم تر كيف فعل ربك : أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل .
بأصحاب الفيل : أي محمود وهي أكبرها ومعه اثنا عشر فيلا وصاحبها أبرهة .
ألم يجعل كيدهم : أي في هدم الكعبة .
في تضليل : أي في خسارة وهلاك .
أبابيل : أي جماعات جماعات .
من سجيل : أي طين مطبوخ .

(١) يقال آصدت الباب إذا أغلقته قاله مجاهد ومنه قول الشاعر (الرقيات)

إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصداً عليه الحجاب

فمصفقاً وموصداً بمعنى واحد وهو مغلق .

(٢) في عمد أي موثقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجله في فلقة ذات ثقب يدخل في رجله والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجمعولة طويلة جداً .

كمصف مأكول : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.
معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾^(١) إلى قوله ﴿مأكول﴾ هي خمس آيات تضمنت الحديث عن حادث جلل وقع أمام ولادة النبي ﷺ وخلاصته أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتا في صنعاء اليمن يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام والقصد من ذلك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق وسره ذلك ولما بني البيت «الكنيسة» سماها القُلَيْس لم يبن مثلها في تاريخها جاء رجل قرشي فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعدرة غَضَباً منه، وذهب فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال استشاط غيظا وجهز جيشا لغزو مكة وهدم الكعبة وكان معه ثلاثة عشر فيلا ومن بينها فيل يدعى محمود وهو أكبرها وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه وهزموه حتى انتهوا إلى قرب مكة وجرت سفارة بينهم وبين شيخ مكة عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبد المطلب ثم هو وشأنه بالكعبة وأمر رجال مكة أن يخلو البلد ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة تلحقهم من الجيش الغازي والظالم، وما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة ووصل إلى وادي محسر وهو في وسط الوادي سائر وإذا بفرق من الطير فرقة بعد أخرى ترسل على ذلك الجيش حجارة الواحدة ما بين الحمصة والعدسة في الحجم وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب وتناثر لحمه فهلكوا وفر أبرهة ولحمه يتناثر فهلك في الطريق وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته ومن ثم ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وسكانه إلى اليوم . وقوله تعالى ﴿ألم تر كيف﴾ يخاطب تعالى رسوله مذكراً إياه بفعله الجبار في إهلاك الجبابرة فأين قوة ظلمة قريش كالعاص بن وائل وعمر بن هشام والوليد وعقبة من قوة أبرهة وأبادهها الله تعالى في ساعة فاصبر يا محمد ولا تحمل لهؤلاء الأعداء هما فإن لهم ساعة فكانت السورة عبارة عن ذكرى للعظة والاعتبار . وهذا شرح الآيات ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ أي ألم يتته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل . ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي ألم يجعل ما كادوه لبيتنا وحرمانا في خسارة وضلال فلم ينجوا إلا الخزي والدمار ﴿وأرسل عليهم طراً أبابيل﴾ أي جماعات جماعات كانت تشاهد وهي ظمراء

(١) الاستفهام تقريرى والمخاطب هنا رسول الله ﷺ بلا خلاف (وكيف) جائز أن تكون مجردة عن الاستفهام وهي في محل نصب على المفعول به لتر.

(٢) الفيل أنثاء فيلة ويجمع على أفيل وفيل وفيلة، وصاحبه فيال .

(٣) إذ ولد ﷺ عام الفيل أي بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً .

تخرج من البحر يشاهدها رجال مكة المعتصمون بقمم الجبال إذ تمر فوقهم وهي تحمل حجارة من سجليل كل طائر يحمل ثلاثة أحجار كالحمصة والعدسة واحدة بمنقاره واثنين بمخالبه كل واحدة في مخلب ترميهم بها فتفتت لحومهم وتتناثر فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع دخلته ماشية فأكلت عصفه أي ورقة وكسرت قائمه وهشمته فكانت آية من آيات الله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات

- ١- تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقه من ظلم كفار قريش .
- ٢- تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفاً لهم وترهيباً .
- ٣- مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ

مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④

شرح الكلمات :

إِلَافٍ

: الإيلاف مصدر ألف الشيء يؤالفه إيلافاً إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه .

قريش^(٧) : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى .

(١) حجارة من طين طبخت من نار جهنم وسجيل أصلها سجين بالنون فابدلت لاما كما أبدلت في أصيلان بأصيلال قال الشاعر:

وَرَجُلَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرْضٍ ضَرْباً تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِينَا

(٧) قريش لقب الجد الذي يجمع بطون قريش كافة وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وأما ما فوق فهر فهم من كنانة ولقب بقريش تصغير قرش بفتح القاف وسكون الراء والنسبة إليه قرشي وهل اشتقاق قرش من التقريش الذي هو الاكتساب أو التجمع أو نسبة إلى القرش وهو سمكة بحرية قوية والنسبة إلى قرش قرشي وقريش تصرف إن أريد الحي وتمنع إن أريد القبيلة ورجح القرطبي أن يكون قريش بن النضر بن كنانة . فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ورجحه للحديث : (إنما ولد النضر بن كنانة لا ننفق أمانة ولا ننفي من أبنائنا) وبالتأمل لا توجد منافاة إذ قبائل قريش تعود إلى النضر بن كنانة .

رحلة الشتاء : أي إلى اليمن .
والصيف : أي إلى الشام .
فليعبدوا : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين اليهم .

ربّ هذا البيت : أي مالك البيت الحرام وربّ كل شيء .

الذي أطعمهم من جوع : أي من أجل البيت الحرام .

وآمنهم من خوف : أي من أجل البيت الحرام .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿إِيلَافٌ قُرَيْشٍ﴾ هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتهم ، أو أعجبوا لإيلاف قريش رحلتهم والرحلتان هما رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام وذلك للتجارة وجلب الأرزاق إلى بلادهم التي ليست هي بذات زرع ولا صناعة فأيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالى ليعيش سكان حرمه وبلده في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالى وعليه ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾ بما هيا لهم من أسباب ﴿وآمنهم من خوف﴾ كذلك ولم يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام والأوثان فآله أحق أن يعبدوه إذ هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بما ألقى في قلوب العرب من احترام الحرم وسكانه وتعظيمه وتعظيمهم فتمكنوا من السفر إلى خارج بلادهم والعودة إليها في أمن وطمأنينة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس أي لقريش تقوم مصالحهم عليها لما ألقى في قلوب العرب من تعظيم واحترام أهله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- مظاهر تدبير الله تعالى وحكمته ورحمته فسبحانه من إله حكيم رحيم .

(١) الإيلاف مصدر ألف يؤلف إيلاًفاً قال الشاعر :

المنعمين إذ النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وأما ألفه يالفة إلماً وإلافاً ، فقد فرأ به أبو جعفر لإلف قريش ، وقد جمع بين المصدرين الشاعر في قوله

أزعمتم أن إختوكم قريش لهم ألف وليس لكم إلاف

ولام الجر في متعلقها ثلاثة احتمالات . ذكر في التفسير منها اثنان ، والثالث أنها متعلقة بـ فليعبدوا : كأنه قال ألف الله قريشاً إيلاًفاً فليعبدوا رب هذا البيت ، ويقدر شرط محذوف أي إذا كان الأمر كذلك فليعبدوا ، ويرجح الأول لمصحف أبي بن كعب ، إذ لم يفصل فيه بين السورتين . وكذا قراءة عمر إذ صلى المغرب يوماً فقرأ في الأولى بالتين وفي الثانية بالفيل وقريش ولم يفصل بينهما بالبسمة ، ولا مانع منه وهو أوضح .

(٢) إنما هي استجابة الله دعوة إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات .

(٣) مصداق قوله تعالى : أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا .

٢- بيان إفضال الله تعالى على قریش وإنعامه عليها الأمر الذي تطلب شكرها ولم تشكر فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بتركها للشكر.

٣- وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه.

٤- وجوب الشكر على النعم وشكرها حمدا لله تعالى عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته.

٥- الاطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة فأرقى الدول اليوم وقبل اليوم لم تستطع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين نعمة العيش الرغد والأمن التام.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مكية الأوائل مدنية الأواخر

وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي

يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

أرأيت الذي يكذب بالدين : أي هل عرفته والدين ثواب الله وعقابه يوم القيامة .

فذلك الذي يدع اليتيم : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف .

ولا يحض على طعام المسكين : أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المساكين .

فويل للمصلين : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم .

عن صلاتهم ساهون : أي يؤخرونها عن أوقاتها .

يراءون : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك .

ويمنعون الماعون : أي لا يعطون من سألهم ماعوناً كالأبرة والقدر والمنجل ونحوه

مما ينتفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية .

معنى الآيات: (١)

قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالدينِ﴾ فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ﴿هذه الآيات الثلاث نزلت بمكة في العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأضرابهم من عتاة قريش وكفارها فهذه الآيات تُعرض بهم وتندد بسلوكهم وتوعدهم فقوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يارسولنا الذي يكذب بالدين وهو الجزء في الآخرة على الحسنات والسيئات فهو ذاك الذي يدع اليتيم أي يدفعه بعنف عن حقه ولا يعطيه إياه احتقاراً له وتكبراً عليه ولا يحض على طعام المسكين أي ولا يحث ولا يحض نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء والمساكين وذلك ناتج عن عدم إيمانه بالدين أي بالحساب والجزاء في الدار الآخرة وهذه صفة كل ظالم مانع للحق لا يرحم ولا يشفق إذ لو آمن بالجزاء في الدار الآخرة لعمل لها بترك الشر وفعل الخير فمن أراد أن يرى مكذبا بالدين فإنه يراه في الظلمة المعتدين القساء القلوب الذين لا يرحمون ولا يعطون ولا يحسنون وقوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴿هذه الآيات الأربع نزلت في بعض منافقي المدينة النبوية فلذا نصف السورة مكّي ونصفها مدني﴾ وقوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴿هذا وعيد شديد لهم إذ الويل واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوخهم وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه أو يطعمون ويشربون منه. ومعنى عن صلاتهم ساهون أنهم غافلون عنها لا يذكرونها فكثيرا ما تفوتهم ويخرج وقتها وأغلب حالهم أنهم لا يصلونها إلا عند قرب خروج وقتها هذا وصف وآخر أنهم ﴿يراءون﴾ بصلاتهم وبكل أعمالهم أي يصلون وينفقون ليراهم المؤمنون فيقولوا أنهم مؤمنون وبالمراعاة يدرءون عن أنفسهم القتل والسبي وثالث أنهم ﴿يمنعون الماعون﴾ فإذا استعارهم مؤمن ماعونا للحاجة به لا يعيرون ويعتذرون بمعاذير باطلة فلا يعيرون فأسا ولا منجلا ولا قدرا ولا آية آنية أو ماعون لأنهم يرفضون المؤمنين ولا يريدون أن ينفعوهم بشيء فيحرمونهم من إعارة شيء يتفعون به ويردونه عليهم.

(١) الاستفهام للتعجب هنا من حال المكذبين بالجزاء وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع قرأ نافع رأيت بتسهيل الهمزة بعد الراء ألفاً وحققها حفص والجمهور.

(٢) في الكلام حذف تقديره رأيت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطي والجواب قطعاً مخطيء وخطأه كفره وشركه وعداوته للإسلام ونبيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيماً وعذاباً أليماً وإذا كان هذا العذاب بسبب كفره وأذاه للمؤمنين إذاً فويل للمنافقين المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين يراءون ويمنعون الماعون لظلمة قلوبهم بالكفر والشرك الذي يخفونه.

(٣) الفاء للتفريع والترتيب والتسبب. والسؤال: على أي شيء تفرع ما بعدها على ما قبلها. والآيات نزلت بالمدينة في المنافقين وما قبلها نزل في المشركين في مكة؟ والجواب تقدم في رقم (٢) قبل هذا الرقم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢- أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبه شر الخلق لا خير فيه البتة .

٣- التنديد بالذين يأكلون أموال اليتامى ويدفعونهم عن حقوقهم استصغاراً لهم واحتقاراً .

٤- التنديد والوعيد للذين يتهاونون بالصلاة ولا يباليون في أي وقت صلوا وهو من علامات النفاق والعياذ بالله .

٥- منع الماعون من صفات المنافقين والمانع لما المسلمون في حاجة إليه ليس منهم لحديث من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم فكيف بالذي يمنعهم ما هو فضل عنده وهم في حاجة إليه ؟

سُورَةُ الْكَوْثَرِ^(١)

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ^(٢) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ^(٣)

إِنْ شِئْتَ^(٤) هُوَ الْآبَتَرُ^(٥)

شرح الكلمات :

- إنا أعطيتك الكوثر : أي إنا ربُّ العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر أي نهرأ في الجنة .
فصل لربك وانحر : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده .
إن شئت : أي ميفضك .
هو الأبتر : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ إِنْ شِئْتَ هُوَ الْآبَتَرُ﴾ هذه الآيات الثلاث

(١) وتسمى سورة النحر .

(٢) روى مسلم عن أنس بن مالك قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه وقال أنزلت علي أنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيتك الكوثر فصل لربك وانحر إن شئت هو الأبتر) ، ثم قال أتدرون من الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة وظاهر هذه الرواية أن سورة الكوثر مدنية ولا مانع من نزولها مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة .

مختصة برسول الله ﷺ إذ هو المخاطب بها وأنها تحمل طابع التعزية لرسول الله ﷺ فقد روي أنه لما مات ابن النبي ﷺ القاسم قال العاص بن وائل السهمي بتر محمد أو هو أبتري أي لا عقب له بعده فأنزل الله تعالى هذه السورة تحمل الرد على العاص والتعزية للرسول ﷺ والبشرى له ولأمته بالكوثر الذي هو نهر في الجنة حافته من الذهب ومجره على الدر والياقوت وترتبه أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، ومن الكوثر يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة ولا يردّه إلا الصالحون من أمته ﷺ . فقلوه تعالى ﴿إنا أعطيناك﴾ أي خصصناك بالكوثر^(١) الذي هو نهر في الجنة من أعظم أنهارها مع الخير الكثير الذي وهبه الله تعالى لك من النبوة والدين الحق ورفع الذكر والمقام المحمود وقوله ﴿فصل لربك وانحر﴾ أي فاشكر هذا الإنعام بأن تصلي لربك وحده ولا تشرك به غيره وكذا النحر فلا تذبح لغيره تعالى وفي هذا تعليم لأمته وهل المراد من الصلاة صلاة العيد والنحر الأضحية لا مانع من دخول هذا في سائر الصلوات والنسك وقوله تعالى إن شأنتك هو الأبتري أي إن مبغضك في كل زمان ومكان هو الأقل الأذل المنقطع النسل والعقب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد ﷺ .
- ٢- تأكيد أحاديث الكوثر وأنه نهر في الجنة .
- ٣- وجوب الإخلاص في العبادات كلها لاسيما الصلاة والنحر .
- ٤- مشوعة الدعاء على الظالم .

(١) لفظ الكوثر يطلق عربياً على الخير الكثير كما هي صيغة فاعل نحو النفل من النفل والجوهر من الجوهر والعرب تسمي كل شيء كثيراً في العدد والقدر كوثرًا والكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ نهر في الجنة كما في البخاري والنبوة والكتاب والعلم والحكمة .

(٢) في حديث البخاري دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافته خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أظفر قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل .

(٣) في الآية دليل على وجوب تقديم صلاة العيد على النحر وهو ما عليه جمهور الفقهاء وجائز أن يكون المراد من صل لربك وانحر أي صل صلاة الصبح بمزدلفة وانحر هديك بمعنى .

(٤) الأبتري حقيقة: المقطوع . بعضه وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيه بالدواب المقطوع أذنانها ومنه الخبطة البتراء التي لم يحمد فيها الله ولم يُصل فيها على نبيه محمد ﷺ .

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

مكية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيْنُهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

قل : أي يارسول الله .

يا أيها الكافرون : أي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن المطلب .
لا أعبد ما تعبدون : أي من الآلهة الباطلة الآن .
ولا أنتم عابدون ما أعبد : أي الآن .
ولا أنا عابد ما عبدتم : أي في المستقبل أبدا .
ولا أنتم عابدون ما أعبد : أي في المستقبل أبدا لعلم الله تعالى بذلك .
لكم دينكم : أي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدا حتى تهلكوا .
ولي دين : أي الإسلام فلا أتركه أبدا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾^(١) الآيات الست الكريمات نزلت ردا على اقتراح تقدم به بعض المشركين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن المطلب وأمية بن خلف مفاده أن يعبد النبي ﷺ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم ، ولم يجبههم الرسول ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المقترحين الباطل يا أيها الكافرون بالوحي الإلهي وبالتوحيد

(١) ورد في فضل هذه السورة أنها تعدل ربع القرآن كسورة الزلزلة والنصر وضح عن النبي ﷺ أنه كان يقرؤها في الشفع في الركعة الثانية ويقرأ في الأولى بالأعلى ، وضح أنه كان يقرأ بها وبالصد في ركعتي الطواف .

المشركون في عبادة الله تعالى أصناماً وأوثاناً ﴿لَا أُعْبَدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآن كما اقترحتم ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ الآن ﴿مَا أُعْبَدُ﴾ لما قضاه الله لكم بذلك، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في المستقبل أبداً ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ﴾ في المستقبل أبداً لأن ربي حكم فيكم بالموت على الكفر والشرك حتى تدخلوا النار لما علمه من قلوبكم وأحوالكم وقبح سلوككم وفساد أعمالكم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لا أتابعكم عليه ﴿وَلِي دِينٌ﴾ لا تتابعونني عليه . بهذا يأبى الله رسوله من إيمان هذه الجماعة التي كان النبي ﷺ بطمع في إيمانهم وأبأس المشركين من الطمع في موافقة الرسول ﷺ على مقترحهم الفاسد، وقد هلك هؤلاء المشركون على الكفر فلم يؤمن منهم أحد فمنهم من هلك في بدر ومنهم من هلك في مكة على الكفر والشرك وصدق الله العظيم فيما أخبر به عنهم أنهم لا يعبدون الله عبادة تنجيهم من عذابه وتدخلهم رحمته .

هــ اية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن الكافر من كفر أزل والمؤمن من آمن أزل .
- ٢- ولاية الله تعالى لرسوله عصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل .
- ٣- تقرير وجود المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك .

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا تَوَّابًا ﴿٣﴾

(١) التكرار الموجود في الآية المراد منه التأكيد الذي يحمل المقترحين على اليأس من قبول الرسول ﷺ اقتراحهم بعبادة آلهم معهم سنة وهذا التكرار وارد في سورة الرحمن وسورة المرسلات ، والتكرار شائع في لغة العرب من ذلك قول الرسول ﷺ فلا آذن ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني (مسلم) وقال الشاعر:

يالبكر انشروا لي كليباً يالبكر أين أين الفراق

وقال آخر:

يا علقمة يا علقمة يا علقمة خير تميم كلها وأكرمها

(٢) حذفت ياء الضمير تخفيفاً من ولي دين وبه قرأ جمهور القراء .

شرح الكلمات :

- إذا جاء نصر الله : أي نصر الله نبيه محمداً ﷺ على أعدائه المشركين .
 والفتح : أي فتح مكة .
 في دين الله أفواجا : أي في الإسلام جماعات جماعات .
 فسيح بحمد ربك : أي نزهه عن الشريك ملتبساً بحمده .
 واستغفره : أي أطلب منه المغفرة توبة منك إليه .

معنى الآيات : (١) (٢)

قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾ الآيات الثلاث المباركات نزلت في أخريات أيام الرسول ﷺ وهي تحمل علامة للنبي ﷺ على قرب أجله فقوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي لك يا رسولنا فأصبحت تنتصر على أعدائك في كل معركة تخوضها معهم وجاءك الفتح فتح مكة ففتحها الله عليك وأصبحت دار إسلام بعد أن كانت دار كفر^(٣) ، ﴿ورأيت الناس﴾ من سكان اليمن وغيرهم ﴿يدخلون في﴾ دينك الدين الإسلامي ﴿أفواجا﴾ وجماعات جماعة بعد أخرى بعد أن كانوا يدخلون فرادى واحداً واحداً وهم خائفون إذا تم هذا ورأيت ﴿فسيح بحمد ربك﴾ شكراله على نعمة النصر والفتح ودخول الناس في دينك وانتهاء دين المشركين الباطل . ﴿واستغفره﴾ أي اطلب منه المغفرة لما فرط منك مما هو ذنب في حقك لقربك وكمال علمك وأما غيرك فليس هو بالذنب الذي يُستَغْفَرُ منه وَيُنَابُ إلى الله تعالى منه وقوله تعالى ﴿إنه كان تواباً﴾ أي إن الله تعالى الذي أمرك بالاستغفار توبة إليه كان تواباً على عباده يقبل توبتهم فيغفر ذنوبهم ويرحمهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- مشروعية نعي الميت إلى أهله ولكن بدون إعلان وصوت عال .

(١) الإجماع على أن آخر سورة نزلت جميعاً هي سورة النصر هذه قاله ابن عباس كما في صحيح مسلم .

(٢) النصر: العون مأخوذ من قولهم نصر الغيث الأرض إذا أعان نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر:

إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري أرض عامر

(٣) روي أن العرب قالت: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يسلمون أفواجا أمة أمة، والأمة أربعون رجلاً .

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه : قالت فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه : قال خبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيته أكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقد رأيته : إذا جاء نصر الله والفتح . الخ .
 وصح أنه كان ﷺ يقول في ركوعه، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي .

- ٢- وجوب الشكر عند تحقق النعمة ومن ذلك سجدة الشكر.
٣- مشروعية قول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي في الركوع.

سُورَةُ الْمَسَدِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

تبت يدا أبي لهب : أي خسرت يدا أبي لهب بن عبدالمطلب أي خسر عمله .

وتب : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار .

ما أغنى عنه ماله : أي أي شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه وعذبه في الدنيا والآخرة .

وما كسب : أي من المال والولد وغيرها .

سيصلى نارا : أي يدخل نارا يصطلي بحرها ولفحها .

ذات لهب : أي توقد واشتعال .

وامراته : أي أم جميل العوراء .

حمالة الحطب : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق النبي ﷺ أذية له وكرها .

في جيدها : أي في عنقها .

حبل من مسد : أي من ليف .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ الآيات الخمس المباركات نزلت ردا على أبي لهب عم النبي ﷺ إذ صح أنه لما نزلت آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ من سورة الشعراء طلع ﷺ إلى جبل الصفا ونادى : واصباحاه واصباحاه فاجتمع الناس حوله فقال لهم إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد : قولوا لا إله إلا الله كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم . فنطق أبو لهب فقال :

(٢)

ألهذا جمعنا تبا لك طول اليوم فأنزل الله تعالى رداً عليه ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي خسر أبو لهب وخسر كل شيء له وهذه جملة دعائية ولذا هلك بمرض خطير لم يتمكنوا من غسله فأراقوا عليه الماء، فقط وقوله ﴿وتب﴾ إخبار من الله تعالى بهلاك عبد العزى أبي لهب وقوله ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أي لما سخط الله عليه وادخله ناره لم يغن عنه أي لم يدفع عنه العذاب ماله ولا ولده. وقوله تعالى ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ أي تَوْقِدُ وتَأْجِجُ. ﴿وامراته﴾ أم جميل العوراء ﴿حاملة الحطب﴾ حيث كانت تأتي بشوك السعدان وتضعه في طريق النبي ﷺ عند ذهابه إلى صلاة الصبح بالمسجد الحرام. وقوله تعالى ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ أي في عنقها حبل من ليف النخل أو مسد شجر الدوم بهذا حكم الله تعالى على أعدائه وأعداء رسوله ﷺ. هداية

من هداية الآيات :

- ١- بيان حكم الله بهلاك أبي لهب وإبطال كيده الذي كان يكيد له لرسول الله ﷺ.
- ٢- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.
- ٣- حرمة أذية المؤمنين مطلقاً.
- ٤- عدم إغناء القرابة شيئاً مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي ﷺ وهو في النار ذات اللهب.

(١) صح أنه لما سمعت امرأة أبي لهب ما نزل فيها وزوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني . والله لو وجدتته لضربت بهذا الفهر، والله إني لشاعرة : مذمما عصينا وأمره أبينا، ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ قال : ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني .

(٢) سمي أبو لهب بأبي لهب وكان اسمه عبد العزى فسمي باللهب لحسنه وإشراق وجهه . وقال العلماء سمي بأبي لهب لمعانٍ أربع والذي أراه أنه سمي بقضاء وقدر أبا لهب ليكون من أهل النار نظيره اختيار الشيوعيين اليوم شعار الحمرة، وكلمة اليسار، لما سبق أنهم أهل النار وأصحاب الشمال وهم أهل النار .

(٣) يسمى المرض الذي أصابه الله به مرض العدسة فمات وأقام ثلاثة أيام لم يدفن حتى انتن ثم إن ولده غسلوه بالماء من بعيد مخافة عدوى العدسة ؟ إذ كانت العرب تتقي هذا المرض كما يتقى الطاعون .

(٤) الكسب يكون حلالاً ويكون حراماً وخيره ما كان حلالاً، وفي الصحيح حديث عائشة رضي الله عنها إذ قالت قال رسول الله ﷺ إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه رواه أبو داود .

(٥) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا ورش عليه أي حرش . قال الشاعر :

إن بني الأدرم حَمَلُوا الحطب هم الوشاة في الرضا وفي الغضب
ولا منافاة مع ما روي أنها كانت تحمل حزمة الشوك إذ هي تفعل هذا أو ذاك .

(٦) الجيد العنق شاهده قول الشاعر :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
الريم : الظبي الأبيض الخالص البياض . ونصته : رفعته . والمعطل الذي لا حلي عليه .

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

شرح الكلمات :

قل هو الله أحد : أي قل لمن سألك يانينا عن ربك هو الله أحد .
الله الصمد : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، الصمد : السيد الذي يصمد إليه .
في الحوائج . فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام .
لم يلد : أي لا يفنى إذ لا شيء يولد إلا وهو فان بائد لا محالة .
ولم يولد : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان فهو كائن أولاً وأبداً .
ولم يكن له كفواً أحد : أي لم يكن أحد شبيه له أو مثيل إذ ليس كمثله شيء .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ① الآيات الأربع المباركات نزلت جواباً لمن قالوا للرسول ﷺ من المشركين انسب لنا ربك أو صفه لنا فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ قل أي لمن سألك ذلك هو الله أحد ② الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد أي ربي هو الله أي الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة إلا له أحد في ذاته وصفاته وأفعاله فليس له نظير ولا مثيل في ذلك إذ هو خالق الكل ومالك الجميع فلن تكون المحدثات المخلوقات كخالقها ومحدثها الله أي المعبود الذي لا معبود بحق إلا هو ، الصمد أي السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه واقتصر الكل إليه لم يلد أي لم يكن له ولد لا انتفاء

(١) ورد في فضل السورة أنها تعدل ثلث القرآن رواه البخاري وروى مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم به (قل هو الله أحد) . فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فانا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عز وجل يحبها .
(٢) روى الترمذي عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد .

(٣) أحد أصلها وحده قلبت الواو فيها همزة قال النابغة :

كان رحلي وقد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد
وأحد مرفوع على أنه خير لمبتدأ تقديره هو أحد (وهو) ضمير شأن أي المسؤول عنه هو الله أحد .

من يجانسه إذ الولد يجانس والده، والمجانسة منفية عنه تعالى إذ ليس كمثله شيء ولم يولد لانتفاء الحدوث عنه تعالى .

ولم يكن له كفوا أحد أي ولم يكن أحد كفوا له ولا مثيلاً ولا نظيراً ولا شبيهاً إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلذا هو يعرف بالأحدية والصمدية فالأحدية هو أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لم يكن له كفو ولا شبيه ولا نظير والصمدية هي أنه المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه في وجوده وبقائه كل ما عداه كما يعرف بأسمائه وصفاته وآياته .

من هداية الآيات :

- ١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته .
- ٢- تقرير التوحيد والنبوة .
- ٣- بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى .
- ٤- وجوب عبادته تعالى وحده لا شريك له فيها، إذ هو الله ذو الألوهية على خلقه دون سواه .

سُورَةُ الْفَلَقِ

مدنية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

أعوذ : أي استجير واتحصن .
الفلق : أي الصبح .

(١) قرأ نافع كفواً . مهموزاً وقرأ حفص كفواً بإبدال الهمزة واواً تخفيفاً .

من شر ما خلق : من حيوان وجماد.

غاسق إذا وقب : أي الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب .

النفاثات : أي السواحر اللاتي ينفثن .

في العقد : أي في العقد التي يعقدنها .

حاسد إذا حسد : أي إذا أظهر حسده وأعمله .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ أنه لما سحر لبيد بن معصم^(٧) اليهودي بالمدينة النبي ﷺ أنزل تعالى المعوذتين فرفاه بهما جبريل فشفاه الله تعالى ولذا فالسورتان مدينتان وقوله تعالى ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ أي قل يارسولنا أعوذ أي استجير وأتحصن برب الفلق وهو الله عز وجل إذ هو فائق الإصباح وفائق الحب والنوى ولا يقدر على ذلك إلا هو لعظيم قدرته وسعة علمه . ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر ما خلق تعالى من الكائنات من حيوان مكلف كالإنسان وغير مكلف كسائر الحيوانات ومن الجمادات أي من شر كل ذي شر منها ومن سائر المخلوقات . وقوله ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ أي الليل إذا أظلم والقمر إذا غاب إذ الظلام بدخول الليل أو بغياب القمر يكون مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة وابتغاء الشر والفساد . وقوله تعالى ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ أي وتعوذ بالله برب الفلق من شر السواحر وهن النساء اللاتي ينفثن في كل عقدة يرقين عليها ويعقدنها والنفت هي إخراج هواء من الفم بدون ريق ولذا ورد من عقد عقدة ونفت فيها فقد سحر . وقوله تعالى ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ أي وتعوذ برب الفلق من شر حاسد أي من الناس إذا حسد أي أظهر حسده فابتغاك بضر أو أرادك بشر أو طلبك بسوء بحسده لك لأن الحسد طلب زوال النعمة عن المحسود وسواء أرادها له أو لم يردها وهو شر الحسد .

(١) هذه أولى المعوذتين والثانية الناس وقبلهما الصمد قال فيهن رسول الله ﷺ لم يتعوذ الناس بمثلهن وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وينفت فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها .

(٢) حديث سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ ثابت في الصحيح وغيرهما . ومما رقى به جبريل النبي ﷺ قوله بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك .

(٣) روى الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيزي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب .

(٤) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه . لهذا كره بعض السلف النفث في الرقية وقالوا يرقى ولا ينفث ، والجمهور على الجواز .

(٥) الحسد حرام وهو أول ذنب عصى به الله تعالى إذ حسد إبليس آدم وحسد قابيل هابيل وحقيقته تمنى زوال النعمة على الغير لتحصل له ، أو لا تحصل وهو شر الحسد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- وجوب التعوذ بالله والاستعاذة بجنابه تعالى من كل مخوف لا يقدر المرء على دفعه لخفائه أو عدم القدرة عليه .

٢- تحريم النفث في العقد إذ هو من السحر . والسحر كفر وحد الساحر ضربة بالسيف .

٣- تحريم الحسد قطعياً وهو داء خطير حمل ابن آدم على قتل أخيه وحمل إخوة يوسف على الكيد له .

٤- الغبطة ليست من الحسد لحديث الصحيح لا حسد إلا في اثنتين إذ المراد به الغبطة .

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

أعوذ	: أي أتحصن وأستجير
رب الناس	: أي خالقهم ومالكهم .
ملك الناس	: أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم .
إله الناس	: أي معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه .
من شر الوسواس	: أي من شر الشيطان سمي بالمصدر لكثرة ملاسته له .
الخناس	: أي الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى .
في صدور الناس	: أي في قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله تعالى .
من الجنة والناس	: أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ هذه السورة هي إحدى المعوذتين الأولى الفلق وهذه الناس والأولى اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي من شر كل ذي شيء من سائر الخلق والثانية من شر ما يحدث في الظلام ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب والثالثة من شر السواحر النفاثات في العقود والرابعة من شر حاسد إذا حسد وقد اشتملت هذه الأربع على كل ما يخاف لأذاه وضرره أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد إلا أنه أخطر من تلك الأربع وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء وإذا صلح صلح كل شيء ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. فقوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس﴾^(١) ملك الناس إله الناس ﴿أمر منه تعالى لرسوله وأمه تابعة له أعوذ أي أتحصن برب الناس أي خالقهم ومالكهم وإلههم الذي لا إله لهم سواه من شر الوسواس^(٢) الذي هو الشيطان الموسوس في صدور الناس وذلك بصوت خفي لا يسمع فيلقى الشبه في القلب، والمخاوف والظنون السيئة ويزين القبيح ويقبح الحسن وذلك متى غفل المرء عن ذكر الله تعالى، وقوله تعالى ﴿الخناس﴾ هذا وصف للشيطان من الجن فإنه إذا ذكر العبد ربه خنس أي استتر وكأنه غاب ولم يغب فإذا غفل العبد عن ذكر الله عاد للوسوسة.

وقوله تعالى ﴿من الجنة والناس﴾ يعني أن الموسوس للإنسان كما يكون من الجن يكون من الناس والإنسان يوسوس بمعنى يعمل عمل الشيطان في تزوين الشر وتحسين القبيح. والقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة حتى إن ضرر الإنسان على الإنسان أكبر من ضرر الشيطان على الإنسان، إذ الشيطان من الجن يطرد بالاستعاذة وشيطان الإنس لا يطرد بها وإنما يصانع ويُدَارَى للتخلص منه اللهم إنا نعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر الإنس والجن، فأعذنا ربنا فإنه لا يعيذنا إلا أنت ربنا ولك الحمد والشكر.

(١) لما كان في الناس ملوك، وفيهم من يعبد غير الله تعالى ذكر تعالى أنه ملك الناس وإلههم ومعبودهم الحق الذي لا يستحق العبادة سواه فيه يستعاذ ويختابه يلاذ.

(٢) جائز أن يكون المستعاذ منه لا الوسواس وإنما صاحب الوسواس وهو الشيطان أي من شر ذي الوسواس والوسوسة حديث النفس.

(٣) صح عن النبي ﷺ أن الوسوسة التي هي حديث النفس الخالية من القول والعمل معفو عنها ولا يؤاخذ به العبد لقوله ﷺ: (إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت أنفسها مالم تعمل أو تتكلم به).

(٤) قال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق سلطه الله على ذلك وفي الصحيح إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الإنس والجن .
- ٢- تقرير ربوبية الله تعالى والوحيته عز وجل .
- ٣- بيان لفظ الاستعاذة وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما بيّنته السنة الصحيحة إذ تلاخى رجلا في الروضة النبوية فقال النبي ﷺ إني أعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه أي الغضب :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

«خاتمة الطبعة الأولى والثانية»

الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ، والشكر لله ملاً هُما وملء ما بينهما والصلاة والسلام التامان الأكمالان على نبي الرحمة وقائد الأمة وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ففي ليلة السبت الثالث والعشرين من محرم الحرام لعام ١٤٠٧ وبالروضة الشريفة من المسجد النبوي الشريف قد تم ختم هذا التفسير المبارك المسمى بأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير والحمد لله أولاً وآخراً .

هذا وأقدم اعتذاري لأخي القاريء وهو أني لم أستطع الالتزام بما نوهت عليه في مقدمة الكتاب وهو أني لا أزيد على الخمس أو الست آيات في الدرس الواحد ، حيث واجهتني في المفصل بالذات آيات كثيرة لا تزيد على جملة قصيرة نحو ﴿والنجم إذا هوى﴾ فلذا كنت أنظر إلى عدد الأسطر لا إلى عدد الآيات . والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هذا اعتذار ، وآخر هو أني كتبت هذا التفسير في ظروف مختلفة مرة في الطائفة ، ومرة في الحضر ، وأخرى في السفر ، ومرة والبال مشغول وثانية والجسم معلول ، فلذا قد يجد القاريء أحياناً جفافاً في الشرح أو قلقاً في العبارة ، يضاف إلى ذلك الخطأ المطبعي الذي أصبح لا ينجو منه كتاب ، ولا يسلم منه خطاب .

وكلمة أخيرة وهي أني ما آلوت جهداً في تحري الحق والصواب وفي التيسير والتسهيل في هذا الكتاب ، وما توفيتي إلا بالله . وعليه فإنه ما كان من كمال فهو من الله ، وما كان من نقصان فإنه مني ، وأعتذر مستغفراً الله تعالى لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ومصلياً ومسلماً على أشرف المخلوقات وصاحب المعجزات نبينا محمد وآله الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

أبو بكر جابر الجزائري

«خاتمة الطبعة الثالثة»

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات محمد ذي الكمالات، وآله وصحبه ما أشرقت بنور ربها قلوب المؤمنين والمؤمنات .
وبعد: ففي الروضة الشريفة من المسجد النبوي الشريف، وبين العشائين من ليلة السبت الموافق لعيد الفطر المبارك من عام ١٤٠٩ من الهجرة النبوية كتبت هذه الكلمة «الخاتمة» (لنهر الخين) على أيسر التفاسير، فكانت إحدى النعم التي والهاها الله ذو الفضل والإنعام على أضعف عباده وأقلهم شأنًا، وأدناهم فضلًا، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وهو ذو الفضل العظيم .

لقد ابتدأت كتابة هذه الحاشية المباركة إن شاء الله تعالى في أواخر محرم الحرام وأنا بين خوف ورجاء: خوف من موافاة الأجل قبل إتمام العمل، إذ كثيرون ما أتموا ما بدأوا ولا أدركوا ما أملوا أذكر منهم الشيخين الجليلين: محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، فقد بدءا تفسيرهما فتركه الأول في سورة النساء وتركه الثاني في سورة يوسف عليه السلام وأجابا نداء ربهما وتركنا تفسيرهما لم يتماه ولم يكمله لأمر أراده الله، فأعظم الله أجرهما وأحسن عزاءنا فيهما ونفعنا بتفسيرهما وقد فعل فله الحمد وله المنة فقد قرأت وطالعت (المنار) أكثر من أربع مرات، وكنت إذا وصلت إلى موضع انتهاء ما كان الشيخ رشيد يتلقاه عن شيخه ويقول إلى هنا انتهى ما كنت أتلقيه من الشيخ، يغلبني البكاء فأبكي وأرى أن رزية ما فوقها رزية في موت الشيخين قبل إتمام تفسيرهما .

واستجاب الله لي ووقاني كل ما يعوقني أو يعوقني عن إتمام هذه الحاشية التي أراها ضرورية لأيسر التفاسير الذي ما كتبه وجمعه إلا لعلمي بحاجة المسلمين اليوم إلى مثله فأتى الله علي نعمة من أجل النعم ومنه من أعظم المنن فالله لك الحمد ولك الشكر حمداً لا ينتهي وشكراً لا ينقضي، وكما أنعمت وأفضلت فاغفر وارحم وأنت خير الراحمين واعف وتجاوز وأنت العفو الكريم، وصل وسلم وبارك على خاتم أنبيائك، محمد عبدك ورسولك وآله الطاهرين وصحابته أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أبو بكر جابر الجزائري

فهرس المجلد الخامس

٥	سورة الدخان
٢١	سورة الجاثية
٤٤	الجزء السادس والعشرون
٤٤	سورة الأحقاف
٦٩	سورة محمد ﷺ
٩٢	سورة الفتح
١١٩	سورة الحجرات
١٣٦	سورة ق
١٥٤	سورة الذاريات
١٦٣	الجزء السابع والعشرون
١٦٣	سورة الذاريات من الآية (٣١)
١٧٣	سورة الطور
١٨٧	سورة النجم
٢٠٤	سورة القمر
٢٢٨	سورة الرحمن
٢٣٧	سورة الواقعة
٢٥٧	سورة الحديد
٢٨٢	الجزء الثامن والعشرون
٢٨٢	سورة المجادلة
٣٠٠	سورة الحشر
٣١٩	سورة الممتحنة
٣٣٤	سورة الصف
٣٤٤	سورة الجمعة
٣٥٢	سورة المنافقون
٣٦٠	سورة التغابن
٣٧١	سورة الطلاق
٣٨٣	سورة التحريم

٣٩٣	الجزء التاسع والعشرون
٣٩٣	سورة الملك
٤٠٥	سورة القلم
٤١٩	سورة الحاقة
٤٢٩	سورة المعارج
٤٣٢	سورة نوح
٤٤٥	سورة الجن
٤٥٥	سورة المزمل
٤٦٢	سورة المدثر
٤٧٣	سورة القيامة
٤٨١	سورة الإنسان
٤٩٠	سورة المرسلات
٥٠٠	الجزء الثلاثون
٥٠٠	سورة النبأ
٥٠٧	سورة النازعات
٥١٦	سورة عبس
٥٢٣	سورة التكويد
٥٢٨	سورة الانفطار
٥٣٣	سورة المطففين
٥٤٢	سورة الانشقاق
٥٤٧	سورة البروج
٥٥٢	سورة الطارق
٥٥٥	سورة الأعلى
٥٥٩	سورة الغاشية
٥٦٤	سورة الفجر
٥٧١	سورة البلد
٥٧٥	سورة الشمس
٥٨٠	سورة الليل
٥٨٥	سورة الضحى
٥٨٧	سورة الشرح

٥٩٠	سورة التين
٥٩٢	سورة العلق
٥٩٧	سورة القدر
٥٩٩	سورة البينة
٦٠٣	سورة الزلزلة
٦٠٥	سورة العاديات
٦٠٨	سورة القارعة
٦١٠	سورة التكاثر
٦١٢	سورة العصر
٦١٣	سورة الهمزة
٦١٥	سورة الفيل
٦١٧	سورة قريش
٦١٩	سورة الماعون
٦٢١	سورة الكوثر
٦٢٣	سورة الكافرون
٦٢٤	سورة النصر
٦٢٦	سورة المسد
٦٢٨	سورة الإخلاص
٦٢٩	سورة الفلق
٦٣١	سورة الناس
٦٣٤	خاتمة الطبعة الأولى والثانية
٦٣٥	خاتمة الطبعة الثالثة